عدد ممتاز

العربي

السنة الحادية والعشرون - العدد ٢٤٢ - صفر ١٣٩٩ - يناير (كانون ٢) ١٩٧٩

- شرعية السلطة في العالم العربي
- رحلة مع دنيا النبات في القرآن
- كيف تعيش مائة عام؟
- الوجه الآخر للأوراس ..
- الزنج: صليان التاريخ الاسلامي
- طفل الأنبوب: حدث عام ٧٨

(جزء خاص)



هدية بالمجان

العالم: خريطة القرن

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات الكويت الاقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والاستشارات والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع انحاء العالم. قبل اقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي إستعمل المفتاح الذهبي واستثمر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك



عزيزي القارئ

مرت على صدور مجلتك « العربى » عشرون سنة !

وقد قالت المجلة لك فى اول عدد لها ٠٠« ٠٠٠ باسم العروبة خالصة ، نخط اول سطر فى هذه المجلة ٠ ان مجلة العربى لهذا الوطن العربي كله من الخليج شرقا الى المحيط غربا، ومن حلب شمالا الى المكلا جنوبا ٠

« انها للفكرة العربية خالصة ٠٠٠

« هى ضد الجهل ومع المعرفة ، فى هذا الوطن العربى كله٠

«هى ضد المرض ومع الصحة٠٠ومن الصحة صحة العقول٠٠

« وهى ضد الفقر ، ومع الغنى تطلبه للفقير حتى يستغنى٠ وتطلب له من أجل ذلك التعليم الطويل والتثقيف الواسع ، وتطلب له حق العمل لانه من حقوق الانسان على المجتمع الذى يعيش فيه » ٠٠٠

ومازالت « العربى » على هذا الدرب سائرة٠٠

وقد شجعها على اداء رسالتها انها صدرت فى بلد عربي صغير بحجمه ، كبير بدوره هو « الكويت » لم يطلب منها دعاية ولا انحيازا ولا اى شىء غير اداء هذه الرسالة ٠٠٠

وبهذا المنطلق صارت العربى تطبع ربع مليون نسخة ٠ ويشكو القارىء من عدم توفرها فى الاسواق لان هذه هى حدود القدرة الطباعية ، التى نرجو ان تنمو لكى ننمو معها ونقفز بها قفزة اخرى واسعة ٠

واننا لنخطىء ونصيب ٠ وان القارىء يغضب ويرضى٠ ولكن الذى نثق فيه ان القارىء يطمئن الى نزاهة قصد هذه المجلة ، وحسن توجهها، وأمانتها، واستجابتها للضمير العربى العام ٠ وهذا اثمن رأسمال .لأى كاتب او كتاب ٠

وقبل ان نعرف ماحققناه فاننا نعرف قصورنا ٠ ونتعهد بالعمل على تداركه ٠

والفضل فى النهاية لك ياعزيزى القارىء ،قبل كل شىء٠

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 242 January 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● على غلاف هذا العدد اقمنا سرادقا صغيرا ومتواضعا ، حاولنا ان نعلن فيه بسرعة خاطفة عن احتفالنا بمناسبتين : الاولى بنوغ « العربى » سن الواحدة والعشرين ، والثانية بدء عام جديد ، نأمل ان يكون افضل مما سبقه • وتركنا للقارىء ان يجلس بنفسه فى السرادق ، ليرى ـ فى موضوعات العدد ـ كم كان احتفالنا به وبالعربى كبيرا •

اجتماع :

استطلاعات :

أدب وشعر :

فنون :

كتب :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

● من التحديات التى تواجهها القومية العربية ●

شرعية السلطة

سألونى، عن التحديات التى تواجهها القومية العربية ..

وكان ذلك فى ندوة عامة ، فى مقر رابطة الادباء ..

وقلت لهم : ان التحديات التى تواجه القومية العربية كثيرة ، منها مثلا الوصول بها الى نوع من انواع الوحدة العربية . ومنها حل مشكلة التخلف الاجتماعي والاقتصادى . ومنها تحدى المحافظة على الاستقلال القومي بين تيارات وعواصف القوى الكبرى . ومنها تحدى الحفاظ على الثروة البترولية الاستراتيجية وحسن استثمارها .. الى آخره .

ولكننى ، قلت لهم ، افضل أنلا أتحدث عن « التحديات الخارجية » المعروفة ، وان أركز على ما يمكن تسميته « تحديات داخلية » ، اى تحديات فينا وفي نفوسنا ومجتمعاتنا . ذلك أننى أعتقد أنه لو استقامت أمور الامة العربية الداخلية . وحياتها مع نفسها ، لتغير الموقف تماما بالنسبة لكل شيء . وحتى التحديات الخارجية سوف يتغير وضعها وسوف تسهل مواجهتها الى حد بعيد .

وقد اخترت من هذه التحديات ، ثلاثة ..

ثلاثة امور تحتاج اليها المجتمعات العربية بدرجات متفاوتة . وقد تبدو للبعض نوعا من الترف الشكلي ، لانها « صفات » و « قيم » وليست « أشياء مادية » . ولكن الواقع أن الحاجة اليها صارت ماسة بل ومتفاقمة .

فالقوة المادية لا يمكن أن تاتى الا فى أعقاب قوة معنوية .

وكل مجتمع ناهض ، لم يحقق نهضته وتقدمه المادي الا بعد أن استتبت لديه « قيم » و « مؤسسات » و « نظم » تسمح بقيام هذا التقدم المادي واستقراره على أساس متين .

فى العالم العربى

بقلم : أحمد بهاء الدين

ان من الشعارات البراقة الرائجة هذه الايام ، فى مؤتمرات وعلى اقلام الباحثين والسنة الزعماء والحكام ٠٠ عبارة « نقل التكنولوجيا » ، التى نستخدمها فى اطار البحث فى سبل تطوير وتقوية مجتمعاتنا العربية ٠٠

ولكن التكنولوجيا لا يشتريها المال ٠ ولا ينقلها عشرات او مئات من الخبراء الذين يتعلمونها فى الخارج ٠ هذه وسائل مساعدة ٠ ولكن التكنولوجيا لا تنتقل حقا وتصبح لها جذور الا فى تربة صالحة ومهياة لذلك ٠ والتربة لا تكون صالحة الا اذا توفرت لها ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية معينة ٠٠

وحتى لا يظن القارىء انني اشغله بقضية هامشية اسرد قصة صغيرة سردتها قبلا فى مجال آخر ، تدل اى انسان مدرك للمسئولية ، ان البلاد لا تتقدم بالصناعة والزراعة واصلاح التليفونات وحدها !

منذ اكثر من عشرين عاما ، وانا فى مطلع حياتي الصحفية ، تعرفت بحكم المهنة على الملحق الصحفى الشاب فى سفارة اليابان بالقاهرة (وقد لقيته اخيرا سفيرا لليابان فى دولة الكويت) ٠ ثم عرفت منه بالمصادفة يوما انه يواظب على حضور حصص اللغة العربية فى مدرسة المنيرة الثانوية فى شارع المبتديان ٠ ودهشت ٠ وقلت له ان هناك وسائل اخرى اسهل لتعلم العربية بالنسبة له وقتها قال لى : انه حقا مبعوث ليعمل ملحقا صحفيا لليابان فى مصر ٠ ولكن مطلوب منه شيء آخر ، هو دراسة اللغة العربية دراسة دقيقة عميقة تمكنه من اداء غاية معينة بعد سنوات وهي : ترجمة كتاب « مقدمة ابن خلدون » الى اللغة اليابانية ٠

هذه الواقعة الحية ، لاتبرح ذهني ابدا ٠ فكتاب مقدمة ابن خلدون من اهم كتب التراث العربى القديم ٠ وهو من اهم مراجع علم الاجتماع فى العالم كله ٠

ولذلك لم تكتف اليابان بان يطلع عليه المتخصصون فى لغات اخرى ـ انجليزية وفرنسية ـ ولا الى اشارات المؤلفين العالمين اليه · ولكنها كلفت احد ابنائها بالقيام بهذا الجهد سنوات طويلة ، حتى يوجد هذا الكتاب كاملا ، فى لغة اليابان، متاحا لكل شاب او دارس يابانى فى علم الاجتماع !

وقتها ، كانت اليابان خارجة من كبوتها وهزيمتها فى الحرب العالمية الثانية · لم تكن قد هجمت على العالم كله بعد بسياراتها وترنزيستوراتها وتلفزيوناتها وكل صناعاتها التى تذهل العالم وتزعزع اعتى الدول الصناعية الاخرى ·

والبعض يظن ـ فى سطحية ـ ان اليابان عكفت على اتقان هذه الصناعات وحدها !

كلا ! فنفس الجهد الذى كانت تبذله اليابان فى مجال البحث العلمي والانتاج الصناعى كانت تبذله ـ بالتوازى ـ فى مجالات البحث الاخرى كالعلوم الانسانية·· وتترجم مقدمة ابن خلدون من العربية رأسا الى اليابانية ·

عرفت اليابان قيمة الكلمة والورقة كما عرفت قيمة الجهاز الالكترونى الصغير !

وبغير هذا ما كانت اليابان لتحرز ما أحرزته من تقدم مذهل !

ففى حياة كل الامم ، لم يحدث ابدا ان تم التقدم فى مجال واحد دون مجال · المجتمع او الشعب اما ان يتقدم فى كافة المجالات ، لانها تكمل بعضها ، واما ان لا يتقدم !

والتقدم غير القوة المادية العابرة !

وقد اخترت ثلاثة تحديات داخلية ،او ثلاثة اشياء علينا ان نحققها فى بلادنا اولا . ونقيم عليها حياتنا ، ونجاهد فيها انفسنا ··

اولا : الديمقراطية وحرية الرأى ،وأمرهما واضح ·

ثانيا : العقلانية ، وليس ذلك معناه الغاء العاطفة · فالعاطفة فى حياة الشعوب امر اساسى · حب الوطن عاطفة · وحب العدل عاطفة · انما علينا ان نقرن التأثر بالعاطفة مع درجة كافية من العقلانية ،فيكون فكرنا وتصرفاتنا وسياساتنا كلها قائمة على العقل والقلب معا·

ثالثا : الشرعية ··

وقد تكون « الشرعية » هى اكثر «الشروط» حاجة الى الايضاح والتفسير· ذلك انها تختلط ، من الوهلة الاولى ،« بالقانونية » ، اى بالجانب القانونى ، والشكلى ، للشرعية ·· فى حين انها فى مجال فلسفة السياسة والحكم اوسع من ذلك واعمق فى معناها ومغزاها ··

المفكر السياسى « ماكس ويبر »يقول : « بدون الشرعية ، فان اى حكم ، او نظام ، يصعب عليه ان يملك القدرة الضرورية على « ادارة الصراع » بالدرجة اللازمة لاى حكم مستقر لفترة طويلة » ·

وهذا صحيح · فالحكم فى محاولته امتلاك عنان الامور ,والقدرة على مواجهة

المشاكل والتحديات ، تختلف قدرته وكفاءته اختلافا كبيرا ٠٠ بين حالة يكون فيها الناس معه . وحالة يكون فيها الناس ضده ٠ او ليسوا معه ٠ سواء كانوا ضده بالاعتراض والرفض والمقاومة ٠ او بالسلبية ، والاهمال وعدم التفاعل معه ٠

واى حكم ، قد يتمكن من تحقيق « استمرار وضع ما » عن طريق القوة ، او العادة ٠٠ ولكن العلاقة بين الحاكم والمحكوم تظل قلقة . مصدر ضعف للسلطة وللوطن معا « الى ان يقتنع المحكوم بجدارة الحاكم ، واحقيته فى ان يحكم ويدير له اموره عنه » ٠

فاقتناع الشعب « باحقية السلطة وجدارتها » ، هذا الاقتناع هو جوهر الشرعية ومغزاها ٠ لاتغنى عنه كل اشكال السطوة والرهبة والنفوذ ٠ حتى ولو احاطت نفسها بعشرات الدساتير والقوانين !

ويقول دافيد ايترن فى هذا المعنى ذاته « ٠٠ قد يقبل المواطن بسلطة الحكم عليه لالف سبب وسبب ٠ ولكن الشرعية هى ان يجد المحكوم ان من المقبول عنده ، والمناسب له ، ان يطيع متطلبات النظام السياسى القائم ، اذ يجد انها تتسق مع قيمه ومبادئه واخلاقياته وامانيه ٠ ذلك ليس لمنفعة شخصية مباشرة له ،ولكن بمعنى المنفعة العامة وعلى المدى الطويل » ٠

والشرعية بهذا المعنى اوسع من التأييد او المعارضة ٠ فقد يكون هناك من يعارض السلطة ٠ وقد يتذمر الناس من بعض قراراتها وسياساتها ٠ ولكن هذه امور طبيعية بل وحتمية ٠ لا تنفى الشرعية ، طالما شعر المواطنون ان السلطة فى توجهها العام ، سلطة وطنية ، منطقية مع التاريخ الوطنى ، ومخلصة فى المجموع لادارة الشعب ، وللقيم العامة التى تربط ابناء الوطن الواحد بعضهم ببعض ٠

ولتوضيح هذا المعنى نعطى نموذجا من بلد عربى يصعب فيه قيام الشرعية الى حد بعيد ، كصورة «متطرفة» نفهم منها « روح الشرعية » ٠ وهذا النموذج هو لبنان ٠

فى لبنان . يصعب الحديث عن « قيم واحدة وارادة وطنية عامة ٠٠ الخ » تجمع بين كل ابناء شعب لبنان ٠ فلبنان قام على توازن طائفى ٠ وتكرس هذا التوازن الطائفى فى مصالح اقتصادية وانتماءات سياسية شتى ٠ وزادت هذه الاوضاع تعمقا بعد الاستقلال بدلا من ان تزول ٠ فالمارونى والسنى والشيعى والدرزى ، لا يمكن الكلام عن « تصور عام واحد لمصلحة الوطن » يضمهم جميعا ٠ ولايمكن الكلام عن « مستقبل واحد » يتصورونه ويطمحون اليه كلهم على السواء ٠ وتعمق ذلك بان التعليم الوطنى لم يوجد بل وجد اكثر من تعليم ٠ كل تعليم يعلم ابناءه صورة مختلفة عن الوطن ٠ والمؤسسات الوطنية كالجيش والبوليس والقضاء لم يتم الاحساس بانها للوطن كله ، انما يحسبها كل فريق له او ضده حسب وضعه وانتمائه ٠

كانت الشرعية الوحيدة فى لبنان قائمة على اساس ضعيف وهو : اتفاق الاطراف على نصيب كل طرف من «الكيان الواحد » ٠ فظل الكيان كيانا ولم يتحول الى وطن ٠ وحين اختلف الاطراف على الانصبة فى هذا الكيان ، وحين وقعت فى المنطقة احداث وضعت هذه الاطراف امام اختيارات حاسمة بالنسبة لهويتها

وانتمائها ، فاختلفت هذه الاختيارات ٠٠حين وقع هذا انهارت « الشرعية » وقامت الحرب الاهلية ٠٠

لبنان صورة متطرفة ، ولكن قيمتها انها تشرح لنا فكرة الشرعية الاساسية٠٠

الصورة الاخرى الواضحة التي تبين لنا ان « السلطة الشرعية » غير مجرد الوجود في الحكم هي صورة الاحتلال الاجنبي ٠

قد تحتل دولة من الدول دولة اخرى ٠ وقد يستمر الاحتلال مائة او مئات من السنين ٠ ولكن مجرد الوجود في السلطة هذا الزمن لايجعلها شرعية ، لانه لا يتصور ان يكون هناك احتلال ما يتفق مع رغبة الناس ، ويعبر عن ارادتهم ويترجم امانيهم ولو باضعف المعاني ٠

انه وجود بحكم القوة لا بحكم الرضى ٠ انه « استمرار » لا « استقرار »٠ انه اغتصاب للسلطة وليس تفويضا بها ٠

واذا كانت صورة الاحتلال الاجنبي ايضا صورة متطرفة . الا انها كذلك تشرح لنا جانبا آخر من جوانب فكرة الشرعية ٠

وحتى الثورة حقا ، اذا كانت ثورة حقا . فان هدفها النهائي يفترض ان يكون « اقامة شرعية جديدة » ٠ بل ان ما يفرق بين الثورة وبين الانقلاب هو هذا المعيار الهام ٠ الثورة والانقلاب كلاهما يغتصب السلطة ٠ ولكن الثورة تغير المجتمع وتقيم شرعية جديدة يعيش بها مرحلة استقرار جديدة ، اما الانقلاب فهو يغتصب السلطة فحسب ٠ واذا بقى فيبقى باغتصاب السلطة المستمر، وليس بمنطق شرعي جديد مستقر ٠

وقد يحيط مغتصب السلطة نفسه بكل « اشكال » الشرعية ٠ فاى حكم قد يتمكن عن طريق القوة من اقامة برلمان مثلا واجراء انتخابات ، واصدار قوانين وتشريعات ٠ولكنها تبقى كلها ستائر تخفى عدم الشرعية ولاتحل محل الشرعية ٠ فالقانون ليس اى ورقة عليها توقيع الحاكم ٠ القوانين احكام خارجة من ضمير الناس معبرة عنهم في الاساس ٠ وما عدا ذلك فهو قوانين لاتساوى في ميزان الشرعية اكثر من ثمن الحبر الذى كتبت فيه ٠

وترى الناس في مثل هذا الوضع تتلقى هذه القوانين بالاذعان ٠ وقد تنفذها عن خوف ٠ او قد لاتقاومها عن سلبية وعدم اقتناع ٠ ولكنها ليست بالنسبة لهم « مشروعة » ٠ وليست لها في ضمائرهم اية مرتكزات ٠

وكما قلنا ان الشرعية غير «القانونية الشكلية » ٠ وغير مجرد القدرة على البقاء في السلطة ٠ وانها تختلف عن التأييد والمعارضة لقرارات السلطة ٠ كذلك فان الشرعية غير الوصف السياسي لنظام الحكم : ملكي او جمهوري ، موروث او جديد ،فالملكية والجمهورية وغيرهما من نظم الحكم،لا ترتبط بالضرورة بالشرعية٠ لان الشرعية كما هو واضح مما سبق ذكره هي معيار مستمر من « نظرة الرعية الى السلطة » وليست مستمرة من طريقة وجود السلطة او الاسلوب الذى سلكته للوصول الى الحكم ٠ انما هذه أشكال للسلطة وليست هى التى تحدد اذا كان موقع السلطة من الناس هو موقع «القوة» او موقع « النفوذ » ٠ والسلطة ، في كل

زمان ومكان ، تحتاج الى القوة لضبط حياة المجتمع • ولكنها لا تكون شرعية اذا كانت تعتمد على « القوة » فقط • انما تكون « شرعية » يكون لها لدى الناس « قوة النفوذ » لا « نفوذ القوة » • فمن غير هذه الرابطة المعنوية بين السلطة والرعية •• لا تكون هناك شرعية !

●

واذا كنا نسوق هذه الاحاديث النظرية كلها ، فان الغاية ليست الغرق فى النظريات ••

انما الغاية ان نقول اولا ان « الشرعية » بهذا المعنى عنصر حاسم في قوة الشعوب والدول او ضعفها • وان نقول ثانيا ان الشرعية بهذا المعنى غائبة أو ضعيفة في كثير من اقطارنا العربية • وان نقول ثالثا ان الاحداث اذا كانت قد علمتنا اهمية الديمقراطية والعقلانية فقد ان ندرك الاهمية الكبرى للشرعية •• لان الشرعية في النهاية هي الانسجام بين الحاكم والمحكوم • وبغير هذا الانسجام الداخلى لن ترقى لنا حياة فى داخل بلادنا ، ولن يقوى لنا عضد فى خارج بلادنا ، ولن يكون فى سياساتنا وممارساتنا اى انسجام •

ولكن السؤال الذى لا بد أن يطرحه كل قارئ هو : اذن . كيف نتعرف على وجود هذه الشرعية من عدم وجودها •• وقد قلنا أنها غير « القانونية » • وغير « السطوة » وغير الأشكال الدستورية ؟

وهو سؤال وجيه ••

وقد تكون الاجابة عنه غاية فى السهولة والبساطة •• وقد تكون غاية فى الصعوبة والتعقيد !

يمكن ان تكون الاجابة غاية فى السهولة ، اذا قلنا : لنترك كل هذه الحذلقات جانبا • ولنلجأ فقط الى حس الناس البسيط وفطرتهم السليمة • ما هو شعورهم العام لدى الحكم القائم لديهم ؟ •• هل يشعرون أنه يمثلهم ، يناسبهم ، ينتمى اليهم ؟ اذن فالحكم شرعي (مرة اخرى ، بصرف النظر عن الموافقة أو المعارضة لبعض قرارات السلطة ، فهذا أمر عادى) وهل يشعرون بغربة مع نظام حكمهم ، بعزلة عنه ، بانقطاع الصلة بينهم وبينه ؟ اذن فهو حكم لا شرعية له !

وهذه حالة لا تخفى على اى مراقب عادى •

اما اذا حاولنا بعض الاجابات الصعبة ، فاننا نحاولها أساسا لكى نتعرف على المزيد من ملامح الشرعية او عدم الشرعية ، ومن الصفات السلبية التى يشعر بها الحاكم والمحكوم معا ••

فنحن نلاحظ أننا لو اخذنا مثلا سياسة اى بلد متقدم ، له نظم سياسية مستقرة ، فرنسا مثلا او ايطاليا أو اى بلد من هذا النوع . سنجد أن البلد قد تتغير احزابه الحاكمة ، وقد تتبدل وزاراته ولكن سياساته العامة ثابتة • عناصرها واضحة • توجهاتها معروفة مقدما • ردود فعله يمكن التنبؤ بها الى حد كبير •

لكننا احيانا ما نجد بلادا عربية سياساتها عرضة للتقلبات الحادة حتى دون

تغير الوجوه والاشخاص • أهدافها مغلفة بالغموض ، دوافعها اما الخوف من المجهول واما ان هذه الدوافع لا توجد معلومات كافية عنها لدى المواطنين • والاعتبارات الشخصية لها قدر كبير في توجيه هـذه السياسات •• بسبب المزاجية . واعتبارات المجاملة ، والعلاقات الفردية بين الحكام ، والنزعات العاطفية • وبالتالى فاننا نجد رد فعل الرأى العام ازاء هذا هو اما المقاومة ، والحالة هنا تكون واضحة ، واما السلبية المطلقة ، وعدم توفر « المصداقية » وعدم القدرة لدى الناس بالتنبؤ عن اتجاهات السلطة ، وعدم استبعاد ان تنقلب هذه الاتجاهات فجاة بين يوم وليلة • وعدم توفر المبررات والاسباب والمعلومات الكافية لدى المواطن•

ونحن نجد ان معظم النظم العربية، باختلاف ظروفها التاريخية وأوصافها الدستورية والبيئات التى افرزتها ، تعد المواطن بنفس الاشياء تقريبا • وتتحدث بلهجة تكاد تكون واحدة فى أمور كثيرة • ولكن هذا يتعارض مع الواقع المؤلم • فهناك مسافة واسعة بين المبادىء التى يبشر بها وبين حقائق الممارسات السياسية والادارية • وتكون النتيجة احباطا عاما لدى المحكومين وعزوفهم عن الاهتمام الجدى او المشاركة الفعلية أو مجرد التصديق • واحيانا يكون هذا الاحباط عند الحكام انفسهم اذا كانوا حسنى النية ولا يدركون العلة • وذلك بسبب احساسهم ـ لعدم توفر المصداقية هذه ـ بعدم القدرة على تحقيق طموحاتهم ، او على العثور على صيغة لتنفيذ سياساتهم ، واصطدامهم بعقبات كالسلبية او الفساد ، وانتشار روح الانتفاع أو عدم تفهم الناس لاهداف السلطة او ربما عزوفهم عن مجرد محاولة تفهمها !

والمثل الذى يضربه «مايكل هدسون». الاستاذ الامريكى صاحب كتاب « البحث عن الشرعية فى العالم العربى » هو حكاية محاولة القيام باحصاء علمي لعدد السكان• فالناس احيانا يكذبون فى الارقام التى يقدمونها حتى عن هذا الشىء البسيط • احيانا لتخلفهم • واحيانا لخوف موروث من كل ما هو آت من « السلطة » وشكهم فى نواياها ودوافعها •

ويعتقد نفس المؤلف «مايكل هدسون» ان اكبر عقبة فى طريق الشرعية ، هو عدم توفر المساواة بدرجة كافية • وهو لا يقضى بالمساواة كما تفسرها النظم السياسية والاقتصادية المختلفة • فكما اننا نقصد الشرعية بمعناها الواسع الرحب فكذلك يرى أن الناقص هو توفر المساواة بمعنى واسع ورحب • فالناس فى العصر الحديث ترى فى الاحساس بالمساواة شرطا اساسيا لتقبلها الاختيارى لوضع ما• والمساواة معناها العدالة ، ومعناها روح الانصاف . ومعناها الجدية فى القوانين المنسجمة فى نظر المواطن مع المنطق وصدق الرغبة فى تنفيذ هذه القوانين ، ومعناها المعقولية فى التصرفات ، وعدم التحيز لمذهب او عقيدة او فئة •

وقد تكون صعوبة تحقيق «الشرعية» كامنة فى الشعوب نفسها، قبل حكوماتها • هذا بوجه عام حال معظم الشعوب النامية • خصوصا تلك التى لم يتحقق لها من قبل « انسجام وطنى » بدرجة كافية • فهناك شعوب تسهل مهمة اقامة « الشرعية » فيها،

مثل مصر ، حيث جعلتها ظروفها التاريخية شعبا مندمجا متكاملا له بوجه عام نفس القيم والمعايير والانتماءات ٠

فمصر ليست مقسمة الى طوائف ٠لا يقال فيها ان هذا سني وذاك شيعي مثلا ٠ وحتى الاقلية القبطية الكبيرة فيها مستوعبة في اطار الاغلبية ، حيث لا يوجد مثلا اقليم يتركز فيه الاقباط انما هم في كل قرية ومدينة جنبا الى جنب مع المسلمين٠ وليس فيها تعصب لاقليم دون اقليم ٠فاذا تشكلت وزارة لا يسال احد اذا كان هذا الوزير من طنطا أو من أسيوط ٠بعكس الصورة المتطرفة الاخرى في لبنان حيث يراعى تمثيل الطوائف ٠ وداخل الدين الواحد يراعى تمثيل السنة والشيعة، وتمثيل الموارنة والارثوذكس مثلا٠ وداخل المذهب الواحد في الدين الواحد يراعى تمثيل سنة بيروت وسنة طرابلس ٠ وشيعة الجنوب وشيعة بعلبك والهرمل ، وهكذا ٠

وحين قاد هوارى بومدين مثلا حركة التعريب في الجزائر والزام الكل باستخدام اللغة العربية بعد تاريخ معين ، كان يقضي على أحد أسباب التفرقة ويضع أحد أسس امكانية قيام الشرعية (بعكس لبنان كما ذكرنا حيث لم يوحد التعليم بعد الاستقلال)٠

وفي مرحلة الانتقال من الوطنية الى القومية العربية ، تعارضت ـ وما تزال ـ الولاءات ٠ فالولاء للوطن المحلي أم للامة ؟ ويجب أن نعترف بهذه الحقيقة ونحن نتحدث عن القومية العربية ٠ فتلك أحد أهم قضاياها التي يجب حلها ، بتحقيق الانسجام بين الاهداف الوطنية والاهداف القومية وليس بترك الساحة لنمو التنافر بينهما ٠

ثم اننا عندما نتامل اهم عنصر يؤثر في حياة الامة العربية ويربط بينها ، نجد أن هذا العنصر هو الاسلام بغير جدال ٠٠

ولكن لاننا شعوب نامية ، ولان نسبة الامية في بلادنا فوق السبعين في المائة ، ولاننا في مرحلة تحول وتطور سياسي واجتماعي وحضاري، نجد أننا حتى في نظرتنا الى هذا العنصر الموحد لنا ،مختلفون ٠٠ بعكس الغرب مثلا حيث نجد أن نظرته الى المسيحية واحدة ٠ (بصرف النظر عن المذاهب والخلافات وحتى ما بين المؤمن والملحد من تباعد) ٠ اما نحن فاننا على العكس : فريق يركز في نظرته الى الاسلام على السلطة والطاعة وعلى العقاب بوجه عام ٠

وفريق يركز في نظرته على العدالة والمساواة والشورى والتسامح ٠٠

ولا بد لنا من نظرة شاملة تضع كل عناصر الاسلام في اطار واحد متوازن ومتكامل ٠ ونظرة شاملة الى التراث والانتقاء منه والتمييز بين ما كان سببا في تطور المجتمع الاسلامي وبين ما علق به في فترات اضمحلاله وتخلفه ٠٠

وللشرعية حديث اخر طويل ،وتشعبات أخرى كثيرة ، تشمل امور الحاكم وامور المحكوم معا ٠٠ والى مناسبات أخرى ٠

■■

احمد بهاء الدين

يا شام...

يا شام ان مد صب للوداع يدا
وان تذكر من فيض الكرام ندى
وودعته ربوع الخلد باسمة
وعانقته رياح الشوق من بردى
فانه وجراح القلب نازفة
يستلهم الأمل المنشود متشدا
يسلو المحبون ان شط المزار بهم
وعاشق الشام لا يسلو الهوى أبدا

• • •

يا شام يا عبد شمس فوق سدته
ويا أشم من الأطواد ما سجدا
ويا أمية ما غابت عساكرها
تفرى العدا وتهد الشامخ الصلدا
ان ينزف الجرح مختالا بفارسه
وكان موعدنا ـ فيما أرى ـ صفدا
فالشعب حولك ما هانت حميته
وما أقام على اذلاله وتدا
رغم القيود تلظى نار غضبته
يكاد يأكل من أحشائه كمدا

• • •

يا شام عفوك فالأيام جائرة
وموكب الذل ما أبقى لنا جلدا
أكاد ألمح من حولى جموعهم
فلا أرى علما فى القوم معتمدا
وأسمع الضجة الكبرى على كثب
وافتح العين لكن لا أرى أحدا
يا هاجس الذل ما أبقيت من رمق
وما تركت حساما بعد ما غمدا
وما تركت رجالا لا يهان لها
رأى ولم تلق صبرا بعد ما نفدا

• • •

يا شام صبرك فالأحداث قادمة
والشعب يزأر فى أصفاده جلدا
فان تمادى بغاث الطير فى دعة
ففى غد ينجز التاريخ ما وعدا
دعى المهازيل تلهو فى مباذلها
واستنطقى الشعب فى الأحداث ماوجدا
وان نأى البوم عن ميدانه فرقا
فالصقر ما زال فى أجوائه حردا
أكاد أقسم والأحداث تخذلنى
انى أرى المجد مثل النار متقدا
وأبصر الراية الحمراء ترفعها
أيدى المتاجيد لا تحصى لهم عددا
يحمى الكمى مع الأخوان حوزته
فان تولوا بدا فى الساح منفردا



شعر : عبدالله احمد حسين ●

لا يضـعف الحدث الدامى حميتـه
ولا يفـل له عـزمـا اذا وردا

● ● ●

يا شام ما كان قولى دون معرفتـي
كـلا ولا كان قولى بينكم فنـدا
ما زارنا اليأس والأصفاد تأسرنـا
والخصم كم ملأ الدنيـا وكم حشدا
امـا رأيت هضاب الشام ثائـرة
وقاسيون على أحداثنا صمـدا
ما غاب منا لدى الجلى عزائمنـا
يوم اللقـاء ولا ضاع الجهاد سـدى
غـدا تغيب الـدياجى يوم مولدنـا
رغـم العدو وما أبدى وما رصـدا
ويـزحف القـائد المغوار منتصـرا
يمحـو الطغاة فيمضى أمرهم بـددا
يا شـام ألقيت في كفيـك مبتدرا
حشاشة الـروح والأهلـين والولدا
ان تحفظى الـود والأيـام قادمة
فـكم حفظت على طول الزمان يـدا

■■

● سفير الكويت لدى المغرب حاليا ، وقـد نظم القصيدة قبل نقله من مقر عمله السابق : دمشق

المستقبليات تغطى ٥٠ سنة مقبلة

الغد يصبح علماً لامكان فيه للشعوذة والتنجيم

بقلم : *
الدكتور صلاح عبدالمجيد العربى

اخيرا تمكن العلماء من وضع قواعد تقدير احتمالات المستقبل بطريقة علمية يستطيع كل من يدرسها ان يطبقها لكى يتخذ القرار المناسبلحياة افضل ، وينبغى ان نفكر جديا فى تدريس هذا العلم الجديد فى جامعاتنا التى لم يتغير محتوىبعض مقرراتها الدراسية التقليدية منذ عشرات السنين .

■ يمثل المستقبل فى نظرنا مجهولا بعيد المنال، يستحيل اخضاعهلقيود البحث العلمى، لان الظواهر التى يستطيع العلم معالجتها ينبغى ان تتكرر لتسهل ملاحظتها ، حتى يتمكن الباحث من تحديد سماتها ، كما يتعين ان تتوفر الوسائل وأدوات البحث التى تمكننا من قياس هذه الظواهر والحكم عليها . ولهذه الاسباب تنحى العلماء ، الى عهد قريب ، عن معالجة المستقبل وتركوه أرضا بكرا يرتع فيها المنجمون والمشعوذون . ويستحيل اخضاع المستقبل للملاحظة المقننة لانه اذا استجاب لذلك لصار واقعا حاضرا وانتفت عنه صفة المستقبلية.

ولكن المستقبل لا ينبغى ان يبقى الى الابد سرا مغلقا يستعصى على العالم والباحث ، فقد دلت الشواهد فى السنين القصس الاخيرة على تزايد قدرة الباحثين على معالجة الاثار المستقبليةالمترتبة على ما نتخذه من قرارات . وتمكن كثير منالعلماء من اعداد تصور شامل للاحداث المتوقعة حتى يستطيع الانسان ان يطوع المستقبل لحاجاته ورغباته ، وظهرت دراسات حديثة تستكشف كنه الغد وتساعد على التحكم فى أحداثه وتحديد مسارها ، ويجمع هذا المجال الجديد ، الذى يسمى المستقبليات ، بين التفكير العلمى والابداع الادبى والفنى ، ويعتبره الباحثون مدخلا لمعالجة كل التخصصات المعرفية ، وبعد أن تم ارساء مبادئه انتشر فى الجامعات الاوروبية والامريكية وصار مقررا دراسيا يقبل عليه الدارسون ويتخصص فيه الباحثون .

المستحيل والممكن

ما هو هذا المجال الجديد ؟ لعل أوضح تعريف للمستقبليات هو ما نشر فى العدد الاخير من مجلة

* استاذ بالجامعة الامريكية بالقاهرة .

« المجتمع فى عالم المستقبل World future society » التى تصدر فى الولايات المتحدة الامريكية ، والذى يحدد مفهوم هذا المجال الجديد بانه « دراسات تستهدف تحديد وتحليل وتقويم كل التطورات المستقبلية فى حياة البشر فى العالم أجمع بطريقة عقلانية موضوعية ، وان كانت تفسح مجالا للخلق والابداع الفنى والادبى وللتجارب العلمية ما دامت هذه الانشطة تساهم فى تحقيق هذه الاهداف .ويدل هذا التعريف بوضوح على ان المستقبليات بعيدة كل البعد عن الغيبيات والاجتهادات الذاتية ، وانها مجال دراسى يسير وفق نسق علمى مضبوط . ومع ان دعاة هذا العلم يدركون جيدا الصعوبات التى تكتنف استكشاف المستقبل ، الا انهم قد اثبتوا فعلا قدرة العلم على معالجته كما انهم يصرون على ان هذه الدراسة ضرورية فى العالم المعاصر الذى يتجه نحو التغير والتطور بايقاع سريع مطرد .

ويهتم المستقبليون بالدرجة الاولى بالمستقبل القريب ، او المتوسط المدى فى حدود أدناها خمس سنوات قادمة واقصاها خمسون عاما ، ايمانا منهم بان اية دراسات تمتد لفترة اطول من خمسين سنة مقبلة يستحيل ان تتسم بالدقة الكافية لكثرة التغييرات والتطورات التى قد تحدث فى تلك الفترة مما يحيل دراسة المستقبل الى رجم بالغيب غير مأمون العواقب . ويؤكد المستقبليون ان الفترة الزمنية بين التخطيط النظرى لحدث ما وتحقيقه عمليا لا تتجاوز العشرين سنة ، وقد يبدو هذا اغراقا فى التفاؤل ولكن دهشتنا تتلاشى اذا تذكرنا ان اربع سنوات كانت كافية لتحقيق الاثار المدمرة للقنبلة الذرية بعد ان تم التصميم النظرى لها ، كما لمست اقدام اول انسان ارض القمر بعد ثمانى سنوات فقط من اتمام الحسابات الرياضية الضرورية .

« سيناريو » المستقبل

ويتفق المستقبليون مع المؤرخين فى ان احداث الماضى تساعدنا على فهم المستقبل والتخطيط السليم له ، ولكنهم يختلفون مع المؤرخين فى انهم لا يكتفون بتفسير الماضى وفهم المستقبل بل يتجاوزون ذلك الى ارساء الاسس العلمية التى تمكننا من اكتشاف اسرار الغد ، وفى سبيل ذلك يدعون الى تطبيق مبدأين رئيسيين ، اولهما قانون الاستمرار والثانى مبدأ القياس . وينادى قانون الاستمرار بان المستقبل يشبه الماضى الى حد كبير ، وان عالم الغد لا يختلف كثيرا عن عالم اليوم . طبعا ستكون هناك بعض الاختلافات فى التفاصيل فحسب ، أما الامور الجوهرية فستظل كما هى ، فالبحر الابيض المتوسط مثلا سيكون جزءا من عالمنا فى القرن الواحد والعشرين ، كما ينبغى ان نتوقع ان عدد سكان العالم سيتزايد مستقبلا لان الماضى والحاضر يشيران الى ذلك .

ويعتمد مبدأ القياس على أن الاحداث تتابع فى تسلسل محدد ، فاختلاف الضغط الجوى مثلا ينبىء بتغييرات فى احوال الطقس ، وضوء المرور الاحمر يجبر السيارات على الوقوف ، والهزائم المستمرة تؤدى الى الشعور بالاحباط ، كما يترتب على التضخم النقدى معاناة ذوى الدخل المحدود . حقا اننا نطبق مبدأى الاستمرار والقياس فى حياتنا اليومية بطريقة تلقائية عشوائية ، ولكن علم المستقبليات يستهدف ابتكار أساليب اكثر دقة وفعالية تمكن دارسها من تحديد توقعاته لاحداث الغد وفق تفكير علمى مقنن .

وينتقد بعض المستقبليين غيرهم من العلماء التقليديين الذين ينظرون للامور من زاوية واحدة ثابتة . فقد نادى العالم التقليدى مالثوس مثلا بان معدلات زيادة السكان فى العالم تفوق بكثير معدلات تنمية الموارد الطبيعية ، وتنبأ بان المجاعة سوف تقضى على الجنس البشرى فى النهاية . ولكن المستقبليين يرون ان هذه التوقعات مبنية على تطبيق مبدأ الاستمرار وحده متجاهلة مبدأ القياس الذى ينبغى أن يلازمه . فقد دأبت البشرية منذ فجر التاريخ على ابتداع الطرق التى تدرأ بها الكوارث المقبلة ، وقياسا على ذلك سوف يعكف المخترعون على تطوير الاساليب التكنولوجية الحديثة لتحديد النسل وتنمية الموارد الطبيعية .

ما هى اذن الاساليب التى يلجأ اليها المستقبليون لتطبيق الاستمرار والقياس وغيرهما من المبادىء التى تمكنهم من استقراء المستقبل ؟ تتلخص هذه الطرق فى ثلاثة أنواع رئيسية :

التصور المستقبلى أو « السيناريو » ، واستطلاع اراء المختصين ، والنماذج النظرية والمحسوسة التى تعكس الواقع . ولا تختلف طريقة التصور المستقبلى او « السيناريو » أساسا عن طريقة تفكيرنا العادية لتقدير التوقعات المستقبلية عندما نتساءل « اذا فعلت كذا ــ ما هى النتيجة التى تترتب على ذلك ؟ ما هى الاحتمالات و البدائل السلوكية اللازمة

لمواجهتها ؟ ماذا سيكون راى زوجتي ـ مثلا ـ اذا ما عرضت عليها هذا المشروع الجديد ؟ اذا رفضته كلية ماذا ينبغي على ان افعله لكي احملها على تغيير رايها ؟ واذا لم يحصل ولدى على الدرجات المناسبة في شهادة الثانوية العامة ما البدائل المتاحة امامه ؟ » فالسيناريو « لا يتعدى تصور موقف مستقبلي وحساب كل الاحتمالات الممكنة وتقدير مواجهة كل واحد من هذه البدائل • وقد عمل المستقبليون على تطوير هذه الطريقة والاستعانة بالاساليب التكنولوجية الحديثة لتخزين المعلومات وجمعها . ونشات مؤسسات متخصصة ـ لعل اشهرها مؤسسة راند في امريكا ـ لتحقيق ذلك سميت بعضها ببنوك المعلومات واطلق على بعضها الآخر مخازن الافكار او مستودعات التصورات المستقبلية •

بلعب الاطفال !

وقد طور المستقبليون طريقة استطلاع اراء المختصين يضمنون الحصول على اراء موضوعية لا تتاثر بالضغوط الاجتماعية والسياسية • ويبدا هذا الاسلوب الجديد بتحديد المتخصصين الذين يبدون استعدادا للمساهمة في البحث ويتم ارسال استبيانات لهم عن توقعاتهم المستقبلية حول موضوع الدراسة على ان يجرى استطلاع اراء كل مختص على حدة • فقد دلت دراسات قياس اتجاهات الرأى السابقة على ان جماعة المتخصصين كثيرا ما تتبع راى القادة البارزين في هذا المجال حتى لو خالف ذلك ما يؤمنون به • وللتغلب على هذه المشكلة يتم الاتصال بكل مختص دون احاطته باسماء واراء زملائه وبعد ان تصل اراء المختصين . قد يقوم الباحث بارسال استبيان اخر لاستيضاح بعض ما غمض من الاراء التى تلقاها أول الامر . وقد يقرر الباحث في بعض الاحيان أن يعلم المختص بمواقف زملائه دون أن يذكر اسماءهم . مما قد يدعوه لتغيير بعض ما سبق أن أبداه من اراء • وينتهي الباحث الى تجميع الاراء وتحليلها وتبويبها ونشرها دون أن ينسب كل راى الى صاحبه • ومع ما يقتضيه هذا الاسلوب الجديد في استطلاع الراى من وقت ومال وجهد . فقد اجمع الباحثون على انه افضل بكثير من راى فردى لاحد المختصين أو من وجهات النظر التي يتمخض عنها اجتماع عدد منهم في ندوة مفتوحة •

ويشبه الاسلوب الثالث لتطبيق مبادىء المستقبليات بعض اللعب التى يستخدمها الصغار الذين يحبون اقتناء نماذج السيارات الصغيرة وبيوت الدمى . وغيرها من الاشياء التى صممت على طراز يحاكي ما يجرى في عالم الكبار • فلعبة « المنوبولى » او الاحتكار مثلا تبين للطفل الانشطة التجارية التي يزاولها سماسرة العقارات وتساعد في اعداده لمواجهة عالم المستقبل ان شاء ان يختار هذه المهنة . كما تقوم كل القوات المسلحة فى العالم بتدريب رجالها على مهاجمة نماذج لمواقع تطابق تلك التي يحتلها العدو . وقد لجات مؤسسة الفضاء الامريكية الى تدريب افرادها على أجهزة علمية خاصة لمواجهة ما سيلاقونه في الفضاء من انعدام وزن ونظام غذائي ورياضي يختلف عما اعتادوا عليه • وهناك العديد من الالعاب التعليمية المشابهة التي تعد الدارس لفهم اسس العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

ولما كان الحاسب الالكتروني قد احتل الصدارة فى تخزين المعلومات والربط بينها وتحليل دقائقها في هذا العصر . فقد لجا اليه المستقبليون ليطبق نماذج نظرية رياضية تساعد على استكشاف احداث الغد . وعندما يغذى بالمعلومات اللازمة وفق مبداى الاستمرار والقياس . يتمكن الحاسب من عرض الاحتمالات المستقبلية لقانون جديد للضرائب مثلا ويحسب مدى النجاح الذى تلاقيه حملة مخططة لمحو الامية . كما يبين الآثار المترتبة على المساعدات التى تقدم لبعض الدول النامية• وقد استطاع العالم المستقبلي جاى فورستر Jay Forester الاستاذ في معهد ماشاسوتس للتكنولوجيا . ان يصمم نموذجا نظريا يمكن الحاسب الالكتروني من تقدير الاحتمالات المستقبلية لاى حدث جديد فى العالم اجمع • وقد يأتى الوقت الذى يستطيع فيه هذا النموذج النظرى ان يعالج مشكلات تدنى مستوى المعيشة . والامراض العقلية . واخطار تلوث البيئة . والتخلف الحضارى والاكتئاب النفسى وما اليها • وقد استخدمت حكومات كثيرة نموذج فورستر وغيره من الاساليب المستقبلية للتخطيط فى شتى المجالات •

هل يطول عمر الانسان ؟

وقد دلت النتائج التى توصل اليها المستقبليون حتى الآن . عند تطبيقهم لاساليب هذا العلم عن طريق الحاسب الالكتروني . على ان الهوة بين

الدول النامية والدول المتقدمة ستزداد اتساعا ، وان معدلات التضخم النقدى فى العالم ستتفاقم بشكل مطرد لدرجة تدعو المواطنين الى الاستغناء عن الكثير من الكماليات والبحث عن كل الاجراءات التى تضمن دخلا مستمرا بعد التقاعد ، كما سيتغير النظام العائلى بحيث يعود مرة اخرى الى ما كان فى الماضى من اشتراك العائلات الكبيرة فى منزل واحد حتى تواجه المصاعب الاقتصادية ٠ وتعمل على زيادة الدخل ٠ ويتوقع المستقبليون ان تتجه الاختراعات الالكترونية الى انتاج اجهزة الدوائر المتكاملة التى تحتوى على مراحل الكترونية متعددة فى حيز صغير ، وان تنشط الابحاث البيولوجية بحيث تنجح فى تغيير الصفات الوراثية فى الخلايا وتتحكم فى جنس المولود وسماته الشخصية ٠ويؤكد هؤلاء العلماء ان التقدم فى ميدان العلوم الطبية سيؤدى الى اطالة عمر الانسان حتى سن الثمانين فى المتوسط (المعدلات الحالية تتراوح بين ٣٥ عاما فى بعض الدول النامية و ٧٤ عاما فى الدول المتقدمة) كما ستؤدى ابحاث اطالة الشباب الى تمتع الفرد بصحة نفسية وجسدية جيدة حتى سن الخامسة والسبعين ، مما يستدعى تأخير سن التقاعد الرسمى خمسة عشر عاما كاملة ٠ وسيترتب على كل هذه التطورات تغييرات اساسية فى التقاليد والعادات والقيم الاجتماعية بحيث تجنح نحو الحرية الجنسية ، والاهتمام الشديد بسلامة الجسد وصحته ، وحصول المراة على كل حقوقها ومساهمتها بشكل فعال فى التنمية والانتاج٠ وقد ابدت الكثير من الدول اهتمامها بابحاث المستقبليات ونتائجها ٠ وعقدت الكثير من المؤتمرات العالمية فى الدول المتقدمة والنامية لبحث مستقبل دول العالم عام ٢٠٠٠ فى القاهرة وبومباى وغيرهما ٠

حتى المدارس الابتدائية

ويعتبر الاعداد للمستقبل من المسئوليات الرئيسية لاية جامعة أو معهد عال ، فطلبة اليوم هم رجال المستقبل المسئولون عن مواجهة احتمالاته وحل مشاكله ٠ وقد تنبهت الجامعات الاوربية والامريكية الى اهمية هذا العلم وأثره البعيد فى مساعدة الدارس على مواجهة احداث عالم الغد ، حتى بلغت عدد المقررات التى تتناول هذا المجال ٤٧٥ مقررا فى الجامعات الامريكية وحدها وفق احصائية اجراها الاستاذ هـ ٠ ونترورث الدرج ، عالم الاجتماعيات فى كلية دارتموث ، فى الفترة ما بين عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٤ ٠ كما اهتمت ايضا بعض المدارس الثانوية والابتدائية فى امريكا بعرض موضوعات مبسطة تدور حول المفاهيم الرئيسية للمستقبليات ٠

وتزود المستقبليات الدارس بالمعلومات التى تساعده على رسم صورة متكاملة لعالم المستقبل حتى يحدد موقفه منه وموقعه بين احداثه ٠ كما تعين هذه المقررات الشباب من الجنسين على ادراك العلاقة بين المقررات الاكاديمية التى يدرسونها وبين الحياة العملية التى يستعدون لها كمواطنين وعمال ومهنيين وازواج واداريين ٠ ويزداد اقبال الدارسين على المقررات التقليدية عندما يدرسون المستقبليات لانها توضح لهم مدى اهمية الموضوعات التى يدرسونها لحياتهم العملية٠ فلهذا العلم الجديد فائدة مباشرة لما يزود به الدارس من معلومات ضرورية لمستقبل حياته ، كما ان له ايضا فائدة غير مباشرة لانه يشجع الدارس على ادراك الهدف العملى للعلوم النظرية الاكاديمية التى تتناولها الدراسة التقليدية فى الجامعات ٠

وينبغى ان تدرك السلطات التى ترسم سياسة المناهج الجامعية فى العالم العربى اهمية هذا العلم الجديد ، وحاجة الشباب العربى إلى الالمام بمبادئه واساليبه ، دون تجاهل تراثنا الحضارى وقيمنا الدينية ٠ فالتحدى الذى يواجه شبابنا للتناغم مع المشكلات المستقبلية لن يكتب له النجاح ما لم نطبق كل جديد مفيد لاعداد طلبة اليوم ـ وقادة المستقبل ـ اعدادا جيدا ، ونسلحهم بكل ما يضمن لهم النصر فى هذا الكفاح ٠ وما دمنا قد اخذنا فعلا ببعض النظم الحديثة فى بعض الجامعات العربية ، مثل نظام المقررات الدراسية الذى يتيح للطالب ان يختار الموضوعات التى تتفق مع رغباته وقدراته ، فينبغى ان نطور محتوى هذه المقررات بحيث يواكب متطلبات الحاضر والمستقبل، وندخل علم المستقبليات كدراسة اكاديمية تؤهل الدارس لاتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة احداث الغد وادراك الفائدة العملية لبعض المقررات الدراسية النظرية التى يسعى لتحصيلها ٠ ■■

د ٠ صلاح عبد المجيد العربى

الكتاب الأسود

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى*

ساحدثكم عن « الكتاب الاسود »

ماهو باحد كتب السياسةوالظلم،مما سطره قوم ضد آخرين • ولاهو بورقة نعي تصل على كره من المرءومقت ، فما يزال يطردها من خاطره•

انه قبضة من الافكار ، كعصائب الغربان السود ، جمعها « جيوفاني بابيني » بين دفتين والقاها الى سنابك المطبعة ، سخرا ورفضا و •• نبوءة •

وما اردت ان يكون الكتاب بين يدى ، ولا اردت ان اقراه صفحة صفحة ولااردت من بعد ، ان اعتصر للناس سواده •• ومع ذلك فقد فعلت • اخذته فقرأته ثم هاانذا اشرك غيرى معى فى تذوق ثماره المرة• ان شيئا كدغدغة الجراح يدفعنى لذلك•

■ وانت،سواء كنت متفائلا مسرفا في الابتسام للحياة ، او كنت على الشاطيء الآخر من التشاؤم الجهم ، انت على الحالين ، مشوق لان تتاكف ذهنا قويا يصر على ان يكون اسود العين والجلباب مشوق لان تتذوق دمعة • ذلك سبيل من سبل التوسعة والمتعة فى الحياة • لقد عودت نفسى ان اقرا بعض الروائيين كلما كلت يداى من التشبث بالارض ونور النهار • والمعرى الذى نعرف، خدين ممتع لمن يستطيع ان يصاديه ويطاوله، وشوبنهور ، درب شهى ، على خطره ، اذا عرفت كيف تثبت قدمك فيما وراء الالم ••• ان شيئا كالنشوة ، كنبضة الفرح فى الزهرة البرية ، كاللذة الحرام التى يشعر بها السادى ، يستريح فى كيانك اذا عبرت سحابة سوداء من الافكار • ان الفرح العميق العنيف يتغذى دوما بالخواطر الجهمة المفعمة بالقلق •

يزعم بابينى Papini ، كى يستقيم له الكتاب انه طوف فى كل بلد وتحدث الى كل شهير من الناس ، ووقع على مخطوطات لابرز العباقرة ، ما عرفتها عين • وانتهى من كل اولئك الى صورة

● رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الكويت •

العصر كله في هذا (الكتاب الاسود) ·

اتصدقه ، اياك ان تفعل · انه ما طوف ولا تحدث · والمستر (غوغ) الذى تروى يوميات الكتاب على لسانه يقرىء السلام لطيف البحترى ، وللمستر (س) في الرياضيات · ثم لا تحتسب انك عثرت عنده على الضالة من صورة للعصر ·

امينها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم في من شحمه ورم

ان وراء ذلك المظهر المتشائم الهادى · ساخرا يرسل ضحكته كمهقهة الشيطان في اعماق واد ، تلك الاحرف المستكنة هى عنده جراح عجيبة الشعور الانسانى · انها تارة (كاريكاتور) للحياة الحديثة وتارة احتجاج ثائر عليها · فانت منها دوما بين السخر والالم · وما عليك او عليّ ، لو عشنا مع (بابيني) بعض سخره وكاريكاتوره ، ما علينا ·

في المحكمة الالكترونية

لا تتبع الرجل اولا في تنقله وترحاله · انه يتعبك في ركضه بين جزر النار ، ويختبر في الجبال ، وقرية من قرى ارض واق الواق · ولا تتبعه في قفزة افكاره · هو مشرق الخاطر ، فيه طبع الفراش او بعض دماء البوهيميين ، ولكن اطبق الكتاب متى فرغت منه واجمع الالف الى الياء في الذى قرات ·

كل الناس يعرفون من صفات الحضارة الحديثة انها الية مادية وتمشى نحو زيادة الالية والمادية وانها ضعيفة الوازع في الخلق حتى لتنفجر الحرب المفترسة فيها كل لحظة · وانها ايضا وايضا اهملت الانسان كانسان ··· ولكن هذه الصفات تاخذ صورا (كاريكاتورية) عند صاحب الكتاب الاسود ولقد تحسب نفسك في لحظة من لحظات انك منه في كرنفال فكرى ، ككابوس الليل ، ان الرجل لا يتنبأ ولكنه يصور بعض الوقائع بانوف كبيرة واعين جاحظة على قامات من الالتزام ·

راى آلية الناس بلغت حدا صار معه الايمان بالالة يفوق الايمان بالانسان·فماذا يكون لو اضحى القضاء ، واضحت العدالة مثلا في « المحكمة الالكترونية » · يتحدث الرجل انه راها · تلك المحكمة · انها جهاز عملاق جهز بالالاف الخلايا التصويرية ، والاعين السحرية · حاكمت عددا من المتهمين امامه فكانت تستمع وتقدر ، لم تعلن المواد التى تنطبق على القضية ثم تلفظ بطاقة فيها (الحكم) ·

الة تقيم العدل بين الناس ، وتحرم خالقها الانسان الحرية وقد تحرمه الحياة · وتزعم انها تحل بالرقم والكهرباء المشاكل التى تحير النفس الانسانية ·

والمجتمع الانساني الالى لا معنى للعائلة فيه· رجل واحد في عيادة يكفي لضمان استمرار النوع الانساني في مائة ام · لقد راى الكاتب هذا الاب في عيادة طبيبه الخاص·انه يربى هناك للاخصاب الصنعى · وهو الان اب لمائة طفل لا يعرف واحدا منهم ولا التقى باماتهم ابدا · لقد انتقته لجنة من المختصين رات فيه جميع المزايا الجسدية والفكرية لانتاج احسن النماذج مما يسميه الانتروبولوجيون (الانسان العاقل) والاب المسكين بعد ، تفترسه الكآبة · ان له مائة ولد · ولكنه يعيش وحيدا · وله مائة زوجة ولكن ليس فيهن من تحتفظ له باى عاطفة من اى نوع ·

ولاحاجة لانتظار تفجر العبقرية ، على هواها،في نوادر الافراد كل جيل····ان البيولوجيا ستحيل البلهاء عباقرة · واذا كانت محاولة فورونوف لتجديد الشباب قد عرفت · الا ان الناس لا يعرفون ان عددا من افذاذ هذا العصر ورجاله يدينون بعبقريتهم الى فورونوف ·· لقد أسر هو نفسه بهذا السر الى اصحاب الكتاب · فلولا انهم دخلوا في صغرهم مختبرا لكانوا اليوم نكرات في بعض الزوايا·واخفى فورونوف اسماءهم ولكنه قال ــ انك تستطيع ان تكتشف الاصل الابله لهؤلاء العظماء ··· في الكثير من اعمالهم · يكفي ان تكون حديد النظر ·

ومصانع لانتاج القصص

وماذا عن الادب والفن في هذا العصر ، ان الانتاج الادبي ، يصنع في المصانع،آلة كالسيارات او علب الصفيح ··· لقد زار الكاتب مصنع (شركة القصة ليمتد) في شيكاغو ·

حيث تصنع الروايات بالجملة · وراى هنالك جناح المتخصصين بالمناظر الريفية · وجناح نماذج النساء ، والقسم المختص بابتكار الجرائم · عدا قسم علماء النفس ، واللغويين ··· واصحاب المهن والمؤرخين وغيرهم ··· ومعدل انتاج المصنع مائتا رواية في الشهر ·

وليس في هذا ما يثير العجب . ولئن لم يكن العمل الفني الحديث قطعة (ساندوتش) آليــة على هذا الشكل فانه بهرجة ومحـاولة لاثارة الدهشة في الناس ليس غير .

هذا سالفادور دالي ، المصور الاسباني يزعم لصاحب الكتاب انه في سبيل اعطاء شكل جديد للحقيقة الانسانية والالهية كلها في صورة ، بالتعبير عنها في اشكال واشارات جديدة .... يزعم انه يحاول ان يخلق وجها اخر للكون ، على الطرف الآخر من الحقيقة.ومواطنه الرسام بيكاسو يعترف بدوره ان اعماله تعلن ... نهاية الفن . انه يلقى الى ريشته ، بكل اهواء نفسه،كالبهلوان على الحبل . ويتسلى . وهذا الجمهور الدعى هو الذى جعله شهيرا ، لربا من وراء الخطوط العرجاء التى لا تعنى شيئا والألوان التى يصدم بعضها بعضا !..

وتمشي ، جنبا لجنب ، مع هذه الآلية في العالم الحديث ، المشكلة الخلقية . لقد قال الكثيرون ان تطور العالم في الالة والمادة لم يواكبه تطور خلقي ملائم . ولعله زاد في وحشيته الظفـــر والناب . ولقد قرر الكثيرون ، في عناد ووعى ، ان يعملوا ضد تدمير الانسانية ، من الحرب . وصاحب « الكتاب الاسود » يجر العربة نفسـها ولكن ... على طريقته .

فهو تارة يزور ماسماه (جامعة المجرمين) في طنجة ، تلك الجامعة السرية التى يدرس فيها المرء سنتين قبل ان يصبح قاتلا مجازا ....يدرس الاسلحة ، طـرق الفتك الناجحة ، وردود فعل البشر عند الفتك، والسموم كما يدرس اللااخلاق، ولمل في الجامعة كرسي استاذية يحتله اختصاصي في مادته ..

عندما تطلق قوى الشر

وتارة يتحدث بابيني عن الطريقة التى تروى بها غريزة القتل في بعض مدن الصين ... هناك في تونغكوانغ ، لا ينفذ احكام الاعدام جلادون موظفون ولـن يتطوع للعمل الدموى من يشاء من الهواة . يتقدمون بالطلبات قبل اسابيع لكثرة الاقبال ، ويدفعون على ذلك الضريبة التى يفرضها القانون . ولقد راهم المؤلف ـ جماعة مـن النساء والرجال من جميع الاعمار ، يقفون بعضهم امام بعض على باب الحاكم ، ينتظرون دورهم .. وتشهد ساحة البلد ، تنفيذ الاعدام ثلاث مرات في الاسبوع ، فيوم للشنق ويوم للرمي بالرصاص ويوم للكرسى الكهربائى .... من قبل هــواة القتل .

ويتحدث بابيني في مكان آخر عن جيش (بهادر)، هذا السلطان الحكيم الذى امن ان الحرب لا تتفق مع كرامة النوع الانساني،ولهذا كان اول من فكر تاسيس جيش من الحيوانات ، يمرسها على القتال بوسائلها الطبيعية ..

ومشى هذا الجيش يوما ـ فرقة من الذئــاب الجائعة ، وفرقة من الفهود الغضاب ، وثالثة من الدببة المفترسة ، ورابعة من الثيران الجامحة .. وفيلة واسودا وافاعي...اجتاز بها القفار والغاب الى الخصـوم وانتصر .. ولكن ما كاد الجيش المغلوب يفنى حتى بدات مذبحة اخرى لم يحسب لها (بهادر) الحساب . لقد انتشت حيواناته من الدم فانثنت عليه وعلى اصحابه . ثم فتك بعضها ببعض من بعد ... وانتهت قصة الحكمة .

ان قوى الشر متى اطلقت ، دمرت حتى نفسها. حتى ذلك الرجل العظيم ماركوني الذى قدم الكثير من الخير للانسانية جدير بمثل ذلك التدمير المطلق . لقد زاره المؤلف فاذا به يكتشف ، لديه جهازا بسيطا ولكنه قادر على ان يوقف فورا ، اى حركة ، على بعد عدة كيلومترات.باستطاعته ان يشل محرك الطائرة في الجو وان يسمر في الارض اقدام الانسان بل ان يوقف قلبه عـن النبض ... انه نهاية الحركة وجنازة الكون .

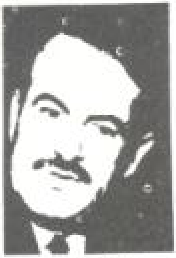
امضى معك في الكتاب الاسود اكثر من هذا ؟

احدثك عن كاريكاتور الثورات فيـه وعـن الفلسفة في مباذلها ، وعن الهجوم الساخر على التقدم الانساني وعلى السلم .

اني ما كشفت سوى وجه من وجوه الرجل،ولكن لسفره الاسود مائة وجه ... يقف من ورائها ربيى شيطاني لا احبه . اما اذا كان السواد قد اغراك كالكثيرين غيرك بالمغامرة والبحث عن الكتاب فلا تفعل .. لقد نفدت طبعته ! ■■

الكويت ـ **شاكر مصطفى**

أقوال معاصرة


حافظ الاسد

- رأى الامريكيين فى القضية نعرفه . ورأى السوفييت نعرفه أيضا ، ولكن الرأى المشترك للدولتين سيتطلب بعض التفسير .

حافظ الاسد

- كانت أول حكومة برتغالية تصل الى الحكم بالانتخاب الحر منذ نصف قرن ، لكن المعارضة أجهزت عليها خلال ٤ ثوان فى البرلمان .

مجلة دير شبيجيل الالمانية

- التغيرات الجذرية التى احدثتها اسرائيل فى اقتصادها خلال الشهور الاخيرة هى انقلاب بالغ الخطورة وتفوق حرب الايام الستة فى اثرها على مستقبل اسرائيل .

الاقتصادى الامريكى ملتون فريدمان الذى خطط لهذه التغييرات


هنرى كيسنجر

- هذه المرة الاولى فى التاريخ التى لم تعد تستطيع فيها السيطرة على العالم ولا الانعزال عنه .

هنرى كيسنجر

- ان ثقتى بقوة الحقيقة والفعل تجعلنى اعتقد بمستقبل الانسان .

(البرت شفايتزر)


هارولد براون

- يجب ان نتحمل الكفاح . فالشخص الذى لا يستطيع التحمل يعتبر مسكينا ، اما الذى يتنازل عن مقعده عند اول مواجهة فهو مريض بكل تاكيد .

(ماريا فاسر)

- الاسلحة الامريكية المتوفرة لدى اسرائيل تمكنها من هزيمة الجيوش العربية مجتمعة حتى عام ١٩٨٣ .

هارولد براون ـ وزير الدفاع الامريكى

- لقد جعلنا العرب ييأسون من انفسهم ، ومن الاتحاد السوفيتى، ولابد ان نجعلهم ييأسون من الضغط الامريكى علينا ،وعندئذ لن يجدوا مفرا من التوجه الى اسرائيل وقبول ماتعرضه عليهم .

مناحيم بيجن فى جلسة مغلقة لمجلس الرؤساء اليهود فى امريكا .


أدونيس

- وأنا أيضا فلسطينى !

مناحيم بيجن رئيس وزراء اسرائيل البولندى الاصل

- ليس لدينا شعر جديد . فالجديد لا ينهض حقا الا اذا كانت لنا رؤية مغايرة للرؤية القديمة وطريقة التعبير القديمة . وانا اشك فى وجود مثل هذه الرؤية .

ادونيس

رحلة مع

« هذا خلق الله • فأروني ماذا خلق الذين من دونه »

قران كريم

دنيا النبات في كتاب

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل *

■ من اكثر من زاوية يتعامل القران الكريم مع عالم النبات ذي الخلق المعجز . والمعاني المتدفقة،والقيم التي لا تكف عن التمخض والعطاء بعدلنا ـ حينا ـ ومن خلال هذا العالم عن الموت والحياة والفناء والخلود••والانكماش والانتشار• والتلاشي والانبعاث •• وينقلنا حينا آخر الى ملامح الاعجاز والابداع فيه •• تفجير الحياة من قلب التربة الميتة••وتنويع العطاء الذي يسقى بماء واحد•• وحينا ثالثا يحكي لنا عن منافع هذا العالم وتغطيته للضرورات••دون ان ينسى الجانب الآخر : الجمال والتناغم والالفة الميتافيزيقية بين خلائق الله ••• وينتقل في مجموعات اخرى من الآيات البينات لكي يضرب به الامثال، ولكي يحكي لنا ـ كذلك عن مصائر اقوام وجماعات لم يكن تعاملهم مع هذا العالم سواء •• وعن اشياء كثيرة اخرى •••

فلنبدأ الرحلة الطيبة ، وليكن مرورنا سريعا كي لا يطول بنا السرى ••

دراما الحياة والموت

ان ابرز ما يجابه الانسان وهو يقلب ناظريه في حدائق الله المخضرة في العالم ، هو تقلبها السريع بين الحياة والموت •• انبثاقها من قلب التربة • خليقة • رشيقة • اخضرارها وزهوها ، ثم تيبسها وذبولها •• لكي ما تلبث ان تغدو حطاما ••

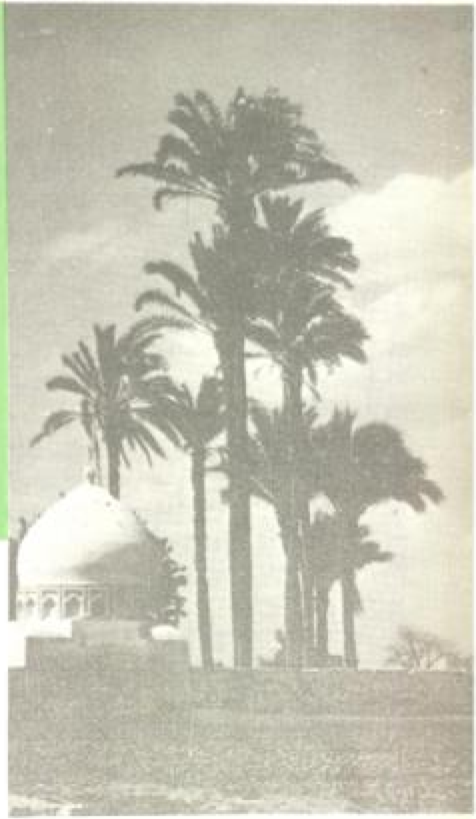
ليس ثمة رحلة بين الانبعاث والفناء اسرع من هذه •• صحيح انها تؤدي مهمتها المرسومة في العالم منفعة وجمالا •• ولكنها تظل تحمل ما هو اكبر من المنفعة والجمال •• انها (العبرة) التي تنطق بها هذه الرحلة ذات التحول الدرامي السريع بين الحياة والموت ••

والحياة البشرية ، في نهاية التحليل ، لا تعدو ان تكون المعادل الانساني لعالم النبات •• ان الانسان يخرج من رحم امه ، لكي ما يلبث بعد رحلة تطول او تقصر ، ان يذبل ويتيبس ويغيب ثانية في قلب التراب •• واذا كان كثير من الناس، سيما في عهود تألقهم فرادى او مجتمعين •• على المستوى الخاص او في دائرة الابداع الحضاري الشامل •• اذا كان كثير من الناس ينسون البدء، والمنتهى • المنبع والمصب •• الرحم والقبر فان الحقيقة تبقى اكبر من النسيان بكثير •• انهم يرحلون بين الطرفين •• وان عليهم ان يتذكروا ـ دائما ـ المسافة الحقيقية التي تتيح لهم ان يقطعوها بين الحياة والممات••هذه الذكرى الضرورية التي تحميهم من ورم الغرور والاستعلاء اللذين يقودان الى الكفر والفسوق والطغيان ••

ولكن النسيان قائم •• والانسان بحاجة الى من يهزه بعنف لكي يفتح بصيرته المغلقة على الحقائق ، وقلبه المطمور على المصير •• وما احرى بعالم النبات ، في عرضه الدرامي ذاك ، ان يحدث الهزة المرجوة، ويعيد الذاكرة الى الانسان:

* كلية الاداب ـ جامعة الموصل

اللـه



(انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام . حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت، وظن اهلها انهم قادرون عليها ، اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس ، كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون) ـ يونس ٢٤ ٠

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) الكهف ٤٥ ٠

(٠٠ ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ، ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب) ـ الزمر ٢١ ٠

(كمثل غيث اعجب الكفار نباته ،ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ٠٠) ـ الحديد ٢٠

(والذى اخرج المرعى ٠ فجعله غثاء احوى) ـ الاعلى ٤ ـ ٥ ٠

وفي هذه الآية الاخيرة تختزل المسافة اختزالا ٠٠ فلا يتبقى بين الانبعاث والتحطم ايما فاصل ٠٠ الفروع والذبول ٠ ليس ثمة فاصل على الاطلاق٠٠ وتلك طريقة القرآن الكريم المؤثرة في تصوير القيم والمعاني ٠٠ ها هنا ٠٠ ازاء حقيقة الفناء والتحطم التي تلف الحياة والخلائق ، تصغر المسافة المنظورة بين الوجود والمصير ٠٠ تصغر الى الحد الذى تكاد لاترى فيه ، من اجل الا تترك على مدى الرؤية ، وشاشتها الممتدة في الافق من الفضاء الى الفضاء ، سوى منظر واحد ٠٠٠ الفناء الذى يكتسح الحياة !!

فاذا كان ذلك كذلك ، فما احرى الانسان ان يقف عند حده ٠٠ ما احرى الجماعات البشرية ان تعرف حجمها الحقيقي ٠٠ ولو تعلمنا من النبات هذه الحقيقة فوقف كل منا عند حده ، وعرفت كل جماعة حجمها الحقيقي ، لعرفنا كيف نجعل تجربتنا في هذا العالم الثاني مخضرة حقا !!

معجزة الخلق والانبعاث

والقرآن الكريم ، شأنه دائما لايقف عندالوجه الواحد للصور ، فهنالك اوجه اخرى ، وهو يدور حولها جميعا لكي يخرجها لنا بفانوسه "السحرى" صورا متحركة على شاشة العالم ، وملونة ايضا!! الفناء والتحطم ٠٠ نعم ٠ ولكن هنالك ايضا الانبعاث ، والتماسك ، والحياة ٠٠ انها رحلة التجدد والاخضرار ٠٠ فليس ثمة في هذاالعالم سوى (الحركة) التي يبعثها الله سبحانه في املاء الكون فتدور الكواكب والنجوم والسدم والشموس والمجرات ٠٠ وتتجاذب ٠٠ وهي تسبح بحمد

الله .. وينشرها الله في قلب التربة فتخضر وتزهو وهي تسبح بحمد الله ..

واذا كانت دراما الفناء الخاطف السريع تعلمنا كثيرا .. تبصرنا بمواقع خطواتنا في الارض ، فان معجزة الخلق المفاجيء ، تعلمنا كثيرا هي الاخرى .. وتبصرنا كثيرا ..

(ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) الانعام ٩٥ .

(.. سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الاعراف ٥٧ .

(والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون) النحل ٦٥ .

(وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) الحج ٠٩٥

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير) الحج ٦٣ .

(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ؟ ليقولن الله . قل الحمد لله بل اكثرهم لايعقلون) العنكبوت ٦٣ .

(واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون ؟) يس ٣٣ـ٣٥ .

(ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت . ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير) فصلت ٣٩ .

(اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون) الحديد ـ ١٧ .

ها هنا يلفت القرآن انظارنا الى اشد الحقائق ثقلا وتواجدا في قلب العالم ، بعث الحياة من اعماق التربة الميتة .. واذا كانت مشيئة الله المطلقة قادرة على تحقيق هذا الفصل المشهود في كل لحظة من الزمن وفي كل شبر من العالم .. افتعجز ـ وحاشاها ـ عن تحقيق الفصل نفسه على مستوى الحياة الانسانية نفسها ؟ ولماذا ؟ !

ذلك ما يعلمنا اياه القرآن، وهو يشير بكلتا يديه الى عالم النبات الاخضر ، المتفجر حياة.. يشير بكلتا يديه لكي يضع الوجدان البشري بمواجهة الحقائق العارية ، المؤثرة ، المنظورة .. بلا جدل ولا تعقيد ولا اغاليض مما تمارسه المدارس الدينية والوضعية .. ولا اقول الاديان!!

وحقيقة اخرى لاتقل اهمية نتعلمها من رحلة النبات بين معجزة الخلق ومأساة الفناء ، حقيقة ذات بعد حضاري .. اذا كانت الحقيقة الاولى ذات بعد وجودي .. فما دام عالم النبات يقدم لنا ، بارادة الله ، ورعايته ، هذا النموذج المشهود على التجدد الدائم..الانبعاث المستمر..المتواصل الذي لا يعرف توقفا او انقطاعا .. فلا معنى لليأس من الحياة ، للقعود ساكتين بانتظار الموت والتحطم.. مادام الله سبحانه قد منح الخلائق كلها قدرة فذة على التجدد والتواصل والديمومة والاستمرار فليس ثمة يأس على الاطلاق .. والفناء نفسه يبدو ضرورة لصيرورة الحياة .. والابداع ..

ان الافراد تقصم ظهورهم النوازل .. والامم والجماعات ، تنزل بها المحن وتكسرها الضربات ولكن يبقى وراء هذا كله ، قدرة الافراد على الاستمرار ، وقدرة الحضارات على المسير .. اكثر من هذا .. ان النوازل والضربات تغدو بمثابة تحديات تستثير في قصر الحياة اقصى قدراتها على الدفع والتدفق والرد والمقاومة والاستمرار ..

ولقد تحدث كثير من الفلاسفة والمؤرخين ، يقف (شبنغلر) على رأسهم ولا ريب ، عن تواجد هذا القدر المشترك بين الحضارات البشرية وعوالم النبات .. في معجزة الخلق .. في صعود المنحنى الصعب .. في الانحدار صوب الافول .. والتحطم ..والفناء..ثم في الانبعاث مرة اخرى..ان تاريخ بني آدم ـ يقول هؤلاء ـ يمر بنفس المراحل الدورية التي يجتازها عالم النبات .. وسواء صحت مقالتهم تلك ام لم تصح ،فان ثمة قدرا من التشابه ، يند عن التطابق الهندسي اذا اردنا الدقة ، يربط بين خلائق الله جميعا .. الانسان والحيوان .. والنبات ..

ان المشاهد التي ينقلها الينا القرآن ، او ينقلنا اليها بالاحرى ، تعلمنا كثيرا : ان على مستوى الفكر والعقيدة والروح..او على مستوى الحضارة والتاريخ ..

تعاليم من العالم الطريف

والقرآن الكريم يعتمد هذا التقابل المتناظر بين العالمين لكي يضرب بدنيا النبات الامثال ، فيمنحنا ـ بذلك ـ المزيد من التعاليم الحية المؤثرة مما نشهده في هذا العالم الطريف ..

عطاء المنافقين وعطاء المؤمنين..هذا كالارض صخرية

مغطاة بطبقة رقيقة زائفة من التراب لا يزيدها المطر الا تعرية وفقرا .. وهذا رواب خصبة واعــدة يعينها المطر على المزيد من التدفق .. والمنح .. (.. فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابـه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء ممـا كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل . والله بما تعملون بصير) البقره ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة .. هذه تزهو وتسمق وتمنح .. وتلك كومة من اعجاز خاوية لا جذور لها في الارض ولا تمنح شيئا .. والكلمة (فعل) والتزام ومسؤولية .. ومن لم نعـرف كيف يكون مردود هذا الفرق الحاسم بين الطيب والخبيث في مواقف الانسان وفي تاريخه على السواء (الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفروعها في السماء . تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للنـاس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) ابراهيم ٢٤ ـ ٢٦ .

وثمة (لقطة) متشابهة ولكن الضوء مسلط هنا على الجماعة .. وكان هناك مسلط علـى الكلمة ! والامر سواء (.. والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون) الاعراف ـ ٥٨ .

وحركات الايمان في العالم التي جاء الانبياء عليهم السلام لكي ينظموها وينطلقوا بها لتغيير العالم ، كانت تبدأ دائما بداية بسيطة ، ضعيفة .. قلة محاصرة وسط اكثريات ساحقة تسعـى لتدميرها ، ولكنها ما تلبث ـ بارادة الله ـ ان تستوي على سوقها وان تاخذ الزمام وتتحكم في التاريخ .. وليس اروع من ازدرع مثلا لهذا النمو الجريء الذي يبدأ ضعيفا هشا ثم ينتهي الـى الرسوخ في اعماق النفس والعالم .. ومن ثـم يصف القران الكريم المؤمنين بان (.. ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهـم الكفار) الفتح ٢٩ . اما اعتماد القران عالـم النبات للتمثيل به على صيرورة الحياة الدنيـا وفنائها فقد وقفنا عند نماذج له قبل قليل .

ومن التاريخ ..

وما يلبث القران الكريم ان يقف بنا عند عدد من الوقائع التاريخية لكي يحدثنا عن مصائر افراد وجماعات لم تحسن التعامل مع دنيا النبات .. هذه المنحة الالهية الفذة التي لا يصنعها الا الله ولا يستردها الاه .. افراد وجماعات شتى .. تحدت احداها ارادة الله (انظر الكهف ٣٢ ـ ٤٤) وعرضت ، ثانيتها عن هديه (انظر سبا ١٥ـ١٧) ..ورفضت ثالثتها الوفا، بحقه عليها بطرا وغرورا (انظر القلم ١٧ ـ ٣٣) .

والقران الكريم يجرد هذه الوقائع من احـد بعديها التاريخيين ، وكليها : الزمان والمكان ، لكي تظل تحمل مهمتها التوجيهية التي تتجاوز نطاق العرض التاريخي الى الافاق الممتدة ، والخاص الى العام ، ومن ثم فانها تلتقي بالامثال التـي يضربها القران في الهدف الذي نتوخاه .

المنفعة والجمال

ومن موقف وسطي شامل ، ينظر الى الصورة من كافة اطرافها ، يحدثنا القران عن جانبي هـذا العالم : المنفعة والجمال .. الضرورة والحرية.. ان عالم النبات يغطي بعطائه الزاخر السخي حاجات بني ادم المادية ومطامحهم الروحية على السواء.. والقران يشير الى هذا وذاك . فهو يعرض فـي اكثر من موضع لاهمية النبات القصوى كمادة للحياة البشرية : طعاما وتدفئة ولباسا ، ويدعو بني ادم الى الافادة من هذه المنحة الالهية لاشباع ضروراتهم :

(وظللنا عليكم الغمام ، وانزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبات مـا رزقناكم ..) البقرة ـ ٥٧ .

(.. والنخل والزرع مختلفا اكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا اثمر ..) الانعام ١٤١ .

(ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افـلا يشكرون ؟) ياسين ـ ٣٥ .

(الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) ياسين ـ ٨٠ .

(افرأيتم النار التي تورون ؟ أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون) الواقعة ـ ٧١ ـ ٧٢

(فانشأنا لكم به جنات مـن نخيـل واعنـاب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون)المؤمنون ـ ١٩ .

(ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون) النحل ـ ٦٧ .

ولكنه لا يقف عند هذا الجانب وحده بل يتجاوزه الى الوجه الجمالي لعالم النبات .. وهل القدر من هذا العالم على منح الحياة وجهها الجميل ؟ هل اقدر منه على وضع (الديكور) الباهر على واجهة العالم ، وتلوينه وتزيينه ؟ ان الخضرة هي بحد ذاتها (جمالا خالصا) ارادت بها يد الله المبدعة ان تزين هذا الوجود .. وحتى صنوف النباتات الاخرى التي تحمل الثمر للناس تتزين هي الاخرى وتسهم في اغناء هذا المهرجان المفتون .. انها عملة ذات وجهين .. الضرورة .. نعم ، ولكن لابد من الجمال مع الضرورة ، فهذا هو احد الملامح الاساسية التي تميز بني ادم عمن دونهم من الخلائق : الاحساس بالجمال والتشوق اليه :

(وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها..) النمل ٦٠.

(وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) ق ٧ .

(وانزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد) ق ٩ ـ ١٠ .

(فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام . والحب ذو العصف والريحان) الرحمن ١٠ ـ ١٢ .

(لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا)النبأ ١٥ ـ ١٦ .

(وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) الانعام ـ ١٤١ .

(وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون) النحل ـ ١٣ .

(وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه . ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) الانعام ـ ٩٩ .

لمحات من الاعجاز الالهي

وثمة لمحات عن معجزة الخلق ،يوجه القرآن الكريم الافئدة والانظار اليها ، وهو يحكي لنا عن دنيا النبات .. لمحات ترينا يد الله القديرة المبدعة وهي تفجر التربة بالحياة .. ومن التربة الواحدة وبالماء الواحد تخرج لنا مهرجانا من الاشجار والاثمار والازهار ، مختلفة في طعومها، متغايرة في الوانها ، متباينة في اشكالها واحجامها وتراكيبها .. التربة واحدة .. والماء واحد،ولكن الابداع الالهي ينصب عليهما فيصنع بهما مهرجانا من الاشكال والالوان ..

(وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء) الانعام ٩٩ .

(الله الذي خلق السماوات والارض فانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) ابراهيم ـ ٣٢ .

(وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ،يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الاكل ، ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) الرعد ٣ ـ ٤ .

(هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات . ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون) النحل ١٠ ـ ١١.

(وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون) النحل ١٣ .

(وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى) طه ـ ٥٣ .

(او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون) السجدة ـ ٢٧ .

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ؟)فاطر ٢٧ .

(واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون) ياسين ٣٣ـ٣٤.

ولمحات اخرى لم يكشف العلم عن بعض ابعادها الا اخيرا .. لمحات عن التركيب الزوجي في دنيا النبات ، ان القران الكريم يحكي لنا عن سر التكاثر في هذا العالم الاخضر .. الجميل :

(وهو الذي مد الارض وجعل فيا رواسي وانهارا . ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) الرعد ـ ٣ .

(وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى) طه ٥٣ .

(وترى الارض هامدة . فاذا انزلنا عليها الماء

اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج)الحج ٥ ٠

(او لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ؟ الشعراء ٧ ـ وانظر لقمان ١٠ ٠

(والذى خلق الازواج كلها٠٠)الزخرف ـ١٢٠

(سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون)ياسين ـ٣٦٠

(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) الذاريات ـ ٤٩ ٠

ولمحة عن التمثيل الغذائي (الكلوروفيلى)٠٠ ان القران كما يحدثنا عن سر التكاثر ، يحدثنا كذلك عن سر الزهر والنمو فى دنيا النبات ،وانها لاشارة معجزة حقا الى مادة الكلوروفيل الخضراء التى تصنع الغذاء وتخرج الحب(وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) الانعام ـ٩٩ ٠

وثالثة عن التقدير المحكم فى توزيع النباتات فى الارض ، ونسب عطائها ٠٠ لقد تحدث علماء النبات كثيرا عن هذا التدبير (الموزون) الذى يبيح ـ اذا صح التعبير ـ تعايشا سليما بين النباتات ، ويحقق ـ بكلمة ادق ـ نوعا من الوفاق التكاملى الذى يخدم الحاجات البشرية ويعين الطبيعة على مواصلة مهماتها ٠٠ ونقرا فى كتاب الله ٠

(والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون ٠ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ٠ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) الحجر ١٩ ـ ٢٠ ٠

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها. وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم ٠ يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ؟) فاطر ٢ ـ ٣ ٠

(وما تخرج من ثمرات من اكمامها ، وماتحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ٠٠) فصلت ٤٧ ٠

الحضور الدائم

والاية الاخيرة تنقلنا الى الحضور الالهى الدائم فى مدى الكون وارجاء العالم ٠٠ ها هنا نعاين الحضور الكريم فى دنيا النبات ٠٠ الحضور الذى يدبر ويقدر ويرى ٠٠ فلا يفلت منه شيء ولا يند عنه شيء ٠ ٠ ما من ثمرة تنشق عنها الاكمام ٠٠ ما من ورقة تسقط ٠٠ ما من رطب ولا يابس ٠٠ ما من حبة تنساب وتختبيء تحت صخرة فى ظلمات الارض ٠٠ الا وهى فى ملك هذا الحضور :

(يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله٠٠) لقمان ـ ١٦ ٠

(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) الانعام ٥٩ ٠

ان الله جل وعلا هو خالق هذه الدنيا ،وباعث نباتها من قلب التربة الصماء ٠٠ هو الذى مكن غصون الاشجار من تقديم الطعام ، وجذوعها من اشعال النار ٠٠ هو الذى يمنح النبتة حيويتها المخضوضرة ، او يسلبها اياها فتتيبس وتصفر وتغدو حطاما ٠٠ ان الله سبحانه هو الحارث والزارع ٠٠ وهو الحاصد والموزع :

(قل من يرزقكم من السماوات والارض ؟ قل الله ٠٠) سبأ ـ ٢٤ ٠

(الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) ياسين ـ ٨٠ ٠

(افرايتم ماتحرثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون٠ انا لمغرمون بل نحن محرومون) الواقعة ٦٣ ـ٦٧ ٠

(افرايتم النار التى تورون ؟ أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) الواقعة ٧١ ـ ٧٣ ٠

ثم ها هى كلمات الله تضعنا وجها لوجه ٠ هذا الحضور فى عملية الانبات من بدئها حتى منتهاها ٠٠ الحضور الذى ينزل الماء ويشق الارض ٠٠ ويخرج للناس الحدائق والحبوب والاشجار :

(فلينظر الانسان الى طعامه ٠ انا صببنا الماء صبا ٠ ثم شققنا الارض شقا ٠ فأنبتنا فيها حبا ٠ وعنبا وقضبا ٠ وزيتونا ونخلا ٠ وحدائق غلبا ٠ وفاكهة وابا ٠ متاعا لكم ولانعامكم ٠٠) عبس ٢٤ ـ ٣٢ ٠

٠٠٠٠ والتحدى ٠٠٠٠

(هذا خلق الله !! فاروني ماذا خلق الذين من دونه ؟!) لقمان ١١ ٠

■■

الموصل ـ د ٠ عماد الدين خليل

« انهم لا يموتون ، وانما ينتحرون ! »

كيف تعيش مائة عام؟

بقلم : على ادهم

كل انسان ينبغى له ان يعيش مائة عام ، والذى يقضى نحبه قبل بلوغ هذه السن ، يموت قبل الأوان ۰۰ كيف ؟

■ فى أحد فصول العدد الخامس بعد المائة والسبعين من المجلد الرابع بعد الاربعين من مجلة « هيبرت جورنال » الفصلية الفلسفية كتب ج ۰ م كونل مقالا بعنوان : كيف تعيش مائةسنة ، استهله بقوله : « فى أغسطس ١٩٣٨ أبحرت مع زوجتى فى الخليج الانجليزى على احدى سفن خط الملاحة الشرقى خلال المضايق الى شاطىء الريفييرا ، وكان هذا هو الوقت الذى عقد فيه مؤتمر ميونخ الذى كان له تأثيره فى سير الاحداث ، وسمعنا صوت هتلر الخشن فى اللاسلكى ، وحينما وصلنا الى نيس وجدنا المدينة فى حالة اضطراب شديد ، وكان يبدو أن الحرب قريبة الوقوع ، وكان الرجال يغيرون ملابسهم المدنية ويستبدلون بها الملابس العسكرية ، وطلب من كل من لم يكن له سبب خاص

يستلزم بقاءه في المدينة أن يغادرها في التو واللحظة، لكي يفسح المكان للجيوش المنتظر قدومها . وغادر المدينة في الحال صديق لي طالت اقامته بها . ولما كانت تذكرة سفرنا خاصة بالعودة بحرا فقد صممت على البقاء انتظارا لقدوم احدى السفن الهولندية لنتمكن من العودة الى انجلترا . وسرعان ما انتهى مؤتمر ميونخ ورفع اهل نيس أصواتهم يمتدحون لافال وشامبرلين . وطرح اقتراح لعمل اكتتاب لتقديم هدية الى شمبرلين تقديرا للدور الرئيسي الذى قام به في جعل جهود المؤتمر تنتهي بحل سلمي . حسب ظواهر الامور في ذلك الوقت.

وحينما كانت الازمة لا تزال في مراحلها الحاسمة شاهدت حشودا ضخمة امام الجريدة الرئيسية التي كانت تذيع الاخبار عن سير المفاوضات . وحينما اخترقت صفوف هذه الجموع المتكاثرة وجدت مكتبة تعرض كتبا قديمة مستعملة . استرعى نظرى بها كتاب عنوانه « لكي تعيش مائة سنة او فن اطالة ايام الحياة » ورايت أن هذا الكتاب صالح للقراءة في رحلة العودة ، وبخاصة لانني كنت قد تجاوزت الثالثة بعد السبعين من سنوات العمر . وبدأت أشعر بقرب انتهاء حياتي الارضية . وهذا الكتاب لم يعجبني فحسب . بل احدث كذلك تطورا في تفكيري .

تجربة شخصية

ومؤلف الكتاب هو الدكتور جنيو احد الاطباء المشهورين في عصرهم وكان رئيسا لاكاديمية الطب الفرنسية ، واستاذا للطب بجامعة السوربون ، وكان في التاسعة بعد التسعين حينما الف كتابه ، وقد مات في سنة ١٩٣٥ وهو في السنة الثالثة بعد المائة من عمره ، وهو يقول في مقدمة كتابه « في اليوم الثاني عشر لبلوغي التاسعة بعد الستين اكتب هذه الاسطر ، وفي مثل هذه السن من غير شك لاستشاراتي قيمة حقيقية . وقد استعملت هذه المزية بكثير من الحكمة مفضلا أن اترك للحقائق القول الحاسم . وللقارىء حرية التفكير. والكتاب الذى اقدمه للطبع ثمرة تجربتي ودراستي المستمرة وتفكيري الطويل . وامل أن لا يحكم عليه احد بانه منحرف عن هدفه. وقد شغلت به في شيخوختي المتقدمة واقدمت على تاليفه باعتبار ذلك عملا نافعا ، وأحمد الله لان استمتاعي بالصحة الجيدة مكنني من أن اتم تاليفه دون ان تعوقني العوائق . واني اختم المقدمة اليوم وقد خالجني شعور خاص . باريس في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٠ »

وكان هدف الدكتور جنيو مؤلف الكتاب ان يثبت ان كل انسان ينبغي له أن يعيش مائة عام . وأن الذى يقضي نحبه قبل بلوغ هذه السن يموت قبل الاوان . ومسالة طول العمر قد شغلت عقول الناس . وبعد ان عرض الدكتور جنيو اراء كتاب من امثال أرسطو وبيكون وبيفون وكارنارفو وغيرهم، شرع في بيان الاسباب التي حملته على الاعتقاد بان السن الطبيعية للانسان هي أن يعيش مائة عام او ما يقرب من ذلك . وهو يثبت صحته بهذه الطريقة : تناول حياة اى حيوان من الفار الى الفيل ، وابحث عن السن التي يتم فيها نضجه ، وضاعف تلك السن خمس مرات تعرف المدى الطبيعي للحياة ، وهو يقول ان الوصول الى النضج يكون عند اتحاد العملية الغضروفية التي تتحول منفصلة الى عظم بالعظم . ويتم ذلك في سن مختلفة حسب نوع الحيوان، فالكلب مثلا يبلغ سن النضج في السنة الثانية من عمره . وهو لذلك يعيش عشر سنوات . والثور يبلغ سن النضج في السنة الرابعة من عمره ، وهو يعيش الى العشرين. والحصان وهو يبلغ سن النضج في السنة الخامسة من عمره يعيش الى السنة الخامسة بعد العشرين. والجمل يبلغ سن النضج في السنة الثامنة من عمره يعيش حتى يبلغ الاربعين وهكذا .

ومهما يكن من امر الانسان فانه متصل بالخلق الحيواني ، وخاضع لنفس القوانين التي يخضع

لها سائر الحيوانات ، وهو يبلغ سن النضج بين العشرين والثانية والعشرين ومن ثم فان المدى الطبيعي لعمره يمتد بين المائةوالعاشرة بعد المائة.

ويشير المؤلف الى تلك الظاهرة المحزنة . وهي ان الانسان قل أن يعيش الى المدى المقدر له على خلاف سائر الحيوانات . فالحيوانات المستوحشة ، التي يسرى نفسه اسمى منها في درجات الرقي لتفرده بموهبة العقل تعيش المدى المقدر لها ، في حين انه يخفق في ذلك ، وهي تمضي حياتها دون أن تتعرض في أكثر حالاتها لانواع من الالم ، على خلاف حياة الانسان ، فلماذا يحدث هذا ؟

خطأ الانسان ومسئوليته

يرد الدكتور جنيو على ذلك ان مصدر ذلك هو خطأ الانسان ، وذلك من جراء الاخطاء التي ورثها الانسان عن أسلافه ، وقصر حياة الانسان سببها الرئيسي مجافاته للاعتدال في الاكل والشرب ، وهو يقرر أن الذين يموتون من هذا السبب أكثر من الذين يموتون من أسباب أخرى بما فيها الجوع ، ويستشهد بقول أحد الثقات ، انهم لا يموتون،وانما ينتحرون ، والاسراف في اكل اللحوم وبخاصة في الوجبات المسائية مصدر الكثير من الاضرار ، لان اللحوم تثير أعصاب المعدة والقلب وتضعفهما ، وهو يذكر طبيبا فرنسيا عاش في القرن الثامن عشر ، وكان هذا الطبيب في بعض الاوقات يأخذ طريقه الى مطابخ مرضاه الاثرياء ويقول للطهاة « يا أصدقائي ، اني مدين لكم بالشكر لما تقدمونه من خدمات للدكاترة ، فبدونكم وبدون فنكم في دس السم لاصبحنا بلا عمل ! » .

ولكن كما أن العادات الضارة التي ورثناها عن الاسلاف تقع عليها تبعة قصر حياة ذريتهم فان فضائلهمكذلك لها فضل اطالة حياة من جاءوا بعدهم ، ويذكر الدكتور جنيو بعض الامثلةالحقيقية لوراثة طول العمر ، ومن هذه الامثلة المثل الاتي :

ففي يوم ٣١ يوليو سنة ١٥٥٤ بينما كان الكاردينال آرمنياك يمر بالشارع رأى رجلا هرما في السنة الواحدة بعد الثمانين جالسا على عتبة وهو يبكي . فتقدم منه مستفسرا عن سبب بكائه ، فأجابه الرجل الذي تجاوز الثمانين ان والده ضربه ضربا مبرحا ، فعجب الكاردينال من ذلك .. وسأله ان يدله على مكان والده ، ورأى نفسه في حضرة رجل مسن في السنة الثالثة عشرة بعد المائة وهو برغم ذلك في صحة جيدة . وبعد تبادل بعض الاحاديث سأله عن السبب الذي استوجب معاقبة « نجله » ، فأجابه بأنه قد مر أمام جده دون أن يرفع قبعته . فازداد تعجب الكاردينال وطلب منه أن يقدمه لهذا الجد ، ولما تم ذلك وجد نفسه ازاء رجل في الثالثة والاربعين بعد المائة من سنه ..

ولا نزاع في أن الازمات الاقتصادية المتوالية سترغم الناس في العصر الحديث على تجنب الاسراف في الاكل والشرب وان ذلك سيكون له اثره الملحوظ في اطالة الاعمار . والدكتور جنيو قد أصاب في تقديره تأثير الاسراف على حياة البشر . وهو يختم مقاله بالتحذير الوارد في الاصحاح الثلاثين من سفر التثنية : « قد جعلت قدامك الحيوة والموت ، والبركة واللعنة ، فاختر الحيوة لكي تحيا انت ونسلك » . ■■

علي ادهم

■ في بعض الاحيان يكون أسوأشيء يعاني منه جميع الكذابين في العالم هو شعورهم الداخلي بأن الغير سيكشف زيفهم وخداعهم .

رود يارد كبيلنغ

■ نحن قد نرغب في سرد قصة مرتين ولكننا لا نرغبفي سماعها أكثر من مرة .

وليام هازلت

جزء خاص

طفل الانبوب

حدث عام ٧٨

يشترك في تحريره

د • حسان حتحوت

د • محمد سعيد البوطي

د • عبد المحسن صالح

د • احمد كمال أبو المجد





ذكر ماجرى

هكذا ولدت "لويز" وتحول الحلم الى حقيقة

■ هكذا صار الحلم حقيقة ٠ولدت الطفلة لويز براون ، وحقق مجينهـا نبوءة هكسلي في كتابه « العالم الجديد الممتاز » عندما قال بامكانية الحفاظ على البويضة الملقحة حية خارج جسم الام بفضل التقنية الحديثـة في ظل درجة حرارة مثلى ٠ وكانت هذه النبوءة في عام ١٩٣٢ ٠٠ وتحققت نبوءته بعد مضى ٤٦ عاما !

ولنترك النبوءات ، وحدث القرن العشرين ، ونتحدث عن لويز وامها مسز لزلي براون !

اليوم وبعد مضى خمسة اشهر على مولد الطفلة التي حققت لامها الامل الذي كانت تعيش مـن اجله ، والذي انقـذ زواجها ونفض عنهـا ذلك الاحساس الذي كان يسيطر عليها ، بانها ليست امرأة ككل النساء ٠٠ وانها لن تصبح اما مثل بقية الامهات !

اليوم تعيش مسز براون احلى لحظات حياتها مع طفلتها الصغيرة التي اصبحت تعرفها ،وترتاح الى صدرها ، وتبكي اذا ابتعدت عنها ويتهلل وجهها فرحا عندما تمد اليها ذراعيها لتحتضنها وهي تهمس في اذنها : « اياك ان تصدقـي ياصغيرتي انك طفلة اصطناعية ٠ لقد كبرت في احشائي ٠٠ مثلك مثل اى طفل طبيعي ! »

لويز في شهرها الخامس

وتقول الام : « لقد اصبحت لويز الآن طفلة كبيرة ٠٠ انها تعلمت كيف تتناول وجباتها بالملعقة ٠٠وهي تاكل بشهية وتنام كثيرا ، ولكنها مع هذا فهي تجد في رعايتها وتربيتها » وظيفـة كل الوقت » ٠٠ ثم « انا لا اريد ان اشغل نفسي باى شيء آخر غير رعاية لويز ٠٠ فهي حياتي ودنياى ! »

يقول الاب جون براون : « هذه هي طفلتي وهي اعظم طفلة في العالم ! »

وتعود لزلي براون الام الى ذكرياتها ٠٠ والى السنوات التسع التي قضتها مع زوجها بلا اطفال٠٠ تقول : «لقد مررت بتجارب قاسية مؤلمة ٠٠ لكم ان تتصوروا عندما يقول الاطباء لزوجة ٠٠ انها



الابوان « براون »
ابن الولادة التى طال انتظارها ٠٠



الطبيبان ستبتو وادواردز
يشرحان الانجاز في مؤتمر صحفي

لن تصبح اما ٠٠ لن يكون لديها اطفال مثل بقية الامهات ٠٠ انني مازلت اذكر ذلك اليوم الذي تركت فيه المستشفى الذي كنت اعالج فيه ،ونزلت الى الشارع عائدة الى بيتي في مدينة بريستول٠ لقد قال لي الطبيب المعالج يومئذ : « لا فائدة يا مسز براون !» ٠

« ورحت امشي في الطريق الطويل الى البيت٠ في ذلك اليوم ٠٠ في تلك الساعة ، ولاول مرة في حياتي ٠٠ احسست بانني امشي وحدي وسط هذا الشارع المزدحم الذي امتلأ بالسيارات والناس٠٠ لم اشعر بشيء مما كان يدور حولي ٠

اقوى من اليأس

لم تحكي لزلي قصة الجراحة التي اجريت لها في محاولة لاصلاح قناتي فالوب قبل لقائها بالدكتور ستبتو بسنوات٠ ولكن الجراحة فشلت ولم تصلح شيئا٠٠ وعندما بدات استعد لمغادرة المستشفى ، جلس الطبيب امامي وقال : « ان احتمالات الانجاب لا تزيد على واحد في المليون ٠ اذا كنت تريدين اطفالا حقا ، فلماذا لا تتبنين طفلا ؟ ! » وراحت الزوجة الشابة تحدق في وجه الطبيب دون ان تنطق بكلمة واحدة ٠٠ فقد احست في تلك اللحظة بانها تختنق ولم تشا ان يراها الطبيب وهي تنهار امامه! وعندما خرجت من عيادته ولقيت زوجها جون كانت اطرافها ترتعش ولم تشعر بنفسها وهي تضع راسها على كتفه وتبكي وتبكي ٠٠

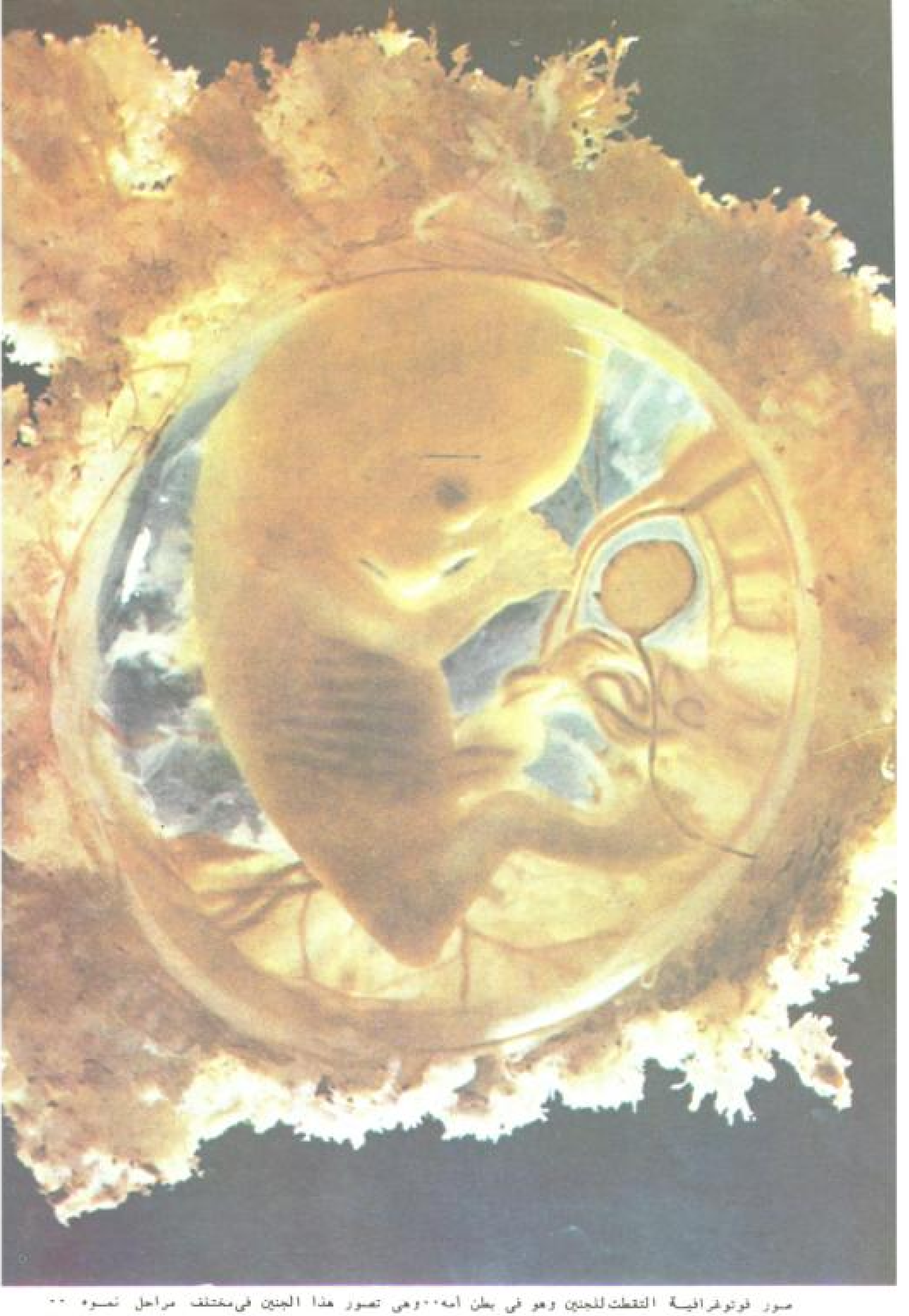
« وعندما نزلا الى الشارع ٠٠ لم يكن احد منهما يعرف على وجه التحديد الى اين هو ذاهب٠٠ لقد ظلا يسيران على غير هدى ٠٠ وانقضت ساعات طويلة قبل ان يكتشف الزوجان ان اقدامهما لم تعد قادرة على السير ٠٠ اما الزوجة المسكينة ، فقد كانت عيناها غارقتين في الدموع !» ٠

ماذا كنت اقول لجون زوجي على مدى تلك الساعات الطويلة التي انقضت منذ تلك اللحظة التي تركت فيها المستشفى؟ قلت لزوجي ورحت اكرر ما اقول مرات ومرات : « لم يعد هناك امل ياعزيزي »

« الجيران عندهم اطفال ٠٠ الاقارب تمتلىء بيوتهم بصياح الاطفال ٠٠ انني ارى الاطفال من حولي في كل مكان٠٠ اراهم في عرباتهم الصغيرة في الشوارع وفي الحدائق وفي كل مكان ولا اكف عن الحديث مع نفسي : « انهم ليسوا لك ٠ ولن يكونوا لك في يوم من الايام ٠٠ انهم ملك لاناس اخرين ٠٠ ليسوا لك ابدا !» .

« وكنت اشعر بدوري انني لست مثلهن ٠٠ انا امراة غير طبيعية ٠٠ انا لست امراة ٠٠ وكنت اقول لجون ٠٠ لماذا لا تبحث لنفسك عن زوجة تستطيع ان تعطيك اطفالا ! » .

« وكان الشعور بالاكتئاب يعيش معي طوال ساعات الليل والنهار ٠٠ ولكن مع المحنة التي مررت بها ، كنت احس في بعض الاحيان ان هناك شيئا من داخلي اقوى من كل مشاعر اليأس التي كانت تحتويني ٠٠ كنت اشعر انني على استعداد لان اضع نفسي وروحي وكياني كله تحت تصرف الاطباء لاجراء مزيد من العمليات الجراحية اذا



صور فوتوغرافية التقطت للجنين وهو في بطن أمه ·· وهي تصور هذا الجنين في مختلف مراحل نموه ··
ولعلك تعجب كيف أمكنهم تصوير ما انغلقت عليه الأرحام ·· منذ أقدم الأزمان·



انتزع الدكتور ستبتو البويضة الناضجة ،بل البويضات، من مبيض المسز براون . بجهاز اللابارا سكوب .. ثم كانت المرحلة الثانية التى وضعت فيها بويضة الزوجة ومنويات الزوج فى المحلول المناسب ،حيث تم الاخصاب . ونقلت البويضة الملقحة فى المرحلة الثالثة الى محلول آخر يناسبها وقد بلغت من النمو ما بلغت .. حتى اذا نمت بالقدر الكافى عمد الدكتور ستبتو في المرحلة الرابعة الى نقلها من الطبق وزرعها فى رحم المسز براون.



لزم الامر من اجل تحقيق الامنية التي أعيش من اجل تحقيقها .. امنية كل زوجة في ان تصبح أما !.

ومن جديد عادت مسز براون تتردد على عيادات الاخصاب .. وهناك كان لقاؤها في أحد الايام بطبيب لم تره من قبل .. « طبيب جديد » لم يكن في حاجة لان يشعر بتلك الرغبة القوية التي تمتلك هذه الزوجة الشابة في ان تصبح اما . وقال لها الطبيب الجديد . انصحك يا سيدتي بان تعرضي نفسك على الدكتور باتريك ستبتو !

لقاء مع الامل اخيرا

وتتذكر لزلي ذلك اليوم الذي سيبقى حيا معها في ذاكرتها ولن تنساه أبدا : « وذهبنا ـ زوجي وانا ـ للقاء ستبتو في عيادته في مانشستر .. وشرح لي الطبيب الجراح في كلمات بسيطة ، وكانه يعالج مريضا بالانفلونزا ما الذي يمكن ان يصنعوه بي . قال انهم سياخذون بويضة مني ، وانهم سيلقحون البويضة خارج جسمي، ثم يعيدونها اليه مرة أخرى بعد التلقيح ! » وبدا كل شيء طبيعيا بسيطا لا غرابة فيه بسبب بسيط وهو انني لم افهم شيئا ! »

وشرح ستبتو كيف انهم في البداية سوف يضطرون الى فتح بطني وادخال عدسة الكاميرا فيها ليروا بانفسهم ماذا هناك ! » وجلست انصت في اهتمام، ثم قلت لنفسي ، لا شيء يهم في هذا الذي سوف اتعرض له ما دمت لن اشعر بشيء تحت تاثير المخدر».

كانت على استعداد لاي تضحية ، كانت تتعلق بكل امل ، واي امل مهما كان واهيا !

شيء ما احسته الزوجة ، واحسه الزوج بدوره .. هذه المحاولة التي تمر بها اليوم لن تكون مثل سابقاتها من محاولات انتهت بالفشل ! » .. كيف ولماذا سيطر علينا هذا الشعور ؟ لا تدري .

ولكن الذي اعرفه انه عندما عدت الى البيت بعد ان اجروا لي الجراحة ، واخذوا مني البويضة يوم ١٠ نوفمبر من عام ١٩٧٧ ، ثم اعادوها بعد تلقيحها بمني زوجي يوم ١٢ نوفمبر .. الذي اعرفه واذكره، المنظر الذي رايته في الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة نومنا ، لقد قادني جون الى غرفة للطفل الذي رحنا ننتظر وصوله قبل مجيئه بتسعة أشهر، وكانه اصبح حقيقة واقعة ! لم يترك جون شيئا من ملابس الاطفال لم يحضره ..

وحدثت المعجزة

وتحقق الامل .. حدثت المعجزة .. وجاءت لويز .. الطفلة التي ظل العالم كله ينتظر وصولها .. اربعة كانوا وراء هذا الحدث الذي اعاد الامل لملايين الزوجات في جميع أنحاء الدنيا ..

الدكتور باتريك ستبتو الجد الانيق الذي أحيل الى التقاعد لكنه استمر يعمل ليحقق هذا النصر العلمي المذهل .. رجل عادي، خجول في الخامسة والستين من عمره . يعشق الموسيقى ويجيد العزف على البيانو ويقول : « لكي تكون انسانا ناجحا في عملك فلا بد ان تكون فنانا ! ».

ثم الدكتور ادواردز (٥٢ سنة) ، وهو متزوج واب لخمسة أطفال .. يعيش الحياة البسيطة ، ويختار من الملابس أخفها وأرخصها حتى في طقس الشتاء البارد .. يتنقل على دراجة داخل جامعة كمبريدج التي يعمل فيها ، استاذا لامراض النساء والولادة ، ولا باس من ان يستخدمها في عودته الى البيت بعد انتهاء الدراسة . ظل يعمل مع الدكتور ستبتو طوال الاثني عشر عاما الاخيرة ، ويقول انه تعلم من هذا العبقري ما لم يجده في الكتب على مدى عشرين عاما من الدرس والتحصيل . أما الحياة بالنسبة له ، فهي « نزهة » لا تختلف كثيرا عن تلك التي يقوم بها من البيت الى الكلية كل صباح ، وهو في كل نزهة يتعلم شيئا جديدا .. ثم من الزوجة الشابة لزلي التي سكنت في قلبها وراسها وكيانها تلك الرغبة الجامحة في أن تصبح اما .. فكانت اول زوجة تتحول الى حقل لهذه التجربة العلمية التي قلبت كل المفاهيم العلمية . ثم جون الزوج المحب الذي وقف بجانبها يشجعها ويدفعها الى المضي في الخضوع لهذه التجربة وما سبقها من تجارب من اجل تحقيق الامنية التي عاش الاثنان من أجلها !

يوم لا تنساه لزلي .. يوم غادرت المستشفى تحمل دنياها الصغيرة « لويز » الى البيت الذي عرفت فيه الوحدة والحرمان .. يومها نامت الام وبجوارها صغيرتها .. وفجاة سمعت صوتا يشق سكون الليل .. صوت لويز وهي تبكي في الساعة الثانية والنصف صباحا .. ماذا حدث ؟ لقد جاعت الصغيرة .. وهي تريد ان تتناول وجبتها .. وكان اعذب واجمل صوت سمعته طوال حياتها .. لاول مرة احست انها لم تعد وحدها .. لاول مرة احست انها اصبحت اما .. ■■

حقيقة التجربة وتساؤلاتها:

ليست ابنة أنبوب الاختبار

ولا بد من تكرار العملية بنجاح حتى لا تعد ضربة حظ..

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

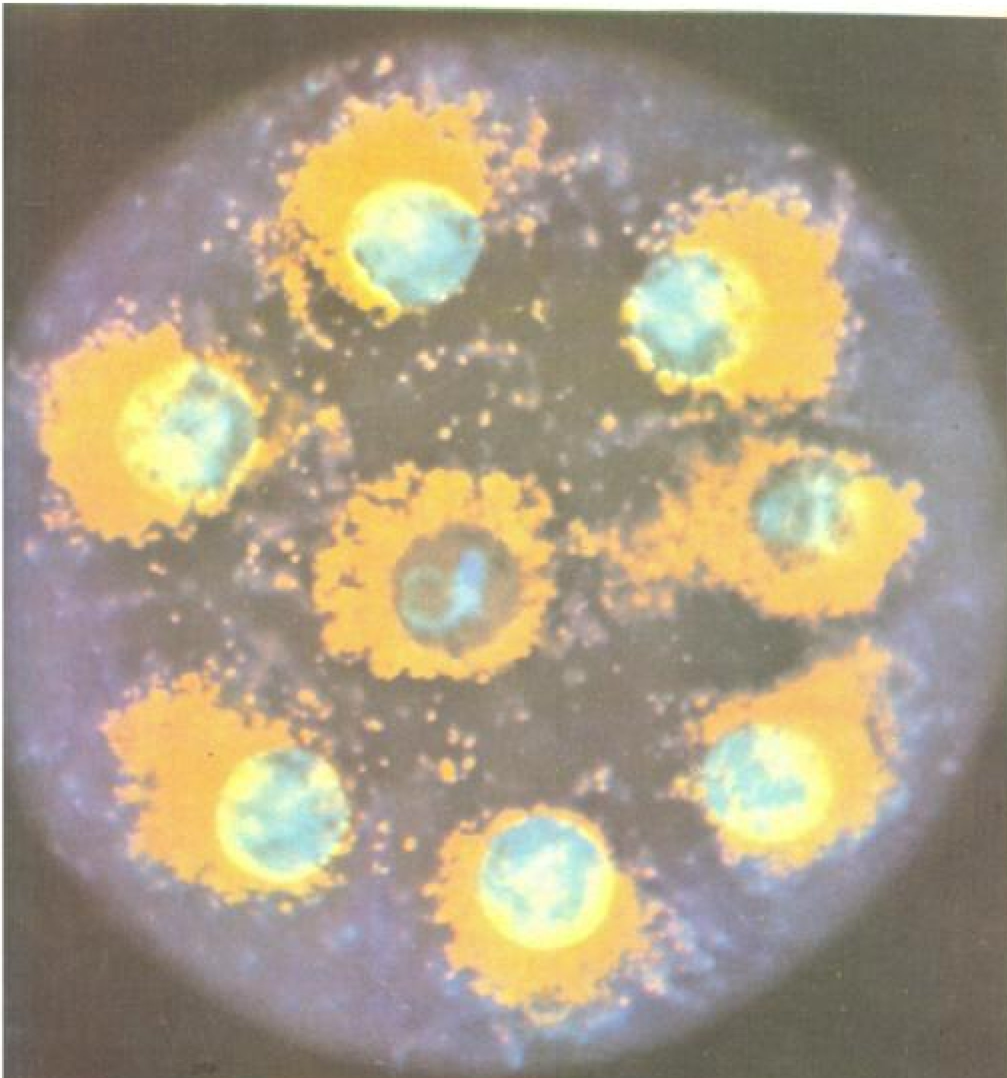
■ كنت قد تحدثت في عدد يناير ١٩٧٨ من « العربي » تحت عنوان « قضايا علمية تنتظر احكامها الشرعية » عن موضوع « شتل الجنين » ٠٠ وعنيت آنذاك بالذات تجارب عالم الفسيولوجيا الدكتور روبرت ادواردز وجراح أمراض النساء الدكتور باتريك ستبتو اللذين كنت أتتبع عملهما منذ عام ١٩٦٦ ٠ رغم انني اشرت الى ان جل الصعوبات التي صادفتهما قد تم تذليلها ، وان ميلاد اول طفل بدأ تكونه خارج جسم أمه قد بات وشيكا وغير بعيد ، الا ان الموضوع بدا بعيدا عن التصديق حتى ان أخا كريما هو فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي وهو من هو فضلا وعلما وثقافة ومعرفة بي ، قد حمل الامر محمل الخيال العلمي والافتراض النظري ، وصدر مقاله في التعقيب على (عدد مارس ١٩٧٨ من العربي) بمقولة عن «الارايتيين» وهم الذين لا ينى أحدهم يسأل : « أرايتم لو حدث كذا ؟ » على سبيل الفرض المجرد ، فيثير بسؤاله جدلا لا تدعو اليه حاجة ويقيم به نقاشا لا تقوم له قضية ٠

ولما كان الموضوع قد ولج أخيرا الى صدر الاخبار العالمية ، رأينا أن تكون لنا اليه هذه العودة الثانية على صفحات « العربي » ولكن في هدوء نفس وفي تناول علمي مجرد ٠

ابنة أبويها

ليست لويز ابنة لانبوبة الاختبار !

وهذا اول ما ينبغي أن ننبه اليه ٠٠ فنظرا لان عنوان « اطفال أنابيب الاختبار » مثير ومدهش وجذاب ، قد تبنته الصحافة وأعطته مكان الصدارة في المانشيتات واختارت له أكبر حروف المطبعة ، ثم نسجت نكات الكاريكاتير حول العشق والغيرة والحمل والبنوة لانابيب الاختبار بل لانابيب البوتاجاز أيضا ٠٠ وهو أمر مطرب وظريف ٠٠ وأنا رجل احب النكتة وأقدرها وأهش لها وأمارسها جيدا ٠٠ وهو شيء طيب لولا أن جمهورا كبيرا من قرائنا يكتفي بالعنوان وقراءة النكتة ، أما صلب الموضوع فيخيل اليه أنه سيصيبه بعسر هضم فكري حتى ولو كان مبسطا وسهلا فلا يستاذي



هكذا تبدأ الحياة ٠٠ اذ تأخذ البويضة في الانقسام مثنى وثلاث ورباع لدى اخصابها في قناة فالوب ٠٠ وتتكاثر اقسامها حتى تبلغ ٦٤ قسما عند وصولها الرحم ٠ وتبين الصورة البويضة وقد مضى على اخصابها ٦٠ ساعة٠



صورة رائعة التقطوها في اللحظة التي تخرج فيها البويضة من المبيض فتلتقفها قناة فالوب ، بل توهتها التي تبدو كالزنبقة ·
وقناة فالوب هي التي تصل بين المبيض والرحم والتي يجرى اخصاب البويضة فيها ،ان كان ثمة اخصاب، اثناء الرحلة التي تقوم بها البويضة من المبيض الى الرحم عبر هذه القناة وسميت قناة فالوب نسبة الي مكتشفها الايطالي
Gabriello Fallopion
(١٥٢٣ ـ ١٥٦٢) ·



القارىء الا ان يتغلب على هذه الصعوبة ويبذل حدا ادنى من الاقدام على القراءة .

ان لويز براون ابنة أبيها وأمها ما في ذلك شك . فهي كغيرها من البشر بدأ تكونها بالتحام نصفين : نصف من الاب ونصف من الام .

ذلك بان كل خلية بشر بها نواة تحمل في داخلها ثلاثة وعشرين زوجا (اى ٤٦) من الكروموزومات . وهي هذه الاجسام الدقيقة التي تحمل شفرة التراث الانساني كله . فتميز الانسان انسانا والجنس جنسا والقبيلة قبيلة والاسرة اسرة ثم الفرد فردا بذاته له سماته الخاصة به وحده كبصمات الاصابع مثلا ..

وتتكاثر هذه الخلايا بالانقسام فما تنقسم خلية الى اثنتين الا انقسمت هذه الكروموزومات كل الى اثنين كذلك لتحتوي كل خلية جديدة على ستة واربعين كروموزوما مثل خليتها الام . وهكذا اجيالا من الخلايا وراء اجيال وأجيالا من البشر وراء اجيال ..

ولا يشذ عن ذلك الا الخلايا الجنسية الناضجة . وهي البويضات في مبيض المرأة والمنويات في خصية الذكر .. فهذه الخلايا اذا انقسمت امهاتها كل الى اثنين لم تنقسم بها الكروموزومات كل الى اثنين وانما توزعت الكروموزومات فذهب كل ٢٣ فردا الى خلية . فتحتوي البويضة والمنوي كل على ٢٣ كروموزوما فقط في نواتها ..

وتجرى سنة المبيض فيما بين البلوغ وسن اليأس على اطلاق بويضة واحدة منه كل شهر . تنفجر عنها فقاعة تنتأ على سطح المبيض عادة في اليوم الرابع عشر من كل دورة طمثية ويعرف ذلك بالتبويض . وتنقذف البويضة الى تجويف بطن السيدة . ولكن سرعان ما تأخذ طريقها الى مدخل قناة اتية من الرحم واحدة على كل جانب . اسمها قناة فالوب . بل ان قناة فالوب تتحرك كحركة الدودة لتجعل مدخلها في مواجهة البويضة . ويساعد على ذلك ان طرف القناة القريب من المبيض له زوائد كالاصابع تهش على البويضة هشا كما تهش العصا الرفيقة على الغنم لتوجهها للدخول الى قناة فالوب ..

اما طرف قناة فالوب الاخر . والمتصل بالرحم .. فانه ممر للمنويات ان حدث اتصال جنسي . فبعد قذفها في المهبل تستبق المنويات صعدا في الرحم ثم قناة فالوب . فان سنحت الصدفة (ومن ورائها مشيئة الله) استطاع السابق منها ان يبلغ البويضة فيقتحم جدارها فيندمجا الى خلية واحدة تحتوى مجموع رصيد كل منهما من الكروموزومات وهو ٢٣ لكل منهما : فاذا الخلية الجديدة تحتوى عددنا المميز وهو ستة واربعون كروموزوما . نصفها من امنا ونصفها من ابينا . وهذه الخلية الجديدة اسمها البيضة الملقحة وهي اولى مراحل الانسان . لانها تجتاز قناة فالوب الى الرحم لتنغرس فيه . وهي منذ تكونها تشرع في الانقسام الى اثنين ثم أربع ثم ثمان ثم ست عشرة خلية وهكذا وهكذا الى ملايين الخلايا التي تكون الجسم وأعضاءه وأجهزته وأنسجته وبكل خلية منها ستة واربعون كروموزوما .

الذي حدث بالضبط

الذي حدث هو ان قناتي فالوب كانتا كلتاهما مسدودتين تماما عند السيدة لزلي براون. انسدادا لا تجدي فيه جراحة ولا علاج . ويحول بصورة قطعية ودائمة بين البويضة القادمة من طرف والمنوي القادم من الطرف الاخرى . وتكون السيدة قد حكم عليها بالعقم نظرا لان الطريق الذي يسلكه المنوي الى البويضة ليلقحها ملتحما بها (وهو ما يعرف بالاخصاب) ثم تسلكه البيضة الملقحة الى الرحم لتنغرس فيه طريق مسدود وصار عامل فصل لا وصل .

بدا ان الحل المنطقي للتغلب على هذا العائق في هذه السيدة هو ترتيب مكان لقاء جديد بين البويضة والمنوي غير قناة فالوب . فاذا امكن ذلك وتم تكوين البيضة الملقحة وشرعت في انقساماتها الى حد معين سلكنا بها كذلك سبيلا الى الرحم بديلا لقناة فالوب . وهو امر ميسور عن طريق المهبل فعنق الرحم فالرحم . وهكذا يتلخص انجاز الدكتورين ادواردز وستبتو في استخراج البويضة من المبيض الى خارج جسم السيدة . والحصول على منويات الزوج وهذا ميسور بالاستمناء . واتاحة الظروف التي تكفل تلقيح البويضة بحيوان منوي (الاخصاب) واندماجهما مكونين البيضة . وتهيئة الظروف التي تتيح للبيضة أن تنقسم

ورعايتها حتى يبلغ بها التكاثر الدور المعين الذى يقدر ان حقن الى الرحم ان يعلق ببطانته ثم ينغرس فيها ويستمر فى النماء والاستواء وتكوين مشيمة تصله بامه وتكون له مطعما ومشربا ومتنفسا ومخرجا كما تصل الجذور شجرتها بالارض وخصبها، فى حمل عادى كغيره من الاحمال وان يكن كل حمل معجزة فى ذاته وصنعه تدل على الصانع وخلقا يشير الى الخالق ..

هذا ما فعله ستبتو وادواردز .. على اننا لا نريد ان يظن القارىء ان الامر كان من السهولة على الصورة التى اوجزناها فى بضعة اسطر .. وانما بلغ هذان العالمان ما بلغا بعد ان استطاعا بالصبر والمثابرة ان يتغلبا على طائفة من الصعاب .. ولم يبدا من فراغ .. ولم يكونا وحدهما فى الميدان وان كانت الاضواء تسلط فى كل سباق على الفائز الاول بطبيعة الحال .

البويضة : مهارة يدوية

كان الحصول على البويضة مسالة مهارة يدوية فى استعمال جهاز منظار البطن او اللاباروسكوب. وهو جهاز شائع الاستعمال الان فى كثير من اقسام امراض النساء فى العالم .. ومتوفر فى العالم العربى . ترقد المريضة وخلال ثقب فى السرة تدفع ابرة خاصة ثم تضخ الى البطن كمية من الغاز . ثم تمال طاولة العمليات بحيث يكون طرف الراس متحدرا عن الطرف السفلى قرابة الخمس والاربعين درجة . وهو ما يتيح للامعاء ان تسقط بتاثير الجاذبية الى جهة الصدر . وتترك فراغ الحوض وبه الرحم والمبيضان وقناتا فالوب خاليا من المصارين . فتخرج الابرة ونغرس مكانها منظارا خاصا ساطع الاضاءة فنشاهد هذه الاعضاء التناسلية صريحة واضحة . وخلال ثقب اخر او ثقبين فى البطن ندخل بعض الالات فنستطيع ان نقوم بجراحات محدودة . من هذه الالات ابرة متصلة بشافط . هى التى طعن بها الدكتور ستبتو الفقاعة الصغيرة الناتئة على جدار المبيض والتى تحتوى على البويضة . ليستخرج البويضة شفطا ويتاكد من ذلك تحت المجهر .

ولعل هذا هو الجزء السهل .. فهذه البويضة محدودة الحياة . ويعجل بانتهاء حياتها جدا ان تركت هكذا فى الماء او فى الهواء . وهنا ياتى دور عالم الفسيولوجيا واكتشاف المحلول ذى التركيب الكيميائى المعين والمعقد، من حيث مكوناته وملوحته وتفاعله ودرجة حرارته ونسبة الاكسجين وثانى اكسيد الكربون فيه وغير ذلك . والذى لا تستطيع البويضة ان تعيش الا فيه فى علبة زجاجية خاصة .

عملية معروفة

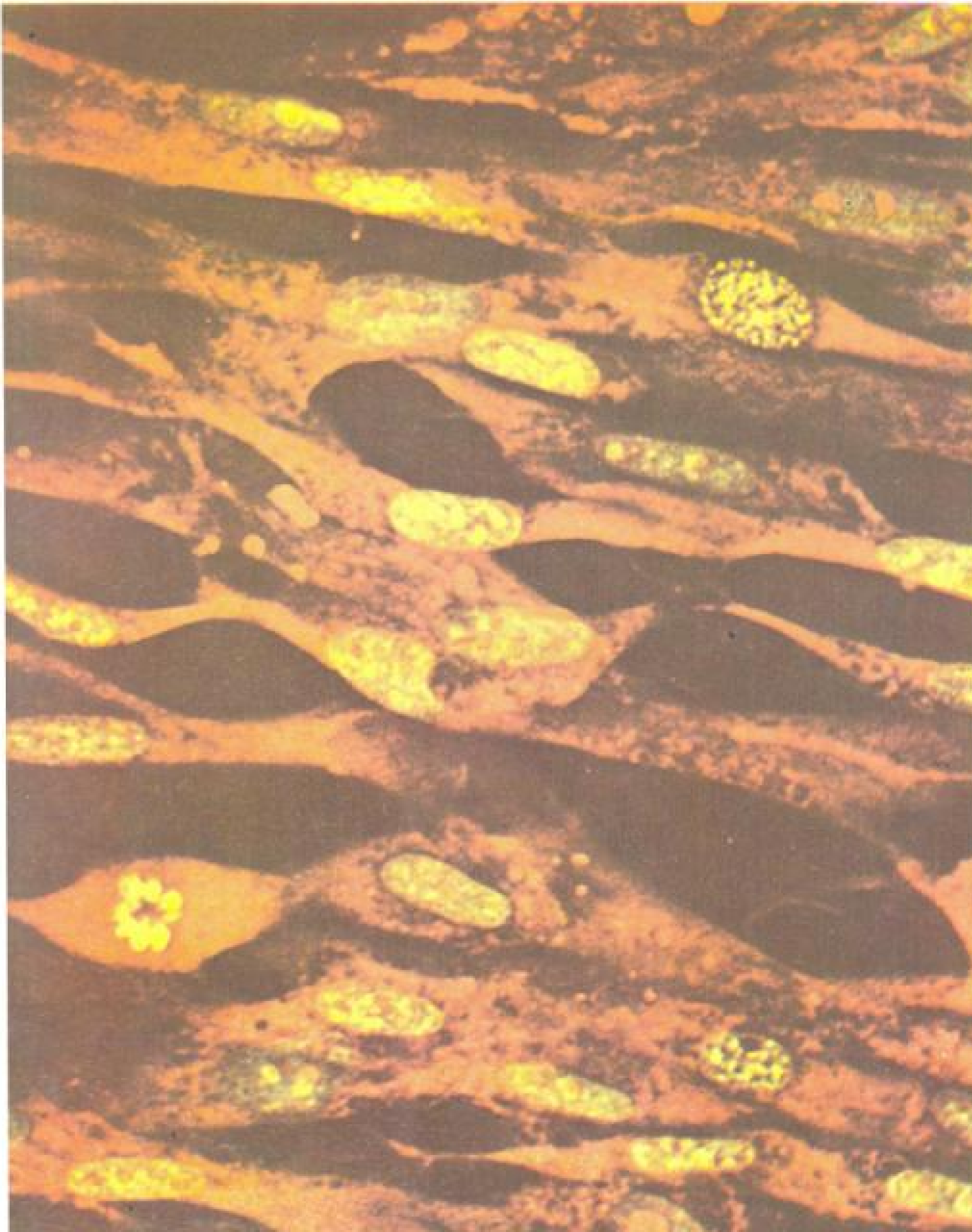
اما قضية الحصول على المنويات (من الزوج وحتى من غير الزوج فى بعض ولايات امريكا) وايداعها فى الحال او بعد تخزينها (فى ما يسمى بنك المنى) فى مهبل السيدة او رحمها فى عملية التلقيح الصناعى . عملية معروفة من زمن ليس بالقصير وليست فيها صعوبة . ولكن ليس الامر على هذه السهولة فى الموضوع الذى نحن بصدده وهو ان يتم الاخصاب خارج الجسم . اذ وجد على مدى سنوات من التجارب الحيوانية ان هذه المنويات لامر ما لا تستطيع الالتحام ببويضة الانثى خارج جسمها . وبعد بحوث مضنية اكتشفوا ان هذه المنويات لا بد من تعريضها لعنصر منشط يكسبها القدرة على اختراق البويضة . وان هذا العنصر المنشط موجود فى افراز الرحم وافراز قناة فالوب. فهو بطبيعة الحال مفقود فى ظروف التجربة المعملية خارج الجسم . ومرت سنوات حتى امكن تحضير السائل ذى العنصر الذى يكسب المنوى القدرة على اختراق جدار البويضة . فذللت صعوبة اخرى .

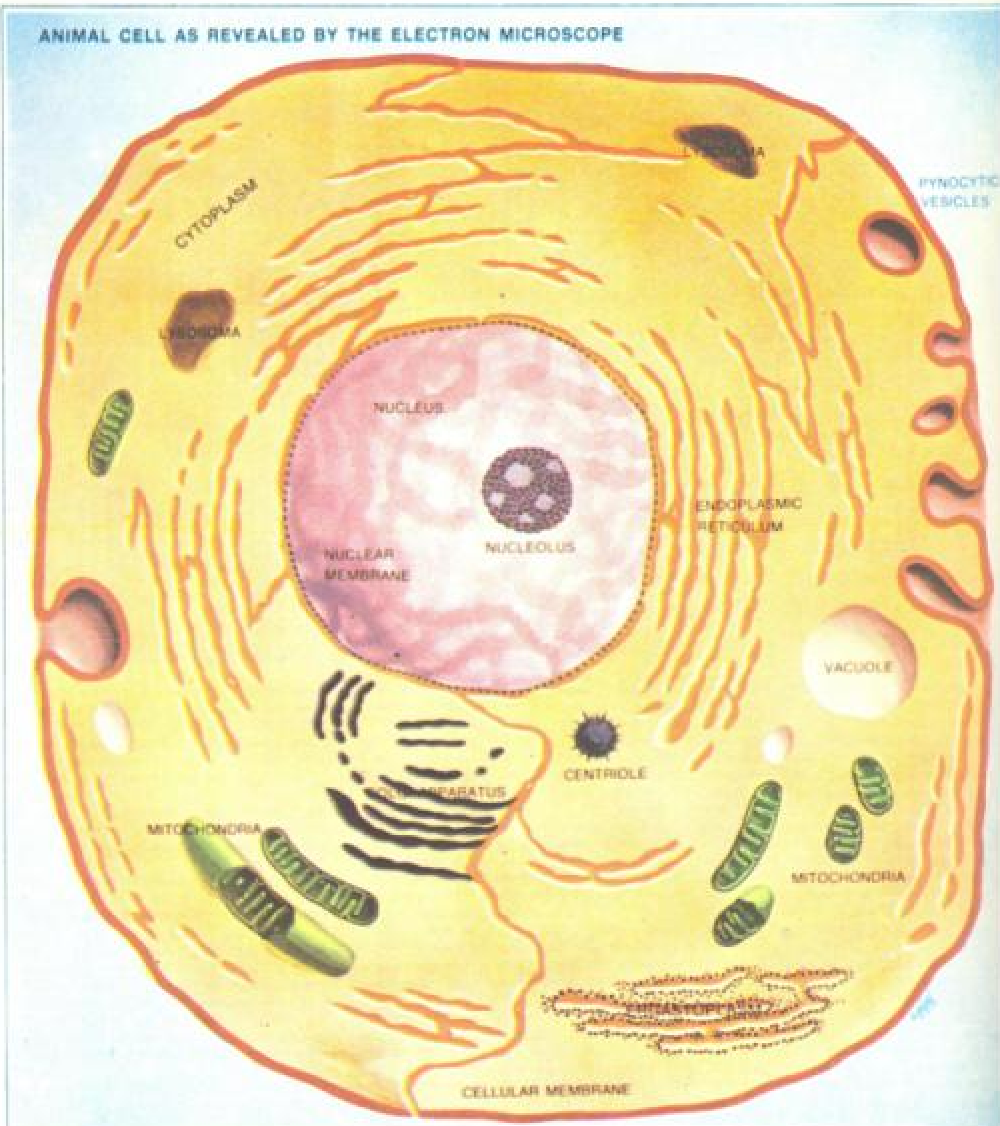
البيضة بعد الاخصاب

الى الان امكن تهيئة الظروف لالتحام منوى وبويضة ليكونا البيضة الملقحة التى تشرع فى الانقسام الى خلايا تنقسم بدورها هى الاخرى وهكذا دواليك وغايتها ان تكون انسانا سويا ..

وليس معنى هذا ان هذه الخطوة تتم بنجاح فى مائة بالمائة من الحالات .. ولا بد ان بويضات كثيرة قد استهلكت دون الوصول الى هذه التى امكن ان تلقح . ونعلم ان الدكتور ستبتو يعطى السيدة عقارا منشطا للتبويض يحفز المبيض الى انضاج اكثر من حويصلة بويضة وهى هذه التى تبدو مثل الفقاعة على سطح المبيض . ويقوم

لعلك تحسبها لوحة من لوحات بيكاسو او فان جوخ .. انها لوحة بديعة ولا ريب ولكنها ليست من صنع البشر .. وحسب الانسان فخرا انه نجح في التقاط الصور الفوتوغرافية، هذه والتي تليها، للخلايا والكروموزومات وما الى ذلك من خلايا ـ امقومات الحياة .





صور فوتوغرافية مكبرة الاف المرات للخلية الحيوانية كما تظهر تحت المجهر الالكتروني .

بشغط كل الفقاعات التي يراها على امل الحصول على بويضة مناسبة . ولقد يفشل شهرا بعد شهر فلا ييأس وانما ينتظر اوان التبويض التالي حتى يحالفه الحظ ذات دورة طمثية . ولا تنتهي المشكلة بتعريض البويضة للمنويات (بعد تحضيرها بالعنصر المنشط) . فمن كل بضع يتاح لواحدة ان تلقح . ولا بد اذن من الوفاء الكامل والدقيق بشروط هذه البيضة الملقحة من حيث المحلول الخاص ـ والمغرق في خصوصيته ـ الذي لا يستطيع الحياة الا فيه . خاصة أن علمنا ان تركيب هذا المحلول لا بد ان يتغير مواكبا لنماء البيضة وهي تتكاثر من دورر الى دور .

ولقد ظل ادواردز وستبتو زمنا يحسبان ان قدرة البيضة (ولنسمها اذن الجنين الباكر) على العلوق بالرحم ان اودعت فيه (وهو ما أسميناه شتل الجنين) تزداد زيادة طردية بتقدم نموها . وظلا فترة تحت تأثير ابحاث سابقة لعالم ايطالي حاول بعد تلقيح البويضة خارج الجسم ان يدعها تنمو ايضا خارج الجسم في حاضنة خاصة . ولم ينجح في الاستمرار بهذا العمل الى مدى كبير وان كان نجح في حفظ الجنين حيا حتى تخلق وتكونت معظم اعضائه وبلغ الشهر الحملي الثالث . ولم يكن الرجل يقصد الا الى كشف غوامض التكوين الباكر وجلاء سر بعض التشوهات الخلقية التي تصيب جنين الانسان . وعلى كل حال فان فرصته في المثابرة والاستمرار في التجربة قد نسفت حين ثارت ثائرة الفاتيكان واصدر البابا حكمه بتحريم هذه الابحاث فنفض الرجل منها يده ..

وأفضت التجارب تلو التجارب التي عاناها ادواردز وستبتو الى انه لكي تنجح الشتلة فانه ينبغي أن تودع في الرحم في مرحلة مبكرة كثيرا عما كان في الحسبان من قبل .. ودلتهما حساباتهما الى ان الوقت المناسب هو أن تدخل الوديعة الى رحم امها وهي في بواكيرها التي يبلغ عدد خلاياها عندها ثماني خلايا فحسب . وعلى هذه الهيئة اودعت لويز براون رحم امها لزلي .. وتغذت من افراز بطانة الرحم فاستمرت في تكاثر خلاياها . وظهر بين خلايا سائل ما لبث أن تجمع في تجويف سائلي واحد كبير اسبغ عليها هيئة الكيس . وفي هذه المرحلة التي تعرف فيها باسم بلاستوسيست Blastocyst انغرست في بطانة الرحم كما تنغرس حبة الذرة في الارض . وهداها الله سبيلها وسبيل كل حمل حتى طلعت على الدنيا في هذا الميلاد الجديد .

علامات استفهام

من بين عشرات المحاولات التي أجراها ستبتو وادواردز من قبل لويز لم تنجح في الحمل الا ثلاث محاولات ولكن كان النجاح موقوتا اذ انتهى الحمل بالاجهاض في ادواره الباكرة .

والمرجح ان سبب الفشل كان راجعا الى خلل في توقيت الشتلة .. فان فترة القبول المتبادل بين الشتلة وبطانة الرحم فترة حرجة ومحدودة جدا في حياة كل منهما .. فهل يا ترى اهتدى الرجلان الى جلاء هذا السر او أن لويز براون كانت مجرد سعيدة الحظ ؟

ان حسن الحظ هبة من الله ولكنه من الناحية العلمية المجردة يعتبر خارج نطاق العلم التجريبي ما دام العلم لا يستطيع أن يتحكم فيه !

سيظل هذا السؤال قائما لفترة من الزمن . فالامر هنا بين يدي العلم . ومن شروط النتيجة العلمية الايجابية أن تكون التجربة قابلة للتكرار ومفضية الى نفس النتيجة ان كانت ظروفها واحدة .

ولهذا ينبغي أن تكرر هذه التجربة عديدا من المرات . لنرى نسبة النجاح ونسبة الفشل . ولنسمع ما يقوله علم الاحصاء عن نسبة النجاح وهل هي حسن حظ أو حسن اداء .

كذلك اعرب بعض العلماء عن خشيتهم من أن تكون الايام القليلة التي يقضيها الجنين الباكر خارج جسم امه سببا في اصابته بالتشوهات الخلقية . نظرا لوجوده في ظروف غير طبيعية مائة بالمائة ولكن هذا لا يجيب السؤال على الاطلاق .. ان التجربة الواحدة لا تحمل دلالة احصائية .. ينبغي اولا أن توضع لويز تحت المراقبة الدورية في المستقبل وينبغي ثانيا أن يكون بين يدي العلم الطبي مئات بل وألوف من امثالها لنعلم عن النسبة المئوية للتشوهات الخلقية فيهم . ولنرى ان كانت مساوية للنسبة العالمية العامة وهي ٨ر٢ بالمائة ام انها اكثر من ذلك . اذ لو اسفرت الملاحظة عن أن امثال هؤلاء المواليد تبلغ فيهم

نسبة التشوه الخلقي خمسة او عشرا بالمائة مثلا لكانت قرينة على علاقة سببية ، ونجد انفسنا انذاك امام مازق قانوني خطير . ان الاباء والامهات المحرومين من الانجاب على استعداد بلا شك للقبول بهذه المخاطرة المحسوبة في سبيل اشباع غريزة الامومة والابوة والتوقيع على صك بذلك .. ولكن ماذا لو اقام المولود نفسه في المستقبل الدعوى مطالبا بالتعويض ازاء ما لحقه من تشوه خلقي ؟

ولقد سمعت بين الاطباء اصوات تتساءل انكانت لويز براون ثمرة اتصال جنسي طبيعي بين ابيها وامها ، بمعنى ان قناتي فالوب في السيدة لزلي براون لم تكونا مسدودتين انسدادا كاملا ! ذلك ان الدكتور ستبتو رجل شديد الكتمان بطبعهويحكم قلقه على مصير التجربة ولهذا لم ينشر التفاصيل بعد .. ولكن اى منصف، يعذره في ذلك حتى يرى ايصل الى النجاح او لا يصل . والرجل اعلن فشله السابق في غير حرج .. سمعت ذلك منه في ابريل ١٩٧٧ وعلى الملا .. ونعلم انه قد وثق الولادة بالتصوير الفوتوغرافي والسينمائي وبطن لسيدة مفتوح خلال العملية القيصرية ، وسيكون في ذلك البرهان القاطع على ان لزلي براون قد فقدت قناتي فالوب فان الدكتور ستبتو نفسه قد ازالهما في جراحة سابقة يأسا من حالتها ولكي لا تعوقا ما انتواه لهذه السيدة في المستقبل من محاولة شفط البويضات خلالعملية منظار البطن.

* * *

وبعد :

فلا شك ان ستبتو وادواردز ولويز براون قد اصبحوا من معالم التاريخ العلمي المعاصر .. ولا يسع اى منصف الا ان يمد يده مهنئا .

ولا تدرج اسمى ستبتو ولا ادواردز في كشف المخترعين ولا المبتدعين . فهما لم يبدأ من الصفر .. وانجازهما بل واغرب منه قد تم في عالم الحيوان .

ولكن باتريك ستبتو وروبرت ادواردز ينقلان من الامثلة الجميلة على المصابرة والمثابرة لتطويع هذه التجارب لظروف التكاثر البشرى رغم اختلاف البيولوجيا الانسانية عن بيولوجيا الحيوان .. ولتطبيق المعطيات العلمية في المجال الاكلينيكي .. ولتسخيرها لخدمة الانسان وسعادته وانقاذه من التعاسة والحرمان .. وللخطورة التي قبلا ان يتعرضا لها ان خرجت لويز براون الى الحياة وفيها عاهة او تشوه لا سمح الله .

والدكتور ستبتو يحال الى التقاعد هذا العام لبلوغه الخامسة والستين .. وان كان مخططه لحياته بعد ذلك ابعد ما يكون عن التقاعد . فهو يشعر ـ ويحق ـ انه يستقبل صفحة جديدة ناشطة من حياته بعد ان اثبت ـ بالكاد وبعد طول عناء ـ للعالم ان دعواه جد لا هزل .

ورغم ايراده الضخم من عمله الخاص الا ان هذا النوع من الابحاث يتطلب ميزانية كبيرة .وقد وجه من مدة نداء لاقامة مؤسسة لابحاث بيولوجيا التناسل ، واحسب ان الاستجابة الان ايسر بعد ان اثبت نفسه واصبح نجما مرموقا وذاع صيته في الافاق .

وعلى حد علمي فانه يفكر جديا في السفر لامريكا فهي بلاد الفرص المتاحة . وترى فيه الان الافق السيدات ذوات الانسداد العصي لقناتي فالوب الامل المرجو للانجاب ، واتوقع ان تكون المريضات الثريات من بلاد النفط وغيرها مصدر تمويل طيبا للدكتور ستبتو وابحاثه العلمية .

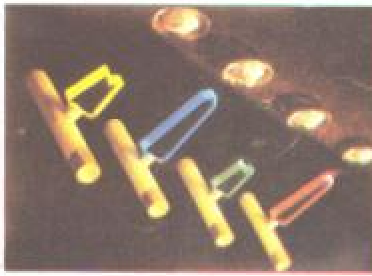
ونعود للاشارة الى موضوع مقالنا «قضايا علمية تنتظر احكامها الشرعية » لانه هب مؤخرا هبوب الريح العاصف على صفحات الصحف ذات الصبغة الثقافية او العلمية او القانونية . ان لويز براون بنت ابيها وامها .. ولكن ماذا لو ان امها كانت فاقدة الرحم كذلك فشتلت لويز في رحم امرأة اخرى تحملها وتلدها ؟ بنت من تكون ؟ وهل الثمرة بنت البذرة او بنت الارض ؟ سؤال ليس له من الشان في عالم النبات ما له في عالم الانسان .

وعلى مشارف الافاق العلمية منجزات تقتحم الحياة الانسانية لاول مرة .. فموضوعلويز براون على شهرته لا يعتبر موضوعا ساخنا من الناحية العلمية الطبية ، وسنحاول ان شاء الله ان نصل قارئ « العربي » بالمزيد من ابناء عجائب آخر الزمان ، وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم .. « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

صدق الله العظيم ■■

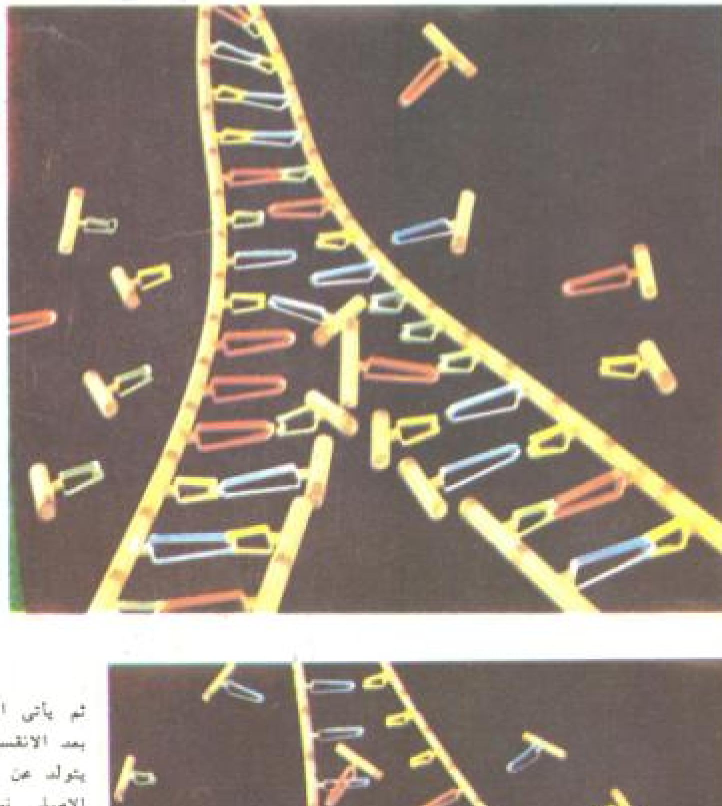
د . حسان حتحوت





هذه قواعد دانا التي تنقل مادة الجين Gene . والوانها المختلفة تمثل موادها المختلفة .

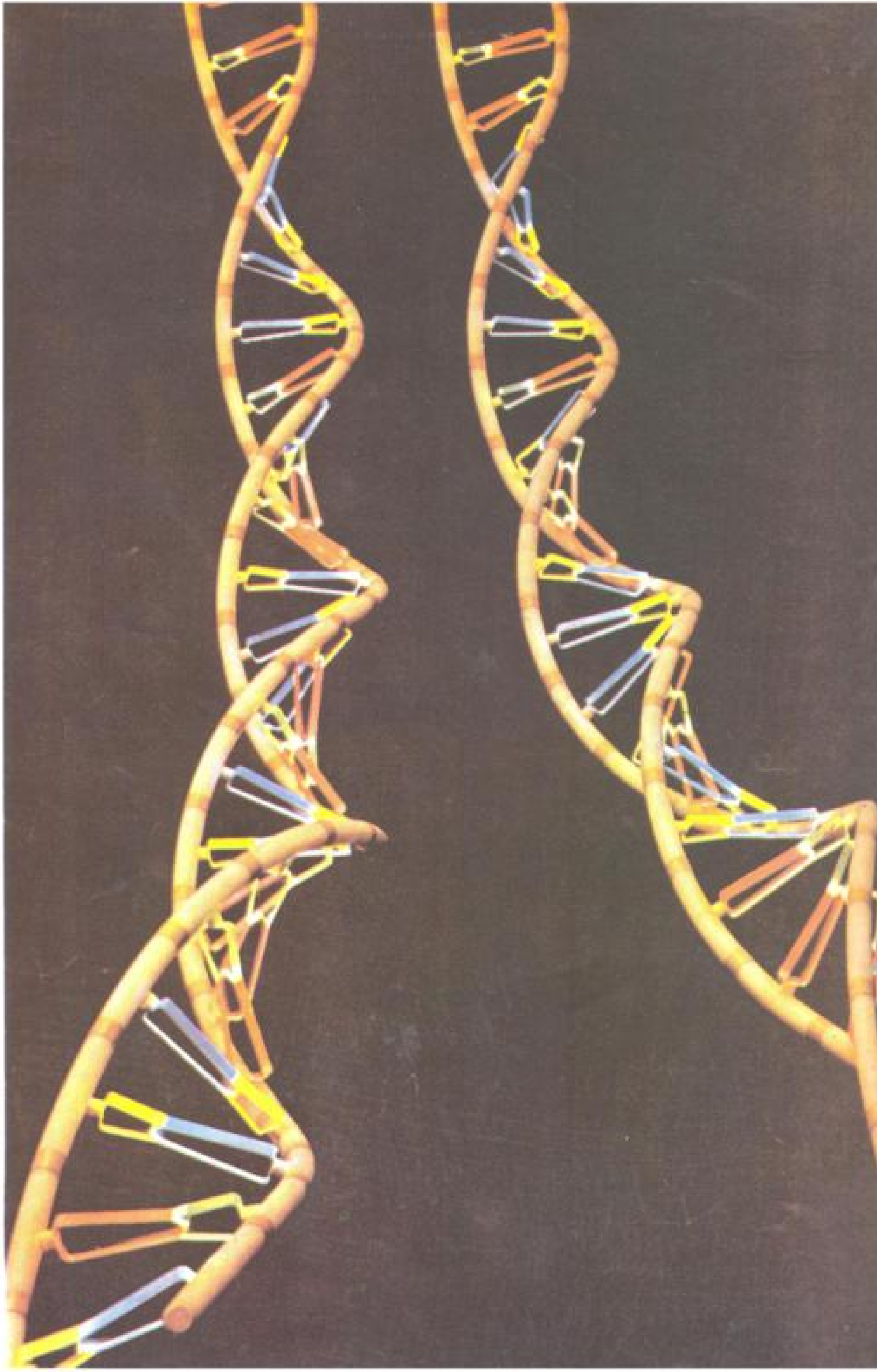
تتجلى معجزة التكاثر حينما يبدأ جزيء دانا DANAفي الانقســام (او التنصيص) على نحو ما ترى في الصورة .





ثم يأتي الانتظام من بعد الانقسام وهكـذا يتولد عن جزيء دانـا الاصلي نسختان هما طبق الاصل عنه .

النسختان وقد انفصلتا واوشكتا ان تبدآ في الانقسام على نحو ما فعل جزيء داناالاصلي .



رأي فقهي

يجوز في حالة الضرورة واذا انعدم الضرر

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى •

كنت قد قلت فى مناسبات كثيرة :ان على المسلمين ان يدركوا اهمية علم الكلام فى تاريخ المسلمين الغابر ويومهم العاضر ،وان عليهم ان يجددوه ويطوروه بدلا من ان ينتقصوه قدره او يظلموا أهله ، اذ هو فى حقيقته ليس الا حوارا او نقاشا يعتمد على اسلوب المنطق ومنهجية البحث ، فى تبديد كل ما قد يثار حول اصول الاسلام من شبهات ومشكلات •

وقلت فى مناسبات كثيرة، واقولها اليوم ايضا : ان على علماء المسلمين أن يحملوا علم الكلام مهمتين اثنتين •

الاولى : وضع التيارات والشبهات الفكرية الجديدة فى ميزان هذا العلم ، ثم نقضها على ضوئه وباسلوبه نقضا موضوعيا وعلميا هادئا • وانما تعود فائدة هذه المهمة الاولى على اولئك الذين يطوف بافكارهم او يهيمن على عقولهم بعض هذه التيارات •

الثانية : استخلاص قانون يوضح للمسلمين اليوم الحدود الاخيرة التى يمكن أن تصل اليها نهضة العلوم الكونية ، فى ميزان الاسلام وحكمه، بحيث يقف الفكر الانسانى من بعدها أمام جدار صلب لا يمكن اجتيازه او اختراقه • وانما تعود فائدة هذه المهمة الثانية على عامة الطبقة المثقفة من المسلمين اليوم •

غير أن جمهرة من مفكرى المسلمين اليوم ، لا يزالون يرفضون هذا الكلام ويرفضون الاعتراف باى دور ايجابى قام او يمكن ان يقوم به علم الكلام فى التاريخ الاسلامى •

وهم بصدد المهمة الاولى يرون ان ما يسمونه بالمنهج القرآنى يغنى عن كل شيء ويبدد كل شبهة ومشكلة ! •• اما بصدد المهمة الثانية فيرون ان من السابق لاوانه شغل بال المسلمين بالدرجات المقبلة فى سلم النهضة العلمية القائمة، مقتنعين بان لكل حادثة حديثا ، وبان لكل مفاجأة جزئية حلولا جزئية تناسبها !

ولست الآن بصدد العود الى مناقشة هؤلاء المفكرين ، ودحض تصوراتهم ، ولكنى اريد ان اجعل من النبأ الذى شاع وذاع اخيرا عن قصة النطفة التى تم اخصابها فى انبوب خارج الرحم مثالا يؤكد ضرورة ما قلته ،ويوضح مدى اهمية الرجوع الى علم الكلام وتجديده فى حياتنا العلمية والثقافية المعاصرة •

• استاذ الشريعة بجامعة دمشق

قاعدة اساسية

انني اريد ان اذكر الذين يتساءلون عن موقف الاسلام من تلك القصة ، بالقاعدة العامة التي ينهض عليها الوجود الاسلامي كله ولايلحقها اي تبديل او تحوير مهما فوجىء الناس بعلوم واكتشافات •ولاريب اننا اذا فهمناها فهما سليما ودقيقا ، اغنتنا عن الخوض في الجزئيات ، وامتصت كل المشكلات والتساؤلات، وسار المسلم بنبراسها في طريق واضح مبين لاتفاجئه منعطفات كشوف علمية ، ولاتزعزع من يقينه بالله عز وجل اعاجيب ما قد يصل اليه الفكر الانساني في يوم من الايام •

ويمكننا ان نلخص شرح هذه القاعدة بالبيان التالي :

اولا : هل يمكن للانسان ان يكتشف قوانين الاسباب والمسببات التي اقام الله نظام هذا الكون عليها ؟

ثانيا : هل يمكن للانسان ان يؤتى من الطاقة العلمية ما يعينه في الجمع بين هذه الاسباب ومسبباتها في ظروف ومناخات صناعية يجاري بها النظام الطبيعي في وجوده الكلي العام ، بحيث تثمر الاسباب في ذلك المناخ الصناعي ايضا نتائجها الطبيعية ذاتها ؟

ثالثا : هل يمكن ان يضع الانسان يده ـ نتيجة لذلك ـ على مقاليد الصلة الخفية بين الاسباب والمسببات الكونية ، بحيث يطمئن اطمئنانا علميا تاما الى حتمية انبثاق النتائج من مقدماتها ، والى الجزم العلمي باستمرار الصلة القائمة بين الاسباب والمسببات ؟

ونقول في الجواب على السؤال الاول : لاريب ان من الممكن لكل انسان اوتي نعمة العقل والتفكير ان يتنبه الى النظام الذي يقوم عليه هذا الكون • وما نظامه الا صلة ما بين مقدماته ونتائجه واسبابه ومسبباته • وما دعا القرآن الانسان الى النهوض بمهمة اقدس ولا اسمى من شرف الوقوف على هذا النظام • ومن نافلة القول وتكراره اعادة سرد الايات والنصوص القرآنية التي تدفع اولي العقل والتفكير الى السعي لاكتشاف هذا النظام وعلاقة ما بين اجزاء المكونات وظاهراتها المختلفة• وكيف لا يهيب القرآن بالناس ان يرتفعوا الى هذا السمو في التامل والتفكير ، وهو السبيل الاول لليقين بوجود الخالق والايمان بعظيم حكمته وروائع تدبيره ؟

اما الجواب على السؤال الثاني : فهو ان هذا ايضا داخل في الممكنات التي اقدر الله الانسان عليها ومكنه منها • ولولا ذلك لما صح ان يكون مستخلفا على عمارة هذا الكون ، ولما صح ان الله عز وجل قد سخر له كل ما في السموات والارض • اذ كيف تكون أشياء الكون مسخرة للانسان من حوله ، اذا كان لا يستطيع ان يعمد الى نظام مابينهما من صلة وعلاقات ، ليستفيد منها حيث يريد ، وليسيرها ضمن ضوابط ترعى احتياجات الانسان ومصالحه ؟

فليس هناك ما يمنع من ان يجمع الانسان منثور الظواهر والاشياء الى بعضها ، ليستخرج منها النتائج المفيدة لعمارة هذه الارض واسعاد الانسان • بل تلك هي وظيفته التي اقامه الله عليها في هذه الحياة الدنيا ، على ان يجعل محور سعيه كله فيها الدخول في سلطان العبودية التامة لله عز وجل •

ولا يجوز في مقياس العلم ، فضلا عن الدين، ان يسمى نجاح الانسان في شيء من هذا السعي خلقا او ابداعا لمعدوم ، او ايجادا لسنة كانت غير موجودة • فان الذي يستغل الظواهر الكونية ـ بالطريقة التي يشاء ـ لاستخراج نتائج معينة منها لا يوجد اي معدوم ، ولا يبدع اي قانون ، ولكنه يجمع شتات الظواهر والاسباب الموجودة الى بعضها ، فتظهر الثمرة التي كانت كامنة فيها • وليس للعلم في ذلك الا دور التنبيه الى تلك الظاهرات وما قد اودع فيها من فاعلية وتاثير ، ثم التاليف بينها على نحو يتفق مع ما تقوم عليه من حكمة ونظام • وهكذا فالعلم لا يوجد مفقودا ولكنه يؤلف بين نثار الموجودات ، على نحو تتحقق منه غايات معينة وهذا معنى قولهم : العلم يتبع المعلوم وليس العكس •

حدود علم البشر

بقي ان نجيب على السؤال الثالث : هل يمكن للانسان ، نتيجة لذلك ، ان يضع يده على مقاليد الصلة الخفية بين ظواهر الاشياء ، وبتعبير ادق: هل يستطيع ان يصل الى قرار بحتمية الصلة القائمة بين الاسباب والمسببات ؟

والجواب : ان هذا ما لا يمكن الوصول اليه ؛ فما من ريب ان علوم الانسان وطاقاته مهما سمت وتطورت لن تتجاوز ما ذكرناه ولن تصل الى هذا الحد .

وكل ما يمكن ان يحققه الانسان من مبهرات الانجازات العلمية ، لايخرج عن كونه استغلالا لظواهر رآها ، ثم تبين وظائفها وطاقاتها ،فاستثمر منها تلك الوظائف والطاقات . وهيهات ان يكون « العلم » في جوهره الا المؤتمن العظيم على هذه الحقيقة ذاتها .

لقد بحث العلماء ، قديما ،في العلاقات القائمة بين الاسباب والمسببات : من اين تنبع ؟ وما سرها ؟ فلم يتبينوا بعد البحث الدائب في نطاق المادة شيئا ، ولم يضعوا ايديهم الا على اقترانات قائمة بين ظواهر معينة .. اكد فلاسفة المسلمين هذا في تصحيحاتهم الدقيقة لبعض الفلاسفة اليونانيين ، واكد ذلك من بعدهم الفلاسفة الوضعيون والتجريبيون من امثال هيوم وبركلي ، ويؤكد ذلك جميع العلماء الذين جاءوا من بعدهم الى اليوم ، لا يستثنى منهم الا دعاة الفلسفة المادية ، فهم وحدهم الذين يدلون بقرار غيبي يقول بحتمية العلاقة بين الاسباب والمسببات ، دون ان يروا من دستور هذه الحتمية شيئا سوى استمرار الاقتران ، وما كان استمرار الاقتران بحد ذاته دليلا على حتمية ذلك في المستقبل بوجه من وجوه النظر والاعتبار . وهكذا فان انصار الفلسفة المادية هم وحدهم الذين يخالفون القرار العلمي المتفق عليه ، الا وهو : العلم يتبع المعلوم، حيث ينكسونه ليصبح : المعلوم يتبع العلم .

ثم انك اذا تاملت في القرآن ، وجدت فيه قرار الدين المؤكد لهذه الحقيقة التي نقولها .

ففي الوقت الذي يدفع القرآن الانسان الى اختراق حواجز الجهل واكتشاف سنن الكون وتسخيرها لمصلحة الانسان ، بكل السبل الممكنة ـ يقرر بان الانسان لن يقوى على زعزعة تلك النواميس عن امكنتها شروى نقير ، ولن يستطيع الوصول الى معرفة شيء من الاسرار التي تقوم عليها علاقة ما بين الاشياء . ومن ثم فانه لا يستطيع ان يجزم جزما علميا باي نتيجة ستقع في المستقبل ، بناء على ظهور مقدماتها واسبابها الدالة عليها .

وبهذا المعنى الدقيق كان الغيب محجوبا عن الانسان مهما بلغ علمه ، فلا يعلمه (بالمعنى الدقيق للعلم) الا الله عز وجل .

وتامل في التعبير عن هذه الحقيقة ، مدى دقة الآية القرآنية التي يقول فيها الله عز وجل : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو .. » .

فانت تلاحظ ان الآية انما تتكلم عن مفاتح الغيب ، لا عن الغيب ذاته ؛ .. فما الفرق بين الغيب ومفاتحه ؟

ان الغيب هو المطر المتوقع هطوله لظهور أسبابه ودلائله من حولنا .. او هو الجنين الذي يتوقع ان ياتي ذكرا لظهور القرائن التي تنبه اليها الاطباء مع كثرة التجارب والملاحظات .. او هو الكسوف المتوقع في ساعة معينة آتية . اذ تجلت أسبابه في عالم الفلك وبالوسائل العلمية المختلفة .. فهذا هو الغيب .

أما مفاتح الغيب ، فهو الدستور الخفي المنظم لصلة ما بين المطر واسبابه ، ولصلة ما بين ذكورة الجنين وقرائنه ، ولصلة ما بين الكسوف واماراته .. اي انه يتمثل في ادراك السبب الخفي لسببية هذه الاشياء بعضها لبعض .

فلتلاحظ كيف أن القرآن سلب عن الانسان الوصول الى مفاتح الغيب . ولكنه لم يسلب عنه معرفة الغيب ذاته ، وذلك عندما أعاد الضمير في قوله « لا يعلمها » الى المفاتح لا الى الغيب ! .. ومعرفة الغيب وحده مبتورا عن معرفة قانونه أو سره الخفي ، لا يسمى في الحقيقة علما ، بل هو ظن راجح قوي . اذ يمكن في كل لحظة ان تنقطع صلة ما بين السبب ومسببه ، ما دمنا لا نعلم من براهين حتمية العلاقة بينهما شيئا .

تاكيد وجود الله

واعود الآن فاقول : ان على كل مثقف مسلم أن يعلم هذه الحقيقة فيما يعلمه من أصول الدين وعقائده ، بقطع النظر عن جزئيات الاكتشافات العلمية التي نفاجأ بها يوما بعد يوم . فانا اذا عرفنا هذه الحقيقة لن نفاجأ بشيء ، ولن نجد انفسنا في كل مرة بحاجة الى ان نسال انفسنا من جديد هذا السؤال المكرر المعاد :

هل يعقل ان يتحقق هذا على ضوء الدين واليقين بوجود الله ؟

وانـا ما اردت ان اقول هذا الـذى قلته ، فى شرح هذه الحقيقة ، جوابا على استفسارات الناس الكثيرة عن موقف الاسلام من قصة اخصاب النطفة الانسانية فى انبوب جهز بالشروط والاسباب التى جعلها الله تعالى شرطا لتلاقح البويضة واخصابها ... ولكننى أردت أن عود بهذه المناسبة بالاخوة المستفسرين وغيرهم الى القـاعدة العلميـة أولا والاسلامية ثانيا فى هذا الصدد ، والتى من شانها أن تجيب على قصة النطفة وغيرها ، وأن تورث المسلم ملكة ثقافية عامة تريحه من امثـال هـذه المشكلات بعد اليوم .

وتطبيق هذه القاعدة على نبأ اخصاب النطفة خارج الرحم ، انه لا مانع فى ميزان اليقين بوجود الله عز وجل ، أن يتبين الطبيب الاسباب والظروف التى اقامها الله سبيلا لتخلق الانسان وتكونه فى رحم الام .. ثم لا مانع من أن يمكن الطبيب من استغلال هذه الاسباب والظروف ، ويجمع أشتاتها فى اى مناخ صناعى ، وان تتحقق النتيجة ذاتها .

ولكن العلماء جميعا لن يستطيعوا الجزم بحتمية الصلة القائمة بين تلك الاسباب ونتائجها اذ انهم لا يعلمون من امر فاعليتها شيئا سوى طول الصلة والاقتران بنتائجها. فما أيسر على من بيده مقاليد هذه الصلة الخفية ان يقطعها حيثما شاء . وكم من توقعات للعلماء (بنـاء على ما لاحظـوه من مقدمـات وأسباب) خابت ولم تتحقـق ، ولم يكن لذلك من سبب سوى مجرد تخلف النتائج عن مقدماتها.

ولعلك قد سمعت بان بعض الاطباء فى الغرب يامل فى اقتراب اليوم الذى يتمكن فيه الطب أن يعلم ــ منذ الايـام الاولى لظهور الحمـل ــ نوع الجنيـن : اذكر هو ام انثى ! .. واننـا نقول ، بناء على القاعدة التى اوضحناها : ان هذا ممكن، وانما سبيله تتبع القرائن والاسباب التى جعلها الله شرطا لذكورة الجنين ولانوثته ، وهى قرائن واسباب لم يستاثر الله بعلمها ، بل ندب الناس الى التنبه اليها .

ولكن هل ترقى معرفة ذلك الى اليقين الجازم بان الجنـين سيكون ذكرا ؟ أو الى القـدرة على التحكم بنوع الجنين ؟

لا .. لا يمكن أن ترقى هذه المعرفة الى اليقين الحتمى ، ولا الى اى تحـكم بالنـوع . لان الاله الذى اقام ذكورة الجنين على الاسباب التى شاءها، قادر على أن يبطل سببيتها فى الوقت الذى يشاء.

لا جرم ان الامر يقف اذن عند حدود الظن الراجح وحده .

الشرط : انعدام الضرر

بقى جانب اخر فى الموضوع ، هو جانب الحكم التكليفى الشرعى .

فهـذا الجانب ناظر الى كل جزئيـة على حدة، لاختلاف الاحكام باختلاف النتائج والمصالح .

وحكم اخصاب النطفة خارج الرحم ، مداره فى الاباحة والحرمة على أمرين اثنين :

الامر الاول : أن يتاكد العلماء والاطباء تاكدا تامـا ، من أن هـذه الطريقة لـن تعقب أى ضرر جسمى أو نفسى أو عقلى فى الجنين بعد ولادته . فاما اذا لم يتوافر هذا اليقين ، فان الاقدام على ذلك محرم بالاتفاق ، عملا بالقاعدة الشرعية الكلية: لا ضرر ولا ضرار .

الامر الثـانى : الا يستتبع الاقدام على هـذا العمل اختلاط فى الانساب . فاذا كانت النطفـة التى يراد اخصابها بهذه الطريقة ، هى نطفة كل من الـزوج والزوجـة ، وتمت اعادتهـا بعد ذلك الى رحم الزوجة دون غيرها ، فذلك جائز (بعـد ملاحظة توافر الشرط الاول) وأما اذا كان الامر غير منضبط بذلك ، فهو غير جائز فى نطاق الاحكام الشرعية قولا واحدا .

واننى اقول ــ على ضـوء هذا الكـلام ــ من الناحية التطبيقية :

ان عملية اخصاب النطفة خارج الرحم ، لا تزال فى طور التجربة ذلك لان أحدا من العلماء لم يتبين بعد انعكاسات هذه العملية على الجنين بعد ولادته. ومدى الضرر الذى يمكن أن يلحقه بسببها . وهذا وحده كاف للقول بحرمة هذا العمل من الناحيـة الشرعية . ثم أن الامر بعد ذلك لا يخلو أن يكون ذريعة الى اختلاط الانساب ، فهو باب اذا انفتح لم تؤمن عواقبه . ونظرا الـى أن الذرائـع فى الشريعة الاسلامية ، تاخذ فى غالب الاحيان أحكام نتائجها ، فانه لا يجوز أن يفتى بجواز ذلك ــ حتى وان أمن الضرر للمولود ــ الا فى أضيق الظروف وفى الحالات الضرورية الاستثنائية . ■■

د . محمد سعيد رمضان البوطى

هذه هى الخطوة التالية

اعداد : يوسف زعبلاوى

منذ مولد طفلة الانابيب الاولى فى التاريخ ، فى شهر يوليه الماضى ، والنقاش محتدم حول هذا الانجاز البريطانى الرائد ، وانصب الجدل على المشاكل القانونية المترتبة على ذلك الانجاز او على مدى خطورة ما احرزه العالمان البريطانيان الدكتور ستبتو والدكتور ادواردز من نجاح فى اخصاب البويضه البشرية خارج جسم المراة ، فى انبوب المختبر او ما يشبه الانبوب ، وفى اعادة زرع البويضة الملقحة فى رحم الام ، المسز براون لتتزرع فى جداره،وتمضى فى نموها حتى النهاية، وكانها جنين طبيعى ونتاج للتلقيح فى الداخل in Vivo لا فى الخارج in Vitro . وذهب البعض الى ان هذا الانجاز فتح علمى كبير وسيؤدى لامحالة الى ثورة عارمة قد تزعزع اركان حياة المجتمع الانسانى وتهز مثله العليا وتقلب مفاهيمه راسا على عقب .. وباركها اخرون باعتبارها وسيلة فعالة للتغلب على ماساة العقم، عقم النساء الانبوبى بخاصة..ونظرا لان الاخصاب فيها انما جرى بمنويات الزوج على بويضة الزوجة ..

وكان هذا الجدل والنقاش فى واد والتطورات العلمية وغير العلمية التى ظهرت حتى الان ، وتلك التى ستظهر فى المستقبل المنظور وغير المنظور ، فى واد اخر . ولعل التعرض لبعض هذه التطورات ، ولوبايجاز ، هو ما يجدر بنا فعله الان .

التلقيح الصناعى وأساليبه

يميز علماء الغرب بين خمسة اساليب من التلقيح الصناعى .. اثنان منها يجريان داخل الجسم والثلاثة الاخرى خارجه .. وقد تواتر الحديث عن هذه الاساليب فى شتى الاوساط الطبية والصحفية فضلا عن العلمية فى الغرب حتى اقتضت الحاجة ان يرمز اليها برموز موجزة كالتالى :

التلقيح الصناعى فى الداخل

١ ـ اخصاب بمنويات الزوج AIH

٢ ـ اخصاب بمنويات متبرع . AID

التلقيح الصناعى فى الخارج

٣ ـ اخصاب بويضة الزوجة ETW

٤ ـ اخصاب بويضة متبرعة ETD

٥ ـ اخصاب بويضة المتبرعة بمنويات متبرع ETDD

اما الاسلوبان الاول والثانى فكانا معروفين ومعمولا بهما قبل الانجاز البريطانى بزمن طويل..

ولا يخفى ان هذا الانجاز وهو الاسلوب رقم ٣ ، يمثل قفزة هامة فى الميدان بقدر ما حقق النجاح فى اخصاب البويضة البشرية خارج الجسم .. وكان التلقيح الصناعى (البشرى) قبله مقتصرا على الاخصاب داخل الجسم فحسب . ويمثل الانجاز البريطانى ايضا الحلقة الاولى فى سلسلة من ثلاث حلقات . ولا مناص للحلقتين الاخريين من ان تعقبا الاولى ان عاجلا او اجلا . فبويضة

الزوجة التى تم اخصابها فى الخارج يمكن زرعها فى رحم متبرعة بدلا من رحم الام التى انتزعت منه البويضة (الاسلوب رقم ٤) •• واخصاب هذه البويضة الذى امكن تحقيقه بمنويات الزوج يمكن تحقيقه ايضا بمنويات متبرع •• بحيث تصبح البويضة والمنويات كلتاهما من حصيلة التبرع ••

بنوك وحسابات

كان الحديث عن بنوك المنويات فى الماضى القريب ضربا من ضروب الخيال العلمى •• الا انه اصبح حقيقة واقعة الان • وقد كثرت هذه البنوك فى الولايات المتحدة الامريكية فى المدة الاخيرة ، الا ان اهمها اثنان هما :

1 — The Idant Corporation , New York
2 — Genet ics Laboratories inc., Minneapolis

والظاهر ان بريطانيا ستحذو حذو امريكا فى القريب العاجل•وقد بدات مصلحة ارشاد العوامل باتخاذ الترتيبات لافتتاح مستودع خاص بالمنويات، وذلك فى احد شوارع لندن الشهيرة ، وليس لدينا معلومات فى هذا الصدد عن المانيا وفرنسا والبلاد الاسكندنافية والاتحاد السوفياتى وسائر الدول المتقدمة•والمرجح انتكون الدول الاوروبية واليابان قد قطعت شوطا كبيرا فى هذا المجال وان تكون قد سبقت بريطانيا على كل حال •

اما « الحسابات » التى تفتحها بنوك المنويات الامريكية فحسابات «ودائع» كما لا يخفى • وهى اما حسابات خاصة او عامة •• والحسابات الخاصة هى التى يفتحها عميل واحد بالذات يرغب فىحفظ منوياته لاستعمالها فى المستقبل،ايام شيخوخته او لصالح من قد يثبت عقمه من اولاده او احفاده•• ويبلغ رسم فتح مثل هذا الحساب ما يعادل ٣٥ جنيها استرلينيا •• ويبلغ رسم حفظ الوديعة الواحدة ٧ جنيهات ••

اما الحسابات العامة فهى التى تحفظ فيها البنوك منويات المتبرعين •• بقصد بيعها الى الراغبين • ويقبض المتبرع ٣ ــ ١٠ جنيهات مقابل الجرعة الواحدة••ويبيع البنكهذه (الجرعة)بحوالى ٥٠ جنيها استرلينيا • والحسابات العامة هذه اكثر شيوعا من الحسابات الخاصة •• فى الدول الاوروبية على الاقل •

وتحفظ بنوك المنويات ما لديها من ودائع فى البرادات بدرجة حرارة تبلغ ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر •• ولا يعرف حتى الان ما اذا كانت منويات الانسان تعمر كمنويات الحيوان •• وقد ثبت حتى الان انها تعمر شهورا ــ فى البرودة العميقة طبعا ــ ولم يثبت انها تعمر سنينكمنويات الثيران على سبيل المثال • وثبت ايضا ان منويات الرجل تفقد من حيويتها وفاعليتها على مر الايام•

هذا ولا يعرف متى تظهر البنوك الخاصة بالبويضات •• الا ان الابحاث والتجارب ماضية بصددها على قدم وساقوقد لا يمضى زمنطويل حتى يتاح للنساء فى شتى الدول المتقدمةمثل الحسابات التى اتيحت للرجل •

التبرع التجارى ؟!

من المعروف ان التلقيح الصناعى فى عالم الحيوان شائع مطبق على اوسع نطاق فى شتى الدول المتقدمة وغير المتقدمة • وقد ظهر وبدا فى الانتشار فى مطلع القرن العشرين •• ويذكر هنا ان مجلس بيع الحليب فى بريطانيا احتفل قبل نحو عشرين سنة باستكمال تلقيح عشرة ملايين بقرة • وغنى عن البيان ان تكاثر الماشية انما يتم فى الغالب وعلى نطاق عالى بواسطة التلقيح الصناعى •• ويتم بمختلف الاساليب الخمسة التى سبق ذكرها بلوباساليب اخرى تفننوا فى ابتداعها على اساس تلك الاساليب الاولية ••

والغريب ان التلقيح الصناعى البشرى عرف وانتشر فى كثير من دول الغرب والشرق ومنذ زمن بعيد •• فهو شائع فى بريطانيا على سبيل المثال منذ نحو ٤٠ سنة •• وبريطانيا متاخرة نسبيا فى هذا الميدان •

والاغرب من ذلك ان اسلوب الاخصاب بمنويات المتبرعين كان اكثر شيوعا من اسلوب الاخصاب بمنويات الازواج •• هذا بالرغم من ان اكثرالدول المعنية تقف منه موقف التردد والتحفظ وانبعضها تحرمه بوصفه ضربا من ضروب الزنا •

تلك هى النظرة السائدة فى سويسرة حيث التلقيح الصناعى البشرى محظور بشتى صوره واساليبه •• وتختلف بريطانيا فى انها لا تحرم التلقيح الصناعى البشرى بمنويات المتبرعين AID ولكنها لا تعتبر الاطفال الناتجين عن هذا التلقيح اطفالا شرعيين •• ويعزى ذلك الى ان بريطانيا مازالت تطبق قوانينها القديمة فيما يتصل بالمشاكل المترتبة على هذه التطورات العلمية الجديدة ••

وخطت المانيا الغربية وفرنسا وبعض الولايات المتحدة الامريكية خطوات واسعة جريئة في هذا الصدد . فالتلقيح الصناعي بمنويات المتبرعين مباح بالقانون في عدد من الولايات المتحدة الامريكية ، والاطفال الناتجون عنه اطفال شرعيون تماما كالاطفال الطبيعيين العاديين .. وقل مثل ذلك في فرنسا .. خلافا لما يتوقع المرء في بلد يسوده المذهب الكاثوليكي . اما المانيا فتحلل قوانينها التلقيح الصناعي بالاسلوب الذي ذكرنا AID ويعتبر الاطفال الناتجون عنه اطفالا شرعيين مالم يطعن في شرعيتهم .. وقد يكون الطاعن الطفل نفسه حينما يكبر ويكتشف ان اباه الطبيعي ، او المتبرع الذي كان لمنوياته الفضل في انجابه ، متر كبير او ذو جاه ونفوذ خطير .

لا عجب اذن ان تكتمت اكثر الدول وامتنعت عن اعطاء احصاءات بهذا الصدد . يستثنى من ذلك الولايات المتحدة ، وقد بلغ عدد الملقحات باسلوب AID من نسائها ١٠٠٫٠٠٠ امرأة ، وذلك حتى سنة ١٩٦٧ ، ووفق احصاءاتها الرسمية . اما في بريطانيا حيث لا تتوفر مثل تلك الاحصاءات فيقدر اهل الخبرة عدد الذين تم انجابهم بمنويات المتبرعين من ابناء الانجليز بحوالي عشرة آلاف ، حتى الآن .. علما بان التلقيح الصناعي معمول به في بريطانيا ، في السر او العلانية منذ نحو اربعين سنة .

ولعلنا لا نبالغ ان قلنا بان المستقبل القريب كفيل بانتشار التلقيح الصناعي في بريطانيا وشيوعه فيها على نطاق واسع جدا .. قد يضاهي باتساعه النطاق الذي بلغه تعاطي حبوب منع الحمل .. وذلك لاسباب مختلفة نذكر منها صعوبة التبني هذه الايام . فقد تضاعف الطلب على تبني الاطفال في بريطانيا وتناقص العرض بنسبة كبيرة تحددها الاحصاءات في ٣٨ ٪ ولا يخفى أن هذا التناقص كان نتيجة مباشرة لانتشار وسائل تحديد النسل من حبوب واجهاض .

ولعل السبب الاهم هو التغير الجذري الذي طرأ على مفاهيم الناس ونظراتهم الخلقية .. فالكثيرون منهم لا يجدون الآن اي غضاضة في التلقيح الصناعي بمنويات المتبرعين .. وقد استنكروه اشد الاستنكار واعتبروه ضربا من الزنا والسفاح ، في الامس القريب .. وبلغ هذا التغير ذروته في الموقف الجديد الذي اتخذته الهيئة الطبية البريطانية British Medical Association وهي الهيئة الرصينة التي طالما اتخذت قدوة لا في بريطانيا فحسب ولكن في امريكا ودول اخرى كثيرة . فقد أولت هذه الهيئة موضوع التلقيح الصناعي بمنويات المتبرعين اهتمامها ، وعهدت بدراسته وتقييمه من شتى جوانبه وبخاصة الخلقية ، الى احدى لجانها ، اللجنة الخلقية بالذات . وانتهت اللجنة من دراساتها ومناقشاتها في شهر سبتمبر الماضي ، واعلنت قرارها الاخير في مطلع شهر اكتوبر .. وقد نص هذا القرار على اباحة التلقيح الصناعي بمنويات المتبرعين .. وعدم اعتباره عملا منافيا للاخلاق ، وذلك لا في حالات العقم فحسب ، وانما في حالات الشذوذ الجنسي ايضا .. حالات السحاق المزمن بالذات .

ثم ماذا ..

وهناك تطورات اخرى عديدة يرتقبها العلماء تبعا للانجاز البريطاني الخطير ، اخصاب البويضة خارج الارحام . وحسبنا الاشارة الى الارحام المأجورة والام البديل Surrogate Mother التي لا مفر من أن تتكاثر في مستقبل غير بعيد . وقد لا يمر زمن طويل بعد ذلك حتى تظهر الارحام الصناعية .. حين يصبح في الامكان الابقاء على البويضة الملقحة بل الجنين في انابيب الاختبار حتى يكبر وينمو ويستكمل فترة الحمل البالغة تسعة شهور ليولد آخر الامر من انابيب الاختبار التي تكون فيها .. !

الا ان هناك تطورات اخرى أخطر وأبعث على العجب من كل ما ذكرنا .. انها التطورات المنتظرة على صعيد الهندسة الوراثية ، او انشئت الجراحة الوراثية التي يجرونها على الخلايا واجزاء الخلايا ، بقصد التغيير والتبديل في بنية تلك الخلايا وتركيبها ، وذلك من اجل التوصل الى التغيير والتبديل في خصائص المخلوقات الوراثية .. نذكر من هذه التطورات ـ على سبيل المثال ـ ما توصلت اليه احدى الشركات الامريكية الكبرى من تخليق بكتريا جديدة تعيش على البترول وتقضي بالتالي على تلوث البحار ، بسرعة كبيرة .. ونذكر ايضا بكتريا جديدة اخرى تفرز الانسولين حتى اذا وضعت في المكان المناسب من الجسم المصاب بالسكري .. افرزت الانسولين تلقائيا ، بالقدر الذي يتطلبه الجسم وحين الحاجة ، وقضت بالتالي على المرض اللعين الذي تعاني منه الملايين . ■■

الارانب «حملت» الابقار!



بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

■ في عالم الحيوان كانت البداية !

والانجاز العلمي الذي حدث لم يكن ليتحقق قبل ان تمر سنوات وسنوات من التجارب على الماشية والفئران والقرود ٠ والواقع أن الاخصاب في الطبيعة يتم عادة عبر احدى وسيلتين : اخصاب خارجي أو داخلي ، فكل الحيوانات الثديية مثلا تخصب داخليا ٠٠ اى لا بد من حدوث جماع بين الذكر والانثى ، وفيه تنطلق الحيوانات المنوية الى الداخل لتخصب البويضة او ابويضات ، وبعدها يتشكل الجنين ويتطور في داخل الانثى ، لكن الامر يختلف مع كثير من الحيوانات التى تحتل المراتب الدنيا في سلم التطور ٠٠ فمعظم الكائنات المائية مثلا تفرز خلاياها الجنسية في الوسط الذى تعيش فيه ، وفي الماء تتقابل الحيوانات المنوية مع البويضات ، ويتم الاخصاب خارجيا ، ليس ذلك فحسب ، بل ان الجنين نفسه يتم مراحل تطوره في الخارج ٠٠ ولناديل البحر وقنافذه وأسماكه خير دليل على ذلك ، كما أن الضفادع (وهي من البرمائيات) تسير على المنوال نفسه ٠

كل هذا يعنى بوضوح أن عملية الاخصاب يمكن ان تتم طبيعيا أو صناعيا اذا ما تهيأت الظروف المناسبة لذلك ٠

وعمليات الاخصاب الصناعي ـ اى التى تمت بغير الطرق التقليدية او الجماع ـ ليست وليدة العصر الحاضر ، بل ان جذورها القديمة تمتد الى الوراء لاكثر من خمسمائة عام ٠٠ اذ يذكر لنا كل من آلون جونز ، وولتر بومر في كتابهما القيم « مستقبلنا الوراثي ٠٠ هل هو صدفة أم تخطيط؟» ٠ ان عملية الاخصاب الصناعي في الحيوانات قد عرفها العرب في القرن الرابع عشر الميلادي ، اذ كانت بعض القبائل العربية تلقح خيولها من نطف جنسية تحصل عليها من حصان اصيل ، له من الصفات الممتازة غير المتوفرة في الذكور الاخرى ٠

من الحيوان الى الانسان

ومن المؤكد ان الاهداف التي توصل اليها العلماء و ١٥ رسالة طويلة مقدمة لنيل درجات علمية ٠ في عالم الانسان أخيرا ما كانت لتتم بنجاح ما لم تكن قد سبقتها بحوث كثيرة جدا في الحيوان ، فحتى سنوات قليلة مضت كان عدد البحوث التي اجريت في هذا المجال تزيد على ٤٥٠ بحثا قام بها البيولوجيون ونشروها في المجلات العلمية المتخصصة ـ هذا زيادة على اكثر من ٤٠ كتابا ومرجعا ، و ١٥ رسالة طويلة مقدمة لنيل درجات علمية ،

لقد كانت البحوث المبكرة في هذا المجال تتناول نقل الحيوانات المنوية الى الانثى بطريق غير الطريق التقليدي (اى بدون اجتماع ذكر بانثى) ، وقد نجحت معظم هذه التجارب في القرود والخيل والكلاب والقطط والمواشي والفئران والارانب والحشرات ٠٠ الخ، ويرجع ذلك الى سهولة تداول هذه العملية

دون مشاكل او اعتراضات ، ولقد كان التلقيح الصناعي في تلك الحالات داخليا ـ أي يتم داخل الانثى، اذ هي المستقبل الطبيعي للنطف الحيوانية.

لكن الاخصاب خارجيا أصعب منالا ، فذلك يستلزم اخراج بويضات أنثى الحيوانات الثديية في الوقت المناسب ، ووضعها في البيئة المناسبة ، وحضنها في درجة حرارة مناسبة ، ثم اخصابها بحيوانات منوية مناسبة ، وملاحظتها بعد انقسامها مثنى وثلاث ورباع ، ثم اعادتها الى الرحم في الوقت المناسب ، حيث يستلزم ذلك توقيتا مضبوطا، وتجهيزا بعدد من الهرمونات الكفيلة بتهيئة جدار الرحم لتقبل البويضة المخصبة او التى انقسمت عددا محدودا من الانقسامات .

الامل في الحيوان !

واذا كان العلم قد حقق بداية طيبة في عالم الانسان ، الا أن البحوث العقيقية ـ التي تباركها الهيئات العلمية وتساندها الحكومات بالميزانيات والامكانيات ـ تتجه اساسا الى الحيوانات التى تأتي من ورائها الخيرات والثروات . فعالمنا المعاصر ينادى دائما بتحديد النسل في الانسان ، لكنه في الوقت ذاته يبارك زيادة نسل أنواع من الحيوانات التي تجود باللحم واللبن والزبد والصوف والبيض وما شابه ذلك ، وللعلم في ذلك وسائل كثيرة ، ومن هذه الوسائل يبرز تشجيع انتقاء الصنف الجيد ، والعمل على على تكاثره بوسائل الاخصاب والحمل غير التقليدي.

فهناك مثلا اصناف ممتازة من الخيل والمواشي التى يصل ثمن الحيوان الواحد منها الى مئات الالوف من الجنيهات ، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ يرجع الى ندرتها ، فالنادر غال ، والرخيص كثير ، وليس من الممكن اكثار المواشي الممتازة بالطرق التقليدية ، فالبقرة مثلا لا تفرز عادة الا بويضة واحدة ـ تماما كما هو الحال في انثى الانسان ، كما انها لا تستطيع أن تنجب ـ خلال حياتها الخصيبة ـ أكثر من ١٢ عجلا ، ولا تختلف في ذلك البقرة الممتازة عن البقرة العادية .. فكيف الوصول ـ اذن ـ الى تكاثر الاصناف الممتازة ، لتعطينا انتاجا تعتز به الاعين ، وترضى به الانفس ؟

ليس هناك من حل الا بتكاثر المواشي النادرة على حساب المواشي الرخيصة ،وفي هذا الميدان يبرز دكتور سعدالدين حافظ (من اصل عربي) الذى يقوم ببحوثه في الولايات المتحدة ، بعد أن تعلم أصول « التكنيك » في انجلترا ، فهو يستطيع مثلا ان يعطينا مئات الابقار أو العجول الممتازة من بقرة واحدة ممتازة ، وثور واحد ممتاز .. اى انه يضاعف الانتاج هناك عشرات المرات ..

لكن .. كيف توصل الى ذلك ؟

الواقع ان البقرة الواحدة تحمل في مبيضيها آلاف البويضات ، لكنها لا تفرز الا بويضة واحدة في كل مرة تتوق فيها الى الاخصاب ، ومن الممكن ان ندفع المبيض ونحثه على افراز اكثر من مائة بويضة دفعة واحدة ، ويتم ذلك عن طريق معاملة البقرة الممتازة بنوعين من الهرمونات ، ولقد استخدم دكتور حافظ في ذلك هرمونات مستخرجة من خيل حامل ، ومن نساء حوامل ، وفي هذا الصدد لا يختلف البشر ، عن الخيل والبقر ، ذلك ان اساس هذه الهرمونات واحد ، وتأثيرها على الحوامل واحد ، فمبايض الضفدعة مثلا تستجيب بدورها الى هرمونات المرأة الحامل ، ومن هنا تستخدم الضفادع لمعرفة ما اذا كان الحمل قد حدث ام لم يحدث ، فاذا حقنت الضفدعة ببول الحامل وتضخمت ، مبايضها بالبويضات ، كان الحمل ايجابيا ، واذا بقيت على حالها ، كان الحمل سلبيا !

اكثر من ذلك ، ان العجول الصغيرة التى لم تصل الى مرحلة البلوغ ، يمكن أيضا حث مبايضها على تكوين بويضات ناضجة ، اى انها تبلغ وتصبح خصيبة قبل الاوان ، والتجارب الكثيرة التي أجريت على الفئران والطيور ...الخ، واستخدمت فيها الهرمونات الجنسية ، قد حولت هذه الحيوانات الصغيرة الى بالغة بعد ايام .

أبقار في الارانب !

نعود لنقول انه بعد افراز هذا العدد الهائل من البويضات في بقرة او أبقار ممتازة ، يمكن اخصابها داخليا بحيوانات منوية مستخلصة من ثيران منتقاة او ممتازة الصفات ، وطبيعي ان الاخصاب الداخلي في البقرة سيؤدي الى تكوين عشرات الاجنة ، لكن الرحم لا يستطيع أن يستوعب الا جنينا او جنينين على اكثر تقدير ، ومن اجل هذا تستخلص هذه الاجنة الصغيرة مبكرا من امهاتها بطرق خاصة ، ثم يزرع كل جنين في رحم بقرة رخيصة الثمن ، ولابد من

تهيئة الرحم للحمل بمعاملته ببعض الهرمونات الخاصة بتجهيز الحمل ، وعند تقبل الرحم للجنين، يبدأ الجنين في الانقسام والتطور والنمو حتى يتم الوضع ، ويخرج الوليد بصفاته الوراثية الممتازة التي ورثها من ابويه الممتازين عن طريق الاخصاب الصناعي بين خلاياهما الجنسية !

أي ان البقرة الرخيصة ـ او غير الممتازة وراثيا ـ ليست الا بمثابة حاضنة لجنين ورث كل الصفات المرغوبة من ثور قوي ، وبقرة ممتازة .

وما يجري على الابقار ، يجري أيضا على الجاموس والخيل والخراف والأرانب أو اي حيوان ثديي تشاء .

لكن دكتور حافظ قد ذهب الى أبعد من ذلك ، ونقل اجنة الابقار الممتازة ، وزرعها في أرحام الارانب ، وهو طبعا لا يقوم بذلك من اجل التسلية او اثبات لحالة ، بل هو يريد ان ينقل المواشي الممتازة الى ارجاء المعمورة ، حتى تستفيد الدول المختلفة بهذه الحيوانات دون تكلفة تذكر ، خاصة اذا تم الشحن بالطائرات ، فبدلا من شحن جاموسة او بقرة او ثور على متن طائرة ، أصبح من الميسور شحن الارانب التي تحمل في جوفها ابقارا .. نعني اجنة البقر التي تستطيع ان تبقى حية داخل الارانب لاكثر من ١٤ يوما ، ومن هنا يمكن نقل الاجنة الى ابقار عادية لتنمو فيها وتتطور ، وتخرج على هيئة مواليد مرغوبة الصفات ، بينما اباؤها وامهاتها الحقيقية ترعى الكلا على مسافات تقدر بآلاف الأميال !

والحق ان هذه التجارب ليست وليدة عصرنا الحاضر ، بل لقد راودت بعض العلماء في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فنرى مثلا العالم الفسيولوجي الفرنسي بول بيرت يكتب في مذكراته عام ١٨٦٣ « لأستاذي المبجل م . جراتيوليه يرجع الفضل في فكرة تجربة عويصة . فالمشكلة الاساسية فيها تكمن في الحصول على بويضة ملقحة من حيوان ، ثم نقلها الى حيوان آخر قريب الصلة به ، فاذا تم ذلك بكفاءة ودقة، فان التجربة غالبا ما تكون ناجحة ، لكن ماذا لو نقلت البويضة الملقحة من حيوان الى آخر ليس من نوعه ولا فصيلته ؟ .. في رأيي ان ذلك ممكن الحدوث ، وقد يصادفه النجاح » !

لكن بول بيرت يعترف في النهاية بانه لم يستطع ان يحقق نجاحا في زراعة البويضات الملقحة ، الا ان هذه الفكرة قد أمكن تحقيقها بعد ذلك بسنوات ، اذ تمكن العالم البيولوجي وولترهيب في عام ١٨٩٠ من زراعة بويضتين ملقحتين لسلالة من الارانب في رحم أنثى حامل تتبع سلالة اخرى ، ولقد وضع الارنب صنفين مميزين من الذرية .. منها اربعة تتبع سلالتها، والتنان بالتاكيد من السلالة الاخرى .

ومنذ ذلك الحين ، لم تتقدم هذه التجارب تقدما كبيرا الا في بداية الربع الثاني من القرن العشرين ، حيث أجريت بنجاح في الماعز والخنازير والفئران والارانب والابقار ، وفي عام ١٩٥٤ تم شحن اول دفعة من بويضات خراف مخصبة في دورق صغير مخلخل الهواء من الولايات المتحدة الى كامبريدج بانجلترا ، حيث زرعت في نعاج مهيأة للحمل ، وولدت ولادة طبيعية ، وفي الستينيات من هذا القرن ، تم شحن دفعة أخرى من بويضات نعاج ملقحة من كامبريدج الى جنوب افريقيا داخل ارنب ، وتم تفريغها هناك من الارنب ، ثم زرعت في نعاج ، واثبتت هذه التجربة نجاحا منقطع النظير !

نظرة الى المستقبل

لكن مما لاشك فيه ان كل شيء يبدأ متواضعا وبسيطا ، ثم يتطور دائما الى الاحسن والأتقن، ويبشر بآمال عريضة في كل المجالات .

فاكثار الانواع الممتازة من النباتات والحيوانات في الطبيعة يتم ببطء شديد للغاية ، وهي عملية تخضع عادة للصدفة ، لكن الانسان ـ بفكره وعلمه وعقله المتطور ـ يستطيع أن يوجهها لصالحه ، فينتقي الصالح ، ويترك الطالح ، ولقد قدمت لنا تجارب الاخصاب الصناعي داخليا وخارجيا بدايات طيبة في هذا المجال ، وقد يخطو العلماء خطوات اخرى ـ في المستقبل القريب او البعيد ـ فيجعلون من بداية الجنين الواحد الممتاز جنينين او اربعة او ثمانية او ستة عشر جنينا ممتازا ! .. او قد يقلبون انماط تفكيرنا ، فيصبح للاموات ذرية تاتي الى الحياة ، بينما هم قد تحللوا في قبورهم منذ سنوات طويلة .. او .. او .. الى آخر هذه الامور الغريبة والعجيبة !

■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

تكنولوجيا الانجاب .. ومستقبل الأسرة

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

اذا كان ميلاد الطفلة لويز براون التي تم اخصابها خارج رحم امها قد جاء تتويجا لجهود علميةوطبيةطويلة، واستهلالا لمرحلة جديدة من مراحل ما يمكن ان نسميه تجاوزا « تكنولوجيا الانجاب .. فان هذا الميلاد قد فجر سيلا من الدراسات والابحاث العامةوالمتخصصة يقع أكثرها في مجالين اثنين:

المجال الاول : .. مجال البحث العلمي والطبي ... شرحا لعملية الاخصاب التي تمت والمراحل التي مرت بها جهود العلماء والاطباء على طريق هذه التجربة الفريدة.. واستشرافا للافاق الجديدة التي تنتظر تكنولوجيا الانجاب ... والتي وصل جموح البعض في تصورها ان قرروا انه خلال سنوات لن يكون من المستبعد الاستفادة بالبويضات البشرية الملقحة خارج الرحم في استعمار الكواكب الاخرى .. وصاحب هذه الفكرة التي تبدو الان محض خيال بيولوجي عربي من مصر يعيش في الولايات المتحدة ويعمل في احدى جامعاتها ويقول في تعليلها : لماذا نرسل رجالا ونساء مكتملي النمو على سفينة الفضاء ؟ لماذا لا نرسل بدلا من ذلك اجنة دقيقة تحت رعاية بيولوجي ماهر .. اننا نبذل كل ما نستطيع لاختزال حجم ووزن كل ما تضمه سفينة الفضاء . فلم لا نفعل نفس الشيء بالنسبة للركاب ؟؟

وغني عن الذكر ان هذا المجال الذى يستهوى الاطباء والباحثين لا يحتاج الى تعليق ..اذ العبرة فيه بما يستطيع اولئك الاطباء والباحثون ان يتوصلوا اليه فعلا .

أما المجال الثاني : .. الذى تفجرت فيه الابحاث ، خصوصا في عالمنا العربي الاسلامي فهو الجانب الديني .. ذلك ان الاخصاب والحمل والميلاد قد مثلت في الفكر البشرى على امتداده حلقات عملية الخلق التي تفرد بها الله « الذى خلق . خلق الانسان من علق » « الا له الخلق » « ان الذين يدعون من دونه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » ...

وكما وجد المؤمنون في تتابع هذه الحلقات اية

من آيات الله ، وشاهدا من شواهد قدرته .. فقد كان طبيعيا ان تثور في اذهانهم عشرات الاسئلة حول قدرة الانسان ... وحول حقه في ان يتدخل في هذه المراحل تغييرا لمسارها ، او تحكما في حلقات اتصال بعضها ببعض ... وعلى كثرة ما كتب حول هذا الجانب فقد كان السؤالان اللذان تبادرا – كما يتبادران مع كل كشف علمي جديد .. هما :

هل وقع هذا فعلا .. وهل يقبل الاسلام التسليم بهذا الوقوع ؟

وهل هو حلال وجائز .. أم حرام ومحظور ؟

في غيبة النص ؟

واذا لم يكن من أهداف هذا البحث أن نتعرض تفصيلا للجانب الديني من الموضوع فاننا نبادر مع ذلك فنقرر اصلين نرى أن يكونا أساسا لمنهج الاجابة عن هذين السؤالين :

اولهما : أن الشك في وقوع ما وقع وقام عليه الدليل العقلي او التجريبي بدعوى أن امكان وقوعه غير مذكور في النصوص لا يمكن أن يكون موقفا مقبولا من وجهة نظر الاسلام ... ذلك أن الحقائق العلمية لا تثبت بالنصوص الدينية وحدها وانما يهتدى اليها بالنظر العقلي او التجريبي مصداق قوله تعالى : « قل سيروا في الارض فانظروا » ..

ان التردد في قبول نتائج الابحاث العلمية النظرية والتطبيقية اثر من آثار منهج قديم يوزع التحكم في حركة الحياة كلها بين العلم والدين .. مع أن الاسلام صريح في أن الله تعالى انما يحكم هذا الكون ويوجه حركته من خلال سلسلة من الضوابط والقوانين، يستطيع العقل – حين يستعمله أصحابه – أن يتوصل الى اكتشاف الكثير منها والى أن يستخدمه ...

وهذه الضوابط – كما تعمل عملها في الكون ، فانها تعمل عملها في الحياة الواعية للانسان ، وهي أساس مسئوليته ومناط تكليفه .

ولم يعد مقبولا من مسلم عاقل اليوم ان يرفض حقيقة علمية قام عليها الدليل بمقولة انها لم ترد في القرآن .. ان عكس هذا المنهج هو الصحيح، بمعنى ان كل الفتوحات العلمية والكشوف التي اقرها العقل ودلت عليها التجربة زاد هائل نافع في معرفة المزيد من معاني القرآن ومراميه .. ولعل هذا هو المعنى الذي يومىء اليه قوله تعالى :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .

الامر الثاني : ان تقرير الحكم الشرعي في شأن ما يجد من أوضاع تترتب على كشوف علمية لا سابقة للناس بها لايمكن ان يكون عملية الية يبحث الفقه خلالها عن نص أو سابقة تدل على الحكم فيها .. اذ لو كان هناك نص يعالجها لما كانت امرا جديدا ...

وعلى علماء الاسلام وهم يعلنون حكمه في الامور الجديدة أن يتريثوا وأن يتثبتوا وأن يبدأوا بمحاولة الفهم الدقيق لعناصر الامر الجديد .. وأن يتصوروا – من خلال دراسات المتخصصين من اهل الذكر في فروع العلم المختلفة – آثاره الحقيقية، وما قد ينطوى عليه من مفاسد ومصالح .. وفي ضوء هذا التحليل الموثق المدعم بالدليل يكون اعلان الحكم الشرعي ، اجتهادا وسعيا الى خدمة الناس بالشريعة، ويفعلون ذلك في حذر وتواضع ولسان حالهم يقول كما قال الامام ابو حنيفة « علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بغيره قبلناه » ..

المشكلة الاجتماعية

ويبقى بعد ذلك كله جانب هام من البحث يسقطه العقل العربي عادة وهو يناقش آثار هذا النوع من الاكتشافات العلمية .. وهو جانب الآثار العملية الاجتماعية للكشف الجديد .. ذلك ان الاكتشافات العلمية – او بعضها على الاقل – لها قوة دفع وتأثير هائل على حياة الناس اليومية وعلى نوع علاقاتهم الاجتماعية .. وقد لا تظهر هذه الآثار دفعة واحدة عند ظهور الكشف العلمي في صورته الاولى .. فقيمة اختراع الآلة البخارية على سبيل المثال ، لم تكن ابدا في النظريات العلمية التي استندت اليها ولا في التكنيك الداخلي الذي تمت به وانما تمثلت في الآثار الاجتماعية والمعيشية بل والسياسية الهائلة التي ولدها الاختراع الجديد بحيث صار تاريخ الاختراع

منعطفا اساسيا فى التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للانسان ٠

وحين يكون الاختراع جديدا فان بعض هذه الآثار يحتاج الى خيال ٠٠ ولكنه ليس محض خيال كخيال الشعراء ، بل هو تخيل علمي احدى قدميه مع الحاضر والواقع والاخرى مع المستقبل الذي لابد ان يمتد اليه هذا الواقع ٠

ـ والخلية الاجتماعية التى يلقى فيها اليوم هذا الاختراع الجديد ـ اختراع الاخصاب خارج الرحم او طفل الانابيب اذا صح التعبير ـ هي الاسرة ٠٠

والاختراع باشكاله وتركيباته العديدة المتصورة يمس الاسرة فى شعبتين أساسيتين منها : فى علاقة الامومة والابوة (مشكلة النسب) ٠٠ وفى العلاقات بين الزوجين (مشكلة الوفاء الزوجي والمحافظة على العلاقة الزوجية) ٠

ان النسب فى الشرائع كلها ٠٠ بل وفى الوعي الاجتماعي بصفة عامة يقوم على افتراضين رئيسيين اولهما :الاتصال الجنسي بين الزوجين ٠٠والثاني: ان هذا الاتصال هو الذى تثبت به الامومة والابوة وواضح أن الكشف العلمي الجديد يهز هذين الفرضين هزا عنيفا بميلاد اطفال تم اخصابهم خارج الرحم وبعيدا عن اى اتصال جنسي ٠٠ ولا نريد هنا أن نتناول هذه الآثار فى تفاصيلها ٠٠ وهى متعددة بتعدد أشكال وتركيبات الاكتشاف الجديد ٠٠ وانما حسبنا فى هذه المرحلة ان نحاول رصد بعض الآثار المتصورة للاكتشاف الجديد على كيان الاسرة كلها ٠٠ وبعض هذه الآثار ايجابي ٠ وبعضها الآخر سلبي ٠٠ المبدئي فيما يلي :

وفى تصورنا المبدئي ان فى مقدمة الآثار الايجابية توفير فرص الاستقرار للعديد من الاسر التى هددها عقم الزوجة وعدم انجاب الاطفال ٠٠ على أن المسالة فى النهاية تعتمد على وزن الآثار النفسية للحرمان من الاولاد الناتجين من اتصال طبيعي وآثاره الحصول عليهم بغير طرق هذا الاتصال الطبيعي ٠

ان قيمة هذا البحث كله ترجع فى النهاية الى تحديد اثر الاكتشاف الجديد على ترابط الاسرة ودورها فى المجتمع باعتبارها التكوين الاجتماعي الذى يلجأ فيه الفرد الى الاستقرار فى عالم تتزايد حركته ، ويتزايد احساس الفرد فيه بالضياع٠ان فريقا من علماء الاجتماع والمتخصصين فى الدراسات المستقبلية Futurlogy يذهبون الى ان دور الاسرة لابد ان يتعاظم نتيجة الاحساس المتزايد لدى الافراد بانها الواحة او الجزيرة الوحيدة التى يستطيعون ان يفروا اليها من تعرضهم اليومي لدوار الحركة السريعة فى المجتمعات المتقدمة ٠٠ وللتغيرات والتقلبات التى تفرض نفسها فرضا على كيان الانسان المعاصر ٠

على ان الاسرة لاتستطيع ان تؤدى هذه الوظيفة الحيوية الا اذا توافرت لها داخليا عناصر الثبات والاستقرار ٠٠ وهو الثبات المتمثل فى الثبات النسبي لادوار اعضائها المختلفين ٠٠ الاب والام والابناء ٠٠٠

ولقد كان هذا الثبات مستمدا من النشأة الطبيعية للاسرة ٠٠ بالزواج ، كعلاقة دائمة وثابتة بين رجل وامرأة ٠٠ ثم من اتساع دائرة هذه العلاقة بمولد الابناء نتيجة الاتصال بين الرجل وزوجته ٠٠ ومايصاحب هذا الميلاد من نمو تدريجي وعضوى لانواع من المشاعر التى تخلق الرابطة الاسرية ، وتصنع جوها النفسى ، ويجد بها الفرد ذاته واضحة مستقرة داخل هذا الكيان الاجتماعي المحدد المعالم وفى اعتقادنا ان التطور فى تكنولوجيا الانجاب اذا توقف عند الصورة التى تم بها ميلاد الطفلة لويز براون فان آثاره على كيان الاسرة ستظل محدودة للغاية ٠٠٠٠ فالميلاد لا يزال ثمرة علاقة زوجية ٠٠ والاخصاب قد شارك فيه الزوج والزوجة ، اى الاب والام ٠٠ والحمل والحضانة لا يزالان ـ فى هذه الصورة ـ قائمين ، يشدان الام الى ابنائها ٠٠

انها الهزات الحقيقية التى تنتظر كيان الاسرة فانها ترتبط بصور اخرى من تكنولوجيا الانجاب ، لاشك أن نظرة الدين والمجتمع اليها سوف تختلف قليلا او كثيرا عن نظرته الى الصورة التى تمت ٠

ـ فاذا لجأ البعض اضطرارا الى التلقيح الصناعي من رجل اجنبي فى حالة عقم الزوج اهتز كيان الاسرة هزة جدية وكبيرة ٠ ان هذا النوع من التلقيح بغض النظر عن الحكم الديني عليه سوف يزرع فى الاسرة شعورا مؤكدا بأن طرفا غريبا قد تدخل فى حياتها ، وانها لم تعد ذلك النتاج الطبيعي والامتداد العضوى الخالص للام والاب ٠٠ وبعبارة اخرى ان الانفصام الذى يترتب على هذا النوع من التلقيح بين رابطة الدم

ورابطة القرابة من شانه ان يحدث هزة نفسية في كيان الاسرة ، وأن يهدد دورها التقليدي الذي تتعاظم الحاجة اليه مع التقدم الصناعي ، في « الحضانة النفسية والحفظ الاجتماعي » ·· ان الانفصال بين الابوة البيولوجية والابوة القانونية هو مصدر هذا الاهتزاز ··

وتتعرض الاسرة لنفس المشكلة وتصيبها نفس الهزة اذا لقح ماء الرجل بماء زوجته خارج رحمها ثم نقلا الى رحم امراة اجنبية لان الزوجة غير قادرة على الحمل ولا صالحة له ·· فهنا تهتز رابطة الامومة ·· نتيجة ازدواجها ·· بل ان دخول العنصر الاجنبي على الاسرة في هذه الحالة يكون اظهر واخطر لان الجنين يبقى في رحم هذه الاجنبية اشهرا طويلة ثم يولد لها ·· فتظل الصلة النفسية بينهما اقوى واظهر من صلة المولود بامه الاولى ، ان جاز هذا التعبير · ان الاثار النفسية التي يولدها عند المولود تنازع الاباء والامهات على ابوته وامومته لايمكن التهوين منها ·· ان الضياع النفسي وغموض الانتماء العضوي من شانه ان يهدد وضوح رؤية المولود لذاته ولمكانه داخل هذه الخلية الاجتماعية الاساسية ·

واذا خطونا مع تكنولوجيا الانجاب خطوات اكثر تحللا من قيود الشرائع وقواعدها في الزواج ، لوصلنا – يقينا – الى اختلاط في الانساب ولسقطت – بالضرورة – فكرة المحرمات في الزواج ·· وهو ما يحمل اثارا نفسية واجتماعية تصيب الاسرة في صميمها ·· فقد يظل الاب صاحب النطفة مجهولا وقد تلقح بويضة المراة بماء والدها او شقيقها وقد يتم – مستقبلا – زواج عادي بين اطفال تنتمي نطفتهم او بويضتهم الى رجل واحد او امراة واحدة (ويطلق البعض على هؤلاء اسم « اخوة الانابيب ») واذا وصل الامر الى ما يتنبأ به البعض من ظهور نظام الاستئجار للحمل والولادة بالتلقيح الصناعي لامرأة غير متزوجة فان نظام الزواج يصاب بتصدع رئيسي ·· اذ لا يبقى عندئذ – كما كان دائما – الطريق الوحيد للانجاب ·· وهو ما يصادم الاسس النفسية والتنظيمية التي قامت عليها الشرائع ، وفي مقدمتها الاسلام الذي يقول كتابه الكريم :

« والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ·· »

ويطول بنا الحديث لو مضينا نستعرض الفروض والاشكال التي يمكن أن تنتهي اليها تكنولوجيا الانجاب · واهم مانحرص على تقديره – مع ذلك – أن وجود هذه المسالك المتعددة ، له تاثير كلي بالغ الضرر على كيان الاسرة ·· واستقرارها ·· ذلك ان الازمة المعاصرة التي تتعرض لها الاسرة – بعيدا عن كل هذه الفروض وبعيدا عن تكنولوجيا الانجاب كلها – ترجع الى احساس الانسان المعاصر بتعدد الخيارات امامه وبانه اذا لم يلق ما يعتبره سعادة زوجية كاملة – يستطيع ان ينطلق من هذه الرابطة باحثا عن رابطة جديدة ·· ولهذا لاحظ بعض المحللين الاجتماعيين في الغرب بحق ·· أن تعدد الزواج قد اصبح احدى ظواهر العصر ·· وان اتباع الشرائع التي لا تسمح بتعدد الزواج ·· يمارسون التعدد في الواقع عن طريق الزواج المتعاقب ·· ان الاحساس بمزيد من حرية التغيير في الزواج هو العدو الاساسي للاسرة كنظام اجتماعي تجد فيه اعضاء هذه الخلية الاجتماعية ما يحتاجون اليه من حضانة وسكينة نفسية ·· ولاشك عندنا في ان تطور تكنولوجيا الانجاب وما يفتحه امام الرجال والنساء من بدائل وخيارات ·· سوف يؤدي بالضرورة الى بحث انسان المستقبل عن صيغ جديدة للعلاقات بين الرجل والمراة يتحمل كل منهما اقل الاعباء ·· ومن شان هذا الصيغ ان تهز الاسرة من جذورها وان تفتح على انسان المستقبل ابوابا لايعلم اثارها الا الله ··

وعلماؤنا جميعا · مدعوون الان الى التأمل الهادىء في هذه الاثار ·· متدبرين النظر في الاحتمالات المختلفة التي يحملها معه تطور تكنولوجيا الانجاب ·· وذلك قبل ان يقولوا كلمتهم في الفرض الواحد الذي اثاره مولد اول طفلة من اطفال الانابيب ··· وليكن الدرس الذي نتعلمه من هذا الاكتشاف اننا امام تيار هادر من الكشوف العلمية ·· وان اثار بعض هذه الكشوف على حياتنا الاجتماعية والنفسية يجاوز كل خيال ·· وان علماؤنا مدعوون لذلك الى ان يتجاوزا الوقفات الطويلة مع الماضي ليقولوا رأي العلم وحكم الاسلام في هذه المعدلات التي لن يمضي وقت طويل حتى ينتقل كثير منها من دائرة الخيال البعيد الى ميدان الواقع القريب · ■ ■

د· احمد كمال ابو المجد



صدمة المستقبل :

هل تختفى أسطورة الأمومة ؟!

الى اين تقودنا ابحاث زراعة الاطفال فى الانابيب والتحكم فى عناصر الوراثة ؟

يجيب على هذا السؤال العالم الامريكى الفين توفلر ، فى مؤلفه الشهير والمثير « صدمة المستقبل » الذى صدر منذ تسع سنوات* ، وتنبأ فيه بما سيحدث ، على ضوء الابحاث والدراسات التى كانت جارية فى الستينات .

انه يرسم صورة غاية فى الاثارة للغد ، الذى يبدو انه لم يعد بعيدا .. يقول الفين توفلر .

لعل اقوى ما ستتعرض له الأسرة من مؤثرات خلال بضع عشرات السنين القادمة ، هو تلك التاثيرات التى ستحدثها تكنولوجيا الانجاب الجديدة . ان القدرة على التحكم فى جنس المولود ، بل حتى على تصميم درجة ذكائه وملامحه وخطوط شخصيته ، ينبغى ان تنظر اليها الان كامكانية واردة . ان زرع الأجنة ، وابتلاع حبة ما لضمان انجاب توأمين او ثلاثة وربما اكثر ، والقدرة على الدخول الى « معرض أجنة » وشراء ما ترغب فيه منها بالفعل ـ كل هذه الابعاد التى لم تقترب من مثلها اى خبرة انسانية سابقة ، تدعو الانسان الى ان ينظر الى المستقبل بعينى شاعر او رسام ، اكثر منه بعينى عالم اجتماع او فيلسوف تقليدى .

ان مناقشة مثل هذه الأمور ، ينظر اليها على انها شىء غير علمى ، بل حتى ضرب من العبث .. ومع ذلك فان التقدم العلمى ، والتكنولوجى ، او فى بيولوجيا التكاثر النوعى وحدها ، يمكن ان يؤدى خلال زمن قصير الى تحطيم كل الافكار التقليدية عن الاسرة ومسئولياتها . فعندما يصبح من الممكن ، مثلا ، تنمية طفل داخل اناء بالمعمل ،

---

* الكتاب ترجمه الى اللغة العربية محمد على ناصف ، وصدر عن دار نهضة مصر عام ١٩٧٤ .

ماذا سيحدث عندئذٍ لمفهوم الأمومة ٠٠ ؟ وماذا سيحدث لصورة الأنثى في المجتمعات التي نشأتها منذ بداية وجود الانسان على فكرة ان رسالتها الاساسية في الحياة هي حفظ وتنمية الجنس البشري ؟

ليست الامومة فحسب ، ولكن مفهوم الوالدية كله قد يتعرض لتعديل جذري ٠٠ فالحقيقة انه لم يعد بعيدا ذلك اليوم الذي قد يجد فيه الطفل انه : «بيولوجيا» ابن لاكثر من أبوين ٠ لقد نجحت الدكتورة بياتريس مينتز اخصائية البيولوجيا بمعهد بحوث السرطان بفيلادلفيا في انتاج ما اطلق عليه وصف «الفئران المتعددة الانساب» ٠وهي فئران ينتمي كل منها الى اكثر من أبوين ٠ لقد اخذت أجنة من رحمي فارتين حاملتين ووضعتهما في احدى صحاف المعمل،وتعهدتها بالتغذية والعناية حتى صارت كتلة انجاب ، واحدة ، ثم زرعتها في رحم فارة ثالثة ٠ وهكذا ولدت فئران تحمل الصفات الوراثية لكل من زوجي الفئران الواهبين ٠كانت للفئران الوليدة فراء وشوارب بيضاء على أحد جانبي الوجه ، وفراء وشوارب داكنة على الجانب الآخر ، بينما تغطي جسمها خطوط متبادلة من الشعر الأبيض والشعر الداكن ٠ لقد بلغ عدد الفئران التي نشئت بهذه الطريقة ٧٠٠ فار وفارة انتجت بدورها أكثر من ٣٥،٠٠٠ ترى هل يعني وجود الفئران المتعددة الانساب اليوم أن الانسان المتعدد الانساب قادم في الطريق ٠٠ ؟

ومن يكون الوالد والوالدة في مثل هذه الحالات؟ عندما تحمل امراة في رحمها جنينا أخصب في رحم امراة أخرى ، فايهما تكون امه ؟ ! وايضا من يكون أبوه ؟ !

اذا استطاع زوجان بالفعل ان يشتريا جنينا مخصبا فان الوالدية تصبح هنا مسالة قانونية ، وليست مسالة بيولوجية ٠٠ مثل هذه المعاملات ان لم توضع في اطار تحكم دقيق ، فان الانسان يستطيع أن يتصور حدوث أكثر الأمور غرابة ، كان يشتري زوجان جنينا وينشا في انساء بمعمل ، وما ان « يولد » حتى يشتريا آخر باسم الاول كما يحدث في شراء السندات ٠ ففي هذه الحالة يصبحان جدين ، في حين ان طفلهما الاول لم يتجاوز مرحلة الرضاعة ٠ ولسوف نكون في حاجة اذن الى كلمات جديدة تماما لنصف بها صلات القربى ٠

بل أكثر من هذا ٠ ٠ اذا فرضنا أن الأجنة أصبحت معروضة للبيع ٠ فهل تستطيع شركة ما ان تشتري واحدا ؟ أو عشرة آلاف ؟ وهل تستطيع ان تبيعهم؟وان لم تكن شركة تستطيع فهل يستطيع معمل بحوث غير تجاري ؟

وان كنا سنشتري ونبيع الاجنة الحية ، فهل نحن في الطريق الى استحداث شكل جديد من اشكال العبودية ؟ مثل هذه الاسئلة المزعجة حرية بان تطرح للمناقشة عما قريب ٠ ومن ثم فان استمرار التفكير في موضوع الاسرة بنفس المصطلحات التقليدية امر يتنافى مع المنطق ٠

ان انسان مجتمع ما فوق التصنيع عندما يواجه بالتغييرات الاجتماعية السريعة ، ومضمونات الثورة العلمية المذهلة قد يضطر الى تجربة اشكال جديدة للاسرة ٠ ويمكن أن نتوقع من القلة المجددة ان تجرب عديدا متنوعا من الترتيبات الأسرية ٠ وهم لا شك سيبدأون من نقطة معالجة الأشكال القائمة حاليا ٠

أسرة ما بعد التقاعد

ومن بين الاشياء البسيطة التي سياخذونها في اعتبارهم مسالة تذبذب الاسرة ٠ ان الاسرة في عصر ما قبل التصنيع لم تكن كثيرة الاطفال فحسب، بل كانت ايضا تضم الأجداد ، والاعمام،والعمات، وابناء العمومة ٠ مثل هذه الاسر « الموسعة » كانت مناسبة للحفاظ على البقاء في المجتمعات البطيئة الحركة ٠

وفي عصر التصنيع نفضت الأسرة «الموسعة» احمالها الزائدة على كاهلها ٠ وبرزت الى الوجود الاسرة «النووية » اي الاسرة الضيقة السهلة الانتقال والتي تتكون من الوالدين وعدد محدود من الاطفال ، واصبح هذا النمط من الاسر هو النمط السائد في البلاد الصناعية ٠

ولكن عصر ما فوق التصنيع ، المرحلة الثانية في التطور التكنولوجي للبيئة،سيؤدي الى انقاص من حجم الاسرة الى الحد الادنى الذي دونه لا يمكن ان تسمى باسرة ، اي الى شخصين فقط ، رجل وامراة ٠ ان فردين اثنين ، ربما من نفس المهنة ، سوف يكونان أسرة ، اقدر على مواجهة عمليات التنقل المستمر من عمل الى عمل ، ومن مكان لآخر ، من الاسرة المتنقلة بالاطفال والواقع ان عالمة الانثروبولوجيا الشهير مرجريت ميد قد اشارت الى أننا

قد نكون بدانا بالفعل بالتحرك في اتجاه نظام ستنحصر في ظله الوالدية ، حسب قولها : «في عدد محدود من الاسر التي ستكون وظيفتها الرئيسية هي انجاب الاطفال ، بينما سيترك باقي السكان ، ليعملوا بحرية ـ ولاول مرة في التاريخ ـ كافراد» وكحل وسط ، قد يعمد الزوجان الى ارجاء الانجاب ـ الى مابعد التقاعد مثلا ـ بدلا من منعه منعا باتا .

قد يبدو مثل هذا الامر بالمقاييس الراهنة شاذا ، ولكن عندما ينفصل انجاب الاطفال عن قاعدته البيولوجية المعهودة فلن يبقى هناك ما يفرض انجاب الاطفال في سن مبكرة غير ما اصطلح عليه من تقاليد . فلماذا اذن لا تنتظر ، لم تبتاع فيما بعد ما تحتاج اليه من اجنة . بعد انتهاء حياتك العملية ؟ وهكذا فانه من المحتمل ، أن يكون عدم الانجاب هو الظاهرة الاكثر انتشارا بين الازواج الشباب والمتوسطي العمر في المستقبل ، وأن يكون الازواج ممن تعدوا الستين هم اكثر الازواج تنشئة للاطفال .

احتراف الابوة

واذا فرضنا أن مهمة تنشئة الاطفال ستنحصر في عدد محدود من الأسر ، فهل من المحتم أن يكون هؤلاء الاطفال من انجاب هذه الاسر بالذات ؟ ولماذا لا يقوم نظام يتولى في ظله « أبوان محترفان » وظيفة تنشئة اطفال الآخرين ؟

ان تنشئة الاطفال ، كما نعلم ، تحتاج الى مهارات ليست باي حال متوافرة لدى الجميع . اننا لا نسمح «لمجرد اي فرد» بأن يجري جراحة المخ ، او حتى أن يبيع الاسهم والسندات . فحتى ادنى الموظفين المدنيين مرتبة لابد من ان يجتاز اختبارات معينة للتثبت من انه كفؤ لما سيعهد به اليه من عمل . ومع ذلك ، فاننا نسمح بالفعل لاي انسان كائنا من كان ، وبصرف النظر عن قدراته العقلية والمعنوية ، بأن يجرب حظه ، أو حظها ، في تنشئة كائنا بشريا ما دام هذا الكائن نتاجا بيولوجيا له . ان مهمة الوالدية ، بالرغم مما يحيط بها من تعقيد متزايد ، ما زالت اكبر المهام وقفا على الهواة .

ومع تقوض النظام الحالي ، وزحف ثورة ما فوق التصنيع على انقاضه ، ومع تضخم جيش الاحداث الجانحين ، ومئات الالوف من الشباب الذين يهربون من بيوتهم ، وتفاقم ثورة الطلبة في جميع البلاد المتقدمة تكنولوجيا ، فاننا نتوقع ان ترتفع الصيحات المطالبة بوضع حد لهواية الوالدية .

لا جدال في أن هناك أساليب أفضل لمعالجة مشكلات الشباب ، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون الوالدية المحترفة من بين الاساليب المقترحة ، فهي على الاقل أسلوب ملائم تماما لاتجاه المجتمع بشكل عام الى مزيد من التخصص . وفوق هذا فثمة حاجة اجتماعية ملحة ، طال كبتها ، الى هذا التجديد . ان ملايين الآباء ، حتى في وقتنا الراهن ، مستعدون فيما لو اتيحت لهم الفرصة للتخلي عن مسئولياتهم الوالدية ، ليس بالضرورة بدافع من الاستهتار أو الافتقار الى الحب ، ولكنهم بفعل عوامل متعددة قد ثبت لديهم عدم كفايتهم لمثل هذا العمل .

وهكذا فليس بمستبعد أن تطالعنا صحف الغد باعلانات تخاطب الزوجين من الشباب قائلة : « لماذا تجعلان من الوالدية قيدا عليكما ؟! دعانا ننشيء طفلكما حتى يصير شابا ناجحا . اسرة محترفة من الدرجة الاولى تقدم : أبا في سن ٣٩ واما من ٣٦ ، وجدة سن ٦٧ ، وعما وخالة سن ٣٠ يعيشان معها ويعملان بعض الوقت في وظائف محلية . وجدة من أربعة أطفال بها مكان شاغر لطفل من ٦ ـ ٨ سنوات ، نظام تغذية أعلى من المستوى المقرر بواسطة الحكومة ، جميع البالغين حائزون على مؤهلات في تنمية الأطفال ورعاية شئونهم . الزيارات المتكررة والمحادثات التليفونية مسموح بها للوالدين البيولوجيين ، ومسموح أيضا للطفل بقضاء اجازة الصيف معهما . ترتيبات خاصة لتشجيع النشاط الديني والفني . مدة التعاقد خمس سنوات . اكتب الينا في طلب تفاصيل اكثر » .

ان الوالدين « الحقيقيين » أو « البيولوجيين » قد يقومان ـ كما يقترح الاعلان ـ بدور الابوين الزوجيين الذي يقوم به في الوقت الراهن اصدقاء الاسرة المقربون . ويمثل هذا الاسلوب قد يستطيع المجتمع أن يستمر في تنشئة انماط متنوعة من اطفال ذوي صفات وراثية مختلفة ، وان يعهد بهم الى آباء وامهات مؤهلين عقليا وعاطفيا للعناية بالاطفال .

وهذا قليل من كثير قد يأتي به المستقبل ! . ■■

ثرثرة لازمة
في وداع عام رحل !

فهمي هويــــدي

هذه بعض القصاصات من بقايا العام الـذىانقضى ، يجمعها انها تعكس من اوجه متعددة محنة العرب والمسلمين في هذا الزمان • ولو انهاكذلك فقط لهان الامر ، ولمرت دوت ان تستوقفنا• اذ لا جديد في المحنة ، والحمد لله الذى لا يحمدعلى مكروه سواه •لكنها تتضمن نوعا منالكتابات الذى لا ينفذ الى عقلك وقلبك ، بل يستفزك ،ويتحول الى غصة تقف فى حلقك • لا انت قادر على ابتلاعها ، ولا انت قادر على لفظها ، ولاانت قادر على تجاهلها !

عندئذ لا تملك الا ان تجرب نصيحة اساتذةعلم النفس • تحكى • تصرخ • تبكى • تشرك الاخرين معك فى همك •

وها انذا اجرب النصيحة !

● مفارقات شيخنا وشيخهم !

في «الوجبة الاولى » من القصاصات نجــدشيخ الازهر بالنيابة طرفا فى الجدل الدائر حول اتفاقية الصلح مع اسرائيل • مرة يؤيد الصلح ،ومرة يهاجم الذين ينتقدونه • وهو فى الحــالتين متكئ، على الاسلام • مستخرج حججه واسانيده منالقران الكريم • معتمد بالدرجة الاولى على الآية « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » • قائل بانه اذاكان الازهر الشريف قد أدان الصلح وعارضه فــى المــاضى ، فان ذلك لا يمنع من الرجوع عن هــذاالموقف ، « لان الاحكام تبعا لتغير العللوالازمان»•

وعلى الجانب الاخر ، نجد كبير حاخامات اسرائيللطوائف الشرقية ، عوبد يا يوسف ، يصدر فتوى فى نفس الاتجاه ، يحــاول آن يسكن بهــا مشاعرالمتدينين ، ويرضى الرافضين « للتفريط فى شبر واحد » من « أرض الميعاد » • يقول شيخهم أنالشريعة اليهودية تجيز اعادة أراضى « للغرباء »، اذا ما أدى ذلك الى منع الحرب واحلال السلام •

اننا اذا أجرينا مقابلة بين الموقفين ،سوفنلاحظ ان استخدام القرآن فى الموضوع جاء فى وقت لاحق من السباق ، بينما استخدام التوراة كان سابقــاومبكرا ، من البداية •

أعنى انه بعد ان اتخذ القرار السياسى ، وبعدان تمت خطوات كثيرة ، جاء دور القرآن وظهرت الآيات والشواهد التاريخية ـ صلح الحديبية مثلاـ مؤيدة ومساندة ، وماضية فى الركب على نفس الطريق •

اما على الجانب الاسرائيلى • فانهم متحصنونبالتوراة منذ اللحظة الاولى • اغتصاب فلسطين

كان باسم التوراة • وقتل العرب كان باسم التوراة (أليس يوم الرب هو يوم ارهاب ، كما يقولون ؟) كما ان احتلال بقية الاراضي العربية ، والاستيطان فيها ، وجد لافتة في التوراة تحمل اسم يهودا والسامرة • وحتى عندما أراد مناحيم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلي أن يخاطب الرئيس الامريكي كارتر بعد انتخابه ، لم يذكره الا باشارات ارض الميعاد التي وردت في الانجيل •• وهكذا ، الى أن نصل الى الفتوى التي تجيز الصلح واعادة اراض للغرباء ـ الذين هم نحن ـ اعتمادا على نصوص « متساهلة » في التوراة !

ان المقابلة هنا تقودنا الى حقيقة أن القرآن كان بمثابة عربة الحقت بقطار دارت عجلاته وانطلق، بينما التوراة كان جالسا يتصدر عربة القيادة !

وهذه الحقيقة تعبر عن دور وفاعلية كل من القران والتوراة ، عندنا وعندهم ، وتعكس بأمانة واقعا لا سبيل الى انكاره ، هنا وهناك •

هذا من حيث الشكل ••

وفي المضمون • نلاحظ ان شيخنا حدد نفسه بدور موظف الحكومة المنضبط ، بينما « شيخهم » قدم نفسه في دور حارس الدين ، وكبير الحاخامات، الاول خاطب السلطة ، والثاني خاطب الناس •

شيخنا غض البصر عن أراضي المسلمين الاخرى المغتصبة والمحتلة ، والقدس على رأسها ، واعتمد ما يقوله الساسة الاسرائيليون عن رغبتهم في اقرار السلام على جبهة واحدة ، وحدد موقفه بما يتصوره منسجما مع مصالح هذه الجبهة • بينما شيخهم وضع أرض الميعاد نصب عينيه ، ولم يتردد في أن يضرب عرض الحائط بكل « دعاوانا » ، ويستخدم في وصفنا تعبير التوراة : « الغرباء » •

وترتبط بهذه ملاحظة أخرى ، هي ان شيخنا تقمص شخصية رجل السياسة الذى يستخدم سلاح الدين ، بينما شيخهم ظل الى النهاية رجل دين يستخدم سلاح السياسة !

شيخنا تحدث في حق كل دولة في أن تتخذ ما تراه مناسبا لتحقيق مصالحها ، مؤكدا ان الظرف تغير ، وهو ما يبرر تغيير الفتوى ، بينما شيخهم حرص على أن يؤكد أن الصلح الذى ينادى به السياسيون مقبول ، اذا كان يحمي الارض التي رسم حدودها التوراة •

وبعد هذا وذاك ، يظل السؤال قائما : ما رأي الشرع فيما جرى ويجرى ؟

رغم انني لست من أهل الافتاء ـ فذلك شرف لا أدعيه ـ الا ان ما أعلمه تلخصه نقطتان :

● الاولى : اجماع الفقهاء على أن اعلان الجهاد يعد فرض عين « اذا غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام أو ناحية من نواحيها » ، فتخرج الى القتال المرأة بلا اذن الزوج ، والولد بغير اذن أبيه » ، ولا يفلت مسلم من هذا التكليف •

● والثانية : أن كلمة « جنحوا » في الآية الكريمة ، فعل ماض ، اى انها تعلق الاستجابة الى السلام من جانب المسلمين على شىء حدث فعلا • سلام تحقق فعلا • وليس سلاما محتمل الوقوع ، أو نوايا مشكوكا في صحتها •

● رب الكعبة ورب القدس

تتصل بهذا الموضوع قصاصة اخرى ، من بقايا مؤتمر القمة العربي الذى عقد في بغداد مؤخرا ، تسجل حوارا بين وزير عربي ومندوب فلسطين • قال فيه المندوب أن الطائرات الاسرائيلية تستطيع الآن أن تهدد مدينة يثرب كما تهدد الكعبة في المملكة العربية السعودية • وكان رد الوزير العربي « ان للكعبة ربا يحميها » (وهي عبارة عبد المطلب جد النبي عليه السلام ، التي قالها في الجاهلية عندما هاجم الكعبة ملك الحبشة) لكن المندوب الفلسطيني لم يسكت ، وعقب قائلا : ان رب الكعبة هو رب القدس ، مشيرا الى أن الاعتراف بهذه الحقيقة ، لم يمنع من احتلال القدس ووقوعها في الاسر •

اننا اذا أخذنا الحوار مأخذ الجد ، فلا بد أن نعرب عن الدهشة لهذا المنطق الذى يحاول تغطية العجز بالتمسح فى المشيئة الالهية ، كما لو كانت حركة الكون قد خلت من الاسباب والمسببات . مع ان موقف الاسلام شديد الوضوح فى هذه القضية . فالنصر حليف الجادين فى الفوز به (ان تنصروا الله ينصركم) والتغيير له قانونه السماوى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

والحصاد لن يكون الا من جنس الزرع والبذور (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

اننا نظلم القدر عندما نحمله مسئولية تفريطنا وعجزنا ..

اننا مطالبون بان « نعقلها » أولا ، ثم « نتوكل » بعد ذلك ؟؟.. وبغير ذلك ، فلا حصانة ولا قداسة لفرد ، ولا لمكان !

الم يهزم محمد رسول الله فى غزوتى « أحد » و « حنين » لان جيشه توكل قبل ان « يعقلها » ؟

● البعض يفضلونها مظاهرات صاخبة

ثمة قصاصات أخرى متناثرة حول احداث ايران ، بينها حوار نشرته صحيفة « هيرالد تريبيون » الامريكية ، لكبير معلقيها جوزيف كرافت ، اجراه فى مدينة « قم » مع الزعيم الشيعى آية الله شريعتمدارى ، بينما كانت الثورة مشتعلة ضد الشاه ، والجماهير الغاضبة خرجت معلنة التمرد والعصيان ، رافعة رايات العودة الى الاسلام باصرار يشيع الاعجاب .

فى ختام هذا الحوار الذى استغرق ثلاث ساعات ، طرح جوزيف كرافت سؤالا نصه ، هل المسجد مؤهل لقيادة المجتمع فى هذا الزمان ؟

ولم يكن المعلق الامريكى يريد من قارئه ان يجيب على السؤال ، لكنه اراد ان ينبهه الى ان الاجابة وردت ضمن الحوار ، وان ما قاله الزعيم الشيعى فيه الكفاية ليدلل على عجز المسجد عن اداء هذا الدور ، اى ان السؤال لم يكن استفهاميا فى الحقيقة ، ولكنه كان استنكاريا بالدرجة الاولى ، وبطريق غير مباشرة اراد صاحبنا الامريكى ان يثير انزعاج قارئه وقلقه ، وان يدفعه الى التساؤل بينه وبين نفسه : الى اى كارثة يقود هؤلاء الحمقى بلدا فى اهمية ايران وخطورته ؟

ومع انه وارد الا يكون راى الزعيم الشيعى هو بالضرورة راى الحركة التى ترفع راية الاسلام فى ايران ، ووارد ايضا ان يكون حديثه قد خضع لبعض التحريف او الاختصار المخل ، الا ان ما نشر على لسانه جدير بالقراءة والتامل .

سأله جوزيف كرافت : ماذا تريدون ؟

فكان رد آية الله شريعتمدارى :

– نريد ان نعود الى فكرة تشكيل مجلس من رجال الدين (خمسة) تعرض عليهم القوانين القائمة والتى تستجد ، ولهم الحق فى رفض مايرونه متعارضا مع الشريعة الاسلامية ، ولا يحقق مصالح الجماهير .

– نريد ان نعود الى الاخلاق الاسلامية ، ولابد من اغلاق نوادى القمار والكباريهات ومنع المشروبات الروحية ، وحظر العلاقات الجنسية غير المشروعة ، والعدول عن الاختلاط بين البنات والبنين فى المدارس .

– نريد ان نغير فى نظام التعليم والمناخ الثقافى العام ليصبح اكثر التزاما بتعاليم الاسلام .

– نريد ان نغير من النظام الاقتصادى العام ، بحيث لا يقوم التعامل على الربا .

وهكذا ، فان الشىء المحدد فى كلام الزعيم الدينى الايرانى هو الاهداف المرفوضة اما المقبول والمطلوب ، فهو عائم وغير محدد ، ذلك انه باستثناء شعار العودة الى الاسلام فى الاقتصاد والثقافة والتعليم ، فان بقية الخطى مجهولة وفى علم الغيب . والامر محال الى كتاب الله .

وهذه الاجابات هي نموذج للطريقة التي يفكربها الكثيرون ممن يقودون العمل الاسلامي في عالمنا من القصاء الى القصاء • هم ضد اشياء كثيرة ،لكنك لا تستطيع ان تعرف بالتحديد مع اى شيء هم ، رغم كل نواياهم الطيبة وحماسهم الذى قد لا يرقى اليه شك •

ان من السهل جدا ان ترفع شعار العودة الى القران ، وتدغدغ به مشاعر الجماهير وعواطفهم، لكن المشكلة الحقيقية ، هى كيف تعمل على ترجمة القران الى اطار واضح للعمل في كل مجال •

وهى معضلة لم تحل، لاسباب بينها ان البعض يفضلونها مظاهرات صاخبة • وليس بينها ان المهمة مستعصية او مستحيلة • فالامر يحتاج الى قدر من الجدية والوعى ، والعمل الهادىء في غرف مغلقة ،وليس في سرادقات ومن وراء مكبرات الصوت !

● من عمر بن عبدالعزيز الى سلاطين هذا الزمان

اخيرا ، ثمة قصاصات اخرى من الصحافة الانجليزية ، مجلة « الايكونومست » على الاخص، تتناقل انباء باكستان ، وتتابع بانتظام الاجراءات التى تتم هناك منسوبة الى الاسلام ، من جلد في الميادين العامة ، للعصاة والمذنبين ، الى مصادرة نشاطات الاحزاب المعارضة ، بحجة انها ليست اسلامية •

وليس هنا مجال عرض تفاصيل تلك الروايات الاخبارية ، لـكن الجانب الـذى يعنينا ما يجرى هناك هو انه – اولا – يتم باسم تطبيق الشريعة الاسلامية ، ثم انه – ثانيا – يستهدف استخدام اسم الشريعة لمصادرة حرية الاخرين •

وهو اتجاه عاد الى الظهور في العالم العربي والاسلامي خلال السنوات الاخيرة • اذا اردت قمع معارضيك فليكن ذلك بسلاح الدفاع عـن تعاليم الاسلام ، وحماية التراث الروحى • وفي هذه الحالة فلابد ان يصبح الخصوم في وضع عقيدى مشكوك فيه ، يتراوح بين الضلال والكفر والالحاد • وهو ذاته « الزيغ في العقيدة » ، كما كانت تسميه محاكم التفتيش في القرون الوسطى•

وفي لحظة من الزمن ، يكتشف عامة الناس ان نصيبهم من الشريعة هو في النهاية ،سوط وكمامة، هذا تطبيق للشرع ، وذاك حماية للشرع !

وازاء هذه الممارسات فقد صارت قضية الحرية في المجتمع الاسلامي بحاجة ملحة الى ان تطرح بصورة خالية من تلك الشوائب التى علقت بها ،والتى اساءت الى الاسلام ابلغ اساءة •

ينبغى ان تكون واضحة – مثلا – الحدود التى يصنف بمقتضاها فكر اى شخص او موقفه ، متى يعتبر اسلاميا ومتى يعتبر عكس ذلك •

يذكرنا ذلك بواقعتين حدثتا في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، مرة عندما كتب اليه واليه على خراسان ، يستأذنه في استخدام العنف ضد اهلها ، قائلا « انهم لا يصلحهم الا السيـف والسوط » • فكتب اليـه الخليفـة ردا قصيرا وحازما قال فيه « كذبت •• بل يصلحهم العـدل والحق ، فابسط ذلك فيهم • واعلم ان اللـه لا يصلح عمل المفسدين » !

ومرة كتب اليه واليه في الموصل ، يستأذنه في اسكات فئة مناوئة عرفت باسم « حروريـة الموصل » ، فاجابه عمر بن عبد العزيز قائلا :اذا راوا ان يسيحوا في البلاد في غير اذى لاهل الذمة ،وفي غير اذى للامة ،فليذهبوا حيث شاءوا•وان نالوا احدا من المسلمين او من اهل الـذمة بسوء ، فحاكمهم الى الله •

ترى ، هل يمكن ان يكون سلاطين هذا الزمان اكثر ادراكا للاسلام وغيرة عليه من عمر بـن عبد العزيز ؟!

■■



شيلي

هل لا يزال للفن مكان بيننا ؟

الفنون و تحديات الحداثة

بقلم : الدكتور علي الراعي



د.هـ. لورنس



ديكنز

■ صرخ بايرون ملتاعا، ولعن من فسر للعالم سر تكون قوس قزح . كان بايرون يدافع عن عالمه السحري ، عن قواه الشعرية ، عن رغبته في ان يتخيل الاشياء ، لا ان يقدم تفريرا علميا عنها .

وهتف شيللي في العصر ذاته . هتافا امتزج فيه اليأس بالعناد : نحن الشعراء ، نحن من يحلم الاحلام. نحن المشرعون لايعترف بهم احد !

وقبل هذا بسنوات قرر نابليون هازئا : ان الادب صناعة النساء او في زماننا علم كراوذر، احد علماء الفيزياء الانجليز انني اقيم في انجلترا لأدرس الادب فقال ، خروجا على مألوف كياسته : « وهل هذه دراسة جادة » ؟

وتأمل نجيب محفوظ دور الفنان في عصر العلم ، فوجد ان هذه الفنان لا امل له في البقاء لا هو ولا الفيلسوف . اقرأ روايته : « الشحاذ » .



نجيب محفوظ

موقف بالغ الحرج ، يجد فيه الفنان نفسه في عصر العلم والتكنولوجيا • ففي امريكا ـ مثلا ـ يقرر الكثيرون ان الدراسات الانسانية لا جدوى من ورائها ولا ضرورة لها • وهناك من حملة اجازات الدكتوراه في علوم الانسان مع يعمل سائق تاكسي !

وفي بلدان العالم الثالث : ترتفع الصيحات: كفانا ادبا وفنا • ونريد منجزات التكنولوجيا • يرددون هذا بتنويع بسيط على صيحة امين الريحاني المعروفة « انا الشرق ، عندي فلسفات فمن يعطيني بها دبابات ؟ » •

★ ★ ★

هل لم يعد للفن ضرورة في عصر المنجزات المادية العارمة ؟

في ثلاثينات القرن ، كانت الصيحات تتردد بان الشعر قد مات • ووجد الشاعر الانجليزي : سيسيل داي لويس لزاما عليه ان يكتب كتابا صغيرا عنوانه : « امل امام الشعر ». دافع فيه عن هذا الفن الهارب الى خصوصيات الافراد•

وفي الثلاثينات ايضا نظر د•هـ لورنس الى الحضارة الغربية ،فوجدها بيضاء من شدة فقر الدم • الفاها الية ، رتيبة قاسية الفؤاد، بعيدة عن نبض الحياة ، فطلع على الناس بنظريته الصوفية الى الجنس ، والى اللون بوصف ان الاول يصنع الحياة ، وان الثاني يمتص من الشمس حرارتها فيلون بها الناس والاشياء •كان لورنس يهرب بهذا النظر التصوفي من عالم غير موات •

لذلك عاد بعواطفه الى الشعوب البدائية ، الشعوب الملونة واعتبرها مالكة للسر الذي فقدته الشعوب البيضاء : سر الحياة •

وفي الخمسينات ، ثارت في انجلترا تساؤلات كبرى حول فن الرواية • قال الناس انه قد مات• وكان المسرح يعاني حالة من الركود اعقبت وفاة برناردشو •

ثم ظهرت في الستينات اللارواية واللامسرحية، وظن الكثيرون ان الرواية والمسرح في طريقهما الى الزوال •

وفي الستينات هبط الانسان على سطح القمر• ولم يكن بايرون موجودا ليحتج ، ولكن صورة القمر اهتزت اهتزازا عنيفا في نفس كل من كان يربط القمر بالسحر،والعشق ، والليل ،والجمال• اصبح القمر وجه عجوز انتشرت فيه البثور والندوب !

ومنذ نهاية القرن الماضي ، ومائدة الفن يهبط عليها متطفل جديد • التصوير الشمسي ، الذي هدد ، في رؤية البعض ، بالقضاء على فنون الرسم • السينما ، التي زحمت على المسرح طريقه ،وشدت اليها فنانيه • الاذاعتان المسموعة والمرئية اللتان هددتا الصحافة والادب والسينما والتصوير •

التيليفزيون الملون الذي سوف يقضي ـ فيما يقال ـ على كل الفنون مابين سينمائية وادبية وتشكيلية وادائية •

الكومبيوتر ، الذي يراد له ان يترجم ،ويرسم ويقول الشعر • ويكتب رسالات الغرام ، ويختار للمرء شريكه في الحياة •

بل لقد قال قائل في امريكا ، مؤخرا : فيم الحديث عن الانسان الآلي المعدني ، والانسان من دم ولحم هو في طريقه لان يصبح مجموعة من الآلات ، لها قطع غيار ، تستبدل بالاعضاء التالفة او المكسورة ؟

ومن قبل تنبأ توينبي بمجتمع يحكمه التكنوقراط، وينظمون فيه كل شيء ، ويدسون انوفهم في اخص خصوصيات الانسان ، حتى ليصبح انجاب الاطفال خاضعا لارقام الانتاج ، فتصرف لكل اسرة بطاقة تجيز لها انجاب عدد معين فقط من الاطفال ، من يتعداه يتعرض للمساءلة الجنائية •

وعلق توينبي على هذا بقوله : ان هذا المجتمع سرف تنتفي منه الديمقراطية كما نعرفها اليوم، ويصبح الفرد فيه مسيرا لامخيرا ، وفق برنامج عام يتعين على الجميع الالتزام به •

هذا هو المجتمع الذي سوف يعيش فيه حتى نهاية هذا القرن فنان اليوم : عام حافل بالسلبيات والايجابيات معا •

في جانب الايجابيات

ولقد ذكرنا بعضا من السلبيات ، ويبقى ان ننظر في جانب الايجابيات • ناخذ مثلا قيام وسائل الاتصال الجماهيري • ان هذه الادوات العاتية هي في حد ذاتها محايدة • تستطيع ان تقدم الخير وان تبث الشر ،حسبما يوجهها من يملكون هذا التوجيه في انجلترا وايطاليا استطاع التليفزيون ، لدى النظرة الجادة له ، ان يقدم خدمات كبرى للاعمال

الادبية • قدم الانجليز مسرحية طويلة من عدة اجزاء، كتبها الشاعر توماس هاردى بعنوان : «الاسرات» ، فلاقت نجاحا كبيرا ، ولم تكن من قبل الا كتبا فوق ارفف المكتبات العامة ودور بيع الكتب ، علاها التراب من فرط الاهمال •

وفى ايطاليا قدم التيلفزيون رواية: دوستويفسكى المعروفة : « الاخوة كارامازوف» فى ثمانى حلقات نالت جميعا نجاحا منقطع النظير ، حتى لقد بلغ عدد من شاهدها على شاشة التليفزيون ثلاثين مليونا من النظارة تحمسوا لهذا العمل الادبى العظيم ، وسارعوا الى اقتناء الرواية على شكل كتاب • وكان القائمون على هذا المشروع الناجح قد وضعوا فى حسابهم احتمال أن يرغب المشاهدون فى امتلاك عمل أمتعهم وغذى أرواحهم ، فاصدروا طبعة خاصة من رواية دوستويفسكى ، كان من نصيبها أن هجم عليها القراء مشترين •

ويقدر مارتن ايسلين ، الناقد والباحث الادبى والفنى ، ان البرنامج التليفزيونى الناجح فى انجلترا يشاهده ما بين ١٦ الى ١٧ مليون متفرج اذا ما اذيع فى فترة الذروة • فاذا تصادف وكان هذا البرنامج مسرحية تليفزيونية ، لكان معنى هذا انه لكى يصل العرض المسرحى التقليدى لهذه المسرحية ذاتها الى رقم المشاهدين فى التليفزيون ، لوجب أن تعرض المسرحية ثلاثين عاما متصلة ، وفى حفلات كاملة العدد •

هذه الامكانية الهائلة للانتشار ، سوف تزداد اضعافا مضاعفة ، حينما يصبح التليفزيون عالميا أى حينما يغطى الارسال التليفزيونى العالم كله ، فيستطيع المشاهد أن يدير مفتاح جهازه ليلتقط البرامج المبثوثة من كل مكان فى العالم •

هنا يكمن الخير والشر معا • فقدرة طائلة على الانتشار مثل هذه جديرة بان تغرق العالم فى طوفان من التفاهة أو الهزال ، وهى قادرة ، من جانب آخر ، على ان تحقق الشعار السامى الذى طالما نادى به الخيرون من البشر : الثقافة للجميع•

هذه القدرة الهائلة ذاتها ، فى امكانها ان تفيد كل وسائل التعبير الفنى والاعلامى والثقافى الاخرى : الصحيفة يمكن أن تذاع تليفزيونيا لتصل الى اقصى الامكنة عقب دقائق من صدورها • ومثل هذا يمكن أن يحدث للكتاب • وهو قد بدأ يحدث للمسرحيات،فخرجت منها تسجيلات تليفزيونية على شكل « كاسيت » • يستطيع المشاهد أن يستمتع بما يحويه من فن رفيع ، بمجرد تغذيته لجهاز التليفزيون •

وكذلك الحال فى ميدان الفنون التشكيلية ، فقد اتاح التليفزيون الملون لمشاهديه ان يستمتعوا بمحتويات المعارض الفنية مقدمة لهم مع تحقيق وشرح وتعليق ، يقوم به مقدم البرنامج أو الفنان صاحب المعرض •

بل ان التليفزيون الملون يساهم الان فى نشر الوعى بالاشياء الجميلة من نبات وحيوان وابنية وبشر ، وذلك عن طريق اللوحات الجميلة التى يلتقطها مصوروه ، ويقدمونها فيما بين فقرات البرامج • وبعض هذه اللوحات تاتى عفويا • فقد شاهدت لوحة فنية رائعة لغروب الشمس فوق روما خلال مباراة كرة قدم كانت تذاع بالبث المباشر على العالم كله • ولا ريب ان هذه اللوحة قد لفتت انظار غيرى ، وتسربت الى اعماقهم ، كما تسربت الى اعماقى • وحظيت اللوحة الفنية هذه بملايين المتفرجين ، وليس بعشرات المئات ، كما يحدث فى حالة المعارض الفنية •

الكاميرا والراديو

وقد ذكرت قبل ، التصوير الشمسى وعلاقته بالتصوير التشكيلى • قيل ان الاول سوف يقضى على الثانى • والذى حدث ان الكاميرا قد حررت الفنان التشكيلى من دور المسجل ، ومن دور راسم البورتريه المطابق للشخصية ، وجعلت فى امكانه ان يغوص فى اعماق الناس وأعماق الطبيعة ، باحثا عن ذاته فيها، ومسجلا نظرته الشخصية لها•

اما الكاميرا فقد أسلمت امرها الى الكاميرا التليفزيونية ، وهذه تولت خدمة موضوع التصوير الفوتوغرافى خدمة اقدر ، وجعلت منه شيئا يشبه ما كان يتطلع اليه هيلمار اكدال فى مسرحية ابسن : « البطة البرية » من رفع التصوير الشمسى الى مرتبة الفنون •

وبالطبع لم تقض الاذاعة المسموعة على الصحافة ، بل ساعدتها على الرواج ، فالخبر المذاع يدفع الى اقتناء الخبر المكتوب • والى جوار هذا عاونت الاذاعة فى نشر اللغة المسموعة فى بلاد لم تكن تعرفها • واذكر اننى كنت من سنوات أسهم فى انشاء محطة للاذاعة فى أحد

البلدان العربية . فاكتشفت مع زملائي أن أهل تلك البلاد لا قدرة لهم على قراءة العربية الفصحى بالصوت العالي . فاستدعى الامر أن ندربهم على هذا . فاكتسبوا بمضي الوقت ، مرانا على الاداء المسموع . ولم يقض التلفزيون على السينما ، وانما دفعها الى تطوير نفسها فظهرت تقنيات جديدة في صنع الافلام ، وفي اختيار مادتها . واهم من هذا كله انه لا الاذاعة ولا السينما ولا التليفزيون استطاعت أن تقضي على فن المسرح ، بل انها ـ وخاصة الاذاعة والتليفزيون ـ قد جذبت جماهير المستمعين والمشاهدين الى الاهتمام بالمسرح وفنانيه ، واستطاع فنان المسرح ـ من خلال تسجيلات الاذاعة والتليفزيون ـ أن يشاهد نفسه ، وينقدها ، ويصحح أخطاء فنه ، كما استطاع أن يحفظ فنه وأداءه من النسيان . وهي خدمة كبرى ، كانت السينما تؤديها على نطاق اقل اتساعا .

انتصار المسرح

الآن ، لماذا اقول أن فنان اليوم يجد نفسه في موقف بالغ الحروجة ؟ وانه يقف الآن امام تحديات هائلة ينبغي عليه ان يتغلب عليها ، اذا ما أراد لنفسه ولفنه البقاء ، والتعايش مع ناطحات سحاب القرن العشرين وما سوف يليه ؟

الاجابة على هذا السؤال تكمن في الظاهرة التي اشرت اليها منذ قليل ، وهي قدرة المسرح على أن يعيش في وجه منافسة عاتية من أجهزة التعبير الاخرى .

لقد استطاع المسرح أن يحقق هذا الانتصار بفضل الميزة التي يملكها من دون سائر الفنون ، وهي : انه فن من دم ولحم ، لا تترم له قائمة الا اذا اداه فنانون من دم ولحم امام جماهير من دم ولحم ، انه ، دون بقية الفنون ، ليس فنا معلبا ، ولا هو فن مسجل على نحو من الانحاء ، وانما هو فن حي . فن يتغير فيه مستوى العرض المسرحية الواحدة من ليلة الى اخرى بفضل مشاركة واعية وصاحية من الجماهير .

انه الفن الوحيد الذي يسمح للجمهور بدور يؤديه ، بل ويدعو هذا الجمهور الى هذه المشاركة الفاعلة ، بينما يقتصر المتفرج في حالة الفنون الاخرى على دور المستقبل السلبي . مهما استحسن ومهما استهجن فالفن الذي يراه امامه لن يتوقف ، ولن يتغير .

المسرح اذن هو الفن الذي يلقى فيه الانسان نفسه ، والذي يجد له فيه دورا . سواء اكان ممثلا على الخشبة ام متفرجا في القاعة . وفي عصر تزداد فيه الميكنة ، ويقوم بين الناس في كل يوم حاجز جديد ، حتى لا يعود المرء يشاهد نفسه اذ يجد لها دورا الا في حلبة مصارعة الثيران ، او في ساحات لعبة كرة القدم ، تعتبر هذه الميزة التي يختص بها المسرح ، شيئا ثمينا حقا .

ولقد ذكرت آنفا اللوحة الفنية العفوية التي اتحفنا بها مصورو التليفزيون في احدى مباريات كرة القدم ، وقلت ان هذه اللوحة لا بد قد تسربت الى نفوس مشاهدي المباراة على شاشة التليفزيون فحدث هنا ـ عفويا ايضا ـ ما نطمح اليه جميعا من أن يكون للفنون الجمهور المتحمس ذاته ، الذي يؤم ملاعب الكرة ، ويتحمس لها ، وينتصر بنصرها ، ويقدم ـ احيانا ـ على الانتحار من اجل نتائجها !

والمسرح هو الفن الوحيد القادر على أن يحقق هذا الحماس لنفسه ، لانه فن جماعي ، ولانه اقرب ما يكون ـ شكلا ـ الى مباراة كرة القدم ، وادنى ـ موضوعا ـ الى طبيعة الاجتماعات السياسية والثقافية الكبرى التي يتقرر فيها مصير الناس ـ واحيانا مصير الانسان .

التحدي الاكبر

لكن : لكي يحدث هذا ، ينبغي على الفنان ان يواجه التحدي الاكبر الذي يقف امامه اليوم ، صلبا شامخا ، صلدا ، لا يلين . الا وهو : موقفه من النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يعيش تحته .

ان فنان اليوم مطالب ، الى درجة تفوق بكثير ما كان يحدث في الماضي ، أن يعيش بين قومه وان يعكس همومهم ، وان يستبصر آمالهم وأن يستشرف المستقبل لهم .

لم يعد هذا مجرد كلام بليغ يأتي على لسان ناقد فصيح مثل ماثيو ارنولد ، الذي قال ذات مرة: ان الناقد يعيش على أعلى قمة من قمم الوعي في عصره . بل اصبح حقيقة واجبة ، وان لم تصبح بعد ـ ويا للاسف ـ واقعة .

على الفنان أن يعكس فى فنه ما يحس به الفرد العادى من انسحاق أمام عجلات الانظمة السياسية ، العملاقة منها خاصة • عليه أن يجد لنفسه ولجمهوره دورا فاعلا أمام هذه العجلات • دورا ينجيه من الانسحاق ، ويعطيه قدرة معقولة على تغيير الاشياء •

ذلك أن الفنان ، بطبعه وتوجهه ، هو من دعاة التغيير • ان راح فنه يقتصر على أن يعكس الحاضر ، ويربت على محاسنه ، ويخفى مساوئه فى الظل ، جاء هذا الفن جامدا ، قصير المدى غير قادر على البقاء لاكثر من سنوات •

اما ان كان الفنان ثوريا ، فهو لا يريد أن يسمع اجابات ، وانما هو يتوق الى أن يلقى الاسئلة • انه يتساءل ، ويكشف ويحاكم ، ويشير الى طريق التغيير • هكذا كان الفنان الحق دائما •

غير ان المشكلة انه ما من نظام يسعده تماما أن يقوم الفنان بهذا الدور الخطير • ان طبيعة الانشطار السياسى الذى يعيشه عالم اليوم ، قد جعلت مشكلة الانتماء امرا بالغ الاهمية • أصبح من الحيوى أن يعرف النظام تماما من له ، ومن عليه فليس هناك وقت ولا بفسحة للتخمين • وهو غالبا يعتبر من ليس معه حربا عليه • من أجل هذا تلح الانظمة على أن يقول الفنان نعم ، بدلا من ان يقول : لماذا ؟ فاذا اتخذ الفنان موقف من يهتف : لن اقول نعم قبل ان أعرف لماذا ، وضعته بعض الانظمة فورا على القائمة السوداء • وهذا يعنى حرمانه من أشياء كثيرة قد يكون أيسرها منعه من مزاولة فنه !

والمصيبة فى هذا ، ان الفنان يكون فى غالب الاحوال على صواب • وهو فى كل الاحوال يكون مخلصا كل الاخلاص ، ليس لنفسه فقط ، وانما لوطنه ايضا ، وللانسانية جمعاء •

مسئولية الفنان

ابان الحرب العالمية الاولى ، سرت فى بريطانيا موجة طاغية حمقاء تدعو الى كراهة كل ماهو المانى • بصرف النظر عن ماهيته ، وعن انتماءاته • وسواء اكان المانيا محبا للقيصر ام محتجا عليه • وبدا هذا الموقف سخيفا ، وضارا ، وغير عقلانى للكاتب المعروف برنارد شو ، فكتب يحتج عليه ، ويلفت النظر الى ان الحرب ليست عذرا يخول للانسان ان يتخلى عن انسانيته •

وعلى الفور تعالت الاصوات ترجم برنارد شو بجلاميد الالفاظ ، وتشكك فى وطنيته ، وتلمح الى تورطه فى الخيانة • ولم يمنع السلطة اذ ذاك من ان تزج بالكاتب الكبير الى السجن ، الا مقامه العالمى ، وخشية الفضيحة •

وقد راى الفنان دائما لنفسه دورا فى الوضع السياسى فى بلاده ، ايا كان اللون الفنى الذى يستخدمه • كان وليم موريس يقوم بدور سياسى نشيط فى تشكيل سياسة بلاده ، وذلك الى جوار اهتمامه بفنه وشعره • بل ان احتفاءه الشديد بفن «الارتيزانا» ليكشف عن موقف واضح له ضد عدوان الالة على الفنون وعلى روح الانسان ، فى ظل مجتمع راسمالى ضار كمجتمع بريطانيا الصناعية فى القرن الماضى •

ومن قبله اهتم وليم بليك بفن الزخرفة الملونة للكتب ، الى جوار شعره ، الذى كان يفيض عطفا على الانسان ، وعلى احواله ، وعلى الانسان المظلوم بوجه خاص •

وحين واجه ديكنز السخافات والمظالم الكثيرة التى كان مجتمع بريطانيا الصناعية يعج بها على ايامه ، اعمل قلمه الحاد فى جسم الظلم واستخدم كتاباته وسخرياته وسيلة للانتصاف للمظلوم من الظالم •

وحتى حين كان دور الفنان والاديب يقتصر على ان يقبس لبلاده قبسا من نور البلاد المتقدمة ، ويسعى الى نشر ذلك النور بين مواطنيه ، كان هذا موقفا ثوريا واضحا لم تغفل عنه السلطة ابدا • حدث هذا لرفاعة رافع الطهطاوى ، ولعبدالله النديم ولطه حسين ولمحمد مندور وغيرهم • ومرة ثانية اقول ان المصيبة فى امر فرض الانتماء على الفنان ، ان هذا الفرض يكون ضارا دائما ، وعلى كل المستويات • فهو ضار للدولة وللفنان وللفن •

هناك دائما فنانون يحبون بلادهم ، ولايريدون ان يخاصموا انظمتها السياسية ولكنهم — مع هذا — يجدون انفسهم مضطرين الى الاختلاف مع خطها السياسى • فماذا يستطيع هؤلاء ان يفعلوا الا ان يجهروا بخلافهم ؟

لو انهم كتموه لكانت هذه هى الخيانة الفعلية للوطن • ولو انهم اعلنوه لوقعوا فى المحظور • ولكن : اخطر من هذا كله ، ان يحاولوا مماشاة ذلك الذى يعتقدون انه خطأ • اذ ذاك يكتبون

بافلامهم ماليس فى قلوبهم فتاتي فنونهم سطحية، غير قادرة على الاقناع ، لانها زائفة فى المحل الاول وفى المحل الاخير ٠ وتلك خيانة للوطن والفن معا ٠

مشكلة الحرية

فى تقديرى انه مالم تحل مشكلة حرية الفنان فى القول والعمل فان شيئا خطيرا حقا سوف يقع للانسان ٠ كل الايجابيات التى اشرت الى بعضها انفا سوف ترتد سلبيات ٠ سيقف الانسان عاجزا ، هشا ، ذليلا امام اساليب الحكم عن طريق الميكروفون ومكبر الصوت ، التى سوف تتولى عنه التفكير ، وتفرز له الاجابات المقررة٠ وسوف يساعد على هذا ان ثمة اتجاها فى الدول القائدة للتطور البشرى ـ امريكا على رأسها ـ يدعو الى اهتمام الشباب بالتاهيل للمهن كالتجارة والطب والقانون ، على حساب الفلسفة والتاريخ، والادب ٠

وفى مصر ارتفعت الصيحات مرارا بضرورة اعداد الشباب لدراسة الموضوعات التى تؤهل للمهن المختلفة ٠ وقد نشرت «الاهرام» مؤخرا رسالة لاحد قرائها فى المملكة العربية السعودية حكى فيها كاتبها ما اسماه : ماساة خريجى الكليات النظرية الذين ذهبوا يبحثون عن عمل فى السعودية٠ لقد اغلقت فى وجوههم الابواب حينما سعوا الى البحث عن عمل فى ميادين تخصصاتهم ٠ فلما عدلوا عن هذا البحث وقبلوا اعمالا عملية فى ميادين البناء والرصف وما اشبه ، انهالت عليهم الاجور المجزية ٠ والكاتب ـ لهذا ـ يدعو بلاده الى الاهتمام بالمهن اولا واخيرا ، على حساب الدراسات الانسانية طبعا ٠

وقد وصفت نتائج مثل هذه السياسة التعليمية احسن وصف على لسان النائب الاعلى لشئون الموظفين فى الولايات المتحدة حين قال : ان عمال الغد سيكونون افضل علما ، لكن علمهم سيكون متعلقا مباشرة بعملهم ٠ وسيكون هناك عدد اكبر من خريجى المدارس التقنية ، فى تكنولوجيا الطب والعقول الالكترونية مثلا ٠ وستتولى هذه المدارس اخراج الحرفيين الذين يعملون فى اصلاح وتشغيل الاجهزة المتطورة ٠ وسيدرب الشباب على تشغيل واصلاح اجهزة ذات تقنية عالية ، عوضا عن العمل فى المصانع التجميعية ٠

بين الخبراء والمفكرين

واسارع فاقول ان تدريب الشباب على الاعمال التقنية المفيدة امر هام بل هو حيوى الاهمية لتطور البلاد ، خاصة البلاد النامية ٠ ولكن الخطورة ان هذا الاتجاه يتخذ دائما شكل : هذا او ذاك٠ بمعنى ان التدريب المهنى ينظر اليه على انه بديل ـ وبديل مفيد ـ من الاهتمام بما يسمى بالدراسات النظرية ٠

والواجب ان يسير اى مجتمع صالح فى الاتجاهين معا ٠ قد يجد بلد ما ان مصلحته تقضى بان يلح على التدريب المهنى ، ولكنه لاينبغى ان يرى فى هذا التدريب بديلا من الدراسات الانسانية ٠

ان الدراسات الانسانية تخرج الانسان ذا النظرة الشاملة للاشياء بينما يقتصر خريج المدارس المهنية على ميدان تخصصه ولا يكاد يعرف شيئا كثيرا الى جواره ٠

وخطورة اخراج اعداد كبيرة متزايدة من هؤلاء المهنيين ، والاقلال فى الوقت نفسه من دارسى العلوم الانسانية تارة ، او الامتناع عن تهيئة الدراسات اللازمة لهم تارة اخرى ، ان جزءا هاما من سكان البلد يصبح اذ ذاك مجرد خبير ، وليس مفكرا ٠ يصبح والحال هذه اجدر ان يتحول بسهولة الى آلة شبيهة بالالة التى يتولى اصلاحها وصيانتها ٠ وما لهذا ينبغى ان تسير الانسانية٠

لقد حلم بعض الفلاسفة بان يتخلص الانسان يوما ما من قيود العمل ووصفوا الحلم قائلين : « هنا ينتهى الانسان كحيوان ، ويصبح الانسان انسانا » ٠ وكان فى مامولهم ان يقود التطور الصناعى والتكنولوجى الى تحرير روح الانسان وتفكيره وعواطفه ، فينصرف مستندا الى اقتصاد الوفرة ـ الى الاهتمام بتلك الاشياء التى تعتبر الان ترفا لا لزوم له : الفن ، والادب ،والتمثيل، والموسيقى والغناء ٠

ولكن المشاهد الان ،ان التكنولوجيا ،ومنجزاتها ومنتجاتها ، قد اصبحت الها يعبد فى الارض٠ فى سبيلها تنازل كثير من الشباب عن مثلهم واحلامهم ٠ وبتاثير منها اصبح مثلهم الاعلى: السيارة وجهاز التكييف وجهاز التسجيل وآلة السينما ٠ وبينما كانت الاجيال الماضية من الشباب تحلم الاحلام العظيمة ـ بتحرير البلد،

او تحرير الانسان ، اصبح هم الكثيرين الكسب المادى ، وزيادته ·

ولقد وجدت القرون الماضية من الادباء من بصرها بعواقب الافراط فى الاهتمام بالتقدم المادى والالى خاصة · وما اسطورة فرانكشتين الا تحذير اولي ، تلته مسرحية تشابيك : « الانسان الالى » · وحذر كافكا تحذيرا خطيرا فى روايته: «المحاكمة » من ان يتحول الفرد فى العصر الحديث الى مجرد رقم ، او ملف ، او تقرير ·

وكتب ادباء آخرون يدافعون عن حرية العقل البشرى التى تعرضها قوات العسف والملاحقة للجنون او الابادة ·

شبح المستقبل

ان الاجيال القادمة قد لا تجد من بين فنانيها من يؤرقه هذا الشبح المفزع ، ويحمله على التعبير الفنى عنه ، تحذيرا لمواطنيه وتبصيرا · بل ان الاجيال القادمة ، لو سادها الخبراء وحسب، قد لاترى شيئا خطيرا فى ان تعمل دون ان تفكر · بل قد لاتشعر ان هناك ما يدعو الى ابعد من التفكير المباشر فى امور الحياة العملية ·

ومن هنا تاتى اهمية الالحاح على ان تواكب الدراسات الانسانية التاهيل التقنى · ان هذه الدراسات هى التى تحمل التفسير ، وهى التى تشير الى الطريق ، وهى التى تخاطب فى الانسان المن ما فيه : روحه وعقله ·

ومن جهة اخرى فان قضية الفنون والاداب فى حاجة دائمة الى من يدافع عنها ، حتى ضد اولئك الذين يشتغلون بها·لقد هزأ برنارد شو فى احد اجزاء مسرحيته الخماسية :«العودة الى متوشالح» من الفن والادب ، واعتبرهما لعبا تلعب بهما الانسانية فى فترة طفولتها ، فاذا ما امتد تاريخها الى ٣٢٠٠٠ سنة بعد الميلاد ، وهو التاريخ الذى تستشرفه المسرحية ، اصبحت هذه اللعب نسيا منسيا ·

ورغم ان برنارد شو قد كان يتطلع فى مسرحيته هذه الى مصير للانسانية يذوى فيه الجسد ولايبقى الا العقل فى دوامة كبيرة من الفكر الخالص ، فانه لم يخف فى بعض مسرحياته الاخرى ، مثل : « الانسان والسوبرمان » اعجابه بالخبير التقنى ، القادر على ادارة الالة ، والعناية بها ···ووضع هذا الخبير موضع المقارنة مع الانسان الحالم، الذى لاتتجه افكاره الى ارض الواقع · وجعل شو نتيجة المقارنة فى صالح الخبير التقنى ·

★ ★ ★

ان عبادة التكنولوجيا ومنجزاتها ، واهمال العقل البشرى المقدس ، او التقليل من شانه هو اكبر التحديات التى تبرزها الحداثة، وتشرعها فى وجه الانسان ·

وليس امامنا من سبيل آخر لمنع هذا التحدى من شراء عقولنا وارواحنا وتحويلها الى بعض من بضاعة التكنولوجيا سوى ان نلح ، ونلح دائما، وفى كل مكان ، وفى كل مناسبة ، على ان الانسان هو الاهم ، وهو الاثمن ، وهو الذى خلقه الله بقبس من روحه ، وميزه على سائر خلقه بالعقل، والخيال ، والقدرة على تخطى الصعاب ·

■■

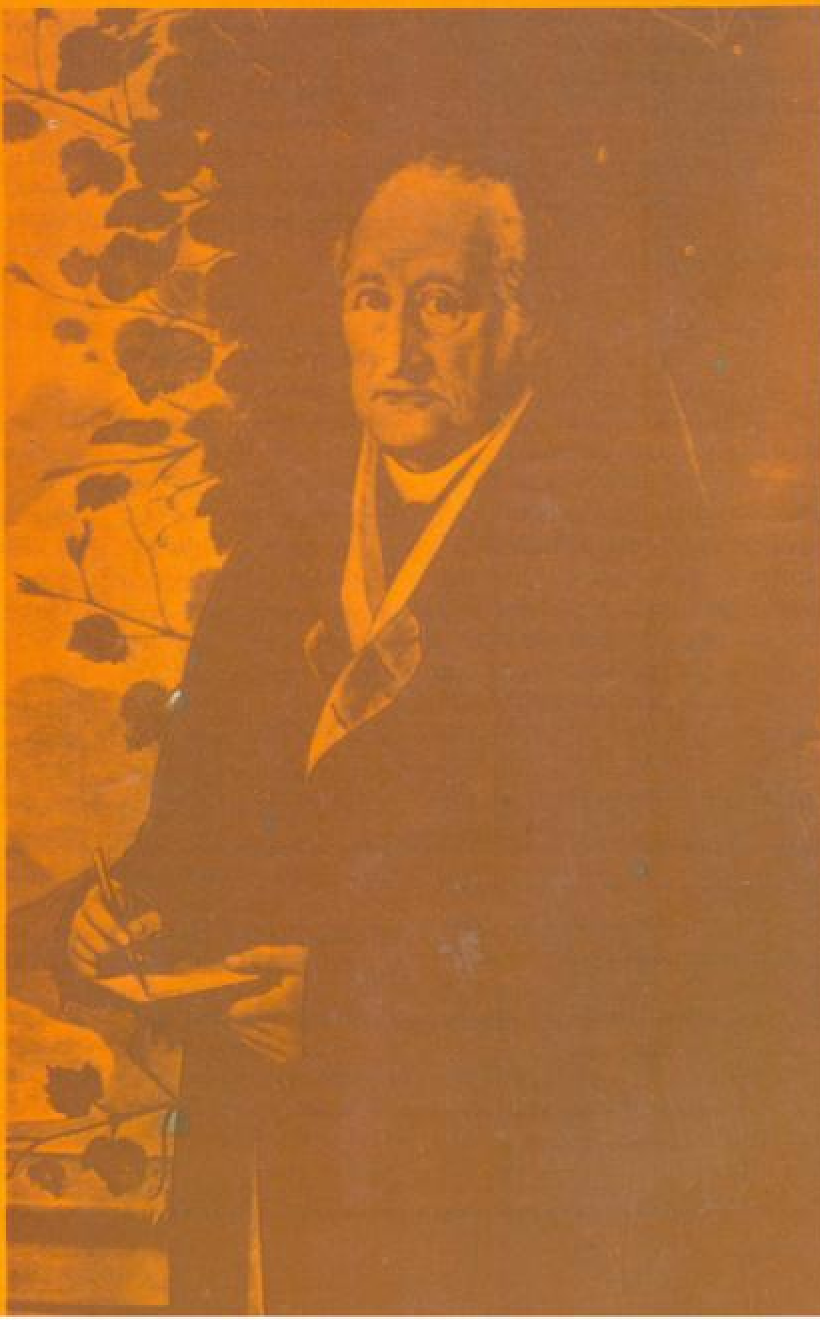
الكويت ــ د · على الراعى

■ ليس هناك شيء أسوأ من ان تتلقى المديح من وغد ·
روبرت شومان

■ مقاومة الاغراء من الامور الصعبة التى تتطلب شجاعة ومعاناة شديدة للنفس ·
توم ولسون

■ ما تستطيع تقطيعه بواسطة الملعقة ، لا تلجأ الى تقطيعه بالسكين ·
تشارلز باكستون

« أنا الانسان الوحيد الذى يعرف الحقيقة فى علم الألوان »



جُوته

شاعر عظيم وعالم فاشل !!

بقلم : الدكتور عبد العظيم أنيس

كثيرون من قراء العربية يعرفون جوته شاعرا المانيا كبيرا ، له في الادب الالماني نفس المنزلة التي لشكسبير في الادب الانجليزي ، وهو فوق ذلك مفكر ترك بصماته التي لا تمحى على تطور الفكر الالماني . ولا شك ان اسم جوته سوف يقترن دائما في اذهان القراء بمسرحيته الخالدة « فاوست » وروايته « الام فرتر » التي تكاد ان تكون سيرة ذاتية له في اوائل شبابه . والتي انتشرت كالحريق في اوربا وخصوصا بين شبابها وطبع منها خلال عشرين عام عشرون طبعة انجليزية وعشرون طبعة فرنسية ، وكانت اول كتاب اوروبي يترجم الى اللغة الصينية .

ولكن قليلا من هؤلاء القراء هم الذين يعرفون عن جوته انه كان سياسيا مرموقا ورجل دولة في « فايمار » بالمعنى الكامل لهذه الكلمة . والاقل من هؤلاء القراء هم الذين يعرفون عن جوته اشتغاله بالعلوم الطبيعية ، وانه قضى جزءا هاما من حياته في دراسة علم البصريات وانتهى الى تاليف كتاب ضخم في هذا الميدان يدعى « نظرية الالوان » .

ومع ان جوته كان شاعرا ضخما واديبا عظيما ومفكرا كبيرا في تاريخ كل اوربا . الا انه كان عالما فاشلا بالمعنى الفيزيائي لهذه الكلمة، ولا شك انه لو كان بيننا اليوم وسمع هذا الحكم من رجال علم الفيزياء لاستشاط غضبا . اذ انه كان يعتبر كتابه « نظرية الالوان » اهم انجاز له على طول حياته الرحيبة . كتب جوته مرة يقول :

« اما فيما يتعلق بما انجزته كشاعر فانني لا افخر به على الاطلاق .. ثمة شعراء ممتازون عاشوا معي في نفس العصر ، وثمة شعراء اكثر امتيازا عاشوا قبلي ، وثمة آخرون سياتون بعدي . ولكن في هذا القرن الذي اعيشه اجد انني الانسان

الوحيد الذي يعرف الحقيقة في علم الالـوان ، ولهذا أحس بفخر غير قليل » •

ولعل هذا الادعاء من جانب شاعر كبير مثل جوته يذكرنا بكلمة مشابهة للعالم الرياضي والفيزيائي الكبير نيوتن عندما قال « ان قوانين الحركة التي اكتشفتهـا ليست شيئا ذا بال ، ولكن الترتيب الزمني الذي وضعته لاحـداث الانجيل هو الذي يجعلني خالد الذكر » •

واليوم لا نحن نذكر جوته بكتابه في الالوان ، ولا نيوتن بترتيبه لاحداث الانجيل ، وربما كان هذا المعنى هو الشيء الوحيـد الذي يجمـع بين جوته ونيوتن • فالحقيقة ان مأساة جوتـه فيما يتعلق بنظرته للعلوم الطبيعية هي في الاساس كراهيته لنيوتن ولكل ما اكتشفه من نظام علمي • ولم يقف جوته هذا الاستخفاف بواحد من اكبر واخصب العلماء الذين عرفتهم البشرية في تاريخها الطويل لا في كتـابه « نظرية الالوان » ولا في شعره ومسرحيته « فاوست » • وفي هذا الموقف يكمن أحد التناقضات الاساسية في فكر جوتـه ، فبينما هو يعتبر العلوم الطبيعية كما انتهت اليه في القرن الثامن عشر خرابا ورمادا ، فانه مع ذلك يلجأ الى التجريب في البصريات ، وتأليف كتاب كامل عن الالوان من الناحية الفيزيائيـة مهاجما لنظرية نيوتن في تحليل الضوء ، داحضا لنظرياته بتجارب جديدة ظن انها تقضي عليه تماما•

نيوتن واستقلال أمريكا !

لقد عاش جوته بعد نيوتن في القرن الثـامن عشر ، ولا شك أن نيوتن - بالقوانين الاساسية للحركة التي قدمها وبقانون الجاذبية العام - قد قدم ما يعرف اليوم باسم « التصور الميكانيكي للكون» . وهذا التصور لم يترك بصماته علـى العلوم الطبيعية الاخرى فحسب ، بل ترك بصماته أيضا على أوجه أخرى من المعرفـة والانشطـة الانسانية في الاقتصاد والسياسة والفلسفة والادب والفكر المسيحي ، بل يذهب الكثيرون الى القول ان بيان اعلان استقلال الولايات المتحدة كان شديد التأثر بالنظرة النيوتونية والنظام النيوتوني ! ولقد ظل العلماء على ولاء للنظام النيوتوني طوال القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ولم يظهر تحد حقيقي لنظام نيوتن في تصور هذا الكون الا في وائل القرن العشرين على يـد اينشتين عندما اكتشف النظرية النسبية عام ١٩٠٥ !

ولما كان نظام نيوتن الكوني يتسم بالشمول الذي يكون فيه الانسان ذرة بسيطة ، ولما كانت ثورة نيوتن هي المقدمة الطبيعية للثورة الصناعية التي قامت على اساس ميكانيكي وتميزت بظاهرة الانتاج الواسع ، فقد اعقب هذه الثورة في اوروبا رد فعل طبيعي الى حد كبير ، وهو ما يسمى بالحركة الرومانسية في اوروبا •• وهي حركة ضد اهمال الذات على حساب الموضوع،ضد الاساءة الى روح الانسان التي هددتها في رايهم ثورة نيوتن والثورة الصناعية ذات الانتاج الكبير،ضد المدينة بمصانعها الكريهة ودخانها القاتل ، ومن أجل الرفق بحياته العضوية الطبيعية ، بجمالها والوانها •

وفي المانيا كان جوته قائدا من قادة الحركـة الرومانسية ، وعبر عن هذا بوضوح في شعره وفي مسرحيته «فاوست » وكانت روايته « آلام فرتر» هي الصرخة الرومانسية الكبرى في عالم يتجـه الى الصناعة الكبيرة !

لقد دعت الحركة الرومانسية الى ارتباط الانسان عضويا بالطبيعة ، الى ان «يذوب في الطبيعة » كما يقولون ، وكانت على هذا الاساس شديدة الارتباط بالتصور اليوناني القديم للكون ،وكانت تعتبر أن نظام نيوتن الكوني - الذي يتخذ مـن نموذج ساعة الحائط اساسا له - هو محاولـة لتحطيم ارسطو ، الى درجة ان جوته قال يومـا « انني افضل ان أكون مخطئا مع افلاطون على ان اكون مصيبا مع اعدائه » !

لماذا البصريات ؟

كيف اذن امكن لرجل مثل جوته ان يهتم بعلم البصريات وينشيء فيه التجارب ويؤلف فيه كتابا؟

ربما كان السبب في هذا يعود الى زيارته لايطاليا عام ١٧٨٦ لاول مرة في حياته • وهناك بهرته الوان الريف الايطالي ، كما بهرته الالوان التي استخدمها كبار الرسامين الايطاليين في لوحاتهم ،

واحس بالحاجة الى تقديم نظرية فى تفسير الالوان.

فى ذلك الوقت كان لنيوتن نظرية فى الضوء استخلصها بعد تجارب معقدة استهدف منها ان يبعد عن مشاهداته العنصر الذاتى فى الحكم على الاشياء ، اى يبعد الذات عن العلم ،وكانت النتيجة التى توصل اليها نيوتن من تجاربه هى ان الضوء الابيض يحتوى على كل الالوان فى داخله ، وانه يمكن ـ باستخدام منشور ـ فصل هذه المركبات اللونية .

ولكن جوته كان يرفض نظرية نيوتن ،ويعتبرها امرا غير مرض ، فقد كان شديد ارتباط بفكر ارسطو وتصوراته .وعلى هذا الاساس بحث عن نظرية فى تفسير الالوان تقوم على الاضداد (وهى فى هذه الحالة الظلام والنور) . ولقد حاول جوته ان ينظر الى جسم ابيض من خلال منشور ، وبدلا من ان يرى هذا الجسم فى الوان مختلفة (كما توهم ان هذا مايدعيه نيوتن) وجد الوانا على حروف المنشور فقط ، وعلى الفور ادرك ان نظرية نيوتن باطلة ، وقدم جوته بدلا من ذلك نظرية تقوم على ان عين الانسان هى التى تخلق الالوان من بين الخلائط المختلفة للنور والظلام. هكذا يصبح الانسان هو مركز عملية المشاهدة الفيزيائية ، فالانسان عند جوته هو ادق جهاز فيزيائى ممكن ، ومشكلة فيزياء نيوتن هى انها تعترف بالطبيعة فقط عندما تحاصرها فى اجهزة صناعية !

ولقد امتلا كتاب جوته «نظرية الالوان» بالهجوم غير المسئول على نيوتن متهما اياه بمقاومة الادلة الواضحة وضوح الشمس ، ناعتا اياه بانه « زعيم العصابة » ومسميا كل الفيزيائيين «قطيع نيوتن» !

وغنى عن البيان أن نظرية جوته فى الالوان كانت موضع رفض العلماء الفيزيائيين منذ ظهرت وحتى اليوم ، وجاء هذا الرفض على اسس علمية قاطعة . ولقد كشف جوته فى هذا الهجوم على نيوتن عن مدى ارتباطه بفكر افلاطون وارسطو كما أسلفنا ، وكانت خشيته شديدة من أن تدخل الرياضيات فى علوم الفيزياء فتدمر المشاهدة الفردية ونضوجها ، ولم يكن موقفه هذا الا صدى لهجوم ارسطو على المدرسة الفيثاغورية .

وكان جوته فى كل هذا يحاول ان يسبح ضد التيار،تيار العلم الدافق فى القرون الثلاثة الاخيرة، ولذا ليس بمستغرب الا تجد صرخات جوته بأن يترك الضوء وشانه (كظاهرة غير قابلة للتقسيم) صدى لدى جميع الفيزيائيين فى هذا العالم .

ولقد انعكس موقف جوته المناهض للمعرفة العلمية الجافة ،فى مسرحيته «فاوست ». كان فاوست يبحث عن معنى للحياة ، ومع انه قضى سنين طويلة فى الدراسة وبحوث العلوم ، فانه لايلبث ان يكتشف انه ليس اكثر حكمة بعد كل هذه الدراسة. وفى محاولة اخيرة يوقع فاوست عقدا مع مفستوفيليس يريه بمقتضاه كل مباهج واغراءات هذا العالم،على أن تقبض روح فاوست اذ قال أبدا « أحب هذه اللحظة ،وأتمنى أن تدوم الى الابد ». كان معظم المسرحية يدور حول هذه المباهج التى يريها مفستوفيليس لفاوست بهدف اغرائه ، ولكن نصوصها مليئة بافكار جوته عن العلم كنشاط قاتل لروح الانسان .

كل علم ، ايها الصديق ، اغبر ورماد ...

اما الشجرة الذهبية للحياة فهى وحدها خضراء ...

« حمى فرتر »

ان جوته يعتبر العلوم بمثابة خراب ثقافى ، وهى كما تمارس على يد الفيزيائيين تمضى فى خط مضاد لصلة الانسان بالطبيعة . ولذلك اعتبر البعض أن « فاوست » هى فى الحقيقة محاولة لاستكشاف بدائل ثقافية للعلوم .

على أن النموذج الاعظم لرومانسية جوته انما يتمثل فى روايته الذائعة « آلام فرتر » التى تكاد أن تكون نوعا من السيرة الذاتية كما أسلفنا . ولقد كتب جوته هذه السيرة الذاتية ونشرها وهو فى الخامسة والعشرين . واذ بها تجد انتشارا ذائع الصيت فى طول أوربا وعرضها .

والرواية ـ كما هو مدون ـ قصة شاب عاشق

يحاول جاهدا فيان يكون جزءا متكاملا من الطبيعة، ان « يذوب » في الطبيعة . وقد كتبت الرواية بشكل ذاتي لا عقلاني على صورة خطابات كلها صادرة من « الانا » ، وهذه الخطابات لا تجد ردا من العالم الخارجي ، بحيث يرى القارىء الكون كله في مراة ذات واحدة مفردة ، تصرخ من اجل ان تتكامل مع الطبيعة .

انها قصة حب ذات طبيعة عضوية ، وهي تبدأ في الربيع وتنتهي في الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٣ ديسمبر (لاحظ ان هذا هو بدء الشتاء ، بدء موت الطبيعة) عندما يهزم فرتر في حبه امام خصمه فيقرر ان يذهب الى الغابة ويطلق الرصاص على نفسه !

ولقد أدى ظهور هذا الكتاب الى انتشار مرض مميت بين المراهقين انذاك عرف باسم «حمى فرتر» فقد اخذ مئات من شباب أوربا الفاشلين عاطفيا يذهبون الى الغابات في نفس ملابس فرتر وينتحرون بنفس طريقته ، في نفس اليوم المشئوم ٠٠ ٢٣ ديسمبر .

حتى أن جوته اضطر في الطبعات اللاحقة ان يطلب من القارىء الا يأخذ مثال فرتر بهذا المستوى من الجدية .

والخلاصة ان جوته كان واحدا من الرجال الذين حاولوا وفشلوا في توحيد الثقافتين الاساسيتين : الثقافة العلمية ، والثقافة الانسانية ، وعبر بوضوح عن تمرد رومانسي على التصور الميكانيكي للكون وما ترتب على هذه النظرة من افكار وفلسفات ، على العلوم الطبيعية بشكل عام ، وعلى الآلة . ولقد ارتد جوته في فكره الى النظرة الارسطالية للكون ككائن حي وحاول ان يفرض هذه النظرة على العلم دون اي نجاح . لقد فشل جوته في محاولاته لتوحيد الثقافتين لانه يتخذ من الاجماع العلمي في عصره نقطة بدء في هذا التوحيد . لقد تمرد بشكل رومانسي وانتهى الى الاغتراب عن كل الثقافة العلمية .

ومع ذلك فنحن نرى في حركة الرومانسيين بشكل عام وفي جوته بشكل خاص أسس الانقسام الاجتماعي العميق الذي لا يزال قائما في حياتنا ، ليس بين المعرفة التكنولوجية والعلوم الانسانية فحسب ، وانما بين تصورين متناقضين لا يزالان يحومان حولنا حتى اليوم ٠٠ التصور الميكانيكي للكون الذي تعود جذوره الى نيوتن ، والتصور العضوي للكون الذي تعود جذوره الى أرسطو . ■■

د . عبد العظيم أنيس

■ الخبرة «مشط» تقدمه الطبيعة للانسان عندما يتساقط شعر رأسه !

■ الخبرة ليست فيما يحدث لك ، وانما هي فيما تفعله ازاء المواقف التي تجد نفسك فيها !

« هكسلي »

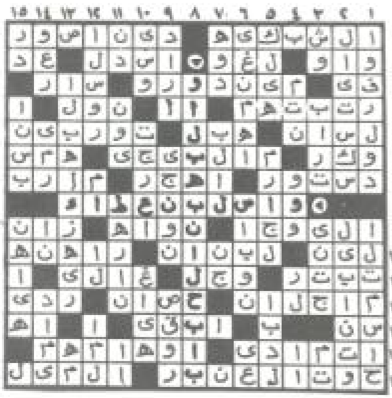
■ اعظم انجازات حققها الانسان كانت بفضل نوعين مختلفين تماما من الرجال ٠٠ هؤلاء الذين كانوا من الذكاء بحيث ادركوا ان في مقدورهم تحقيق هذا الانجاز ، وهؤلاء الذين كانوا من الغباء بحيث قالوا باستحالة انجازه !

« اوكلاند تريبيون »

■ اذا كنت تبحث لنفسك عن مكان تحت الشمس ، فلا بد لك ان تتوقع لسعاتها !

« صان شاين »

• حل مسابقة العدد ٢٣٩ •



واصل بن عطاء

•

والبة بن الحباب

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : واصل بن عطاء • ولد بالمدينة وانتقل الى البصرة حيث اتصل بالحسن البصري • لقب بالغزال لتصدقه على فقيرات معامل الغزل • وضع كتاب « السبيل الى معرفة الحق » •

(٨) رأسيا : والبة بن الحباب • شاعر من اهل الكوفة ، ولد بها وتوفي فيها عام ٧٨٦ م، وهو استاذ الشاعر العباسي المعروف ابي نواس •

الفائزون بالجوائز

- **الجائزة الاولى وقيمتها** ٣٠ دينارا فاز بها: **صلاح عثمان** / حلب ـ سوريا •
- **الجائزة الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فاز بها: **الهيداني الغمار** / مراكش ـ المغرب •
- **الجائزة الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فاز بها: **شادي نايف قطناني** / عمان ـ الاردن •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **جمال محمد ابو هاشم** / بيروت ـ لبنان

٢ ـ **مصطفى نصر محمد علي**/ الخرطوم ـ السودان

٣ ـ **لولوه جاسم الحوطي** / الكويت

٤ ـ **محمود خالد محمد مشتهي** / مكة المكرمة ـ السعودية

٥ ـ **منال احمد خليل المنصور** / مدينة عيسى ـ البحرين

٦ ـ **آسيه علي المؤيد**/ صنعاء ـ اليمن الشمالي

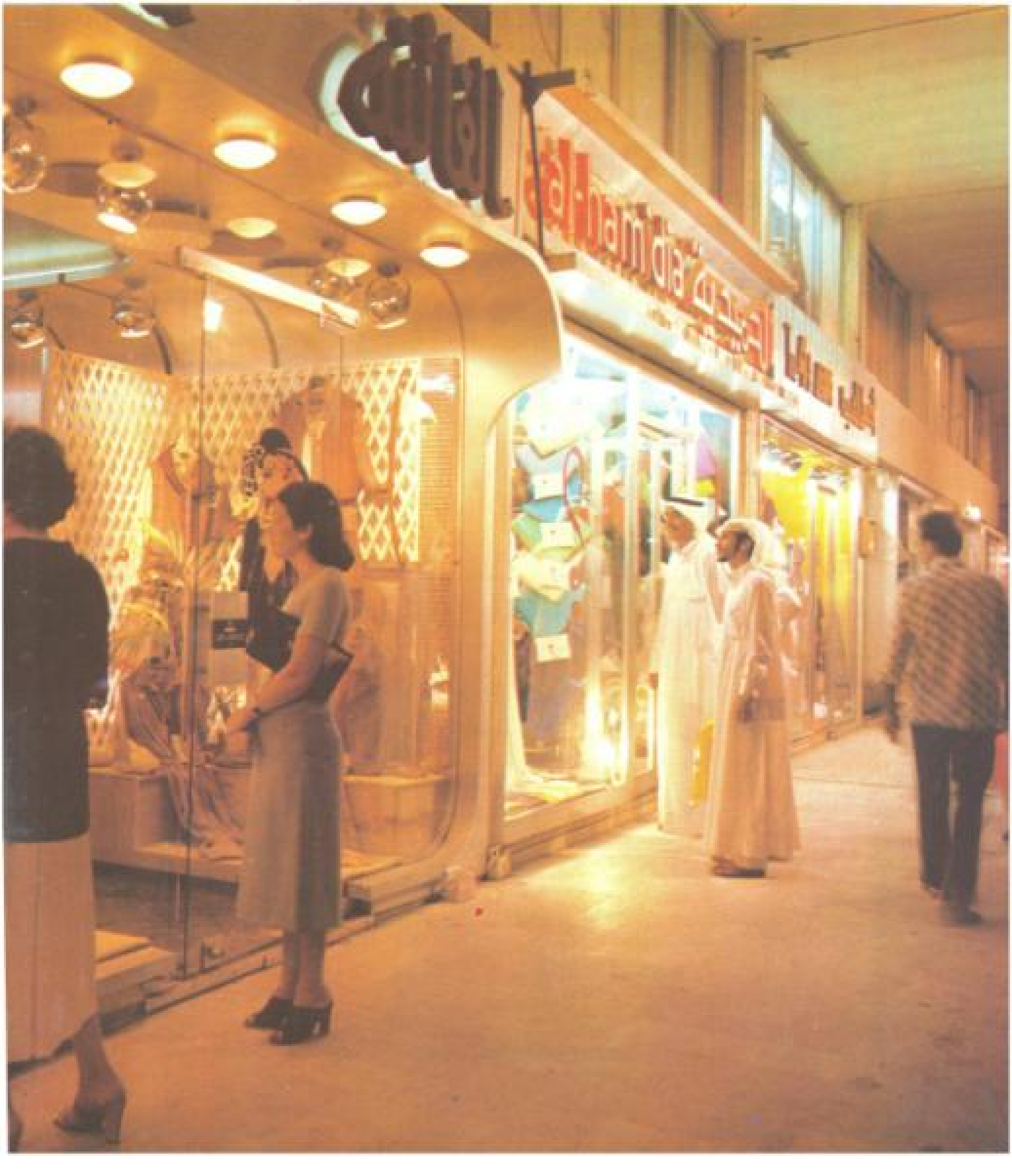
٧ ـ **نوزاد نوري محمود** / بغداد ـ العراق

٨ ـ **احمد ماهر حسين** / الدوحة ـ قطر

عالم الأسواق

في الكويت

أحد الاسواق الحديثة في السالمية حيث يباع أحدث ما أنتجته أسواق أوربا من ازياء وأجهزة حديثة



استطلاع :

صادق يلى

تصوير : اوسكار مترى



سوق الحريم يعود تاريخه الى اكثر من مائة عام





« الكويتيون يدركون ربما اكثر من غيرهم ان تسعة اعشار الرزق في التجارة ــ كما يقول الحديث الشريف ــ :لا نبالغ اذا قلنا ان تسعة اعشار اهل البلاد لهم علاقة مباشرة وغير مباشرة بهذه المهنة ٠٠ ولولا الكثافة السكانية المتزايدة، لصارت تسعة اعشار الكويت ــ ايضا ــ للاسواق : »

ذلك انه منذ ظهرت الكويت على خريطة منطقة الخليج ، والتجارة سمة اساسية في حياة البلاد ، ومورد اساسي لابنائها ، قبل النفط وبعده ٠

وأسواق الكويت تعكس هذه الحقيقة٠

وهذه رحلة في عالم الاسواق ٠٠٠

سوق الحمام

فلا يزال يقام سوق الحمام في قلب المدينة صباح كل يوم جمعة ٠ في ساحة الصفاة ، يتوافد هواة تربية الحمام والهاوي يطلقون عليه اسم «المطيرجي» يبيعون ويشترون ويفاصلون ٠

احدهم ــ حمود بن يوسف النشوان ــ يؤكد انه لم يتخلف عن السوق صباح كل جمعة ، منذ سنوات وزميله علي راشد العديبي يتحدث عن انواع الحمام النادرة وفي مقدمتها « الراعبي » ، الذي كان يبلغ سعر الواحدة منه في الماضي من ٥٠ الى ٦٠ روبية (العملة التي كانت سائدة قبل الدينار) في حين كان دخل الفرد في اليوم لا يتجاوز ٥ روبيات ، وميزة هذا النوع من الحمام انه يستطيع الطيران مدة ٦ ساعات متواصلة ٠ أما أهم أنواع الحمام الذي يقتنيه الهواة فهي الراعبي والوقواق والقلابي ، وتزدهر هذه التجارة خاصة في فصل الشتاء والربيع وذلك لملاءمة الطقس واستعداد الحمام فيه للتكاثر ٠ اما الحمام الزاجل المعروف بانه يحمل الرسائل من بلد الى بلد فان وجوده في الكويت نادر لعدم صلاحية الاحوال الجوية لمعيشته ٠

وبعض الهواة لا يقف عند حد تربية الحمام بل يتجاوز ذلك الى تربية الارانب والببغاوات وطيور الزينة يعرضها الى جانب الحمام في هذه السوق القريبة ويعود غلاء أثمان هذه الببغاوات الى مميزات معينة فيها ، ومن تلك المميزات المطلوبة كبر الحجم والقدرة على النطق وسرعة الاستجابة والالوان الزاهية ، وتباع الببغاوات الجيدة باثمان كبيرة فربما يصل ثمن الببغاء الواحدة الى خمسين دينارا بل يرتفع ثمن بعض الانواع ــ مثل الكاسكو ــ الهندي الى مائة دينار ٠

وفي أيام الربيع تهاجر أنواع من الطيور الربيعية الى منطقة الخليج فيتفنن محترفو صيد الطيور في طريقة اصطيادها ، منهم من يستخدم الفخ ومنهم يستخدم طريقة الشباك ويطلقون عليه (اسالية) حيث يغطي الصيادون اشجار السدر بهذه الشباك عندما تاوي هذه الطيور اليها اخر النهار، وفي الصباح الباكر يذهبون لجمع الطيور، وهناك طريقة أخرى تسمى طريقة الصيد بالصلابة او الشبح يستخدمها بعض الصغار ، وطيور الربيع انواع كثيرة ولها أسماء عديدة فمنها الصغير الحجم مثل البصوه والاشول والمقضرم وحمير الراس والزهرة أما الحمامي والرماني والمردم والقفصي فهي من الانواع الكبيرة نسبيا ٠

سوق البشوت والزل

وعلى مقربة من ميدان الصفاة يقع سوق البشوت وهو من اقدم أسواق الكويت ٠ كان موقع هذا السوق قديما قرب مسجد السوق الكبير ومنذ الحرب العالمية الثانية انتقل سوق البشوت الى مقره الحالي والمعروف أن أهل الكويت يطلقون كلمة (بشت) على عباء الرجل فقط ، وهي كلمة فارسية تعني الظهر والجمع بشوت ٠ ويعتبر لبس البشت من مكملات هندام الرجل الكويتي ويستورد التجار القماش الخاص بهذه البشوت من بلدان عدة أهمها سوريا وايران ومنطقة الاحساء في السعودية والعراق ، كما يستوردون (الزرى) وهو المعروف في بلادنا العربية باسم القصب من الهند وفرنسا والمانيا ، واجود أنواع الزرى هو المصنوع من الفضة المذهبة وتصنع هذه البشوت غالبا في الديوانيات أو المشاغل ، وقد تحدث الينا السيد محمد خلف البناي وهو يزاول مهنة الاتجار بالبشوت منذ اكثر من خمسين سنة فقال : ان ديوانيات ومعامل عدة كانت تزاول هذه الحرفة



سوق البشوت له رواده الخاصون

واشهرها ديوانية الحاج احمد الشواف ،وديوانية حجي حسن البغلي وأسرة البغلي لها تاريخ طويل في هذه الصناعة وقد توارثوها جيلا بعد جيل ، وكذلك كان من أشهر خياطي البشوت ابراهيم بو حمد والسيد ابراهيم العبدالله والد أديبنا الكبير الاستاذ عبد الرزاق البصير والسيد حسن الخرس واخوانه ومهنا بن ياقوت ·

لقد كانت تجارة البشوت تجارة رائجة ومكسبة اذ كان التجار يبيعون انتاجهم لتجار من نجد والحجاز ومناطق الخليج العربي وكانوا يكسبون الكثير ·

وذكر لنا احد التجار حادثة فريدة في تاريخ هذا السوق اطلق عليها (سنة البشوت) حيث أمر الشيخ احمد الجابر الصباح والد اميرنا الحالي بترك لبس البشوت وبدأ هو بنفسه في ذلك ، واقتدى به معظم التجار والاعيان مما سبب في كساد سوق البشوت فاصبح البشت الذي كان يساوي مائة روبية (وهي العملة المتداولة في ذلك الوقت) اصبح بعشرة روبيات بل خمسة أحيانا ، وطبيعي أن تبور هذه التجارة ، ولكن بعد عدة شهور عاد الشيخ احمد الجابر الى لبس العباءة او البشت مرة اخرى فعادت السوق الى نشاطها وحيويتها ·

لقد كانت غاية الشيخ احمد الجابر رحمه الله من الغاء لبس البشت هي التخفيف على الاهالي واعفاءهم من لبس هذه العباءة الغالية الثمن ·

والبشوت لها أسماء عديدة وانواع مختلفة فمنها الثقيل الذي يستخدم أيام الشتاء ومنها الخفيف ويلبس أيام الصيف ، والبشت النجفي من أغلى أنواع البشوت اذ يحاك باليد ويخاط بالقصب وتستغرق عملية خياطة البشت من ثلاثة الى أربعة ايام ، والمعروف أن العباءة التي خيطت بالكويت تمتاز عن مثيلاتها بجمالها وحسن زخرفتها وتناسقها· ويقول السيد صالح العبد الله وهو من مشاهير ارباب هذه الحرفة انني أستعين في صناعتي هذه على عمال من منطقة الاحساء في السعودية والعراق، لقد علمتهم هذه الحرفة فاتقنوها واجادوها ·

وفي نفس سوق البشوت هناك سوق آخر هو سوق الزل أو السجاد باللهجة الكويتية الدارجة · ويقتصر هذا السوق على بيع السجاد الايراني أو العجمي فقط ، وأهم أنواعه الشيرازي والكرماني والكاشاني ، أما أجود أنواع السجاد فهو النائيني ويقول السيد غلوم حسين رمضان وهو من اقدم تجار هذه السوق ان المعول الرئيسي على جودة السجادة هو عدد العقد في الانش (البوصة المربعة) فكلما زادت عدد العقد زاد ثمن السجادة والعكس صحيح ، كما أن الزخارف والرسوم والصبغة الثابتة عامل آخر من عوامل جودة السجادة ويرجع تاريخ هذا السوق الى أكثر من مائة عام او تزيد ويستطرد السيد غلوم رمضان قائلا لقد كنا نستورد كميات كبيرة من هذا السجاد ونصدره مرة أخرى الى بلدان الخليج العربي والمملكة العربية السعودية·وعندما سألناه عن تأثير السجاد الاوروبي أو الصيني على سوق السجاد العجمي كان رده ان السجاد العجمي مثل الجوهرة وهي كلما قدمت زاد ثمنها ، انني اشتري بعض السجاد القديم باضعاف ثمنه ثم أصدره مرة أخرى الى بعض البلدان الاوروبية مثل ايطاليا والمانيا ، أو يشتريه بعض الاجانب ويحتفظون به باعتباره تحفا نادرة ·

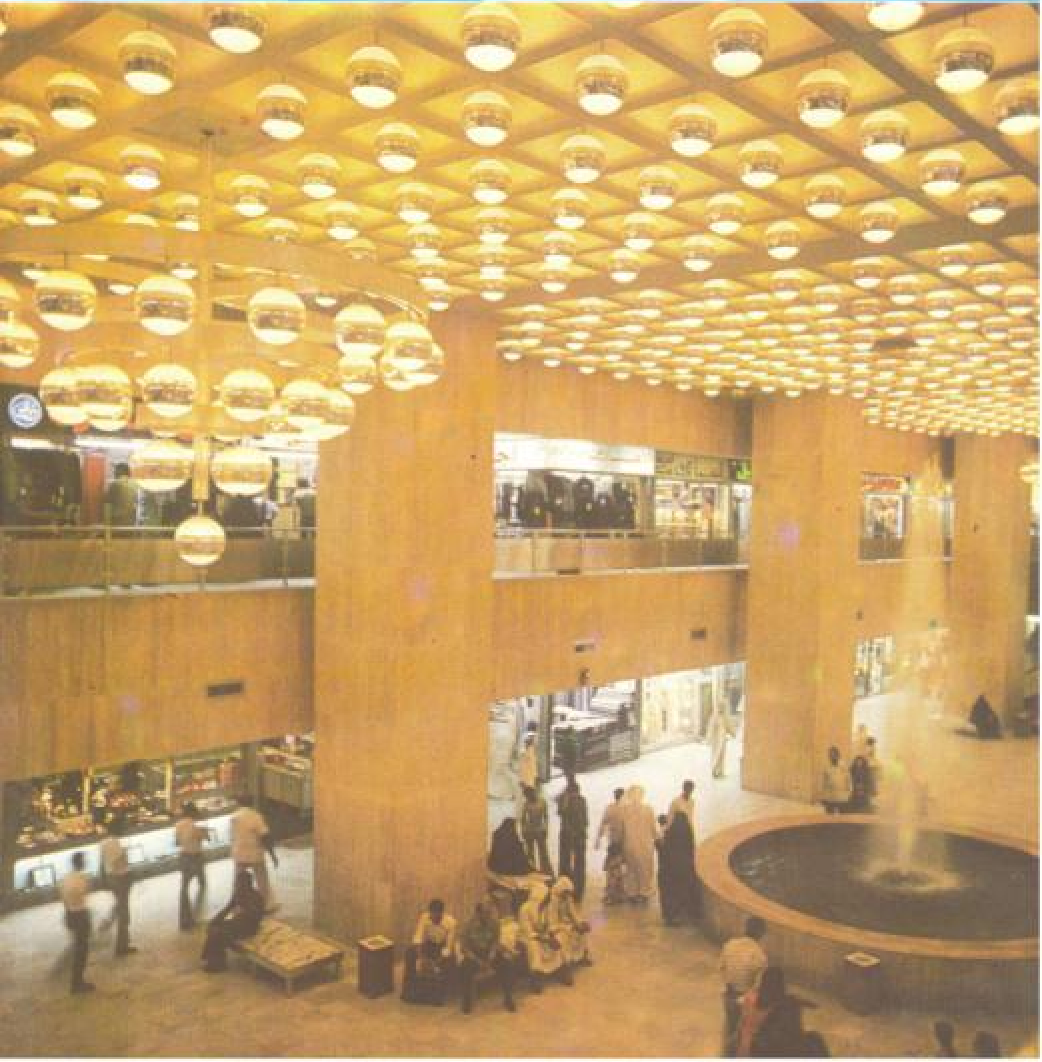
سوق الغرازين والصقور

وهناك سوق قرب ميدان الصفاة وبالقرب من وزارة الدفاع القديمة يدعى سوق الغرازين أو الغراريز ، والغرازة صناعة تعتمد أساسا على الجلود ومن المؤسف حقا ان هذه الحرفة أوشكت على الاندثار · يقول السيد عبدالرزاق عبدالكريم



واجهة لمحل بيع الذهب

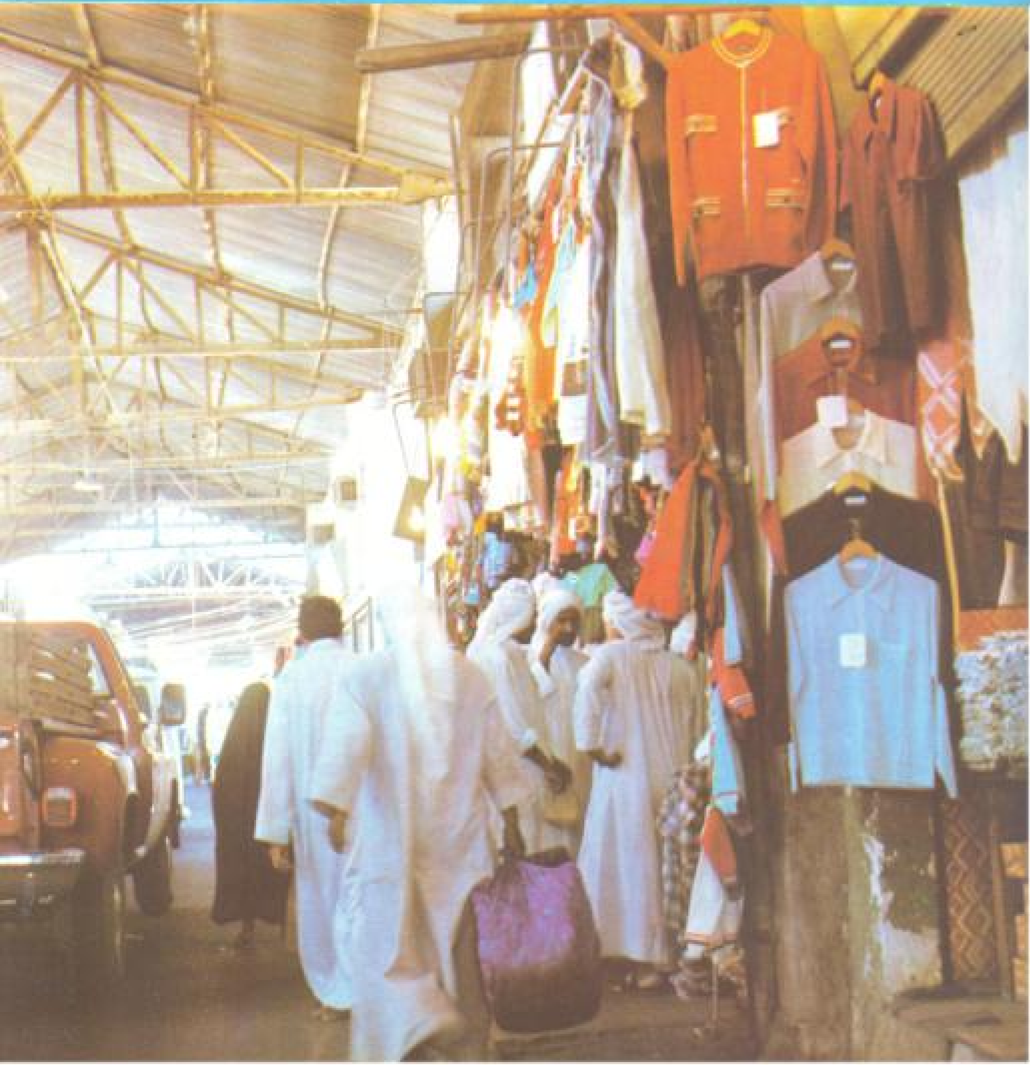
سوق الكويت أحد الاسواق
الحديثة التى افتتحت حديثا





النعال النجدية صناعة وطنية

سوق الغربلي سوق الطبقة الوسطى من الناس



المبيض ان هذه الحرفة ذات شقين الدباغة والخرازة، كنا ناخذ الجلود من القصابين ، جلود الماعز وجلود البقر وجلود الاباعر وكنا نعالجها بالدباغة في مدابغ الكويت ومنها كنا نصنع القرب لحمل الماء على ظهور الابل والبغال والحمير ايام كانت هذه الطريقة هي الطريقة المثلى لحمل المياه الى بيوت الكويت • ويصنع نوع من الدلاء يطلقون عليه في البادية (الروى) ثم الدلو العادى لجذب المياه الحلوة من الابار ، وهناك (الفرزة) وتستخدم كبراميل لخزن المياه والفراشية وهي الاخرى دلاء تستخدم لرى الاراضي الزراعية ، وهذا ما يخص حياة البادية • ثم يضيف السيد المبيض قائلا انهم كانوا يصنعون منها النعال المعروفة بالنعال النجدية وهي أشبه ما تكون بخف الاعرابي لانها ذات الوان وزخارف جميلة ، يلبسها اهل الحاضرة وخاصة التجار والموسرين ، بل انها كانت من مكملات هندام الرجل الثرى ، اما اوكار الصقور فكان يصنعها النجار ثم يقوم الخراز بتلبيسها بالجلد والمسامير المذهبة ، كما كنا نصنع براقع الصقور والقفاز الذى يلبسه الصقار في يده خوفا ان تجرحها مخالب الصقر ويطلق عليه اهل الكويت (الدس) •

لقد كانت حرفتنا هذه رائجة اذ كان الخراز الواحد ينتج سنويا أكثر من ثلاثة الاف قربة وستمائة دلو ومثلها من النعال النجدية وغيرها • اما عدد الذين يزاولون هذه الحرفة فقد بلغ ما يقرب من ثلاثمائة حراز ، كانوا يزاولون حرفتهم هذه في ثلاثة أسواق منهم دابغو الجلود والخرازون •

والصقور كذلك لها سوق وهذه السوق تعقد موسميا وخاصة أيام الشتاء والربيع حيث يكون الطقس مناسبا لرحلات الصيد والقنص التي يقوم بها بعض الموسرين وهواة الصيد بالصقور ، ومن المعروف أن الحبارى والارانب والكروان هي التي تصطاد بواسطة الصقر ، وقد يبلغ ثمن الصقر المدرب على الصيد بين الف الى خمسمائة دينار ويحتاج الصقر الى شهر او شهرين لتدريبه على الصيد ، ويقوم الصياد بتجويع صقره مدة من الزمن قبل أن يطلقه للصيد •

سوق واجف أو سوق الحريم

بقي سوق واحد من تلك الاسواق القديمة وهو سوق واجف ويرجع تاريخ هذا السوق الى مايقرب من تسعين سنة أو تزيد ، وقد سمي بهذا الاسم (واجف) لان الناس كانوا يبيعون ويشرون فيه وهم وقوف أما اليوم فقد جلس الباعة ومعظمهن من النساء على دكك أو بسطات وقد فرشوا بضاعتهم على الارض وجل هذه البضائع تخص النساء فالثوب الكويتي التقليدي المطرز بالقصب او الزرى والاساور المذهبة والالبسة الداخلية للمراة الرقيقة الحال هي من اهم معروضات هذا السوق ، وتاتي مساحيق الزينة القديمة ومن اهمها مسحوق الحناء والسدر والرشوش والديرم واشياء اخرى تهم حمام المراة تاتي في المرتبة الثانية • اما دكاكين الرجال فيباع فيها كل أنواع الاحذية المستوردة من اليابان والصين وسنغافورة • وسوق واجف سوق عربي قديم يضم مجموعة من المتاجر الصغيرة المزدحمة بالبضائع المستوردة وهي سلع يستهلكها محدودو الدخل • فالكوفية والعقال العربي يعلقها اصحاب هذه المتاجر امام واجهات متاجرهم لتراها عيون الغادين والرائحين فلا تخطئها ابدا يقول السيد محمد اسماعيل بهبهاني وهو احد تجار هذا السوق القدامى لقد امضيت في هذا السوق قرابة الاربعين سنة من عمرى أبيع (البرجوتن) وهي كلمة هندية تعني الاشياء الكمالية ، ولن أترك متجرى •• انني اجد فيه حياتي ولن أرضى بغيره بديلا ، لقد عرضوا على شراء متجرى هذا المتواضع بمبالغ يسيل لها لعابي الا انني رفضت بيعه • هل أبيع متجرى الذى قضيت فيه حياتي وارتبطت به برباط لا ينفصم •• لا والف لا •• انني اتمثل نفسي مثل بطل تلك التمثيلية التي عرضها تلفزيون الكويت منذ مدة بعنوان (البطل لا يموت واقفا) •

الاسواق الحديثة

على ان الوجه الاخر للاسواق في الكويت لا تخطئه العين • ذلك ان زحف الاسواق الحديثة يخطف الابصار ويتقدم بسرعة بالغة • حتى تمت ازالة بعض الاسواق القديمة لتفسح المجال للجديد القادم •

ففي شارع الشيخ فهد السالم وهو اجمل شوارع الكويت التجارية واحدثها اصبحت المتاجر تمتد الى اكثر من كيلومترين على الجانبين • وفي منطقة

السالمية اسواق حديثة تمتد الى حوالي ثلاثة كيلو مترات وفي المباركية ومدينة الاحمدي واين ماذهبت تجد المجمعات التجارية الملأى باحدث ما انتجته دول اوروبا وامريكا واليابان من اجهزة حديثة واقمشة متنوعة ، ولا تخلو منطقة سكنية نموذجية من جمعية تعاونية تزود المواطنين بما يحتاجون من مواد غذائية وملابس وادوات كهربائية وروائح عطرية تصل الكويت من مختلف بلاد الله • فاسواق الكويت مفتوحة امام التجار وليست هناك اية قيود او عقبات تمنع الرجل الكويتي من استيراد اية بضاعة يريدها •

فعلى انقاض مدينة الكويت القديمة بنيت المنطقة التجارية في وسط العاصمة وخصص بعض هذه المناطق للبنوك والشركات الكبيرة ووكالات الشركات العالمية وهناك الاسواق التجارية الضخمة ومنها سوق الكويت التي يقع قرب منطقة المباركية حيث يرتفع هذا السوق الى عشرة طوابق ويحتل مساحة كبيرة من الارض ويحتوى هذا السوق على ما يقرب من خمسمائة متجر ومكتب والف موقف خاص للسيارات • وهذا السوق مكيف تكييفا مركزيا ويجد فيه المواطن كل ما يحتاجه من كماليات ، فهنالك متاجر الالبسة الجاهزة والاصواف ومتاجر بائعي الذهب والمجوهرات الى اخرى لبيع الساعات والعطور ، ويضم هذا السوق مكاتب وشركات العقارات والاسهم وهنالك مكاتب لاعمال الصيرفة ويتوسط هذا السوق نافورة مياه تضفي على السوق رونقا وبهاء، وهناك عدة أسواق شبيهة بهذا السوق انشئت حديثا في مدينة الكويت منها سوق المناخ واسواق اخرى سوف تبدأ العمل في القريب العاجل•

واجهة الكويت البحرية

وحول زحف الاسواق الجديدة ، والاختفاء التدريجي للاسواق القديمة قال السيد عبدالعزيز يوسف العدساني رئيس المجلس البلدي ان بلدية الكويت اهتمت بهذه الظاهرة اهتماما كبيرا واتفقت مع مستشار ايطالي يدعى بلجوزه على دراسة المنطقة التجارية في الكويت وحدود استعمالاتها ، فاوصى بالابقاء على الاسواق القديمة مثل سوق البشوت والزل وسوق واجف ، كما اوصى بالابقاء على المظلات التي تغطي الاسواق ،وبالابقاء على ابواب المتاجر الخشبية القديمة وعدم اعطاء اية تصاريح بابدالها بابواب جديدة لان هذه الابواب وتلك المتاجر تعطي الطابع المحلي لمتاجر الكويت القديمة •

ويستطرد الاستاذ العدساني في حديثه فيقول : لقد تالم كل كويتي غيور عندما ازيلت المدرسة المباركية القديمة واعيد بناؤها على الطريقة الحديثة لقد كان بالامكان ترميم ماتهدم واصلاح ما افسده الدهر ، لقد تخرج من هذه المدرسة رجال خدموا الكويت وتركوا بصماتهم على مسيرة البلاد وتلك غلطة نرجو الا تتكرر •

وحول خطط البلدية من اجل تشجيع الصناعات المحلية التي اوشكت على الاندثار قال رئيس المجلس البلدي: اننا نحرص على ابقاء الطابع المحلي عن طريقين اولهما تعويض ملاك هذه الاسواق بمساحة مماثلة من الارض تكون قريبة من هذه الاسواق وبالتالي جعل ايجارات هذه المتاجر يسيرة زهيدة حتى يتمكن الحرفي من الاستمرار في عمله ، واقرب مثال على ذلك سوق الغرازين حيث تاخذ الحكومة من العاملين فيه ايجارات اسمية وكذلك سوق البشوت والزل وسوق واجف ، وعن كيفية الحفاظ على الطراز المحلي رغم ان اغلب المكاتب الاستشاريه الهندسية مكاتب اجنبية : قال السيد العدساني ان التعاون قائم بين هذه المكاتب الهندسية وبين مهندسينا الكويتيين من اجل تحقيق هذا الهدف •

وحدثنا الاستاذ العدساني عن اهم مشروع للحفاظ على الطابع المحلي للكويت وهو مشروع الواجهة البحرية • ان هذا المشروع يمتد من قصر السلام في منطقة الشويخ حتى منطقة رأس الارض في السالمية وسوف يتم انجازه خلال ٤٣ شهرا ويقوم به مكتب هندسي امريكي فعلى امتداد هذه المنطقة المذكورة سوف تقام حدائق ومقاه شعبية تبرز حياة الكويت القديمة كما سوف تقام امام منطقة الدعية جزيرة صناعية تحتوي على ساحات شعبية ومراجيح وملاعب الزلاق ، وسوف يحافظ هذا المشروع على المراسي (النقع) وخاصة نقعة قصر السيف وبعض النقع الاخرى الموجودة في المنطقة الشرقية من مدينة الكويت وسوف نعرض فيها نماذج لسفن الغوص الكويتية بعضها على اليابسة والبعض الاخر في الماء، وبذلك نحافظ على طابع كويتنا الحبيبة •

صادق يلي





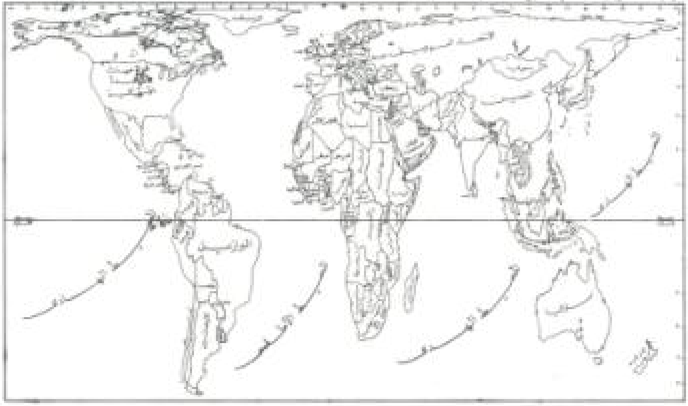
سوق الزل أو السجاد له رواده من محبي اقتنـاء هذا
النوع من السجاد



هواة جمع الحمام يتجمعون في سوق
الحمام أيام الجمع من كل اسبوع



سوق الصقور سوق موسمي يعقد أيام الشتاء
والربيع فقط من كل عام ٠



خريطة العالم الجديدة

هدية "العربي" للسنة الجديدة

بقلم : يوسف زعبلاوي

■ هدية « العربي » هذا العام خريطة للعالم جديدة ، وضعها الدكتور ارنوبيترز Dr. Arno Peters وهوعالم الماني ومؤرخ وأحد كبار المشتغلين بعلم رسم الخرائط في جامعة برمن بالمانيا الغربية .

اما البواعث على وضع هذه الخريطة الخارجة على المألوف فمردها الى المآخذ التى تؤخذ على الخريطة القديمة .. فالخريطة التى تقوم عليها الاطالس وتراها معلقة على جدران المدارس .. هذه خريطة قديمة وضعها مركاتور Mercator قبل اكثر من ٤٠٠ سنة ، وقد مضى عليها هذا الزمن الطويل دون اى تعديل او تبديل .

والغريب ان هذه الخريطة حافلة بالاخطاء التى لم تقع سهوا او من حيث لا يدرى مركاتور . بل ان هذا العالم الجليل كان على علم مسبق بها ... اذ كان لا مفر له من ان يضحى فى خريطته بالمساحات من اجل المسافات او بهذه من اجل تلك او باحداهما من اجل رونق الخريطة وجمالها .. وقد اختار مركاتور الاحتمال الاول .. فضحى بالمساحات البرية ، مساحات الدول والقارات ، من اجل ضبط المسافات البحرية والاتجاهات .. وله فى ذلك اسباب ومبررات .

فقد عاش مركاتور ابان عصر الاكتشافات ولمس الحاجة الملحة الى خريطة تكفل للملاحين والمستكشفين تقدير المسافات بدقة ، وتحديد الاتجاهات بضبط ، مما قد يضمن لهم الوصول الى اهدافهم وتحاشى الضياع فى عرض البحر .. وهكذا انصب هم مركاتور على وضع الخريطة المنشودة التى تستطيع حل هذه المشكلة الحيوية التى عانى منها كافة البحارة فى تلك الايام .

ولكن الزمن تغير .. ، ولم تعد حاجة الملاحين والمستكشفين هى الحاجة الوحيدة او الاهم التى تتحسسها فى هذه الايام .. بل ان الحاجة الى خريطة تبين المساحات البرية بامانة ولو على حساب المسافات البحرية اصبحت هى الحاجة الملحة فى قرننا هذا العشرين . ومن ثم كانت خريطة العالم

الجديدة . ومن ثم كان اختيارها هدية لقراء العربي بمناسبة السنة الجديدة .

بطلميوس الفلكي الاول

قد لا تجد بين اعلام الفكر الانساني كله من كان له مثل الاثر الذى كان لبطلميوس على الجغرافيين ورسامي الخرائط والمستكشفين ناهيك بالبحارة والملاحين ..

هذا وبطلميوس كان عالم فلك في المقام الاول. الا انه اولى الجغرافيا بعض اهتمامه . والغريب اننا لا نعرف عن حياة هذا المفكر العملاق الا النزر اليسير .

اسمه بالكامل كلوديوس بطلميوس Claudius Ptolemaeus (لاحظ ان الميم قبل الياء ، أسوة بما درج عليه العرب الاوائل ، وهو الصحيح)عاش نحوا من ٨٠ سنة (٩٠ ـ ١٦٨ بعد الميلاد ، في الاسكندرية ، عاصمة العالم الثقافية انذاك .

واشهر ما اشتهر به بطلميوس كتابه المجسطي Almagest . وهو كتاب في الفلك يقع في ١٣ مجلدا ، تناول كل منها جانبا من جوانب المجموعة الشمسية .. كالارض والشمس الخ .. وتذكرنا التسمية العربية (المجسطي) بالاثر السحري الذى كان لهذا الكتاب على كافة الفلكيين والرياضيين العرب المسلمين فضلا عن الجغرافيين .. ولكنها تذكرنا ايضا بانالعرب حفظوا بطلميوس واحتضنوه حين غفل عنه الاوروبيون في القرون الوسطى ونسوه ..

على أن بطلميوس وضع كتابا آخر فيالجغرافيا بعنوان « الدليل الجغرافي » .. ولئن لم يكنهذا الكتاب بخطورة كتاب المجسطي من حيث أثره في التاريخ .. الا انه كان ذا أثر بالغ ولا ريب . وهو الكتابالذي يهمنا في هذهالكلمة علىكلحال.

يقع كتاب الدليل في ٨ مجلدات ضخمة تناول المؤلف في اولها المبادىء العامة وطرق التسطيح ، أو رسم خريطة الكرة الارضية على سطح منبسط، وهو ما يسمونهفيالمصطلح الكارتوجغرافي بالمساقط .. أو الاسقاط .. وضمن بطلميوس هذا المجلد الاول ايضا مبادىء رسم خريطة العالم على كرة .. طبقا للاصل ..

وكرّس بطلميوس المجلدات الستة التالية(اى من المجلد الثاني الى السابع) للاحاطة بجغرافية العالم المعروف انذاك . فهو يعطي قوائم باسماء ٨٠٠٠ مكان ، ويحدد موقع كل منها من حيث خطوط الطول والعرض .. ولعل هذا التحديد يمثل الفضل الاكبر الذى كان لبطلميوس على الفكر الجغرافيوالنشاط الملاحيوالاستكشافي فيالعصور الحديثة .. فبدون خطوط الطول والعرض يتعذر

هذه خريطة بطلميوس .. وتظهر لك الارضفيها كروية .. كما تظهر خطوط الطول والعرض وهي التي كان لبطلميوس الفضل في توطيدها..



تحديد المواقع والاتجاهات فضلا عن بلوغ الاهداف. ولم يحرز أحد من الجغرافيين أو الفلكيين الذين سبقوا بطلميوس من النجاح في تحديد خطوط الطول والعرض تحديدا علميا دقيقا مثل النجاح الذى احرزه هو. لذلك اعتبر بطلميوس مبتكر هذه الخطوط باجماع الكثيرين .

ويخص بطلميوس المجلد الثامن من كتابه « الدليل الجغرافى » بمبادىء علم رسم الخرائط، او ان شئت قواعد الكارتوجرافيا الاساسية ..

ويذكر هنا ان بطلميوس علق اهمية كبرى على الخرائط الجغرافية ، بل انه عرف الجغرافيا باسرها وكأنها فن رسم الخرائط ..

لاعجب اذن ان وضع عالم الاسكندرية خريطة للعالم بالغة الاهمية .. وكانت حافلة بالمعلومات والايضاحات حتى اصبحت مع الايام الموسوعة الجغرافية المعتمدة في أكثر من مكان .

الا ان بطلميوس اخطأ فيها .. وكان خطأه الاساسى فى اظهار أوربا وآسيا وكأنهما تشملان نصف الكرة الارضية . وقل مثل ذلك فى البحر المتوسط الذى ظهر اكثر امتدادا مما هو فى الواقع .

وكانت هذه الاخطاء هى التى ادت بكريستوفر كولمبس الى الوقوع فى اخطائه المعروفة فى احتساب المسافات التى تفصل بين البرتغال وبلاد الهند والصين .

خريطة مركاتور

وانقضت القرون الوسطى .. وهى العصور المظلمة التى انطمست معالم بطلميوس فيها فى اوربا وتألقت فى الدولة الاسلامية ، وجاءت العصور الحديثة واقبل الاوروبيون على ترجمة الكتب العربية واليونانية فى نهم ، وعلى نطاق واسع .. فترجم كتاب « دليل الجغرافيا » الى اللاتينية سنة ١٤٠٥ .. وشهدت تلك الايام تقدما كبيرا احرزته الطباعة وكانت حديثة عهد انذاك .. فتكرر طبع الدليل ٣١ مرة قبل حلول سنة ١٩٠٠ . وانتشرت خريطة بطلميوس مع دليله على أوسع نطاق .

ونشط الملاحون وظهر المستكشفون . وهكذا تكاثرت المعلومات الجغرافية تكاثرا كبيرا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ..

لا عجب اذن ان بدأت الخرائط الجديدة فى الظهور .. ومع ان هذه الخرائط امتازت بالدقة والضبط نسبيا الا أنها لم تجرؤ على منافسة خريطة بطلميوس .. فقد

رسم طريف يعطى صورة عن التفكير الجغرافى والفلكى فى اوربا فى القرون الوسطى ... فقد انحط هذا التفكير فى الغرب فى تلك العصور المظلمة وغفل عن بطلميوس حتى كاد ان يموت... لولا العرب ..فهم الذين اكتشفوه وترجموه وحافظوا عليه الى مطلع العصور الحديثة





هذه الخرائط الكروية انما وضعت وفق خرائط مركاتور القديمة ... وقل مثل ذلك في شتى خرائط العالم التي تجدها في الاطالس او معلقة على جدران المدارس .

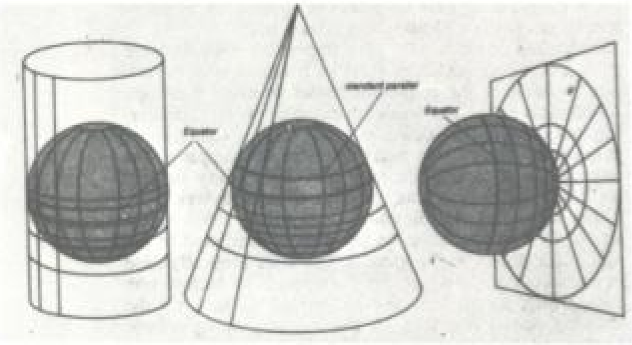
كانت هذه هي السائدة بل الطاغية بحيث ان رسامي الخرائط الجدد اضطروا الى اعادة نشر خريطة بطلميوس لا بقصد الا من اجل نشر خرائطهم الجديدة خلسة وكملحقات بخريطة بطلميوس .

وعلى كثرة ما ظهر من خرائط فقد بقيت الحاجة ماسة . بل قل ازدادت الحاحا . لخريطة متقنة تتحاشى اخطاء بطلميوس وسواه . وتضمن للملاحين تقدير الابعاد وتحديد الاتجاهات بمزيد من ضبط . وتكفل لهم على الاقل سلامة الوصول الى الاهداف .

عندئذ ظهر مركاتور اعظم رسام خرائط عرفه القرن السادس عشر بلا نزاع .. ولكنه لم يكن رساما فحسب . بل كان عالم فلك ورياضيات وذا كفاءة ممتازة في اعمال المسح وصنع الاجهزة والآلات .

ولد جرهارد دي كريمر Gerhard Kremer في فلاندرز سنة ١٥١٢ في اسرة المانية كانت هجرت موطنها الاصلي وقدمت الى المقاطعة الهولندية بقصد الاستيطان .. وتخصص في دراساته الجامعية في الاداب والفلسفة وتخرج بدرجة ماجستير سنة ١٥٣٢ . وتزوج بعد تخرجه بسنتين وانجب ٦ اطفال .

ومالبث مركاتور .. (فهذا هو الاسم اللاتيني الذي اختاره جرهارد لنفسه والذي عرف به



هذه ثلاثة من أساليب اسقاط الخطوط أوكيفيةرسم خريطة العالم الكروية على سطح منبسط ٠ وهى الاسلوب المخروطى والاسلوب السمتى والاسلوب الاسطوانى ٠٠ اسلوب مركاتور ٠٠على ان ان ثمة اسلوبا رائما هو اسلوب المساحات السوية . كما يسمى اصطلاحا . وهو الاسلوب الذى وضعت بموجبه خريطة العالم الجديدة ٠

حتى كاد الا يعرف باسمه الاصلى) مالبث ان اكتسب الميل الى الجغرافيا والى رسم الخرائط أو حفرها ٠٠

وتتلمذ مركاتور بعد ذلك على فريزيوس وكان فى طليعة علماء عصره فى الفلك والرياضيات ، الى جانب كونه طبيبا ٠٠ واخذ مركاتور يتردد هو واستاذه العالم على صائغ حفار شهير فى بلدة لوفان ٠٠ واذا بالبلدة تصبح مركزا هاما لصنع الكرات الارضية والاجهزة الفلكية وحفر الخرائط الجغرافية ٠٠ ذلك ان الثلاثة تعاونوا كالشركاء فى هذه المجالات ٠

وبدأ مركاتور مرحلة الانتاج سنة ١٥٣٥ ، فصنع بالتعاون مع زميليه ، كرة ارضية اتبعها بكرة اخرى ثانية ٠٠ ثم رسم خريطة لفلسطين سنة ١٥٣٧ وخريطة شاملة للعالم ٠٠ ثم عاد فصنع كرة كونية للمجموعة الشمسية ، واخرى ارضية ٠

بيد ان نشاط مركاتور توقف فجأة سنة ١٥٤٤ حين اتهموه بالزندقة لميوله البروتستنتية ، فسجنوه طيلة ٧ شهور ٠

وانتقل مركاتور بعد ذلك الى المانيا سنة ١٥٥٢ واستقر فى بلدة دويزبرغ ، حيث التسامح الدينى وفرص العمل المثمر ٠ ونال من التقدير ما استحقه ، فعين استاذا بروفسورا فى جامعة الدوق ولهلم ٠ وذاع صيته بعد ذلك بوصفه مستشارا موثوقا ومحكما معتمدا رجع اليه المسؤولون للفصل فى شتى القضايا والخلافات المتصلة بالارض ٠ وفى تلك الاثناء اسس مركاتور مشغلا او معملا جغرافيا خاصا برسم الخرائط ٠٠وصنع الكرات ٠٠ وعين فى مشغله هذا عددا من الفنيين المختصين ٠ وبذلك بدأت المرحلة الاخيرة والاهم من حياة مركاتور ٠٠

ففى تلك المرحلة اتقن اسلوبه الخاص برسم الخريطة الكروية على سطح منبسط ، وهو الاسلوب الاسطوانى فى الاسقاط او التسطيح ، ونشر خريطة للعالم سنة ١٥٦٩ وقد رسمها وفق ذلك الاسلوب ٠٠ وبذلك نجح فى حل المشاكل الحيوية التى كان يعانى منها الملاحون والمستكشفون٠ فقد امتازت خريطته تلك على خريطة بطلميوس وسائر الخرائط الاخرى،وما زالت تمتاز،فى تقدير المسافات البحرية وتحديد الاتجاهات ٠٠ الا انها حققت تلك الميزة الحيوية على حساب المساحات البرية ٠٠ مساحة البلدان والقارات ٠٠ كما أشرنا سابقا ٠

ومن طريف ما يذكر ان خريطة مركاتور لم يسهل عليها الحلول محل خريطة بطلميوس ٠ فقد بلغ من ثقة الناس بهذا العالم العظيم ومن ارتياحهم الى خريطته ان تشبثوا بهذه الخريطة القديمة واستنكروا خريطة مركاتور ، شأنهم فى ذلك كشأننا نحن بصدد خريطة العالم الجديدة ٠٠ فان نحن شعرنا بالنفور منها فما ذلك بغريب وما سببه الا الالفة التى نشأت بيننا وبين خريطة مركاتور القديمة على مر السنين ٠ ■■



ابتسامات

سعداء على مدى ٢٥ سنة !

انك لايمكن ان تتصور كم كانت زوجتي وانا سعيدين على مدى ٢٥ سنة التي عشناها الى ان وقعت هذه القصة السخيفة ...

ـ واية قصةسخيفة تعني ياعزيزي؟

ـ عندما تعارفنا ثم تزوجنا .. !!

جنرال انزايغر / بون

خبر سار وخبر غير سار

اعلن نقيب احدى الفرق التي كانت تتدرب على تمارين عسكرية شاقة هذا النبأ على زملائه :ـ عندى لكم خبر سار وآخر غير سار . الخبر غير السار هو : ستكون وجبة الغداء اليوم حساء حامض ، اما الخبر السار فهو كمايلي: ان هذا الاكل لايكفي للجميع !

طلب محاكمة الشرطة !

بعد ان ادين (ارنيست ولتون)من منطقة (بيكرزفيلد/اوتا) امام الشرطة ثلاث مرات بتهمة قيادة سيارته وهو ثمل ، قدم هو من جانبه شكوى ضد الشرطة وطالب في شكواه بتوقيع العقوبة على اولئك الذين صرحوا له بقيادة السيارة علما بان معلوماته في القيادة ضعيفة . وعلى هذاالاساس تبقى مسالة جلوسه خلف المقود سواء كان ثملا او صاحيا مسالة ثانوية .

تريبيون / شيكاغو

خاف من الكلب !

كان موزع البريد (جيم رينولدز) شديد القلق والخوف من كلاب الفلاحين الشرسة اثناء قيامه بتوزيع البريد الصباحي على بعض الحقول . ولهذا السبب بالذات قدم طلبا للنقل الى منطقة اخرى في ماديرا بولاية فلوريدا.

وفي اول يوم عمل انبرت له افعى سامة ولدغته !

جيرالد / نيويورك

كيف تفتح صندوق النقود ؟

سالت عاملة النظافة في احد المصارف مدير البنك قائلة : يا سيدى المدير: هل يمكنني الحصول على المفتاح الخاص بغرفة صندوق النقود ؟ ثم اردفت قائلة : انك تعلم انني كلما حاولت تنظيف هذه الغرفة صادفتني صعوبات حيث كنت اقوم بفتح الغرفة بدبابيس شعرى !

جنرال انزايغر / بون

اقوال قصيرة

- الانسان العاقل والموهوب لايعرف التكبر .

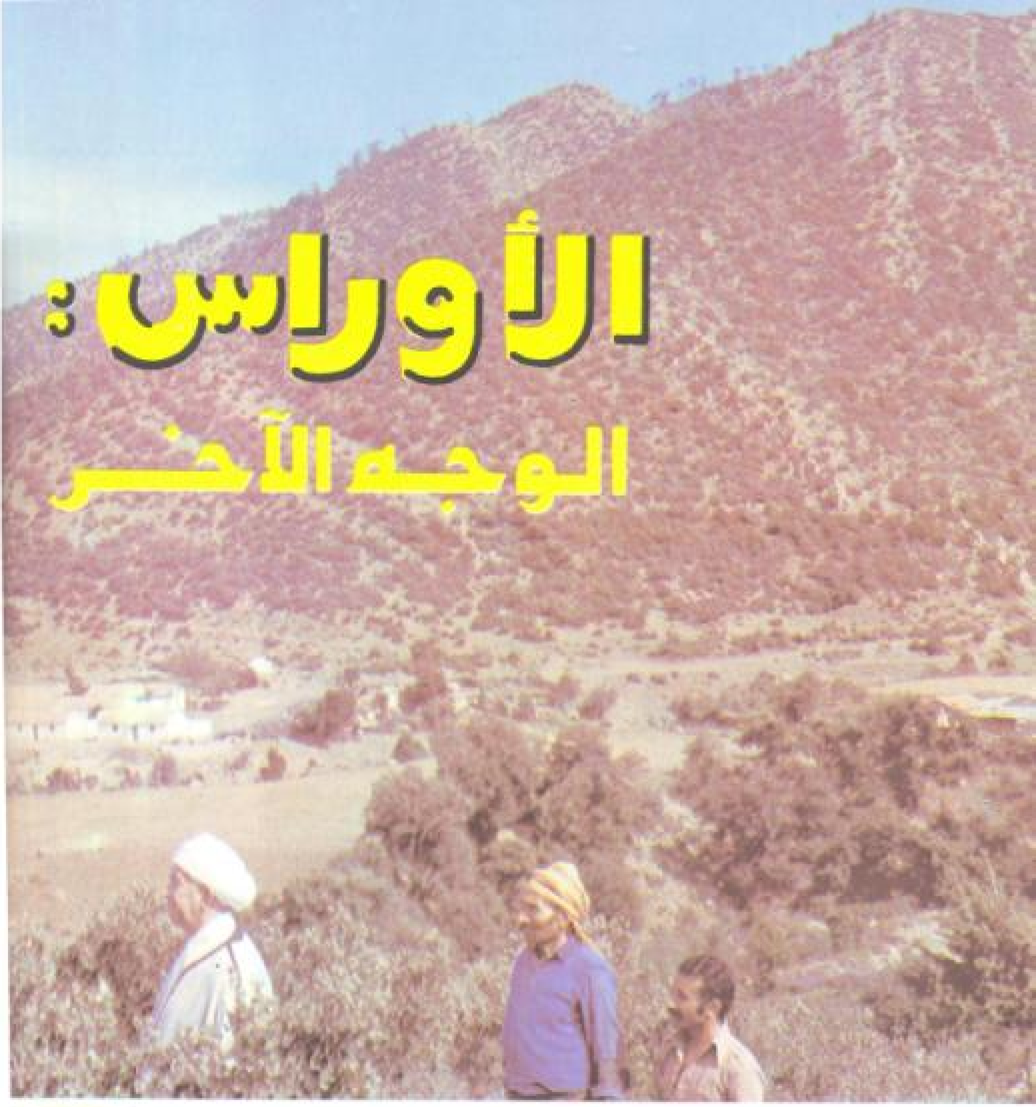
فيلكس سالتن

- الضحك ليس بداية سيئة للصداقة وبالتالي فهو احسن نهاية .

اوسكار وايلد

- اذا تأملنا حقيقة أمرنا وجدنا انفسنا عراة في ملابسنا .

هاينرش هاينه

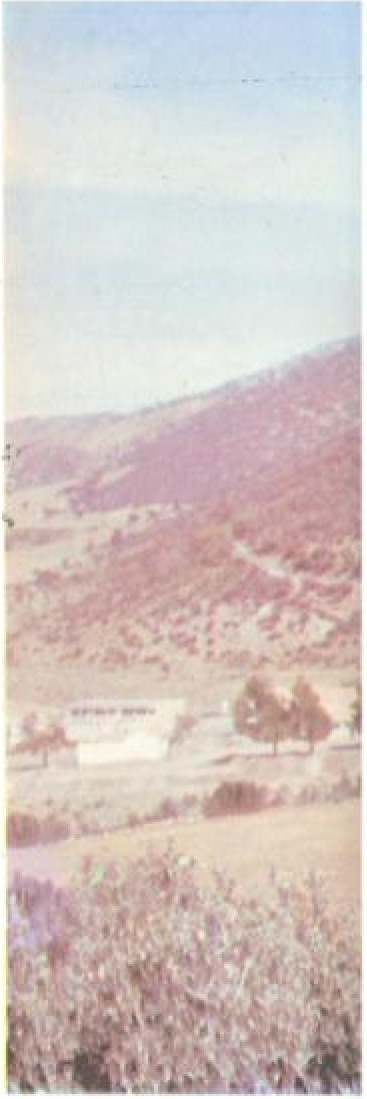


هو في لغة البربر : جبل الطين الاحمر .

وفي عيون العرب والعالم ، فان الاوراس هو الجبل البطل ، بركان الثورات منذ كان هناك تاريخ .

الان تقاعد البطل . خلع سترة القتال وهدأ فيه البركان. صار مثل اسد السيرك ، يحمل لقب « ملك سابق » ، مع فارق واحد ، فاسد السيرك له ماض وليس له مستقبل ، والاوراس له ماض لكن ابواب المستقبل لم تزل مفتوحة أمامه على مصاريعها . .

بقلم : فهمي هويدي تصوير : اوسكار مترى



وجهان للاوراس الجبل الشاهق من ناحية ، والبشر من ناحية أخرى .. نساء الاوراس بثيابهن الذهبية الالوان ، ووجوههن السافرة .





اصبح الاوراس يحتل وظيفة مدنية . كان قلعة فصار ولاية ، بل ولايات ثلاثا ، لها مخصصات ودوائر وبلديات واطارات ودفاتر واختام . وصوت طلقات الرصاص لم يعد يسمع في ارجائه الا في اعراس قبائل البربر وافراحهم . بينما اختفت فوهات البنادق من قممه ، وزرعت بدلا منها صواري التقاط الارسال التلفزيوني .. ومضى على الطريق حتى صار مثلنا ، يشكو من نقص انابيب الغاز وانقطاع المياه عن الطوابق العليا !

تفتقد فيه ـ ربما ـ البطل والجبل الشقي. تسال . يبتسم الجزائريون قائلين : الله يرحم والديك !

تدرك بعد فترة ان الجبل لم يتغير . فهو لم يزل شامخا كما كان . صامدا كما كان . راسخا كما كان . متاهبا على الدوام . لكن الذى تغير هو الدور والمرحلة . لم يعد هو البطل الاول ولا الاوحد . صار « السهل » هو البطل في قصة ما بعد الاستقلال ، وتحول الجبل الى « ضيف شرف » بلغة اهل السينما .. وكذا حال الدنيا !

ومع ذلك لا يمكن لزائر الاوراس ان ينسى لحظة انه يتعامل مع رمز للمجد . فحيثما ذهبت ، تصادفك بصمات البطل . وايثما تلفت ، يطالعك وجه البطل ، بكل ما فيه من كبرياء ، وجروح وندوب .

يصافحك الشهداء عند مدخل كل قرية اوراسية. يصطفون في مجلس مهيب تحيط به الزروع والزهور. كما يتصدر كبار العائلة كل مجلس لها ، كذلك يفعلون . يتقدم الشهداء ـ الاباء بكل المقاييس ـ اهل القرية للترحيب بك .

تنتابك رجفة عندما تلمحهم . تحييهم . تعانقهم . تقبل ايديهم واقدامهم .. وتمر . وتبقى الصورة محفورة في اعماقك الى الابد .

يلاحقك المشهد طوال طوافك بالاوراس . تشعر بان ارواح الوف الشهداء تهيم في سمائه تظللك وترقبك . حتى وانت تخطو فوق ارضه ، تعاودك الرجفة والرهبة ، اذ كيف يطاوعك قلبك ان تطأ بنعل حذائك موضعا يخطر لك ان راس شهيد سقطت فوقه ، او حتى تناثر على حبات رمله بعض دمائه الطاهرة .

تكاد تمشي على اطراف اصابعك وتتحدث همسا يحل عليك خشوع المصلين وصفاء الاتقياء وصمت الزاهدين .

تعيش لحظات رائعة تصبح فيها اكثر تساميا وتطهرا وشفافية . تشعر بانك اقرب ما تكون الى الله .

من مقاتلين الى منتجين

لكنك لا تستطيع ان تستسلم للحلم كثيرا . تفيق على صوت الحياة الدافقة التى تدب في الاوراس . التعمير والتصنيع والزراعة والرعي، وكل عناصر الدور الجديد المرسوم له بعد ان ودع حياة الثكنة العسكرية والقلعة .

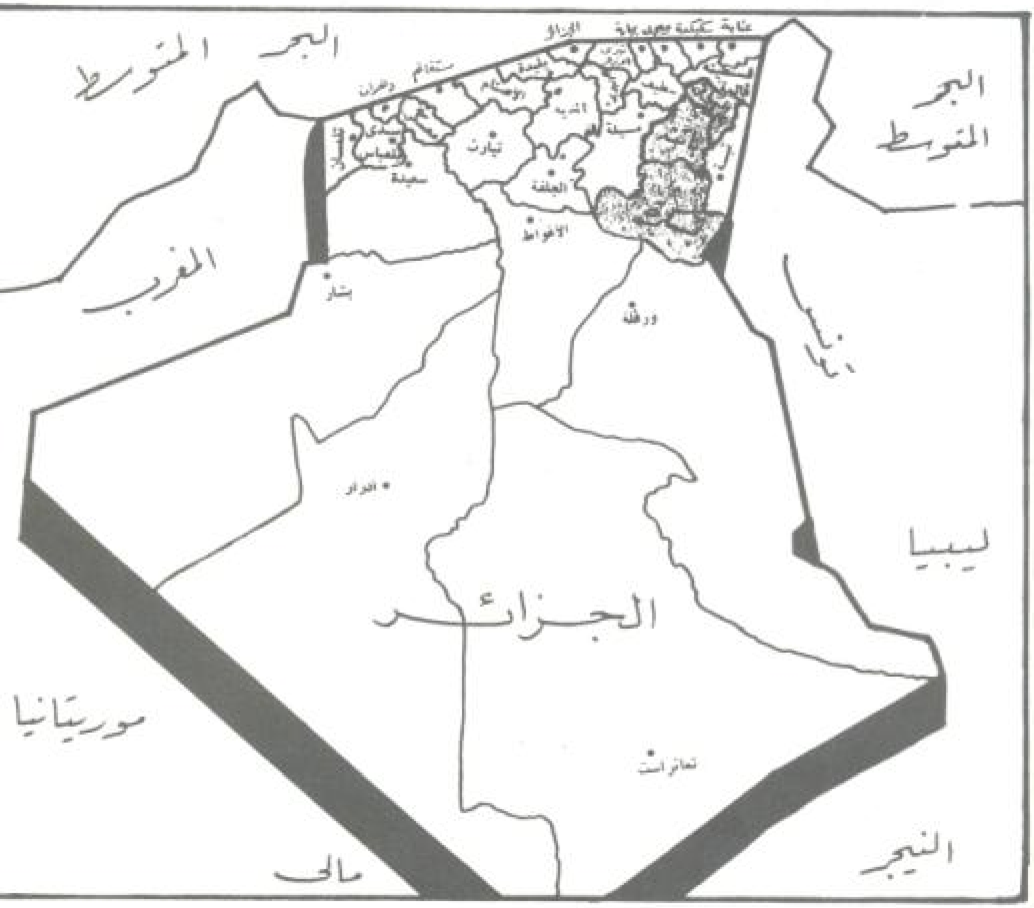
تتعامل معه باعجاب وليس بعطف . فاكثر الذين يحالون الى التقاعد يتاهبون لاستقبال الموت . لكنهم في الاوراس يزرعون حياة جديدة. بعيدة عن الجبل ربما . بقدر من الركض والتسارع ربما . ببعض الظواهر السلبية لا يهم . المهم ان تستمر الحياة والحركة . المهم الا يكون هناك « موات » باى شكل او اى قدر .

يبدو الدور غريبا بعض الشيء ، حتى على اهل الاوراس انفسهم . فالذى اعتاد ان يؤدي دور البطل ، قد يصعب عليه ، او قد ينكر عليه الاخرون ، ان يؤدى دور واحد من الشغيلة في مصنع نسيج او مزرعة تعاونية !

وهى احدى مشكلات الاوراس الجديد ـ اذا صح التعبير ـ فابناء مجتمع المحاربين ، لم يتكيفوا تماما مع حياة مجتمع المنتجين . وهو ما يسمونه في الجزائر « ازمة الاطارات » ، اى الكوادر المدربة والماهرة في حقول الصناعة والزراعة والادارة .

زد على ذلك ان ابناء مجتمع المحاربين يشعرون احيانا بان الاباء اعطوا الكثير ، ودفعوا الكثير ، ومن حقهم ان يستريحوا بعد الذى بذل ، ويستمتعوا ليعوضوا ما حرم منه اباؤهم .

ثم ان اكثر اهل الجبل هجروه . ونزلوا الى السفوح والمدن ، بعدما انعش فيهم الاستقلال طموحات كثيرة . بينها امل العيش في ظروف اكثر راحة واقل خشونة ، وكانت النتيجة ان خسرت الحقول الكثير ، حتى اضطر الجيش لان يباشر عمليات الحرث والبذر في بعض المناطق . واصبحت المدن تئن تحت وطأة الجموع الزاحفة نحوها . فمدينة « باتنة » الاوراسية مثلا ، كان تعداد سكانها بعد الاستقلال مباشرة (عام ٦٤) ٢٥ الفا، هم الان ١٢٥ الفا . اى ان المدينة تضاعفت ٥ مرات في ١٤ عاما. الامر الذى فجر مشكلات الاسكان



خريطة تمثل ولايات الجزائر ، وتظهر في الشمال الشرقي ولايات الاوراس الثلاث : باتنة وام البواقي وبسكرة .

ونقص المـواد الغذائية والتموينية ، واثر على كفاءة اداء المرافق العامة ، وفي مقدمتها المياه والتيار الكهربائي .

وللدقة ، فان زيادة عدد السكان في المـدن ليس راجعا فقط الى نزوح ابناء الجبال اليها ، ولكن هناك طفرة عامة في عدد سكان الجزائر بعد الاستقلال . كانوا ٨ ملايين عام ٦٤ فصاروا ١٩ مليونا الان.وهي ظاهرة تحدث عادة بعد الحروب. فكل دول اوروبا التي عاشت اهوال الحرب العالمية الثانية مثلا ، تزايد عدد سكانها في السنوات التي اعقبت الحـرب . لا لان حلول السـلام يوقف الخسائر في الارواح فحسب ، ولكن لان المحاربين انفسهم يقبلون على الانجاب بقدر اكبر ، لاسباب عديدة بينها التعبير عن التشبث بالحياة .

كان محدثي هو نور الدين صحراوي والي «باتنه» ـ احدى ولايات الاوراس الثلاث ـ الذي كـان ضابطا برتبة رائد في جيش التحرير الجزائري .

وربما كان الوالي نموذجا يجسد تلك الحقيقة. ذلك انه تزوج بمجرد اعلان الاستقلال ، في عـام ١٩٦٤ . وهو الان اب لثمانية ابناء وبنات ،بينما عمره لم يتجاوز ٤٣ سنة وليس لديه ـ حتى الان ـ خطط لوقف الانجاب !

هذه الظروف كلها ـ يضيف الوالي ـ تشكل ضغوطا مؤثرة على مسيرة الاوراس الجديد .لكنه يتدارك قائلا « ان المسيرة لم تتوقف . فهـي ماضية في كل اتجاه ، وخريطة الواقع تشهد ذلـك » .

وظل الوالي يشرح لنا بعض معالم الحيـاة الجديدة في ولايته : مصانع النسيج وقنينـات الغاز والمياه المعدنية ودبغ الجلود . مصنع المساكن



منظر عام لمدينة باتنة، وقد توسطها شارع بن بلعيد ، أبو الثورة الجزائرية ·

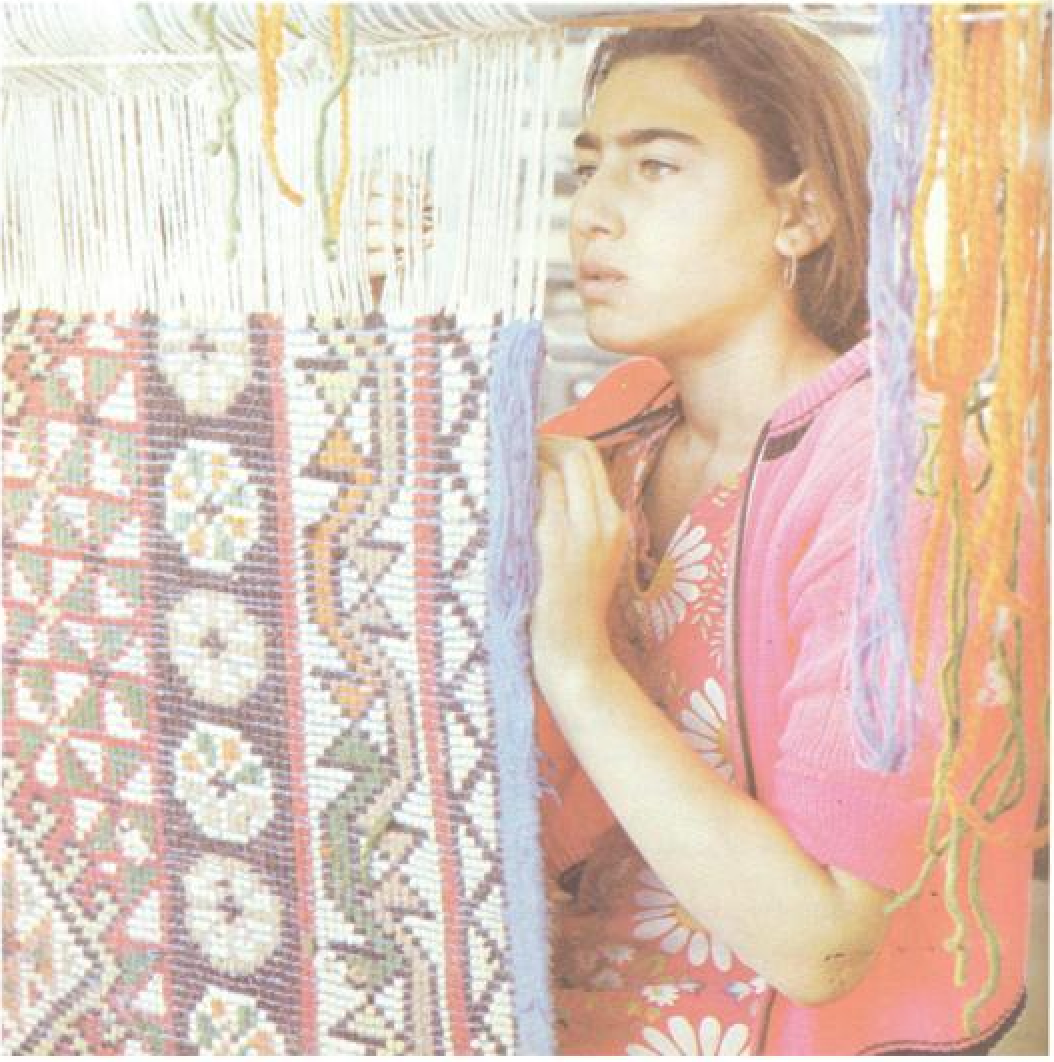
الرحيل الدائم من قرى الجبل الى المدن ، ظاهرة تعاني منها ولايات الاوراس ·

الاهتمام كبير بالحرف الشعبية ، وهذه صورة من مركز للصناعات اليدوية ، والسجاد في مقدمتها ·



مصنع النسيج في ولاية باتنة، طاقته ١٠ ملايين متر سنويا ويعمل به ١٢٥٠ عاملا وعاملة، والاته من المانيا الديمقراطية.







الجاهزة الذى ينتج ٧ مساكن يوميا . مساحات الارض المزروعة قمحا وشعيرا وفاكهة وخضرا ، والتى تمتد الى مسافة قدرها ٣٢٠ الف هكتار. الغابات الضخمة التى تنتشر على مساحة ٢٥٥ الف هكتار . ثروة حيوانية تقدر بحوالى ١٦٠ الف رأس من الغنم والابقار والابل ..

ثم ان هنالك امكانيات السياحة الهائلة ـ بضيف الوالي ـ فى غوفى ومنعه ، وجبال شيليه والشلعلع ، حيث جمال الطبيعة يفوق الوصف . هذا كله فى واحدة من ولايات الاوراس الثلاث.

والعارفون بالمنطقة يدركون انها غنية بالموارد حقا ، وان مستقبلا عريضا ينتظرها ، اذا احسن استثمارها .

القارئون لتاريخ الاوراس يؤمنون على هذا الكلام . لانها كانت كذلك بالامس . قبل ان تشتعل الثورات وتهجر المزارع ويفنى السكان ونسمع عن سلاح فى الحرب اسمه « الارض المحروقة » .

فهذا ابن حوقل يكتب عن الاوراس فى القرن العاشر الميلادى . فيقول فى مؤلفه الشهير «صورة الارض» : « فيه المياه الغزيرة والمراعى الكثيرة والعمارة الدائمة » .

والشريف الادريسي كتب فى « نزهة المشتاق » .. « ومياهه كثيرة ، وعماراته متصلة .. وفى اهله نخوة وتسلط على من جاورهم . »

وابو عبيد البكرى ، كتب فى «المسالك والممالك» .. « وفيه قلاع كثيرة ، يسكنها قبائل هوارة ومكناسة » .. وهكذا .

بصمات البربر

لكنه حظ الاوراس وقدره ، الا يرى الناس منه حتى الآن سوى وجهه المتمرد والثائر ،، وان يحجب البركان فيه وجهه الآخر . اعنى مجتمع البشر العاديين وليس نكتة المقاتلين .

ربما لانهم يقاتلون منذ عرفت الارض القوى الكبرى واحلام التوسع والسيطرة . منذ جاءتهم جيوش الرومان فى عام ١٤٦ قبل الميلاد ، وبعدهم الوندال فى القرن الخامس الميلادى ثم البيزنطيون فى القرن السادس ، وحتى عندما جاءهم العرب فاتحين ومبشرين فى القرن السابع الميلادى ، واخيرا عندما زحف الاحتلال الفرنسى عام ١٨٣٠ .

وربما لان لغة البربر متوارثة وليست مكتوبة. مثل لغة النوبيين فى جنوب مصر . لذا لم يكتب البربر لانفسهم تاريخا ، وانما كتب الآخرون عنهم.

وربما لاننا فى المشرق عشنا بعيدا عن واقع اهل الشمال الافريقى ، لاسباب تتعلق بالاستعمار فى الماضى ، ولاسباب اخرى تتعلق بهمتنا وعللنا فى الحاضر . حتى عندما فتحت الجسور بين المشرق والمغرب فى السنوات الاخيرة ، فانها انما ظلت جسورا مقصورة على السياح وحدهم ، الذين ينشدون الراحة والمتعة لا اكثر .

المهم ان ظروفا عديدة تجمعت، وجذبت انتباهنا الى وجه واحد للاوراس . ولاننا نعشق الملحمة ونتعلق بها ، فان عيوننا ظلت معلقة على البطل، مبهورة به ، ورافضة ـ عن غير وعى ـ ان تتحول عنه لترى ابعد من صورته هذه .

حتى فى حدود دور البطل الذى كان يؤديه ، فاننا لم نلتفت الى جبال شاهقة اخرى لا تقل بطولةفى منطقة الاوراس : شيليه والشلعلع واحمر حدو (!) والمحمل وعيدل . التى خطف منها اسم الاوراس الضوء ، وظلت تلك الجبال تؤدى دور الجنود المجهولين ، بالنسبة لنا على الاقل . ذلك ان الجزائريين يحفظون تلك الاسماء جيدا . وثمة قصيدة مشهورة فى مناطق الاوراس ، للشاعر الجزائرى محمد العيد آل خليفة يقول فيها :



ابراج الحراسة المبنية من الحجارة والصخور ،مازالت باقية على حالها منذ عصر الاحتلال الاسود •

بلدة «منعة» الاوراسية ، كما تبدو من شرفة المنزل او الفندق ، الذى بنى حديثا ، ويطل على مساحة واسعة مليئة بالنخيل واشجار الفاكهة •

بباتنة صوت البشائر لعلعا
فاطرب اوراسا بها والشلعلعا

وهو يشير الى انطلاق ثورة التحرير من مناطق الاوراس ودور بلدة باتنة في ذلك .

لقد شغلنا المشهد المثير عن ان نتعرف في الاوراس على اشياء اخرى كثيرة ، بينها هوية الجبل والبشر .

ذلك انك اذا سألت : ما معنى الاوراس ، لن تجد اجابة محددة . سوف تتلقى « ترجيحات » اهمها ان الكلمة ذات اصول بربرية ، وانها مزيج محرف لكلمتين في لغة البربر : اوربر (جبل) وتريست (الطين الاحمر) .

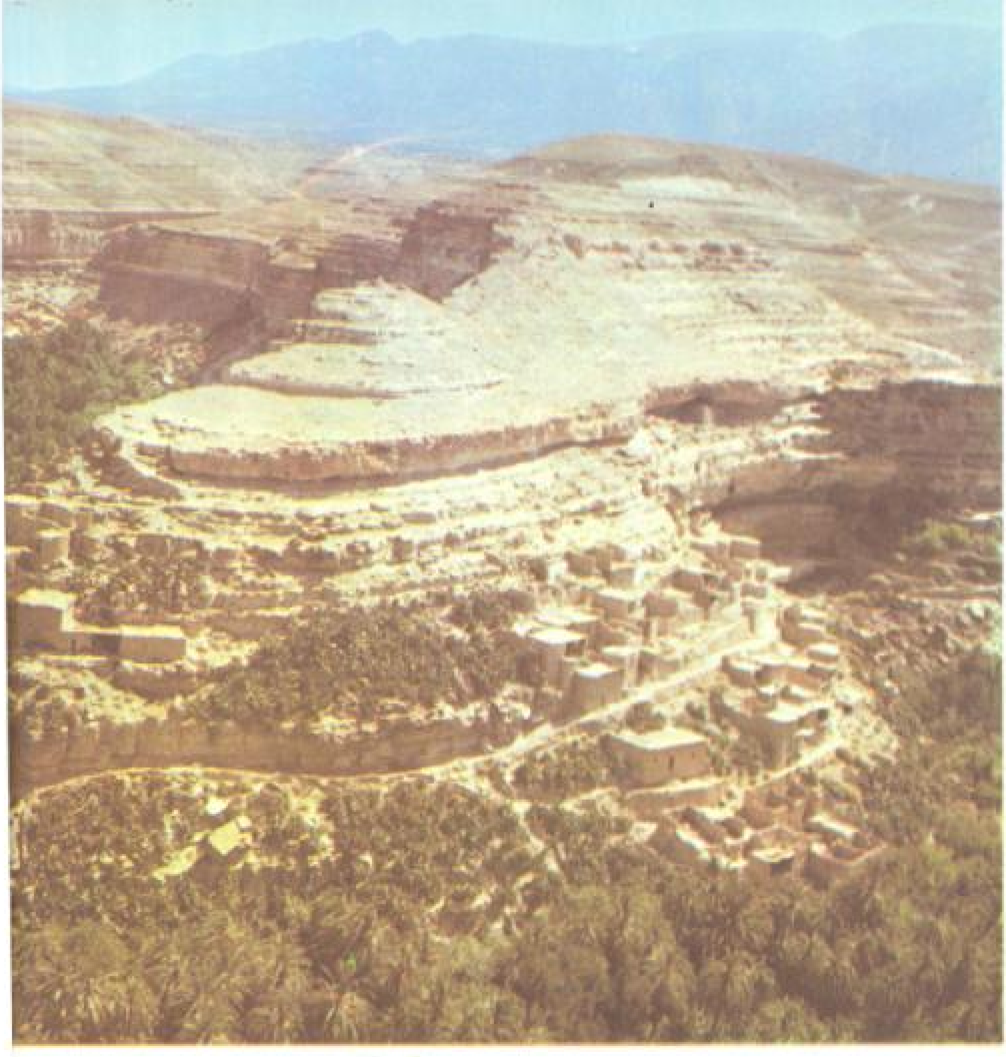
والاوراسيون ايضا ذوو اصول بربرية . غير ان بعضهم يغلق باب الحديث بهذه اللغة العنصرية ، فيبادرون الى تصحيح الكلمة اذا نطقتها . كما فعل مرافقى ، الذى قال على الفور : « شاوية » كلمة ادق . وتصور انه فسر واوضح لى ما كان غامضا . وعندما افهمته ان الامر زاد غموضا ، روى لى قصة طويلة ، خلاصتها ان الشاوية مهنة ولغة وتركيبة عرقية ، واسم لقبائل صحراء المنطقة .

فالشاوى عند البربر هو راعى الغنم .

والشاوية هم قبائل البربر اصلا ـ زناتة وهوارة ـ الذين اختلطوا بالقبائل ذات الاصول العربية . فحدث ان « تبربر العرب وتعرب البربر » ، كما يقول المؤرخ الجزائرى عبد الرحمن الجيلالي . هذا الجنس المختلط ، صار يتحدث لغة مختلطة ايضا بربرية مطعمة بكلمات عربية ، فصارت اللغة شاوية . وهم الان احدى عشرة عشيرة ، موزعة بين الجزائر والمغرب . هنا ـ في الجزائر ـ شاوية اوراس . وهناك شاوية تامسنة .

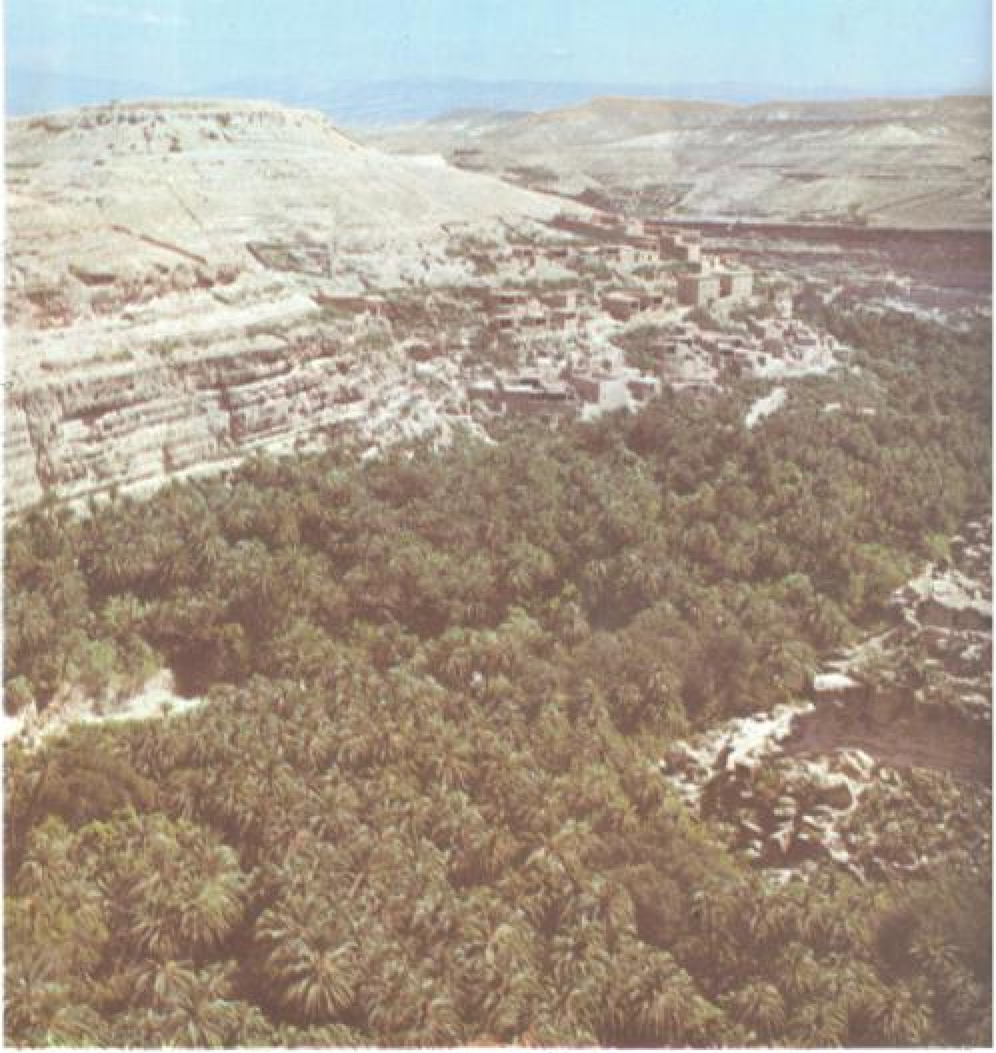
ورغم التحفظات والايضاحات ، تظل كلمة البربر ترن في الاذن ، على الاقل من حيث انهم حقيقة تاريخية هامة ومؤثرة في المنطقة منذ فجر التاريخ .

وقد عثرت على رواية طريفة لابن خلدون ، عن اصول البربر ، سجلها في مؤلفه الكبير « كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ـ الجزء السادس » ، فقد كتب يقول ان « افريقيس بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة ، غزا المغرب وافريقيا .. و .. لما راى هذا الجيل من الاعاجم (في الاوراس) وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها ، تعجب من ذلك ، وقال : ما اكثر بربرتكم ، فسموا البربر ! .. والبربرة بلسان العرب هي اختلاط

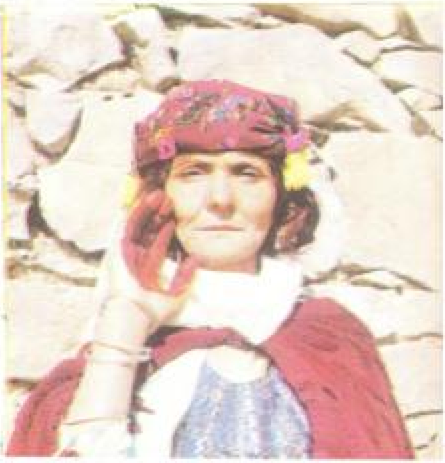




المشهد المثير من شرفة غوفي ، ٢٠ كيلو مترا مغطاة باشجار النخيل في واد عميق ، وسط الصحراء الواسعة .. والوجوه الثلاثية اوراسية ، ذات الحجاب « الوشم » من المدينة ، والسافرة من بدو الصحراء والثالث من عمال المحاجر .







الاصوات غير المفهومة . ومنه يقال بربر الاسد . اذا زأر باصوات غير مفهومة » .

وتعليل ابن خلدون غير صحيح ، لان كلمة « بربار » كان يطلقها الرومان على غير الرومانيين كما كان العرب يطلقون وصف « الاعاجم » على غير الناطقين بالعربية. والسنوات طويلة، ظل الرومانيون يعتبرون الالمان برابرة الشمال ، وكان اهل المغرب العربي الان هم برابرة الجنوب . وبمضي الوقت تقلب اسم القبائل الجرمانية على برابرة الشمال. وارتبطت كلمة البربر بقبائل مناطق الجنوب وحدها .

ومع ذلك لا يخلو كلام ابن خلدون من صحة على الاقل فيما يتعلق بطبيعة لهجة الشاوية واصواتهم ، اذ تقتنعك التجربة بانها فعلا نوع من « البربرة » ، تعجز عن فهمه او استيعابه . ولولا حملة التعريب الجزائرية الهائلة التي بدأت بعد الاستقلال ، لما استطعنا ان نتفاهم مع احد. ذلك ان اكثرنا يربط التعريب في ذهنه بالانتقال من الفرنسية الى العربية . لكنك في الاوراس تنتبه الى ان التعريب له بعد اكبر ، يمتد ليشمل ترسيخ اقدام العربية في معاقل الشاوية . واذا كان قد تعذر علينا احيانا ان نتفاهم مع كبار السن ، الا ان شباب المدارس والمعاهد كلهم يتحدثون العربية بطلاقة ، وان كانت مشوبة بلكنة محلية ، وهذا شيء طبيعي .

في احضان البربر

اخيرا وصلنا الى الاوراس .

بالطائرة ذهبنا من الجزائر العاصمة الى قسنطينة ، فصرنا في رحابه ، لكن السيارة حملتنا من قسنطينة مائة كيلو متر اخرى الى باتنه ، فصرنا في احضانه !

وربما كانت الحسنة الوحيدة للاستعمار الفرنسي هي تلك الشبكة من الطرق التي انشاوها في انحاء الجزائر خلال فترة الاحتلال. والتي صارت بمثابة شرايين قوية ادت دروا هاما في عملية بعث الحياة في العديد من مناطق الصحراء الجزائرية مترامية الاطراف ، التي تبعد بعض مدنها عن العاصمة باكثر من الفي كيلو متر ، ولم يكن هذا هدفا فرنسيا بكل تأكيد ، لان الذي كان يعنيهم هو تيسير حركة جيش الاحتلال والربط بين مراكز تجمعه لاحكام حصار الثوار وقمعهم .. لكنها الضارة النافعة !

وعندما كتب العرب القدامى عن الاوراس ، لم يكن في مقدورهم ان يسجلوا هل هو من الصخر او الجير ، ولا كم يبلغ طوله او ارتفاع قممه ، لكنهم كانوا يحصون عدد الايام التي تستغرقها الرحلة من بدئه الى منتهاه . ولعلنا نذكر ان عمرا بن العاص قد كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب ، بعد فتح مصر ، ان طولها شهر وعرضها شهر . كذلك كتبوا عن الاوراس قبل عشرة قرون، فبينما قال الشريف الادريسي ان « طوله نحو من ١٢ يوما » ، قال ابو عبيد البكرى « وهو مسيرة سبعة ايام » . ويبدو ان كلا منهم قدره حسب همته في السير !

الان نقرأ عن الاوراس ، فيما كتبه المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي : « الاوراس علم لسلسلة اعلام راسية شاهقة . واطوال سامقة باذخة . وقنن عالية الذرى شامخة . واغوار ومغارات ذات مضائق ومعاطف وشعاب ملتوية سحيقة . وتلك هي ما يعبر عنه الجغرافيون باسم الاطلس الصحراوى ، القائم بجنوب ولاية قسنطينة من ارض الجزائر .

« وتشتمل هذه السلسلة الصخرية الهائلة على طائفة من شوامخ الجبال الرائعة ، التي تخترق كامل القطر الجزائرى من اقصاه الى اقصاه . وهي تشكل في وظيفتها الطبيعية شكلا رباعيا طوله من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب نحو ٦٥ ميلا . وتغطي في جنوب قسنطينة مساحة قدرها ..٣٦٠ ميل .. وتعد اضخم واعلى كتلة جبلية جزائرية ، بحيث يرتفع اعلاها المعروف بقمة « شيليه » ٢٣٢٠ مترا »..

ومع ذلك يظل الكلام عاجزا عن وصف جبال الاوراس . قممها وسفوحها التي تغطيها اشجار البلوط والصنوبر . وتلك البقع الداكنة التي تتخلل المساحات الخضراء ، والتي يشار اليها الان باعتبارها من اثار سنوات النضال . عندما كان الفرنسيون يهلكون الزرع والحرث والنسل فيما سمي بسياسة الارض المحروقة .

ثم تلك السهول الواسعة التي تمتد بغير نهاية، والتي تزرع قمحا وشعيرا ، وتتحول الى مراع ضخمة في غير موسم الزرع ، ترتع فيها قطعان الجمال والاغنام في قوافل كأنها شلالات مياه لا تتوقف .

على ان اكثر ما يلفت النظر في مناطق الاوراس هو تلك القلاع الحصينة والصغيرة ، التي اقامها



ابناء قرية اولاد موسى ، التي انطلقت منها شرارة ثورة الفاتح من نوفمبر ٥٤ ، واجتمع
فيها اول مجموعة من المقاتلين بقيادة الشهيد مصطفى بولعيد .

الفرنسيون فوق كل قمة او تل او منعطف ، لتكون نقاط مراقبة ورصد لحركة الثوار . لا تزال هذه القلاع قائمة ، ببنائها الصخرى وجدرانها السميكة. وقد صارت مسرحا لعبث الصغار وملجا لحيوانات الجبل ، بعد ان كانت رمزا للجبروت والتسلط .

.. وصل الجفاف بالارض

حتى مرمى البصر . تملأ الصور عينيك ، وتسترجع ـ ربما ـ مشاهد الفيلم الجزائرى الشهير « رياح الاوراس » ، خصوصا عندما كانت « الكاميرا » تطل على وديان الاوراس وسفوحه من عل ، كاشفة المسرح كله . زراعات القمح الشاسعة ، وقد تحولت على البعد الى بساط ذهبى هائل ، تخترقه نقاط المراقبة كخناجر مدببة وكريهة ، بينما تترامى معسكرات الاعتقال عند اطرافه ، تطوقها الاسلاك الشائكة والمكهربة .

لقد تغيرت كل عناصر الصورة ، المعتقلات ونقاط المراقبة ، وزراعات القمح ايضا !

يطل الحزن من اعينهم وهم يتحدثون عن القمح . تلقى نظرة ثانية على الوادى . تصدمك شقوق التربة وعيدان النباتات الذابلة . وعندئذ تكتشف السر : انه الجفاف !

والجزائريون عموما مجتمع كتوم ، لا يجيد التعبير عن مشاعره ، ربما لانهم منحوا عواطفهم اجازة طوال سنوات القتال. والطبيعة الاوراسية، والهول الذى عاشه الناس طوال تلك السنوات عمقا هذه الظاهرة . حتى صار الجفاف جزءا من طبيعة الناس ونمطا فى سلوكهم .

الان حل الجفاف بالارض ايضا !

ولكنهم لا يشكون . فهم اعتادوا المحنة والابتلاء يحمدون الله على الضراء ، ويسالونه اللطف فى قضائه .

ومع ذلك تفضح اعينهم ما تخفيه اعماقهم . الحث فى السؤال والاستفسار ،اخيرا تكلموا.. المزارعون رددوا مقاطع مبتورة ، مشفوعة بعبارات الشكر والحمد والتسليم . لكن الوالى روى القصة من البداية ..

ذلك ان زراعة الحبوب فى اغلب مناطق الاوراس تعتمد على المطر بالدرجة الاولى . وثمة مناطق اخرى محدودة تعتمد على المياه الجوفية فى الرى، وهى بوجه عام زراعات الخضر والفاكهة محدودة المساحة . والتجربه علمت الناس ان السماء تجود بمياهها ، ويهطل منها المطر الغزير كل ٤ او ٥ سنوات . والاوراس يعيش منذ ثلاث سنوات بلا

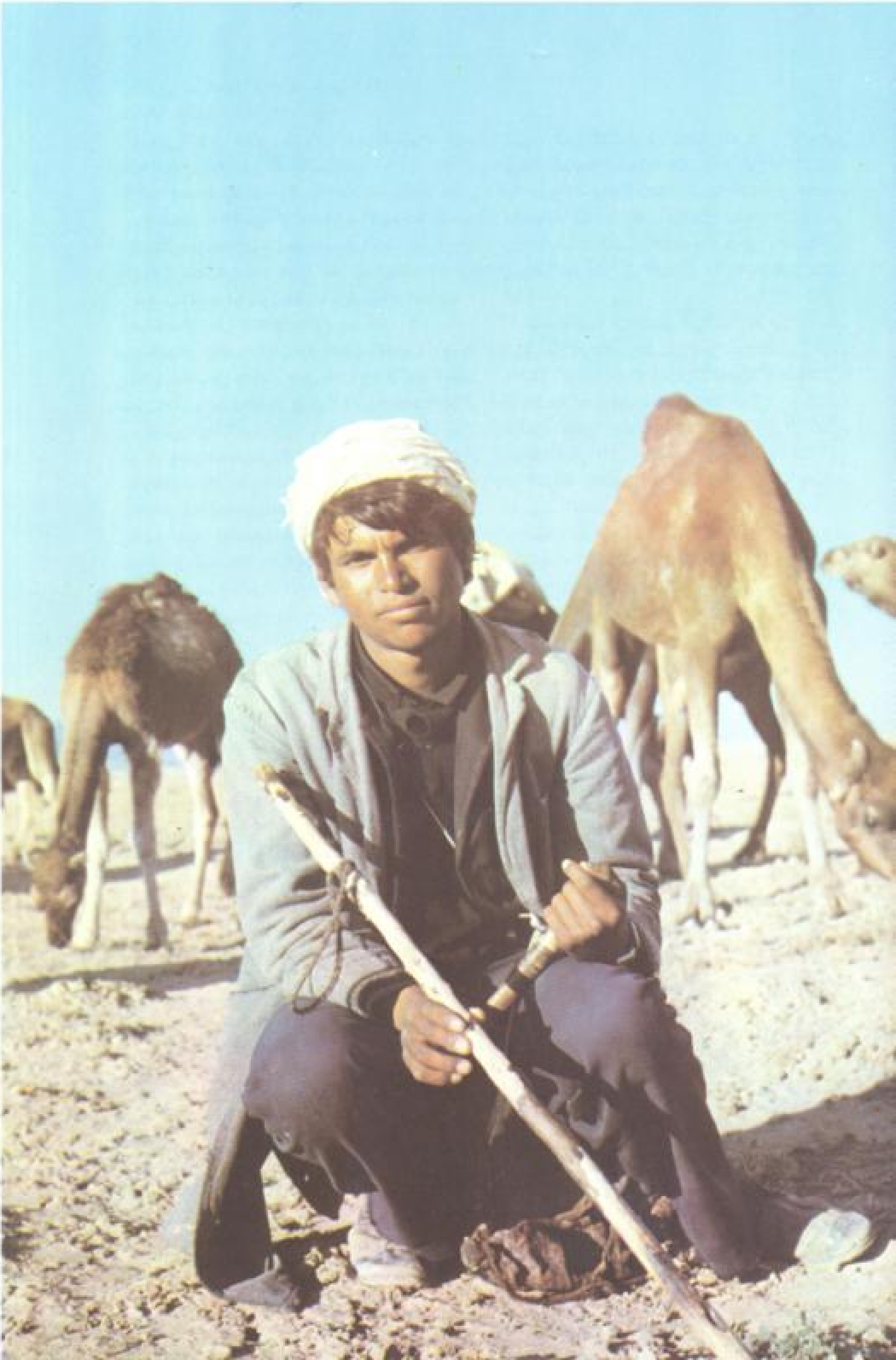


ثلاثة اجيال فى احد شوارع بسكرة ، والمسافة اوضح بين الجيل الاول والثانى .. اما الجيل الثالث فعلم امره عند الله !

وقت ان كان الرعا
يقودون قوافل الجمال
بعيدا عن الوديا
خشية البرد الشديد
كانت سهول الاوراس
مكتظة باعداد الجما
الهائلة ، التى هى جز
أساسى من ثرو
الاوراسيين .



مدينة تيمقاد التاريخية، بقاياها قائمة منذ القرن الاول الميلادى ، وهذه أعمدة معبد الرومان الذين اقاموا المدينة .



امطار ، الامر الذى يعنى ان تلك السنوات مرت بلا انتاج يذكر من المحاصيل .

« لقد اعتدنا في مواسم المطر الغزير ان نجنى ٢٥ قنطار قمح من كل هكتار ، وعندما يكون الموسم متوسطا يهبط هذا المعدل الى كم يتراوح بين ٨و١٢ قنطارا . اما خلال تلك السنوات الاخيرة فهكتار القمح لم يكن يعطي سوى قنطار او اثنين ، او لايعطي على الاطلاق » .

« وهو جفاف عام يشمل الدول المجاورة ايضا ، مالي والنيجر وليبيا وموريتانيا، حتى ان كثيرين من ابناء مالي والنيجر نزحوا الى جنوب الجزائر ويقيمون بها الان » .

« المهم انه فيما يتعلق بنا ، فان استمرار الجفاف طوال ثلاث سنوات يعنى ان خسائر مادية فادحة قد لحقت بابناء الاوراس ، الذين لايزال ٨٠٪ منهم يعتمدون على دخلهم من زراعة القمح والشعير .

« كما ان استمرار الجفاف كثيرا ما يثبط همم الفلاحين الذين يفقدون حماسهم للعمل في موسم الحرث والبذر . ذلك انهم حرثوا وبذروا مرة واثنتين ، ولم ينزل المطر . والخوف ان يتوقفوا عن الحرث والبذر ، ثم يفاجأوا بان المطر قد نزل ! »

« وهي مشكلة بكل تأكيد ، ولها حلان : اقامة شبكة سدود في منطقة الصحراء تخزن مياه الامطار التي تذهب سدى وقد تم انشاء سدين بالفعل . ثم الاستفادة من كميات المياه الجوفية التي تشير الابحاث الى وجودها بوفرة . وايضا انشئت عشرات الابار الارتوازية لهذا الغرض . لكن هذه الجهود بحاجة الى وقت طويل حتى تؤتي ثمارها .. والى ان يتحقق ذلك فنحن والفلاحون تحت رحمة القدر . ❋

عند الملك امدغاسن

ورغم الجفاف والاحزان ، فان عادات مابعد الحصاد عند الاوراسيين لم تتوقف .

وقد كانت زيارتنا للاوراس في الخريف ، الذى يعتبرونه موسم العرس ، حيث يفترض ان المال صار اوفر ، بعد بيع المحاصيل ، بينما تولت شهور الحر الشديد في مناطق الجبال . ، واقبل موسم الدفء ، يعقبه الشتاء ، بكل ما يستتبعه من ضرورات والتزامات ، بينها البقاء في البيوت والاحتماء بها عند الغروب حتى صباح اليوم التالي .. واحيانا تكسو الثلوج المناطق الجبلية ، فيحاصر الرجال في البيوت ، ولايخرجون منها لعدة ايام .

اينما ذهبنا كنا نلتقي مواكب العرس . صف طويل من الرجال والنساء ، يركبون الخيول مرة، والبغال مرات ، والسيارات الخاصة « الطاكسي» – هكذا يكتبونها – في حالات اخرى وجميعا يرتدون اجمل وانظف ما عندهم . وطوال مسيرة الموكب تطلق الاعيرة النارية في الهواء ، تعبيرا عن عن الفرحة واشهارا للزواج عند منزل يعلم بالحدث السعيد القادم .

شهدنا زواجا بين قرية اولاد زايد واولاد بوجمعه ، في الطريق الى قسنطينه ، وكان العرس مزارعا اوراسيا في الثالثة والعشرين من عمره ، هو علي عزوز . شاب انيق فارع الطول ،يرتدى

عمال مزرعة مسعودي العيد التعاونية . التي كانت قبل الاستقلال ضيعة الفرنسي ليكا .عددهم



❋اشارت الانباء القادمة من الجزائر اخيرا الى ان امطارا غزيرة هطلت على المناطق الصحراوية في الشهرين الماضيين .

بدلة داكنة اللون ، ورباط عنق أحمر ، ويضع على عينيه نظارة شمسية . وعن العروس لم نستطع ان نعرف شيئا . اعتذروا لنا بتقاليد اهل الاوراس. التى تكتم اسم المرأة عن اهل القبيلة ، فما بالكم بغرباء يريدون نشر الاسم في « المجازين » على حد تعبير احدهم !

ذلك رغم ان المرأة في صحراء الاوراس اكثر حركة ومشاركة من نساء مدن تلك المناطق ، فهي تعمل في الحقل دائما ، وتخرج سافرة الوجه ، وعلى رأسها عصابة ملونة ، بينما ثيابها مزركشة وزاهية الالوان . بينما المرأة في المدينة الاوراسية مكانها البيت في الاغلب ، والنقاب « الوشم » يغطي وجهها وعباءة واسعة بغير نقوش تلف جسمها كله .

منذ الصباح بدأت طقوس الزواج ، زين بيت العريس بالبسط ذات الالوان الزاهية ، وخصص مكان لاهل القرية من الرجال ، وآخر للنساء . وقدمت فرقة المغنيات بالدفوف ، ولم نستطع ان نفهم من اناشيدهن سوى عبارة واحدة ، لا اله الا

٢١ باسرهم بينهم ٥ من المجاهدين . وارباح المزرعة توزع عليهم سنويا .



الله ، محمد رسول الله ، قبل الظهر كان الجمع قد اكتمل . رجال القرية ونساؤها وصف سيارات « الطاكسي » ، وبعض راكبي الخيول .

الترتيبات كلها جرت والعريس غائب عن المكان ، منزو وحيدا في ركن بعيد . وطبقا لطقوس زواج الاوراسيين ينبغي ان يظل العريس محتجبا ، لايراه لا القادمون ولا حتى ابواه بل عدد محدود من اقرب اصدقائه ويفترض في هذه الحالة انه « خجلان » من الجميع ! ربما لانه سينفصل عن ابويه بعد طول معاشرة او لاسباب اخرى تتصل بما هو مقدم عليه من خطوات ! ويجب ان يظل العريس « خجلانا » لمدة يومين تاليين بعد الزواج — فلا يراه ابواه الا في اليوم الثالث . ولشدة خجله ينبغي ان يطرق الاب والام بابه ، ليدعواه الى الخروج ، وليشجعاه — بعد الذى جرى — الى ان يمارس حياته ومسئولياته الطبيعية في الحقل والبيت .

تحرك الموكب تاركا العريس في خجله وذهبوا الى بيت العروس . نقلوا اثاثها اولا : مرتبة وحاشية وملاءتان . ثم خرجت مغطاة الوجه في ثياب بيضاء، مضت وسط اغاني المنشدات ودقات دفوفهن ، واستقلت اول طاكسي . انطلق عيار نارى معلنا بدء مشهد جديد . تماما كما يفعلون في تصوير الافلام السينمائية : يدق احد المساعدين قائلا للجميع : كلاكيت آخر مرة !

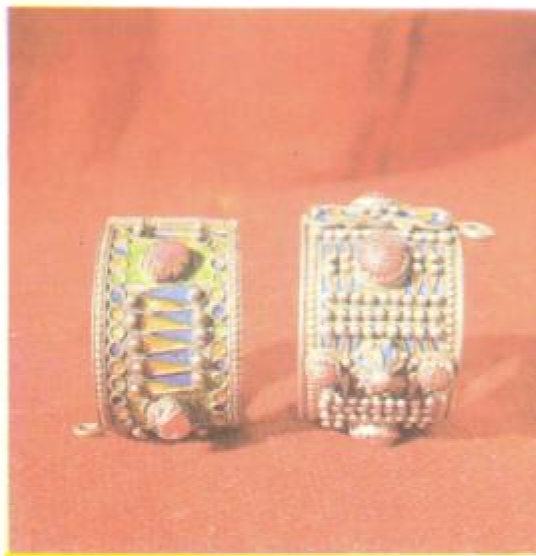
استدار الموكب عائدا . وفوجئنا بانه لم يسلك طريقه الى قرية اولاد زايد ، ولكنه اتجه ناحية اخرى ، وبعد دقائق اقبل على هرم من الصخور الحمراء ، طافوا حوله ثم توقفوا . ترك احدهم « الطاكسي » حاملا كيسا متوسط الحجم .ووضعه على الارض الى جوار الهرم ، فاذا به « عينات » طعام . قطع من اللحم والفاكهة والتمر . تجمع بعض الشباب وظلوا يتخاطفون الطعام ضاحكين . ثم انطلق عيار نارى فعدوا الى السيارات، وواصل الموكب مسيرته الى بيت العريس .. على الغداء.

سألت مرافقي عن لغز الهرم الاحمر ، فضحك قائلا : عبث شباب ، يرحم والديك . الححت عليه ، فلم يجد مفرا من الافصاح بالحقيقة . فهذا قبر الملك « امدغاسن » ابو الملكة الكاهنة ، التى لعبت دورا بارزا في تاريخ منطقة الاوراس. وهم يعتبرونه ابو البربر ، يزورونه في مناسبات زواجهم ، ويتناولون بعضا من طعام الفرح في



جموع المصلين فى مسجد بدائرة مروانة ، كلهم على المذهب المالكى .





نموذج من الاساور الفضية التى تشتهر بها قرى الأوراس ، صناعة دقيقة مطعمة بالاحجار الكريمة .

فى كل مسجد مكان مخصص للسيدات ، يؤدين فيه صلاة الجمعة بوجه خاص، وتكتظ المساجد بالسيدات دائما .

قبر عقبة بن نافع في بسكرة (قرية سيدي عقبة) . وقد غطت الاقمشة الحريرية الملونة شاهد القبر .





حضرته ، ويظنون انه بذلك يبارك زيجاتهم ، التي يفترض انها تكثر من نسل ابنائه البربر !

حضريون وقرويون

كانت « باتنة » هي نقطة انطلاقنا ..

وقد قيل لنا انها كانت في الاصل «بات ـ هنا». ذلك ان هذا الموقع في عهد الاحتلال الفرنسي ـ لاكثر من قرن وربع ـ نقطة تجمع وانطلاق لقوات الغزاة ، في محاولتهم دخول مناطق الاوراس او تطويق منافذه . كانوا فيها يبيتون ، كانت هذه وظيفة الموقع فصارت اسم المكان . وهي سياسة اتبعها المستعمرون الذين تعاقبوا على الجزائر. كانت جبال الاوراس تمتنع عليهم. فلا يجدون مفرا من التربص عند سفوحها في مراكز متناثرة . وفي هذا المنطق ولدت مدن اوراسية عديدة بدأت بمدينة « تيمقاد » التي اقامها الرومان للغرض ذاته .

باتنه الان هي قاعدة الاوراس . وبالقرب منها. اندلعت شرارة ثورة التحرير الكبرى .. اذ فيها «صوت البشائر لعلعا»كما يقول الشاعر الجزائري ـ وهم يطلقون عليها وصف «الكبرى » ليميزوها عن بقية الثورات والانتفاضات التي سبقتها ، والتي تقدر بحوالي ١٥٠ انتفاضة ، بمعدل اكثر من واحدة في كل سنة من سنوات الاحتلال .

وهي عاصمة ولاية تحمل اسمها ، ذلك انه منذ احيل الاوراس الى التقاعد وانخرط في سلك الخدمة المدنية اصبح موزعا على ثلاث ولايات : باتنه ـ وبسكره ـ وام البواقي . ويبدو ان اعتبارات عملية هي التي فرضت هذا التقسيم . اذ كان من الصعب ان يظل الاوراس كله ، بسكانه الذين يقاربون المليونين وبمساحته التي تصل الى ٣٦٠٠٠ ميل مربع وبطموحات التعمير والبناء المقدرة له ، مسئولا من ولاية واحدة ، ايا كانت كفاءة جهازها الاداري، او « الاطارات » بالتعبير المتداول في الجزائر .

وبسبب هذه الاعتبارات العملية اختفى اسم الاوراس من التقسيم الاداري للجزائر (٣١ ولاية) لكنه ظل بحجمه وقيمته ، في التقسيم الطبيعي، وفي خزانة التاريخ !

ادهشني ذلك ، وتمنيت ان يخلد اسم الاوراس بشكل او آخر والا يكتفي في ذلك بما هو عالق في ذاكرة الناس ، او في بطون الكتب ، او حتى بصنف السجائر الذى يحمل اسم الجبل العظيم !

نقلت دهشتي الى « سي الوالى » ، فقال ضاحكا : هل تتصور اننا اقل حماسا منك لاسم الاوراس ، هذا جبل يحبنا ونحبه (وهي جملة قالها الرسول عليه السلام في جبل احد) ، لكن الاعتبارات العاطفية شيء ، والاعتبارات العملية شيء آخر .

وربما كانت باتنه هي اكبر مدن الاوراس واقربها اليه ، وان كانت قسنطينة هي اهم مدن الشمال الشرقي للجزائر . اما بسكرة وام البواقي فهي مدن اقل شأنا . على ان مواصفات المدينة الاوراسية ، او الجزائرية عموما ، تتشابه الى حد بعيد . البيوت الواطئة ذات الالوان الفاتحة، اللون الابيض في الاغلب . والشوارع الضيقة النظيفة دائما . والمقاهي المنتشرة في كل مكان . اما المحلات التجارية التي تمر امامها ، فلا تعرف بالضبط هل هي مفتوحة ام مغلقة ـ فالواجهات صامتة دائما ، عابسة في احيان كثيرة . واللافتات لا تحمل سوى كلمات مختصرة ومباشرة وبغير نبض او حياة . فهذا كتب عليه مواد غذائية ، والاخر مواد تموينية ، والاخر قصاب ، والرابع نزل (فندق) ، والرابع غاز .. وهكذا .

والحمامات العمومية منتشرة في كل حي سكني وفي كل قرية ، وبعض المساجد بداخلها حمامات، يجلس الى جوارها من يبيع للزبائن الصابون والعطر،ويؤجر المنشفة والمغسل وبقية مستلزمات الاغتسال والتطهر .

وفي الامسيات ، يخرج اغلب الرجال والشباب الى الشوارع ، بعد عناء عمل اليوم ، يجلسون في جماعات تصطف الى جوار الجدران ، او في حلقات تملأ المقاهي والارصفة ، يدخنون سجائرهم الشهيرة « صافي » او « ريم » ويشربون « الشاي » والقهوة والتيزانه (التيليو في المشرق) مع المياه المعدنية « سعيدة » . وتظل المقاهي هي مكان الترويح الوحيد المتاح امام الناس . وان كان زائر الاوراس يستطيع ان يقرأ في عيونهم حيرة الذين لا يعرفون كيف واين يقضون اوقات فراغهم، وهي طويلة في قرى الاوراس ، خصوصا في سنوات الجفاف .

ايضا فان القرى الاوراسية متشابهة من حيث الشكل . مجموعة محدودة جدا من البيوت ـ من ٥٠ الى ١٠٠ بيت عادة ـ تتمدد متلاصقة على

السفوح وعلى جانبي الوادي . اما القرى التي كان يسكنها المعمرون الفرنسيون فهي تختلف تماما . ليست القرية تجمعا سكانيا تحيط به المساحات المزرعة ، ولكنها مجموعة من البيوت المتباعدة والمتناثرة ، كل عائلة تعيش في بيت كبير ـ نسبيا ـ يتوسط الارض التي تملكها .

سيناريو واحد ..

كان مرافقنا رجلا وقورا في الستين من عمره ، هو مدير الشئون الدينية بولاية باتنة ، محمد الامير الصالحي. ورغم انه اوراسي المولد والمنشأ، اي انه عاصر مراحل النضال الجزائري خلال نصف القرن الاخير ، فانه كان قليل الكلام عن تجربته ، وفي كل مرة حاولت استدراجه للحديث حول الماضي . كان يردد عبارة واحدة : لقد كان حظنا كحظ اخواننا . اي اننا لم نفعل اكثر مما فعله الاخرون . ولم نصب باكثر مما اصاب الاخرين .

كنا نخرج صبيحة كل يوم بسيارة « ستروين » فرنسية ، نقطع مئات الكيلومترات عند سفوح الاوراس وفي مدنه وقراه ، ثم نعود في المساء . وكانت جولاتنا في الحقيقة بمثابة ملاحقة لمواكب التاريخ التي عاشت ومرت من هنا ، وان كانت شواهد التاريخ القريب ما زالت حية او «كاينة» كما يقول الجزائريون واذا لم تكن حية في معالم الامكنة ، فهي بكل تاكيد باقية في ذاكرة الناس .

ذلك انه ما من قرية الا ولها قصة دامية مع الاحتلال الفرنسي . وما من انسان الا وله اب او اخ او ابن قتله الفرنسيون . وما من بيت الا وتعرض للتفتيش او الهدم او الاحراق . سر في اي اتجاه وامض في اي شارع ، وادخل اي قرية او اطرق اي بيت ، فستجد عناصر القصة مكتملة بين يديك ، بوجهها المأساوي والبطولي .

وهو « سيناريو » واحد كنا نعيشه كل يوم. « فيني ديس » كانت مركزا لتعذيب المجاهدين وفيها اعدم مئات الرجال والنساء . « حراكته جرمة » القى فيها الفرنسيون مئات من ابناء المجاهدين . « جبل بو عريف » كان نقطة انطلاق للثوار . « عين السخون » كانت ضيعة للفرنسي كيلي ، ومركزا للتعذيب وهي الآن من قرى التسيير الذاتي . « يابوس » كانت مركزا للجيش الفرنسي ينطلق منه الى جبال شليه . «الحمام»

احرقها الفرنسيون عن آخرها وقتل اغلب سكانها. امزانة ، تافروت عسيرة ، الدشرة الحمراء . تافروت عمر ، قرى هدمها الفرنسيون واخلوها وجعلوها منطقة محرمة .. وهكذا .

واياً كان الهول الذي لقيه ابناء هذه القرى، فلم يكن نصيبها اكثر او اقل من نصيب عشرات القرى الاخرى اذ ان الجميع عاشوا في اتون الاستعمار الفرنسي البغيض والشرس.وكان حظ تلك القرى كحظ اخواتها على طول الاوراس وعرضه ، اذا استخدمنا عبارة شيخنا الصالحي.

مواكب التاريخ

على ان ثمة مواقع وعلامات لا بد تستوقف زائر الاوراس ..

لا بد مثلا من وقفة عند قرية « اولاد موسى » ، التي تنتشر بيوتها الثلاثون على سفح جبل اسمول فمنها خرجت اول مجموعة عمل ليلة الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ ، وكانت الشرارة التي فجرت ثورة التحرير الكبرى . في واحد من بيوت هذه القرية،اجتمع الثوار بقيادة ابي الثورة الجزائرية مصطفى بنبولعيد ، ووزعوا المسئوليات والسلاح ، وانطلقوا في شعاب الاوراس ، يشعلونها نارا ضد الاحتلال الفرنسي ، وكان اول كمين نصبوه في تلك الليلة لضابط فرنسي على بعد ١٨ كيلومترا من اولاد موسى ، عند منعطف يؤدي الى نفق تميزه لوحة تذكارية رومانية منقوشة على صخرة هائلة، وهو مكان يعرف الان باسم « خنقة تاغيت » .

لا بد من جولة في مدينة « تيمقاد » التي اقامها الرومان في القرن الاول الميلادي ، وبدات كمعسكر للغزاة ، ثم صارت مدينة تجارية هامة فيما بعد، تشير النصوص القديمة الى ان سكانها بلغوا عشرين الفا في القرن الرابع . اذ كانت تمر بها قوافل التجارة المتجهة من تونس وقرطاجنة الى الشواطيء الايطالية .

مدخل المدينة لا يزال قائما ، وقاعة الشيوخ والمعبد والحمامات ، واستاد دائري كبير ، يقام عليه الان مهرجان تيمقاد للفنون الشعبية كل عام، ويتسع لثمانية آلاف متفرج .

لكنهم لم يهنأوا بها ، لان ثورات البربر المتكررة انهكتهم واضعفت من وجودهم ، الامر الذي سهل اجتياح الوندال للرومان ، ولكن الاوراسيين استمروا في مقاومة الغزاة الجدد ، وكان انفجار



راكبو الخيول والبغال، وقد خرجوا في موكبهم التقليدي لاحضار العروس .

العروس وقد خرجت بثيابها البيضاء ، محاطة بنساء الاسرة وأهل القرية .





فريق المغنيات حاملات الدفوف يستقبلن العروس عند مدخل بيت العريس .



قبر الملك امدغاسن ، جد البربر الاكبر ، الذي يطوفون حوله قبل عقد [illegible]

ثورتهم الكبيرة في القرن الخامس ، الذى ادى الى اجتياح السهول ، وتدمير اثنين من اهم مراكزهم ، تيمقاد وبغاية .

وحتى عندما جاءت جحافل البيزنطيين ، ببسطوا نفوذهم على الاوراس ، وشيدوا قلاعهم ، احيوا تيمقاد مرة اخرى ، عندئذ استمرت نار المقاومة مشتعلة ، وتوالت ثورات البربر ، وبرز اسم زعيمهم يابداس ، الذى على يديه خربت تيمقاد مرة ثانية ، وواصل الثوار انتصاراتهم ، مما اضطر البزنطيين الى عقد هدنة معهم ، حتى جاء الفتح الاسلامى فغير المسرح كله .

لا بد من مرور على جبل « مستاوة » الذى شهد احدى الثورات العديدة التى قامت قبل انتفاضة عام ١٩٥٤ وهى المعروفة بثورة مستاوة التى انفجرت عام ١٨٧١ بقيادة واحد من شيوخ الزوايا الذين ظلوا يلعبون دورا هاما في مقاومة الاحتلال ، هو الشيخ محمد الصالح بن زيد . وقد تحصن الثوار بهذا الجبل ، لكن القوات الفرنسية استطاعت اقتحامه . ويروى ان ضابطا فرنسيا تسلل وفاجأ فتاتين كانتا تطهوان الطعام للثوار ، لكنهما بادرتا الى القاء نفسيهما من قمة الجبل ، حتى لا تقعان في ايدى الفرنسيين ، وقالت احداهما عبارة هى من اكثر الامثلة تداولا على السنة الاوراسيين هى : في التراب ولا في اولاد الكلاب !

لا بد من وقفة في شرفة « غوفي » ، تلك القرية التى تطل على مشهد من اجمل واروع ما رسمته الطبيعة في صحارى الجزائر . وهو غور لواد عميق تغطيه اشجار النخيل على مسافة تمتد ٢٠ كيلومترا فلا ترى العين على البعد حبة رمل من الارض . ولكنها ترى فقط لوحة خضراء شديدة الكثافة تتوسط الصحراء الواسعة . وتحت اشجار النخيل وبينها ، تنمو اشجار التين والبرتقال والرمان والمشمش والتفاح . وعلى جانبى الوادى اقيمت بيوت الفلاحين وكهوفهم ، على اشكال عجيبة تبدو كما لو كانت منحوتة في الصخر ، او مرسومة بريشة فنان مبدع .

ثمة فندق اقامه الفرنسيون على سفح الوادى، صف من الغرف المتراصة ، التى تطل كلها على هذا المشهد ، ولكن الثوار هاجموه وخربوه نكاية فيهم . ولا يزال في انتظار من يعيد اليه الحياة، ويستثمره سياحيا .

عند «سيدى عقبة»

لا بد ايضا من وقفة ـ تطول بعض الشيء ـ عند قبر عقبة بن نافع ، الذي خرج من المدينة مقاتلا في سبيل الله ، ففتح المغرب كله ، حتى وصل الى البحر وقال قولته الشهيرة: يا رب ، وعزتك وجلالك ، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد اجاهد في سبيلك ، حتى لا يعبد احد سواك . ثم شاء القدر ان يكون مصرعه هنا ، عند سفوح الاوراس ، وعلى ايدى قبائل البربر.

ولولا ان القرية تحمل اسم ـ سيدى عقبة ـ لما لفتت الانظار ، لشدة تواضعها وهدوئها. والمسجد الذى يرقد فيه جثمانه اكثر تواضعا . في حجرة مربعة لا تجاوز اربعة امتار عرضا ومثلها طولا ، تمدد الجثمان يعلوه « شاهد » مكسو بقطع من القماش الحريرى الملون . وعلى الجدران المطلية باللون الاخضر نقشوا بيتين من الشعر هما :

والـذى مـلأ البقـاع ثنـاء
طيب الذكر فاتح الغرب عقبه

ذاك اعنى ابن نافـع ذا المعالى
بـاع للـه نفسـه فاجبـه

في هذا المكان،بولاية بسكرة الاوراسية الثانية، استشهد عقبة بن نافع في سنة ٦٣ هجرية ، هو و ٣٠٠ آخرون من الصحابة والتابعين ـ في موقعة تهودة الشهيرة .

ذلك ان الفتوحات الاسلامية كانت قد وصلت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (بقيادة عمرو ابن العاص) الى طرابلس وسرت بليبيا . وفي عهد عثمان بن عفان وصل المسلمون الى تونس (كان يطلق عليها افريقية) وفي عهد معاوية مضت الفتوحات الى ابعد ، وبلغت الجزائر . وكان ابو المهاجر دينار هو اول قائد مسلم تطأ قدماه هذه المنطقة الاوراسية ، وعرض الاسلام على اهلها فاسلم بعض البربر ، وفي مقدمتهم ملكهم الشهير كسيلة . وفي عهد يزيد بن معاوية تولى عقبة القيادة من ابى المهاجر ، ويقال انه اساء معاملة ملك البربر ، فثار لكبريائه ، وارتد عن الاسلام، وفر داعيا قومه الى التصدى لعقبة . وكان له ما اراد ، حتى نصبوا للقائد العربى كمينا في هذا المكان ، فقتلوه هو ومن معه ، وانتعشت احلام ملك البربر ، ولكن جيوش المسلمين عاودت التصدى له بعد ذلك ، حتى قتل قرب القيروان.

ولكن ملكة بربر الاوراس بعده ـ المعروفة باسم الكاهنة ويقال انها امه ـ حملت لواء الثورة والتمرد ضد المسلمين ، طوال ثماني سنوات ، هزمت خلالها جيشهم بقيادة حسان بن النعمان. ولكنه تصدى لها في جولة ثانية حتى لقيت مصرعها عند نقطة قرب قرية تاجوت الاوراسية ، لا تزال تعرف باسم « بير الكاهنة » .

هذه الصفحة من التاريخ مليئة بالتفاصيل ، فضلا عن ان بعض وقائعها تحتاج الى تدقيق ، وما زالت محاطة بقدر كبير من الغموض . الامر الذى فتح امام المستشرقين وغيرهم فرص العبث بتاريخ هذه المنطقة ، ومحاولة الوقيعة بين العرب والبربر ، وبين البربر والاسلام .

ذلك ان ثورة كسيلة ملك المغرب وقتله عقبة بن نافع ، لم يكن سببها الوحيد هو اهانة عقبة لملك البربر ، بل كان هناك عنصر اخر اشار اليه الدكتور ابراهيم حركات استاذ التاريخ بجامعة الرباط فى بحث له حول هذا الموضوع ، هو البيزنطيون الذين طاردتهم جيوش المسلمين من المنطقة . وهو ينقل عن ابن الاثير ان مراسلات جرت بينهم وبين كسيلة ، ليعاونوه فى التصدى للقائد العربى وجيشه ، وان هذا التعاون تم بالفعل . وكان هذا الكمين الذى نصب لعقبة وصحبه فى تهودة ، التى هى فى الاساس قلعة للبيزنطيين كانت تشغلها حامية رومية قاومت عقبة من قبل مقاومة شديدة .

كما ان انتفاضات البربر التى استمرت بعد ان استقر الاسلام بها فى العصر الاموى ، لم تكن فى حقيقتها ثورات بربرية ضد الاسلام ، وانما كانت فى شق منها ـ كما يقول الدكتور حركات ـ ثورات لمسلمين يعتزون باستقلالهم وكبريائهم ، ضد ظلم وغطرسة بعض الولاة الامويين . وقد كان هم هؤلاء البعض ان يحصلوا الغنائم والسبايا، حتى انهم عاملوا البربر معاملة الذميين وفرضوا عليهم الجزية . لم يتصرف هؤلاء البعض كفاتحين ومبشرين ، وانما سلكوا طريق الغزاة الطامعين كغيرهم من الروم والوندال .

وفى شق اخر ، كانت انتفاضات البربر جزءا من الصدام العنيف الذى عرفه التاريخ العربى بين الفرق الاسلامية المختلفة . ذلك ان الخوارج اتجهوا الى المغرب ينشرون فيه دعوتهم بعد الهزائم التى لحقت بهم فى المشرق فى عهد الامويين . ومنذ ذلك الحين بدات تروج فى الاوراس افكار فرق الخوارج المختلفة ، على راسها الصفوية والاباضية . والصفويون هم الذين ثاروا على بنى امية ، وبعدهم ثار الاباضيون لفترة من الزمن فى العصر العباسى . حتى ظهر تيار الشيعة فى القرن الرابع الهجرى (دولة العبيديين) ، فكانت لهم صولات اخرى وجولات مع الاباضية .. وانتهى الامر بالاوراسيين الى رفض هذه الافكار وتلك ، والعودة الى المذهب السنى، حتى صارت الاوراس معقلا للمذهب المالكى منذ القرن الثامن الهجرى، والى الان .

لكن البعض يحلو له دائما ان يصف البربر باعتبارهم كانوا معسكرا معاديا للاسلام رافضا له، وهذه مغالطة كبرى ، تحتاج الى جهد الباحثين لتصحيح ما شوه من حقائق ، وتنقية سطور تلك الصفحة من التاريخ من شوائب الدس ومحاولات الوقيعة .

●

وقبل هذا كله وبعده ، يجب ان يستوقف زائر الاوراس شىء اخر هو : الانسان . البطل الحقيقى للقصة كلها ، فى الجبل والسهل ، فى الحرب والسلام .

هذا الانسان شديد التدين والايمان ، الذى يقبل عليك دائما برقة زائدة ، يناديك « سيدى » ويعقب على كل جملة تقولها بكلمة « صحة » ولا يفوته ان يدعو لوالديك بالرحمة والمغفرة ..

هذا الانسان المتواضع والبسيط هو البركان الحقيقى الذى انفجر فى الاوراس ، واستطاع ان يحول الجبل من علامة فى المكان ، الى رمز باق فى كل زمان .

هو الذى نقل الاوراس من كتب الجغرافيا ، ليحتل موقعا بارزا فى كتب التاريخ .

وهذا هو التحدى الاول الذى اجتازه الانسان الاوراسى الجزائرى باقتدار وامتياز .

وهو الان ، ومنذ الاستقلال ، يواجه تحديا اخر : ان يتحول من موضوع ودرس فى التاريخ الى محرك ومؤثر فى التاريخ . من ماض عظيم الى حاضر زاهر ومستقبل عظيم .

وذلك امتحان شاق طويل .. لان عظمة الماضى بقدر ما هى شهادة انتصار ونجاح للاباء والاجداد، فقد تصبح شهادة رسوب للابناء والاحفاد .

ولانه ليس بالماضى وحده يعيش الانسان ! ■■

بأفواههم وأقدامهم يرسمون

رسالة روما ـ فريد كامل

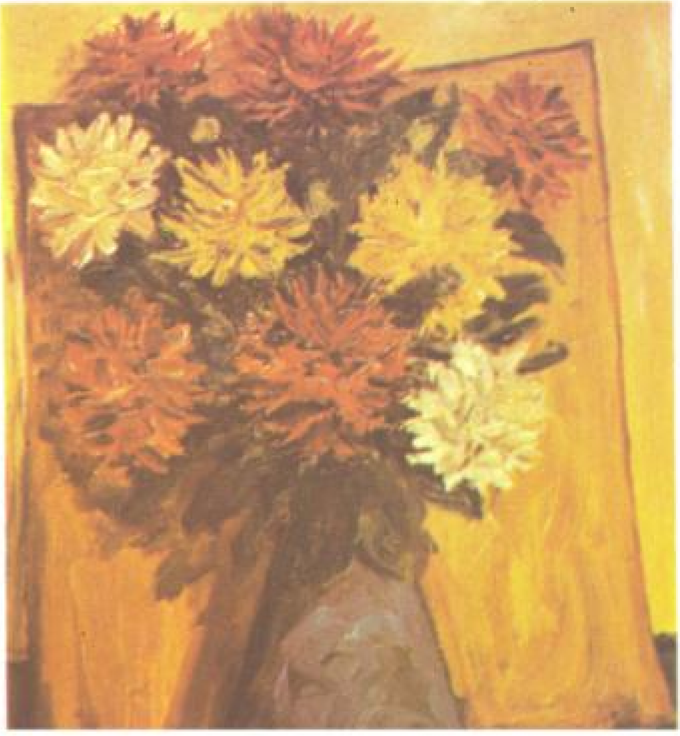




ترانكيلو فريجوني : ولد في ١٩٥٦ أصيب في طفولته بمرض شل اطرافه يرسم ممسكا فرشاة الرسم في فمه .



«رأس كلب» : لوحة
بالقدم للفنان الفرنسي
اريك بيرار .



« طبيعة صامتة » :
لوحة بالفم للفنان
الايطالي ترانكيلو
فريجوني .

فن الرسم بالفم ٠٠ وبالقدم ٠٠ تراه الآن فى مدينة « فيرونا » الايطالية ، فى المعرض الاول للوحات الفنانين المعوقين الذين يمسكون بالفرشاة باسنانهم او بين اصابع اقدامهم ليرسموا ٠٠

المعرض نظمه الفرع الايطالى « للاتحاد الدولى للفنانين المعوقين » (ومقر الاتحاد بمدينة دارمستاد بالمانيا الفيدرالية) ٠ ويضم لوحات بالالوان المائية والزيتية، رسوما بالقلم وبالاحبار ولوحات من الحفر وقطعا من الخزف المزخرف لاثنى عشر من الفنانين الاوربيين (غالبيتهم من الايطاليين والفرنسيين والالمان) ٠٠ وتتميز هذه الاعمال ليس فقط بالمهارة الفنية والتنفيذية (التحكم الكامل فى الخط والشكل واللون) بل ايضا بدرجة عالية من النضج الخلقى والتعبير الفنى ويثير المعرض اهتماما كبيرا بين النقاد وجمهور المتفرجين ٠٠

ولعل الأفضل ان نترك صور بعض اعمال هؤلاء الفنانين المعوقين لتتحدث عن نفسها وعنهم ٠٠



ارنولف اريك ستيجمان : ولد فى ١٩٢١ مشوها ٠ بدأ يرسم ممسكا فرشاة الرسم بين اسنانه – ويعرض لوحاته فى ١٩٣٢ – انشأ فى ١٩٧٥ « الاتحاد الدولى للفنانين المعوقين » – يجيد استعمال الوان الزيت والماء كما ان له أعمالا من الحفر والرسم على الخزف ٠



لوحة «موناليزا» الشهيرة كما
نقلها بفمه الفنان ستيجمان ·



شعار الاتحاد وبوسطه رسم
يمثل المعوقين وهم يعملون ··



« وعاء الورد على المائدة » : لوحة رسمت بالفم للفنان الايطالي ماريو بازرون · (الصورة الى اعلا) ، « وعاء الزهور » : لوحة رسمت بالقدم للفنان الفرنسي شارل باش ·(الصورة الى اسفل)·





ماريو بازرون : ولد في ١٩٤٢ واصيب بالشلل نتيجة لحادث في طفولته · يرسم ويكتب الادب ممسكا بالفرشاة والقلم بين اسنانه ـ نشرت له عدة روايات وقصص ومقالات · يهوى كرة القدم ويعمل مذيعا لوصف مباريات كرة القدم في اذاعة مدينة بادوفا ·



« طبيعة صامتة » : لوحة رسمت بالفم للفنان الايطالى انريكو فيروتيزى

« منظر » لوحة بالفم للفنان الألماني انرلف ستيجمان





عكازات

كل البشر يضعون الأقنعة :

● نظرة خاطفة الي انسان العصروسلوكه وأخلاقه ومواقفه تثير في المتأمل المفكر تساؤلا واحدا على الاقل من بين عشرات التساؤلات الخطيرة وهي: أين شخصية الانسان الاصلية ••• ،وما مقدار الطبيعي والجوهري من خلقه وسجاياه ••• ، وما مقدار المزيف والمكتسب والظاهري منها ؟ •

وباستعراض سريع وشامل لسلوك البشر ، سنصاب حتما بخيبة أمل عندما نجد أنه كلما قطعت البشرية عقودا وقرونا من الزمن فانها تفقد من الجوهر وتزيد من المظهر والمصطنع ، وتضيع بين القشور وتنحدر الى الخداع : خداع الذات وخداع الاخرين •

الاغريق ••• ، والقناع

ونحن نعرف من أدب علم النفس ان اصطلاح الشخصية Personality مشتق من كلمة Persona الاغريقية والتى تعنى (القناع) • والقناع فى تلك الحقبة من الزمن كان يضعه الممثلون على وجوههم أثناء تمثيلهم المسرحيات المختلفة باعتبار أن كل قناع يدل على (دور) الممثل وشخصيته : فهذا اله •• وذاك وحش •• وذلك فارس •• وتلك فتاة •• وأخرى زوجة •• وآخر مهرج •• وهكذا •

وقد كان تفكير الاغريق منطقيا وواقعيا باعتبارهم أن سجايا الشخص تبدو فى تعابير وجهه وسحنته ، أو أن دور الشخص يتحدد بالقناع الذى يضعه • واكتشف علم النفس الحديث كذلك أن الشخصية البشرية غالبا ما تختفى وراء الاقنعة فلا نرى من حقيقتها الا ما ظهر منها وليس ما بطن •

وحياتنا اليومية تثبت ذلك•فالشخص الاجتماعى « المهذب » هو بالحقيقة يمثل دوره الاجتماعى وراء قسمات وجهه وتصرفاته بعد مسيرة طويلة وشاقة من التمرين والتعليم فى البيت والمدرسة والمجتمع • نحن نبتسم ونجامل ونحيى ونتلفظ بكلمات العفو والشكر مهما كان شعورنا الحقيقى الباطنى • نحن نمثل الادوار التى صممتها لنا ووزعتها علينا ظروف الحياة التى نعيشها واطرها وهى أطر التقاليد والعرف والقانون والاصول والعادات • ومن هذا المصنع تنتج الاقنعة المختلفة وتوزع على الناس كما توزع الادوار على الممثلين• ولهذا فان قول أحد علماء النفس « كلنا نضع الاقنعة » صحيح جدا • لكن توزيع الادوار والاقنعة الذى يتم بحكم التطور الحضارى والوضع الاجتماعى والعائلى شىء ، ووضع الاقنعة الذاتية المصطنعة لاغراض خاصة شىء آخر •••••

التوكؤ على الاشخاص والاسماء

فهناك من الناس من يضع له الاقنعة التى تناسبه ويرسم الادوار التى يريد أن يمثلها عن

..وأقنعة!

بقلم: الدكتور فخرى الدباغ



قصد وتدبير ، كما يحدد المعونة التي يريدها والعكازات التي يستند عليها في درب الحياة لتحقيق مصلحته . هؤلاء هم الذين يستخدمون الاقنعة والعكازات « النفسية والاجتماعية » بأساليب منظورة أو مستترة .

فالوساطة المتفشية عكاز عريق معروف .. ، والاعتماد على القربى والاصدقاء من ذوى النفوذ عكاز آخر ... ، والاديب المغمور الخائب يتكىء على ناقد صديق لامتداحه ورفع شأن انتاجه ...، والذى يستجدى المديح والتشكرات يقف وراء ستارة من ورق وكلمات . وهناك نوع خاص من الاقنعة التي تخلو من كل تعبير وسمة ولا يمكن قراءتها وما تخفيه من ورائها ..... وهي شهيرة عند لاعبي القمار . كلاعب (البوكر) الذى لا يختلج وجهه أو تلمع نظراته لئلا يقرأها منافسوه في القمار ..... ولقبه « صاحب وجه البوكر » Poker-Face.

لقد اصبحت الاقنعة العصرية مرتسمة على الوجوه ذاتها واصبحت الاقنعة التمثيلية اليونانية لعبا وتسلية للاطفال يشترونها من مخازن الالعاب! حتى الاسماء استعملها البعض عكازات لتمشية أمورهم . كان الاسم الحقيقي للكاتبة الفرنسية الشهيرة (جورج صاند) (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦م) هو (ارماندين لوسيل اورور) . لكنها حملت اسم الرجال لترويج كتاباتها الى أن عرفها الناس .

ويذكر الاديب المعروف الدكتور عبد السلام العجيلي في كتابه (أشياء شخصية) أن باحثا ومفكرا عربيا وضع على بطاقته الشخصية وتحت اسمه ولقبه (المرشح لجائزة نوبل) ، بينما ملخص

الحكاية أنه سبق لذلك الباحث أن أرسل خطابا الى اللجنة الاكاديمية السويدية لترشيح نفسه للجائزة فارسلت اليه اللجنة ـ حسب الاصول المتبعة ـ اشعارا باستلام ووصول الخطاب فقط !.

ويذكرنا هذا الطراز من الناس بمفكرين آخرين ممن رفضوا جائزة نوبل لانهم لم يجدوا فيها ما يزيدهم قدرا مثل برناردشو .

وفي سوق الشعوذة

وتتجلى عملية التلاعب بالقيم واستخدام الاقنعة والعكازات في وسائل الدعاية التجارية الرخيصة وبين الدجالين والمشعوذين . وقصة الرجل في العلوم الطبية في القرون المظلمة ـ وحتى الآن ـ من ابرز الامثلة على ذلك .... كالذي ينتحل صفة الطبيب المتمرس ويعلق الشهادات المزورة لاثبات ذلك أمام البسطاء . وكم من مرات قبضت سلطات الامن ونقابات الاطباء على دجالين من هذا القبيل ادعوا انهم متخرجون من كلية الطب الفلانية فاذا بهم جهلة محتالون .

ومن طرائف الحكايات في تاريخ الطب ما حدث من نقيض ذلك تماما . فقد أتهم طبيب في باريس بانتحال صفة الطب والشعوذة . فلما حقق معه تبين انه يحمل شهادة طب حقيقية . لكنه اعترف بانه آثر اخفاء شهادته الرسمية لأن والده كان متطببا بدون شهادة وكان مشهورا وناجحا في عمله . فلما ورث الابن الطبيب (الرسمي) لقب أبيه ورواج مهنته فكر بان يستند على سمعة أبيه بدل شهادة الطب الشرعية ! .

وتقبض سلطات الامن بين حين وآخر على محتالين مغامرين ينتحلون صفات رسمية وأمنية فيهددون البسطاء والسذج ويبتزون الاموال ، لكن السلطات الساهرة تعلنهم على الملأ في الصحف كعبرة لغيرهم .

وتطيب لبعض الناس المناصب والعناوين البارزة ... ويجدون في الانتفاخ والتضخم باللقب والمظهر اكمالا لمكانتهم وشخصياتهم ومصدرا لسعادتهم الحقيقية . فاذا وصلوا الى مركز أو احتلوا منصبا تمسكوا به وتعلقوا كتعلق الغريق بقارب نجاة والجائع بلقمة غذاء . ويكون شغلهم الشاغل كيفية الاحتفاظ به وايجاد الوسائل لترسيخه .

لذلك نجد ان هذا النمط من الشخصيات يصاب بذعر ويشعر بمأساة حقيقية اذا حدث وأن فقد مركزه كاجراء طبيعي لا بد من حدوثه في آية دائرة أو مؤسسة تحتاج الى تحرك وتطوير . فتغيير المراكز والاشخاص قد لا يكون علامة الفشل بل دليل الصحة الطبيعية وسنن التطور والتغيير .

فعكازة المنصب التي يفقدها الشخص أو المغرور أو غير الواثق من نفسه تؤدي الى شبه انهيار أو اكتئاب أو جمود فكري ، بينما تجد الشخص الذي يعتقد انه يزين منصبه وانه يؤدي واجبا ومسئولية لها حدود في الزمان والمكان لن يجد في تغيير أو فقد المنصب يوما حدثا خطيرا يمكن أن يؤثر في ذاته أو نظرة الناس اليه . وفي ذلك ينطبق قول الشاعر الحكيم المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكريم المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

وتذكرنا هذه النماذج البشرية بحكاية الكاتب الانكليزي الشهير (توماس كارلايل) الذي كان قد تلقى رسالة من رئيس الوزراء (دزرائيلي) آنذاك يرشحه فيها لحمل لقب (لورد) . وكان رد كارلايل على ذلك بان أوضح لدزرائيلي أن اللقب وما يتبعه من مرتب لن يرفع من قدره شيئا ، وأنه لم يعد يطيق حمل لقب اللورد الثقيل وقد ربا سنه على الثمانين عاما .

ذوو العكازات والاقنعة من هواة الالقاب والمناصب تخدمهم ولا يخدمونها .. تحميهم ولا يحمونها الا بقدر ما تعزز مصالحهم ومصادر قواهم ونفوذهم .

الملابس أقنعة

وكان الانسان القديم شبه عار الا ما يستر عورته من ورق الشجر أو رقع نسيج بسيط أو جلد حيوان . وكان يلتفع بقطع بسيطة لتقيه البرد القارس أو الريح أو الشمس الحارقة . كانت الملابس وسيلة للتكيف المناخي الجغرافي ليس غير .

وتحضر الانسان وانتبه الى مآرب أخرى في الملبس والمأكل . فأصبحت للملابس رموز ودلائل مختلفة . وتعددت المعاني والرموز بظهور وتعدد الطبقات والقيم الاجتماعية الجديدة . وأصبحت الملابس والأزياء ونوعية الاقمشة تدل على الثراء

او الفقر •• وعلى الوجاهة أو الشعبية •• وعلى الجنس والحالة الزوجية •• وعلى الجمال والاناقة •• لم اصبح الملبس قناعا للدلالة على هذه القيم ، اذ يمكن لاى انسان ان يتظاهر بالجاه او الجمال او النفوذ او الطبقية باختيار الزي الذي يدل على ذلك• وذوو « الياقات البيض » اشتهروا في أوربا ـ وانكلترة على الخصوص ـ كعلامة مميزة عن غيرهم من العامة ! •

واصبح اللباس واللسان وسيلة للتمويه ايضا• فكيف يختفي الجاسوس والعدو ومجند الرتل الخامس بين شعب معين اذا لم يتزيّ بلباسه ويتصرف وفق عاداته ويتذرع بسجاياه ؟ • ألم يلبس (لورنس) الكوفية والعقال والعباءة ويتكلم العربية وبطلاقة لهذا الغرض ؟ ••

والزى (أو المودة) سلاح للمنافسة والتسابق واثارة الغيرة بين النساء • ووجدت الانثى في (الماكياج) قناعا تكنولوجيا يبرز المحاسن ويخفي المعايب ويجذب الجنس الاخر ويكسب المعجبين ويصطاد الازواج ـ وهذا هو التبرج بعينه •

والشعر المستعار (الباروكة) لدى النساء ـ واحيانا الرجال ـ اسلوب اخر استخدمه انسان العصر للزينة والتبرج وتمثيل الادوار • ويكون التكلف فيه ممجوجا وواضحا لانه يستعمل في غير محله •

ومما يحز في النفس ان نقيض التبرج قد يستخدم احيانا لنفس الغرض • فالجمود والتزمت في الحجاب (الذي هو دخيل على الاسلام) قد يكون ذا مردودات نفسية تولد لدى الانثى شعورا بالقلق والحيرة والتشتت نتيجة صراع داخلي يبرز بعد التخرج من الدراسة الجامعية أو اثنائها او بعد الزواج ، او في محل العمل •• ، لان طبيعة الحياة تستدعي المرونة وعدم التكلف •

وكم من اقتصاديات منزلية واواصر زوجية انهارت او تزعزعت بسبب التشبث بعكازات واقنعة الاثاث المنزلية التي يقتنيها رب المنزل أو زوجته للظهور بمظاهر « لائقة » ترضي و (تخدع) الاخرين دون التعقل والرجوع للواقع والاكتفاء الذاتي والتواضع • فاهمال التخطيط الواقعي لميزانية الاسرة لمجرد اشباع نزعة الغرور والابهة السطحية والجاه الكاذب هو خداع للنفس قبل كل شيء ••

من هنا نجد ان التناقض في أى مظهر من مظاهر الحياة خلاق الحقيقة والواقع هي اقنعة وسجون نفسية يمكن تجاوزها بالابتعاد عن الوجاهة الكاذبة او التبرج والغنج والدلال المتعمد واستثارة الغرائز ، والاحتفاظ بمبدأ البساطة في كل شيء ومن جملتها بجوهر الانوثة الطبيعية النبيلة المحتشمة الرزينة ••

ومن المرارة الاعتراف بان البعض من ضعاف الايمان يستغلون دينهم لتمشية اموردنياهم وليس تلبية لروح الدين والاسلام •

فالبعض ـ واؤكد على كلمة البعض ـ يحج الى بيت الله الحرام ليس للتوبة وغسل الذنوب بل لان صفة الحاج تجلب له الاحترام والتقدير وتزيد من ثقة الناس فيه لتزدهر تجارته واعماله، او لتنفى عنه ما ينعته الناس به من طباع سيئة (وقد تكون اغلبها صحيحة) •

والغريب ان من يحج لهذه الغايات يخدع نفسه فقط لانه يعود ويزيد من صفاته السيئة السابقة ، ويكون قد لجأ الى الحج كعكاز وقناع • وقل كذلك عن بعض المصلين والصائمين • وهذا هو النفاق في الدين ، والله اعلم بسرائر النفوس ومن يستاهل الرحمة والغفران •

قال تعالى : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » ـ سورة النساء ١٤٥ •

وقال تعالى : « ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ـ سورة النحل ١٢٥ •

المشروع ••• والمبتذل

واذا استطردنا في الحديث وجدنا عشرات الامثلة الاخرى التي تبين مدى انغماس انسان العصر في الاعتماد على المظهر والقناع والعكاز في تمشية امور يمكن ان تسير باسلوب اخر وتصل الى نفس الهدف او الى هدف انبل واشرف وتجلب سعادة عميقة وحقيقة • ولكن لا بد ان نضيف ـ وعلى سبيل الانصاف ـ أن هنالك اعمالا بريئة القصد نقية النية وان تبدو كوسائل وصولية ومظاهر زائفة لكنها بالحقيقة غير ضارة وتحتمها الظروف•

فالضرورة تقتضي احيانا استعمال الشعر المستعار

لدى الاصلع ٠٠ أو الممثلة والمطربة لاداء دور يتناسب فنيا مع ذلك الدور ٠ والمؤلف الذى يقدم كتابه للقراء بتمهيد وتعريف من قبل كاتب آخر اقدم منه أو أعلم انما يساعد على ايضاح وتفسير محتوى الكتاب أو اهدافه أو مدى أهميته بدل أن يدير القارىء له ظهره لجهله به أو عدم ثقته باسم الكاتب الناشىء ٠ وكان بعض الممثلين والمطربين الموهوبين الناشئين قد قدمهم للجمهور اساتذتهم الكبار ٠٠

كتب أحد الولاة الى الخليفة العادل الاموى عمر بن عبد العزيز أن أهل السواد (العامة) يتظاهرون بالاسلام هربا من دفع الجزية وانه يرى ان لا يقبل باسلامهم الظاهرى ذاك حتى لا تقل غلة بيت المال ٠ فاجابه الخليفة بحكمته وبعد نظره وادراكه لواقع الدنيا والدين جوابا ينطوى على العتاب والتعنيف : « اذا جاءك كتابى فاسقط الجزية عن كل من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان الله بعث نبيه هاديا ولم يبعثه جابيا » ٠

وهذا مثل رائع في تحليل السلوك البشرى وفهم للاسس النفسية فيكسب المترددين منغير المسلمين٠

ولا ريب ان طبيعة التطور ترغم الانسان على التكيف تجاه معطيات العلموالتكنولوجيا والتركيب الاجتماعى والعلائق الاقتصادية والسياسية ٠ فان طرأ على سلوكه تغير وتحول فان ذلك لا يعد ظاهرة مريضة أو سيئة تصل الى الطعن باخلاقه أو نقاء ضميره ٠ فالاصل هو الجوهر ٠ والجوهر فيالانسان هى انسانيته المجردة عن التصنعوالنفاق والدجل ٠ ومعرفة الانسان لنفسه واحترامه لها دون التخطيط العمد والحيلة هى علاج لكثير من العلل الاجتماعية والنفسية ٠

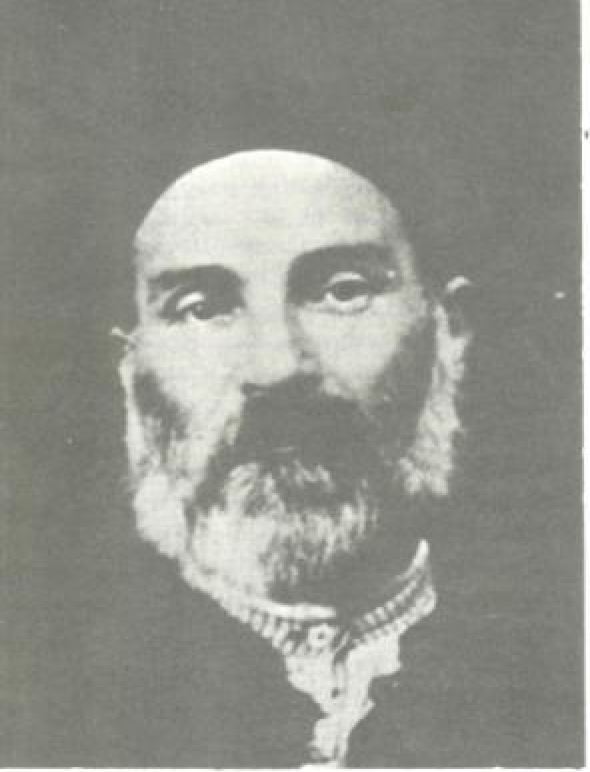
الرجوع الى الطبيعة

بعد كل هذا ، نجد أن الانسان المعاصر يواجه تيارا جارفا ظالما من التكنولوجيا والماديات والأطر الاجتماعية التى تقيده وتجعله أشبه بالآلة الجامدة او الالعوبة التى تحركها أيادى الحضارة بخيوط رفيعة متينة كخيوط الدمى ٠ فهو مدفوع أحيانا الى اتباع دروب والتواءات لا مفر منها كقشة طافية على وجه نهر دافق ٠ وهو ـ من ناحية أخرى ـ يجد نفسه وقد فقد ذاته وفقد ظله ، وانه مسؤول عن ذلك باندفاعه وراء منفعة أو لذة وقتية أو نشوة عابرة من جاه أو نفوذ أو منصب أو شهرة : ثم لا يلبث أن يندم بعد فوات الاوان لانه لا يجد الا بقايا حطام والا المحبة الحقيقية للانسان، والا العلاقاتالصميمة ، والا الملجأ الامنالبسيط٠ « وأما الزبد فيذهب جفاء ٠٠٠ » ٠

فهل باستطاعة الانسان أن يعمل شيئا لينقذ نفسه ؟ وهل بامكان المؤسسات التربويةوالاجتماعية والتوجيه القومى الاصيل أن يغير من انسان العصر ويعيد اليه طبيعته ؟ ٠ أعتقد أن ذلك ممكن اذا احتفظنا بتراثنا وأخلاقنا ومثلنا وأصالتنا دون تقليد واستيراد ٠٠ ، اذا مجدنا البساطة ٠٠٠ وعرفنا معنى الاقتصاد ٠٠ وتعاملنا بالصراحة والطيب٠٠٠وعرفنا ما لنا وما علينا ٠٠٠واحترمنا حقوقنا وحقوق غيرنا ٠٠ ، ثم اذا تعلمنا وربينا الاجيال الصاعدة على الشجاعة الادبيةوالاجتماعية، وافسحنا لسجايانا الطبيعية البريئة أن تعبر عن نفسها ٠٠ واتحنا لغيرنا ان يمارسها كذلك دون اعتداء أو مساس أو خدش لشعور أحد وحقوقه ٠

فالعودة الى الطبيعة ، وعدم التكلف تزيل كثيرا من أمراضنا النفسية المعاصرة كالقلق والحصر والوسوسة ٠ ويقتضى التنويه هنا أن خلاصةالعلاج النفسى الحديث بمختلف مدارسه واتجاهاته هى بالحقيقة مساعدة المريض لكي يجد نفسه الحقيقية ويكتشف ذاته وانفعالاته واتجاهاته ورغباتهالمكبوتة التى كبتتها وطمستها ظروف الحياة ٠ حتى أن بعض المعاهد والمؤسسات والنوادى النفسية ـ الاجتماعية الحديثة تجد لها جماهير غفيرة من المشاركين الذين يجدون فى نظام المعهد متنفسا لعواطفهم حيث يستطيعون هناك أن يعبروا عن ارائهم بصراحة : سواء بالنقد المتبادل أو بالغضب أو اللعب والضحك ٠٠٠ أو بالسفر ٠٠٠ ، مما يؤكد مرة أخرى أن جزءا لا يستهان به من ذواتنا يضيع ويختفى وراء حياة اصطناعية من اقنعة وعكازات هى سبب العلل النفسية والاجتماعية التى نعانيها ٠٠ ■■

الدكتور فخرى الدباغ
استاذ الطب النفسى
كلية طب الموصل ـ العراق



■ رغم أن البانيا هي البلد المسلم الوحيد في أوروبا ، فان أحدا منا لا يكاد يعرف الكثير عنها · وهذا واحد من أبرز الشعراء الالبان الذين كتبوا باللغة العربية في الربع الاول من هذا القرن · وقد اشترك في تجميع معلوماته وعرض سيرته اثنان من اساتذة جامعة برشتنا اليوغوسلافية ، وهما الدكتور محمد موفاكو،والدكتور نعمة الله حافظ ، وهما من اساتذة فرع الاستشراق بالجامعة·

شاعر ألباني كتب بالعربية

الحاج عمر لطفي بشاريزي

(١٨٦٩ ـ ١٩٢٩)

دراسة يقدمها :

الدكتور محمد موفاكو والدكتور نعمة الله حافظ

الاستاذان بفرع الاستشراق في جامعة برشتنا اليوغوسلافية

كان من جراء انتقال اللغة العربية الى المناطق التي يسكنها الالبانيون ابتداء من القرن الخامس عشر ،وانتشارها حتى صارت لغة المدارس والثقافة الجديدة ، ظهور تيار جديد في الادب الالباني الناشيء ، ذلك التيار الذي برز بفعل المؤثرات التي حملها الادب العربي ،والثقافة العربية بشكل عام· وفي هذا الاتجاه تجدر الاشارة الى تأثير الشعر العربي بشكل خاص سدى حفنة من الشعراء الالبانيين الذين عملوا ، في اشكال متفاوتة ، على استلهام او تقليد الشعر العربي قلبا وقالبا · ومن ناحية اخرى لا بد من الاشارة الى منبع آخر الا وهو التصوف ، وذلك الذي بقي تأثيره حيا لقرون عديدة في الشعر الالباني خاصة ، وفي هذا الاطار سيكون لدينا مثال متواضع ، ذلك الذي يكمن في الاشعار العربية للحاج عمر لطفي بشاريزي التي سنكتفي بشريحة منها الان ·

وفيما يتعلق بالحاج عمر لطفي بشاريزي فان عائلته كانت تعيش في الاصل في الجبال المحيطة

بمدينة « ديبرا » ومن ثم انتقلت عائلته الى مدينة « بريزرن » في اقليم « كوسوفا » ، وذلك مع انتقال جده للعمل فيها كامام في احد المساجد ٠ وفي هذا الاتجاه نشأ والده ايضا ، حيث بقي اماما لاحد المساجد لفترة خمسين عاما ٠ وفي هذا المحيط ولد عمر لطفي في عام ١٨٦٩ في هذه المدينة ، حيث انهى المدرسة الابتدائية والرشدية ، على النمط السائد حينذاك ٠ الا ان نفسية عمر كانت تدفعه الى البحث عن المزيد من المعرفة ، التي لن يوفرها له محيطه الضيق ٠ ولهذا سافر في عام ١٨٨٧ الى استنبول لمتابعة دراسته ، حيث التحق هناك بمدرسة « محمد الفاتح » الشهيرة ٠

قصيدة ضد السلطان

وفي تلك الفترة ، في نهاية القرن التاسع عشر كانت استنبول تعج بنشاط المعارضة ضد استبدادية السلطان عبدالحميد وحاشيته٠ ويبدو ان وجود عمر في هذه الظروف ، واحتكاكه بشكل او بأخر مع تيار المعارضة ، ترك في شخصيته آثارا لن تمحي بحيث لن يعود الى مسقط رأسه مجرد امام كما كان ينتظر منه ٠ وقد بدا ميله للمعارضة في وقت مبكر اذ انه لوحق في استنبول من قبل الشرطة ، عندما كان في السادسة عشرة من عمره ، وذلك بسبب قصيدة كتبها ضد السلطان عبد الحميد ، مما ادى الى اعتقاله لفترة في السجن ٠ ومن ذلك الوقت بدأ اهتمامه وحماسه لافكار المعارضة ، لافكار الاتراك الجدد ، وذلك لاقتناعه حينذاك ان فكرة « الحرية » ستؤدي الى العدالة والمساواة في الامبراطورية العثمانية ٠

ومع ان عمر لطفي انهى دراسته بتفوق في مدرسة « محمد الفاتح » الا ان نفسه بقيت عطشى الى مزيد من المعرفة ، حيث انه لم يقتنع بتلك المعرفة، التي توفرت له في مدرسة « محمد الفاتح»٠ وقد شدته حينذاك القاهرة باعتبارها مركزا للاتجاهات الفكرية الجديدة في العالم الاسلامي ٠ وفعلا وصل عمر لطفي الى القاهرة في عام ١٨٩١ والتحق هناك بالازهر ، حيث تابع دروسه حتى عام ١٩٠٥ ٠ ويبدو لنا ، من خلال المعطيات ، ان اقامته في القاهرة ، تلك التي اتاحت له مزيدا من التعرف على افكار المعارضة ، قد قضت نهائيا على رواسب التردد لديه ودفعته الى ان ينحاز كليا الى تيار المعارضة ضد نظام السلطان عبد الحميد ٠

بعد تخرجه من الازهر في عام ١٩٠٥ توجه عمر لطفي نحو الحياة السياسية ، حيث جاب عددا من البلدان العربية للدعوة الى افكار المعارضة ٠وفي هذه الجولات كان حريصا على تعزيز مواقع المعارضة وذلك باقامة علاقات مع زعماء هذه البلدان ٠ وفي هذا تعرض مرارا للخطر والملاحقة ٠ وبعد جولته الواسعة في مصر والسودان واليمن والحجاز عاد ثانية الى استنبول ، ومن هناك الى مسقط رأسه في بريزرن ٠

خيبة عميقة

في تلك الفترة كان الحاج عمر ينشط في اطار اوهامه حول جدية مشروع الاتراك الجدد في العدالة والمساواة تلك التي سيحظى بها الالبانيون مع نجاح الثورة ضد نظام السلطان عبد الحميد ، وفعلا قدم الالبانيون ، تحت تأثير هذه الاوهام ، اكبر مساهمة في اسقاط السلطان عبد الحميد وفي نجاح الثورة ٠ ولا شك ان الحاج عمر قد اعتبر نجاح الثورة بداية الطريق نحو المجتمع المنشود ، الذي حرض في سبيله في صفوف الالبانيين ٠ الا ان هذا الحماس والتفاؤل بسقوط السلطان عبد الحميد ، وقدوم الاتراك الجدد للسلطة ، لم يعش طويلا مع الحاج عمر وخاصة بعد ان اصبح عضوا في البرلمان الجديد ، اذ اتيح له في استنبول ان يكتشف نوايا الاتراك الجدد ، تلك التي انطلت عليه بعد ان اقتنع ان انتصارهم لم ولن يغير شيئا في الواقع ٠ هذه الخيبة ستترك الان تأثيرا عميقا في شخصية الحاج عمر وستقوده الى البحث عن خلاص جديد عبر افكار جديدة ، ومن هنا سيندفع عمر لطفي في بادىء الامر نحو التعمق في صوفيته، ومن ثم سيعود الى مراجعة صوفيته ، على ضوء تأثره بالافكار الاشتراكية، ليجعل منه اكثر ارتباطا بالحياة وبشكل يستجيب فيه لمتطلبات محيطه ٠

لقد انعكست كل هذه التطورات في اطوار حياته على ادبه ، مما خلف لنا ثروة ادبية كبيرة تناول فيها كل شيء عن طريق الشعر والنثر وبعدة لغات (في العربية والتركية والفارسية) ٠

ويبدو ان عمر لطفي قد اتجه اولا الى كتابة الشعر ، منذ ان كان طالبا في المدرسة الرشدية في مدينة بريزرن ٠ الا ان اتجاهه للشعر بدأ

بشكل واضح خلال اقامته في استنبول . وقد قلنا انه كتب قصيدة ، في السادسة عشرة من عمره ، تناول فيها السلطان عبد الحميد مما ادى الى اعتقاله . وفي فترة لاحقة بدأ عمر لطفي في نشر اشعاره في عدة صحف باستنبول ، في « معلومات » و « فن وادب » و « ترجمان حقيقة » باسم عمر لطفي البريزرني . وفي هذه الفترة كانت كتابات عمر لطفي مقتصرة على اللغة التركية ، مع انه كان يعرف اللغة العربية بشكل لا باس به اضافة الى الفارسية .

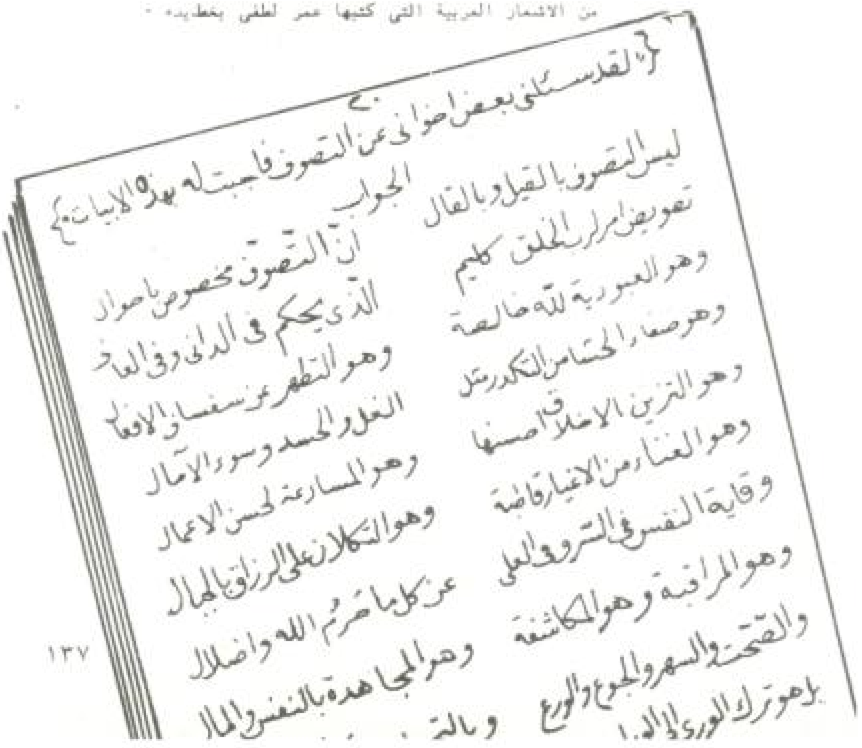
رحلة القاهرة

اما اتقانه للغة العربية ،ومن ثم الكتابة فيها فقد برز تدريجيا خلال اقامته في القاهرة ، التي امتدت لخمس سنوات ما بين ١٩٠١ ـ ١٩٠٥ ، ومن ثم خلال جولاته فيعدد منالبلاد العربية (السودان، اليمن ، والحجاز ..)ويبدو هذا من خلال الاطلاع على بعض كراساته ودفاتره ، والتي نجد فيها ملاحظات واقتباسات ، ماخوذة عن اصول مختلفة ، باللغة العربية .الا ان اتجاه عمر لطفي الى الكتابة في اللغة العربية سيبدو بشكل اوضح لدى انتقاله واستقراره النهائي في مسقط رأسه في بريزرن .

والى هذه الفترة تعود معظم كتابات عمر لطفي سواء في اللغة التركية او العربية . وذلك لان خيبته في العمل السياسي جعلته يتفرغ الى حين لكتاباته المختلفة ، التي تجاوزت ستين كراسا . ومن بين هذه يهمنا ان نشير الى احد اهم اعماله ، الا وهو « يمن سياحت نامه سي » (مخطوط باللغة التركية في ٦٧ صفحة) .ففي هذا الكراس يتعرض عمر لطفي الى جولته في بلاد اليمن ، والى مشاهداته وانطباعاته عن عرب اليمن . ويتضمن هذا الكتاب معلومات وانطباعات ذات اهمية .وخاصة فيما يتعلق بتلك الانطباعات التي تحاول ان تفسر وتحلل تخلف الحياة في تلك النواحي وثورات عرب اليمن المتواصلة ضد السلطة العثمانية .ومن ناحية اخرى اهتم عمر لطفي في هذه المرحلة بشكل خاص في ترجمة بعض المؤلفات العربية الى اللغة التركية . ومن هذه الترجمات يذكر ، في قائمة اعماله ، ترجمة « الامالي » و « الفتوحات المكية »، تلك التي لم يتح لنا ان نطلع عليها كاملة .

اما عن اعماله العربية في هذه الفترة فلدينا

من الاشعار العربية التي كتبها عمر لطفي بخط يده .


لقد سئلني بعض اخواني عن التصوف فاجبت له بهذه الابيات
الجواب
ليس التصوف بالقيل وبالقال
ان التصوف مخصوص باحوال
وهو العبودية لله خالصة
وهو التطهر عن سفساف الافعال
وهو التزين بالاخلاق احسنها
الغل والحسد وسوء الامال
وهو المسارعة لحسن الاعمال
وهو المراقبة وهو المكاشفة
عن كل ما حرم الله واضلال
والصحة والسهر والجوع والورع
وهو المجاهدة بالنفس والمال

اربع كراسات تحتوى على مايقارب (١٥٠) ورقة مكتوبة بخط يده • وهذه الكراسات تضم اشعار عمر لطفي العربية ، بالاضافة الى محاولاته لتقديم تفسير صوفي لبعض سور القران • ومن أبرز هذه المحاولات تفسير سورة «الم» والتى اشبعها بتاملاته الصوفية لاستنشاق ماوراء كلكلمة واية • اما عن الاشعار العربية الواردة في هذه الكراسات فهي ايضا يغلب عليها ، بل ويغطيها تماما النفس الصوفي لعمر لطفي وفي هذا الاطار نجد محاولات لعمر لطفي في الغزل الصوفي ، وذلك على عادة الصوفيين العرب ، كما في ابياته التى يقول فيها :

خلقت الجمال لحب الجمال
مليح الجمال فصيح المقال

لحسن الجمال تحب الكمال
وأنت الجميل تحب الجمال

ربطت الفؤاد بحبل الوداد
فللصب هذا سبيل الرشاد

وقد نال عشاقكم للمراد
وأنت الجميل تحب الجمال

. . . .

. . . .

وفي هذه الاشعار يبدو ولع عمر لطفي بتخميس قصائد بعض الصوفيين • ومن هذا لدينا « تخميس القصيدة المنسوبة لسيدى عبد الكريم الجيلي » و « تخميس الابيات المندوبة لابن عريف الصنهاجي من فضلاء الاندلس » و « تخميس الابيات المنسوبة لعبد الغنى النابلسي » و «تخميس الابيات المنسوبة الى ابيعباس بن العريف الصنهاجي قدس اللهسره العزيز » و «تخميس القصيدة المنسوبة الى ابراهيم ابن ادهم قدس الله سره » الخ •

تاثير الصوفية

وقد اخترنا من الاشعار العربية لعمر لطفي قصيدة واحدة ، وقد تعمدنا اختيار هذه القصيدة بالذات لكونها تعبر عن موقف معين ، حيث اراد منها عمر لطفي ان يبسط فيها صوفيته او يطوح فيها رؤيته عن التصوف • ومن المعروف لدينا ان عمر لطفي نشأ في منطقة مشبعة بالاتجاهات والطرق الصوفية (البكتاشية ، النقشبندية ، الملامية ، الرفاعية ، الشاذلية ٠٠) ولذا لم يكن منالمستغرب ان يهتم عمر لطفي بالصوفية منذ شبابه • ويبدو ان اقامته في استنبول لم تقطع في نفسه تاثيرات محيطه الصوفية ، حيث نجده فيما بعد ، في عام ١٨٩٢ ،يستغل وجوده فيمسقط راسه ليقوم بزيارة الى مدينة جاكوفا التى كانت تعد من اعظم المراكز الصوفية ، حيث اعلن هناك على يد شيخ الطريقة الملامية انضمامه الى هذه الطريقة • ويبدو ان اقامته في القاهرة ١٩٠١ ـ ١٩٠٥ ساهمت في توطيد علاقته بالصوفية ، سواء عن طريق منابعها النظرية او عن طريق صلاته ببعض زعماء الطرق الصوفية • فمن ناحية اتاحت له اقامته في القاهرة الاطلاع على عيون الكتابات الصوفية لابن ادهم والجيلي وابن عربي والنابلسي وابن ادريس وغيرهم • وفي كراساته ودفاتره ، التى حملها من القاهرة ، نجد اشارات واقتباسات كثيرة تدور حول شخصية احمد بن ادريس•مؤسس الطريقة الاحمدية وعن تاثيره في نفسه •وفي هذه الكراسات والدفاتر اشارات اخرى الى علاقة شخصية له ، خلال اقامته بالقاهرة ، مع محمد بن على بن محمد بن احمد ابن ادريس ، الذى قدر له فيما بعد ان يؤسس امارة في اليمن قائمة على الطريقة الاحمدية • وبعد عودة عمر لطفي اليمسقط راسه بريزرنواستقراره فيها اختير شيخا للطريقة الملامية في مدينته ، حيث بقي على راس الطريقة الى وفاته في عام ١٩٢٩ •

ليس بالقيل والقال

وتشير المعلومات التاريخية الى ان عمر لطفي حاول جاهدا الخروج بالصوفية عن سكتها الضيقة بحيث تمثل التطلعات الحقيقية للجماهير ، وبحيث تعمل على تلبيتها وتحقيقها انيا وللجميع دون تمييز •وفي هذا الاتجاه يطغى دوما النفسالانساني على صوفية عمر لطفي ، ذلك الذى يبدو واضحا في جميع اثاره كما في اعماله ونشاطاته • وكما يبدو من القصيدة التالية فان التصوف لديه هو « التطهر عن سفاسف الافعال » وهو « المسارعة لحسن الاعمال » وغير ذلك من الصفات :

(لقد سالني بعض اخواني عن التصوف فاجبته بهذه الابيات)

الجواب

ليس التصوف بالقيل والقال
ان التصوف مخصوص بأحوال

تفويض أمر لرب الخلق عليم
الذي يحكم في الداني وفي العالي

وهو العبودية لله خالصة
وهو التطهر عن سفاسف الافعال

وهو صفاء الحشا من التكدر مثل
الغل والحسد وسوء الامال

وهو التزين بالاخلاق أحسنها
وهو المسارعة لحسن الاعمال

وهو الفناء في الاغيار قاطبة
وهو التكلان على الرزاق بالحال

رقابة النفس في السر وفي العلن
عن كل ما حرم الله واضلال

وهو المراقبة وهو المكاشفة
وهو المجاهدة بالنفس والمال

والصمت والسهر والجوع والورع
وبالتحرز عن الحشا الاقوال

بل هو ترك الورى الي الوراء واقبال
الى قبلة الاحسان بالبال

وهو التفكر في ايات خالقه
والذكر في كل غدوة وأصال

وهو غياب الوجود بالسباحة في
بحار وحدته بفكر جوال

من رام غير لقاه لا سبيل له
فمن توجه قد فاز باقبال

من كان متصفا بهذه الخلق
هو الصوفي الحقيقي ذو أموال

وهو لا يتخذ أسبابه صنم
فما له غير خلاقه من وال

لا فيه ميل الى الدنيا وما فيها
ولا يبالي من المفضل والعالي

ان التصوف في سلكه بحر عظيم
ولا تظن سهلا يا ايها الخال

واطلب تفاصيله من أطول الكتب
قد جلت نموذجا منه باجمال

ضد هو مشرب القوم الذين لقد
ساروا بحضرته القدس باذلال

طوبى لهم قد سروا الله بأنفسهم
وليس بالنجس بيع الدون بالغالي

سقاهم ربهم شراب الود فهم
بلذة سكروا من كأسه المالي

هذا هو شربة القوم الذين بها
زالت هموم بأحزان وأحوال

صارت قلوبهم كنزا من الحكم
. . . .

فهم شيوخ لقد علت بهم حمم
وغيرهم نسبة لهم كأطفال

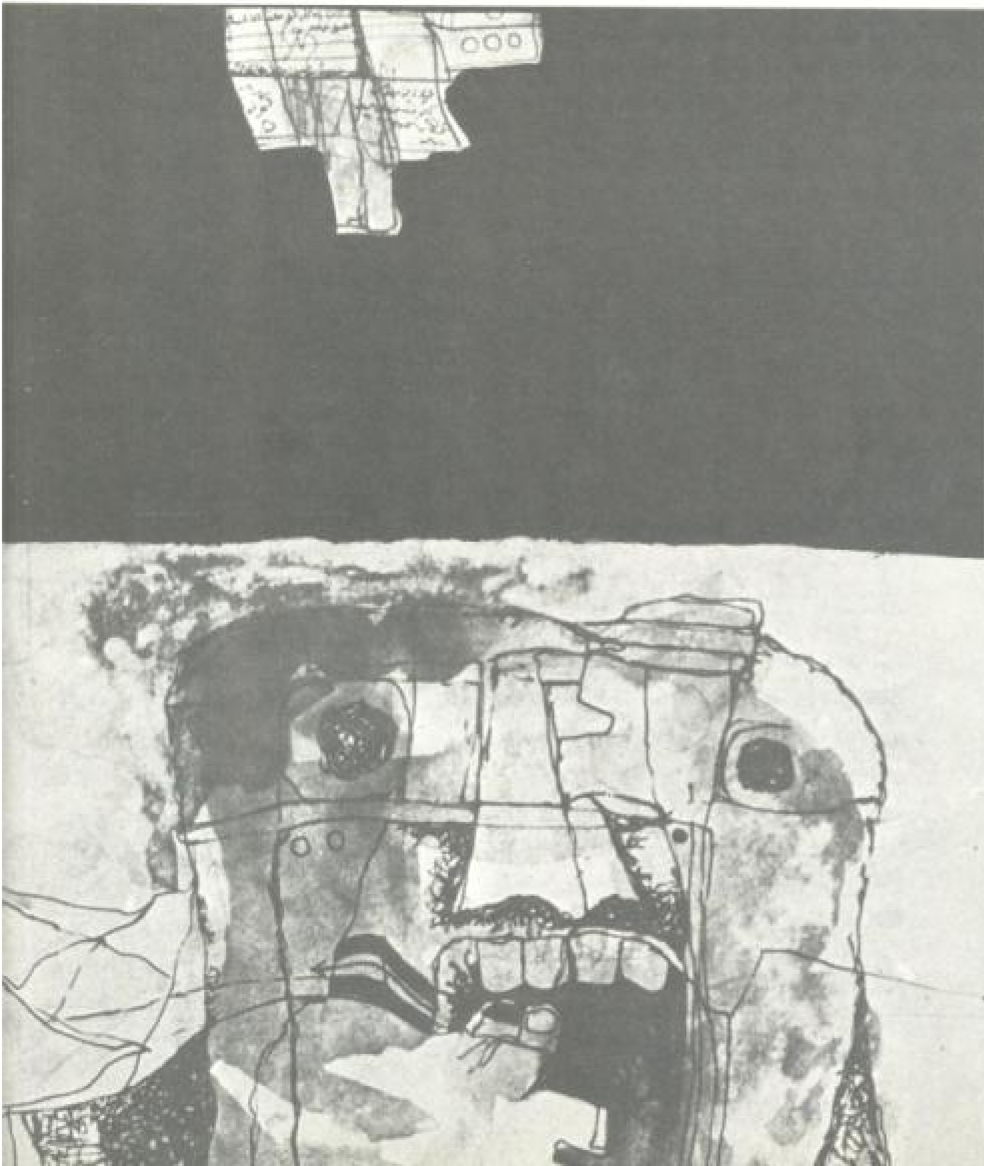
فهم من القوم لا يشقى بهم
قد عظم الله قدرهم باجلال

اخيرا علينا ان نضيف ان هذه القصيدة قد تعود كتابتها الى لحظة مبكرة نسبيا ذلك لان عمر لطفي سيبدو اكثر وضوحا في تحديد تصوفه ، وبالاحرى في تنويره ، خلال فترة ١٩١٧ ـ ١٩٢٩ وذلك مع ارتباطه الكلي بالنضال الجماهيري ضد كافة اشكال الاضطهاد ، وهذا ما يبدو بل ويطغى على اشعاره المكتوبة باللغة التركية . وفي هذا نامل ان تتاح لنا عودة الى تناوله ككل مترابط . ■■

محمد موفاكو ـ نعمة الله حافظ
فرع الاستشراق
جامعة برشتنا ـ يوغوسلافيا

الفنان العراقي .. في

لمحات انسانية ـ ضياء العزاوي



رحلة الخط الثانية

بقلم : بلند الحيدري



ضياء العزاوي

قتيبة الشيخ نوري



■ على مثل مارحل الخط العربي بالامس من قطر الى قطر وعلى ما اتسعت للامة العربية ارض وطنها الشاسعة • وعلى ما اتسعت للمسلمين من بلدان وامصار ، ليكون من بعض الروابط الاساسية التي شدت العربي باخيه العربي والمسلم باخيه المسلم ، وليتقدس في ذهن كل منهم بما كان له من شرف ان القران اعتمده وانتشر به وان احاديث الرسول دونت بحروفه ، فيخرج بذلك من كونه مجرد وسيلة للتعبير ، الى مرمى في التفاضل على غيره من الخطوط بتلك القدسية التي عززت من مكانته واوثقت الصلة ما بين جماله التشكيلي ومضامينه الدينية ، حتى صار للمجيدين في صنعته فضل الدالين الى الخير والايمان، وصارت له مدارس ومناهج يتسابق للتعلم فيها المتسابقون ويتبارون بحسن كتابتهم للمصاحف الشريفة •

وحسب الدارس كفاية ان يعود الى ماقيل في مدرستي ابن مقله وابن البواب الشهيرتين وما تفرع عنهما ، وما ذكر من اسماء الاقلام « كقلم الطومار » وقلم « غبار الحلية » وقلم « الثلث » وقلم « النصف »وقلم « الثلثين » ، وما فصل المؤرخون لها في فضيلة كل منها وحسن صفاتها ، وحسبه ايضا تلك الكثرة من ضروب الخط التي يكاد لايحصرها العد لكثرة من ابدعوا فيها ، وتمايز واحدهم عن الاخر نيلا لحظوة عند كبار الناس وولاة الامر فيهم ، وسعيا تكسب مغفرة او بركة بأثر من خط جميل ، حتى ليروى عن ابن العباس الملقب بحبر الامة انه قال : «ان رجلا كتب بسم الله الرحمن الرحيم فاحسن تمطيطه فغفر الله له » ••

وان المتعلمين من ابناء هذه الامة كانوا يتفاضلون بجمال خطوطهم كما يتفاضلون بعلو مراتبهم في العلم والادب ، وكثيرا ماكان لجمال خط وحسن تاديته شفاعة لمذنب ولقبحه حجة في دفع العذر

عنه ، كما كان الامر مع عبدالله بن طاهر عند رده لعذر احدهم لانه لم يستكمله بخط حسن « اردنا قبول عذرك فاقطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقا فى اعتذارك لساعدتك حركة يدك ، او ما علمت ان حسن الخط يناضل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكنه من درك البغية».

وحيثما كان لهذا الخط ان مر واستقر كان ثمة مبدعون فيه وحاذقون لــه يتواصلون معــه ويطورون فى رسمه ويؤكدون فى اصوله ويعطونه من اسم يلذهم ما يقوم له صفة فى الفرادة والتمايز، وعلى الاخص فى الخطوط التى اتسع فيها المجال لحرية الخطاط كالكوفى الــذى يعد ابو حيان التوحيدى من ضروبه وانواعه الشائعة على زمانه ما يزيد على اثنى عشر نوعا، كالاسماعيلى والمكى والمدنى والاندلسى والشامى والعراقى والعباسى الخ ...

رحلة اليوم

اقول على مثل ما رحل بالامس ، يرحل الخط العربى اليوم عبر لوحات فنانينا بمعنى جديد فى الرؤية ، وفى محاولات لان يعد كل منهم بمرمى له فى حيز الجهد التشكيلى حتى كاد ان يقوم ظاهرة بينة تجمع فنانينا ، وتغذى طموحاتهم فى العمل فيه ، وهو ما اشارت اليه الناقدة الالمانية « سيجريد كاله » عقب زيارتها لبغداد وحضورها « معرض السنتين » الذى اقيم فيها : « لعلنى لا اغالى كثيرا ، فمن جميع ما شاهدته فى البينالى العربى لم اجد انتاجا يفصح عن مصدره العربى وينطق به الا ذلك الانتاج الذى يتصل باللغة ، اى يتخذ من فنون الخط العربى والحروف مادة له».

والخط العربى فى رحلته الثانية التى عمت كل ارجاء الوطن العربى تقريبا . وتخطته الى ايران فتركيا فالهند ، يسعى لان يقوم فى كــل

تربيعة كوفية حفر على الزنك ـ عصام السعيد





رافع الناصري

جواد سليم



بقعة ارض يقع اليها ، بمغزى من خصائصه فى « الحرف » المتنوع الاشكال ، وفى « الكلمة » العربية المتميزة بقدرتها على تغيير مضمونهاباثر من قدرتها على التركيب الاشتقاقى ، وفى«الجملة» التى توسع للمضمون الادبى ان يلج العمل التشكيلى ويعمق من امكانيته التعبيرية ، وذلك تاكيدا لخصيصة فنانينا فى هذا المجال يتجاوزون بها نزوع الفنانين الاوربيين القائلين باعتماد الحروف فى اعمالهم الفنية على مثل ماسعى بذلك بالامس « بول كليه » واليوم « ماليوس » الفرنسى وزميله « سولاج » و « توبى » الامريكى و «هارتونج» الالمانى وغيرهم كثير • ومستلهمين قدرات الخط العربى التشكيلية وابعاد القيم الذهنية المواكبة لها ومستقلين خصائصه وكثرة اشكاله ، وقابلية الحرف العربى على التمدد والتقلص والمشاكلة الفنية، وقد اصبح لهذه الظاهرة مريدوها الكثيرون الذين يتنادون الى اعتمادها اساسا لحركة فنية تنهض بها مدرسة لها فرادتهافى الجدة والابداع والتميز، انطلاقا من جماعة «البعد الواحد» التى قام الى جمع شملهم الفنان العراقى شاكر حسن فى محاولة لايجاد رؤية متكاملة لجهود الفنانين العرب فى حيز الابداع التشكيلى الحرفى والتناظر فى جهودهم والتواصل فيما بينهم فلا يشت بهم الاغراب ولاتبعد بهم المغامرة بما لا يجدى عليهم شيئا ، ولا يقع بهم التجريد الى دعاوى التماثل مع الفنانين الاوروبيين المعاصرين بحيث لا تبقى لاعمالهم جدوى فى النهوض بفن قومى عربى متميز •

جذور من الاربعينات

لقد كان الفنان فى القطر العراقى سباقا الى اعتماد الحرف • وتؤرخ بعض المصادر الفنية لبداية اهتمام فنانينا به ، باربعينات هذا القرن،

مشيرة الى بعض اعمال «مديحة عمر» و « جميل حمودي » والتي افادت من جماليات التجريد الاوربي . فالحرف عند مديحة عمر لا يعكس ظاهره الشكلي بقدر ما يعكس انطباعات الرسامة عنه وانفعالها به فهي توحي به ولا تدل عليه دلالة واضحة . والكلمة عند جميل حمودي تكتسب جماليتها من حوار حروفها وتداخل بعضها ببعض عبر ايقاعية شديدة الرنين والبروز ·· ومع محاولات الفنان الكبير جواد سليم واستقراءاته للفن العربي والاسلامي تسربت الجمل التفسيرية المكتوبة بعفوية الى صوره وعلى شاكلة ما الفنا عند بعض فنانينا القدامى ، محاولا الافادة منها في الفراغات وخلق التوازن بين حجوم اشكال الصورة ليخضع بالتالي الى المفهوم الكلي لجمالية اللوحة شكلا بالخط احد عناصرها التشكيلية ·· ومع جهود الفنانين الاخرين اخذ الحرف يندمج شيئا فشيئا بارضية الصورة ويفقداستقلاليته الايضاحية على مثل ما يريد له شاكر حسن حيث يقول : «ان التكملة المنطقية للعالم تكتسب في اللوحة الحروفيةحينما يفقد الحرف صلته باللغة كتدوين» ثم يردف ذلك بقوله « ان مشكلة الحرف كقيمة تشكيلية بحتة وليس كبناء موضوعي مجرد فحسب يقتضي اعتباره مجالا لافتعال حركة ذهنية وزخم روحي يقبض بكل المعطيات في حضارتنا العربية المعاصرة» وهو بذلك يربط مابين التراث بكل ابعاده في مغزى الحرف ومعناه ودلالاته الذهنية والصوفية ومابين المعاصرة في استخدام مطلق حريته في التعبير عن ذلك مؤكدا على ان الفنان الحروفي اليوم يكتشف عبر اهتمامه بالتزامه الانساني طريق الخلاص في امتلاك حرية الابداع وموضوعية تحقيق الشخصية الحضارية معا ، تلك الحرية والموضوعية التي تمثل اكثر من عشرة الاف عام من التطور المضني ··وعلى هذا الاساس سوف يتتالى حضورنا نحن العرب في الفن التشكيلي » ·

الحرف في الصورة

ويبقى طموح شاكر حسن في تطوير علاقته بالخط العربي كبعد واحد يشكل اساسا مهما في تنظيره لاسلوب تنهض به رؤية واعية لما يريد ان يبدع ، واذا كان بين الفنانين العراقيين من يشاركه دعواه وله مثل صوته لخلق فن حروفي متميز ومثل طموحه الاستفزازي لاستشفاف اقصى الامكانات التي يمكن ان يوفرها لهم الحرف العربي والخط العربي ، فهم على غير اسلوبه في استلهام الحرف ، فدوره عند الدكتور « قتيبه الشيخ نوري » محصور «بالتعبير عن خلجات النفس ومكنونات الفكر» ليبقى تعامله معه في حدود الحاجة التعبيرية اليه فان خرج عن ذلك تحول الى شكل تجريدي كاى شكل تجريدي اخر ·· اما ضياء العزاوي فقد اتسعت تجاربه معه ، «حرفا» و «كلمة» و «جملة» ، وهو في كل ذلك يؤثر ان يستخدمه من خلال مفهوم على كثير من الوضوح في توجه اللوحة المضموني ، ففي حدود الممكن يكون الحرف على حافة التجربة يتسلق جزئياتها ليحقق من خلالها وحدته التي تكتسب شرطيتها ضمن الوجود الجديد له» وقد صار لاسلوبه مريدوه الكثر في الوطن العربي وعلى الاخص عند اولئك الفنانين المتسمين بنزوعهم الى العام اقصى كفاءة تعبيرية في اللوحة ضمن مفاهيم نفسية واجتماعية وسياسية ·· بينما نرى عند زميله «رافع الناصري» جنوحا الى ان يستوحي من الحرف جرسه الصوتي بالاضافة الى طواعية شكله ليخرج من المزج بينهما بما يعززقوة تاثيره ، فحرف «السين» اذ يستوحيه ، يستوحي معه كل التداعيات الممكنه في كلمة «السيف» و «السنان» و «السكين» ويفرض من خلال ذلك قدرة هذا الحرف على تمزيق مكونات اللوحة كرمز رئيسي لعمله الفني ، والرمز في هذا الاطلاق يتحدد اثره بامكانية المتلقي ، على التنفس في مناخ خصوصيته لكي «يبقى الحرف في الصورة رمزا مطلقا» ومربوطا بوحدة التداعيات الذهنية المتشابهة عند كل من قطبي العمل الفني اى في الفنان والمتلقي لاثره ·

ومع النحات « محمد غني حكمت » يقتحم الحرف افق زيادة جديدة فتتسع له اعماله النحتية وعلى الاخص في الخشب والجبس ، ويفرض عليهما كينونة خاصة تتمثل بمسعاه لان يبعث الحرف من شكل ميت الى شكل حي وذلك بما يضفي عليه من تحويرات وبما يلاحقه فيه بالظلال المترادفة معه وبتقصي امتداداته وتكوراته ، مستلهما الكثير مما اورثته اياه فنون القطر العراقي في مختلف العصور في مجال السيطرة على الذهن بتاكيد التكرار ضمن تاليف جماعي لا يسمح لاى شكل من اشكاله ان ينفرد بذاته،ومستخدما قدرته على تحقيق التناسب



كوفى مغربى موجود فى
جامع ابن نافع بالقيروان

الضرورى مابين الشكل والفراغ المحيط به،والتكافؤ فى الاشكال وتوازن بعضها مع بعض ، والاقتصاد فى حركاتها ، انسجاما مابين توترات حركة العين وبين وحدة التنوع فى امتلاء حسى متغم بالحركة اللولبية . فالحروف كما يقول «كالحياة معنى لا ينضب فى الاستلهام الذاتى لتجريد المعانى » وهو اذ ينزع الى استخدام ذلك فى جل اعماله تقريبا، مؤكدا ناحية ثانية،انما يفعل ذلك برغبة فى تحقق تعسف المكان عبر ايقاعين يتابع احدهما الاخر متابعة الظل للشيء ليصير لنا من حوار هذين المستويين الايقاعيين واقع لوحته الجمالى بعد ان حور فى طبيعة الحرف وداخل مابينه وبين اخر يليه وما بينه وبين الفراغ المحيط به والملازم له لحد يحمى كل ما يشير الى هويته فى معنى او شكل ناهيك عن تلمسك اياه فى كلمة او جملة .

محاولات اخرى

وثمة محاولات لفنانين عراقيين اخرين لاستلهام الحرف ولكن ضمن اطره التراثية وبمفاهيم وقيم جمالياته التشكيلية فى الاستقامة والاستدارة والتمحور و « مشاكلة بياضه لسواده بالتقدير .. وحلاوة افتراقه باجتماعه » كما يصف المسجدى الخط الجميل ، من تلك محاولة يتيمة فى ملصق جدارى « لمحمد على شاكر » حيث جانس بين الخط بمعناه الاتباعى التقليدى وبين عفوية خلفية الملصق التشكيلية ، معوضا ما خسره جراء ضيق مجال تحركه كخطاط اعتمد خطا تقليديا صارما بحريته كرسام ، مستغلا قدرته فى الجهدين لخلق عمل فنى متسم بالجدة والفرادة وانكانت تذكرنا لحد ما ببعض محاولات الفنانين السودانيين كابراهيم الصلحى وشبرين ممن استوحوا الكثير من مقومات الخط الكوفى القيروانى باستطالته وامتلاء حروفه وسماكتها . ولكن بمنظور يختلف عن منظور محمد على شاكر ومفهومه فى اقحام الخط كخط موروث فى اللوحة دون اى تحوير او تحريف فى رسمه او ما يخرج به عن ابداعات الخطاطين القدامى .

ومن تلك المحاولات ما يمكنان ندرج بينها اعمالا «لعصام السعيد» تقوم على المزج مابين التكرار الزخرفى والكتابة التشكيلية مؤكدا بذلك على حرفيات القيم الجمالية فى الفنون الزخرفية العربية التى سبق ان تعرفنا الى غير مثيل لها فى العديد من ابداعات الخطاطين العرب القدامى والمعاصرين وعلى الاخص فى مجال الافادة من الفنى التشكيلى الذى صحب تطور الخط الكوفى .

ولنا ان نتوقع مزيدا من الجهود المثمرة والمبدعة فى هذا المجال بعد ان اتسعت للحرف آفاق جديدة مع شيوع فن «الكرافيك» وفن «الملصقات الجدارية» ومع شدة الرغبة عند فنانينا فى استغلال امكاناته التعبيرية فى « الكلمة » و «الجملة» و « البيت الشعرى» .. وبعد ان اصبح التداخل مابين الفنون المختلفة نهجا مالوفا عند الفنانين المعاصرين الراغبين اكثر فاكثر فى المزاوجة مابين الرسم والمعمار والنحت .. والنثر والشعر .. والاغنية والكلام الاعتيادى وذلك لاتاحة متسع اكبر واشمل للفنان المعاصر للتعبير عن نفسه وواقعه وعصره .

وعسى ان يتاح لنا ان نرى فى القريب العاجل معرضا شاملا لجهود الفنانين العرب فى استخدام الحرف العربى بعد ان قيض له ان يصبح سمة يميز به النقاد فنانينا ويرون من خلاله طابع فرادتهم وخصوصية اعمالهم . ■■

بغداد ــ بلند الحيدرى



وجود جديد

■ ما تراني أجيل في الافق أنظاري وحيدا أخاطب المجهولا ؟
ان تسلني ماذا أريد فما تسمع من ردى مطلبا معقولا
حولى الناس يمرحون اكتفاء ويباهون بالقضاء قبولا
وأنا واجم كأنى في قفر بعيد وقد أضعت الدليلا
اتمنى لو كنت لا شيء أو كان وجودى عن أى شيء بديلا
اين لى دفقة من الحق والعرفان تجلو أمام عقلى السبيلا ؟
أنا فى قبضة العذاب رهين أثقلتني خواطرى تكبيلا
لا تحاول تخفيف عبئى فلن تلفى لاسباب حيرتى تعليلا
اتلهى بما يوسوس لى الفن فالقى على اكتئابى سدولا
ان تنل كفى ما يعز منالا لم تجده عيناى الا ضئيلا
لست أخشى السنين تزرع دربى نكبات تسك نفسى عويلا
انما ارهب الفراغ الذى المسه حولى بكرة وأصيلا
وأمل الزهور تبدو حسانا ثم تنأى عن الجمال ذبولا
وأعاف الكلام يتلى بيانا ثم يخفى كأنه ما قيلا
أفهمتني الحياة أنى غبى حين أدعو سرابها سلسبيلا
هذه الدنيا مسرح فاض هزلا أنا فيه لا أحسن التمثيلا
كل ما ضمه الزمان هباء شأنه أن يزول أو أن يحولا
والخلود الذى أكد اليه ان أفسره يشبه التضليلا
عبثا أرتجى بلوغ الامانى وأمانى تنشد المستحيلا
أشتهى أن أرى وجودا جديدا ليس هذا الوجود يروى الغليلا

■■

عاصمة الارجنتين / **الياس قنصل**

سينما الحرب في لبنان

بقلم : الفاروق عبد العزيز



■ في اغنيات العشق والاسى القديمة داب المغنون على تلوين اصواتهم بلوعة التفجع حتى تكتمل الصورة التعبيرية عن واقع مرير . وفي كافة ما شاهدت من افلام عن مأساة لبنان ، رأيت مخرجيها حريصين على تلوين شرائطهم بالوان تجسد مشاعر الحزن وواقع المتناقضات .





المخرجة جوسلين صعب

ومع طلقة الرصاص التى أودت بحياة النائب معروف سعد ـ الذى كان يمثل جماهير الصيادين فى صيدا ـ ومع الطلقات التى يصعب عدها والتى صنعت مجزرة الاوتوبيس المحمل بالسبعة وثلاثين فلسطينيا ـ عزلا من السلاح من الشيوخ والنساء والاطفال ـ ٠٠ مع الطلقة والطلقات فى ابريل ١٩٧٥ أخذ الواقع يستحيل الى واقع اخر ٠ الافكار والقيم والمسلمات استحالت الى اطلال من المبانى والسيارات ومنتجعات السياحة ٠ وأعاد كل شيء الذاكرة الى عام ١٩٣٦ (عام اسبانيا) حيث نشب الصراع الحتمى بين الفاشية والديمقراطية والذى انضم فيه مثقفو العالم الى صفوف الديمقراطية ٠ ولكن الفاشية انتصرت وكسر جيتار لوركا » وزفت اسبانيا فى عرس الدم الى الدكتاتورية » ٠

ولكن احدا فيما يبدو لم يستطع أن يكسر كاميرات بعض المخرجين اللبنانيين الذين ارادوا أن ينشدوا لنا أغنياتهم الحزينة ٠٠ المعاصرة ٠

الحزن ٠٠ الغضب ٠٠ التحليل : هذه هى السمات الثلاث الرئيسية فى أعمال السينمائيين عن الحرب ـ المأساة اللبنانية ٠ الحزن والغضب : قاسم مشترك أعظم فيها جميعا ٠ التحليل يختلف فى مدخله وفى نتائجه ٠ هذا أمر طبيعى ٠

فى الدوامة

فالمخرجة اللبنانية جوسلين صعب تنظر الى الواقع اللبنانى برمته من منظور متقدم ٠ فى فيلمها التسجيلى الطويل الاول « لبنان فى دوامة » (١٩٧٦) لا تولى جوسلين مشاعر الحزن أو الغضب اهمية تذكر اذ أنها تعمد الى نوع من التحليل البارد (أو ما يسمونه أحيانا بالموضوعية الليبرالية) الذى يتناسب وطبيعة التقبل لدى المشاهد الاوروبى والامريكى الذى وجه اليه فيلمها أصلا ٠

يبدأ فيلمها بحديث عن لبنان الماضى القريب ٠٠ لبنان السياحة واقتصاد الكومبرادور ٠٠ المبانى الشاهقة والشوارع الواسعة المليئة بالاشجار والانوار المتلألئة ٠ « لبنان سويسرا الشرق الاوسط وبيروت ٠٠ باريس العرب » ٠

وفى خلال جولتها السياحية هذه تمر جوسلين على أحياء المسلخ والكارانتينا و «بيروت الاخرى» لتكشف لنا عن أحشاء بيروت التى تشبه أحشاء المدن الكبيرة ٠٠ البيوت الصفيح (التناكر) والازقة القذرة والوجوه الكليلة والفقر يفيض من البيوت فوق الارصفة ٠ نيويورك أو ساوباولو لا تختلفان كثيرا عن حالة بيروت ٠

بيد أن هناك سمة خاصة لفقراء بيروت



عملية ترحيل المواطنين فى لبنان



اطفال يحملون فراشهم

وحرافيشها • انهم لبنانيون فقراء •• مسلمون فى غالبيتهم او مسيحيون •• وفلسطينيون فى تناكر • هذا هو المدخل الذى تبدأ منه جوسلين تحليلها للواقع المرير • فالصراع كان قائما طوال الوقت ، ولكنه كان مضطرما تحتالسطح بفعل عوامل محلية وعربية ودولية كثيرة •

الفقر ـ القضية الاجتماعية ، والدين ـ القضية الطائفية ،والفلسطينيون ـ القضية السياسية • هذه هى البوتقة التى صهرت الجميع واشعلت الحرب الاهلية •

فى هذا السياق تلتقى جوسلين بزعماء كافة الاطراف من بير الجميل الى هنرى صفير مرورا بجنبلاط والامام الصدر • يتحدثون ويعرب كل منهم عن وجهة نظره • ولكن وجهة نظر المخرجة لا تغيب طوال الوقت من خلال عين الكاميرا • فالجميل يتحدث فى قاعة فسيحة من خلف منضدة طويلة تصطف الى جانبيها كراسى فارغة • خلفه شعار « الكتائب » • تقطع المخرجة اثناء حديثه على شعار الكتائب الفلانجة الاسبانية فى عام ١٩٣٦ لتربط بين فاشية الامس واليوم ـ من وجهة نظرها بالطبع • الصدر يتحدث فى الصحراء « كنبى مسلح » • وجنبلاط فى هدوء المختارة ، وهنرى الصغير فىحفل تخطف الابصار فيهمجوهرات الحاضرات الجميلات ، ورئيس حركة الارز وخلفه المرتزق الفرنسى الذى يتحدث بدوره بفخر عن انجازاته فى افريقيا •

من « لبنان فى دوامة » تخرج بتاكيد على أن سبب الحرب الاهلية فى لبنان يرجع اساسا الى « القضية الاجتماعية » ، وان الصراع الطائفى ما هو الا ستار دخان يخفى وراءه الاعماق الحقيقية للمشكلة : الصراع الطبقى • الفلسطينيون ليسوا سبب البلاء فى لبنان ولكن حل المشكلة برمتها يرتبط فى النهاية بقضية الصراع مع اسرائيل • وقد اعتمد الفيلم اسلوب التحقيق التليفزيونى (الريبورتاج) لكى يدفع المشاهد الى خضم الاحداث مباشرة ولكى يبقى على اكبر قدر من وعيه متفاعلا مع ما يراه وما يسمعه •

بعد عامين عادت جوسلين أكثر حزنا الى وطنها لتصور حالة الهدنة والحرب المستمرة فى السر وفى العلن • فى « رسالة من بيروت » تتجنب جوسليف التحليل لتسلم نفسها الى أغانى الحزن والغضب التى تتردد على مسامع كل لبنانى أيا كان لبنانه • فى هذه المرة تسلم جوسليف كاميرتها الى عفوية الواقع كما هو فى بيروت « الاشتباكات المتقطعة » و « وقف اطلاق النار الهش » •

من الطبيعى أن تكون الانظار زائغة بعد الحرب

وان تكون الابتسامات مرتسمة في قلق . ولكن الشكل الفني الذي صاغت فيه جوسلين الفيلم يجعل منه حقا اغنية حنين حزينة الى بيروت التي لم تعد كما كانت . هذه مقاطع من التعليق المصاحب لما شاهدنا من صور من بيروت التي تتحسس الحياة بعد الحرب .

« .. أسير باتجاه جسر الموت الشهير الذي يؤدي الى المنطقة الشرقية حيث كانت تتكدس الجثث . على الخط ١٢ . الناس تخفي افكارها ولا تخاطر في التعبير عن نفسها لانها ما زالت تموت في سهولة شديدة . وعب كثير ضرب الاهالي بقسوة .. » .

« الاوتوبيس لا يذهب الى تل الزعتر . لم يعد هناك من ركاب لمخيم ممحي . ولكن طريقا شقها الكتائبيون لاخذ الزوار الى مكان انتصار .. » .

« على هذا المفترق في عين الرمانة اندلعت في ١٣ ابريل ١٩٧٥ الحرب اللبنانية . ٣٧ فلسطينيا ذبحوا في اوتوبيس . وظهرت العذراء في المكان نفسه الحرب نشطت الايمان ! عندما تختفي الحقيقة ويصير كل شيء مقبولا . واولئك الذين تألموا لم يجدوا عونا سوى السماء وازدادت العجائب بتشجيع من الاحزاب.. وسارعت السياسة الى استغلال اضطراب القلوب » .

« من سيعيد الحياة الى اهالي العباسية الذين سحقتهم الطائرات والدبابات الاسرائيلية بينما كانوا لاجئين في مسجد ؟ .. » .

« وشيئا فشيئا تحول بلد الى أرض لا أحد .. » .

خطوة خطوة !

ولكن متى تحول لبنان هكذا ـ الى أرض لا أحد ؟ عن هذا السؤال تحاول المخرجة اللبنانية رندة الشهال ان تقدم اجابة من خلال فيلمها الاول « خطوة خطوة » (١٩٧٨) . وعنوان الفيلم مأخوذ عن تطبيق للسياسة الكيسنجرية الشهيرة في معالجة أزمة الشرق الاوسط . وهي تقول في فيلمها ان لبنان قد ضاع خطوة خطوة لا بفضل المعالجة الامريكية وحدها ، ولكن بفضل مجموعة من العوامل المترسبة في بنية المعادلة اللبنانية ذاتها .

تقدم المخرجة للاحداث المعاصرة والحرب الاهلية مجموعة من المشاهد المعنونة مثل لبنان الانتداب ـ الصراع الطائفي ـ الميثاق ـ الاستقلال . وفي خلال هذا السياق يتلقى المشاهد معلومات غير مباشرة عن أسباب الحرب الحالية ومن مجمل العرض ندرك مدى « التصالحية » و « التوفيقية » في البنية اللبنانية .

وقد حرصت رندة على معالجة الحرب من زاوية واحدة ومحددة متبنية الموقف الثابت للقوى الوطنية والتقدمية في لبنان وهو الموقف المتعاطف مع الوجود الفلسطيني بشكل عام . ولهذا تابعت المخرجة سردها التسجيلي للاحداث ـ مستعينة في ذلك بكل ما يتيسر من اللقطات الارشيفية التي اكسبت الفيلم واقعية وحيوية ـ بادئة بمعادلة الاوتوبيس ومنتهية بعلامة استفهام كبيرة : لبنان الى أين ؟

ويعتمد الفيلم في اسلوب الشهادات الواقعية ـ كغيره من الافلام اللبنانية التي تناولت الحرب . وهو اسلوب يسهم في تنوير الحدث واقحام المسؤولين عن الاحداث مباشرة الى دائرة وعي المشاهد .

وبرغم ان الفيلم ينتهي بتساؤل . الى أين ؟ الا انه حمل اجابة مبطنة : طالما ان احدا لم يعالج البنية الاصلية التي يعتريها الخلل . فلا يحق لاحد أن يتوقع سلاما أبديا في الديار اللبنانية ولكنها ستكون هدنة ـ قصيرة أم طويلة ـ لا يدري أحد بعدها .. الى أين ؟

من يحترق في النهاية !

« لبنان .. لماذا ؟ » فيلم يطرح تساؤلا جذريا. لماذا كل هذا الذي جرى ويجري في لبنان ويحاول مخرجه جورج شمشوم الاجابة عليه من خلال سرد أحداث في مواقعها الحية .

وبرغم أن السرد لا يعنينا في ذاته بقدر ما تعنينا وجهة النظر التي يقدمها الا أن الاسلوب الذي اتبعه جورج في اعادة تركيب المشاهد ـ الاحداث قد أثمر احساسا بالحزن والغضب « للعبث » الذي يجري دمويا امام أعيننا . وقد حقق ذلك على نحو جعل من تصريحات السياسيين الذين استجوبهم أشياء لا قيمة لها ازاء قسوة الواقع ذاته . فلبنان يضيع وكل له لبنانه .

والعبث في ان كل فريق لن يجد في النهاية سوى حصاد الهشيم ·

ويتميز الفيلم بشاعرية يمكن وصفها بشاعرية اضواء الايام العادية · فهو يستمد قوة تاثيره من قوةالتركيب التي لا تسمح لك شانها فيذلك شان الواقع ذاته ـ بلحظة لالتقاط انفاسك · ولا يتضمن الفيلم اجابة قاطعة على السؤال المطروح في عنوانه ولكن اغنية الحزن المعاصرة تتصاعد الحانها على نحو يضاعف منحجم الشحنة الانفعالية التي تختزنها في صدرك كمربى احتجاجا على العبث الذي يدور أمامك كسيف الجلاد المعصوب العينين ·

اماما رون بغدادي السينمائي اللبناني الشاب فقد كان تقريبا آخر السينمائيين الذين التقوا بالزعيم اللبناني المقتول كمال جنبلاط · وفيلمه الذي يحمل نفس العنوان ـ كمال جنبلاط (١٩٧٧) جاء ايضا مفعما ـ برغم واقعية الحوار ـ بالروح الشاعرية التي تميز حديث جنبلاط ايا كان موضوعه ·· جاء اغنية حزينة غاضبة مما دار ويدور ·

ويعرض جنبلاط تفاصيل الأزمة اللبنانية من وجهة نظره كاشفا عن اسبابها ودواعيها مشيرا ايضا الى اسباب الخلل الكامنة في البنية ذاتها دون ان يسقط في هوة الحزبية · يكشف لنا الفيلم عن شخصية جنبلاط وافكاره ولكن من خلال محتوى اوسع هو حقيقة الوجود اللبناني المعاصر· ويبتعد العمل كلية عن الشعارات او الوعود · ولكنه يشبه في اسلوبه اقتراب العالم من موضوعه· وهذا امر يحسب لبغدادي في اول افلامه التسجيلية عن الحرب اللبنانية ·

ولكن بغدادي كان قد اخرج من قبل فيلما روائيا طويلا بعنوان « بيروت يا بيروت » (١٩٧٥) عالج فيه من قبل ان تنفجر الاحداث في ابريل من ذلك العام ـ عوامل الصراع الكامنة في البنية اللبنانية ايضا ·

لبنان دولة علمانية ديمقراطية · يبقى ذلك مجرد شعار في لبنان القديم · هذا ما يوحي به فيلم بغدادي · فمن خلال علاقة بين شاب مسلم وفتاة مسيحية جامعية نتعرف على طبيعة البنية الطائفية في المجتمع « العلماني » · كما نتعرف ايضا على شاب من الجنوب يعمل خادما بالجامعة لا يجد خلاصا من الواقع المطحون الذي يحياه في مجتمع الرفاهية ـ باريس الشرق الاوسط ـ الا بالانضمام الى المقاومة في الجنوب اللبناني ·

ينتهي الفيلم ـ الذي يفيض بشاعرية حقيقية ـ بمولد مخرج لبناني جدير بالاحترام بخلاف هؤلاء الذين جعلوا من السينما اللبنانية بضاعة تجارية كاسدة ايضا امام منافسة البضاعة السينمائية المصرية · في نهاية الفيلم تحس بالبناء « الهش » الذي يقوم عليه مجتمع كامل وتحس بان النهاية الطبيعية هي احداث العام نفسه والاعوام التالية ·

في « الفلسطيني » (١٩٧٨) الذي قدمته الممثلة البريطانية العالمية فانيساردجريف واخرجه روس باترسي معالجة للقضية اللبنانية من وجهة نظر مختلفة · فبرغم ان الفيلم يتناول في جزء منه ماساة الفلسطينيين في تل الزعتر الا انه يشير الى ان ١٣٫٠٠٠ عامل لبناني كانوايسكنون المخيم وهؤلاء يشكلون ٢٥٪ من الصناعة اللبنانية· يفضح الفيلم المستفيدين في صيدا · المسؤولين عن اغتيال النائب معروف سعد : انهم تجار الاسماك الكبار الذين استغلوا الصيادين الفقراء الذين كانوا ممثلين في شخص معروف سعد · وفي لقاءات عديدة مع كبار رجال السياسة والميليشيات اللبنانية يتضح لك ان المسالة لا علاقة لها بالطائفية وان اساس المشكلة اجتماعي خالص · وقد اوضح الفيلم كيف ان البورجوازيات الكبيرة هي التي تشعل الحرب تحت ستار الطائفية وغيرها · من يحترق في النهاية : اللبناني والفلسطيني الفقير ·

لا يطرح الفيلم حلولا على الصعيد اللبناني ولكنه يربط بين المشكلة اللبنانية وقضية الصراع مع الصهيونية في الشرق الاوسط ·

اغنيات العاشر الحزينة او الغاضبة في افلام اللبنانيين عن لبنان لا تتحدث عن اغنيات المستقبل الذي لا يزال مجهولا · فمن يدري كيف وعلى أي نحو سيولد لبنان الجديد ؟ ■■

الكويت ـ **الفاروق عبد العزيز**



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

النحافة واسبابها

● انا شاب عمرى ٢٥ سنةاشكو من النحافة الزائدة ، لما هو سبب النحافة وما من علاج لزيادة الوزن علما بأنى عملت تحاليل وكانت النتيجة سليمة . (•••)

ـ النحافة هى حالة من حالات سوء التغذية فينشا عن ذلك نقص الوزن عن المتوسط المطلوب وهذه تحدث نتيجةعدم كفاية التغذية او عدم امتصاص الجسم للغذاء بسبب عدم المضغ الجيد أو اضطراب انزيمات الهضم وزيادةالحركة المعوية .

ومن أهم أسباب النحافة ما يلى : التمرينات الرياضية الشاقة مع عدم تناول الغذاء الكافى لذلك ـ اضطراب فى الهرمونات مثل زيادة نشاط الغدة الدرقية ومرض السكر ـ فقدان الشهية العصبى ـ الحميات باختلاف انواعها وخاصة المعوية منها ـ كثرة التدخين وتعاطى المنبهات ـ عدم الراحةواخذ القدر الكافى من النوم .

وهناك نوعان من النحافة :

١ ـ نحافة الاصحاء : وهذه كالتى تشكو منها انت حيث يكون الجسم سليما والتحاليل سليمة وهذه لا ضرر منها ، كما انها كثيرا ما تكون وراثية ونلاحظها عند الاشخاص عصبيى المزاج الذين يقومون بحركات عصبية تؤدى الى زيادة صرف الطاقة .

٢ ـ النحافة المرضية : وهى التى تنشا عن سوء التغذية او الامراض المختلفة .

ولمة بعض القواعد الصحية التى يجب اتباعها لعلاج النحافة مثل : الراحة بعد الطعام ـ الاقلال من التدخين لفتح الشهية للغذاء ـ النوم الكافى حتى يأخذ الجسم راحته ويختزن الطاقة الزائدة ـ الرياضة الخفيفة التى تساعد على نمو العضلات ـ العيش فى الهواء الطلق والحياة البعيدة عن التوترات ـ علاج الامراض التى تتسبب فى النحافة .

ويشترط فى الغذاء الذى يعطى للاشخاص النحفاء أن يكون ذا قيمة غذائية كبيرة وان يكون سهل الهضم سريع الامتصاص ومحتويا على جميع متطلبات الجسم من بروتين وكربوهيدرات ودهون وفيتامينات ومواد معدنية .

والعين والشعر

● المقصود بالشعر بالعينين هو أن يكون اتجاه شعر الجفون ناحية العين بدلا من اتجاهه الطبيعى وهو الى الامام ثم الى اعلى وهذا الشعر اما ان يكون قليلا أو كثيرا او ان يكون كل شعر الجفن متجها الى الداخل ناحية العين مما يسبب ازعاجا للمريض، فيشعر وكان جسما غريبا داخل العين مع زيادة فى الدموع وقرحات متكررة فى العين وعتامة القرنية بسبب احتكاك الشعر المستمر بقرنية العين وهذا بدوره يؤدى الى تكون اوعية دموية فيها وتفقد القرنية لمعانها .

اسبابه :

١ ـ النوع الخلقى وفى هذه الحالة يوجد للمريض صف آخر من الشعر خلف صف الرموش العادى ويكون متجها الى أسفل ولهذا يلامس قرنية

العين وعلاج هذا النوع من الشعر يكون بعمل شق بسيط فى هذا الصف غير العادى من الشعر حتى تظهر بصيلاته ثم تكوى هذه البصيلات بعد ذلك حتى لا تنمو مرة أخرى ٠

٢ ـ النوع المرضى الذى يسببه التهاب باطراف الجفون المزمن تليف الملتحمة للغشاء الذى يبطن الجفون كما يحدث فى بعض حالات التراخوما ودفتريا العين أو بسبب جرح قطعى فى طرف الجفن أو بعد اجراء بعض عمليات الجفون ووضع رباط ضاغط على العين فى بعض كبار السن ٠

فاذا كان الشعر الملامس للعين قليلا أى لا يزيد عن اربعة شعيرات فيمكن أن تزال بواسطة كى بصيلاتها بالكهرباء حتى لا تنبت مرة ثانية ٠ ولا ينصح بازالتها بالملقط لانها ستنمو ثانية خلال ثلاثة اسابيع وتكون اكثر خطرا على قرنية العين ٠

أما اذا كان الشعر الملامس للعين كثيرا فيستحسن اجراء عملية جراحية بالجفن بحيث تبعد هذه الشعيرات عن العين فتزول الشكوى ويبقى الشعر بالجفن حيث أنه ضرورى لوقاية العين ٠

الانيميا وفقر الدم

● أخبرنى الطبيب أن عندى أنيميا نتيجة نقص الحديد ، فما أهمية ذلك الحديد للجسم وفى أى المأكولات يوجد بكثرة ؟ ٠

(٠٠٠)

ـ ان الحديد من الاملاح المهمة للجسم فهو يدخل فى تركيب هيموجلوبين الدم ويكسبه المقدرة على نقل الاكسجين من الرئتين الى انسجة الجسم المختلفة حيث يؤكسد ما بها من طعام فيولد طاقة حرارية ضرورية لوظائف الجسم ٠

ويحتوى دم الرجل على ٢٤ ـ ٥٦ مجم من الحديد لكل ١٠٠ سم٣ من الدم بينما يحتوى دم المرأة على ٤٢ ـ ٤٨ مجم حديد فى كل ١٠٠ سم٣ دم ٠

وتعيش كرات الدم الحمراء حوالى ١٢٠ يوم تتحلل بعدها ويحدث الهدم لعدد من هذه الكرات يعادل ١٪ منها كل يوم وهذا يمثل انبعاث ٢٤ ملجم من الحديد يوميا وطبيعى يستفيد الجسم من هذا الحديد الناشيء تبينى منه الهيموجلوبين فى الكرات الحمراء الجديدة ٠

ووظائف الحديد فى الجسم تتلخص فيما يلى :

١ ـ يدخل فى تركيب الدم٠

٢ ـ ضرورى لانتاج الطاقة والحرارة من المواد الغذائية ٠

٣ ـ يعادل الحموضة ٠

والزائد من الحديد يختزن فى الكبد والطحال وبعض البروتينات المعقدة لكى تستخدم عند الضرورة فى حالة نقص موارد الجسم منه ٠

ويلاحظ أن الاناث يفقدن من ١٤ ـ ٢٨ ملجم من الحديد مع دم الحيض ، كذلك تفقد الحامل من ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ملجم طول فترة الحمل لتكوين دم الجنين ولذلك وجب عليهن الاكثار من الاطعمة التى يكثر فيها الحديد أو على شكل حبوب حديد ٠

وفى الانيميا يكون عدد كرات الدم الحمراء منخفضا ، وكذلك كيميا الهيموجلوبين فى كل كرة حمراء تكون منخفضة فتصبح باهتة اللون وبالتالى تقل مقدرة الدم على نقل الاكسجين مما يعرقل وظائف الجسم المختلفة وتؤدى الى اللون الباهت للجسم وكذلك سرعة الانهاك والشعور بالضعف والتعب ٠

ويحدث هذا النوع من الانيميا نتيجة نقص موارد الجسم من الحديد نتيجة العوامل التالية :

١ ـ نقص كمية الحديد فى الطعام الذى يتناوله الانسان٠

٢ ـ نقص درجة امتصاص الحديد فى الجسم ٠

٣ ـ فقدان الدم بطريقة او باخرى ٠

٤ ـ وجود طفيليات معوية أو بواسير ٠

٥ ـ زيادة العادة الشهرية عند الاناث أو تكرار الحمل المتقارب ٠

ومن أهم الاغذية التى تحتوى على كميات كبيرة من الحديد صفار البيض والكبد والفول واللوبيا والفاصوليا والكاكاو والعدس والخوخ والعسل الاسود واللحم والكلاوى والسمك والبسلة والسبانخ

تكبير حجم الثدي الصغيرة

● ردا على رسالة الاخت التي استفسرت عن امكان زراعة الثدى او تكبير أحجامها اقول : لم تجر حتى الآن محاولة زرع ثدي ، كما أنه ليست هناك هورمونات معينة تأخذها المرأة فيكبر حجم ثديها ، وانما الطريقة المتبعة هي اجراء عملية جراحية ووضع مادة اسفنجية تحت الجلد في منطقة الثدي الذي يراد تكبير حجمه ، غير أن النتائج في بعض الحالات قد دفعت بالسيدات اللاتي أجريت لهن العملية الى طلب اعادة الحجم الى وضعه السابق للتقل الذي قد يشعرن به ، ولتصلب المادة بحيث لا تمنح الثدي ما يحتاج اليه من ليونة طبيعية ، أو أن هذه الليونة تفقد بعد مدة •

وتجرى العملية بصورة خاصة في فرنسا وايطاليا ، على أن بعض مستشفيات انكلترة هي الاخرى تقوم بذلك ، ولو على نطاق أضيق ، ومن بينها مستشفى اكسفورد التعليمي المعروف بال
Radcliffe Infirmary

ومن بين الجراحين الذين يقومون بالعملية الطبيبان الجراحان M.J.Lea (ايم •جى•بى) و H.B.D. Kettlewell (ايج بى • دى كيتلويل) في قسم جراحة الثدي وتجميلها •

د• صبيحة الدباغ
اكسفورد

تهدل الجفون

● تهدل الجفون او ارتخاء الجفون أو ما يسمى بالعيون الناعسة هو سقوط الجفن على قرنية العين بشكل غير طبيعي • والمعروف أن الجفن الطبيعي يغطي السدس الاعلى من قرنية العين تقريبا •

وهذا التهدل اما أن يصيب عينا واحدة أو الاثنتين معا •• وقد يكون التهدل بسيطا او غير بسيط بحيث يغطي العين كلها فتبدو مقفولة •

وفي حالة التهدل البسيط لا تظهر على المريض أية اعراض سوى اختفاء تجاعيد جلد الجفن الناتج عن انقباض العضلة الرافعة للجفن ، ويبدو هذا الاختفاء واضحا عندما ينظر المريض الى أعلى •• أما اذا وصل هذا التهدل الى الحد الذي يغطي معه جزءا من بؤبؤ العين ، فان المريض يحاول التغلب على ذلك بأن يساعد هذه العضلة الرافعة الضعيفة برفع حاجبيه بواسطة عضلة الجبهة وقد يضطر لارجاع رأسه الى الخلف • وفي حالة التهدل الذي يغطي بؤبؤ العين كله ـ وخصوصا في الاطفال ـ فان العين في هذه الحالة تصاب بالكسل مما يؤدي الى ضعف الرؤية بها الى حد كبير •

وأسباب تهدل الجفون كثيرة فمنها ما يعود الى سبب خلقي، وهذا غالبا ما يكون بالعينين لضعف خلقي في العضلة الرافعة للعين او في العصب المحرك لهذه العضلة •• وهذا النوع نادرا ما يصحبه ضعف في كل عضلات العين •

وقد يرجع تهدل الجفون الى أسباب مكتسبة عدة منها :

ـ حدوث ضربة على الجفن تؤدي الى قطع العصب المحرك للعضلة الرافعة •

ـ التهدل الناتج عن ثقل الجفن مثل حالات الرمد الصديدي الشديد عند الاطفال ، أو وجود اكياس دهنية بالجفن او ورم كبير أو تضخم غضروف الجفن •• وكذلك في بعض حالات التراخوما •

ـ التهدل الناتج عن شلل العصب الثالث المسئول عن تحريك الجفن •

ـ التهدل الذي يصيب مرضى الوهن العضلي •

ـ التهدل الناتج عن شلل الجهاز السمبتاوي •

والعلاج يختلف حسب كل حالة •• ففي حالات التهدل الخلقي البسيط الذي يغطي بؤبؤ العين كله لا ينصح باجراء عملية جراحية قبل سن الخامسة •• اذ ان نسبة كبيرة من الاطفال المصابين تتحسن حالتهم بالتدريج اما عندما يكون التهدل غير بسيط ويغطي بؤبؤ العين كله فلا بد من اجراء عملية جراحية لرفع الجفن في سن مبكرة كيلا لا تصاب العين بالكسل •

اما التهدل الناتج عن شلل في احدى عضلات العين فلا ينصح بعمل أي شيء لرفع الجفن لئلا يشكو المصاب من ازدواج في الرؤية • ■■



الزنج

صلبان التاريخ الاسلامى

بقلم : أحمد علبى

« ٠٠ من وقائع التاريخ، ان معظم الزنج المنضوين تحت لواء صاحبهم على ابن محمد ، كان مصيرهم الموت الزؤام ٠٠ ومن تبقى منهم عاد الى الاسترقاق مجددا ! »

■ كانت الامبراطورية الاسلامية من اواخر الامبراطوريات العظمى التى عرفها الشرق ، وقد لعبت دورا حيويا فى دفع عجلة التقدم وفى عملية تراكم الانتاج ٠ وكانت هذه الدولة العربية الكبرى مؤسسة على « الايديولوجية » الاسلامية ، وهى ذات مركزية صلبة أصلا ، وطابع مطلق وحكم فردى عمليا ، فى حين أمست نظرية العدل التى عمل بها جل الخلفاء الاوائل من الراشدين مسطورة محفوظة فى كتب الفقهاء ٠ هذه الامبراطورية

سرعان ما انحدرت من « الاوتوقراطية » المدنية الاستبدادية نحو العسكرية العشوائية الدخيلة ، التي الحقت ضررا باستمرارية الحكم وانتصبت عائقا احمق دون تطوره الى مداه التاريخي • ففي حين كانت الخلافة متيمة مع المنصور ، عزيزة مع الرشيد ، متحضرة مع المامون ، اضحت مع المعتصم بغير هوية حضارية ، واختنقت بجهل المرتزقة من الاتراك وخلافاتهم المزمنة •

كان النفوذ الفارسي في المرحلة الاولى من الخلافة العباسية ، على الرغم من سلبياته السياسية ، مغصابا ، لانه يحمل نواة بناءة من المعرفة ورصيدا وافرا من التجارب • أما النفوذ التركي الذي أتى به المعتصم،فقوامه القهر والجهالة ولا شيء غير ذلك•• كانت بغداد ترفع عاليا مشعل العلم ، أما سامراء ، العاصمة الجديدة ، فامتلات سماؤها بحراب الجيش التركي الذي ابتكره المعتصم لنفسه زاهيا مكسوا بالديباج ، فغدا أشبه بالحرس الامبراطوري الروماني • كان المامون يتعاطى الفلسفة ويجادل المعتزلة ، أما المعتصم فهو ، كما يذكر ابن الطقطقي في « الفخري في الآداب السلطانية » ، « يحمل الف رطل ويمشي بها خطوات » ! وكان ، على حد قول السيوطي في « تاريخ الخلفاء » ، « عريا من العلم » !

تفجر التناقضات

هذه الطغمة العسكرية التركية جعلت « التناقضات » تستفحل في أروقة قصور الخلافة العباسية • فقد استبدت بالسلطة الفعلية ،خاصة اثر مصرع المتوكل ، فأمسى الخليفة طوع بنانها ، وما أن يسعى الى الخلاص من وصايتها حتى يلقى حتفه توا • وهكذا توالى على كرسي الخلافة في مدة زمنية خاطفة (٢٤٧ ـ ٢٥٦هـ) اربعة خلفاء بعد مصرع المتوكل هم : المنتصر ، المستعين ، المعتز والمهتدي • وكان هؤلاء الخلفاء صنائع الاتراك في البداية ، ثم تململوا من تحكمهم وجورهم • فذلك لحقه السم ، وذاك فر ناجيا بجلده ، وثالث ورابع انتهبتهما السيوف ! ولقد توصل بعض الاتراك البارزين الى مصاهرة البيت المالك نفسه ، شأن القائد بغا الكبير ، وكان أيضا ابن خالة المتوكل •

ولم يكن التناقض على مستوى قمة الحكم بين الخليفة والطغمة التركية هو التناقض الوحيد ، فقد كانت الخلافات تدب بين القادة الاتراك انفسهم ، في صفوف القيادة المسيطرة ، فتنعكس على جنودهم بعضهم ضد البعض الاخر • وان كانت كلمة القادة الاتراك تتوحد على نحو مرحلي مؤقت ، عند مجابهة اي خليفة يسعى الى الوقيعة بينهم ليستثمر خلافاتهم • ثم أن العامة كانوا يتذمرون من تصرفات الاتراك وتعدياتهم ويضجون بالشكوى ، وربما جاوزوا ذلك الى توزيع الرقاع ، اي المناشير بلغة اليوم ، صنيع العامةعندما انبروا الى دعم الخليفة المهتدي ، الرضي السيرة النقي السريرة ، ضد الاتراك الذين عمدوا الى قتله • ان النفوذ التركي كان بمثابة العصا الغليظة البطاشة التي أتى بها بعض الخلفاء العباسيين ليحموا بواسطتها انفسهم ، لكنهم أمسوا في ما بعد بحاجة الى من يحميهم من هذهالعصا المجلوبة• كان العرب الحاكمون يستعينون بالاتراك المرتزقة لضرب المعارضة العربية والقوميات الثائرة ، لكن مراكز هؤلاء الاتراك كانت تتقوى ، فيضربون بالتالي مواقع العرب الحاكمين ويعززون مشاركتهم لهم في السلطة • لقد بدت الخلافة ، مع سطوة الطغمة العسكرية التركية ، حكما شبه دخيل يكاد لا يربطه بالناس رابط •

لكن التناقض الذي أبهظ كاهل الخلافة هو ان الطغمة العسكرية التركية ساهمت بقوة في السطو على بيت المال وافراغه ، بحيث بدت الدولة عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها ، حتى حيال جند الجيش النظامي التركي العاديين البسطاء الذين كانوا يشغبون طالبين رواتبهم المستحقة فيصرخ بهم « وصيف » ، احد اقطاب العسكرية التركيةالمتحكمة « خذوا ترابا ، وهل عندنا مال » ! من الصحيح ان الطغمة العسكرية التركية كانت تشارك الفئة العربية الحاكمة في تجديد استمرارية علاقات الانتاج القائمة والاطالة في عمر السلطة المطلقة، غير ان العبء المالي الذي شكلته الطغمة التركية على مالية الدولة ، وازدياد المتطلبات العسكرية

مع بداية تفكك الخلافة العباسية ، ونزوع الولاة المحليين الى الاستقلال ، وتواتر حركات التمرد والخروج على سلطة بغداد ، هذه العوامل المتداخلة جعلت التناقضات الاجتماعية تنتقل الى حالة التفجر تحت وطأة النهب العسكري على نحو لصوصي ، مما احدث على الارجح «تضخما ماليا» خاصة مع نفاد او ضياع مناجم الذهب والفضة.

ونتج عما تقدم ذكره أن نشطت الانتفاضات على طاعة الدولة المركزية اثر مصرع المتوكل . فهذا يعقوب بن الليث الصفار يطيح بآل طاهر ويستولي على فارس . وقد حاول علي بن محمد ، قائد ثورة الزنج ، الاستفادة فيما بعد من قوة الصفاريين ، فاقترح عليهم التحالف ضد جيوش السلطة . وتمرد احمد بن طولون على مركز الخلافة فاستقل بمصر وسوريا ، قاطعا بذلك شريان الواردات المالية عن بغداد يوم كانت في امس الحاجة اليها . وتحرك الخوارج بدورهم ، بعد طول استكانة ، في دائرة الموصل . واشتدت المعارضة العلوية في الكوفة ومصر وطبرستان . وكان النهوض الثوري يعث تحت الرماد مع القرامطة واختمار قواهم ونزولهم بين الناس والجماهير الكادحة مسلحين بالدعوة والدعاة ، شأن الاحزاب الثورية المعاصرة . ولقد تفاعلت آثار متبادلة بين هذه الحركات ، خصوصا الحركات الثورية الداعية الى العدالة الاجتماعية ، امثال الزنج والقرامطة . ومن الثابت أن لقاء تم بين علي بن محمد ، صاحب الزنج ، وحمدان قرمط ، ومن الراجح أن فلول الثورة الزنجية ، عقب اندحارها ، قد انضوت تحت لواء الثورة القرمطية في العراق .

الاسلام والرق

ان اليد العاملة في احياء الاراضي الموات في منطقة البصرة ، والمكونة من العبيد ، الزنج ، خضعت لمعاملة زرية تتنافى وتعاليم الاسلام نفسها التي لم تلغ الرق ، الا انها دعت الى الحسنى في معاملة الرقيق والرفق به . كما أن هذه المعاملة الشرسة لا تتوافق مع وصايا النبي الذي كان يحض المسلمين على مساواة أرقائهم بانفسهم ، يطعمونهم مما يأكلون ويلبسونهم مما يلبسون، ولا يكلفونهم من العمل ما لا طاقة لهم به ، ولا يعرضونهم لعذاب او مكروه . فاين هذه التعاليم والوصايا من الواقع المهين الذي رزح فيه الارقاء الزنج !

يقتضينا الانصاف ان نضع خطا فاصلا بين المعاملة الشرسة التي خضع لها الزنج في المشاريع الزراعية الكبرى في العراق ، وفي منطقة البصرة خصوصا ، وبين سائر الارقاء من بيض وزنج في الامبراطورية العباسية المترامية الاطراف . من الصحيح أن الواقع القانوني الفقهي النظري لا يتطابق دائما مع الواقع العملي الفعلي ، لكن وقائع الحياة المسطورة في كتب التاريخ والادب والفكر تحمل على الاعتقاد أن المجتمع الاسلامي ، مع اقراره بالرق واستغلاله للعبيد كشكل من علاقات الانتاج ، لم يذهب بعيدا ، على شاكلة المجتمع الروماني مثلا ، في استثمار العبيد واستنزاف قواهم حتى الرمق الاخير . ان وجود التشريع الفقهي ، حتى ولو لم يعمل به دوما ، لدليل على ان الرقيق له حقوق وعليه واجبات ، ويمكنه محاولة الانتفاع بالنص القانوني في كثير من الاحيان لصالحه . وتتبدى لنا هذه الواقعية على سبيل المثال ، في نظرة كل من المسيحية والاسلام الى المرأة الجارية المعقلية . ففي حين ان الجارية في المسيحية ترتبط بسيدها بعلاقات تعتبر غير شرعية ، ولا تحوز على اي حق لها او اولادها ، فان الجارية التي تصبح « ام ولد » ، في الوسط الاسلامي عهد ذاك ، تكسب حريتها عند وفاة سيدها الذي تبيح له الشريعة مجامعة جواريه ، كما أن الاولاد الذين ترزق بهم يولدون احرارا . من الصحيح أن العبد كان ملكا لسيده ، لكن هذه الملكية ليست مطلقة . فالعبد يتناول أجرا ، ومن حقه أن يتزوج ، ويمكنه أن يحرر نفسه لقاء مبلغ من المال ، الى جانب أن الاسلام حث المؤمنين على عتق عبيدهم .

كان العبيد يعملون في البيوت ، فيصبح الكثير منهم موضع ثقة أسيادهم ، بحيث يكلفونهم الاشراف على اعمالهم او العناية باولادهم . اما العبيد الزنج فكانوا يعملون في البيوت والجيش، وتستخدم النساء منهم كجوار ومرضعات . وكان العبيد ،

السلافيون بشكل خاص . يخضعون لعملية شنيعة تجعل منهم خصيانا ، ليقوموا بحراسة الحريم ! وارتقى بعض العبيد الى مناصب كبرى في الجيش، بدليل العبيد الاتراك الذين اتت بهم الخلافة من آسيا الوسطى . وقد تسلط بعضهم على شؤون الحكم بحيث اضحى الخليفة العوبة بين أيديهم . وكان كثير من العبيد يشتغلون في الصناعات اليدوية . او يتعاطون التجارة او الزراعة بشكل شبه حر . او تجعلهم الخلافة يعملون في مشاريع البناء الكبرى . على أن الانتاج في العصر العباسي ارتكز عموما ، على الفلاحين الاحرار وانصاف الاحرار وعلى العمال اليدويين . ولم يعرف الاسلام بشكل عام نمط الانتاج العبودي الذي مورس في المزارع الكبرى، اللاتيفونديا الرومانية، وفي مستعمرات العبيد المصارعين . حيث ثار « سبارتاكوس » عام ٧٣ ق . م . وتزعم العبيد في ثورة عاتية باسلة سيطرت على جنوب ايطاليا. كان الرق في التاريخ الاسلامي من المؤسسات العائلية والاجتماعية ، بيد أن هذا التاريخ لم يعدم استثناء واحدا تمثل في الزنج الذين استعملوا على نحو جماعي ضمن المشاريع الزراعية الكبرى في منطقة البصرة . وذلك في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي . وقد حدث هذا عندما انطلقت التجارة الى مداها الارحب . وعرفت الزراعة توسعا كبيرا . وترامت حركة احياء الارض الموات نتيجة التضعضع السياسي والنهب المالي . وربما من اثر النهوض الاقتصادي . مما أدى . عهد ذاك، الى تنامي النظام العبودي في العراق وانتشاره .

عندما قضى « كراسوس » في مذبحة دموية على سبارتاكوس وصحبه عاد من « كابوا » الى روما منتشيا . وشنق على الطريق ستة الاف من العبيد الاسرى . فخط بذلك دربا من العذاب والصلبان لا ينسى . ومن وقائع التاريخ أن معظم الزنج . المنضوين تحت لواء صاحبهم على بن محمد ، كان مصيرهم الموت الزؤام . ومن تبقى منهم عاد الى الاسترقاق مجددا . ان العبيد الزنج هم صلبان التاريخ الاسلامي ! ورب قائل انه كان على الاسلام ان يلغي الرق تماما ، وفق ايديولوجيته الانسانية. لكن هذا قول مثالي ينظر الى التاريخ من خلال هالة الدين لا عبر الواقع الاقتصادي والتاريخي . ان التاريخ تصنعه الضرورات . وليست ارضه مبلطة بالنوايا الطيبة والافكار المطلقة .

تكون البطائح في العراق

كان الزنج يشتغلون في أراضي البصرة على شكل جماعات حاشدة ، مؤلفة من المئات والالاف . يخوضون في عمل مرهق يتطلب قوة ومثابرة وجلدا، اذ ان منطقة ادنى العراق كانت اراضيها مشبعة بالملح ، المتاتي من طبيعة الارض ومن طغيان امواج البحر ، عند راس الخليج الفارسي (او الهندي قديما ، والعربي حديثا) ، وتسلل مياه هذه الامواج مع حركة المد والجزر الى شط العرب ، او كما كان يدعى دجلة العوراء ، عند ملتقى دجلة والفرات في مجرى واحد ، ثم تسرب هذه المياه مع الزمن الى اعماق التربة ، مكونة طبقة ملحية تعطل الارض . وتعرضت منطقة ادنى العراق التي تخترقها الانهر بغزارة عجيبة للبثوق والفيضانات الموسمية ، فتحولت أراضيها الى مستنقعات تدعى البطائح ، وتتخللها الاهوار وهي بحيرات غير عميقة الاغوار . ويعود السبب الى ان مياه الفيضانات لا تقوى ضفاف الانهر الواطئة الرخوة على صدها فتنفجر البثوق عبر هذه الضفاف ، وتغمر المياه المتدفقة الاراضي حاملة اليها الطمي المخصب للزراعة . وتشمل البطائح المنخفض المنبسط الممتد من الكوفة و واسط شمالا حتى البصرة جنوبا .

ويرجع ظهور هذه البطائح ، كما يذكر البلاذري ، الى العهد الفارسي حينما انفجر بثق كبير عند اسافل كسكر ، وذلك ايام قباذ بن فيروز الذي كان مهملا واهنا ، فكان ان غطت المياه كثيرا من الاراضي العامرة . ثم كان زمن كسرى انو شروان فولى ابنه الامر، فعالج الاراضي الغارقة بان اقام المسنيات ، اى السدود ، فعاد بعضها صالحا . بيد أن أمر ظهور البطائح ليس رهنا بتاريخ الاكاسرة ، كما يرد في المصادر العربية ، وذلك لان البطائح قديمة عهد في جنوب العراق ، وقد ورد ذكرها في الكتابات المسمارية تحت لفظ يعني المستنقعات ولفظ آخر يعني الاراضي المغطاة بالقصب . وهذه السدود التي اتينا عليها مع

كسرى انو شروان عمل كل من توالى على المنطقة في اقامتهـا . منذ الاشوريين مرورا باليونـان والرومـان فالفرس . ولكن في بدايـة الفتـح الاسلامي،في السنة السادسة او السابعة للهجرة، ارتفعت المياه في دجلة والفرات ارتفاعا خطيرا لم يعهد من قبل . فحدثت بثوق كبرى وطفت المياه على عـدة طساسيج ، اى النـواحي الزراعيـة ، طافية فـوق العصارات والـزروع . فجهد كسرى ابرويز بنفسه في وقفها وسكر البثوق فلم يفلح رغم طغيانه ، اذ صلب في يوم واحد اربعين عاملا او كما جاء في « الاحكام السلطانية » للماوردي « سبعين سكارى » ! ثم كانت الفتوح الاسلامية تشغل الطرفان بالمعارك والبطولات . فكانت البثوق تتـوالى ولا من يلتفت اليهـا . ويقف الدهـاقين عاجزين عن اصلاحها . فازدادت البطائح اتساعا ، بحيث انتهت مع الـزمن الـى مسـاحة شاسعة لا يستهان بهـا ابـدا . وقـد قـدر ابن رستة في « الاعلاق النفيسة » مساحة البطائح بثلاثين فرسخا في ثلاثين . وقدرها المستشرق لوسترنج في كتابه « بلدان الخلافة الشرقية » بخمسين ميلا عرضا في مائتين طولا . وبلغة الحساب فنحن حيال مستنقعات تغطي مساحة من الارض تبلغ « لبنان » مرة وثلاثة ارباع المرة تقريبـا ! فمساحة لبنـان عشرة الاف واربعمائة كيلو متر مربـع . في حين أن مساحة البطائح عشرة الاف ميل مربع ، مع العلم ان الميل يساوي ١٦٠٩ امتار .

العبيد الزنج

كان على جموع الزنج ، يشاركهم فيهذا العمل الشاق عبيد أو أنصاف أحرار من البيض ايضا ، أن يجففوا المستنقعات ،وأن يكسحوا الطبقةالملحية، وتسمى السباخ أو الشورج . فتتراكم هذهالكسوح على هيئة كثبان كأنها الجبـال . وكان للملح قيمته التجارية في ذاك العصر . وكان مادة يقايض عليها بالعبيد في افريقيا . لـذا وجدت فئـة من التجـار هم الشورجيون يتعـاطون العمـل بهـذه الكسوح الملحية . فيسخرون من أجلها مئات العبيد وربما بعض الاحرار الذين كانوا يعرفون بغلمان الشورجيين . والغلام ، لغة ، هو العبد والاجير . وكانت مهمة هؤلاء الغلمان أن يجمعـوا الكسوح الملحية ، ومن ثم ينقلونها ، بواسطة البغال، الى حيث يتم الاتجـار بالملح . وهكـذا فـان الارض السبخة ، عقب ازالة الاملاح عنها ، تغدو مؤاتية للزراعة بعد أن تم استصلاحها .

لقد كان الزنج يعيون في مستوى ادنى من الارقاء فهم مجـردون من اى حـق ، ويعملون دون لقـاء سوى قليل من الطعام لا يفي بمتطلباتهم الجسدية وبظروف عملهم المضني . كان طعامهم مؤلفـا من التمر ، المتوافر بكثرة في المنطقة ، ومن الدقيق والسويق . وهذا الاخير يصنع من طحين الحنطة او الشعير المحمص الممزوج بالتمر . وهو علـى العموم لا يشبع ولا يغـذي ، ويولـد الريـاح في المعدة فينفخها ، وهـو عسر الهضم . ويكفي ان الجاحظ وصف السويق في «البخلاء » قائلا انه : « من عدد المسافرين ، وطعام العجلان ، وغـذاء المبكر ، وبلغة المريض» . وهكذا كان الزنج يعيشون شبه جياع . في حين كان اثرياء البصرة يكدسون الامـوال مـن جـراء استثمار ادوات انتـاج شبه مجانية،فيستقطرون اتعاب العبيد الزنج وعذاباتهم دنانير لامعة ! لهذا كانت ساعة الانتقام الطبقي من قبل الزنج المظلومين حيال جشع التجار شديدة الوطـأة على البصرة ، كعبة المستغلين ومستودع اموالهم .

لم يكن العبد من الزنج غاليا في بورصة النخاسة لذاك العهـد . فثمنه يتراوح بـين ثلاثـين وخمسة وثلاثين دينارا . في حين كان العبد الابيض يصل ثمنه الى اضعاف مضاعفة لهـذا الثمن البخس ! ان اثرياء البصرة كانوا يحشدون العبيد الزنج براسمال لا يرهق خزائنهم ، ويسخرونهم ، لقـاء طعام بسيط ، مملى ، زهيد الكلفة ، وذلك للعمل في أراض حصلوها بالمجان عن طريق الاحيـاء . وهكذا فان « فائض القيمة » بين ما بذله التجـار أصحـاب الاقطاعات من أموال ، وما حصلوه عن طريق الاتجار بالشورج اى الملح وبواسطة زراعة الارض المستصلحة ، يبدو باهظا . وكان الزنج يعملون تحت رقابـة وكلاء لاصحـاب الاقطـاعات يشرفون على سـير الاعمـال ، وهؤلاء الوكلاء من العبيد المعتقين الذين يغلظون في معاملة الزنج ، يبغون تبييض وجوههم لدى السادة، ليفوزوا بفتات

الغنائم . وليثبتوا تمايزهم الطبقي الجديد . وكلما كان عسف هؤلاء الوكلاء مع الزنج اشد كان حاصل الانتاج أوفر . والرضا عنهم لدى أرباب عملهم أعم .

ان الزنج العاملين في استصلاح أراضي الموات بالبصرة كانوا يعيشون واقعيا . من الناحية المادية . في مجاعة مستترة . فهم يسمعون بالشبع دون معرفته. وكانوا يعملون أطراف النهار في كد متواصل . ليرتموا أثناء الليل منهكين في عراء تظلله السماء او في أكواخ حقيرة من الطين والخوص أي ورق النخل . كان الزنج . شأن القرماطيين والنوبة والفراتية . يعرفون التعامل باللغة العربية . لانهم يعودون في أصولهم الى بلاد السودان والنوبة ذات الصلة بالعرب لغة او بالاسلام دينا وحضارة . او انهم من الذين مكثوا طويلا في. فرات البصرة فتأثروا بالعاملين المذكورين . ان وجود الزنج في المنطقة عندما غدت اسلامية يرقى الى القرن الاول الهجري . بدليل أنهم تمردوا في فرات البصرة عدة مرات . ولم تكن أعدادهم بعد كبيرة جدا . وذلك أيام مصعب بن الزبير في السنة ٧٠ هـ . وتحت ولاية الحجاج بن يوسف على العراق في السنة ٧٥هـ . وخلال خلافة المنصور ايضا . غير أن الزنج الانقياء أتى بهم تجار الرقيق المسلمون من بلاد الزنج . أي على طول امتداد السواحل الشرقية لافريقيا التي عرفها العرب قديما . حتى قبل الميلاد . وارتبطوا معها بعلاقات تجارية وثقى. هؤلاء الزنج الانقياء اقلهم تجار الرقيق . على شكل أسرى أو بواسطة الشراء . الى منطقة البصرة . وذلك من مرافيء زنجبار . وممبسة الواقعة حاليا في كينيا . وسفالة في موزمبيق . ومن جزيرة مدغشقر . ولم يكن هؤلاء الزنج الانقياء يفقهون العربية . وقد عاشوا كالغرباء في محيط العراق الادنى . وكان علي بن محمد . قائد ثورة الزنج . يستعين بمترجمين لينقلوا اليهم فحوى خطبه في حشود الثائرين . ان زنج البصرة في أعدادهم الكثيفة الكبرى .مما يمكن استنتاجه من الجيوش الضخمة التي واجهوا بها الخلافة . خلال ثورتهم العظمى. أملت مجيئهم الحاجة التطورية الاقتصادية . ولم يتوافر لمعظمهم المزج الحضاري او التأثر بهذا الشكل او ذاك بالبيئة الاسلامية . شأن غيرهم من الزنج القدامى على المجتمع الاسلامي الذين قد يكون عناهم الجاحظ عند وضعه رسالة « فخر السودان على البيضان » .

نمط الانتاج العبودي

والامر الباعث على الدهشة أن الزنج. بالاضافة الى الحرمان في المأكل والمسكن . لم يكونوا يحيون حياة عائلية. ويشير المسعودي في « مروج الذهب » الى تميز الزنج بالنمو البالغ للاعضاء الجنسية ! ولا ندري اذا كان تجار البصرة قد اكرهوهم على هذه الحياة لئلا يستنفدوا جزءا من قواهم الجسدية في المجامعة ! انه بالاحرى نمط الانتاج العبودي حيث يحشد المستثمرون العبيد على شكل « كولونيالي » . يستخرجون عملهم قطرة وراء قطرة . شأن الآلات الصماء . وليس يبالي المستثمرون بعدها أجاع العبد أم عانى الحرمان ام هلك . لان العبيد الزنج كانوا يشكلون أسفل قاعدة الهرم الاجتماعي من حيث حقارة الاوضاع التي رسفوا في أغلالها . فينيخ المجتمع العباسي بثقله الاستغلالي الفظ على هؤلاء الادميين التعساء . فالزنج يشبهون « البروليتاريا الرثة » التي ذكرها ماركس . مع فارقين مهمين وهما أن هؤلاء الزنج يعملون على نحو جماعي . ثم ان صلتهم بالانتاج متينة . وكانت الطبيعة تشارك التجار . من الاثرياء المحدثين في عراق العباسيين . في استرقاق الزنج . وذلك أن الاوبئة الخبيثة كانت تستفحل بين صفوفهم.بسبب الظروف القاسية في منطقة البطائح حيث تتفشى الرطوبة بسبب المستنقعات . تنضاف اليها الحرارة اللاهبة نتيجة مناخ العراق المعهود . فتنتشر أسراب الهوام . كالبرغش والبعوض والبق . تزرع بلسعاتها في اجساد الزنج . المفتقرة الى التغذية . الامراض المنهكة والجراثيم الفاتكة . ونخص منها بالذكر الملاريا .

ان هذا النظام العبودي خضع له الزنج العاملون في الارض أو المرتبطون بالانتاج . شأن غلمان الدباسين والتمارين الذين كانوا يشتغلون بالتمور كما يستخرجون منها الدبس . والبصرة ذات شهرة

بعيدة في انتاج أصناف التمر التي لا حصر لها ، واراضيها تغطيها ملايين باسقات النخيل ٠ وهذا الانتاج من التمر والدبس يلعب دورا حيويا في اقتصاديات البصرة فالعراق قديما وحديثا ٠ ولا يغربن عن بالنا شان البصرة التجاري العظيم ، بدليل قيام « المربد » في سالف الزمن بين جنباتها همزة وصل بين الحاضرة والصحراء ، ولا ننسى موقع مينائها النهري البحري ٠ وكان بعض الزنج يعمل في المناجم ، او في الملاحة ٠ وخدم فريق منهم في الجيوش ، واشتغل فريق آخر في بيوت الاثرياء من أصحاب الاراضي وعند التجار الموسرين ولدى رجال الحكم المرفهين ٠ وهذان الفريقان الاخيران كانا في وضع مادي واجتماعي افضل دون ريب ، لان الجيش يحمي الخلافة ويقوم بالغزوات فيلقى نصيبا من الخيرات ، والعمل في البيوت ، أي قطاع الخدمات، يوفر طعاما معقولا بشكل نسبي وبيئة غير مرهقة اذا ما قيست بظروف العمل في الارض والانتاج ٠ والزنج الذين كانوا يعتصرون حياتهم ، في استصلاح الارض وتمهيدها للزراعة والانتاج ، شكلوا النواة الحقيقية التي عقد عليها علي بن محمد وصحبه من القادة ذوي البشرة البيضاء ، الآمال في استنهاضها ودفعها في ثورة عاتية ضد الخلافة ٠ لقد كونوا مادة ثورة الزنج ولحمها وعصب انتصاراتها ، ثم امسوا ضحاياها وصلبانهم ٠ وثورتهم المسحوقة ، عقب خمس عشرة سنة من الجهود الحربية التي بذلتها الخلافة ، هي التي وادت نمط الانتاج العبودي الذي كان ينمو فوق أرض العراق ٠ ■■

بيروت ــ أحمد علبي

ملحوظة : حول الموضوع ، هناك ثلاثة مراجع رئيسية ينبغي ذكرها هي :

١ ــ فيصل السامر : ثورة الزنج، دار القارئ، بغداد ١٩٥٤ ٠ وقد اطلعنا في هذا الكتاب على الفصل الاول : الزنج وأحوالهم الاجتماعية (ص٩ــ ٣٧) ٠

٢ ــ أحمد علبي : ثورة الزنج ، وقائدها علي بن محمد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ ٠ وقد استندنا على كتابنا القديم لاستقاء المعلومات التاريخية من الباب الثاني : أسباب ثورة الزنج ، بفصوله الثلاثة : العوامل السياسية (ص٥٤ ــ ٦٣) ، الفصل الثاني : العوامل الاقتصادية (ص٦٤ ــ ٧٤) ، والفصل الثالث : العوامل الاجتماعية (ص٧٥ ــ ٨٤) ٠

٣ ــ وقد انتفعنا باطروحة الكسندر بوبوفيتش ، المقدمة الى السوربون بالفرنسية : علي بن محمد وثورة العبيد في البصرة ، باريس ١٩٦٥ ٠ ففي هذا العمل لبوبوفيتش ثلاثة فصول هي الرابع والخامس والسادس ، تقوم في حقيقتها على جمع مقتطفات ومنتقيات مستقاة خصوصا من مستشرقين عنوا بالموضوعات المطروقة :

الفصل الرابع : الرق في الاسلام (ص٥٤ ــ ٥٩)

الفصل الخامس : المنطقة (ص٦٠ ــ ٩٣)

الفصل السادس : العصر (٩٤ ــ ١٠٤)٠

وقد أعاد المستشرق صياغة هذه الفصول عبر سياق تاليفي لدى طبع اطروحته حديثا في كتاب يحمل العنوان التالي : ثورة العبيد في العراق خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، منشورات غوتنر، باريس ١٩٧٦ ٠ وفي هذه الصياغة الجديدة لهذه الفصول المتقدمة الذكر نزل الصديق بوبوفيتش عند احدى تمنياتنا التي وجهناها له لدى نقدنا المسهب لاطروحته (انظر كتابنا : الاسلام والمنهج التاريخي (ص٢٥ ــ ٦٢) دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٥) ٠

صفحة لغوية

لابد للحال

من صاحب تصفه

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ الحال صفه لشيء هو ما يسمى « صاحب الحال » وهذا ما يتفق عليه كل النحاة ، ولا يمكن عقلا ان يكون الامر غير ذلك ، اذ حيث لا موصوف فلا صفة ، سواء كانت الحال مفردة ، أو جملة (اسمية أو فعلية) او شبه جملة (ظرفا ، أو جارا ومجرورا) . فاذا قلنا « جاء محمد مسرعا » فان كلمة « مسرعا » حال مفردة ، وصاحبها هو « محمد » واذا كانت الحال جملة (اسمية أو فعلية) فلا بد لها أولا من صاحب (هو موصوفها) ومن رابط يربطها به ، لتكون له خاصة ، وهذا الرابط اما علامة فى الجملة تدل على جنس صاحبها وعدده ، واما هذه العلامة ومعها (واو) يسميها النحاة « واو الحال » مثل «جاء محمد (يسرع) » و « جاء محمد (خطواته سريعة) » و « جاء محمد (وهو مسرع) » و « جاء محمد (وقد أسرع خطاه) » . ولا تكون الجملة حالا بالواو وحدها .

زعموها جملة حالية !

ولكن النحاة ـ لاغراقهم فى الصنعة الاعرابية ، وتمسكهم بالشكلية ـ زعموا بعض الجمل أحوالا ، وليست كذلك فى شيء . فاذا قلنا « جاء محمد (والباب مفتوح) » أو « جاء محمد (وقد انفتح الباب) » ، أعربوا الجملة الاسمية «والباب مفتوح» حالا ، والواو قبلها واو الحال ، وكذلك يعربون الجملة الفعلية « وقد انفتح الباب » والواو قبلها للحال ايضا ، ولا يسالون هنا انفسهم « أين صاحب الحال ؟ » ولا « كيف تكون هذه الجملة صفة وليس لها موصوف ؟ » مع أن قاعدتهم التى اتفقوا عليها هى أن الحال صفة ، ومعلوم عقلا ان الصفة لابد لها من موصوف .

وقد اوقعهم فى هذا الخطا الواضح انهم يقيسون جملة غير حالية على جملة حالية لتشابههما شكلا ، دون مراعاة الفارق بينهما معنى ، فهم ياتون الى جملة حالية مثل « جاء محمد وقد اسرع» فيقيسون عليها «جاء محمد وقد انفتح الباب» لتشابههما شكلا ، مع ان جملة «وقد اسرع» صفة لمحمد ، ولكن جملة «وقد انفتح الباب» ليست وصفا له ، ويأتون الى جملة حالية مثل «جاء محمد وهو مسرع» فيقيسون عليها جملة «جاء محمد والباب مفتوح» مع ان الجملة الاسمية «هو مسرع» صفة لمحمد ، ولكن الجملة الاسمية «الباب مفتوح» ليست صفة له ، واذن فان الواو قبل الجمل غير الحالية ليست للحال ، اذ ليست هنا حال .

كيف نعرب هذه الواو وماذا نعتبر الجملة التى بعدها .

والجواب هنا سبقنى اليه مدرس فاضل هو الاستاذ يعقوب عبدالنبى ـ رحمه الله ـ سمعته منه منذ ثمان وثلاثين سنة ، خلال مراجعاتنا احيانا لبعض القضايا النحوية ، اذ كان فى مثل

هذه العبارة «جاء محمد وقد انفتح الباب» يرى ان جملة«وقد انفتح الباب» جملةاقترانيةلوقوع الحدثين معا : «مجيء محمد وانفتاح الباب» وكذلك اذا قلنا « جاء محمد والباب مفتوح » لاقتران الحدثين معا ايضا . والواو في كل من هذين المثلين تربط الجملة الثانية فيه بالجملة الاولى ، لتدل على اقترانهما في الزمن ، فهي واو المقارنة ، وهي شبيهة بواو المعية ٠

ويؤيد ذلك اننا نقول بالمعنى نفسه « جاء محمد والباب مفتوحا » فنعرب هنا « الواو » للمعية ، و « الباب » مفعول معه ، و «مفتوحا» حال من الباب ٠

الحال من كل المفاعيل

تاتي الحال من كل المفاعيل ، لا المفعول به فحسب ، سواء كان فعله ينصب مفعولا به واحدا، مثل «اخذت القلم (مبريا) » او ينصب اثنين : مثل « ظننت الثعبان (ساكنا) حبلا » و « وجدت اخلاق صديقي الماء (زلالا) » ، و «اعطيت الفقير (جائعا) طعاما ، ومنحته الثوب (جديدا) » ٠

كذلك تاتي من المفعول المطلق ، مثل : «جريت الجري (سريعا)» ومن المفعول فيه ، مثل « سهرت الليل (طويلا) » ومن المفعول لاجله، مثل: «ساعدته ابتغاء مرضاته محضا » ومن المفعول معه ، مثل « تنزهت والقمر مضيئا » ٠

اتضح من العرض السابق ان الحال لاتاتي من الفاعل او المفعول به ، او منهما فحسب كما حدد النحاة ذلك ، او ـ بعبارة اخرى ـ لايشترط في صاحب الحال ان يكون فاعلا اومفعولا به اوكليهما فحسب بل تاتي من الاسم (الظاهر) كما تاتي من نائبه (كالضمائر الشخصية ، وضمائر الاشارة والضمائر الموصولة ٠٠) ايا كانت وظيفة صاحبها في العبارة ، فهي تاتي من نائب الفاعل ، ومن المبتدا ، ومن الخبر ، ومما اصله مبتدا او خبر (بعد دخول النواسخ على الجملة الاسمية) ومن المضاف اليه ، ومما يقع بعد حرف الجر الاصلي او الزائد ، اي انها تاتي من الاسماء (الظاهرة) مرفوعة او منصوبة او مجرورة ، ومما ينوب عن الاسم ايا كان محله من الاعراب : رفعا او نصبا او جرا ٠

وقد مثلنا لكل نوع من هذه الانواع ، وذكرنا الشواهد الوثيقة التي تؤيده ٠

بين الحال وانواع التمييز

يخلط النحاة احيانا بين الحال وانواع من التمييز ، فيعرب بعضهم الاسم تمييزا ، ويجيز بعضهم اعراب هذا الاسم نفسه حالا ، كما في قولنا «نعم زهير شاعرا» ، او «نعم شاعرا زهير» او «لله دره شاعرا» ، ونحو ذلك صور كثيرة ، فايهما الصواب ولماذا ؟ سبب هذا الخلط هو اغراقهم في « الصنعة الاعرابية » وغفلتهم او تغافلهم عن قاعدة في الحال لا اختلاف بينهم عليها ، وهي ان الحال وصف لبيان هيئة صاحبها ، «فهي اذن صفة ، وصاحبها «موصوف» ، فاذا لم يكن هناك «موصوف فلا صفة ، واذنفلا حال حيث لا يوجد لها صاحب ، ويحسن ـ قبل بيان مواضع الخلط ان نشير الى وظيفة التمييز في الجملة ، مع التمثيل لنوعيه ٠

التمييز،والمميز الملفوظ ،والمميز الملحوظ

التمييز عند النحاة اسم نكرة يفسر مبهما قبله ، او يبين عين المقصود منه ، لان هذا المبهم صالح لان تراد به اشياء كثيرة ، والمبهم يسمى المميز ، وتفسيره يسمى تمييزا ٠

والمبهم قد يكون «اسما» يدل على «ذات» مثل «عندي رطل عسلا» فكلمة «رطل» اسم،يدل على ذات مبهمة تحتاج الى تفسير ، لاننا لاندري ما المقصود بها ، فقد تكون عسلا او سمنا ، او بناء او سكرا ، او حديدا ، ٠٠ ولكننا اذا تلتها كلمة «عسلا» عرفناعين المقصود منها ، ولهذا سميناها « تمييزا » ، ويسمى هذا « تمييز المفرد » لان مميزه اسم مفرد ، او يسمى « تمييز الذات » لان مميزه يدل على ذات ، ويمكن أن يسمى « تمييز الملفوظ » لان مميزه ـ وهو « رطل » ـ منطوق به في الكلام ٠

واذا كان المميز ملفوظا دل تمييزه على جنسه او مقداره ، فاذا قلنا : « لزينب سوار ذهبا» فان كلمة «ذهبا» تدل على جنس المميز وهو «السوار»٠

واما المميز الدال على المقدار فقد يدل على عدد او مساحة او كيل او وزن او قياس، فاذا قلنا « العطلة عشرون يوما » او « هي كذا يوما » فكلمة «عشرون» تدل على عدد محدد،وكلمة«كذا» تدل على عدد غير محدد ، وتمييز العدد في الحالتين هو كلمة « يوما » ٠ وهكذا المساحة ،مثل: « زرعت فدانا قمحا » وكذلك الكيل ، مثل : « في

الكيس اردب شعيرا » وكذلك الوزن مثل : «عندى درهم مسكا» وكذلك القياس مثل «بقى متر حريرا» واذا كان المميز ملفوظا فلا يلتبس تمييزه بالحال.

واما النوع الثانى فهو المبهم الذى يدل على نسبة تحتاج الى تمييز يوضحها ، فاذا قلنا «حسن محمد» ، فنسبة الحسن الى محمد هنا مبهمة ، لاننا لا نعرف جهة الحسن فيه ، ولكن اذا قلنا « حسن محمد خلقا » اتضحت جهة الحسن ، فكلمة «خلقا» هنا تمييز لنسبة،ومميزها ـ وهو النسبة ـ ملحوظ فى الجملة وليس اسما ملفوظا فيها ، ولذلك يسمى المميز هنا «المميز الملحوظ» كما ان تمييزه يسمى تمييز النسبة .

وجمهور النحاة يقسمون تمييز النسبة قسمين : الاول قسم محول عن اصل ، وله صور كثيرة، من امثلة ذلك ماهو محول عن فاعل ، مثل : «حسن محمد خلقا» فاصل الجملة«حسن خلق محمد»،وخلق هنا فاعل ، او محول عن مفعول مثل «غرسنا الحقل اشجارا » والاصل « غرسنا اشجار الحقل » و «اشجار» هنا مفعول به، او محول عن مبتدأ مثل «انا اكبر منه سنا» والاصل «سنى اكبر من سنه»، فكلمة «سن» الاولى هنا مبتدأ . وهذا القسم لا يلتبس التمييز فيه بالحال .

والقسم الثانى هو الذى توهمه جمهور النحاة فاختلقوه ، وسموه «التمييز غير المحول» ، وهو الذى تلتبس بعض صوره بالحال ، فاذا قلنا «جاد زهير شعرا» ثم قلنا «جاد زهير شاعرا» ساووا بين الصورتين لتشابههما شكلا،وهذا ما يقتضيه الاغراق فى الصنعة الاعرابية ، ولهذا يعربون «شعرا» تمييزا ،وهذا صواب لانه بين جهة الجودة فى زهير ، ثم هم يقيسون عليها كلمة «شاعرا» فيعربونها تمييزا ايضا ، وهذا خطأ ، لان « شاعرا » هنا وصف لزهير ، فهى حال ، ولو تمسك هؤلاء النحاة بما اتفقوا عليه وهو ان الحال صفة ، لما وقعوا فى هذا الخلط .

واذا تأملنا جملة «جاد زهير شعرا» وجدنا التمييز «شعرا»محولا عن فاعل او يمكن تحويله فاعلا ، فنقول «جاد شعر زهير» وان كانت جملة «جاد زهير شعرا» ابلغ . ولكننا لا نقول « جاد شاعر زهير » لاننا لا نقصد ان لزهير شاعرا جيدا، ولكننا نقصد زهيرا بوصفه شاعرا . وهكذا نرى ان كل تمييز للنسبة يمكن تحويله فاعلا او مفعولا به او مبتدأ .

وقد قلنا ان ما يسميه النحاة تمييزا غير محول انما هو حال وليس تمييزا ، كما اشرنا الى ان له صورا كثيرة مثال ذلك «ما اعظم زهير شعرا» و «نعم زهير شعرا» و «نعم شعرا زهير» ، و «لله دره شعرا فكلمة «شعرا» فى كل جملة هنا تمييز، ولكن اذا قلنا « ما اعظم زهير شاعرا » و « نعم زهير شاعرا » و « لله دره شاعرا » . فان كلمة شاعرا هنا حال ، وصاحبها الموصوف بها هو زهير .

واذا قلنا « طاب زهير ابا واما » فلا شك ان « ابا و اما » تمييزان ، يمكن تحويلهما ، فنقول: « طاب ابو زهير وامه » ولا يمكن أن يكونا حالين، لان زهير لا يمكن ابا واما معا .

ولكن اذا قلنا «طاب زهير ابا» ولم يكن فى السياق او الكلام ما يدل على المقصود ، فلابد ان نتوقف ، فاذا كان المقصود «طاب زهير من جهة ابيه ـ اعربنا «ابا» تمييزا ،واذا كان المقصود زهيرا نفسه بصفته ابا ، فكلمة «ابا» حال . ■■

محمد خليفة التونسى

صدفة !

❋ ابدت احدى صديقاتى قلقا ازاء وزنها غير الطبيعى الذى لاتعرف له سببا وقررت اخيرا مراجعة الطبيب . وفى العيادة قام الطبيب بفحصها ثم قال لها « ان وزنك هو نفسه قبل ثلاث وعشرين سنة ولكنك حامل فى الشهر السابع !

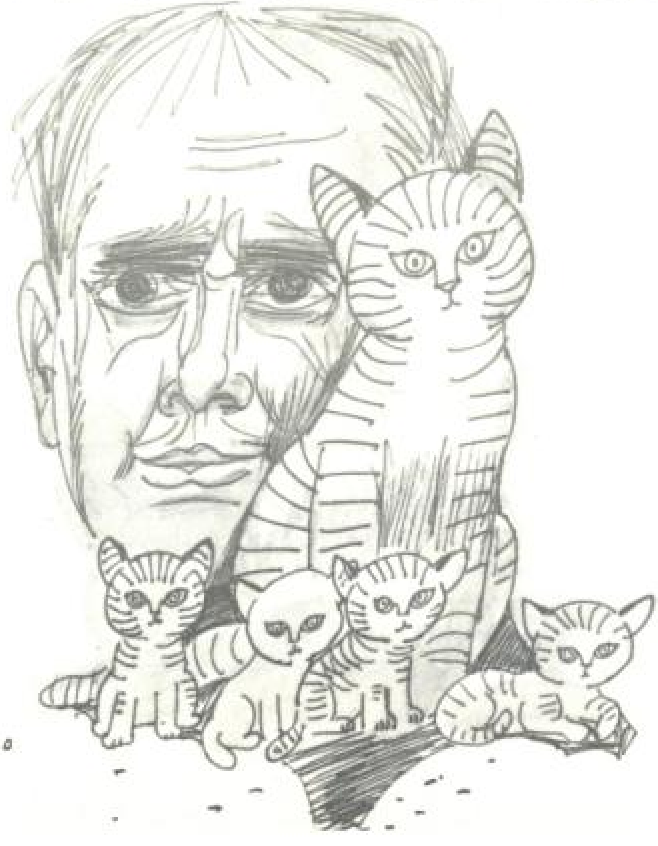
قصة قصيرة

آخر السحرة

بقلم : أبو المعاطى أبو النجا

■ فى تلك الليلة كنت عائدا من سهرة مع بعض الاصدقاء فى ساعة متاخرة ، اغالب شعورا بالتعب والرغبة فى النوم ، لم اكد انحرف بالسيارة عن الشارع الرئيسى الى الشارع الجانبى الذى اسكن فيه ، حتى بدات اشعر كاننى ادخل فعلا فى الفراش .

استرخت يداى وقدمى على عجلة القيادة ودواسة البنزين ، وبدت السيارة وكانها تسير وحدها فى



شارع هادىء وخال من المارة ـ تتوزع على جانبيه السيارات التي يركنها أصحابها أمام بيوتهم ـ وكأنها (سيارتي) ستقف وحدها امام البيت الذي تعرفه وتالفه .

هل غفوت للحظة ؟ أم شرد ذهني عن الطريق فلم ابصر هذه القطة ـ التي لا بد قد برزت فجأة من تحت احدى السيارات الواقفةبجوار الرصيف ـ الا بعد ان صارت في منتصف الطريق تماما امام سيارتي .

متى تنبهت لهذه القطة البيضاء التي جاءت لتوقفني ، لتوقظ كل خلية في جسدي ؟

متى لاحظت أن المسافة التي بين السيارة والقطة تسمح لها بالعبور في سلام ، لو ظلت سائرة في طريقها . فعرض الطريق ضيق والسيارة غير مسرعة ؟ . أشعلت النور الامامي الكبير لاستحث القطة على الاسراع في سيرها ، لكن المفاجأة التي لم اكن اتوقعها أبدا هي أن القطة اللعينة توقفت تماما في منتصف طريقها ، وادارترأسها المستدير في مواجهة السيارة ، ومواجهة الضوء ، ودون أن تطرف عيناها ، وكأنها تريد أن تراني، أو تريدني أن اراها ، كأنها تريد أن تقول شيئا ... تقوله برجاء وتوسل .

كيف اوقفت السيارة ؟ ومتى ؟ . وما الذى حدث؟ من الصعب أن أعيد ترتيب ما جرى ، بل من الصعب أن أتصور أنه كان هناك نوع من الترتيب.

ففي لحظة واحدة حدث كل شيء وانتهى كل شيء . فحين توقفت القطة تماما في عرض الطريق ، حين رأيت عينيها المستديرتين في شريط الضوء تنفذان الى قلبي المليء بعيون القطط الملونة ، المليء بالقطط السمراء والبيضاء والمرقطة ، حين رأيت في عينيها اصرارا على الوقوف ... كان لا بد أن اوقف السيارة قبلها بأي ثمن . وهكذا كان على أن اكتشف في جزء من الثانية أن السيارة التي اقودها لا تبصر القطة ، ولا تباليبنظرة الاصرار في عينيها وانها تخضع لقانون آخر لا مكان فيه لعيون القطط وأن على أن انقذ القطة من ذلك القانون.

أن انقذ تلكالقطةالتي تبدو وكأنها تتمرد على قوانين الحياة ، أو لعل هذه القوانين تعطلت فيها فجأة فبدلا من أن تستحثها على السير ، وقفت بها في عرض الطريق .

وفي الحق أنني لم أكن اعمل وفق قوانيني الخاصة لانقذ قطة واحدة ، فكل القطط التي ربيتها واحببتها طوال حياتي ، والتي كنت أصحو من النوم على أصابعها تشد أصابع قدمي ،وعلى ملمس شعرها الناعم وهي تتسلل الى فراشي تلتمس الدفء والاهتمام ،والتي كنت أمضي أجمل الاوقات أتأمل طريقتها في تنسم هواء الصباح البارد وهي تقف على حافة النافذة في الطابق الثالث دون أن تخشى السقوط ، وتغمض عينيها في مسرى النسيم الذي يتخلل شعرها ، وهي تقف أحيانا جامدة كتمثال لم تختفي كشبح . وتدل على مكانها الخفي ببريقها الرتيب أو بانعكاس الضوء على عينيها الملونتين كل هذه القطط كانت في خطر يتهددها في تلك الليلة ، واحسست بها كلها تتقافز في داخلي طلبا للنجاة.

هل ينجح قانوني الخاص في السيطرة على قانون السيارة الذي يعمل في حياد تام ، وعلى قانون القطة الذي يبدو وكأنه أصابه خلل مفاجىء ؟.

كل شيء الا أن تموتي أيتها القطة ، كل شيء الا أن أكون قاتلك .

حاولت أن أجعل المكان الذي تقف فيه القطة ساكنة جامدة يقع في منتصف السيارة تماما بحيث لو لم انجح في ايقاف السيارة قبلها أن امر فوقها دون أن تصاب بأذى .

لكن هل تفعلها هذه القطة المجنونة وتبقى جامدة في مكانها .. أم يصل الجنون الى قمته فتتحرك في هذه اللحظة وحدها ؟ .

السيارة لم تتوقف بعد تماما والقطة لا تريد أن تتحرك .. عيناها لا تطرفان .. صوت العجلات الزاحفة لا يهزها .. لكل من يموت الحق في أن يقول كلمة أخيرة فما الذي تريد هذه القطة المجنونة أن تقوله في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟. هل تجن الحيوانات حقا ؟ وهل تفكر بالانتحار ؟ أنا الذي الامس الجنون لأنني رأيت في جزء صغير من الثانية ما لا أقدر على

فهمه ٠٠ لأنني أرى واحدا من قوانين الحياة لا يريد ان يعمل ٠ لأن مجموعة من القوانين التي لا أملك السيطرة عليها كلها توشك ان تصطدم في داخلي ٠٠ تتحطم وربما تحطم روحي معها في ساعة متأخرة من الليل ٠

انا الذى سوف الامس الجنون لأنني لجزء آخر صغير من الثانية ابدا افكر بالأرواح الشريرة التي يمكن ان تتقمص جسد الحيوان وتظهر للانسان في الليل كل هذا في لحظة واحدة لا تريد ان تنتهي٠

كيف ومتى ادركت ان السيارة قد توقفت تماما دون ان تغيب القطة عن ناظرى تحت مقدمة السيارة الزاحفة كالموت ؟٠

وان الشيء الفظيع الذى كنت اخشى حدوثه لن يحدث ٠ كيف ومتى تحرك شخص آخر في داخلي لينظر في مرآة السيارة العاكسة لأطمئن الى انه لا توجد سيارة اخرى قادمة ورائي يقودها رجل آخر متعب يظن مثلي ان الطريق خال من المارة ؟٠

لم يكد الرجل الآخر يستشعر الطمأنينة حتى استرخيت تماما في مقعدى ، كنت افكر في النزول من السيارة لاحاسب هذه القطة اللعينة على ما فعلته بي ، وربما حين تمتد يدى الى شعرها الناعم يتحول الحساب الى عتاب ٠٠ ربما أصابها مكروه مفاجيء ٠٠ ولكنني وجدت نفسي عاجزا عن الحركة ٠٠ فما رأيته وفكرت فيه وشعرت به في هذه اللحظة الخاطفة قد أبهظني حقا ، وكاد ان يهد قواى ٠

لعلها هي الأخرى كانت مثلي تحس باشياء كثيرة ، وربما تفكر باشياء كثيرة اعجزتها عن الحركة ، من الذى قال ان الحيوان لا يفكر لأنه لا يتكلم ؟٠

والآن وقد وقفت السيارة تماما ، لم لا تتحرك هذه القطة اللعينة من مكانها ؟

الم تدرك بعد ـ هي التي كنت اظنها تفكر ـ انها نجت من موت محقق ؟٠

اتريدني حقا ان أنزل من السيارة لأدعوها لعبور طريق كانت تهم بعبوره ؟٠

اى سخافة جعلتني لا اتخير الا هذا النوع الغبي من الحيوانات لأذوب فيه حبا ؟٠

كنت اظن انني الذى اوقفت السيارة ، وانقذت حياة هذه القطة الشريرة ، ولكن هذه القطة الملعونة تريدني ان اشعر بانها هي التي اوقفتني في مكاني ، ولا تزال ٠٠

وانني انقذتها من الموت لتسلمني بدورها الى ذلك الشعور المقيف بالخوف ؟٠

لم لا اعترف بانني عاجز عن ترك مكاني خوفا، وانني اصبحت خائفا منها بعد ان كنت خائفا عليها ؟٠

لم لا اصرخ طالبا النجدة من ذلك السائق المتعب الذى كنت اخشى مجيئه من خلفي في ساعة متأخرة من الليل ؟٠ امن المعقول ان يكون جميع الناس قد ناموا حقا في مثل هذا الساعة؟

اهذه مدينة من البشر ام من الدجاج ؟

يبدو انها (القطة) ادركت اخيرا معنى ما فعلته بي ؟ او معنى ما فعلته من أجلها ؟

فقد تحركت أخيرا ٠٠ تحركت قبل ان تتحرك في داخلي صرخة الخوف المخيفة لتوقظ النيام٠

ادارت رأسها الى الجهة التي جاءت منها ، وفجأة رأيتهم قادمين ٠ من تحت السيارة التي جاءت من ناحيتها ٠٠ اربع قطط صغيرة بيضاء بلون أمهم ، لا يزيد عمرها عن اربعة أسابيع ، أعرف جيدا عمر القطط الصغيرة كيف تكون وماذا تفعل في الاسبوع الاول والثاني والثالث والرابع ٠٠ انهم الآن في مرحلة مواجهة الحياة٠٠ والعبور الى الجانب الآخر ٠٠ تقودهم أمهم الى الدنيا بلا خوف ٠٠ ودون كلمات ٠٠

استقبلتهم أمهم في منتصف الطريق ٠٠ مشت بجوارهم تعبر الشارع في هدوء ، واختفت معهم تحت سيارة في الجانب الآخر ٠

حين بدأت أدير محرك السيارة ، وامضي في اتجاه بيتي لأدخل في فراشي بحق هذه المرة ٠٠ لم أجد النوم الذى كنت أغالبه ٠٠ كنت أشعر بصفاء عجيب من ذلك النوع النادر الذى يغمر الكون والانسان ٠٠ وحين يجيء يعز عليك أن تتركه وتنام ٠ ■■

أبو المعاطي أبو النجا

حوار القراء

متى نعتمد الارقام العربية

● درجنا في اقطار مشرقنا العربي على استعمال الارقام الهندية ، بدل استعمال أرقامنا العربية التي تستعملها دول اوربا ، حتى بات الكثير الكثير من طلابنا يعتقدون ان ارقامنا هي ارقام لاتينية واذا كان هناك عذر للاوربيين في استعمال ارقامنا فانما هو كون تلك الامم لاتملك ارقاما خاصة بها وفي تقديري لو اننا اعتمدنا الارقام العربية في كافة اقطار مشرقنا العربي اسوة باقطار المغرب العربي لجعلنا من ارقامنا ارقاما عالمية ولتخلصنا من بدعة استعمال الارقام الهندية الى الابد .

محمود الارناؤوط
دمشق ــ سوريا

الذكاء

● في العدد ٢٣٧ من «العربي » وتحت عنوان «ذكاء طفلك بين الوراثة والبيئة والمدرسة » ذكر الكاتب ان الذكاء هبة الله لجميع الناس دون استثناء ، ولم يميز فئة او جماعة حتى ولو بدرجة واحدة من التفوق » لكن في حقيقة الامر ، وبعد تسليمنا بان الذكاء هبة الله ، فانه يختلف في درجاته من فرد لاخر ومن جماعة لاخرى . ويرجع ذلك الى مبدا الفروق الفردية بين الافراد ،مثله في ذلك مثل القدرات والميول والاتجاهات التي تدخل في اطار هذا المبدأ.

كما انه اي الذكاء يختلف في درجته ونوعيته داخل الفرد نفسه وهذا طبقا لنفس المبدأ. فالفرد يكون على درجة من الذكاء في مجال العلوم مثلا اعلى من درجته في مجال الرياضيات . وينقسم الافراد من حيث الذكاء الى ثلاث مستويات ١ ــ مرتفعو الذكاء. ٢ ــ متوسطو الذكاء ٣ ــ منخفضو الذكاء . فالذكاء عملية نسبية تختلف من فرد لاخر كما تختلف في الفرد نفسه .

ابو الحسن عمر عناد ــ مصر

ترجمة القرآن الكريم

● في مقالة للدكتور محمد احمد خلف الله نشرت في مجلة العربي في العدد ٢٣٧ تحت عنوان « طرح جديد لموقف المعارضة » دعا الكاتب الى ضرورة ترجمة كتاب الله الى لغات العالم اجمع واعتبر ذلك واجبا دينيا مستندا في دعوته هذه الى سببين، أشار اليهما ومضى على اساس منهما القرآن الكريم نفسه ــ على حد تعبيره ــ اما السبب الاول فهو الاية القرآنية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم .. » والسبب الثاني هو اقدام القرآن على ترجمة كثير من النصوص الى اللغة العربية من لغات اخرى غير عربية امثال: قصة موسى عليه السلام مع فرعون وحوار فرعون مع موسى وهارون وحواره مع السحرة وقصة يوسف عليه السلام وحواره مع عزيز مصر وامراته وحواره مع صاحبيه في السجن وغير هذه النصوص مما كثر في القرآن الكريم .

ان كلا من السببين المذكورين لا يؤدى الى الاعتقاد بضرورة ترجمة القرآن الكريم مطلقا .لان الاية الكريمة « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » تعني الرسل الذين ارسلهم الله سبحانه انبياء ومبلغين الى البشر ، فلا يعقل ان يرسل الله رسولا الى الامة العربية لا يحسن التكلم بالعربية ولا ان يرسل رسولا الى الانجليز مثلا لا يحسن التكلم بالانجليزية . وهذا لا يشمل البشر الذين يؤمنون برسالة معينة نزلت بلغة معينة ثم يقومون بمحاولة التبشير ودعوة الامم الاخرى

مثقفو فرنسا كتاب عرائض

● قرأت في العدد ٢٣٨ من مجلتكم التعليق الذى كتبه السيد مصطفى الحسن في باب حوار القراء على ماكتبه الاستاذ احمد بهاء الدين وعنوانه: «مثقفو فرنسا كتاب عرائض» وذكرني هذا التعليق ببيتين من الشعر قالهما شاعر عربي قديم يحملان نفس المعنى ويزيدان عليه بالطرافة ورشاقة الاسلوب والجناس التام البلاغي حين قال:

واها لدهر قد اتى بعجاب ومحا فنون العلم والآداب
واتى بكتاب لو انطلقت يدى فيهم اعادتهم الى الكتاب

ولفظ الكتاب في صدر البيت الثاني جمع كاتب ـ اما كتاب في عجز البيت فتعني مكان تعليم الصغار فيما مضى من زمان .

عبد الرحمن بركات
ـ دمشق

الى الاعتقاد بهذه الرسالة . اذ ان هؤلاء بامكانهم ان يتعلموا لغات الامم التى يريدون دعوتها . وذلك ايضا لا يقتضي ترجمة النص القراني حرفيا ليقرأ عليهم خلال الدعوة كما كان يفعل الرسول (ص) او المؤمنون في بداية انتشار الاسلام . اذ ان النص القراني يدل على نبوة الرسول (ص) باصله العربي للوجه الاعجازي فيه واذا انتقل الى لغة اخرى يختفي هذا الوجه الاعجازي ويصبح قليل الجدوى . نعم بامكان الداعي الى الاسلام ان يترجم النصوص التشريعية والقصص التاريخية الواردة في القران الكريم لتكون دليلا على عظمة الاسلام وفي هذه الحالة لا تكون الترجمة الجديدة قرانا وانما تكون تفسيرا لغويا للقران بلغة اخرى .

ثم ننتقل الى السبب الثاني الذى ذكره الكاتب وهو اضعف من الاول اذ ان الترجمة هنا ليست مجرد نقل معنى من المعاني من لغة الى اخرى بل ابعد من ذلك اذ ان الله سبحانه قد جعل من حوار فرعون مع موسى وهارون قرآنا اى صاغ الحوار ببنية قرانية وبلاغة قرانية . فكان من كلام الله ـ عز وجل ـ حكاية عن فرعون وموسى والسحرة وغيرهم . فجاءت الترجمة القرانية لهذه النصوص بنفس المستوى الذى سار عليه القران من الاعجاز والبلاغة . واين هذا من ترجمة الانسان للنصوص القرانية الى لغات اخرى . لا يوجد اى وجه للمقارنة هنا. بغداد مصطفى قصير

شاعر اليتيمة معروف

● ورد تحت عنوان شعراء معروفون مجهولون .. ان الشاعر الذى كتب قصيدة « اليتيمة » هو شاعر مجهول والحقيقة ان هذا الشاعر معروف وهو دوقلة المنبجي ويقول في مطلعها :

هل بالطلول لسائل رد
ام هل لها بتكلم عهد

وقد سميت باليتيمة لانه لم يكتب غيرها .

عصام عمار
سوريا

● ● ●

الكلمات العربية في اللغة الانجليزية

تحوى اللغة الانجليزية عددا كبيرا من الكلمات ذات الاصل العربي الصميم . ومنذ نحو عام نشر الدكتور/صفاء خلوصي مجموعة من هذه الكلمات . وبطبيعة الحال فان هذه المجموعة الجديدة هي مجرد جزء من كل فحتى لو امكن حصر كافة الكلمات الانجليزية ذات الاصل العربي فلن يتسع المقام هنا لنشرها بالكامل .

ونورد هنا بعضا من هذه

الكلمات على سبيل المثال لاالحصر :

بق	Bug	جمل	Camel
خروب	Carob	ـ كهف	Cave
كفن	Coffin	كوب	Cup
قطع	Cut	فراء	Fur
نبيل	Noble	بطاطس	Potatoe
طبلية			Table
طويل	Tall .		

حنان احمد ابو المجد

طالبة بالمعهد العالي للموسيقى: القاهرة

● ● ●

اعيدو النظر في توزيع جوائز العربي

● أمل ان تعيد مجلة العربي النظر في نظام المسابقة ومنح الجوائز ... فقيمة الجوائز لم تتغيرمنذ صدور العربي رغم تزايد عدد قراء هذه المجلة.. كما ان الاخذ بنظام التوزيع الجغرافي يلحق غبنافي المشتركين من الدول ذات الكثافة السكانية ..

ان اعادة النظر في هذه المسالة قد يحقق عدالة اكثر.

محمد فكرى عبدالجليل

مصر

ادوية امراض القلب

● نشر في مجلتكم الموقرفي عدد اغسطس ١٩٧٨ في باب انباء الطب والعلم من اعداد الاستاذ يوسف زعبلاوى مقال طبي بعنوان «الانتورين يصلح علاجا لمرضى القلب». وهو ملخص مترجم من مقال شيق نشر بالمجلة الطبية البريطانية في شهر فبراير من هذا العام الا ان المقال المترجم يشوبه بعض الاخطاء منها مثلاقوله ان الانتورين يصلح علاجا لامراض القلب وهذا غير وارد في المقال الاصلي وصحته ان الانتورين يصلح فقط لعلاج بعض الامراض التي تصيب القلب وعلى وجه التحديد امراض القصور في الشرايين التاجية للقلب فقط وهذا هوموضوع البحث في المجلة المذكورة .

الامر الثاني ان الاستاذ يوسف ذكر ان البلاسيبو، هو عقار مالوف لعلاج امراض القلب » على حين ان البلاسيبو هذا ما هو الا مادة ليس لها اى اثر دوائي فعال يذكر في معالجة الامراض ايا كان نوعها وهي تكون في صورة اقراص او كبسولات ذات الوان واشكال متعددة لاستخدامها في ابحاث الدواء لمقارنتها بالدواء موضوع البحث وذلك لتلاشي الاثر النفسي لاى دواء يختبر في اى مرض من الامراض .

دكتور / محمد كريم عزمي كلية ـ الطب ـ جامعة الازهر ـ القاهرة

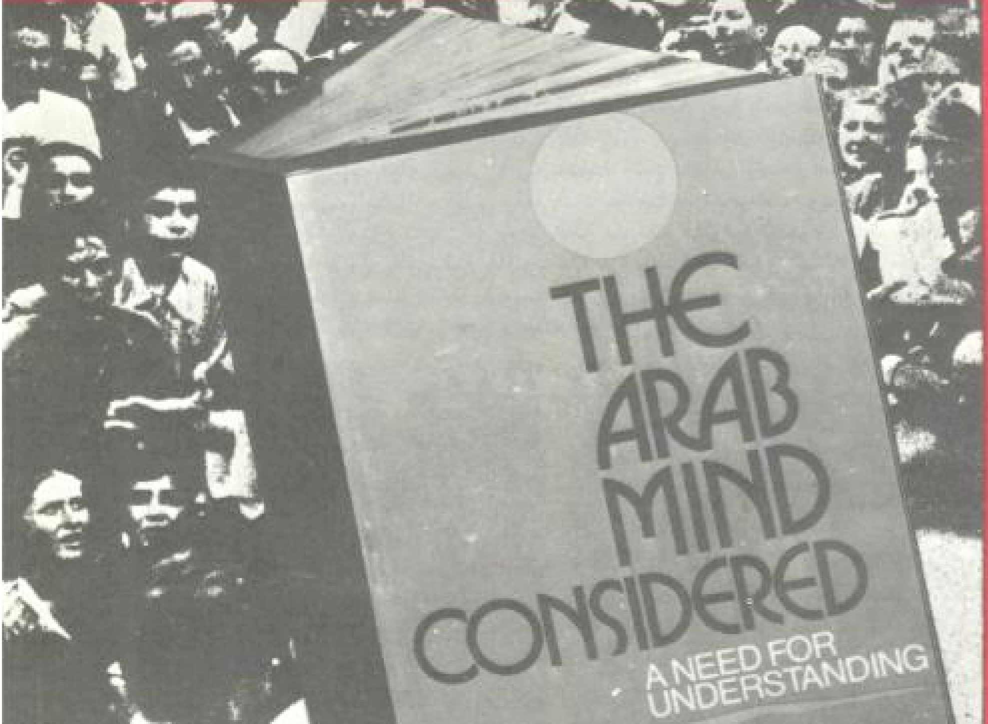
استطلاعات « العربي »

● ارجو توضيح نقطة شغلت فكرى وهي : هل الهدف من استطلاعات « العربي » تعريف المواطن العربي بعالميه العربي والاسلامي ؟ ثم هل هناك اتجاه الى استطلاع العالم الخارجي ايضا؟

منصور على

السعودية

« العربي » : الهدف من الاستطلاعات هو تزويد المواطن العربي بمزيد من المعرفة عن العالمين العربي والاسلامي .. ونرجو أن ننقل اليه قريبا استطلاعات من العالم الخارجي .



محاولة لفهم العقل العربى

نموذج للتعصب المقنع بموضوعية كاذبة

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

« هل يمكن لهؤلاء ان يخططوا سياستهم تخطيطا سليما ، اذا كانوا يسيئون فهمنا الى هذا الحد ؟؟» •

اسوأ انواع الذم هو ذلك الذي يتظاهر بالمدح ، واشد ضروب الكراهية هو ذلك الذي يتخفى وراء قناع من الحب • ذلك لان من يذمك او يكرهك بصورة صريحة مباشرة ، يثير فيك ردود افعال محددة تتيح لك ان تتعامل معه كما ينبغي ان يكون التعامل ، اما ذلك الذي يدعي انه يمدحك او يحبك ، ويكون هدفه المتوارى وراء هذا القناع عكس ما يدعي، فانه يتركك حائرا ، لاتعرف كيف تتعامل معه . وربما اتاحت له طريقته الملتوية هذه ان يبث فيك بذور الشك في نفسك، حتى لتتصور انك ربما كنت تتصف بالفعل بتلك الصفات المذمومة او المكروهة، مادام ذلك الذي ينبهك اليها شخصا يحبك ويتعاطف معك ••

وامامي اليوم كتاب عن العرب الفه كاتب انجليزي اسمه « جون لافين » . وجعل عنوانه الرئيسي « العقل العربي تحت الفحص » . اما عنوانه الفرعي ـ الذي ينبغي ان ننتبه اليه جيدا ـ فهو «الحاجة الى الفهم» * هذا العنوان الفرعي يعني ان الكتاب موجه اساسا لقراء من غير العرب، ويهدف الى مساعدة هؤلاء القراء على فهم العقل العربي على نحو افضل • وسوف يتبين لنا ، خلال سطور هذا المقال ، ان المؤلف كان يرسم خطة متعمدة لها هدف عكسي تماما ، وانه لم يترك فرصة للتشويه والتضليل الا واستغلها الى اقصى حد •

والمشكلة التي ادعو القارىء الى التفكير فيها ، من وراء هذا كله ، هي : الى اى حد يستطيع هؤلاء الناس ان يخرجوا من قوقعة عقليتهم ومصالحهم الخاصة لكي يفهمونا ؟ وهل يمكنهم ان يخططوا سياستهم تجاهنا ـ في المجالات المختلفة ـ تخطيطا سليما اذا كانوا يسيئون فهمنا الى هذا الحد ؟

★ ★ ★

في اول الامر يبدو كل شيء طبيعيا • فالمؤلف ، الذي يدعو الى فهم صحيح للعرب يتخذ في اول فصول كتابه موقف التعاطف الواضح معهم • ومظهر هذا التعاطف هو رأيه القائل ان التاريخ قد « انقلب » على العرب ، اى ان التاريخ بعد ان كان يسير لصالحهم ، تحول الى اتجاه معاكس منذ قرون عدة • فبعد حضارة مجيدة في العصور الوسطى ، أصبح حاضرهم مظلما • وهكذا يعترف المؤلف بعظمة الحضارة العربية في اول عهود الاسلام، ويصف باسهاب تسامح الحكم العربي في اسبانيا، الذي ادى الى دخول الاسبان في الاسلام باعداد كبيرة ، كما يتحدث عن الاثر الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الهائل الذي تركه العرب في اوروبا من خلال اتصالات حدثت في جهات متعددة ، اهمها شبه الجزيرة الايبيرية ، ويشير الى ذلك الانجاز الهائل الذي حققه العرب لاول مرة في التاريخ ، وهو توحيد اقاليم تمتد من حدود الصين شرقا حتى فرنسا غربا ، وتكوين مجتمع واحد من ثقافات كانت من قبل متصارعة ، هي ثقافات البحر المتوسط والشرق الادنى والاوسط

فقد وصل الاسلام الى الصين في اقصى الشرق، كما امتدت العلاقات التجارية العربية حتى وصلت الى السويد ودول البلطيق شمالا وغربا • وكانت الثقافة العربية في اسبانيا منبعا هائلا ظلت اوروبا الغربية كلها تنهل منه زمنا طويلا • وهكذا فان العرب كانوا « شعبا فخورا نبيلا ••• كان في عصره أرفع ثقافة من شعوب اوروبا الغربية، وكانت لديه قدرات الاغريق والرومان »•

على أن هذه البداية التي تبدو متعاطفة، سرعان ما تنقلب الى أحكام متسرعة شديدة القسوة على العقل العربي والثقافة العربية وكل ما ينتمي الى حاضر العرب بأية صلة • واغلب الظن أن هذا

* John laffin: The Arab mind considered. A Need for understanding. Taphing Publishing company. New York 1975.

التعاطف الاول كان يهدف الى تغطية الحملة الشعواء التى اعقبته ، بحيث يكتسب الكتاب ، فى نظر القارىء الذى يفتقر الى الوعي الكافي ، مظهر الموضوعية ، وتصبح الاحكام القاسية التى ستظهر فيما بعد اكثر قابلية للتصديق ، اى ان المدح هاهنا يهدف فى النهاية الى زيادة فعالية الذم ٠ وعلى اية حال فلا ضير على الاطلاق ، بالنسبة الى كاتب متحامل على العرب ، من أن يمتدح ماضيهم ، ما دام هذا يساعده على تحقيق هدفه الحقيقي، وهو الحط من شانهم فيحاضرهم٠

هذه مصادره

ولكن ، ما مدى معرفة هذا السيد الانجليزى بالعرب ، وما المصادر التى اعتمد عليها لكي يؤلف عنهمكتابا ، بل اكثر منكتاب ؟ انمصادره، حسب اقواله ، هى زيارات لمعظم البلاد العربية على مدى يزيد عن العشرين عاما ، وصداقات مع عدد كبير من العرب ، وهي صداقات نستطيع أن نعرف مدى « اخلاصها » من عبارات اوردها فى كتابه ، مثل : « شاركت فى مادب سخية مع البدو، ولم اخبرهم ابدا بعجزى عن هضم طعامهم ، ودخلت فى مناقشات لا حد لها ، وسمعت أبشع الاكاذيب ، لان لدى العربي أنواعا متعددة من الحقيقة ٠٠ » ومن مصادره الهامة مقابلات أجراها مع كثير من العرب ، كان أشهرهم الرئيس جمال عبد الناصر ، « وكان ألمتهم (على حد تعبيره) قتلة شبان عرب فى معسكر تدريب ارهابي فى المنطقة التى تسيطر عليها منظمة فتح بلبنان » وقد اعتمد كثيرا على كتابات الباحثين العرب المهاجرين الى أمريكا ، وكان يختار منهم ، فيبعض الاحيان أسواهم ، ولكنه يرى على أية حال أن احسن من يعرف العرب ، وافضل من يعتمد عليهم فى ميدان المصادر الاكاديمية ، هم العلماء الاسرائيليون المتخصصون فى الشئون العربية فى جامعات القدس وحيفا وتل أبيب ٠

من هذه المصادر استمد المؤلف معرفته عن العرب ، وبفضلها وصفه ناشرو الكتاب بانه « اكتسب شهرة لدى كلا الجانبين (العربي والاسرائيلي) بانه كاتب موضوعي » ، وقال هو ذاته عن نفسه : « اقسم بشرفي الانجليزى انني قلت الحقيقة عن مجتمعهم (مجتمع العرب) » ٠

فلنتامل الان نماذج لهذه « الموضوعية » التى يقال ان جون لافين اشتهر بها عند الطرفين ولنعرض لبعض عناصر تلك « الحقيقة » التى قاده اليها « شرفه الانجليزى » ٠

العنف عند العرب

اول صفة يحرص المؤلف على ان يلصقها بالعرب هي صفة العنف ٠ وهو يحاول منذ البداية ان يثبت وجود جذور تاريخية قديمة لهذه الصفة، فيخصص لطائفة « الحشاشين » Assasins الذين كانوا يستخدمون القتل وسيلة للضغط السياسي – حيزا كبيرا من تلك الصفحاتالقليلة التي عرض فيها موجزا سريعا لتاريخ العرب ٠ وهو حيز لايتناسب على الاطلاق مع الوضع الهامشي لتلك الطائفة فى اطار التاريخ العربي٠ ولكن الهدف من هذا الاهتمام الزائد واضح كل الوضوح ،هو ايجاد رابطة بينهم وبين الفلسطينين المعاصرين (الذين لا يكف طوال كتابه عنتسميتهم بالارهابيين) ، حتى يقتنع قراؤه بان العنف والقسوة طبع اصيل ، قديم العهد ، فى الشخصية العربية ٠

وهكذا يتحدث المؤلف عن العنف كما لو كان صلاة او عبادة عند العرب ، ويقدم أوصافا مسهبة لما يسميه بالفظائع التي ارتكبها العرب مع الجنود الفرنسيين الذين وقعوا اسرى فى ايديهم فى شمال افريقيا ، كما يصف ، باسلوب التشنيع ، ما يسميه « بالتعذيب » الذى تعرض له الاسرى الاسرائيليون على ايدى المصريين فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ويعتمد فى وصفه لهذه الوقائع الاخيرة على مصدر يكاد يكون واحدا ، هو رواية طبيب كندى يعمل فى مستشفى تل ابيب !

والامر العجيب حقا هو ان يصل التحامل وانعدام الموضوعية بكاتب يقدم نفسه على انه « خبير » فى شئون الشرق الاوسط ، الى حد نسيان بديهيات اولية يعرفها رجل الشارعالعادى٠ فالعالم كله يعرف ان الاستعمار الفرنسى فى شمال افريقيا قد ارتكب ، طوال اكثر من قرن وربع القرن ، من الفظائع ما لا تقاس الى جانبه اية أعمال عنف يقوم بها المحاربون ، بل يعرف ان ظاهرة الاستعمار نفسها هي عمل ينطوى على اهدار للادمية اشد مما تنطوى عليه اية عملية تعذيب عسكرية ٠ كما يعرف العالم كله

ان فنون التعذيب قد وصلت ، على ايدى الطرف الفرنسي في حرب التحرير بشمال افريقيا ، الى مستوى بلغت فظاعته حدا ادى الى انقسام خطير في الرأى العام الفرنسي ذاته ، والى لورقطاعات واسعة من الشعب الفرنسي على حكومته ·ويعرف العالم ان عنف رجال الكوماندوز الاسرائيليين ، في غاراتهم على مواقع مصرية مختارة قبل عام ١٩٧٣ ، كان من نوع نادر المثال ، وان التعذيب الاسرائيلي للمسجونين السياسيين (ولا اقول لاسرى الحرب) حقيقة واقعة شهدت بها اكثر من هيئة دولية · ولكن المثقف الغربي « الموضوعي » ينسى هذا كله ، ويلصق بالعرب وحدهم صفة العنف والقسوة ، مؤكدا ان هذه الصفات تضرب بجذورها في اعماق التاريخ العربي بالـذات · ولو كان لديه ادنى حس تاريخي ، واقل قدر من النزاهة الفكرية ، لما اجهد نفسه في العودة الى الوراء حتى عهد « الحشاشين » ، اذ يكفيه ان يتذكر فظائع الانسان الابيض مع الزنوج في امريكا وافريقيا ، او مع الجنس الاصفر في فيتنام ، او حتى مع نظيره الابيض في المانيا النازية ·

على ان المؤلف لايتحرج على الاطلاق في اخفاء هدفه الحقيقي من الصاق تهمة العنف بالعرب ، بل انه يصرح بهذا الهدف دون مواربة حين يعقد مقارنات مضللة بين العرب والاسرائيليين في هذا الميدان · فهو يخصص فصلا كاملا للحديث عن موقف العرب من اسرائيل ، مؤكـدا ان الهـدف الحقيقي للعرب هو « تصفية » اسرائيل وابادتها· ولكي يثبت ذلك يقتبس اقوالا وخطبا تنتمي كلها الى الفترة السابقة لحرب اكتوبر ، متجاهلا التحول الجذرى الذى حدث في موقف دول عربية كثيرة بعد هذه الحرب · ومن جهة اخرى فـان المؤلف هو نفسه الذى اشار في فصل سابق الى ولع العرب بالبلاغة والالفاظ الرنانة والمبالغـة الكلامية والكفاح بالخطب بدلا من الجيوش· فعلى اى اساس اذن ياخذ المقتطفات التي اوردها مـن خطب بعض القادة العرب على انها تعبير عـن اتجاه ثابت لدى العرب نحو اسرائيل ؟ ولماذا لم ينظر اليها ـ اتساقا مع رايه السابق ـ على انها من قبيل المبالغة اللفظية ، او على انهـا تصريحات ذات اهداف سياسية وقتية ؟

ان « اقوال » العرب التي تذهب الى ان ابادة اسرائيل هي ـ على حد تعبيره ـ امتداد لحـرب النبي ضد اليهود ، هي في رايه الدليل القاطع على صدق احكامه ، اما « افعال » الاسرائيليين التي ادت الى ابادة فعلية للعرب ، وتشريد فعلي لقطاع كبير من سكانهم ، فلا تدل في نظره على شيء وهو يصل الى اقصى درجات المغالطة حـين يقول : « ان يهود آسيا الصغرى ، ومن بعدهـم يهود اسرائيل ، لم يكونوا ابدا ضد العـرب · وعندما تحدثت الى مئات من الجنود الاسرائيين، لم اصادف الا اثنين فقط ـ كانا مـن اليهـود اليمنيين ـ هما اللذان يكرهان العرب » وهكذا فان الازدراء والتعالي الاسرائيلي تجاه العرب ، الذى تجلى بوضـوح حتى في تصريحـات كبـار الزعماء الاسرائيليين ، يتحـول على يديـه الى محبة وتسامح ، اما العرب فهم وحدهم الحاقدون !

وهكذا يتجاهل المؤلف حقائق لاتنكـر ، لكي يصور العرب وحدهم بانهم ينزعون الى العنـف بطبيعتهم ، وبحكم تراثهم وتاريخهم ، ويقف ناشر الكتاب في صفه فيشير الى هذه الظاهرة نفسها في غلاف الكتاب ، قائلا : « ان من اصعب جوانب الطبيعة العربية فهما ، ومن اهمهـا في نظـر الغربيين اتجاه العـرب الدائـم الى العنـف · فالغربي يقف مشدوها امام العنف العربي · ولكن من الخطأ ، كما يؤكد المؤلف مرارا في كتابه ، ان نطبق القيم الحضارية الغربية على العـالم العربي » · وبذلك تكتمل عملية تثبيت الزيـف وتاكيده : فالقيم الحضارية الغربية قيم وداعـة وسلام ، اما السلوك العربي فهو عنيف الى حـد يستعصى معه على فهم الانسان الغربي الوديع ، ولابد لهذا الانسان الغربي من ان يتجرد من قيمه الرفيعة ويتركها جانبا اذا اراد ان يفهم العنف العربي ، الذى هو في ذاته ظاهرة متغلغلة تستعصى على الفهم والتبرير !

وكذابون ايضا !

ويتصف العرب ، في راى جون لافين ، بمجموعة من الصفات السلبية التي يقوم بعرضها دون اية محاولة لتقديم دليل حقيقي على وجودها ·فالعرب كذابون بطبيعتهم · وهو في اثباته لهذه القضية العجيبـة يلجأ الى طريقـة « شـهد شاهـد من اهله » ولكن من هم « اهله » هؤلاء ؟

في كثير من المواضـع يقتبس الكاتب اقـوالا لانسانة من اصل عربي ، لم اسمع عنها من قبل ،

اسمها « سنية حمادي » ، يفهم من كتابه انها تعيش وتعمل في التدريس بالولايات المتحدة ، ويبدو انها متخصصة في اساءة فهم العرب او في الحط من شانهم ، مع انه يصفها بانها « واحدة من اعظم الثقات في السيكولوجية العربية » «هذه الانسانة تقول « عن قومها » (على حد تعبيره): « لابد للمرء ، لكي يعرف ما ينبغي توقعه من العرب وكيف يمكن التعامل معهم ، ان يفهم كل العرب وافتقارهم الى المثابرة والشعور بالمسئولية ، والى روح الفريق والتعاون والانضباط ، وان يعرف تسويفهم وكذبهم ... فبالنسبة الى العربي يكون كل خطأ مباحا ، بشرط الا يعرف عنه احد . والسرية تبيح كل انواع السلوك ، وتحرر المرء من اي تانيب للضمير » . وهي في موضع اخر تزيد تاكيد مقصدها فتقول ان « الكذب عادة منتشرة بين العرب ، الذين لا توجد لديهم الا فكرة مشوهة عن الصدق » ، وتصف ضميرهم بانه يتسم « بمرونة مفحوطة » .

ولكن المؤلف يحاول ان ياخذ مظهر المتفهم لتلك الصفة العربية المرذولة ، فيفسر كلامه قائلا ان العربي لا يعني ما يقول الا في اللحظة التي يقوله فيها . فهو ليس كذابا بدافع الشر ، وليس في العادة كذابا متعمدا ، وانما هو كذاب بطبعه « ! وهو يفلسف فكرته فيقول : « بالنسبة الى العربي ، يمكن ان تكون هناك اكثر من حقيقة واحدة عن الشيء الواحد ، تبعا لنوع اللغة المستخدمة » .

والعرب حساسون الى درجة الشعور بالاهانة حتى حين لا تكون مقصودة : « فاذا مددت يدك اليسرى نحو وجه شخص ـ وهو ما يمكن أن يفعله المرء بحركة غير مقصودة ـ فان هذا يعني في نظر كثير من العرب ان عيونهم حسودة وانك تستقدم يدك لكي تدفع اذاها » .

اما نظرة العرب الى النساء فيلخصها المؤلف بقوله « ان العربي خطر على النساء المنتميات الى جنسيات اخرى . فكثير من الفتيات الغربيات اللاتي يعملن في شركات كبرى لها فروع في البلاد العربية قد تعرضن لاعتداءات همجية واغتصبن . ومن المستحيل على المراة أن تسير ليلا في طريق عام دون ان تتعرض لخطر داهم . بل ان قيادتها لسيارتها وحدها فيها صعوبة لا يستهان بها ... » .

والعرب يتسمون باحساس كاذب بالوقار ، يحول بينهم وبين الاستمتاع بالحياة « ان الاحساس الحاد بالوقار يمنع معظم العرب من اظهار اي نوع من « الطيش » ، ولهذا فان الضحك نادر . كما أن العربي انسان حزين » .

واخر هذه النماذج التي اخترتها من احكام هذا المؤلف على العرب ، تاكيده أن العربي يفتقر الى الشخصية الفردية . « اذا كان هناك جانب واحد للشخصية العربية يتفق عليه معظم الملاحظين ، فهو أن العربي ليس حتى الان فردا أو شخصا بالمعنى الصحيح . فشخصيته قد انكمشت نتيجة لاعتماده على اسرته . ونظرا الى انه لم يستقل عنها بعد ، فانه لا يعتمد على نفسه ولا يستطيع حل مشكلاته الخاصة . كما انه لا يستطيع أن يفكر بنفسه أو يستخدم قدرته على التصرف المستقل . فاستقلال الذهن ليست له عنده قيمة خاصة » .

هذه الموضوعية المزعومة !

هذه الاحكام الاستفزازية ، التي لا اشك في انها اثارت غضب القاريء تعبر عن الروح العامة التي تسود الكتاب . وربما تساءل القاريء الغاضب ، بعد هذا كله : ولماذا اخترت هذا الكتاب بالذات ، وفي هذا الوقت بالذات ؟ الا يكفي العرب ما هم فيه لكي تضيف الى غضبهم غضبا ، والى همومهم هما؟

الحق انني اثرت اختيار هذا الكتاب ، لا للاثارة او الاستفزاز ، بل لانه مثل صارخ نستطيع أن نستمد منه دروسا بالغة القيمة في علاقتنا بانفسنا ، وبالاخرين ...

اول هذه الدروس هو ضرورة مراجعة ارائنا عن الموضوعية المزعومة للكتاب الغربيين . فنحن قد اعتدنا ان نحط من انفسنا ونعلي من قدر الباحثين الغربيين الى حد تنزيههم عن الخطأ . ولكن حقيقة الامر هي أن هؤلاء الباحثين يرتكبون ، من ان لاخر ، مغالطات متعمدة تنم عن افتقار شديد الى الموضوعية ، وتدعونا الى مراجعة انفسنا في تقديرنا الرفيع لهم . وليست مجموعة الاحكام التي عددتها ، عن هذا الكتاب ، الا نموذجا لنمط لا يمكن وصفه بانه نادر بين هؤلاء الكتاب .

فهو مثلا حين يصف العربي بالكذب ، ينسى أن مجموعة احاديث السياسيين في بلاده ، ووعود المرشحين في انتخابات اعرق البلاد «الديمقراطية» تشكل نموذجا للكذب يندر ان تجد له نظيرا . وحين

يتحدث عن خطورة العربي على النساء الاجنبيات ، يغفل الحقائق الصارخة التي يعرفها الجميع عن المجتمعات الغربية ، والأمريكية بوجه خاص ، حيث تحولت البيوت في المدن الكبرى الى قلاع محصنة ، وحيث تحوم المخاطر الجسيمة حول كل من يجازف بالسير في الشوارع بعد الغروب ، سواء أكان رجلا ام امرأة . وتنسى ان الاجنبيات هن أول من يعترفن بان الاحساس بالامان يزيد في المجتمعات العربية عنه في مجتمعاتهن الاصلية بكثير . وحين يتحدث عن حزن العربي وعن امتناعه عن الضحك بدافع « الوقار » ، ينسى أن المرح الشرقي صفة مشهورة، وأن علو الصوت في الضحك الصادر عن القلب ، من الصفات التي تميز الانسان العربي بوضوح .

واخيرا ، فهو حين يابى على العربي أن تكون له شخصية فردية ، ينسى أنه هو نفسه القائل ، في موضع قريب ، ان العربي ينطوي على نفسه وان مركز اهتمامه يكمن في داخله ، وانه اذا خوطب لا يستمع جيدا لانه « اكثر انشغالا بنفسه من أن يستمع اليك » . وحين يعلل ذلك بأن اندماجه في الاسرة يقضي على استقلاله ، ينسى أن الاستقلال المفرط والمبكر عن الاسرة قد خلق للانسان الغربي مشكلات اجتماعية ونفسية هائلة يشكو منها كل باحث منصف في هذه البلاد ذاتها ، وأن التماسك والتكافل العائلي في المجتمعات العربية من أبرز السمات التي يتحسر عليها زوار هذه المجتمعات من الاجانب .

وربما كان الاهم من هذا كله ، هو أن موضوعية الباحثين الغربيين تصبح موضع شك كبير حين نجدهم يتحدثون ، بطريقة تعميمية متسرعة ، عن « العربي » بوجه عام . فمن هو هذا « العربي » الذي يتحدثون عنه ؟ ان الوطن العربي ، مع كل عوامل الوحدة في داخله ، يضم مجتمعات شديدة الاتساع والتباين ، ومن ناحية أخرى فان هذا الوطن يمر في الوقت الراهن بتغيرات اجتماعية وحضارية حاسمة . ففي هذا المجتمع تجد نماذج للحياة الحضرية ، والحياة الريفية ، والحياة القبلية ، فضلا عن أن الحدود بين أنماط الحياة هذه ، وفي داخل النمط الواحد ذاته ، تمر في عصرنا الراهن بعمليات تغير مستمر . فالعصر الحالي يمثل مرحلة تحول هائل في حياة العرب وانماط معيشتهم وتفكيرهم ـ وحسبنا دليلا على ذلك أن نتأمل الفارق بين جيل الشباب وجيل الكبار في الدول البترولية مثلا . وهكذا فان عملية توحيد العرب وتثبيتهم في نمط حضاري وفكري واجتماعي واحد ، هي عملية تنطوي أساسا على تزييف صارخ ـ فما بالك اذا كان هذا النمط تقليديا قديما ، أو اذا كان هو ما يتوصل اليه أحد الكتاب بناء على انطباعات سطحية سريعة ؟

موقفان على خطأ

ان من الباحثين العرب من يترددون الف مرة قبل أن يتحدثوا عن « الشخصية القومية » لشعب ما . وفي مقابل ذلك فان هذا الباحث الانجليزي ، الذي يصفونه بالموضوعية والتعمق ، لا يتردد في اصدار تعميمات كاسحة مستمدة ـ على الارجح ـ من ملاحظات عابرة لم يحسن فهمها ، ولا يتردد في تثبيت شعب يمر بأكبر عملية تحول في تاريخه ، كما لو كان شعبا من « الحفريات » أو « حالة » انثروبولوجية يدرسها العقل الغربي باستعلاء ، باذلا جهده من أجل ابراز الفوارق الاساسية بين سماتها وبين السمات الغربية « المتحضرة » . ومع أنني لا أود أن أتهم بنفس الخطأ الذي أعيبه عليه ، لانني أدرك جيدا أن أمثال هذه الاخطاء المنهجية لا تسري على كل ما يكتبه الغربيون عن العرب ، فانني أود أن أنبه قرائي الى أن التقدير الزائد للموضوعية والنزاهة التي يتسم بها البحث العلمي الغربي كثيرا ما يصطدم ـ في ميدان الابحاث الانسانية بوجه خاص ـ بنماذج مخيبة للامال .

والدرس الثاني الذي أود أن أخرج به من تقديمي لهذا الكتاب ، هو أن مؤلفه يفخر بصداقاته العميقة مع عرب كثيرين ، وهي صداقات امتدت خمسة وعشرين عاما ، ولكنه كان طوال الوقت يحتقر ، في قرارة نفسه ، أولئك الذين فتحوا له بيوتهم وقلوبهم ، ولو لم يكن يحتقرهم لما أصدر عنهم أحكاما كتلك التي أوردناها . وأنا لست على الاطلاق من أنصار العزلة أو الخوف المفرط من مخالطة الاجانب ، ولكني لا أملك الا أن أشعر بالاسى حين أذكر أن كاتبا له مثل هذه العقلية المتعصبة قد تمكن من مقابلة زعماء عرب كبار بوصفه صديقا ، واستطاع كسب ثقة عرب مخلصين من ذوي النوايا الطيبة ، في الوقت الذي كان يضمر لهم فيه أسوأ النوايا .

أما الدرس الثالث ، والاخير ، فيتعلق بموقفنا

من مواطنينا المغتربين . ذلك لاننا ، في علاقاتنا بهم ، قد مررنا بمرحلتين متطرفتين : كانت الاولى منهما مرحلة ارتياب مفرط ، وقطع متعمد لكل الجسور التي تربطنا بهم ، بينما كانت الثانية ـ وهي التي نمر بها الان ـ مرحلة ثقة زائدة ، وايمان مطلق باخلاصهم ، بل احساس بانهم يملكون الكثير من وسائل حل مشكلاتنا العلمية والاقتصادية والاجتماعية وفي اعتقادي ان الموقفين معا على خطأ . فقطع الجسور ليس من الحكمة في شيء ، ولكن الايمان المفرط باخلاص المغتربين وولائهم لاوطانهم هو بدوره تطرف ينبغي الحذر منه .

والمثل الذي يتضمنه هذا الكتاب ، أعني الباحثة المسماة « سنية حمادي » ، والتي تتغنى في الحط من شان بني قومها بعبارات تفتقر ، لا الى الولاء فحسب ، بل والى الدقة العلمية والمنهجية أيضا ـ هذا المثل ليس هو الوحيد من نوعه . ففي أحيان غير قليلة يقسو المغترب على بني قومه اكثر مما ينبغي لكي يثبت لاهل بيئته الجديدة ولاءه « وموضوعيته » واهليته للعيش في المجتمع الجديد ، ويسايرهم في نظرتهم الاستعلائية الى الشعوب الاخرى . وهناك من الغربيين من يزدادون ترحيبا بالمغتربين وكتاباتهم كلما تطرف هؤلاء في تصوير غرابة اوطانهم الاصلية وتخلفها ، وتاكيد التضاد بينها وبين مجتمعاتهم الجديدة .

★ ★ ★

ولكن الاخطر من هذا هي تلك الحالات التي يقوم فيها المغترب بتمثيل دور الولاء لوطنه الاصلي ، بعد ان يكون البلد الجديد قد طلب منه تمثيل هذا الدور من اجل تحقيق مصالحه الخاصة . وربما رسم البلد الجديد خطة متعمدة ، تعمل فيها أجهزة الاعلام على تضخيم دور هذا المغترب وتصويره بأنه عالم فذ من نوع نادر ، ثم « تعيد تصديره » الى بلده الاصلي ، أو توثق روابطه بها ، حتى يكتسب ثقة مواطنيه المطلقة ، على حين يكون هدفه الحقيقي هو خدمة مصالح مجتمعه الجديد .

هذه حالات لا اقول انها عامة ، ولكنها موجودة ، وهي تستدعي منا الحذر والحيطة ، ولا اقول العودة الى عهد الارتياب المطلق ـ وتقتضي منا ان نفكر مليا قبل ان ننظر اليا الى كل مغترب على أنه رصيد دائم لوطنه الاصلي . ■■

د . فؤاد زكريا

أكلة لحوم الموتى

تاليف مايكل كريجتون

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

● مؤلف الكتاب مايكل كريجتون خريج كلية طب جامعة هارفارد ، وقد اكتسب بالمران وطول الممارسة اسلوبا وتانقيا ـ اذا جاز التعبير ـ يعد فريدا من نوعه في كتابة رواياته الطريقة القائمة على عنصر التشويق او الترقب القلق . وقد ظهر ذلك جليا في كتابين من كتبه اعتبرا من المؤلفات العالمية العظيمة الرواج وهما : The Andromeda Strain (السلالة الأندروميدية) واندروميدا كما هو معلوم ، اميرة حبشية ربطت بالسلاسل فوق جوف صخري عال لكي تفترسها الغيلان فينقذها بيرسيوس ويتزوجها ، اما الرواية الثانية فهي The Great Train Robbery (سرقة القطار الكبرى) وأبرز ما في الرواية الأولى قربها من الواقعية العلمية . فالكاتب يضمنها تفسير نقاط كيماوية وبايولوجية ولكنه لا يجعلها اقل جاذبية من ماجريات الرواية ذاتها ، في حين انه في الرواية الثانية وهي « سرقة القطار الكبرى » يتحدث الينا عن لندن عام ١٨٥٥ ، فيقدم لنا صورة للعاصمة البريطانية المضاءة بغاز الاستصباح مجسما مفارقات الفقر المدقع والغنى المترف ومصورا الاعدام العلني البربري ومظاهر النفاق الاجتماعي والقوة والتفاؤل الذي لا حد له والذي يسترعي الانتباه بصورة خاصة المجاهل الخفية لصور العهد الفكتوري .

اما الرواية التي بين أيدينا وهي (أكلة لحوم الموتى) فمليئة بالاسرار ومسارب التاريخ والرعب

. وهي كروايتيه السالفتين مزاج من الواقعية التاريخية والخيال الرومانتيكي على طريقة السر ولتر سكوت وجرجي زيدان مع مسحة من أسلوب ايج ٠جي ٠ويلز . فهي في الأصل قصة ابن فضلان ورحلته الى بلاد البلغار أيام الخليفة المقتدر بالله العباسي ومجابهته لآكلة لحوم الموتى .وقد اعتمد كريجتون على مخطوطة احمد بن فضلان التي تعد اقدم وثيقة لشاهد عيان قابل القراصنة الإسكندينافيين وتعرف على حياتهم ومجتمعهم ، وقد استعمل كريجتون المخطوطة مع عدة نسخ ومصادر عبر عشرة قرون .

وتصف هذه الوثائق المخطوطة المصاعب التي جابهته والفظائع التي شهدها عندما اوفد في بعثة ديلوماسية سنة ٩٢١ للميلاد الى ملك البلغار ـ كما اسلفنا ـ فاختطفه القراصنة بعيدا عبر نهر الفولغا ليعاني شظف العيش وخشونة الحياة ، بعد أن تعود علـى نعومتها في اوج الحضـارة العباسية

ولفرط اعجاب المؤلف بالقراصنة الاسكندنافيين أو الفايكنغ يصدر كتابه بستة امثال لهم نترجمها هنا لتعكس لونا من الوان ادبهم . تقول هـذه الأمثال :

(١) لا تمتدح النهار حتى تشهد مداه .

(٢) ولا المرأة حتى تحترق .

(٣) ولا السيف حتى تجربه .

(٤) ولا العذراء حتى تتزوج .

(٥) ولا الثلج حتى يقطع .

(٦) ولا الجعة حتى تحتسى .

وهناك ناحية جغرافية حرية بالالتفات وهي أن لفظة (البلغار)لاتعني (بلغاريا) الحالية وانما ، على ما يذكر المؤلف (ص٤٩) كانت هناك من القرن التاسع وحتى الخامس عشر بلغاريا اخرى على ضفاف الفولغا على بعد حوالي الستمائة ميل من موسكو الحديثة وهذه هي المنطقة التي اتجه ابن فضلان اليها وجعلها موضوع رحلته ، وكانت بلغاريا الفولغا مملكة ذات أهمية الى حد ما ولكنها لم تكن متماسكة الاوصال ، وكانت عاصمتها (بلغار) مشهورة وغنية عندما اجتاحها المغول واحتلوها سنة ١٢٣٧ للميلاد . ومن المعتقد بصورة عامة ان (بلغاريا الفولغا) و (بلغاريا البلقان) كانت تسكنهما جماعات من المهاجرين الذين تجمعهم روابط خاصة وقد جاءت من منطقة حول البحر الاسود ما بين القرنين الرابع والسادس للميلاد . ومدينة (بلغار) القديمة تقع في منطقة قازان الحديثة .

غير أن الغريب أن مايكل كريجتون يتخذ من رحلة ابن فضلان مستندا للبرهنة علـى ان الحضارة الاسكندينافية المتمثلة في فعاليات هؤلاء القراصنة هي أقدم من حضارة وادي الرافدين وحضارة مصر القديمة . وهو تعصب لا مبرر له ورأي لا يقره عليه المختصون بدراسة تاريخ الحضارات البشرية، بله طبيبا روائيا من مثله اقحم نفسه في موضوع خارج نطاق اختصاصه . وقد جاء الكتاب مزاجا من كتاباته وكتابات سواه . وان شئت فهو ترقيع حقائق واخيلة فلا اجد مبررا لاخذ مثل هذه النظرية الخطرة ماخذ الجد،وانما هو لمجرد المطالعة المسلية العابرة . فعلى زعم كريجتون أن الفايكنغ بنوا اضرحة ضخمة قبل أن تشاد اهرامات المصريين وظهور المعادن . واستعمالها فيها قد سبق على زعمه عهد اليونان وطروادة . وانهم اقاموا أول مرصد جوي في العالم . فاسكنديناقيا التي هي اكبر من البرتغال واسبانيا وفرانسا مجتمعة . على رأيه الغريب . أم الحضارات وأن القراصنة الفايكنغ هم بناتها . وأن الحضارة البشرية باقدم اشكالها ليست شرقية بل أوربية شمالية . ويمضي ليخبرنا بأن النقود العربية ظهرت في اسكنديناقيا سنة ٦٩٢ للميلاد واتسعت رقعة حضارة الفايكنغ منذ ذلك العهد حتى وصلت الى نيوفاوندلند غربا وصقلية واليونان جنوبا . وجبـال الاورال في روسيا شرقا حيث اتصل تجارهم بالقوافل المحملة بالحرير من الصين . غير أنهم لم يعتبروا بناة حضارة لان تاثيرهم كان وقتيا . مع ذلك فقد تركوا أسماء مواقع جغرافية عديدة في انكلترة . في حين انهم منحوا الشعب الروسي اسمه اذ اطلقوا عليه اسم القبيلة النورمية (روس) بيـد أن هذا لا يكفي لان يجعل من النورسيين أصحاب أقـدم حضارة في العالم أو بناة حضارة خالدة بأي معنى عميق من معاني الحضارة البشرية .

ويروى ابن فضلان كثيرا من عادات القراصنة وتقاليدهم ، فمن ذلك مثلا انهم يعالجون الجروح ببول البقر وان احدهم ليشرب ادراره عندما يصاب بالعطش وليس لديه ماء ، ومن المضحك انه عندما يصاب ابن فضلان بجرح في بعض المعارك التي يخوضها معهم ويرفض العلاج ببول البقر المغلى

يقولون متهكمين :

« انه لا يزال عربيا لم يكتسب تقاليدنا بعد ! »

ويتحدث ابن فضلان كيف أن جثة زعيمهم وضعت مع خادمته وفرسين من افراسه في باخرة محملة بمجوهراته وامواله واحرقت وسط البحر وتركت تغرق كشعلة من لهب .

وعنده ان لا احساس لهؤلاء الشماليين بقيمة الكتابة الا ما كان نحتا او نقشا على الحجارة والخشب . ولم يتردد ابن فضلان من تقديم بعض التعاليم الدينية الاسلامية لهؤلاء الوثنيين . فقد سئل ذات مرة : « ما طبيعة دينكم ؟ وما ربكم الذي تعبدونه يا ابن فضلان ؟ » فاجاب « انه اله واحد لا شريك له وكل شيء تحت سلطانه وهو البصير العليم واليه مرد كل شيء ومرجعه » ، وهي الفاظ كررها على مسامعهم غير مرة . فسأله احدهم : « الا يغضب منك احيانا ؟ » فقال : « بلى ، ولكنه غفور رحيم » . فقال : « بالطبع عندما يشاء هو لا عندما تشاء انت » . فاجاب : « انه لكذلك ! » فهز زعيمهم رأسه قائلا : « ان الانسان لا يستطيع أن يضع ثقته كلها في شيء واحد ولا امرأة واحدة ولا حصان واحد ولا سلاح واحد ولا اي شيء بمفرده » . ثم سكت وكأنه يريد ان يقول : « ولا اله واحد » . فاجابه ابن فضلان : « ولكن بوسعنا ان نفعل ذلك » . فقال زعيم الفايكنغ : « ان مجال معرفة الآلهة غامض لا يسبر غوره . ثم انكم في بلاد العرب لا تحتاجون الى اكثر من اله . اما هنا فنحتاج الى عدة الهة ، فاذا ما غضب احدهم انصرفنا الى سواه » فأيقن ابن فضلان اذ ذاك انه لن يهديه الى الاسلام مهما حاول ، ولا الفايكنغ بمستطيعين اغواءه الى الوثنية . ويضيف ابن فضلان قائلا : « فافترقنا وان كان فراقنا حزينا » فامسكت بكتفي الزعيم هو كر وفعل هو الشيء ذاته . ثم ركبت متن السفينة السوداء التي حملتني الى بلاد الدانمرك » . والقى ابن فضلان اخر نظرة على بلاد القراصنة الى غير عودة ، ولكن للاسف يتوقف المخطوط هنا عن الافاضة في المزيد من المعلومات ، على انه لم يكن من السهل ولا الميسور له ان يتخلص من أسره بسهولة فقد احبه ملك الفايكنغ ووجد فيه الفارس الشجاع ولكن وزيره استطاع ان يقنعه بحيلة بسفر السفينة بحجة انها ستعود حاملة اليه ولده الوحيد وولي عهده بعد ان غدا شيخا هما ، وكان قد منع اقلاع اي سفينة من الموانيء التي يحكمها لئلا يفارقه ابن فضلان المحارب البطل . لقد امضى ابن فضلان ثلاث سنوات في اسره هذا ولكنه خلف لنا كتابا خالدا يلقي بعض الضوء ان لم يكن كله على مختلف نواحي الحياة في أوربا في صدر القرون الوسطى .

ويقدم لنا كريجتون نبذة عن ابن فضلان ذاته (ص٩ - ١١) ويبدو انه كان من خلصاء الخليفة المقتدر رغم انه لم يكن من المعجبين به . ولم يكن في هذا بدعا . لان المقتدر لم يكن جديرا بذلك، فقد خلع مرتين وقتل في المرة الثانية . ولا يضن كريجتون بمديحه واطرائه الحضارة العباسية في ازهى عصورها . غير انه ينتقد طريقة ابن فضلان في سرد قدته لانها ليست مألوفة عند الاوربيين . ثم يحاول ان يجد له العذر بحجة انه يدون تقريرا دبلوماسيا للخليفة لا قصة رومانتيكية لجمهرة من القراء المعجبين لاستثارة فضولهم في ثناياها ، ثم ان ابن فضلان لم يكن راوية متحدثا وانما كان كاتبا . مع ذلك فان كريجتون يثير الشك أحيانا في احتمال تلاعب بعض الاقلام المتأخرة التي جاءت بعد ابن فضلان زيادة وحذفا .

وربما كانت المقولة في كتاب « اكلة لحوم الموتى » لكريجتون فان له الفضل في اثارة فضول القارىء الانكليزي الاعتيادي للاهتمام بالرحلة خاصة وبالتراث العربي عامة . ولسنا نتابع صحيفة التايمس اللندنية فيما ذهبت اليه في ملحقها الادبي باعتبار كتاب كريجتون الجديد دون كتابيه الرائعين الاخرين اللذين المعنا اليهما في صدر هذا المقال ، بل هو في مستواهما ان لم يبزهما جميعا . ■■

د . صفاء خلوصي

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت مسابقة العدد ٢٤٢ . واخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول مارس (اذار) ١٩٧٩ ٠

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم رابع الخلفاء الفاطميين ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم فقيه ومفسر مالكي معروف ٠

الكلمات الأفقية :

(١) معركة في فجر الاسلام ـ صفة للحيوان المتوحش ٠

(٢) اوبرا وضع الحانها فيردي ـ لقب اسيوي ٠

(٣) نصف كلمة (سراج) ـ نصف كلمة (وافد) ـ هلك ـ باب ٠

(٤) اتباع مدرسة فنية تشكيلية من اقطابها ماتيس ـ قبائل افريقية بالكنغو ٠

(٥) يمين ـ نطيق ـ نصف كلمة (هتاف) ـ متشابهان ٠

(٦) لمس ـ من اعضاء الجسم ٠

(٧) في الوجه ـ غزال اوروبي صغير ـ يغشي ٠

(٨) رابع الخلفاء الفاطميين ٠

(٩) الاحظ ـ نصف كلمة (غريب) ـ حرق عطف ـ من الانبياء ٠

(١٠) ملذات ـ ارشدني ـ شغل ٠

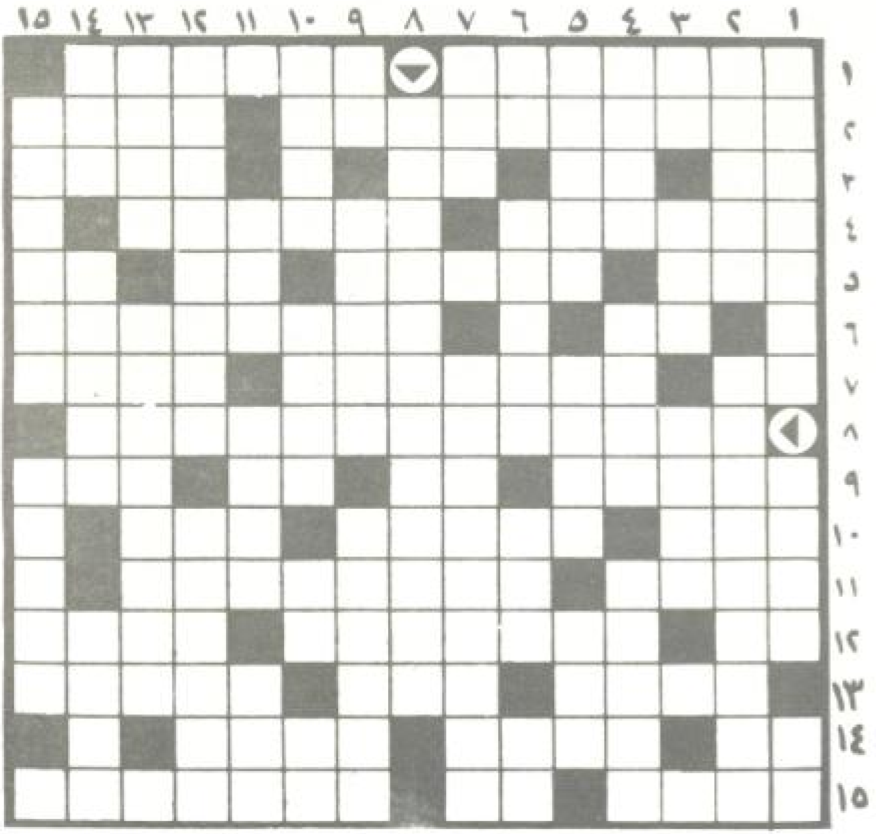
(١١) اخبر ـ الاسم الاول لكافور الاخشيدي ٠

(١٢) نصف كلمة (تلبي) ـ من العلوم الدينية ـ مقيف ٠

(١٣) منحه ـ من عند الله ـ من الاقارب ٠

(١٤) كثيف ـ اشيد ـ تعصد ٠

(١٥) طبعة ـ لفظة الم ـ المبالغة ٠



الكمات الرأسية :

(۱) من سور القران الكريم ـ طمانينة ـ حرف استفهام ·

(۲) عاصمة افريقية ـ مصلح اجتماعي الماني شهير ·

(۳) قادم ـ اباه ـ لاهي ·

(٥) من العناصر الكيمائية ـ لهوء ـ في النار·

(٦) لفظة ضيق ـ تتفرد ـ حرف ابجدى ـ نصف (ناقة) ·

(۷) دار ـ من اللغات القديمة ·

(۸) فقيه ومفسر مالكي معروف ·

(۹) نصف كلمة (اتوب) ـ شدة الوجد ـ يوفر لنا الملاذ ·

(۱۰) قابلتْ ـ من الحيوانات ـ نصف كلمة (قالت) ـ عسى ·

(۱۱) منح ـ من الاقارب ـ ضمير ·

(۱۲) الذى لا يمكن تحقيقه ـ من اشكال التعبير الدرامي ·

(۱۳) يلتذ بتعذيب الاخرين ـ من الاعمال المعروفة لتوفيق الحكيم ·

(١٤) شجر مجتمع ـ اناضل ـ يقبل ·

(۱٥) البعيد المختفي ـ اماكن للعبادة ·

كوبون مسابقة
العدد ٢٤٢

مؤلف مسرحي عربي من أصل أرمني

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لاديب أرمني الاصل أقام في مصر واشترك في الحركة الوطنية ، ووضع روايات تمثيلية بالاشتراك مع سليم نقاش ٠ ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه٠

الكلمات الأفقية :

(١) من العلوم المدرسية ٠
(٢) من الغازات ٠
(٣) حيوان ــ اعترف ٠
(٤) يشعل ٠
(٥) دق ــ كلام خفيض ٠
(٦) اقارب ــ للتفسير ٠

الكمات الرأسية :

(١) الاسم الاول لشخصية نسائية أسيوية معروفة ٠
(٢) عاصمة أوروبية
(٣) نصف كلمة (حائر) ٠
(٤) في الزجاجة ٠
(٥) سهاد ــ حرف استفهام ٠
(٦) عمودي ٠

٦	٥	٤	٣	٢	١	
			★			١
■						٢
		★	■	▼		٣
	■	▼	★			٤
★			■			٥
▼		■			▼	٦

				▼

				★

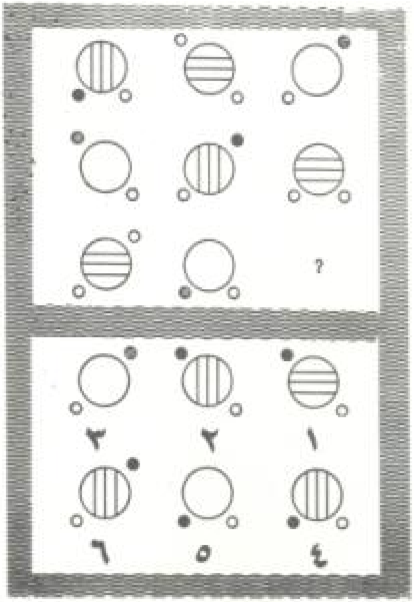
• بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسال :

ما عدد الأسرة الخالية ؟

فى احد المستشفيات ، كانت هناك ثلاثة عنابر للمرضى ، بها بعض الاسرة الخالية • من المعلومات التالية ، هل يمكنك ان تعرف عدد الاسرة المشغولة والخالية فى كل عنبر ؟

(١) عدد الاسرة فى العنابر الثلاثة ١٠٠ سرير
(٢) المرضى فى العنبر الاول عددهم يساوى الاسرة الخالية فى العنبرين الثانى والثالث •
(٣) عدد المرضى فى العنبرين الثانى والثالث يبلغ قدر كل الاسرة التى فى العنبر الاول •
(٤) عدد الاسرة التى فى العنبر الاول يساوى عدد الاسرة فى العنبر الثالث •
(٥) عدد الأسرة المشغولة فى العنبر الثانى يزيد بسريرين عن عدد الاسرة الخالية •
(٦) عدد المرضى فى العنبر الاول الزيد بثلاثة عن عدد المرضى فى العنبر الثالث •



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام •

الحلول

النجمة والسهم :

أديب اسحق •

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ٢ •

★ ★ ★

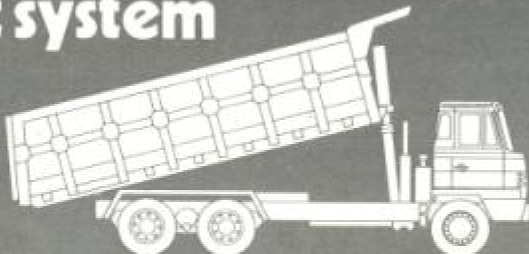
استاذ نبيه يسال :

فى العنبر الاول : ٢٦ مشغولا ، و ١١ خاليا • فى العنبر الثانى : ١٤ مشغولا ، و ١٢ خاليا • وفى العنبر الثالث : ٢٣ مشغولا ، و ١٤ خاليا •


باركر ١٨٠
PARKER
PARKER
180
أكثر أقلام
باركر نحالة
وتطورًا على
الإطلاق . ذو رأس
ثوري يكتب من
الجهتين زخرف بعدة
أشكال صقلت بالذهب
أو الفضة أو الفولاذ .
تتوفر جميعها مع قلم حبر
جاف وقلم ذو رأس طواف .
باركر ١٨٠ يقدم لك الجودة التي
لا تقدمها سوى أقلام باركر .

FODEN

the complete heavyweight transport system



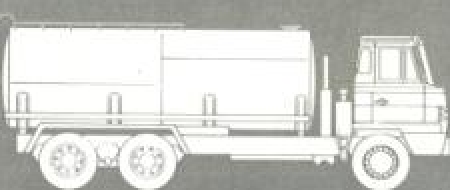
Super Haulmaster

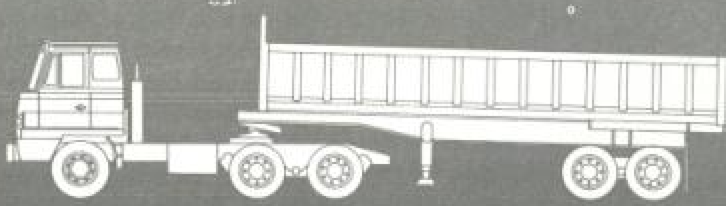
Versatile strength, power and performance. A 38 tonne rigid truck or a 3 axle, 65 tonne tractor unit. A complete transport system adaptable for tipper, mixer, tanker or trailer and special purpose duties; designed to take on the toughest haulage and construction jobs anywhere in the world and engineered for total reliability even under the most severe operating conditions. Rugged frame, 40 tonne axle capacity, a Cummins Formula E290 engine, Foden 8 speed gearbox and double drive bogie together with an all-steel day/sleeper tilt cab for supreme driver comfort and maximum serviceability.



نظام نقل كامل للأثقال

سوبر هولماستر





Please send me details on the Foden Super Haulmaster Export range

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works
Sandbach
Cheshire England Telephone 09367 3244
Telex: 36171 (Service), 36553 (Sales), 36163 (Admin.)

Name. . . . .

Position. . . . .

Company. . . . .

Address. . . . .

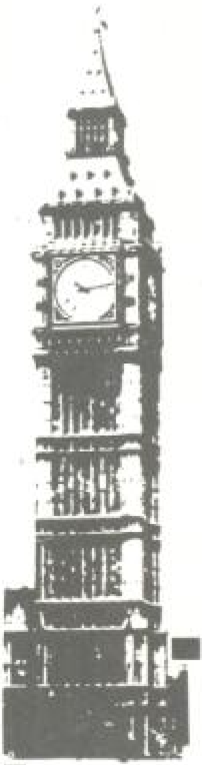
. . . .

For operation in. . . . .

IPS 1213/AA

ادّخروا مع لومبارد

جدارة بالثقة في جميع الأوقات



تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد في لندن ، وبجدارته بالثقة ، وبضمان محافظته على أموالكم في جميع الأوقات ، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع ، المصممة خصيصا لكي تجعل أموالكم تدر عليكم مدخولا أكبر ، نحن عضو في مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطيها ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة

ايداع لفترة معينة	اشعار — حساب الايداع
٪١١ — ايداع لحد أدنى ٣ سنوات مع دفع الفوائد كل ٦ أشهر أسعار فائدة أخرى من سنة إلى ٥ سنوات متوفرة حد أدنى للايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني	٪٩½ — اشعار مسبق ٦ أشهر قبل السحب تدفع الفائدة كل ٦ أشهر أو تضاف إلى الحساب حد أدنى للايداع ٥٠٠ جنيه استرليني

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل.

Lombard North Central

Bankers

إلى :

The Deposit Accounts
Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street,
London W1A 3DH, England. Tel: 01-491 7050.

ارجو ان ترسلوا لى تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ____________________

____

العنوان ____________________

____

العنوان المسجل Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England

K182

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٧٩

١١٢

العاصفة

تأليف : وليم شكسبير

دراسات بقلم : آرثر كويلر كوتش

: ج . ولسون نايت

تحقيق وتقديم : فرانك كيرمود

ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

عندما تتطلب الأفضل فقط جي سي بي



إن جي سي بي مؤسسة بريطانية ناضجة تمتاز بالثقة وبصنعة لمعدات البناء. وإن تراثها ومنجزاتها الفنية قد مكّنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة أنحاء العالم بالمقارنة مع شركات البناء ذات الجنسيات المشتركة.

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الجرافات الزاحفة الهيدروليكية، وباكهوات جرارات مفصلية ذات عجلات، وجرافات جي سي بي المرنة ذات الشهرة العالمية. تحتل المركز القيادي في أسواق أكثر من ٥٠ بلداً.

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية وتستعمل في أكثر من ١٠٠ بلداً.

ولكن نحن لسنا مغرورين لـ.. جي سي بي، فإننا نفخر بأن نقدم

تضم تشكيلة واسعة من جرافات جي سي بي المرنة، وجرارات ذات عجلات وجرافات زاحفة لتحريك كميات الأنقاض.

JCB

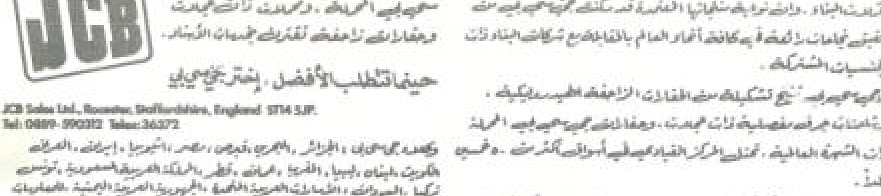
حينما تتطلب الأفضل، إختر جي سي بي

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

ولوكلاء جي سي بي في: البحرين، الجزائر، قبرص، مصر، أثيوبيا، إيران، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية، تونس، تركيا، السودان، الإمارات العربية المتحدة، الجمهورية العربية اليمنية، ... اتصل بـ...

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ...

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel: Athens 922 6718. Telex: 219314.



جرافات جي سي بي ذات العجلات ٤١٣، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٣٣ - تشكيلة أحجام من ١,٣ م مكعب إلى ٤,٦ م مكعب


سوني للرحلات
الآن يمكنك الاستماع الى الصوت
الواسع المجسم مع الجهاز النقال
سوني CF-590S. راديو ذو
اربع موجات (اف ام/متوسطة
قصيرة ١/ قصيرة ٢) ومسجل
كاسيت في آن واحد.
صوت مجسم رخيم بفضل
الاطار الخشبي. فالخشب
هو الذي يضفي على نظام
السماعات الرباعي
نفس خصائص الجودة
التي تتميز بها
السماعات المنفصلة.
كما هناك القوة الصوتية
(٢,٢ واط) وكل الاضافات
الالكترونية المتقدمة التي
تجعل من هذا الجهاز افضل
ما يمكن شراؤه
سواء اخذته معك
في الرحلات أو استمعت
اليه في المنزل، فإنك
تحصل على الصوت المجسم
الحقيقي بفضل الاطار
الخشبي. طبعا
إنه سوني
سوني
SONY
CF-590S



1 تلفزيون
شاشة مستوية قياس ٤ بوصات مع مظلة واقية من الشمس لكافة قنوات الترددات العالية جداً / والترددات فوق العالية VHF/UHF

2 ستيريو
جودة في المستوى والتركيب باتجاهين و ٤ مكبرات للصوت.

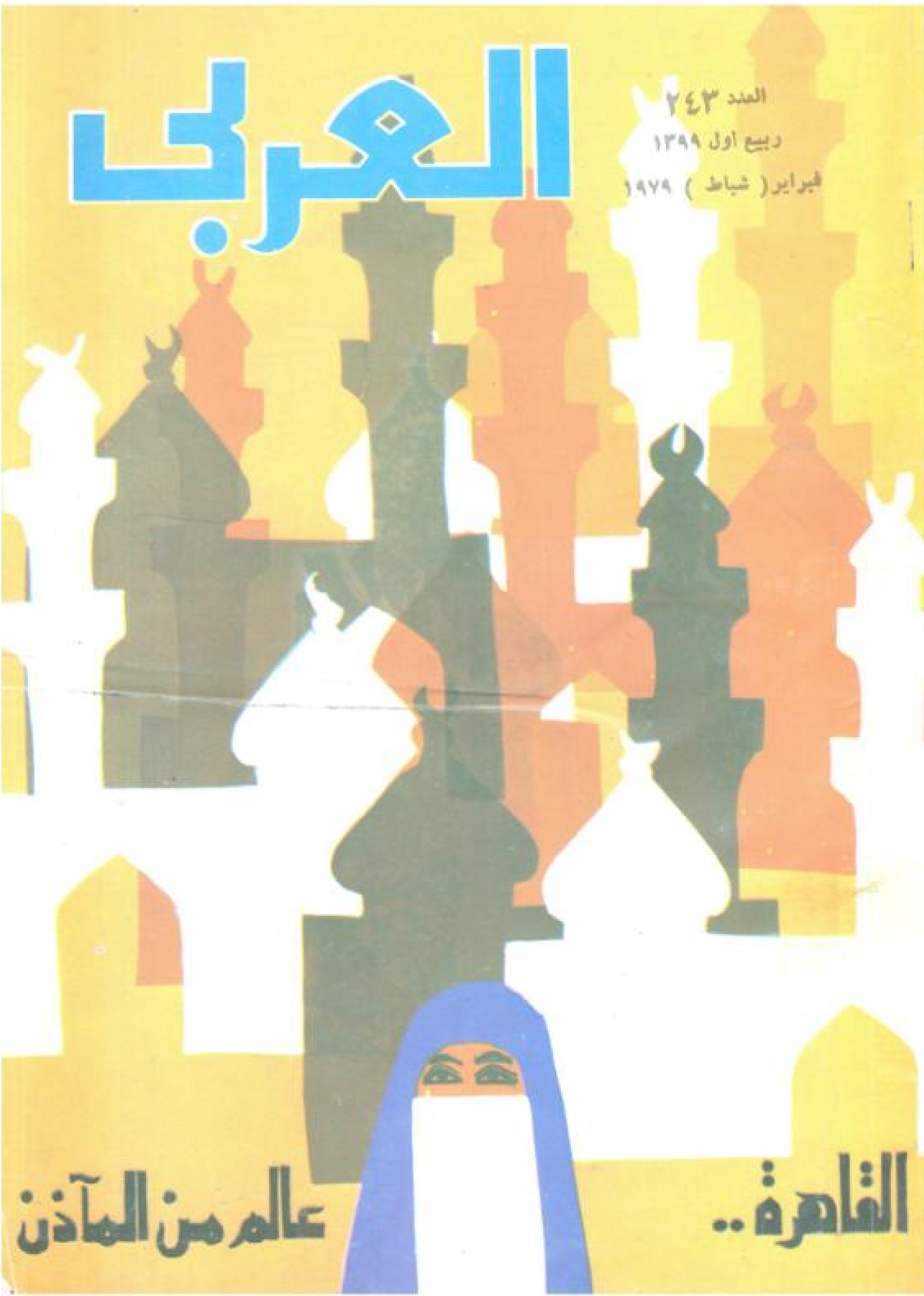
3 راديو
ستيريو بموجتي AM/FM مع آلية تحويل مراقبة الترددات الأوتوماتيكية AFC

4 كاسيت
ميكروفونين داخليين و ميكروفونين خارجيين.

5 نظام الأجهزة
مقابس خارجية لمكبر الصوت، مقبس للسماعة ونهايات توصيل داخلية وخارجية

توافق مثالي بين كافة هذه المصادر.. خفيف الوزن
للرحلات مع مزيد من الأجهزة تحت تصرفكم

SANYO سانيو


العربي
العدد ٢٤٣
ربيع اول ١٣٩٩
فبراير (شباط) ١٩٧٩
القاهرة..
عالم من المآذن

● نلسون .. تعلم القتال البحرى فى الخليج العربى ●

● لولا الصراع الدولي لامتدت السكة الحديد من اسطنبول الى الكويت ●

● عندما امرت انجلترا الكويت ان لاتبيع بترولها الا باذن منها ●

عزيزي القارئ

ملكة انجلترا تزور الخليج

فى اول رحلة لها الى البلاد العربية .. بدءاً من الكويت



تشهد الكويت هذا الشهر عاما جديدا في مسيرة استقلالها الوطني ، مثلما شهدت منذ ايام قليلة العام الثاني لولاية اميرها الشيخ جابر الاحمد الصباح ، ففي فبراير تمر الذكرى الثامنة عشرة لاستقلال الكويت .

وتصل فى ١٤ فبراير الحالى ملكة بريطانيا الملكة اليزابيث الى مطار الكويت على متن طائرة كونكورد ، وتبدأ اول زيارة لها للدول العربية بدءا من الكويت . وستستقل اليخت الملكي فى جولة تزور خلالها بقية اقطار الخليج .

وبين اصدار اللورد كيرزون نائب الملك في الهند الى الكولونيل ميد المقيم البريطاني في بوشهر تعليماته ليعرض على الشيخ مبارك الكبير عقد معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٩٩م وبين زيارة الملكة اليزابيث يمر قرنان من

الزمان توالت خلالهما الاحداث والذكريات المليئة بالصور التاريخية ـ التي شهدتها الكويت ..

فقد جاءت الامبراطورية البريطانية الى الخليج يدفعها تامين طريق الهند مع الرغبة في الهيمنة والتسلط، وتأتي الملكة بعد أن ذهبت الهيمنة وبقيت المصالح المشتركة .

وستتجول في هذه الرحلة الملكة اليزابيث في يختها الملكي بين موانىء الخليج . وهي صورة بعيدة عن الماضي يوم جاء الاسطول البريطاني ليحمي بواخر شركة الهند الشرقية والذي على مياهه بدأ اللورد نيلسون أعظم قادة انجلترا اولى خطواته واكتسب خبرته البحرية التي هزم بها نابليون .

زمان .. شهد الخليج العربي ذروة الصراع الدولي بين تركيا وبريطانيا .. فبعد أن كانت بريطانيا حريصة على ان تبقى العلاقات ودية مع الدولة العثمانية لتكون حاجزا بين المصالح البريطانية في جنوب آسيا وطموحات روسيا القيصرية في شمال القارة ، تخلت عن هذه السياسة عندما بدأت بوادر هذا التوازن في الاختلال مع نهاية القرن التاسع عشر عندما تحركت روسيا القيصرية بهدف الوصول الى المياه الدافئة وسارعت بريطانيا لعقد سلسلة اتفاقيات مع سلطان مسقط ومع شيوخ الامارات المتصالحة ، وبعد أن حصل الالمان في عام ١٨٩٩م على امتياز من الدولة العثمانية لمد خط السكك الحديدية من اسطنبول الى بغداد ونشطت الدبلوماسية الالمانية ليمتد الخط الى رأس كاظمة في الكويت ، وهنا تخلت بريطانيا عن تحفظها وسعت الى توقيع اتفاقية مع الكويت، وقعت في ٢٣ يناير عام ١٨٩٩م، ونصت على انها أبدية . ولكن هل هناك ما هو أبدي في الحياة ... ؟

يومها نظرت بريطاليا الى الكويت على أنها مجرد موقع هام ، واليوم تقوم بين



الملكة فيكتوريا من سنة ١٨٣٧ الى سنة ١٩٠١م .



رسم قديم لنموذج التاجر الانجليزي الذي بدأ دخول المنطقة



الشيخ مبارك الكبير حكم من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩١٥م .



هكذا جاءت اول الات لتنقيب على البترول تجرها البغال والحمير ··

بريطانيا والكويت علاقات متكافئة على أسس المصالح المشتركة ·

★ ★ ★

وتمضي الايام ويتم اكتشاف النفط ، ويتم الاتفاق بين الكويت وبريطانيا عام ١٩١٣م تفرض فيه بريطانيا أن لا تبيع الكويت قطرة من بترولها الا باذن خاص من بريطانيا ويحدث النفط تغييرات واسعة لم تكن متوقعة وقتها ، فبعد أن كانت الكويت ميناء بحريا هاما تتدفق منه واليه



سير ديكسون وزوجته ، الكويت سنة ١٩٢١م ·



مسز ديكسون في ثياب البدوية : مازالت تعيش منذ أكثر من نصف قرن حتى الان في الكويت



الشيخ عبد الله السالم
امير الاستقلال



الشيخ جابر الاحمد
الامير الحالي

البضائع من نجد والاحساء ويمتلك فيه بعض التجار اساطيل تتاجر مع الهند ، ويكتفي أهله بصيد اللؤلؤ والاسماك ، تبدأ الحياة الاقتصادية في التغير ، وتكشف قصة النفط عن معركة تميزت بالمراوغة الشديدة جرت بين كل من الشركات البريطانية والامريكية ٠

وهذه فيوليت ديكسون التي ما زالت تعيش في الكويت منذ اكثر من نصف قرن حتى اليوم والتي وصلت مع زوجها المندوب السامي البريطاني في عام ١٩٢٩م تعيد الي الاذهان تلك المعركة التي عايشت بعض جوانبها ، وقد صدر من ميناء الكويت في يونيو عام ١٩٤٦م اول شحنة تجارية من النفط الخام على الشاحنة البريطانية « فنسلر » ومنذ ذلك الوقت والنفط يتدفق من موانيء الكويت، واصبحت الكويت في عام ١٩٥٥ ثاني دولة مصدرة للنفط بعد فنزويلا٠ والدولة الرابعة المنتجة للنفط في العالم وبعد صراع طويل خرج النفط من هيمنة العواصم الغربية التي أصبحت تترقب بقلق اجتماعات الدول المصدرة للنفط ٠

والان ٠٠٠ تقوم العلاقات بين الكويت وبريطانيا على أساس متكافيء ، بعد أن عززت الكويت دورها كبلد له موقفه القومي الثابت وله رؤيته المستقلة وكبلد لا تشغله مسئولياته الخارجية عن الاستمرار في خوض معركة البناء والتنمية ، والدلالة الهامة لتجربة الكويت انها تؤكد بقوة ان قيمة اى بلد وحجمه يرتبطان أشد الارتباط بحجم الدور الذى يختاره هذا البلد لنفسه والقيم التى ينحاز الى جانبها ٠

وتبقى الكويت بلدا كبيرا بموقفه وبتجربته المثيرة ٠٠٠

■■

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

شخصيات :

اسلاميات :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 243 Fabruary 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

هذه اللوحة للفنان بهجت عثمان ، قدم بها رؤيته لاحد اوجه القاهرة ، باعتبارها مدينة للمآذن ، التي تشق هاماتها عنان السماء فى كبرياء وجلال ـ انظر دراسة المآذن على الصفحات (٥٢ ـ ٥٩) ٠

تربية وعلم نفس :

ادب :

تاريخ :

فنون :

كتاب الشهر :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

« عندما هزم شارل مارتل الفرسان العرب فى بواتييه سنة ٧٣٢ ، بدأ تراجع الحضارة العربية أمام الهمجية الاوربية »

اناتول فرانس
في كتاب « الحياة بالزهور »

استعمار التاريخ..

بقلم : أحمد بهاء الدين

● يبدو انه لايوجد فى عالم اليوم مفكر واحد راض ، او متفائل . ولا نتحدث طبعا عن اولئك « الكتبة » لا « الكتاب » الذين يملأون الصحائف كل يوم اما بتملق حكامهم او بتملق قرائهم او بتملق انفسهم . هؤلاء الذين يعيشون بالغرائز لا بالمشاعر . بالنقل لا بالعقل ربما كانوا احد اوبئة الحضارة التى جعلت النشر سهلا واسعا ميسرا ولم يعد « بابا ضيقا » كما كان الامر فى الماضي عندما كان لا يظهر الا الجديرون ، الذين يشقون ويتعبون ويرهقون الناس معهم ، عملا بكلمة الانجيل « اجهدوا للدخول من الباب الضيق » .

وليست هذه الظاهرة ولا هؤلاء « الكتبة » هم موضوع حديثنا هذا . ولكن العذر هو ان المرء يضطر احيانا وهو يتحدث الى ان « يهش الذباب » ! ..

●

ومن هذه الارواح القلقة ، التى يفيدنا قلقها خصبا ومعرفة وتأملا ، مفكر فرنسى لاعماله صلة وثيقة بالعصر كله من جهة ، وبعالمنا العربى بالذات من جهة اخرى ، وهو روجيه جارودى .

كان روجيه جارودى معظم حياتـه عضوا فى الحزب الشيوعـي الفرنسي ، حتى صار اهم مفكريه ، واشهر اعضاء قيادته المتمثلة فى المكتب السياسي ، ولكنه بدا تحت وطأة صدمات العصر الحديث ومطارق العلم ودوار التغيير السريع .. بدا يعيد النظر ، ويقلب الفكر ، ولم يكن هذا

والحوار بين الحضارات!

حديث عن الماضي، من أجل الحاضر والمستقبل

مما يتسق مع وضعه القيادى في حزب حديدى، ففصل من الحزب الشيوعي الفرنسي، بعد محاكمة «فكرية» شهيرة ..
وقد اصدر بعدها كتابا احدث ضجة واسعة، اذ سجل نقطة خلافه الاساسية مع الفكر الماركسى التقليدى عنوانه البديل L'Alternative



روجيه جارودى

ولكن قضايا هذا الكتاب ليست موضوع هذا الحديث .
ولكن موضوعنا هو ثلاثة كتب اخرى له، متكاملة او متداخلة :
اولها : كلمات انسان
Parole D'Homme.
وثانيها : من اجل حوار بين الحضارات .
Pour Un Dialogue Des Civilisation
وثالثها (وقد صدر اخيرا) : كيف يصبح الانسان انسانيا ؟
Comment L'Homme Devient Humain.
والكتاب الثالث لم يصلنا بعد .
ولكن بين ايدينا اجزاء كثيرة نشرت

منه ، ومناقشات دارت حوله الى جانب الكتابين الاولين ...

ببساطة شديدة يقول الكاتب المفكر الفرنسي لجمهوره الغربي : ان كل مصائب الدنيا مصدرها ان العالم الغربي يظن انه صاحب الحضارة العظمى ومصدر كل التقدم في هذه الدنيا لمجرد انه ـ اليوم ـ هو الاقوى، وهو المصدر ...

ويطلق جارودي صيحة اذهلت مواطنيه : ان الغرب مجرد صدفة ! ... L'occident Est Un Accident ! فالغرب ليس تعريفا جغرافيا ، ولكنه تلك المجموعة من القيم والقوى والثقافات والماديات التي تميزه كحضارة متقدمة في عصرنا الراهن .

ولكن حضارة الغرب لم تولد من العدم . ولكنها كاى شيء له اصل وله جذور .. ولو نظرنا نظرة صحيحة فاحصة الى كل ما لدى الغرب اليوم ، وما يشعه على العالم ، من افكار ومبادىء ونظم وفنون وماديات ، فسنجد له جذورا في حضارات اخرى ...

ثم ان الغرب ـ كحضارة حديثة ـ عمره لا يزيد عن مائتي سنة ! ومع ذلك فهو يبدو على وشك ان يجر العالم الى الهلاك بمخترعاته الذرية واستخداماته للقوة الغاشمة .

فهو لم يثبت بعد قدرته حتى على البقاء زمنا طويلا . لان حضارة المصريين القدماء ، عاشت زاهرة ثلاثة آلاف سنة . ولان حضارة الصين عاشت الفين ـ لا مائتين ـ من السنين !

وبالتالى فهو يرى ان الحضارة الغربية قد اثبتت انها عاجزة عن قيادة العالم .

والحل هو « اولا » ان تدرك هذه الحضارة الغربية حجمها الحقيقى بين حضارات العالم الاخرى . و « الثاني » ان يقوم حوار بين الحضارات، تتبادل فيه مفاهيمها ومثلها وقيمها وتجاربها ، وعلى قدم المساواة ، حتى يصبح ممكنا ان يعيش العالم في سلام ...

ولكن ، متى بدأ روجيه جارودي الفرنسي ، الماركسي ، هذا الانعطاف الهام ؟

يقول ردا على ذلك : انه تدرج في نفسه طويلا وببطء . وبدأ بلقائه الاول بالحضارة العربية الاسلامية .. « بدأ اهتمامي الاول بهذا الموضوع سنة ١٩٤٧ حين اصدرت كتابا صغيرا بعنوان « محاولة تاريخية لفهم الحضارة العربية » .. وقد اسعدني أن أعرف ان بعض الشباب الوطني في مصر ترجمه وقدمه لجمال عبد الناصر . ولكن ، سبق الى قبل ذلك حادث لا أنساه ابدا : في سبتمبر ١٩٤٠ ، خلال الاحتلال الالماني لفرنسا ، كنت شيوعيا اعمل في المقاومة ضد حكومة فيشى ، فالقى القبض على وارسلوني الى معسكر اعتقال عند واحة « غرداية » في قلب صحراء الجزائر الكبرى . وبعد وقت قصير ، قمنا بحركة تمرد في المعتقل ، وامر الضباط جنودهم الجزائريين باطلاق النار علينا وقتلنا . كان عمرى

سبعا وعشرين سنة . ولكن الجنود الجزائريين العرب رفضوا اطلاق النار . فانا عشت بعد ذلك بفضلهم » .

ويقول جارودى : انه ليس اول من قال بهذا الراى ، وان كان هو قد عكف على شرحه وقرر جعله موضوع ما تبقى من حياته ..

ثم يذكرنا بكلمة قالها الكاتب الفرنسي الشهير « اناتول فرانس » :

« ان اهم تاريخ فى حياة فرنسا هو معركة بواتييه سنة ٧٣٢ ميلادية ، حين هزم شارل مارتل جيوش الوالى عبد الرحمن ، ففى ذلك التاريخ بدأ تراجع الحضارة العربية امام البربرية الاوروبية ! »

ويروى جارودى انه استشهد بهذه الجملة فى محاضرة له فى تونس سنة ١٩٥٥ . وكانت تونس ما تزال تحت الاحتلال الفرنسي . وفى اليوم التالي طردته السلطات الفرنسية من تونس بتهمة قيامه بدعايات مضادة لفرنسا !

●

ويشرح روجيه جارودى فى اسهاب لماذا يعتبر « الغرب .. صدفة » .. فى كتابه « حوار بين الحضارات » .

واذا رجعنا الى قول « بول فاليرى » ان الغرب قد صنعته ثلاثة عناصر :

اخلاقيا : المسيحية ، والكاثوليكية بالذات .

سياسيا وقانونيا : روما وقوانينها .

فكريا وفنيا : الاغريق ..

فانه يمكن القول ان المسيحية ولدت فى آسيا ، وان حضارة الاغريق والرومان ولدت فى حجر البحر الابيض ، وبتاثير شديد جدا من شواطىء افريقيا وآسيا .. فكلها عناصر « شرقية » ، خارج « الغرب » بمعناه المعاصـر ..

ويقول جارودى ان حضارة اوروبا نبتت جذورها كلها لاول مرة فى افريقيا واسيا : وبالتحديد فى مصر ، وبلاد ما بين النهرين (العراق) ..

فروح حضارة الغرب ومنطلقها هو التوجه نحو سيطرة الانسان على عوامل الطبيعة ، وعلى ذاته واعلائها ..

ولكن فى بلاد ما بين النهرين ، ومنذ خمسة آلاف سنة قبل « الياذة هوميروس » ، يرفع الستار عن اسطورة « جلجامش » . التى تتحدث عن مارد ثلثه انسان وثلثاه اله ، ظهر فى مدينة « اور » بعد الطوفان ، ورحل الى ارض الانهار الخمسة ، حيث تجرى الاسطورة متحدثة عن كل اشواق الانسان الى تحدى الطبيعة والسـيطرة عليها ، وتجاوز امكانياته كبشر .. فمنذ اربعة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح ، كان « فاوست » الذى الفه « جوته » واتخذ رمزا لروح الغرب ، قد ظهر فى اسطورة « جلجامش » .

وحين سئل جلجامش فى الاسطورة العراقية القديمة « ولماذا تحاول



لوحتان من كتاب « دراسة في التاريخ » لارنولد توينبي ، وقد كتب عليهما : اشتهر المسلمون بالتسامح بينما حفل تاريخ اوروبا المسيحية بالاضطهاد الديني ... ، وهذه لوحة من محاكم التفتيش والاعدام في اسبانيا ، ولوحة اسلامية عن علماء مسلمين يناقشون ممثلي المسيحيين في هدوء .

المستحيل ؟ » رد قائلا « اذا كان هذا الأمر لا تجوز محاولته ، فلماذا اتقدت في نفسى نار القلق والرغبة فيه ؟ » .

ذلك هو اساس كل حضارة الغرب ، التى تناقلها بعد ذلك فلاسفة الاغريق حتى اوصلوها الى اوروبا .

اما « الجرثومة » الاخرى للفلسفة الاغريقية التى ولدت في فينيقيا وكريت وخصوصا عن طريق افلاطون فنجدها في مصر .

فالفلاسفة والمؤرخون الاغريق تأثروا تأثرا كبيرا واعجبوا اعجابا عميقا بمصر القديمة . وفكرة افلاطون التى الهمت اوروبا عن الدولة



الفاضلة التى تجمع بين الاستقرار السياسي والديمقراطية الحية ، كان وحيه فيها من مصر ، الهمت مصر كل تجارب الاغريق .

فلو فحصنا ما انجزه الاغريق .. بدءا من فن النحت الى الفلسفة الى السياسة نجد تأثرهم العميق بمصر وتمثلهم الدائم بها .

ويضرب جارودى المثل بثلاث « مساهمات » مصرية قديمة اساسية فى تراث الانسانية كلها :

الاولى : اسطورة اوزوريس الذى يقاوم الطبيعة فيمزقه اعداؤه الى قطع ينثرونها فى الوادى كله ، ثم تجمعه من جديد . موجهة بفكرة

البعث ، اخته ايزيس بحبها ودموعها عبر سنوات المعاناة الطويلة ، فهى اول حديث عن رموز العلاقة اللانهائية بين الانسان ، والطبيعة والآلهة ..

والثانية : « كتاب الموتى » ، ثم صراع الفراعنة التاريخي ضد الموت بفكرة اقامة مبان تدوم اذا فنى الانسان ، وتسجل طابعه وعمله دهورا بعده ، كالاهرامات وقبور وادى الملوك وهى فكـرة جوهرية فى حضارة الغرب .

والثالثة : اخناتون الفرعون الذى مات فى الثلاثين من عمره بعد ان اكتشف اول فكرة انقلابية فى التاريخ وهى عقيدة التوحيد ، بعد تعدد الآلهة التى نجدها بعد ذلك فى فلسفة الاغريق وفى التوراة .

ويضيف جارودى فضلا ثالثا الى اخناتون ، فيقول انه اول من رفع المراة ، فبدت فى تماثيله جالسة على حجره ، وقد نقش على الجرانيت اول قصائد حب .

« هكذا نجد جذور الغرب وقد تشكلت فى مصر وبـلاد مـا بـين النهرين : صراع الانسان ضد الطبيعة للسيطرة عليها ، ونضالـه لكـى ينفرد من بين كل المخلوقات بصفاته ، وبقدرته على التفكير المجرد .. وكل محاولة لقطع جذور الغرب عن جذوره الشرقية لا تؤدى الا الى افقار الانسان . »

اما ما تسميه كل المراجع « عصر النهضة » فى اوروبا فهو عصر نمو الراسمالية وبدء الاستعمار . هو بداية صعود الغرب ولكنـه كـان بداية تدمير هذا الغرب نفسه لحضارات اخرى ارقى مـن حضـارة الغرب .. سواء فى علاقة الانسان بالله ، او علاقة الانسان بالطبيعة او فى علاقة الانسـان بالمجتمع .. وهي العناصر التى تحدد رقـى اى حضارة ...

وقد فعل الغرب ذلك عن طريق شىء اساسى وهو : تفوقه فى استخدام القوة العسكرية دون اى نوع آخر من القـوى ذات العلاقـة بالتقدم والرقى .

ويحلل جارودى حضارة الغرب الراهنة ـ السائـدة ـ تحليلا فلسفيا طويلا ، نحاول تبسيطه فى قوله اولا : ان تاريخ الانسان يتلخص فى ثلاث مراحل :

الاولى : مرحلة سيطرة الطبيعة على الانسان .. اي حـين كان الانسان يصارع عن مركز ضعفه ضد قوى الطبيعة الاقوى منه .

الثانية : مرحلة سيطرة الانسان على الطبيعة .. وهى حين نجح الانسان فى التقدم بدرجة سمحت له باستئناس الطبيعة الى حد كبير بما اوتى من عقل وعلم وحضارة .

والثالثة : وهى التى نعيشها حاليا ويسميها « مرحلـة محاولـة

سيطرة الانسان على نفسه » ذلك ان الانسان بما وصل اليه من تقدم وعلم وصناعة اطلق قوى تدميرية هائلة من عقالها باتت تشوه حياته وتدمر بيئته ومقوماته وتهدد وجوده ذاته والنتيجة فى هذا الصراع الاخير مشكوك فيها !

والمرحلة الثالثة ، مسئولة عنها حضارة الغرب ، بتخليها عن القيم المشتركة مع الحضارات الاخرى والمستلهمة منها .

وباسلوب آخر .. ان حضارة الغرب قامت من ثلاثة منطلقات .

اولوية العمل كقيمة اساسية (« والعمل » كما يقول تقليد بورجوازى وقيمة اشتراكية) .

واولوية العقل بوصفة اداة حل كل المشاكل والردعلى كل الاسئلة

واولوية كاسماء هيجل « باللامتناهى » .

ولكن هذه القيم تحولت وشوهت بحيث ركزت كلها على الذكاء .. ولم تترك مجالا للحب ، والشعور ، والضمير ..

والاولويات الثلاث صارت اثقالا ، لا حوافز ..

قيمة العمل تحولت الى خضوع الانسان للاستهلاك .

قيمة العقل تحولت الى خضوع الروح للذكاء .

وقيمة اللامتناهى تحولت من الكيف الى الكم .

والمسئول الوحيد الذي يطرحه الان الانسان على نفسه كل ساعة ازاء اى مشكلة او موقف هو : « كيف » ؟ .

ولم يعد احد يسال ابدا السؤال الاكثر اساسية وانسانية وهو : « لماذا ؟ » .

وفى فصل هام عن « الفرص الضائعة » يتحدث جارودى فى اسهاب عن ضياع فرص تاثر الغرب باطراد وتواصل الحضارات الاخرى . وقد يكفى هنا ان نضرب مثلا بحديثه عن حضارتنا العربية .. وعن تزوير الاستعمار الغربى للتاريخ بتصويره التوسع العربي ، منذ القرن الثامن الميلادى ، على انه موجة من موجات « البربرية الاسيوية » التى هددت الغرب !

هذا فى حين ان الغزاة الانجليز والفرنسيين والاسبان هم الذين دخلوا ارض الاسلام مدمرين للحضارة العربية فى كل اشكالها ..

« .. ان ما يسميه الغرب « بغزو اسبانيا » لم يكن غزوا عسكريا فقط كغزوات الاوربيين فاسبانيا كان فيها من السكان عشرة ملايين ولم يدخلها من الفرسان العرب اكثر من خمسين الف فارس .. ولو كان الامر حربا فقط لما نجحوا . ولكن تفوق حضارة على اخرى كان هو عنصر النجاح الساحق » .

« وما فعله العرب فى اسبانيا يجعلنا نفهم ما فعله ماوتسى تونج فى الصين » ! ! اتى بنظام اجتماعي ارقى . حرر العبيد وانهى الرق

وسوى الحقوق ودعم النظام . وعلى انقاض الفوضى الاقطاعية اقام العرب اعظم مساقط المياه فى ذلك العصر واغنى البساتين القائمة الى الان .

« وما رايته فى تونس .. من آثار عربية قديمة تدل على سابق الازدهار .. ومن واقع ـ خلال الاحتلال الفرنسي ـ ينم عن الافقار والدمار .. يعطينا صورة ساطعة عن الفرق بين حكم الاغالبة فى شمال افريقيا ، وحكم الفرنسيين .

« الحضارة التى زرعها العرب عندنا فى اوروبا وبالقرب منا فى افريقيا تمتد جذورها الى الشرق فى اسيا . وحين سافر الفرنسي « جيربر » الى معاهد الشرق وعاد حاملا علومه قال الناس فى اوروبا انه قد اتصل بالجن لكثرة معارفه ! وبعد قليل جعلوه بابا على روما باسم البابا سيلفيستر الثانى .

« ونحن مدينون للعرب باول كليات الطب . واولها كلية الطب فى مونبليه الفرنسية . وحتى القرن التاسع عشر كانوا يدرسون فى جامعات فرنسا وانجلترا باسهاب علوم الطب العربية ، ومؤلفات الرازى ..

ولكن منذ انتصار شارل مارتل على العرب فى بواتييه تكونت لـدى اوروبا عقدة اسمها « حماية الحضارة الغربية من البرابرة ! »

ان كتب التعليم تلقن الاوروبيين منذ طفولتهم ان بواتييه كانت نقطة تحول اذ طردت الهمج عن اوروبا المتحضرة . وهذا هو استعمار التاريخ بعينه . فالواقع هو العكس . فهزيمة العرب ضيعت علـى فرنسا واوروبا فرصة الالتقاط المبكر لحضارة العرب .. واخرت اوروبا عشرة قرون على الاقل .. حتى بدأت اوروبا ترى النور بعد القرون الوسطى !

●

ولست هنا فى مجال الاستشهاد باقوال جارودي عن مآثر العرب ، وقلب اوروبا لحقائق التاريخ ، او استعمار التاريخ كما قال بحق ، فالامثلة كثيرة ..

ولكن المهم انه يستشهد بنفس الاسلوب بحضارات اخرى غير الاسلام ، اهمها الصين . وعـدم الاستفادة منهـا . انها فكـرة عـداء الحضارات لا تكاملها ..

المهم هو المشروع الذى نذر جارودى ما استقبل من حياته له وهو :

نزع استعمار التاريخ ، وتصحيحه ..

واقامة حوار بين الحضارات كلها .

وبكلماته « كيف يمكن بناء تاريخ لا تحتكره حضارة واحدة ؟ »

انه يرى فى هذا المشروع الخلاص الوحيد للبشرية من خطر الفناء فهل نشاركه هذا المشروع ؟

احمد بهاء الدين



صقر الرشود

كاتبًا مسرحيًا

بقلم : الدكتور علي الراعي

فى شهر ديسمبر الماضى فجعت الكويت : شعبها، وفنانوها ومثقفوها بوفاة فنان المسرح الكويتى المتعدد المواهب : صقر الرشود .

كان الرشود مخرجا وكاتبا مسرحيا ، ومثقفا واعيا بحاجات بلاده فى الكويت وفى الخليج وفى الوطن العربى كله . وكان يسمع بأذنيه الفائقتى الحس نبض الشعب العربى فى كل مكان . وكان دافق الآمال ، عريض الافق ، فسعى الى زرع بذرة المسرح فى باقى اقطار الخليج العربى بعد ان شارك فى استنباته وقام على ازدهاره فى بلده الام : الكويت .

والمقال التالى يقدم تقييما لاعمال صقر الرشود المسرحية فى الفترة التى انتهت بتعاونه اللاحق مع كاتب المسرح الكويتى المرموق عبد العزيز السريع ، شريك الرشود فى كفاحه، وآماله واحلامه .

يتنقل التاليف المسرحى فى الكويت نقلة واضحة الى الامام حين نقرا او نشاهد ، اعمال الكاتب والمخرج المسرحى « صقر الرشود » الذى كتب مسرحيات : « انا والايام » ، (١٩٦٤) والمخلب الكبير (١٩٦٥) و « الطين » (١٩٦٥) و «الحاجز» (١٩٦٦) ، قبل ان يشارك صديقه وزميله فى الفن المسرحى ، الكاتب عبد العزيز السريع ، كتابة بعض من اهم ما قدمت فرقة مسرح الخليج من اعمال .

كان الرشود قد كتب مسرحيتين من قبل ،

اولاهما . « تقاليد » المسرحية المكتوبة الوحيدة بين مسرحيات المسرح الشعبي المرتجلة الاساس، وقدمت عام ١٩٦٠. وفي العام التالي كتب صقر الرشود مسرحيته الثانية : « فتحنا »

ومن الملخص الذي كتبه صقر الرشودبنفسه لاحداث المسرحيتين ، نجد انهما تتعرضان لموضوعين هامين من واقع حياة الكويتيين . الاولى تحكي عن الصراع بين الكويتي الذي طرا عليه الغنى ، وهو بلا حسب ولا نسب ، يتقدم الى اسرة فقيرة عريقة الاصل ، طالبا يد ابنتها . وهو صراع ينتهي بانتصار الغني وفوزه بالفتاة الفقيرة العريقة .

اما المسرحية الثانية ، فقد عالج فيها صقر الرشود موضوع تفكك الاسرة في الكويت المعاصرة، فقدم اسرة كويتية الام فيها تؤمن بالزار ومزاياه العلاجية ، وتكلف زوجها نفقات باهظة في اقامة حفلات الزار . والابن الاكبر لهذه الاسرة فاشل في دراسته وفي حياته العملية من بعد . والابن الاوسط هو الوحيد الذي يسعى الى ان يبني نفسه ويصنع مستقبله ، بينما تقبع الابنة حبيسة جدران البيت وسجون التقاليد .

ثم يحدث ان يضرب الابن الاكبر اباه ، ويسرق امواله ويهرب بها خارج البلاد لينفقها على ملذاته وعلى اخوان السوء ، حتى يفلس ولا يجد من يرحمه الا طالبا كويتيا يدرس بالخارج يدفع عنه ثمن تذكرة العودة الى الكويت .

ويعود الابن الضال ليجد امه قد فقدت بصرها كمدا ، عقب هرب الابن ووفاة الاب . ويجد الابن الاوسط يعمل من اجل انقاذ اسرته . وحين يعود الضال ، تائبا ، نادما ، يعود البصر الى الام وتنتهي احداث المسرحية .

ونلاحظ على الفور ان الاحداث في المسرحيتين تدور حول محور واحد ، هو : الاسرة وما طرا عليها من مشاكل بعد ظهور النفط ، وما جره الثراء المفاجيء على الاسرة الكويتية من مشاكل، وما احدثه في قيمها الاجتماعية والاخلاقية من اختلال .

وسنجد صقر الرشود في مسرحيته التالية : « المخلب الكبير » ، (١٩٦٥) لا يزال مشغولا بهموم الاسرة الكويتية المعاصرة ، وخاصة هموم النساء فيها عامة ، والبنات على وجه الخصوص.

و « المخلب الكبير » هو موضوع لوحة معلقة على جدار احدى الغرف التي تسكنها عائلة ابو خليفة . وهي تصور قطا اسود يضرب بمخالبه حمامة بيضاء . والرشود يستخدم هذه اللوحة كنوع من التعليق على ما سوف يتوالى في المسرحية من احداث .

ان القط يرمز الى البطش ، والحمامةالبيضاء ترمز الى ضحايا هذا البطش من الابرياء . وبالمسرحية رمز اخر مالوف في عديد منالاعمال المسرحية والسينمائية وهو : الطير المسجون في قفص .

يمثل جانب البطش في المسرحية اب غليظ الطبع ، قاسي الفؤاد هو ابو خليفة ، كما يمثله ايضا ابنه خليفة الذي لا يقل عن ابيه قسوة ولا تعنتا .

والاب ثري وبخيل ومتدين متزمت في دينه ، لذا نراه يصر على ان يزوج ابنته منيرة ، الفضة الاهاب من عجوز في سن ابيها ، لانهمتدين مثله ، بينما ينكر على ابنته محاولاتها الحصول على موافقته على الزواج ممن تحب ، وهو ابن عمها ناصر .

وتحاول الام : « سارة » ان تسند طلبابنتها، ولكن محاولاتها تذهب ادراج الرياح ذلك انها هي نفسها احدى ضحايا المخلب الكبير . وهي ضعيفة بازاء زوج يرى ان لا حق لاحد من اهله بنتا او ولدا او زوجا في ان يابى الانصياع الى رغباته . ولذا فان الاب يستاثر بالسلطة كلها ويقع في صراع دائم مع اولاده وزوجه . يتهمهم بالكفر والطمع ، والرغبة في قتله بالسم حتى يرثوا ما عنده من الاف الدنانير .

ويقوم في المسرحية صراع عات يصل الى حد استخدام المسدس ، يصوبه الاب نحو ابنه ، الذي طرده من البيت ولكنه عاد مصرا على ان يبقى فيه ، رغب الوالد ام اعترض

وينتهي هذا الصراع حين تضغط البنت«منيرة» زناد المسدس فيقتل اخاها خليفة ، وتنتهي احداث المسرحية على نغمة حزينة مؤسية .

ويلفت النظر في المسرحية تلك الصورة المؤثرة

التي يرسمها المؤلف ببراعة لاحوال الراتين وشدة وطأة القهر عليهما . انه ينشيء علاقة تماثل بين قهر الوالد والاخ الاكبر لهما ، وبين مخلب القط الذي ينشب في حمامة بيضاء .

وهو يعرض حالة الزواج غصبا مرضا انسانيا عطوفا ، تكون من نتيجته ان تبرز منيرة ، الابنة المقهورة ، بروائز مقنعا ، يجند لها عواطفنا واحساساتنا .

يوازن رشود صورة القهر الذي يصبه الرجلان على الراتين ، بصورة اخرى اكثر تفهما وعطفا ، هي صورة الاخ التالي لخليفة ، واسمه وليد ، وهو متفهم لمشاكل اسرته وخاصة منيرة ، التي له وحده تفتح مغاليق قلبها .

والمسرحية بعد هذا تفعل ما كان يفعله كتاب المسرحية المعاصرة لكي يثروا اعمالهم الواقعية ، فتراهم يتخذون وسيلة الرمز المركزي اداة لاثراء المسرحية الواقعية المحدودة الاعماق بحكم نوعها وطريقة علاجها للاحداث ــ يثرونها برمز مركزي يلخص المسرحية ويعلق عليها . فعل هذا ابسن في مسرحيات مثل « بيت الدمية » و « البطة البرية » وفعله تشيخوف في : « بستان الكرز » وفي « طائر البحر » وفعله برنارد شو في « بيت القلوب المحطمة » .

ويبدو من تصفح اعمال الرشود المقتبسة والمكونة انه اطلع اطلاعا بارزا على ادب الغرب المسرحي ، وافاد منه في اعماله .

وفي المسرحية التالية « الطين » (١٩٦٥) وهي في نظري اقوى اعمال صقر الرشود يعالج الكاتب ايضا مشكلة النساء الشابات بازاء الرجال الطاعنين في السن .

فهذا هو الرجل العجوز فهد ، قد تزوج من شابة من سن ابنته اسمها وفاء . بينما تزوجت ابنة فهد المسماة مريم وهي دميمة الخلقة من شاب وسيم تتمناه كل البنات زوجا ، تزوجها طارق وهذا اسمه ــ طمعا في مال ابيها ، ومريم تعلم هذا ، وتعرف انها اشترت لنفسها زوجا ، وان هذا الزوج لا يحبها ولكنها تصبر عليه وتحبه ولا تريد فراقه .

ويحدث من بعد ، ما يحدث عادة لزوجة شابة قد تزوجها رجل يسعى الى القبر فتحب الزوجة طارقا وتقضي معه الليالي ويروح هو ــ من جانبه ــ يحرض الزوجة على ان تقتل زوجها بالسم البطيء ليخلو لها وجه عشيقها ، ولعلهما اذ ذاك يتزوجان .

غير ان وفاء ــ الزوجة الشابة ــ ترفض الانسياق في هذا التيار ، وتستمر فيما كانت تفعله من قبل من عشق لسائقي سيارات زوجها ، وغيرهم من رجال ، وتنبذ طارقا وترفع راسها متحدية اياه ، مذكرة له انها انسانة ذات ضمير . وفيما يهددها بافشاء اسرارها لزوجها ولابيها مما يناديها زوجها من الطابق العلوي فتذهب اليه وهي تسخط ، ويخلو الجو لمريم فقد صرحت لزوجها بانها تعلم بما يدور بينه وبين زوجة ابيها .. ويتعاتبان طويلا ، وتعترف مريم انها لا تزال تحبه ، رغم ضربه اياها ، ولكنها لا تقبل أن يخون هواها مع زوجة ابيها ، ولاترضى للاب بان يتلوث شرفه على كبر .

وفجأة تنزل وفاء اليها وتعلن أن زوجها قد مات . مات منتحرا ومن ثم تغادر وفاء البيت غير مترددة ، ويترك طارق تحت رحمة شخصية تلفت الانتباه هي شخصية رجل عجوز اسمه مرزوق ، كان يعمل في خدمة الاسرة من زمن بعيد ، خدم والد فهد ، وخدم فهد من بعد ، فله نوع من الولاية على الاسرة . وهو يكره طارق ويسأل وفاء ان كانت قتلت زوجها كما اوصاها الشيطان طارق .

ومرزوق هذا هو صوت المسحوقين الذين يموتون من الكد والشقاء . كي يثرى اناس غيرهم على حسابهم . كما يقول هو : انه يعطي الغير السميد ، فيعطونه الطين يسمون به حلقه ، وكلما حاول ان يحصل لنفسه على سميد تحول السميد الى طين ، لغيره الثراء والجاه والبيوت المبنية ــ بناها هو وابوه وغيرهما من الكادحين وله ولامثاله الطين ــ ومن ثم عنوان المسرحية .

وبفضل هذه الصرخة الحرى التي تفيض شكاة واسى من اجل مرزوق وامثاله ترتفع المسرحية درجات كثيرة في سلم التعبير ، انها تتناول بالنقد اللاذع احوال السادة وتفضح ظلمهم وتعطي الفرصة للمسحوقين كي يسمعوا العالم اصواتهم وحين يموت فهد يقول مرزوق لابنته مريم في سخرية

لاذعة : عظم الله اجرك . ليس من اجل ابيك ، ولكن من اجل طارق الذى فقدته منذ الان ! .

ومرزوق لا يخفى كرهه لطارق ولا حنقه على مخدومه فهد الذى مات فلم تنفر له عروق مثلما نفرت عروق ابيه وهو فى الطوفة فى البحر .

وتنتهى المسرحية والظلام يطبق على مرزوق وهو يهدر غضبا ويتقزز اسى ، مخاطباجثة فهد : الان تسكت انت وانكلم انا . لماذا تغير انت الدنيا؟ اهى تسير وفق ارادتك ؟ بلى . هى تفعل ذلك لانك فوق وانا تحت .

وانا منذ الان صاعد اليك .

شخصية مرزوق هذه تذكرنا باساها ولوعتها بشخصية « الطواف » فى مسرحية نعمان عاشور « عائلة الدغرى » ، كما تذكرنا بشخصية الخادم العجوز فى « بستان الكرز » الذى يطبق عليه ـ هو الاخر . البرد والوحدة ، وتوصد عليه الابواب ، بعد أن ترحل الاسرة المتحلة عن المكان.

ويلفت النظر فى المسرحية الى جوار شخصياتها المرسومة بعناية ودقة ، ذلك الحياد الفنى الذى يشى دائما بالنضج لدى الكاتب . فهو يعرض قضية وفاء عرضا عطوفا ، لانها ـ فى نظره ـ ضحية للمجتمع ، وليست امراة ساقطة ، كما يسارع البعض الى اعتبارها هى وامثالها من ضحايا الزواج غصبا ممن يضطرون الى أن يسلكوا الطريق الذى سلكت . وصقر الرشود لايدافع عن وفاء ، وانما ينظر بعمق الى دوافع سلوكها فيدين الدوافع ولايقبل نتائجها .

وفى مسرحية الحاجز ، (١٩٦٦) يعالج رشود موضوع صراع الاجيال الذى يدور فى المسرحية بين اب وام تقليديين من جهة ، وبنتين واخ لهما من جهة اخرى ، الابوان يتمسكان بالتقاليد بالمجتمع النصفى الذى تنعزل فيه المراة عن الرجل وتتلقى اوامرها منه . والاب هنا يسعى الى تزويج ابنته من ابن اخيه صالح ، بينما الابنة ـ مريم ـ تحب شابا اخر اسمه على .

والصراع الذى يدور بين الجيلين لا ينتهى الى شىء محدد . كل ما يفعله النقاش الذى يدور بين الاب مبارك وابنه خالد يتمخض عن نتيجة هزيلة هى : اعتراف الاب بانه انما يؤيد زواج ابنته من ابن اخيه مراعاة للتقاليد وحسب ، وخوفا من كلام الناس . وهو قول يرفضه خالد، ثم لا يستطيع من بعد أن يفعل شيئا . والشىء ذاته تفعله مريم ، فهى ترفض الزواج من صالح، وتبقى على حبها لعلى ، ولكنها لا تثور او تغادر البيت ، وانما تشغل نفسها بشىء تسميه انتاجا، وهو صنع الفانلات الصوف عن طريق التريكو . وهى تسخر من اخيها ومن نفسها ـ ضمنا ـ حين تقول له : دع النضال غير المجدى مع ابيك وافعل مثلى : اشتر الة حياكة لصنع الفانلات .

الجيل الجديد هنا يكتفى بالرفض ـ بالمقاومة السلبية والجيل القديم يهتز فى مواقعه شىء ما ولكنه لا يسلم . ويبقى الحاجز فى مكانه .

وبهذه النهاية المفتوحة تنتهى المسرحية .وهى فى رايى اقل جودة من سابقتها لان بعضا من ابطالها يعزفون عن الدخول فى صراع حقيقى ، ويكتفون بالرفض ، مما يجعل شخصياتهم اقل عمقا واقناعا مما كان ينبغى ان يكونوا .

■■

د . على الراعى

رأى الكترونى !

● قال دون جلاوشتر أثناء مأدبة فى لندن : « تم اجراء بحث شامل بواسطة الكمبيوتر لمعرفة أسباب الحوادث التى تقع فى المنزل . وقد أظهر البحث أن ٩٠٪ من هذه الحوادث سببه السلالم بما فى ذلك العلوية منها والسفلية . وعندما سئل الكمبيوتر كيف يمكن الحد من هذه الحوادث أجاب : أزيلوا السلالم العلوية والسفلية .

قضى الدكتور احمد كمال ابوالمجد عميد كلية الحقوق بجامعة الكويت ، ووزير الاعلام المصرى لسابق ، ثلاثة اسابيع بين طوكيو والقاهرة ، مشاركا فى اكثر من ندوة حول حقوق الانسان . ثم عاد الى الكويت ليكتب « للعربي » هذا التقرير .

آفاق جديدة :

من طوكيو الى القاهرة مع :

حقوق الانسان المعاصر

بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

* اعلان حقوق الانسان يعكس رؤية الثورة الامريكية والفرنسية فقط .
* تحذير من تزييف شعارات اسلامية لتعطيل بعض حقوق الانسان .
* فى ظل التقدم العلمي المذهل فقد الانسان حقه فى الخصوصية .
* التلوث واهدار الموارد البشرية تهديد لحقوق انسان الغد

■ مع اقتراب شهر ديسمبر من كل عام ، وعلى امتداد الثلاثين عاما الماضية ، ظلت منظمة الامم المتحدة، تدعو جميع العاملين بها وبفروعها والهيئات التابعة لها للمشاركة في حملة عالمية للاحتفال بيوم العاشر من ديسمبر يوم الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ ..

وكان من نصيبي هذا العام ان صادفتني من هذه الحملة موجتان ، دفعت بي احداهما الى طوكيو في اقصى الشرق، حيث تدارست مع مجموعة محدودة العدد اختارتها « جامعة الامم المتحدة » برنامج ندوة تقيمها الجامعة المذكورة لمناقشة تدريس « حقوق الانسان » .. وذلك خلال يومي ٢٠ و ٢١ نوفمبر .. اما الموجة الثانية فدفعتني الى القاهرة في ادنى المشرق للمشاركة في ندوة حول نفس الموضوع نظمتها جامعة الزقازيق بالاشتراك مع اليونسكو خلال الايام الثلاثة من ١٤ الى ١٦ ديسمبر اى بعد اقل من شهر من الندوة الاولى ..

وعلى بعد ما بين طوكيو والقاهرة .. حضاريا وجغرافيا .. فقد تقاربت كثير من الافكار .. وتشابهت كثير من الرؤي .. وبرزت من خلال المناقشات الطويلة داخل جلسات المؤتمر وخارجها ظاهرتان هما ـ في الحقيقة ـ محور هذا الحديث ..

الظاهرة الاولى : ظاهرة الرجوع الى الاصول الحضارية الذاتية للشعوب .

والظاهرة الثانية : ظاهرة زيادة الوعي بالآفاق الجديدة التي تعرض بها مشاكل الانسان ، ومنها مشكلة « حقوقه » في عصر الثورة العلمية والتقنية المستمرة .

على انني لا استطيع ان اتحدث عن مؤتمر طوكيو .. دون ان اتحدث عن اليابان التي كانت هذه الندوة سبيلي الى زيارتها للمرة الاولى .. فعلى كثرة ما طوفت في العالم شرقا وغربا .. وعلى كثرة البلاد التي زرتها سائحا متأملا مستمتعا بالنظر في ملكوت الله ، او موفدا في مهمات رسمية تحاصرني فيها اللقاءات المرسومة المحددة الاطار ، فقد بقي الشرق الاقصى كله خارج تجربتي ومعرفتي. وبقيت اليابان تمثل عندي قمة الشوق الى رؤية هذا الجزء من العالم .. وهو شوق صنعه في نفسي امران احدهما قديم والاخر طارىء وحديث .. اما الشوق القديم فاثر من آثار الصورة الغامضة الغنية بالمتناقضات والصور المثيرة عن بلاد الشمس المشرقة والزلازل التي فرضت على الحياة كلها نظامها .. والحدائق اليابانية الشهيرة ذات الالوان المتناسقة، والترتيب الجمالي المعجز، والامبراطور الذى ينزله اتباعه منزلة التقديس والعبادة والذى شهد الامجاد العسكرية لامته ثم شهد هزيمتها واستسلامها .. ولا يزال يشهد من قمة السلطة نموها وسبقها الصناعي المذهل ، والتقاليد الشرقية الغريبة التي تشمل اشياء يتعذر علينا فهمها في الانتحار النبيل على طريقة الهراكيرى.. الى الادب الجم الرفيع الذى اشتهر به الرجال ، والمرأة اليابانية بوجه خاص .

الانسان الياباني باق

اما الامر الطارىء، الذي ظل يشدني سنوات الى كل ما هو ياباني ، فهو هذه النهضة الصناعية والعملية السريعة التي قفزت باليابان خلال سنوات قليلة الى الصف الاول من كبريات الدول الصناعية المتقدمة منافسة اعرق الصناعات الاوربية المتخصصة .. دون ان يصاحبها الانهيار التقليدي في اساليب الحياة القديمة .. والتخلي السريع عن قيم المجتمع القديم وعلاقاته الانسانية الحميمة السابقة على مجيء الثورة الصناعية والتكنولوجية.. وكان هذا الامر الاخر يثير في نفسي رغبة جامحة للتعرف على السر الحضاري الذى استطاع عن طريقه اليابانيون ان يجمعوا الحسنيين.. حضارة البناء والتشييد المادي ، وحضارة العلاقات الانسانية المترابطة . وكنت ارى العثور على مفتاح هذا السر مصدر امل هائل تستطيع به نحن العرب والمسلمين ان نستورد ما نشاء ممن شاء ، وان نواكب حركة التقدم المادى العالمي دون ان نتخلى بالضرورة عن القيم الحافظة للتماسك الاجتماعي والترابط الاسرى ، والاخوة الانسانية ، وهي القيم التي تهاوت في الغرب تحت مطارق حضارة المنافسة وعبادة المال ..

وعلى قصر المدة التي قضيتها في اليابان ، متنقلا بين ثلاث من مدنها الرئيسية .. طوكيو العاصمة الضخمة ذات الملايين الثلاثة عشر من السكان وكيوتو العاصمة القديمة ذات التراث الثقافي العريق .. واوساكا المركز الصناعي الكبير ، فان



فلنى لم يخب فى شىء . فعلى الرغم من تأثر ظاهر – عند السطح على الاقل – بالحياة الغربية فى مظاهرها واساليبها ، فلا تزال الروح اليابانية الاصيلة تطل من وراء الازياء الغربية الانيقة التى يحسن اختيارها – فى تأنق رائع – الرجال والنساء على السواء .. وعلى الرغم من الزحام الشديد والحركة السريعة والتسابق على العمل والانتاج .. وكل ما يصاحب ذلك من مشاكل مرور الناس والسيارات ، ومشاكل الاسكان ، وتنظيم المرافق ، على الرغم من ذلك كله لا يزال الزائر قادرا على رؤية « الانسان » وسط ذلك كله .. انسانا هادئا رقيقا بالغ الدقة فى كل شىء .. على وجهه مزيج واضح من ابتسامة خفيفة تصدر عن ادب مفرط ، اكثر مما تصدر عن سعادة كامنة . ومن احساس بالواجب والالتزام نحو الاخرين سبق الاحساس بالحق والرغبة فى الوصول اليه. وهكذا اكدت النظرة السريعة الاولى على المجتمع اليابانيصدق الظاهرة التي شدتني الىاليابان..

قاهرة النجاح في التوفيق بين ممارسة الثورة الصناعية واحراز ثمرتها المادية المديدة . وبين ممارسة القيم « الحافظة » للعلاقات الانسانية الحميمة .. وهي التجربة التي شكل تاريخ الغرب الحديث ، خصوصا في المجتمعات الصناعية المتقدمة سؤالا خطيرا حول امكان تحقيقها .

ومع بداية المؤتمر سنحت فرصة ذهبية للتعرف على فكر المثقفين اليابانيين من اساتذة الجامعات والعلماء المشاركين في اعمال المؤتمر .. ومن خلالهم عرفنا كذلك الكثير عن اسرار هذه التجربة اليابانية . عرفنا ان المدن اليابانية ـ على ازدحامها الهائل ـ وطرقها الضيقة المظلمة بعد غروب الشمس ، مدن امنة تكاد تخلو من العنف والجريمة . وان الولاء للاسرة ، والوفاء الزوجي ، لا يزالان قيمة كبرى في مجتمع اليابان ، لم تنل منهما كثيرا اثار التقدم الصناعي ولا طوفان الحياة المندفعة وراء الكسب المادي كما علمنا ان ولاء الياباني لعمله ومصنعه او الشركة التي يعمل فيها لا يقل عن ولائه لاسرته ، وهو لذلك لا يكاد يغيره الا مضطرا .. وان تغيير العمل لغير الضرورة القصوى يعتبر في نظر اليابانيين نوعا من « الخيانة » تنتقص من نظرة الناس الى صاحبه .. وان علاقة العامل برب العمل تجاوز كثيرا حدودها المعروفة في ظل فكرة « العقد القانوني » التي تسيطر على تلك العلاقة في النظرة الاوروبية فالشركة او المؤسسة راعية « للعامل » مسئولة عن مستقبله ومستقبل اولاده .. فالعلاقة اذا علاقة عطاء متبادل قبل ان تكون سباقا للاخذ المتبادل . وقفزت الى ذهني صورة عكسية تماما سمعتها في العام الماضي من استاذة امريكية متخصصة في علم الاجتماع ضمن برنامج لعمداء كليات الحقوق نظمته جمعية اساتذة القانون بالاشتراك مع جمعية المحامين الامريكيين .. قالت الاستاذة الامريكية ان من الظواهر الاجتماعية المقلقة التي تنمو بسرعة داخل الاسرة الامريكية تزايد شعور الاباء والامهات بان ابناءهم لا يقدرون فضلهم .. وتزايد شعور الابناء بان اباءهم وامهاتهم لا يفعلون لهم شيئا يذكر .. وان الاسرة الامريكية قد بدأ يتسلل اليها هذا الشعار: لا نعط الا القليل .. ولا تنتظر الا القليل .

وسط هذه الاهتمامات ، جاءت مشاركتي في ندوة تدريس حقوق الانسان في طوكيو .. ثم في القاهرة ..

وفي طوكيو .. سبقت ندوة حقوق الانسان حلقة بحث اخرى اوسع واشمل هي جزء من مشروع رئيسي من مشروعات الابحاث والدراسات التي تتبناها جامعة الامم المتحدة ، وهي حلقة اسيوية عن الابداع في الحضارات المحلية والبدائل المتاحة للتنمية الاجتماعية والثقافية في عالم متغير .

رفض لسيطرة حضارة الغرب

وفي الندوات الثلاث ظهر اتجاه واضح الى ابراز دور الحضارات المختلفة والكشف عن عناصر الابداع التي ساهمت بها في تطور الحياة الانسانية .. كما بدا واضحا ان هناك اتجاها واعيا لرفض «سيطرة الحضارة الغربية » على الفكر الانساني ..

وفي كل من طوكيو والقاهرة .. وصف الاعلان « العالمي » لحقوق الانسان بانه في حقيقته اعلان غربي يعكس رؤية الثورتين الامريكية والفرنسية للمشاكل السياسية التي عاصرت حكامها .. وانه لا يعبر ـ بالضرورة ـ عن تصور الحضارات الاخرى لحقوق الانسان ..

وفي القاهرة ـ بصفة خاصة ـ اكد عدد غير قليل من المشاركين في الندوة انه يستحيل تدريس حقوق الانسان ، كما تستحيل الحماية العملية لتلك الحقوق بغير الاتفاق على عقيدة تسندها ، ورؤية فلسفية يصدر عنها تصور تلك الحقوق ووظائفها ، وبالتالي حدودها وضمانات تنفيذها .

وتكرر في الندوتين ـ القول بان حضارات الشرق القديمة في مصر والهند وبلاد النهرين وفي الصين واليابان ، ثم في الجزيرة العربية منذ اشرقت عليها شمس الاسلام ، تقدم رؤى واضحة ومحددة لقضية « حقوق الانسان » ، قد لا تكون مطابقة للرؤية التي صدر عنها الاعلان العالمي الذي يدعي مع ذلك حق التحدث باسمها . وانه اذا كانت الصفوة المتعلمة والحاكمة في اكثر بلدان العالم الثالث قد اشربت قيم الحضارة الغربية وامتلات رؤوسها بالمفاهيم والقوالب السائدة في الفكر السياسي الغربي فان الفجوة قائمة ـ بغير شك ـ بين ما تمثله تلك الصفوة وبين ملايين البشر الذين

تكون منهم البنية الحقيقية لمجتمعات العالم الثالث .. وهذا ما يفسر تعثر كثير من الانظمة والهياكل السياسية والاجتماعية التى نقلت عن الغرب الى بلدان العالم الثالث فى ميدان حقوق الانسان وفى غيره من الميادين السياسية والاجتماعية .

على ان الدعوة للرجوع الى الاصول ، وابراز الخصائص والرؤى الذاتية للحضارات الاصلية قد اتخذت ـ عند التدقيق والتأمل ـ اسلوبين مختلفين فى كل من القاهرة وطوكيو ..

فى القاهرة .. وفى اليوم الثالث من ايام الندوة والذي خصص لمناقشة «حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية» تفجر نقاش طويل حول قضية التراث وقضية المعاصرة والتحديث .. والحدود الفاصلة بين المبادىء والتطبيق . وتجاوز البحث النطاق الضيق الخاص بحقوق الانسان ، ليمتد الى قضية تطبيق الشريعة الاسلامية والعودة للاسلام بصفة عامة .. ووسط كثير من الآراء المستنيرة العارفة باصول الشريعة ومقاصدها ، المدركة لطبيعة وحجم مشاكل الانسان المعاصر ، برزت النغمة القديمة التى عطلت مسار الاصلاح التشريعي والاجتماعي ، نغمة الدفاع الاعتذاري Apologetics التى تكتفي برفض كل التجارب الانسانية ـ طولا وعرضا ـ ما دام تطورها ونموها قد تما خارج نطاق الاسلام التاريخي او الجغرافي .. والتى يكتفي اصحابها ـ عادة ـ بتوكيد ان الاسلام حاكم لا محكوم وانه صالح لكل زمان ومكان .. وان الاصلاح الاجتماعي والسياسي يتمان « بالرجوع الى الاسلام » والعودة الى مبادئه « وتنفيذ احكامه » .

اما فى اليابان .. فلا اجد تعبيرا عن الاسلوب الآخر الذي اتخذته الدعوة الى الاصول وابراز خصائص الحضارات الذاتية والاصيلة للشعوب خيرا من عبارة الاستاذ تاكيو كوابارا رئيس جامعة كيوتو فى كلمته الترحيبية باعضاء المؤتمر فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٨م حيث قال : « ... اننا يجب الا نكتفي بنقد تاريخ العالم بل ينبغي ان نتجاوز ذلك النقد الى محاولة خلق مستقبل اكثر عدلا .. » ويجب ان نتجنب مجرد الثناء على ابداع الحضارات الذاتية لكل امة ، بل علينا ان نستكشف قدراتها المحتملة من خلال نظرة الى المستقبل ، وعن طريق ضرب الامثلة العملية .. » .

من الانصاف مع ذلك أن نقرر ان الموجة التي سادت فى ندوة القاهرة كانت موجة معتدلة ومستنيرة وذات طابع عملي .. اذ دعا البعض ـ بدلا من الكلام العام الغامض ـ الى محاولة صياغة « اعلان اسلامي لحقوق الانسان » يعبر عن الرؤية الحضارية للامة العربية والاسلامية .. وفى الوقت نفسه حذر أكثر المتحدثين من خطر التحلل من المواثيق الدولية والدستورية التي تحمي حقوق الانسان فى ظل النظام الدولي القائم انتظارا لمثل هذا الاعلان الاسلامي .. كما حذروا من خطر رفع شعارات اسلامية بقصد التوصل الى تعطيل بعض الحقوق الاساسية للانسان .. عن طريق التفسير والتأويل ..

الآلة هي التي تحكم

وفي نطاق الآفاق الجديدة لحقوق الانسان ، انتبه المجتمعون فى طوكيو والقاهرة منذ اللحظات الاولى لاجتماعهم الى التطورات الهائلة التي طرأت على مشاكل « حقوق الانسان » منذ دونت بعض تلك الحقوق فى وثائق الثورات الاوروبية والامريكية ثم فى الاعلان العالمي الصادر عام ١٩٤٨م. انتبهوا الى ضرورة الالتزام بمنهج علمي جديد متعدد الابعاد شمولي النظرة عند تدريس تلك الحقوق .. وشدت انتباههم فى اقصى المشرق وفى ادناه امور خمسة توافقوا عليها :

● اولا : ضرورة ان تتم النظرة المعاصرة لحقوق الانسان من زاوية متعددة المحاور تدخل فى حسابها رؤى الحضارات المختلفة التي ينتسب اليها الانسان المعاصر .. ووصفت هذه النظرة بانها « متعددة » الحضارات ..

● ثانيا : ضرورة تحرير دراسة حقوق الانسان من سيطرة الرؤية العلمية الواحدية ، اي رؤية فريق واحد من العلماء والمتخصصين . ورغم المناقشات والاعتراضات العديدة خصوصا من بعض اساتذة القانون ، سلم المجتمعون فى القاهرة بدورهم بأن تدريس حقوق الانسان ينبغي ان يتم على اساس « تكامل معرفي » بحيث تتضافر فيه جهود رجال القانون وعلماء السياسة والاجتماع والتاريخ والاقتصاد وعلم الانسان .. بل ان الدراسات الادبية التي قد تبدو مقطوعة الصلة

بموضوع حقوق الانسان تلعب دورا تعليميا هاما من شأنه ان يخلق اهتماما شعبيا بتلك الحقوق وان يعين في النهاية على حمايتها ..

● ثالثا : الانتباه الى اثر الثورة العلمية والتكنولوجية على طبيعة وحجم العديد من المشاكل المتصلة بحقوق الانسان .

وفي مقدمة هذه الظواهر ان الانسان المعاصر في دفاعه عن حقوقه لم يعد يواجه افرادا ولا مؤسسات عادية الحجم كما كان شأنه في الماضي ، بل اصبح يتعامل مع مؤسسات خاصة وعامة بالغة القوة والضخامة ولا قبل له ـ وحده ـ بالدفاع عن نفسه في مواجهتها .. فهو الآن يواجه ما يسميه الباحثون ظاهرة المؤسسات العملاقة . فالحكومات الحديثة والادوات ذات النفوذ الهائل والعدد الضخم من العاملين والشركات ذات الرساميل الهائلة والنفوذ السياسي والاقتصادي الذي لا يكاد يقاوم ، واجهزة الامن القادرة على البطش بكل عنف وقسوة واجهزة المخابرات المزودة باحدث وسائل التسجيل والتجسس والتسمع واقتحام الحق في « الخصوصية » .. كل هذه مؤسسات عملاقة يواجهها الفرد وتحتاج معها حقوقه وحرياته الى مزيد من الحماية يمثل بعدا جديدا من ابعاد مشكلة حقوق الانسان في صورتها الجديدة . ولا يستطيع الباحث المعاصر في مشاكل « حقوق الانسان » ان يتجاهل آثار الدراسات في مجال الوراثة العضوية Bio-genetics وما تنطوي عليه من تدخل في تكوين الاجنة ومحاولة التحكم في خصائصها ، وما يثيره هذا التدخل من ابحاث ومشاكل قانونية واخلاقية ودينية تتعلق بحدود حق الانسان على حياته ، وحدود حق العلم في ان يقتحم على الانسان حدود تكوينه البيولوجي المستقر منذ مئات الالوف من السنين .

كذلك لا بد ان نشير الى ما توصل اليه العلم في مجال استخدام الوسائل الكيمائية في التأثير على الاعصاب والقوى الذهنية والنفسية وتوجيه الارادة والفكر بما يسمى « التحكم في العقل » مما يثير ابعادا جديدة لحدود حرية الفكر ـ والاعتقاد وحرية الشخصية الانسانية .

وفي النهاية ، لا بد ان نشير الى الدراسات العديدة المتعلقة بأثر الادمغة الالكترونية على نوعية الحياة الانسانية ، وما تؤدي اليه من ميكنة وتحكم الى في اساليب تلك الحياة ، وتأثير تدريجي مطرد على كثير من الملكات الانسانية نتيجة الاعتماد المتزايد على المعلومات المختزنة في تلك الادمغة .

وعلى الدور الذي تقوم به في التحليل واستخراج النتائج .

محنة الاجيال المقبلة

● رابعا : ضرورة ادخال « الاجيال المقبلة » في نطاق حماية حقوق الانسان . وهذه الضرورة لها مصدران رئيسيان.. اولهما: القيم المطلقة الراسخة المستمدة من الاديان السماوية .. والثاني ، ما اشرنا اليه من انعكاسات للثورة العلمية والتكنولوجية التي امتدت بعض آثارها لتشمل الاجيال المقبلة .

(أ) اما الاديان السماوية فقد توجها الاسلام بنظرة ترى في الانسانية وحدة وجودية تختفي معها تقسيمات النسبية الزمنية التي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل .. وهي وحدة عبر عنها القرآن في آيتين تقرعان الاسماع والعقول .تقول الاولى منهما : ... « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى .. » (الاعراف ١٧٢) فالالتزام الانساني بكل ما يحمله من رعاية للغير هو التزام ازلي يشد الجيل الحاضر الى مجموع الانسانية على امتدادها التاريخي .

اما المسئولية عن المستقبل فيعبر عنها قول الله العزيز : ... « من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا .. » (المائدة ١٢) ..

(ب) واما التقدم التكنولوجي فقد احدث تداخلا غريبا بين الحاضر والمستقبل اقتحمت به سرعة التطور حاجز النسبية الزمنية الذي اعتادته البشرية طوال قرون وعيها الحضاري . كذلك فان كثيرا من الظواهر التي ولدتها المخترعات وادوات الحضارة الحديثة تمتد آثارها الى المستقبل امتدادا يهدد حقوق الاجيال المقبلة .. ان الانسان المعاصر يملك في يديه من ادوات التأثير جيولوجيا وكيمائيا وعضويا ما يؤثر تأثيرا مباشرا على حقوق ومصالح وسلامة الاجيال المقبلة .. ان استعمال

جيلنا لبعض هذه الادوات المتطورة يمكن ان يترك للاجيال المقبلة بيئة ملوثة ، بل يمكن ان يحدث من الخلل في بعض الظواهر الطبيعية فضلا عن ان الاستهلاك غير المسئول للطاقة واستنفاد الموارد البشرية في الارض والبحر والجو ، هذا كله يهدد الاجيال المقبلة بخطر بالغ . لهذا فان تربية ابناء جيلنا على الاحساس بالمسئولية عن ابناء المستقبل .. ينبغي ان تكون جزءا اساسيا من اجزاء برنامج التربية والتعليم في مجال حقوق الانسان .. .

ان الاثار المدمرة للتفجيرات النووية ولمخلفات التجارب المتعلقة بها منها ما يظهر على الفور ومنها ما يتراخى ظهوره جيلا او اكثر . وكثير من التجارب التي يجريها العلماء اليوم في ميدان الوراثة العضوية،وما ينطوي عليه بعضها من تدخل في تكوين الاجنة ومحاولة التحكم في خصائصها يثير مشاكل قانونية واخلاقية ودينية عديدة تتعلق بحدود حق الانسان على حياته .. وحق العلم في ان يقتحم على انسان اليوم وانسان الغد حدود تكوينها البيولوجي .

على هذه الامور كلها التقت الندوتان .. وتوافقت اراء كثرة من المشاركين فيها .. في طوكيو والقاهرة على السواء ..

ماذا عن الضمانات ؟

ولكن سؤالا كبيرا ظل يلح على المؤتمرين .. كما لا يزال يلح على واقع الممارسة العملية « لحقوق الانسان » وهو .. هل من سبيل بعد ذلك كله الى توفير حماية عملية وفعالة لحقوق الانسان .. ؟ وفي تواضع العلماء وواقعية المجربين سلم اكثر المتحدثين والباحثين بانه لا يوجد ضمان كامل ولا مطلق للحريات .. فان المسالة سوف تظل دائما مسالة نسبية .. وان الجهد الانساني انما يطمح الى زيادة فرص تمتع الانسان بقدر معقول من الحماية لتلك الحقوق ..

وبرز هنا كذلك امران .. نختتم بهما هذه الجولة السريعة مع حقوق الانسان ..

ـ الامر الاول : ضرورة مواصلة الاهتمام بالضمانات القانونية والقضائية بصفة خاصة .. وفي مقدمتها توسيع نطاق الرقابة القضائية على اعمال الحكام .. ومضاعفة الاهتمام بضمانات المتهمين في مواجهة سلطات التحقيق والاتهام الجنائي .. وضرورة تقييد السلطات الاستثنائية للحكومات ، خصوصا في عالمنا الثالث حيث تعيش اكثر المجتمعات السياسية في ظل احكام عرفية واحوال طوارئ، اكثر عمرها السياسي ..

ـ الامر الثاني : انه مهما بذل من جهد في تنظيم الضمانات الدستورية والقانونية فسيظل الراي العام المستنير القوي هو الضمان الفعال لحقوق الانسان .. واستثارة الراي العام هي المدخل الى قضية « تدريس حقوق الانسان » التي اجتمعت الندوتان تحت لوائها .. ■■

د . احمد كمال ابو المجد

التعبير بالقهوة

● يتبع الاهالي في أجزاء من بوسنه وهيرزيجوفينا بأواسط يوغسلافيا طريقة فريدة تعتمد على اللباقة في اتمام موضوع الزواج . فالشاب الذي يتقدم الى أي أسرة طالبا الزواج من احدى فتياتها عليه أن يبحث مع أهلها في جميع نواحي الزواج المنتظر وأن يتناول الطعام والشراب الذي يقدم اليه . وفي نهاية النقاش لا تعطي أسرة الفتاة رأيها فيه صراحة بنعم أو لا . وبدلا من ذلك تقدم له القهوة فاذا كانت حلوة فمعنى ذلك أنه قبل زوجا للفتاة . واذا كانت مرة فطلبه مرفوض وعليه أن يجد حظا أفضل في مكان آخر .





عودة الأطباق الطائرة

« هى خدعة تتحمل مسئوليتها المخابرات الامريكية »

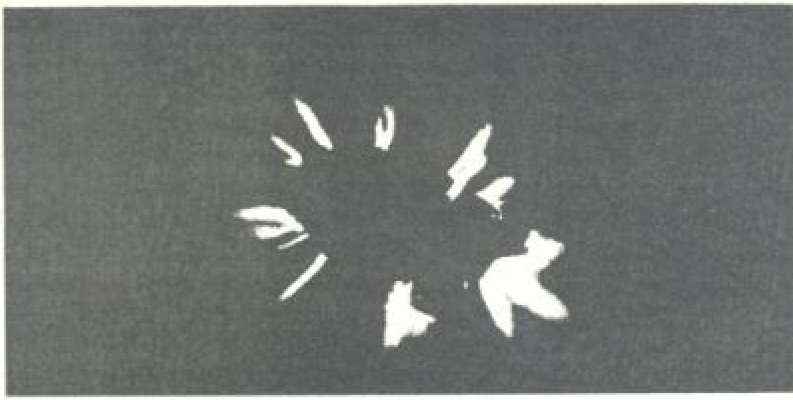
بقلم : مجدى نصيف

اجمع سبعة شهود عيان من المهندسين والفنيين العاملين «بشركة نفط الكويت » الذين كانوا قد توجهوا لاصلاح محطة ضخ النفط ،على ان سبب توقفها يرجع الى هبوط طبق طائر فى المنطقة . وان المحطةعادت الى العمل تلقائيا بمجرد اقلاعه.

وصف الفنيون- وبينهم خبيرامريكي -الطبق بقولهم انهم فوجئوا بجسم غريب يجثم على الارض علىبعد نحو ٢٥٠مترا منمحطةالضخ : « كان الجسم اسطوانى الشكل ؛ يفوق حجم الطائرة العادية ، وتعلوه قبة حمراء اللون » .. وخلال تردد الفنيين من الاقتراب من الجسم . والذى استمر سبع دقائق ، بدأ الطبق الطائر يرتفع قليلا .. قليلا عن سطح الارض . وفى هدوء مثير للدهشة، حتى غاب عن الانظار دون أن يسمع له صوت ، او يشاهد احد بداخله .. وعندما عاد الفنيون الى محطة ضخ النفط ، وجدوا أن اجهزتها قد عادت الى العمل تلقائيا ، بمجرد مغادرة الطبق الطائر سماء المنطقة .

وأكد العميد محمد أحمد الحمد مدير الادارة العامة للامن العام ان جميع شهود الحادث من المهندسين والفنيين يتمتعون بمقدرة علمية واطلاع واسع ، وقد أجمعوا على أن الجسم الغريب شبيه بالاطباق الطائرة. لانمثلهذهالاطباقلميكشفالنقاب عن حقيقتها تماما حتى الان ، وكل ما هو معلوم عنها ، هو مشاهدتها فى انحاء متفرقة من العالم، كما ان العلماء المختصين فى هذا المجال لم يتوصلوا بعد الى معرفة صفات هذه الاطباق ، سوى انها صحون تظهر بين فترة واخرى دون التوصل الى نتيجة علمية يقينية ثابتة بصددها . لكن الملاحظ انها لا تهبط الا فى اماكن مكشوفة وبعيدة عن المدن ، وخلال وجودها تتعطل اجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية وغيرها من الاجهزة الدقيقة القريبة منها .

كانت هذه هى قصة اول طبق طائر فى وطننا العربى . لكن القصة لها فصول سابقة شغلت الناس وحيرتهم منذ الاربعينات .



صورة نشرتها مجلة تايم الامريكية في عدد ٢٠ نوفمبر الماضي لجسم متوهج وصف بانه طبق طائر

بداية القصة

لقد بدات قصة الاطباق الطائرة في مساء ٢٤ يونية ١٩٤٧ • عندما كان « أرنولد كيث » يطير الى واشنطن في طائرته الخاصة • وفوق جبال كاسكار على ارتفاع ٩٢٠٠ قدم ، لاحظ سلسلة من الومضات ، ورأى ما اعتقد انه مركبات تقترب بسرعة هائلة • كان هناك تسعة اجسام لامعة على شكل اقراص تبتعد عنه بمسافة قدرها بين ٢٠ و ٢٥ ميلا • وكان طول كل جسم يتراوح بين ١٣٫٥ الى ١٥ مترا وتسير بسرعة ١٧٠٠ ميل في الساعة •

تلقت الصحافة الامريكية الخبر واحتل الصفحات الاولى والمانشيتات الرئيسية لاغلفة المجلات في كل انحاء الولايات المتحدة • وبدات اجهزة المخابرات العربية في سؤال « ارنولد » خوفا من ان تكون هذه الاطباق نوعا من الطائرات السوفيتية الجديدة•

لم يشك احد في رواية « ارنولد » فقد كان طيارا ذا خبرة ومواطنا ذا سمعة طيبة ، ومع ذلك ذكر العلماء بعض الملاحظات حول قصته • فلو كان طول الطبق الطائر بين ١٣٫٥ و ١٥ مترا كما قال ، فلا بد وان تكون المسافة اقرب من عشرين ميلا • ذلك أن اطباقا بهذا الطول وعلى بعد هذه المسافة لا يمكنه رؤيتها • ولو كانت المسافة التي ذكرها مضبوطة فلا بد وان يكون طول الطبق ٦٣ مترا على الاقل • وعلى ذلك فان السرعة التي ذكرها ليس لها اى معنى ، حيث لا يمكن تحديد السرعة الحقيقية وهو في طائرته الا بتحديد الحجم الحقيقي للجسم والمسافة الحقيقية التي يبعد بها الجسم عن الطائرة •

وبعد الدراسات المستفيضة التي قام بها خبراء الطيران في القوات الجوية الامريكية ،لم تستطع التوصل الى اى شيء على وجه الدقة • كل ما في الامر ان هذه الدراسات زادت الامر غموضا عندما قالت انها قد تكون طائرات اومركبات فضائية او سحبا اخذت هذا الشكل نتيجة للتوافق مع بعض الظواهر الطبيعية•

وكان المفروض ان تنتهي القصة عند هذا الحد•

الا أن الناس في أنحاء الولايات المتحدة بدات ترى الاطباق الطائرة، وفجاة، بعد أن رآها أرنولد وتوالت البلاغات للهيئات المسئولة،رغم ان أرنولد نفسه ظل صامتا لا يتحدث بعد أن روى يصدق كل ما شاهده•وتلقف ناشر ذكي هو«ريموند بالمر»الحكاية وارسل الى«ارنولد»يطلب منه ان يقص قصته على العالم •فوافق ارنولد على بيع قصته ونشرها ، فاسرع الناشر الذكي بتاسيس مجلة جديدة متخصصة في قصص الاطباق الطائرة• وفي اول عدد من اعدادها ظهرت قصة «كنيث ارنولد » بقلمه تحت عنوان :«رايت الاطباق »(١٩٤٨) ورغم انه لم يكن كاتبا محترفا،الا انمحررا اعاد كتابة قصته بطريقة صحفية مثيرة ،فجاءت مغايرة قليلا لما ذكره للخبراء في المخابرات الامريكية ،وخاصة في التفاصيل الهامة الدقيقة•فقد ذكر على سبيل المثال ان واحدا من الاطباق التسعة كان لونه

داكنا اكثر من الثمانية الاخرى ،وانه يختلف في شكله قليلا ،وهذا ماقد يوحي الى القارىء انه الطبق « القائد » • وقدنسي ارنولد ان يذكر هذا في تقريره للمسئولين ونسي ان يذكره لاصدقائه ، بل وحتى نسي ان يذكره لزوجته !

واستمـــر « ارنولد » يكتب في الاعداد التالية من المجلــة • فكتب في العدد الثاني مباشرة مقالا بعنوان : «هل هناك زوارمن الفضاء الخارجي؟»•ولم تكتف المجلة بقصة ارنولد وحدها ، بل بدات تنشر قصصا اخرى عن « الاطباق الطائرة » باقلام من شاهدوها ثم لم تستطع المجلة ان تستوعب كـل قصص الاطباق ، فاسس بالمر مجلتين اخريــــين متخصصتين ايضا في الاطباق الطائرة •

وازداد الاهتمام في الولايات المتحدة بقصـص الاطباق التي اصبحت لغزا يشغل الراى العام الامريكي • وارتفع عدد الذين شاهدوها من ٤٠٠ امريكي عام ١٩٦٣ حتى وصل الى ٨٨٦ في عام ١٩٦٥ •

ومنذ سجل ارنولد طبقه الطائر الاول فــي يونيه ١٩٤٧،اندفع الاف الامريكيين ينشئون «نوادي الاطباق الطائرة» «جمعية الاطباق البينكوكوبية (اوكلاهوما) » ، « جمعية ابحاث الفضاء بين القارات» (نبراسكا) » مركز رصد الاطباق » (جورجيا) ، الجمعية الدولية للاطباق الطائرة » (ايداهو)، « الجمعية الدولية للاطباق البينكوكبية » (اوهيو) وغيرهــا • ولكـــن اقــدم هــذه الجمعيــات هي«جمعية بحوث الظواهر الجوية» (اريزونا)وتصدر نشرة نصف شهرية•ومن هذه الجمعيات ماله طبيعة دينية• وتعلن هذه الجمعيات بالذات ان «الاطباق الطائرة» تاتي من العوالم الاخرى ، وتهبط على الارض في بعض الاحيان وتترك اثارها على شكل مواد معدنية او عضوية •

ولعل اكبر هذه الجمعيات من حيث عدد الاعضاء والتاثير هي « الجمعية القومية لرصد الظــواهر الجوية » (نيكاب) ولها افرع في معظم الولايات الامريكية ، ومجلتها نصف شهرية توزع علـــى اعضائها وعلى الشخصيات الهامة،وهي تنشر مشاهدات اعضائها على شكل تقارير غير علمية ، لانها لا تحدد الزمان ولا الاماكن بالدقة ولا اتجاه الحركة ولا السرعة ، وعضوية الجمعية مفتوحة لاى مواطن غير شيوعي •

ورغم ان اعضاء هذه الجمعية يشغلون مناصب هامة في التلفزيون والصحافة والاذاعة والكنيسة وبعضهم علماء في الهندسة والطب والطيران وعلم النفس، الا ان الملاحظ انه ليس بينهم خبراء في المجالات المرتبطة بالظواهر الجوية اى في مجالات الفلـك والارصاد والرادار والضوئيات •

وتهاجم هذه الجمعية تقارير اللجنة الحكوميـة التي تشكلت بعد رواية ارنولد للتحقيق فـــي الظواهر التي يبلغ عنها وتكتب التقارير المفسرة لها • ويرمز لهذه اللجنة باحرفها الاولى « اتيك» وكل تقارير هذه اللجنة تنفي بشدة قصص الاطباق الطائرة وقالت عنها «ان الاسم نفسه اكثر الاسماء خطأ في التاريخ ، فلا هي شيء عادي ، ولا هـي تطير على الاطلاق ! »

الدراسات والتقارير العلمية

منذ تشكلت لجنة « اليك » وهي تتولى تقصى الحقائق وكتابة التقارير • احد هذه التقارير يقول انه منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٦ سجلت اللجنة عشرة الاف و ٤٧ حالة لرؤية اطباق طائرة من المواطنين « الامريكيين » • قامت اللجنة بتفسير ٩٨٪ من هذه الحالات ، ولم تستطع التحقق من الـ ٢ بالمائة الباقية • الا ان الذين يؤمنون بان الاطباق هي سفن فضاء من كواكب اخرى يتجاهلون الـ ٩٨٪ من الحالات ويتشبثون بالـ ٢ في المائة الباقية • لذا رصد السلاح الجوى الامريكي في عام ١٩٦٦ مبلغ ٣١٣ الف دولار لعمل دراسة حول الموضوع تشارك فيها المعاهد والجامعات ومراكز البحوث • لكن المعاهد خشيت التصدى لبحث هذه القضية « الجماهيرية » ، بينما وافقت جامعـة كولورادو على تولي هذه المسئولية ، ورأس اللجنة « الدكتـور ادوارد كوندون » استـاذ الفيزياء بالجامعة والحاصل على جائزة نوبل ، وتعاون معه اكثر من عشرين عالما في جميع فروع العلم المتصلة بهذا المجال،مثل علماء الفيزياء الفلكية والاتصالات اللاسلكية والجيولوجيا وعلم النفس وغيرهــا • قامت اللجنة بدراسة جميع التقارير • والبحث الدراســات التي وقع عليهــا كل هؤلاء العلماء والتي طبعت في الف صفحة انه لم يثبت لهـا وجود اطباق طائرة تاتي من عوالم اخرى ، بل هي ظواهر طبيعية تحدث في ظروف جوية معينة ، يخيل للمشاهد معها انه يرى طبقا طائرا •

اما تقرير « اتيك » فيلخص الخط العلمي لهذه

الظاهرة في ثلاث نقاط هامة هي :

اولا : لا تشكل ظاهرة الاطباق الطائرة اي خطورة على الامن القومي للولايات المتحدة الامريكية .

ثانيا : ليس هناك دليل واحد على ان هذه الاطباق الطائرة تمثل تطورا تكنولوجيا بعيدا عن مستوى المعرفة العلمية والتكنولوجية السائدة الان على كرتنا الارضية .

ثالثا : ليس هناك دليل واحد على ان الاطباق الطائرة هي سفن جاءت تزور الارض من عوالم اخرى .

الطبق كما وصفوه

ما هو شكل الطبق الطائر الذي وصفه « من شاهدوه » ؟

كل الاطباق التي شاهدها الناس ليست موحدة الشكل بطبيعة الحال . فقد تراوح شكل الجسم بين القرص والطبق والمغزل والحلقة والسيجار . اما حجمه فيتراوح بين الستة امتار حتى مئات الامتار . ويختلف اللون ليغطي جميع الوان الطيف : من الابيض حتى الاسود وما بينهما من رمادي واحمر واصفر وازرق واخضر الى آخره . وسرعة الطبق قد تكون بطيئة او في سرعة الضوء او في سرعة الطائرة النفاثة . وبعضها يتحرك بدون صوت ، ويصدر الاخر اصواتا مختلفة . لكن الذي اجمع عليه كل هؤلاء المشاهدين ، انهم لم يروا احدا من سكان الكواكب الاخرى سواء يقود هذه الاطباق او ان احدهم ترجل ونزل على كوكب الارض اثناء هبوط الطبق على سطح الكرة الارضية .

ويقول « هـ . منيزل » و « ليل ج . بيمر الامريكيان اللذان الفا كتاب « عالم الاطباق الطائرة » وهو اهم المراجع في هذا المجال :

« ان مئات الظواهر الغريبة التي رصدت في السماء ، وصور الاطباق الطائرة التي دار حولها جدل عنيف ، والتقارير التي وضعتها القوات الجوية الامريكية ، ونوادي وجمعيات الاطباق الطائرة التي تشكلت ، وجمعية « النيكاب » وحربها ضد السلاح الجوي الامريكي : كل هذه الظواهر والناس والحواديث ، ان هي الا فصول من دراما ضخمة مخططة ، ادخلت « كخدعة » على الراي العام الامريكي . والمفروض ان المسئول الاول عن هذه المسرحية هي « وكالة المخابرات المركزية ، وهي تريد بهذه الضجة ان تخفي اشياء من الجمهور الامريكي ، اشياء لا نعلمها » .

منذ اطلاق اول قمر صناعي في ٤ اكتوبر ١٩٥٧ ، هناك مئات العلماء في جميع مراصد العالم ومراكز المراقبة ، يرصدون حركة الاقمار وسفن الفضاء ، وترصد محطات الرادار كل قمر حول الارض . ولم يسجل اي منها « هبوط » الاطباق الطائرة .

ووضع الانسان قدمه على سطح القمر تابع الارض ، وستضع البشرية اقدامها دون شك على كواكب المجموعة الشمسية ، ثم تتابع غزوها خارجها . ولا شك ان هناك ـ من الناحية المنطقية والعلمية ـ حضارات اخرى موجودة في هذا الكون الواسع ،ويستعدالعلماء للاتصالبتلك الحضارات، ولا شك ان سكان العوالم الاخرى يحاولون بدورهم الاتصال بنا ، لكن لا يمكن لهؤلاء الزوار ان ياتوا ويهبطوا على الارض ثم لا يتصلون بسكانها . ان الهدف الاول لسكان الكواكب الاخرى هو الاتصال ، وليس الاستعراض . ■ ■

لندن ـ **مجدي نصيف**

مجرد حشرات متوهجة !

هذه الاجسام المتوهجة والطنانة قد تكون مجرد حشرات تحدث ومبقا عند حدوث ظاهرة جوية نادرة العواصف باسم « بريق سينث المو » .هذا مايقوله اثنان من علماء الحشرات الامريكيين هما فيليب كالاهان ومساعده« مانكن. فيدراسة قاما بها بعد ان اثار انتباههما التماثل بين ما نشر عن تحركات الاطباق الطائرة ، ونشاطات الحشرات . وقاما بتجربة توليد حقول كهربائية مشابهة لتلك التي تتولد خلال العواصف، ثم وضعا بعض الحشرات داخل هذه الحقول ، وكانت النتيجة ان تحولت هذه الحشرات الى اجسام متوهجة اشبه بالاطباق الطائرة .

مجلة تايم ـ عدد ٢٠ نوفمبر ٧٨

أقوال معاصرة


شاه ايران

■ زوجي كان ضحية سياسته الليبرالية !

فرح ديبا امبراطورة ايران

■ اقدام الدول الغربية على تقوية القدرات العسكرية للصين يسجل قيام بؤرة بالغة الخطورة لنشوب حرب عالمية ·

بوريس بوناماريوف ـ عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى

■ يجب أن يستمر الدولار فى أداء دوره الهام فى السوق الدولية، اذا رغب العالم فى مزيد من النمو والتقدم ·

مايكل بلومنتال ـ وزير الخزانة الامريكى


الملك حسين

■ الرمز الحقيقى للسلام هو القدس ، وعودتها عربية هى المعيار الوحيد لصدق الداعين الى السلام فى المنطقة ·

الملك حسين ملك الاردن

■ سيادة الرئيس كارتر : لماذا يدفع ممول الضرائب الامريكى لاسرائيل ثمن احتلالها لسيناء ، ثم يعود ليدفع مرة أخرى ثمن انسحابها من سيناء ؟ !

رسالة من مواطن امريكى


كارتر

■ أنا لا أطلب الرحمة لكنني فقط أطلب العدل ·

ذو الفقار على بوتو ـ رئيس وزراء باكستان السابق

■ التحالف بين الصين واليابان سوف يخلق أعظم قوة اقتصادية فى عالم الغد · ارقبوا هذا العملاق الجديد !

دافيد اوين ـ وزير خارجية بريطانيا


بوتو

■ ماتت حمامة السلام خنقا ·· والذى خنقها لم يكن بيجين رئيس وزراء اسرائيل وانما هم أعضاء لجنة جائزة نوبل !!

« مجلة دير شبيجل الالمانية »

■ بعد تخلى أمريكا عن فرموزا وشيانج كاى تشيك ، بات اليوم الذى تتحلل فيه كل الاحلاف العسكرية قريبا ·· أقرب ما تظن !

« الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر »

■ اسرائيل تملك أمريكا ·· تملك صحفها ·· وتملك بنوكها ·· ومعظم مؤسساتها الكبرى·

« الجنرال جورج براون قبل وفاته »

■ مهمتى فى معظم الاغنيات التى قدمتها ، بل فى جميعها ، هى تلقيح الحزن العام بالفرح الذى يمكن أن يمنحه صوتى ·

« المطربة فيروز »


ديستان

■ لن تصبح فرنسا أبدا امرأة أوروبا العانس !

الرئيس الفرنسى جيكسار ديستان

قرآنيات - ٢

طرح جديد لقضايا المعارضة

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

■ كان واحدا من الحنفاء ، ولكن قريشا لم تسائله كما سائلت من سبقوه ، ومن عاصروه من الحنفاء .

كان واحدا من الحنفاء بنص القرآن الكريم ، الذي يحدثنا عنه على أنه كان ضالا فهداه الله ، وان الله حين هداه لم يهده الى اليهودية او النصرانية الوافدتين الى شبه الجزيرة العربية من خارج ، وانما هداه الى ديانة سماوية اخرى لها جذورها التاريخية في شبه الجزيرة العربية وهي الحنيفية السمحاء - ملة ابراهيم عليه السلام

فيقول الله تعالى عن الهداية من بعد الضلال : « ووجدك ضالا فهدى » .

ويقول الله في هدايته الى الحنيفية السمحاء: «قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا » ويقول في استبعاد الهداية الى اليهودية او النصرانية: - «وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل : بل ملة ابراهيم حنيفا » .

ويقول في قضية الجذور التاريخية : «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا ، انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم » .

ولم تسائله قريش كما سائلت غيره من الحنفاء لم تسائله لانه سلك سبيلا اخرى غير تلك التي كان يسلكها من سبقوه،ومن عاصروه ، من الحنفاء.

لقد كان الحنيف منهم يقف من العودة الى ملة ابراهيم عند حد معين . كان يقف عند عبادة الله وحده من غير ان يتبع ذلك بدعوة دينية تقوم على اساس من دعوة الناس الى نبذ الوثنية والاتجاه كل الاتجاه الى الله وحده ـ الامر الذي كان يعض ما يدعو اليه هو.

لقد كان الحنيف منهم يتخذ له شعارا هو ذلك المعنى الذي جاءت به الاية القرانية الكريمة :- (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ، لايضركم من ضل اذا اهتديتم) .

اما هو فقد كان يهمه اولا وقبل كل شيء هؤلاء الضالون ، فهو لم يبعث الا من اجل هدايتهم وانقاذهم مما هم فيه من ضلال.

لقد كان يعي تماما ان من مسئولياته التي بعثه الله من اجلها الى الناس نبيا ورسولا ، ان يعلم الناس الكتاب والحكمة ، وان يخرج الناس من الظلمات الى النور، وان يهدي الناس الى الحق والى الطريق المستقيم - طريق الذين انعم الله عليهم ، ولا الضالين .

وبعبارة اخرى عصرية ، كان عليه ان يقود الناس في عملية تغيرات جذرية تتناول الاراء

والمعتقدات ، وتتناول كل ما بني على هذه الآراء والمعتقدات من تقاليد وعادات ، ومن قيم اخلاقية واجتماعية يمارس الناس الحياة على اساس منها .

ولم يكن من شان قريش ان تنقاد له في مثل هذه التغيرات ، ولا ان تسلم له في سهولة ويسر بان يحدث مثل هذه التغيرات في مواريثها الثقافية والدينية . ولذا قام الصراع فيما بينهم وبينه ـ الصراع الفكري اولا ، ثم الصراع الجسدي ثانيا ، الصراع الذي انتهى بالهجرة ، وانتهى باتخاذ يثرب بدلا من مكة مستقرا له ومنطلقا لدعوته .

المشكلة الأولى والكبرى

كانت مشكلته الاولى ، ومشكلته الكبرى التي ترتبت عليها جميع المشكلات ، هي دعواه بان الله قد بعثه اليهم نبيا رسولا .

كانوا يقولون له فيما حكى القرآن عنهم :لست مرسلا . وليس من شك انهم لو صدقوا انه حقا رسول الله اليهم لآمنوا به وبكل ما جاء به من عند الله ، ولحدثت التغيرات الجذرية المرجوة في سهولة ويسر

لقد انكروا انه رسول الله اليهم ، وكان انكارهم قائما على معتقدات دينية وقيم اجتماعية هي عدتهم في الصراع الفكري الدائر فيما بينهم وبينه. وكان هو بتوجيهات من القرآن الكريم يبين لهم أن سنة الله في ميدان النبوة والرسالة تغاير كل المغايرة هذا الذي يتمسكون به ويدافعون عنه من معتقدات دينية وقيم اجتماعية . ان سنة الله هي الظواهر الاجتماعية التي لا تتخلف في القادة ، وفي ميادين القيادة . وان سنة الله هذه هي التي سوف نتعرف عليها من تلك البدائل التي يستهدف القرآن الكريم احلالها محل ما كانوا يملكون من متغيرات .

كانوا يملكون في هذا الميدان ثلاث أدوات للتقييم، وكانوا يستثمرون هذه الادوات جميعها في تقييم محمد بن عبد الله (ص) ، وفي التعرف على حقيقة تلك الدعوى التي يدعيها وهي : أنه رسول الله اليهم :

(١) كانت الاداة الاولى : عقيدة دينية يؤمن معتقدوها أن رسول الله الى الناس لا يكون من البشر ابدا ، وهؤلاء هم الذين صور القرآن الكريم موقفهم من محمد عليه السلام حين قال : « وما منع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا أن قالوا : ابعث الله بشرا رسولا ؟» ـ « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شيء » ـ « ابشر يهدوننا ؟ » .

واصحاب هذه المقالة هم الذين رد القرآن الكريم عليهم مقالتهم تلك بقوله تعالى : ـ « قل ! من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس» ـ « وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم » ـ « ولو جعلنا ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

والآية الاخيرة انما تعني ان رسول الله الى الناس لا بد من ان يكون في صورة البشر حتى ولو كان من الملائكة . ولو كان من الملائكة وجاء في صورة البشر لالتبس الامر على هؤلاء الناس وتعذر عليهم ان يعرفوا في يقين ان كان من الملائكة او من البشر. ان الامر سوف يلتبس عليهم ويصبحون في حيرة .

ويرى الرازي ان هذه العقيدة الدينية قد وفدت الى شبه الجزيرة العربية عن غير طريق اليهودية والنصرانية لانهما باعتبارهما من الديانات السماوية لا يقران هذه العقيدة ، ومن شانهما أن يرفضاها وينكراها .

ويرى الشهرستاني ان هذه العقيدة اثر من آثار الديانة الفارسية .

وهذا هو قول الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: «وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام .. الخ » .

« اقول الظاهر ان هذه الشبهة وهي قولهم الله اعلى واجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر انما تمسك بها كفار مكة .. »

ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب ، فامرهم الله بان يرجعوا في هذه المسالة الى اليهود والنصارى ليبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها ، فان اليهودي او النصراني لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها » .

اما قول الشهرستاني فهو : ـ

« ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان . والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين اليه وهم الروحانيون .قالوا:

والانبياء أمثالنا في النوع واشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة – ياكلون مما ناكل ويشربون مما نشرب ويضاهوننا في الصورة • اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم ؟ وباية مزية لهم لزم متابعتهم ؟ « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » •

هذه العقيدة او هذه الاداة من ادوات التقييم لمحمد بن عبد الله هي التي جعلت اهل مكة يذهبون الى أن محمدا هذا ليس بالنبي الرسول ، وانه من اولئك الذين يعرفونهم ويعرفون اتصالاتهم بالارواح الخفية من الكهان والسحرة والشعراء ، او ممن مسهم الجن واصابهم بسوء • ووقف القران طويلا عند هذه الصفات وردها ، وانكر ان يكون محمد عليه السلام كاهنا اوساحرا او شاعرا او مجنونا•

وانكر القران الكريم ايضا أن تكون عملية اتصال هؤلاء بالارواح الخفية عملية صادقة او عملية منتجة • فالارواح التي يدعي الكهان والسحرة ومن اليهم الاتصال بها تعجز عجزا تاما عن أن تعرف أمور الغيب التي يدعي الكهنة والسحرة انهم يطلعون على الغيب عن طريق هذه الارواح •

يقول الله تعالى : – « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » •

ويقول تعالى : – ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير » •

ويقول على لسان الارواح الخفية ذاتها : – « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » •

تلك هي العقيدة التي اتخذ منها اهل مكة اداة لتقييم محمد بن عبد الله عليه السلام ، والتي انتهت فيها عملية التقييم الى انه ممن يتصلون بالارواح الخفية ، كاهن او شاعر او ساحر او مجنون – اى أنه ليس برسول •

ولقد بين القران لنا خطأ هذه العقيدة ، واكد لنا ان رسول الله الى الناس لا بد من أن يكون من البشر ، وان جميع المرسلين الذين جاءوا قبل محمد كانوا رجالا يوحى الله اليهم ويبعث بهم انبياء مرسلين •

قيادة البشر لا بد وان تكون من البشر وتلك هي الظاهرة الاجتماعية التي لم تتخلف من امر الانبياء المرسلين ان تلك هي سنة الله في خلقه •

بحثا عن المعجزة

٢– كانت الاداة الثانية التي يستثمرونها في عمليات التقييم هي المعجزات ، وهي عقيدة دينية استمدها اهل مكة من اهل الكتاب • لقد كان هؤلاء يعتقدون ان الرسول من البشر وليس من الملائكة ، انه بشر يوحى اليه – ولكن لابد من معجزة اى من امر خارق للعادة يتبين الناس منه ان هذا الانسان هو رسول الله حقا•

واداة التقييم هذه هي التي كانت تدفع باهل مكة الى ان يطلبوا من محمد عليه السلام ان ياتيهم باية تدل حقا على انه النبي المرسل اليهم والقران الكريم يذكر لنا من اقوال المشركين واقوال اهل الكتاب من امر المعجزة الدالة على صدق النبوة والرسالة ما يلي : «وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله او تاتينا آية • كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم • قد بينا الآيات لقوم يوقنون » •

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، او تسقط السماء كما زعمت كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا ، او يكون لك بيت من زخرف ، او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه• قل : سبحان ربي ، هل كنت الا بشرا رسولا » •

« يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا : ارنا الله جهرة » •

والمسلمون لا يزالون يعتقدون في هذه الاداة للتقييم حتى الان ، ويبحثون لكل نبي رسول عن معجزة يتخذون منها الدليل على صدق النبوة والرسالة •

ويرى بعض المفسرين كالرازى ان هذه الاداة من ادوات التقييم معقدة الى الغاية ، ذلك لان الاعتماد عليها يتطلب العديد من المعجزات في كل نوبة من نوبات الوحي •

يقول في نهاية تفسيره الطويل لاية « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، او من وراء حجاب، او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء •• » يقول:

وعلى هذا فالوحي من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات •

المرتبة الاولى : ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى ـ المرتبة الثانية : ان ذلك الملك اذا وصل الى الرسول لا بد له ايضا من معجزة ـ المرتبة الثالثة : ان ذلك الرسول اذ أوصله الى الامة فلا بد له ايضا من معجزة • فثبت ان التكليف لا يتوجب على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات •

هذا هو قول الرازي في هذه الاداة من أدوات التقييم ، وهو قول يجيء بعيدا عن موقف القرآن الكريم ذاته من هذه الاداة ـ وبخاصة فيما يخص محمدا عليه السلام •

لقد قص علينا القرآن الكريم الشيء الكثير من امر المعجزات فيما يخص الانبياء السابقين ولا سيما انبياء بني اسرائيل ، ولكنه مضى على غير هذه القاعدة في أمر محمد عليه السلام •

لقد بين القرآن الكريم لنا ان تصديق النبي عليه السلام والايمان بما جاء به ، او تكذيبه ورفض دعواه لا يتوقف أبدا على المعجزات ، وانما يتوقف على الاستعداد الذهني وعلى العوامل النفسية وادراك ما جاء به الرسول من مبادىء ومعتقدات صالحة للحياة وملبية لاحتياجات الناس •

يقول الله تعالى : « ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ـ ولكن اكثرهم يجهلون »

ويبين في آية أخرى ان التكذيب يكون وان العداوة تنشأ عندما يأتي الرسول بما لا تهوى النفوس • يقول الله تعالى : « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »

انه من هنا طلب القرآن الكريم من النبي عليه السلام ومن معه ان يتحملوا الاذى ، ويتجملوا بالصبر • يقول الله تعالى : « لتبلون في اموالكم وانفسكم ، ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا • وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » •

ويبين للنبي عليه السلام ان كتاب الله ـ وهو الاداة الى التغيير الجذري ـ يكفي في الدلالة على انه رسول الله اليهم • يقول تعالى : ـ « أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » •

ويبين للناس ايضا ان المعجزات انما تكون للتخويف ليس غير ، ولا علاقة لها بصدق الرسول !

يقول الله تعالى : ـ « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات الا تخويفا » •

ويعلق الطبري على الآية الكريمة : ـ « ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها أفهم يؤمنون ؟ » ـ بما يفيد انه لا علاقة بين المعجزة والايمان ، وانما العلاقة تكون بين المعجزة والعقاب بالهلاك •

يقول رحمه الله : ما آمن قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا : فليأت محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله ، من أهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا اذ جاءهم رسولنا اليهم بآية معجزة انهم يؤمنون •

يقول : أفهؤلاء المكذبين محمدا ، السائلوه الآية يؤمنون به ان جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الامم الخالية التي اهلكناها » ـ انتهى كلام الطبري •

والظاهرة الاجتماعية التي لا تتخلف ، والتي نراها في هذا المقام من سنن الله في خلقه ، هي التي تدل عليها الآية التالية : ـ « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم فسوف يبصرون » •

على الرسول ان يتأكد من النصر ، ولكن عليه قبل ذلك ان يتحمل التبعات الى حين تستعد النفوس وتتقبل الهداية ، وعليه أن يبصر الناس بالحقيقة الى ان يبصر الناس وعند ذلك يكون النصر •

عند ذلك يتم التغيير لصالح الناس ويأخذ الناس في ممارسة الحياة على أساس من البدائل الجديدة • « وأبصرهم فسوف يبصرون » ، صدق الله العظيم •

ليس بالمال والجاه

(٣) واما الاداة الثالثة من أدوات التقييم فلم تكن دينية وانما هي من القيم الاجتماعية التي نبتت في شبه الجزيرة العربية ولم تفد عليها من فارس أو تدخل اليها مع أهل الكتاب •

هذه الاداة عربية خالصة ومرتبطة بالوضع الاجتماعي الذي يجب ان يكون عليه من يتعرض لقيادة المجتمع في حركة اصلاحية ، أو حركة تغيرات جذرية •

والقيادة في المجتمع المكي كانت للملأ ـ أي

للاقوياء الذين يستمدون قوتهم من كثرة الاموال والاولاد .

لقد كانوا يقولون فيما حكى القرآن عنهم :ـ « من اشد منا قوة » . وكانوا يقولون :ـ « نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين » وعلى اساس من هذا نظروا الى محمد بن عبدالله عليه السلام ووزنوه بهذا المعيار ، وكان منهم ما حكاه القرآن عنهم حين قال : ـ وقالوا: ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ، لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز . او تكون له جنة ياكل منها ..»

« وقالوا : لولا نزل القرآن على رجل من القريتين عظيم » . ويعلق الرازى على هذه الاية الاخيرة بقوله :ـ « وهؤلاء المساكين قالوا :منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف»

وقد صدقوا في ذلك ، الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي : ان الرجل الشريف هو الذى يكون كثير المال والجاه ، ومحمد ليس كذلك فلا تليق رسالة الله به ، وانما يليق هذا المنصب لرجل عظيم الجاه كثير المال في احدى القريتين : مكة والطائف .

وهم لم ينظروا هذه النظرة لنبي الاسلام وحده، بل نظروها الى المؤمنين ايضا . قال تعالى مصورا موقفهم : « واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا : اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا » .

وتقييم الناس على اساس من الثروة والجاه لن تغنى عند الله شيئا . ولقد عرض للمواقف السابقة وكانت اجابته عنها كما يلي :ـ

«تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك: جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا» . «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون . ولو ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين » .

قيمة الانسان عند الله ليست بالثروة اوالجاه، ولو كان الامر كذلك لجعل المولى سبحانه وتعالى رسله الى الناس من الاغنياء الموسرين اصحاب الجاه والسلطان .

ان قيمة الانسان عندالله انما تكون بالتقوى ـ اى الايمان والعمل الصالح . العمل الذى يصلح به حال الفرد وحال المجتمع .

والظاهرة التي نسجلها في هذا المقام ونجعلها من سنة الله في خلقه هي ان قيادة المجتمعات في ميادين الاصلاح والتغيرات الجذرية لا تعتمد على تلك المعايير التي كان يعرفها الناس يوم ان بعث محمد عليه السلام والتي صورناها فيما مضى، وانما تعتمد على ما يملك الانسان من طاقات وقدرات ذهنية يستثمرها في العمل من اجل الارتفاع بانسانية الانسان الى المستوى الافضل .

ولقد اختار الله جميع الانبياء والمرسلين على هذا الاساس . اختارهم لما يملكون من طاقات روحية وقدرات ذهنية وليس لما يملكون من قوة تقوم استنادا الى الثروة والجاه ...

ومحمد بن عبد الله عليه السلام كان خاتم الانبياء والمرسلين ـ اى الجسر الذى يعبر عليه القادة من اختيار الله لهم الى اختيار الناس لهم . ومن هنا كان اصرار القرآن الكريم على توكيد الصفات البشرية فيه. الصفات التي يجب ان تتوفر في كل الذين يتعرضون لقيادة البشرية ممن يجيئون بعده .

لقد اختار الله محمدا ليكون القائد ، وهو اليتيم الذى اواه الله ، وهو الفقير الذى اغناه الله . وكان ذلك ايذانا بان القادة انما ينبتون نباتا شعبيا . ينبتون وسط مشكلات البشرية فيدركون ابعادها ، ويتخذون موقفا منها .موقفا يقضى عليها ويهيىء الحياة الافضل للمجموعة البشرية .

والذى يحقق الحياة الافضل هى السبيل التى حددها القرآن الكريم وجعلها من مسئوليات الانبياء المرسلين

● تعليم الناس الكتاب والحكمة ● اخراج الناس من الظلمات الى النور ● هداية الناس الى الحق والى الطريق المستقيم . وصدق الله العظيم . ■■

القاهرة ـ د : محمد أحمد خلف الله



شاعر العربية

بدوى الجبل

بقلم : اكرم زعيتر

صدر اخيرا اول ديوان شامل للشاعر بدوى الجبل ومعه مقدمة ضخمة للسياسى والكاتب الكبير اكرم زعيتر .. ونحن ننشر هنا جانبا من هذه المقدمة ، ففيها تعريف بالشاعر وبفنه وبفترة غنية من الحياة السياسية والفكرية والادبية فى العالم العربى .

اقدم الى العربية شاعرها بدوي الجبل .

وعلى ان العبقرية الشاعرة من صنع الله ،ونفحة العلي الاعلى ، فان منجمها البيت الذي فيه نبتت ، وصيقلها البيئة التى فيها ترعرعت،فالشيخ سليمان الأحمد كان من اعلام الديار الشامية فقها ولغة وادبا ، وهو فى الجبل العلوى،فى قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية ، مبجل فى قومه ، وبيته مثابة لرواد الفضل ، يرتل فيه القران ، ويجود الشعر ، وينظم الشيخ المتصوف فى الحكمة ، وبعض مرامى الشعر الشريفة ،تساعفه قريحة ثرة . والولد (محمد) ما تتلمذ فى حداثته لمدرسة ابتدائية فى الجبل واعدادية فى اللاذقية على قدر ما تتلمذ لأبيه فى ديوانه الذى تبق فيه طيوب الشاعرية ، حتى ليجىء اولاده الثلاثة : محمد واحمد وفاطمة شعراء .

وكان محمد وقدة ذكاء ، يتلقف فى الديوان كل سرى من نظيم ونثير ، ويختزنه فى مستودع الاوعي ، لترفد مفرداته بعد ذلك ذهنه السخي،وقريحته المخصاب بالبيان الأجمل .

ولا يرى الفتى النابغ فى وطنه الا ما ينم على القهر ، وما يشي الى الفقر ، وما يضرب مثلا فى الاعتساف ، ولا سيما فى سني الحرب العجاف،ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع همسات الاسى، وهمهمات التذمر ، ودبيب الاماني ... اماني الخلاص ! ثم تلمح بوارقه فى ثورة الشريف الحسين ابن علي امير مكة ، فتموج بالمطامح القومية،ثم تتنور اشراقة المجد فى الموكب الفيصلي ، يهل على دمشق ، والعربية تبعث من مرقدها ،تتلظى بالانفة والحمية .. فيبادر الى دمشق ينشد اندبتها بواكير شعره ، وقد احبها ، وثبت على حبها وفضلها على بلاد العالمين .

وكان « متصرف » اللاذقية حين احتلها الفرنسيون ذلك العربى الكبير ، رشيد طليع ، الذي غدا فى العهد الفيصلى وزيرا للداخلية،وقد توثقت بينه وبين الشيخ سليمان اصرة صداقة ، وشام فى الفتى « محمد » مخايل النجابة ، فلما ثار الزعيم العلوي الشيخ صالح العلي على الفرنسيين، واخذت الحكومة الفيصلية تظاهر الحركات التحررية ، واتفق الراي ابتغاء التوثيق والتنسيق ، على الاتصال بالشيخ الثائر فى مقره الجبلي ، رشح رشيد طليع لمرافقة الوفد فتانا محمدا لنجابته ولمنزلة أبيه ، وحين عاد الوفد موفقا ، قدم رئيسه يوسف العظمة ، وزير الدفاع الفتى محمدا الى الملك فيصل منوها به ، فشكر له الملك جهده ثم واصل اتصالاته ، مما جعل الفرنسيين يحتقدون عليه ويتربصون به .

رحلة السجن

وكانت الفاجعة ، واقتحم الفرنسيون دمشق غزاة عتاة بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمة ، ذاك الذى مجد الشاعر الفتى بطولته ، وشدا شهادته ، واهدى بواكير شعره « الى تلك الروح الكبيرة التى تمردت على العبودية وعلى الحياة » . وعلم الشاعر ما تبيته الاحتة الفرنسية ، فلاذ بحمى البطريرك العربى، الشامخ الوطنية ، غريغوريوس حداد واستخفى فى بيت صديق ثم يمم حماة ماشيا علة يتسلل منها الى معتصم الثوار فى الجبل ولكن الفرنسيين اهتدوا الى مخبئه فاعتقلوه ، وادموا قدميه ضربا ، ومعصميه تكبيلا وتشغيلا ، وقد رأى فى السجن كيف تستباح ارواح ، وكيف يصلب مجاهدون ، ثم سيق الى حمص فبيروت حيث مكث فى سجنها اشهرا ، فاللاذقية حيث لبث فى قلعتها حينا ، ولما اطلق كان التنكيل به قد احتفر فى خواطره اخاديد من الذكريات الراعبة.

ولعل الشاعر ، وقد اوهى الاضطهاد جلده، واعيته مناهضته ، جنح الى مهادنة المحتل حينا، ولكن ما اسرع ما استغفر الله وهنأ الم به،واستجاب للصارخة القومية ، يوم نفخ فى صور الوحدة السورية ، لم يفزع من ترهيب ولم يخضع لترغيب . كلا ، بل انه انتمى الى الكتلة الوطنية منغمرا فى حياة تنذر بصنوف المصاعب والوان المتاعب هاتفا :

« ويا رب : درب في الحياة سلكته   وما حدت عنه لو عرفت الغيبا ؟
وعرفته البرلمانات الوطنية نائبا يمثل عروبة جبل العلويين من انسال غسان وتنوخ . وغاظ الفرنسيين والسنتهم هذا فعيرته صحيفة في بيروت بموقفه فاجاب انه بحمد الله قد جهر بالوطنية وهي جذوة تحرق كف لامسيها ، وبكلمة الوطن قوية ، والهمس بها ـ خلافا الجهر ـ يكلف السجن والتشريد .

وحين خاس الفرنسيون سنة ١٩٢٩ بالوعد ، ونكثوا العهد وتقوض الحكم الوطني ، وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفراتية بالانفصال ، ظل البدوي واخوانه يذودون عن الوحدة . ثم اسقطت الحرب الحصانة عن النواب وأيقن الشاعر انه ليس بمنجاة من غدر الفرنسيين فقطع البيداء لائذا بالعراق . واذكر انني كنت في عملي ، موجها قوميا في معارف العراق ، حين باغتني البدوي ، اشعث ، اغبر ، قد اضناه السفر ، ونهكته الوعثاء ... ولكن ما اسرع ما انبسطت اساريره باللقاء ، واطمأن الى النجاء ، وانشرح صدره بالاحتفاء ، وتباشر الادباء وحملة الفكرة القومية بقدومه . وفي العراق نظم دموع الشام شعرا ، وهز ساسته ، واستثار حميتهم لنجدة اخوانه الأحرار المصفدين في غيابات سورية ولبنان .

وحين انتهت ثورة الجيش العراقي على الانكليز تلك الموسومة بالكيلانية سنة ١٩٤١ وكانت للبدوي مشاركة اعلامية فيها ، عاد الى سورية فاعتقله الفرنسيون ، وزجوه في قلعة « كسب » على الحدود السورية التركية ، ويا لوعة قلبه حين قضى ابوه الجليل وهو في المعتقل ! على ان الشاعر السجين قد الهم في محبسه من الروائع ما يزري بكثير من قصائد الحبوس ، فلم يكد يستعيد حريته حتى نودي لرثاء البطل الثائر ابراهيم هنانو في حلب فراح يفجر طاقات شعره التي اختزنها منفيا او سجينا .

وبالتزكية الجماعية غدا الرجل نائبا للاذقية ، وفي هذا الآن استقلت سورية وتحقق الجلاء ، فغنى الاستقلال وشدا ابطاله ، وندب شهداءه .

وفي ذكرى « هنانو » وكنت رصيفه ، ارسل قصيدته ، ذات العنوان ، عنفوان ذوي القدمة في النضال :

« كتب المجد ما اشتهت غرر المجد   ونحن الكتاب والعنوان
نحن تاريخ هذه الأمة الفخم   ونحن المكان والسكان »

وفي قصيدة اخرى ، اهداها الى روح هنانو ، هي قصيدة الاباء والكبرياء ، لا يحجبهما سجن ولا يمقيهما قبر :

« اذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة   ففي نفسه دنيا هي العز والكبر
وان حجبوا عن عينه الكون ضاحكا   اضاء له كون بعيد هو الفكر

البلبل الغريب

وقد تمثل لي ، وانا اسمعها ، ابو الطيب المتنبي : فحلب موطن سيف الدولة ، وحلب معقل هنانو ، والبدوي في تمجيد هنانو هو المتنبي في تعظيم سيف الدولة ، شمم انف وجزالة نظم ، وقوة بيان ورنين قواف واوزان ، وقد خاطب شاعرنا بطله :

« نماك وسيف الدولة الدار والهوى   وغناكما اندى ملاحمه الشعر
واقسم بالبيت المحرم ما احتمت   بامنع من كفيكما البيض والسمر
فان تفخر الشهباء فالكون منصت   وحق بسيفي دولتيها لها الفخر »

وقضت احداث بتنحيته واخوانه عن النيابة والحكم فاصابه ما اصابهم من مغرم ، وقد انقذه من الاعتقال محافظ اللاذقية يومئذ ، سعيد السيد ، وكانت له قدم صدق في الحركة الوطنية ، حين تلقى امرا بالقبض عليه فهربه بسيارته الرسمية الى لبنان .

اترى ديوان الشعر العربي يخوالد من روائعه ، « فالبلبل الغريب » وقد نظمها في فيينا ، بث فيها حنانه حفيده محمدا ، وما احسب ان شاعرا قال مثلها في حفيده ، ومطلعها :

« غرب من مخضوضل الدوح بلبل   فشرق في الدنيا وحيدا وغربا »

وفيها يهتف :

« تود النجوم الزهر لو انها دمى ليختار منها المترفات ويلعبا
وتندى كنوز من حنان ورحمة نعيمي ان يغرى بهن وينهبا
ويوجز فيما يشتهي وكأنه بايجازه دلا اعاد واسهبا
يزف لنا الأعياد عيدا اذا خطا وعيدا اذا ناغى وعيدا اذا حبا »

واثارت القصيدة شاعر الشام الكبير شفيق جبري فارسل رائعته « بلابل دوح » :

« سل الشام من غنى حماها فاطربا ومن راح يسقيها الشراب المطيبا »

ورد البدوي ــ وكان في جنيف ــ تحية جبري بمثلها : « حنين الغريب » :

« وفاء كمزن الفوطتين كريم وحب كنعماء الشآم قديم »

وفي جنيف اضناه الحنين الى الشام ، فجاءت « ابتهالات » اعذب ما هتف به شاعر غريب ، ورقرق عيني قوله :

« هذا الاديم ابي وامي والبداية والمآب وامومة وطفولة ورؤى كما عبر الشهاب »

وانهى « ابتهالاته » وقد تجاوزت المئة من الابيات :

« أنا والربيع مشردان وللشذا معنا ذهاب
دنيا بقلبي لا تحد ولا تراد ولا تجاب
والنور يسال والخمائل والجمال : متى الاياب ؟ »

فكتبت اليه : « حبذا غربة العبقري اذا هونفح الادب بمثل « البلبل الغريب » و « حنين الغريب » .. وكم ترنح بالنشوة اديب او ذواقة وهو يرتل للعبقريين بنات محنتهم ولمرات شقوتهم، على ان العبقري يثار لنفسه حين يجعل الظالم هزاة بين الناس في التاريخ ، وظلمه مخزاة لاصقة به ، سبة دهر وعار ابد ! ويثار لنفسه بمــا يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه » واجابني برسالة نابغة ، ويوم تلقيتها ، جاءتني رائعة للشاعر الكبير شفيق جبري مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وقد استحال نشرها لعنف ما فيها ، فبادرت الى ارسالها الى البدوي اجمل هدية ، واوسم تحية ، وقد هتف به في مطلعها :

« يا نائحا خلف العباب ادموع عينك أم لهاب
رفقا بقلبك ان يذو ب وقلب ربعك ان يذاب ! »

من وحي الهزيمة

وعاد الشاعر الى وطنه واستفزته هزيمة حزيران في فلسطين سنة ١٩٦٧ فاطلق عاصفته « من وحي الهزيمة » في مئة وثلاثة وستين بيتا ، فيها براكين وصواريخ ، وفيها معارك وغارات ، وفيها دموع وآهات ! ! وذات صبح كان البدوي يمشي ، على عادته في الرياضة اليومية ، واذا بشرير يهوى على راس الشاعر بطعن دراك افقده وعيه ونقل محطما الى مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهود موصولة للعثور عليه حيا او ميتا ، ولكن انذارا صارما وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ اللواء حافظ الأسد للآثمين باعادته فورا ادى الى طرحه خفية في احد المستشفيات وهو يحتضر ، ونمت ساعة يده عليه فبذلت جهود لانقاذه واستنفر لذلك اطباء من سورية ولبنان حتى افاق بعد اربعين يوما من غيبوبته ، وتماثل وئيدا وئيدا من علته ، فدفعت عن تاريخ العربية معرة قتل شاعرها ، وليتها استطاعت ان تدفع مثل هذه المعرة قبل اجيال في مصرع ابي الطيب المتنبي . وقيل ان مدبر اغتيال الشاعر ، قد انتحر بعد حين ، فتذكرت ان آخر بيت في « وحي الهزيمة » هو :

« لم اهادن ظلما وتدري الليالي في غد اينا هو المدحور ! »

كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة « الف باء » الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ، وحدث ان هز العالم نبأ المناضل الايرلندي ، ماك سويني ، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في بلاده صياما حتى الموت ، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ثم قضى صائما ، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية ، وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، رأى قصيدته مذيلة

بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فاجابه : « ان الناس يقراون للشعراء المعروفين ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال القصب ... وانت ابن الجبل » . وتوالت قصائد « البدوي » ونقلتها صحف في بيروت شـادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ . أهو خير الدين الزركلي ؟ ام هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الادباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الأحمد ! » وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون .. وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه ، ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨ لاجل فلسطين ـ وكنت فيها ـ كان يتلقى لكل اجتماع او حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيتهما : « سعادة النائب محمد سليمان الاحمد » .. ومما اذكره توكيدا للقول ان نفاسة الشعر تعلن نفسها ، ان مجلة « الهلال » المصرية ، نشرت ابياتا من الشعر عزتها خطأ الى سيدة ، وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الأبيات المعزوة الى سيدة لم يسمع بها فكتب الي من باريس : « هذه الشاعرة الساحرة تسجد امامها فواق الشعر ، وبحني هاماتهم شعراء العصر . ادعو لها بطول العمر ! » وكنت أعلم ان تلك الأبيات من قصيدة « اللهب القدسي » لبدوي الجبل . وما لبثت المجلة حتى صححت اغلوطتها ، ولكن عبارة صيدح جـاءت على وجازتها تقويما عفويا لشعر من شاعر .

شبيه بذاته فقط

درس شاعرنا في ديوان ابيه وحفظ ووعى شعر قدامى الفحول كالمتنبي ومهيار والرضي والبحتري وابي تمام و « حماسته » ، ولكنني اقطع بانه شبيه بذاته ، له كيان شعري مستقل بأدواته ، ديباجة وخيالا ، ومعاني ونغما ، وقد يقال في شعراء مجيدين انهم متأثرون بالبدوي ولا سيما بعد أن يذهب زبد الشعر الطلسمي المتفشي جفاء ، ويمسي هباء ! على أن شاعرنا تأثر نزعته الصوفية بجده الأكبر ، الشاعر العلوي المتصوف الامير حسن بن مكزون السنجاري .

قلت : ان مدرسته ديوان ابيه ، وأشرت الى الشعراء الذين قرأ شعرهم ووعاه ، ويهمني ـ وثقافة الشاعر عنصر في خصوبة ذهنه ـ أن اقول : انه درس القرآن والحديث والنهج واوغل في مطالعة كتب الادب العربي كالاغاني والامالي وآثار الجاحظ والتوحيدي ، واذا حرم معرفة لغة أجنبية فقد عب المترجمات العربية من آداب واجتماع وتاريخ ومذكرات وروايات ، واذكر انه قرأ مترجمات شفيقي عادل في الفلسفة والتاريخ والاجتماع واشاد بها اي اشادة .

★ ★ ★

لي مع الشاعر تجارب ، وهذه التجارب تدلني على انه ـ وهو الشاعر المطبوع ـ لا يصطنع الشعر اصطناعا ، ولا يملك أن يقول الشعر ساعة يشاء ، وأن الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وقد يمضي وقت طويل ، لا ينظم فيه بيتا ، وقد يرسل ثلاث قصائد في شهر واحد ! واذا سألته : لم ؟ قال : « الارادة بنت العقل ، والشعر ترجمان القلب ... اذا لم يجئني الشعر عفوا ، نعذر على استحضاره اقتسارا » . وقد ادركت أن دواعي المنطق لا تجدي ان لم يكن ثم حافز عاطفي مثر ... وشرارة تستوقد القلب .. وحين يهتف بالمطلع متأثرا ، قد يسلس الشعر قياده ويغدو الكلام غير ما وصفه « ابو حيان » : صلفا تياها .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمان باريس ، قرر نادي « المثنى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي أطلق الحسين بن علي رصاصتها الاولى ، وأردناها تظاهرة عربية وحدوية ومناسبة لتجميع القوى القومية والدعوة الى التخطيط للمستقبل العربي ، ومواجهة الاحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجوت البدوي أن يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فالححت في الرجاء فاصر على الاعتذار ، فهامست نفسي

« لا بد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لسان الشاعر ! » وانطلقت اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية ... فرطت في اسكندرونة . . دمرت دمشق .. انت هنا مشرد ترشف رزقك مدرسا ، وابوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة الا براك .. ، اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها .. الجزائر ، المغرب ، تونس ... ما فعلت فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما اذاقتنا ؟ وابو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم مجحودا ، وقبراك جوار الاقصى ، وفي ذكرى الثورة انت الذي تنصفه ميتا كما انصفته حيا » وعلى هذه الوتيرة استرسلت متأثرا ، الى ان برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة ، او هي كلماتها النثرة ، ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف بهمهم . وارق تلك الليلة .. وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت ابصار الحشد في النادي الى البدوي وارهفت الآذان ... فانطلق :

« يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا ... رق الحديد وما رقوا لبلوانا

خل العتاب دموعا لا غناء بها ... وعاتب القوم اشلاء ونيرانا »

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

« اني لاشمت بالجبار يصرعه ... طاغ ويرهقه ظلما وعدوانا

سمعت باريس تشكو زهو فاتحها ... هلا تذكرت يا باريس شكوانا

عشرين عاما شربنا الكاس مترعة ... من الأذى فتملى صرفها الآنا »

قلت ان استثارة الحس الوطني والدفاع عن الاهداف القومية من اغراض شعر البدوي ، وهو داعية الحقد الوطني على المحتل الظالم ، فما يذكي مقاومة الغاصب مثل هذا الحقد ، الذي ادعوه (الحقد المقدس) :

« آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا ... وابعد الله اشفاقا وتحنانا

ويل الشعوب التي لم تسق من دمها ... ثاراتها الحمر احقادا واضغانا »

والفواجع والهموم والاحزان القومية مذكيات للعزائم ، حافزات للثار ، واذا كان للمؤرخ توينبي نظرية التحديات في احداث التاريخ ، فالرزايا الوطنية هي اعنف التحديات في شعر البدوي :

« وقد عرفت الرزايا وهي منجبة ... فكيف لم تلد الجلى رزايانا

يا وحشة الثار لم ينهد له احد ... فاستنجد الثار اجدانا واكفانا »

واما الحقد الشخصي فما اسرع ما يغسله الاسى ويمحوه الحنان :

« غسل الأسى قلبي وحسبك بالأسى ... من غاسل حقد القلوب وماحي

وددت حين هوى جناح حمامة ... لو حلقت من خافقي بجناح . »

الى بناة الحدود

ومن سمات شعره القومي دعوة ملحة الى الوحدة العربية ، واذكر اننا تراصفنا في تابين غازي وهنانو ورياض وفي ذكرى الثورة العربية في بغداد وبيروت ، فكان في قصائده كلها داعية الوحدة العربية .

فهو صاحب البيت الذي اتخذناه شعارا قوميا :

« ليس بين العراق والشام حد ... هدم الله ما بنوا من حدود »

وله :

« يا بناة الحدود ، لا تعرف الصحـ ... ـراء في زحمة الأعاصير حدا »

وفلسطين ، قضية العرب الاولى ، هو ذا شاعر العربية يثير النخوات ، ويؤجج الثارات ، يبكت ويندد ، وينذر ويهدد :

« قد استرد السبايا كل منهزم ... لم تبق في رقها الا سبايانا

وما لمحت سياط الظلم دامية ... الا عرفت عليها لحم اسرانا

وشعر البدوي ذو نغم رائع .. هذا النغم هوالذي يسمو به عن ابداع اللوحات الرتيبة لأكابر الرسامين ، ويميزه عنها ، انه يحفظ ويرتل ، ويرنم وينغم ، ويرتسم في الحافظة فينشد ،وبه يستشهد .

ومن العجب ان يقضي التجديد لدى البعض بتجاهل النغم ، وان يحتجوا بأن مدرسة شعرية في الغرب تقول بهذا ، وهم لا يريدون ان يدركوا ان الشعر العربي غير الاعجمي ، وبدوي الجبل الشاعر الضخم لا يكون شاعرا عربيا اذا هو تخلى عن النغم ..

والمفردات لدى البدوي غزيرة ولكنك لا تقع على غير مأنوس فيها ، على طول نفسه الشعري .

وما احسب أن اتساق اللفظ والمعنى ، ومواءمة جزالة المبنى لجلالة المعنى ، وفخامة الكلام لجسامة الحادث، وقدرة الفن الشعري التصويري للبدوي يتجلى بأروع من قوله في تأبين هنانو :

« زحف البحر بالجبال من الموج دراكا وجرجر الطوفان
لطف الله بالسفينة لم يسلم شراع ولا نجا سكان
تخبط الليل ، والعواصف والركب حيارى ، دليلهم حيران

اما الرقة التي تناسب المعنى ، اما اللفظ الحاني الحنون ، العطوف ، فدونك رثاءه سعد الله الجابري ومطلعه :

« سال الصبح عن اخيه المفدى ايها الصبح لن تشاهد سعدا ! »

نعم ان شاعرنا لا يفصل بين المعنى والديباجة واذكر أنه سمعني يوما اردد لنابغة الشعر العربي الكبير خليل مطران قوله معجبا به :

« كذلك وعر راقه حسن كوكب فأرجاه تدمى وعيناه في السما »

فبادهني : الصورة رائعة ولكن هلا قال :

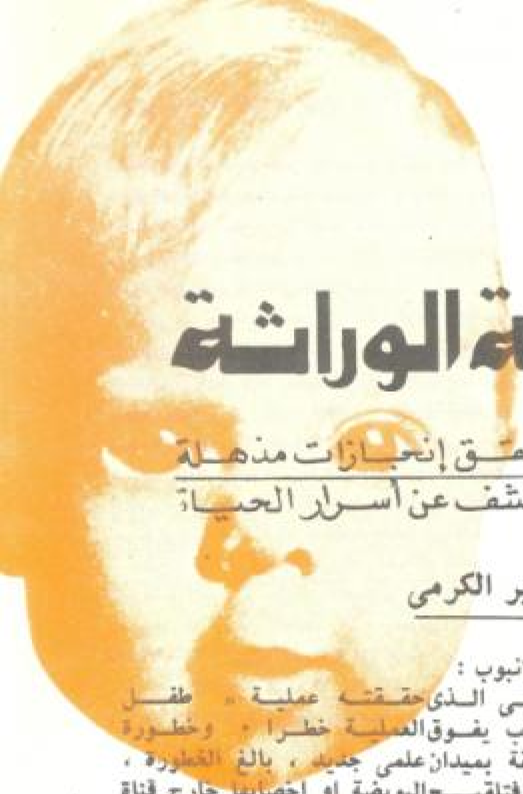
« ومتفرد في البيد اغراه نجمة فأرجله تدمى وعيناه في السما »

ولعل آراء الشاعر في الشعر تفصح عن اسلوبه، وصداقتنا الحميمة مكنتني من استبار مذهبه في قديم الشعر وحديثه : انه لا يؤمن بوجود مدارس شعرية فالشعر اما ان يكون رفيعا او لا يكون ، ولا وسط ، وهناك شعراء لا مدارس ، والشعر المسمى بالحديث ، لا هوية له ، ولا يثبت على الزمان ما تخلى عن الأوزان وتنكر للطابع والروح العربيين ، وقد يكون الكلام فلسفة او حكمة ، وقد يكون رائع الخيال وقد يكون كل شيء الا ان يكون شعرا عربيا فيه وسامة الشعر العربي ونشوته . نعم انه يفتقد الجمال الشعري لأن الأوزان عذوبة ونغم وجمال وعطر ، وهي هدية الله الى الروح .. والكلام الذي لا يلتزم قواعد العروض ليس شعرا والأوزان قد اتسعت وتتسع لنزعات النفس ، والخليل بن احمد لم يبتدعها ولكنه ضبطها ،وهي ليست صناعة ، وانما تنسكب من السريرة انسكابا ، ولا يكون التجدد في نسفها ، وانما هو في ابتداع المعاني والأخيلة والصور مع الالمام باللغة والادب ، اجل « ان الاوزان اساور وعقود ، لا سلاسل وقيود ! » . والشعر في أوزانه أقرب الى العفوية من هذا الذي يسمونه جديدا ويقول البدوي : انه لم يدرس العروض ولكنه جعل شعره يجيء المرهف منسجما مع الأوزان ...

★ ★ ★

وقبل ان أطرح القلم ، لا يفوتني انقول : انه اذا طغت المادة في هذا العالم طغيانها ، وتضخمت في الحياة أعباؤها ، وتعاظمت همومها وأرزاؤها ،وانتشرت في النفوس الفجوات ، وفي الارواح الجدوبة ، فانه لا بد للانسانية من اللياذ بالفن الرفيع ـ والشعر اسمى بدائعه ـ ، به تجمل وجودها ، وتبدد كآبتها ، وتخضب بالبشر وجوهها . انه لن يفقد سلطانه على الدهر ، ولن ينضب معينه من السحر ! . ■■

اكرم زعيتر



أخطر من طفل الأنبوب :

هندسة الوراثة

علم جديد حقق إنجازات مذهلة في محاولة الكشف عن أسرار الحياة

بقلم : زهير الكرمي

اخطر من طفل الانبوب :

■ الانجاز العلمي الذي حققته عملية « طفل الانبوب » له جانب يفوق العملية خطرا • وخطورة ذلك هو صلته الوثيقة بميدان علمي جديد ، بالغ الخطورة ، هو هندسة الوراثة ، فتلقيح البويضة او اخصابها خارج قناة فالوب ، وفي انابيب الاختبار ، كفيل بازالة كثير من العقبات التي كانت تعترض مساعي العلماء للسيطرة على الخلية والتحكم في اسرار الحياة •

وسنحاول هنا ان نلقي بعض الضوء على جوانب من هذا الميدان ، ونتعرض لبعض ما يقوم به العلماء فيه من تجارب وابحاث وبعض ما تسنى لهم تحقيقه من منجزات •

من المعروف ان كل كائن حي ـ عدا الكائنات الحية الدنيئة جدا ذات الخلية الواحدة كالبكتيريا والحيوانات الاولية ـ يبدأ حياته كجنين ياخذ نصف خيوطه الكروموسومية او الوراثية من الاب والنصف الاخر من الام • وتبدأ خلية الجنين الاولى بالانقسام والتغذي والنمو ، فالانقسام ، الى ان يصبح الجسم مكونا من بلايين عديدة من هذه الخلايا • ويكمن سر الحياة في ان الخيوط الكروموسومية التي تحمل مراكز الصفات الوراثية قادرة على نسخ نفسها نسخة طبق الاصل عند كل انقسام •• وهكذا تكون النتيجة ان بلايين الخلايا في الجسم تحمل في انويتها نسخة طبق الاصل من الخيوط الكروموسومية، نوعا وعددا ، وتحمل بالتالي الصفات الوراثية التي تتمثل في تلك الخيوط • فانوية خلايا الجلد في اي انسان على سبيل المثال تحمل نفس الصفات الوراثية الموجودة في انوية خلايا دماغ ذلك الانسان، وفي كبده وعضلاته وكل جزء من جسمه •

وعند النضج يحدث في الاعضاء التناسلية انقسام يختلف قليلا عما ذكرنا • فالخيوط الكروموسومية هنا لا تنقسم بل تنفصل ، بحيث يذهب الخيط الذي جاء اصلا من الاب في خلية ويذهب الخيط الذي جاء اصلا من الام في خلية اخرى •

ومعنى ذلك ان تلك الخلايا الجنسية تحمل نصف عدد الخيوط الكروموسومية التي تحملها خلايا الجسم •

✱ راجع انباء الطب والعلم في هذا العدد صفحة ١٠٢

فاذا تزوج البالغ وحصل الاخصاب فانه يحدث بين خلية ذكرية بها نصف عدد الخيوط الكروموسومية المعتاد وخلية انثوية بها نصف ذلك العدد ، وبذا يعود الجنين ليحمل في نواته الاولى العدد الكامل المعتاد من الخيوط الكروموسومية .

ومنذ ان استطاع السير فرانسيس كريك وجيمس واتسون في كمبردج بانجلترا في منتصف هذا القرن اكتشاف تركيب هذه الخيوط المعروفة باسم الكروموسومات في انوية الخلايا ، ونتيجة لتطوير استعمال المجهر الاليكتروني نجح العلماء في رسم خرائط لهذه الخيوط الكروموسومية ، وتحديد اماكن مراكز الصفات الوراثية عليها ، وكذلك معرفة تركيب هذه المراكز وكيفية عملها في الجسم .

وفتح ذلك كله الباب على مصراعيه امام العلماء لمحاولة « اللعب » بمراكز الصفات الوراثية هذه وتغييرها او تحميل الخيط الكروموسومي بمراكز صفات وراثية جديدة لم تكن في الاصل من صفات ذلك الكائن الحي، بل تؤخذ من كائن حي آخر وتركب على الخيط الكروموسومي بعمليات دقيقة جدا بمساعدة المجهر الالكتروني . ويسعى العلماء الى زيادة اتقان عملهم باستئصال مراكز الصفات الوراثية الرديئة ووضع مراكز صفات جيدة في مكانها .

اكل لمرضى السكر

انصب اهتمام العلماء على بكتيريا تعرف باسم اشيريشيا كولاي (E.Coli) وهي بكتيريا غير ضارة تعيش في امعاء الانسان الغليظة ومسالكه الانفية . وتتميز هذه البكتريا عن ذبابة الفاكهة وغيرها من النبات والحيوان بان دورة حياتها تتم في مدى عشرين دقيقة كما ان تكاثرها نتيجة ذلك كبير وهائل ، ففي مدى يوم واحد يستطيع العالم ان يحصل على بلايين منها .

وبدأ العلماء يغيرون من صفاتها ويضيفون اليها صفات اخرى .. ولعل احدث ما توصل اليه العلماء في هذا المجال ما نشر في شهر سبتمبر من عام ١٩٧٨ من تمكن فريقين من العلماء من تحميل هذه البكتريا صفات تجعلها قادرة على انتاج الانسولين الذي ينتج عادة في غدد خاصة في بنكرياس الانسان والحيوان الثديي . وكما هو معروف يؤدي اضمحلال هذه الغدد المنتجة للانسولين في الانسان الى الاصابة بمرض السكري ... وليس لهذا من علاج ناجع ... وكل ما تمكن الطب من تقديمه هو استخلاص الانسولين من غدد بنكرياس حيوانات اخرى كالخراف والابقار ، وحقن المصاب بالسكري بهذا الانسولين ليعوض به ما افتقده نتيجة اضمحلال الغدد المفرزة له . ولكن الكشف الجديد سيتيح انتاج نوع من بكتريا الاشيريشيا قادر على انتاج الانسولين نتيجة تحميل خيوطه الكروموسومية صناعيا بمراكز صفات لانتاج هذا الانسولين ، وجعل هذه البكتريا تغزو المصابين بالسكري ، فتعيش في امعائهم ، وتنتج الانسولين لهم دون ما حاجة الى اخذ هذه المادة بالحقن . وبذلك يعود المصاب بالسكري للعيش عيشة طبيعية ، دون ان يتاثر بمضاعفات هذا المرض ، ودون ان يضطر الى مراقبة غذائه والابتعاد عن النشويات والسكريات والدهون ..

بكتريا اخرى تلتهم النفط !

هناك بكتيريا تعيش في التربة بجوار آبار النفط وتتغذى على النفط المتسرب للتربة . وقد جهد العلماء في ابحاثهم لتحديد موقع مركز الصفات (على الخيط الكروموسومي) التي تجعل هذه البكتيريا تحب مثل هذا الغذاء الغريب . وبعد ان نجحوا في ذلك نقلوا مركز الصفة هذه من تلك البكتيريا التي تعيش في التربة الى بكتيريا تعيش في البحر عادة .. وهكذا اصبحت الاخيرة قادرة على التهام النفط رغم ان هذه الصفة غريبة عليها اصلا .. ويرى هؤلاء العلماء ان مثل هذه البكتيريا المحسنة او المطورة علاج ناجع لتلويث البحر بالنفط ... فما ان يتسرب النفط من ناقلة نفط الى مياه البحر حتى تطلق اعداد من هذه البكتريا الى ماء البحر فتلتهم النفط وتنمو وتتكاثر متضاعفة على شكل متواليات هندسية كل ٢٠ دقيقة على الاكثر فلا تمضي ساعات قليلة حتى يختفي النفط من فوق سطح البحر ولو كان يغطي مساحة كبيرة . وبذا يزول الى التلوث في فترة قصيرة ، ودون كلفة عالية كما هو الحال الان ، حيث تستخدم وسائط كيميائية او ميكانيكية غالية الثمن وتحتاج الى سفن خاصة ذات كلفة عالية وكفاءة قليلة .

من المعروف ان البكتريا تدخل في كثير من العمليات الصناعية كالتجبين والتخمر وتحسين الالياف الطبيعية .. ويعتقد العلماء ان في الوسع

ادخال صفات اضافيةجديدةعلى كثير من البكتيريا لتقوم بعمليات صناعية تجرى الان بوسائطكيمياوية معقدة كثيرة التكاليف ، بما تستخدم من الات واجهزة ، وما تستنفد من طاقة ، بينما يمكن للبكتريا المطورة هذه ان تنتج نفس النتاج دون جهد ، ودون صرف طاقة ، ودون رؤوس اموال كبيرة في الات واجهزة ضخمة •

ومن هذه المنتجات التي امكنانتاجها بالبكتريا او العفن ـ الهورمونات في صناعة الادوية والمواد الكيمائية التي تعطي صناعيا اى طعم لاية فاكهة او طعام •••

وما زالت الدراسات والابحاث جارية لتوظيف البكتريا التي غيرت صفاتها ، واضيف اليها صفات عديدة في صناعات اخرى •

في محاولة العلماء الحفاظ على المياه باعادة استعمالها ـ وقد بدات تتبدى معالم ازمة نقص المياه العذبة في العالم ـ جرت عمليات تربية البكتريا في خزانات كبيرة تختزن فيها مياه المجارى وتقوم البكتريا بالتغذى على الفضلات الصلبة والسائلة في مياه المجارى هذه • وبشكل طبيعي يستلزم هذا خزن مياه المجارى في خزانات ضخمة مدة من الزمن لتتمكن البكتريا من انهاء عملية التغذى على الفضلات الصلبة • ومع ذلك فان البكتريا المستخدمة ، طبيعيا لا تستطيع التغذى على كل الفضلات في مياه المجارى • وبذلك لا يمكن اعادة استعمال مياه المجارى تلك الا في الزراعة • بينما يسعى العلماء في ميدان هندسة الوراثة الى اضافة مراكز صفات وراثية للبكتريا المستخدمة في هذا المجال طبيعيا ، بحيث تصبح قادرة على التهام الفضلات بانواعها كافة وبسرعة كبيرة • وبذلك يمكن الحصول من مياه المجارى على مياه عذبة صالحة لاستعمالات الانسان المعتادة بالاضافة لاغراض الزراعة •

هل تنتهي أمراض الوراثة ؟

هنالك حوالي ٢٠٠٠ مرض وراثي ، بمعنى ان اسبابها تنشا من خلل في مراكز الوراثة•وتتدرج هذه الامراض من مجرد عيب خلقي كعدم التحام سقف الحلق وشفة « الارنب » المشقوقة ، وهي حالات غير خطرة، الى امراض خطرة كتضخم الراس المنغولي وما يصاحبه من تخلف عقلي شديد ، ومرض « تي ـ ساخس » الذى يصاحبه تخلف عقلي وعمي يكاد يكون محصورا في اليهود الاشكنازيين ، ومرض فقر الدم المنجلي ، ومرض نزف الدم او (الهيموفيليا) ، وعدم قدرة الطفل الرضيع على هضم سكر الحليب (جالاكتوسيميا) ، وربما مرض السكرى •

وقد درج الاطباء حتى الآن عند اكتشاف حمل فيه خلل وراثي على اجهاض الام،وتخليص الاسرة من جنين شاذ غير طبيعي لن يسبب غير المآسي والتعاسة للجميع ، لو ترك وشانه حتى يولد طفلا شاذا او مشوها •

وفي المستقبل قد يمكن ـ وبخاصة بعد اتمام الاخصاب في الانابيب المختبرية ـ عند اكتشاف مثل هذهالحالةتصحيحها باستخراجالخيط الكروموسومي الزائد ، وجعل الطفل ينمو ويولد طبيعيا •

يامل العلماء ان تؤدى ابحاثهم في مجال هندسة الوراثة الى فهم سر السرطان ومعالجته • وحتى نوضح فكرتهم في هذا المنحى لا بد من شيء من التفصيل والتقديم •

عندما يتم اخصاب البويضة وتكوين الجنين يبدأ الاخير بالانقسام تكرارا حتى تتولد كرة جوفاء من الخلايا ثم تنبعج هذه الكرة لتكون طبقتين من الخلايا ، وبعد ذلك تصبح خلايا الجنين في ثلاث طبقات : خارجية ووسطى وداخلية • ومن خلايا كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تتكون أعضاء واجهزة خاصة •• فمن الطبقة الخارجية يتكون الجهاز العصبي والجلد مثلا ومن الداخلية يتكون الجهاز الهضمي ، ومن الوسطى تتكون العضلات وبقية الاعضاء • وعلى ذلك فان موقع الخلايا في طبقتها هو الذى يقرر ما الذى ستولده هذه الخلايا من اعضاء ، بالرغم من ان كل الخلايا متشابهة وتحمل كل منها جميع عوامل الصفات الوراثية في الكائن الحي كله • وعلىذلك فاختلاف خلايا الجلد عن خلايا الكبد مثلا هو اختلاف في اى مراكز الصفاتالوراثية ينشط ، وايها يتوقف عنالنشاط في كل من نوعي الخلايا ، وهذا ما يعرف في علم الاحياء بالتخصص في عمل الخلايا •

كما ان الجنين يستمر في الانقسام واكثار الخلايا الى حد معين •• الا انه عند اكتمال تكون اعضائه ونموها تقوم مراكز الوراثة باعطاء امر بالتوقف عن الانقسام والتكاثر • وهذا الامر جزء

من الحصيلة الوراثية في مراكز الوراثة في انوية الخلايا • فاذا ما جرح انسان بالغ مثلا ـ وقد توقفت خلاياه عن التكاثر والانقسام ـ تقوم الخلايا في منطقة الجرح باستعادة امكان الانقسام لتوليد انسجة تعوض ما مات بفعل الجرح ، وتعيد الوضع الى حالته الطبيعية، ثم يصدر اليها الامر بالتوقف مرة أخرى • ويعتقد بعض العلماء بان الذى يحدث في حالة الاصابة بالسرطان هو ان بعض الخلايا يختل فيها نظام مراكز الوراثة ، بحيث تتولد فيها اوامر بالانقسام والتكاثر وكانما الخلية هي الجنين في بداية تكونه •• فتبدأ بالانقسام بسرعة ويظهر ذلك على شكل ورم •• وفي حالة السرطان الخبيث او الورم الخبيث تفشل مراكز الوراثة في اصدار امر التوقف عن التكاثر فتستمر الخلايا في ذلك• ولما كانت هذه الخلايا بحاجة في نموها الى الغذاء فانها تسلب الخلايا الطبيعية العادية المجاورة لها غذاءها وتزاحمها في موقعها •• ثم تنفصل بعض هذه الخلايا المختلة وتنتقل مع القنوات الليمفاوية الى مناطق أخرى من الجسم •• ويستمر هذا الى ان تتعطل العمليات الحيوية للاعضاء الطبيعية ويحدث الموت •

ومع ان هذا المفهوم واضح عند العلماء الا انهم لا يعلمون ما يحدث في مراكز الوراثة بحيث يختل الوضع ، وتتولد هذه الحالة • وفي اعتقاد الكثيرين منهم أن علم هندسة الوراثة سيمكن العلماء مستقبلا من معرفة هذا السر ، وبذا يفسح المجال امام التدخل في مراكز الوراثة لايقاف جنون الخلايا ، وبذا يصبح علاج السرطان ممكنا وناجعا •

التكاثر تلقائيا

قبل سنوات قام الدكتور جون جوردن Dr. John Gurdon في انجلترا بتجربة مثيرة تكللت بالنجاح فقد استخلص بويضة غير مخصبة من مبيض انثى العلجوم او ضفدع الطين Toou ثم اجرى جراحة دقيقة نزع بها النواة من البويضة ووضع بدلا منها نواة خلية كاملة اخذها من غشاء امعاء الانثى التى استخلص منها تلك البويضة •• وهكذا اصبح لديه بويضة بها نواة تحمل عددا كاملا من الخيوط الوراثية الكروموسومية بدلا من النصف الذى كان في البويضة غير المخصبة اولا • وهكذا وجدت البويضة نفسها وكانها قد اخصبت (من ناحية عدد الخيوط الكروموسومية) • وكم كانت دهشته عندما راى « البويضة » بعد هذه العملية تبدأ بالانقسام ـ وكانها جنين جديد •• ثم فقست البيضة لتعطى بعد مراحل التطور المعتادة علجوما او ضفدع طين انثى هي بالطبع صورة طبق الاصل عن الام صاحبة البويضة في كل صفاتها وخصائصها •• لان الصفات الوراثية واحدة بسبب كونها ماخوذة من خلية غشاء امعاء تلك الانثى صاحبة البويضة •

ويعرف هذا باسم الاكثار غير الجنسي (Cloning) لانه يشبه اكثار بعض النباتات خضريا اى بالعقلات والفسائل وما اشبه ذلك •

ويمكن تعليل ما حدث في تجربة الدكتور جوردن بان في مادة البويضة الحية انزيمات او هورمونات كيميائية عضوية تثني الخيوط الكروموسومية للانقسام وتمحو تخصص تلك الخيوط في الخلايا الجسمية المختلفة فتعود النواة وكانها نواة جنين حديث التكوين •• وهكذا تبدأ بالانقسام ولديها الاوامر المحددة لانشاء جنين جديد • ويحدث مثل ذلك في النبات عند قطع عقلة من ساق العنب مثلا وزرعها في التربة، اذ تؤثر التربة على الخلايا في منطقة القطع فتحولها من خلايا بالغة متخصصة الى خلايا انشائية قابلة للانقسام والتكاثر ، ومن نتيجة ذلك تكوين جذور جديدة تنزل في الارض ، وايقاظ البراعم الابطية النائمة لتنمو ، فتكون الاغصان •

ولو امكن ، من خلال ما سيحققه علم هندسة الوراثة مستقبلا ، تطبيق تجربة الدكتور جوردن على الانسان ، وليس هناك ما يمنع ذلك بعد ان امكن اخصاب البويضة في الانبوب ثم زرع الجنين في رحم انثى مستعد لاستقباله ، فان من المحتمل ان نرى امكان انتاج تسعين عالما عبقريا مثلا من انوية خلايا عالم فذ واحد ، بحيث يكونون صورة طبق الاصل منه في الشكل وقوة الفكر والابداع • ويكون ذلك باستخلاص تسعين بويضة من نساء مختلفات واستئصال انوية هذه البويضات ، ثم زرع انوية تسعين خلية ماخوذة من جسم العالم الفذ •• وزرع الاجنة الناتجة في ارحام النساء الماخوذة منهن البويضات فيحملن ويلدن اولادا ذكورا وكل منهم صورة طبق الاصل عن ذلك العالم الفذ في جميع المناحي •وفي هذا ما فيه من توفير طاقة بشرية مختارة للمجتمع معروفة الامكانات سلفا •• وهو

امر يسمح للمجتمع بان يخطط لامكاناته وبناءطاقته البشرية بالشكل الذى يريد ، دون ان ينتظر ان تجود الطبيعة والصدفة عليه بعالم عبقرى ، او اديب فذ ، أو شاعر مبدع ، بين الفينة والفينة ٠

من الواضح ان جدلا عنيفا سيثور حول هندسة وراثة الانسان٠بل لعل شيئا في هذا واقع بالفعل الان ٠ على ان الجدل ، مهما بلغت حدته وتشعب، لايمكن ان يضع حدا نهائيا لهذه الابحاث ٠٠ ولو توقفت في دولة ما ، لسبب ما ، فان من غير المعقول ان تتوقف في كافة الدول بلا استثناء ٠ لا مفر اذن من ان تستمر ابحاث الهندسة الوراثية ولابد في ان تواصل تطورها وتعطى ثمارها الطيبة او غير الطيبة ٠٠٠ ذلك ان عددا كبيرا من العلماء يشعرون بالخوف والقلق مما قد تنتهى اليه تجارب الهندسة الوراثية ٠ ويتركز قلقهم هذا حول ثلاث نقاط ٠٠

أوبئة وامراض جديدة

قد تتمخض التجارب القائمة حاليا عن انتاج بكتريا او جراثيم فتاكة او مميتة ، خلافا لما يقصد اليه العلماء ٠ وقد تتسرب مثل هذه الجراثيم الى المجتمع وتفتك فتكا واسع النطاق ، واشد هولا من كل ما عرف عن وباء الطاعون والكوليرا ٠٠ وتجدر الاشارة الى ما حدث في الصيف الماضى ١٩٧٨ لسيدتين كانت احداهما تعمل في مختبر في احد المستشفيات ٠ ذلك ان فيروس مرض الجدرى الذى يربونه فى ذلك المختبر لاغراض علمية قد تسرب واصاب تلك السيدة ٠٠ وذلك بالرغم من كل الاجراءات الوقائية المتخذة في هذا الصدد ٠٠ وقد انتقل الفيروس بالعدوى الى السيدة الثانية ومالبث ان تسبب في موت كلتا السيدتين ٠٠٠ فان كانت تلك هى النتيجة التى ادى اليها خطا بسيط ارتكبه موظفو المختبر بصدد فيروس قديم معروف فما بالك بالنتائج التى قد تترتب على خطا يرتكبه العلماء الباحثون انفسهم ، فيما يسعون الى تخليقه من بكتريا وجراثيم ٠٠ ويقومون فى سبيله باغرب التجارب٠٠٠ التجارب الجراحية والتشريحية التى يجرونها فيصميم الخلية،وهي-كما تعلم - لاترى بالعين،ولاحتى بالمجهرمالم يكنقويا او الكترونيا٠٠٠ بل قل في محتويات تلك الخلية أو المقومات التى تتكون منها ٠٠٠ من ثم كانت القيود التى فرضوها هنا وهناك على ابحاث الهندسة الوراثية بقصد تحاشى مخاطرها ، والحيلولة ما امكن دون افلات زمامها ٠

الاخلال بالبيئة

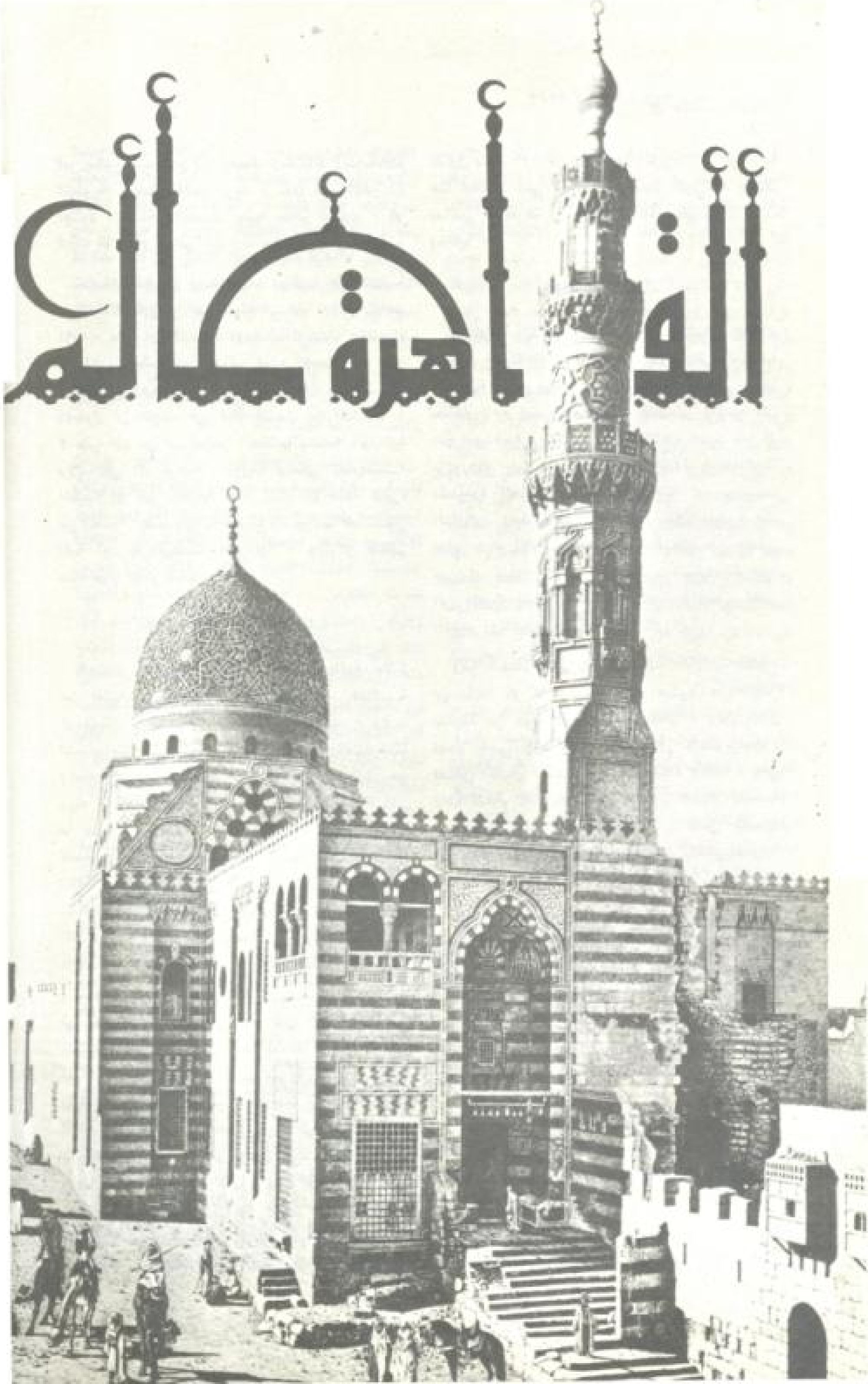
ويتخوف الكثيرون ايضا من احتمال الاخلال بتوازن البيئة الذى قد يترتب على تجارب الهندسة الوراثية وعلى ماقد تتمخض عنه من فصائل جديدة مختلقة ٠٠٠ فقد تطغى هذه الفصائل وتؤدى الى انقراض انواع مختلفة من الكائنات الحية مما قد يؤثر على بنية الحياة المعروفة بالذات ٠ فاذاكانت الصناعة العادية لاسيما الكيماوية قد سببت التلوث ، واخلت بتوازن البيئة اخلالا خطيرا اخذ يهدد حياة الانسان ، وينذر بالبطش فى غضون جيل او جيلين ، فما بالك بجهود العلماء الرامية الى العبث بفطرة الكائنات الحية والسعي الى التغيير والتبديل فى صفاتها الوراثية ٠

ومن العلماء منيؤكد انهندسة الوراثة ستنجح ان عاجلا او آجلا ، فى انتاج صنوف من البشر متفوقة من حيث المواهب والطاقات ٠ ومن يدرى فقدلا يمضى وقت طويل حتىيتجاوز «السوبرمان» قصص الخيال العلمي ويصبح حقيقة واقعة ٠ وفى تلك الحال افلا يصبح فى مقدور الدول المتقدمة فى ميدان الهندسة الوراثية ان تخلق لنفسها اجيالا من العباقرة النوابغ وتضمن بالتاليالسيادة المطلقة لابنائها وحكوماتها على كل ما سواها ٠٠

الا ان من العلماء من يخشى وقوع العكس ٠٠ وظهور فرنكنشتاين بدلا من السوبرمان ، وذلك نتيجة خطا قد يقع فيه العلماء الباحثون من حيث لا يدرون ٠٠ او تبعا لخطة موضوعة ترمى الى تخليق صنوف تتقن الحرب والقتال او تجيد الولاء والطاعةالعمياء للدكتاتوريينوالزعماء اليآخر ما هنالك ٠

ترى كيف ستكون حياة الانسان فى ظل هذه التطورات ٠٠٠ او لا يرضى الانسان ان تكون خليفة الله فى الارض حتى يحاول ان يلحق جزئيا دور الله ويتدخل فى خلقه ويتشبث بما وضع للحياة فى قوانينه ٠ ■■

زهير الكرمى


القاهرة

من المآذن

تتعدد وجوه القاهرة بتعدد المراحل التى عاشتها تلك المدينة منذ عصور الفراعنة • وحيثما ذهبت تستطيع ان ترى للقاهرة وجها مختلف الملامح والقسمات ، وربما عالما لـه شخصيته المميزة • وهذه نظرة الى القاهرة من خلال مآذنها العديدة والعريقة •

بقلم : جمال الغيطانى

■ تنفرد مدينة القاهرة بوجود مجموعة كبيرة من المآذن ، تمت الى عصور مختلفة ، فى كل منها خصائص العصر الذى بنيت فيه، وملامحه ، قد تبدو المآذن مجموعة من المبانى النحيلة الرشيقة التى تشهق لتسد الفراغ اذا نظرنا اليها بمعزل عن الظروف، لكن عندما نتوغل الى الزمن الذى بنيت فيه سنجد ان الحياة قد دبت فى الحجارة الرمادية الصماء، وسنجد امامنا « ارشيفا » حيا ، للعمارة الاسلامية، والمئذنة لم تولد مع المسجد ، بل انشئت فى فترة متاخرة قليلا كضرورة تقتضيها الحاجة ، يؤكـد البخارى ان المسلمين عندما هاجروا الى المدينة كانوا يجتمعون « فيتحينون للصلاة ، ليس ينـادى لهـا ، فتكلمـوا يومـا فـى هـذا ، فقـال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى • وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر اولا تبعثون رجلا منكم ينادى بالصلاة • فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا بـلال قم فناد للصلاة •• » وكانت المساجد الاولى تخلو من المآذن ، كمسجد الكوفة (١٧ هـ ـ ٦٣٨ م) • والمسجد الجامع بالبصرة (١٦ ـ ٦٣٧ م) • وكان مسجد عمرو بن العاص خاليا من اى مئذنة ، وكان الناقوس مستخدما فيه لدعوة الناس الى الصلاة حتى سنة (٥٣ هـ ـ ٦٧٣ م) وفى البداية اطلقت كلمة (صومعة) او (منارة) على المآذن، وكانت كلمة صومعة تطلق فى الاصل على صوامع الرهبان المسيحيين ، وهى بناء مربع يعلو عن الارض • وعندما زار الرحالة ابن جبير دمشق وصف ثلاث صوامع بالمسجد الاموى .. « كالبرج المشيد »•وما تزال كلمة صومعة مستعملة فى شمال افريقيا حتى وقتنا هذا ، وربما كان ذلك لان شكل المآذن لا يزال محتفظا هناك بصورته المربعة الاولى • أما لفظ (منارة) فهو يعنى المكان الذى ينبعث منه النور او الضوء ، وهذا يعنى ان المئذنة كانت تستخدم فى وقت ما لاغراض اخرى غير الاذان ، كارسـال الاشـارات الى السفن ، او ارشـاد التائهين فى الصحـراء ، اما كلمة مئـذنة فمشتقة من لفـظ (اذان) •

أقـدم المآذن

تقول كتب التاريخ ان احمد بن طولون كان رجلا جادا ، لا يضيع جزءا من وقته فى العبث او اللهو، وفى احد الايام ، كان يجلس مع بعض رجال دولته ، وكان الحديث حول المسجد الجـديد الذى ازمع بناءه فى مدينته الجديدة التى اختطها « القطائع » ساد صمت ، اطرق ابن طولون ، وراح يلف ورقة حول اصبعه • انتبه فجاة الى انهم ضبطوه فى لحظة عبث • اراد ان يبرهن لهم انه كان منصرفا الـى عمل نافع يتدبره ، فثبت الورقة على وضعها حول اصبعه ، وقال بسرعة ••

« اعملوا لى مئذنة على هيئة هذا المخروط•• »

ربما تبدو هذه القصة مقنعة لتفسير هذا الشكل الغريب لمئذنة ابن طولون ، اقدم مآذن القاهرة ، لكن لو عرفنا ان ابن طولون قضى اول حياتـه فى مدينة سامراء العراقية ، قبل ان يفد الى مصر• واذا لاحظنا مئذنة جامع سامراء القائمة فى الزيادة الشمالية للمسجد (تماما كمئذنة ابن طولون) التى لا تتصل بسائر مبنى المسجد ، تبدو كانها منفصلة

عنه ، ولا ترتبط به الا بواسطة قنطرة محمولة على عقدين متجاورين . وكلتا المئذنتين تتكون من قاعدة مربعة تقوم عليها ساق اسطوانية يلف حولها من الخارج سلم دائري عرضه حوالي ٩٠ سنتيمترا له سور دائري ايضا ، هناك اذن تشابه بين مئذنة ابن طولون ومئذنة جامع سامراء .. وقد زرت كلا المئذنتين ، ولا شك ان كلا منهما توحي بالاخرى ، خاصة عند صعود السلم الدائري ، والوصول الى قمة اى منهما ، الفرق ان سلم ملوية سامراء غير مسور اما سلم مئذنة ابن طولون فيحف به سور منخفض . ولا شك ان مئذنة سامراء كانت ماثلة في ذهن ابن طولون . والمئذنة التي نراها اليوم بنيت في زمنين مختلفين . نصفها الاسفل المربع ، والجزء الاسطواني من البناء الاصلي . اما الجزء الملوى المكون من طابقين فقد اضافهما السلطان لاجين عام (١٢٩٦ م) . ويقال انه فعل ذلك نتيجة لنذر قطعه على نفسه عندما كان مطاردا ، واختبأ في المسجد قبل اعتلائه كرسي السلطنة وكانت المئذنة وقتئذ مهدمة . تطل برثاء على المسجد الفسيح الساكن ، والذي عبر كل الاعاصير والتقلبات ووصل الى زماننا سالما..

الحاكم

بالقرب من نهاية شارع المعز لدين الله ، قبل وصولنا الى بوابة الفتوح ، احد ابواب القاهرة القديمة السيحة يمتلىء الجو برائحة سوق الليمون ، الزيتون الاخضر ، ويسد الطريق امامنا سور القاهرة القديم . تبدو سلالم الحصن الذي كان يطوق القاهرة . كذلك اماكن وقوف الجند ، ومزاغل المراقبة . في الفراغ تعلو مئذنتا الحاكم بامر الله ، وتحتهما يمتد اكبر مسجد في مصر ، واكثر المساجد اهمالا ورثاثة . فوق جزء من فنائه يستقر بناء كالنشاز يضم مدرسة السلحدار الاعدادية ، ثم اطلال وخرائب . ويرغم مظهر الاهمال فان المكان يعبق برائحة تاريخ قوى لم يول بعد، تاريخ الحاكم بامر الله ، تلك الشخصية الفذة التي اثارت جدلا لم يهدأ بعد ، ترتفع جدران المئذنتين من الارض ، كل منهما تبدأ بقاعدة مربعة ضخمة تميل جدرانها ميلا خفيفا مما يذكرنا بالاهرامات ، المربعان ما هما الا معطفان من الحجر، كل منهما يحيط احدى المئذنتين الاصليتين . يرتفع المعطف الغربي ٢٤ مترا فوق ارض الشارع . ويتكون من جزئين اولهما يبلغ ارتفاعه ١١ مترا ، والطابق الثاني يرتفع ١٤ مترا ، اما المعطف الشمالي فيزداد ارتفاع الطابق الاول فيه مترين، وهكذا يبلغ ارتفاعه ٢٦ مترا . الا يذكرنا شكل المعطفين الحجريين بذلك الوصف الذي دونه عبداللطيف البغدادي لمنارة الاسكندرية ،تلك الجدران المائلة . وربما تاثر المهندس الذي اشرف على بنائهما بشكل المنارة التي كانت قائمة في ذلك العهد ولم يهدمها الزلزال بعد ، وربما كان قد تاثر بشكل الاهرامات المصرية ، هنا نرصد التميز الذي بدأ في بناء المآذن المصرية والذي سيستمر تطوره حتى تكتمل كافة عناصره في عصر السلطنة المملوكية. ندخل الى المئذنة الشمالية من باب صغير يعلو سور القاهرة القديم الذي بناه بدر الجمالي واخفى احد اضلاع هذه المئذنة .

المئذنة من الداخل تتكون من قاعدة مربعة وجسم اسطواني ، وعندما ندخل الى المئذنة من فوق السور فاننا نصبح محاذين للجزء الاسطواني، سلم المئذنة يدور حوله ، فوق الجدران الخارجية للمئذنة نرى زخارف ، ونوافذ تحيط بها اطارات زخرفية تتكون من وحدات هندسية مجردة، ووحدات زخرفية اساسها ورق النبات ، وفوق السلالم التي تصعد بنا الى اعلى نلمح زخارف ورقية ، مما يوحي لنا بمدى الجهد الذي بذله المتفننون والمزخرفون في تزيين المسجد ، اثناء صعودنا تفجع آذاننا باصوات نحيلة ، حادة منبعثة من داخل المئذنة ، انها الوطاويط ، تعشعش في الداخل ، تنهش جوف المئذنة ، وتلوث باصواتها السكون النهاري الجليل الذي توحي به سيرة الحاكم صاحب المكان ويقال انها ضخمة الحجم الواحد منها في زنة الارنب،نصل الى سطح المئذنة، نصبح بجوار الجزء الملوى ، انه يتنافر مع بقية البناء ، لا يمت اليه باية صلة معمارية ، ولاعجب فقد بنى في فترة متاخرة، بالتحديد في زمن بيبرس الجاشنكير احد امراء المماليك .

حدث في سنة ١٣٠٣ م زلزال عنيف هدم منارة الاسكندرية ، وهدم الجزء الملوى من مئذنتي



الحاكم بامر الله . وقام الامير بيبرس الجاشنكير باضافة هذين الجزئين . ينتهب القسم العلوى هنا من اربعة طوابق مثمنة • تحيط بالثلاثة العليا منها صفوف من القرنصات • وتعلوها قبة المئذنة على شكل مبخرة . انه نفس شكل المئذنة التى تعلو مسجد بيبرس الجاشنكير والذى يقع فى مواجهة حارة الدرب الاصفر بالجمالية . ويعرف هنا باسم زاوية بيبرس حيث كان يقيم الصوفية والفقراء يرددون الاذكار والاشعار . فى الزمن النائى البعيد . لكن البناء الاصلى . فوق مسجد بيبرس يبدو متسقا . اما هنا فوق مئذنتى الحاكم فانه غريب عن البناء الاصلى . لانه من عصر مختلف . واذا تجاور زمنان مختلفان تنافرا . واختلفا • يبلغ ارتفاع هذا القسم سبعة عشر مترا . اى ان البناء يرتفع عن سطح الارض ٤٦ مترا •

وفوق جبل المقطم . بالقرب من مركز السماء تقوم مئذنة الجيوشى (٤٧٢ هـ ـ ١٠٨٥ م) فى الشتاء تبدو من خلال الضباب معلقة فى فراغ الكون . وقد اختفى الجبل الذى تقوم اليه فى بحر من اللبن الابيض الهائش . تبدو المئذنة وكانها وعاء تجمد فى طريقه الى اعلى . او ابتهال غامض خفى . او رغبة من المعبود فى الوصول الى الخالق. انها ثانى المآذن التى وصلتنا من العصر الفاطمى. لقد اختفت مئذنة جامع الاقمر . وكان قد بناها الوزير البطائحى فى سنة ١١٢٥ م . اما المئذنة الوحيدة التى وصلتنا من القرن الثانى عشر . فهى مئذنة مسجد ابى الغضنفر . وتصور مئذنة الجيوشى مرحلة من تطور المئذنة المصرية • فى اعلاها تلمح عنصرا هاما من القرنصات فى صورتها الاولى • والافريز الادنى يشتمل على صف من العقود . وتلك هى المرة الاولى التى تبدو فيها هذه الظاهرة فى عمائر القاهرة • انها اقدم مئذنة فى ذلك الطراز المعروف باسم المبخرة .وهو طراز استمر مستخدما حتى الربع الثانى من القرن الرابع عشر •

هكذا تتضح معالم المآذن المصرية الاولى • برج مربع ينتهى بشرفة • وفوقه طابق آخر مربع . كما يبدو فى مئذنة الجيوشى • لقد اختفى هذا الطابق فيما بعد . واستبدل بطابق مثمن فى مئذنة ابى الغضنفر . فتحت فيه تجاويف مضلعة الرؤوس •

وارتفعت فوقه رقبة مثمنة الاضلاع تعلوهـــا خوذة مضلعة ، وتلك التي عرفت باسم المبخرة ..

الباب الاخضر

بجوار الباب الاخضر لمسجد سيدنا وامامنـــا الحسين عليه السلام في القاهرة شق ضيق فـي هذا الجدار القديم المتبقى من البناء الاصلي .

تقول الاسطورة «ان راس الحسين طارت من كربلاء الى هذا الموضع لمدة اربعين يوما تسبح بحمـد اللـه ، وعندما استقرت هنا رست بجوار سيدة عجوز ، اخفت الراس ، جاء جند يزيد اليهـا عندئذ اخذت راس ابنهـا وقدمتها اليهم فـداء لراس الحسين . والحي المجاور للمسجد يعرف حتى الان باسم حي ام الغلام ، اما المكان الذي استقرت فيه الراس فلا يروح العطر منه ابدا» . فوق هذا الشق تقوم مئذنة المشهد التي شرع في بنائها في عصر صلاح الدين الايوبي (٦٣٣ هـ ــ ١٢٣٦) ويبدو ان الذي انفق على تشييدها رجل صالح يدعى ابو القاسم بن يحيى ، اذ يوجد نقش على قاعدة المئذنة نصه :

« بسم الله ، اوصى بانشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد الحسين تقربا الى الله ورفعا لمنار الاسلام الحاج الى بيت الله ابو القاسم بن يحيى ابن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل اللـه منه ، وكان المباشر لعمارتها ولده لصلبه الاصغر الذي انفق عليه من ماله بغية عمارتها خارجا عما اوصى به والده المذكور وكان فراغها في شهر شوال سنة اربع وستمائة .. »

ماتبقى من المئذنة قاعدتها الايوبية ، امـا جزؤها العلوى ، فقد تهدم ، واستبدل به بنـاء عثماني في عصر الاحتلال التركي المتاخر . ويتميز الجزء الاصلي من المئذنة بجوفاته المقرنصة الثلاثة التي تشغلها ثلاث حشوات مطولة تزخر بحشد من الزخارف النباتية المحفورة في الجص ، من الطابع الاندلسي الذي نراه في قصر الجعفرية بسرقسطه وفي المسجد الجامع بتلمسان . ويعلو كل حشوة طاقة معقودة مقرنصة . وتشغل الفراغين والواقعين بينهما الوقعتان مقرنصتان .

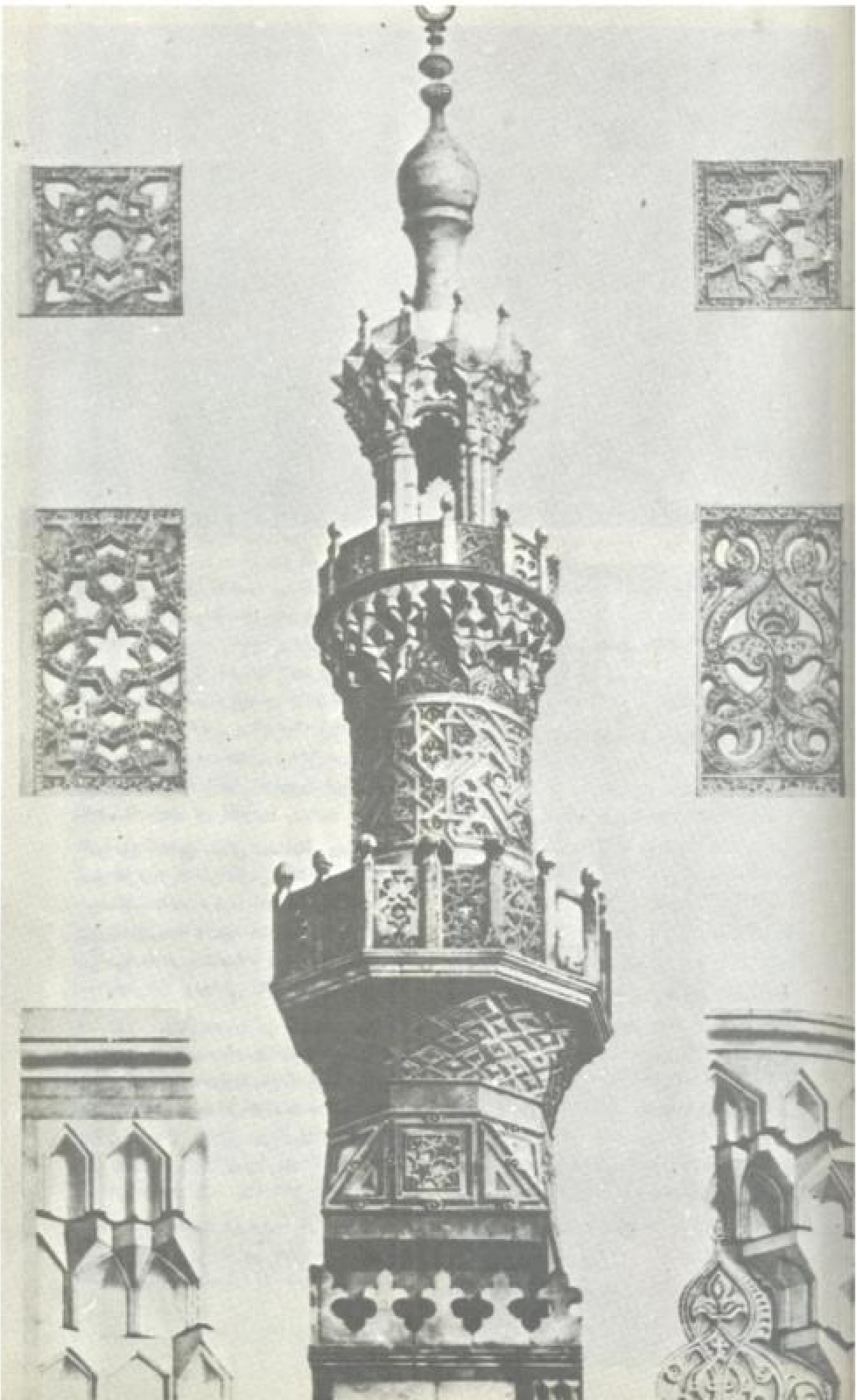
واذا ما انتقلنا الى شارع بين القصرين ،وفي منطقة الصاغة ، حيث سوق الذهب والفضة ، اذا رفعنا البصر سنجد مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين ايوب . انها المئذنة الوحيدة التي تبقت سليمة من العصر الايوبي . انشاها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل في ٦٤١ هـ (١٢٤١م) ، في اعلى الباب باسفل المئذنة لوحة تشير الى الشروع في بناء المدرسة نصها :

« بسملة . امر بانشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الاعظم الملك الصالح نجم الدين بن محمد بن ابي بكر بن ايوب في سنة احدى واربعـين وستمائة . »

في تلك المئذنة نجد ان الجزء المثمن اصبح مستقلا وبارزا بعد ان كان مندمجا في مئذنـة الجيوشي في مجموع البناء ، واصبحت المبخرة اكثر وضوحا ، وخلال نصف قرن تلا سقوط الدولة الايوبية ساد نظام المباخر في المآذن المصرية وهو طراز مصرى خالص لم يتكرر في اى بلد اخر .

ونلاحظ ان شخصية المئذنة المصرية لم تتبلور، ولم تتضح الا في العصور التي تمتعت فيها مصر بالاستقلال ، الدولـة الفاطمية ، ثم الايوبيـة ، والسلطنة المملوكية . ومن مآذن العصر المملوكي الاول مئذنة المنصور قلاوون ، قبل أن تصل الى بابها الصغير نعبر ردهة طويلة ، عالية السقف، تذكرنا ببهو المعابد الفرعونية ، الهواء رطب . الى اليسار تقـوم قبـة قـلاوون الرائعـة ، التي استوحى في تصميمها قبة مسجد الصخرة ، والتي يرقد تحتها الناصر والمنصور قلاوون، نصل الـى الباب الصغير الذي يسلمنا الى سلم دائرى من الحجارة ، يستدير حول جسم اسطواني يمثل لب المئذنة ، يدور السلم ، تتخلل الجدران فتحات دائرية قصيرة نلمح منها سمك جدران المئذنـة الذي يبلغ حوالي المتر . نرى المدينة القديمة ، القريبة والمباني الحديثة الشاهقة عند الافق .

نصل الى قمة القاعدة المربعة ، حيث ينتابنا الاحساس بالعلو الشاهق اذ يرتفع جسم المئذنة النحيل مايقرب من ارتفاع عمارة حديثة مكونة من اثنى عشرة طابقا ، واذ نستند الى الحاجز الخشبي للشرفة نستطيع ان نلمح افريز المقرنصات الذي يحيط بقمة القاعدة المربعة ، والذي يرى الباحثون





في زخارفه تاثيرات اندلسية ، تلك الزخارف تشبه زخارف مسجد اشبيلية ، قد يبدو هذا اكثر وضوحا في الطابق الثاني من المئذنة ، وفي الطابق الاخير حيث نجد شبكة من المعينات الزخرفية ، وربما يرجع هذا الى زيادة الصلات بين مصر والاندلس ، خاصة بعد ظهور مصر كاقوى دولة اسلامية اذ قضت على الخطر المغولي في عين جالوت (٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠م) وبروزها بوصفها القوة الرئيسية في التصدي للخطر الصليبي في الشام •

من فوق الطابق الثاني للمئذنة ، وبنظرة خاطفة نجمع فترة طويلة من الزمن ، امامنا تعلو مئذنة مسجد السلطان برقوق ، بقامتها الرشيقة وطوابقها الثلاثة المثمنة وطبقتها الوسطى المزينة بالرخام على هيئة دوائر متقاطعة ، وهذه الزخرفة الرخامية تعد الاولى من نوعها في المآذن المصرية •

يفصل مئذنة قلاوون عن مئذنة برقوق فراغ ليس بكبير اذا قسناه بالامتار ، لكنه من عمر الزمن يبلغ مائة وعشرا من السنين ، وسط الفراغ ، نلمح مئذنة صغيرة اقل ارتفاعا ، انها مئذنة الناصر محمد بن قلاوون التي تعلو مدرسته • والتي تعلو قاعدتها زخارف جصية رائعة • هذه الزخارف بها تاثيرات اندلسية ايضا • في هذه الساحة تنتصب مآذن قلاوون وبرقوق ، كل منها تعبر عن عصر باكمله ، ولكنها في مجموعها تشكل متحفا متكاملا حيا لفن العمارة الاسلامية •

وبمرور الزمن يصبح التطور في المآذن المصرية اكثر وضوحا • لقد تضاءلت القاعدة المربعة حتى اصبحت مجرد سند لجسم المئذنة وبرز الجزء المثمن ، كما نجد في مئذنتي المارداني واقبغا (٧٤٠هـ ـ ١٣٤٠ م) • ومئذنتي شيخون (٧٥٠ هـ ـ ١٣٤٩ م) وربما يرجع هذا الى فيض من التاثيرات السورية التي طرات على المآذن المصرية بواسطة صناع الشام المهاجرين • فلاحظ ايضا اختفاء المبخرة ، لقد حلت مكانها دائرة صغيرة من الحجر (جوسق) مسحوبة الى اعلى • وكانت قمة هذه المآذن من الناحية الجمالية والفنية ، مئذنة السلطان الاشرف ابي النصر قايتباى (٨٧٧هـ ـ ٨٨٩ هـ) وقد استمر هذا الطراز متبعا بقية العصر المملوكي ، وان كنا نلمح بعض الاضطراب في التطور • ويبدو هذا واضحا في مئذنة السلطان الغوري حيث تتعدد الرؤوس فنجد اربعة بدلا من واحدة ، واذ نقف في منتصف المسافة بين مسجد الغوري والجامع الازهر نلمح التشابه بين مئذنة الغوري والاخرى التي بناها بجامع الازهر والتي يعلوها راسان بدلا من اربعة ، لابد ان المهندس شخص واحد ، اراد ان يحدث شكلا من الابتكار ، فاستحدث اربعة رؤوس للمئذنة بدلا من راس واحدة ، ولكنه تطور مفاجىء ، لا ينم عن اصالة ، او تجديد يستند الى اصول ثابتة •

مع الغزو العثماني لمصر تتعرض المآذن المصرية لمحنة ، لقد بدأ الاحتلال التركي ومع الاحتلال يجيء الغازي محاولا فرض طرزه واسلوبه ، وتبدو روح المقاومة في البناء نفسه ، ينعكس الصراع حتى على الحجر ..

القلم الرصاص

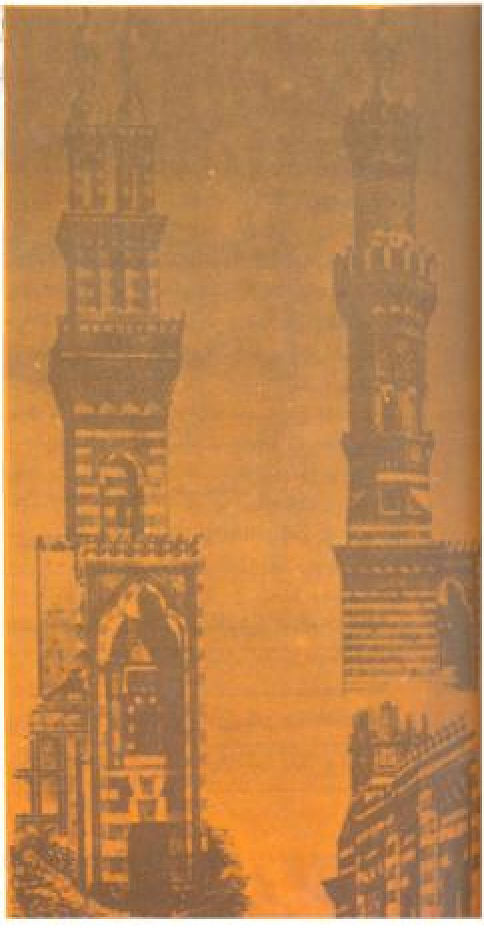
في فراغ القاهرة تنتصب مآذن نحيلة ، تنطلق الى اعلى كالحراب ، تذكرنا بالمآذن السلجوقية ، او مآذن استانبول ، نراها فوق مسجد محمد علي بالقلعة والذي استوحى في تصميمه مسجد السلطان احمد باستامبول ، ونراها فوق مسجد السلحدار بشارع المعز لدين الله ، ومئذنة المشهد الحسيني الذي بني في القرن التاسع عشر ، انه الطراز المعماري للغازي ، مآذن تركية مسحوبة ، خالية من الزخارف ، متجهمة ، خالية . لاتوحي بالسلام والدعة والابتهال والمناجاة الصامتة ، تلك المعاني التي تتجسد في المآذن المصرية الاصيلة ، حتى التي تبدو فيها تاثيرات سورية او اندلسية ، لا ادري لماذا تذكرني المآذن العثمانية بالحراب .

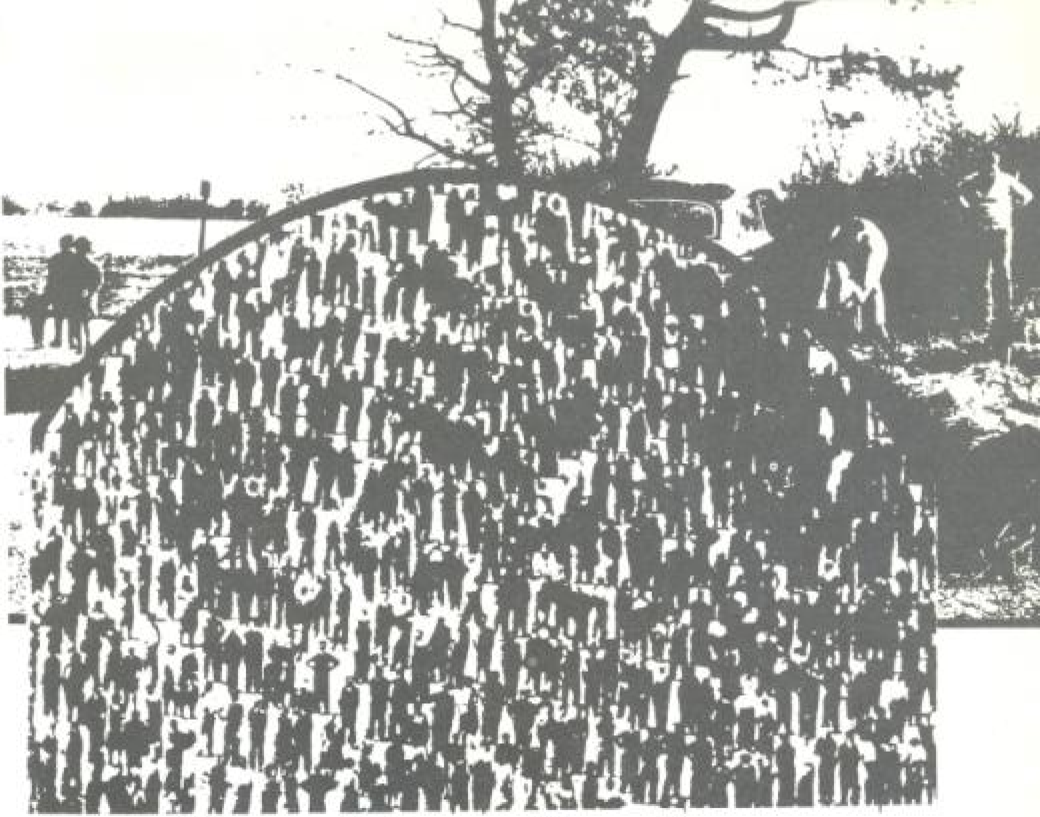
لكن يبدو الصراع الذي كان قائما بين الروح المصرية والمحتل العثماني في نماذج اخرى ، في مسجد المحمودية الذي انشاه محمود باشا والي مصر العثماني (٩٧٣هـ ـ ١٥٦٠م) لقد تاثر المهندس بجامع السلطان حسن وجعل المئذنة بارزة عن المسجد ، ايضا شكل قاعدتها ، نرى هذا اكثر في مئذنتي جامع البرديني (١٦١٦ م) اذ تبدو المئذنة المصرية واضحة تماما ، كما كانت زمن المماليك الجراكسة . هنا نرى انعكاس الظروف بسرعة على العمارة ، في زمن محمد بك أبو الذهب (١٧٠٣م) زميل على بك الكبير الذي حاول الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية ،وفي مئذنته المواجهة لمآذن جامع الازهر ، يبدو الطراز هنا مختلفا تماما عن مآذن العصر التركي ، اذ انها تنتمي الى الطراز السوري المربع ، وتنتهي قمتها بخمسة رؤوس ضخمة ، والاهالي في منطقة الازهر يقولون ان ثمة كنزا خبيئا في هذه الرؤوس ، ربما حاول المهندس ان يستوحي مآذن الغوري ذات الرؤوس المتعددة ، لكن تستوقفنا ملحوظة غريبة في تلك المئذنة ، انها تشبه برج الكنيسة في قامتها المستطيلة ، وفي التجاويف العلوية المفتوحة ، والتي تذكرنا بمكان الناقوس في الابراج الكنسية ، ولكن يبدو هذا التاثير مستوحى من المآذن السورية التي تاثرت بابراج الكنائس عند نشاتها .

وخلال القرن التاسع عشر ساد نظام المآذن العثمانية، ولكننا نلاحظ في المساجد الحديثة محاكاة لمآذن العصور الوسطى المملوكية،وليس هذا لان تلك العصور شهدت قمة التطور للمئذنة المصرية، ولكن لان مآذن هذا العصر تعد متكاملة العناصر من الناحية الفنية ، والجمالية . وارقى ما وصلت اليه المآذن المصرية .

■■

القاهرة ـ جمال الغيطاني





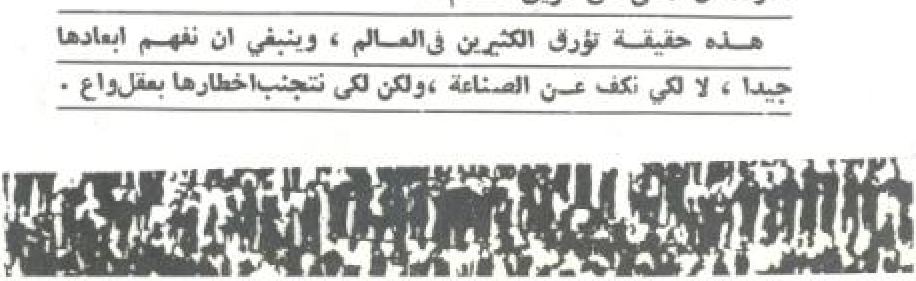
هذه الصناعة وسمومها

التى تدفعها إلى الصدور

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

ان نعيش فى هواء ملىء بالسموم ، هذا هو الثمن الذى ندفعه كلما حاولنا ان نمضى على طريق التقدم .

هذه حقيقة تؤرق الكثيرين فى العالم ، وينبغي ان نفهم ابعادها جيدا ، لا لكي نكف عن الصناعة ، ولكن لكى نتجنب اخطارها بعقل واع .



ذلك ان الهواء النقي الذى نستنشقه يتألف من اربعة غازات رئيسية هي النتروجين والاوكسجين ، والارجون ، وثاني اكسيد الكربون. وهذه الغازات الاربعة تشكل ٩٩ر٩٩٪ من مجموع غازات الهواء . كما ان بخار الماء ضروري في الغلاف الجوي اذ تتراوح نسبته ما بين ١٪ الى ٣٪ من حجم هذا الغلاف .

واذا اختلت نسب غازات الجو بحيث زاد تركيز بعضها على حساب البعض الاخر سمي ذلك تلوثا . كما ان التلوث الهوائي يحدث نتيجة قذف كميات من الغبار والذرات والشذرات والمواد المختلفة في الجو .

ومعظم التلوث الجوي نتيجة مباشرة من نتائج تحويل الانسان للطاقة ، كما ان التعديلات التي يحدثها الانسان في الهواء نتيجة التفاعلات الكيماوية المختلفة في السلم والحرب تؤدي الى تغير في نسب عناصر الجو ومكوناته .

ان المصدر الرئيسي للتلوث الهوائي هو الالات والاجهزة التي يستخدمها الانسان في الوقت الحاضر بشكل مكثف مثل السيارات ووسائل التبريد والتدفئة ، وكذلك المصانع التي تنفث الادخنة والابخرة في اجواء المناطق الحضرية والصناعية . ولذلك فان المدن التي تكثر من الاعتماد على السيارات والالات ومختلف الوسائل التكنولوجية المتطورة يكون هواؤها فاسدا ، وجوها مرتفع الحرارة نسبيا مع زيادة نسبة ثاني اكسيد الكربون والرطوبة مما ينتج عن ذلك ظاهرة خاصة بالمدن يطلق عليها بظاهرة « الدخان الضبابي » اى الدخان الممزوج بالضباب .

ولا شك في ان السيارات تعتبر اكبر مصدر للتلوث الجوي فقد ثبت علميا بان كل سيارة من السيارات الخاصة متوسطة الحجم تقذف في الجو نحو ستين مترا مكعبا من غازات العوادم في الساعة الواحدة . وهذه الغازات التي تنفثها السيارات في الجو يكمن خطرها في كونها قريبة من الانسان ، لان السيارة تدخل في كل مكان تقريبا من المدينة او القرية وتختلط بالناس . كما ان العوادم الغازية تكون في مستوى ارتفاع وجه الانسان مما يجعلها تستنشق بسهولة قبل ان تضيع في الجو .

واهم الغازات التي تقذفها السيارات في الجو هي اول اكسيد الكربون وهو من اخطر الغازات السامة ، ثم ثاني اكسيد الكربون ، والمركبات الهيدروكربونية ، وثاني اكسيد الكبريت ، واكسيد الكبريت ، واكسيد النيتريك . وكل هذه الغازات تتفاعل مع الاشعاع الشمسي وينتج عنها مضاعفات خطيرة ، منها اضعاف القدرة الجسدية للانسان كما تؤثر على المخ وخلاياه ، وتلحق اضرارا بالغة بالجهاز العصبي وتجعل الشخص حاد الطبع عصبي المزاج يثور لاتفه الاسباب .

ونظرا لخطورة الغازات التي تتسرب نتيجة تشغيل السيارات والمصانع فان من المناسب التحدث عن بعضها واضرارها على البيئة والانسان.

لو غرقت باريس !

غاز ثاني اكسيد الكربون : ينبعث هذا الغاز في الدرجة الاولى من حرق المواد العضوية ، والنفايات التي هي من اصل عضوي . وهو غاز سام ، ولذلك فان قذف كميات كبيرة منه في الجو يزيد من نسبة تركزه ، ويلحق بالكائنات الحية اضرارا بالغة ، ويؤثر على ميكانيكيةالغلاف الجوى ودرجة حرارته . فعلى الرغم من ان هناك عوامل كثيرة تدخل في الصورة العامة ، وتؤثر على مستوى توازن حرارة الجو ، الا ان استمرار زيادة ثاني اكسيد الكربون ولفترة طويلة يؤدى الى تغيير شامل في مناخ الكرة الارضية . ومثل هذا التغيير من شانه ان يحدث ارتفاعا في حرارة الارض وجوها ، مما يؤدى الى ذوبان قسم كبير من الغطاءات الجليدية في القطب الشمالي ، وقارة القطب الجنوبى ، ومناطق اخرى في الجهات ذات البرودة المتطرفة .

ولا شك في ان ذوبان هذه الغطاءات الجليدية ، وتحولها الى ماء له نتائج في غاية الخطورة ، ويرى العلماء بانه لو قدر وذابت هذه الغطاءات الجليدية ، فان مستوى البحار سيرتفع نحو خمسين مترا عن معدله الحالي ، وبالتالي ستغرق اجزاء كبيرة من السهول المنخفضة والمحاذية لشواطىء البحار ، وتصبح كثير من المدن الساحلية تحت مستوى الماء . وقد يتعدى طغيان البحار الى ما هو اكثر من ذلك فتصبح مدنا مثل نيويورك ، ولندن ، وباريس غارقة تحت مياه البحار .

اما غاز ثاني اكسيد الكبريت فهو من اشد الغازات خطرا في الجو نظرا لارتفاع نسبة السموم فيه . وحينما يختلط هذا الغاز بالجو المشبع بالرطوبة ينتج عنه حامض الكبريتيك . ويعتقد

بعض العلماء بان وجود ثاني اكسيد الكبريت مع حامض الكبريتيك قد اسهم بدرجة كبيرة في حدوث نكبات في بعض الاقطار ، ففي عام ١٩٥٢ تكونت فوق سماء مدينة لندن سحابة قيل انها كانت نتيجة اقتران اكسيد الكبريت وحامض الكبريتيك، وقد نتج عنها وفاة نحو اربعة الاف شخص .

وفي عام ١٩٦٢ حدث نفس الشيء بمدينة نيويورك حيث راح ضحية ذلك نحو اربعمائة شخص .

وينتج غاز ثاني اكسيد الكبريت من حرق الفحم بانواعه المختلفة ، ومن النفط وهما يحتويان على نسبة عالية من الكبريت . وتسهم السيارات بالنصيب الاوفر في قذف هذا الغاز في الجو .

وغاز ثاني اكسيد الكبريت مهيج جدا للجهاز التنفسي ، وبخاصة الانف والقصيبات الهوائية ، وسبب الحساسية الشديدة ، والاحتقان في الحلق والبلعوم . ويظهر حامض الكبريتيك احيانا على شكل ضباب مما يسهل على الهواء حمله ونقله الى جوف الانسان عن طريق الفم والانف ، ويصل حتى الرئة ويبدأ بمهاجمة الانسجة الحساسة فيها فيصيبها بالتهيج والتلف .

مشكلة عوادم السيارات

وينطلق غاز كبريتيد الهيدروجين الى الجو من تراكم النفايات والمخلفات التي تلقيها المصانع في المياه الراكدة . وفي مثل هذا الوسط تنشط البكتيريا ، وتقوم بتحويل المركبات الحاوية على الكبريت الى كبريتيد الهيدروجين ، وهو غاز غير قابل للذوبان في الماء نسبيا ، ولهذا الغاز رائحة كريهة جدا ونفاذة مثل رائحة البيض الفاسد . واذا زاد تركيزه في مكان من الامكنة ادى الى الموت السريع للانسان . وقد يتسرب هذا الغاز من مصافي النفط نتيجة اهمال او حادث عرضي كما حدث في مصفاة « بوزا ريكا » بالمكسيك وادى الى وفاة عدد من العمال .

اما حامض النيتريك فينتج من الاحتراق الذي يتم على درجة حرارة عالية بحيث تكفي لاحداث نوع من الاستجابة من النيتروجين والاكسجين كما في حالة عمليات الاحتراق الداخلي او الاحتراق الذي يحدث تحت الضغط العالي .

وبما ان قدرا كبيرا من النيتروجين موجود في اسطوانات محرك السيارة ، فان حامض النيتريك يتكون بمجرد حدوث شرارة كهربائية مصحوبة بحرارة عالية تؤدي الى تفاعل النيتروجين في الاسطوانات والاكسجين الموجود في الجو .

واكبر منتج لحامض النيتريك السيارات ومصانع انتاج الطاقة الكهربائية وغيرها من معامل تحويل الطاقة .

وقد يتحول حامض النتريك الى ثاني اكسيد النيتروجين بواسطة عمليات معقدة تتم في الطبيعة كالتمثيل الضوئي الكيماوي . وهذا الغاز سام جدا ، وهو الوحيد الذي يلون الجو مما يجعل الرؤية صعبة او مستحيلة بحسب قلته او كثرته.

ومن مصادر اكاسيد النيتروجين يمكن ان نذكر بعض العمليات الكيماوية المعقدة مثل صناعة المتفجرات ، ولكن القسم الاكبر منه يأتي من السيارات .

وتتفاعل اكاسيد النتروجين مع بعض المركبات العضوية وينتج عن ذلك غاز الازون « وهو سام للغاية ، وغالبا ما يتكون في الغلاف الجوي في الايام المشمسة » .

ومن السموم الاخرى مجموعة الاولفين ، وهي من الغازات التي من اصل عضوي ، وتنتج من العمليات الصناعية ، وبخاصة الكيماويات البترولية ، ولكن القسم الاكبر منها مصدره عوادم السيارات . وينتمي « الاتيلين » الى هذه المجموعة ، وهو يسهم بدرجة كبيرة في احداث الدخان الضبابي ، علاوة على كونه عبارة عن سموم نباتية شديدة الفعالية ، فيسبب التلف للنباتات والمزروعات.ويكفي وجود الاتيلين وتركزه بنسبة قليلة لا تتعدى واحدا في البليون لان يحدث تخريبا وتدميرا شديدا لنباتات الفصيلة السخلية والطماطم .

واذا تعرضت غازات هذه المجموعة وبخاصة الاتيلين الى المواد العضوية الاخرى ولضوء الشمس مع وجود ثاني اكسيد النيتروجين او حامض النيتريك يحدث تفاعل معقد ينتج عنه « الازون » و « الالديهيد » وانواع اخرى من المركبات العضوية الحاوية على النيتروجين .

واذا وجدت هذه المركبات بتركزات كافية ، فانها تسبب اذى شديدا للنباتات وتحدث تهيجا للعيون ، وبعض اجزاء الغشاء المخاطي للانسان ، وقد اجريت بعض الابحاث اعطت دلائل على تأثيرها على الحيوانات . وقد اكتشفت آثار هذه المركبات ونتائجها الضارة على البيئة في « لوس انجلوس »

بالولايات المتحدة الامريكية ، ويطلق عليها بظاهرة تفاعل الدخان الضبابي لمدينة لوس انجلوس .

وهناك ايضا الابخرة العضوية او الذيبات والمواد العالقة ، وتنطلق في الجو متسربة من العمليات الصناعية ، او من بعض النشاطات البشرية كالتنظيف الجاف على البخار ، ومن الاصباغ والطلاء . وهذه الذيبات لها تاثير على الدخان الضبابي وتسهم في تكوينه ، وبعضها له رائحة كريهة جدا ومعظمها سام .

ويحتوى الجو على كميات كبيرة من المواد الدقيقة السابحة في الهواء ، وتكون على شكل ذرات بعضها ينتج عن نشاطات الانسان وفعالياته . واكثر هذه المواد واكبرها حجما الغبار الذى يرى في المناطق الحضرية . والغبار اصطلاح نقصد به الذرات المتطايرة من التربة التى تعرضت للتعرية الهوائية نتيجة قطع الاشجار او اقتلاع النباتات .

وقد يكون مصدر هذا الغبار حركة السيارات وجميع انواع المركبات على الارض الترابية او الطرق التى تعلوها الاتربة والاوساخ ، او من الذرات التي تتولد بين مختلف الاعمال الزراعية والصناعية .

وهذا الغبار يسبب الازعاج على الرغم من انه لا يؤدى الى نتائج او آثار فسيولوجية .

وتختلف احجام ذرات الغبار ، ولذلك تتفاوت قدرة الرياح على حملها الى مسافات بعيدة عن مصادرها وكلما كانت الرياح اشد قوة ، اصبحت اكثر قدرة على نقل الذرات الكبيرة .

وفي المدن والمناطق الحضرية توجد انواع عديدة من الذرات العالقة في الجو ومصدرها نشاطات الانسان واعماله وفعالياته ، فاملاح الرصاص مثلا تخرج من عملية احتراق بنزين السيارات وبخاصة الذى يحتوى على نسبة معينة من الرصاص ، كذلك تحوى سماء المدن ذرات من الرماد المتطاير في الهواء والناتج من حرق جميع انواع الوقود سواء كان فحما او خشبا او نفطا .

والمواد العالقة يكون مصدرها احيانا بعض الصناعات كالاسمدة والمعادن وتنقيتها وطحن الحبوب وما شابه ذلك .

والى جانب ذلك يوجد في جو المدن قدر كبير من المواد تطير في الهواء ، وتظل معلقة فيه،ولذلك تسمى بالمواد العالقة وتتالف من النفايات التي تلقى في الشوارع ،وعلى الارض ،وهي تتفتت ببطء نتيجة ارتطامها بالارض ، ويحملها الهواء وتظل معلقة فيه . وهذه المواد العالقة تشمل ايضا الاوراق الممزقة ، وبقايا النباتات وقطع الزجاج المهشم ، وبقايا المطاط واطارات السيارات. وكلها تسهم في صنع هذا الخليط المركب من الذرات والمواد الدقيقة السابحة في اجواء المدن .

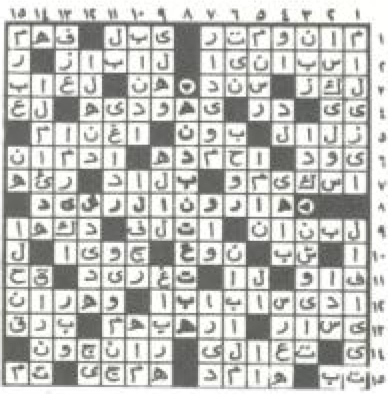
ان حل هذه المشكلة البالغة التعقيد والخطورة يتطلب تعاونا بين الافراد من ناحية ، وبينهم وبين الحكومات من ناحية اخرى وعلى كافة المستويات من محلية واقليمية وعالمية . وينبغي ان يبدا هذا التحرك بتوعية الناس وتثقيفهم وشرح الاخطار البيئية التى تهددهم وسن القوانين الخاصة بحماية البيئة وكيفية مراعاتها واحترامها وتطبيقها من قبل الجمهور . كما ينبغي اتخاذ القرارات السياسية التى لا تتعارض مع البيئة ، واختيار افضل البدائل الاقتصادية التي تحافظ على البيئة وتصونها .

ويبدو اننا لا نعرف الا القليل عن النظام البيئى وحركية التفاعلات الموجودة بين عناصره ومكوناته ، كما اننا نجهل الكثير عن ديناميكية البيئة وآثار التكنولوجيا عليها وبناء عليه ينبغي دراسة هذا الجانب وتعميقه في جميع مستويات التعليم ، فقد تبين بان كثيرا من آثار الانسان الضارة بالبيئة ناجمة عن جهله وعدم فهمه للنظام البيئى .. الذي هو جزء منه . كما ان كثيرا من الطرق التي يعالج بها الانسان الاوضاع المتردية لبيئته تدل على السطحية في فهمه لها . وفي اعتقادنا بان الحلول المعقولة هي التي تحاول تصحيح الاسباب الاساسية التي أدت الى تدهور البيئة وليس الاكتفاء بمعالجة الاعراض او النتائج. وهذا يتطلب منا تعلم طبيعة المشاكل البيئية ، ويحتم علينا تبني مواقف جديدة تتلاءم ونوعية الاعتماد المتبادل الموجود اصلا بين الانسان وعناصر النظام البيئى ، كأن نتخلى عن الايمان المطلق بالتكنولوجيا والانقياد الاعمى لها وان نتحرر من استخدامها استخداما مطلقا بحيث نصبح تحت رحمتها وفي خدمتها .

ان مثل هذه الحلول ستواجهها عقبات كبيرة طالما انها تتطلب من الانسان ان يغير من نمط حياته وان يبدل من سلوكه ومواقفه تجاه البيئة ، ولكنه مضطر ان يفعل ذلك لأن وجوده واستمراره على هذا الكوكب بات مهددا . ■■

د. محمد علي الفرا

● حل مسابقة العدد ٢٤٠ ●



هارون الرشيد

●

هند بنت عتبة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : هارون الرشيد · ابن المهدى ، ولى الخلافة بعد اغتيال اخيه الهادى · حارب البيزنطيين وبلغ ابواب القسطنطينية ·ازدهرت فى عهده التجارة والآداب والعلـوم · ولعب البرامكة دورا هاما ، قبل ان يوقع بهم ·

(٨) راسيا : هند بنت عتبة · أم معاويـة مؤسس الخلافة الاموية ، حرضت اهل مكة على مقاتلة النبى فى بـدر واحـد ، ثم اسلمت ، وشهدت معركة اليرموك ·

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : مصطفى على سليم ـ صيدا / لبنان ·
- الجائزة الثانية وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد احمد السنبانى ـ صنعاء/اليمن الشمالى·
- الجائزة الثالثة وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : زكى عبدالمجيد ـ بغداد / العراق ·

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ فيصل محمد علوه ـ الرياض / السعودية ·
٢ ـ تجيب اسماعيل المصرى ـ بنغازى/ليبيا ·
٣ ـ العروصى محمد مكناس ـ المغرب ·
٤ ـ جعفر احمد حسن ـ المنامة/البحرين ·
٥ ـ لمياء مصطفى صالح حمدان ـ ميناء سعود /
الكويت ·
٦ ـ رغداء عاشورى ـ حلب / سوريا ·
٧ ـ ربيع محمد صالح ابراهيم ـ الخرطوم / السودان ·
٨ ـ امنة عبدالغنى عبدالهادى ـ عمان / الاردن·

الفلكلور

تعبير عن أصالة الشعوب

بقلم : صفوت كمال

خبير الفنون الشعبية

حقا ·· « لا يشعر المرء بجهله الاعندما يعجز عن شرح وجهة نظره ·· هذا الكلام لاندريه موروا » ·

بهذه العبارة استهل السيد تركي علي الربيعو مقاله المنشور في العدد ٢٤٠ من مجلة العربي ، (ذو الحجة ١٣٩٨ ـ نوفمبر ١٩٧٨م) ص ، ٦٢ ـ ٦٤ بعنوان : « الفولكلور هذه الظاهرة المستوردة » ·

وللاسف تضمن المقال تعريفات للفولكلور ليس لها اى صلة بالفولكلور مادة وعلما ـ فمسرحيات الريحاني اودريد ونهاد وياسين بقوش او غيرهم ليس لها اى صلة بالفولكلور كمادة ابداعية أبدعها الشعب تلقائيا يعبر بها عن فكره ووجدانه يمتزج فيها الموروث الثقافى التاريخى مع الخبرة الانسانية فى تجربة الحياة اليومية ·

فعلم الفولكلور يدرس الانسان من حيث ابداعه ووسائل هذا الابداع ·· خبرته وحكمته كما يمارسها فى حياته اليومية تلقائيا · هذه الخبرة والحكمة التى تناقلتها الاجيال كل جيل يضيف شيئا أو يحذف اشياء لتتوافق فى النهاية مع واقع حياته التى يعايشها · هذا الابداع ليس من صنع فرد ولكنه نتاج الجماعة الانسانية ككل فى مجتمع ما ·· وتتعدد اشكال الابداع والتعبير بتعدد وسائل هذا الابداع من آداب وفنون تعبيرية وتشكيلية وتطبيقية ، يظهر ذلك فى فنون الغناء الشعبى الذى يصاحب مختلف مناسبات دور الحياة من الميلاد الى الموت ، أو فى العمل او الراحة من احداث تاريخية والقصص الغنائى والحكايات الشعبية التى تصور أحداثا من الماضى أو تجمع بين الواقع والخيال فى رؤية فنية أو ما يردده الناس من حكايات وخرافات تتضمن بقايا من تصوراته الاسطورية تضفى طرافة ونظرا تامليا على ما يرويه الناس من تصورات لعالم يفوق عالم الانسان الارضى · أو ما ترسب فى اشكال ممارساته الطقوسية لبعض العادات والتقاليد من بقايا تاريخية او اسطورية تمتزج داخل عادات المجتمع وتقاليده او ما يردده الناس من امثال سائرة تعبر بعباراتها الادبية الموجزة والبليغة عن فلسفة الانسان ونظرته الى قيم الحياة او ما يتغنى به الناس من سير الابطال وملاحم البطولة كما يتمثل ذلك فى سير « سيف ذى يزن وعنترة وأبى زيد الهلالى » ·· وغيرهم من ابطال التاريخ العربى · وكذلك اللطائف والنوادر الساخرة التى تصور بعباراتها الموجزة التناقض الموجود فى الحياة الذى عبر عنه الناس فى صدق تلقائى وعفوية ادبية بلاغية ·

كما ان الموسيقى بايقاعها والحانها والآتها تعبر بشكل مباشر ايضا مع الرقص والايماءات والحركات الايقاعية عن الحالة الفكرية والوجدانية للمجتمع يضاف الى ذلك الفنون التشكيلية والتطبيقية من رسم ونقوش ونحت وحفر غائر او بارز وصناعة الحلي وتطريز الملابس والحلى وادوات التجميل ٠٠ وفنون التزيين وغير ذلك من اشكال وطرق الابداع الشعبي الذى يصدر عن الرؤية الفنية للمجتمع فى اطار من عاداته وتقاليده تعبر ببساطة وصدق عن بنية الثقافة التى تحدد معالم الشخصية الحضارية لكل مجتمع ٠

ودراستنا لهذه الموضوعات انما هى فى الواقع محاولة جادة للكشف عن القدرات الابداعية للمجتمع من خلال مختلف مظاهر التعبير الثقافى المتعددة التى توسل بها ليعبر عن قدراته الادراكية وقيمه الجمالية فى ادراك ووعى لقدرته على صنع الحياة على أرضه ٠

الابداع المستمر

هذا الابداع المستمر فى الحياة اليومية الجارية هو موضوع علم « الفولكلور » (Foik – Lore) ، ذلك العلم الذى شاع بـ « الفن الشعبى » او « الفنون الشعبية » كمصطلح دارج يدل عليه باعتبار أن « الفن » ابداع ، يعبر عن جماع الفكر والعقيدة والحس والذوق ٠

اما المصطلح العلمى العربى لهذا الابداع الشعبى فهو « المأثورات الشعبية » ، كترجمة دقيقة للمصطلح الانجليزى « فولكلور » ذلك المصطلح الذى استخدمه لاول مرة عالم الاثريات الانجليزى « سيرجون وليام تومز » (١٨٠٣ ـ ١٨٨٥) فى ٢٢ ـ اغسطس سنة ١٨٤٦ مستكملا ومحددا به الجهود العلمية والقومية التى سبقته فى انجلترا والمانيا وفنلندا وغيرها من بلدان أوربا الغربية بخاصة ٠٠ ولقد شاع مصطلح « فولك ـ لور » بعد ذلك بمعنى «حكمة الشعب ومأثوراته» كمصطلح يدل على موضوعات الابداع الشعبى ٠٠ وتطورت وتقدمت مناهج بحث علم الفولكلور ٠٠ واتسع مجال بحثه ليشمل مختلف أوجه النشاط الخلاق للانسان فى بيئته وارتباطه بالثقافة الانسانية ككل ، باعتبار أن الفولكلور هو تعبير مباشر عن اصالة الثقافة فى أى مجتمع ٠ تعبير صادق يتوسل بمختلف وسائل التعبير الفنية ، يجمع فى مادته بين الخبرة الثقافية الموروثة والتجربة الحية المعاشة ٠ والمجال هنا لا يتسع للاطناب فى شرح الفولكلور مادة وعلما ٠٠ فالمكتبة العربية تذخر بالعديد من الكتب والمراجع التى تتناول الفولكلور كمادة وكعلم ، كما أن الاسهاب فى الشرح قد يكون استطرادا لا يستحبه القارىء المطلع على ما سبق نشره من دراسات علمية حول الفولكلور بعامة والفولكلور العربى بخاصة ٠

تراثنا الثقافى غنى

وتراثنا الثقافى منذ القرن الثامن الميلادى غنى بمواد المأثورات الشعبية التى سجلها الرواد الاوائل من المفكرين العرب فى مخطوطاتهم ومدوناتهم الفكرية والادبية مثل الجاحظ والاصفهانى وابن خلدون وغيرهم ، وقد سبق ان اوضحنا ذلك فى دراستنا « مناهج بحث الفولكلور العربى بين الاصالة والمعاصرة » ، مجلة عالم الفكر ، م٦ع٤ ، يناير ١٩٧٦ ـ الكويت ، ص ١٧٣ ـ ٢١٠ ـ وأرجو ان يتسع وقت السيد تركى على الربيعو للاطلاع على ما تضمنته هذه الدراسة من بعض المراجع ٠٠ فقد يساعد ذلك على تصويب بعض الاخطاء الشائعة فى تعريف الفولكلور ومادته ٠٠

ولا باس أن نخطىء كما يقول الكاتب نفسه ـ « فهناك فرق كبير بين الخطا والتقوقع ، بين النية الحسنة مع العمل وبين التواكل لاننا تاريخيا ائبنا المخطىء مرة والمصيب مرتين » ٠

ان ادراكنا لمقومات ثقافتنا العربية يكمن فى معرفتنا بمكونات هذه الثقافة بما تتضمنه من اثار مادية ومدونات تاريخية ومأثورات شفاهية مع تقييم واع لعاداتنا وتقاليدنا والكشف عن القيم الجمالية فى أشكال الابداع الفنى الشعبى الذى يحوط مختلف مجالات حياتنا المعاصرة بما تحتويه هذه الحياة من عناصر ثقافية موروثة حفظها وحافظ عليها الانسان على مر العصور ٠ ان ادراكنا هذا ، هو فى الواقع من أهم موضوعات مسؤوليتنا الثقافية المعاصرة ٠ فثقافتنا العربية باصالتها وحيويتها تتكون من شقين اساسيين٠ احدهما ما هو شفاهى مأثور بين الناس وهو مادة البحث الفولكلورى والاخر هو ما دون وثابت وهو مادة البحث التاريخى٠

من الخليج الى المحيط

وفى مجتمعنا العربى من الخليج الى المحيط



تطعيم الحلى الذهبية باللؤلؤ شكل من اشكال الابداع الفنى يعتمد على خبرة ثقافية عريقة ..

يمثل الجانب غير المدون من ثقافتنا العربية الشق الاكبر من واقع تاريخ الامة العربية وتطورها الحضارى ، كما يعبر بطبيعة مادته عن حيوية واصالة هذه الثقافة .

كما ان كثيرا غير يسير مما هو مدون من التراث العربي المدون كان اصلا مادة شفاهية انتبه الى اهميتها كثير من الرواد الاوائل من المفكرين العرب فسجلوها واثبتوها بالتدوين والدراسة .

ان الثقافة التي يعتبرها الكاتب ثقافة حقة من حيث « أنها تعبير حي وملموس وباسلوب ولغة هذا المجتمع » هذه الثقافة هي بعينها «الفولكلور» « المالورات الشعبية ــ باعتبار أنها تعبير مباشر عن فكر ووجدان المجتمع . » وثقافتنا تستمد اهميتها ، وتتجلى اهميتها بالقدرة على العطاء والاستمرار في عملية الخلق والابداع » .. واهم ما يميز المواد الفولكلورية هو بالفعل قدرتها على الاستمرار في عملية الخلق والابداع مع تتابع الاجيال فيتحول الموروث الثقافي الى مالور ثقافي حي في تواصل مستمر في اطار من الرؤية العلمية والفنية المعاصرة.وما بحثنا عن الاصالة والمعاصرة، سوى محاولة لتحقيق هذا التواصل في ثقافتنا المعاصرة والغاء الانفصام الثقافى الذى تعانى منه الامة العربية .

الكشف عن الذات العربية

ان الكشف عن الذات العربية في المجتمع العالمى يتاكد ويتحقق بالكشف عن تراثنا الثقافي الحى الذى يتمثله الانسان العربي في حياته المعاصرة ويعبر عنه بمالوراته الاصيلة ابداعا وممارسة .. فالفن الشعبي بعامة هو فن الحياة والمالورات الشعبية ــ الفولكلور ــ هو المناخ الثقافى الذى تنمو فيه قدرات الانسان على الابداع الثقافي المستمر كما أنه تعبير عن الاضافة الفكرية التى يضيفها كل مجتمع الى الثقافة الانسانية في تواصل حضارى ، دون تقوقع داخل الانا الفردية او الاستغراق في اجترار الذات .

فالفولكلور .. هو اضافة انسانية مستمرة للحياة ، ووسيلة مباشرة من وسائل معرفة الانسان عبر العصور وبخاصة معرفة الانسان معرفة فنية ، ومعرفة الحياة التي عايشها الانسان من خلال رؤية فكرية جمالية . ...

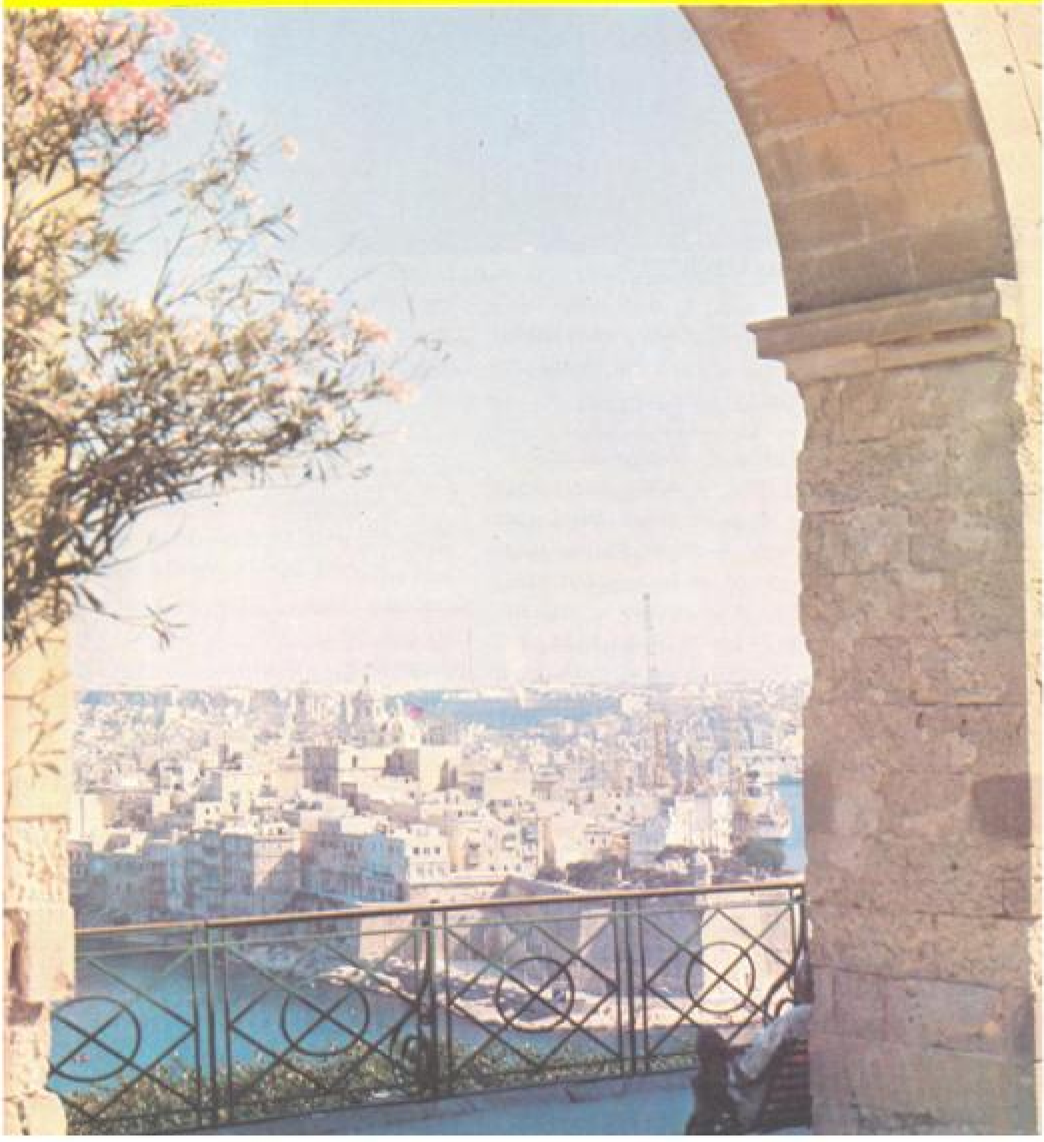
الكويت ــ صفوت كمال

المسلمون مروا من هنا

قبل خراب مالطة

استطلاع : مصطفى نبيل   تصوير : عبد الناصر شقره

فاليتا العاصمة .. القائمة على التلال والمشرفةعلى البحر .



منظر عام لميناء
فاليتا الطبيعي .



احد شوارع
العاصمة ويظهر
فيه طراز المباني
والتاثيرات العربية



■ ذهبت الى مالطة لاقدم تحقيقاعن جزيرة صغيرة وادعة ترتمي في احضان البحر الابيض المتوسط ،يزورهاالسياح بحثا عن المتعة والهدوء والجمال ، ولكن سرعان ما استغرقني البحث عن بقايا الوجود العربي والاسلامي ، واخذت ابحث عن مفتاح حل لغز هذه المرحلة من التاريخ وكان هذا التحقيق •

مالطة مجموعة جزر صغيرة تكاد لاتظهر في العديد من الخرائط ، رغم انها احد المفاتيح الرئيسية للشرق الاوسط ، ومثلما سقطت في عدد من الخرائط سقطت ايضا فصول من تاريخها من اسفار المؤرخين ، ويكاد تاريخها يتحول الى حلقات من الالغاز والاحاجي • وهي الواقعة في قلب الصراع بين الشرق والغرب ، وتاريخها دائما اكبر من جرمها الجغرافي ، فمساحتها لاتزيد عن ٣٢٣ كيلو متر مربع ، وتعداد سكانها ٣٥٠ الف نسمة ••

تقع داخل الممر الاوسط من البحر الابيض ، تكاد المسافة تتساوى بين قناة السويس شرقا حتى مالطة ، وبين مالطة غربا حتى مضيق جبل طارق وتبلغ حوالي ١٠٠٠ ميل ، وتتوسط بين قارتي اوروبا وافريقيا ، تبعد عن صقلية الايطالية ٩٣ كيلو مترا وعن شمال شرق تونس ٢٨٨ كيلو متر ، وفرض عليها هذا الموقع ان تكون نقطة جذب لا تقاوم لكل الدول والامبراطوريات التي قامت على شواطيء البحر المتوسط ، وان تكون مركزا لصراع طويل بين حضارتي الشرق والغرب ،ومنذ تسعة قرون قامت مالطة العربية الاسلامية ، بكل التاثيرات الثقافية والحضارية العميقة للعرب والاسلام ،والذى انعكس على تركيبها السكاني ولغة اهلها ، وطراز مبانيها ، واصبح كل شيء في الجزيرة يقول : المسلمون مروا من هنا •••

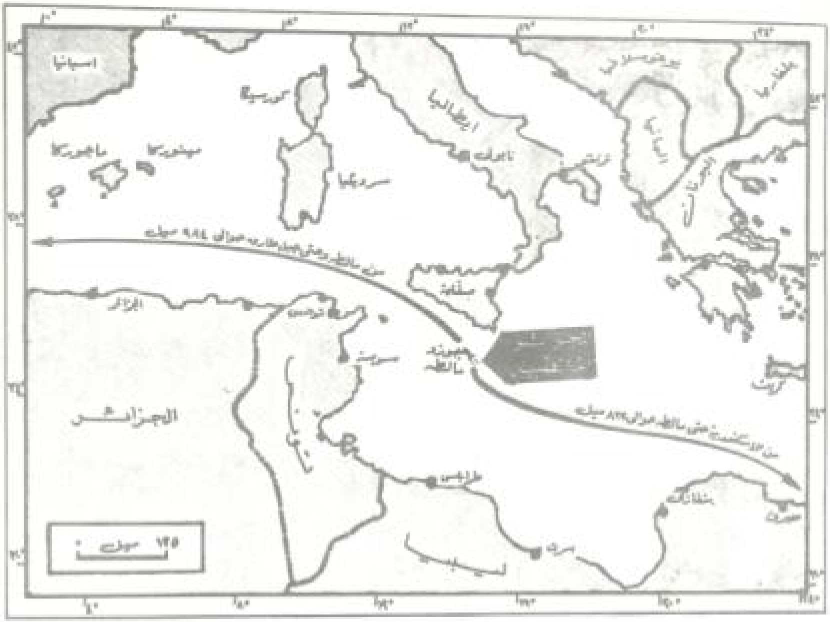
ان الوصول الى العاصمة « فاليتا » بالبحر اجمل من الوصول اليها عبر مطار « لوقا » ،فمنظر الجزيرة من الطائرة لا يكشفه ما تخفيه من جمال ، فانت امام كتلة حجرية صفراء كانها قارة في طريقها الى الغرق ، تنتشر على وجهها بقع قليلة خضراء،وليس بها جداول او انهار او وديان••!!

اما الوصول اليها عبر « الميناء الكبير » فكانك تقترب من منظر بانورامي لاحدى مدن القرون الوسطى ،تظهر القلاع التاريخية الضخمة والابراج من فوقها ، وتزداد وضوحا كلما اقتربت من الميناء الذى يشق العاصمة حتى قلبها ، تحس بطعم التاريخ وتبدو بيوتها نظيفة بيضاء كانها غسلت لتوها بماء المطر ، وتواجهك مشربياتها وقدطرحها التاريخ وكنائسها الضخمة وكانها منحوتة فوق التلال ••

في نفس يوم وصولي تجولت في شوارع العاصمة وازقتها ، استنشق في عمق هواءها المنعش ، والانتهاء من جولة في كل ارجاء فاليتا لايستغرق وقتا فلا يحتاج الزائر ليجوب الجزيرة بطولها وعرضها اكثر من يوم واحد ، فالمسافات متقاصرة وفسيفساء مدنها وقراها متداخلة ، وخلال جولتي لم اشعر للحظة بالغربة فهي عاصمة بلد شرقي خليط بين طابع مدن الشمال الافريقي من الاسكندرية حتى وهران ، ومدن جنوب اوروبا من فينيسيا حتى مارسيليا ، وطابع حوض البحر الابيض المتوسط والتاثيرات المتداخلة والمختلطة •

وكل من مر هنا ترك لمسة من تاثيره ، الفنيقيون والاغريق والقرطاجيون والرومان والعرب ، واخيرا بريطانيا الذى يظهر تاثيرها بوضوح في نظام المرور الذى مازال على اليسار ، وفي اكشاك الهاتف التي تماثل تلك القائمة في شوارع المدن البريطانية ••

ولم يبق في فاليتا من الاثار العربية سوى احد الحصون العربية داخل الميناء هو حصن « سانت انجلو » والذى اعاد الفرسان ترميمه ، اماالتاثير الغالب والذى يعود اليه اغلب المباني التاريخية في فاليتا فهو تاثير حكم فرسان القديس يوحنا،والذى ترجع قصتهم مع مالطة الى تلك الفترة الدامية في تاريخ العلاقات العربية الاوربية ، عندماتجمع الفرسان او القرصان ـ لافرق ـ تحت راية الصليب او الجمجمة والعظمتين ، من كل البلدان الاوروبية متجهين الى فلسطين ، وتمكن العثمانيون من طرد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس ،وهاموا على وجوههم يبحثون عن ماوى ، حتى قدم اليهم ملك الاسبان كارل الخامس مالطة على ان يتعهدوا بحماية منطقة طرابلس الليبية التي سقطت



في ايديهم ، وعاش الفرسان في مالطه حياة القرصنة ذاتها التي كانوا يعيشونها في رودس، يكرسون كل جوانب الحياة في الجزيرة لهدف واحد هو الحرب ، يغذيهم روح العداء المتأصل ضد العرب ٠٠

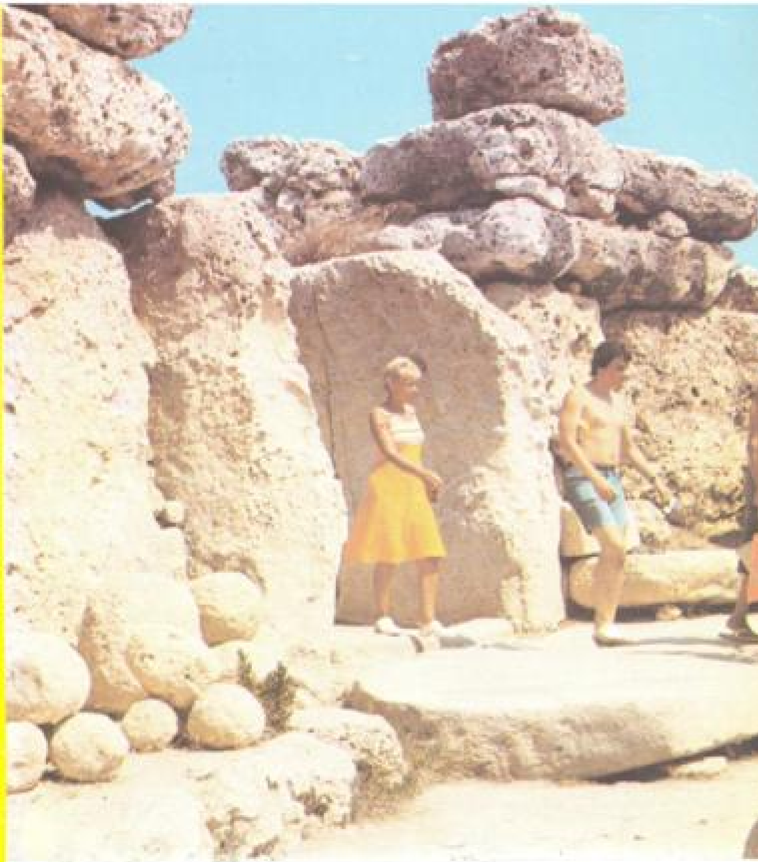
هذا ما مر بخاطري وانا الف اما سور فاليتا العالي السميك ، وامام بوابة العاصمة الضخمة وامام حصونها وقلاعها التي تشرف على البحر، وعندما كنت انتقل بين معالمها ، امام قصر «السيد الكبير» وقصر رئاسة الحكومة «اوبرج دي كستلا » وامام الكنائس العديدة المنتشرة في كل مكان ، تزين جدرانها لوحات بديعة مسجلة حدثا تاريخيا هاما شهدته الجزيرة وهو هبوط القديس بولس والقديس لوقا الى الجزيرة عام ٥٨ م ، بعد ان قبض عليهما بتهمة اعتناق الدين المسيحي، وارسلا الى روما ، وفي الطريق دهمتهم عاصفة بحرية القت بهم الى شواطيء الجزيرة ، وسجل ذلك الحدث الاصحاح الثامن والعشرون من « اعمال الرسل » بقوله :

«فلما نجوا وجدوا ان الجزيرة تدعى مالطية ،فقدم اهلها البرابرة ــ اي الذين لا يتحدثون اللاتينية او اليونانية ــ لنا احسانا غير المعتاد » ٠

وتنتشر في الشوارع وامام المنازل تماثيل فرسان وكرادلة وابطال كحراس للتاريخ ،وصور العذراء وتماثيل الناصري المصلوب تنتشر في كل مكان٠٠

تقودك بوابة فاليتا الى الشارع الرئيسي التجاري الوحيد والذي يزدحم بالسكان والسياح وترى الفتيات المالطيات اقل حجما من الرجال لهن عيون سوداء جسورة وشعر ناعم ، وتتفوق المالطيات بالشال العربي ، ولا تحتاج الى كبير عناء لتكتشف ان الشعب المالطي عاطفي انطباعي يتحدث افراده بصوت عال وانفعال واضح ،وصلت الى مقر رئاسة الوزراء الذي يطل على الميناء لكي التقي بالدكتور بلجريتي المتحدث الرسمي باسم الحكومة السياسي قليل الجسم والذي لايكف عن الحركة والنشاط ٠٠ قال :«ان موقع مالطة يؤهلها لتكون جسرا بين العرب واوروبا بين دول العالم الثالث والغرب ، فنحن نرتبط بالعرب بوشائج شتى ،اصل السكان الذين ينتمي اغلبيتهم الى اصول افريقية ، واللغة المالطية ذات الجذور العربية، والتاريخ المشترك في مراحل عديدة ،ونحن من جانب اخر اقرب جغرافيا الى جنوب اوروبا ،

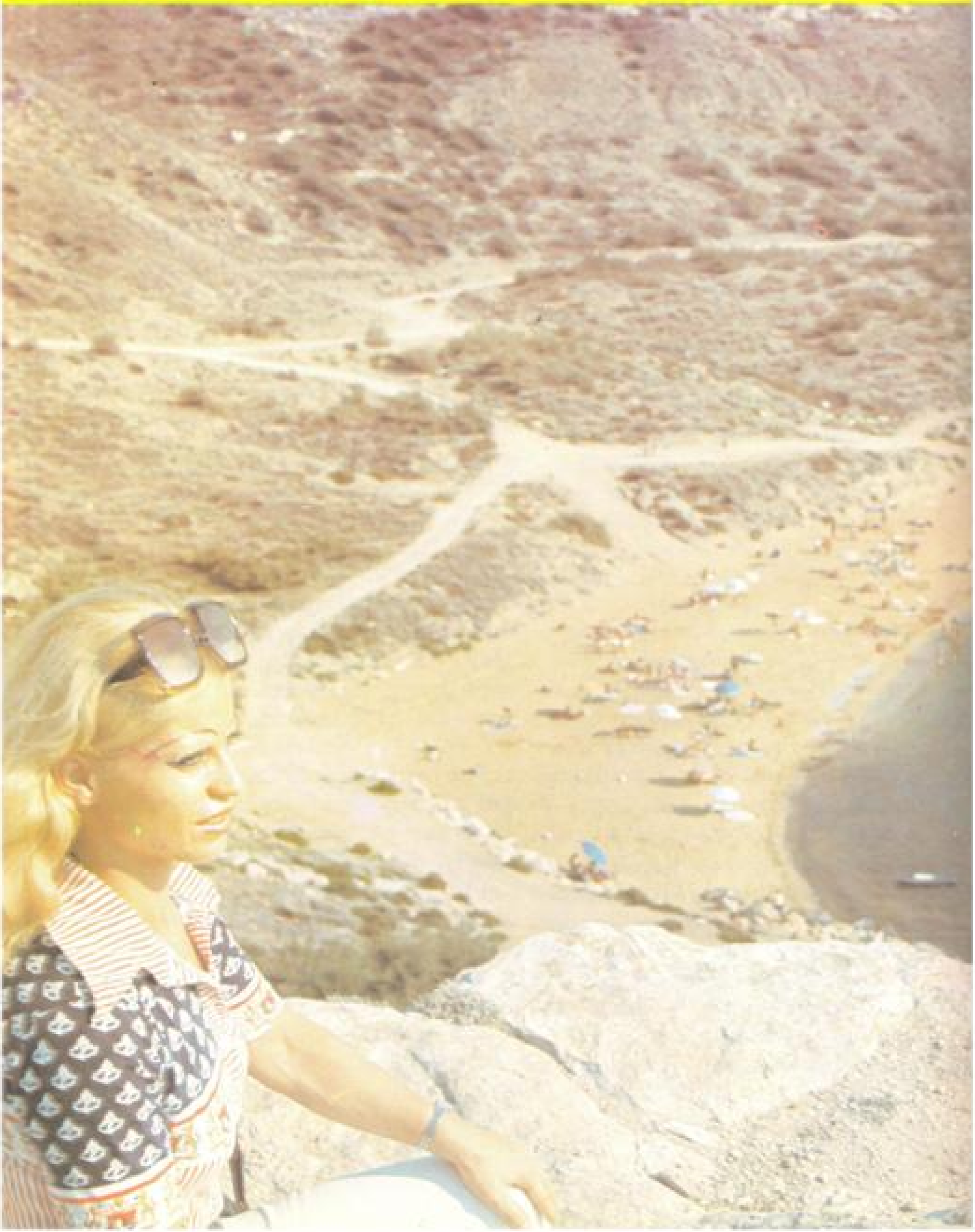
أحد المعابد القديمة فى
صيد الحيوانات البريةاحد
أحد الشواطىء فى الجزيرة







جرزو والتي ترجع الفي سنة قبل الميلاد الىعصر العمالقة (الصورة الى اليمين) .
هوايات من يقضي اجازته في جزيرة مالطة(الصورة الى اليمين اسفل) .
الجبل والبحر والشاطيء (الصورة الى اسفل).



وقد قطعت الحكومات خطوات واسعة في طريق التعاون الاقتصادي والسياسي مع الدول العربية وليبيا تقدم لنا الدعم والمساندة الاقتصادية ،ونتطلع الى ان يمتد هذا التعاون ليشمل دولا عربية أخرى»

وكانت كلمات المتحدث الرسمي بداية الخيط ، وتعددت لقاءاتي مع مسئولين وصحفيين ومواطنين وتبينت ان الجزيرة تتنازعها الحيرة والانقسام بين الشرق والغرب ،تنقسم حول اصل السكان وحول أصل اللسان المالطي وحول الماضي وآفاق المستقبل ، والمواطن العادي يرى انه اكثر اعتزازا ان ينتمي الى اوروبا القوية المزدهرة من أن ينتمي الى عالم عربي ما زال في طريقه الى التطور، رغم ان حكومة دوم منتوف التي وصلت الى الحكم باغلبية صوت واحد تنادي بالتوجه الى العرب وبذلك حسمت الصراع ، الا انه بقي حادا داخل الرأي العام ..

❋ وجهة نظر تؤكد ان اصل السكان أوروبي قدموا من جزيرة صقلية ، وينادون بالانتماء والولاء للغرب سياسيا وحضاريا ، ويطالبون بالانضمام الى السوق الاوروبية المشتركة ، وهذا ما تروج له الكنيسة ـ والتي فقدت الكثير من امتيازاتها والقيت الحصانات التي يتمتع بها رجالها ـ والحزب الوطني المعارض ..

❋ ووجهة النظر الثانية ترى ان اول من سكن الجزيرة هم الفينيقيون عام الف قبل الميلاد ، وقد تركوا الدم واللغة اللذين كانا تمهيدا للانصهار الكامل مع العرب فيما بعد ، ويؤكدون ان اغلبية السكان قدموا من تونس وشمال افريقيا، وهذا يعني انتماء الجزيرة الى حضارة الشرق والى دول العالم الثالث ..

ويدلل اصحاب هذه النظرية على موقفهم بما قاله المؤرخ الروماني ديودوس عندما وصف مالطة بعد مائة وخمسين عاما من بداية الحكم الروماني بانه يسكنها البربر ، وهو ذاته ما جاء به الاصحاح الثامن والعشرون منقولا عن القديس بولس ، والذي تحدث بالضرورة الى سكان الجزيرة بلغة سامية يفهمونها ..

ويدعمون وجهة نظرهم بنظرية جغرافية تقول ان جزيرة مالطة كانت جزءا من افريقيا قبل ملايين السنين عندما انشقت الارض وفصلتها ..

★ ★ ★

ولعل هذا الانقسام من بقايا الصراع التاريخي الذي شهدته مالطة عندما كانت رأس حربة موجهة للشرق العربي ، تمثل بموقعها أحد المفاتيح الرئيسية للعالم العربي مع كل من قبرص ومضيق جبل طارق كمداخل استراتيجية في مسلسل الصراع بين الشرق والغرب :

❋ هكذا كانت ايام الحروب الصليبية عندما انضوت تحت التاج الاسباني عام ١٢٨٢م ، وتحولت الى محطة استقبال للسفن المتجهة الى فلسطين ، وصارت من اهم حصون الغرب ضد العرب،واصبحت رهينة في يد النزاع المستمر ، مما خلق داخلها خوفا ومجافاة للعرب .

❋ وعندما اصبحت محل صراع ولعبة «شد حبل» بين كل من فرنسا وبريطانيا ، وكان هدف اللعبة الاستيلاء على مصر ، فعندما سعى نابليون بونابرت للوصول الى مصر في حملته المشهورة احتل مالطة كنقطة وثوب في يونيو عام ١٨٩٨م ، وبقي فيها ستة أيام توجه بعدها الى هدفه ، وهو الذي أسقط حكم الفرسان واطلق سراح ٤٥٠٠ اسير مسلم كانوا في سجون مالطة ، وسرعان ما تحرك الاسطول البريطاني بقيادة نيلسون واستولى على الجزيرة كمقدمة لهزيمة الفرنسيين واحتلال مصر .

❋ وهكذا كانت في عصرنا الراهن خلال العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ عندما تحركت البوارج البريطانية والطائرات من مرفئها الطبيعي العميق ومطاراتها الى مصر .

❋ وعندما استخدمت بريطانيا الشعب المالطي خلال مرحلة الاستعمار في المنطقة العربية فبعثت بعدد منهم الى شمال افريقيا محصنين بالامتيازات الاجنبية ، وكلنا يذكر أن أحد ذرائع بريطانيا لضرب الاسكندرية في يوليو عام ١٨٨٢ كان بسبب المكاري والمالطي الذي كان يتمتع بالحماية البريطانية ..

وفي نفس الوقت كانت رؤية بريطانيا للشعب المالطي هي ما اظهرته الوثائق السرية البريطانية التي كشف عنها مؤخرا في وثيقة بتاريخ ١٩ سبتمبر عام ١٩١٩ وكتبها فيلدمارشال لورد بلمر، وهي نظرة تفوح منها الرائحة الاستعمارية ، فمالطة لدى الغرب الاستعماري من بلاد الشرق وكانت اخر البلدان الاوربية التي منحت استقلالها، تقول الوثيقة :

« لم يكن المالطيون عبر تاريخهم الطويل جنسا Race قادرا على ان يحكم نفسه ، وكانوا دائما تحت حماية أو في خدمة امة قوية ، وبالتالي لم

تنم لديهم القدرة على ممارسة المسئولية او القيادة ، وهم قوم يرضخون للقانون ويطيعون السلطة ، اعتمادا على العمل الشاق ، ويهتمون بشئون بيوتهم وعائلاتهم ، وضعفهم الرئيسي العجز عن المبادرة ، وعدم قدرتهم على تحمل المسئولية ...

ويكاد الشعب المالطي يكون الشعب الوحيدالذى نادى باستمرار الوجود البريطاني ، فعندما توقفت فكرة ادماج مالطة في بريطانيا في اواخر الخمسينات لم ترحب بريطانيابان يشاركالمالطيون الشعب البريطاني الخدمات الاجتماعية ، كما ان بريطانيا كانت ترغب في تقليص مسئولياتها الخارجية ، وقد اجرى استفتاء في مالطة وحصلت فكرة الاندماج على ٤٥ ٪ من اصوات سكان الجزيرة ، واكتفت بريطانيا بقبول مالطه عضوا في الكومنولث ، وقدمت للجزيره ٥٠ مليون جنيه لقاء استخدامها لقواعدها العسكرية في الجزيرة، وفيما بعد اجرت بريطانيا قواعدها في الجزيرة لحلف الاطلنطي .

❊ وليس صدفة اختيار الفاتيكان لمالطه لاقامة اول مدرسة لتعليم اللغة العربية للمبشرين الذين يرسلون الى افريقيا والبلاد العربية ، والى جانب المدرسة مطبعة عربيةاقامتها الولايات المتحدة، واستمرت هذه المطبعة طوال ١١ عاما منذ عام ١٨٢٢ ، ثم نقلت الى ازمير ومنها الى بيروتعام ١٨٣٤ م ...

انها كانت نقطة رصد كما كانت نقطة وثوب وانطلاق ..

المال العربي

لقد ادارت مالطه المعاصرة ظهرها لكل هذه السياسات العتيقة ، وقدمت وجها ودودا نحو العرب في ظل حكومة دوم منتوف ، وقابلتها بعض الدول العربية بالود ، ومن عشر بعثات دبلوماسية هي كل مافي الجزيرة ثلاثة منها بعثات عربية لكل من مصر وليبيا والكويت ، ووقفت مؤيدة للقضايا العربية واعلنت انهالنتسمح باستخدام اراضيها ضد الدول العربية ، وآخر مشروعاتها السياسية اعلان حياد مالطه ويضمنه كل من الجزائر وليبيا من الشمال الافريقي وفرنسا وايطاليا من الجنوب الاوروبي ...

وفي نفس الوقت اخذت تبحث عن وسائل جذب المال العربي ، وتسعى لتطبيق معادلة راس المال العربي والتكنولوجيا الغربية والايدى العاملة الرخيصة المالطية ، لكي تكون مصرا وممرا للاستثمارات الاجنبية ، ولتتخذ نموذج سنغافوره وهنج كنج ، وتقدم نفسها كبديل للبنان الذى هدته الحرب الاهلية ..

وواجهت حكومة مابعد الاستقلال عام ١٩٦٤ المشكلة الاقتصادية عن طريق تشجيع الهجرة ودفع ثلاثة ارباع نفقات هجره مواطنيها،ثم جربت طريق التنمية الاقتصادية المستقلة ، وقدمت الصين الشعبية قرضا قيمته ١٦ مليون جنيه مالطى ، وفشلت هذه السياسة امام عجز السوق المالطي عن الاستيعاب وعجز المنتجات المحلية عن المنافسة الاجنبية ، وامام احجام الاستثمارات الاجنبية عن التدفق الى الجزيرة ، واخيرا بدأت مالطة خطة اقتصادية تقوم على سياسة الباب المفتوح ، واقامة فروع للشركات الاجنبية العابرة متعددة الجنسية مع تطوير صناعة صيد الاسماك والنهوض بالسياحة ، والغت تسهيلات الهجرة وخلقت فرصا للعمالة ، وقدمت اعفاءات ضريبية كبيرة للمشاريع المشتركة التى تقوم على ارض الجزيره ،واستكمالا لهذه السياسة كان لزاما عليهم عرض انقطاع العام للبيع ..

وساهم المال العربي في بعض المشاريع في الجزيرة ،وليبيا هي اهم المساهمين العرب ،فاقيمت شركة مالطية ليبية قابضة برأسمال ثمانية مليون ونصفمليونجنيهمالطي ،وساهمت فيمشروع اقامة حوض جاف لصناعة السفن تساهم فيه ليبيا بـ ٦٠ مليون دولار ، ويقيم راس المالالليبي مشاريع مختلفة سياحية كالفنادق والمطاعم وحتى المطابع، وتقدم السعودية قرضا بـ ٦٠ مليون دولار ،وحصلت مالطه على تخفيضات في اسعار البترول منليبيا وتعهدت الجزائر بشراء ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المنتجات التى تصنع في مالطه ..

وقدم صندوق التنمية الكويتي مشروعين احدهما لصيد الاسماك وبناء ثماني سفن للصيد فياعالي البحار ، تبلغ تكلفة المشروع مليونا و ٢٥٠ الف دينار كويتي ، ومشروع آخر لتحلية المياه وانتاج السماد من النفايات البشرية ، ومازال المشروع قيد دراسات الجدوى الاقتصادية ، وتبلغتكاليفه حوالي ثلاثة ملايين من الدنانير الكويتية .

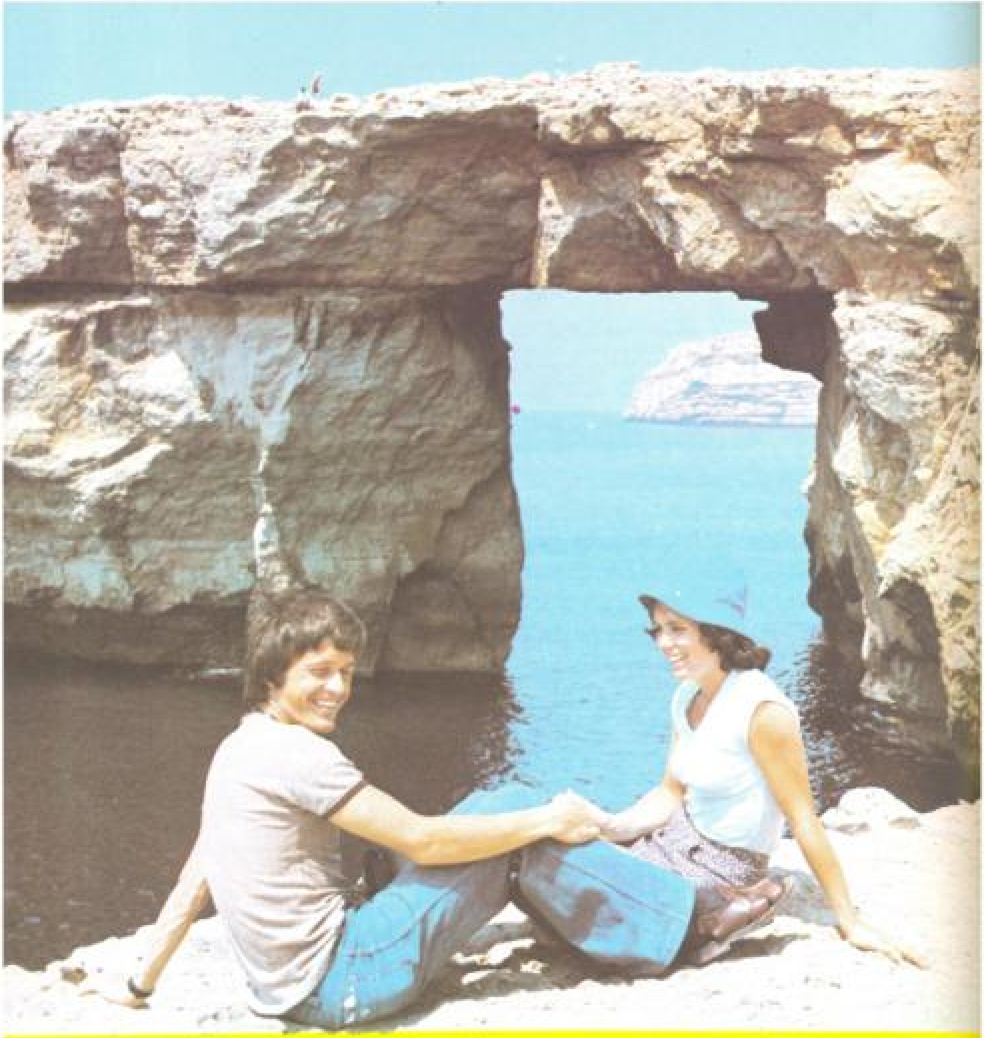


«المشربيات» مزيج بين التأثيرات العربية والايطالية.



برج «سانت انجلو» احد الابراج التى اقامها العرب.





▲ منظر فى جزيرة جوزو او الهودج .

◀ لمسة فن وذكرى لزيارة الجزيرة .

▼ احدى قرى صيد السمك وتظهر التاثيرات العربية واضحة .



اين الجامع ·· ؟

برنامج اليوم مزدحم ، تركت فاليتا متجها الى قرية سياحية وسط الجزيرة اسمها عطارد At.ard كانت تمتلىء بمعسكرات الجيش البريطانـــي ، وحولتها الحكومة منذ ثلاثة اعوام الى مركز للاعمال الفنية اليدوية، يصنع الفنان المالطي روح الجزيرة وطعمها الخاص في عمل فني :

تمثال من زجاج او فخار ، قطعة جلدية ،نقشة شال عربي ، صياغة الحلي ، يشاهدها السائح وهي في طور الخلق ، ينتقي منها مايروقه ذكرى زيارته للجزيرة ··

ومن عطارد الى كل من «مدينة» و«رباط » ، البلدتين اللتين شهدتا ذروة المجد العربي ، عندما كانت «مدينة» عاصمة مالطه العربية ··

اعاد – المنظر الذى امامي – الى ذهني تلك الصور التاريخية عندما كان مسرحا لاهم المشاهد التاريخية التى تلاحمت في الجزيرة ،الاعلام العربية وهي ترتفع الى عنان السماء ثم وهي تنكس وتطوى··

المشهد الاول الذى نقله الينا التاريخ، الاغالبة· باساطيلهم وفرسانهم يقتحمون الجزيرة يوم ٢٨ – ٢٩ اغسطس عام ٨٧٠ م · القائد العربي للقوات هو احمد بن عبد الله بن الاغلب ولقبه الحبشي ، يسير القائد في شجاعة على راس جنوده حتى يصل الى العـاصمة « مدينة » ويسكن دارا هنـاك في « طريـق مولاى » او « حـارة الموالي » ، واسرع العرب لاقامة سور حولها لتحصين العاصمة الرومانية القديمة ··

المشهد التاريخي الثاني ، في يوم حار من صيف عام ١٠٩٠ م في شهر يوليو بالتحديد ارست عدة سفن للكونت روجر بن تانكر دى هوتفيل النورماندى على الشاطىء المالطي ونزل الى الساحل ومعـه ثلاثة عشر فارسا يمتطون جيادهم ، وتبعه جنـوده الذين اقاموا معسكراتهم على الشاطىء وفي الصباح ركب روجر فرسه وتوجه الى « مدينة » ووصـل امام تلك القلعة الحصينة ، وما ان راى الحاكم العربي قوة النورمانديين حتى طلب التحدث الـى قائدهم ، واستسلم لشروطه من الافراج عن الاسرى وتسليمه كل ما يملكون من خيول وبغال واسلحة ، واقسم ان يدفع اتاوة سنوية وان يتحول الى حليف ولم يدرك عرب الجزيرة ان الهدف هو القضاء على القوة العسكرية في ذلك الموقع الاستراتيجي الهام للوثوب الى شمـال افريقيـا والشـام ، وسلمت الجزيرة بلا قتال فسكانها المترفون لا يكترثون حتى بالدفاع عن انفسهم ··

تتوارد هذه المشاهد في خاطرى وانا اشاهـد « مدينة » تقف بجلال فوق اعلى ربوة وسط مالطة، يطل عليك سورها وقلاعها وبروجها ، بطرازهـا العـربي المميز ، ثم خـلال جولتي في شوارعهـا وازقتهـا ومشاهدة مبانيهـا ونوافذها ومشربياتها العربية ، ينتابني احساس عميق باني في احد مدن المغرب العربي ، الشوارع بها الفوانيس المعلقة والابواب من خشب الساج المنقوش ذات المقابض الحديدية القديمـة ، التماثيل امام المبـاني وعلى مفترق الطرق ، تاثير نقلا لعرب الاندلس،الاعمدة والاقواس المزينة « بالارابيسك » ، هـدوء عميق يحيطني : يروى جلبة التاريخ ويساعد على التامل، ومحظور في « مدينـة » ان يرتفـع صوت بشر او ينطلق نفير سيارة ، ولعله احترام تاريخ «مدينة» المهيب ··

اخذت ابحث عن كل ما له علاقة بالوجود العربي، وفي مبنى عربي عتيق له بوابة ضخمة اقام سكان اهالي مدينة متحفا خاصا تؤول اليه مقتنيات اثرياء البلدة من التحف والعاديات ، اغلب محتوياته اثار فرسان القديس يوحنا وبعض الاثار التى خلفهـا النورمانديون ، وهم مجموعة من الحجاج كانوا في طريق العودة من القدس حينما دعوا للعمل كجنود مرتزقة مع الحملات الصليبية في بداية القـرن الحـادى عشر ، ومع الزمـن ازداد عـددهم وكبر سلطانهم حتى اصبحوا اكثر قوة من سادتهم ، ومن جنوب ايطاليا انتقلوا الى صقلية ومنها الى جزيرة مالطة ··

اين الآثار العربية ·· ليس لدى المشرف على المتحف اية معلومات حولها ، وخلال جولتي في ارجاء المتحف ، علقت لوحة مزينة بكلمات عربية مكتوبة بالخط العثماني ، وضعت فوق اسلحة عليها كتابات عربية ، وكان اهم مـا لفت انتباهي خوذة ودرع مكتوب عليها بخط لم يمحه الزمن « الله » والـى جوارها « مالطة » ·

وعثرت في مدينة على شارع ما زال يسمى شارع الجامع ، وسالت مرافقي : اين الجامع ·· فلم يستطع اخفاء ارتباكه وسلم بان اسم الشارع يعني

انه كان به مسجد « البلدة » وانه ازيل مع خروج العرب .

ولم استطع وقف سيل الافكار حول ندرة بقايا الآثار الاسلامية ، فمن غير المعقول أن يبقى العرب في مالطة دون اثر ديني واحد ، وهناك ابحاث لا تجد ترحيبا عن بقايا مسجد تحت أحد المباني فى تاز ـ لج [illegible] وحفريات قديمة بدات ولم تر نتائجها النور أبدا ، وبقيت بعض الكتابات الكوفية وبعض آيات من القرآن الكريم ، تحتاج الى دراسة حول مغزى كل اثر وكل قطعة تاريخية قديمة ..

وخارج مدينة توجد مقبرة عربية على شواهدها كتابات عربية ، ورغم ان هذه المقابر قد تم اكتشافها بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٥ فلم تنشر نتائج هذه الابحاث الا مؤخرا ، وكانت بداية التنقيب عنها في عام ١٨٨١ م ..

سلام على أهل القبور الدوارس
كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة
ولم يأكلوا ما بين رطبا ويابس

هذا ماكتب على أحد شواهد هذه القبور التي اقيمت فوق ارضيات رومانية قديمة ، والمقابر مغطاة ببلاطات حجرية عثر بجوارها على بعض النقوش الخشبية ، ورفات الموتى سجادة في اتجاه القبلة من الشرق الى الغرب ، وعثر داخلها على خاتم فضي منقوش عليه .. « ربي الله واحد » .

اما اين بقية مقابر المسلمين الذين سكنوا الجزيرة بطولها وعرضها ، ويجيب الباحث العربي الشاب الدكتور طلعت والمقيم في الجزيرة على هذا السؤال بقوله .. « ان المكان المسمى بتربة مالطة II - torbate mite يضم مقبرة مسيحية من عهد غير معروف ، ويرى البعض ان هذه المقابر كانت مقابر اسلامية ، وانها كانت تسمى كذلك حتى تم طرد المسلمين » ويضيف « .. ولا يستبعد أن يكون المسيحيون قد اطلقوا هذه الكلمة على مقابرهم الخاصة عندما ينحدرون من أسر مسلمة » .

وعقب انتهاء جولتي في مدينة ورباط أخذت ابحث عن رئيس قسم التاريخ في جامعة مالطة اندروفيلا Andrew vella ، وعلمت أنه على فراش المرض في دير الدومنيكان الذي يرأسه الى جوار عمله في الجامعة، وتفضل بلقائي رغم مرضه، وكان يرقد في أحد أركان الدير ، اضاءة خافتة تصل اليه وفوق رأسه تمثال بديع للناصرى مصلوبا رمزا للمحبة والتسامح ، واتسمت مناقشاته معي بالروح العلمية والموضوعية .. قال :

« نعم » تعاني مرحلة الوجود العربي من تاريخ الجزيرة اهمالا متعمدا ، وعندما أبدى مؤخرا أحد اساتذة التاريخ في احدى جامعات صقلية رغبته في زيارة مالطة ليحقق ويستكمل عددا من الوثائق التى عثر عليها هناك والتي ترتبط بالوجود العربي في الجزيرة ، لم يتلق اى ترحيب او استجابة ، رغم ان ما نعرفه من تاريخ الجزيرة العربي عدم وقوع اى اضطهاد على غير المسلمين وأن سكان مالطة قد تحولوا الى الاسلام خلال مرحلة الوجود العربي..

ثم جاءت النهاية بعد هزيمة المسلمين ورحيل بعضهم من الجزيرة وتحول البعض الآخر عن دينه، ويحتمل ان يكون البعض قد لقي حتفه دفاعا عن عقيدته ، وقد شهدت الجزيرة اضطهادا للمسلمين وقد عثرت في وثائق دير الدمنيكان على عقود يرجع تاريخها الى عام ١٢٥٨ م لاحد النصارى ولقبه محمد ، وهذا يعني ان اصله مسلم وغير دينه ولم يغير اسمه .

وهي ظاهرة تاريخية وقعت وتكررت في مراحل تاريخية متعددة ، فكما يوجد من يموت دفاعا عن عقيدته يوجد الذى تدفعه ظروف الحياة والمسايرة الى تغيير ولائه وانتمائه » .

سألته : هل توجد اية وثائق تاريخية حول مصير المسلمين في الجزيرة

أجاب : « لا توجد وثائق تاريخية كافية ،ولعلها اختفت ، ولكن عندما تغيب الوثائق التاريخية علينا استخدام المعرفة العامة لكشف ما خفي من التاريخ».

وتركت دير الدومنيكان لاقوم بزيارة احد المباني العتيقة والتي تحكي بقية القصة،وقفت السيارة في ساحة الفيتوريوزا ، المكان الذى تم فيه احراق الهراطقة خلال محاكم التفتيش ، عندما كانت الكنيسة تراقب الضمائر وتقمع الافكار الجديدة، ويقدم الى هذه المحكمة كل من بقي على اسلامه سرا ويوشى به او يضبط صائما او مصليا ،ويلقى به في غياهب هذه السراديب والاقبية المظلمة ، وتسجل جدرانها قصة الذين يدفعون حياتهم ثمنا لمعتقداتهم ،فبخطوط مرتعشة بقيت كتابات عربية تقول .. «ان الله مع الصالحين ، وعبارة اخرى تعكس المقاومة الانسانية « لا دين الا دين الاسلام» خطها الواقعون تحت سياط التعذيب .



« مدينة » التى كانت العاصمة لـ



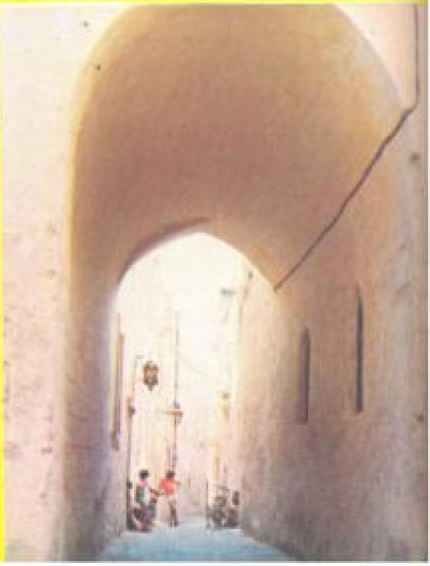


طواحين الهواء احدى الصور التى تعبر عن حياة الجزيرة



العربية ,وتاثيرات عربية واندلسية لا يمحوها الزمن فى الازقة وطراز المبانى .





قواعد ومحطات اذاعة للايجار !

هيا نتحرر من قيد برنامج جولتي ، ونمزج المشاهدة بالتاريخ ، لتتحول الشوارع والبروج والقلاع والمباني التاريخية والمتاحف الى سطور اقراها ، والى دلالات على حركة التاريخ التي لاتتوقف ..

جولتنا في منطقة وصفها مرافقي انها اجمل مناطق الجزيرة ، احد الشواطيء الرملية في اقصى الشرق تسمى « عين التفاحة » ، تقع على خليج هادىء، وخلف الشاطيء قرية سياحية اختارها عدد من البريطانيين المتقاعدين ليعيشوا في كنف هدوئها ، والى بلدة « ديل المرة » التي اختار احد رباها رئيس الوزراء ليقيم عليها استراحته ،ومن حولنا بقايا القاعدة البريطانية المتبدة والمؤجرة الان لحلف الاطلنطي والتي ادى وصول حزب العمال المالطي الى السلطة في يونيو ١٩٧١ الى نقل قيادة هذا الحلف الى نابولي ومررنا في المنطقة « بسانت توماس تاور » وتظهر بها هوائيات ضخمة قال لي مرافقي انها محطتان للبث والتقوية احداهما ليبية والاخرى لالمانيا الغربية ..

اليوم موعدنا لزيارة جزيرة جوزو الشقيقة الصغرى لجزيرة مالطة والتي اطلق عليها العرب اسم « الهودج » ، وفي الطريق الى « المرفا » اسم الميناء الذي ستنطلق منه العبارة نمر بكل من جزيرة وسليمة وسانت جوليانا وسانت بول أجمل مدن الجزيرة واكثرها ازدحاما بالسياح، تمتد على شاطيء تنتشر به الفنادق والنوادي البحرية وتمارس رياضة القفز والتزحلق على الماء . وبه شاطيء خاص لليخوت يجذب يخوت اصحاب الملايين بالحرية والتسهيلات التي يقدمها ..

قطعت السيارة طريقا من وسط الجزيرة لنشاهد الريف المالطي ، ساحات صغيرة هنا وهناك لاشجار الموالح والزيتون والخروب ، وصبار التين الشوكي على طول الشريط المحيط بالمناطق المزروعة ..

المنظر امامي يبحث عن ريشة فنان ، مدرجات فوق التلال اقيمت بالاحجار المرصوصة بصبر وعناية لتحمي التربة والزراعة من جرف الامطار ، وبيوت اقيمت على نفس النسق ، اصطف فوقها القرع العسلي لكي ينضج ، الى جوار المنزل طواحين الهواء التي تحولت الى علامة مميزة لمالطة وهي تبنى عادة في الاماكن المفتوحة حتى يتوفر اكبر قدر من الرياح وبؤرة المنظر « بدوي » ـ كما يطلق هنا على الفلاح ـ يحرث الارض بمحراث يجره حصان ..

وهذا المنظر وتلك الحياة الريفية مهددة بالانقراض امام زحف السياحة المتواصل وامام الصناعات الاستهلاكية التي تنتشر في كل ارجاء الجزيرة .

نقترب من «مرفا»عبر منطقة جبلية تزدحم بالكهوف الطبيعية ،والتي كانت ماوى الفارين من الغارات والقصف الجوي خلال الحرب العالمية الثانية ، عندما كانت الطائرات المغيرة تصل الى الجزيرة من قواعدها في صقلية بعد دقيقة طيران ، عندما كانت مالطة ملجأ الغواصات البريطانية ، وعانت الجزيرة من حصار بحري ضرب حولها ، ودفع الشعب المالطي ثمنا باهظا فلقي الف و ٤٣٦ مواطن حتفهم واصيب ٣٧ الفا بجراح ، وهامت العائلات المالطية على وجهها لتجد في هذه الكهوف الامن والماوى ..

المسافة بين « مرفا » وجوزو ستة كيلو مترات ، وفي الطريق تظهر جزيرتا كيمونو وفيلفيلا الصغيرتان اللتان لا يقطنهما احد ،واعطاهما العرب اسميهما كمونة وفلفلة .

جوزو لا تختلف كثيرا عن مالطة سوى أنها اكثر عذرية ، ومناظرها الطبيعية ما زالت خلابة،عزلتها النسبية جعلتها اكثر هدوءا ، والحياة الشرقية اكثر وضوحا ، ولم يهتم بها الفرسان ولا الانجليز عند احتلالهم للجزيرة ، ولم ير مشروع اقامة جسر بينها وبين مالطة النور ، بحجة أن الجسر سيفقد الجزيرة سحرها الخاص وطعمها المميز ..

توقفت في الجزيرة امام الرين احدهما اغريقي والاخر عربي ، الاثر الاغريقي هو كهف كاليبسو الذي شهد ملحمة هوميروس ، المشهد الذي امامي هو الذي اختارة الشاعر الضرير ـ وهو اجمل شطان الجزيرة ـ مقرا لبطله ، ومسرحا لملحمته ، اما الكهف فليس اكثر من شق طبيعي في الصخر تهبط اليه ببضع درجات لينفتح على شق اخر يطل منه الناظر على البحر ، وهو الكهف الذي كانت تعيش فيه ربة البحر الفاتنة الماكرة كاليبسو والتي ابقت أوديسيوس ـ البطل الاسطوري ـ لديها بضع سنوات بعد أن تدلهت في حبه حتى صدر اليها امر الآلهة باطلاق سراحه لكي يتابع رحلته الشاقة الى بلاده ، بعد أن تكسرت سفينته على أمواج البحر ، وعلى تلك الصخرة التي أمامي كان يجلس أوديسيوس ويتخلع فؤاده حنينا الى بلاده ،والكهف

والصغرة يطلان على واد عميق تختلط في نهايته خضرة الارض بزرقة السماء ، وفي هذا المكان كانت ربة البحر تجلس الى اسيرها كل صباح تسعى الى اقناعه بالبقاء وتغريه بكافة الوسائل ، الى أن قدمت اليه حلم الانسان السرمدي في الخلود والذي لا يقدر على تقديمه سوى الهة هوميروس ، ولكن الحنين الجارف الى ارض الوطن كان اقوى من كل الوعود والاحلام ..

وهذا يعني أن جزيرة جوزو هي أوجيجيا عند هوميروس ، وهذا المكان ياتيه العشاق حالمين بالحب والخلود .

وانتقلت من الاثر الاغريقي الى الاثر العربي أو من الاساطير الى الحقائق ، وهناك فوق أعلى تل تقف البلدة الرئيسية في الجزيرة بحصنها وأسوارها والتي كانت تسمى كنظيرتها في مالطة « مدينة » وتغير اسمها الى فيكتوريا ، ومثل مالطة محيت اثارها العربية وبقى لسان اهلها أوضح واقرب الى اللغة العربية من الجزيرة الام ، كما بقي شاهد ميمونة يحكي في كلمات حزينة لمحات من هذا الوجود، والقائم في متحف فيكتوريا ..

وليس صدفة أن أغلب الآثار العربية الباقية شواهد على القبور وابيات شعر حزينة حول الموت والافول ، وقد كتب هذا الشاهد خلال القرن الثاني عشر ، ويؤكد أن المسلمين كانوا يعيشون في الارخبيل المالطي بعد أكثر من سبعين عاما من دخول النورمانديين اليها ... وكتب على الشاهد بالخط الكوفي النص التالي :

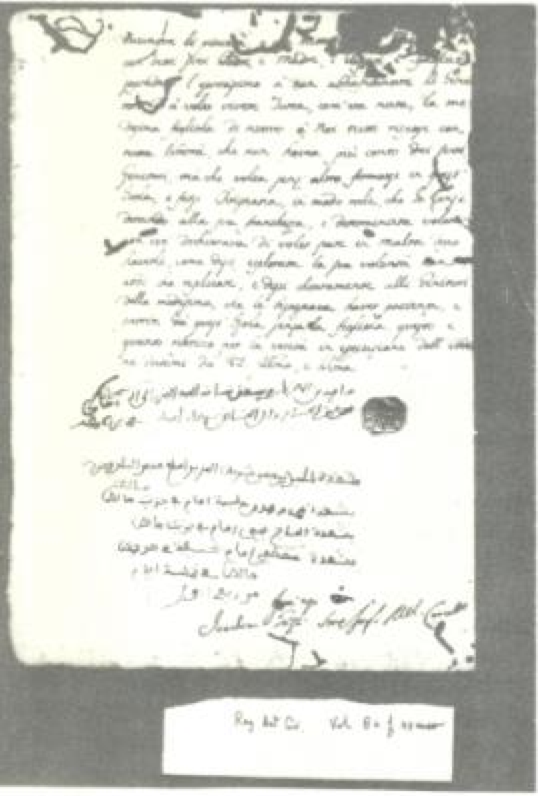
« هذا قبر ميمونة بنت حسان بن على الهذلي، عرف بن السوسي ، توفيت رحمة الله عليها يوم الخميس ، السادس عشر من شعبان ، الكائن من سنة تسع وستين وخمسمائة » وهي تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ..

انظر بعينيك هل في الارض من باقي
او دافع الموت او للموت من راقي

الموت اخرجني حسرا فيا اسفي
لم ينجني منه ابوابي واغلاقي

وصرت رهنا بما قدمت من عمل
محصا على وما خلفته باقي

يا من راى القبر اني قد بليت به
والترب غيبر اجفاني وآماقي



بعد الخروج العربي من مالطة عثر على عقد بيع وقع عليه بالعربية ممثلو المذاهب الاربعة .

في مضجعي ومقامي في البلا عبر
وفي نشوري اذا ما جئت خلاقي

اخي فجد ، وتب

كما يضم المتحف قطعا فخارية اسلامية رسمت باللونين الابيض والاحمر بخطوط ضيقة ..

اللسان المالطي
او
الدليل

ان ابرز المعالم التي تشي بالوجود العربي والتي بقيت تتحدى كل محاولات تزييف التاريخ هو اللسان المالطي ، فاول ما يثير اهتمام الزائر العربي للجزيرة هو ذلك التشابه الواضح بين اللغة المالطية وبعض اللهجات العربية ، فيمكن بسهولة متابعة حوار يدور امامك وتدرك مضمون الحديث وان

فاتك بعض الكلمات ، وسريعا ما تكتشف أن أسماء أغلب الاماكن هي أسماء عربية ، المدن والعيون والابار والقرى والتلال ، وان أسماء العديد من العائلات عربية وان كان قد دخلها بعض التحوير .

فاذا كان تاريخ الوجود العربي قد أخفيت آثاره ومحيت أدلته ، فان اللغة وأسماء الاماكن وكنية العائلات تقدم أهم دليل على عمق التأثير الثقافي العربي ، وان هذا الوجود لم يقتصر على مجرد حامية عسكرية تعيش في العاصمة بل امتد الى مالطة بأكملها ، وان الجزيرة تم تعريبها بالكامل ..

ولعل في مجموعة اسماء المدن التي تتوزع على الجزر المالطية الدليل القاطع فمن هذه الاسماء : مليحة . جزيرة ـ مرفا ـ رباط ـ مدينة «سليمه» نشار ، غار حسن ، غدير ـ مرسى ـ عين التفاحة ـ زيتونه ، كرمي ، عين الصنوبر وحتى الجزيرتين الصغيرتين في الارخبيل المالطي يطلق عليهما « كمونه » و « فلفلة وحورت كما رأينا الى كيمونو وفيلفلا .. ومازالت بعض اسماء العائلات المالطية حتى الان هي : عبدالله ـ العجوز ـ البناني ـ كتكوتي ـ غزال ـ كسار ، حاكم ، كرمي ، زهرة ، فاطمة ويكفي ان تعرف ان اسم عائلة رئيس الجمهورية بودجيج ..

ويقترح المؤرخ البريطاني لوتريل «دراسة مايزيد من ٥٠٠ من اسماء العائلات في مالطه واكثر من ٣٢٠٠ من الاماكن كلها اسماء عربية وخاصة قبل عام ١٥٤٥ م .. ويضيف ان الملاحظات الاولية تكشف تأثيرا تونسيا وبربريا واضحا، وهي تتضمن اسماء رسمية مثل القاضي والشريف ، كما تشمل اسماء عربية لحرف واعمال » .

وهذه النماذج من الاسماء تدل على ان العرب المالطيين لم يغادروا الجزيرة في مجموعهم ، وانهم بقوا في الجزيرة يتوارثون الاسماء بعد ان بدلوا دينهم ، كما ان النماذج الاتية للامثلة الشعبية تؤكد هذه الحقيقة .

« اكفي البرمه (الجلة) على فمها ، البنت تشبه أمها » .

«قبل ما تكرى الدار تستقصى الجار» اى سل على الجار قبل الدار .

« مين يدخل بين البصلة وقشرتها يبقى بريحتها .. »

« مايبكبش ما يرضاش» . اى الذى لا يبكي لا يرضى ..

وحتى مسألة اللغة المالطية فقد كانت محل شد وجذب بين القوى المختلفة في مالطة ، وربما تكون مالطة هي البلد الوحيد الذى قامت فيه ثورة عقب الحرب العالمية الاولى حين قررت السلطات البريطانية فرض اللغة المحلية كلغة رسمية في البلاد بدلا من الايطالية وتعليمها في المدارس ولنتوقف قليلا عند هذه الواقعة التاريخية ، لقد استهدفت بريطانيا من وراء دعم اللغة المحلية الى تنفيذ سياستها الرامية الى ابعاد مالطة عن تأثيرات ايطاليا في ظل مرحلة التنافس الاستعماري التي ادت الى الحربين الاولى والثانية ، وهو يكشف كيف تسعى القوى الدولية على التأثير على الانتماء واستخدام الثقافة استخداما سياسيا مغرضا .

والمهم كان المالطيون قبل ذلك لا يكتبون لغتهم الا من باب الهواية ولا يدرسونها ولكنهم منذ ذلك الحين جعلوا لها قواعد كتابة جديدة اتفقوا عليها ، فقد كانت تكتب بالحروف العربية حين قام رجل اسمه اجيوس سلوانيس بالعناية باللغة وقواعدها ، ثم قامت جماعة الكتاب المالطية « عقدة تالكتيبة تالملطي» باصدار كتاب «تعريف الكتبة المالطية» في عام ١٩٢٤ م ، وهم يكتبونها الان بالحروف اللاتينية .

وصحيح ان اللغة الملطية دخلها العديد من الالفاظ الاوروبية وبالذات الايطالية ولكنها اسماء الالات الحديثة او المصطلحات التجارية او القانونية او علمية او دينية ..

وكتب احمد فارس الشدياق في القرن الماضي بعد ان عاش في مالطة اربع عشرة سنة كتابا سماه الواسطة في معرفة احوال مالطة يحتوى

كتابات عربية وجدت في المقابر الاسلامية خارج « مدينه »



دراسة شيقة حول لماذا اندثرت اللغة العربية من صقلية وسردينيا والاندلس وجنوب فرنسا وبقيت في مالطة .. ويسلم بان اللغة المالطية كالعربية فاسدة ويجيب بعد ذلك ان اصل لغة تلك البلاد كانت اللاتينية اما لغة مالطة فكانت الفينيقية ، وعندما دخلها اليونانيون لم يخرجوا منها الفينيقية، وانها لم تتغير زمن القرطاجنيين لان لغة هؤلاء كانت ايضا فينيقية ويضيف .. والفينيقية كانت اخت العربية ، وعندما جاءتهم العربية كانت كانها نزلت في وطنها ولبثت فيها ثباتا لم يزلزلـه خروج المسلمين ..

يضاف الى ذلك انه حتى في عصر الفرسان شكل الفرسان طبقة مميزة معزولة عن الشعب المالطي الذي استمر يتحدث لغته ..

والتقيت في مالطه بباحث عربي شاب هـو الدكتور طلعت حسن استفاد من ارساله مبعوثا لتدريس اللغة العربية فعكف على دراسة اللغة المالطيه واعد اطروحة للدكتوراه حول دراسة مقارنة للغة المالطية باعتبارها لهجة عربية،وحصل على الدكتوراه ويعمل الان استاذا للغة العربية في جامعة مالطه ، وقد خلص في دراسته الى ان اللغة المالطيه احدى اللهجات العربية العامية وتناول في بحثه الصوت والتشكيل وقواعد الصرف والنحو ، وقال : ان في المالطيه سمات اللهجة فهي تشعبت عن العربية ولاهلها طرقهم الخاصة في النطق والصرف والنظم والدلالة التي يتفقون في بعضها مع بعض اللهجات العربية ويختلفون مع البعض الاخر ..

ويلاحظ ان اللغة العربية لم تعد تمد اللسان المالطي باسباب الحياة والبقاء كما تفعل مع سائر اللهجات العربية الاخرى . مما ادى الى ان يطور اللسان المالطي نفسه بطريقة مغايرة في بعض جوانبها للهجات العربية ، فهي لا تستمد مـن المخزون العربي العام مفرداتها وتعبيراتها بـل الامر على العكس اذ يعايش اللسان المالطي ثقافة مختلفة تماما عن الثقافة العربية ، كما انها اداة التعبير في مجتمع مختلف عن المجتمعات العربية ليس في ثقافته فحسب بل في ذات الوقت الذي يتضاءل فيه العنصر العربي في المالطيه علـى الدوام ، لذلك تاخذ المالطيـه مـن الايطـاليـة والانجليزية وتخضعها تاخذه لكي يتلاءم مع نظامها، فالمالطيه ترى ان الاخذ والترجمة من اللغـات الاجنبية ايسر من الاشتقاق والنحت .

فالمالطيه لغة سامية ليس بسبب العنصر العربي الغالب عليها ، بل لان نظامها الصرفي عربي ، ولانها عند استعارتها لالفاظ من لغات اجنبية تخضعها لقواعد الصرف العربية ،ويختم دراسته بالقول ..اننا اذا اردنا تفادي انقطاع اللهجة المالطيه باللغة العربية ، فيجب ان يكون ذلك جزءا من خطة قومية شاملة ..

ولم تعد اللغة المحلية في مالطة المعاصرة منبوذة كما كانت ، بل ان الحكومة الحالية تهدف الى دعمها ، وقررت تدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية ، وقدمت الحكومات العربية خمسين مدرسا عربيا ، كما تدرس اللغة العربية في قسم اللغة المالطية باعتبارها اللغة الام .. فمن ذا الذي يستطيع ان يحملق في قرص الشمس الساطع ..

كالذي يؤذن في مالطه ..

استغرقني البحث التاريخي فكل ما شاهدته يستاهل التحقيق والبحث ، وقفز الى ذهني المثل العربي الشائع والذي يتردد تعبيرا عن عدم الجدوى والذي يقول « كالذي يؤذن في مالطة » ولا يلقى استجابة ، فلا وجود لمسلم واحد بها ، فهل هذا اختزان للحقيقة التاريخية بان مالطة كانت يوما ترفرف عليها اعلام العروبة ، وان هذه الاعلام قد نكست وطويت.والبحث في تاريخ العلاقات بين مالطه والعرب عملية شاقة ومرهقة لقلة المصادر عربية كانت او اجنبية ، وهي مرحلة معتمة من التاريخ ، الاسئلة فيهـا اكثـر من الاجابات . فعندما تغيب الحقائق التاريخية يخضع الحاضر للاهواء يقول المؤرخ ايفانس..اهم مشاكل التاريخ المالطي بقيت بلا حل ، ويتعرض الكاتب البريطاني لوتريـل Luttrell للقضية بقوله .. « اوشك تاريخ مالطه على ان يسجل ، وماسبق كتابتـه ليس دقيقا وبعيد عن الموضوعية ومليء بالمبالغات ، تسيطر عليه الاساطير وتصفية الحسابات . ولم تواجه هذه الاساطير من يدحضها، ولسبب او لاخر بقيت موضوعات هامة،مثل الوجود العربي والاوامر الكنسية واصل اللغة تعاني الاهمال بسبب عدم

من المسلمات المزيفة .. رغم ان العديد من الكتب القديمة تناولت فصولا من تاريخ مالطة ، وهي موزعة على الكتب اللاتينية واليونانية والعربية ولكنها جميعا مختصرة وعامة. ويكشف الكاتب الى بقوله « ان المؤرخين الغربيين والمالطيين يفضلون مالطة مسيحية اوربية عن كونها افريقية مسلمة ».

ونفس الملاحظة يوردها برادلي Bradly بقوله ..« قضية اصل الشعب المالطي خضعت في الماضي لما يراه المالطيون اكثر اعزازا واكثر فخرا ، اكثر منه خضوعا للحقيقة التاريخية ، وعندما يفضل احد الكتاب الجنس العبري للشعب المالطي ، ويسال لماذا اختار ذلك ولم يقل » جنس عربي ».. يجيب ان العبريين شعب المسيح ولكن العرب شعب محمد .

فتح الملفات

والذي يبحث قصة استئصال الاسلام من الجزيرة كالذي يفتح ملفات التحقيق حول قضية تمت منذ عشرة قرون بعد ان اخفيت كل معالمها ، وبالتالي يواجه قضية بالغة الصعوبة ، وبالطبع ليس مقصدي من فتح هذا الملف احياء رواسب التعصب المقيت بقيم متخلفة لعصر مضى بل لكشف الدروس التاريخية وعمق الروابط الثقافية بين العرب والجزيرة ، عن السعي المقدس نحو الحقيقة فكتب التاريخ تسجل باستفاضة الانتصارات وتتوارى خجلا في تسجيل الهزائم ، واصبح معروفا ومطروقا كيف تزدهر الامم والحضارات ، ولكن في بعض الاحيان يكون المطلوب معرفته كيف تتحلل الامم .. وكيف تتقهقر وتضمحل ، وكيف تنكس اعلامها وتطوى امجادها .

فالغريب ندرة المعروف عن مالطة في الكتب القديمة للمؤرخين والجغرافيين العرب ، فقد ذكر ياقوت الحموي فيكتابه تاج العروس ..«بلدة في الاندلس كما نقله الصاغاني ، وهي مدينة عظيمة في بحر الروم (البحر المتوسط) ، شديدة الضرر على المسلمين في البحر » .

وقال عنها الجغرافي ابن حوقل ..«ومن الجزائر المشهورة غير العامرة جزيرة مالطة وبها الى هذه الغاية من الحمير التي توحشت والغنم الكثير الغزير » .

ويفسر الامير شكيب ارسلان ندرة المعلومات حول الجزيرة في المراجع العربية وما يبدو من خطأ في بعضها بقوله.. « انها اختلطت عند ياقوت الحموي بملقة في الاندلس ، وان ابن الاثير قد اطلق عليها اسم الجزائر في كتابه » ..

اما عن فترة الحكم الاسلامي فلا يتوفر حولها معلومات سوى ما جاء في الوثيقة النادرة التي امدنا بها القزويني حول الجزيرة .. « جزيرةبقرب جزر الاندلس عظيمة الخيرات كثيرة البركات ، طولها نحو ثلاثين ميلا ، وهي آهلة ، بها مدن وقرى واشجار والثمار » ..

ولم ينس حظ الجزيرة من الادب فقال ..«ينسب الى السمنطي الشاعر المالطي ، والذي كان آية في نظم الشعر على البديهة ،قال ابوالقاسم ابن رمضان المالطي ، اتخذ بعض المهندسين بمالطه لملكها صورة تعرف بها اوقات النهار ،وكانت ترمي بنادق على الصناج ،فقلت لعبدالله بن السمنطي، اجز هذا المصراع :

جاريـــه ترمي الصنج
بهـــا النفوس تبتهج

كأن مــن احكمهـــا
الى الســماء قــد عرج

وطالع الافــلاك عــن
سر البــروج والــدرج

ومازال الموضوع يحتاج الى بحث وتدقيق في المخطوطات العربية ، فلعله يوجد المزيد من المعلومات وبالذات في تونس ..

وهكذا نرى « نتفا » مختصرة لم تدرس او تحقق تنتشر في الكتابات العربية ، وبقي السؤال : اين مرحلة مالطه العربية في كتابات المؤرخين العرب ومن الذي حكم الجزيرة خلال الوجود الاسلامي ، وماهي الاحداث التي عاشتها .. وماذا كانت عليه اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وهل خضع حكام مالطه الى صقلية الاسلامية ام الى القيروان في المغرب العربي ؟

فحتى المصادر التي تتناول الفتح العربي لمالطه متضاربة ، واذا اعدنا ترتيب الوقائع ، فالارجح انه تم الاستيلاء الكامل عليها في الاعوام (٨٦٩، ٨٧٠م ـ ٢٥٥ ، ٢٥٦ هـ) اي بعد ان امتد الاسلام وتوطدت اركانه في الشمال الافريقي . فابن الاثير يخبرنا انه في سنة ٢٢١ هـ ارسل ابراهيم


أحد المنازل القديمة بنيت من الحجر المرصوص

ابن الاغلب اسطولا لغزو الجزائر ، ويصف محمد الطالبي ويسجل مارسيه marcais مقاومة بيزنطية عنيفة فى محاولة العرب الاستيلاء على صقلية ابتداء من ٨٢٧ م ، ويبقى لغز تاريخى هو كيف يمكن ان لا تتعرض مالطه لاية محاولة غزو وهى تقع فى الطريق بين الاغالبة فى الشمال الافريقى وصقلية وهى استراتيجيا قاعدة عسكرية هامة بين المتحاربين، والمؤرخ الايطالى ايمرى Amari يختار عام ٨٧٠م كتاريخ بدء احتلال العرب لمالطه واعتمد فى ذلك على رواية ابن الاثير ومؤداها انه لما قتل ابن خفاجه امير صقلية تولى ابنه محمد ، واقره ابن الاغلب صاحب القيروان على ولايته فسير جيشا عام ٢٥٦ هـ الى مالطه وكان الروم يحاصرونها فلما سمع الروم بالحملة رحلوا عنها، ولذلا الا يحتمل ان يكون الجيش العربى فى صقلية قد تحرك لفك الحصار وليس لفتحها ، مما يعنى ان التواجد العربى فى الجزيرة سابق على هذا التاريخ !

وهناك رواية اخرى للمؤرخ الايطالى فيفيانى تقول : « ان المالطيين » لم يخضعوا للحكم العربى مدة ٢٢٠ عاما فحسب بل لقد سبقت هذه الفترة ٢١٨ سنة اخرى من الغارات والاستيطان المؤقت أو الممتد .. ولعل هذا القول يؤكد عدم بقاء مالطه شوكة فى طريق العرب الى صقلية ..

هذا عن تاريخ الفتح اما عن الوجود العربى ذاته «فيكاد يكون القرن العاشر الميلادى ـ الرابع الهجرى كله معتما ، ووسط الظلمة توجد احداث متقطعة وغير دقيقة مثل محاولة البيزنطيين الاستيلاء على الجزيرة عام ١٠٣٨ م ، وهو ما يرويه القزوينى فى كتابه «آثار البلاد واخبار العباد» غزاها الروم بعد الاربعين والاربعمائة ، حاربوهم وطلبوا منهم الاموال والنساء ، فاجتمع المسلمون، وعدوا انفسهم ، وكان عدد عبيدهم اكثر من الاحرار ، فقالوا لعبيدهم : حاربوا معنا ، فان ظفرتم فانتم احرار ، ومالنا بكم وان توانيتم قتلنا وقتلتم ، فلما وافى الروم ، حملوا عليهم حملة رجل واحد ، ونصرهم الله ، فهزموهم ، وقتلوا من الروم خلقا كثيرا ، ولحق العبيد بالاحرار ، واشتدت شوكتهم فلم تغزهم الروم بعد ذلك أبدا .. »

اما البحث الذى كتبه لوتريل حول الوجود الاسلامى فى مالطة فيقول فيه : « كان يحكم مالطة الاسلامية « قائد » تسانده مجموعة اسلامية حاكمة، وازدهرت الزراعة وادخلت أساليب رى متقدمة ، وزراعات جديدة مثل القطن والموالح ، وازدهرت مالطة اقتصاديا لوقوعها فى الطريق التجارى بين شمال افريقيا وصقلية.وكان فى «مدينة» العاصمة مجتمع اسلامى مزدهر .. «ربضيف» .وظهر بها الفن العربى وشهدت شاعرين عربيين هما أبو القاسم ابن رمضان الفنان المالطى الذى احتفل باقامة ساعة دقيقة والذى يحتمل أنه عاش فى منتصف القرن الحادى عشر فى زمن القاضى يحيى حاكم مالطه . وهو الذى انتقل الى باليرمو فى صقلية، والذى رفض روجر عودته الى مالطه ،. والشاعر الاخر عبدالرحمن بن رمضان المعروف بالسوسى وقد ولد فى مالطه واصله من سوسه ومن اعماله الشعر الذى وجد على حجر ميمونه ، ويبدو ان النخبة العربية فى مالطة قد توزعت فى العديد من البلدان بعد خضوع الجزيرة للنورمان .. ويلاحظ الكاتب البريطانى . ان الكتاب العرب قد افسحوا مؤخرا مكانا للكتابات حول الجزيرة ، وكانت تعليقاتهم بشأنها مختصرة وبعضها خاطىء وبيدو انه يقصد ما نشره احمد فارس الشدياق فى كتابه «الواسطة فى معرفة أحوال مالطة» والذى ذكر فيه.. ان المسلمين الذين فتحوا مالطة لم يكونوا من اهل العلم والتمدن ، فانى لم اجد فيما قرأت ما ينسب الى المالطى ، والسيوطى لم يغادر فى كتاب الانساب الذى سماه «لب الالباب» احدا من أهل العلم الا ذكره ما خلا المنسوب الى مالطة » .

ويلاحظ ان مالطه فى الفترة مابين عامى ٨٧٨م

و ١١٤٩ م لم يوجد بها اسقف ، وروى نفى اسقف مالطة مكبلا بالحديد عام ٨٧٨ م الى باليرمو ، ويعلق اندروفيلا على ذلك بقوله : ان المالطين لم يكونوا محتقرين خلال الحكم العربى ، فاعداء العرب كانوا البيزنطيين ، وان حادثة سجـن اسقف مالطة فى باليرمو حصلت عندما اعان عليهم اعداءهم البيزنطيين فى حصـار سيركوزا بـأن حاول ان يمدهم بالقمح ، واستشهد بالمؤرخ العربى محمد الطالبى بانه كان هناك عهد بين العـرب وبين مالطه ، ولكن يبدو ان الاسقف نقض العهد بمحاولته مساعدة سيركوزا المحاصرة فانتقم منه العرب •

الخـروج

واذا كان تاريخ دخول المسلمين الى مالطة لم يعتمد على سبيل اليقين ، فخروجهم مازال يفتقر الى اى شواهد او وثائق تاريخية ، واذا كـان مفهوما اختفاء هذه القصة من المصادر الغربية التى عاصرت هذه الاحداث ، فما هو سر اختفائها تقريبا من المصـادر وكتب المؤرخين العـرب •• ؟

هل لان ما وقع فى مالطة وقع فى ظل كارثة اكبر منه فحجبته •• ؟

لقد بدأ الخروج بحيلة ماكرة من روجر كما ذكرنا ولكن هذا الحدث يعكس تغير ميزان القوى فى هذه المنطقة من العالم لصالح القوى المضادة، ولنضع هذه الحادثة فى سياقها التاريخى مراعين الايجاز الشديد •• كانت يوما شبة جزيرة ايبريا وصقلية وكريت ومالطة وقسم كبير من اراضى اليونان والبلقان خاضعة لتاثيرالحضارة الاسلامية العميق ، وطرقت هذه الحضارة ابواب كل من فرنسا وايطاليا وان لم تقع داخل نفوذه سوى امارتين هما بارى Bari وترنتو •

وشهدت شواطئه ـ فيما بعد انحسار هذه الحضارة ودارت على امواجه فصول صراع دام طويل ،فشهدت مالطه الزحف الاسلامى ثم ارتداد هذه الموجة ••

وحمل عرب المغرب مسئولية البحر الابيض والدول التى قامت من الاغالبة وحتى الفاطميون واخيرا بنو زيرى واتخذ الاغالبة القيروان (وريثـة قرطجنة) عاصمة وجعلوها قاعدة لنشر سيادتهم وهم الذين فتحوا صقلية ثم مالطة ، واصبحت القيروان مركز الدائرة فى ذلك الكفاح التاريخى، وقام عرب الاندلس بتعمير جزائر البليار وتحول البحر الغربى الى بحيرة عربية زهاء ثلاثة قرون••

ونصل الى القرن الحادى عشر عندما اشتد الزحف الغربى الذى كان يريد ان يغزو او يحطم او يخترق او يقسم تلك الكتلة الكبرى التى استوعبتها عقيدة واحدة وثقافة واحدة من قلب القـارة الهنديـة حتى المحيـط الاطلنطى فكانت الحروب الصليبيةذات الدوافع السياسية والاقتصادية والحضارية والدينية معا•واستعاد الغرب سردينيا وصقلية ومالطه بعد ان وصل الصراع الى مرحلة توازن ثم الى اختلال لصالح الغرب ، بعـد ان اصبحت كل المناطق فى جنوب اوروبا متروكـة لشانها بينما الحرب الاهلية تهد هذا الكيان ،مما حال بين العرب فى القيروان وفى المهديه من التفكير فى الدفاع من هذه المناطق ، ولم يدركوا ان ما وقع فى مالطه سيعقبه غزو القاعـدة البحريـة « المهدية » فى تونس وهو الغزو الذى وقع عام عام ١٠٨٧ وسيعقبه احتلال القدس عام ١٠٩٩ ، والتى لعبت قاعدة مالطه البحرية فيه دورا بارزا، وكان من الضرورى ان تخرج مالطه من تاثير حضارة الشرق ونفوذها لتخضع للنفوذ والثقافة الغربية•

هكذا تبدأ الهزائم الكبرى فى التاريخ خطوة خطوة ، فقد كان روجر غير مثقف (جلف) واعتمد على المسلمين فى حشد اكثرية المشاة فى جيشه ، فلم يجد فى مالطه نصارى يحيون انتصاره وشمل العلوم العربية باهتمامه فقـرب منـه الفلاسـفة والاطباء العرب ، وسمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة ، وظلت الوظائف القيادية فى مالطه من المسلمين ، تشـهد على ذلك العملـة الذهبية فى عصر روجر والتى على احد وجوهها روجر وعلى الوجه الاخر كتب « اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » ، وظلت التجارة بايدى المسلمين ••

وبالطبع لم يستمر الحال على هذا النحو فسرعان ما قام خليفة روجر الثانى عام ١١٢٧م بضم مالطه نهائيا الى املاكه ، وبـدأ وقـوع تغيرات رئيسية فاقامت جالية نورماندية ، وسيطر تجار من جنوه

على التجارة ، وبدأ يقع تغير ديموجرافى (سكانى) فى الجزيرة ، ورغم هذه التغيرات لم يكن لمالطه اسقف حتى عام ١١٦٨ وهو الذى كان يقيم خارج مالطه ..

ويمكن فهم ما وقع فى هذه الفترة على ضوء الحملة والتدمير الذى حاق بجربة القاعدة البحرية فى تونس عام ١١٣٥م باسطول ابحر من قاعدته فى مالطه ، ومن خلال الاحداث التاريخية التى وقعت يمكن تصور اوضاع المسلمين فى الجزيرة ، فمثلا فى حوالى عام ١١٤٨م استولى القائد بيسان Pisan على باخرة تونسية محملة بالبضائع قرب الشواطىء المالطية ، أسر بحارتها ، وهذا يعنى بقاء علاقات بين مسلمى مالطه ومسلمى المغرب العربى سرا ، كما انه حتى منتصف القرن الثالث عشر كانت العملة المتداولة فى الاسواق هى كلتا العملتين التونسية والصقلية ..

وخلفت لنا الوثائق ما ذكره اسقف ستراسبورج الذى مر بمالطه فى طريقه الى مصر فى سفارة الى صلاح الدين الايوبى عام ١١٧٥م وسجل ان سكان مالطه هم من « السراسنه » وهو تعبير يعنى فى اصله اللاتينى البدو المسلمين ..

وتحولت مالطه لتصبح قاعدة للهجوم على العرب ومركز وثوب فى الحروب الصليبية ، عندما قام الكونت هنرى — الذى عين من قبل فريدريك حاكما لمالطه — باسطوله متجها الى طرابلس فى الشام فى احدى الحملات الصليبية ، وقام بحملة اخرى عام ١٢٢٢م هاجم فيها دمياط فى مصر ووقع اسيرا وفقد حكم مالطه ..

ويمكن القول ان اثر هذه الاحداث على سكان الجزيرة من المسلمين كان بالضرورة فاجعا ..

وبعد كل هذه الاحداث نقل الينا تقرير الاب جلبرت والذى اعده عام ١٢٤٠م عندما كان يعمل مندوبا للامبراطور فريدريك الثانى قال « ان العائلات الاسلامية فى الجزيرة بلغت ٨٣٦ عائلة والمسيحية ٢٥٠ عائلة واليهودية ٢٣ عائلة ، وهى تؤكد بقاء اغلبية اسلامية حتى بعد التغييرات السكانية التى وقعت فيها ..

فاين ذهب المسلمون ؟

يجيب كتاب بريطانى بعنوان « مالطه قبل حكم الفرسان » جمع مادته لوتريل :

شهدت مالطه عام ١٢٢٤ موجة من نفى المسلمين الى خارجها ،وفى هذه الفترة اقيمت الكنائس والقصور والقلاع بواسطة الاسرى الذى يمثل المسلمون عددا كبيرا منهم ، والذى عرف تحديدا ان من بينهم ٤٨ مسلما من جربة فى تونس ، وسجلت الوثائق بيع طفلة مسلمة تبلغ من العمر عشرة اعوام بيضاء لوحتها الشمس فى جنوه عام ١٢٤٨ ، وبدات ظاهرة الذين يدعون المسيحية تجنبا للحرق او النفى » .

ويقدم الكاتب ريكاردو دى سان يوما من ايام مايو عام ١٢٢٤م كيوم محتمل لخروج المسلمين من مالطه .. «ويضيف » . انه لصغر حجم الجزيرة بالنسبة لجارتها صقلية يبدو ان قابليتها للتحول كانت اكبر واسرع .. !!

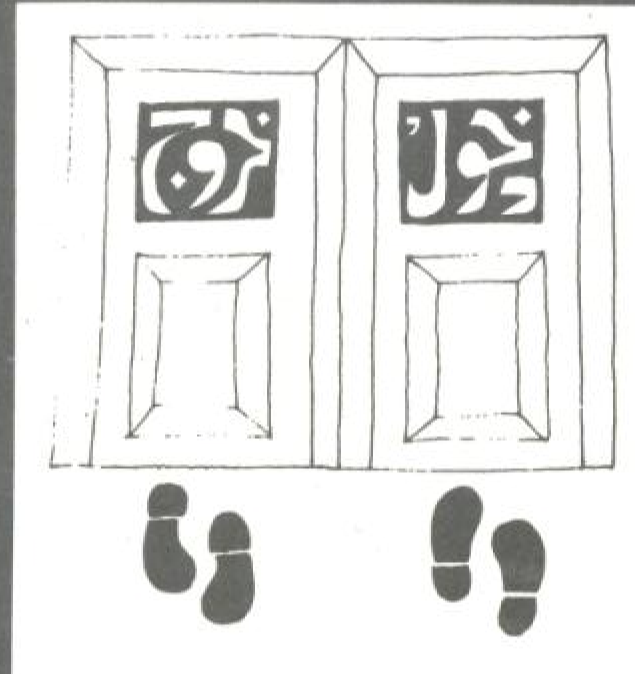
اما المصادر التاريخية العربية فليس فيها الا ما ذكره ابن خلدون — أن حاكم صقلية ذهب الى مالطه وطارد المسلمين الذين يعيشون فى الجزيرة، والغى حكم الشريعة الاسلامية .

واذا صح اعتبار الفكلور مصدرا للتاريخ ، فهناك قصة تروى على السنة العامة رواها لازبينا Laspina فى كتاب « الخطوط العريضة لتاريخ مالطه » ، وهى قصة لها مغزى خاص تقول : « بان المسيحيين قد انقضوا على المسلمين عام ١١٢٢م واوسعوهم تقتيلا بينما لجأ الناجون الى جبل يسمى بحريه Bahria بعد ان تم اكتشاف مؤامرة ،وربما كان لهذه القصة أساس ، أو ربما سيقت لتبرير العمل الذى اتخذ ضد المسلمين ، وقيمتها انها تقدم شاهدا او دليلا على واقعة تاريخية سقطت تماما من كتابات المؤرخين ..

ولم يظهر مسلمو ذلك الزمان اية استجابة لما وقع بل قوبل بلا مبالاة ، فالجهاد كان قد انتهى منذ زمن ، ودبت روح الفرقة والحرب بينهم . وكان روح الجهاد — احد اركان الاسلام — قوض تماما ..

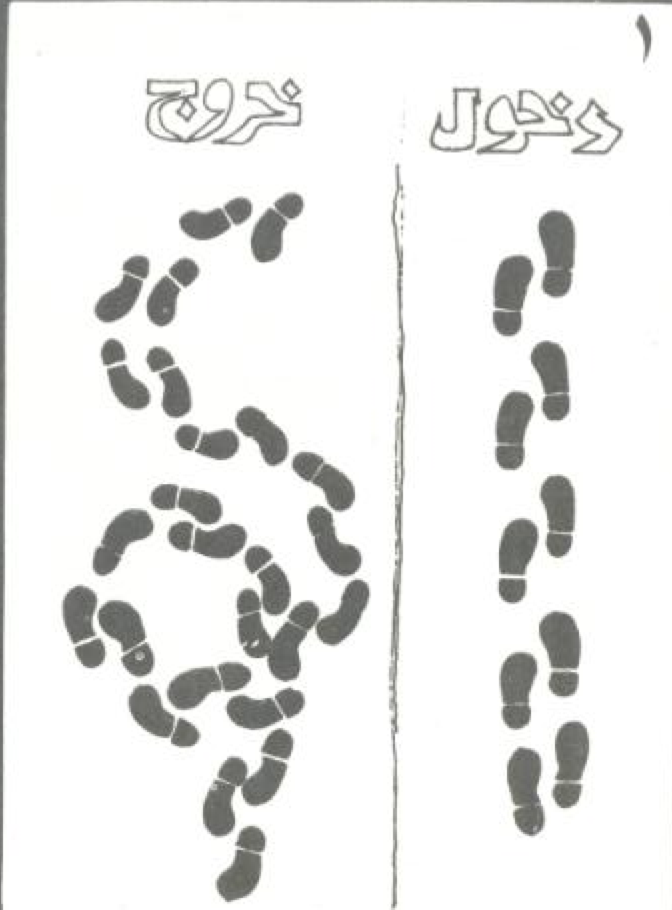
وداعا .. او « صحة » باللسان المالطى .

مصطفى نبيل

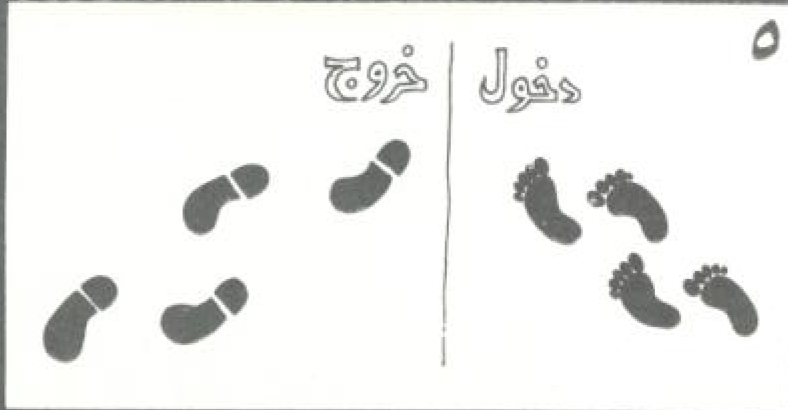


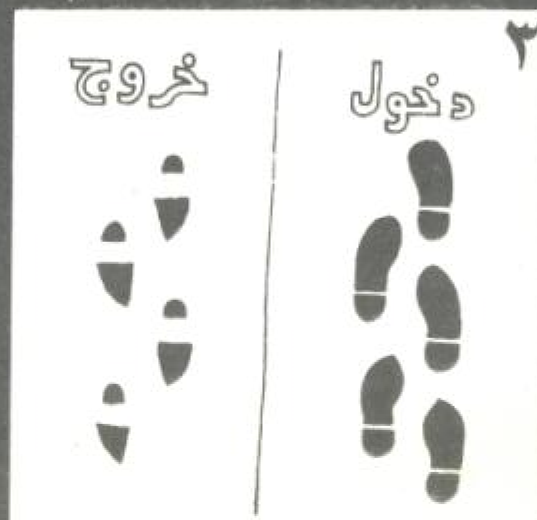
هل تستطيع أن تحدد اسم المكان الذى تدخلـه
وتخرج منه هذه الخطوات ؟ !!
اذا لم تستطع فانظر الحل اسفل الصفحة

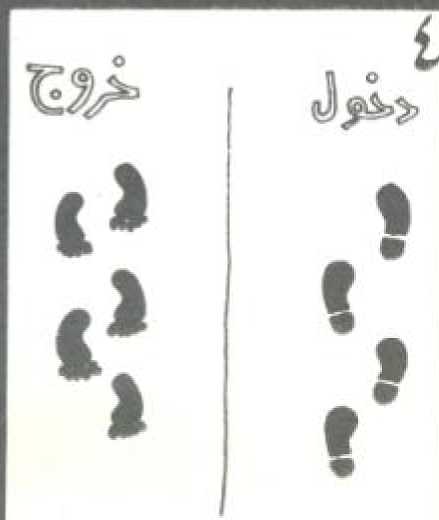
ريشة : بهجت











الحل

١ ـ ملهى ليلى •

٢ ـ صالةامتحانبهلوانات جدد للسيرك

٣ ـ محل احذية على الموضة الجديدة •

٤ ـكازينو للعب القمار •

٥ ـ منزلنا حيث سرق حذائي اثناءرسمهذهالصفحة •

الالخميادو

بنفي الموريسكيين ، اختفى الادب المعطر من اسبانيا

لغة الموريسكيين السرية

بقلم : محمد عبد الله عنان

تخلو الرواية العربية ، مع افاضتها في تاريخ الاندلس ، وجمال حواضرها ، وفضائل شعبها ، وسير ملوكها وخلفائها ، وفي آدابها ورفيق اشعارها وموشحاتها ـ تخلو من الكلام عن تاريخ الامة الاندلسية المغلوبة ، وتكتفي بالاشارة العابرة الى ما وقع من تنصيرها المغصوب ، ثم اخراجها آخر الامر من اسبانيا في سنة ١٦٠٩م (١٠١٨ هـ) ، ونزول البقية الباقية من ابنائها المنفيين في مختلف الثغور المغربية .

ونود هنا ان نتحدث عن احدى المسائل ، التي ارتبطت بالمرحلة الاخيرة من حياة الامة الاندلسية في تلك الفترة ، وهي مسألة الحالة الفكرية ، التي كانت تصطدم في نطاقها الضيق ، وعن اللغة التي اضطر الموريسكيون او العرب المتنصرون الى ابتكارها للتعبير عن افكارهم ، ومشاعرهم ، والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت في صدورهم .

ذلك ان العرب المتنصرين ، بالرغم من كل ما اتخذته اسبانيا النصرانية من وسائل القهر والارغام في تنصيرهم ، بقوا مسلمين في سرائرهم يذهبون الى الكنائس مرغمين ، متوجسين مما ينالهم من سوء العذاب ، على يد محاكم التحقيق اذا لم يحضروا القداس ، او اذا علقت بهم ابة شبهة في صدق اعتناقهم للدين المسيحي. وكانت هذه الشبه كثيرة لا حصر لها . وكانوا يشعرون دائما بالحرج من الدين الجديد . فاذا ذهبوا الى القداس ايام الاحاد ، فذلك فقط من باب مراعاة العرف والنظام . وفي يوم الجمعة يحتجبون ويغتسلون ، ويقيمون الصلاة في منازلهم المغلقة ، وفي ايام الاحاد يحتجبون ويعملون وكانت محاكم التحقيق (وهي المسماة خطأ بمحاكم التفتيش) قد وضعت قائمة طويلة بهذه الشبه ، ومنها : ان الموريسكي او العربي المتنصر ، يعتبر انه قد عاد الى الاسلام ، اذا امتدح محمد ، او قال ان يسوع المسيح ليس الها . ومنها ان يحتفل يوم الجمعة بان يلبس ثيابا انظف من ثيابه العادية ، او يستقبل المشرق قائلا « باسم الله » او يختن اولاده ، او يسميهم باسماء عربية ، او يقسم بايمان القرآن ، او يصوم رمضان ويتصدق خلاله ، او يمتنع عن اكل لحم الخنزير وشرب الخمر او يقوم بالوضوء والصلاة بان يوجه وجهه نحو



الصفحتان الاوليان من كتاب ف الادعية النبوية مكتوب بالالخميادو ومحفوظ بمكتبةمدريد الوطنية برقم٥٣٠٦

المشرق ، الى غير ذلك من الامور التى لا نهاية لها .

وقد ترك الموريسكيون عصرا يتحدثون بلغتهم العربية ، ويتعاملون بها ، ويكتبون بها اسرا القرآن والحديث ، والادعية والصلوات ، وبعض الكتب الادبية . وقد فطنت الحكومة الاسبانية والكنيسة الاسبانية اخيرا الى اهمية اللغة القومية ف تدعيم وحدة الموريسكيين ، وضم شملهم ، وتقوية روحهم المعنوية ، فصدر ف سنة ١٥٢٦ ف عهد الامبراطور شارلكان ، قانون يحرم على الموريسكيين التخاطب باللغة العربية ، وارتداء الثياب العربية ، واستعمال الحمامات واقامة الحفلات على الطريقة الاسلامية . ولكنه طبق يومئذ ف كثير من الرفق والهوادة ولا سيما ف المناطق التي يكثر فيها احتشاد الموريسكيين ، مثل منطقة غرناطة ، ومنطقة بلنسية .

يحرم انشاد الاغاني !

ولما توفي الامبراطور شارلكان في سنة ١٥٥٥م ، وخلفه ولده الملك فيليب الثاني اخذت هذه الاوضاع في التغيير وكان فيليب الثاني ملكا شديد التعصب والتزمت ففي سنة ١٥٦٦ م ، جدد هذا القانون القديم بتحريم استعمال اللغة العربية وسائر ما هو عربي من العادات والتقاليد ، واليك ملخص هذا القانون الهمجي :

« يمنع الموريسكيون ثلاثة اعوام لتعلم اللغة القشتالية ، ثم لا يسمح بعد ذلك لاحد منهم ان يتكلم او يكتب او يقرا اللغة العربية أو يتخاطب بها . وكل معاملات او عقود تجرى بالعربية تكون باطلة . ولا يعتد بها لدى القضاء أو غيره .

ويجب ان تسلم الكتب العربية ، من اية مادة ، لتقرا وتفحص ، ثم يرد غير الممنوع منها لتبقى لدى اصحابها مدى الاعوام الثلاثة فقط . وكذلك الثياب العربية ، فلا يصنع منها اي جديد ، ولا يصنع الا ما كان مطابقا لازياء النصارى . ويحظر على النساء المورسكيات التحجب ، وعليهن ان يكشفن وجوههن وان يرتدين المعاطف والقبعات عند الخروج . ويجب ان تجرى سائر حفلاتهم طبقا لتقاليد الكنيسة وعرف النصارى. ويجب ان تفتح المنازل اثناء الاحتفال بأية مناسبة، وكذلك ايام الجمع والاعياد ليستطيع القس ورجال السلطة ان يروا ما يقع بداخلها من المظاهر والرسوم المحرمة . ويحرم انشاد الاغاني القومية ، ويحرم الخضاب بالحناء ، ولا يسمح بالاستحمام في الحمامات ويجب ان تهدم سائر الحمامات العامة والخاصة .

اعلن هذا القانون في غرناطة في اول يناير سنة ١٥٦٧م وهو اليوم الذي سقطت فيه غرناطة ، واتخذته اسبانيا عيدا قوميا تحتفل به في كل عام، وعلق في ميدان باب البنود ، اعظم ميادينها القديمة ، وفي سائر ميادينها الاخرى ، فوقع لدى المورسكيين وقع الصاعقة ، واجتمع زعماء المورسكيين ، وتباحثوا فيما يجب عمله ازاء هذه المحنة الجديدة ، وحاولوا ان يسموا بالضراعة والحسنى لالغاء هذا القانون او على الاقل لتخفيف وطأته ، ورفعوا ظلامتهم اولا الى الرئيس ديسا ، رئيس المجلس الملكي ، ثم رفعوها الى العرش على يد وفد من اعيانهم. وساعدهم في مساعيهم بعض اعيان غرناطة من الاسبان انفسهم ، ممن يعطفون عليهم . ولكن مساعيهم كلها ذهبت هباء ، واكد لهم الكردينال اسبينوزا كبير الوزراء ، بان الملك مصمم على تنفيذ القانون ، وانه اصبح امرا واقعا ومحتوما لا سبيل الى رده . فعندئذ بلغ الياس بالمورسكيين ذروته ، ولجأوا الى الثورة ، وبدأت الثورة في منطقة « البشرات » في مناطقها الجبلية الوعرة ، وامتدت الى سائر انحاء مملكة غرناطة القديمة . واشتد النضال بين المورسكيين، وبين قوات الجيش الاسباني في انحاء مختلفة ، ووقعت في الجانبين مذابح مروعة ، وجردت اسبانيا على مواقع الثوار ، قوى ضخمة ، تولى قيادتها الدون خوان الشهير اخو الملك ، وانتهى الامر باخماد الثورة في سيل من الدماء ، واستكان المورسكيون في غمار من الذل والياس ، ينتظرون ما تخبئه لهم الايام من محن ومصائب جديدة .

كتبوا القرآن سرا

بيد انهم فكروا في الوقت نفسه ، انه لا بد ان تكون لديهم كتب الادعية والصلوات الاسلامية، وكتب القرآن والتفسير والاحاديث النبوية . فكيف يعملون ، وقد اخذت منهم معظم كتبهم الدينية ، وحرمت عليهم الكتابة بلغتهم العربية العزيزة . فعندئذ وجد المورسكيون في اللغة القشتالية ذاتها متنفسا لتفكيرهم وادبهم القديم، ولادعيتهم وصلواتهم ، وكتبهم الدينية . واسفر ذلك بعد فترة من الوقت عن ابتكارهم للغة جديدة اشتقت اصلا من القشتالية ، لغتهم المفروضة ، واختلطت بها الفاظ عربية ، واعجمية مخ‍لفة من اللهجات القديمة والمعاصرة، ولا سيما اللغة الرومانية . وكانت اللغة الرومانية لغة المستعربين ايام الدولة الاسلامية ، وكانت معروفة ذائعة في قرطبة وغيرها من الحواضر الاندلسية ، التي تقيم بها طوائف كبيرة من النصارى المستعربين Mozakabes ، ويعرفها بعض العلماء المسلمين ، وكان المسلمون الاندلسيون يستعملون احيانا بعض عبارات هذه اللغة الرومانية ، ويسمونها في كتبهم«باللطينية» وقد تسرب منها بمضي الزمن كثير من الالفاظ في الزجل الاندلسي ، ولاسيما ازجال ابن قزمان، وفي مملكة غرناطة كانت اللغة العربية الشعبية يتسرب اليها كثير من الالفاظ فيما بعد الى لغة المورسكيين السرية التي لجأوا الى ابتكارها ، حينما حرمت عليهم لغتهم الاصلية ، واحتفظوا لها بالاحرف العربية امعانا في اخفاء سرها عن اعدائهم .

وتعرف هذه اللغة التي اتخذها المورسكيون بالاخص متنفسا لدينهم القديم « بالالخميادو »، Aljamiado وهو تحريف اسباني لكلمة « الاعجمية » . وقد لبثت بعد نفي المورسكيين في اسبانيا في سنة ١٦٠٩م ، سرا دفينا لا يعرفه احد ، حتى ظفر بعض العلماء الاسبان بمجموعة من مخطوطاتها في اوائل القرن الماضي . وعندئذ ظهرت عنها المعلومات الاولى . ويقول العلامة مننديث اى بلايو ، في تعريفها « بانها هي اللغة الرومانية القشتالية Romana Castelan ، تكتب باحرف

عربية » . وكان من اول الدارسين لهاالعلامة المستشرق الاسباني ساندرا ، وله في دراستها عدة بحوث .

وهكذا كتب الموريسكيون القرآن سرا باللغة العربية ، مقرونا بشروح وتراجم الخميادية ، وكتبوا سيرة الرسول والمدائح النبوية ، وقصص الانبياء ، وبعض كتب الفقه والحديث بالالخميادو – وهي رسم لفهم العزيزة القديمة ، مع كتابة البسملة والايات القرانية دائما خلال هذه الشروح المربة ، باللغة العربية ، وقد كانت معظم الكتب الالخميادية ، تكتب دائما بالشكل الكامل ، حتى يمكن قراءتها بطريقة صحيحة .

وقد ترك الموريسكيون تراثا ادبيا من النثر والنظم استعملوا في كتابته « الالخميادو » وتوجد منه مجموعات كثيرة في مكتبة مدريد الوطنية ، ومكتبة اكاديمية التاريخ . وكان من اشهر شعرائهم محمد ربدان ، الذي كان حيا في اوائل القرن السابع عشر ، واصله من روطة خالون ، من اقليم اراجون ، وله نظم كثير ، وقصائد قصصية ، واخرى دينية ، ومن شعرائهم ايضا ابراهيم دي بلقاد ، وخوان الفونسو ، ومحمد الخرطوشي من اهل بيانة . ومنهم اخيرا شاعر موريسكي مجهول ، عاش في تونس في اوائل القرن السابع عشر ، بعد النفي بقليل ، واشتهر بنقله لمسرحيات لوبي دي فيجا ، شاعر اسبانيا الاكبر .

ومن اشهر كتاب الالخميادو ، الكاتب الفقيه المسمى « فتى ابيرالو » ElMancebo de Averalo وهو مؤلف لكتب في التفسير ، وتلخيص السنة ، وقد طاف بمعظم انحاء اسبانيا ، وشهد مصائب قومه ، ووصفها باسلوب قوي مؤثر .

رغم الضعف والتواضع

ومن اشهر كتب الموريسكيين الالخميادية ، كتب الادعية والمدائح النبوية ، والواقع ان كتابة المدائح النبوية باللغة القشتالية ، ترجع الى عصر مبكر ، فقد كتبها « المدجنون » بهذه اللغة منذ القرن الثالث عشر ، وانتشرت بعد ذلك بين طوائف المدجنين في مختلف مدن قشتالة واراجون، ثم كتبها الموريسكيون بالالخميادو او القشتالية العربية .

ويرى النقاد ان نثر كتاب الالخميادو افضل من نظامهم ، وانه نثر مطبوع ، خال من التكلف . والادب الموريسكي لا يتجه الى مراعاة الرونق والتنسيق ، ولكنه يرمي قبل كل شيء الى تصوير التاريخ والتقاليد القومية في اطار ديني. وبالرغم مما يغلب عليه من الضعف والركاكة بصفة عامة ، فانه يصل احيانا الى مرتبة الطلاوة بل يصل احيانا الى مرتبة البلاغة . وهو وان لم تكن له نزعة من الجمال ، او قيمة ادبية ذات شان ، فان له قيمة تاريخية واجتماعية هامة ، في الكشف عن التقاليد والعادات . كما يرى النقاد انه قد ترك اثره في اللغة الاسبانية ، وفي الشعر الاسباني ، وفي الافكار الدينية وغيرها .

وقد نوه غير واحد من الكتاب الاسبان ، بما كان عليه الادب الموريسكي ، بالرغم من ضعفه ، وضآلة شانه ، من شاعرية ، وشعور بالجمال ، وخيال ممتع ، وذوق سليم ، ويعلق العلامة الاسباني ، الدون بروناث في كتابه الموريسكيون الاسبان ونفيهم » على اختفاء الموريسكيين ، واختفاء ادبهم بعبارات شعرية يقول فيها : « ان السياسة الاسبانية لم تكشف بنفي الموريسكيين ، وما ترتب عليه من نضوب حقولنا ومصانعنا وخزائننا ، ولم يقتصر الامر على انتصار التعصب وبربرية « ديوان التحقيق » بل تعداه الى اختفاء الشعر ، وشعور الجمال الموريسكي، والادب السليم ، الذي رفع سمعة تاريخنا » ثم يقول : « انه اختفى بنفي الموريسكيين » الادب المعطر ، والشاعرية الشعبية ، والخيال الممتع ، ومصدر الوحي ، الذي كانوا يمتلونه . وقد غاض باختفائهم من شعرنا هذا التلوين والفن والحيوية والالهام والحماسة ، التي كانت من خواصهم ، وحل محلها الظلام في الافق الادبي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر » .

هذا . وكم في قصة الموريسكيين او العرب المتنصرين من آلام ومآس مبكية ، تفيض بها صحف التواريخ القشتالية وتفيض بها وثائق محاكم التحقيق المكدسة في دار المحفوظات الاسبانية العامة في سيمانقا ، ولا تعرف مصادرنا العربية المعاصرة عنها شيئا ، ولا تتناول منها الا النزر اليسير ، في اشارات عابرة . هذا الى طائفة من المصادر الاوروبية الحديثة ، التي تتناول تاريخ « ديوان التحقيق » واجراءاته واحكامه المروعة ، ففيها كثير من التفاصيل السابقة . ■■

الرباط — محمد عبد الله عنان

في ذكرى مرور ١٥٠ عاماً على وفاته ..

أصدقاء شوبرت

بقلم : يعقوب افرام منصور

ليس هذا تاريخا لحياة شوبرت ، ولكنه محاولة للتعريف به ، من خلال ما كتبه أصدقاؤه عنه ·· وقد كانوا بمثابة المرايا التي تعكس ما كان عليه هذا الفنان العظيم ·

■ ألمع شخصية في حياة شوبرت، بعد انفصاله عن والديه واخوته ، هي (ميكائيل فوجل) صاحب الصوت العظيم من طبقة (الباريتون) ، الذي امتلك شخصية قوية وحضورا مسيطرا ، وجمع بين روعة الصوت والادراك الموسيقي · كانت تربيته رهبانية ، وكانت الفلسفة الجمالية على رأس اهتماماته ، وكان الكتاب المقدس وتعاليم الفيلسوف الرواقي الروماني (Epictetus) مواضيع غذائه العقلي المفضل ، وقد ترجم الى الالمانية أعمالا عقائدية · وكان مثابرا على تدوين مذكراته، وقد سطر هذا الاجلال لشوبرت : «لا شيء أفضل من اغاني شوبرت يمكن أن يبين بوضوح الحاجة الى مدرسة عملية للغناء الالماني ··· ما أكثر الذين علموا كيف أن أجمل كلمات أعظم شعرائنا يمكن ترجمتها الى موسيقى » ·

هذه الملاحظة دونت بعد بضع سنوات من تعرفه لاول مرة على الموسيقار الشاب ، اذ أن (فوجل) كان آنذاك قد انسحب من المسرح وتخصص للغناء· وعندما قدمه (شوبير) و (سبااون) الى شوبرت ، كان هو آنئذ المنشد المعشوق من طبقة (الباريتون) في مسرح (كارنترتر) حيث حملت توصياته متفننين من المتفقين الكبار بين زملائه ، على الاهتمام بشوبرت وباغانيه · من هؤلاء المغنية (انا ملدر) ، واحدة من زمرة شوبرت ، وذلك عام ١٨١٧ ، لكن رسائلها الى شوبرت قبل وفاته بقليل ، تفصح عن الحماس الذي قوبلت به طائفة من اغانيه عندما أنشدتها في برلين ، وهذه المنشدة كانت المغنية الاولى في أحد أعمال (بيتهوفن)

※ ولد في ٣١ يناير ١٧٩٧ ومات في ١٩ نوفمبر ١٨٢٨ ·



الاوبرالية ، وبطلب منها لكتابة اوبرا لمسرح برلين شرع شوبرت فى صياغة الموسيقى لنص مسرحية (الكونت جلنجن) من انشاء (بورنفيلد) ، بيد انه لم ينجز غير المخطط •

مرحلة هادئة

وبشان اول اجتماع بين (فوجل) و (سباون)، يسرد الثانى ان شوبرت دخل فى طور غير مترابط مع (فوجل) الذى لم يتاثر به كثيرا حتى فحص اغنيات (جانيميد) من نظم الشاعر (جيته) و (مرثاة الراعى) • وعند مغادرته ، ربت على كتف شوبرت قائلا « فيك مادة خام ، لكنك ممثل صغير جدا ، ومشعوذ صغير جدا• انك تبذر افكارك الرائعة بدل ان تنميها » لكنه سرعان ما تردد على الموسيقار باستمرار ، وهو اكبر من شوبرت بثلاثين عاما • فغدا الرجلان صديقين لصيقين ، لم كان (شوبرت) يزور (فوجل) كل يوم تقريبا لتجريب اغان جديدة ، ولسماع المغنى وهو يلقى اشعار المؤلفات الغنائية الجديدة •

لا جدال ان ذوق (فوجل) الادبى قد اثر فى شوبرت الشاب الى حد كبير ، والمعتقد ان الطبقة الصعبة ، فى بعض اغنيات شوبرت ، تعود الى ابعاد صوت (فوجل) الشادة • ان اغانى (ممنون) و (العاهل اسيرل) و (التائه) و (الحوذى) كانت من الاغنيات الرائعة الاولى التى اشاعها (فوجل) قبل حلقات الاغانى المشهورة الاخيرة •

ليس ثمة احداث هامة فى حياته خلال عام ١٨١٧، فشوبرت واصدقاؤه تزاوروا فيما بينهم، واجتمعوا مدعوين فى بيت صديق جديد ، او قصدوا دار الاوبرا ، وتحمسوا لروسينى كما فعلت مدينة « فينا » برمتها انذاك • والافتتاحيات الموسيقية ، ذات الاسلوب الايطالى ، تعكس بدعة تلك السنة، وبعد اخراج اوبرا (تانكريدى) ، تعالت اصوات هذه الزمرة فى اطراء المسرحيات الغنائية الايطالية، وخصوصا افتتاحيات « روسينى » ، فاقدم على تاليف افتتاحية من مقام D الكبير ، ليبرهن ان من اليسير محاكاة الاسلوب الايطالى الشائع •

ان تطور شوبرت الطبيعى تاى به عن التقاليد الايطالية نحو المليودراما والاغانى الالمانية • وهذا وحده يكفى ان يمسى باعثا على الانفصام بين شوبرت وبين (ساليرى) المسن ـ الموسيقار

والنظري الايطالي المقيم في فينا منذ عام ١٧٦٦ ، ورئيس جوقة البلاط منذ عام ١٧٨٨ ٠

في صيف عام ١٨١٨ ، اتيحت لشوبرت فرصة العيش برخاء مع مرتب قليل ووقت للتاليف في قلعة (زيلز) حيثمقر الكونت (يوهان استرهازي)، فانطلق الى هنجاريا (المجر) لاعطاء الدروس الموسيقية الى ابنتي الكونت ، حيث كان معتبرا فردا من الاسرة ٠ في هذه المدينة سبق ان عاش بيتهوفن متحررا من مراعاة بعضاعتبارات التفاوت الاجتماعي ، كما عاش (هايدن) بدون كلفة مع اسرة (استرهازي) واصدقائه ٠ ان رسائل شوبرت ، رغم قلتها ، في أعقاب مبارحته فينا ، تكشف النقاب انه خلال الصيف كان يحيا ويؤلف على احسن ما يرام ، لكنه في شهر اب (اغسطس) تاق الى حبيبته (فينا) المرحة التي لا يتوقع الاوبة اليها قبل تشرين الثاني (نوفمبر) ٠ ولا بد ان اقامته في هنجاريا قد اسهمت في توسيع تجاربه العاطفية ٠

في دار خاوية

يعتبر (ماير هوفر) صديقا مقربا لشوبرت ٠ كان موظفا مدنيا وشاعرا كلاسيكي الاتجاه ، وتحت سقف بيته اقام شوبرت بعد انفصالهعن بيت ابيه ٠ ورغم ان منزله لم يكن نظيفا ، فقد كان شوبرت في منتهى الرضا ، فانه لاول مرة في حياته الفى دارا خاوية عندما يكون صاحبها في مقر عمله ، فيجد الة ووقتا للتاليف من الصباح حتى الظهر ، ويزور من شاء بعد الظهر ، الا اذا استبقاه بعد ذلك الهام مفاجيء ٠ وكانت الليالي مخصصة للمرح والاجتماعات الموسيقية ٠

خلال هذه الفترة ، اضحى اثنان من اصدقاء شوبرت ، الذين عرفهم قبلا ، من زائريه كما كان يزورهما ، فكانوا يجتمعون في مقهى او حفل موسيقي ٠ احدهما (انسلم هوتنبرينر) ـ ١٧٩٤ ـ ١٨٦٨ ـ وهو مؤلف موسيقي نمساوي وتلميذ الموسيقار الايطالي (ساليري) السابق ذكره ، عندما كان شوبرت يتلقى عليه الدروس الموسيقية، وصديق بيتهوفن ٠ اما مؤلفاته ، التي نسيت الآن، فكانت غزيرة ٠ كان متعدد البراعات وذا طبيعة مرحة ، وذكرياته مصدر ذو قيمة بشان عادات هذه الحلقة ٠ لقد شكل رباعيا من اصوات رجالية ، هو وشوبرت ركنان منه ، وفي أماسي الخميس كان هذا الرباعي يلتئم لتقديم عمل الفه واحد منهم علاوة على قطع اخرى ، وكانت اعمال شوبرت في الغالب لا تدون حتى ساعة حضوره الحفل ٠ كان الاثنان يعزفان ثنائيات البيانو ، بعضها لهايدن الذي كان شوبرت معجبا بها جدا ٠ وكان لانسلم شقيقان : (جوزيف) و (هنريخ) المتحمسان لشوبرت ، وكانت عائلة (هوتنبرينر) خلية تبث الدعاوة لشوبرت في (جراز) ٠ ولقد استقر (جوزيف) بعدئذ في فينا ، وله الفضل في تجميع وحفظ مؤلفات شوبرت ، ولولاه لضاعت بسبب لامبالاة شوبرت ٠ في ذكريات (انسلم) المدونة ، نطالع ما يلي : « كان شوبرت غالبا لا يتذكر لمن اعار اغنية ، ويجهل اين تولت ٠ فقرر أخيجوزيف ان يجمع كل النسخ المبعثرة ، فوفق في ذلك الى حد بعيد بعد كثير من العناء والتنقيب ٠ وعرفت ذات يوم ان شقيقي قد جمع اكثر من مئة اغنية لشوبرت مصنفة ومفهرسة »٠ جوزيف الطيب هذا ، امتلك قابلية تجارية كانت تنقص شوبرت ، وكان مسؤولا عن الاتصال بالناشرين ووكلاء المسارح ، وتهيئة العديد من المخطوطات للطبع ٠

وصديقه الاخر (يوهان ينجر) الذي كان ، نظير (هوتنبرينر) ، على معرفة شخصية مع بيتهوفن ، وكان ذا مكانة مرموقة لدى الاوساط العليا من الطبقة الوسطى في فينا بصفته موظفا في المستشارية العربية ٠ وهو الذي قدم شوبرت الى الممثلة (صوفي مولر) والجراح الطبيب (ميتز) وال (باجلر) في (جراز) ومنهم كارل باجلر المحامي في المحكمة العليا ، وماري قرينته عازفة البيان النمساوية ٠ واهم من ذلك ان (ينجر) امتلك ذوق موسيقار ومقدرته ، خصوصا عندما كان المغني في حلقة شوبرت هو البارون (فون شنوستن) الذي عرفه شوبرت لاول مرة عند زيارته لال (استرهازي) في هنجاريا ، فكان يرافقه في تسياره في أرياف (زيلز) ٠ وانشاده لاغاني شوبرت لم يكن اقل تاثيرا من انشاد (فوجل) ، رغم المعتقد بكون صوت (فوجل) افخم ولو ان لم يرد ذكر لهذا في موضع ما ٠

على ان (شنوستن) كان هاويا وصاحب صوت قوي من طبقة (الباريتون) ، واليه اهدى شوبرت

اغنيات حلقة (الطاحونة) ، وانشاده لاغاني شوبرت هو ما حدا بالموسيقار الرومانتيكي (ليست) ، في نعته انشاد البارون ، أن يبدي ملاحظته المشهورة عن شوبرت بكونه « اشعر الموسيقين قاطبة » .

رحلة صيفية

ان الصداقة مع (فوجل) توثقت الى حد دفعته ان يقترح على شوبرت الذي عمره نصف عمر المنشد العظيم ، ليقوم برحلة صيفية معه الى جبال الالب النمساوية . فتوقفا في أول محطة على الطريق ـ وهي مدينة (ستير) ـ مسقط رأس فوجل ـ حيث الاصدقاء والاهتمام بمؤلفات وعزف شوبرت وبغناء (فوجل) . ورسالة شوبرت في ١٨١٧/٧/١٣ الى شقيقه (فرديناند) . تصف روعة الريف حوالى المدينة بشكل يتعذر تصوره ، وشطر من الرسالة يتطرق الى الجمال الخلاب لثماني فتيات مقيمات في بيت المضيف . وقد ألف شوبرت لحنا لقصة شعرية تنشدها المجموعة من غير تمثيل ، لمناسبة ذكرى مولد (فوجل) ، في اوائل آب . انشأ كلماتها (ستادلر) الذي كان قاضيا في محكمة ، ومعه جدّد شوبرت صداقة المدرسة ، كما جددها مع آخرين ، في ذلك الصيف الحالم . وكان لستادلر هذا أخت فاتنة موسيقية هاوية مثله . وهكذا كان (سلفستر بومكارتنر)، وتعبيرا عن امتنان شوبرت لضيافته وعزفه على آلة (الجيلو) ، ألف شوبرت خماسية (السلمون المرقط) . قصد السائحان مدينة (لينز) حيث كانت اول عائلة زاراها هي عائلة (سباون) صديق شوبرت الطيب . ان مجموعة صور (كاتي ستادلر) تدل أن الاوبة كانت في ٩/١٤ ، ومن غير المعلوم سبب التوقف عند (لينز) وعدم المضي نحو (سالزبورغ) مسقط رأس الموسيقار (موزار) ـ محبوب شوبرت ـ كما كانا قد اعتزما قبلا .

كان لصيف عام ١٨١٩ اهمية عظمى في ثقافة شوبرت الرومانتيكية ، اذ أتيح له أفضل الطعام والعيش والهناء برفقة الاصدقاء وكل الاسر التي أحبته لما كان عليه من خصال،بدون أن تنشد فيه غير ذلك ، كما أتيح له التسيار الكثير في أنقى جو في أوروبا . كل هذه العوامل فعلت الكثير لجسم ظل ردحا بلا قوت لذيذ ولا منتظم الوجبات، بل انكب طويلا على القراطيس الموسيقية ، بينما التوسع الكبير في المخيلة لم يحصل الا بفضل مشاهداته للبحيرات الزرقاء والجبال ، وتسلق المسالك،ورؤيته للقلاع والاديرة والمدن الرومانتيكية في النمسا العليا .

ان عملا صغيرا ، صيغ في الشهر الاخير من عام ١٨٢٠، ينم عن صداقة هامة ، وهو تاليف موسيقي لصوتين من طبقة (السوبرانو) وصوتين من طبقة (الكونترالتو) بمرافقة البيانوفورت للمزمور الثالث والعشرين « الرب هو الراعي » بنصه الالماني ، وقد وضع ليؤديه طلاب (آنا فروهلينج) احدى الشقيقات الاربع اللواتي كانت أسرتهن مستقرا لعرائس الالهام والجمال . هذه الدار كان غالبا ما يزورها (جرليبارزر) الكاتب والشاعر الدرامي النمساوي من فينا (١٧٩١ ـ ١٨٧٢) وتوفي مع الشقيقات الاربع تحت سقف واحد ، وهو غير السقف الذي جلس وشوبرت تحته عام ١٨٢٠ .

كانت الفتيات موسرات ، وكان العوز قد دفعهن الى البحث عن مورد رزق عن طريق استغلال مواهبهن العظيمة ـ آنا وجوزفين احترفتا الغناء وتدريس الانشاد في معهد فينا للموسيقى، وباربارة رسامة ، و (كاتي) اكثرهن سحرا هيمنت على الاسرة وعلى جنان (جرليبارزر) ، رغم انه لم يعترف بها ، وكرست ذاتها للموسيقى ، ومن خلال بنات (فروهالينج) صاغ شوبرت الالحان لقصائد (جرليبارزر) وفي بيتهن اجتمع بحشد من كبار وصغار المتفننين والادباء .

ان عائلة (سونليترز) هي التي قدمت شوبرت الى ال (فروهلينج) ، وكان الوالد (اجناز) يعقد اجتماعات موسيقية في داره حيث (اوجست فون جيمنيج) ـ موظف وصاحب صوت من طبقة (التينور) ـ كان ينشد اغنيات شوبرت ، واحيها (العاهل ايرل) . أما الابن (ليوبولد) فكان محاميا وموسيقيا هاويا ، جلب طائفة من المخطوطات الاصلية لاعمال شوبرت ، لكامي فروهلينج لتجرب عزفها . وكانت السيدات تواقات أن يزورهن الموسيقار برفقة المزيد من الاغاني . وعندما سئل شوبرت عن سبب عدم نشرها ، أجاب بانه ما من ناشر ارتضى نشرها ، بينما تنادى (سونليترز) و (جوزيف هوتنبرينر) و (يوهان سغوناور)

و (يوهان سفونيجلر) معا لنشرها على عاتقهم . فكانوا يأتون بالقطع المطبوعة حديثا الى الامسيات الموسيقية ويبيعونها هناك • وفي عام ١٨٢١ اشتملت هذه المطبوعات على : عاهل ايرل ـ ماركريت عند دولاب المغزل ـ مرثاة الراعي ـ التائه ـ الملك في أقصى الشمال ـ ممنون ـ ضريح انسيلوم ـ الموت والعذراء ـ واعمال أخرى لا تقل عنها أهمية •

وبعدها تتوقف الاسهامات الشخصية في نشر مؤلفات شوبرت ، ويشرع (ديابيللي) الماكر في التعامل مع شوبرت مباشرة ، فيبتاع منه المخطوطات نقدا باثمان زهيدة• وليس ما يشير الى ان شوبرت اصر على اتفاق لحفظ حقوقه التاليفية المعروفة اليوم ، اذ انها لم تكن معروفة في النمسا والمانيا انئذ . وكان شوبرت ، بلا ريب ، يحسب ان في مقدوره انتاج المزيد من الاغاني متى احتاج الى المال •

تكشف الوثائق المدونة عام ١٨٢١ ان اغاني شوبرت ظهرت في برامج (جمعية السيدات النبيلات لدعم الخير والصلاح) حيث استعاد الجمهور انشاد (عاهل ايرل) بصوت (فوجل) وهذا العام ذو اهمية عظمى لتلاميذ شوبرت ، وخصوصا عند الذين عدوه مغبونا ، اذ من الواضح انه ـ لو شاء ـ لاولم له الولائم اكابر فينا من الموسرين والمثقفين . اذ ان الاغاني الاولى التي تم نشرها تكشف عن كونها مرفوعة الى طائفة من علية القوم ، منهم بطريرك البندقية • لكنه لم يطمح الى دخول صالونات أرقى درجة ، مفضلا عليها رفقة أصدقائه والزيارات الى عشاق الموسيقى من الطبقة المتوسطة من امثال ال فروهلينج و (بروخمان) •

تفرق الاصدقاء

في هذه السنة بالذات والتي تلتها ، حصلت تغيرات في حلقته من الرفاق، فسباون مضى لاستلام منصبه في (لينز) . وابتعد شوبرت عن (مايرهوفر) بدون شجار أو سبب حاضر غير تباين الامزجة ، وذهب (انسلم) الى (جراز) حيث ورث تركة والده • ولبث (شوبر) وحده من زمرة شوبرت الاصلية ، وترك غرفة تحت تصرف صديقه الحميم،

وتشير احدى رسائل الموسيقار اليه ، المؤرخة في ١٨٢٢/١١/٣ ، انه لا يستطيع أن ينساه •

في تموز ١٨٢١ ، انطلق الصديقان الحميمان شوبرت وشوبر ، حتى نهاية عمر شوبرت القصير، لزيارة (اتزنبروغ) الواقعة بين فينا و (سنت بولتن) حيث عم (أو خال) شوبر اسقف في مقر اسقفيته المسماة قلعة (اوخسنبرغ) الرومانتيكية• فاقاما هناك باعزاز،مكرمين من الطبقة الارستقراطية التي تضم عدة كونتيسات ، وكان الاسقف ملما بالفنون ، فزود مقام شوبرت ببيان فاخر ، ويفيد (شوبر) أن صديقه أنجز أعمالا كثيرة • اما مخطط السمفونية من مقام (E) الصغير ، فقد استبعد لغرض التركيز عليه في وقت لاحق (والحقيقة ان هذه السمفونية لبثت بشكلها المخطط فحسب ، حتى وفاة شوبرت) • وكذلك اوبرا (الفونسو واستريلا) ، فقد أنجز منها الفصلان الاولان فقط ، هذه المطلة مع (شوبر) سجلت الذروة في آمال شوبرت • لقد ابتعد فترة عن أصدقائه القدامى ، لكن ذلك كان خيرا له ، فكان ثمة أصدقاء آخرون يملكون شخصية ساحرة وعقولا لم يستوضحها بعد • لقد تمتع شوبرت ورفيقه بمشاهد الجبال والغابات والجداول وحديقة القلعة ، وتخلل ذلك امسيات هنيئة انفقاها في المطالعة والتدخين بالغليون وصياغة الموسيقى وبعد أوبتهما الى فينا ، استأنف شوبرت عمله في أوبرا (الفونسو واستريلا) ، فتم الفراغ منها في ١٨٢٢/٢/٢٧ •

بين الموسيقى والتصوير

ان قيام وشيجة صداقة رومانتيكية راسخة مع الرسام (موريتز فون شويند) قد حولت تماما قطب حلقة شوبرت • فهذه الصداقة كانت أهم وشائج شوبرت ، وبلغت أجلى مظاهرها عام ١٨٢٤ • واذ ان (شويند) كان يصغره بثمانية أعوام•فلا ريب أنه هو الذي تأثر بشوبرت كمتفنن حائز على مقدرة عظمى للتعبير عن الذات ، وكان ملهما للشاب الغض الرسام الذي يكاد أن يعتبر نموذجا كاملا للرومانتيكي ابان تلك الفترة • انه نظير الشاعر الانكليزي (شلي) من حيث الوسامة والرقة والملكة العقلية والهيئة الجسمية، وقد لقب « صاحب الوجه الملائكي » ، بيد أن ذلك

لا يعني تائه ، اذ كان مخلوقا طبيعيا رجاليا سويا ، وذا عزيمة قوية ، ومتقدا لا يعتريه الجهد، طموحا متوقدا ، نشيطا عاطفيا • واحدى رسائله الى (شوبرت)، تصور جيدا هذا المخلوق الرومانتيكي العجيب : ـ

« لا أروم الموت، بيد اني غالبا ما اشعر بمنتهى السعادة في التحرر من اصفاد الجسد • انا تواق الى العيش مطمئنا مستقلا ، وانا ملتهب بالتشوق، ومتدفق بالحب • فاين القلب والذراعان لاحتضاني والتخفيف عني وتحريري ؟ »

فـ(شويند) من الشبان شعروا بذات المشاعر التي سطرها ، بيد ان جيلهم وزمنهم لم يسمحا بتعبير مثل كلمات (شويند) : « كثيرا ما اعجز عن الاستقرار على كلمة ، وغالبا ما تخطيء اغنية ما غرضي ، وعندئذ استطيع نوعا ان افصح عن احاسيسي بفتح ذراعي » • هذا هو عين النجوى: « أيها السامي » واستغاثة « آه ! » المبتسرة في شعر « كيت » • وهو الافصاح الوحيد الذي يستطيعه صبي حدث لم يصهر صياغته بعد بشكل يتيح له محاولة اعطاء حبه الكامل للحياة والاشياء هيئة ثابتة• وهذا ما حدا بشويند الفض، الذي كان قد شرع توا في الامساك باهداب التعبير ـ التي بها لا يتم بيسر ايصال العاطفة كما بوساطة الموسيقى ـ ان يجد في رفيقه شوبرت متنفسا قد اتم بروعة تحقيق احلامهما المشتركة •

ان الاتيان على جميع جوانب هذه الصداقة الحميمة المثالية وتاثيراتها المتبادلة ، ليحتاج الى اسهاب واستطراد ليس ههنا موضعهما ، لكن خلاصة القول أن شوبرت ماكان لينجز اى عمل اقل مما انجز فعلا لو انه لم يجتمع بشويند ، لكن الشاب الاصغر طيب بمثاليته وحيويته اياما ربما كانت ستكون برمتها مفعمة بالكآبة •

كان (شويند) رغم عوزه واسع الثقافة ،وربما قد طالع اكثر من شوبرت ، وقد عاش في عالم فكري تحفه شخصيات الاغاني الروائية القديمة ، واستقى مواضيع رسومه من مصادر مختلفة كالاساطير وزواج فيجارو (اوبرا موزار الشهيرة) وليالي الف ليلة وليلة ، والناي السحري (لموزار ايضا) وهي الرسوم التي زينت بهو « دار الاوبرا » في «فينا» ، وغيرها من المواضيع • وهكذا بقدر ما يسمح لفن أن يكون موازيا لفن اخر ، فان رسوم (شويند) كانت نظيرا لموسيقى اغاني شوبرت • واروع رسومه ـ كما قال هو ـ تشتمل على مجموعة تصور مقاطع شعرية من موسيقى شوبرت • وطائفة منها تصور بعض ليالي شوبرت ، مثال ذلك صورة زيتية تمثل شوبرت عازفا على البيان في بيت (جوزيف فون سباون) وهو جالس بجوار الموسيقار ، وخلف الآلة يضع اوانس وسيدات جلسن في وضع اصغاء حالم •

فسلام على روح شوبرت في عالمه بين الخالدين، وتحية لمحبيه وقادريه في ذكراه اينما وجدوا •

■■

بغداد ـ **يعقوب افرام منصور**

اشتريت جهازنا !

● خلال سوق خيرية نظمتها زوجتي وقع بصري على جهاز تسخين خاص بغذاء الاطفال ، وعلى الفور وبدون تردد اشتريته بسعر زهيد وجلبته معي الى المنزل • وبعد أيام وفي احدى الحفلات تطرق الحديث الى السوق الخيرية وأخبرت ضيوفي بقصة شراء الجهاز • ولما سمعت زوجتي حوارنا التفتت الي وقالت : في الحقيقة يا عزيزي لم اشا أن أخبرك في حينه ، ولكن الجهاز الذي اشتريته هو جهازنا •

جي • ك ستوكر ، لندن •

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى



(٧)
واذا توفرت الشروط تكون الجنين في البلاستولا وتحول



الى ضفدع صغير يكون نسخة طبق الاصل عن الضفدع المتبرع .

اسعار البن العالمية
هل توشك على الارتفاع مجددا

● يتوقع المراقبون في البرازيل ارتفاعا جديدا في اسعار البن العالمية .. ذلك ان الصقيع ضرب أشجار البن البرازيلي في شهر سبتمبر الماضي على نحو ما ضربها قبل بضع سنوات ، سنة ١٩٧٥ . ويؤكد معهد البن البرازيلي ان الصقيع الاخير قد الحق التلف بثلث تلك الاشجار ، او ما يعادل (١٥٠٠) مليون شجرة .. وان محصول البن البرازيلي سينقص في هذا العام نحوا من ٨ ملايين كيس ليصبح ١٧ مليون كيس .. ولما كانت البرازيل هي الدولة الاولى في انتاج البن في العالم كان لا مفر لاسعار البن البرازيلي من أن ترتفع تبعا للكارثة التي حلت بالبرازيل دون غيرها .

فالصقيع لم يضرب مزارع البن في كولمبيا ، وهي البلد الثاني انتاجا للبن في العالم .. بل لعل محصولها هذا العام محصول قياسي من حيث الجودة والكمية .. ويقال ان كولمبيا لم تحصل على مثيل له طيلة سنوات .. ومن شأن هذا المحصول ان يحد من ارتفاع الاسعار المتوقع حدوثه نتيجة لكارثة الصقيع في البرازيل ..

وثمة خبر اخر يبعث على الاطمئنان في هذا الصدد .. فقد اكدت تقديرات وزارة الزراعة في الولايات المتحدة.. وهي التقديرات التي تعتمد على تقارير الاقمار الصناعية، اكدت ان التلف الذي احدثه الصقيع محدود للغاية وان محصول البن في البرازيل هذا العام سيبلغ ٢٣ر٥ مليون كيس، اى بنقصان ١ر٥ مليون كيس فقط . ولعل تقارير الاقمار الصناعية ادعى الى الثقة من تقارير السلطات المعنية في البرازيل ، وهي بلا شك تقديرات تقريبية نظرا لان الاحصاءات الفعلية لا تردها في شهر سبتمبر وانما في شهر اكتوبر او نوفمبر ..

ويذكر هنا أن ما تجنيه البرازيل من صادرات البن في المواسم المضروبة يفوق ما تجنيه منها في المواسم الطيبة .. من هنا كان المبلغ الذي سجلته صادرات البن البرازيلي في السنة الماضية رقما قياسيا وقد بلغ ٢٥٠٠ مليون دولار.. ولا يخفى أن اثار كارثة سنة ١٩٧٥ ما زالت قائمة .. ولا يخفى ايضا ان سياسة رفع اسعار البن لدرجة باهظة وهي السياسة التي تنتهجها البرازيل في المواسم المضروبة هو التفسير الوحيد لتلك المداخيل الفائقة.

وتجدر الاشارة الى أن معهد ابحاث البن في كامبتاس قرب سان باولو قد نجح مؤخرا في تهجين صنوف جديدة من البن تجمع بين المزايا المختلفة للصنوف القديمة .. من تلك المزايا المناعة ضد الصقيع وضد شتى الامراض التي تفتك بالبن .

عمليات اعقام النساء

● مازالت عمليات اعقام النساء هي واسطة منع الحمل المفضلة في نظر الكثيرين من

الاخصاب الذاتي

كما يجرونه في الضفادع



(انظر مقال هندسة الوراثة ص ٤٢)

الاطباء . ولعل المستقبل القريب كفيل بانتشار هذه العمليات لاغراض تحديد النسل على اوسع نطاق ممكن .

فقد نجح الأطباء الانجليز باجراء تعديلات على هذه العملية واختصارها بحيث اصبحت تجرى في العيادات الخارجية .. ذلك انها اصبحت لا تستغرق اكثر من ١٠ دقائق .. علما بان الاسلوب التقليدي في اجرائها يستوجب مبيت المرأة في المستشفى طيلة يومين .

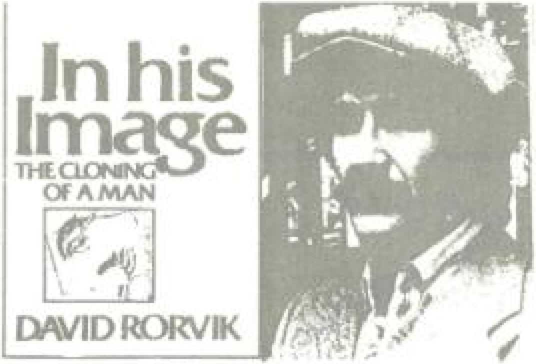
ويعود الفضل في هذا الى اطباء مصح ماري ستوبس Stopes في لندن .. وقد باشروا اجراء عملية الاعقام المختصرة هذه في مطلع السنة الماضية .. وخصصوا لاجرائها يوما واحدا من ايام الاسبوع وبمعدل ٦ ـ ٨ نساء للدفعة الواحدة .. والمفهوم ان هذا المعدل سيتضاعف ليصبح ٢٠ امراة .. ولا تزيد اجور هذه العملية على ٥٥ جنيها .

وتعرف عمليات الاعقام هذه اصطلاحا باسم Mini Laparotomy ويشق فيها البطن شقا صغيرا تحت السرة ، عند الخط العاني .. ولا يلبث الجراح ان يهتدي الى انبوب (فلوبي)، وهو الذي تنتقل البويضة عبره من المبيض الى الرحم ، فيقفل هذا الانبوب بواسطة مشابك مصنوعة من مادة بلاستيكية هامدة ، يتقبلها الجسم ولا تسبب له ضررا .

دعوة لعدم استئصال اللوزتين

● عمليات استئصال اللوزتين للاطفال تكلف وزارة الصحة في بريطانيا حوالي ٥ ملايين جنيه استرليني سنويا، وهي في معظم الحالات غير ضرورية ، وبلا طائل . ذلك انها لا تحد من السعال ولا من الرشح والزكام كما يعتقد الكثيرون، وقد اكد هذه الحقيقة البروفسور رونالد النجورث Illingworth ، أحد الاطباء الخبراء في صحة الاطفال ، في مقال نشرته له مجلة ممس Mims الطبية المعروفة .

ومما يقوله البروفسور رونالد في مقاله هذا : « ولو تمهل الاباء ولم يستعجلوا اجراء العملية لاولادهم لوجدوا



ان مناعة اطفالهم ضد الرشح والسعال تزداد مع السنين ، وان تعرضهم لآفات البرد هذه يقل كثيرا حينما يكبرون » ·

هذا وقد بلغ عدد عمليات استئصال اللوزتين التي اجروها للاطفال في بريطانيا سنة ١٩٧٥ وتكلفوا عليها ٥ ملايين جنيه ، ١٣٠ر١٢٤ عملية · ولئن لم تتسبب هذه العمليات بالموت لاكثر من واحد من كل عشرة الاف ·· فانها قد ادت الى مضاعفات في الكثيرين ·

ويقول البروفسور النجورث: « والغريب أن وظيفة اللوزتين الحقيقية ما زالت مجهولة ·· ثم ان الفائدة التي تترتب على استئصالهما ما زالت بحاجة الى دليل »

الاخصاب الذاتي
Cloning

ثارت ضجة كبرى في اشهر الربيع الماضي ، حول كتاب بعنوان « على شاكلته » (In His Image) للكاتب الامريكي دافيد رورفيك (David Rorvik) · فقدزعم هذا الكاتب الذي سبق له ان عمل محررا في مجلة تايم الامريكية بين سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ ، زعم ان ضربا من ضروب الاخصاب الذاتي او الانجاب التلقائي Cloning اصبح حقيقة واقعة كما تدل القصة التي رواها بتفصيل في كتابه ···

وتبدا القصة بمليونير من اهالي كاليفورنيا طالما حلم بالخلود ··· وسمع المليونير بما يقوم به العلماء في ميدان الهندسة الوراثية والنجاح الذي اصابوه في تحقيق الاخصاب الذاتي في الضفادع على الاقل، فشعر بدافع قوي لمحاولة تحقيق ما كان يحلم به من خلود عن طريق ذلك الاخصاب وبواسطة اولئك العلماء ·

ولما كان المليونير على معرفة بالمستر رورفيك وبكثرة صلاته ومعارفه ، لا سيما في المجالات العلمية والطبية ، عهد اليه بتشكيل فريق من اولئك العلماء حسب اختياره ، وتكليفهم باجراء عملية اخصاب ذاتي للمليونير ،على غرار العمليات التي يجرونها للضفادع ··· بما يضمن للمليونير انجاب طفل يكون نسخة طبق الاصل عنه ، فيكفل له الخلود ·· بمعناه المادي الجسدي ،لا بمعناه الرمزي او الادبي ··

ويروي الكاتب بعد ذلك كيف انتزع الاطباء المختصون بويضة ما ثم عمدوا الى تحطيم نواتها ثم استبدلوا تلك النواة بنواة اخرى انتزعوها من احدى خلايا المليونير (غير الجنسية) وزرعوها في البويضة حيث كانت نواتها الاولى ·

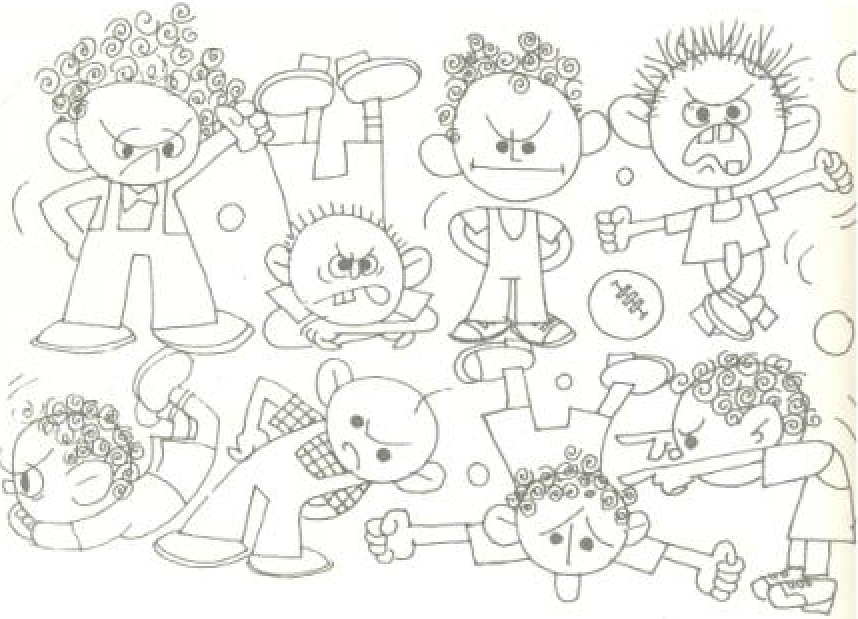
ونجح الاخصاب ، كما يقول رورفيك ، وراحت البويضة تنقسم وتتكاثر مثنى وثلاث·· الخ ·· ثم مالبث الاطباء ان زرعوا تلك البويضة في رحم امراة استاجروها لاغراض الحمل ··· ومضت شهور الحمل التسعة فوضعت المراة طفلا ذكرا ، كان شديد الشبه بالمليونير « وعلى شاكلته ·· »، كما يؤكد الكاتب ·

ويؤكد الكاتب ايضا ان الطفل سوي وبصحة جيدة وكان قد بلغ ١٥ شهرا من عمره حين فرغ من تاليف كتابه ·

الاان المستر رورفيك لا يذكر اسم المليونير ولا المستشفى او البلد الذي اجريت فيه عملية الاخصاب الذاتي تلك · ·· ثم انه لايذكر اسم احد من الاطباء الذين قاموا بتلك العملية · من ثم كان الكاتب وكتابه موضع طعن وشبهة في الاوساط العلمية الامريكية بلا استثناء ·

ومما يذكر ان لجنة صحية متفرعة عن الكونجرس الامريكي اجتمعت في تلك الاثناء للنظر في امر الكتاب الذي احدث الضجة الكبيرة ···

وكان القرار الذي اتخذته هو ان الاخصاب الذاتي في بني البشر ،وان كان ممكنا نظريا ، الا انه متعذر عمليا في الوقت الحاضر · ■■



"تربية الآباء قبل تربية الأبناء"

ابنى عصبى : لماذا؟

بقلم : الدكتور ملاك جرجس*

انه مختلف عن كل الاطفال فهو عصبى ، من السهل ان يثور ويغضب ويحطم كل شىء امامه . وهو لايستقر فى مكان ، هذا بجانب بعض الحركات غير العادية التي يكررها بمناسبة وبغير مناسبة . انه عصبى ولكن لماذا . ؟ فى هذه الدراسة نستعرض الاسباب التي تؤدى الى هذه الحالة التى تصيب طفلك .. ومن سطورها يمكنك ان تعرف الاجابة عن سؤالك الحائر ..

* ان ما يحدث داخل البيت هو المؤثر الكبير على الطفل . فالعلاقة بين الاب والام والعلاقة بين الاب واولاده .. هذه العلاقات تؤثر على شخصية الطفل .. خصوصا فى السنوات الاولى من عمره .

وفى أول الامر يكون لعلاقة افراد الاسرة بالطفل تأثيرها : هل هو محبوب من الجميع ؟ هل هناك اهتمام به ؟ هل هناك مشاكل بينه وبين اخوته ؟ من الاجابة عن هذه الاسئلة قد يحس الطفل

* استاذ العلوم السلوكية ورئيس قسم الصحة النفسية بامانة الصحة فى الجماهيرية العربية الليبية

بالرضا عن نفسه او قد يشعر بالسخط والضيق ، ومن هنا تسود حياته النفسية مشاعر القلق والنقص .. والاكتئاب ..

ومن هنا يعتقد بعض العلماء ان العصبية تبدا في السيطرة على الطفل . فاحساس الطفل انه محروم من الحنان والعاطفة وعدم احساسه بانه مطلوب ومحبوب ، كل هذه الاشياء قد تؤدي الى هذه التصرفات العصبية ..

واذا حاولنا ان نحدد بعض صور هذه الاعراض العصبية لوجدنا الطفل في حالة عدم الاستقرار .. مع القيام بحركات عصبية . وكذلك هناك البكاء . والثورة لاتفه الاسباب وسهولة الاستثارة ، والعض ، والضرب في بعض الاحيان ، لكن هنا يبرز هذا السؤال الهام :

هل هناك اسباب اخرى ـ غير هذه الاسباب النفسية يمكن ان تؤدي الى التصرفات العصبية للاطفال ؟

الواقع ان بعض العوامل والامراض التي تصيب جسم الطفل قد تؤدي الى هذه الحالة العصبية . من هذه العوامل :

ـ اضطرابات الغدد ، مثل اضطرابات الغدة الدرقية وازدياد افرازها على الحد الطبيعي .

ـ سوء الهضم ـ الزوائد الانفية ـ التهاب اللوزتين ـ الاصابة بالديدان ـ الاصابة بالصرع .

وعلى هذا الاساس يجب قبل اي علاج نفسي للطفل العصبي التأكد اولا من عدم اصابته باحد هذه الامراض .. ولكن يجب ان نضع في الاحتمال ايضا وجود اكثر من سبب واحد لحالة الطفل العصبية : فقد يكون مصابا بمرض في جسمه ، وفي نفس الوقت قد تكون الظروف المحيطة به سببا في الحالة النفسية التي يشكو منها .

والان نعود الى المؤثرات التي يمكن ان تجعل طفلك عصبيا ..

الولد يقلد اباه

من الملاحظ ان الاب قد يكون عصبيا ..

عندما تحدثه الام فهو يصرخ في وجهها او يرد بصوت غاضب مرتفع ، او قد تكون الام من هذا النوع الذي يثور بسرعة .. يصرخ .. ويشتم . اذا حدث ذلك امام الطفل الصغير فلا غرابة بعد ذلك ان ينقل الطفل تصرفات الكبار الذين يعيشون معه في بيت واحد .

وهناك الام التي تحيط طفلها بالاوامر في كل خطوة وكل حركة . وهناك الاب الذي يضايق طفله بهذه التحذيرات الدائمة .. في كل ساعة وكل دقيقة . ومن هنا يبدا الطفل في مقاومة كل التحذيرات والاوامر ..

هذا بالطبع على عكس ما يحدث اذا كانت المرونة هي اساس التعامل مع الطفل .. فالمرونة تؤدي الى خضوع لرغبات الوالدين بكل سرور .

وهكذا يظهر بوضوح تاثير تصرفات الوالدين على الطفل .. فاذا اخطا الوالدان انعكس ذلك على تكوين الطفل .. وهكذا لم يكن غريبا ان تنادي التربية الحديثة بهذا الشعار : تربية الاباء يجب ان تكون قبل تربية الابناء ..

وحركات عصبية اخرى

وبجانب الصور المألوفة لعصبية الطفل وهي الحركة الزائدة ، وعدم الاستقرار وتشتيت الانتباه . وشرود الذهن والاعتداء على الاخرين والثورة لاتفه سبب بل واحيانا التشنجات الهستيرية ، والبكاء والعبث في كل شيء . بجانب ذلك نجد اعراضا اخرى لافتة للنظر ، مثل مص الاصابع وقضم الاظافر .. وحركات اخرى لا ارادية مثل الرمش بالعين او تحريك الرأس ..

وهذه هي مناقشة سريعة لبعض هذه الحركات .

مص الاصابع

خلال السنة الاولى من عمره يكون من المألوف ان يمص الطفل اصابع اليد .. او حتى الرجل ويجد لذة في ذلك . ولكن ، اذا استمر ذلك مع تقدم العمر بالطفل فان مص الاصابع هنا يكون علامة على وجود اضطراب نفسي ..

وفي بعض الحالات قد تلتقي بالطفل الذي وصل الى سن العاشرة .. وهو ما زال متمسكا بعادة مص اصابعه .. ومع هذه العادة يكون الاغراق في احلام اليقظة والسرحان ، والاكتئاب وعند مواجهة المشاكل . مثل الفشل في الدراسة . نجد ان مص الاصابع يصبح اكثر حدوثا .. وهنا لا يجدي تحذير الاباء ..

والعلاج في مثل هذه الحالة يجب ان يبدا بدراسة بظروف الحياة التي يعيشها الطفل ، خاصة . علاقته بوالديه . واخوته ومدرسته .

فالمطلوب ان يشعر الطفل انه محبوب يحيط به الشعور بالتقدير . والامن والاطمئنان ..

كذلك يجب ان تشغل الطفل بنشاط بدوى يحول بينه وبين وضع يده فى فمه .. اما استعمال التوبيخ والعقاب كعلاج مص الاصابع فانه يعقد الحالة .. ويزيد من اضطراب الطفل نفسيا ..

وقضم الاظافر ايضا

قبل اى شيء يجب ان نفكر قليلا فى معنى قضم الاظافر .. او قرض الاقلام .. او حتى عض الاصابع انها ظاهرة تدل على انفعال الغضب او الشعور بالحرج .. وهذا عرض من اعراض التوتر النفسى والعصبى .. وقد يكون الغضب نتيجة لعدم القدرة على التكيف مع البيئة .. او لعدم القدرة على مواجهة بعض المواقف فى الحياة على اساس انها مواقف صعبة ..

وهكذا كثيرا ما نلاحظ ان ظاهرة قضم الاظافر وقرض الاقلام تزداد فى فترة الامتحانات او عندما يشعر الطالب بالحرج عندما يعجز عن الاجابة عن اسئلة استاذه .. وبذلك يمكن ان نعتبر قضم الاظافر نوعا من الهروب من مواجهة الواقع الذى يبدو صعبا . وهنا لا يجب الانجاه الى العقاب او التوبيخ كعلاج ، بل يجب ان تتم دراسة اسباب عدم تكيف الطفل مع البيئة .. مع التصحيح بتصحيح للاوضاع الخاطئة فى علاقاته مع افراد اسرته مع مساعدة الطفل على اثبات ذاته .. والعمل على ادخال السرور على نفسه .

وهناك ملاحظة اخرى هى انه مع قضم الاظافر غالبا يكون هناك عرض او اعراض اخرى مثل الكذب او السرقة او الانزواء . او التبول اللا ارادى او الرعونة ثم احلام اليقظة ...

ويعانى بعض الاطفال من حركات عصبية لاارادية تتخذ صفة العادة او اللازمة ، منها هز الرجل بطريقة شبه مستمرة . ورمش العين بطريقة سريعة لافتة للنظر . وكذلك تحريك جوانب الفم او تحريك الانف ذات اليمين وذات اليسار . او الى الخلف . كل هذه الحركات تتم عادة بطريقة عصبية تلقائية متتابعة ولا يستطيع الطفل ان يمنعها مهما تم تحذيره .

والواقع ان هذه الحركات ما هى الا وسيلة للتخلص من التوتر العصبى الذى يعانى منه الطفل نتيجة لتوتره النفسى الناشىء عن اضطرابه .

والملاحظ ان الاهل عند ملاحظتهم لهذه الحركات العصبية يأخذون من الطفل الموقف الخاطىء ، اما بالسخرية منه . او اتباع اسلوب العنف فى منعه عن هذه الحركات . وهنا تؤدى هذه الاساليب الى زيادة عصبية الطفل .. وتوتره .. مما يثبت حدوث هذه الحركات العصبية .

هذا الطفل ضحية

ومن دراسة جميع حالات عصبية الاطفال نجد انهم ضحية لاخطاء وقع فيها الاباء والبيئة التى نشأو فيها . فالابناء الذين يعانون من العصبية عاشوا فى منازل كلها قلق وتوتر واضطراب عائلى فاحد الوالدين « او كلاهما » يعانى من القلق النفسى . ويعامل افراد الاسرة بالحدة الواضحة ..

ـ وملاحظة اخرى هى تدخل الاباء فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الابناء بحيث لا يشعر الطفل بالحرية وبذاته ، بل وينشأ معتمدا على الاخرين ، ورغم كراهيته لذلك . فهو ينشأ عاجزا عن الاعتماد على نفسه لانه لا يعرف التربية الاستقلالية ، ولم يدرب على حل مشاكله بنفسه..

ـ عدم تشجيع الاهل لاولادهم على الاختلاط الذى يؤدى الى تنمية شخصية الطفل ..

ـ وقد يقع الاباء فى الخطأ ويعتمدون على القسوة والضرب والتحقير فى تعاملهم مع اطفالهم..

ـ جهل الوالدين بضرورة اعطاء لطفل الاحساس بانه محبوب مع اشعاره بالطمانينة والامن والاحساس بالتقدير وذلك دون الافراط فى هذه المعاملة بحيث تصل الى حد التدليل ..

ـ ضرورة اهتمام الوالدين باتاحة الفرصة لتنمية شخصية الطفل نفسيا واجتماعيا بالرحلات .. والهوايات .. والرياضة .. فهذه كلها اشياء تساعد على تنمية الطفل نفسيا واجتماعيا وليست مضيعة للوقت كما يعتقد بعض الاباء ..

واخيرا .. ابتسم فى بيتك . اضبط اعصابك امام طفلك . حافظ على هدوء الحياة داخل بيتك..

بذلك .. يمكن ان تساعد على عدم اصابة اطفالك بهذه الحالات التى تدفعك الى الشكوى من : طفلك العصبى .. ■■

طرابلس ــ د. ملاك جرجس



الوجوه والعيون ـ جيلا بعد جيل ـ ومعركة بعد معركة ـ اما الامل فعصي على الموت . لان المستقبل ملك للانسان لا لاعدائه ..

فنان من فلسطين :

يوم الأرض على الشاشة

بقلم : راجى عنايت

لقطة من فيلم « المفتاح » الذى اخرجه الفنان غالب شعث .



يوم الارض على الشاشة

فلتسمع كل الدنيا . فلتسمع
سنجوع ونعرى . قطعا نتقطع
ونسف ترابك يا ارضا تتوجع
ونموت ولكن لن نركع
للقوة .. للفانتوم .. للمدفع
لن يخضع منا حتى طفل يرضع

★ ★ ★

بهذا النشيد ، يصل الفيلم الوثائقي « يوم الارض » الى نهايته .. الفيلم الذى يبدأ وسط صمت مطبق بهذه الكلمات المكتوبة ، « اذا كان حكام اسرائيل قد فشلوا فى ان يضيفوا سلاما مع نصف مليون عربى ، يعتبرون مواطنين اسرائيليين ، فكيف ستنجح هذه السياسة فى أن يضيفوا سلاما مع الشعوب العربية ؟! .. »

وفيلم « يوم الارض » ، هو اول فيلم وثائقى فلسطيني يتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني داخل اسرائيل . اخرجه الفنان غالب شعث فى ٤٠ دقيقة ، ويعتبر صرخة عقلانية مؤثرة ، فيحكى قصة الاحداث الدامية التى جرت فى منطقة الجليل ، يوم ٣٠ مارس ١٩٧٦ ، ويصور احتفال الفلسطينيين داخل اسرائيل بهذا اليوم عام ١٩٧٧ . وقد تصدت لانتاج الفيلم مؤسسة « صامد » للانتاج السينمائى .

قصة اليوم الدامى

فما هى قصة يوم الارض ؟ .. وما هى خلفية الاحداث التى جرت فى ٣٠ مارس ١٩٧٦ ؟

كان معروفا قبل صدور قرار التقسيم ، سنة ١٩٤٧ ، ان منطقة الجليل ستكون خارج حدود الدولة اليهودية ، لكن الحركة الصهيونية كانت تعد العدة للاستيلاء على الجليل ، قبل قيام الدولة الاسرائيلية . كان هذا الهدف موضع جدل فى الحركة الصهيونية ، انتصرت فيه آراء دعاة استيطان الجليل .

ودعوة تهويد الجليل دعوة قديمة تسبق اجراءات ١٩٧٦ بسنوات طويلة . فامام اللجنة التنفيذية الصهيونية عام ١٩٣٧ ، القى اوتسسكيتى خطابا جاء فيه :

« ... علينا ان نبذل جهدا للاستيلاء على مواقع بعيدة عن مراكز الاستيطان ، لضمان اوسع الحدود لبلادنا ، ولما وضعنا البرامج لشراء الارض ، كان هذا الهدف دائما نصب اعيننا : الاستيلاء على مناطق بعيدة .. فضلا عن جودة الارض ، كانت تحركنا الرغبة لتوسيع الحدود دوما تبلغ المصاعب ... فليس مسألة الزراعة هى ما نصبو اليه بل اننا نطمع بالدرجة الاولى فى ان نضمن اوسع الحدود الممكنة لبلادنا .. »

لقد احتلت اسرائيل اقسام الجليل التى لم تكن مخصصة للدولة اليهودية حسب قرار التقسيم عام ١٩٤٨ ، وضمت الى اسرائيل بحق الفتح .. وكانت المنطقة التى دخلت الحكم الاسرائيلى ذات اغلبية سكانية عربية ، ولا تزال حتى يومنا هذا . ولتغيير هذا الواقع ، طرح حكام اسرائيل مسألة تنفيذ مشروع التهويد الصهيونى باسماء مختلفة .. مثل « التطوير » ، و « توزيع الارض » .

ومشروع تهويد الجليل الذى اطلق عليه اسم « مشروع تطوير الجليل » ، يكشف عن نواياه بوضوح فى نصه الذى جاء فيه :

« القضية الخاصة بالجليل هى قلة السكان اليهود بالنسبة لغير اليهود ، الذين يؤلفون ٧٠ بالمئة من مجموع السكان .. وفى اطراف الجليل ، هناك ٤٠ الفا من السكان غير اليهود ، ويقطنون ضواحى حيفا وعكا وطمره وشفاعمرو .. » .

اى ان مشروع التطوير المزعوم كان يهدف الى تحويل اقليم الجليل الجبلى الى منطقة ذات اكثرية يهودية ، وقد تقرر تنفيذ المشروع على مرحلتين : المرحلة القريبة حتى سنة ١٩٨٠ ، والمرحلة التى تعقبها حتى سنة ١٩٩٠ . وفى هذا استمرار للخطة الصهيونية فى التعامل مع العرب ، والتى تقول « ما اصبح فى يدنا هو لنا ، وما لا يزال فى يد العرب ، هو المطلوب ، وهو موضوع التفاوض » .. وهكذا بدأت الحكومة الاسرائيلية زحفها على منطقة الجليل .

مؤامرة على الجليل

فى يوم ١٣ فبراير ١٩٧٦ ، صدر امر الشرطة بمنع دخول السكان الى المنطقة ٩ ، جاء فيه « ان من يدخل الى المنطقة المذكورة ، ولاى غرض كان ، يعرض نفسه لطائلة القانون ، ويحكم حكم من يدخل ثكنة عسكرية دون اذن . » وقد اثار هذا الامر سخط السكان وخاصة الفلاحين الذين احسوا بخطر الاستيلاء على اراضيهم وتهديد لقمة عيشهم ، فتنادى سكان القرى الى رفع العقائر بالاحتجاج الصارخ ، ذلك الاحتجاج

الذى تجسد فى مؤتمر سخنين المنعقد يوم ١٤ فبراير ١٩٧٦ .

والمنطقة رقم ٩ بالجليل ، ارض معظمها زراعية تستغل فى الزراعة ، وهى تزرع باشجار الزيتون والفواكه المختلفة ، وفى اقسام منها تزرع بجميع انواع الحبوب والخضر . ومساحة الارض الزراعية التى تقع ضمن المنطقة التى اغلقت ، ليهددها خطر المصادرة ، تبلغ حوالي ١٧ الف دونم ، وهى اراض مملوكة لاصحابها العرب المقيمين فى هذه المنطقة ، انتقلت اليهم بالوراثة وبموجب شهادات تسجيل اصدرتها دائرة تسجيل الاراضى ضمن دولة اسرائيل .

بعد هذا المؤتمر ، تعالت الاحتجاجات بكافة وسائل الاعلام ، مما اضطر وزارة الدفاع الى دعوة ممثلى السكان من رؤساء واعضاء السلطات المحلية ، وانتهى الامر الى حل وسط ، فجرى تقسيم المنطقة الى قسمين ، قسم يستطيع فيه العرب ممارسة عملهم الزراعى ، ولا تجرى فيه المناورات العسكرية ، على ان ينظف هذا القسم من مخلفات الجيش كالمتفجرات والالغام ، وعلى ان تعطى السلطة للاهالى تصريحا جماعيا لمدة سنة بممارسة الزراعة فيها ، وقسم ثان تجرى فيه المناورات العسكرية ولا يصح الدخول اليه الا بموجب تصريح خاص من الجيش . وعلى كل حال فقد بقيت الارض لاصحابها ، ولم تتم مصادرة اى ارض فى اى من القسمين .

فتح النار على المسالمين العرب

لكن السلطة الاسرائيلية ، سرعان ما بدأت مصادرة الاراضى فى الجليل ، لاقامة مستوطنات يهودية جديدة فى المنطقة ٩ . فدعت لجنة الدفاع عن الاراضى العربية الى اجتماع فى الناصرة يوم ٦ مارس ١٩٧٦ ، حضره رؤساء واعضاء السلطات المحلية بالمنطقة . وفى هذا الاجتماع قرر الموجودون اعلان يوم ٣٠ مارس ١٩٧٦ ، اضرابا عاما للعرب فى اسرائيل ، احتجاجا على سياسة الحكومة باعلان مصادرة اراض عربية فى الجليل .

على الفور تحركت السلطة الاسرائيلية فى محاولة لاستمالة بعض اعضاء المجالس المحلية ، لتحصل منهم بالضغط والتهديد والترغيب على قرار مضاد بمناهضة الاضراب السلمى العام .

وفى يوم ٢٩ مارس ، اى قبل موعد الاضراب



الخوذة والهراوة ـ منطق حكام اسرائيل

بيوم واحد ، توجه مندوبو قرى سخنين وعرابه ودير حنا الى مراكز الشرطة ، طالبين عدم ظهور قوات الشرطة وسط جماهير الاضراب منعا لاى اصطدام محتمل ، باعتباره اضرابا سلميا . ونظرا لان هذه القرى ليست بها اية مؤسسات حكومية ، يخشى عليها من اعتداء المتظاهرين ، مما يبرر وجود قوى الشرطة .

ورغم موافقة المسئولين على هذا الطلب ، فقد تصاعدت الاحداث ابتداء من ذلك اليوم ففى نفس الوقت الذى جرى فيه هذا اللقاء ، دخلت قوات الجيش الى دير حنا وعرابة ، واطلقت النار على الفلاحين العرب فقتلت منهم من قتلت وجرحت من جرحت .

وفى يوم ٣٠ مارس ، وفى الساعات الاولى من الصباح ، والقرى بعد يلفها الهدوء ، قبل ان يستيقظ اهلها من نومهم ، كانت سيارات الشرطة ومن خلفها مجنزرات الجيش تحتل هذه القرى ، وتذيع النداءات الى الاهالى بمنع التجول حتى الساعة العاشرة مساء .

اسطورة الفردوس الاسرائيلى

حصاد ذلك اليوم ، كان سلسلة من الفظائع

والاعتداءات الصارخة على الاهالى العرب ، استخدمت فيها أساليب الارهاب التى تذكرنا بالوسائل التى كان يمارسها النظام النازى .. كانت القسوة الوحشية التى تصرف بها الجيش والشرطة وحتى الاطباء ، كشفا كاملا لأكذوبة الديمقراطية الاسرائيلية ، وتأكيدا على عنصرية النظام والدولة .

استشهد عدد من الفلاحين العرب ، رجال ونساء وصغار ، وتشوه عدد آخر ، وطرد بعد ذلك العمال العرب من وظائفهم ، وتحطمت المنازل وتخربت محتوياتها ، كما اعتقل عدد كبير من اهل المنطقة .. لقد هزت احداث ذلك اليوم الرأى العام الاسرائيلى والعالمى ، وحطمت اسطورة الفردوس الذى يعيش فيه العرب داخل اسرائيل .

ولم تكتف السلطات بهذه المذبحة ، بل راحت تغرق الرأى العام المحلى والعالمى بسلسلة من الاكاذيب .. وكان لابد من التصدى لاكاذيب الدعاية العنصرية ، فقررت اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضى العربية فى اسرائيل ان تصدر « الكتاب الاسود عن يوم الارض » ، تسجل فيه وقائع الجريمة التى ارتكبها حكام اسرائيل ، وتدحض به كذب اجهزة غسل المخ فى اسرائيل .

انطلاقا من هذا الكتاب الاسود ، الذى اصدره العرب داخل اسرائيل ، قررت مؤسسة صامد استيحاء ما جاء به والتعبير عنه سينمائيا ، فكان ذلك الفيلم الوثائقى الذى اخرجه الفنان غالب شعث .

وقد استغل غالب شعث الذكرى الاولى ليوم الارض فى ٣٠ مارس سنة ١٧٩٧ ، ليجمع مادة فيلمية للعمل سيقوم باخراجه . اعتمد على المادة الفيلمية التى وردت عن طريق وكالات الانباء العالمية ، وعلى الافلام التى جرى تصويرها على يد فريق عالمى من المصورين السينمائيين ، دخل الى الجليل بايحاء من مخرج الفيلم ، ليصور الاحتفال الاول بذكرى يوم الارض ، وليسجل فيلميا شهادات من شاركوا وعاصروا الاحداث الدامية التى جرت فى ٣٠ مارس ١٩٧٦ .

يبدأ الفيلم باقوال شمعون بيريز ومناحم بيجن وارييل شارون ، التى تتناقض تناقضا كليا مع ما حدث فى يوم الارض ، ومع كافة اجراءات المصادرة والتهويد التى تجرى حاليا .

يقول شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى فى ١٩٧٦/٢/١٩ « ان عرب اسرائيل يجب ان يعتبروا انفسهم مواطنين اسرائيليين ، وارجو ان يفعلوا ذلك » .

ويقول مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل فى ٧٧/٥/٢٢ « نريد ان نعيش مع العرب بمساواة فى الحقوق .. والسلامة والكرامة الانسانية » .

ويقول ارييل شارون وزير الزراعة الاسرائيلى فى ٧٧/٩/١٢ « نحن جميعا ، كنا دائما نحرص جدا على عدم ايذاء المواطنين المحليين او مصادرة اراضيهم » .

ثم تتتابع احداث وشهادات الفيلم لتؤكد كذب هذه الاقوال . ولتعرض صورة حية لقطائع الحكومة العنصرية التى لم تقبل ان يتمتع العرب داخل اسرائيل باى حق من حقوق المواطن ، واستكثرت على العرب ان يمارسوا الحق الذى يمارسه كل مواطن اسرائيلى بحكم القانون ،حق الاضراب السلمى .

فيلم « يوم الارض » ، عبارة عن وثيقة حية يجب ان يطلع عليها ابناء العالم العربى فى كل مكان ، حتى يتثبتوا من صدق الشعار الذى سبق لنا ان اوردناه والذى جاء فى ختام الفيلم « اذا كان حكام اسرائيل قد فشلوا فى أن يصيغوا سلاما مع نصف مليون عربى يعتبرون مواطنين اسرائيليين ، فكيف ستنجح هذه السياسة فى أن تصيغ سلاما مع الشعوب العربية ؟

المفتاح .. وغالب شعث

ولابد ان نسجل لمؤسسة صامد الفلسطينية فضل انتاج هذا الفيلم . هذه المؤسسة التى بدأت كجمعية لابناء شهداء فلسطين ، ثم تحولت الى نواة ما يمكن ان نسميه القطاع العام الفلسطينى .

وليس هذا هو الانتاج الاول لقسم الانتاج السينمائى بالمؤسسة . فقد سبق ان انتج فيلم « المفتاح » الذى اخرجه ايضا الفنان غالب شعث وشارك به فى مؤتمر الاسكان العالمى الذى نظمته هيئة الامم المتحدة فى فانكوفر بكندا عام ١٩٧٦ . والفيلم يتحدث عن مشاكل الاسكان بالنسبة للشعب الفلسطينى .. وهو من خلال هذا يعرض فقد البيت ، والانتقال الى المخيم ، ثم الطرد من المخيم .. فيلم يتحدث عن محنة اللاجىء الفلسطينى داخل اسرائيل وخارجها .

وقد اشتقت تسمية المفتاح مما حدث عام

١٩٤٨ ، عندما احتفظ النازحون عن بيوتهم فى فلسطين ، بمفاتيح هذه البيوت ، على امل العودة اليها . لهذا يحتل ذلك المفتاح مكانا بارزا فى البيوت او المخيمات التى انتقلوا اليها .

ورغم أن ذلك المؤتمر لم يكن مؤتمرا سياسيا ، فقد نجحت صامد باشتراكها بهذا الفيلم فى ان تطرح على اعضاء ذلك المؤتمر محنة المواطن الفلسطينى ، المتمثلة فى عمليات التشريد المتصل التى يخضع لها . وقد نجح الفيلم فى تحقيق هذه النتيجة عند عرضه فى المهرجانات العالمية للفيلم التسجيلى ، فى مهرجان كراكوف فى بولندا ومهرجان ليبزج فى المانيا ، ومهرجان قرطاج فى تونس ، وفى اسبانيا ، حيث حصل الفيلم فى جميع هذه المهرجانات على الجوائز الفضية .

★ ★ ★

ولا اجد ما اختم به الحديث عن يوم الارض خيرا من قصيدة الشاعر توفيق زياد ، عضو الكنيست الاسرائيلي ، ورئيس بلدية الناصرة ، التى كان لها نصيب الاسد فى الاحداث الدامية ليوم الارض ، والتى يقول فيها :

لانى لا احب الصوف
لانى كل يوم عرضة لاوامر التوقيف ،
وبيتى عرضة لزيارة البوليس
للتفتيش (والتنظيف) ،
لانى عاجز ان اشترى ورقا
ساحفر كل ما القى ،
واحفر كل اسرارى فى ساحة الدار
. . . .
ساحفر رقم كل قسيمة من ارضنا سلبت ،
وموقع قريتى وحدودها ،
وبيوت اهليها التى نسفت ،
واشجارى التى اقتلعت ،
وكل زهيرة برية سحقت ،
. . . .
لكى اذكر . سابقى دائما احفر ،
جميع فصول ماساتى وكل مراحل النكبة ،
من الحبة الى القبة ،
على زيتونة في ساحة الدار . ■■

راجى عنايت
القاهرة

المخرج غالب شعث فى سطور

- من مواليد القدس عام ١٩٣٥
- فى ١٩٤٨ هاجرت العائلة الى غزة
- درس فى مخيمات اللاجئين بغزة حتى نهاية عام ١٩٥٣
- عمل بالسعودية من عام ٥٤ وحتى ١٩٥٧
- سافر الى النمسا عام ١٩٥٧ لدراسة الديكور ، ثم عمل على دراسة الاخراج السينمائى
- بدا نشاطه الفنى بالقاهرة عام ١٩٦٧ كمخرج بالتلفزيون العربى .
- اخرج للتلفزيون تمثيليات سهرة : « التركة » لنجيب محفوظ ، و « رحلة عم مسعود » لمحمود دياب ، و « ضمير امراة » لميخائيل رومان .
- قام باخراج الفيلم السينمائى الروائى «ظلال على الجانب الاخر» والذى انتجته جماعة السينما الجديدة بالاشتراك مع مؤسسة السينما بمصر ، وهو من تاليف محمود دياب ، وسيناريو وحوار واخراج غالب شعث . وقد حظى الفيلم بالجائزة الاولى فى مهرجان كارلوفيفارى .
- فى عام ١٩٧٤ سافر الى بيروت للعمل بالاعلام الموحد بمنظمة تحرير فلسطين ، معارا من التلفزيون العربى بمصر .
- يتولى حاليا الاشراف عن الانتاج السينمائى لمؤسسة صامد الفلسطينية .

الاستراتيجية والسوقية

بقلم : محمد خليفة التونسي

في رسالة من الشارقة (بدولة الامارات العربية) يقول كاتبها السيد عبد الرحمن ابو محمد انه قرأ في مؤلفات اللواء الركن محمود شيت خطاب ، الكاتب العراقي المعروف ، كلمة « الاستراتيجية » مترجمة الى العربية بكلمة « السوقية » ثم يسأل عن معنى « الاستراتيجية » واصلها ، وعن اشتقاق كلمة السوقية هل هي من « السوق » (مكان البيع والشراء) ؟ او من « السوق » طرد الشيء اماما ، او من السوق بمعنى القيادة كما نقول سائق السيارة .

ثم يقول انه يعلم ان الاستراتيجية تستعمل في اكثر من معنى ، فيقال مثلا : « جبل طارق موقع استراتيجي » اي هام او متحكم او مسيطر ، اي يتحكم فيما حوله او يسيطر عليه ، وهذا داخل في الناحية العسكرية دفاعيا او هجوميا ، كما يقال : استراتيجية الحزب الفلاني كذا » بمعنى منهج او خطة ولا علاقة لهذا بالمعنى الاول وتكون ترجمتها هنا بمعنى المنهجية او البرمجة او التخطيط ، ثم يطلب الكاتب الجواب .

والجواب يتضح حين ننظر الى ما تشتمل عليه الدراسات الحربية او العسكرية فهي تنتظم في ثلاثة موضوعات : الاستراتيجية Strategy والتكتيك Tactics وتاريخ المعارك الحربية استراتيجيا وتكتيكيا .

والمعنى الاصلي العام للاستراتيجية اعداد كل ما يلزم للحرب على وفق اهدافها الشاملة ، وتنفيذ خططها حتى تبلغ القوات المحاربة ميدان القتال ، ويراد بالتكتيك تحريك القوات للالتحام بالعدو وخلال التحامها به ، حتى نهاية المعركة » .

والكلمة الانجليزية Strategy التي نعربها بالاستراتيجية ماخوذة عن الفرنسية عن اللاتينية عن اصل اغريقي هو Srategos بمعنى القائد ، وهو مركب من كلمتين Stratos اي جيش ، و Ago اي يقود ، وقد لوحظ فيها ما لوحظ في الكلمة العربية « القائد » لانه في بداية الامر كان يقود جنده ، او يتقدمهم مكانة ومكانا في طريقه الى المعركة ، ثم كان يتقدمهم كذلك احيانا خلالها ليشارك بسلاحه فيها ، وهذا واضح في كثير من معارك الحروب القديمة كمعارك الاسكندر المقدوني وخالد بن الوليد وكثير من قادتنا العرب وغيرهم ، وهو واضح ايضا في بعض المعارك الحديثة ومنها معارك القائد الالماني روميل في شمالي افريقية خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد لقب « ثعلب الصحراء » ، ولم يكن القائد يكتفي بالتدبير والتوجيه خلف خطوط القتال خلال المعركة كما هو الغالب اليوم ، وهو في الحالة الاخيرة اشبه بان يسمى « السائق » لا « القائد » (لو راعينا المعنى اللغوي وحده) وهذا ماذكره شاعرنا البحتري وهو يصف صورة رآها على جدران « ايوان كسرى » حين زاره ، ونظم فيه قصيدته السينية المشهورة ، ومنها هذا البيت :

والمنايا مواثل ، وانوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

(اى يسوق صفوف جيشه للقتال ، وهو قائم تحت لوائه)

ومع ذلك لم يزل اسم « القائد » باقيا حتى اليوم لمن يدبر القوات المحاربة برا او بحرا او جوا ، ايا كان مكانه منها ، خلال القتال او قبله ، حتى حين يزجيها ، اى يسوقها ، لان السوق ــ لغويا ــ هو الحث على السير من وراء .

والاستراتيجية علم وفن ، فهي تشمل تشكيل العمليات الحربية والمهارة في الاعداد لها وادارة القوات في المعسكرات ، وتحريكها الى ميدان القتال لمواجهة الاعداء ، ومعرفة اهدافها املا في بلوغ النصر ، او تجنب الهزيمة واحتمال اقل خسارة ممكنة في الارواح والاسلحة والاقوات ،

والفراغ من القتال في اسرع وقت مستطاع ، وقد تشمل الاستراتيجية اعمالا غير عسكرية ، ولكنها توصف بانها اعمال استراتيجية . مثل التحالف مع قوة ثالثة او التعاهد على عدم الاعتداء ، لتبقى على الحياد خلال الحرب ، او السماح لقوات سواها بالمرور في ارضها ، او استعمال مواضع منها ، او استمداد المؤن منها ، ومثل ذلك حفر الابار في طريق الجيش الى القتال ، او طم آبار لمنع جيش العدو من الماء ، او تعبئة دولة ثالثة قواتها على حدود احدى الدولتين لتهديدها تحقيقا لمصلحة الثانية ، ومثل ذلك الامور التموينية والادارية والطبية ، فليس كل ما يوصف بانه استراتيجي بعد عسكريا ، او يتولاه عسكريون ولكنه على صلة وثيقة بالمعارك لتامين القوات المحاربة قبل القتال او خلاله وترجيح كفتهم على الاعداء .

فاذا قيل « جبل طارق موقع استراتيجي » فليس يكفي في تفسيره انه هام او متحكم فيما حوله او مسيطر عليه وكفى ، ولكنه قد يعني ان تملكه او ضمان حياده يرجح كفة فريق في الحرب على فريق . واذا قيل « ان استراتيجية الحزب الفلاني هي كذا » ـ وهذا المعنى بالضرورة سياسي ـ فمعنى ذلك اهداف الحزب سياسيا وخططه العامة التي تحقق اهدافه الكبرى ، وهذا المعنى قوي الصلة بالمعنى الاصلي العسكري وليس منقطع العلاقة به كما اشار الكاتب ، اذ هو استعمال مجازي علاقته المشابهة بين المجالين العسكري والسياسي ، او هو استعارة كما يقول علماء البلاغة .

ولا تكفي ترجمة الاستراتيجية بكلمة « المنهج » او « الخطة » او « المنهجية » او التخطيط او البرمجة ، وان كان ذلك جزءا من معنى الاستراتيجية ، واما بقية المعنى فتشمل الاهداف الكبرى كما تشمل كل الاعمال التنفيذية للشروع في العمل وضمان سيره او تفوقه في امانة ويسر وسرعة ، قبل مباشرته فعلا .

وقد ترجمت كلمة « الاستراتيجية » بالكلمة العربية « السوقية » ـ بفتح فسكون ـ نسبة الى « السوق » الذي هو مصدر اصلي مثل « السياقة » وفعله « ساق ، يسوق » وكان اول من استعمل هذه الترجمة الاتراك والمصريون قبل القرن العشرين وفي بدايته ، ولا ندري اي الفريقين استعملها أولا ، ولكنا نعلم انها كانت مستعملة عند الفريقين الى ما قبل خمسين سنة ، ثم اهمل استعمالها عند الفريقين ، وقد سمعناها من بعض من ادركناهم من رجال الجيل الماضي الذين تعلموا علومهم العسكرية في المعاهد التركية ، والمصريون اليوم يستعملون « الاستراتيجية » المعربة وهي مصدر صناعي . اما كتاب العراق فهم اكثر استعمالا لكلمة السوقية ، وكان العسكريون بينهم في الجيل الماضي قد تعلموا في المعاهد التركية ، فاخذوا كلمة « السوقية » عن الاتراك ، وهم بها اولى لان الكلمة عربية .

وربما كان مما لوحظ في ترجمة الاستراتيجية بكلمة « السوقية » ، مكان رئيس الجند منهم غالبا في المعارك وقبلها ، فهو من ورائهم يدبر امورهم ويوجههم وهو بعيد عن خط القتال .

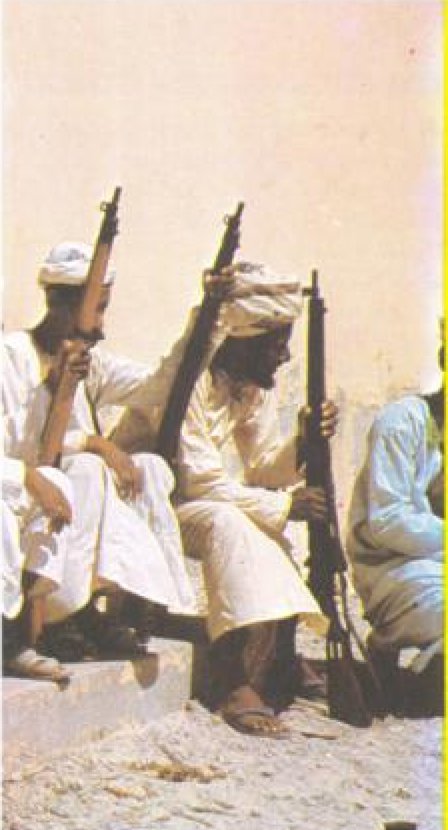
وليست كلمة « السوقية » لغويا بترجمة دقيقة لكلمة « استراتيجية » فيما تدل عليه اصطلاحا ، ولكن يمكن ان يصطلح عليها لتكون بمعناها ، وقديما قالوا « لا مشاحة في الاصطلاح » فالكلمة قد تدل في اصلها اللغوي على شيء ، ثم تستعمل اصطلاحا للدلالة على شيء آخر ، وهذا امر شائع في كل اللغات ، وفي لغتنا مئات الامثلة على هذا النحو في شتى فروع المعرفة .

والكلمة المسيطرة الآن على الالسنة والاقلام هي « استراتيجية » وللكلمات حظوظها من الرواج او الكساد بين الناس ، ونرجح ان كلمة « الاستراتيجية » ستبقى اكثر رواجا ولا باس بذلك فان لغتنا حافلة بالكلمات المعربة في المصطلحات وغيرها ، وقد عربت بعض الكلمات وشاعت بيننا وان كان لها نظير في العربية ، مثل « قسطاس وقسط » ونظيرتها العربية « ميزان » وعدل » بل ان بعض الكلمات المعربة غطت على كثير من الكلمات العربية منذ العصر الجاهلي .

ولا علاقة بين « السوقية » بضم فسكون نسبة الى « السوق » مكان البيع والشراء ، وبين الاستراتيجية

وقد نتصور علاقة بينها وبين التكتيك ، اي حركات الجنود في المعركة وتبادلهم القتال مع العدو ، فهنا تبادل الضرب والطعن والقذف كانه تبادل البيع والشراء ومن هذا ما ينسب لشاعرنا عنترة في وصف احدى وقائعه :

حصاني كان دلال المنايا
فخاض غمارها وشرى وباعا ■■





يوسف محمد .. يبحث عن زوجة بعد ان توفيت زوجته بمرض الحصبة وتركت له طفلين .. ومن فرط اشتياق السكان للعناية الصحية كتبوا اسم « مستشفى كوريا موريا » امام العيادة الطبية الصغيرة ، التي يجلسون تحت ظلال جدرانها معتزين ببنادقهم الجديدة ! .

مشاكل بالجملة من نوع جديد غريب ..
مشاكل نقلناها للمسئولين ، فوصفوا لها الدواء والحل ..
ولمعرفة أبعاد هذه المشاكل والحلول كانت لنا هذه الجولة بين جزر خمس تقبع معزولة نائية انها جزر:



هل تحقق الامنية ويعطاء جنية بدلا من السمكة الملونة ! !



كوريا موريا

استطلاع : سليم زبال تصوير : صلاح آدم



موفيت محمد عمر : شاب في عمر الزهور يبحث عن عروس بلا طائل !

ـ تريد ان نتزوج .. ترجوكم ؟ !

قلنا متعجبين : وما الذى يمنعكم ؟ !

ـ انه قدرنا .. فنحن ابناء كوريا موريا .. لنا قصة قديمة مع النساء ، قصة يعرفها القاصي والداني ؟ !

ورغم الضجيج المزعج للطائرة الحربية التى اعادتنا من كوريا موريا الى صلالة ، ظلت كلمات عوفيت محمد عمر ترن فى اذاننا : « لا يهم ان تكون العروس كبيرة أو صغيرة ، المهم أن ارزقنا باطفال .. حتى لو كانت جنية من البحر انا مستعد ان اتزوجها ؟ !! »

ويكمل « عوفيت » حديثه متألما : « فى كل مرة نلقى بحبل السنارة فى البحر نتمنى ان يعود لنا بامرأة جنية ، ولكن الذى نجده دائما هو سمكة ملونة سمينة .. لقد مللنا هذا السمك الذى نبيع به صباحنا بينما ارتنا تشكو نحطها فى النساء !! »

٦٦ شخصا فوق خمس جزر

ان قصة كوريا موريا قصة شائقة مطولة .. اسمها له جرس رنان يدغدغ العواطف والاحاسيس، رغم انه لا يعني شيئا محددا للكثيرين منا .. بينما هو اسم لخمس جزر عربية عمانية .. اربع منها مهجورة تماما لا يعيش فوقها انسان ، والخامسة الحلانية يسكنها ٦٦ نسمة يتقسمون الى ٤١ رجلا و ٥ نساء : (اثنتان عقيمتان وثلاث منجبات !) الى جانب طالبتين و ١٢ تلميذا و ٦ فتيات تتراوح اعمارهن بين ٨ و ١١ سنة .. وبين سطور هذا الاحصاء تكمن مشكلة كوريا موريا : ٤١ رجلا و ٥ نساء .. اى ان هناك ٣٦ رجلا محرومين من الزواج ، لعدم وجود نساء !

لقد سبق وقدمنا جزر كوريا موريا لقراء العربي (العدد ١٨٥ ابريل ٧٤) واليوم عندما سنحت لنا الفرصة لزيارتها مرة ثانية ، مع البعثة الطبية المتجهة اليها فى الطائرة الحربية الاسبوعية، لم نتردد لحظة واحدة ، كنا فى شوق لمقابلة اصدقائنا هناك ، ومعرفة ما فعله الزمان بهم بعد خمس سنوات من الغياب ..

فوق جبل البخور والبان

ثمانية اشخاص استقلوا الطائرة : ممرضة عمانية ، ومهندس مصلحة مياه ظفار ، وميكانيكى من جراج الحكومة . وثلاثة من ابناء كوريا موريا كانوا فى زيارة الى مدينة صلالة ، قضوا وقتهم متنقلين بين متاجر « الماركيت » اى السوق ، لشراء كل شيء : حليب مجفف .. بطيخ .. بسكويت .. وسائد اسفنج ، صناعة دبى .. خرطوم بلاستيك .. شاى .. كولا .. ملابس ..

كل هذا حملوه معهم فى الطائرة .. فالرحلة مجانية لاهالى كوريا موريا ..

اننا نحلق على ارتفاع منخفض فوق جبل سمحان ، جبل البخور والبان القديم .. الطائرة تنحرف شرقا لتطير فوق مياه زرقاء داكنة ، انه خليج كوريا موريا ..

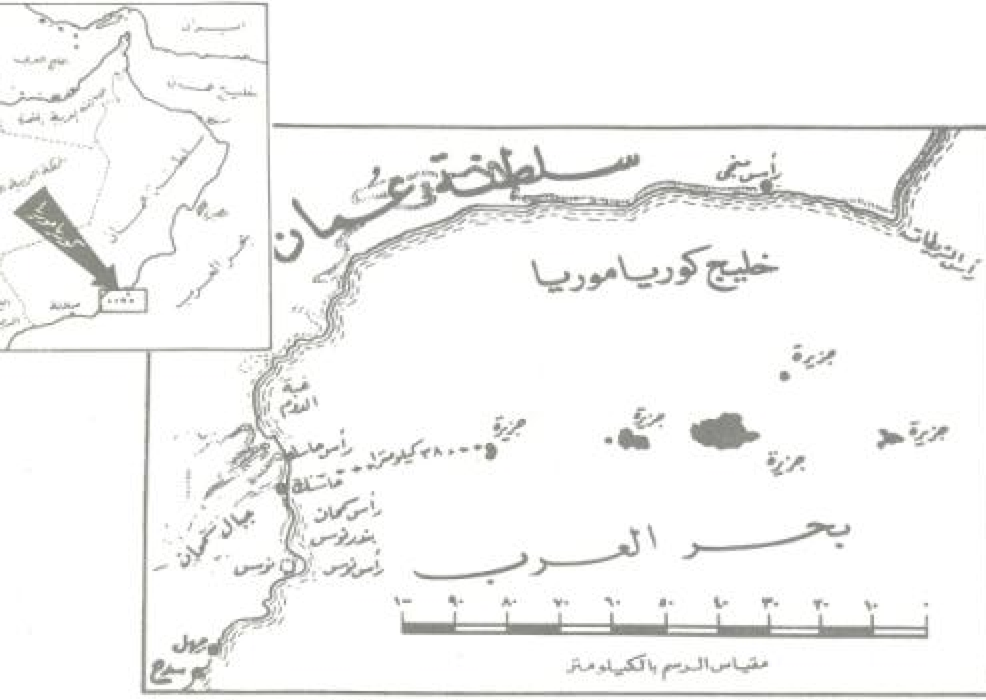
هذه اولى الجزر ظهرت امامنا .. « حاسكية » لا احد يسكنها ، انها تبعد ٣٨ كيلو مترا عن الساحل .. وعلى مسافة ١٤ ميلا منها شاهدنا الجزيرة الثانية « السودا » ذات الشواطىء الرملية الساحرة ، التى تغسلها مياه لازوردية اللون هادئة لا يستحم فيها احد .. انها جزيرة مهجورة حاليا ، بعد ان كانت ماهولة فى بداية هذا القرن ..

حساب فى المطار !

اننا نحلق الآن فوق « الحلانية » اكبر الجزر

سالم ، وعمر ، وعوفيت يشرفون على انزال البضائع المختلفة التى جلبوها معهم من صلالة ، لاهل الجزيرة .





جزر كوريا موريا الخمس .. حاضرها افضل من ماضيها .. ومستقبلها أزهى من حاضرها !

(٢٢ كيلو مترا مربعا) والوحيدة التى بها مياه عذبة وسكان .. الجبال ترتفع مسننة من وسطها لا تترك مكانا فسيحا للشواطىء الرملية التى تتناثر في جيوب متفرقة على الساحل ..

وفوق السهل الوحيد فى الجزيرة ، هبطت طائرتنا الحربية ، وانفتح جدارها الخلفى ، فقفزنا منها الى الارض وسط زوبعة رملية اثارتها محركات الطائرة التى لم تتوقف عن الدوران . وصعد غيرنا الى الطائرة ، التى انطلقت عائدة بهم الى صلالة ، على امل العودة الينا فى وقت لاحق ..

والتف الاهالى حول الركاب يرحبون ويسلمون، وعندما ادركوا اننا بعثة مجلة العربى التى سبق وكتبت عنهم ، بدأوا محاسبتنا حسابا عسيرا محرجا :

صرخ احدهم قائلا : « لقد شوهتم سمعتنا فى استطلاعكم السابق واظهرتمونا وكأننا أشخاص متوحشون محرومون .. »

ورد عليه آخر : « لولا استطلاع العربى » لما عرف المسئولون مشاكلنا ، ولما قدموا لنا كل هذه المعونات والمساعدات التى ننعم بها حاليا .. »

وارتفع صوت يقول : « حتى الحمارة التى نشرتم صورتها وقلتم انها تعيش مأساةفى الجزيرة، لحقها الانصاف ، وانتقلت الى بلدة حاسك بالباخرة .. لقد حلوا مشكلتها .. ولكن العديد من مشاكلنا ما زالت قائمة .. »

الاسمنت بدلا من العظام

وانطلقت بنا سيارة اللاندروفر مع نائب الوالى فى كوريا موريا عبد العزيز محمد عمر ، ودعانا الى منزله المكون منطابقين والمجهز باثاث مريح فاخر ، وهذا ـ فى حد ذاته ـ يعتبر تطورا هائلا .. فخلال زيارتنا السابقة لم يكن فى الجزيرة سوى اكواخ من الصخور ، سقوفها مغطاة بعظام سمك القرش، واعشاب بحرية مجففة !!

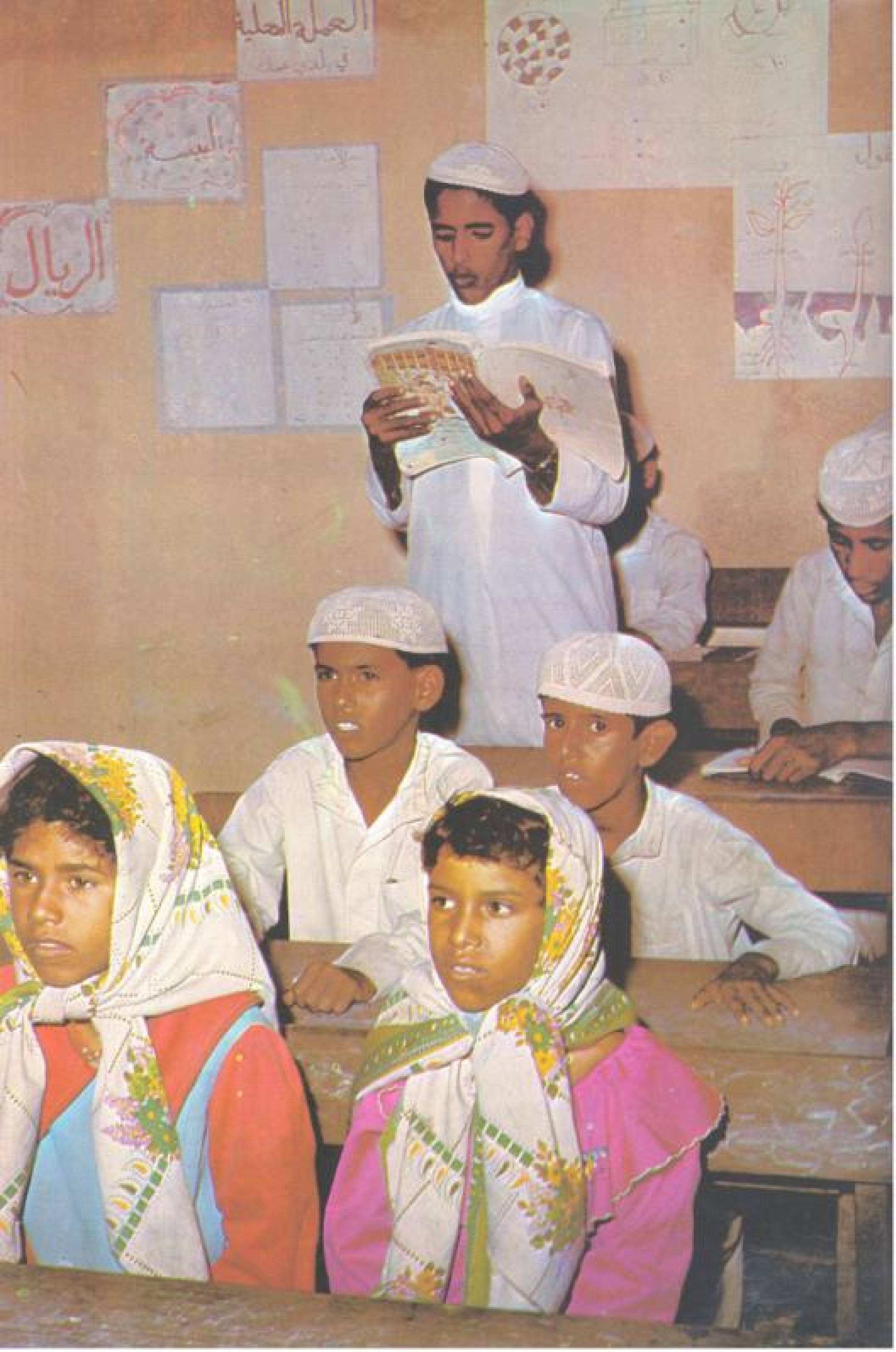
وبين رشفة من عصير البرتقال ، وقضمة من التفاحة التى قدمها لنا نائب الوالى سألناه عن احوال الجزيرة واهلها فقال :

ـ بعد زيارتكم السابقة لجزيرتنا تطورت اوضاعها وتبدلت تبدلا شاملا جذريا .. فقد جاءنا كبار المسئولين ، ودرسوا مشاكلنا على الطبيعة، وامر جلالة السلطان قابوس بان تبنى فى الحال



١٢ طالبا وطفلتين .. يتعلمون العربية لاول مرة في مدرسة كوريا موريا الابتدائية .. ويجيد اهل الجزيرة الحديث باللغة العربية اجادة تامة ولكنهم لا يكتبونها ، ولهجتهم المحلية هي اللغة المهرية القديمة .. انها حياة جديدة لاطفال كوريا موريا يقرأون ويكتبون ويلعبون يوميا الكرة الطائرة بحماس زائد . وعندما تنتهي الدراسة يسير الطلبة الى منازلهم كل طفلة خلفها ستة اولاد !! ومما يذكر ان الاستاذ محمود استاذ المدرسة قد سافر الى الخارج ليعود مع زوجته التي سوف تستقر معه في الجزيرة .




الريال



٥٠ جالونا من المياه لم تعد تكفي يوميا حاجة ٦٦ نسمة ، لهذا جاء المهندس ليدرس امكانية زيادة الكمية الى ١٥٠ جالونا يوميا .. مع احتمال مد قرية الحلانية بقوة كهربائية مقدارها ١٥ كيلوواط ..

مساكن بالطابوق والاسمنت ، فجاءت الباخرة تحمل الاخشاب والاسمنت وتم بناء ٢٤ مسكنا للمواطنين ، من بينها عيادة ومدرسة .. كما تم تعيين ٢٧ من رجال الجزيرة كحراس صرفت لهم البنادق واصبح كل منهم يتقاضى ٥٧ ريالا شهريا .. »

وانهى نائب الوالي كلامه قائلا : « الحمد لله كل شيء متوفر في جزيرتنا .. من كان يصدق انه اصبح بامكاننا السفر من كوريا موريا الى لندن مباشرة عبر صلالة ومسقط ؟ !! »

الحصبة تفتك بالنساء ..

وخرجنا من عند نائب الوالي لنتحدث الى الاهالي ونتجول في « المدينة » التي تضم ٢٤ مسكنا .. ومررنا بجوار مقبرة كبيرة بجوار المنزل لم تكن موجودة من قبل وقالوا لنا :

ـ بعد رحيلكم بسنة جاءنا وباء الحصبة الملعونة .. قضى على كل نسائنا .. فتوفيت ٢٥ امرأة وصبية وثلاثة رجال .. وهكذا انخفض عدد سكان الجزيرة من ٨١ نسمة الى ٦٦ فقط .

.. والسل يصيب ثلث السكان !

واخذونا لزيارة « المستشفى » .. مبنى من غرفتين للفحص المرضي .. ومكتب خاص للطبيب .. وتعجبنا عندما وجدنا هناك طبيبا فرنسيا يعالج ابناء الجزيرة .. سألناه : « ماذا تفعل هنا ؟ »

اجابنا الدكتور فرنسوا بيرون المنتدب للعمل في السلطنة بموجب اتفاقية التعاون الفرنسية العمانية : « مضى على اسبوع في الجزيرة قمت خلاله باجراء مسح طبي شامل للسكان ، كانت نتيجته ان المرض الرئيسي في الجزيرة هو السل : عشر حالات ثبت لي وجودها مؤكدا في الجزيرة .. الى جانب عشر حالات اخرى على الاقل اثبت

محمد سهيل الكثيري .. مرافقنا في رحلتنا،
والخشب ، التي اخذت مكان الاكواخ الحجرية



الفحص ان اصحابها مصابون ، وهؤلاء يجب نقلهم الى مستشفى قابوس بصلالة لاجراء الفحوصات اللازمة هناك .. لمدة يومين .. »

الكى بالنار افضل من البنسلين !

مرض خبيث ينتشر عندما تسوء التغذية ويعم الجهل وينعدم الوعى الصحى .. والغريب ان اهل كوريا موريا يفرحون جدا عند رؤيتهم للطبيب، ويطالبون به بالحاح ، لكنهم فى قرارة نفوسهم لا يعتقدون بفائدة علاجه ، انهم يفضلون عليه « الوسام » الذى لا يعتقد بدوره بفائدة البنسلين وانما يفضل عليه اسلوب كي الجسم بالنار !!

كل فرد فى الجزيرة محروق مرتين على اقل تقدير ، والاطفال تشهد على رؤوسهم علامات كي حديثة .. انهم مقتنعون بانها افضل وسيلة للعلاج !

يضاف الى هذا اسلوب حياة الناس .. يعيشون متقاربين جدا .. طعامهم ارز وسمك وشاى للجميع : الامهات والاطفال الرضع على حد سواء .. الجزيرة كلها ليس فيها الا دجاجتان وديك ، مما يجعل البيض شيئا نادرا .. جميع الاطفال اسنانهم مسوسة لنقص الفيتامينات وسوء التغذية .

٦٦ شخصا و ٥٠ جالون ماء

فى عام ١٩٧٤ وخلال زيارتنا الاولى لهذه الجزر كان الاهالى يشربون من اربع آبار قديمة قرب الساحل عمقها نحو خمسة امتار .. » ولكن عندما استبحر ماء هذه الابار — اى اصبح مالحا مثل ماء البحر — اتجهنا الى بئرين كانتا فى المنطقة الشرقية ، كنا ننقل منهما المياه فى رحلة العذاب على ظهر الحمارة المسكينة .. وعندما زار السلطان قابوس الجزيرة امر بمد خط للانابيب يوصل المياه مباشرة .. ومدوا خطا للانابيب طوله ثلاثة كيلو مترات من الابار الى القرية .. »

ويستهلك الاهالى حوالى ٥٠ جالونا من المياه يوميا .. وفى عام ١٩٧٧ دمر اعصار كبير خط الانابيب فاعيد مده من جديد .. وقد جاء مهندس المياه معنا فى الطائرة ليزيد انتاج الماء الى ١٥٠ جالونا يوميا .. ويدرس امكانية عمل محطة كهربائية لتمد الحلانية بقوة كهربائية تتراوح بين ١٠ و ١٥ كيلو واط .

طاط .. ترو .. ثوثيت !!

واتجهنا لزيارة المدرسة ، وهذا اروع المكاسب التى تحققت لابناء الجزيرة ، وهناك وجدنا فتاتين الى جانب ١٢ طالبا يتعلمون لاول مرة اللغة العربية .. فاللهجة السائدة هناك هى اللغة المهرية المخلوطة بالحميرية القديمة تتخللها كلمات بالعربية ، مثل قولهم : « هون تغاد ! .. اى : اين تذهب ! » وقولهم : « اينيش شوولك ! .. اى : ما اسمك ! » !

اما الارقام من واحد الى عشرة فيقولون :

طاط .. ترو .. ثوثيت .. اربعت .. خومش .. ستيت .. شبعت .. ثمنت .. سعت .. عشرت ..

وهذه اللهجة القديمة هى واحدة من العقبات الرئيسية التى تحول بين ابن الجزيرة والزواج بامراة هندية او اجنبية لن تفهم لهجته .. لهذا نراه يتجه الى مدن الساحل العمانى للزواج من

يطل على المنازل الحديثة المصنوعة من الاسمنت المدعومة بعظام الاسماك فى الحلانية !







مشكلة كوريا موريا الاولى هي في عدد سكانها .. فعدد الذكور ٥٣ شخصا بينما عدد الاناث ١٢ فقط ، ومن هنا

الناس يصطادون من على الشاطىء لعدم وجود قوارب صالحة .. وعند منطقة راس الصار ، بشرق الحلانية ، يلقى الصيادون بخيط السنارة وعندما يسحبونه يجدونه مصبوغا بلون اسود .. هل هي بواكير النفط ؟







ابدا اكبر مشاكل هذه الجزر .. انها حياة اجتماعية غيرمتوازنة ، جعلت السكان يعيشون في اكتئاب وانطواء

عند عودة الطائرة بنا من كوريا موريا استلم الطيار برقية بضرورة النزول حالا في « حاسك » لنقل ميزون سعيد احمد المريضة ومعها اسرتها المرافقة .. وفي مستشفى قابوس بصلالة اجروا لها العلاج اللازم « لحامل تشكو من فقر الدم بسبب سوء التغذية .. »



بنات « حاسك » و « طاقة » .. ولكن في كل مرة يتم فيها الاتفاق ، تظهر في آخر لحظة مشكلة المهور لتقضي على كل الامال .. فالاباء يطالبون بمبالغ بقرب من الفي ريال عماني مهرا لبناتهم ، بينما المهر الرسمي لا يتعدى ..٢ ريال !

ويسقط في يد ابن كوريا موريا ، فيبدأ في بيع كل ما يملك وهو ـ عادة ـ لا يملك شيئا يذكر ، فيحاول الاقتراض ليتزوج ، ولكنه لا يجد من يقرضه ، فيسقط في يده ويعيش في فراغ رهيب ، وتوتر اعصاب دائم .

آكلوا السمك بدون روزن !

ويقولون ان ابن كوريا موريا يفقد اعصابه في حالتين : عند تحدثه عن النساء او عن الاسماك !! فالتوتر يصل الى ذروته وهو يتحدث عن سفن الصيد الكورية التي تقترب من شواطيء جزيرته تجرف اسماكها بكميات هائلة .. « ليس من حقهم الاقتراب من شواطئنا ابدا ، فاتفاقيتهم تبيح لهم الصيد في المياه العميقة فقط ، ويمكننا ان نصيبهم بنيران بنادقنا العادية ، ولكننا لا نفعل ذلك احتراما لحكومتنا .. »

انهم تعساء لانهم ـ وهم آكلو السمك ـ لا يملكون اي مركب ولو خشبي صغير لصيد السمك ، والمركب الوحيد كان يملكه نائب الوالي ، وقد باعه ليستكمل مهر شريكة حياته التي اختارها من مدينة « حاسك » .

وقال لنا احد الصيادين : « وما فائدة القوارب والزوارق اذا لم نجد من يشترى السمك الذى نصطاده .. اننا نعيش معزولين عن العالم ، فيما عدا الطائرة التي تتوقف عن الطيران في وقت الفتوح « الخريف » عندما تهب الانواء ويتوقف « يتعقل » كل شيء ! »

معنى كوريا موريا ؟

ان البواخر والسفن لم تعد تقصد جزر كوريا موريا لعدم وجود ميناء ترسو عليه ، او وجود شيء تنقله منها .. !

وهذا بعكس ما كان في منتصف القرن التاسع عشر ، حيث كانت تتجمع ٥٢ سفينة مرة واحدة في مياه كوريا موريا .. وكانت هذه السفن البريطانية تقصد جزيرتي « حاسكية » و « قبلية » بالذات لتجميع « الجوانو » من فوقهما .. « والجوانو » هو السماد الطبيعي لطيور البحر ، تراكم عبر قرون طويلة فوق هاتين الجزيرتين ، حتى غطاهما بطبقة تراوح سمكها بين قدم وستة اقدام .. وقدروا الكمية التي نقلت الى بريطانيا من هذا السماد بحوالى ..٢ الف طن !

وقبل السفن البريطانية كانت السفن الامريكية والفرنسية تنقل الاف الاطنان من هذا الجوانو ..

ومن اسم هذا السماد الطبيعي عرف اسم كوريا الحالى ، فقد اطلق بعض الجغرافيين العرب اسم خرطان مرطان .. وخريان مريان .. على هذه الجزر ، ومعناها زرق العصافير . ويبدو ان صعوبة نطق حرف الخاء عند الاجانب جعلتهم يحرفون اسم خريان مريان الى كوريا موريا !!

وهذا التعليل الوحيد المقبول لهذا الاسم الذى لا معنى له .. وان كان اسم جزر الحلانيات هو الاسم العربى المفضل حاليا ، والذى يكتب على الخرائط العربية ..

ومما يذكر ان الطيور البحرية عادت ثانية لتستقر في جزيرتي حاسكية وقبلية .. المهجورتين تماما من الانسان ..

مشكلتها في قلة سكانها

لقد قدم سلطان مسقط سعيد بن سلطان ، في عام ١٨٥٤ جزر كوريا موريا هدية الى الملكة



سعد سعيد .. المولود الاخير في الجزيرة .. ان سكان كوريا موريا يتزايدون بمعدل شخص واحد في السنة ! !

فيكتوريا .. « لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها » .. ولكن هذه الهدية الملكية ردت الى اصحابها ثانية عام ١٩٦٦ اى بعد ١١٢ سنة من قبولها .

واصبحت هذه الجزر تتبع حاليا والى ظفار في سلطنة عمان ، وتحولت مشاكلها الى نقطة في بحر المشاكل الذى ورثته سلطنة عمان الحديثة .. ومشاكل هذه الجزر تنحصر في قلة عدد سكانها ، وصعوبة اقامة منشآت ومرافق كاملة لخدمة ٦٦ نسمة فقط ، ورب قائل : لماذا لا تنقل سكان هذه الجزر الى البر الرئيسي وتوطنهم في ارض سلطنة عمان الواسعة فتريح وتستريح ؟

ولو سرنا على هذا المفهوم لفرغت الارض من سكانها الاصليين ، في حين ان استمرار الحياة فوق هذه الجزر امر مهم من الناحية الوطنية ..

حل مشكلة الزواج



ما الذى فعلته وزارتكم لحل مأساة زواج رجال كوريا موريا ؟

سؤال وجهناه الى الى وزير الشئون الاجتماعية « خلفان بن ناصر الوهيبى » ، فاجابنا على الفور قائلا :

ــ كوريا موريا تحظى باهتمام خاص من مجلس الوزراء العمانى ، الذى اتخذ اخيرا « قرارا » يقضي بمساعدة كل راغب زواج من ابناء هذه الجزر .. وتحقيقا لهذا الغرض وضعنا تحت تصرف والى ظفار مبلغا كافيا من المال .. وما على رجال كوريا موريا الا التوجه لمكتب الوالى ليقولوا له : « نريد ان نتزوج ، فنرجو اعطائنا المنحة اللازمة لتقديمها مهرا لعروسنا » .. وسوف تستمر هذه السياسة حتى يتزوج كل رجال الجزيرة الذين يرغبون في الزواج ..

« كما قررنا بناء منازل جديدة في الجزيرة لتقديمها الى كل رجل يعقد زواجه ..

« وهكذا لم يعد امام رجال كوريا موريا اى حجة في عدم الزواج .. ونعتقد انه عندما تستقر العائلات الجديدة في الجزيرة فان هذا سيترتب عليه مولد حياة اجتماعية مقبولة في الجزيرة .. »

وحل مشكله القوارب والصيد



واتجهنا الى مكتب وزير الزراعة والاسماك والنفط والمعادن احمد الشنفرى ، وعرضنا عليه متاعب اهل الجزر وعدم وجود قوارب لديهم ، فتحمس الوزير وقال : « انا اعتقد بالمثل الذى يقول :

« بدلا من ان تساعد شقيقك بسمكة ياكلها يوميا ، عليك ان تعلمه كيف يصطاد السمك بنفسه .. لهذا قررنا تقديم عشرة قوارب صيد معدنية حديثة لأبناء الجزيرة ليعودوا الى احتراف مهنتهم الاصلية وهى صيد الاسماك ..

« كما قررنا اقامة حوض صغير لاستخراج الملح من مياه البحر من اجل تجفيف الاسماك وتمليحها باسلوب حديث في جزيرة الحلانية ، حتى لا تفسد اثناء تخزينها .. وسوف تمر عليهم بصفة منتظمة « الباخرة الام » التى تجمع ما يصطاده الاهالى في الموانىء المجاورة ، لتشترى ما يصطاده اهل كوريا موريا من اسماك ..

« وكذلك سوف نرسل لهم مهندسا زراعيا ، ومهندسا للرى للبحث عن المياه الجوفية ، ودراسة امكانية عمل مزارع صغيرة ملحقة بالمنازل .. »

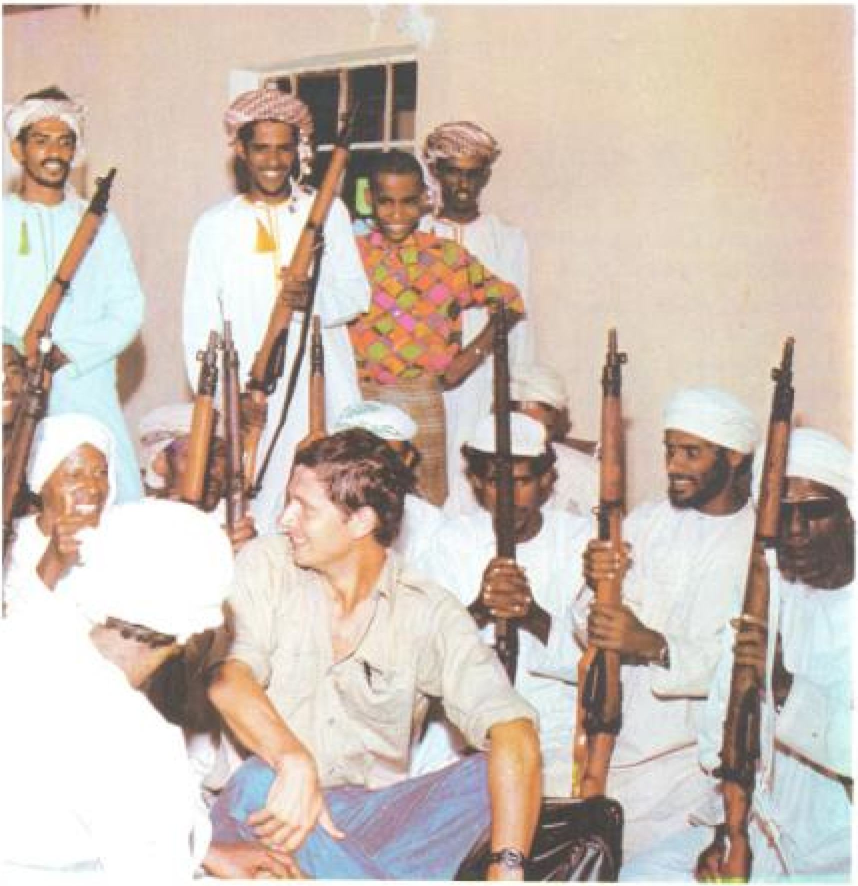
احلام اليقظة

انها صفحة جديدة تفتح في تاريخ كوريا موريا .. اذا تحقق تنفيذ كلام الوزيرين .. وما تبقى يقع على عاتق اهلها ، الذين يمكنهم تحويل جزرهم الى جنات آهلة بالسياح .. الشتاء هنا رائع .. فبينما الثلوج تهطل في اوربا ترى الشمس تسطع في كوريا موريا ، فيستطيع السياح الغوص في اعماق المياه الشفافة ، وصيد الاسماك الملونة بالحربة .. والاستحمام في المياه اللازوردية الخضراء .. والنوم على الرمال تحت اشعة شمس الشتاء الدافئة .. ولا ننسى متعة التنقل بين الجزر باليخوت !!

انها احلام اليقظة لكوريا موريا سنة ٢٠٠٠ ..؟ !

■■

سليم زبال





مرة في الاسبوع تطير فيها الممرضة العمانية سلمى خلفان الرشيد الى جزر كوريا موريا من صلالة لاعطاء الحقن اللازمة لمعالجة امرأتين مصابتين بالسل في الجزيرة .. فالتقاليد لا تسمح للطبيب بفحص الحريم .. ومما يذكر أن مجموع عدد نساء الجزيرة هو خمسة نساء وثمانية فتيات صغيرات ..





حفل وداع اقامه رجال كوريا
ريا تكريما لهذا الطبيب الفرنسي
لذي قضى اسبوعا مرهقا يفحص
يه اهل الجزيرة ويعالجهم ..
حاطوا به يشكرونه بلهجتهم
حلية وقد رفعوا بنادقهم من حوله
حية له .. وقبل مغادرته الجزيرة
جه الدكتور فرانسوا بيرون الى
نزل صديقه ومريضه سعيد مسلم
لذي بعد ان اجرى عملية جراحية
، يومباي شفي من مرض شلل
لاطفال واستطاع ان يسير على
دميه ، ولكن الدكتور فرانسوا
كتشف انه مصاب بداء السل
لذلك ، فبدا معه علاجا مكثفا لمدة
سبوع شفي بعده .. انه يتطلب
بداء طبيا خاصا ليستطيع السير
ون تعب ..



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الحصبة
اعراضها .. ومضاعفاتها

● كثيرا مايصاب اطفالنا بالحصبة . فهل لي أن اعرف اعراضها ومضاعفاتها وطريقة علاجها والوقاية منها ؟؟

ـ لا شك ان الحصبة من اكثر الامراض انتشارا في عالمنا وهي من الامراض المعدية وتصيب الذكور والاناث ، الكبار منهم والصغار غير ان اكثر الاصابات تقع في الاطفال واكثر من نصف الاصابات تدع بمن هم دون الخامسة من العمر ، ويلاحظ انها قليلا ما تصيب الاطفال الرضع الذين تقل اعمارهم عن الثلاثة اشهر وذلك بسبب وجود مناعة مؤقتة لديهم انتقلت لهم من امهاتهم ان كن قد أصبن بالحصبة قبل ولادتهم ، ولكن هذه المناعة تقل تدريجيا وتكاد تنعدم بعد ستة أشهر من الولادة .

والحصبة من الامراض الفيروسية . وان سألتنا ما هو الفيروس قلنا بانه ميكروب دقيق جدا ، سريع الانتشار لا يرى الا بمجهر خاص ودقيق ، يدخل خلايا الجسم ويتكاثر بها مسببا المرض ، وينتشر فيروس الحصبة بواسطة الرذاذ المتطاير من المصاب اثناء العطس والسعال ، فيدخل خلايا الغشاء المبطن للجهاز التنفسي والفم ويتكاثر بها مسببا المرض . وقد ينتقل بواسطة ادوات المريض الملوثة كفوط الوجه وغطاء السرير وادوات الاكل ولعبه .. الخ .

وتنتشر الحصبة في الاماكن المكتظة كالمدارس مثلا في الفترة ما بين شهر اكتوبر وشهر مارس ويكثر انتشارها كل عامين . ومرض الحصبة يبدأ بدور الحضانة ، والحضانة هي المدة التي يكون فيها الفيروس قد دخل الى خلايا الجسم واخذ يتكاثر بها الا أن اعراض المرض لا تظهر أثناء هذه الفترة على المصاب ، ومدة الحضانة في الحصبة تتراوح من عشرة الى اربعة عشر يوما ، وقد تطول في بعض الحالات . واصابة واحدة عادة ما تعطي مناعة دائمة الا في القليل النادر من الحالات . ويكون المصاب قابلا لنشر العدوى من اليوم التاسع او العاشر من تعرضه للاصابة حتى اليوم الخامس بعد ظهور الطفح ، ولذا وجب عزله في هذه المدة منعا لانتشار المرض .

اعراض المرض :

ويمكن تقسيم مرض الحصبة الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى :

وهي مرحلة الحضانة حيث لا تظهر على المريض اية اعراض وان ظهر البعض منها فانها تكون بسيطة جدا غير ملفتة ولا مؤثرة وكما ذكرنا تكون عادة من ١٠ ـ ١٤ يوما

المرحلة الثانية او المرحلة المتقدمة :

وهنا يظهر الاحتقان والاحمرار بالحلق والغشاء المبطن للفم والانف وترتفع حرارة الجسم وتدمع عينا المصاب بكثرة بسبب احتقانهما ولا تستطيعان تحمل الضوء كما تظهر اعراض الزكام

فيسيل الانف ويعطي المصاب وتظهر بقع بيضاء مائلة الى الزرقة محاطة بهالة من الاحمرار بحجم راس الدبوس على الغشاء المقابل لضروس الفك الاسفل وقد تنتشر وقد تنزف في بعض الاحيان وتطلق عليها اسم حبوب «كوبلكس».

وعادة ما تظهر في اليوم الثاني او الثالث من ارتفاع الحرارة وتساعد في تشخيص الحالة قبل ظهور الطفح .

المرحلة الاخيرة :

وهنا يظهر طفح على الجسم ويبدأ بالظهور على الرقبة والوجه وخلف الاذنين عند منبت الشعر ثم يظهر على الاطراف العليا والصدر والظهر ثم الاطراف السفلى وتزداد حرارة المصاب وقد تصل الى ٤٠ م ويستمر هذا الوضع من ثلاثة الى خمسة ايام ثم تهبط الى معدلها الطبيعي ، ويزول الطفح ويتقشر الجلد ويترك الطفح في كثير من الحالات لونا بنيا باهتا بعض الوقت ثم يعود الجلد لحالته الطبيعية بعد عشرة ايام تقريبا .

مضاعفات الحصبة :

ومضاعفات الحصبة كثيرة نذكر منها التهاب الاذن الوسطى والتهاب الجهاز التنفسي وخاصة الالتهاب الرئوى ، والتهاب الجهاز الهضمي حيث يظهر القيء والاسهال وتسوء حالة المريض. والتهاب العينين ، والتهاب الجيوب الانفية ، والتهاب الدماغ والتهاب عضلة القلب وان كان هذا الاخير نادر الحدوث الا انه من المضاعفات الخطيرة جدا وخاصة في السن المبكرة .

الوقاية :

ويمكن الوقاية من المرض او التخفيف من حدة الاصابة باعطاء الطعم الواقي ويعطى حقنة واحدة في العضل في الشهر الثامن من عمر الطفل عادة .

ويمكن ايضا اعطاء حقنة « جماجلوبيولين » في العضل للمخالطين من الاطفال في الاسبوع الاول من المخالطة فتجنبهم المرض لفترة من الزمن ولكن هذه الحقنة لا تعطى مناعة تامة .

العلاج :

وكبقية الامراض الفيروسية لا يوجد علاج مباشر لها ولكن الراحة بالسرير مع العناية بالنظافة عامة وبالعينين والانف والفم والجلد خاصة ومراعاة اعطاء السوائل والاملاح اللازمة للجسم والوقاية من الاصابة بميكروبات اخرى واعطاء مضادات حيوية كالبنسلين مثلا في حالة ظهور المضاعفات تساعد على الشفاء وتقلل كثيرا من المضاعفات .

التدخين

● ما هي الاضرار التي تصيب المدخنين ؟

ـ من الامور الثابتة التي لا شك فيها أن التدخين يؤثر تأثيرا ضارا على الاجهزة الحيوية ، وأولها الجهاز التنفسي (الرئتان والاوعية الهوائية) • الذى يعتبر أول جهاز يستقبل المواد السامة الناتجة عن التدخين ولهذا نجد ان احتمال مرض سرطان الرئة يزيد عند المدخنين بنسبة عشرة اضعاف عنه في غير المدخنين • كما يؤثر التدخين تأثيرا ضارا على الاوعية الدموية • فمن المعروف ان مواد كثيرة تنتج عن التدخين أهمها النيكوتين واول اكسيد الكربون يمتصها الجسم وتنتقل الى الدم •• ويحدث وجودها في الدم ضيقا في الاوعية الدموية نتيجة اثارة الغدة بجانب الكلية ، بسبب افراز هرمون يضيق الاوعية الدموية ويحدث أضرارا في جدار هذه الاوعية بصورة مباشرة مما يؤدى الى ترسب بعض الاملاح والمواد الدهنية على جدار الشريانات الدموية مما يسبب ضيقا وربما اغلاقا لهذه الشريانات مما يقلل قدرتها على تزويد الاجهزة الحيوية بحاجتها من الاكسجين والمواد الغذائية التى تنقل مع الدم •

والمحصلة لكل هذا ، هي

● طبيب الاسرة ●

ظهور اعراض انخفاض الدورة الدموية للقلب والارجل ، مثل احساس المدخن بالم فى الصدر خاصة عند الارساق مما يضطره الى الوقوف والراحة امى ان يزول الالم • والاعراض التى تظهر على الرئتين بصورسعال دائم نتيجه التهاب الاوعية الهوائية وافرازها مواد مخاطية زائدة •

واذا لم تعالج هذه الحالات بازالة المسببات فقد تضيق الاوعية الدمويةوقد تسد ،الامر الذى يؤدى الى تلف عضو او جزء معين ، مثل احد اصابع الرجل واسودادها وضرورة بترها ، او حدوث الجلطة الدمويةالتى تؤثر على عضلات القلب وربما حدوث شللنتيجة عدم تزويد جزء معين من العقل بحاجته من الدم •

والتدخين لا يضر العقل والقلب والرئتين والارجل فحسب بلان كثيرا منالامراض يعود الى التدخين •• وكل شخص أصيب بقرحة المعدة يعرف ان مرضه سيعود ثانية طالما انه لم يقلع نهائيا عن التدخين •

ومنع التدخين اثناء العمل وفى الاماكن العامة ناتج عن الاضرار التى يسببها التدخين ليس على المدخن وحده بل على من رافقه فى الغرفه • فقد اثبتت التحليلات العلمية ان المرافقين للمدخن فى غرفة ما يتناولون حوالى ٣٠٪ من المادة الناتجة فى الهواء • وهذه تسبب اضرارا على الاطفال خاصة اذا كان آباؤهم يدخنان اثناء وجودهم •• كما اثبتت الاحصائيات ان اطفال المدخن اقل ذكاء ومناعة من غيرهم •

ان السيجارة الواحدةتحتوى على ١٠ مج نكوتين وخلال التدخين يمتص الجسم من ١ – ٢ مج وتتضح الصورة اكثر اذا علمتانكمية ٥٠ مج نكوتين كافية لقتل انسان •

د • محمد على خليل

العربى : النكوتين واول اكسيد الكربون هما من اهم المواد الضارة التى تحتوى عليها السجاير• الا ان القطران هو بلا ريب اخطر تلك المواد اطلاقا كما اثبتت الدراسات العلمية العديدة التى اجريت فى السنوات الاخيرة • من ثم كان تصنيف السجاير الى فئات حسب محتويات القطران فيها ، وكانت القوانين والانظمة التى تحظر او لا تشجع صنع السجاير التى يزيد محتواها من القطران عن ١١ – ١٦ مليغرام قطران فى السيجارة الواحدة •

اما حدوث الموت بسبب النكوتين فامر مقرر لا شك فيه ولكننا لا نعلم على اليقين ان كمية ٥٠ مليغراما من النكوتين كافية لقتل الانسان ••

آلام عضلات الرقبة

● عضلات رقبتى تؤلمنى •• فما السبب ياترى ؟

– انالامعضلات الرقبةكثيرة الحدوث وهى عرضة للاصابة بالالتواءات •• وتحدث صيفا او شتاء ففى الشتاء يؤدى البرد الى تقلص هذه العضلات مع شعور بالم شديد وعدم القدرة على تحريك الرقبة وفى الصيف يحدث ذلك بسبب التكييف •

ولعلاكثر الام الرقبةشيوعا يحدث نتيجة تآكل الغضاريف بين الفقرات العنقية مما يسبب ضغطا على الاعصاب الموصلة لعضلات الرقبة مما يسبب تقلصات شديدة والاما عند تحريك الرقبة من جهة الى اخرى فاذا تاثرت الغضاريف بينالفقرات العنقية العليا كان الالم كثيرا خلف الرقبة وربما انتشر هذا الالم الى اعلى نحو الراس مسببا الاما فى الراس •

واذا اصيبت غضاريف الفقرات السفلى ادى ذلك الى شعور المصاب بالام فى الذراع او اليد وذلك حسب الفقرة المصابة وربما انتشر فى اعلى الصدر الم يشبه الى حد ما الم الذبحة الصدرية خصوصا اذا كان فى الناحية اليسرى من الصدر مما يسبب قلقا للمصابين به •• ولكن ازدياد الالم عند تحريك الرقبة واثناء الجلوس يزيل من ذهن المصاب احتمال ان يكون الالم الم ذبحة صدرية •

ويجب على المريض عند الشعور بهذه الاعراض ان يعرض نفسه على طبيب اخصائى •

قصة قصيرة

الكلام

بقلم : عباس أحمد

● بعد ان ودعناه ، ورايناه يقرب على ناقته في الصحراء ، قلنا لانفسنا ، ها هو قد ذهب فليوفقه الله ، وسكتنا ، وبدانا نعاني لكي نتكلم .

وعلى المعدية ـ في عودتنا الى القرية ، لم يستطع عم سعفان ، وهو يغرس عصاته الطويلة في النهر ، ان يقول شيئا مضحكا ، كما هو معتاد منه دائما . ولكن انبعث صوت من بيننا هو صوت المنياوي ـ وهو فتى صغير ويشتغل صيادا ـ بدا حزينا باكيا . قال :

ـ لقد «ضلمت» المياه .

وضحكنا بين اكتافنا في تحفظ ذلك ان الفيضان كان ما يزال في عنفوانه ، ومياه النهر تتاخم جسور القرية . واعتبرنا ان الشاب يشير لذهاب سلمان بطريقته الخاصة . وكان الفتى في حزن حقيقي على غياب سلمان ، وكان معروفا انه يحب ابنته وهيبة ـ وحاول قبل سفر سلمان ان يعقد قرانه عليها ـ ولكن سلمان رفض : وقال اولا ينضج الحب .. وتنضجون . وعاد المنياوي بصوته مرة اخرى .

ـ ان كانت المياه قد «ضلمت» فليرحمنا الله .

وقالت زوجة سلمان ، وكانت تجلس وسط رهط من النسوة كانهن كتلة واحدة من السواد .

ـ انت تعدد يا منياوى . ان لم يكن عندك شيء تقوله فاسكت .

وساد الصمت،ولكن تهامس الناس فيما بينهم.

لايفيد المنياوى ـ انه يشبه غيبة سلمان عنا ، بان المياه قد ضلمت . الا تتركه المراة يحزن قليلا على غيبته . وبعض الجالسين بقرب المنياوى زغده وقال :

ـ منياوى اصح .

قالت المراة وفي صوتها قسوة غريبة .

ـ لم يكن سلمان نفسه يريد ان تنعوه .

ووقف المنياوى وسط المعدية .

ـ سلمان قال ، وانتم جميعا تعرفون غياب الاحباب يفرى الكبد . وسلمان الم يكن حبيبا يا رجال برمنت ؟

ودب في المعدية حماس غريب .

قام رجل وصاح :

ـ احذروا ان الكلام يذبل ـ قبل الزرع .

الكلام لابد فيه من الابداع ـ بدون الابداع يذبل الكلام ويموت .

وصاح آخر .

ـ ابداع الكلام هو فتحة على الحركة وبالحركة، والحركة بركة . ولكن زوجة سلمان هبت واقفة وهي تصرخ .

والله البهائم يارجال البلد ، تفكر احسن منكم.

وبهت الجميع لاهانة المراة ـ وصرنا ننظر اليها

وهي تنزل الشال عن رأسها ٠٠ وتنقل عيونها علينا واحدا واحدا ٠

ـ سلمان لا يريد أن تنعوه ٠٠ ولا تقدسوه ٠ لما قال الكلام زرع ٠٠ قصده تزرعوا في الارض ما كان قصده تقفوا كلكم وتعيدوا كلامه بنظامه وتمامه ٠

سلمان قال وانتم عارفين ـ لما تذبل الحركة يذبل الكلام ويموت ٠

وضحك عم سعفان المعداوي ٠

ـ كلنا نريد أن نقول شيئا آخر ، ولا نعرف ها ها ها ٠ واستطاع أن يوصلنا الى الشط ـ وقد أخذنا الى حد ما في جو من مرحه الصاخب ولكن زوجة سلمان ، وهي ترص الالواح الخشبية الى الجسر وأمامها ابنتها وهيبة ٠٠ قالت بصوت عال ، أرادت به أن تسمع كل الاخرين ٠

ـ امش يا وهيبة ـ واياك أن تكوني اعتبرت ٠٠ ورأيت المنياوي على حقيقته ٠

وارتقينا الالواح الخشبية ، وتفرقنا في دروب القرية ٠ ونحن جميعا نحمل شعورا باليأس ٠ فلقد استطاعت زوجة سلمان بشخصيتها الطاغية ٠٠ أن تسقطنا في تأمل لا جدوى منه بالاضافة الى أن كراهيتها الشديدة للمنياوي ، والتي ظهرت فجأة ـ بعد أن ودعنا سلمان ـ جعلنا نأخذ كلامها بحذر ، لا بحماس ، ولا يوازع على الحركة، ولا بهدف السعادة ، ولا من أجل أي شيء ٠ هي قريتنا معروفة دونا عن كل القرى التي على بحر يوسف بأنها تعنى عناية خاصة بنفسها وهذا هو الذي جعلها على طوال التاريخ ، لا تعرف القتل ، ولا تعرف الاقطاع ٠ وعلى الرغم من فقرنا الشديد، فانه بيننا رجال كثيرون كالانبياء ٠ وعندنا مثلا أكثر من ثلاثين شاعرا ـ ونحن تعدادنا كله لا يعدو الفين ٠ وعلى الرغم من أننا فلاحون ٠٠ وصيادون ٠٠ وبين هؤلاء وأولئك طبائع متناقضة فاننا لم نتعارك مرة واحدة في حياتنا ٠ وكان سلمان في الحقيقة هو الذي يتعهد هذه الروح ٠ هو الذي أبدع السامر في قريتنا وجعله أعلى شيء في حياتنا وفي السامر على النيل الساري وسط القرية ـ تخرج الابداعات والافراح والرقص والغناء والشعر ٠ وكنا نغمر نقيع القمح والارز ـ ونشربه في ليالي الحصاد القمرية ويقوم سلمان بنفسه بقيادة لعبة الشعر ٠ يقف بعمامته وجلبابه الابيض الفضفاض ، وبسمته الممزوج بكل القرية ٠٠ ثم يطوف على من يكون قد قبل الدخول في اللعبة ٠٠ يقول :

ـ طار طار

ويرد الرجل

ـ في الدوار

ويقول سلمان

ـ عينه كبيرة

ويشير الى الثاني فيرد

ـ نطق شرار

ويقول سلمان متسائلا

ـ على شرار الحب ؟

ويشير الى الثالث فيرد

ـ شرار النار

ويقول سلمان ضاحكا ومتسائلا أيضا

ـ النار النار ؟

ويشير الى الرابع ويأخذه في حضنه فيرد

ـ النار أسرار ٠

فيسأله وهو يواجهه

ـ إه ٠ سر النار ؟

ـ نور الانوار

ـ نور الابرار ؟

ـ نور الشطار ٠

ويرقص المجتمعون على الكلام ـ وقد حوله سلمان الى غناء ٠ ثم يضحكون ويتحابون ٠ وفي هذه الليالي ، في العموم كانت كل أمور الحب في قريتنا تنكشف ٠٠ والبنات يقمن ويوزعن أعواد النعناع على الحاضرين ٠٠ وتتألق الجماعة وتزهو رائحتها ٠

وفي نفس هذه الليلة ـ حينما اجتمعنا على النيل الساري وسط القرية ٠ قام المنياوي ونحن صامتون ٠٠ واستأذننا في أن يتحدث الينا فأذنا له قال :



– أنتم ساكتون لانكم ليس عندكم اعلا مما قاله سلمان .. ولكن اقول لكم .. ان لم يكن عندكم اعلا مما قاله سلمان فعليكم السلام .

وصاح أحد الحاضرين

– قل انت يا فالح شيئا اعلا

وانتفض المنياوى واقفا ، وقال

– اقول على شرط أن تعطونى ما كنتم تعطونه لسلمان من الانتباه والحب .

قال أحد الحاضرين

– ما كان سلمان يطلب منا الانتباه أو الحب ولكنه بمجرد أن يتكلم ياخذهما .

وقال المنياوى صارخا :

– انتم تقفلون الطريق . أنتم تريدون الموت . لعنة الله عليكم .

وقفز من المجلس ، وهرب في دروب القرية – وقام اثنان من الشبان يجريان وراءه .

قال أحد الحاضرين الملتفين حول عصيهم .

– لا حول ولا قوة الا بالله . عقل المنياوى فلت منه .

وانتفض الجمع . وكان عم سعفان صاحب المعدية قد شرب كثيرا من خمر الارز . فاستوقفنا عند السفح واخذ يصيح .

– ماذا جرى للناس يا رجالة . والله الواحد ياخذ الطريق المفتوح ، ويخلص. يظهر أن الارتخاء شاع بيننا . كل واحد اذن يعرف خلاصه . لو الواحد اصبح وتزوج ثانية ، فله عذره يا عم لا شيء أكثر مما هو موجود فاستقبله . انت وحدك ، تلقى نفسك ، وليس أكثر من نفسك يعيش معها في توافق ورضا . كل واحد يعيش في نفسه . أنا من هنا ورايح .. أعمل على كيفى . المعدية سارفع سعرها من بكره .

وقال احد القرويين بصوت غليظ .

– يا عم سعفان روق .. روق .. انت مالك ، كانت ركبك الشيطان مرة واحدة . ولكننا بعد ذلك تفرقنا في صمت . وتغلب علينا الوجوم .

– وكانت زوجة سلمان تفكر في حزن شبق «راح حبيبي» وفي اجتماعنا المعتاد على النيل لم تستطع أن تحتمل حالة الوجوم التي سيطرت على الناس. وظلت وهي في الصف الاخير – مع بضع نساء

اخريات تغلي بالكلام المهموس . اقول لهم . انهم لا يعرفون . سلمان لا يعرف هذه الحالة . لو كبس عليه الصمت . قام وعمل شيئا . لماذا لا يتكلمون ولا يعملون شيئا . سلمان كانت رجولته عارمة يمد يده . يمشي . يقوم ويجمع البيض من تحت اجنحة الدجاج يتمدد على الجسر. ويجد شجرة غليظة ويقول كانها أرداف امرأة . يركع على يده ورجليه حين يريد الوصال .

وضحكت احدى النساء . وهمست .

– قولى لهم . لماذا تقولى لنا هذا الكلام ؟

وسمعها الرجال ، فاشمازوا . وقال احدهم

– قال سلمان انه ذهب وسيغيب عشر سنوات ثم يعود . هكذا لا تستطيع النساء انتظار الرجال.

قال آخر .

– سيذهب بعد الحج الى الهند . وفكر الجمع. الا يعود . ان مخاطر الطريق كثيرة ولكن فليحققه انله . من يدرى ماذا قد يلحق به . وقد كان واضحا في خطته أن يخرج من مكة وياخذ طريق الشام ويزور المسجد الاقصى ثم يعود مع التجار الى الهند . وفكر الجميع . وقال سلمان .

– ان هذا هو في صالح جميع الناس . يجب ان يخرج واحد منا على الاقل ويطوف بالعالم لكى يرى ويرجع ويقول لكم . اذا لم يرجع فقد كان ضحية واجبه . يجب ان يخرج منكم من بعدى. من لا بد أن يطوف العالم ويرجع اليكم ويخبركم عما رآه . ومع ذلك فما عندكم يحتاج كذلك لاستكشاف وبعد هذه الليلة بدأت الحركة تموت في القرية .

ثلاثة من السواقي تعطلت ، ولم يكلف احد نفسه باصلاحها واصبحت المعدية تشتغل يوما ولا تشتغل الاخر ثم تعطلت تماما فقد تزوج عم سعفان فتاة في سن بناته .

ثم أغلق على نفسه باب داره ولم يشا أن يدع احدا يلقاه ..

وحينما ذهب اليه بعض الرجال ، وأصروا على ان يقابلوه خرج اليهم بسرواله واخذ يصيح .

– ماذا تريدون منى . هل أنا اعمل عندكم . انا عندى ما يكفيني بقية الحياة .هل انتم شركائى ماذا تريدون منى . هاانذا اقول لكم انني لن أعمل على المعدية بعد الآن . خذوا – هذه هي مفاتيح

الاقفال خذوها . وشغلوها . هل لكم عندى شىء بعد الان ؟

وقال الذى التقط المفاتيح ..

ـ لا يا عم سعفان . تكرم على كل حال .

ودخل عم سعفان وصفق الباب ولم يلبثوا قبل ان يبتعدوا عن داره أن سمعوا الطبل والناى يستانف فى داخلها .

وكان المنياوى يحوم حولدار سلمان عند الزريبة . همس عند فتحة فى الجدار .

ـ وهيبة

وخرجت له ابنة سلمان واجفة

ـ ماذا تعمل هنا الآن ؟

ـ تعالى نمش على الجسر .

ـ فى هذا الوقت . انت مجنون ؟

ـ هذا الوقت فقط هو انسب الاوقات . لأحد على الجسر .

ـ اذهب واخز الشيطان .

ـ لايجب ان أخزى الشيطان الليلة .

وجذبها من يدها واحتضنها ـ وهى تتمنع فى صمت .

وسارا فى انظلام .

قالت وهيبة .

ـ ابى عاق الكلام والظلام عافاه .

وكانت وهيبة لا تزيد على سبع عشرة سنة . تتعمد بين ان وآخران تضرب خلاخيلها . وهى تنظر فى وجه المنياوى الذى يتقلب فى الشجرفيرعب كانه ـ يرى مترصدين .

ـ مالك يامنياوى . انت خائف ؟

قال المنياوى وقد راح يسيطر على خوفه بصعوبة كبيرة .

ـ ابدا انا فقط افكر فى قول سلمان لى قبل ان يرحل بعشرة ايام .. اذا سيطر الخوف على الحب يامنياوى . ازهق انفاسه ويموت الحب .

ولمست وهيبة وجه منياوى برقة .

ـ تعال نفكر فى حاجة ثانية .

واندستا بين حقول الذرة العالية ـ وقبعاهناك احدهما فى مقابل الاخر . وكان كل الوله الذى دفعه نحو وهيبة ـ يكاد يكون الان اسنا . كان يحاول جهد طاقته ان يفكر معها فى شىء آخر .. ولكنه دائما يجد نفسه محصورا .

قالت وهيبة وهى تقترب منه ـ وتمد ساقها بجانب ساقه .

ـ الم تر هذا الخلخال يامنياوى . جاءتنى به أمى البارحة .. انظر ومدت الى الخلخال يدها وشدت ثوبها قليلا وأخذ الخلخال الفضى يضوى .

قال المنياوى باقتضاب .

ـ مبروك .

وانتظرت وهيبة .

واردف بعد لحظة .

ـ سلمان قال حاجة عن الفضة .

اجابت وهيبة وهى تضحك .

ـ قال اذا شغلتم الفضة وهى تضوى على الساق . فلا ياخذكم انبهار الفضة عن جمال الساق ثم اعلنت صوتها وهى ترق ـ وتاخذه فى حضنها

ـ ايه يابنى . الدنيا بخير . وكانت هى نفسها طفلة . ولكنها كبيرة وعاقلة . ومع ان احضانها كانت دافئة ، ومع ان دقات قلبها كانت تخفق بشدة ، ومع انها كانت تحنو عليه كطفل .. الا انه ظل بعيدا ، ومحصورا فى الكلام .

ايه ان انت اصبت ، فهو خير ، وان لم تصب فهو خير مؤجل ، لك او لمن بعدك . اذا لمست ولم تستشعر شيئا فلابد انك مرهق وحاول ان تنام . والطريق يجب ان يرتفع ولكن ارتفاعه قرب النهاية فلابد ان يجلله حكمة البداية . وبعض الناس اخذوا اكثر مما يمكن اخذه وما يمكن أخذه يتحدد بمقدار ما ننمو ومانعدل . ولو ضحكت عاليا فى السرادق ادرك أهل الميت انك صغير لاتعرف التقاليد ومن ثم يطردونك من جمعهم . حينما تخرج من الجمع صعب عليك ان تعود اليه . الوحدة وقوف على مشارف الهلاك . اطرق الباب قبل ان تدخل . افتح كلامك على الحركة وبالحركة . افتح كلامك . افتح . وقامت .

ـ هيا نعد .

ـ وقام المنياوى يمشى وراءها حاسر الرأس .. وفى نفسه يدور الكلام .

ـ طرق الطريق طارق .

ـ قالت بدهشة .

ـ ماذا تقول ؟

قال

ـ ابدا لاشىء

■■

عباس أحمد

حوار القراء

« طه حسين والشعر الجاهلي »

● كتب الاستاذ سعيد الافغاني في عدد يناير سنة ١٩٧٧ من مجلة العربي كلمة بعنوان « انصافا لطه حسين » اشار فيها الى ان طه حسين رجع عن رايه في الشعر الجاهلي ، فلم يعد لديه منحولا ، وانه من لم يعد مصدرا لدراسة الحياة العربية في العصر الجاهلي. وعقبت على ما ذهب اليه الاستاذ الافغاني في عدد مايو سنة ١٩٧٨ وذكرت ان العميد لم يرجع عن رايه في هذا الموضوع وان دراسة عصر ما قبل الاسلام لا سبيل اليها عن طريق الشعر الجاهلي وان القرآن الكريم هو المصدر الصحيح لدراسة هذا العصر ، بيد ان الاستاذ الافغاني في حوار القراء في عدد اكتوبر ٧٨ حاول ان يؤكد ان العميد رجع عن رايه، وان الواجب يفرض عليه ان يصحح ما وقعت فيه من خطا وفاء للتاريخ واقرارا للحقيقة ..

والحقيقة ان الحجة التي اعتمد عليها الاستاذ سعيد وهو العالم المدقق المحقق – لا تعد دليلا مقنعا في موضوع خطير اثار جدلا حاميا بين المفكرين والباحثين، فهذه الحجة رواية نقلها عن الدكتور الحوفي ، وهذا رواها عن المرحوم الاستاذ ابراهيم مصطفى الذي قال انه سمع من العميد سنة ١٩٥٠ انه رجع عن رايه في الشعر الجاهلي ، وان العميد صرح بهذا بعد ان اهديت اليه مؤلفات تصور الحياة العربية من خلال الشعر الجاهلي ، وان الاستاذ مصطفى طلب من العميد ان يعلن رجوعه عن رايه فابتسم وقال : لا لا لا . !

هذه الرواية – ولا مطعن في صحتها – يتخذها الاستاذ الافغاني حجته في رجوع العميد عن رايه ، وعلل رفضه لاعلان رجوعه بانه كان يامل الاعلان عنه بعد تراخي الزمن ونفاد الطبعة رحمة بالناشر! وكان العميد بهذا التعليل يخاف شيئا ما يحول بينه وبين ان يجهر بما انتهى اليه في قضية الشعر الجاهلي، وما كان العميد في القضايا العلمية وغيرها يعرف الخوف او الغمغمة ، وانما كان يعرف الشجاعة والصراحة والوضوح .

لقد رافقت العميد في العقد الاخير من عمره وقرات له كثيرا من المؤلفات العربية القديمة والمعاصرة وجاء ذكر الشعر الجاهلي اكثر من مرة،

الصراع العربي الاسرائيلي

● الصراع العربي الاسرائيلي وصل الان مفترق الطرق والصهيونية كما يبدو على وشك ان تقطف ثمار عدوانها ومخططاتها .. ومجلة العربي لسان كل عربي أجدر بان توضح لنا الاساليب الصهيونية والكيفية التي نتمكن معها نحن العرب من افشال هذه الاساليب والمخططات وحرمان اسرائيل من قطف ثمار بغيها ، وذلك عبر طريق المقالات والقصص والمعلومات التي تنير امامنا الطريق .

هشام محمد أسعد
عمان – الاردن

اقتراح

● تمثل مجلة العربي مائدة حافلة بالوان من المعرفة ولكن ينقصها لون واحد وهو « الزراعة » فالزراعة اصبحت – علما وفنا. فلماذا لا يتضمن العربي مقالات عن الزراعة خصوصا وان للزراعة في العالم العربي القدح المعلى .

صديق أحمد الصفاوي
الموصل – العراق

فما سمعت منه الا شكه فى هذا الشعر وطعنه فى صحته . وقد قال لى يوما : انه لا يعيد النظر فى مؤلفاته عند اعادة طبعتها غير انه اضاف الى هذا : ان هناك كتابا واحدا اريد ان اغير فيه بعض الاراء وهو «مستقبل الثقافة فى مصر» ، فقد انتشر التعليم واصبح مجانا فى جميع مراحله كما قويت الصلات العلمية والادبية بين البلاد العربية على الرغم من الخلافات بين بعض حكامها ، وهذا يعنى ان كتاب « فى الادب الجاهلى » لا رجوع عما اشتمل عليه من آراء .

وبعد فان موقف طه حسين من الشعر الجاهلى لايمكن الجزم بانه عدل عنه اعتمادا على كلمة قالها فى مناسبة اهداء بعض المؤلفات اليه ، ثم يلزم الصمت اكثر من عشرين عاما دون ان يكتب عن رايه الجديد ، ولذا اكرر ما اومات اليه آنفا من ان العميد لم يرجع عن رايه فى الشعر الجاهلى .
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الدكتور محمد الدسوقى
طرابلس الغرب

دعوة المسلمين

● قام بعض المسلمين بمشروع لانشاء مسجد فى مدينة كولونيا الاتحادية وهذا المشروع يهدف الى تدعيم العمل الاسلامى والدعوة الى دين الله تعالى فى احدى مدن اوربا الغربية ، ولتمكين المسلمين هناك من اداء واجبهم الدينى ولمواجهة التيارات المسمومة والمبادىء الهدامة . والمركز الاسلامى يمد يده الى اخوانه المسلمين كي يمدوه بالمساعدة المادية لانجاز هذا المشروع الجليل فمن اراد التبرع فعليه الاتصال بالعنوان التالى
Al-Fatih Moschee ,
Florastrasse Nr. 33 - 35 ,
5000 Cologne/W.Germany .
والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .
محمد أحمد رسول
من لجنة الامانة العامة لمشروع بناء مسجد كولونيا

واعروبتاه

● عالج المحرر فى كلمته الموجهة للقارىء فى العدد ٢٣٩ مشكلة الشباب العربى الذى يذهب الى امريكا للدراسة بسبب قلة الجامعات العربية القادرة على استيعاب الشباب الباحث عن مقاعد له فى هذه الجامعات .. ولا اغالى اذا قلت ان المحرر اصاب كبد المشكلة ، والقصة التى حدثت لى تؤكد المعنى الذى ذهب اليه المحرر فى كلمته ، وقصتى تتلخص فى الآتى :

انا طالب فلسطينى انهيت الدراسة الثانوية فى بلد عربى احجم عن ذكر اسمه وحصلت على مجموع هو ٨٦٫٥ ولم استطع ان اجد لى مقعدا فى جامعته ، وكررت المحاولة فى بلد عربى آخر وكان الفشل حليفى .

فلم يعد امامى الا ان اطرق ابواب الجامعات الاجنبية وفعلا ارسلت طلبا لجامعة امريكية ولم يمض اكثر من اسبوعين حتى جاءنى الرد بالقبول .. فتمال معى نقل سويا (واعروبتاه) .

ناظم محمد البلعاوى

حوار القراء

مراكز لتعليم اللغة العربية

● اقترح ان تتولى مجلتكم الدعوة لفتح مراكز نموذجية لتعليم اللغة العربية فى معظم عواصم العالم وحيثما توجد الضرورة لذلك باعتبارها لغة القرآن يحتاجها كل مسلم وغيره على أن تقوم الدول العربية بتمويل وترتيب واعداد ذلك ، وتساعدها الدول الاسلامية بالقبول والموافقة ما امكن .

عمر صالح جبارى
أبو ظبى

ترجمة القرآن الكريم

● يقول الدكتورمحمد احمدخلف الله بان ترجمة القرآن الكريم الى لغات مختلفةاصبحت واجبا دينيا ما دمنا نعمد الى نشر الاسلام وان الانتظار حتى يتعلم الناس لغة القرآن هو الامر الذىيعارضسنة القرآن الكريم العملية ومضمون آياته "القرآنية ،ويستند فى ذلك الى انالقرآن الكريم قد ترجم الى العربيةما هو غير عربى من النصوص التى اوردها لكن القرآنالكريمقد نزل بالفاظ واساليبعربية يقول الله تعالى :« انا جعلناهقرآنا عربيا » وعلى هذا فان ترجمة القرآن الكريم الىغيراللغة العربية لا تسمى قرآنا ولا تثبت لها احكامه . فلاتصح الصلاة بها ولا تكون دليلا ومصدرا للاحكام . وقد اجمع العلماء على ان العاجز عن النطق بالعربية يصلى ساكتامستحضرا معنىالعبادة والطاعة والمناجاة ، ويسقط عنه ركنالقراءة حتى يقدر عليها كما يصلى العاجز عن القيام قاعداحتى يقدر على القيام .

ويرى الامام الشاطبى انترجمة القرآن الكريم بمعانيه البلاغية تعد فى حكم المستحيللان احتمال الخطا منالمفسرين والمترجمين قائم وموجود لذلكفبدلا من ان نترجم القرآن الكريم يجب ان ننشر اللغةالعربية لغة القرآن حتىينتشر الاسلام ويسود .

السيد محمد علام
كلية الحقوق ــ جامعة المنصورة

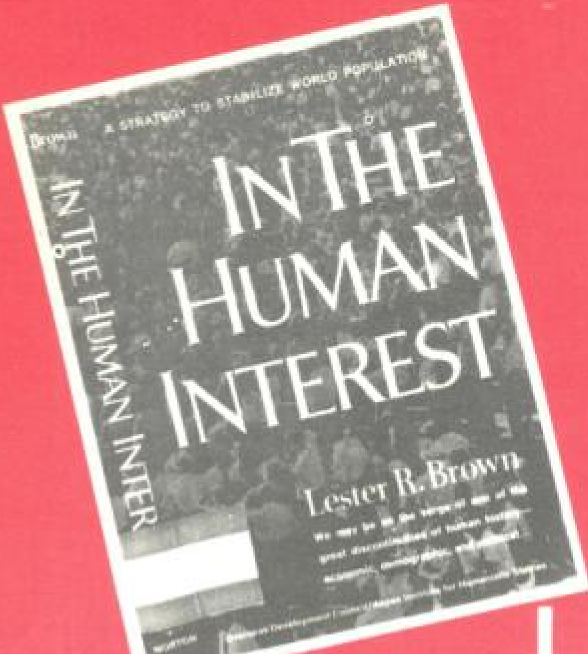
وما ادراك ما الافكار

● حقا ان الخطر يهددنا فى عمليات التصديروالاستيراد على حد سواء، تصدير الاموال والبترول ، تصدير الخبرات والعقول ، اما الاستيراد فهو منتشر فى بلادنا على اوسع نطاق ليقضىعلىالخناق الفكرى المزعوم على الرغم من تكهن الدكتور فؤاد زكريا ان اعداء هذا الفكرهم المنتصرون الا ان الواقع غير مايعتقده الدكتور وعلى الرغم من ان الجماهير المؤمنة واحساسها بايمانها هو الذى يجعلها تبتعد عن الفكر المستورد الا ان هذا الفكر يدخل الى بيوتنا وفى عقولنا ومشاعرنا من كل حدب وصوب، وهو منتشر ايضا بين الاثرياء الذين ينقلون الى بيوتهم احدث مااخترعه العقلالاوروبى فى اسواق الاوروبيين انفسهم لذا كانت الصدمة للجماهير الجائعة المحرومة من ابسط وسائل العيش ، من هنا كان « القرف » الذى احسته هذه الجماهير التى تعانى مرارة الحياة وشظف العيش لان التصدير قد بدد اموالها لتبعثر على قدمى حسناء، بينما هذه الجماهير تنام تحت الخيام وتبحث عن لقمتها فى صناديق القمامة .

ومما لاشك فيه ان استيراد الافكار اشد ضررا وضراوة من استيراد اى سلعة اخرى لان شخصية الامة تتبدى من خلال الفكرة التى تؤمن بها وتدافع عنها والواقع ان السيل من الكماليات ما هو الا جزء من حضارة مادية بحتة بل هو نتاج تلك الحضارة التىتحللالحرام وتحرم الحلال فى سبيل الربح والكسب الفاحش .

أحمد الغوص
دمشق

كتاب جديد



من أجل مستقبل البشرية...

لن ينقذنا من كارثة محققة إلا تثبيت عدد سُكان العالم

تاليف : لستر • ر • براون   عرض وتحليل : ياسر الفهد

لقد تحولت سوق السلع والخدمات لصالح البائع بدلا من المستهلك . وانتقل بعض النفوذ السياسي من الدول التي تسيطر على رؤوس الاموال والتكنولوجيا الى الدول المنتجة للغذاء والطاقة والمعادن ... وكل ذلك حدث ليس بسبب التفجر السكاني فحسب وانما ايضا نتيجة للترف والافراط في الاستهلاك الفردي .

لقد دبجت الكثير من المقالات والف العديد من الكتب حول مشكلة التفجر السكاني ، الا ان الكتاب الذي بين ايدينا والصادر حديثا في الولايات المتحدة (١٩٠ صفحة قطع كبير) يعالج هذه المعضلة من منطلقات جديدة وضمن اطار واسع جدا يتعدى الجانب الديموغرافي وهو يكتسب اهميته من كون مؤلفه لستر براون علما وثقة من الثقات الدوليين في حقل الغذاء ومرجعا في قضايا الديموغرافيا كما له القدح المعلى في كثير من ميادين الزراعة والاقتصاد والعلوم والادارة . وهو يبذل جهده ويكرس معظم وقته لدراسة المشكلات التي تثقل كاهل الجنس البشري وقد سبق لبراون ان الف كتبا اخرى : الانسان والارض والغذاء (١٩٦٣) بذور التغيير (١٩٧٠) عالم بدون حدود (١٩٧٢) فضلا عن المقالات الاقتصادية الكثيرة التي نشرها في صحف ومجلات امريكية عديدة بوصفه زميلا لمجلس « التطوير لما وراء البحار » . وقد جاء الكتاب الحالي الذي يحاول ان يفتح اقفال المستقبل الديموغرافي ثمرة للتعاون بين هذا المجلس « ومعهد اسبن للدراسات الانسانية »

ويقوم هذا المعهد منذ عدة سنوات بتقصي العلاقات المتبادلة بين البيئة والطاقة والسكان والموارد الطبيعية وتاثيرها في الصراع السياسي ـ الاجتماعي وفي القيم الانسانية .

واذا قلبنا صفحات كتاب (من اجل صالح البشرية) وتملينا من افكاره نجد ان الكاتب قد وفى مشكلة التفجر السكاني حقها من المناقشة واشبعها استقصاء وبحثا كما نجح في رسم ملامح استراتيجية ديموغرافية هامة لاقالة البشرية من العثرات الحالية التي تجثم على كاهلها ويرجع الكثير منها ليس الى تكاثر سكان العالم فحسب وانما ايضا الى التبذير والاسراف في الاستهلاك الفردي .

ويحدد المؤلف هدفا جديدا لاستراتيجيته السكانية فهو يرى ان الاكتفاء بانقاص معدل النمو السكاني بات الان هدفا عتيقا عفى عليه الزمان وغيبه المنطق الديموغرافي السليم ،وان الحاجة تدعو الى استبداله بهدف جديد يتجلى بتثبيت عدد سكان كوكبنا الارضي تثبيتا نهائيا عند رقم معين . وهذا الرقم قابل للاخذ والرد والمناقشة .

وتشير التقديرات الحالية الى ان عدد سكان العالم سيصل في نهاية القرن الواحد والعشرين الى عشرة بلايين نسمة . ولكن مما يزيد الطين بلة ان معدل الاستهلاك الفردي للغذاء والسلع اخذ بالقفز بنسبة تفوق نسبة تكاثر السكان !

ويتساءل براون عن حال عالمنا بعد ان يزيد عدد سكانه على ضعف العدد الحالي ، وعندما يحيا الناس المقيمون فيه حياة تتسم بالبذخ والاسراف في الاستهلاك اسرافا لم يسبق له مثيل في التاريخ البشري

لا شك ان الحاجة تدعو حتى تستطيع هذه البلايين من البشر ان تعيش في كوكب لا قبل له باحتمالهم من الوجهة الاقتصادية الى احداث تغييرات جذرية عميقة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة . ولكن هل ننتظر حتى يطفح كوكبنا بالسكان وتغمره البلايين من الافواه الجديدة ؟ ! يعتقد براون ان من الضروري أن نتحرك الان تحركا أساسيا حتى نطوق ذيول الأزمة القادمة ونتجنب الطوفان البشري العارم قبل وقوعه وذلك بان نعمل على تثبيت عدد سكان العالم عند رقم يقل عن عشرة بلايين بكثير (ستة بلايين مثلا) وعلى تغيير طرز حياتنا الحالية وتحديد استهلاكنا والكف عن التبذير الذي لا مبرر له .

ولكن ... لماذا ندق نواقيس الخطر ؟ ! لان احداث عام ١٩٧٢ التي تضافرت فيها ازمتا الطاقة والغذاء على زعزعة أركان حياة الملايين من البشر تمثل نذيرا واضحا بان حضارة الانسان كما نعرفها اليوم لابد أن تئن وتتداعى تحت وطأة عالم يقطنه عشرة بلايين نسمة يستهلك الواحد منهم اكثر بكثير مما يستهلكه اليوم . ان العقد الحالي هو احرج العقود بالنسبة للتاريخ البشري لان سرعة التكاثر السكاني والنمو الاقتصادي المستنزف لاحتياطي الموارد الارضية قد وصلا الى ذروتهما بحلول عام ١٩٧٥ .



لستر ٠ ر ٠ براون المؤلف

ويتوقع براون ان تاخذ هذه السرعة بالتباطؤ فى نهاية القرن الحالي وبخاصة فى العقد الاخير منه وذلك خلافا لتنبؤات الدوائر الاقتصادية والديموغرافية فى الامم المتحدة .

لماذا التحرك ؟

يدعو المؤلف فى كتابه جميع دول العالم الى التحرك قبل فوات الأوان على الصعيدين القومي والعالمى واتباع نهج جديد مستحدث لتثبيت عدد سكان الارض ففى هذا العالم المترابط الذي يشد بعضه أزر بعض وتؤثر فيه الواحدة من الدول فى الاخرى نجد ان اى زيادة سكانية فى اى بلد اينما كان موقعه انما يمتد تاثيرها وعواقبها فى المدى البعيد الى سائر بقاع العالم . فكل وافد جديد يشكل عبئا على موارد الارض وكثيرا ما يتحرك هذا العبء فى اتجاهين فالسكان الجدد يحتاجون الى مزيد من الغذاء والطاقة واراضى السكن ومن جهة اخرى فان انتاج المزيد من الغذاء بحد ذاته يستلزم المزيد من الطاقة لتشغيل معامل الغذاء وكذلك المزيد من الارض للزراعة .

وهكذا فان ما تطلبه الزيادة السكانية من عبء على الطاقة والاراضى على سبيل المثال هو عبء مزدوج .

وفى الماضى لم يكن لاضافة شخص جديد الى سكان العالم سوى نتائج طفيفة . فقد كانت الموارد تفوق حاجات الانسان وتوافر السلع يتجاوز حجم الطلب مما ادى الى خفض الاسعار وجعل السوق فى صالح المستهلك . كانت الاراضى ترتقب الحرث واخشاب الغابات تنتظر القطع والمياه ووقود الطاقة الوفيرة تتطلع الى من يستهلكها .

ولكن فجاة تغير كل شيء !

فالاعتقاد باننا كافراد نستطيع ان نستهلك ما نشاء من الغذاء والماء والطاقة والمواد الاخرى كامر مفروغ منه اصبح مشكوكا فيه الان ، والافتراض بالوفرة اللا متناهية للمواد الخام حل محله توقع النقص المزمن فى كثير من المواد الضرورية كما تحولت السوق العالمية للطاقة والبروتين والسلع والخدمات لصالح البائع على حساب الشاري ... حتى ان مسالة كيفية توزيع الموارد بين الدول يمكن ان تسيطر على الشؤون الدولية فى السنوات القادمة .

ويطلق المؤلف سهام التشكيك على تنبؤات الامم المتحدة الخاصة بالانتاج الاقتصادى خلال العقود القادمة . فقد تضاعف هذا الانتاج ثلاث مرات خلال الربع الثالث من هذا القرن اى فيما بين ١٩٥٠ – ١٩٧٥ فارتفعت قيمته من (١) تريليون دولار عام ١٩٥٠ الى (٣) تريليون دولار فى النصف الاول من العقد الحالى . وتذهب تقديرات الامم المتحدة الى أن الامور ستسير على المنوال نفسه وتعيد سيرتها الاولى خلال الفترة التي تنتهي بحلول عام ٢٠٠٠ فيتضاعف الانتاج الاقتصادى العالمى ثلاث مرات اخرى وتصل قيمته الى (٩) تريليون دولار .

تقديرات مشكوك فيها

اما براون فيتوقع رقما يقل عن ذلك بكثير ويعزى السبب الى الضغوط البيئية وندرة الموارد . والشكوك نفسها تنطبق على تقديرات الامم المتحدة القائلة بان عدد سكان العالم سيصل بحلول نهاية هذا القرن الى ٦٫٥ بليون نسمة وان هذا الرقم سيصل الى ٩ أو ١٠ بلايين نسمة قبل ان يصبح بالامكان تثبيته .

ويعارض براون هذه التنبؤات لانه يعتقد ان الذى صاغها هم المختصون الديموغرافيون وحدهم وهم يتعاملون عادة مع المسائل السكانية بصورة مستقلة عن الاوضاع الاقتصادية والبيئيةوامكانية توافر الموارد الاساسية كالغذاء والماء والطاقة . وهو يرى ان الظروف التى نجد انفسنا فى خضمها تستلزم منا توسيع الاطار الذى ندرس ضمنه التوقعات المقبلة الخاصة بالسكان بحيث علينا ان ندخل عناصر اخرى اقتصاديةوايكولوغية وانتاجية جنبا الى جنب معالعناصر الديموغرافية، نظرا لما لها من تأثير فى حوافز انجاب الاطفال . ومع توغلنا فى سبر اغوار محتويات كتاب (من اجل صالح البشرية) نجد المؤلف يفيض ويسهب فى شرح تلك العناصر :

فبالنسبة للطاقة نحن نعلم أن وقودها فىتناقص مستمر وربما يصبح على درجة كبيرة من الندرة وارتفاع الثمن بدءا من عام ١٩٨٠ وحتى عام ٢٠٠٠ ولكن التوقعات الخاصة بما هو ابعد من ذلك قاتمة ويكتنفها الشك أو انها اقل يقينية وان كان من المتفق عليه بصورة عامة ان العودة الى وفرة الطاقة ورخصهالايمكن أنتتم الا بحدوث قفزة تطورية فىاستثمار الطاقةالنوويةوالشمسية. وبما ان اسعار الطاقة تتجه نحو الصعود فان السلع والخدمات التى تعتمد عليها يتوقع ايضا ان ترتفع اسعارها بطبيعة الحال .

وبخصوص الغذاء فقد كانت الفترة الممتدة بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥ فترة عصيبة فالطلب العالمى على الغذاء تصاعد بصورة لم يسبق لها مثيل بسبب تكاثر السكان منجهة والافراط فىالاستهلاك الفردى من جهة أخرى ، فتمخض ذلك عن انخفاض احتياطى الغذاء العالمى . وتأثر لهذا السبب الوضع الغذائى للطبقات ذات الدخل المنخفض فى جميع انحاء العالم والتى اصبحت ترزح تحت وطأة ارتفاع اسعار المواد الغذائية وبخاصة القمح والرز وفول الصويا ارتفاعا تجاوز كل التوقعات .

اما السمك فقد ارتفع معدل مصيده فيما بين ١٩٥٠ ـ ١٩٧٠ بسرعة ثم اخذ فى الانكماش بشكل ثابت منذ بداية السبعينات . واذا لم يقيض لهذا المعدل العودة الى الارتفاع فان أزمةالبروتين العالمى ستؤول الى التفاقم .

وبالنسبة لاحتياطى الغابات فانه يسير حثيثا نحو التناقص بسبب تعرض اشجار الغابات واخشابها للقطعواستعمال اراضيها لاهدافاخرى كالاسكان ومن جهة ثانية فان الطلب على الخشب من اجل اوراق الصحف والوقود وبيوت السكن بات يتجاوز قدرة الغابات على التجديد .

واذا تقصينا امر السلع والخدمات يتبين لنا ان الطلب العالمى عليها قد ازداد بنسبة ٤ ٪ سنويا بسبب تكاثر السكان وارتفاع الاستهلاك الفردي . وهناك جدل طويل دارت رحاه فى الاوساط الاقتصادية والديموغرافية حول اى العاملين (تكاثر السكان ام ارتفاع الاستهلاك الفردي) اكثر مسؤولية عن الضغوط الايكولوجية ونقص الموارد . ويرى براون ان النقاش المحتدم عقيم ومضلل لانه لا يرمي الى القاء الضوء على المشكلة ذاتها وبيان وجه الصحة والخطأ فيها وانما يهدف الى تبرير مواقف الدول الغنية او الدول الفقيرة والقاء اللوم على هذا الطرف او تبرئة ذاك الجانب . والحقيقة كما يراها المؤلف ان المسؤولية تقع على عاتق العاملين بدرجة متساوية .

حدود النمو الاقتصادى

يعتقد براون كغيره من الاقتصاديين أن الارض لا تستطيع أن تحتمل نموا اقتصاديا متزايدا . وهو يرى أن احدى المصاعب التى تعترضسبيل التقييم الصحيح لمدى قدرة الارض على تحمل الاستنزاف المستمر لمواردها هو ان كثيرا من الاقتصاديين يعتقدون ان الايكولوغيا هي فرع من فروع شجرة علم الاقتصاد مع ان العكس اكثر صحة وقربا من الواقع ، فالبناء الاقتصادى الذى شاده الانسان يستند كلية الى موارد الارض الطبيعيةوالعمليات الايكولوغية ،والنشاط الاقتصادي الذي يقوم عليه وجود البشر يتوقف على قدرة الارض على انتاج الغذاء وامتصاص النفايات وتوفير الماء الطازج والسمك وتوليد اوراق الغابات واخشابها وتأمين وقود الطاقة والمواد الخام والفلزات المعدنية ... الخ .

اما الصعوبة الثانية التى تقف حجر عثرة فى طريق تقدير مدى توافر الموارد فى المستقبل فتتجلى فى ان حساب الحاجة الى هذه الموارد يتم عادة على صعيد قومى محلى ، وقد بات من الضرورى الان سد هذه الثغرة وبذل جهود منظمة من اجل تقدير الحاجات القومية الى الموارد فى كل بلد على حدة ثم ربطها بالموارد المتوافرة فى جميع انحاء العالم اي لابد من اقامة جسر بين الحاجات والموارد المحلية من جهة والعالمية من جهة اخرى .

ومن نتائج اهمال تحليل العلاقة بين توافر السلع والخدمات والمواد المختلفة وبين الطلب عليها فى المدى القريب والبعيد تحليلا يستند على اساس عالمي واسع لا محلى ما شهدناه من حوادث نقص فى هذه السلعة او تلك دون انذار مسبق خلال السنوات الاخيرة كما حدث بالنسبة للبن وحب الهال والصنوبر .

واهتمام براون بموضوع حدود موارد الارض ليس جديدا فقد برز منذ السبعينات اهتمام كبير بهذه الناحية وصدرت كتب ودراسات كثيرة بصددها ومن اهمها كتاب « حدود النمو » من تاليف دونيللا . هـ . ميدور الذي صدر فى نيويورك عام ۱۹۷۲ وعالج العديد من المشكلات المتصلة بالنمو الديموغرافى والاقتصادى .ولكن هذا الكتاب على الرغم من الدوي الكبير الذي احدثه حين صدوره خلق انطباعا لدى القراء بأن النقص الخطير فى الموارد لن يقع قبل اوائل القرن الواحد والعشرين . ولكن ما ان مضت سنةواحدة على صدوره حتى كشرت ازمتا الطاقة والغذاء عن انيابهما واختفت الاسماك من مساحات مائية كبيرة ومالت ثروات الغابات نحو التقلص والانكماش وجفت المياه فى الكثير من الابارفاخذت الملايين من الناس تكتوي بناء غلاء الاسعاروتجتر متاعب النقص فى البترول والغذاء والسلع المختلفة ! .

ويعترف المؤلف ان ذلك كله قد اسفر عن نتيجة هامة فيما ان سوق السلع قد تحول لصالح البائع على حساب الشاري فان قدرا من النفوذ السياسى اخذ ينتقل من الدول التى تسيطر على الرساميل والتكنولوجيا الى الدول التى تملك الطاقة والمواد الخام والغذاء والمعادن النادرة !

وهذه النتيجة ذات دلالة هامة بالنسبة للدول العربية التي تملك احتياطيا ضخما من المواد البترولية والغذائية والمعدنية ، فاذا احسنت استخدام هذه الثروات فانها ستكسب سلاحا سياسياهاما يمكنها من فرض ارادتها .

ان جميع المشكلات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والسياسية التي تواجهها البشرية اليوم مثل التضخم والتلوث وازدياد البطالة فى المناطق الريفية وما يستتبعها من نزوح السكان من الارياف الى المدن غير المهياة لاستيعابهم بالاضافة الى مشكلات نقص الطاقة والغذاء التى عرض لها الكتاب بالتفصيل سوف تزداد جميعها سوءا اذا استمر التفجر السكانى بمعدلاته الحالية .

وحينما يلقى براون الاضواء على المشكلاتالتى سبق واشرنا اليها ، فانه لا يهدف من وراء ذلك الى توضيح آثار التكاثر السكاني وعواقبه فحسب وانما يرمى ايضا الى الاشارة الى الاثار النفسية التى تخلفها هذه المشكلات فى الازواج وتتجلى فى اضعاف حوافز الانجاب عندهم . فالتفجرالسكانى الذى هو سيف مسلط على رقبة البشرية ان هو فى الاصل الا نتيجة لمئات ملايين القرارات الفردية التى يتخذها الازواج فى جميع انحاء العالم. وكلنا يدرك النتائج المترتبة على زيادة ٣ ٪ فى عدد سكان العالم وما يستتبعها من الحاجة الى مزيد من الغذاء والماء والاسكان والتعليم والخدمات الاخرى . ولكن من مايعرف أن هذه النسبة الضئيلة ظاهريا تعنى فى الحقيقة زيادة سكانية عالية بمقدار تسعة عشر ضعفا خلال قرن واحد منالزمان ؟ ! ! ليس الازواج وحدهم تعوزهم معرفة هذه الحقيقة وما تنطوى عليه من تعقيدات وعواقب بالنسبة لمستقبل الجنس البشرى وانما ايضا كثير من الزعماء السياسيين الذين يعد اسهامهم فى حل المشكلة السكانية امرا اساسيا .

نحو تثبيت عدد السكان

على الرغم من ان كتاب (فى صالح البشرية)

قد اسهم كثيرا في توضيح صورة التفجر السكاني والمشكلات المتصلة به الا ان اهم جزء فيه يتعلق بالاساليب التي يقترحها المؤلف ليس فقط لوقف نمو السكان وانما ايضا لتثبيت عدد سكان العالم بصورة نهائية وحاسمة . وتحقيق هذا الهدف يقتضي في رايه العمل على عدة جبهات :

اولا ـ توسيع خدمات التخطيط العائلي : فهناك اليوم عدد كبير من السكان لا يفيدون من هذه الخدمات اما لانها غير متوافرة او لانهاباهظة التكاليف . وبالنسبة للدول المتقدمة فانالمشكلة لا تكمن فيتامين الموارد الكافية لتوفير هذهالخدمات لكل من يحتاجها ، وانما ايضا في ان السياسات والاولويات الداخلية في هذه البلدان موجهة نحو اهداف اخرى . ففي الولايات المتحدة مثلا وهي اكثر دول العالم تقدما ، لم يبدا المواطنون على اختلاف مشاربهم وتفاوت مستوياتهم الاقتصادية وتباين مناطق اقامتهم بالافادة من مثل هذه الخدمات الا بدءا من عام ١٩٧٠ . بعد ان تم اقرار قانون خدمات التخطيط العائلي والابحاث السكانية . اما في الدول النامية فان توافرهذه الخدمات لغالبية الناس هو حالة استثنائية اكثر منه قاعدة . وتقدر تقارير الامم المتحدة انه اذا امكن توفير خدمات التخطيط العائليلكل من يحتاجها في هذه الدول وتهيات الاستجابات المناسبة عند الازواج فان معدل ازدياد المواليد سيهبط بنسبة ٩/١٢ .

ومن الناحية المالية تشير التقديرات الى ان مبلغ ٢ بليون دولار يكفي لسد الثغرة وتوفير هذه الخدمات لجميع العائلات التي لم تتوافر لها حتى الان . الا انه تبقى هناك بعض العقبات التنظيمية والسياسية .

ثانيا ـ يقترح براون ان تعمد الدول الىالغاء الضرائب الجمركية وقيود الاستيراد المفروضة على العقاقير المضادة للحمل حتى يمكن توفيرها باقل الاسعار في المرحلة الاولى ثم توزيعها ، في مرحلة لاحقة ، بصورة مجانية من قبل الدولة على كل من يطلبها .

اما بالنسبة للاجهاض فان المؤلف يدعو الى اباحته وتعديل التشريعات التي تمنعمزاولته . وهناك تقديرات بان (٤٠) مليون عملية اجهاض غير شرعي تجرى في العالم كل سنة ! ولولا ذلك لكان مقدار الزيادة السنوية في عدد سكان العالم (١١٠) ملايين نسمة بدلا من (٧٠) مليونا . ويدعو براون الى سن تشريعات جديدة في الدول النامية لاباحة الاجهاض . وقد تحقق ذلك فعلا في بعض الدول المتقدمة ابتداء من عام ١٩٧٠، مثل الولايات المتحدة واليابان والاتحاد السوفياتي والصين والهند حيث اصبح الاجهاض مسموحا به في الاشهر الاولى من الحمل .

(ونحن نرى ان التوسع في استعمال مضادات الحمل افضل من اباحة الاجهاض نظرا لان الاجهاض يتنافى مع القيم الدينية والروحية للانسان . واذا كانت بعض دول العالم قد حللته فان للعرب والمسلمين قيمهم الخاصة بهم .)

ثالثا ـ تلبية الحاجات الاجتماعية الاساسية : لقد ثبت ان تلبية بعض حاجات الافراد الملحة في المناطق الفقيرة التي ترزح تحت اوزار التاخر الاقتصادي والاجتماعي تقود بطريقة غير مباشرة الى خفض معدل المواليد .

ويذكر براون من هذه الحاجات :

ا ـ تعلم القراءة والكتابة فالمتعلمون وحدهم دونالاميين يمكن ان يتقبلوا فكرة التخطيطالعائلي ويدركوا نتائجها وابعادها المفيدة . وتقدر دوائر الامم المتحدة بان مبلغ (٦ر١) بليون دولارسنويا ولمدة خمس سنوات يكفي لتحقيق هدف محو الامية في البلدان النامية .

ب ـ الحصول على الغذاء الكافي

فالغذاء هو اهم حاجة من حاجات الانسان وقد اثبتت الاحصاءات ان الدول التي تشكو من نقص الغذاء يرتفع فيها معدل الولادات الجديدة وذلك بسبب ارتفاع معدل الوفيات من الاطفال مما يؤدي الى خوف الازواج على اطفالهم والرغبة في انجاب المزيد منهم . ومن جهة اخرى فان توافر الغذاء الكافي يشكل ضمانا نسبيا لحياة الاطفال مما يضعف حاجة الابوين الى اطفال جدد .

وهكذا فان اى جهد يبذل للقضاء على سوء التغذية من شأنه أن يسهم في تثبيت عدد السكان . وبما أن اى زيادة سكانية في اى مكان تؤثر نتائجها في العالم اجمع فان براون يخلص الى أن من صالح الدول الغنية نفسها ان تساعد الدول الفقيرة على حل مشكلاتها الغذائية مما يشكل عاملا مساعدا على وقف تكاثر السكان بصورة عامة .

ج ـ تحسين الخدمات الصحية وتعميم مراكز الامومة والعناية بصحة الاطفال . وهذا العامل له تأثير العامل الغذائي نفسه . فحاجات الاطفال الصحية شأنها شأن الحاجات الغذائية تؤدى تلبيتها الى تهدئة مخاوف الاباء من احتمال وفاة اطفالهم في سن مبكرة وبالتالي الى اضعاف رغبتهم في انجاب المزيد من الاطفال للتعويض عن الاطفال الذين يحتمل أن يتخطفهم الموت .

رابعا ـ تشجيع الادوار الجديدة للنساء في المجتمع : فالتوسع في خلق الوظائف الاجتماعية والاقتصادية للمرأة يشجعها على التوجه نحو المجتمع اكثر من توجهها نحو الانجاب . ان النساء في جميع انحاء العالم يسعين اليوم الى المساواة بالرجل في مجال الحصول على الحقوق السياسية والاجتماعية والفرص الاقتصادية وهذا ما يجعل ادوارهن الوظيفية والاجتماعية خارج المنزل اهم من ادوارهن التقليدية في المنزل .

خامسا ـ الاهتمام بموضوع الحوافز الاقتصادية والاجتماعية التى تؤثر في مواقف الازواج تجاه حجم العائلة . فهناك كثير من الاقطار ، وان كانت تتبنى هدف تخفيف معدل المواليد ، تنتهج سياسات تؤدى من الناحية العملية الى تدعيم حوافز الانجاب . من ذلك مثلا التعويض العائلى عن المولود الجديد ، اجازة الامومة للمرأة الموظفة (في جميع انحاء العالم تقريبا) وكذلك تخفيض ضريبة الدخل بالنسبة للعائلات التى تنجب عددا اكبر من الاطفال (في امريكا) وعلاوات العناية بالاطفال (في فرنسا) .

فهذه كلها تشكل حوافز لصالح الانجاب . ويرى براون من الضرورى الغاء بعض هذه السياسات وتعديل بعضها الاخر مع تبنى سياسات اخرى تقود الى اضعاف حافز الانجاب من ذلك مثلا تقديم علاوات مالية للعزب بدلا من ارهاقهم بالضرائب وكذلك ادخال برامج ضمان الشيخوخة العزب المطبقة فعلا الان في الدول المتقدمة الى الدول النامية فمعظم الازواج يتوقون الى امتلاك الاطفال ضمانا لشيخوختهم واذا امكن تحقيق هذا الضمان بالتشريعات القومية فان اعتماد الوالدين على الابناء سيقل . ويطبق في الهند حاليا برنامج يجمع بين الضمان الاجتماعي واضعاف حافز الانجاب وهو برنامج التخطيط العائلي الذي صممه رونالد ردكر ويتم بموجبه دفع اعانة مالية للمرأة عن كل شهر لا تحمل خلاله .

ويدعو براون ايضا الى رفع السن القانونية للزواج وفرض ضرائب كبيرة على كل من يقدم عليه قبل بلوغ هذه السن .

التربية والاعلام

يعد نظام التعليم مسؤولا من الناحية التقليدية عن تغيير المواقف الاجتماعية تجاه المشكلات الاساسية مثل التخطيط العائلى وطراز الحياة . ولكن الظروف التى تواجهنا اليوم تجعلنا غير قادرين على الانتظار طويلا حتى تتغير القيم والمفاهيم من خلال النظام التربوى . لذلك فان براون يدعو اجهزة الاعلام من اذاعة وتلفزيون وصحافة الى تحمل مسؤوليتها في المجالين التاليين :

ا ـ شرح العلاقة بين مرض النمو السكانى والاعراض الناجمة عنه مثل التلوث ، نقص الموارد ، كثافة حركة السير ، غلاء الاسعار ، سوء التغذية .... الخ . وبالتالي توضيح الحاجة الى وقف هذا النمو بانقاص عدد المواليد .

ب ـ توفير الارشادات العملية حول كيفية تحقيق ذلك .

وهكذا فبينما نجد أن معظم الكتب التى تتصدى لقضايا السكان تتناولها من منظار ديموغرافي ولا تدعو الى اكثر من العمل على انقاص معدل ازدياد السكان فان كتاب (من أجل صالح البشرية) يتناول المشكلة من منظار واسع ويبشر بتثبيت عدد السكان لا مجرد وضع حد لتكاثرهم . ■■

دمشق ـ ياسر الفهد

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الأجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٤٣ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ابريل (نيسان) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد فى (٨) افقيا اسم مؤسس مدينة مراكش ، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم سلطان أيوبى قتله هولاكو .

الكلمات الأفقية :

(١) رسول الآلهة فى الأساطير الرومانية ـ دولة من القارة الأمريكية .

(٢) مسرحية للكاتب الساخر برنارد شو ـ فى الصحراء ـ غزال .

(٣) لمسه ـ منطقة اثرية فرعونية هامة فى صعيد مصر .

(٤) لفظة ألم ـ يسيرون ـ نصف كلمة (سهاد) متشابهان .

(٥) فلسفة زينون ـ من العناصر الكيميائية .

(٦) يلاحظه ـ فى الباب من أجزاء الجسم .

(٧) ضمير ـ من الفاكهة ـ من المواد الدهنية .

(٨) مؤسس مدينة مراكش .

(٩) فى الوجه ـ قذفته ـ ابطاء واحتباس .

(١٠) وحدة قياس كهرباء ـ للتفسير ـ سخن ـ قبيحة .

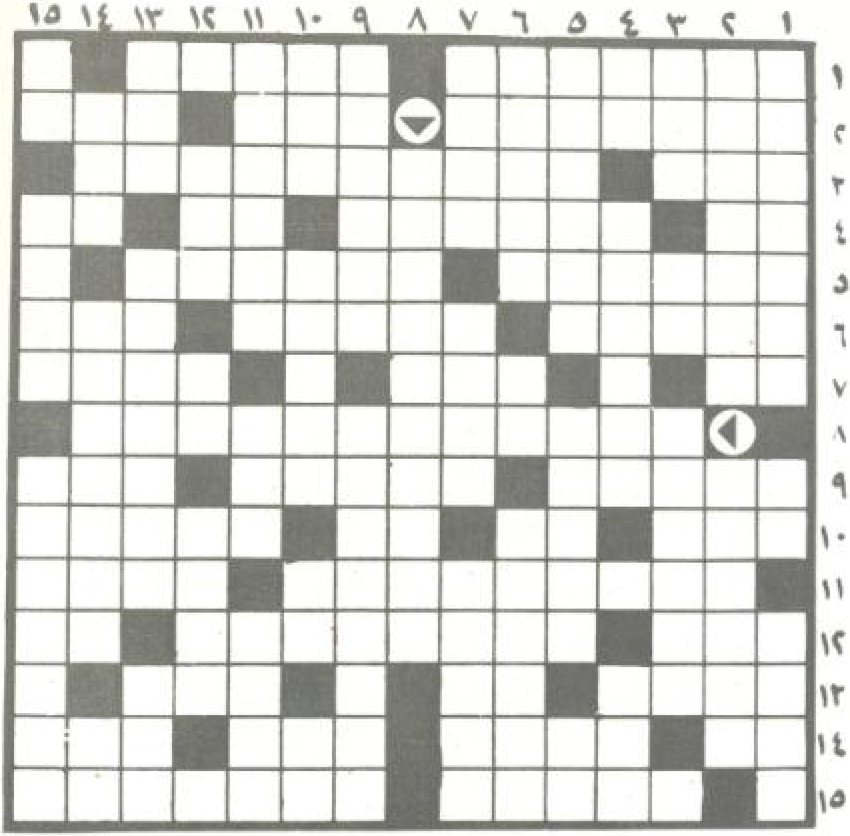
(١١) من المعادن ـ فارغ .

(١٢) نظير ـ لقب عالم جغرافى عربى شهير ـ مادة قاتلة .

(١٣) اقترب ـ نصف كلمة (افعى) ـ من اقاربى.

(١٤) حرف استفهام ـ يصفح ـ اقليم بالجزيرة العربية ـ سكان الصحراء .

(١٥) فى القصيدة ـ غاز موجود فى الهواء .



الكمات الرأسية :

(١) من اشكال الكتابات القديمة ـ متشابهان ـ لا يتكلم •

(٢) أقصى حدود العمران البشرى جنوب العالم ـ عاصمة انجولا •

(٣) ستره و اخفاه ـ نصف كلمة (عراق) ـ يرجون •

(٤) نصف كلمة (يترك) ـ يرضون ـ لفـظ تهديد •

(٥) من المدارس الفلسفية ـ منطقة مراعى ـ شرب بلا تنفس •

(٦) من اشكال الانتاج الادبى ـ ترفع ـ يتحاشى •

(٧) يقل وجوده ـ فى الجامع ـ من الاحجـار الكريمة •

(٨) اسم سلطان ايوبى قتله هولاكو •

(٩) من الصخور النارية ـ حاكم تترى شهير •

(١٠) يسام ـ اعلام ـ غير ناضج ـ سحب •

(١١) من الانبياء ـ عسل ـ يلتذ بتعذيب الاخرين •

(١٢) لعب ـ نصف كلمة (مفيد) ـ فى الجهاز العصبى •

(١٣) من الاشجار ـ ميناء فرنسى شهير ـ يحسم •

(١٤) حمد ـ من الحشرات ـ مقام موسيقى •

(١٥) متشابهان ـ عمودى ـ يسيطرون •

كوبون مسابقة
العدد ٢٤٣

صاحب رسالة التوحيد

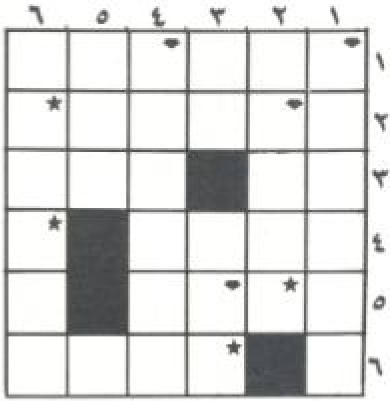
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لواحد من علماء المسلمين الداعين الى التجديد والاصلاح ، ومؤلف «رسالة التوحيد» . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

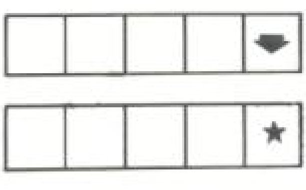
الكلمات الأفقية :

(١) دولة أوربية .
(٢) فصيلة من الآلات الموسيقية .
(٣) لفظة ضيق ـ من الذهب .
(٤) منقول الى السنة التالية .
(٥) يجرح .
(٦) صاحب المصباح السحرى .

الكمات الرأسية :

(١) مغنية عربية من عصر الرشيد .
(٢) من الاقارب .
(٣) نصف كلمة (نائب) ـ من العمليات الحسابية .
(٤) لا يمكن تنفيذه .
(٥) شكوك .
(٦) من مصادر الطاقة الضرورية فى هذا العصر .





● بالعقل فقط ●

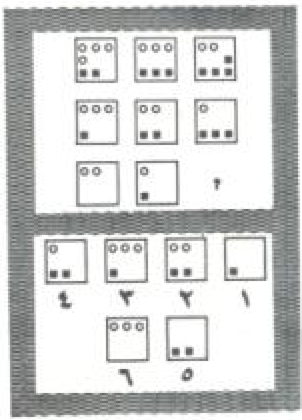
استاذ نبيه يسال :

ماذا حدث لعبقرية المدير؟••

لمواجهة ازدحام المواصلات ، فكر المديرالعبقرى فى وضع نظام جديد للعمل بين الموظفين التابعين له ، بدا تنفيذه فى اول ايامالشهر الماضى ، وينص النظام الجديد على ما يلى :

× السيد أحمد كان عليه أن يعمل لمدة يومينثم ياخذ يوما أجازة ، وهكذا باستمرار •
× السيد بهجت كان عليهأن يعمل يوما ويأخذأجازة فى اليوم التالى ، وهكذا •
× السيد سعيد يعمل يوما كل ثلاثة أيام ،أى يعمل يوما ثم يأخذ يومى اجازة •
× السيد حسن يعمل يوما كل أربعة أيام ،أى يعمل يوما ثم يأخذ ثلاثة أيام أجازة •
× السيد فريد يعمل يوما كل خمسة أيام •
× السيد لبيب يعمل يوما كل ستة أيام •

فى أول أيام الشهر كان جميع الموظفينالستة فى مكاتبهم • وبدأ تطبيق النظام ، غير أن المدير اوقف تنفيذ النظام ، عندما اكتشفذات يوم أن أحدا من الموظفين لم يحضر الى العمل • هل تستطيع أن تعرف فى أى يوم منأيام الشهر حدث ذلك ؟ ••



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام •



النجمة والسهم :

محمد عبده •

★ ★ ★

استاذ نبيه يسال :

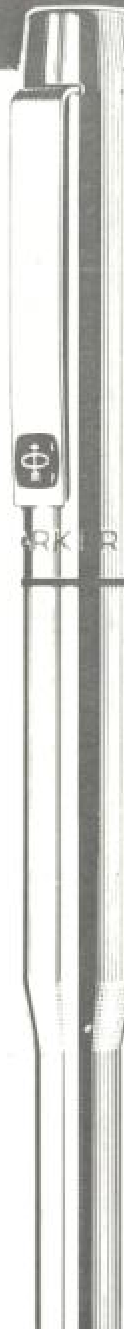
غاب الجميع يوم ١٢ من الشهر •

★ ★ ★

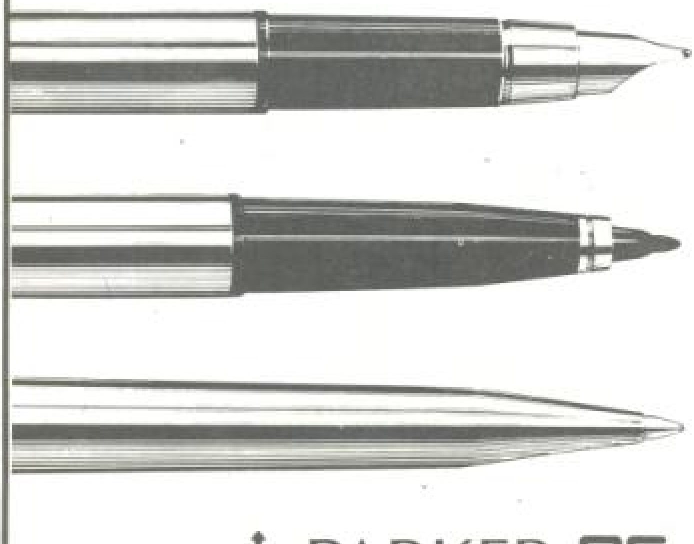
الشكل المطلوب :

رقم ٥ •

باركر ٢٥



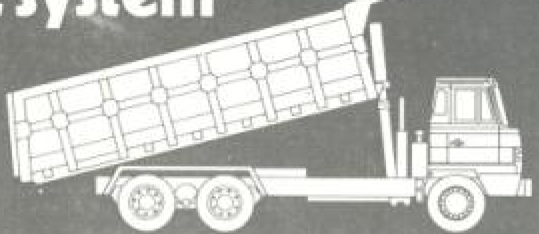
خطوط عصريّة وأنيقة في قلم يعكس فن
باركر في الصناعَة الحرَفيّة .
مصقول بالفولاذ الذي لا يصدأ ومزين بأحد
من ثلاثة ألوان مختلفة، أسود أو أزرق أو أخضر
يتوفر في مجموعة من ثلاثة نماذج .
قلم حبر سائل وقلم حبر جَاف وقلم ذو
رأس ليّف .
ويمكن الحصول على كل قلم بمفرده .
باركر ٢٥ يقدم لك الجودة التي لا تقدمهَا
سوى أقلام باركر .



PARKER 25

FODEN

the complete heavyweight transport system



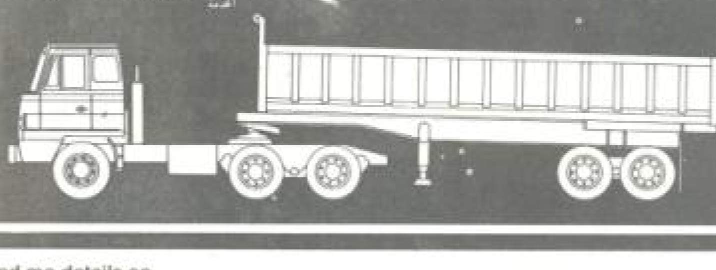
Super Haulmaster
Versatile strength, power and performance. A 38 tonne rigid truck or a 3 axle, 65 tonne tractor unit. A complete transport system adaptable for tipper, mixer, tanker or trailer and special purpose duties, designed to take on the toughest haulage and construction jobs anywhere in the world and engineered for total reliability even under the most severe operating conditions. Rugged frame, 40 tonne axle capacity, a Cummins Formula E290 engine, Foden 8 speed gearbox and double drive bogie together with an all-steel day/sleeper tilt cab for supreme driver comfort and maximum serviceability.



نظام نقل كامل للأثقال

سوبر هولماستر





Please send me details on the Foden Super Haulmaster Export range

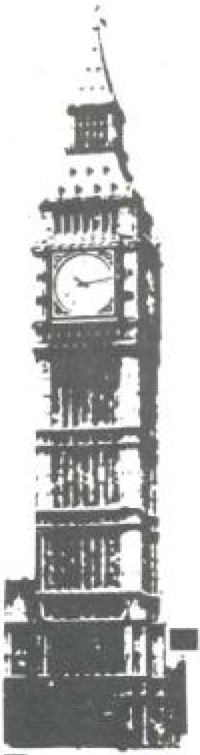
Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works
Sandbach
Cheshire England Telephone 09367 3244
Telex: 36171 (Service), 36553 (Sales), 36163 (Admin.)

Name. . . . .
Position. . . . .
Company. . . . .
Address. . . . .
. . . .
For operation in. . . . .

IPS 1213/AA

ادّخـــروامـــع لـــومبــــارد

جـــدارة بـالــثـقـــة فى جـمـيـــع الأوقـــــات



تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد فى لندن ، وبجدارته بالثقة ، وبضمان محافظته على أموالكم فى جميع الأوقات ، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع ، المصممة خصيصا لكى تجعل أموالكم تدر عليكم مدخولا اكبر ،
نحن عضو فى مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التى يفوق رأسمالها واحتياطيها ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة

اشعار — حساب الايداع	ايداع لفترة معينة
اشعار مسبق ٦ اشهر قبل السحب تدفع الفائدة كل ٦ اشهر او تضاف إلى الحساب حد أدنى للايداع ٥٠٠ جنيه استرليني — ٩½٪	ايداع لمدة أدنى ٣ سنوات مع دفع الفوائد كل ٦ اشهر اسعار فائدة أخرى من سنة إلى ٥ سنوات متوافرة حد أدنى للايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني — ١١٪

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل.

Lombard North Central
Bankers

إلى :
The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England. Tel: 01-491 7050.

ارجو ان ترسلوا لى تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ______________________

____

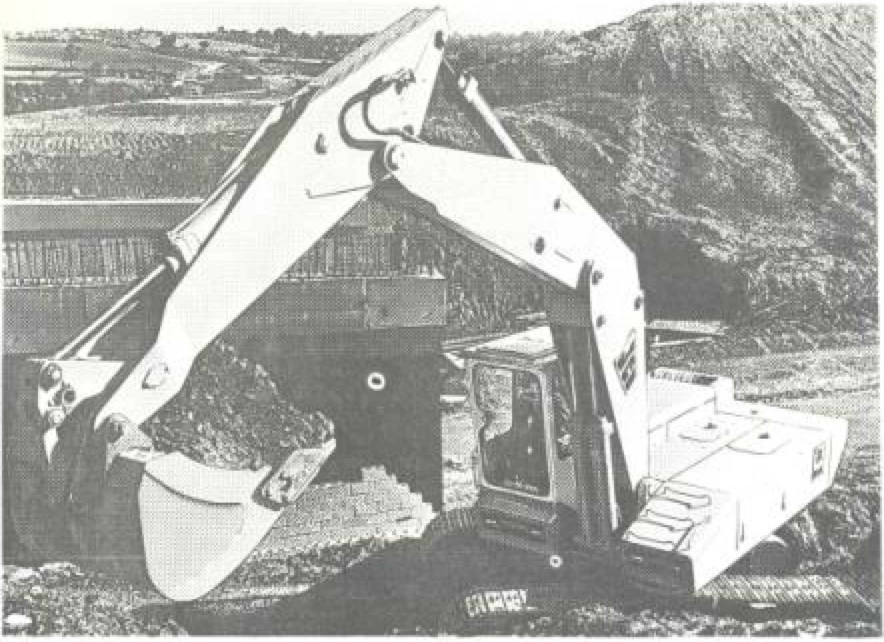
العنوان ______________________

____

العنوان المسجل Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England

K182

عندما تتطلب الأفضل فقط جي سي بي



إن جي سي بي مؤسسة بريطانية خاصة تتمتع بالثقة والسمعة لمعدات البناء . وإن تاريخها ومنتجاتها المتميزة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة أنحاء العالم بالتعاون مع شركات البناء ذات الجنسيات المشتركة .

و جي سي بي تنتج تشكيلة من الحفارات الزاحفة الهيدروليكية ، وشاحنات جرارات مفصلية ذات عجلات . وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية ، تحتل المركز القيادي في أسواق أكثر من ٥٠ بلداً .

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف شاقة وقاسية وتستعمل في أكثر من ١٠٠ بلداً .

وكمزودين عالميين لـ ... جي سي بي ، فإننا نفخر بأن نقدم

تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحملة ، ومحملات ذات عجلات وحفارات زاحفة تدعمها خدمات الإسناد .

حينما تتطلب الأفضل ، إختر جي سي بي

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

ويعمل جي سي بي في : الجزائر ، البحرين ، قبرص ، مصر ، أثيوبيا ، إيران ، العراق ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، عمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، تونس ، تركيا ، السودان ، الامارات العربية المتحدة ، الجمهورية العربية اليمنية ، للمعلومات اتصل بـ...

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ...

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel: Athens 922 6718. Telex: 219214.



حفارات جي سي بي الزاحفة ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ - تشكيلة الجرارات ...
[illegible]



فكّــــر...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكلفة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص . وتجمع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها . ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

والى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا تمنع تعطل الآلة عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلس » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار. الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة .

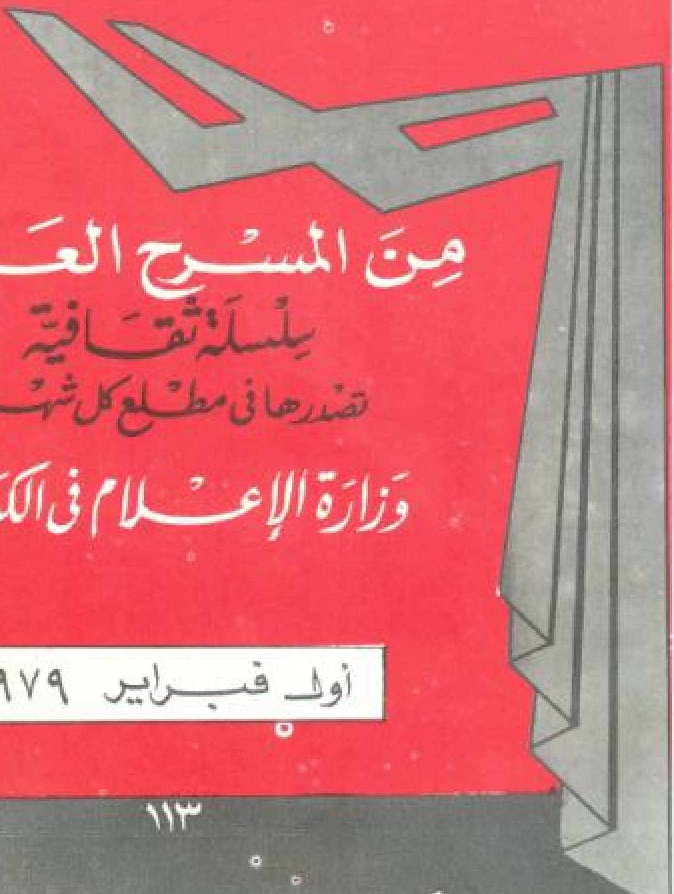
يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧،٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤٦ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٣٢٣٤٧٩ . البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٢ ، دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢٦٧٠ ، الديرة ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، الأردن : الشركة الأردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣٦٣ ، عمان ، هاتف ٦٥/٦٤/٢٥٣٦٣ ، الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٦٤٨ ، الكويت ، هاتف ٥٦/٨١٥٥٥ ، الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراع واللوازم الزراعية (مسستا) ، ص . ب ٣٦٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٥ ، فرع بنغازي ، ٩٢٣٣٩ ، مصر : مانتراك ، ٤٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٣٥٩٤٣/٨٠٩٩٩٥ ، عمان : شركة الواحة للتجارة والمقاولات ، ص . ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢٦٦١٠ ، قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢٧٦٦ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦٦ ، الفروع : الدمام - ٢٢٥٩٤ ، الرياض - ٢٨٤٦٥ ، سوريا : م . عزت الجلاد وأولاده ، ص . ب ٣٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٦٦ ، ويوجد فرع في حلب ، تونس : مؤسسة ب . سيريش بن ... ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٤٦ ٥٣٣ ، الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٣ ، الحديدة ، هاتف ٢٤٠٦ ، يوجد فرع في صنعاء .

CATERPILLAR

ان CATERPILLAR و CAT و ⊞ ماركات تجارية مسجلة عائدة لشركة جرارات كاتربلر



من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول فبراير ١٩٧٩

١١٣

هكذا الدنيا تسير

تأليف : وليم كونجريف

ترجمة وتقديم : د. على الراعى

مراجعة : د. طه محمود طه



سوني للرحلات
الآن يمكنك الاستماع الى الصوت
الواسع المجسم مع الجهاز النقال
سوني CF-590S. راديو ذو
اربع موجات (اف ام / متوسطة
قصيرة ١ / قصيرة ٢) ومسجل
كاسيت في آن واحد.
صوت مجسم رخيم بفضل
الاطار الخشبي. فالخشب
هو الذي يضفي على نظام
السماعات الرباعي
نفس خصائص الجودة
التي تتميز بها
السماعات المنفصلة.
كما هناك القوة الصوتية
(٧,٢ واط) وكل الاضافات
الالكترونية المتقدمة التي
تجعل من هذا الجهاز افضل
ما يمكن شراؤه ،
سواء اخذته معك
في الرحلات او استمعت
اليه في المنزل، فإنك
تحصل على الصوت المجسم
الحقيقي بفضل الاطار
الخشبي. طبعا
إنه سوني.
سوني
SONY
CF-590S



أشرطة كاسيت بيتا
ال ٢٥٠/ ٥٠٠/ ٧٥٠
(لمدة ٦٥، ١٣٠، ١٩٥ دقيقة)

هل يجب أن تنتهي المتعة عند انتهاء المباراة؟

كلاّ . إذا قمت بتسجيلها وحفظها ثم مشاهدة المباراة مرّة ثانية وثالثة ... وذلك بألوان متألقة لمدة ٣ ساعات وربع على جهاز سانيو VTC 9300P/S Betacord . ويتوفر زرّ التحكم عن بعد لأغراض التسجيل السهل بوقت أفلام الدعاية والأجزاء غير الهامّة (إضافية حسب الطلب). ويوفر المؤقت المتطوّر إمكانية التسجيل أثناء غيابك مع إعداد الجهاز قبل ٧٢ ساعة بصورة مسبقة حتى ولو كان العرض خلال ليلتين متتاليتين فإن بإمكانك تسجيل كل شيء بدون حضورك .
وبعدها تبدأ متعة المشاهدة باستمرار متواصل ، حتى ولو انتهت المباراة فعلاً .



VCC 9500
للملوّن.

VC 1400
للأسود والأبيض.

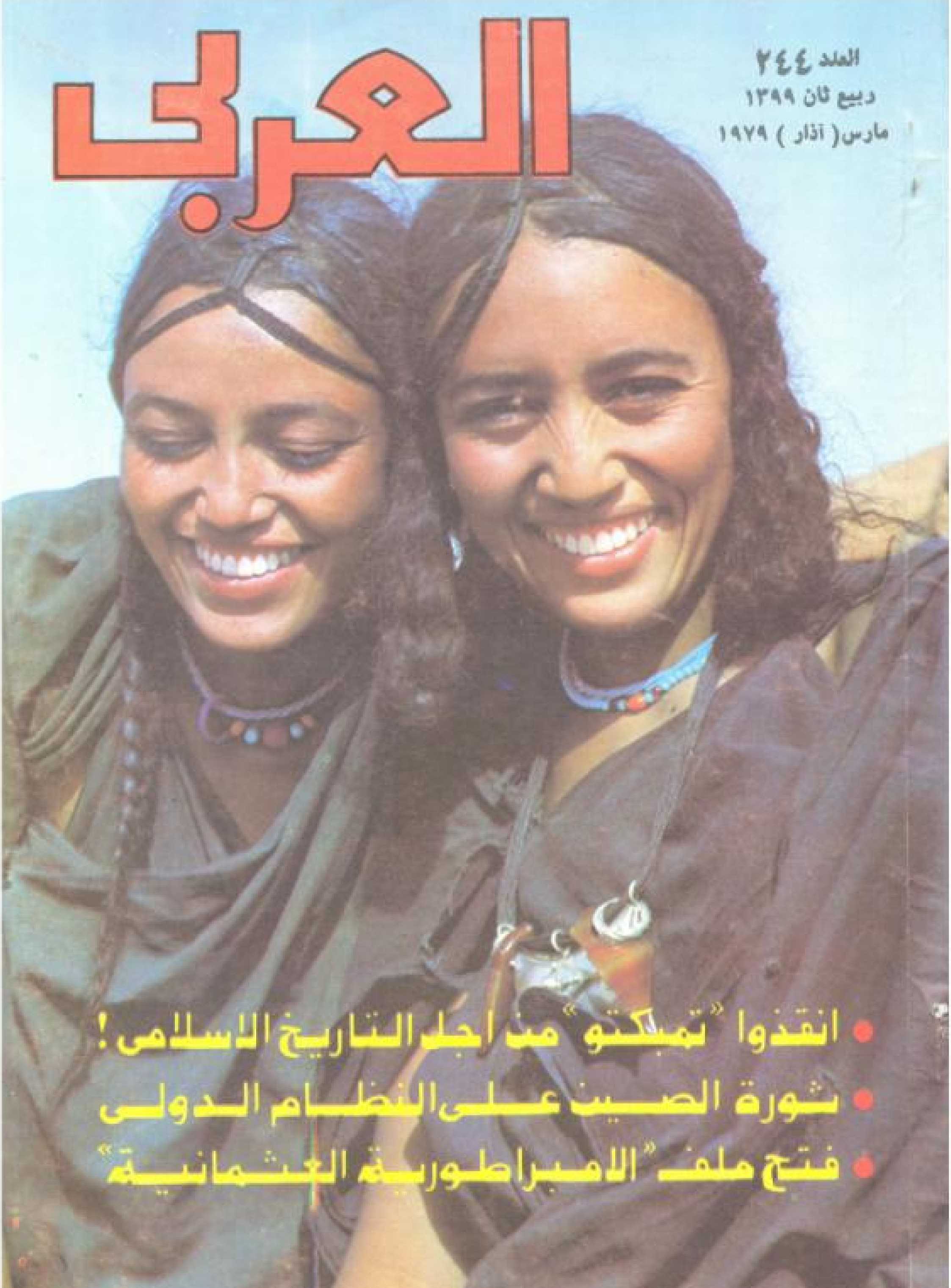
BCORD VTC 9300P/S

P پ تعني پال
S س تعني سيكام

أيّ شريط للفيديو بعلامة « بيتا » يمكن استخدامه في جهاز VTC 9300P/S

SANYO سانيو

العربي
العدد ٢٤٤
ربيع ثان ١٣٩٩
مارس (آذار) ١٩٧٩



- انقذوا "تمبكتو" من أجل التاريخ الاسلامي!
- ثورة الصين على النظام الدولي
- فتح ملف "الامبراطورية العثمانية"

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات الكويت الاقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والاستشارات والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع أنحاء العالم. قبل إقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي
إستعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك



عزيزي القارئ

احتفال الكويت بعيدها القومي هذا العام (٢٥ فبراير) • اقترن بحدث له أهميته ودلالته هو : افتتاح أول معرض للصناعات الكويتية •

وربما بدا التعبير غريبا على الاذهان ، اذ أن الانطباع السائد أن الدول النفطية هي دول استهلاكية بالدرجة الاولى ، وان أموال البترول حجبت عنها رؤية الحقائق الاساسية اللازمة لبناء مستقبل الشعوب ، وعلى رأسها أن اى بلد يجب أن يتوفر له مصدر دائم للانتاج ـ صناعة أو زراعة ـ لا يعتمد على الصدفة ، أو العوامل المؤقتة •

غير أن وجود صناعة كويتية ـ خارج نطاق البترول ـ يغير من هذه الحقيقة ، ويكاد يحولها من مطلقة الى نسبية •

ورغم أن الصناعات الكويتية ـ التي لم نتمكن بسبب موعد طباعة العدد من تقديمها في استطلاع خاص ـ لا تزال في خطواتها الاولى ، ولا تزال تتحرك في دائرة محدودة ، الا أن ارساء المبدأ في حد ذاته يعد نقطة جديرة بالتسجيل • فضلا عن أن ما حققته حتى هذه الخطوات المبكرة ، يشكل انجازا يبعث على الاعتزاز ، ويبشر بمستقبل ملىء بالتفاؤل والثقة •

ومن يدرى ، فربما كانت هذه بداية رحلة الالف ميل !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 244 March 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● منذ ٩٠٠ عام تقريبا ، اقام الطوارق مدينة تمبكتو في الصحراء الكبرى .. واليوم يعيش احفاد الطوارق حول مدينة الاجداد وتسير المرأة الطارقية سافرة الوجه بعكس الرجل الطارقي الملثم ، وفي الصورة نرى مريم وفاطمتا .. بشرتهما البيضاء تبين اصولهما الممتدة الى نبلاء الطوارق في الجزائر والمغرب ...

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

طب وعلوم :

أدب :

علم نفس :

كتاب الشهر :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

اترك صفحات حديث الشهر في هذا العدد لمقال تلقيناه فى آخر لحظة ، من اوراق السياسى والكاتب العربى المعروف اكرم زعيتر.

احمد بهاء الدين

من الأوراق والذكريات

العروبة فى مصر

بقلم : أكرم زعيتر

- أول جماعة عربية فى مصر تكونت سنة ١٩١١
- حكاية صفر زائد صفر يساوى صفرا
- ماذا قال سعد زغلول عن سوريا وعن فلسطين

انني فى مقالاتي هذه متحدث عن اشراقات عربية قومية فى مصر منذ انبثقت الفكرة العربية حتى مطلع الثورة المصرية فى تموز (يوليو) ١٩٥٢ .. واحسب أن ما توافر لدى من أسانيد وما دونت من مذكرات وما اسهمت فيه من جهد متواضع يجعلني اطلع الجيل العربى الحاضر على بعض المجهول من امر العروبة فى مصر ، ولعلى أبدد بذلك أوهاما شائعة بين الناس حول مواقف لكبار من قادة السياسة والفكر فى مصر ، وهى مواقف - فى ضوء الشائع عنها لدى الجمهرة - ادنى الى الزهد فى العروبة او الى الصدوف عنها او مناواتها منها الى الارتياح اليها والرضاء عنها بله الايمان بها والدعوة اليها .

ولا بد لي قبل الحديث عن « الاشراقات » وعما يمكن أن ندعوها « تحديات » من تمهيد اقرر فيه ان مصر قد انفصلت عن الامبراطورية العثمانية قبل انفصال العراق وبلاد الشام بزمن طويل ،

وانه بينما كان تيار الحركة الوطنية المصرية يندفع نحو مقاومة الاحتلال البريطاني ، ... والاستعانة عليه بالدولة « العلية » العثمانية وترنو ابصار المصريين نحو دار الخلافة ، كانت



بين الاشراقات والتحديات

الحركة العربية الوطنية في بلاد الشام والرافدين تسير في تيار عكسي ، هو تيار الخصومة اللداء لسياسة التتريك وللحركة الطورانية العنصرية في الدولة العثمانية والاستماتة - بعد يأس من الاصلاح أو التقويم - بالانكليز وحلفائهم على التحرر منها . وبينما كان ابن دمشق أو بيروت أو بغداد يرى في من يمتشق الحسام ويثور على الدولة العثمانية ويهتف لاستقلال العرب أمام المشنقة ، بطلا قوميا أو منقذا أو شهيدا يعربيا كان ابن النيل يلصق به تهمة الخروج على الدولة العلية أو التآمر عليها مع أعدائها الذين هم أعداء مصر الانكليز الغاصبون ...

ويهمني أن أقرر ، كذلك ، أن سياسة الدولة العثمانية التقليدية تقضي بأنه لا تتجه البلاد العثمانية نحو مصر والا توليها زعامتها ، وترى في ذلك خطرا يحيق بها ، كما أن الدول الاوروبية الاستعمارية كانت بدورها حريصة على الا تمكن لمصر زعامة في البلاد العربية وتبذل فوق الجهد للحيلولة دون قيام دولة عربية كبرى تشمل مصر وسائر الاقطار العربية الاسيوية مما يهدد مصالحها ومستعمراتها ويوهن طموحاتها أو مطامعها ، وما أمر الحملة المصرية التي قادها ابراهيم باشا « واستفراس » التحالف العثماني الاوروبي في صدها ببعيد .

واني لأزعم ، كذلك ، في يقين أن من أخطر أهداف الصهيونية .. هو قيام دولة يهودية تفصل بين آسيا العربية وافريقية العربية وتكون سدا منيعا دون تحقيق الوحدة العربية الكبرى أو وتدا مدقوقا في وسط البلاد العربية مسيطرة على باب الجزيرة قابضة على مفتاحها .. !!

على أن العقدة ، عقدة الخلافة ومحالفة أعدائها وهي السر الاول في تضاد الحركتين الوطنيتين في مصر والبلاد العربية قد حلت بعد ذلك لسببين :

أولهما : أن البلاد العربية (الاسيوية) ما لبثت بعد أن خانها حلفاؤها وقضوا بتمزيقها وراحوا يهودون فلسطينها حتى هبت لمقارعتهم في كفاح بطولي تجلى في ثورات عنيفة ضخمة نشبت في سورية والعراق وفلسطين وتراصفت مع ثورة مصر ١٩١٩ م .

وثانيهما : أن تركيا نفسها ألغت الخلافة وجحدت النصرة الاسلامية العارمة لها في نضالها ، وأوغل أتاتورك باسم العلمانية في مكافحة كل نزعة

اسلامية في السلطة او المجتمع .. وعلى أن هذه العقدة قد حلت فان مفهوم العروبة في مصر ظل مختلفا عنه في الاقطار العربية الاخرى لرسوبات خلفتها تلك العقدة وبسبب فارق الزمن وتباين الظروف . وظل تعريفها غير متبلر ، يختلط احيانا وكليا بالاسلامية واخرى بالشرقية ، ويعرف حينا بمحض التضاد للفرعونية حتى نشأت « حساسيات » عدائية بين لفظتي الفرعونية والعروبة مما سأتحدث عنه فيما بعد .

وبعد فقد اسس شبان العرب في الاستانة سنة ١٩٠٩ م أي بعد اعلان الدستور العثماني بسنة « المنتدى الادبي » فكان مقرا للحركة العربية الناشئة ومثابة لرواد الاصلاح ومنبرا للدعوة الى احياء المجد العربي ، وقد ترأس هذا النادي الشاب العصامي عبد الكريم الخليل (من جبل عامل) وكان قد عرض برنامجه على خليل حماده باشا وهو مصري كان يتولى وزارة الاوقاف فشجعه على المضي في المشروع وعدل بعض بنوده .

وقبل مواصلة الحديث عن المنتدى اقول ان عبد الكريم الخليل كان في شهداء القافلة الاولى من احرار العرب الذين شنقهم جمال باشا السفاح في ٢١ آب سنة ١٩١٥ م فكانت اول كوكبة من فرسان التضحية في سبيل ايقاظ العرب بعد ذلك الرقاد الطويل .

وضع المنتدى الادبي مشروعا لتوحيد التعليم في المدارس الابتدائية الاهلية وعرضه الرئيس على نواب العرب وكبار رجالهم في اجتماع عقد في حزيران (يونيو من سنة ١٩١١ م) بعد أن خطب في وسائل اصلاح المدارس الاهلية وتوحيد مناهجها ، وناقشه نواب من سورية وبنغازي وطرابلس الغرب وفلسطين لم اقروه ، وهو في مجمله يرمي الى توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اديانهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عربيته الشريفة ويرمي الى توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربى النفوس تربية واحدة فيستريح جميع العرب في طريق واحد والى غرض واحد .

واوفد المنتدى فتانا عبد الكريم الخليل الى الاقطار العربية العثمانية للدعوة الى المشروع فبدأ جولته بزيارة القاهرة حيث عقد اجتماعات مع جمهرة من افاضل المصريين وذوي الغيرة العربية .. وقد تألفت لجنة للقيام في مصر بهذا المشروع من : محمد باشا الشريعي واحمد تيمور باشا وعبد الخالق بك مدكور وحسن باشا عبد الرازق والشيخ طنطاوي جوهري وعبد الستار بك الباسل ومحمود بك سالم المحامي وعبد الحميد حمدي ورفيق بك العظم والشيخ محمد المهدي والمحامي محمد علي كامل والدكتور شبلي الشميل وعارف المارديني وسامي الجريديني المحامي ونقولا شحاده وقررت أن تضم اليها احمد زكي باشا ومحمد بك يوسف والمطران يوسف دريان ، واجتمعت اللجنة في ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٩١١ م فاقرت قانونها واختارت محمد باشا الشريعي رئيسا لها ورفيق العظم رئيسا ثانيا وحسن عبد الرازق امينا للصندوق ومحمود سالم كاتبا (سكرتيرا) وافتتح الشريعي باشا الاكتتاب بمئة جنيه على أن يدفع مئة جنيه سنويا .. وطبيعي أن يؤدي تطور الظروف السريع ونشوب الحرب العالمية الاولى واغلاق المنتدى دون الاستمرار .

★ ★ ★

وحدث أن تعالت في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) موجة الدفاع عن حقوق العرب وهم كثرة المملكة وكان نائب دمشق شكري العسلي ، (الذي شنقه جمال باشا السفاح في القافلة الثانية في ٦ آيار سنة ١٩١٦ م بدمشق) الصوت الصارخ في هذا الشأن ، كما كانت له وللنواب رضا الصلح وروحي الخالدي والامير أمين رسلان، صيحات تحذير من الخطر الصهيوني ، ولما أثار العسلي موضوع الحيف الهائل الذي يلحق بالعرب من جراء حرمانهم من الوظائف والمراكز الحكومية وهم كثرة الدولة وضرب امثلة لها منها ان وزارة المالية والتي تضم ١١١ تركيا ليس فيها عربي واحد ومنها ما لقيه الوزير خليل حماده (المصري) من عنت لمحاولته الاصلاح في وزارة الاوقاف ، هبت البلاد العربية تنصره واخوانه ونشرت جريدة المؤيد المصرية وهي كبرى الجرائد العربية خطاب شكري العسلي ووقفت موقف الظهير النصير .. ولكن هال شباب العرب أن ينبري يومئذ احمد لطفي السيد للحركة بالمعاداة فيكتب في جريدة الجريدة مقالا عنوانه : « المسألة العربية » ومع انه قد اعترف فيه « بان العرب اكثرية في بلاد الدولة العلية لا يكاثرها عنصر آخر من العناصر العثمانية ولو بعد زمان طويل » فقد قال : « ومهما كان عددهم في المجلس غير متفق مع نسبتهم لعدد السكان فان تلك حالة وقتية

زائلة حتما اليوم او غدا لذلك لا نستطيع أن نفهم وجود مسالة عربية تستاهل النظر فى حلها .. » وقال : اذا كان للمسالة العربية محل من الوجود فان وجودها الآن سابق لاوانه جدا ، وخير" للذين يسعون فى تاليف حزب لبث شكايات العرب ونشرها ان يرشدوا « الاعراب » (١) الى معنى الدستور فانهم ان علموه أحبوه .. ثم يستدرك الأمر فيقول : « ولكننا لا نغفل عن أن تطالب رجال الفضل والسداد من جمعية الاتحاد والترقى ان يتزلوا فى العمل عن التمييز بين العنصر التركى والعنصر العربى كما نزلوا عنه بالقانون يوم أعلنوا دستورهم » .. ثم يقول : « ولئن كان للمسالة العربية ظل من الوجود ، فحلها بين العثمانيين من غير مضارة أحد ، وعلى ذلك نحن لا نستطيع أن نحكم بان جهاد النائب المحترم شكرى افندى العسلي مفيد للعثمانيين او مفيد للعرب ، بل الافيد منه الا نجر الجزئيات العملية الى ميدان النظريات حيث يتعقد حلها » .

ان الذين صدمهم احمد لطفي السيد بمقاله قد عزاهم أن تكون المؤيد اشهر صحيفة عربية منبرا للدفاع عن اهدافهم الاصلاحية وان يكون الشيخ علي يوسف فى جانبهم وان يرحب بما يكتبه شباب العرب امثال محب الدين الخطيب والدكتور عزة الجندى دفاعا عن حريتهم .

ولم يكد مقال أحمد لطفى السيد ينتشر حتى بادر أحد اركان الحركة العربية فى بيروت ولعله انبغ كتابها، صاحب المفيد عبدالغني العريسي الى الرد عليه فى ١١ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١١ م ومما قال : « على أن الامر الذى قبلنا ويجعلنا أن نطالب الحكومة بمراعاة العنصر العربى فى الوظائف العالية اعتقاد كثيرين من اولي العقل أن البلاد العربية لا تنال حظها من الاصلاح الا اذا كان لها بين رجال الحكومة غير واحد من أبنائها ... وقد ظهر لنا خلال هذه السنين الثلاث (أى منذ ظهور الدستور) أن رجال اليوم انما يعملون لأجناسهم فاذا لم يكن بين العاملين من يعمل لجنسنا فلا سبيل الى ترقي العرب » وضرب العريسي امثلة من الحيف النازل بالعرب انتهى الى « أن استمرار التجاوز عن مبدأ المساواة فى عهد المساواة يجر الدولة الى التهلكة » وختم مقاله : « فنصائح أحمد لطفى السيد جديرة بان توجه الى القابضين على زمام الاحكام ، وان كان ثمة ظل للمسالة العربية وغيرها من المسائل التى تتعلق بالعناصر فحلها بين الاكثرية .. » .

وانى أرانى استطرد الى القول أن يد السفاح امتدت الى العريسي كما امتدت الى العسلي والخليل فشنقهم ونخبة من اقطاب الحركة العربية فى بلاد الشام فروت دماؤهم شجرة القومية العربية وجعلت من ثراها مهد الحركة العربية .

واستكمالا للصورة أشير الى أن صحف مصر ولا سيما المؤيد والمقطم والاهرام كانت منابر للدفاع عن الحقوق العربية والمطالب الاصلاحية ولكن الكثيرين من المصريين ظلت تتنازعهم عاطفتان : الولاء للعثمانية وخلافتها واسلاميتها وكونها امتدادا للسد دون الغارات الصليبية أو عاطفة الانتصار للحق العربي ، فاذا كتب أحد شباب الحركة العربية الدكتور عزة الجندى يؤلب الراى العام المصرى على السياسة العثمانية ، انبرى له الكاتب الشهير ولي الدين يكن يقول له : انا تركى وابغض عباد الله الي" تركي بعندى .. أحب العناصر العثمانية كلها واخذ بناصر المستضعف منها .. ثم أحب العرب حبا خالط الروح وجرى مجرى الدم من العروق وأنا عربى الادب والقلم عربى النزعة ، ومن أبغض العرب فانا مبغضه ، اولئك اخواني الذين اغشيهم فيطربون وأحدثهم فيقبلون علي" بالسمع ، غير انى لا أكذبهم ، انى كذلك لا أحب من يسب الترك ولا من يكون لهم عدوا . واذا جرى بين العرب والترك شر أكون يومئذ بمعزل عن كليهما داعيا عليهما بالفشل » .

* * *

ولاسباب ليس هنا مجال تفصيلها كانت تثور فى مصر أحيانا حملة على « الشوام » وهى كلمة تشمل السوريين واللبنانيين .. ولو اقتصرت الحملة على التنفيس النفساني عن ماخذ على البعض لهان الخطب ، ولكنها كانت تمتد الى

(١) يلاحظ أنه استبدل هنا كلمة الاعراب بالعرب ، متعمدا ومن قبيل الصدف ان أعثر على كتاب للامير شكيب أرسلان أرسله من جنيف سنة١٩٢٦ يقول فيه : « تلاقيت مع الشاب الأديب سيد بك نجل العلامة أحمد لطفى السيد وهو من أنجب الطلبة المصريين فى سويسره وأشدهم حمية ونزعة عربية .. أتمنى للعرب أن يكون فيهم عدةشبان مثله » .

الأصرة العربية فيبادر الكتاب القيثر" الى ردها ، ويتنادى حملة الفكرة العربية الى تدارك عواقبها ، وما اكثر ما يساعفهم الشعر ويكون حافظ ابراهيم سباقا وهو هو الذى شدا قبل ثلاث سنوات قصيدته :

لمصر ام لربوع الشام تنتسب
هنا العلا وهناك المجد والحسب

وفيها :

امّ اللغات غداة الفخر امهما
وان سألت عن الآباء فالعرب

وختامها الرائع :

هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب

وها هو ذا حافظ يهتف اليوم :

ماذا جنيت وما جناه بنوك
أظلمتهم يا مصر ام ظلموك
وسمعت للغرب العبوس واهله
ومنحتهم فوق الذى منحوك
وعبست فى وجه الشآم وانما
قطر الشآم وان عبست اخوك

والغريب الا تدرج هذه القصيدة فى الديوان على حين نشرها المفيد فى بيروت والمفيد لسان الحركة العربية ومعظم الذين كانوا يحررونها غدوا شهداء كالعريسي والمحمصاني والشهابي والزهراوى والجندى والخطيب والعسلى .

اما مصطفى صادق الرافعى فقد هتف :

يا مصر يا سوريا المجد دائرة
وانتما فى محيط المجد قطران
كلاكما مشبه فى الحسن صاحبه
أانتما واحد ام انتما اثنان ؟
ارى الممالك اخوانا محللة
لكنما مصر والشام الشقيقان
لو تسأل الارض : اين ابناك ؟ لالتفت
اليهما ثم قالت : ها هما ذان

ويجتمع السوريون على اختلاف طوائفهم فى الكنيسة الانجيلية بطنطا يوم عيد الفصح ليستمعوا الى المحامي المصرى محمد نجيب افندى الغرابلى (وقد أصبح فيما بعد أحد اقطاب الوفد ووزرائه) يشدو :

هل مصر والشام الا توأمان اذا
كانا رشيدين فليجمعهم الرحم
سل (حافظا) حين اعطى العهد مغتبطا
هل كان عهدا على الايام ينفصم

ثم يهتف :

فلا وربك ما فى مصر غير هوى
بالشام فهى لدينا الراح والنغم
نحب حب اخت لا نضيعها
مهما تزاحمت الاطماع والحلم

ثم يهتف :

فجددوا العهد ها انى اجدده
من آل مصر فقولوا كلكم : نعم

فدوت « نعم » مجلجلة فى أرجاء الكنيسة .

★ ★ ★

وقاد الزعيم الاعظم سعد زغلول الحركة الوطنية المصرية واتجهت اليه افئدة العرب فى جميع اقطارهم ، تتبعوا خطواته وتأثروا باسلوبه فى النضال والمقال وانى ازعم أن سعد زغلول هو اعظم من اثر فى مسيرتى الوطنية اسلوبا وحجة وبيانا .. والواقع أن سعدا قد اثر فى ذلك الجيل العربى حتى أن مراسل الداياى هيرالد كتب فى موسم الحج سنة ١٩٢١ م يقول : ان الحجاج العرب وقفوا على جبل عرفات وصلوا من أجل نجاح القضية المصرية ودعوا لسعد زغلول بالتوفيق .

وقد روى على لسان سعد زغلول قول تلقفه فريقان من الكتاب : اراد اولهما البرهنة على أن مصر ليست من العروبة فى قليل او كثير وها هو ذا زعيمها الاعظم ينكرها وضخم هذا المفهوم حتى اضطر استاذنا ساطع الحصرى الى الرد على القول وتبديد ما قد يحدث من تأثير شعوبى وأراد ثانيهما القول : ان العروبة لم تعرف مصر الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، وفى هذا اعتساف وهدر لجميع الجهود التى بذلت فى خدمة العروبة فى مصر ونكران وتنكر وجحود للرعيل الاول من حملة الفكرة العربية فيها .

واجيء الى ما روى على لسان سعد اى قوله لفتى العروبة وداعيتها ، عبد الرحمن عزام وكان وفديا ومن جنود سعد المقربين اليه والمحببين لديه : «ان كل قطر عربى يوازى صفرا وان الجمع بين صفر وصفر يكون صفرا » وهذا ينم على الاستخفاف بالبلاد العربية .

وقد سألت صديقى عبد الرحمن عزام فى زيارتى اياه فى بيروت قبل وفاته عن هذا فاجاب

بحضور ولده بما خلاصته : ان سعدا كان يلحظ انهماك عزام في الشؤون العربية وبقضايا التحرير في المشرق والمغرب ، وحدث ذات امسية ان اقبل عزام على مجلس سعد فساله سعد مازحا : وما هي اخبار اصحابك العرب يا ابا عوف ؟ » وكان سعد يطلق على عبد الرحمن عزام هذه الكنية تيمنا بالصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ، فحدثه عزام عن سوء الاحوال في البلاد العربية فساله سعد : « صفر وصفر يبقوا كم ؟ » فاجابه عزام « واحد وواحد وواحد يبقوا كم يا باشا ؟ » فاجاب سعد مبتسما : ثلاثة والمهم أن يكون العرب واحدا وواحدا وواحدا، لا صفرا وصفرا وصفرا ، ويوم يكون هذا وتراني معك .. » وقد جرى هذا في حديث عفوي لا يصح أن يجعل منه قاعدة للتنديد وحكما قاطعا على الفكرة العربية ، ويقول عزام رحمه الله وهو ينزه سعدا عما اريد استخلاصه من كلمته : « وذات يوم من نوفمبر سنة ١٩٢٥ م استدعاني سعد زغلول من حلوان مستعجلا ، فهرعت اليه وقد استقبلني هاشا منطلق الوجه وبادرني : « خذ اقرا .. هل يعجبك هذا البيان يا ابا عوف .. واذا بي اقرا بيانا عظيما بالغ الروعة يدعو فيه الشعب المصري الى مظاهرة الثورة السورية » وقد افتتح سعد نداءه باسم الوفد المصري مكتتبا بمئة جنيه وعقبه اعضاء الوفد ابتداء من فتح الله بركات باشا كل واحد بتسعين جنيها (ولعل ذلك كان تادبا من الاعضاء امام زعيمهم الاكبر) وما لبثت ام المصريين صفية هانم زغلول ان افتتحت اكتتابا للثورة ، مما يعد بادرة عملية لا تجعل لتلك العبارة العارضة مدلولا ينم على الاستخفاف بالامة العربية .

ولا ازال كلما تلوت ذلك البيان ارتنح حماسة : ومطلعه : « سورية التي تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ولغة ودين وعادة وجوار ، نزلت بها هذه الايام حوادث هائلة تقشعر من هولها الأبدان ونوازل جائحة تنخلع من بشاعتها القلوب وشرور من افظع ما يرتكبه انسان ضد انسان » .

وختامه : « وانتا معاشر المصريين لنشعر في قلوبنا بكل عطف على اخواننا المصابين نرثي لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان ونحس بان علينا واجب مساعدتهم بكل ما في الامكان . » .

ولم يكد يصدر ذلك البيان الأبلغ حتى يممت الوفود العربية بيت الامة ذاكرة ، شاكرة ، هاتفة لسعد ، وابرق الثائرون من مرابضهم يحيون الزعيم الثائر ، واما نحن في فلسطين ، فقد ابرق رئيس لجنتنا التنفيذية موسى كاظم باشا يقول : « وفلسطين تؤكد ان بيانكم هذا وهو بيان الزعيم الاكبر بمصر ، راس الاقطار العربية ، كان له التاثير البليغ مما يقوي السوريين على احتمال المصائب التي يصبها عليهم المستعمرون في سبيل استقلالهم » ، كما ابرق باسمنا ، معشر الشباب الاستقلاليين ، الاستاذ حمدي الحسيني يقول عن نداء سعد وتبرعه : « انهما يخلدان لدولته اجمل الذكر في ربط أواصر الجامعة العربية ربطا يبشر العرب بالحرية المطلقة والاستقلال التام »

وارسل الشاعر محمد الشريقي وهو من رجال الحركة العربية قصيدة بليغة وجهها الى رجل الامة العربية سعد زغلول ، انهاها شاديا :

يا رافعا علم الاخلاص منتظرا
الا وصلت بحبل العرب ما فصموا

ان العروبة يا زغلول قائدنا
فاجهر كما جهر الاتراك والعجم

وامدد يديك وصافح كل من نطقوا
بالضاد يقبل عليك القوم كلهم

وانهاها مشيرا الى الجنرال الفرنسي ساراي الذي امر بتدمير دمشق :

ان كان «ساراي» أجرى دمع شقوتها
فاليوم سعدك يوسيها فتبتسم

ويقول المرحوم عوني عبد الهادي انه سمع الملك فيصل الاول ملك العراق يقول : « كم ارغب ان يوسع هذا الرجل العظيم المبدا الذي يعمل له فيشمل الشرق العربي كله ، وحسب سعد أن يتقدم خطوة جريئة في هذا الميدان ليصبح الزعيم الوطني للعالم العربي كله .

واتجه تيار مصري هائل نحو تمجيد الثورة السورية وتاييدها ، وكان مما عبر عن هذا التيار شعراء مصر : حافظ ابراهيم وزكي ابو شادي ومحمود رمزي نظيم وحبيب عوض الفيومي وعلى منصور ، وكانت رائعة الروائع قصيدة شوقي العبقرية :

سلام من صبا بردى ارق
ودمع لا يكفكف يا دمشق

وما احسب ان سوريا في ميادين الثورة او على مقاعد الدرس او عربيا ثائرا لم يردد مع شوقي :

وللاوطان فى دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وقد يقول مجادل ماحل : ان العاطفة الانسانية دون الصارخة العربية هي حافزة سعد ، ومع ان نص البيان يخالف هذا فاننا نجيبه :

فى قاموس (الاعلام) لخير الدين الزركلى فى ترجمة سعد زغلول يقول :

وهو اول سياسى مصرى اسمع الغرب صوت الجامعة العربية فقال وهو ـ فى لندن ـ يهدد الانجليز : « ان مصر تملك زرا كهربائيا ، اذا ضغطت عليه لبتها بلاد العروبة جميعا » .

وفد يوم فى آذار (مارس) ١٩٢٦ م كاتب فرنسى مشهور اسمه موريس ديكوبرا لزيارة سعد خاصة ، ونشرت تفاصيل المقابلة وقد باده سعد ضيفه الكاتب قائلا : « لا يسعنى ان افكر فى الاعمال التى تقترف فى سورية من دون ان اغضب .. انها تسيء الى اسم فرنسا » فاجابه الموسيو ديكوبرا : « ليست فرنسا هى التى ارتكبت تلك الاعمال ولكنه الجنرال ساراى . !! »

فقال سعد : « ولكن ساراى ممثل للجمهورية الفرنسية » فقال ديكوبرا : « لعلكم تعارضون مبدأ الانتداب ؟ » فاجاب سعد : « ان الذى افهمه من الانتداب انه وضع لمنفعة المنتدب نه لا لمحاربته كما هى الحال الآنفى سورية .. فهل الانتداب قفاز ظاهره مخمل وباطنه شوك ؟ فما لكم ولتلك البلاد ؟ ولم لا تتركونها حتى تتمتع بحريتها ؟ » فحاوره ديكوبرا : « يا باشا هب ان الذين عملوا تلك الاعمال فى سورية ليسوا فرنسيين بل شرقيين ، فهل يكون هذا شعوركم ؟ » فقال سعد على الفور : « لو عمل اخى تلك الاعمال لمقت اخى وغضبت عليه غضبا شديدا » .

وتهض سعد ليودع ديكوبرا ويقول له : « ارجو منك يا موسيو ديكوبرا عندما تعود الى بلادك ان تقول لمواطنيك : ان زغلولا غاضب مما حدث فى سورية واذا تكلم زغلول فانما يتكلم بلسان الشعب المصرى كله . وسئل ديكوبرا رأيه فى سعد فقال : انه رجل قوى وشديد الصراحة فى حديثه وان كل ما قاله لي صحيح .

وفى تموز (يوليو) ١٩٢٧ م زلزلت فلسطين زلزالها الشديد ، وكانت نابلس اكثر مدن فلسطين تأثرا بذلك الزلزال .. وبينما كنا معشر الكشافين ، نزيل الانقاض ونتتشل الجثث اقبل ساعي البرقيات يحمل برقية من مصر وتناولتها فاذا هي بتوقيع سعد زغلول ، ومن بنى وصيف ، ولست اذكر الان نصها ولكنها كانت مواساة اب كبير لابنائه وفيها يتبرع بمئة جنيه لمنكوبى نابلس ، وقد فعلت البرقية والتبرع فعل السحر فى تشديد عزائمنا وتنشيط هممنا ... ولكن ما هى الا ايام حتى نعى سعد فلبست بلادنا ثوب الحداد ، ورحنا فى اربعينه نؤبنه فى كل بلد ونندبه فى كل محفل .. لم يتوان شاعر فى رثائه او كاتب فى بكائه وقلنا : صدق شاعر النيل حافظ ابراهيم :

قل لمن بات فى فلسطين يبكى
ان زلزالنا اجل مصابا
قد دهيتم فى دوركم ودهينا
فى نفوس ابين الا احتسابا

ولم يخل بيت من اسطوانة أم كلثوم فى ندب سعد مما نظمه رامي :

ان يغب عن مصر سعد
فهو فى الذكرى مقيم

وانني لأذكر هنا انى فى زيارة لمصر سنة (١٩٤٩) وكنت مستشارا للوفد السورى لدى مجلس جامعة الدول العربية قد دعيت من فتى عربى النزعة هو المرحوم محمود حسنين مخلوف نجل مفتى الديار المصرية الاسبق الى سهرة كان فى طليعة حضورها المرحوم الزعيم رياض الصلح وابن عمه تقى الدين ـ طال عمره ـ وكان فى استقبالنا الاستاذ مكرم عبيد وكان صاحب الدعوة من انصاره فى الكتلة الوفدية ، وفى اثناء السمر راح مكرم يحدثنا بطلاقة عن النزعة العربية لدى سعد زغلول ، وقال لنا انه يعد رسالة حول سعد والفكرة العربية وليده اتصالاته بالزعيم وفيها اسرار بالغة الاهمية .. وانى اكتب الان هذه السطور وكلى اسى الا ينجز مكرم وعده قبل وفاته ومما سمعته تلك الليلة ان سعدا قد رشح لمجلس الشيوخ ثلاثة من السوريين المتمصرين .

والى حديث اخر فى مقال تال استكمل القول فيه ان شاءالله . ■■

أكرم زعيتر

أقوال معاصرة


هنرى كيسينجر

■ يجب على الحكومة الامريكية أن تفتح أعينها جيداً ، بعد الذى جرى فى ايران لان أصدقاءنا يتناقصون فى العالم •

« هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا السابق »

■ وسط الشتاء جاء الربيع !

« لافتة استقبلت الامام الخمينى لدى عودته الى طهران »

■ المشكلة الفلسطينية ينبغى أن تحل ، بعد التوصل الى اتفاق شامل بالمنطقة !

« هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكى »


فرح ديبا

■ عجيب أمر هذه الطلقة التى لا تنتهى أبدا •

« مزارع فيتنامى »

■ النظرة التى تخلقها الانعزالية فى تعاملها المالى والاقتصادى مع العرب، هى نظرة يمتزج فيها الحسد والاحتقار •• وعندما يقترن الحسد بالاحتقار فالمولود هو حق النهب •

« الكاتب اللبنانى منح الصلح فى كتابه عن المارونية السياسية »

■ الذى حدث كان مفاجأة تامة لى •• فقد أقنعنا الذين حولنا بأن الشعب الايرانى متعلق بنا للغاية •

« فرح ديبا امبراطورة ايران »


الامير سيهانوك

■ كان الامريكيون اعداء لنا وصاروا اليوم أصدقاء • وأن يصبح الصينيون والامريكيون حلفاء ، فهذا شيء رائع •

« الامير سيهانوك »

■ لقد انتهى تماما عهد الكنيسة الصامتة •

« البابا جون بول الثانى »

■ بعد حظر استمر ٣٠ عاما ، عادت الكوكاكولا مرة أخرى الى الصين •

« وكالات الانباء »


كابوتشى

■ كيف لا يحق لى ان اقاتل الاسرائيليين وقد قتلوا شعبى وكرامتى وحريتى •

« المطران كابودجى »

■ انا بيلى كارتر الذى بدات الصحافة تهتم به ، بعد ان اصبح شقيقه رئيسا للجمهورية حتى صارت تصدق وتنشر كل التفاهات التى أقولها ، مع أننى أكذب دائما، وهم يعرفون أنى كذاب !!

« من حديث صحفى لشقيق الرئيس الامريكى • »

« نحن بحاجة الى تعميق القيم الحية لتراثنا ، فى انفسنا وفى نفوس شبابنا ، بالدرس والمعايشة ، لا بالتناول والتقليد»

أساس التقدم

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

هذا زمان التحول السريع في حياة الناس، تتغير فيه الامور من حال الى حال في مدى سنوات معدودة . والسر في ذلك طبيعة الحضارة الغربية الصناعية التى نعيش تحت ظلها . وقد ربطت أدواتها بين اركان المعمورة وغزت بضائعها كل اطراف الارض ، فاصبح الناس ينتقلون بفضل هذه النعم من جهالات القرون وسراديب التاريخ الى ضياء القرن العشرين في لمح البصر . اصبحت كل المجتمعات مكشوفة ومعرضة للتاثير المباشر لادوات الحضارة الحديثة من اذاعات مرئية ومسموعة وصور متحركة ناطقة وصامته وصحف وسيارات وطائرات وصواريخ واقمار ومركبات فضائية بلغ بعضها القمر والمريخ والزهرة والبقية تاتي .

والامر في ذلك لا يقف عند حد التاثير الشكلي الخارجي ، بل أن حياة الناس الحقيقية تتغير بفعل هذه المشروعات الانمائية الضخمة ، الزراعية والصناعية والتجارية ، التي تحاول كل أمة بمقتضاها أن تنقل مجتمعها من مرحلة التخلف الحضاري الى مرحلة التقدم حتى تلحق بالركب المنطلق الى الامام . وكل ذلك يقتضي تحولات كبيرة في حياة الناس العقلية والشعورية والاجتماعية ،حتى يتم التوافق والانسجام بين الانسان وبيئته ، لان ذلك أساس الاستقرار وسبيل التطور .

وتغيير مظاهر الحياة المادية يحتاج الى جهود جبارة وبذل وتضحية ، ولكن تغيير حياة الناس العقلية والشعورية يحتاج الى مجهودات اكبر ، لان سرعة التحول على هذا المستوى النفسي والعقلي أبطأ بدرجات كبيرة من سرعة التحول المادي . ويكفي أن نعلم أن ما أحدثه الانسان من تحولات مادية في بيئته الخارجية في مدى القرون الثلاثة الاخيرة يكاد يفوق كل انجاز البشر في كل ماضيهم البعيد. ولكن عقول الناس ونفوسهم لم تتغير بهذا القدر الكبير كما هو واضح فاننا رغم هذا التقدم الكبير ما نزال نقتل بعضنا بعضا لغير ما سبب ، ونخرب الحياة من حولنا ، ونبذر الالم والشقاء للابرياء من بني البشر . بل الانكى من ذلك ان معظم الضرر في هذا المجال ياتينا من الدول المتقدمة في العلم والتكنولوجيا ، فهي التي استعمرت العالم واذلت الشعوب وتريد ان تمحو سماتها او وجودها ـ ايهما حدث اولا ـ بالقهر والمدفع والفانتوم . ومعنى هذا ان التحول المادي الكبير يضع في ايدي الاقوياء من بني البشر اعظم قوة عرفها الكون ـ لا الارض وحدها ـ الا وهي السلاح الذري ،اضافة الى انه يضخم من ثروات الاغنياء ،ويغير من حياة البسطاء من الناس الذين كانوا يلهثون وراء لقمة العيش، فتتعلق امالهم بكل ما يشاهدونه امامهم من مظاهر الثراء والترف والحياة الناعمة في الفيلات والتلفزيونات والسيارات الفارهة والنعيم المقيم

في القصور واماكن اللهو والمتعة ،فتمتليء النفس شوقا وتوقا لتحصيل كل ذلك مهما بلغت الأثمان •

هذا التحول الكبير في حياة الناس الخارجية يحدث آثاره الكبيرة على حياة الناس الداخلية •وليس الانسان في حاجة الى التدليل على ان تعقد الحياة الناجم عن هذا التطور يحدث اضطرابا رهيبا في قيم الناس واخلاقهم ،بحيث يتجلى الشره والطمع والانانية،وما دام كل الناس لا يستطيعون تحقيق كل رغباتهم المادية التي شحذتها وسائل الدعاية ومظاهر الترف البادية على الوجوه والحيطان ، فان الباب ينفتح على مصراعيه لكل الرذائل ، او الوسائل السلبية لتحقيق الرغبات التي يعجز عن تحقيقها السعي الحلال ، فينتشر العنف والارهاب ، ويتطور الى السرقة المنظمة والقتل وينتهي بالحروب •

أنصاف الحقائق

وليس ما يحدث الان في العالم أمرا جديدا على الانسان ، بل هو تكرار وتاكيد لما حدث في كل تاريخه القديم،اذ ان نوازع الاثرة والطمع والجري وراء اشباع الغرائز الحسية ، من حب للتملك والاثراء وامتاع الجسد تجد مجالها الواسع للتعبير في زمان تتكدس فيه الثروات ، وتكثر مظاهر الترف ،وينصرف الناس فيه الى لون من الحياة العابثة اللاهية ، وكل ذلك على حساب الجوانب الاخرى في شخصية الانسان ، من ايثار للتوسط ومقاومة لاغراء الحياة العابثة ، وما الى ذلك مما تدعو به الفضائل التي تكبح جماح النفس ، وترد الانسان الى لون من السلوك المتزن،الذي تتناسق فيه الرغبة الخاصة مع المصلحة العامة ••

والنتيجة الطبيعية لذلك ان تنهار الضوابط ، وينطلق الناس على هواهم ، كل يريد ان يحقق رغباته ، والتحقيق بهذا المستوى لا يكون الا على حساب الاخرين وعلى حساب المجتمع ، فينوء المجتمع بشرور افراده ، وتعم الفوضى ، ويعجز الامن عن ردع النزوات العدوانية من سلب ونهب وهتك للاعراض وتحرش بالابرياء وسرقة وعنف في زمان تاكدت فيه كثير من حريات الناس وحقهم في الرفض والاختيار والسلوك ، وكل ذلك يؤثر أبلغ الاثر في حياة الناس ونظام حياتهم الاجتماعي،وكل ذلك او معظمه لا يحكمه القانون ، وانما يحكمه العرف بين الناس ، لان القانون لا يعلم الناس الادب وحسن السلوك ، وانما يردعهم حين يصل بهم سوء الادب الى العدوان ، وبين المرحلتين برزخ كبير تتوقف على ما يجري فيه سلامة النظام الاجتماعي ، الذي تشكل حماية القانون فيه أقصى اطرافه ، ويقوم معظمه على أخلاق الناس وتعاونهم ومراعاتهم لمشاعر الاخرين وحقوقهم •

وقد وقر في نفوس كثير من الناس ان هذاالزبد الذي يطفو على سطح الحياة الحديثة هو سمة التحضر ، خالطين بذلك بين اعراض المرض ومظاهر العافية ، ومما عمق من هذا الخلط الكبير كثرة الحديث عن تغيير كل المجتمع القديم لافساح المجال للجديد ، وما يتبع ذلك من حديث مثير عن ضرورة تغيير القيم بتغير وسائل الانتاج ، وعن نسبية الاخلاق والحاجة الملحة الى ان تنسلخ عن كل ما عهدناه من نمط الحياة لترتدي حياة جديدة ،وبذلك تنال جواز المرور الى الحداثة • وكل ذلك انصاف حقائق تتكرر في تعميم لا يمثل حقيقة التطور الحضاري ، بقدر ما يمثل نزوات بعض الكتاب والدعاة الذين ياخذون الامور بظواهرها ، ولا يكلفون انفسهم مشقة النظر الى ما تحت السطح من مظاهر • وهنا لا بد من التصدي لبعض الاراء الخطيرة التي تجد رواجا كبيرا لدى بسطاء الناس في مثل هذا الطور من مسيرة البشر • ومن هذه الاراء ، القول بان كثيرا من مظاهر هذا التحلل من القيم الانسانية والانخراط في الملذات وارتكاب كثير من المنكرات انما يتم بدعوى المحافظة على الحريات الفردية ، وان كثيرا من ذلك نشاط فردي لا علاقة له بالمجتمع ، ويدخل ضمنه ما يتبع كل ذلك من انعزالية وضمور في روح التعاون بين البشر، زاعمين ان هذا كله ضرورة لازمة لانتقال الناس من مرحلة الرعي الى مرحلة التصنيع ، الذي يحتاج الى قيم جديدة واخلاق جديدة •

يعني باختصار اننا لابد ان نتخلص من كثير من العلاقات الانسانية التي عاشها الانسان في تاريخه الطويل لننتقل الى عصر الالة التي تحكم حياة الانسان المادية والعقلية ايضا • ومثل هذا القول له خطره لانه يحكم على الامور بمظهرها دون مخبرها • فان قيم الانسان الاساسيه لا تتغير في جوهرها ، وان تغيرت اشكال التعبير عنها • ولكن الناس يخلطون دائما بين جوهر القيم وبين الاشكال التي تعبر عنها • ويحدث هذا الخلط على اشده في ازمان التحول الاجتماعي الكبير

الناجم عن تطور حياة الناس المادية مما يتطلب تغييرا في شكل التعبير عن القيم ، ولكن كثيرا من الناس يتعجلون النتائج وهم في زحمة الاضطراب والفوضى وطغيان نزعات الرفض لكل قديم لانه قيد على حريات الناس وحبس لرغباتهم التي تود ان تنطلق وان تشبع في جو لا تحده القيود ، هم في الزحمة لا ينادون بتغيير الشكل فحسب ، بل ينادون بتغيير القيمة ذاتها ،حاسبين ان القيمة اصبحت تطول لصوقها بالشكل المعنى بمثابة المحتوى للقالب يتشكل بشكله ويصعب التفريق بينهما الا للحصيف من الناس • ثم ان القيمة ذاتها التي تمثل ميزان التعادل في شخصية الانسان تصبح لكثير من الناس المنطلقين لاشباع نزواتهم الحسية ورغباتهم في الاستمتاع والثراء والتملك وما الى ذلك قيدا وحجرا على نشاطهم الذي يغذيه اندفاع المجتمع بعامة وراء التطور المادي الذي يلهب من غرائز الناس ويثير حميتهم ويشعل شهواتهم •

ليس بالعلم وحده

ومثل هذا الوضع ليس مقصورا على مرحلة الانتقال الى العصر الصناعي وحده ، بل هو وضع عاشته البشرية في كل مراحل تطورها ، ولكنه لم يبلغ من الحدة ما بلغه في هذا العصر الذي تضاعفت فيه حاجات الناس ورغباتهم بتضاعف وسائل الانتاج وازدياد اوقات الفراغ • فان عامة البشرية في ماضيها كانت محدودة الحاجات بحكم ضيق موارد العيش ، ولذلك لا يحدث الاهتزاز والاضطراب الا في اضيق نطاق ، وعلى مستوى الطبقات العليا في المجتمع التي كانت النموذج والمثال للموضات في الازياء والاخلاق والتفسخ وما الى ذلك ، ومن هنا جاءت الاية الكريمة (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقوله تعالى : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) •

ولذلك لا يحدث كبير تغيير في البيئات الرعوية والزراعية في اشكال التعبير عن القيم المتوارثة ، ولطول ما عهد الناس هذه الاشكال اصبح تغيير الاشكال في عرفهم يعني تغييرا في القيم،ولتمسك الناس بالعرض دون الجوهر اي بالشكل دون القيمة التي هي وراء الشكل ، تصبح الدعوة الى تغيير الشكل او التعبير عن القيمة دعوة الى الغاء القيمة ذاتها لدى بعض الداعين الى التغيير الاجتماعي• ومن هنا يفزع كثير من الناس من تغير بعض عادات اللبس والاكل وما الى ذلك ، لانهم يحسون بان الغاية من وراء تغيير الملابس مثلا ليس الزينة فحسب بل دعوة الى التحرر من قيود العفة والشرف وما الى ذلك من القيم التي ارتبط جوهرها بالاشكال المعبرة عنها •

ومما يضاعف من هذا الخلط ايمان بعض الناس بان تطور مظاهر الحياة المادية من حولنا ،وتعليم الاجيال الناشئة منا مختلف الوان العلوم والفنون كفيل بخلق المجتمع المتجانس المستقر ، متناسين ان العلم والمعارف وحدها لا تخلق المواطن الصالح ، بل تحتاج الى مناخ في الاسرة والمدرسة والشارع وفي المجتمع ككل تتحول فيه المعرفة الى سلوك • بمعنى اننا محتاجون الى ترجمة العلم الى مشاعر واحاسيس ، وبالاختصار الى اخلاق لان الاخلاق بهذا المعنى المحدد تحكم علاقات الناس في المجتمع• ومن هنا كان تاكيد المعاني الاساسية والقيم الاصلية المنتزعة من تجربة الانسان في كفاحه الطويل لتاكيد انسانيته والتي لا تتغير بتغير المجتمعات ومراحل تطورها وان تغيرت اشكال التعبير عنها ، امرا ضروريا لدعم انسانية الانسان وخلق المناخ العقلي والشعوري الذي يستطيع الانسان ان يتخطى فيه مصاعب مرحلة الانتقال من مرحلة حضارية الى مرحلة اكثر تقدما دون ان يفقد في اثناء هذا التخطي انسانيته ، والا اصبح التقدم تدهورا وانحطاطا •

ازمة الجيل الجديد

ان كثيرا من الناس وخاصة الجيل الجديد الذين يعيشون مرحلة الانتقال في مثل مجتمعنا التقليدي تطحنهم شتى الاتجاهات والتيارات•وهذا طبيعي في مثل مجتمعنا الذي لم يتغير في ملبسه وماكله وكثير من معطيات حياته لما يزيد على الالف عام ، ولذلك فكل تغيير فيه يبدو للناس وكانه سقوط في الهاوية • هذا بعكس المجتمعات الغربية التي تغيرت حياتها وتحركت ، فاصبح التغيير سمة لازمة لتطورها،ومن هنا كثرت الموضات في الملابس والماكل ، وفي نمط العيش ، وفي المذاهب الادبية والعلمية والفنية ، وتتابعت بحيث يصاب الواحد منا بالدوار وهو يلاحق هذا التتابع ، وكل ذلك محاولة لاهثة للتعبير على مستوى الفكر والاخلاق عن الاوضاع الاجتماعية والمادية المتغيرة ابدا •

ومثل هذا التطور السريع ان لم يصاحبه بناء نفسي وروحي متماسك فهو لا شك منته بالمجتمع الى التحلل والانهيار •

ان بعض الناس فى العالم الثالث لا يلاحظون ذلك ، ويأخذون الامور بظواهرها ، وينسون ان هذه الحركات الفوضوية المتلاحقة فى المجتمعات الغربية مثلا ، وان كانت فى كثير من مظاهرها علامات للتفسخ والفوضى ، الا انها فى كثير من الاحيان ترتكز على أرض صلبة من القيم الروحية والانسانية التى يتربى الناس عليها ، ويحرص المجتمع على تنشئة الاجيال عليها ، حتى يستطيعوا مواجهة تحدى التغيير المستمر فى حياة الناس الذى يفشل البعض فى مواجهته فيبدون فى هذه الصور المضحكة المحزنة التى تعبر عن ازمة العصر ، وتشير الى صعوبة الملاءمة بين داخل الانسان وخارجه فى مثل هذا العصر الحديث•

ان مخاطر التحول الاجتماعي كما برهنت على ذلك تجربة الغرب فى هذه القرون الاخيرة لا حصر لها، وما لم تنتبه الامة للمزالق التى تعترض سبيلها فان نتيجة التحول تصبح كارثة محققة •

واخطر ما فى ذلك نقل تجارب الاخرين دون تمحيص أو فهم• فظروفنا تختلف عن ظروف الاخرين ومنطلقنا يختلف عن منطلقهم • خذ مثلا موضوع التراث والمنطلق الفكرى لمجتمعنا وقارنه بالمجتمع الغربى تجد أن للدين فى واقع حياتهم معنى خاصا فرديا شعاره (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) فهو لا يتدخل فى شئون المجتمع الا فى أضيق الحدود، ولذلك كانت الثورة على الدين نابعة من هذا الشعار الدينى نفسه ، لان سلطات الكنيسة تعدت دورها ، وارادت أن تكون هى القيصر على حياة الانسان فحدثت كل الثورات الدينية على الكنيسة وتسلطها ، وسموا ذلك بالعلمانية، اى ابعاد الدين عن الدولة وهو تأكيد للموقف الاساسى للدين المسيحى كما فهمه الغرب ، وما نشهده فى المجتمعات الغربية لكثير من مظاهر السلوك ليس هو فى عمومه نتيجة للتطور الصناعى بقدر ما هو تأكيد لموروث قديم ، وتجديد لمواقف عرفها اليونان والرومان من قبل ، فهم فى كثير من مظاهر حياتهم العقلية والاجتماعية يعبرون عن تراثهم الدينى والفكرى والاجتماعى ،وكل ذلك يتم فى اطار العصر الذى يعيشون فيه •

فاذا نحن حاولنا تقليد هذه التجربة العضوية فلن يتسنى لنا ذلك الا بالانسلاخ جملة وتفصيلا عن كل مصادرنا العقلية والدينية والاجتماعية، لان للدين فى حياتنا مفهوما غير مفهومهم• فالدين بالنسبة لنا ليس أمرا فرديا يهدف الى تطوير أنفسنا فحسب،بل هو مستودع لكل ما يتصل بشخصيتنا الفردية والاجتماعية• هو الذى ينظم كل أوجه حياتنا الاجتماعية ويعطيها مضمونها من تعاون وتكاتف وبر ورعاية للضعيف وايثار للغير وتضحية فى سبيل الصالح العام وتشريع وعلم وما الى ذلك من مقومات الحياة الاجتماعية ، بحيث يصبح الدين فى حياتنا هو التلخيص لما يجب أن تكون عليه حياتنا فى كل أبعادها القريبة والبعيدة •

تحديات مرحلة التحول

فاذا أردت أن تجرد الدين من مضمونه كما فعل الغربيون فانك بذلك تدمر شخصية الفرد وشخصية الجماعة ، لان كل فرد منا صورة للدين الذى يحكم كل تصرفاتنا وعلاقتنا بالاخرين • ولسنا فى حاجة الى تبين اختلاف المشارب والامزجة بين منحى الثقافة الغربية القائمة على تراث الرومان والاغريق وبين ثقافتنا القائمة على تراث سامى شرقى ، ويكفى أن أشير هنا الى ما أشار اليه مفكر من قبل من أن اختلاف منحى الثقافتين يتمثل فى نظرة قدماء المصريين وقدماء الاغريق ، فانك قل أن تجد تمثالا فرعونيا عاريا ، فى حين تجد معظم تماثيل الاغريق عارية •

وكل ذلك يتطلب منا جهادا عنيفا لمواجهة تحديات مرحلة التحول التى نعيشها وتهجم علينا فيها كثير من الاشكال فتستهوينا ببريقها وما هى الا الزبد • نحن محتاجون الى تأكيد الاساس الحضارى والروحى الذى تقوم عليه شخصيتنا ، وأن نعيد النظر فيه بحكم تجربتنا الحديثة ، وان نعمق فى انفسنا وفى نفوس شبابنا القيم الحية لتراثنا بالدرس والمعايشة لا بالتناول والتقليد حتى نستطيع اجتياز مرحلة التحول ونخرج منها أقوياء فى نفوسنا ، أصحاء فى عقولنا متطورين فى مجتمعنا ، لاننا نكون قد نجحنا فى خلق الفرد القوى الذى ينبع أخلاصه من ضميره ، ويكون مواطنا صالحا يخدم وطنه وامته ولا يحتاج منا الى القهر لرده الى انسانيته التى عجز المجتمع عن رعايتها وتطويرها ، فان الاخلاق أيضا استثمار وقد توفر علينا الملايين • ■■

الخرطوم — د • عون الشريف قاسم

ثورة الصين على النظام الدولي

بقلم : جميل مطر *

منذ بداية خلافاتها العلنية مع الاتحاد السوفيتي في أواخر الخمسينات والصين مستمرة في معارضة نظام القطبين ، وقد تراوحت هذه المعارضة بين الثورة العارمة في أحيان وبين التمرد السلبي في احيان اخرى . وفي الحقيقة لم تكن الصين وحدها المعارضة الوحيدة لهذا النظام ، بل شاركتها في مرحلة معينة فرنسا الديجولية التي حاولت تكتيل اوربا الغربية والعمل على خلق قطب ثالث له حرية خاصة في السلوك الدولي على مستوى قمة النظام . وهي المحاولة التي باءت بالفشل لأسباب كثيرة اهمها الدور الذي لعبته بريطانيا وغيرها بايحاء من الولايات المتحدة لمنع تحقيق الحلم الديجولي .

والجدير بالذكر ان الحرب العالمية الثانية كانت الحد الفاصل بين شكلين من اشكال النظام الدولي ، اذ نشبت الحرب في ظل نظام توازن القوى الذي ساد أوربا مدة قرن ونصف وانتهت بولادة نظام تقف على قمته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقطبين تفصل بينهما وبين غيرهما من الدول الاوربية وغير الاوربية مسافة شاسعة من امكانيات القوة الدولية . ومنذ ذلك الحين توزعت القوة الدولية ـ بشكل أو بآخر ـ بين هاتين الدولتين . ومع استمرار التقدم التكنولوجي في ميادين السلاح واستمرار التصارع بينهما اطرد اتساع الهوة التي تفصل بينهما وبين أي دولة اخرى منفردة .

وبدا حرص القطبين واضحا في البداية على صبغ الصراع بينهما بصبغة ايديولوجية تضمن توافر اقصى حد من اللامرونة داخل المعسكرين التابعين لهما ، وكان الصراع الايديولوجي السمة الرئيسية لمرحلة الحرب الباردة ومن خلال هذا الصراع احتكر القطبان اكثر التفاعلات السياسية الدولية وتحكما في معظم مفاتيح العمل السياسي الدولي ، وساد العالم جو الرهبة والخوف من اشتعال حرب نووية ، كما ساد دول العالم الثالث شعور بالخشية على استقلالها المكتسب حديثا نتيجة الفارق الصارخ بين امكانياتها البسيطة والامكانيات الهائلة المتوفرة للدولتين الأعظم .

وفي ظل هذا الصراع وهذا الشعور ولدت فكرة عدم الانحياز ، لم تولد كتمرد أو ثورة على نظام القطبين ، اذ لم يكن في وسع اعضائها تغيير هذا

* مستشار سياسي بجامعة الدول العربية بالقاهرة .



ماوتسي تونج



بريجنيف



كارتر



هواكوتنج

النظام ، ولكنها تشكلت لتحمى دولها من تأثيرات الصراع الايديولوجى بين القطبين ، ولتكتسب لكل دولة من دولها ارادة من خلال الارادة الكلية لمجموعة عدم الانحياز .

وهنا يبدو الفارق بين الصين ــ وهى احدى الدول التى دعمت مجموعة عدم الانحياز منذ بدايات تشكله ــ وبين الدول المؤسسة للمجموعة . اذ بينما اعتبرت بكين عدم الانحياز طاقة مضافة تستطيع الصين بواسطتها ان تغير معادلات القوة الدولية وتضعف من نظام القطبين لصالح نظام اكثر تعددا على القمة ، كانت الدول المؤسسة تنظر الى عدم الانحياز كمبدأ لا يحلم بتغيير النظام الدولي وانما يحقق الضمانات المعنوية الكفيلة بحماية دول المجموعة من طغيان الصراع الايديولوجي .

ومن طبيعة الامور ان يدافع اصحاب الوضع القائم عن مراكزهم وامتيازاتهم ، ولذلك وقفت القمة بطرفيها ضد جميع محاولات الصين لتغيير الوضع القائم ونجحت فى احباطها ، واختلفت درجة الحدة فى التعامل مع التمرد الصينى، فكان الاتحاد السوفيتي اشد حدة ليس فقط بسبب مصالحه المتزايدة فى ذلك الوقت داخل مجموعة عدم الانحياز ولكن لان التمرد الصينى على القطبين يضعف مبدأ التماسك الايديولوجي داخل المعسكر الاشتراكى ويضعف من عنصر اللامرونة الذى يربط بين اعضاء المعسكر الواحد . وبنفس المنطق تعاملت الولايات المتحدة مع فرنسا الديجولية حين تمردت على حلف الاطلسى وحاولت انشاء نفوذ لها بين دول عدم الانحياز ومدت تفاعلات خاصة بها عبر اسوار الصراع الايديولوجي الى المعسكر الآخر ، والتقت مع الصين الطامحة الى دور دولى على هدف تغيير شكل النظام الدولى .

الصين والوفاق بين القطبين

مع بدء مرحلة الوفاق تغيرت كثير من المفاهيم فى السياسة الدولية ولاشك ان الصين شعرت ــ كما شعرت دول اخرى كثيرة ــ ان انماط تفاعلاتها

الخارجية في ظل صراعات الحرب الباردة لاتتمشى مع حالة الوفاق . فالوفاق لم يكن يعني انهاء الصراع والا اصبح الوفاق يعني في حد ذاته نظاما دوليا جديدا بشكل نظام القطب الواحد . انما الوفاق كان يعني تغير انماط الصراع بحيث تصبح الايديولوجية عنصرا ثانويا مع الاحتفاظ بهيمنة القطبين على القمة .

وقد ادى تغير انماط التعامل على القمة ـ بين ما ادى ـ الى حالة من السيولة العالمية سادت على وجه الخصوص دول العالم الثالث ، وظهرت بوضوح داخل المعسكرين الشرقي والغربي اذ تدعم التيار الذى عرف باسم « الشيوعية الاوربية » داخل دول المعسكر الغربي متبنيا اسلوب الاستقلال النسبي في تعامله مع القطب الشيوعي وغير معارض تماما للحلف الراسمالي ، بل ان رومانيا وهي عضو في الحلف الشرقي وجدت الفرصة سانحة في ظل السيولة الدولية لتفك التزامها وتمد تفاعلاتها ـ كما فعل ديجول قبلها ـ عبر اسوار الصراع الى الناحية الاخرى .

اما الصين ، وقد اكتشفت فشلها في محاولة هدم نظام القطبين عن طريق تدعيم علاقاتها بدول مجموعة عدم الانحياز او بالدول المتمردة في كلا المعسكرين وتحريضها لهذه الدول على الثورة ضد هيمنة القطبين ، فقد بدات تتلمس طريق الانفتاح المباشر على المعسكر الغربي وبوجه خاص على القطب الامريكي . ويبدو ان الصين وهي تفعل ذلك كانت تدرك ان الوفاق بين القطبين سيعني ـ ان اجلا او عاجلا ـ تفرغ الاتحاد السوفيتي لعلاج مشكلته مع الصين ، وانها اذا استمرت في سياسة معاداة القطبين وفي سياسة الامتناع عن المشاركة الايجابية في تفاعلات الاسرة والمنظمات الدولية ستكون الخاسرة في اية مواجهة مع الاتحاد السوفيتي .

وعلى الرغم من تبني سياسة الانفتاح على العالم الخارجي وانضمامها للامم المتحدة ظلت الصين مترددة في اتخاذ اسلوب ايجابي يتناسب مع اهمية عضويتها الدائمة في مجلس الامن ومع توقعات الدول التي علقت آمالا كبيرة على مشاركة الصين في تفاعلات الاسرة الدولية . اذ بدت الصين كعضو في الامم المتحدة وكانها ترفض ان تكون شريكا فيما يدبره القطبان الاعظم او ان تعترف بالنظام الدولي القائم . وليس صحيحا تماما ما قيل من ان الصين لم تشارك بالايجابية التي تتناسب مع مكانتها وطاقاتها بسبب نقص في خبراتها الدبلوماسية او السياسية ، بدليل انها طرحت في البداية افكارا تهدف جميعها الى ادخال تعديلات في المنظمة الدولية بما يضعف من سيطرة القوتين الاعظم ويحقق مصالح القاعدة العريضة لاعضاء الامم المتحدة .

المحاولة الجديدة

في كل المحاولات السابقة كانت الصين تسعى الى اضعاف او تحطيم نظام القطبين عن طريق تشكيل قوة ثالثة من تحالف اطراف من خارج القمة الدولية واطراف متمردة من داخل معسكري القمة . اى انها كانت تسعى الى خلق تكتل من دول ينشىء قوة معادية للقطبين على حد سواء ، تعمل ككرة الجليد المتدحرجة تزداد حجما ونفوذا مع مرور الوقت والممارسة على حساب نفوذ القطبين .

في المحاولة الجديدة تطرح الصين نفسها رصيدا مضافا الى احد القطبين ضد القطب الآخر . وبذلك تكون الصين قد تخلت عن سياسة تكتيل قوى جديدة تشكل معها او بها قطبا ثالثا وتبنت سياسة تقترب الى حد كبير من السياسة البريطانية التقليدية في القرن التاسع عشر حين كانت تلعب دور « الموازن » بين الاحلاف الاوروبية .

وقد يبدو للوهلة الاولى ان المحاولة الاخيرة لاتزيد عن كونها سياسة جديدة الهدف منها التحالف مع المعسكر الراسمالي لحماية الصين من القطب الشيوعي الذى يمثل بالنسبة اليها تهديدا مباشرا وحالا . وهذه هي الصورة التي تجسدت لدى الكثيرين من المعلقين وعلماء السياسة في الغرب ، بل وهي الصورة التي تختفي وراء الحملة والتهديدات السوفيتية العنيفة التي اعقبت هذا الاتجاه الجديد في السياسة الخارجية الصينية .

ولهذا الرأى مايبرره ، اذ لاشك ان الصين تشعر الآن واكثر من اى وقت مضى ان الحصار السوفيتي من حولها يكاد يكمل حلقة خانقة . ففي الشمال تتضاعف القوة السوفيتية المباشرة نوعا وكما ، وفي الغرب تتزايد مساحات النفوذ



ديجول

السوفيتي لتضم مناطق كانت تقع ضمن المجال الحيوى الصينى ، وفى الجنوب حيث توجد حساسية خاصة ذات جذور تاريخية تظهر حاليا مشروعات لانشاء اتحاد لدويلات جزر الهند الصينية له علاقات خاصة بالاتحاد السوفيتي ومعاد للصين .

ومن الواضح ان فيتنام تقوم بدور كبير فى الوقت الحالى لتعبئة دول اسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية فى شكل من اشكال التحالف ضد الصين وهو الدور الذى ينسجم مع ماصار يعرف بنظرية الامن السوفيتي الاسيوى .

الى جانب عنصر التهديد السوفيتي المباشر فهناك ايضا من الاسباب الداخلية فى الصين ما يبرر صورة سعى الصين للتحالف المباشر مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي ، واهم هذه الاسباب هى المتعلقة بالحاجة الشديدة للحصول على التكنولوجيا الحديثة فى مجال التسلح وخاصة المجال النووى . اذ ان الانقطاع الطويل عن متابعة نواحى التقدم التكنولوجى فى الخارج بسبب ظروف الصين الداخلية خلال الثورة الثقافية ثم انفتاحها فجاة ادى الى اكتشاف مدى اتساع الفجوة التى تفصل بين الصين والدول المتقدمة . ولن يكون امام الصين وسائل تسمح لها بسد هذه الفجوة فى فترة قصيرة سوى ان تتحالف تحالفا مباشرا مع القطب الغربي .

هذه الصورة المبسطة تفترض ضمنا ان الصين تقبل بوضع التابع للقطب الغربي مثلها فى هذا الوضع مثل بقية اعضاء الحلف الرأسمالى . هذا الافتراض يتناقض تناقضا رئيسيا ليس فقط مع الايديولوجية القائمة فى الصين ، بل ويتناقض ايضا مع احد الاهداف الدائمة فى سياستها الخارجية ، وهو الهدف الخاص باضعاف نظام القطبين او هدمه نهائيا لصالح نظام جديد تتعدد فيه الاقطاب .

والراى الذى نذهب اليه ان الصين وقد جربت ان تشكل قطبا ثالثا معاديا للقطبين فى وقت واحد ، تجرب الآن طرح نفسها قطبا ثالثا موازنا بين القطبين السوفيتي والامريكي ، واختارت الظروف الراهنة التى تدل مؤشرات عدة على انها ظروف فى صالح الاتحاد السوفيتي من الناحية الجيوبولتكية لتلقى بثقلها كقطب موازن الى جانب المعسكر الغربى .

احتمالات نجاح او فشل المحاولة الجديدة

لقد عرضت الصين على المعسكر الغربى عددا من المغريات لقبولها قطبا مؤيدا ، فهى على استعداد ان تسمح لتايوان بالاحتفاظ بنظامها الاقتصادى والاجتماعي اذا وافقت تايوان على شكل من اشكال الوحدة مع الصين ، كما انها تضمن سلامة وامن كوريا الجنوبية وقد تستخدم نفوذها فى كوريا الشمالية لتحقيق نوع من الاتحاد بين الجنوب والشمال ينهى حالة التوتر والصراع ويضمن عدم المساس بالنظم الاقتصادية والاجتماعية القائمة . وهى تعرض الى جانب هذه التنازلات الاساسية صفقة ضخمة تتمثل فى ما قيمته اكثر من ٢٥٠ بليونا من الدولارات لتحديث الاقتصاد والجيش الصينى . يقابل هذه المغريات التهديد الضمنى بامكانية التصالح مع الاتحاد السوفيتي اى اضافة الصين للرصيد الجيوبولتيكى السوفيتى ، نظير ازالة الخطر العسكرى السوفيتى ضد الصين .

هذا الطرح من جانب الصين يمثل ربما اخطر مسألة خارجية واجهت الدبلوماسيتين السوفيتية والامريكية منذ ازمة برلين عام ١٩٤٨ . لان القضية لا تتعلق بحليف اضافي لهذا المعسكر او ذاك ، فالاضافة العادية – وقد تكون حليفا جديدا او قوة عسكرية مضافة أو ميزة استراتيجية جديدة – سرعان ما تتولى قواعد سلوك نظام القطبين اصلاح عدم التوازن الناشيء عنها واعادة النظام الى حالة توازنه العادية . مثال ذلك حيازة القنبلة الذرية وازمة كوبا عام ١٩٦٢ وازمتا برلين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٨ وسباق التسلح وخاصة في مجال الصواريخ عابرة القارات .

ولا شك ان الاختلاف كبير بين فقدان المعسكر الشرقي للصين عندما نشب النزاع الصيني السوفيتي وبين ما تطرحه الصين حاليا على المعسكر الغربي . فالنزاع الصيني السوفيتي لم يحدث فور نشوبه اختلالا في توازن نظام القطبين ، ان الصين رغم اهميتها الاستراتيجية كانت ضعيفة عسكريا فضلا عن انها واصلت دعم حركات التحرر في اسيا وافريقيا ضد المعسكر الغربي ، اى انها ظلت لفترة غير قصيرة رصيدا محسوبا للمعسكر الاشتراكي وخصما للمعسكر الراسمالي .

ولكن الموقف الحالي يختلف اختلافا كليا عن أى ازمة او مرحلة دقيقة مر بها النظام الثنائي منذ نشأته . فالصين اليوم قوة سياسية واقتصادية ضخمة وامكانية استراتيجية اكثر ضخامة ، وانضمامها الى معسكر او آخر يهز قواعد واركان نظام القطبين ويهدد كيانه .

ولان الانضمام الى القمة كما تطرحه الصين حاليا يتناقض مع عديد من المسلمات التي قام على اساسها نظام القطبين . وظهور القطب الموازن – او الثالث – يعني بالضرورة ان نظاما جديدا قد نشأ لا علاقة لقواعده بقواعد النظام القديم . ومن العسير ان نعرف بالتأكيد مراحل الانتقال من النظام الثنائي الى نظام متعدد الاقطاب لانه لا يوجد في تاريخ العلاقات الدولية حالة مماثلة . الا انه من الناحية النظرية يجوز ان نفترض انه طالما احتفظ القطبان بهيمنة كبيرة على حلفائهما ، وطالما احتفظا بفارق واسع بين امكانياتهما وامكانيات الاطراف الاخرى سواء كانت هذه الاطراف حليفة او متمردة على النظام، فان النظام قادر على أن يصمد في وجه التحديات، ويعمل القطبان ما في وسعهما لمنع الاخلال بالتوازن القائم بينهما .

وفي الواقع يصعب تصور نجاح المحاولة الصينية الجديدة ، ليس فقط لان الصين لا تستطيع بمفردها ان تجمع من القدرات والامكانيات ما يؤهلها لمركز القطب الموازن في الاجل المنظور، ولكن ايضا لان الاتحاد السوفيتي لن يسمح لاى عنصر دخيل على النظام الثنائي أن يخل بالتوازن ولو ادى الامر الى شن حرب على الصين قبل اكتمال تحالفها مع المعسكر الغربي .

من ناحية اخرى ، ولنفس الاسباب التي تتعلق بتوازن النظام الثنائي ، لا يمكن للولايات المتحدة ان تقبل الصين قطبا متحالفا قد ينقلب بعد فترة الى قطب موازن .

الا انه في اطار قواعد السلوك داخل نظام القطبين ، يتعذر على المعسكر الرأسمالي ان يرفض الميزة الاستراتيجية التي تقدمها الصين . اذ ان المحافظة على الصراع الصيني السوفيتي محتدما يخفف الضغط السوفيتي على اوروبا الغربية ، ويستنفد جزءا هاما من طاقة الحلف الاشتراكي وامكانياته . ولذلك يحتمل أن يلجأ القطب الراسمالي الى الايحاء لحلفائه لتدعيم وتنويع علاقاتهم بالصين بشرط أن يتم هذا التعارض طبقا لقواعد سلوك نظام القطبين . فيستفيد الحلف الغربي من ميزة اضافية لا تخل بالتوازن بين القطبين الا الى الدرجة التي تسمح قواعد النظام بها. بمعنى أن يكون اختلالا يمكن اصلاحه عن طريق تنازلات في مسائل او مناطق اخرى ، كمسالة مفاوضات نزع السلاح او تخفيض قوات وسط اوربا او منافع استراتيجية في افريقيا والشرق الاوسط وجنوب اسيا . وقد تقبل الصين هذا الوضع تفاديا لحرب غير مناسبة مع الاتحاد السوفيتي ، ولكنها لن تقنع بهذا الوضع هدفا ينسيها هدفها الاساسي او يخمد ثورتها الدائمة على النظام الدولي الثنائي .

■■

جميل مطر

الرائد الذى رحل :

فيليب حتي

ومدرسته فى قراءة التاريخ العربى



« ١٨٨٦ ـ ١٩٧٨ »

بقلم : الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى

احد رواد عرب المهجر اللامعين الذين أتاحت لهم البيئة الغربية وامكانياتها أن يثروا المكتبة الغربية بنتاج قرائحهم الذى افاد من النظرة اللامعة المترتبة على الانفتاح الفكرى على الحضارة الغربية المتفوقة ، افادته من التسهيلات الاكاديمية والمكتبية التى تتيحها الحياة فى الغرب ..

ومن الرواد العرب المغتربين فى حقل الدراسات التاريخية البرت حورانى ـ اللبنانى الاصل ـ الذى اسهم فى القاء الاضواء على تاريخ سوريا ولبنان واجاد فى استعراض النهضة الثقافية والسياسية الحديثة فى الوطن العربى فى كتابه « الفكر العربى فى عصر النهضة » الذى نشر فى الاصل باللغة الانجليزية ثم ترجمه الى اللغة العربية منهم ايضا مجيد خدورى ـ العراقى الاصل ـ الذى الف بالانجليزية ثلاثيته الهامة عن تاريخ العراق الحديث : « العراق المستقل » .. « العراق الجمهورى » ـ « العراق الاشتراكى » واجاد فى عرض التيارات السياسية الحديثة فى الوطن العربى فى كتابيه « الاتجاهات السياسية فى العالم العربى » و « عرب معاصرون » (١) ومنهم اخيرا وليس اخرا عزيز سوريال عطية ـ المصرى الاصل ـ الذى تفرغ فى البحث فى التاريخ الوسيط ووضع

---

١ ـ ترجم هذان الكتابان الاخيران الى اللغة العربية وكذلك كتاب العراق الجمهورى .

كتابا هاما عن « صليبية نيكوبوليس » التي شنها الغرب الاوروبي المسيحي على الدولة العثمانية في أواخر القرن الرابع عشر ولكنها منيت بهزيمة ساحقة٠٠كل هؤلاء الرواد كتبوا باللغة الانجليزية واصطنعوا أساليب البحث العلمي الغربي وشغلوا مرموقة في الجامعات ودور العلم الانجليزية والامريكية خاصة وان اجادتهم التامة للغة العربية (٢) قد اثرت انتاجهم وأعطته بعدا قد لا يتاح حتى لابرز المستشرقين ٠٠

حتي ٠٠ في سطور

اما فيليب حتي ـ اللبناني الاصل ـ فقد ولد في شملان في عام ١٨٨٦ ثم درس بالجامعة الامريكية في بيروت حيث حصل على درجة البكالوريوس في العلوم (١٩٠٨م) وبعد ذلك توجه الى الولايات المتحدة في عام ١٩١٣م والتحق بجامعة كولومبيا حيث حصل على درجة الدكتوراه في اللغات الشرقية وآدابها (١٩١٥م) ثم قام بالتدريس في نفس الجامعة التي تخرج فيها ٠٠ وبعد أن وضعت الحرب العظمى أوزارها عاد الى لبنان بطلب من جامعة بيروت الامريكية وعين أستاذا لتاريخ العرب حتى عام ١٩٢٦م ثم التحق بجامعة برنستون الامريكية بصفته استاذا لتاريخ العرب ثم رئيسا لقسم الدراسات الشرقية وموجها أول لبرنامجه الخاص بدراسات الشرق الادنى وظل في هذا المنصب الاخير حتى عام ١٩٥٤م حين أحيل على التقاعد وان لم يجعله ذلك ينقطع عن العمل فعين استاذا زائرا في جامعات : هارفارد ومينسوتا وساوباولو في البرازيل وعضوا في مجلس أمناء جامعة بيروت الامريكية في الولايات المتحدة ورئيسا للجنة التربية بهذا المجلس ٠ ولم يتوقف عن الاسهام الفكري بقدر ما تسمح به حالته الصحية حتى وافته المنية بعد أن أربى عمره على التسعين عاما ٠ وقد استقر «حتي» في الولايات المتحدة في الوقت الذي ازداد فيها اهتمام المسؤولين الامريكان بالمنطقة العربية وذلك بسبب سعي الشركات البترولية الامريكية الى كسر الاحتكار البترولي الذي فرضته بريطانيا على المنطقة فيما عرف باسم اتفاقية الخط الاحمر ٠ وهكذا نجد الولايات المتحدة خلال التطورات العاصفة التي شهدها المشرق العربي في أعقاب الحرب العظمى تساند مبدأ «الباب المفتوح» في مجال النفط بوجه خاص،مما ادى الى كسر حدة الاحتكار البريطاني في هذا المجال وفتح الباب امام الراسمالية الامريكية الصاعدة لكي تشارك الراسمالية البريطانية المتداعية ارباحها ثم لتهزمها في نهاية المطاف ٠ وهذا الاهتمام الامريكي بشئون المنطقة قد انعكس في برامج بعض جامعاتها التي تفرد الان مجالات لدراسة اللغة العربية وادابها وتاريخ المنطقة وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٠ وكانت برنستون اول جامعة امريكية تعترف بأهمية الدراسات العربية ـ الاسلامية وتضعها في مكانها الحق في مناهجها٠وتوفر «حتي» على ريادة هذا الميدان الذي حظي باهم مؤلفاته : تاريخ العرب المطول ـ تاريخ العرب المختصر ـ تاريخ سورية بما فيها لبنان وفلسطين ـ صانعو التاريخ العربي ـ لبنان في التاريخ (٣) هذا بالاضافة الى مؤلفات اخرى لم تترجم بعد اهمها : الاسلام أسلوب حياة ـ الاسلام والغرب ـ اصول الدروز والديانة الدرزية ٠

تاريخ العرب المطول

ولعل ابرز مؤلفات حتي واوسعها انتشارا كتابه « تاريخ العرب المطول » الذي صدرت له حتي عام ١٩٦٥م ثماني طبعات باللغة الانجليزية وترجم الى لغات اوروبية وشرقية كثيرة منها الالمانية والفرنسية والسويدية والاسبانية والبولندية والايطالية والصربية والكرواتية والاوردية والبنغالية والاندونيسية بالاضافة الى العربية ٠٠ وهذا معناه أن الكتاب لاقى اقبالا من معلمي

---

٢ ـ عمل مجيد خدوري بالتدريس في دار المعلمين ببغداد قبل استقراره بالولايات المتحدة وكذلك الحال بالنسبة الى عزيز سوريال عطية الذي قام بالتدريس بجامعتي القاهرة والاسكندرية قبل هجرته الى امريكا أما البرت حوراني فقد نشأ في بريطانيا ٠

٣ ـ ترجمت كل هذه المؤلفات الى اللغة العربية وهي في الواقع نسخ مختصرة ومنقحة من العملين الرئيسيين : تاريخ العرب المطول وتاريخ سورية

التاريخ وطلبعة في كل هذه الاقطار، وله موجز صدر في عام ١٩٤٣م من مطبعة جامعة برنستون واصدر المجلس الحربي الامريكي منه طبعة خاصة للجيش كما نقل حتى عام ١٩٤٩م الى الاسبانية والبرتغالية والهولندية والعربية •

هذا الكتاب يبحث تاريخ العرب منذ اقدم العصور حتى القرن العشرين • وهو لا يركز على البنية الفوقية للمجتمع العربي وان يكن يعطيها ما تستحقه من اهتمام بل يتناول الى جانب ذلك تطور الحضارة العربية الاسلامية في منها وجزرهـــا ويعرض لمختلف الفرق الاسلامية وللعلاقات بين الشرق والغرب• واخيرا يفرد بابا للعصر العثماني والمؤثرات الغربية (٤) وهو باب لا ينسجم مع الابواب السابقة من حيث الحيز والعمق والتوازن مقحمـا في نهايته دراسة خاصة عن الشيخ محمد عبده دون غيره من رواد النهضة العربية الحديثة (٥) •

والدكتور حتي في هذا الكتاب وغيره من مؤلفاته يستند الى المصادر العربية الاصلية وغيرهـا من المصادر الغربية ويصطنع النظرة العلمية المتجردة عن العواطف والانفعالات السلبية والايجابية وينصف الاسلام وشخصياته البارزة وان يكن ـ من ناحية اخرى ـ ياخذ ببعض التفاسير الغربية للفتـوح الاسلامية التي يربطها بالدافع الاقتصادي وبعادات العرب قبل الاسلام وفي ذلك قوله : ولا نزاع في أن الاسلام الف بين المسلمين ووحد اهدافهم وخلق لهم شعارا جديدا فكان نبراسا لامانيهم القومية الا أن هـذه الروح الاسلامية العجيبة لا تكفي لتعليل الفتوحات فليست الاثرة الدينية والتعصب ما حدا بالعرب الى تدويخ الدول وفتح الامصار انما هي الحاجة المادية التي دفعت بمعاشر البدو واكثر جيوش الفتح منهم •• الى ما وراء تخـوم البادية القفراء الى مواطن الخصب في بلـدان الشمال •

ولعل تمرس الدكتور حتي باللغات والثقافات السامية هو الذي حدا به الى عقد المقارنات بـين الاديان السماوية الثلاثة فهو يرى تشابها بـين القصـص التـاريخي في القـران وما يقـابله في التوراة باستثناء بعض الانباء العربيـة المحضـة وقصتين ترمزان الى الاسكندر واهل الكهف والقصد من عرض هذه القصص عنده ـ هو التوصل الى عبر اخلاقية • وهو يعتبر الاسلام اقرب الـى دين ابراهيم الخليل الذي تمثلة التوراة من دين عيسى الذي يبشر به الانجيل (٦) •

ويخلص من ذلك ـ دون تعليق ـ الى أن «بعض النصارى من أهل أوروبا ومن أهل الشرق تكـون عندهم في العصور الوسطى رأي يستند الى ما بين الاسلام واليهودية والنصرانية من تشابه مؤداه أن الاسلام بدعة نصرانية أكثر منه دينا جديدا » •

وهذا الخلاف في الرؤية لا يخفي علي كـون الدكتور حتي قد أنصف الاسلام بوجه عام ووضع العضـارة العربية الاسلامية في موضعها الحــق بالنسبة الى التطور الحضاري العالمي • وفي كتابه « صانعو التاريخ العربي » يعزو الفرقة بين الاسلام والمسيحية لا الى الاختلافات اللاهوتية بل الى التطورات السياسية فطوال الفترة الطويلة من الصراع بـين الاسلام والمسيحية « كانت الصورة التي انطبعت في نفوس الغربيين عن النبي العربي وعن القرآن الكريم •• بعيدة عن الانصاف والحق » ـ

قائمة عظماء التاريخ العربي

اما عمر بن الخطاب فيحتل لديه المرتبة الثانية في قائمة عظماء التاريخ العربي : فقد كان مؤمنا وقف حياته في سبيل الاسلام وقائدا يلتهب حماسة ومقوضا لاحدى اعظم الامبراطوريات في العـالم ومؤسسا لمنصب الخلافة ولكنه لا يتردد في تسجيل قسوة عمر مع ابنه عبد الرحمن ومع خالد بن الوليد

---

٤ ـ حظي التوريث بالفصل الاخير من كل من كتابي « الاسلام والغرب » و « الاسلام أسلوب حياة » •

٥ ـ يجاري المؤلف في اهتمامه الشديد بمحمد عبده كثيرا من المؤلفين الغربيين ـ وعلى رأسهم تشارلز آدمز ـ الذين اهتموا بتفسيره المصري للاسلام ومحاولته التوفيق بين العلم والدين وتاكيده على النواحي العملية في الدين والاخلاق وتأسيسا لما يمكن اعتباره « ليبرالية اسلامية » •

وهو ما يتغاضى عنه المؤرخون المعاصرون الذين نحوا منحى عبادة البطولة التي تحول دون رؤية الخطأ فيما يعيدون .

ويدافع حتي عن معاوية بن ابي سفيان الذي لم يكن بطلا في نظر معظم المؤرخين العرب ، خاصة وان معظم الروايات تحدثت عن مصادر شيعية او عباسية وان الروايات السورية التي تنصف الامويين قليلة جدا وهو يشيد بحلمه ودهائه ويعتبره « المبتكر العظيم والاول بين العباقرة السياسيين المسلمين الاربعة وباني الامبراطورية العربية ومؤسس البيت الاموي » . ومن صانعي التاريخ العربي الذين نوه بهم ـ في ميدان الدين والسياسة ـ عبد الرحمن الداخل والمأمون وعبيد الله المهدي وصلاح الدين الايوبي ـ .

اما في مجال الفكر فهو يفرد دراسة خاصة لكل من الغزالي والشافعي والكندي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وهم وغيرهم ممن سبقت الاشارة اليهم كانوا ـ في رأي المؤلف ـ من نتاج الحركات السياسية والاجتماعية والفكرية أو الروحية .. وهم قد اعتلوا قمة أمواج هذه الحركات لتوجيه سيرها أو تعديله بمعنى أن مجرى التاريخ وتياره يؤثران في القادة الذين يؤثرون بدورهم في تحديد مجرى التاريخ هذه النظرة العلمية تختلف عن نظرة ممجدي العبقريات والبطولات الفردية المقترين الى النظرة النقدية والمتميزين بعدم الاتزان في اصدار الاحكام .

وفي تناوله لأبي حامد الغزالي يعتمد على ما كتبه المترجم له لا على ما كتبه مؤرخوه . وهو يستخلص من دراسته له انه كان ذا عقل متحرر وتفان في معرفة الحقيقة وجرأة أدبية وتجرد في نقد زملائه من علماء الدين والشرع وتسامح في نظرته الى المسيحية وتشدد في تقديم الروحاني على المادي وسعى خالص لبلوغ المثل الاعلى في الدين مما مكنه من التوفيق بين العقل والايمان وان ينشيء مذهبا فكريا في الفلسفة والدين بقي مع الايام موضع رضى السواد الاكبر من المسلمين وعلى حين ان الشافعي قد وضع أصول الفقه على أساس علمي فان الكندي جعل من المعارف اليونانية جزءا لا يتجزأ من الفكر الاسلامي وشق طريقا نحو التوفيق بين الفلسفة والعلم الالهي أما ابن سينا فهو في رأي الدكتور حتي ـ يمثل الذروة في الطب والفلسفة عند العرب ، وهو الذي مهد السبيل للفلسفة المسيحية واللاهوت المسيحي ليسيطرا على الفكر الغربي منذ العصور الوسطى ـ هذا على حين ان ابن رشد افلح في تقريب أرسطو من مدارك الناس وتزعم حركة عقلانية دامت زمنا طويلا ومهدت لعصر النهضة في أوروبا .

موقفه من ابن خلدون

ويدحض دكتور حتي ما يشاع عادة من ان ابن خلدون قد أثر في الفكر الغربي على حين ينصفه في وجه الحزازات التي اثارها نقده للعرب ..فهو يخلص الى ان المستوى الذي وضعه لنفسه كان متدنيا لان مصادر معلوماته التاريخية عن الشعوب السامية القديمة وعن العالم الاغريقي ـ الروماني كانت محدودة وبعضها مغلوط خاصة وأن لم يتعلم اي لغة أجنبية وحين اكتشفه الغرب كان الزمن الذي يمكن أن يؤثر في الفكر الغربي قد ولى بحكم أن العلوم الاجتماعية التي عالجها كانت قد انتظمت في الغرب وذلك برغم سبقه للعلماء الاوروبيين في فلسفة التاريخ وتنظيم العلوم الاجتماعية فهو ـ على اي حال ـ المؤرخ الفيلسوف وعالم الاجتماع والفقيه .. أول من فلسف التاريخ واخر جبار من جبابرة الفكر في الاسلام .

ولا شك ان الدراسة التي يتضمنها كتابا «تاريخ العرب» و « صانعو التاريخ العربي» قد استغرقت جهد المؤلف سنوات طوالا عكف خلالها على المصادر العربية الاصلية وغيرها من المصادر الغربية .. على اننا مع تسجيلنا لاهمية الجهد الذي بذله المؤلف في هذا المضمار لا نميل الى الجهد الفردي في مثل هذا الميدان الشاسع بل نؤثر عليه التفرغ على جانب أو آخر من جوانبه بحيث يجيء العمل جماعيا على أيدى مجموعة من المتخصصين كل في مجاله فمع اتساع جوانب المعرفة التاريخية وغير التاريخية لا يستطيع شخص أيا كانت طاقاته أن يلم بشتى أطرافها بمعنى أن العمل الموسوعي القائم على الجهد الفردي قد ولى زمانه.

وفي هذا الكتاب الاخير بوجه خاص يقع الدكتور

٩ ـ قارن ذلك بما يذهب اليه في كتابه « صانعو التاريخ العربي » (الترجمة دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٩) ص ٣٢ من أن « الاسلام من جميع الاديان الاخرى أقرب دين الى المسيحية » .

حتى فى أحابيل الاقليمية السورية بوجه عام واللبنانية بوجه خاص وهو يذهب الى أن بلاد الشام قد حافظت على طابعها المتميز الذى أثرت فيه طبيعتها الجبلية وقربها من البحر واتجاهها الى الغرب وطابع سكانها ومثل هذا المحظور قد وقع فيه بعض مؤرخى مصر والعراق والمغرب بل واليمن وكل هؤلاء ممن تاثروا بالكيانات السياسية التى اوجدتها الظروف العالميه والمحلية، قد برروا قيام هذه الكيانات وكتبوا بمصد ابراز الخلفية التاريخية للكيان القائم أو المرتقب ·· وقد نبه المفكر العربى الكبيرأبوخلدون ساطع الحصرىالى خطورة مثل هذا التفسير الاقليمى للتاريخ ملفتا النظر الى التداخل التاريخى بين شتى اقطار الامة العربية ومنبها ـ الى أن سوريا أو مصر أوالعرق لم يكن لها تاريخ قائم بذاته الا فى فترات قصيرةنسبيا من تطورها علىحين أنموقعها الجغرافى باعتبارها معبرا بين أفريقيا وآسيا ـ قد جعلها مطمعا لشتى الامبراطوريات التى سيطرت على المنطقة وافقدت هذه الكيانات استقلالها فالذى يمعن النظر الى المنطقة العربية ـ التى هى متحف تاريخى فى الواقع ـ يجد انها تختلط فيها المؤثرات منذ أقدم العصور بحيث لا يمكن لاى وحدة بشرية فيها أن تدعى النقاء أو الانفراد بانجازات تخصها وحدها ·· والانكى منذلك الكشوف الاثريةالحديثة التى تصادف وجودها فى هذا القطر او ذاك قد اتخذت تكأة لبعض النعرات « الطائفية » أو « العنصرية » سواء اكانت فينيقية او فرعونية أو حثية او عبرانية او اكدية او غير ذلك ولا يمكننا أن ننكر مسئولية الاتجاهات الاستعمارية الغربية عن تعميق هذه التيارات الانعزالية بقصد تفتيت المنطقة العربية الى فسيفساء اقليمية من شانها أن تبعد احتمالات الوحدة العربية التى تشكل خطرا على مصالح كل منَ يفيدون من انقسام الوطن العربى وكما وقع «حتى» فى احابيل هذه «الاقليمية» المزعومة التى تروج لها بعض الدوائر الغربية ، فقد تعثرت فيها أقدام طه حسين فى مصر ومن نحا نحوه من الانعزاليين المعاصرين · وكذلك الحال بالنسبة الى بلاد الشام المعاصرة (٧) ومنطقة الخليج المعاصرة والتبرير التاريخى المبتسر لشتى الكيانات التى يدعو اليها بعض الساسة فى منطقة أو أخرى من المناطق الواقعة بينالمحيط الاطلنطى والخليج العربى ·

ونحن لا نقصد من ايراد هذهالملحوظات أن نغض من قيمة جهود مؤرخنا الكبير بل التنبيه الى بعض المنزلقات التى يقع فيها كثير من مفكرينا بحسن نية ·· فهو ـ آخر الامر ـ منالرواد الذينأطلعوا قراء تاريخنا فى العالم الخارجى على أهم منجزات العرب والمسلمين باسلوب علمى يتناسب مع عقلية من كتبت لهم مؤلفاته باللغة الانجليزية ·· كما انه أسهم فى تكوين مدرسة من المؤرخين الامريكان الذين تفرغوا على دراسةالتاريخالعربى بنفس النظرة العلمية التى طبقها استاذهم الكبير وهى وحدها الكفيلة بادراك الكثيرين فى الغرب لحقيقة تاريخنا واوضاعنا وامانينا · ■■

د · أحمد عبد الرحيم مصطفى

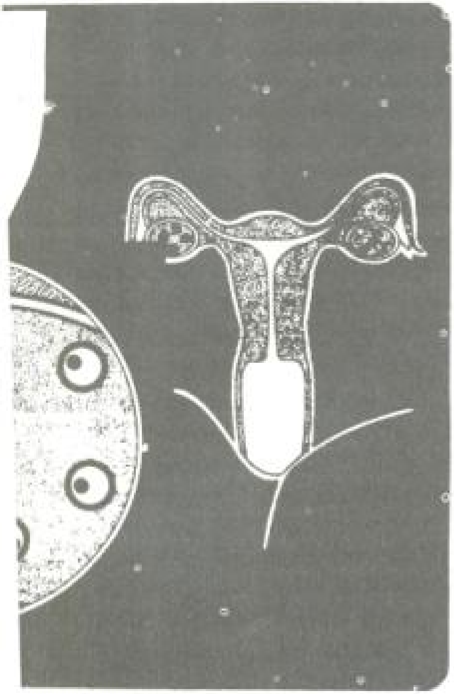
٧ـ عقد فى دمشق منذ وقت قريب المؤتمر الدولىالثانى لتاريخ بلاد الشام ·

الكرامة والحكمة

● أبلغ أحد الاباء ابنه بأن الكرامة والحكمة هما مفتاحا النجاح فى ميدان العمل · وقال له : أما الكرامة فانى أعنى بها أنه اذا وعدت أحدا بتسليم بضاعة فى يوم معين فيتوجب عليك أن تفى بوعدك ولو أدى ذلك الى افلاسك ·

ثم سأله الابن : حسنا ، وماهى الحكمة ؟

فاجاب الاب : هى الا تقدم مثل هذه الوعود ·



مستقبل الاخصاب خارج الارحام

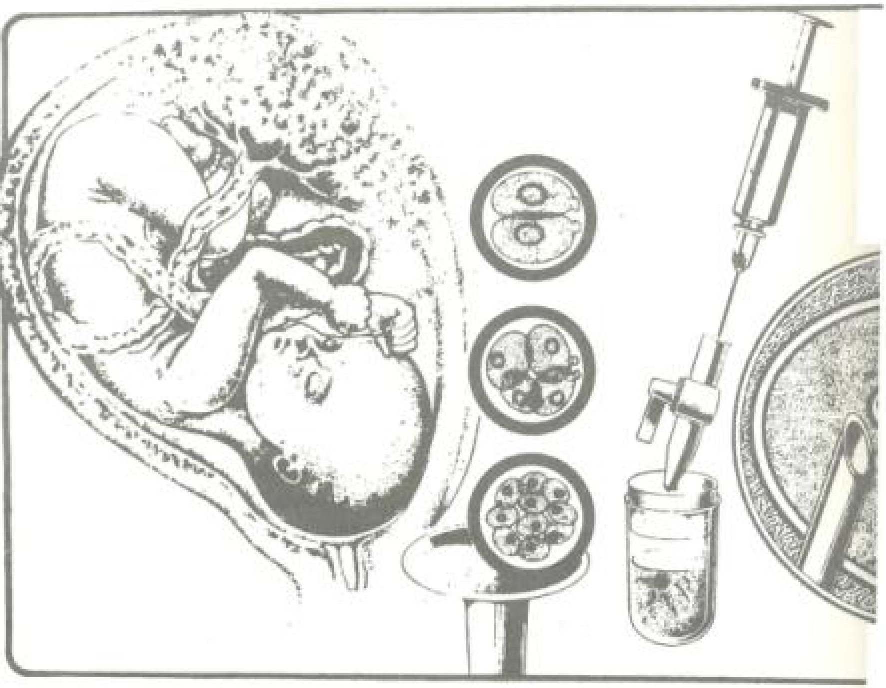
بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

هب أنك كنت موظفا فى احدى ادارات السجلات المدنية ، ثم جاءك زيد من الناس ليعلن عن ولادة طفل حديث ، طالبا منك تسجيل اسمه فى سجلات المواليد ، فتبدأ فى الاستفسار عن البيانات المطلوبة فى هذه الحالة ، وعندما تشرع فى تدوين المعلومات الخاصة بالاب والام ، تفاجأ بأن والدى الطفل الحديث الولادة قد ماتا فى حادثة منذ عشرين عاما ، وعندئذ تقع فى حيص بيص ، او قد تضرب اخماسا فى اسداس ، او قد تظن أن محدثك به مس من جنون ، فهذه ـ بلا شك ـ أنباء مزعجة لم يسمع بها أحد ، ولا هى وردت فى الاساطير !

وايا كانت الامور ، فان الحقيقة التى لا مفر منها ولا مهرب تتركز فى ضرورة تطوير انماط افكارنا ، حتى تساير عصرنا الذى نعيش فيه ، أو نهيىء عقولنا لما قد يأتى به المستقبل من مفاجآت مثيرة .

والسؤال الذي يلح على الاذهان هو : هل من المعقول ان تخلف الانسان ذرية بعد موته بسنين عدة ، أو ربما عشرات السنين ؟ .. واذا فرضنا ـ مجرد فرض ـ ان ذلك كان واردا فى تفكيرنا الحالى ، فكيف ـ اذن ـ يتسنى لمولود ان يأتى الى الحياة ، بعد ان يكون والداه قد انتقلا الى رحمة الله ؟

الواقع ان ذلك ممكن الان ، أو بعد الان ، اذ لا يهم ان تأتى المواليد بطريق الزواج او الجماع الجنسي التقليدى ، والفضل فى ذلك يرجع الى البحوث البيولوجية التى تستطيع ان تهيىء



الظروف المناسبة للاخصاب خارج الارحام ، ليس ذلك فحسب ، بل هي ايضا بقادرة على ان توقف الزمن بالنسبة لبدايات الاجنة التي تم تلقيحها في انبوب الاختبار ، وكانما هذه الاجنة تعيد الى اذهاننا قصة اهل الكهف ، ولكن بطريقة أخرى تتطلب منا استيعابا وتطورا في افكارنا الحالية ، ومن لا يفعل ، فلا يلومن الا نفسه .

بالتبريد الشديد .. نصل الى ما نريد !

لكل شيء بداية ، وقد تكون هذه البداية متواضعة ، لكن سرعان ما تتطور وتكبر وتصقل حتى تصبح ملء السمع والبصر والفؤاد .

فولادة أول طفلة بشرية في العام الماضي بعد عملية اخصاب تمت في انبوب الاختبار ، انما هي تتويج حقيقي لفكرة متواضعة بدات في القرن الماضي (انظر مقالنا في العدد السابق على صفحات هذه المجلة) ، ولقد كبرت هذه الفكرة وآينعت ثم اتت ثمارها من خلال تغذيتها بافكار جديدة ، واقامة اودها بوسائل تكنيكية متطورة ومصقولة ، ومع ذلك ، فنحن ما زلنا في بداية طريق طويل وشاق ومثير ، لندرك الكثير من اسرار الحياة التي تتجلى لنا على هيئة الغاز جد عويصة .

فبجوار العلماء الذين يبحثون في اسرار الاخصاب والنطف الجنسية وتطور الاجنة في الارحام ، وجد علماء اخرون متخصصون في بحوث تبريد الخلايا والانسجة والاعضاء ، بغية حفظها لفترات طويلة دون تحلل او فساد.* والحق ان العلوم المختلفة تخدم بعضها ، لتتوصل الى اهداف كثيرة لا نستطيع لها حصرا .

فاستخدامات الاسس العلمية لظاهرة التبريد الشديد في مجال الخلايا الجنسية ، والاجنة

* انظر مقالنا عن تجميد الحياة في العدد رقم٢٣٩/اكتوبر ١٩٧٨ ص ١٩ من العربي .

الناتجة عن طريق الاخصاب خارج الارحام قد تدفعنا دفعا لكي نتخلى عن بعض افكارنا القديمة.

ولنفرض هنا ان زوجين شابين لا يريدان ان يحملا مسئولية خلفة الذرية وتربيتها في بداية حياتهما الزوجية لظروف تمنع ذلك ، لكنهما ـ في الوقت ذاته ـ يحسبان للاقدار حسابها ، فلا شيء مضمون في هذه الحياة ، ومن هنا قد يحتاطان للامر ، ويعقدان العزم على انتاج جنين او جنينين او اكثر ، ليس هذه المرة للحمل او الولادة ، بل للحفظ في الانبوب سنين عدة ، وليكن ذلك عن طريق الاخصاب الخارجي .. أي الذي يتم فيه تلقيح البويضة بالحيوان المنوي في أنبوب الاختبار ، ثم انقسام البويضة المخصبة الى ثلاثة او اربعة او خمسة انقسامات متتالية ، تكون فيها قد انتجت عدة خلايا تمثل لنا البداية الاولى للجنين ، ومن الممكن وضع هذه البدايات في تركيز خاص من الجليسرين مختلط بوسط سائل ، ثم تبريدها الى ٧٩ درجة مئوية تحت الصفر ، فيتوقف كل نشاط حيوي في الجنين ، الى ان يبعث من رقاده بعد سنين ، فيعاد الى رحم الام لكي تحمله من بعد نوم طويل .

لكن اهل الصين قد يقعون هنا في مأزق ، اذ انهم يضيفون الى عمر الوليد تسعة اشهر ، لانهم يعتبرون بداية المولود الحقيقية من يوم اخصاب البويضة ، ولنفرض أن الاخصاب قد تم عندهم في الانبوب ، وحفظت بداية الجنين عشر سنين ، ثم اعيد الى رحم أمه ليولد ، عندئذ لا يستطيعون حسابها من يوم الاخصاب ، لان الجنين قد « سرق » من الزمن في رقاده عشرة أعوام ، ولابد هنا من تصحيح الاوضاع .

او قد تأتي حادثة فتقصف عمر الوالدين معا دون أن تكون لهما ذرية تحمل اسميهما ، او ترث ممتلكاتهما ، لكن الذرية قد تكون «نائمة» في الانابيب ، ويمكن بعثها من رقادها الطويل اذا دعت الظروف لذلك ، وهي بلا شك تحتاج الى أم لتحملها حملا ، لكن الام ـ كما سبق ان ذكرنا ـ قد ماتت ، ومع ذلك ، فمن الممكن تأجير سيدة لتحمل عن المتوفاة بالنيابة ، وذلك مقابل اجر ، وما على الاطباء الا أن يجهزوا رحم تلك السيدة للحمل ببعض الهرمونات ، ثم زرع الجنين « النائم » في أنبوب الاختبار ، ليتطور ويتشكل في رحمها ، ثم يوضع وضعا طبيعيا ، ليحمل اسم ابويه المتوفين .

مآزق فكرية

والواقع ان هذه الامور الغريبة يمكن بالفعل تحقيقها في وقتنا الحاضر ، لكن ذلك سيثير العديد من المشاكل الاجتماعية ، والمآزق الفكرية، والصعاب القانونية ، والاحتجاجات الدينية ، والخدع الذكية ... الخ .

فمن وجهة النظر التقليدية ، قد يقع عامة الناس في فوضى فكرية ليس لها من قرار ، فاذا حملت السيدة غير المتزوجة جنينا غريبا عنها ، ووضعته وارضعته وحضنته وانشأته ، فان الشعور السائد قد ينسب الطفل اليها على انها امه، لكن ذلك ليس صحيحا من وجهة النظر البيولوجية او الوراثية .. فمثل السيدة التي تلد جنينا مزروعا كمثل المرضعة التي ترضع وليدا غير وليدها ، فالطفل الرضيع يستخلص من الدم غذاءه ، وكذلك يفعل الجنين المزروع ، فهو يحصل من دماء الحاضنة على مقوماته الغذائية عن طريق اتصال دورتها الدموية بدورته ، مع ما ينساب في تلك الدورة من هرمونات لها أثر على الجنين .

ومع ان الحديث في هذا الموضوع قد يتشعب ويطول ، الا انه يكفينا ان نشير هنا فقط الى ان السجل الوراثي الحقيقي للوليد قد جاء اساسا من الخلايا الجنسية للابوين ، فكل خلية بمثابة « ميكروفيلم » للمخلوق الذي منه قد جاءت ، فاذا كان الابوان شقراوين وطويلين ، وحدث التلقيح بين خلاياهما الجنسية في الانبوب ، ثم زرع الجنين الناتج في زنجية ، فانه لا يحمل اية صفة من صفاتها ، بل يخرج الى الحياة كوليد اشقر .. تماما كصفات والديه !

وقد تنشأ هنا مشكلة جانبية ، وقد تستلزم جدلا طويلا ، فمن وجهة نظر السيدة التي حملت وولدت وارضعت وربت ، ومع شعورها الدفين بان هذه الظواهر جميعها تنطبق على غريزة الامومة الكائنة في الانثى ، فان هذا الشعور قد يدفعها دفعا الى التشبث بالوليد ، لانها تعتبره جزءا من لحمها ودمها ، وهذا ـ الى حد ما ـ صحيح ، الا ان الاصول الوراثية

ترجع الوليد أساسا الى الوالدين اللذين شاركا بخلاياهما الجنسية فى تكوينه .

او قد يقع العلم نفسه فى مآزق أخرى ، فمع تعميم فكرة الاجنة المحفوظة لمدد طويلة فى الانابيب ، قد تستغل بعض النفوس الضعيفة فكرة هذه الاجنة ، ويدعون ما ليس لهم فيه حق، كأن ينسبوا جنينا الى غير ذويه ، أو قد تحمل الانثى بطريق غير مشروع ، ثم تدعى ان ما فى بطنها زرع لاستفاح ، وهنا يدخل رجال العلم والقانون والدين فى متاهات ، فعلى رجال العلم مثلا أن يتحققوا من الصفات البيولوجية للوليد، وايضا للتى وضعته ، ولوالديه أن كانا لا يزالان حيين ، فيعيدوا الامور الى نصابها او اصولها ، وعلى رجال القانون ان يشرعوا قوانين جديدة تتمشى مع المتاهات التى قد تعيش فيها الاجيال القادمة ، وعلى رجال الدين أن يطوروا مفاهيمهم، او أن يحتجوا لدى الحكومات ... الخ ... الخ.

او قد تنشا مشاكل نفسية للام الحقيقية ، فغريزة الامومة تنبع أساسا من احساسها بنشأة الجنين فى بطنها ، ثم حمله ووضعه وارضاعه ، وذلك يختلف تأكيدا عن وليد جاءها جاهزا فى رحم انثى غيرها ، مما قد يؤثر على شعورها بعض الشىء .

لكن ذلك كله ليس لب موضوعنا العلمى الذى نتعرض له هنا ، ولزاما علينا أن نعود لنشير الى أن بعض السيدات لا يستطعن انجابا على الاطلاق لبوار ارحامهن ، ومع ذلك فهن يستطعن – بفضل انجازات العلوم البيولوجية والطبية الحديثة – أن يتغلبن على هذه المشكلة العويصة، فيكون لهن ذريتهن التى تنتسب اليهن نسبا وراثيا وبيولوجيا صحيحا ، خاصة اذا كانت مبايضهن سليمة ، وعندئذ يمكن استخلاص بويضة او اكثر من تكوينهن ، ثم تلقح خارجيا فى المعمل بحيوانات منوية من أزواجهن ، وتزرع البويضة المخصبة فى رحم سيدة تقبل – لقاء اجر – ان تكون حاضنة للجنين المزروع فى رحمها، ولا مانع ايضا من ارضاعه بعد ولادته ، ثم ترد الوديعة « الحية الى ذويها ، لان الطفل فى هذه الحالة منسوب شرعا ووراثة الى والديه اللذين شاركا فيه بخلاياهما الجنسية ، وبهذا يكون العالم قد حل مشكلة عويصة من مشاكل النساء العاقرات ، وحقق لهن الامل الذى يقوم عليه عماد حياة الاسر .

اهداف اخرى

لكن هذه البحوث قد تفيد فى حالات أخرى كثيرة .. فقد يكون الزوج عقيما ، ويرجع سبب عقمه الى ان نسبة كبيرة من خلاياه الجنسية بها عيب أو غير قادرة على الاخصاب لاسباب يطول شرحها ، وان النسبة الضئيلة الباقية لاتستطيع حث البويضة او تهيئتها لتقبل احدى الخلايا الذكرية لتلقيحها ، وعندئذ يمكن جمع هذه الحيوانات المنوية على فترات ، ثم تخزينها اولا باول بالتبريد الشديد ، فتزيد فيها الاعداد الخصيبة الخلايا الجنسية .. ذلك أن القليل مع القليل كثير ، وعندئذ يمكن حدوث الاخصاب فى الرحم او فى الانبوب .

وقد تفيد هذهالبحوث فى تحديد النسل مبكرا، خاصة فى الدول النامية ، اذ يمكن للزوج الشاب مثلا ان يحتفظ بقدر معقول من نطفته الجنسية فى انبوب الاختبار تحت عملية تبريد يشرف عليها المتخصصون ، وتحفظ له باسمه فى احد بنوك الخلايا الجنسية التي قد تعمم فى المستقبل ، وبعد هذا يمكنه اجراء عملية تعقيم ، فلا يستطيع – بعد ذلك – اخصابا (لكنه قادر على الجماع طبعا) ، فاذا حدثت لذريته المحدودة (ولنقل انها تتكون من اثنين او ثلاثة) كارثة اودت بحياتهم او بحياة واحد منهم ، وتاق لذرية جديدة ، فان ذلك سيصبح ميسورا بفضل جزء من نطفته الجنسية المحفوظة له فى « البنك » ، اذ بعملية اخصاب صناعى يكون له ما يريد ، وهذا يعنى ان تلك الطريقة بمثابة « وثيقة تأمين » ضد خوف الرجال من عمليات التعقيم التى قد تحرمهم الى الابد من الذرية ، لكن الاخصاب مضمون بفضل وسائل العلم الحديثة .

او قد يخشى الناس من موت مفاجيء قبل تحقيق املهم فى ذرية ، فكوارث الحروب والحوادث (برا وبحرا وجوا) ، وضحايا الزلازل والبراكين والفيضانات والاعاصير ... الخ ، قد تدفع بعض الناس للاحتياط لمثل هذه الامور مستقبلا، فالذين يذهبون الى الحروب مثلا ، قد يتركون خلاياهم الجنسية محفوظة فى « البنوك » ، فربما

يموتون دون أن تخلفهم ذرية ، لكن العلم قادر مستقبلا على تحقيق هذه الامال ، اذ يمكن للميت أن تخلفه ذرية بفضل خلاياه الجنسية المحفوظة سليمة لسنوات قد تطول .

وفى القصص العلمى الخيالى يتصور مؤلفوه أن الانسان قد يغزو الكواكب فى المستقبل البعيد، ولكي لا تكدس سفن الفضاء بالاحمال من البشر، فعليهم ان يحملوا معهم « نسخا » ضئيلة من هؤلاء محفوظين داخل كبسولات خاصة ، وما نسخنا المحموله عبر الكون الا خلايا جنسية ، او بويضات مانحة ، أو اجنة دقيقة فى مراحلها المبكرة من الانقسام ، وستكون النساء فى هذه الرحلات الكونية الطويلة اهم من الرجال ، فالمرأة هى الحاضنة الحقيقية للاجنة ، ومن هنا يمكن زرع الاجنة المحفوظة داخل انابيب الاختبار فيها ، وبهذا تعمر الكواكب البعيدة بنسل الانسان !

لكن هذا التصور او الخيال قد يتحول الى حقيقة بفضل البحوث البيولوجية الحديثة التى قد تجد لها تطبيقا فى الارض .. وفى السماء !

جنين واحد يتحول الى عشرات الاجنة !

ومن البحوث الهامة التى قد يكون لها تطبيقات شتى فى الحيوانات التى تفيد الانسان ، تلك التى تجعل الجنين الواحد يتمخض عن أجنة كثيرة .. اى كأنما الجنين نفسه يتوالد ليعطى ذرية كثيرة .

لكن .. ماذا يعنى ذلك حقا ؟

الواقع ان الفكرة الجريئة قد تقود الى أفكار اجرأ واتقن ، ولكي ندرك الهدف من فكرة جنين تخلفه ذرية من اجنة ، كان لزاما علينا ان نهجر فكرتنا التقليدية عن تكوين الاجنة ، فالفكرة « القديمة » فى تكوين الجنين هى اجتماع الذكر بالانثى ليحدث الاخصاب الداخلى ، ثم حلت محلها فكرة حديثة تشير الى أن حدوث الاخصاب قد يتم دون اجتماع الذكر بالانثى فى عملية التزاوج ، بل يكفى ان يحدث اللقاء بين الخلايا الجنسية ــ تحت ظروف خاصة ــ فى انبوب الاختبار .

لكن الفكرة الاحدث ــ والتى قد تطبق مستقبلا ــ تركز فى تفصيص خلايا الجنين الواحد بعد انقسامه عدة انقسامات قليلة ، فبعد اخصاب البويضة الملقحة ، تراها تنقسم مثنى وثلاث ورباع .. الخ ، الى ان تصل الى كرة صغيرة لا تراها العين الا بصعوبة ، وفيها تكمن عشرات الخلايا النشيطة غير المميزة ، ولو امكن فصل تلك الخلايا وتفكيكها فى أنبوب الاختبار ، فان كل خلية بدورها تنقسم الى خلايا متماسكة ، ثم لو اعدنا تفصيص هذه الكتلة من جديد ، فقد تعيد خلاياها الكرة مرة ، وربما مرات ،لتحصل فى النهاية على المئات !

وهل يمكن تحقيق ذلك ؟

بالتأكيد نعم .. اذ حقق العلم هذا الهدف مع الانسجة المختلفة ، فمن الممكن ان نفكك خلايا الكبد والمخ والكلى والعضلات .... الخ ، ونجعلها تعيش فرادى فى المحاليل الغذائية لفترات قد تطول ، والواقع ان العلماء يقومون بهذا العمل ليل نهار ، بغية التعرف على المزيد من اسرار تلك الخلايا وسلوكها ، لكن ذلك موضوع طويل وغريب ، وقد نفرد له دراسة قادمة مستقلة .

لكن .. ما هو الهدف من تفكيك خلايا بدايات الاجنة ؟

الهدف الحقيقى ان تحول كل خلية منها الى جنين مستقل .. فبدلا من جنين واحد يأتى الى الحياة بالطرق التقليدية ، نستطيع أن نجعل منه عشرات الاجنة المتماثلة فى كل صفة من صفاتها الوراثية .. فلو أردنا مثلا أن نحصل على ابقار ممتازة ومنتقاة ، فما علينا الا أن نحصل على بويضة من بقرة ممتازة ، وخلايا جنسية من ثور قوى اصيل ، ويتم التلقيح فى الانبوب، فتنقسم البويضة المخصبة الى عشرات الخلايا ، ونقوم بتفصيصها الى وحداتها الخلوية ، لتعطى كل واحدة جنينا ، ثم نزرع هذه الاجنة فى أرحام ابقار رخيصة ، لتلد لنا ذرية من ابقار ثمينة ، وكل وليد منها صورة طبق الاصل من اترابه .

والواقع ان هذه الطريقة ليست وليدة أفكارنا، بل هى قديمة قدم الحياة على هذا الكوكب ، فالتوائم المتماثلة والمتشابهة فى كل صفة من صفاتها الوراثية انما تجىء بعملية فلق فى المراحل الاولى لتكوين الجنين ، فتنقسم كتلة الخلايا الى قسمين ، وكل قسم منها ينتج توأما متشابها تماما لاخيه ، لكن العلم قادر الان على أن يذهب الى ابعد من ذلك بوسائله المتطورة ، فيعطينا من

التوائم الممتازة ما نشاء .. وهذا مستحب في عالم الحيوان لا الانسان !

التحكم فى جنس الجنين

وطبيعي ان اناث الحيوان أهم – فى هذا المجال – من ذكوره ، فان الانثى هى التى تمنحنا الذرية واللبن والزبد ، واكثارها يتطلب معرفة نوع الجنين من البداية .. صحيح أن البحوث لازالت سارية فى هذا الميدان ، لكن فكرةالاخصاب فى انبوب الاختبار سوف تيسر وتحدد لنا نوع الجنين ، فلو اننا اخذنا خلية واحدة من الخلايا الجنينية المفككة ، وفحصنا مكوناتها الوراثية لاستطعنا تحديد الذكر من الانثى ، فان كانت بداية حيوان ذكر اهملناه ، وان كانت البداية لانثى ، حافظنا على الخلايا الاخرى المفككة ، وشجعناها على الانقسام ، لتصبح كل واحدة منها بمثابة بداية جنينية لانثى ، فنزرعها فى الارحام ، لتخرج لنا ذرية كلها اناث فى اناث .

وبهذه الفكرة ايضا يستطيع العلم مستقبلا أن يهب لمن يشاء الذكور او الاناث ، فلو ان انسانا قد رزقه الله بذرية اناث فى اناث ،واشتاق لولد ، فان العلم قد يحقق له أمله ، وما ذلك بعسير ، فمن خلال معاملة الزوجة ببعض الهرمونات المشجعة على افراز البويضات ، نستطيع الحصول على عشرة منها او اكثر ، وعندما نستخلص هذه البويضات الناضجة ، ونحضنها فى انبوب الاختبار مع حيوانات الزوج المنوية ، فإن فرصة التلقيح هنا لانجاب الذكور والاناث تكون متساوية ، ذلك ان نصف عدد الحيوانات المنوية يحمل صفة الذكور الوراثية فى حين ان نصفها الاخر يحمل الصفات الانثوية .

وبعد ان يتم التلقيح فى الانبوب ، ينتج عن ذلك عدد من الاجنة ، ومن الممكن تحديد نوع اى منها من خلية واحدة ، فنزرع التى جاءت بدايتها ذكرا فى رحم الزوجة ، لتهب زوجها ما يقر به عينا ، ويسعد فؤادا !

صحيح أن هذه الافكار لم يبدأ اخذها – حتى الان – فى الاعتبار ، لكن تطور البحوث المذهل فى هذا الميدان قد يحقق كل ما يصبو اليه الانسان من امال فى المستقبل القريب او البعيد .

لكن أهم من ذلك كله ان عشرات او ربما مئات الالوف من الاطفال يولدون كل عام بامراض وراثية كثيرة ، لكن العلم – حتى الان – لا يستطيع ان يصلحهذا الخلل البيولوجى الا فىحدود محدودة، وقد يصبح « تكنيك » تنشئة بدايات الحياة فى انبوب الاختبار بداية طيبة لانقاذ ملايين الضحايا مستقبلا ، ومن هنا يقرر العلماء او الاطباء – من البداية – ان كان الجنين يحمل « بذور » مرض وراثى ؛ او هو قد جاء سويا .. فأما الذى به سوء ، فالاولى به الا يجيء ،فيصبح الانبوب قبره ومثواه ، واما الصالح ، فمرحبا به فى الحياة !

لكن قد يكون لذلك الموضوع الهام دراسة اخرى قادمة . ■■

الاسكندرية – د. عبد المحسن صالح

كن فتى مهذبا

● بينما كنت عائدا الى كليتى فى كامبريدج بعد منتصف الليل قررت اختصار الطريق والمرور عبر منزل المدير بدلا من تسلق جدران الكلية وما قد يسببه ذلك من مخاطر لى · وفى الوقت الذى تسللت فيه الى حجرة المطالعة فى المنزل واذا بوقع أقدام يقترب من الحجرة ، وعلى الفور اختبأت خلف الستار · وبعد برهة دخل المدير وجلس الى مكتبه حيث قرأ لمدة ساعات · وعندما هم بالخروج قال وصوته موجه نحوى : كن فتى مهذبا واطفيء النور عندما تغادر الحجرة!

الاسلام المطلوب للمرحلة !

بقلم : فهمي هويـــدي

حتى الاسلام لم يسلم من بصمات المرحلة . هكذا نعت الينا النبأ صحف الصباح ، وابرزته مختلف الواجهات الفكرية المعروضة في هذا الزمان .

تقول خلفية النبأ ان متغيرات المرحلة ليست في الخرائط السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقط ، ولكنها في الخريطة الفكرية ايضا ، اذا صح التعبير . وتلك ضرورة تفرضها اعتبارات الانسجام والتناسق . ومـا دام الامر كذلـك ، فان الدين يظل طريقا « استراتيجيا » اساسيا ينبغي عبوره ، بل هو الطريق الامثل لاحداث هذا التغيير في الخريطة الفكرية لدى قطاعات عريضة من الجماهير .

وهو حلم راود اشهر الغزاة في العصر الحديث ، ان يدخلوا بلادنا وقد تابطوا ذراع الاسلام . من نابليون بونابرت الذى جاء الى مصر بدعوى أنه حامي حمى الاسلام ، حتى اشهر خليفته الثاني الجنرال مينو اسلامه امعانا في تثبيت الفكرة ، الى الرئيس الامريكي جيمي كارتر ، الذى قدمت ادارته منذ اسابيع مليون دولار الى الازهر الشريف ، هدية منها لمساعدته في اداء رسالته الجليلة !

وما لم يقله النبأ صراحة ان الاسلام مطلوب ــ جدا جدا ــ في هذه المرحلة ، بشرط واحد هو ان يكون اسلاما طيعا مستانسا ، بغير اظافر ولا أنياب .

المطلوب اسلام له مواصفات اسد السيرك ــ ومعذرة لتكرار استخدام التشبيه ــ مهيب وعظيم وله نفوذ ادبي خطير ، لكن كل ما يصدر عنه ــ حتى الزئير ــ هو في حدود الدور المرسوم ، ومن خلال القفص الحديدى الذى ينتصب وسط الحلبة .

المطلوب اسلام مسطح مريـــح ، لا يزعج الواقفين ، ويغـــوص فيه القاعـــدون والمتمددون . اما ذلك الاسلام « المدبب » الذى اطل على البشرية منذ ١٤ قرنا ــ ثم دفن في ثنايا بعض الكتب ، فهو شائك وغير مرغوب ، ويصعب امتطاؤه باى حال ! .

المطلوب أن ينزع باى شكل ، ذلك الفتيل المفجر من الاسلام ، لابطال مفعوله . ليتحول من قنبلة الى دمية . من مضمون الى شكل . من طاقة حياة الى جثة بغير حراك . من شعلة مضيئة الى رماد بارد ! .

●

ورغم ان جهود تقليم اظافر الاسلام وتطويعه لها مواصفات ثابتة في كل زمان ومكان ، الا ان لكل فترة خصائصها ، التى تختلف باختلاف طبيعة المرحلة واتجاه الريح خلالها . واذا حاولنا ان نرصد المواصفات المطلوبة في اسلام هذا الزمان ، فاننا نستطيع ان نستخلص ــ من قراءة الواقع ــ الشروط التالية :

* مطلوب الاهتمام بالمعنويات ، الروحانيات والاخلاق . اذ يجب أن تتطهر النفوس اولا

من كل شوائب الاثم والخطيئة . وان يصفو الجو فيما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى . وحبذا لو تم ذلك في خلال صيغة كالطرق الصوفية مثلا . حيث تغتسل ضمائر الناس في حلقات الذكر ، وترطب حلوقهم والسنتهم بالادعية والمأثورات ، ويستنقذون انفسهم من ذلك العالم المليء بالشرور والفتن .

* مطلوب الهجوم على العقل ، واتهامه بانه مصدر كل مفسدة وزيغ في العقيدة . ولعل اكثر اهل المشرق يذكرون حديثا تليفزيونيا اذيع اخيرا في برنامج « نور على نور » الشهير لعالم ازهرى اكثر شهرة ، قال خلال مناقشة حول الاسراء والمعراج انه اذا اردت ان تدخل الى الدين فليكن ذلك من غير باب العقل . وهى نغمة ترددت في اكثر من كتاب بين ايدى الناس الآن .

* مطلوب التركيز على سلامة الايمان بالله ، ومحاربة الالحاد بكل سلاح ، واعطاء هذه المعركة اولوية رئيسية . اذ لا يعادل الالحاد جريمة ، ولا يعلو حق فوق حق الله سبحانه وتعالى ، وهى رسالة مقدسة لا تحتمل التفريط فضلا عن التأجيل ، الامر الذى يدفعنا الى ان نجند انفسنا لمحاربة مذاهب دنيوية اخرى في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لكى نحرر كل الاعماق من دنس الالحاد ، لا نفرط في « شبر » واحد.

* مطلوب ضرب كل الشعارات التى جمعت صفوف العرب في مرحلة سابقة ، واسقاط الرايات التي التفوا حولها ، بحجة انها ضد الاسلام . فالقومية سلاح لطعن الاسلام ، والوحدة خدعة للتحلل من الارتباط بالاسلام ، والاشتراكية حصان طروادة الذى يخفى الشيوعية في باطنه ، والتاميم عدوان وحشى على النعم التي اختص بها الله بعض عباده ، حتى ولو كانوا خواجات او صهاينة !

* ينبغى أن نستعيض عن هذا كله باعلان العودة الى الاسلام ، وحتى تكون العودة فعالة ومؤثرة ، فلتكن من باب الجنايات . اعنى ذلك الاسلام العقابى الذى يطل على الناس باسلحة الرجم والقطع والجلد ، وحتى نذود عن حياض الاسلام ونحفظ شرف وعرض اتباعه ، فينبغى ان نشغل انفسنا بزى المراة وصوت المراة وتعليم المراة وتوظيفها ، واين مناطق الحل والحرمة في هذا كله . وليس هناك ما يمنع من ان تمتد المناقشات الى مجالات « ثقافية » اوسع ، حتى يكون الناس على بينة من امر دينهم . ويفتح باب الاجتهاد على مصراعيه للبحث في صحة القول بكروية الارض والتثبت من هبوط الانسان على القمر ، وحسم مسالة اطلاق اللحى وتدخين السجائر واطالة شعور الشباب ومعضلة قمصانهم المشجرة !

* وحتى تصدق العودة وتثبت قرائنها . فليفتح الباب ايضا لكل صور خصام العصر . ليس فقط بافتعال معارك مع افكار دنيوية اخرى ، ولكن ايضا بغض البصر عن التجمعات التى تحمل اسم الاسلام ، وتنتشر بصورة سرطانية بين الاجيال الجديدة من الشباب ، مروجة لدعوات الامتناع عن رؤية التلفزيون وسماع المذياع ، ومقاطعة السينما واعتبار الموسيقى رجسا من عمل الشيطان ، والفنون وثنية جديدة ، ومقاطعة المصارف والامتناع عن التعامل مع الحكومات الكافرة ورفض التعليم الجاهلى ..

* واذا كان لا بد من الاشتغال بالسياسة والاقتراب من حقلها المليء بالالغام والمحاذير ، فليكن ذلك من باب منح البركات ، على طريقة البابوات ، ليبارك رجال الدين اى موكب يسير امامهم ما دام العلم الرسمى يرفرف على مقدمته . ولموكب السلطان اعتبار

خاص . اذ لا يكفي التبريك ، بل لا بد من التبرير ايضا .

●

في التطبيق العملي ، ماذا يعني هذا كله ؟

ذلك يعني — من ناحية — ان يعزل الاسلام عن واقع الناس ومشكلاتهم الحياتية ، ويظل محصورا في دائرة اضيق ما تكون ، دائرة الفضائل ومكارم الاخلاق ، وبعض مظاهر العبادات ، . وبهذا يصبح محور حركة المسلم هو الطريق المؤدى مباشرة الى السماء ، وتنقطع كل الطرق التي توصله الى الارض .

ويعني ايضا ان يشغل المسلمون باى شيء الا جوهر الاسلام وحقيقته . يدعون الى التنقيب في الضمائر والتثبت من صحة الايمان ، والقتال على جبهة دفاعية ، وينصرفون عن خوض معركة اقامة العدل والحرية في مجتمعهم .

ويعني ثالثا ، غرس بذور الالحاد القومي ، واعتباره مرحلة ضرورية لمواجهة الالحاد الديني . ووضع الاسلام كنقيض حتمي لكل الشعارات التي ساهمت في حشد الجماهير العربية ولملمة صفوفها المبعثرة في مرحلة زمنية سابقة . وطرح المسالة كما لو كان الطريق الى الاسلام لا بد وان يمر فوق انقاض العدل والقومية العربية والوحدة .

ويعني رابعا ، اجهاض المدخل الصحيح للتطبيق الاسلامي ، وتقديم الاسلام بصورة مشوهة لا يمكن قبولها ، ليس فقط من جانب العالم الخارجي ، بل ايضا من جانب فصائل الشباب الواعي ، الذي يفزعه بغير شك هذا الطرح العقابي للاسلام المتمثل في البدء بالحدود ، وتنفره بكل تاكيد هذه الصورة السلبية للاسلام ، المتمثلة في جماعات « الرفض الديني » التي يقوم منهجها على مقاطعة العصر والحياة الحديثة في مجموعها .

ولا بد ان يثير انتباهنا هنا ذلك الالحاح من جانب الذين يرفعون رايات الاسلام في هذا الزمان على تطبيق الحدود . وصمتهم المطلق ازاء تطبيق فريضة الزكاة مثلا . وهو صمت يصعب تفسيره ، فضلا عن انه لا يشجعنا كثيرا على ان نحسن الظن باصحاب تلك الدعوات . ذلك اننا اذا حاولنا ان نجرد الصورة ، ونختار تطبيقا موضوعيا للاسلام ، بايهما نبدا : بالحدود ام بالزكاة ؟ بعقاب قلة آثمة ، ام باقامة العدل الاجتماعي بين جماهير المسلمين ؟ ببتر البعض ، ام بوقاية الكل ؟

●

اخيرا ، لابد ان يثير انتباهنا ايضا ذلك الصمت الذي حل فجاة على رافعي رايات سلام في عالمنا العربي ، ازاء الزعامات الدينية الايجابية ، التي تحركت اخيرا داعية الى تطبيق الشريعة الاسلامية . رغم انه يفترض نظريا ان ثمة هدفا واحدا لهؤلاء وهؤلاء .

لكن الفرق بين الطرفين ان احدهما اخذ الامور ماخذ الجد فتكلم وتحرك ، بينما الطرف الثاني مطلوب منه ان يتكلم ويتكلم ، ليمتص مشاعر الناس ويلهيهم عن الحركة الايجابية . الاول خرج عن النص الموزع والمرسوم لاسد السيرك ، وكاد يتحول الى اسد حقيقي يعمل لحسابه ، والثاني ظل حريصا على وظيفته في السيرك ، وملتزما بكافة تعليمات المدرب !

الم اقل لكم ان الاسلام مطلوب جدا جدا في هذه المرحلة

وان المسلمين مرغوبون جدا جدا في هذه المرحلة ..

والشرط معروف سلفا : ان نسجل اسماءنا في السيرك !!

■■

العثمانيون المفترى عليهم

● هل يمكن ان تحافظ دولة على كيانها طوال ٦ قرون وهي بغير حضارة ؟

● قصور العثمانيين عرفت «الحرم» اما «الحريم» فهي قصة ابتدعها الاوربيون

● حتى عام ١٧٠٠ ملك العثمانيون اقوى مدفعية والطوبخانة كان يحملها ١٢٠٠٠ جمل !

● لماذا لا نحاول فهم حضارة العثمانيين من وثائقهم قبل القاء الاتهامات جزافا ؟

● دعا الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى استاذ التاريخ بجامعة الكويت الى ضرورة اعادة تقييم الحكم العثماني في العدد ٢٢٥ من العربي . ورد عليه الدكتور نور الدين حاطوم ـ استاذ التاريخ ايضا بالجامعة ذاتها ـ بمقال تضمن عدة ملاحظات على سنوات الحكم العثماني للعالم العربي .

وهذه الدراسة بمثابة استجابة لدعوة الدكتور عبد الرحيم مصطفى ورد على رد الدكتور حاطوم وقد كتبها للعربي احد الباحثين المتخصصين في التاريخ العثماني ، وهو الاستاذ محمد حرب ، الذي كان اول من قدم مذكرات السلطان عبد الحميد باللغة العربية .

ان الطريق الى تقييم الحكم العثماني يبدا بخطوة هامة وطبيعية هي :

محاولة فهم العثمانيين . ولكي تنجح هذه المحاولة وتحقق اهدافها ، فينبغي ان تتوفر للباحث ثلاثة عناصر هي :

فهم العثمانيين
مدخل الى اعادة تقويم الحكم العثماني

● أولا : نشر وثائق الدولة العثمانية : وهذه مكتوبة بلغات عديدة اهمها التركية والعربية

واللاتينية . هذه الوثائق محفوظة في دورحكومية خاصة ممتدة في أوربا وافريقيا . في أوربا : في بلغراد وبوسنه سرايي وبودابست وفينا وصوفيا واستانبول . وفي اسيا : البصرة وبغداد ودمشق وفي افريقيا : القاهرة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر. وقد عددتهنادور المحفوظاتالرئيسية فقط . وربما يكون هناك دور محفوظات أو وثائق عثمانية في منطقة القرن الافريقي حيث كانت تحكم الدولة العثمانية ، وقد يكون هناك أيضا مثل ذلك فيصنعاء او عدن او الحجاز مما لا نعرفه. اذكر بهذه المناسبة ان دور المحفوظات فياستانبول وحدها تضم (١٥٠) مائة وخمسين مليونوثيقة، لم يدرس بل لم يصنف منها الا عدد لا يفصح عن نفسه خجلا . وقس على ذلك كل هذه الدور المذكورة . لا ننسى في هذا الخصوص الاقسام الخاصة بالوثائق العثمانية في دور المحفوظات في مختلف انحاء العالم : موسكو ولندن وباريس وغيرها .

● ثانيا ـ نشر المخطوطات : وهذه منها ما هو عام يفيد في الكشف عن تاريخ منطقة كبيرة الساحة تحوي وحدات ادارية عثمانية فيداخلها اذكر على سبيل المثال : رحلة الطبيب العثماني قول اغاسى « عبد الحكيم » وهي رحلة رسمية استهدفت تقديم تقرير عنالحالة الطبيةوالصحية في منطقة الخليج والجزيرة العربية بما في ذلك اليمن وايضا في طرابلس الغرب وبنغازي . وكانت في أواخر العهد العثماني في البلاد العربية. ومنها ايضا « سليم نامه لر » المكملة والمتممة بل والمصححة لابن اياس ، وهي تقدم فهما هاما لتاريخ حملة سليم الاول على الشام ومصروالحجاز ثم « غزوات نامه لر » التي تساعد مساعدة فعالة في الكشف عن تاريخ منطقةالخليج والجزيرة العربية .

يدخل في نطاق هذه الفقرة رحلات الضباط العثمانيين في السودان واليمن والحجاز وليبيا. وتقارير هيئة اركان حرب الجيش العثماني عن الوضع السكاني والقدرات العسكرية لدى الشعوب بل والقبائل العربية في مختلف ارجاء الولايات العربية . وتقارير المخابرات العثمانية عن بعض المسائل الهامة في البلاد العربية مثل التقرير السري الذي كتبه الضابط العثماني بوزكاشي اركان حرب علي عن حركة احمد عرابي باشا ، وكان علي قد دخل مصر سرا اثناء بدايات الغزو الانكليزي . والتقارير العسكرية الادارية مثل تقرير محمد امين سامي باشا عن مشكلة تقسيم اليمن الى قسمين ، ثم تقارير وزارة الخارجية العثمانية عن المشكلات بينها وبين وزارات خارجية الدول الاوربية حول المناطق العربية مثل تقرير الخارجية العثمانية عن البحرين ، وغير ذلك الكثير .

ومن هذه المخطوطات ما يختص باحداث معينة لمنطقة عربية محدودة : مثل تاريخ عبد الكريم ابن عبد الرحمن عن مصر العثمانية وتاريخ سفر البصرة وتاريخ سفر نهر ذياب وتاريخ عزت ، ذلك التاريخ المكمل لتاريخ الجبرتي والمصحح لمعلوماته .

● ثالثا : نشر القوانين العثمانية للبلادالعربية مثل : قانون نامه مصر ، قانون نامه بغداد ، قانون نامه طرابلس الغرب ، اقول أيضا في هذا الصدد ان الحديث عن « اثقال العثمانيين » للعرب « بالضرائب » لا ينبغي ان يكون قبل نشر هذه القوانين ومتابعة تطبيقاتها من خلال الوثائق . ففي نشر هذه القوانين القاء الضوء الساطعالذي يكشف التاريخ الاقتصادي العربي في العهد العثماني ، كما من شانه ان يحقق النتيجة ذاتها بالنسبة لدقة العثمانيين في اهتمامهم بالنظم المدالية وبالتقنين .

اقول ما دامت هذه الامور ما زالت مجهولة، فان اثارة دعوة تقييم « الحكم العثماني » لابد وان تكون صعبة الى درجة يفطن اليها كل ذي ادراك تاريخي ، بل وحتى المثقف العادي .

وما دمت ارى هذا ، فاني ارى ايضا انتنتجه بالتالي ـ كخطوة اولى على درب دعوة الدكتور عبد الرحيم مصطفى من فتح ملف الدولةالعثمانية ـ الى فهم العثمانيين تشكيلا ونظما وحضارة والى فهم طبيعة العثمانيين ، مراعين المدة الزمنية التي تحدث عنها الدكتور نور الدين حاطوم .

فلنر ماذا يقول الدكتور نور الدين حاطوم عن الحضارة العثمانية .

طبيعة الدولة العثمانية

يقول الدكتور حاطوم : «ولكن ما هي الحضارة التي كان عليها العثمانيون ايام الفتح ؟ لا شيء وفاقد الشيء لا يعطيه . لم يكن للترك دينخاص

ولا حضارة خاصة . وكل ما عندهم لغتهم التركية وقد اخذوا عن العرب الدين الاسلامي والكتابة العربية وتركوا العرب وشانهم بعد ان اثقلوهم بالضرائب من كل نوع وحكموهم حكما عسكريا » (العربي ، العدد ٢٢٥ ، ص ٥٧ / ١)

لن اناقش مسالة خصوصية الدين لقوم ، ولا اخذ الترك الحروف العربية عن العرب ، ولا عن الضرائب ، فالضرائب في العهد العثماني مقسمة شرعيا وعرفيا ، منها ما هو ثابت ومنها ما هو مؤقت ينتهي بزوال سببه (انظر فقرة القوانين العثمانية من هذا المقال) ، (قارن بين النظام الضريبي في الدولة المملوكية وتطبيقاته في مصر وشدته في ابن اياس وغيره وبين النظام الضريبي العثماني وتطبيقاته في مصر في « قانون نامه لر » ، والعدالة العثمانية في البكرى والاسحاقي على سبيل المثال)

لنترك الحديث عن هذا ، فتلك مسائل طويلة ليس هنا مجالها ونقتصر على الحضارة العثمانية حتى أيام الفتح (يقصد الدكتور حاطوم الفتح العثماني للبلاد العربية)

لنتخذ لذلك حدا تاريخيا هو مقتل الغوري في مرج دابق ثم دفن العثمانيين لرأسه التي عثروا عليها عقب المعركة — امام حلب بناء على امر سليم .

وطبيعة الدولة العثمانية — كما يعرفها المؤرخون — « عسكرية — جهادية » ، فقد بدأت امارة ثغر ثم تحولت الى سلطنة ثم الى خلافة وسلطنة . لقد بدأ التاريخ العثماني في الربع الاول من القرن الثالث عشر الميلادى . كانت تسود العالم كله وقتئذ رهبة وذعر من الامبراطورية المغولية التى اقامها جنكيز خان ، وكان هذا قد استولى على شمال الصين ثم بدأ زحفه نحو تركستان . كلنا نعرف انه لم تكن هناك قوة بشرية آنذاك تستطيع الوقوف امام جحافل جنكيزخان .

كان هؤلاء المغول على دين الشامانية . وكان سكان تركستان اتراكا مسلمين في ذلك الوقت. كان يسكن في منطقة جنوب صحراء قره قودم في آسيا الوسطى ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ خيمة بدوية يسكنها حوالي نصف مليون مسلم تركى . ضم هذا الجمع البشرى عشيرة تسمى « قايي » هربت كل هذه الكتل البشرية من مواطنها خوفا من الزحف المغولي . وكذلك فعلت عشيرة «قايي» التى اتجهت نحو الاناضول . كانت عدتها ٤,٠٠٠ خيمة يسكنها حوالى ٤٠,٠٠٠ شخص . وفي الاناضول ساعدت هذه العشيرة السلطان السلجوقي علاء الدين حاكم قونيه في احدى معاركه مع خوارزم شاه جلال الدين . فاقطع علاء الدين العشيرة قطعة صغيرة من الارض على حدوده مع بيزنطه (ثغر في الاصطلاح التاريخى الاسلامى) . وكان الرئيس الثالث لهذه العشيرة وهى في مكانها الجديد بآسيا الصغرى هو الامير فخر الدين عثمان الذى سميت الدولة العثمانية باسمه .

يقدر المؤرخون مساحة الثغر الذى اهداه السلطان السلجوقى لعشيرة قايي بنحو يتراوح بين ١٠٠٠ — ٢٠٠٠ كم تقع في ملتقى ولايات اسكيشهر مع بيله جك وكوتاهيه في تركيا اليوم.

وكانت امارة الثغر هذه بحكم الموقف التاريخى والموقع الجغرافى عسكرية — جهادية كما قلنا ، وعليه فقد استطاع الامير عثمان ان يوسع ثغره على حساب القوى البيزنطية الى مساحة تقدر بـ ١٦,٠٠٠ كم ، ولم يكن عثمان مستقلا ، فثغره تابع لقونية ، وقونيه كانت تابعة لتبريز ، وتبريز كانت تابعة لبكين حيث كان يحكم قوبيلاى خان حفيد جنكيزخان .

ثم تولى اورخان بن عثمان الذى أرسى دعائم حضارة عثمانية استمدت عناصرها من التراث السلجوقي وحضارة السلاجقة ، والسلاجقة ، كما نعرف اتراك مسلمون . فتح اورخان ازنيق (كانت هذه المدينة قبل ذلك مركزا علميا مسيحيا يلي استانبول — وكانت بيزنطية وقتها — مباشرة في المكانة الدينية والعلمية المسيحية) فانشا بها جامعة اسلامية كبيرة ، وفي عهده تم تكوين جيش نظامي لا عمل له الا الحرب وبدأ الطرز المعمارى العثمانى في الظهور وتم ترتيب الديوان الذى يساعد الحاكم في تصريف امور الرعية (انظر لاروس ماده اورخان غازى ، الطبعة التركية — ومحمد فريد تاريخ الدولة العلية العثمانية) .

بعد اورخان تولى مراد الاول فاتح صوفيا (عاصمة بلغاريا اليوم) فاعلنته الكنيسة « عدوا لعيسى » وعليه فقد اتحدت ضده كل الجيوش الاوربية ، ومات مراد هذا في الحرب . وترك لابنه بايزيد امارة مساحتها ٥٠٠,٠٠٠ كم ٢

(انظر الموسوعة التركية ، مادة الامبراطورية العثمانية) .

بايزيد الصاعقة

قلت ان طبيعة امارة الثغر العثمانية عسكرية ـ جهادية « طورت مساحتها خلال ١٠٨ سنوات وفي عهد ٣ من امرائها من ١٠٠٠ كم ٢ الى ٥٠٠,٠٠٠ كم ٢ . واقصد بذلك الدلالة على سرعة الانتشار مع الصمود في وجه اوربا المتحدة فيما سمى في الاصطلاح العثماني (خاجلي سفر لر) اى الحروب الصليبية .

الى ان جاء بايزيد الصاعقة الذى نعرفه نحن العرب باسم بايزيد الاول ـ وهو بايزيد الذى اسهب فيما بعد في وصف اهتمامه بالنظم العدلية وتطبيقاتها المؤرخ البكرى ـ واستطاع بايزيد عن طريق السلطان برقوق المملوكي ان يحصل من الخليفة العباسى في القاهرة على لقب سلطان فاصبحت الامارة العثمانية سلطنة ، رسميا ، وكان هذا كما يقول المؤرخ التركى شهاب الدين تكين داغ « تتويجا شرعيا لواقع العثمانيين » .

ثم جاء تيمورلنك وحارب بايزيد في واقعة انقره (٢٨ يوليو ١٤٠٢م) وهزم بايزيد بل واسر ثم مات في الاسر من اسر من اولاده وهرب من هرب ، ثم ادعى كل من اولاده السلطنة لنفسه وحارب كل منهم الاخر الى ان انتصر محمد جلبى (الاول) وبدا يجمع شمل دولة انفرط عقدها واستقلت كل ادارة فيها عنها .

حارب محمد الاول الجميع وانتصر ، وبدأت عملية توحيد اجزاء السلطنة ، وما ان استقرت هذه العملية قليلا حتى قامت ثورة الشيخ بدر الدين بن قاضى سماونه المشهورة ، وهي ثورة باطنية قامت بتأييد امير جنوب رومانيا المعادى للعثمانيين . وكان للشيخ بدر الدين مساعدان قويان احدهما مسلم وهو بيرقليجه مصطفى والآخر يهودى وهو طورلاق كمال . وكانت الثورة قوية حتى خيف على الدولة منها ، لكن محمدا انتصر ، وعادت الدولة العثمانية على مساحة تقدر بـ ٨٦٠,٠٠٠كم٢ بعد أن لم تكن .

محمد الاول هذا يعرفه التاريخ العربي بانه أول سلطان عثماني يرسل الصرة الى الحجاز ، والصرة هدية نقدية سنوية اعتاد سلاطين آل عثمان ارسالها الى الحجاز لتوزع على اهالي مكة والمدينة .

ثم تولى مراد الثاني الذى حاصر بلغراد ستة اشهر كاملة (فتحها العثمانيون بعد ذلك عام ١٥٢١م) وبعده تولى محمد الثانى الذى نعرفه باسم الفاتح والذى بدأ به ـ في العرف التاريخي الدولي ـ العصر الحديث . ثم بايزيد الثاني ـ الذى كان معاصرا لمحنة المسلمين في الاندلس ـ ثم سليم الاول الفاتح العثماني للبلاد العربية ، والذى أصبح أول خليفة عثماني ، وبذلك اصبحت الدولة العثمانية خلافة وسلطنة .

وعندما مات سليم الاول بعد حكم قصير دام حوالي تسع سنوات كانت مساحة دولة الخلافة العثمانية قد بلغت ٦,٥٥٧,٠٠٠ كم٢ موزعة كالآتي : في اوروبا ١,٧٠٢,٠٠٠ كم٢ ، وفي آسيا ١,٩٠٥,٠٠٠ كم٢ وفي افريقيا ٢,٩٥٠,٠٠٠ كم٢ (انظر تاريخ تركيا ، الجزء الخامس) .

وخطب لسليم الاول في جوامع دمشق والقاهرة باعتباره خليفة وضربت النقود باسمه باعتباره سلطانا . (انظر سليمنامه لر ومقالة شهاب الدين تكين داغ التي تحمل نفس الاسم) .

وتولى سليمان بن سليم المعروف بسليمان القانوني (لاحظ ما في اللقب من دلالة حضارية). وتعاقب من بعده السلاطين والخلفاء الى أن انتهت الدولة العثمانية وقامت على انقاضها دول عديدة منها : تركيا والبلاد العربية ودول البلقان والقرن الافريقي .

لقد قامت امارة الثغر العثمانية (المستقلة) عام ١٢٩٩ م وانتهت « السلطنة » عام ١٩٢٢ م ، وبدأت الخلافة العثمانية عام ١٥١٧ م وانتهت عام ١٩٢٤ م .

وهنا يعني ان العثمانيين استطاعوا ان يحافظوا على وجودهم طوال ستة قرون وربع قرن . فهل يعقل ان تحافظ دولة على كيانها كل هذه المدة اذا لم تكن ذات حضارة ؟ .

محمد الناتج



قصور العثمانيين والاوروبيين

يقول المؤرخ الفرنسي رين جروسيه وهو واحد من اكبر مؤرخي آسيا ، في كتابه « وجه آسيا » الذي صدر في باريس عام ١٩٥٥ م : « ان عملية تصفية الامبراطورية الاسبانية بدأت بموت فيليب الثاني عام ١٥٩٨ م ، وانتهت بمعاهدة اوترخ عام ١٧١٣ م أي خلال قرن من الزمان . اما تصفية الامبراطورية العثمانية فقد بدأت بمعاهدة كارلو فجه عام ١٦٩٩ م وانتهت عام ١٩٢٠ م أي خلال ٢٢٠ سنة » أي بعد قرنين وربع تقريبا . ونشر لورد كيزوس في مجلة Books and Bookmen عام ١٩٧٣ م ما ترجمته : « ان الامبراطورية العثمانية كانت في ضخامة الامبراطورية الرومانية حيث كانت تساويها تقريبا من حيث المساحة ، لكن الامبراطورية العثمانية حافظت على وجودها في ضعف المدة التي احتاجتها الامبراطورية الرومانية في هذا الشأن » .

ناخذ قصر طوب قابو كمثال على قضية بذخ السلاطين العثمانيين ، فهذا القصر هو رمز الحكم العثماني ومركز حكم الامبراطورية العثمانية . والزائر له يدهش من بساطته فهو مقام على مساحة ٦٩٩,٠٠٠ م٢ (٠,٧ كم٢) وقد أسس ليسع ٤,٠٠٠ شخص بما في ذلك مدارس القصر السلطاني التي تعد العلماء والضباط والخبراء العسكريين وبعض فرق الجيش والحرم (والحرم يعني المحرم وهم ما لا ينبغي لاجنبي ان يراه أي زوجة السلطان وبناته حيث تقوم الخادمات بخدمتهن ، اما الحريم كما تصوره المصادر الاوروبية جيدة الخيال فلم يعرفه سلاطين هذه الدولة) . طوب قابي او طوب قابو (ويكتب بالشكلين) ليس بمبنى فخم من قطعة واحدة كما هي القصور الملكية في أوربا ، لانه عبارة عن اجنحة واروقة بسيطة احفل ما فيها مكتبة القصر المشهورة الآن دوليا بمخطوطاتها العربية والفارسية النادرة القيمة . وليس في قصور العثمانيين ما يضارع قصر ملك اوربي في حينه ، وتواضع قصر يلديز امام قصر أي امير اوربي معاصر له : له دلالته ايضا في هذا الامر .

جامعة لكبار الموظفين

ينقل الدكتور حاطوم عن مولتكه ما نصه (والنص للدكتور حاطوم) : « ان التركي الذي يعرف القراءة والكتابة يعتبر عالما ... حتى ان كبار الموظفين كانوا يطلبون الى آخرين قراءة الرسائل الموجهة اليهم ... » (العربي عدد ٢٣٥ ص ٢/٥٧) .

هذا يدفعنا الى معرفة طريقة اعداد كبار موظفي الدولة العثمانية . قبل الفتح ، وليسمح لي الدكتور حاطوم ان اضرب امثلة فيما بعد الفتح ايضا لأن مولتكه (كونت فون مولتكه ١٨٠٠ ـ ١٨٩١) كان مستشارا عسكريا في استانبول من ١٨٢٥ م الى ١٨٣٩ م .

كان القصر الهمايوني (السلطاني) ينقسم الى ثلاثة اقسام : ١) الحرم : يعني عائلة السلطان وخادماتها وهو جزء مستقل . ٢) بيرون همايون ٣) اندرون همايون .

اندرون همايون ، عبارة عن جامعة خاصة داخل القصر ، ظلت اربعة قرون كمدرسة فنية تمد الدولة العثمانية بكبار الموظفين من العسكريين ومدنيين ، بل حتى ما يسمى اليوم بالفنانين ، اذ كان بالقصر في وقت عملية تغريب الدولة مدرسة موسيقية كبيرة تضارع دور الكونسرفتوار في البلاد الاوربية اليوم نظاما ودراسة .

وفي هذه المدرسة (مدرسة في الاصطلاح العثماني تعني الجامعة ، بتعبير هذا الزمان) كان يؤتى بشبان اكثرهم من المدارس السلطانية حيث يعدون اعدادا عسكريا تربويا مع منحهم رتبة الضباط وبمرتب مجز . كانوا يدربون في القصر على ادارة الدولة من ناحية ويتلقون دراسات خاصة في العلوم العسكرية والمواد العلمية والدينية ويتدربون على السباحة والرماية والفروسية . وكانت اللغة العربية في هذه المدرسة لغة اجبارية اذا رسب الطالب الضابط فيها يرسب تماما . اما أعلى مراحل هذه « المدرسة » تسمى (خاص اوده) يعني الغرفة الخاصة ولم يكن يقبل بها اكثر من (٤٠) طالبا فقط هم الصفوة حيث يعدون للمناصب الاكبر في الدولة . مديرها ضابط برتبة وزير (مارشال) . وكان كل طالب من الغرفة الخاصة يتم تقديمه للسلطان شخصيا . وظلت هذه « المدرسة » معمولا بها حتى عهد السلطان محمود الثاني عام ١٨٣٣ عندما تم تبني الطريقة الاوربية في اعداد الوزراء ، ومع ذلك فقد كان كل الضباط الكبار والموظفين الكبار في الدولة ، وحتى انهيار الدولة ، على درجة عالية

من المعرفة والثقافة وكان فيهم كثرة ملحوظة من العلماء .

أحمد جودت باشا (١٨٢٢م ـ ١٨٩٥م) وزير العدل وصاحب تاريخ جودت والتى اقترنت باسمه « مجلة الاحكام العدلية » وهى معروفة فى تاريخ التشريع الاسلامى . الغازى احمد مختار باشا (١٨٣٩م ـ ١٩١٩م) الذى عمل صدرا أعظم ومندوبا فوق العادة فى مصر عام ١٨٩٢ م صاحب كتاب رياض المختار ، مرات الميقات والادوار الذى طبع فى مصر عام ١٨٨٦ م وكتاب اصلاحات تقويم وطبع ايضا فى مصر عام ١٨٩٠ وسرائر القرآن الذى وطبع أيضا فى مصر عام ١٨٩٠ وسرائر القرآن الذى باشا التونسى (١٨٢١ م) ذلك العبد الرقيق الذى اصبح الصدر الاعظم فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٨٧٨ م وصاحب « أقوم المسالك فى معرفة احوال المماليك » واسماعيل باشا (وفاته عام ١٩٢٠ م) صاحب الذيل على كشف الظنون والذى سماه « ايضاح المكنون فى ذيل كشف الظنون » .

فوق ١٢ الف جمل

وبما ان الدولة العثمانية دولة « عسكرية ـ جهادية » فلا بد ان يبدأ حديثنا فى هذه النقطة بالجانب العسكرى .

حتى عام ١٧٠٠ م ، كانت المدفعية العثمانية اقوى مدفعية فى العالم . فقد كان اعداد المدفعيين يتم باعداد متين الجذور . فى عهد الفاتح (١٤٣٢ ـ ١٤٨١ م) كانت الطوبخانة المتحركة (يعنى مصنع المدافع المتحرك) تنقل على ١٢٠٠٠ جمل وتتحرك من استانبول حتى البانيا ، لم تقف امام مدينة مثل اشقودرة لكى تصب مدافع الحصار الثقيلة . ومدافع فتح القسطنطينية لا تحتاج الى الحديث عنها كتكنولوجيا متقدمة فى ذلك الوقت . وكان هذا فى القرن الخامس عشر .

اما مدافع الهاون فقد استخدمت لاول مرة فى التاريخ فى عهد الفاتح ايضا .

وكان السلطان سليم الاول ، هو اول من استخدام المدافع غير ثابتة الاتجاه والتى يمكن تحريكها بيسر . وكان ذلك فى اوائل القرن السادس عشر الميلادى مظهرا لدقة الاختراع العلمى والقدرة على استخدام التكنولوجيا الحديثة ـ بالنسبة لزمنه ـ وكانت القوات العثمانية قد انتصرت على القوات المملوكية فى معركة الريدانية ، وهزمت المدفعية المملوكية الثقيلة الثابتة الاتجاه والوضع. كان لدى القوات المملوكية المدافع الضخمة التى كان يستخدمها بجانب المماليك خبراء جاءوا خصيصا لذلك من أوربا . وهذا ثابت فى سليمنامه لر .

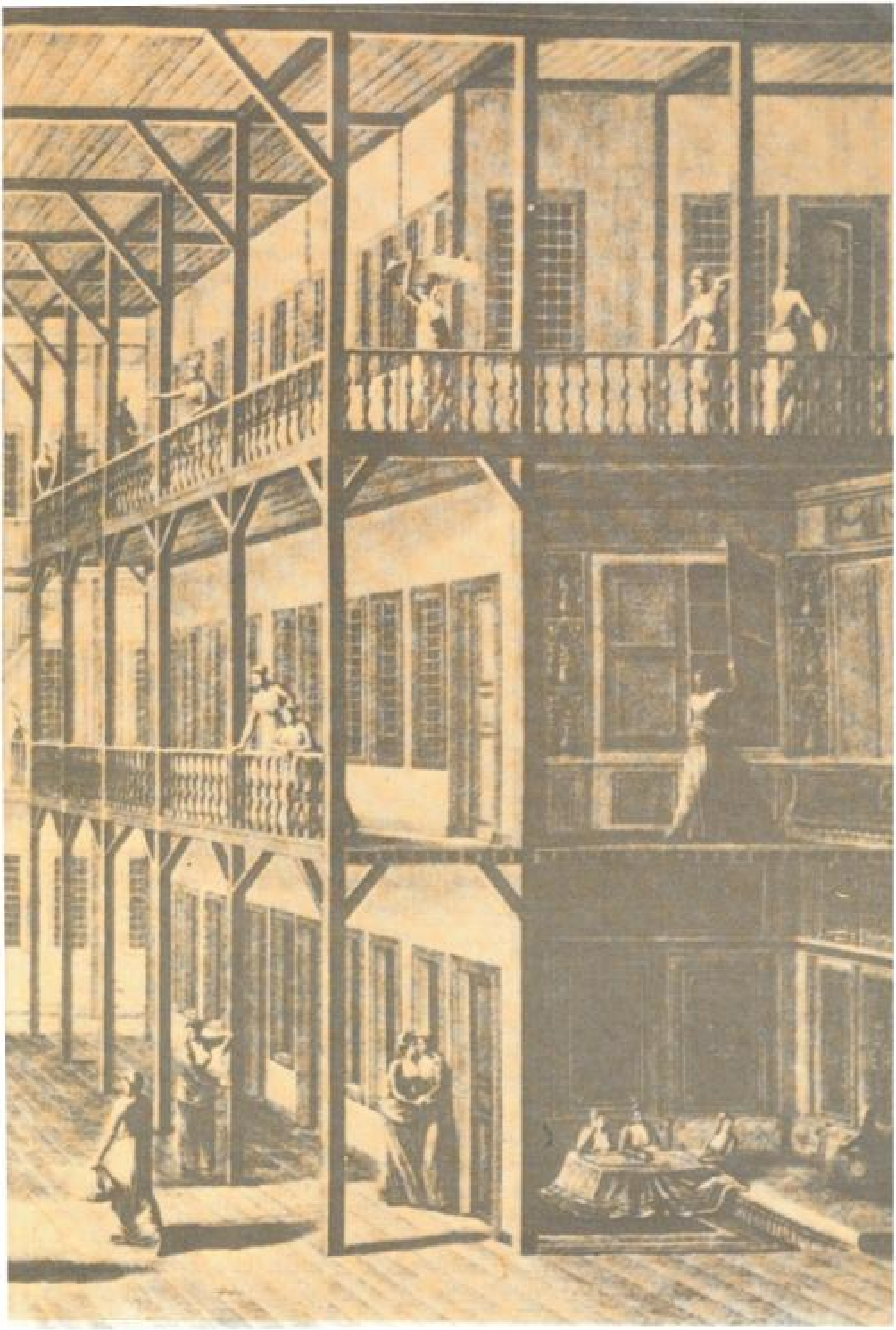
اما عن الاسطول العثمانى ، فقد كان حتى عام ١٨٦٨ م هو الاسطول الثالث فى العالم قوة بعد الاسطولين الانكليزى ثم الفرنسى . وتشهد ترسانة السويس على دقة التنظيم العثمانى فى تنظيم اعداد الاسطول وسرعة تحركه من السويس الى مختلف الاماكن خاصة ما تحدثنا به وثيقة هى فرمان لوالى مصر بسرعة ارسال الاسطول لانقاذ « الاهالى المسلمين » فى « البحرين » الواقعة فى بصره كورفزى (خليج البصرة ـ الخليج العربى) عام ٩٨١هـ ١٥ جمادى الآخر من « الكفار » اى البرتغاليين الذين عاثوا فسادا هناك (انظر : دار محفوظات رئاسة الوزراء ، ديوان همايون مهمة دفترى رقم ٢٣ ص ٦٤ حكم ١٢٤ وجنكيزاورخونلو حبش ايالة) .

بمناسبة التنظيم الحضارى العثمانى يقول الجنرال النمسوى كونت فارسكلى وهو القائد الذى امضى حياته كلها فى محاربة العثمانيين . يقول عن التنظيم العثمانى ما يلى : « وصل التنظيم الاقتصادى العثمانى الى درجة عالية بحيث لم يكن يعادلها نظير فى الحكومات المسيحية . من الممكن ايجاد موانع شتى فى القوانين. العثمانية والنظم الاقتصادية التركية تمنع الاستغلال وتشجب كافة المساوىء » .

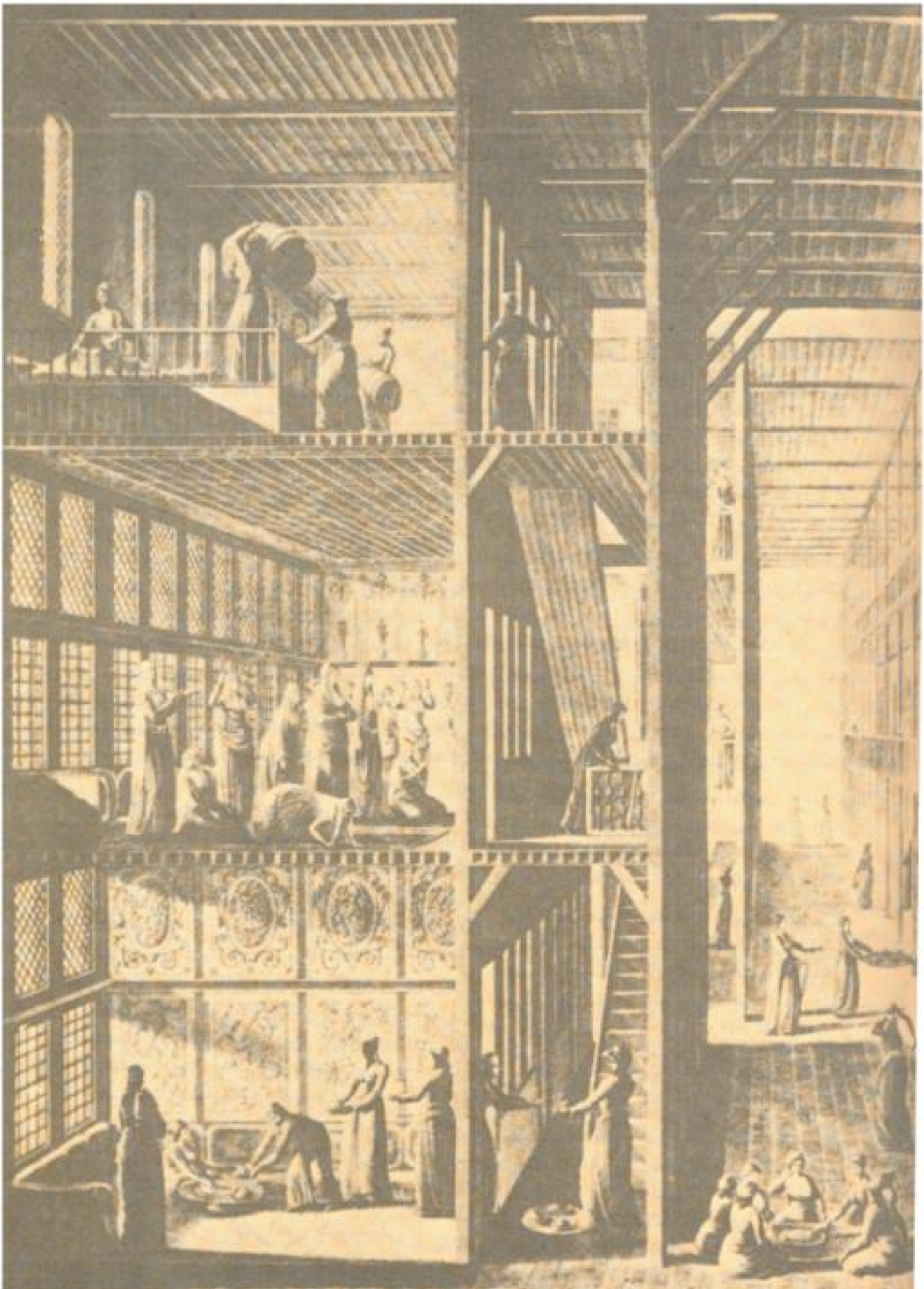
وعن دقة تنظيم الطرق البرية العثمانية ووفرة الخدمات بها يثنى هذا القائد على العثمانيين ، كما يمضي قائلا : « من اسباب القدرة على الحركة العسكرية الموفقة للجيش العثمانى هو جودة الاطعمة والعناية بالحيوانات، وهذه كلها اكثر دقة مما هى عليها عندنا ، واكثر جودة فى التنظيم .. »

واذكر هنا الاستحكامات العسكرية وبراعة العثمانيين فيها ، وقد بلغت متانتها ان الثوار ما زالوا يستخدمون الاستحكامات والقلاع العثمانية الموجودة فى اوجادين فى حربهم ضد اليوبيا . وهذه متبقية من العهد العثمانى بالصومال .

وفى الجغرافيا العثمانية : اذكر بيرى رئيس القائد البحرى العثمانى الذى ظهر فى اوائل القرن السادس عشر كمثال للجغرافية فى الحضارة



الحريم كما تصوره المصادر الاوروبية جيدة الخيال .
يعني المحرم أو ما لا ينبغي لاجنبي ان يراه اي زوجـ



ولـم يعرفه سلاطين هـذه الدولـة .. والحـرم
السلطان وبناته حيث تقـوم الخادمات بخدمتهن

العثمانية. وقد كتب بيري رئيس عن كروية الارض قبل رحلة ماجلان . ورسم خرائط لامريكا مع سواحل غرب افريقيا . رسم خرائط لشمال افريقية وسواحل البحر المتوسط الاخرى ، واتم ذلك بدقة قال عنها لاروش الفرنسي في كتاب له صدر عام ١٩٦٣م : ان هذا امر يعلو ويفوق كثيرا على علم الجغرافيا في ذلك القرن وعلى علم الجغرافيا لدى الغربيين » .

في كتاب Chariots of the god لمؤلفه Erich Von Daniken حديث شيق عن خرائط القائد البحرى العثماني بيرى رئيس : « سلمت خرائط بيرى رئيس في السنه الجيوفيزيقية ١٩٥٧ الى الراهب الجزويتي لينهام المشرف على دار الارصاد في ويستون ورسام الخرائط في اسطول الولايات المتحدة الامريكية . وقام لينهام بدراسات دقيقة لهذه الخرائط ثم اعلن انه وجدها صحيحة بدرجة مذهلة للعقل ، خاصة انها تظهر بوضوح اماكن لم تكن قد اكتشفت حتى تلك الايام . اما الجانب المذهل في هذا الموضوع هو ظهور جبال انتاركتيكا التي تظهر بكل تفصيل في هذه الخرائط، ذلك لان هذه الجبال لم يمكن اكتشافها الا بالاجهزة العاكسة للصوت عام ١٩٥٢ . قبل ذلك لم يكن احد يعرف انها موجودة وكانت انتاركتيكا مغطاة بالثلوج طوال عصور التاريخ » . ملحوظة : انتاركتيكا هي القارة السادسة التي تقع في نصف الكرة الارضية الجنوبي ومساحتها ١٤٫٠٧٫٦٣٧ كم٢) .

نفس الكتاب يستطرد في الحديث عن الموضوع ذاته فيقول : « قدمت لنا الدراسات الاخيرة عن خرائط بيرى رئيس التي قام بها البروفيسور تشارلز هـ . هابكود وعالم الرياضيات و . ستراشان ، معلومات رائعة تحبس الانفاس : بمقارنة صور الارض التي تم التقاطها من مركبات الفضاء ، وبالخرائط التي رسمها بيرى رئيس في البدايات المبكرة للقرن السادس عشر ، اتضح ان بين الاثنتين تشابها مذهلا . لقد توصل رجال العلم الى نفس نتائج صور اصول هذه الخرائط التى التقطت من ذلك الارتفاع الشاهق » .

وعلاج الامراض بالموسيقى

اما في ساحة العلوم : فتشهد كتب شرف الدين الصابونجي الاماسي وهو جراح عثماني عاش في عهد الفاتح بعلو مركزه في دراسة الادوات الجراحية. ولدينا داود الانطاكي بدراساته في المخ ، واخي جلبي وابحاثه في المسالك البولية ، وعياشلي شعبان افندى (افندى كانت تطلق على العلميين) بدراساته في امراض النساء والولادة والاطفال . وانشاء المجمع الطبي العثماني في القرن الخامس عشر الميلادى دليل على اهتمام الحضارة العثمانية بالعلوم . وفي هذا القرن ايضا يخصص العالم العثماني مؤمن السينوبي في كتابه في الطب ٢٥ بابا للامراض العقلية والنفسية والعصبية ، بل خصص العثمانيون مستشفيات خاصة لهذه الامراض ، في الوقت الذى كانت اوربا فيه تحرق المريض عقليا او نفسيا او عصبيا ، ذلك الاحراق الذى استمر حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، وذلك بحجة اخراج الشيطان من جسم المريض .

في ذلك الوقت ايضا استخدم الطبيب العثماني الموسيقى لمعالجة الامراض . ان علاج المريض عقليا او نفسيا او عصبيا بالموسيقى لم يبدأ حتى في الولايات المتحدة الامريكية الا عام ١٩٥٦ م .

يقول الدكتور Kraft-Ebing في كتابه Traite clinique de psychiatrie (باريس ١٨٩٧) : « ان اوروبا قد تعلمت من العثمانيين معالجة المصابين بالامراض العقلية ».

ان اول كلية للطب عند العثمانيين قامت في اواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، قبل عهد النهضة العثمانية في عهد الفاتح بكثير ، وسموها بل اطلقوا عليها لفظة « دار الطب » .

وعن الخدمات الاجماعية كمظهر حضاري في الدولة العثمانية نقول ان الدولة لم تكن متكفلة بالخدمات الاجتماعية بل كانت تدخل في اختصاص الوقف وكان ركنا اساسيا في اقتصاد الدولة العثمانية . وعن طريقه نشطت الحركة العلمية في جوامع استانبول (الجامع في النظام العثماني معماريا واداريا وحدة دينية وعلمية متكاملة فيها الجامع والمدرسة والمدارس الاقل من المدرسة الجامعة ـ والمكتبة ومدينة الطلاب والمطعم الخاص بهم والمطعم الخيري العام والحمام ومدرسة الطب والمستشفى ..) كان صقوللي محمد باشا ـ على سبيل المثال ـ ينفق على الحركة العلمية في استانبول من دخل وقف ...٢ قرية عثمانية في تشيكوسلوفاكيا (وكانت تابعة للدولة العثمانية) واسعد افندى قاضي عسكر الروملي (يعني

البلقان) اوقف وقفين كبيرين على تجهيز الفتيات المعدمات اللاتي يصلن الى سن الزواج . وكان لدى العثمانيين اوقات كثيرة ومتعددة . مثال آخر كانت هناك اوقاف خاصة بصرف مرتبات للعائلات المعوزة ـ غير الاكل ـ لان للاكل المجاني اوقافا عامة اخرى تسمى (عمارت وقفى) اى وقف المطاعم الخيرية . وكانت الـ (عمارت) تقدم اكلا مجانيا لعدد يبلغ ....٣٠ شخص يوميا مجانا ، كان مثل هذا في كل الولايات .

(عمارت) السليمانية اى المطعم الخيري الملحق بجامع السليمانية . بلغت ميزانيته عام ١٥٨٦ م ما يعادل (١٠) عشرة ملايين دولار امريكي الا قليلا (مايعادل ٢٣٨ مليون ليرة تركية) . انوقفية السليمانية دليل على عظمة حضارة العثمانيين .

وبالطبع كان رصف الطرق و (كروان سرابي) اى الفنادق المقامة على الطرق البرية في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية بما في ذلك المأكل والمشرب والمبيت كان مجانا يصرف عليه من الاوقاف .

تلك لمحة عن الحضارة العثمانية حتى أيام الفتح العثماني للشام يعني من عام ١٢٩٩ م الى عام ١٥١٦ م . مع امثلة طفيفة عامة . وحيث ان الدكتور نور الدين حاطوم قد اراد الوقوف عند هذا الحد عندما ذكر .. ايام الفتح « فساقف عند هذا الحد ولا اتجاوزه . وان كان لي تعليق طفيف عام .

عن نقل الفنيين المصريين

بعد ذلك ـ اى بعد الفتح ـ سيطر الفكر العربي على مسار الدولة العثمانية . اصبحت استانبول هي مركز الثقل في الدولة بشكلها الجديد فانتقلت ـ بعد الفتح ـ مجموعات من العلماء والمتخصصين في الميادين المختلفة الى استانبول .

لابد ان يخطر ببال القارىء ان سليما الاول نقل المعماريين المصريين والبنائين المصريين اصحاب الخبرة الى استانبول للافادة منهم . وكتب التراجم العثمانية ـ بعد الفتح ـ لاتخلو من القاب : الفاسي ، المصرى ، اليمني ، الازهرى ، المكي الحلبي ، المدني الى آخره .

نرجع لفكرة العاصمة . اننا نلاحظ ان الذين يجدون في انفسهم قدرة تميزهم عن الاخرين يتجهون الى العاصمة لابراز مواهبهم . من رابغ الى مكة ومن الاسكندرية الى القاهرة ومن وهران الى الجزائر العاصمة ، بل اننا نجد اليوم من يهاجر من بيروت او دمشق او حلب الى القاهرة لابراز موهبة قد يتصورها او هي بالفعل موجودة فيه . نفس هذا حدث عند انتقال مركز الثقل من دمشق ومن القاهرة الى استانبول منذ عهد سليم الاول .

ورغم ذلك ، فان اسماء عربية كثيرة سيطرت على مقدرات الدولة العثمانية وليس فقط في امورها العادية . اقرب مثال لذلك محمودشوكت باشا العراقي البغدادي الذى تحرك على رأس جيش الحركة من سالونيك قائدا لجيش ضم مصطفى كمال (اتاتورك) ليخلع ويعزل السلطان الخليفة التركي العثماني عبد الحميد الثاني من على العرش وبذلك افسح الطريق لرجال الاتحاد والترقي لحكم الدولة العثمانية .

سيطرة العربية على الثقافة

كان للعثمانيين من الثقافة الراقية والادب الاخاذ ما جعل الترجمة منها الى اللغات الاوروبية ملحوظة . (انظر تاريخ الادب التركي للدكتور حسين مجيب المصرى ، القاهرة ١٩٥٦) وكانت اللغة العربية سواء قبل الفتح العثماني للبلاد العربية او بعده هي لغة الثقافة والادب والعلوم عند العثمانيين . كتبوا بها كل شيء من كتب الفقه او الفتاوى او الدين ، اصطلاحات العلوم العثمانية كانت كلها عربية. كما كتبوا بها التراجم مثل الشقائق النعمانية لطاشكبرى زاده ، وكتبوا بها التاريخ مثل جامع الدول لمنجم باشي احمد دده وتاريخ (العلم الزاخر في علوم الاوائل والاواخر) للعالم التركي جنابي ›› وكتبوا بها المقامات مثل مقامات عيدى .

وقد قرر العثمانيون اللغة العربية لغة اولى في جميع المعاهد التعليمية من اولها الى آخرها ودرسوا بهاكافة العلوم. اهمل الاتراك العثمانيون لغتهم التركية ، والفوا الكتب المدرسية وغير المدرسية بما في ذلك صرف ونحو اللغة العربية ـ بالعربية وكتبوا بها الرسائل . (انظر فهارس مخطوطات السليمانية) . واشتقوا من العربية اصطلاحات علمية كثيرة في حين اننا الان نشتق هذه المصطلحات من اوربا .

الغريب في الامر ، ان حركة تنقية اللغة التركية من الكلمات والمصطلحات العربية ، وقد بدأت عقب الحركة الكمالية ، تنشط هذه الايام . ان

حديث المعاصرين الاتراك عن (العمل على التخلص من سيطرة اللغة العربية على اللغة التركية) لا يخلو منه حديث في الاذاعة ولا كتب اللغة التركية في المدارس . الاتراك المحدثون يتهمون العثمانيين ويتهمون الدولة العثمانية بانها اهملت (لغتنا التركية الجميلة على حساب اللغة العربية) وبان العثمانيين اسهموا في اثراء الثقافة العربية وكان (الاولى ان يهتموا بتطوير ثقافتنا التركية) وبين الاتراك الان تدور مناقشات وتصدر كتب ما بين مدافع عن تاثير اللغة العربية والثقافة العربية في اللغة التركية وآدابها وبين مهاجم وينادي بان ينتبه الاتراك الى لغتهم الذاتية . ويعملوا على كسب اشتقاقات جديدة لها من اصول قديمة ونبذ ما في التركية من لفظ ومصطلح عربي ، وفارسي . (لاحظ جهود المجمع اللغوى التركي الذى اقيم خصيصا لهذا الغرض) .

العرب والمسلمون والعثمانيون

حتى في وقت انهيار الدولة العثمانية كان العالم العربي والعالم الاسلامي متعاطفا مع العثمانيين . اطلقوا اسماء ابطالهم على اطفالهم. عبد الحميد نسبة الى السلطان عبد الحميد الثاني ، عثمان نسبة الى الغازي عثمان باشا بطل بلونه ، انور نسبة الى انور باشا احد اعمدة الاتحاد والترقي وكذلك طلعت وزير داخلية الاتحاد والترقي والصدر الاعظم .

وفي حرب الاستقلال التركية :

١ ـ قام عثمان خوجة رئيس جمهورية بخاري في تركستان الشرقية عام ١٩١٨ بجمع اعانة للشعب التركي من شعب تركستان الشرقية بلغت خمسة ملايين جنيه ذهبا (= مائة مليون روبل) صادر منها لينين عشرة ملايين وتم ارسال التسعين مليونا الباقية الى انقرة .

٢ ـ وارسلت الهند الى انقرة اعانة مالية قدرها نصف مليون جنيه ذهبا .

٣ ـ وارسلت مصر الى انقرة ـ في عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ٩٠٠.٠٠٠ جنيه ذهبا

وكان ذلك تعاطفا مع دولة عريقة ذات حضارة راقية خدمت التراث الانساني والاسلامي وصانت البلاد العربية من اخطار فادحة .

اود ان اضيف الى دعوة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى الى اعادة « تقييم » الحكم العثماني في البلاد العربية الى فهم طبيعة العثمانيين كدولة والى معرفة حضارة العثمانيين وتشريعاتهم في البلاد العربية ، والقيام ـ ان امكن عالميا ـ بنشر الوثائق العثمانية والمخطوطات العثمانية عن العهد العثماني في البلاد العربية ، وبعدها ستكون دعوة الدكتور عبد الرحيم مصطفى امرا علميا بالغ الخطورة ، ضروريا حتى نفهم انفسنا وجذور مشاكلنا المعاصرة . ●●

استانبول ـ **محمد حرب عبد الحميد**

ان « العربي » تضيف الدعوة الى « فتح ملف الامبراطورية العثمانية » الى دعواتها السابقة الى طرح القضايا الفكرية التى يجب مناقشتها خصوصا مايتعلق بالشعب العربي والتاريخ الاسلامي .

ونحن ندعو الى المزيد . وفي هذا المجال لم يجب الاستاذ الكاتب عن اسئلة جوهرية يطرحها المثقف المعاصر عن الدولة العثمانية ، مثل : الى اى حد اخذت الامبراطورية العثمانية بالقيم والمثل الاسلامية في سياساتها نحو الرعية . والى اى حد عاملت المسلمين كشعب واحد خلافته في القسطنطينية ، او كشعوب محتلة بواسطة امبراطورية قومية .

وما هو الرد على من يقولون ان الامبراطورية العثمانية اعطت العلم « قوة » ولكنها لم تقدم فكرا ولا فقها ولا اجتهادا ولا فنا بمعناه الواسع . وماذا كان حظ اللغة العربية في ظل الحكم ؟

عبد الكريم برشيد

مسرحي صاعد من المغرب

بقلم : الدكتور علي الراعي

يبرز من بين كتاب المسرح المغربي منذ السبعينات الكاتب الشاب : عبد الكريم برشيد .

وعبد الكريم نموذج طيب للكاتب المسرحي العربي المستطلع ، ففي مسرحياته وفي افكاره عن المسرح وفي ممارساته الفنية المتعلقة بهذا الفن تتردد الآراء والمواقف ذاتها التي اصبحت تميزه عن غيره من شباب المسرح في المغرب وخارجها منذ بداية الستينات حتى الآن .

● اخذ برشيد يلفت اليه الانظار حين قدم مسرحيته : « عنترة في المرايا المتكسرة » عام ١٩٧٠ ، واخرجتها له الفرقة الوطنية المغربية المسماة « المعمورة » عام ١٩٧٤ ، وفيها يعالج الكاتب آثار الهزيمة التي حلت بالوطن العربي عام ١٩٦٧ .

ثم كتب مسرحية طلائعية بعنوان : « عطيل والخيل والبارود » التي قدمت في « مهرجان القادير » للمسرح ، واحدث ظهورها للناس ضجة وحركة بين النقاد والمهتمين بالمسرح ، وفيها ينظر برشيد الى مسرحية شكسبير نظرة انسان عربي معاصر ، ويعكس فيها قضايا وهموم ذلك الانسان. وقد استمر عرض هذه المسرحية عامين .

ثم كتب عبد الكريم برشيد مسرحية هامة اخرى هي : « قراقوش الكبير » ، وفيها يصور التناقض الذي يقع في براثنه المثقف العربي المعاصر الذي تتنازعه تيارات متعارضة . فهو يتطلع الى الحكم تارة ، ويلتفت الى واجبه حيال الشعب تارة اخرى ، فيتوزع انتباهه بين صالحه الخاص وواجبه ازاء الشعب الذي نبت من صفوفه .

وقد احدثت المسرحية ضجة كبيرة في المغرب ، وفي دمشق عام ١٩٧٧ حيث عرضت في اطار المهرجان السابع للفنون المسرحية الذي يقام في العاصمة السورية كل عام .

ويصف عبد الكريم برشيد قصده الفني في اثنتين من المسرحيات سالفة الذكر ، فيقول في حوار اجراه معه الكاتب امين جياد ، ونشرته مجلة « الاقلام » العراقية في عدد نوفمبر ١٩٧٧ :

« لقد وظفت القراقوز في مسرحية قراقوش ، التي تتحرك كل شخصياتها وفق عقلية لا منطقية . كما ان الاحداث فيها تتطور بشكل لا منطقي ، تماما كما يحدث في فن القراقوز .

« ومن ناحية اخرى فان مسرحية : « عنترة في

المرايا المكسرة » تعتمد على نوع من الاحتفالات الشعبية التي عرفتها الاسواق العربية منذ اقدم العصور . فهناك شخصية الراوى الذى يقدم العنترية ، والذى يحكى قصته عبر العديد من الليالي الطويلة ، ويحرص على ان يوفر لحكايته عنصر التشويق ، فيقف عند اللحظات الحرجة ، كما هو الشأن في المسلسلات الاذاعية والتليفزيونية » . ومن خلال هذا الشكل التراثي يسعى برشيد الى تصوير الواقع العربي الباحث عن العظمة في الماضي لأنه يفتقدها في الحاضر !

واستخدم برشيد شكلا تراثيا آخر من تراث المسرح في المغرب وهو ما يعرف باحتفال سلطان الطلبة . وهو احتفال قديم ، قام في البلاد حين شارك طلبة جامعة القرويين في القضاء على دولة ابن مشعل ، منذ ثلاثة قرون ، فقرر مؤسس الدولة العلوية التي آل اليها حكم البلاد ، مكافاة الطلبة على اسهامهم في تحقيق النصر على ابن مشعل ، فامر بان يمنح طلبة جامعة القرويين سبعة ايام من الحكم كل عام ، ينتخبون فيها من بينهم ملكا،ويختار هذا وزراءه وحجابهوحاشيته، وبهذا قام في مدينة فاس نوع من التمثيل الشوارعي ، يجاوز صفوف « الممثلين » من الطلبة ليشمل سائر سكان المدينة ، الذين يشاركون في موكب الطالب ـ الملك بالتهليل والتصفيق .

ثم تنتهي الايام السبعة ، فيتبع الملك الطالب احد تقاليد الاحتفال العريقة ، بان يفر في نهاية اليوم السابع ، فاذا لم يفعل ، واستمرا الملك ، قام الطلبة انفسهم بالقائه في النهر ليتاكد من زوال ملكه .

وقد استخدم برشيد هذا الشكل المسرحي الطريف في مسرحية له بعنوان : « المرجان والميزان » ، وفيها ينظر الى الحكم كلعبة في مدينة لا تعرف الفوارق الطبقية . ومن ثم لا يظهر فيها حكام ولا حراس . غير ان اللعبة لا تلبث ان تنتهي بان يتشبث الممثلون بالادوار التي قاموا بها ، فيصر الملك على ملكه والوزير على وزارته ، والجلاد على سيفه المسلول !

ومن مسرحية : « الحسين يموت مرتين » ، افاد برشيد من نوع آخر من « التمثيل » الشوارعي ، وهو الذى يقدم خلال الاحتفال الشعبي الكبير بمقتل الحسين ، وفيه يعاد تمثيل المعركة التي قامت بين رجال يزيد بن معاوية وبين الحسين وانصاره ، والتي استشهد فيها ابن بنت النبي ، دفاعا عن رايه وفكره ، في وجه قوة اكبر منه عدة وعتادا . وكان هذا الاحتفال يقام الى عهد قريب ويشترك فيه الشعب اشتراكا فعالا ، بالتمثيل وضرب الجسد وتعذيبه بشتى الطرق ، تكفيرا عن ذنب مقتل الحسين .

وبرشيد يرى تشابها بين هذه الاحتفالات الدينية وبين مسرحيات الآلام المسيحية ، التي كانت تصور عذابات المسيح على الصليب في القرون الوسطى ، وهو لهذا يعتبرها ارهاصا لمسرح عربي يقوم على اساس واثق من معرفة التراث والافادة به .

الجمع بين النظرية والتطبيق

ليس فيما تقدم من آراء شيء جديد خاص بالكاتب المغربي الشاب ، فالآراء والافكار التي يرددها في حواره مع مجلة « الاقلام » قد ظلت تشغل بال الكتاب وفناني المسرح ودارسيه منذ اوائل الستينات . أى قبل ظهور برشيد بعشرة اعوام او نحو ذلك .انما الجديد ان الكاتب ينتقل من مرحلة اعتناق هذه الآراء الى كتابة مسرحيات متوالية تعد تطبيقات لها بحيث لا يترك الكاتب شكلا مسرحيا موروثا الا واستخدمه . وبهذا يجمع برشيد بين النظرية والتطبيق ، كما سبق وجمع بين الاخراج للمسرح والكتابة له . ذلك انه بدأ نشاطه الفني مخرجا ، وكان اذ ذاك يعمل بالتدريس في مدينة « الخميسات » ، حيث كون فرقة مسرحية من الطلبة اخرج من خلالها ـ ضمن مسرحيات اخرى ـ مسرحيتي : « حكاية جوقة التمثيل » للكاتب السورى سعد الله ونوس » و : « مسافر ليل » لكاتب المسرح الشعرى المصرى : صلاح عبد الصبور .

ورغم اطلاع عبد الكريم برشيد على بعض النتاج المسرحي الذى خرج في الشرق فانه يعترف في حواره مع مجلة « الاقلام » بأن هذا الاطلاع قد كان محددا للغاية ، ويأسف لأن هذا هو حاله . ثم يقول : انه قرا توفيق الحكيم ، فوجد مسرحياته ذهنية ، خالية من البناء الدرامي ، ثم يمضي من هذا الحكم المتعجل الى ايراد قائمة بقراءاته في حقل المسرح العالمي فاذا بها تبدأ باليونان وتنتهي الى مسرح اللا معقول ، غير مغفلة مسرح القسوة الذى يدعو اليه البولندى جروتوسكى !

وغريب ان يدعو برشيد بكل هذا الاصرار والمثابرة الى الافادة من الاشكال المسرحية العربية

المتوازنة ، ويستخدمها بالفعل قاعدة وقالبا لمسرحياته ، لم يهمل الاطلاع على المسرحيات الكثيرة العدد التي خرجت في المشرق ، ما بين مسرحيات وضعت في القالب الاغريقي واخرى اتجهت الى التجريب على نطاق واسع ، مثل تجارب سعد الله ونوس في سوريا ، والفريد فرج ومحمود دياب ونجيب سرور في مصر ، ومثل كتابات يوسف العاني وقاسم محمد في العراق ، ومسرحيات عز الدين المدني في تونس .

واحسن الظن بالكاتب الشاب فاقول ، انه ربما لم تتح له فرصة الاطلاع على نصوص المشرق هذه ، بالنظر الى ان الطريق الى فرنسا واوروبا عامة اقصر لدى فناني الشمال الافريقي من الطريق الى مصر ، وسوريا ، والعراق ، ودول الخليج . فلعل برشيد هو ايضا واحد من ضحايا التجزئة الثقافية التي تقوم الآن رغم انوفنا جميعا ، ورغم الاستقلال الوطني ، وزوال شبح الاستعمار الكئيب عن معظم اجزاء وطننا العربي . اقول هذا ، وارجو ان لا يكون برشيد قد وقع في مطب يقع فيه امثاله من الشباب المسرحي المتحمس فيقولون — كما قال هو بالفعل — انمسرح توفيق الحكيم ليس مسرحا ، ويمضون من هذا الى الزعم بان ما كتب قبل ظهورهم لم يكن مسرحا على الاطلاق . مثلما حدث في حالات بعينها في كل من تونس ولبنان . في الاولى رفضت جماعة مسرحية متحمسة من بين شباب تونس اعتبار كل ما سبق اخراجهم مسرحية قدموها بعنوان « التحقيق » مسرحا على الاطلاق . وفي الحالة الثانية قال غسان سلامه في كتابه : « المسرح السياسي في لبنان » ان كل ما كتب في لبنان قبل الستينات لا هو مسرح ولا هو فن !

الناس والحجارة

فيما عدا ما كتب عن مسرحيات عبد الكريم برشيد في «الاقلام» وفي مجلة : «حياتنا المسرحية» التي تصدر فصلية في دمشق ، لم يتح لي حتى الآن ان اعرف الكثير عن هذا الكاتب الشاب ولم اتمكن من الاطلاع على اي من مسرحياته التي ورد ذكرها آنفا ، باستثناء واحدة ، عرضها علي ممثل مغربي رقيق قابلته في مهرجان الحمامات الصيف الماضي — ودفع الي بالمسرحية طالبا رايي فيها ، ونصيحتي له فيما يتعلق بامكان تقديمها على المسرح . اما هذه المسرحية فاسمها : « الناس والحجارة » . وقد قراتها فاعجبت بها اعجابا غير قليل ، وقلت للممثل الشاب ان هذا لون مجهد من الوان الفن المسرحي ، سيكلفه اقصى ما عنده من طاقة للتمثيل . فاجاب الممثل المغربي انه يدرك ما تحمله المسرحية من تحد ، وهو قد قبل التحدي !

وجميع احداث مسرحية : « الناس والحجارة » تدور في وهم سجين ، اعتقل انفراديا بين اربعة جدران ، فناضل في جلد وبسالة يرد عن نفسه اذى الوحدة القاتلة التي فرضت عليه .

نظر السجين الى رشح في الحائط فتامله واذا به يتخذ صورة قرد ، ما لبث ان ظهرت له عينان وشعر واقدام واصابع فوجد فيه السجين طلبته . قرر ان يمنحه الحياة وان يتخذه رفيقا في كل مغامراته في عالم الوهم . مغامرات تستهدف كلها ان تصل ما بين السجين والناس . ان تكسر الحائط الصلد الذى اجبر على ان يعيش وراءه .

ان السجين يحطم هذا الحائط مرات متعاقبة عن طريق الخيال بتخيل مرة انه استقل مركبا هو وصديقه القرد ، واخذ يجدف حتى وصل الى ارض يقول عنها مملكة النور ، حيث يتقدم ليعرض على الناس حبه وصداقته . ولكن الرجل الذى يتقدم منه في احدى بنايات المدينة يسيء معاملته ، ويغمره بالشكوك ، ويرفض حبه هذا الذى يعرضه عليه بعد ان يفسر هذا الحب تفسيرا شاذا وسيئا ، ثم ينتهي اللقاء بين الاثنين ، بان يطلب الرجل الى السجين ان يذهب الى جهة الاختصاص ، وهي دائرة تقع في الطابق الخامس ، حيث يجلس رجل في الحجرة الخامسة ، وسوف يدله عليه الحاجب الخاص . هذه هي دائرة الاختصاص ، فان الحب الذى يعرضه السجين هو علاقة خاصة ، يرعاها مكتب العلاقات الخاصة ، اما المكتب الذى هو فيه الآن فهو مكتب العلاقات العامة !

ويروح السجين ومعه صاحبه القرد الى مكتب العلاقات الخاصة ، فينهال عليه المختص بالاسئلة ، عن اسمه ولقبه وجنسه ، وعنوانه ، وحالته الاجتماعية وانتمائه السياسي والعقائدي والديني ، والرقم المالي ورقم الدار ، ورقم الهاتف ورقم السيارة ، ويطلب ايضا ان يقدم شهادة حسن سير وسلوك . وحين يحتج السجين بانه ليس في امكان احد ان يزعم ان الناس مراتب ودرجات

وسلالم وسلالات وانواع وقبائل ، او ان يحرم الزيارات واللقاءات والتجمعات والتظاهرات والاعراس والمواسم ، يقول له المختص ان الذى يحرم هذا كله هو مختص اخر من المكتب العاشر في الطابق العاشر ، وهو المختص العاشر .

اذ ذاك لا يتمالك السجين نفسه ، فيهجم على الاوراق الصفراء والحمراء والخضراء والبيضاء ، وكل التقارير والصور واللوائح والشهادات التي يزدحم بها المكتب ويمزقها اربا ليحطم سجون الورق التي تحبس الناس عن الناس .

ويفزع المختص ايما فزع ، فينادى الحاجب ليدفع عنه شر هذا المجنون ، ولا يلبث الناس ان يتجمعوا لكي يقذفوا به في الشارع . وعبثا يصرخ السجين بانه انما يفعل هذا من اجلهم : لانهم ناس وليسوا دمى او حجارة .

وتتكرر من بعد هذه اللقاءات الوهمية بين السجين وبين الناس . يستدعي المدينة اليه ذات مرة لتوافيه في السجن ، ما دام قد تعذر عليه الذهاب اليها . ويأتي الناس بالفعل ، ويريد السجين ان يتحبب اليهم فيمثل هو وقرده دور القراد والقرد ، ويأمر القرد بان يقوم بالعابه المختلفة ، فيهش الناس ويبشون ، ثم ينصرفون من بعد ، وقد ترك كل منهم قطعة نقود ، ورفض حب السجين وقرده . ويأبى السجين قبول هذه القطع المعدنية الباردة ، فانه انما يعطي الفرح ولا يبيعه ، وقد كان قصده ان يقدم الفرح للناس حتى يقول من بعد ما هو اهم . ولكن يتبين الآن ان ما يريد قوله لا يعني احدا من الناس ..

ويقرر السجين من فرط اليأس ـ ان يقتل عقله . ان يجن،فان الجنون حرية والعقل اعتقال، غير ان الاطفال يرمونه بالحجارة ، والكبار يفزعون منه . فانهم لا يكلمون المجانين الا اذا كانت الاغلال في ايديهم .

ولا يبقى للسجين الا ان يستحضر القاضي ، الذى انيط به اصدار الحكم عليه . لقد اختفى هذا القاضي منذ سنوات بعد ان تغيب عن جلسة النطق بالحكم وقرر السجين اذ ذاك انه لا بد قد ذهب ليحضر ولادة ابنه ، فان امرأته كانت حاملا على وشك الوضع .

والآن وقد مرت كل هذه السنين ، فلا بد ان الولد الذى ولدته زوجة القاضي قد شب وكبر واصبح اهلا للزواج . والآن فلينتظر السجين حتى يتم الزواج وليستدع القاضي الى السجن ، ما دام يرفض ان يذهب هو اليه في المحكمة .

ويأتي القاضي ، فيعرف منه السجين ان ثمة حريقا قد نشب في البلدة ، وأتى على ملف السجين ، ولهذا فان القاضي غير قادر على ان ينطق في قضية لا يملك اوراقها . وعقب احتجاج قصير وتفجع يموت القاضي العجوز ، فيمحي آخر ما كان يصور تهمة السجين ويستطيع ان يكيف مصيره .

ويتوجه السجين للناس بالرجاء ان يسمحوا له بالنزول اليهم ، فان كان ملفه قد احترق ، فهو نفسه غير قابل للاحتراق . ان الشيء الوحيد الذى هو قابل له هو العيش مع الناس لا مع الحجارة .

ويسدل الستار الاخيرعلى هذه الصرخة الاليمة المتفرجة .

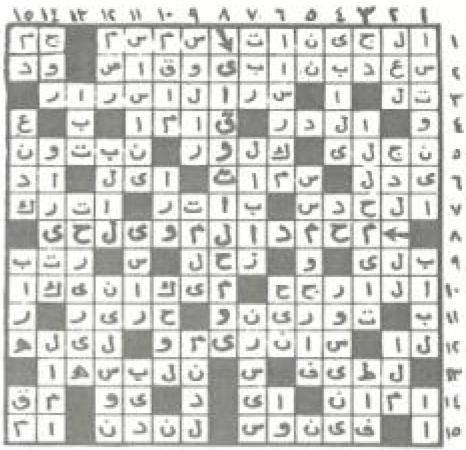
●

تعود مسرحية : « الناس والحجارة » ، الى نبع اساسي من ينابيع المسرح الناضج ، وهو الخيال . ان برشيد يطلب الى متفرجه ان يكون واسع الخيال مثله ، وهو لهذا يقيم له مسرحا في الخيال،يعتمد فيه الكلمات بديلا من الشخصيات ومن المناظر ، ومن الحركة الكثيرة ويستخدم فن « الميم » وسيلة لتصوير الانتقال في الزمان والمكان وهو انتقال يتم بالبساطة ذاتها التي يتم بها لدى الاطفال . وكل ما يستعين به الكاتب لكي يقيم صرح احداثه الخيالية هذه هو : جدار شفاف ، وحبل غسيل ، عليه ملابس ، تمثل الشخصيات الوهمية التي تتحدث عنها المسرحية ، ثم سرير نوم قابل للتشكيل ، يكون مكتبا تارة او سفينة او ما شاء الخيال .

وبرشيد يرسم في اقتدار حاضر سجينه وماضيه، كما يقوم عن طريق ممثل فرد حياة مدينة بأسرها ، وحياة الناس في اماكن كثيرة مشابهة . واستخدام الممثل الفرد ليقوم باعباء فنية متعددة هو واحد من تقاليد المسرح الشعبي ، كما ان اعمال الخيال عوضا عن التجسيد هو ايضا ضمن هذه التقاليد المسرحية ـ عبر هذا كله ـ تطلق صرخة متفجعة ، ونداء حارا ، كي تزول كل القيود والفروق والسدود والاحباس ، ولا يبقى الا حب الناس للناس . ■■

د . علي الراعي

● حل مسابقة العدد ٢٤١ ●



محمد المويلحي

●

ياقوت الحموي

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : محمد المويلحي، اديب وصحفي مصري انشأ مع ابراهيم المويلحي جريدة « مصباح الشرق » . اشهر اعماله « حديث عيسى بن هشام » الذي صيغ على نسق المقامات .

(٨) راسيا : ياقوت الحموي . ولد بالاناضول عام ١١٧٩ ، من اصل رومي ، رحل الى ايران ، واقام بالموصل ، ثم سافر الى حماه ، وحلب حيث قضى بقية ايامه . صاحب « معجم البلدان » ، و« معجم الادباء ».

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى ٣٠ دينارا فاز بها : واجل محمد – الدار البيضاء/المملكة المغربية
- الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا فاز بها : هشام محمود رشاد – الزيتون/القاهرة
- الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير فازت بها : ملكة الفاضل عمر – جامعة الخرطوم/السودان

٨ جوائز مالية : ٤٠ دينار كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ – مها سليمان ضياء عبده – عمان/الاردن
٢ – محمود خالد مشتهي – مكة المكرمة/السعودية
٣ – المختار غيث الزنتاني – طرابلس/ليبيا
٤ – فؤاد راشد عبد العظيم قنديل – السماوة/ العراق .
٥ – احمد ماهر بابا – حلب/سورية
٦ – احمد محمد الجعمي – مدينة آب/الجمهورية العربية اليمنية
٧ – شريفة ابراهيم المحرى – المنامة/البحرين
٨ – سيد احمد عبد القديم – كربلا/الهند



الهجرة العربية

الأسباب الاقتصادية والآثار الاجتماعية *

بقلم : الدكتور محمد غانم الرميحي

استاذ الاجتماع المساعد بجامعة الكويت

أصبحت الهجرة الى أقطار الخليج البترولية ، وبالتحديد هجرة العمال ظاهرة اجتماعية اقتصادية سياسية ملفتة للنظر ، وتتطلب دراستها ومعالجتها دراية واسعة بأسباب الهجرة ومصادرها وتاثيراتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على الاقطار المضيفة والاقطار المصدرة .

وتاتي الهجرة العمالية بجميع مستوياتها ومصادرها كمنصر أساسي لهذه الظاهرة فقد توافد على اقطار الخليج البترولية خاصة منذ بداية السبعينات موجات عمالية مهاجرة طالبة العمل في المجالات الواسعة الجديدة ، وكانت هذه الهجرة من مصدرين اساسيين اقليمي ، عربي بالتحديد ، ومن مصدر عالمي خاصة شبه القارة الهندية وما وراءها عدا الهجرة من أوروبا وبلاد الشرق الاوسط غير

العربية • ونظرا لضخامة هذه الهجرة العمالية وأهميتها فقد بدأت تطرح مجموعة من الاسئلة الحيوية حول هذه الهجرة، اهدافها ومدى الاستفادة منها • من هذه الاسئلة :

١ ـ ما مدى ضخامة هذه الهجرة ، وما هي مصادرها العربية والاجنبية ؟

٢ ـ ما مدى وفاء الاقطار العربية بتحقيق الطلب المتزايد على اليد العاملة ؟ وما هي أسباب التجاء بعض اقطار الخليج البترولية لمصادر غير عربية لاستقدام العمالة ، وما خطورة ذلك ؟

٣ ـ ما هي الاعباء القانونية والاجتماعية المترتبة على تواجد عمالة عربية وأجنبية في اقطار الخليج على الحكومات المضيفة ؟

٤ ـ هل هناك خطط وطنية او اقليمية للتنسيق بين هذه الاقطار ورسم سياسات مشتركة تجاه استيراد اليد العاملة غير المحلية ؟

٥ ـ هل تحتاج هذه الاقطار كل هذه الخطط

الى الخليج

الطموحة في الانشاءات ومشاريع الخدمات والصناعات وبعضها متشابه وينفذ في نفس الوقت ؟

٦ ـ وأخيرا ما مستقبل العمالة الوافدة المستقرة في اقطار الخليج البترولية ؟ •

هذه الاسئلة المشروعة وما شابهها تحتاج الى اجابات حتى يمكن رسم تصور واضح لاهمية العمالة المستوردة واحتمالات تاثيرها على المجتمع في الخليج في المدى البعيد •

ضعف البنية الاقتصادية التحتية لاقطار الخليج البترولية :

تعاني اقطار الخليج العربي البترولية (عدا العراق) من قلة السكان النسبية ، وكذلك صغر الحجم السكاني في القطاع النشيط اقتصاديا اذ أن الهرم السكاني لهذه الاقطار تتزايد فيه نسبة الشباب (أقل من ١٥ سنة) ، وكذلك الفقر في اليد العاملة المدربة ، كما تقف معوقات اجتماعية وثقافية أمام المساهمة الفعلية لبعض قطاعات السكان ـ كالمرأة ـ وضعف المستوى التعليمي لقطاع واسع من اليد العاملة المحلية أمام المساهمة المثلى في مجالات العمل الواسعة والمتعددة • كما أنه من جهة أخرى تشهد المنطقة ـ خاصة منذ السبعينات ـ خططا ضخمة للتنمية في العديد من المجالات الاقتصادية ، وخاصة الانشائية والخدمية ـ وقد ساهم ارتفاع أسعار النفط لهذه الاقطار والشغف لبناء قاعدة اقتصادية راسخة مما جعل هذه الاقطار تعتمد خططا سريعة من أجل تطوير اقتصادي واجتماعي افضل •

ولحل مشكلة الفارق بين الطموحات الكبيرة في انشاء القاعدة الاقتصادية وبين الامكانيات البشرية والسكانية اعتمدت هذه الاقطار على القوة العاملة غير المحلية ولمجابهة الطلب المتزايد عليها في جميع القطاعات • ومن هنا ظهر المازق الاول الذي تعاني منه أقطار الخليج ، وهو عدم وجود سياسات واضحة ومحددة المعالم لما يراد لهذه المجتمعات أن تكون • وجدت نفسها اقلية سكانية تعيش على هامش الانتاج في حين تقوم القاعدة الانتاجية على أكتاف عاملين عرب أو أجانب تطبق عليهم جميعا قوانين واحدة غير مدروسة ، وفي معظمها متنافية مع الحد الادنى المطلوب عالميا •

ومن الجدول رقم (واحد) يمكن أن نتعرف على صورة عامة لمساهمة السكان المحليين وغير المحليين من النشيطين اقتصاديا في القوى العاملة لكل من الاقطار الخليجية المدروسة •

❋ تعليق على الابحاث والتقارير المقدمة لندوة السكان والعمالة والهجرة في دول الخليج العربي ، الكويت من ١٦ ـ ١٨ ديسمبر ١٩٧٨ •
أشرف على الندوة ودعا لها كل من المعهد العربي للتخطيط ـ الكويت ومنظمة العمل الدولية ـ جنيف •

الجدول رقم واحد ❊ نسبة النشيطين اقتصاديا في سوق العمل (١٩٧٥)

القطر	نسبة النشيطين اقتصاديا من المحليين ٪	نسبة النشيطين اقتصاديا من غير المحليين ٪
البحرين	٦٠ر٤ ٪	٣٩ر٦ ٪
الكويت	٣٠ر٤ ٪	٦٩ر٦ ٪
قطر	١٨ر٩ ٪	٨١ر١ ٪
المملكة العربية السعودية	٥٧ر ــ ٪	٤٣ر ــ ٪
الامارات العربية المتحدة	١٥ر٢ ٪	٨٤ر٨ ٪

ومن الجدول نجد أن المساهمين في الانتاج من القوى العاملة غير المحلية حتى في اقطار كالبحرين والمملكة العربية السعودية تصل الى ٤٠٪ تقريبا. وتصل هذه النسبة الى اربعة اخماس العاملين في كل من الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة ، وهذا مؤشر اساسي لمدى مساهمة العمال غير المحليين في القطاعات الاقتصادية المختلفة لهذه الاقطار ، ومن المؤشرات الموجودة حتى الان ومن خلال الخطط الاقتصادية الموضوعة ، فان هذه النسب يتوقع لها أن تستمر في الارتفاع في المستقبل القريب والمتوسط خاصة أن اقطارا عديدة تتصور أن التصنيع اساسا للتطور الداخلي ، وقد بدأت بالفعل هذه الاقطار بتطبيق خطط صناعية ضخمة .

سياسات التشغيل :

لا توجد سياسة اقليمية لاقطار الخليج ـ حتى الآن ـ لاستقبال العمالة المهاجرة ، وحتى لو وجدت سياسات قطرية ، فانها قابلة للتغير والتطوير المستمر ، فالدافع الى التطوير وتوفر رأس المال قد غطى على وضع تصورات بعيدة المدى في المجال الاقتصادي والاجتماعي ، ولقد كانت هذه الاقطار في البداية غير محتاجة الى هجرات عمالية واسعة كما هو حاصل الان ـ لذلك فقد كان هناك انتقال محلي (لليد العاملة) كانتقال عمال من عمان الى الكويت والبحرين مثلا في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، أو عمال من اليمن الى السعودية في الستينات والسبعينات ، هذه الهجرة المحلية لم تشكل تحديا اساسيا للواقع الاجتماعي والاقتصادي، ومع ازدياد أعداد العمال المهاجرين ، فقد استمر طابع الهجرة غير المنتظمة والذي تتحكم فيه عوامل السوق والقوانين المحلية والاقليمية دون استفادة قصوى من الهجرة ـ خاصة العربية ـ من الاقطار المضيفة او الاقطار المرسلة لهذه الهجرة . وان تحول ملايين من الافراد الى الاقطار البترولية من بلاد متعددة قد صبغ هذه الهجرة بصبغة عالمية واصبحت تشكل تحديا حقيقيا للتنمية المحلية، وتؤثر كذلك على خطط التنمية في الاقطار العربية والاجنبية المرسلة لليد العاملة ، وتقدر بعض الدراسات حاجة بعض الاقطار الخليجية المنتجة للبترول بمئات الالوف من العمال خلال السنوات القليلة القادمة .

الهجرة الى أقطار الخليج :

حركة الهجرة الداخلية (في المنطقة العربية) للعمال العرب من الاقطار المرسلة الى الاقطار المضيفة تشكل الحركة الاعظم ، وهي ليست مقصورة على اقطار البترول الخليجية ، انما هي ايضا شاملة ، فهناك اقطار تستقطب نوعا معينا من العمالة في حين تصدر نوعا آخرا ، ففي حالة الاردن فهو يستورد عمالة مصرية في قطاع الانشاءات ، كما يصدر عمالة الى اقطار الخليج في المهن الحرفية وشبه الفنية ،كذلك نجد عمان تستورد عمالة فنية،

❊ Birks J.S.& Sinclair C. A.
International Migration in the Arab Region P.6.

وتصدر في نفس الوقت عمالة غير فنيةلبعض اقطار الخليج كالامارات العربية المتحدة .

ولكن الملاحظ ان هناك اقطارا بعضها تستقطب الجزء الاكبر من العمالة العربية ، وهي بالتحديد المملكة العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة ، وقطر والبحرين ، وهي الاقطار التي تستقطب عمالة اسيوية بنسب كبيرة ايضا ❋ ، كما يظهر من الجدول رقم (٢)

ومن الجدول رقم (٢) يمكن ملاحظة ان بعض الاقطار العربية الخليجية تعتمد اساسا على اليد العاملة العربية وتشكل نسبة الاسيويين والاوروبيين القطاع الاصغر من هذه العمالة ، كما هو في السعودية والكويت على وجه الخصوص . بينما تعتمد اقطار عربية خليجية اخرى على العمالة الاسيوية كما هو ملاحظ في قطر والامارات العربية والبحرين والتي تعتمد ايضا على نسبة لا باس بها من الاوروبيين بينما تتدنى نسبة الاخرين في جميع الاقطار الاخرى . ولا بد من التنويه ان هذه النسب تعتمد على الارقام المتحصل عليها في سنة ١٩٧٥ .

وفي راينا ان هذه النسب قد زادت بشكل ملحوظ للاعتماد على الاسيويين في الثلاث سنوات الاخيرة والمؤشر على ذلك المشاريع الضخمة الملزمة لشركات اسيوية في الاقطار المذكورة ، فقد اصبح من الملاحظ في اقطار البترول الغنية ترسية المشروعات الكبيرة كبناء او تشغيل المشروعات الصناعية على شركات كورية او فلبينية او ماليزية او تايلندية واقل من ذلك باكستانية وهندية .

ومن ارقام ١٩٧٥ نجد ان المملكة العربية السعودية كانت الاكثر باعا في استيعاب العمالة العربية ، فقد قررت احدى التقارير حقيقية مفادها ان نصف المهاجرين الى العمل في الوطن العربي في سنة ١٩٧٥ قد وجدوا لهم عملا في المملكة العربية السعودية ❋❋ .

اما في البحرين وقطر ودولة الامارات فقد شكل العمال العرب بالنسبة للعمالة غير المحلية بوجه عام بين الخمس والربع فقط (كما هو مبين في الجدول السابق) كما ان العمال الاسيويين يشكلون اكثر من نصف العمال غير المحليين . ولقد بدات ظاهرة جديدة في السبعينات وملفتة للنظر هي تراجع نسبة العمالة العراقية والايرانية في سوق العمل الخليجي وتلاشيها في بعض الاقطار ، فقد بدات العراق وايران منذ منتصف السبعينات في استقطاب العمالة الخارجية ، فاعتمدت الاولى على السوق العربية ، وقدمت اغراءات كثيرة لجذب هذه

جدول رقم (٢) جدول المهاجرين الى اقطار الخليج حسب جنسيتهم وبلادهم الاصلية ١٩٧٥

القطر	العرب من المجموع	الاسيويون من المجموع	الاوروبيون من المجموع
البحرين	٢٠ر٧ ٪	٥٥ر٣ ٪	١٤ر٧ ٪
الكويت	٦٨ر٩ ٪	١٦ر١ ٪	١ر- ٪
قطر	٢٧ر٩ ٪	٦٣ر٢ ٪	١ر٥ ٪
السعودية	٩٠ر٥ ٪	٤ر٩ ٪	١ر٩ ٪
الامارات العربية	٢٤ر٦ ٪	٦٥ر- ٪	٢ ٪

المصدر : Birks & Sinclair P. 8

❋ مصطلح العمالة الاسيوية نعني به هنا الاسيويين من شبه القارة الهندية وشرقها ولا يدخل تحته الايرانيون والاتراك . كما أنه تتواجد نسبة قليلة من العمالة الافريقية .

❋❋ Birks & Sinclair P. 7.
Choucri Nazli - Labour Transfers in the Arab world P. 9.

العمالة ، كما اعتمدت ايران جزئيا على العمالة من السوق الافغانية والباكستانية .

العمال العرب :

لقد اظهر حجم العمالة العربية واتجاهها الجغرافي حقيقة التوزيع غير المتوازن للثروة البترولية ، وطريقة استخدام هذه الثروة ، فقد اتجهت مجاميع كبيرة من العمال العرب الى اقطار الخليج البترولية لاسباب اقتصادية دافعة على راسها الفروقات الكبيرة في الدخل الحقيقي للعمال في القطر المضيف عنها في الاقطار المصدرة ، وكذلك النسب المتفاوتة في النمو الاقتصادي والدخل القومي مع الخلل في توزيع السكان ، وتاتي على راس الاقطار العربية المصدرة للعمالة جمهورية مصر العربية اذ يقدر ان حوالي ١٠٪ من قوة العمل المصرية في سنة ١٩٧٥ كانت تعمل خارج مصر ، وياتي في المقام الثاني اليمن بشطريه الجنوبي والشمالي ، ثم الاردن (بمن فيهم العمال الفلسطينيون) وهذه الاقطار تصدر اغلبية اليد العاملة العربية الى اقطار الخليج النفطية ، وقدر مجموع اليد العاملة العربية في هذه الاقطار بحوالي ٤ر١ مليون في عام ١٩٧٥ وتشير الاحصائيات الى ارتفاع هذا الرقم في اوائل ١٩٧٨ الى حوالي ٧ر١ مليون عامل .

وتشكل العمالة المصرية النسبة الاكبر وتنتشر في جميع الحرف تقريبا من المهنية والفنية الى الحرفيين ، كما انها تنتشر كذلك في جميع الاقطار بنسب متفاوتة وتخص السعودية والكويت بالنسب الاكبر ، يلي ذلك اليمنيون (شماليون وجنوبيون) وتتركز العمالة اليمنية تقليديا في المملكة العربية السعودية ، اذ يقدر ان ٩٠ ٪ من العمال اليمنيين المهاجرين سنة ١٩٧٥ يعملون في ذلك القطر .

ويسيطر عمال الانشاءات حتى الان على حركة الهجرة ، فمعظم المهاجرين الى اقطار الخليج العربي النفطية يتركزون في قطاع الانشاءات ، وهو ايضا اكثر القطاعات الاقتصادية اعتمادا على اليد العاملة .

ان انتقال العمال العرب بهذا الحجم وهذا المستوى من اقطارهم المصدرة (مصر ـ اليمن ـ الاردن ـ وسوريا) ❊ الى اقطار الخليج النفطية قد اوجد مجموعة من المشكلات القائمة والمتوقعة ليس للاقطار المضيفة فقط انما ايضا للاقطار المصدرة .

ولكن هل مستقبل التنمية العربية بشكل عام (كما تقول بعض الاتجاهات في الندوة) مرتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية في اقطار الخليج ؟ هذا السؤال تحتاج الاجابة عليه لمعرفة الايجابيات والسلبيات لهجرة اليد العاملة .

لا شك ان تشغيل اليد العاملة العربية بهذا الحجم في اقطار الخليج النفطية ستتيح عدة امتيازات اقتصادية للدول المصدرة للعمالة ، منها سد جزء من العجز في ميزان المدفوعات للاقطار التي تعاني من ذلك والحصول على عملة اجنبية ، وتوفر مورد كاف من راس المال للاستثمار الداخلي وتقليل من نسبة البطالة الظاهرة او المقنعة في اقطار المصدر .. الخ من الايجابيات الاقتصادية المعروفة ، الا ان هذه الهجرة لها سلبيات على الدول المصدرة فمثلا خروج عمال التشييد من مصر اوجد عنق زجاجة في التطور الاقتصادي هناك ،فقد ارتفعت اجور عمال التشييد في مصر بين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨ ١ر٥٢ ٪ بالمقارنة ب ٨ر١٩ ٪ في قطاع الخدمات ، ٧ر١٢ ٪ في قطاع الصناعة والاستخراج، كذلك فان اجور قطاع عمال الزراعة قد شهدت ارتفاعا كبيرا يقارب ارتفاع اجور قطاع التشييد ويعزى ذلك الى استنزاف العمال الزراعيين للعمل في قطاع التشييد والبناء خاصة في المستويات الدنيا من الاعمال ، كذلك نجد ان قطرا كالاردن في حين يصدر العمالة فهو يستورد عمالة من اقطار اخرى عربية واسيوية .

كما ان فروق الاجور النقدية بين الاقطار المصدرة والاقطار المستوردة قد اوجد عبئا جديدا على الاقتصاد المحلي للاقطار المصدرة . فالقدرة على الادخار، اوجدت طلبا متزايد على الخدمات والسلع في البلاد المصدرة من العمال

❊ هناك هجرة للعمال العرب ايضا من كل من لبنان ـ السودان ـ الشمال الافريقي الا ان هذه الهجرة لا تتجاوز في حدها الاعلى ٥٠ الف عامل .

العائدين او ذويهم مما سبب ارتفاعا فى السلع والخدمات المحلية فقد انتقل النمط الاستهلاكى فى اقطار النفط الى الاقطار المصدرة ، وقد حدث فى بعض الاحيان ان فاقت اثمان بعض السلع والخدمات فى الاقطار المصدرة للعمالة مثيلتها فى اقطار النفط ،مثال ذلك اسعار الارض واثمان الايجارات فى صنعاء تعادل اوتفوق مثيلاتها فى الكويت فى بعض الاحيان•كذلك استئجار سباك فى مصر اصعب من استئجار مثيل له فى السعودية او الاردن •

وهذا مما جعل فروق الاجور الحقيقية فى اسواق الاقطار المصدرة والاقطار المستوردة تميل الى النقصان ، الا ان هناك عوامل اجتماعية تجعل استمرار الهجرة العربية الى اقطار النفط مستمرة ومن هذه العوامل القدرة على الادخار فى المهجر حيث يتحرر العامل من القيود القيمية والعائلية، فهو يتعاطى اى عمل يدرعليه ربحا ،كما انه يمكن ان يضبط انفاقه ، وخير مثال على ذلك العامل اليمنى المهاجر للعمل فى السعودية، فقد يحصل هذا العامل على نفس الاجر النقدى فى صنعاء، كما هو حادث بالفعل بدلا من الرياض الا ان قدرته على الادخار فى الاخيرة اكبر، حيث يضطر فى صنعاء مثلا الى القيام بطقوس اجتماعية كشراء القات مثلا الذى ياكل نصف دخله اليومى اواكثر، ولايفعل ذلك فى الرياض•

العمال الاجانب :

مماسبق ذكره تعرفنا على مجموعة من الحقائق فيما يخص الهجرة العمالية الى اقطار الخليج النفطية، وهى ان هذه الاقطار تقوم الان ولديها خطط فى المستقبل بمشاريع تنموية ضخمة لاتستطيع ان تحققها اعتمادا على العمال المحليين ، ومن هذه الخطط تعتمد على قطاع التشييد والصناعة، الذى يتجه بدوره الى ان يكون اكثر تعقيدا، فى حين ان الاقطار العربية المصدرة للعمالة تضع بدورها خططا تستخدم فيها المورد المتاح لها من راس المال البشرى للوفاء بهذه الخطط، مما يهدد استمرار ظاهرة الفائض الحالى ، خاصة فى اطار تقارب الفروق الاجرية الحقيقية •

لذا، فان عوامل السوق فى اقطار الخليج تتجه الى الاستعانة باليد العاملة الاجنبية والاسيوية خاصة ،حيث يتحقق الحصول على مستويات عمالية اكثر تدريبا ومهارة واقل اجرا ودون ان تتحمل الدول المضيفة اعباء قومية اووطنية من اى نوع، وقد كان عدد العمال الاجانب فى اقطار الخليج فى سنة ١٩٧٥ (٨ر١) مليون عامل،وزاد هذا العدد حيث قدر فى أوائل ١٩٧٨ ب(٤ر٢) مليون عامل اجنبى، وايضا معظمهم من الاسيويين•

هذا الرقم الحقيقى او المقدر يضعنا امام تحد لوضع سياسة عمالية واضحة للمستقبل ،فالمؤشرات التى بين يدينا تقول : أن معظم الايدى العاملة التى يحتاج اليها الخليج هى عمالة فى الانشاءات والتشييد ، وبما ان هذه العمالة فى احتياطيها العربى تتجه الى النقصان لاسباب التشغيل الداخلى او لعدم توفر الفائض المدرب ، فان المتوقع ان تتدفق اعداد كبيرة من العمال الاجانب على هذا الاقليم العربى ، ولاشك أن قطاعا منهم سيتحول من عمالة مؤقتة الى عمالة دائمة او شبه دائمة فى قطاع الصناعات والخدمات مما يشكل عبئا مستقبليا على الوضع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للاقطار المضيفة ، ومن هذه الاعباء مطالبة هؤلاء العمال او دولهم لاحقا بامتيازات جماعية وحقوق اقتصادية واجتماعية ، كما أن منطقة مثل الخليج تتجه اليها طموحات العالم من الممكن أن تستخدم هذه المجموعات الكبيرة كراس حربة فى المستقبل لاثارة القلاقل غير المنظورة اليوم • فى حين تحرم قطاعات كبيرة من العمال العرب فى دول بها فائض غير مدرب كاليمن ومصر من الحصول على أعمال تستفيد منها اقطارهم لاحقا ، هذا بجانب الصعوبات الاجتماعية كاختلاف اللغة والعادات والتقاليد مما يسبب عبئا جديدا على المجتمعات النامية فى الخليج وتجدر الاشارة الى أن الكثير من القوى العاملة الاجنبية خاصة المستقدمة من شركات أوطانها هى فئات شابة ومدربة عسكريا وتقوم شركاتها بتوفير كل طلباتها من السوق المصدرة سواء كانت احتياجات الات او خدمات وحتى اغذية ومهمات رياضية •

كما يثير تواجد هذه العمالة المنظمة فى الخليج نتيجة لعملها المنظم والسريع مقارنات لدى الفئات الشعبية حول انتاجها السريع والمحكم فى حين أن

بعض الخبراء العرب ينتقدون هذه المنجزات فنيا ويبررون دوافع الانجاز السريع بانه مخطط له ويضربون امثلة بانه لو أتيح للشركات العربية بعمال عرب تحت نفس الشروط الايجابيةلتم انجاز هذه المشروعات بنفس الكفاءة • ومن المهم الاشارة الى أن تلزيم منشآت ضخمة الى شركات أجنبية ـ حتى لو كان هدفه اقتصاديا وتنمويا ، فان ذلك يحرم الشركات المحلية والعمال العرب من الاستفادة والخبرة التى هى جزء من تنمية الانسان العربى المرجوة • ان دور اليد العاملة الاجنبية هو خلق اتكالية كاملة ونوع من الاستعلاء على الاعمال اليدوية لدى مواطني هذه الاقطار والى خلق شعور زائف بالعظمة الفردية والاجتماعية، كما أن اولئك العمال يشكلون احتياطيا لا ينضب لمواجهة اية مشكلة قد تثيرها بعض التنظيمات المهنية المحلية من أجل الحصول على حقوقها، خاصة في ظل حرمان اليد العاملة الاجنبية وكذلك العربية من أية حقوق نقابية •

مشكلات العمال المهاجرين :

لاشك ان الاقطار المضيفة حتى الان تتجه الى استخدام (ساعات عمل)وليس أسرا عمالية، هذا ممايسهل استيراد العمالة الاجنبية ، فمعظم الاقطار تمنع اوتشدد على دخول اسرة العامل ، وتستخدم عرض عمل مرن ، دون ان تتحمل اعباء اجتماعية اضافية ، كما انمعوقات الانتقال بين الاقطار العربية المصدرة أو المضيفة لليد العاملة لاتزال قائمة ،ولاشك ان الاقطار المضيفة لاتزال هى التى تفرض الشروط التى تناسبها فتستورده من العمال ما تحتاجه من مجموعات مميزة من حيث السن والجنس والخبرة والتعليم والمهارة والتخصص •

لذا فان السوق الاجنبية لهذه الاقطار اكثر ملاءمة من السوق العربية مما يجعل توقع زيادة العمالة الاجنبية في السنوات القادمة وهجرتها الى الخليج تفوق هجرة اليد العاملة العربية مما يفرض مشكلات رئيسية منها اغراق المنطقة بعمال أجانب وحرمان الاقطار العربية من الاستفادة من خطط التنمية • ولقد بدات المنظمات الدولية تنظر الى العمالة المهاجرة ووضعها القانونى والاقتصادى والاجتماعى فى اقطار الخليج نظرة النقد التى سببها قصور فى القوانين والتطبيقات من حيث المساواة والحق فى التعويض المطبقة عالميا ،فلا تزال مثلا لجنة خبراء تطبق الاتفاقيات بمكتب العمل الدولى فى جنيف تصر على تعديل بعض أحكام القانون رقم ٣٨ لعام ١٩٦٤ (قانون العمل في القطاع الاهلى فى الكويت) • وذلك لوجود بعض التناقضات فيه مع بعض احكام اتفاقيات العمل الدولية المصدقة من الكويت • ولا شك أن الحقوق الاساسية المتفق عليها عالميا للعمل مثل التدريب المهنى والثقافة العمالية والتنظيم النقابى ، والتامينات الاجتماعية ، قد قصرت في بعض اقطار الخليج عن تلبية هذه الحاجات سواء العمال المحليين أو الوافدين عربا وأجانب • ففى حين يسمح التشريع فى الكويت مثلا بحق اقامة النقابات لا يتوفر ذلك في الاقطار الاخرى كالسعودية والبحرين وقطر والامارات ، وفى حين يحق للعمال فى السعودية الانضواء تحت قانون التامينات الاجتماعية تمنع القوانين المحلية فى الكويت استفادة العمال العرب أو الاجانب من ذلك • وفى حين ان الاقطار العربية فى الخليج قد انضمت الى منظمة العمل الدولية ـ الكويت ١٩٦١ ـ قطر والامارات ١٩٧٢ ـ السعودية ١٩٧٦ والبحرين ١٩٧٧ •

الا أن التصديق على اتفاقيات منظمة العمل العربية (رغم الانضمام اليها) لم يتم حتى الان، كما انه باستثناء الكويت لا تشارك اقطار الخليج الاخرى فيالاتحادات العمالية الدولية أو العربية•

انه مما لا شك فيه أن التعاون فى قضايا العمل والعمال علىالمستوى الاقليمى خاصة لاقطار الخليج التى تستورد عمالة بهذا الحجم والمستوى أمر له قيمته ويعود بالنفع على هذه الاقطار من جهة وعلى الاقطار العربية المصدرة لليد العاملة من جهة أخرى ، كما انه يوحد موقف هذه الاقطار فى مواجهة العمالة الاجنبية ، وينسق بينها ، الا أن هذه الخطوات لاتزال فى بدايتها وتحتاج الى الكثير من التنظيم فى المجال العربى حتى يمكن ان تحقق الفائدة المرجوة منها • ■■

د • محمد غانم الرميحى

اعداد : يوسف زعبلاوى



صورتان للمسز فورد الاولى قبل عملية التجميل والثانية بعدها

● تقدمت الجراحة التجميلية كثيرا فى المدة الاخيرة حتى بلغت مستوى رفيعا من الاتقان فى شتى فروعها ، وبخاصة : زرع شعر الراس وشد الجفون وتقليص الصدور ، فضلا عن شد الوجوه •• ويضرب المثل بالممثل القديم الشهير فرانك سناترا وبالسيناتور ويليم بروكسماير ، ممثل وسكونسين فى السانت على مدى ما احرزته هذه الجراحه من نجاح فى نهر الصلع والتغلب على هذه الافة التى طالما تذمر منها الكثيرون من الرجال •• لاسيما العاملين منهم فى ميادين التمثيل •• السياسى او السينمائى • ويؤكد البعض ممن قابلوا الممثلين بشعورهم الجديدة المزروعة تعذر اكتشاف حقيقة هذه الشعور •• انها غير طبيعية وان يد احد الجراحين المختصين هى التى زرعتها شعرة شعرة فى رؤوس الممثلين حتى احتمى الصلع منها •• وبدت كرؤوس الشبان من ذوى الشعور الكثة •• وقل مثل ذلك فى السيدة الاولى فى امريكا • فقد اجرت روزالين كارتر عملية شد لجفونها التى كثرت ثناياها ونالت كثيرا او قليلا من جمال زوجة الرئيس الامريكي • ويقال انها استردت بهذه العملية اكثر مما فقدت من جمال •••

على ان الجراحة التجميلية بلغت ذروتها فى عمليات شد الوجوه •• وهى العمليات التى تقبل عليها فى الغالب النساء اللواتى تجلت الشيخوخة فى وجوههن اكثر مما تستوجب اعمارهن ، والى حد يتعذر معه اسمويه بالمساحيق • ولعل اصدق دليل على المستوى الرفيع الذى بلغته هذه الجراحه التغيير الكبير الذى احدثته فى وجه المسز بتى فورد زوجة الرئيس الامريكى الاسبق ، والذى يتجلى بوضوح فى صورتى المسز فورد المرافقتين لهذا الكلام •• وقد التقطت احداهما قبل العملية والتقطت الثانية بعدها • هذا وتبلغ السيدة الامريكية الاولى (سابقا) الستين من العمر ، وقد كانت فى معركة طويلة مع الاورام الخبيثة فى الثديين ، ما كانت لتنتهى الا بعمليه اجتثاث خطيرة • واستسلمت المسز فورد بعد ذلك للادمان على الكحول وغيرها •• على نطاق واسع •• وبالرغم من ذلك كله نجح الجراح M.R. Mazaheri فى عملية الشد والتجميل التى اجراها لوجه السيدة بتى فورد فى Palm springs ، بحيث بدت وكانها فى الثلاثينات من العمر ••

ومما يذكر عن عمليات شد الوجوه انها تستغرق ٣ ـ ٤ ساعات وتستوجب التخدير

الموضعي او الكلي . وتبدا الجراحة بان يشق الجراح الجلد فوق الاذن مباشرة ثم يفصل بين هذا الجلد وبين ما يكسوه من لحم وشحم .. ويعمد الطبيب بعد ذلك الى شد الجلد اسفل الراس .. فينشد معه جلد الوجه ويتجمع الفائض من الجلد فيقصه الجراح ويخيط الجرح

على ان النضارة التى يكتسبها الوجه نتيجه هذه الجراحة ليست ابدية .. فهى لا تلبث ان تختفى لتحل محلها اعراض الشيخوخة ثانية ، فى غضون ٤ ـ ٨ سنوات .. وعندها لابد من اجراء عمليه تجميل ثانية .. اذا لم تحل طبيعة الوجه دون ذلك .. وقد تسمح بعض الوجوه بعملية ثالثة وقد لا يستجيب بعضها للعملية الاولى اصلا .. او يصاب الوجه بتشويه اذا هى اجريت . وذلك فى حالات قليلة نادرة .

وتجدر الاشارة الى ان ما يشدونه فى عمليات شد الوجوه انما هو الجلد فحسب .. الا ان بعض الجراحين خرجوا على القاعدة فى المدة الاخيرة وراحوا يشدون العضلات ايضا ، عضلات الرقبة والاصداغ ..

اما تكاليف الجراحة التجميلية فتبلغ ١٥٠٠ دولار لعملية شد الوجه وعملية شد الجفون .. علما بان تكاليف عملية المسز فورد بلغت اكثر من ضعف ذلك .. بالضبط ٣٢٠٠ دولار ..

صورة المسز فورد قبل عملية التجميل وبعدها



١ ـ تبدا عملية شد الوجه بشق يحدثه الجراح خلف الاذن .. تحت شعر الراس .

٢ ـ ثم يفصل الجلد عن الانسجة التى تحته .. وذلك فى منطقة الخد كلها وعلى نحو يضمن تحاشى التلف لاعصاب الوجه واوعيته الدموية .

٣ ـ ويشد الجلد بعد ذلك فى اتجاه علوى خلفى كالاسهم .. حتى يذهب تجعيد الغضون ويختفى ارتخاء الاصداغ .

٤ ـ ويقص الجراح آخر الامر الفائض من الجلد ثم يخيط الشق الذى لا يلبث ان يختفى تحت شعر الراس .

نبات الذرة يحل محل البترول

● اشتهرت جنوب افريقيا بعمليات استقطار البترول من الفحم الحجرى .. على نحو ما درج عليه الالمان ابان الحرب العالمية الثانية .. والظاهر ان كثرة مخزونها من الفحم وقلة تكاليف عملياتها الخاصة باستخراج البترول منه ـ وهى قلة نسبية طبعا ـ قد دفعت بالحكومة العنصرية الى انشاء مجمع جديد لهذه الصناعة تطلق عليه اسم Sasol 2 .

ويؤكد الخبراء ان هذا المجمع سيغطى حوالى ½ احتياجات

جنوب افريقيا من البترول ويغنيها عن استيراده بترولا خاما من منابعه ..

ولكن جنوب افريقيا ماضية حاليا فى انشاء مصنع آخر لانتاج مادة اخرى غير البترول .. هى مادة الايثانول Ethan:l او كحول الذرة .. نعم ، الذرة التى ناكلها وناكل زيتها .. فقد ثبت بالتجربة ان هذه المادة قادرة على تسيير السيارات دون اى تعديل فى محركات هذه السيارات .. فيما لو مزجت بزيت الديزل بنسبة النصف ، او بالبنزين بنسبة ٢٠٪ بنزين و ٨٠٪ ايثانول .. اضف الى ذلك ان تكاليف انتاج كحول الذرة هذه لا تزيد على أسعار المحروقات المألوفة .

ولو ذكرنا أن محصول الذرة فى جنوب افريقيا محصول كبير ، ولا يقل عن ٩ ملايين طن سنويا ، وان هذه الكمية كفيلة بتغطية اكثر من نصف احتياجات الطاقة فى البلاد ، لامكننا الجزم بان اتحاد جنوب افريقيا سيحقق الاكتفاء الذاتى ويستغنى عن استيراد البترول الخام كلية فى مستقبل غير بعيد .

وتجدر الاشارة الى ان البرازيل درجت منذ زمن على استخراج الايثانول واستعماله .. ولكن الخامة التى تستخرجه منها هى السكر .

لقاح السعال الديكى فى الميزان

● كان لقاح السعال الديكى موضع جدل فى بريطانيا فى المدة الاخيرة . فقد تبين لبعض العلماء انه قد يسبب تلفا فى الدماغ لبعض الاطفال الملقحين .. وشاع الخبر بين الناس وتكاثرت حوله الاشاعات .. من هنا كان امتناع الكثيرين من الانجليز عن تلقيح ابنائهم ضد السعال الديكى . وهكذا تفشى الوباء فى بريطانيا الى حد لم يسبق له مثيل منذ زمن بعيد .

فقد بلغ عدد الاصابات به ، فى انجلترا وولز وحدهما ، ١٠٧٠٤ اصابة ، وذلك فى فترة الشهور الستة الاخيرة من سنة ١٩٧٧ . يقابل ذلك ١٨٧٤ اصابة فقط فى الفترة نفسها من سنة ١٩٧٦ و ٢٥٢٤ اصابة للفترة ذاتها من سنة ١٩٧٥ ..

ولا ريب ان لهذه الارقام صلة وثيقة بنسبة الاطفال الملقحين ضد السعال الديكى . فقد بلغت نسبتهم ٦٦٪ سنة ١٩٧١ وسنة ١٩٧٠ .. ولكن النسبة المذكورة هبطت الى ٣٢٪ سنة ١٩٧٥ ـ ٧٦ ثم هبطت اكثر من ذلك فى سنة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ .

وتدل الدراسات ان الحملة التى ثارت ضد اللقاح كانت بلا مبرر .. فقد تبين ان ما قد يترتب على هذا اللقاح من تلف الدماغ لا تزيد نسبته على (١ : ٣٠٠ر٠٠٠) أى ان طفلا واحدا فقط من ٣٠٠ر٠٠٠ طفل جرى تلقيحهم يتعرض لتلف الدماغ ... ولو ذكرنا ان وباء السعال الديكى وباء خطير ويؤدى الى الموت ، وهو اى الموت ، اخطر كثيرا كما لا يخفى ، من تلف الدماغ ، وان نسبة الذين يلاقون حتفهم بسبب هذا الوباء تبلغ (١ : ١٠٠٠) ، وهى تفوق النسبة السالفة الذكر ، لاتضح لنا ان التلقيح ضد السعال الديكى اقل خطرا من الاصابة به ... وهو ضرورى ويجب الاخذ به باعتباره اهون الشرين . ■■

قصة قصيرة

الميلاد

بقلم : يوسف الشاروني

كانت ليلة عصيبة على سمعان وزوجته وابنهما الصبى • لم تكن هذه اول مرة يشهدون فيها بقرة لهم تلد ، لكنها كانت المرة الاولى بالنسبة لهذه البقرة التى لم تكد تتم السنة الخامسة من عمرها• وكانت الليلة من ليالى الشتاء الباردة ، رغم صفاء السماء وتلألؤ النجوم • وكان سمعان يرى أن وجود الفيوم صيفا — ان وجدت — رحمة من قيظ الشمس وأن وجودها شتاء يحفظ للارض حرارتها فتكون لياليها أكثر دفئا • لهذا فانه أمر ابنه داود أن يجمع للمدفأة بعض الاخشاب والاحطاب لتكون مهيأة للاشعال لحظة مجيء الوليد المنتظر فتتلقاه دنياه الجديدة بالدفء المناسب •

وقد ادرك سمعان — بخبرته الطويلة وباكثر من علامة — أن بقرته الشابة على وشك الولادة : من حساب الشهور التى انقضت من يوم تم اخصابها ، ولما لاحظه من يومين من تعبير فى عينيها اقرب الى تعبير الحزن والتجهم، أما شهيتها للطعام فقد كادت تنعدم هذا اليوم كله • كان قد وضع امامها الشعير والفول لكنها لم تقربهما • وكان فى الشهور الثلاثة الاخيرة قد أعفاها تماما من أية أعمال •فقد سبق لبقرته الشابة تلك ان أجهضت فى شهرها السابع • وعلل هو ذلك — كما وافقه عليه اصدقاؤه — بانه لم يمنحها ما تحتاج اليه من راحة كافية •

وتناهى الى سمعان صوت حركة فى الجانب الآخر من الحظيرة ، يفصله من جانبه حائط من اللبن لم يكتمل بناؤه حتى السقف ولا حتى مدخل الحظيرة مما يسمح للداخل أن ينحرف ان يمينا او شمالا• فتنبه الى ضوء الشمعة المتسرب من فوق الجدار الطينى غير المكتمل مما ذكره بما حدث ليلة امس عند هبوط المساء •

••• كان يهم باغلاق باب حظيرته والعودة الى بيته المجاور ، حين لمح شابا وفتاة يقتربان منه فى الغسق • كان واضحا ان الفتاة حامل — بل وعلى وشك المخاض — وهى ان كانت ذات جمال لافت الا انها فى حالة اعياء شديد • وتقدم الشاب يحيى سمعان ويعرفه بنفسه قائلا : يوسف نجار من الناصرة ، وهذه امرأتى مريم • وصلنا عصر اليوم الى بيت لحم امتثالا لاوامر الوالى الرومانى بأن يعود كل مواطن الي مسقط رأسه حتى يتم اجراء التعداد العام ، ويبدو اننا وصلنا متأخرين ، فقد امتلأ خان القرية بأمثالنا الوافدين لنفس السبب• ومنذ وصولنا ونحن نبحث عبثا عن مكان نبيت فيه• ولولا هذا السبب القهرى لما تركنا بيتنا فى الناصرة• فانت ترى السيدة على وشك •••

ولم يدعه سمعان يتم حديثه ، فقد كان منظر العذراء مريم أوضح من أن يحتاج الى ايضاح • فقاطعه قائلا : واضح واضح ، لكن ماذا عسانى أستطيع ان افعل ؟

— أن تأذن لنا بالمبيت فى هذه الحظيرة •

— آه •• هذا آخر ما كان يخطر لى على بال•• أن تصلح حظيرة مواش مكانا لمبيت شابين مثلكما لا سيما وأن السيدة على وشك الوضع • من حسن الحظ اننى بعت منذ أيام فقط كل ما كنت أملك من أبقار كانت قد كبرت ولا تصلح الا للذبح ، ولم يتبق لدى الا بقرة شابة ، فثمة مكان لكما ، غير أن هذه البقرة الواحدة قد تزعجكما لانها على وشك أن تلد أيضا •



وضحك سمعان بينما كان يوسف يقول : ولكن أليس ذلك خيرا من المبيت فى الطريق العام •

ـ طبعا طبعا ، لكن المكان غير مهيىء ـ كما ستريان ـ لمثل هذه الحالات الطارئة • ومع ذلك فمن حسن الحظ أنه بسبب بقرتى الشابة التى على وشك أن تلد قد اتخذنا بعض الاستعدادات التى يمكن لكما الاستفادة منها ••• تفضلا تفضلا •

وأوقد سمعان شمعة كان قد أخرجها من جيبه وقادهما الى جانب الحظيرة حيث كانت تقف بقرته ببطنها المتضخم وعينيها المهمومتين ، ثم أرشد يوسف الى كومة من القش وهو يقول :

ـ لقد جلبنا مزيدا من القش بهذه المناسبة يمكن لك أن تأخذ منها ما تشاء ليكون حشية لكما كما يمكن استخدام هذه الشمعة وأخذ احدى هاتين المدفأتين ••• أوه السيدة تبدو شاحبة ، تفضلى يا سيدتى تفضلى •• كم كان يودى أن أستضيفكما فى منزلى لولا أنه يزدحم عن آخره بأقربائنا الذين وفدوا لنفس الغرض الذى وفدتما من أجله على قريتنا •

وقادهما سمعان على ضوء الشمعة الباهت الى الجانب الآخر من الحظيرة ، وعندما هم يوسف أن يناقشه فى أجر المبيت أجابه : ليس الآن ، فيما بعد فيما بعد •

وعندما وصل سمعان الى بيته أرسل زوجته

لتكون الى جوار مريم ساعة المخاض ولامدادها بكل ما تحتاج اليه ....

★ ★ ★

وعندما اقبل سمعان عصر اليوم ليتفقد بقرته شاهد منظرا غريبا . جمع من الرعاة اتوا باغنامهم عند الحظيرة . وحدس انه لا بد ان يكونوا اقرباء ليوسف او مريم اقبلوا يسلمون عليهما . وكان قد علم من زوجته ان السيدة قد وضعت طفلها فجر اليوم ، فوجد ان من واجبه ان يعرج للتهنئة بسلامة الطفل وامه . وعندما دخل وجد الطفل مقمصا مضجعا في المذود والرعاة ينظرون اليه خاشعين ، مما لم يستطع ان يجد له تفسيرا . فما كان منه الا ان عرض خدماته على يوسف وابلغه انه سيبيت في الجانب الآخر مع بقرته لانه يتوقع لها ان تلد الليلة بين وقت وآخر .

وها هو ذا الآن واقف ينظر في اشفاق الى بقرته العزيزة ، يحلم ان تجلب له ـ بولاداتها تلك ـ البركة والخير . فوليدها ثروة وما تدره من لبن ثروة اخرى . وكان قد اشترى هذه البقرة من السوق عجلة صغيرة بنت عامين . وعندما بلغت عامها الثالث لاحظ ذات يوم بروزا ما يشبه الشمعة القصيرة الرفيعة من مؤخرتها ، وعندما سقطت تلك الشمعة بعد ايام كان عليه ان ينتظر اسابيع اخرى ليتأكد من ملاحظته ، حتى ظهر ذات يوم ذلك الجسم شبيه الشمعة يتدلى مرة اخرى من نفس المكان . عند ذلك ادرك سمعان ان بقرته قد نضجت واصطحبها معه الى جاره شمعون الذي يمتلك ثورا شابا خصصه لاخصاب اناث البقر في مقابل اجر مناسب يكون جانبا لا بأس به من دخله . وقد ادرك سمعان ان البذرة اخصبت عندما لم يعد يبرز ذلك الاصبع الرقيق الشمعي . وكان سمعان ـ فيما يبدو ـ يريد من بقرته الكثير دون ان يعطيها الا الكفاف . فظل يسوقها امامه الى الحقل تحرث وتدير الساقية وتدرس المحصول دون مراعاة لبطنها الذي يتضخم يوما بعد يوم ، حتى فوجيء ذات صباح ـ حين اقبل كعادته ليصطحبها معه الى الحقل ـ بجنينها ملقى بين اقدامها على الارض تشف اعضاؤه اللحمية الدقيقة من خلال غشائه الجلدي الرقيق ، فاقد الحياة لم يكتمل نموه بعد ، بينما تقف بقرته وكأنما في عينيها نظرة عتاب له . فادرك مدى قسوته على حيوانه الوديع المطيع واقترب منها يربت على جلدها ، يعتذر لها فيحس نعومة زغبها على باطن كفه الغليظ ، يعدها الا يتكرر منه ما حدث ، مقدرا ان البقرة لن تصفح عنه بهذه السهولة ولا بد ان تمر ايام قبل ان يعودا صديقين .

والآن ها هي ذي امامه وقد اخصبت للمرة الثانية ، وقد وفى سمعان بوعده وخفف العمل عنها طوال مدة خصوبتها بل اعفاها منه تماما في الشهور الثلاثة الاخيرة . وكان ذلك في مقابل مضاعفة جهده وجهد زوجته وابنه الاكبر الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وهو جهد بذلوه بكل سخاء ورضاء .

ولمح سمعان جسما اشبه بالبالونة الحمراء في حجم التفاحة الكبيرة يبرز شيئا فشيئا من مؤخرة البقرة وهي تخور خوارا متقطعا ، فادرك انها مقدمات الوضع ، وكان غشاء الكرة الشفاف يكشف عما تمتليء به من سائل بينما هتف ابنه في فرح متعجل : هل هذا عجلها يا ابي ؟ فرد عليه الوالد المتوتر : بل تلك علامات مجيئه ، وكان خوار البقرة الآن قد اصبح ممطوطا كأنه صادر من أغوار بعيدة ، مفزعا حزينا كأنه استحال الى انين ، يدل على مدى ما تعانيه بقرته من الم ، حتى خشي سمعان ان تكون قد ازعجت الام والطفل المجاورين وهما احوج ما يكونان الى الراحة في مثل هذا الوقت الذي اخذ يوغل في الليل ، فوجد ان من واجبه معاونة بقرته الآن على تجاوز آلام المخاض في اقصر مدة ممكنة ، لهذا فانه مد يده اليمنى والتي كانت عارية تماما ، حيث انه كان يقف بالفانلة والسروال فقط حتى لا يعوق حركته عائق ـ يتحسس الجنين محاولا جذبه الى الخارج، واخيرا بدت ساقاه الاماميتان الصغيرتان اولا ثم اطل برأسه ثم جذب سمعان قدميه الخلفيتين حتى اصبح قطعة من اللحم تنبض ملء يديه ، فوضعه بكل حرص امام امه على كومة من القش كان قد اعدها لذلك خصيصا ، بينما وقف الابن ـ الذي كان مشغولا باشعال نار المدفأة ـ مبهورا اول الامر ثم قافزا في فرحة ثم مبديا استعداده لمعاونة ابيه . وكان يلاحظ الآن في كثير من الدهشة كيف انحنت الام على طفلها الوليد ـ وقد امتلأت عيناها بمزيج الفرح والامومة والحنان ـ تلعقه بما يكسوه من مخاط كان يساعده على الانزلاق عند خروجه من رحمها، بينما انهمك والده في عقد مصران بارز من بطن الوليد بعد ان انفصلت من نهايته كتلة لحم كانت

متصلة به ٠ اما الزوجة فاسرعت الى الداء البقرة المتضخمة تدلك حلماتهـا المستطيلة فى حركة من اعلى الى اسفل حتى تتفتح مسامها وتجعلها مهيأة لارضاع عجلها الصغير ٠

وكانت البقرة الآن قد انقطع خوارها تماما ولم يعد يسمع الا خشخشة قوائم الوليد على خليـط القش والتبن وهو يحاول النهوض ليقع فيحـاول من جديد ، حين سمع سمعان طرقا على باب حظيرته فتعجب من يكون الطارق او الطارقون ٠ وحين ذهب ليفتح الباب فوجيء بثلاثة اشخاص كان واضحـا انهم غرباء لا عن قريته فقط بل عن مواطنيه جميعا، وكان ذلك يبدو من غطاء راسهم وشكل لحـاهم وطراز لباسهم ، وقـد اناخـوا جمالهم امام باب الحظيرة ، وتقدم احدهم يستفسر ــ لدهشة سمعان ــ بلكنته الاجنبية قائلا : هـل هنـا المولود ملك اليهود ؟

فضحك سمعان ضحكته المعهودة قائلا : لقد ولد حقا هنا طفل ولكن امه ــ وان كانت ذات جمـال باهر ــ الا انها ليست الا برفقة نجار يدعى يوسف٠

فاجابوه بصوت واحد : اذن دعنا نره فهو الذى راينا نجمه فى المشرق واتينا لنسجد له ٠ فلم يسعه الا ادخالهم بينما عاد مسرعا الى ما كان مستغرقا فيه من عمل والدهشة والحيرة تملؤه ٠وتذكر الرعاة الذين زاروا الطفل امس ، واحس ان فى الامـر شيئا غير عادى ، فارسل ابنه يستطلع جلية الامر٠

اما العجل فكان قد نجح اخيرا فى الوقوف على قوائمه الاربعة ، يتلمس الداء امه ، تقوده حاسة شمه اكثر مما يقوده بصره ٠

وحين عاد ابنه قص عليه قصـة غريبة ٠ قـال الولد لابيه : هؤلاء يا ابى مجوس اتوا من الشرق يقولون ان نجما ظهر لهم يدلهم على انطفلا ملكيا قد ولد ، فلما تتبعوه ظـل يقودهم حتى وصلـوا اورشليم ، فظنوا انه لا بد وان يكون ابن هيرودوس ملكنا ٠ غير ان هيرودوس استدعاهم وابلغهم ان طفلا لم يولد له ، وانه عرف من الكهنة والكتبة ان الطفل لا بد وان يكون قد ولد فى بيت لحـم تحقيقا للنبوءات ، وطلب منهم معرفة مكانه والعودة اليه لابلاغه بما توصلوا اليه ، لانه يريد ان ياتى هو ايضا ويسجد له ٠ الا ان ملاكا ظهر لكبيرهم فى حلم وطلب منه الا يرجعوا الى ملكنا هيرودس لانه يريد ان يقتل الطفل حتى لا يسلبه الملك ، فقرروا ان يتخذوا طريقا اخر عند عودتهم ٠

عندئذ تملك سمعان خوف شديد ، وتساءل عما اذا لم يكن قد اوقع نفسه فى ورطة بسماحه لهذه الاسرة بالاقامة فى حظيرته ، فقد كان يسمع عن استبداد هيرودس وبطشه ٠ فطلب من زوجته الا تتصل بهذه الاسرة الا عند الضرورة القصوى ، اما ابنه فقد اخذ عليه تعهدا بالا تطأ قدمه هذا الجانب من الحظيـرة حتى يغادرهـا قاطنوها ٠ ثم مضى يستانف رعايته لبقرته ووليدها ٠ ■■

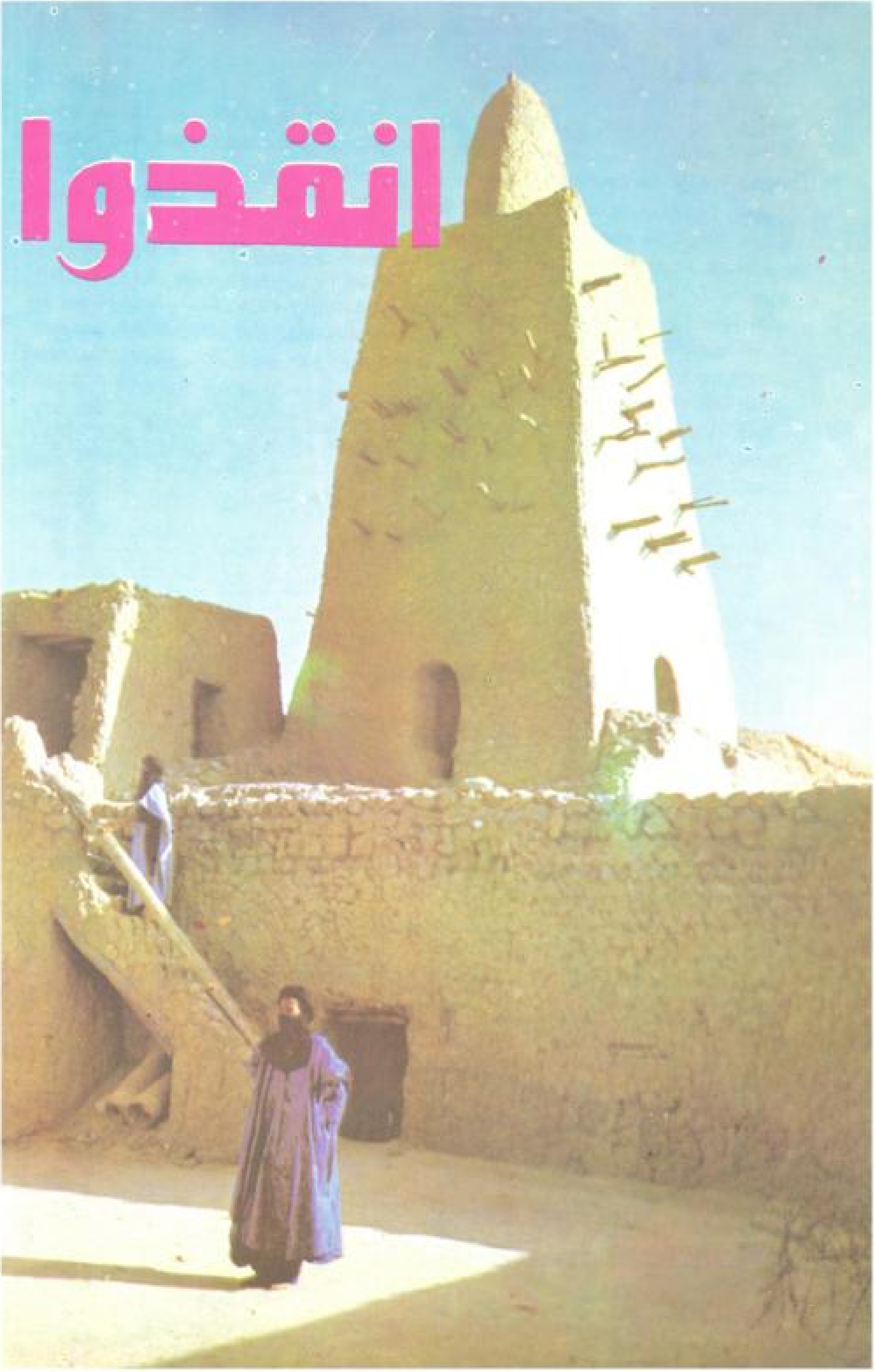
يوسف الشارونى

الشطرنج فى الاتحاد السوفيتى

● يعتبر الشطرنج اللعبة الشعبية السائدة فى جميع أنحاء الاتحاد السوفياتى فهناك فريق شطرنج فى كل مدرسة ومصنع ومكتب ومزرعة جماعية ٠ والعلماء فى معسكرات انتاركتك المكسوة بالثلوج يلعبون الشطرنج من طريق الراديو مع خصومهم فى موسكو ، كما يفعل البحرة على متن الغواصات النووية ٠ ويلاحظ السفرجية وهم يحركون قطع الشطرنج فى مطابخ المطاعم أثناء انتظارهم تلقى أوامر جديدة ، الامر الذى قد يوضح فى بعض الحالات لماذا يصل الحساء الى مائدتك باردا !

ريموند اندرسون فى نيويورك تايمز ٠

انقذوا



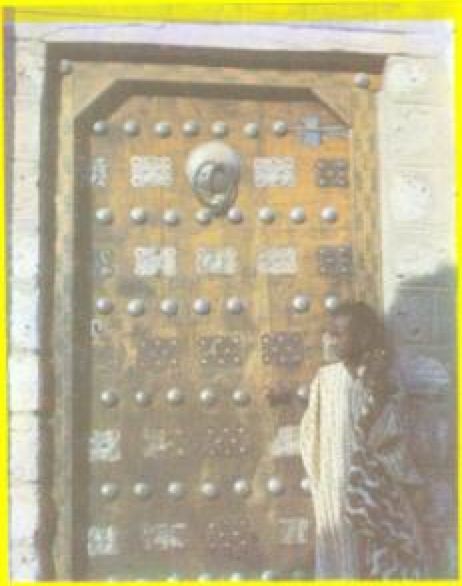
تمبكتو..

استطلاع :

سليم زبال

تصوير :

اوسكار مترى



ابواب تمبكتو المغلقة متى تفتحها للعالم ؟

تمبكتو .. تمبكتو .. يا عاصمة الرمال وقمة الغموض !

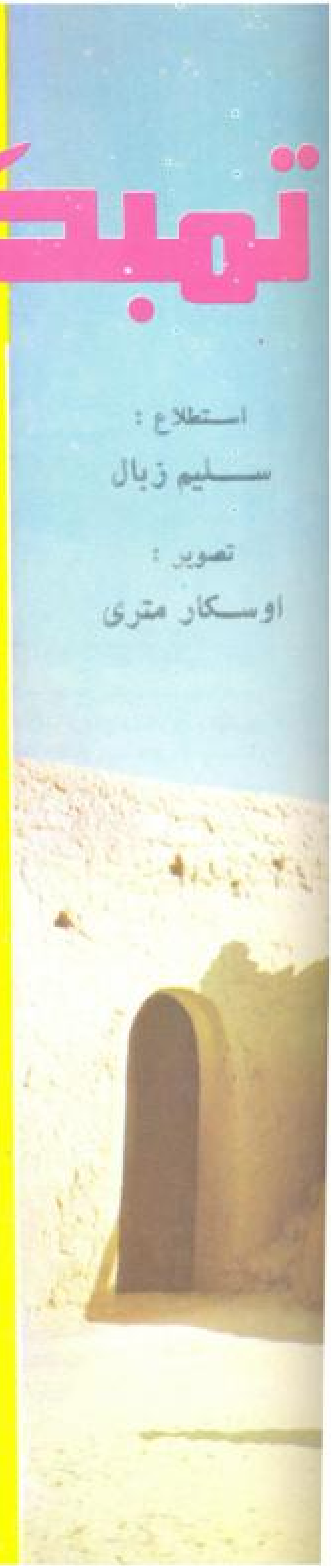
تمبكتو .. تمبكتو .. ما الذى فعلته بالزمان ليدحرجك من قمة الاشراق والاشعاع الى حضيض الظلام والنسيان ؟ .

هل انت حقيقة هناك عند حافة العالم ؟

حدثينا يا تمبكتو ما هو سرك ؟

حدثينا يا مقبرة الرحالة والمستكشفين ، ما هي جريمتك ؟

انت لا تردين .. لانك تحتضرين .. تمهلي يا تمبكتو .. فنحن قادمون اليك ومعنا الدواء ..



مئذنة المسجد الجامع او الجامع الكبير في تمبكتو .. تنتظر تسليط الاضواء عليها.

■ أرجوكم لا تقتربوا من هذا الباب لان فتحه يعني نهاية العالم !؟ .

وفي محاولة لتأخير نهاية العالم سارع اهل تمبكتو بوضع حصيرة سميكة لسد الثغرة التي حدثت في باب متآكل قديم عجيب ، موجود في ساحة مسجدهم الكبير .

انهم يحاولون وقف عقارب زمان غيرهم ، بعد ان توقف زمانهم وماتت مدينتهم مع بداية القرن السابع عشر ..

لقد فقدت مدينتهم وظيفتها ، واصبحت عاطلة تتباهى بماضيها المندثر .. حاضرها لا يعني اي شيء .. ومستقبلها ما زال في عالم الغيب !!

ماض يتحدث ..

انها ليست من المدن الغارقة في القدم كما يتخيل البعض ، فعمرها لا يتجاوز ٨٨٠ عاما .. بدأت قصتها في الصحراء حول بئر ماء كانت تقف عندها قوافل جمال الطوارق لترتوي ..

وعند هذه البئر كانت تقيم امرأة تدعى « بوكتو » .. عرف المكان باسمها « تنبكتو » ، وهي كلمة تعني في لغة الطوارق : مكان بوكتو » .. ومع مرور الزمان استقر الاسم على تمبكتو المعروف حاليا .

باب المسجد الكبير ، تآكل بفعل عوامل الزمان .. ولكنه لم يفتح .. لان فتحه يعني نهاية العالم .. هكذا يعتقد اهل تمبكتو !



وظل معسكر « تنبكتو » يتسع ويكبر حتى تحول الى بلدة صغيرة احتلت مركزا مرموقا كمحطة نهائية لجميع طرق القوافل الصحراوية القادمة من المغرب وفاس والجزائر وتونس وطرابلس الى السودان الغربي .

وانتشر اسم هذه المدينة وذاع صيتها الى ما وراء افريقيا ، عرفه اهل مكة والمدينة وبلاد المشرق والهند .

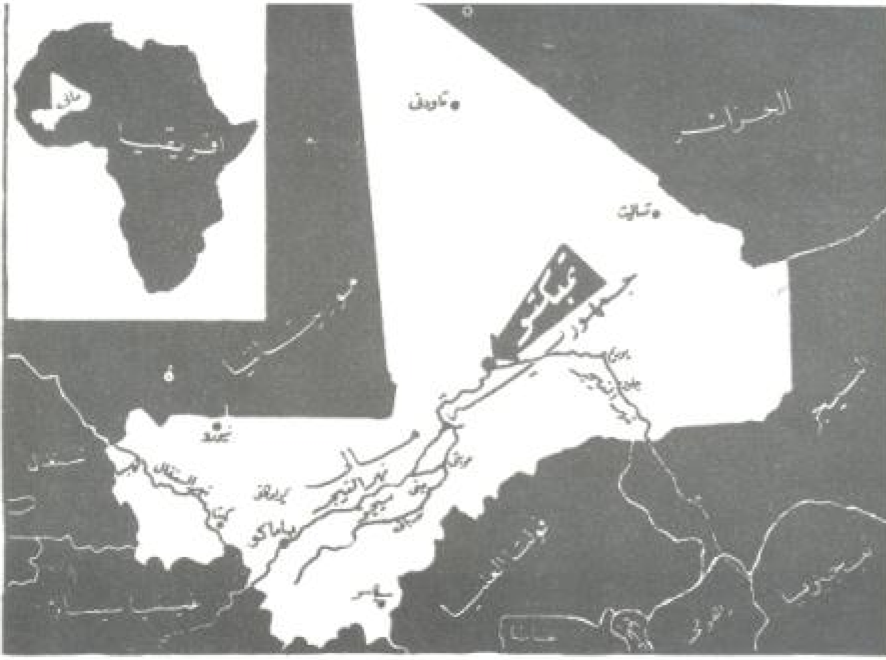
وفي اسواقها كان يلتقي المبحرون فوق رمال الصحراء ، مع القادمين على قوارب نهر النيجر العظيم .. يأتون اليها بالزجاج والحرير والخيول والسيوف الدمشقية والملح الصخري ، ومختلف سلع سواحل البحر المتوسط .. ويحملون معهم الذهب والعاج والعبيد والحبوب والجلود والعسل والصمغ وغيرها من المنتجات الافريقية .

لقد تحولت عاصمة الرمال الى مخزن هائل للبضائع الاوربية والمغربية والافريقية وبلغ عدد تجار تمبكتو ٥٠ الف تاجر : دلالين ووسطاء وتجار جملة ومفرق .. وقسم كبير آخر من السكان عمل في الفنادق التي كانت تكتظ بها المدينة لايواء التجار المارين بها .

ومع قوافل الجمال نقل الطوارق والموريتانيون الاسلام وثقافة الاسلام الى السودان الغربي .

مستودع الفكر الاسلامي

ان طموحات ابناء تمبكتو جعلتهم لا يكتفون بمركزها التجاري المرموق ، بل عمدوا الى استقطاب العلماء ورجال الدين فازدهرت فيها حركة ثقافية ادبية لم يشهد لها غرب افريقيا مثيلا ، اذ بلغ عدد الطلبة في مدارسها ٢٥ الف طالب ، وقامت فيها جامعة سنكورية .. الشهيرة بكونها الشقيقة الصغرى لجامعات فاس وقرطبة والقاهرة ودمشق .. وانتشرت فيها المكتبات ،



خريطة توضح موقع تمبكتو في جمهورية مالي ، انها تقع في الجزء الشمالي الصحراوي من هذه البلاد ، التي تعتبر اكبر دول افريقيا الغربية بمساحتها التي تقارب مليونا و ٢٠٤ الف كيلومتر مربع .. ولجمهورية مالي حدود مشتركة مع سبع دول .. ويخترقها نهران هما النيجر والسنغال .. وباماكو هي عاصمة مالي ، وتبعد تمبكتو عنها بمسافة ٥٠٠ كيلو متر تقريبا .

وراجت فيها تجارة الكتب ونسخها ، وتحولت تمبكتو اليها يشبه مستودعا ثقافيا للفكر الاسلامي في تلك البقعة المعزولة عن العالم .

تعاستها في شهرتها !

كانت تمبكتو منارة تشع العلم والمعرفة على غرب افريقيا باسرها ، وكانت مساجدها ومدارسها تجتذب الناس من مختلف ارجاء العالم .

ولكن ما كاد القرن السابع عشر الميلادي يطل حتى انطفأت شعلة هذه المدينة وخبت .. وراحت تمبكتو في سبات عميق لم تستيقظ منه حتى اليوم ..

ما الذي حدث ؟ وكيف تحولت تمبكتو الكبرى الى تمبكتو الغامضة .. ؟

تعاستها جاءتها من شهرتها ..

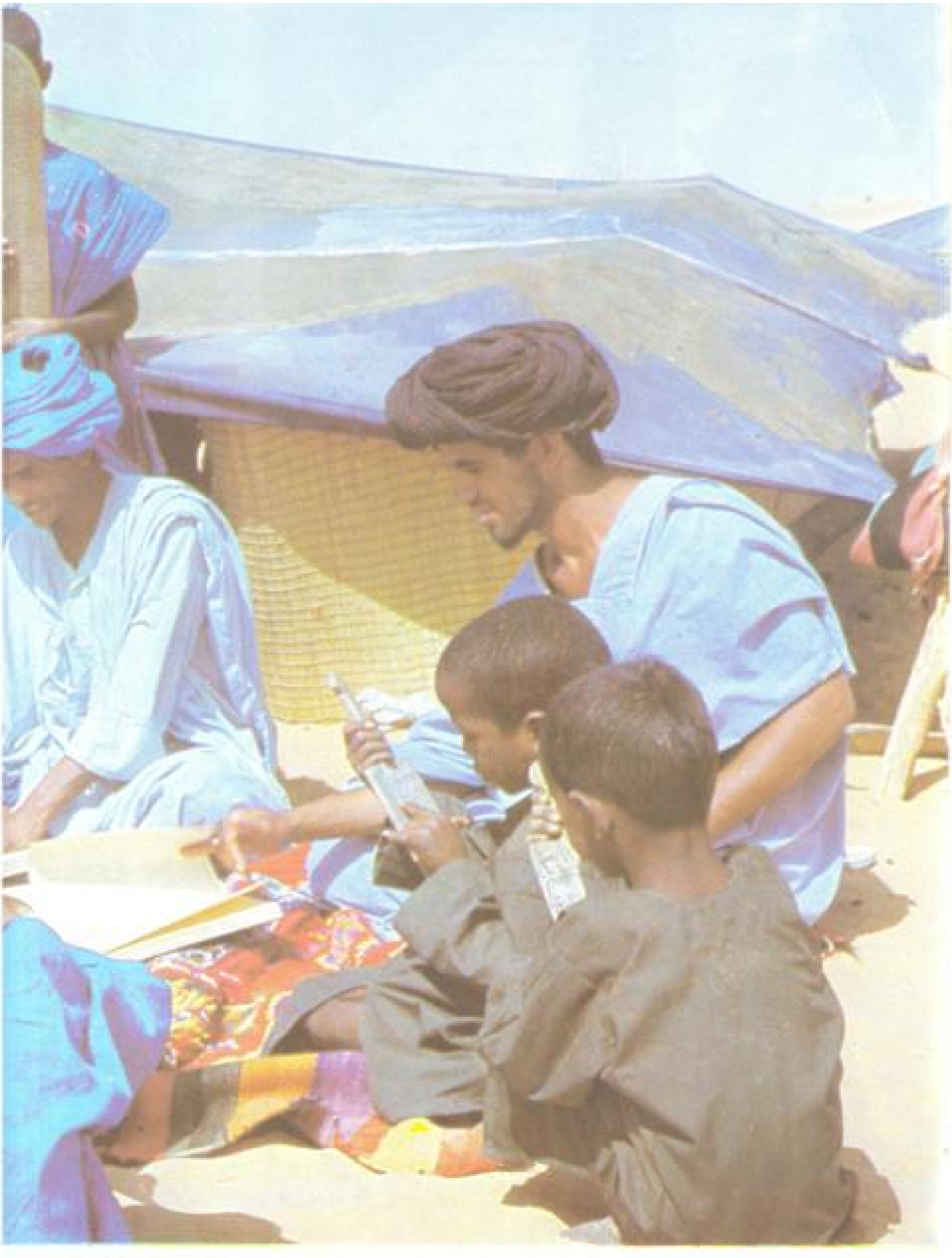
كل دول وقبائل المنطقة كان يسيل لعابها من اجل السيطرة على جوهرة الصحراء .. غزاة تعاقبوا عليها في موجات مدمرة .. فقد سمعت طرقات تمبكتو وقع حوافر غزاة نجهل اسماء بعضهم في مشرقنا العربي : المنديج .. الطوارق .. الصنغاى .. المغاربة .. البول .. التوكلور .. ثم الطوارق مرة ثانية .. لينتهي مسلسل الحروب بالاحتلال الفرنسي قبل استقلال مالي عام ١٩٦٠ .

في كل غزوة كانت تمبكتو تتعرض للنهب والسلب والتدمير والضياع ، ويظن الجميع انه لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، ولكن سرعان ما كانت تنهض من كبوتها منتعشة وكأنها طائر الفينكس الاسطوري الذي بعد ان تحرقه النيران ويتحول الى رماد ، تدب فيه الروح من جديد !

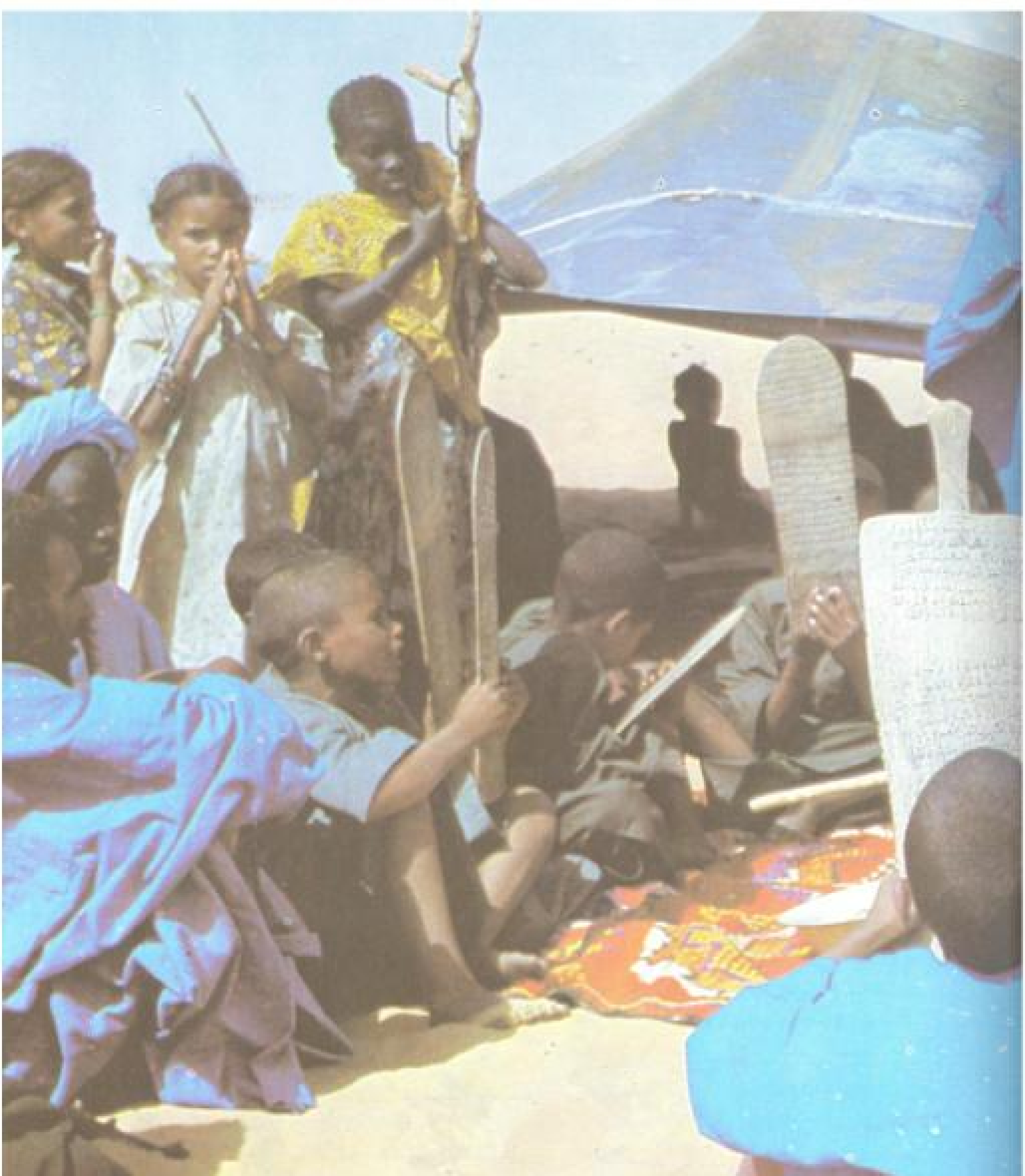
كيف تحولت الى تمبكتو الغامضة ؟

تعب اهل تمبكتو من عمليات السلب والنهب وانعدام الامن ، فبداوا رحلة العودة الى المناطق التي جاءوا منها .

وشلت الحياة تماما قبل فترة الاحتلال الفرنسي



بمثل هذه المدارس حافظ الموريتانيون في بادية تمبكتو على لغة القرآن والعقيدة الاسلامية .. يكتبون على الواح انتزعوها من الاشجار ، وحبر صنعوه من فحم ولبان وماء .. وسألنا الاستاذ ناجي بن حمود الحجري عن « مدرسته » فقال : « اعلم الاطفال مجانا طلبا للثواب في الآخرة .. عندي ٣٠ تلميذا لكنهم غير منتظمين، فهم يتنقلون خلف الماشية لهذا يمكث بعضهم سنتين وبعضهم ٥ سنوات في مدرستي ليحفظوا القرآن .. ارسلوا الينا صحيح البخاري ومسلم . وشيئا من الفضة (الدراهم) لنستعين بها على المعاش الصعب ».





الى اليسار : الفتيات الموريتانيات في تمبكتو لا يتعلمن حتى يتفرغن لاعداد الطعام ، من دق الدخن او الارز او القمح او الشعير في المهراس، وطبخ المهروس هريسة .



هذه هي تمبكتو .. اغلب منازلها مشيد بالطين ، اما البناء الحجرى فتجلب له الاحجار على ظهور الحمير من مسافة ١٥ كيلو مترا .. طرقاتها كلها رملية .. يقول سكانها أن عددهم ٣٥ الف نسمة ، لكنهم أقل عددا من هذا الرقم .. ويتكون السكان من الصنغاي والطوارق والموريتانيون ..

عام ١٨٩٣ م ولم يبق من تمبكتو سوى الاغنياء جدا او الفقراء جدا .. ولضمان سلامة ارواحهم عمد الاغنياء الى عمليات تمويه لاسلوب حياتهم : ارتدوا الملابس التى ليس لها بريق . وامتنعت النساء عن التزين بالحلي ، واتبع الاهالى حياة مغلقة صامتة ، حتى الحبوب كانوا يطحنونها على الاحجار ، كي لا يلفت صوت الهراس الانتباه والانظار !

واذا دق احدهم الباب .. تظاهر الاهالى بالموات ، واخفوا كل ما يمكنهم اخفاءه من ثمين المتاع ، وبدأوا سؤال الطارق عن اسمه والغرض من زيارته ، وبعدها كان يفتح باب المنزل المزخرف بالحديد نصف فتحة ليعاد اغلاقه فى الحال !

ومن هنا استحقت تمبكتو لقب « الغامضة » ..

اشهر رحلة حج فى التاريخ

وكان العامل الآخر فى خراب تمبكتو هو تحول وسائل النقل من الجمال الى السفن البخارية وانتشار الموانىء والمخازن البرتغالية على الشواطىء للتجارة مع سكان افريقيا .

ولو حاولنا الاستمرار فى سرد تاريخ تمبكتو لما استطاعت صفحات العربى كله ان تتسع له .

تاريخ يختلط فيه الحلو بالمر .. والمآسي مع المغامرات .. والوحشية مع التسامح .. والعظمة مع المذلة !!

الفرنسيون اهتموا بتاريخ تمبكتو .. فكتبوا العديد من الكتب عنها .. وترجموا كتاب تاريخ السودان الشهير الى الفرنسية .

اما اخونا ابن بطوطة فليس فيما كتبه عن تمبكتو ما يشبع ، لقد ركز على ان سراج الدين ابن الكويك احد كبار تجار الاسكندرية لم يمت مسموما فى تمبكتو لكنه انقضى اجله .

وقصة سراج الدين هذا تقودنا الى قصة كانكو موسى ، اعظم سلاطين مالى على الاطلاق ، حكم عام ١٣٠٧ لمدة ٢٥ عاما .. وقام باشهر رحلة حج الى الديار المقدسة ، ما زال الكتاب والقصصيون يذكرونها حتى اليوم ، فقد خرج فى قافلة تضم ٦٠ الف جندى ، وخمسمائة عبد ، بيد كل منهم عصا من ذهب ، وفى كل عصا خمسمائة مثقال من الذهب ، ويقال انه قدم معه اربع عشرة الف جارية .. ولتأمين حاجته من المال حمل مائة ناقة بتبر الذهب على ظهر كل واحدة ثلاثة قناطير من الذهب .. وكان سخاؤه بالذهب يثير الذهول فى كل مدينة يمر



اما في البادية المحيطة بتمبكتو فيعيش المور والطوارق تحت خيام من الجلد والشعر مفتوحة على الجهات الاربع .. انهم يعشقون الحرية ويرتعبون من فكرة السكنى داخل شقة ، او خلف باب مقفل .. اما اثاث الخيمة فلا يتعدى بعض الاواني الفخارية واكياس جلدية لحفظ الماء والحبوب.

بها . وفي القاهرة هبط سعر الذهب في الاسواق نتيجة الكميات الهائلة التي انفقها ووزعها كانكو وجماعته ، الذين رحب بهم السلطان الناصر محمد ابن قلاوون عام ٧٢٤ هـ (١٣٢٤ م) .

ويبدو ان سخاء هذا السلطان كان اكثر مما يملك ، فقد اضطر في رحلة العودة التي تعرض فيها لمخاطر كبيرة ، الى الاستدانة من تجار الاسكندرية .

والى تمبكتو جاء واحد من هؤلاء التجار هو سراج الدين الكويك التاجر الاسكندري يطالب بالخمسين الف دينار التي استدانها السلطان منه .. ويوم وصوله الى تمبكتو مات هذا التاجر بعد ان تناول طعام العشاء .. واشيع انه مات مسموما لكن ابنه قال :

« اني اكلت معه هذا الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا ، لكنه انقضى اجله » .

واتجه ابنه الى مالي العاصمة وقبض ماله وعاد الى مصر بعد ان دفن والده في تمبكتو .. هذه قصة سراج الدين الكويك التي ذكرها ابن بطوطة.

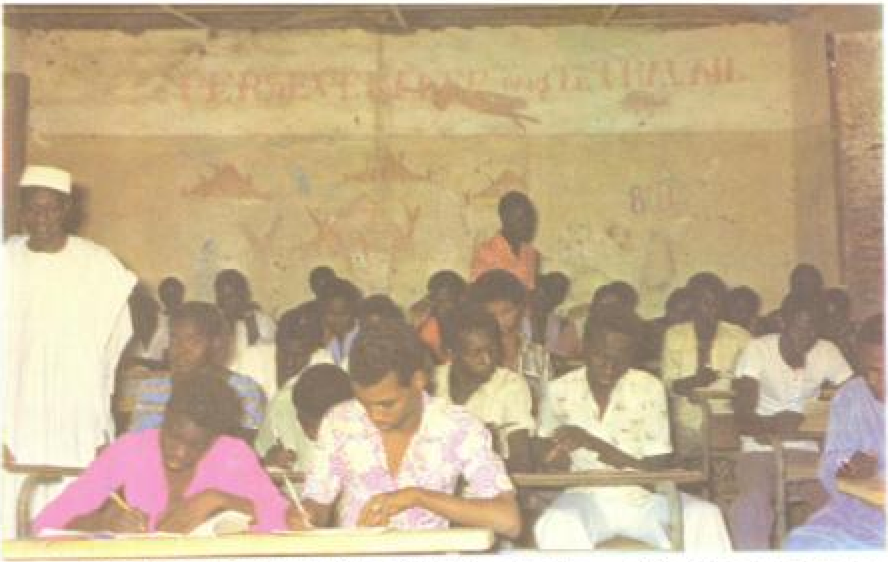
اضرحة بعدد ايام السنة

وحاولنا العثور على قبر سراج الدين في تمبكتو فلم نجد له اثرا ولا حتى ذكرى ، لا احد يعلم عنه شيئا .. ان سكان تمبكتو اليوم قد تبدلوا واختلفوا تماما عن سكان الامس ، لم تعد تهمهم ثقافة او تاريخ .. مطالب الحياة تستأثر بكل تفكيرهم .

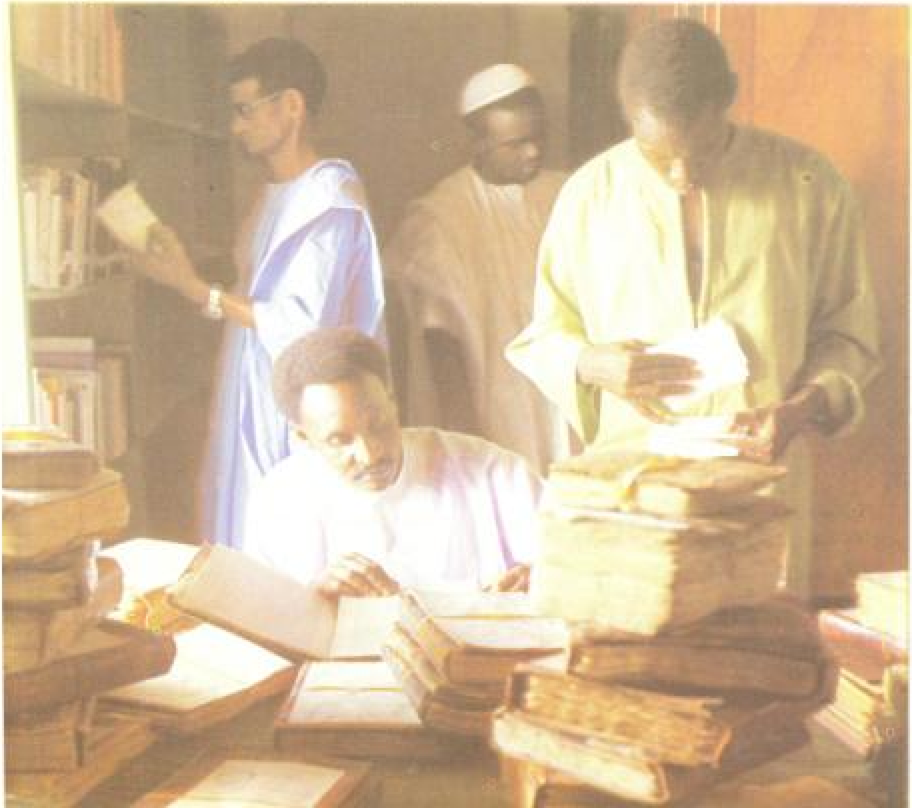
الجميع مسلمون ولكن لغة تخاطبهم المشتركة

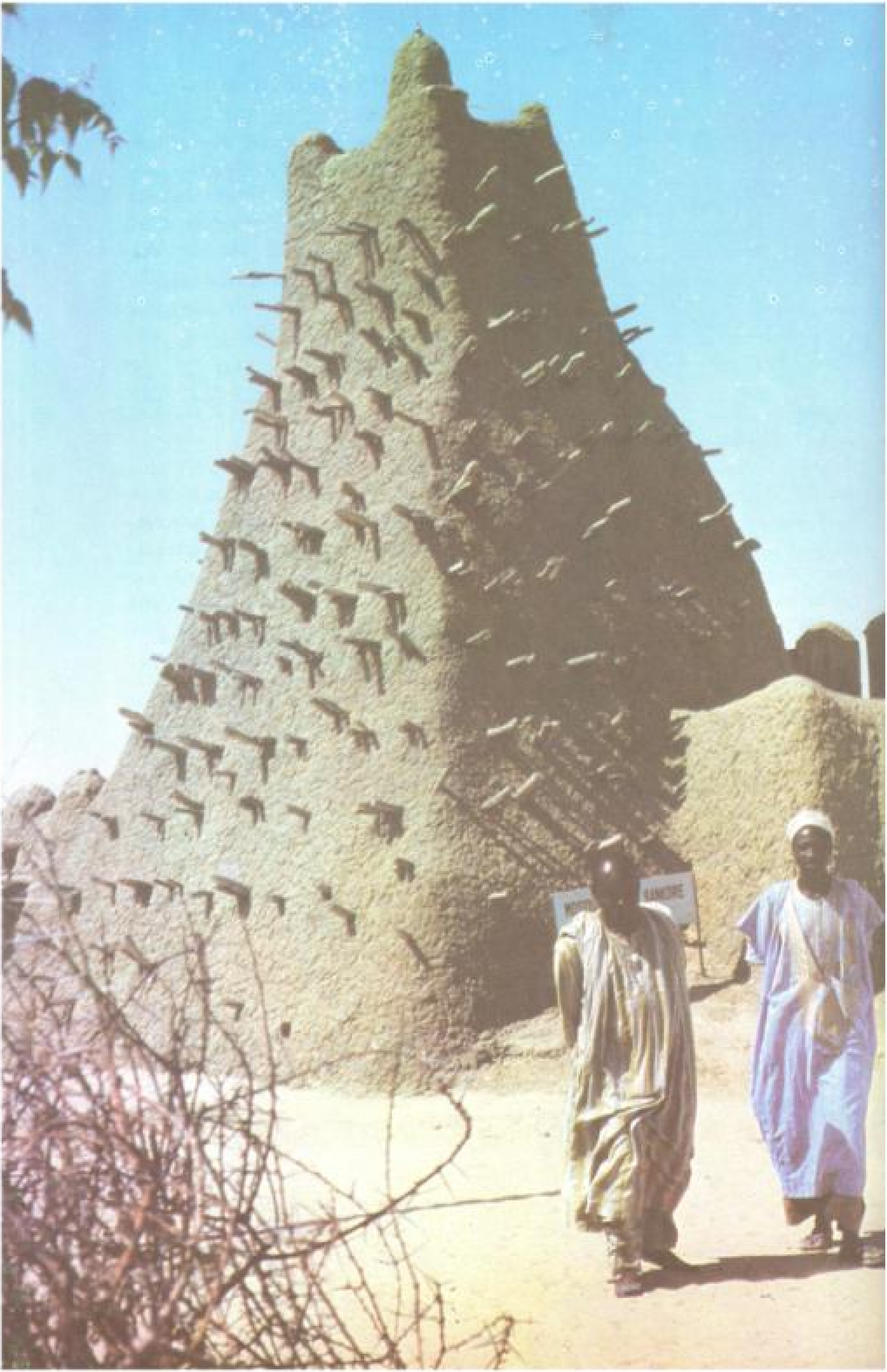
كانكو موسى .. اشهر ملوك وسلاطين مالي ، وصاحب اشهر رحلة حج في التاريخ .. شيد المسجد الجامع ومنارة جامعة سنكورية .





بدون جلبة تنطفيء تمبكتو ثقافيا .. سقف المدرسة الثانوية يتساقط على الطلبة ، وحرارة الشمس تجعل من الغرفة اتونا ومع ذلك يتعلم الاولاد .. والى اليسار : المئذنة الباقية من جامعة سنكورى ، امر كانكو موسى مهندسه القرطبي اسحاق بن ابراهيم الساحلي ببنائها فجاءت على هذا الشكل الهرمي المتدرج .. اما في مركز احمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية ، فيعمل مديره الدكتور محمود عبده الزبير مع معاونيه من اجل اعادة امجاد تمبكتو القديمة ، وبداوا عملهم بجمع مئات الوثائق والمخطوطات النادرة عن التاريخ الاسلامي الافريقي المجهول من منطقة حوض النيجر .. وهذا المركز تم بناؤه بفضل المساعدة المالية التي قدمتها حكومة الكويت ، وما زال في حاجة الى المال لتمويل مختلف المشاريع.





هي الفرنسية الى جانب لغاتهم الخاصة بكل منهم ..وهم يعتقدون كثيرا بالخرافات والخزعبلات ويتبركون باضرحة الاولياء العديدين الذين يوازى عددهم عدد ايام السنة ، بحيث يمكن زيارة ضريح ولي مختلف كل يوم !!

وعندما سألنا مدير السياحة : هل لتمبكتو سور قديم ؟

اجابنا قائلا : « ليس لتمبكتو سور حجرى.. لان سور البلاد سور روحى .. فالاولياء هم الذين يحمون تمبكتو ! »

نـداء مشترك

ان تمبكتو اليوم تمر بموقف حرج للغاية لقد اختارها المؤتمر الاسلامي الذى انعقد في اسطنبول لتكون من بين ١٢ مدينة ستقام فيها مهرجانات ومؤتمرات اسلامية احتفالا ببداية القرن الخامس عشر الهجرى .

قد يقول البعض انها فرصة سانحة رائعة لاحياء تمبكتو .

ولكن المشكل هو : « كيفية ايواء ٧٠٠ مدعو .. ماذا سنفعل بهم اين سينامون ؟ .. الفندق اليتيم عندنا يضم ٢٩ غرفة .. واكبر قاعة في المدينة هي هذه الغرفة التي تجلسون فيها .. ان متاعبنا هائلة كبيرة في كل المجالات .. ولكننا نامل في التغلب عليها لنقيم المهرجان في موعده عام ١٩٨١ » .

قلنا لمحافظ تمبكتو الذى ينتمي الى اسرة كيتا ، اهم الاسر في تاريخ دولة مالي ، : ضعوا ثقتكم في مجلة العربي ، واطلعونا على مشاكلكم لنطرحها على قراء مجلتنا .. ان حكومة جمهورية مالي لن تستطيع بمفردها ان تنقذ تمبكتو أو تعيد امجادها ، لمشاكل جمهوريتكم اكثر من ان تحصى ، وتمبكتو ما هي الا نقطة في بحر هذه المشاكل .. دعونا نشترك معكم في نداء « انقذوا تمبكتو » .

واجتمع المحافظ بممثلى الوزارات ورؤساء الدوائر ، وكان ترحيبهم مع التحفظ : « اننا اذ نرحب بكم كممثلى اول صحيفة عربية تاتى الى مدينتنا ، نفتح لكم كل ابوابنا لتروا كل متاعبنا ومشاكلنا .. وانا على ثقة ان اخوتنا العرب والمسلمين سوف يشتركون معنا من اجل انقاذ مدينتهم تمبكتو .. »

متاعب الطائرة

مرة كل اسبوع يرفع اهل تمبكتو انظارهم بحسرة الى السماء ، وهم يشهدون الطائرات النفاثة الكبيرة تتجه الى جارتهم وغريمتهم « جاوو » .. التي اخذت مركز تمبكتو التجارى..

ان الطائرات الكبيرة تستطيع الهبوط بسهولة في مطار جاوو المجاور ..

اما تمبكتو فمطارها لا يستقبل الا الطائرات الصغيرة فقط ، وهي غير منتظمة بالمرة اليها ..

كنا مع ٣٥ سائحا فرنسيا والمانيا وانجليزيا نجلس في مطار باماكو عاصمة مالي من السادسة صباحا .. ويمر الوقت حتى الواحدة ظهرا نسأل عن مندوب الشركة ، فلا نجد له أثرا ..

وفي الثالثة بعد الظهر ادخلونا الى طائرة تحول داخلها الى اتون من الحرارة ، انطلقت بنا على المدرج ، وعند نهايته بدات رحلة العودة الى مبنى المطار ثانية !! الطائرة مازال بها خلل !!

وسألنا متى نطير .. فقيل لنا استمعوا الى اذاعة باماكو ستذيع منها الموعد الجديد ، لقد الغيت هذه الرحلة ..

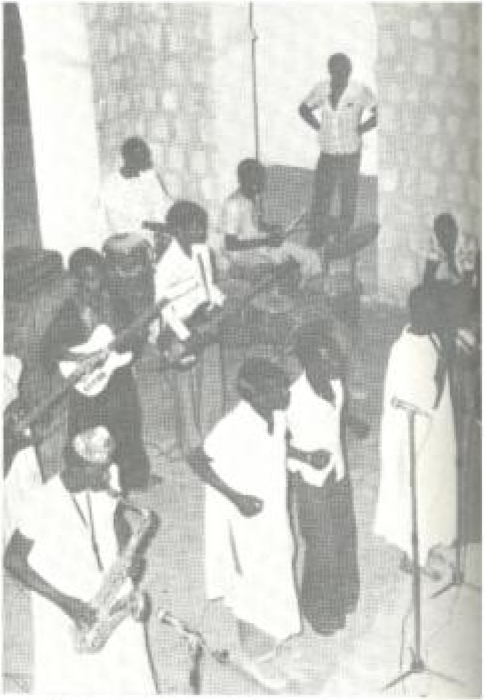
المعادلة الصعبة

وعند منتصف الليل جاءنا صديق وقال : السفر غدا في السادسة صباحا .. وما كادت الطائرات ذات المحركين ترتفع عن الارض حتى هتفنا جميعا فرحين ..

كانت الطائرة تحلق فوق نهر النيجر العظيم

موسى كيتا .. محافظ تمبكتو مع معاونيه .. انقاذ تمبكتو يحتاج الى مجهودات تفوق امكاناتهم .





شباب تمبكتو يعزف الموسيقى للسياح في الفندق الوحيد بالمدينة .. والسياحة موسمية هنا ، تبدأ من شهر نوفمبر حتى مارس، وبعدها يغلق الفندق ابوابه بسبب العواصف الرملية وارتفاع الحرارة الى ٤٦ درجة مئوية .. ان صيانة هذا الفندق الصغير باهظة التكاليف فكل شيء يجب احضاره من العاصمة باماكو : الاسمنت والبلاط والحنفيات وحتى العمال الفنيين يجب احضارهم من هناك .. لان شباب تمبكتو لا يعلمونهم اية مهنة في المدارس .. والمشكل الحالي هو هل توسع هذا الفندق ام تقيم قرى سياحية في البادية ؟

الذي يتابع مسيرته وسط اراضي خصبة على امتداد البصر .. الطبيعة تزرع الاعشاب في غياب الانسان .. وبعدها يتحدثون عن أزمة غذاء وطعام ، ولو انصفوا لقالوا : انها ازمة انسان لا يعرف كيف يستخرج الطعام .. !!

حول تمبكتو كانوا يموتون عطشا وجوعا .. وعلى مسافة ١٢ كيلو مترا كان الناس يغرقون في مياه النيجر !! معادلة صعبة .

لا بد من تمبكتو

ونقترب من تمبكتو .. لون الارض يتحول من

الاخضر الى الاصفر .. وكان اوله اصابت نهر النيجر .. ينقسم الى فروع لا حصر لها تندفع في كل اتجاه في لوحة سريالية رسمتها الطبيعة ..

ان الوصول الى هذا النهر كان حلم الرحالة والمستكشفين .. اليه وصل جوردون لانج Gordon Lang المستكشف البريطاني بعد رحلة العطش والالم والعذاب هاجموه في الصحراء ، قطعوا فخذه واذنه وكسروا يده ، واثخنوه بسبع ضربات سيف واعتقدوا انهم قتلوه ، ولكن الشيخ مختار قام بعلاجه وانقذه من الموت .. وسأله ان كان يريد العودة الى بلاده .. اجابه : « لا .. لا .. اريد تمبكتو .. »

وفي عام ١٨٢٦ م تحقق حلم لانج وكان أول أوروبي دخل تمبكتو .. في الليل كان يخرج لاستكشاف النيجر ، وفي احدى المرات ، هجموا عليه وقطعوا رقبته وسرقوا اوراقه وخرائطه ومذكراته .. والصقوا التهمة بالطوارق المساكين .. كل شيء قبيح يلصقونه بالطوارق المظلومين ، ولكن التحقيق الذي اجرته بريطانيا فيما بعد اظهر ان الذين دبروا مذبحة جوردون لانج هم الفرنسيون ، بمساعدة أحد حكام طرابلس لسرقة مذكراته وخرائطه !!

لقد استغرقت رحلة جوردون لانج ١٣ شهرا ليصل الى تمبكتو .. اما رحلتنا فلم تستغرق سوى ساعتين بالطائرة الصغيرة .. وبعض السياح الذين يعشقون المغامرات قطعوا الرحلة في خمسة أيام على ظهر المركب فوق مياة النيجر، من باماكو عاصمة مالي الى (كبارا) ميناء تمبكتو الصغير الذي يبعد عنها تسعة كيلومترات، انها رحلة عذاب مرهقة ..

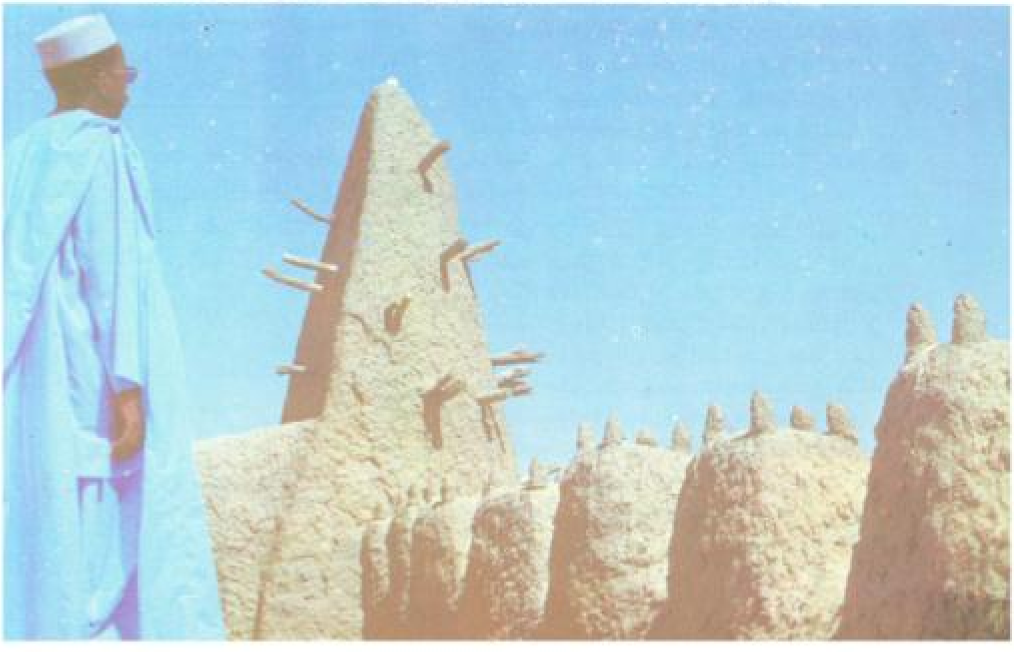
هل تعود القناة ؟

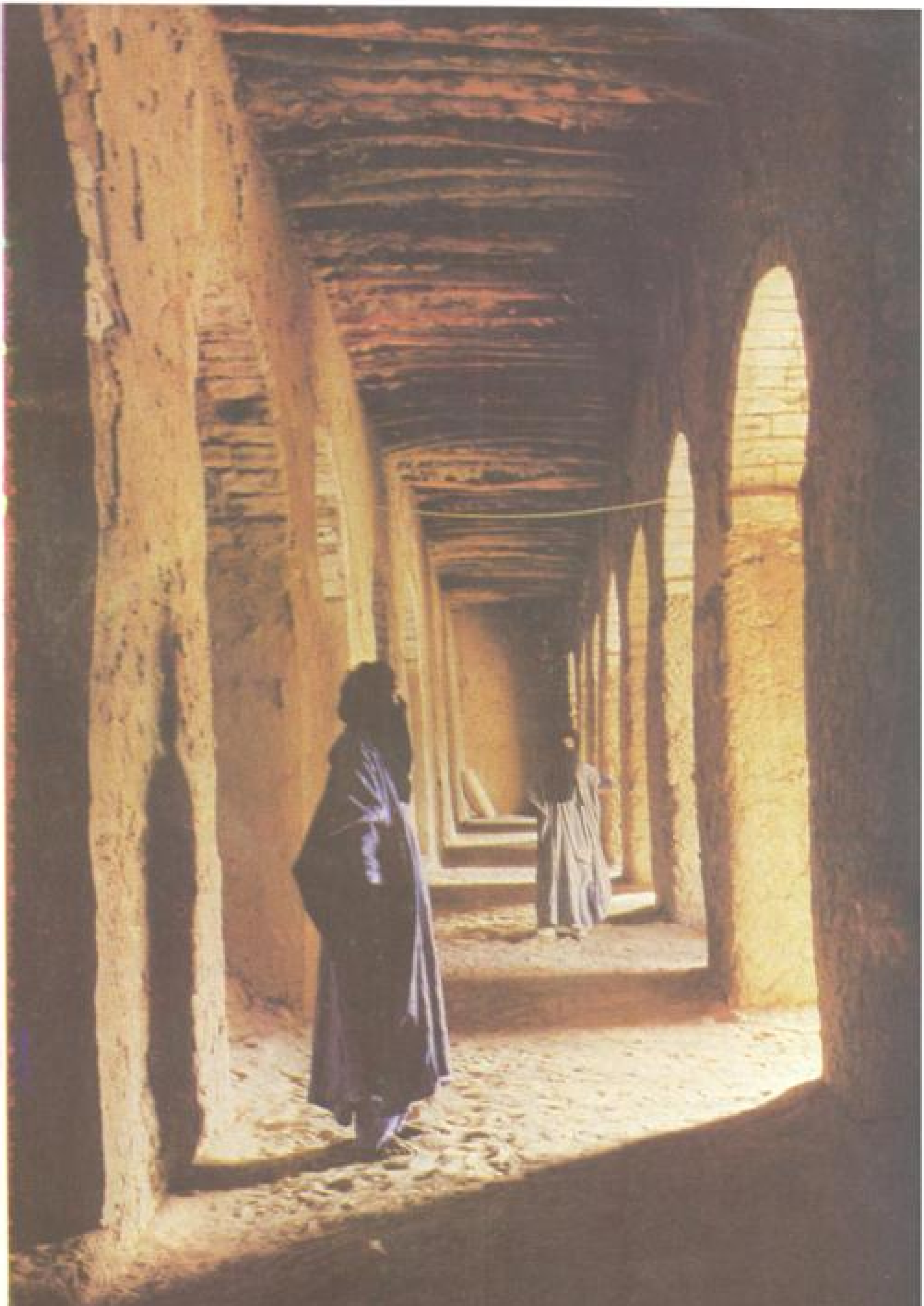
كان فرع النيجر يصل حتى تمبكتو نفسها ، وكانت السفن تصل الى وسط سوقها والى موقع الفندق الحالي ، ولكن تاريخ المنطقة المؤلم حيث كان الناس ينهشون بعضهم ويتقاتلون في كل مكان ، ادى الى ردم القناة التي كانت توصل السفن حتى تمبكتو ... ان استصلاح هذه القناة بطول ١٥ كيلو مترا ، هو الخطوة الاولى الواجب تنفيذها لتعود الروح الى تمبكتو .. سيتوفر الماء على مدار السنة ، وستصل السفن



هذا التمثال يتوسط الميدان الرئيسي في تمبكتو انه « الفاروق » الرجل الاسطوري الذى يعتقد اهل تمبكتو انه يحلق فوق منازلهم كل ليلة ليحميها .. ويزيد عدد اولياء المدينة عن ٣٦٥ وليا تزار اضرحتهم يومي الاثنين والجمعة .

انقذوا مسجد تمبكتو الجامع .. شيده سلطان مالي الشهير كانكو موسى منذ ٦٥٠ عاما واضيفت له توسعة بعد ٢٥٠ عام وبعدها لم تدخله اية اصلاحات : الارض رملية ، والجدران سقط طلاؤها ، العصافير تعشش في السقف ، الانارة معدومة « لا نحب النور الزائد » !! المهندس ابو اسحاق الساحلي او « الطويجن » كما يسمونه هنا ، استوحى فكرة الاعمدة الداخلية من مسجد قرطبة ، اما السقف الخارجي (الصورة السفلى) فما زالت الزخارف الطينية صامدة رغم مرور الزمان .





الى قلب المدينة مباشرة ، وستنتعش الزراعة مرة اخرى ، ولن يموت سكان تمبكتو من الجوع او العطش ، فالابار سوف تمتلىء بالمياه الجوفية الغزيرة ..

اشعاع بدون نور !

واذا كان الماء هو مشكلة تمبكتو الاولى فان الكهرباء هي مشكلتها الثانية ..

ويقول رئيس بلدية تمبكتو : « ان حفلات القرن الخامس عشر الهجرى تحتاج الى كهرباء وكل ما عندنا حاليا هو ٣ مولدات كهربائية اقمناها عندما كان عدد سكان تمبكتو ٦ الاف نسمة ، ومازالت هذه المولدات القديمة تعمل حتى اليوم رغم ازدياد عدد السكان الى ٢٥ الف نسمة .. اننا نقف مكتوف الايدى امام كل تقدم حديث بسبب نقص الكهرباء . الاحياء الجديدة تعجز عن مدها بالتيار الكهربائي ، حتى المستوصف الصغير الذى عندنا نريد تحويله الى مستشفى ولكن الكهرباء تنقصنا .. »

ان اهل القرى المجاورة يأتون الى تمبكتو بحثا عن العلاج ، فيجدون ادعياء الطب يعالجون المرضى بالاسلوب القديم المؤلم .. ان تحويل تمبكتو الى عاصمة للمحافظة جعلها قبلة الانظار ومركزا للاشعاع ، دون ان يكون لديها بصيص من النور!

ماذا حدث الطوارق ؟

ورغم هذه المتاعب بدا سكان تمبكتو يعودون الى مدينتهم ويقيمون الفيلات الحديثة على الطريق الوحيد المعبد المؤدى الى المطار والميناء ، والعناصر الرئيسية في هؤلاء السكان ثلاثة هي :

× الصنغاى .. ذلك الشعب المالي المسلم الذى اسس امبراطوريته في القرنين الخامس والسادس عشر .. افراده يتحدثون لغة الصنغاى التى تشكل الكلمات العربية ٤٠٪ من كلماتها .

× العرب أو المور .. وهم من اصول موريتانية عربية .

× الطوارق وينتسبون الى صنهاجة ولمتونة ومسوفة ، وهى قبائل بربرية مغربية مشهورة .

والصنغاى يعيشون كلهم داخل مدينة تمبكتو .. اما العرب المور ، والطوارق فيعيش معظمهم تحت الخيام في البوادى والصحارى حول المدينة



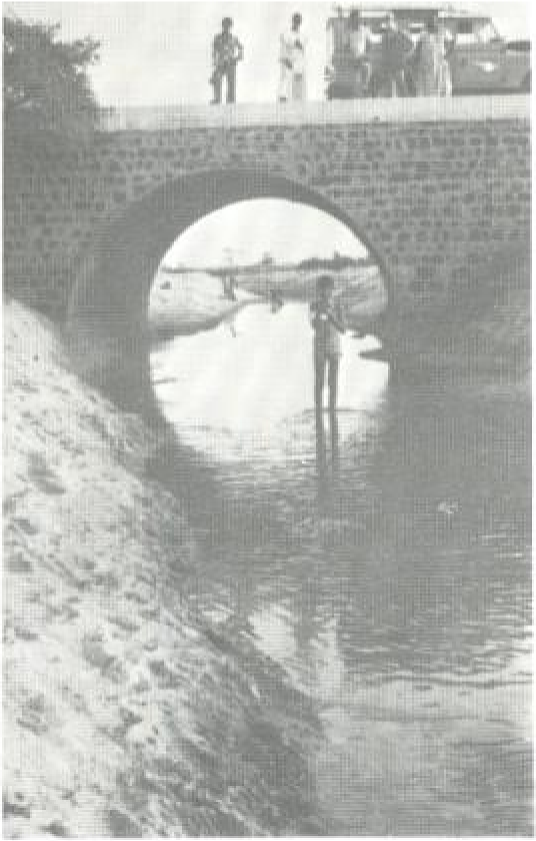
زيارة تمبكتو هى الحلم الذى يتمنى كل شباب اوربا تحقيقه .. انها يمكن ان تصبح منطقة سياحية من الدرجة الاولى .. قصص الاساطير ومغامرات الرحالة الاجانب تعطيها زخما سياحيا هائلا .. .. وقصة جوردون لانج بمفردها يمكنها ان تجتذب كل السياح الانجليز ، لو تم تحويل منزله في تمبكتو الى متحف صغير .



. . ذهبنا لزيارتهم في معسكراتهم فوجدناهم يعيشون حياة الذل والفاقة والتشرد والضياع !

من يصدق ان ذلك الطارقي النبيل الفخور الذى كان يجلس بخيلاء على صهوة جملة المهرى الابيض ، تحول اليوم الى مطرب وراقص يستجدى لقمة العيش له ولاولاده الذين تعصف بهم الامراض بعد ان قتل القحط الكبير عشرات الالوف منهم في عام ١٩٧٢/٧٣

وتفرق عدد كبير منهم ونزحوا الى الدول المجاورة : الجزائر والنيجر وفولتا العليا وموريتانيا .. وبقى منهم نحو ٧٥ الف نسمة يعيشون عيشة الاموات في معسكرات صحراوية متفرقة حول تمبكتو انهم يخشون الاحتكاكبالعالم ولكن السياح يقصدونهم للفرجة ، وكانهمذاهبون الى حديقة الحيوان !! يصورون ما تبقى من الطوارق الاشاوس النبلاء ، ويشترون رماحهم وسيوفهم ودروعهم ، تلاحقهم عينا الطارقى اللتان كانتا تشعان ذكاء ودهاء فاصبحتا اليوم تنمان عن الحيرة والبؤس والتعاسة .. انالغرائب تتقل كاهله .. انه لا يدرى ماذا يفعل فلا احد يهتم به او بمستقبله ؟ !!



هذه القناة كانت توصل مياه النيجر لتمبكتو، وكانت السفن تصل حتى اسواق المدينة ، اما اليوم فقد غطت الرمال المتحركة مجرى القناة ، واصبح الاطفال يسيرون فى مياهها الضحلة .. ان اصلاح هذه القناة سيعيد الروح الى المدينة ، التى تعتمد حاليا على مينائها النهرى (كبارا) من اجل تموينها بالحبوب والمنتوجات الاخرى ..



اخبر اخوتنا بالامنا

وقصدنا الى خيمة للمور او الموريتانيين العرب انهم يعيشون في خيام متباعدة عن بعضها . . كل عائلة تحت خيمة .. انهم ينافسون اخوانهم الطوارق فى تعاسة الحياة وشظف العيش ، ورغم ذلك يغارون على لغتهم العربية ويعملون بكل الوسائل علىتوريثها لاولادهم (انظرصفحتى٧٢و٧٣)

وعندما ياتيهم زائر من الوطن العربى يمطرونه بالاسئلة الرحة المحرجة عن اخبار الشعراء والعلماء والادباء العرب منذ فجر الاسلام حتى اليوم !

وغادرنا الخيمة ومازالت كلماتهم تتردد فى اذاننا : « اننا نتالم .. اخبر بذلك اخوتنا المسلمين » .

انهم يتعذبونوهميتنقلون فوق صحراء اشتهرت بالقسوة والبخل ، ولكنها فى الواقع ارض تكتنز ثروات خيالية فقد اكتشفوا فيها اخيرا اليورانيوم حول بلدة تاودنى .. اما النفط فينقبون عنه حول مدينة جاوو ..

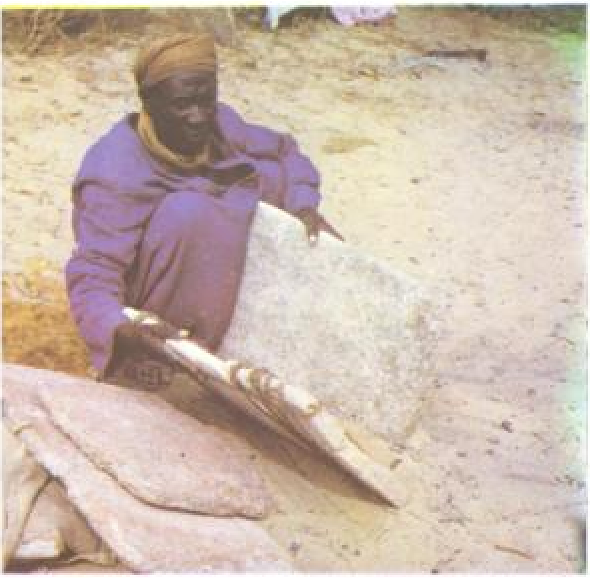




الموريتانيون والطوارق يكافحون من اجل البقاء ومقاومة عوامل الفناء .. يعيشون على نفس نمط اجدادهم .. لا يساعدهم ـ ولا يساعدون ـ احدا لتغيير نمط حياتهم التعسة .. الماء يستخرجونه بشد حبال الدلو من عمق ٤٠ مترا .. وفي معسكراتهم يقف الطوارق الى جانب جمالهم ليصورهم السياح مقابل دريهمات .. مطلوب رد الكرامة الى اخوة لنا نسيناهم









الى اليسار : اقرب واقدم تجارة فى تمبكتو هى تجارة الملح الصخرى الذى يستخرج من مناجم الملح فى تودينى على هيئة الواح تنقلها جمال الطوارق فى رحلة صحراوية طويلة مرهقة .. وعند مشارف تمبكتو تنقل الى ظهور الحمير لبيعها فى السوق ، وتصديرها .. الى بقية اجزاء مالى . كانوا يقايضون الملح بالذهب اما اليوم فانخفض ثمن الكيلو الى ما يوازى نصف دولار .. «تفضله على غيره لانه يعطى قوة فى البدن وفى الابصار والجسمانية » .





لم يبق من امجاد الطوارق فى تمبكتو سوى ذكريات الحروب وبطولات الافراد .. وجههم المخفى خلف اللثام كان يظهر عينين كلهما ذكاء ودهاء . اما اليوم فقد غطاهما بنظارة سوداء ليخفى نظرات الحيرة والبؤس .. ويهوى السياح الالمان مشاركتهم حياتهم التعسة ، فيقضون معهم اياما قصيرة يشربون الشاى ويدقون معهم المهراس الخشبى المشقوق .

لغات وطنية دون قواعد !

ان تمبكتو اليوم تنطفىء ثقافيا .. كان عدد طلبتها ٢٥ الف طالب فى القرن الخامس عشر هبطوا اليوم الى ٢٥٠٠ طالب فقط يتعلمون فى ظروف صعبة !

العربية كانت هى اللغة الرسمية ، واليوم لم نجد فى كل تمبكتو سوى استاذين مؤهلين يدرسان العربية !! ومأساة تعليم العربية فى تمبكتو ، هى جزء من مأساة التعليم فى جمهورية مالى ، حيث تصل نسبة الامية الى نحو ٨٠ بالمائة .. بعد استقلال مالى سنة ١٩٦٠ شعر المسئولون بحاجتهم الى لغة وطنية ، وعندما احتاروا فى اى اللغات يختارون قرروا فى عام ١٩٦٧ ان تكون لغات البمبارا ، والبويول .. والصنغاى .. والتماشيك هى اللغات الرسمية .. ولكنهم لم ينتهوا بعد من اعداد ابجدياتها وقواعدها .. لهذا قرروا ان تظل الفرنسية هى اللغة الرسمية حتى اشعار آخر .

اللغة العربية فى محنة !

ويتعلم الطلبة لغة ثانية يختارونها من بين الانجليزية والروسية والصينية والعربية .. فما هو موقع اللغة العربية الى جانب هذه اللغات ؟

فى مدرسة تمبكتو الثانوية اختار ٧٢ طالبا تعلم العربية كلغة ثانية ، بينما اختار ٥٠٠ طالب تعلم الانجليزية !!

ترى ما الذى حدث ليتدهور تعليم لغتنا الى هذا الحد ؟

ان روابط مالي بالوطن العربي كانت وثيقة منذ قرون طويلة من الزمان ، وتأثير العرب في حضارة مالي تأثير كبير يعترف به الجميع .. والعربية تتحدث بها قبائل عديدة على طول الحزام الصحراوي في مالي ، وكانت هي اللغة التي دخل بها الاسلام الى قلوب اهل مالي ، فانتشرت مدارسها في اغلب مدن مالي .. وخضعت مالي للنفوذ الفرنسي ومع ذلك ظلت العربية مزدهرة ، ومع رياح الاستقلال بدات تظهر مشكلة تعليم العربية : نقص هائل في المدرسين وانعدام الكتب والمناهج ..

ان احياء تعليم اللغة العربية في تمبكتو فقط يحتاج الى خمسة مدرسين اكفاء يعملون على اعادة رغبة الطلبة في تعلم لغتنا .. ولابد من تزويدهم بمجموعات من الكتب الحديثة تتبع منهجا موحدا ، « لان الكتب التي نعلم بها حاليا ورثناها من المدرسة القديمة عام ١٩٦٦ كتب قليلة العدد لا تتبع منهجا أو نظاما .. لهذا يدرس كل ثلاثة طلبة في كتاب واحد !! »



هكذا يتعلمون العربية في تمبكتو ، كل ثلاثة يقراون في كتاب قديم لا يتبع منهجا او نظاما مقررا .. واصبح الساقط في امتحان اللغة العربية يعتبر ناجحا ، اذا استطاع النجاح في بقية المواد !!

والاهم من كل ذلك ايجاد الوظائف التي سيعين فيها خريجو قسم اللغة العربية ، فكل شيء هنا بالفرنسية .. واذا تحدثت بالعربية مع احد المسئولين فانك سوف تشعر انمحدثك اصيب بدوار ، وعمد الى تغيير مجرى الحديث الى اللغة الفرنسية !!

مدينة البقشيش !!

ان المؤرخين يذكرون في كتبهم ان ابناء تمبكتو كانوا يضعون كرامتهم وعزتهم قبل كل شيء يرفضون المساعدة ويخفون ضائقتهم حتىلايتصدق عليهم احد .. اما اليوم فانت لا تسير في الطريق الا وحولك عشرات الاطفال يطلبون اى شيء بلغة فرنسية ركيكة : مسيو .. دونيه سيجاريت .. دونيه سينكونت فران .. دونيه بيك .. سيلفوبليه .. « أى اعطنى سيجارة .. اعطنى ٥٠ فرنكا .. اعطنى قلما جافا ماركة بيك من فضلك » .

والويل لك عند التصوير .. كل فرد ظهر في الصورة ، او حتى لم يظهر ، يريد ثمنا لخدماته! وفي نهاية الرحلة خيل لنا أن جدران المباني سوف تطلب بقشيشا لاننا صورناها !! لقد تحولت تمبكتو من مدينة الاصالة والكرامة الى مدينة البقشيش !!

هنا عاش لانج وكاييه !!

وتشترك شركة السياحة في ذبح الدجاجة التي تبيض ذهبا .. انها تفرض رسوما خيالية على السياح ، حتى ان مجرد جولة جماعية على الاقدام على معالم تمبكتو السياحية مع دليل تكلف ٢٠ دولارا للشخص الواحد !!

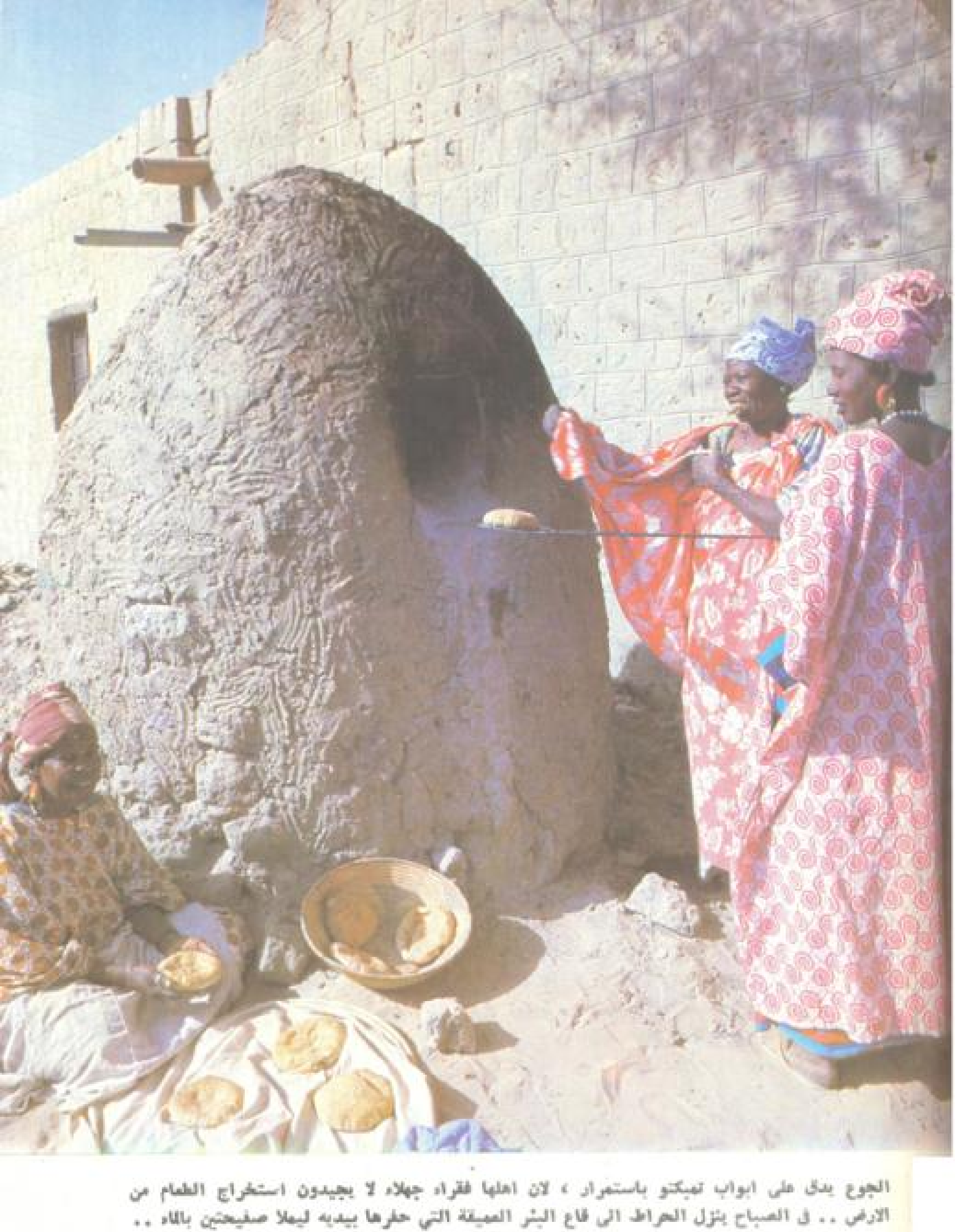
ياخذونه الى ساحة كوى باتونة ، وهناك يشير الدليل بيده الى ارض رملية ويقول : هنا كانت تقوم البئر الشهيرة التي كانت تحرسها العجوز بوكتو .. وقد اندثرت الان !!

ويكمل الدليل جولته بزيارة المنازل التي نزل فيها المستكشفون ، بعضهم دفع حياته فيسبيل الوصول الى تمبكتو مثل الانجليزي جوردون لانج سنة ١٨٢٦ م وبعضهم نجح في الوصول اليها سالما مثل الفرنسي رينيه كاييه سنة ١٨٢٨ م والالماني بارث سنة ١٨٥٣ م والنمساوى لانز سنة ١٨٨٠ م والامريكي بركي عام ١٩١٢ م



كانت مياه نهر النيجر تصل الى مكان سوق تمبكتو الحالى الذى يباع فيه الفلفل الاحمر والسمك المجفف المغطى بالذباب،والذرة والفول السودانى والملح الصخرى واللبان والحنة والتوابل وغيرها.





الجوع يدق على ابواب تمبكتو باستمرار ، لان اهلها فقراء جهلاء لا يجيدون استخراج الطعام من الارض .. في الصباح ينزل الحراط الى قاع البئر العميقة التي حفرها بيديه ليملأ صفيحتين بالماء .. يسقي بهما اشتالا ، صارت شجيرات وهو لم يشتلها بعد .. لم يعلمه احد كيف يزرع .. انه يقلد الطبيعة (الصورة اليمنى) .. اما نساء الحي فيخبزن الطعام في افران مشتركة مقامة عند ناصية الطرقات ، يشعلون الحطب فيها من الساعة الرابعة صباحا ، ليبدأ خبز العجين في السادسة .. كل هذا من اجل عمل خبز مخلوط بالرماد والرمال المتطايرة .. اما الغاز فلم تعرفه المنطقة بعد . ان رمال الصحراء الكبرى تزحف على تمبكتو من الشمال ، بينما الجزء الجنوبي يستعد ليصبح ارضا زراعية ترويها مياه النيجر الغنية بالطمي .. ان نهر النيجر بالنسبة لاهل مالي هو بمثابة النيل لاهل مصر .

مستكشفون جابوا الى هنا ، وسكنوا في منازل ما زالت قائمة ، يسكن فيها اناس عاديون لا يعرفون شيئا عن الرحالة أو المستكشفين !!

ان تحويل هذه المنازل التاريخية الى متاحف صغيرة امر ضروري بعد اخراج سكانها منها !! .

جولة على مساجد تمبكتو

ثم تبدأ جولة على مساجد تمبكتو .. هذا هو المسجد الكبير (جيجارى بيل) شيده كانكو « السلطان » موسى ، الذى اشتهر بانه كان يبنى مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها وقد شيد مسجد تمبكتو بعد عودته من رحلة الحج الشهيرة عام ١٣٢٥ م واشرف على بنائه ابو اسحاق ابراهيم الساحلي الشاعر القرطبي والمهندس، لهذا جاءت هندسته الداخلية على غرار مسجد قرطبة العظيم مع الفارق طبعا اما خارجه فقد شيد بالطين الصحراوى على نمط الهندسة السودانية القديمة ..ومنارته الكبيرة مقامة على اربعة اضرحة لاربعة اولياء .. وفى ساحة هذا المسجد الخارجية يقع الباب العجيب الذى يعتقد اهل تمبكتو أنه اذا فتح حلت نهاية العالم .. !!

ويتجه السياح بعد ذلك الى مسجد سيدى يحيى .. لقد شوهوه بالتحصينات الحديثة التى ادخلوها على بابه ومئذنته عام ١٩٣٩ م في حين انه مسجد قديم شيده سيدى همالا عام ١٤٠٠ الميلادى بعد ان شاهد في منامه حلما يقول له : شيد مسجدا هنا فسوف يأتى ولى من بعيد ليكون اماما على هذا المسجد .. وشيد المسجد الذى بقى ٤٠ عاما مغلقا .. وبعدها جاء من بلاد المغرب الشيخ سيدى يحيى الشريف وطلب من امير المدينة مفتاح المسجد ، وفتحه وصلى بالناس واستمر اماما لهذا المسجد حتى مماته حيث دفن فيه تحت المنارة ..

جامع وجامعة ..

اما الجامع الثالث فهو اشهر جوامع تمبكتو انه جامع سنكوريه ـ او سنكورى ـ الذى تقام فيه حاليا الصلوات فقط ، في حين انه كان في الماضي مقرا لجامعة سنكوريه التى جعلت من تمبكتو المركز الدينى والثقافي في غرب افريقيا ..

يقول صاحب تاريخ السودان ان هذا الجامع شيدته امراة عظيمة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .. وبين سنوات ١٥٧٨ ، ١٥٨٢ م اعيده بناء هذا الجامع بكامله واخذ ابعاد الكعبة الشريفة ..

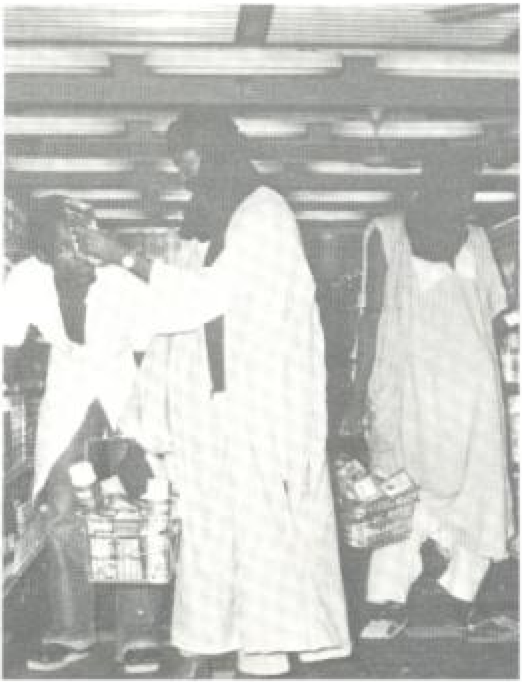
ومن هذا الجامع الجامعة ، تخرج كبار العلماء في كل الفنون الاسلامية ، ولكن الثورات ومكائد السياسة تدخلت بين رجال العلم والحكام فكانت نهاية جامعة سنكوريه حوالى عام ١٥٩٤ م بطرد اساتذتها وسجنهم وقتل بعضهم ، ونفى البعض الاخر الى المغرب ..

ومن هؤلاء المنفيين كان المؤرخ الفقيه وحيد زمانه ابو العباس احمد بن احمد المعروف باحمد بابا السودانى .. الف ما يزيد على الخمسين كتابا في مختلف الفروع والعلوم وما يزال معظمها مخطوطا حتى اليوم .

المكتبات تظهر مع الامطار

وتكريما لهذا العالم التمبكتى الفذ اطلق اسمه على عدة منشآت من بينها مركز « احمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية .. » لقد اختارت اليونسكو مدينة تمبكتو مقرا لهذا المركز لاهميتها

تبرعت يوغوسلافيا ببناء سوق تجارى حديث في تمبكتو . فجاء وكأنه قطعة من القرن العشرين زرعت وسط القرن الخامس عشر !!





كوروص هو سهل تمبكتو الفسيح (١٧٠٠ هكتار) كانت تغمره مياه النيجر .. تبرعت شركة بلجيكية خاصة باستصلاح ٦٠٠ هكتار منه ، بعد اقامة سد صغير للتحكم في مياه النهر .. سوف تنتج الارض المستصلة محصولين سنويا من الارز والقمح والذرة.

التاريخية من جميع النواحي الدينية والعلمية والحضارية ..

والتقينا بمدير المركز الدكتور محمود عبده الزبير (ليسانس آداب من جامعة عين شمس ، ودكتوراه في التاريخ من السربون بباريس) الذي قال لنا : « بدأ المركز نشاطه منذ سنتين ، وقد جمعنا حتى الان اكثر من الف مخطوط عن طريق الشراء او الاعارة او الهبة .. والعدد الاكبر من المباني القديمة المهجورة يتساقط عندما يأتي موسم الامطار فتظهر المكتبات والكتب النادرة ..

« كل أسرة كبيرة في تمبكتو تمتلك مكتبة عامرة بالكتب .. وكان الناس يحفظونها في غرف مقفلة بدون شبابيك .. واستطعنا اقناع أصحاب هذه المكتبات بضرورة فتح شبابيك في هذه الغرف .. وقمنا بهذه العملية فعلا على حسابنا حفاظا على المخطوطات الموجودة فيها ..

« تصوروا أننا امضينا شهرا كاملا دون أن نستطيع حصر الكتب الكثيرة الموجودة عند عائلة ابو العرف ..

« ومن المكتبات الاخرى الكبيرة والشهيرة في تمبكتو .. مكتبة محمد محمود بن الشيخ توفي صاحبها .. وابنه قاصر ، والمكتبة مغلقة يصعب الدخول اليها !! »

وينهي الدكتور الزبير حديثه قائلا : اننا نهدف الى تحويل هذا المركز ليصبح شبه جامعة تأخذ مكان جامعة سنكورية القديمة ..

« وقد اتصلنا مع معظم الدول العربية ، وخاصة الكويت ، التي وعدت بتطوير المركز وتقديم مساعدات مالية له لتنظيم احتفالات القرن الخامس عشر الهجري .. كما حصلنا على وعد من العراق لبناء قاعة للمحاضرات والاجتماعات .. وبعد زيارة السفير السعودي للمركز وعدنا بكتابة تقرير الى حكومته لمساعدة المركز .. »

واجب كل مسلم

ان عشرة في المائة من سكان اوروبا يحلمون بزيارة تمبكتو .. فالقصص والكتب المؤلفة عنها تجعلها اشبه بالمدينة السحرية .. ولكن الذي يزور تمبكتو مرة ، في ظروفها الحالية لا يعاود السفر اليها بالمرة .. من فرط التعب والعرق وخيبة الامل التي يصاب بها ..

ان اعادة النور الى منارة الاسلام في غرب افريقيا هي من واجب كل دولة ، وكل بنك وكل مؤسسة مالية اسلامية .

ما اسهل أن تشترك صناديق الانماء العربية في تمويل مشروع اعادة حفر القناة ...

وما اسهل ان ترسل دولة عربية عشرة اساتذة بدلا من خمسة لاحياء لغة القرآن في مدينة الاسلام ..

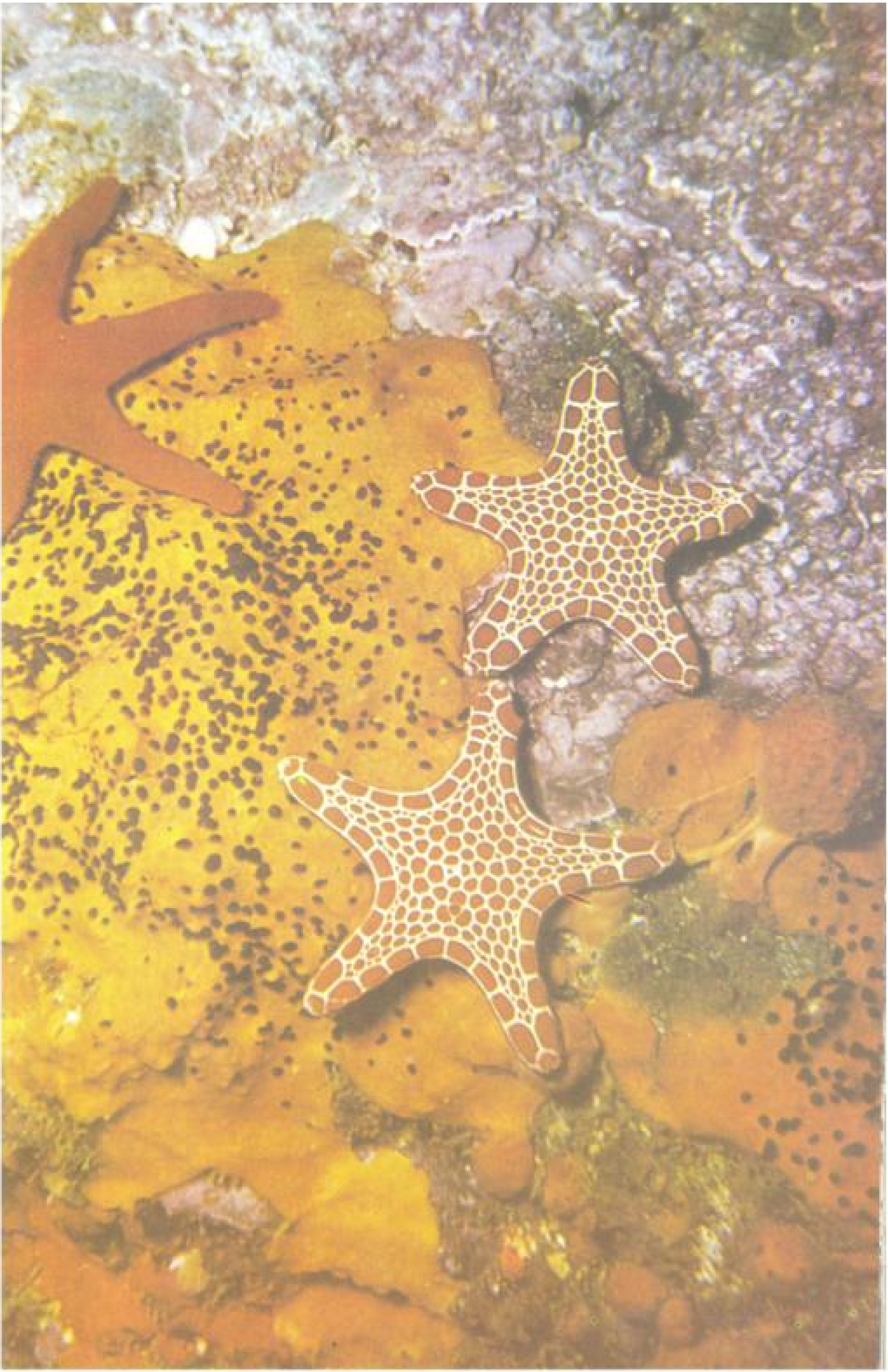
ما اسهل .. وما اسهل .. وما اسهل ..

ولكن ما اصعب التنفيذ .. وخاصة في بلد مثل مالي كانت المساعدات الغذائية الدولية تنهال عليه من كل صوب لانقاذ اهل تمبكتو وما جاورها من الجوع والقحط .. مساعدات هائلة وجدت طريقها الى الاسواق السوداء بدلا من أن تصل الى افواه الوف الجياع من ابناء تمبكتو وباديتها!

ما رايكم لو تكونت لجنة عربية اسلامية شعارها :

ـ انقذوا تمبكتو ... ■■

سليم زبال



خطر الفناء يهدد

جنة الحيوانات البحرية المرجانية

« بغير أكثرات يقوم الانسان بافناء هذه المخلوقات المتالقة التى تعيش فى عالمها السحرى تحت سطح الماء »

(قنديل أو نجم البحر ، برتقالي اللون والى جانبه نجمان « بسكويتيان » والخلفية مكونة من اسفنج أصفر وطحالب مرجانية العيون ٠٠ وهى على عمق ٩٠ قدما بمحاذاة الساحل الغربى من استراليا ٠ (الصورة الى اليمين) شقائق النعمان البحرى وهو أكثر الشقائق البحرية شيوعا فى بحار استراليا ٠ ومما يذكر أن صغاره تنمو داخل جسم أحد الابوين، ثم تخرج أو تلفظ لفظا عن طريق الفم ٠ (الصورة الى أسفل)





■ تشكل مجموعات الحيوانات البحرية المرجانية الحية منظرا اخاذا خلال ساعات النهار المشمسة ، غير انه بالامكان كشف النقاب بصورة افضل عن الطبيعة الحقيقية لهذه المخلوقات اثناء الليل • غير ان القدماء لم يكونوا قادرين على القيام بمثل هذه الملاحظات الامر الذى ادى الى وقوعهم فى خطأ جوهرى ، فقد اعتقدوا بان الحيوانات المرجانية نباتات • لان هذه الحيوانات تشبه الاشجار والشجيرات ذات اللون الفاتح خلال النهار ، كما انها لا تتحرك فى اماكن تواجدها فى الغابة الكائنة تحت سطح الماء ، ولكن بامكان اى شخص يغوص تحت المياه الصافية فيالليل ان يشاهد هذه المخلوقات • ففى ثوان تعج المنطقة بالحيوانات المرجانية التى تشبه الفراشات •وعلى الفور تصبح الطبيعة الحقيقية لهذه الحيوانات واضحة •• وتتحرك مئات من الازهار الصغيرة كما يظن للوهلة الاولى على السطح المرجانى • وتطلق الافا من التوبجيبات (البتلات) فى الماء ومن ثم يجرى الامساك بكل حيوان يلمسها ويتم سحبه الى داخل الازهار وهو يناضل للافلات دون جدوى •

فالازهار هى فى الحقيقة نوع من «البولب»وهو اسم يطلق على اشكال من الحيوانات المائية البسيطة • كما ان توبجيباتها عبارة عنمجسات• وتعيش على الغصين الخارجى لشجرة المرجان حيوانات ضارة متناهية فى الصغر • وبامكان اى انسان انيشاهد مذبحة اثناء نوبة الغذاء الجنونية كما انه لو كان امام اسماك القرش •

من اجل سعادة الانسان

وتغطى الحيوانات البحرية المرجانية جزءا من سطح الارض اكثر من اية كائنات اخرى فى المناطق المائية الضحلة •• وهذه الحيوانات ذات قدرة انتاجية من الناحية الجيولوجية فهى تزود غذائنا بحاجته من المواد الحية الفعالة اكثر من حقل لقصب السكر تمت حراثته بعناية فائقة • وفى المناطق الاستوائية تؤمن الحيوانات المرجانية مقدارا هاما من البروتين ذى النسبة العالية عن طريق توفير البيئة الملائمة للسمك والحيوانات الصدفية المائية كما انها تكثر فى الكائنات الحية التى تعتبر ذات نفع كبير كالادوية والادوات التى يحتاجها البحث المتعلق بعلم العقاقير •



نوع من المخلوقات المرجانية الاكثر انتشارا فيالمناطق المائية الضحلة والتيتشكل اغصانها الرائعة التيتشبه قرونالوعول مخبأ للاسماك•

وتقدم المناطق المرجانية كذلك مساهمة فورية وعملية من اجل سعادة بنى الانسان • فالصخور المرجانية تشكل حاجزا طبيعيا للامواج علىامتداد واسع ، يعتبر افضل من اية حواجز اقامتها الهندسة الحديثة• ويوفر فى الوقت نفسه الحماية لالاف الاميال من الخط الساحلى •

ولم يعرف حتى الآن معدل سمك الصخور المرجانية ، ولكن تلك التى تقع على قمة الجبال المغمورة لتشكل الجزر المرجانية تمتد عدة الاف من الاقدام تحت السطح•وعند حافة الصخرالمرجانى توجد جذور واغصان ناتئة اسفينية الشكل تمتد مسافة تتراوح ما بينثلاثين الى اربعين ياردة نحو البحر •

ومعظم الجزر المرجانية الموجودة فى العالم وعددها اربعمائة جزيرة والتى ترتفع عدة اقدام فقط عن سطح البحر قد تنجرف فى غضون اقل من عام بدون حماية من جانب الصخور المحيطة بها •

ويبدا تكونمستعمرةالحيوانات البحريةالمرجانية الجديدة عندما يتم انتاج السائل المنوى والبيض

حيوان مرجاني ذو الوان أخاذة وهو من الاصناف التي توجد عادة في مستعمرات كبيرة.



داخل البوالب . وكل بولب يستطيع القيام بوظيفة الذكر أو الانثى مع انه من النادر حدوث ذلك في وقت واحد . وعندما تدخل السوائل المنوية الماء يأخذ بعضها طريقه الى تجاويف الجسم التابعة لبوالب أخرى تحتوي على بيض حيث تتم عملية التخصيب . وينمو البيض الملقح ليصبح يرقات تسمى الواحدة منها يرقة الحيوانات اللاحشوية . وغالبا ما تسبح أعداد كبيرة من هذه اليرقات في طبقة تقع مباشرة اسفل سطح المحيط . ومعظم اليرقات اللاحشوية اما ان يتم التهامها من جانب حيوانات مفترسة او ان تنجرف بقوة الى البحر .

ومن بين الاف الملايين من هذه اليرقات التي يطلقها الحيوان الى البحر المرجاني خلال ايام حياته ، قد لا تعيش سوى يرقة واحدة تقوم فيما بعد بتكوين مستعمرة جديدة .

وعندما تشق اليرقة التي ظلت على قيد الحياة طريقها في النهاية الى اسفل ، فانها تبحث قبل كل شيء عن موقع ملائم في قاع البحر لتستقر فيه وتنمو . وبعد ساعات قلائل من استقرار اليرقة في هذا الموقع يبدأ هيكل عظمي ابيض نجمي الشكل في الظهور داخلها واسفل منها حيث يلتصق الحيوان في الجزء السفلي .

وفي غضون عدة أيام يتخذ الهيكل العظمي شكل حيوان مصغر مخروطي الشكل ، ثم ينمو هذا الحيوان ليصبح فيما بعد بولبا مزودا بعدة مجسات قد تصل الى اثني عشر مجسا ، وفي الحال يأخذ البولب في الانقسام ، وفي خلال بضعة اسابيع تكون عشرات من البوالب قد تشكلت . ولمعرفة مدى السرعة التي تتم بها عملية انقسام البوالب يذكر ان مرساة لاحدى السفن بقيت في قاع المحيط قبالة جزيرة فيجي لمدة ثلاث سنوات مما جعلها مكانا ملائما لنمو الحيوانات المرجانية، حيث وجد خمسة وعشرون الف بولب على هذه المرساة .

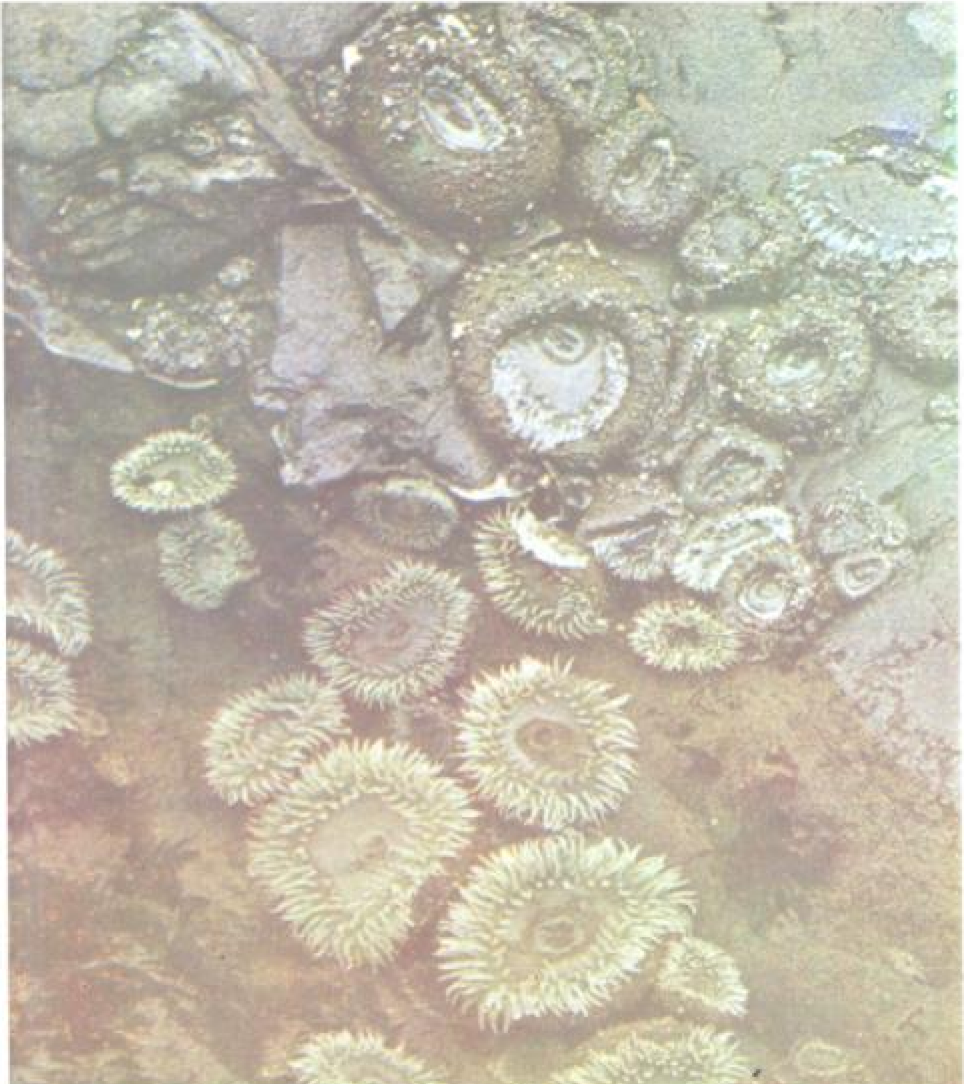
خطر ازالة الاشجار

وبينما تنمو المستعمرة المرجانية الى أعلى تحتفظ البوالب بمواقعها على سطح الهيكل العظمي عن طريق تشبثها بقمم المواقع القديمة في الوقت الذي تبنى فيه اماكن جديدة فوقها . ويحتوي الهيكل الداخلي لرأس الحيوان المرجاني على طبقات كثيرة تشبه قرص العسل خزفي الشكل .

وهناك حقيقة بديهية تقول بارتباط الاشياء بعضها ببعض في النهاية . فالانسان الذي يقطع اشجارا على الشواطيء الاستوائية انما يقوم في الوقت نفسه بتدمير حيوانات مرجانية وتجرى عملية ازالة الاحراج الاستوائية بمعدلات سريعة لمواجهة الطلب المتزايد على الارض الخالية من الاحراج وذلك في ضوء الانفجار السكاني المتعاظم ، وهذا يؤدي بدوره الى تعرية التربة على نطاق واسع.

واظهرت دراسة اجريت في البرازيل ان كل فدان من الغابات الاستوائية يفقد بصورة طبيعية اقل من اربعمائة وثلاثة وخمسين جراما من تربته كل عام بفعل التعرية ، في حين يفقد هذا الفدان ثلاثة عشر طنا من التربة سنويا عقب ازالة الاحراج

وفور قطع الاشجار من بقعة ما فان التربة تصبح مصدر خطر تحملها الانهار الى الساحل



شقائق النعمان البحرية ذات اللون الاخضر واسمها Anthopleura xanthogrammica كما تبدو في Cape johnson في واشنطن .

لاحظ أن الشقائق التي في المقدمة ، وهي ذات المجسات المفرودة ، مغمورة بالماء بينما تلك التي مجساتها مقبوضة موجودة خارج الماء .

اثنتان من الرخويات اللاصدفية ، وهما من رتبة الرخويات البحرية العارية الخياشيم ، ويطلق على العليا منها اسم (Glossidoris westralieis) وعلى السفلى اسم (Branchus imperialis)

وتعرف هذه الاخيرة بالسيدة الراقصة نظرا للطريقة التي تتلوى بها وتتثنى .

وتظهر كلتاهما في الحيد التجري العظيم قرب استراليا (الحيد هو سلسلة صخور مغمورة ولكنها قريبة من سطح البحر) .



وتقذفها الى اماكن تواجد الحيوانات البحرية المرجانية • وتصبح هذه الحيوانات مغطاه بالتربة المترسبة بحيث لا تستطيع الحركة ويكون مصيرها الموت المحقق في غضون ايام •

وبامكان اى شخص موجود في طائرة فوق الجزر الاستوائية المرتفعة ان يحدد بدقة موقع حدوث تعرية التربة •

وعقب هطول امطار غزيرة تمتد التربة المترسبة سواء كانت حمراء او رمادية من مصب الانهار الى الصخور المرجانية •

وعلى نطاق محدود فان مثل هذه التعرية والرسوبات الساحلية هي عوامل طبيعية • ولكن في بورتوريكو فان عوامل التعرية كثيرة وبخاصة في الموسم الممطر حيث تحيط الاتربة المنجرفة بالجزيرة •

وفي استراليا اعلن علماء الاحياء ان الزراعة بدون تخطيط التى تسببت في حدوث تعرية هائلة للتربة ، قد اتلفت اجزاء داخلية من الحاجز المرجاني الكبير منذ عام ١٩٤٨ م

وكذلك فان ازالة الحياة النباتية في اقليم ما من شانها ان تقلل من قدرة الارض على الاحتفاظ بالرطوبة ومياه الامطار التى كانت تنساب على الارض بهدوء واصبحت الان تجرف امامها طبقة من التربة يبلغ سمكها عدة اقدام ، ذلك لان الحيوانات المرجانية وغيرها لا تحتمل الصمود امام المياه العذبة •• ويعد هذا عامل تلويث في بيئته •

التلوث هو المشكلة

ومياه المجارى هي سبب اخر من اسباب القضاء على هذه المخلوقات • فعندما تتعرض الحيوانات المرجانية للتلوث الناجم عن مياه المجارى فان عدد انواعها يقل • وفي الوقت نفسه فان قطاعات من الكائنات الاخرى تصبح ذات قدرة على احتمال التلوث وتنمو بسرعة حيث تسود وتتم لها الغلبة•

وليس ادل على ما نحن بصدده من حالة الطحالب الخضراء الموجودة بكثرة في خليج كينوهى احد اكثر الصخور المرجانية انتشارا في جزر هاواى • فاعداد هذه الطحالب قد تضاعف هناك عشرات المرات بفضل المادة المغذية الموجودة في مياه المجارى• وبسبب انعدام الضوء والاوكسجين والطعام فقد ماتت الحيوانات البحرية المرجانية القابعة اسفل الطحالب • وعندما تموت هذه الحيوانات فان الاسماك المجاورة او الحيوانات اللافقارية تغادر المنطقة او تلقى حتفها •

وبما ان الطحالب الخضراء قد طمست او قضت على الحيوانات المرجانية في خليج كينوهى فان وجود قطاعات من الاسماك وسرطان البحر وغيرها من الحيوانات البحرية قد تضاءل في تلك المنطقة •

واليوم فان الطحالب هي الكائنات الحية الاكثر وفرة وانتشارا في الخليج المذكور •

وعندما يتم تدمير الحيوان المرجاني فانه قلما يعود الى الحياة من جديد • ففي برمودا تبين ان عددا ضئيلا جدا كتبت له الحياة وعاش من جديد، من بين مجموعات كبيرة من هذا الحيوان كانت قد دمرت في عام ١٩٤١ م بفعل الرسوب الترابي الناجم عن رفع الوحل من قاع البحر • واذا ما تمت لها الحياة ثانية فانها تكون بصورة بطيئة • وبينما تعيش بعض الحيوانات المرجانية اربع او خمس سنوات فان كائنات اخرى منها تستغرق مائتي عام او اكثر لتصل الى مرحلة النمو الكامل •

واحتمالات حل مسالة التلوث البيئي ليست افضل من الوسط الكئيب في معظم البلدان الاستوائية • فالاشخاص المدربون والاموال غير كافية •

وفي الدول التى تحاول عبثا التقدم اقتصاديا فان موقفا عاما ازاء تلوث البيئة يمكن استخلاصه من خلال تصريح لزعيم افريقي افضى به مؤخرا وجاء فيه قوله : « اذا كان التقدم الاقتصادي يعني التلوث فان الذى نحتاجه عندئذ هو مزيد من التلوث » •

وبوضوح فان اهم خطوة يمكن اتخاذها للتقليل من التلوث في المناطق الاستوائية هي الثقافة البيئية • فبينما اصبح علم البيئة : وهو فرع من علم الاحياء يدرس العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها ، اصبح جزءا من المنهج الذى يدرس في العديد من المدارس فان ردحا من الزمن قد يمر قبل ان يحدث هذا التدريب اثره على السياسات البيئية •

واخيرا فاذا كنت راغبا في مشاهدة حيوان بحري مرجاني على قيد الحياة فان عليك عدم الانتظار طويلا • حاول ان تملأ عينيك به اليوم ، فقد لا تراه غدا !

ترجمة واعداد : سمير جيوسي



« الحمق » هو اقرب الاضواء للحس العام وأيسرها لتوضيح معناه .

الحس العام

وهم أم حقيقة ؟

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ*

فـي غيبة الحس العـام نـواجه جميعـا مشـكلات ونـواقص بغير حصـر . مـا قصته ، هـذا الحـس العـام ؟

■ رأى اعرابي ثعلبا يبول على رأس صنم كان يصحبه في اسفاره لغرض التعبد ، فما كان منه الا ان قذف به بعيدا وهو قائل :

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وهي حكاية تحمل اكثر من مغزى ... اهمها ان عقل الاعرابي على جهالته ووثنيته ادرك ان قضية الحس - الالهة حقيرة وضيعة لان حيوانا ربما استطاع ان يعلو عليها ويستهين بها اكثر ما يكون . وهذا دليل على وجود ما يدعى بالحس

* استاذ الطب النفسي - كلية طب الموصل - العراق

العام لدى ذلك الاعرابي .

والحس العام Common sense اصطلاح غربي معاصر عرفه الجميع منذ غابر الازمان بكلمات واصطلاحات اخرى مشابهة ومقاربة تدل على : استخدام العقل والفطنة في حل المشاكل وتسيير امور الحياة . والحس العام يعني ايضا : «الحكمة في ادارة الامور» ويعني كذلك : «استخدام الفكر والخبرة لفك العقد والمعضلات الآنية ..» ويعني ايضا : «كيفية الربط وايجاد العلاقات المختلفة لتجاوز الازمات والمشاكل» ، وقد تعني ايضا : «الاسلوب المنطقي المعقول في استجابة الانسان لحوافز ومؤشرات الحياة» .

الحس العام ... غير عام

وقد يبدو لاول وهلة انه من المفروض اوالبداهة ان يمتلك كل انسان حسا عاما يلجأ اليه ويستعمله في تسيير اموره او الابحار بسفينة ذاته واتباعه في المحيط والمجتمع .. ، لكن الوقائع والتجارب تؤكد للمتتبع انه لو لجأ الناس الى حسهم العام فعلا واستعانوا به،لهبطت حدة المشاكل والاحتكاكات والمصادمات الى مستوى يثلج الصدور .. ، مما يدل على ان الحس العام قليل الاستعمال . ولا نجازف بالقول انه نادر الوجود او هو موجود فعلا مع ندرة اللجوء اليه .

وفي هذا قال احد الحكماء الساخرين : ان الحس العام ، غير عام ، ونادر الوجود ! . ولعل رنة السخرية وموقع الجملة يبدو اكثر جاذبية كما قالها بالانكليزية :

Common Sense,is a rare rense,hardly possessedi

وشاهدنا على صحة هذا الحكم ما نلمسه من مصاعب تنجم من جراء انتفاء الحس العام :كمجرد الروتين وتزمته .. والتمسك بحرفيات القوانين والتعليمات . فالاداري الممتاز والقاضي الناجح هو الذي يمتلك من المرونة وسعة العقل ورحابة الصدر ما يكفي لتكوين حس عام يطبق القوانين والانظمة والتعليمات لا بحرفياتها بل بمدلولاتها.. لا بنصوصها بل بروحيتها دون المساس بها وبقوتها وحرمتها وتاثيرها .

الحس العام ... ليس الذكاء

والحس العام لا يعتمد على الذكاء الصرف ، أو بالاحرى ان وجود الذكاء ليس شرطا اساسيا لوجود الحس العام ، لان الذكاء احيانا يفتقر الى الحكمة ، والفرق بينهما شاسع .

والذكاء انواع : ذكاء عام وذكاء خاص.والذكاء العام هو مجموع ومحصلة القابليات العقلية الفطرية للانسان (عملية ولغوية ..) . اما الذكاء الخاص فيدخل في الذكاء العام ويزيد عليه بميزة اخرى هي الاختصاص والامتياز فيه.فمثلا،وجود قابلية خاصة في فن الموسيقى..او الغناء،او الرياضيات، او الكلام ، او المهارة اليدوية الميكانيكية .. ، او الذاكرة . ، او الحفظ . الخ .

وما نود التاكد عليه اننا قد نجد شخصا ذكيا جدا او عبقريا في الفيزياء وذا ملكة عقلية وذكاء عام فوق المتوسط ، ومع ذلك فانه قد لا ينجح في حياته العائلية او في حل مشاكله الآنية او اموره الاجتماعية ، اي تعوزه تلك الحكمة والخبرة الحياتية العملية . فالحس العام اذا هو ليس ذكاء صرفا بل قابلية على ربط الاشياء برباط جدلي واستنباط الحلول المناسبة والاجوبة الشافية لها ...

والحس العام .. ليس الثقافة

كذلك فان الحس العام لا يعتمد على التعلم في المدرسة والجامعة لان حكماء البشر المشهورين كانت مدرستهم هي الحياة .. وكانت كتبهم واقلامهم هي ورقة ملاحظاتهم ورهافة احاسيسهم .

« والعارفة » بين عشائر البدو العربية هم خير مثال على عقلاء الناس الذين يتملكون ذلك الحس العام الذي يلمسه الاخرون فيستعينون بهم لحل نزاعاتهم ومشاكلهم . وحكماء العرب في التاريخ هم الذين امتلكوا قدرا كبيرا من الحس العام جعلهم ذائعي الصيت وخالدين في تاريخ امتهم مثل اكثم بن صيفي .

اذن ، فالحس العام قد يستند الى المعرفة والثقافة ولكنه ليس المعرفة والثقافة حصرا ، وليس شهادة البكالوريوس او الماجستير او الدكتوراه ، لانها شهادات في حقل معين من علوم الحياة وليست شهادات خبرة في الحياة او فطنة في مجابهة الصعاب .

والسايكوباثية

واذا كان الشيء لا يعرف احيانا الا بضده،

فان الحمق هو اقرب الاضداد للحس العام وايسرها لتوضيح معناه . وصفات الحمق معروفة . فالحمق علة طبيعية ، والاخرق متدفع وعنيد وسطحي ومتكابر ، وكلها صفات تتنافى مع الحس العام. يقول الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

اما المرض العقلي الذى هو اشد درجات الحمق الاعتيادى فهو السايكوبائية Psychopathy السلوك اللااجتماعي Antisocial behavior وهو من الامراض العقلية المهمة التي تعتبر لحد الان من معضلات الطب النفسي والطب الشرعي، ومن آفات المجتمع الخطيرة . وهو مرض يصيب نسبة معينة من الناس لا يعرف له سبب معين ثابت لحد الان ، ولم يستقر تصنيفه في احد من ابواب وفصول الامراض النفسية . وله خصائص كثيرة معروفة لدى علماء النفس اهمها :

- انهم يتمتعون بذكاء طبيعي او فوق المتوسط
- انهم يفتقدون الحكمة والتجربة
- انهم لا يتعلمون من تجاربهم السابقة فيظلوا على ما هم عليه
- لا يروعهم العقاب ، ولا تشجعهم المكافأة والمديح فهم جامدون على وضعهم دون تحسن ، بل ربما يتراجعون الى تاخر وتدهور .

وهذه الصفات تتلخص بفقدان الحس العام. والسايكوبائية مرض بالطبع ولكنه يصور لنا اشد حالات انعدام الحس العام ، وهو سبب انحراف المصابين بالمرض نحو الشذوذ الجنسي والتشرد والاجرام وكذلك الادمان على المخدرات . فكل سايكوبات هو احمق اخرق .. ولكن ليس كل احمق سايكوباث . والحمقى كثيرون والسايكوباث قلة ..

هل يمكن رعايته ؟

يتبين مما تقدم ان الحس العام هو دون جدال موهبة عقلية تستند الى استعداد وقابلية فطرية مضافا اليها ذكاء مناسب وخبرة كافية وثقافة شافية تمتزج جميعها بمقادير ونسب ومعادلات متناسقة ومتوازية لتجعل المرء انسانا يخوض غمار الحياة ، وعازفها بذهن جامع .. لامع.. قدير .

ولكن ، هل يمكن للتربية وعلم النفس والاجتماع ان تؤثر في هذه العوامل وتتدخل لتنمية وتعميم الحس العام النادر ؟ . سؤال وجيه يطرحه المربون والمصلحون .

وللاجابة عليه نقول : نعم ، يمكن ذلك باتباع اساليب التوعية المستمرة للنشء والجيل الجديد.. والحث على مكارم الاخلاق وضرب الامثال للناس وطلبة المدارس والجامعات .. ، والاستعانة بالتاريخ والتراث .. بالماضي والحاضر لادخال المثل والنماذج السليمة في السلوك،وممارسة الرياضة العقلية في التعليم الثانوي والجامعي ، وهو التعليم الذى لايعتمد على الاملاء والنسخ بل على البحث والتقصي والمناقشة والتحليل ، لان المناقشة والحوار والتحليل تجلي الصدأ عن العقول وتكسر القيود والسدود ... وتتيح للانسان الكشف عن العلاقات المنطقية بين الاشياء والمفاهيم ... وربط النتائج بالاسباب.. والظواهر بالبواطن..والنظرة الشمولية الى الامور .

بذلك يصبح الحس العام ملكة عقلية ليست صعبة المنال بل اشبه بعادة اجتماعية سائدة ، واسلوبا في التعامل مع الحياة .. من اجل حياة اهدأ واجمل وامتع . ■■

دكتور فخري الدباغ

شيكات وفواتير ديون

● انتاب الممثل السينمائي جاك ليمون الفزع عندما رأى ريتا هيوارث تمزق مجموعة من الرسائل غير المفتوحة . وصاح قائلا : لا تفعلي ذلك فقد يكون هناك شيكات بداخل هذه الرسائل .
فأجابت ريتا : نعم هناك شيكات ولكن هناك أيضا فواتير ديون .

ديلي ميل

رحلة التجديد فى التشريع الاسلامى

ماذا كان يحدث لو ان حركة التجديد فى المعاملات ، لم تقتطع من ارض الشريعة الاسلامية فى عام ١٨٨٣ ؟

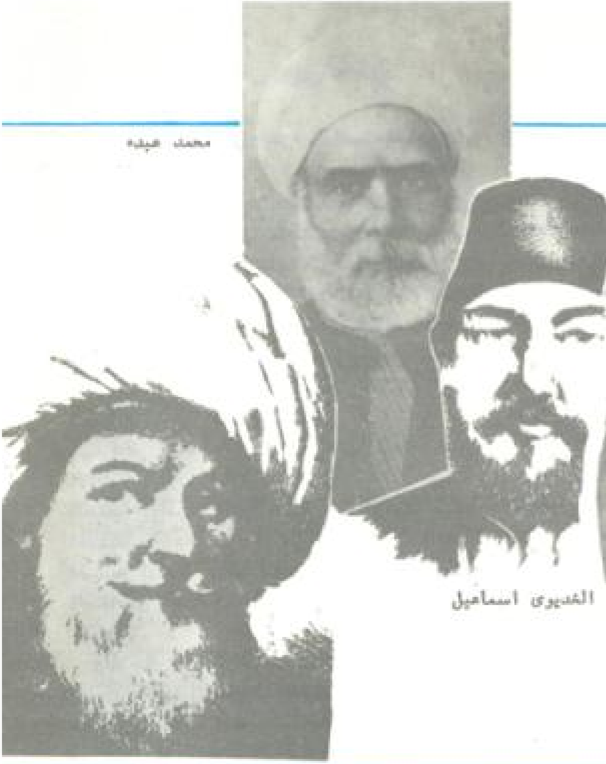
بقلم : طارق البشرى *

■ ترتفع الاصوات مطالبة بان تكون الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع ، او ان تكون هى المصدر الرئيسي له . ويختلف المختلفون فيما اذا كان يتعين اعتبارها مصدرا من مصادر التشريع ، او ان تكون هى المصدر الغالب . على انه لا يبدو ان ثمة خلافا بالنسبة لمسالتين ، اولاهما أن تكون الشريعة « مصدرا » للتشريع وليست التشريع ذاته ، اى ان تكون هى الاصول الكلية الماخوذ عنها والمستقى منها ، مع ترك تفاصيل الاحكام تستنبط لمواجهة الواقع المعيش . وثانيتهما ان ثمة مغايرة بين الشريعة وبين « التشريع » ، بمعنى ان حكما لا يكون ملزما للقضاء الا عندما يصدر به قانون وفقا للاجراءات الدستورية . وعندما يصدر القانون الماخوذ من الشريعة ، انما يستجيب بالضرورة لحاجات البيئة والعصر ، ويتوخى جلب المصالح ودفع المفاسد ، مما يدركه العقل بمقياس النفع والضرر ، وبما ينسجم مع الهيكل التشريعى القائم ، بمراعاة الاصول العامة للشريعة واحكامها القطعية الدلالة من جهة ، وبمراعاة العرف وعادات التعامل الجارى من جهة اخرى .

والشريعة الاسلامية ، هى مجموعة الاحكام الماخوذة عن القرآن الكريم وسنة رسول الله ، وما استقر فى كتب الفقه الاسلامى منذ تاسست المذاهب الفقهية المختلفة ، وما تفرع على احكام القرآن والسنة من اجتهادات الفقهاء والمذاهب . فثمة مذاهب السنة ، الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة . ومذاهب الشيعة الاسماعيلية والامامية وغيرها والمعتزلة . وثمة آراء فى كل مذهب واجتهادات لاعلام افراد . وكل هذا الحشد الضخم من الاحكام تضمه الشريعة الاسلامية فى وعائها الرحب الفسيح ، والخلافات بين المذاهب والفقهاء مصدرها ، اما «اختلاف حجة وبرهان» بمراعاة مناهج التفسير ، واما « اختلاف زمان ومكان » بمراعاة فهم النصوص فى ضوء ظروف البيئة وعادات التعامل . والغاية

* مستشار فى مجلس الدولة المصرى .

محمد عبده



الخديوى اسماعيل

محمد على



السنهورى

لديهم جميعا تحقيق مصالح الناس وكفالة العدل بينهم .

ورغم كثرة ما يعرف من الدراسات المعاصرة عن حركة التجديد في الفكر والنظم ، في مصر والوطن العربى ، منذ القرن التاسع عشر ، فلا نكاد نرى الا القليل منها عن حركة التجديد في الفكر القانونى ، والا اقل القليل عن التجديد في التشريع الاسلامى . رغم الاهمية الكبيرة لهذا الجانب ولجهد المجتهدين فيه . وليس المقصود هنا التجديد في الشريعة، فهى ذات اصول مستمدة من احكام القرآن والسنة التى بلغت تمامها مع ختام الرسالة النبوية . انما المقصود هو التجديد في التشريع المأخوذ عن الشريعة ، اى الشريعة الاسلامية مطبقة من خلال القوانين .

القضاء قديما

لم يعرف النظام الاسلامى قديما ، الفصل بين سلطات الدولة ، او وظائفها الرئيسية المختلفة ، تشريعية وقضائية وتنفيذية . كانت الوظيفة التشريعية مستوعبة في الشريعة الاسلامية. وكان الوالى هو من يفصل في المنازعات بين الناس، اى يتولى الوظيفة القضائية . ثم اناب عنه القاضي . فقام النظام القضائى على فكرة الانابة من الوالى . يعين الخليفة قاضي القضاة الذى يعين بدوره القضاة. وكان القاضي يجتهد في الاحكام بنفسه يأخذ من كتاب الله ثم من سنة رسوله ثم يجتهد رأيه ، حسبما يقول معاذ بن جبل . ثم استقرت المذاهب الفقهية وضعف الاجتهاد وعم

التقليد . فكان القاضي يلتزم في قضائه بواحد من المذاهب المختلفة .

وفي مصر مثلا ، غلب المذهب الشافعي على قضائها ايام الطولونيين والاخشيديين ، ثم التزموا بمذهب الشيعة الاسماعيلية على عهد الفاطميين ، وفي اواخر ذلك العهد شارك هذا المذهب في القضاء مذاهب الشيعة الامامية والسنة الشافعية والمالكية. ثم انحصر القضاء في عهد الايوبيين في مذهبي الشافعية والمالكية . وعلى عهد المماليك جرى العمل بمذاهب السنة الاربعة ، على راس كل منها قاض للقضاة ، ويولي كل منهم نوابا عنه في الاقاليم . ومع الغزو العثماني صارت الهيمنة للحنفية بواسطة قاضي قضاة تركي وحيد يعينه السلطان كل عام ، ويعين هو نوابا له من المذاهب السنية الاربعة . ثم انحصر القضاء على عهد العثمانيين ايضا في الرأي الراجح لمذهب ابي حنيفة .

والملاحظ عامة انه لم تكن تصدر باحكام الشريعة قوانين يطبقها القاضي . انما كان يستقي احكامه مباشرة من كتب الفقه الخاصة بمذهبه . وكان ما يصدر عن الحاكم من قرارات وأوامر ، يقوم عمال الدولة والشرطة بتطبيقها مباشرة . ويبقى ذلك بعيدا عن وظيفة القضاء . وكان تنظيم القضاء « واحديا » في الاساس . تتكون المحكمة من قاض مفرد لا من قضاة متعددين كما يحدث الان عادة (ثلاثة او خمسة مثل) وينظر القاضي جميع انواع المنازعات دون توزيع للاختصاص حسب نوع القضية كما يحدث الان عادة (مدني ، جنائي ، اداري .. الخ) ، وان كان عرف بعض التخصص استثناء كقاضي الجند مثلا ، كما عرف مبدا تخصيص القضاء بالزمان والمكان ، وبالقضية (نوعها) وبالرأي (اي المذهب) . ولم توجد بهذا النظام درجات للتقاضي كما يحدث الان عادة (ابتدائي ، استئناف ..) ، الا في احوال استثنائية كان يخالف القاضي نصا قطعي الدلالة او اجماعا . كما يلاحظ انه لم يعرف عبر عصور تطبيق الشريعة ، التزام بمذهب واحد ، ولا عرف التزام بمذهب وحيد في اية مرحلة خاصة ، الا في القليل من الفترات . ومن ثم لم تعرف الشريعة تلازما لا ينفك مع مذهب وحيد في اي من البلدان ، ولم تكن الظاهرة التي ادركها القرن التاسع عشر من التزام صارم مضيق برأي راجح في مذهب وحيد ، لم تكن ظاهرة لصيقة بحكومة الشرع الاسلامي ذي الوعاء الفسيح المتعدد الجوانب .

قوانين الوالي

وعلى عهد محمد علي في مصر ، ظهر في النظامين التشريعي والقضائي ما ظهر في غيرهما من المؤسسات الفكرية والتنظيمية ، وهي ظاهرة الازدواج . اي بقاء القديم على حاله تقريبا ، وانشاء جديد من مصدر مغاير الى جانبه (حدث ذلك في التعليم ونظم الدولة .. الخ) . لم ينصرف الاهتمام الى تجديد القديم او تحريكه ، انما انصرف الى تشكيل مجال آخر ينبني فيه الجديد الوافد . بقي قاضي القضاة التركي ونوابه ، يلتزمون بالمذهب الحنفي كشريعة عامة . ولكن نمت الى جوار ذلك ظواهر جديدة في مجال شبه منفصل : استحدثت دواوين ومجالس ذات اختصاصات قضائية ، والتزام تلك المجلس بما يصدره الوالي من قوانين لا بالشريعة الاسلامية . وما لبث الناس ان اعتادوا رفع منازعاتهم الى هذه المجالس الجديدة . التي اتسع نطاق نشاطها بالتدريج اطرادا مع زيادة ما يصدره الوالي من قوانين وتشريعات كما درج استقلال مصر القضائي عن تركيا في طريق النمو . فاستخلص الوالي محمد سعيد في الخمسينات سلطة تعيين قضاة الاقاليم، ثم شارك الخديوي اسماعيل في الستينات في تعيين قاضي القضاة نفسه (قاضي مصر) .

منذ القرن التاسع عشر ، ونحن نواجه هجمة اوروبية ضارية . لم ينحصر خطرها في عنفوانها الاقتصادي والعسكري، ولكنه تمثل اخطر ما تمثل، تفوقا في العلوم والفنون واساليب التنظيم الاقتصادي والسياسي والعسكري . وفد الغزو الاجنبي بعلومه ، فلزمت مقاومته مع التعلم منه. لزم رفضه مع الاخذ عنه . ولزم التقدم لمواجهة العدوان ، والتجديد للمحافظة على الاصالة والاستقلال . لم يترك التدفق الكاسح فرصة للاستيعاب الهادىء الرشيد ، فعظم المعضل والاشكال . تمثل الاشكال في هل يمكننا ان نستوعب علومهم دون ان نستوعب نحن فيهم ؟ لقد فعلها المسلمون والعرب قديما وهم منتصرون فهل يمكن ان نفعلها ونحن مهزومون ؟ لزم فيما يلزم تجديد النظم القانونية والقضائية . تنظيما للاجراءات وملاءمة للعلاقات المتغيرة ورفعا لمستوى الوظيفة الاجتماعية .

جرت محاولة لتنظيم المحاكم الشرعية ، بأن

اصدر محمد سعيد لائحة القضاة الاولى فى ١٨٥٦ فنظمت الى حد ما بعض الاجراءات والسجلات ، موما يشبه النصح للقضاة بالتزام الدقة والمساواة بين المتخاصمين « وعدم التفرقة بين الصغير والكبير والغنى والفقير » والتحرز من شهادة الزور .. ولكنها ابقت الالتزام« بالحكم بالاقوال الصحيحة من مذهب الامام الاعظم ابى حنيفة » والالتزام بوسائل الاثبات الشرعية ، وهى الاقرار واليمين وشهادة الشهود . ورغم قلة ما تضمنت من عناصر التجديد ، فقد اوجب الحذر على الوالى ان يوقع معه على اللائحة ٢٢ من كبار شيوخ الازهر . وجاءت المحاولة الثانية فى ١٨٨٠ بلائحة جديدة التزمت ايضا بالراى الراجح لمذهب ابى حنيفة « لا يعدل عنه الى غيره » ولكنها ادخلت نظام تعدد القضاة فى بعض المحاكم، مع توزيع الاختصاص فى نطاق محدود . وتركت للقاضى الاخذ من المذاهب الاربعة فى مسائل القتل العمد وحدها ، وذلك حسب المنشورات التى تصدر بذلك . كما منعت القضاة من سماع الدعاوى التى يكون مضى عليها خمسة عشر عاما . وكان هذا القليل اهم ما اتى به من تجديد .

التشريعات الغربية

فى السنوات اللاحقة لعام ١٨٧٥ ، تلقى تطبيق الشريعة الاسلامية اعنف ضربة وجهت له . انشئت المحاكم المختلطة لنظر قضايا الاجانب . ووضعت لها تقنينات اخذت عن القانون الفرنسى باختصار مخل . وبدأ تفكير الدولة فى انشاء قضاء وطنى على هذا القرار . فشكل محمد قدرى باشا لجنة لوضع هذا النظام فى ١٨٨٠ . وصدرت لائحة المحاكم الاهلية الجديدة فى ١٨٨١ . وجرى وضع التقنينات الرئيسية الستة التى تطبقها هذه المحاكم ، المدنى والمرافعات والتجارى والبحرى والعقوبات وتحقيق الجنايات . والغريب انها وضعت كلها باللغة الفرنسية وعلى غرار مثيلاتها المختلفة ، ثم ترجمت الى العربية . وقد اوقفت الثورة العرابية هذه الحركة، ثم عاودت المسير فى ١٨٨٣ بعد الاحتلال الانجليزى وافتتحت المحاكم الجديدة فى اول يناير ١٨٨٤ بالوجه البحرى ثم فى ١٨٨٩ بالوجه القبلى . وعرف ذلك بحركة الاصلاح القضائى التى سجلت « مرحلة تقدم واسعة .. وقضت على كثير من مساوىء الماضى » . كما يقول الدكتور عبد الرزاق السنهورى .

يشير السيد رشيد رضا الى سبب هذه الانعطافة الحادة ، من الشريعة الاسلامية الى القوانين الاوروبية ، فيقول « قعد اهل الازهر عن اجابة طلب اسماعيل باشا الخديوى ، تاليف كتاب فى الحقوق والعقوبات موافق لحال العصر ، سهل العبارة مرتب المسائل على نحو ترتيب كتب القوانين الاوروبية . وكان رفضهم هذا الطلب هو السبب فى انشاء المحاكم الاهلية واعتماد الحكومة فيها على قوانين فرنسا واحتجوا فى رفضهم بانهم يحافظون بذلك على الشرع ، رغم ان تصنيف الاحكام ليس ضد الشرع بداهة . وكان الخديو اسماعيل قد حاول توسيط رفاعة الطهطاوى فى اقناعهم فاعتذر خشية ان يتهم منهم بالكفر . وهو يصف المحاكم الشرعية بان « اصلاحها اعيا النظام والجالسين على ارائك الاحكام .. وحومت الحكومة حول الاصلاح غير مرة ولكن لم تقع فيه، ورمت اليه عدة سهام فاخطات كلها الغرض » .

انحسرت المحاكم الشرعية الى مجال جد محدود، كالاحوال الشخصية (الزواج والطلاق .. الخ). والاعظم خطرا من هذا الانكماش ان المحاكم الجديدة كانت اكثر كفاية . كان شيوخ الازهر انفسهم يفضلون رفع الدعاوى اليها حتى عندما يكون الاختصاص مشتركا بينها وبين المحاكم الشرعية. ويذكر رشيد رضا «ظهر للناس بالاختبار ان المحاكم التى يحكم فيها بقانون فرنسا اضمن للحقوق واقرب للانصاف .. » وينبغى الحذر من القول بان الاحتلال البريطانى كان هو سبب نشاة النظام الجديد . فقد اعد مشروع النظام الجديد قبل الاحتلال . وهو ماخوذ من النظام القانونى اللاتينى الفرنسى لا النظام الانجليزى الانجلوسكسونى. وكان ما اعترى تطبيق الشريعة الاسلامية فى ذلك الزمان من ضعف وجمود ، بما لم يستطع به هذا التطبيق ان يستجيب لظروف الواقع ولا ان يتصدى للهجمة الوافدة . وتلك هى العبرة التى يتعين علينا ادراكها .

واجه الفقه الاسلامى تلك الضربة ، بانبعاث روح التجديد فيه . لانه فقه ينطوى على مادة عظيمة الخصوبة ، ودقة فى الصياغة الفنية مدهشة ، وقابلية للتجاوب مع ظروف الزمان والمكان . والدارسون له لا يغالون فى انبهارهم بما يكمن فيه من حيوية . ولكن يلاحظ بطء التجديد فيه عن حركة المجتمع كما سيبين . ولعل مرجع ذلك الى كثافة الجمود من عصور الركود

منذ اغلق باب الاجتهاد . ولعل مرجعه ثانيا رد الفعل المحافظ والتلقائي لمقاومة الهجمة العنيفة الوافدة الغازية . وهو رد فعل يفرض على المدافع ان يتشبث بموقعه خشية ان يقتلع منه ، وذلك قبل ان يشرع في الحركة والتقدم . ومرجع الجمود وبطء التجديد ثالثا ، لاسباب سياسية لها امثلة واضحة الدلالة. فمثلا اعد الشيخ محمد عبده تقريرا عن اصلاح المحاكم الشرعية في ١٨٩٦ لم يستفد منه كثيرا في اللائحة التي صدرت في ١٨٩٧ ، اذ ابقت على الالتزام بالمذهب الحنفي وحيدا في التفسير ، ولكنها ادخلت نظام تعدد درجات التقاضي ، واشترطت الدليل الكتابيلنظر بعض الدعاوى (اى ان الدليل الكتابي لا يطلب لاثبات الحق فقط ، ولكنه مطلوب لكي تنظر المحكمة الدعوى ابتداء) . ولم يجد هذا الاصلاح البطء ، وعمت الشكوى فطلب الى الاستاذ الامام في ١٨٩٩ ـ بعد ان تولى منصب الافتاء ـ ان يعد تقريرا شاملا عن الاصلاح . وجاب الامام المحاكم مفتشا منقبا ، وانتهى بتقرير تلحظ فيه الغيرة الشديدة على النظم الشرعية ، وطالب بان تسترد المحاكم الشرعية ولو بعضا مناختصاصها المسلوب، وذلك في اطار خطة لتطوير التشريع الاسلامي ، واعداد تقرير للمعلومات الشرعية تؤخذ احكامه « من جميع المذاهب الاسلامية ليكون خلافهم رحمة للامة .. » . ولكن تقرير الامام ووجه بمعارضة شديدة قادها « قاضي مصر » التركي ، بدعوى ان الالتزام بالمذهب الحنفي مصدره الانتماء للخلافة العثمانية ، فلا يصح حكم القاضي بغير هذا المذهب . ومن هنا تعطل الاصلاح بدافع سياسي في الجوهر .

مدرسة القضاء الشرعي

ان دعوة الشيخ محمد عبده انتجت فيما انتجت خارج الازهر ، مدرسة القضاء الشرعي ، انشاها بعد وفاة الامام بعامين ، تلميذه سعد زغلول وهو ناظر للمعارف في ١٩٠٧ وصارت بحق مدرسة المجتهدين في الفقه والقضاء الشرعيين . كان من اساتذتها امثال الشيوخ زيد الابياري واحمد ابراهيم ومحمد الخضري . ومن خريجيها امثال المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف ، والمرحوم الشيخ على الخفيف . وامدت القضاء وكليات الحقوق بصفوة من الاعلام. وسار هؤلاء على درب الامام تفتيحا لباب الاجتهاد وبحثا للفقه الاسلامي .

وبحثوا وكتبوا وحاضروا وحرروا الفتاوى والاحكام الشرعية ، وتربت على ايديهم اجيال من الازهريين والمدنيين وكشفوا عن الجذور الرواسخ للفقه الاسلامي وبنوا عليه من مادة الشريعة نفسها ومناهجهم يظهر من اقوالهم : ـ

يذكر الشيخ احمد ابراهيم ان الاحكام الشرعية نوعان ، العبادات وهي حق الله سبحانه يلزم الوقوف فيه عند النصوص ، والمعاملات المتعلقة بشئون الدنيا اساسها المصالح المرسلة « واذا خالف المصلحة النص او الاجماع وجب تقديم رعايتها عليهما ، بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما . ومن اجل ذلك خصص الفقهاء النص بالتعامل ، وقرروا بناء الاحكام على العرف » واذا كانت الاحكام الشرعية عامة ابدية وتبنى على العدل واليسر والرحمة فيلزم ان يراعى فيها مصالح الناس في كل زمان ومكان .

ويذكر الشيخ خلاف ان الرسول عليه السلام كثيرا ما « يلغ الاحكام مقرونة بعللها والمصالح التي تقتضيها وفي هذا ايذان بارتباط الاحكام بالمصالح .. » واورد امثلة مما جرى في عهد الرسول والخلفاء مما « بث في نفوس المسلمين ان غاية الشرع انما هي المصلحة ، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله . » .

وجدت هذه الروح سبيلها الى التشريع الاسلامي والنظام القانوني ، من خلال العديد من التعديلات الجزئية التي صدرت على فترات متراخية على مدار خمسين عاما او يزيد وذلك بتعديل لائحة المحاكم الشرعية ، فضلا عن العديد من المنشورات والتعليمات التفسيرية .

ثم جرت ما تسمى بحركة التقنينات الواسعة نسبيا في الاربعينات ، باصدار قانون المواريث في ١٩٤٣ م وقانون الوصية في ١٩٤٦ ، وقانون الوقف في السنة ذاتها . وبعد ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ م الغى الوقف الاهلي (القانون ١٨ لسنة ١٩٥٢ م) وتبعه عدد من القوانين المعدلة لنظام الوقف الخيري اهمها قانون استبدال اراضي تلك الاوقاف بسندات على الحكومة (١٥٢ لسنة ١٩٥٧ م) كما الغيت المحاكم الشرعية جملة ونقل اختصاصها الى المحاكم الوطنية مع بقاء القوانين الشرعية نافذة .

والملاحظ عامة ، ان تجديد التشريع الاسلامي قد جرى في المجال الذي ترك للشريعة الاسلامية منذ ١٨٨٣ ، وهو اساسا مجال الاحوال الشخصية

والوقف والوصية والميراث. ولنا ان نتصور ما كان يمكن ان تفضي اليه حركة التجديد في مجـال المعاملات لو لم تقتطع من ارض الشريعة الاسلامية في ١٨٨٣ واتجه اليها جهد رجال النهضة منذ ذلك الوقت المبكر . كما يلاحظ ان التجديد جرى بتدرج بطيء ينبيء عن حجم المقاومة التى كان يلقاها . ولكنه جرى باطراد ينبيء عن انتصار روح التجديد والتمشي مع العصر من خلال الفقه الاسلامي نفسه .

ثلاثة مسارات

وقد جرى التجديد على مناهج ومسارات كان اهمها ما يلي :

اولا : تجاوز الالتزام بالراى الراجح عنـد الحنفية ، الى الاراء الاخرى في الفقه الحنفي ، ثم الى المذاهب السنية الاخرى ، مالكية ، شافعية ، حنبلية . ثم الى غير مذاهب السنة من بعض اراء ائمة من المعتزلة او الشيعة . وبهذا اتسع تدريجا مجال اختيار الحكم الاكثر ملاءمة لظروف الزمان والمكان حسب المصالح العامة . وتم ذلك على مدى خمسين عاما او اكثر .

ثانيا : تجاوز أدلة الاثبات التي اعتبر بها الفقه الاسلامي لاثبات الحقوق. كانت هذه الادلة تنحصر في الاقرار (اى اعتراف الشخص على نفسه بشيء) واليمين (أي يحلف امام القاضـي أو ينكث) وشهادة الشهود . وقد أوجب هذا التجاوز ما لوحظ من كثرة الدعاوي الكيدية والايمان الكاذبة وشهادات الزور . وبحث المجتهدون عن انواع اخرى من الادلة لتكون بديلة وواجبة في بعض الحالات ، أو شريكة ومساعدة في غيرها . وتدرج الاخذ بهذه الوسائل « الحديثة » كالسـجلات الرسمية والمعاينة والقرائن والخبرة . وبـذل المجتهدون الاسلاميون المحدثون جهدهم في ارجاع هذه الوسائل الحديثة الى المفهومات التقليديـة توسيعا لتلك المفهومات . فالخبرة والمعاينة انواع خاصة من الشـهادة ، بمعنى ما من معاني الشهادة وكذلك القيد في السـجلات ... وهكذا .

ثالثا : اجراء التفرقة بـين مسـالة التحليل والتحريم ، التي تعتبر حقا لله سبحانه ، وبين شروط سماع الدعوى في المحاكم . ذلك ان ولي الامر أو المجتهد لا يستطيع ان يحلل حراما او يحرم حلالا ، فلا يستطيع ان يضيف شروطـا للتحليل أو ينتقص منها ولكن لولي الامر تنظيم ولاية القضاء . ومن هذا الرافد نفذ المجددون ليضيفوا ما تمليه المصلحة من الشروط . فاذا اريد مثلا تحديد سن زواج الفتاة بستة عشر عاما على الاقل ، لم يستطع المجتهد ان يقرر بطلان زواج البالغة او تحريمه لهذا السبب « غير الشرعي » ، فهو يبقى الزواج صحيحا دينا (حلالا) ، ويلجا الى مبدا شرعي آخر هو تنظيم القضاء (تخصيصه بالمكان والزمان والقضية والراي) ، وبه يمنـع الحاكم من نظر اية قضية عن زواج تم لفتاة تقل عن السن المفروضة . ومن ذلك انه اذا حصل نزاع على الزوجية أو احد آثارها (كميراث أو نسب)، فان الزواج رغم كونه حلالا ، تنحسر عنه حمايـة الدولة والمجتمع . وتم ذلك بالتدريج على مدى ثلاثين عاما .

والاستقلال الشرعي

اما تطور التشريع الاسلامي ، فقدر له مسار اخر . واحكام الشريعة الاسلامية لم تكن استبعدت تماما عن هذا الميدان في ١٨٨٣ . اذ تضمن القانون المدني (الفرنسي المأخذ) قلة مـن احكامهـا ، كالشفعة ومرض الموت واحكام الاهلية ... الخ . فجرت في التطبيق مفعمة بالحياة . ومن جهة اخرى عكف المجتهدون المحدثون على دراسة مباديء الفقه الاسلامي مما اثرى الفكر القانوني عامة . ومادة الشريعة من اهم ما يدرس في كليـات الحقـوق المدنية . واهتمامات رجال القانون « المدنيين » وجدت في الشريعة زادا للبحوث والرسائل ، مثل دراسات الدكتور عبـد الرزاق السنهـوري ، والدكتور شفيق شحاته (فقيه جليل في القانون المدني ، قبطي ، لا يخفي على المتخصص مبلـغ استيعابه للفقه الاسلامي) . وعلى ذلك لم تكـن المؤسسات الجديدة بمحاكمها وكلياتها بعيدة عن هذا الفقه ودراسته . بل كانت مجالا ازداد مع الوقت وبالتدريج اهتمامه به وتوجهـه اليـه ، بمنهج عصري يستكشف ظواهره وكوامنه .

واذا كانت دعوة محمد عبده لتجاوز المذهب الحنفي ، تعتبر في أحد جوانبها دعوة للاستقلال التشريعي عن تركيا . فقد قامت في المؤسسات القانونية « الحديثة » (مجال الفكر الوافد) دعوة مماثلة لتجاوز الفقه الفرنسي تحقيقا للاستقلال عنه . وهي ما اسمـاه السنهـوري في ١٩٣٤

«المصري» الفقه المصري والتخلص من « الاحتلال » الفرنسي له . وبنيت هذه الدعوة على اساسين . اولهما ان يستقي التشريع احكامه من سائر التشريعات في العالم دون ان ينحصر في القانون الفرنسي . وان تقتصر الاستفادة من تلك التشريعات على الصياغة الفنية للنصوص ، شريطة ان يحيا النص بعد ذلك حياة قومية خالصة ، فلا يخضع لتفسيرات اجنبية وانما يخضع فقط لتفسيرات المحاكم والفقهاء المحليين من خلال تفاعله مع البيئة القومية . وثانيهما ان يؤخذ من الفقه الاسلامي في نطاق ما تصل اليه النهضة العلمية لدراسة هذا الفقه ، ومع عدم التقيد بمذهب معين فيه ، ومع مراعاة الانسجام مع الهيكل التشريعي العام .

كان هذا هو رائد الجماعة التي اعدت القانون المدني الجديد ، الذي بدأ التفكير في اعداده مع الغاء الامتيازات الاجنبية في ١٩٣٧ . وصدر مع الغاء المحاكم المختلطة في ١٩٤٩ م . واخذ من الفقه الاسلامي نزعته الموضوعية بدلا من النزعة الذاتية للفقه الفرنسي ، كما استمد من الفقه الاسلامي فكرة ان الحقوق غير مطلقة ، انما تقيد في حدود المصالح العامة المشروعة وبما لا يسبب ضررا للغير ، وكذلك اخذ فكرة الضرورة والعذر في تعديل الالتزامات وذلك تقييدا لسلطان الارادة الفردية بقيود المصالح ، وغير ذلك من الاحكام التي أتت نتيجة الدراسة العلمية المتأنية . كما جيء في هذا التقنين باحكام اخرى لم تؤخذ من الشريعة وان اتت متفقة مع احكامها . لانها استمدت في الاساس مما استقرت عليه احكام المحاكم الوطنية ومعاملات الناس ، فكانت بمثابة العرف بالمعنى الذي قصده فقهاء الاسلام المجتهدون .

ولا يدعي احد ان هذا القانون او غيره قد اوفى على الغاية في هذا الشأن ، او انه حقق الرجاء في استقلال الفكر القانوني ، ولكن القصد من البيان السابق كله ، الكشف عن مسارات التطور في الفكر القانوني ، وهما مساران رئيسيان ، تفتيح ابواب الاجتهاد في التشريع الاسلامي ليتفاعل مع واقع الحياة المعيشة واعراف الناس وعاداتهم ، شريطة ان يأتي التجديد بمادة شرعية خالصة وبستمد من اصولها الكلية ، والاخذ من هذا الفقه في نطاق ما تصل اليه النهضة العلمية بالدراسة الجادة للشريعة وللواقع . وان هذين المسارين يقتربان يوما بعد يوم والحركة لا تزال دؤوبا .

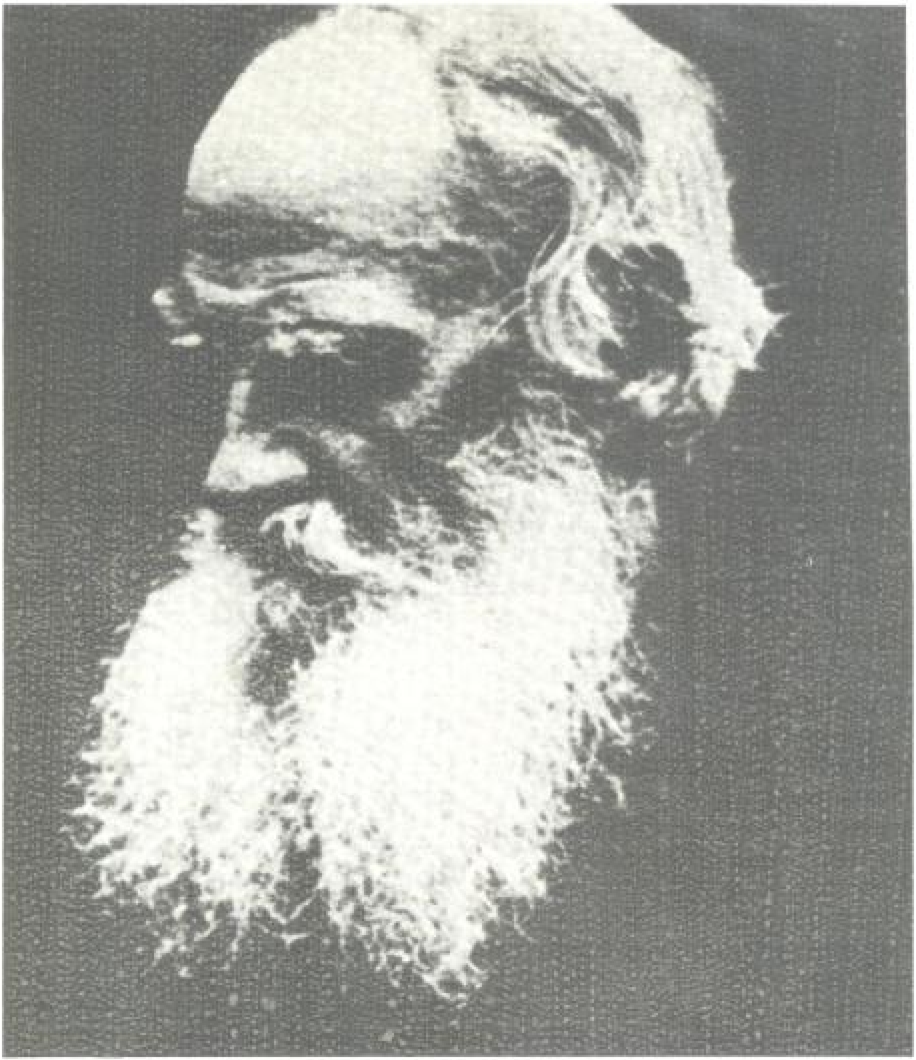
الاصالة المتجددة

واذا كنا قد واجهنا في القرن الماضي ، اشكال الاخذ عن الغرب دون ان نستوعب فيه ، فان السياق التاريخي ليظهر اننا قادرون على حل الاشكال لصالحنا ، حتى رغم هزيمتنا المؤقتة امام الغرب في القرن الماضي . ان مجتمعنا عانى من الازدواجية في الافكار والقيم والمؤسسات ، وكان هذا يهدده بالتآكل . ولكن الطرفين يسعيان تاريخيا للتقارب وللتوحد . والفكر التقليدي يتجدد ، « والحديث » يتاصل . والحركة بطيئة، ولكن يشفع لبطئها انها بدت في لحظة تاريخية ما ، شبه مستحيلة ، او باقل التقديرات شديدة الصعوبة .

المهم ان يثق كل طرف في الاخر ، وان يدرك انه مرتبط به بمصير واحد . والا يتعجل النتائج وصولا الى حلول سريعة جياشة بالحماس ، وقد لا تكون قادرة على تمثل الواقع او تمثل التراث . والمهم ادراك اننا لسنا في بداية الطريق ولا في نهايته . نحن في منتصف طريق بالنسبة لكل من مشاكل حياتنا . فلا نستطيع العودة الى الوراء ولا القفز قدما في الهواء . وانما السعي الدؤوب هو قدرنا . ولن يستطيع طرف ان ينفي صاحبه ابتسارا . وانما الهدف هو ذوبان الطرفين في واحدية متجددة اصيلة . والمهم ادراك ان المسالة مسالة حضارية في الاساس ، تظلم ماضينا ومستقبلنا لو تركناها تمتص في عراك سياسي وقتي . تظلم ماضينا اذا تصورنا ان الاصالة مستوعبة في التخلف . ونظلم مستقبلنا اذا تصورنا ان الحداثة مستوعبة في الالحاد . وهذه المسالة بالذات ليست صراعا بين الكفر والايمان ولا بين الرجعية والتقدم ولكنها حوار بين الاصالة والتجدد ، وصولا لتجديد يحمي الاصالة ويقوم عليها وليس لواحد فينا عصمة ، فلا زلنا على الطريق نجدد ونكشف اصالتنا . اي نكشف الماضي والمستقبل معا .

ورحم الله الشيخ عبد الوهاب خلاف ، اذ يقول « وكثيرا ما كان اجتهاد احدهم يخالف اجتهاد صاحبه ، بل قد يخالف ما يفهم من ظاهر النص . واتهم مجتهد منهم انه على غير حق او تنكب طريقه ، ما دامت الغاية المصلحة وعدل الله والوسيلة اجتهاد الرأي وانعام النظر » . ■■

طارق البشري



تولستوي

عملاق روسيا ..
أين رسالته ؟

بقلم : منير نصيف

« كيف يمكن لمن كان مثلي ، يحمل هذا الانف العريض وهاتين الشفتين الغليظتين، ثم تلك العينين الصغيرتين الرماديتين ، ان يجد السعادة على الارض ؟ »

وقرر الرجل الذي يحمل تقاطيع هذا الوجه، كما وصفها هو ان يصنع شيئا بوجهه .. ان يخفيه عن الناس ، او على الاقل يحوّل انظارهم عنه .. ولكن كيف ؟

وقف يتطلع الى وجهه في المرآة .. وفجأة خيل اليه انه قد وجدها ! لقد بدأ الشعر ينبت في ذقنه قويا ، لماذا لا يطلق لحيته ؟ وفعل ، وراحت الشعيرات تنمو وتنمو حتى اصبحت تغطي كل هذا الوجه ، او الجزء الاكبر منه ! وتصور الرجل صاحب اللحية ، انه استطاع ان يخفي وجهه وراء هذا « القناع » !

ولكنه لم ينجح !

لقد كان مظهره مخيبا للآمال ! مخيبا لأمله هو في نفسه ، ومخيبا لامل الذين قرأوا له ونفذت كلماته الى قلوبهم وامتلأت بها رؤوسهم ، فاعجبوا بصاحب هذه الافكار الجديدة من البعد، في طول البلاد وعرضها ، وخارج حدود الارض التي نبت فيها .. فقد كانوا يحجون الى البيت الذي يعيش فيه مع اسرته الصغيرة قاطعين مسافات شاسعة للقاء الرجل الذي « اكتشف » اروع ما في الحياة فراح يدعو الناس الى الاستمتاع بما قدمه لهم .. كانوا يجيئون اليه وفي مخيلتهم صورة اخرى لا تمت اليه بصلة ، ومن هنا كانت المفاجأة تصدمهم دائما .. ولكنها صدمة قصيرة لا تلبث ان تزول عندما يجلس الرجل صاحب اللحية بينهم ويتحدث اليهم .

« البحث » هوايته

كانوا يجلسون بدورهم من حوله ، يحدقون في وجهه بشعور هو مزيج من الدهشة وخيبة الامل .. وكان هو يعرف تماما ما يدور في رؤوسهم في اللحظات الاولى من اللقاء .. فكان يدور بعينيه الصغيرتين الرماديتين ، ويتنقل بهما من وجه الى وجه ، وكأنه يبحث عن شيء بين هذه الوجوه التي جاء اصحابها يسعون اليه من اقصى الارض .. فقد كان « البحث » هوايته وعمله الذي افنى عمره فيه .. البحث عن المعنى الحقيقي للحياة !

قالوا يصفون هاتين العينين : « كانتا اشبه بشعاع قوي ينطلق من خلال غابة مليئة بالاشجار تشابكت اغصانها فوق حاجبيه .. ثم تنتهي رحلة البحث عند احد هذه الوجوه وتتركز عليه .. لقد استراحت هناك .. وتظهر هذه الراحة على عينيه ، فلا تلبثان ان تلينا وتمتلئا بالدفء، ويبتسم الوجه» كله في رفق .. فعن طريق هاتين العينين وحدهما كان الرجل ينقل الى الناس كل احاسيسه ومشاعره .. قليلون هم الرجال الذين كانت لهم مثل هاتين العينين المعبرتين النافذتين !

رنين الجرس !

صاحب هذين العينين هو كاتب روسيا العظيم ليو تولستوى ، الذي يعد واحدا من اعظم عباقرة الادب في العالم . وهو صاحب « حرب وسلام » و « انا كارنينا » ، اروع ما كتب خلال حياته الادبية الطويلة التي دامت لاكثر من اثنين وثمانين عاما هي سني حياته على الارض .. فقد ولد « ليو » اديبا ، وعاش ومات انسانا يبشر بالخير والحب !

قال صديقه وزميله « مكسيم جوركى » ، احد عمالقة الادب الروسي ممن عرفوه وعاشوا قريبين منه : « كان صوته الهادىء ، اشبه برنين جرس يبدأ خافتا ، ثم لا يلبث ان يطغى على كل ما حوله من اصوات .. اما المعاني التي كانت تحملها هذه الدقات ، فقد كانت اروع واجمل ما يمكن ان يجده انسان في بطون الكتب القديمة والحديثة اما كتاباته ، فقد كانت صراعا مستمرا مع النفس ، ومع الحياة » .

في العام الذي مضى ، احتفل العالم كله من

اقصاه الى اقصاه بذكرى مرور مائة وخمسين عاما على مولد الرجل الذى صور لنا هذا الصراع فى كل ما قدم من مؤلفات وقصص ، عاشت بعد ان ذهب هو ، لتروى تفاصيل هذا الصراع الذى كان يعتمل فى داخله ، صراعه مع نفسه وصراعه مع الحياة ، وهو يبحث ويبحث عن المعنى الحقيقى للحياة ..

سنوات الضياع

فقد عاش « ليو » شبابا ضائعا ، ولكنه لم يكن ابدا راضيا عن هذا الضياع ، وما اكثر اللحظات التي كان يخلو فيها الى نفسه ، ويحاسبها على ما اقترفت من ذنوب ويعدها بالحياة المثالية التي كان يتطلع اليها فى سنى شبابه وهو طالب فى الجامعة !

حتى اذا ما بلغ منتصف العمر او كاد وبعد سنوات طويلة من البحث فى « طفولته » ثم الحرب فى جيش القيصر الذى تطوع للعمل فيه لمقاتلة قبائل التتار فى القوقاز ، ثم العودة مرة اخرى الى « اهل القوقاز » ووصفه « لحصار سباستوبول » مسجلا هذا كله فى كتبه ومؤلفاته .. وبعد سنوات طويلة من الوقوف والتأمل والانطلاق ولكن فى اتجاه معاكس تماما للحياة السهلة المرفهة التي كانت تنتظره .. خيل اليه انه قد وجد الاجابة على السؤال الذى طالما استوقفه وحيره .. لقد جلس اخيرا الى مكتبه يسجل بريشته معنى الحياة .. قال : « ان مملكة الله في داخلنا .. وما الله ؟ الله محبة » وعلى مدى الثلاثين عاما التي اعقبت هذا الاكتشاف ، حمل « ليو تولستوى » رسالته وراح يبشر بها فى كل كلمة فى كل سطر خطه بقلمه .. وكانت حياته اروع واعظم رسالة لهذا الحب الذى امتلأ به صدره فراح يوزعه على الناس الذين عرفهم والذين لم يعرفهم ..

« الفلاح » .. ابن النبلاء

ولد ليو تولستوى ، او الكونت ليو فى اسرة واسعة الثراء من نبلاء روسيا ، فى اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس عام ١٨٢٨ ، فقد كان احد اجداده هو الكونت بيتر الوزير الاول فى بلاط قيصر روسيا بطرس الاكبر ، وكان جده لامه هو الامير نيكولاى فولكونسكى ، القائد العام لجيوش الامبراطورة كاترين العظمى !

وفى قرية « ياسنايا بوليانا » باقليم تولا ، كانت الضيعة الشاسعة الواسعة التي تملكها هذه الاسرة الثرية ، تنتظر احد الابناء ، وكانوا كثيرين، لكي يدير شئونها ويصبح سيدا لمئات الفلاحين البسطاء الذين كانوا يعرقون ويكدحون من اجل اسعاد اسيادهم !

ولكن الصبي الصغير ، لم يعجبه مذاق الطعام الذي كان يقدم اليه في تلك الاطباق الفضية « كان ينظر الى الحياة نظرة مختلفة تماما عن تلك التي كان يراها فى عيون الذين يعيش فى وسطهم من افراد اسرته واقاربه ممن اصبحوا مسئولين عن تربيته وتنشئته هو واخوته بعد ان ماتت امهم قبل ان يبلغ « ليو » السادسة ، ومات الاب ، وهو فى التاسعة ، وكانت « العمة تاتيانا » اول من احس بتمرد هذا الصبي الصغير علىهذه التقاليد، وعلى الوصية التي اصبحت هي بمقتضاها صاحبة اليد الطولى فى هذه التركة الواسعة وفى حياة الورثة الشرعيين لها .. لا منافسا .. ولكن زاهدا فى كل ما يمت الى هذا الثراء بصلة ..

وكانت اول صدمة لها عندما جاءها يوما يصيح فى وجهها : « لا تحاولي ان تمنعيني من اللعب مع ابناء الفلاحين .. فانا فلاح مثلهم .. ان وجهي لا يقول غير ذلك فهو وجه فلاح عادي !! » .

فى ميدان القتال

وكان اول قرار اتخذه الشاب « ليو تولستوى» عندما ارسلوا اليه يطلبون منه العودة الى مزارع الاسرة للاشراف على ادارتها بعد وفاة العمة « تاتيانا » ، وكان وقتها طالبا فى الجامعة .. فى الثانية والعشرين وخيروه بين ان يقبل العودة او يعين شقيقه نيكولاى الذي يصغره للقيام بهذه المهمة ، فى هذا اليوم ، قرر « ليو » ان يترك الجامعة بعد انتهاء دراسته ، ولكن لا ليعود الى المزارع التي ورثها عن والده ، ولكن لكي ينضم الى شقيقه نيكولاى الذي كان ضابطا فى جيش القيصر فى ذلك الوقت ، وذهب الاثنان لمقاتلة التتار ، تاركين المزرعة ، متناسين كل شيء عنها .

ولكن تولستوى لم يكن سعيدا ابدا بعمله فى الجيش .. فهو لم يخلق ليكون محاربا .. فالقى بسلاحه جانبا ، وترك القتال بعد ان خاض اقسى تجربة فى حياته وخرج من بدلته العسكرية ليقول :

ما جدوى الحرب . ان الرعب الذي يعيشه الرجل في ميدان القتال يدمر كرامة الانسان ! »

وفي سانت بيترسبرج عاد يعيش حياة هادئة مع ريشته ، ومع ترحيب عمالقة الادب الذين لم يترددوا في اعطاء هذا الاديب الصاعد حقه ، وفي كلمات بيرجنيف اديب روسيا العظيم نجد هذا المعنى حين قال : « اخشى ما اخشاه ان يضعنا هذا الكاتب الشاب في الظل ، وربما كان من الافضل لنا جميعا ان نكف عن الكتابة ! »

مع الموسيقار الشريد

وانقضت فترة من الزمن ، وهو قابع مع فكره وتاملاته وريشته . قبل ان يقرر ولاول مرة ان يعبر الحدود الى الخارج .. وسافر الى اوربا ، وراح يجول بين مدنها .. وفي مدينة لوسرن وقع حادث صغير ، ولكنه كان كافيا لان يحدد بوضوح الطريق الذي كان يسير فيه هذا الكاتب الكبير منذ ان ترك كل شيء وراءه في ضيعة اسرته الواسعة !

كان « ليو » ينزل في احد فنادق المدينة ، عندما وصل اليها فجأة عازف موسيقي فقير يكسب رزقه من التجول والعزف على كمانه لنزلاء الفنادق وضيوف المطاعم . وطلب الموسيقار المسكين من مدير الفندق ان ياذن له بممارسة هوايته وسط النزلاء الاثرياء .. ولكنه فوجيء بهم يسخرون منه ويقذفون به خارج الفندق ! ورأى «ليو» ما حدث للرجل ، فقفز من مقعده على مائدة العشاء وهرول وراءه مسرعا ، وانقضت بضع دقائق قبل ان يفاجأ النزلاء به يعود اليهم وهو يتابط ذراع الرجل الذي دعاه الكاتب الكبير للعشاء ، على مائدته ، ولم يتركه يذهب قبل ان يجزل له العطاء بعد ان تركه يعزف موسيقاه ، على كمانه رغم انف الارستقراطية !

مدرسة القرية

وعاد تولستوى اخيرا الى قريته الصغيرة ياسنايا بوليانا ، وكان ذلك في اوائل عام ١٨٥٨ ، ولكنه لم يعد ليرث شيئا مما تركت له اسرته ، وانما لكي يبدأ في اعداد دراسة عن حياة الفلاحين الذين احبهم ، ولا باس بعد هذا من ان يشرف على ادارة هذه الاملاك الواسعة ، ولو ان هذا العمل الاخير لم يكن ، كما قال هو فيما بعد اكثر



ساشا .. مالت الرسالة التي حملها ابي !

من مجرد رؤية قريبة لاسلوب العيش في الريف .

ومن اجل الفلاحين والريف ، كانت رحلة تولستوى الثانية للخارج ، فقد اراد ان يقدم لابناء القرية شيئا جديدا .. ونجح فقد عاد اليهم حاملا لهم « ثورة في التعليم » .. انشا مدرسة لابنائهم ، وكانت اول مدرسة من نوعها في روسيا كلها .. فلم يكن في مدرسة تولستوى الجديدة دروس يتحتم على كل تلميذ ان يحفظها .. لم تكن هناك اوامر ، ولاعقوبات ولا مكافآت .. كان الاطفال يجيئون الى المدرسة في اى وقت يشاءون، ويجلسون كما يحبون ، وينصتون او لا ينصتون !

ولكن التجربة لم تدم طويلا .. فقد اعتلت صحة تولستوى وترك المدرسة .. وسافر من جديد بحثا عن العلاج .. ولم يكن يدري ان بيته سوف يصبح نهبا لرجال الامن في غيبته .. كانوا يبحثون عن « منشورات ثورية » في بيت الكاتب الفلاح .. ولكنهم لم يجدوا شيئا !

لقد تحدث تولستوى عن «العدالة الاجتماعية» ..

وكان يهاجم دائما الظلم الواقع على الفلاحين ويصف معاناتهم والامهم ، وكانت افكاره المتحررة تصطدم بالسلطة تحت حكم القياصرة .. ولكنه الآن قد اصبح مشهورا جدا .. ثم هو بعد ذلك ينتمي تاريخيا فقط لاسرة ارستقراطية كبيرة .. وكان هذان العاملان يوفران له بعض الحماية من العقاب الذي كان من الممكن ان ينزلوه به !

ووجد تولستوى في حياته الجديدة في القرية ملهمته ، فراح يكرس كل وقته وطاقته للكتابة .. ومع افكاره التي كان يسجلها في قصصه ومؤلفاته، عاش الرجل اهدا واسعد فترة في حياته بين عامي ١٨٦٢ و ١٨٧٦ .. فقد تزوج الكاتب الكبير بالفتاة التي اختارها هو ، وكان اسمها صوفيا برز ، ابنة صديق قديم للاسرة .. وكان مثل هذا

الزواج الذى يتم عن حب ، لاعن « ترتيب مسبق » بين اسرتي العروسين ، يعد حدثا في هذه الحقبة من الزمن !

وفي سنوات ما بعد الزواج الذي بدأ سعيدا ، كتب تولستوى ملحمتيه « الحرب والسلام » التي تدور احداثها حول محاولة نابليون غزو روسيا في عام ١٨١٢ ، ومن خلالها صراع مسلح في حياة اسرتين روسيتين ، ثم « انا كارنينا » التي اقتحم فيها الكاتب حياة زوجة خائنة طموحة !

تولستوي وشكسبير

غير ان حياته الخاصة بدات تضطرب ، وهو يسجل آخر فصول « انا كارنينا » فقد مرضت زوجته ومات اثنان من اطفاله ، وماتت معهما « ثورته التعليمية » في مهدها ، وبالرغم من الالم الذي احتواه فقد استطاع ان يفرغ من تحفته الرائعة الثانية ، التي كان يكتب احيانا بعض فصولها الاخيرة وهو يبكي ، لقد قال النقاد في وصفها : « في هذه الرواية كشف تولستوى عن ادراكه العميق لطبيعة الرجل والمرأة .. وهو ادراك لم يتوصل اليه من قبل كاتب آخر سوى وليام شكسبير ! »

ولكن حياة تولستوى ما لبثت ان تغيرت بعد فترة قصيرة من الانتهاء من كتابة « انا كارنينا ».. فقد بدأ يعيش حياة مليئة بالخوف والحيرة .. وبدأت تراوده فكرة مجنونة لم يسبق ان عرفت طريقها الى راسه يوما .. لماذا لا يضع بيده نهاية لحياته .. لماذا لا ينتحر ويريح نفسه المتعبة ويستريح ! ولكنه ما لبث ان سخر من نفسه عندما وجد الراحة التي ينشدها لا في الموت .. وانما في الحياة التي تصور في لحظة ضعف انها ضاقت به وضاق بها .. !

وعاد يكتب ويكتب .. ويجدد ايمانه بالله ، وبالناس الذين عاش معهم وبينهم .. الفلاحين .. فكتب يصف حياتهم في كتابه « قوة الظلام »
The Power of Darkness

ثم « سوناتا كرويتزر » The Kreutzer Sonata الذي تحدث فيه عن النساء اللواتي اقيمت تسعة اعشار المصانع والمحال التجارية من اجل اسعادهن .. ثم « البعث » Resurrection وقد وصف فيه « الاخوة » بين الناس وقد كرس تولستوى كتبه كلها لنشر افكاره .

اعظم احلامه

وعندما اقتربت رحلة حياته الطويلة الحافلة من نهايتها ، كان تولستوى قد حقق اعظم احلامه ، فقد تنازل عن الارض وعن البيت وعن كل ما يملك لاصدقائه الفلاحين ، ثم ذهب اليهم واختفى بينهم .. ولكن حلمه الكبير الذي تحقق قبل شهور قليلة من رحيله وضع في الوقت نفسه خاتمة لقصة الحب الكبير بينه وبين زوجته صوفيا .. وفي احد الايام ، كان تولستوى بين ركاب القطار الذى غادر قرية ياسيانا بوليانا .. واصابه المرض في رحلته التي لم يكن احد يعلم اين ستنتهي به ، حتى هو نفسه .. وقبل مضي اسبوع واحد كان كاتب روسيا قد مات ! وعاشت مؤلفاته واعماله .. وسوف تعيش طويلا .. وبقيت افكاره حية لانها لم تعد مجرد افكار ، وانما هي مثل عليا في حياتنا الحاضرة ..

الابنة تحمل الرسالة

ان الرسالة التي بشر بها تولستوى ما زالت تعيش ايضا في غير كتبه .. ترفعها اصابع يد سيدة عجوز جاوزت الرابعة والتسعين من عمرها.. انها الكسندرا تولستوى ابنة الكاتب الروسي العملاق ، التي تعيش في نيويورك وترأس «مؤسسة تولستوى » .. المؤسسة التي توفر المساعدة لكل مهاجر روسي .. ان الكسندرا ما زالت تعيش في عالم تولستوى المثالي الذي كان يحلم به قالت وهي راقدة على فراش مرضها تشكو آلام الشيخوخة والقلب : « ما اعظم خيبة الامل التي كان سيصاب بها ابي لو انه عاش عالم اليوم . فلم يعد الناس يعيشون من اجل بعضهم البعض ، لم يعد الانسان يعرف الخير ! لقد غابت الحقيقة وامتلأت الدنيا بالكذب والنفاق ! » .

« انني سيدة عجوز مريضة متعبة .. وقد ترك لي ابي رسالة .. قال وهو على فراش الموت : « ساشا ــ وهو الاسم الذى كان يحب ان يناديها به دائما ــ « ساشا » ابحثي دائما عن الحقيقة يا ابنتي وانشريها على الناس » !

وبدا ابي وكأنه يريد ان يقول شيئا آخر .. ولكنه اغمض عينيه وذهب « ترى هل يجد عالم اليوم الحقيقة التي اوصى تولستوى ابنته بالبحث عنها ؟

منير نصيف



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

انخفاض ضغط الدم

● قال لى الطبيب انى أعانى من انخفاض فى ضغط الدم .. فما أسبابه وما علاجه ؟

ـ قبل الاجابة على هذا السؤال يجب أن تعلم أيها القارىء العزيز بان الدم هو الذى يغذى جميع انسجة الجسم الجسم بالاكسجين ولولا الاكسجين لما امكن ان تستمر الحياة . والدم يضخ بواسطة مضخة عظيمة وهى القلب الذى يضخ ما ٤ ـ ٦٪ لترات الدم فى الدقيقة الواحدة واذا اعتبرنا انه ينقبض بمعدل ٦٠ ـ ٨٠ انقباضة فى الدقيقة علمنا أنه يدفع ما يقرب من ٧٠ ـ ٨٠ مليمتر من الدم فى كل انقباضة وهذا ما يسمى بناتج الدم من القلب
Cardiac output
والدم يضخ فى الاوعية الدموية الكبيرة ضد مقاومة محيطية
Peripheral Resistance
وبذا يتكون الضغط الشريانى .

وناتج الدم من القلب يتاثر بعوامل كثيرة منها كمية الدم العائدة الى القلب والتفاعل النفسى والمجهود العضلى .

ولكن الضغط الشريانى يبقى ثابتا بحكم التوازن الذى يتم بالمقاومة المحيطية فتشتد وتقل تبعا لتلك العوامل .

وفى حالة انقباض القلب يندفع الدم الى الابهر والشريان الرئوى معطيا الضغط الانقباضى وعندما يصل الى اقوى اندفاعه تقفل الصمامات الهلالية التى بالقلب لكى تمنع الدم من العودة اليه ويحصل الارتخاء وبذا يكون الضغط الارتخائى فى الشرايين .. ولذا عند قياس ضغط الدم يذكر الضغط الانقباضى
Systolic - Pressure
والضغط الارتخائى
Diastolic - Pressure.

ولقد وجد بان ضغط الدم الطبيعى يتراوح خلال مدى واسع من القياسات ـ فالانقباضى يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ مم زئبقى والارتخائى ما بين ٦٠ / ٩٠ مم زئبقى ولاضطراب التوازن بين ناتج الدم المندفع من القلب وبين المقاومة المحيطية يختلف ضغط الدم اما ارتفاعا واما انخفاضا تبعا لذلك الاضطراب .

وأسباب انخفاض ضغط الدم كثيرة وعادة ما تعتبر بان هناك انخفاضا اذا ما وصلت القراءة دون ٩٥مم زئبقى فى الارتخائى .

ولكن هناك بعض الناس وهم قلة نجد ضغط دمهم مقاربا لهذه القراءة ومع ذلك فهم أصحاء لا يشكون من شىء وليس بهم مرض .

وانخفاض ضغط الدم ينتج من :

اولا : نقص ناتج الدم من القلب كما يحدث فى حالات هبوط القلب وانسداد الشريان التاجى .

ثانيا : هبوط وضعف المقاومة المحيطية كما يحدث فى حالات الصدمة أو فى حالات تأثير العصب الحائر على الاوعية الدموية Vasovagal Attach.

ثالثا : نقص فى كمية الدم

والسوائل كما يحدث بعد النزيف الشديد والحروق المنتشرة وحالات التسمم والقيء والاسهال والارهاق الحرارى •

رابعا : انواع واسباب مختلفة كما فى بعض حالات سكرى الدم ومرض أديسون Addison's Disease واشتداد الحساسية في تجويف الشريان السباتي Caroted Sinus hypersensetivity او الاصابات التى تحدث بالرأس •

ومن أعراض هبوط الضغط برودة الجلد ورطوبته والسرعة أو البطء من النبض ـ حسب السبب ـ وزغللة العينين والغثيان وعدم القدرة على التركيز وفقدان الوعى فى الحالات الشديدة •

اما العلاج فيعتمد على السبب كأن يعطى المصاب سوائل فى الوريد أو ينقل له دم بدل ما فقده أو اعطاء بعض العقاقير القابضة للاوعية الدموية •

الماء وضرورته للجسم

● الماء ضرورى للحياة فماهي وظائف الماء فى الجسم وما الكمية التى يحتاجها الانسان يوميا ؟

ـ أول عنصر ضرورى للحياة هو الاكسيجين ويليه الماء ، ففى كل خلية من خلايا النبات او الحيوان تجد مقدارا من الماء واذا جف الماء فقدت الخلية حياتها • والماء هو الوسيط الوحيد الذى تحدث فيه وتنتقل به جميع القوى الحية فى الجسم ويحتوى جسم الجنين الذى عمره ٣ شهور على ٩٣٪ من الماء والمولود حديثا يحتوى على ٨٠٪ من الماء والشخص البالغ على ٧٢٪ من الماء •

ووظائف الماء فى الجسم كثيرة منها :

١ ـ المساعدة فى عمليات المضغ والبلع •

٢ ـ المساعدة فى عمليات الهضم والامتصاص اذ يقوم بنقل وتوزيع الغذاء المهضوم من طريق الدم الى أجزاء الجسم المختلفة •

٣ ـ التخلص من الاملاح المعدنية الزائدة عن طريق العرق والبول •

٤ ـ التخلص من بقايا الجهاز الهضمى عن طريق البراز •

٥ ـ ترطيب المفاصل والاغشية المخاطية حتى تتمكن من أداء وظائفها •

٦ ـ تلطيف الماء لدرجة حرارة الجسم نتيجة تبخره من سطح الجلد والرئتين •

٧ ـ الماء أساس لجميع الافرازات والعصارات والتفاعلات التي تحدث بالجسم•

٨ ـ يرتبط الماء بظاهرة الابصار وكذلك توصيل الصوت فى الاذن •

٩ ـ يوجد الماء مرتبطا مع البروتينات والكربوهيدرات ويستفيد الجسم من الماء الذى يتحلل من هذه المواد •

ويحصل الجسم على ما يحتاجه من الماء عن طريق الشراب وما يدخل فى تركيب المواد الغذائية التى نتناولها وكذلك ما يتكون داخل الجسم نتيجة التفاعلات الكيميائية المختلفة • وتختلف حاجة الجسم الى الماء تبعا لاختلاف حرارة الجو وما يؤديه الانسان من نشاط ومجهود وجملة ما يحتاجه الشخص البالغ تتراوح بين ١½ و ٢½ لتر من الماء يوميا وتقدر كمية الماء الذى يحصل عليه الجسم من الموارد المختلفة بالتقريب كما يلى :

١ ـ ١½ لتر من الماء والسوائل الاخرى •

٢ ـ حوالى ٨٠٠ سم٣ من الماء الموجود فى الماكولات •

٣ ـ ٣٠٠سم٣ تقريبا تتكون فى الجسم نتيجة عمليات التأكسد •

لذلك تجد أن الماء من أهم ضروريات الحياة ومكون هام للانسجة • ■■

دكتور
ابراهيم محمد القشلان

بشرنا ثم تصوفنا

شعر : فاروق شوشه

تنداحُ خيوطُ الليلِ ، فتشرقُ طلعتُكَ ، الوسنى
ياربّي ! حقاً ما أبصرُ ؟
قد عشيتْ عيناي ولكنْ هأنذا أتحسّسُ دربي
أخطو ،
هذى عيناكَ تدلاّني ، وتشدّاني
عيناكَ النجمُ الثاقبُ ظُلْمَةَ أحزاني
فأعاينُ بَعْدَ زمان القهرِ شعاعاتِ الفجر الأسنى
عجباً ، عجبا !
هذا صوتٌ بالإنعامِ وبالبشرى يترضاني
تنثال دموعُ الوجدِ ويغرقني فيْضُ التحنانِ ، وأدنو منْكَ
أطالع في عينيْكَ شجونا تتصباني . .
غابت عمرا ، واليوم تعودُ فتلقاني
عجبا ، عجبا !
هذا لحنٌ بضروب الفرحة يسرى في إيقاع زماني
أجتاز سياج الوهم ، أشير عليْكَ فتدنو ، تلتصق الرؤيا ،
نصعدُ فوق تخوم العالمِ ، نسبحُ في الفيض النوراني
عجباً ، عجبا !
من أطلق شُعلتْكَ الكبرى ، لتشعَّ عليَّ وترعاني
في هذى اللحظةِ من دنياي ، ومن ، أمي ، من قلبِ
مراراتي ودخاني !



وأتيتَ لتفسدَ ما أمّلتُ
سكونَ الخيبةِ ،
صمتَ العزلةِ ،
راحةَ مهزومٍ قد أغفى وطوته ظلالُ النسيان !

* * *

لو نسألُ الزمانَ ، ما الذي يقوله الزمان ؟
ونحن أدرى بالذى تصوغه في كلِّ يومٍ مرةً ومرتين
نحلمُ أن يجاوز التخوم في غد ، وأن يشارف الذرى
وأن يصيرَ واحةً وكوثرا
ننفخ فيه من رغائب السنينَ ، من حصاد عمرنا المهينِ ،
من تطلعاتنا
من زَهْونا المشبوب وانكسارنا
من جُوعنا للمسة الأمانِ ، وانتظارنا
للحظةٍ مخطوفةٍ تضمّنا معا

ولم نزلْ أدْري ، برغْم خشْعةِ العيون في الثـرى
بما أصابَ طفلْنا الوليدَ بغْتةً ، فأوجعـا
وعلّقَ الأحزانَ في الجـدران !

★ ★ ★

هل تكفى في العُمرِ بقيّـة ؟
لنخوض معا في الوحـلِ المنْشبِ فينا أظفاره
الوحلِ الأسودِ والمرصودِ ووحْلِ الأنفس والنيّة ؟
نقتلع معا أوهام الناس وضعْفَ الناس وجوع الناس
نخطو من فوق جسور الرّغبِ ،
نعيدُ إلى النهرِ المتكدّرِ فينا تيّـاره
وصفاء ملامحـهِ الأولى
هل تكـفى في العمر بقيـة ؟
لنقولَ وداعا للأحزانِ ، وللساعات المنهارة
ونعيدَ إلى الانسانِ الذابل دفْء اللمسةِ والأنفاس
والقلبِ المضنى .. وَقدَ الجـذْوةِ والإحساس
ياكـمْ جرّبْنا وتعبنا ،
أقدمْنـا ثم تراجعنـا
بشّرْنا حين لمحْنـا ثمةَ شيئْـاً يولد
لكنا حين رأيناهُ ، وعرفْنا وجهَ دمامـتِه ،
عدْنا فعكـفْنا ،
أغلقنا في وجـه الإعصار معابدنا ،
وتصـوّفْنـا
يامن ينْجينا ، فالساعةُ بالهولِ اقتربت
الغادى مثْلُ الرائـحْ
والسائحُ مثـلُ البارح

والقاعدُ مشدوها ، كالضاربِ أعناقَ الأقران
لـكى أسمع ، أتسمعُ ،
من بعدِ تأتى الأجراس
بعويلِ الليلِ ، عزيفِ الريح الغضبى ، دمدمةِ الطوفان
هل تكـفى في العمـر بقيـة
كى يولدَ فـينا الانسـان ؟

★ ★ ★

مكانكِ الوثـيرَ .. لا تبدّلى ولا تُغادرى
في الزمنِ المجنونِ بالتغير كلَّ آن
تماسكى ، واتـئدى
واستمسكى ، لاتُفرّطى ولاتُداورى
فالصاحبُ الأمينُ خـان
وكلُّنا منَ كأْسِ غيْرهِ رَشفْ
ما ضـرَّ لو تشابكت أنسابُنا ،
واختـلطت أصلابُنـا ،
وغاض من عيوننا ومن جباهنا ماءُ الشرف
تماسكى ، فليس موعـدُ الشتاءِ بالبعيد
يطرحُـنا على مدارج الثـرى ..
مُرتعشينِ ، شاحبَيْنِ ، حالمين بالجـديد
تماسكى ولا تكابرى
فالحاضرُ التعيسُ فرَّ من ثقوبنا
كما يفـر الحلمُ من جفوننا المضرَّجة
لكنْ قبضةَ العزاءِ تُحـكمُ العـرى
على بقايا نفس ، وبعضِ حشرجـة !

فاروق شوشه

أعظم اختراع ميكانيكي

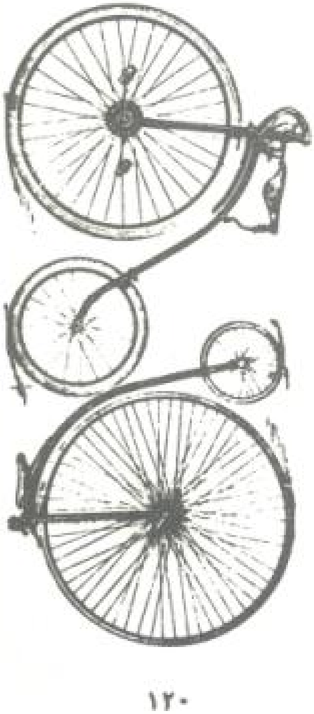
قصة العجلة

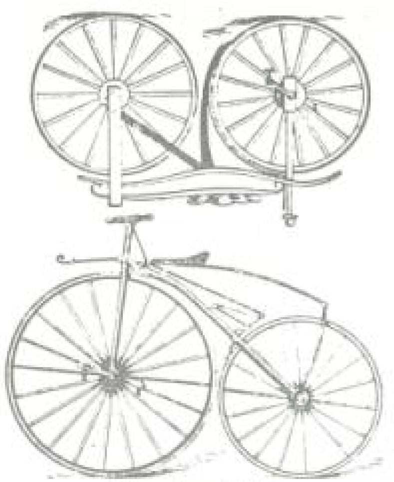
بقلم : الدكتور عبداللطيف ابوالسعود

● اذا نظرت الى عجلة تدور حول محورها ، فانها تبدو لك جهازا بسيطا • ولكنها في واقع الامر اختراع بالغ التعقيد • ولم يكن اختراع العجلة عملا ذكيا فحسب ، ولكنه ادى الى انقلاب شامل في مختلف وسائل الحياة اليومية •

ويكاد كل اختراع أن يكون محاكاة لبعض الوظائف او العمليات التي تحدث في الطبيعة• فالعين تحتوي على عدسة، وعلى قزحية تتسع وتضيق• وما آلة التصوير الا تقليد للعين• كذلك توجد الروافع والمحاور في اجسامنا • كما ان جهاز الانابيب المعقد الذي يتدفق فيه الدم ، يتحكم فيه عدد من الصمامات ويمده بالقوة مضخة قوية ، الا وهي القلب • كما توجد الكهرباء في الطبيعة في صور مختلفة ، منها البرق ، والكهرباء المخزنة في اعضاء بعض الكائنات البحرية ، والتيارات الدقيقة التي تسري في الاعصاب ، لتدفع العضلات الى الحركة • كذلك نجد ان جميع انواع العمليات الكيميائية تحدث في الطبيعة،ابتداء من تبر معادن الارض،الى التغيرات السريعة التي تحدث في النبات والحيوان • كذلك نجد ان التحولات الذرية تحدث باستمرار في الطبيعة ، كما هو الحال في الجحيم المستعر في نجوم السماء• ويبدو أن كل ما اخترعه الانسان انما هو تقليد لما سبقته اليه الطبيعة •

ولكنك لن تجد في الطبيعة عجلة تدور حول محورها • فهذا جهاز اخترعه الانسان وهو اضافة ميكانيكية الى المعلومات البشرية ، وفكرة لم تكن موجودة من قبل • ويبدو ان العجلة ستبقى دائما ابدا الاختراع الوحيد الاصيل ، والجهاز الوحيد الذي لا يقلد شيئا آخر في الطبيعة •





من اخترع العجلة ؟

لا احد يعرف على وجه التحديد من الذى اخترع العجلة . فهى اختراع جاء بالتدريج خلال فترة طويلة من الزمن . وهى نتيجة لعمل رجال كثيرين، وثقافات عديدة ، وتجارب طويلة . وعلى ذلك ، فلم تكن العجلة شرارة ذكاء ومضت فى ذهن مخترع واحد ، ولكنها جاءت نتيجة لقرون من العمل الدائب ، قام به عديد من المخترعين ، ادى الى سرعة تحرك الانسان وانتقاله من مكان الى آخر.

ولقد ظهرت العجلة فى اماكن كثيرة ، وعلى صور عديدة ، فى البلاد المحيطة بالبحر المتوسط. وهى ليست قديمة جدا اذا ما قيست بمقياس تاريخ البشرية كله .

ولقد ظهرت العجلات الكاملة الاولى منذ ما لا يزيد عن خمسة او ستة الاف عام،وانتشرت بسرعة من حيث صنعت ، الى انحاء العالم القديم .

اثر العجلة على التطور التكنولوجى

وتمثل قصة العجلة دراسة مثيرة لتطور التقدم التكنولوجى للانسان فى العصور القديمة. ومن المعتقد ان الانسان القديم قد بدأ فى استخدام الادوات منذ حوالى مليون عام . وانه قد مرت مئات الالاف من السنين قبل ان يصنع العجلة . ولكن انظر الى التقدم الهائل الذى امكن انجازه فى خلال فترة قصيرة نسبيا ، تقدر بستة آلاف عام، منذ اختراع العجلة. لا شك فى انها سرعة مذهلة، ستة آلاف عام فى مقابل مليون عام ، الامر الذى يبين الاهمية الكبيرة التى كانت ـ وما تزال ـ للعجلة فى التطور التكنولوجى للانسان .

ولقد وجدت العجلات البدائية الاولى من مخلفات الاشوريين ، والبابليين، والمصريين القدماء.

ويحتمل ان تكون العجلة قد اخترعت فى نفس الوقت ، فى هذه البلاد . ونحن نعلم يقينا ان العجلة لم تخترع فى العالم الجديد .

فعندما غزا الاسبان نصف الكرة الغربى فى القرن السادس عشر ، وجدوا ان الحضارات الامريكية الاولى متقدمة للغاية ، ولكنها لم تكن تعرف العجلة .

الخطوات الاولى فى اختراع العجلة

قام عدد من العلماء بدراسة اصول التكنولوجيا البشرية ، فوصلوا الى ان الفكرة الاولى عن العجلة قد جاءت نتيجة لملاحظة الحركة الدائرية الجزئية فى اجسام الانسان والحيوان . فالاذرع ، والارجل، والاكتاف بل حتى الرؤوس تدور الى مدى معين ، ولكنها لا تستطيع الدوران دورة كاملة . لاحظ الانسان القديم ذلك واستخدمه فى اشعال النار . فقد كان يدير قضيبا خشبيا بسرعة كبيرة،مستخدما فى ذلك حبلا ملفوفا على القضيب ، ومشدوداعلى قوس ، يحركه الى الامام والى الخلف ، فيدور القضيب حول نفسه . فكانت الحركة الدائرية الاولى التى عرفها الانسان . ولكنها لم تكن حركة دائرية كاملة ، ذلك انه كان على القضيب ان يدور فى الاتجاه العكسى متى وصل القوس الى نهاية مشواره . وكانت الحاجة ماسة الى جهاز يدور باستمرار فى نفس الاتجاه .

وكانت الخطوة الاولى فى هذا السبيل اختراع الباب ذى المحور . لم تكن هناك مفاصل معدنية فى هذه العصور القديمة ، لذلك جهزت الابواب باوتاد فى اعلاها واسفلها ، تثبت فى تجاويف فى اطار البيت . ولقد وجدت هذه التجاويف فى آثار الاشوريين ، وبعضها يرجع الى عام ٤٥٠٠ قبل الميلاد. كما وجدت فى بعض المناطق حول بحر ايجه ، وفى بعض بلاد اوروبا الوسطى . وكلنها ترجع الى نفس الحقبة من التاريخ القديم .

ولم تكن فكرة وتد يدور فى تجويف بعيدة جدا عن فكرة العجلة نفسها .

العجلات الاولى

ولقد ادى اختراع الباب الذى يفتح ويغلق الى اختراع عجلة الفخار ، التى كانت فى بادىء الامر قرصا مستديرا من الحجر ، به جزء بارز فى مركز اسفله ، يركب على تجويف على هيئة الفنجان فى

حجر آخر • ومتى كانت عجلة الخزاف مثبتة ، ومشحمة بدهن الحيوان ، امكن ادارتها بسهولة كبيرة • ولقد كانت عجلة الخزاف اول جهازيؤدي حركة دائرية مستمرة حقيقية •

ولقد وجدت بقايا هذا النوع من الالة الدوارة البدائية في آثار جميع الحضارات القديمة في العالم • اذ استخدم الاغريق القدماء ،والمصريون القدماء ، انواعا مختلفة من عجلة الخزاف هذه •

وبالرغم من ان عجلة الخزاف لم تكن عجلة حقيقية ، بل مجرد شيء يدور حول محور ، الا انها كانت اخر خطوة على الطريق • ولم يبق الا ايقافها على حافتها وعمل ثقب في مركزها ، وادارتها على قضيب او محور افقي • ولقد امكن تحقيق ذلك بين عامي ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، في اماكن كثيرة من العالم القديم • ولكن الحاجة كانت ماسة الى طريقة لحفظ العجلة في مكانها ، فكان ان دقت اوتاد في المحور الخشبي لتحفظ العجلة من الانزلاق خارج محورها •

وقد كانت العجلات الاولى مصنوعة من الخشب ، ولكنها لم تكن من قطعة واحدة •

فقد كان من الصعب الحصول على الواح كبيرة من الخشب ، تكفي لتقطع منها الاشكال الدائرية للعجلات•لذلك لجأ العمال الى ثلاث قطع على اشكال خاصة ، وثبتوها معا بالمسامير لتكون جسما دائريا • ولان الخشب يتآكل بسرعة ، كان من الضروري وضع اطار حول محيط العجلة • وكانت الاطارات الاولى من الجلد ، ثم من النحاس •

ويقول المؤرخون بان المركبات الاولىذاتالعجلات كانت عربات حربية • ففي حوالي عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، اندفع السومريون بمركباتهم الخشبية عبر الوديان ، موقعين الهزيمة بمن اعترضسبيلهم•

وبالرغم من انهم كانوا قد اخترعوا طريقة جديدة وحاسمة لشن الحروب ، الا ان قوتهم لم تدم طويلا • فقد قامت جماعات اخرى بصنع عربات تجرها الخيول•وتبنوانظاماجديدا للهجومبالعربات• وسرعان ما تغيرت الحياة البسيطة للعالم القديم• فقد كان في امكان جيش يتنقل على عجلات ان يتحكم في مساحة اكبر • وسرعان ما ضمت اراضي الاعداء الى اراضي المنتصرين •

وكثير من المخترعات في تاريخ البشر ، كان لها استخدامات حربية ، الا انها افادت كثيرا في زمن السلم فقد كانت المركبات ذات العجلات خيرا على الفلاح • وسرعان ما تحولت الزحافات البدائية الى عربات تجرها الثيران في سهولة ويسر •ولقد كانت عربة الفلاح بسيطة للغاية ، الا انها ساعدت على انشاء المدنالجديدة•فعندما اصبحنقلالمحاصيل الزراعية عملا سهلا ، اقيمت الاسواق المركزيةفي القرى • وسرعان ما اصبحت هذه الاسواق اماكن للمتاجرة في جميع انواع البضائع ، وتحولت الى بؤر تنمو حولها المدن • وفي هذه المراكز كان يجري تبادل الافكار مع البضائع ، واذا بالعالم الصغير الذي كان قائما منذ حوالي ٦٠٠٠ عامينمو ويتسع في مختلف الاتجاهات •

اصبحت الهجرة من مكان الى آخر اسهلوايسر• ومتى رغب قوم في الانتقال الى ارض بعيدة ، كان في امكانهم حمل حاجياتهم معهم ، علىعربات بدائية • اما الثيران التي تستخدم في الزراعة ، فقد قامت بجر العربات•ونظر الناس ـ يملأ الامل قلوبهم ـ الى الارض الجديدة التيانتقلوا اليها•

اهم اختراع ميكانيكي ؟

يمكن القول بان التكنولوجيا الحديثة قد تطورت ابتداء من العجلة ، او انها تعتمد على العجلة بصورة او باخرى فالعديد من الالاتتستخدم العجلات ، او صنعت بمساعدة آلات اخرىتستخدم العجلات : آلة الطباعة التي قامت بطبع هذه الصفحات تحتوي على عجلات كثيرة • والتروس الصغيرة في ساعة المعصم ماهي الاانواع من العجلات • ويحتوي مولد الكهرباء على ملف على هيئة عجلة ، يدور فيمدنا بالكهرباء • امالسيارات فانها تقطع المسافات الطويلة على عجلات ذات اطارات من المطاط ، تديرها محركات تحتوي على العديد من العجلات • وحتى آلات السفن ، فهي تحتوي على عجلات كثيرة • اما رفاص السفينة الذي يحرك الماء بقوة ، فما هو الا نوع من انواع العجلات •

ويبدو انه لا حد لاستخدام العجلة •

ومهما زاد تعقيد الالة التي تستخدم العجلات، فان شكل العجلة نفسها لا يتغير • انما هي الا قرص دائري الشكل يدور بحرية حول محوره• ■■

د • عبداللطيف ابو السعود

حسن عبد الوهاب

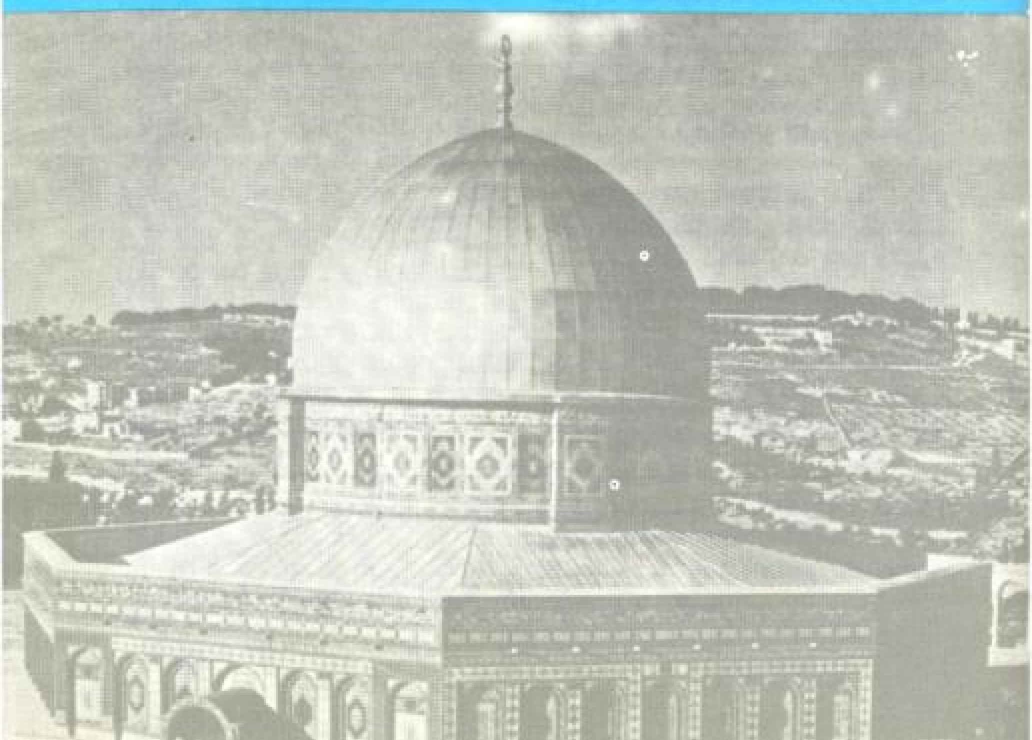
«المصرى»

علم من أعلام الآثار والفنون الاسلامية

كانت قبة الصخرة والمسجد الاقصى آخر ما استحوذ على فكره قبل الرحيل

بقلم : الدكتور عبدالمجيد وافى

■ ميزته بـ « المصرى » لأنه كان يشترك فى الاسم مع عالم آخر ، كان كل منهما علمـا من أعلام الآثار والفنون الاسلامية فى بلده ، على مدى أكثر من نصف قرن ، جاهد الاستعمار



الثقافي والتخلف ، بدراسة الآثار العربية والدفاع عنها ، وحمايتها من عدوان النسيان والاهمال ، أو نسبتها الى أصول غير أصول أهلها •

كانا صديقين حميمين لا يمر العام أو بعض العام الا ويلتقيان في أكثر من ندوة أو مؤتمر من ندوات الآثار ومؤتمراتها ، أحدهما يمثل مصر والآخر يمثل تونس ، منذ العشرينات حتى لحقا بالرفيق الأعلى ، أفسح الله تعالى لهما في جناته ، وأجزل لهما في ثوابه •

ولعلك قد تبينت أيها القارىء أنني أعني بالمسمى الثاني ، حسن باشا حسني عبد الوهاب، العلامة التونسي ، وكلاهما كان ـ الى صلته بصاحبه صداقة وعلما ، على صلة علم برئيس تحرير العربي الجليل المرحوم الدكتور أحمد زكي ـ لخدمة الثقافة العربية المخلصة في نفض غبار التخلف عن جهادنا العلمي •

ولقد عرفت « حسن عبد الوهاب » « المصرى » قارئا لجولاته الأثرية على صفحات الدوريات اليومية والأسبوعية والشهرية ، مصرية وعربية في ذروة نشاطه العلمي والأدبي من أربعينات هذا القرن •

أول لقاء

ولقيته ـ أول ما لقيته عام ١٩٤٥ ، على غير معرفة بالذات ـ بينما كان يشرف على ترميم « سبيل » (١) في مسجد « التي برمق » (٢) ، كنت طالبا في الأزهر ، أذاكر في المسجد ،وكنت ضيق الصدر بذلك الجزء المتخرب من المسجد ، ورغم أنني كنت أدرس ـ في الوقت نفسه ـ الرسم والتصوير بكلية الفنون الجميلة ـ فان تذوقي ـ يومئذ ـ للعمارة الاسلامية وفنونها كان محدودا لما يغلب على دارسي الفنون في معاهدنا الفنية العربية عامة من قصور في تاريخ الفن الاسلامي والعمارة الاسلامية خاصة •

وبينما العمال يرفعون الحجارة ، ويشدون الجدران في هدوء وطول بال لحظت النشاط يدب فجأة فيهم ، ووقوف المعمارى الملتزم بالترميم « المقاول » وقفة الاحترام ومعه مهندس الآثار ، فأثار ذلك السلوك فضولي ، وتركت ملازم الفقه، لأقترب من هذا الجمع الذى وقف يستمع في أدب واحترام الى توجيهات رجل ربعة القوام ،يشير بعصا خيزرانية رفيعة قصيرة المقبض ، ولما زاد اقترابي وجدته يحدث « الفعلة » ـ عمال الهدم والبناء في مصر ـ باصطلاحاتهم ، وكذلك يحدث كلا من البناء والحجار بلغته ، والمقاول والمهندس لا ينبسان •

وأزحت عمامتي الى الخلف قليلا ، واندفعت سائلا ـ في لحظة صمت من الجميع ـ وما قيمة هذه الجدران المتهدمة حتى تصلح وترمم ، وهي لن تعود الى عملها ، خاصة وقد تهدم الكتاب من فوق السبيل فلم يبق له من أثر •

وكأني قد نطقت كفرا ، حيث هب المقاول والمهندس معا قائلين : ألا تعرف من تحدث بهذا الأسلوب ••• ؟ انك تحدث مفتش الآثار الأول حسن بك عبد الوهاب ـ وقد كان الرجل ـ رحمه الله ـ يحمل تلك الرتبة رسميا في الفترة قبل الغاء الألقاب في مصر •

سلوك العالم الكبير

ولكن جواب العالم الأثرى كان يختلف ـ رغم مظهر الجد والضيق اللذين اكتست بهما ملامحه فقد سألني : وما سؤالك وأنت طالب أزهرى فيما يبدو ولا شأن لك بالعمارة والفنون ؟؟ فلما أخبرته بدراستي تلك الأخرى، هدأ قليلا وأخذني من يدى ، لندخل تحت الأخشاب المنصوبة لتحمل السقف المقبب الذى كان يوشك على الانهيار ، وبقدمه أخذ يزيح الرمال عن أرضية رخامية

(١) وحدة معمارية انتشرت في مصر منذ العصر الأيوبي وما بعده ، لشرب الناس ، قد تنفرد بالعمارة مع كتاب « فوقها ، وربما يلحقان بالمساجد والتكايا •

(٢) مسجد من العصر التركي بخطة « سوق السلاح » قرب القلعة والاسم تركي معناه « الأصابع الست » وكان هذا لقب العالم المدفون في ضريح هذا المسجد •





موزعة الزخارف ، فى تشـــكيلات نجمية ودائرية مترابطة ومتقاطعة فى صنعة متقنة ، وسالنى : هل رأيت هذا الفن من قبل ؟ .. فاجبت بالنفى، فاشار الى دائرة رخامية بارزة فى زاوية الغرفة الكبيرة ، تغطيها كتلة رخامية مصمتة وسالنى : الام يؤدى هذا .. ؟ فقلت لعله بئر ، فقال : لا، انه فتحة تؤدى الى صهريج لحفظ الميـاه ، مبنى أســفل الغرفة التى نقف فيها ، مبطن الجدران بالرخام مقبى السقف أيضا ، وامر برفع الغطاء والقى حجرا صغيرا لم يلبث أن اصطدم بقـــاع الصهريج ، الذى بدا من طول مدة سقوط الحجر أنه عميق ، محـــدثا صوتا ينبىء عن اتســـاع التجويف .

وقد ألقمنى ذلك الجـــواب العملى حجـــرا ، فاسكتنى معجبا دهشا ، لكن ذلك الجواب ، زاد من عنـــايتى بقـــراءة كل ما كان يكتب حسن عبد الوهاب فى جريدة الأهرام ، ومجلات الرسالة والثقافة ، والهلال ، والكاتب المصرى ، والكتاب.

ومضى حين تمنت نفسى أن القى الرجل واقترب من علمه ، ولم تلبث الفرصة أن واتتنى بعـــد سنوات ، اذ تخرجت فى الازهر ، واتممت دراسة الفنون ـ والتحق الشيخ رساما بجريدة الاهرام ، وكانت للأهرام أعوام طال فيها نصف القـــرن ، وكلف العالم الاثرى باعداد دراســـات عن ذلك التاريخ مشتركا مع أمين مكتبة القصر الملكى فى ذلك الحين .

ومنذ ذلك اليوم فى مطلع الخمســـينات ، لم تنقطع صلتى بذلك العالم الجليل أصبح جانبـــا من تاريخ الفنـــون الشرقية فى ثقافتى ، حتى حولنى بعلمه وصائب توجيـــهه الى محب للآثار والفنون الاسلامية ومتخصص فيها .

من جيل العمالقة

ونسبة حسن عبد الوهاب الى جيل العمالقة ، الرافعى والعقاد ، وحافظ وشوقى وطه حسين.. أنه مثلهم من مواليد القرن الماضى ، وكالعقـــاد والرافعى اتسم كفاحه بالعصامية الثقافية ، ولد عام ١٨٩٨ ، بعد عامين من ردم خليج القاهرة ، ذلك الطريق المائى الذى كان يخترق القاهرة اخذا من النيل قريبا من موقع فسطاط عمرو بن العاص ـ مصر العتيقة ـ الى أن يلتقى مع ترعة غمرة ، قاطعا من الجنوب الى الشمال ما يقرب من ـ١٢ـ اثنى عشر كيلومتر ، تحيط بـه الـــدور ذوات المشربيات والنوافذ الجميلة الصـــناعة من خشب الخرط الدقيق ، تخترقه القوارب أشباه الجندول فى قنوات مدينة البندقيـــة وتعبره أكثر من مائة وخمسين قنطرة ، مازال اسم بعضـــها يطلق الآن على بعض حوارى الأخطاط التى كان الخليج يمر بها .

وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب رضـــوان ، من علماء الازهر الفضلاء وجده الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان ، المكنى بأبى عيد الغللاتى ـ من أعلام القرن الثالث عشر الهجرى التاســـع

عشر الميلادي ـ عالم القراءات ورسم المصحف ، له المؤلفات الدقيقة التي كانت عماد لجنة المصاحف التي اشرفت على طبع مصحف الملك ـ في الاربعينات بمصر ، كما كان الشيخ رضوان ، استاذ للعلامة الجليل احمد باشا تيمور ، درس عليه علوم البلاغة واداب اللغة العربية (٣) •

في هذا البيت العلمي نشا حسن عبد الوهاب ، فحفظ القرآن ودرس مبادىء العلوم في الأزهر ، ثم تحول الى تجهيزية دار العلوم •

ولم يطل به المقام اذ التحق بخدمة لجنة حفظ الآثار العربية ، التي تأسست أيام السلطان حسين كامل ، دون ان يتم دراسته يومئذ ، ولكن ذلك العصامي قد تعلم الكثير في حقل الآثار الاسلامية عمليا ،حيث عمل مع المهندس الايطالي « بتريكولو» والسويسري « هرتس » ثم مع « جاستون فييت » عضو المجمع العلمي الفرنسي والمعهد الفرنسي للآثار بمصر ، ثم المهندس المصري محمود باشا احمد ، اول من تولى الآثار العربية من المصريين •

وكان لهؤلاء الاربعة ، فضل صيانة وترميم كثير من مساجد مصر الاسلامية ، ومدارسها ومشاهدها ، على أسس علمية وفنية حتى منتصف الأربعينات •

بينما كانت مصر لا تزال تزخر ببقايا من أجيال الصناع الفنيين في الخشب ، والرخام والحجارة والنحاس ، يذهل كل من ينظر الى زخارفهم النباتية والهندسية ، على هذه المواد جميعا ، رسما وتنفيذا •

وبعد هؤلاء وبين أيديهم اشتغل حسن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ بصيانة وترميم الآثار العربية ، حتى حمل اللواء ،مفتشا للآثار ثم كبيرا للمفتشين حتى احيل الى المعاش ١٩٥٨ •

علم ووراثة

واذا كان حسن عبد الوهاب قد تعلم دراسة الآثار « على الطبيعة » على يد هؤلاء الأربعة ، اربعة أجيال من الخبرة والعلم والفن ، فان ما ورثه عن والده وجده من مراجع وكتب اسلامية كان مدرسته العلمية التي لم يلبث أن نماها وزاد على هاتين المكتبتين ، ذخائر التاريخ والتراجم والسير ، بالاضافة الى كل ما طبع عن مصر وآثارها وفنونها العربية والفرعونية ،بالفرنسية والانجليزية ثم بالعربية كما ضم الى تلك المكتبات كثيرا من نفائس المخطوطات ، أصلية او مصورة •

رأيته يقرأ الفرنسية ويتحدث بها ، ويعلق على هوامش تلك المراجع ، ويقرأ له الانجليزية ، تلميذه العالم الأثري الدكتور عبد الرحمن فهمي، وأخوه المهندس عبد الرحمن عبد الوهاب ، بينما لم يغل مرجع عربي في مكتبته الا وقد قرأه وكتب على هوامشه تعليقاته •

وتعد نسخة العلامة حسن عبد الوهاب ، من السلوك للمقريزي ، وكذلك خططه ، من الكتب التي عنيت بأكبر قدر من تعليقاته ، عندما يرد ذكر اثر ، يشير الى ما طرأ عليه من تغيير او تجديد مؤرخا لذلك الحدث ، وربما زالت آثار من الوجود ، فيذكر ما يقوم مقامها من عمائر ،وربما زالت حارة او زقاق فيذكر ما جد في موضعها من تخطيط جديد ، ولو أعيد طبع هذين الكتابين بهوامش حسن عبد الوهاب ـ رحمة الله عليه ـ لصارا مرجعين قيمين جديدين معا ، يمثلان ماطرأ على القاهرة وزميلاتها ،فسطاط عمرو بن العاص وقطائع بن طولون ،وغيرها من مدن مصر من أحداث الزمان وعوادي الضياع •

وقراء العربي المنتظمون ، يعرفون حسن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أحد أعلام قلائل اعتمدت عليهم « العربي » في استطلاعاتها ـ ونادرا ما تفعل ـ وذلك ثقة من ادارة العربي ، بعلم هؤلاء الاعلام ، حيث كتب حسن عبد الوهاب ـ رحمة الله عليه ـ مادة الاستطلاع عن شارع المعز لدين الله ، اقدم شوارع القاهرة الآن واحد شوارع ثلاثة ، يضم كل منها ما يفوق المائة من آثار الفاطميين والايوبيين والمماليك ثم عصر الأتراك •

ولم يكن يغيب عن ذاكرة حسن عبد الوهاب

(٣) ذكر ذلك العلامة تيمور باشا في بعض مؤلفاته •

ـ رحمه الله ـ أثر من تلك الآثار ، ولا تاريخ ما طرأ عليه من ترميم او زيادة ، ولقد شهدته فى محاضراته يتحدث دون أن ينظر فى ورقة ، ليراجع تاريخا او رقما ، وما اخطأ ابدا فى تاريخ او رقم .

بحوث ومقارنات

وكانت له البحوث الطريفة ، فى حياة الصناع ، ونظم العصور الاسلامية وتخطيط المدن والمقارنات بين آثار مصر وسورية وتونس ، ولعل اطرف بحث له كان مدعما بالصور ، القاه بالمجمع العلمى بمصر ، عن تخطيط شوارع القاهرة وتقسيمها ولافتاتها الاثرية على رؤوس الشوارع منذ اكثر من مائتى عام ، وربما كان على رأس الشارع لافتة كبيرة ثم تحتها لافتة أصغر باسم ذلك القسم من الشارع ، كاقسام شارع المعز لدين الله ، الكحكيين والمغربلين والسكرية والخيامية .. الخ من باب زويله الى باب الفتوح اوشكت تلك المثل الاثرية الآن ان تضيع وتندثر ، ولا من يلتفت الى اهميتها .

وليس من اثر اسلامى فى مصر بين رشيد واسوان ، الا وكانت ليد حسن عبد الوهاب رحمه الله ، فيه لمسة حنان على بصمة من بصمات الحضارة حتى تقاوم الاندثار والضياع بل ان آثار فلسطين والقدس بالذات ، قد شهدت جهد حسن عبد الوهاب فى ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة ـ رحمهما الله ـ ضمن لجنة الجامعة العربية الفنية ـ التى شكلت لذلك الأمر ، ولعل عمارة قبة الصخرة التى تمت قبل سقوط القسم العربى من القدس عام ١٩٦٧ فى حرب « حزيران المشئوم » ـ خير دليل على يقظة الاثرى حسن عبد الوهاب ، التى لم تترك عصرا من عصور الاسلام منذ انشاء قبة الصخرة ، الا وحافظت على ما يمثله فى ذلك الصرح العتيد ، ليعود الى سابق رونقه ، كما شاء له ملوك المسلمين وخلفاؤهم وامراؤهم من العصر الاموى حتى عصرنا هذا .

وكان له فضل العديد من الاكتشافات التى تشهد له بالدقة العلمية ، والملاحظة الواعية ، فكثيرا ما كان يقرأ لمؤرخ او رحالة عبارة ، تقوده الى كشف اثرى خلفها ، من ذلك ما كتبه الرحالة ابن جبير عن تابوت خشبى دقيق الصنع ، فى الغرفة السفلى للمشهد الحسينى ـ عندما زار مصر سنة ٥٧٨ هـ ، ١١٨٢ م فى طريقه الى الحج ، قادما من الاندلس ، مما جعل العلامة يراقب عناصر المشهد ، وينتظر فرصة ليبحث عن ذلك الاثر الجميل .

فى كتابة المساجد الأثرية

يقول العلامة حسن عبد الوهاب فى كتابه المساجد الاثرية ص ٨٧ ، ٨٨ :

« وعندما كتبت فى جريدة الأهرام عن تاريخ المشهد الحسينى يوم الجمعة ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ،كتبت عن هذا التابوت مانصه : والمعروف ان تحت ارضية هذه القبة حجرة بها تابوت من خشب محلى بزخارف وكتابات » .

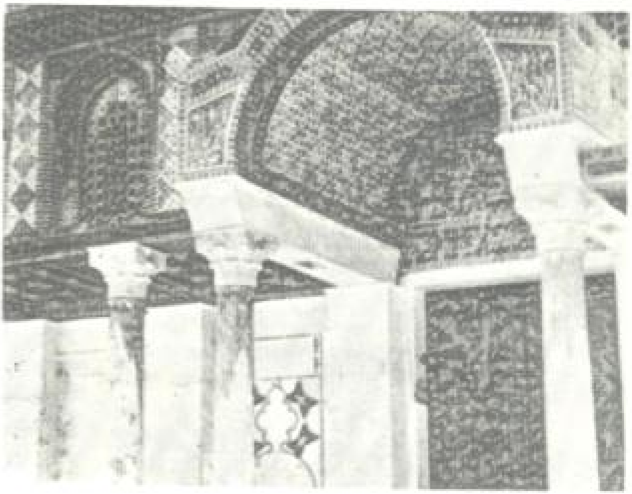
فلما تحمل القصر الملكى نفقات تغيير ارضية القبة بالرخام انتهزت الفرصة واستأذنت فى نزول الغرفة السفلى فبهرتنى روعة التابوت ، « كما احزنتنى الحالة التى هو عليها ـ فقد ظل التابوت الذى يزرى بالذهب والفضة ـ محتجبا عن الانظار نحو ثمانية قرون ، لم تكتحل به عين الاثريين ـ وقد دب التلف الى اجزائه ـ فاخذت له فى مكانه صورا فوتوغرافية (٤) ، رفعتها مع تقريرى الى لجنة حفظ الآثار العربية ، ثم اخرجته بعد الاتفاق مع وزارة الاوقاف ، واصلحته ادارة حفظ الآثار العربية ، واعادته الى مجده الفنى ثم اودعته دار الآثار العربية فى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٥ » .

وبمقارنة هذا التابوت بشبيه له فى الصناعة

---

(٤) كانت ميزة اخرى من ميزات هذا العالم الجليل ، انه مصور زاول التصوير منذ بدء اشتغاله بالآثار رغم بدائية آلات التصوير فى أوائل هذا القرن العشرين ، وقد دعم كل أعماله الأثرية بتصويرها قبل العمل فيها وبعد الانتهاء منها ـ حتى ان سلبيات الصور الأثرية عنده تبلغ الآلاف .





« تابوت الامام الشافعي » والمصنوع في ٥٧٤ هـ « ١١٧٨ » م استنتج حسن عبد الوهاب رحمه الله انه من صنعة الفنان الايوبي المبدع – النجار – (عبيد النجار – المعروف بابن معالي – أيام ملك السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي) •

كما اكتشف العلامة اسـم المهندس الذى بنى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة وكان هرتس باشا ومن اعقبه من الاثريين ، ينسبون هذا المسـجد لمهندس مسيحي ، فلما قام حسن عبد الوهاب سنة ١٩٤٤ بمراجعة نصوص النقوش الـكتابية بهذا الصرح الشامخ اكتشف نصا من الكتابة في بهو مدرسة الاحناف – احدى المدارس الاربعة التى تضمها عمارة المسجد – ينتهي بهذه العبـارة (وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسنى) •

واكتشف المحراب الجصى الفاطمى في الجامـع الأزهر ،في عملية ترميم قام بها في اكتوبر ١٩٣٣ حيث كان هذا المحراب مختفيا تحت كسوة خشبية جميلة النقوش من العصر المملوكى ، ولما رفعت تلك الكسوة – بحساب مدروس للمحافظة عليها وعلى ما تحتها – فوجىء العمال بالزخــارف الكتابية والنباتية الملهبة ،ذات الوحدات الفاطمية تحت هذه الكسوة ، بينما كان العالم الأثرى يتوقع وجود تلك النقــوش نتيجة لوصف الرحــالة والمؤرخين الذين تابعوا عمارة الأزهر علــى مر العصور ، ولم تهمل الكسوة الخشبية بل وضعت فى تجويف انشىء لها فى جدار القبلة الجــديد الذى انشاه عبد الرحمن كتخدا أحد ولاة مصر فى العصر التركى ١١٦٧هـ «١٧٥٧»م – على يمين المحراب التركى •

أحدث اكتشــافاته

ولقد أحيل الى المعاش فى سنة ١٩٥٨ ولكن حاجة الدولة الى علمه أعادت الاستعانة به خبيرا فنيا للآثار الاسلامية والقبطية •

وكان أحدث اكتشافاته ، أحد أبواب ســور القاهرة الكبير ، والذى اشار الأثرى الانجليزى – كابتن كرومويل كريزويل – الى احتمال وجوده تحت أتربة تلال الدراسة •

وكان – كريزويل – يصف الباب باسم « باب البرقية – وكان حسن عبد الوهــاب رحمه الله يشاركه فى الاحتمــال ، ويخالفــه الرأى فى اسم الباب ، فلما كان البدء فى اتخاذ طريق جـديد شرقى القاهرة خلف التلال ، واقتضى ذلك اختراق



التلال بطريق يصل الى شارع الأزهر ، وبينمـا العمال يرفعون الاتربة كان العالم الاثرى ـ الذى قد جاوز الستين ، يبكر منذ السادسة صباحا ، حاملا أجهزة التصوير متابعا عملية ازالة الاتربة، موجها عمليات الحفر ـ حيث كان الفعلة من غير عمال الاثار ـ حتى بدأت دائرة العقد تظهر بين برجين من أبراج السور ،ووقف العالم الاثرى بين اكوام الاتربة ليصور كتابات ذلك الباب المكتشف وعليها تاريخ الانشاء ، وكان اسم الباب كما توقع « باب التوفيق » لا « باب البرقية » ، حيث أن الأخير فى مكان آخر من السور الطويل الذى يبلغ طوله اكثر من ٢٠ كيلو مترا ، ثم أرسل صورة الكشف الأثرى الى الأثرى الانجليزى كريزويل ، مع تحياته .

مع القدس فى آخر أيامه

ويطول بنا الحديث لو تابعنا مساجلات حسن عبد الوهاب مع الاثرى الانجليزى وما كان بينهما من مراسلات ، كلها تناقش أثرا او تحقق موضعا، كما لا يسعفنا مثل هذا البحث لتتابع العديد من كشوفه الأثرية ، وأياديه البيضاء على عمارة الآثار الاسلامية فى مصر كلها ، بعد أن انطوت صفحة ذلك السجل الحافل فى نهاية مارس١٩٦٧، بينما كان يعد العدة للسفر الى القدس ، لمواجهة خاتمة الترميم فى قبة الصخرة والاقصى وما اظنه رحمة الله عليه كان يطيق سماع خبر سقوط هذين الاثرين الجليلين بين يدى أعداء الانسانية وما حل بهما من عبث كان سببا فى ادانة اليونسكو لاسرائيل .

ومضى حسن عبد الوهاب ، وبقيت ذكراه ، ولكن من للآثار الاسلامية التى نالها الاهمال ، وقلة الاهتمام ، ودعوى قلة ذات اليد، والفنيين، وعاد الامر منة يتفضل بها من تهمهم آثارنا الحضارية متبرعين ، من الالمان فى مسجد منقال، والدنمركيين فى قبة جوهر بالازهر ، وبيت السحيمى بالجمالية والفرنسيين فى بيت جمال الذهبى بالغورية .

الا تستحق تلك الآثار ومثيلتها باليمن وسورية والعراق ، فى ذكرى حسن عبد الوهاب ومحمود أحمد ، صندوقا عربيا اسلاميا للحفاظ على تلك الآثار الحضارية التى توشك أن تندثر . ■■

عبد المجيد وافى

ما الطرب ؟

بقلم : محمد خليفة التونسى

● نحن اليوم لا نستعمل كلمة « طرب » الا بمعنى الفرح والبهجة ، فنلقب المغنين والمغنيات « المطربين والمطربات » ونقول مثلا « اطربنا غناء ام كلثوم » و «طربنا لغنائها » و « وهذا اللحن مطرب » ومن اسماء النساء عندنا « طروب » وكلها تعنى الفرحة والبهجة ، فهل من الصواب تخصيص الكلمة بهذا المعنى وحده كما نفعل الآن ؟ .

هذا ما ينكره صاحب القاموس ، اذ يقول فيه « الطرب ـ محركة ـ الفرح والحزن ، ضد ، او خفة تلحقك تسرك او تحزنك ، وتخصيصه بالفرح وهم » .

الاشياء ثم نصوص اللغة ثم المعاجم

ويحسن بنا لغويا ان لا نقتصر على المعاجم فحسب لاستيضاح معانى الكلمات ، فقد فاتها من ذلك كثير ، واولى بنا أن نرجع ايضا الى كلام العرب ، لانه الاصل المباشر للمعاجم وهو اوثق .

وفي مثل هذا اللفظ « الطرب » ـ مما يدل على المعاني الوجدانية ـ يحسن بنا ان نرجع الى النفس البشرية فهي مجال العواطف والانفعالات وعليها تقع مؤثرات الحياة فيكون لها فيها آثارها المختلفة ، كما نرجع الى الادباء .

ففيما يختص بالمعاجم نجد في تاج العروس ـ نقلا عن المحكم ـ قوله : الطرب حلول الفرح وذهاب الحزن » . وفي لسان العرب « استطرب : طلب اللهو » .

ويظهر ان تخصيص الطرب بالفرح قديم في لغتنا ، كما تدل عليه الشواهد الآتية : فمن شعرائنا الجاهليين ، علقمة بن عبده الملقب « علقمة الفحل » وهذا مطلع قصيدة طويلة له :

« طحابك قلب ، في الحسان ، طروب
بعيد الشباب ، عصر حان مشيب »

ومن شعراء العصر الاموى مثلا الكميت بن زيد الاسدى ـ احد شعراء « آل البيت » ـ وله في مدحهم جملة قصائد تسمى « الهاشميات » ، نسبة الى جدهم « هاشم » ـ وربما كان اشهرها قصيدته البائية التى مطلعها :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا منى ، وذو الشيب يلعب
ولم تلهنى دار ، ولا رسم منزل
ولم يتطربنى بنان مخضب

ومن معاصرى الكميت من الشعراء عبد الله ابن قيس الرقيات ، وكان كثير الغزل ، فقد توعده اميره بالقتل ، فاختفى عند امرأة من شريفات البصرة ، فحمته ، حتى عفى عنه ، فخيرها بين ان يكافئها بمال ، او ينظم فيها قصيدة غزلية ، فآثرت ـ بطبيعتها الانثوية ـ القصيدة ، فكان مطلع قصيدته .

عادله من « كثيرة » الطرب
فعينه بالدموع تنسكب

وهو لم يحزن الا لما لقيه عندها من اسباب الغبطة من كرمها معه وحمايتها لحياته .

وفي كتاب الامالى لابى على القالي قصيدة طويلة جيدة لهدبة بن الخشرم ، يشكو فيها سوء احواله مطلعها :

طربت ، وانت احيانا طروب
وكيف وقد تعلاك المشيب ؟

فهو ينكر على نفسه طربها ــ اى فرحها ــ وهذا عنده لا يليق به بعد الشيب ــ ولا سيما عند نكد الزمان .

وفي « الامالى » ايضا بسنده عن الاصمعي انه راى في البادية امراة عند قبر زوجها ترثيه ، فكان مما سمعه منها قولها :

اذا قيل : « مات ابو مالك »
فتى المكرمات ، قريع العرب
فقد مات عز بني آدم
وقد ظهر النكد بعد الطرب

ويقول المتنبي من قصيدة طويلة يمدح بها كافورا الاخشيدى في مصر .

وما طربي لما رايتك بدعة
لقد كنت ارجو ان اراك ، فاطرب

ويقول بشار بن برد (ت ١٦٦ هـ) في قصيدة له:

« خليلي ، قوما ، فاعذراني ، او اعتبا
ولا تعذلاني ان الد واطربا »

ومن الابيات المشهورة التي تجرى عندنا مجرى الشواهد والامثال :

لا تحسبوا ان رقصي كان من طرب
فالطير يرقص مذبوحا من الالم

ومن مطالع قصائد محمود سامي البارودي ــ من شعر العصر الحديث ــ قوله :

سواى بتحنان الاغاريد يطرب
وغيرى باللذات يلهو ويلعب

ويقول معاصره الاديب اللغوى اللبناني احمد فارس الشدياق في وصف اهل مصر حين عاشرهم « اهلها ذوو لطف واحسان الى الغريب ، وفي كلامهم من الرقة ما يغني عن التطريب » .

هذه بعض ما لدينا من الشواهد للاحتجاج بها، وبعض الامثلة التي يستانس بها في توضيح مانريد.

تعادل الفرح والحزن في النفس البشرية

ولا شك ان الفرح والحزن ضدان لا يجتمعان على النفس في وقت واحد من جهة واحدة .

ولكن يظهر ان جذورهما في اغوار النفس متحدة او واحدة ، وبواعثهما فيها متقاربتان ، والاوتار التي تصدر الانغام المفرحة هي التي تصدر الانغام المحزنة ، ولكن تختلف هذه عن تلك بتغيير طريقة العزف ولو قليلا .

ومن اقدم الملاحظات وانفذها في هذا الموضوع ما ذكره ارسطو في كتابه « الشعر » ــ وغيره من كتبه ــ عند كلامه على « التراجيدية » او «المأساة» وهي قمة الفجيعة التي تغمر النفس غما ونكدا حتى تحملها على البكاء غالبا ، مهما يبلغ المرء امامها من التوقر والضبط ، فارسطو يلاحظ ان مهمة المأساة هي « التطهير » Catharsis ويدخل فيه غسل النفس من اوضارها واحزانها ، واعادتها الى الصفاء والتسهل. والنفس اذا حزنت انقبضت وتازمت ، واختل توازنها ، ولكنها لا تعدم حيلها في الترفيه والتسلي ، بان تتذكر خلال ذلك بعض المسرات التي صحبت ماكانوقوعه سبب حزنها ، او مسرات اخرى ، وفي ذلك تهوين للحزن وتخفيف لضغوطه. لانه امر لا تطيقه النفس طويلا ، ولا تستريح الى اختزانه واجتراره بل لا تستسيغه ، وهو لو طال لامرضها او عرضها للمرض ، وما من بنية حية الا وهي حريصة على التوازن والسلامة لتحقيق غايتها او وظيفتها العامة ، ولهذا تحاول ــ حين تتازم ــ ان تستنفر كل اعضاء الجسد وحيل البديهة والفكر للتخلص من الازمة ، وقد يبدو لنا انها تستطيع اختزانه ، او الاستسلام اليه ، ولا تحاول التعزي عنه ، حين تكون الفاجعة ضخمة ، او حين يقعدها العجز عن استدراك ما فات بسبب الفاجعة ، ولكن هذا وهم ، فان الحزن اذا ثقل واطبق على صاحبه اهلكه .

ومن ملاحظات شعرائنا في هذا الصدد ما جاء في بيت ابن الرومي :

لم يخلق الدمع لامرئ عبثا
الله ادرى بلوعة الحزن

وقبل ذلك قول الفرزدق :

الم تراني يوم جو سويقة
بكيت فنادتني هنيدة ماليا
فقلت لها ان البكاء لراحة
به يشتفي من ظن ان لا تلاقيا

وقريب منه قول آخر :

امل انحدار الدمع يعقب راحة
من الوجد ، أو يشفي نجي البلابل

ونتيجة البكاء هي الشفاء ، وتسميتها « شفاء» او « اشتفاء » هنا عند الشاعرين تكاد تكون

مصطلحا علميا نفسانيا ، او هي كذلك .

ويلاحظ ان اى انفعال مهما يكن نوعه اذا اشتد وقعه على النفس ـ طلب ما ينفس عنه ، وقد يكون ذلك بالبكاء ، وفى ذلك يقول احد شعرائنا :

يا مين ، قد صار البكى لك عادة
تبكين من فرح ومن احزان

ويقول استاذنا عباس محمود العقاد ، من قصيدة له ، يصف موقفه مهجورا من حبيبته :

وبكيت كالطفل الذليل انا الذي
ما لان فى صعب الحوادث مقودي

وقد حدث فى مجلس احد الامراء الامويين ان احد الاشراف سب آخر ، فغضب المسبوب واراد رد السب بمثله فاقسم عليه الامير ان لا يجيب ، فقال له : « قتلتني » ثم مات الرجل بعد حين كمدا .

لا عجب حين يلتبس الحزن او نحوه بالفرح فى النفس ، والواردات الكونية تتوالى عليها دون انقطاع سواء تنبه الفكر لذلك او غفل عنه ، فهي كوجه الماء الزاخر دائم التموج ، ولو لم نحس بالرياح تتوالى عليه .

بكاء ام غناء

ثم ان اهتزاز النفس من خبر او نغم قد يوحي اليها الفرح او الحزن على حسب علاقتها بما تسمع ، فما يسر زيدا من الاخبار قد يغم بكرا ، او كما يقول المتنبي .

بذا قضت الايام بيني وبينها
مصائب قوم عند قوم فوائد

ولهذا لا يستطيع المرء الحكم المجرد على لحن بانه مفرح او محزن ، لانه يثير الفرح فى بعض النفوس ، والحزن فى بعضها الاخر على حسب حالتها عند سماعه . ومن هنا حيرة شيخنا ابى العلاء المعري فى ارثيته المشهورة التي مطلعها :

« غير مجد فى ملتي واعتقادي
نوح باك ، ولا ترنم شاد »

فهو يسال :

« ابكت تلكم الحمامة ، ام غنت
على فرع غصنها المياد »

لان الحزنان يسمع هديلها فيهيج حزنه ، والفرحان يسمعه فيهيج فرحه .

وواردات الوجود التي تهز النفس ـ كما اشرنا قبل ـ قد تجعل الشعور بالفرح والحزن متعاقبين عليها ، كما تهز الرياح وجه الماء ، فتتعاقب الامواج ، فيكون لكل موجة قمة وقرار ، فالقمة تمثل الفرح ، والقرار يمثل الحزن ، والسبب واحد ، مع تغير السطح علوا وانخفاضا ، وان كان اثر الحزن فى النفس اشد وادوم ، ولهذا كانت الافراح اسرع نسيانا من الاحزان .

واذا كانت النفس تنبسط مع الفرح وتستريح اليه ـ على عكس حالتها عند الحزن ـ فانها تمله حين يمتد ، وتشعر بالحاجة الى ان تلملم اطرافها ، لترتد الى قليل من الحزن او تؤذن به ، كأن الفرح خطيئة ينبغي ـ عند الاسراف فيها ـ الندم والتوبة .

وفى القرآن الكريم « لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين » اي الذين يخرجهم الفرح بالدنيا الى البطر ، ومن هنا نجد كثيرا من الناس اذا طال فرحهم ، وتنبهوا لطوله ، انابوا وخشعوا، بل قد يقول بعضهم « اللهم اجعله خيرا » كأن لا بد من توقع شر يحزن النفس ، فتكفر عن خطيئة الفرح المسرف . ومن هذا القبيل ما كان يعمد اليه المصريون ـ حتى العلية منهم ـ ايام الفراعنة ، اذ كانوا ـ والفرح فى قمته ـ يحضرون جثة بشر محنطة يطوفون بها على اهل الحفل ، للتذكير بالنهاية والاعتبار بها ، حتى يكفكفوا من غلوائهم فى المتعة والبهجة ، ويتوبلوا حلاوة الغبطة بشيء من مرارة الحزن .

تخصيص اللفظ باحد معانيه

ومهما يكن من معنى الطرب والتباسه ، فان هذا لا يمنع ان يكون استعماله فى احد المعاني اشهر من استعماله فى معنى آخر ، ولو ضده ، ثم تأتي خطوة اخرى فيطلق اللفظ على الاشهر ، حتى يحجب استعماله فيما هو اقل شهرة ، وهكذا جرى الامر فى استعمال لفظ الطرب ، ومن هنا نكون على صواب حين نطلقه على الفرح وحده ، ونقول : المطرب هو من يطرب غيره بحسن صوته وغنائه اي يبهجه ، وبغير ذلك تغضب مطربينا ومطرباتنا ، ونظهر انفسنا جهلاء بقدرهم وفنهم العظيم ، ولا صبر على وصمة الجهل وفساد الذوق ، ولا طاقة لنا باغضابهم ولا صبر عليه ، والا كنا فيمن يجزي الحسنات بالسيئات ،وعقوق اهل الفن ـ ذوو نفوس مرهفة ـ خطيئة لا تغتفر فى الارض ولا فى السماء . ■■

محمد خليفة التونسي

قصة العدد

غش الأصحاب

بقلم: فاضل السباعي

■ لم يكن ليخطر على بال اى منا ان زميلناه الاستاذ عواش » يمكن ان يبيع البطيخ !

كنا ـ فى « الدورة » التى انتظمنا فيها متداول ذلك الصيف ـ خليطا من موظفين يختلفون فى الأعمار ، والاجناس ، والدرجات الوظيفيــة ، والمستويات الذهنية ، فضلا عن الوزارات التى ينتسبون اليها ... ولكن كانت توحدنا ، بعد كل شيء ، هذه الدورة « التعليمية » ، التى استطعنا ان نضفى عليها روح الدعابة والمرح ، مما جعلنا نتقبل تقبلا حسنا الدروس التى رحنا نتلقاها فى



ساعات من اليوم ، يكون الناس فيها عادة مستلقين في أسرتهم ، نائمين أو حالمين ... تلك كانت ساعات القيلولة !

كنت ـ ولأعترف ! ـ أكبر رفاق الدورة سنا . فجريت على ان انادي زملائي بأسمائهم المجردة ، وانما اعنى أسماء « الشهرة » وليس أسماءهم الصغيرة : « أنت ، يافاخوري ! تعال ، ياشكور ! لماذا غبت أمس ، ياعواش ؟ ... » ، تماما كما يتنادى تلامذة المدارس ، فاننا في الواقع قد عدنا تلامذة ، في سننا المتأخرة هذه ، مادام قد قدر علينا ولم لا أقول : قد أتيح لنا ، أن نعود الى مقاعد الدرس !

احدنا ، « الأستاذ عبدو عواش » ، بدا أكثرنا تقبلا للدعابات التي كان يحلو لنا أن نبادلـــه اياها .... هل أقول انى كنت انا صاحبها ، تلك الدعابات ؟

كان عبدو عواش في الثلاثينات من عمره ، تلوح عليه مظاهر الطيبة والوداعة مثلما تلـوح مظاهر القهر والتعاسة . كان اذا وقف امـــام الأستاذ أو المدرب ليتكلم ، اجهد نفسه بالنطق ـ فقد كانت ملكته اللذهنية متواضعة ـ وهو يطرف بجفنيه طرفات متتابعة تنم عما يعاني من جهد في التعبير . وكان ، الى ذلك ، مرهقا بأعبائه العائلية : راتب ضئيل ، أولاد ، ودار صغيرة مستأجرة حدثنا وأفاضعما يعانيه من عنت صاحبها الذى أرهقه بما يرفع عليه من دعاوى كيدية قصد اخراجه منها ... فهو لا يعرف كيف يدرأ عـــن نفسه اخطار الحياة الصعبة وهمومها اليومية ، ولا يعرف كيف يوفق بين اثنين : الراتب وآخر الشهر.

احببنا جميعا «عبدو عواش» ، لطيبته ووداعته. فكنا اذا غاب افتقدناه .

ـ أين عواش ؟ اليوم ما جاء !

احيانا يقبل علينا مسرعا وقد بدأنا العمل . اهمس ـ أنا ـ من وراء ظهر الأستاذ :

ـ لماذا تأخرت ، يا عواش ؟

يجيب ، وعيناه تطرفان ذلك الطرف المتسارع :

ـ والله .. كان عندى .. شغل !

لم نضيع في هم الدرس .

★ ★ ★

مرة غاب عبدو عواش . غاب يومين متواليين . فانشغل بالنا :

ـ عواش ، صار له يومان ، يومان ما جاء !

في مساء اليوم الثاني من غيابه ، صادفته في انصرافي من الدورة . رأيته في الساحة العامة القريبة من بيتي ، يسير كالهائم على وجهه :

ـ أهلا عواش ـ خيرا؟ افتقدناك أمس واليوم!طرف بعينيه :

ـ والله مشغول بشغلة كبيرة . كيف حالك ؟ أين تسكن ؟

ـ أسكن هنا ، في هذا الشارع ، الذى يبدأ من هذه الساحة .

فاذا هو يباغتني بسؤال لا يمكن أن يتوقعه أحد من رفاق الدورة :

ـ هل تشترى بطيخا ؟!

قلت :

ـ بطيخ !!

ـ نعم ! بطيخ أصفر ، جيد ورخيص !

اجبت ، بعد تفكير :

ـ والله ، « مشكلة » البطيخ محلولة عندي ، يا صديقي . نحن نشتريه من هذه الساحة ، من باعة « يبسطون » هنا على هذا الرصيف ، من باكر الصباح حتى ساعة العصر . نشتري بطيخ « الاناناس » بستين قرشا للكيلو الواحد . وزن البطيخة ما بين الكيلو والاثنين ، نتحلى بواحدة بعد الغداء ، انا وزوجتي والولدان ، ونتعشى باخرى مع الجبنة !

أعاد عواش على عبارته :

ـ عندي بطيخ أصفر ، جيد ورخيص !

وماذا يمكن أن تفعل كلمتا « جيد ورخيص » في نفس موظف محدود الدخل ؟ سألته :

ـ رخيص ، يعني بكم ؟

ـ بخمسة وثلاثين قرشا للكيلو ، تقريبا النصف

ـ وهل هو « اناناس » ؟

ـ لا ، لم الكذب ؟ انه من نوع آخر ، ولكنه حلو أيضا . وما حاجتك الى الاناناس ؟ انه يفسد ، فترميه على الباب. أنا أبيعك مئة كيلو ، وانقيها لك ..

صرخت جزعا :

ـ مئة كيلو !!

ـ نعم مئة كيلو ، ثمنها كله خمس وثلاثون ليرة سورية فقط لا غير !

يررت :

ـ لست اشكو من ضخامة المبلغ . ولكن ماذا افعل بها ، هذه المئة كيلو بطيخا ؟!

ـ اقول انقيها لك ، بعضها ناضج تاكله خلال الايام القادمة ، وبعضها « عجر » تاكله بعد خمسة عشر يوما او عشرين . غدا ياتيك رمضان ، كل سنة وانت بسالم، حيث ترتفع اسعار المواد الغذائية بسلامة فهمك . ثم ماذا يعني ، اليوم ، مبلغ خمس وثلاثين ليرة ؟ انت اذا جلست في مقهى مع عدد من اصدقائك ، وخطر لك ان تدفع عنهم ، دفعت مثل هذا المبلغ ! انا ابيعك مئة كيلو بطيخا ، اجل مئة كيلو ، تاكلها بالهنا طوال ثلاثين يوما او اربعين ، يا شيخ ! هيا معي ، الآن ، الى «برزة» ، لاسلمك اياها .

صرخت من جديد :

ـ برزة ؟ وامضي اليها ، الآن ؟ انا اعطيك هذا المبلغ هبة ، مقابل ان تعفيني من « السفر » الى برزة ! وتصور : انا اركب « الطرطيرة » من هناك، لانزل منها ومعي البطيخ ، امام باب بيتي ، وعيون اهل الحارة تنظر الي ؟!!

تطوع صديقي الكريم :

ـ طيب احملها ، انا ، اليك !

ـ هذا معقول . (وضحكت) ولعلك مسجل على اجرة الطرطيرة خمس ليرات ، كما يفعل بنا اصحاب المواصلات ، في هذه الايام ؟

ـ لا ، انا اشحن فيها ثلاث كميات في آن واحد، واقسم الاجرة على ثلاثة .

تراءى لي ان استغل كرمه :

ـ ما رايك في ان تعفيني من اجرة النقل ؟

فاظهر رفيق الدورة تساهلا اضافيا :

ـ تكرم . اجرة النقل علي !

كان عبدو عواش يتكلم، هذه المرة ، من غير جهد، ودون ان يطرف له جفن . سالته :

ـ ولكن .. من اين لك بهذا البطيخ كله ، تبيعه للناس ، يا صديقي ؟

راح يشرح لي :

ـ والله اشترينا ، انا واخي ، سيارة بطيخ من ريف الشمال، حمولتها خمسة اطنان. وانا مشغول هذه الايام بتسويقها على اصحاب الدكاكين الذين اعرفهم ، وعلى اصدقائي الذين أحبهم !

تبينت ، ههنا ، ان رفيق الدورة انما كان يكلمني خلال هذه الوقفة في ساحة الجسر الابيض ،بصفته « بائعا » . فادركتني « صحوة » مباغتة . قلت :

ـ ولكن خمسة وثلاثين قرشا ثمنا للكيلو الواحد ... الا تراها كثيرة ، ايها الصديق

اجاب :

ـ كما تريد . احسب لك الكيلو بثلاثين قرشا. تكرم . انت رفيق الدورة . اين بيتك

★ ★ ★

مضيت بصديقي عبدو عواش ، فدللته على بيتي القريب من الساحة ... ثم ادخلته الحديقة فانشأ يقول، مشيرا بيديه، وهو واقف في وسطها

ـ تضع البطيخات هنا .. لا ، بل هنا .. الناضجات منها تاكلها أولا ، وبعدها تكون الاخرى قد نضجت . غدا صباحا ، في نحو التاسعة ، تكون البطيخات عندك . اياك ان اجد البيت خاليا من اصحابه !

اكدت له :

ـ ان زوجتي هي التي ستستلم البطيخ منك .

ـ هل تدفع هي لي الثمن

مددت يدي الى جيبي :

ـ بل ادفعه لك ، الآن . تفضل .

ونقدته الثلاثين ليرة .

ثم اني حدثت زوجتي ، في انصرافه ، بخبر « الصفقة » التي عقدتها في الساحة القريبة .. ورايتني افيض في مدح البطيخ واعدد فوائد اكله، دون ان يفوتني الثناء على صديقي الاستاذ عواش..

فاطمتني زوجتي :

ـ واذا كان بطيخه من نوع عديم الحلاوة ، فاضطررنا الى ان نرش عليه السكر !

اجبتها :

ـ غير معقول . انه رفيقي في الدورة، انه صديق. وهو ،ايضا، موظف محدود الدخل مثلي، فلا يعقل ان يغشني .

ونمت ، ليلتها ، وانا اتصور ان عبدو عواش قد حمل الي بطيخا لا يؤكل ، صدفت نفوسنا عن اكله ، واحترنا في ما نفعل به .. وصرت اتشاج

وزوجتي من اجله ! ولم يقطع على هذا الحلم الكئيب ، الا رنين متواصل من جرس الباب • لقد وضع عبدو عواش ، في الساعة السادسة صباحا، اصبعه على زر الجرس ، ثم لم تطاوعه نفسه في رفعها •

رمحت في سريري ، ورمحت زوجتي والولدان • وسمعت زوجتي تقول كالمتشفية :

ـ قد أتاك صديقك العواش بالبطيخ، منذ الفجر، قبل أن تعدل عن شرائه !

ورأيت عبدو عواش يقف وراء الباب ، ضاحك السن، والى جواره الطرطيرة • ودن سلام أوعز الي :

ـ افتح « الفردة » الثانية !

ثم أخذ يتناول البطيخة من ورائه بخفة ، ويقذفها نحوي، فاتلقفها واضعها جانبا ••• وهكذا، حتى كلت يداي !

ـ هذه هي البطيخات العشر الناضجات •• والباقي تأكله بعد •

وودعني ، وانصرف •

صففت البطيخ في الموضع الذي كان قد أشار علي به في الليلة الماضية • خمس وعشرون بطيخة • تكفينا حتى منتصف رمضان • لنا منها ، في كل يوم، بطيخة كبيرة •

ههنا ، سمعت وقع خطوات زوجتي ، تقترب مني وهي تترنح تحت وطأة نعاس لم يزايلها بعد • وما ان وقعت عينها على البطيخ ، الذي صففته على نحو ما أشار علي صديقي ، أن أقيم كل بطيخة على رأسها لا على قاعدتها ، حتى هتفت مستنكرة :

ـ هذا البطيخ لا يؤكل ! انه من ذلك النوع عديم الحلاوة !

ولما كانت زوجتي هي التي تتولى شراء الخضار والفاكهة للبيت ، فهي أعلم مني بالبطيخ ، فقد ادركت أني شربت «مقلبا» من صديقي عبدو عواش!

كسرنا احدى البطيخات الناضجات ، فكانت متوسطة الحلاوة • فلما كسرنا أخرى ، وجدنا أنها تؤكل •• اذا رشت بالسكر !

واسقط في يدي •

★ ★ ★

رويت هذا الذي وقع لي لرفاق الدورة • فضحكوا له أكثر مما ضحكت • وقد عجبوا من أن يتصدى زميلنا عبدو عواش ، الموظف ، لبيع البطيخ • ولكنهم كانوا أكثر عجبا من أن يعمد الى ممارسة غش من هذا النوع ضد رفيق دورتهم ! ••

أحدهم قال :

ـ لم يعد راتب الوظيفة يكفي ، في هذه الايام العجاف !

وأيده آخر :

ـ انه يريد أن « يعيش » !

استاذ الدورة ـ وهو فرنسي شاب لا يعرف من لغتنا الا بضع كلمات عامية ـ علم بالحكاية : بطيخ، «مولون»، يباع ويشرى بين زملاء الدورة ؟!

هتف مستعجبا :

ـ مسيو عواش يبيع البطيخ !

فلما علم أني اشتريت منه مئة كيلو ، كاد يغمى عليه :

ـ مئة كيلو بطيخ ، دفعة واحدة !

ذلك أن البطيخ ، الاحمر منه ، يباع في المدن الاوروبية ، ليس بالبطيخة الكاملة ، بل •• ب « الحز » الواحد !

في البيت ، كثرت البطيخات التي تطلع ، بالكسر ، عديمة الحلاوة • ماذا نعمل ؟ نكهة البطيخ ماثلة فيها على كل حال، فكنا نستجلب لها الحلاوة بأن نرش عليها السكر ! واذا اتفق أن طلعت بطيخة ، ذات يوم ، حلوة ، عددنا ذلك « حدثا » تعم من أجله الفرحة في أرجاء البيت !

في كسرنا البطيخ ، كان يغيظني من زوجتي ـ التي دأبت على انتقادي لهذه « الصفقة » الخاسرة ـ أنها تكتفي ، لدى تقطيعها البطيخة ، بأن ترش السكر على ظاهر الصحن ، وتدع القطع ما دون الطبقة العلوية على حالها •• فكنت أعترض عليها:

ـ ان صنيعك هذا يجعلنا نأكل القطع المحلاة أولا ، ونأكل بعدها ما لا حلاوة له !

فتقول في هدوء يضمر حنقا :

ـ ان ما ترشحه القطع العلوية ، خلال دقائق ، من مائها الذي تحلى ، ما يلبث أن يحل على القطع السفلية فيحليها !

فكان خلافنا يشتد على هذه المسألة • وأحيانا تضيق ذرعا بملاحظاتي المتكررة ، فأراها ترفع من صوتها على مسمع من الولدين :

ـ انظرا الى ما يقول ابوكما ! يشترى البطيخ المغشوش ، ثم يروح يملى علي توجيهاته الصارمة في تحليته !!

ثم ان الولدين ما لبثا ان اقلعا عن اكل البطيخ .. قالت الكبرى :

ـ نحن لا ناكل بطيخا حلاوته ليست « ربانية »!

وقال الصغير : انا اعرف ان السكر يمزج مع الشاي ولا يرش على البطيخ !

فتعين علينا ان نشترى للولدين بطيخ الاناناس، فكنا اذا شاركناهما ـ انا وزوجتي ـ في اكل القطع من بطيختهما ،صعبت علينا العودة الى اكل بطيخنا!

وهكذا ظل البطيخ في الحديقة ، لا نستهلك منه الا قليلا. وتراءى لزوجتي ذات مساء ، وانا متوجه الى بيت جار من جيراننا ، ان تنصحني ، في نفحة من نفحات كرمها :

ـ ما رايك في ان تاخذ معك بطيخة تهديها الى هذا الجار الطيب ، الذي كم اسدى لك يد العون ؟

وسرعان ما انتقينا بطيخة كبيرة الحجم ،لففتها بقرطاس ، وتابطتها وانا ماش الى بيت صديقي .

ثم كان من المؤسف ان اعلم ، فيما بعد ، ان صديقي هذا ، قد حدث جارا له ، بعد ليلتنا تلك، حديثا قال فيه :

ـ اذا تطوع صديق لان يهدى صديقا ماكلا دون ما مناسبة ، فاولى به ان يتاكد من ان الهدية قابلة للاكل ، وليس للرمي على باب الدار في كيس نايلون قد يزيد على ثمن الهدية !!

فصرت ، بعد هذا « التعريض » بخصالي الذاتية، اذا احببت ان اهدى الى صديق او جار بطيخة ، احدث فيها « فتحة » صغيرة ، فان حلا لي طعمها حملتها اليه وانا مطمئن الى حسن صنيعي.. وهكذا ، اصبحنا نهدي البطيخ الحلو وناكل ما عداه ، حفاظا على « سمعة الاسرة » !

ويوم تخلصنا من آخر بطيخة ، احسست كما لو اني تحررت من « نير » ما ، فاقترحت ان نقيم في البيت حفلة عائلية صغيرة .. لم ندع اليها احدا ، اكلنا فيها كل انواع الفاكهة عدا ... البطيخ !

★ ★ ★

كان عبدو عواش قد عاد الى الدورة ، بعد غياب دام بضعة أيام . فوجد ان صفقته المغشوشة قد شاع خبرها بين الزملاء ، حتى لقد بلغت علم الاستاذ .. فما كان منه الا ان تظاهر بالاستغراب، مثل اي بائع بارع ، قال :

ـ ولكني بعتك بطيخا غير مطعون فيه !

فكنت احدثه ، امام الرفاق ، الضاحكين ، بما جلب لي بطيخه من المتاعب ، مع الزوجة والاولاد والجيران ... وفي التضييق عليه ، والاصدقاء يحاصرونه باسئلتهم، اعترف عبدو عواش، ضاحك السن ، والعينان منه تطرفان :

ـ الحقيقة ، يا اخوان ، اننا ، اخي وانا ، قد غرر بنا في سيارة البطيخ هذه ... فلم يكن بد من ان نوزعها على من نعرف من اصحاب الدكاكين والمعارف . ماذا نعمل ؟ نريد ان نطعم الاولاد !!

احتج احد الرفاق بحماسة ، وقد ظن انه مفحم صديقنا حتى ما يملك على سؤاله ردا :

ـ حسنا ، وهل تغش الاصدقاء ، ايضا ؟!

اجاب الاستاذ عواش :

ـ وهل تريدني ان اغش « الغرباء » ، الذين لا اعرفهم ؟!

ثم انه يخبر رفاق الدورة ، بانه يتوقع ان تصله، خلال الايام القادمة سيارة حمولتها عشرة اطنان من « البطيخ الاحمر » ، الممتاز ..

ـ فمن شاء منكم ان احسب حسابه بمئة كيلو ، فليكتتب ! .

★ ★ ★

من يومها، اطلقنا على رفيق الدورة عبدو عواش لقب « مسيو بطيخ » !

ويبدو انه استساغ لقبه هذا.. بدليل ان الرفاق ظلوا ينادونه به حتى بعد انتهاء الدورة .

وربما لمحه احدنا ، في احدى الساحات العامة ، فلوح له بيده ، هاتفا بصوت يجتهد ان يبلغ سمعه:

ـ هيه ، مسيو بطيخ ! كيف الاحوال ؟ ان شاء الله بخير ؟

فيجيبه الاستاذ عواش ضاحك السن ، وهو يقترب منه :

ـ عال العال ، ايها الصديق . هل تكتتب بمئة كيلو بطيخا ، تصلك الى البيت بارخص الاسعار ، والدفع مقدما ؟!

ويضحك الصديقان ، وهما يتصافحان بحرارة ، قبل ان يمضي كل في طريقه . ■■

دمشق / فاضل السباعي

حوار القراء

ملف حرب ١٩٤٨

● قرات في العدد (٢٤١) من «مجلة العربي» – القراء مقالاقيما للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، بعنوان «دعوة لفتح ملف حرب ١٩٤٨» جاء فيه مايلي :

«..كما ادى اصرار المفتي على السيطرة على القوات العربية العاملة في فلسطين ، الى اشتداد الصراع بينه وبين القاوقجي الذي لقي التاييدمن الحكام العرب وعمل على اقصاء الفلسطينيين عن صفوف قواته ، واغرب من هذا ، ان القاوقجي قد توصل الى اتفاق مع«قوات الهاجاناه» تعهد بمقتضاه بالا يساند قائد جيش التحرير العربي عبدالقادر الحسيني ،اذا ماشن اليهود الهجوم على جبهة القدس .وكان لكل ذلك اثرهفي دفع عبدالقادر الى خوض معركةالقسطل فيمحاولة يائسة للسيطر على الموقف » .

هذا ماقاله الدكتور مصطفى .

وبما انني كنت،في ذلك الحين ،مساعدا لمدير ادارة قوات الانقاذ في مقر قيادتها في الجبهة ،فقد تسنى لي ان اقف على ظروف معركة القسطل ومراحلها .ومن هنا كان استغرابي الشديد مماجاء في المقال عن ذلك « الاتفاق » الوهميمع«الهاجاناه» وايضاحا للحق والواقع ، وانصافا للتاريخ ابين مايلي :

لقد حاول اليهود آنذاك ، الاستيلاء على القرى التي تقع على طريق (باب الواد) وتسيطر عليه ومنها قرية القسطل التي تعد نقطة هامة لتامين المواصلات بين القدس وتل ابيب ،فراحوا يضاعفون هجماتهم للاستيلاء عليها ، وكان المرحوم عبد القادر الحسيني ، قد ذهب الى دمشق ،قبيل استشهاده ، للحصول على مايضمن لقواته الاحتفاظ بتلك القرى . وخلال وجوده بدمشق ، – جاءت وفود من منطقة القدس الى مقر قيادة القاوقجي (في جبع) طالبة النجدة ، وكان القاوقجي يمدها ببعض من العتاد والقنابل اليدوية على قلة مالديه منها ، وآخر تلك الوفود، وفد برئاسة رئيس الصحة العسكرية لقوات الانقاذ والنقيب فاضل عبد الله امر حامية القدس ، يصفون خطورة الموقف وتدهوره في منطقة القدس ويطلبون النجدة ، ولما كانت تلك المنطقة خارجة عن نطاق قيادة القاوقجي ، بل ومحرمة عليه وعلى قواته ، مع الاسف ، بحسب اوامر القيادة العامة، فقد ابرق الى دمشق بواقع الحال . فجاءه الجواب بان الحسيني ومعه الامدادات اللازمة ، سيعود الليلة الى المنطقة .

وكان القاوقجي مشفقا من ان يقدم الحسيني

الصلاح والاصلاح والانسان العربي

● كيفما اتجهت في هذه الايام ، سمعت اصواتا تطالب بالاصلاح ، وسمعت فينبراتها الكثير من الحدة والالحاح ، فكان الناس من كل امة وفيكل مكان ، قد ضاقت صدورهم بحالة هم فيها ونفد صبرهمفي انتظار حالة افضل منها لا فرق في هذا القبيل بين بدوي وحضري ، او بينابيض واسوده ولا فرق فيذلك بينكبير وصغير وغني وفقير وعالم وجاهل ، فالكل يشعر ان في حياتهالتواء لا بد من تقويمه ، ونقصا لا مناص من سده ، وخللا لا مندوحة من اصلاحه ، والكل واثق كل الثقة من ان الالتواء والنقص والخلل في حياته ياتيه من غيره لا من نفسه ، ولذلك لا ينفك يتبرم الاباء بالابناء ، والابناء بالاباء ،

على مغامرة قد تودي بحياته ، فاراد الاجتماع به قبل وصوله الى القدس لبحث الموقف معه والتخطيط لمنع اليهود من تحقيق غايتهم .

ونظرا للصداقة التي كانت تربط بيني وبين المرحوم الحسيني منذ ان كنا لاجئين في العراق عقب ثورة عام ١٩٣٦ ، راى القاوقجي ان اقوم انا بملاقاة الحسيني وهو في طريقه الى القدس ، واقناعه بالاجتماع به،هكذا كان واوفدني القاوقجي لهذه الغاية في الليلة نفسها ، وعلى مقربة من جسر اللنبي ، وحوالي العاشرة ليلا ، منعني الحراس من البقاء هناك ، فعدت ادراجي الى بلدة اريحا بانتظار وصول الحسيني . ونحو منتصف الليل سمعت هرجا خارج المقهى الذي كنت انتظر فيه ، وخرجت لاعلم بوصول سيارة الحسيني التي كان بعض اخوانه اسبق اليها مني ، فاخبروه بوجودي ، وقرب السيارة سمعت المرحوم الشيخ مصطفى السباعي – الذي كان يرافق الحسيني – يقول للسائق : لا تتوقف وتابع سيرك .

وهكذا ، وبعد ان ادركا الغاية من وجودي هنا ، تحاشيا اللقاء بي ، تفاديا للاحراج ، وكان ذلك اخر عهدي بالمرحوم الحسيني .

وعدت الى مقر القيادة لاخبر القاوقجي بما حدث ، وبما انني لم ار بصحبة الحسيني سوى سيارتين صغيرتين تحملان بعض العناصر المسلحة من اخوانه ، ونظرا لخطورة الوضع في منطقة القدس قرر القاوقجي مخالفة الاوامر المعطاة له ، ونجدة القدس برتل مؤلف من سرية مشاة محمولة وفصيل مدفعية ومصفحتين بقيادة ضابط ركنه الضابط الشهيد المرحوم مامون البيطار . وكان قد سحب هذا الرتل من قواته التي كانت تحاصر مستعمرة (مشمار هايمك) في حين كان اليهود يحشدون قوات كبيرة على جبهة (طولكرم) .

وقبيل وصول هذه النجدة بقليل ، استشهد الحسيني في القسطل التي دخلها رغم كل النصائح التي ابديت . واستولى اليهود اثر ذلك على قرية القسطل . وفي اليوم التالي كانت الحملة التي ارسلها القاوقجي تقصف مستعمرة (مودسا) قرب القسطل العربية ، ثم راحت تقصف القسطل نفسها مما اجبر اليهود على الخروج منها . فاحتلتها القوات العربية المحلية . وقد طلب الضابط البيطار الى هذه القوات المحلية ، العمل على احتلال (مودسا) ايضا بمساعدته ، فلم تفعل .

هذه هي الحقيقة عن معركة القسطل. فالقاوقجي رحمه الله ، واحسن اليه قدر احسانه لامته ، لم يتفق ولم يتصل يوما ، باي من قوات العدو وعناصره . اما عن ابعاده الاخوة الفلسطينيين عن قواته ، فذلك موضوع له حديث اخر . والله من وراء القصد .

فارجو نشر هذا التصحيح ، عملا بحرية النشر مع خالص الشكر والتقدير .

دمشق : خالد التراتي

والمعلم بتلميذه ، والتلميذ بمعلمه، وصاحب العمل بالعامل والعامل بصاحب العمل ، والامام بالمصلي ، والمصلي بالامام . وهكذا قل في كل علاقة تقوم بين انسان وانسان او بين جماعة واخرى ، فالكل يعزو الى انحراف في سلوكه مع الاخرين ، فهو وحده نصير الحق والرشاد وغيره اسير الباطل والضلال وسبيله وحده هو السبيل السوي .

ولكن السبيل السوي للاصلاح هو ان يقوم كل فرد باصلاح نفسه .. والله سبحانه وتعالى يقول (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) والشاعر العربي يقول :

لا تنه عن خلق وتأتي بمثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

هذا هو السبيل .. سبيل الاصلاح .

محمود الارناؤوط
دمشق

بطولة شعب فيتنام

● الشعب الفيتنامي نجح في انزال (النكسة) بالامريكيين وعملائهم في فيتنام •ولم يتهيب هذا الشعب قوة امريكا واسلحتها التدميرية بل واجهها بايمان وصبر حتى النصر المؤزر •• والغريب ان الشعب العربي الذي يملك طاقات لا تقل بحال عن الشعب الفيتنامي لم يستطع – على الاقل – افشال المخططات الاستعمارية التي تحاك ضده•• سؤال اطرحه على قراء العربي فلعلي أجد عندهم جوابا •

علي محمد زلزلي
بيروت – لبنان

●

« العربي »
وقضايا الامة العربية

● لاحظت ان مجلة العربي بدات مؤخرا في معالجة موضوعات طالما تشوق القاري الى قراءتها فقي الماضي وانا اعلم ان المجلة تحاذر الخوض في القضايا العربية الخطيرة خوفا من بطش الرقيب •• ولكن العربي في الاونة الاخيرة اخذ يتلمس طريقه لالقاء الضوء على تلك القضايا التي تهمنا نحن قراء مجلة العربي لانها تتصل بمصيرنا ووجودنا •

فمزيدا من هذه المقالات التي من شانها ايقاظ الضمير العربي من غفوة طالت حتى باتت سباتا •

عبدالحميد رجب
السودان

مثلث برمودا
بين الحقيقة والخيال

● توجد ظاهرة غريبة على سطح الارض وهي من الظواهر الخفية التي لم يستطع العلم الحديث باجهزته وتجاربه ولا العلماء ولا الباحثون ان يجدوا لها حلا او تعليلا حتى الان وهي ظاهرة اختفاء السفن والطائرات في المنطقة المعروفة لدى الباحثين باسم مثلث برمودا او المعين الـ Magic Rhen Gus او مثلث الموت ، وهذه المنطقة تمتد في المحيط الاطلسي كمثلث تقع رؤوسه في جزيرة برمودا شمالا ومدينة ميامي(فلوريدا) في الجنوب الغربي فبورتريكو في الجنوب الشرقي • تبلغ مساحة هذا المثلث حوالي ٧٧٠ الف كيلو متر ••

العربي :

كثر الحديث عن مثلث برمودا في المدة الاخيرة حتى اختلطت المعلومات الموثوقة عنه بالمبالغات •• ويعزى ذلك، كما لا يخفى، الى المخاطر البالغة التي اشتهرت بها تلك المنطقة ويعزى كذلك ايضا الى حيرة العلم ازاء هذه الظاهرة وفي اعطاء تعليل علمي مرض لما تتسبب في كوارث •

ونوجز فيما يلي ما تقوله الموسوعة البريطانية في هذه المنطقة الغامضة الرهيبة •• ولعل هذه الموسوعة هي خير مصدر يمكن الرجوع اليه في هذا الصدد •

يقع مثلث برمودا في المحيط الاطلسي الى الشمال الشرقي في خليج المكسيك درجة ٤٠/٢٥ في خطوط العرض ودرجة ٨٥/٥٥ في خطوط الطول •

وقد بدأ الناس يسجلون أحداث هذا المثلث وكوارثه في منتصف القرن ١٩ وقد بلغ عدد السفن والطائرات التي ابتلعتها مياه هذا المثلث ٥٠ سفينة و (٢٠) طائرة •

ومن بين السفن المبتلعة الغواصة الامريكية النووية سكوربيون Scorpion وقد اختفت في شهر مايو سنة ١٩٦٨م ولم يستطع المسؤول تحديد أسباب اختفائها حتى الان •

ومن بين الطائرات التي اختفت في مثلث برمودا ٥ طائرات حربية قاذفة تابعة لسلاح الجو الامريكي علما بان القاذفات غالبا ما تكون كبيرة الحجم قوية البنيان وقد اختفت ايضا طائرات بعثة الانقاذ التي أرسلت لنجدة تلك القاذفة ولم يعثروا لهذه الطائرات جميعا على أثر •

ومن طريف ما يذكر ان منطقة اخرى تقع غير بعيدة عن مثلث برمودا ولكنها تمثل الظاهرة النقيض لظاهرة المثلث •• تلك هي منطقة بحر سرقوسة التي اشتهر بجوه الهادىء ومياهه الساكنة والدافئة واشتهر بحر سرقوسة ايضا بكثرة الطحالب والنباتات البحرية الطافية على سطحه وكثرة الاحياء المائية الغافية في اعماقه •

كتاب الشهر

« يظل الانسان يترقى بكفاءته فى عمله ، حتى يبلغ موقعا ليس كفئا له ، فيستقر به ! »

THE OUTRAGEOUS #1 NATIONAL BESTSELLER

THE PETER PRINCIPLE

WHY THINGS ALWAYS GO WRONG

BY DR. LAURENCE J. PETER AND RAYMOND HULL

رؤية جديدة لأسرار عالم الترقي والوظائف العليا

للدكتور : لورنس ج. بيتر وريمون هول

تقديم : فريد كامل

« رئيسك فى العمل بعيد عن الكفاية ؟؟ طبعا ـ و «مبدا بيتر» يثبت ذلك وهذا الكتاب الذى يحمل اسم «مبدأ بيتر» يشرح القضية بطريقة بالغة الجدية والطرافة ونحن نقدمه هنا مركزا بنفس اسلوب كاتبيه :

« الدكتور لورنس بيتر ـ رئيس قسم بجامعة كاليفورنيا الجنوبية (وهو استاذ متخصص فى التعليم وعلم النفس التعليمى وتنسيق البرامج التعليمية وتعليم الاطفال المتخلفين ، وقد نشر له اكثر من ثلاثين بحثا علميا وكتاب (التعليم الارشادى) فى ١٩٦٥) ـ ومساعده فى كتاباته الصحفى ريمون هول ...

■ علموني في طفولتي ان الذين يكبرونني سنا ومقاما يعرفون تماما ما يفعلونه ، ولكنني اكتشفت عند ذهابي للمدرسة ان الشاغل الاول لمدرستنا هو ان لا نرفع اصواتنا عاليا ولا نسير على الحشائش ، اما ان نتعلم فكان شيئا ثانويا بالنسبة لها ٠٠ وحينما تخرجت ارسلت طلبا للتعيين في عمل ما ، فاعيد لي بعد ايام مع خطاب من مدير المؤسسة يبلغني فيه انه « كما كانت التعليمات تنص على وجوب ارسال الطلبات بالبريد المسجل لضمان وصولها » فان علي ان اعيد ارسال طلبي له بالبريد المسجل !! ٠٠

نعم : الحياة مليئة بمظاهر عدم الكفاية هذه تقابلها يوميا في كل مكان : الزميل الذى يغطي فشله بالتمسك بالروتين او بالمزاح والسخرية ، والرئيس الذى يتظاهر بفهم عمله وهو يتخبط ، والزعيم السياسي الذى يخطب لساعتين فلا يقول شيئا ٠٠ وهكذا ٠٠ تقابلنا هذه المظاهر في كل يوم فنتساءل : كيف وصل هذا الشخص الى منصبه هذا وهو غير كفء له ؟ ٠٠ ولماذا يتصرف هذا الآخر هكذا ؟

التعليل بسيط : لكل شخص يمارس اى نشاط كفاية في ذلك النشاط تفتح له ابواب التقدم والترقية الى ان يصل الى موقع اعلى ومستوى كفايته (موقع عدم كفايته) فيستقر به ٠٠ مثلا: محاسب شغوف بالارقام والحساب ارتقى تدريجا لكفايته في عمله حتى بلغ منصب رئيس قسم بالبنك ثم ــ لكفايته في هذا المنصب ــ رقي ليصبح مديرا للبنك ، فتعدى بذلك حدود كفايته (لان مهارته في الارقام والحساب لا تسعفه في مهام عمله الجديد ومنها التعامل مع اعضاء مجلس ادارة البنك والتنسيق مع الوزارات والمصالح المختصة ٠٠ الخ) ٠٠ اى ان ترقيته الاخيرة هذه قد نقلته من موقع كفايته الى موقع عدم كفايته ، ولعدم كفايته في منصبه الجديد ، لا يرقى عاليا مرة اخرى ٠٠

هذه ظاهرة واضحة يتميز بها كل بناء هرمي هيراركي (بنك ،مدرسة ، شركة ، مصلحة حكومية، فرقة عسكرية ٠٠) وقد صغتها فيما اطلقت عليه اسم « مبدأ بيتر » وهذا نصه : « القاعدة العامة في اى نظام هرمي هي أن كل من يعمل به يصعد فيه نتيجة لكفايته حتى موقع عدم كفايته ليستقر به » يعني هذا ان « مصير كل منصب هام هو ان يحتلهويستقر بهمن هو ليس كفئا لذلك المنصب»٠٠ وايضا ان « الانتاج الحقيقي لاى جهاز يقوم به العاملون الاكفاء الذين لم يصلوا بعد الى مواقع عدم كفايتهم » ٠٠

يختلف الناس في درجة كفايتهم ومستوى عدم كفايتهم من شخص الى آخر مثلا : طالب يرسب عدة سنوات في صف دراسي معين ولايتعداه ــ لقد بلغ مستوى عدم كفايته ٠٠ طالب آخر اكثر كفاءة تخرج وعين مدرسا ولكن لتمسكه بحرفية الكتب المقررة وضيق افقه وعدم مرونته ،لم يرق بعد ذلك ــ لقد بلغ مستوى عدم كفايته ٠٠مدرس آخر كفء رقي ليصبح رئيسا لقسم او مدرسا اول وصار عليه ان يتخذ قرارات بالنسبة للمناهجوان يحل مشاكل بين مرءوسيه وأن يطلب مهماتوادوات لازمة لقسمه وهكذا ـوهي كلها اشياء فوق مستوى كفايته ــلقد ادرك كفايته ولن يرتقي عاليا الى منصب اعلى ٠٠وهكذا ٠٠

لا تدع الظواهر تخدعك

اسمع من يقول :اذا كانت هذه هي القاعدة ــ فان لها الكثير من جوانب الشذوذ عنها ــ فاجيب: لاتدع المظاهر تخدعك ــ مثلا هذه المظاهر :

❁ ظاهرة الترقية الكاذبة او «الركل الى اعلى» ــ ماذا عن الذى يرقى من موقع عدم كفايته ــ وهي بادية واضحة ــ الى منصب اعلى ؟٠٠الواقع ان كلمة ترقية تعني تحرك عامل نتيجة لكفايته في عمله الى درجة اعلى في البناء الهرمي الهيراركي ــ اى انها تشترط ان يكون التحرك من موقع الكفاية (الى موقع كفاية آخر أو الى موقع عدم كفاية)٠٠ اما التحرك من موقع عدم الكفاية فهو ترقية ظاهرية كاذبة تهدف اما الى ازالة عقبة في سبيل ترقية الاكفاء المحتجزين بدرجات اسفل بالسلم،او التستر على خطأ اختيار شخص لموقع لاتؤهله له كفايته، او المحافظة على ولاء هذا الشخص فلايكسبه منافس أو عدو بالعمل ، اورفع الروح المعنوية بين العاملين (اذا ترقى شخص غير كفء

كهذا،فلا شك ان فرصتي للترقية جيدة٠٠ وهكذا٠

المثل يقول «في اعالي النهر تتجمع الاخشابه بنفس الكيفية يتجمع عند قمة العمل غير الاكفياء٠

مثلا : في شركة « هومورك » لانتـاج الالات الكهربائية ٢٣ نائبا لرئيس مجلس الادارة (وعند بعض رؤسا الجمهوريات عدد اكبر من المستشارين لهذه الشئون او لتلك) ٠٠ وقد انشات شركـة «ويفرلي» للاذاعة والتلفيزيون مبنى خاصا للادارة جمعت فيه عشرات المديرين الذين كلفوا بعمـل بيانات وتقارير وندوات واشياء اخرى ثانوية ٠٠ المهم انيبتعدوا عن الات التصوير ومكبرات الصوت حتى يمكن للعمل ان يستمر ٠

❋ ظاهرة التحريكالجانبي ـ اى ازاحةشخصمن موقع عدم كفايتـه الى موقع آخر مشابـه بدون « ترقية » او زيادة مرتبة (لكن مع منحه احيانا لقبا اكثر فخامة وابهة) ٠٠ مثلا : شركة «ويلر» لقطع غيار السيارات ارسلت ٢٥ منكبار مسئوليها للعمل فى الاقاليم كنواب لمديرى المناطق،وكلفت ثلاثة من مديريها بكتابة تاريخ الشركة !! ـمثلاخر ـ اكثر طرافة ـ للتحريك الجانبي: نقلت مناحدى الوزارات الى وزارة اخرى ادارة كاملة من ٨٢ موظفا ويقى مدير الادارة بلا ادارة ولا مرؤوسين ! ٠٠ وبالطبع كلما كان البناء الهرمى الهيرارقى اكبر واكثر تعقيدا ، كان التحرك الجانبى اعم استعمالا واكثر سهولة ٠٠

ترقية البيروقراطيين ٠ يوجد كثيرونو يرتقون فى عملهم رغم افراطهم فى التمسك بالروتينية والبيروقـراطية (كالممرضة التى ايقظت المريض لتعطيه الدواء المنوم !!) كلنا نعـرف جيدا هذا النوع من الموظفين المتعصبين لملء الاستمارات بالطريقة الصحيحة حتى وان لم تكن لها اية فائدة ، الذين قد تغلبت عندهم اهميـة الواسطة على الغاية (الاوراق اهم من تسـهيل العمل الذى عملت لاجله الاوراق) الذين حولوا العمل من خادم للجمهور ليصبح الجمهور خادما له مطالبا بممارسة طقوسه وحمايه تقاليده والانحناء امام روتينياته ومراعاة من يعملون به ٠٠ هؤلاء المتعصبون للبيروقراطية اليسوا غير اكفياء ؟؟ ٠٠ كيف يحصلون على ترقياتهم اذن ؟

من يحدد الكفاية !

يقودنا هذا التساؤل الى سؤال اخر : ما الذى يحدد مدى كفاية العامل ومن الذى يقرر ترقياته؟٠ مدى كفاية العامل (ومن ثم مدى استحقاقهللترقية) يحدده رؤساؤه فى جهاز العمل ٠ لا الجمهور خارج ذلك الجهاز الذى يتعامل معه ٠٠ واذا كان رئيس العامل ما زال فى موقع كفايته فانه يقرر كفاية مرؤوسيه عامة على اساس انجازهم للعمل النافع، اى مساهمتهم فى الانتاج ٠٠ اما اذا كان قد بلغ موقع عدم كفايته فيكون تقديره لمرءوسيه غالبـا على اساس اخلاصهم للبناء الهرمى ، اى مدى دعمهم لنظام العمل وتقاليده ومحافظتهم علىهيبته وتهويل اهميته وخطورة واهمية وخطورة القائمين به ، ومدى احترامهم لرؤسائهم واطاعتهم لهم ، ومدى معرفتهم باللوائح وعدم تخطيهـم لحـدود مسئولياتهم ٠٠ اى ان الذى يتصف بالروتينيـة هو الكفء الذى يستحق الترقية ٠٠

❋ ظاهرة اخرى ـ غريبة ـ فى عالمنا هذا وهى ان الافراط فى الكفاية لا يؤدى الى الترقية بل غالبا الى الفصل عن العمل ٠٠ ففى البناء الهرمى تعتبر الكفاية الزائدة خطرا يهدد نظام البناء نفسه وواقع العمل فيه ٠ توجد امثلة كثيرة لهذه الظاهرة ، اعطى منها مثالين من مهنتى الخاصة ـ التعليم : فصلت احدى مدرسات رياض الاطفال من عملها لانها علمت الاطفال مبادىء القراءة والكتابة بدلا من مجرد اللعب بالنمى والخرزالملون حسب البرنامج ، واقيل مدرس لانه حبب الطلبة فى مادته حتى شكا اولياء امورهم من انه يعلـم طلبته ما ليس مقررا عليهم فيضيع وقتهم ويملا رؤوسهم بما لا يهمهم !

❋ ظاهرة اخيرة : الترقية لاسباب خاصـة تتراوح من المحسوبية الى الحاجة لزيادة التعيينات (او الحاجة لزيادة النفقات !) ـ مثلا ، قبـل نهاية احدى السنوات المالية اكتشف مدير ادارة الصحة الوقائية بمدينة اكسلسيورسيتى ان ادارته لم تنفق ميزانيتها كلها ، مما يهدد بخفضها فى السنة المالية الجديدة ، فاسرع بانشاء قسم جديد بالادارة « لمحاربة التلوث » عين له رئيسا وستة مساعدين وسكرتيرة ٠٠ ولان له صديقا يعمـل بالسينما كلفه بصنع افلام للدعاية الصحية لحساب

الادارة .. والنتيجة : تقرر زيادة ميزانية ادارته في السنة المالية التالية .. الحكومات ايضا تعمل نفس الشيء : تحدد ميزانية لمحاربة الامية او القضاء على الذباب او تجميل المناطق الاثرية . الخ . وبسرعة تنشأ اللجان وتخلق المناصب ويرقى ويعين الموظفون .. ولا يهم اذا ادت هذه اللجان عملها ـ المهم هو نجاحها في فتح المجال لتحريك او زيادة العاملين .. ولانفاق النقود .

الصعود بالواسطة

يحتاج العامل للصعود على سلم المناصب في عمله ـ الى الكفاية ـ اى قوة دفع من اسفل ولكن صعوده يكون اكثر سرعة وسهولة اذا كانت لديه واسطة ـ علاقة قرابة او صداقة او معرفة لشخص في موقع اعلى بالبناء الهرمي يرعاه من فوق ـ اى قوة جذب من اعلى .. وفي العادة تكون قوة الجذب من اعلى اهم من قوة الدفع من اسفل ـ ونصائحي الخمسة لتزيد قوة الجذب الخاصة بك هي :

١ ـ دعم مركزك بمن يرعاك من بين رؤسائك. ادرس جيدا من عنده السلطة اللازمة لترقيتك في عملك واكتسب رعايته .

٢ ـ اعط من يرعاك دافعا مستمرا لرعايتك ـ دعه يشعر دائما ان مصلحته في مساعدتك وخسارته في اهمالك .

٣ ـ اختر دائما انسب الطرق للصعود : الطريق المباشر هو اقصر الطرق عامة ولكنه يكون مسدودا احيانا بعقبة لا يمكن لراعيك ان يتجاوزها . يحسن في هذه الحالة ان تتحرك الى طريق جانبي لتعبر هذه العقبة ، على ان تعود للطريق المباشر مرة اخرى بعد ذلك .

٤ ـ كن مرنا ـ تذكر ان هناك حدودا لما يكن ان يعمله لك راعيك ، يجب عليه عندها ان يصعد هو نفسه الى اعلى ليستطيع ان يجذبك من جديد.

٥ ـ كن مستعدا دائما للتحول الى رعاية من عنده قوة جذب اكبر ـ وافضل الاوضاع ان يكون لك اكثر من راع واحد : لان مجموع قوة الجذب تساوى عدد الرعاة مضروبا في قوة جذب كل منهم.

والمهم ان تتذكر دائما المثل الذى يقول : لا تقف حيثما يمكنك الجلوس،ولا تسر حيثما يمكنك الركوب ، ولا تدفع حيثما يمكنك الجذب .

قادة واتباع

حينما سئلت ام جورج واشنجطون عن سبب مهارة ابنها كقائد عسكرى اجابت لانني علمته الطاعة .. كلام فارغ طبعا : غير صحيح ان التابع الجيد يصبح قائدا جيدا اذ كيف تتوقف المقدرة على القيادة على اجادة التبعية ..

لاشك ان جماهير التابعين هي المصادر الوفيرة لمل، المناصب الصغيرة .. ولكن ماذا يمكن للتابع الجيد انيعمله فيموقع القيادة (موقع عدم كفايته) انه يفشلفيتصريف مهام منصبهويبدد وقترؤسائه ويهوى بكفاية مرؤوسيه .والاحصائيات تثبت ان ٥٣٪ منالاعمال الفاشلة يرجع فشلها لسوء الادارة انه:فشل الذين يجيدون التبعيةفيلعب دورالقادة!.

يوجه لى طلبتي احيانا اسئلة طريفة ـ سألني احدهم : كلما واجهنا ازمة ، نسمع عشرات الاقتراحات لحلها يطبق منها ما يطبق ، ولكنالازمة لا تحل ـ لماذا . وسألني اخر : ترى هل يقودالعالم عباقرة اذكياء ام قادة يتميزون بعدم الكفاية ..

نعم ـ في مواجهة كل ازمة او مشكلة ، يقدم عشرات الخبراء اقتراحات لمواجهتها ولكن ، لماكان غالبية هؤلاء الخبراء فعلافيمواقع عدم كفايتهمفان اقتراحاتهم تكون في غالبية الاحيان بلا فائدة ـ وحتى الاقتراحات الكفيلة بحل الازمة لا يمكن تنفيذها لان الجهاز الحكومي نفسه ـ مثل اى بناء هرمي هيراركي اخر ـ محمل بعدم الكفاية .. بل ان عدم الكفاية هو احد مظاهر النظام السياسي عامة ..

ينتخب القادة السياسيون اليوم في غالبية دول العالم بالتصويت الشعبي ـ وقد يبدو ان الشعوب التي تنتخب تعرف اين توجد مصلحتها وتختار الاكفاء من السياسيين لقيادتها لترفعهم الى مواقع الحكم ـ لكن هذا غير حقيقي . فعالم السياسة اليوم يسوده نظام الاحزاب السياسية (حزب واحد او اكثر) ـ وكل حزب يمثل مصالح معينة ويقتصر دوره على ان يكون جهازا لتوصيل ممثلي تلك

المصالح الى مواقع السلطة - والحزب السياسى ايضا بناء هرمى هيرارقى اى ان فيه (كما فى المصنع والشركة والمصلحة الحكومية الخ) يرتفع العاملون بسبب كفايتهم حتى يصلوا الى مواقع عدم كفايتهم ليستقروابها ... ويقوم الحزب أيضا باختيار مرشحيه وقياداته لا لحكمتهم وكفايتهم ومقدرتهم على موازنة الاحتمالات واتخاذ القرارات التى تتفق ومصلحة البلاد ، بل لاخلاصهم للحزب والمصالح التى يمثلها ولمقدرتهم على الدعاية والخطابة والتأثير على الناخبين والان (فى عصر التليفزيون هذا) ايضا لجاذبيتهم الشخصية وفاعلية وجوههم بالاصباغ والمساحيق على الشاشة الصغيرة ..

حالات كفاءة نادرة

وكلما زاد البناء الهرمى الهيرارقى فخامة ونضجا زادت فيه نسبة الذين قد وصلوا الى مواقع عدم كفايتهم - اى كلما نقصت كفاية الجهاز ككل .. والحل المتبع عامة لمواجهة هذا النقص هو زيادة عدد العاملين بادخال عناصر جديدة بالبناء - وقد ينتج عن هذه الزيادة تحسن مؤقت فى كفاية الجهاز (الى ان تصل العناصر الجديدة نتيجة لكفايتها) الى مواقع عدم كفايتها.. اما العناصر غير الكفاة التى تضاف للجهاز فتزيده شللا - لان المعادلة الرياضية سالب زائد سالب تساوى موجبا لا تنطبق هنا : فلا يمكن ان تنتج كفاية عن اضافة عدم الكفاية الى عدم الكفاية.

هل يعنى هذا ان الكفاية لا توجد فى مواقع القمة والقيادة ؟؟ الايوجد الكفاة بين المديرين والوزراء والجنرالات الخ ..

يوجد بالطبع : لكنها حالات نادرة .. ان يصل شخص كفء الى موقع قمة انما يدل على عدم وجود عناصر كافية فى ذلك البناء الهرمى لكى «تتجمع الاخشاب باعلى النهر » .. والكفء الذى يصل الى موقع قيادى لا يبقى به عادة لان ذلك وضع غير مريح او مستقر بالنسبة له : فهو فى محاولة دائمة للصعود الى موقع اعلى يمثل نوعا من التحدى لامكانياته .. واذا لم يجد فى البناء الهرمى الهيرارقى الذى يعمل به موقعا اعلى واكثر تحديا فانه ينتقل عادة الى بناء هرمى اخر (من التعليم الى السياسة - من الجيش الى الصحافة - من الفن الى الصناعة .. وهكذا) بحثا عن موقع عدم كفايته كفاح الطموح للوصول الى حدود طموحه. الى الاستقرار ..

لان كل من يعمل بكفاية يجد فى ممارسة عمله تحديا منشطا له مجددا لطاقته ويتوقع تقدمه وترقيته مكافاة عادلة له يستحقها - حتى يصل الى موقع عدم كفايته حيث تعجز امكانياته الجسمانية او الاجتماعية او النفسية او الفكرية او العلمية.. الخ) عن مواجهة تحديات ذلك الموقع فيخمد صراعه. ولانه لم يعد يؤدى عملا نافعا منتجا فانه يستبدل بالعمل الفعلى التظاهر بالعمل والانتاج بالتطلق على الانتاج . وتظهر عليه اعراض الامراض البدنية والنفسية والمكتبية التى تقترن بعدم الكفاية .

والامراض البدنية المرتبطة بعدم الكفاية كثيرة منها التهابات وعدم انتظار الجهاز الهضمى وقرحة المعدة والنهم او فقدالشهية للطعام والتوتر العصبى والتشنجات العصبية والارق وارتفاع او انخفاض ضغط الدم وامراض الحساسية والارهاق المزمن والعجز الجنسى ونوبات الصراع واضطراب ضربات القلب والتنفس والغثيان والالتهابات الجلدية.. الخ كلها عامة بلا اسباب عضوية او جرثومية لذا لا يجدى علاجها بالدواء او بالجراحة وان حققا نتائج وقتية) بل هى امراض نفسية تعبر عن ما يسببه الوصول الى موقع عدم الكفاية من احساس بانتهاء المتعة وعدم الانتاجية والعجز واليأس والضياع - وبدلا من ان يتصرف المريض على هذه الامراض كنتيجة عضوية لعدم كفايته فانه يتظاهر بان امراضه هى السبب فى عدم انتاجيته وعدم كفايته لانها تعطله عن عمله او يمنعه الاطباء عنه بسببها .. والطريف ان بعض هذه الامراض قد تحولت عند بعض الناس الى رمز للنجاح و الوصول والشهرة فظهرت موضة تقليد امراض الرؤساء والمشهورين والتنافس فيها «قرحتى اكبر من قرحتك» تساوى عملى اهم من عملك !!) ..

والامراض النفسية (الاخرى تشمل الشكوى الدائمة من ظروف العمل) « لا احد يقدرنى -

مقالات وكلمات



جورج واشنطن



توماس كارليل



ارسطو

■ قل لى ما الذى يشغل وقتك ، أقل لك من أنت .

ـ جوته .

■ الصداقة الحقة ، نبات بطىء النمو .

ـ جورج واشنطون .

■ بين الافراد تندر الاصابة بالجنون ، ولكنها القاعدة فى المجموعات والاحزاب والامم والعهود .

ـ فريدريك نيتشة .

■ ليس هناك قول يتصف بالمبالغة ، أكثر من أسلوب الحديث الذى يعتمد على الحقيقة المجردة .

ـ جوزيف كونراد .

■ أصعب شىء يتعلمه المرء فى الحياة هو أى الجسور يعبر ،وأى الجسور يحرق !

ـ توماس كارليل .

■ المحارة الجريحة وحدها هى التى تضمد جراحها بلؤلؤة !

ـ ايمرسون .

■ هناك دائما « ركن » غبى فىعقل أكثر الناس حكمة وذكاء .

ـ ارسطو .

■ ليس صحيحا أننى كرهت المرأة ، اننى أحبها ، لاننى أحب الحياة !

ـ صموئيل جونسون .

لا احد يتعاون معى ـ الى آخره » والشكوى من الزمن الحاضر والتغزل اللامنطقى فى الماضى .. ونقل شعور عدم الاستقرار الى المرؤوسين (بين النقد والمدح والتقريب والابعاد فلا يعرف احد اليوم حال المدير ومزاجه وكيف يتصرف معه) .. والتردد وتاجيل اتخاذ القرارات (بحجةدراسة الموضوع أو الاستفتاء الديموقراطى عليه) .. او التهرب من اتخاذ القرارات (لاتشغلونى بمثل هذه التفاهات ..او بتشكيللجنة او اللجوء للقرعة الخ..والتصرفات العصبية(قرض الاظافر ـ طرقعة الاصابع ـ الخبط بالقلم على المكتب ـ اللعب بالدبابيس والاقلاموإعادة تنظيمها ..) وباستعمال التعبيرات المعقدة والعلمية والاجنبية بلا لزوم وبدون ان « تقول » شيئا حقيقة .. واللجوء الى التهريج والطرائف تهربا من تناول المسائل الجادة .. وهكذا

اما الامراض المكتبية المرتبطة بعدم الكفاية فتشمل التهالك على المظاهر كالاهتمام بالحصول على غرفة اكبر واثاث اضخم ومكتب اكبروابسطة ومقاعد اكثر لغرفته .. وهوس التليفون (لكى يكون له « اتصال بكل كبيرة وصغيرةفى العمل»يهتم بوضع عدة آلات تليفون بجواره ويستخدم احيانا اكثر من واحدة منها فى نفس الوقت) .. والخوف من الاوراق (ربما لانها تذكره بانه لا يعمل شيئا) فيهتم بان يكون مكتبهنظيفا تماما منالاوراقفهو ينجز عمله اولا باول ـ او احيانا ـ على العكس


برنارد شو

■ هل فكرت في كتابة مذكراتك ؟ اذا فعلت فأنت أناني ، واذا لم تفعل فأنت غير موجود ، واذا كتبتها فملا فأنت تكذب على نفسك وعلى الناس ·

ـ برناردشو ·

■ أحلى ما في المرأة حديثها ، وأعظم ما في الرجل أذن تعرف كيف تلتقط هذا الحديث وتميزه !

ـ تولستوى ·

■ ابتلاع الكلام لم يسبب لي أبدا عسر هضم · ـ تشرشل ·


صمويل جونسون

■ الناس تحصى دائما أخطاء هؤلاء الذين يتركونهم ينتظرون ·

ـ مثل فرنسى ·

■ أى حكومة قادرة على أن تعطيك كل شيء أنت في حاجة اليه، قادرة أيضا على أن تأخذ منك كل شيء تمتلكه !

ـ واشنطون ·


تشرشل

■ عندما تشعر في بيتك بالامن تتمنى لو أنك قمت بمغامرة ، فاذا جاءت المغامرة أخيرا تمنيت لو أنك عدت الى بيتك !

ـ ثورنتون ويلدر ·

■ الشاب الذى لا يرقب عقارب الساعة ، ومع ذلك يستطيع أن يقول لك في أى وقت كم مضى من الزمن ، هو شاب ناجح عرف من أين يبدأ مسيرته على طريق الحياة !

ـ هارلو كيرتس ·

يهتم بتغطية مكتبه بالاوراق لاظهار خطورته وكثرة مسئولياته)··والاغراق في التنظيم والتبويب وعمل الخرائط والرسوم البيانية(على الاخص بالنسبة للاعمال السابقة التى قد تمت ولم تعد لها فائدة عملية) ·· والاهتمام الشديد بالروتينية ومظاهرها ودرجاتها وبمعرفة كل شخص لمكانه ··

●

والحل؟؟ ··اذا كان مصير كل شخص عامل ان يصل الى موقع عدم كفايته (لان في ذلك استقراره) كيف يواجه اذن امراض عدم كفايته ··

بالعثور على تحديات جديدة تخلق له مواقع عدم كفاية جديدة يسعى للوصول اليها : امـــا بالانتقال من البناء الهرمى الذى ادرك فيه موقع عدم كفايته الى سلم اخر (من التعليم الى التاليف ـ من المحاسبة الى الصناعة ··الخ) ·· او بزيادة تخصصه في عملـه (الطبيـب يتخصـص فـى نوع واحد من الامراض، المؤرخ في فترة تاريخية محددة ـ المعمارى في نوع معين من الانشاءات او المواد المعمارية ·· الخ) ·· او باكتشاف تحديات جديدة خارج نطاق عمله (كتعلم لغـة جديدة او الاهتمام بالاعمال الخيرية او ممارسة لعبة رياضية او احدى الهوايات ·· الخ) اى شيء كفيل باخراجه من دائرة عدم كفايته المغلقة واشراكه من جديد في صراع الحياة · ■■

روما ـ فريد كامل

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي «الكلمات المتقاطعة» .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

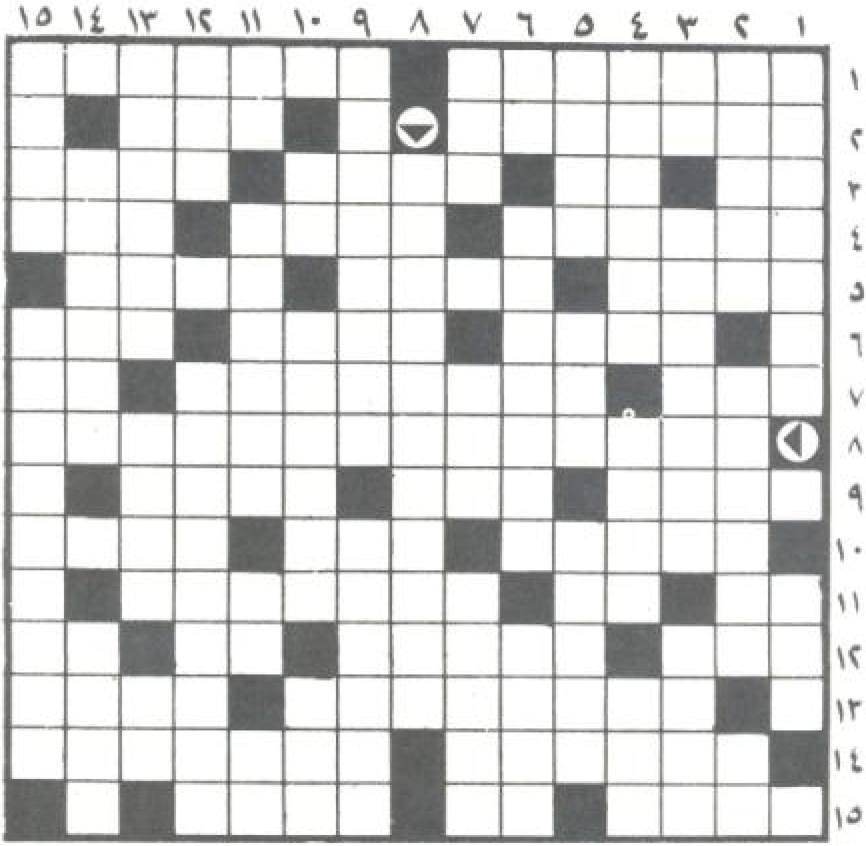
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٤ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول مايو (ايار) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم خليفة اموي ، كما ستجد في (٨) راسيا اسم شاعر عربي شهير .

الكلمات الأفقية :

(١) دولة افريقية ـ في العين .
(٢) من الامراض ـ استريب .
(٣) يخصني ـ حرفان متشابهان ـ لاهي ـ وحدة موازين .
(٤) من الزهور ـ حيوان ـ يحيط .
(٥) صوت الجرس ـ ترجع ـ للحصان .
(٦) قذيفة ـ اوجاع ـ حالا .
(٧) تقطع ـ اله الطب الاغريقي ـ نصف كلمة (صريع) .
(٨) خليفة اموي .
(٩) من قوات الامن ـ تاقت ـ يناسب .
(١٠) بكرٌ ـ اضمر ـ من شخصيات الحملة الفرنسية على مصر .
(١١) مقام موسيقي ـ حرف استفهام ـ اجسام هندسية منتظمة .
(١٢) اغراض ـ قطر عربي ـ نقص ـ مقام موسيقي .
(١٣) من الآثار الفرعونية المشهورة ـ اشبع .
(١٤) لقب مؤلفة رواية جين اير ـ يفصمني .
(١٥) عتيق ـ من سور القرآن الكريم ـ صوت الحمام .



الكلمات الرأسية :

(١) من وزراء نابليون ـ حرف ابجدى .

(٢) سهو ـ من شخصيات الف ليلة وليلة ـ مناص .

(٣) وعاء للخمر ـ حيوان ـ من الأسماء الحسنى .

(٤) اجبرنا ـ وحدات قياس زمن ـ طيور .

(٥) نريد ـ رقد ـ وحدة مكاييل .

(٦) نصف كلمة (يوسف) ـ تتخوف منهم ـ يقبل .

(٧) انظر من عل ـ صون وحفظ ـ شيطان شهير .

(٨) شاعر عربي شهير .

(٩) طائر ـ من المنكهات والتوابل .

(١٠) مناص ـ اظهرنا ـ قبر .

(١١) حرفان متشابهان ـ من اشكال الغناء الشعبي ـ في العين ـ نصف كلمة (عاني) .

(١٢) نكسر أو نقطع ـ سلطان عثماني قضى على المماليك في موقعة مرج دابق .

(١٣) من فصائل المواد الغذائية ـ مكروه ـ مقام موسيقي .

(١٤) مدينة عراقية معروفة ـ أقل منه .

(١٥) نتوجه ـ علم الآثار .

كوبون مسابقة
العدد ٢٤٤

رسام عالمى من أصل هولندى

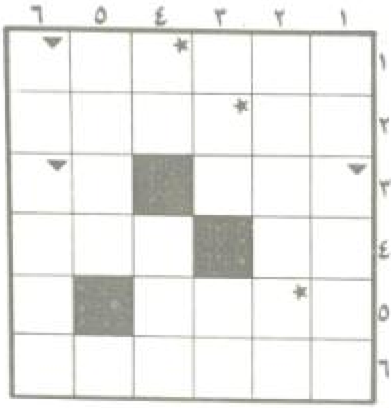
ابدا اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الأسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرسام عالمى شهير من اصل هولندى . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

الكلمات الافقية :

(١) عاصمة آسيوية .
(٢) مدينة فلسطينية .
(٣) من أوقات الصلاة ـ حرفان متشابهان .
(٤) للتعريف ـ من الحبوب .
(٥) فى الذرة .
(٦) دولة مدينة فى بلاد الاغريق .

الكلمات الرأسية :

(١) مناطق مراعى .
(٢) القعـود .
(٣) يسيل ـ من الاقارب .
(٤) عظم ـ حـزم .
(٥) شهر ميلادى (معكوسة) .
(٦) تتابعـه .





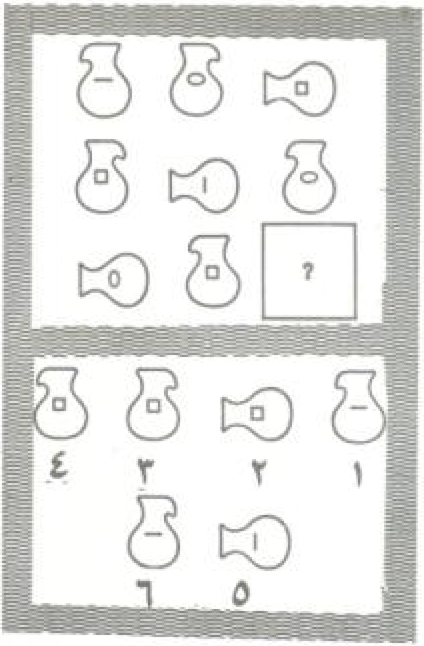
● اختبار معلومات ●

أين الصواب .. وأين الخطأ ؟ ..

هذه المعلومات العشر ، بعضها صحيح ، فهل تستطيع أن تميز بين الصواب والخطأ ؟
(١) « القرم » ، شبه جزيرة في البحر الأسود .
(٢) « المذنب » ، جسم يسير حول الشمس .
(٣) « الكوارتز » ، سلسلة جبال شمال أوروبا .
(٤) « التاندرا » ، حيوان قارض يعيش في أواسط أفريقيا .
(٥) « الفسيولوجيا » ، هو علم دراسة وظائف أعضاء الجسم .
(٦) « مندل » ، رائد من رواد علم الوراثة .
(٧) « كلهاري » ، صحراء في أفريقيا الجنوبية .
(٨) « الماموث » ، فصيلة من الشعر الاغريقي .
(٩) « كوبرنيكس » ، أول من اكتشف دوران الأرض والكواكب حول الشمس .
(١٠) « الطبرى » ، أشهر مغن في العصر الجاهلي .

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات بين الأشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الأشكال ذات الأرقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام .



الحلول

النجمة والسهم

فان جوخ .

أين الصواب ، وأين الخطأ ؟

١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ صحيحة .

(٣) الكوارتز ، صخر بلوري شديد الصلابة وشفاف .

(٤) التاندرا ، هي الأراضي المحيطة بالمنطقة القطبية الشمالية .

(٨) الماموث ، فيل ضخم كثيف الشعر توجد بقايا منه في سيبيريا .

(١٠) الطبرى ، أشهر مؤرخي العصر العباسي .

الشكل المطلوب :

الشكل رقم ٦ .

Mothercare بالبريد

للكبار، للصغار وللذين لم يولدوا بعد.

سوف تعرفين ما يعنيه ذلك بمجرد أن تلقي نظرة على الكتالوج الخاص بمنتجاتنا والذي يزداد حجمه عاماً بعد عام. إنه مليء بكل ما تحتاجه الأمهات الحوامل والرضع والأطفال حتى سن العاشرة. هناك ملابس للأمهات، مستلزمات التمريض، لوازم التجميل، ملابس للرضع والأطفال، لعب، مشايات، أسرة ومدى كامل من المنتجات التي توفر الأمان. Mothercare بالبريد متاح لجميع الناس في مختلف أنحاء العالم. إن لنا أكثر من ٣٠٠ دكان بيع منتشرة في أقطار عديدة، وهناك أمهات من ٣٠ قطراً يشترين منتجاتنا عن طريق الكتالوج وهن يعرفن أن ما يخترنه من كتالوج Mothercare هي منتجات عملية، جيدة الصنع توفر الأمان.

ويعرفن أيضاً أن أسعارنا اقتصادية.

ويعرفن - فوق كل شيء - أنه حالما يرسلن طلباتهن إلى Mothercare فإننا نرسل لهن ما طلبنه بالضبط، وإننا نعيد النقود إذا لم يكن الزبون راضياً عن البضاعة.

ثقي في Mothercare

Mothercare بالبريد ... إنه أمر سهل للغاية وكأنك تعدين من ١ الى ٣.

١- أرسلي الكوبون بالبريد الجوي وسوف تتلقين نسخة مجانية من كتالوج Mothercare (كامل ومعه كتيب توضيحي باللغة العربية).
٢- أكتبي طلباتك في أمر الشراء المرافق للكتالوج وأرسليه إلينا
٣- سوف نلبي طلباتك في الحال.



مجاناً! أرجو أن ترسلوا إلي كتالوج ربيع/صيف ١٩٧٩ (٢٣٦ صفحة ملونة)

(املئي هذا الكوبون لتحصلي على كتالوجك)

To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England.

Name

Address BLOCK LETTERS PLEASE

Country

RC

Mothercare-by-Mail

كل شيء للحوامل والرضع والأطفال حتى سن العاشرة



مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول مارس ١٩٧٩

٥

١١٤

الدراما الثورية الاسبانية

• فصيلة على طريق الموت • الكمامة • النطحة

تأليف : الفونسو ساسترى

تقديم : د. صلاح فضل

ترجمة : د. أحمد يونس

مراجعة : د. أحمد هيكل


في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
Su Mo Tu We Th Fr Sa
CHRONOGRAPH
ORIENT
مهما يكن اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية،
بإمكانك الاعتماد على "أورينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة أورينت كوارتز"
سولار الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم خلايا شمسية
طاقة لا محدودة من الشمس، وساعة "أورينت كوارتز" الأنيقة
والجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ. فمن جميع ساعات "أورينت" تحتوي
هزازات الكوارتز على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من إنجازات تقنية.
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة، ساعات أورينت كوارتز
دقيقة ورفيعة المستوى. إنها أكثر من مجرد وجه جميل آخر.
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901. TLX:J26896 TIMETEST



فكّـــــر...

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار ـ الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧،٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٩٨٧ . البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٢٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٢ ، دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، الدوحة ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، الأردن : الشركة الأردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣١٣ ، عمان ، هاتف ٢٥/٢٤/٦٣ ٢٥٣ ، الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٦٥٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٧٦ ، الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات المزارع واللوازم الزراعية (مستقا) ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٤ ، فرع بنغازي ، ٩٩٣٣٩ ، مصر : مانترال ـ ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٢٨٩٤٣/٨٠٩٩٨٥ ، عمان : شركة الواحة للتجارة والمعدات ، ص . ب ١٠٠٩ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢٢٦٠ ، قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢١٧٦ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦٦ ، الفروع : الدمام ٢٢٥٩٤ ، الرياض ٢٨٤٦٨ ، سوريا : م . عزت القلا وأولاده ، ص . ب ٣٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٢٩ ، ويوجد فرع في حلب ، تونس : تونسية ب دبيبرجين ش . م . ٩٩ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦ ٥٧٣ ، الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٧ ، الحديدة ، هاتف ٢٤٥٠٦ ، يوجد فرع في صنعاء .

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

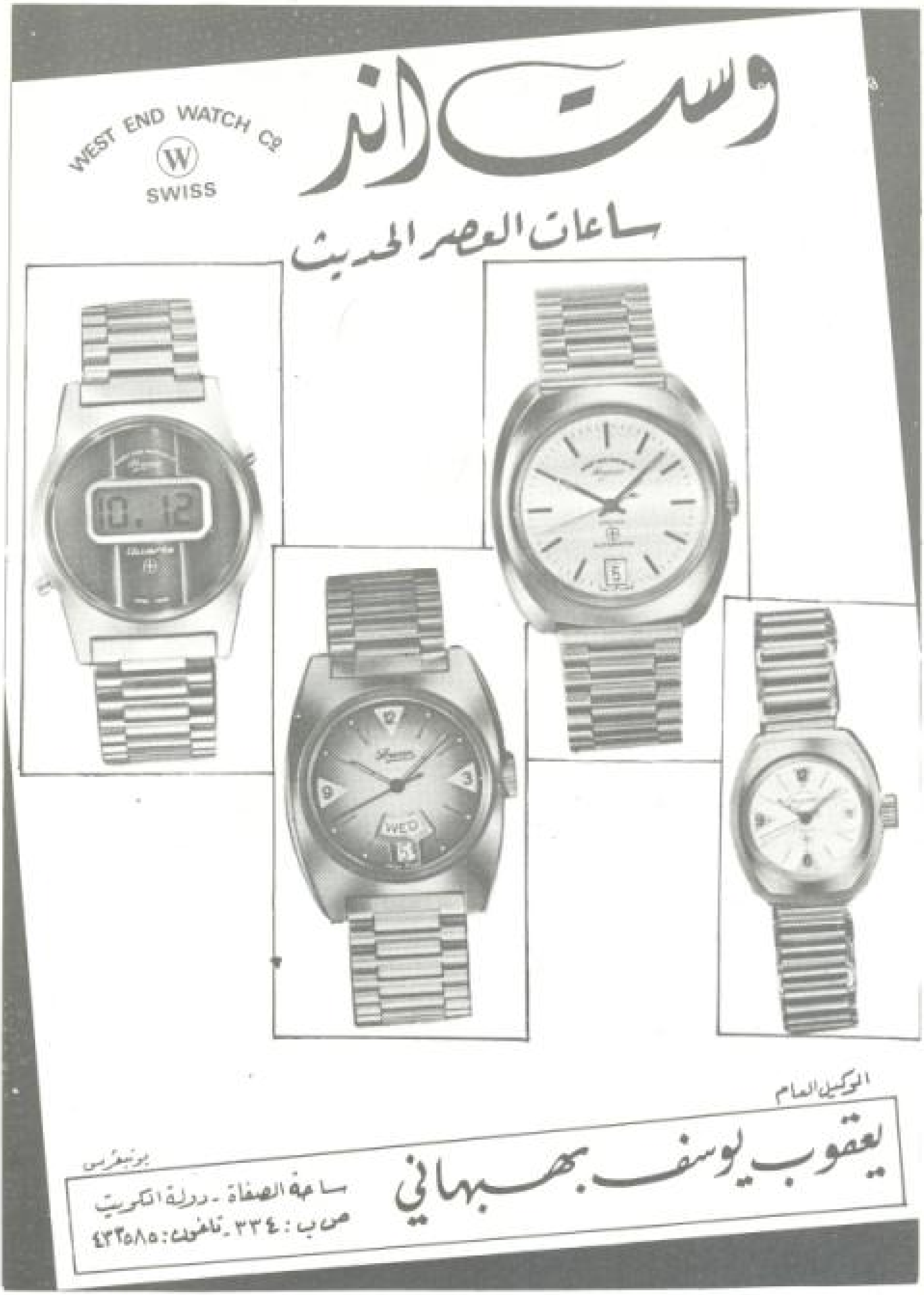
تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط التفحص . وتجمّع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها .

ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

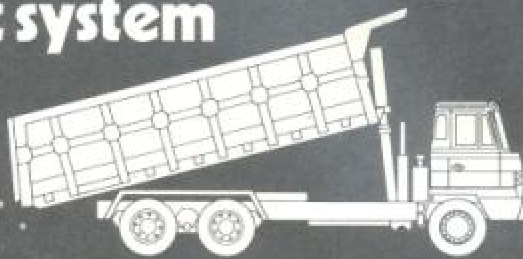
وإلى جانب ذلك فإن موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا يمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلص » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

CATERPILLAR


وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
10.12
WED
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص.ب: ٣٣٤ - تلفون: ٤٣٢٥٨٥

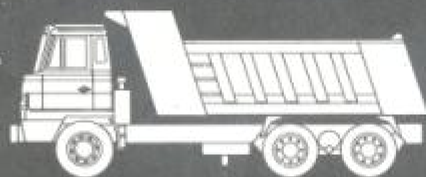
FODEN

the complete heavyweight transport system



Super Haulmaster

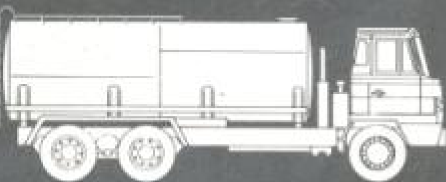
Versatile strength, power and performance. A 38 tonne rigid truck or a 3 axle, 65 tonne tractor unit. A complete transport system adaptable for tipper, mixer, tanker or trailer and special purpose duties; designed to take on the toughest haulage and construction jobs anywhere in the world and engineered for total reliability even under the most severe operating conditions. Rugged frame, 40 tonne axle capacity, a Cummins Formula E290 engine, Foden 8 speed gearbox and double drive bogie together with an all- steel day/sleeper tilt cab for supreme driver comfort and maximum serviceability.

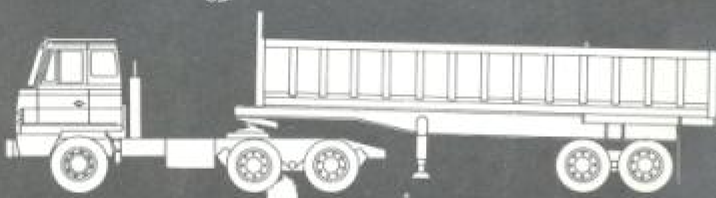


نظام نقل كامل للأثقال

سوبر هولماستر

[illegible]





Please send me details on the Foden Super Haulmaster Export range

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works
Sandbach
Cheshire England Telephone 09367 3244
Telex: 36171 (Service), 36553 (Sales), 36163 (Admin.).

Name ....
Position ....
Company ....
Address ....
....
For operation in ....

IPS 1213/AA



سوني
SONY
KV-2010ME
والصوت معاً ليبثهما امامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني .
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً . وهو سهل الاستعمال
سوني بيتاماكس . انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك .
Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته
SL-8000E

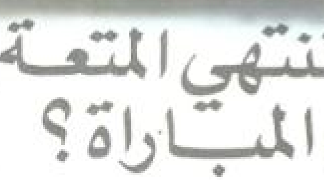


هل تجب أن تنتهي المتعة عند انتهاء المباراة؟



أشرطة كاسيت بيتا
إل ٢٥٠ / ٥٠٠ / ٧٥٠
(لمدة ٦٥ ، ١٣٠ ، ١٩٥ دقيقة)

كلاّ . إذا قمت بتسجيلها وحفظها ثمّ مشاهدة المباراة مرّة ثانية وثالثة ... وذلك بألوان متألقة لمدّة ٣ ساعات وربع على جهاز سانيو VTC 9300P/S Betacord . ويتوفر زرّ التحكم عن بعد لأغراض التسجيل السهل بوقف أفلام الدعاية والأجزاء غير الهامّة (إضافية حسب الطلب). ويوفر المؤقت المتطور إمكانية التسجيل أثناء غيابك مع إعداد الجهاز قبل ٧٢ ساعة بصورة مسبقة حتى ولو كان العرض خلال ليلتين متتاليتين فإن بإمكانك تسجيل كل شيء بدون حضورك .
وبعدها تبدأ متعة المشاهدة باستمرار متواصل ، حتى ولو انتهت المباراة فعلاً .



VCC 9500
للملوّن .
VC 1400 للأسوَد وَالأبيض .

B CORD VTC 9300P/S

P پ تعني بال
S س تعني سيكام

أيّ شريط للفيديو بعلامة « بيتا » يمكن استخدامه في جهاز VTC 9300P/S

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٤٥
جماد الاول ١٣٩٩
ابريل (نيسان) ١٩٧٩





الليطاني: نهر عربي في خطر



المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات
الكويت الاقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والاستشارات
والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع أنحاء العالم، فقبل إقدامك
على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي
إستعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك



عزيزى القارئ

● شهدت الكويت خلال الشهر الماضي اجتماعا طارئا لوزراء الخارجية ، كان موضوعه الاساسى هو : حسم الصراع الذى انفجر بين اليمنين الشقيقين ، وهو الصراع الذى عمق محاولات استنزاف الدم والمال والجهد العربى • ولم يستفد منه باتفاق الجميع اى طرف عربى ، خصوصا وانه من نوع الصراعات التى يتساوى فى نتيجتها نصيب المنتصر مع خسارة المهزوم • بل ويتسع نطاق الهزيمة لكى يتجاوز طرفى الصراع ، ويصيب الامة العربية كلها •

على ان الأكثر ما يلفت النظر فيما جرى ، هو اللهفة العربية على رأب الصدع ووقف نزيف الدم باسرع ما يمكن • لقد استتبع تبادل اطلاق النار اتصالات عربية عاجلة ومكثفة ، بادرت اليها السعودية والكويت من ناحية ، ثم سوريا والعراق والاردن من ناحية اخرى • وكان من نتيجة هذه الاتصالات ان توقف القتال قبل ان يتفاقم ، واجتمع وزراء الخارجية العرب خلال ايام قليلة فى الكويت •

هذا التحرك يعكس ادراكا حقيقيا لحجم المخاطر التى تتهدد الامة العربية ، وهو ما نتمنى ان يحقق نتيجة مماثلة فى حسم المشكلة اللبنانية • التى هى فى النهاية ، شهادة تدين العرب جميعا ، ولا تستثنى منهم طرفا •

ان حزننا على ما جرى بين اليمنين ، لا يفوقه الا سعادتنا بهذا التحرك العربى السريع !

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 245 April 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● الصور الثلاث لنهر الليطاني والحياة التى تدب حوله . وهو استطلاع الشهر الذى يروى قصة النهر الذى تهدده اخطار عديدة ، فى مقدمتها انه يشكل حلما اسرائيليا يسعون الى بلوغه بكل وسيلة . والنهر بحد ذاته يجسد احدى صفحات التاريخ العربى الحديث بكل ما فيه من غرائب ومفارقات.
(انظر ص : ١٠٧)

ادب :

اجتماع :

تربية وعلم نفس :

فنون :

كتاب الشهر :

متنوعات:

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

بحثاً عن هدف للعالم العربى فى مرحلة "السيولة الدولية"

بقلم : جميل مطـر

تتعدد الاسئلة السياسية التى لا تجد اجابات شافية ، ولم يعد يوجد فارق كبير بين حيرة رجل الشارع وحيرة الخبير بالشئون الدولية ، لأن كليهما يشهد افعالا سياسية لا يجد تفسيرا منطقيا او علميا لها . فالعالم يمر منذ فترة بمرحلة انتقالية تغيرت فيها قواعد السلوك الدولى وتبدلت اولويات ومسلمات وفرضيات واسترخت ايديولوجيات وتفككت تكتلات.

ومع ذلك يبدو ان المرحلة الانتقالية او مرحلة السيولة فى العلاقات الدولية تقارب نهايتها ، لا لأن علاقات السياسة الدولية صارت اقل غموضا ، ولكن لان الازمة تعقدت بشدة . اذ لم تحدث فى تاريخ العلاقات الدولية تغيرات جذرية ومتلاحقة وفى وقت قصير مثلما حدث فى الاشهر القليلة الاخيرة . واصبح مشهدا مألوفا فى اجهزة صنع القرار ، وفى حلقات التحليل السياسى ، وصالونات المثقفين ، مشهد المحللين السياسيين امام خرائط سياسية واصابعهم تشير الى هلال من الدول يكاد يكتمل دائره أو مربع من دول اخرى تكاد تنفرط اضلاعه . ونسمع ان حالة من



الارتباك تسود الاوساط الحاكمة فى هذا البلد او ذاك ، او ان دراسات مستفيضة يجرى اعدادها لتقييم السياسة او تقويمها .

لقد بدات مرحلة السيولة الدولية حين ادرك طرفا القمة السوفيتية والامريكية خطورة سباقات الحرب الباردة وقررا ان يسلكا طريق الوفاق ، وتوافقت مع هذه البداية تغيرات هامة اخرى فى العالم ، اذ كان النظام الدولي كله يهتز بفعل هزائم الولايات المتحدة فى فيتنام ، وبزوغ اوروبا الغربية واليابان كقوة اقتصادية منافسة للقوة الامريكية . ثم دخل النفط متغيرا اساسيا فى التفاعلات الدولية فضاعف من تعقيدات حالة السيولة السياسية الدولية .

بناء على غير اساس

وبينما كانت دول العالم النامى تدعو لنظام دولى اقتصادى جديد ، كانت الدول الصناعية المتقدمة تستعد لنظام دولى سياسي جديد ، ولقد نبه بعض المحللين السياسيين فى العالم النامى الى خطورة مرحلة السيولة الدولية وبوجه خاص الى ضرورة تفادى التورط فى الارتجال فى تغيير السياسات الخارجية خلال هذه المرحلة ، اذ كان واضحا لدى هؤلاء ان معظم المؤشرات والمتغيرات الدولية السائدة فى ذلك الوقت لم تكن سوى انعكاسا لاوضاع غير مستقرة فى العلاقات الدولية، وبالتالى فان الاقدام على تغييرات جذرية فى السياسات الداخلية او الخارجية استنادا الى هذه المؤشرات والمتغيرات يحمل فى طياته خطر البناء على اساس غير ثابت او متين .

ومع ذلك فقد كانت مرحلة السيولة اغنى مراحل التاريخ الحديث من حيث التغيرات الارتجالية فى اساليب النمو والتخطيط فى العالم النامي ، ومن حيث التغيرات الجذرية فى السياسات الخارجية .

تصور بعض صناع السياسة مثلا ان النظام الدولي القائم على اساس هيمنة القطبين الرئيسيين يتحول تدريجيا الى نظام اكثر تعددا ، وكانت المؤشرات في ذلك الحين هي تزايد القوة الاوروبية واليابانية وبدءخروج الصين من عزلتها التقليدية، وتوحل الولايات المتحدة في فيتنام ، وتمرد الماركسية الاوروبية على الاتحاد السوفيتي .

ولم تكن هذه الرؤى الجزئية للوضع العالمي مقصورة فقط على محللي وصانعي السياسة في العالم النامي ، بل تسببت هذه الرؤى في ظهور نظرية الرئيس الامريكي نيكسون القائلة بتدعيم دول معينة لتقوم بدور الشرطي الذي يحافظ على امن منطقته ، فتخصص لايران منطقة وللبرازيل منطقة ولدولة او اخرى في افريقيا جزء من القارة وللاقلية البيضاء في الجنوب الجزء الآخر . كذلك أوردت هذه الرؤى نظرية لبرجنسكي ـ مستشار الرئيس الامريكي ـ تقول بان الهيمنة السوفيتية غير عالمية الآفاق والابعاد كالهيمنة الامريكية ، وانه من الواجب التعامل معها حيث يكون نفوذها اقوى وعدم الاهتمام بها حيث يضعف تأثيرها . والظن كبير انه بالفعل اعتبر الشرق الاوسط من المناطق التي يضعف فيها نسبيا تأثير النفوذ السوفيتي فتجاهل الاتحاد السوفيتي ، ثم اتضح لبرجنسكي ـ كما اتضح لكل من طبق هذه النظرية او شارك في صنعها وتطبيقها ـ ان الاتحاد السوفيتي ليس غافلا عن الشرق الاوسط ، وانما ابتعد عن عمد حتى يرتكب الارتجال السياسي لبعض الحكام اثمه الاكبر في ظل حالة السيولة ، اعتمادا على انه حين تستقر الاوضاع سيكتشف هؤلاء الحكام أن قوة دولهم قد استنزفتها متغيرات ومؤشرات السيولة .

ومن معالم السيولة الدولية الراهنة حالة الاسترخاء السياسي في علاقات الدول النامية ببعضها او بالعالم الخارجي . وتفسير ذلك يكمن في عديد من الاعتبارات ربما كان اهمها تغير القيادات السياسية التي قادت حركات الاستقلال السياسي في هذه الدول، ووصول قيادات جديدة لم تقدر ـ او لا تريد ان تقدر ـ حجم واهمية الدور الايديولوجي في عملية بناء الامم. وتظن اغلب هذه القيادات ان تعثر التنمية وتعقد المشاكل الاقتصادية ما هي الا بعض مخلفات الانطلاقات السياسية الاولى نحو الاستقلال السياسي والاقتصادي . جاء هذا الاكتشاف في وقت كان النظام الدولي قد دخل بالفعل اولى مراحل السيولة حين شاعت الآراء بان الوفاق يتجسد على حساب الدول النامية .

فوضى العالم النامي

وفي معظم الحالات كان التحول في السياسات الخارجية سريعا ومفاجئا وكان الارتماء في احضان احدى القوتين العظميين مثيرا ومخجلا ، ولم يبخل صناع السياسة في الدول النامية التي ارتجلت هذا التحول في تقديم القرابين من تراث مرحلة البناء السياسي والاجتماعي .

ولذلك فحين نشأت الدعوة الى نظام دولي اقتصادي جديد لم يجزع العالم الصناعي المتقدم، لأنه يعي عن خبرة سنوات ماضية ان قوة الفقر تكمن في قوة سياسة الفقر ، فاذا نزع منها عنصر السياسة لم يبق لها الا الفقر منهكا لا يقوى على التحدي ، وحين ظهرت فجأة « قوة » المادة الخام التي تنتجها الدول النامية عكف العالم المتقدم على دراسة افضل الوسائل لمنع تحول هذه القوة الاقتصادية الى قوة سياسية ، وفي وقت كانت دول نامية متعددة تعيد رسم خططها على اساس معونات دول النفط كان العالم المتقدم يخطط لتطويع هذه المادة وامتصاص عوائدها والتحكم في مستقبلها . ولعل الازمة الايرانية تكون قد اكدت ظاهرة « الدولة التربة المدمنة » ، اذ اناطوا بايران دورا لم تكن بحاجة اليه ، وزينوا لها خطرا لم تكن مستعدة لمواجهته ، واقاموا قصورا للشاه في السياسة الخارجية لا اساس لها في الأوضاع الداخلية . وملأوا الدنيا صياحا ونذيرا بخطورة الخليج واهمية استقراره بالنسبة لسلامة الاقتصاد العالمي ، ومع ذلك فحين سقط الشاه لم تهتز سوق واحدة من أسواق المال لأنه بأي حساب ستظل ايران مدينة للعالم الرأسمالي لأعوام قادمة .

ان ما يشهده العالم النامي اليوم من فوضى سياسية واجتماعية واقتصادية انما يأتي نتيجة

مباشرة لوضع التشتت والتفتت الذي صاحب مرحلة السيولة الدولية وبالذات الى تجاهل كثير من الدول النامية لاهمية التضامن السياسي بينها . وفي غياب هذا التضامن وفي غياب التشاور المنتظم في ظل الثقة التي كانت تولدها مؤتمرات عدم الانحياز ، اصبحت كثير من الازمات والتطورات الداخلية مستعصية الفهم على صناع السياسة ، فاذا اضفنا الى هذه الاعتبارات واقع حالة السيولة الدولية والاجراءات المتخذة لوضع نظام سياسي دولي جديد ، تصبح اوضاع كثيرة حقيقة غير قابلة لتفسير منطقي . ولدينا القرن الافريقي مثالا لحالة من تداخلات وتصرفات دولية واقليمية لا يوجد اتساق بينها وتتحدى التفسير السهل .

في ظل هذه الاوضاع تصبح جميع التفسيرات محتملة ، وهي تتراوح بين ان يكون الارتباط الدولي قد امتد فعلا الى دوائر صنع السياسة بالدولتين العظميين فاصبحت سياستهما الخارجية انعكاسا لهذا الارتباط ، وبين ان يكون الارتباط الدولي قد اقتصر على دول العالم النامي وبعض الدول الصناعية المتقدمة ولم يمتد الى الدولتين العظميين ، ولكنهما يرتبان اوضاعهما الدولية ويصممان اسس نظام دولي جديد مستقلين هذه الحالة من السيولة الدولية . ولكل من التفسيرين ما يؤيدهما .

في منعطف خطر

فمن ناحية اصبح واضحا ان الدولتين العظميين تتعرضان حاليا لضغط تطورات وقوى متنوعة ، فالنهضة الفكرية التي تعيشها القارة الاوروبية بدات تؤثر في كثير من فلسفات الحكم في كلا الشرق والغرب معا . ولربما كان لهذه النهضة الجديدة علاقة بمظاهر التمرد التي تسود مناطق اخرى من العالم ضد طغيان المادية وهيمنة العناصر السلبية في حضارة التصنيع . اذ كما انه مطروح في كثير من دول العالم النامي قضية العودة الى العقائد السماوية بحثا عن سلام النفس واطمئنانها . تسود اوروبا وامريكا هذه الايام ظواهر مشابهة ، بعضها يمثل تطرف الهاربين من جفاف الحياة الراسمالية بحثا عن اديان جديدة وبعض آخر يمثل عقلانية مراجعة النفس فاقدم على اعادة النظر في كل الفلسفات والايديولوجيات التي وضعتها وصاغتها اوروبا منذ عصر النهضة الاول حتى الآن . وتظهر اهمية هذه الصحوة الفكرية الاوروبية اذا نظرنا اليها في اطار انهيار الفكر الانساني في الولايات المتحدة خلال اعوام التحول الكبير الى عصر « التقنية » ، وفي اطار تجمد الحركة الفكرية والديمقراطية في الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية خلال الفترة الستالينية ، يضاف الى ذلك ان هذه الصحوة تأتي في وقت اهتزت فيه دعائم النظام السياسي الامريكي في اعقاب فيتنام وسلسلة من تجاوزات السلطة وانحرافاتها وتردي الروح المعنوية للشعب الامريكي كما تأتي في وقت تشتد فيه حملة المثقفين السوفييت ضد القيود على الحريات في الاتحاد السوفيتي وفشل النظام السوفيتي في تحقيق الرفاهية النفسية .

وببساطة يمكن القول ان الايديولوجيتين الرئيسيتين السائدتين في العالم الصناعي اليوم تواجهان منعطفا خطيرا ، اذ تولد عند الشعوب الاوروبية والامريكية شعور عام بالافتقار الى هدف ، وهو أخطر محنة تصاب به امة من الامم ، لانه يعني بداية التفسخ والتسيب ، حقا تحققت اهداف كثيرة ، ولكن الشعوب تبحث دائما عن رفاهية وسعادة مكتملة ، وما تحقق حتى الآن سواء في الدول الشيوعية او الدول الراسمالية اكثره كان على صعيد الرفاهية المادية . في اغلب الاحيان كان على حساب راحة النفس او حرية الانسان . وفي ظل هذا الشعور بدأ الانسان اما بخلق حواجز تفصل بينه وبين السلطة السياسية الحاكمة وايديولوجيتها او بالتمرد عليها .

وتزداد خطورة هذا الوضع في الدول المقسمة ايديولوجيا او الباحثة عن نهج سياسي جديد ، ففي كل من ايطاليا واسبانيا والبرتغال مشكلات مرتبطة بقضية البحث عن هوية ايديولوجية ، وكل التيارات مهتمة بان تقدم حلولا او انتقادات لمشكلات وتجارب عقائدية شوهت سمعة الايديولوجيات السائدة في العالم . في هذه الحالة يسيطر على العمل السياسي للدولة اسلوب

النظرة الجزئية الى الامور ، وتتخذ القرارات في معزل عن اى اطار عام فلسفي او ايديولوجي يضمن تناسقها او انتظام الخط السياسي للدولة.

واذا كان التراجع الايديولوجي ظاهرة من ظواهر السيولة الدولية في العالم الصناعي فهو ايضا ظاهرة من ظواهر هذه السيولة في العالم النامي ، ويبرز هذا بوضوح في المنطقة العربية بالذات وفي كثير من الدول الافريقية والاسيوية بوجه عام . ويصح القول في هذا المجال بانه اذا استمر هذا الوضع فهذه الدول بلا شك متجهة بخطى سريعة على مسار امريكا اللاتينية وينتظرها نفس المصير . فامريكا اللاتينية قارة فقدت حافز البحث عن هدف جديد فور تحقيق هدف الاستقلال في الربع الاول من القرن الماضي ، كان بالامكان ان تجتمع على هدف قومي او على هدف التحرر من الهيمنة او على ايديولوجية توحد مسارات دولها وتعبىء شعوبها وتنمي قدراتها ، ولكنها لم تحاول فسكنت نموا وتقدما وتفجرت فوضى وتمردا .

مشكلة العالم العربي

وفي وقت من الاوقات وحين تنبأ بعض علماء السياسة والاقتصاد ان مصير العالم النامي كله سيكون من نوع مصير امريكا اللاتينية ، كنا في العالم العربي نهاجم هذا التنبؤ استنادا الى وجود ايديولوجية ما تلهب مشاعر الشعوب العربية وتعبىء طاقاتها وتدفع حكامها الى طريق التنمية ، وكان ظننا صادقا ، حتى ان بدأت حملة شرسة ضد القومية العربية ، وتراخى الالتزام بالايديولوجية ، وبدأت تسود مظاهر التفسخ لدى قطاعات هامة من الشعوب العربية ، وسيطرت مذاهب براجماتية على اساليب الحكم وتوارت مشاكل الامة وبرزت مشاكل كل شعب بشكل يهدد استقرار كل دولة على حدة ، ويهدد استقرار وسلامة الامة بأسرها .

وفي هذه الظروف ، خاصة حيث لا يوجد الحافز الذي يعمل على تجميع الارادة وراء هدف قومي ، تسود الانانية الفردية والانتهازية وتظهر طفيليات اجتماعية وسياسية واقتصادية تعطل النمو الاجتماعي التدريجي للشعوب ، وينعكس هذا على السياسات الخارجية للدول فيجعلها مذبذبة وجلة غير واثقة من قدراتها الحقيقية ، في احيان يبدو الخطر الخارجي مضاعفا عشرات المرات ، وفي احيان اخرى يبدو مصغرا الى حدود دنيا ، اذ يكون الناصحون والمقربون لصناع السياسة من ذوي مصالح غير مؤسسة اجتماعيا او اقتصاديا او سياسيا ، وبالتالي تكون نظرتهم للاوضاع الاقليمية والدولية نظرة جزئية بل فردية « ومصلحية » .

واذا تفتتت الارادة الجماعية وغاب الهدف القومي او الوطني وحل الطموح الفردي محل الطموح الوطني تباطأ النمو وضاعت القيم ، واضطرت الدول الى الانفاق من ارصدتها الاستراتيجية السياسية والاقتصادية ، وعملت في الحقل الدولي منفردة متوسلة وفي احيان متسولة وانهارت الثقة في النفس ، وعادت ظاهرة الارتماء في احضان الهيمنة الدولية .

لذلك يسود القلق دول العالم النامي ، ويسود الارتباك حول فهم وادارة العمل السياسي ، وفي كثير من اروقة خارجيات حكومات عربية يحاولون تفسير حالة دولة تنقل ولاءاتها بين الشرق والغرب وكلاهما متفق على مصيرها ، او حالة حركة تحرير احتارت في تعريف وتحديد من تنتمي اليهم ومن لا تنتمي ، وخلال حيرتها فقدت أغلى قدراتها ، وحالة حاكم تتجاوز اطماعه طموحات شعبه وتزايد على حلفائه فتخلى عنه الشعب والحليف ولم يقو العرش على تحمل ثقل اطماعه .

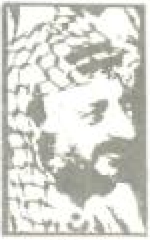
ان المنطقة العربية ـ على وجه التحديد ـ تمر باخطر مراحل تحديها . اذ قد تخطىء خطأ مصيريا اذا حاولت خلال مرحلة السيولة الدولية الراهنة ان تربط نفسها بنظام تحالفات خارجية ، او ان ترتجل في تعديل اولويات اصدقائها واعدائها والسبيل الوحيد نحو الخروج سالمين من ازمة السيولة ان يعاد للامة العربية هدفها القومي ويلتزم به حكامها . ■■

جميل مطر

أقوال معاصرة



الخميني



عرفات



تنج



كلاى

- ان الاسلام قوة ثقافية مشعة فى عالم اليوم ٠

اندرويونج المندوب الامريكى لدى الامم المتحدة

- اننى الان محاضر ورجل أعمال وزعيم ، ومن الجنون ان اواصل الملاكمة ٠

محمد على كلاى ـ بطل العالم فى الملاكمة

- سأموت وسيبقى معى الكثير الكثير مما لم أقله ولم أصل اليه ، مع انى عشت فى سباق مع الزمن ٠

الشاعر العراقى المخضرم محمد مهدى الجواهرى

- الرئيس ماو لم يكن معصوما من الخطأ ، لكن أفكاره ستظل هاديا لنا ٠

تنج هيساوبنج ـ نائب رئيس وزراء الصين

- ما حدث فى ايران ليس حدثا محليا ، ولكنه ظاهرة تنتشر ٠

موشيه دايان وزير خارجية اسرائيل

- تشكل المساجد قلعة صلبة لدعوة الجماهير العربية فى الارض المحتلة للتمرد والثورة ٠

البروفيسور موشى شارون مستشار رئيس وزراء اسرائيل

- الخلاف مع العرب هو مصدر قوة اسرائيل ، ولكن لابد من المغامرة بالسلام ٠

ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق

- الذين يريدون حلا سلميا لجميع مشكلاتهم يجب ان يتذكروا انهم أحيانا لا يتوصلون الى حل سلمى حتى مع أطفالهم !

اندرويونج ـ مندوب امريكا لدى الامم المتحدة

- الشهرة تغتال الحرية الشخصية ، وعلى الانسان أن يختار اما أن يكون مشهورا أو سعيدا !

الممثلة الامريكية كاترين هيبورن (٧٠ سنة)

- الطريق الى تحرير فلسطين أصبح يمر الان بطهران !

راديو الثورة الاسلامية فى طهران

- هذه هى المرة الاولى التى أرى فيها طائرات فانتوم أمريكية صديقة !

ياسر عرفات بعد خروج سرب من الطائرات الايرانية لاستقباله فى سماء ايران

وجه حبيبة طالع من الدم

شعر : عبد الكريم حسن

■ ماذا لو أن الريح تقتلع المحيط
من القرار ؟
وتمزق الملاح فى قلب السفينة
ويعود احبابى بلا ماوى
ويكتمل الدمار
فاحس هسهسة المواقد وهى
تحرس خيمة الغد والنهار
ويحين لى وعد على طول انتظار
ريح ونار
ريح ونار

***

ماذا لو ان النار تلتهم السفينة ؟
وتهد أعمدة السكينة
ويعود نوح بلا عصا
ليطل وجهك وهو
يمسح غابة الافق البعيد
فاحس وهج الارض فى دفء
وفى طعم جديد

***

النار تحتضن الربيع وتستريح
ويحف ساعدها ازار
ريح ونار
ويد تلوح من بعيد
من هيأ الشطآن لاستقبال عرس الدم
فى هذى الثغور ؟!
من هيج الارياش فى جنح النسور ؟!
يا نوح ضل بنوك من زمن وعانوا
وترمدت شمس النبوة فى الظلام
والحقد نشّر ساعديه على الصدور
فعلام تنتظر المسير ؟!
الريح تمنح ساعديها للأسير
فعلام تنتظر المسير ؟!
ودم يلون أوجه الموتى
وأشلاء القبور
حان النشور
حان النشور
ويطل وجهك وهو يخطر فى سنا
الافق البعيد

***

لجبينك الصيفى يا سمراء الوان حبيبه
ولوجهك الفضى أسرار الخصوبة
وأراك تكتملين .. تكتملين
تتحايلين وتنشجين



فاحس همس الغيث فى صمت حزين
واراك تلتفين بالدفء المقدس
تحملين
للريح ميلادا ٠٠ وللزمن الشحيح
هبات ريح
نار وريح
نار وريح
ماذا لو انك تبدأين ؟
لانتهى ٠٠٠
تتوهجين ؟
لانطفى ٠٠٠
ماذا لو انك تحملين الى القفار
شعاع نار ؟
لارى جبينى شامخا فى الدم
فى اللهب المقدس
في الدمار
واراك دفء الارض انت
وانت اعمدة النهار
ريح ونار
ريح ونار

★ ★ ★

قتلوك من زمن بعيد ٠٠ ثم ماتوا
وتفننوا في القتل

اكليل من الشوك البخيل على جبينك
وقلائد العرس الملمىّ
سمّروها فى عيونك
واراك تنفضين ٠٠ لا برد الحديد
ولا احتقان الشوك
ريح ونار
ريح ونار

★★★

واراك تنقضين ٠٠٠ تلتفين
باللهب المقدس ٠٠ تصرخين
حان النشور
وترددين
حان النشور
هذا معاد الارض فانتثرى وهبّى
يا قبور
فهسهست بعض القبور
لكنهم ٠٠٠
قتلوك فى وضح الظهيرة
قتلوك فى الوادى ٠٠ وماتوا
يا سميرة

★ ★ ★

وعلى غضارة عنقك الفضى لفوا
كل الوان الحبال

وعلى التلال
زرعوا البنادق في انتظار حبيبتي
ريح ونار
يسلب منك ألوان النهار
ماذا جنت ؟
الأنها صرخت ؟
شدوا على فمها
الأنها نزفت ؟
رقصوا على دمها
ماذا جنت ؟
الأنها شهرت يديها في وجوه الغاصبين ؟
الراقصين على خيام اللاجئين ؟
الرافعين من الدماء قصورهم
ومن الخطيئة ؟
اللاعقين دم النبوءة ؟
عودي ...
سيحملك المحيط من القرار
ويعود للشط المحار
وعلى الجدار طيوف نار
ستهد أعمدة الجدار
ريح ونار
ريح ونار

***

يا نوح .. هذا موعد المد الكبير
فعلام تنتظر المسير ؟
الريح تقتلع المحيط وتزرع الغد بالظلال
فاترك بنيك على الجبال
وامخر عباب البحر بالدم والعبير
ستهل حولك كل أعلام الجمال
وكل آيات الجمال
وحبيبتي ...
ستعِدُ من أجل الرجال
انفاسها الحرى
وما .. حملت كروم البرتقال ■■

باريس ـ عبد الكريم حسن



خلاف الفقراء والأغنياء

حول نظام النقد العالمى

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

● ان مشاكل الدول النامية لاترجع فقط الى ماتعانيه من تخلف فنى او تكنولوجى ، وماتعرفه من اوضاع اجتماعية وثقافية غير مناسبة ، وانما تزيد هذه المشاكل نتيجة وجود نظم ومؤسسات دولية تنحاز الى الدول المتقدمة ، احيانا على حساب الدول النامية . ولعل هذا هو احد اسباب انتقاد الدول النامية لنظام النقد الدولى السائد ، والذى ترى فيه نظاما صمم وفق احتياجات الدول المتقدمة ولم يراع بالدرجة الكافية مطالب الدول النامية .

وقبل أن نتعرض لانتقادات الدول النامية لهذا النظام ، قد يكون من المفيد أن نبدأ بفهم الدور الذى يقوم به نظام النقد الدولى ، وخصائص هذا النظام حتى نكون فى وضع يسمح لنا بمعرفة اسباب معارضة الدول النامية ومطالبها .

تحتاج المعاملات الدولية الى استخدام النقود تماما كما تحتاج المعاملات الداخلية الى هذه النقود . حقا ان النقود فى ذاتها لاتخلق شيئا بل لابد من الانتاج والتبادل ، ولكن وجود النقود يسمح بتسهيل ونمو عمليات الانتاج والتبادل بشكل كبير . فلا يتصور فى مجتمع جاوز المرحلة البدائية أن يستغنى عن النقود . فاذا نظرنا الى النشاط الاقتصادى وجدنا انه نشاط ممتد فى الزمن . فالانتاج يستغرق فترة قبل أن تظهر السلع النافعة ، فلابد من فترة طالت أو قصرت بين بذر البذور وبين ظهور المحاصيل ، ولا بد من فترات مماثلة قبل ان تخرج السلع الصناعية فى شكلها النافع للمستهلك ، وهكذا . والمنتج فى حاجة الى الانفاق خلال هذه الفترة وقبل ظهور الانتاج . كذلك فاذا كان الاصل هو أن يعيش الشخص فى حدود ما أنتجه ، الا أنه ليس من اللازم ان يتحقق توازن دائم بين ما ينفقه الفرد وبين مايكون تحت تصرفه من دخل . فالزرع يظهر فى فصول محددة ، ولكن حاجة المزارع الى الانفاق والاستهلاك مستمرة ، ولذلك نجده فى فترات يتمتع بفائض ، وفى فترات أخرى يعرف عجزا .

ولذلك فقد كان من الضروري أن توجد وسيلة تمكن الفرد من اجراء المعاملات انتظارا لظهور الانتاج او لزوال العجز المؤقت الذي يعرفه . ومن هنا فقد عرفت كافة المجتمعات النقود لتسهيل المعاملات والمساعدة على نموها . وقد ادى وجود هذه النقود الى تطوير ونمو الانتاج وزيادة كفاءته بما تقدمه النقود من خدمات اخرى لتسهيل الحساب والمقارنة بمالا محل للاطالة فيه هنا .

الطريق الى الاتفاق

وكما هو الحال في المعاملات الداخلية فان المعاملات الدولية ايضا تحتاج الى هذه النقود الدولية . حقا الاصل الا تستطيع دولة ان تشترى سلعا وخدمات من دولة اخرى الا في حدود ما تبيعه لها من سلع تنتجها هي . فالامر في النهاية هو تبادل في الانتاج بين الدول . ولكن هذا التبادل لايحول دون قيام عجز مؤقت هنا وفائض مؤقت هناك . ليس من الضروري ان تحتاج دولة الى سلع من دولة ثانية في نفس الوقت الذي تتمتع فيه بفائض من انتاجها تستطيع ان تبيعه لها . ولذلك فان الدولة تكون في حاجة الى وسائل تستخدمها للدفع عند مواجهتها لعجز ، او تقبلها للاحتفاظ بها عندما تحقق فائضا .

وهكذا نجد ان الحاجة للنقود ووسائل الدفع في المعاملات الدولية شانها شان المعاملات الداخلية . على أن هناك فارقا بين الأمرين ، وهو ان المعاملات الداخلية اكثر تطورا وتقدما من المعاملات الدولية .

فقد عرفت تلك المعاملات الداخلية تاريخا طويلا حتى قامت الدولة باعتبارها السلطة العليا في المجتمع ، واصبحت بهذه الصفة تتولى اصدار النقود والاشراف عليها وادارتها بما يحقق اهداف السياسة الاقتصادية . اما المجتمع الدولي فانه لم يصل بعد الى هذه المرحلة ، فلا توجد سلطة عليا فوق الدول تستطيع ان تفرض على الدول نقودا دولية تصدرها وتشرف عليها وتديرها بصرف النظر عن موافقة الدول . والوسيلة الوحيدة للنظام الدولي هي اتفاق الدول على نظام معين ، وفي حدود هذا الاتفاق.

وبطبيعة الاحوال فانه لاينبغي المبالغة في الشكلية بالقول بانه لاتوجد سلطة فوق الدول ، لان اوضاع القوى الاقتصادية والسياسية للدول تجعل لبعض الدول سلطة فعلية تكاد تجعلها سلطة فوق الدول . وهذا الى حد كبير ما تقوم به الدول الصناعية المتقدمة وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ، وهو ايضا مصدر الشكوى الأساسي للدول النامية .

والواقع ان بذور النظام النقدى الدولي الحالي ترجع الى فترة الحرب العالمية الثانية ، عندما شعر الحلفاء باقتراب انتصارهم وادراكهم ان احد اسباب قيام تلك الحرب هو عدم وجود نظام نقدي دولي مستقر مما ادى الى الفوضى في العلاقات الدولية والى التنافس القاتل مما اضر الجميع وانتهى بهذه الحرب القاتلة . ولذلك فانه منذ «اعلان الاطلنطي» عام ١٩٤٢ بين روزفلت وتشرشل ، كان اعداد نظام اقتصادي مستقر للعلاقات النقدية والتجارية هو احد الأهداف المعلنة والصريحة .

ومنذ ١٩٤٣ بدات الدراسات لتصور وضع نظام ما بعد الحرب للنقد العالمي . وكان اشهر ما قدم في هذا الصدد مشروع كينز الاقتصادي الانجليزي الشهير ، الذي طالب بانشاء اتحاد دولي للمقاصة على غرار بنك مركزي عالمي يصدر نقودا دولية (بنكور) كما هو الحال تماما في المعاملات الداخلية . ولكن المشكلة الحقيقية هي انه على حين توجد سلطة سياسية فوق البنك المركزي تضع له السياسات المحددة لاصدار النقد وتوزيعه ، فانه لاتوجد مثل هذه السلطة العليا فوق الدول في المجتمع الدولي . ورغم أن كينز كان يرى امكان ادارة هذا الاتحاد الدولي بمعرفة خبراء يختارون لكفاءاتهم الفنية بصرف النظر عن انتمائهم الوطني ، فانه في الحقيقة ان هذا لم يكن حلا واقعيا . ولذلك فقد استقر الراى في « بريتون وودز »١٩٤٤ على انشاء صندوق النقد الدولي وفقا لافكار الاقتصادي الامريكي وايت .

ووفقا لهذا التصور اتفقت الدول على حماية استقرار اسعار العملات فيما بينها وأن يمول العجز المؤقت الذي تعاني منه احدى الدول عن طريق الاقتراض من صندوق النقد الدولي . ولذلك فقد كان من الضروري ان يتوفر لهذا الصندوق وسائل دفع او نقود دولية يستطيع أن يقدمها لدول العجز لمواجهة الاختلالات المؤقتة . واتفق على ان تقدم كل دولة للصندوق نسبة معينة مما تحتفظ به من ذهب وجزءا من عملاتها

المحلية . وبذلك توافر للصندوق كميات من الذهب ومن عملات الدول المختلفة ، اتفق على استخدامها لمساعدة الدول العاجزة بالاقتراض من الصندوق في احوال وبشروط معينة . ووفقا لهذا النظام كان الذهب يقوم بدور النقود الدولية ، ويستخدم مع عملات الدول الاخرى لاقراض دول العجز .

التنمية : حلم الفقراء

والمسالة الهامة التي تعرض هنا هي تحديد حصة كل دولة لدى الصندوق ، لانه على اساس هذه الحصة يتحدد حجم السيولة او النقود الدولية التي تستطيع الدولة ان تقترضها من الصندوق لمواجهة اى عجز مؤقت في علاقاتها الخارجية .

وهنا نجد ان الاعتبارات التي تدخلت في تحديد هذه الحصة كانت متعلقة باوضاع الدول المتقدمة ، ولم تاخذ احتياجات الدول النامية بقدر كاف من التقدير ، وهو ما يسبب الانتقاد الحالي للدول النامية . وقد ثار خلاف عند انشاء صندوق النقد الدولي حول المعايير التي تؤخذ في تحديد حجم هذه الحصص . فانجلترا طالبت بان تكون نسبة مشاركة الدولة في التجارة الخارجية في الفترة السابقة على الحرب هي الاساس ، في حين ان الولايات المتحدة رات ان يكون ذلك على اساس حجم الناتج القومي لكل دولة . ولاغرابة في هذا الموقف ، فانجلترا قبل الحرب العالمية الثانية كانت صاحبة اكبر حصة في التجارة الدولية في حين ان الولايات المتحدة كانت صاحبة اكبر ناتج قومي . فالخلاف اذن هو حول اعطاء انجلترا او الولايات المتحدة الامريكية ميزة نسبية في صندوق النقد الدولي . وبطبيعة الاحوال تم حل هذا الخلاف ، باخذ حل وسط باختيار صيغة تجمع بين الامرين وتوفق بين مصالح انجلترا ومصالح الولايات المتحدة الامريكية .

وفي كل هذا كانت الدول النامية غائبة تماما . وهو امر طبيعي في ذلك الوقت الذى لم تكن فيه الدول النامية قد ظهرت على السطح الدولي . اما الآن فان الدول النامية وبعد ان حققت وجودا فعليا على المسرح الدولي ، فانها ترى ان يؤخذ في الاعتبار عند تحديد حصص الدول لدى صندوق النقد الدولي امر آخر وهو احتياجات التنمية الاقتصادية للدول النامية .

فالخلاف الأساسي بين نظرة الدول المتقدمة والدول النامية لنظام النقد الدولي هو خلاف حول وظيفة هذا النظام . الدول المتقدمة ترى ان المطلوب هو توفير سيولة او نقود دولية تتمتع بقدر من الاستقرار بما يساعد نمو التجارة الدولية . اما الدول النامية فانها ترى ضرورة ربط هذه السيولة الدولية باعتبارات التنمية الى جانب التجارة . ولذلك فانها ترفع قضيتها تحت اسم الربط ، اى ربط الزيادة في السيولة الدولية وفقا لنمو التجارة من ناحية والزيادة تنمية الدول الفقيرة من ناحية اخرى . فالدول النامية تحتاج الى انشاء قطاع انتاجي متقدم حتى تصبح قادرة على المشاركة في التجارة . اما الدول المتقدمة والتي تتمتع بهذا القطاع الانتاجي فانها ترى ان وظيفة النظام النقدى تقتصر على توفير الوسائل اللازمة لتسهيل التجارة في المنتجات ولا شان لها بتغيير الهيكل الانتاجي للدول .

على ان تطور نظام النقد الدولي بعد انشائه لم يلبث ان ادى الى مزيد من محاباة الدول الصناعية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية على حساب الدول النامية .

فلم يلبث العالم ان اكتشف ان كمية الذهب الموجودة غير قادرة على ملاحقة احتياجات المعاملات الدولية . ومع عدم قدرة صندوق النقد الدولي على زيادة السيولة الدولية اضطر العالم ان يستخدم اكثر العملات الوطنية الدولية تداولا وطلبا وهي الدولار كنقود دولية مرادفة للذهب . وساعد على ذلك التزام الولايات المتحدة الامريكية بتحويل الدولار الى ذهب لغير المقيمين بسعر ثابت (٣٥ دولار للاوقية من الذهب) . وقد كان معنى ذلك ان النظام النقدى الدولي قد زاد من امكانيات الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة للعالم ، باعطائها الحق في الحصول على سلع وحقوق من اى مكان في العالم مقابل اصدار اوراق اسمها الدولار وتعهد بتحويلها الى ذهب عند الطلب . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من محاباة لاكبر اقتصاد في العالم على حساب الدول الاخرى . وهكذا بدلا من ان نجد ان توزيع السيولة الدولية الجديدة يحمى الدول الاكثر احتياجا (كما تطلب الدول النامية) ، فانه قد حابى اكثر الدول غنى وقدرة ، بل ان الولايات المتحدة الامريكية لم تلبث ان تخلفت عن تعهدها بتحويل الدولار الى ذهب . وذلك بقرار منفرد حينما اصدر الرئيس

نيكسون قراره الشهير بمنع تحويل الدولار الى ذهب في اغسطس ١٩٧١ . وازاء هذه الصدمة اختل نظام النقد الدولي كما وضع في « بريتون وودز » وبدأت الدول في ترك قاعدة ثبات اسعار الصرف لتدخل الى موجة من التخفيضات في اسعار العملات .

خيبة أمل متجددة

وبذلك اصبحت العملات المختلفة ودون ان استثناء خاضعة لظروف العرض والطلب ولا تتمتع باي استقرار ، وهو ما ادى الى ضياع فكرة النقود الدولية ذاتها . فالنقود الدولية شان اى نقود لابد وان تتمتع بشيء من الاستقرار في القيمة . ولا يخفى ما يمكن ان تعانى منه الدول النامية بوجه خاص من تقلبات اسعار الصرف . فهذه الدول تعتمد على عدد محدود من الصادرات الاولية ، ولذلك فانها شديدة الحساسية بالنسبة لاستقرار الاسعار بصفة عامة سواء اكانت راجعة لاثمان هذه الحاصلات ام لاسعار الصرف .

وعندما بدأ العالم في اعادة النظر في نظام النقد الدولي ، فان مطالبات الدول النامية لم تجد اى مكان فيما تم من اصلاحات ، او بالاحرى من اجراءات ، حيث ان ما تم لا يرقى الى مستوى الاصلاح .

وقد كانت الخطوة الاولى في الاصلاحات هي زيادة كمية النقود الدولية المتاحة . وارتبط ذلك بانشاء وسائل جديدة هى مايعرف باسم حقوق السحب الخاصة . وهو موضوع يستحق معالجة مستقلة . ولكن الامر الهام هو توزيع هذه الحقوق التى تقوم بنفس دور النقود الدولية في علاج مشاكل دول العجز ، فالدول النامية وهى ترى ان يكون خلق السيولة مرتبطا باحتياجات التنمية الى جانب حاجات التجارة ، فان توزيعها يجب ان يراعى الاحتياجات المتزايدة للدول النامية لهذه السيولة . اما الدول المتقدمة فهي ترى انه يجب فصل الامرين عن بعضهما . وقد تغلبت وجهة نظر الدول المتقدمة .

فالبحث في انشاء حقوق السحب الخاصة بدأ في اطار السوق الاوربية المشتركة ، ثم عندما عرض على صندوق النقد ابيح لجميع الدول الاشتراك فيه ، ولكن على اساس حصة كل عضو في الصندوق . ومعنى ذلك ان توزيع السيولة الجديدة قد اخذ فقط حصص الاعضاء في الاعتبار ، وهو الاساس الذى قام عليه صندوق النقد دون اعطاء الدول النامية اية مزايا جديدة باعتبارها دولا نامية .

وعندما بدأ التفكير الجدى في اصلاح نظام النقد الدولي وشكلت لجنة وزراء مالية الدول الاعضاء في مجلس المديرين التنفيذيين في الصندوق ولجنة من نوابهم (تعرف باسم لجنة العشرين)، شارك في هذه المشاورات ممثلون عن الدول النامية منذ البداية . ولكن النتيجة كانت مخيبة للآمال . فبدلا من الاصلاح العام للنظام النقدى ، اقتصر الامر في اتفاقية « جاميكا » على الاعتراف بالوضع القائم واباحة تقلبات اسعار الصرف على ما فيه من مخاطر للدول النامية . وعند زيادة حجم حقوق السحب الخاصة لم تتغير قواعد توزيعها ، بحيث ظلت خاضعة لحصص الاعضاء في الصندوق (بالرغم من حدوث تغيير طفيف في حصص الاعضاء زاد من دور الدول النفطية ، وهى اقل الدول النامية احتياجا لقروض الصندوق) .

وهكذا نجد أن الدول النامية كانت غائبة تماما عند تكوين نظام النقد الدولي القائم ، وان تطوره لم يراع مصالحها ، بل ان بعض التطورات كانت مع محاباتها للدول الصناعية تضع لاقوى هذه الدول (الولايات المتحدة) مركزا متميزا باستمرار . كذلك فان الاصلاحات والاجراءات التي اتخذت للتعديل في نظام النقد الدولي سواء عند انشاء حقوق السحب الخاصة او زيادتها لم تضع اية حماية لمصالح تلك الدول . ورغم ان الدول النامية شاركت في التحضير للتعديل الثاني في اتفاقية الصندوق ، فان ماتم الاتفاق عليه بعيد عن ايجاد نظام خاص للدول النامية باستثناء بعض الامور ، واهمها :

ـ التوسع في منح قروض للمساعدة في احوال العجز الناجم عن قصور الصادرات .

ـ تكوين صندوق لمساعدة الدول النامية تتكون موارده من نصف حصيلة بيع الذهب .

وهذه امور غير كافية لمسايرة احتياجات الدول النامية . ولا يزال نظام النقد الدولي ـ كما كان عند انشائه بعد الحرب العالمية مباشرة ـ نظاما يساعد على نمو التجارة وخاصة بين الدول الصناعية ولايكاد ان يكون له شان بقضية التنمية . ■■

د . حازم الببلاوى

عليك بعصير الليمون :

ليس مهماً أن تأكل الأهم أن تتعاطى الفيتامينات !

بقلم : الدكتور عبد اللطيف ابو السعود

كان عالم الكيمياء الفرنسي برتيللوه يرى أن هدف الكيمياء العضوية هو دراسة المركبات الكيميائية التي توجد في النباتات والحيوانات ، واثبات امكانية تخليق مواد مطابقة لها من مواد غير عضوية او معدنية . وذلك يشكل هدفا واحدا من الاهداف العديدة لعلم الكيمياء العضوية . ولكن الاهتمام بهذا الاتجاه في البحث العلمي قد صادف هوى في نفوس علماء الكيمياء العضوية الاوائل ، وادى الى اكتشاف تركيب عدد من السكريات ، والزيوت الطيارة ، والبروتينات وغيرها من المنتجات النباتية والحيوانية ، والى تخليق عدد منها .

وفي بداية القرن العشرين ، عاد الاهتمام بهذه المركبات الكيميائية التي تنتجها النباتات والحيوانات . وقد ادت هذه الدراسات والبحوث الى تكوين فرع هام من فروع العلم ، الا وهو علم الكيمياء الحيوية . وكان من اوضح مظاهر هذا التطور التعاون الوثيق بين علماء الكيمياء العضوية ، وعلماء وظائف الاعضاء ، في عمليات تغذية الانسان ، والعوامل التي تحفظ صحته .

وفي تلك الايام ، اشتد الاهتمام بموضوع اللياقة البدنية للانسان ، وكيفية الوصول اليها . ولم يكن غريبا ان يزداد الاهتمام بموضوع التغذية لا من جانب المسئولين فحسب ، ولكن من جانب الناس ككل . ذلك لان الصحة الجيدة تعتمد على التغذية الكافية والصحيحة ، وبدون صحة جيدة ، لايمكن للانسان الوصول الى اللياقة البدنية .

مشكلة التغذية

وحتى اواخر القرن التاسع عشر ، بدت مشكلة التغذية بسيطة للغاية . وكان حلها يكمن في تزويد كل فرد بكمية كافية من البروتينات ، والدهون ، والسكريات : تلك المواد التي تلزم لبناء انسجة الجسم النامي ، ولاصلاح اواستبدال

ما يتلف منها ، ولتزويد الجسم بالطاقة اللازمة لحفظ درجة حرارته ، ولتمكينه من القيام بالاعمال المختلفة •

ولقد كان الخوف من ان تصبح كمية الطعام غير كافية هو الامر الذى اقلق سير وليام كروكس، كما ادى شبح المجاعة الى الاهتمام بانتاج كميات متزايدة من المحصولات الزراعية • وتحقيقا لهذا الهدف ، كان من الضرورى انتاج كميات متزايدة من المخصبات •

زال الخوف ، وحلت مشكلة انتاج طعام كاف لاطعام ملايين الافواه فى مختلف ارجاء العالم واليوم نجد أن الاهتمام قد تحول من الاهتمام بكمية الطعام الى نوعيته • واصبح الخطر على الصحة لا يكمن فى الغذاء غير الكافى ، فربما يكمن فى التغذية غير الصحيحة •

وقبل ظهور الاكتشافات الحديثة فى علم التغذية، كان العلماء ينظرون الى الطعام كوقود وكانت قيمة الوجبة تقاس بقيمتها كوقود ، وكمية الطاقة او عدد السعرات التى يمكن ان تعطيها هذه الوجبة عند احتراقها فى جسم الانسان •

ونظرا لعدم توفر معلومات ادق واشمل ، قنع الناس بهذا الراى ، الذى كان يتناقض مع الخبرات الطبية •

داء غامض

قبل اختراع الالة البخارية ، كانت السفن شراعية ، تمخر عباب البحار بسرعة محدودة فكانت الرحلات تطول لاسابيع عديدة • لذلك كان من الضرورى ان تحمل هذه السفن فى مخازنها كميات كافية من الاغذية المحفوظة ، التى تبقى صالحة للاكل فترات طويلة ، مثل اللحوم المملحة ،واللحوم المدخنة ، والاسماك المجففة ، والجبن وبسكويت البحارة • وبالرغم من ان بحارة السفن كانوا ينالون قسطا كافيا من الطعام ، الا انهم كانوا يتساقطون اثناء هذه الرحلات الطويلة ، فريسة لداء غامض ، يصيبهم بضعف شديد ، يعوقهمعن القيام بواجباتهم ، ويؤثر فى بشرتهم وتنزف انوفهم ، وتتساقط اسنانهم • وكان هذا الداء يؤدى الى الوفاة فى بعض الاحيان • وقد عرف هذا الداء باسم « الاسقربوط » •

لم يكن هذا الداء يصيب الناس فى البحار وحسب ، ولكنه كان يصيبهم على اليابسة كذلك• فقد مات آلاف من الناس بفعل هذا الداء بعيدا عن البحر • كما هاجم الجنود الهنود الذين كانوا يحاربون فى العراق اثناء الحرب الكونية الاولى•

اهتم الاطباء بهذا الداء اهتماما كبيرا ،وعكفوا على دراسته ، فتبين لهم انه وثيق الصلة بنوعية الطعام • كما تبين انه يمكن شفاؤه بشرب عصير البرتقال أو الليمون • ولم يكن هذا الداء يعالج بدواء ، ولكن بتغيير نوعية الغذاء بحيث يحتوى على الليمون او البرتقال •

وابتداء من عام ١٧٩٥م ، امرت البحرية البريطانية بتزويد البحارة بعصير الليمون اثناء رحلاتهم الطويلة فى البحار والمحيطات • فلم تظهر بينهم حالة واحدة من الاسقربوط • وبات واضحا ان الفضل فى ذلك انما يرجع الى مادة توجد فى البرتقال والليمون •

وكان من الصعب على الكثيرين الاقتناع بان هذا الداء المخيف يمكن ان يشفى بهذه الوسيلة البسيطة •

وبطريقة مشابهة ، تبين ان امراضا اخرى مثل البرى ــ برى ، والكساح يمكن تجنب الاصابة بها وشفاؤها بتعديلات فى الغذاء •

وعلى ذلك ، فقد تبين للعلماء ان هذه الامراض لا تسببها سموم او مواد ضارة توجد فى الغذاء او ينتجها جسم الانسان ، انما يسببها خلو الغذاء من مواد ضرورية معينة •

لابد من الفيتامينات

ان ابحاث السير جولاند هوبكنز فى كامبردج



السفن الشراعية
وراء الاسقربوط



فيتامين ا
يريح اجهاد العين

في عام ١٩٠٦م ، وأبحاث الاستاذ مكولم والاستاذة مرجريت ديفز ، في الولايات المتحدة ، وفي وقت لاحق ، قد قدمت الدليل القاطع على ان الانسان لن يبقى في صحة جيدة اذا تكون غذاؤه من البروتين، والدهون ، والنشويات ،والاملاح فحسب، فقد تبين أنه من الضروري وجود كميات صغيرة من مواد اخرى اطلق عليها اسم الفيتامينات •

وقد مكنت هذه المعلومات الجديدة من الوصول الى نتائج باهرة في منع الاصابة بعدد من الامراض وعلاج الناس منها ، بعد ان ظل سببها غامضا زمنا طويلا ، كما تبين للعلماء ان هناك فجوة واسعة بين الصحة الكاملة والمرض الظاهر وانه حيثما لا يوجد مرض ظاهر ، فانالصحة والحيوية، والتمتع بالحياة ، كل ذلك يمكن تحقيقه بزيادة كمية الفيتامينات في الغذاء •

واليوم يعلم الاطباءجيدا ان الامراض البسيطة، والاسنان المسوسة ،والكساح البسيطوالاضطرابات الهضمية ، وغيرها ، قد تكون نتيجة لاخطاء في التغذية ، ونقص في الفيتامينات ولهذا السبب فقد زاد الاهتمام بتحسين نوعية الاغذية ، ومحتوياتها من الفيتامينات •

لقد ادى اكتشاف وجود الفيتامينات واهميتها، الى حفز البحث والدراسة في مجال مصادروطبيعة « عوامل الغذاء الاضافية » هذه ، كما سميت في بادئ، الامر ، وقد اجريت هذه البحوث ومازالت تجرى بنشاط ونجاح كبيرين •

وفي اوائل القرن العشرين كانت هناكثمانية فيتامينات امكن تمييزها ثم اخذ هذا العدد يتزايد مع مرور الايام ، لم تدرس التاثيرات الفسيولوجية لهذه الفيتامينات فحسب ، ولكن تركيبها الكيميائي كان موضوعا لدراسات مكثفة • ولقد نجحت هذه الدراسات نجاحا باهرا ، بحيث امكن تخليق عدد من هذه الفيتامينات ، كما امكن انتاج عدد منها بنجاح وعلى نطاق صناعي •

لقد ادى الجهل بطبيعته الفيتامينات ،وفرديتها الكيميائية ، الى تسميتها بحروف الهجاء ومازالت هذه التسمية قائمة حتىاليوم • ولقد كان الاعتقاد السائد ان بعض هذه الفيتامينات مفردة ،ولكن تبين فيما بعد انها مزيج من عدة فيتامينات ،ميز بينها بارقام مثل فيتامين ب١ ، ب٢ ، ب٦ ، ب١٢•

الفيتامينات الاساسية

يعرف اليوم من الفيتامينات ما يربو عدده على العشرين ولكن الانسان يحتاج الىمعظمها•

● فيتامين ا : لهذا الفيتامين اهمية فيمساعدة وزيادة النمو عند الاطفال • كما انه يفيد صحة البشرة والاغشية المغاطية للجهاز التنفسي • ولهذاالسبب،فانه يزيدالمقاومةللعدوىبالبكتيريا•• وعندما يخلو الغذاء من هذا الفيتامين لفترات طويلة ، يؤدي ذلك الى الاصابة «بالعشىالليلي» او عدم القدرة على الابصار في الضوء الخافت ثم الى اصابة العين بالعدوى •

وقد دلت الابحاث الكيميائية على ان فيتامين (ا) يتكون من الكاروتين ، الذي يوجد في المملكة النباتية على نطاق واسع • فهو يوجد فيالطماطم والمشمش والموز ، كما يوجد في الجزر والسبانخ



امراض البرد العادى يمكن تخفيفها بتناول جرعات كبيرة من فيتامين ج

والقس • وفى عدد من الطحالب البحرية ،وعندما يدخل الكاروتين فى الجسم يتحلل بالماء معطيا فيتامين (أ) •

ويمكن للانسان ان يحصل على حاجته من هذا الفيتامين اما عن طريق الكاروتين الذى يوجد فى عدد من الخضراوات والفواكه ، او بتناوله جاهزا على هيئة الفيتامين نفسه • فى عدد من الاغذية مثل اللبن والزبد والبيض وغيرها ، هذه الاغذية تؤخذ من حيوانات تكون فيتامين (أ) من الكاروتين الذى يوجد فى غذائها • وما يزيد عن الحاجة من هذا الفيتامين يختزن فى الكبد •

وعلى ذلك فان الانسان الذى يتغذى جيدا ، يحتوى جسمه على احتياطى من فيتامين (أ) يمكنه أن يستمد منه احتياجاته ، عندما لا تتوفر انواع الاغذية التى تحتوى على الكاروتين او فيتامين (أ)

على أن اغنى مصدر طبيعى لفيتامين (أ) هو زيت كبد السمك ، وخاصة زيت كبد الهليوت • لقد تكون هذا الفيتامين من الكاروتين الذى يوجد فى الطحالب البحرية الخضراء ثم اختزن السمك فى كبده ما زاد عن حاجته من هذا الفيتامين •

ويستخلص الفيتامين من زيت كبد السمك ثم يباع فى الاسواق فى صورة عالية التركيز • وعلى ذلك فانه يمكننا بسهولة ويسر تعويض اى نقص فى فيتامين أ فى غذائنا •

وفيتامين أ ضرورى لتجديد المادة الحساسة فى شبكية العين ولقد وجد ان الجرعات اليومية من الكاروتين او فيتامين (أ) تريح اجهاد العين وتقلل تعب العاملين فى مضاهاة الالوان وتزيد من كفاءتهم ••

● فيتامين ب ـ ١ : والنقص فى هذا الفيتامين يؤدى الى الاصابة بذلك المرض المؤلم المعروف باسم البرى ـ برى • وقد كان هذا المرض منتشرا بين اهل المشرق الذين كانوا يعيشون على اكل السمك والارز •• يوجد هذا الفيتامين فى جرمة او جنين حبة الارز • وطالما كان الناس ياكلون الارز الطبيعى، لم تحدث بينهم اصابات بمرض البرى ـ برى• اما اذا اكلوا الارز

المسوح ، الذى أزيلت من حياته هذه الجرمات انتشر المرض ٠

وفى الثمانينات من القرن الماضى ، قاسى بحارة الاسطول اليابانى كثيرا من هذا الداء الى ان اضيف الى وجباتهم التى كانت تتكون من اللحم والارز المسوح ، شعير كامل يحتوى على فيتامين ب ١ ٠

ومن الاغذية الغنية بفيتامين ب ١ الخميرة ، وجرمة القمح ، وصفار البيض ، والعدس ، وكبد الثور ٠

ولما كان هذا الفيتامين لا يختزن فى الجسم ، فيجب على الانسان ان ياخذ كميات كافية منه فى غذائه اليومى ٠ ويساعد هذا الفيتامين الجسم فى الحصول على الطاقة من الغذاء ٠

● فيتامين ب ٢ : ثبت ان داء البلاجرا يسببه نقص فيتامين ب٢ ٠ وان توزيعه مشابه الى حد ما للعامل المضاد لداء البرى – برى ، الا انه اكثر ثباتا تجاه الحرارة ٠ لذا سمى بالعامل المضاد للبلاجرا ٠

والبلاجرا التىتصيب الانسان تؤدى الىاعراض منها نوع من الالتهاب الجلدى ، والاسهال وقرح فى الفم ، واعراض عقلية ٠

وينتشر هذا الداء فى حزام القمح الجنوبى من الولايات المتحدة ، وفى مناطق اخرى حيث يتغذى الناس على وجبات فقيرة ، تتكونأساسا من القمح كما يظهر هذا الداء فى المصحات العقلية فىالدول الغربية ٠

وفى عام ١٩٣٥ م ، وجد ان العامل المانع للاصابة بالبلاجرا هو مكون ثالث ٠

وفى عام ١٩٣٧ م ، وجد ان هذا العامل هو حمض النيكوتينيك او اميد النيكوتينيك ٠ كما وجد ان حمض النيكوتينيك ذو فعالية فى شفاء الكلاب التى تقاسى من البلاجرا ٠ وبعد ذلك بقليل ، تبين انه يفيد فى علاج البلاجرا الادمية ٠

● الريبوفلافين : وهو مركب اصفر مشع،يذوب فى الماء ٠ ولقد اكتشف لاول مرة فى اللبن وذلك فى عام ١٨٧٩ ثم وجد بعد ذلك فى البيض والكبد والكلية ٠ وتبين فى عام ١٩٣٣ م انه يزيد من نمو الفئران ٠ كما أن النقص فى هذا الفيتامين يؤدى الى اصابة البشر بمرض معين يمكن تمييزه من التهاب الشفاه ٠

● فيتامين ب ٦ : اكتشف فى عام ١٩٣٤ م ، وهو ضرورى لشفاء مرض جلدى معين فى حيوانات التجارب وقد فصل هذا الفيتامين فى عام ١٩٣٨ م كما عرف تركيبه ٠وهذا الفيتامين ضرورى للنمو، كما انه عامل مساعد فى تكوين انسجة الجسم ٠

● فيتامين ب ١٢ : عندما تبين أن الحقن بمستخلصات الكبد الغالية من البروتين يشفى من من انواع الانيميا ٠ شجع هذا الكشف العلماء على بذل الجهد لمحاولة فصل العنصر الفعال من الكبد ، وكان التقدم بطيئا ، لانه لم تكن هناك طريقة للكشف عن هذا الفيتامين ، الى ان لاحظ العالم شورب فى عام ١٩٤٧ م ان مستخلصات الكبد التى كانت تفيد فى معالجة الانيميا كانت تساعد على نمو بكتيريا معينة ٠ وقد ادى هذا الكشف ، بالاضافة الى ما تبين من أن فيتامين ب ١٢ ذو لون احمر زاه ، الى عزله وبلورته ، ويتميز هذا الفيتامين باحتوائه على عنصر الكوبالت ، الذى يمكن ان يعزى الى وجوده اللون الاحمر لهذا الفيتامين ٠

وهو مادة ضرورية لعملية تكوين كرات الدم الحمراء الجديدة ٠

● فيتامين ج : وهو الفيتامين الذى يحمى من الاصابة بالاسقربوط ٠ وقد عرف الناس منذ زمن طويل انه يوجد فى الخضراوات الطازجة ، وفى الموالح وقد امكن فصله فى عام ١٩٣٢ م علىصورة متبلرة نقية وبكميات كبيرة نسبيا ، من الفلفل الاحمر المجرى ، وفى العام التالى ، امكن معرفة تركيبه ، وتم تخليقه وهذا المركب مطابقفىتركيبه لحمض الاسكوربيك ٠

وحمض الاسكوربيك تجرى صناعته اليوم على نطاق واسع وبذلك اصبح فى متناول الجميع فى كل زمان ومكان ٠

● فيتامين د : تبين ان الكساح الذى يكون مصحوبا عادة بالتكلسغير الكامل للعظام والاسنان، لا يسببه نقصأملاحالكالسيوم والفوسفات فحسب، ولكن يسببه كذلك نقص فيتامين د ٠ وحتى اذا توفرت الاملاح اللازمة فان هذا الفيتامين يلزم لامكان استخدامها على الوجه المطلوب ٠

وبالرغم من عدم ظهور الاعراض الواضحة للكساح مثل تقوس العظام وغيره من الاعراض ، فان الفحص بالاشعة قد يبين وجود هذا المرض في الاطفال الاصحاء ظاهريا .

اما في البالغين ، فان نقص فيتامين د يتسبب في الاستخدام غير الكامل لاملاح الكالسيوم والفوسفور ، الامر الذي يظهر على صورة لين العظام .

واهم مصدر طبيعي لفيتامين د هو زيت سمك القد ، او زيت كبد سمك الهلبوت . كما يوجد هذا الفيتامين في اللبن ، والزبد ، والبيض .وفي فصل الشتاء تنقص كمية الفيتامين ، ولذلك فانه يجب تعويضها بجرعةمن زيت كبد القد او الهلبوت او من الفيتامين النقي .

وفي عام ١٩١٩ م ، اكتشف ان الكساح يصاحب غياب ضوء الشمس ، وانه يمكن شفاؤه او تخفيف وطأته بالتعرض لاشعة الشمس ، او للاشعة فوق البنفسجية التي يشعها مصباح بخار الزئبق .

وفي عام ١٩٢٤ م ، تبين انه يمكن تعريض الاغذية للاشعة فوق البنفسجية لتصبح ذات نشاط مضاد للكساح .

وفي عام ١٩٢٧ م ، اكتشف سر تاثير اشعة الشمس ، والاشعة فوق البنفسجية سواء كان مصدرها الشمس او المصباح الزئبقي . وجد ان مادة الارجوستيرول ، وهي مادة تشبه الدهن توجد في غدد الجلد الدهنية . وفي الاغذية التي تعرض للاشعة فوق البنفسجية ، تتحول هذه المادة بتاثير الضوء الى مركب ذي نشاط مضاد للكساح .

● فيتامين هـ : في عام ١٩٢٢ ، اكتشف العالمان ايفانز وبيشوب هذا الفيتامين ، الذي تبين انه ضروري لعملية التناسل الطبيعية في الفئران . واذ اكتشف العالمان شور وماتيل ، كل منهما على حدة ، الدليل على وجود هذا الفيتامين المضاد للعقم . وقد تبين ان نقص هذا الفيتامين يؤدي الى اعراض اخرى بالاضافة الى العقم ، منها الشلل المصحوب ، باضطرابات عضلية ، وتاثيرات غير طبيعية لعملية الاكسدة في الانسجة الدهنية .

وقد امكن فصل هذا الفيتامين في صورة متبلرة في عام ١٩٣٦م . واطلق عليه اسم الفا ـ توكوفيرول . ويوجد هذا الفيتامين في سبعة صور هومولوجية على الاقل ، لها نفس التركيب الكيميائي الاساسي ، ولكن لها نشاطات بيولوجية مختلفة . وجدير بالذكر ان هذا الفيتامين يمكن ان يحل محله في بعض وظائفه العديدة على الاقل ، عدد كبير من البدائل ، منها صبغة ازرق الميثيلين ، وعنصر السيلينيوم .

● فيتامين ك : في عام ١٩٣٥م ، وصف العالم دام من كوبنهاجن فيتامينا جديدا لتجلط الدم . لقد وجد ان غذاء تجريبيا من الحبوب والخميرة قدم للفراريج لتتغذى عليه ، ادى الى اصابتها بالنزيف . وقد امكن ارجاع سبب هذه الحالة الى تاخر تجلط الدم . وتبين ان سبب ذلك هو قلة كمية البروثرومبين في الدم .

واليوم نجد لفيتامين ك استخدامات كثيرة في منع التجلط غير الطبيعي للدم ، وخاصة في الاطفال حديثي الولادة .

لقد امكن معرفة الكثير عن الفيتامينات الرئيسية ، والامراض التي تنشأ عن نقصها . كما امكن تعيين التركيب الكيماوي لمعظم هذه الفيتامينات ووصف طرق لانتاجها صناعيا . كذلك درست دقائق توزيعها في انواع الاغذية المختلفة . وفي كثير من الحالات ، اصبحت طريقة عمل بعض الفيتامينات واضحة ومفهومة ، ولكنه بالنسبة للبعض الاخر ، وخاصة فيتامين ا ، هـ لا يزال هناك كثير من البحث والدراسة للوصول الى ذلك الهدف .

والامل كبير في ان تؤدي البحوث في هذا المجال في المستقبل الى فهم اعمق للعمليات المختلفة التي تمر بها هذه المركبات الضرورية ، التي قد تؤدي بدورها الى استخدام اوسع لهذه الفيتامينات في العلاج الطبي .

ومن الاتجاهات الحديثة في ابحاث الفيتامينات تحديد السبب في ان جرعات كبيرة من بعض الفيتامينات ، تزيد كثيرا عن الاحتياجات اليومية المعروفة ، كثيرا ما تنجح في علاج امراض اخرى . مثال ذلك استخدام جرعات يومية مقدارها جرام او اكثر من فيتامينات ج لعلاج ومنع الاصابة بالبرد العادي ، فقد بين عدد من الباحثين ان اعراض البرد العادي يمكن تخفيفها بتناول هذه الجرعة الكبيرة . ولكن السبب لم يعرف بعد . ■ ■

د . عبداللطيف أبو السعود

احدث صيحة

فى عالم القانــون



لانه خــلال ٦ آلاف سنة من التــاريخ المكتوب ، لم تعش البشرية فى ســلام الا لمدة ٦٠٠ سنة فقط ، وعاشت بقية هــذا العمر الطويل فى قتال متقطع ٠٠ بسبب من هذه الحقيقة ، كان من المنطقى ان يولد « القانون الانسانى » ٠٠

ماذا تعرف عن القانون الانسانى ؟

بقلم الدكتور احسان هندى

■ يؤكد الفلاسفة ـ عن حق ـ ان الانسان مخلوق يتنازع داخل طيات نفسه عاملا الخير والشر معا٠ ونجد هذين العاملين فى شتى احداث التاريخ منذ مقتل (هابيل) على يد اخيه (قابيل) حتى اليوم، وكذلك فى مختلف الانجازات ومظاهر الحضارة الانسانية ٠ كما نجد تاثير هذه « الاثنينية » فى مضمار المؤسسات القانونية بشكل خاص : فالقانون ـ بالمفهوم الواسع للكلمة كجملة من القواعد الآمرة التى تنظم العلاقات بين افراد المجتمع ـ كان من الممكن الا يوجد بتاتا لولا تلك النزعــــة الشريرة التى تظهر احيانا فى احد بنى الانسان، او جماعة منهم ، ضد فرد آخر او جماعة اخرى، وتنصب على شخصه او على افراد عائلته او على ملكيته المنقولة وغير المنقولة ٠

وقد لا نكون قد اتينا بجديد اذا قلنا « ان تاريخ البشرية ملطخ بالدماء » اذ انه خلال ستة الاف سنة من التاريخ المكتوب للبشرية لم يكن هناك اكثر من ستمائة سنة كفترات سلام لم يحدث فيها حروب على المستوى المحلى او العالمى ، واما الباقى (٥٤٠٠ سنة) فلم يكن الا فترات مذابح ومجازر ومعارك كلها دماء !

وكان من الطبيعى ان تنتفض روح الخير الموجودة فى بنى الانسان ، او فى بعضهم على الاقل ، امام

كل هذه المذابح والمجازر والدماء وان تحاول منع حدوثها او الاقلال من حدوثها من جهة ، وان تتم اذا حدثت حسب قواعد معينة يتقيد بها المتحاربون من جهة ثانية ، وان لا يحدث الطرف المتحارب في خصمه من الخسائر والضرر اكثر مما تتطلبه مقتضيات النصر من جهة ثالثة .

وهكذا في مضمار انجاز معين من الانجازات الانسانية ، وهو ذلك الفرع الذي يسمى اليوم (القانون الدولي العام) ظهرت ثلاثة فروع جديدة هي : ـ قانون الحد من الحروب ـ قانون الحرب ـ القانون الانساني

عن الحد من الحرب

اما (قانون الحد من الحروب) فهو مجموعة النصوص التي تحاول منع حدوث الحروب عن طريق شجبها وتجريمها دوليا او تحريمها في ازمنة معينة وامكنة معينة على الاقل . ويعتقد بعض الباحثين ان اول النصوص التي وضعت في سبيل الحد من الحروب هو (صك عصبة الامم) لعام ١٩١٩ ولكن الحقيقة هي ان النصوص الاولى في هذا المضمار يجب التفتيش عنها في القانون الاسلامي الذي منع القتال في الاشهر الحرم الاربعة (وهذا تحديد من حيث الزمان) وفي المسجد الحرام (وهذا تحديد من حيث المكان) . وقد انتقل هذا التحريم الى اوربة في فترة الحروب الصليبية حيث فرضت الكنيسة بين امراء اوربة المتصارعين خلال القرون الوسطى ما يسمى (هدنة الرب) وهي هدنة اجبارية كانت تفرض على المتحاربين منذ مساء يوم الجمعة وحتى صباح الاثنين من كل اسبوع بالاضافة للفترات التي تسبق الاعياد الدينية المسيحية في عيد الميلاد وعيد الفصح ... وكان يحكم على من يخرقون هذه الهدنة بعقوبة (الحرمان الديني) .

اما قواعد قانون الحد من الحروب التي تم وضعها حديثا فيشملها عدد من النصوص الدولية اهمها (صك عصبة الامم لعام ١٩١٩) و (ميثاق بريان كيلوج لعام ١٩٢٨) و (ميثاق هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٤٥) و (نظام المحكمة العسكرية الدولية لعام ١٩٤٥) و (اتفاقية تعريف العدوان لعام ١٩٧٤)

واما قانون الحرب فيشمل جملة من القواعد التي يجب على المتحاربين ان يتقيدوا بها اثناء عملياتهم الحربية مثل قواعد القصف والقنبلة والحصار والاقتحام ، والاسلحة الحربية التي يجوز استخدامها وتلك التي لا يجوز استخدامها في المعارك . وقد نشأت قواعد قانون الحرب بشكل عرفي كقواعد يجب احترامها بين المتحاربين ثم تمت صياغة هذه القواعد عبر عدد من المؤتمرات الدولية اهمها مؤتمرا لاهاي لعامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ .

اما بالنسبة للقانون الانساني ، الذي هو موضوع بحثنا هذا فهو ضمن صيغته من احدث فروع القانون الدولي ظهورا ، ولو ان كثيرا من قواعده كانت تطبق بشكل عرفي بين المتحاربين قبل ذلك . ويمكن تعريف (القانون الانساني) هذا بما يلي : « وهو جملة القواعد القانونية التي تكفل حماية الشخصية الانسانية وسلامتها وتمتعها بممارسة حقوقها والضمانات المقررة لها في زمن الحرب » .

واول ما نلاحظه في التعريف ان القانون الانساني هو « جملة قواعد قانونية » وهذا ما يميزه من « مبادىء الاخلاق الدولية » : فقواعد القانون الانساني بالرغم من ان اغلبها مستقى اصلا من « مبادىء الاخلاق الدولية » الا انها تتميز عنها بانها ملزمة للدول بعكس « مبادىء الاخلاق » التي لا تتمتع بصفة الالزام . والنقطة الثانية التي يجب التركيز عليها في التعريف هي (حماية الشخصية الانسانية) اذ ان هذه الحماية هي الموضوع الاساسي للقانون الانساني . والنقطة الاخيرة التي يجب التركيز عليها في التعريف هي تحديد الحماية « بزمن الحرب » وهذا ما يميز القانون الانساني عن (حقوق الانسان) التي يجب احترامها في كل وقت سواء في زمن السلم او زمن الحرب كما سنرى في نهاية هذا البحث .

ويقوم القانون الانساني على المبدأ التالي

بما ان الحرب شر لا بد منه ـ كما تدل وقائع التاريخ ـ لذا فمن المناسب تخفيف ويلاتها واضرارها ومصائبها ما امكن ذلك . و « لكي تصل الدولة الى غايتها من الحرب عليها ان تتغلب على خصمها ويكون ذلك بالقضاء على قوى الخصم سواء من الناحية البشرية او المادية . والقوى البشرية يمكن القضاء عليها بالقتل والجرح والاسر ، وهذه النتائج الثلاث

متساوية من حيث اهميتها فى اضعاف قوى الخصم لان كلاتها تخرج الجندى المعادى من المعركة ، ولكنها ليست متساوية من الناحية الانسانية لان الموت هو الضرر الاعظم الذى يقع فى هذا المجال اذ يحدث ضررا لا يمكن التعويض عنه ، بعكس الجرح الذى هو اخف منه ، والاسر الذى هو اخف من الاثنين . وروح التمدن تتطلب ـ كلماكان ذلك ممكنا ـ تفضيل الاسر على الجرح والجرح على القتل » (١)

وفكرة ادخال الروح الانسانية فى الحرب ـ او ما يسمى (انسنة الحرب) راودت ضمائر وعواطف المشرعين والقادة المحاربين منذ قديم الزمان (وفى هذا تاكيد على وجود نوازع الخير فى النفس الانسانية) : فقد اوصى المشرع الهندى (مانو) فى تشريعه الذى وضعه حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م بانه « على المحارب الا يقتل عدوا استسلم ولا اسير حرب ولا عدوا نائما او اعزل ، ولا شخصا مسالما غير محارب ولا عدوا مشتبكا مع خصم آخر » .

اما الاسلام فقد حوى بشكل وضعى ، سواء فى القران الكريم أو فى السنة الشريفة ، مبادىء كثيرة تتعلق بالقانون الانسانى وكيفية معاملة مواطنى العدو بشكل عام واسرى الحرب بشكل خاص : فالاية الكريمة « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » مثلا تضفى اكمل حماية ممكنة على اسرى الحرب اذ انها تضع الامير المسلم امام خيارين لا ثالث لهما بخصوصهم :

ـ المن : اى ان يعفو عن الاسرى ويطلق سراحهم من غير مقابل

ـ الفداء : وهو اطلاق سراح الاسرى مقابل مبلغ من المال او مبادلتهم بامثالهم من اسرى المسلمين المحتجزين فى الجانب الاخر .

وقد تقيد قادة العرب المسلمون بهذه الاحكام الواردة فى القران والسنة فمارسوا فى ذلك قواعد القانون الانسانى ووضعوها موضع التطبيق قبل ان يعرفها العالم بشكل وضعى بحوالى اثنى عشر قرنا . وان الوصية التالية للخليفة ابى بكر رضى الله عنه تعطينا ابلغ دليل على ذلك حيث يقول مخاطبا الجند السائر لفتح بلاد الشام بامرة يزيد بن ابى سفيان :

« لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا شيخا كبيرا ولا طفلا صغيرا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكلة ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا اذا صالحتم ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له »

هذا فى قانون الاسلام وفى بلاد الاسلام، واما فى اوربة فقد انصرفت القرون الوسطى بكاملها تقريبا قبل ان تعرف اوربة اى نص قانونى وضعى يتعلق بمبادىء ما يسمى اليوم بالقانون الانسانى، اى حماية المدنيين غير المحاربين والمحاربين غير المقاتلين فى اشخاصهم واموالهم وحقوقهم ... ولعل انصع دليل على ان اوربة كانت تجهل مبادىء القانون الانسانى يتجلى فى معاملة من بقى من العرب المسلمين فى مدينة غرناطة بعد سقوطها فى يد الاسبان عام ١٤٩٢ : فعندما تم تسليم المدينة من الملك ابى عبدالله الصغير الى ممثلى الملكين الاسبانيين فرديناند وايزابيلا، كان من ضمن شروط التسليم ضمان الحرية الدينية للمواطنين المسلمين الذين يرغبون البقاء فى المدينة ... ولكن الملكين الاسبانيين نقضا العهد ولم يقبلا منذ سنة ١٤٩٧ الابقاء على حياة سكانها من المدنيين المسلمين الا بشرط تنصرهم ، وكان ان تظاهر بعض هؤلاء بالتنصر مع محافظتهم على تادية فروضهم الدينية الاسلامية داخل بيوتهم ، فكان من نتيجة ذلك تشكيل حملات ومحاكم تفتيشية ضدهم ادت الى افناء ما يزيد عن نصفهم وهجرة النصف الباقى من المدينة الى الارياف المجاورة ، وان مقارنة بسيطة بين هذا التصرف وبين احكام العهود التى كان قادة المسلمين يقطعونها لسكان البلاد المفتوحة من غير المسلمين ، وكيفية تنفيذ هذه العهود ، تدلنا على مقدار السبق الذى حققه الاسلام فى مضمار وضع وتطبيق مبادىء القانون الانسانى .

واول محاولة جرت فى اوربة لادخال فكرة حماية غير المقاتلين فى الحروب ـ وهى محور اهتمام القانون الانسانى اليوم ـ قام بها احد رجال الكنيسة الفرنسيين ، وهو الكاردينال بيلارمان (١٥٤٢ ـ ١٦٢١ م) الذى يقول فى احد كتبه باللغة اللاتينية : « ان غير القادرين على الحرب كالقاصرين والنساء والشيوخ والعجزة الاخرين

يجب عدم المساس بهم ، لان الدوافع الانسانية تدعونا لعدم قتل اولئك الذين لا يستطيعون القتال• وان رجال الدين والاجانب والتجار والفلاحين الذين يزرعون اراضيهم يجب عدم اسرهم تمشيا مع اعراف جميع الامم » .

مثل هذه الافكار الانسانية ، التي كان الاسلام قد عرفها وطبقها قبل ذلك بقرون ، لم تجد اذانا صاغية لها في اوربة الا في اواسط القرن السابع عشر حيث تم تضمين معاهدات (وستفاليا) لعام ١٦٤٨ بعض المبادىء الانسانية في حماية المدنيين وغير المحاربين • وقد وجدت هذه المبادىء تكريسا لها في كتابات فلاسفة ومشرعي القرن الثامن عشر ، وخاصة الفقيه السويسري فاتيل في كتابه (قانون الامم) سنة ١٧١٥ ، والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو في كتابه (روح القوانين) ، والاديب والمفكر الاجتماعي جان جاك روسو في كتابه (العقد الاجتماعي) •

ولكن يمكن القول ان تطبيق هذه المبادىء ووضع هذه الافكار في حيز التطبيق والعمل لم يحصل بشكل فعلي الا خلال القرن التاسع عشر بعد احداث الثورة الفرنسية التي تركت تطورا ضخما في شتى مظاهر الحياة وخاصة من حيث نقل بعض مبادىء القانون الانساني من اطار المبادىء الاخلاقية غير الملزمة الى اطار العرف الدولي الملزم للجميع •

اما نقل هذه المبادىء العرفية الى قانون وضعي فلم يحدث الا في منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك قصة يستحسن ان نتوقف قليلا عندها :

ففي عام ١٨٥٩ شارك رجل سويسري اسمه (هنري دونان) في معركة (سولفيرنيو) بين فرنسة والنمسة ، وقد صدمته هذه الحرب وفجائعها وماسيها فالف كتابا بعنوان (ذكرى سولفيرنيو) ، دعا فيه الدول الاوروبية الى اتخاذ عدد من التدابير اهمها « عقد مؤتمر دولي يقوم بصياغة اتفاق تعاهدي مقدس توقع عليه الدول ثم تصدقه ليصبح بعد ذلك منطلقا لتشكيل جمعية لمساعدة الجرحى في مختلف حروب البلدان الاوروبية » •

وبالفعل تشكلت الجمعية التي دعا اليها بعد ذلك باربع سنوات •• (سنة ١٨٦٣) برئاسته وتحت اسم (اللجنة الدولية للصليب الاحمر) ، وذلك في مدينة جنيف بسويسرة تكريما لدور هنري دونان في انشائها • وقد اتخذت اللجنة لنفسها شعارا دوليا هو « الصليب الاحمر على ارضية بيضاء » ، وهو عكس الوان العلم السويسري (الذي هو صليب ابيض على ارضية حمراء) وذلك تكريما لدور سويسرة نفسها في انشاء الجمعية واظهارها للوجود •

كما يبدو تكريم سويسرة من جهة اخرى في ان اعضاء هذه اللجنة ـ بالرغم من صفتها الدولية ـ يختارون حصرا من المواطنين السويسريين فقط وذلك حفاظا على حيادها ما امكن في المنازعات الدولية•

وقد تبنت هذه المنظمة ـ اي اللجنة الدولية للصليب الاحمر ـ الدعوة الى عقد اتفاقيات دولية للتقليل من ويلات الحرب والتخفيف من مصائبها ما امكن ، ونجحت فعلا في جعل عدد من الدول الاوروبية توقع على اتفاقية بخصوص (تحسين احوال الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية) وذلك في يوم ٢٢ آب (اغسطس)١٨٦٤ ، وتسمى باسم (اتفاقية جنيف الاولى) • واتفاقية جنيف هذه هي اول اتفاقية من سلسلة اتفاقيات تتابعت في جنيف في اعوام ١٨٠٦ ـ ١٩٢٩ ـ ١٩٤٩ وتشكل في مجموعها قواعد القانون الانساني موضع بحثنا هذا •ولذلك نجد بين المؤلفين من يطلق عليها جميعا اسم (قانون جنيف) او (قانون الصليب الاحمر) ، ولكن مع قبولنا لهذين التعبيرين الاخيرين فان تعبير (القانون الانساني) يبقى اعم واشمل منهما •

واتفاقيات جنيف المتعاقبة هذه تنسخ كل واحدة منها الاخرى،ومعنى هذا ان الاتفاقيات السارية المفعول اليوم هي فقط اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩، وهي اربع اتفاقيات تغطي الجوانب التالية:تحسين اوضاع الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية ـ تحسين اوضاع الجرحى والمرضى والمنكوبين في الحروب البحرية ـ معاملة اسرى الحرب ـ ثم حماية الاشخاص المدنيين في الحرب •

وهذه الاتفاقيات الاربع تشكل في جملة بنودها (حوالي ٤٠٠ مادة) اربعة اخماس احكام القانون الانساني المعروفة اليوم • واما الخمس الباقي فتجده متناثرا في نصوص دولية اخرى •

وقبل ان ننهي بحثنا هذا من المستحسن ان نذكر

بانه هناك فرق بين (القانون الانسانى) من جهة وبين (حقوق الانسان) من جهة ثانية ،فبالرغم من ان الاثنين يشكلان جانبين من جوانب القانون الدولى العام المعاصر ، الا ان لكل منهما نطاق تطبيقه ، حيث ان (القانون الانسانى) لا يطبق ولا يوضع موضع التنفيذ الا فى حالة الحرب (ولذلك يدرس مع قانون الحرب) ، واما(حقوق الانسان) فهى ذات طابع شامل من المفروض ان تطبق فى جميع الظروف والحالات - اى فى حالتى السلم والحرب معا - ولو ان المؤلفين اعتادوا بحثها ضمن (قانون السلم) لانه هو القاعدة (انظر المخطط) ٠

وتشمل حقوق الانسان بشكل اساسى (الاعلان العالمى لحقوق الانسان) الذى يحمل تاريخ ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، و(اتفاقيةحماية الجنس) لنفس العام ، وجملة اتفاقيات انسانية اخرى ٠

وجميع دول العالم المعاصر تقريبا منضمة الى اتفاقيات جنيف الاربع لعام ١٩٤٩ التى تشكل القانون الانسانى ، بل هناك دول ليست اعضاء فى هيئة الامم المتحدةوهى اطراف فى هذه الاتفاقيات وذلك بالاضافة الى الجمعيات الوطنية (جمعيات الصليب/ الهلال الاحمر) الموجودة فى كل بلد ، والى المنظمات الدولية ذات الطابع الانسانى٠

ومن الجدير بالذكر انه هناك مادة فى كل من هذه الاتفاقيات الاربع ، وكذلك فى بروتوكولى جنيف لعام ١٩٧٧ تلزم الدول الاطراف بنشر الاحكام الاساسية الواردة فى الاتفاقيات وتعميمها على اوسع مدى ممكن ، وتعليمها فى المعاهد العسكرية والمدنية ، لكى يلم كل فرد باهم احكام القانون الانسانى ٠ وهذا هو اهم الاسباب التى دعتنا لكتابة هذا المقال ونشره ٠ ■■

د ٠ احسان هندى (الدار البيضاء)

حفل راقص فى معسكر الضباط

● فى اكتوبر عام ١٩٤٤ خلال الغزو الالمانى لاوروبا حوصرت مفرزة المانية كانت تحتل مدينة دنكرك وأصبحت محاطة من جميع الجهات بالبحر وبقوات الحلفاء وبوصفنا أعضاء فى الوحدة البريطانية المتخصصة بالحرب النفسية فقد كانت مهمتنا دفع المفرزة الالمانية الى الاستسلام فى أقرب وقت ممكن ٠ وعلى الفور أحضرنا سيارتنا الكبيرة المجهزة بمكبرات صوت قوية فى مكان ملائم وسط حقول تغمرها مياه الفيضان على مشارف المدينة ٠ وقد أمضينا نهارا كاملا ونحن نتحدث اليهم ونحثهم على الاستسلام لانه لا نجاة لهم الا بذلك ، وكنا نبث من جهاز تسجيل موسيقى المانية كلاسيكية ، غير أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل ٠ وفى الساعة السابعة مساء كافح اثنان من المدنيين الفرنسيين عبر الحقول حتى تمكنوا من الوصول الينا وسلمونا رسالة موجهة من قائد المفرزة ٠ وبينما كانت الافكار تتزاحم فى رأسى عن قرب استسلام المفرزة الالمانية بكاملها فتحت الرسالة وأخذت أقرأ ما جاء فيها : موسيقى باخ وبيتهوفن كانت رائعة ونحن نقدر لكم هذا الصنيع ولكن يا حبذا لو يوجد لديكم موسيقى لجلين ميللر ، لانه لدينا حفل راقص فى معسكر الضباط الليلة !

جون كامبايلسبورى - باكنكغ هامشاير

روبرت

اوبنهايمر

من انتاج القنبلة الذرية الى محكمة مجلس الشيوخ

بقلم : الدكتور عبد العظيم انيس

تعتبر قصة عالم الفيزياء الامريكى روبرت اوبنهايمر من اغرب القصص فى تاريخ العلم والسياسة ، فقد بدأ العالم يسمع اسمه لاول مرة فى اغسطس سنة ١٩٤٥ عندما القيت القنبلة الذرية على هيروشيما ، وسمى انذاك ابو القنبلة الذرية اعترافا من الولايات المتحدة بالدور الرئيسى الذى لعبه فى قيادة مجموعة العلماء والمهندسين الذين صمموا اول قنبلة ذرية فى معامل لوس الاموس تحت اسم «مشروع ماناهتن» ثم انتجوها بعد ذلك .

ثم عاد اسم روبرت اوبنهايمر الى الظهور مرة اخرى فى الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتلفزيون فى ديسمبر ١٩٥٣ عندما بدات محاكمته امام احدى لجان مجلس الشيوخ الامريكى متهما بانه عارض واعاق انتاج القنبلة الهيدروجينية ، وانه يمثل خطورة على امن الولايات المتحدة باعتبار انه كان قبل الحرب عضوا فى منظمات جماهيرية يسارية عديدة ، وان كان قد ثبت انه لم يكن فى يوم من الايام عضوا فى الحزب الشيوعى الامريكى .

ولعل من طرائف هذه المحاكمة انه قد ثبت خلالها ان اوبنهايمر لم ينكر فى يوم من الايام انتماءه لهذه المنظمات اليسارية ، كما ثبت ان هذا الانتماء كان معروفا لدى جنرال ليزلى جروفز المسئول العسكرى عن القنبلة الذرية ـ عندما اختاره مستشاره العلمى للمشروع عام ١٩٤٢ . والتفسير الوحيد لهذه المفارقة انما يكمن فى المناخ السياسى الدولى الذى ، اختلف عام ١٩٤٢ عنه ١٩٥٣ ، ففى سنة ١٩٤٢ كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حليفين فى الحرب ضد المانيا النازية وحلفائها ، بينما شهد عام ١٩٥٣ وصول الحرب الباردة بين الدولتين الكبيرتين الى الذروة ، فى هذه الفترة كان التنافس الذرى بين العملاقين على اشده ، وكان مكارثى هو صاحب الكلمة العليا فى مجلس الشيوخ الامريكى ، وكانت هيستريا الامن الامريكى فى عنفوانها !

وهكذا تمت محاكمة اوبنهايمر باثر رجعى !

ومع ان بعض الصحف الامريكية قد ادعت الذاك

ان حياة اوبنهايمر غامضة ، الا ان الحقيقة غير ذلك • لقد حصل اوبنهايمر على درجته الجامعية الاولى فى الفيزياء عام ١٩٢٥ ثم التحق بجامعات اوربية عديدة لمدة اربع سنوات حيث تخصص فى الفيزياء النظرية • وفى عام ١٩٣٩ عين عضوا فى هيئة التدريس بجامعة كاليفورنيا ببركلى فاظهر امتيازا على اقرانه ، وكان اوبنهايمر فوق ذلك مشهورا بثقافته العامة الواسعة • فهو احد المتخصصين فى اديب ايطاليا الكبير دانتى وهو يتقن لغات عدة من بينها السنسكريتية ، وهو من هواة



تسلق الجبال ، وهو اولا واخيرا عالم فيزياء دولى مرموق فى ابحاثه ودراساته •

ومثل علماء امريكيين واوربيين كثيرين عرف اوبنهايمر طريقه الى العمل فى انتاج القنبلة الذرية من خلال جو الفزع العام الذى سيطر على علماء عديدين غداة نشوب الحرب العالمية ، لئلا تستطيع المانيا النازية ان تسبق الحلفاء فى انتاج السلاح الرهيب وفى استخدامه •

فى مواجهة المشكلة

وقد عبر اينشتاين عام ١٩٣٩ عن هذا الفزع العام فى الرسالة التى ارسلها الى الرئيس الامريكى روزفلت عن طريق مستشاره الاقتصادى ساكس الذى كان صديقا حميما لاينشتين • وكان ثمة دلائل عديدة على ان الالمان يعملون فى هذا المجال بسرية كاملة ••• ومن هذه الدلائل ان المانيا قد استولت على الوف الاطنان من اليورانيوم عندما اجتاحت بلجيكا ، وانها تفاوضت مع حكومة تشيكوسلوفاكيا لاخذ اليورانيوم والراديوم الموجودين بمناجمها ، وعندما اجتاحت المانيا النرويج وضعت يدها على اول مصنع فى العالم لانتاج الماء الثقيل الذى يمكن باستخدامه بناء مفاعل ذرى بسهولة فائقة • وعندما بدات المانيا بناء الصواريخ V-2 زاد قلق العلماء فى الغرب ، وكان منطقهم ببساطة ان هذه الصواريخ من الصغر بحيث يكون تاثيرها ضعيفا اذا استخدمت المتفجرات العادية كرؤوس لها ، ولابد اذن ان يكون هدفها الحقيقى ان تكون مسلحة برؤوس ذرية •

وقد ثبت تاريخيا ان الالمان فشلوا رغم جهودهم فى انتاج القنبلة الذرية ، وكان لهذا الفشل اسباب عديدة من بينها ان التنافس بين الوزارات المختلفة فى المانيا لانتاج القنبلة الذرية قد اعاق التنسيق وادى الى تبديد الجهود ، ومن بينها ايضا خطا علمى بسيط – وان كان قاتلا – وقع فيه الالمان وادى بهم الى الاعتقاد انه يستحيل استخدام الجرافيت كوسيط فى مفاعل ذرى يستخدم اليورانيوم الطبيعى ، وانه لا مفر من استخدام الماء الثقيل فى مثل هذا المفاعل ، وادى

هذا بالالمان الى الاعتماد الكامل على المصنع النرويجي للماء الثقيل ، هذا المصنع الذى دمرته طائرات الحلفاء اكثر من مرة مما ادى الى تعطيل برنامج العمل •

وفى هذا الجو المحموم وجداوبنهايمر نفسه عام ١٩٤٢ مطلوبا للعمل فى مشروع القنبلة الذرية ، وكان ثمة نتائج علمية تبشر بنجاح المشروع ، من بينها ان العالم الايطالي الجنسية فيرمي قد استطاع ان يبنى فى امريكا مفاعلا ذريا يقوم على استخدام الجرافيت عام ١٩٤٢ ، ومن بينها ان بريطانيا قد عرضتان تشارك امريكا فى كل معلوماتها عن هذاالموضوع • وعندمااجتمعت اول لجنة علمية من كبار العلماء لبحث المشروع تحت قيادة الجنرال ليزلي جروفز بدا واضحا له منذ اول جلسة ان اوبنهايمر هو افضل العلماء لقيادة المشروع من الناحية العلمية ، فهو الى جانب امتيازه العلمي قادر بشخصيته على ان يقود الاخرين ، وهو رجل ذو كفاءات ادارية عديدة وهو محبوب من الناحية الشخصية من كثير من العلماء الامريكيين والاوربيين •

وهكذا بدأ « مشروع مانهاتن » تحت قيادة روبرت اوبنهايمر وبدأ اوبنهايمر يحاور نفسه وضميره حول مشروعية استخدام هذا السلاح الرهيب فىالحرب • لقد كان اوبنهايمر واضحا وحاسما فى ضرورة انتزاع السبق من المانيا النازية فى انتاج القنبلةحتى لا يفاجأ الحلفاء باستخدامها ضدهم • ولكن المفارقة المأساوية هى انه عندما تم انتاج القنبلة بالفعل كانت المانيا النازية قد دمرت واستسلمت ، وكانت القوات السوفيتية قد اجتاحت برلين ، وكان هتلر قد انتحر ، واستسلمت المانيا دون قيد او شرط ، ولم تبق الا اليابان تقاوم مقاومة هزيلة بأمل الحصول على شروط افضل للهزيمة •

منطق العسكريين

ومنذ استسلمت المانيا النازية فى مايو ١٩٤٥ وانتهى الى غير رجعة جو الفزع المحموم من ان تجد المانيا النازية طريقها الى القنبلة ، بدأ العلماء الامريكيون وفىمقدمتهم اوبنهايمر يفكرون فى النتائج الطويلة المدى المترتبة على وجود هذا السلاح الاستراتيجي الرهيب هل من الضرورى استخدام هذا السلاح الان ؟ واذا استخدم كيف ؟ ثم ماذا سوف يحدث للبحوث الذرية ومعلوماتها بمجرد ان تنتهى الحرب ؟ تلك عينة من الاسئلة التى بدأت تعذب الضمائر •

ومن الواضح الان ان اوبنهايمر ـ بعد ان استسلمت المانيا ـ لم يكن متحمسا لاستخدام هذا السلاح فى اليابان • فقد كان تقديره الصائب ان استسلام اليابان مسألة وقت لا اكثر ولا اقل وكان يشاركه هذا الرأى عدد كبير من العلماء ، وقد عبر غالبية هؤلاء العلماء عن هذه القناعة فى الاستفتاء الذى اجرته الحكومة بينهم حول البدائل المقترحة فى استخدام هذا السلاح ••• واول هذه البدائل كان استخدام السلاح فى اليابان لانهاء الحرب ، وقد صوت بتأييد هذا الاقتراح ٢٣ عالما من بين ١٩٠ • والبديل الثانى هو القيام بتجربة ميدانية فى اليابان يتلوها عرض بالاستسلام قبل استخدام السلاح ••• وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح ٦٩ عالما ، والبديل الثالث هو القيام بالتجربة الميدانية فى امريكا بحضور ممثلين لليابان يتلوها عرض بالاستسلام قبل استخدام السلاح ، وقد ايد هذا الاقتراح ٣٩ عالما • وكان البديل الرابع هو عدم استخدام السلاح على ان تعلن امريكا عن وجوده لديها ، وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح ١٦ عالما ، ثم كان البديل الاخير هو عدم استخدام السلاح وعدم الاعلان عن وجوده وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح عالمان•

لقد كان واضحا من هذا الاستفتاء ان غالبية العلماء كانت تؤيد ـ كحد ادنى ـ عدم استخدامه فورا ،او الانذار باستخدامه مع عرض بالاستسلام، ولكن العسكريين والسياسيين كان لهم منطق اخر !

آنذاك كانت روسيا السوفيتية قد انتهت من حربها فى الجبهة الالمانية وبدأت قواتها فى الشرق الاقصى التحرك ضد اليابان ، ولذاكان العسكريون الامريكيون حريصين على استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان فورا حتى يعجلوا باستسلامها قبل ان تتقدم القوات السوفيتية فى الشرق الاقصى

ومع ان الكسندر ساكس ـ المستشار الاقتصادى لروزفلت ـ قد حاور رئيس الجمهورية فى ديسمبر ١٩٤٤ حول ضرورة القيام ببروفة امام كل العالم لهذا السلاح قبل استخدامه الفعلى ، ومع أن روزفلت قد وافق على هذا الاقتراح،الا ان وفاته المفاجئة وتولى ترومان رئاسة الجمهورية الامريكية قد غيرا الموقف تغييرا كاملا •

فور استلام ترومان للسلطة عين فى ابريل ١٩٤٥ لجنة معظمها من العسكريين لتقدم له النصيحة حول استخدام القنبلة الذرية ، وكان من الطبيعى فى لجنة من هذا النوع على راسها وزير الحرب ان توصى اللجنة باستخدام السلاح فورا، وان ترفض اقتراحات وضعت امام لجنة بضرب غابة قريبة من طوكيو ليلا كانذار اولا ، او اعطاء انذار للاهالى بوقت كاف للجلاء عن المناطق التى سوف تضرب ••• الخ • وقد صدر قرار اللجنة بالاجماع،ثم عاد احد الاعضاء «بارد»وهو نائب وزير البحرية فاعلن معارضته للقرار واكد هذا بتقديم استقالته،وكانت وجهة نظره ان البحرية الامريكية كفيلة بتركيع اليابان دون استخدام هذا السلاح وان الجيش فى امريكا يريد استخدام هذا السلاح حتى ينسب لنفسه فضلا فى استسلام اليابان •

لقداختارترومان ان يلقى قنابله الذرية على اليابان على الرغم من انه كان واضحا من المفاوضات السرية ان اليابان كانت مستعدة للاستسلام اذا لم يتمسك الحلفاء بازاحة الامبراطور من السلطة•

وفى ٦ اغسطس ١٩٤٥ قامت الطائرة ب ـ ٢٩ تحمل الصبى الصغير ـ كما سميت القنبلة الذرية ـ الذى القى على هيروشيما فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباحا • وبعد ثلاثة ايام من هذا الحدث المروع القيت القنبلة الثانية على نجازاكى ، ولم يكن قد مضى على دخول الاتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان اكثر من ٢٤ ساعة•

وقد دلت الاحصاءات اليابانية على ان ضحايا قنبلة نجازاكى هم ٧٠ الف قتيل ، ١٣٠ الف جريح من بينهم نحو ٤٣ الفا جراحهم خطيرة • وقد اعلنت قيادة الحلفاء فى١٩٤٦ انضحايا هيروشيما هم ٧٨١٥٠قتيل ، ١٣٩٨٣ مفقود ، ٩٤٢٨ جراحهم خطيرة ، ٢٩٩٩٧ جراحهم خفيفة •

فى المحكمة

واثر هذه المذابح الرهيبة انتهت الحرب واستسلمت اليابان ، وبقى علماء امريكا حيارى فى مسئوليتهم عن كل ما حدث • وزاد من حيرتهم ان العالم الامريكى تيللر قد اقترح استخدام الحرارة الهائلة الناتجة من الانشطار فى القنبلة الذرية لتفجير القنبلة الانصهارية التى عرفت فيما بعد بالقنبلة الهيدروجينية،ووقف اوبنهايمر ضد هذا الاقتراح على انه شبه مستحيل فنيا ، ثم وقف بعد ذلك ضده على اساس فكرى وسياسى واضح •

كانت الحرب الباردة فى عنفوانها ، وكان الصراع المرير فى داخل لجنة الطاقة الذرية الامريكية على اشده حول موضوع بناء القنبلة الهيدروجينية ، وكان اوبنهايمر ما يزال رئيسا للجنة الاستشارية فى داخل لجنة الطاقة الذرية الامريكية ، ولكنه فى نهاية الامر خسر الصراع وتقرر بناء القنبلة الهيدروجينية ، واختار اوبنهايمر ردا على هذا الوضع ان ينسحب من جميع المراكز الحساسة التى يشغلها وان يتفرغ لعمله كمدير لمعهد الدراسات المتقدمة فى جامعة برنستون •

ولكن تيللر واصدقاءه السياسيين رفضوا ان يتركوا اوبنهايمر سالما فى عزلته الجديدة ، وهكذا بدات الدراما السياسية الرهيبة التىسميت باسم مسالة اوبنهايمر •

فى ديسمبر ١٩٥٣ استلم اوبنهايمر وهو فى معمله بجامعة برنستون خطابا من لجنة مجلس الشيوخ الامريكى يتضمن اربعة وعشرين اتهاما له ، وكانت خلاصة هذه الاتهامات انه ليس صالحا للعمل فى لجنة الطاقة الذرية الامريكية ، وانه قد تقرر بناء على ذلك سحب الترخيص الذى كان ممنوحا له بالاطلاع على الوثائق السرية للجنة •

وقد استمرت محاكمة اوبنهايمر لثلاثة اسابيع

ونشرت وثائق هذه المحاكمة بعد ذلك في تقرير كبير بعنوان«حول مسالة روبرت اوبنهايمر مواداثث اللجنة ابا القنبلة الذرية باعتباره خطرا على امن الولايات المتحدة »

ان كل الاتهامات التي وجهت الى اوبنهايمر ـ باستثناء الاتهام الاخير ـ تتعلق باتصالاته قبل الحرب بعناصر ومنظمات يسارية امريكية ومع انه لم ينكر هذه الاتصالات ابدا ، ورغم ان جنرال ليزلي جروفز ـ عندما اختاره للعمل معه خلال الحرب ـ كان يعرف كل هذه الارتباطات السياسية، الا ان اللجنة قد صممت على أن تحاكمه حول هذه الاتصالات وبأثر رجعي كما يقولون .

اما الاتهام الرابع والعشرون فقد كان اخطر .. لانه يتعلق بموقفه المعارض لانتاج القنبلة الهيدروجينية . وحول هذا الاتهام كان العالم الامريكي تيللر هو شاهد الاثبات الاول ، وكان رئيس لجنة الطاقة الذرية هو شاهد الاثبات الثاني. وبطبيعة الحال كانت شهادة هذين الاثنين كافية لادانة اوبنهايمر .

ومع ان اوبنهايمر كان بالفعل معارضا فيانتاج القنبلة الهيدروجينية على اسس سياسيةواضحة، ولان ضميره كان يعذبه للدور الذي لعبه في قنابل اليابان ،الا ان موقفه خلال المحاكمة لم يكن ، مع الاسف ، بهذا الوضوح . لقد اختار اوبنهايمر ان يتردد ويتذبذب في ردوده على اسئلة اللجنة ولم ينفعه هذا التردد كثيرا لان اللجنة ادانته في نهاية الامر .

لقد فقد العالم الفيزيائي الكبير شجاعته في اللحظة التاريخية الحاسمة ، وبدلا من ان يدافع في جراة عن رايه السياسي بدت محاكمة اوبنهايمر وكانها تكرارا مساوي لموقف جاليلو عندما حاكمته الكنيسة لادعائه ان الارض تدور .

ولعل هذا الموقف غير الشجاع من اوبنهايمر هو الذي شفع له بعد ذلك أيام حكومة كيندي ، عندما قررت ان تمنحه ارفع جائزة علمية في امريكا المعروفه باسم جائزة فيرمي . وعندما اغتيل كيندي قبل تسليمه الجائزة قام جونسون بهذه المهمة وقال له لقد كانت من اعز امنيات كيندي ان يقوم شخصيا بتسليمك الجائزة والميدالية .

وهكذا اسدل الستار على قصة عالم كبير اختار ان يقف موقفا انسانيا شجاعا ، لم تردد عندما حانت اللحظة التاريخية الحاسمة ... ■■

د . عبد العظيم أنيس

الفيلسوف السهيان

● يحكي عن فيلسوف انه كان كثير السهو يمشي في الشارع وهو سابح في بحار أفكاره لا يلتفت يمنة ولا يسرة . وحدث يوما انه سار في حقل قريب من منزله فاصطدم ببقرة فما كان منه الا أن رفع قبعته وقال معتذرا ـ ظنا منه أنه صدم امرأة ـ : « عفوا يا سيدتي » . على أنه لم يلبث أن تنبه الى خطئه ..

وبعد ذلك بقليل صدم في طريقه سيدة ففي هذه المرة لم يرفع قبعته ولكنه قال غاضبا : ها هي البقرة اللعينة قد عادت ثانية .

هذا أوان الفرز !

بقلم : فهمي هويــــدى

يبدو اننا مقبلون على مرحلة جديدة من السباق على التمسح في الاسلام ، والتدثر بعباءته ، واللحاق بقطاره الذي انشقت عنه الارض فجاة في طهران قبل اسابيع . وربما مضى السباق مصحوبا بمزاد علني ، يدلل فيه المعنيون بالامر على ان كلا منهم اشد ايمانا ، واكثر التزاما بتعاليم الاسلام ، وانه متوجه الى قبلة المسلمين ، وهو لا يقصد الا وجه الله ومرضاته سبحانه ، ولا شان له ـ من قريب او بعيد ـ بما حدث في ايران !

ومن يدري ، فقد يتحول الاسلام الى « موضة » هذا العام ، ليس فقط عند اهل السياسة والفكر ، ولكن لدى مصممي الازياء ايضا ، الذين لا يستبعد ان يستثمروا العباءة في احدث ازياء الصيف ـ ولابد انتقدر لهم بعد نظرهم اذ قرروا الملابس الفضفاضة منذ الصيف الماضي ! ـ كما انهم سيجدون مخرجا بكل تاكيد لمسالة العمامة والمسبحة . والحمد لله ان اطلاق اللحية قد اعتمد بالفعل « كموضة » للشباب والرجال منذ سنوات !

وهكذا ، لن تكون هناك مشكلة . وليهدأ بال كل الغيورين على دين الله ، فهاهو الاسلام قادم ، وهاهي اعلامه بادية في الافق ، وهاهي اصداء طبوله وبيارقه تتردد عن بعد .

ليهدأ الجميع ، وليستبشروا خيرا . فغدا تزقزق عصافير الاسلام ، ويصبح كل شيء على ما يرام ، فقط ، اصبروا وصلوا على خير الانام !

ماذا تريدون يا سادة ؟

تريدون خلافة ؟ .. لدينا من الواحد الف ، كل منهم يصلح اميرا للمؤمنين ، الوجه الصبوح ، والقامة المديدة ، والطلعة المهيبة والعباءة الفاخرة ، والعمامة الخضراء أو المزركشة ، وان شئتم فالجواري بغير عد ولا حصر ، ولن يبخل احد بالنطع والسياف !

تريدون مساجد ؟ هل هناك من يزعم ان تقصيرا حدث في بناء بيوت الله وفرشها بافخر السجاد ، وانارتها باعظم الثريات ، ونقشها بماء الذهب ، و « وتحديثها » باضافة المكيفات الكهربائية . وهل هناك من يزعم ان احدا لم يستجب لامل المسلمين في ان تعلو المآذن شاهقة في عنان السماء ، وتزين القباب بما يملأ عيون المتقين بالبهجة والجمال .

تريدون مدارس لتحفيظ القرآن وكتاتيب أو حتى تكايا ؟ .. نحن حاضرون ورهن الاشارة . فقط اصدروا الامر . واذا كانت مدارس تحفيظ القرآن وفيرة ، ففي كل زيادة خير وبركة ، والكتاتيب لم يمسها احد ، وان كانت قد انقرضت فذلك لسبب لا دخل لنا به ، والمسئول هو هذا التعليم الملعون الذي صرف الجميع عن ذكر الله . والتكايا امرها هين ، خصوصا وانها موجودة وبكثرة ولكن باسماء اخرى . ان شئتم ان نعيد اليها اسماءها الحقيقية فلا مانع بكل تأكيد .

تريدون مصاحف ؟ .. المطابع جاهزة ، والورق المصقول والذهب لن يعز على كتاب الله ، والاغلفة المغطاة بالجلد ــ الطبيعي لا الصناعي ــ والموشاة بكل نقش عربي اصيل ، هي من أجل المصاحف لا غير .

(تأكيدا لحسن النية وتفانيا في خدمة الاسلام وكسبا لمحبة المسلمين، فان زعيما في دولة اسلامية قد أمر مؤخرا باصدار مصاحف تحمل اسمه، لأول مرة في التاريخ . يطمئن المسلمين الى انه هو ــ شخصيا ــ قائم على امور الدين ، حارس لكتاب الله !) .

تريدون حجابا ؟ .. بسيطة . بجرة قلم ينزل الستار على كل بنات حواء ، اتقاء للفتنة ودرءا للمفاسد ، وحماية للبسطاء وحسني النية من الشباب والرجال . واذا كانت بعض « الصعوبات الفنية » قد حالت دون تحقيق هذا الهدف النبيل ، الا ان السعي جاد ، ونحن ماضون على الطريق .

تريدون شرع الله ؟ .. وهل يجرؤ احد على القول بغير ذلك . فها قد تحقق المراد من رب العباد في مسالة الاحوال الشخصية ، وفي الطريق الكثير مما يطمئن المؤمنين ويريح ضمائرهم المؤرقة . الخمر منع او في طريقه الى المنع . وجلد شاربه ، وقطع يد السارق ورجم الزاني او سجنه ، بعضها طبق ، والبعض قيد البحث وفي الطريق . اما المرتدون والمنحرفون ، فلن يتساهل معهم احد . وسينالهم عذاب الدنيا والاخرة .

ماذا تريدون بعد ذلك ، وقف الربا من المعاملات المصرفية ؟ .. هذا ايضا قادم في الطريق ، والبنوك غير الربوية تنتشر في العالم الاسلامي بحمد الله. وغدا يتطهر مال المسلمين مثلما تطهر مجتمعهم من الرذائل ، ومثلما تطهرت نفوسهم من الشرور والضغائن .

سعداء ، مرتاحون ، اليس كذلك ؟

الم اقل لكم انه غدا تزقزق عصافير الاسلام ، ويصبح كل شيء على ما يرام ؟

فقط ، اصبروا ، وصلوا على خير الانام !

●

اليس هذا هو « المعروض » علينا في سوق الدعوة الاسلامية ، في العالم العربي على الاقل ؟

قد لا يخلو « السيناريو » من مبالغة . ولكنه لا يخلو ايضا من حقيقة فيما اظن . ولا اتمنى ان نخوض في مناقشة طويلة حول ما اذا كانت هذه التوجهات ــ او بعضها ــ مما جاء به الاسلام او مما جاء به وابتدعه المسلمون . لان ما يحتاج الى مناقشة وتحديد هو : ما هي الاولويات التي ينبغي أن نرتب بها التوجهات الاسلامية . وما هي المداخل الاصيلة لبناء المجتمع الاسلامي ، وماهي المداخل الفرعية او الدخيلة .

ذلك ان رايات الاسلام وبيارقه مرفوعة الان بالحق وبالباطل على اكثر من مسيرة ، واكثر من موقع . ومن حق الناس ان يتساءلوا اي هذه الاعلام يمثل الاسلام الحقيقي ، وايها دخيل على الاسلام . بل من حقهم ايضا ان يعرفوا باي معيار يستطيعون قياس ماهو معروض عليهم ، ليتبينوا على الاقل ، الى اين هم ماضون ؟

واذا كنت في العدد السابق من « العربي » قد تحدثت عن مواصفات الاسلام المطلوب للمرحلة ، فقد تركت لذكاء القارىء ان يقدر لماذا هذه المواصفات مطلوبة ، ومن المستفيد من هذا الاسلام « المفصل » على قياسات واوضاع بذاتها .

وذلك يذكرنا بما سجله الامام آية الله الخميني في كتابه « الحكومة الاسلامية » عندما روى انه في بداية الاحتلال البريطاني للعراق ، سمع احد كبار الضباط الانجليز مؤذنا للصلاة ، اعتلى مئذنة مسجد ، وراح يدعو الناس بصوت عال ، الامر الذي ادهش

الضباط . وعندما استقصى الامر ، وقيلت له الحقيقة ، سأل القائد البريطاني : وهل في هذا الاذان ضرر على الامبراطورية البريطانية . وعندما تلقى اجابة بالنفي ، كان رده : اذن لا بأس ليستمروا في اذانهم .

واحسب ان كثيرين يرددون مقولة القائد الانجليزي . اذ لا بأس من أن تستمر الرايات والبيارق والسرادقات ، خصوصا وان بعضها ينفع ولا يضر ، والبعض الآخر لا يضر ولا ينفع !

المهم ان تبقى « الامبراطورية » في أمان !

●

بماذا تتحقق عملية الفرز والتمييز اذن ، بين ما هو حق وما هو باطل ؟

يحتاج الامر لأن نرتفع فوق التفاصيل ، ونجنب انفسنا متاهات الفروع وعالم الخلافات المثارة حولها . فاذا فعلنا ذلك فسوف نجد انفسنا في مواجهة حقيقة كبرى ، بها يمكن القياس والفرز والتمييز .هذه الحقيقة هي ان الاسلام بشقيه ، العقيدة والشريعة، يمثل دعوة الى الحرية والعدل . واذا كان التوحيد هو عماد العقيدة ـ كما قلت في مرات سابقة ـ فان القيمة الاساسية في التوحيد ، والشهادة بأن لا اله الا الله ، هي انه بمثابة لتحرير الانسان من الداخل ، ونزع سلطان البشر من على البشر * ، اما الشريعة فقوامها العدل ، ونصوص القرآن الكريم في ذلك والاحاديث النبوية ، واجتهادات الغزالي وابن القيم والشاطبي ، هذه كلها ترددت اكثر من مرة في هذا المكان .

اذن فالمعيار هو الالتزام بقيم الحرية والعدل . كل مسيرة في هذا الاتجاه ، كل دعوة او لافتة او بيرق او حتى هتاف مجلجل في الفضاء ، تلك كلها خطى جادة نحو التطبيق الاسلامي الامين . وهو كلام قاله ابن القيم قبل ٦٥٠ عاما ـ ذكرته واكرره ـ اذ أعلن انه « اذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العدل ، واسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه » .

وما عدا ذلك ، فكله مضيعة للوقت والجهد .

وليأذن لي الذين يشغلون انفسهم بقضية الحدود واللبس والخلع والسينما والتلفزيون ، ليأذن لي ذوو النوايا الحسنة هؤلاء ، ان انسب اليهم انهم يحاربون على غير الجهة الاساسية ويلهثون في غير الاتجاه الصحيح .

بل انني ازعم ان فتح هذه الجبهات والتركيز عليها يجهض المداخل الاصيلة للتوجه الاسلامي الحق . ويشغل المسلمين بالجزئيات ، تاركين للكليات ، التي تمثل جوهر الرسالة وهدفها العظيم .

وباختصار ، قل لي اين تقف من الحرية والعدل ، أقل لك كم انت قريب أو بعيد من جوهر الاسلام !

وكلما غابت قيم الحرية والعدل عن أعيننا . كلما بهتت كلماتها في دفاترنا وسقطت من قواميس حياتنا ، وصرنا الى الجاهلية اقرب !

●

وهي مصادفة ، أن كان الموضوع ذاته محل مناقشة طويلة بين مسئول باكستاني زار الكويت مؤخرا ، وبيني .

كان المسئول الباكستاني ، صاحب الرصيد الطيب في مجال الدعوة الاسلامية ،

---

* راجع عدد العربي رقم ٢٢٨ ص ٣٧ ـ والعدالة الاجتماعية في الاسلام للاستاذ سيد قطب.

يتحدث عن التوجه الاسلامي لدى الحكومة الباكستانية منذ الاطاحة برئيس الوزراء السابق « ذو الفقار علي بوتو » في عام ١٩٧٧ م .

قال انه في العام الماضي أعلن رسميا اسقاط جميع القوانين التي تتناق مع القرآن والسنة ، ومنذ شهر فبراير من العام الحالي بدات خمس لجان شرعية دراسة كل القوانين المعمول بها ، ولها صلاحية مطلقة في الغاء اي قانون يخالف الشريعة .

وقال انه اعتبارا من فبراير الذي انقضى ايضا ، تم تعديل القانون الجنائي في باكستان ، بحيث تطبق الاحكام الشرعية ، على مقترفي جرائم السرقة والسلب والزنى وشرب الخمر . وظل يفصل من توقع عقوبة قطع اليد،وكيف، وحالات قطع اليد اليسرى ، والقدم اليسرى ، وكيف أنه في حالات السلب المسلح تقطع اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكاحل ... وهكذا .

واضاف انه من يوليو ٧٩ ، ستحصل الزكاة والعشر من القادرين لتوزع على الفقراء ، وانه تجرى في الوقت ذاته دراسة اقامة بناء اقتصادي اسلامي ، تخلو فيه المعاملات من الربا ، وان كانت عمليات الادخار بدون فائدة مطبقة بالفعل الآن .

ثم سالني : اليست هذه بشائر خير ؟

قلت للمسئول الباكستاني ان هناك ملايين المسلمين يولدون ويعيشون ويموتون ، دون ان يمروا بكل هذه « المحطات » التي توقفتم فيها . وانه اذا كان هذا هو الاسلام المعروض على الناس ، فمعنى ذلك ان هؤلاء الملايين لن يشعروا باي وجود له .

وقلت ايضا ، ان الاسلام وسيلة لاسعاد الانسان ، وان هدفه في النهاية ان يوفر للبشر الذين استخلفهم الله في هذه الارض ، مجتمعا مؤمنا ترفرف عليه رايات الحرية والعدل . وهي مسالة محيرة في الواقع ، ان نشغل انفسنا بمجرم واحد يسرق من كل ألف ، بينما لا يعنينا – مثلا – ان نوفر لك ٩٩٩ الآخرين نسيم الحرية الذي يمكن ان يتنفسوه صباح مساء .

وقلت انني لو خيرت بين بلد تحترم فيه الحرية والعدل أيا كانت قوانينه ، وبلد آخر تطبق فيه كل الحدود بحذافيرها ، وتملاء المساجد وتتردد فيه الاذكار ، بينما تنتهك فيه تلك القيم ، لاخترت البلد الاول بغير ادنى حرج .

وسالت : ايهما يعد مدخلا اقرب الى روح الاسلام ، واقرب الى مرضاة الله بالتالي : ان تلغى الاحكام العرفية وتجرى انتخابات حرة يمارس من خلالها المسلمون حق « الشورى » ام ان تطرح مسالة الحدود وتعطى الاولوية على غيرها .

وعندما طال بيننا الجدل قلت ، اننا مخيرون فيما يبدو بين اقامة اسلام الشكل او مضمون الاسلام ، وقد اخترتم الشكل على الارجح بينما المضمون ظل اختيارا مؤجلا ، انتم ادرى به !

●

في هذا المقام ، يطرح بعض الاسلاميين حجة تقول « شيء خير من لا شيء » ، و « ما لا يدرك كله لا يترك كله » .

وهي حجة مردود عليها بان العبرة ليست بحجم الشيء الذي يتحقق ، ولكن باتجاه هذا الشيء ومساره . وان خطوة واحدة في الاتجاه الصحيح ، خير من عشرة في الاتجاه الخاطيء .

وستظل منارة الحرية والعدل هي مرشدنا الى الاتجاه الاسلامي الصحيح .

ومع كل الاحترام لمنطق دعاة « أي شيء » فان اكثر جهدهم يمضي في اتجاه خاطيء ، ولا اقول باطل !

■■

« طالما نهب قراصنة الغرب ثرواتنا واوصلونا الى حد الكفاف ،

واقل ما نفعله لاسترداد بعض مالنا المنهوب أن نترجم بغير مقابل » •

الثقافة العربية والترجمة

بقلم : الدكتور على الراعى

لا تظفر قضية الترجمة فى وطننا العربى بالاهتمام الذى تستحقه، والذى تفرضه علينا الظروف الدقيقة التى تمر بها امتنا فى هذا المنعطف الخطير من حياتها •

ان الترجمة فى بعض البلاد العربية متروكة لاجتهادات الافراد ، أو لمطالب السوق كما يحددها الناشرون التجار ، أو للخطوط السياسية التى ترسمها بعض الحكومات • وهذه النظرات المتفاوتة لا تخدم قضية الترجمة الخدمة الواجبة ، بل لعل الارجح أنها تعوق حركتها فى الاتجاه الصحيح •

ولقد شغلت سنوات طويلة بموضوع الترجمة • ترجمت بعض الاعمال الادبية وراجعت ترجمة الغير لاعمال أخرى ، فتخلف لدى شعور قوى بان الترجمة فى وطننا العربى تمر بازمة ، وأن هذه الازمة لا بد محدثة بنا ضررا بليغا ، ما لم نحشد قوانا على صعيد الوطن العربى كله ، اضافة الى الصعيد القومى فى كل بلد عربى ، لملاقاة الازمة والتغلب عليها •

وقبل ان أمضى قدما فى الحديث عن الثقافة العربية والترجمة ، سأحاول أن أحدد موقف اللغة العربية والانتاج الكتبى العربى ، والترجمة الى العربية بازاء مواقف وآداب بقية العالم •

من جهة الانتشار ، تحظى اللغة العربية بموقف لا بأس به على الاطلاق ، فان عدد المتحدثين بها يمثل ٧ر٢٪ من مجموع سكان العالم ، متساوية فى هذا مع اللغة الفرنسية ومتراجعة قليلا عن اللغة الايطالية (١٠ر٢٪) ومتقدمة على اللغة البرتغالية (٥ر٢٪) (١) •

هل تصبح لغة عالمية ؟

والى جوار هذا ، فان اللغة العربية فى موقف يسمح لها بالانتشار العالمى لو تهيأت الظروف المناسبة ، فهى موجودة فى قارتى آسيا وافريقيا • وهى اللغة الرسمية والفعلية لقطاع عريض من الارض والبشر يمتد من الخليج العربى شرقا الى المحيط الاطلنى غربا، ويتجه شمالا ليشمل فلسطين المحتلة والاردن وسوريا ولبنان ، الى جوار أنها اللغة الدينية لبلاد اخرى غير عربية مثل ايران وباكستان وافغانستان والهند واندونيسيا وتركيا وغيرها •

ولكن هل يهيىء هذا الانتشار الكبير للغة العربية ظروفا تسمح لها بان تكون عالمية بالفعل؟

(١) احصاءات عام ١٩٦٥ ، كما وردت فى كتاب « ثورة الكتاب » لمؤلفه روبير سكاربيت ، ترجمة اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو •

الجواب مع الاسف هو : لا • وذلك لعدة أسباب ، اولها ان اللغة العربية تتداول في بلاد فتية ، خرج معظمها منذ سنوات قليلة من ربقة استعمار اوروبي شرس ، حاول في بلاد عربية عديدة أن يمحو اللغة والثقافة العربيتين محوا ، مثلما حدث في الجزائر ، حيث كاد ان ينجح او ان يجعلها لغة ثانية بعد لغة المستعمر ، لا يتكلمها الا المتدنون في الثقافة والوضع الاجتماعي كما هو الحال في المغرب وتونس ولبنان •

اما السبب الثاني لقلة نفوذ اللغة العربية فهو ان انتاجنا الثقافي والعلمي لم يبلغ حدا يحمل العالم على تعلم لغتنا كي ينقل عن طريقها ما قدمناه من اسهام في شتى الميادين •

وسبب هذا التخلف الثقافي والعلمي والفني هو : سوء الاحوال الاقتصادية في البلدان العربية عامة ، وانتشار الامية ، وعدم توفر حرية التعبير، وهجرة العقول الممتازة الى خارج الوطن العربي • كما ان الاتجاه الى تدريس العلوم والاداب الاساسية في العالم بلغتها الاصلية ، دون محاولة ترجمة هذه المعارف جميعا الى اللغة العربية ، يحول دون تطور لغتنا ويحرم القارىء الخاص والعام من مزية الاطلاع على المنجزات الكبرى للثقافة والعلوم ، فضلا عن أنه يصيب جهود الترجمة عندنا باحباط واضح •

اضافة الى ما تقدم ، فنحن نكبل أنفسنا بقيود من صنع أنفسنا حين نحجم عن وضع سياسة واضحة وثابتة للترجمة من لغات العالم ، تقوم على استقصاء دقيق لحاجات الشعوب العربية وتسعى الى سد هذه الحاجات عن طريق الترجمة من اللغات العالمية ، وتمضي باصرار ومنهاج على درب توحيد المصطلحات العلمية والادبية المتداولة في أرجاء الوطن العربي •

وبسبب من هذا الاهمال ، تدنى حقل الترجمة في البلاد العربية جميعا ، وسادته الفوضى ، والتكرار ، والعشوائية ، في اختيار النصوص مما بدد جهدا ومالا كبيرين وأشاع البلبلة في عقول الناس •

ومن جهة اخرى اخذنا نفقد المترجمين الموهوبين في حقل الترجمة الادبية ـ على سبيل المثال ـ من امثال محمد مندور وسامي الدروبي ، ولم يظهر بعدهما وبعد غيرهما من الموهوبين جيل يمكن ان يحل محلهما •

مقارنات مؤسفة

والنتيجة الكلية لهذا ، أنه في الوقت الذي تشتد فيه حاجتنا الى النقل عن البلاد المتقدمة ، تقل وسائل هذا النقل تدريجا ، ويسود سوق الترجمة صنف من الناس لا هو مؤهل ولا هو قادر على التاهيل • فضلا عن ان الاجور التي يتناولها هذا النفر من المترجمين ازاء عمله من الضآلة بحيث لا تسمح له بالاعتماد على الترجمة في عيشه ، ولو كان الامر غير ذلك فربما استطاع هذا الجيل من المترجمين أن يحسن من مستواه ويزيد من ثقافته ، لخيره هو اولا ، ولخير الترجمة•

ولكي اعطي صورة واضحة عن فداحة الاثر الذي يتركه فيها قلة الترجمة وسوؤها ، اعرض الاحصاءات التالية :

تتصدر اسرائيل قائمة المترجمين الكبار بين الدول ، اذ تبلغ نسبة الكتب المترجمة فيها الى جوار الكتب المنتجة محليا ٤٨٪ • اي اقل قليلا من النصف •

اما نحن فاننا قد وضعنا أنفسنا بتقاعسنا وعدم فطنتنا في قائمة صغار المترجمين فنسبة الترجمة في مصر هي ٤ر٧٪ من الانتاج الكتبي وهي في العراق ٧ر٦٪ وفي لبنان ٢ر٣٪ •

وسبب تصدر اسرائيل قائمة الترجمة في العالم واضح كل الوضوح • ان هذه دولة تسعى الى دعم نفسها وتثبيت اركانها • وهي تستخدم لغة متدنية الانتشار ، كما أن حاجاتها كثيرة ومتباينة، وانتاجها المحلي لا يكفي ، فهي لهذا تلجأ للترجمة ، التي هي بمثابة السماد الفعال للارض قليلة الانتاج •

ومما يلفت النظر ، ونحن بصدد الحديث عن اسرائيل ،انها تترجم من الكتب الادبية ما يوازي ٦٠٪ من عدد الكتب المترجمة • فليس لم ما يدعو دولة ناشئة مثلها الى القول بان حاجاتها هي مادية وتكنولوجية وحسب ، كما يحلو للبعض في بلادنا العربية ان يقول زاعما ان اكفاء الحاجات المادية للانسان هو المعول ، وغير ذلك مضيعة للجهد والمال•

وبناء على هذا الزعم نجد نسبة الكتب الادبية في مصر ٣٨٪ من مجموع المترجمات ، ونسبتها في العراق ٦٪ •

ماالعمل ؟

الترجمة اذن هي الوسيلة المثلى لمن هو في دور

الانشاء ، أو من هو في دور النمو • فكيف نخطط لسياسة ثقافية تعيد الى الترجمة الى العربية دورها المجيد الذى كان لها أيام العباسين •

ينبغى لنا أن نتبين اولا أن الكتب المترجمة فى الوضع العالمي بضاعة ليست رائجة ولا هي مربحة• فهي فى حاجة دائمة الى سند من الدولة • كما ان عدد الكتب التى ينبغى ان نترجمها هو من الكثرة بحيث لا يستطيع الناشر الفرد ، أو حتى شركات النشر الكبرى الاضطلاع بمهمة الترجمة على النطاق الواسع المطلوب • بل ان الدول النامية لتجد عنتا فى أن تنفق على الترجمة ما ينبغى لها ان تنفق ، خاصة تلك الدول التى سارعت الى توقيع الاتفاقية الدولية لحماية حقوق المؤلف فوقع على الكتاب المترجم فيها عبء آخر فادح ، وهو ضرورة الحصول على اذن المؤلف قبل الشروع فى الترجمة وضرورة اعطائه نسبة من ايراد الترجمة•

وقد كان من الواجب على تلك الدول أن تتبنى سياسة واقعية ، تقوم على أساس الطريق المزدوج فتترجم دون ان تدفع مقابلا ، وتسمح للغير بان يترجم كتبها دون مقابل •

ان الترجمة من لغات الغير دون اذن ودون دفع تسمى فى المحافل الدولية : « طباعة القرصنة » ليكن اذن ، فلنسلك سلوك القراصنة فترة من الزمن عشرين أو ثلاثين أو خمسين عاما • فلطالما نهب قراصنة الغرب ثرواتنا وأوصلونا الى حد الكفاف ، وأقل ما نفعله لاسترداد بعض مالنا المنهوب أن نترجم دون مقابل •

ان الكاتب الفرنسى روبير اسكارابيه (٢) يظهر سخطه على طباعة القرصنة هذه ، ويصفها بأنها شىء مؤسف على الصعيدين الاخلاقى والاقتصادى ولكنه يستطرد فيقول : ان زوال هذه الطباعة ، جدير بان يضعف التبادل الثقافى بين الشعوب • ثم يضع اصبعه على سبب قيام هذا اللون من الطباعة اذ يقول : ان هذه القرصنة موجودة فى البلدان الضعيفةالنقد ، أو ذات الاسواقالمحصورة، حيث يصعب على الناشرين اضافة أجر المؤلف الاصلى الى نفقات الترجمة ، فان قام الناشرون بتحميل حقوق المؤلف الاصلى على تلك النفقات فان هذا العبء لن يقع الا على المترجم فليس من سبيل الى رفع ثمن الكتاب المترجم ، لان هذا يحد من انتشاره وبناء عليه ، يتعين على المترجم وحده أن يحمل هذا العبء • ومن ثم ندور فى دائرة مفرغة ، فنحن لا نترجم بالقدر الكافى لان مترجمينا ليسوا مؤهلين • وهم ليسوا مؤهلين لاننا لا ندفع لهم • ونحن لا ندفع لهم لاننفقات الترجمة كبيرة بالقياس الى العائد منها • هذا طبعا الى جوار اسباب أخرى أكثر اهمية جرت وتجرى الاشارة اليها فى هذا المقال ، وتتعاون سويا فى خلق ازمة الترجمة فى الوطن العربى •

من التاريخ الاسلامى

فاذا انتقلنا من هذا الاستعراض لازمة الترجمة الى العربية الى الحديث عن الدور الذى لعبته الترجمة فى الثقافة العربية ، فلنتذكر اهتمام الامويين والعباسيين بنقل علوم الامم التى دخلت مملكة الاسلام أو التى هزمت على ايدى جنوده • فنقلت كتبا فارسية وهندية ويونانيةالى العربية ، وكانت تتناول موضوعات متباينة بينها الطب والفلك والهندسة والزراعة والادب ••• وقد تحولت حركة الترجمة هذه الى ديوان ومكتبة للترجمة سميت بدار الحكمة • ثم تحولت دار الحكمة فى عهد الخليفة المامون الى معهد كبير الحق به مرصد مشهور • وكان المامون يطلب الى الملوك الذين هزموا على ايدى جنوده ان يسلموه كنوز العلوم والمعارف التى لديهم كى ينقلها مترجموه الى اللغة العربية • والطريف فى هذا ان المامون كان يطلب مثل هذا الطلب الى من هادنه وصادقه أيضا ، فنجده يطلب الى أمير قبرص ان يرسل اليه خزانة اليونان وكانت مجموعة فى مكان لايعرفه الا الخاصة • فارسل أمير قبرص هذه الكنوز الى المامون الذى فرح بها ودفع بها الى الترجمة وجعل أحد أعوانه المثقفين : سهل بن هارون ، خازنا للمكتبة الجديدة •

ومن الطريف أيضاان نجد العرب آنذاك يأخذون بمبدأ مراجعة الترجمة ، ضماناالدقتها وكان كل من : سلم وسهل بن هارون ممن يراجعون النقل وينقحون فيه • أما البرامكةفقد عنوا باعادةترجمة بعض الكتب اليونانية التى ترجمت قبل عصرهم ضمانا لمزيد من الدقة والاتقان • ومن امثلة ذلك

---

(٢) فى كتابه : « ثورة الكتاب » ، الذى سبقت الاشارة اليه •

كتاب المجسطي لبطليموس فقد ندب له يحيى بن خالد البرمكي ، اباحسان ، وسلما ، صاحب بيت الحكمة،فاتقنا ترجمة الكتاب واجتهدافي تصحيحه •

وقدكان مننتيجة هذا التوسع الدائب والمدروس والحكيم ان تاثر العقل العربي بعلوم كانت جديدة عليه ، فاخذ يتمثلها ويضيف اليها • وبهذا أصبح العقل العربي في العصر العباسي الاول عقــلا متفلسفا ، وعقلا علميا ، واخذ هذا العقل يتجاوز مرحلة النقل عن الغير الى الابداع ، على نحو ما اضاف الخوارزمي الى علم الجبر ، وما انتج غيره في علوم الكيمياء والطب والجغرافيا والعلــوم الاجتماعية •

والدرس المستفاد من هذا كله ، هو ان الدول لاتتقدم اعتباطا ولا مجانا بل هي تسير قدما بفضل عقل متفتح وسياسة رشيدة،وقدرة على استشراف حاجات الامم ، ووضع الخطط اللازمة لسد هــذه الحاجات • واذا كان بعضنا يزعم الان ان ظاهرة وزارات الثقافة التيأخذت تنتشر فيالعالم العربي انما هيظاهرة منقولة عنالغرب والكتلةالاشتراكية بالذات ، فانا نقول له : ان وزارات الثقافة لها جذورها العميقة في دار الحكمةالعربية ، وان ما تحظى به هذه الوزارات من نجاح غير منكور حيثما توجد في ارجاء الوطن العربي ، يرجع الى ان انشاءها يستفز ماهو كامن وراسخ في وجــدان الشعوب العربية منذ ان نهضت حتى الان •

هي الصناعة الثقيلة

ماذا هو الموقف اذن ؟ وكيف نعيد للترجمة هذا العصر الذهبي الغابر ؟ ان قال احد ان امة العرب تخلو من المال فان الثروات الظاهرة والمطمورة في تراب هذا الوطن تكذب قوله • وان قال اخر اننا غير قادرين على التخطيط قلنا له ان دار الحكمة قامت بفضل الرغبة في قيامها ـ اولا وبفضل سياسة رشيدة اغدقت عليها الاموال وبفضل عقول متفتحة لم تخش ان تنقل عن الغير ولم تتردد في ان تلتمس العلم عند اصحابه ، دون محظورات فقد نقل العرب المسلمون عن المسيحيين وعن الهنود من غير اصحاب الديانات السماويةولم يترددوا في انيجعلوا ما نقلوه عرضة للنقاش الواسع الخصب على نحو ما كان من امر المتكلمين وعلى راسهم المعتزلة الذين تعمقوا الفلسفة بجميع دقائقها •

ولقد كانت لنا جهود اولى مشرقة في العصر الحديث ، بدات بنقل رفاعة رافع الطهطاوى لمــا شاهده من مظاهر الحياة في باريس وما نقله من نتاج هذه الحضارة في السياسة والادب والفكر وتلا ذلك انشاء مدرسة الالسن التي اضطلعت بالترجمة وتعليم اللغات • ثم ترجم أحمد لطفي السيد احد كتب ارسطو في المنطق ، فاحدث بــه في حياتنا حدثا كبيرا وترجم غيره عيون الادب الغربي في حقول القصة والرواية والمسرحية،مثلما نقل خليل مطران مسرحيات شكسبير وبفضل هذه الترجمات عرف العرب المحدثون هذه الفنون جميعا وادخلوها في ادبهم • ولولا الترجمة ما عرفنا فن القصة القصيرة الراقية متمثلة في موباســـان وتشيخوف ولولا الترجمة ايضا ما رحنا اليــوم نكتب الروايات الضخمة على شاكلة الحــــرب والسلام لتلستوى او الروايات النفسية العميقة على غرار دوستويفسكي • ان انجاز محمود تيمور في القصة والرواية وانجاز توفيق الحكيم فــي المسرح والرواية والسيرة والسيرة الذاتية وانجاز نجيب محفوظ في حقل الرواية مدين لاحتــكاك العقول العربية بالعقول الغربية احتكاكا خلاقا ، يستهدف الابداع ولا يقف عند حدود النقل •

وهذا كله هو بعض فضل الترجمة على الثقافة العربية • وليلحظ القارىء انني ادخل في عداد ثمار الترجمة الاحتكاك البدني والمعايشة فيالبلاد المترجم عنها •

غير انني لم ارد بعد على السؤال الــــذى اطلقته منذ قليل وهو : كيف نعيد الى الترجمة عهدها الذهبي الغابر ؟ ان الاجابة على هــــذا السؤال متاحة وبسهولة لمن يسير على درب دار الحكمة ومدرسة الالسن ، والترجمة الكاملة لاعمال شكسبير ومشروع الالف كتاب ومشرعي روائـــع المسرح العالمي في مصر والكويت وكل مشـروع شامل من هذا النوع يستهدف ارساء قيم واساليب الصناعة الثقيلة في حقل الثقافة • ان الصناعة الثقيلة هي الصناعة التي تنتج الات تصنع الات والترجمة هي الصناعة الثقافية التي تنتج الثقافة التي تنتج المثقفين •

د • علي الراعي

ما العمل : عندما يصادفك حادث فى الطريق ؟

بقلم : الدكتور محمد طه الجاسر *

فى مجتمعنا العربى النامى جوانب عديدة لم يسبق بحثها والاهتمام بها ، وحوادث الطرق احدى تلك الجوانب . وهو موضوع حيوى وخطير ، لان حوادث الطرق تكلفنا العشرات بل المئات من المواطنين بين قتيل ومقعد فى كل عام ، ومع ذلك لا نتخذ من التدابير الا ما اقتصر على الاعلان والاعلام بقصد الترهيب من عواقب بعض التصرفات غير المتزنة كفرط السرعة مثلا وغيرها من الاسباب التى تعتبر مسؤولة عن معظم الحوادث ويهدف الحيلولة دون وقوعها ، دون أن نتعدى ذلك الى عمل ايجابى يخفض من تلك الاصابات حين وقوعها، على أساس أن حوادث الطرق أصبحت ظاهرة من ظواهر الحضارة الحديثة الالية التى لا مفر منها .

ومن الملاحظ اننا وان كنا لم نبلغ بعد من التطور والوعى ما بلغته امم الغرب ، الا اننا فى العديد من المجالات نحاول ان نصنع مثلهم دون ان ناخذ بالاسباب . فابتياع السيارات ومختلف المركبات الالية باعداد كبيرة دون تهيئة الطرق السالكة والعناصر الواعية والسائقين المهرة ، المزودين بالخبرة والمعرفة ، له دوره فى تفاقم مشكلة الحوادث .

فى دول « اسكنديناڤيا » والمانيا وعدد آخر من دول أوربا أصبح تدريب السائقين وكل من يقود سيارة او مركبة وتزويدهم بمعلومات عن الاسعاف الاولى لحوادث الطرق ، أحد شروط استيراد المركبات وحيازتها ، وان عملا جادا كهذا يقتضى تعاونا مع مختلف الجهات ممن له علاقة مباشرة او غير مباشرة ، من كان منهم فى موقع المسؤولية الرسمية أو غيرها . والكل مسؤول : من وسائل الاعلام وقيادات الامن الداخلى وادارات المرور ووزارة المواصلات والاقتصاد والجمارك والجامعات والمؤسسات العلمية ، وتتسع دائرة المسؤولية حتى تشمل المواطنين جميعا . والموضوع بعد ذلك خطير ويتطلب اهتماما بالغا وتعاونا كافيا لوضع خطة لحملة بهدف الدراسة والتنفيذ .

---

* مدرس علم التخدير والانعاش بكلية الطب ـ جامعة حلب



٣ أسباب تهدد الحياة

فمصير المصابين بحوادث الطرق غالبا ما يتقرر خلال الدقائق الاولى القليلة التي تعقب وقوع الحادث . لذلك فمن الاهمية بمكان ان يقوم اول شخص يجد نفسه في مكان الحادث باتخاذ تدابير الاسعاف الاولية . وبذلك يمكن انقاذ الكثير من موت محقق او عجز دائم او عاهة مستديمة او تشوه بالغ . فقد ثبت ان معظم الاصابات تنجم عن عدم اجراء الاسعاف الاولى في الفترة الحرجة التي تعقب الحادث وفي مكانه ، والذي يحدث الان في معظم انحاء الوطن العربي أن ينتظر المصابون الى ان يهتدوا الى واسطة تحملهم الى المستشفى وغالبا ما يكون قد فات الاوان .

وبمحض الصدفة قد تكون انت سائق العربة التي تصل الى مكان الحادث لتجد نفسك في موقف دقيق ، وحولك عدد من المصابين يتوقف مصيرهم على حسن تصرفك ، وهذا بدوره رهن بما لديك من خبرة ومعرفة بمبادىء الاسعاف الاولى من جهة ، ومقدرتك على ضبط النفس والمحافظة على الهدوء والسكينة لكي تلم بظروف الحادث وتحاول الاجابة على الاسئلة الحيوية التالية :

ـ ما هو الامر الذى يقتضى ان تبدأ به دون ادنى تمهل ؟

ـ كم هو عدد المصابين ؟

ـ ايهم اصابته أشد خطورة ؟

ومن المعلوم ان هنالك ثلاثة أسباب رئيسية تشكل تهديدا للحياة في حوادث الطرق ، هي :

١ ـ الاختناق

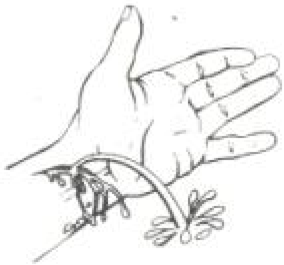
٢ ـ النزف

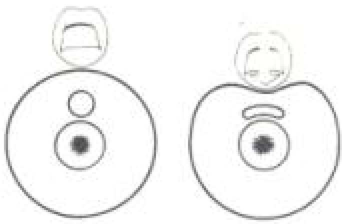
٣ ـ الصدمة

اما الاختناق فيعتبر مسؤولا عن مصرع عشرين في المئة من المصابين بحوادث الطرق . ومن المؤكد ان ممارسة بعض التدابير البسيطة فيمكان الحادث يمكن ان تنقذ حياة الكثير من هؤلاء الذين يفقدهم المجتمع دونما ضرورة،لانهغالبا مايكون سببالاختناق انسداد مجرى الهواء او هبوط آنى مؤقت في التنفس الا ان الثواني حاسمة،فالانسان لا يستطيع الصبر على نقص الهواء الا برهة وجيزة جدا لذلك كان الاختناق قاتلا سريعا ، ما يلبث أن يقضى على حياة المصاب في دقيقتين أو ثلاث .

والنزف الغزير يشكل خطرا محققا على الحياة، في حين ان ايقاف النزف الخارجي أسهل بكثير مما يتوقع الكثير .

واخيرا هنالك الصدمة التي قد يغفل الكثير عنها لان مدلول هذه الكلمة لا يتضح الا في اذهان العاملين في الحقل الطبي ، ثم ان اعراضها قد تبدو طفيفة في حين تسرع بصاحبها نحو الموت







ايقاف النزف



تنفس الفم للفم

الا اذا اتخذت التدابير الواقية المناسبة وفي الوقت المناسب ٠

تدابير سريعة

والان ما هي وسائل الاسعاف الاولي في حوادث الطرق التي تحول دون حدوث تلك المضاعفات الخطيرة التي تهدد حياة المصابين ؟

هناك ستة تدابير اسعافية بسيطة في مقدور كل شخص ان يمارسها ، ويمكن تلخيصها كما يلي :

١ ـ تحرير مجرى الهواء : وذلك برد رأس المصاب الى الخلف باقصى ما يمكن ، وقد يكون ذلك كافيا ليستانف المصاب تنفسه بحرية بعد توقف ناجم عن انسداد طريق الهواء وذلك لاتخاذ المريض اثناء غيبوبته وبسببها وضعا منحرفا غير ملائم ٠

٢ ـ تنفس الانقاذ : ويدعى ايضا تنفس الفم ـ للفم ، ويجب البدء به حالا اذا لم يسترد المصاب تنفسه العفوي بمجرد تحرير مجرى الهواء ، وذلك بان ياخذ المنقذ نفسا عميقا ويطبق بفمه على فم المصاب ويسد انفه ويحافظ على راسه مرتدا الى الخلف ويزفر بشدة معتدلة ، ويراقب صدره ينتفخ ويعلو اثناء ذلك مما يدل على ان الاسعاف يؤدي هدفه ، ثم يرسله في زفير سلبي حر ويتاكد من ذلك بمشاهدة صدر المريض يعود الى سابق عهده ، وتتكرر هذه العملية عشرين مرة في الدقيقة الى ان يستعيد المصاب تنفسه الذاتي او تتوافر وسيلة اسعاف اخرى ٠

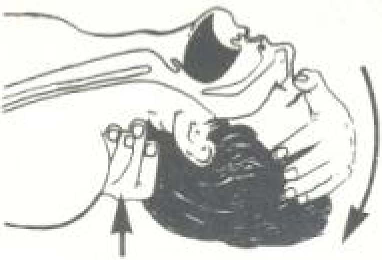
٣ ـ الوضعية الجانبية الثابتة : وذلك بوضع المريض الفاقد لوعيه، بعد التاكد من سلامة التنفس والدوران ، على احد جنبيه مع المحافظة على راسه مرتدا الى الخلف ، وذلك بثني ذراعه العليا ووضع يده تحت راسه وذراعه السفلى خلف المريض ، وتثنى طرفه الاسفل الادنى من الارض عند الركبة ٠ وهذه الوضعية ملائمة جدا ، لانها تيسر التنفس وتسهل اندفاع مفرزات الفم والقيء الى الخارج لكي يظل طريق الهواء حرا ،كما في الصورة٠

٤ ـ تطبيق رباط ضاغط : وذلك لوقف النزف ، وفي حالة عدم توافر رباط فني ،يمكن الاستعانة باي منديل او قطعة من القماش تقع عليها اليد ٠

٥ ـ رفع الساقين الى الاعلى وحماية المصاب من ضياع الحرارة : وذلك لمكافحة الصدمة التي ان استقرت تطورت واستفحلت ، متسببة في تدهور حالة المصاب فتتحول من سيىء الى أسوأ ٠ وهذه الحركة البسيطة تساعد على دفع اكبر كمية من الدم الى المناطق الاكثر حيوية كالدماغ والقلب ، كما ان احاطة المصاب بالدفء ـ دونما افراط ـ تيسر تدفق الدم الى مختلف انحاء الجسم ليحافظ على حيويته ونشاطه ، كما انه ثبت ان ضبط المسعف لاعصابه ومخاطبته لمن كان في وعيه من المصابين ببضع عبارات مشجعة تدخل تحسنا ملحوظا على حالتهم النفسية وتعزز من ثقتهم بانفسهم وبمن يمد لهم يد العون مما يساعدهم على التغلب على الكثير من مضاعفات اصابتهم ٠

تدابير وقائية

ان على المسعف قبل ان يندفع الى عملية الانقاذ ان يحاول ان لا يصدر عنه اي تصرف يزيد الاوضاع سوءا ٠ ففي حالة وقوع حادث ، كثيرا ما تترك السيارات العابرة على الطريق كيفما اتفق ،فتعطل المرور مما قد يتسبب في حدوث سلسلة من الحوادث ، كما ان المارة قد يتجمهرون حول مكان الاصابة مما يعيق عمل المسعف ، ويعرضهم انفسهم لحوادث اخرى ، وخاصة اذا كان الوقت ليلا ٠ لذلك



طريق الهواء مفتوح



طريق الهواء مسدود

فمن الاهمية بمكان أن يحرص المسعف على أن يوقف سيارته على جانب الطريق، وأن يختار بقعة امينة. وفي الليل يجب اضاءة مصابيح الانذار الامامية والخلفية ، كما يمكن استعمال المصابيح الامامية لاضاءة مكان الحادث ، وينصح المسعف أن يرتدي وشاحا ملونا - في حالة توافره - ليقي نفسه حينما يكون منهمكا في اسعاف المصابين ، غافلا عن السيارات العابرة . وقد يكون في الامكان وضع اشارات مثلثة ملونة أو عاكسة للضوء على مسافة كافية في كلا الاتجاهين لكي يراها السائقون فيخففوا من سرعة آلياتهم في الوقت المناسب، واذا كان محرك السيارة المصابة ما زال يهدر ويدور فيستحسن اطفاء المحرك تجنبا للحريق او حدوث اي ضرر اخر يمكن ان يلحق بالمصابين والسيارة .

محفظة للاسعاف

ولتامين حسن اداء الاسعاف العاجل الاولي في حوادث الطرق يستحسن أن تتوافر في كل سيارة وبصورة دائمة ، محفظة تحتوي على بعض الادوات والمواد التي تجعل عملية الانقاذ اسهل تطبيقا واكثر فائدة ، وعادة يكون في المحفظة المواد التالية :

١ - قناع للتنفس : يوضع باحكام على وجه المصاب محتويا فمه وانفه ، ليغني المنقذ عن أن يلصق فمه بفم المريض اثناء تنفس الانقاذ .

٢ - أربطة لقطع النزيف : كالرباط الضاغط، وضماد ساتر مع أشرطة لاصقة ومقص .

٣ - معدات واقية : كغطاء واق ، وحزام عاكس للضوء ولصاقات لنافذة السيارة ، ووسائل للكتابة وكتيب يلقن وسائل الاسعاف الاولي مع صور ايضاحية .

بقي أن ننوه هنا ان في بعض الدول المتقدمة اصبح توافر محفظة الاسعاف التي أشرنا اليها في كل سيارة تصنع في البلاد او تستورد ، شرطا أساسيا ، وعدم توافرها مخالفة لاحد بنود قانون المرور في تلك الاقطار ، يوجب العقوبة . ■■

حلب - د . محمد طه الجاسر

عن خريطة القرن

● تلقت ادارة المجلة ملاحظات من بعض القراء حول البيانات والمعالم التي تضمنتها الخريطة الجديدة للعالم التي حملت اسم خريطة القرن العشرين ،وهي هدية العربي الى قرائها مع عدد يناير الممتاز . وقد تركزت هذه الملاحظات حول جانب من بيانات ومعالم الخريطة ، وتحديدا وضع كشمير بالنسبة لباكستان ، او وضع منطقة الصحراء بالنسبة للمغرب ، او ذكر اسماء دول واغفال دول اخرى . ورغم ان هدف الخريطة ليس ايضاح حدود كل دولة ومناطق سيادتها ، انما هو بالدرجة الاولى تعريف القارىء باخر ما انتهت اليه الدراسات العلمية والصور الجوية في شان احجام قارات العالم ومساحاتها والمسافات بينها - الامر الذي يعد بمثابة ثورة حقيقية في معرفة الانسان بشكل الكرة الارضية . نقول رغم ذلك فانه غني عن الايضاح ان البيانات التي تضمنتها الخريطة لم تكن تمثل موقفا او رايا للمجلة ، بقدر ماتعكس التزاما بالاصل الانجليزي من ناحية ، ثم بالهدف الاساسي لها ، من ناحية اخرى .

« العربي »

• حل مسابقة العدد ٢٤٢ •



المعز لدين الله

•

أبو محمد بن وهب

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : المعز لدين الله • خلف المنصور • وطد سلطة الدولة فانقادت له بلاد افريقيا كلها • احتل قائده جوهر الفسطاط واسس القاهرة عام ٩٦٩ • شجع العلماء وانشأ الازهر •

(٨) راسيا : أبو محمد بن وهب • ولد في مصر ، وصحب الامام مالك عشرين سنة ، وتوفي بمصر عام ٨١٣ م •من كتاباته المعروفة « الموطا » ، و « الجامع » في الحديث •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :حسني احمد حسن عوض ـ مكة المكرمة/السعودية•
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها: بهية ثناء ايوصالح ـ حلب / سوريا •
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :عوض عمر بكير ـ المكلا / اليمن الديمقراطية •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل متهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ امير محمد كمال اسماعيل ـ عجمان / الامارات العربية •

٢ ـ جمال علي خابور ـ عمان / الاردن •

٣ ـ فاطمة احمد عبدالله المضيان ـ الخالدية / الكويت •

٤ ـ مصطفى نصر محمد علي ـ الخرطوم / السودان •

٥ ـ عبدالحميد محمد احمد محمد ـ المحرق / البحرين •

٦ ـ الهيداني الغمار ـ مراكش / المغرب •

٧ ـ راغب محمد السعيد عجاج ـ سمنود / مصر •

٨ ـ احمد عارف القاني ـ بيروت / لبنان •

فى العدد ٢٣٥ من مجلة « العربى » اشار فهمى هويدى فى ركنه الشهرى « للمناقشة» الى ماروى من (تحفظ) السيدة عائشة رضى عنها فى قبول الحديث المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ، وذلك بسبب ما ورد فى القران الكريم من مبدأ شرعى عام « الا تزر وازرة وزر أخرى • وان ليس للانسان الا ما سعى ـ النجم / ٣٨ ـ ٣٩ » •

وفى خطاب من العراق غفل من التوقيع نشر بالعدد ٣٤١ من المجلة ، نقل صاحبه عن

عن الرأى الآخر

الارهاب الفكرى

بقلم : محمد فتحى عثمان

ـ نستطيع اذن ان نجمل عناصر الصورة فيما يلى :

ـ فهناك « تحفظ » وقع من السيدة عائشة رضى الله عنها ازاء تعارض ظاهر بين آية وحديث • وهى من هى ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم ورواية عنه والتزاما باحكام الاسلام وفقها فيها • ولم ينكر عليها احد من معاصريها حقها فى ذلك ولا من جاء بعدهم بل تناقلوا قولها ورووه •

ـ وقد كان لهذا التحفظ وجاهته عند فقهائنا حتى اختلفوا فيه على ثمانية اقوال ، ولكل وجهته ودليله •

ـ وهذا الحوار (غير المباشر) فى هذه القضية قد وعته ذخائرنا الفقهية ، ولم تستبعدها اشفاقا من ان يبدو تعارض ما بين اية وحديث ، ولم تتحرج فى بحث القضية التى تبدو حساسة شائكة (وما اكثر ما يبدو لنا حساسا شائكا فى ايامنا) ، فهى قضية تدور حول اية قرانية محكمة، وحديث نبوى صريح ، وراى يروى عن ام المؤمنين الراوية الفقيهة عائشة رضى الله عنها :

ـ والقضية استمرت مطروحة حتى ايامنا ، وقد وجد المحدث المعاصر الشيخ الالبانى حاجة لايرادها ، وارتاى مشكورا ان ينهض بواجبه الذى الزم به الاسلام اهل العلم فادلى بدلوه ، وبين ماكان فى تقديره ادنى الى الصواب •

دعوة الى الحوار

وقد اكد القران الدعوة الى الحوار المثمر الذى يلتزم الاصول المنهجية والموضوعية ، والاخلاقية ومثل هذا الحوار يسميه القران « الجدال بالتى هى احسن » ، ولم يفترض القران ان تعرض دعوته واحكامه من جانب واحد يفرض على الناس فرضا ، بل قدر ان دعوته تستلزم حوارا ونقاشا فامر « بالدعوة » على ان تكون « بالحكمة والموعظة الحسنة » لتتوفر لها الاسس العقلية والنفسية اللازمة معا ، ثم قرن ذلك بافتراض حدوث

الشيخ المحدث الجليل محمد ناصر الدين الالبانى فى كتابه «احكام الجنائز» ان الفقهاء اختلفوا فى صدد ما يظهر لاول وهلة من تعارض بين الحديث والآية على ثمانية اقوال، كان اقربها الى الصواب فى نظر صاحب الكتاب قولين ، اوردهما صاحب الرسالة .

ولاتزال دلالة الخبر الوارد عن السيدة عائشة رضى الله عنها قوية بليغة ، بل انها لتزداد دلالة وضوحا وقوة بما نقل الشيخ المحدث الجليل من اقوال ثمانية فى دفع التعارض الظاهر بين الاية والحديث اختار منها قولين على ما ذكر صاحب الخطاب !

هو «الفتنه» فى حكم الاسلام

« المحاولة » والتوجيه الى ما يجب فيها بحيث تكون بالتى هى أحسن . فقال عز وجل «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ـ النحل / ١٢٥ » .

وما نهى عنه القرآن من جدل ومراء هو تبادل الكلام فى انفعال واثارة بما لا ينتهى الى نتيجة موضوعية (١) وانما يوسع الهوة ويزيد النار ضراما « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ـ البقرة/١٩٧ » « فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ـ الكهف / ٢٢ » « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ـ الكهف / ٥٦ » « ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون «وقالوا أآلهتنا خير ام هو ، ماضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون » الزخرف/٥٧ ـ ٥٨ » وما أكثر ما يقع الخلط عند الناس بين الجواب المنهجى المثمر البناء والمراء الانفعالى المذموم ، فيؤمر بان تعقل الالسنة وتلغى العقول باسم ذم الجدل والاختلاف والفتنة . !!

والقرآن قد دعا المؤمنين به الى مجادلة غيرهم وايراد حجتهم بالتى هى أحسن ، كما تحدى غير المؤمنين وطلب برهانهم . وبذلك هيأ المجال للحوار الذى لا مفر منه فى اخطر القضايا وهى قضية الاعتقاد . يقول عز من قائل : «أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون». لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون .. أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ـ الانبياء / ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ » « أاله مع الله، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ـ النمل / ٦٤ » وقد رد القرآن على قضايا متعددة أثارها المؤمنون والمشركون ليسلك بالمؤمنين نهج الحوار . ويعلمهم أصوله وسبله وادابه « يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج .. البقرة ١٨٩ » يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير .. البقرة / ٢١٧» « يسالونك عن الخمر والميسر قل

(١) ثمة تفرقة واضحة بين الامرين فى المفردات اللغوية « فالمراء » تستخدم غالبا للجدال المذموم فى النصوص الاسلامية ... وفى الانجليزية مثلا يعرفون Discuss Dialogue من ناحية و Polemiss او Dispute من جهة اخرى .

فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم ٠٠ ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ٠٠ البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ » وهكذا وردت كلمة «يسألونك» والجواب عليها خمس مرات في ست آيات متتاليات من سورة البقرة ٠ ولم يكن الحوار مقصورا على المسلمين في السؤال والجواب بل كان يشمل غيرهم «ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ٠ الكهف/ ٨٣ » « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ٠ الاسراء ٨٥ »٠

حوار المرسلين

وقد حكى القرآن في مواضع كثيرة حوار المرسلين مع اقوامهم ومنه حوار طويل لابي الانبياء ابراهيم عليه السلام ٠ واذ قال ابراهيم لابيه آزر: اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين ٠٠ الآيات ٧٤/٧٦ من سورة الانعام ـ وقد تبادل ابراهيم عليه السلام وقومه اطراف الحوار ولم يستأثر به ابراهيم وحده وهو الذي يبلغ دعوة التوحيد الصحيح من قبل رب العالمين « وحاجه قومه ٠٠» الانعام/٨٠ وعقب القرآن على ايراد الحوار بالثناء على ابراهيم في حجته وهي من تعليم الله للمرسلين « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ٠٠ الانعام/ ٨٣ » ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ـ الانبياء / ٥١ ولقد الزم أبو الانبياء عليه صلوات الله وسلامه قومه الحجة بفعله في الواقعة المعروفة التي اراد أن يعزز فيها حجته عمليا بعد حوار قولي طويل ٠٠ « اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين ، قالوا اجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين ٠ قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ٠ وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ٠ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ٠ قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ٠ قال بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون ٠ فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال: اتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ٠ اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون » ٠

وحين اخرست حجة ابراهيم القولية والعملية قومه لجاوا الى القهر والاضطهاد والارهاب لنصرة مالم يستطع أن ينصره اللسان والبيان والبرهان « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ٠ قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ٠ ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ٠ ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ٠ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » الانبياء / ٥١ ـ ٧٣ ٠ وفيما أوحى الى محمد رسول الاسلام صلوات الله عليه من الكتاب سورة كاملة تسمى المجادلة وتذكر المجادلة والحوار أكتفي بالاشارة الى صدرها «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير» وقد اوحى الله الى رسوله بما يجيب به تلك السيدة المؤمنة التي اثارت القضية وعلمت السنة النبوية المؤمنات أن يسألن ويناقشن في أدق الامور اذ لا حياء في الدين ٠ !!!

ولقد أورد الامام ابن حزم بابا «في اثبات حجج العقول » في كتابه الرائع الممتع عن اصول الفقه المسمى « الاحكام في أصول الاحكام » رد فيه على من يقول بابطال الجدال والمناظرة ، وابان ان الجدال المذموم شرعا هو ما فيه عناد للحق وخصام بالباطل ٠ أما الجدال المحمود فمأمور به ومن طريف ما استشهد به الفقيه الجليل ان المسلمين مأمورون باتباع ملة ابراهيم ومن ملته المناظرة كما يعبر رحمه الله واثابه ، الى أن قال وقد علمنا الله الحجة على الدهرية والمثوية وجميع الملل وأمر بالجدال على لسان رسوله الذي قال : ، عليه الصلاة والسلام، «جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم » وقد علمنا رسول الله وضع السؤال موضعه وكيفية المحاجة ، وقد تحاج المهاجرون والانصار

وسائر الصحابة وحاج ابن عباس الخوارج بامر على بن ابى طالب » وما انكر احد من الصحابة الجدال فى طلب الحق فلا معنى لمن جاء بعدهم» (٢) .

وبالنسبة للاحكام الشرعية ، افترض القرآن حالة الاختلاف فى الفهم والتاويل والاستنباط من النصوص وفى الاجتهاد فيما سكتت عنه النصوص وأبان عن منهج البحث والاستدلال عند حدوث التنازع « يايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا ـ النساء / ٥٩» . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه فى الامر اذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون انشط لهم فيما يفعلونه.. فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم فى الحروب ونحوها ، وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبا عليه او من باب الندب تطييبا لقلوبهم ؟ . على قولين .. (٣) وقد ابى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة مصالحة « الاحزاب » بثلث ثمار المدينة حين طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشورة اصحابه فيه فترك المصالحة بناء على راى السعدين ، واشار جمهور الصحابة عليه بالخروج ليلقى العدو خارج المدينة فى « احد » فخرج رغم انه كان يميل للبقاء فى المدينة والتحصن بها ومواجهة العدو فيها ، بل ان صحابيا اعترض على مكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم يوم «بدر» واشار بمنزل آخر لاعتبارات استراتيجية حين علم ان الرسول نزل برايه لا بناء على وحى ، ووافقه الرسول على الموقع الذى اشار به مادامت عوامل تحديد موقع الجيش هى الراى والحرب والمكيدة » كما قال الصحابى رضى الله عنه» .

والصحابة لا يسكتون

وقد كان الصحابة يمارسون الحوار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما علمهم ولا يكتمون عنه خلجات صدورهم ونبضات عقولهم ، مهما كانت القضية شائكة حساسة والنفوس جياشة بالانفعالات . وحين عقد الرسول الصلح مع رسول قريش سهيل بن عمرو يوم « الحديبية » اتى عمر ابن الخطاب رسول الله فقال له : يارسول الله، الست برسول الله ؟ قال : بلى ، فقال : اولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، فقال : اوليسوا بالمشركين قال بلى ، فقال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فاجابه الرسول صلوات الله عليه : انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف امره ولن يضيعنى !! (٤) ولعمر بن الخطاب مواقف متعددة كان يبدى فيها الراى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأتى فيها الوحى مصدقا لرايه الذى قد يخالف ما يجرى عليه الامر، او يخالف رايا آخر وقد يكون مع الراى الاخر رسول لله عليه الصلاة والسلام نفسه (٥) ... فهل بعد ذلك من دعوة لابداء الراى مهما كان مخالفا لما عليه الحال او لراى الغير !!

وفى مرض الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لقى ربه على اثره ، طلب الرسول صلى الله عليه وسلم يوما صحيفة حتى يكتب لصحابته كتابا لا يضلون بعده ابداء ، فدار بفكر عمر بن الخطاب ظن لم يكتمه ، وابداه وتناقله الرواة وحوته ذخائر تراثنا للاجيال المتتابعة ،اذ قال رضى الله عنه وارضاه فى الجنة « ان رسول الله قد غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله فهو حسبنا » ! واثار الموقف ما اثار فارتفع اللغط ، وطلب الرسول صلوات الله عليه من صحابته أن يقوموا عنه ! .

بل حدث من عمر ذلك الحدث المشهور الذى استبان خطؤه فيه ، فما زاد ابو بكر عن ان وجهه الى الحق برفق ، ولم يحكم عليه بانه انكر معلوما من الدين بالضرورة وخالف صريح القرآن اذ يقول سبحانه « انك ميت وانهم ميتون ـ الزمر/٣٠ » « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، افان مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت .» الانبياء / ٣٤ ـ ٣٥ » « وما محمد الا رسول قد خلت من

---

(٢) ابن حزم : الاحكام فى اصول الاحكام ـ جـ١ ص ـ ١٣ ـ ٢٩ .

(٣) ابن كثير : للآية ١٥٥ من سورة آل عمران « وشاورهم فى الامر » .

(٤) من سيرة ابن هشام ـ تحقيق السقا والابيارى وشلبى ـ ص٣ ـ القسم الثانى ص ٣١٧

(٥) انظر مثلا تفسير ابن كثير للآية ٦٧ من سورة الانفال « ما كان لرسول ان يكون له اسرى» .

قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا .. وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ـ آل عمران /١٤٤ ـ ١٤٥ » « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ـ الزخرف/٤١، الى غير ذلك من الايات ومن احاديث رسول الله صلوات الله عليه التي تؤكد انه بشر يجري عليه ما يجري على البشر ومنه الموت . فانظر الى اثر الصدمة بوفاة الرسول على ابن الخطاب حتى قال ما قال مما هو متناقل معروف ، وانظر الى ابي بكر كيف يعالج الامر برفق وهدوء حتى تنتهي الضجة الى لا شيء ، وانظر الى الرواة يروون ما قاله عمر في سورة انفعاله وانه لكبير وخطاه جلي بين ، وانظر الى ذخائرنا تنقل الرواية بحذافيرها دون اي (مقص) من رقيب « قال ابن اسحق قال الزهري : حدثني سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال : لما توفي رسول الله قام عمر بن الخطاب فقال : ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله قد توفي ، وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات ! والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فليقطعن ايدي رجال وارجلهم زعموا انه مات !! قال : واقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت الى شيء حتى دخل على رسول الله في بيت عائشه.. ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال : على رسلك ياعمر انصت ، فابى الا أن يتكلم، فلما رآه ابو بكر لا ينصت اقبل على الناس . فلما سمع الناس كلامه اقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت . قال : ثم تلا هذه الاية (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم .. الاية)قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا هذه الاية نزلت حتى تلاها ابو بكر يومئذ .. » (٦) .

في صميم العقيدة

فابوبكر الصديق سمع مقالة خطيرة تمس صميم العقيدة من عمر باذنيه شخصيا ، وعلم خطاها القطعي من ايات القران وشهادة الواقع المتمثل في جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجى في فراشه وقد يكون آخرون دهمهم مادهم عمر ، لكن ابا بكر رضي الله عنه وارضاه في الجنة اقبل يعالج النفوس الملتاعة المفجوعة والعقول المصدومة المشلولة في رفق وعلى بصيرة ، فاراد ان يحاور عمر فابى الا ان يستمر في انطلاقه وانفعاله وهديره في الجموع ، فتحول الى جمهور الناس فحادثهم بكلمات قصيرة موجزة ، بنية قاطعة ، تحوي الحجة الدامغة من آيات الكتاب المبين . فقطعت جهيزة قول كل خطيب ، وانطفات الفتنة وهدات الزوبعة وعلا صوت الله على كل صوت ،ولم يؤاخذ عمر ولا غيره بما لايطيقون اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... وهذا مثل رائع للحوار بين القول والقول ، ومقارعة الحجة بالحجة .. وهكذا تحسم المشكلات والازمات من جذورها واصولها وانما تكون الفتنة في قمع المشكلة حتى تنفجر داخل النفوس والعقول لا في مواجهتها في النور على الملأ ! !

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الاسلام على الرجال والنساء « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ..» التوبة/٧١ « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..» آل عمران/١١٠ وقد لعن القرآن الذين لا ينهى بعضهم بعضا عما يقترف من منكر ووصفهم بالعصيان والعدوان (المائدة /٧٨ ـ ٧٩) .. وقرر رسول الاسلام عليه صلوات الله وسلامه آن الدين النصيحة وهي واجب من كل مسلم لائمة المسلمين وعامتهم وواجب عليهم لغيرهم وامر بانكار المنكر بكل وسيلة ومنها اللسان ، واعتبر الساكت عن الحق شيطانا اخرس وتوعد الذين ينكلون عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسخط والعقاب .

---

(٦) سيرة ابن هشام ـ القسم الثاني ص ٦٥٥ ـ ٦٥٦ .

الرأى ٠٠ الآخر علانية

وحرصت « السلطة » الشرعية فى الدولة الاسلامية على أن تحث الناس على النصيحة لائمة المسلمين ، وتؤمنهم من أى ضرر يتوقعونه من الاصطدام بالسلطة ٠ فان تقرير الحقوق فى الشرائع يظل حبرا على ورق ما لم تكفل الدولة وسائل ممارستها وتحمى اصحابها وهم يؤدونها، وكم من حاكم يأمره قد طغى وبغى فى ظل دستور ينص على الحريات ٠وليس من وسع كل الناس ان يكونوا شهداء بذلك بشان القادة والبرزين من الافراد وهم بطبيعتهم قلة ! لذلك كان من واجب الدولة أن تسلك مسلكا ايجابيا فى تقرير الحقوق وتحمى ممارستها ضد اصحاب السلطة انفسهم ، وهذا ما حفل تاريخنا بصوره المضيئة فقد جرى فى « السقيفة » حوار اختلفت فيه الانظار فلوبجن على « الانصار » ان طالب أحدهم بالخلافة حين استخلف أحد المهاجرين ، ولم يحرم على بن ابى طالب شيئا من حقه حين تاخر عن بيعة أبى بكر بل سعى اليه الخليفة المبايع أبو بكر يحاوره ويترضاه وتولى على بن أبى طالب الخلافة حين جاء دوره بعد أصحابه فلم يتجن على اسلافه ولم يغمطهم حقهم ٠ وحين تولى ابو بكر قال كلمته المشهورة التى كانت خير تعبير عن شريعة الحق والعدل « ان أحسنت فاعينونى ، وان انا زغت (او صدفت او اساتـ على اختلاق الروايات) فقومونى ٠ اطيعونى ماأطعت الله فيكم ، فان عصيت فلا طاعة لى عليكم » ٠ وقد نقل السيوطى عن الامام مالك تعليقا على هذه الخطبة « لا يكون أحد أماما ابدا الا على هذا الشرط» وليس بعد هذا من دعوة مؤكدة وحث على ابداء الرأى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وضمان من السلطة لحرية الرأى ٠ وفى القرآن الكريم « ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم ــ البقرة/٢٨٢ » ٠

وأبداء الرأى الاخر لا بد ان يكون علانية على الملا ٠٠ فلا يكفى (ابداء) الرأى داخل الجدران بل لا بد من أعلانه على الملا ٠٠ لتتربى الجماعة على حرية القول ، ولتتبنى الجماعة الرأى السليم وتحميه ولا تترك صاحبه يدافع عنه وحده ٠٠ ومن هنا كان يقوم عمر فى المسجد ويقول : أناشدكم الله لايعلم أحدكم فى عيبا الا قومه، ٠٠ وعندما هتف به أحد الناس : اتق الله،فانكر عليه بعضهم، صاح الخليفة الذى يعرف حقوق رعيته ويعرف واجباته « لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم تسمعها ٠٠ » ولابد ان يكون الاستماع جادا والحوار مثمرا يترتب عليه الاذعان للصواب حين يستبين ٠ ولا يكون السماح بالرأى الاخر مجرد تنفيس لا تترتب عليه نتيجة فى واقع الامور ولقد خطب عمر يوما ينهى عن المغالاة فى المهور فاعترضت امراة محتجة بدلالة ضمنية لآية من كتاب الله ذكرت المهور فبلغت بالمهر حد القنطار اذ يقول سبحانه : « ٠٠٠ وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا والما مبينا ــ النساء/٢٠ » وعلى الرغم مما يمكن ان يقال فى هذا المقام ردا على اعتراض السيدة المعترضة ، فقد اختار امير المؤمنين أن يأخذ بوجهة نظرها فى الدلاله الضمنية للآية وقال : كل الناس افقه منك ياعمر ٠اصابت امراة واخطأ عمر ٠٠ وكم كان يسر عمر ويحمد الله حين يسمع من رعيته من ينكر عليه ٠٠

ولقد انجب المجتمع الذى ربى على قول الحق والاستماع اليه وحرية الرأى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فتى يحاور عمر أمير المؤمنين الذى قال له مرة رجل كبير قوى «ملأت صدورنا مهابة » ! ٠٠ فلقد روى ان عمر كان يمر فى الطريق فلقى فتية يلعبون فعدوا مبتعدين عنه حين رأوه الا واحدا منهم ، فابتدر الخليفة الفتى يسأله لماذا لم تفر كما فعل رفقاؤك ؟ فاجاب الفتى غير هياب ــ ويروى انه كان عبدالله بن الزبير ــ لم اكن مذنبا فاخاف منك ، ولم تكن الطريق ضيقة فاوسع لك ، ولم تكن جبارا فارهبك ! فاعجب الخليفة بالفتى أيما أعجاب وتوقع له الفلاح٠٠ ولقد افلح حقا اذ انكر المنكر جهرا على اصحاب السلطة فى دولة بنى امية ، سواء اكان قد اصاب فى اجتهاده من اجل السبيل الصحيح لهذه الغاية ام اخطأ ، وسواء اكان حظه النجاح أم الفشل ٠

عندما خرجت عائشة

وعائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ، التى «توقفت، وتحفظت بين قول الله تعالى « ولا تزر

وازرة وزر أخرى » وقول رسوله صلوات الله عليه « عن عذاب الميت ببكاء اهله عليه » واختارت ان تمضي مع الاية ايا كان تصيب اجتهادها من الصواب نرى لها اختيارا تاريخيا رائدا ايا كان الحكم عليه ٠٠ فقد علمت حق العلم قول الله لنساء النبي صلوات الله عليه « وقرن في بيوتكن» الاحزاب /٣٣ وعلمت ايضا امره تعالى بالامر بالمعروف وانكار المنكر ٠ ولقد انكرت ابول لامام على بن ابي طالب البيعه على الخلافةممن انتصروا بعثمان رضي الله عنه ولوثت ايديهم دمه الزكي٠ وآثرت ام المؤمنين في اجتهادها الخروج للامر بالمعروف والنهي عن المنكر على القرار في بيتها باعتبارها من امهات المؤمنين ٠»

واستشهدت بقول الحق جل وعلا « لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ـ النساء/١١٤» وقالت « ننهض في الاصلاح ممن امر الله عز وجل وامر رسول الله : الصغير والكبير والذكر والانثى فهذا شاننا الى معروف نامركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره» وحين عاتبتها ام المؤمنين السيدة ام سلمة على الخروج اجابتها فيما يروى صاحب العقد الفريد» ٠٠فما اقبلني لوعظك ، وما اعرفني لحق نصيحتك ولنعم المطلع مطلعا فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين » ٠٠ ويبدو انه رضي الله عنها لم تتوقع ان يصل الامربين المؤمنين الى سفك الدماء٠ وقدرت ان اعلان رايها مع الجماعة التي كانت ترى مثل رايها سوف يترتب عليه حتما رد الامر الى الله ورسوله بين المؤمنين ٠ لان المؤمن ينزل على الحق ويعلم انه اذا شهر السيف في وجه اخيه بغير حق فالقاتل والمقتول في النار ٠٠ ولقد كانت الامور تسير في هذه الوجهة كما اثبت المحققون لتمحيص الوقائع التاريخية (٧) لولا أن اشفق الدساسون واهل الفتنة على انفسهم من هذه النتيجة ، فنفخوا في نار الخلاف بعد ان كاد الصلح ان يلتئم ، وقد انتصر لراى امالمؤمنين عائشة رضي الله عنها في الخروج ابو بكر بن العربي في « العواصم من القواصم » وابن كثير في (البداية والنهاية) وشاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوى في (التحفة الاثنى عشرية)(٨) وغيرهم ٠

ان اعلان الراى الاخر حتى لو خالف الراى السائد او راى السلطة حقتقرره الشريعة للفرد والفئة مهما كانت قليلة ٠٠ ولابد من (الاعلان) للراى الاخر حتى يصل الى الجماعة صاحبة الحق والمصلحة في تقرير الامر وهي القادرة على ان تلزم السلطة برايها لان القائم بها انما هو وكيل عن الجماعة ليس غير (٩) والذين يخشون مغبة (الجدال) والاختلاف ربما كانوا لا يعرفون الحق اوهم يعرفونه ويحيدون عنه ، ويثيرون دعوى الفتنة على غير حقيقتها في شريعة الله ٠ وانما تاتي الفتنة من اخراس الالسنة وكم الافواه فتندلع النيران من الصدور المحترقة الى الارض والمجتمع والدولة حين تجد ثغرة فتاتي على الحرث والنسل وتكون الفتنة حقا ٠ وهي انما تاتي نتيجة منع الراى لا نتيجة اطلاقه ٠ اورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » » قول عبدالله بن عمر رضي الله عنه وعن ابيه » فعلنا على عهد رسوله وكان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه اما قتلوه او عذبوه ، حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة» ٠ ويقول في تفسيرقولهتعالى « واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل»٠ » أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه الى

---

(٧) انظر مثلا :ابن العربي «العواصم من القواصم»تحقيق محب الدين بن الخطيب ـ اخبار واقعة الجمل ٠

(٨) ابن العربي ـ العواصم من القواصم ص١٥٩ـ ١٦٠ والحواشي ، شاه عبد عبدالعزيز الدهلوى مختصر التحفة الاثنى عشرية ـ اختصار محمود شكرى الالوسى تحقيق محب الدين الخطيب ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ٠

(٩) راجع لصاحب المقال : بين عقد الامامة في تاريخ الاسلام وفقهه ونظرية العقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ٠

الكفر بعد ايمانه فذلك اكبر عند الله من القتل (١٠) والمأمول ان يعي ذلك المسلمون ، فيكونوا جميعا ظهيرا وردءا لصاحب الراى حتى يدلـي بحجته ، وفي الحوار المثمر على الملأ ما يهدي الى الرشد • وحرية الراى تتضمن بالضرورة حرية الخطأ مادام صاحب الراى سليم القصد ملتزما بالاصول المنهجية العلمية والخلقية متابعا للحق بمجرد ان تتكشف صفحته وترجح ادلته •

هذا الارهاب الفكرى

اما الارهاب الفكرى وسل سيف الاتهام بالمروق والضلال والكيد للاسلام اويث الرعب من اثارة الخلاف والفرقة فهذه كلها هي الفتنة والاكراه بلامراء ، وهذا مانبرأ منه شريعة الحق المبين • والمأمول ان نوطن انفسنا على حماية حق الراى الاخر في الاعلان عن نفسه مستندا الى الحجة والدليل حتى ولو دار حول تفهم شريعة الله على النهج الذى امر به الله •

ولقد روى : ان عمر بن الخطاب كان قد هم ان ياخذ من نصارى بني تغلب الجزية فتفرقوا في البلاد وقطعوا الفرات وارادوا اللحوق بالروم ، فكلمه فيهم زرعة بن النعمان او النعمان بن زرعة ، وقيل عبادة بن النعمان ، وقال له : يا امير المؤمنين ان بني تغلب من قد علمت شوكتهم وانهم بازاء العدو فان ظاهروا عليك العدو اشتدت مؤنتهم فـان رايت ان تعطيهم شيئا فافعل • فصالحهم عمـر الا يغمسوا احدا من اولادهم في النصرانيـة ويضاعف عليهم الصدقة • وقد يكون فرض الصدقة المضاعفة على بني تغلب بمنزلة الجزية على كل حال ، كما استظهر الشافعي وغيره ـ ولكن شاء عمر ان يسميها اسما آخر هو الصدقة التـي يدفعها المسلمون مع مضاعفة قدرها ، ولا يسميها جزية مثلما وضعت الاحكام وسارت السـوابق تقديرا لظرف معين • وقد ارتأى الفقهاء معاملة بني تغلب في اقتضاء الصدقة المضاعفة معاملة اهل الزكاة لا اهل الجزية فيرسل اليهم فـي مواشيهم وثمار زرعهم في اراضيهم وديارهـم • قال يحيى بن آدم القرشي : والمرأة والرجل من بني تغلب سواء لانه ليس على رءوسهم وانما هو على ارضهم وقد اختلف في الصبيان وقال بعضهم يؤخذ منهم لان اليتيم الصغير من المسلمين يزكي ماله » •• وقد روى ان عمر بن الخطاب قال لجبلة ابن الايهم الغساني مثل ذلك ، وكان نصرانيا وكان قد خير بين الاسلام او الجزية او اللحاق بالروم • وروى انه لما اختار جبلة الروم اراد عمر ان يرجعه ويخصه بمعاملة تحقق خضوعه لدولة الاسلام والتزامه باحكامها ، واداءه واجبا ماليا معينا دون ان يكون جزية مثلما فعل مع بني تغلب ، ولكن رسول عمر الى جبلة لم يدركه في ارض الاسلام بل وجده قد اجتاز تخوم الشام الى بلاد الروم (١١) •

وعلى هذا النهج الذى اتبعه السلف الصالح من الاستماع الجاد والتفهم لراى اصحاب الراى والنقاش المثمر حوله واتباع ما يتكشف من صواب دون اهدار لشريعة الله او تجميدها بغير حق ، نستطيع ان نتوقى الفتن ، ما ظهر منها وما بطن •

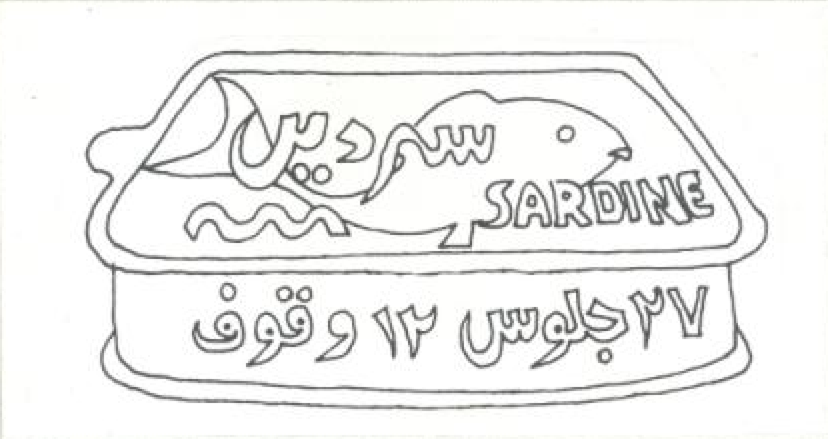
« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقـــاب » الانفال / ٢٥ • ■■

الرياض ـ محمد فتحي عثمان

---

(١٠) انظر تفسير ابن كثير للاية ١٩٣ من سورة البقرة « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ••• » والاية ٢١٧ من نفس السورة « يسألونك عن الشهر الحرام •• واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل » والاية ٣٩ من سورة الانفال •

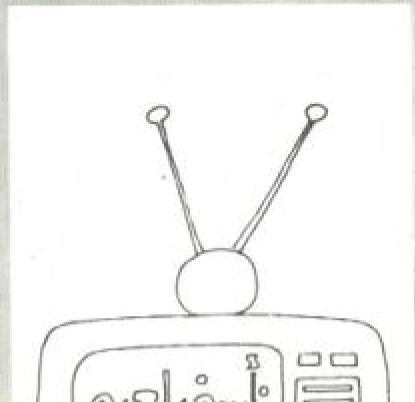
(١١) راجع : ابو يوسف : الخراج ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ط٤/١٣٩٢ هـ ص ١٢٩ - ١٣٠ ، يحيى بن آدم القرشي : الخراج بتحقيق احمد محمد شاكر المطبعة السلفية بالقاهرة ـ ط٢ سنة ١٣٨٤ هـ ص ٢٤ ، ٦١ ، ٦٤ ، نصوص رقم ٣٦، ٣٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ابو عبيد القاسم بن سلام : الاموال تحقيق محمد خليل هراس ـ القاهرة سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٦٨ م ص ٣٩ ـ ٤٣ نصوص رقم ٧٠ ـ ٧٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان •



كلمات على أشياء

بريشة

بهجت

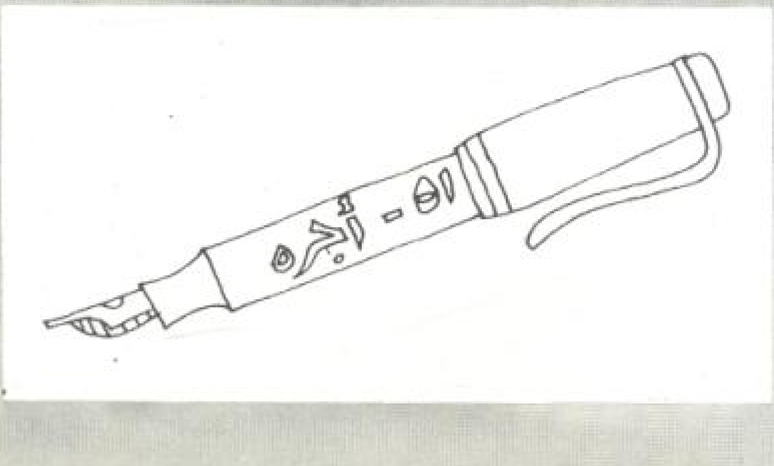





قداحات
ولكون
هي الأفضل دائماً
لاتستعمل غيرها


لاتسرع وعد


٣٠٪ صوف
٧٠٪ نايلون



نور الدين محمود

الطريق إلى فلسطين

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

تولى نور الدين محمود ـ ٥١١ ـ ٥٦٩هـ ـ حكم حلب والمواقع المحيطة بها ، بعد مقتل أبيه عماد الدين زنكي عام ٥٢١هـ ، واقتسام امارته الواسعة في الجزيرة والشام بين أبنائه ٠٠ واستطاع نور الدين عبر فترة حكمه ٥٤١ ـ ٥٦٩هـ أن يحقق سلسلة من الانتصارات الحاسمة ضد الصليبيين في الشام وفلسطين ومصر ، وأن يقيم الوحدة بين مصر والشام ويمهد الطريق لتحرير فلسطين من خلال خليفته وساعده الايمن الناصر صلاح الدين ٠

وقد كتبت أبحاث عديدة عن انجازات الرجل السياسية والعسكرية ، أما الصفحات التالية فتتناول بايجاز جانبا من شخصيته في محاولة لتسليط الضوء على أحد العوامل الرئيسية التي مكنته من تحقيق انتصاراته الكبيرة تلك ٠

اذا ما أردنا الرحيل عبر منحنيات شخصية نور الدين محمود ودروبها وملامحها ٠٠ بحثا من الدوافع التى مكنته ، بمساعدة جماهير أمته ، من صنع الانتصار ، وبلغنا (تجرد) الرجل و (تقواه) ، فاننا نكون قد (حضرنا) بمواجهة أعظم التجارب في حياته ، وأثقلها حجما ، وأشدها تركيزا ٠٠ مساحة ناصعة ، مؤثرة ، من أروع المساحات في تكوين الشخصية التي بين أيدينا ، وأكثرها ضوءا وعطاء ٠٠ ومن ثم يطول الوقوف ٠

ان التجرد العظيم الذى يمارسه الرجل ، انما يمارسه وهو في قمة السلطة والجاه والاغراء ٠٠ وانه لضغط ساحق يتطلب دفعا هائلا من داخل الشخصية البشرية ، من نسيج الذات لحمة وسدى، لتحقيق التوازن المطلوب ، والخروج من التجربة الصعبة بنجاح ٠٠

المعلم الكبير

اننا ، هنا ، نستحضر في أذهاننا صورة عمر ابن عبدالعزيز ، الخليفة الأموى ، وهو يمارس ببطولة نادرة ، الامتحان العسير ، ويخرج منه بانتصار يشرف الانسان المسلم في كل زمان ومكان رغم أنه فقد عبر ساعاته الصعبة ولحظاته



الباهظة ، زهرة عمره ، وسنى شبابه ، وهو فى المنقوان ، بل انه فقد حياته نفسها ثمنا للفوق الذى حققه للعقيدة والتاريخ والشخصية البشرية على السواء ..

ومن وراء عمر ، نستحضر حشدا آخر من الرجال الذين صنعهم كتاب الله ، وصاغهم رسوله الكريم .. وهو الحشد الذى يقف الرسول نفسه، عليه الصلاة والسلام،فى قمته ولاريب،ويضرب مثلا باهرا على قدرة (المسلم) على (التجرد) وهو فى قمة الدنيا ، يطل من سقفها العالى ، وما فوقه الا الله (ايها الناس ـ قال الرسول بعد ان انتزع وبرة من جمل يقف قريبا منه ـ والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة ، الا الخمس والخمس مردود عليكم ..) .. ويوم اشتكى اليه اصحابه الجوع وكشفوا عن بطونهم التى عصبها كل منهم بقطعة من حجارة ، كشف (هو) صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقد عصبها بقطعتين !!

امـا ابـو بـكر .. وعمر .. وعثمان .. وعلى .. وسائر رجالات الجيل الاول الذى عايش تجربة نبيه وقائده .. فتلتمع صور تجارب تجردهم العظيم فى الذهن ، ضوءا كثيفا مركزا كالشهب الثاقبة فى ليلة شديدة الحلكة ، عميقة الظلام ،

ولن يتسع المجال لمجرد المرور عليها مسرعين ..

ان التجرد يعني ، في نهاية التحليل ، قدرة المسؤول المسلم على مجابهةثقل السلطة واغراءاتها، وابوابها المشرعة التي تنفتح ، من حيث لا يشعر الانسان احيانا ، على الاخذ الذي يزداد ويزداد حتى يغدو ـ بمرور الايام ـ سرقة وسلبا وابتزازا .. وترفا وتخمة وفسادا .. وتنقفل على العطاء الذي يشح ويشح حتى يغدو جبنا وغلا وجبروتا وطغيانا ..

اننا هنا ـ اذن ـ بمواجهة ما يمكن تسميته باخلاقية العدل الاجتماعي .. ان المسؤول المسلم اذا ما وصل السلطة يوما فعليه ان يتحقق بهذه الاخلاقية : ان ينقلب على ذاته ، ان يغير في تركيبها الداخلي ، مؤشراتها ودوافعها ومنازعها، ويسكت ، من جهة اخرى ، نزواتها وشهواتها .. وان يقابل التاريخ متجردا من هذا كله ، عاريا من كل البطائن والستائر التي قد تحجب او تخفي .. قديرا على العطاء الدائم ، صامدا بوجه الاخذ والاغراء ..

وتتوى اللههي القوة الباطنية التي تمنح المسؤول المسلم القدرة على المجابهة الصعبة بالتغيير الذاتي الدائم والتبديل المستمر .. وتمطيه امكانية استجاشة كل الدفوع المكنة في باطن الشخصية البشرية لمجابهة الضغوط الخارجية الباهظة ، وحل المعادلة الصعبة ، واستمراء الجهد الشاق ، والتعب ، والنصب ، والارهاق ..

وبدون هذا التجرد الذي تصنعه التقوى .. بدون اخلاقية العدل الاجتماعي هذه .. لن يتحقق عدل ابدا .. لانه اذا انكسرت همة القيادة العقائدية ازاء المال والاغراء .. اذا انشرخت القمة واتسع شرخها ،فليس لنا ان نتوقع حقا او عدلا ، وليس لنا ان ننتظر فرصة سحرية ، تاتينا بنتائج غابت شروطها الاساسية في بطون القيادة وفروجها ..

ان السقيم لا يمنح المرضى صحة وعافية .. والبئر المرة العفنة لا تنضح حلوا .. لا تنضح الا المر والعفن ..

الشهود

ماهي الابعاد الحقيقية لتجربة نور الدين في (التجرد) ؟ والى اى مدى ذهب الرجل في (تقواه) ؟ وهل قدر في نهاية الامر على حل المعادلة الصعبة والخروج من المحنة بسلام ؟ اسئلة شتى لن يكون الا للوقائع نفسها ان تجيبنا عنها لكي تمنحنا القناعة والرضا والاطمئنان .

يسال ابن الاثير في كتابه (الباهر) هذا السؤال « ان قال قائل : « كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة ، وتجبى اليه الاموال الكثيرة؟ ويجيب « .. ليذكر نبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجزيرة العرب جميعها ، من حدود الشام الى العراق ، وهو على الحقيقة سيد الزاهدين » ويخلص اخيرا الى هذه النتيجة التي يعدها مفتاحا لتفسير الموقف « انما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا ، لا خلو اليد عنها » (١) .

وهل كان نور الدين محمود خالي اليد وهو يحصل في معركة واحدة مع العدو الصليبي على مبلغ قدره ستمائة الف دينار ؟ كلا ، بطبيعة الحال .. فهل قدر على ان يخلي قلبه من محبة الدنيا ؟

ثمة حشد من المؤرخين ، بعضهم معاصر لنور الدين وبعضهم قريب عهد منه ، يقدمون لنا (الاجابة) على هذا السؤال :

العماد : كان رسم نفقته الخاصة في كل سنة مبلغ الفي قرطاس (٢) يصرفه في كسوته ونفقته وماكوله ومشربه وحوائجه المهمة حتى أجرة خياطه وطباخه ، من ذلك المقرر المعين النزر .ثم يستفضل ما يتصدق به في آخر الشهر وينفقه على المساكين واهل الفقر . وأما ما يهدى اليه من الثياب وهدايا الملوك فلا يتصرف في شيء منه ، بل يعرض نظره عنه ، واذا اجتمع يخرجه الى مجلس القاضي ليحصل أثمانه الموفورة ويصرفها في عمارة المساجد المهجورة (٣) .

ابن الاثير : احضر ـ نور الدين ـ الفقهاء

---

(١) الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية ص١٦٦

(٢) قيمة القرطاس الواحد مائة وخمسون درهما.

(٣) البرق الشامي ص١٤٣ ـ ١٤٤ وانظر ابن واصل : مفرج الكروب فيأخبار بني أيوب ٢٨١/١ وابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ص٥٣ = ٥٤ .

واستفتاهم في أخذ ما يحل له ، فاخذ ما افتوه بحله ولم يتعده الى غيره البتة •• وقال رضيع الخاتون ، زوجة نور الدين : انها قلت عليها النفقة ، ولم يكفها ما كان قد قرره لها، فارسلتني اليه أطلب منه زيادة في وظيفتها (اى مخصصاتها المالية) فلما قلت له ذلك تنكر واحمر وجهه ثم قال : من أين أعطيها ؟ أما يكفيها مالها ؟ والله لا أخوض نار جهنم في هواها !! ان كانت تظن أن الذى بيدى من الاموال هى لى فبئس الظن !! انما هى أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ، معدة لفتق من عدو الاسلام ، وانا خازنهم عليها فلا اخونهم فيها • ثم قال : لى بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا قد وهبتها اياها فلتاخذها !! قال الرضيع : وكان يحصل منها قدر قليل : نحو عشرين دينارا !! (٤)

ابن كثير : كان نور الدين عفيف البطن والفرج، مقتصدا في الانفاق على اهله وعياله في المطعم والملبس ، حتى قيل : انه كان ادنى الفقراء في زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا (٥) •

سبط بن الجوزى : كان ـ نور الدين ـ اذا اقام الولائم العظيمة لا يمد يده اليها ، انما ياكل من طبق خاص فيه طعام بسيط • وحدثني رجل من اهل حران قال : خرج نور الدين الى حران يوما قاصدا الرها فاجتاز على نهر ، وفقير نائم هناك ، فوقف وسلم عليه ، فرفع الفقير رأسه وقال بيده (كذا) ، معناه في أى شيء أنت ؟ فحرك نور الدين اصبعا واحدة فحرك الفقير اصبعين !! ومضى نور الدين باكيا ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : أشار الفقير الي وقال : في أى شيء أنت من هذا كله ، لماذا ؟ فقلت : من أجل رغيف واحد ، فاشار الى باصبعين،فانا آكل كل يوم رغيفين وانا مثلك (٦) !

اما مقر سكنى حاكم الجزيرة والشام ومصر واليمن فكانت دارا متواضعة في دمشق تطل على النهر الداخل الى القلعة من الشمال ، الحق بها صفة يخلو فيها للعبادة ، فلما ضربت الزلازل دمشق بنى تلك الصفة بيتا من الأخشاب ولما توفي دفن فيه (٧) •

أنا •• بخلاف كل ما يقال !!

وهو يتفوق بتقواه على اغراءات الجاه واللقب والسلطان •• يتجرد عن كل ما يمكن ان يقطع الحبل المتين بينه وبين طرفي القضية : الله •• والجماهير •• ثمة حشد زاخر من الالقاب كانت الخلافة العباسية الاسيرة في بغداد تمنحه لكبار القادة والمجاهدين،لانه لم يكن بمقدورها ان تمنح شيئا آخر••وعندما تفقدقيادةماالقدرةعلىالاسهام الجاد في حركة التاريخ يتحول همها الى منح النياشين والالقاب لمن يقدرون •• لكن رجلا (فاعلا) كنور الدين يرفض هذه المنحخوف ان يكون في طياتها الكذب ، والمبالغة ، والزيف•• وخوف ان تقود الى نوع من الاعتداد والغرور كثيرا ما انتهى اليهما القادة والعاملون •• اما نور الدين الذى علمه (التجرد) كيف يكون الرفض ، فانه يتمنع حتى النهاية عن الذهاب مع الاغراء الى مايريد الشيطان لا مايريد الله !!

تلقى يوما من بغداد هدية تشريف عباسية ومعها (قائمة) بالقابه التى كان يذكر بها على منابر بغداد •• « اللهم اصلح المولى السلطان الملك العادل العالم العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المرابط المثاغر نور الدين وعدته ، ركن الاسلام وسيفه ، قسيم الدولة وعمادها ، اختيار الخلافة ومعزها ، رضى الامامة والبرهان ، فخر الملة ومجيرها ، شمس المعالي وملكها ، سيد ملوك المشرق والمغرب وسلطانها ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلوم من الظالمين ، ناصر دولة امير المؤمنين » ••

ولكن نور الدين الذى كان يصنع الانتصار الحقيقى ، اسقط جميع الالقاب وطرح دعاء

(٤) الباهر ص١٦٤ ـ ١٦٥ ، الكامل في التاريخ١١/٤٠٣ ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق •

(٥) البداية والنهاية ١٢/٢٧٨ •

(٦) مرآة الزمان ٨/٣١٥ ، ٣٢٠ •

(٧) العماد الاصفهاني : البرق الشامي ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ، ابو شامة : كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ١/٥٨١ ـ٥٨٢ •

واحدا يقول « اللهم واصلح عبدك الفقير محمود ابن زنكي » (٨) ٠

ولمة رواية اخرى تمنحنا مزيدا من الاضواء ، وتتضمن كلمات وجملا من انشاء نور الدين نفسه٠ روى انه كتب رقعة بخطه الى وزيره خالد بن القيسراني ، بعد ان استنزلته كثرة الالقاب !! يأمره ان يكتب له صورة ما يدعى له به على المنابر ، فكتب الوزير الصيغة التالية « اللهم واصلح عبدك الفقير الى رحمتك ، الخاضع لهيبتك ، المعتصم بقوتك ، المجاهد في سبيلك ، المرابط لاعداء دينك ابا القاسم محمود بن زنكي» فكان جواب نور الدين : « هذا لا يدخله كذب ولاتزيد » ، وكتب بخطه في اعلى الصفحة « مقصودي ان لا يكذب على المنبر ٠ انا بخلاف كل ما يقال٠ افرح بما لا اعمل ؟ » (٩) ٠

ومن محمود حتى يقال له هذا ؟

وفي ساحة الحرب ، حيث الموت على بعد خطوات ٠٠ وحيث لقاء الله آت وراء كل لحظة ٠٠ كان نور الدين يذوب تواضعا واشفاقا ٠٠ وتقفه تقواه العميقة في حضور مؤثر امام الله ، حيث تتمزق في اعماق وعيه بقايا الستائر والحجب التي ظل يكافح من أجل تمزيقها ، لكي يقف نقيا ، عاريا ، في الساحة التي عشقها وتمناها ٠٠ ليس ثمة في الحرب موقف وسط ٠٠ اما أن يكون القائد جبارا في الارض او صديقا ٠٠

عندما التقت قواته عند حارم ، شمالي الشام ، بالصليبيين الذين يفوقونهم عدة وعددا (عام ٥٥٩هـ) انفرد نور الدين تحت تل حارم ، وسجد لله ومرغ وجهه متضرعا : (يا رب ! هؤلاء عبيدك وهم اولياؤك ، وهؤلاء عبيدك وهم اعداؤك ، فانصر اولياءك على اعدائك ٠ ايش فضول محمود في الوسط ؟ » يقول ابو شامة المؤرخ » يشير نور الدين هنا ، الى انك يا رب ان نصرت المسلمين فدينك نصرت ، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر» ويلغني انه قال «اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا ٠ من هو محمود حتى ينصر ؟ » (١٠)

وتحضرنا هنا رواية ابن الاثير ، حيث يبدو نور الدين لا فدائيا فحسب ، ولكن فقيها يقدر الله متبصرا بدور الانسان في حركة التاريخ ، عالما ان ارادة الله اذا شاءت تهيأت الاسباب ٠٠ ولن يعجزها شيء ٠٠ ولو مات او قتل عشرات القادة والمجاهدين ٠٠ فان آخر رجل منهم سيحمل المهمة ويواصل الطريق ٠٠ ومن ثم يستوي ــ عبر هذه الرؤية ــ هذا القائد او ذاك ٠٠ كان يقول « طالما تعرضت للشهادة فلم أرزقها »، وسمعه يوما الامام قطب الدين النيسابوري فقال له : بالله لا تخاطر بنفسك ، وبالاسلام والمسلمين ، فانك عمادهم وان اصبت في معركة لا يبقى من المسلمين احد الا واخذه السيف ٠٠ ويجيئه جواب الرجل الخبير : « يا قطب الدين ، ومن محمود حتى يقال له هذا ؟ قبلي من حفظ بلاد الاسلام ، ذلك الله الذي لا اله الا هو (١١) !

ذلك هو موقع التجرد الكامل والتقوى الفاعلة ٠٠ تجرد (القمة) التي لو ادركته قياداتنا عبر التاريخ لعرفت كيف تصنع هذا التاريخ ٠٠

ويمنعني أيضا

كانت دمشق ــ يومها ــ جنة الدنيا ، ترغم الناس على ان يخلدوا اليها حينا بعد حين ٠٠ يستجموا في ظلالها ويستروحوا نسائمها ويأكلوا من ثمرها ٠٠ وكان احرى بنور الدين ان يؤوب ــ بعد التعب الطويل ــ الى قاعدة ملكه ليرتاح ٠٠ لكنه يرفض هذا لان ساحة اخرى تناديه وتمنحه المتعة كذلك ٠٠ ساحة الجهاد ٠٠ يحدثنا العماد الاصفهاني فيقول : « حضرت عند نور الدين بدمشق والحديث يجري في طيبها ورقة هوائها وازهار رياضها ٠٠ وكل منا يمدحها ويطريها ٠ فقال نور الدين : انما حب الجهاد يسليني عنها فما ارغب فيها !! »(١٢)

---

(٨) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ص٦٨ ــ ٦٩ ٠

(٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٣٢٢ ــ ٣٢٣ ٠

(١٠) كتاب الروضتين ١ / ٣٤٢ ــ ٣٤٣

(١١) الباهر ص ١٦٩ ، الكامل ١١ / ٤٠٤

(١٢) البرق الشامي ص ١٢٦ ٠

فما أرغب فيها !! لكاننا نحس بنظرات نور الدين وهي تجوس في منحنيات نفسه ودروب وجدانه تفتش عن بقايا الرغبة، لكي تستاصلها من مكامنها، فلا يبقى هناك احساس غامر بتعشق الجهاد ، حيث يظل الانسان يقاتل معلقا (وجوده) كله باحدى اثنتين : النصر أو الجنة !!

ومرة أخرى نلتقي به ، وهو يغادر الموصل بعد عشرين يوما من دخوله اياها عام ٥٦٦ هـ ، فيسأله أصحابه : انك تحب الموصل والمقام بها ، ونراك أسرعت العود ؟ فيجيب : قد تغير قلبي فيها ، فان لم أفارقها ظلمت ، ويمنعني أيضا أنني هاهنا لا أكون مرابطا للعدو وملازما للجهاد (١٣)

لقد صنع الرجل بتقواه العميقة ، تجرده العظيم ·· فكيف صنع تقواه ؟ بأي وقود تقي أشعل فتيلة الروح فمنح تجربته الذاتية الضوء الذي تجاوز بها مواقع الظلمات ؟

ثمة شهادات عديدة لا مجال لسردها ·· شهادات لأبي شامة وابن الأثير ، وابن كثير ، وسبط بن الجوزي والعماد الاصفهاني وغيرهم ·· تنصب كلها على المدى الطويل الذي كان نور الدين يمنحه للعبادة والذكر ·· انها اطالة (التعبد) اذن التعبد الخالص ، الدائم ، العميق ، الذي أراده الله سبحانه أن يكون طريق التقوى وروحها في الوقت نفسه ·· ولن يكون ذلك الا بأن يمارس في اطار من (الذكر) الذي يحقق التواصل مع حقيقة الالوهية ، والتجارب مع حركة الكون والموجودات··

ويمضي نور الدين في تعبده آناء الليل وأطراف النهار ·· لكنه ذلك التعبد السالب الذي يدفعه الى الفرار من المسئولية··بل ذلك الذي يضعه في قلب المسؤولية وهو اعمق وعيا ، واشد خشية ، وامضى عزيمة واقدح ذكاء ·· ان المؤرخ ابن قاضي شهبة ، في اشارة عابرة له ، يسلط الضوء على هذه المسألة « كان نور الدين كثير الصيام ، وله أوراد في الليل والنهار ، وكان يقدم اشغال المسلمين عليها ثم يتمم أوراده » (١٤) · هذا هو المنطق الذي علمنا اياه الاسلام ، والذي يجعل التعبد ، الذي هو غاية الخليقة ، ممارسة ايجابية تضرب في أعماق الناس فتغير نفوسهم ، وتمتد الى حركة التاريخ فتصوغ مسيرته ·

الظل ·· والدنيا ··

يمضي نور الدين في تعبده حتى تتكشف له حقيقة الحياة الدنيا ، وتتبين مواقع الموت القريبة ويظل حسه وذهنه ووجدانه مطبوعا بالرؤية الرصينة للكون والحياة والاشياء ·· لا تعتمها اغراءات السلطة ، ولا تحيطها بالضباب نزعات القوة والحياة والسلطان ·

حكى الامير بهاء علي بن الشكري ، وكان قد صحب نور الدين منذ أيام الصبا وأنس به ، قال: « كنت معه يوما في الميدان ، تسير والشمس في ظهورنا، فلما سرنا تقدمنا ظلنا ، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا · فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لي : أتدري لأي شيء أجري فرسي والتفت ورائي ؟ قلت : لا · قال : قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا ، تهرب ممن طلبها وتطلب من هرب منها (١٥)

وفي أول أيام عيد الفطر المبارك من عام ٥٦٩ هـ، حينما خرج الى الميدان الاخضر شمالي دمشق لبلده الاحتفالات هناك ، تقدم منه أحد كبار امرائه ، همام الدين مودود ، وسأله : ترى ·· هل نكون هنا في مثل هذا اليوم من العام القابل ؟ أجاب نور الدين : هل نكون بعد شهر ؟ فان السنة بعيدة (١٦) ·

بلى ·· ان السنة بعيدة على الذين يقدرون على تصور الحدود الهشة الخفية ، التي لا تلمس ولا ترى ، بين الحياة والموت ·· السنة بعيدة ، وقبل ان يستكمل الشهر الذي ضمنه الرجل التقي لرحيله ، قبل أن يستكمل دورته ·· كان الرجل ، حاكم الجزيرة والشام ومصر واليمن ، صانع الانتصارات الكبيرة ضد الصليبيين ومعبد الطريق لتحرير فلسطين ·· قد فارق الحياة ، بعد أن سبر غورها وهو يعمل في قمتها·· على سقفها العالي·

■■

الموصل ــ د · عماد الدين خليل

---

(١٣) ابن الأثير : الباهر ص ١٥٣ ــ ١٥٤

(١٤) الكواكب الدرية ص ٥٤

(١٥) ابن الأثير : الباهر ص ١٦٥

(١٦) ابو شامة : كتاب الروضتين ١/٥٧٩ ــ ٥٨٠ ·

اعداد : يوسف زعبلاوى

كمبيوتر للاحصاء ورسم الخرائط

● يبدو ان اجهزة الكمبيوتر التى غزت الكثير من ميادين النشاط الانسانى ، لا سيما تلك التى تعتمد على الذاكرة، لم تقنع بما غزت ، حتى اخذت تقتحم ميادين اخرى جديدة ، من نوع آخر جديد ، يغلب عليها الطابع الفنى او الهندسى • وقد لا يمضى زمن طويل حتى تصبح اجهزة الاوديسى Odyssey هذه شائعة لا فى مجلس الكونجرس فحسب ولكن فى شتى المجالس الامريكية ، فضلا عن الدوائر الحكومية ومراكز الهيئات والشركات الرسمية فى امريكا واوروبا واليابان • فمن شان جهاز الاوديسى ان يضع فى متناول عضو الكونجرس، مثلا، من الاحصاءات والرسوم مالا يخطر ببال • فقد يكون ذلك العضو بحاجة الى معلومات عن عدد الزنوج ونسبة توزيعهم فى مختلف الولايات المتحدة الامريكية فما عليه فى تلك الحال الا ان يضغط بعض ازرار الاوديسى فيحصل على خريطة ديموجرافية للولايات المتحدة تبين بوضوح عدد الزنوج ونسبتهم من مجموع



السكان فى كل ولاية من تلك الولايات وذلك على الفور وفى تلك اللحظة التى هو فيها • نقول اللحظة لا السنة •• وقد يستوضح احد الاعضاء عن نسبة عدد النساء المطلقات فى بعض الولايات فيحصل فى لحظات على ما يحتاج من معلومات •• وهكذا ••

ويختزن هذا الكمبيوتر الكارتوجرافى ــ الديموجرافى مجموعتين مختلفتين من المعلومات •• مجموعة معلومات رسم الخرائط بالذات وهى مستمدة مما ترسله بعض الاقمار الصناعية من صور ورسوم فوتوغرافية للكرة الارضية ككل، أو لاجزاء معينة منها، والاقمار الصناعية المشار اليها تلف وتدور حول الارض باستمرار وتوافى المراكز ذات الاختصاص بصورها على الدوام •

اما المجموعة الثانية من المعلومات فتاتى الى جهاز الاوديسى من مكتب الاحصاء الرسمى : US Census Bureau وما اليه من مكاتب تعتمد بدورها على اجهزة كمبيوتر تسجل لها احصاءاتها وتصنفها ، أولا باول ••

ومما يذكر ان ضروبا من جهاز الكمبيوتر الذى ذكرنا كانت قيد الاستعمال بصورة او باخرى فى المدة الاخيرة ـ وتذكر،

على سبيل المثال ، معهد مساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) الذى بدأ فى انتاج افلام الكرتون بواسطة هذا الجهاز .. ولا يخفى ما يتطلبه اعداد هذه الافلام عادة من رسوم واعمال مملة تستغرق مئات الساعات .. ومن شان جهاز الكمبيوتر الجديد ان يقوم بما يقوم به العاملون فى فن ال Animation بسرعة خارقة وبمزيد من الاتقان .

وقد استعمل هذا الكمبيوتر فى اعمال تخطيط المدينة وفيما يتصل بنظام المرور ومشاكله، فهو يستطيع ان ينبئك مسبقا بمواطن الضعف التى يعانى منها مشروع نظام مقترح للمرور ترغب السلطات المعنية فى دراسة حسناته وسيئاته قبل وضعه موضع التنفيذ ..

الجيش الايرانى
تقييم موجز لاعداده وعدده

٤١٣٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى القوات المسلحة باسلحتها الثلاثة البرية والبحرية والجوية ولا يشمل هذا المجموع الاحتياطي البالغ ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل . ويضم المجموع المذكور اعلاه :

٢٨٥٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى الجيش وهم يضمون ٤ فرق الية و ٤ فرق مشاة وغير ذلك .

١٠٠٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى سلاح الجو .

٢٨٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى سلاح البحرية .

يضاف الى ذلك :

٧٤٠٠٠ مقاتل

فى فرقة الجندرمة .

١٢٠٠٠ مقاتل

فى الحرس الامبراطورى المدرب تدريبا عاليا ، وبخاصة « فرقة الخالدين » Javadan وعدد افرادها ٤٠٠٠ مقاتل

الاسلحة والعتاد

الجيش

٢٣٠٠ دبابة من طراز Chieftain البريطانى المحسن

٤٠٠ دبابة من طراز M47 قيد التجديد .

٦٠٠ دبابة طراز M60 قيد التجديد .

الاسطول البحرى

٧ مدمرات منها ٤ من طراز Spruance

٤ بوارج مجهزة بصواريخ من طراز Seacat,Seakiner

١٤ قوارب هوفركرافت .

١٩ قوارب حراسة سريعة .

١٢ قوارب حراسة سريعة جدا ومجهزة بالصواريخ .

٥ سفن حربية - Combattante II مزودة بصواريخ هاربون

٥ كاسحات الغام .

٤ سفن انزال .

يضاف الى ذلك الغواصات والسفن الحربية التى ما زالت قيد الصنع ولم تسلم بعد .

وهذا الى جانب القوة الجوية التابعة للاسطول .

سلاح الجو

٤٥٩ مجموع الطائرات الحربية وهى تشمل فيما تشمل :

١٧٧ طائر طراز F-4E

١٤٠ طائرة طراز F.5E

٥٦ طائرة طراز Tomcat F-14A

٦ طائرات بوينج ٧٠٧ لتزويد الطائرات بالوقود جوا .

١٨ F-27

٤ F-28

٦٤ C-130

وهى مجهزة بصواريخ من الانواع التالية :

Shoenix, Sidewinder, Sparrow, Maverick, Condor

يضاف الى ذلك :

شبكات دفاع جوى متكاملة تعتمد على صواريخ هوك رابير (Rapier) وتايجركات Tigercat وبلايندفاير Blindfire وشبكات رصد الكتروني من طراز Project Ibex

سدود عالية كثيرة

قرر بناءها السوفيات في الحبشة

يبدو ان الاتحاد السافياتي مصمم على المضى في مساعدة الحبشة عسكريا واقتصاديا الى ابعد الحدود . فقد تم الاتفاق مبدئيا على انشاء قواعد بحرية في الجزر الواقعة في البحر الاحمر ، وذلك لاتاحة الفرصة للاسطول السوفياتي، كما لا يخفى ، للتغلغل في هذا البحر « العربي » على نحو لم يسبق له مثيل ..

كذلك اتفق الجانبان على اقامة السدود على النيل الازرق .. بالقرب من حدود الحبشة مع السودان . ولن يقل عدد تلك السدود عن عشرين سدا وسيكون من شانها السماح للاحباش بالتحكم بمياه النيل الازرق وحرمان مصر والسودان من مياهه الغزيرة التي تشكل ٦٨٪ من مياه النيل اثناء الفيضان اى في اواخر شهر اغسطس (آب) واوائل شهر سبتمبر (ايلول) .

اما الغاية من بناء هذه السدود فمزدوجة : الغاية الاقتصادية الظاهرة ، وهي توليد الكهرباء وتخزين المياه لاغراض التنمية في بلاد افتقرت للتنمية بكافة ضروبها .. والغاية السياسية غير الظاهرة .. وهي اللجوء الى الضغط على مصر او السودان عن طريق الحد من مياه النيل وذلك وفق مشيئة السوفيات .

والظاهر ان العمل في بناء هذه السدود سيبدأ عما قريب. فقد تم في شهر سبتمبر الماضي الاتفاق على نواة المعاهدة الخاصة بسدود النيل الازرق وقواعد البحر الاحمر وذلك اثناء الزيارة التي قامت بها الى اديس ابابا البعثة السوفياتية المختصة برئاسة فاسيلي كوزنيتسوف . والاهم من ذلك هو الدراسات الميدانية العديدة المتلاحقة التي قام بها المهندسون السوفيات في الشهور الخمسة او الستة الماضية .. والتي استكملوا فيها مسح الهضبة التي تضم منابع النيل في الحبشة .

وتجدر الاشارة الى ان بعض المصادر تؤكد ان النية متجهة لاقامة بعض السدود الحبشية داخل الاراضي السودانية وليس على الحدود فحسب .

الجديد في طب الاسنان

* مادة الهايدرون Hydron مادة بلاستيكية ، طورتها الاكاديمية العلمية التشيكوسلوفاكية في مطلع الستينات وذلك من اجل وقاية العيون من الالتهابات التي كانت تسببها لها العدسات اللاصقة ... الا ان هذه المادة غير السامة ما لبثت ان وجدت طريقها الى طب الاسنان ، واصبحت تستعمل في الولايات المتحدة (NPD Dental Systems, Inc.of melville,N.Y. لتعبئة نخور تسوس الاسنان .. ما ظهر منها وما اختفى في الجذور ،ذلك ان مادة الهايدرون تمتاز على المواد التقليدية المعدنية منها والبلاستيكية ، في انها تغني عما تحتاجه هذه من مواد خاتمة كثيرا ماتسبب بالتهابات اللثة والعظام . اضف الى ذلك انها تمتص الرطوبة ... فتتمدد تبعا لذلك بسرعة .. وتملأ بالتالي اصغر الشقوق والثقوب .. ثم ان المعالجة بالهايدرون لا تستغرق اكثر من نصف الوقت الذى تحتاجه المعالجة التقليدية لجذور الاسنان .. ولما كانت مادة الهايدرون هذه هامدة كيماويا كان من المرجح ان تحول دون عودة الالتهابات للاسنان التي تعالج بها .

ابن بطوطة في الخليج العربي

بقلم : جمال الغيطاني

رسوم : بهجت عثمان

« .. كان ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، والمشهور بابن بطوطة ، آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية ، اي انه لم يكن نقالة اعتمد على كتب الغير ، بل كان رحالة انتظم محيط اسفاره عددا كبيرا من الاقطار ، وقد جاوز تجواله مقدار مائة وخمسة وسبعين الف ميل ، فهو بهذا يعد منافسا خطيرا لمعاصره الاكبر منه سنا ماركوبولو البندقي . ويقول العلامة الروسي كراتشكوفسكي في سفره الضخم « الادب الجغرافي عند العرب » ، ان وصف ابن بطوطة لخط سيره ادعى الى الثقة مما عليه الحال مع معاصره المسيحي » .

لقد خرج ابن بطوطة من طنجة مسقط رأسه في يوم الخميس الثاني من شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ قاصدا الحج ، ويرجح كراتشكوفسكي انه كان يقصد اداء الفريضة فقط ، ولم يكن يدري ان عصا الترحال ستلقى به في مختلف البلاد ، فلم يعد الى وطنه الا بعد ربع قرن من الزمان ، تحرك من طنجة مارا بجميع المدن الكبرى بشمال افريقيا ، حتى بلغ الاسكندرية ، ثم غادرها الى دمياط ، وركب النيل الى القاهرة ، التي كانت تمر وقتئذ بفترة من الازدهار ايام عصر المماليك، ومن القاهرة تابع النيل حتى اسوان ، ومنها اتجه شرقا مخترقا الصحراء حتى بلغ مرفا عيذاب على البحر الاحمر ولكن سير السفن المصرية بالبحر كان متوقفا آنذاك بسبب الحروب التي اشتعلت بين قبائل البجة ، والمماليك ، فاضطر ابن بطوطة الى العودة للقاهرة . وهناك قرر ان يزور الشام ، وينضم الى قافلة الحجاج من دمشق ، وفي طريقه زار فلسطين ، وبيت المقدس ، وبلغ انطاكية ، ثم زار حلب ، ثم انضم الى ركب الحاج بدمشق ، وزار مكة والمدينة ، واعقب هذه الزيارة بتوجهه الى مشاهد الشيعة في النجف ، ثم اتجه الى البصرة ، وهنا تكون عينا ابن بطوطة قد وقعتا على مياه الخليج العربي لاول مرة .

البصرة

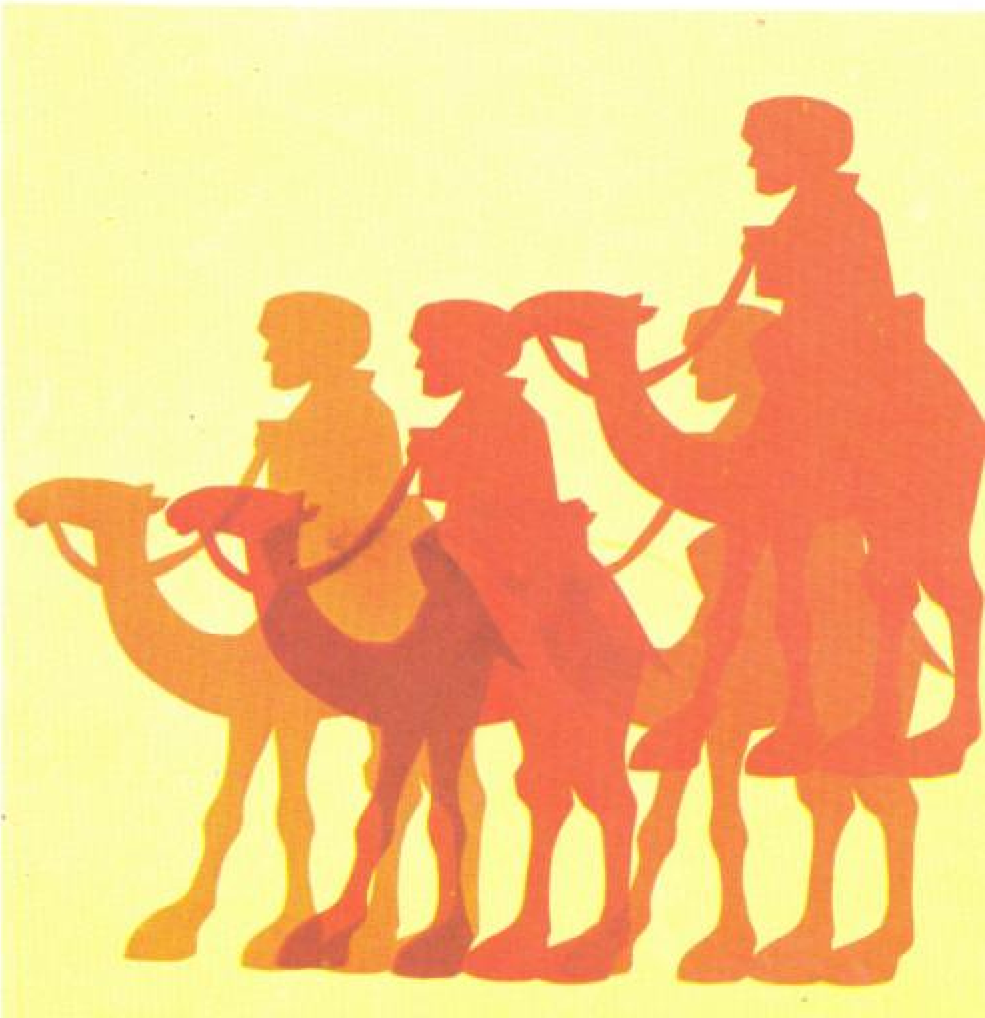
يقول ابن بطوطة :

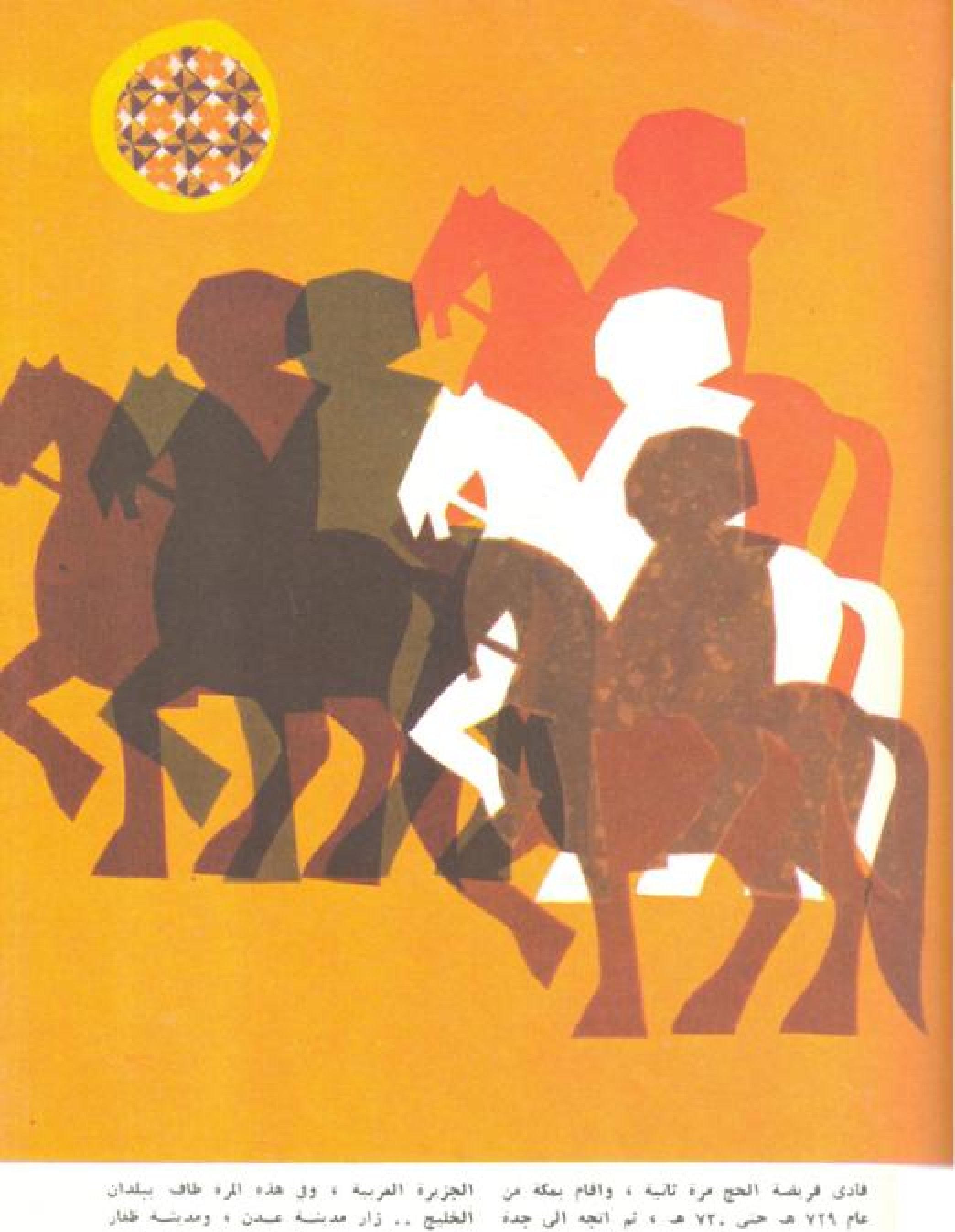
« وكنت رايت عند قدومي عليها نحو ميلين

منها بناء عاليا مثل الحصن ، فسألت عنه ، فقيل لي هو مسجد على بن ابي طالب (رضى الله عنه) وكانت البصرة من اتساع الخطة ، وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها ، وبينه وبينها الآن ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك ، فهو متوسط بينهما ، ومدينة البصرة احدى امهات العراق ، الشهيرة الذكر في الآفاق »

يستوقف ابن بطوطة في البصرة كثرة النخيل ووفرة التمر ، الذى كان يباع منه الاربعة عشر رطلا بدرهم واحد ، ويقول ان البصرة مقسمة الى ثلاث محلات ، محلة هذيل ، ومحلة بني حرام ، ومحلة العجم ، وقد استضافه كل شيخ من شيوخ هذه المحلات ، واهداه ثيابا ، وتمرا ، ودراهم ، وهنا يثني ابن بطوطة على اهالي البصرة فيصفهم بمكارم الاخلاق ، وقيامهم بحق الغريب .

من البصرة يركب ابن بطوطة « صنبوق » وهو قارب صغير ، يتجه به الى مدينة الابلة القديمة ، والطريق الواصل بينها وبين البصرة طوله عشرة اميال ، كله بساتين متصلة ونخيل ، والباعة في ظلال الاشجار يبيعون الخبز والسمك ، والتمر ، واللبن ، والفواكه ، وفي الطريق يمر بمتعبد سهل بن عبد الله التسترى ، فاذا حاذاه الناس بالسفن يشربون الماء مما يحاذيه ويتبركون بهذا الولي ، ولكن مدينة الابلة نفسها كانت قد درست فلم ير منها ابن بطوطة الا خرائب . اتجه بعد ذلك الى فارس ، فزار شيراز ، ثم الموصل ، ثم ديار بكر ، ثم عاد الى الكوفة ، ثم الى بغداد ، وكان قد مر عام





فادى فريضة الحج مرة ثانية ، واقام بمكة من عام ٧٢٩ هـ حتى ٧٣٠ هـ ، ثم اتجه الى جدة حيث عبر البحر الاحمر الى الساحل الشرقي لافريقيا ، ثم عبر الى اليمن ، وعاد مرة ثانية الى الساحل الافريقي ، ومن جديد عاد الى الجزيرة العربية ، وفي هذه المرة طاف ببلدان الخليج .. زار مدينة عدن ، ومدينة ظفار الحموضى التي يقول عنها انها اخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندى ، ومنها تحمل الخيول الى بلاد الهند ، وتقطع المراكب المسافة منها

الى ساحل الهند اذا كانت الريح موانية في شهر كامل ، وعندما يصل مركب من بلاد الهند يصعد عبيد السلطان في مركب صغير (صنبوق) ومعهم كسوة كاملة لصاحب المركب ، او وكيله ، وللربان ، ولكاتب المركب ، ويقول ابن بطوطة انهم يفعلون ذلك استجلابا لاصحاب المراكب ، وكانت المراكب تحمل اليهم من الهند الاقمشة القطنية ، والارز ، وتعود بالخيول ، واللؤلؤ ، وفي ظفار يلفت نظره طعام الاهالي من السمك ، واطعامهم اياه لدوابهم مما يثير تعجبه ، ويأكل مع بعض التجار من عمان طعاما لم يأكله من قبل عبارة عن ذرة مطبوخة بدون طحن ، ويصب عليها العسل والتمر ، اما اهالي جزيرة مصيرة فلا يعيشون الا على السمك ، وفي طريقه الى مدينة قلبهات يتعرض ابن بطوطة لمحاولة سرقة ثيابه من جانب بعض الادلاء ، ولكنه ينجو ، ويستمر في الطريق الصعب المؤدي الى قلبهات ..

مدينة قلبهات

« .. اتيناها ونحن في جهد عظيم ، وكنت قد ضاقت نعلي على رجلي حتى كاد الدم ان يخرج من تحت اظفارها ، فلما وصلنا باب المدينة كان ختام المشقة ان قال لنا الموكل بالباب : لا بد لك ان تذهب معي الى امير المدينة ليعرف قضيتك ، ومن اين قدمت ؟ فذهبت اليه ، فرأيته فاضلا حسن الاخلاق ، وسألني عن حالي، وانزلني ، واقمت عنده ستة ايام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لما لحقها من الالام ، ومدينة قلبهات على الساحل ، وهي حسنة الاسواق ، ولها مسجد من احسن المساجد ، حيطانه بالقيشاني ، وهو مرتفع ينظر منه الى البحر والمرسى ، وهو من عمارة الصالحة بيبي مريم ، ومعنى بيبي عندهم « الحرة » . واكلت في هذه المدينة سمكا لم اكل مثله في اقليم من الاقاليم ، وكنت افضله على جميع اللحوم فلا اكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الارز ويأكلونه ، والارز يجلب اليهم من ارض الهند ، وهم اهل تجارة ، ومعيشتهم مما يأتي اليهم في البحر الهندي ، واذا وصل اليهم مركب فرحوا به اشد الفرح ، وكلامهم ليس بالفصيح مع انهم عرب ، وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا ، فيقولونها مثلا : تأكل لا ، تمشي لا : تفعل كذا لا ، واكثرهم خوارج ، لكنهم لا يقدرون على اظهار مذهبهم ، لانهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تمتهن ملك هرمز وهو من اهل السنة » .

ثم يمضي ابن بطوطة الى قرية (طيبي) القريبة ، ويذكر انها من اجمل القرى ، واكثرها حسنا ، ومنها تجلب الفاكهة الى قلبهات ، وبها موز كثير ثم يسير في الصحراء لمدة ستة ايام ، يصل بعدها الى عمان ، ويزور قاعدة البلاد وقتئذ ، مدينة نزوا ، التي تقع في سفح الجبل ، تحيطها البساتين والمياه الجارية ، ويقول ان من عادة اهلها ان يأتي كل منهم بما يملكه من طعام الى صحن المسجد ، ويأكلون معا ، ويقول ابن بطوطة انهم اباضية المذهب .

مغاص الجوهر

كان اهم ما يلفت نظر الرحالة الذين زاروا الخليج العربي طرق استخراج اللؤلؤ ، وقد وصفه الادريسي بالتفصيل عند حديثه عن البحرين ، قال ان اهم جزر البحرين ، جزيرة اوال ، وحاضرة الجزيرة مدينة اسمها البحرين، وفي تلك الجزيرة يسكن الغواصون الباحثون عن اللؤلؤ ، ويجيء التجار اليها من جميع انحاء الارض حيث يستأجرون الغواصين ، ويخرجون في مراكب تسمى «الدونج» ومع كل غواص رفيق مساعد اسمه المصفى ، له نصيب في الاجرة ، ومع الجميع ادلة مهرة يعرفون مواضع اللؤلؤ ، وعند وصولهم الى الاماكن المعلومة تطوى الاشرعة، ويبدأ الغوص ، حيث يستر الغواص سوأته ، ويسد خياشيمه بالخلنجل الذي يذكر الادريسي انه عبارة عن دهان من الموميا، المذاب مع زيت السمسم ، ومعه سكين ، وكيس ، ويحمل حجرا وزنه اربعة قناطير او ما اشبه ، معلق بخيط رفيع متين ، وهو يلقى في الماء من ناحية المركب ، ويمسك المصفى بهذا الخيط بينما يقف الغواص على الحجر ويمسك الحبل بيديه متأهبا للنزول ، ثم يترك المصفى الحبل فينزل الغواص والحجر سريعا الى قاع الماء،وهو واقف على الحجر ممسكا الحبل بيديه . فاذا وصل

الى القاع جلس وفتح عينيه ، وجمع عاجلا كل الاصداف حوله ، فاذا ملا الكيس انتهى عمله، واذا تعب صعد الى سطح البحر ليتنفس ثم يغوص ثانيا .

ويقول الادريسي ان التدريب على مهنة الغوص كان يتم في فارس ، ويدفع مقابل التمرين عليها قدر معلوم من المال ، ويتعلم الغواص خلال التدريب كيف يتنفس من اذنيه ، ويحدث في البداية ان تصاب الاذان بالتهابات حادة،ويخرج منها صديد وتعالج بالعقاقير وتدفعاحسن الاجور للغواص الذى يبقى في الماء اكثر من غيره ، وهم يعرفون بعضهم تحت الماء ، ولا يعتدون على حدود بعضهم البعض .

وقد شاهد الرحالة ابن جبير الغوص في مكان اخر بالبحر الاحمر ، ووصفه ، لكنه لم يصفه في الخليج ، وقد وصل ابن بطوطة الى نفس المواضع التى شاهدها الادريسي ، ولفت نظره الغوص على اللؤلؤ .

★ ★ ★

يقول ابن بطوطة ، ان مغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين ، في خور راكد مثل الوادى العظيم ، فاذا كان شهر ابريل ، وشهر مايو تاتى اليه القوارب الكثيرة ، فيها الغواصون وتجار الفرس والبحرين والقطيف ، ويجعل الغواص على وجهه مهما اراد ان يغوص شيئا يكسوه من عظم الفيلم ، وهى السلحفاة،ويصنع من هذا العظم ايضا شكلا شبه المقراض يشده على انفه ، ثم يربط حبلا في وسطه ويغوص ، ويتفاوتون في الصبر في الماء ، فمنهم من يصبر الساعة ، والساعتين ، فما دون ذلك . فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتا في الرمل ، فيقتلعه بيده او يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك ، ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه ، فاذا ضاق نفسه حرك الحبل ، فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل ، فيرفعه الى القارب فتؤخذ منه المخلاة،ويفتح الصدف ، فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بحديدة ، فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر ، فيجمع جميعها من صغير وكبير ، فياخذ السلطان خمسه ، والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب ، واكثرهم يكون له الدين على الغواصين ، فياخذ الجواهر في دينه او ما وجب له منه » .

آخر المحطات

كانت البحرين اخر محطات ابن بطوطة التى توقف فيها ويصفها بانها مدينة كبيرة حسنة ، ذات بساتين واشجار وانهار ، وماؤها قريب المؤونة ، يحفر عليه بالايدى فيوجد ، وبها حدائق النخل والرمان والاترج ، ويزرع بها القطن ، وهى شديدة الحر ، كثيرة الرمال ، وربما غلب الرمل على بعض منازلها ، وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع ، فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر.

يمضي ابن بطوطة بعد ذلك الى مكة فيزورها للمرة الثالثة ، ثم يجتاز البحر الاحمر الى عيذاب ويصل الى القاهرة ، لتبدا وجهته الى الاقطار الشمالية ، فيصل الى شبه جزيرة القرم ، وروسيا الجنوبية ، وارض البلغار ، ثم القسطنطينية ، ثم يرحل الى الهند فيدخلها في غرة المحرم من عام ٧٣٤ هـ (١٢ سبتمبر ١٣٣٣ م) ، ويحظى في الهند بمكانة عالية لدى السلطان محمد بن طغلق الذى عينه في منصب القضاء لمدة خمس سنوات ، وفي تلك الاثناء اعد السلطان سفارة الى الصين عن طريق قندهار كان ابن بطوطة احد اعضائها ، ولم يوفق في الوصول الى الصين برا ، عن طريق قندهار ، فابحر من قليقون الى جزر المديف ، وفيها امضى عامين شغل خلالهما مرة اخرى منصب القضاء ، وزار سيلان ، والبنغال (بنجالاديس) والهند الشمالية ، واندونيسيا ، ومن هناك اتجه الى كانتون بالصين ، وفي طريق العودة استقل سفينة من سومطرة الى ظفار ، وهكذا يصل ابن بطوطة مرة اخرى الى القرب من الخليج العربى ، وكان ذلك في سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م)، ولم تقع عيناه مرة اخرى على ساحل شبه الجزيرة الجنوبي ، فقد رحل الى ايران ، ثم مكة ، ثم فلسطين ، ثم القاهرة ، وفي نوفمبر ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) كان يمثل في بلاط السلطان ابن عنان بالمغرب ، منهيا رحلته الاولى التى استغرقت زهاء الخمسة وعشرين عاما .. » ■■

القاهرة ـ **جمال الغيطاني**

انهار العرب تاريخ سائل

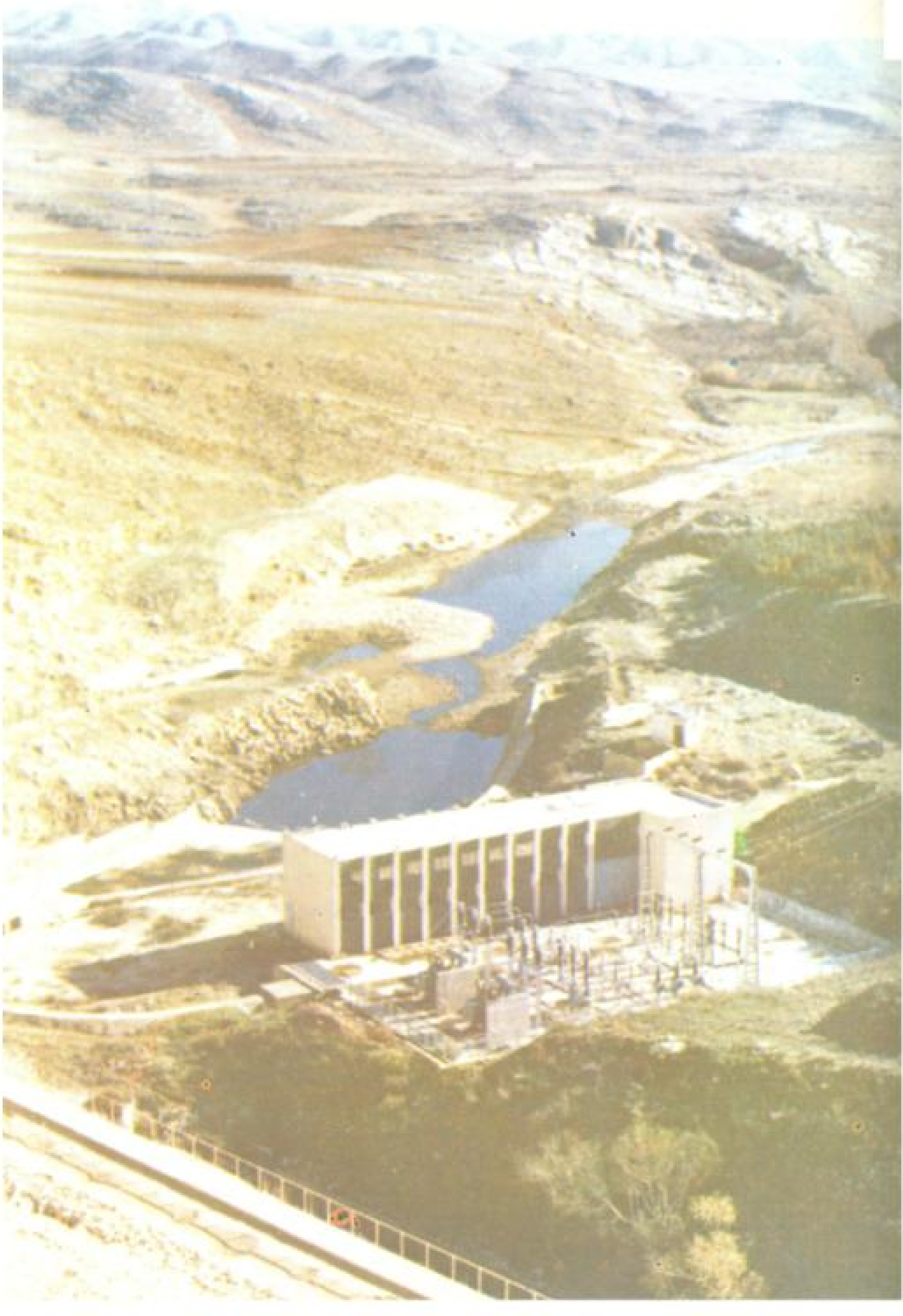
الليطاني

نهر عربي في خطر !

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل   تصوير : عبد الناصر شقره

حتى الصبية يحملون السلاح في لبنان ـ صورة من البقاع (الى اسفل) • مشروع الكهرباء على سد القرعون• ويشاهد النهر في عنفوانه خلف السد •(الى اليسار) •





هذا هو نهر الليطاني ، صفحة من التاريخ العربي « السائل » • على ضفافه يعيش مليون من البشر ، موزعين على مائة قرية عربية • وهذه « الصفقة » كلها ـ النهر والبشر والقرى ـ في خطر !

ذلك أن النهر بتعرجاته هو الحد الجغرافي الذى تسعى اسرائيل للوصول اليه ، فمنذ طالبت الحركة الصهيونية ،في مؤتمر السلام بعد الحرب العالمية الاولى بجعل نهر الليطاني الحدود الشمالية للدولة الصهيونية ، وبعد ان حددت اسرائيل لنفسها نصيبا في مياه النهر ، أخذت هذه المطامع تحرك الاحداث ، وتصطنع الادوات ، وتقتنص الفرص لتحقيق أهدافها ، وهي ترى في الاضطراب الذى يدور على ضفاف النهر في الوقت الراهن ، الوضع الامثل لتحقيق أهدافها •

ولعل ما شهده تاريخ النهر الطويل يلقى الضوء على الحاضر ويستشرف المستقبل •

ويسمى النهر في الجنوب اللبناني على خرائط العسكريين « الخط الاحمر » أو الخط الفاصل بين قوات الطوارىء الدولية وقوات الردع العربية ••

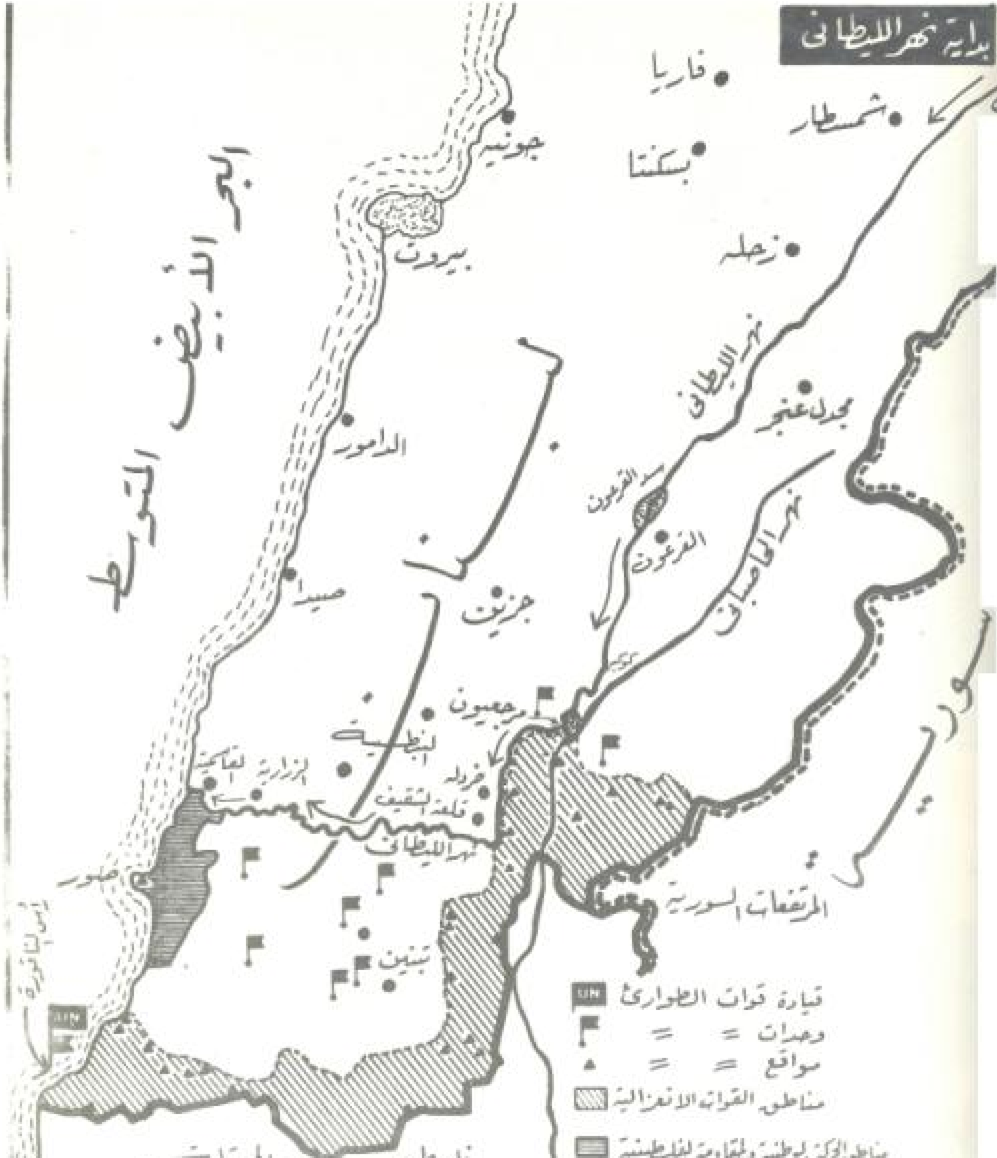
ويروى النهر قصة منطقة كانت دائما مفتاحا لحضارة متميزة ، واحدى بؤرات التطور الحضاري، واحد مراكز الاستقطاب الفكرى ، واحدى جبهات الصدام التاريخية ، باعتبارها جزءا من منطقة الشام التاريخية ، ذات الموقع الفذ بين اوروبا وآسيا ، وسوقا دائمة للبضائع والافكار ، حوارا وصداما بين الشرق والغرب ، وهي من أقدم وأعرق أجزاء العالم بالتاريخ والحضارة ، وهى احدى أجمل بقاع الدنيا وأكثرها التهابا في نفس الوقت•

هذه هي المنطقة التي يتلوى فيها النهر ضعيفا احيانا حتى يكاد يجف ، وكسولا أحيانا أخرى الى مسافة تصل الى ١٦٠ كيلومترا ليمثل محور الحياة لمليون من البشر ، يقطنون حوالي مائة قرية وبلدة من حوله ولكنك تقطع أضعاف هذه المسافة لكي تزور بعضا من هذه القرى فشبكة الطرقات لا تربط قرى النهر الموزعة في مدن معلقة تتفاوت بين « الجرود » العالية و « السفوح » القاحلة ، وتمر فيها بمناطق ملتهبة تسير تحت القصف أحيانا وتمر خلال حواجز قوات الردع العربية في البقاع وجيش لبنان العربي والمقاومة الفلسطينية وقوات الطوارىء الدولية في الجنوب ••

كانت بداية الجولة لدى منابع الليطاني في البقاع عند بعلبك في أهم الينابيع التى تغذى النهر عند نبع « العليق » والذى وصلته بعد أن تركت خلفي بيروت تعيش جو الازمة الخانق ، لم نسلك الطريق الطبيعي لنصل الى هدفنا وهو طريق بيروت دمشق ، فما زال الذى يقطعه عرضة للقصف الاعمى ، وانما اتجهت بنا السيارة جنوبا في طريق عرمون الذى يطول ويتجه جنوبا لتجنب الخطر وعبرنا العديد من الحواجز لنصل أخيرا الى النبع عن طريق برنايل شمسطار كفردبش كفردان •

وكانت المفاجأة الاولى أن النبع مجرد بحيرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها ٤٠٠ متر مربع وفي نهايتها جسر فوق مجرى جاف وسألت مرافقي ••• أين النبع •• ؟ فاجابني مبتسما : هل تبحث عن بحيرة فيكتوريا •• ؟ هذا الذى أمامك هو النبع الرئيسي لنهر الليطاني وهو قائم على خزان هائل من المياه الجوفية ترتفع مستوى مياهه من أمطار الشتاء وذوبان الثلوج فوق قمم الجبال في الصيف •• واستطرد ضاحكا « انهم هنا يرددون حكاية قديمة عن امرأة بدوية ابتلع تيار الليطاني وليدها، فقد كان من عادة البدو قديما أن يقضوا الصيف في البقاع والشتاء في الجنوب وبينما كانت تغسل الثياب في مياه النهر أيام الربيع في منطقة القرعون زل قدم طفلها ووقع في النهر وجرفه التيار ••، وراحت المرأة تنوح مخاطبة النهر : آخ يا الليطاني أعرف رأس نبعك ، والله ما يحمل القشة ••• !

وهذه الحكاية تروى لتبين أن مياه النهر عند منبعه من الشح بحيث لا تستطيع جرف القشة ••• وهو يختلف كلما اقترب من المصب وغذته روافده العديدة ، فمجموع الامطار التى تهطل فوق لبنان تصل الى ١٠ آلاف مليون متر مكعب ، موزعة على مصادر المياه المختلفة التى تنقسم الى مياه الامطار



خريطة لبنان ونهر الليطاني والمخاطر التي تهدده

والانهار والمياه الجوفية والعيون، ويجرى فى لبنان وحده ٣٥ نهرا تمتد من شمال لبنان وحتى جنوبه، سبعة منها كبيرة يزيد تدفق مياهها عن ٢٠٠ مليون متر مكعب فى السنة ، وهذه الانهار هى : النهر الكبير الجنوبى (فى الشمال) ونهر ابو على ،

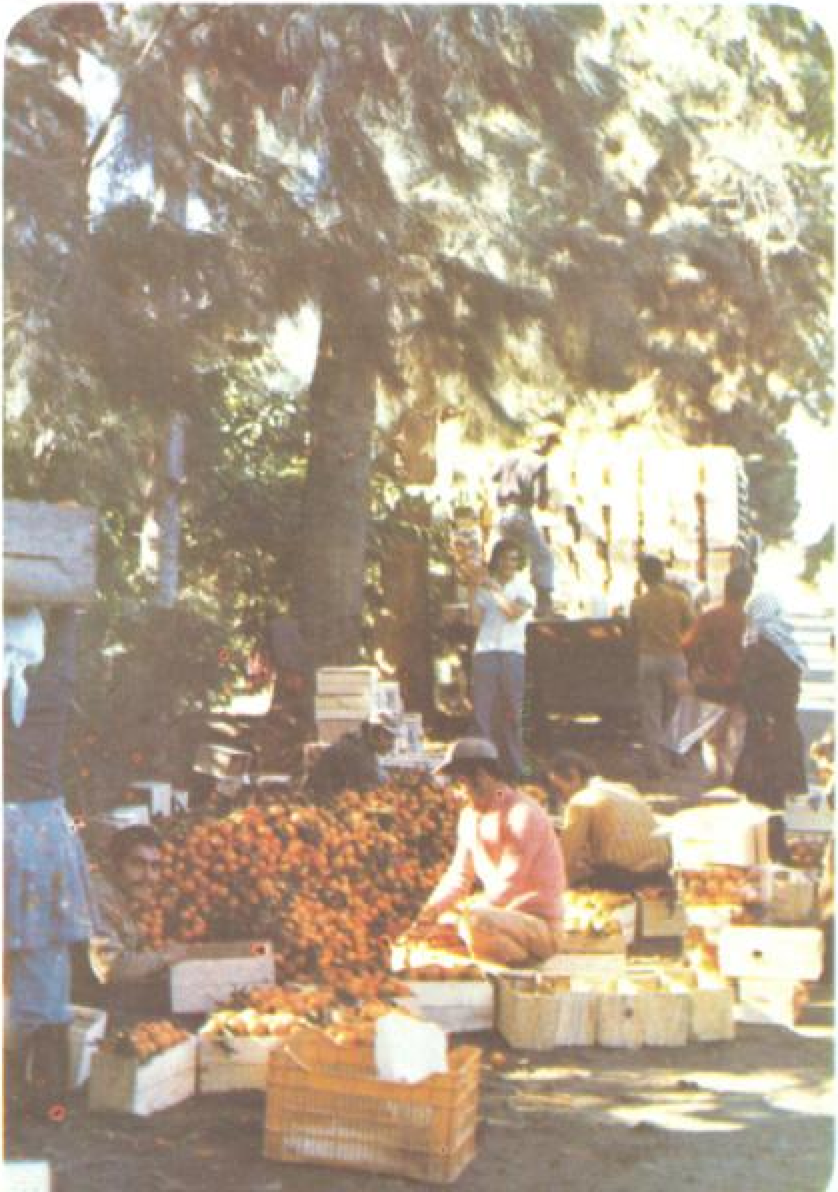
ونهر ابراهيم ، ونهر الكلب ، ونهر الليطاني ، ونهر الحاصباني ونهر العاصى ، والليطاني هو اطولها ، ويبلغ ما يهطل عليه من الامطار سنويا عشرة مليارات متر مكعب ، أى بمعدل مليون متر مكعب لكل كيلو متر من الارض ، وما

الوفرة تبقى العديد من قرى لبنان ومساحات واسعة من الارض تعانى العطش والجفاف ..

والوقفة عند النبع تتوارد فيها المعلومات عن النهر والمناطق التى يشقها ، فيتبع من نقطة شمال غرب لبنان من أعلى منطقة في البقاع ، من بعلبك (الهة السهل) عند نقطة تقسيم المياه بين نهرى الليطاني والعاصي ـ النهران الكبيران الوحيدان في لبنان وسوريا ـ عندما يتجه العاصي نحو الشمال بينما يتجه الليطاني نحو الجنوب .

هنا يرتفع جدار بعلبك الى ٣٧٧٠ قدما فوق سطح البحر في البقاع التى يتراوح عرضها بين سلسلتى الجبال بين ستة وعشرة اميال ، هذه

كما عرف الجبل بالتفاح ، عرف الجنوب بالبرتقال،ويجمع فى موسم الحصاد ويصدر بالشاحنات الى دول الخليج والعربية السعودية .





مصب النهر عند القاسمية ، بحيرة واسعة زرقاء يحيطها السافانا .

لقطة من قرية « الزرارية » والنهر محور حياة السكان ، وما زالوا محرومين من مشاريع مياه الشرب ومن مشاريع الري في العديد من قرى الجنوب .



هي بداية النهر وبداية الجولة ، ويستمر النهر جنوبا حتى يحاذي وادي التيم راشيا وحاصبيا ، على سفوح جبل الشيخ عندما ينعطف الليطاني فجاة عند سفح قلعة الشقيف ليخترق المنطقة الملتهبة في الجنوب ، ويشق طريقه في صخور لبنان الكلسية ويقطع بلاد الشقيف وبلاد بشارة التي يطلق عليها جبل عامل حتى يصب في البحر الابيض المتوسط عند القاسمية بين صور وصيدا ، وتتحدد بمسار النهر جولتي وطريقي ...

أنهار وعيون في البقاع ..

ليس نبع « العليق » هو النبع الوحيد هنا ، انما يغذى النهر مجموعة أخرى من الينابيع في البقاع ، تنقلت بين بعضها هي : شمسين ، وعنجر وتربل،وعيون موزعة على البقاع الغربي والشرقي.

وفي العديد من المواقع يمتد النهر مثل راحة اليد الممدودة ، الاصابع هي الروافد التي تجدد المياه الجارية ..

والجغرافيا هنا أحد الثوابت في وضع متغير ، فشبكة المدن تميزت باستمرارية فريدة خلال توالي العصور فاذا زالت مدينة ، فسرعان ما تعود وتقفز الى الحياة من جديد ، ويبقى عامل الماء ضابطا صارما مع المرتفعات والسهول والوديان ..

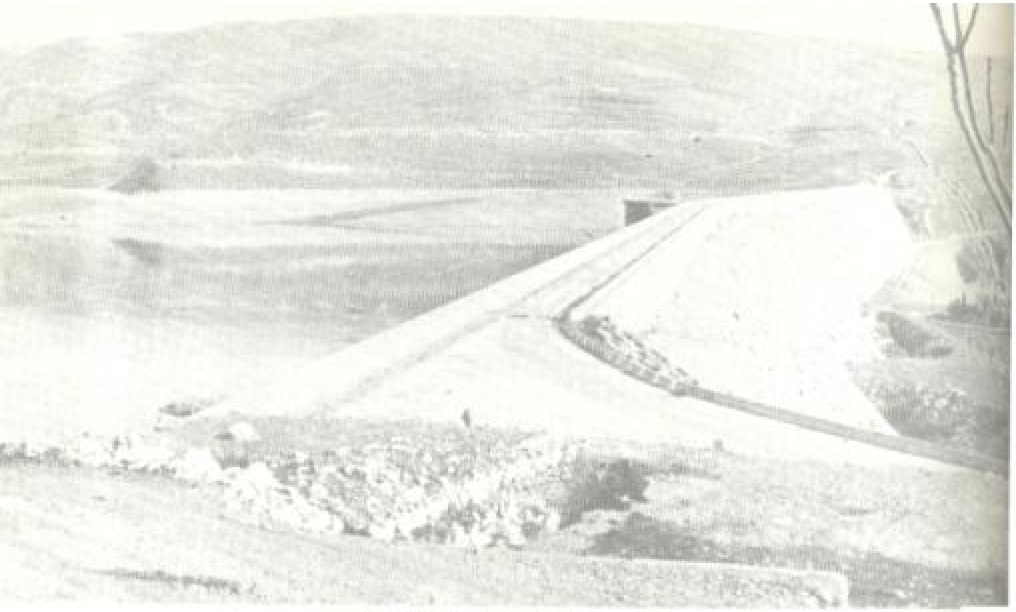
سد القرعون

توجهت الى سد القرعون عند قرية «القرعون» والذي وصلته عبر سهل البقاع الغربي عند بر الياس شمالا ، وعندها ينساب نهر الليطاني ويشق السهل نصفين ، وسلسلتا الجبال من الغرب والشرق تحضنانه والقرى المعلقة بين النهر والجبل وخلفها جبل الشيخ بعمامته البيضاء تشكل صورة بانورامية رقيقة ، ويظهر فوق السلسلة الغربية جبل الكنيسة وجبل الباروك منتصبين كالجدار ، بينما تقوم السلسلة الشرقية حول السهل بشكل هلالي ونصف مستدير وعندما تصل الى سد القرعون تكاد تتلاشى سلسلة الجبال الشرقية والغربية ، والتي تحدد لديها مكان السد .

امامي بحيرة السد الكبيرة الوادعة ، بمياهها الزرقاء، وخلفها قمم الجبال الثلجية ، ينتشر فوقها البط وتتناثر على شواطئها الزوارق الصغيرة ، ورجل هناك يجدف بكسل وبعض الصبية يحملون بنادق الصيد . وبعض أسراب البط يعرق مبتعدا والمقاهي السياحية المنتشرة في المكان مغلقة، فقليل اولئك الذين يتحملون مخاطر الانتقال لمجرد المتعة .. !

ويقطع «رافقي الصمت قائلا : « ان هذا السد جزء من مشروع نهر الليطاني الذي لم يكتمل والذي أقيم على سبعة آلاف دونم من أخصب الاراضي ، وقد أعلن عن مشروع الليطاني عام ١٩٥٤ .والملاحظة ذات الدلالة انه بدا في نفس الوقت الذي طرح فيه مشروع جونستون لتقسيم المياه والذي أعطى اسرائيل ٨٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني . !! ومنذ بدايته وهو يشهد اكبر المناورات السياسية والضغوط المتبادلة والتي تعكس «أزمة الوضع اللبناني » وخلال هذه الفترة توالت أربعة مجالس ادارة لمصلحة الليطاني ، واهتزت البلاد بثورة مسلحة عام ١٩٥٨م وبقي المشروع يتعثر ، وهو نموذج حي لطبيعة وأبعاد الازمة التي تفجرت خلال حرب السنتين والتي ما زالت قائمة حتى الان كما يقدم صورة بليغة عن عقم السياسات القائمة حيال المشاريع العامة..

ويهدف مشروع نهر الليطاني الى التحكم في مياه النهر ليوفر مياه الشرب والري والطاقة الكهربائية لاهل البقاع والجنوب ، وسرعان ما يتداخل مثل غيره من المشاريع مع تعقيدات الازمة الطائفية والوطنية الحادة . فالمؤشر الذي يحرك كافة الاطراف السياسية ، هو الموقف الطائفي الذي تدور حوله كافة المناورات وردود الفعل ، بعد أن أصبحت بلد الطوائف ، تعترف الدولة بست عشرة طائفة متمايزة . وعدد اخر من الطوائف ينتظر الاعتراف ، واصبح لكل طائفة عصبية مكونة تاريخيا وجغرافيا ، وحتى المجلس النيابي يتكون بنسبة ٦ للمسيحيين و٥ للمسلمين ، ويصبح الحاسم هو قدرة هذه الطائفة أو تلك على ممارسة الضغوط، ويظهر وجه الطائفية البشع من الحرص الدائم والمستمر في بقاء الاوضاع على ما هي عليه، ويظهر ان المساواة بين الطوائف مجرد خدعة. ويؤكد ما واجه المشروع من صعوبات ان المساواة الوحيدة القابلة للتحقيق هي المساواة بين المواطنين



جسم سد القرعون على نهر الليطاني

وان المخرج الوحيد أن يرتفع الانتساب الوطني عن الانتساب الطائفي ٠

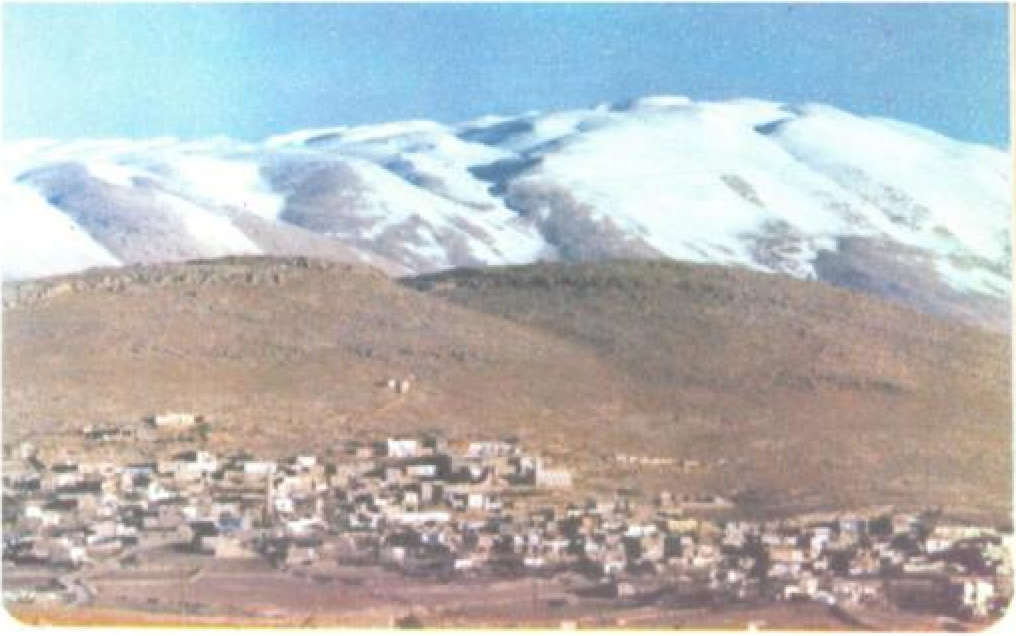
كما أن الاختلال الطائفي ذا الوجه الاقليمي هو الارض الخصبة لاستثارة الاثرة والتسلل من الثغرات الطائفية ، ولم يعد المشروع تاكيدا للمساواة بين المواطنين ، بل أن تعثره أصبح تاكيدا لهذا الاختلال من أجل استمرار البقاع ثم الجنوب بعيدا عن الازدهار الذي شهده «الجبل» منذ تدفق الاستثمارات والمشاريع عليه ، كما ادى هذا النمو غير المتكافيء الى تحويل الطوائف الى مجموعات ضغط معاكسة ٠٠

ونعود الى مراحل تنفيذ المشروع نتلمس الدليل على ما نقول : يجمع سد القرعون خلفه ما يزيد عن ١٠٥ مليون متر مكعب من المياه لينقلها على مناسيب ثلاثة لتروى المناطق التى طال بها الحرمان والجفاف ، ويتضمن المشروع اضافة لسد القرعون سد الخردلة الذي يستوعب بدوره ٩٠ مليون متر مكعب ويقع على ارتفاع ٣٠٠ متر فوق سطح البحر ، والمفروض أن يروى المشروع الجنوب بواسطة قناة الرى على مستوى ٨٠٠ متر ، وهي القناة التي تنقل المياه مباشرة من السد وتصل الى « كوتن » المحاذية للنهر وتروى مساحة تبلغ ١٠٧٠٠ هكتار في البقاع الغربي و ٢٨٧٠ هكتار في ساحل بيروت صيدا ، و ٦٠٠٠ هكتار في سهول صور و ٣٧٠٠ هكتار بمنطقة النبطية التحتا ، و ٣٠٠٠ هكتار بمنطقة النبطية العليا و ٢٠٠٠ هكتار في قضاء النبطية وقضاء جزين ، و ٣٥٠٠ هكتار في اقليم الخروب ٠

وبقي المشروع رغم الحاجة الماسة اليه مجرد وعود وأحلام، وعلاوة على حاجة السكان الاقتصادية توجد اسرائيل التي تتربص بهذه المياه ، واستقر لدى السكان أن تعطيل المشروع سببه « طائفة بعينها » ، مما حول المسائل الفنية الى قضايا طائفية، وعندما طرحت فكرة الاقتصار على ارتفاع ٦٠٠ متر بدلا من ٨٠٠ متر ، كان معناه أن تبقى مرجعيون والمناطق المجاورة لها وبنت جبيل دون مياه ، وهذا يفيد منطقة قسم من سكانها موارنة في حين أن منطقتي بنت جبيل ومرجعيون للشيعة والارثوذكس ٠٠

ولكن أخطر ما طرحه « تعثر المشروع » أن الذى يقف وراء التاجيل والتسويف هي ضغوط صهيونية ودولية ، ووقعت واقعة خلفت وراءها الشكوك وملات الجو بالسموم والاحقاد ٠٠

تبنى أحد المهندسين النابهين مشروع نهر الليطاني، وأخذ يقدم عنه الدراسات ويحاضر حوله في المنتديات ، ويكتب عنه في الصحف ، وتحول



منظر لقرية «القرعون» الى جانب السد ويهيمن على المكان جبل الشيخ بعمامته البيضاء ·
(الى أعلى) احدى كتائب القوات النيجيرية من القوات الدولية وأفرادها يستعدون
لتناول طعام الغداء (الى أسفل) ·· احدى فتيات الجنوب الى جوار احدى قنوات الري التي
تتغذى من النهر · (الى اليسار)





عنده الى رسالة ، واخذ يكشف عمليات التسويف التي تحول دون اتمام المشروع، وأوضح دور البنك الدولي الذي اشترط للتمويل تنفيذ مشاريع الطاقة الكهربائية قبل مشاريع الري ونجح بالفعل في جذب اهتمام الرأي العام بقوة منطقه وحججه الفنية الرصينة .

وفجاة يسقط المهندس ابراهيم عبد العال شهيدا في ظروف غامضة ..

ولم تعرف اى أسباب جنائية لهذه الجريمة البشعة والتي وقعت منذ عشر سنوات ، واقتنعت دوائر من الرأى العام أن الذى اغتال المهندس ابراهيم عبد العال هي الدوائر الصهيونية المتحالفة مع قوى محلية ، فاسرائيل تطالب باستغلال مشترك لنهر الليطاني ، وبعد مشروع جونستون اعلنت السلطات الاسرائيلية عن مشروع آخر سمي مشروع «كوتن» والذى يقضي بتحويل ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني الى نهر الحاصباني بواسطة نفق لكي تضخ الى بحيرة طبريا لتخفيف نسبة ملوحة مياهها وجرها الى النقب .. وتسعى الى بقاء حججها القائلة : انه ليس ثمة مجال في لبنان للاستفادة من مياه نهر الليطاني، وقد كشف تعثر مشروع الليطاني الهيمنة الاسرائيلية الخفية داخل لبنان ..

وفي لقاء مع رئيس وزراء لبنان السابق تقي الدين الصلح روى ما يلقي الضوء على العرقلة المتعمدة لمشروع الليطاني ، يقول : اوليت مشروع نهر الليطاني كل اهتمامي فمطامع اسرائيل في نهر الليطاني لا تحتاج الى دليل ، والجنوب اللبناني ضمن «الحلم الصهيوني» وهو يحقق لاسرائيل الحدود الطبيعية والجبلية المنيعة في المنطقة المتممة جغرافيا للمرتفعات السورية ، ومن ناحية أخرى تستطيع اسرائيل أن تستوعب ضعف سكانها عن طريق سيطرتها على مياه نهر الليطاني وبواسطة التوسع الرأسي والاستفادة من الاراضي التي تحت سيطرتها الان وتنقصها المياه..

وكانت العقبة التي أمامي لانجاز المشروع هي التكاليف التي تصل الى ٣٠٠ مليون ليرة فاتصلت بالشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية، وشرحت له هذه المخاطر ، ووافق على تمويل المشروع فورا ، ورغم ذلك بقي المشروع متعثرا .. ، ويبقى سد القرعون لا يحقق سوى ١٠٪ من المياه ..

طريق هرقل

وأمضي مع النهر .. مشاكله ومجراه ، من سد القرعون في اتجاه مرجعيون .. في ذات الطريق ــ طريق البقاع ــ الذى قطعه هرقل ملك الروم عام ٦٣٦ م في طريقه لملاقاة القوات العربية البازغة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ليشهد نهر اليرموك عند لقائه برافده الرقاد في شرق الاردن اهم المعارك العربية والتي كانت ايذانا بانتهاء الحكم البيزنطي .

يقطع مرافقي تاملاتي التاريخية بقوله .. « يحلو للكثير من أبناء المنطقة أن يطلقوا على نهر الليطاني نهر المليون فقير ، ويكفي أن تعرف أن نصف أراضي البقاع تملكها فقط خمس عائلات ».

نصل الى خمس قرى في المنطقة ، تقع أربع منها قرب مجرى النهر هي : سحمر ، ويحمر ، وزلايا ، واليا ، والخامسة لبايا التي تقع على رأس تل مرتفع الى الشرق وتطل من فوقه على وادى التيم منطقة حاصبيا العرقوب التي كانت المعقل الرئيسي للدروز .

ان الطريق الوحيد الذى يربط هذه القرى الخمس بمنطقة مرجعيون شقه الالمان خلال الحرب العالمية الاولى ، والذى كان عام ١٩٦٠م طريقا ترابيا عندما رصف ، وقد استخدمت هذا الطريق المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

عش النسر

وصلت الى قلعة الشقيف التي تطل على نهر الليطاني، وتحتل موقعا بالغ الدلالة ، نقطة فاصلة بين البقاع والجنوب ، عند النقطة التي يلتوى لديها النهر فوق الثنية الحادة التي يتجه بعدها نحو البحر المتوسط ، حول منطقة جبلية وعرة وأمام المروج والمرتفعات وعلى الضفة الاخرى من النهر شبكة طرق تحكمها القلعة ، تنتابك هنا رجفة عندما تتلاحق أمامك المشاهد التاريخية ..

لقد وصلت الى القلعة عبر طريق الزهراني ــ النبطية ، وفي الطريق ظهرت العربدة الاسرائيلية



سيارة جيب تعبر نهر الليطاني عندما ينساب في مجرى ضيق قريب من بلدة (الزرارية)٠

في المباني المنهارة بتأثير قصف الطيران ، فهذه المنطقة تبعد عن الحدود الاسرائيلية ما يقل عن ٢٠كيلومترا .وبعد وصول قوات الطوارئ الدولية أصبحت من أقرب الاماكن التي تقع في متناول المدفعية الاسرائيلية والانعزالية ، فهي تطل على مثلث القرى الواقع في أيدي القوات الانعزالية ، وهي القليعة بلدة قائد القوات الانعزالية الرائد سعد حداد ، وكل من الخيام ودير مماس وتظهر كل هذه الاماكن بوضوح من خلال المنظار المقرب ، ويقف موقع القلعة فوق أعلى قمة صخرية ٠٠

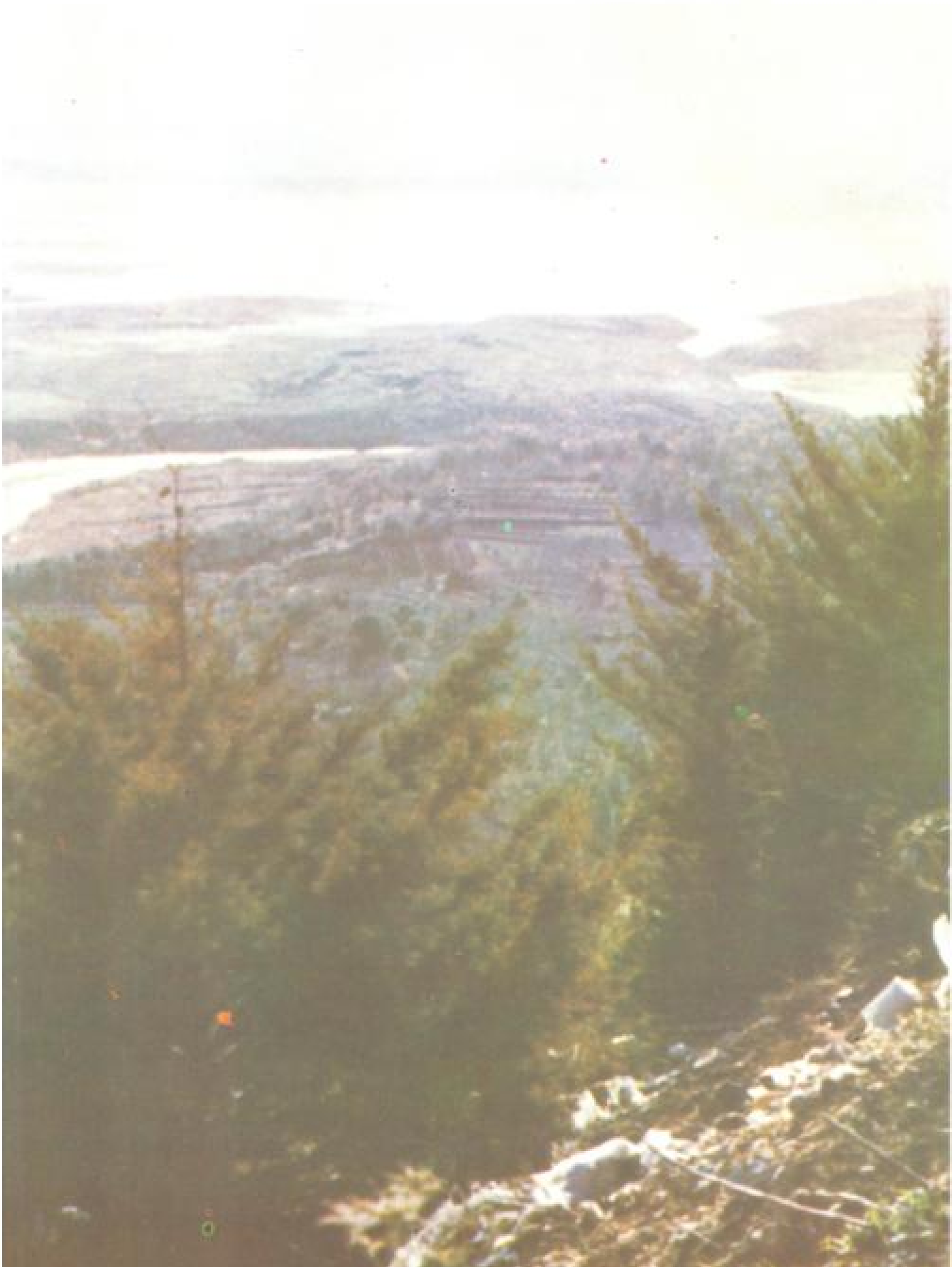
ان قلعة الشقيف اختزال بليغ لتاريخ هذه المنطقة ، بل هي « مكثف » للتاريخ العربي كله ٠٠ وهي تعكس الصراع المتشابك الذي شهدته المنطقة ، الماضي والحاضر امامك ، فهي أهم الحصون لمواجهة الغزو الاجنبي الذي تمثل في الماضي في الحروب الصليبية التي شهدت القلعة معاركها الحاسمة ، مر بها رموز المواجهة والنصر العربي منصلاح الدين الايوبي الىالظاهر بيبرس، وتمثلفيالحاضرفي القصف والغارات الاسرائيلية٠

ويؤكد موضعها والقرى من حولها الرأى القائل ان أصل المدن التاريخية هي الوظيفة الحربية وان أول مدينة في التاريخ كانت عسكرية ، فهي تقع في خط مرصع بالقلاع ، تلك التي تقوم على طرقالغزوات الرئيسية وتحددها خطوط التضاريس الكبرى لمداخل الانهار والفتحات الجبلية والبوابات الطبيعية ٠٠

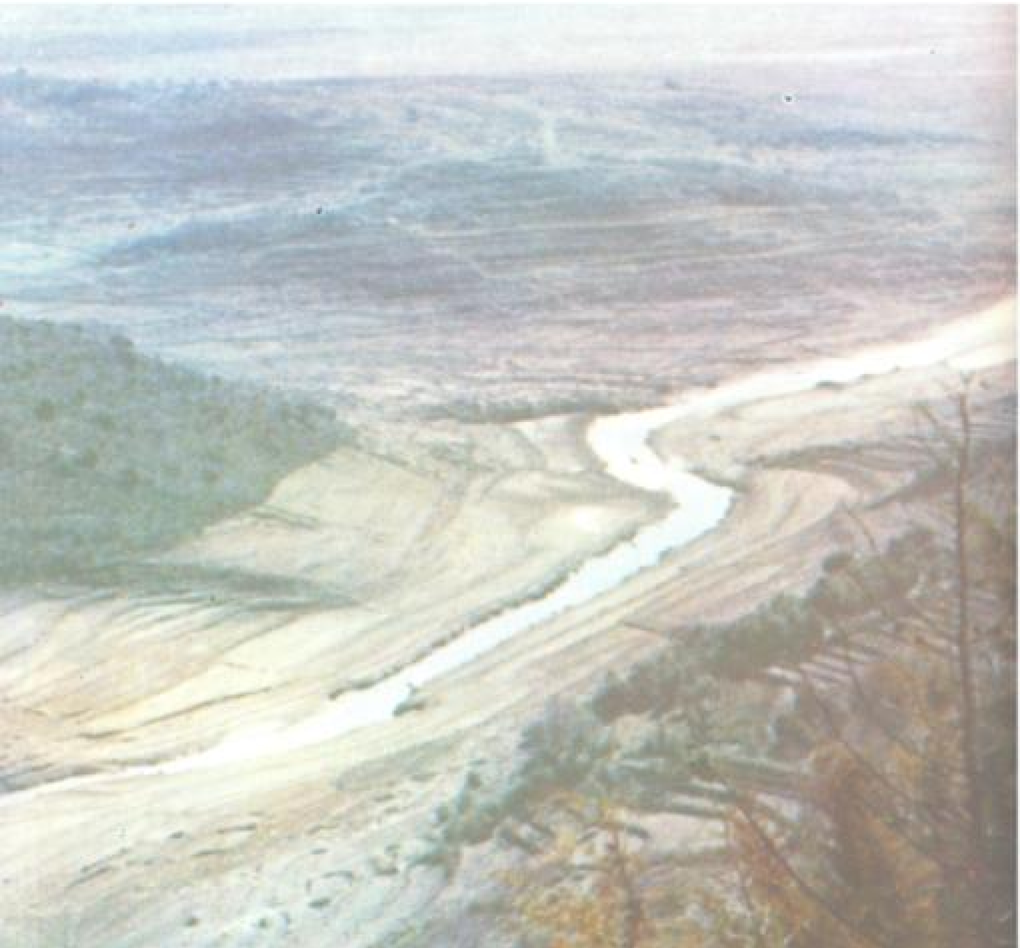
والقلعة موقع استراتيجي ونقطة قوية توفر امكانيات ومناورات الهجوم والدفاع ، وتوفر الحد الاقصى من الحماية والحد الادنى من الاخطار ، فهي برج ممتاز ، وتمثل المياه الجارية في النهر تحت القلعة فيأسفلالوادي عامل حماية اضافيا٠٠

ومن فوق القلعة ترى ذلك الجمال الموحش الذي يظل الكلام عاجزا عن وصفه ، النهر من بعيد تحدده انثناءات الوادي ، وتلك السهول التي تمتد بغير زرع ، وتتحول الى مراع في غير موسم الزرع،وحوله القمم والسفوح التيتغطيها الاشجار والبقع الداكنة التي تتخللها المساحات الخضراء، والقلعة تسيطر على الممر الجبلي وطرقه التي تربط صور وصيدا بالبقاع بدمشق ، وهي تسمى ارنون الشقيف وارنون تعني بالسريانية السيل المندفع والشقيف تعني الصخر العظيم ، وتسمى عند الغربيينبلفور Belle Fort أيالحصنالجميل، هذا ما ذكره ليأحد الشبابالمثقف فيالقلعة والذي وقف يرقب بتحفز تحركات الجيش الاسرائيلي والقوات الانعزالية، ولم يغب عنه المغزى التاريخي للمكان ٠٠

ترتفع القلعة فوق نهر الليطاني ١٥٠٠ قدم وفوق سطح البحر ٢١٩٩ قدم وتقف كأنها « عش النسر » ، وهي أروع ما خلفته العصور الوسطى من فن عمارة الحصون ، ويذكر فيليب حتى عن تاريخ القلعة انها ٠٠ « اقيمت عندما حرص الصليبيون على أن يسيطروا على المضايق الاستراتيجية التي تربط الشاطىء الذي كان في حوزتهم بالمناطق الداخلية ، واقاموا الى جانب القلاع والحصون الساحلية سلسلة أخرى



منظر شامل لنهر الليطاني في البقاع ٠



من القلاع على المرتفعات أو عند سفوح الجبال الغربية المشرفة على الساحل . ولا شك أن أروعها كانت قلعة الشقيف . ويضيف ·· « أن الملك فولك صهر بلدوين الثاني وخليفته هو الذي بنى قلعة الشقيف عام ١١٥٣م على موقع كان الرومان قد اقاموا عليه حصنا ·· » .

على أن ثمة مواقع وعلامات لا بد أن تستوقف زائر قلعة الشقيف ·· مناعة وقوة حوائط القلعة، وسمكها ، واجهة القلعة تجاه النهر والمزاغل التى أعدت ، لتحمى المواقع المعدة للاطلاق والتى تبلغ واجهتها ١٣٠ ياردة طولا ، ٣٣ ياردة عرضا ، وارتفاع جدرانها يتراوح ما بين ٥٨ الى ٧٨ قدما من جهة الخندق المحيط بها في الجنوب والغرب ، وهو خندق محفور في الصخر وعمقه يتراوح بين ٤٨ الى ١١٥ قدما ، وفي قلب الخندق حفرت غرف ابار لحفظ الماء ، وتتكون القلعة من سبعة طوابق اغلبها سراديب تحت الارض ·

وتنقلت حول القلعة في حذر وفي حماية موقع قوات الطوارىء الدولية والقوة العسكرية العربية التى تقف بالمرصاد للرد بقوة على قصف العدو ، وتظهر علامات القصف في البناء المتهدم لبعض جدران القلعة ··

وبعد الجولة ـ حول القلعة والتنقل بين حجراتها ـ جلست مع عدد من الشباب حماة القلعة نحتسى الشاى ونشعر بالدفء ، نماذج مختلفة احدهم ترك جامعته وجذبه الصدام المسلح والدفاع عن الوطن ، وآخر تخطى الخمسين كان أحد الجنود الفلسطينيين الذى قاتل الاحتلال الاسرائيلى في غزه وفي سينا ، والتحق بالجيش المصرى وجاء حيث يتمكن من قتال القوات الاسرائيلية ··

ورغم الازمة الطاحنة يتسم الحديث بالتفاؤل والامل ، وحلم غامض بالقضاء على كافة المظالم والشرور ، ووعي عميق بحركة التاريخ ··

وروى أحدهم : كيف فشلت القوات الاسرائيلية بعد اجتياحها للجنوب في الوصول الى القلعة ، رغم القصف المدفعي المكثف والغارات الاسرائيلية المتواصلة ، لذلك أصرت القوات الاسرائيلية قبل انسحابها على ضمان وصول قوات الطوارىء الدولية الى القلعة ،ورفضت المقاومة الفلسطينية، وتم التوصل الى حل وسط والاكتفاء بمركز للرقابة الدولية التابع للامم المتحدة ··

وانتقل الحديث للمشاهد التاريخية التى شهدتها القلعة ، والذى يعتبر الصراع الدائر ، وتشهده القلعة الان جزءا منها ، وهو الصراع الذى بدأ بالخطاب الذى القاه البابا أوربانوس الثانى الفرنسى المولد عام ١٠٩٥م في مدينة بلرمونت والذى حث فيه المؤمنين المسيحيين على سلوك الطريق الى كنيسة القيامة لانتزاعها من ايدى المسلمين ، وكانت الحروب الصليبية التى كانت سوريا الشمالية ـ لبنان ـ أول من تعرض لها ، وعندما بلغ الصليبيون البترون اتصلوا بالموارنة فكانوا الادلاء لهم ، وقدموا لهم خدمات جليلة ، وخرج من القاهرة جيش صلاح الدين الايوبى ليتصدى لهذه الهجمة ، وتم له القضاء على جيش « الافرنج » في معركة حطين ، ثم اتجهت موجة التحرير لتطهير الارض العربية من الحصون الصليبية الباقية ، فجرفت في طريقها الشوبك والكرك في الجنوب وقلعة كوكب والشقيف وصهيون في الشمال··

والظاهر بيبرس

وتمضي دورة تاريخية جديدة ، وتخرج مرة أخرى قوات الملك المظفر وقائده الظاهر بيبرس من القاهرة عام ١٢٥٩م لمواجهة اجتياح الاعصار المغولى القادم من الشرق والحقت قوات الملك المظفر بهم الهزيمة عند عين جالوت ، ثم عاد خليفته الظاهر بيبرس ليطهر قلعة الشقيف من جديد ··

ولا يجوز أن نستسلم للحلم طويلا ، فسرعان ما تفيق على صوت الحياة من حولك ، وعلى حقيقة وضع القلعة الراهن ، عندما شهدت جزءا من الحروب الطائفية عندما عمد زعماء « لبنان » الى مزاولة الفن الميكافيللى ببراعة ، فمثلا خلال القتال الذى نشب بين التتار والمماليك كان هؤلاء الامراء ممثلين لدى الجبهتين ليكونوا مع الجانب الفائز ، وهكذا قامت سياسات الانتظار والحذر والمداهنة ، وعندما كانت تتغلب طائفة بالعون الخارجي على أخرى يخلف ذلك احقادا لا تنسى ، وهذه المناطق التى يقطعها النهر ـ في البقاع والجنوب ـ كانت حتى عهد قريب جزءا من سوريا · الى أن ضمها الجنرال الفرنسى جورو مع بيروت ومدن طرابلس وصيدا وصور ، والتى ضمت جميعا الى «متصرفية» جبل لبنان في عام ١٩٢٠ ،

لتصبح دولة واحدة ضمن الانتداب الفرنسي • وقف ابناء الساحل – الجزء الاكبر من الجنوب – تاريخيا معترضين على هذا الكيان •

مياه تحت الجسر

ومن رحلة التاريخ في القلعة الى اخر نقطة على النهر ، عند مصبه في بلدة « القاسمية » عندما يصبح النهر في عنفوانه ، والتي وصلته رغم نصيحة الاصدقاء الذين يتوقعون تجدد الغارات الاسرائيلية ، وان زيارة هذه المنطقة تحمل في طياتها مخاطر كبيرة ، توجهت بالسيارة من بيروت في الطريق الساحلي قاصدا صيدا ، وعند الدمور تبدأ اثار الحرب الاهلية في الظهور ، الشواطيء مهجورة والفنادق التي سكنها النازحون الهاربون من الموت المتربص في الجنوب، وكلما اتجهت جنوبا ازداد الخطر في اكثر المناطق اللبنانية بؤسا ومعاناة ••

حركة السير على الطريق كثيفة رغم الحواجز والاخطار ، ففي موسم الحصاد تنقل الشاحنات الحمضيات من بساتين الجنوب ، وسريعا ما وصلنا الى صيدا التي عادت الحياة الى مينائها كشريان حيوي بعد اغلاق مرفأ بيروت، انها الضارة النافعة، ومن صيدا الى الزهراني البوابة التي تصلك بالداخل والذي يصب فيها انبوب البترول السعودي ••

وصلنا الى جسر « القاسمية » اكبر الجسور واخرها على نهر الليطاني ••

ارى احدى دبابات جيش لبنان العربي في الوادي المحاذي للجسر ، وفوق الجسر ، وحوله حراسة مشددة فهو اهم شريان للجنوب ، وحوله قامت ازمة بين المقاومة الفلسطينية وقوات الطواريء الدولية والذي بقي اخيرا في ايدي القوات العربية المشتركة •

والى جانب الجسر خط حديد الحجاز الذي اقيم عام ١٩٠٨ م ليصل استانبول بالمدينة المنورة ، والذي عمل لورنس على نسف جسوره خلال الحرب العالمية الاولى ••

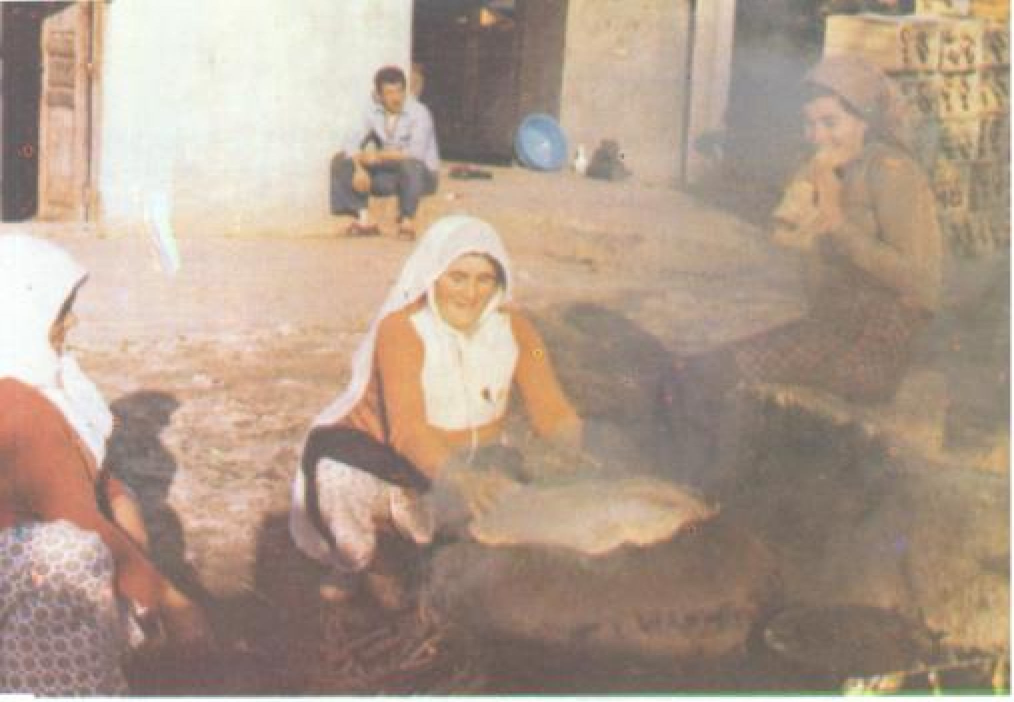
تصل الى المصب القريب من الجسر عبر بوابة كانت مغلقة ، وفوجئت بان المصب وجزءا من النهر ملكية خاصة يقوم عليها بستان للموالح وبيت ريفي باعه صاحبه مؤخرا بستة ملايين ليرة، تختلط المياه العذبة بمياه البحر ، ويبلغ مستوى انحدار نهر الليطاني ٩٠٠ متر ، وسعة تفريغه تبلغ ٥٠ر١١ متر في الثانية ، اي ما يزيد عن ٧٠٠ مليون متر مكعب في السنة ، وما زالت مياهه تهدر في البحر لتعثر مشاريع النهر ، امامي بقعة مياه زرقاء واسعة يحدها السافانا والبوص ،تجذب اللقطة عدسة زميلي المصور ، الارض على جانبي النهر تنتشر بها اشجار الموالح المرصعة بالبرتقال الطازج •

اقف الان على طرف « الخط الاحمر » من الجنوب، عند نقطة التقاء النهر بالبحر، والذي تبلغ مساحته ٩٨٦ كيلو متر مربع ، والذي شهد الاجتياح الاسرائيلي في ١٤ فبراير عام ١٩٧٨م والذي انسحبت منه اسرائيل وتركته وراءها على النحو التالي :

الخط الممتد من صور على الساحل حتى

قلعة الشقيف أرنون ، أو (عش النسر) والتي تشرف على نهر الليطاني •

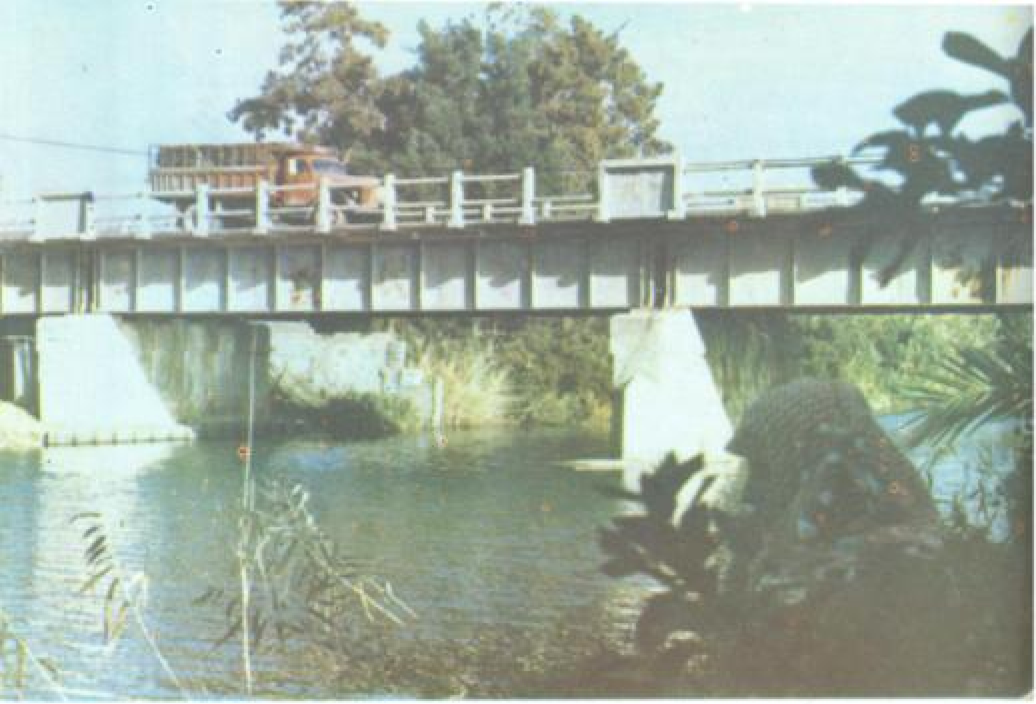




الحياة في أحدى قرى الجنوب وصناعة الخبزاليومية .

رغم التوتر جلس على قمة جبل عالية واخذ يدخن النرجيلة .





جسر القاسمية والنهـــر في عنفوانه واحدى الشاحنات تحمل منتجات الجنوب الى بيروت ٠

المصب عند نبع « العليق » في قضاء بعلبك ٠



النبطية يتولاه جيش لبنان العربي ، بما في ذلك الجسور الثلاثة على النهر ، القاسمية ، والقعيقية ، والخردلة •

خط آخر تتولاه قوات الطوارىء الدولية جنوب نهر الليطاني في المناطق التي انسحبت منها القوات الاسرائيلية ، على الحدود الشمالية للخط الاحمر، وخط ساحلي جنوب النهر حتى حي تتمركز فيه قوات المقاومة الفلسطينية •

خط رابع يمتد على طول الحدود اللبنانية الاسرائيلية يتراوح بين ٥ و ١٥ كيلو متر تتولاه المليشيات الانعزالية التي تدعمها اسرائيل بالسلاح والتموين وتضعه تحت حماية المدفعية الاسرائيلية وتسميه « الجدار الطيب » •• !

قرى حول النهر ••

وانتقلت من الجسر وتجولت في القرى الواقعة حول النهر ••

واول ما تلمحه علامات الفقر واليؤس الواضحة، وعند كل مكان تصل اليه يروى مرافقي المقاومة الباسلة للاهالي ، وقصة الذين دفعوا بحياتهم لوقف الغزو الاسرائيلي ، القرى تكاد تخلو من الرجال ، فلم يصادفني سوى الشيوخ والاطفال ، وتغيب الدولة وتقوم اللجان الشعبية التي اقامتها الحركة الوطنية لادارة هذه القرى ، وقريب من قرية « الزرارية » تعبر السيارة اللاندروفر النهر عندما يجرى ضعيفا متكاسلا ، والاحظ أن قرى البقاع اقل فقرا من قرى الجنوب •

فالحالة هنا كانت دائما بائسة ، وقبل الهجوم الاسرائيلي كانت هذه القرى تعاني من الفقر والنزوح والبطالة ، والارض هنا وعرة مجدبة ، شعاب قائمة بين الهضاب والصخور تعاني قسوة الحياة وعقم الارض الذى يصاحبه أعلى خصوبة للنساء ، وتقول الدراسات الاحصائية حتى قبل الازمة :

ان ٤١٪ من منازل الجنوب تفتقر الى مطبخ ، و ٣٧٪ منها ليس بها مرحاض ، و ٥٥٪ محرومة من الماء العذب و ٢٩٪ منها بدون كهرباء ، وما زالت مساحات واسعة من الارض غير مستقرة إما لعدم توفر مشاريع الرى أو بسبب الملكية الخاصة الكبيرة ••

وكان من الطبيعي ان تتوحد الازمة الوطنية مع الازمة الاجتماعية وان تكون أرضا خصبة للتنظيمات السياسية ، وان يخرج من هذه البيئة تنظيمات المحرومين التواقين الى العدالة ••

الفلسطيني

وكانت هذه المنطقة أولى المناطق التي تلقت الفلسطيني النازح عام ١٩٤٨ ، ودفع الجنوب ثمن هزيمة ١٩٤٨ وهو صاحب العلاقة الحميمة والعريقة بفلسطين ، وتلقى النازح الفلسطيني عقب حرب ١٩٦٧ ، وبعد أحداث الاردن ، وانتشرت به المخيمات الفلسطينية التي تحولت مع الزمن الى قرى ، وهي التي تركز عليها القصف الاسرائيلي ، وعندما شاهدت قرية « العباسية » ، وجدت أن كافة مبانيها تكاد تنهدم ، واقيمت هذه المخيمات في البداية على مساحات صغيرة من اراض غير مزروعة، او في معسكرات حربية مهجورة كان يحتلها الجيش الفرنسي ، وحلت الاكواخ مكان الخيام ، ثم استبدلت بالاكواخ بيوت من الطوب، ويزداد سكانها بمعدلات مرتفعة ، وحدثت في فترات مختلفة حركة انتقال اليها من فقراء اللبنانيين والسوريين ، وجاء في احصاء لبناني عام ١٩٧١ « أن هناك ١١ر٥٠٠ لبناني منهم ٥٥٠٠ في جنوب لبنان و٣٣٠٠ سوري يعيشون في المخيمات الفلسطينية »• وتوحد الجميع في مواجهة الحرمان !

واهم هذه المخيمات في جنوب لبنان هي عين الحلوة التي يبلغ عدد سكانها ٢٥ ألفا والتي تقع جوار صيدا ، وفي النبطية وميقدون ، وجويا وتاتا وكفرا وعيتا الشعب ، وبرج الشمال ، وخلق هذا الوضع لدى كافة الاطراف المتصارعة خطرا جديدا هو شبح« التوطين » ليضيف سببا اضافيا للنزاع، وخطرا جديدا للخلل الديمغرافي بين الطوائف » •

لقاء أرسكين •• !

وبقيت القرى المشرفة على النهر جنوب الليطاني،

واقعة ضمن خط قوات الطوارىء الدولية ، وحدد لي مكتب الامم المتحدة في بيروت موعدا مع الجنرال ارسكين قائد القوات الدولية،في مقره في الناقورة، التي تصل اليها عبر أحد حواجز مليشيات الانعزاليين، وصلت الى « صور » مقر القوات الدولية في أحد ثكنات الجيش اللبناني ، وعلى أبوابها شاهدت صورة حادة للأزمة اللبنانية ، عدد من المواطنين من القرى الخاضعة للانعزاليين يطلبون حماية القوات الدولية في مواجهة عربدة الانعزاليين ، الـذين يفرضون الاتاوات ويخطفون غالبا من أجل الفدية والقليل لاسباب سياسية او طائفية ، وعلى باب الثكنة التقيت بكبير قساوسة صور والذي يسعى للقيام بعملية تبادل للافراج عن احدى الفتيات التي تحتجزها القوات الانعزالية ..

قادة الثكنة من الايرلنديين تشوب تصرفاتهم التوتر ، وخاصة بعد أن أوقفت احدى الحواجـز الانعزاليـة جنـرالا فرنسيا واصرت علـى تفتيشه تفتيشا ذاتيا ، وتركت صور وتوجهت الى موعدي مع قائد قوات الطوارىء الدولية الذي لم أستطع الوصول اليه، فعندما اقتربت من الحاجز الانعزالي فوجئت بالعديد من الاهالي يعودون مهرولين شاكين من احتجاز رفاقهم عند الحاجز التي ينتصب الى جانبه أحد حواجز القوات الدولية ..

ورفض السـائق أن يكمل الطريق ، فهو يعرف مع من يتعامل ، وضاع الموعد ، واكتفيت بزيارة قرى النهر التي تسيطر عليها القوات النيجيريـة والقوات الايرانية التي كانت تستعد للرحيل .

يقول القرويون انهم يخشون عـودة المليشيات الانعزالية والجيش الاسرائيلي ، وقد عاد الى هذه القرى بعض الذين نزحوا ، وفي قرية شحـر ردد مدرس شاب أصداء القلق الذي يخيم على المنطقة بقوله .. « لقد كثفت المليشيات من قصفها لمواقع الامم المتحـدة ، ويقومون كل يوم بتعزيز مواقعهم بالدبابات والمدفعية ، انهم لا يكترثون بالقـوات الدولية .. » وروى .. « كيف تهـدد القـوات الانعزالية بقصف القرى طلبا للمال الذي يسارع الاهالي لجمعه تجنبا لهدم منازلهم وقتل اطفالهم .. انهم يعربدون في المنطقة بلا رادع .. وفي حماية الطائرات والبوارج الاسرائيلية التي تجوب المياه اللبنانية » .

وروى أحد القرويين الذين شاهدوا الاجتيـاح الاسرائيلي، كيف كان عدد قليل من المسلحين يعطلون التقدم الاسرائيلي طويلا ، مستفيدين من وعورة الطرقات ..

المطامع الاسرائيلية

واخيرا ..

مع جولتي حول النهر ومشروعه والسكان من حوله ، كان هناك بعد مشترك يؤثر في كل التطورات التي تشهدها لبنان ، وهذا العامل هو المطـامع الاسرائيلية في الجنوب ومياه النهر ، وأي متأمل فـي الازمـة اللبنانية ، يلاحـظ بوضـوح الدور الاسرائيلي الذي يسعى الى خلق الظروف المواتية لتحقيق هذه الاطماع ، وبالطبع لا يمكن لاسرائيل أن تقوم بدورها ما لم تعتمد على عناصر داخلية ، والتي ظهرت الى السطح بعد حرب السنتين ، فرغم التناقضات والعوامل الطائفية ، فاليد الاسرائيلية لم تعد خافية في اطالة المحنة، واستمرار الانهيار ، وقد اعلنت الحركة الصهيونية بصورة لا لبس فيها عن هدفها منذ البداية . وهو الوصول الى نهـر الليطاني كحد شمالي لها ، وتحويل مياه الليطاني واستغلاله ، وبساعدها على تحقيق هـذا الهـدف اقامة دويلات طائفية تصبح اسرائيل الدولة الراجحة بينها ..

ولم تكتف بالاعلان بل تحركت واستخدمت كـل الظروف وكافة الادوات التي تحت يديها لتحقيق هذا الهدف ، بل واجتاحت هذه المنطقة ، وخلقت وضعا اصبحت طرفا فيه حتى في الصراعات المحلية، والغريب أن العرب لم يتلقوا الرسالة الواضحة بعد ، أو لعلهم عجزوا عن فهمها ،أو رفضوا تلقيها لاسباب مختلفة ، أو لعـله العجز عن الاستجابـة والرد على هذه الاخطار .

■■

مصطفى نبيل

لوحة
لها قصة

الحرية

للفنان جمال السجيني

١٩١٧ — ١٩٧٧

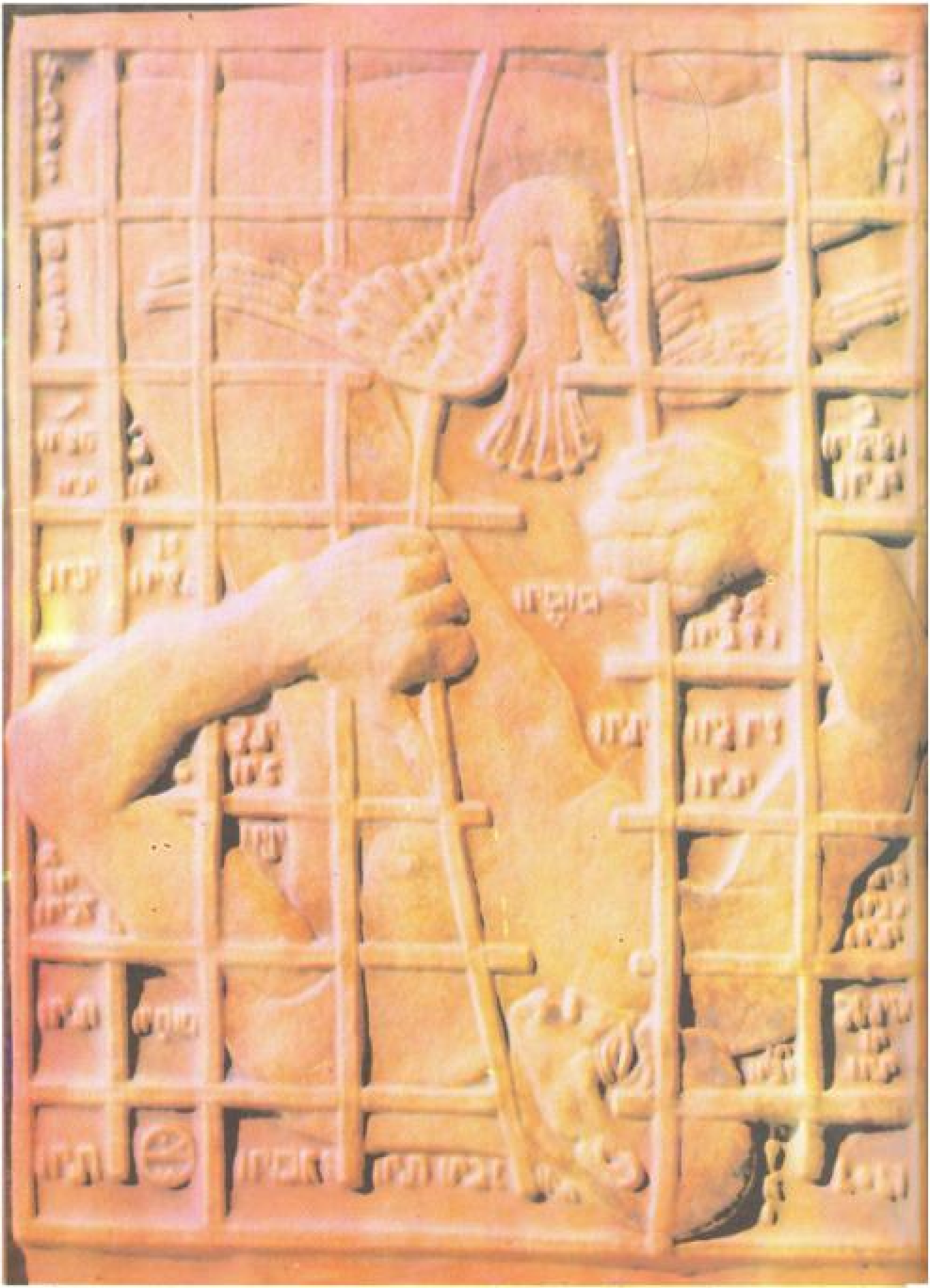
لوحة « الحرية » للفنان جمال السجيني (١٩١٧ ــ ١٩٧٧) هي من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة ولكن هناك لوحتين مشابهتين لها بنفس الاسم لنفس الفنان ! احداهما بمتحف بوشكين في موسكو والاخرى بمتحف الفنون في بكين .

كان الفنان جمال السجيني من ألمع الاسماء في الحركة الفنية المصرية طوال الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى بعد وفاته في اسبانيا عام ١٩٧٧ .. وقد التحق السجيني « بمدرسة الفنون الجميلة العليا » عام ١٩٣٣ ــ التي اصبحت الان تحمل اسم كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ــ وتخرج عام ١٩٣٨ ليسافر في بعثة دراسية الى باريس ، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية ادى الى تحويل بعثته الى روما ثم العودة الى ارض الوطن ــ دون أن يتم دراسته ــ عندما دخلت ايطاليا الحرب الى جانب هتلر ضد الحلفاء .. وعمل معيدا بكلية الفنون التي تخرج فيها حتى انتهت الحرب ، فسافر مرة أخرى الى أوربا لاستكمال دراسته ، وعاد عام ١٩٥٠ بعد أن حصل على دبلوم النحت من أكاديمية الفنون في روما ودبلوم فن الميدالية وسك النقود ، وتدرج في سلك تدريس فن النحت بكليتي الفنون الجميلة بالقاهرة والاسكندرية الى أن تولى منصب رئيس قسم النحت حتى أحيل الى التقاعد في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٧ .

كان الفنان منذ أتم دراسته بالقاهرة غزير الانتاج دائم البحث يواصل التجديد ، فكان فنه دائما موضوع نقاش بين المتحمسين له والمعترضين عليه .. واعماله تمثل علامة بارزة في تاريخ فن النحت المصري الحديث ، لانه في اعقاب الحرب العالمية الثانية كان أول من ادخل الاتجاه (الرمزي) ثم (التجريد المعماري) في فن النحت العربي ، واستطاع أن يمزج ببراعة بين مميزات التراث المصري القديم والتراث الاسلامي في لوحاته المنفذة على النحاس باسلوب الطرق ، ومن بينها لوحة « الحرية » التي صاغها ثلاث مرات . واستخدم حروف اللغة العربية بطريقته الخاصة التي ميزته من وقت مبكر قبل أن تظهر حركة « الحروفيون العرب » بين الفنانين التشكيليين .

براعة في الميداليات

لقد فاز السجيني بعديد من الجوائز كانت اولاها جائزة « مختار » للنحت عام ١٩٣٧ وهو لم يزل طالبا بعد . وفي عام ١٩٥٥ فاز بجائزة معرض « بينالي الاسكندرية » الاول ، ثم جائزة « الانتاج الفني » في مصر عام ١٩٥٦ ، والميدالية الذهبية من معرض موسكو الدولي عام ١٩٥٧ وكذلك الميدالية الذهبية من معرض بروكسل الدولي عام ١٩٥٨ . ثم فاز في مسابقة لاقامة



لوحة « الحرية » للفنان جمال السجيني من النحاس المطروق القياس ٤٧ × ٣٧ سم
(عام ١٩٥٦) .. موجودة بمتحف الفن الحديث بالقاهرة .ج.ع.م

تمثال أمير الشعراء احمد شوقي في حدائق « بورجيزي » بروما عام ١٩٥٨ ، ومنح جائزة الدولة لفن النحت في مصر عام ١٩٦١ ، كما حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى ، ووسام من الحكومة الايطالية بدرجة « فارس » ، وفي عام ١٩٦٤ فاز في مسابقة النحت البارز على قاعدة النصب التذكاري لشهداء بورسعيد ، واقام عام ١٩٧٥ تمثالا يعبر عن « العبور » في مدخل مدينة « بني سويف » .

وقد اقام عشرة معارض خاصة لاعماله في مصر بالاضافة لمشاركته الدائمة في المعارض العامة ، اما معرضه الحادي عشر فقد اقامه في اسبانيا خلال شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ ومات هناك قبل ان يتم رحلته في اسبانيا .

كان السجيني بارعا في فن تصميم الميداليات والنقود ، وهناك عدد كبير من الميداليات التذكارية التي ابدعها لتخليد احداث هامة مثل عيد العلم ، وميدالية جائزة الدولة التقديرية ، وجائزة السينما ، والمهرجان الآسيوي الافريقي ، وميدالية السد العالي ، وافتتاح مطار القاهرة الدولي وجميع ميداليات معارض بينالي الاسكندرية الاثنى عشر .. وغيرها ..

وانطلاقا من براعته ومهارته في هذا الفن انطلق الى صياغة لوحاته الشهيرة على النحاس المطروق .. في هذا المجال يثبت الفنان مسطحا من النحاس على مادة صلبة وتتميز بانها لا تتفتت تحت طرقاته ويحول التصميم المرسوم بالخطوط الى نحت غائر ، حتى اذا أتم عمله النحتي على هذا الجانب السالب ، نزع لوح النحاس من المادة المثبت عليها فظهر الوجه الموجب الاخر بارزا كالذي نرى الآن صورته المرفقة للوحة « الحرية » ، انه يطرق الشكل في الاتجاه العكسي مراعيا ان الغائر سيكون بارزا وان البارز سيكون غائرا ، وان الجانب الايمن سيكون ايسر والايسر ايمن ... وهكذا ...

الى السلام والحب

ان هذه اللوحة قد صممت وفقا للاسلوب الرمزي في الفن الذي يكثف الفكرة ويركزها في رموز قليلة تعبر عنها وتشير اليها ، فالعملاق المحبوس خلف القضبان يرمز الى الشعب الذي يتجه الى تحقيق حريته بنفسه وبايمانه ، مستخدما قوة ساعديه وكفاحه واصراره الدائم من أجل الحصول على حريته .. انه يخرج يديه من بين القضبان التي ترمز الى كل اساليب كبت الحريات ، ويحطم هذه القضبان حتى يحدث بها انفراجا يسمح للحمامة ، وهي اكثر الطيور وداعة ونقاء ، بأن تنطلق الى الحرية .

وعلى المساحات التي تؤطرها القضبان المتقاطعة كتب بحروف مفردة الكلمات التي تعبر عن الموضوع ... الى السلام ، الى الحب ، الى الامل ، الى الجمال ، الى العقيدة ، الى الناس ، الى العدالة ، الى الوعي ، الى الحرية ، الى العلم ، الى الهواء ، الى الشمس ... وهكذا .

ولهذا كانت هذه اللوحة من أبرز أعمال الفنان التي أثارت اعجاب كل من رآها مهما كانت جنسيته وعقيدته ، فالجانب الانساني فيها عام شامل يرتفع على مستوى الحدث اليومي العارض ، فهي تعبر عن الشوق الدائم عند الانسان الى الحرية . وفي نفس الوقت كانت من انجح الاعمال التي عبرت عن أحداث عام ١٩٥٦ التي مرت بالوطن العربي .. وفيها حقق الفنان طابعا عربيا متميزا تمتد جذوره الى الفن الاسلامي القديم الذي كانت اشغال المعادن من أهم آثاره الفنية .

وعندما أقيم معرض موسكو الدولي عام ١٩٥٧ شاركت مصر بهذه اللوحة ضمن الاعمال الفنية التي عرضت هناك ، فطلب متحف بوشكين اقتناءها ، ولكن المسئولين عن المعرض اعتذروا عن عدم اجابة الطلب لانها من ممتلكات متحف الفن الحديث بالقاهرة الذي كان قد اشتراها من الفنان قبل ارسالها لتعرض في الخارج ، وانتقل المعرض المصري بعد ذلك الى الصين ، وكان يرافقه في هذه الجولة الفنان المصري الكبير عبد السلام الشريف .. ولمس الاعجاب العام من الصينيين بهذه اللوحة حتى طلب المسئولون عن متحف الفنون في بكين شراءها والحوا في الطلب ..

وعلم الفنان بذلك عند عودة زميله المرافق للمعرض والذي حمل اليه اقتراحا بأن يعيد الفنان تنفيذ نفس اللوحة .. وقبل السجيني العرض فانجز لوحتين مشابهتين احداهما طارت الى متحف بوشكين بموسكو والاخرى انتقلت الى متحف الفنون في بكين .. ولكن اللوحات الثلاث لا تتطابق تماما لان جمال السجيني كان كلما اعادة صياغتها ادخل بعض التعديلات عليها . ■■■



لغة الخلايا الجنسية



بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

لكل شيء في الكون لغة. لكن اكثر الناس عن هذه اللغات معرضون ، لانهم لايهتمون الابظواهر الامور ، اما بواطنها فعنهم محجوبة، او قل انها مدثرة بستائر من الغموض ، ولهذا لا تتكشف الا للعلماء الذين يبحثون عن الحقيقة في اية صورة من صورها .

فعالم الذرة مثلا يستطيع ان يدرك لغة ذراته، او ما حوت هذه الذرات من جسيمات تعبر عن وجودها بالموجات .. نوع خاص يعرف باسم الموجات الكهرومغناطيسية التى اصبحت لغة من لغات الكون المنظور وغير المنظور .

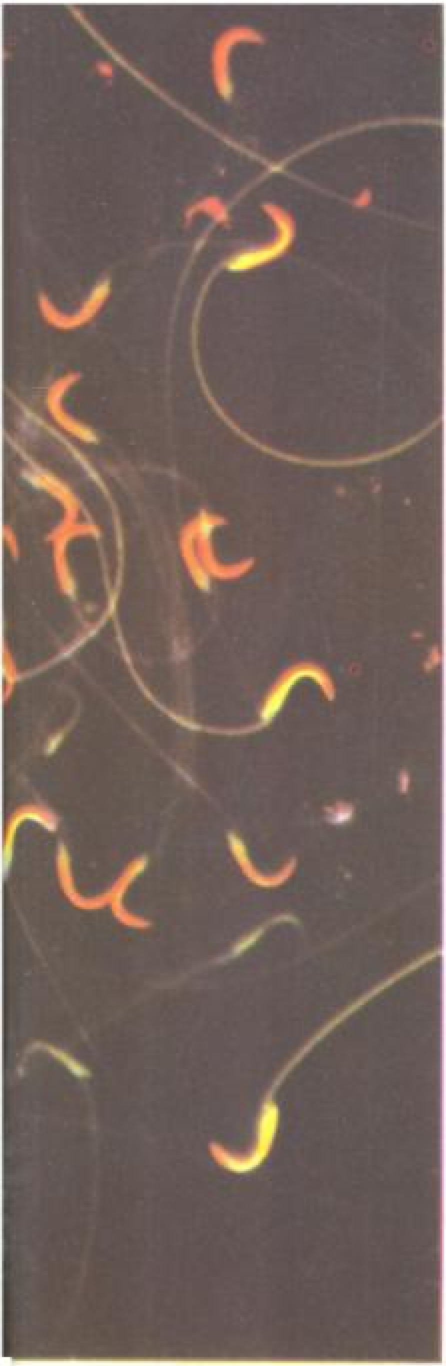
وعالم الفلك يتعامل مع الفضاء وما حوى ، والكون وما طوى ، من خلال لغة اخرى تلتقطها المناظير الفلكية ، وله فيها تفسير وتعليل .

وكذلك يكون عالم الكيمياء مع تفاعلاته ومعادلاته ، او عالم الجيولوجيا مع الارض وطبقاتها وحفرياتها وصخورها ، او عالم الاجناس مع سلالاته وطفراته ، او عالم البيولوجي مع خلاياه وانسجته، أو ما حوت هذه وتلك من نظم من داخل نظم من داخل نظم ... الخ .

والواقع ان هذه جميعا مواضيع طويلة ومتشعبة ومثيرة ، ولا يتسع لها هنا المجال ، ومن اجل هذا فعلينا ان نتعرض لنقطة واحدة من هذا البحر الزاخر بالاسرار واللغات، ولنعرضها هنا ببساطة، وبقدر ما يسمح المجال ، ليتبين لنا ان كل شيء قد جاء بقدر معلوم ، ودبر بحكمة بالغة ، لتسرى الامور بروعة الى هدفها العظيم ، وكما قدر لها الخالق ان تكون .

عالم الظلمات !

ان للانسان حواسه التي يتعامل بها مع عالمه الذى يحيط به ، فله عينه التي يرى بها ، واذنه التي يسمع بها ، وانفه الذى يشم به ... الخ كما ان له لغته المنطوقة والمكتوبة التي يتخاطب بها ويتفاهم، وأحيانا ما تكون اللغة غير منطوقة، ولا مكتوبة فتظهر على هيئة تعبيرات في العين والشفاه وتقاسيم الوجه التي تعبر احيانا عن الرفض والقبول والسرور والقنوط والارهاق



* صورة مكبرة حوالي ١٣٥٠ مرة للحيوانات المن
الانسان ٠٠ وعلى رأس كل حيوان منوي شفرة
فيما وراء تكبير الميكروسكوب

والغضب وما شابه ذلك،وكل هذا نراه او نسمعه او نحسه ، مستخدمين في ذلك حاسة من حواسنا او اكثر ، وهذا هو عالمنا الذي نعيش فيه وبه ، دون عناء يذكر ٠

لكن هناك عالما اخر تكتنفه الالغاز والاسرار والظلمات . ولا نقصد هنا الظلمات بمعناها التقليدي ، ان قصدنا هو كل ما حجب عن حواسنا وادراكنا من لغات سرية ٠٠ لا هي مقروءة ولا هي مسموعة ، ومع ذلك نراها تعبر عن نفسها دائما في عالم يعيش معنا او بيننا ، دون ان نفطن لذلك ، لقصور في حواسنا ، وجهل في ادراكنا ٠

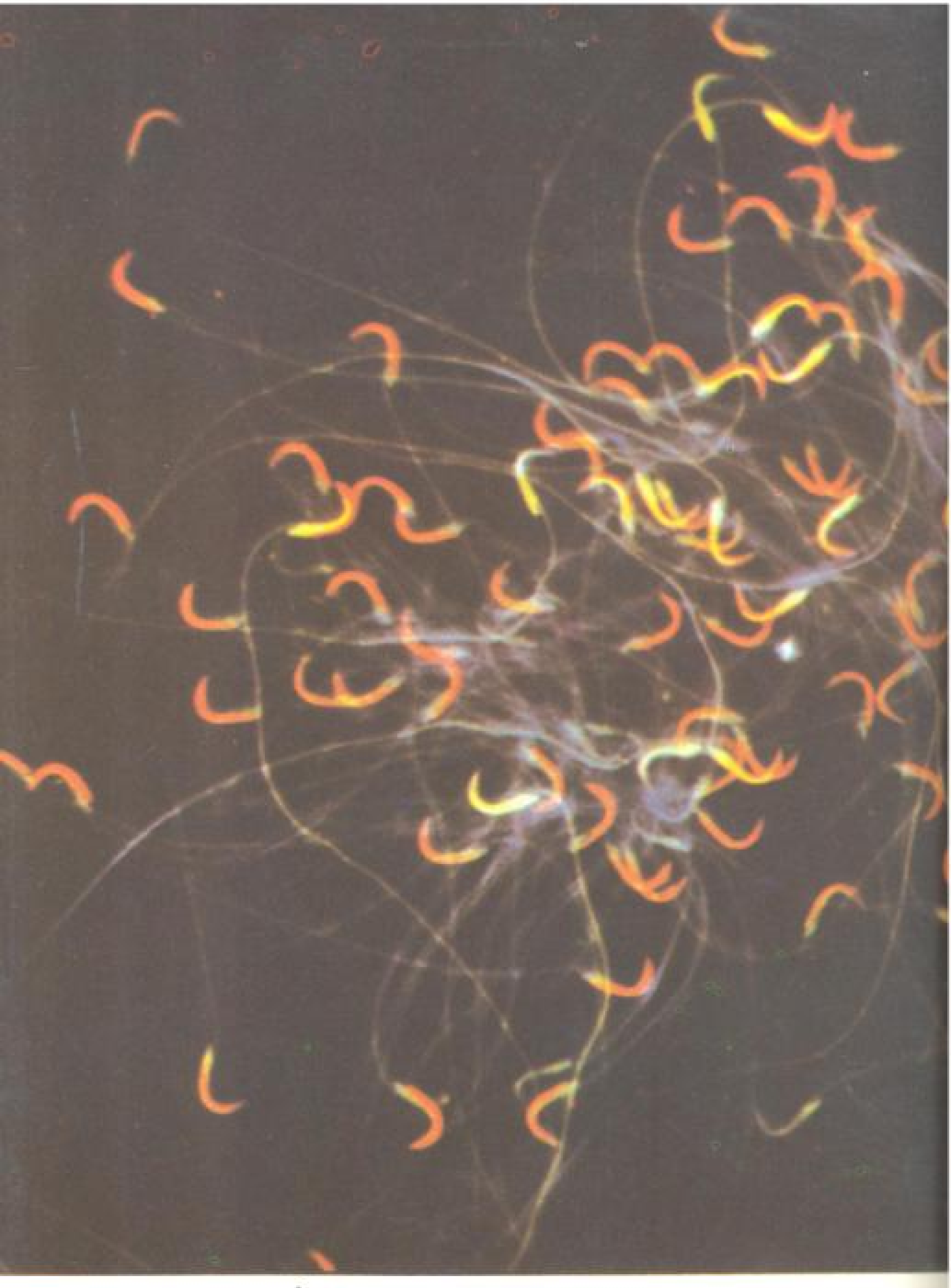
في هذا العالم المظلم الصغير الصامت تجري تمثيليات من نوع مثير ٠

وبطلا التمثيلية « انثى » لاتكاد ترى ، اما « ذكرها » فاصغر منها بعشرات او مئات او ربما الاف المرات ،الانثى لا تسمع ولا تتكلم ولا تشم ولا ترى ولا تتذوق ، وكذلك يكون ذكرها ٠

ومع ذلك فهناك تخاطب وتفاهم على ادق المستويات بفضل لغة سرية بديعة اودعها الخالق في الخلايا الجنسية ممثلة في ذكورها (الحيوانات المنوية) واناثها البويضات . وبهذه النعمة الغريبة رسم لها طريقها ، واوحى فيها امرها ، لتتوافق وتتعارف ، وتجذب وتطرد ، وتعطى وتمنع ، فاذا كل شيء يسير الى مداه العظيم ، وباحكام لا خلل فيها ولا فوضى ٠

لكن ٠٠ كيف يكون التخاطب او التفاهم بين حيوان منوي ، وبين بويضة اليها يسعى ، وفي غشائها يدخل ، قبل ان يطمسها من قبله احد ؟ ٠٠ وما هي طبيعة تلك اللغة ؟ ٠ وما هو هدفها ومعناها ؟ ٠

الواقع ان « التفاهم » او التعارف يتم عن طريق الجدار او الغشاء الرقيق غاية الرقة الذي يحيط بهذه الخلية الجنسية او تلك ٠٠ فكما نعرف الناس ببصمات اصابعهم او اختلاف اصواتهم ، حتى دون ان نراهم ، كذلك كان لكل نوع من انواع الكائنات الحية «بصماته» الكيمائية التي جادت بها جدر خلاياه الجنسية او الجسدية، وبحيث لا تتشابه هذه البصمة بين نوع ونوع من ملايين الانواع التي ظهرت على هذا الكوكب ٠٠ لكن العلماء يقفون امام هذه البصمات ، وكانهم بمثابة اطفال يتعلمون «الف باء» شفرة الحياة ٠٠



الفأر (مصبوغة بصبغة خاصة) . وهي لا تختلف كثيرا عن الحيوانات المنوية للثدييات بما في ذلك
كلمة تركيبائية يتعرف بها على البويضة التي تتبع نوعه . وطبيعي ان هذه الشفرة لا تظهر هنا لانها
العادية والالكترونية ايضا .

هذا في الوقت الذي « يقرأ » فيه حيواننا المنوى « صفحة » بويضته ، أو « تقرأ » بويضتنا صفحة « فتاها » الرقيق ، وكأنهما يمتلكان « مفتاح » لغة جديدة يترجمان بها ما عجزنا نحن عن قراءته واستيعابه ، فاذا تمت « الترجمة » او القراءة الصامتة بين الخلايا الجنسية ، وعرفت المضمون ، كان الرفض او القبول ، أما الرفض فدليل على اختلاف البصمات او عدم توافق اللغة المسجلة على غشاءيهما بجزيئات كيميائية متراصة صفا صفا ، ليصبح لها مدلول في عالمها الصامت الدال على قدرة من خلق فقدر فسوى .

مثال من عالم النبات !

علينا اذن ان نوضح ما خفي عن حواسنا بمثال نحصل عليه من ذكر من ذكور النخيل الذي يحمل شماريخ زهرية ، تطلق حولها في الهواء بلايين من الخلايا الجنسية الذكرية (حبوب اللقاح) .. لكن مما لا شك فيه ان هذه الحبوب الذكرية قد تحط بالصدفة على مياسم (مراكز استقبال الخلايا الجنسية الذكرية) زهورنباتات مثل القرع والطماطم والتين والباذنجان وعشرات النباتات الاخرى التي تنتشر حول ذكر النخل وتحته ، او لنتصور نحلة العسل وهي تنتقل بين زهور الانواع المختلفة للنباتات ، فتؤدي الى اختلاط الحابل بالنابل ، اي قد يتقبل ميسم زهرة البرتقال مثلا حبوب لقاح من النخيل او القرع او الباذنجان .. الخ ، الا ان هذا الميسم ـ ميسم زهرة البرتقال ـ لن يسمح بالدخول والاخصاب الا لحبة لقاح من نوعه فقط .. فالبرتقال للبرتقال ، والنخل للنخل ، والمشمش للمشمش .. والحياة نظام يا اولي الالباب !

على مياسم الازهار ـ اذن ـ فوضى ظاهرية ، لكن من هذه الفوضى يبرز نظام ، وينبثق تدبير ، ويقدر امر « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .. بدليل ان الميسم يوصد الابواب دون حبوب اللقاح التي ليست من « ملته » .. نعني من نفس بصمته او لغته او نوعه !

كيف حدث « التعارف » ـ اذن ـ بين حبوب اللقاح وبين مياسمها حتى لا تكون الفوضى في هذا العالم الذي لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ؟

لنؤجل اجابتنا حتى نسوق مثلنا الثاني من عالم آخر يسكن مستنقعا مائيا ، وفيه تحدث امور على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .

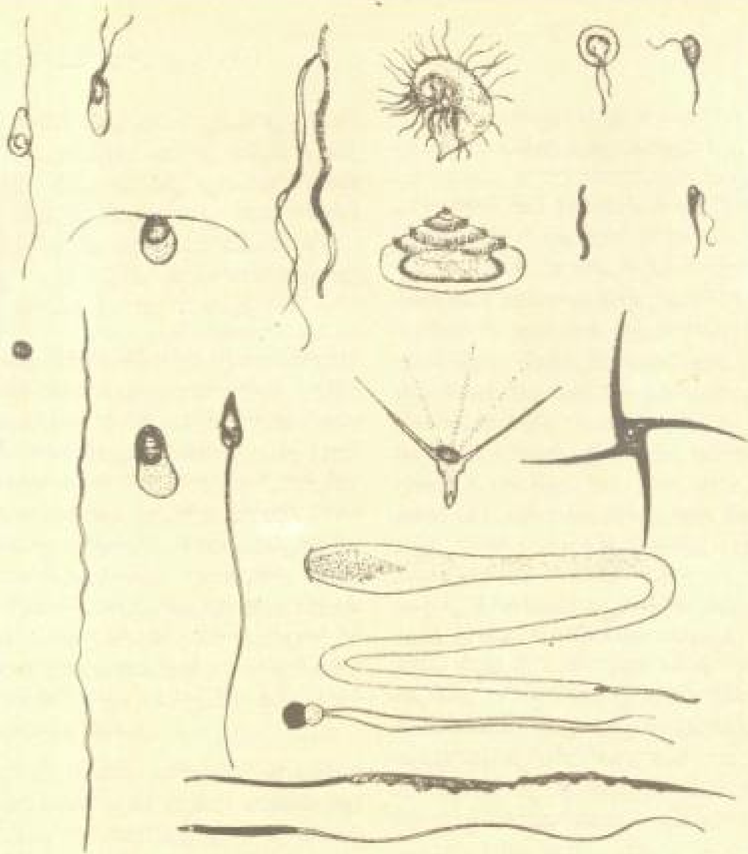
لغات في مستنقع !

في مستنقع مائي راكد ، لاتكاد العين ترى فيه شيئا ، رغم انه يحتوي على مئات او ربما الاف الانواع من الكائنات الدقيقة على هيئة طحالب وبكتيريا وفطريات وحيوانات اولية ذات خلية واحدة ، او متعددة الخلايا ... الخ ، ومع ان معظم هذه الكائنات تتكاثر بطريق الانقسام المباشر ، بمعنى ان الفرد الواحد ينقسم الى فردين ، والفردين الى اربعة ... الخ ، الا انه في بعض الاحيان تميل الافراد الى التزاوج ، ورغم ان هذا الموضوع متشعب وطويل ، الا اننا سننتقي حالات خاصة تغنينا عن سرد التفاصيل .

عندما يكون المستنقع في أوج نشاطه وخصوبته ، فان القطـرة الواحدة من مائه قد تحتوي على عشرات الملايين من الافراد التي تتبع انواعا واجناسا وفصائل ورتبا شتى ، وفي وسط هذه المعمعة من الكائنات ، تنتشر ما نسميها بالجاميطات Gametes ، او الخلايا الجنسية البدائية التي اطلقتها كائناتنا الصغيرة في الماء بالملايين والبلايين ، وعلى كل جاميطة ان تبحث ـ في هذا التيه الكبير ـ عن جاميطة اخرى من نفس نوعها ، لكي ترتبط بها برباط مقدس ، او غير مقدس .. لست ادري !

ومن المؤكد ان هذه البلايين من الجاميطات ، ليس لها ادراك ولا طريق محدد تسير فيه ، بل عليها ان تسبح هنا وهناك ، وقد تتقابل ـ بطريق الصدفة ـ مع جاميطة أخرى ، وعندئذ قد يتوقفان عن الحركة ، وكأنما كل واحدة تجس « نبض » صاحبتها وتتحسسها ، ثم قد نراهما يفترقان ، وكأنما لسان حالهما يقول « لست لباسا لي ، ولا انا لباس لك ، ولاغشائي يفهم لغة غشائك ، ولا بصماتك تتجانس مع بصماتي ، وخير لنا ان نفترق ، ونسعى سعينا ، علنا نوفق في مهمتنا ، ويكون لنا ما نريد » !

وهنا يحدث الفراق ، وعلى كل جاميطة أو



* جاميطات او خلايا جنسية ذكرية وانثوية لطحالب وفطريات مائية وحيوانات اولية وحيوانات دنيا عديدة الخلايا ·· وعلى هذه الخلايا أن تعوم في الماء ليتعارف كل نوع على نوعه بلغة كيمائية مطرزة على أغشيتها أو جدرها ·

وحدة جنسية سابحة في الماء ، ان تنطلق في طريقها قبل فوات الاوان ، فحياتها مرهونة بزمن محدد ، وقد تموت قبل ان تكمل رسالتها في التزاوج ، ولهذا فقد زودت الحياة هذه الكائنات الصغيرة باعداد كبيرة من الخلايا الجنسية ، حتى تعوضها عن حياة التيه والظلام ، ولتكون فرصة النوع في حفظ نوعه من الانقراض مضمونة ، اذ مما لاشك فيه ان فرصة تقابل الجاميطة الذكرية مع الجاميطة الانثوية تكون اكبر ، كلما كانت اعدادها اكثر ·

لكن ·· مالنا نحن بقصة تزاوج طحالب او فطريات تسكن الماء ؟ ·· ثم ماذا نستفيد نحن من كل هذا في حياتنا ؟

الاساس واحد !

الواقع اننا نستفيد ·· فما يجرى مع طحلب في الماء ، او حشرة على الاشجار ، او صرصور في بالوعة ، او أصغر من ذلك او اكبر ، انما يقوم على فكرة واحدة ، وينطوى على جوهر واحد ، ولا يختلف في ذلك الانسان عن النبات عن الحيوان عن الطحلب والميكروب ·· فكل خلية جنسية لاى نوع من الانواع قد جاءت ، وعلى غشائها او جدارها « كتاب مكتوب » ·· حروفه

ذرات ، تالفت في جزيئات ، تراصت في بنايات ، كما تتراص الحروف هنا في كلمات وجمل وفقرات ، ليصبح لها معنى في حياتنا ، وكذلك كانت الشفرات الكيميائة على اغشية الخلايا الجنسية •• انها بمثابة لغة مسجلة يقرؤها النوع ، ويفك رموزها بطريقة لسنا ندرى كل تفاصيلها بعد ، وما اكثر ما لاندرى !

فانبوب الاختبار مثلا يوضح لنا هذه الحقيقة•• فلو اننا اتينا بحيوانات منوية لفئران وكلاب وخيول وقرود ••• الخ ، ووضعناها في انبوب اختبار يحتوى على وسط مناسب ، ثم وضعنا معها جميعا بويضة لانثى الانسان ، لما حدث لها تلقيح ولا اخصاب ، انما يحدث التلقيح او القبول اذا كان هذا الخليط غير المتجانس يحوى حيوانات منوية جاءت من انسان ، وعندئذ فقط تتعرف تلك الحيوانات المنوية على بويضتها ، وتطوف برحابها ، وتفك شفراتها ، وتسمح البويضة لها بالنفاذ والاخصاب دون غيرها •• وهنا نقول : ان اللغة قد اشتغلت ، والشفرة قد قرئت ،وحدث المراد من رب العباد !

ان انبوب الاختبار بما حوى من خلايا جنسية لحيوانات مختلفة نعرفها ونراها ، لا يختلف كثيرا عن مستنقع الماء الذى يحوى جيوشا من جاميطات ذكرية وانثوية تبحث عن بعضها ، وتتعرف عن طريق شفراتها ، كما انها لا تختلف عن ميسم الزهرة الذى يتقبل انواعا من حبوب لقاح تتبع نباتات مختلفة ، ثم لا يسمح الميسم الا لحبة اللقاح التى تتبع نوعه فى النفاذ والاخصاب •• وهذا ينبئك بالخبر اليقين ، خبر ان هذه العوالم ـ بداية من الميكروب الضئيل ، الى الانسان العظيم ، وما بينهما من ملايين الانواع والاجناس من المخلوقات ـ قد جاءت الى الحياة ، وهى تحمل معها « مفاتيح » لغة سرية كيميائة تتخاطب بها على مستوى الخلايا الجنسية ، ليتعرف النوع على نوعه ، ويوصد مادونه ابواب الاخصاب ، وبهذا تسرى الحياة هينة لينة ، دون فوضى او ارتجال ، وهى ـ فى الوقت ذاته ـ تضع العلماء الباحثين فى اسرار الخلق فى متاهات كبرى ، وعندئذ يعلمون انهم امام نظم سبحان من سواها وابدعها •

بين عالمين ••
منظور وغير منظور !

لقد حطمت فكرة التلقيح فى انبوب الاختبار ، نظرتنا التقليدية الى عملية الاخصاب ، فلكى ياتى فار او ارنب او حمار او قرد او انسان الى الحياة،كان لا بد ان يسعى كل ذكر الى انثاه،وطبيعى ان الحياة قد يسرت سبل هذا التعارف والسعى بين الانواع ، ليتزاوج كل نوع من نوعه ، وقد يكون السبيل الى هذا التعارف « نظرة •• فابتسامة •• فسلام •• » الخ ، كما هو الحال فى الانسان ، او نظرة فقط ، كما هو الحال فى الحيوان ، وقد تيسر امور اللقاء بلغات ندرك بعضها ، ولا ندرك بعضها الاخر ، فطنين البعوض، ونقيق الضفادع ، وزقزقة العصافير ، وهديل الحمام ، وصرير الصرصار •• الخ •• الخ ، تحمل فى طياتها نداء الجنس ، او قد يكون النداء عن طريق رائحة كيميائيةتطلقها الذكور او الاناث لتجذب جنسها من مسافات بعيدة كما هو الحال فى الفراشات •• الخ ، والواقع ان هذه اللغات بين الكائنات متشعبة وكثيرة وطريفة ، وقد نعود اليها لنوفيها حقها فى دراسة اخرى قادمة ، لكن يكفى ان نشير هنا الى ان الحياة قد وضعت الحدود بين انواع الكائنات المختلفة ، فيعرف الحمار حمارته ، والفار فارته ، والخنزير خنزيرته •• الى اخر هذه القائمة الطويلة العريضة من مئات الالوف من انواع الحيوانات التى يزخر بها هذا الكوكب ، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه ، او يكون الخلط العشوائى الذى لا تباركه السماء !

كل هذا معروف ومدروس من زمن ، لاننا نلحظه بعيوننا ، وندركه بعقولنا ، ومع ذلك ، فان ما يجرى بين هذه العوالم المنظورة ، وما وضع بينها من حدود مقدرة ومرسومة ، له اساس رائع ومنمق ودقيق فى الوحدات التى تتكون منها تلك الكائنات، ونعنى بها الخلايا الجسدية والجنسية ، فعلى اغشيتها الدقيقة علامات خاصة لتهديها سواء السبيل فى عالمها الذى خلا من الحواس المعروفة فى عالم الانسان والحيوان ، وهى هنا تشبه العلامات التى توضح لنا معالم الطريق ••• مع الفرق طبعا بين ابداع علامات الحياة فى خلاياها، وبين بدائية علامات من صنع ايدينا وعقولنا •

اى كانما الله قد اوحى فى كل نظام امره ••

صغر هذا النظام او كبر ، ومن خلال هذا «الوحي» المنظم في تكوين الذرات والجزيئات والخلايا والمخلوقات والارض والسماوات ، يسري كل شيء بروعة واتقان .. «الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، .. حتى لو كان ما قدره في جاميطة تسبح في مستنقع ، حتى تبلغ هدفها .

ويجيء الانسان في نهاية المطاف ليكشف سر هذا الابداع الذي لا تراه العيون ، ولا توضحه الميكروسكوبات الضوئية،ولا ايضا الاليكترونية.. فغشاء الخلية التي بنيت فيها تلك العلامات ، او سجلت عليها تلك البصمات ، او « كتب » عليها تلك اللغات ، غشاء رقيق غاية الرقة ، ولا يزيد سمكه عن ثمانية اجزاء من مليون جزء من المليمتر، ومع ذلك ففيه من الاستحكامات الدقيقة ما لو كتب بلغاتنا ، لملا مجلدات فوق مجلدات .

السر في « كلمة » !

ان المعجزات التي ينسبها عامة الناس الى نجاح الاخصاب في انبوب الاختبار،والسيطرة على هذه العملية خارج الارحام ، ليست راجعة ـ اي المعجزات ـ الى انبوب الاختبار والى العلماء ، بل ان المعجزة الحقيقية تكمن حقا في الشفرات التي تستخدمها الخلايا الجنسية في التعارف ليحدث الاخصاب !

فالعلماء هنا يهيئون فقط الظروف المناسبة في انبوب الاختبار بين البويضات والحيوانات المنوية، وعلى هذه الخلايا الجنسية ان تقوم بالمهمة الكبرى و « تقرأ » المعلومة او المعلومات التي اودعها الخالق على جدار الخلية ، فان توافقت ، حدث الجذب والالتحام والاخصاب ، وان لم تتوافق كان الرفض والفشل .

وحتى لا نتوه في تفاصيل هذا « القاموس » من المفردات الكيميائية التي يزخر بها غشاء الخلية او جدارها ، دعنا نتعرض لمفردة واحدة من المفردات التي توجه هذه العوالم الدقيقة في سعيها الى اتمام اعظم واهم واتقن عملية تقوم عليها حياة الكائنات جميعا ، وتبدا بها بدايات الاجنة .

فالبويضة الصالحة للتلقيح تفرز من غشائها الرقيق مادة تعرف باسم « المخصبة » Fertilizin وهي عبارة عن جزيئات سكرية بروتينية معقدة التركيب ، مخاطية القوام ، وفي هذه الجزيئات تكمن كلمة السر،ولكي يحدث التعارف بينها وبين الحيوان المنوي الذي يتبع نوعها ، كان لابد من وجود « كلمة » سر مقابلة على رأس الحيوان المنوي، وجاءت هذه الكلمة على هيئة مادة كيميائية تعرف باسم المخصبة المضادة (Anti Fertilizin) .. اي كاننا نحن امام نظام شفري او«كودي» كالذي تستخدمه حديثا في نقل المعلومات السرية ـ خاصة بين الجيوش المتحاربة ،اذ لو استطاع العدو ان يفك رموز الشفرة التي يحصل عليها من عدوه ، فان ذلك كفيل بكشف خطته ، وكذلك يكون العالمع المخصبة،والمخصبة المضادة.. انهما بمثابة كلمتين متقابلتين او متضادتين في « قاموس » الحياة ، او هما اشبه بفكرة القفل والمفتاح في عالمنا المنظور ، فكما ان لكل قفل مفتاحه الخاص به،كذلك كانت لكل نوع من انواع الكائنات الحية مخصبة ومخصبة مضادة ، او«شفرة، وشفرة كيميائية مضادة» ، فاذا حدث التعارف والتوافق ، فتحت الابواب ، وكان الاخصاب بين النوع ونوعه ، ولا شيء سواه !

اما كيف يحدث فك تلك الالغاز بين الانواع ، او بالتحديد بين هذه الخلايا الجنسية ، فذلك شانها ، وهذا عالمها الذي لا ندرك من اسراره الا القليل .. وما اكثر ما لا ندرك « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ! ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

● الشخص الذى لا يسأل اما أنه يعرف كل شيء أو لا يعرف شيئا .

مالكولم فوربز

● السكوت هو الجواب السريع غير المحتمل .

جي . ك . تشيسترتون



جورج صاند



شكسبير



برناردشو



العقاد

■ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ، أن تبروا وتتقوا ، وتصلحوا بين الناس ، والله سميع عليم .

(قران كريم)

■ من يحرم الرفق ، يحرم الخير كله .

(حديث نبوى)

■ البلاغة ما سهل على المنطق ، وخف على الفطنة .

(الامام على)

■ وما يلبث الاخوان ان يتفرقوا اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل

(عبدالله بن عبيد الله بن مسعود)

■ ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك ، وابخل بدينك وعرضك عن كل احد .

(عبدالله بن المقفع)

■ وفيت كل صديق ودنى ثمنا الا المؤمل دولاتى وايامى

(الخليل بن احمد)

■ الخير أبقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد

(عبيد بن الابرص)

■ ليس من الشجاعة ان تنتقم ، بل ان تتحمل وتصبر .

(شكسبير)

■ تود عدوى ، ثم تزعم اننى صديقك ؟ ان الرأى عنك لعازب
فليس أخى من ودنى بلسانه ولكن أخى من صدقته المغايب

(العتابى)

■ خطأ الشبان انهم يرون ان الذكاء يغنى عن التجارب ، وخطأ الشيوخ انهم يرون ان التجارب تغنى عن الذكاء .

(برناردشو)

■ تستقطع المرأة سنوات من عمرها ، لتضيفها الى غيرها من النساء .

(جورج صاند)

■ كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئا عرف به .

(الاحنف بن قيس)

■ فعل الخير حسن ، واحسن منه ستره .

(قاسم امين)

■ كن بينهم « بوذا » فان نطقوا فكن كـ« تيمور » و « نيرون »

(عباس محمود العقاد)



السينما المجربة ـ لا يعرفها سوى جمهور نوادي السينما .

النقد السينمائى العربى

إلى أين ؟

بقلم : الفاروق عبدالعزيز

هل تتابع ما يكتب تحت عنوان ((النقد السينمائي)) . فى الابواب المخصصة لـه فى الصحف والمجلات العربية ؟ هل تتابعه بجدية ؟ وهل تتاثر حقيقة بما يتوصل اليه هذا الناقد اذذاك بشأن هذا الفيلم او ذاك ؟ وهل حدث مرة ان اعجبك رأى ناقد فى عمل رأيته وحاز اعجابك انت ايضا ؟ وهل حدث العكس .. ان اعجبك الفيلم واحنقك رأى الناقد فيه ؟ وهل حدث مرة ان تفكرت فيما كتبه هذا أو ذاك وربطت بينه وبين المحتوى الاوسع لما يعرض عليك من افلام وأفلام على مدار الشهر والعام ؟

هذه ـ وغيرها كثير ـ اسئلة تترى على ذهنى كلما خطر ببالى ان اقترب من موضوع « النقد السينمائي العربى » . فالعنوان ـ فى تقديرى ـ ملغوم ويحتمل بذاته تفجير قضايا وقضايا مرئية ومخفية . وقد لا يكون بوسع هذا المقال تفجير كل ما اتيح لـى ان اراه . ولكنى ساحاول ان ابسط امام القارىء ساحة معقولة من مجالات الرؤيـة .

النقد .. السينمائي .. العربى

عرف العرب النقد من اوسع ابوابه ابان حركة الترجمة عن اليونانيـة فى اوج ازدهار العصر

العباسي . وقد عرفوه ضمن علوم اخرى اتاحت لهم مجالات اوسع للرؤية الحضارية وبعبارة اخرى ، نقل العرب التراث النقدى اليوناني ضمن سائر المعطيات الفكرية للحضارة اليونانية. وما لبثوا ان قاموا بتكييف هذا الموروث مع عناصر الحضارة العربية المزدهرة فخرج المزيج رائعا فياضا بالحيوية . وعرف الموروث الفكرى العربي تخصصات نقدية قامت على دراسات واسعة للفلسفة والادب الموسيقى . وصار ميسورا لكل طالب علم ان يعيد تقييم موقفه ازاء التراث اليوناني القديم والعربي الوسيط بعد اطلاعه على اعمال الباقلاني والجرجاني والعسكرى وابي حيان التوحيدى وغيرهم .

وبما ان النقد في ابسط تعريفاته بعيدا عن التقسيمات المذهبية هو ممارسة فكرية (ضمن شروط معينة) لاعمال خلقها فنانون ومبدعون فقد تحتم بالتالي التزاوج بين عمليتى الخلق والنقد . وصارت العلاقة الجدلية بينهما شرطا لازدهار الظاهرة الثقافية بوجه عام في هذا البلد او ذاك . ولذا ارتبط ركود احدهما بركود تلقائي للطرف الآخر ، خلا استثناءات قليلة في مراحل تاريخية معينة . وصار النقد علامة اساسية من علامات الترشيد الثقافي والفكرى .

وقد جاءت السينما فنا وافدا الى العالم كله مع نهاية القرن التاسع عشر. وبات من الضرورى والطبيعي ان يستتبع ظهورها وجود نوع جديد تماما من النقد ، يعتمد ويناقش وسيطا مختلفا بالكلية عما عرفته الحضارة الانسانية طوال اربعين قرنا من الزمان . لهذا انطلقت تسمية هذا الفن الوليد بالصور المتحركة Movies ولا تزال التسمية قائمة الى اليوم . لماذا ؟ لان العالم عرف الصور (سواء في الرسوم الراعشة لفنان كهف لاسكو والتاميرا المجهول او في صور الفنان المصرى القديم والبابلى والسومرى والفارسى او في صور انجرو ديلاكروا وجويا وسيزان) ولكن العالم لم يعرف من قبل ـ وطوال تاريخه ـ صورا متحركة تضاهي في حركتها حركة الحياة ذاتها .

لم يعرف العرب طوال تاريخهم فن المسرح على النحو الذى عرفوا به ـ مثلا ـ فن الشعر . لهذا لم يوجد نقد مسرحي عربي خالص . لان ممارسة النقد لا يمكن ان تتم الا بوجود الوسيط الذى يقدم من خلال العمل ذاته .

وقد جاءت السينما الى البلاد العربية في وقت كانت تشهد فيه بدايات مبكرة لصحوة عربية في مجال الفكر والتعليم والتحديث . ولكن الذى حدث هو ان ايا من رواد هذه اليقظة لم يلتفت الى « الصور المتحركة » باعتبارها فنا خالصا جنسا ادبيا ولغة مستحدثة جديدة كل الجدة على العناصر المكونة للفنون الانسانية .

من مصر دخلت « الصور المتحركة » الى العالم العربي . وفي مطلع القرن العشرين كانت مصر تعج بنقاد الادب واساتذته الذين لم يلتفتوا ـ كما اسلفت ـ الى اهمية الفن الوافد الجديد . لماذا ؟ لان حملة الاصلاح التى كان يقودها الامام الشيخ محمد عبده كانت ما تزال تحاول ضمن سائر معطيات الحملة تكوين علاقة صحية بين الاسلام والتصوير . فما بالك لو طرح موضوع « الصور المتحركة » الذى اعتبرته جمهرة الازهريين آنذاك بدعة وضلالة ؟ كما ان بقية الرواد ـ كلطفي السيد والعقاد والمازني وشكرى وشوقي ومطران وغيرهم ـ لم يعتبروها فنا يستحق الاهتمام. فالفنون القديمة كانت ما تزال متمتعة بالسطوة. اضف الى هذا ان ما عرض في مصر حتى ذلك الحين لم يكن له من مدخل سوى التسلية . ومن هنا سميت السينما بفن اللهو ودورها بالملاهي . وانتقل ذلك الى الحكومة التى ظلت تعاملها كالملاهي الى يومنا هذا .

فمن يكتب بعد ذلك عن « الصور المتحركة » ومن يقدم الاعمال ومن ينقدها ؟

وظهرت اول مجلة « سينما توغرافية » في ١٠ مايو عام ١٩٢٣ وهى مجلة « الصور المتحركة » التى صدرت غلاف عددها الاول بصورة تشارلى تشابلن . وفي الداخل بصور وحكايات عن النجوم والمسلسلات الامريكية التى كانت تعرض آنذاك . وما قالته المجلة عن تشارلى تشابلن لا يعدو الان اكثر مما يمكن ان يقوله اى صبي من آراء في افلامه : « ضعيف الروح والدم نشيط ومضحك .. شارلو العجيب .. » ويمضي المقال على هذا النحو . وبما ان السينما الاولى التى دخلت عالمنا العربي كانت امريكية . وبما ان هوليوود هى التي ابتدعت نظام النجوم فقد توجه الاهتمام « النقدى » منذ البداية الى النجم ـ النجمة : الكواكب باعتبارها محور الفيلم . فالجمهور لا يذهب الى السينما الا ليرى « بطله المحبوب والاس بيرى .. آه ماذا سيقول الان عشاقه ومعجبوه بعد موته .. صورته



السينما السائدة : كيف يتعامل معها الناقـد العربى ؟

التى كانت تتلألأ على الستار الفضي لن تعود بعد ذلك .. » وهذا ما يسمونه حاليا اخبار النجوم. ولكن الصحافة السينمائية كلها ظلت منذ عام ١٩٢٢ والى اليوم تعتمد بالدرجة الاولى على « اخبار النجوم » وتخلق الهالات من حولهم . وقد سار هذا فى مجرى مواز للسيطرة الانتاجية والتوزيعية للسينما الاولى ـ السينما الامريكية التى اوجدت هذا النظام ودشنته .

وهكذا ظهرت فى ميدان « النقد » السينمائى اسماء وكتابات لا يمكن حصرها هنا لسبب بسيط هو انها لم تكن تنقد اية اعمال . وقد كانت النتيجة شيوع فكرة سهولة ممارسة النقـد السينمائي واعتماد الناقد على رواية «الحدوتة» مرة اخرى وتوزيع قبل وشتائم هنا وهناك حسب الطلب .

والتوصيف العلمى لما كان يكتب من « نقد » سينمائى ـ بشكل عام ـ منذ ذلك التاريخ وحتى الان هو انه كتابات اعلانية او انطباعات لهواة لا يجيدون الكتابة او لا يحترمون هذا الفن . وهم فى النهاية لا يعرفون لانهم لم يدرسوا .

وقد عزز هذا كله ابتعاد الافلام الكبيرة عن المساهمة فى النقد السينمائى ، الذى لم تكن قد تحددت ملامحه بعد . وقد عانى الغرب نفسه بدرجة اقل من هذه المشكلة التى ارتبطت بظهور وسيط جديد له مفردات ولغة جديدة تتطلب تعبيرا جديدا ، ودراية بمكوناته . فمن البدهى ان الناقد لا بد ان يقف على اعتاب الفن الذى يمارس عمله من خلاله ومن الضرورى الا يكون « فنانا فاشلا » بل من الطبيعى ان يكون مفصولا عن حجب الفن بحائط رقيق شفاف يكشف له ما يدور فى مملكة الفن .

وعندما بدأت بعض الاقلام الجادة ـ من غير المحترفين ـ محاولات الخوض فى النقد السينمائى ظهر جليا ان اضافاتها المشكورة تعتبر مساهمة اساسية فى تذوق الافلام وليس نقدها . فالنقد لا بد ان يكون « سينمائيا » ومن ثم فان «القصة» ومغزاها ليسا هما الفيلم. فالمهم ان يعرف القارىء « كيف » رويت ولماذا اختار المخرج هذا الشكل او ذاك . غير ان اسهام هذه الاقلام قد ادى الى عدة نتائج جوهرية :

ـ كسر عزوف الاقلام الكبيرة عن المساهمة فى حركة تنشيط الوعى السينمائي العام .

ـ ربط هذه الحركة بافاق الحركة الثقافية والحضارية ككل فى هذا البلد العربى او ذاك .

ـ توجيه تحذير ، خافت حينا وزاعق احيانا الى مندوبى الاعلان وكتاب الخواطر والانطباعات باسم النقد السينمائي الى مضار الاعتداء على علم قائم بذاته .

ـ الاسهام فى توجيه عدد من الاقلام الشابة الى اعادة التفكير فى الوسيط السينمائي على اسس جديدة .

ـ اثارة الاحترام لهذا الفن مما انعكس بصورة غير مباشرة على تقدير متزايد من المؤسسات العامة ومن الحكومة لدور السينما فى المجتمع .

وقد شهدت نهاية الخمسينات ـ فى مصر بوجه خاص ـ بوادر حركة ثقافية شاملة استهدفت ـ ضمن ما استهدفت ـ ترشيد الانتاج السينمائي عن طريق تدخل الدولة كطرف فيه .

وقد استتبع هذا تكوين ندوة الفيلم المختار (بعد انشاء مصلحة الفنون) والتي كانت بمثابة معمل لتفريخ النقاد الجدد الذين سيقدر لهم تأسيس شركة نقد سينمائي على أسس علمية في فورة الستينات وفي عام ١٩٥٩ تأسس المعهد السينمائي الوحيد في الشرق الاوسط في مصر . ولاول مرة بدأت كلمة العلم تعرف طريقها الى الوسيط السينمائي في بلادنا . وفي عام ١٩٦٣ فاز احد مؤسسي جمعية الفيلم التي انبثقت عن ندوة الفيلم المختار وحملت معها نصها كاملة ـ وهو احمد الحضري ـ بجائزة النقد . كانت هذه هي المرة الاولى التي يكرم فيها ناقد سينمائي .

وكان من الضروري ان يستتبع انشاء القطاع العام السينمائي اصدار مجلة سينمائية يمكنها ان تمسح عار الصحافة السينمائية الهزيلة التي تعتمد على صور وحكايات النجوم كامتداد للتراث الصحفي السينمائي منذ عام ١٩٢٣ . وفي الوقت نفسه تفسح المجال امام الاقلام النقدية الجديدة التي وفدت من تخوم مجاورة ـ الادب والفلسفة ـ الى السينما محاولة في جدية دراسة ملامح هذا الفن . وقد ادى هذا التجمع النقدي في مجلة « السينما والمسرح » المصرية الى ظهور اول جماعة للسينما الجديدة في مايو ١٩٦٨ . وقد اصدرت الجماعة بيانين « نقديين » على اسس علمية لعملية الانتاج السينمائي كله ضمن المحتوى الاوسع للحركة الثقافية العربية .

ويمكننا الان ان نحدد ثلاثة من الملامح المشتركة للنقد والناقد السينمائي في العالم العربي :

اولا : هناك النوع الاول من النقد والنقاد السينمائيين . واضع تحفظات هامة هنا على استخدام كلمة النقد والنقاد . فهذا النوع امتداد شرعي لناقد الاعلانات والانطباعات الخفيفة ومندوب الدعاية الذي ظهرت بوادره في مجلة « الصور المتحركة » قبل نصف قرن . ما يزال هذا «الناقد» مسيطرا خاصة في الصحف اليومية والمجلات « الفنية » الاسبوعية .

ثانيا : هناك الناقد الذي تربى في احضان جمعيات الافلام ونوادي السينما . وهو ناقد يتمسك بالاكاديمية وله قدرة متميزة على ممارسة النقد باصوله العلمية . وهو ناقد مخلص ومتحمس للسينما ويؤيد نشر الثقافة السينمائية عن طريق الاحتكاك بجمهور مختار هو جمهور نوادي السينما . وهو يؤمن بالتغيير الحتمي في اذواق الجماهير ، ولكن عن طريق تدريجي ولذا يجد مجاله الحيوي في المجلات السينمائية المتخصصة .

ثالثا : هناك الناقد الذي يربط بين السينما وبين سائر العلاقات الخارجية التي تحكم المجتمع العربي او اي مجتمع اخر . اي انه يعتقد ان السينما هي افراز طبيعي للبنية الاجتماعية بكافة معطياتها . وهذا الناقد يهتم في الاساس بالسينما الوطنية ـ القومية باعتبارها قضيته الاولى . ولانه قد تطور عن الناقد الثاني ، فهو يهتم ايضا بالثقافة السينمائية ويسعى لتطويرها ونشرها ولكن دون اغفال للدور العربي فيها . ومن هنا كانت نظرته للثقافة « عربية » بمعنى انه يحاول ان يكتب نقدا سينمائيا عربيا لا بالجنسية ولكن بالتوجه المبدئي والنهائي .

ومشكلة هذا الناقد الاخير هي انه يخوض صراعات عديدة لتطوير ادواته النقدية وتنقية مصطلحاته من الغموض والعمومية وتوسيع مداركه السينمائية والتقنية ، في الوقت الذي تتوسع فيه جبهة حركته لكي يتوجه الى الجمهور العربي خارج اطار نوادي السينما . وهذا ما يجعله يشعر في غالبية الاحيان بالعجز خاصة وان حزام الامية ما يزال يحكم بقوة على جسد العالم العربي بما يحول بينه وبين توصيل ما يريد توصيله .

الى اين يتوجه النقد السينمائي العربي

في ضوء الانواع الثلاثة التي ذكرتها وفي ضوء اعتبارات الامية (الجمهور) وهيمنة السينما السائدة بشبكتها الانتاجية والتوزيعية الخالدة (السينما) وقلة حيلة السينما الجديدة التي تستهدف ان تكون « عربية » حقا ، يجد الناقد الثالث نفسه في موقف عسير . ومن المطلوب والمرغوب فيه ان يستمر الناقد الثاني ردفا للثالث في محاولة « التنوير » الثقافي في دوائر صغيرة تتسع شيئا فشيئا . على حين سيستمر «الناقد» الاول في نشاطه وحيويته عبر قنواته التقليدية (التي ضمت اليها قنوات اخرى حديثة كالتليفزيون) ما دامت حال السينما السائدة والجديدة على السواء وحال الجمهور في جموعه الكبيرة باقية على هذا النحو ..

ولكن .. لنستنفد حقل الامكان ، فالناقد العربي ما يزال بامكانه ان يوسع الدائرة التي لا بد ان تتسع امام قرائه .. يوما . ■■

الفاروق عبد العزيز

فهمي هويـــدي يكتب من اليمن الشمالي :

نقوش عصرية على جدران صنعاء



بعيد عن العين ،وربما عن القلب ايضا،هذا اليمن السعيد ، سابقا !

ولانه كذلك ، فقد صارت اليمن تشكل مثالا نادرا للفهم المغلوط ، تماما كما ان اليمني نمـوذج فريـد للانسـان الـذى لا يعكس ظاهرة حقيقته • وفى زمن كالذى نعيش فيه ، حيث العين والقلب يتجهان ـ في أغلب الحالات ـ الى « بر العجم » ، فان محنة بلد كاليمن تصبح مضاعفة • فالفهم المغـلوط يصبح مقترنا بالجسـور المقطوعة • اذ يصبح الوصول الى صنعاء مشكلة ، والنفاذ الى صنعاء ذاتها مشكلة اخرى •

لن يعترضك احد بكل تاكيد ، لكنها « الحواجز النفسية » ـ بتعبير الرحلة ـ هي المانع والعائل • وهى حواجز بعضها غرسناه ، وبعضها نما فى غفلة منا ، وبعضها كنا ضحاياه • وكلها ، كلها ، هش قابل للسقوط والزوال فى لحظة زمن •

وتلك حقيقة مرة ، لا تتوفر الا فى عالم العجائب العـربى ، الـذى ينتقل من النقيض الى النقيض بنفس سهولة تتابع الليل والنهار • فبعد أن كانت عيوننا وقلوبنا طوال الستينات معلقة على جبال صنعاء وصرواح وحجـة وصعدة ، حيث كان المد العربى ـ ممثلا فى ٨٠ الف جندى مصرى ـ يحتضنون بكل الحب والحرص ثورة اليمن الوليدة ، وبعد ان رسمت حدود الجمهورية العربية اليمنية بدم ٤٠ الف شهيد مصرى مع عشرات الالوف الاخرين من ابناء اليمن • بعد هذا كله ، طلعت علينا السبعينات بمواقف معاكس تماما ، عبر عنه شعار « انا اولا » ـ الذى أصبح « أنا فقـط » فيما بعد ـ وطويت صفحة الستينات ، ولطخت بكل ما تيسر من اتهامات وشتائم واوحال • حتى كادت تتحول الى وصمة ، تلك الصفحة المجيدة من تاريخ النضال العربى •

وكلما علت أصوات « الانا اولا » ، تبـاعدت المسافات بين العواصم العربية • حتى صرنا نقرأ اخبار صنعاء فى الصحف بين الحين والآخر • وفى مقدمتها خبران اثنان يكتبان دائما بصيغ مختلفة • ان انقلابا وقع ، او قرضا تم الاتفاق عليه !

ولا اخفى أننى ذهبت الى صنعاء بخطى متثاقلة ، متاثرا ـ ربما ـ بما ظل ينقل عن اليمن من أخبار خلال السنوات الاخيرة • خصوصا تلك التى تتعلق بالتقلبات السياسية المستمرة • وبعد أن تتابعت الاحداث فى الساحة اليمنية ، من ثورة الى انقلاب الى تصحيـح ، الى تصحيح التصحيـح ـ (غير المحاولات التى لم تنجح) الى غير ذلك من الشعارات

المستحدثة التي صارت تغلف كافة الاتجاهات في آن واحد !

وفي ظل تلك المتغيرات ، عاشت اليمن مأساة العديد من دول العالم النامي ، حيث يدور القتال على جبهات عديدة ، وتعصف كل معركة ببعض الرؤوس ، ويتبين في النهاية أن القتال يدور في غير الاتجاه الصحيح ، وأن أغلب الرؤوس قد طارت ، وانه لم يبق شيء يذكر للمعركة الحقيقية معركة التنمية ، لا جهد تبقى ولا كفاءة استمرت .

ولانها المرة الاولى ، وتلك حقيقة مؤسفة ، فقد ذهبت أبحث عن أبناء جيلنا ، زملاء الدراسة في ثانوية حلوان بمصر في بداية الخمسينات . وهم الدفعة الاولى من الشباب اليمني الذين أوفدوا للتعليم في الخارج بعد انقلاب سنة ٤٨ ، الذي قتل فيه الامام يحيى ، ولم يكتب له النجاح .وكان هؤلاء الشبان أنفسهم هم الذين تصدروا مواقع القيادة بعد ثورة ٦٢ . ولكنني فوجئت بأن معظم أبناء هذا الجيل قد اختفوا من مسرح الحياة السياسية . وأن التقلبات السريعة أقصتهم خارج الحلبة ، فمنهم من أحيل الى التقاعد ، ومنهم من اصبح لاجئا سياسيا ، ومنهم من اعتزل السياسة الى البحث العلمي أو التجارة ، ومنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر !

هل تعود الامامة ؟!

وهذه الظاهرة ـ مع شواهد أخرى ـ تجسد احدى الحقائق التي تلمحها العين منقوشة بحروف بارزة على جدران صنعاء ، وأعني بها الحاجة الملحة الى الاستقرار . ذلك أنه بعدما انهكت حرب الستينات اليمن كله ، حتى أعلن افلاس خزينة البلاد في سنة ٧٠ ، منذ ذلك الحين والى الان ، تتابعت ستة عهود على اليمن ، من السلال الى الايرياني، الى الحمدي ،الى الغاشمي ، الى العرشي ثم أخيرا الى الرئيس الحالي علي عبد الله صالح .

على أننا نقع في خطأ فادح ، اذا ما ربطنا ما بين ثورة ٢٦ سبتمبر ٦٢ ، وبين تلك التقلبات ، لان العهد الامامي الذي سبق الثورة لم يخل من الهزات العنيفة ، ثم أن اليمن كله ظل طوال تلك السنوات يعيش فيحالة قصوى من الغليانالشعبي. فضلا عن أن ذلك العهد لا يمكن أن يعتبر مستقرا الا بالقدر الذي يوصف به شخص مكمم الفم ومقيد بسلاسل الحديد ، بأنه هادىء ووديع للغاية !

وليس سرا أن ثمة أطرافا عديدة من مصلحتها أن يستمر القلق في اليمن والا ينعم هذا الشعب العريق والغني بأي قدر من الاستقرار ، يمكنه من ترتيب حياته وتفجير طاقاته الكامنة ، واستثمار ثرواته . وتحرص هذه الاطراف على الا يظهر في الجزيرة العربية أثر ليمن القرن العشرين ، وأن يظل هذا اليمن واقفا على أبواب القرن الثالث عشر ، ولا بأس ـ من وجهة نظرهم ـ أن يتقدم الى القرن الرابع عشر ، شريطة الا يتجاوز القرون الوسطى بأي حال !

وليس سرا أيضا أن بقايا العهد الاماميما زالت تحلم بالعودة ، بحجة أن «الامامة» هي ضمان الامن والاستقرار في بلد « متخلف » كاليمن ، كانت ثياب الثورة فضفاضة عليه ، فتعثر وانكفأ . ولا سبيل الى علاجه الا بالباسه ثيابه المناسبة ، التي هي ـ بالضبط ـ في قياس الامامة !

وحتى لو كان ذلكحلما مستحيلا ، فانه لا يزال يراود البعض خارج اليمن على أي حال .

في القاموس اليمني الجديد

على أننا اذا ما غضضنا البصر عما هو سياسة مباشرة ، فاننا نستطيع أن نقرأ على جدرانصنعاء نقوشا ذات دلالات لا تخفى أهميتها ..

وقصة النقوش قديمة في اليمن يرجع تاريخ بعضها الى القرن الخامس أو السادس عشر قبل الميلاد ، عندما كانت العربية لغة « خام » ، لم تحكمها بعد قواعد النحو والصرف ، فيما عرف بعد ذلك بالفصحى . وقد عثر على عدد كبير من هذه النقوش ، التي تسجل تصرفات الافراد المرموقين ، مدونة على ألواح تتراوح بين الحجر والذهب .

اسلوب النقوش هذا ، لا يزال له دور في تعبير اليمني عن نفسه. وواجهات بيته، وثيابهالخارجية، وحتى تطريز غمد خنجره الفضي ، والحزامالعريض الذي يطوق خصره ، هذه الصيغ كلها تؤكد تلك الحقيقة .

وكما ترصد العين نقوشا كهذه ، الا أن بقية

صورة من صنعاء القديمة ، حيث تتشكل معالم الحياة من جديد ، وتتجسد التحديات فيمحاولات اختراقاسار القرون الوسطى.



الحواس تستطيع أن ترصد نقوشا أخرى ـ ليست مدونه بالضروره ـ على سطح الحياة اليمنية ٠

واذا وضعنا في الاعتبار ذلك الحرص على أن تبقى اليمن أسيرة عصور القرون الوسطى ، فانه يصبح مثيرا للانتباه أن « نكتشف » في القاموس اليمني.عبارات تعد اختراقا لتلك الحدود ، مثل : البرنامج الانمائي والخطة الخمسية ، والتعاون للتطوير ، ثم أن يصبح لهذه الرموز دور ـ أي دور ـ في مسيرة اليمن ٠

فقد عرف اليمن لاول مرة في تاريخه تعبير « الموازنة العامة » في برنامج الانماء الثلاثي الذي بدأ في عام ٧٣ ، ثم هم الان ينفذون ، ومنذ عام ٧٦ ، خطة خمسية تمس الكثير من الطموحات (استثماراتها ٥ر١٦ مليار ريال) ٠٠ والى جانب هذا وذاك فان ثمة جهدا له قيمته تبذله التعاونيات المنتشرة الان في أنحاء اليمن ٠

وتشغل قضية التعاون هذه جانبا كبيرا من اهتمام المسئولين في صنعاء ٠ ولا تكاد تجتاز أبواب العاصمة حتى يسألوك : هل رأيت تجربة التعاون؟ ولا تكاد تدس أي مدينة أو قرية الا وتلاحق عينيك ملصقات التعاون ٠ بل لا تكاد تستمع الى نشرة الاخبار الا وتجد على رأسها أخبار التعاون ٠ حتى أصحاب المحلات التجارية ، لم يفتهم أن يعلنوا عن تجاوبهم مع شعارات المرحلة ، فصارت اللافتات تحمل عبارات بقالة التعاون وجزارة التعاون وصيدلية التعاون !

وتسعى الحكومة في حدود قدراتها الى دعم هذه التعاونيات ، ماليا واعلاميا ٠ وفضلا عن المساعدات العينية ـ جرارات وموتورات كهربائية ـ فقد تنازلت الحكومة للتعاونيات عن ٧٥٪ من دخل الزكاة وخصصت لها ٢٪ من قيمة الرسوم الجمركية، هذا غير حملة الدعاية المركزة التي تستهدف لفت الانظار الى التجربة ٠ ويشير احصاء أخير ، الى أن عدد التعاونيات في محافظات اليمن الاحدى عشرة ، قد بلغ ١٨٥ هيئة ٠ وان تلك التعاونيات قامت خلال السنتين الاوليين من سنوات الخطة الخمسية بانشاء ٣٠٩ مدارس ، و ٦٤٥ مشروعا للمياه ، و ٢٨ مستوصفا ، غير شق وتمهيد طريق طولها ٧٦٥٨ كيلومترا ٠

ورغم أن البيانات الرسمية غالبا ما تجنح الى المبالغة في مثل هذه الحالات ، الا انه يظل انجازا كبيرا أن تكون هناك ـ من حيث المبدأ ـ تعاونيات في اليمن وأن تحقق ولو نصف مثل هذه المشروعات.

اكثر من مشكلة للتنمية

ومع ذلك ، تظل قضية التنمية في اليمن مشكلة بالغة التعقيد ، فاذا توفر الاستقرار النسبي ، لا يتوفر المال ٠ واذا توفر المال يتعذر الحصول على الايدي العاملة الماهرة ٠ أي انه ينطبق على اليمن وصف « قصور الحال والمال » !

فمن ناحية ، لا يدخل الانتاج الزراعي أو الصناعي ضمن موارد الميزانية ٠ لان الانتاج ـ ان وجد ـ موجه كله الى الاستهلاك ٠ وثمة احصاء رسمي أخير يشير الى أن حجم المنتجات الزراعية المستوردة يتجاوز المنتجات المصدرة بما يعادل ١٦ ضعفا ٠ الامر الذي يعكس مدى العجز الخطير في الانتاج الزراعي ٠ ومما يلفت النظر هنا أن اليمن بدأت تستورد البن مثلا ، وهو المحصول الذي تميزت اليمن بانتاجه على مدى قرون !

ولان « الانتاج » خرج من حساب الموارد ، فان الموارد الحقيقية للميزانية اليمنية لا تكاد تخرج عن دائرتين أساسيتين: القروض والمعونات الخارجية التي تشكل حوالي ٧٠٪ من حجم الاستثمارات ، ثم الرسوم على الواردات ٠ كما تشكل تحويلات المهاجرين مصدرا آخر للدخل بالعملات الصعبة (مليار دولار في العام الماضي) ٠

هذا في جانب الموارد المادية ، أما من ناحية الموارد البشرية ، فقد تسببت الهجرة ، مع ارتفاع نسبة الامية الى ٩٠٪ في نقص الايدي العاملة بوجه عام ، والمدربة بوجه خاص ٠ وفي مناطق عديدة باليمن يزرع الفلاحون المحاصيل ولا يجدون من يقوم بحصادها أو جني ثمارها ، وينتهي الامر بهم الى حصاد المساحة التي تغطي احتياجات كل منهم فقط ، وتترك بقية الزراعات الاخرى بغير حصاد ٠ وهذا النقص هو الذي يفسر وجود حوالي ١٠ الاف عامل سوداني في اليمن ، غير عدد مماثل من العمال المصريين٠ وهو الذي يفسر أيضا الزيادة الكبيرة في أجور الحرفيين ٠ حتى أن متوسط أجر عامل البناء يصل الى ٥٠ دولارا في اليوم الواحد٠

وأمام هذا الاغراء ، لم يكن غريبا أن ألتقي في تعز بأحد اليمنيين ، يحمل شهادة الماجستير في التاريخ ، لكنه يعمل في البناء ، و «متخصص» في تثبيت البلاط !



الانامل اليمنية الدقيقة والرقيقة هى التى نقشت هذا البناء · الذى تحلق فوقه أرواح ٢٠ الف جندى مصرى استشهدوا خلال سنوات تحرير اليمن · والصورة للنصب التذكارى للجندى العربى المصرى المجهول ، يطل على صنعاء من فوق احدى هضابها القريبة · النصب له دلالة اكبر ، وثيقة الصلة بحقيقة الوحدة والتلاحم العربى ·

ورغم الاهتمام بمشروعات الصناعة ـ الاسمنت والنسيج مثلا ـ الا ان التركيز الاساسى ، بل المخرج الراهن والمنظور لازمة الموارد فى اليمن ، منصب على مشروعات الزراعة فى مناطق تهامة الساحلية المؤهلة طبيعيا لهذا الدور ·· وثمة مشروع نفذ فعلا ويموله الصندوق الكويتى للتنمية لانشاء سدود لضبط المياه وتوزيعها فى منطقة زبيد الخصبة · وكانت نتائج هذا المشروع مشجعة للغاية ·

ويؤكد اهمية المستقبل للزراعة بساحل تهامة ان تجربة محدودة تمت فى وادى رماع ، الذى كان منطقة مجاعات فى الماضى وبجهد بسيط ، استهدف العناية بتسميد التربة وريها ، ومكافحة الآفات الزراعية · وكانت النتيجة ان تضاعف انتاج القمح والشعير ٢٠ مرة فى العام الماضى ·

ولنا ان نتصور من هذا النموذج ، اى مستقبل كبير ينتظر ساحل تهامة اذا ما توفر له الحد الادنى من الاهتمام ·

ولان المشكلة معقدة كما قلت ، فانه رغم ان الزراعة هى المفتاح الاول لحل المشكلة الاقتصادية اليمنية ، الا انها لا توضع فى المقام الاول من استثمارات الخطة الخمسية وتمثل هذه الاولوية قضية المواصلات والطرق ، وهو ترتيب منطقى فى الواقع لان اى جهد انتاجى ـ زراعة او صناعة ـ لا يمكن ان يخطو خطوة واحدة الى الامام ، ما لم تكن هناك طرق سالكة وممهدة تخدمه · ورغم ان شبكة الطرق الاساسية قد تمت تقريبا فى اليمن ، الا ان هذه الطرق ربطت المدن بالدرجة الاولى ،

وفى سبيلها الى ربط مناطق الانتاج أيضا •

ولا يزال النصب التذكارى الذىاقامه الصينيون على طريق صنعاء ـ صعده تكريما لعمالهم الذين قتلوا وهم يشقون هذا الطريق قبل سنوات ، لا يزال هذا النصب رمزا لمدى العون الذى قدمه العالم الخارجى فى هذا المجال •• وهو عون قامت الدول الاشتراكية بدور بارز فيه حتى أوائل السبعينات ، ثم بدأت الدول الغربية تاخذ مكانها مؤخرا ، تبعا لتغير الموازين السياسية فى المنطقة•

عن الحضور العربى

وهذه الصورة تطرح قضية الحضور العربى فى اليمن • وهو حضور قائم وله دوره الملموس الان، ويتمثل فيما تقدمه صناديق الانماء العربى ، ودول الكويت والسعودية ودولة الامارات من دعم مالى •• وما تقدمه الدول العربية الاخرى من رصيد الخبرات الفنية والبشرية المطلوب فى كافة التخصصات •

وما يحتاج الى مناقشة حقيقية هو الجانب المتعلق بالدعم المادى الذى يتم فى صيغ مختلفة مساعدات مالية مباشرة ، مشروعات خدمات (مستشفيات ومدارس وطرق) انشاءات (سدود او محطات توليد الكهرباء) • ذلك انه من المؤكد ان الفرصة متاحة للمستثمرين العرب لكىيشاركوا فى مجالات الانتاج الصناعى باليمن • وهى المجالات التى تحتكرها الصناعة اليابانية بذكاء بالغ •

واذا تأملنا خريطة الجزيرة العربية جيدا ، فستجد أن اليمن تشكل موقعا نموذجيا للاستثمار• مساحته (١٩٥ ألف كيلومتر) وامكانياته الطبيعية (أرض زراعيةمساحتها ٥ر١مليون هكتار،غير خامات الفحم والحديد والنحاس والاسمنت) وثروته البشرية (٨ ملايين نسمة) هذه العناصر ـ اذا خضعت لدراسة واعداد جيد ـ تؤهل اليمن لمستقبل اكثر اشراقا ، خصوصا وان لليمن رصيدا حضاريا عريقا تمتد جذوره الى ما قبل الميلاد الى دول وممالك معين وقتبان وسبأ وحمير ، التى ازدهرت



الاستهلاك • الاستهلاك • ما من قرية يمنية الا وتتكدس السلع المستوردة فى محلاتها التجارية الصغيرة• وتلك صورة لا تتكرر فى أى جزء من الوطن العربى • والصورة لاحد هذه المحلات ، بينما صاحب المحل لم ينته أن « يخزن » القات فى فترة القيلولة •

فيها التجارة والزراعة والصناعة بصورة مدهشة، وكانت هذه هي جذور ما سمي فيما بعد باليمن السعيد •

وبأي مقياس، ليس مفهوما أن تتوجه الاستثمارات العربيه الى أقصى الولايات المتحدة الامريكية – مثلا – بينما – تتوفر لها ظروف مواتيه في بلد كاليمن ، فضلا عن التحول العظيم الذى يمكن أن تحدثه مثل هذه الاستثمارات هناك •

حتى ذلك الدعم المادى الذى تقدمه بعض الدول البتروليه يحتاج الى ترشيد فى انفاقه • ذلك أن هناك أموالا تدفع لبعض القبائل مباشرة ، وهي تدخل فى الحسابات السياسية ولا علاقة لها بالتنمية – ثم أن بعض ما ينفق فى الانشاء لا يدخل ضمن الاولويات المطلوبة لليمن • اذ لا معنى مثلا – أن ترجه دولة ملايين الريالات لانشاء مساجد جديدة في مدن اليمن ، بينما البلاد ما زالت بحاجة الى مزيد من المدارس والمستشفيات •

هذا القطاع الخاص

على أن ثمة وجها آخر للصورة ، تعكسه نقوش الشارع اليمنى ، الذى يعانى من حالة تضخم تكاد تفوق أى عاصمة عربية أخرى •• واذا تاملت هذه الحقيقة جيدا سوف تكتشف أن فى اليمن شعبا غنيا ودولة فقيرة •• وان تعبير الفقر اليمنى هو مغالطة كبرى ، الا اذا كان مقصودا به خزينة الحكومة فقط • التى تخلو من موارد ذات قيمة ولا تحتاج الى جهد كبير لتدرك أن تفاوت المواقف الاقتصادية على هذا النحو له مردود سياسى اذ الاقوى هو الاقدر ، والعكس صحيح • وعند رصد عناصر القوة يظل التجار ، باعتبارهم « قوة عظمى » فى اليمن الان •

والسؤال الذى تطرحه هذه الصورة على الفور هو : ما مصدر هذه السيولة المتدفقة على جيب اليمن ؟

رجال الاقتصاد يقولون : أموال المهاجرين اليمنيين فى الخارج وعددهم مليون ونصف مليون مهاجر يمولون ستة ملايين ونصف مليون فى داخل اليمن • أى أن كل مهاجر يعول ٤ أو خمسة أفراد فى الداخل •

يقولون أيضا أن حرب الستينات خلقت حالة من الثراء الشديد لدى القبائل التى كانت تتقاضى أموالا من الجانبين المتحاربين الملكيين والجمهوريين وهى مبالغ كانت تدفع بالملايين •

وهناك من يهمس بان ثمة أموالا ما زالت تدفع الى بعض شيوخ القبائل – بمعدلاتها الكبيرة – حتى الان •

وثمة عنصر آخر وهو أن ارتفاع أسعار القات لخمسة أضعاف على الاقل أصبح يشكل مصدر سيولة له أهميته فى الريف اليمنى • وكانت نتيجة ذلك كله أن شهدت اليمن حالة رواج مفتعل وامتلأت المدن والقرى بالسيارات والدراجات النارية وتضاعفت أعداد موتورات الكهرباء الخاصة ، وانتشرت المتاجر التى تبيع من أحدث العطور وربطات العنق الفرنسية الى علب اليابان «نيدو» وسفن أب !

وبسبب الحرمان الشديد فى الماضى، ونتيجة لضعف الوعى العام ، فان هذه الاموال كلها ، أموال المهاجرين والمهربين والمزارعين وممولى القبائل تذهب الى الاستهلاك • أى تصب عند التجار • !

هؤلاء التجار هم الورثة الحقيقيون للامامة فى اليمن •• وربما فسر ذلك تاييدهم السريع لثورة سبتمبر ١٩٦٢ م ، واشتراكهم فى الاعداد للثورة فى تعز ، كما ذكر أخيرا كتاب « أسرار الثورة اليمنية » •

وكل ما فعله التجار حتى الان أنهم أغرقوا السوق اليمنية بالسلع الاستهلاكية ، الكمالية لا الضرورية (واردات ميناء الحديدة ارتفعت من ٦٨٠ الف طن عام ٧٦ الى أكثر من ٢ مليون طن عام ٧٨) وليس هناك متجر بقالة فى أى قرية يمنية ، أينما كانت، – الا وهو مكدس بالفواكه المستوردة والمعلبات والمشروبات الغازية القادمة من كافة أنحاء العالم •

فى اليمن تعرف بالضبط معنى تعبير القطاع الخاص الشره والمستغل ، وتدرك خطورة أن يكون للدولة – فى بلد نام كاليمن – دور فى تصحيح مسار الاقتصاد الوطنى ، بعدما تتاكد تماما من أن ما يفعله هذا القطاع الخاص هو افساد حقيقى للجماهير ، هذا اذا استخدمنا أكثر التعبيرات تأدبا •

لكن هذه ليست كل النقوش على جدران اليمن الان • لانه لا يمكن لاحد أن يزعم انه قام برصد ما يجرى فى اليمن ، ما لم يقف أمام حديث الساعة وكل ساعة : « القات » !!

■■

فهمى هويدى



حرية الرأى بين الأشعرى و.. برتراند راسل

بقلم : عبد الوهاب أحمد الافندى

لقد التقى الفيلسوف المادي المتاخر ، مع الفيلسوف المؤمن المتقدم • وكان للاشعرى فضل السبق •

■ يؤكد الرواة ان السبب فى تخلى الاشعرى عن المعتزلة ، أنه سال استاذه أبا على الجبائى ذات يوم : «ما تقول فى ثلاثة اخوة: امات الله احدهم قبل البلوغ ، وبقى اثنان فامن احدهما وكفر الاخر ، اين يذهب الصغير ؟ »

فقال الجبائى : « انه يذهب الى مكان لا سعادة فيه ولا عذاب • »

فانكر عليه الاشعرى ذلك ، وقال : ملاذا يرسله الى ذلك المكان وهو لم يات شرا ولا خيرا ؟ »

فرد الجبائى : « انما اماته الله لانه علم انه لو بلغ كفر •»

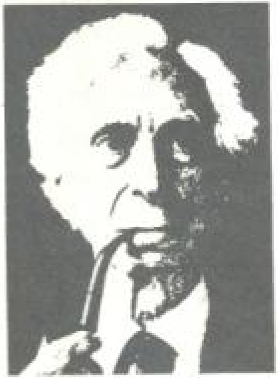
فقال الاشعرى : « فقد ابقى احدهم فكفر ، فلماذا لم يمته صغيرا ؟ »

فلم يحر الجبائى جوابا ، فقال الاشعرى : « وقف حمار الشيخ فى العقبة • »

★ ★ ★

كان أبو الحسن الاشعرى تلميذ الجبائى النجيب، وربيبه ـ كان الجبائى زوج أم الاشعرى ، درس عليه اربعين سنة لا يفارقه •

يقول ابن عساكر : « وكان ـ يعنى الاشعرى ـ صاحب نظر فى المجالس ، وذا اقدام على الخصوم، ولم يكن من أهل التصنيف •• وكان أبو على الجبائى صاحب تصنيف وقلم ، اذا صنف أتى بكل ما يراد مستقصى ، واذا حضر المجالس وناظر لم يكن بمرض ـ وكان اذا دهمه الحضور فى المجالس يبعث الاشعرى ، ويقول له « نب عنى » •



اذن لا شك أن الكثيرين قد دهشوا ، وهم يعرفون الاشعرى واجهة من واجهات المعتزلة ، يوم وقف عليهم وقفته المشهورة فى المسجد وأعلن : « من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فانا اعرفه بنفسى • انا فلان بن فلان • كنت اقول بخلق القران وان افعال الشر انا افعلها ، وانى تائب معتقد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم ومعايبهم • »

على انه مهما كان سبب هجر الاشعرى للمعتزلة، فلا شك أن على راس القائمة عدم اقتناعه بآرائهم فى حرية الارادة • فالمعتزلة بعقلانيتهم المفرطة كانوا يطبقون المنطق بحذافيره على الافعال الالهية، مما يوحى بشيمة الظلم على الذات الالهية •

فمن المعروف أنه مهما كانت درجة حرية الانسان، فهنالك أشياء كثيرة فى حياته يعجز عن التحكم فيها ، مثل البيئة التى ينشأ فيها ، والظروف التى تحيط به ، وموته وحياته ــ وهى أشياء تحكم الكثير من تصرفاته ــ وما قصة الاخوة الثلاثة المنسوبة للاشعرى الا مثال على هذه الصعوبات •

فكان لا بد والحال هذه من وضع مقياس مختلف لتقييم الافعال الالهية من ناحية عدالتها • وكان اول ما لجأ اليه الاشعرى جهاز معروف ومستعمل عند اهل السنة ، وهو تعريف مفهوم الظلم تعريفا يجعله لا يمكن ان ينطبق على الذات الالهية بحال• فقد قال : «ان الظلم تصرفك فيما ليس لك بملك •»

وعلى هذا فان الله لا يمكن أن يظلم أحدا، حتى لو أدخل جميع البشر النار رغم أعمالهم الصالحة، لانه لا يمكن أن يكون بفعله هذا قد تصرف فى ملك غيره ، لانه ــ سبحانه وتعالى ــ مالك كل شىء ••

ولا شك ان هذا أسلوب فيه قصور • اذ ان مفهوم الظلم لا يستوعبه تعريف الاشاعرة • فنحن نرى الرجل الذى يعذب عبده أو يقتله بغير ذنب يتهم بالظلم رغم أن العبد ملك له •

ولعل الاشعرى ، والذى كان يرى فى كثير من مما يقع على العباد ظلما لانه لا يد لهم فيه، اراد القيام بمحاولات محمومة للخروج من حيرته والوصول الى سلام مع نفسه المقتنعة بعدل الله سبحانه •

ولعل الاشعرى وتلاميذه لم يكتفوا بهذا التعريف المخترع ، فلجأوا الى اختراع آخر ، وهو الغاء قانون السببية واستحداث منطق جديد للافعال الانسانية •

فقالوا : ان علاقة السبب بالاثر ليست علاقة ضرورة ، وانما الله أجرى العادة بان يعتقد الناس ضرورة أن يتبع الاثر السبب ، وذلك لكثرة ما رأوا ذلك •

وعليه ففى عرفهم فانه من غير المستبعد أن تطلع الشمس من المغرب ، أو أن تتوقف النار عن تسبيب الحرق ، والسيف عن القتل •

فالنار لا تحرق بالضرورة ، وانما الله هو الذى أجرى العادة بان تكون النار سببا للحرق ، ولا شىء يمنعه من أن يغير ذلك •

وكذلك الشمس لا تطلع من المشرق بقانون ثابت، وانما الله هو الذى يحدد فى كل مرة مكان وزمان شروقها ولا يستبعد ان يجرى تغييرا فى ذلك فى اى لحظة •

وضربوا لذلك مثلا : فقالوا ان الناس اعتادوا على رؤية الخليفة يتفقد أسواق مدينته على جواده، حتى أصبحت صورة الخليفة على جواده ملازمة لفكرة الخليفة ذاتها • فلا احد يتصور الخليفة الا وهو على جواد • على أنه ليس من المستبعد أن يأتى الخليفة الى السوق راجلا أو على حمار مثلا، حتى وان كان ذلك سيدهش الكثيرين •

حرية الارادة عند الاشاعرة

ومن هذا انطلق الاشاعرة الى تفسيرهم لحرية

الارادة ، فقالوا : لان الله خالق كل شيء ، فان جميع افعال العباد ، شرها وخيرها مخلوق له •

فعلى سبيل المثال ، انت حين تريد أن تضرب شخصا ما بالسيف ، فان الله يخلق فعل الضرب بالسيف ، والقدرة عليه فيك ، بعد اختيارك له • كذلك فان الضرب بالسيف لا يتبعه القتل ضرورة، وانما اللههو الذى يخلقالقتلبعد ضربك بالسيف•

وتسمى العلاقة بينك وبين افعالك بالكسب • فانت تكسب بالافعال حين تختارها • فتكسب الكفر حين تختار ان تكون كافرا ، ولكنك لا تخلق فعل الكفر ، وانما الله يخلق فيك القدرة على الكفر بمجرد اختيارك الكفر وارادتك له •

وانت تعاقب على كسبك وتثاب عليه ـ أى انك تعاقبعلىاختيارك، علىالرغممنانك لمتخلقالفعل•

ولا شك أن هـذا الرأى تحيط بقبوله صعوبات جمة : مثلا : اذا كان الكسب هو ارادة الانفعال فقط ، وهو كل ما يفعله العبد ، فهل يعنى هـذا ان العبد يعاقب على اختياره فقط حتى لو لـم يؤد هذا الاختيار الى أى عمل ؟

ثم ثانيا : من الذى خلقالارادة فى الانسانوهى فعل ؟ هل خلقها الله دون أن يكون للمريد فيها يـد ؟ فلمـاذا اذن يعـاقب ـ أو يثـاب عليها ؟ أم هل خلقها الانسان ؟ اذن تكون انتفت نظرية الاشاعرة من الاساس •

★ ★ ★

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات ، فان آراء الاشعرى ظلت تكتسب الاعجاب والقبول كمحاولات عبقرية لحل معضلات الجبر والاختيار ، حافظتعلى معظم المسلمات الاساسية فى الاسلام ، وادخلت الراحة على النفوس •

ولا شك ان اكثر عبقرية الاشعرى تجلت فـى نظرته الفاحصة لمبدأ السببية التى رفعت عنه هالة الضرورة ، وعرته كمجـرد ابتـداع مريـح لتفسير ظواهر تربط بينها احتمالات كبيرة •

فالمفهـوم الحديث للقوانين السببية هو أنهـا قوانين احتمالات بمعنى ان قولك أن الظاهرة (أ) هى سبب للظاهرة (ب) لا يعنى اكثر من قولك : « أن الظاهرة (أ) شوهدت دائما مشفوعة بالظاهرة (ب) ، وعليه فاذا شاهدنا (أ) فان هناك احتمالا كبيرا لمشاهدة (ب) » •

اذ انه لا توجد ضرورة منطقية تجعل (ب) تتبع (أ) • انما هو احتمال • ومهما كان عدد المرات التى شوهدت فيها الظاهرتان متلازمتين،مع انعدام اى حالة حدث فيها العـكس ، فان هذا لا ينفى منطقيا جواز عدم تلازمهما •

رسل : نفس الموقف

وبعد اكثر من عشرة قرون من وفاة الاشعرى نجـد فيلسوفا مثل برتراند رسـل ، الفيلسوف البريطانى العظيم ، يعتمد على نفس المبدأ لحل معضلة حرية الارادة •

يقول رسل : « ان الاحساس الذاتى بالحـرية هو الاحساس بالقـدرة على اختيار ما نحبـه من بين عدد من البدائـل ، ولكنه لا يعنى غيـاب الارتباطات السببية بين ماضينا وبين ما نحب » •

ويرى رسل أن التعلل بأن الارتباطات السببية بماضينا تحد منحريتنا ينبع منفهم قاصر للسببية•

فعلاوة على ما ذكرنا من أن السببية لا تعنى اكثر من الاحتمال ، فان معاملة الاسباب على أنها مشابهة للارادة ، أو على أنها ارادات منافسـة لارادتنا قد يخـلق مفهوما خاطئا • فان وجـود أسباب لارادتنا هو عبارة عن ارادة لهذه الارادة ، وبمعنى آخر اجبار لنا على ارادتها • لانه لو كانت ارادتنا لها سبب ، وهى ترتبط به ضرورة، فهذا يعنى أننا كنا سنريد هذه الارادة بمجرد حدوث السبب ، وهذا يعنى أننا نريد رغما عنا •

ولكن تشبيه السبب بالارادة مبنى على المفهوم القديم للسبب ، أما فى المفهوم الحديث ، كمـا فى المفهوم الاشعرى فان الاسباب لم تعد لها تلك الهالة الميتافيزيقية •

ولكن الاسباب لها خاصية أخرى • فعن طريق القوانين السببية ، يمكننا التنبؤ الى حد كبير بما سيكون •

وقد كان من رأى بعض الجبريين الماديين أنه لو كان عندنا معلومات كافية عن كل دقائق حيـاة شخص معين حتى هذه اللحظة ، لامكننا التنبؤ بجميع تصرفاته القادمة فى أى حال من الاحوال •

فعلى الرغم من معرفة العـلماء بأن الاسباب ليس لها اى ضرورة منطقية ، الا أن فائدتهـا فى التنبؤ لا تنكر •

فهل اذا امكن التنبؤ بتصرفات الانسـان بكل دقائقها يكون هذا الانسان حرا ؟

لابن عباس رأى فى هذه المسألة حين سئل عن اللوح المحفوظ ، وعن قوله تعالى : « ما أصاب

من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » .

فقال رضي الله عنه : ان الله علم ما كان وما سيكون ، ثم قال لعلمه كن كتابا فكان » .

ويقول رسل : « لو انه وجد جنس من البشر لهم « ذاكرة » للمستقبل ، كما لنا ذاكرة للماضي، بمعنى انهم يعرفون ما سيكون كما نعرف ما كان، فهل يكون هؤلاء احرارا أم لا ؟ » .

وهنا يتساءل : هل الحرية تعني الجهل ؟ وهل اذا عرفت انني سافعل كذا وكذا بملك ارادتي ينقص هذا من حريتي شيئا ؟

ويرى رسل أن من الخطأ أن نعتقد أن من مستلزمات الحرية أن نتصف بالجهل . وان زيادة العلم لا تعني النقص في الحرية ، وانما تعني تفهما أكثر لتصرفاتنا .

وهنا لا بد من توجيه انتقاد لرسل .

اذ أن الاحساس بنقص الحرية نتيجة زيادة العلم ، نابع من أننا حين نعلم بما سيحدث سنعرف أننا سنقوم بأفعال خاطئة، ولكننا عاجزون رغم علمنا بها مقدما عن تغييرها .

ويحضرني في هذا المجال اسطورة أوديب الشهيرة الذي أبلغ بأنه سيتزوج أمه بعد قتله أبيه ، ولم يستطع منع ذلك .

ولكن دفع هذا الاعتراض ليس باليسير . اذ اننا نعرف انه حتى في مثال أوديب ، فانه قتل اباه وتزوج امه بملء ارادته . كذلك فانه على الرغم من أن المرء حين يعلم مقدما باخطائه المستقبلية ، فانه يرتكبها بملء ارادته .

يقول رسل : ان الحرية هي أن تنتج ارادتنا من رغباتنا ، والا تكون مفروضة وقوة خارجية . ومهما كانت أسباب رغباتنا ، فان مسبباتها لا تعني حجرا على الارادات الناتجة عنها .

والنتائج متقاربة ايضا

وكما أن رسل والاشعري قد استندا في معالجتهما على مقدمات متشابهة ، فاننا نرى أن النتائج التي توصلا اليها كانت ايضا متقاربة .

فكلاهما يرى أن الحرية تتلخص في الا تكون هناك ارادة أخرى تجبرنا على اختيار ما لا نرغبه، اي انهما حصرا مفهوم الحرية في العملية الداخلية البحتة للاختيار ، وحاولا فصل مقدمة الارادة ونتيجتها عن الارادة نفسها .

فعند الاشعري لا يهم كوننا خلقنا في بيئة معينة ، وتربينا تربية من نوع معين ، لان الله خلقنا احرارا و « على الفطرة » اي خلقنا .

كذلك فعند رسل الارتباطات السببية التي تحدد رغباتنا غير مهمة ، طالما ان رغباتنا فقط هي التي تحدد ما نريد .

وبالمثل فالاشعري يرى أن الافعال لا يد لنا فيها بل الله يخلقها ، ولكن هذا لا يحد من حريتنا بحال ، فالله يخلق ما نختاره من افعال .

ومثله رسل لا يرى في القيود البيئية التي تحرمنا من عمل ما نريد حجرا على حريتنا ، فالحرية مسالة داخلية بحتة . وهكذا التقى الفيلسوف المادي المتأخر مع الفيلسوف المؤمن المتقدم ، وكان للاشعري فضل السبق ، رغم ان رسل لم يكن يعرف .

وهنا لا بد من الاشارة الى أن رسل رغم عبقريته كان على جهل كبير بالفلسفة الأسلامية ، فقد كان يرى انها نقل كله خطأ عن الفلسفة الاغريقية . ■■

الخرطوم ــ عبد الوهاب احمد الافندي

لاتؤذوه

● خلال مباراة في كرة القدم جلب انتباهي رجل كان يجلس امامي وما برح طوال المباراة ينادي باعلى صوته : لا تؤذوا رقم ٥ ، من فضلكم كونوا لطفاء مع رقم ٥ ، لا ترهقوا رقم ٥ . وفي النهاية سألته عما اذا كان رقم ٥ هو ابنه . فأجاب قائلا : لا ، ياسيدي ، انه الرجل الذي استأجرته لمساعدتي في عملية حصاد المحصول غدا .



طبيب الاسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

جدرى الماء

● ظهرت حبوب حمراء على ولدى الاصغر سرعان ما انتشرت فى جميع اخوانه بالمنزل فهل هو يعدى وهل له مضاعفات؟

ان جدرى الماء Chicken-Pox يسببه فيروس وهو معد جدا فاذا أصاب طفلا عادة فان العدوى تسرى الى كل من يخالطه بعد فترة حضانة تختلف من اسبوع الى ثلاثة أسابيع • والمرض عادة يكون بسيطا ويبدأ بطفح على شكل حبيبات حمراء الا انه احيانا يكون مصحوبا بارتفاع فى درجة الحرارة وكحة والام بالجسم خاصة اذا كان منتشرا على جميع اجزاء الجسم•

١ ـ توزيع الطفح : حيث يظهر اولا على الجسم وبدرجة اكثر كثافة فى الوجه والذراعين بل الساقين فيوجد فى الاجزاء القريبة من البطن والصدر ويظهر نادرا على اليدين والقدمين ، كما أنه يظهر فى ثنايا الجلد اكثر من غيرها •

٢ ـ تطور الطفح : يبدأ الطفح اولا على شكل حبيبات حمراء صغيرة تتحول بسرعة الى قيلة نتيجة امتلائها بسائل مصفر سرعان ما يتحول الى صديد، وعادة تكون فى مجموعات سرعان ما تجف وتذبل الا انه قد يظهر غيرها ، وهذه التحولات عادة تكون سريعة فتستمر ساعات فقط او اياما قليلة حتى تجف وتسقط القشرة •

٣ ـ عمق الطفح : يكون الطفح سطحيا والقشرة سطحية بحيث أنه بعد سقوطها لاتترك اثرا يذكر •

وبالنسبة للتلاميذ فمن الواجب عزل الطفل ، حتى لا يعدى بقية التلاميذ ، ولا بد أن يتم عزله حتى تسقط اخر قشرة من جسمه •

اما مضاعفات المرض فبسيطة اذ يتقيح الطفح احيانا نتيجة العدوى والحكاك مؤديا الى دمامل تحتاج الى علاج اطول ويترك الدمل ندبه اكبر ،ونادرا ما يحدث التهاب دماغى نتيجة ذلك المرض • وليس له علاج خاص ولكن الوقاية وعدم الحكاك والنظافة ضرورية ويمكن استعمال شراب او حبوب مضادات الحساسية اذ كانت توجد حكة زائدة • وكذلك يستعمل مسحوق ملطف للطفح•

قبض الامعاء أو الامساك

● مشكلة عامة ، يشكو منها كثير من الناس، لما تسبب لهم من الانزعاج ، لجأ اكثرهم الى طرق شتى لمعالجتها ، ولكن غالبا ما تكون هذه الطرق غير سليمة ، وكثيرا ما تؤدى الى زيادة الحالة تعقيدا •

اما اسباب الامساك فهى

كثيرة منها :

اولا : اخطاء في تناول الطعام :

كان يكون خاليا من الفاكهة والخضراوات، أو قليل السوائل، او لا يحتوى على الفيتامينات او مهيجا لاغشية الجهاز الهضمي وخاصة الامعاء منها.

ثانيا : ضعف الحركة التقلصية للامعاء :

كان يكون الانسان قليل الحركة ، او مكتئبا أو قلقا ، او كبير السن ضعيف العضلات، او مهملا في تلبية نداء الطبيعة مما يؤدي الى توسع المستقيم والقليفة واضعاف عضلاتهما . او أن يكون مريضا، ولديه ارتفاع في درجة الحرارة واضطراب في افرازات الغدد الصماء - او مصابا بمرض في الجهاز العصبي - او تناول بعض العقاقير التي تعيق تقلصات الامعاء - أو تسمم من بعض الفلزات كالحديد والرصاص .

ثالثا : قلة افرازات الجهاز الهضمي :

بسبب امراض الكبد والمرارة - القيء الشديد - او فقدان السوائل اما عن طريق الجلد او عن طريق الجهاز البولي ، او تناول مواد قابضة .

رابعا : بعض الامراض المؤلمة بالجسم :

مثل البواسير الملتهبة والشرخ الشرجي ،حيث يتجنب المصاب القيام بعملية التبرز خشية زيادة الالم .

خامسا : عدم التعود المنتظم على الاخراج منذ الصغر لاهمال من الابوين ، او عدم نظافة الاماكن الصحية ، فتمنع الطفل من الذهاب اليها .

وتجدر الاشارة هنا بانه ليس كل تاخر في عملية التخلص من الفضلات يعتبر امساكا او قبضا، فهناك اناس يقومون بهذه العملية كل يوم أو يومين او اكثر ، ولكن ما دامت هذه هي عادتهم منذ الصغر ، وما دامت الفضلات طبيعية من حيث الكمية والشكل والنوع ، فليس هذا امساكا ولا علاج لهؤلاء .

العلاج : ينقسم العلاج هنا قسمين :

اولا : علاج حالات الامراض العضوية ان وجدت .

ثانيا : علاج الامساك بالطرق الاتية :

أ - أن يقوم الفرد وبانتظام بتجربة التخلص من الفضلات في اوقات محددة ، ويفضل بأن تكون بعد وجبة الافطار أو الغداء، وأن تمنح هذه العملية المدة الكافية من الزمن بحيث لا تقل عن ١٠ - ١٥ دقيقة

ب - أن يلبي نداء الطبيعة بأسرع وقت ممكن ولا يهمل أبدا في ذلك .

ج - أن يتناول كمية من السوائل ، وشرب كوب ماء صباحا يساعد كثيرا في منع الامساك .

د - أن يتناول كمية معقولة من الطعام ، وخاصة تلك التي تحتوي على الخضراوات والفاكهة والتي يترك هضمها كمية من السليلوز .

وقد وجد أن تناول الخبز الذي يحتوي على كميات كبيرة من النخالة (الردة) يوميا يقلل كثيرا من امراض الجهاز الهضمي .

هـ - ان معظم حالات الامساك يمكن التغلب عليها بالطرق التي سبق ذكرها ،فان لم تعط النتيجة المطلوبة ، حينئذ فقط نلجأ الى العلاج اما باعطاء الحقن الشرجية أو بصرف العقاقير ولا بد هنا من الحذر ، فان تناولها المستمر يكسب الفرد التعود عليها ، ويصبح اسيرا لها ، وقد تفقد مفعولها بعد مدة من الزمن .

عن الغناء الشعبي في المغرب

في كل مرة اكتب فيها عن المغاربة بمجلة « العربي » ، أشعر ــ من أحاديث الناس ورسائل القراء الى ــ كانما اتحدث الى المشارقة عن عالم غريب مجهول !

بقلم :
الدكتور احمد عبدالرحمن عيسى

■ ركبت الحافلة الى حي « سيدي عثمان » ، وهو حي شعبي في أطراف مدينة الدار البيضاء ، حيث حرصت على أن أؤدي صلاة الجمعة في مسجد سيدي عثمان • ولما قضيت الصلاة وانتشر الناس يبتغون من فضل الله ، بدا لي انا وزميل اخر ان نقوم بجولة قصيرة نتعرف فيها على معالم الحياة الجديدة علينا في هذه المدينة العجيبة ، مدينة الدار البيضاء التي جمعت كل مظاهر الحياة التقليدية المتوارثة ، الى جانب ما حفلت به من ارقى معالم الحضارة الحديثة في كل شيء ، في الناس أو الاشياء أو المعنويات •

سرنا نتطلع هنا وهناك بين المساكن الشعبية ، وما كدنا نقطع الشارع الرئيسي من المسجد ، حتى اخذتنا الحان تنبعث مقبلة علينا ، بين غناء شعبي وطبول رقيقة لها رنات تشبه دقات الزار في مصر • فعجبنا وقلنا : حتى الزار سبقنا الى هذه الديار؟ ولم نلبث أن رأينا جمعا من النساء والفتيات والاطفال يلتفون حول عربة يجرها حمار مذعور ، وقد وضعت عليها ملابس جديدة والفشة زاهية وحلوى وسكر « روس » وهدايا اخرى متنوعة • اخذوا يقتربون منا شيئا فشيئا حتى صرنا في وسطهم نتحسس النغم ونحاول ان نفهم الكلام وقد اخذ الطرب بنفوسنا لهذه الالحان التي عهدناها في الموشحات الاندلسية ، وان لم نفهم الا بعض كلمات متقطعة من الفاظ الغناء • سرت فينا هزة الفرح وانغمرت نفوسنا في جو فطري ساذج ، وسألنا : ما هذا الشيء ؟ (على حد تعبيرهم) ! فقالوا لنا : انها شبكة عروس ••• ومضى الركب الملتف حول العربة والحمار مجهد وقائده يجره من زمامه ، وحناجر النساء والفتيات والاطفال ودقات الطبول والزغاريد ووقع أقدام الحمار ، تؤلف جميعها جوقة موسيقية كانما يقودها فنان بارع •

المؤلف والملحن مجهولان

اخذت منذ تلك الساعة أبحث في هذا الغناء الشعبي عند المغاربة ، وفي سر هذه القوة الآسرة التي تدل على مزاج فني أصيل ، فلم أجد الامر غريبا الى حد بعيد ، فالاندلسيون طبعوا المغاربة بروح الموشحات الاندلسية الرقيقة من قديم ، حيث نزحت كثرة ضخمة من الاسر الاندلسية واتخذت المغرب موطنا لها عقب سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس • استوطنت هذه الاسر في الرباط وسلا وسبته وطنجة وغيرها ، وقد وفدت بروحها الفنية في الغناء والموسيقى وفلاحة البساتين وتنسيق الزهور وهندسة المباني ، كما سبق أن اثر فيهم المغاربة كذلك ، واخترعوا الحانا اضافوها الى غناء الموشحات •

ولكن ماذا أعني بالغناء الشعبي هنا ؟ • أعني به غناء العامة الذي لا يدون ولا يكتب ولا يذاع



على الهواء ، وانما هو أهازيج تتناقلها الاجيال من شفة الى شفة ، بل لا تقرؤه فى كتب الادب او صفحات المجلات الا فى القليل النادر ، حصلت على نماذج من هـذه الاغـانى الشعبية عن طريق المشافهة والجهد الذاتي ، ولم يكن فى الامكان أن اخضعها بطريقة من طرق البحث الادبي أو الفني • فلا ندرى من هو المؤلف او الملحن ، أو متى ظهرت هذه الاغاني، ولا كيف انتشرت ، ولا فى اى الاقاليم تزدهر ، ولا فى أيها تقل أو تنعدم • ويبدو أن غناء العامة فى كل شعب من الشعوب ينفرد بهذا الطابع الفطرى ، تماما كالنباتات البرية والاعشاب الجبلية والزهور الصحراوية • اذكر أنى قرات رايا للموسيقار الاستاذ محمد عبد الوهاب يشير فيه الى هذه الظاهرة فيقول : ان اغنية « ياتخلتين فى العلالي يا بلحهم دوا » اغنية مجهولة المنشا فلا ندرى من الفها ولا من لحنها ولا متى ظهرت فى حياة العامة بمصر ، ويقول ان اعجابه بهذه الاغنية لا ينتهى •

نعم اخذ اهتمامى بهذا الفن الشعبي يقودنى حتى عثرت على حوار مكتوب باللهجة المغربية الدارجة عنوانه «الادب فى الغناء» وموضوعه تعليم الغناء وتعلمه • قرات هذا الحوار فرايت فيه عرضا لهذا الفن ، وهو فى الوقت نفسه نموذج للعامية المغربية فيها لهجة اخرى مقلقة تسمى « الهدرة » وهى خليط من لغة الشلوح او الشلحة «انبرايرة» ممزوجة بلغة عربية تشوبها كلمات فرنسية • والحوار الذى معنا هو حوار بين فتاة مغربية وفتاة افرنجية، وحوار آخر بين فتى مغربي وآخر اجنبي • ولا ادرى ما اذا كانت تقاليد « مجلة العربي » تسمح بنشر نص عامى غير فصيح ، ولكنه فى الواقع لا بديل له فى هذا المقام • وهاهوذا النص :

الادب فى الغناء

مريم : يا للا (١) عائشة كا تغنى شى فى داركم، واشكون كا يعلمك الغناء ؟

عائشة : انت بوك كا يفرح بك متين كا يسمعك تغنى ، والفقيهة كا تعلمك الغناء ولعب الكمنجة • وحتى اذا شطحت (٢) ، والديك يفرحوا بك • هذه عاداتكم انتم النصارى • واحنا عاداتنا ما

(١) للا = كلمة تعظيم للمرأة •

(٢) شطحت = رقصت •

كا نغنوا في الافراح والولائم والاعياد ، وكا تكونوا غير العيالات مع بعضياتنا • وحشومة (٣) علينا نغنوا او نشطحوا قدام الرجال واخا (٤) والدينا واخوتنا •

مريم : ما فيكم من يضرب الكمنجة او العود أو البيانو ؟

عائشة : قليل البنت اللي ابوها يخليها تتعلم البيانو ، غير شي ناس تجار سافروا وشافوا في المشرق بنات المسلمين تعلموا الموسيقا واعجبتهم هذيك الحذاقة وبقوا بناتهم يتحذقوا ، والغناء اللي كا يغنوه العيالات ساهل بزاف وهو غير كلام ملحون •فيمصر والمشرق كله النساء كا يغنوا باللغة الفصحى وغناؤهم اشعار •

مريم : دابا (٥) كثير الديار اللي فيهم الماكينة والغناء ، وكيفتدوروا الصحن تقدروا تحفظوا كلامه وتتعلموا غناءه •

عائشة : ايه ! دابا ، فينا اللي كا يعرفوا المصري والتونسي والوزيري والاندلسي ، ومنين كا يخرجوا الرجال من الدار كا يغنوا •

مريم : منين كا يكون عندكم فرح اشكون كا يزهي (٦) الجماعة •

عائشة : كا يجيبوا الشيخات (٧) ومنهم المعلمة كا تلعب بالكمنجة ، والمتعلمات يضربوا الطر والتعارج وهما اللي كا يغنوا ويشطحوا •

مريم : فيمصر العيالات تولعوا بالغناء والشطيح الرومي ، وحتى أنتم يجي وقتكم •

عائشة : الله ينجينا يا مريم ويبعد عنا البلاء• السنة والدين فوق كل شيء (انتهى) •

وهذا الحوار يصور ضمير العامة والاوساط الشعبية في الماضي • اما الان وعلى مستوى الدولة واوساط المثقفين ، فقد بلغ المغاربة مستوى رفيعا من الفن الراقي في الغناء الحديث والتأليف الموسيقي المعاصر •

والحوار الاخر يدور بين فتى مغربي وفتى أجنبي على النحو التالي :

جاك : يا صاحبي عبد الله انا دايما كا نسمعك تغني غناء عربي • ما تولعت شي بالغناء الرومي•

عبد الله : دابا ، عندنا الولاعة هي الموال المصري ، وقليل من المغاربة اللي كا تعجبوا الموسيقا الرومية •

جاك : الغناء المغربي بغيت تسمعه •

عبد الله : غناؤنا فيه انواع : عندنا كلام ملحون تسمعه عند الشيخات والشيوخ والقصايدي كا يضرب الكمنجة او الكنبري وكا يحفظ بلفة دا القصايد ، ولكن ما كان يضرب شي مزيان بالكمنجة•وعندنا الاندلسي كا تسمعه عند العوادين هم اللي كا يحسنوا الصنعة الرباعة كا يكون فيها معلم يلعب بالرباب ، وزوجمعلمين يلعبوا بالكمنجة وزوج او ثلاثة يضربوا العود والطرار وفيهم اللي يقول الموال • منين كا يكرن يقول الموال تما يلونوا المعلمين يلعبوا بالمواعن باللاتي ، ومن يقاضي من الموال يخرجوا بالشغل ويغنوا كلهم في مرة واحدة يسموا هذيك الرباعة الآليين •

جاك : الموسيقا عند المغاربة ما هي شي مكتوبة بالنقط بحال الرومية ، وكيفاش يتعلموها ؟

عبد الله : كا يحفظوها بالسماع ، اذا تولع شي واحد ، يبدا يحفظ على المعلمين ويتعلم يضرب العود او الكمنجة لراسه ، ويسموه مولوع • ومنين يعرف مزيان يدخل في شي رباعة • ويبدا يغني في الاعراس ويعيش بهذيك الصنعة •

جاك : سمعت شي بهذيك المدرسة في سلا ، اللي كا يعلموا فيها الموسيقى المغربية ، مديرها فرنساوي وفيها شيوخ وتلاميذ مغاربة •

عبد الله : مزيان ذاك الشيء ، لكن احنا باقيين ما نعتنوا بالموسيقا ؛ كا تعرف حشومة عندنا على الولد يغني قدام بوه أو خوه الكبير وحتى قدام الناس الكبار الاخرين • وعيب على الرجل يغني قدام اولاده • والناس الخيرين يستحيوا يغنوا ، وكا يقولوا الغناء يطير الحياء والوقار • في الافراح منين يكونوا الناس غير يتصنتوا الغناء ، ما كا يجلسوا شي الصغار مع الكبار ، هنو في صالة ، وهنوك في صالة • وذاك الشيءسببه الوقار (انتهى) •

هذه النماذج الشعبية من الغناء حينما استعرضتها رأيت فيها صورا من الحياة الاجتماعية على الطبيعة، فهي ـ كما أرى ـ ليست معاني هائمة وانما

(٣) حشومة = عيب •
(٤) واخا = خصوصا •
(٥) دابا = الآن أو حالا •
(٦) يزهي = يطرب ويؤنس •
(٧) الشيخات = المغنيات • وكل هذه الالفاظ لهجة مغربية • وكذلك كلمة بزاف ومعناها :كثير•

هي ملامح معبرة ، فيها شوق الحياة وواقعية الصدق . ولعل طابع الدراسة الجادة يقتضي منا ان نركزها على النحو التالي :

١ ـ أغاني الدراويش

وهي اغان راقصة مصحوبة بحركات تمثيلية تتسق مع نغمات الاغنية ، وهي كثيرة متواترة بين زوايا الصوفية وخلواتهم واتباعهم من المريدين . من ذلك هذه الاغنية الدرويشية التي يتغنى بها جماعات الدراويش في المهرجان الموسمي لاحد شيوخ الزوايا في مكناس :

سيدى أبـا سيدى
يا معمر الجبال الخالية
قطابة أبـا سيدى
كيف العنقود في الدالية
أسنان أبـا سيدى
كيف الجوهر جابوه التاجرين
صبعان أبا سيدى
كيف الاقلام في يد الكاتبين
صدرك أبا سيدى
كيف الالواح في يد الطالبين

فهم يناجون « شيخهم » بانه ابوهم وسيدهم ومعمر الجبال وباعث الانس والبهجة فيها ، وان القطابة ـ وهي خصلة شعره المرسلة ـ تتدلى كعنقود العنب الاسود في الكرمة ، واسنانه كالجواهر ، واصابعه كالاقلام الرشيقة ، وصدره عريض مصقول ملىء بالحكمة كالواح الكتابة التي يتعلم فيها الصبيان .

٢ ـ أغاني المقاومة

وقد لعبت هذه الاغاني الشعبية دورا خطيرا في تعبئة الشعب ايام المقاومة المسلحة ضد الفرنسيين والاسبان حيث كان المستعمر غافلا عنها ومتتبعا لشعراء الفصحى ليلقى بهم في المنفى امثال علال الفاسي والمختار السوسي وعبد القادر حسن ، ولكن الادب الشعبي كان بمنجاة من هذا ، كان يطير مع الهواء فيتنفسه الشعب ويتغلغل في وجدانه دون قراءة ولا كتابة ، وانما بطريق الرواية والسماع ، وهذا شيء لا تصل اليه يد المستعمر . وهكذا كان الشعب يتغنى باغانيه ويقول :

يا خوى ، يا خوى
الاستعمار عذب قلبى
قوموا وكافحوا يا شبان
رجعوا مجد العربان

ومن الاغاني التي كانوا يناجون بها انفسهم وراء محمد الخامس في منفاه :

متى مشيتى سيدى ، متى مشيتى
والنار شاعلة في قلبى
وراك جبتى سيدى ، وراك جبتى
بارادة ربى !!
سيدى محمد
سيدى محمد يا أميى
يا بو جلابه
يا بو جلابه حرير
الله ما يبغيك
اللى ما يبغيك يا أمي
تبقى داره
تبقى داره خاويه

٣ ـ أغاني المطر

وهم مدينون للمطر بحياتهم ، يفعل الغيث بهم فعل السحر حينما يصب ميمونا بالخير ، ترى تقلب وجوههم في السماء وانطلاق حناجرهم بالاناشيد :

السنبلة عطشانة
غثها يا مولانا
السنبلة في الكسكاس
غثها يا ابن العباس

او يغنون بهذا الدعاء :

يا ساقى الارض المطر
اسقنيا شيء من قطر
اسقنا شيء من قطر
نأتى به يوم الفطر
اسق البرابر البتر
واسقى جميع القطر
يا ساقى الارض المطر

فاذا ارسلت السماء عيونها بالغيث استقبلوه وهم يغنون :

اشتى تاتا تتا
أصبى صبى صبى
آولدتى فى قلبى
أباك اداه الربيع

ويجرى الصبيان والاطفال وهم يمرحون ويغنون :

النــو صبت صــب
ايجــي أمــي والاب
كا يغطــوني بالزربي

٤ ـ أغاني عمال المباني (الفاعل)

ولعمال المباني في كل بلد اغان يستعينون بها على كدحم وهمومهم ويمدون في صبرهم على المشاق ، وهي اغان جماعية تختلف من بلد الى بلد ، وتصبغها البيئة الخاصة بالوانها • ومن اغاني هؤلاء العمال المغاربة :

يـا راعـي الجمـال
هـات جمـالك يبـاتو
اذا أخطــاك الـزين
(طامـو) هي مولاتـو
(طامو) طبع السكين
كيف ! نشاها مولاهـا
بالـذهـب والفضــة
باش كسـاها كسـاها

يقصدون : يا راعي الجمال هات جمالك تبيت عندنا ، واذا لم تجد الانس والجمال ، فانك واجده في المراة الجميلة (طامو) فهي مطبوعة على الرقة واللطافة مثل السكين التى كساها مولاها بالذهب والفضة • ومن اغانيهم ايضا :

اجـرادة مالحـــة
فـين كنت سارحــة
واش كلت وشربت
غير كفــاح ابــاح

وهي اغان غزلية عاطفية فيها دعاء نفسي للحبيب المجهول • ومثل هذه الاغنية :

يا طـير الحمـى يا طـير
وقتــاش - تتغيــب
ابغيت أوصيـك وصايــة
قـرب وزيـد لحـداية

او يتحاورون بهذه الاغنية :

ايش أداني ولا مشيت غير نظرة من عيونه
باش بلاني وكواني ، زلقت رجلى وزادت عيني

هما الاثنين أسباب في ما الكية
خلى القلب شاعل فيه نار قوية
ناديته من بعيد قلت له يا شاغل بالي
ما بغيت فيك غير بترد جماري
نده على وقال لى أنا مالي

احين شكيت اضراري ما سمع شكايا
ما فكر في وقال لي من انتا يا
هو الدوا يا طبيبي ايش اداني

٥ ـ التغني بجمال الطبيعة

قال احد فلاسفة الغرب : «مراكش ـ بلاد المغرب ـ تلك البلاد الخفية الاسرار ، التي يشبه وجودها الحاضر مقدور الابد في الغموض والاشتباه »ولعل هذه القول ينطبق أكثر ما يكون على مظاهر الطبيعة في المغرب فاسرار هذه الطبيعة تكمن في روعتها التي تفوق امهر سبحات الخيال ، ولعل خفاء اسرارها يتمثل في الدهشة التي تاخذ باقطار النفس البشرية حين تفجؤها دفعة واحدة معالم هذا الجمال القاهر الجبار ، ففنون هذا الجمال تتفاوت في كل لوحة من لوحات هذه الطبيعة بين البساطة والسذاجة وبين العمق الضارب في أعماق الامم الذاهبة واعماق التاريخ الراهب الوقور •

وقد تغنى شعراء المغرب بجمال الطبيعة في بلادهم• ولذلك مجال اخر ، فنحن هنا في مجال الاغاني الشعبية فمثلا •• مصيف ايفران وسط غابات الارز على ارتفاع ١٧٠٠ متر فوق جبال الاطلس المتوسط ، هذا المصيف العجيب تتردد عنه الاغاني الشعبية كهذه الاغنية :

ما أحلى « افران » ما أحلى جماله
ما أحلاها عيشـة ما بين أغصـانه
وعدني حبيبي وكمـل ليـا
رجـايا في غابـة افـران

وفي هذا المجال يتغنون بالمدن التاريخية مثل مدينة طنجة :

طنجـة يا العاليـة عاليـة
بأسـوارهــا هــاو لــله
الا لا يلاللـي ، الا لا يلالـي
أو مدار عليـك حبـي وباقـي
دوك العيــون الكحــل
همــا واماالهـم هــاو لــله

٦ ـ غناء المهد

والحديث عن الغناء ذو شجون وشئون ، وجو الكلام فيه يرق ويتسلسل وتتعلق به الاسماع وتهفو اليه النفوس حدثني احد المغاربة أن لهم غناء جميلا خاصا بمهد الطفل تغنيه النساء ، وبخاصة الجدة العجوز التى فرغت من اغراض الحياة

وحاجات ..حياه وقبعت تربى الاطفال وتناغى « الكتاكيت » . ومن عاداتهن ان القابلة عندما تتهيا لاستقبال « المولود » تجلس معها سيدة اخرى بين يدى « الوالدة » وهي في مخاض الولادة ، وتغنيان معا :

يا سيدى العباس
يا مخلص النفاس
غث بنت الناس
يا ولى الله

وهذه سذاجة خرافية طبعا ، فسبحان من يخلص روحا من روح ، تتهمك القابلة في استقبال الكائن الطازج وهي تغنى وترد عليها الاخرى . وان كان هذا اصبح مقصورا على بعض الجهات في البادية المغربية خارج المدن .

ومن عاداتهم في الرضاعة ان الطفل اذا زهد في الرضاعة أو غاض لبن امه ، واصبحوا امام مشكلة ، كان عليهم ان يبحثوا لها عن حل .هذا الحل انهم يبحثون عن طائر يسمى « طير الليل » ويأتون به للام لكي ترضعه فيجرى لبنها ويفيض للطفل . وهذه في الواقع عملية نفسية تقدم على الايحاء ، فطير الليل هذا لا ندرى كيف يرضع من ثدى الادمية . هذا الى جانب عمليات اخرى تقوم على السذاجة والاعتقاد في الخرافات التى قضى عليها الطب الحديث ، فهم يزورون « السادات » ويفتحون « الكتاب » ويطلقون « البخور » لكي يعود الطفل الى الرضاعة او يتفجر له لبن الام . ولله في خلقه شئون .

وغناء المهد لحن جميل عذب تغنيه الام او الجدة البتول لكى يستنيم الطفل فينام ، تقول التى تغنى لصاحب المهد :

رارا يا لبارى يا سكات الدرارى
تخلى لى سيدى أحمد باش نرارى
راريت بك وطار الحمام
وعلا على قبة فاس
هذا سيدى أحمد
كالمسيلة في الكاس

والموال المغربى ينبع من ضمير الشعب هناك ويصور نبضاتهم التى تدل عليهم وتميزهم . والمواويل عندهم غزيرة ، ولكنا نكتفى بان نعرض هذا الموال :

من بناتى يحسبنى من أهل الكرايم
من بغضنى ما يعد لى غير شتايم
رسمت قصيدة منسوجة في قرطاس
بخط عجمى واللغة فيه نغايم
كغزالة حضرية من بنات أهل فاس
معانقة ثى عبد قناوى م الصمايم
اش من عار عليكم يا رجال مكناس
جيت داركم في حماكم يا أهل الكرايم
سبتى وهلاكى الامان فى ابن آدم

ويمتاز هذا الموال بالرقة وبعد الخيال ، ويشير الى الرابطة العريقة بين شعوب الوطن العربي ، وذلك بالربط في العواطف الوجدانية بين « قنا » في مصر و « فاس » في المغرب .

ما نرقدهم ولا تتشوش
ولا نرقد في قلبى
الهموم تتصرف
دابا يفرج ربى
صباحك يا وليد ورواحك
مائة ناقة في مراحك
مائة عبد تسوقها
ومائة خادم تحلبها
وأنت يا ولدى تاكل زبدتها .

★ ★ ★

من درى ، الحال يصبح
وتهود الشمس لنا
من عاش لا بد يفرح
وتزول عنه الغبينه
نوصيك يا واكل الراس
في البير ترمى عظامه
اضحك والعب مع الناس
وفمك در لجامه
يا غربتى عدها لاهلى
مش زمانى خساره
يا غيبة الورد الاحمر
في البر عند النصاره
يعطى للعدو ما يهده
والدمعة تهرى خدوده
يمشى وما يصيب من يقوده
رارا يا وليدى راريت عليك بالطاسه
اللى ما يبغاك تجيه رصاصه !

وبعد .. فهذه باقة من الغناء الشعبي الذى يسمع ولا يكتب ، ولعله الوجه الضاحك في الفولكلور المغربى الذى تتعدد روائعه . ■■

د . أحمد عبد الرحمن عيسى

خلافاً لرأى فرويد

مشكلاتك النفسية

تمر بثماني مراحل



بقلم : محمود محمود

من علماء التحليل النفسى الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية أريك أريكسون ، وله نظرية في تكوين الشخصية يعارض بها ما كان يتجه اليه فرويد من أن هذه الشخصية تتخذ صورتها الاساسية فى عهد الطفولة ولا تتغير بعد ذلك مهما طال العمر ، يقول أريكسون ان المرء يمر فى حياته بعدة مراحل ، وكل مرحلة من هذه مراحل لها مميزاتها النفسية التى تؤثر فى تكوين الشخصية ، وان الشخصية على ذلك فى تطور مستمر ٠ وتلاقي نظرية اريكسون هذه اليوم ترحيبا فى أكثر الجامعات والاوساط العلمية في أمريكا ٠

وهو يقسم حياة الانسان الى ثماني مراحل بالنسبة للمشكلات والصراعات النفسية التى يتعرض لها الفرد ٠ ومن التغييرات التى ادخلها اريكسون في قاموس علم النفس وشاع استعمالها في الاوساط العلمية المعنية « أزمة الشخصية » وقد كان يعنى بها مرحلة المراهقة التى يشتد فيها الصراع النفسى فى هذه الفترة من حياة الفرد، وقد عرض اريكسون في وضوح شديد المشكلات الفذة المعقدة التى يجابهها المراهقون والشابات ، ودحض بحجة قوية النظرية التى كانت تعزو الى الطفولة وحدها كل مقومات الشخصية التى يتميز بها كل امرىء فى مستقبله ٠

ومن الحق أن نقول أن اريكسون لم يخالف نظريات فرويد كل المخالفة ذلك ان فرويد ـ وان كان قد ابرز بقوة تاثير الجنس فى حياة الانسان، لكى يزيل بذلك المخاوف التى تنتاب المرء عند الحديث عن الجنس ودوافعه مما كان يؤدى فى كثير من الاحيان الى الامراض العصبية المستعصية ـ الا أنه لم يهمل كل الاهمال عنصر « الذات » او « الانا » الذى عزا اليه كذلك كثيرا من اتجاهات الافراد وما يظنونه بانفسهم وبالعالم الذى يحيط بهم ٠ أما أريكسون فكاد أن يغض الطرف عن دوافع الجنس ويصب كل اهتماماته على التطور النفسى الاجتماعى « للذات » ٠ وعلى هذا الجانب من حياة الانسان بنى أريكسون نظريته فى تطور الشخصية٠

وقد عززت وجهة نظره تلك الفترة التى قضاها بين الهنود الحمر فى امريكا ولاحظ ان اهم المشكلات العاطفية التى يعانيها الهندى هو شعوره بانفصاله عن بيئته الاجتماعية وانعدام التواصل بين حياته الحاضرة وما ينقله اليه التاريخ من العلاقات القبلية القديمة ٠٠ والهندى اليوم لا يشكو انفصامه عن

ماضيه فحسب ولكنه لا يستطيع كذلك أن يرسم لنفسه صورة المستقبل التى يقتضيها استيعابه لقيم العنصر الابيض الذى وفد على امريكا ، ان المشكلات التى يصادفها الرجل منهم تتعلق بنموه الذاتي وبثقافته ولا تدخل فيها الدوافع الجنسية التى اكدها فرويد الا بصورة ضعيفة ، وقد زادمن ايمان أريكسون بالعنصر الاجتماعي ــ دون العنصر الجنسى ــ فى تكوين الشخصية ما لمسه فى الجنود المحاربين الذينكانوا يصابونبحالات نفسية متعسرة أثناء الحرب العالمية الثانية : هؤلاء الجنود كانوا فى حالة من الضياع لا يدرون من هم ولا ما هم ، وكان اهم ما يعانونه هو فشلهم فى التوفيق بين نشاطاتهم واتجاهاتهم ومشاعرهم كجند فى الجيش والنشاطات والاتجاهات والمشاعر التى كانوا يمارسونها قبل الحرب ، واذن فان المصاعب التى كان يتعرض لها المصابون الذين يعرضون عليه للعلاج مما يكبتون فى انفسهم او مما يصطرعون فيه ــ لم تكن جنسية فى طبيعتها بقدر ما كانت « اضطرابات فى الشخصية » كما قال .

٨ مراحل لحياة الانسان

وقد ترتب على الخبرات المباشرة التى جمعها اريكسون ثلاثة اتجاهات فى علم النفس ، اولها أن المرء يمر بمراحل نفسية اجتماعية تؤثر فى تطوره الذاتي وفى نظرته الى المجتمع ، وذلك الى جانب المراحل الجنسية التى اذاعها فرويد ، والاتجاه الثانى هو أن تطور الشخصية لا يقف عند سن المراهقة بل يستمر خلال دورة الحياة كلها . ثم ان كل مرحلة يمر بها المرء لها جانبها الايجابى كما أن لها جانبها السلبى .

وهذه المراحل النفسية الاجتماعية فى حياة الانسان يحصرها أريكسون فى ثمانية عناصر ، يتميز كل منها ببعد جديد من « التفاعل الاجتماعى » ــ وهو بعد ، يمس تفاعل المرء مع نفسه وتفاعله مع بيئته الاجتماعية .

وتتميز المرحلة الاولى من حياة الانسان ــ وهى لا تزيد عن عام واحد ــ بتحديد مدى ما يضعه الطفل من ثقة فى نفسه وفى غيره من الناس وفى العالم بوجه عام ، وقد يبلغ فى ثقته حدا لا نهاية له ، وقد يفقدها فقدانا تاما ، ويتوقف ذلك على نوع العناية التى يلقاها فى السنة الاولى من حياته . فالطفل الذى تلبى جميع احتياجاته والذى توفر له الحياة الناعمة ، والذى يدلله أبواه ، ويجد من يتحدث اليه ومن يشاركه اللعب ،يتصور العالم مكانا امنا والناس اهلا للثقة . اما اذا كانت العناية بهذا الطفل ناقصة ، وكان يلقى صدودا عنه فى مختلف المواقف فانه يرى الناس غير جديرين بالثقة ، ويتكون لديه نوع من الخوف ومن الشك فى تعاون الناس معه ، وتستمر هذه المشاعر عنده بعد ذلك فى ايامه المقبلة .

ولكن أبادر هنا بالقول بان اكتساب الثقة او فقدانها لا يتكون فى السنة الاولى من حياة الطفل بدرجة من الثبات يتعذر معها تغيير الاتجاه، فالطفل الذى يلتحق بالمدرسة بشىء من الاحساس بعدم الثقة قد يتعلم على يدى مرب ــ أو مربية ــ يحوطه بعطف يدعوه الى التحول عن وجهة النظر الاولى . كما أن الطفل الذى يجد فى سنته الاولى ما يدعوه الى الثقة فى العالم وفى الناس قد يفقد هذه الثقة اذا جد فى حياته الاجتماعية جديد ، كان يشتد الخلاف بين أمه وأبيه ويتم بينهما طلاق بائن .

وتشتمل المرحلة الثانية من حياة الطفل على السنة الثانية والسنة الثالثة من عمره وفيها يتحدد مدى اعتماد الطفل على نفسه ، ويرجع ذلك الى القدرات الحركية والعقلية التى تستجد فى حياته . وفى هذه المرحلة من العمر يستطيع الطفل أن يمشى وأن يتسلق ، وأن يفتح المغلق ويغلق المفتوح ، وأن يجذب وأن يدفع ، ويمسك فى قبضته ويطلق من بين يديه،وهو بهذه القدرات الجديدة فخور ، ويحب أن يعمل بنفسه كل شىء ، يحاول أن يطعم نفسه وأن يكتسى بنفسه حتى ان كان ذلك بغير اتقان وبكثير من الخطأ ، واذا اقره ابواه على ذلك ــ ولو الى حد ما ــ تكون لديه اعتقاد بانه قادر على التحكم فى عضلاته ، وفى دوافعه ونفسه وبيئته ــ اى أنه قادر على ان يحكم نفسه حكما ذاتيا .

اما اذا كان أولياء امره لا يصبرون على سقطاته ، ويؤدون له ما يستطيع اداءه ، فانهم بذلك يربون فيه الاحساس بالشك والخجل . ان الوالد قد يزجر ولده فى موقف ما ويتقبل الولد هذا الزجر لانه على درجة من الوعى يميز فيها بين الخطأ والصواب . أما أن يصر الوالد على حماية الولد حتى حينما يكون ذلك بوسعه ، وأما أن يصر الوالد على لوم الطفل كلما هفا (حينما

يسقط منه كوب من الزجاج فينكسر ، وحينمـا يتدفق منه اللبن رغما عنه ، وغير ذلك من المواقف التي تتكرر في حياة كل انسان) فانه انما يخلق بهذا السلوك لدى الطفل شعورا بالخجل من الناس وشعورا بالشك في قدرته على التحكم في نفسه وفي العالم المحيط به .

واذا خرج الطفل من هذه المرحلة من مراحل العمر بكم من الخجل والشك وقليل من الاعتماد على النفس كان لذلك اثر بالغ فيما بعد في قدرته على التحكم في نفسه ابان المراهقة والشباب. اما الطفل الذي يكتسب في هذه المرحلة شعورا بالقدرة على التحكم الذاتي الذي يتغلب به على شعوره بالشك والخجل فانه انما يعد نفسه لحياة مستقبلية أساسها الاعتماد على النفس . على أن هذا التوازن بين التحكم في النفس من ناحيـة والشك والخجل من ناحية أخرى قد يتغير سلبا او ايجابا وفقا لما يقع للفرد من احداث بعد ذلك.

حتى تتغلب روح المبادرة

وحينما يبلغ الطفل الرابعة أو الخامسة، ويدخل في المرحلة الثالثة من عمره ، وهي الفترة التي تسبق عادة التحاقه بالمدرسة ، نجد انه قد صار قادرا على التحكم في اعضاء جسمه ، فهو يستطيع ان يركب الدراجة ، وان يجري ، وان يصيـب الهدف . ومن ثم فهو يستطيع ان يبادر بانشطة حركية مختلفة يقوم بها من تلقاء نفسه ، ولا يكتفي برد الفعل أو بتقليد حركات غيره مـن الاطفال ، والامر كذلك بالنسبة لقدرته اللغوية وتصوراته وبناء على ذلك فان اريكسون يقـول عن البعد الاجتماعي الذي يظهر في هذه المرحلة انه يتذبذب بين طرفين : المبادرة في طرف والاحساس بالخطأ في الطرف الآخر .

ولكي تتغلب روح المبادرة على الاحساس بالذنب في هذه المرحلة من العمر يجب على الوالدين أن يستجيبا بالتشجيـع للنشاطات التي يبـدي فيها الطفل نزعة الى المبادرة، فلا يصدانه عن اشتراكه في الالعاب الحركية كالجري وركوب العجلـة والمصارعة وغير ذلك مما ينطوي على شيء من المغامرة ، وعلى الوالدين كذلك ألا يسفرا من الطفل اذا توجه اليهما بسؤال فيه شجاعة فكرية اما اذا قال الوالدان لولدهما أن حركته سيئة وان أسئلته سخيفة وأن الالعاب التي يمارسها لا تنم عن ذكاء فهما بذلك يربيان فيه الاحساس بالخطأ في كل ما يقوم به من فكر أو عمل وقد يلازمه هذا الاحساس مدى الحياة .

اما المرحلة الرابعة من العمر فتمتد من السنة السادسة حتى الحادية عشرة ، اي فتر المدرسة الابتدائية ، وهي الفترة التي يضمر فيها الطفل حبه لامه ومنافسته لابيه او تبدي فيها الطفلة حبها لابيها ومنافستها لامها ، وهي كذلك الفترة التي يستطيع فيها الصغير استنتاج النتائج من المقدمات والتي يستطيع فيها ايضا ان يلعبوان يتعلم وفقا لقواعد العلم او اللعب . ويزعـم اريكسون أن البعد النفسي الاجتماعي الذي يبرز في هذه الفترة هو شعور الطفل اما بالاجتهاد والمثابرة واما بالنقص وعدم القدرة على ملاحقة المثابرين.

في هذه الفترة من العمر يهتم الطفل بالكيفية التي تصنع بها الاشياء ، والتي تتحرك بهـا ، والوظيفة التي تؤديها ، ومن ثم كان الاجتهاد سمة هامة من سمات هذه المرحلة . ونستطيع أن نشبه هذه المرحلة بالدور الذي قام به روبنسون كروزو حينما ألفى نفسه وحيدا فوق جزيرة مهجورة ، كان على روبنسون كروزو أن يجتهد وكان عليه أن يفكر في أدق التفصيلات في كل عمل يقوم علـى اداته بنفسه ، واذا نحن شجعنا في الطفل الجهد الذي يبذله في اداء او بناء أو صنع اشياء عملية (كنماذج الطائرات او بناء المنازل او الطهو أو التطريز) واذا نحن سمحنا له بانجاز ما يشرع فيه ، واذا نحن اثنينا على ما يصنع وكافأنـاه عليه حثثناه بذلك على الاستمرار في الاجتهاد والمثابرة على العمل . اما اذا نحن نظرنا الـى مايعمل الطفل على انه عبث ليس وراءه طائل فاننا بذلك نخلق في نفسه شعورا بالنقص .

عندما يبلغ الطفل السن التي يلتحق فيهـا بالمدرسة الابتدائية يتسع عالمه ليشمل نطاقا اوسع من بيئته ، ومجتمعا أكبر من اسرته . فالمدرسة تلعب دورا هامـا لايجاد التوازن بين الاجتهـاد والشعور بالنقص ، وكذلك يفعل آخـرون من غير افراد اسرته .

عن أزمة الشخصية

ثم يأتي بعد ذلك دور المراهقة وما يلازمه من من أزمة في تحديد هوية المراهق ، وتقع هـذه الفترة على وجه التقريب فيما بين سن ١٢ وسن

١٨ سنة وهي الفترة التي يقضيها الطالب في المرحلة الثانوية ، يقول علماء التحليل النفساني أن المراهق يقع حينئذ في مشكلة تحديد موقفه من اسرته ، ويتحول عنده الارتباط الاسرى من صلته بوالديه واخوته الى رغبة في مصاحبة رفيق من سنه يشاركه او يشاركها الوجدان • وينبهنا اريكسون الى ان المشكلة الاسرية هذه ليست وحدها ما يصطدم به المراهق ، فهو ـ فوق ذلك ـ ينضج عقليا وبدنيا ، وبالاضافة الى المشاعر والاحساسات والرغبات الجديدة التي يحسها نتيجة لما يطرأ عليه من تغيرات بدنية ، يكون لنفسه طرائق جديدة في النظر الى العالم والتفكير فيه• يفكر فيما فكر فيه السابقون ويكون له فيه رأى خاص ••• ويتصور اسرا مثالية ، وعقائد ومجتمعات افضل مما وقع له في خبرته • ومعنى ذلك ان المراهق يمسى قادرا على بناء نظريات وفلسفات يجعل منها كلامتوافقا يزيل به المتناقضات التي يراها في المجتمع ، او على الاقل يتمسك بفلسفة وضعها احد المفكرين يشبع بها رغبته في وضع العالم في منظومة متسقة ، اى ان المراهق مثالي يحسب أن تحقيق المثل الاعلى أمر ميسور مثل تصوره •

ويرى اريكسون ان هذا البعد الجديد في تطور الشخصية يؤدى بالفرد اما الى تحديد هويته واما الى وقوعه في اضطراب شديد ، فهو يحاول ان يجمع كل ما تعلمه باعتباره ابنا وطالبا ولاعبا وصديقا وعاملا في أحد المجالات في كل واحد له معناه وله صفة الاستمرار ، فان استطاع ذلك حقق هويته النفسية ، أين هو والى أين ؟

ويصبح تأثير الوالدين في هذه المرحلة غير مباشر بعد ان كان مباشرا وفعالا واذا بلغ الصبى مرحلة المراهقة ، وقد بث فيه والداه روح الثقة والاعتماد على النفس والمبادرة والمثابرة افلح في تحديد هويته ، وعكس ذلك بالضرورة صحيح ، واذن فالاعداد لمراهقة ناجحة وبلوغ الاحساس بالذاتية النفسية الاجتماعية يجب أن يبدأ والطفل لا يزال في المهد •

واذا قضى المرء طفولة يائسة او مر بظروف قاسية فلم يستشعر في شبابه هويته الشخصية ظهر عليه الاضطراب ، وكانه لايدرى من هو والى من ينتمى وقد يسلك سلوكا لا يتفق مع ما تعلم من قيم ، او قد لايحقق مارسمه له أبواه • ولان ينحرف الفتى ويكون له في الحياة رأى خاص خير من أن يكون عديم الشخصية •

حتى خريف العمر

والمرحلة السادسة من العمر هي التي يبلغ فيها المرء سن الرشد ، وهي السن التي يجد لنفسه فيها زوجا ويشرع في تكوين اسرة جديدة، وهي فترة تستمر حتى منتصف العمر ، ولا يزودنا علماء التحليل النفسي بجديد عن نفسية الانسان في هذه الفترة ، اما اريكسون فيرى أن ما تحقق للفرد فيما سبق من تحديد ذاتيته واشتراكه في عمل مثمر مما تتميز به هذه الفترة يعطينا بعدا جديدا من الالفة من ناحية او العزلة من ناحية أخرى •

ولا يقصر اريكسون الالفة على ممارسة الحب وانما يعنى بها كذلك القدرة على مشاركة شخص اخر او العناية به دون أن يخشى على نفسه الضياع في هذا الاتصال • ونجاح المرء او فشله في حالة الالفة لايتوقف ـ كما كانت الحال في مرحلة تحقيق الذات ـ على الوالدين بطريقة مباشرة وانما يكون ذلك بطريقة غير مباشرة وبمقدار ما اسهم به الولدان في انجاح تكوين شخصيته فيما مر به من مراحل العمر السابقة وهنا ايضا ـ كما هي الحال في مرحلة تحقيق الذاتية ـ قد تكون الظروف الاجتماعية عونا او عائقا على تكوين الاحساس بالالفة،والالفة كذلك لاتتوقف على العلاقة الجنسية وحدها ، وانما هي تشمل ايضا العلاقة بين الاصدقاء ، فالجنود الذين حاربوا معا في ظروف خطرة كثيرا ما يتكون لديهم الاحساس بالالتزام نحو الزملاء ، التزاما تتمثل فيه الالفة بأوسع معانيها ، واذ لم يحس الفرد بالالفة مع الزوج او الاصدقاء أدى ذلك الى انعزاله ، والى وقوفه في الحياة وحيدا لايجد من يعاطيه او يضفى عليه عنايته •

ثم تأتى المرحلة السابعة في حياة الانسان ـ وهي منتصف العمر ـ حينما يتحقق للفرد بصورة كاملة استقلاله عن والديه ، وفي هذه المرحلة نلمس بعدا جديدا في حياة الانسان يتذبذب بين الاهتمام بالاجيال القادمة من ناحية وبين الاستغراق في المصالح الذاتية من ناحية اخرى ، أو بين ان يمد المرء اهتمامه الى أبعد من اسرته ومن زمانه وينظر الى طبيعة المجتمع والعالم الذى تعيش

فيه الاجيال القادمة ، ويحاول أن يجعله مجتمعا افضل وعالما امثل • اما هذا واما الاستغراق في المصلحة الذاتية والاهتمام بالمتطلبات وأسباب الراحة الشخصية •

ثم تحل المرحلة الاخيرة من عمر الانسان ، وهي المرحلة الثامنة ، المرحلة التي توشك فيها جهود المرء ان تصل الى غايتها لكي ينظر اليها كماض ويحكم على نجاحها او فشلها ، والمرحلة التي قد يكون للمرء فيها أحفاد ينعم بهم • والبعد النفسي الاجتماعي الذي يبرز في هذه السن يتسم بالاطمئنان من ناحيه او الشعور بالقنوط من ناحيه اخرى ، وينشا الاحساس بالطمانينة من قدرة الانسان على ان ينظر الى ماضي حياته بدرجة كبيرة من الرضى • اما ذلك واما احساس المرء بان ماضيه لم يكن الا سلسلة من فرص لم يغتنمها واتجاهات لم يسايرها ، فيدرك في خريف عمره انه لم يعد بالامكان ان يبدأ من جديد ، والنتيجة الحتمية لن يساوره هذا الاحساس هي الشعور باليأس من تحقيق ما كان بالامكان تحقيقه في عهد مضى •

محاولات تطبيق النظرية

هذه هي المعالم الكبرى للمراحل الاساسية في حياة الانسان كما وصفها اريكسون • وهذا الاتجاه الجديد الذي يقسم بمقتضاه اريكسون العمر الى مراحل له أهمية قصوى بالنسبة الى الآراء القديمة الخاصة بتطور الشخصية ، والاضطرابات العاطفية عند الكبار • لم يقف أريكسون في تشخيصه لتطوير الشخصية عند حد الطفولة ، فلقد رأى ازمات عاطفية تتميز بها كل مرحلة من مراحل العمر بما فيها الكهولة والشيخوخة ، ومعنى ذلك أن الطبيب النفساني يعالج المشكلات العاطفية عند مرضاه باعتبارها اعراضا يمكن الشفاء منها وليس باعتبارها رواسب من صراعات الشخصية وما صادفها من خذلان •

وهذه النظرية الخاصة بنمو الشخصية تعفي الآباء من بعض ما يقع على عاتقهم من مسئولية تنميتها تنمية صالحة ، وتضع في اعتبارها الدور الذي يلعبه الفرد نفسه والمجتمع في تكوين الشخصية كما أن اريكسون ـ فوق ذلك ـ يبعث فينا الامل حينما يعزو الى كل مرحلة من مراحل النمو عوامل قوة وعوامل ضعف ، ويقول ان الفشل في مرحلة ما يمكن تصحيحه في مراحل لاحقة •

ولقد حاول اريكسون ان يطبق نظريته هذه على بعض الشخصيات ذات الشهرة التاريخية مثل ماكسيم جوركي وبرنارد شو وفرويد نفسه ليثبت صحتها • ومن دراسة هذه الحالات الخاصة امكن له ان يعرض علينا نظرات صائبة في تاريخ أوربا السياسي وادب هذه القارة ، ذلك لانه كان يحلل الشخصية ليظهر مدى تأثرها بزمانها ومدى تأثيرها في التاريخ • وهذه اضافة لها قيمتها قدمها اريكسون محاولا بها وضع نظرية خاصة في تكوين الشخصية وفي مسار التاريخ •

ولعل اهم السير التي كتبها في ضوء التحليل النفسي دراساته المطولة عن حياة مارتن لوثر ومهاتما غاندي ، ويلمس القارىء في هاتين السيرتين شبها بسيرة أريكسون ذاته ، فلقد كان لوثر يعاني من أزمة تتعلق بتحقيق هويته المهنية ، كما كان غاندي يعاني من ازمة تتعلق باهتمامه بالاجيال القادمة ، وهاتان الصفتان من الصفات البارزة في شخصية أريكسون •

وعلى الرغم مما قدمه اريكسون للتحليل النفسي وعلم النفس والتربية والعمل الاجتماعي مما اكسبه شهرة عالمية ، فانه لم يخل من النقد ، ومن ذلك ما زعمه دوفان وادلسون من أن نظريات اريكسون قد تنطبق على البنين ولكنها لا تنطبق على البنات ، لان هؤلاء لا تتكون شخصياتهن الا بعد الزواج والمرور بمرحلة « الالفة » لان هوية المرأة كما يقول هذان العالمان تتأثر الى حد كبير بهوية الزوج •

وكذلك لقي اريكسون نقدا لانه كان شديد التفاؤل بالجنس البشري وقدرته على علاج نفسه ، ولكننا بجانب ذلك يجب ان نذكر ان نظرة اريكسون نظرة سليمة ايجابية تقابل النظرة السلبية الى الانسان التي يتمسك بها فرويد واتباعه ، ومهما يكن من أمر فهناك ما يدل على ان نظريات أريكسون تجديد للحد الذي وقف عنده تحليل النفس ، وتشكيك على الاقل في مزاعم فرويد وعدم تصديقه تصديقا اعمى في كل ما يقول •

لقد اكتسب تحليل النفس بنظريات اريكسون حيوية جديدة ودفعة قوية الى الامام لانه مدها من الطفولة لتشمل حياة الكبار بل لتلقي ضوءا على سير التاريخ • ■■

القاهرة ـ محمود محمود

الحس والإحساس

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ نقول : « احس الرجل البرد » او « احس به » بمعنى « شعر به » ونقول : « احس الحنان والتقدير من صديقه » او « احس الجفاء من خصمه » او « احس به » ايضا بمعنى شعر به او علمه ، او عرفه ، او ظنه ، او تيقنه .

فهل يجوز ان تستعمل بهذا المعنى ، او هذه المعانى ، الفعل الثلاثى المجرد « حس » ، فنقول مثلا «حس الرجل البرد او الحنان ، او الجفاء» او نقول « حس به » ؟

بعض اللغويين يتزمت فيمنع هذا ، ولا يعدم التزمتيت — مع العنت — علة او تعلة يحتج بها مخلصا او متحذلقا ، وحجة هؤلاء هنا ان ما ورد بهذا المعنى فى القرآن الكريم هو «أحس» — ثلاثيا مزيدا بهمزة — كما فى الآية الكريمة « احس عيسى منهم الكفر » والآية « احسوا بأسنا » والآية « هل تحس منهم من احد » ، وكذلك جاء الفعل الثلاثى المضاعف او المضعف « تحسس » فى آية على لسان يعقوب يطلب من بعض ابنائه ان يبحثوا عن يوسف واخيه الآخر بعد ان فقدهما ، « يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه » اى تفقدوهما بالتسمع الى حديث الناس ، واطلبوا اخبارهما ، لتستدلوا على مصيرهما . واما الفعل الثلاثى المجرد « حس » فلم يأت فى القرآن الا بمعنى « قتل » او قطع كما فى آية تخاطب المؤمنين فيما كان منهم بصدد معاملتهم لخصومهم « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه » اى تقتلونهم او تقضون عليهم بالسلاح . وبهذه الحجة يمنعون استعمال كلمة « حاسة » — اسم فاعل من « حس » وجمعها « حواس » للسمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ويسمونها « المحسات » ويمنعون كلمة « محسوس » — اسم مفعول — وجمعه « محسوسات » ولا يجيزون الا « المحس » اسم مفعول — وجمعه المحسات ، باخذونها من الفعل « احس » ثم يزيد بعضهم على الحجة السابقة ان استعمال « حاسة ، وحواس ، ومحسوسات » لافادة الشعور او العلم او المعرفة — استعمال من توليدات الفلاسفة وعلماء الكلام ، وهذا غير صحيح .

ولا شك ان القرآن الكريم هو الحجة الكبرى فى فصاحة اللغة وبلاغتها ، ولكن لا شك انه لم يستوعب كل كلماتها ، كما انه لم يستعمل كل كلمة فيه بكل معانيها اللغوية ، فليس تركه لكلمة دليلا على عدم فصاحتها ، ولا استعماله كلمة ببعض معانيها دليلا على ان استعمالها بمعان اخرى محظور ، او ضعيف ، فهو حجة فى اثبات لفظ ومعناه ، لا لنفيهما ، ومن هنا تبدو حجة هؤلاء المتزمتين متهافتة ، والحجة الاخرى اشد تهافتا .

ونسأل : هل صحيح ان الفعل « حس » لم يأت فى لغتنا الفصيحة او الفصحى بمعنى آخر غير القطع ؟ لقد جاء بمعان كثيرة اخرى لا يعنينا منها هنا الا معنى الشعور ، والمعرفة : يقينية كانت او ظنية ، وما يتصل بذلك كالعطف والتوجع . ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب « الانوار ومحاسن الاشعار » ص ٢٥٧ للشاعر الجاهلى السفاح بن خالد التغلبى :.

فلبيت الصريخ ، ولم يرونا
ولا حسوا بنا ، حتى اعتلينا

والمعنى : « لما دعيت لنجدة عشيرتي على اعدائنا ، اجبت ، ولم ينظرونا ، ولا شعروا بوجودنا حتى ركبناهم بالهجوم » ولم تكن هنا ضرورة شعرية لاستعمال « حسوا » اذ كان يستطيع ان يقول كلمة اخرى بمعناها ووزنها مثل « شعروا » او « علموا » او « عرفوا » فلا يختل وزن البيت ولا يتغير معناه .

وقريب من ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي، وهو من شعراء العصر الاموي :

هل من بكى الدار راج ان تحس له
او يبكى الدار ماء العبرة الخضل

و « تحس » هنا ـ بفتح التاء ـ مضارع للفعل الثلاثي « حس » واذا فسرنا هنا « تحس له » بمعنى « تتوجع له » او « ترق له » فعلينا ان نذكر ان المعرفة او الشعور بالمحنة هي الاصل ، وتليها مرحلة ثانية هي العطف على صاحبها او الرقة له ، ثم يكون التوجع له ، فلا توجع بلا عطف ، ولا عطف الا بعد معرفة بالمحنة .

ومثل ذلك حديث قتادة ـ كما في اللسان ـ « ان المؤمن ليحس للمنافق » بمعنى يعطف عليه او يتوجع له ، ومن امثلة العرب كما في اللسان ايضا « ان العامري ليحس للسعدي » اي يرق له لما بينهما من الرحم وحسبنا هذه الشواهد مما لدينا .

وكلا الفعلين « حس » و « أحس » يأتي لازما فيقال « حس به » و « حس له » كما يقال « احس به » ويأتي كلاهما متعديا لمفعول به واحد فيقال « حسه » كما يقال احسه وعلى هذا يكون الفعلان « حس » و « أحس » متساويين في المعنى وهو الشعور او المعرفة وكذلك مصدراهما « الحس » و « الاحساس » .

ومن « حس » تأتي صيغ كثيرة بمعنى الشعور والمعرفة وقد مر بنا في آية قرآنية الفعل « تحسس » بمعنى تتبع الخبر او الشيء في فطانة لمعرفته ، وهذا الفعل مضعف العين (السين الاولى مكررة مشددة) ومن استعماله بهذا المعنى « تحسس الطبيب جسم المريض تحسسا ليعرف علته » ومثله في التضعيف . . « حسس » ومصدره «التحسيس» ومنه طريقة التحسيس في الحساب، حين يكون في المسألة مجهول فيفترض راغب الحل فرضا وراء فرض حتى تصح له النتيجة ، وكذلك نفعل في تدبر كل أمر يستغلق علينا في الحياة لمعرفة اسبابه او مجرياته او نتائجه ، فالتحسس اسلوب عقلي لحل كثير من مشكلاتنا في الحياة .

ويأتي التحسس بمعنى تتبع المرء اخبار الاخرين نزوعا الى الفضول وهذا مما ينافي المروءة والعقل، ولهذا نهى عنه النبي عليه السلام كما نهى عن التجسس فقال : « لا تحسسوا ولا تجسسوا ».

وبهذا المعنى جاء من « حس » اسم الفاعل « حاسوس » مثل « الناظور » من « نظر » « وناطور » من « نطر » وكلاهما اسم لحارس الحديقة .

وقد يستعمل «التحسس» بمعنى «التجسس» والحس بمعنى « الجس » فيكون « الحاسوس » مثل « الجاسوس » وزنا ومعنى ، ويفرق بعضهم بين الاثنين فالتحسس والحاسوس في الخير ، والتجسس والجاسوس في الشر ، ومهما يكن الامر فكلاهما ـ بالحاء أو الجيم ـ يدل على طلب المعرفة مع اتفاق الباعث والغاية بينهما أو اختلافهما .

وقد مر بنا أن الفعل « حس » يكون مضعفا فتأتي صورته هكذا « حسس » وذلك بتضعيف عين الفعل اى تكرارها مع أدغام المثلين وهناك صورة اخرى للتضعيف ، وذلك بتكرار فاء الفعل بعد عينه أي تكرار الحاء بعد السين ، فنقول « حسحس » ومصدره « حسحسة » ومن ذلك « حسحس له » اى اشتد توجعه ورقته له ، ومثل هذا التصرف في الوزن يبلغ في لغتنا عشرات وعشرات ولكنه لا يطرد ، ومن ذلك «فض العظم ، وفضفضه فهو فضفاض » ، اي شديد الكسر ، « وسح المطر وسحسح فهو سحساح » ، اى اشتد تتابعه او صار غزيرا . واسم الفاعل من « حسحس » قياسيا « محسحس » ومثله « حسحاس » وقد سمت به العرب ، ومن ذلك « بنو الحسحاس » ومن عبيدهم الشاعر المخضرم « سحيم » وكان لقبه « عبد بني الحسحاس » وقد تمثل النبي عليه السلام ببعض شعره وتكهن له عمر بن الخطاب بالموت مقتولا لانه كان دنيئا فاحشا في قوله وعمله فكان ذلك .

والتخفف من الادغام عادة لغوية عند العرب

باكثر من طريق ولكنها غير مطردة ، ومن هذه الطرق ما قدمناه في « حس وحسحس » ومنها قلب الحرف الاخير ياء في الفعل المضعف مثل حس اذا اسند الى المتكلم او المتكلمين فينطق كأنه فعل ناقص فنقول « حسيت له « وحسينا له » اى توجعنا له .

واسم الفاعل من « حس » هو « حاس » للمذكر ، وحاسة للمؤنث ، فاذا شئنا المبالغة منه قلنا « حساس » و « حساسة » للدلالة على شدة الحس و «حساس» على وزن « فعال » مثل شداد ، وجرار ، ولمام من الافعال المضعفة : « شد » « وجر » « ولم » .

ويمكن ان يكون اسم الفاعل من « حس » بمعنى شعر ـ هو حسان وبه سمت العرب منذ الجاهلية حتى اليوم ، ووزنه « فعلان » مثل غصان ، وفرحان وغضبان . وممن سمى به الشاعر المخضرم « حسان بن ثابت » .

وتطلق كلمة « الحس » في الفصيحة والدارجة على « الصوت » ولا سيما الخفى ، سواء كان صاحبه مرئيا او غير مرئي ، وبمعناها كلمة « الحسيس » وقد وردت كذلك في القرآن الكريم في صدد الكلام على « جهنم » ونجاة السعداء منها « أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها ..» « والصوت محسوس فهو من وسائل المعرفة » .

وقد أشرنا آنفا الى الحواس الخمس: «السمع والبصر والشم والذوق واللمس » وتسمى «الحواس الظاهرة » تقابلها عند القدماء «الحواس الخمس الباطنة : التذكر ، والفكر ، والتصور ، والفهم ، والارادة » وقريب من ذلك في التفرقة ما يذكره رجال البلاغة في كلامهم على التشبيه وعلى الاستعارة (وهى تشبيه حذف احد طرفيه : المشبه ، او المشبه به) اذ لا بد عندهم من وجه شبه يجمع بين الطرفين ، فاذا كان الوجه يدرك بالحواس الخمس الظاهرة سموه « حسيا » كالضخامة في تشبيه الرجل بالفيل مثلا ، واذا كان مما يدرك بالعقل سموه « عقليا » كالمودة في تشبيه الصديق بالاخ ، وان كان مما ينبغى لنا ملاحظته هنا ان المعانى المجردة كلية عقلية .

وقد اختلفت الفلاسفة قديما وحديثا في استعمال كلمة « الحس » فبعضهم يطلقها على القوة او القوى التي تدرك الجزئيات المادية ، وقد يوصف « الحس » بحسب نوعه فيقال « حس ظاهر » بالمعنى السابق او « حس باطن » للدلالة على الوجدان ، او التفكير كما يقال « حس فردى » لما يدركه فرد ، و « حس جماعي» أو حس مشترك لما تشترك فيه احدى الجماعات أو كل البشر من قيم ، وقريب منه « الحس الخلقى » وهو الحس بالخير العام لجميع الناس (وقد يدخل فيه الخير الخاص الذى يجارى خير الاخرين ولا يعارضه) وهناك « الحس الجمالى » ، « والحس الدينى » و « والحس الصوفى » و « الحس اللغوى » و « الحس الموسيقى » ، و « الحس الجمالى ، والحس الفنى » .

وقد يطلق « الحس المشترك » ايضا على ما تشترك في ادراكه عدة حواس كأنها حاسة واحدة . وهناك الحدس لا بمعناه اللغوي العام ، وهو الظن ، او التخمين بالرأي ، ولكن بمعناه الفلسفي Intuition عند بعض الفلاسفة المحدثين والقدماء وهو يعني حضور موضوعه للادراك على وجه اليقين ، دفعة واحدة او نحوها ، وهم يقسمونه قسمين « حدس حسي» يدرك موضوعه بحضوره للحس الظاهر فيما يتوارد عليه من الاشياء خارجه ، او بحضوره للوجدان كوجودنا الذاتي أو اعمالنا الباطنية ثم « حدس عقلى » يدرك موضوعه بحضوره للعقل كالبديهيات .

ويبدو من هذه الجولة ان استعمال كلمة « الحس » بمعنى الشعور او المعرفة اشيع من استعمال « الاحساس » بين الباحثين في مجالات شتى ، ثم هى اخصر والتعامل معها ايسر ثم ان كثيرا من الافعال العربية يأتي منها الثلاثي المجرد والثلاثي المزيد بالالف بمعنى واحد ، مثل « حس » « وأحس » كما يستعمل مثله لازما او متعديا . وهذه الافعال ترتفع عددا من العشرات الى المئات.. ثم اليس الفعل « حس » هو الاصل لمثيله « أحس » فلولا اشتراكهما في معنى الشعور والمعرفة لما جاء أحس بهذا المعنى ، ثم لو لم يأت « حس » بهذا المعنى في المعاجم وغيرها لجاز ان نستنبط منه قياسيا ، تبعا للقاعدة اقرها المجمع اللغوي في استكمال مادة ناقصة من مادة مأثورة ، فكيف اذا كانت المادة جاهزة وان زعموا انها ناقصة او غير موجودة . ■■

● قصة قصيرة ●

هذه الحاسة الملعونة

بقلم
الدكتور
محمد شكرى عياد

● الى ان طردت من الجريدة لم يكن الامر يشغل بالى كثيرا ..

نعم،كنت اجلس احيانا على الكرسى الاسيوطى الملاصق للنافذة ، فى شقتى الصغيرة بالطابق الرابع ، واتسلى بمراقبة المارة فى شارعنا ،فربما قلت لنفسى :

ـ هذا الشاب الطويل الاسمر الذى يبدو على ملامحه المشدودة بحزم انه مقدم على عمل خطير ، كأن يكون ذاهبا لتناول فطوره مثلا ، سيقف الان بجانب هذا السور ، مستغلا انخفاضه النسبى ويرفع ساقه اليسرى ليسند قدمه اليسرى على حافة السور ، ويعيد ربط حذائه .

وبالطبع يفعل كما قدرت تماما ..

وفى احيان قليلة كانت تغلبنى «الشيطنة» ، فارتكب ، اشياء تدخل فى باب المزاح الثقيل كان اقول مثلا :

ـ هذه السيدة النصف ، التى تمشى متراقصة بشكل غير طبيعى وان عجيزتها تشدها الى الخلف ، سيقع الكعب الطويل لحذائها الايسر فى حفرة صغيرة ، وتسقط فى الشارع ويحدث ما لا تحمد عقباه .

لا حاجة بى ان أصف ما يحدث بعد ثوان قليلة .. ولكن الشىء الغريب هو اننى ، دون ان اشعر كنت اميل دائما نحو اليسار .

القدم اليسرى، الساق اليسرى، العين اليسرى، الانف الايسر .. الخ .

وفى ذلك الصباح بعث الى رئيس التحرير .

كانت المفاجأة الكبرى انى رأيته يقف منتصبا وراء مكتبه حالما دخلت من باب حجرته الواسعة الفخمة .. والتفت ورائى .. لا .. هو انا لا أحد غيرى ..

مد ذراعه الطويلة من وراء المكتب وصافحنى بحرارة ، وانا لم افق بعد من دهشة المفاجـــاة السابقة .

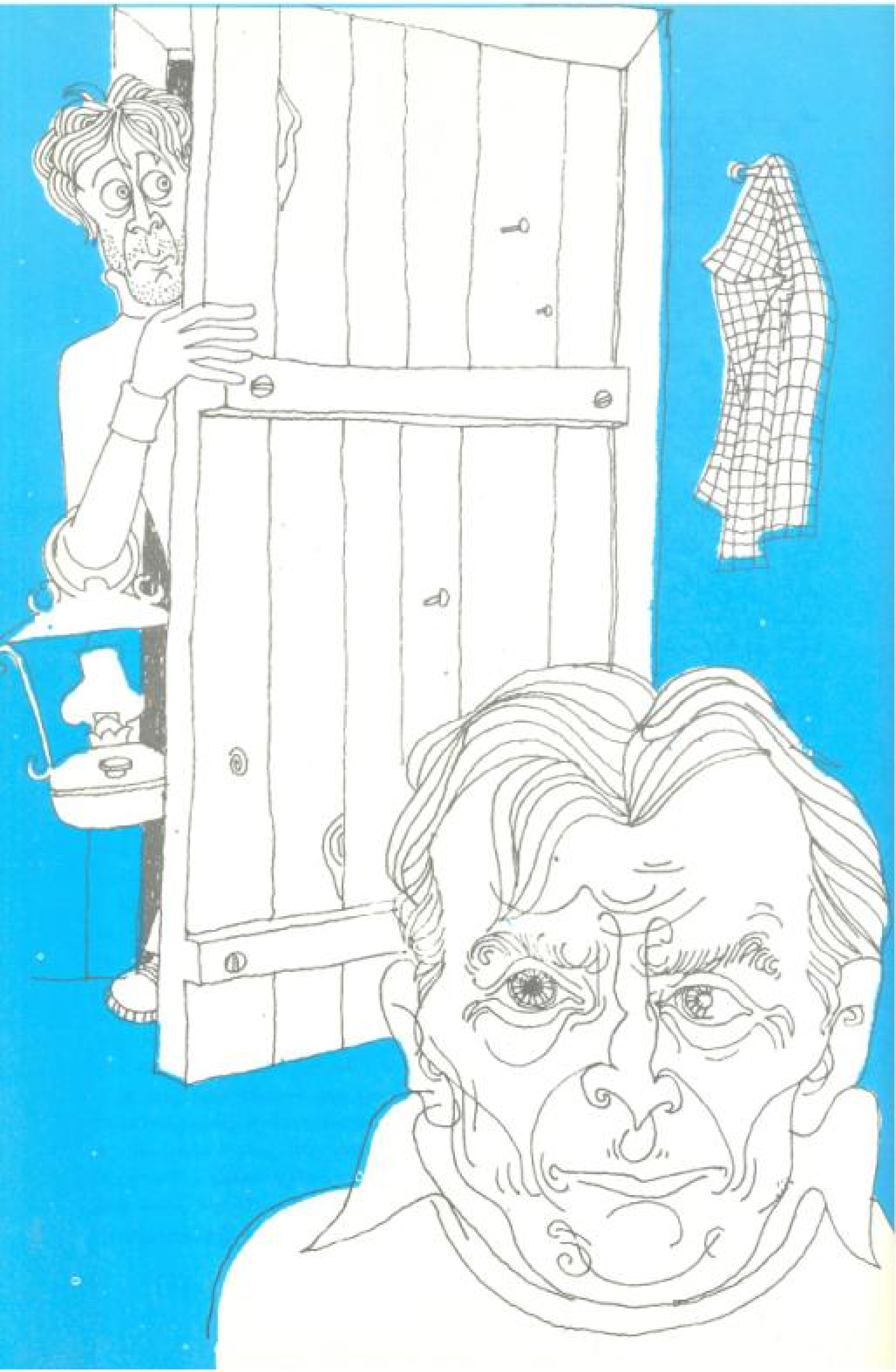
ـ يا استاذ انا اهنيك هذه عبقرية .. هـــذه بطولة . هذه رجولة . هذه ..

لعله قال ايضا « فحولة » ولكنى لا اذكر فــى الواقع . كانت المفاجاتان معا قد شلتا مخى كما شلت لسانى .

افقت على قوله :

ـ لا يصح ان تبقى واقفا .. تفضل اجلس .

وكانت يده تشير الى الكرسى الملاصق للمكتب. لست بحاجة ان اشير الى انى لم اجلس على ذلك الكرسى قبل تلك المرة (ومفهوم انى لن اجلس عليه بعدها ابدا) .. هو كرسى عميق الى حد ما ، اعنى ان بين الظهرية والحافة مسافة لا بأس بها ، ولكنى اعطيت اليتى وفخذى البراح الواجب واسندت ظهرى ، ووضعت ذراعى ايضا علـــى المسندين وشعرت ان الدم يتدفق الى وجهـــى بكميات هائلة . ولابد ان اوداجى ـ كما يقولون ـ



كانت حقا منتفخة ، معذرة يا قارئي العزيز .. الاوداج - ان كنت لا تعرف - عروق في اصل العنق .. على الاقل هكذا كنت احسبها ولا ازال لا شك انك تلاحظ ارتباكي .. انا لم اكتب منذ مدة طويلة ، كما انني قد تعودت الكتابة لجمهور معين أعرف عاداته ورغباته ومقدار ثقافته - وهي ثقافة ضحلة طبعا - ولذلك احب ان استمتع الان بحريتي فاكتب كلمة « الاوداج » التي لم اكتبها منذ مدة طويلة .

كان رئيس التحرير يجلس مضطجعا في كرسيه المتحرك ، ممسكا مقالي بين يديه ، يقرأ بصوت عال واستمتاع ظاهر .. وفجأة رمى المقال على المكتب وهب واقفا وهو يصيح بي :

- هل صدقت انك عبقري يا جدع انت؟ انك لا تفهم ما يفهمه اغبى الاغبياء .. اي عبقرية هذه ؟ يمكنك ان تأخذها معك الى بيتكم - بدلا من ان تخرب بيتي .. تفضل ! تفضل !

كان يشوح بذراعه اليمنى نحو الباب .. ولا اذكر ان كنت لحظتها واقفا او قاعدا ، ولكني اذكر انى كنت مشدودا الى عينيه اللتين لمع فيهما بريق اكثر من بريق الغضب .. لعله بريق الجنون .

- انتظر ؟

ماذا ايضا ؟ هل غير رايه مرة ثانية ؟ مثله يمكن ان يفعل اى شيء . مد يده الى سماعة احد التليفونات الثلاثة المرصوصة على جانب مكتبه ورفع السماعة وادار رقما واحدا :

- سعد ؟ اسمع . يجيئك الان فلان (بلا جدع ولا استاذ) اعطه بقية حسابه .

قبل ان يتخذ هذه الخطوة كانت هناك بقية امل .. اما الان فلا امل على الاطلاق . اذن فهو الجوع والتشرد .. لا باس ، بشرط ..

كانت يده قد امتدت الى تلفون ثان . آه ! ترى من سيكون هذه المرة ؟ وغاص قلبي . ولكنه زعق :

- قلت لك تفضل !

ولا داعي لبقية القصة . الوجوه الصماء البكماء التي وجدتها في ادارة الحسابات ، زملائي في القسم ايضا ، مكتبي الذي عدت - بعد اقل من ربع ساعة - فلم اجده في مكانه .. متع الفراش - لا تستكثر عليه الاسم من فضلك ، عندنا الاسماء ديمقراطية - الذي رفض ان يخبرني اين ذهبوا به ، رغم الحاحي الشديد بل توسلي فقد كانت فيه أوراق لا تهم احدا غيري .

المهم ان هوايتي التي كنت امارسها في اوقات الملل ، للتنفيس عن بعض الرغبات الشريرة ربما ، اصبحت الان احترافا .

صحيح انى لا ازال اقوم ببعض الاعمال شبه الصحفية رغم انى مطرود من الجريدة (ومفهوم طبعا انى ، والحالة هذه ، لا يمكن ان اعمل في اية جريدة اخرى ، الا ان صديقا قديما لي، يمتاز بسعة اتصالاته ، تعود ان يمدني بمعظم أعمال الترجمة الدعائية التي تحتاج اليها سفارة احدى الدول الاسيوية الفقيرة ، ويقاسمني ثمنها . لا داعي لشرح الطريقة المعقدة التي لجأ اليها لتنظيم اتصاله لي) .

ولكن الوقت الذي كانت تستغرقه هذه الاعمال كان قليلا ، والنقود التي أحصل عليها منه كانت اقل ، فانا - والحمد لله على كل حال - مازلت آكل ، وان كنت لا أشرب ولا أخرج الى الاماكن العامة كعادة الصحفيين . وهذا افضل في الحقيقة، فبصرف النظر عن كون الشرب والخروج كليهما مكلفين ، فان احدهما يشجع على التبجح الذي يمكن ان يوقع الانسان في مصيبة ، والثاني يثير الشبهات التي يمكن اذا تكررت ان تصبح تهما فجرائم ثابتة .

وهكذا لم يبق امامي طريقة لقطع الوقت الا التنبؤ بما سيفعله الاخرون او ما سيحدث لهم .

اصبحت الان اجلس ساعات طويلة على الكرسي الاسيوطي بجانب النافذة . لم اكن انتبه الى مرور الوقت الا حين اشعر بالجوع ، او الاحظ ان اشعة الشمس بدات تصفر على اعالي البيوت ، فاقوم اسفا ، وافكر في طريقة اخرى اقطع بها الوقت..

بالطبع كان يتخلل ذلك «العمل» كثير من السرحان ..وبعد مدة اكتشفت شيئا غريبا.وهو ان العمل والسرحان اخذا يتداخلان . لم انتبه الى ذلك اولا ولكن حادثا غير عادي جعلني افكر في الامر طويلا ، واحاول ان اكتشف علاقته بظاهرة التنبؤ التي كانت وحدها مميزة بدرجة كافية .. كنت افكر في صاحب البيت بمناسبة تاخري في دفع الايجار ، وتذكرت خلافاته المستمرة مع المكوجي ، ومحاولاته لطرده من البيت ، وتصورت انه نجح اخيرا في الحصول على حكم غيابي ضده .

وكنت انظر الى الشارع كعادتى ، وهنا لاحظت ان شرطيا يتقدم نحو دكان المكوجى ، وبعد لحظات خرج هذا من الدكان ، ولاحظت ان ملامحه بدا عليها الفزع وهو يتكلم مع الشرطى ثم ياخذ من يده ورقة صغيرة ويوقع فى دفتر .

ارتديت ملابسى ونزلت مسرعا :

ــ ماذا جرى ؟ ماذا كان يريد منك هــذا الشرطى ؟

ــ كان يسلمنى انذارا باخلاء الدكان يا سيدى. اتصدق ان صاحب البيت حصل على حكم غيابى ضدى ؟ لم ابلغ بموعد الجلسة . القضية السابقة حفظت . هذه قضية جديدة . متى رفعها ؟ فى اى محكمة ؟ والله ما عدت افهم كيف تجرى الامور فى هذا البلد ..

واخذ يضرب كفا على كف .. وانسحبت الى شقتى لافكر فى الموضوع بهدوء .

وفجاة لمع فى ذهنى خاطر ابتهجت له . لماذا لا استغل هذه القدرة فى عملى الصحفى ؟ هل يمكننى ان اطورها ــ مثلا ــ لاتنبأ بان زلزالا سيحدث فى ايران ، او فيضانا سيحدث فى ... لا ، الهند ستكون سهلة ، فى البرازيل مثلا ؟ ان هذه الحاسة الملعونة تتطور باستمرار ودون اى تدخل منى ، فلماذا لا اوجهها الى شىء مفيد .

ساصبح اهم من اى وكالة من وكالات الانباء ، سيتقاتل رؤساء التحرير فى سبيل الحصول علىّ وعندئذ سيعرف الاستاذ ...

وهنا انطفا حماسى على الفور . فلا شك انهم سيقبضون علىّ وسيتهموننى بالتخابر مع عدة دول اجنبية ..

لا فائدة . كتب علىّ ان ارى ، واعلم واسكت.

ولماذا اجدنى ــ فى الفترة الاخيرة بالذات ــ لا اتنبا الا بالكوارث ؟ ولماذا اجدنى دائما غير قادر على منعها ؟ وما فائدة التنبؤ فى حالة كهذه؟ وتذكرت ــ وقلبى يقطر حزنا ونغما ــ ان المسالة لم تبدأ بطريقة فيها اى مراعاة للمصلحة العامة. لقد كنت اتسلى ، وكانت هذه الحاسة الملعونة تنمو على الرغم منى ، والعجيب انها لم تصل الى هذا المستوى الشديد الرقى الا حين اصبحت قعيد دارى ، ولم اعد استطيع ان اؤثر فى الاحداث او ادنى تاثير . انا انظر الان الى السعداء الــذين لا يتمتعون بهذه القدرة واحسدهم .. اليسوا يقولون : وقوع البلاء ولا انتظاره ؟ كتب على ان اكون المنتظر ابدا ، ان اكون شاهد الماساة وحدى.

واذا بخاطر آخر اشد ازعاجا :

ــ الست انا المسئول عن هذه الكوارث ؟

ــ بلى ، فماذا كان يحدث لو لم احلم بها ؟

من الجائز جدا ان شيئا مالم يكن ليحدث .فما دمت انا الوحيد الذى يعلم ، ويعلم قبل تكون الحادث ــ انتبه الى هذه الحقيقة فهى بالغــة الاهمية ــ فمن الجائز جدا ان يكون لى دخل فى تكونه . اليس هذا منطقيا ؟

لم يبق الا ان احمل هموم الدنيا كلها علــى راسى . هززت كتفى وقلت لنفسى :

ــ كلام فارغ . الجواز لا يثبت شيئا .

وقلت لنفسى ايضا بشىء من التشفى :

ــ اننى اجعل لك يا نفسى اهمية اكثر مــن اللازم .

وانتبهت لدقة طويلة على جرس الباب .كانت السيدة التى تسكن فى الطابق الثالث فى الشقة المناظرة لشقتى .

ــ هل انت بخير ؟ اننى ادق الجرس منذ اكثر من عشر دقائق . لولا انى رايتك تصعد بعــد ان تكلمت مع سيد المكوجى لظننت انك خرجت او انك نائم .

اننى احترم هذه السيدة جدا . الحزن ارهف احساساتها الى درجة غير معقولة . مات زوجها الشاب منذ سنتين،وترك لها طفلا عمره الان يقرب من السنين الست . تعمل وترعى طفلها ولا تفكر فى الزواج .

تذكرت فجاة فسالتها ؟

ــ كيف حال فؤاد الان ؟

اجابت والقلق يلوى ملامحها ؟

ــ ابدا حرارته لا تزال عالية.اتسمح بالتلفون؟

بينما كانت تطلب الطبيب دهمنى ذلك الاحساس الملعون . وبلى ! الا هذا ! طفلها الوحيد حظها من الدنيا ! بقية ابيه ! لا ، لا . الافضل ان اموت انا .. ليت موتى ينجيه ليت موتى يبقيه لها . للحياة . للمستقبل . لعالم افضل من عالمنا .. لعالم ليس فيه ....

استحلفكم بالله ان تخبرونى : اذا مت انا الان ــ هل يمكن ان يعيش الطفل .. ؟

■■

د . شكرى محمد عياد

شلالات "نياجرا"

للدكتور محمد عبده غانم

أتيتك قد جاوزت خمساً وستينا / ولم يبق إلا ما على الشيخ يبقينا
وقد كنت أرجو أن يتم لقاؤنا / ولما يزل عودي يمج الندى لينا
وللغيد من حولي وقد طافت المنى / حنين إلى الأسحار تجمعنا حينا
وحيناً الى شوق الليالي وقد خلت / من الوصل لكن لا يزلن يمنينا
ولوشين منتعن الهوى كل ليلة / بوصل يميتن الشوق فيه ويحيينا
ليالي ماكان الجمال بضائع / على شاعر قد كان بالحسن مجنونا
ومازال إن يلق الجمال يهيم به / وما زال بالأشواق يلهج مفتونا
ولكنه الشوق الذى صاغه الأسى / مآسي لو أن المآسي يغنينا
ولو تم في عهد الشباب لقاؤنا / لأمسيت «نياجرا» في فم الشعر تلحينا
وأمسى بها الشلال في كل قطرة / له نغمة ترويه لحنا وترويننا
تدفق «سمفونية» كل دفقة / لها رنة في القلب نشوى تناجينا
روائع يجلوها الجمال جداولا / من الطود في الأعماق تهوى وترمينا
ذكرنا بها الشذراء وهي جدائل / أحاطت بنا والعطر بالموج يغرينا
يشد بها حر الشذى في انسكابه / على العاشق المبهور شد المغيرينا
إذا انقطعت أنفاسه قال مرحباً / بنفس بها غرقى الجمال يجودونا

* * *

«نياجرا» كأنلا رى في الأرض بعدها / تبقى بما ينصب من فيضها فينا



ذكرنا بها الصحراء في كل ذرة ... بكثبانها العطشى مناد ينادينا
إذا ما دوى في القفر هاجت لصوته ... عواصف يهوي الطود فيهن مدفونا
وما ضر لو كانت «نياجرا» بأرضنا ... وكانت بديل الري هذا بوادينا
أنسلب حتى في المياه نصيبنا ... ألم يكف أنا قد سلبنا فلسطينا
وأنا حرمنا من حياة كريمة ... فلا صوت إلا أن نردد «آمينا»
وأنا خذلنا في وفاق ووحدة ... وأنا فقدنا في الخلاف الملايينا
وأن نصال العرب ترمي صدورها ... فتجرح ما شاءت وتصمي فتردينا
أأنعم بالشلال والقفر قد جرى ... دماء وقومي في الدماء يخوضونا

* * *

أتيتك لكن في المشيب وقد ذوى ... على الدوح غصن كان غضا يغنينا
وفي القلب قفر ضاع بين رماله ... بحار من الأحلام كانت بوادينا
فعفوا إذا لم تلق أنشودة الندى ... بقيثارتي إلا ضياعا وتهوينا ■■

والذي هو أدنى والذي هو خير

● مقالات الاستاذ احمد بهاء الدين الشهرية في العربي اوحت الي بطرح هذه الاسئلة :

١ ـ لماذا ينظر العالم العربي الى الدول الكبرى كقدوة له في كل مجالات الحياة العربية ؟

مع ان شعوب تلك الدول من اشقى شعوب العالم . باعتراف مفكريه لا سياسييه . فقد قرات كتاب الدكتور الكسيس كاريل « الانسان ذلك المجهول » وكتاب الدكتور كولن ولسون « سقوط الحضارة » وكتاب الدكتور ادوارد سبنسر كولز « اعرف نفسك » ترجمة الدكتور امير بقطر يقول فيه « اننا معشر الامريكيين نستمتع بحرية سياسية واجتماعية قلما يحلم بها سوانا من شعوب الكرة الارضية ولكن .. بالرغم من الحريات الاربع ووثيقة حقوق الانسان فان الملايين منا لا يذوقون طعم الحرية لانهم مكبلون باغلال الخوف وتوقع المكروه والتحيز والوسواس » .

ولا اريد ان اكتب عن شقاء الانسان المعاصر . فالواقع المحسوس هو اكبر دليل صادق على انهيار الانسان المتحضر .

٢ ـ فهل يسعى العالم العربي قدما نحو هذا الشقاء المرير وهذا الضياع في اللامنتهى ؟

اذا كان لا يريد ذلك . فهل نرفض الفكر العربي في الجانب الانساني ـ في الاجتماع والاقتصاد والسياسة . في جامعاتنا وتفكيرنا الاعلامي وسياستنا في الحكم ؟!

٣ ـ ما هو البديل لكل ذلك الذى اثبت فشله في سعادة الانسان ؟ حتى يهتدى العالم العربي من جديد الى طريق سوى وحضارة انسانية عالية جديدة ؟

محمد عبد الغنى ابو شرخ ـ الاردن ـ الزرقاء

المائة الاوائل

● نشرتم في العدد « ٢٤١ » من مجلتكم العربي في زاوية حديث الشهر للاستاذ احمد بهاء الدين رئيس التحرير موضوع كتاب المائة الاوائل للدكتور مايكل هارث حيث انه خطا خطوة جريئة لم يجرؤ عليها انسان ولم يسبقه سابق اليها بترتيبه اولئك العظماء حسب تاثيرهم في الحياة الانسانية . والذى نجهله هو تعليله لوضع كل شخصية في ترتيب مغاير ومتفاوت مع شخصية اخرى كوضعه « نيوتن » قبل « عيسى المسيح » عليه السلام ووضعه « لوليم هارفي » ونسيان « ابن النفيس » مكتشف الدورة الدموية الصغرى وغيرهم .

وسالت كثيرا عن هذا الكتاب « المائة الاوائل » فلم اجده بالمكتبات فحبذا لو اشرتم في باب حوار القراء الى اسم الدار الناشرة لهذا الكتاب .

مخلص صباغ

حلب ـ سوريا

● انحرق شوقا لقراءة كتاب المائة الاوائل الذى اشار اليه الاستاذ احمد بهاء الدين رئيس التحرير واقترح ان تخصص العربي بعضا من صفحاتها لنشر فصول هذا الكتاب ليطلع عليه القراء .

خليل عيسى

عمان ـ الاردن

المحرر : **الكتاب لم يظهر في طبعة اوروبية بعد ، والطبعة الاولى التي صدرت هي طبعة امريكية والناشر هو :**

Hart Publishing Company
New York City, New York
10012.

اسرائيل ونسف البيوت

● لم تترك سلطات الاحتلال الاسرائيلي وسيلة من وسائل القمع الوحشية الا واتبعتها ضد من يقاومها من سكان الضفة الغربية والقطاع .. ومن ضمن هذه الوسائل نسف البيوت .. وترك الاسر في العراء .. ولارهاب من يفكر في مقاومتها مستقبلا .

واعتقد ان منظمة التحرير الفلسطينية تستطيع ابطال مفعول هذه الوسيلة وذلك عن طريق بناء مجموعة من الوحدات السكنية الاحتياطية المؤقتة والقليلة في معظم مدن الضفة والقطاع .. فيستطيع ان يجد من ينسف بيته ماوى يلجا اليه .. بدلا من اللجوء الى بيت مكتظ بساكنيه .

امل ان يجد اقتراحي هذا اذنا صاغية لدى اخوتي الثوار .

احمد عبد العزيز
الخليل ــ فلسطين

الزنج والنوبة

● قرانا في العدد ٢٤٢ ــ ص ١٦٠. موضوع (الزنج صلبان التاريخ الاسلامي للاستاذ احمد علبى) « كان الزنج شان القرامطة والنوبة والفرانية يعرفون التعامل باللغة العربية لانهم يعودون في اصولهم الى بلاد السودان والنوبة ذات الصلة بالعرب .. » الخ .

ان الكاتب جعل من ابناء النوبة عبيدا وارقاء في سوق النخاسة ولم يدر في خلده ان بالنوبة شعبا عريقا ينحدر اصله من انصار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يكونوا عبيدا او ارقاء لاحد في يوم من الايام بل انهم كانوا يذهبون في رحلات جماعية لافريقيا لشراء العبيد والارقاء لتشغيلهم في سواقيهم ولا اعرف من اين استقى الكاتب هذه المعلومات الخاطئة . وانت اعلم بنا منهم فنحن قوم عرف عنا الشرف والصدق والامانة والاخلاص . نحن ضحينا ببلادنا واوطاننا في سبيل السد العالي وما زلنا نعيش ماساة التهجير على امل العودة لوطننا وتعميره وهل يعرف الكاتب ان العبيد وحدهم يتميزون بضخامة الشفاه وفطسة الانف والشعر الاكرت ونحن النوبيين نتميز باللون الاسمر فقط وليتقبل الكاتب مني دعوة لزيارة النوبة وابناء النوبة في قراهم الجديدة في كوم امبو ليصحح معلوماته عنا وليمحو عنا وصمة الرق الشنيعة .

اهالي النوبة .
منهم فتح الله محمد محمود
وكيل مجلس محلي كلابشة

استطلعوا فلسطين ثانية

●سبق ان نشرتم استطلاعا عن « الخطوط الامامية فى فلسطين » المحتلة ، قبل ان ياتي عام النكبة الكبرى ٦٧ والان وبعد ان جثم الاحتلال الصهيوني على فلسطين برمتها هل تمنى النفس باستطلاع عنها لنتعرف من خلاله صورة فلسطين ومعاناة الاهل في ظل الاحتلال ؟

عدلي محمد شاكر عايش
الاردن

غلاء اسعار الكتب

● ليسوا اهل الفكر هم المسئولين عن غلاء اسعار الكتب كما اشار القارىء السيد عبد الرحمن كامل في العدد ٢٤١ من العربي ، ولكنهم تجار الورق والناشرون واصحاب المطابع وسادة اسواق التوزيع، فهؤلاء هم الذين ياخذون نصيب الاسد ولا يبقى لاهل الفكر الا الفتات.

عبد الرحمن احمد شادى
المنصورة ــ مصر

الزعماء الدينيون

● في عدد يناير الممتاز ، تحدث فهمي هويدي، في زاويته للمناقشة،عن الزعماء الدينيين وكأنهم منساقون وراء عاطفة لا واعية يقودون ثورة دون ان يعرفوا لها مضمونا وهذا واضح من السياق الذي جاء فيه (انهم ضد اشياء كثيرة ولا نستطيع ان نعرف بالتحديد مع اي شيء هم) . والحقيقة ان هؤلاء الزعماء قد بينوا في اكثر من مناسبة ماذا يريدون .. ولماذا يثورون .. انهم يثورون من اجل اعلاء كلمة الله ورفع راية الاسلام واقامة جمهورية اسلامية .

انا معك في ان بعض من يقودون العمل الاسلامي يتخبطون في ديجور .. ولكن القيادة الدينية الايرانية لديها اطار عمل كامل يستمد روحه من الاسلام بجدية ووعي تامين. وما تلك المظاهرات الصاخبة الدامية الا التعبير الواضح لرفض كل اشكال التبعية والفساد والظلم .

محمد محمود

بيروت ــ لبنان

الناس كالنوافذ

● قرأت على الصفحة ١٠٥ من العدد ٢٤١ النص التالي: « الناس كالنوافذ ذات الزجاج الملون فهي تتلألأ وتشع في النهار وعندما يحل الظلام فان جمالها الحقيقي يظهر فقط اذا كان هناك ضوء من الداخل » اليزابث روس .

فانعكس تأثري بالابيات التالية :

انما الناس كالنوافذ تزهو
بزجاج ملون يتلألا
واذا طوق الظلام واخفى الـ
ـكون لونا ورؤية وظلالا
ليس يجلو جمالها غير نور
داخلي فتستمر اكتمالا

فاروق حكيم

حلب ــ سوريا

تصحيح

● في مقالة الدكتور محمد احمد خلف الله،التي عنوانها «طرح جديد لقضايا المعارضة» في العدد ــ ٢٤٣ من «العربي» جاءت آية قرآنية في الصفحة ــ ٣٩ هكذا « ولو ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ، لبيوتهم سقفا من فضة » وصوابها « ولولا أن يكون الناس » فارجو تصويبها.

م.خ.ت

ثمن صداقة العرب

● ان نتائج السياسة المتقلبة لبعض حكامنا ابعدت عن امتنا الكثير من الصداقات الدولية .. حتى بات البعض يجد في تأييد الحق العربي نقمة تنزل عليه من بعض الانظمة العربية وكذلك فان الاصدقاء لم يعد الواحد منهم يعرف ماذا يريد بعض حكامنا وما هي مطالبهم .

والادهى من هذا ان بعض الدول تذهب في تأييد الحق العربي اكثر مما يطلب بعض حكامنا .

فالى متى هذا التخبط الذي افقدنا صداقة قوى كثيرة نحن في أمس الحاجة الى صداقتها في صراعنا مع اسرائيل ؟

نبيل جبار حبيب ــ العراق

اعرضوا الافلام الفلسطينية

● ايضا ، قرأت في العدد ٢٣٥ تقرير الاستاذ الفاروق عبد العزيز عن مهرجان بغداد الدولي الثالث لافلام فلسطين وتساءلت : لماذا لا تعرض هذه الافلام الوثائقية النضالية في دور السينما العامة حتى يراها الشعب العربي في كل مكان ؟

الدكتور محمد مأمون المهايني

وزارة الصحة العامة ــ الكويت



القرنان القادمان

رؤية متفائلة لمستقبل

الدول النامية وملامح مثيرة لمجتمع ما بعد الصناعة

تاليف : هرمان كاهن ، وليام براون ، ليون مارتل

عرض وتقديم : ياسر الفهد

كيف سيعيش الناس في مجتمع يمكن فيه اطالة الحياة واستبدال الاعضاء البشرية والتحكم في المواليد الجدد ، وكذلك تغير الشخصية والمزاج بالعقاقير الطبية والتأثير في الآخرين سيكولوجيا دون علم منهم الى جانب زيادة القدرة على التعلم والابداع واستعمال الانسان الآلي في شتى مرافق الحياة ؟ هل سينعم البشر بالسعادة ويخلدون الى الطمأنينة في ظل مثل هذا المجتمع ... المجتمع ما بعد الصناعي القادم ؟ !

أم ان العوامل السلبية ستدخل لتقلب الصورة وتضع امام تطور الحضارة البشرية عقبات جديدة لم تكن في الحسبان ؟

لقد اصبحت جميع دول العالم اليوم وبخاصة المتقدمة منها ملتزمة بتحديد مشكلات المستقبل واقتراح الوسائل الكفيلة بحلها . وكثيرة هي الكتب التي تحلق في آفاق الغد العريضة وتطوف في رحابه الواسعة محاولة فتح اقفاله واستشفاف مجاهله الا ان لكل من هذه الكتب وسيلته ومنظوره وحكمه الخاص به . والكتاب الذى نحن بصدد تقديم عرض واف له قيمة خاصة لانه يعالج القضايا الحساسة التى تستأثر باهتمام الحكومات والمؤسسات الاكاديمية ووسائل الاعلام والناس في كل مكان ، وذلك على مدى فترة طويلة جدا من الزمن . ومع ان الهدف الرئيسي للكتاب ينصب على رصد المشكلات في المدى البعيد جدا فانه يلامس الماضي ولا يتجاهل الحاضر ويتصدى لكثير من التطورات المرتقبة في المدى القريب والمتوسط وان كان يعدها ظواهر انتقالية لا بد ان يطالها التغيير في المستقبل البعيد . وبتعبير آخر فان الكتاب يبحث اين كنا واين نحن والى اين نتجه .

وهو يرى ان القرنين الماضيين والقرنين القادمين لهما من الاهمية في التاريخ البشرى ما للعشرة الاف سنة التى سبقت المئتى سنة المنصرمتين . ومن المعروف ان المشكلات لا يمكن فهمها بصورة علمية كاملة الا عندما تصبح تاريخا ويمكن تناولها من منظار تاريخى . وقد اضحى الاهتمام بالمستقبل على نطاق تاريخى امرا حيويا نظرا لان كثيرا من المفكرين والمختصين اخذوا يقرعون نواقيس الخطر ويتوجسون خيفة من احتمالات الغد وما يحمله بين طياته من اخطار .

وينظر كتاب (القرنان القادمان) الى المستقبل بامل باسم وبثقة بقدرة الانسان على حل المشكلات التى تصطلى بنارها البشرية وهو يرسم تصورا كاملا يتناول الدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء مع الايمان بان هذا المخطط ان لم ينطبق بكل تفاصيله على ما سوف يقع فعلا فانه سيكون قريبا جدا منه . وبما ان كثيرا من النشاطات والبرامج الذى يجرى تنفيذها الان تثير قضايا لا يمكن التعامل معها الا ضمن اطار زمنى بعيد المدى فان الكتاب يحاول استشراف آفاق قرنين كاملين قادمين من الزمان دون ان يهمل القاء الاضواء على بعض اتجاهات الماضي كما سبق واشرنا في حين ان معظم الكتب الاخرى لا تصل في حدود تنبؤاتها الى اكثر من بضع عشرات من السنين ، اى ان كتاب (القرنان القادمان) يتقصى حاجات احفادنا واحفاداحفادنا واهتماماتهم ، وهو يتسم بالمرونة لانه لا يغلق النقاش حول القضايا المطروحة او يضع حلولا متصلبة لها بل يبقى الباب مفتوحا على مصراعيه امام الحوار . ويحدد الكتاب الخطوط الفاصلة في التاريخ البشرى بالثورة الزراعية (اى معرفة الانسان بالزراعة لاول مرة) التى ولدت منذ عشرة الاف سنة وبالثورة الصناعية التى بدات في هولاندة وانجلترا منذ مئتي سنة . وقد انتشرت الثورة الثانية بالطريقة نفسها التى انتشرت بها الثورة الاولى ولكن تاثير الاولى استمر حتى اليوم في حين ان تاثير الثانية لا ينتظر ان يتعدى القرن الثاني والعشرين . ومن المتوقع ان يبرز خط فاصل جديد في اوائل القرن الواحد والعشرين يمثله الاقتصاد بعد الصناعي او فوق الصناعي ، الذى سترافقه تحولات اساسية في الثقافة والمؤسسات تؤدى الى ظهور مجتمع جديد هو المجتمع ما بعد الصناعى .

امل البلاد النامية

ومن القضايا الهامة التى عالجها الكتاب في صفحاته مستقبل التطور والنمو في البلدان النامية وهذا الموضوع يهمنا بصورة خاصة بوصفنا شعوبا نامية . ويرسم المؤلفون (كاهن ، براون ، مارتل) مستقبلا مشرقا لهذه الدول على الرغم من اعترافهم بوجود بعض العوامل السلبية التي تعمل في غير صالحها والمتمثلة بتدخل الدول المتطورة في شؤونها ومحاولتها تعويق تطورها بوسائل شتى منها اشاعة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعى فيها وتصدير الايديولوجيات الضارة اليها . اما العوامل الايجابية العشرة التى يتوقع ان تسهم في ازدهار الدول النامية فهى :

١ ـ توافر رؤوس الاموال بفضل الدخل البترولى المرتفع لدول الشرق الاوسط بعامة ودول الخليج العربى بخاصة .

٢ ـ القدرة على تصدير اليد العاملة : ومن المعلوم ان الدول المتقدمة سوف تعاني في المستقبل من نقص كبير في اليد العاملة يقابله وجود فائض منها في الدول النامية . وكل عامل يغادر بلاده للعمل في اوروبا او امريكا مثلا سيحصل على عشرة امثال دخله السابق تقريبا الى جانب ما يحرزه من خبرات ومهارات . وهكذا كله يشكل رصيدا لشعوب البلدان النامية .

٣ ـ امكانية استيراد مصانع كاملة : فقد تبين لكثير من رجال الاعمال الاميركيين والاوروبيين ان من الانسب لهم والاقل تكلفة ان ينقلوا الى البلدان النامية مصانعهم الكاملة ويستخدموا اليد العاملة المحلية فيها من ان يستوردوا عمالا منها . ولكن البلدان المذكورة . وهذا الاتجاه بدا فعلا في الظهور منذ فترة من الزمن واوضح مثال عليه المصانع اليابانية في تايوان وكوريا الجنوبية والمصانع الاميركية في آسيا الشرقية وجنوب شرقي اسيا ، ومن المتوقع ان ينتشر تصدير المصانع بهذه الطريقة بدرجة كبيرة في المستقبل مما سيحقق مصلحة الدول النامية والمتقدمة على السواء .

٤ ـ ازدهار صناعة السياحة في البلدان النامية كما في غيرها من بلدان العالم فهذه الصناعة اخذة بالاتساع وتتضاعف كل سنتين او ثلاث سنوات بسبب ازدياد رغبة الناس في السفر والتمتع بمزايا التجوال والطواف وفوائدهما . وما نشهده اليوم في مصر العربية وهونغ كونغ واسبانيا وتايوان وغيرها خير دليل على ذلك . ومن المنتظر ان تغدو السياحة في نهاية القرن الحالي واحدة من اكبر الصناعات في العالم .

٥ ـ سهولة انتقال التكنولوجيا : فهناك انواع كثيرة من التكنولوجيا العلمية والصناعية كان انتقالها في الماضي في حكم المستحيل فبات الان ممكنا وميسور المنال . وتملك اليوم كثير من الدول النامية مصانع صلب مستوردة يستطيع الواحد منها انتاج مليون طن في السنة ، وهناك ايضا الحاسبات الالكترونية التى اصبحت في متناول يد معظم ان لم يكن جميع ابناء الدول النامية . ولكن الاهم من ذلك انتقال التكنولوجيا الزراعية التى ما زالت هناك بعض الصعوبات التى تعيقها وينتظر ان تاخذ طريقها الى الزوال في غضون السنوات القليلة القادمة .

٦ ـ توافر النماذج والمؤسسات والخبراء في الدول الاجنبية المتطورة : فالدول النامية في مسيرتها التطورية يمكنها الافادة من النماذج الناجحة التى توفرها الدول المتطورة . وهناك مؤسسات اميركية وغربية كثيرة تعمل على تسهيل عملية التطور والنمو في البلدان النامية ، كما ان هناك طلابا من هذه البلدان يدرسون الاقتصاد في البلدان المتطورة واساتذة مؤهلين من اميركا والغرب يدرسونه في بلدان العالم الثالث .

وتحصل هذه الدول على معلومات مفيدة كثيرة في



من اليسار الى اليمين وليام براون وليون مارتل وهرمان كاهن

الكتب والمجلات الاجنبية وغيرها من وسائل الاتصال والخبرة المباشرة . كما ان بامكانها استئجار الخبراء والمهارات التقنية والمؤسسات العلمية الاجنبية على اساس تجاري .

٧ ـ استيراد النشاطات والاعمال التى يتخلى عنها ابناء الدول المتطورة : فهناك كثير من الاعمال والنشاطات التى لم يعد المواطنون الاغنياء والمدربون في الدول المتقدمة راغبين في الاستمرار بادائها ، ويستطيع مواطنو الدول النامية الفقراء وغير المدربين القيام بهذه الاعمال مما يسهم بايجاد سوق جيدة للعمل لهم ويخفف من حدة البطالة في بلادهم . ولكن هناك من يرون ان في احتفاظ مواطني الدول المتقدمة بالاعمال الراقية لانفسهم وتصديرهم الاعمال الدنيا لمواطني العالم الثالث استثمارا دنيئا واستضعافا لهم يجب الا يقبلوه. ولكن غيرهم يحاجون بانه في البلد الواحد يقوم الاثرياء والغنيون عادة بالاعمال (السارة) ويتركون الاعمال (غير السارة) للفقراء والاميين واذا كان هذا يطبق بين الافراد على الصعيد القومي ، فما الذي يمنع اذن تطبيقه بين الدول على الصعيد العالمي ؟

وعلى كل حال اذا قبل ابناء الدول النامية بمبدأ القيام بالاعمال التى يتخلى عنها مواطنو الدول المتقدمة فانهم يجب الا يقبلوا من هذه الاعمال ما يشكل خطرا على الصحة او يسبب تلوثا كبيرا للبيئة .

٨ ـ امكانية لجوء الدول النامية الى فرض تعرفات جمركية على الصناعات الخارجية حماية لصناعاتها الاهلية وتشجيعا لها . وبهذه الطريقة تصبح السلع المصنوعة محليا ارخص من السلع

الاجنبية المستوردة مما يكفل لها الرواج .

٩ ـ تضاؤل خطر الغزو العسكري : على الرغم من ان الدول الاستعمارية ما زالت تتدخل في الشؤون الداخلية للدول النامية وتمارس ضدها شتى انواع الضغوط السياسية والاقتصادية فان خطر غزوها عسكريا اخذ يتضاءل في العصر الحديث،باستثناء بعض الحالات الخاصة . وهذا يتيح للدول الصغيرة الضعيفةان تنعم بالامن وتركن الى الاستقرار وتتخلى عن الخوف من احتمال غزوها عسكريا من جانب الدول الكبرى القوية مما يخلق لها جوا مناسبا للنمو والتطور .

١٠ ـ المساعدة الخارجية : وقد آثر المؤلفون أن يضعوا هذا العامل في آخر قائمة العوامل الايجابية نظرا لانهم لا يعلقون عليه كبير اهمية ويعزون السبب الى ضعف هذه المساعدات وربطها في بعض الحالات بشروط تتنافى مع سيادة الدول النامية . ومن المتوقع مع مرور الزمن ان تتناقص هذه المساعدات التي لاتهدف الى مساعدة الدول الفقيرة بنية سليمة وقلب مفتوح .

نظام اقتصادي جديد

وهكذا فان الكتاب يرسم ملامح مشجعة لمستقبل الدول النامية التي ينتظر ان تسير في طريق التطور الاقتصادي بشكل يبعث على الرضى والتفاؤل وهو يتوقع ان يتراوح معدل دخل الفرد الواحد في هذه الدول بين (٥٠٠) الى (١٠٫٠٠٠) دولار خلال المئتي سنة القادمة .

اما بالنسبة للعالم بصورة عامة فان هذا المعدل سيتجاوز الالف دولار عند ثلثي الجنس البشري خلال العقود القادمة . وفي نهاية القرن الواحد والعشرين سيقفز الى اكثر من الفي دولار .

وعالج كتاب (القرنان القادمان) قضايا النمو والسكان من منظار جديد واتخذ مواقف تختلف عن كثير من المواقف التقليدية . ومنذ مئتي عام كان سكان العالم قليلي العدد وفقراء نسبيا ولكن هذا اخذ يتغير منذ ذلك الحين بصورة دراماتيكية . ويتوقع الكتاب تغيرا مماثلا خلال القرنين القادمين فيستمر التفجر السكاني وتزداد رفاهية البشر وسيطرتهم على الطبيعة ويصل عددهم في عام ٢١٧٦ اي بعد قرنين من الزمان الى (١٥) بليون نسمة . وهذا يتعارض مع رأي لستر براون في كتابه (من اجل صالح البشرية) الذي يطالب بتثبيت سكان العالم عند رقم معين لا يزيد على ستة بلايين نسمة . وعلى كل حال فان المؤلفين يرون ان تكاثر السكان الذي بدأ منذ الثورة الصناعية قد وصل الآن الى ذروته التاريخية وان نسبته ستاخذ قريبا في التباطؤ حتى يصبح المعدل معقولا ومعتدلا بعد قرن من الزمان ، وخلافا لكثير من الآراء الاخرى يرى الكتاب أن موارد الارض قادرة على مد السكان مهما تكاثر عددهم باحتياجاتهم الغذائية والكسائية لفترة غير محدودة من الزمن وهذا رأي جديد ينطوي على اهمية كبيرة .

وفي السنوات الاخيرة ابدى البعض تشاؤمهم من احتمالات النمو الاقتصادي والتكنولوجي والصناعي واتساع الهوة بين الدول الفقيرة النامية والدول الغنية المتقدمة كما تزايد القلق بشأن احتمال نضوب المصادر الطبيعية وبرزت تساؤلات كثيرة حول ما اذا كانت الدول الغنية تملك الحق الادبي في استهلاك كميات كبيرة من المصادر النادرة غير القابلة للتجديد .

وهناك ايضا مخاوف في الدول المتطورة من احتمال نشوء نظام اقتصادي جديد تشكل بموجبه دول العالم الثالث الغنية بالمصادر الطبيعية اتحادات Cartels تفرض من خلالها اسعارا عالية للسلع فهذا من شأنه ان يؤدي الى حد من رخاء الدول الغنية وما ترفل به من جلابيب الرفاهية المفرطة وجعل الحياة لاتطاق بالنسبة للدول النامية الاخرى الفقيرة بالمصادر الطبيعية او التي لاتنضم الى كارتلات . وبالاضافة الى كل ذلك تتناقص اليوم او تنعدم الثقة في مقدرة زعماء الدول المتقدمة على معالجة المشكلات الاقتصادية التي تعصف بالعالم وتقض مضجعه كما ان ماحدث في جنوب شرقي آسيا قد اودى بالدور القائد للولايات المتحدة في الشئون الاقتصادية الدولية بعد ان قوض سمعتها الاخلاقية . ومن الامور الاخرى التي كانت مثار قلق التضخم النقدي العالمي الذي جعل المؤسسات الاقتصادية الدولية التي انشئت بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، في موضع تساؤل .

وهناك ايضا انتشار البيروقراطيات اي حكومات الموظفين التي تصرف من خلالها مبالغ طائلة من ميزانية الدولة على اعداد هائلة من الموظفين .

ونتيجة لكل ذلك انعقد الاجماع بين كثير من المراقبين على ان التاريخ البشري قد وصل الى منعطف او مفترق طرق فاما مستقبل اكثر قتامة وتقشفا واما تحول دراماتيكي وثوري في الاقتصاد

والمجتمع . وقد اوحت الحقائق الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والاخلاقية لمعظم المختصين بان لابد من اجراء تغيير اساسي في النشاطات البشرية يحول التأكيد من النمو الاقتصادي الى ابطاء هذا النمو ومن الرخاء الى التقشف ومن تبذير الاقلية واسرافها الى التوزيع العادل للمنتجات المحدودة بين جميع الناس .

ولكن معهد هدسن في الولايات المتحدة ـ ومؤلفو كتاب القرنان القادمان اعضاء فيه ـ الذي عكف لفترة من الزمن على دراسة هذه القضايا ينظر اليها من منظار مختلف ، ويرى ان تشاؤم الكثيرين ناجم عن سوء فهم للحقائق الراهنة . ويعتقد مؤلفو الكتاب الذين يمثلون المعهد ان انتهاج الحكمة وسلوك مسلك الذكاء في معالجة المشكلات الاقتصادية يمكن ان يفسح المجال لاستمرار النمو الاقتصادي لفترة معقولة من الزمن وسيكون هذا في مصلحة البشرية لاضدها . وبدون استمرار النمو حسب رأيهم فان الفجوة الواسعة بين الدول الغنية والدول الفقيرة التي تشكو منها اليوم بمرارة ستبقى كما هي ويستحيل سدها ، كما ان وضع حد للنمو سيؤدي الى الحكم على الفقراء بالفقر الابدي وبتفاقم التوترات الحالية القائمة بين الموسرين والمعوزين . ومع ذلك فان المؤلفين لايطالبون باستمرار النمو الى زمن غير محدود بل لفترة معينة من الزمن يصار بعدها الى انقاص معدله بالتدريج .

مستعمرات الفضاء

وقد تصدى الكتاب لموضوع النشاط الفضائي نظرا لما له من علاقة بالنواحي السكانية والتنموية وهناك في هذا المجال تصوران او احتمالان :

الاول يتجلى في استمرار اقامة البشر في الارض خلال القرنين القادمين مع بقاء النشاط الفضائي مقتصرا على الاستكشاف والاستثمار ضمن حدود متواضعة وفي هذه الحالة لن يكون له اي تاثير في نسبة النمو السكاني او معدل الانتاج القومي الاجمالي على الارض .

والثاني يفترض بذل جهود كبيرة في حقل الفضاء تتمخض خلال القرن الواحد والعشرين عن انشاء مستعمرات كبيرة في الفضاء تقوم بتصنيع المواد الخام وانتاج الطاقة والسلع من اجل الاستهلاك المحلي في هذه المستعمرات او التصدير الى الارض او الى مستعمرات اخرى في النظام الشمسي .

ومثل هذه التطورات تستلزم هجرة واسعة النطاق من الارض . وفي هذه الحالة سيكون للنشاطات الفضائية تاثير في نسبة النمو السكاني ومعدل الانتاج القومي الاجمالي على الارض .

ويرى المؤلفون ان غلبة احد الاحتمالين السابقين على الاخر يتوقف على عدة عوامل معقدة الا انهم يرجحون الاحتمال الثاني .

ومن القضايا العالمية الاخرى التي تعرض لها الكتاب مستقبل السياسة والمجتمع مابعد الصناعي . ففي المجال السياسي هناك عدة توقعات رئيسية

ا ـ اتجاه كثير من الدول نحو الديمقراطية

ب ـ انشاء مؤسسات دولية لمعالجة القضايا التي ستبرز في القرن الواحد والعشرين وبعضها ستكون جزءا من هيئة الامم المتحدة الحالية

جـ ـ ازدياد الميل نحو فكرة الحكومة العالمية الفدرالية

د ـ تناقص حدة التنافس الدولي

هـ ـ اتجاه الدول الكبرى نحو تقليص تدخلها في شؤون الدول الصغرى .

و ـ ازدياد التعاون الدولي

ز ـ ضعف الميل للحروب بسبب القناعة بان التنمية الداخلية هي الوسيلة المناسبة للامان والطمانينة .

وفي محاولة لرسم ملامح المجتمع مابعد الصناعي يبين الكتاب ان المجتمع الصناعي ظهر في أعقاب الثورة الصناعية التي انبثقت منذ مئتي سنة (وقد بدأت بالاختراع فالتطبيق فالاستثمار) ثم تلاه اليوم المجتمع الصناعي المتطور ، وفي اواخر القرن الحالي واوائل القرن العشرين سيبرز المجتمع ما بعد الصناعي او فوق الصناعي وفي المدى البعيد جدا ستصل جميع دول العالم الى هذه المرحلة .

قفزات هائلة

وفي المجتمع ما بعد الصناعي ستكون الحياة مختلفة كل الاختلاف عما هي عليه اليوم لان العلم والطب والتكنولوجيا ستحقق قفزات هائلة ذات تاثير كبير في طراز المعيشة .

ومن هذه القفزات :

١ ـ اطالة الحياة والقضاء على امراض القلب والسرطان ٢ ـ تطبيق تقنية استبدال الاعضاء البشرية ٣ ـ احتمال نجاح تقنية تجديد الاعضاء البشرية ٤ ـ التاثير في تكوين المواليد الجدد

بواسطة هندسة الوراثة ٥ ـ تغير الشخصية والمزاج بالعقاقير الطبية ٦ ـ زيادة القدرة على التعلم والابداع والاتصال بطرق طبية وسيكلوجية مختلفة ٧ ـ القدرة علم التأثير في الاخرين سيكلوجيا دون علم منهم ٨ ـ الاستعمال المتزايد للالة الالكترونية والانسان الالي في الحياة . ٩ ـ وفرة المواد الغذائية والسلع .

ترى هل سيجد الانسان السرور والسعادة في مثل هذا المجتمع المتقدم جدا ؟ ان الكتاب لا يقدم جوابا لهذاالسؤال ولا تصورا محددا لطرازالحياة والقيم والاخلاق والمواقف والتنظيمات الاجتماعية التي ستسود في المجتمع ما بعد الصناعي بل يترك ذلك للزمن ومع ذلك فانه يتنبأ ببعض التطورات الاجتماعية المشجعةمثل ضعف التنافس والحقد بين الناس بفضل وفرة المواد الغذائية والسلع ، وازدياد الميل الى السفر والسياحة وتناقص الخلافات بين الشعوب بسبب تقلص الهوة بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة .

ومن المشكلات الحساسة الاخرى التي عولجت (مستقبل البيئة) و (توافر المواد المعدنية) : وفي حين يذهب الكثيرون الى أن التكنولوجيا المتقدمة هي سبب تلوث البيئة فان المؤلفين يرون انه اذا كانت التكنولوجيا تنتج سيارات تلوث الجو فان هذا يرجع الى ان المهندسين لم يدخلوا اعتبار التلوث في حسابهم عند تصميم السيارات وبالتالي فان تحسين الاساليب التكنولوجية كفيل بان يؤدي الى انتاج سيارات اقل تلويثا . والمسألة تتعلق بصورة اساسية بالتكاليف . ومن المنتظر ان يتم خلال السنوات القليلة القادمة صنع سيارات نظيفة بصورة كاملة ولا تسبب اي تلوث على الاطلاق ولكنها ستكون بالطبع باهظة التكاليف .

وهكذا فان المؤلفين يقفون على طرفي نقيض مع اولئك الذين يرون أن حل مشكلة التلوث يمكن أن يتم بتحديد النمو .

وبدلا من ذلك يقترحون تطوير التكنولوجيا حتى تصبح قادرة على استئصال شأفة التلوث وقطع دابره في المعامل والسيارات أو على الاقل تخفيفه بدرجة ملموسة . وهذا يرجى توقعه في المدى القريب . ويتصور الكتاب عدة احتمالات يمكن أن تهدد بيئتنا الارضية في المدى البعيد :

١ ـ وقوع حرب نووية تترك قسما من البيئة الارضية يبابا وقاعا صفصفا .

ب ـ تبرد الارض وظهور عصر جليدي جديد .

جـ ـ تسخن الارض وذوبان البقع الجليدية وما يستتبع ذلك من فيضانات واخطار مختلفة .

د ـ فناء جزء من طبقة الاوزون المحيطة بالجو .

و ـ لجوء بعض العلماء الى اطلاق فيروسات مسببة للاوبئة .

ز ـ زوال معظم المناظر الطبيعية بسبب استثمار الاراضي الطبيعة لاغراض العمران والاسكان .

جـ ـ تعرض قشرة الارض لتلف خطير بسبب التأثيرات البيئية المعقدة .

ط ـ الكوارث الطبيعية الطارئة .

ويدعو المؤلفون الى انشاء مؤسسات عالمية لدراسة الظواهر الطبيعية غير المحتملة حتى تكون بمثابة اجهزة انذار مبكر بالنسبة للمشكلات البيئية بعيدة المدى .

فائض المواد المعدنية

اما بالنسبة للمواد المعدنية فان العديد من المختصين يتوقعون حدوث نقص اساسي في هذه المواد في المستقبل . ولكن كتاب (القرنان القادمان) يذهب مذهبا متفائلا ويرى مؤلفوه أن هنالك فائضا من المواد المعدنية للجيل الحاضر وللاجيال القادمة وانه كلما احرز الانسان تقدما تكنولوجيا واقتصاديا اكبر ، ازداد توافر المزيد من المعادن للانسانية جمعاء .

ويقدر المؤلفون بأن الحاجة السنوية الى المواد المعدنية في عام (٢١٧٦) ستكون اكثر منها الان بستين مرة . ومع أن توزع هذه المواد لن يكون عادلا بين جميع دول العالم فانه لن تكون هنالك ندرة في أي مادة باستثناء الذهب والفضة لانهما في الاصل نادران .

وهذا يتناقض مع رأي دنيس ميدوز . وهو من مؤيدي النظرية المالثوزية الجديدة ويذهب الى أن (١٩) معدنا سوف تنفد خلال قرن اذا استمر النمو الاقتصادي بمعدله الحالي . ويدعو الكتاب الى التوسع في عمليات استكشاف المعادن والوصول الى اتفاقات دولية لتنظيم البحث عن المصادر المعدنية في المحيطات والى تخزين المواد الخام الاساسية في مستودعات كبيرة لاستخدامها في حالات الطوارىء .

وقد احتلت مشكلتا الطاقة والغذاء حيزا

لا بأس به من الكتاب . وكما كان الحال بالنسبة للقضايا السابقة فان التوقعات هنا أيضا مفعمة بالتفاؤل ومترعة بالامال ففي حين تذهب معظم التنبؤات الى أن اسعار الطاقة ستميل الى الارتفاع بدرجة مخيفة في المستقبل مما سيسفر بالتالي عن الحد من استهلاكها فان الكتاب يتكهن بأن هذه الاسعار ستستمر كما هي او تزيد قليلا ثم تقف بعد ذلك في منتصف الطريق بين الرخص والغلاء أي انها لن تكون رخيصة كما هي اليوم . ولا مكلفة كما يوجس المتشائمون . لكن بعد قرنين من الزمان فان الحال ستختلف بالطبع وسوف تتفاوت اسعار الطاقة بين اسعارها الحالية وثلاثة اضعافها . أما استهلاك الطاقة فيتوقع الكتاب ان يستمر ولكن دون هدر أو اسراف لا مبرر له . ومن المؤمل ان يتم استخدام آلات جديدة كفية تستهلك القليل من الطاقة وتحقق الكثير من المردود لها .

وطالما أن سعر برميل النفط يتراوح تقريبا بين (٥) و (٦) دولارات فان الاتجاهات الحالية في الاستهلاك ستستمر مع تحول بطيء نحو الفحم ولكن ارتفاع هذه الاسعار سيفضي الى وقوع تحول رئيسي في الاستهلاك نحو الفحم . ولحسن الحظ ان هناك من الفحم كميات احتياطية هائلة يمكن ان تسد حاجة البشرية لفترة طويلة جدا من الزمن . وفي أواسط القرن الواحد والعشرين يعتقد المؤلفون ان معظم امدادات الطاقة ستأتي من المصادر الشمسية ومن مفاعلات الانشطار النووي والانصهار الهيدروجيني وكذلك من المصادر الارضية الحرارية وبالنسبة لهذه الاخيرة فان من المعروف أن الاعماق الحارة في الارض سحيقة جدا الى درجة لا تسمح بالاستغلال التجاري لها ولكن العقود القادمة ستشهد تقدما ملموسا يسمح باستثمار محتويات أعماق الارض الساخنة كمصادر للطاقة .

التكنولوجيا والغذاء

أما بالنسبة للغذاء والزراعة فان الكثيرين يعتقدون ان الفجوة التي تفصل بين الطلب عليه وتوافره ستزداد اتساعا وبخاصة في الدول النامية التي يقف بعضها الآن فعلا على شفا هاوية المجاعة . وقد اسهم في هذه النظرة المتشائمة القحط الذي انتشر خلال عامي (١٩٧٢) و (١٩٧٤) في كثير من البلدان ومنها الولايات المتحدة ، مع أن سنتين عجافا من الطقس الرديء لا يمثلان اكثر من سوء حظ عابر في نظر مؤلفي الكتاب الذين يبشرون بمستقبل غذائي باسم سواء من حيث معدل الكمية الغذائية لكل فرد او الميزان الغذائي للدول التي ترزح تحت وطأة عجز في هذا الميزان ، وذلك باستثناء بعض الازمات الطارئة التي قد تنجم عن كوارث طبيعية مفاجئة . ويرى هؤلاء ان تطوير التكنولوجيا سيؤدي الى توفير الغذاء الكافي لجميع الدول حتى الفقيرة منها . ومما يسهم في ذلك نقل الاساليب الزراعية المتقدمة المتبعة في الدول المتقدمة الى الدول النامية ، ومن ذلك تعليم الفلاحين وتدريبهم ، وتطوير الاراضي ذات الانتاجية العالية ، توفير المال الكافي لشراء الآلات والاوائل الزراعية الحديثة ، استعمال وسائل التخزين والنقل المناسبة ، اجراء الابحاث الزراعية ، توسيع شبكة المواصلات حتى تشمل مناطق نائية جدا ، ايجاد الاسواق المناسبة لشراء المواد الغذائية وبيعها ، انشاء المزيد من المدارس الزراعية ... الخ . ويؤكد الكتاب على حاجة الدول المتقدمة والنامية على السواء الى استعمال تكنولوجيات زراعية جديدة غير تقليدية الى جانب تطوير التكنولوجيات الحالية . ويتوقع المؤلفون أن تتوافر خلال العقدين القادمين امكانية دعم المد الغذائي بانتاج البروتين وحيد الخلية وهذا البروتين يمكن تنميته في وسط يعتمد على البترول او بتحويل سللوز الورق او الخشب او النفايات الى جلوكوز ثم تحويل الجلوكوز بتفاعلات كيميائية معينة الى بروتينات وحيدة الخلية . ويؤكد المؤلفون على أن المشكلة العاجلة بالنسبة للغذاء لا تتمثل بمدى القدرة على انتاجه بل بحسن توزيعه بين الناس .

يتضح من العرض السابق أن كتاب (القرنان القادمان) قد غطى جملة من أهم المشكلات التي تثقل كاهل الانسان وتؤرق جفنيه واورد كثيرا من الافكار الجديدة التي تحمل بشائر الخير والرخاء للبشرية دون أن يقلل من أهمية الاخطار المحدقة بمستقبل الارض والبيئة . فهل تثبت العقود القادمة أن المؤلفين كانوا محقين في تفاؤلهم واستبشارهم بالغد المشرق أم ان الرياح ستجري بما لا تشتهي السفن ؟! ■■

ياسر الفهد ـ دمشق

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٤٥ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يونيو (حزيران) ١٩٧٩ ٠

اثنتان في واحدة :

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من أشهر الدعاة الفاطميين ، كما ستجد في(٨) رأسيا اسم قائد أموي ٠

الكلمات الأفقية :

(١) في العين ـ عاصمة اسيوية ٠

(٢) فلكي ورياضي فرنسي ساهم في وضع الحساب المتري ـ من الأشجار ـ قحط ٠

(٣) وحدة قياس طولية ـ للتفسير ـ يعد ٠

(٤) لفظ تعجب ـ معركة انتصر فيها خالد بن الوليد على البيزنطيين ـ من الفرائض ٠

(٥) تتحكم في تدفق السوائل ـ وحدات قياس زمنية ـ نصف كلمة (لطيف) ٠

(٦) عالم فرنسي حقق الاستخدام العملي لغاز الاستصباح ـ للتعريف ـ مرض ـ مرور ٠

(٧) يسكن ـ خليفة قتله هولاكو ـ حرفان متشابهان ٠

(٨) من أشهر الدعاة الفاطميين ٠

(٩) من الحشرات ـ وعاء ـ ارض مرتفعة ٠

(١٠) مقام موسيقي ـ من سور القرآن الكريم ـ فوقه ـ أسف ٠

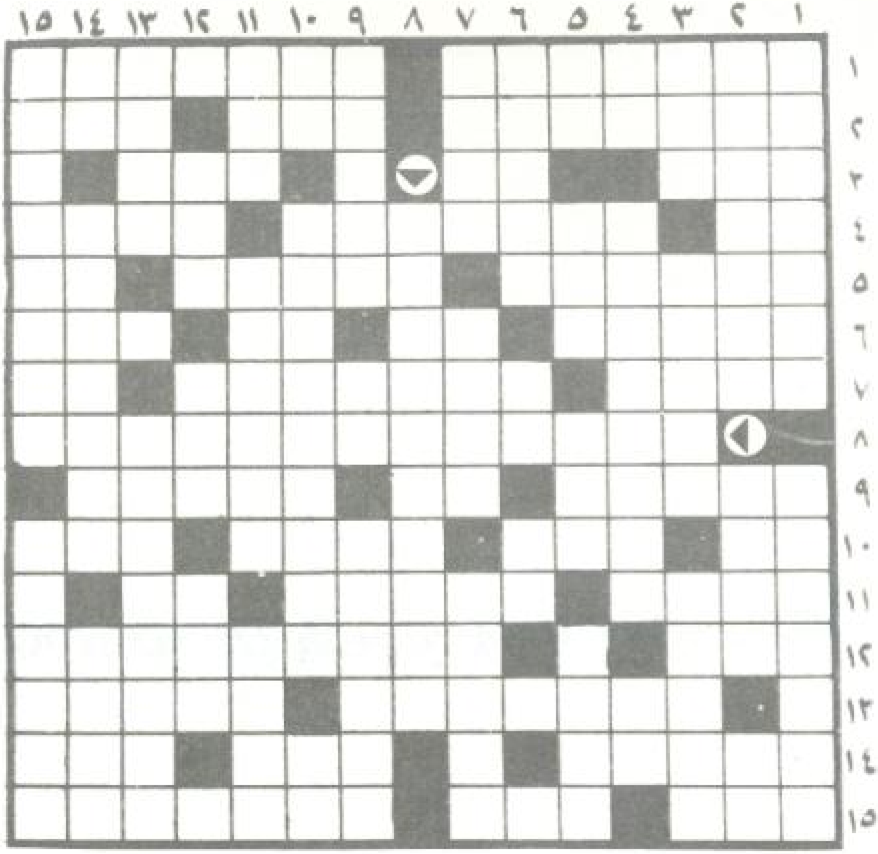
(١١) مصائد ـ يقابلك ـ مقام موسيقي ٠

(١٢) حيوان ـ لقب شاعر عربي معاصر ٠

(١٣) من أهم أنهار الصين ـ في الفم ٠

(١٤) خبرة ـ قطع في الجلد ـ تبر ٠

(١٥) من أعضاء الجسم ـ حرمه الدين ـ عاصمة عربية ٠



الكلمات الرأسية :

(١) لقب موسيقى شهير من عصر الرشيد ـ عالم يونانى شهير سابق للميلاد •

(٢) من اللغات القديمة ـ عملة عربية ـ نصف كلمة (رائد) •

(٣) من النباتات ـ أجسام ـ تعب •

(٤) شاطىء ـ الاسم الاول لكافور الاخشيدى ـ لفظ تعجب •

(٥) الروح عند الفراعنة ـ رخو ـ محافظة سورية ـ حانق •

(٦) شهر ميلادى ـ رمز جبرى ـ للتفسير •

(٧) شدة الحر ـ النظير ـ أحرفها وائها •

(٨) قائد اموى •

(٩) من المكاييل ـ خطر ـ اكبر بحيرات اوروبا •

(١٠) نصف كلمة (ارغب) ـ من جمهوريات امريكا الوسطى ـ نصف كلمة (شارل)•

(١١) من أجزاء الذراع ـ من الفرائض ـ تالى•

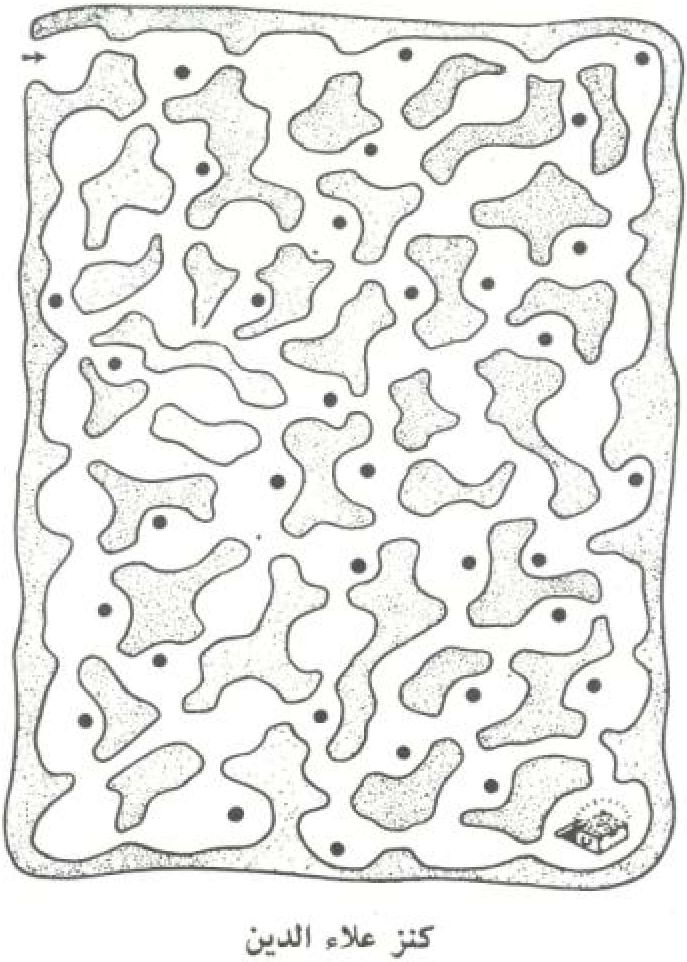
(١٢) حكت ـ من أجزاء النهر ـ من اقسام السنة •

(١٣) من الالعاب الرياضية ـ كاتب مسرحى اسبانى حصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٢ •

(١٤) نصف كلمة (تدور) ـ القرائن المنظورة ـ كثير •

(١٥) شاعر ووزير أيوبى ـ فى المبانى الاسلامية•

كوبون مسابقة العدد ٢٤٥



كنز علاء الدين

مضى علاء الدين يريد أن يصل الى الكنز الذى يستقر فى جوف الكهف القريب ، بممراته المتشابكة داخل جسم الجبل • وكان عليه أن يحترس من **هجوم الوحوش الضخمة التى** تنتشر فى ثنايا هذه الممرات ، رابضة لا تقدر على الحركة ، لكنها تلتهم كل من يمر بها •

لم يكن مع علاء الدين عند دخـــوله الى الكهف سوى اربعة سهام فقط ، بمهارته يستطيع ان يردى بها اربعة وحوش فقط ،فهل يستطيع ان يصل الى الكنز دون ان يضطر الى **المرور على اكثر من هذا العدد من** الوحوش ؟ ••

سياسى انجليزى شهير

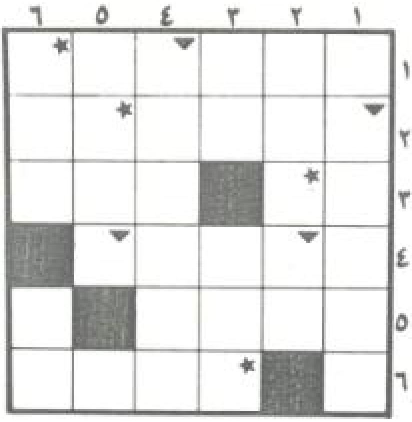
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لسياسى انجليزى شهير . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

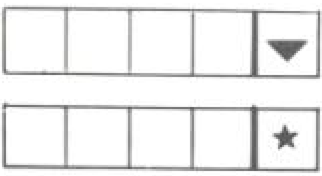
الكلمات الأفقية :

(١) الحائط .
(٢) اكبر بحيرات اوروبا .
(٣) حرفان متشابهان ـ اذن .
(٤) من الفاكهة .
(٥) انصت .
(٦) من الأسماء الحسنى .

الكلمات الراسية :

(١) من الحيوانات .
(٢) عاصمة افريقية .
(٣) من الاقارب ـ رفعة .
(٤) مؤثرات سلوكه .
(٥) انفع .
(٦) اعجب ـ من الاقارب .

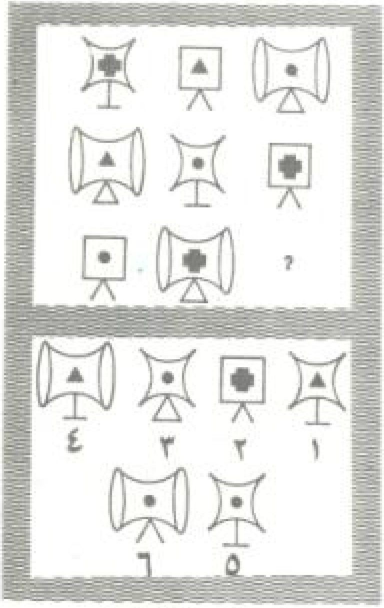




اين الصواب .. وأين الخطا ؟ ..

هذه المعلومات العشر ، بعضها صحيح ،وبعضها خطا ، فهل تستطيع التمييز بينها ؟

(١) بارموث : من الحيوانات المنقرضة .
(٢) هيليوم : غاز اقل من الايدروجين .
(٣) وليم هارفى : مكتشف الدورة الدموية فى الجسم .
(٤) مندل : من قواد الحملة الصليبية .
(٥) هانيبال : قائد المانى شهير فى الحرب العالمية الاولى .
(٦) بنتون : كوكب فى مجموعتنا الشمسية .
(٧) ميكل انجلو : فنان ونحات ايطالى من عصر النهضة .
(٨) نينوى : عاصمة الامبراطورية الاشورية القديمة .
(٩) ملبورن : ميناء انجليزى .
(١٠) دكتافـون : جهاز يستخدمه ضعاف السمع .



الشكل المطلوب

● من دراسة العلاقات بين الأشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الأشكال ذات الأرقام ، يجب ان يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :
لويد جورج .

أين الصواب .. وأين الخطأ ..

٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ صحيحة .
(١) يارموث : ميناء صيد بانجلترا .
(٤) مندل : عالم وصاحب نظرية فى علم الوراثة .
(٥) هانيبال : من أعظم قواد قرطاجنة .
(٩) ملبورن : احدى المدن الكبرى فـى استراليا .
(١٠) دكتافون : جهاز تسجيل للمكاتب .

الشكـل المطـلوب :

رقم ١ .



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٧٩

١١٥ / ٣

من الأعمال المختارة

يوجين اونيل - ٣

مرحلة الواقعية الاولى

رغبة تحت شجر الدردار

ترجمة وتقديم : د . عبدالله عبدالحافظ متولي
مراجعة : د . محمد سمير عبدالحميد


في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
CHRONOGRAPH
ORIENT
ربما يكون اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية ،
بإمكانك الاعتماد على "أورينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة أورينت كوارتز"
سوبر الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم تستمد
طاقة لا محدودة من الشمس، وساعة "أورينت كوارتز" الأنيقة
والجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ. مثل جميع ساعات "أورينت" يحتوي
هذان الطرازان على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من إنجازات تقنية.
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة. ساعات أورينت كوارتز
دقيقة ورفيعة المستوى. إنها أكثر من مجرد وجه جميل آخر.
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST



فكّـــــر ...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط التفحص ، ووضع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها .

ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فإن موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا يمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلص » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار . الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ .

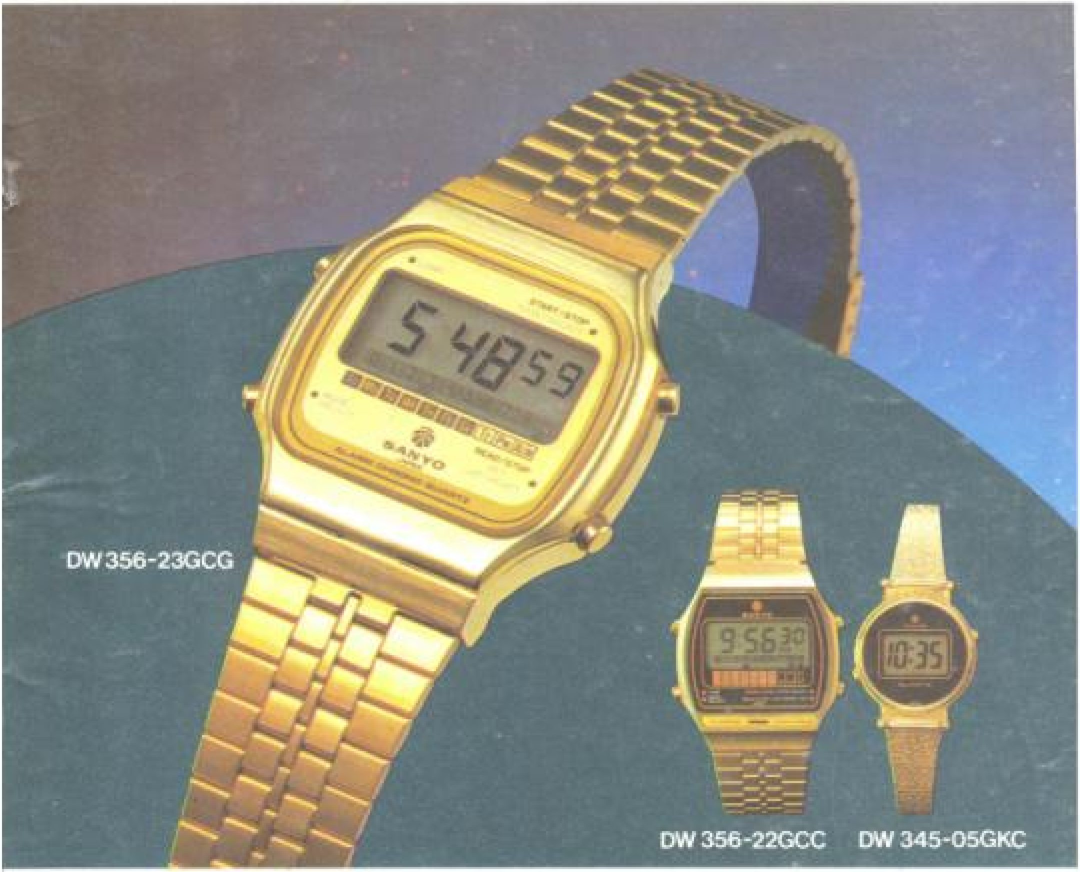
وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص. ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ ، البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص. ب ٥٣٤٣ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ ، دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص. ب ٦٢٦٠ ، العين ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، الأردن : الشركة الاردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص. ب ٣١٣ ، عمان ، هاتف ٣٨٣٦٣/٦٤/٦٥ ، الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص. ب ٦٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٥٥٥/٥٦ ، الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراع والقوى الزراعية (جسيكا) ، ص. ب ٣٦٥ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٥ ، فرع بنغازي ، ٩٢٣٣٩ ، مصر مانتراك ، ٦٨ شارع أحمد شكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٢٥٩٤٣/٨-٥٩٩٥ ، عمان : شركة الواحة للتجارة والمعدات ، ص. ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٣١٦٠٠ ، قطر : محمد عبد الرحمن البحر ص. ب ٢٧٣١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الى المحدودة ، ص. ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٦٧٣٦١ ، الفروع : الدمام - ٢٢٥٩٤ ، الرياض - ٨٤٦٤٨ ، سوريا : عزت الجلاد وأولاده ، ص. ب ٢٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٣١ ، ويوجد فرع في حلب ، تونس طلوسة بن حرحيل ص. ب ... ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦٥٧٧ ، الجمهورية العربية اليمنية شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص. ب ٣٣٩٧ ، الحديدة ، هاتف ٢٥٠٦ ، يوجد فرع في صنعاء

CATERPILLAR


صورة تلفزيونية ملتقطة
سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح.
برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء.
شاهد البرامج العديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهد عادة
شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية
التثقيفية والوثائقية والالهو العائلي البريء على جميع أنواعه.
يمكنك أيضاً حق تصوير الرحلة في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
معاً لبثها أمامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني.
بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً. وهو سهل الاستعمال.
زوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
المفضلة أو لبثها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك.
بيتاماكس انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك.
KV-2010ME
SL-8000E
سوني بيتاماكس Sony Betamax
شاهد ما فاتتك مشاهدته

تصميم عصري انيق
لأداء عملي متفوّق



دقة مذهلة من إحدى أكبر الشركات الالكترونية الرائدة في العالم ... سانيو.

تمتاز ساعات الكوارتز أعلاه للرجال والنساء بدقة تصميمها وبالأعمال الوظيفية التي تؤديها. جميعها تشترك في شيء واحد: استخدامها الكوارتز - كريستال لآلية المذبذب واعتمادها على آلية LSI من سانيو لتحتفظ بدقة شهرية بمعدل ± ١٥ ثانية

ساعة سانيو بدقة الكوارتز أفضل دليل لك طوال النهار حيث توفر لك الكثير إضافة إلى الوقت والتاريخ (بالتقويم الأوتوماتيكي) واليوم.

10:35 00	0:00 00	10:00 AL
التوقيت المتوافق لمعرفة الوقت في منطقة أخرى بمجرد لمس الزر.	ساعة التوقيت لتكبيلة واسعة من الوظائف الرياضية تصل إلى ١/١٠٠ الثانية.	آلية التنبيه ستوقظك على صوت ناعم.



SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٤٦ / جمادى الثانى ١٣٩٩ / مايو "أيار" ١٩٧٩



العمارة اليمنية تتحدى!

عزيزي القارئ

لا نظن أن الامة العربية عاشت مرحلة مليئة بشواهد الاحباط والتشاؤم مثل تلك التى نعيشها الان • ولا نبالغ اذا قلنا ان الصدمة فى العالم العربى ، تكاد تفوق بكثير تلك الصدمة التى صعقتنا جميعا فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧م • لقد حدثت الهزيمة وقتئذ ، لكن بصيص الامل ظل باقيا ، وان كان ضعيفا وشاحبا • لكن الذى نواجهه الان هو موجة تذهب الى أبعد مما حدث فى عام ٦٧ ، اذ المهدد هذه المرة هو الامل ذاته • هو غد هذه الامة ومستقبلها •

وهذه الحقيقة ينبغى أن تستنفر فينا كل طاقات وقدرات الرؤية ، لنعى حجم الاخطار المحدقة • اذ لن تتوقف محاولات تمزيق الامة العربية وقطع أوصالها • ولن تتوقف جهود البث والترويج للوقيعة بين الجماهير العربية العريضة • ولن تسكت أصوات جاهلية هذا الزمان الداعية الى كافة صور ونعرات الشعوبية والطائفية •

والتحذير من الانزلاق فى هذا الاتجاه الخطر ضرورة ملحة • والدعوة الى سد المنافذ أمام دعوات الفرقة هذه مسئولية قومية • والتشبث بكل صيغة لرأب الصدع العربى ، أو للعمل العربى ، هو ضمان قد يشكل أملا للمستقبل •

وهنا تبرز أهمية استمرار نشاطات المنظمات العربية المتخصصة ، من ثقافية واقتصادية واجتماعية • اذ أن هذه المنظمات مطالبة أكثر من أى وقت مضى بأن تواصل العمل والاعداد لغد لا بد قادم يوما ما ، وان بعدت الشقة وطال السفر ! ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 246 May 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● تشكل العمارة اليمنية أحد الاوجه العظيمة والمنسية في حياتنا العربية، وتكشف خطوط تلك العمارة الرائعة عن مواهب كامنة ودفينة في الشعب اليمني ، لم تسنح الظروف لاستثمارها على الوجه الافضل • والى جانب ذلك فان هذه العمارة تعبر عن قدر من الاصالة ضارب القدم في جذور التاريخ • وحول هذه العمارة التى تعبر صورة الغلاف عن جانب منها ، كان استطلاع هذا الشهر • انظر الصفحات ـ ٧٦ •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : براجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر • للمشتركين في جمهورية مصر العربية •

الحل والضمان:

بقلم: أحمد بهاء الدين

ضرورات هذا الحديث بالذات كثيرة .

فنحن العرب نمر بأزمة مذلهمة . وربما لم نمر بمثلها منذ نصف قرن .

وليست هذه مقارنة بين حال وحال .ولا بين زمن وزمن. فمنذ نصف قرن كانت معظم البلاد العربية محتلة ، مسلوبة الارادة . وكانت معظمها فقيرة متخلفة . ثرواتها اما مجهولة، واما مملوكة للاجنبي المغتصب. وجيوشها غير موجودة. وحكامها من صنع المستعمرين في الاغلب . الى غير ذلك مما نعرف من حال الامة العربية والشعوب الاسلامية قبل نصف قرن ، اى قبل الحرب العالمية الثانية .

والان نرى الصورة بالتأكيد غير الصورة . صحيح لقد اغتصب من أرضهم قطر عزيز هو فلسطين ، واحتلت اسرائيل أراضى من ثلاث دول عربية أخرى . ولكن الدول العربية صارت مستقلة الارادة في مجموعها . لها مقومات الدول في معظم الاحوال . ولها جيوش ودبابات وطائرات . ولها ثقافة وفكر وفن وادب . ولها ثروات ضخمة . وأموال تؤثر في حياة العالم . وبعد أن كانت الكلمة تعبر أرجاءها في شهور صارت لديها من محطات الاذاعة والتليفزيون والصحف والاذاعات ووسائل التعبير ما لا يقل في نسبته الى عددها السكاني عن مثله في كثير من البلاد المتحضرة .

ولسنا في حاجة الى الاطالة . ولكن كل قارىء يعرف أن الامة العربية بما لها من موقع وما فيها من ثروات ، وما يتدافع داخلها من تيارات ، صارت أحد أهم ما يؤرق العالم من هموم . حتى أن الناس في أى مكان في العالم اذا تلفتوا الى مكان

حق التفكير والتعبير !

يمكن ان يؤدى الى قيام حرب عالمية ثالثة • اشاروا باصابعهم الى شرقنا الاوسط ، أو الى عالمنا العربى •

وكان هذا وحده كفيلا بان يضعنا امام أخطر الامتحانات واصعبها • فالاهتمام العالمى اذا كان موضع فخر فهو يجر الى التدخل • فتحوم وحوش الغابة وجوارح الطير من كل جانب • تبحث عن مواضع للخطأ وثغرات للانقسام •

وكان زيادة وسائل التعبير فى بلادنا زادت من سوء التفاهم بينها وليس العكس•

وكان المجلة الواحدة التي كانت تصل بين قطر وقطر ، تبل الريق كقطرة الماء ، كانت أفعل فى تفاهم شعوبنا من الضجيج الاعلامي اليومى الهائل ، المتواصل ، الذى يعبر آلاف الاميال فى أقل من الثانية ••ولكن القضية فى كلتا الحالتين ، والقضية فى كل العصور والقرون ، تبقى واحدة •

ان حرية الرأى وفتح الباب لتعدد الفكر هو المخرج ، هو المخلص ، هو صمام الامان لكل أمة وكل شعب وكل مجتمع وكل نظام ••

وقهر حرية الفكر قد يكون عمل فرد •كما كان يحدث قديما فى بعض العصور الخالية • وقد يكون عمل آلاف الافراد والصحف والميكروفانات والكتب ، كما يحدث احيانا فى أكثر المجتمعات تقدما ••

والعاقبة فى كلتا الحالتين وخيمة ••

وقد استوقفنى هذا فى مناسبتين :احداهما ، كنت استرجع فيها حادثا فكريا

قديما من تراثنا . والمناسبة الثانية كنت أقرأ فيها كتابا جديدا مما أخرجته مطابع الولايات المتحدة الامريكية حديثا ..

ولكنهما ، على بعد الشقة ، واختلاف النتائج ، واختلاف نوع المجتمع تماما ، يوصلاننا الى نفس الاستنتاج . وربما كان الاستنتاج الواحد من محنتين مختلفتين تماما ، هو العبرة . فالعبرة الواحدة من ظروف غاية فى الاختلاف ، أقوى مائة مرة من عبرة تنتجها وتفرزها ظروف متشابهة ..

القصة الاولى ، قصة محنة أحمد بن حنبل مع الخليفة المعتصم ..

وبايجاز ودون خوض فى التفاصيل ، ثارت فى أواخر عهد الخليفة المأمون قضية فكرية انقسم حولها الناس وهى : هل القرآن قديم ، أو أن وجوده مرتبط بوجود الله ، أم هو جديد او مخلوق ، أى أن وجوده يرتبط بوقت نزوله على الرسول .

وقد تبدو لنا القضية لو طرحت اليوم غير ذات موضوع . ولا يمس الرأى فيها صدق ايمان أحد . ولكنها وقتذاك تحولت من جدل فلسفى الى شىء آخر تماما حين اعتنق الخليفة الحاكم رأيا من الرأيين . فبدأت المحنة الكبرى تلاحق من لا يرى رأى الخليفة . وكالعادة كان المثقفون هم من تعرضوا للمحنة . فهم فى ذلك الوقت الفقهاء والعلماء والقضاة . فارسل المأمون الى وزيره وحاكم العاصمة بغداد اسحق ابن ابراهيم يطلب منه امتحان القضاة والفقهاء ، قائلا له ان من يخالفون الخليفة فى الرأى لا بد أن يكونوا « من حشد الرعية ، وسفلة العامة ، وأهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه .. » فكأن الحاكم قد أدانهم بالكفر مقدما لمخالفة رأيه .

واخذ اسحق بن ابراهيم يحضر الفقهاء والقضاة ويقرأ عليهم كتاب الخليفة ـ محذرا ومنذرا ـ ثم يسألهم هل القرآن قديم أم مخلوق . فمنهم من قال برأى الخليفة فاخلى سبيله ، ومنهم من قال بغير رأى الخليفة ، فكان يوضع فى الاصفاد ، ويقيد باثقل الاغلال ، ويتعرض لشتى صنوف العذاب . فكان منهم من يعود فيعدل عن رأيه ، حتى يتخلص مما هو فيه . وما هى الا كلمة يقولها والله أعلم بما بقى فى ضميره . ومنهم من يثابر ، ثم يستسلم .

وكان من بينهم أحد أكبر فقهاء الاسلام وهو أحمد بن حنبل .. وكان أكثرهم عنادا ، فربطوه فى الحديد ، والقوه بكل مقامه الجليل فى السجن حتى يرى الخليفة فيه رأيه . ولكن الخليفة المأمون لم يلبث أن توفى .

وأمر المعتصم فاحضروا أحمد بن حنبل الى مجلسه . وقد أحضروه وهو مكبل باغلال من الحديد ، وهو الكهل ، لا يطيق حملها ولا السير بها .. ويجلسونه فى هذه الحال فى حضرة الخليفة .. ليناقش فقهاء السلطان . فاذا أفحمهم وهزم حججهم ، أخذوه مثقلا باغلاله الى السجن .



جوزيف مكارثي

ويتكرر هذا يوما بعد يوم .

ولا أطيل على القراء . فقد انتهى الامر بان أمر الخليفة آخر الامر فجردوه من ثيابه ، وربطوه الى كرسى ، وانهالوا عليه بالسياط .. حيث كان يجلس يناقش . وكلما غاب عن الوعى من العذاب ، أفاقوه ، وسألوه ان كان قد عدل عن رأيه ، فيقول لا ، فيعودون ..

ولما كاد يموت في مجلس الخليفة ، أعادوه الى أهله كتلة مهشمة من اللحم والدم ..

كانت السلطة في أوج عظمة الامبراطورية الاسلامية تنزلق أكثر وأكثر الى الاستبداد .. وبالتالى الى التداعى والانهيار ..

●

الملاحظة الثانية التى استوقفتنى ، وجعلتنى أتامل عوامل صعود وانهيار الامبراطوريات والامم حتى وان بدت في أوج مجدها .. كانت في كتاب أمريكى ، عن الولايات المتحدة الامريكية ..

الكتاب ضخم في حوالى ألف صفحة . وقد اعتبرته الصحافة الامريكية أهم كتاب صدر هذه السنة . واسمه « البحث عن التاريخ » . ومؤلفه أحد أكبر الصحفيين المؤلفين في أمريكا وهو تيودور هوايت . وقد جمع فيه خلاصة متابعته للاحداث التاريخية الكبرى حيثما وقعت طوال أربعين سنة تقريبا . وقد نعود الى جوانب أخرى من هذا المجلد الضخم في أحاديث أخرى .

وقد غطى الكاتب ثلاث فقرات تاريخيةعاشها حيث كان التاريخ يصنع بالفعل ٠

* مع الثورة الصينية (من ١٩٣٨ الى١٩٤٥) مزاملا ماوتسى تونج وشواين لاى .. وشيانج كاى شيك ٠

* اعادة بناء أوروبا مع الحرببمشروع مارشال (١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) ٠

* فترة التحولات الكبرى فى امريكابعد الحرب ، من رئاسة ايزنهاور الى مقتل جون كنيدى (١٩٥٤ ـ ١٩٩٣) ٠

ويهمنى فى هذا الحديث صفحات أرادالمؤلف فيها أن يجيب على سؤال هام :

ما الذىورط الولايات المتحدة الامريكيةفى حرب فيتنام ؟

ما الذى جعل هذهالدولة الكبرى تحارب حربا مجنونة طيلة عشر سنوات ، وتخسر نصف مليون من شبابها بين قتيل وجريح ،وتخسر فوق ذلك سمعتها، وخسائر سياسية لا حصر لها ، وانهيارات لمواقفها ، وشكفى حسن تقديرها حتى بين حلفائها ...

ثم أن أمريكا لديها كل وسائل حريةالرأى ٠ وكل أسباب المعرفة ومشاركة الرأى العام ٠ وكل أنواع المخابراتومراكز الابحاث ووسائل الدراسة ٠ فما الذى أعماها رغم كل هذا ، وساقهامعصوبة العينين الى مستنقعات فيتنام ؟

يقول تيودور هوايت ، فى اجابةمفصلة جدا : أنها « المكارثية » التى اجتاحت أمريكا لبضع سنوات قليلة !

ان الخوف ، مع الاسف ، هو الذىيحرك أحداث التاريخ ، أكثر مما يحركها الامل ..

وبمجرد أن انتشر الخوف فى أمريكا ،من أن يتعرض لاتهام مكارثى له بما سمى « النشاط المعادى لامريكا » صاركل صاحب رأى ، أو صاحب منصب ، أو صاحب مسئولية ، يحاول أن يتخلى عندوره ، وينزوى ، ويسكت ، وهو يرى الكارثة المحققة ٠

كانت أمريكا وقتها أغنى ما تكونبخبراء الصين والشرق الاقصى ٠ يعرفون كل شىء من اللغة والاصل والتاريخالى السياسة والزعماء الجدد ٠ ولكن الارهاب الفكرى الذى نشره مكارثيباتهام كل شخص فى وطنيته ، كان بمثابة من خلع عينى أمريكا وقطع أذنيها ٠فصارت بالنسبة لاحداث آسيا كلها لا ترى ولا تسمع ٠ ومضت الى كارثة سياستهاالاسيوية التى دامت بعد ذلك حوالى ربع قرن !

لقد جر مكارثى كل عقل أمريكا الىلجنة التحقيق فى الكونجرس ٠ لم تكن هناك سياط كسياط المعتصم٠ ولكن كانتهناك سياط من نوع آخر لا يقل قسوة وهو التشهير أمام الرأى العام و « اغتيالالشخصية » كما يقولون فى التعبير الانجليزى Character Assassination

جر الي المحرقة العامة أمام عشرات الملايين من الخبراء وأساتذة الجامعات وموظفي الدولة وجنرالات الجيش والكتاب والصحفيين · وكل من قال رأيا ذات يوم في سياسة أمريكا نحو الصين مخالفا لما جرى · بل وكل من قابل ولو في مهمة رسمية أحدا غير مرغوب فيه ·

وقد انتهى مكارثي نهاية محزنة بفضيحة أودت به·· ولكن رعشة الرعب التي صارت رمزا في كل مكان واسما يطلق وهو« المكارثية » ·· رعشة الرعب هذه لم تفارق امريكا بكل ضخامتها وحرياتها سنوات طويلة ··

فلما بدأ العملاق يذهب في مغامرته الخاسرة ويغرق في وحول أسيا ·· لم يجسر واحد علي النطق · لا الخارجية ·ولا المخابرات· ولا الخبراء · ولا الكتاب· ولا أعضاء الكونجرس ··

وكان الثمن نصف مليون قتيل وجريح·وربع قرن من السياسة المدمرة الفاشلة · وانفصام داخلي في أمريكا أدى الى عنف الستينات ·· من مظاهرات المدن الي اغتيالات جون كنيدي وروبرت كنيدي ومارتن لوثر كنج وغيرهم ··. كل هذا مقابل سنتين أو ثلاث من الارهاب الفكري العام !

ان الحكايتين اللتين رويتهما هنا ،ليستا فريدتين في التاريخ ··

ولكنني قصدت أن أضع جنبا الي جنب نموذجين متباعدين تماما ·· في بيئتين وعصرين مختلفين أشد الاختلاف ·

ولكن أثر قفل باب الاجتهاد ، والارهاب الفكري من السلطة أو من الجماهير ، يصل في الحالتين الى نفس النتائج ··

وأمتنا العربية والاسلامية في أخطر ظروفها ··

الخلاف العربي صار فتاك · القضايا المطروحة للاختيارات وللقرارات تدور لها الرؤوس · وبجوارنا في ايران تقوم جمهورية اسلامية ، وهو اسم له رهبة ، وله خطر ، ولكن دون أن نعرف شيئا عن تفسيراتها لقضايا اختلاف الرأى ووسائل التعبير · وقد يرتبط بها هذا الاسم الخطير (الجمهورية الاسلامية) وجودا أو عدما لزمن ليس بالقصير ·

ونحن فوق هذا كله نخرج من ظلمة الي نور · ومن تخلف الى محاولة تحضر · ومن انكفاء على الذات الى انفتاح علي العالم· ومن تجاهل العالم لنا الى اهتمامه بنا · ومن بحث عن هويتنا بين الاصالة والتجديد ··

فاذا لم يكن حق التعبير وحق التفكير لهما ضرورة بل وقداسة في هذه المرحلة · واذا لم يتعلم الحكام والمحكومون هذه الكلمة الان ·· ففي أى وقت سنكون فيه أحوج اليها من وقتنا هذا في عالمنا هذا ؟ ■■

أحمد بهاء الدين

المهاجر وحيداً

شعر :
فاروق شوشه

تتسلّلَ قطرةُ ضوءٍ من نافذةِ الليلْ
وكأنّ يداً تمتدُّ ، تلامسني وتؤانسني
فأريحُ الرأسَ المكدودَ المُثقلْ
وأنقلُ في دائرةِ الصمتِ المسدلِ خطواً
مُعتلَّ الأصداءْ
يامَنْ يحملني لينابيعِ الضوءِ القادمْ
علّي أتسلّقُ هذا الخيطَ الممدودَ ،
أجاوزُ هذا الأفقَ الكابي ،
أحملُ ما خلّفتِ الأيامُ بصدري ، أنأى عن
وخزِ اللّعنةِ ،
أبعدُ في التيـهِ ،
وأرحـلْ !

★★★

مـاذا خلّفتُ ورائي ؟
عينَيْنِ مؤرّقتينِ تنـوءانِ بعبءِ الساعاتِ
المرورة
في الشطِّ النائي ، تنتظراني ، وتحـوطاني
وتخفقانِ ورائي حين أسيرُ وحيدا
ألتفتُ ورائي ؟ كيفَ ؟ رماحُ القومِ تلاحقني

« الى أصدقائنا ، حبات قلوبنا ، المتناثرة على رمال بعيدة ، تجاهل ضراوة الحنين ، ومرارة الايام ، وتحلم بالعودة الى الوطن »



وتنوشُ بقايا من قطراتِ دمي
تتنزّى من فوقِ الحسكِ المسمومِ ، فأرتدُّ طريدا
هأنذا ، تتفتّتُ قدمي
يتهافتُ قلبي ،
تترنحُ ذاكرتي ،
ويخورُ المغنى الساكنُ في صدري
أعشى يا عينيّ ، فكونا باصرتيّ
فمالي بعدُ أنيسٌ أو صاحب
ياويلي ، لو حدّقتُ ورائي
عيناكِ تردّاني
وتصدّاني عن وجهِ الغربةِ والمجهول
تملكُ أن تأمرني
تملكُ أن تقعدني
وقعيداً كنتُ ، ألوكُ العجزَ ، وأنطحُ صخرَ الزمنِ المُختلّ
ورماحُ القومِ تُلاحقني
وتنوشُ بقايا من قطراتَ دمي
ياويلي !



قُولي لهم إنْ يسألوكِ : غابَ دُونَ أنْ يقول
أين !
وطارَ ، لم يتركْ كُلَيْمةً للصحبةِ التي تجاهدُ
الحنينَ ما جدوى الكلامْ !
وليس بعْدُ . غيرُ رَنْوةٍ إلى النجومِ وانتظار
لعلّهُ يطلُّ ذاتَ ساعةٍ مُغبّراً من خلْفِ قافلة
لعلّه يجيءُ دونَ موعــد .
مُحمّلاً بلفْحــةِ السنينَ والأسفارْ
لعلّهُ . وآهِ من زيْفِ لعــلَ
من أجْــلها .
أخــوضُ في وحُــولهم .
أنأى عن الصحــابِ والأحبابِ
أجــتازُ المضيقْ
أرحــلُ في الليْلِ وحيداً . مثْلَ نورسٍ
مُهاجــرْ
لعــلّني .
ـ عندَ نهايةِ المطافِ والترْحالْ ـ
يلقفُنــي وجــهٌ صديقْ
مــثْــلي
مهاجــرٌ غــريقْ !

القاهرة ـ **فاروق شوشة**



سعد زغلول

مكرم عبيد

احمد شوقي — هدى شعراوي — عبد الرحمن عزام — رياض الصلح

من الاوراق والذكريات

شرقيون أم عرب

بقلم : أكرم زعيتر

تحدثت فى مقالى السابق * عن اثر الثورات الوطنية فى بلاد الشام والعراق، ومقارعة حلفاء الامس من بريطانيين وفرنسيين فى تطور المفهوم المصرى للقضية العربية ، والنظرة الى رجالها ، وارانى اضرب الآن المثل ، واجىء بالبرهان :

حين ثار الشريف الحسين بن علي ، أمير مكة ، ثورته الكبرى سنة ١٩١٦م ، على دولة الخلافة ، نقم منه المصريون كما أسلفت . واذا نحن اعتبرنا الشعر احيانا ترجمان المشاعر العامة ، ادركنا مدى النقمة في قول أحمد شوقي ، وهو يرثي الخلافة التي ألغاها مصطفى كمال ، معرضا بالحسين وما سرى من تفكير في المناداة به خليفة :

لا يبدلوا برد النبي لعاجز
عزل يدافع دونه بالراح
بالأمس اوهى المسلمين جراحة
واليوم مد لهم يد الجراح

ولكن بعد ان اتضحت الامور وانتهى الامر بالحسين قبرا في جوار الاقصى رثاه شوقي بمرثية ما احسب ان مرثية يمكن أن تبلغ من الروعة مبلغها ، ودونك مطلعها :

لك في الارض والسماء مآتم
قام فيها أبو الملائك هاشم
قعد الآل للعزاء ، وقامت
باكيات على الحسين الفواطم

وفيها : حبذا موقف غلبت عليه
لم يقفه للعرب قبلك خادم
زائدا عن ممالك وشعوب
نقلت في الاكف نقل الدراهم

ولقي فيصل بن الحسين ، قائد القوات الشمالية للثورة العربية ، حملات من كثير من الكتاب والشعراء المصريين .. ثم تطورت النظرة اليه والمفاهيم للقضية حتى سمعنا محمد عبد الوهاب يشدو بشعر شوقي :

يا شراعا وراء دجلة يجري
في دموعي تجنبتك العوادي

ويترنم فيها بفيصل « الاريحي الجواد » . ولم يكد يذاع نعي فيصل في أيلول (سبتمبر ١٩٣٣) حتى امتلأت صحف مصر بمقالات الرثاء . وقرأنا نفجع عبد الرحمن عزام وعبد القادر حمزة وتوفيق دياب والزيات وفكري اباظة ، ويهمني هنا ان انقل من مقال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في رثاء فيصل وقد كنا نعلم عزوفه عن الفكرة العربية ـ قوله : « ان الجامعة العربية لاكبر واوسع واكرم من أن تكون جامعة لحم ودم وقرابة عمومة او خؤولة ، انما هي جامعة ثقافة ولغة وعقيدة ورجاء وماذا يضيرها ، وهي كذلك ، ان يكون فيها مصريون وعراقيون وسوريون وحجازيون ، لن يضيرها ذلك شيئا ، وانما يضيرها ان تتنافر على التاريخ وتتنابز بالاصول ، وتنسى ان المستقبل هو الامل المطلوب ، وان الذي يجمعه الرجاء لا تفرقه الذكريات » .

ولعل الزعيم السوري الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، قد أجمل القول عن هذا التطور الذي خبره بنفسه في حديث له بعد الثورة السورية ، وعودته الى مصر ، قال :

« ثم لاحظت أن الرأي العام يسيء الظن بالمشتغلين بالقضية العربية ويتهمهم بأنهم آلة بيد الاجانب ، فكان موقفنا من أصعب المواقف : مشانق في الشام ، وسجون وتعذيب ونفي وارهاب وظلم دونه ظلم جنكيز خان وهولاكو في بلاد السلطنة ، وتهم وريب في مصر ، ثم ادرك المصريون بعد ثورة الشام وثورة العراق ان رجال القضية العربية غير مأجورين للاجانب ، وانهم انما يعملون لاستقلال بلادهم وتحريرها ، فحسنوا ظنهم بهم ، وعدت الى مصر بعد ثورة سورية الكبرى فشعرت ان هنالك ارتفاعا في أسهم القضية العربية ، وأدركت أن الناس صاروا يتتبعون سيرها ، ويدركون ان مصلحة مصر أن تعطف على رجالها وتؤيدهم في نضالهم لخير العرب » .

عن الفرعونية والشرقية

هنالك تعبيران ، كانا يتزاحمان في مصر ، تعبير « العربية » أو « العروبة » ، وكانا يثيران لدى عرب المشرق والمغرب نفرة أو عدم ارتياح ، مع تفاوت في قدر ذلك بالنسبة اليهما ، وهما : « الفرعونية » طابعا لمصر يحمل معنى التنكر للعروبة ، وكأنه مرادف للاعربية ، ويعمق هذا المفهوم ان نغمة « الفرعونية » كان يرددها كتاب تنم نزعاتهم على روح شعوبية استفزازية ، وفيهم من دعا الى العامية كسلامة موسى .

* العربي ـ العدد ٢٤٤ ـ مارس (آذار) ١٩٧٩

واما التعبير الثاني فهو «الشرقية» رابطة مصر بسائر الاقطار العربية او « الشرقيون » تطلق على العرب بما فيهم المصريون . !

ولكن حساسية النقمة من « الشرقية » لم تبلغ في الشدة مبلغ « الفرعونية » ذلك لانها لم تكن تطلق على صورة استفزازية ، وليست عدوانا على العروبة ، وقد علمنا أن اعلاما من المصريين ومعهم اعلام من العرب غير المصريين ، الفوا « الرابطة الشرقية » وكانت لهـا منجزات اجتماعية عربية وبفضلها قام المهرجان العظيم الذى بويع فيهاحمدشوقى اميرا لشعراءالعرب . .

وانت ترى أن أحمد شوقي قد ذكر الشرق في كثير من شعره ، فلم تثر « حساسيات » سلبية بل راح العرب يشدونها معجبين ، فمنها :

نصحت ونحـن مختلفـون دارا
ولكـن كلنــا في الهـم شرق !

وفي قصيدة المهرجان ذكر « الشرق » ثلاث مرات ولم يذكـر « العرب » مع أن الوفـود المبايعة كلها عربية ، ومع ذلك فلم يعترض على ذلك احد ، وقدر الناس أنه اراد بالشرق بلاد العرب ، ولعلهم ذهبوا مذهب استاذنا ساطع الحصرى الذى قال عن « الرابطة الشرقية » : « لا نشك في أن فكرة هذه الرابطة عندما تتجرد من عناصرها وتنصهر بالتعارف الحقيقي ستتحول بالتدريج الى رابطة عربية بحتة » وهذه ابيات احمد شوقي في الشرق فما احسب انها تثير موجدة :

يا مكانا تألف الشـرق فيـه
مـن فلسطينه الى بغـدانه

كان شعري الغنـاء في فـرح
الشـرق ، وكان العـزاء في احزانه

كلمـا انَّ بالعـراق جريـح
لمس الشـرق جنبه في عمانه

ولكن التساؤل الذى لم ينقطع : لماذا تجنب كلمة (العرب) ؟ وهل تشمل كلمة « الشرق » مراكش والجزائر وتونس وليبيا وهم مغاربة وليسوا مشارقة ؟ الهند شرقية فيشملها التعبير ، ومراكش مغربية لا يشملها التعبير ، فكيف يكون ذلك ؟ والواقع أن كلمة « عرب » كثيرا ما كان يعنى بها البدو حتى في الاحصاءات الرسمية المصرية بعد أن تذكر ما يعود الى كل محافظة واحدة فواحدة تذكر ما يعود انه « العرب » وكان ابناء المحافظات ليسوا عربا ! وكثيرا ما كنا ونحن اطفال نشير الى البدو الرحل : هـؤلاء عرب ، وابن خلدون نفسه اطلق « العرب » على البدو دون الحضر . وللاستاذ ساطع الحصرى في كتابه عن ابن خلدون بحث مفاض في هذا ، يرد فيه على الشعوبيين الذين يرددون اقوال ابن خلدون في معرض الحملة على الامة العربية وحضارتها ، كما انه يطمئن المتحمسين من دعاة العروبة الذى قال احدهم : « لو كنا وطنيين حقا . . لنبشنا قبر ابن خلدون وأحرقنا كتبه » .

ولعل من اسباب اجتناب ترديد « العرب » وجود كثرة من ارستقراطية مصرية ــ في ذلك الوقت ــ منحدرة من اصول غير مصرية ، اى من الشراكسة والاتراك ، ففي « الشرقية » ما يشملهم وما يتسع للعرب في الجهد ذاته ، اقول هذا وانا اعلم ان العروبة ليست بالدم ، وان مصريين ليسوا عربا في اصولهم البعيدة خدموا الفكرة العربية والادب العربي ، ومن رواد القضية العربية ، وماذا تقول في أمثال عزيزالمصرى واحمد شوقي واحمد رمزى وابراهيم دسوقي اباظة وآل راتب وغيرهم .

على إثر وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧م وفي حفل اقيم لتمجيد ذكراه في باريس وحضره مصريون وسوريون وفلسطينيون ولبنانيون ، دار البحث حول تاليف جمعية لتوثيق الروابط بين الاقطار العربية ، ورأى بعض المصريين تسميتها «الجمعية الشرقية» واصر الاخرون على تسميتها العربية ، وكان الزعيم رياض الصلح حاضرا فنهض يقول : « انتم الآن امام مثال حى ، فقد توفي سعد ، ولم تسمعوا ان بلدا من البلاد الشرقية قد بكاه ، على حين ان الاقطار العربية كلها بكتـه كما بكته مصر ، هل تظنون اننا اقرب الى التيبت منا الى برنديزى ؟ ثم رجحت كلمة « العربية » وتالفت « جمعية الثقافة العربية » بباريس ، وانتخب الدكتور محمد صلاح الدين رئيسا لها ، وحيدر مردم بك نائبا له (وغدا الدكتور محمد صلاح الدين بعد ذلك من اقطاب الحركة العربية ودعاتها والمسهم الكبير في انشاء جامعة الدول العربية) .

ولقيت في سبتمبر (أيلول ١٩٣٢م) في القدس الاستاذين فتحي رضوان ، وكمال الدين صلاح (الذي استشهد فيما بعد في الصومال) ، وكانا يلتهبان غيرة عربية ، ويدعوان الى عقد مؤتمر باسم « مؤتمر الطلبة الشرقيين » ، وثار جدل بيننا حول الاسم ، فنحن نرى أن يدعى « مؤتمر الطلبة العرب » وهما يريان أن يدعى « مؤتمر الطلبة الشرقيين » ، وعلى هذا الاساس قد قاما بالرحلة والدعوة اليه ، ومع ان الفكرة لم يكتب لها التحقيق فان « مصر الفتاة » التي كانا ينتميان اليها ظلت رائدة عروبة في مصر ، ولا ضير اذا انا استطردت الآن ، فقلت : « ان للشهيد كمال الدين صلاح ـ حين كان قنصلا في بيروت سنة ١٩٤١م ـ فضل تكليفي الجمع بين الكتائب اللبنانية وحملة الفكرة العربية في بيروت في بيته هو ، للمذاكرة في صيغة عمل مشترك ، لمواجهة ظروف الحرب الخطيرة واذا ذكرت كمال الدين صلاح تشرق في ذهني ذكرى زميله ، صديقي واخي ، قديس الحركة الوطنية، وخلاصة خلاصة الايمان الدكتور مصطفى الوكيل الذي استشهد في برلين في الحرب العالمية الثانية ، وكان هو وفتحي رضوان ، واحمد حسين ، وكمال الدين يستقون من ينبوع وطني عربي اسلامي واحد .

عندما جاء مكرم عبيد

وجاء مكرم عبيد سكرتير الوفد المصري سنة ١٩٣١ م الى لبنان وسورية وفلسطين ، وكان يلقب « ابن سعد » ، وكانت زياراته مهرجانات للفكرة العربية ومناسبات لتمجيد ذكرى سعد العظيم ، واذكر ان الزعيم رياض الصلح اقام له حفلا تكريميا كبيرا في « صوفر » ، حضره وفد من دمشق للاشتراك في التكريم، ولدعوته باسم الكتلة الوطنية الى دمشق . وتكلم قطب الكتلة الوطنية « لطفي الحفار » داعيا الى زعامة مصر للبلاد العربية ، « على أن تكونوا معنا عربا ، لا شرقيين ، ولا فراعنة » ومما قاله رياض الصلح في خطابه : « ان نغمة الشرقية » لا تلذ أسماعنا ولا نطرب لها ! وان هذه البلاد التي لها تاريخها ولها امجادها والتي حكمتها في زمن من الازمان مصر حتى بعد الفتح العربي لبلاد واحدة في لغتها وتاريخها والامها وامالها .. وكانت مصر ولا تزال في مقدمة الاقطار العربية ، وكانت لها زعامتها فيها ، ونحن يا سيدي الاستاذ مكرم نقبل زعامتكم ، ونرحب بها كما قال الاخ الحفار ، على ان تكونوا معنا عربا .. لقد كنا معكم ، وايدناكم منذ الاحتلال حتى الآن ، ولكنا لم نشهد منكم شيئا من هذا ، على رغم تراخي الايام . اسمح لي ان اكون صريحا ، واعول على زيارة مكرم ، وانه للذخيرة لنا ان نكتسب الاستاذ مكرم واخوانه. لقد مصر العرب الامصار ، وافتتحوا العالم ، ولهم من الامجاد ما ليس لغيرهم من الامم التي تفخر بامجادها ، فاذا كان اخواننا المصريون يقصدون من ترديدهم كلمة « الشرق » بمناسبة وبغير مناسبة ان (الشرق) ضد الغرب فهذا غير صحيح ! كنت في باريس وجنيف اتردد على المندوبين الشرقيين لدى عصبة الامم من يابان وغير يابان ، انا ورفيقاي في الوفد السوري (الامير شكيب ارسلان ، واحسان الجابري) سنة كاملة ، فلم نجد لدى واحد منهم من العطف على قضية هذه البلاد المظلومة ما كنا نلاقيه من عطف بعض مندوبي الدول الاوروبية الغربية ، اليس الشرق ضد الغرب : هذه اوهام ، ان المصر مصر قوميات .. ونحن عرب فلنكن عربا دائما ، ولا تحسب يا سيدي الاستاذ اننا نريد ان نكون عالة عليكم ، فنحن اهل كرامة ، لنا جهادنا ولنا اعمالنا ، وسنعمل ما استطعنا لتوطيد دعائم حريتنا واستقلالنا فهي تضحيتنا ، واذا كان هنالك فائدة فهي لمصر سواء في المفاوضة او في الثورة ، فلو علم المفاوض الذي تفاوضه مصر لنيل حقوقها ـ انها مؤيدة من جميع الاقطار العربية وان هذه الاقطار تثأر بها فيكون آنئذ موقف المفاوض المصري موطد الدعائم ، اكثر مما اذا كان يتكلم باسم مصر وحدها ومثل ذلك اذا ثارت .. » .

وقد اجاب مكرم جوابا سديدا ومما قال : « ان مصر عربية وتشعر بشعور عربي ، بل ان في عروق كل قبطي دم عربي ، واذا كان بعض الصحف المصرية يذكر احيانا ـ الشرقية ـ بدلا من العربية فما ذلك الا من قبيل التوسع ، ولكن العاطفة العربية هي الغالبة في نفوس المصريين » ، ثم عاهد مكرم باسم الوفد المصري ان تكون مصر مع الامة العربية في جهادها للاستقلال ..

امة واحدة

ومن هذا القبيل : حين أصدر الاستاذ كاظم الصلح جريدة « النداء » في بيروت سنة ١٩٣٠ ، وجعلها لسان حال الفكرة العربية في جميع اقطارها ، واستكتب فيها اعلاما من حملة الفكرة العربية ، فرظتها جريدة « المقطم » قائلة : « والنداء جريدة شرقية كبرى تخدم الشرق »فلم يستسغ كاظم هذا التقريظ ، وارسلها افتتاحية عنوانها « عربية شرقية » ، وقد تمنى فيه ان يزول الابهام الذى يصحب الحركة الوطنية في وادى النيل ، من الوجهة العربية التي نشأت على ضفافه ، وان نبنى وطننا الجامع الشامل على هذه الصخرة الخالدة : العرب والعربية » .

وتأثر عبد الرحمن عزام ، فارس الفكرة العربية الذى ارجو أن أفرد له في احد اعداد « العربى » مقالا خاصا بسيرته القومية — بما كتب كاظم فارسل اليه يقول : « وكل نداء بحق العرب في لواء شامل ، انما يستمد قوته من ضرورة الحياة، فما كان العرب الضاربون بين الخليج «الفارسي» والاطلنطى الا امة واحدة .. لا بد أن تجتمع ولو طال الشتات : فما اشرت اليه لتوثيق العلاقات بين الاقطار العربية هو عمل محمود لأن السلم والعمران بعض نتائجه » .

ومما يدخل في هذا الباب : ان اصدر الدكتور محمود عزمي سنة ١٩٢٥ مجلة « الجديد » وكان الدكتور عزمي ممن يعنون بالقضايا العربية ، وله صداقات عربية ، وكان باديء الرأى يقول « بالشرقية » في علاقات مصر بالاقطار العربية ، وفي سياسة المجلة الخارجية قال : « اننا نعتبر الصفة الغالبة لنا فيها هي « الشرقية » ، لكن الشرقية المقيدة ، والمقيدة باعتبار الجوار ورابطة اللغة وبفعل التاريخ ، ونظريتنا في هذا هي ان المستقبل للاحلاف لا محالة ، لكن للاحلاف في المتشعبة الاطراف كثيرا وفي المتباعدة الثقافة خصوصا ، والمثل الاعلى لاقرب الاحلاف واضمنه بالنسبة لمصر — وان من الوجهة التهذيبية وحدها — انما هو مثل حلف يضم القطرين اللذين طالما نودى بانهما شقيقان : مصر وسورية الكبرى (لبنان والشام وفلسطين) ، لذلك تحل عنايتنا بدرس احوال القطر السورى الكبير (باجزائه الثلاثة) المحل الاول بعد عنايتنا باحوالنا المصرية البحتة ، ولما كانت سورية الكبرى على اتصال يكاد يكون متينا — بفعل اشتراك الحكم التركي وطول امده — بالعراق وببلاد العرب ، وكانت تربطنا ، نحن المصريين ، بهذين القطرين الاخيرين رابطة اللغة وفعل شيء من التاريخ كذلك ، فقد رأينا ان نضم مباحثنا عن كل تلك الاقطار الثلاثة — الشام والعراق والبلاد العربية ! في باب واحد وهو باب « الشرق السامي » ولم نظفر بتسمية ادق وانقى فالشرقية مشتركة بين الشام والعراق والعربية جميعا ولا تجتمع الشرقية والشامية في بلاد غيرها » واستدرك الدكتور عزمي الامر بالنسبة الى المغرب فقال : « على ان هذه الشرقية المقيدة التى تدعونا الى غض الطرف عن احوال المغرب ، وبيننا وبينها هي الاخرى اعتبار الجوار ورابطة اللغة وفعل التاريخ ، وان لم تكن بمثل تلك التي تربطنا بما اصطلحنا على تسميته الى اليوم بالشام » ..

ولم يكتب للجديد العمر الطويل .. ثم تطور راى الدكتور عزمي فقال في محاضرة القاها في باريس سنة ١٩٣١ : « انه يؤمن بنظرية دعاة الوحدة بشرط ان يقال «بلاد العربية» لا البلدان العربية، فان لفظ بلدان العربية يترك مجال التفسير والمدلول فسيحا ، فالبعض يعنى به اللغة ، والبعض يعنى به القومية والبعض يعنى به الجنس » .

وعن الوحدة العربية

وكانت لي والدكتور عزمي لقاءات ، وجرت مناقشات ، واذكر هنا للتطريف او الاحماض انه قال ذات مرة في جمهرة مازحا : الا ترون انفي ؟ الا يدل على انه انف فرعوني ؟ فاجابه الاستاذ عبد القادر المظفر ، وهو من اعلام الوطنية بفلسطين : « انك عربى رغم انفك هذا » . والذي اني تلقيت من الصديق الدكتور عزمي في مطلع سنة ١٩٣٦ كتابا يعلمني فيه عزمه على اصدار مجلة أسبوعية اسمها «الشباب» وهي « تتضمن ابحاثا في السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن من النوع الجدى الراقى ، على ان يكون بها باب خاص بالشرقيات والمغربيات ، وأعني بالاول بحوثا وانباء طريفة عن الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في فلسطين وسورية

والعراق وبلاد العرب ، والقصد بالثانية بحوثا وانباء خاصة بطرابلس وتونس والجزائر ومراكش، وهنا انقدم لك راجيا ان تتفضل بمهمة الكتابة للشباب مرة في الاسبوع » .

وطبيعي ان البي رغبة الصديق ، لكنني لم اتردد في الكتابة اليه معترضا على تفريق المجلة بين بلاد العرب وسورية وفلسطين ، منكرا عليه اعتبار جزيرة العرب وحدها هي بلاد العرب ، واقترحت عليه ان يجعل « المشرق العربي » بديلا من « المشرقيات » « والمغرب العربي » بدلا من « المغربيات » ، وكاتبته ، وانا موقن بانه صائر الى الاقتناع الكلي بالعروبة لانه لا يحمل روحا شعوبية ، بدليل ذلك المقال الافتتاحي الذى كتبه في جريدة « الجهاد » ، كبرى الصحف الوفدية معلقا على برقيتي اخاء تبودلتا بين ملكي العراق والسعودية لمناسبة ابرام معاهدة الصلح بين بلديهما وقد اطلق عليها يومذاك : معاهدة الصداقة الاسلامية والاخوة العربية . جعل عنوانها : « الوحدة العربية في سبيل التكوين الجدى » دعا فيه مصر الى الاسهام بنصيبها في هذا السبيل الوحدوى وقال في نهايته : « ونحن نعرف ان الاراء في مصر قد تطورت هذه السنوات الاخيرة الى حيث اصبح الزعماء والقادة يرون الآن ما كان يراه فردان أو افراد قلائل منذ عشر سنين أو تزيد ، من ضرورة التضامن مع الشقيقات العربيات في سبيل الحلف او الوحدة العربية ، فماذا اعدت مصر ، وقد اخذت الفكرة تنتقل الآن من حظيرة الدعوة عن طريق المثقفين الى حظيرة السعي الحثيث عن طريق الحكومات ؟ ترى هل ستستمر في خطة عدم الاعتراف و « العزلة » او هي ستدرك ولو آخر الامر انها مخطئة في موقفها ، وان مصلحتها ومصلحة المصريين جميعا انما هي في الاتجاه شطر « الاعتراف » والتآخي والمصادقة؟ ذلك ما نرجو ان تفقهه مصر الرسمية من تلقاء نفسها فتسلك سبيله من الآن مختارة ، بل قبل ان تضطر مكرهة الى سلوكه تحت ضغط الحوادث المتداعية .. » .

ذكريات من المعتقل

وتأبى الذكريات التي تتشل عني في هذا الموضوع الا أن اذكر ، اننا معشر المعتقلين في « صرفند » بفلسطين في ابان ثورتها الكبرى سنة ١٩٣٦ ، بلغنا ان المندوب السامي البريطاني يوالي تهديد الناس بالتنكيل بهم اذا استمر الاضراب الذى يتضرر منه الفقراء والعمال والفلاحون وحدهم ، محاولا التفريق الطبقي بين الناس ، فقررنا ان نوجه اليه بيانا جاء فيه : « ويا ايها المندوب ، لقد جرب زملاؤكم في مصر من قبلكم سياسة التفريق ، فما نفعتهم سياستهم ولا افادتهم شنشنتهم ، فمكثوا اربعين سنة حتى جاءهم رجل من لابسي الجلابيب يسعى ، يقال له في التاريخ « سعد زغلول » فهدم سياستهم ، وجعل عاليها سافلها ، فاصبحوا اليوم على ما فعلوا نادمين » هذه العبارة تلخص نظرتنا الى مصر ، ولكن حدث حين توقف الاضراب بوساطة ملوك العراق والسعودية واليمن وامير الاردن ، ان فوجئنا بمجلة المصور المصرية تنشر مقالا حول اشتراك مصر في الوساطة تقول فيه : « ومن أهم الاسباب التي يستند اليها انصار عدم التدخل في المشكلة الفلسطينية ما لوحظ من ان التدخل الرسمي كان مقصورا على ملوك البلدان العربية فقط ، وليس جميع البلدان الشرقية بدليل موقف الحكومة التركية والايرانية والافغانستان في هذه المشكلة ، وقد آلمنا هذا القول ، وبادرنا الى الكتابة في هذا الى المجلة المذكورة .

ولكن كان عزاؤنا في مقال بالغ الروعة كتبه الكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني في مجلة « الشباب » مبكتا : « وفيه يقول .. وقد صارت مصر زعيمة ، فمن حقها ان ترى الامم العربية الاخرى تتبعها وتوقرها وتعظمها وتخدمها ، وليس عليها واجب تطالب بادائه لهذه الامم ، واذا اخطأت مصر فان زعامتها تقتضي ان يغتفر لها الخطأ ، بل ان يقلب حسنة ، واذا قصرت فان التقصير من مزايا الزعامة ، واذا ضلت وتخبطت واساءت وافسدت ، فان من الخيانة للزعامة ان تحاسب على شيء في ذلك » ثم انحى باللائمة على حكومة مصر التي لم يظهر اسمها بين اسماء الدول العربية التي تدخلت بالسعي الحسن .

واجيء الآن الى مثل آخر من السجال بين « الشرقية » و « العربية » ، فقبل اربعين سنة ، وجهت السيدة هدى شعراوى (زعيمة الحركة النسائية بمصر) ، الى سيدات مصر وسورية

وفلسطين ولبنان والعراق الدعوة الى مؤتمر يعقد في القاهرة انتصارا لقضية فلسطين ، وانتدبت للمشورة في الموضوع وبمصت القاهرة ، وقد دونت في يومياتي ، بتاريخ ١٢ اكتوبر ، تشرين اول ١٩٣٨ تفاصيل اللقاء الاول الطويل والسيدة هدى في قصرها الشرقي بحضور الآنستين ايفا حبيب المصري وحواء ادريس ، ثم قلت : « ولكن الشيء الوحيد الذي اقترحته ولم يظفر بموافقة السيدة هدى ، رغم قوة حجتي والحاحي ، هو جعل اسم المؤتمر : « المؤتمر النسائي العربي » واصرت السيدة في عناد على ان يكون اسمه « المؤتمر النسائي الشرقي » ومما قلت لها : « الهند والصين واليابان من الشرق فاين ممثلاتها ! المؤتمر هو اول مؤتمر عربي في التاريخ تتمثل فيه سيدات مصر وبلاد الشام والعراق .. انك يا سيدتي ستبايعين في هذا المؤتمر العظيم زعيمة لنساء العرب لا زعيمة لنساء الشرق ! » ولكن السيدة هدى عنيدة ، ولا تتراجع وهي التي دعت الى المؤتمر وتكفلت بنفقاته ، وخشيت ان يؤدي الحاحي الى نفرتها مني فاذعنت محسبلا محوقلا..

ولكنني قدرت اننا في النهاية سنكسب المعركة ونكسب زعيمة لنساء العرب » .

وكان نجاح المؤتمر باهرا ، وحفلت خطب السيدة هدى بعبارتي : « امتنا العربية » « بلادنا العربية » ، ودعت في كلمتها الختامية ان يؤيد الله العروبة ، وقالت : « وعلى مصر التي تعتبر زعيمة البلاد العربية ان تبرهن على انها جديرة بهذه الزعامة ، خليقة بثقة العرب بها ، بان تقوم حكومة وشعبا في وجه هذا التيار الصهيوني بكل ما اوتينا من حكمة وسياسة وقوة معنوية ومادية .. واعتقد انها اذا قامت بالتدابير الحازمة لمقاومة الصهيونية واغراضها فانها لا تحمي فلسطين فقط بل تحمي نفسها .. » ثم تكررت تسمية المؤتمر بالمؤتمر النسائي العربي في القرارات والبيانات والبرقيات .

اما السجال بين الفرعونية والعربية وذكرياتي واساتيذي حوله فارجو ان يكون موضوع مقال ثان . ■■

بيروت — اكرم زعيتر

المؤلف .. المؤلف

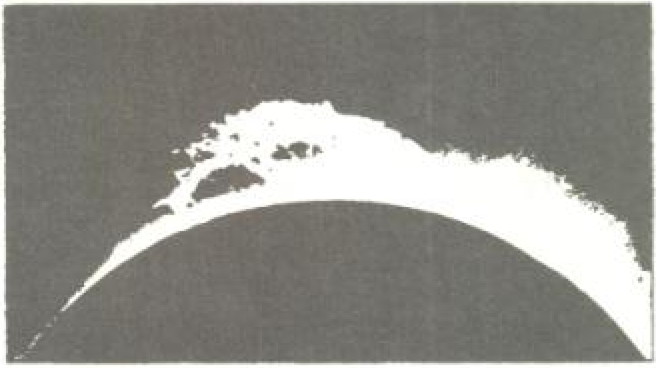
● حين اسدل الستار على المسرح بعد ان تم تمثيل مسرحية جديدة لجورج كاوفمان ، ارتفع نداء الناس من مؤخر المسرح (المؤلف المؤلف) ، ثم اخذت اصداؤه تتردد بين جنباته. وراه بعضهم واقفا قرب ردهة التمثيل وساله « لماذا لم يحي الهاتفين؟» فقال : «كنت مشغولا اهتف معهم : المؤلف المؤلف».

كما تضربين بابا !

● كان جمهور المتفرجين في دار السينما يتابع بشغف المشهد المثير بين بطل القصة وبطلتها . وبلغ بهم التوتر اقصاه عندما لطم الاول الثانية لطمة قوية على وجهها وفجأة وسط هذا السكون سمع صوت الطفل قائلا لامه : ماما .. لم لم تضربه هذه المرأة مثل ما تضربين بابا ؟ .

سألت الشيوخ

● قلت يوما لعمتي البالغة ٧٣ سنة من العمر : عجبا ! اترى الناس الذين يشيخون يحسون بان روحهم قد شاخت ؟فقالت عمتي : « لا انهم لايحسون فقد سألت الشيوخ ! »



الطاقة الشمسية

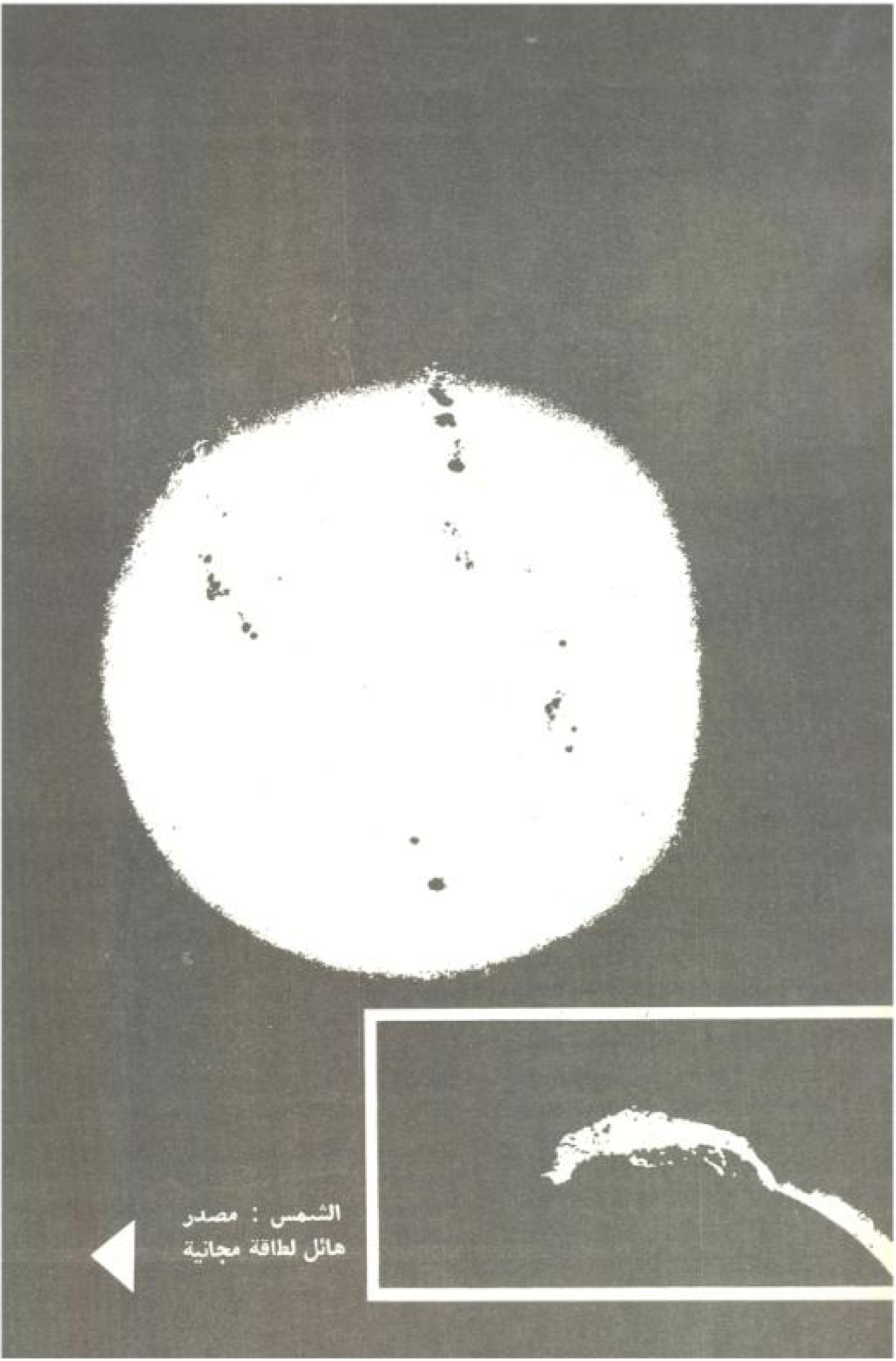
حل مجانى لأعقد مشكلات الانسان !

بقلم : الدكتور سعود عياش

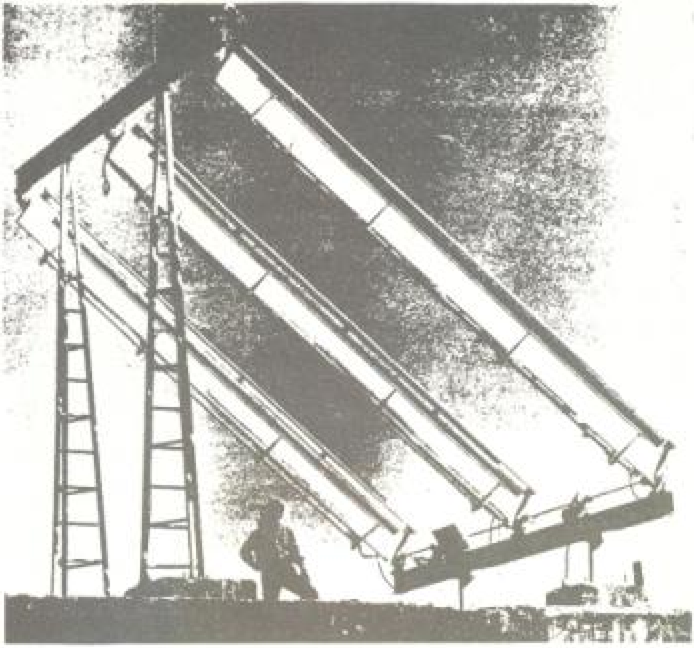
يحظى موضوع الطاقة بشكل عام باهتمام متزايد فى عالم اليوم . ولقد كان للأزمة التى حدثت في اعقاب اكتوبر ١٩٧٣ دور فى تسليط الأضواء على هذا الموضوع الحيوى. وقد ازداد استهلاك العالم من الطاقة بشكل كبير خاصة فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . ففى الفترة من عام ١٩٥٠ ـ ١٩٧٢ تضاعف استهلاك العالم من الطاقة ثلاث مرات وفى نهاية هذه الفترة كان استهلاك العالم من الطاقة يتزايد بحوالى ٥ر٣ ٪ سنويا .

لقد كان من نتائج هذه الزيادة فى استهلاك الطاقة أن ازداد ادراك الانسان بأن مصادر الطاقة الحالية من فحم وغاز وبترول لن تكفيه لمدة طويلة ، اذ أن الكميات الاحتياطية من مصادر الطاقة هذه محدودة ولا يمكن التعويض عنها . كذلك ، ازداد ادراك الانسان لاخطار تلوث البيئة الناتج عن اشكال الاستعمال الحالية لمصادر الطاقة . فالغازات الناتجة عن احتراق الفحم والغاز والبترول تقوم بتلويث الهواء فى الجو كما تقوم النفايات الملقاة فى البحار بتلويث مياه البحر وتعريض الاحياء البحرية للخطر .

وقد شكلت هذه العوامل مجتمعة حوافز حقيقية من أجل البحث عن مصادر للطاقة أكثر ديمومة واكثر نقاء ،بمعنى أن استعمالها سيقلل الى حد كبير اخطار تلوث البيئة . وفى هذا



الشمس : مصدر
هائل لطاقة مجانية



جهاز لتحلية المياه يعمل بالطاقة الشمسية

المجال ، تحتل الطاقة الشمسية موقعا هاما وتمثل احد اهم المصادر للطاقة البديلة .

الشمس كمصدر للطاقة

من الثابت ان الحياة بشكلها الحالي غير ممكنة على كوكبنا بدون وجود الشمس . كذلك فان الشمس تلعب دورا رئيسيا في تشكيل مصادر الطاقة الاخرى الممكن استعمالها . فالطاقة التي يمكن توليدها من الرياح ومن حركة امواج البحر ليست في النهاية الا نتائج لتأثيرات الشمس على الارض باعتبار أن الشمس تلعب دورا فعالا في حركة الرياح وحركة امواج البحر . لكن حين يجري الحديث عن الطاقة الشمسية ، فان المقصود بذلك هو التأثيرات الناتجة عن الاشعاع الشمسي على سطح الارض والتي يمكن الاستفادة منها في أغراض استخدامات الطاقة .

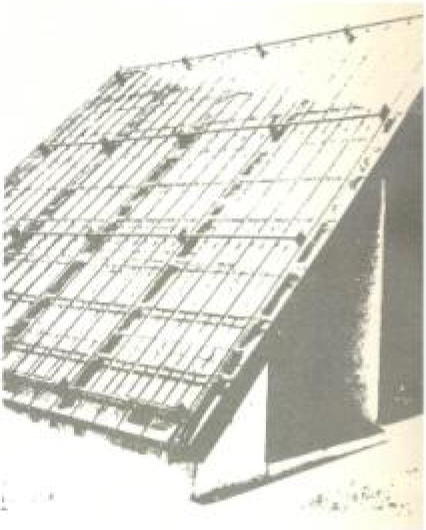
وتشكل الشمس مصدرا هائلا للطاقة ، يمكن للانسان استخدامه في العديد من المجالات . وتقول بعض الاحصاءات بان معدل الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الارض خلال العام الواحد تعادل ما يستهلكه العالم من جميع مصادر الطاقة بحوالي ٢٠ الف مرة . وبناء على هذه المعلومات فقد تم تقدير ان ٢ ٪ من مساحة الولايات المتحدة كافية لتوفير جميع احتياجاتها من الطاقة في عام ٢٠٠٠ . كما أن ٦ر٢٪ من مساحة الكويت كفيلة بتلبية متطلبات الكويت من الطاقة . ان هذا يدل على المقدار الضخم من الطاقة « النقية » الخالية من عواقب التلوث والتي يمكن استغلالها لتلبية متطلبات البشر .

٣ مجالات للاستخدام

هناك ثلاثة مجالات رئيسية يمكن من خلالها استغلال الطاقة الشمسية وتحويلها الى أشكال اخرى نافعة من الطاقة وهذه المجالات هي :

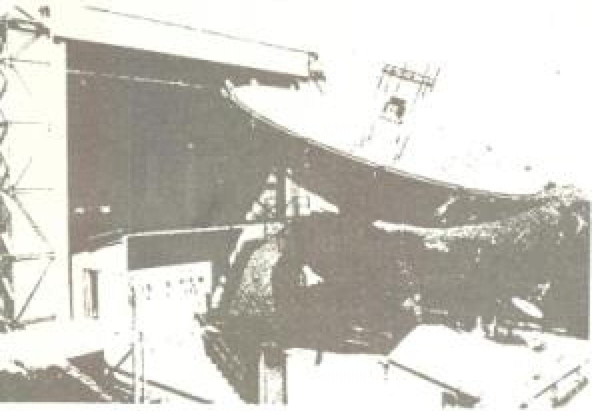
١ ـ التحويل الكيماوي للطاقة الشمسية ، وينطوي هذا المجال على استخدام الطاقة الشمسية لانتاج بعض أنواع الوقود كالهيدروجين والميثان والكحول وكذلك العمليات العضوية التي تحدث في الكربوهيدرات بتأثير الطاقة الشمسية .

٢ ـ التحويل الكهربائي المباشر ، وفي هذا المجال يمكن تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة



محطة لتجفيف الحبوب بواسطة الطاقة الشمسية

محطة طاقة كهربائية تعمل على الطاقة الشمسية



كهربائية بشكل مباشر ، وذلك من خلال تعريض المواد شبه الموصلة Semiconductors الى اشعة الشمس . ويتم استخدام التحويل الكهربائى المباشر للطاقة الشمسية فى الاقمار الصناعية وفى المحطات العلمية الموجودة فى اماكن من الصعب ايصال التيار الكهربائى اليها .

٣ ـ التحويل الحرارى للطاقة الشمسية ، وهنا يتم تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة حرارية يمكن استخدامها فى الأغراض الصناعية وفى اغراض استهلاك الطاقة المنزلية كتزويد المنازل بالماء الحار وفى التدفئة والتبريد . ويحظى هذا المجال باهتمام واسع فى أعمال البحث والتطوير وذلك لسهولته النسبية ولتعدد الاغراض التى يمكن من خلالها استخدام الطاقة الشمسية بالتحويل الحرارى .

ومما ساهم فى تركيز الاهتمام على مجال التحويل الحرارى للطاقة الشمسية حقيقة أن التكنولوجيا المطلوبة فى هذا المجال متطورة ومتوفرة فى ذات الوقت بتكاليف اقتصادية مقبولة . فمثلا هناك مئات الالاف من البيوت فى العالم التى يتم تزويدها بالماء الساخن عن طريق استخدام الطاقة الشمسية وتنتشر معظم هذه البيوت فى الولايات المتحدة واستراليا واليابان . كما ان هناك العديد من البيوت التى تتم تدفئتها كليا او جزئيا بالطاقة الشمسية . كذلك هناك الكثير من البيوت التجريبية التى يتم تبريدها بمعدات تتزود بالطاقة من الشمس . ومن الجدير بالذكر ايضا أن بالامكان تقطير مياه البحر بالطاقة الشمسية .

اما بالنسبة لاستخدامات الطاقة الشمسية فى التحويل الكهربائى المباشر فان الكلفة الآن ما زالت عالية وتصل اضعاف كلفة الكهرباء المولدة من مصادر الطاقة الحالية . غير أن العوائق العملية لم تكن يوما حجر عثرة فى طريق تطوير المعرفة البشرية . وقد تم مؤخرا تقديم الكثير من الافكار والنماذج والتصاميم لتطوير فعالية أجهزة التحويل الكهربائي المباشر وتقليل كلفتها . وحيث ان موضوع الطاقة الشمسية يحظى باهتمام واسع وعالمي فمن المتوقع تطوير اجهزة فعالة فى المستقبل .

وسائل التحويل الحرارى

تقوم فكرة التحويل الحرارى للطاقة الشمسية على أساس خزن هذه الطاقة بشكل طاقة حرارية

في الموائع (السوائل والغازات) أو الاجسام الصلبة ثم اعادة استعمالها بالشكل الملائم .وتتم عملية الخزن بواسطة انشاء مجمعات شمسية تمرر فيها سوائل او غازات ترتفع درجة حرارتها ما بين دخولها وخروجها من المجمع الشمسي . وهناك نوعان رئيسيان من المجمعات الشمسية : المجمعات الشمسية المسطحة ـ والمجمعات الشمسية المقعرة وتعرف أيضا بالمركزة .

يتكون المجمع الشمسي المسطح من لوحةمعدنية رقيقة تخترقها انابيب ويطلى احد سطوح هذه اللوحة بمواد كيماوية خاصة لها قدرة كبيرة على امتصاص اشعة الشمس وقدرة منخفضة جدا على عكس هذه الاشعة او اعادة اشعاعها . ثم توضع اللوحة في صندوق ذي اطار معدني أو خشبي ويكون وجه الصندوق المعرض للشمس من الزجاج. يمرر السائل المراد تسخينه فيالانابيب، وعند سقوط اشعة الشمس على اللوحة المعدنية ترتفع درجة حرارتها ، وتنتقل الحرارة الى السائل المار في الانابيب فترتفع درجة حرارته .

اما المجمعات الشمسية المقعرة فانها عبارة عن مرآة معدنية مقعرة وطويلة يمر في خطمركزها انبوب يحمل السائل المراد تسخينه . فحين تسقط اشعة الشمس على سطح المرآة فانها تنعكس وتتركز على خط المركزحيث يمر الأنبوب. وتكون النتيجة رفع درجة حرارة السائل في الأنبوب .

ان لكل نوع من المجمعات الشمسية مزاياه ومجالات استعماله . فمن الافضل استعمال المجمعات المسطحة لتسخين الهواء لأغراض التدفئة وتسخين الماء لاغراض الاستعمال المنزلي ، حيث لا حاجة لرفع درجة حرارة الماء الى أعلىمن ٥٠ م. اما اذا كانت اغراض الاستعمال تقتضي درجات حرارة عالية او تقتضي الحصول على بخار الماء فيفضل استعمال المجمعات المقعرة .

ومن جهة اخرى ، فان المجمعات المسطحة تستطيع امتصاص الاشعة الشمسية المباشرة والاشعة المنتشرة اي الاشعة المنعكسة على الذرات العالقة في الجو وعلى سطح الكرة الارضية . اما المجمعات المقعرة فان باستطاعتها عكس الاشعة المباشرة فقط . ان ما يقرر افضلية هذا النوع من المجمعات أو ذاك هو طبيعة الغرض الذي ستستعمل فيه الطاقة الشمسية . وفي العادة يتم تقرير ذلك من خلال اجراء الدراسات العلمية لأخذ العوامل الاقتصادية والفنية في نظر الاعتبار.

حدود الطاقة الشمسية

كما ذكرنا ، فان كمية الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الكرة الأرضية كبيرة وكافية لاستخدامات الانسان من الطاقة . لكن هناك بعض العوامل التي لا يستطيع الانسان التدخل فيها او التاثير عليها والتي بدورها تحدد آفاق استخدامات الطاقة الشمسية . ومن هذه العوامل :

١ ـ ان كمية الطاقة الشمسية على وحدة المساحة ليست كبيرة ، وهذه بدورها محكومة بموقع الارض من الشمس . فمن المعلوم ان المسافة الفاصلة بين الارض والشمس ليست ثابتة وذلك بسبب ان مدار الأرض حولالشمس ليس دائريا . وبشكل متوسط فان كمية الطاقة العمودية الساقطة على المتر المربع الواحد من سطح الغطاء الغازي حول الكرة الأرضية يعادل ١ر٣٥ كيلو واط . لكن هذه الطاقة لا تصل كلها الى الارض وذلك بسبب الأغلفة الغازية المحيطة بالكرة الارضية والتي تقوم بامتصاص جزء من طاقة الشمس .

على هذا فان معدل الطاقة الشمسية العمودية الساقطة على سطح الكرة الأرضية أي بعدمرورها بالغلاف الغازي تعادل كيلو واط واحد على المتر المربع . لكن الأشعة الشمسية لا تسقط بشكل منتظم وعمودي على سطح الكرة الأرضية وانما تختلف شدتها من منطقة الى أخرى اعتمادا على موقع تلك المنطقة من خط الاستواء وموقع الأرض في مدارها حول الشمس . وفي الكويت التيتقع على خط عرض ٢٩° ـ ٣٠° ، فان معدل الطاقة الشمسية على المتر المربع الواحد يصل الىحوالي ٥ كيلو واط في اليوم الواحد . ان هذا من المعدلات العالية وبين مدى الامكانات المتوفرة



شواظ شمسي

لاستغلال الطاقة الشمسية في الكويت ودول الخليج العربي وبقية اجزاء الوطن العربي .

ان هذا المعدل العام للطاقة الشمسية الساقطة على وحدة المساحة يعني ان استخدامها يحتاج الى مساحات واسعة من الخلايا والمجمعات الشمسية . فالخلايا الشمسية المتوفرة حاليا تعمل بكفاءة في حدود ١٠ ــ ١٥ ٪ . وعليه يمكننا تصور المساحات المطلوبة لانتاج الطاقة الكهربائية المباشرة من الشمس .

لكن ما يفتح المجال واسعا امام استغلال الطاقة الشمسية هو حقيقة ان نسبة كبيرة من استهلاك الطاقة الكهربائية يمكن الاستعاضة عنه بالتحويل الحراري للطاقة الشمسية . فالولايات المتحدة مثلا تستهلك حوالي ربع انتاجها من الطاقة في اعمال التدفئة والتبريد . والكويت تستهلك اكثر من نصف انتاجها من الطاقة الكهربائية في اعمال التدفئة والتبريد . وهنا يمكن للتحويل الحراري ان يحل محل استعمال الطاقة الكهربائية وبذلك يقلل من متطلبات الطاقة الكهربائية .

٢ ــ اما العامل الاخر الذي يحدد استخدامات الطاقة الشمسية والذي لا يستطيع الانسان التدخل فيه فهو ان الطاقة الشمسية لا تصل الى الكرة الارضية بشكل منتظم . فهناك النهار حين تسطع الشمس ، وهناك الليل حين تختفي . ثم هناك صيف يكون الاشعاع الشمسي فيه عاليا والجو صافيا ثم هناك شتاء غائم او ماطر والاشعاع الشمسي فيه منخفض . بالاضافة الى ذلك هناك التغيرات في طول النهار وقصره وتغير عدد ساعات الاشعاع الشمسي .

ان هذا الوضع اللاانتظامي لسقوط اشعة الشمس على الارض يقتضي القيام بتخزين الطاقة الشمسية باشكال مختلفة لاستعمالها وقت الحاجة .

ان ادراك هذه التحديات التي تفرضها الطبيعة على الانسان في مجال استخدام الطاقة الشمسية لا بد وان يدفع به للتفكير العقلاني في استخدامه للطاقة بشكل عام ، وللعمل على التاقلم مع المعطيات الطبيعية المفروضة عليه .

ان الطاقة الشمسية مصدر هائل و « مجاني » و « نقي » . لكنها من الجانب الاخر مصدر طبيعي يفرض على الانسان تحديدات لابد من اخذها في عين الاعتبار . لقد دفعت الحضارة الحالية الانسان في طريق معاداة الطبيعة من خلال تلويثها وتبذير مصادرها بشكل لا عقلاني . والآن ،تتلمس هذه الحضارة بعض ازماتها والطريق المسدود الذي تسير فيه . وربما تؤدي محاولات الانسان الحالية في استخدامه للطاقة الشمسية الى انشاء علاقات متناغمة وعقلانية مع الطبيعة . وعلى مر التاريخ الانساني ، لعبت الطاقة دورا هاما في تكييف حياة الانسان ومفاهيمه ونظراته . والاغلب ان تلعب الطاقة الشمسية دورا نامل ان يكون ايجابيا . ■■

الكويت ــ د . سعود عياش

معهد الكويت للابحاث العلمية
قسم الهندسة ــ الطاقة الشمسية

أقوال معاصرة

■ ان الحد الادنى لمهمتى هو العمل على التضامن العربى الذى يترنح . لماذا أبقى اذن ؟

محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية قبل استقالته

■ لقد تجاوزنا العديد من الجبال ، ولكننا ما زلنا بعيدين عن الارض الموعودة .

المهندس مهدى بازرجان رئيس وزراء ايران

■ لو اعطونى فرصة ثلاث سنوات اخرى ، لحققت لهم احلاما كثيرة !

امبراطور ايران السابق محمد رضا بهلوى

■ الاتفاقات امريكية الصنع مثال للشعوذة الدبلوماسية ، فهى تعطى كل طرف كل شىء ، ولا شىء فى آن واحد . وهى تعطى لاطراف النزاع ما يعطيه الساحر لجمهوره ، اشياء تتلاشى امام عينيه ، فلا يستطيع الامساك بها .

مجلة ايكونومست البريطانية .

■ مايجرى فى القدس وباقى الاراضى المحتلة يمس جوهر وروح الثورة الايرانية .

جمال سميران مندوب حكومة الثورة الايرانية لدى مجلس الامن .

■ مهمة المفكر العربى هى ممارسة حريته ، لا السعى الى تأمينها

الكاتب العربى كلوفيس مقصود

■ نحن فلاحى ولاية جورجيا ، نعتذر لكل فلاحى الولايات المتحدة الامريكية ، لاننا قدمنا الى البيت الابيض رجلا مثل جيمى كارتر !

لافتة استقبلت الرئيس الامريكى فى مسقط رأسه .

■ القدس عاصمة ابدية لاسرائيل والحكم الذاتى للسكان وليس للارض ، ولا عودة الى حدود ٦٧ !

رئيس الوزراء الاسرائيلى مناحيم بيجين بعد الاتفاق على معاهدة الصلح .

■ لقد اصبح هذا رمز امريكا فى الخارج : سفير يحمل تحت ابطه علما مطويا ، بينما يهرول متجها نحو طائرة هليكوبتر هاربة !

السناتور رونالد ريجان

■ عندما يتقاتل الشيوعيون مع بعضهم البعض ، يجب ان نقف بعيدا .

الرئيس الامريكى جيمى كارتر



رضا بهلوى



محمود رياض



كارتر



مهدى بازرجان

سد احتياجات الناس اولاً أم مشروعات الصناعة الكبيرة؟

بقلم : د · عبد الكريم الارياني *

يدور اليوم نقاش على مستوى المؤسسات والافراد المهتمين بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم الثالث حول فلسفة التنمية واهدافها بعد تجربة مضى عليها ما يزيد على ربع قرن · والجدل المحتدم هو حول العلاقة بين الهدف العام للنمو الاقتصادى الذى يقاس بالمعدل السنوى لزيادة الدخل القومي ، بصرف النظر عن المنتفعين من تلك الزيادة ، ومدى تحقيق ذلك النمو للغرض الاساسى فى التنمية وهو سد الاحتياجات الاساسية للفئة المحرومة منها فى ذلك المجتمع الذى نعمل على تنميته اقتصاديا واجتماعيا · وبينما لا يكاد يختلف اثنان على ان هذه الاساسيات هى الغذاء والماوى والصحة والتعليم ، الا ان الخلاف قائم على اشده حول افضل السبل وانجعها لتوفير تلك الاحتياجات الاساسية للغالبية العظمى من المعوزين والمحتاجين فى المجتمعات النامية اليوم·

لقد سادت الفكر التنموى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع عقد السبعينات نظرية « تسرب المنفعة » والتى تعنى باختصار انه تحت ظروف المنافسة الاقتصادية فان المنافع الناجمة عن تنفيذ مشروع اقتصادى معين سوف لا تنحصر فى اصحاب المنفعة المباشرة منه بل ستتسرب منافعه الى فئات اخرى من المجتمع ولو بصورة غير مباشرة، ومن هذا المنطلق فان بناء سد عظيم ورى مساحات

---

* مستشار بالصندوق التنمية الكويتى ووزير الاقتصاد اليمنى الاسبق

شاسعة من الارض مثلا سوف ينتفع منه بصورة مباشرة ملاك الاراضي ولكن منافعه ستتسرب أيضا الى مستاجري الارض وعمال اليومية فيها ، وحتى الى الفئات التي لا تعمل داخل القطاع الزراعي بتاتا •

نتائج لم تتحقق

لقد فوجئت مؤسسات التنمية الدولية عندما قومت المنافع الناتجة من اقامة المشاريع الصناعية المعقدة وبناء السدود العظيمة وشق قنوات الري الطويلة ، وتطبيق أساليب « الثورة الخضراء » التي استحوذت على التنمية الزراعية في عقد الستينات ، فوجئت هذه المؤسسات بان ما تسرب من منافعها الى الفئات المحرومة في مجتمعات شبه القارة الهندية وشرق آسيا مثلا كان محدودا جدا وذلك يؤكد أن هذه النظرية لا تنطبق تلقائيا ، فهناك عوائق اجتماعية وسياسية وأحيانا تقنية تحول دون تحقيق الغرض الاساسي من هذه المشروعات وهو سد الاحتياجات الاساسية لهذه المجتمعات ، ولذلك بدأ البعض منذ أوائل السبعينات يدعو الى تبني فلسفة جديدة في التنمية تقوم على اعطاء الاولوية لسد الاحتياجات الاساسية للفئات المحرومة في المجتمعات النامية ، وقد اقر هذه الدعوة المؤتمر الدولي للاستخدام في يونية ١٩٧٦ كما تبنتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في يونية ١٩٧٧ حيث اكدت حينها على ضرورة تحقيق غرضين أساسيين في التنمية هما النمو الاقتصادي بشكل عام من أجل توفير الخدمات الاساسية للانسان بشكل خاص •

ليس مستغربا أن يرى البعض في الدعوة لاعادة توجيه التنمية وتبني مشاريع بالمتطلبات الاساسية للانسان محاولة للتقليل من قدرة الدول النامية على استيعاب التكنولوجيا الحديثة ، بحجة أن سد الاحتياجات الاساسية لا يتطلب مستوى عاليا من التقنية • وأن يروا فيها تثبيطا لهمم الدول النامية عن تنمية القطاعات التي يعتبر انتاجها منافسا في الدول المتقدمة كالصناعة مثلا : كما يرى البعض الاخر أن تعميم منافع التنمية على اكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع لن يتحقق الا اذا تبنت الدول النامية نفسها مبادىء أساسية في سياساتها تؤدي الى اعادة توزيع الدخل وتوسيع قاعدة المنتفعين بزيادته وذلك يعني بالضرورة الزج بمؤسسات التنمية الدولية والاقليمية والحكومية في الشئون الداخلية لتلك الدول •

ولكن الذين يدعون الى ضرورة تبني فلسفة جديدة في التنمية يضعوننا امام الحقائق التالية المبرهنة على ان النمو الاقتصادي الذي حققته الدول النامية على مدى ربع قرن من الزمن لم يف بالغرض الذي من اجله قدمت المعونات والقروض الميسرة في سبيل التنمية بالانسان وللانسان : -

اولا : بينما يحدد علماء التغذية ٢٣٥٠ وحدة حرارية من الغذاء اللازم للفرد البالغ يوميا لكي يعيش ويمارس عمله اليومي بصورة عادية، نجد ان ٤٠٪ من سكان العالم الثالث لا يحصلون اليوم على هذا القدر الضروري من الغذاء •

ثانيا : هناك زيادة حقيقية في نسبة سكان العالم الذين لا يحصلون على الماء النقي ولا على الخدمات الصحية الاساسية ويزيد عددهم اليوم على الف مليون نسمة •

ثالثا : يزيد عدد الاطفال الذين هم خارج المدارس عن ٣٠٠ مليون طفل وعدد البالغين الذين فاتتهم فرصة التعليم عن ٨٠٠ مليون فرد وهذا العدد في تزايد مستمر •

رابعا : على الرغم من انه يصعب تحديد مشكلة الاسكان رقميا الا انه من السهل التعرف على مأساة الملايين من البشر الذين يأوون الى شوارع كلكتا وأكواخ كاركاس وأزقة جاكرتا ومقابر القاهرة ومعظم المناطق الريفية في غابات افريقيا وأدغال آسيا وأمريكا اللاتينية •

مشكلة الانسان العربي

في وطننا العربي الذي تنتمي جميع اقطاره الى مجموعة الدول النامية يطرح السؤال نفسه : هل نحن بحاجة الى تبني فلسفة تستهدف سد الاحتياجات الاساسية للانسان العربي في مأكله ومسكنه وفي صحته وتعليمه ؟ وهل يعني ذلك ان علينا كمجموعة عربية قاسمها المشترك هو الانسان

الاحتياجات الاساسية فى الوطن العربى
أ ٠ التعليم (١٩٧٥)

اسم البلد	عدد المسجلين فى المرحلة الإبتدائية كنسبة مئوية من الفئة العمريةللمرحلة	عدد المسجلين فى المدارس الثانوية كنسبا مئوية من الفئة العمرية للمرحلة	عدد المسجلين فى مراحل التعليم العالي كنسبة مئوية لفئة العمر ٢٠ ــ ٢٤	النسبة المئوية للملمين بالقراءة والكتابة بين الكبار
١ مصر	٧٢	٤٠	١٣	٤٠
٢ السودان	٤٠	٢٧	٢	١٥
٣ ليبيا	١٤٥	٤٥	٧	٥٥
٤ الجزائر	٨٩	١٩	٣	٣٥
٥ المغرب	٦١	١٦	٣	٢٦
٦ تونس	٩٥	٢٠	٤	٥٥
٧ موريتانيا	١٦	٣	١	٢٠
٨ الصومال	٥٨	٢	١	٣٠
٩ العراق	٩٣	٣٥	٩	٢٦
١٠ سوريا	١٠٢	٤٨	١١	٥٣
١١ لبنان	١٣٢	٣٨	٢٣	٦٨
١٢ الاردن	٨٣	٤٢	٤	٦٢
١٣ السعوديا	٤٤	١٦	٣	١٥
١٤ اليمن الشمالى	٢٥	٣	١	١٠
١٥ اليمن الجنوبي	٧٨	١٩	١	١٠
١٦ الامارات	١٢٤	١٠	٣	١٥
١٧ الكويت	٩٥	٦٠	٧	٥٥
١٨ البحرين	٧٧	٤٥	٧	٤٧
١٩ قطر	٩١	٢٠	١	٢٠
٢٠ عمان	٣٠	٣	١	١٠
٢١ المانيا الاتحادية	١٢٩	٧٠	٢١	٩٩
٢٢ اليابان	١٠٠	٩٥	٢٥	٩٩

العربى او كدول مستقلة يعنيها رخاء ورفاهية مواطنيها **أن نعيد ترتيب الاولويات التى تحكم** اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى خططنا ام ان التفاوت فى درجات النمو بين هذه الاقطار **لم يعد يسمح بتعميم نظرية واحدة على مجتمعاتها** لان مايصبو اليه المواطن العربى فى عدن وصنعاء اصبح يبعد كل البعد عما يحتاجه المواطن فى دمشق والقاهرة او فى الجزائر وبغداد ؟ ٠

للاجابة على هذه التساؤلات نحيل القارىء اولا على الجدولين الاحصائيين التاليين رقم ١ و ب اللذين يوضحان مستوى ما يحصل عليه المواطن العربى من خدمات اساسية وهى الغذاء والصحة والتعليم ومقارنة ذلك بما يتمتع به مواطنو دولتين متقدمتين هما المانيا الاتحادية واليابان ٠

سيجد القارىء ان هذين الجدولين يعكسان بوضوح اولا التباين الشديد فى درجات النمو بين اجزاء وطننا العربى بشكل عام ٠ ولكنهما يؤكدان على وجه الخصوص ان الغالبية العظمى من اولئك البشر الذين يعيشون على ارضه والذين هم هدفنا الحقيقى فى التنمية لايزالون يعيشون تحت ظروف سيئة صحية وتعليمية والى حد ما غذائية ناهيك عن مانعرفه جميعا عن سوء الاحوال السكنية فى ريفنا العربى ، وفى اغلب مدننا لا تبشر بانهم هم او ابناؤهم من بعدهم سيحصلون فى نهاية هذا القرن على احتياجاتهم الاساسية٠

اذن ففى الوطن العربى الذى كادت تبح فيه بعض الاصوات منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ بان الفجوة بيننا وبين العدو الصهيونى هى فجوة علمية ــ تكنولوجية وان سدها يستدعى التركيز على استيعاب التقنية الحديثة وذلك بالعمل على بناء العنصر الاساسى فى عملية الاستيعاب هذه وهو الانسان العربى نفسه ولكن انى لذلك الانسان ان يكون قادرا على استيعاب هذه التقنية اذا لم نف له بحاجاته الاساسية ؟ ٠

خداع النفس

ان خططنا الانمائية تزخر جميعها بالمشروعات الصناعية ومشروعات الهياكل الاساسية ، وهي مشروعات يمكن الجزم بان معظمها درستها او ستدرسها شركات اجنبيةوستعد مواصفاتها شركات اجنبية وستورد الاتها ومعداتها بكل تاكيد دولة اجنبية ، واخيرا وليس آخرا قد نضطر في النهاية الى تشغيلها وادارتها بواسطة مؤسسات اجنبية وما ذلك بناجم عن قلة فيالعدد او عجز فيالتفكير او قصور في الفهم ، ولكنه ناجم عن خطأ في ترتيب اولويات التنمية وهو خطأ لا نتحمله وحدنا في الوطن العربي ولا تتحمله الدول النامية فحسب • بل يقع جزء كبير من اللوم على الدول المتقدمة نفسها وعلى مؤسسات التنمية الدولية والاقليمية التيخلقتها بعد الحرب العالميةالثانية، حينما كانتخطة مارشاللاعادةتعمير اوروبا حينئذ والنجاح الباهر الذى حققته مثلا يحتذى ، حتى ان الزعيم الراحل نهرو كان ممن تبنوا فلسفته بتحويل الهند الى مجتمع صناعي متقدم على غرار نموذج « مارشال » في اوروبا ، ولكنه غاب عن نحن اولئك الذين وجهوا التنمية في دول العالم الثالث على ضوء اعادة تعمير اوروبا بعد الحرب ان مقومات التنمية الاجتماعية بكل معاييرها البشرية كانت قائمة في اوروبا اصلا قبل الحرب وان ما كانت تحتاجه المانيا مثلا هو اعادة بناء مصانعها ومعاهدها ومؤسساتها العلمية والتقنية التي شغلها فورا وادارها ثم طورها الالمان انفسهم ، وذلك هو ما يفسر انها لم تمض سوى سنوات قليلة حتى استغنت المانيا عن «المساعدة» الاجنبية واصبحت مصدرا هاما للقروض والمعونات الى دول العالم الثالث •

انه من باب خداع النفس ان نقول ان جمهورية مصر العربية مثلا بحاجة الى خطة كخطة مارشال لتحقيق نفس النتائج او حتى جزء من تلك التي حققتها المانيا او اليابان بعد الحرب لان البعد الزمني اللازم لتطوير المجتمع المصرى بملايينه من الاميين يصبح بعدا لايقاس الا بعشرات السنين حتى يرقى المجتمع المصرى الى مستوى المجتمع الالماني بعد الحرب العالمية الثانية • ولاادل على صحة هذا القول من احصائية اصدرتها في شهر اكتوبر الماضي اول دولة عربية وصلتها مطبعة « هايد لبرج » منذ قرن ونصف من الزمن تقريبا، والمطبعة هي رمز الحضارة الانسانية الحديثة وعنصر هام يسرده علماء التاريخ من عناصر الثورة الصناعية في اوروبا • وتلك الدولة هي جمهورية مصر العربية نفسها التي اثبتت تلك الاحصائية عنها ان اغلبية العاملين في القطاع الصناعي اميون لا يقراون ولا يكتبون ومع ذلك فان هذا القطاع يساهم بنسبة ٢٤٪ من الدخل القومي •

خطا ترتيب الاولويات

ليس المراد مما سبق الدعوة الى ايقاف عجلة التصنيع او الى تاجيل بناء الهياكل الاساسية ولا الى عدم الاخذ بوسائل التكنولوجيا الحديثة سواء في حياتنا اليومية او في مختلف انشطتنا الاقتصادية كما ان احدا لا ينكر ترابط مكونات النمو الاقتصادي والاجتماعي بعضها ببعض • ولكنني اعتقد ان هناك خطأ في تطبيق مبدأ اقتصادي تعرفه ربات البيوت بله علماء التنمية، وهو خطأ في تصنيف الاولويات تحت ظروف لا تسمح لنا بعمل كل شيء في ان واحد ولا أن نشد جميع الحبال من اطرافها المختلفة في عملية واحدة • وهو خطأ فرضته كما اعتقد ارادات سياسية ومن امثلة ذلك ظاهرة التركيز الشديد في خططنا على المشاريع الصناعية فعلى الرغم مما لها من اهمية في التنمية الاقتصادية الا ان المحصلة من منافعها الاجتماعية محدودة ، والا فماذا يعني بناء مجمع للحديد والصلب يعمل فيه بضعة الاف من العمال ولكن يحيط به مئات الالاف من البشر الذين يعانون من سوء التغذية وانعدام الخدمات الصحية وتصل نسبة الامية

الاحتياجات الاساسية في الوطن العربي
ب • الصحة (١٩٧٥)

اسم البلد	الوحدات الحرارية في الغذاء المستهلك يوميا (١٩٧٣)	سنوات الحياة المتوقعة عند الولادة	نسبة وفيات الاطفال في كل الف مولود	عدد السكان لكل طبيب	النسبة المئوية للسكان المزودين بالمياه النقية
١ مصر	٢٨٧٠	٥٢	١٠١	٢٣٤٠	٠٠
٢ السودان	٢٠٩٠	٤٩	١٣٢	١١٣٣٠	٠٠
٣ ليبيا	٢٥٤٠	٥٣	١٠٠	١١٤٠	٨٢
٤ الجزائر	١٨٩٠	٥٣	٨٠ (عام ١٩٧٠)	٨١٣٠ (عام ١٩٧٠)	٣٢
٥ المغرب	٢١٨٠	٥٣	١١٧	١٣٨٠٠	٠٠
٦ تونس	٢٢١٠	٥٤	٩٣	٩٨٠	٤٠
٧ موريتانيا	١٨٠٠	٣٧	١٨٧	٢٥٠٠٠	١٠
٨ الصومال	١٧٧٠	٤١	٠٠	١٥٥٦٠	٣٨
٩ العراق	٢٠٥٠	٥٣	١٠٤	٢٣٣٠	٦٦
١٠ سوريا	٢٠٥٠	٥٤	٢٢	٢٩١٠	٦٥
١١ لبنان	٢٣٦٠	٦٣	٨٢	١٣٣٠	٦٦
١٢ الاردن	٢٤٠٠	٥٣	٢٢	٢٤٤٠	٠٠
١٣ السعودية	٢٠٨٠	٥٤	٠٠	٦٦٦٠	٦٤
١٤ اليمن الشمالي	١٨٠٠	٤٥	١٦٠	٢٦٤٤٠	١٠
١٥ اليمن الجنوبي	١٨٠٠	٤٥	١٤٠	١١٤٦٨	٠٠
١٦ الامارات	٢١٠٠	٤٥	٠٠	٩٩٥	٠٠
١٧ الكويت	٣٤١٠	٦٢	٤٤	١١٤٠	٨٩
١٨ البحرين	٢٣٥٠	٦٥	٥٠	١٦٠٠	٩٨
١٩ قطر	٢٠٠٠	٥٠	٠٠	١١٢٥	٠٠
٢٠ عمان	١٨٠٠	٤٥	١٥٠	٥٥٨٦	٢٠
٢١ المانيا الاتحادية	٢٩٤٠	٧٥	١٠	٠٥٥	١٠٠
٢٢ اليابان	٢٤٥٠	٧٣	١٠	٠٨٧	١٠٠

بينهم الى اكثر من ٥٠٪ ؟ ان المنافع السياسية في بعض هذه المشاريع تفوق جدواها الاقتصادية وقيمتها الاجتماعية •

اخيرا اننا لا ننكر الحيرة التي يواجهها المخطط في اية دولة نامية حيث تفرض المعطيات الاقتصادية لذلك المجتمع حرمان ابناء اليوم من بعض ما يصبون اليه من اجل ضمان مستقبل افضل لاجيال الغد ولكن واجبنا هو ان نبحث عن نقطة التوازن بين تضحيات اليوم وفوائد المستقبل وعندها سنجد ان مدرسة ابتدائية او مستوصفا ريفيا سيحتل مكانا في الاولويات يسبق مشروع اقامة مصنع لانتاج الملابس الجاهزة من قطع القماش المستوردة مثلا وان تزويد الجامعة بمختبرات ومواد لتعليم ابنائنا فيها اكثر فائدة من تعبيد بضعة كيلومترات بالاسفلت حرصا على ملابس المسافرين من الاتربة المتصاعدة ومن هذا المنطلق فان السؤال الثاني الذي يفرض نفسه هو : ـ

اليس واجبا قوميا علينا ان نعيد ترتيب الاولويات في خططنا لتصبح الاهمية الاولى لعملية بناء الانسان الذي بواسطته لن نستوعب التقنية الحديثة فحسب بل سنساهم في احداثها وتطويرها؟

هذا رأى يحتاج الى مناقشة •

■■

الكويت ـ عبد الكريم الارياني

المصادر : ـ تقرير البنك الدولي للانشاء التعمير عن التنمية في العالم • اغسطس ١٩٧٨
كتاب الاحصاء السنوى للامم المتحدة (١٩٧٥)
وثائق الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية •

رحلتى من القانون الى التاريخ ..

سئلت خلال حياتى اكثر من مرة من بعض الاخوان ، ما الذى دفعنى الى كتابة التاريخ ، وانا بمهنتى محام من رجال القانون . وحينما منحت وسام الجمهورية من الطبقة الاولى فى العلوم والفنون ، نتيجة لحصولى على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، وصفنى المرسوم « بالمحامى والمؤرخ » ، وسئلت عندئذ من بعض الاخوان ما هى العلاقة بين الصفتين ؟

بقلم : محمد عبد الله عنان

ان « المحامى والمؤرخ » وفقا لنص المرسوم الجمهورى ، هما عنصرا حياتى المهنية والعلمية كلها ، ولست اشعر بان هناك اى تناقض بينهما ، بل بالعكس اشعر ان كلا منهما يتمم العنصر الاخر . ولما كان هذا يتسم فى نظر بعض الاخوان والنقدة بشىء من التناقض ، او يبدو انه تحول فى الحياة العملية ، من ميدان الى ميدان اخر ، فقد رأيت ان انتهز هذه الفرصة لاشرح وجوه التوافق والتكامل بين الصفتين من الناحية المهنية والعلمية .

واود اولا ان الفت النظر الى ان ابدع واقيم سلسلة وضعت فى تاريخ مصر الحديث فى عصرنا ، هى السلسلة التى وضعها محام ومؤرخ ، هو المرحوم الاستاذ عبد الرحمن «بك» الرافعى المحامى ، وهو فى نظرى ونظر الكثيرين يعتبر عمدة المؤرخين المصريين فى القرن الذى نعيش فيه . فقد تناول تاريخ الحركة القومية بمصر منذ اواخر القرن الثامن عشر ، وقيام محمد على حتى ثورة سنة ١٩٥٢ ، فى عدة اجزاء متتالية ، تناول فيها عصور محمد على وابراهيم وعباس الاول فاسماعيل ، فالثورة العرابية ، فحياة مصطفى كامل ثم حياة محمد فريد ، ثم ثورة سنة ١٩١٩ ،

فثورة سنة ١٩٥٢ ، وذلك كله بتفصيل دقيق شامل ، تؤيده مئات الوثائق التاريخية ، المصرية والاجنبية ، وفي عرض واضح واسلوب جزل ممتع، وموضوعية هادئة راسخة ، بعيدة عن كل اغـراق وتحيز ، وانفق في هذه الموسوعة الجليلة ، حياة باسرها ، هي حياة المحامي المؤرخ ، فقد عاش عبد الرحمن الرافعي طول حياته محاميا ، ونزل الى المهنة منذ شبابه اولا في المنصورة ثم في القاهرة ، وهو يحمل منذ البداية صفات المحامي النزيه البارع ، يتمتع لدى سائر الدوائر القضائية ، بصفاته الممتازة من الصدق والوضوح والامانة المهنية .

مصادفات القدر

ولن ننسى الانتاج التاريخي العظيم لمحام مصري لامع آخر ، هو الكاتب والصحفي الكبير المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، فهو في كتبه الاسلامية العظيمة ، محمد ، والصديق ابو بكر، والفاروق عمر ، في منزل الوحي ، يعرض مواهبه الجدلية القانونية في البحث والتمحيص ، ومن غرائب الاتفاق انه كان يزاول مهنة المحاماة الى جانب زميله عبد الرحمن الرافعي في مدينة المنصورة نفسها ، وفي نفس الوقت ، وهو يعتبر من المع مؤرخينا في هذا القرن العشرين في حقل التاريخ الاسلامي .

وقد سلك كاتب هذه السطور نفس الطريق ، فعمل منذ تخرجه من دراسة الحقوق ، اولا في مهنة المحاماة . وكان من غريب الاتفاق ايضا ان بدأ بمزاولتها في نفس الدائرة – دائرة محكمة المنصورة – ثم في القاهرة ، ونزل بجانبها ، الى ميدان الصحافة ، ثم لما استغرقت الصحافة معظم نشاطه، ترك المحاماة وانقطع الى مزاولة الصحافة، وبدأ بحوثه التاريخية في ظل الصحافة في وقت مبكر من شبابه ، حتى صارت الكتابة التاريخية هي ابرز انتاجه الصحفي ، وهو يترك وراءه تراثا تاريخيا ، يشتمل على موسوعة تاريخ الاندلس ، التي بذل في انجازها قرابة ثلاثين عاما ، وعدة مؤلفات تاريخية اخرى ، تحظى كلها بحمد الله بكثير من التقدير .

والذي نود ان نلفت اليه النظر ، قبل كل شيء، هو انه قد كان لدى رجال الحديث والمؤرخين المسلمين ، ما يعد بديلا للقانون ، او المحاماة ، مما يحقق نفس الاغراض ، التي تحققها البحوث القانونية والجدلية، من تقصي الروايات الراجحة، وترجيح الروايات المدعمة بالاسانيد المتصلة ،على الروايات الضعيفة ذات الاسانيد المنقطعة ، ونقد رجال الحديث بما يسمى مبدأ «الجرح والتعديل» فان الحديث لا يعتبر صحيحا ، في نظر علمائه ، الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت هذه السلسلة تتألف من اشخاص عرفوا بصدق الرواية . وهذا التحقيق يرجع الى حياة الاشخاص انفسهم ، والى الوقت والظروف التي عاشوا فيها . وقد تكفلت بذلك ، حسبما سنرى بعد ، كتب الطبقات العديدة التي الفت هذه المادة ، وقدمت لنا تاريخ الصحابة افرادا ، ثم تاريخ التابعين وتابعيهم، ورواة الحديث الاوائل جلهم من اولئك . ونستطيع على ضوء الروايات الخاصة بالاشخاص ان نقضي بتجريح صاحب السند الحديثي أو تعديله ، اي اعتباره اما مجرحا أو معيبا في روايته أو عدلا صادقا فيها . وهذا المبدأ ذاته يمكن تطبيقه على الروايات التاريخية، وذلك بالرجوع الى حياة صاحب الرواية ، ومكانته من الصدق والثقة ، ثم الى الرواية ذاتها ، وما يقترن بها من ظروف العصر الذي تسند فيه ، وظروف غير المعقول ، وغير ذلك .

وتطبيق المبدأ الحديثي اي الجرح والتعديل، في تقييم الرواية والاسناد ، وتقييم صفات صاحب السند ، وما يمكن أن يوجه الى سنده ، أو الى روايته من وجوه الضعف أو الريبة ، أو ما يمكن أن يشهد بصحة روايته ومتانة سنده ، أو بعبارة أخرى ما يشهد بعدالته ، هو نفس ما يفعله المحامي في بحث جوانب التأييد او

النفي في اثبات واقعة معينة ، او وجود الريبة او الصحة في الاعتداد بسند معين ، وهو نفس ما يفعله المحامي المؤرخ في تقييم رواية او واقعة تاريخية معينة ، وترجيح ما يؤيدها او يقويها على ما يمكن ان ينقدها او ينفيها ، وهو نفس عملية الجرح والتعديل بذاتها .

رجال الحديث والمؤرخون

ويلاحظ ان اكابر المؤرخين المسلمين «معظمهم من رجال الحديث ، ولا سيما اصحاب التواريخ الكبرى . فالطبري ، والذهبي ، وابن الاثير ، والمقريزي ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، وهم نماذج بارزة من اكابر المؤرخين ، هم كذلك من اكابر رجال الحديث ، ولمؤلفاتهم التاريخية منزلة خاصة من التقدير فيما يتعلق بالموضوعية وصدق الرواية . وما من شك في ان صفة المحدث كانت عاملا هاما في ابراز هذه المراجع التاريخية الوثيقة .

ذلك ان رجال الحديث ، يستطيعون بشهر سلاح الجرح والتعديل ، ان يشقوا لانفسهم طريق الوصول الى الحديث « الصالح » او الحديث « الحسن » ، ويتنكبوا طريق الوقوع في طريق الحديث « الضعيف » . ومن ثم كان رجال الحديث هم أصدق الرواة وأوثق المؤرخين. وقد اصبح لديهم بمرور الزمن تراث عريق من كتب الطبقات ، التي تبدأ بطبقة الصحابة رضي الله عنهم ، وهم اول كتيبة من الرواة عما سمعته او شهدته من اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافعاله وتصرفاته . ونقلت رواياتها في القول والفعل الى الطبقة التي تليها ، وهي طبقة التابعين ، ثم الى الطبقات التالية من اتباع التابعين . ومن هذا التراث العريق تستخرج السنة النبوية مؤيدة بالرواية المباشرة ، والاسناد المتصل ، عن اشخاص عرفوا بالامانة وصدق الرواية ، وكانت صفاتهم في ظروف حياتهم تضفي عليهم ما يطمئن الى تلقي اسنادهم والاعتداد به .

ولدينا في التاريخ الاسلامي تراث عريض من تواريخ الصحابة والتابعين ؟ في مقدمتها طبقات ابن سعد ، وطبقات الحفاظ للذهبي ، واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير الجزري ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، والاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمري الاندلسي ، وكتب كثيرة اخرى وضعت في تواريخ متاخرة ، ترجع الى بعضها البعض ، وتتصل بالتوالي . وهذه كلها بطبقاتها المتوالية ، ورواياتها الوثيقة في خدمة رجال الحديث ، وخدمة مبادىء « الجرح والتعديل » .

ورجل القانون الذي يعالج كتابة التاريخ يستطيع حسبما تقدم من جانبه أن يلجا الى ما يمكن مقارنته بمبادىء الجرح والتعديل في تحقيق الرواية . فهو بحاسته الجدلية التي اكتسبها من ممارسة دراسة جوانب النزاع القانونية ومقارنتها ، يستطيع ان يفند مختلف الروايات ، ويرجح منها الاقوى والارجح ؟ ولديه من حاسة الوزن والمقارنة ، ما يعينه على الوصول الى مثل هذه النتيجة ، وهو في صدد بحث الوثائق ومقارنتها خبير ماهر ، يستطيع بحاسته الجدلية والاستقصائية ، أن يقف منها على الأصيل المقنع ، ويستطيع ان يستكشف منها المدسوس الضعيف ، فيسقطه من حسابه ، وبذلك يمكنه في معظم الاحوال أن يستكشف قيمة هذه الوثائق واثرها الحقيقي في تصوير الوقائع ، وفي تقصي الحقائق المحيطة بها .

والخلاصة أن رجل القانون ، يستطيع بشهر سلاح الجدل والبحث المقارن ، ترجيح الرواية القوية على الرواية الضعيفة ، والوصول الى استكشاف الوثيقة الراجحة ، التي يمكن الاعتداد بها والاستناد اليها ، في تدعيم النص او الرواية . ومن ثم كانت كفايته في كتابة التاريخ ، وبراعته المقرونة بالاطمئنان في تدوين نصوصه . ■■

الرباط — محمد عبد الله عنان

ترجمة عربية لبعض أحداث بلاد فارس !

بقلم : فهمي هويـــدى

يبدو ان « حيرة مسلم هذا الزمان » قد دخلت طورا جديدا بعد الذى جرى فى ايران . ذلك انه اذا كانت الاسئلة المثارة حول التطبيق الاسلامي قد بقيت زمنا فى دائرة الجدل النظرى ، الذى يحتمل الاخذ والرد والاختلاف والاتفاق ، فان هذه الاسئلة ذاتها قد دخلت الآن المختبر الايراني ، فى امتحان لا يحتمل التأجيل والانتظار .

وهي مصادفة تثير الانتباه ، ان تجرى تجارب التطبيق الاسلامي خارج العالم العربي ، وان تجرى تجارب « الترقيع » الاسلامي داخله ، وكثيرون يذكرون بغير شك تلك الآمال التى كانت معلقة على « باكستان الاسلامية » عندما قامت فى عام ٤٧ ، وكيف ان دعاة انفصال باكستان وفى مقدمتهم الفيلسوف الشاعر محمد اقبال ثم محمد علي جناح ـ مؤسس الدولة ـ كيف كان هؤلاء يقدمون فكرتهم باعتبارها تجسيدا لحلم المسلمين فى اقامة دولة الاسلام . ثم مضت سنوات وسنوات ، ظل الأمل خلالها يخبو شيئا فشيئا ، وبقى الحلم كما هو ، يداعب خيالاتذوى النوايا الطيبة داخل باكستان وخارجها .

وها نحن نواجه دعوة مماثلة فى ايران ، وان اختلفت التفاصيل والاساليب والثمن . فالمطروح امامنا الآن هو اعلان شديد الجاذبية والاثارة ، خطف ابصارنا فى توقيت بالغ الدقة . اذ بينما يعيش الجميع حالة من التخبط والانكسار والاحساس بمرارة الهزيمة على كل جبهة ، اذا بهضبة ايران تهتز ، ويتزلزل عرش الطاغوت ، وينهار صرح القهر ، ويتحول ٣٥ مليونا من المهزومين والمقهورين الى مارد جديد ، تنشق عنه الارض رافعا شعار « الثورة الاسلامية » .

وقد قدر لي ان أرى وجه طهران فى تلك اللحظات ، بينما نشوة النصر اسكرت الجميع ، وعلامات البشر بادية على كل الوجوه ، وشعارات الثورة الاسلامية على كل جدار ، والاصوات تنادى ان ها قد تجددت ثورة الحسين ، وبلغت مرادها . وآن اوان اقامة حكومة محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم راحت السكرة وجاءت الفكرة كما يقال ، وعاد السؤال الكبير يطرح نفسه : كيف تقام حكومة محمد عليه الصلاة والسلام فى هذا المكان ، وهذا الزمان ؟

ومن جديد ، اطلت حيرة مسلم هذا الزمان !

●

لم يعد الشعار وحده يجدى ، ولم يعد « خبز الجنة » وحده يكفى ـ كما يقال ـ لان هذه الملايين بحاجة الى « خبز القمح » ايضا . ويكشف حقيقة تغيب عن بال الكثيرين ممن يتصدرون الدعوة الى الاسلام ، هى ان الشعارات فى عصرنا هذا فقدت معناها حتى صار الشعار الواحد يحتمل الشيء ونقيضه . وجاز عقلا ولغة ان نتداول تعبيرات مثل « يمين اليسار » « ويسار اليمين » ايضا ! . نحن الآن فى عصر التفاصيل كما هو معروف .

لم يعد يهم ، ولم يعد يثير احدا ، ان ينادي البعض بالديمقراطية او الاشتراكية او حتى الشيوعية ، لأن السؤال الاهم هو : كيف ؟

ونفس المعيار ينطبق على دعاة الثورة الاسلامية . فقد حدث ان نمت الثورة بالفعل ، وتحولت الى دولة ، وواجهت السؤال الكبير : كيف ؟

ولنأخذ مثالا محددا ، هو قضية الديمقراطية . لقد جاءت الثورة بفكر منحاز الى جانب الحرية . وكان مما قاله لي احد اعوان الامام الخميني : اننا لم نسقط ديكتاتورية الشاه ، لنمارس ديكتاتورية جديدة . وفتحت الثورة باب ممارسة حرية التعبير للجميع ، حتى سمح لحزب « تودة » الشيوعي بأن يصدر علنا صحيفته السرية « الشعب » التي ظلت تتداول في الخفاء طوال ٣٥ عاما . ثم عندما طرح موضوع الانتخابات والبناء الدستوري المستقبلي صدر عن الامام الخميني تصريح يقول فيه اننا لا نريد ديمقراطية الغرب ، ولا نريد ان نكون مقلدين لأحد .

وظل موضوع صيغة الممارسة الديمقراطية معلقا ، واسئلتها حائرة بين من يقولون بجمهورية اسلامية ، ومن يقولون بجمهورية على النظام الغربي . الأمر الذي فتح الباب لاثارة مجموعة من الاسئلة منها مثلا : هل يعتبر كل ما هو غربي أو شرقي منافيا للاسلام ، حتى ولو لم يتعارض مع نصوص القرآن والسنة ؟ وهل يرفض الشيء بناء على جنسيته ، ام على اساس مدى اتفاقه او تعارضه مع النصوص من ناحية ، ومصلحة المسلمين من ناحية اخرى ؟ .. واذا كان الاسلام يقر ان الاصل في الاجسام الطهارة ، والاصل في الانسان الحرية ، والاصل في الاشياء الاباحة ، لماذا اذن نفترض ان الاصل هو الحظر ، عندما يتعلق الأمر بتجارب الآخرين ؟

ثم ، في قضية الديمقراطية ، يسجل الامام الخميني في كتابه « الحكومة الاسلامية » ان « الاسلام استبدل بالمجلس التشريعي مجلسا آخر للتخطيط ، يعمل على تنظيم سير الوزارات في اعمالها ، وفي تقديم خدماتها في جميع المجالات » . ورغم انه لا يشير الى الدليل الفقهي الذي بنى عليه هذا الرأي ، الا انه مفهوم من سياق كلامه ، قبل وبعد هذه الفقرة ، انه لا حاجة لمجلس تشريعي في التطبيق الاسلامي ، على اعتبار ان التشريع قائم بالفعل في كتاب الله وسنة رسوله . وهو رأي يتبناه آخرون في عالمنا العربي ، اما باقتناع حقيقي ، او تبريرا لأوضاع قائمة .

(هذا الرأي يخلط بين الشريعة التي هي من صنع الله — وهي الاساس — والتشريع الذي هو من صنع البشر ، ولا غنى عنه . ثم انه يفترض ان مهمة المجالس النيابية هي التشريع فقط ، في حين ان هذه المهمة تظل استثناء في ظل اوضاع قانونية مستقرة ، وتصبح المهمة الاولى — والقاعدة — هي الرقابة على مؤسسات الدولة السياسية والتنفيذية .)

وفي حين يطرح الخميني هذا الرأي ، نقرأ رأيا آخر في الديمقراطية لآية الله شريعتمداري ، أحد أبرز فقهاء الشيعة ، يقول فيه ان الصيغة المطروحة للديمقراطية الغربية لا تصطدم مع تعاليم الاسلام ، ويمكن العمل بها ، « مع تعديلات طفيفة » .

ورغم ان الموضوع لم يحسم بعد ، الا انه يثير في النهاية قضية النظرية السياسية في الاسلام ، ويطرح بالحاح ضرورة تقديم هذه النظرية بصيغة لا تحتمل الشك او التأويل ، ولا تفتح الباب لأقاويل تتهم الاسلام بانه نظام ثيوقراطي وشمولي .

وتقودنا هذه النقطة الى مناقشة مسألة العودة الى حكومة محمد عليه الصلاة والسلام ، التي تثير لبسا آخر يعزز اتهام الاسلام بالشمولية . ذلك ان البعض يتعامل مع هذا التعبير على انه عودة الى « شكل » الحكومة ، وفت ان كان النبي عليه السلام هو مبلغ الرسالة

ورئيس الدولة والمشرع والقاضي والقائد . وذلك وضع استثنائي يبرره ان النبي لم يكن يتصرف الا بوحي من عند الله ، خصوصا في اطار التبليغ والتشريع ، فضلا عن ان تلك صيغة كان يحتملها البناء السياسي والاجتماعي قبل ١٤ قرنا ، رغم ان النبي (ص) كان دائم الاستشارة لصحابته ، على ما هو ثابت . وهذا الشكل ، لا مكان له الآن ، اذ ليس لأحد أن يزعم انه موحى اليه ، بعدما انقطع الوحي بوفاة خاتم الرسل ، ثم ان طبيعة البناء السياسي والاجتماعي المعاصر لم تعد تقبل هذا الشكل باي قدر .

وهناك فريق آخر يفهم هذا التوجه نحو حكومة الاسلام الاولى باعتباره استلهاما للوظيفة والدور ـ لا الشكل ـ لارساء المجتمع الاسلامي على اسس نقية وقوية ، خالية من الشوائب والبدع . على اعتبار ان صلاحية الاسلام لكل زمان لا تعني في الواقع القدرة على نقل الزمان الى وقت نزول الاسلام ، ولكن القدرة على نقل الاسلام الى بقية الازمان . حتى يظل التطبيق الاسلامي دائما خطوة الى الامام ، وليس تراجعا الى الخلف !

●

وقد اخترت قضية البناء الدستوري كنموذج لأحد اختبارات التطبيق الجارية ، المحددة والعاجلة ، التي لم تجد تصورا اسلاميا معاصرا متفقا عليه . ولم أتطرق الى موضوع تعقيداته كثيرة ، وتفريعاته اكثر ، مثل القضية الاجتماعية ، ورغم أن مسألة الحجاب « والشادور » قد أثيرت مبكرا واحدثت زوبعة كانت الثورة في غنى عنها ، مما دعا احد الكتاب الى القول ـ بحق ـ انه اذا كان الحجاب هو محور القضية ، فان الامر لم يكن يحتاج الى اشعال الثورة ، وتقويض عرش الشاه ، وتقديم الاف الشهداء .

ورغم أن المسألة الاقتصادية لم يفتح ملفها بعد ، الا انها تظل في انتظار دورها في المختبر ، وان كان الفقه الشيعي قد تجاوز في هذا الصدد ما لا يزال خلافيا عند اهل السنة ، اذ يبيح فقهاء الشيعة ـ والامام الخميني بينهم ـ التامين وشهادات الاستثمار ، ويحرمون الفائدة في الايداع أو الاقتراض .

وما يعنينا في هذا كله ان العمل الاسلامي صار يحتاج الآن الى جهد العلماء والمخططين، باكثر من حاجته الى الخطباء والوعاظ ، وان ممارسة الدعوة شيء ، واقامة الدولة شيء مختلف تماما .

ويخطيء رجال الدين عندما يظنون ان « الفقهاء » او المجتهدين يستطيعون أن يقيموا دولة ، وهو الامتحان الذي تعثرت فيه الثورة الايرانية ، وتجاوزته بقدر . انهم يستطيعون ان يؤدوا دور المشاعل التي تنير الطريق للسفينة وترشدها ، ولكن ادارة السفينة وظيفة اخرى لها اهلها وعلمها وخبراتها ، وحتى تخصصاتها . وبغير تكامل هذه الادوار لن تصل السفينة الى بر الامان .

وكثيرا ما يقع رجال الدين في خطأ تبسيط الاشياء الى حد انهم يعطون لانفسهم حق الخوض في علوم القانون والاقتصاد والاجتماع والفلك والطب وغيرها . وهو منهج ربما كان مقبولا تماما قبل قرون ، عندما كانت معرفة الانسان محدودة ، وايضا الحقائق العلمية محدودة . ولكنه منهج مرفوض الآن بنفس القدر ، اذ لم يعد مقبولا لا من ناحية المنطق ولا من حيث الاسلوب العلمي السليم ، ولا حتى من اجل مصلحة المسلمين ، أن ينفرد مجتهد مهما بلغ علمه، بان يقول الكلمة الاخيرة في قضية اقتصادية مثلا، ما لم تكن كلمته هذه هي ثمرة حوار شارك فيه خبير الاقتصاد على الاقل ، هذا اذا لم يسهم معه خبراء القانون والاجتماع .

ولكن رجال الدين يعملون في واد ، وغيرهم في اودية اخرى كثيرة . وبين الطرفين تزداد حيرة مسلم هذا الزمان ، ومحنته !

وغير ذلك ، فثمة حقائق اخرى ـ تعنينا جدا هنا ـ تبهت اليها احداث ايران ..

● اول هذه الحقائق ان ما جرى في ايران ، قدم نموذجا جديدا لرجل الدين ، من ذلك الطراز الذى كاد ينقرض في عالمنا الاسلامي ، فضلا عن انها كشفت عن وجه للاسلام طمست معالمه بفعل الممارسات المريضة والعاجزة . ان رجل الدين كما رأيناه في ايران الثورة ليس هو مفتي « الحيض والنفاس » ـ بتعبير الامام الخميني ـ ولكنه مناضل يتقدم الصفوف ، حاملا السلاح الى جوار المسبحة ، ويعيش حياة الجماهير المسحوقة حتى النخاع . كما ان الاسلام الذى اطل على الجميع لم يكن باى حال « افيون الشعوب » ـ كما اريد له ـ ولكنه قنبلة موقوتة في وجه الظلم السياسي والاجتماعي .

● ثاني هذه الحقائق ان موقف الفكر الاسلامي عموما في مواجهة الظلم لا غبار عليه في الواقع . ولكن هذا الموقف اتخذ طابعا اكثر حدة وممارسة ابعد في المربع الشيعي . ربما لان لهم تاريخا حافلا بالظلم والاضطهاد ، تصدى له الفقه الشيعي بحزم ، حتى اعتبر مقاومة الظلم نوعا من الجهاد ، الذى هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بنص الحديث الشريف .

● ثالث هذه الحقائق ، ان الاستقلال الفكرى لرجال الدين وتحررهم ، يجب ان يسبقه تحريرهم هم اولا . وقد كان من اهم الاسباب التي مكنت رجال الدين الشيعة من تحدى الظلم ومقاومته ، انهم مستقلون ماليا ، ولا تملك السلطة من امر ارزاقهم شيئا . لان « سهم الامام » الذى هو نصف خمس ما يربحه الشيعي كل عام ، يجب ان يقدم لمن ينوب عن الامام ، وهو رجل الدين ، طبقا للفقه الشيعي . ومن هذه الحصيلة ، يتعيش الرجل وينفق على متطلبات اداثه لرسالته . من مراكز الدعوة (المعروفة باسم « الحسينيات » نسبة الى الامام الحسين) الى المساجد والمدارس .

ونحن نعلم ان اكثر فقهاء اهل السنة كانوا يعملون ويرتزقون بعرقهم ويجتهدون . وفي العصور الحديثة ، عندما عرف الاحتراف بين رجال الدين ، اصبح ريع الاوقاف يمولهم ويغطي احتياجاتهم ، ويوفر لهم بالتالي هذا الاستقلال المالي . ولكن الغاء الاوقاف الاهلية ، واخضاعها بربطها بسلطة الدولة ، اغلق هذا الباب ، وتحول الجميع الى موظفين ، تهمهم الدرجة والعلاوة والمعاش ، وكان الذى كان !

● رابع هذه الحقائق انه قد آن الاوان لاجراء حوار سني شيعي ، يدرك فيه الجميع ان تلك التفرقة هي سلاح لضرب الاثنين ـ كما قال الامام الخميني بحق ـ ويتذكر فيه الجميع انهم يعتنقون دينا واحدا ومذاهب متعددة . وان احدى آفاتنا ان البعض ـ خصوصا في عصور الانحطاط الفكرى ـ تعامل مع المذهب باعتباره دينا . والدين امره معروف ، بينما المذهب « يؤخذ منه ويرد » بغير حرج . وسوف نعبر الخنادقات كثيرة اذا ما كانت هذه التفرقة واضحة. واذا ما كانت ادارة الحوار موكولة الى العقلاء ، لا المتعصبين وقصار النظر .

● خامس هذه الحقائق ـ وآخرها ـ انه آن الاوان ايضا لان نسقط تماما اى انعكاس للموقف المذهبي على معاملة المسلم . ورغم ان القضية ليست مثارة في بعض انحاء العالم الاسلامي الا ان لها وجودا مؤثرا في اقطار اسلامية اخرى . وقد كانت هذه التفرقة الشعوبية من ناحية والمذهبية من ناحية اخرى ، (هي من العوامل التي مزقت العالم الاسلامي واسقطت دولة الاسلام . واذا كانت عصور التدهور في تاريخنا قد شهدت مراحل ساد فيها « حكم » المالكية او الاحناف أو حتى الشيعة لبعض الوقت ، فانه ليس مقبولا باى مقياس ان نعيش امتدادات هذه العصور ونحن على ابواب القرن الواحد والعشرين .

ولان الموضوع دقيق وحساس بالنسبة للجميع ، فانني اكتفي فيه بهذه الاشارة العابرة . وكل لبيب بالاشارة يفهم !



ليس كل الشر في الدهن

ليس هذا أول تحذير من تعاطي المواد السكرية، ولن يكون الاخير ، لكنه يظل بلا جدال ، واحدا من أهم التحذيرات التي اطلقت في هذا الصدد ٠

حذار من السكر

ذلك العدو الحلو القاتل !

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

أصبح الموت في أوج الرجولة وعنفوانها في تزايد مستمر في عصرنا ، مما يجعلنا ندرس القضية عن كثب ، فمتطلبات الحضارة والارهاق الزائد على جهاز الدورة الدموية والاعصاب من الامور التي تستدعي الاهتمام ، وقد قامت نظريات طبية عديدة على جانبي الاطلسي لتفسير هذه الظاهرة ومعالجتها واكثرها يتركز في موضوع التغذية ونوعيتها ، فالدكتور كيز في الولايات المتحدة يزعم ان السر كامن في الافراط في تناول المواد الدهنية مما يزيد من نسبة الكوليسترول في الدم • فيفضي الى تصلب الشرايين والعاطب القلبية وارتفاع ضغط الدم ، وما الى ذلك من الامراض التي تعجل بوفاة الانسان في شرخ الشباب او ذروة الكهولة المثمرة ، فيرد عليه من هذا الجانب من الاطلسي ومن بريطانيا بالذات البروفيسور جون يودكن استاذ التغذية بجامعة لندن قائلا : ان الشر كل الشر ليس متأتيا من الدهنيات بل من السكريات ، وينعت السكر بالقاتل الحلو

الابيض . بل لقد بلغ الامر بالبروفيسور يودكن حدا يقول معه : « لو كان باستطاعتي ، لمنعت منعا باتا بيع السكر ومشتقاته من حلويات ومن مختلف صنوف الكيك والبسكويت والشوكولاته والمرطبات والمشروبات الروحية . ولاسيما ذات المذاق السكري لانقذ البشرية من اخطر الامراض وعلى راسها امراض القلب » .

اننا لا نريد ان نعابث البروفيسوريودكن فنقول له :«سدي» ماتحاول فان هذا القاتل الحلو الابيض ياتينا مقنعا بالف قناع وقناع ومنالعسير مكافحته واستئصال شافته . ولا جدوى من ذلك،بل الافضل العمل بمختلف وسائل الدعاية الطبية على الاقلال من تناوله لانه اكثر العناصر الغذائية اغراء بالتناول لمذاقه وللطاقة والحيوية والنشاط الذي يمنحه للانسان . اننا لا ننكر انه سبب مناسباب الجلطة القلبية ولكنه ليس المسئولالوحيد فالجلطة القلبية يجب ان تكون لها ممهداتها ومهيئاتها والعوامل الاخرى المساعدة على ذلك . فقد يحدث الموت نتيجة تشنج مفاجيء في عضلات الاوعية الدموية المغذية للقلب نتيجة انفعال نفسي عنيف سارا كان او محزنا او في اعقاب رجة عصبية . ولا دخل للقاتل الحلو الابيض في ذلك.

السكر والنقرس والجلد

ويصر البروفيسور يودكن الحجة العالمي في التغذية على ان استهلاكنا للسكر فيزيادةمستمرة فقد كان انتاج السكر سنة ١٨٥٠ مليونا ونصف المليون من الاطنان في العالم.اما اليوم فقد جاوز السبعين مليون طن ، ولكن الاستاذ العلامة ينسى ان سكان العالم يومذاك ما كانوا ليتجاوزوا الالف مليون نسمة ، اما اليوم فهم ، حسب آخر احصاء طلعت به الصحف علينا قبل ايام مستندا على احصائيات الامم المتحدة ، قد بلغوا ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانين مليونا ، مع ذلك فان معدل الاستهلاك الفردي في الشعوب المتقدمة قد زاد زيادة ملحوظة . ومعها ازدادت حوادث اضطرابات القلب .

اما في الدول النامية فان استهلاك السكر اقل بكثير . مع ذلك ففي بعضها الكثير من حوادث السكتات القلبية ، بسبب القلق وعدم الاستقرار السياسي .

فناحية من صراع الطب اليوم مع المرض لتجنب الموت المبكر انما تتخذ سبيل اكتشاف العلاقة بين استهلاك السكر والجلطة القلبية والدايابيطس او البول السكري وتسوس الاسنان وسوء الهضم والسرطان . فالطب في صراع مستميت مع هذه الامراض جميعا . وقد اتخذ بعضهم نقطة الانطلاق السكر ، كما بينا ، بعد ان كان المتهم الاول « الدهن » . فيزعم انصار هذه النظرية ان خمس السعرات الحرارية للجسم في البلدان الراقية مستخلص منه، وان الادمان المفرط على السكريات يؤدي الى تشحم الكبد وتضخم الكليتين والموت المبكر . وثمة احصائيات تشير الى ان هناك علاقة بين بعض انواع السرطان والمقادير المستهلكة من السكر ، فمن ذلك مثلا سرطان الشرج وسرطان الثدي وسرطان الدم .

ويذهب البروفيسور يودكن واشياعه الى ابعد من هذا فيقولون بوجود علاقة بين الغذاء السكري من جهة والنقرس وداء المفاصل من جهة اخرى ، فالنقرس في عرف الكثير من الاطباء وثيق الصلة بالطعام الدسم والمشروبات الروحية . وقد لوحظ ان حقن مادة الفركتوز او سكر الاثمار يزيد من مقدار حامض اليوريا او البول في الدم . وهو اكثر انتشارا في الرجال منه في النساء . وقد وجد انمعدل استهلاكالسكر عند المصابين بالنقرس اعلى منه عند غيرهم بنحو الضعف . ولهؤلاء استعداد خاص لمرض تصلب الشرايين على هيئة بقع متفرقة .

وقد اتضح اثناء دراسة ارتباط امراض القلب باستهلاك المواد السكرية ان للسكر تاثيرا في بعض الامراض الجلدية ومن بينهما ما نسميه بحب الشباب . وكذلك في تسوس الاسنان وامراض العين المتاتية من الاصابة بداء السكر .

ويقتلع اطباء الاسنان في بريطانيا وحدها اربعة ملايين سن متسوسة سنويا . وقد تبين من دراسة الجماجم المتحجرة لانسان ما قبل التاريخ ، انه لا يكاد يوجد اي اثر لتسوس اسنانه . وذلك قبل معرفته الزراعة واستهلاك المواد النشوية والسكرية .

حتى يطول العمر

لنعد الى امراض القلب الفتاكة فان نسبتها فيشعوب افريقيا جد ضئيلة اذا ما قورنت بنسبتها

في الولايات المتحدة وبريطانيا التي ضربت الرقم القياسي في النهم السكري . هذا ما يقوله اعداء السكر ولا ابغي معارضتهم . غير انني أود ان اشير هنا استدراكا بين قوسين وهو أن الافريقي البدائي يموت بادواء اخرى قبل ان يصل السن التي تقصم فيها الرجولة بامراض القلب نتيجة الاسراف السكري وليست عليه تبعات حضارية ضخمة . فالمقارنة في مثل هذه الحال تعتورهــا ملابسات ليس من السهل التغلب عليها .

غير انه من الامانة العلمية هنا ان نقول انه اجريت تجارب عديدة على حيوانات من فصيلــة القواضم . فوجد ان التي كانت تغذيتها سكرية محضة عاشت اقل من سواها . ويقدر فريق من الباحثين ان الانسان الذي يستطيع أن يعيش سبعين عاما من غير ادمان على السكريات . قد لا يمكنه ان يعيش اكثر من خمسين عاما عند افراطه في تناولها .

لقد استطاع الطب ان يزيد من معدل الحياة بانقاص وفيات الاطفال واطالة اعمار الشيوخ بمكافحة العدوى الجرثومية والفيروسية . ولكنه لايزال في حيرة من امر انقاذ طائفة من الفئــة الوسطى ذات النشاط والحيوية التي تتهاوى على حين غفلة فتحرم المجتمع من المزيد من فعالياتها الهائلة التي تسير عجلة الثقافة والحضارة .

ان الطب يحاول جاهدا مكافحة مرضين خطيرين هما مرض القلب والسرطان . ولاسيما الاول فهو اشد فتكا واكثر ضحايا . ونظرية اعداء السكر هو ان السكر يكوّن مع المواد الدهنية مادة لزجة في الدم تفضي الى الجلطات القلبية . وقد اثبت الســر شارلس بيست احد مكتشفي الانسولين منذ ثلاثين عاما ان السكر يسبب تشحم الكبد كالكحول سواء بسواء، على انه يمكن الحيلولة دون ذلك باستعمال بعض انواع الفيتامين (ب) . وقد ابانت التجارب العديدة التي أجريت على عدد من الشباب ان نسبة الكوليسترول في الدم ترتفع بزيادة مقادير السكر المعطاة لهم، ومن الطريف انه لم يلاحظ في الشواب ولكنه كان واضحا في النساء المتقدمات في الســن بعد انقطاع الطمث .

ومن الغريب ان الدكتور كيز جاءنا باحصائيات من ستة اقطار عن علاقة الدهنيات بامراض القلب فصدقه الناس واكبروا شانه، بينما جاءنا البروفسور يودكين باحصائيات من واحد واربعين قطرا عن علاقة اوثق للسكريات بامراض القلب، فهاج الناس وماجوا ورماه فريق من العلماء بالالحاد العلمي والمروق . الا ان الرجل استمر في جهاده بموجب الخط الذي اختطه لنفسه وتمكن من الحصول على مليون دولار من أجريات الشركات المنتجة للسكر والحلويات ليثبت نظريته باجراء مزيد من التجارب .

وقد ركز انصار يودكن جهودهم على تفهــم ارتباط السكر بالجلطة القلبية بالدرجة الاولى . ذلك لان كل واحد من ثلاثة اشخاص ممن تجاوزوا الخامسة والاربعين في البلاد المتقدمة يموتــون بالنوبة القلبية . لان مادة الكوليسترول في الدم تزداد كلما تقدم الانسان في السن وعليه بالاقلال من الدهنيات والاعتدال في الزلاليات والانقطاع جهد الامكان عن السكريات والاكثار من الخضراوات وتناول اقل الفواكه احتواء على السكر .

ويقيني انه لو كان بمقدور يودكن وانصاره ان يمنعوا بيع السكر لفعلوا ذلك او لشرعوا قانونا يكتب بموجبه على كل علبة سكر او حلوى او شوكولاته ما نجده اليوم مدونا على كل علبــة سكائر في بريطانيا . الا وهو : « تحذير من حكومة صاحبة الجلالة : يوسع التدخين أن يضر صحتك ! » ولاستعاضوا عن ذلك بعبارة : حذار من العدو الحلو الابيض القاتل ! » . ■■

اكسفورد / د . صبيحه الدباغ

حتى لاانام

● قيل لفولتير الفيلسوف الكبير : « لماذا لم تذهب الى الاوبرا ؟ » أجــاب ــ أخشى أن أزعج النظــارة بغطيطي أثنــاء النوم .

نجيب محفوظ



تفرض التبدلات والتناقضات فى الظروف الاجتماعية والسياسية والحضارية ، التى يعيشها الانسان العربى ، تحولات هامة على الاشكال الادبية والفنية التى تحاول تجسيد الشخصية العربية •

ونستطيع أن نرصد نموذجا لهذه التحولات فى كتابات أديب مصر الكبير نجيب محفوظ •

ذلك اننا يمكن أن نجد عند (نجيب محفوظ) وبعد انأس.ن شكلاومعنى اصيلا للرواية الواقعية النقدية كانت ذروتها ثلاثية « بين القصرين » ، يمكن ان نجد تحولات اساسية تتجاوز نوع الرواية الوصفية المستوفاة للشروط الاجتماعية والسيكولوجية ، والمستهدفة أساسا بناء نماذج نمطية لنوعيات الطبقة المتوسطة والحياة الشعبية فى الحارة المصرية •

ولعل اهم تجاوز لنجيب محفوظ كان فى روايته (المرايا) ثم فى عودته واستغراقه بعمق وملحمية وحساسية فى (تقصى معالمالحارة المصرية) كاصل للحياة ، ومنبع للاسطورة ومنجم للاحداث والشخصيات ، وتاريخ الفتوات ، ثم والاهم من ذلك التشوف لرؤى فكرية تتعلق بمعنى الزمن والموت والميلاد ، العدل والظلم ، البراءة والخسة، بحيث تصبح الرواية هنا شهادة وحلما ، واقعا ومجازا رمزيا دليلا ومناجاة لمعنى الحياة والموت ، وقد بلغتقمة هذهالمحاولة فى (ملحمته الحرافيش)•

ان المنهج الروائى فى (المرايا) اوصل الكاتب لشكل وبناء قابل لان تصبح الرواية شهادة على الانسان المصرى فى ربع قرن ، شهادة تغوص حتى

والـرؤى المتغيرة فى روايـاته

بقلم : عبد الرحمن ابو عوف

واقعه الاعمق والاعم · فهى تكشف وتجسد بتحليل عميق عناصر الواقـع الاجتماعى وازمة الطبقـة المتوسطة وتقدم المصير الذى ينتظرهـا ، غير أن دوافع الكاتب لتقديم هذه الشهادة الكلية برغم تحفظاته واستهدافه الموضوعية ، تغرينا بالباتها ، لانها متناقضة وغير منطلقة لمداها البعيد ، ولانها اصطـنعت بصميم مشكلات الحيـاة الشخصيـة والاجتماعية والعقائدية المتوافقة التى يعانى منها الكاتب نفسه · لقد قدم ترجمات لشخصيات هى دورات حياة وشهادات ساخرة ، حيث تنمو وتتحرك جميع صور العالم غير انها فى النهاية آثار خاصة لا تنظر الى العالم وحواشى الحياة ، الا من خلال العقد النفسية والازمة الفكرية التى نسجت جوهر رؤية أبناء البرجوازية الصغيرة المصرية فى تاريخنا الحديث ، وبالتحديد فى الثلاثينات وحتى الآن ، بحيث يمكن أن تصبح دراسة وجدانية للصعـود الاجتماعى لابناء هذه الطبقة،وايضا العجز والشلل الذى بدأ يصيب عالمهم الاخلاقى ، وتقديم الاسانيد الاجتماعية لدورهم التاريخى فى حياتنا ، وبالتالى ضياعهم ووحدتهم ، وبوارهم · والعودة للكشف المباشر عن طبيعة هذه النماذج على أرض الواقع ، وفى شكل وثائق تتضمن مغزى صريحا ، وهو أن المحاولات السابقة للتخلص من وطأة هذه المحاولات أصبحت غير مقنعة للكاتب نفسه ، وهى بذلك تقدم للناقد وجهات نظر أصيلة لعلاقة الواقع بالفن ، وبغنى تحولات وخصوبة النفس الانسانية التى تتمرد على الصياغة النمطية ، وما يسمى النموذج فى الفن · ولسنا نبالغ لو قلنا ان الشخصيات الرئيسية المترجم لها هنا ، برغم تعددها وتنوعها وسحرها المزدوج ، لا تخرج عن عائلته الروائية وهم :

– انتهازيون وتجار فرص اجتماعية ·

– ثوريون يطرحون افكارا يسارية تتغير وتتعمق مع تغيرات الصراع الطبقى،وهم كالاشباح الفكرية·

– متدينون لهم افكار حالمة عن عدالة تعانق ما بين السماء والارض ، وامتدادا لهم نجد مشايخ التصوف المعلقين أبدا فى صفاء لا يتحقق ، غير أننا نقع فى الخطأ لو اكتفينا بالابعاد الوثائقية والاجتماعية التى تكشف لنـا عنها هذه الملحمـة المعاصرة فثمة مشاكل ميتافيزيقية ، يغازلها الكاتب وتدور حول الموت والقلق ، وفقدان المعنى ·

واخيرا قد يبقى تساؤل عن علاقة هذا العمـل بالذاكرة وحدودها ، والى أى مدى هى أداة نغمية تقدم ما يتوافق أو يعبر عن موقف الكاتب الفكرى والاخـلاقى وتترجم فى نفس الوقت عن رؤيتـه السياسية ، لان الرواية تتجاوز دائما موضوعها ، فهى اكثر الفنون شبها بالحياة ·

عالم الحارة

ولكن يبقى من طموح (نجيب محفوظ) فى تحولاته الروائيـة ، وبعد ان أرخ ونقد وتأمـل الحياة المصرية فى نصف قرن ، بكل عوامل الحركة الوطنية والتطورات الاجتماعية وانعكاساتها على نمط وايقاع الحياة · يبقى (لنجيب محفوظ) ما أسسه وابدعه من (وحدة للمكان الروائى) وهو (عالم الحارة) ببعده (العينى والغيبى) ،

حيث التكية والاناشيد والسور العتيق ، والقرافة (ارض المقابر) والزاوية وعالم الخلاء ، ثم حياة الحارة ، الميلاد والموت والحياة ، وقصة اجيال الفتوات ، وحياة الصعاليك ، والحرافيش في مزاوجة بين الحلم والواقع • لقد قمت الحارة في عالم (نجيب محفوظ) الروائي على اكمل شكل واقعي في (زقاق المدق) ثم تحولت من حارة تدور فيها اصوات واقعية في الحاضر او الماضي القريب ، بمفهوم زمن الاجندة ، تحولت الى بعد اسطوري ، تناقش فيه قضية الحياة باشمل معنى ، والموتوالعدالةوالدين ومصير الصراع التراجيدي الابدي بين الشر والخير ، بين العنف والسلام بين البراءة والنذالة بين البكارة والعقم •

ان (اولاد حارتنا) تعبر عن حقائق العدالة والتقدم والخلاص في العلم ، تتفشى الان في الحاضر الدائم ، لكن هذا الحاضر المتعاقب يخلق في تتابع هذه الاحداث (بحارة الجبلاوى) زمانا لا مندوحة لنا في النهاية عن الشعور به ، انه زمان الرجوع الابدي لكنه ليس رجوع التاريخ • ان سلالة الجبلاوى (الجد واصل الحياة) وهم ورثة الوقف القديم يعانون أبدا الاذلال ناظر الوقف ونبابيت الفتوات (عصيهم الغليظة) • ويتلمسون عبر أشجع ابناء الحارة ، حلولا نسبية لهذا الظلم بتوالي ادهم ، وجبل ورفاعة ، وقاسم واخيرا (عرفه) ، فالمقصود هنا بالحارة (تاريخ البشرية) وصراعها ضد القهر وهيتبشر برؤيةحسية تكتشف في العلم الخلاص ، غير أنها تعتمد على علم ممزوج بظلالة تصوف وحدس ، ونلمح فيه رغبة مثالية للدفاع عن القيمة العليا ، اصل وبداية ونهاية الاشياء ،

ولسوف تتصل وتتنوع وتتعمق رؤية (نجيب محفوظ) لمعنى الحياة واصل الاشياء ودراما الخير والشر ، كل ذلك سيتراكم في رواية (حكايات حارتنا) خلال حياة مصرية مضاعفةمتعددة الاشكال الاجمالية ، تقدم بتصاعد ملحمي وعلى ايقاع (ربابة معاصرة) • هي ترجمات لشخصيات عادية وموحية معا ، ودورات حياة وشهادات ساخرة توصلنا في النهاية لنمو درامي ، بعيد المدى ، تتحرك في افقه جميع صور الحياة ، من الميلاد حتى الموت ، من البحث عن يقين واصل الكون حتى العدم وسخرية وعبث الفناء ، من الرحلة والمغامرة والصعلكة والجنسوالحب ، حتى العودةوالاستكانة في ظل معالم الحارة الابدية ، التكية والسبيل ، والحلم الدائم برؤية الدرويش الاكبر الذي تبدا به حكايات (نجيب محفوظ) وتنتهي به ، فعلى لسان طفل الحارة الذي تترسب في ذاكرته كل التجارب وخبرات اطفال مصر ، وبعد حوار مع رجل مسن هو (الشيخ ـ عمر ذكرى) الذي امضى عمره يبحث بلا جدوى عن اصل حكاية الدرويش الاكبر؛ الذي تردد كل الحارة ذكره دون ان يراه احد• فسال الطاعنين في السن، فاختلفوا، وتحرى في ديوان الاوقاف ، واخيرا لجا الى العقل الذي علمه ان يرى التكية والدراويش ولا يرى الشيخ الاكبر الذي تردد كل الحارة ذكره دون ان يراه احد ، وانتهى بان يتفرغ لخدمة اهل الحارة ، بان يفتح مكتب خدمات متنوعة من سمسرة لزواج ، لعمل •• الخ فالخدمات الارضية اكثر فاعلية من البحث عن مجهول •

على لسان هذا الطفل ومقابل ما يقوله (الشيخ ذكرى) يعترف (نجيب محفوظ) في نهاية حكاياته قائلا (حتى اليوم لم اجد الشجاعة الكافية لمخالفة القانون ، ولكن في الوقت نفسه لا استطيع تصور تكية بلا شيخ اكبر ، وبعض الايام لم اعد ارى التكية الا في موسم زيارة المقابر فالقي عليها نظرة باسمة ، واستقبل ذكرى او اكثر ، واحاول ان اتذكر صورة الشيخ او من توهمت ذات مرة انه الشيخ ، ثم امضي ، نحو الممر الضيق الموصل الى القرافة)•

فالموت اذا هو مخلصنا من هذا الوهم ، وايا كانت متوافقة او صادقة هذه الرؤية الوجدانية التي يهمس بها (نجيب محفوظ) فعلينا انتعيش احداث حارتنا التي يرتفع فيها بناء بيت الفتوات لتغرس الالسنة النافذة ، وتمارس اساليب الفحشوالعنف جنبا الى جنب معالبراءة والنقاء، والبحث عن خلاص ، غير ان المخلصين مطاردون ابدا بتهمة الجنون والاشاعات وخسيس التلفيقات التي تشوه ذكراهم في الحارة •

بحثا عن العدالة والكمال

واخيرا نصل للحن القرار في السيمفونية الروائية عن الحارة المصرية التي استحدثها (نجيب محفوظ) فنجد ملحمة (الحرافيش) تقدم

في المدى القائم بين الحقيقة العامة والحقيقة الجوهرية ، بين الوجود والماهية ، بين العالم المعاش وعالم الفكر المثالي .

هي انشودة بحث ومعاناة عن تحقيق العدالة والكمال في الحارة . تبدأ بسرد حياة (عاشور الناجي) اللقيط المجهول ، الاب والام . والذى انشاه ورباه الشيخ الضرير (عفرة زيدان) على التقوى والحب والخير والشجاعة . ووصل الى الفتونة . فاقامها على خدمة الحرافيش وجعلها حماية للضعفاء والفقراء . والغى عهد البلطجة . ولقد ترك لابنه وخليفته شمس الدين « ان يضع قوته في خدمة الناس لا الشيطان . وقال له لا قيمة لبريق في هذه الحياة بالقياس الى طهارة الضمير » .

ولقد حقد الاعيان وكبار التجار على (عاشور الناجي) وذريته. وحاولوا باستماتةالعودةبالفتونة الى عهدها القديم . حيث تصبح سلاحا فيأيديهم. ضد الحرافيش وتم لهم تحقيق هذا الهدف في تحويل (سليمان بن شمس الدين الناجي) الى صفهم . وعادت الفتونة الى عهد البلطجة وفرض الاتاوات .

وظل (عاشور الناجي) اسطورة وحلما .وعاشت الحارة حياتها العادية . الاستغلال والموت والقهر والميلاد . ولكن ظل ابدا الحلم في العودة لعصر (عاشور الناجي) الذى اختفي مع الاناشيد التي ظلت تتردد خلف جدران التكية .

وتمتلىء الرواية بنفس ملحمي يسرد قصة حياة البشرية . من المجهول ولدت والى المجهول تسير . ويختار (نجيب محفوظ) ايقاع وتكثيف وايحاء الصورة الشعرية في سرد وقائع الاحداث ونماذج الشخصيات . وتومض من حين لاخر تاملات غاية في العمق عن تراجيدية الصراع الانساني بكل جوانبها من الميلاد والموت.الحب والكراهية . الخير والشر. الفتنة والغواية والهداية .

انها صورة بانورامية لا متناهية عن حارة مصرية تحدها معالم ذات رمز واضح . التكية والسور العتيق . رمز للغيب . للمجهول . للاصل واليقين. والله . تنثال منها الاناشيد بلغة فارسية . عندما نترجمها نجدها تعليقات ذات رنة صوفية عن (المأساة والملهاة) في حياة البشر. ثم الزاوية والسبيل وحوض الحمير ، ودكان شيخ الحارة والبوظة - واخيرا المقابر والخلاء. ووسط كل ذلك تظل ترتفع اصوات الحياة والنبابيت ، وتغتال البراءة والطيبة . ويسيطر الشر والعنف. وتستمر الحياة . حياة مصرية في عبقها . غير انها صورة مصغرة للانسانية .

وهذه هي قيمة تحولات الرواية عند (نجيب محفوظ) حيث اثبت (بملحمة الحرافيش) مساهمته بتجربة روائية لها اصالتها في الموضوع والبناء خاصة بكاتب مصرى عربي اكتشف صوته وصوت حضارته وحضارة شعبه العريق فقدم رؤيته الروائية بلغة وبناء يحافظ على اصالة التراث في الحكاية والشخصية والمكونات التراثية للانسان المصرى . ثم وهو الاهم عانق المعاصرة ، وكل ما عرفته اساليب الرواية المعاصرة بدون ادعاء او اصطناع . ■■

القاهرة ـ عبد الرحمن أبو عوف

مثل هذا

● اشتهر الجاحظ بأدبه وعلمه كما اشتهر بقبحه وشناعته وقد روى عن نفسه هذه القصة . قال انه كان يوما سائرا في الطريق فبادرته امرأة قائلة انها تريد منه غرضا فتبعها فسارت به الى صائغ وقالت « مثل هذا » ثم مضت . فبقى الجاحظ مبهوتا وسأل الصائغ عن مقصود تلك المرأة . فاجابه « هذه المرأة ارادت ان اعمل لها صورة شيطان فقلت ما ادرى كيف صورته فجاءت بك » !

لغز أسوار الحياة !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

سور الله .. سور بديع بعيوننالن نراه ، لكننا نستشف وجوده اذا ما خبرناه !

سور ليس فى السماء ، فحاشاان تكون لله حدود او اسوار ، وهو المطلق فى كل ما صنعت « يداه » .. فاذ باتقانه يظهر ويتجلى ، لكل من تامل فبحث فجمع فاوعى !

ومع ذلك فبمقدورنا ان نطلع على عظيم نظمه فى اسواق لاتزال تحتفظ فى طياتها بمخزن هائل من اروع الاسرار التى تشكل امامنا اعظم تيه .

ومع اننا لم نشهد هذا السور بعيوننا كما نشهد الاشياء من حولنا، الا اننا قد رايناه صورا ، وعرفناه تكوينا يقع فيما وراء حدود الحس والبصر والفؤاد .

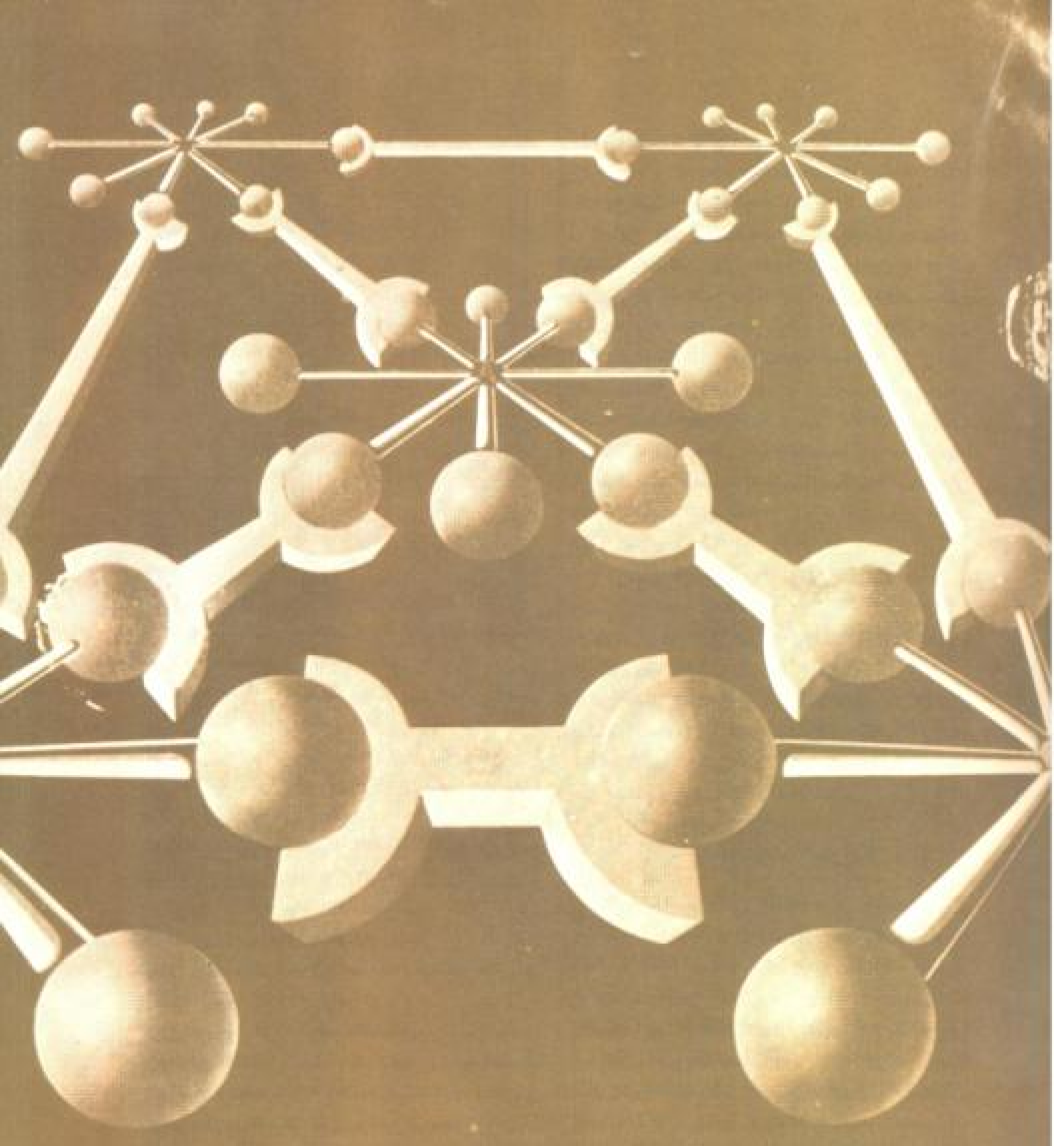
والواقع ان اسوار الله فى اكوانه لكثيرة .. اسوار او اغلفة او طبقات فى ارضه وفضائه .. فى اجرامه وسماواته ، وهى ـ بلا شك ـ تختلف باختلاف طبيعة التكوين الذى تقوم عليه كل النظم الموجودة فى المخلوقات ، او فى الكواكب والنجوم والمجرات .. فاحيانا ما تبدو هذه الاسوار على هيئة قوى تتجلى ، او موجات تسعى ، او كهربات تدور فى مجالات لا عوج فيها ولا فوضى ، او فى اغلفة وطبقات ترشح الاشعة الكونية القاتلة ، ولها تتصدى ، ثم قد نراها تارة اخرى ، وكانما هى تنتظم كحرس شديد له فى عالمه شئون لا تعد ولا تحصى !

لكن .. اى الاسوار لهذه الدراسة نختار ؟.. اسوار نتنقى من الارض ؟.. او من السماوات؟. او من نفس تكويننا الحى الذى يحدد لكل شئ فينا معالم الطريق ؟

دعنا نختر هنا اسوار الحياة .. اسوارا توجد فى اجسامنا بملايين الملايين .. اسوارا بنيت وشيدت كما لم يبن او يشيد بناء من قبل .. فاحجارها دقيقة ، ونظمها بديعة ، وخططها من لدن خبير حكيم !

بالمجاهر الاليكترونية !

ان اسوارنا التى سنقدمها هنا اسوار تتكلم



رسم توضيحي يبين كيف تتحد الاجسام المضادة (الاذرع) مع مكونات خاصة على غشاء الخلية او الميكروب (الكور) . ومن هذا التلاحم الـذي يؤدي الى شلل في الخلية الحية . تفقد الخلية حياتها في النهاية . وكانما الجسم المضاد هنـا بمثابة « صاروخ » بروتيني خاص يلبس في اي هدف مناسب غزا الجسم الحي !

لغات مشتركة .. لكن لهجاتها قد تختلف ، او تتوافق ، فان اختلفت دمرت ، وان توافقت، عزفت لحن الحياة !

لكن .. ماذا نعني حقا باسوار تتكلم وتدمر وتعزف انغاما فيها حياة ؟

نعني بها سور الخلية الحية .. سور رقيق غاية الرقة ، ولهذا لا تتضح معالمه الا اذا سلطنا عليه المجاهر الاليكترونية لتكبره لنا عشرات او مئات الالوف من المرات ، وعندئذ يبدو لنا على هيئة شريط ليس فيه ما يثير العجب ، ومع ذلك، فقد تاه العلماء في أسراره عشرات السنوات، ولا يزالون .. فسور الخلية الدقيق بمثابة الحدود التي يتراص عليها حرس شديد ، فلا يخرج منها ، أو يدخل اليها مركب من المركبات الكيميائية ، الا « بجواز مرور » خاص يناسب عالمه الدقيق !

ولا احسبنكم بعد هذا الوصف المثير لغشاء لا تراه العيون ، ستقفون موقف عالم الصواريخ مع عالم الحياة ، عندما كان الاول ضيف حفل كبير ، اقيم تكريما لعلمه الغزير ، اذ قدم هذا العالم لدولته تصميمات صاروخية رائعة ،بحيث اذا انطلقت صواريخه ، اصابت بدقة أهدافها ودمرتها ، كما انه صاحب أفضال في وضع الخطوط العريضة لشبكة دفاعية قوامها صواريخ مضادة لصواريخ الاعداء، ولذلك كرمه الحاضرون، واعتبروه من العلماء الافذاذ الذين يشار اليهم بالبنان ، ومن أجل هذا كان يتنقل بين المدعوين مزهوا بنفسه ، متعاظما بعلمه ، وكأنما ليس في الدنيا سواه !

وفي وسط هذا الجمع الصاخب ، كان يجلس عالم من علماء الحياة ، تبدو عليه سيماء التواضع والخشوع ، وكأنما هو شارد متأمل في أكوان أخرى تسيطر على عقله بغير حدود . . ويأتي عالم الصواريخ ليخرجه من شروده ، فيوجه اليه سؤالا يستفسر فيه عن مجال بحوثه، ويرد عليه عالم الحياة : الواقع انني ابحث في خلية حية ، وبالتحديد في غشاء رقيق يحيط بها احاطة السوار بالمعصم .. غشاء لا يزيد سمكه عن جزء من مائة الف جزء من الملليمتر أو ربما اقل !

وهنا يبتسم عالم الصواريخ بسخرية ،ولعالم الحياة يقول « ياه » .. لا شك انك تضيع عمرك فيما لا ينفع ولا يفيد ، وقد تعيش وتموت مع غشاء خليتك المتواضع ، دون أن يشعر بك احد ، أو يقيمك احد .. ليتك كنت مثلنا يا صديقي المغبون !

ويرمق عالم الحياة عالم الصواريخ بشفقة ، وبهدوء شديد يقول : ليتك أنت يا « أبا الصواريخ » كنت مثلنا .. عندئذ لاطلعت على « صواريخ » ادق واعظم واروع من كل صواريخك .. صواريخ حية غير منظورة ، لكنك لو رأيتها وهي تشتغل في عالمها ، او كيف تجهز وتخرج من « ترساناتها » ، لتصيب أهدافها ، لما اخذتك العزة بالاثم ، ولعلمت أن صواريخك « العظيمة » ليست الا شيئا بدائيا لا يستحق هذا التكريم الذي تلقاه ، وعلى أيدي من حجبت عنهم اسرار الحياة !

وبهت الذي تجبر ، وعلى صاحبه استأسد وتكبر !

لكن .. ما دخل الصواريخ هنا باسوار الخلايا أو اغشيتها ؟

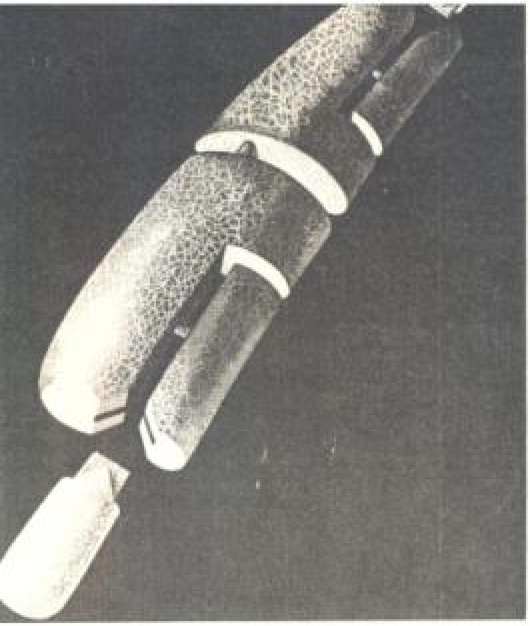
لان الخلايا الحيةهنا بمثابة الدول ،واغشيتها بمثابة الحدود بين الدول ، ومن يتخطى حدوده، فمآله الضرب حتى الموت ، حتى ولو كان ذلك على مستوى خلية لا تراها العين .

لكل مخلوق اسواره

ولكي نوضح معنى الحدود أو الأسوار التي جاءت بها الحياة ، ليكون لكل كائن حي «ملكوته» الذي لا يشاركه فيه احد سواه ، دعنا نتعرض لعضو او نسيج مزروع في انسان جاءه من انسان آخر ، وهو ما نطلق عليه زراعة الاعضاء البشرية .. مثل نقل الكلى والقلوب والغدد وما شابه ذلك من انسان الى انسان ، أو من حيوان الى انسان !

ان العقبة الكبرى التي تواجه الجراحين ، وتؤدي الى فشل نقل الاعضاء وزراعتها ،تتركز في مقاومة الجسم لأي نسيج غريب يدخل في « امبراطوريته » الخلوية العظيمة ، حتى ولو كان في ذلك انقاذ لحياته ، فالكائن الحي يفضل الموت على حياة يدنسها الغرباء !

فالعضو المزروع من انسجة .. الانسجة من خلايا .. للخلايا اسوار .. على الأسوار بصمات كيميائية لا تتشابه ابدا بين مخلوق ومخلوق (يستثنى من ذلك التوائم المتشابهة تماما) ..



الجسم المضاد ــ كما يتخيله العلماء .. وهو عبارة عن بناية بروتينية معقدة غاية التعقيد .. وتبدو هنا في هذا الشكل التوضيحي كما لو كانت تتكون من اربعة اجزاء مترابطة بشكل خاص ، لتستطيع ان تتعرف على اية مادة عضوية غريبة حلت بالجسم الحي . اما الجزءان الصغيران ، فيمثلان جزءين عضويين غريبين ، وفيهما يلبس « الصاروخ » او الجسم المضاد ، كما يلبس المفتاح في القفل مثلا .

ولهذا اصبح لجسم كل منا « ارشيف » عظيم يحتفظ فيه « بسجلات » سرية لكل بصمة من بصمات اسوار انسجته وخلاياه ، فاذا ادخلنا فيه عضوا مزروعا ، رصدته أجهزة المناعة على انه عضو غريب لا تتوافق بصماته مع البصمات التي جاءت بها أسواره ، وكانما هو يقرأ صفحته ، ويعرف انه ليس من « ملته » ،وعندئذ يجهز له « ترسانة » من بروتينات حربية خاصة يطلق عليهااسم الاجسام المضادة Antibodies هذا بالاضافة الى جيوش من كرات الدم البيضاء التي تتجسس على الاسوار ، فتحس بانها ليست أسوارها ، فتعمل هذه وتلك على ابادتها ، ومادامت الاسوار الخلوية قد أبيدت ، فلا تنتظر خيرا !

أي كانما اجسامنا تمتلك ذاكرة هائلة ، وبها تحفظ عن « ظهر قلب » كل أنواع بروتيناتها التي تدخل في تكوين اسوار خلاياها ، أو ما في داخل الخلايا من مركبات .. هذا ويحتوى جسم كل انسان على حوالى مائة الف نوع من البروتين .. فاذا حل بينها بروتين غريب ، انتجت له بروتينا مضادا يناسبه تماما ، ويبطل مفعوله ، فاذا بهذا الغريب من المدحورين !

ان الجسم الحي يستطيع ان « يتذكر » اي نسيج او خلية عزلت منه لفترة ، فاذا أعيدت اليه ، يتقبلها قبولا حسنا ، فلغة أسوارها تتطابق تماما مع اللغة المشتركة التي يحتفظ بها في داخله لكل أنسجته وخلاياه .. لكن الأمر يختلف لو اننا غيرنا او تلاعبنا في أسوار او اغشية الخلايا التي عزلناها منه ، وهذا التلاعب امر ميسور في معامل العلماء ، اذ أنهم من خلال تربية خلايا الجسم وانسجته المعزولة في الدوارق والأطباق ، ومعاملتها بمواد كيميائية ، او تسليط الاشعاعات عليها ، فانها قد تطفر ، والطفرة تعنى تغيرا في تكوينها وصفاتها وسلوكها ، وقد ينعكس ذلك على غشائها ، فاذا اعيدت هذه الخلايا الى الجسم التي منه قد عزلت ، رصدها على انها غريبة ، وكانما هي قد عادت اليه « بلهجة » تختلف في قليل او كثير عن لهجته التي يعرفها تمام المعرفة ، وعندئذ يضربها ببروتينات مضادة، حتى يبيدها من ساحته !

انه الحذر .. تجنبا للخطر !

والواقع ان الأجسام الحية حذرة متمرة لكل ما هو غريب عليها ، ولقد زودتها الحياة بشبكة دفاعية على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .. وكانما هذه الشبكة قد امتلكت ايضا هيئة من « المخابرات » الخلوية التي تتجسس ليل نهار على ما في ثنايا الجسم من تغيرات أو اضطرابات او طفرات قد تنشأ من خلايا الجسم ذاته .. فداء السرطان اللعين ينشأ من خلية طفرت او تغيرت ، وعندئذ تصبح منشقة او خارجة على القانون .. قانون الجسم واحكامه ، والواقع ان ما يطفر من خلايا الانسان البالغ في اليوم الواحد يصل الى مليون خلية ، وقد تكون اى منها بؤرة لداء السرطان ، لكننا لا نلحظ ظهور هذا « الغول » الرهيب الا في نسبة ضئيلة من البشر ، وقد يرجع ذلك الى تراخى شبكة الدفاع والمخابرات الحيوية عن رصد « المنشقين » وابادتهم ،وعندئذ قد يعم بلاؤهم ، ويستشرى فسادهم ، لكن هذا

موضوع طويل ذكرناه هنا ذكرا عابرا ليتبين لنا ان المصائب قد تاتي الجسم الحي من داخله (على هيئة طفرات سرطانية) ، او من خارجه (على هيئة ميكروبات) ، ولو تراخى في هذا او ذاك ، فقل على حياته السلام .

والواقع ان الجسم الحي يعامل الخلايا او الانسجة او الاعضاء المزروعة فيه على انها بمثابة ميكروبات قد حلت في ساحته ، وهو ـ بطبيعة الحال ـ لا يستطيع ان يفرق بين خلية ميكروبية وخلية جسدية جاءته من انسان آخر .. لانه دائما ابدا يطبق الاحكام بحذافيرها ، ويعرف من هو العدو ، ومن هو الصديق .. اما عدوه فيتمثل له في كل خلية جاءته بلغة غير لغته التي يعرفها تمام المعرفة ، ومن اجل هذا يجهز لها ما يناسبها ، ويحاول ان يمحوها من ملكوته !

وطبيعي ان الميكروبات لها « جلود » او اغشية او جدر تختلف في تفاصيلها الكيميائية عن اغشية خلايانا ، وعلى هذه الجدر الميكروبية توجد مواقع استراتيجية حساسة ، ولكل موقع « صاروخ » او جسم بروتيني محدد يجهزه الجسم الحي ، « ليلبس » في الموقع او الهدف تماما ، ونحن نستطيع ان نعزل هذه الاجسام البروتينية المضادة من دماء من اصيبوا بالميكروب ، ونجربها على الميكروب ذاته في انابيب الاختبار ، ونعرف مفعولها الذي يشله او يميته بطرق شتى ، لكن الحديث عن هذه الحرب الخفية قد يتشعب ويطول ، ولهذا لن نتعرض لها هنا لضيق المجال ، ومع ذلك يكفي ان نذكر ان اجسامنا قادرة على ان تميز بين بلايين فوق بلايين من اغشية الكائنات الحية جميعا ، وفوق كل هذا تستطيع ان تصنع لكل واحد من هذه البلايين سلاحا بروتينيا يناسبه تماما ، وكانما الجسم الحي يمتلك خططا دفاعية بقدر ما على هذا الكوكب من بشر وقرود وكلاب ودجاج وميكروبات وفيروسات ... الخ ... الخ .. اى تريليونات فوق تريليونات !

هدم اغشية فيه بعث حياة

على ان الصورة تختلف اختلافا جوهريا بين الخلايا الجنسية اذا ما قورنت بالخلايا الجسدية ، فلو اننا حصلنا على بضعة خلايا جسدية من رجل متزوج (او حتى غير متزوج) ، ووضعناها بطريقة او باخرى بين خلايا جسد زوجته (او العكس) ، فان اجهزة المناعة في الزوجة تبدا في شن حرب ضارية ، حتى تهلك خلايا الزوج الجسدية ، وتكتسحها من الميدان اكتساحا ، فلا تبقى فيها ولا تذر .. لكن الخلايا الجنسية بين الزوجين تنهج نهجا آخر مختلفا .. صحيح ان « رداء » او غشاء البويضة يختلف عن رداء او غشاء الحيوان المنوى ، الا انهما اذا تقابلا ، تعارفا ، وتقبل احدهما الآخر قبولا حسنا ، فعلى اغشيتهما كتبت «بطاقات» التعارف ، وبها يمزقان اجزاء من ارديتهما ، ومن هذا التمزق او التحطيم ، تنشا حياة كل انسان او حيوان او نبات !

دعنا اذن نوضح هذه الحقيقة بشيء من الايجاز ، حتى يتبين لنا « اعجاز » هذه الاسوار .

ان حيواناتنا المنوية التي خرجت بمئات الملايين من الذكر ، لها رأس وذنب .. الرأس فيه خطة العمل ، والذنب هو الذي يدفع الخطة الى هدفها ، ويوصلها الى مرادها .

ولقد جاءت الحيوانات المنوية وهي ترتدي على رؤوسها « طواقي » او قلنسوات او قبعات او « كابات » .. تعددت الاسماء والشيء واحد ! (تسمى علميا كروموسومات) .. لكن هذه القلنسوات تختلف باختلاف انواع المخلوقات .. هي في الحيوان المنوى للانسان «كلبدة» الصعيدي (طاقية مستطيلة وبيضاوية من اعلى) ، وفي الفئران كالمنجل ، وفي الدجاج كالقرطاس ، وفي قنافذ البحر (الرتسا) كالرمح ، وفي الصراصير كالمخروط .. الخ ، ورغم اختلاف هذه « الموديلات » التي جاءت لتناسب اهدافها ، الا ان الفكرة ـ في تنفيذ ما تسعى اليه ـ واحدة .. ففيها جميعا المفاتيح او «المقصات» الكيميائية التي تمزق بها اردية « العروس » الدقيقة (اي اغشية البويضة) ومن خلال ما تمزق تنفذ الى الداخل ، ليتم التلقيح والاخصاب .

والواقع ان « كابات » او قبعات الحيوانات المنوية ليست الا مخزنا دقيقا غاية الدقة لعدد من الانزيمات (الخمائر) الهادمة في جدار البويضة ، لكنها لن تنطلق من معاقلها الا اذا ارتكز الحيوان المنوى براسه على غشاء بويضته في وضع مناسب ، ومن خلال هذا الوضع يهدم غشاءها ، وتهدم غشاءه .. اول هدم في سلسلة من الاحداث المثيرة التي تتم في غضون دقائق

محدودة .. وتنطوى فكرة هذا الهدم على نفس الفكرة التى قدمناها عن الاجسام المضادة التى تهدم الاعضاء الغريبة المزروعة ، كما تهدم جدر الميكروبات كذلك .. فعلى الغشاء الخارجي الذى يقع فوق قبعة الحيوان المنوى مباشرة تتراص بروتينات سكرية معقدة تسمى « المخصبات » ، وعلى الغشاء الذى يحيط بالبويضة تنتظم ايضا بروتينات مضادة تسمى « المخصبات المضادة » (انظر دراستنا فى العدد السابق من المجلة) وهما هنا اشبه بالقفل والمفتاح ، فيفتح هذا ذاك ، او يتمزق الغشاءان او الرداءان فى موقع محدد ، ويصبح لهما طرفان متحرران ، وعلى الطرفين تجرى سلسلة من التفاعلات الكيميائية المعقدة ، وفيها يحاك طرف هذا الرداء او الغشاء بطرف الرداء الآخر (انظر الشكل المنشور هنا)، وعندئذ يصبح الرداءان واحدا ، وكانما هذا لباس لتلك ، او تلك لباس له .. مصداقا لقوله تعالى « هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن » .. صحيح ان ذلك ينطبق على عالمنا المنظور بذكوره واناثه، لكن له ايضا اساسا عريضا وبديعا فى الخلايا الجنسية الذكرية والانثوية ، اذ بهذه التعرية الجزئية فى رداء هذا وتلك ، يكون السبيل الى التحام الكيانين الدقيقين فى كيان واحد ، او ذوبان الخليتين الجنسيتين فى خلية واحدة ، وبهذا تاتى اجيال من وراء اجيال ، من سائر انواع النبات والحيوان والانسان .

هدم الطاقية .. وتحرير المفاتيح !

لكن العملية تبدا بداية اخرى مثيرة . . فالبويضة التى تريد تلقيحا ، تفرز مادة كيميائية خاصة ، وبتركيزات جد ضئيلة ، لتصبح هذه المادة بمثابة كلمة سر جديدة « تذيع » بها على الحيوانات المنوية ـ الشاردة هنا وهناك ـ موطنها الذى تختفى فيه ، أى كأنما هى تنادى عليها بطريقتها الخاصة ،ولقد عزل العلماء بعض

فرص الحياة

- القرص لاتتاح للقاعدين ، وانما هى فى متناول كل يد لاتتردد فى الهجوم عليها والامساك بها قبل ان تفلت !
- الفرصة التى تتاح لنا مرة فى الحياة ، تبدو كبيرة عندما تفلت من يدنا وتبدو صغيرة ونحن نقف امامها مترددين .. هل نقبلها ام نعرض عنها !
- عندما تدق الفرصة على بابك .. لاتتردد ، افتح لها فورا الباب وخذها بالاحضان وتشبث .. كثيرا ما تخطىء الفرص « العنوان » فتعود من حيث اتت لتبدا بحثها من جديد عن « العنوان الصحيح » !
- السبب فى ان الكثيرين من الناس يضلون طريقهم فى الحياة ، هو أنهم دائما مشغولون بالعمل فى الفناء الخلفى للبيت فلا يكلفون أنفسهم مشقة البحث عمن يكون الطارق على باب البيت الامامى !
- الفرصة « بيضة » اذا تركتها تسقط من يدك اصطدمت بالارض فتهشمت وتطايرت محتوياتها ! هل من سبيل بعد هذا لتملأ بها معدتك ؟!

هذه المواد ، ووجودها تختلف بين نوع ونوع اخر ، فكلمة السر الكيميائية التي تنشرهابويضة انثى الانسان حولها تساعد الحيوانات المنوية لذكر الانسان على التوجه اليها دون سواها .. لكن « كلمتها » تصبح غير محسوسة ولا مفهومة لحيوانات منوية جاءت من قرود وحمير وجرذان ... الخ ... الخ .

وبفضل هذا « النداء » الصامت ، تسعى الملايين من الحيوانات المنوية الى بويضتها ، لتطوف برحابها ، وكانما قد استبدت بها نشوة كبرى ، وفي أثناء طوافها تفرز بعض الانزيمات التي تذيب الطريق امامها (نتيجة لوجود خلايا تحيط بالبويضة وتسمى خلايا التاج) ، علها تجد منفذا ممهدا للوصول الى « سور » البويضة العظيم ، وينجح منها واحد ، ربما يكون اقواها وانشطها ، وينفذ برأسه ، وبها يرتكز على سور «عروسه» ، وكانما هو يقبلها قبلة حياة ستنشأ بعد قليل ، وتستجيب البويضة لهذا اللمس من ذكرها (أو حيوانها المنوى) ، ويقال انها تفرز له كلمة سر اخرى يتأثر بها ، بدليل ان بعض التغيرات الفسيولوجية والكيميائية تجتاح كيانه الدقيق ، فيتخلى عن طاقيته بتمزيقها وتحرير ما فيها من انزيمات او مفاتيح كيميائية (اهمها انزيم اسمه هيالورونيدز Hyaluronidase) ، وبهذه المفاتيح يؤدي رسالة اخرى هامة ، فيحطم بها غلافا ثانيا في بويضته ، والى هنا يكون قد وصل الى اخر غشاء او رداء من اردية « عروسه » التي جاءت بها الى الحياة !

وفي النهاية يرسل الحيوان المنوى من غشائه الذي كان مختفيا تحت « طاقيته » (لقد ظهر بعد أن تحطمت الطاقية واختفت) بروزا دقيقا يمكن تشبيهه بانسان يمد شفتيه اثناء القبلة ، وستجيب الغشاء الاخر للبويضة لهذا البروز ، فترسل بدورها بروزا دقيقا (اسمه مخروط التلقيح Fertilization) ليقابل بروز « فتاها » ، وعند ذلك تسري في بويضتنا رعشة خفيفة ، أو اهتزازة نشوانة كالتي نراها مثلا في عالمنا الكبير ، لكن النشوة أو الاهتزازة هنا لا تدل على احساس كالذي نشعر به كبشر ، بل هي رعشة تنعكس على سلسلة من الاحداث الكيميائية النشيطة ، التي يجب ان تتم في أسرع وقت ممكن ، حتى توصد « العروس » الدقيقة كل الابواب دون بقية ملايين العرسان او الحيوانات المنوية التي تتصارع حول اسوارها ، علها تجد منفذا تنفذ فيه ، لتظهر في حياة جديدة قادمة !

والواقع ان التنظيمات البديعة والرائعة التي تتجلى للعلماء وهم يرقبون هذه التمثيلية الغامضة تدعو حقا الى التأمل والخشوع .. فللبويضة رداء من فوق رداء من فوق رداء .. اذن فهناك اردية ثلاثة ، هي بالنسبة للعقل البشري بمثابة ظلمات ثلاثة ، ونعني بالظلمات هنا جهلنا النسبي بما هو كائن فيها من نظم دقيقة لم نعرفها على حقيقتها معرفة تامة .. صحيح ان « الخامات » الكيميائية التي تنسج منها الاردية لا تختلف كثيرا بين الانواع ، انما يجيء الاختلاف في « التطريز » الدقيق الذي يقوم به كل نوع من الكائنات في ارديته او اسواره ، فلا يتشابه التطريز بين البشر والقرود والبقر ... الخ .

ولا بد ان تتمزق هذه الاغشية او الاردية في سلسلة من التفاعلات الكيميائية التي تشرف عليها جيوش من الانزيمات تهدم وتبني ، او تمزق وتحبك ، لتوصل بين اردية البويضة واردية حيوانها المنوى ، وكل هذا يتم حسب برنامج محدد ، وزمن مقدر ، يحسب بالثواني والدقائق والساعات ، فبعد أن تحس البويضة مثلا بمقدم الحيوان المنوى ، وولوجه فيها ، تسارع ببناء سور منيع يحميها من دخول حيوان منوى آخر ، ويتم هذا البناء المعقد في فترة تتراوح ما بين ٥ ــ ١٠ ثوان فقط ! .. اما كيف يتم بمثل هذه السرعة الفائقة ، فذلك امر لم نتوصل الى كل اسراره بعد .. كل ما نعرفه هو حدوث تغيرات طبيعية وكيميائية وكهربية ، وكانما دخول الحيوان المنوى كان بمثابة الزناد الذي أطلق قذيفة الحياة ، لتنطلق بأقصى سرعتها ، معلنة بداية مخلوق قادم أيا كان شكله ونوعه ومرتبته في سلم المخلوقات ، وهكذا ينطلق طوفان الحياة في ديناميكية متجددة متفردة ، ومن وراء ذلك نظم اسوار سواها الخالق وابدعها ، ليسري كل شيء بحساب ومقدار .. « انا كل شيء خلقناه بقدر » .

الاسكندرية : **د. عبد المحسن صالح**

لماذا؟

التعسف الباطل في تفسير القرآن بجر العلم إليه أو حجبه عنه

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

هو خلاف يتفاقم بين انصار طريقتين معروفتين في تفسير القرآن الكريم ، احداهما تحاول أن تجر القرآن جرا الى العلوم الحديثة ، والاخرى تقاوم هذه الدعوة بالسير في اتجاه معاكس ، ينـأى بالقرآن عن الخوض في تلك العلوم .

وحتى الان ، وفيما هو ظاهر ، لم يستطع الطرفان أن يلتقيا على ميزان يفصل في الامر ، ويجمع خطوط الخلاف على صراط واحد من الحق الذي لا مرية فيه ، ولا يقع فيه أي خلاف .

جر القرآن الى العلوم الحديثة .. وجذبه عنها .. كلاهما تعسف باطل

على أن هذا الميزان موجود ، ولا تحتاج المسالة الى اى معاناة في استخراجه او البحث عنه . فمكانه معروف من كتب علوم القرآن المختلفة ، بل في اى مرجع قديم أو حديث يعنى بمناهج البحث وقواعد تفسير النصوص ، لو أن النقاش استهدف جذور المسائل وكلياتها .

ذلك انه ليس محور الصحة والبطلان في تفسير القرآن ، أن يتضمن التفسير شيئا من مسائل العلوم الحديثة او أن لا يتضمن شيئا منها .

بل ليس محور الصحة والبطلان في ذلك اى معنى من المعاني او نظرية من النظريات يمكن أن ينتهي المفسر بتفسيره اليها ، الا اذا شئنا ـ والعياذ بالله ـ أن نجعل من رغبة او فكرة سابقة في أذهاننا ، أساسا مستقرا وقرارا لا محيص عنه ، فعندئذ تغدو عملية التفسير مجرد ذريعة لدعم هذا

القرار ، وعندئذ يتخذ التفسير صفة الصحة او البطلان ، حسب قرب مدلول الآية او بعده من الفكرة السابقة التي نتبناها .

وهذا منتهى ما يمكن أن يصل اليه المذهب الذرائعي في التجرد عن الموضوعية ،وفي تسخير المنطق والعقل لاى رغبة سابقة ! .. ونعوذ بالله من أن تكون مطامحنا او رغباتنا النفسية السابقة بالايمان او نقيضه .. بالتدين او عكسه .. هي القائد الموجه لعقولنا في ساحة النظر والبحث .

ميزان واضح

اذن ، فما هو المحور الذي يدور عليه تفسير القرآن صحة وبطلانا ؟ .

والجواب أن هذا المحور لا يتمثل في اكثر من الميزان الذي نعتمد عليه لتفسير اى كلام عربي ، صاغه من لا شك لدينا في أنه حكيم لا يهذي ولا يعبث .

هذا الميزان يتكون من المقومات والاركان التالية :

اولا ـ خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف فيها .

ثانيا ـ خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها . كأحكام العموم والخصوص والاطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم الخ .

ثالثا ـ الا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون اى آية أخرى في القرآن ، بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل اى قاعدة من قواعد تفسير النصوص .

رابعا ـ الا يتعارض التفسير معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح ، بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلا سائغة للتوفيق بينهما .

من هذه المقومات الاربعة فقط يتكون الميزان الذي لا بد من الاحتكام اليه لتفسير آية من القرآن . وهو ميزان متفق عليه عند علماء العربية والتفسير والاصول جميعا ، وهو الذي يمثل القاعدة المشتركة التي يلتقي عليها كل من أقطاب مدرستي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى . فما نعلم اماما من أئمة التفسير بالرأى استجاز لنفسه الخروج عن سلطان هذا الميزان قيد شعرة . كما لا نعلم اماما من أئمة التفسير بالمأثور حرم او أنكر اى تفسير اجتهادى ينضبط بقيود هذا الميزان . وان لم يتخذ من ذلك مذهبا شخصيا لنفسه في نطاق اعماله العلمية الخاصة .

وما قصة هاتين الطريقتين اليوم في تفسير القرآن على ضوء العلوم الحديثة ، الا امتداد لمدرستي التفسير بالرأى والتفسير بالمأثور . وما ثار بين أرباب هاتين الطريقتين الخلاف بل الشقاق الحاد ، على خلاف ما كان الامر عليه بالنسبة لائمة التفسير بالمأثور وائمة التفسير بالرأى ، الا لان هؤلاء ، لم يحتكموا الى بنود هذا الميزان كما احتكم اليه أولئك الائمة السابقون ولو أنهم فعلوا ذلك لامتص هذا الميزان من بينهم كل خلاف وجدال .

وبناء على هذا فانني اقول :

اذا التزم المفسر لكتاب الله تعالى بالبنود الاربعة لهذا الميزان التزاما صادقا وصحيحا ، فمن الشطط ، بل من التعسف المجوج ، أن ننكر المعنى الذي توصل بتفسيره اليه أيا كان ذلك المعنى وباى النظريات او العلوم تعلق .

أما اذا لم يلتزم بهذا الميزان التزاما صادقا ودقيقا ، فمن الشطط والتعسف عندئذ أن نقبل المعنى الذي انتهى بتفسيره اليه. سواء كان متعلقا بالعلوم الكونية الحديثة ، أو بالاحكام الدينية أو الاخبار التاريخية أو باى شىء آخر .

ومن هنا يتبين أن الخوض في نقاش حول صحة تفسير القرآن بالعلوم أو النظريات الحديثة او عدم صحته ، دون الالتفات الى هذا الميزان الذي ذكرناه ، انما هو خوض فيما لا طائل منه وكلام لا حصيلة له .

ارهاص الصعود للقمر ؟

وبوسعنا الان أن نستعرض نماذج من النصوص القرآنية التي يمكن أن تكون جزءا من موضوع النزاع الذي نتحدث عنه ، وسنرى بعد احتكامنا الى الميزان الذي أوضحناه ، انه لا يؤيد هذه الطريقة ولا تلك تأييدا ذاتيا مطلقا ، بل هو

يصرف بعض هذه النماذج عما يسمى بالتفسير العلمي المزعوم ، ويؤيد هذا التفسير ويؤكد على صحته بالنسبة للبعض الآخر ٠

يقول الله تعالى في سورة الرحمن : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والارض فانفذوا ، لاتنفذون الا بسلطان » ٠

ما أكثر الذين يفسرون هذه الاية بانها ارشاد وتوجيه علمي للناس بان يحاولوا كشف السبل العلمية التي تيسر لهم الصعود الى طبقات الجو والنفوذ الى ما فيها من كواكب وأجرام ! ٠٠ فهي اذا ـ بناء على هذا التفسير ـ بمثابة الارهاص الذي جاء بين يدي صعود الانسان الى القمر ، بل هي بمثابة الاخبار الغيبي عن هذا الكشف العلمي الفريد الذي توصل اليه الانسان ! ٠٠

فهل يتفق هذا التفسير مع البنود الاربعة لميزان تفسير النصوص القرآنية ؟

اذا تأملت في ألفاظ الاية ، ادركت أن هذا التفسير يتعارض تعارضا بينا مع أول بند من بنود الميزان المذكور ، الا وهو خضوع التفسير للدلالة اللغوية وقواعدها المتفق عليها ٠

ان الاية تقول : « ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات » ولم تقل « ٠٠ الى أقطار السماوات » ، وفرق كبير في الدلالة اللغوية بين التعبيرين ٠

ان « من » لا تصلح في هذا المقام الا لمعنى واحد ، هو التجاوز ٠٠ فالمعنى اذا : ان استطعتم ان تتجاوزوا أقطار السماوات والارض وتخرجوا عن دائرة المكونات الالهية فافعلوا ! ٠٠

وواضح ان الامر هنا للتعجيز وان المعنى المراد الذي تكنى عنه الاية : ان الانسان لن ينجو من قبضة الله تعالى وما قد ينتظره يوم القيامة من حساب وجزاء ، مهما حاول ومهما أوتي من القوة، الا بسلطان من الارادة الالهية اذ تتعلق بنجاته ٠٠ وهذا المعنى لا شأن له ـ كما نرى ـ بصعود الانسان الى القمر أو المريخ أو حتى بسياحته المكنة بين الاجرام السماوية الجائلة ـ مهما كانت بعيدة ـ ضمن دائرة المكونات وداخل أقطار السماوات والارض ٠

نعم لو جاء التعبير بـ « الى » بدلا عن « من » لكان التفسير الشائع للاية ممكنا ومقبولا ٠

من أجل هذا نقول : ان جر هذه الاية الى المعنى الذي يطيب لبعض الناس لصقه بها، تعسف ممجوج وتجاوز لقواعد اللغة العربية وضوابط تفسير النصوص ٠

وفي سورة نوح قول الله تعالى : « ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » ٠

لقد وقف بعض الناس عند هذه الاية وقفة من عثر فيها على كنز نادر ثمين ! ٠٠ ذلك لان الاية قد تحدثت عن التطور بصريح العبارة والبيان ! ٠٠ بل نصت على أن خلق الانسان جاء متطورا !!

اذن ، فالاية سجلت سبقا علميا رائعا على كل من لامارك ، وداروين ، وسائر القائلين بنظرية تطور الانسان من أنواع أو أجناس أقل شأنا ! ٠٠

ترى هل يساعد ميزان تفسير النصوص القرآنية على قبول هذا التفسير ؟ ٠

ان الميزان المذكور لا يساعد على هذا التفسير البتة ٠ ذلك لان صرف كلمة « أطوارا » الى هذه المعنى يتناقض مناقضة حادة مع آيات صريحة أخرى من مثل قول الله عز وجل « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » ومن المعروف أن « ال » في الانسان للجنس ، فالاية نص قاطع اذن على أن الله تعالى أبدع جنس الانسان في أحسن تقويم، وهو مناقض لتصور أن الانسان قد تصاعد من فصائل واشكال دنيا٠٠ ذلك لانجنس هذه الفصائل كلها يغدو ، بناء على هذا التصور ، واحدا ، والافراد الذين تساموا ضمن هذا الجنس الى أحسن تقويم لا يبلغون معشار أفراد الجنس كله ٠

هذا الى أن كلمة « أطوارا » في هذه الاية ، انما تتولى تفسيرها آية صريحة أخرى في القرآن، هي قول الله تعالى : « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » ٦ : الزمر ٠ بالاضافة الى ما هو ثابت في القرآن نفسه من أن النشأة الاولى للانسان انما كانت من أخلاط التراب والماء ثم النطفة وهكذا ٠٠ الخ وقد فسر

هذا كله قول الله عز وجل « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم » ٤ : الحج •

فانظر الى جر هذه الاية الى هذا المعنى «العلمي» فيما زعم البعض ، كم جر من المفاسد :

المفسدة الاولى : الوقوف في وجه اية صريحة تتناقض مع هذا التصور مناقضة كلية •

المفسدة الثانية : الاعراض عن ايات اخرى تتولى بيان المعنى الايجابي المراد لكلمة «اطوارا» •

المفسدة الثالثة : تحميل القران ـ بعد هذا كله ـ مسؤولية التأييد لنظرية ، بل لفرضية ، لم يدعمها أى برهان علمي بعد ، بل تواردت البراهين والادلة على بطلانها •

وجاذبية الارض

والان نقرأ قول الله تعالى في سورة المرسلات : « الم نجعل الارض كفاتا ، احياء وامواتا » ، فما معنى كفاتا ؟

والكفت والكفات ، في اللغة العربية بمعنى الجذب والضم ، وعليه قول الشاعر :

كرام حين تنكفت الافاعي
الى اجحارهن من الصقيع

اى حين تنجذب الافاعي الى داخل جحورهن من شدة البرد •

اذن ، فالاية تقول بصريح العبارة ، في مجال الامتنان والتذكير بالنعم : الم نجعل هذا الكوكب الارضي الذى تعيشون عليه جاذبا لكم ، بحيث ترون فيه اسباب طمأنينتكم واستقراركم •

ولكي لا يتصور متصور ان هذا الجذب او الضم انما يكون اذا دفن الانسان بعد موته في باطن الارض ، جاء القيد المعمم يقول : « احياء وامواتا » اى : بل جعلناها بحيث تجذبكم اليها اذ تكونون احياء تتحركون على ظهرها ، واذ تعودون امواتا مدفونين في باطنها •

ولقد ايقن العلماء قديما ، ـ ومنهم يونس بن قرة ـ من دلالة هذه الاية ، ان الله أودع في الارض قوة جاذبة اليها بها يستقر الانسان فوقها ويلقى فيها طمأنينة حياته وأسباب عيشه •

فهذا معنى علمي تدل عليه الاية دلالة متفقة كل الاتفاق مع الميزان الذى ذكرناه ، اذ الدلالة اللغوية مؤيدة له ، بل هي لا تؤيد الا هذا المعنى • وقواعد تفسير النصوص مؤيدة هي الاخرى • وليس من تعارض بين هذا المعنى واى اية قرانية اخرى ، أو حديث نبوى صحيح •

اذن فالشطط والتعسف هنا انما يتمثل في العمل على صرف الاية عن هذا المعنى ، لمجرد أنه معنى علمي يتعلق ببعض المكتشفات العلمية الحديثة •

مثال اخر • وهو ما نلاحظه من أن القرآن اذا تحدث عن الشمس وصفها دائما بانها سراج مضيء واذا تحدث عن القمر وصفه دائما بانه منير • فالسراج والاضاءة صفتان للشمس دائما ، والانارة صفة للقمر دائما • انظر الى هذه الايات :

« تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » ٦٢ الفرقان

« الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » نوح ١٦

« هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل » ٥ : يونس

واذا عدنا الى اللغة العربية لنتبين المعنى الدقيق لكل من سراج ومضيء ومنير ، ولنقف على مظاهر الفرق بينها ، نجد أن الشيء لا يقال عنه سراج او مضيء الا اذا كان يبث مع الشعاع حرارة• ويقال عنه منير اذا كان يبث ضياء لا حرارة فيه • كما انك لا تقول عن الشيء سراج او مضيء الا اذا كان الشعاع منبثقا من داخله وجوهره ، وتقول عنه منير اذا انعكس عليه الضوء من جرم اخر • فانت تقول عن الغرفة منيرة ولا تقول عنها انها سراج او مضيئة ، الا على وجه المبالغة او التشبيه•

وبناء على هذا البيان اللغوى الذى يعرفه علماء اللغة جميعا ، تكون الاية السالفة ناطقة بان القمر جرم بارد لا حرارة فيه ، وبانه انما يكتسب نوره من جرم اخر ، بعكس الشمس •

فهذا تفسير علمي لا محيص عنه بالنسبة لهذه الايات • وهو ـ كما نرى ـ متفق كل الاتفاق مع الميزان المتبع لتفسير كتاب الله تعالى • فان

أعرضت عنه بحجة ان هذا تفسير يتناول بعض العلوم الكونية. ذلك هو الشطط والتعسف الباطل الذى لا معنى له ٠

ولنتامل الان فى هذه الاية : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .

٢٢ : الحجر ٠

فاللواقح جمع لاقح او لاقحة ، ومعناها معروف. وقد رتبت الاية على صفة اللقح التى اثبتتها للرياح ، هطول الامطار من السحاب ، واداة هذا الترتيب هى الفاء فى قوله تعالى : فانزلنا ٠ اذن فتلقيح الرياح للسحب هى السبيل التى جعلها الله سببا لهطول الامطار على النحو الذى تراه٠٠ هذا ما تعبر عنه الاية بنصها ، وبمنطوقها الذى لا محيص عنه ٠ فهل نستطيع أن نفر بهذه الاية اذن من الحقيقة العلمية التى تقول أن الرياح تلقح السحاب بالشحنات الكهربائية بين يدى تجمع الامطار فيها وتهطالها قطرات على وجه الارض ؟

ان الفرار بالاية ــ والحالة هذه ــ عن هذا المعنى الذى لا بديل له ، ليس فى الحقيقة الا استجابة لفكرة ذرائعية تتذرع بهذا الفرار ، لاقصاء القران عن مدلولات معينة ٠ على كل حال، ومهما كانت الموجبات ٠ ولا ريب ان هذا العمل لا يسمى تفسيرا بحال من الاحوال ٠

اردت من عرض هذه النماذج أن يتجلى للقارىء بكل وضوح ، ان محور الصحة البطلان فى تفسير ايات القران ليس متمثلا فى ماهية المعنى الذى نتوصل بالتفسير اليه ، فتلك أسبقية فضولية لا مسوغ لها فى نطاق البحث الموضوعى المتجرد ٠

وانما محور الصحة والبطلان ، الخضوع او عدم الخضوع للميزان الذى لا بد من اتباعه بصدد تفسير القران ، ولا تغير ماهية المعنى الذى نصل بالتفسير اليه من طبيعة هذا الميزان او سلطانه شيئا ٠

وكل جدال حول التعرف على الطريقة المثلى فى تفسير القران ، لا يحتكم الى هذا الميزان الذى هو محل وفاق واجماع ، ليس الا سلسلة من الجدل المتوالد الذى لا نهاية له ولا ثمرة منه ٠

■■

د ٠ محمد سعيد رمضان البوطى
استاذ فى كلية الشريعة بجامعة دمشق

والدى هو الذى رفض !

● رفضت السيدة ونج للمرة الثانية زواج ابنها من الفتاة التى يحبها ٠ وهمس أحد الاصدقاء فى أذن الابن الشاب قائلا : عليك بالبحث على فتاة تشبه والدتك ٠

وبعد عدة أشهر أبلغ الشاب صديقه بقوله : عثرت فى النهاية على فتاة تشبه والدتى فى شكلها وحديثها وسلوكها ٠

وقال صديقه : اذن تقبل منى التهنئة ، الا أن الابن الشاب عاجله بقوله ، لا ، هذه المرة والدى هو الذى رفض ٠

الفيزتمان ــ تايوان

حدث في احدى القرى

بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

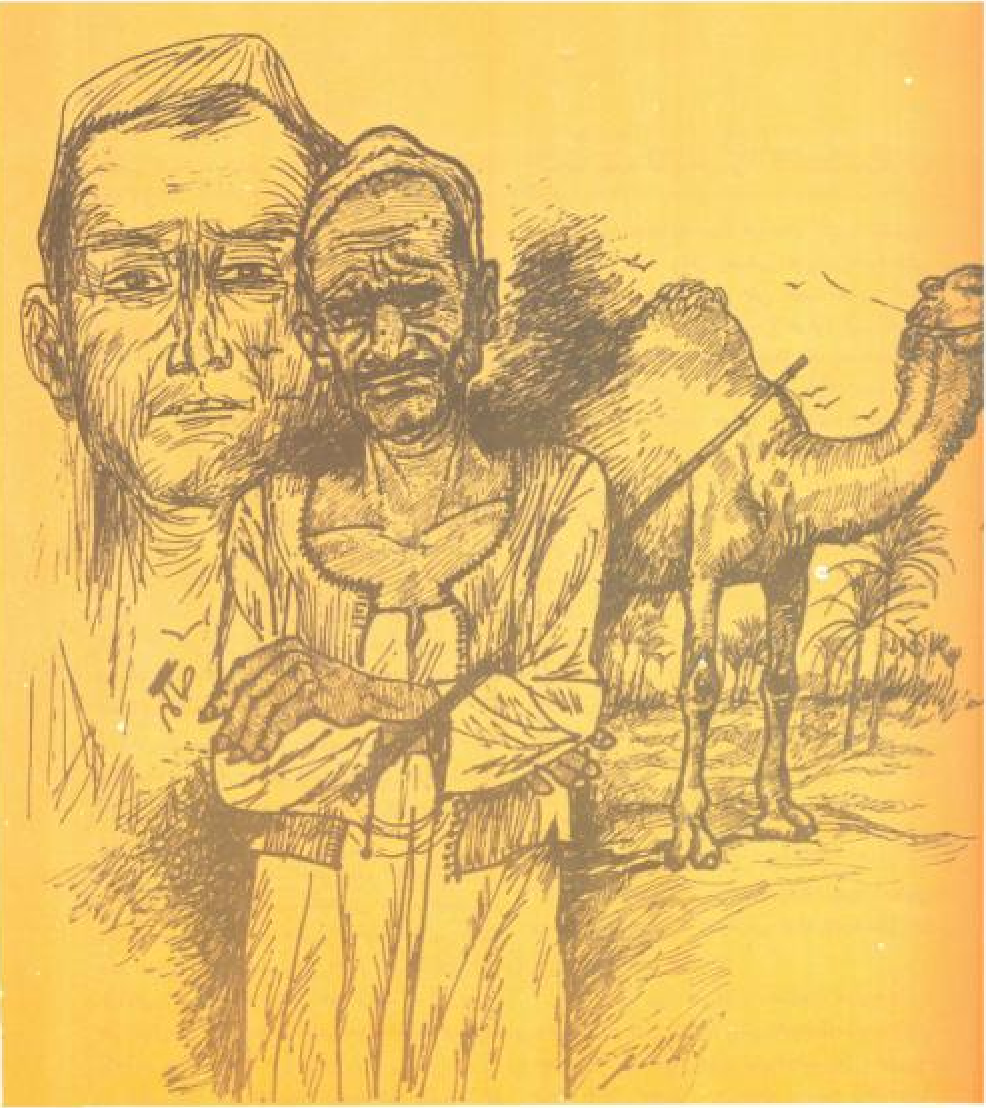
■ اطفال المدينة يصادقون القطط والكلاب والارانب ، اما نحن ابناء الفلاحين فنقول ان الكلاب نجسة ، ونطردها كلما حاولت ان تتمسح بنا ، ونقول ان القطط خائنة ، ولذلك نكرهها كرها عميقا ، اما الارانب فلا نعرف منها تلك الاجناس التي ربما تعلق بها اطفال المدينة ، لا نعرف منها الاجنسا واحدا شديد الحذر ، دائم التوجس ، لا يالف ولا يؤلف ، فهو في حالة فرار دائم ،نهايتها التي لا تتخلف ابدا هي الذبح ٠

اصدقاؤنا الذين نصطفيهم من دون الناس هم البقر والحمير ٠ وربما صادقنا عجول الجاموس ولكن اعجابنا بها لا يدوم طويلا ، فهي لا تكاد تكبر حتى تفقد رشاقتها ويرين الغباء على عيونها ٠ اما البقرة فهي حسناء من يوم ان تولد حتى تشيخ ، والحمار رفيق لابد منه ، فنحن نحتمله على علاته ٠ اذا كانت البقرة هي امنا او اختنا الكبرى فالحمار هو اخونا الاصغر ، نضيق بعناده او بلادته او سوء سلوكه احيانا ولكننا نضحك منه غالبا ، ونقول انه مهما يرتكب من حماقات فهو لاشك طيب القلب ٠

وكنت اباهي لداتي بان صديقي اكبر من اصدقائهم جميعا ٠ ولعلي كنت اعبر بالكبر عن معنى لا يقتصر على كبر الجسم ٠ كنت احس احساسا غامضا بانه انبل واعظم ، ولعل ما كان يحاط به في الدار من اهتمام خاص هو اول ما ولد هذا الشعور في نفسي ، ولكني لا اذكر متى بدا هذا الشعور ، بل لا اذكر متى بدأت اعي وجوده في الدار ٠ واغلب الظن اني وعيته منذ وعيت نفسي وعرفته كما عرفت ابي ، ولم يكن حبي له اقل من حبي لابي ، ولعلي حين استعيد طفولتي الاولى ، واطرح عن نفسي ما فدسته العادة ، ورياء النفاق ، اقول بغير مواربة اني كنت – في تلك الايام على الاقل – احبه اكثر من ابي ٠ وهل كان ابي يبرك امامي ، ويمد عنقه الطويل على الارض كي اعلوه ، فاذا احس اني تمكنت في مجلسي راح يحركه يمنة ويسرة ، وهو يبغم كالحمامة ؟ وعندما كبرت اصبحت قائده في رحلاته بين الدار والحقل ، وكان يلقي الي قياده مسرورا ان راني كبرت ، والحق اني لم اكن اقوده ، كان حبله دائما مرخى في يدي ، وكان يعرف طريقه ويتوجه اليه بنفسه ٠ كذب من قالوا ان الجمل حيوان غبي ٠ الجمل نبيل ، صبور ، حيي ٠ فلا عجب اذا حسب الاغبياء نبله غفلة ، وصبره بلادة ، وحياءه غباء ٠ لاعجب ان اطمعهم كرمه وحلمه ٠ لا عجب ان جهلوه كما جهله جارنا عبد الوارث ، والجهل يهلك اصحابه ٠

وقبل ان اقص عليكم خبر الكارثة التي حلت بي بفراق جملي ، لابد ان اعرفكم بجارنا عبد الوارث ٠

اننا نتمثل دائما بالحديث الشريف : اذكروا محاسن موتاكم ٠ ولا ادري في الحقيقة ان كان حديثا ام حكمة جعلها الناس حديثا ٠ ولكنني على كل حال حاولت ان اجد لعبد الوارث حسنة واحدة فاعياني الامر ٠ لم يكن فلاحا كسائر الفلاحين ٠ يقولون ان الفلاح ماكر بفطرته ،ولكن الذين يقولون ذلك هم ابناء المدن ، لانهم لايفهمون لغة الفلاح ٠ اما الفلاح نفسه فلديه مقاييسه



الخاصة التي يميز بها الانسان الماكر حقا • وقد كان عبد الوارث ، بشهادة اهل القرية كلهم ، ماكرا خبيث المكر : فالمكر عندنا انواع : منه مكر الثعالب ، وهذا امره هين ، قصاراه ان يسرق ارنبا او دجاجة • ومنه مكر الثعابين مثل عبد الوارث : « يلبد » ، لايحس به احد ، حتى اذا تمكن لدغ ، واذا لدغ لم تنفع فيه رقية راق • كان اهل القرية جميعا يحذرونه ولكنه كان كالقضاء ، اذا نزل باحد لم ينفع معه حذر • كان يعبد المال ، ويقول اهل القرية ان معه منه الكثير • لم يكن يخرجه بالربا ، ولكنه كان يقدمه في رهن الارض ، وكان يعرف كيف يتصيد الفلاح الفقير المحتاج ، او المسرف المتلاف ، لكان الرهن يغلق دائما • وبعد نصف فدان ورثه عن ابيه اصبح عنده خمسة افدنة ، فيها انصبة اخوته الذين كانوا اول ضحاياه • اما كيف حصل على راس ماله فيقولون انه حتال على ابيه قبل موته ، حتى وثق به ودله على مكان النقود التي جمعها على مدى سنين طويلة املا في ان يحج الى بيت الله ، واوصاه ان يجهزه ببعضها

ويقسم الباقي بالعدل بينه وبين اخوته • وطمان عبد الوارث اباه . وظل ملازما له اثناء مرضه ، وعندما احس بقرب نهايته طرد كل من في الدار بقسوة ، حتى اخوانه وعماته ، زاعما ان اباه بخير . وان بكاء النسوة يجلب الشؤم • وقيل ان يعلن خبر موته كان قد اخفى المال حيث لا تصل اليه يد احد •

كان عند عبد الوارث راع واحد يساعده في زراعته ، ولم يكن عبد الوارث فلاحا ماهرا ، ولكنه كان قاسيا • كان يعذب راعيه باوامره المتناقضة ، وسبابه الدائم ، وصفعاته ولكماته أحيانا حتى امام الناس • لذلك أصبح وجه راعيه أشبه بقناع يمثل التعاسة • لم يكن يستطيع أن يتركه لانه كان مدينا له . وكان في استطاعة عبد الوارث ان يدخله السجن بالف تهمة أخرى • ولم يكن يستطيع ان ينتحر لان الرجال في قريتنا لا ينتحرون • وبعد مدة لم يعد يكلم أحدا ، اصبح حيوانا أعجم له لسان وشفتان •

هذا هو عبد الوارث الذي رايته يدخل دارنا ذات مساء ، ويخرج بعد قليل ممسكا بيده اليسرى مقود جملنا . والجمل يتلفت الى جوانب الدار ويحن •

كنت انذاك قد بدأت أخلع رداء الطفولة وادخل في طور جديد ، واخذت تتجاذبني أحلام غامضة ، وتتكشف لي الدنيا عن أسرار شائقة ، فاسير ذاهلا عما حولي ، أو اجلس في الدار وحيدا اجتر خيالاتي الساحرة • ولكنني حين رأيت جملي يخرج من الدار ويحن ، اعتصر قلبي حزن ثقيل ، وشعرت باليأس من كل شيء •

لعلي قلت لكم ان عبد الوارث كان جارنا ؟ لم أعن داره ، ولكنه كان يملك حقلا ملاصقا لحقلنا .

وكنت قليل الذهاب الى الحقل مذ شغلتني الدراسة ، فعزيت نفسي بانني لن أرى جملي الا قليلا ، وربما استطعت ان انساه • وهكذا كان • ولكنني كنت اتذكره من حين الى حين ، واتخيل سوء معاملة عبد الوارث له ، فينقبض قلبي ، والمني الفقر والحاجة •

وذات يوم شاء سوء حظي ان اكون في الحقل وان ارى عبد الوارث يبرك الجمل الذي صار جمله . وكان يجذبه من مقوده بعنف ، ويركل قائمته القريبة منه ، ويضربه على عنقه بطرف المقود ، ونظرت الى وجهه ـ وجه الجمل ـ فرأيت قناعا من التعاسة يشبه قناع الراعي . فانطلقت هاربا الى الدار •

اما كيف حدث ما حدث في ذلك اليوم المشئوم ، فلا احد يدري • ولكن بعض الجيران كانوا في الحقول المجاورة فالتفتوا على صوت هدير عال يشبه صهيل الفرس ، وصراخ عرفوا فيه صوت عبد الوارث ، ونظروا فاذا الجمل قد امسك صاحبه بين أسنانه وانطلق يعدو به وهو يحرك عنقه يمنة ويسرة . وقد استحال صراخ عبد الوارث عواء كعواء الكلب المسعور حين تمزقه رصاصة : خشن يخرج من حلقه ، متهالك فيه رنة البكاء • وحين بلغ الجمل الطريق الترابي الضيق المحفوف باشجار الاثل جعل يضرب صاحبه في جذوع الشجر (وقد بقيت عليها آثار الدماء زمنا مديدا فكان الناس يقولون : هنا قتل جمل عبد الوارث صاحبه) • ولم يعد يسمع أنين عبد الوارث حين طرحه الجمل على الارض وراح يعجنه بخفيه الاماميين • ولكن اهل القرية جميعا روعوا بصوت ما سمعوا مثله قط • لقد ذاب هدير الجمل وصهيل الفرس في شيء غريب كانه مزيج من قصف الرعد وزئير الاسد ، ولم يبق رجل ولا امراة ولا طفل الا وقد خرجوا من الدور يتاملون المنظر الفظيع مبهورين ، وهم لا يجرءون على الاقتراب منه •

كان الذي عند خفي الجمل كتلة معجونة بالطين والدم ، من لم ير المشهد من اوله لا يصدق انها كانت يوما عبد الوارث •

كف الجمل عن الحركة ، واستحال هديره قرقرة خافتة وراح أهل القرية يولي ظهره للمشهد ، ويمشي خطوات ، ثم يسقط على ركبتيه الاماميتين ، ويبرك ، ويمد عنقه الطويل ، ويلصق رأسه بالارض • وسمع يحن حنينا طويلا مكتوما كانه يخرج من اعماق بئر ، وعندما اقترب منه أهل القرية ملأت انوفهم رائحة عرقه النفاذة •

هؤلاء هم يتقدمون نحوك يا جملي • بعد قليل سيحيطون بك • سيقيدونك بالحبال • سيسلخون جلدك ويعلقون لحمك في الخطاطيف ، وياكلونه مع الثريد وهم جالسون بين نسائهم وأطفالهم • ترى هل يمكن أن يبث في دمائهم شيئا من شجاعتك •

■■

د • شكري محمد عياد

● حل مسابقة العدد ٢٤٣ ●



يوسف بن تاشفين

●

يوسف بن محمد

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : يوسف بن تاشفين ● اكبر سلاطين المرابطين ، ولد عام ١٠١٩ ، اسس مدينة مراكش ، وانتصر على ملوك الاندلس ، وهزم جيوش الفونس السادس ملك قشتالة ●

(٨) راسيا : يوسف بن محمد ● سلطان ايوبي ولد في حلب ، ومد نفوذه على سوريا باكملها ، تعاهد مع الملك لويس التاسع ضد مصر ● قتله هولاكو بعد احتلال حمص ●

الفائزون بالجوائز

* **الجائزة الاولى وقيمتها** ٣٠ دينارا فاز بها : **محمد محمود احمد سعد**/المعمورية ـ الكويت ●
* **الجائزة الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فاز بها : **حسين محمد الزبيدي**/صور ـ لبنان ●
* **الجائزة الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فازت بها : **عايدة عبد الغني يونس عبد الرحمن**/دبي ـ الامارات العربية المتحدة ●

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عبد الملك عبد الله علي الجنداري** / صنعاء ـ اليمن الشمالي

٢ ـ **بثينة قاسم عبد الله**/الخرطوم ـ السودان

٣ ـ **مامون سعيد صالح**/عمان ـ الاردن

٤ ـ **عبد الصمد عزيز بحر**/البصرة ـ العراق

٥ ـ **طيبو محمد**/وجدة ـ المغرب

٦ ـ **خضر علي يغمور**/الرياض ـ السعودية

٧ ـ **وارتوهي اوسيبيان**/حلب ـ سوريا

٨ ـ **حسين محمد شفيق جندية**/شبرا مصر ـ مصر

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الزراعة والرواسب الملحية



● تعانى احدى المناطق الزراعية فى كاليفورنيا من مشكلة المياه الملحية التى طال استعمالها فى رى المزروعات حتى تراكمت الاملاح وباتت تهدد بتحويل المنطقة الى صحراء قاحلة ٠

والمنطقة شاسعة واسعة لا تقل مساحتها عن ٨ر٥ مليون فدان ٠٠ انها وادى سان يواكين الذى يقع بين جبال سيرانيفادا شرقا وديابلو الى الغرب ٠٠ وقد اشتهرت هذه المنطقة بخصوبة تربتها التى سمحت بزراعة انواع مختلفة من النباتات نذكر منها القطن ، والبنجر ، والطماطم ، والعنب ٠٠ وضمنت لها دخلا سنويا بلغ مجموعه ٤٧٦٠ مليون دولار فى سنة ١٩٧٧ وحدها٠ هذا بالرغم من ان الامطار فى وادى سان يواكين شحيحة لا تجاوز ١٠ بوصات سنويا ٠٠ مما اضطر مزارعى تلك المنطقة الى استيراد ٦٠٪ مما تحتاج مزارعهم من مياه الرى من خارج المنطقة ٠ اما البقية البالغة ٤٠٪ فقد حصل عليها المزارعون من المياه الجوفية فى الوادى ٠٠

وشاءت الاقدار ان تكون تلك المياه التى احيت المنطقة واغنتها فى الماضى هى نفسها التى باتت تهددها بالفقر والدمار فى المستقبل القريب ٠٠ ذلك انها مياه مالحة وان الطبقات الطينية الموجودة فى باطن الارض لا تسمح بتسرب رواسبها الملحية الى احواض المياه الجوفية ٠ وهكذا تجمعت تلك الرواسب مع الايام وتراكمت حتى تصلبت واقتربت من سطح الارض ، بل اصبحت لا تبعد عنه سوى نحو خمسة اقدام ، وذلك فى مساحة لا تقل عن (٤٠٠ر٠٠٠) فدان ٠ هذا بالاضافة الى الرواسب الملحية التى خلفها تبخر المياه على وجه الارض فراحت الاملاح تغطى التربة الزراعية نفسها ٠٠ لا عجب اذن ان بلغت الخسائر التى تكبدتها المنطقة بسبب تلك الاملاح نحوا من ٣٢ مليون دولار سنويا ٠٠ وتتضاءل هذه الخسائر اذا ذكرنا ان استمرار الآفة دون علاج يهدد بتحويل تلك الحدائق الغناء الى صحار جرداء ٠٠



اما العلاج الناجع ، في رأي سلطات واشنطن المختصة ، وحسب الدراسة المستفيضة التي اجرتها تلك السلطات فلا يتعدى حسن التصرف بالمياه، بل حسن تصريفها . ويشير التقرير الذي وضعته تلك السلطات (١٤٠ صفحة) الى شبكة تصريف قائمة حاليا في المنطقة وتعرف باسم « سان لويس» ويبلغ طولها ٨٢ ميلا..

ففي الامكان انشاء شبكات تصريف اخرى جديدة تكون الشبكة القديمة بمثابة نواة لها . فمن شأن انابيب هذه الشبكات ان تنقل المياه المالحة الى مراكز تجميع ثم تجرها من هذه المراكز لتلقى بها فيما يعرف بخليج سويسون على بعد ٢٩٠ ميلا . وتضاعف مياه الري المستوردة في وادي سان يواكين لتصبح كلها عذبة .

طفل الانبوب الثاني أو الثالث ...

● ولد طفل الانبوب الثاني في بريطانيا في ١٤ فبراير الماضي .. وكان ذكرا وقد سموه : الاستير مونتغومري Alastair J.L. Montgomery

اما وزنه فزاد على ٢ر٥ كيلو جرام ، علما بانه ولد مبكرا، في نهاية شهر الحمل الثامن. غير ان الولادة كانت طبيعية ولم يكن ثمة حاجة لاجراء عملية قيصرية للام البالغة من العمر ٣٢ سنة .

ومما تجدر ملاحظته ان الدكتور المولد كان في هذه الحالة الدكتور ماكي هارت Dr. Mckay Hart ولم يكن الدكتور باتريك ستبتو الذي تولى ـ هو وزميله الدكتور ادواردز ـ أمر تمكين المسز مونتغومري من الحمل .

ذلك ان هذه السيدة التي تعمل مدرسة طهي لجأت الى الدكتور ستبتو بعد العملية التي اجريت لها واستئصلت فيها قنواتها الرحمية المسدودة.

ولم يكن صعبا على الدكتور ستبتو وزميله اخصاب احدى بويضات المسز مونتجومري في انابيب المختبر . ولكن محاولته الاولى لاعادة زرع تلك البويضة فشلت .. ونجحت محاولته الثانية التي أجراها في شهر مايو / ايار الماضي .. فكانت بداية الحمل الذي انتهى بولادة طفل الانبوب الثاني ، على نحو ما أسلفنا .

وتجدر الاشارة هنا الى طفلة الانبوب الهندية التي روت قصتها بعض صحف الهند (لا كلها) . وخلاصة هذه القصة ان المسز بلا (٣١ سنة)، وهي من اهالي كلكتا ، قد مضى على زواجها ١١ سنة دون ان تنجب اطفالا ، وذلك بسبب انسداد في انابيب فالوب .. لجأت الى الدكتور (بهاتاشاريا) سنة ١٩٧٤ .. فعمد هذا الى طريقة الاخصاب خارج الرحم وساعده في ذلك بعض مشاهير الاطباء المختصين. والغريب أن المشكلة التي عالجتها الاطباء الهنود اختلفت كثيرا عن المشكلة المعروفة في الغرب .. اذ كانت تلك المشكلة الابقاء على حياة البويضة طيلة ٥٣ يوما بعد أن انتزعوها من مبيض السيدة «بلا» ولم تكن في اعادة زرع تلك البويضة .. وتضيف المجلة التي اقتبسنا عنها هذا النبأ ، وهي الهند اليوم (India Today) في العدد الصادر ١٦/١٠/٧٨، أن الاطباء المعنيين اختاروا اعادة زرع البويضة اثناء فترة الحيض ... وذلك حرصا على توفير المناخ الطبيعي ، الكفيل بانزراع البويضة كما يقولون.

وتمت الولادة في ٣/١٠/٧٨ ولكن بعملية قيصرية أجراها للسيدة « بلا » الدكتور بهاتاشاريا Dr.Sarojkanti Bhattacharya الذي ذكرنا .. وتؤكد المجلة ان طفلة الانبوب الهندية واسمها (دورجو) هي الآن بصحة جيدة وقد بلغ وزنها عند الولادة ٣ر٣ كيلو جرام .

والجدير بالذكر ان قصة طفلة الانبوب الهندية اخذت الاوساط الطبية في الغرب والشرق على حين غرة .. اذ لم يسبقها اي خبر او تقرير عن الجهود او المشاكل التي بذلها او جابهها الاطباء الهنود طيلة سنوات تعاونهم في هذا الصدد ، وهي لا تقل عن ٤ سنوات، وذلك خلافا للتوقعات ولما كانت عليه الحال في بريطانيا . ■■

الموشحات والازجال في الفن الشعبي الجزائري

بقلم : صفوت كمال

لا شك أن أية محاولة علمية لتحقيق التواصل الثقافي في حياتنا المعاصرة ، لا بد لها أن تدرك بوعي عميق مكونات الثقافة العربية ، بما تتضمنه هذه الثقافة من تراث مدون ، وما تحتويه من ماثورات شفاهية ٠

فالماثورات الشعبية بطبيعتها، كتعبير عن فكر ووجدان المجتمع ، تتوسل بمختلف وسائل التعبير من فنون قولية أو غنائية أو موسيقية أو تشكيلية أو صناعات تطبيقية ، ذات قيمة جمالية ، لتعبر معا عن واقع الخبرة الثقافية للانسان ٠٠ تلك الخبرة التي يمارسها تلقائيا في حياته اليومية الجارية ٠

وثقافتنا العربية تتميز بالتواصل الحي بين ماهو موروث مدون وبين ما هو ماثور وشائع شفاهة في اطار متماسك من وحدة اللغة كوسيلة للتعبير المباشر عن المقولات الفكرية للمجتمع، وكذلك في وحدة مترابطة من العادات والتقاليد ، كتعبير عن التزام الانسان بمقولاته الفكرية خلال تجربة الحياة وممارستها ٠

وقد ظلت اللغة العربية على مر الحقب الزمانية تؤكد وحدة التعبير وحيويته في نفس الوقت ، كعامل اساسي من عوامل تاكيد الوحدة الثقافية للمجتمع العربي ، على امتداد المساحة الجغرافية للوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط٠٠ وفي لقاء حضاري منقطع النظير بين الانسان واخيه الانسان سواء في جبال اليمن او جبال اطلس ٠

وقد ظلت اللغة العربية محتفظة باصلها كجذع شجرة متعددة الاغصان ، مورقة دائما في حيوية واشراق دائمين ٠ سواء كان ذلك في اصالتها الفصيحة أم في تنوع لهجاتها المرتبطة أساسا باللغة الام الفصيحة أم في تنوع اشكال استخدام هذه اللغة وتبديل بعض صيغها اللغوية او اشتقاق بعض الالفاظ ، او تغيير طرق النطق الصوتي ، وتصحيف بعض الحروف او بعض الكلمات ، او ادخال تراكيب لفظية جديدة تتوافق مع متغيرات الحياة اليومية نفسها ٠ وقد ساعد كل ذلك على اثراء اللغة العربية وتعدد اغراضها الوظيفية في الحياة٠٠ كوسيلة تعبير واسلوب ادراك سواء كان في المدونات والوثائق ام خلال الاستخدام اليومي الشفاهي كوسيلة تخاطب يومي ٠

وظلت اساليب التعبير الادبي والفني الشفاهية محتفظة باشكالها الاساسية ، وطرزها وانماطها التقليدية ، تعبر عن صور الحياة التي يعتز بها الانسان العربي ، وعن المقولات الفكرية التي يلتزم بدلالاتها في اشكال وانماط سلوكه اليومي في اطار من عاداته وتقاليده ، وفي مختلف اشكال وانماط سلوكه ومظاهر احتفائه بالحياة ٠

كما أن التعدد والتنوع في مظاهر البيئة الطبيعة اوجد تعددا وتنوعا ثرا في عناصر الابداع الشعبي العربي ، هذه العناصر الابداعية ، كلها تلاقت في انماط متسقة وسمات متجانسة ، لتعبر في النهاية عن طراز خاص من طراز الابداع الثقافي الانساني ، ابداع ثقافي متميز ، يرتبط بواقع الحياة الاجتماعية العربية ، ويعبر تعبيرا مباشرا عن الاتجاهات الفكرية والذاتية للانسان العربي في تفسير وجوده ، وتشكيل حياته في وحدة ثقافية متميزة ٠

التواصل الثقافي الحي

وقد تميزت الثقافة العربية بين سائر الثقافات الانسانية، بالتواصل الحي بين ما هو موروث مدون



الايقاع الحركي في شاعريته يتناسق مع الايقاع الموسيقي في فنون الموشحات الموسيقية .

وبين ما هو مالور شفاهة ومتواتر . لتعبر بهذا التواصل بين ما كان وما هو كائن ـ عن وحدة ثقافية فريدة في الثقافة الانسانية بعامة ، نظرا للترابط الوثيق والتوافق التلقائي بين ما هو موروث عبر اجيال عديدة ومدون وثابت، وبين ما هو مالور منقول شفاهة من جيل الى جيل دون انفصام أو تضاد .

وفي السنوات القليلة الماضية ومع بدايات النصف الثاني من هذا القرن بالذات ، وبعد ان ملكت الشعوب العربية ارادتها حرة من قيود الاستعمار ، ظهرت محاولات علمية وفنية جادة للكشف عن واقع الذات العربية باصالتها الحضارية . والعمل على تحقيق قدراتها الابداعية في الانتاج الثقافي المعاصر من خلال ادراك ومعرفة ما حفل به التراث الثقافي العربي من اشكال الابداع الفكري والفني ، واساليب واسس هذا الابداع سواء أكان هذا التراث موروثا مدونا ومسجلا ، أم مالورا حيا يعيش في ذاكرة الناس ويتناقلونه شفاهة جيلا بعد جيل .. في حيوية واستمرار .

واتجه عدد من الباحثين الجادين والدارسين المخلصين في مختلف ارجاء الوطن العربي ، يواصلون السعي في الكشف عن القدرات الابداعية للشعب العربي ، في مختلف فروع المعرفة الانسانية من علوم وفنون ، واستقراء ما تضمنته المراجع والوثائق التاريخية من مواد ثقافية وفنية ، مع جمع وتسجيل ودراسة ما زال حيا معاشا في ذاكرة ابناء المجتمع العربي ، من مالورات ثقافية ،تكشف عن مكونات الخبرة الثقافية التي يمارسها الانسان العربي في حياته اليومية الجارية . لتكون هذه الخبرة الثقافية في تواصلها الحي مصدرا أساسيا ومباشرا من مصادر العمل على تحقيق الاصالة في النتاج الفكري المعاصر .

وقد ظلت هذه الجهود تتتابع في وعي واصرار ومثابرة ، لتحقيق المسئولية الثقافية بتجرد عن اى شبهة عنصرية أو نزعة اقليمية لتكشف عن مصادر أصيلة للابداع الثقافي المعاش .

وخلال السنوات العشر الماضية ابتعث هذه الجهود العلمية وبخاصة في الدراسات الادبية ،

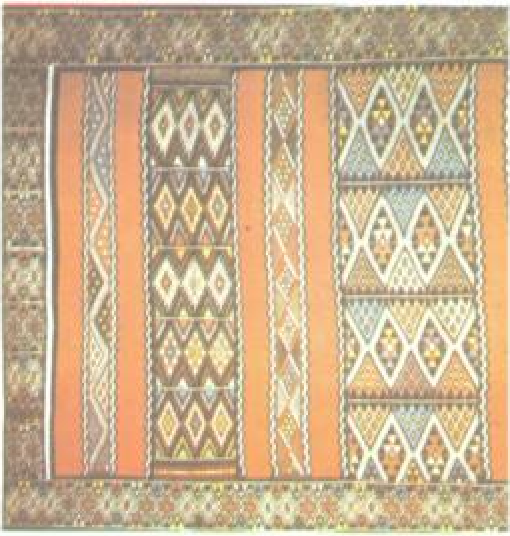
فصدر العديد من الدراسات الجادة والاكاديمية التي تكشف عن مكونات بنية الثقافة العربيـة ومقوماتها ، من تراث مثبوت مسجل ومأثور شائع ذائع بين الناس جميعا .

التراث الغنائي الجزائري

ومن الدراسات التي صدرت حديثا في الجزائر كتاب التراث الغنائي الجزائري ، الموشحات ، والازجال ، من جزءين وقد قام بجمع مادته الغزيرة الاستاذان / يلس جلول ، مدير المعهد الوطني للموسيقى ، والحفناوي امقران المستشار الثقافي للمعهد .

وقد قام الاستاذان جلول وأمقران بجهد علمي كبير في جمع وتدوين النصوص الادبية لهذه الفنون الغنائية من فنون الموشحات والزجل . وتصنيفها حسب انماطها الاساسية وتحديد أماكن ذيوع كل

تتناغم الوحدات الزخرفية الهندسية في صناعة الزرابي العربية مع ثراء الايقاعات الموسيقية في فنون الغناء الشعبي











الحلى الشعبية تعبير مباشر عن وحدة الثقافة العربية وقدرة الانسان العربى على ادراك الجمال الفنى وصياغته

نوع ومسميات الالحان والايقاعات التي تصاحب اداء كل نص والمتغيرات الموجودة في كل نص تبعا لتغير المكان الذي يردد فيه ٠

ويشتمل الجزء الاول على ٣٦٠ صفحة والجزء الثاني على ٣٣١ صفحة من القطع الكبير ٠ ويتضمن كل جزء مئات النصوص الشعرية من فنون الموشحات والزجل مما تمثل جزءا كبيرا من التراث الغنائي العربي في الجزائر ٠٠ وكلها مفهرسة فهرسة دقيقة ، ومبوبة حسب موضوعاتها، ومرتبة ايضا ترتيبا ابجديا ٠ ومصنفة حسب النوب ٠ والنوب مفردها نوبة ، وهي قالب موسيقي له قواعده الشكلية التي تتحكم في سير المقطوعات وطبوعها (مقاماتها) ٠

وهذه التسمية هي اصطلاح مجتمعي في المغرب العربي ، يدل على الفصول التي تتركب منها الادوار الغنائية ٠

وللنوبة أساسيات وقواعد تقوم عليها في تكوينها وتركيبها وهي ٠٠ : ـ

١ ـ وحدة الطبع (المقام الموسيقي) ٠
٢ ـ اختلاف أو تنوع الايقاعات ٠
٣ ـ تنوع في الحركة الموسيقية ٠

النوبة في الغناء الجزائري

وقد تضمنت الدراسة التي قدم بها الباحثان الجليلان كتابهما ، شرحا لمعنى النوبةوتاريخا لها، فقد بدأ استعمال كلمة النوبة في عهد الخليفة العباسي الثالث ، المهدي بن أبي جعفر المنصور ، الذي اهتم بكل النواحي الحضارية والثقافية ،وما تستلزمه من الوان الادب والفنون ، وافرد لكل ناحية يوما يشرف هو بنفسه فيه على المسابقات والمساجلات : فيقال هذا يوم أو (نوبة) الشعر ، أو الغناء ، أو الرماية ، أو السباق ٠٠٠ الخ ٠

ولما آلت الخلافة الى ابنه هارون الرشيد ،صنف طبقات الموسيقيين والمغنين ٠ فجعل نوابغ الفن في طبقة ممتازة ، وطبقة ثانية منهم ، وطبقة ثالثة من أصحاب المعارف ، ومن يجمع بين الغناء والنادرة، والجوارى الضاربات بالعيدان ٠

وكان لكل مغن فرصة يعرض خلالها ما عنده ، وينشد الصوت الذى أعده على عزفه أو عزف غيره٠ وهكذا تتوالى نوب وفرص المغنين ٠

وقد أوضح الباحثان كذلك تركيب النوب وقواعدها٠كما اثارا قضية هامة من قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، وهي الاهمال الذي عانت منه المأثورات الشعبية العربية ٠ حيث أن الدارسين اهتموا بالتراث المدون وغفلوا عن التراث الشفاهي الذي يشكل جانبا هاما واساسيا من الثقافة العربية (فالسلطة العلمية أو الاكاديمية جعلت من الادب الكلاسيكي فنا له اهميته، يحافظون عليه ويسجلونه بمعايير علمية وقوانين اكاديمية ، بحيث يضعفون الاواصر المتينة التي تربط بين النوعين المدرسي والشعبي ٠ وفي الوقت الذي يمكن أن يتم التزاوج بينهما لولا الاعتماد على القيم الادبية والكلاسيكية والفنيات الخاصة التي تتطابق والافكار العلمية والتي تمنع هذا التزاوج بين أدبين أو شعرين أو فنين من طينة واحدة ٠

والسلطة العلمية أيضا هي التي تحدد المصطلحات الكتابية في التاليف والتعابير اللغوية ٠ (ج ١ ص ١٢ ، ١٣) ٠

والواقع اننا نتفق مع الاستاذين جلول وامقران في هذا الرأي ٠ فالدراسات الاكاديمية التي اهتمت بالموروثات الشعبية العربية ، والتي انتهت الى وحدة الثقافة العربية في تكاملها من تراث مدون ومأثورات شفاهية ، ما زالت هذه الدراسات محدودة ، بل تواجه صعوبات شتى داخل الجامعات العربية ٠ وان كانت جامعة القاهرة ـ كلية الاداب ، وقسم اللغة العربية بخاصة ـ قد أرست قواعد الحركة العلمية للمأثورات الشعبية منذ بدايات النصف الثاني من القرن الحالي ٠

وتعبر الدراسة العلمية التي قدم بها الباحثان الجزء الاول والجزء الثاني ـ رغم ايجازها ـ عن تكامل الجهود العلمية ، في مختلف أرجاء الوطن العربي ، في دراسة قطاع هام من قطاعات ثقافتنا العربية ، وهو الموشحات والازجال ٠٠ فالموشحات والازجال تجمع في طبيعة تكوينها بين التراث والمأثور ٠٠ وبين الشعر الفصيح والشعر العامي والملحون ٠ كما ان موسيقى هذه الفنون ، تخضع لتقاليد موروثة (كلاسيكية) مع حيوية في الاداء مما يجعلها ايضا تندرج في اطار المأثورات الشعبية٠

فالموشحات والازجال أوجدت لنفسها بامكانياتها الشعرية الفنية واساليبها الخاصة ما مكنها في الاندلس العربية الاسلامية وغيرها ٠٠ وأصبحت فنون الموشحات الاندلسية طابعا متميزا في التراث

الغنائى المغربى بعامة ، فى المملكة المغربية والجزائر وتونس وليبيا ، وتتلاقى فى طراز فنى خاص مع الموشحات والازجال فى المشرق العربى •• وتتالف مع فنون الغناء فى الوطن العربى الكبير •

ولقد حظيت فنون الموشحات والازجال بعدد من الدراسات العلمية الادبية والاكاديمية فى محاولات جادة وجهود علمية متتابعة للكشف عن مقومات هذه الفنون فى الثقافة العربية • فالدكتور عبد العزيز الاهوانى قد أولى فنون الزجل والموشحات عناية علمية خاصة • (١) وكذلك الدكتور مصطفى عوض الكريم الاستاذ بجامعة الخرطوم فى دراسته الاكاديمية عن « فن التوشيح » ١٩٥٩ والاستاذ الصادق الرزقى فى دراسته عن « الاغانى التونسية » (١٩٦٧) والدكتور عباس عبدالله الجرارى عن دراسته الاكاديمية «الزجل فى المغرب» القصيدة » (١٩٧٠) • وكذلك الدراسة التى اصدرها الدكتور رضا محسن حمود القريشى عن الفنون الشعرية غير المعربة ، باجزائها الثلاثة ، وخصص الجزء الثانى منها عن « الزجل فى المشرق » • (٢)

وهذه الدراسات بما تتضمنه من قوائم بأسماء الكتب والمراجع ، تكشف عن ما تزخر به المكتبة العربية من مادة علمية ، نامل أن تكون موضع دراسة مقارنة لفنون الموشحات والازجال فى الوطن العربى الكبير مرتبطة بفنون الغناء العربى بعامة ، وبخاصة ان فنون الموشح اليمنى بدات بعض الارهاصات العلمية تعطى دلالات على أن الموشح الاندلسى كان موطنه اليمن ، ثم هاجر مع غيره من أشكال التعبيرات الادبية والفنية وعناصر الثقافة العربية الى الاندلس ، (انظر احمد حسين شرف الدين ، الطرائف المختارة من شعر الخفنجى والقارة) (١٩٧٠) • كما أن فنون الصوت الشائعة فى الخليج والجزيرة تحتاج الى دراسة مقارنة تاريخية وتحليلية مع غيرها من فنون الغناء العربى ••

وفنون الموشحات والزجل ، ما زالت الى حد كبير تدرس كنمط مستقل فى فنون الموسيقى والشعر دون تحليل روابطه مع غيره من فنون الغناء العربى على صعيد الوطن العربى ككل •

وقد يكون سبب ذلك ان البحث حول اصول هذا الفن الغنائى لم يتحدد بعد بشكل علمى اكيد فيرى بعض الباحثين أن أصله اسبانى ينبع من الحياة الاجتماعية والثقافية والسلوكية للمجتمع الاسبانى • او انه نتيجة التزاوج الذى تم بين العرب والاسبانيين •

تاريخ الموشحات والزجل

فقد ظهر فن الموشح بصفة عامة فى الاندلس خلال القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد ، واول مخترع للموشحات هو مقدم بن معافر من شعراء الدولة المروانية • والموشحات هى المحاولة الكبرى التى لم تسبق ولم تلحق ـ كما يقول الاستاذان الباحثان ـ فى الخروج على الاوزان التقليدية • وقد عرف ابن سناء الملك (٥٥٠ ـ ٦٠٨هـ ، ١١٥٥ ـ ١٢١١م) الموشح « بانه كلام منظوم على وزن مخصوص » • وعرفه محمد شنب الجزائرى بانه « قصيدة نظمت من اجل الغناء » •

ويرى غيرهما أن الموشح فن قائم بذاته ، واسم هذا اللون من النظم اشتق من الوشاح (بكسر الواو وضمها) ، والاشاح (بكسر الهمزة) • لان أغصانه وخرجاته كالوشاح ، والوشاح أو الاشاح هو ترسان اللؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما ، معطوف احدهما على الاخر ، تتوشح المراة به •

ويتركب الموشح من جزءين أساسيين : ـ

١ ـ المطلع ، القفل ، الخرجة •

٢ ـ البيت •

---

١ ـ انظر دراسته عن الزجل الاندلسى ، القاهرة ١٩٥٧ •

٢ ـ انظر الفنون الشعرية غير المعربة ، جـ ١ ، المواليا ، بغداد ١٩٧٦ •

جـ٢ ، الزجل فى المشرق ، بغداد فبراير ١٩٧٧ م •

جـ ٣ ، الكان وكان والقوما ، بغداد ، يوليو ١٩٧٧ م •

وكذلك تحقيقه لكتاب : تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى (١٣٧٤ ـ ١٤٣٣ م) ، « بلوغ الامل فى فن الزجل » ، دمشق (١٩٧٤) •

وقد لاحظ ابن سناء الملك ان الموشحات تنقسم الى قسمين : ـ

١ ـ ما جاء على اوزان اشعار العرب .

٢ ـ ما خرج على اوزان العرب .

كما ان فن الزجل تباينت آراء المؤرخين القدامى والمحدثين في تحديد نشاته ، وفيمن هو اول من نظم فيه . الا ان الشيء المجمع عليه هو ان ابن قزمان (٥٥٤هـ) قد اتمه وابدع فيه ، وهو امام الزجالين « فهو نسيج وحده ادبا وظرفا ولوذعية وشهرة ـ كما انه آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدىء فيها والمتمم » ، حتى ان بعضا من المؤرخين نسبوا الزجل اليه كما انهم اجمعوا ايضا على ان الزجل فن اندلسي النشاة .

الموشحات في الجزائر

والكتاب الذى بين ايدينا يقدم مئات النصوص من الموشحات الجزائرية ويكشف بمادته المولفة عن الدور الذى قامت به فنون الموشحات مع غيرها من فنون الغناء العربي فى الجزائر من الحفاظ على جوانية الثقافة العربية فى الجزائر ازاء الضغوط الاستعمارية التى واجهها الانسان العربى فى الجزائر .

فقد ظلت النوب بنصوصها الشعرية الغنائية العربية ـ فصيحة او ملحونة ـ تؤدى فى مختلف المناسبات الاجتماعية « فمثلا هناك نوب تؤدى امام الاضرحة والمساجد عندما يتزوج احد ابناء المنطقة وبخاصة فى تلمسان فيعتلى صهوة جواد بلباس تقليدى (على الاقل برنوس) ويطوف مع المحتفلين به شوارع المدينة بمصاحبة فرقة موسيقية وعند مرورهم على ضريح او مسجد به ضريح لانسان تقى زاهد ورع ، تقف الجموع ويتوجه الزوج بوجهه نحو الضريح ، وعندها تعزف الفرقة الموسيقية مقطوعات ، وهكذا وقد تطول الوقفات وتسمى نوبة سيدى فلان باسمها التقليدى القديم ، وتسمى نوبة التبرك ، وهناك نوبة اخرى تسمى نوبة التهنئة تؤدى فى صبيحة اليوم الثانى للفرح او العرس » .

هذه العادات في الاحتفال بالعريس نجدها شائعة بنفس الشكل مع بعض التغيير في اسلوب



فنون التطريز على الثياب تعبير عن الخبرة الثقافية العريقة فى الابداع الشعبى العربى .



سوار من جبال عمور يتماثل مع اساور «المويصات» في الخليج العربي

الاداء في مختلف ارجاء الوطن العربي •

كما ان « المقطوعات التي تؤدى في هذه النوب تتصل اتصالا مباشرا بالمناسبة والمكان • ومن هذا الارتباط يمكن ان نقر بان هناك نوبا دينية موضوع مقطوعاتها ابتهالات واذكار (القصائد في الجزائر) كما ان هناك نوبا (شعبية) تؤدى بمصاحبة الطبلة والرزنة وبمقاطع صوتية ، وما تزال عند بعض شيوخ هذا اللون من التراث الفني الجزائري تتبع فيها نفس القواعد التي تتبع في النوبة من التراث الفني الذي يسمى بالاندلسي » ج (١ ، ص ٣٩)•

ثراء الايقاع الزخرفي الهندسي من اهم مميزات فنون النسيج العربي الاسلامي



« الى جانب هذا نجد ايضا المدائح التي تشكل الجانب الاكبر والتي ما يزال الكثير منها يغنى على طبوع الموسيقى الكلاسيكية والتي تسمى (القصائد) ٠

ولم يجد الباحثان تفسيرا لوجود هذه المدائح « القصائد » الا تفسيرا واحدا هو ان اولئك الذين نظموها على طريقة الموشحات هم العلماء والمشايخ الذين تشبعوا من العلوم الدينية والاسلامية ومنها القراءات ٠ (جـ (٢) ، ص ١١) ٠

الموشحات والثقافة العربية في الجزائر

والواقع ان هذا الجهد الكبير والدقيق في جمع وتصنيف واعداد ونشر هذه المجموعة القيمة من الموشحات والازجال في الجزائر يكشف عن الدور الهام الذي قامت به الموشحات كشكل من اشكال الغناء العربي في تاكيد عروبة الوجدان الجزائري الاصيل ٠ سواء فيما كان يردد داخل البيوت او في الساحات او خلال الاحتفالات العائلية او ما ينشده المتصوفة من اشعار غنائية دينية وقصائد ومدائح تتغنى بامجاد العروبة والاسلام وتصور بصيغها الادبية المختلفة أحداث البطولة وقصص ابطال السير العربية ٠

والموشحات وان تميزت بطابع خاص في مجالات ادائها ومناسبات هذا الاداء وموضوعاتها ووظيفتها كشكل من اشكال الطرب والرفاهية الفنية ، الا انها بنصوصها الشعرية العربية والمعربة تعبر عن جوانب هامة من بنية الثقافة العربية فكرا وذوقا ولغة ٠

وقد اتبع الباحثان نفس المنهاج في كتابهما عن « المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون » الذي صدر ايضا عام ١٩٧٥ ويتضمن عشرات القصائد من الشعر العامي الذي ردده المداحون الجوالون (القوالون) في المدن والقرى وأماكن التجمعات ليسمع المتحلقون حوله ، تلك القصائد التي تحكي البطولة والشجاعة ، او تلك القصائد التي تطفح حبا وعطفا ، وغيرها من القصائد التي يحفظها المداح ، والتي يلف بها (المداح) الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ٠٠ (ص ١١) وهذا الكتاب عن المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون الذي صدر ضمن سلسلة دراسات التراث الشعبي ٠٠ مع كتاب ، « ابو مدين شعيب » ، « الجواهر الحسان في نظم اولياء تلمسان » الذي حققه وقدم له وعلق عليه الاستاذ عبد العميد حاجيات الاستاذ في كلية الآداب ـ جامعة الجزائر (١٩٧٤) يكشف

التفاؤل ٠٠ والتشاؤم !

- المتفائل هو الرجل الذى يرى ضوءا لاوجود له ، والمتشائم هو الغبي الذى يحاول ان يطفىء هذا الضوء !
- المتفائل يرى الضوء الاخضر ، والمتشائم ينظر الى نفس هذا الضوء ، ولكنه يراه دائما أحمر ٠٠ اما الفيلسوف فهو مصاب بعمى الالوان !
- كيف يمكن ان نتطلع الى مستقبل وردى ، ونحن نسرح بافكارنا ونغوص بها فى احزان الماضى ؟
- الفرق بين المتفائل والمتشائم ، هو الفرق بين الرجل الذى يراك تقع فى حفرة فيمد اليك يده ويساعدك على الخروج منها ، وبين الرجل الذى لا يكاد يراك تسقط فى الحفرة فيسارع بدوره الى القاء نفسه فيها معك !



جزائرية بملابس القرن الثامن عشر

لنا مع غيره من الدراسات في التراث الجزائري عن باطن هذه الثقافة واصالتها العربية والاسلامية .. وعن الدور الذي لعبه الشعر الفصيح والعامي .. وفنون الغناء ـ التقليدية والشعبية في التعبير عن

● الفن الشعبي في الجزائر

الانسان العربي في الجزائر فكرا وحسا وذوقا .. ... وعن الدور الذي لعبته المأثورات الشعبية في مقاومة كافة الضغوط الاستعمارية التي جابهها ابناء الجزائر .

فالمواد التي تجمع وتسجل من رواتها وحفظتها واهل صناعتها تتكامل مع الوثائق التاريخية في الكشف عن حيوية وصلابة الثقافة العربية . سواء تمثل ذلك في حيوية اساليب التعبير الادبي او تناقل الخبرة الثقافية من جيل الى جيل من خلال المأثورات الشعبية ، ادبا وفنونا تطبيقية وتعبيرية في اطار من وحدة العادات والتقاليد .

هذه الدراسات الجادة عن التراث الشعبي الثقافي العربي تقدم للاجيال القادمة رؤية واعية عن واقع الخبرة الثقافية للانسان العربي، وقدراته الابداعية في اثراء الثقافة الانسانية بعامة ... باعتبار ان التراث الثقافي موروثا ومأثورا ـ هو مصدر من مصادر الابداع الثقافي الجديد ... يعطي للحديث اصالة كما يقدم الحديث للقديم بهاء ، في تواصل حي يجمع بين الاصالة والمعاصرة . ■■

الكويت ـ صفوت كمال

■ ليس هناك اى خطر على عينيك اذا مضيت تركز على الجانب المضيء وحده في كل شيء يمر امامك . ثق ان قوة الابصار عندك سوف تزداد قوة !

الاخطاء !

■ الوسيلة الوحيدة لتجنب الوقوع في الاخطاء ، هي ان يكتسب المرء خبرة ، وأسهل وسيلة لاكتساب هذه الخبرة أن يرتكب بعض الاخطاء .

■ بالامس شاهدت رجلا لم يرتكب خطأ واحدا منذ اكثر من أربعة الاف عام .. لقد كان مومياء في متحف للاثار القديمة .

■ لقد ارتكبت اخطاء كثيرة في حياتي ، ولكنني لم ارتكب خطأ واحدا محددا .. خطأ أن أقول انني لم اقع في خطأ .

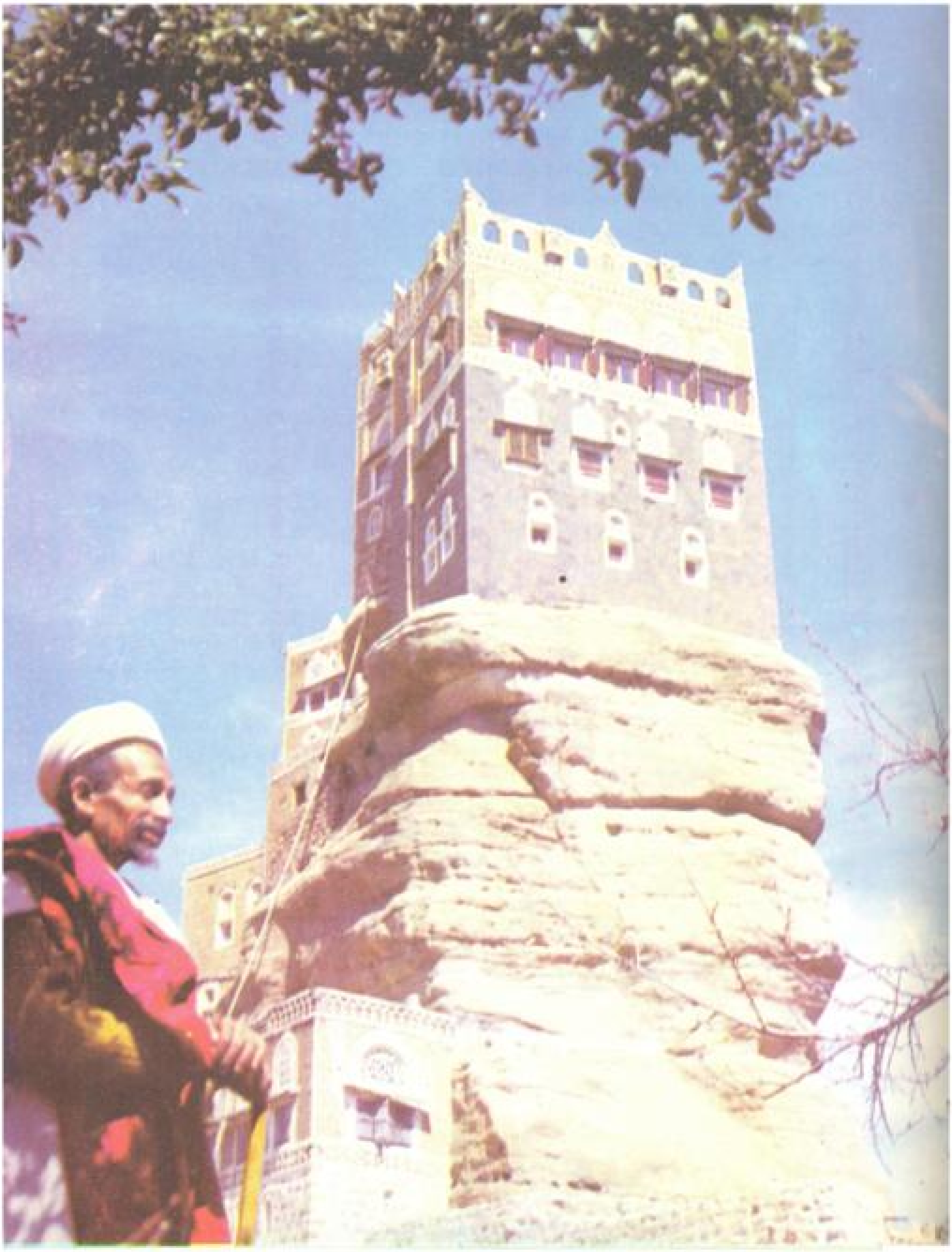
■ اكبر خطأ نقع فيه هو ان يستبد بنا خوف دائم من الوقوع في الخطأ .

العمارة اليمنية تتحدى

استطلاع : فهمي هويدي

تصوير : اوسكار متري





الصورتان تعكسان بصيغتين مختلفتين مدى الابداع في العمارة اليمنية • الاولى ، الى اليمين بعض النقوش التى تعلو مدخل احد المنازل ، وبينهـا كتابات محفورة على الجدار تقول : بسم اللـه الرحمن الرحيم • ما اريد الا الاصلاح ما استطعت، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب • ثم تقول في جانب منها : ما شاء الله كان ومالم يشا لم يكن • والصورة الثانية (فوق) قصر الحجر قرب العاصمة صنعاء ، وهو احد قصور الائمة السابقين • وقد تربع فوق صخرة عالية في تكون معماري مدهش • لاحظ الانسجام بين شكل الصخرة وشكل المبنى •

هذا بلد منقوش على الحجر !

بايديهم ـ فى اليمن ـ نحتوا كل شيء ، الجبل والسفح وواجهة البيت ، بل وابوابه ونوافذه ومغاليقه . لم يتركوا شيئا بغير نقش ، حتى الاساور والخناجر والاحزمة والمكاحل !

وحيثما ذهبت فى اليمن تتراءى لك النقوش ، باهزة واخاذة ، حتى تبدو لك القرى اليمنية المتناثرة فوق قمم الجبال الشاهقة ، كما لو كانت شريطا يعرض مجموعات من اعمال النحاتين العظام .

يدهشك مثلا ، كيف حمل اليمنى بجسده النحيل وسيقانه الرفيعة كتل الحجر الى ارتفاع ثلاثة الاف متر فوق سطح الارض ، لا ليبنى قصرا او معبدا ، ولكن لينشيء قرية باكملها ، بل عديدا من القرى . ولا يكتفى بذلك ، بل يعمد الى تزيين واجهات بيوت تلك القرى بالاحزمة والحجارة الملونة ، وعقود الزجاج المعشق !

وناخذ العقل ـ كما يقول اهل الشام ـ قرى اخرى فى الوديان ، ـ زبيد مثلا ـ وقد لجا الفنان اليمنى الى « تطريز » واجهاتها بنقوش لا يخلو منها شبر واحد . ولا مبالغة فى استخدام كلمة « تطريز » هنا ، لان كثافة النقوش ، والجهد المبذول فيها ، والصبر الهائل على انجازها ، والتفنن فى تصميم اشكالها ، بحيث يبدو كل منها مختلفا تماما عن الاخر ، هذا الابداع المكتمل العناصر ، لا يسمح لاى منصف بان يصف العمل باقل من انه « تطريز » . حتى ولو انصرفت الكلمة فى الاساس الى الثياب والمفارش والملاءات !

ثم ماذا تقول فى صنعاء ؟ ، وقد كست النقوش مبنى من سبعة طوابق ، من عتبة الباب عند المدخل الارضى ، حتى سور السطوح حول « المفرج » ؟ .. وبين الطابق والطابق حزام بنقش مختلف ، وفوق كل نافذة عقد برسم مختلف ، وعلى كل جدار تكوين بخطوط مختلفة ! ... ثم تتبين ان هذه ليست بدعة او « صرعة » ، ولكنها نمط وطراز مدينة كاملة . وتدهشك بقية الصورة فى الكتب ، اذ يروى ابن بطوطة الذى زار المدينة قبل ٦٠٠ سنة ، انها مفروشة كلها بالبلاط ، وان الامطار كانت تغسلها كلما هطلت !

وليس فى هذا كله اكتشاف ولا مفاجاة ، رغم ان اجيالا عربية باكملها لا تعرف عن اليمن الا وجهها التعس ، التخلف والفقر والجهل ، والحرب والامامة والقات ! . وبغير عد اولئك الذين ذهبوا الى اليمن ، لكن اكثرهم لم ير فيها الا قسمات ذلك الوجه التعس . ربما لانهم شغلوا برصد الهموم عن اى شيء آخر ، وربما لان عقدة الشعور بالنقص عندنا تحجب عنا دائما رؤية النصف الملآن من الكوب بحيث لا نرى فيه الا نصفه الفارغ . ولا نرى فى حياتنا الا وجهها الكئيب ، ولا نلمح فى تاريخنا الا صفحاته الجدباء !

حتى على مستوى البحث العلمي ، فانه منذ تنبه الباحثون الى اهمية الحضارة اليمنية ، وبداوا يلهثون وراء اكتشاف اسرارها فى منتصف القرن الثامن عشر . فان الباحثين العرب الذين شاركوا فى هذا الجهد لا يتجاوز عددهم اصابع اليدين * . وبقية القافلة كلها من « اعاجم » اوروبا وامريكا !

وخلال محاولاتنا « التنقيب » عن اى مطبوع يتحدث عن العمارة اليمنية ، لم نعثر الا على كتاب واحد ، اعده اثنان من الايطاليين ـ مهندس ومصور ـ كانا يعملان بادارة الآثار فى صنعاء ، واستطاعا ان يستخدما امكانيات الادارة ، فضلا عن موهبة المصور اينيو فيكاريو ومعرفة المهندس باولو كوستا ، وقدما الكتاب بعنوان « اليمن بلاد البنائين » .

وكانت نتيجة هذا الخليط من الجهل والتجاهل ، ان ظل اليمنيون وحدهم يجترون صفحات الماضى ، وشعراؤهم وحدهم يتغنون بالمجد القديم . وهي مصادفة لا تخلو من دلالة ، ان كان اهم مرجع عن حضارة اليمن كتبه

---

* اول بعثة عربية سافرت الى اليمن ، اوفدتها جامعة فؤاد الاول المصرية (القاهرة الآن) عام ١٩٣٦ ، وكان من بين اعضائها العالمان العربيان الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى نامي .

احد العلماء اليمنيين في القرن العاشر الميلادي ، هو ابو محمد الحسن بن احمد الهمداني ، الذى قدم موسوعته الشهيرة « الاكليل » ، في عشرة اجزاء .

بلد بلا زيف

واذا كانت النقوش علامة ترف في بلاد كثيرة ، فانها في اليمن ، ومنذ عرف التاريخ المكتوب ، لغة تعبير يستخدمها الجميع . والواح « المسند » ـ النقوش اليمنية القديمة التى ترجع الى اوائل القرن التاسع قبل الميلاد * ـ شاهد على ذلك . فرموز ابجدية المسند (عددها ٢٩) تعتمد اسلوب التكوينات التجريدية ، التي تعبر عن اصوات الحروف العربية الحديثة . بينما الهيروغليفية (المصرية القديمة) تستخدم الى جانب التجريد وسائل اخرى للتعبير مثل صور الكائنات ، الطيور او الحيوانات .

ويربط بعض الباحثين بين شكل ابجدية المسند وبين العمارة اليمنية . وفى هذا الصدد يقول اسرائيل ولفنستون في كتابه « تاريخ اللغات السامية » ان « الحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تتجه نحو الاعمدة في عمارة القصور والمعابد والاسوار والسدود وابواب المدن . ومن اجل ذلك فان لديهم ميلا شديدا لايجاد حروف على هيئة الاعمدة » .

ورغم ان اللغة تطورت ، واخذت الحروف صياغات واشكالا مغايرة ، فان النقوش ظلت محفورة في اعماق اليمنى ، « يسقطها » احيانا على واجهة منزل ، واحيانا على سفح جبل ، ودائما في ثيابه وكل ادوات زينته .

وسترى ان النقوش لا تؤدى دورا جماليا فقط ـ على اهمية هذا العنصر ـ وانما كثيرا ما تؤدى « وظيفة » في الوقت ذاته . وفى الحالتين ـ لانها لغة الجميع ـ فان طراز العمارة اليمنية لم يختلف في القرى عنه في المدن . بل لم يختلف منذ قرون سحيقة عنه الآن !

وربما لهذا السبب ، فانك في اليمن ـ ومعذرة لعدم التفرقة بين الشمال والجنوب ، لان المعنى هو اليمن بشطريه ، ورغم ان زيارتنا كانت للشمال ـ تشعر بانك وسط بلد لم تمتد اليه يد التزييف . بلد له جذور ضاربة في اعماق التربة واعماق التاريخ ، وتفوح من شوارعه رائحة الاصالة والعراقة .

وهو على العكس من بلاد اخرى في عالمنا العربي، تشعرك بانك تتعامل مع واقع لا يمت الى الحقيقة بصلة . لا توقف امامه التاريخ ، وبالكاد اقحم على الجغرافيا ! واقع يرتدى اكثر من قناع . فالمدن وهمية والبشر ممثلون ، والجميع يؤدون ادوارا مرسومة في فيلم سينمائي يجرى تصويره . وينتابك احساس بأن هذه الاقنعة سوف تختفى بعد فترة تطول او تقصر ، لترى مكانا غير المكان ووجوها غير الوجوه ، وازياء مختلفة تماما ، وربما قصة مختلفة ايضا !

وغير تلك المدن الوهمية في عالمنا العربي ، فثمة مدن اخرى يتنازعك فيها الوهم والحقيقة . او قل هي مصابة بمرض ازدواج الشخصية ، الذى نعانى منه جميعا بدرجات متفاوتة . فمقابل الوجه الاصيل عشرة اوجه اخرى مزيفة . بل ربما بدا هذا التخبط في البناء الواحد ، الذى لا تعرف بالضبط اشرقى هو ام غربى ، ام مزج بين هذا وذاك ، ام مسخ لهذا وذاك !

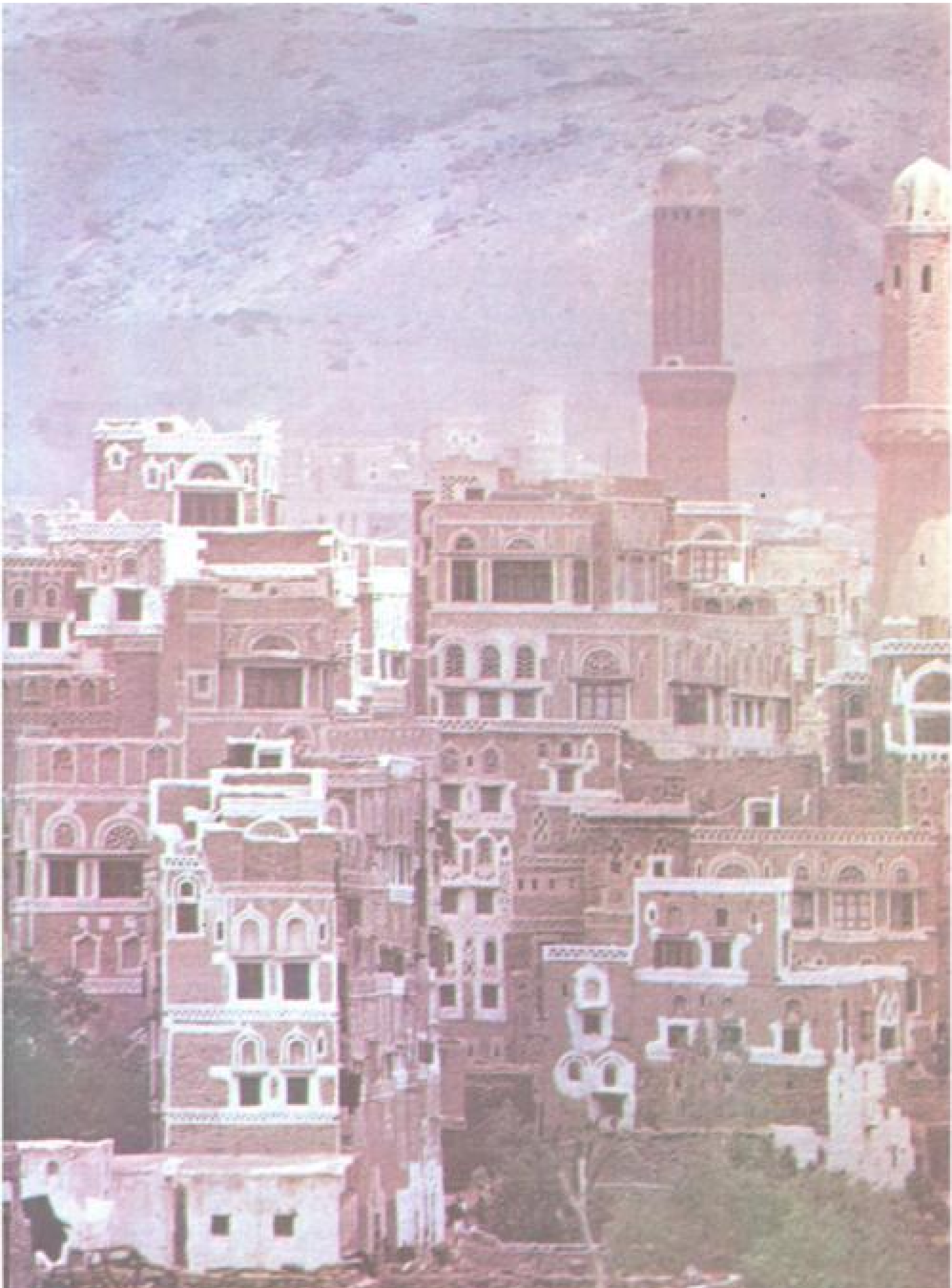
وهي مشكلة ـ لم تحل ـ تتجاوز الحجر الى البشر ، وتطرح قضية أهم واخطر ، هي قضية الشخصية العربية المستقلة ، وكيف نبقى على اصالتها امام موجات التحديث المطلوبة والتغريب المرفوضة . حتى لا نلقى مصير الغراب ، الذى فشل في تقليد الطاووس ، وفشل في ان يعود الى طبيعته ، فجرى له ما جرى.او مصير بلد كتركيا، الذى انتزعه كمال اتاتورك من الشرق قبل نصف قرن ، والبسه ثيابا غربية وهمية ، فانتقل من صدارة الشرق الى مؤخرة الغرب ، كما قيل بحق ، فلا بقى شرقيا ، ولا صار غربيا !

وهكذا ، فان العمارة في اى بلد تكاد تعكس واقعه بامانة شديدة ، هى مرآة الشخصية العامة ، السوية او المريضة ، الاصيلة او المزيفة، القوية او الهشة والهزيلة .

وكثيرون هم الذين تحدثوا عن الالتصاق بين العمارة والبيئة ، الطبيعية والاجتماعية . اذ ان عمارة البيئة الحارة او الصحراوية ، تختلف بالضرورة عن عمارة البيئة الباردة او الزراعية .

---

* نشر خطأ في العدد السابق أن النقوش ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ـ ص ١٠٨ .



صنعاء القديمة عن بعد ، وبنايات المدينة مكسوة كلها بالنقوش المرسومة والمحفورة بلونين التين المعماري ، الذي لا يمكن ان يتصور احد انه وليد التلقائية ، وان يد مهندس لم تمتد اليه
ورغم ان البنايات تبدو متراصة ومتلاصقة عن بعد ، الا ان الشوارع او الحارات تخترق المدينة



فقط ، الاول لون الحجر ، والثاني هو اللون الابيض • واللوحة تبرز الى حد كبير مدى الجمال على الاطلاق • ذلك ان المقاول اليمني هو الذي يقوم بكل شيء : التصميم والانشاء والنقوش • بصورة منظمة للغاية ، بحيث يكون في كل حارة مسجد وبستان •

وبنفس القدر فانهم يربطون بين العمارة والعادات والتقاليد ، فيذهب البعض ـ مثلا ـ الى ان هناك علاقة بين الشرفات والسفور ، وبين المشربية والبرقع (الخمار المثقوب الذى يغطى الوجه) ، وبين النوافذ الصغيرة (الطاقات) والحجاب .. وهكذا . وهم يستندون فى ذلك الى منهج يرى ان نجاح العمارة يقاس بمدى استجابتها لاحتياجات الفرد ، الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

اغنى العرب

يقودنا ذلك الى تقرير حقيقة اخرى ، هي ان العمارة العظيمة لا يمكن الا ان تكون نتاج حضارة عظيمة . وهي بالضبط كذلك فى اليمن . ذلك انه اذا كان للحضارة شكل ومضمون ، فالمؤكد ان العمارة هي احد عناصر الشكل .

فالموقع الجغرافي لليمن ، اتاح لها فى الزمن القديم احتكار الوساطة التجارية بين امم الشرق، الهند والشرق الاقصى من ناحية ، وبين شمال الجزيرة العربية ومصر وبقية الدول المحيطة بالبحر الابيض من ناحية اخرى * . حتى صار اليمنيون « وكلاء كل ما يدخل تحت صفة النقل التجارى بين آسيا والغرب » ، كما سجل مؤرخ القرن الثالث قبل الميلاد ، اجاترخيدس . وظلوا على هذه الحال طوال ١٣ قرنا ، حتى قدر المؤرخون ان العصر الذى شغلته حضارة اليمن يشمل عهود : بابل وآشور والفرس واليونان والرومان .

ويقدم لنا مؤرخ هو البريبلوس (القرن الثالث للميلاد) صورة لميناء « المخا » اليمني وقتئذ او « موزا » كما كانوا يسمونه ، فيقول : « ان المكان كله يعج باصحاب السفن العرب والبحارة و (التجار) ، الذين لهم صلات تجارية مع ساحل الجانب القصى (الصومال) وباريجازا (فى الهند) ويبعثون اليها بسفنهم .

وتتوالى الكتابات التى تصف ثراء هذه المناطق. فهذا « استرابو » يقول : انهم اغنى العرب ، يقتنون الرياش الفاخر ، ويتمتعون بكل اسباب الرخاء والترف (*) . ويكثرون من آنية الذهب والفضة والفراش الثمينة . ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة . ويصف ارضهم بانها اخصب ارض العرب ، وانها تنتج المر واللبان والقرفة .

وهذا اجاترخيدس يقول انهم اغنى أهل الارض ، وسبب غناهم اتجارهم بغلال بلاد العرب والهند . فيحملونها على القوافل الى الغرب او بحرا الى بابل. ولهم سفن ضخمة تسير فى المحيط الهندى ومراكب تسير في الانهر ، يصلون بها الى بابل ، وقد يصعدون فى دجلة الى مدينة « اوبيس » ، ومنها تنتقل البضائع الهندية والعربية ، وتنتشر في بلاد مارى وارمينيا وما جاورها . ويضيف المؤرخ اليوناني هيرودوت « ان بلاد العرب كلها كانت تفوح بالعطر والطيوب ، لانها البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والاقاصيا واللادن » .

وقد كان هذا الثراء والرواج ، هو الذى اغرى الرومان بمحاولة غزو اليمن فى العام الخامس والعشرين قبل الميلاد ، لكن الحملة لم تنجح ، وعاد قائدها يوليوس جالوس الى بلاده وهو لا يزال يحلم بكنوز بلاد اليمن ، التى روى عنها الكثير للمؤرخ بلينوس ، وسجلها هذا فى كتاباته .

كما كان هذا الثراء والرواج فى العصر القديم هو المصدر الحقيقي لكل اوصاف « السعادة » التي ارتبطت باليمن . فقال عنها الرومان « اربيا فيلكس » اى العربية الخيرة او السعيدة . وحرص بلينوس على ان يشرح لماذا اطلق عليها هذا الوصف ، فكتب يقول : كسبت بلاد العرب نعت سعيدة لانها فياضة بحاصلات يستعذبها أهل الترف ، ويتباهون فى اقتنائها جهازا لموتاهم (يقصد بذلك اللبان) . وذكرت فى التوراة باعتبارها « العربية الغنية » وعرفها العرب بانها « بلاد العرب الخضراء » ، واعتبرها الفراعنة « البلاد المقدسة » ، وسماها الاخباريون « بلاد ؟؟

ليست هذه احدى لوحات الفن الحديث ، ولكنها جزء من واجهة مباني صنعاء القديمة . والفتحات المرسومة بهذا الشكل هي فى الواقع نوافذ ، لمطبخ ، المنزل ! ــ لاحظ الفم المفتوح . والتجانس بين الشكل والمضمون والوظيفة .

(*) تاريخ اليمن القديم ــ محمد عبدالقادر بافقيه .

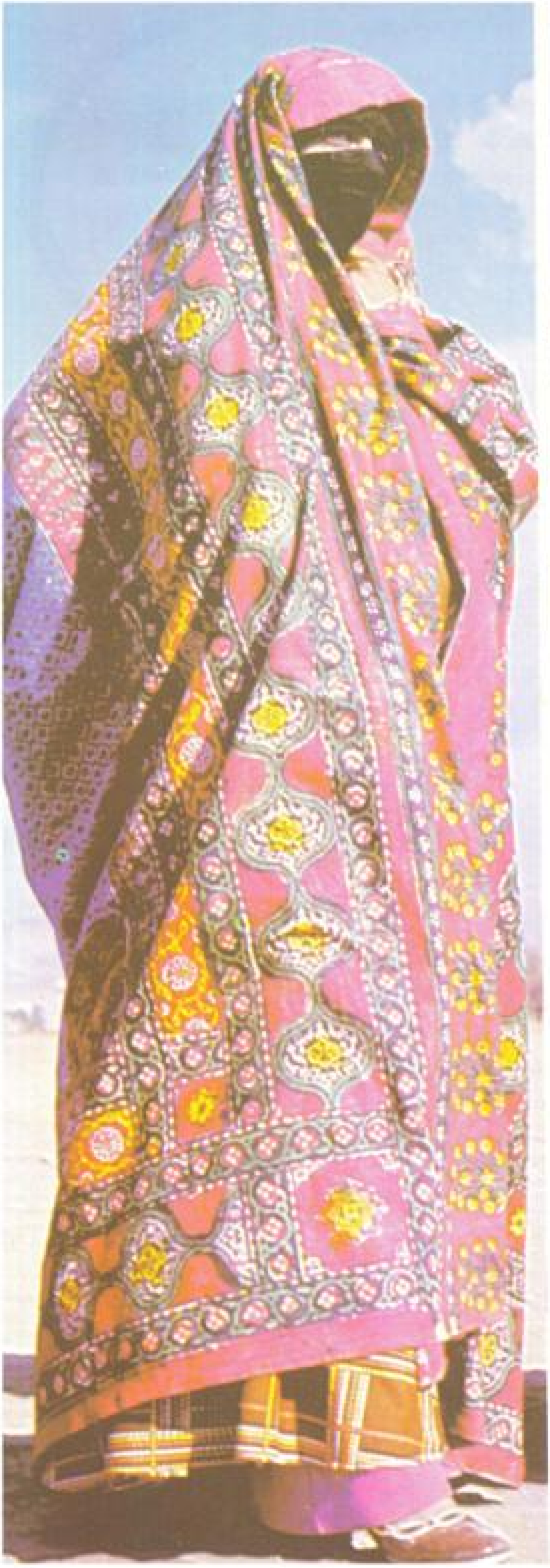
(*) اليمن وحضارة العرب ــ الدكتور عدنان ترسيسي .

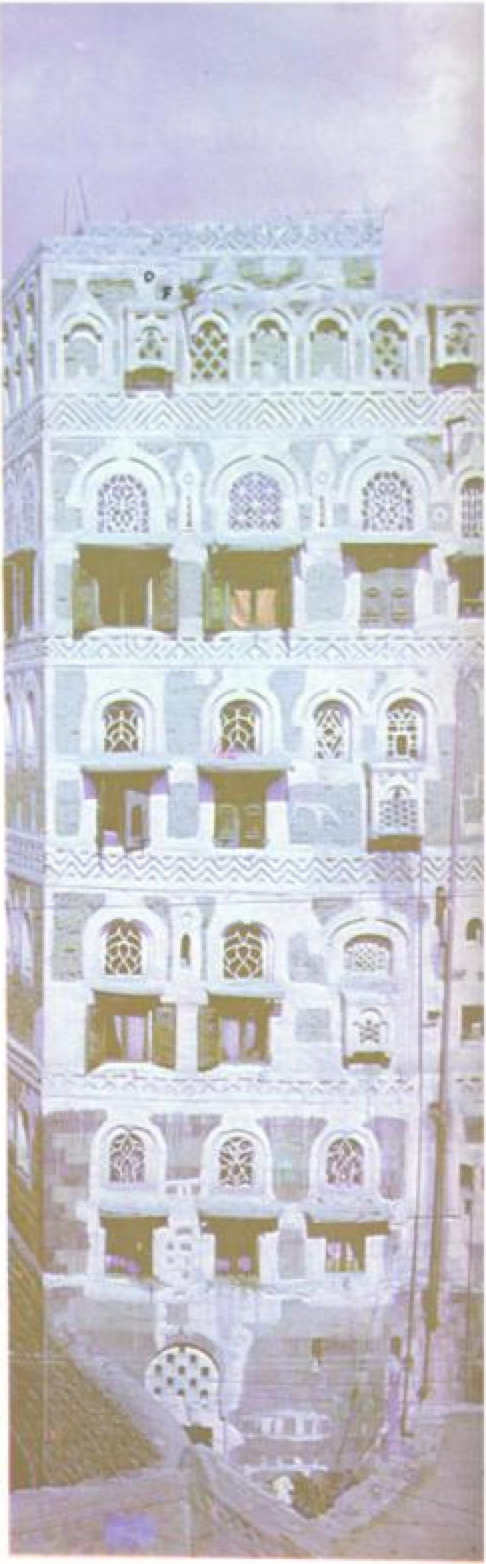




على هذه الصفحة ، اثنان من مساجد زبيد •مسجد الفرحانية (فوق) بلا سقف يغطيه ، ومع ذلك فلم يخل من النقوش • والمسجد الكبير (تحت)الذى يزيد عمره على عشرة قرون ، سقفه محمول على ٢٠٠ عمود ، وله ١٣ بابا ، والضوء فيه من بركة مياه• وعلى الصفحة المقابلة صورتان تؤيدان فكرة التماثل بين العمارة والثياب : هل هناك فرق كبير في الشكل بين المبنى والمرأة ؟!







الطيب » بينما اطلق عليها الاغريق اسم « بلاد العطور » .

وبسبب اشتغالهم المبكر بالتجارة ، فقد كانوا اكثر العرب معرفة بالعالم القديم ، وكان ترحالهم في اقاصي المعمورة امرا طبيعيا ، وكانت درايتهم بمسالك البحار وشعاب الارض تفوق اي خبرة اخرى .

الجنتان وسد مارب

وكان ازدهار التجارة مصحوبا بازدهار الزراعة، واساليب الري والعمارة .

ولعل اشارة القران الكريم في سورة « سبا » خير شهادة لمدى التقدم الزراعي الذي عرفته اليمن في العصور القديمة ، اذ نصت على انه « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان ، عن يمين وشمال »، ووصف الجنة هو ادق ما يمكن ان تقدم به الزراعة في ذلك الزمن . ورغم ان اقدم نقش سبئي يرجع الى القرن الثامن قبل الميلاد ، الا انه من الثابت ان جنات اليمن ظلت قائمة حتى قبل ظهور الاسلام ، وان خبرات اليمنيين في الزراعة لعبت دورا كبيرا في اثراء المد الاسلامي فيما بعد . اذ كان اليمنيون وراء ظهور « جنات » اخرى في البلاد التي دخلها الاسلام ، من المغرب الى الاندلس وصقلية كانوا هم الذين عرفوا كيف يستثمرون ما خلفه الرومان من مشروعات زراعية وانشائية . اذ لم يكن بين العرب الفاتحين لهذه البلاد ، من يملك ناصية الخبرة في هذا المجال غيرهم . (لا تزال اثارهم باقية الى الآن في الاندلس ، وفي مقدمتها قلعة يحصب وقلعة همدان في غرناطة ، وقلعة خولان في اشبيلية) .

ومنذ الازل ، واليمني يبني المدرجات وينحتها على جوانب الجبال العالية ، ليزرع كل شبر فيها ويعيد بناء ما تهدمه الامطار الغزيرة والسيول ، وخبرته عظيمة بانواع المزروعات التي تناسب كل ارتفاع ، ماذا ينبغي ان يزرع على القمة ، وماذا ينبغي ان يزرع وسط الجبل وعند سفحه ، وفي اسفل الوادي . ولا عجب بعد هذا ان عدد الهمداني في « الاكليل » ٢٠ صنفا من العنب كانت تزرع في اليمن ، ولا تزال !

اما تخزين المياه بالسدود بكافة احجامها ، وبالخزانات والصهاريج ، فالمرجح انها كانت من اختصاص اليمني منذ اقدم العصور . حتى ذكر الهمداني ان منطقة واحدة في اليمن (يحصب العلو) كان مقاما فيها ٨٠ سدا ، ذكرها الشاعر اليمني القديم في قوله :

وفي البقعة الخضراء من ارض يحصب
ثمانون سدا تقذف الماء سائلا .

وسد مارب هو) اشهر اثار اليمن واعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية كلها » كما يقول الدكتور احمد فخري . وهو « ثورة في عالم الهندسة وتفكير الانسان » ، كما يقول العلامة الدكتور جواد علي .

ويقدر بان هذا العمل العظيم بني في بدايات الالف الاولى قبل الميلاد ، وان ملوك سبا الذين تتابعوا عليه ، ساهموا في ترميمه وتعليته ، حتى بلغ ارتفاعه في المراحل الاخيرة الى ١٤ مترا فوق سطح الوادي ، بينما طوله ٦٠٠ متر ، وعرضه ٨٠ مترا . وقد ظل يؤدي وظيفته في تخزين مياه الامطار والسيول ، حتى انهار تحت ضغط سيل كاسح دمر مدينة مارب ، عاصمة السبئيين في القرن السادس قبل الميلاد .

وفي كتابه « اليمن ماضيها وحاضرها » ، حقق الدكتور احمد فخري نقشا هاما سجل عليه مجموع ما انفق في انشاء السد ، يشير الى ان بناته انفقوا ٥٠٨٠٦ كيس من الدقيق ، و ٢٦ الف حمل من البلح ، وثلاثة الاف ثور وجمل ، وسبعة الاف راس من الغنم لتغذية العمال » .

وكان الهمداني اول من راى انقاض السد ، وكتب عنها في « الاكليل » يقول : وهي (سبا) كثيرة العجائب . و « الجنتان » (اللتان ورد ذكرهما في القران) عن يمين السد ويساره ، وهما اليوم غامرتان . والغامر هو العافي ، وانما عفتا ، كما اندحق السد فارتفع عن ابدى السيول .

الى ان يقول : ورأيت بناء احد الصدفين ، وهو الذي يخرج منه الماء ، قائما بحاله على اوفق ما يكون ، ولا يتغير الى ان شاء الله . وانما وقع الكسر في العرم (صلب البناء) . وقد بقي من العرم شيء مما يصالي الجنة اليسرى ، يكون عرض اسفله ١٥ ذراعا » .

اول ناطحة سحاب !

والذين بنوا هذا السد الهائل ، ما كان اسهل عليهم ان يشيدوا الى جانبه عمارة عظيمة ، حتى ان البعض اضاف الى اوصاف اليمن وصفا اخر هو : بلاد القصور . وتسجل كتب التاريخ القديم



بعض نقوش « المسند » أو الكتابة اليمنية القديمة التي يرى البعض ان لها علاقة بنقوش العمارة اليمنية . ليس بالضرورة فى الشكل . ولكن فى طريقة التعبير .

ان فى مدينتى ناجية وتمنة ـ اندثرتا ـ ٦٥ هيكلا ـ وفى شبوه ـ ما زالت باقية على الطريق الصحراوى بين مارب وحضرموت ـ ٦٠ هيكلا .

واذا ذكرت القصور ، بل واذا ذكرت العمارة فى اليمن ، فلا بد ان يقترن بها اسم قصر غمدان ، المدفون الآن فى صنعاء وعلى تلاله اقيم « القصر » وهو بناء قديم نصفه مخزن للسلاح ، والنصف الآخر سجن للمعتقلين السياسيين !

قصر غمدان هذا يعتبرونه أول ناطحة سحاب فى التاريخ المدون ! . اذ انه بنى فى القرن الاول للميلاد ، ومن الثابت انه كان لا يزال قائما فى اوائل القرن الاول للهجرة ، على عهد الخليفة عثمان بن عفان ، اى انه استمر حوالي ستة قرون . وقد شاهد الهمداني بقاياه ، تلا عظيما كالجبل ، ونقل الينا اخباره .

وهو يقدم وصفا مثيرا لذلك البناء الشامخ ، الذى كان يتألف من عشرين طابقا ، والمسافة بين كل سقفين عشرة اذرع ، اى ان ارتفاعه بلغ مائتى ذراع . وكانت حجارته من الجرانيت والرخام .

ويذكر أن « صاحب غمدان » كان يجلس فى الطبقة العليا ، التى غطى سقفها برخامة واحدة . فكان يستلقى على فراشه ، فيمر به الطائر ، ويعرف الغراب من الحداة ، وهو تحت الرخام ! ولا غرابة فى ذلك ، لان رخام « الالبستر » الشفاف معروف فى اليمن باسم « القمرية » ، وله استخدامات عديدة حتى الآن . (البعض يرى ان هذه الغرفة العلوية هى اصل « المفرج » ، حجرة الاستقبال ذات النوافذ الواسعة التى تقام فوق اسطح البيوت اليمنية ، وفيها تعقد جلسات القات) ، واكثر من ذلك ، فقد كان على كل ركن من اركان القصر الاربعة تماثيل مجوفة لاسود من نحاس ، رجلا الاسد فى الدار وراسه وصدره خارجان من القصر . وبترتيب خاص ، فانه اذا هبت الريح ودخلت اجواف التماثيل ، سمع لها زئير كزئير الاسد . ولهذا القصر اوصاف كثيرة ، ويبدو انه كانت تعرف اتجاهات الريح من نوع زئير كل اسد بحسب اتجاه موقعه . وقيل ايضا ان الاسود كانت تنار بالقناديل فتبدو فى اشكال عجيبة . وقيل انه كان عند مدخل كل باب من ابواب الغرفة الرئيسية تمثال نحاسى ، اذا هبت الريح زار . وداخل الغرفة ستائر لها اجراس ، اذا ضربتها الريح تسمع الاصوات من بعيد .

ومن الأشعار التي كتبت فى قصر غمدان ، قول احدهم :

يسمو الى كبد السماء مصعدا
عشرين سقفا سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الغمام منطق ومؤزر
متلاحكا بالقصر منه صخرة
والجزع بين صروحه والمرمر

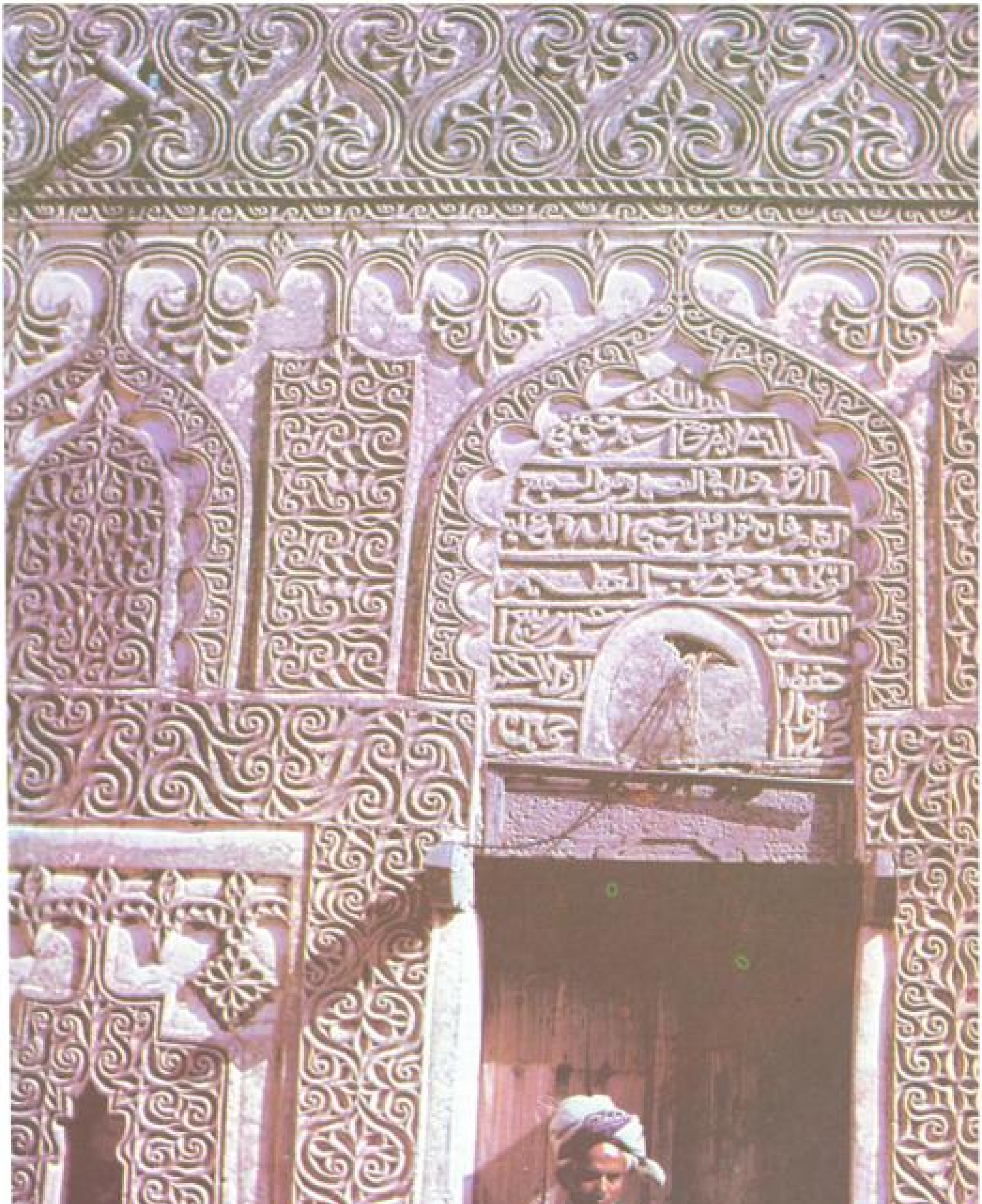
وغير قصر غمدان ، فان القائمة حافلة بالقصور العظيمة . قصر ناعط الذى كان يتألف من ٢٠ قصرا كبيرا مقامة على قمة جبل تنين بهمدان .



لا احد يصدق ان هذه واجهة منزل ، لانه يصعب على بشر عادى ان يقوم بهذا التطريز كله على الحجر ، وان يكون الهدف منه هو تجميل المنظر فى اعين الاخرين • وليست هناك اى مبالغة فى القول بان اى جدار فى زبيد يمكن ان يتصدر جناحا باكمله فى متحف اللوفر بباريس• اختر اى وحدة وتامل نقوشها وتكوينها ، لتدرك اى ذوق رفيع رسم هذه الوحدات ، واى خيال بديع قدمها على هذه الصورة •

فى زبيد مرة اخرى ، والصورة تسجل شكلا آخر من اشكال نقوش واجهات المنازل ، لم تستخدم فيه الكتابة هذه المرة ،باستثناء كلمتي الله ـ حى • لاحظ ان الباب ايضا لم يخل من النقوش التي تمتد لتشمل الجزء العلوى من الباب ، ثم الضلفتين ، ومغلاق الباب ، وهو طراز ليس فريدا فى نوعه ، ولكنه تعبير على كل باب ، ويختلف من باب الى باب !





وقصر مدر الذى كان يضم ١٤ قصرا ، وقصر كوكبان الذي وصفه الهمداني بقوله « كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة بيض ، وداخله مصر بالمرمر والفسيفساء وصنوف الجوهر » .. الى آخر تلك القائمة .

وبقي الشكل

ولكن قدر لهذه المسيرة الحضارية العظيمة ان تتوقف ، بعد أن دارت دورة الزمن ، وتجمعت أسباب عديدة ، حولت المد الى انحسار وجزر . وهنا يقول الدكتور عدنان ترسيسي ان « انهدام سد مارب كان رمزا لانهدام الحضارة اليمنية القديمة الضخمة ، مما أدى أيضا الى انهيار السدود العديدة الاخرى ، والمنشآت الزراعية والصناعية ، وغيرها من الانجازات التي كانت قائمة في فترة الازدهار الطويلة ، التي قد تعود بدايتها الى ما يقارب الالفي سنة قبل الاسلام » .

لم تعد التجارة بين آسيا والغرب مقصورة عليهم ، اذ لم يكن ممكنا ان يواصلوا احتكار اسرار تجارة الشرق لاكثر من ١٢ قرنا . بل وتعددت طرق التجارة أيضا ، ولم يعد جنوب الجزيرة هو اهم جسورها . ومنذ تأثرت تجارة العالم القديم عموما بالحروب الاهلية الرومانية في اواخر عهد البطالسة (وحتى القرن الاول قبل الميلاد) ، ومنذ سيطر الرومان على مصر والشام وانزلوا اسطولا في البحر الاحمر ، ثم ازداد نشاط التجار الاغريق في المحيط الهندى ، فقد كان ذلك ايذانا ببدء مرحلة الافول والانحسار . وتوافق مع ذلك ان اليمن اصبحت تعاني ويلات صراع داخلي طويل ، اتاح للاحباش ان يثبتوا اقدامهم في سواحل عسير والحجاز ، وان يحاولوا التغلغل في اليمن . وهي المرحلة التي انهار فيها سد مارب ، وضربت الزراعة اليمنية ضربة قاصمة .

وقدم الاسلام (القرن السادس الميلادى) بينما الافول مستمر ، وكانت قبائل الاوس والخزرج اليمنية المهاجرة الى المدينة من اول من اعتنقه . وجاءت هذه المرحلة مصحوبة بانتقال صناعة الاحداث بعيدا عن اليمن . اى الى دمشق وبغداد والقاهرة وشمال افريقيا والاندلس ، الامر الذى صارت اليمن في ظله « رأس جزيرة معزولة ، لا تؤثر ولا تتأثر » كما يقول الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه « عن الشعر المعاصر في اليمن » . وكانت خبرة اليمنيين بالترحال في انحاء الارض هي التي نشرت الاسلام في الشرق الاقصى والسواحل الافريقية . كما كانت خبرة اليمنيين في التجارة والزراعة والادارة وحتى القتال هي احد الاعمدة الاساسية التي قامت عليها دولة الاسلام ، حتى اصبح اليمنيون هم الركيزة الاولى للجيش الاسلامي المنظم في عهد الخليفة الاول ابي بكر الصديق ، اذ انضم الى هذا الجيش ٢١ الفا منهم ، وحتى قال جورجي زيدان في كتابه « التمدن الاسلامي » ان « اليمانية هي التي رفعت عرش الدولة الاموية » . وهو الامر الذى دفع الدكتور المقالح الى القول بان « اليمنيين ظهروا على مسرح الاحداث في حواضر الاسلام المختلفة ، باكثر مما ظهروا على ارض اليمن » .

ومع مرحلة الافول تلك ، فقدت الحضارة اليمنية اهم عناصرها . او قل فقدت المضمون وبقي الشكل وكان هذا الشكل هو العمارة التي لازالت ماثلة امامنا الان . وان شئنا الدقة في

• بيت الشربة • الذى يقوم مقام الثلاجة فى البيت - مكان صغير مطل على الواجهة البحرية توضع فيه اوانى المياه للتبريد والاطعمة المتبقية لليوم التالي •



التعبير فانه ازاء عظمة هذه العمارة وابداعها ، فان القول الحقيقي ينبغي ان يكون من جانبنا نحن .

ليس انتقاصا من الاسلام

على ان هذه الرحلة ، التى نقفز فيها قفزا عبر العصور والقرون، يشير انتباهنا فيها حقيقتان هامتان تبطلان بعض ما هو شائع بيننا من افكار وآراء .

الحقيقة الاولى ، هي انه كانت هناك حضارة حقيقية للعرب قبل الاسلام . وان مقولة ان الاسلام وفد على جزيرة العرب واهلها يعانون من الجدب الحضارى والتخلف ، هذه المقولة تبدو الان ابعد ما تكون عن الصحة . وهو ما اكده العلامة العراقى الدكتور جواد على فى مؤلفه الضخم « العرب قبل الاسلام »(١٣ جزءا) .

الحقيقة الثانية ، هى ان العمارة اليمنية لها جذورها الضاربة فى اعماق التاريخ ، قبل الاسلام بقرون عديدة ، ولها سماتها الفريدة منذ الازل ، ومحاولة الغاء الشخصية اليمنية فى العمارة ، واطلاق وصف العمارة الاسلامية عليها، هي مغالطة لا مبرر لها ، فضلا عن انها افتئات على الواقع .

ولا ينقص من قدر الاسلام ان يكون للعرب حضارة قبل مجيئه ، كما انه لا ينقص من قدر العمارة الاسلامية القول بانه كانت هناك قبلها ـ بل والى جوارها ـ شيء اسمه العمارة اليمنية .

والمؤتمرات العربية والاسلامية العديدة تشهد مواقف حادة من بعض الباحثين تجاه هاتين القضيتين ، ربما لان هؤلاء يخشون من ان تطوع حقائق التاريخ لصالح الغاء دور الاسلام ، بدعوى انه لم يضف جديدا الى حضارة كانت قائمة او عمارة كانت مزدهرة . وربما لان هؤلاء ينتمون الى مدرسة التفكير العربي التي تنمو الى الغاء الماضى ، لابراز عظمة الحاضر وجلاله . وهى المدرسة التى نعانى من افكارها الرديئة فى كتابات الارتزاق بالحاضر والمزايدة عليه ، فى مجالات السياسة والثقافة خصوصا ما يتعلق بالتاريخ .

وايا كانت الحجج التى يمكن ان تساق فى هذا الصدد ، فان ثمة حقائق تاريخية لا سبيل الى انكارها واذا انكرناها اليوم فلا بد ان تظهر غدا ، واذا حجبناها نحن فسوف يكشف عنها غيرنا !

سمات اساسية

تلك اذن عمارة يمنية اصيلة ، ما فى ذلك شك .

والذين شيدوها هم ذواقة موهوبون ، من ابناء حضارة اصيلة ، ايضا ، ما فى ذلك شك . وهذه الاصالة فى الطراز ، اقترنت بقدر من التميز والتفرد ، تستطيع العين ان ترصده عن بعد، ومن اول نظرة .

فالتلقائية هي سمة اساسية فى العمارة اليمنية . لاشيء مفتعل . لا شيء مقنن . لا شيء مقلد . لاشيء تحول الى نمط ثابت . ولكن الفنان اليمنى الماهر يغترف كيفما اتفق . وما يخرج به هو بالضبط ما يعكسه على عالمه الخارجي . ولان الامر كذلك ، فهو فى كل مرة يقدم شيئا مختلفا ، وما يقدمه اصيل دائما . وربما لاجل هذا السبب ، فان بضاعة المهندسين المعماريين بائرة الى حد كبير ، ولا اقبال يذكر على هذا التخصص . ومن بين ٦٠ مهندسا فى اليمن . فليس فى بلاد البنائين هذه الا خمسة فقط من المعماريين !

وهذا الالتصاق بالبيئة والتعبير الامين عنها، سمة اخرى اساسية فى العمارة اليمنية . ذلك ان التصميم والالوان والخامات والوظائف ، هذه العناصر تغطى تماما مساحات عريضة جدا من الحياة اليمنية ، كما سنرى .

والشكل المعمارى لا يعرف هذا التميز الشائع بين الريف والمدينة والذى هو دائما لحساب المدينة . لان المسألة لا علاقة لها بالقدرة الاقتصادية . ولكنها مرتبطة باعماق الانسان ذاته. ومن هذه الزاوية ، فان تراه فى المدينة هو ذاته الذى تراه فى القرية ، كما قلت من قبل .

ثم ان هذا الاهتمام البالغ بالشكل الخارجي ، هذا التجمل والاستعراض الموجه الى الاخرين ، هو عنصر له دلالته ، التي تعزز فكرة حلول حضارة الشكل ـ اذا صح التعبير ـ محل

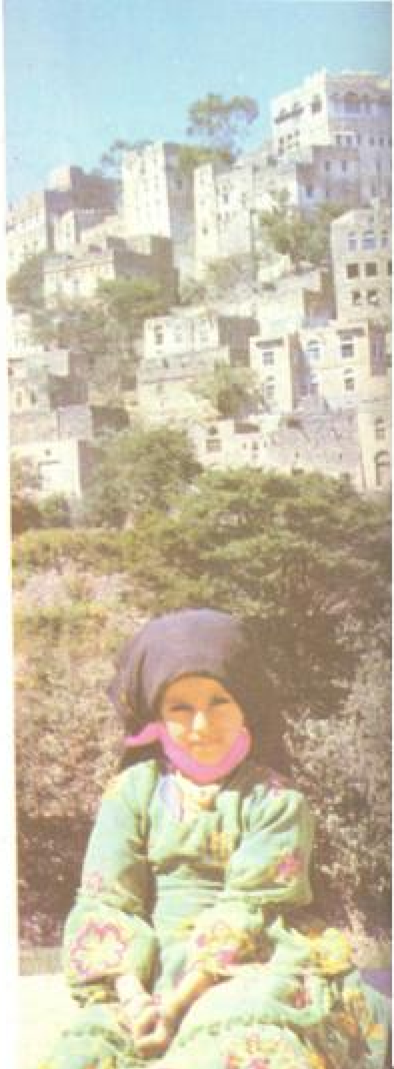
القطع الفضية المستخدمة في زينة الرجال جنباالى جنب مع النساء • والقطع كلها مشغولة بصورة غاية في الدقة والجمال • وكثير من الخطوط السائلة على الخناجر او الاساور هي ذاتها على جدران المساكن •





الصورتان تعكسان شيئين : الاول مدى احتفال اليمني بمظهره الخارجي الذي تلعب فيه « الجنبية » ـ خنجر الوسط المعلق في حزام عريض ـ دورا كبيرا ،بقيمتها المالية والجمالية ، وهي تختلف باختلاف الوضع الاجتماعي دائما ، وباختلاف القبيلة احيانا . والشيء الثاني هو ثروة الالوان التي تحفل بها طلعة اليمني .. وهذان العنصران ينعكسان الى حد ما على منطق العمارة اليمنية ، الموجهة ايضا الى الخارج.





ة الجند (بفتح الجيم والنون) عن بعد ،وقد
ت منازلها العالية حول قمة احد الجبال ،
ث اليم كل بيت على كتلة من الحجر الصلب
حظ ان البيت اشبه بالقلعة) .. بينما طوقت
ضرة سفح الجبل والوادي ، في تكوين طبيعي
ع .

حضارة المضمون . وتصاعد قيمة المظهر الى اعلى درجة، متجاوزة بذلك العديد من القيم الاجتماعية الاخرى ، مثل قيمة الانتاج مثلا .

وفضلا عن هذا وذاك ، فان المدينة اليمنية ، تشترك مع بقية المدن العربية في شيئين هما : الاسوار والاسواق . فالاسوار تحيط بكل مدينة ، لاسباب امنية في الغالب ، والداخل محكومة بعدد محدود من الابواب ، مفاتيحها اما بيد الحراس او في خزانة السلطان (لاحظ ان المفهوم لا يزال سائدا ، وان كانت الاسوار غير مرئية !) .

ثم ان الاسواق مقسمة بحيث يتجمع اصحاب « التخصص » الواحد ، في مكان واحد . وهو النظام الذى كان متبعا في كافة المدن العربية والاسلامية ، من القاهرة الى دمشق وبغداد .

وهناك اعتبار لابد من تسجيله ، ساهم في الحفاظ على تراث العمارة واستمرارها طوال تلك القرون ، هو تلك العزلة التى عاشت فيها اليمن ، منذ تحولت عنها الانظار في الماضي، واذا كانت هذه العزلة قد اخرت كثيرا بمسار التقدم في اليمن طوال العصور الحديثة ، الا انها ساهمت الى حد كبير في الابقاء على هذا الوضع الراهن ، وترسيخ التمسك بالصيغة اليمنية في انماط الحياة المختلفة ، والعمارة فيها . يؤكد ذلك انه في داخل اليمن ، كلما اقتربت المدينة من الحياة العصرية وازداد انفتاحها النسبي على العالم الخارجي ، انحسرت فيها ظلال العمارة اليمنية الاصيلة ، وهو واقع لم ينعكس على القرى اليمنية ولله الحمد .

و « الحديدة » نموذج يؤكد هذه الحقيقة ، فالمدينة مفتوحة اكثر من غيرها ، باعتبارها ميناء بحريا ، الامر الذي ادى الى اندثار طابعها المعماري التقليدي الى حد كبير ، وانحساره في نطاق ضيق ، لا يكاد يتجاوز ما يسمى الان بالمدينة القديمة . ليس هذا فقط ، بل ان بعض المباني تحمل الطابع الهندى ، لوجود جالية هندية كبيرة فيها . « وتعز » نموذج آخر، وانفتاحها ليس راجعا لاعتبارات متعلقة بالوقع، ولكنه مرتبط بالوظيفة بالدرجة الاولى . ولان تعز هى المدينة التجارية الرئيسية في اليمن ، فضلا عن انها كانت مقر اقامة الائمة ـ لاسباب امنية ايضا حتى نقل « البدر » ـ وآخرهم ـ المقر الى صنعاء قبل الثورة في بداية الستينات، لهذين السببين اساسا فان تعز التجارية والعاصمة الفعلية مضت على درب « الحديدة » ، فقد انحسر منها الطابع اليمنى ، بنسبة اقل ، امام زحف البنايات الحديثة على شوارع المدينة . ومع ذلك فان وظيفتها كمقر للامام ، افادت من ناحية واحدة ، هي انهم « اضطروا » الى اقامة عديد من القصور لاقامتهم ، وهي التي تشكل الان الملامح البارزة لاستمرار العمارة اليمنية في المدينة .

خارج هذا النطاق ، فان الطابع الاصيل هو السائد في بقية انحاء اليمن .

الصنعاني : باني اليمن

لكن الشائع ـ في العاصمة على الاقل ـ ان الذى بنى اليمن هو في الاصل « صنعانى » !

ويبدو ان هذه المقولة صحيحة الى حد كبير. ففي صنعاء تتجلى العمارة اليمنية في اوضح وابهى صورها . اذ يتوفر فيها اشهر البنائين والنقاشين وصناع العقود ، ولا تزال صنعاء القديمة كما هي ، باستثناء سورها العتيد ، الذى تهاوت بعض اجزائه . احيانا بفعل الزمن ، واحيانا بفعل فاعل ، هو « البلدية » للاسف البالغ .

واذا اعتبرنا مقياس نجاح العمارة هو مدى تعبيرها عن الواقع الاجتماعي والاقتصادى،وتلبيتها لاحتياجات الانسان المختلفة ، فاننا ينبغي ان نتعرف اولا على هذا الواقع وهذا الانسان وحتى نتمكن من استيعاب وتقييم مدى نجاح هذه العمارة .

وفي كلمات قليلة ، نستطيع ان نقول ان صنعاء مدينة تقع في منطقة الوسط الجبلية والصخرية، وانها كانت على مر العهود هدفا لاعتداءات القبائل الطامعة فيها ، هذه القبائل هي التي اطلقت العبارة المشهورة : (لابد من صنعا وان طال السفر) ، اي لابد من بلوغ المدينة والاستئثار بما فيها رغم كل المشاق . وان طقسها معتدل الى حد كبير ، واهلها محافظون الى حد كبير ، وجلسات القات هي الصيغة الوحيدة المطروحة لم شمل الناس الى حد اكبر !

والمؤكد انك تستطيع ان تستخلص هذا كله ، من طراز العمارة وحده ، دون اطلاع على تاريخ او جغرافيا ، ولا حتى اطلاع على احوال الناس وعوائدهم .

فكل بيت صنعاني اصيل هو قلعة عسكرية ، قد تصغر او تكبر لكنه يظل قلعة بالمعنى الحرفي للكلمة . فهو مؤهل للدفاع عن النفس من ناحية، وتتوفر له كل عناصر الاكتفاء الذاتي – التي تحتمل الحصار الطويل – من ناحية اخرى .

ففي مواضع عديدة من البناء تتخلل الجدران فتحات تؤدي وظيفة في التهوية ، ولكنها اساسا للرصد واطلاق الرصاص على الهاجمين . ثم ان الطابق الاول من البناء مخصص لتخزين الحبوب ، وفي كل بيت بئر للمياه ، ومطحنة وفرن . الامر الذي يتيح لسكانه ان يعيشوا شهورا طويلة داخل البيت ، بغير متاعب تذكر .

والبيت الصنعاني متعدد الطوابق ، قد تصل الى ثمانية او عشرة . ولكونها منطقة جبلية ، فقد توفرت الحجارة بانواعها بسهولة بالغة . ترص قطع الجرانيت الاسود بارتفاع متر او متر ونصف ، ثم يجيء دور الحجارة البيضاء ، ويعلو البناء . وتؤدي الحجارة دور المكيف الطبيعي . فهي تمتص الحرارة والبرودة في ان واحد . وتحتاج عملية قطع هذه الاحجار وتهذيبها الى جهد هائل ، اعتاد عليه البناء اليمني ، وصار يمارسه كما لو كان يعبث بقطع من العجين !

والمدهش ان البناء التقليدي مهما علا ، فان الاسمنت – مثلا – لا يستخدم فيه . وان الحجارة يتم تركيبها فوق بعضها البعض بشكل طبيعي وبدائي ، وان « الطين » هو الذي يستخدم لملء الفراغات التي تبقى بين الاحجار . وهو اسلوب يسمح « بترقيع » المبنى من اي مكان .

وقد رايت بعض البنائين وقد افرغوا جانبا من اساسات مبنى بارتفاع ستة طوابق ، لكي يجددوه ، بعد ان تساقط الطين الفاصل بين احجاره . وكل ما فعلوه ، عندما حل عليهم الظلام ، ان وضعوا قطعة من الخشب استندت اليها كتلة الحجر الرئيسية في المنطقة خلعوا احجارها ، حتى صبيحة اليوم التالي !

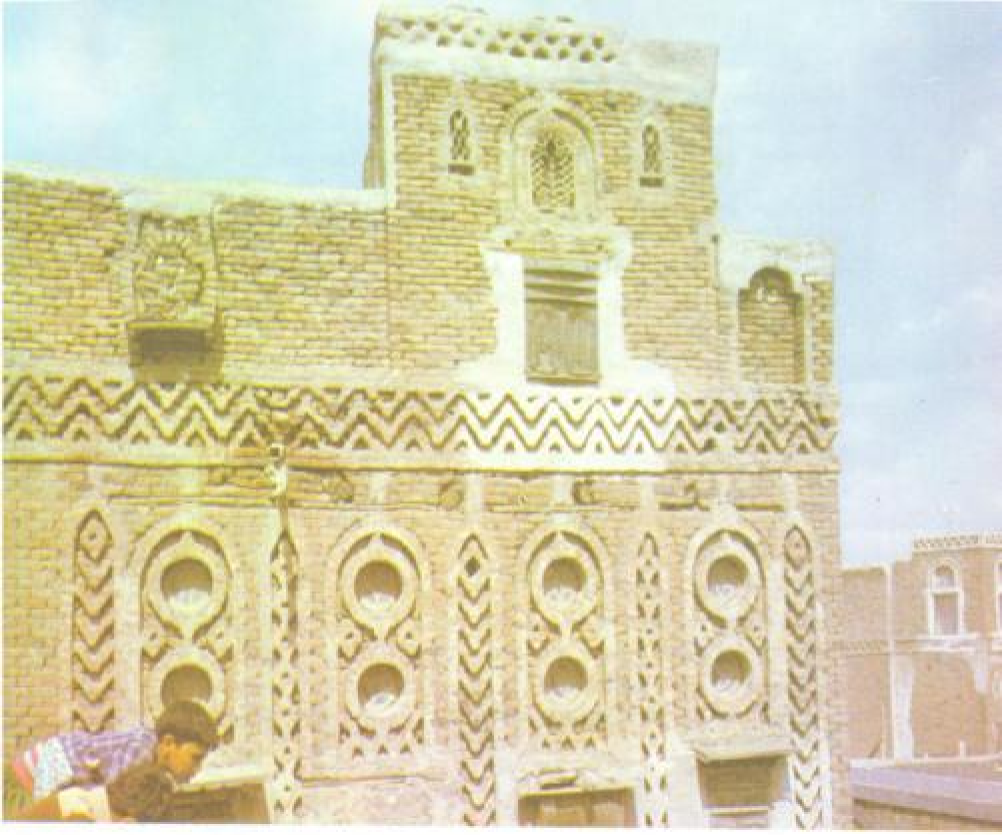
ثياب المراة والمباني

الطابق الارضي للماشية ، وهو بغير نوافذ (لاحظ ان من طرق التغذية الحديثة للماشية ان توضع في مكان مظلم مع توفير طعام مغر لها ، الامر الذي يعجل بتسمينها اذ ينصرف كل همها في الاكل) . والطابق الاول لتخزين الحبوب كما قلنا ، بينما فتحات الجدار اشبه بالثقوب .

يصعد معنا عبد العزيز قصعة ، احد اشهر مقاولي صنعاء ، الذي توارثت اسرته المهنة منذ الجد السابع . من الطابق الثاني تبدا غرف السكن ، ويظل البناء يعلو بقدر حجم الاسرة وقدرتها الاقتصادية . ويفترض دائما ان اسرة واحدة تعيش في البناء الواحد . الجد والابناء وزوجاتهم . درجات السلم عالية ، وسقوف الحجرات عالية ايضا ، حتى يصل ارتفاع كل طابق الى ثلاثة امتار . السلم والمطبخ والحمام في اتجاه الشمال ، بينما الغرف في اتجاه الجنوب (يسمونه البيت العدني لان عدن في جنوب اليمن) . بين كل طابق وطابق ، مكان مفتوح على الواجهة البحرية ، يسمونه « بيت الشربة » ، وهو يقوم مقام « الثلاجة » ، وفيه توضع اواني المياه للتبريد ، والاطعمة – اللحوم اساسا – التي تبيت لليوم التالي . لا شرفات للبيت ،ونوافذ الحجرات صغيرة للغاية ، بارتفاع ٥٠ سنتيمترا في اغلب الاحوال . فوق السطوح يقوم « المفرج » ، او حجرة الاستقبال التي يلتقي فيها رجال الاسرة وخلانهم ، في جلسات القات اليومية . ينقلك المفرج الى عالم مختلف. فهو على عكس كل حجرات البيت واسع نسبيا ، ومليء بالنقوش والزينات ، ونوافذه كبيرة يصل ارتفاع الواحدة منها الى متر ونصف متر . ويفترض طبقا للتصميم الاصلي للمدينة ، ان يطل المفرج على بستان (لاحظ وصف الحجرة العلوية من قصر غمدان) .

ثمة رافعات للمياه من البئر الى الطوابق العليا ، وفتحات تنزل بنصيب دورات المياه الى حفرة عميقة في اسفل البناء . والفرد يحتاج لحفرة اعمق من ٧ او ٨ امتار ، لتستوعب فضلاته طوال حياته ، والمهرة على القصدي !

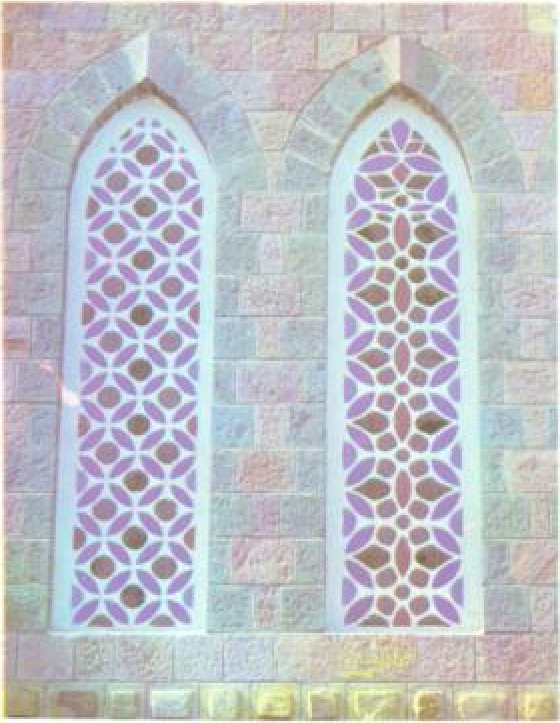
لكن الاحتفال كله ، والزينة والنقوش كلها ، موجهة الى الخارج . الباب الصغير ، القباب





الصورة العليا لاحد منازل صنعا
القديمة ، ذات الطابع الفريد ، سوا
في خامات.البناء او نقوشه • ذلك ا
المنزل مبنى هنا بالطوب الاحمر ، وا
كانت اساساته من الحجارة • فضا
عن ان النقوش ذات حجم كبير
والدوائر الظاهرة فيها صورة طب
الاصل لكلمات النقوش اليمني
القديمة (المسند) التي كشفت عن
الحفريات ، ويمتد عمرها الى ما ق
الميلاد • لاحظ ايضا ان الحز
العلوى الذى يفصل الطابق ع
السطوح والمفرج ، هو صورة طب
الاصل من الحزام الذى يطوق اليم
به خصره •
والصورة الجانبية (الى اليمين) لاح
النوافذ ، وقد ظهر العقد فوق بالو
الزاهية •





الصورة العليا لمبنى وزارة العدل فى صنعاء الجديدة ، وهو نموذج للعمارة اليمنية الحديثة التى طورت التصميم التقليدى ، واحتفظت بطابعه ،وقدمته على هذا النحو • وقد استخدم مصمم البناء كل عناصر البناء التقليدى ، الحجارة الملونة والاقواس والعقود ، وان جاء التصميم على شكل دائرى غير مالوف فى العمارة اليمنية • اما (الصورة الى اليسار) ، فتقدم نموذجا للعقود التى تعتمد على الزجاج الملون ، والتى يلفت النظر فيها انها لاتخضع لاية صيغة نمطية • بمعنى ان كل عقد لابد ان يكون مختلفا عن الاخر ، حتى وان تجاور العقدان ، كما فى الصورة الجانبية •

والمغلاق والاطار والصلف ، هذه كلها من الخشب المنقوش . والجدران مزينة بالنقش المحفور او المرسوم . واللون المستخدم في التزيين هو الابيض ، وتطوق خطوطه النوافذ بوجه خاص . وفضلا عن الشكل الذي يمنحه اللون الابيض ، فان مكوناته طاردة للحشرات والذباب خاصة . أي ان اللون له دور جمالي ووظيفة في الوقت ذاته . على أن المهم هنا ايضا ان أرضية الجدران ذاتها من لون الشارع تقريبا .

وان ايه الوان غير الابيض تضاف اليها تكون دائما أصيلة وغير مصنعة . ذلك انهم يستخدمون احيانا احجارا ملونة بطبيعتها في تزيين بعض جوانب البناء .

العقود المزينة بالزجاج الملون فوق كل نافذة . والاحزمة العريضة تفصل بين الطابق والطابق . والتشكيلات التجريدية تتوزع على البناء كله . وتلك مجالات بغير حدود . ومتوسط تكلفة نقش الطابق الواحد ٢٠ الف ريال ، والعقد الواحد يمكن ان يصل الى ٥٠٠ ريال .

(الدولار يعادل قيمة ٤ر٥ ريال) .

ولابد ان يثير انتباهك هذا التشابه القوي بين شكل المباني وزياب البشر . فاحتذاء اليمني بمظهره الخارجي هو ذاته مسجل على واجهة البناء . ونقوش عباءة المرأة ، والفتحة الصغيرة التي تطل منها لا تختلف كثيرا عن أي بناء تتناثر الفتحات في أعلاه ! بل ان هذا وذاك نلمح ظلاله في المشغولات الفضية التي يتزين بها النساء والرجال !

على ان اي وصف للبناء الصنعاني يعجز عن نقل الحقيقة كاملة ، والصورة قد تؤدي هذه المهمة على وجه افضل . ولا يمكن ان تستوعب قيمة هذا الفن المدهش الا اذا رأيته بعينيك ، حتى اذا تقطعت انفاسك ـ مثلي ـ وأنت تصعد الدرج المرتفع لكي تصل الى « المفرج » !

ذلك عن البناء الواحد ، فما بالك اذا كانت هذه الوحدة مضروبة في الف ! ، وتراصت هذه المباني جنبا الى جنب في مشهد رائع تتحول معه المدينة الى لوحة باهرة ابدعتها ريشة فنان عظيم .

اما تخطيط المدينة فيثير الدهشة ايضا .

فهي تقوم اساسا على فلسفة البناء الحديثة ، حيث تم التوسع رأسيا وليس أفقيا . وهو افضل استثمار لمساحة الارض المحدودة لصالح عدد السكان المتزايد والوسيلة الوحيدة لتجنب الجور على المساحات المزروعة المحيطة بها . وفكرة الطوابق العديدة المرتفعة تعكس هذا التصور . وما ناطحات السحاب الا ابنة شرعية لهذه الفكرة .

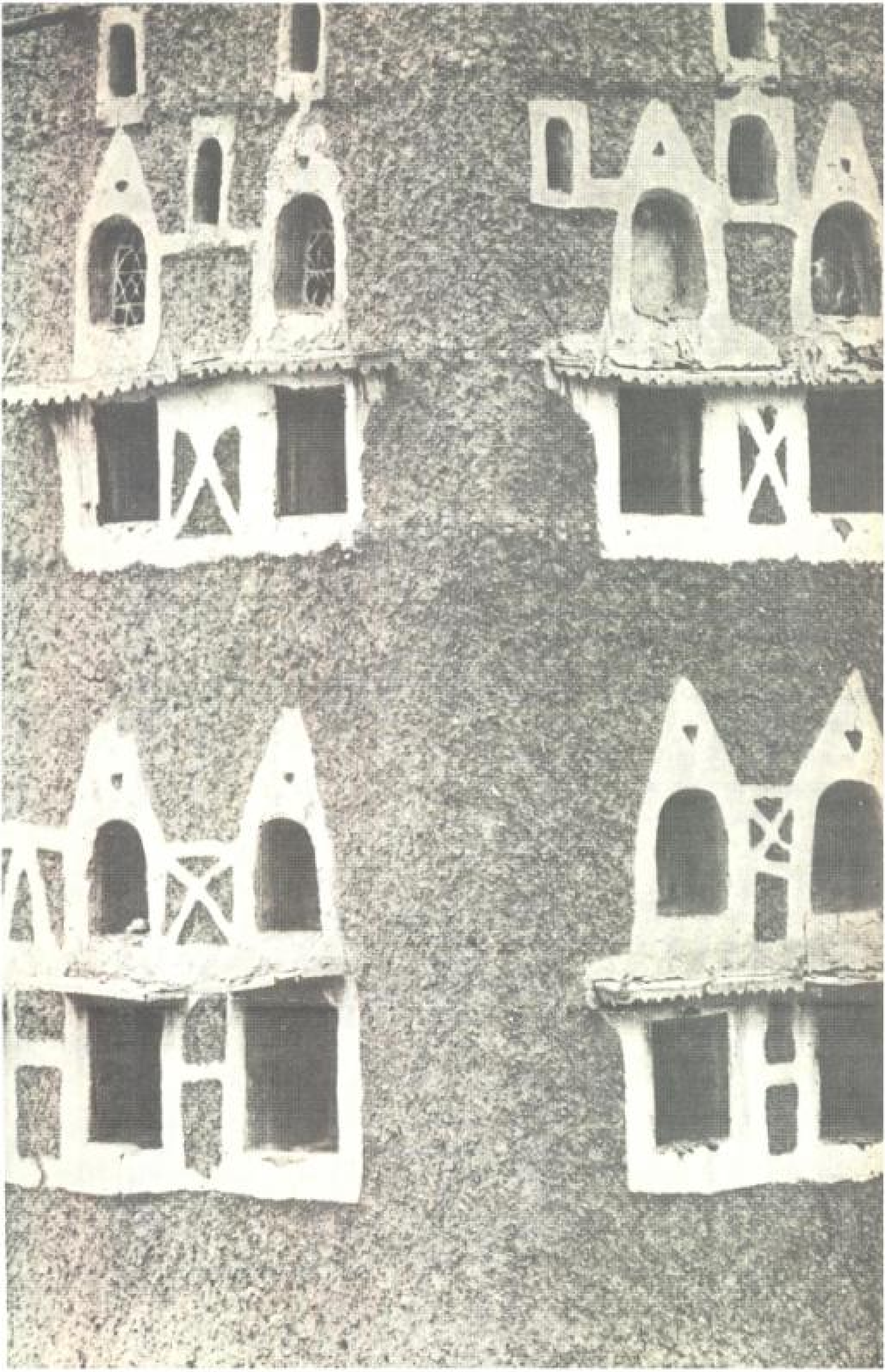
وشوارع المدينة (يسمونها « الحارات »)عمودية على البحر ، بحيث تشكل ممارات للرياح ، حتى لا تصطدم بالمباني . ثم ان الشوارع تصب بالضرورة في الاسواق . ولكل حارة مسجد امامه بستان ، هو الطبيعة الجميلة التي يتطلع اليها الجالسون في «المفارج» ، وهو الممول لسكان الحارة بحاجتهم من الخضر والفاكهة ! وهذه المعالم كلها لازالت باقية الى الان ، لا أحد يعرف منذ متى ، لكن أحد ابنية المدينة في مكانه منذ سبعة قرون . والمرجح ان التخطيط القائم لا يقل عمره عن ذلك .

في زبيد

واذا كانت صنعاء هي نموذج لمدينة الجبل ، فزبيد نموذج لمدينة الوادي .

وزبيد (٩٠ كيلو مترا من الحديدة) كانت عاصمة قديمة للدولة الزيدية التي انشقت عن الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري ويسكنها اساسا قبيلة الاشاعرة ، ومنهم ابو موسى الاشعري الصحابي الشهير ، الذي انتدبه امير المؤمنين علي بن ابي طالب لتمثيله في التحكيم بينه وبين معاوية (الذي كان يمثله عمرو بن العاص) . وهي مشهورة بفقهائها وعلمائها . تختلف عمارة زبيد عن مثيلتها في صنعاء في التصميم والخامات . فالبيت القلعة غير قائم . كما ان البيت متعدد الطوابق لا حاجة اليه ، اذ ان مساحة الارض تسمح بالتمدد بارتياح ، فضلا عن ان المناخ تلائمه اكثر الحجرات الواسعة

ليست هذه احدى لوحات الفن الحديث • ولكنها جزء من واجهة مباني صنعاء القديمة • والفتحات المرسومة بهذا الشكل هي في الواقع نوافذ « تطبع » المنزل !



والافقية . والى جوار كل بيت حديقة ، والمفرج هو الصق الحجرات بالحديقة ، ولان المنطقة ليست صخرية ، والحجر الابيض اكثر وفرة ، فلا وجود للحجارة السوداء ، وكل الابنية بالحجارة البيضاء .

ولان المدينة كانت حتى عهد قريب ، قبل نصف قرن ، في حالة انتعاش ورواج ، اذ كانت مركزا لصناعة النسيج اليدوي ومقرا لحوالي ٥٠ مصنع نسيج بالاضافة الى ١٥٠ مصنعا للصباغة ، ثم ان وجودها في منطقة سهلة وفر لها ثروة زراعية لها قيمة . واذا اضفنا الى ذلك ازدهارها الثقافي ايضا ، فانه لهذه الاسباب كان التعبير الفني اكثر ثراء في زبيد عنه في صنعاء .

وواجهات البيوت القديمة كلها مكسوة بالنقوش المنحوتة وليست المرسومة ، والتي لم اجد سوى كلمة « تطريز » تعبر عنها . ويضاف الى هذه النقوش كتابات محفورة ـ ايضا ـ تتصدر مدخل كل بيت تتراوح بين الايات القرآنية والاحاديث الشريفة وتسجيل تواريخ الانشاء ، واي واجهة في اي « حارة » بزبيد ، تصلح لان تتصدر جناحا باكمله في متحف اللوفر بباريس لان اي مربع صغير . اي حجرة او نافذة ، هي بحد ذاتها تحفة فنية رائعة .

في القرى والمدرجات

على ان التوقف عند صنعاء وزبيد وحدهما يعد ابتسارا للصورة . وهو عرض ناقص بكل المقاييس . بل ان التوقف عند المدن والقرى وحدهما هو ظلم آخر للواقع لا يغتفر . لان الوديان مليئة بالمدرجات البديعة التي اقامها اليمنيون على سفوح الجبال . نحتوها نحتا ، وبدأب مذهل ليزرعوها ، وليحولوا الصحراء الى معرض فني آخر يشكل اعلانا عن المهارة والاصالة .

وعلى طول الطريق من صنعاء الى الحديدة كانت المشاهد الرائعة تشد ابصارنا ، خصوصا في « مناخة » ثم « الحيمة » . ومنذ خرجنا من الحديدة الى تعز وتوقفنا عند بيت الفقيه وزبيد ، ثم بعد مرورنا على « الجند » واب (اللواء الاخضر) . منذ ذلك الحين وانا على يقين من ان اي بلاغة لن ترقى الى مستوى التعبير عن مدى جمال هذه المناطق ، وان الامر يحتاج في تقديمه الى شعراء باكثر من حاجته الى صحفيين وكتاب .

وهو يقين تأكد اكثر واكثر ، عندما صعدنا الى جبل صبر الذي يطل على تعز ، وقضينا حوالي ساعتين ونحن نشق بالسيارة طرقا ملتوية لتصل الى اقرب منطقة من قمة الشاهقة التي ترتفع لاكثر من ثلاثة الاف متر فوق سطح الارض ! .. وطوال الطريق ونحن نخترق مدرجات مزروعة تشكل على البعد تفرشا مدهشة لجوانب الجبل ، ثم بطول الجبل وعند قمته ، تناثرت القرى اليمنية في تكوينات لا يمكن لاحد ان يتصور انها من صنع بشر ، لا في الجمال ، ولا في الموقع ، وهو شعور يتكرر في مواجهة القرى التي ترصع قمم جبل سمارة قرب صنعاء .

واعترف انني تعمدت عدم التفصيل في تقديم تلك الثروة الهائلة من المساجد المنتشرة في اليمن والتي تستمد غناها من قيمتها التاريخية من ناحية ، ثم قيمتها المعمارية بعد ذلك . يكفي ان في اليمن ثلاثة مساجد يرجع تاريخها الى القرن الهجري الاول وهي : المسجد الكبير في صنعاء ، وجامع الجند (بفتح الجيم والنون) في بلدة تحمل الاسم ذاته ، ثم جامع الاشاعرة في زبيد . وهذه المساجد الثلاثة والمئات الاخرى المنتشرة في ارجاء اليمن يشكل كل ركن فيها ـ ايضا ـ تحفة فنية رائعة .

وهذا المرور السريع على المساجد مقصود ، لانه ربما لا يكون من قبيل الاضافة ولا يثير الدهشة ان تشهد اروقة المساجد وجدرانها وسقوفها صورا عديدة من الابداع الفني ، لان هذه الصورة مكررة في العديد من العواصم العربية ، والمعابد عموما كانت ولا تزال حقلا غنيا بكافة صور الفن التشكيلي ، من رسم وتصوير وزخرفة ونحت ، لكن المثير والمدهش ان تخرج هذه الفنون من المعابد الى الشوارع « والحواري » ، وهو الوضع الشائع في المدن والقرى اليمنية .

اخطار محدقة

ومع ذلك ، فمن الانصاف والامانة أن أقول ان هذا كله فى خطر !

واذا كنت حتى الان قد حرصت على ان اسجل الوجه المشرق للعمارة اليمنية ، الا اننى لم اشر من قريب أو بعيد الى ما تتعرض له هذه العمارة من اخطار . ذلك انك بقدر ما تؤخذ بجمال هذه العمارة ، فلابد ان تصدم فيما بعد عندما تعلم كيف تعامل . وكما ان الدهشة تستغرقك فى زبيد وبيت الفقيه ، فان حزنا بنفس القدر لابد ان يستغرقك وانت ترى كيف تحجب هذه الواجهات الرائعة وكيف تطمس ملامحها بل وكيف تنقرض مع زحف الابنية الجديدة.

ثمة مشكلة حضارية كما قلت ، تتمثل فى تشتت الشخصية العربية وتمزقها ، وانسياقها بغير وعى وراء كل ما هو غربى ومستورد . وهى مشكلة تتفاقم كلما كانت « النخبة » فى أى مجتمع بين ضحاياها . وقد كان حزنى عميقا عندما تطلعت الى المبنى الجديد لوزارة الاشغال فى صنعاء وهو مبنى على الطراز اليمنى ، ووجدت ان وزير الاشغال ذاته طلب أن يصمم مكتبه بشكل « مودرن » يصل الى حد استخدام الالومنيوم فى النوافذ ! وبدات الاستجابة للطلب بالفعل ، ولكن انصار العمارة اليمنية ثاروا ، فاضطر الوزير الى سحب قراره !

وهذا الحزن تحول الى اسى ، عندما شاهدت مبنى من ٢٠ طابقا لشركة الطيران اليمنيه ليس فيه من العمارة اليمنية شيء ، بل ان واجهته كلها مكسوة بالالمنيوم . والعجيب ان هذا المبنى هو اول ما يطالع القادمين من المطار الى مدينة صنعاء !

وثمه مشكلة اقتصادية ايضا ، لان الخامات المستخدمة فى البيت اليمنى الاصيل ـ وفى مقدمتها الاحجار ـ ثم النقوش والعقود والاحزمة، هذه كلها تكلف الكثير . حتى ان تكاليف النقوش وملحقاتها فى طابق واحد تقترب احيانا من تكاليف بناء هذا الطابق . وهنا كثيرون الان لا يحتملون هذه التكاليف وللمهندس عبدالله الشرفى مسئول التخطيط فى وزارة الاشغال وجهة نظر فى هذه النقطة ، خلاصتها ان عمر المبنى الذى يقام بالحجر ضعف عمر المبنى الذى يقام بقوالب الاسمنت او الطوب ، الامر الذى لا يعطى البناء الحديث اى ميزة اقتصادية ، فضلا عن المزايا الاخرى التى تترتب على استخدام الحجر ، فهو يمتص الحرارة والرطوبة ولا يحتاج الى صيانة .

ثم أن هناك مشكلة قانونية ، فليس هناك ضابط يحكم عملية الانشاء . وغاية ما تستطيع الدولة ان تمارسه الان ، هو الزام الجهات الحكومية ببناء منشآتها على الطراز اليمنى ، ورفض اى تصميم يخالف ذلك . لكن مبانى القطاع الخاص تخرج من دائرة هذا الالزام .

وهناك بعد ذلك مشكلة رابعة ، يهمسون بها ولا يصنفونها تحت اى من التقسيمات السابقة . ذلك أن هناك أكثر من دولة عربية تقدم مساعدات لها اهميتها بالنسبة لليمن . ومؤسسات هذه الدول تباشر مشروعات انشائية عديدة ، لكنها كثيرا ما تتغاضى عن الالتزام بخطوط العمارة اليمنية ، ربما بسبب التكاليف . وهو وضع احرج السلطات فى اليمن، التى لا تريد أن تضغط على هذه المؤسسات ، ولا تريد أن توقف نشاطاتها التى هي فى امس الحاجة اليها ، ثم انها فى الوقت ذاته ، ليست سعيدة بما تصممه هذه المؤسسات من مشروعات !

المهم أن المجنى عليه فى النهاية هو هذا الفن المعمارى اليمنى العظيم .

ترى ، هل تجدى الدعوة الى انقاذ العمارة اليمنية؟أم تلقى هذه الدعوة مصير دعوات اخرى سابقة طالما بحت الاصوات وهى ترددها ، ولم تفلح واحدة منها فى انقاذ بقايا الشخصية العربية الاصيلة فى القاهرة ودمشق وفاس المغربية وبو سعيد التونسية وحي القصبة فى الجزائر .

ام كتب على هذه الشخصية العربية أن تندثر حتى فى العمارة !

وبعد الذى جرى ويجرى ، ماذا سيبقى من العرب بعد قرن من الزمان ؟! ■■



دار المعاجم باكسفورد

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ منذ ثلاثة واربعين عاما واكسفورد – ام المعجمات في العالم – في صراع من اجل اخراج اعظم معجم لاتيني انكليزي صدر حتى الان ، وقد تعاقب على العمل فيه العديد من فطاحل العلماء وجلة الاساتذة وماتوا دونه ولم تكتحل اعينهم بمرآة حتى اذا ما حلت سنة ١٩٦٨ صدر الكتاب الاول منه Fascicle بـ٢٥٦ صفحة(١) ، فايقن محبو الثقافة اللاتينية والحضارة الرومانية ان بوادر النور الجديد قد انطلقت ، فراحوا يترقبون الاجزاء الاخرى فظهر الكتاب الثاني سنة ١٩٦٩ والثالث سنة ١٩٧١ والرابع سنة ١٩٧٣ ، وتبين أن ميلاد كل كتاب او جزء مخاضه سنتان بانتظام ودقة ، وستظهر اربعة كتب اخرى فيكتمل المعجم • ومعنى ذلك أن عام ١٩٨٢ سيشهد معجم آكسفورد اللاتيني بشكله النهائي ، ويشمل المعجم مفردات اللاتينية منذ ظهورها الى الوجود حتى نهاية القرن الثاني للميلاد غير أن الكتاب المسيحيين الذين يمكن اعتبارهم من رجال هذه الفترة قد استبعدوا •

المعجم الجديد

والمعجم الاكسفوردي هذا سيكون اضخم بكثير من معجم لويس وشورت Lewis & Short ، ولو ان هذا الاخير يمتد الى سنة ١٦٠٠ للميلاد ، فان المعجم الجديد سيتقصى الالفاظ الكلاسيكية بدقة اكثر لان نطاقه الزمن أضيق ، ويعتمد على طبعات افضل لكتب المؤلفين الذين اعتمد عليهم المعجم القديم ، وهو أغنى بشوط بعيد بمادته المقتبسة من الكتابات المنقوشة ويعد تصنيفه للاستعمالات المختلفة للمفردات شيئا ممتازا بصورة عامة ، وبوسعي أن اضيف انه عمل فني قدر ما هو جهد علمي ، وبندر أن يجتمع العلم والفن مثل هذا الاجتماع او ان يظهر البحث الاكاديمي بهذا الاطار الفني الرفيع ، على أن عجبنا يتلاشى عندما نعلم إنه من انتاج مطبعة جامعة اكسفورد التي هي بحد ذاتها عجيبة من العجائب ، فقد بدأت بقرض لا يتجاوز الثلثمائة دولار قبل نحو اربعمائة سنة ، وهي اليوم مؤسسة

(١) صدر باشراف البحاثة بيتر غلير Peter Glare

عالمية رأسمالها سبعة عشر مليون جنيه استرليني تضم الاف الموظفين ،ولها فروع في القارات الخمس وفيما لا يقل عن تسعة عشر قطرا في شتى اصقاع المعمورة، ويسيرها الكثيرون من الاساتذة والعلماء في اقدم جامعة من جامعات العالم والعديد منهم لا يتقاضى اجرا او يكتفي باجر يسير ، وكان يراسها الى عهد قريب حجة في قراءة كتابات اوراق البردي.

ولكي نقرب صورة مطبعة جامعة اكسفورد من الاذهان يوضوح علينا ان نتصور مؤسسة النيويورك تايمس ومصانع رولز رويس Rolls-Royce في اطار امبراطورية للكتب ، اذ ذاك نفهم عظمة دار جامعة اكسفورد للطباعة والنشر ، فهي اكبر دار نشر اهلية (غير حكومية) في العالم ،وقد نشرت حتى الآن ما لا يقل عن ثمانية عشر الف مصنف في سجل يضم احد عشر الف صفحة ، وبين هؤلاء المؤلفين كتاب احرزوا جائزة نوبيل Nobel وعدد هائل من الكتاب المسرحيين والقصاصين والشعراء والفلاسفة فضلا عن رؤساء الدول ورؤساء الوزارات لدول مختلفة ، ولعل أروجما نشرته حتى الان هو الطبعة الانكليزية الجديدة للكتاب المقدس ، الذي نشر بالمشاركة مع مطبعة جامعة كمبردج التي اقل منها شأنا واصغر بكثير ، وقد بيع منها نسخ يقدر ما بيع من (مجموعة اقوال ماوتسي تونغ) .

دار اكســفورد

ويتراوح مجال منشوراتها بين قصص الاطفال واحدث الاطالس الديمغرافية للمسح السكاني .

ولم تشتهر مطبعة جامعة اكسفورد في شيء قدر ما اشتهرت بمجلداتها الثلاثة عشر الضخمة « لمعجم اكسفورد الانكليزي » المهدى الى الملكة فكتوريا ، ويباع منه رغم سعره الباهظ الف مجموعة كل عام وهو بطبيعة الحال المرجع الاعلى والاخير في اللغة الانكليزية .

ومما يساعد دار النشر هذه في انتاجها الضخم ان لها معامل للورق خاصة بها يرجع عهدها الى ما قبل ثلاثة قرون ، ولكنها مزودة باحدث الاجهزة الالكترونية ، وهي الى ذلك تزود العالم بنصف ما يطبع من الكتب المدرسية ، ويوازي فرعها في الولايات المتحدة مطبعتي جامعتي كاليفورنيا وشيكاغو معا .

وتدار المؤسسة برمتها من اكسفورد من بناية اثرية فخمة تعد من مفاخر الفن المعماري وتعرف ببناية كلارندون يرجع تاريخها الى القرن الثامن عشر ،ويعقد فيها ثلاثة عشر اجتماعا سنويا لمجلس المديرين ومنهم شخصيات علمية مرموقة مكافاتها الوحيدة الحصول على اي كتاب تحتاج اليه من مطبوعات المؤسسة بالمجان،وكان يراس «امبراطورية الطبع والنشر»هذه ، الى عهد غير بعيد ولمدة ستة عشر عاما كولن روبرتس Colin Roberts ، الذي كان استاذا بجامعة اكسفورد لاربعين عاما في موضوع « علم البرديات » Papyrology وكان اول من اكتشف اقدم فترات من العهد القديم مكتوبة على اوراق البردي وكثيرا ما كان يقول انه سيشرع عندما يحال على المعاش بكتابة المزيد من الكتب غير الرائجة التي يصعب بيعها في المكتبات .

امبراطورية حول العالم

ويسيطر مدير المؤسسة على امبراطورية مقسمة الى ثلاثة اجزاء ، الجزء الاول باكسفورد ويقع تحت سيطرته المباشرة ويقيه الجزء الثاني بلندن على بعد ثلاثة وخمسين ميلا ، والجزء الثالث وهو اوسعها جميعا اذ يكاد يلف الكرة الارضية برمتها ويشتمل على دوائر تمتد من كاليفورنيا الى كلكتا ومن نيروبي الى هونغ كونغ Hong Kong .

اما المقر العام لمطبعة جامعة اكسفورد فيقع بين بحيرة كلية ورستر Worcester والاحياء الفقيرة باكسفورد وكان قد بني سنة ١٨٣٠ ، وفيه تشتغل احدث المطابع المقتناة من المانيا وايطاليا فضلا عن بريطانيا وتقذف بسيل من المعجمات والقواميس والموسوعات واوراق الامتحانات والكتب والمجلات العلمية ، وتستخدم من الحروف ما زنته خمسمائة

طن بخمسمائة وخمسين حجما وبمائة وخمسين هيئة ومنها الحروف الهيروغليفية والقبطية والامهرية والصينية والارمنية بحيث تضم مائة واربعين لغة، ومن الغريب انني لم أجد بها الحروف العربية(٢) وهذا من اعجب العجب ،رغم وجود الحروف العبرية والاغريقية ووجود اختصاصيين يصححون المسودات الطباعية بهذه اللغات الاجنبية العديدة •

على أن ما تطبعه مطبعة جامعة اكسفورد من امهات المراجع والمعجمات بالنسبة لسائر مطبوعاتها هى كقمة الهملايا بالنسبة لقمم سائر الجبال فى العالم ، وان ما تبيعه من المعجمات وحدها يبلغ الربع مليون نسخة سنويا ،وقد استغرق اخراج معجم اكسفورد الضخم سبعين عاما ، اذ صدر المجلد الاخير وهو المجلد الثالث عشر سنة ١٩٢٨ ، ومنذ ذلك الحين والاف الرسائل تترى على المطبعة لاستدراك كلمات جديدة ظهرت بالانكليزية ،وسيظهر المستدرك بمجلدين اضافيين يحويان الالفاظ الجديدة التى استعملها الكتاب والشعراء المحدثون أو عثر عليها فى الصحف والمجلات المعاصرة ، وهكذا فان معجم اكسفورد الكبير فى نمو مستمر كالعملاق الذى لا يعرف نموه توقفا ، وحبذا لو اتبعنا الاسلوب ذاته فى اصدار معجم ضخم للعربية يؤرخ لنا الالفاظ والتعابير منذ نشأتها نشفعه بملاحق ومستدركات كلما ظهرت الفاظ وتعابير مستحدثة فان مستدركات معجم اكسفورد يشارك فى تصنيفها ملايين الناطقين بالانكليزية من شتى انحاء المعمورة • وهكذا اصبح المعجم وسيلة لتعلق الكتل الهائلة من البشر بالانجليزية والتفاهم حولها • وان عملا مماثلا بالعربية سيخلق الشعور ذاته ويزيد من ارتباطنا الفكرى واللسانى والروحى •

دور الاساتذة

ويشارك فى عملية الاضافة الى معجم اكسفورد الكبير بصورة خاصة الاساتذة والمعلمون والقسس والرهبان والكتاب والنقاد وعلى رأس الاخيرين الناقدة المعروفة مارغانيتا لاسكى Marghanita Laski ، ولعلها اكثرهم نشاطا ومساهمة لا لشىء الا لحبها الغامر العميق للغة ، ويقوم بتصنيف هذه الالفاظ الاستاذ روبرت برجفيلد Robert Burchfield ، الاختصاصى باللغة الانكلوسكسونية والانكليزية القديمة والوسيطة •

وتقوم دار جامعة اكسفورد بنشر معجم الاعلام الوطنى The dictionary of national biography (D.N.B.) مرة كل عشر سنوات مع انه يتضمن سيرة الموتى من الاعلام المحدثين اعتمادا على الصحف التى تنشر سيرهم ، فان الكثيرين منهم يحذفون مع مرور الزمن لعدم تمتعهم بالاهمية الدائمة • فالشهرة غير الخلود ، وكثيرون هم المشاهير ولكن الخالدين قلة !

اما المعجم الآخر الضخم الذى استهللنا به بحثنا هذا ، فهو من غير شك (معجم اكسفورد اللاتينى) باشراف بيتر غلير ـ على ما اسلفنا ـ وهو خريج جامعة كمبردج ويقوم باستخراج الفاظ معجمه من النصوص اللاتينية الكلاسيكية ولا سيما مما كتبه فرجيل Virgil وسينيكا Seneca وهو اشبه ما يكون براهب من القرن الخامس الميلادى •

مع شكسبير

ولقد انحصرت فعاليات دار اكسفورد للنشر خلال الثلثمائة سنة الاولى من وجودها ضمن نطاق مدينة اكسفورد ، فقد اسست سنة ١٥٨٥ عندما بلغ شكسبير مبلغ الرجولة ، وبعد مائة عام من ذلك قام الدكتور « فيل » Dr. John Fell باعمال باهرة للمطبعة وزودها بحروف لا يزال بعضها مستعملا ومحفوظا لاغراض تاريخية ، غير أن الغريب ان الرجل رغم خدماته اصبح هدفا لاهجية ظريفة لا تزال ترن فى الاسماع ، يقول فيها الهاجى الذى لا يعرف اسمه ولا سبب هجائه :

انا لا أحبك يا دكتور فيل

ولا استطيع ان ادلى اليك بالسبب

غير ان الشىء الوحيد الذى أعرفه تمام المعرفة

هو انني لا احبك يا دكتور فيل !!

وبدأ القرن الثامن عشر بنجاح تجارى عظيم برواج كتاب اللورد كلارندون Lord Clarendon

---

(٢) لقد سألت فى ذلك فقيل انها موجودة غير انها لا تستعمل الا لاوراق الامتحانات لان المرتبين بطيئون يستغرقون الساعات الطوال فى ترتيبها وهذا ما يكلف المؤسسة اجورا عالية ، وفى الوقت ذاته لا يمكنهم استخدام مرتبين عرب لممارضة وزارة العمل البريطانية •

الموسوم بـ « الرواية التاريخية الصحيحة للثورة الاخيرة والحروب الاهلية في انكلترة » True Historical Narration of the late Rebelion and Ciril Wars in England .

فاستطاعت المطبعة أن تبنى من ارباح هذا الكتاب بناية الكلارندون المشهورة التي اصبحت مقرا عاما لها ، ولا يزال مديروها يجتمعون في قاعة من قاعاتها التي تتصدرها صورة بالحجم الطبيعي للملكة آن ملكة انكلترة يومذاك ، وتوسعت المطبعة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر متجهة اتجاها عالميا ولا سيما بعد عام ١٨٧٤ عندما اعترف باهمية فرعها الجديد بلندن ، ومن اشهر مديريه السير همفري ميلفورد Sir Humphrey Milford الذي تولى الادارة من ١٩١٣ الى ١٩٤٥ وعرف بالرجل ذي الطاقة الاسطورية اذ ابتدع اساليب ادارية جديدة ، واخرج طبعات جديدة لعدة كتب منها ديوان شعر روبرت براونتغ Robert Browning وديوان وليم كاوبر William Cowper ، ويطبع ما بين ربع وثلث انتاج «دار النشر» في لندن ولها مخزن يستوعب ستة عشر مليون مجلد ، وتفكر الشركة في اقامة اعظم مخزن لدائني (بلاستيكي) قابل للتوسع لخزن الكتب في العالم •

فروع الشركة

اما الفرع الامريكي في نيويورك فيطبع ما لا يقل عن ستمائة كتاب سنويا ويشحن اليه من بريطانيا نحو ٦٥٠ طنا من الكتب كل عام •

وللشركة فروع اخرى مهمة في الحبشة ونيجيريا والهند ، ولعل الفرع الاخير يلي الفرع الامريكي من حيث الاهمية فهو يطبع وينشر باربع عشرة لغة محلية عدا الانكليزية •

لقد سقت كل هذه التفاصيل لابين ما يمكن ان تكون عليه دار عربية كبرى للطباعة والنشر اذا ما احتذت حذو دار اكسفورد العريقة ،فنحن احوج ما نكون الى دار من هذا الطراز ، ما دمنا نملك المال والامكانيات والطاقات والتراث الممتدة جذوره في اعماق اربعة عشر قرنا او يزيد •

ولقد اتيت على ذكر المعجم اللاتيني الانكليزي وما تبذله جامعة اكسفورد من اجله في حين ان اللغة اللاتينية ـ كما نعلم جميعا ـ لغة ميتة لا تثير الهمم ـ لايجاد معجم تاريخي حي متطور للغة العربية من اقدم عصورها الى يومنا هذا•

وحبذا لو وضعنا نصب اعيننا معجم اكسفورد الانكليزي الضخم ذا الثلاثة عشر مجلدا كنموذج مع الاستعانة بالاسلوب المتبع في المعجم اللاتيني، اذن لامكننا ايجاد ما يمكن ان يكون نصبا تذكاريا خالدا للغتنا السماوية المقدسة •

وقد اتبع ناشروا المعجم طريقة بارعة في طبعه طبعة خاصة لا تتجاوز المجلدين وذلك بتصغير صفحاته الى اقصى حد ممكن ووضع كل اربع صفحات في صفحة واحدة من الاصل ، مع تزويد القارىء بعدسة مكبرة قوية بحيث يستطيع مراجع المعجم ان يقرا ما يريد من غير عناء ، وبذلك يسروا على الكثيرين الاكتفاء بمجلدين عن ثلاثة عشر مجلدا قد تحتل حيزا كبيرا في المكتبات الخاصة •

وهكذا يحببون المعاجم الضخمة الى الجمهور بطبعها باشكال وحجوم ملائمة لتسرى الفائدة الى جميع النواحي التي قد تخطر للانسان • ■■

صفاء خلوصي

تعاون !

● كان طالبان في أحد الصفوف يساعدان بعضهما البعض أثناء تأدية الامتحان ، وذلك بهدف الحصول على علامات أفضل من أى طالب آخر فى الفصل • وبعد انتهاء الامتحان وتدقيق كراسات الاجابة أعيدت اليهما ورقة اجابة واحدة كتب فى أسفلها التعليق التالى : تقاسما هذه العلامة بينكما •

جـ • فراى • ليندز

المرأة والحرب في التاريخ الاسلامي

بقلم : الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

■ لم يكن للعمل السياسي في صدر الاسلام ميدان يختلف عن ميدان العمل العسكري كما هو الحال اليوم ، حين اختص قوم بهذا وقوم بذاك • بل كان لكلا العملين ميدان واحد لا يفصل بينهما خيط ، وجهد واحد لا يفرق بينهما اختصاص • وفي هذا المنطلق • سجل التاريخ للمرأة المسلمة بطولات عسكرية قل نظيرها ، وتضحيات شاقة يعز على كثير من الرجال احتمالها •

ومن الامثلة على ذلك ما رواه التاريخ لنا عن « غزالة » زوجة شبيب بن يزيد الخارجي ، التي خرجت مع زوجها على عبد الملك بن مروان في امارة الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق ـ وكانت غزالة تقدم له النصح والمشورة ، وتقاتل الى جانبه في المعارك ، وتستقل عنه أحيانا بالقتال على رأس مجموعة من الاتباع ، حتى أن الحجاج نفسه هرب امامها في بعض المواقع ، فعيره بعضهم بقوله :

إسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر

ولم تزل غزالة وزوجها شبيب يحاربان الحجاج حتى هزما له عشرين جيشا على مدى سنتين، منها: جيش عتاب بن ورقاء ، وجيش الحارث بن معاوية، وجيش أبي الورد البصري ، وجيش طهمان مولى عثمان • وفي مرة : كبست غزالة وزوجها شبيب الكوفة ليلا ، ومعهما ألف من الخوارج ، ومائتان من النساء قد اعتقلن الرماح،وتقلدن السيوف، وقصدوا المسجد الجامع ، فقتلوا حراس المسجد والمصلين فيه ، ونصبت غزالة على المنبر ، فخطبت في الجيش وقال خزيم بن فاتك الاسدي في ذلك:

اقامت غزالة سيف الضراب
لاهل العراقين حولا مميطا
سرت للعراقين في جيشها
فلاقى العراقان منها أطيطا

ولما قتل شبيب بايع أصحابه ـ في الجانب الاخر من نهر الدجيل ـ غزالة التي بقيت تصرف الامور وتقود المعارك ، حتى عقد سفيان بن الابرد الجسر، وعبر مع جنده الى أولئك الخوارج ، وقتل اكثرهم وفيهم غزالة ، وأسر الباقين من أتباع شبيب •

ومن ملامح الوعي السياسي للمرأة في صدر الاسلام • ذلك الايمان به الذي يتجاوز المالوف ، وذلك البذل الذي يفوق التصور ، وذلك التخلي في سبيله عن كل شيء •



ولعل الكثيرين يتفقون معى على أن العمل السياسى فى أذهان البعض من الناس اليوم لا يعدو كونه هواية تفتقر الى العقيدة ، ونزهة تخلو من التضحية ، وتحركا لا تلحقه التبعات ، يخوض الفرد المعاصر غمار السياسة من أجل السياسة وحدها ، لتوصله الى منصب يدر عليه الربح ، أو موقع يستدر منه الجاه ، أو لقب يوفر له السلطة والنفوذ ، من غير أن يعانى فى سبيل ذلك ثقلا نفسيا ينوء به ، أو ثكلا أسريا ينوح عليه ، أو موقفا حاسما يدفع فيه حياته •

الفدائية الاولى

ولم يكن الامر كذلك فى ممارسة المرأة – فى صدر الاسلام – للعمل السياسى ، يوم أن جاهرت بالرأى حين كان العنت دونه ، وشاركت فى الجهاد حين كان النصب حوله ، وتقلدت حمائل السيف حين كان الموت اقرب اليها من غمده• ولكنه الايمان الذى كان حاميا لها من الضعف ، وكانت العقيدة عاصمة لها من التخلف ، وكانت الاخرة أحب اليها من الدنيا • حتى ضربت المرأة فى ذلك مثلا لا يستوعبه العقل ، واعطت لذلك نموذجا لا يعرفه العرف ، وقدمت فى سبيل ذلك تضحيات لا تحتملها الطاقة البشرية المعتادة •

فلان تضحى المرأة بمالها أمر معقول ، ولان تضحى بنفسها شىء ممكن ، ولكن ان تضحى باولادها وتدفعهم بيدها الى الموت دفعا مع فرصة للنجاة متاحة ، ونافذة الى الحياة مشرعة : فهذا هو الامر اللامعقول واللاممكن ، غير أن نوعية ما تملكه المرأة المسلمة من ايمان ، وحقيقة ما تحمله من عقيدة ، وحصيلة ما تتسلح به من وعى، هو الذى جعل من ذلك كله ممكنا ، بل معقولا ، بل واجبا يتحتم القيام به والاقدام عليه• فالتاريخ لا ينسى – مثلا – ما فعلته ذات النطاقين « أسماء بنت أبى بكر الصديق » تلك التى قامت فى شبابها بدور الفدائية الاولى فى الاسلام فى احلك ساعة من ساعات رسول الله (ص) وساعات أبيها رفيقه فى الغار حين كان الهول فى الساحة يومئذ شديدا ، وحين كان الخطر من حولها حينئذ محتوما ورهيبا•

غير أن ما فعلته أسماء فى شيخوختها أمر مختلف ، يستحق الوقوف عنده للعبرة ، ويتحتم الوقوف عليه للدراسة ، ويجب الوقوف له وقفة الاجلال والاكبار •

وقبل أن نقف عنده ، ونقف عليه ، ونقف له ، اليك القصة :

كانت أسماء بنت أبى بكر الصديق أما لعبدالله ابن الزبير– فجاء اليها وقد أحاط به أعداؤه وأيقن

انه مقتول لا محالة . فسألها ماذا يصنع ؟

فقالت له : « ان كنت تعلم انك على الحق فامض فى سبيلك غير هياب ولا وجل » .

فقال لها : ولكن الحجاج امنني على حياتي ان انا القيت السلاح واستسلمت .

فقالت له : والله لان تموت على الحق ورأسك الى السماء خير من أن تعيش ورأسك امام الحجاج الى الارض .

فقال لها : ولكنهم سيمثلون بي بعد قتلي .

فقالت له : وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها ؟

فيذهب ويقاتل حتى يقتل . اى طراز فى النساء هذا الطراز الذى حمل الدعوة وأدى الامانة ، وكان عند حسن ظن الله به .

فماذا كان على أسماء لو انها أتاحت لولدها الفرصة المتاحة للنجاة ، ووهبته اللحظة السانحة للحياة ، وهى لا تخشى من جراء ذلك عارا يحفظه الناس ، أو اثما يغضب الله . ولكنها خيرت فاختارت أشد الامرين هولا ، واقسى المشربين غصة، واخشن السبيلين مسلكا ووعورة ، وكانى بها حين عرضت لها فكرة النجاة كانت راغبة فيها ، وحين خطرت لها فكرة الموت كانت راغبة عنها ،غير أن تلك الرغبة المشروعة من المرأة الام صادفت زخم الايمان فى قلبها فتراجعت عاطفة الامومة ، وصادفت تكوين الاسلام لوعيها فتجمدت نوازع الحنان ، وقارعت تربية أبي بكر الصديق فارسلت أسماء نفسها على سجيتها غير نادمة ولا نادبة .

ويستمر مفعول الايمان فى التأثير على شيخوخة أسماء الموغلة فى القدم ، فيسند قواها المتداعية، ويجدد عزمها الواهن ، وتحترق أمومتها الطاهرة بنوره وناره ، وتصبر صبر الجبال على مشهد ابنها المصلوب ، ويكويها الشوق الى ضم جثته الحبيبة بين أحضانها فتغفو . ولكن ماذا تفعل وقد حال بينها وبين هذا قسم الحجاج الذى اقسم على أن لا ينزله من على خشبة الصلب حتى تاتى أسماء بنفسها تطلب ذلك،وسول له غباؤه وغروره المنتصر أنها ربما تفعل ذلك ، وفاته أنها احتملت من مقارع الهول حين دفعت بولدها الى الموت ما هو أشد واقسى مما تحتمله الان « وهى بانتظار جثته ، وان من تصبر على فقد عبد الله حيا ، لصابرة على فقد جثته ميتا » . وتمر الايام وعبد الله مصلوب على خشبته ، والحجاج بجانبه يتمنى لو تحضر امه تطلب منه الجثة لتريحه من احراج القل عليه ، وعذاب أسرع به ، وشعور بالتفاهة والوحشية والسخف اذهب عليه لذة النصر. ولكن أسماء لا تاتى ، والحجاج لا يتراجع، والتاريخ يشهد ذلك مبهور الانفاس ، ويتغيب الحجاج فى بعض شؤونه ، وتعلم أسماء بغيبته ، وتخرج من بيتها فى جنح الليل تقودها عصاها ، وتصل الى المكان الذى فيه جثة عبد الله المصلوبة، تحتضن قوائم الخشبة التى يتدلى منها الجسد الحبيب ، وتتارجح عليها العظام الغالية ، فتخالط انفها روائح البطولة الممزوجة بالدم ، وتملأ صدرها باريج الرجولة التى امتحنها السيف ، وتناجى نفسها وتقول : « اما ان لهذا الفارس ان يترجل » .

وتبلغ الحجاج مقالتها هذه ، فيخدعه الوهم الذى تمكن منه ، ويعتبر ذلك طلبا من أسماء بانزال الجثة ، ويحاول أن يقنع نفسه المتصدعة بهذا الوهم الذى لا يملك سواه ، فيامر بانزال المصلوب وتسليمه الى أمه ، ويذهب الجنود به اليها ، فتحتضنه وتفنى فيه ، وتتناثر أطرافه المتهرئة من حولها ، وتقضى ليلتها وهى على ذلك،تبكى عليه بكاء قويا كايمانها ،وتحزن عليه حزنا شديدا كعزمها ، وتحنو عليه حنوا عبقريا كوعيها ، حتى بلغ فرط الحنان عندها أن در لبنها عليه كما تقول بعض الروايات .

فاى طراز من الامهات هذا الطراز ، واى عطاء من المرأة هذا العطاء ، واى بنية تلك التى احكمها الاسلام .

عند صفحة الخنساء

ويقلب التاريخ صفحة أسماء ، ويفتح لنا بعدها صفحة الخنساء « تماضر بنت عمرو بن الشريد » الخنساء التى ملات الدنيا بكاء على اخيها صخر ، حتى ابكت القاتنة فى ليلة عرسها ، وناجت الطير والشجر وهامت فى الاودية والبقاع ، وعشقت كل واد تجرى على بطاحه عيون الماء لانه يذكرها بعينيها الجاريتين على صخر ، فتقول :

وواد حكى الخنساء لا فى شجونه
ولكن له عينان تجرى على صخر

الخنساء هذه نفسها ياتيها الاسلام فيعلمها

المعنى الجديد للحياة ، والهدف الجديد للوجود، والصياغة الجديدة للمراة، وتمضى الايام سريعة خافقة • ويخرج المسلمون الى حرب القادسية، وتخرج اليها مع ابنائها الاربعة ، وفى ليلةالمعركة تجمعهم وتوصيهم فتقول :

« يابنى ، انكم اسلمتم طائعين وهاجرتـــم مختارين ، ووالله الذى لا اله غيره ، انكم لبنو رجل واحد وامراة واحدة ، ماخنت اباكم ، ولا فضحت خالكم ، وقد تعلمون ما اعد الله لعباده المجاهدين ، امضوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائه مستنصرين » •

فيخرج الابناء الاربعة الى الحرب وتبقـــى الخنساء تقوم بدورها فى مؤخرة الجيش ، تواسى الجريح، وتسقى العطشان، وتحضر المؤن،ويستبسل الابناء فى القتال وينشدون الشعر بذكر العجوز الخنساء ، ويقتلون واحدا تلو الاخر ، ويبلـــغ الخنساء خبر مقتلهم جميعا ، فتقول :

« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وارجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » • لم تمض فى سبيل ما هى فيه لم تتوقف ، وكان شيئا مروعا لم يقع ، وكان حدثا جليلا لم يحدث •

ولست لقيل الظل الى الحد الذى يجعلنى افسد على القارىء تاملاته بالتعليق ، او اقتحم عليه انبهاره بالكلام ، او اربك له خشوعه بالتوضيح• لان اى كلام فى مثل هذا المقام لابد وان يكون غثا مهما احكمته الفصاحة ، ولان اى تعليق علىمثل هذه المواقف لابد وان يكون فجا مهما زوقتهالبلاغة، ولان اى توضيح لمثل هذه الملاحم لابد وأن يكون فظا مهما كانت الملاحظة دقيقة وعميقة وذكية •

ولقد صادف رسول الله (صلى) مثل هـــذه البطولات فاكتفى بالتثمين ، ومرت امامه مثل هذه التضحيات فقابلها بالاجلال ، وامتحنت المراة من حوله فتفجرت على شفتيه ابتسامة اعجاب عريضة، هى ابلغ من اى حديث •

ام عمارة امام الرسول

ففى غزوة احد يعرف التاريخ جيدا موقف ام عمارة « نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عـــوف الانصارية »، من اوائل المسلمات ، وحضرتليلة العقبة وبايعت النبى (ص) وشهدت احد مع زوجها يزيد بن عاصم وابنيها حبيب وعبدالله ولما انهزم المسلمون انحازت الى رسول‌الله بالسيف،واخذت ترمى بالقوس حتى اقبل ابن قميئة وهو يصيح : دلونى على محمد ـ فلا نجوت ان نجا ـ فاعترض له مصعب بن عمير وام عمارة ـ فضربها ضربة وضربته على ذلك ضربات ، ولكن كان عليـــه درعان فاتقى بهما ضرباتها •

وحدثت ام عمارة عن احد فقالت : « انكشف الناس عن رسول الله (ص) فما بقى الا نفر ما يتمون عشرة ، وانا وابناى وزوجى بين يديه ، نذب عن رسول الله والناس يمرون منهزمين •

ورآنى رسول الله (ص) لا ترس معى ، فراى رجلا منهزما معه ترس فقال لصاحب التـرس : « الق ترسك الى من يقـاتل » فالقى ترسـه ، واخذته ، فجعلت اتترس عن رسول الله (ص) ، وانما فعل بنا الافاعيل اصحاب الخيل ، فيقبل رجل عليّ على فرس ، فيضربنى ، فتترستله، فلم يصنع سيفه شيئا وولى ، فضربت عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبى (ص) يصيح على ولدى قائلا : « يابن ام عمارة ، امك امك » فعاونتى عليه حتى اوردته الهلاك •

وجرح ابنها « عبيد بن زيد » وجعل دمه يسيل وهى لاهية عنه بقتال الاعداء حتى نادى رسول الله (ص) ابنها فقال : « اعصب جرحك » فتنبهت اليه ، واقبلت عليـه معها عصائب قد اعدتهـا للجراح ، فربطت جرحه ، والنبى واقف ينظـر اليها باعجاب واكبار ، ثم قالت لابنها : بـنى انهض فضارب القوم ، فنهض ونهضت معه • فلم يزد رسول الله على أن قال وكانه يحدث نفسه : « ومن يطيق ما تطيق ام عمارة » •

ثم اقبل الرجل الذى ضرب ابنها ، فقال رسول الله (ص) لها : هذا ضارب ابنك •

قالت : فاعترض له ، فاضرب ساقه فبرك • قالت : فرايت رسول الله (ص) يبتسم حتى رايت نواجذه •

وحدث رسول الله (ص) عنها بعد ذلك فقال : « لمقام نسيبة خير من مقامفلان ، وفلان،ما التفت يمينا وشمالا الا وانا اراها تقاتل دونى » وكان يراها تقاتل يوم احد اشد القتال ، وانها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر رجلا •

وقد حدثت ام عمارة عن دور المراة فـى تلك المعركة ، ومن طريف ما ذكرت عن ذلك : انالنساء كان معهن المزاود والمكاحل ، فكلما ولى رجل او

تكمكع ناولته احداهن مرودا ومكحلة ،ويقلن له: خذ تكحل فانما انت امرأة • (ولكنه ليس امرأة كام عمارة على اى حال) •

وقد شهدتت ام عمارة بيعة الرضوان ، ثم شهدت قتال مسيلمة باليمامة حيث جاهدت أجل جهاد حتى جرحت احد عشر جرحا ، وقطعت يدها، وقتل ولدها ، ولم تتوقف •

بهذه النوعية الفذة من النساء المسلمات بلغت الرسالة اهدافها ،ولبست الحياة حلتها ،وحققت الانسانية احلامها •

ومن هذه الحقيقة التى لا يحيط بها اللبس ، ولا يحيط بساحتها الغموض : وفرت المرأة عناصر القوة للفكر ، واستكملت عوامل الفتوة للمجتمع، وهيأت أسباب الحياة للحياة •

ومخاطبة الجماهير ايضا

ومن الملامح الاساسية للوعى السياسى عند المرأة فى صدر الاسلام ، هو القدرة الكاملة على مخاطبة الجماهير ، والقاء الخطب السياسية المؤثرة التى تتميز : بقوة التعبير الناتج عن وضوح الرؤية وبلاغة البيان الصادر عن عمق الفهم ، وشدة السبك التى تدل على تكوين فذ واستعداد كبير•

وفى التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك ، ومنها : ماروى من خطبة «امكلثوم بنت على بن أبى طالب» حين وقفت تخاطب اهل الكوفة سنة ٦١ هـ بعد مقتل الحسين بن على بن أبى طالب ، فارتجلت الكلمة التالية :

« ابدأ بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه، أما بعد : ياأهل الكوفة ياأهل الختر والخذلان ، فلا رقات العبرة ، ولا هدات الرقة ، وانما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، ألا وهل فيكم الا الصلف والشنف ، وملق الاماء وغمز الاعداء ، وهل أنتم الا كمرعى على دمنة ، وكفضة على ملحودة ، الا ساء ما قدمت انفسكم ان سخط الله عليكم وفى العذاب انتم خالدون •

أتبكون ؟ اى والله فابكوا ، وانكم والله احرياء بالبكاء ، فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، فلقد فزتم بعارها وشنارها حين قتلتم سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب اهل الجنة ، ومنار محجتكم ، ومدره حجتكم ، ومفزع نازلتكم ، فتعسا نكسا، لقد خاب السعى، وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة،لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، اتدرون اى كبد لرسول الله فريتم ، واى كريمة له ابرزتم واى دم له سفكتم ، لقد جئتم بها شوهاء خرقاء، ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينظرون، فلا يستخفنكم المهل ، فانه لا تغفره المبادرة ، ولا يخاف عليه فوت الثار ، كلا ان ربك لنا ولهم بالمرصاد » •

هذا انموذج للخطب السياسية التى كانت تصدر عن ثقة وكفاءة من النساء المسلمات ، وان فى التاريخ منها الكثير •

ولقد كانت ام كلثوم تشارك فى العمل السياسى حين ترى ذلك امرا ينفع الاسلام ، وجهدا يمنع الضرر ، وسبيلا يراب الصدع •

ومن هذه المواقف : ان عبدالله بن عمر بن الخطاب (رضى) كان على الحياد فى الفتنة التى وقعت بين على ومعاوية نظرا لشدة ورعه وتقواه• ولما خرج طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة الى البصرة اغتم على لذلك كثيرا ، فجاءه من قال له: حدث البارحة حدث هو أشد عليك من طلحة والزبير وام المؤمنين ومعاوية • فقال على: وماذاك ؟ قالوا خرج ابن عمر الى الشام ، فارتج على لهذا النبأ ، لعلمه بتاثير ابن عمر لو انحاز الى معاوية ، فدعا بالظهر ، فحمل الرجال واعد لكل طريق فريقا من الناس يطلبون ابن عمر ، وماج أهل المدينة •

فسمعت ام كلثوم بالذى هو فيه ، فدعت ببغلتها ، فركبتها فى رحل ، ثم اتت عليا • وهو واقف فى السوق يفرق الرجال فى طلبه ، فقالت: « مالك لا تزند من هذا الرجل ان الامر على خلاف ما بلغته وحدثته ، فدع عنك هذا الامر وأنا ضامنة له » • ففكر على مليا ، واقتنع بقولها وطابت نفسه ، وقال للرجال الذين جمعهم : انصرفوا والله ما كذبت ولا كذب عبدالله بن عمر ، وانه عندى لثقة » • وتامل فى ما يمكن ان يحدث او انطلق الرجال فى اثر عبد الله بن عمر وتطور الامر الى حد الاعتداء عليه ، وهو بالمكانة التى عند المسلمين • غير ان ام كلثوم بوعيها

وتأثيرها في الاحداث وتدخلها في الامر استطاعت أن تقضي على الفتنة قبل ان تقع •

وماذا على ام كلثوم لو انها لزمت دارها وكفت نفسها شر القتال ، ولكنه الوعي الاسلامي الذي لا تشكل السياسة الا جزءا من أجزائه ، وليس غريبا على ام كلثوم ان تفعل ما فعلت ، وأن تقول ماقالت ، فهي ابنة علي ، وزوجة عمر ، وغرس الاسلام الذي لا يغيب •

حتى المزاج السياسي

ولعلي اثقلت على القارىء بالجانب المؤثر من وعي المرأة السياسي الذي يمتزج الاعجاب بـــه بالحزن عليه ، ويختلط الامل فيه بالالم منه ،وأن في الجوانب الاخرى متسعا للقول ومجالا للحديث، فقد كانت المرأة في صدر الاسلام تحسن المـــزاج السياسي المؤدب • والغمز السياسي الرزيـــن والشواهد على ذلك كثيرة منها :

دخلت بثينة ــ صاحبة جميل ــ على معاوية • وكانت عجوزا ــ فقال لها معاوية مازحا : ماالذي راه جميل حتى قال فيك ماقال ؟

فقالت غامزةله : «رأى فيّ ما راه فيكالمسلمون حين ولوك عليهم » : فضحك معاوية من قولها • ولقد ضربت هند بنت عتبة بن ربيعة المثل على استقلال المرأة في الرأي ، وانقياد التصـــرف للاقتناع ، بعيدا عن التقليد او المحاكاة • فبعد أن اظهرت هذه المرأة كرها شديدا للاسلام بعد ان قتل في بدر ابوها عتبة بن ربيعة ، وعمها شيبة ابن ربيعة واخوها الوليد بن عتبـة واستـــمرت عداوتها المشهورة للاسلام ولرسول الله : أصبحت ذات يوم تقول لزوجها انما أريد أن اتابع محمدا، قال : قد رايتك تكرهين هذا الحديث أمس •قالت:

اني والله ما رأيت أن عبدالله حق عبادته في هذا المسجد كما يعبده اتباع محمد ، ان ياتوا الا مصلين قياما وركوعا وسجودا • فقال : فانك قد فعلت ما فعلت فاذهبي برجل من قـــومك معـــك ، فذهبت الى عمر بن الخطاب ، فذهب فاستاذن فدخلت ، فقالت : يارسول الله الحمد لله الذي اظهر دينه الذي اختاره لنفسه واني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ، والله ماكان على الارض اهل خباء احب اليّ ان يذلوا من خبائك ، ولقد اصبحت وما على الارض اهل خباء أحب اليّ ان يعزوا من خبائك» •

وحين ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولدها معاوية ابن أبي سفيان ماولاه من الشام كانت هند تقوم بدور المستشار السياسي في كثير من المواقف • ومن ذلك : أنها كانت مرة في بلاد كلب تتجر ، فباعت واشترت ، فبلغها أن أبا سفيان وعمرو بن ابي سفيان قد اتيا معاوية ، فعدلت اليه من بلاد كلب ، فاتته • فقال لها : ما اقدمك يا أمة ؟ • قالت النظر اليك ، أي بني : انـــه عمر ،وانت تعرف من يكون ، انما هو يعمل لله، وقد اتاك ابوك ــ فخشيت ان تخرج اليه من كل شيء ، وأهل ذلك هو ، فلا يعلم الناس من اين اعطيته فيؤنبك عمر ، فلا يستقيلها •

فبعث الى ابيه والـى اخيـه بمـائة دينـار ، وكساهما ، وحملهما • فتعظمها عمرو بن ابي سفيان ــ اي استهول ان يكون عطاء معاوية لابيه واخيه بهذا القدر اليسير ــ فقال أبوسفيان لا تعظمها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ، ومشورة قد حضرتها • وكانت صائبة في رأيها فلقد علم عمر بذلك ، وصادر المائة دينار ووضعها في بيت المال • ولقد شهدت هند اليرموك وكانت تحرض على قتال الروم ، وجعلت تخطب في الجيش •

والكلام في مواقف النساء السياسية في هذه الفترة الزمنية القصيرة لا ينتهي ، واعلام النساء في هذا الصدد تملأ صفحات التاريخ•أمثالفاطمة بنت مروان ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وأم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي ، ولبانة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، وليلى بنت أبـي حثمة بن حذيفة ، وليلى بنت الخطيم ، وليلى بنت عميس وغيرهن الكثير الذي ليس بمقدور مقالة كهذه ان تعطي أكثر من ضرب المثل،وتقديم الانموذج •

واذاكان للمرأة المسلمة مثلهذا الوعيالسياسي فانها برواية الحديث اشد وعيا ، وبدراسة الفقه اكثر دراية،وبجوانب التربية أعمق خبرة،وبصنوف البلاغة والادب اخصب الماما تجيد عند الحديث ، وتحسن عند العمل ، وتخلـص عند النصيحـة ، وتصدق عند اللقاء •

■■

ابوظبي ــ د • أحمد عيد الكبيسي

رئيس قسم الدراسات الاسلامية
العربية المتحدة بجامعة الامارات



غذاؤك سنة ٢٠٠٠

كله مصنع من الخضر والفاكهه الى اللحم البقرى !

يعد العلماء من الآن لانقلاب شامل فى غذاء الانسان ، مع بداية القرن الواحد والعشرين، حده الادنى الاعتماد على الاغذية المصنعة ، من الخضر الى اللحم البقرى ! .. ويبدو ان هذا هو الحل المنظور لمواجهة ازمة تزايد البشر وعدم كفاية الانتاج .

والاسئلة المثارة الان كثيرة ، ففى عام ٢٠٠٠ ، هل ستبقى انواع اللحوم والبطاطا التى يتناولها الانسان كما هى عليه الان ؟ هل سيظل لون الطماطم (البندورة) احمر ، والفاصوليا والبازلاء ، ذات لون اخضر ؟ هل سيستمر وصول الروبيان - او الجمبرى - من البحار ؟ وهل سيستمر البرتقال فى النمو على الاشجار ؟

لم يستطع علماء الغذاء فى الولايات المتحدة الامريكية اعطاء اجوبة قاطعة على هذه الاسئلة ولكنهم متفقون على ان تحولات رئيسية فى هذا الميدان ستحدث فى المستقبل .

ويستطيع المستهلكون ان يتطلعوا الى امكانية الحصول على دجاج قليل الدهن او خال منه ويحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات ، وديوك رومية يزن الواحد منها اثنى عشر رطلا ، ولحم بقرى قليل الدهن ، وبندورة اكثر نضجا ، والقرع الصيفى الذى ينمو داخل مبان. وبامكان المشترين ان يتوقعوا نقصا حادا فى الاغذية المجمدة ورواجا للمنتجات المجففة بما فى ذلك كافة انواع المشروبات على شكل مسحوق ، ومحليات بلورية الشكل ذات نسبة بروتينية عالية مصنوعة من نخالة القمح ، وحتى صلصة الصويا المجففة والزبدة والخل .

وسيكون هناك مزيد من الاطعمة الخفيفة المغذية بما في ذلك المشروبات الغازية التي تحتوي على نسبة عالية من البروتين .

زيادة النباتيين

لقد تم التنويه بصورة جلية ومتكررة عن تحولين رئيسيين : التحول الاول : الاستنبات وهو مجال سريع الاتساع يشتمل على نمو الحياة البحرية في بيئة مسيطر عليها .

وعملية الاستنبات هذه شائعة في آسيا منذ زمن بعيد غير انها قد تؤدي في امريكا الى انتاج كميات وفيرة من الحيوانات البحرية بمختلف انواعها ، فضلا عن اغذية بحرية اخرى سيجرى انتاجها بطريقة الاستنبات ذاتها .

التحول الثاني، يتمثل في ازدياد حركة النباتيين الذين يقتصرون في طعامهم على الخضر والحبوب والفاكهة مع نقص في الاعتماد على البروتين الحيواني. وبغض النظر عن التغيرات المتوقعة فان انتاج الاغذية في المستقبل سيضع في اعتباره بالدرجة الاولى تكاليف الطاقة ، ومخاطر الصحة الواضحة الناجمة عن تناول الغذاء المحتوى على نسبة عالية من الدهن ، والحاجة الى استغلال مصادر البروتين في السمك والخضراوات .

ويتفق معظم اولئك الذين يتطلعون الى مستقبل الاغذية في الولايات المتحدة على ان الاغذية المبتكرة والاطعمة جميعها ستستمر في البقاء جنبا الى جنب مع اشتداد حدة الصراع بين انصار كل حركة في دفاعهم عن موقفهم ، ومع هذا فهناك اتفاق جوهري على موضوع واحد وهو عدم الاعتماد في الطعام على قليل من الاقراص الحمراء او انواع من الاغذية التي يشمئز منها البعض وتسبب لهم حالة من الغثيان كالصراصير، والنمل الابيض والديدان. ويقول الخبراء المختصون في ميدان الاغذية ان مثل هذه الاطعمة لن تلقى قبولا من جانب المستهلكين.

ويؤكد احد الخبراء البارزين في حقل الغذاء وهو ريتشارد ماك كورميك بان الجنس البشري مقبل على رؤية مزيد من الاطعمة والاغذية المبتكرة التي تشبه تلك التي يتم انتاجها بصورة طبيعية . ويقول ان من هذه الاطعمة المبتكرة الكافيار الذي يفترض انه يشبه في مذاقه وشكله الكافيار الطبيعي . ويضيف ماك كورميك قائلا ان كثيرا من الاغذية المبتكرة اصبحت الان في قبضة التقنية الحديثة وليس في قبضة التسويق . وبكلمات اخرى ففي الوقت الذي يتعلم فيه المستهلكون العيش مع بدائل البيض المقلي وبعض المشروبات المجففة وجميع انواع اللحوم المصنوعة من بروتينات الخضار المركبة فان هذه الاغذية ستلقى انتشارا واسع النطاق .

ان الكثير من الاغذية كالبيتزا مثلا ستبقى في شكلها الظاهري كما هي عليه الان ولكن مكوناتها الاساسية ستتغير بصورة كبيرة ، فبدلا من اللحم البقري المضاف اليه توابل كثيرة والجبنة الممزوجة بالحليب ، فان البيتزا في المستقبل ستحتوي على سجق مصنوع من بروتين فول الصويا المركب ، وجبنة منتجة من زيت الخضار .

وتوقع ماك كورميك حدوث تغييرات كبيرة في الاسواق المركزية تختفي معها الاغذية المجمدة بشكل تام تقريبا من هذه الاسواق بسبب التكاليف الباهظة للطاقة اللازمة لتشغيل السفن وحفظ هذه الاغذية في المخازن . وتكهن ايضا باستخدام تقنية حديثة لحفظ الاطعمة بطريقة التجفيف في القالب ، الامر الذي يؤدي الى الكف عن انفاق ملايين الدولارات كل عام لنقل الماء في سائر ارجاء البلاد .

اللحم البقري المبتكر

وبينما الكثير من الاغذية بدءا من اللحوم الى الخضار ومن السمك الى الحبوب ستظل في حالة وفرة جيدة ، فان مظهرا جديدا سيغلب على معظم هذه الاطعمة . فقد طور العلماء في مركز البحث الحيواني بولاية نبراسكا الامريكية نوعا من اللحم البقري وهو خليط من فول الصويا الممزوج مع القمح وزيت العصفر ويحتوي على نسبة اقل من الدهن الحيواني .

واوضح مدير المركز روبرت رولتجن قائلا «اننا نستطيع تسويق هذا اللحم البقري المبتكر الان ، ولكننا آثرنا التريث قليلا حتى يتم التأكد من جدواه الاقتصادية ومن ثم انتاج كميات وفيرة منه . »

وتكهن جراهام بيرشيس احد العلماء العاملين في

مختبر البحث الزراعي الخاص بالدواجن في بيلتزفيل بالولايات المتحدة ، بامكانية الحصول مستقبلا على دجاج قليل الدهن او خال منه ، وعلى ديوك رومية اكبر حجما . ولاحظ بيرشيس انه في الوقت الذي يوجد فيه دجاج وطيور قليلة الدهن فان المستهلك سيتحول عن الدهنيات فضلا عن النفقات القليلة التي تتطلبها عملية تسمين الطيور .

وقال ان المستهلكين قد يتوقعون مزيدا من الاطعمة المصنوعة من الطيور كالسجق ، طالما ظل الدجاج مصدرا غير باهظ الثمن للبروتين الحيواني .

بالاضافة الى اللحم البقري والدجاج فان منتجات الالبان ستحتوي كذلك على نسبة قليلة من الدهنيات طالما ان زيوت الخضار ستحل محل بعض الدهون الحيوانية في الحليب والجبنة .

وبامكان الامريكيين ان يتوقعوا وفرة اكثر من السمك وطعام البحر وباسعار زهيدة على الارجح عندما يتم تنفيذ العديد من برامج الاستنبات في انحاء متفرقة من الولايات المتحدة .

ونجح علماء الاستنبات في جامعة سان دييجو بولاية كاليفورنيا الامريكية في انماء سرطعون بحري صغير ذي غطاء صلب غير سميك في مياه احد الانهر المتدفقة في المدينة .

ومن المنتظر ان تصبح الحيوانات المستنبتة كالسرطعون (واسمه الشائع ابو جنمبو او الكابوريا) والسلمون والتي تتم تنميتها بسرعة كبيرة وباحجام اصغر من مثيلاتها التي تؤخذ من البحار ، من المنتظر ان تصبح غذاء المستقبل .

ولا يتوقع الاختصاصيون في علم النبات تغييرات في اشكال الفواكه والخضراوات مع انهم يعملون على تحسين القيمة الغذائية في العديد من الاطعمة بما في ذلك البطاطا والبندورة مع نسبة اعلى من فيتامين سي . ويتم جني الفواكه والخضار كالهليون بطرق ميكانيكية فضلا عن الطرق اليدوية. ومن المتوقع ان تصبح الخضراوات المنتجة في بيوت زجاجية وبخاصة في المناطق الصحراوية اكثر شعبية ورواجا طالما انها تحتاج الى قليل من الماء وان نموها لا يخضع او يتأثر بتقلبات الجو . ■■

ترجمة : سمير جيوسي

بذور الازهار

● مات قاض مشهور بحكمته وعدله حتى أحبه الناس حبا جما ، فارسل مريدوه والمعجبون به طاقات كثيرة من الزهور وضعت حول نعشه . وجاء زنجي شيخ ليحيي القاضي تحية الوداع الاخيرة فلقيه ابنه وقال : « انظر ياعم الى هذه الازهار الغضة الكثيرة التي بعث بها اصدقاء ابي » .

فقال الزنجي : « قضى ابوك ايام حياته يبذر البذور التي انبتت هذه الازهار » .

لابد يعرفني !

● نزلت جماعة من السياح مدينة هوليوود وذهبت في الليل الى ملهى مشهور ، فلم ينفك افرادها عن التحديق في الكواكب الذين يحيطون بهم وقد حرصت احدى الفتيات على التحديق في المغني بنج كروسبي فلم ترفع عينيها عنه . وأخيرا التفت اليها وانحنى فقالت : « أليس هذا شيئا غريبا ؟ لقد رأيت عددا وافرا من الافلام التي مثل فيها ، حتى ليخيل اليه أنه يعرفني » .

دراسة
نفسية



هؤلاء المبدعون الصغار !

لعل من اهم الجوانب الحديثة فى دراسة الابداع ، وفى البحث عن العوامل التي تتعلق بتشكيل المقـدرة على الخلق والتفكير الحر المستقل، تلك التي تختص بحياة المبدع (في مجالات الفن والعلم وغيرها) فى الفترات المبكرة من العمر .

بقلم :
الدكتور عبد الستار ابراهيم

والحقيقة ان ثمة شبه اتفاق بين البحوث النفسية الحديثة والسير الذاتية التي كتبت عن العديد من المفكرين او كتبوها هم عن أنفسهم، على ان المبدعين عاشوا فى طفولتهم حياة تختلف

عن غيرهم في مظاهر متعددة . فحاجتهم للتعبير عن الذات منذ البداية اقوى، وتجتذبهم الاشياء الناقصة والمجهولة والصعبة وتسيطر عليهم دوافع قوية لاثارة الاسئلة وطلب الايضاحات وتشتد دوافعهم للاستغراق في العمل والنشاط العقلي اكثر من غيرهم فيغامرون احيانا ، ويشاكسون احيانا ، ويؤكدون فرديتهم في التعلم المستقل في اغلب الاحيان .

ومن المؤكد ان طفولة من هذا النوع قد تثير للطفل مشكلات نفسية ، يتعلق بعضها بالتوافق الاجتماعي ، ربما مع اقرب الناس كالاصدقاء والزملاء وافراد الاسرة ويتنبه الدكتور « بول تورانس » استاذ علم النفس التربوي بجامعة جورجيا الى شيء من هذا فيرى ان التعبير المبكر عن الابداع غالبا ما يوقع الاطفال المبدعين في مشكلات توافقية رئيسية ، اذ يبعدهم عن الاخرين او يبعد الاخرين عنهم ــ مما يجعلهم يذوقون طعم الغربة والاغتراب مبكرا .

ونحن في موضوع كهذا نخطيء خطأ جسيما اذا لم تكن بصيرتنا بالمشكلات التي يثيرها التعبير المبكر عن الابداع بصيرة واضحة وواعية وهي ــ في اقل الاحوال ــ تجنبنا تكرار اخطاء تربوية قد تبدو بسيطة ولو انها في الحقيقة تفتك باكثر الامكانيات شاهدا على اعجاز الانسان وتفوقه .

ليس في الكتب وحدها

وثمة اجماع على ان المبدعين قد نشأوا في بيئات امتازت بالتحفيز العقلي والاثارة الذهنية . ومن المرجح ان يكون ذلك من الاسس التي تساعد الشخص فيما بعد على التفاني والاخلاص لعمل علمي أو بيئي .

وتمتاز البيئة أو الاسرة التي تشجع على الاثارة العقلية بمظاهر منها : شيوع قيم ثقافية أو وجود احد من افراد الاسرة المقربين (اب » او اخ » او ام » او جد ..) ممن يولي اهتمامه لهذا الجانب الثقافي . يتذكر الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر شيئا من هذا القبيل عن الطفولة:

« في حجرة مكتب جدي كانت الكتب في كل مكان ، وكنت لا اعرف القراءة بعد . ومع ذلك فقد كنت اجلها هذه الحجارة المرفوعة ، وسواء كانت قائمة أم متزاحمة كقطع الطوب فوق أرفف المكتبة أم منفصلة بعضها عن بعض . فقد كنت اشعر بان ازدهار عائلتي موقوف عليها.

وذكر « برتراند رسل » ان والده كان يميل للفلسفة والدرس وكان متحرر الفكر وكان يملك مكتبة غنية وكانت امه بالمثل تفيض بالحيوية والقدرة على الابتكار • أما جوته فقد اعتادت امه ان تقرا له بصوت عال في طفولته المبكرة . وبهذه الطريقة استطاع ان يلم بالادب الانجليزي الماما كبيرا في السنوات الاولى من العمر فقرا معها شكسبير وملتون وجين أوستن وغيرهم « صفحات متفرقة من سيرتي الذاتية » لبرتراند راسل » .

والحقيقة ان التحفيز الثقافي قد يمتد لاعمق من وجود كتب او مثقفين في داخل الاسرة كما هو الحال في اسرتي راسل وسارتر .. ان الخبرة تعلمنا وهي غير خاطئة في هذا ان هناك نماذج اخرى وعباقرة نشأوا في اسر مختلفة عن ذلك اختلافا كبيرا . لهذا فان التحفيز العقلي او الاثارة الذهنية تمتد فتشمل التشجيع العام على حرية التفكير وحرية ممارسة الخبرة واحترام افكار الطفل مهما كانت تافهة وابداء التفهم لها والتقبل والمدح ... الخ وقد تأتي التحفيزات الثقافية الاخرى « كتوافر الكتب » مواكبة لهذا النمط من التنشئة أو تالية على ذلك (بعد فترات زمنية او طويلة او قصيرة) لكي تجد ان العالم الوجداني والفكر العام للشخص ممهد لتقبلها واستثمارها استثمارا جيدا .

ومن هنا تنبع اهمية وجود قدوة أو نموذج مبكر في حياة الطفل يتوحد به . ويستطيع الطفل من خلال هذا التوحد ان يتحمل المصاعب وان يواجه التحديات المختلفة بأساليب ناضجة .

اذكياء مبدعون وغير مبدعين

وتميل بعض الدراسات الى التمييز بين الاساليب التربوية الاسرية التي تستخدم لتشجيع النجاح الاكاديمي والمهني ، والتكيف لقواعد النجاح الاجتماعي بشكل عام ، وبين الاساليب الاسرية التربوية التي من شأنها التشجيع على التفكير للمستقبل والابداع والاصالة • فالاساليب الاولى تشجع على استقلال النشاط العقلي في التكيف الاجتماعي والدراسي للبيئة (اي الذكاء) . والاخرى تشجع على

استقلال النشاط العقلي لابراز التميز والاختلاف الابداعي (اي الابداع) . وكلا الاسلوبين قد يتميز بخصائص متعارضة تماما .. هناك على سبيل المثال دراسة اجراها عالمان من جامعة ستانفورد استطاعا ان يبينا من خلالها ان اساليب تنشئة المبدع تختلف عن اساليب تنشئة الذكي .. وقامت خطتهما على اساس اجراء مقابلات شخصية عميقة لمجموعتين من الاسر لاطفال اذكياء (اسر اطفال حصلوا على نسب ذكاء مرتفعة على مقاييس الذكاء العادية) في مقابل مجموعة اخرى من اسر لاطفال مبدعين (غير حاصلين بالضرورة على نسب ذكاء عالية ، غير ان افكارهم اميل للاستقلال ، والمرونة ، والتلقائية ..) وقد تبينت فروق في اساليب التفاعل بين الاسرة والطفل في كلا المجموعتين .

على سبيل المثال : امهات الاطفال الاذكياء كن اميل للنقد الشديد او عدم التقبل للاخطاء . بينما كان اتجاه الامهات في مجموعة المبدعين اميل للتقبل والتشجيع والتغاضي عن اوجه الخطا .

وهم – اي آباء الاطفال المبدعين – يبدون حرية اكثر في التعبير عن النفس والمشاعر ، ويظهرون طمانينة وجدانية،واهتماما اقل بالمركز الاجتماعي الرسمي . اما آباء الاذكياء (من غير المبدعين) فيعبرون عن درجة أكبر من الشعور بالتهديد وعدم الطمانينة المادية .

ومن ناحية اخرى فقد اتجه آباء المبدعين نحو التشجيع على استقلال الشخصية اكثر من التشجيع على التحصيل الدراسي التقليدي . وفي الحالات التي كان يظهر فيها اهتمام بالتحصيل الدراسي فقد كان يحدث بتوازن مع تشجيع الاستقلال واتخاذ القرار وحرية استكشاف البيئة اما آباء الاطفال غير المبدعين فقد كانوا اميل للتشجيع على التحصيل الدراسي المجرد،واظهار عدم التقبل والاستحسان للاجتهادات الفردية او النقدية التي قد تظهر عند اطفالهم .

وعندما كان الامر يتعلق بالتفاعل بين الاباء والابناء فقد ظهرت انماط اخرى من الاختلاف . فاسلوب التفاعل بين الاباء والابناء في اسر المبدعين امتاز بالتسامح وعدم التاكيد علىضرورة الخضوع لقيم الوالدين وحرية التعبير عن المشاعر ، بينما اتخذ التفاعل في اسر الاذكياء (من غير المبدعين) شكلا معارضا يؤكد على التصلب ، وضرورة الخضوع لقيم الوالدين واتجاهاتهم . وفي دراسة اخرى سئل عدد من المهندسين ممن يشهد لهم بالابداع والابتكار عن اتجاهاتهم نحو والديهم واتجاهات والديهم نحوهم اثناء الطفولة ، فتبين انهم (اي الاباء) كانوا يحملون ويظهرون الاحترام الفائق لهؤلاء الاطفال كما كانوا يعاملونهم بثقة اكبر في قدراتهم واحكامهم وقراراتهم .

ومن الجلي ان اساليب التعامل في داخل اسر المبدعين تتميز بالتشجيع المباشر على استقلال القدرات الابداعية وتوظيفها وتوجيهها من فترة مبكرة . وهذه الاساليب تختلف عن تلك التي تستخدمهااسرالاذكياءالذين لم‌تتح‌لهم‌فرصةاستقلال او تنشيط قدرات الموهبة والابتكار في تلك الاسرة الاخيرة – فيما هو واضح – يتجه الاهتمام – كل الاهتمام – نحو اثارة الذكاء التقليدي والمجاراة والتحصيل الدراسي والنجاح المجرد .

تشجيع الامكانيات المبكرة

لكن يلزم ان نوضح حقيقة بسيطة وهامة في نفس الوقت وهي ان شكل التعبير عن الابداع في الطفولة لا يكون متميزا او متبلورا بشكل قوي ومحدد . لهذا فان ما نلاحظه منه يجب ان يمتد ليشمل جوانب من الشخصية تعتبر اشارة لوجود استعداد (مستقبلي) للابداع (وان لم تكن هي الابداع نفسه) . فميل الطفل للسؤال وحب الاستطلاع ورغبته في الاختلاف وثقته بنفسه وتلقائيته وتقبله لاوجه القصورفي‌ذاته وقدرته على مواجهة الفشل .. كلها مظاهر لا يمكن النظر اليها بصفتها قدرات ابداعية ، ولو انها تساعد على خلق التربة الاولى التي تقوم عليها محاولات الخلق‌الابداعي الناضج فيما بعد .

لهذا ، فان اهمية أساليب التنشئة المبكرة تمتد الى ابعد من التركيز على ابراز الموهبة او المقدرة على الابتكار .. اذ انها يمكن أن تتجه الى اعمق من هذا ، اي الى الاتجاه نحو خلق خصائص من الشخصية تعتبر بمثابة الارضية الضرورية التي تتفرع منها اي امكانية مستقبلة للابداع والتفكير المستقل البناء .

ومن هنا تنبع اهمية بعض المبادىء التربوية كالتشجيع التلقائي للطفل ، واحترام اثارة الاسئلة والافكار بدلا من الرفض او الصد او

الانسحاب والتهرب ، ويأخذ التشجيع اشكالا مختلفة منها التشجيع المعنوي والتشجيع المادي. ومن مظاهر التشجيع المعنوي : التحبيذ والتأييد اللفظي ، والتقبل ، والحماس للفكرة والاضافة اليها ، أما التشجيع المادي فيتضمن المكافآت والهدايا المختلفة . وتبين البحوث ان التدعيم المعنوي ذو فاعلية اقوى من التدعيم المادي في اثارة بعض الدوافع التي ترتبط بالابداع . فالاثابة والوجدانية واظهار الاهتمام وكلمة مديح عندما يتصرف الطفل بطريقة مرغوبة تعتبر محفزا قويا للتفكير المستقل والتفرد البناء .

ولعل من أكثر الاخطاء التي يرتكبها الآباء (بوعي أو بدون وعي) هي تعمدهم واقتصارهم على ادراك أوجه القصور أو الضعف في أفكار الابناء . فيعمدون الى النقد والسخرية والحقيقة انه ما من عمل من الاعمال او فكرة من الافكار تخلو في بدايتها من نقطة ضعف او جانب من جوانب القصور . بل ان أوجه القصور قد تكون أحيانا اكثر من اوجه القوة . والنقد الحاد الذي قد يوجه لنشاط الاطفال قد يجعل الطفل يتخلى عن اوجه الضعف لكنه وفي احوال كثيرة سيتخلى بجانب ذلك عن نقاط القوة متوقفا عن الاجتهاد وممارسة النشاط ربما كلية ، والآباء والمربون الذين تشغلهم فكرة تكوين وتنشئة اطفال قادرين على الاستفادة بالخبرة والتفتح والاجتهاد قد يجدون ان من المهم ان يتبينوا اتجاها بنائيا وليس ناقدا للافكار .

ومن الخطأ ايضا ان نتصور بأن المبدع والموهوب انسان لا يحتاج للتوجيه والارشاد لكي ينمي مواهبه ويطورها .. ومن الخطأ أن نتصور بان الموهبة تقود الموهوب تلقائيا الى اهدافها وان المبدع قادر ان يختار بنفسه المصادر التي ستساعده على التعبير عن ابداعه مسترشدا بقوة الموهبة الطبيعية . وتزداد اخطار هذه الاخطاء في التصور في الفترات المبكرة من حياة المبدعين . ولعل من أكثر اخطارها هي اننا نقتل تدريجيا الموهبة الكامنة في حياة الاطفال ان لم نساعدهم بكل الطرق على قرارات مستقلة وتنمية مهاراتهم حتى ولو كانت محدودة . والبحث العلمي أيضا يدعم هذه النصيحة . فقد تبين في دراسة مقارنة بين آباء المهندسين الموهوبين والمهندسين المختصين في مستوى الابداع ان آباء المجموعة الاولى كانوا يشجعون أبناءهم في فترات الطفولة المبكرة على اتخاذ قرارات مستقلة فيما يختص بحياتهم الشخصية .

والاغتراب والعزلة ايضا

وتبين دراسات الاطفال الذين يظهرون استعدادا مبكرا وطيبا لاستقلال التفكير انهم يشعرون دائما بين اقرانهم بالعزلة .. وتكشف السير الذاتية للمفكرين عن مظاهر كثيرة مماثلة من الشعور بالاغتراب .

وأبعد ضررا وخطرا ان يتبنى الآباء تصورات خاطئة عن ظهور الموهبة والشخصية الابداعية وان يفرضوا هذه التصورات ويعكسوها في اساليب معالجتهم لابنائهم . ويستطيع القارىء الحصيف ان يستنتج ان كثيرا من المبادىء التربوية السابقة التي عرضناها انما تقوم على تصحيح خطأ ما في تصوراتنا لظهور الابداع ونمو المبدع .. ومن امثلة هذا الخطأ الخلط بين الخروج عن المألوف او العادي وبين المرض العقلي والشذوذ .. فكثير من الناس ينظرون الى اى اختلاف عن المألوف بانه علامة على التعقيد والاضطراب وعدم التكامل .. وهذا غير صحيح ـ علميا ـ ويحتاج كثير من المبدعين والمفكرين ـ في طفولتهم وما بعد الطفولة ـ لمن يدعم لديهم الاحساس بأن افكارهم ونشاطهم شيء يختلف عن المرض النفسي والعقلي .

وكون ان كثيرا من جوانب النشاط الابداعي يتأثر بظروف طارئة احيانا او صدف مفاجئة غير متوقعة ، لا يجوز ان ينتهي بنا الى خطأ آخر في التفكير ، فنتصور بان الحظ هو الفيصل النهائي والمتحكم في مجريات الامور .. صحيح ان الفرص والصدف غير المتوقعة أمر لا يمكن انكاره في مجالات الاكتشاف العلمي والتفكير والبحث ، لكن الصدفة لا يمكن ان تقبل الا على من يعرف كيف يغازلها . كما يقول شارل نيكول . لكن من الضروري ايضا ان نتعلم وان نعلم الآخرين أساليب ملائمة من الغزل وفي هذا يكمن المغزى العميق لدور الأسرة ومؤسسات المجتمع في تبني الموهبة الابداعية وترشيدها . ■■

د . عبد الستار ابراهيم
استاذ علم النفس الاكلينيكي المساعد
بجامعة الكويت ، وبن بأمريكا

مقالات فى كلمات

■ اعظم فائدة للحياة ، هو ان نقضيها فى عمل شىء ٠٠ اى شىء يعيش مدة اطول من الحياة ذاتها !

« وليام جيمس »



وليام جيمس

■ جلست يوما بجوار فراش رجل يحتضر ٠٠ واحس الرجل بأننى حزين من أجله ، فنظر الى وقال مبتسما : « لا تحزن لموتى ٠٠ فقد مت فعلا منذ عشرين عاما ! ان ما تراه الان هو النهاية الطبيعية لكل كائن حى ٠ أما الموت يا بنى ، فهو موت الرغبة فى الاستمرار فى الحياة ٠٠ وقد حدث هذا عندما وضعوا قلمى فى السجن ، وحبسوا فكرى فى غرفة مظلمة ليس فيها بصيص من نور ! »

« هال بويل »



ايمرسون

■ ما اكثر اخطائى ٠٠ لو اننى سردتها ووصلتها لكانت كافية لان تغطى سور الصين ٠٠ اننى مازلت اخطىء كل يوم لاننى مازلت اتنفس واتحرك واعيش مع الناس !

« ايمرسون »



برنارد شو

■ الحياة ليست شمعة صغيرة فى يدى ٠٠ انها مصباح يشع ضوءا قويا ، وهو فى يدى الآن ، وأنا اريده ان يضىء بقوة اكبر ، قبل ان اسلمه لتلك الايدى التى سوف تجىء من بعدى ٠

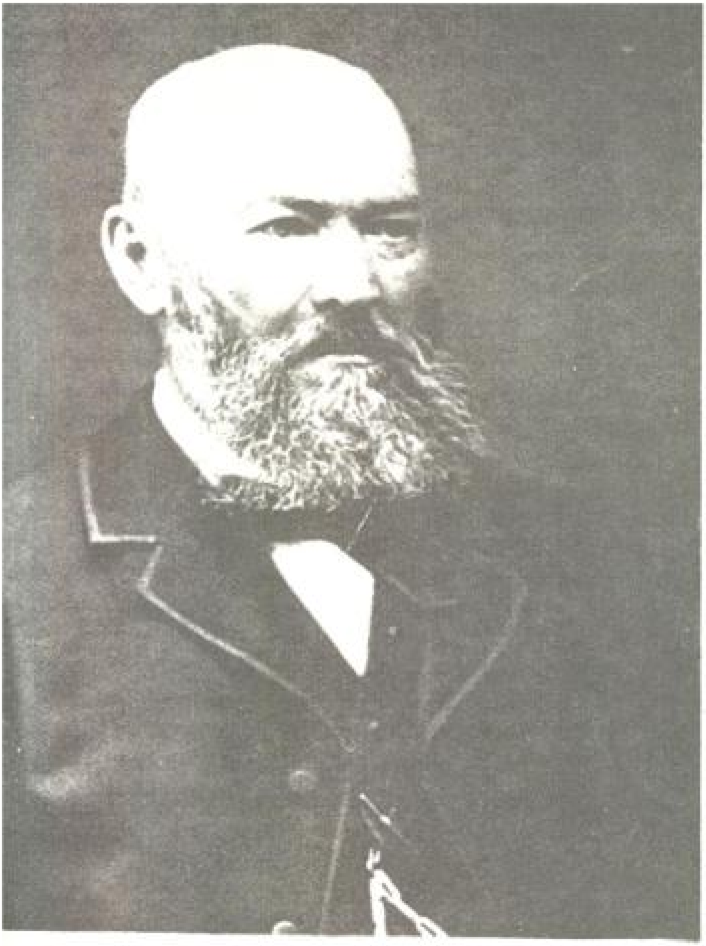
« جورج برنارد شو »

■ قياس الحياة ليس فى طول بقائها ٠٠ ولكن فى قوة عطائها!

« كنت روث »

■ ثلاث قواعد اساسية للحياة النافعة تعلمتها فى صغرى ، ومضيت اعلمها لكل الناس : القاعدة الاولى ان يمضى الانسان فى طريقه ٠ والثانية ان لا يتوقف عن المضى فى هذا الطريق والثالثة أن يساعد غيره من الناس على المضى معه فى الطريق الذى اختاره وسار فيه بنجاح ٠

« تيودور أوامز »



الكسندر اوستروفسكى و

مسرحيات الحي

كثيرون جدا فى عالمنا العربى لم يسمعوا باسمه : الكسندر اوستروفسكى . من هو هذا الرجل ؟

■ فى الرابع عشر من فبراير عام ١٨٤٧ م وفى منزل شيفيريف الاستاذ بجامعة موسكو اجتمع لفيف من الادباء المسكوفيين ، وكان من بينهم موظف مغمور يعمل باحد المحاكم التجارية ويبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما . قرا هذا الشاب على الحاضرين اول مسرحية له « صور السعادة العائلية » ، وما ان فرغ من قراءتها حتى اقترب منه رب الدار ليصافحه قائلا : « اهنئك كاتبا

دراميا » ، ولم يكن هذا الشاب سوى ألكسندر اوستروفسكى نفسه ورغم أن الحاضرين فى ذلك اليوم قد أتتوا على أول عمل مسرحى لأوستروفسكى الا ان أحدا منهم حينئذ لم يفطن الى أنه كان شريكا لحدث تاريخى عظيم اعتبره النقاد فيما بعد « بداية ثورة فى العهد الدرامى الروسى » ، اذ برز اوستروفسكى فى تاريخ الأدب الروسى كعملاق للفن الدرامى مكرسا له كل حياته الادبية وواهبا له كل قواه وعبقريته وبذا استحق عن جدارة لقب « مؤسس المسرح القومى الروسى » .

وعلى مدى ٤١ عاما من حياته كرسها اوستروفسكى للفن المسرحى واستطاع ان يقدم من خلالها ٤٧ عملا مسرحيا ومئات المقالات عن المسرح ، جاءت فى مجموعها معبرة عن أسس ومبادىء الفن الواقعى المسرحى فى روسيا فى النصف الثانى من القرن ١٩ واصبحت مدرسة للعديد من المسرحيين الروس ، وسجلت هذه المسرحيات بكل صدق ما يقرب من نصف قرن من حياة روسيا بكل ابعادها الاجتماعية .

بداية الطريق

ولد ألكسندر أوستروفسكى فى ١٢ أبريل سنة ١٨٢٣ م لاب قادر ذى حظ من الثقافة العالية

وبدا أوستروفسكى منذ سنوات طفولته المبكرة شديد الحب للقراءة . وساعدت المكتبة الكبيرة التى يقتنيها ابوه على تنمية هوايته وتطويرها . وكانت المكتبة تزخر بروائع الكتاب والنقاد الروس الكبار حتى وبصفة خاصة يمكن القول بأنه كان للآراء النقدية والجمالية للناقدين الروسيين الكبيرين بيلنسكى وجيرتسين فضل كبير فى تشكيل ذوقه الفنى والادبى .

وجاء اوستروفسكى فى الساحة الادبية فى الاربعينات من القرن الماضى ، . فى وقت كانت تتشكل فيه « المدرسة الطبيعية » ، ولذا فقد كان انتاجه المبكر مرتبطا بأسس ومبادىء « المدرسة الطبيعية » (١) التى ارتبط بأسسها أغلبية الادباء الروس الذين ظهروا فى الاربعينات والخمسينات من القرن الماضى . وقد تميزت الفترة التى برز فيها أوستروفسكى بانتعاش فى الحياة الادبية حيث انتشرت المحاضرات الادبية العامة التى اجتذبت اليها مختلف القطاعات وبدأ يتدعم المذهب الواقعى فى الادب ويتخذ طريقه نحو السيادة فى التيار الأدبى العام .

وقد كان يسود الحياة فى روسيا ابان تلك الفترة تيارات اجتماعية وفكرية مختلفة ، فمن جهة كان هناك تيار ، « محبى الروح الغربية » وقد كان مؤيدو هذا التيار يعتبرون أن طريق

بقلم : الدكتورة مكارم أحمد الغمرى

التطور الذى يجب أن تنهجه روسيا هو طريق الاصلاحات الاوروبية لديموقراطية الحياة السياسية . أما التيار الاخر « محبو الروح السلافية » .

فقد كان أنصاره يرون الطريق الى التطور فى العودة الى التراث التقليدى للحياة الروسية القديمة وليس فى التعلق بمظاهر الحضارة الغربية الدخيلة .

وعلاوة على ذلك فقد بدأ يتضح التيار الثورى الديموقراطى وكذلك افكار الاشتراكية الطوباوية ، واجتذبت هذه الافكار الشباب المثقف الذى اقبل عليها . . ووجد أوستروفسكى نفسه أيضا تحت تأثير هذه الافكار . لا سيما أنه كان قد تأثر بشدة خلال دراسته فى المدرسة الثانوية بأفكار المتعاطفين مع الامزجة التحررية وبالمناخ الليبرالى الذى كان يسود كلية الحقوق وقت دراسته

بها ، وقد ساهمت كل هذه المؤثرات في تشكيل فكر أوستروفسكى الذى تميز بالوطنية العالية وبالعداء للحكم القيصرى واهتمامه بالفلاحين ، وهم الاغلبية الساحقة من الشعب ، وقد دفعه حبه للفلاحين الى ان ينزل اليهم ليرقب حياتهم عن كثب .. وكتب اوستروفسكى عن ذلك في مذكراته يقول ، لقد بدات التعود على القرية وطفقت تقريبا كل الضواحي وتعرفت على بعض الفلاحين وشاهدت اعيادهم .. اى شعب هم هنا .. ؟ ان لكل شخص منهم قيمته (ولم اقابل اى اوغاد) ان كل ذلك ينتظر ريشة فنان ، كما ينتظر الحياة من الروح الخلاقة » .

ولذا توجه اوستروفسكى بقلمه العملاق ليسجل بكل الصدق عالما كاملا تجرى احداثه في روسيا ، اما زمانها (باستثناء المسرحيات التاريخية) فهو نصف قرن من حياة الشعب الروسى .

مسرحيات الحياة

لعل اصدق ما قيل عن مسرحيات أوستروفسكى هو وصف الناقد دبرولوبوف لها على أنها « مسرحيات الحياة » ، فقد كان هذا الناقد الكبير يرى أن القيمة الحقيقية للمؤلف الادبى تكمن بالدرجة الاولى في الصدق في تصوير الواقع ، واعتبر أن هذه السمة كانت دائما في المقدمة من اعمال أوستروفسكى ، وكان يرى أن من أهم خصائص أوستروفسكى هو مقدرته على أن « يغوص في اعماق الانسان ، وأن يميز بين ما هو طبيعى وبين ما هو دخيل » ورغم اختلاف حدة النقد في مؤلفات أوستروفسكى المسرحية خلال فترات انتاجه المختلفة ، الا انه بقى طوال حياته الادبية وفيا للطريق الذى اختاره وهو نقد الكيان الاجتماعى والسياسى لروسيا من منطلق حبه للشعب وحرصه على مصالح شعبه .. وعلى مدى مسرحياته بأجمعها برز أوستروفسكى كاديب شعبي حق .. واذا نظرنا الى انتاج أوستروفسكى فسنرى انه يمكن تقسيم طريقه الفنى الى أربعة مراحل :

المرحلة الاولى : ١٨٤٧/١٨٥١ م

يربط الكثير من النقاد البداية الحقيقية لاوستروفسكى ككاتب مسرحى بمسرحية «افلاس» . . (١٨٤٩) فقد جلبت هذه المسرحية لاوستروفسكى شهرةادبية كبرى ، واصبحت حدثا ادبيا كبيرا ، وقد طور اوستروفسكى في كوميديا « افلاس » هذه نفس الموضوع الذى كان قد تناوله في أول تجربة مسرحية له « صور السعادة العائلية » اذ ركز على تصوير نوع العلاقات الانسانية التي تسود بين طبقة التجار ، وقد حاول أن يجسد الزيف والرياء والخداع الذى كان سائدا بينهم .

وكتب اوستروفسكى في أعقاب ذلك «المسرحيتى صباح شاب (١٨٥٠) » ، « حادث غير متوقع » (١٨٥١ م) « بيد ان هاتين المسرحيتين لم يكلل لهما النجاح ، ثم كتب في أعقابهما مسرحية « العروس الفقيرة » (١٨٥٢) التى صور فيها الظروف الصعبة التى تمر بها فتاة فقيرة تدعى ماريا من وسط الموظفين حيث تدفعها هذه الظروف الى «الزواج المصلحة» من رجل لا يناسبها ولا تختاره بعواطفها ، وانما تضطر للزواج منه لانقاذ عائلتها من الوضع المالى الذى تئن فيه ، وتحاول ماريا أن تتكيف مع حياتها وأن تصلح من زوجها المرتشى ولكن محاولاتها تبوء بالفشل .

اختلفت الآراء حول تقييم البطلة ماريا ، وجاء أفضل تقييم لها في مقالة الناقد الروسى الكبير دبرولوبوف « مملكة الظلام » فقد وجد في مشكلة البطلة صدى لمشكلة وجود المرأة الروسية وحالة العبودية التى تعانى منها في ظل الظروف التى كانت تعيش فيها روسيا ابان تلك الفترة .

بمسرحية « العروس الفقيرة » التى وضحت فيها روح الديموقراطية وانعكست عليها اصداء فترة الاربعينات ، تنتهى المرحلة الاولى من انتاج اوستروفسكى الذى جاء مكملا لخط المسرح الروسى الكلاسيكى وممثلا حقيقيا للمدرسة الطبيعية .

المرحلة الثانية : ١٨٥٢/١٨٥٤ م

اعتبر اغلبية النقاد هذه المرحلة من انتاج اوستروفسكى بداية عهد جديد في فكره وانتاجه مشيرين الى وجود نوع من الازمة الروحية في

اعماله . واذا نظرنا الى مؤلفاته فى هذه المرحلة لالفينا نوعا من الانعطاف عن الخط الذى تميز به انتاجه من المرحلة السابقة ، فقد تجلى ابتعاده عن الطابع النقدى اللاذع الذى ينطوى على كشف وفضح مساوىء الواقع . وبالرغم من الخط النقدى فى مؤلفاته الا انه اتخذ اشكالا خفيفة أكثر مما سبق .

حدد اوستروفسكى بنفسه فى عام ١٨٥٣ م منهجه قائلا : « ان اتجاهى قد بدأ فى التغير . فنظرتى الى الحياة فى اول كوميديا لى تبدو قاسية للغاية ، انه لمن الافضل أن نجعل الانسان الروسى يسعد وهو يرى نفسه على خشبة المسرح بدلا من أن يحزن ، فالمصلحون سيوجدون بدوننا ، ولكى نعطى لانفسنا الحق فى اصلاح الشعب دون اهانته فانه يلزم ان نميط اللثام عما ينطوى عليه من طيبة ، وهذا هو اهتمامى الآن ، حيث احاول ان اربط المثل الاعلى بالكوميديا ».(٢) .

اما مسرحيته « الفقر ليس عيبا » (١٨٥٣م) فقد صور فيها الصراع بين القديم والجديد فى وعى عينة ممثلة لطبقة التجار وعكس فيها نمط الثقافة الروسية القديمة والعريقة فى صراعها مع الثقافات الدخيلة وانعكاسات هذا الصراع فى وعى التجار - فلاحى الامس - ، ونقل اوستروفسكى هذه الصورة بطريقة شاعرية ناصعة اما فى مسرحية « لاتعش هكذا كما تريد »(١٨٥٥م) فقد انتقل اوستروفسكى بمعاصريه الى احداث جرت قبل مائة عام عن زمنه معتمدا فى ذلك على التراث الشعبى . وقد حاول أوستروفسكى أن يبرز مثله العليا الاخلاقية فى ثوب دينى .

المرحلة الثالثة : ١٨٥٥/١٨٦٠ م

كان لظروف الحياة فى روسيا فى الخمسينات من القرن الماضى وما انطوت عليه من انتشار الفساد داخل النظام الاقطاعى الاستبدادى الذى وضحت مساوئه فى حرب القرم ، واندلاع الحركة الشعبية الواسعة لجماهير الفلاحين الافنان ، الفضل فى لفت أنظار القيصر الى ضرورة اجراء تعديلات شاملة لكل جوانب الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية ، وكان لظروف الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة انعكاساتها على الفكر والحركة الادبية وتبلور كل ذلك فى موجة من النشاط تجسدت فى المؤلفات التى كانت تنتقد بشدة النظام القائم وتلح بضرورة التغيير . وتأثر اوستروفسكى ايضا بالمتغيرات الجديدة وانعكس هذا التأثر فى اقترابه من المعسكر الديموقراطى وظهر ذلك عمليا فى مسرحياته « المكان المربح » ، و « التلميذة » و « العاصفة » . فقد جاء هجوم اوستروفسكى الشديد على النظام البيروقراطى السائدوكشفه لعيوبه ومساوئه أو ما كان يسميه اوستروفسكى « بالنظرة القاسية » للحياة دليلا على عودة الكاتب الى صف الديموقراطيين . ففى مسرحية « المكان المربح » هاجم اوستروفسكى بشدة الهيكل البيروقراطى وحاول خلال بطل المسرحية جادوف ان يكشف مساوئه والرشوة التى تسوده . فالبطل شاب مالبث أن انهى تعليمه والتحق بالمؤسسة التى يديرها عمه الذى كان يعيش معه فى نفس الوقت ، وكان جادوف مفعما بافكار عن الحياة يمكن أن توصف بالمثالية بالنسبة لما يجرى فى الواقع ، الا ان افكار البطل سرعان ما تصطدم بالواقع الذى يدفعه الى التراجع عنها مقررا انه من الممكن العيش ، وقد تجلى صدق وواقعية اوستروفسكى فى هذه المسرحية فى الطريقة التى حسم بها الصراع بين البطل والواقع فلو أن الكاتب ترك البطل يحقق فى الحياة الافكار المثالية التى يتحدث عنها لبدا ذلك تشويها للواقع والحقيقة

وتعتبر مسرحية « العاصفة » من أبرز كتابات اوستروفسكى فى المرحلة الثالثة واكثرها دلالة على تخطى اوستروفسكى لمرحلة « الازمة » التى مر بها . وتقع حوادث المسرحية فى مدينة كالينوف على ضفاف الفولجا ، وتعكس احداثها واقع الحياة والعلاقات الاجتماعية لنماذج من سكان المدينة فى تلك الفترة ، فنرى ديكوى احد التجار الاغنياء فى المدينة والذى يوصف بانه « شخص معروف » يتعامل مع الجميع فى

---

(٢) جورافليفا « مسرحيات أوستروفسكى » ، موسكو ، سنة ١٩٧٤م ، ص ٢٥

قوة وغلظة ويستولى على ارث ابن اخيه باريس الذى يعامله بحقارة ويكثر من سبابه .

اما عائلة كابونوفا التى تتصل بها الاحداث الرئيسية للمسرحية فتتالفمن الام مارفا كابونوفا وهى ارملة غنية من طبقة التجار وابنها يتخون كابونوف وزوجته كاترين .. وتبرز الام مارفا كابونوفا فى المسرحية كامراة متسلطة على ابنها وزوجته ، دائمة الشجار معهم وهى تحاول دائما الوقيعة بين ابنها وزوجته وتحيل حياتهما الى جحيم .. اما الزوجة الرقيقة كاترين التى تميز بالرقة والوداعة والصفاء فان حياتها حزينة وهى دائما حائرة بين الزوج المغلوب على امره الذى ادمن الشراب والام المسيطرة الشرسة .

جاءت مسرحية « العاصفة » لتجسد نظرة اوستروفسكى لكل الطبقة التى تنتمى اليها عائلة كابونوفا . الا ان اوستروفسكى لاحظ وجود بشائر امل فى نفوس بعض الافراد التى تحاول الثورة ضد « قيود مملكة الظلام » وكانت كاترين هى تلك البطلة التى كانت تحمل تذيرا بالتغير ، فقد صورت المسرحية ذلك التضارب والصراع الذى يمكن أن يحدث مع امراة سوية تقع فى براثن عائلة مثل عائلة كابونوفا والمصير الذى يمكن أن تلاقيه مثل هذه المراة . جاء أسم المسرحية « العاصفة » ذا دلالة رمزية ، فقد تمثلت هذه العاصفة فى كاترين التى كانت تتوق الى الانطلاق وتحلم بالسعادة ، مما جعل النقاد من معاصرى اوستروفسكى يربطون بين مضمون المسرحية وبين الافكار التى تنادى بحقوق المراة ، اما شخصية كاترين فقد شاهد فيها الناقد الكبير دبرولوبوف « قبسا من نور فى مملكة الظلام » .

المرحلة الأخيرة ١٨٦١/١٨٨٦ م

تعتبر المرحلة الاخيرة من انتاج أوستروفسكى اطول فترة فى انتاجه ، فقد امتدت هذه الفترة ما يقرب من خمسة وعشرين عاما كان فيها اوستروفسكى فى قمة نضجه وعطائه . وقد تميزت هذه المرحلة عن المراحل الاخرى التى سبقتها برسوخ افكاره ومعتقداته الفنية والاجتماعية ، وتمكن اوستروفسكى فى هذه الفترة من أن يشغل مكانة فريدة وبارزة فى الادب الروسى ، ورغم تنوع الموضوعات التى تناولها الا انها جاءت جميعها لتعكس فى عمق وبوضوح كل التغيرات التى طرات على الحياة الاجتماعية فى روسيا فى اعقاب الغاء قانون القنانة فى سنة ١٨٦١ م ، وقد تميز وجه الحياة فى روسيا فى تلك الفترة ببروز طبقة جديدة على سطح الحياة من رجال الاعمال والتجار الذين جاءوا ليحلوا محل الطبقة النبيلة السائدة التى اخذت فى الزوال ، وقد تعددت بشدة اشكال وموضوعات مسرحيات اوستروفسكى فى هذه الفترة اكثر من أى مرحلة سابقة ، فقد كانت هناك مسرحيات تتناول تصوير حياة التجار ، منها مسرحياته «الحقيقة شىء طيب اما السعادة فهى شىء أفضل » ، « القلب ليس بحجر » ومسرحيات تعكس حياة الانسان البسيط وذلك مثل مسرحيات « لوحات من حياة موسكو » و «الصديق القديم افضل من صديقين جديدين» و « الايام الصعبة » وغيرها . وكذلك مسرحيات يغلب عليها الطابع الهجائى وذلك مثل « لكل عالم هفوة » ، « القلب الحار » ، « الغابة » ، « ذئاب وحملان » . وغيرها ثم انتج ايضا المسرحية النفسية وذلك مثل مسرحيات «الحب المتاخر » ، « الضحية الاخيرة » ، « المراة غير المهورة » و « المواهب والمعجبون » و « بدون ذنب مذنبون » .. وغيرها .

ورغم ان اوستروفسكى اهتم بالدرجة الاولى بالحياة المعاصرة له الا ان الماضى لم يغب عن اهتمامه ، فقد كان من الطبيعى أن يتجه اوستروفسكى الانسان والفنان ذو الوطنية العالية الى التاريخ الروسى ، وقد جاء اهتمامه بالموضوع التاريخى فى الوقت الذى كانت فيه الدراما التاريخية فى الادب الروسى تعيش على فتات الدراما التاريخية ذات الاتجاه الرومانسى التى سادت فى الثلاثينات والاربعينات من القرن الماضى الا أن اوستروفسكى يخرج من دراماته التاريخية عن هذا الخط الرومانسى ليصور الماضى بصدق مبرزا فى صدارته دور الشعب .. وعن خاصية مسرحيات اوستروفسكى التاريخية كتب الناقد ماشينسكى يقول : « استطاع اوستروفسكى فى مسرحياته التاريخية أن يقضى على التناقض بين الحقيقة التاريخية والخيال الفنى ، فقد اكتسب خياله الفنى طابعا تاريخيا،

اما الحقيقة التاريخية فقد خلع عليها الشمول الفنى(٣) .

خرجت اول مسرحية تاريخية لاوستروفسكى فى عام ١٨٦١م بعنوان « كوزما زاخاريتش مينين سوخوروك » وقد استقبلت كحدث تاريخى هام فى ادب الستينات من القرن الماضى . . صور اوستروفسكى فى المسرحية صفحة درامية من التاريخ كان يقرر فيها مصير روسيا ، اذ باتت روسيا التى كانت تمزقها النزاعات الداخلية لقمة شهية ومطمعا للدخلاء والغزاة الذين يطمعون فى ثرواتها ، ابرز اوستروفسكى فى شخصية مينين صورة البطل المناضل البعيد عن الجبن والخنوع والذى ينهض لانقاذ الشعب ، وقد تجسدت فى شخصية مينين التضحية والانكار للذات وحب الشعب الذى لا يتزعزع .

وفى مسرحية « القائد » (١٨٦٥م) صور اوستروفسكى نمط العلاقات السائدة بين سلطة الاقطاع والشعب فى النصف الاول من القرن السابع عشر . ورسم فى شخصية القائد صورة الانسان المثقف الذى ينظر الى رتبته على انها ضيعة خاصة له ويستخدم مركزه الاجتماعى بطريقة مبتذلة ولا يتورع عن ابتزاز مرءوسيه وعن ان يدنس شرفهم وكرامتهم ، ولكى يخضع مرءوسيه يحاول القائد ان يوهمهم بان « اى سلطة من عندالله » . برز القائد فى المسرحية كتجسيد لمساوىء ومفاسد النظام الاقطاعى الذى نصبه ممثلا له فى القيادة .

وخلاف هاتين المسرحيتين التاريخيتين كتب اوستروفسكى أيضا المسرحيات التاريخية « توشينا » (١٨٦٧م) ، فاسيليا ميلنتيفان (١٨٦٧ م) وغيرهما .

أوستروفسكي على المسرح

لم يكن طريق اوستروفسكى على خشبة المسرح بالسهل ، فقد صادفت مسرحياته قبل العرض عقبات كثيرة واقفلت امامه ابواب المسارح القيصرية ، الا ان ذلك لم يثن من عزيمة الفنان العظيم الذى شق طريقة وتغلب على الصعاب ، وقد كان للطابع النقدى اللاذع والخط الهجائى الذى انتهجه اوستروفسكى السبب فى عدم رضاء الدوائر الرسمية عن مؤلفاته ، ورغما عن هذا فقد تصدرت مسرحيات اوستروفسكى عروض المسارح فى عصره ، وقد كتب الناقد خولاف عن احصائيات مسرحياته التى اخرجت وهو على قيد الحياة يقول : « من بين سبعة وأربعين مسرحية كتبها اوستروفسكى تم اخراج اربعين مسرحية وهو على قيد الحياة ، وعلاوة على ذلك اخرجت سبع مسرحيات اخرى كتبها اوستروفسكى بالتعاون مع مسرحيين آخرين بالاضافة الى مسرحية مترجمة له وست مسرحيات مقتبسة(٤) .. وبذا فقد بلغ مجموع المسرحيات التى قدمها أوستروفسكى للعروض المسرحية ستين مسرحية .

ولاسباب الرقابة جاءت حياة اوستروفسكى الادبية غير متطابقة مع عروض مسرحياته على المسرح . فقد شاهدالمتفرج على المسرحمسرحيات اوستروفسكى فى نظام يختلف عن النظام الذى كتبت به ولم تستفد المسارح الحكومية من امكانيات هذه العبقرية . الا ان هذا الموقف لم يثن اوستروفسكى عن سعيه الى عرض مسرحياته على الجمهور مما دعاه الى العمل على انشاء مسرح خاص به .

وبالرغم من اثراء هذا الكاتب العظيم للفن المسرحى ليس فقط الروسى بل والعالمى ، وبالرغم من ان معظم اعماله قد ترجمت الى العديد من اللغات الاجنبية الا ان قراء العربية لم يتعرفوا الا على القليل من اعماله ، فمسرح اوستروفسكى من الفنى والاثراء والتنوع بحيث لا نبالغ اذا قلنا انه يحتاج الى حشد من المترجمين لينقله الى القارىء والمسرح العربى . ■■

د . مكارم الغمرى

استاذ مساعد الادب الروسى والمقارن بجامعة عين شمس

(٣) ماشينسكى « المسرحيات التاريخية لاوستروفسكى » بكتاب « أوستروفسكى الفنان المسرحى موسكو ١٩٤٦ ، ص ١٣٢

(٤) أوستروفسكى ، « مواد وابحاث » ، الكتاب الثانى ، موسكو ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ٧

ملحوظة : جميع المراجع المشار اليها باللغة الروسية .

كلف العرب بالشعر ، وهاموا به الى درجة التقديس ، بالرغم مما وصفوا به أحيانا من خشونة وحدة في المزاج ، ومجاراة لبيئتهم الصحراوية • كما كان للشعر عليهم نفوذ آسر ، لم يكن ليعرف الحدود ، ولا ليميز بين الاشخاص على تفاوت في الاقدار والمنازل • فقد كانت طباعهم رقيقة وعواطفهم وجدانية،وأحاسيسهم مرهفة ما أسرع ما تهتز لدى سماع القصيد فتتجاوب مع عذوبة معانيه التي في قوافيه الحسان وكانها عنصر غذائي لا غناء لهم عنه ، يدخل في التركيب الفسيولوجي لذواتهم •

خصائص ومميزات

يحفل ديوان العرب بضروب من القصائد الوجدانية التي كان لها تاثير مباشر وحسم سريع لمواقف معينة عايشها الشاعر العربي بكل ما فيها من انواع الهموم •

وذلك كان وظيفة ايحائية ونفسية اداها الشعر العربي في معظمه بكفاءات فائقة على نحو لم يكن اعتباطيا ما كان لينهض بها لولا انه بدائع من الجمال او عيون من القريض في القمة الشماء •

وتمتاز تلك القصائد بكونها فيضا من التجارب والمعاناة ، تنطوي على عناصر الجودة ، تطبعها

عندما قال الشعر :

لا للموت !

بقلم : عبد الوهاب شكري

وكثيرا ما جعل الشعراء قصيدهم شفيعا لا في اغراض التكسب او النسيب او ما اليها ، ولكن عندما تتتابهم الملمات ويقعون تحت طائلة العقاب، ادراكا منهم لما للشعر من قيم في النفوس او تاثير في الوجدان، ما اكثر ما افاد في انقاذ حياة العديد منهم من بطش سلطان او من حافة الموت وهو منهم قاب قوسين او ادنى •

واذا ، ما طبيعة هذا النفوذ الشعري ؟ وكيف يملك على النفوس ارادتها المطلقة ؟ ثم كيف يحجز عليها قواها الغضبية ويحول دون ما عزمت عليه من احكام قاسية في لحظات رهيبة والامر يومئذ لله ؟

التلقائية والعفوية والشاعرية الحافزة • وانما نشأ بعضها كاستجابة لبواعث ظرفية دفاعية بحتة في آن واحد •

غير انه من مميزات الشاعر العربي على مستوى الارادة والسلوك ، ضبط النفس في أغلب الاحيان مع التمسك برباطة الجاش حتى في أحلك الظروف، وكذا عندما تحدق به الاخطار من كل جانب ، مما كفل له الى أبعد مدى وضوح الرؤية الشعرية في صورتها البنوية رغم ما يجتازه من معاناة ويقاسيه من شدائد في مختلف اطوار حياته الحافلة بألوان من المواقف والمفاجآت •

على انه من خصائص الشعر العربي في ارقى مظاهره النفسية ، القدرة على تحريك العواطف ومخاطبة العقل ، واثارة الشعور وتهذيب الطباع وصقل الاذهان ، واستبطان النفس بالنفاذ الى اغوارها في اكتساح شامل يجلو عنها حلكة الغضب ورواسب الاضغان والحزازات والامراض والمتراكمات وهو ما يشبه عملية فورية لغسل الدماغ ، تخضع فيها النفس ائتد للتاثير الايحائي بمقياس لا حدود له ، نتيجة انعكاس الحوافز الاستجابية عليها •

وتوظيف الشاعر لهذه الاغراض في منحى كهذا ، هو الذي جعله يهزم الموت بشكل موقت حينا ، ويحوز في عدة واجهات اخرى من سامي الرتب وعلو الشان ما قد تقصر دونه جميع المحاولات الجادة في غير المجال الشعري حينا آخر •

وههنا اسوق ثلاثة نماذج ـ وهي فيض من فيض ، والبحر لا ساحل له ـ حملت المخاطبين بها على تغيير مواقفهم ، والاسراع في تبني مواقف جديدة تتسم بالمرونة والتراجع الفوري لتنسجم وروح القصد مع ما تتميز به ـ سلفا ـ من شدة وصرامة •
واول ما يطالعنا منها موقفان للرسول صلى الله عليه وسلم مع شاعرة ثم شاعر :

لو سمعت شعرها

ومع ان هذه الاحكام عن خصائص الشعر العربي قاعدة قياسية تنسحب على فلان وفلان ، فانها على علاتها تصبح استثنائية عندما يتعلق الامر بشخص النبي الذي انزل الله عليه سكينته وايده بروح من عنده ونزع عنه كل ضغينة وحقد وطهره من كل رجس ، وادبه فاحسن تاديبه ثم صاغه في قالب فريد من الخلق العظيم • وحاشاه ان يخضع لاي تاثير ايحائي ما لم يكن مصدره وحيا الاهيا • وما حدث له في هذا المعنى ، هو من قبيل ما جبل عليه من مكارم الاخلاق فحسب •

فلقد قتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، بامر من الرسول النضر بن الحارث بن كلدة يوم الرجوع من بدر ، فكان الاحساس بمرارة الفاجعة دافع ليلى بنت النضر او اخته على اختلاف في الاسم والقرابة الى ان تعرض للرسول وهو يطوف بالبيت وتستوقفه بشده حتى ينكشف منكبه لتنشده هذه الابيات الرقيقة في العتاب :

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق (١)
أبلغ بها ميتا بأن قصيدة
ما ان تزال بها الركائب تخفق
فليسمعن النضر ان ناديته
ان كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق (٢)
قسرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ها أنت ضنء نجيبة
في قومها والفحل فحل معرق (٣)
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق (٤)
فالنضر أقرب من تركت قرابة
وأحقهم ان كان عتق يعتق

وعندها قال الرسول في اسف ظاهر : (لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته (٥)) •

ولكن ما الفائدة من ايراد هذه الابيات وقد سبق السيف العذل ؟ الذي يعنينا منها واضح جلي ، هو هذا التجاوب الحار مع العتاب الرقيق في عاطفة الرسول واحساساته المتسامية ، اعرابا منه عن اسفه العميق لكونه لم يسمع هذا الشعر حتى

---

١ ـ الاثيل : بالتصغير ، عين ماء بين بدر ووادي الصفراء • ويقال له (ذو الاثيل) من صبح خامسة تعني ما بينها وبين قبره من مسافة •
٢ ـ تنوشه : تتناوله وتأخذه •
٣ ـ الضنء : بفتح الضاد وكسرها الولد •
٤ ـ المحنق : الشديد الغليظ •
٥ ـ البيان والتبيين جـ ٤ ص ١٤٤ ط • القاهرة ، الاغاني جـ ١٧ ص ٤٣ ط • دار الثقافة •

حصل الفوت ، ولم يعد بالامكان انقاذ الموقف الا بالتاسف والندم في تقديره لمشاعر الاخرين بنبل وشهامة ومشاطرة • ولو سبق هذا الشعر الى اذني الرسول اذا ، لكتب بالتاكيد البقاء للنضر على قيد الحياة بان لا يموت بسيف علي •

شاعر وجائزة

وعندما اسلم الشاعر المخضرم بجير بن زهير ، بعث اليه اخوه كعب ينهاه عن الاسلام ويلومه على اعتناق دين لم يجد عليه « ابا ولا اما •• » ، فبلغ ذلك النبي فاباح دمه وهدد بقتله • ولما ايقن انه هالك لا محالة ، بعد ان ارجف الناس بذلك وتخلى عنه من كان يامل نصرته، ضاقت به الارض بما رحبت ، فنصحه اخوه بجير ان ياتي الرسول تائبا فلا ريب يشمله بعفوه ورضاه• وهو ما حصل بالفعل حيث حزم كعب امره واحتال حتى لقي الرسول واسلم بين يديه وقبل منه بواسطة ابي بكر رضي الله عنه •

ورغم ان اسلام كعب قد حقن عليه دمه في البدء الا ان مدحه للرسول كان له الفضل الاكبر في الابقاء على حياته • والا فلا اقل من انه اكسبه حظوة عنده وزاده قربا ، ما كان لينالهما لولاه •

ولاميته الرائعة (بانت سعاد) هي صاحبة هذا الفضل • نستقطب منها هذه الابيات التي في مدح الرسول ، وينفي فيها كعب اقوال الوشاة والمرجفين فيما نسب اليه من هجاء للرسول او تعريض عليه •

فبعد ان استهلها بالتغزل في الحبيبة على عادة الشعراء اذ ذاك ، تلاها بالفخر ، ثم مضى يمدح الرسول بقوله :

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا ، هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن ، فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني باقوال الوشاة ولم
اذنب ولو كثرت في الاقاويل

ويبلغ المديح ذروته حين يضيف الشاعر قائلا :

ان الرسول لنور يستضاء به
وصارم من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا : زولوا

زالوا ، فما زال انكاس(٦) ولا كشف(٧)
يوم اللقاء ولا سود معازيل (٨)

« فنظر الرسول الى من عنده من قريش كانه يومىء لهم ان اسمعوا » (٩) • لما في هذا المديح من صدق وروعة هو معهما حقيق بالانصات •• مما حدا بالرسول الى نسيان ما حدث ، كما هيأه لان يقابل اساءة كعب له بالحلم والصفح • وفوق هذا ان الرسول خلع على الشاعر بردته كمكافاة تقديرية وتعبير عن الرضا والقبول •

لا للموت !

وقصة تميم بن جميل الدوسي الخارجي مع المعتصم العباسي ، اكثر الامثلة فوالانيات قدرة الشعر على كسب الرهان في صراع الحياة ضد الموت ، وهو البعد الحقيقي للآثار الايجابية التي يحدثها الشعر حتى في ذوي الطبيعة الشرسة لتلين أعطاف أصحابها ، ويتولد لديهم الشعور بالرأفة بدل الرغبة في سفك الدماء •

فلقد حكم على تميم بالاعدام جزيا على لغة العصر لجريرة اقترفها ، وسيق بين يدي الخليفة لضرب عنقه ، وأصبح يرى ـ ويا لهول ما يرى ـ نفسه في مواجهة صريحة مع الموت ، ولا منجاة له منه الا بمعجزة خارقة تجود بها السماء التي أخذ يسترحمها تلميحا لا تصريحا في قصيدة يخاطب

٦ ـ الانكاس • ج نكس وهو الضعيف الذليل •

٧ ـ الكشف • ج الذين لا يحسنون حمل الترس في المباراة •

٨ ـ المعازيل : ج معزال وهو من لا سلاح معه•

٩ ـ الشعر والشعراء ج ١ ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١•• الخ ط • دار الثقافة •

بها امير المؤمنين الذى اشرف بنفسه على وقائع الاستنطاق • فانبرى لسانه يردد لحنا تجلله مسحة من الحزن والاسى ، هو اخر ورقة فى يده ان خسرها ضاعت حياته فى متاهات العدم •

وما جزعه ان يموت ، لان الموت كما أيقن شيء مؤقت ، ولكن خلفه صبية تتفتت اكبادهم حسرة من هول ما قد يحل بهم من رزء او فاجعة فى فقدانه • ولا علينا فى التلميح الى اسباب هذه المأساة المروعة كما تتراءى لنا بادىء ذى بدء ، وقد تجلى فيها صمود الرجل بقدر كاف أثار اعجاب الخليفة ولا شك وأدهش من كان حاضرا • وان انتهت المأساة بسلام على ما ناله اثرها من عفو الخليفة وحلمه بعد يأس أو شك أن يصيب منه مقتلا ، ولكن لحسن الطالع – ويا لها من معجزة – ارتد أملا باسما منعشا •

لقد كانت القصيدة على قلة عدد ابياتها –ولا عبرة بالكم – نافذة اغاثة هيأت للمتهم فرصة النجاة من خطر داهم قد نصبت أدواته واعدت له سائر اللوازم • ولكن الاعمار بيد الله يفعل بها كيف يشاء ويقدر •

وها هي ذى أبيات القصيدة تعكس بوضوح حالات الشعور النفسي عند الرجل فى لحظة ما قبل الموت ، وترسم فى خطوط عريضة انضباطه وتوقعاته لنتائج رحيله عن صبيته كما يتخيلها ليواجهوا الموت والردى بمفردهم على ما هم فيه من الحداثة وضعف الحيلة وقلة التجربة وانعدام الجلد والصبر على الخطوب ، خصوصا وانه ربط مصيرهم بمصيره••

يقول تميم مصدقا لما بين يديه من مشاعر قلبية تنطق بلسان الحال والمال :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي
وأي امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي أني أموت وانني
لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
لأن عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

لقد كان حقا مشهدا مؤثرا كما تصوره ابيات القصيدة ، وقد وقف فيه الرجل موقف ادانة لا لا يحسد عليه • كيف لا وقد اقتيد الى مصرعه قسرا يتراءى له الموت (بين السيف والنطع كامنا) ولم يبق له من رجاء الا ان يدلى بعذر او حجة عسى أن تمحو ما قد اتى به من ذنب حين خرج على امير المؤمنين فيمن خرج من الخوارج ، والا قضى الامر ليسدل الستار على حياته وتطوى صحيفته ولما يرتد للناظر طرف •

ومع جلال الموقف ورهبته ، جرت على لسانه تلك الابيات بلا خوف ولا وجل وقد سارعت الاقدار الى اسعافه بها لتحجم هذه المرة عن السخرية • فكان لها حقا سحر البيان ولقل فى الميزان يقلب الآن قلب الخليفة الحانق وأرخى عليه ظلال الفتور بعد حرارة انفعالية ملتهبة خبا اوارها بعد حين قليل، تلا ذلك دمعة تنسكب من مقلتيه تعطفا واشفاقا على اولئك الصبية الذين تنفطر اكبادهم جزعا على الاب الذى اخذ ليلقى مصيرا غامضا لا يفقهونه ، ولكنه على ايةحال رحيل ابدى لو قدر له ان يحدث ، وفراق لا يطيقونه البتة •

وتطفو – اخيرا – الحكمة على سطح الشعور ، ويعود للعقل وعيه يرافقه الحلم والصفح بعد أن انقشع ضباب الغضب والانتقام ليأمر الخليفة بالتخلية عن سبيل الرجل مع نفحة بهية نقدية يصلح بها احواله •

وبعد ،

فيا لها من رحمة لنت سيف المنية وطوت النطع ليموت الرجل بعد لأى على فراشه حتف انفه وقد استوفى حياته على مهل !

لم أعظم بها من منة للشعر !

ولله الامر من قبل وبعد •

■■

عبد الوهاب شكري
ورزازات – المغرب •



اضمحلال شعب المايا

ترجمة واعداد : رجاء ابو غزالة

هذه الدراسة تعتمد على كتاب صدر اخيرا باللغة الانجليزية للكاتب روبرت سلفربرج عنوانه «مدن ضائعة ومدنيات اندثرت»

بعضنا شاهد آثار مدينة بومباى ، و بعضنا الآخر قرأ عن كريت وبابل ، لكن اكثرنا لا يعرف سر وسحر وعظمة شعب اضمحل فى ظروف غريبة هو : شعب المايا

■ لا شك بان الكثير منا قد قرأ التاريخ وتساءل بفضول عن سر تلك المدن الضائعة والمدنيات المضمحلة التى لم يبق من اثرها المثير للخيال ، سوى اسم المدينة والقائد ، كمثل بابل ونبوخذنصر ، او طروادة بريام وهكتور ، أو كريت وملكها العظيم مينوس •

الا انه بالرغم من احترامنا للتاريخ ظل هوذاته فى بطن عقولنا ، عبارة عن ذكرى اثرية ،او ربما فكرة خيالية نتوقف عندها كما يتوقف المسافر فى محطة •• ثم لا نلبث حتى نتابع طريقنا غير عابئين بما سلف ، ضائعين رغما عنا فى مجرى الاحداث اليومية •

والتاريخ ، مهما كانت الظروف المحيطة بـه غامضة ، لا تنجلى معالمه الا بعلم الاثار والحفريات الحثيثة اللامتناهية ،فلولا هذا التكالب على معرفة المجهول ، لما برز الى حيز الوجود مدن خرافية ، كمثل المدينة الرومانية التى حكمها الامبراطور « تيتوس » وطمرتها اتربة البراكين لقرون خلت • ولولا ارادة رجال مثل « تومسون » و « ستيفنس » لما اكتشفت اسرار اواسط اميركا باهراماتها الضخمة ومعابدها التى تشبه الابراج •

الى العالم الجديد

بعد اكتشاف اميركامباشرة ، أبحر الجنودالاسبان الى العالم الجديد طمعا بالذهب ونشر الديانة المسيحية • وقد وجد الغزاة ، لشدة دهشتهم ، بان اميركا مسكونه باناس يتمتعون بدرجة عالية من المدنية • الا ان طمع الجنود الجهلة وقسوتهم المتناهية قد ادت الى القضاء على اروع الاثار ومن ثم محو اهم الصفحات التي ما زالت تحير العلماء حتى الان ، ملقية بذلك ضبابا كثيفا على اسرار ذلك العالم الجديد القديم •

في البيرو ازدهر شعب « الانكا » الذي هزمه القائد الاسباني « بزارو » في اوائل الفتوحات •

في المكسيك عاش « الازتك » وهزموا على يد القائد « كورتيز » •• اما في جواتيمالا ويوكاتان فقد عاش المايا حياتهم الخاصة ، وعندما جاء الاسبان لم يقاوموا ، وبذلك لم يتعرضوا بشدة للعذاب الجسدي والحرق والتنكيل الذي قضت بسببه مدنيات الشعوب الانفة الذكر ، بل رضوا بالاستسلام فاخذوا كعبيد وبذلك استطاعوا الحفاظ على قسم من هذا التاريخ

لقد بنى المايا مدنا عظيمة الا ان الغابات قد ابتلعتها لعده قرون ، فقد احيطت بعرائش متسلقة ونباتات ضخمة حجبت معظمها عن الاعين ، وبذلك ارخت عليها ظل النسيان لما يقارب الـ ٣٠٠سنة •

واليوم وبعد ان استردها علماء الاثار ، ناتي على ذكر مدينة « اتزا » المدهشة التي تمع اثارها في جزيرة يوكاتان القابعة كمثل الابهام الضخم في خليج المكسيك •

« واتزا » هي عاصمة المايا واخر مدينة بنوها في الشمال بعد عدة هجرات غريبة •

لقد ازيحت عنها النباتات واعدت باتقان،فبدت تماما كما هجرها المايا سنة ١٤٠٠ م • واول شيء يطالع الزائر وهو قادم اليها ، هو الاهرام الكبير المتوج بمعبد كالبرج •

هناك تسعون درجة تقود الى القمة حيث يتمكن المرء من رؤية اثار المدينة من فوق•ففي ناحية ، يطالعنا قصر ضخم وجميل ، بني من الحجر فوق سطح واسع ، واسفله على بعد خطوات ، يقع معبد بلا سقف مكون من الف عمود • على الناحية الاخرى يمتد استاد واسع خصص للمباريات الرياضية ، والى جانبه اقيم مرصد جوي كان يستعمله المايا في دراسة السماء واسرارها ••

وعلى استدارة ثلاثة اميال مربعة تتناثر بيوت المدينة في كل اتجاه •

والاهرام العظيم هو قلب مدينة اتزا ، ويبلغ علوه ما يقارب المئة قدم • اما المعبد الذي يمع على قمته فقد كانت تدور فيه مراسيم الموت •• كان المايا يضحون بالفتيات الجميلات للاله « يوم ـ شاك » كي يرسل اليهم المطر •

وتبدامراسيم الاحتفال من اسفل الاهرام حيث يصعد الكهنة ومعهم الضحية • تقاد الفتاةالعذراء الى جسر يصل بين المعبد والبئر المقدسة التي ستلقى بها في النهاية•وعلى طول الجسرالذي يصل الى ربع ميل ، وعرضه الى ١٥ قدما والمزين برسوم الحيات المجنحة ، يواكب الحفل ثلة من الجنـود وقارعي الطبول••وفجاة يتوقف الموكب امام هيكل يقع امام البئر البيضاوية البالغ اتساعها ١٩٠ قدما ، وتصدع الحناجر بالاناشيد ، فترتجفعروس يوم ـ شاك ، وتقاوم ، فتصل اليها ايدي الكهنة وترفعها بحزم ، ثم تلوح بها عدة مرات وتقذفها بعيدا ، فتبدو وكانها قد علقت بتوازن في الفضاء ومن ثم تهوي فجاة الى القاع التي تقبع مياهه المظلمة على عمق ٧٠ قدما •

بعد ذلك تنهمر العطايا الثمينة في اثر الضحية مثل الصحون والاجـراس الـذهبية •• ويلتفت الكهنة الى بعضهم في انحناءه سرور وارتياح •• لقد قاموا بالواجب امام اله المطر وهم على يقين بانه لن يبخل عليهم بنعمة بعد ذلك !

قصص مثيرة وراء الكشف

تبدا قصة اكتشاف آثار المايا سنة ١٨٣٩ عندما وقع بين يدي لويد ستيفنس ، وهو محام وهاوي اثار ، كراس مهم للكولونيل جارلندو المكسيكي ، يتحدث فيه عن مدن عظيمة في غابات يوكاتان •

ذهب ستيفنس برفقة صاحب له الى اواسط اميركا ، مدعوما باذن من حكومة الولايات المتحدة • وصل الى هناك في وقت كانت الحرب الاهلية في اوج اندلاعها ، وبمعجزة كبيرة ، وبعيدا عـن خطوط الاعداء ، استطاع ستيفنس ان يتسلل على ظهور البغال الى قرية «كوبان» في هندوراس حيث بدات رحلته الجدية الى الغابات •

كانت الرحلة اشبه بالحلم المزعج ، لقد غرقوا عدة مرات في المستنقعات ونجوا ، ليقطعوا الاف الاميال من المسالك الوعـرة المليئة بالاشواك

والمتسلقات العنيدة الجبارة .. عدا ذلك ، فقد أغارت عليهم جيوش الناموس والحشرات وكأنها السحاب حتى كاد اليأس يجرفهم الى العودة .. لكن وفي النهاية وصلوا كوبان حيث استاجر ستيفنس ادلاء هنود وتابعوا طريقهم في اقتناص الآثار ..

مضت ايام وهم يبحثون ويقطعون الاشجار ويزيحون النباتات ، حتى عثر ستيفنس ذات يوم على جدار نباتي اختفت وراءه الوجوه المنحوتة والهياكل الضخمة . ضرب فأسه عدة مرات ثم اخذ يزيح النباتات غير مصدق عيناه .. وبفرحة غامرة اخذ يكتشف المزيد من الوجوه والاهرامات والهياكل حتى تاكد له الحلم،وكتب فيما بعديصف اهرامات المايا على انها مساوية بروعتها لاهرامات مصر .

بعدئذ صدر لستيفنس كتاب يتحدث فيه عن مغامراته الاستكشافية في كوبان وشياباس ويوكاتان.ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات فتلقفه العلماء بدهشة عارمة .. وعلى اثرها قامت عدة نظريات مفادها ، انه ليست هناك حضارة هندية استطاعت الوصول الى هذا الحد من التفوق ، اذن فشعب المايا ليس هنديا . البعض قال بانهم بنوا اهرامات توازي اهرامات مصر بروعتها . اذن فلا بد انهم من اصل مصري ، والبعض الآخر قال بانهم جاءوا من الهند ، والبعض صمم على انهم بقايا شعب اتلانتا ، تلك القارةالتي يفترض بانالمحيط



قد ابتلعها ،واكد آخرون بانهم جاءوا منالباسفيك أو من الاسكا أو من قرطاجنة .

انهمك العلماء في تتبع آثار أخرى تلقي بعض الاضواء على هذا الجدل العميم . وطلع علينا وليام برسكوت باكتشاف آثار الازتيك في المكسيك سنة ١٨٤٣ الا أن الغموض ظل مهيمنا على أعماله وأعمال غيره من العلماء لعدة سنوات لاحقة .

من أعمال الشيطان !

وفي سنة ١٨٦٣ عثر على كتاب ثمين جدا ظل منسيا قرابة الـ ٣٠٠ عام في أحد زوايا الاكاديمية الملكية للتاريخ في مدريد ، الا أن التاريخ لن يغفر لصاحب هذا الكتاب «دييغو دي لاندا» ما فعله من عمل اجرامي حين جمع كتب المايا سنة ١٥٦٢ في الساحة العامة في بلدة « ماني » ، واحرقها كلها مدعيا بانها من أعمال الشيطان . ثلاثة كتب فقط قدرلها النجاء من ذلك الحريق التاريخي وهي موجودة الآن في أوروبا . وبالرغم من أن حماس دي لاندا الديني قد قضى على آداب وتاريخ وعلوم المايا ، الا أن حاسته الثقافية قد حفزته على تعداد ما قد عرفه وقرأه عن ثقافة وحكمة المايا . وقد احتوى كتابه على رسومات ثمينة ومفيدة توضح كتاباتهم، وتعدد تواريخهم ، والتماويم التي اتبعوها ، وبذلك مسح الكتاب كافة الخرافات والتنبؤات التي رافقت كل بحث واكتشاف تعلق سابقا بالمايا ، واعطانا الدليل على أن المايا هم من الهنود المتطورون . وهكذا أصبح في مقدور العلماء ترجمة ما قد كتب على الهياكل والآثار ، والانغماس بحماس أكثر في تتبع بقية الاعمال الحفرية .. ومن هؤلاء المتحمسين «ادوارد تومسون » ، عالمالآثار الامريكي الذي امضىزهاءالاربعين عاما يكتشفامريكا الوسطى ويتحفنا بادق المعلومات .

قرأ تومسون كل الكتب التي تتناول ذكر « يوكاتان » والبئر المقدسة وبقية الاكتشافات ، ثم عول على الرحيل الى هناك . وفي سنة ١٨٨٥ ذهب الى يوكاتان ليجدد المصاعب التي تعرض لها ستيفنس من قبل في الطريق .وعندما قرر الغوص في البئر كي يكتشف المزيد من الاسرار ، ضحك منه أصدقاؤه ، لاعتقادهم بأن البئر لم يدخلها حي وخرج منها سالما ، انها ببساطة عملية انتحار ، فاذا كان حقا يود الموت فلم لا يسعى وراء طرق اقل رعبا وغموضا .

لكن تومسون ضرب بتعليقاتهم عرض الحائط وسافر الى بوستن ليتلقى دروسا في الغوص العميق • لم يكتف بذلك بل اقترض الدراهم الكافية لتزويده بثمن الكراكة اللازمة لاستخلاص الآثار من البئر وثمن أدوات الغوص وتكاليف النقل في البحر والبر عبر الغابات الى مدينة ايتزا •

في موقع البحث وجد تومسون صعوبة جمة في معرفة المكان الذي يجب الحفر فيه • وهداه تفكيره الى صنع العاب خشبية بحجم الانسان ثم راح يلقي بها في البئر ، تماما كما كان يفعل الكهنة ، وهكذا تمكن بسهولة من تحديد الهدف ومن ثم بدأ الحفر •

مضت أيام طويلة والكراكة تدفن فكها الحديدي في أعماق البئر ولا تخرج سوى أطنان الاشجار وعظام الحيوانات والنباتات المتعفنة • تملك تومسون اليأس وفكر بما سيتعرض له من سخرية لو عاد خائبا • فكر بالتكاليف والديون التي عليه ولم يتراجع ، ظل يعمل ويكد حتى أتاه الفرج • ففي ذات يوم غائم وممطر خرجت الكراكة على غير عادتها بكوم من الوحل الاصفر • شم تومسون المادة وتذوقها بحذر ثم لمعت في ذهنه ان يضعها فوق اللهب ، وآنذاك انتشرت في الجو رائحة ذكية تبين من خلالها بخور المايا الذي كان يستعمل في قرابينهم •

ومع هذا النجاح المليء بالامل ، نام تومسون جيدا بعد شهور من القلق والعذاب • بعدئذ انكب على الحفر حتى بدأت الكنوز تظهر ومن ضمنها عظام العذارى والاجراس وكافة الادوات المنزلية •• ثم فكر تومسون بالنزول الى البئر ، وقد كانت خطوته جريئة في زمن لم يكن الغوص بعد مأمونا ، ووسط ظلام موحل وبرفقة غواص محترف استطاع اخراج مزيد من الكنوز المثيرة •

بعد نجاح مهمته هذه حول تومسون مجهوداته الى الاهرامات، حيث اكتشف مقابر الكهنة والملوك، واستنادا الى ما وجده من منحوتات الحية المجنحة ، استطاع استخلاص مدى صحة الخرافة القائلة بان القائد « كلولكان » لم يكن سوى رجل أبيض بلحية في وقت لم يكن للمايا لحا •

يعتقد بعض المؤرخين بان كلولكان هو احد الناجين من حطام سفينة « نورس » زمن « ليف اركسون » • ومهما يكن من أمر فقد حكم أواسط اميركا لمدة طويلة ، وعندما جاء الاسبان في القرن السادس عشر اعتقد معظم الهنود بان كلولكان قد عاد حسب وعده •

كتب المايا الثلاثة

لقد أعتبر كتاب دي لاندا لمينا لاحتوائه على مفاتيح لغة المايا التي بواسطتها استطاع علماء الآثار قراءة التواريخ والمعلومات المنحوتة على الاثار كما أورد أيضا التعاويم التي كان يستعملها المايا قديما وهي : ــ

« التزولكن » أو التقويم المقدس •

و « الهعاب » أو التعويم السنوي •

التقويم الاول فيه ١٣ شهرا ، كل شهر يتكون من ٢٠ يوما والسنة تحسب بـ ٢٦٠ يوما • كل يوم او شهر يمثل برسم او « جليف » ولا احد يعلم لماذا اختار المايا ٢٦٠ يوما لتقويمهم الديني •

الهعاب يتكون من ٣٦٥ يوما كالسنة الميلادية تماما • ويعد هذا التقويم من افضلها وادقها اذ يتألف من ١٨ شهرا ، والشهر من عشرين يوما زائد خمسة أيام تسمى « يوايب » اي الخالية بمعنى المنحوسة •

بنى المايا من هذين التقويمين حلقة معقدة من الزمن ، فالسنة « تون » ٣٦٥ يوما اي « كتز » والعشرون سنة « كاتون » اي ٧٢٠٠ يوم ، يتبعها وحدات عد مثل « باكتون » وبكتون حتى تصل « الاوتون » ••• هذا التقويم المعقد للزمن رجع بالمايا وتاريخهم الى ما يقارب الـ ٩٠ مليون سنة، الى ما قبل وجود الانسان ، تلك الدقة لم يسبق لها مثيل في الثقافات و المدنيات الاخرى •

وكتب المايا الثلاثة توزعها عدة دول أوروبية، منها المانيا الشرقية حيث عثر على احد الكتب وسمي باسم البلدة الالمانية Dresde، Codxe وهو الآن بعهدة علماء الآثار الروس ويتناول علم الفلك • أما الكتاب الثاني ويدعى

Codex Peresionus

فقد عثر عليه في المكتبة العالمية في باريس سنة ١٨٦٠ ويشمل علم التنجيم • اما الثالث Codex Trocrteci.nus فقد وجد مقسوما وفي مدينتين ثم جمع ونقل الى مدريد ويتحدث عن المراسيم الدينية •

قبل الاسبان وبعدهم

تدلنا التواريخ المنحوتة على المعابد والقبور والابنية بان المايا سكنوا مدنا شامخة ثم اخلوها

بلا ادنى سبب ، لم يكن هناك السر يدل على أن هذه المدن قد فتحت بالقوة أو قضى عليها بكوارث طبيعية • لقد ظل المايا يتنقلون من مدينة الى اخرى حتى جاء تاريخ ٩٠٠ ميلادى حيث تجمعت كل شعوب المايا في يوكاتان •• لماذا ؟ لا احد يعلم • لقد تركت تلك المدن للغابات الزاحفة بكل بساطة : لماذا ؟

وربما دلتنا الكتب التى احرقها دى لاندا الى الكشف عن هذا السر •• لكن افضل تفسير توصل اليه العلماء كان سببه زراعيا • فقد كان شعب المايا زراعيا قبل أن يكون معماريا • كان يستعمل نظاما ما زال مزارعو اواسط امريكا يتبعونه حتى الآن وهو نظام « الميلبا » ويتلخص في تنظيف الغابات وحرقها في موسم الجفاف • لم يفطن المزارع آنذاك الىاستعمالالسماد وبذلك تضاءلت مساحة الاراضى الزراعية التى تضررت بواسطة الحرق فاضطر المزارع الى هجرها والانتقال الى مكان آخر •

كانت لديهم ايضا مشكلة الرى والاعتماد على المطر في كل حاجتهم من المياه •• لم يكن يوجد لديهم انهار أو بحيرات فبنوا الخزانات الضخمة لحجز الامطار •

والغريب فى الامر أن المايا بنوا مدنا رائعة ، لكن لسوء الحظ لم يكونوا على معرفة بماهية الدولاب وفائدته في أغراض كالنقل والزراعة ، واكتفوا بصناعته على شكل العابخشبيةلاطفالهم•

ونستطيع تتبع تاريخ المايا الحديث بالرجوع الى اول رجل ابيض راى المايا وهو كلومبس ،ففى سنة ١٥٠٢ حط رحالة عند شاطىءجزيرةهندوراس والتقى ببعض الهنود ، وعندما سالهم من اينااتوا، رددت كلمة « مايام » • ومن بعد اتى الاسبان ليلقبوا هؤلاء القوم بالمايا •• ولما تعاقب الفاتحون على تلك الشواطىء وسالوا بالاسبانية عن بناة هذه المدن واسم البلاد ، ردد الاهالى كلمة « سى يوتان » وتعنى ـ نحن لا نفهمماذا تقولون ـ اخذها الاسبان على انها اسم البلاد فسموها يوكاتان ، بالطبع كان للمايا اسم مختلفلبلادهم لكننا لا نعرفه •

وفى سنة ١٥١١ تحطمت سفينة احد الاسبان عند شاطىء يوكاتانفاخذ الناجون الى البلدةحيث تحول اثنان منهما الى وليمة دسمة ، اما الكاهن والبحار « جويريرو »فقد احتجزا لانهما غيرصالحين للطعام • وذات ليلةاستطاع الراهبالنجاةبحياته، وذلك بمساعدة قواتاسبانيه تحت امرة «كورتيز» ، لكن البحار جويريرو بقى مع المايا ، وتزوج من ابنة احد القواد ، ليصبح فيما بعد من المع القواد الذين قادوا فلول المقاتل ضد هجمات الاسبان ، مستعملا نفس تكتيك الاسبان الحربى • وقد مكنت مساعدته العظيمة للمايا من صمودها لمدة طويلة ، الا ان موته قد جعلها تستسلمالواحدةتلو الاخرى، ما عدا قبيلة التزا ، التى هربت من التنكيل بعد سنة ١٥٤٦ واتجهت الى الجنوب ، الى مدن مايا القديمة ، التى يعود تاريخها الى ١٢ قرنا ، واعتصمت هناك بعناد حتى سنة ١٦٩٦ ، عندما دخلها راهب اسمه « افدانيو » واقنع قائدها بالاستسلام ، وبذلك انتهت آخر مقاومة للمايا •

والجدير بالذكر أن مدينة المايا استطاعت الاستمرار زهاء ما يقارب الـ ٤٠٠٠ سنة ، ايام كان الاسبان انفسهم يعيشون فى المغاور ، ومع ذلك لم تاخذ ثقافتهم اكثر من عدة اجيال كى تموت ، مسحوقة تحت نعال الاسبان ، لكن بالرغم من ذلك ظل دم كلولكان يجرى فى عروق اهالى وفلاحى يوكاتان وجواتيمالا وهندوراس وبقيت لغتهم حية يتحدثون بها ولا يكتبونها ، فهميجهلون كل شيء عن تاريخهم وادابهم وحتى اسماء ملوكهم •

خبراء فى الرياضيات

لقد كان شعب المايا خبيرا بالرياضيات ، وفاق اسلوبهم بالعد كل اسلوب •

لقد استوعبوا فكرة الصفر كرقم قبل اليونان والرومان والمصريين ، وبذلك استطاعوا تكوين حسابات معقدة وتدوين ارقام غاية بالدقة ، كما يشهد على ذلك تقويمهم السنوى • اما فنهم المعمارى فيعد اية بالروعة ، كذلك الرسومات والمنحوتات العديدة •

ويتالف مجتمع المايا من طبقتين :ـ

طبقـة النبلاء (الميهنوب) والقـواد (هالاك يونيسل) اى الرجال الحقيقيون •

والطبقة السفلى (يالبا يونيكوب) وهم الفلاحون ، الجنود والخدم • وقد استفرد النبلاء بكافة العلوم والاداب والحسابات لذلك عندما جاء الاسبان وقتلوا (الميهنوب) اختفت ثقافة المايا بموتهم • لم يكن الفلاح يعرف شيئا فى الحياة سوى خدمة سيده • حتى البناء الشامخ كان وقفا



على النبلاء ، اما الطبقة الفقيرة فكانت تسكن الاكواخ .

لقد كان للمايا افكار غريبة بينها تبسيط رؤوس اطفالهم وذلك بوضعها بين عارضين من الخشب حتى جاء كل شعب المايا فادوسى الراس . ولان الحول كان يعد جمالا فى ذلك الوقت ، فقد علقت الامهات كرات شمعية على شعر اطفالهم ، فكانت الكرات تتحرك امام وخلف عيونهم محدثة ذلك الحول المطلوب .

اهتم المايا بالموسيقى فطوروا البوق والطبل وعنوا بالرقص لانه كان من اهم ميزات حياتهم اليومية .

عرف المايا الدراما فبنوا المسارح لالقاء الحكايا المضحكة .. كما انهم اهتموا بلعبة « البوكاتوك » الى درجة قامت حولها المراهنات . وهى تقام عادة على ساحة واسعة وتثبت على جانبي الملعب حلقتان من الحجر فى حائط على علو ٣٥ قدما .. تماما كما فى كرة السلة ، لكن بالطول لا بالعرض ، والغرض من ذلك تمرير كرة مطاطية خفيفة داخل الحلقة دون المساس بها . وقد وجد فى مدينة اتزا سبعة ملاعب على الاقل .

والحقيقة ان شعب المايا كان حيا وخلاقا كما تبين لنا من خلال نشاطاته العديدة ، كان ايضا غريبا ومتناقضا ، فبينما نراه مدهشا فى امور عديدة نجده غبيا فى أخرى .

وبينما اعطتنا مدنيات قديمة كبابل كل اسرارها العائدة الى ماقبل ٦ آلاف سنة ، ظلت مدنية المايا غارقة فى عالم الغموض والاسرار غير ان العمل الحثيث ما زال جاريا لاكتشاف المزيد ومعرفة الكثير عن هذا الشعب الرائع ، ومن يدرى ربما استطاع علماء الاثار حل هذا اللغز بعد اسبوع او شهر او سنة او ربما عشرين ، وعندها فقط تستطيع ان نفهم الكثير عن هؤلاء الجبابرة الذين عاكسهم الحظ فقضى على ثقافتهم قبل ٤٠٠ سنة فقط ■■

رجاء ابوغزالة

نداء المجهول

تاليف : فرانك تلسلى

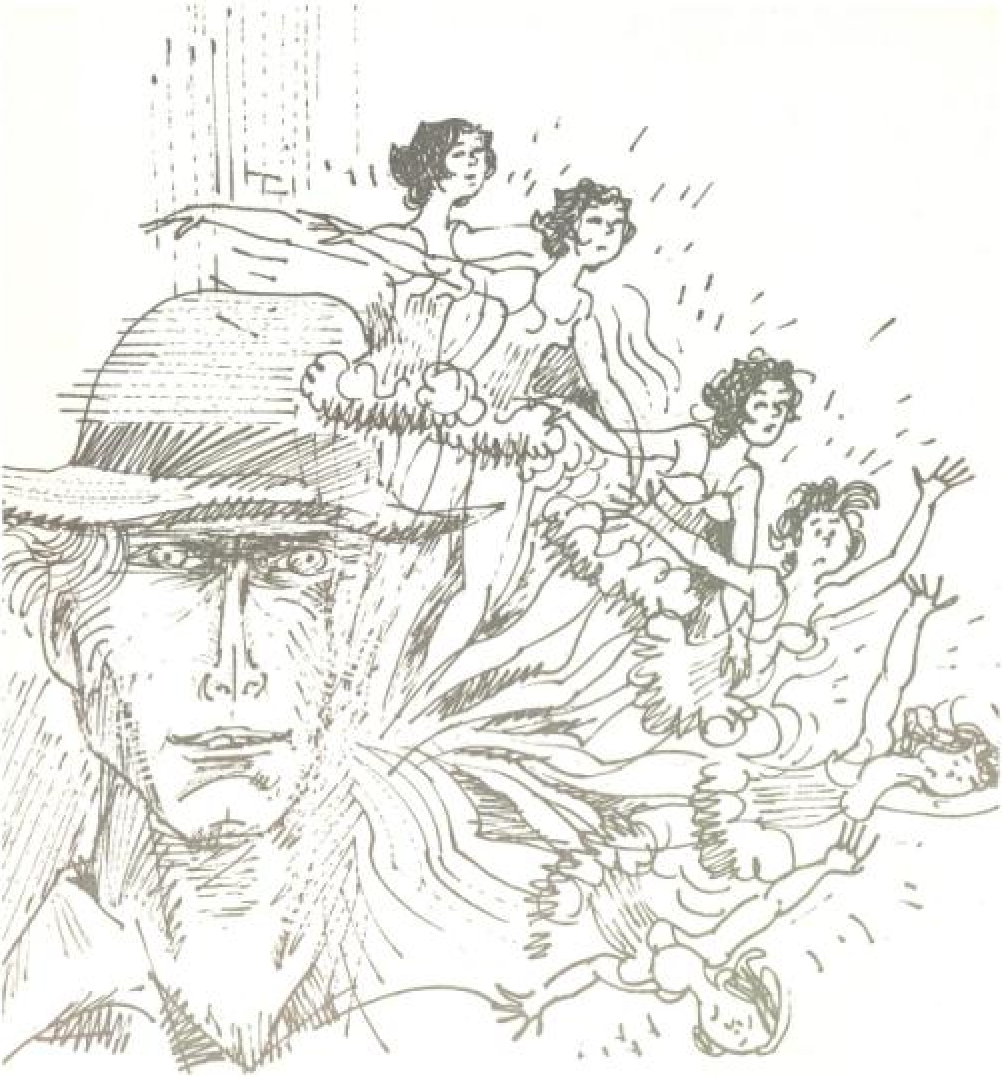
ترجمة : أحمد البشبيشى

■ ترى هل ينبئنا الحلم بما يحتجزه الغد ويحتويه المجهول ؟ فنهتدى بفضل ما نراه الى الاسلوب الذى نتقى به شرا متوقعا ، او نستقبل به خيرا فى اى صورة • ولكن ، اليس غريبا حقا ان تصدق الاحلام احيانا حتى يتكون لدى الفرد منا احساس ينميه تتابع الاحلام حتى يبلغ حد الطاقة المحركة لقدره وقضائه • ! واسمحوا لى ان اعترف لكم ، أيها السادة ، اننى ما فكرت يوما فى شىء من هذا القبيل ، بل ان اسلوب تصورى لمثل هذه الاشياء كان بعيدا كل البعد عن واقع ما اصبحت أعيش قصته منذ التقيت ب (نانسى) فتاة السيرك التى حبتها السماء جمالا متميزا بابعاد تتحدى بها افتن النساء ، غير انها حرمتها نعمة الاستقرار لفترة امتدت من حياتها حتى رات ذلك الحلم الذى سوف احدثكم عنه •

كانت « نانسى » قد وطنت نفسها على تقبل حياة التنقل من أجل لقمة العيش ، كما يقولون ، فالعاملون فى السيرك مقضى عليهم بعدم الاستقرار فى مكان واحد • وليت الامر اقتصر على ذلك ، اذ ان العرض ذاته ، الذى يستغرق ساعات يقتنص اغلبها من كل يوم جديد ، تسبقه تدريبات عنيفة خاصة بالنسبة ل « بهلوانة » مثل (نانسى) تسير على الحبال المشدودة وتتعلق فى الهواء ، وتتعلق معها انفاس المشاهدين •• وكم من مرة تعرضت (نانسى) لخطر محدق ، غير انها بذكاء فطرى واحساس غامض كانت تعالج مواقفها الخطرة ، دون ان يشغلها غير ان تضم الى رصيدها الانسانى شحنات جديدة تستمدها من بسمة طفل ، او اعجاب شاب او حركة ياتى بها مشاهد ما تخلصه من تزمت فرضه عليه نوع العمل الذى يؤديه ، ولا يجد لنفسه متنفسا الا فى ساعات يقضيها هنا فى هذا السيرك او فى اى مكان آخر •

والعجيب فى (نانسى) انها كانت مشدودة الى مجموعة من المبادىء ، هى ذاتها الموحية بذلك الاحساس الغامض الذى كان يتحكم فى اغلب تصرفاتها •• كان هذا الاحساس يلح عليها فى يقظتها ، بل انه كثيرا ما تابعها فى نومها ، وعديدة هى تلك الاحلام التى رات فيها نفسها فى صور غريبة واوضاع غير مالوفة لديها ، غير انها لم تحظ منها باهتمام يذكر • ولعل نوع عملها واسلوب ممارستها له لم يتيحا لها مجال الاهتمام الشديد ، حتى كانت تلك الليلة أو بمعنى أدق ، تلك اللحظات من فجر يوم جديد •

كانت (نانسى) فى حالة من الاجهاد لم تدع لها فرصة لتناول عصير البرتقال كعادتها • والقت بنفسها القاء فى فراشها • وما لبثت أن استغرقت فى نوم عميق ولما استيقظت ، كنا على موعد للقاء فى مطعم (التيرو) فى قلب مدينة روما ، رايت فى عينيها معنى تاكدت معه أن لديها شيئا تصارع نفسها بين كتمانه والكشف عنه ، فاستدرجتها باسلوبى الخاص ، وبحكم ثقتها بى ، نجحت فى انتزاع ما حرصت على كتمانه ـ وكان حلمها هذا



العجيب . ولادع (نانسي) ترويه بنفسها .

وجدت نفسي في عربةفاخرة ضخمة ذات لونيميل الى الاصفر . وعجلة القيادة تهتز بعنف في يدي، اذ كنت انطلق بها بسرعة فائقة خلال طريق ممتدة، وفجاة وجدتني عند الحافة حيث يتعين على أن اتجه يمينا . واذا عربة نقل ضخمة تبرز لتعترض طريقي . حاولت تفادى الاصطدام بها قبل الاقتراب منها بالضغط على الفرملة لتبطيء ، وحين مددت قدمي سقطت قدمي بعيدا عنها . حاولت ثانية والعربة منطلقة باقصى سرعة . وفشلت المحاولة ثانية ، وادركت من حركة قدمي أن لا فرملة

وتاكدت من ذلك حين ،كزت بصري ، في سرعة خاطفة على مكان الفرملة من السيارة .. وأسقط في يدي ، ولم يعد يفصلني عن عربة النقل سوى امتار معدودة ، وأسلمت نفسي للقدر ، وفجاة بلغنيصوت هادئ منجانبي ، صوت من ؟ لم ادر. ولم يكن يرافقني في العربة أحد مطلقا . وحين التفت الى مصدر الصوت وقعت عيناى على انسان غريب لم يسبق لى معرفته ولا اذكر انني شاهدته حتى بين رواد السيرك الذى الفت وجوههم . غير انه معنا هذا من روعي انه ابتسم لى في ود . ورغم نظرتي المضطربة استطعت أنأحدد ملامحه..

كان في منتصف العمر ، يرتدي قميصا حريريا ، وتكسو رأسه قبعة حمراء • وتحدث ولكنني لم أع ما قال •• كانت كلماته سريعة في فرنسية سليمة، وحصيلتي من الفرنسية ، لم تكن على مستوى يمكنني من التجاوب معه• غير انني بحركة اضطرارية ركزت عيني على يديه النظيفتين اللتين امتدتا في لطف الى عجلة القيادة التي تغير موضعها من اليمين حيث كنت أجلس الى اليسار حيث فوجئت بوجوده حين بدأ يتحدث الى •• واذ تولى هو القيادة ، احسست بقدرته على التحكم في سرعة سيارتي ومن ثم ، تجاوزنا المنعطف ، وتفادينا الخطر •

« امتدت الطريق امامنا ، وكانت خالية تماما الا من امرأة كانت تجلس امام كوخها الابيض ترتب بعض الزهور • وما ان لمحتنا حتى لوحت لنا ببعض الزهور تدعونا أن نقبل على الشراء •

لم يكن فيما فعلته هذه المرأة ما يثير اى دهشة غير ان احساسا مزعجا انتابني فجأة ، اذ نظرت الى الزهور وكانت منسقة في شكل دائرى ، اشبه بذلك الذى تكون عليه الزهور التي نضعها على المقابر ، وذكرتني على الفور بالموت ••

« في هذه اللحظة كانت عربة النقل قد لحقتنا، حاذتنا في خط واحد ، ثم اذا هي تغير اتجاهها ، اذ استدارت يمنة حيث كنا كأنها تحاول مصادمتنا عمدا ، كما قرأت في عيني سائقها •• واقتربت واقتربت حتى بت واثقة من هلاكنا • وهنا صاح جارى القريب في حنق دون أن يفقد قدرته على التحكم في سيارتنا ، واستدار بها في ذكاء تفاديا للاصطدام • وفجأة حدث انفجار في مؤخرة العربة صاحبه تمزق • واذا بدخان يملأ الجو حولي وصوت الانفجار كاد يصمم اذني ، وغشيت عيني سحابة من دخان قاتم ، واحسست ان الارض قد زلزلت زلزالا •• وصحت في رعب واخذت اتحسسما حولي ملتمسة لنفسي سببا للنجاة • واصطدمت يداى بوسادتي وقد كنت احتضنتها • وبعد تأمل ، ادركت انني يقظة ، وان ما رأيته مجرد حلم •• ! وحين حاولت النوم بعد ذلك ، لم استطع • فقد كنت في حالة من الاضطراب الشديد • وخالجني شعور بأن شيئا ما لا احبه سوف يتهدد حياتي ، تنبأتني به مشاهد الحلم مسبقا » •

لم تدع لي (نانسي) فرصة للتعقيب على ما روته • وان كانت قد قرأت بذكائها معالم الدهشة في وجهي، دون ان اشاركها الاضطراب الذى احتواها • واستطردت (نانسي) في حديث كأنما شاءت به أن تلقي ظلالا على معالم الصور المشكلة في خاطرها •• وناولتها كوب البرتقال الذى يبدو انها قد نسيته خلال روايتها لعل رشفات منه ـ يهدئن من روعها ، ويعدنها الى وضع اكثر استقرارا •

وقالت (نانسي) كالمخاطبة لنفسها : « ترى •! هل ترمز هذه العربة الى شيء ما ؟ ولم تحدد لونها مائلا الى الصفرة •• ! وعربة النقل التي شاء سائقها أن يصطدم بنا عمدا ، ما سره • ! ثم ما سر هذا الغريب الذى اوجدته الصدفة الى جوارى ليحدثني بفرنسية لم استطع مجاراته فيها •• ! ثم ، ما شأنه بي ، ولم حرص على حياتي •• ! ثم الانفجار ، والتمزق و •• و •• يا الهي ! لشد ما انا منزعجة ••

قلت وانا اتأمل معالم وجهها عن كثب :

بل لشد ما انت متعبة يا (نانسي) •

قالت نانسي : الا تؤمن بالاحلام •• ؟

قلت : سؤال غامض وواضح معا • كلنا يرى اشياء كثيرة في احلامه ولكن قليلا منا هم الذين يتأثرون بها ، ويعلقون عليها ••

وكأنما لم يرق لها هذا الرأى ، اذ اشاحت بوجهها قليلا ـ وهذا جزء من طبيعتها عند الغضب او عدم الرضا ـ ثم استدارت الى وفي نظرتها بسمة ذات معنى • وامضينا فترة عذبة كدت خلالها انسى كل ما يتصل بذلك الحلم • ومع الايام نسيته تماما ، اذ لم يكن هناك ما يدعوني لتذكره، لا سيما ان ابي كلفني بمهمة عاجلة خارج روما استغرقت مني شهورا متتابعة •

لا انكر ان مشاغلي حالت دون الاتصال بـ (نانسي) وحين عدت كان اول ما اهتممت به الاتصال بها • وليتني ما فعلت لان الذى شاهدته كان ابعد مما يقوى على تصويره خيالي ـ وكان ـ من ثم ـ واحدا من اقوى أسباب ايماني بالاحلام واهتمامي بها •• وقبل ان اروى لكم القصة احب ان تعرفوا ان روح المغامرة كثيرا ما كانت تدفع بـ (نانسي) الى المخاطر • وكانت تجد لذة دائما

في اقتحام الاخطار ، والا لما قبلت منذ البداية العمل بالسيرك ، ولما قبلت ايضا الخضوع لنظام التدريبات العنيفة • ولشد ما كنت اشفق عليها مما كانت تقدم عليه ولكنها كانت تشيح بوجهها كعادتها ، لم تعود فتبتسم ، ولا تتيح لي فرصة واحدة لمناقشتها في ذلك •

فشلت محاولاتي في العثور عليها •• لقد هجرت بيتها •• والسيرك ، لم يعد له اثر ، وكل ما توصلت الى معرفته هو ان نقلة جديدة حددت مسار السيرك والعاملين فيه •• ولكن ! الى اين؟•

ومع الايام كادت مشاغلي وأعباء الحياة تستحوذ على اهتمامي • وفي غمرة ذلك تخبو ذكرياتي مع (نانسي) وما عتمت ان ضمها النسيان •• وذات يوم ، بينما كنت اقضي جانبا من اجازتي السنوية في باريس ، قرات خبرا في جريدة (لوفيجارو) الشهيرة تحت عنوان « حادث سيرك » ••

اهاجت كلمة « سيرك » كل ذكرياتي فجأة ، وبيد مرتعشة وانفاس متلاحقة اخذت اقرا الخبر : « بينما كانت (نانسي جيروم) - بطلة سيرك الاريزونا - تقوم باحدى العابها الخطرة على حبل مشدود من الكتان الاصفر ، على ارتفاع شاهق داخل خيمة السيرك في (مون مارت) ، وقبل أن تصل الى نهاية الحبل لتستدير كعادتها ، اذا باحد المصابيح القوية ينفجر فجاة محدثا صوتا كالرعد ، ويمزق الحبل الذي كانت تسعى عليه نانسي ، فاختل توازنها وسقطت من هذا الارتفاع الشاهق• ولكنها قبل أن تصل الى الارض انحرفت بحكم الهزة بعيدا عن شبكة الانقاذ • واذ بيد تتحرك بسرعة من الجانب الايسر وتلتقطها وتدفع بها الى الجانب الايمن من الخيمة حيث كانت شبكة الانقاذ •• ونجت (نانسي) من موت محقق •• ورغم انها غابت عن الوعي لفترة ، الا ان كلمات فرنسية سريعة متلاحقة قد بلغتها في غيبوبتها • فلم تقو على تفسيرها • ولكن حين افاقت ادركت انها لاحد لاعبي السيرك الذي انقذها حين كان يقوم باحدى التشكيلات البهلوانية التي تضمنها برنامج الحفل• وكان فرنسي الاصل يرتدي قميصا حريريا وقبعة حمراء •• اما (نانسي) فقد كانت في حلة صفراء والغريب في الامر ان هذا اللاعب كان قد عين اخيرا ولم يسبق لنانسي التعرف عليه ••

ودعوني ، ايها السادة ، اتساءل ثانية : « الا تنبئنا الاحلام احيانا بما يحتجزه الغد او يحتويه المجهول •• ! » ■■

المؤلف

ولد عام ١٩٠٤م ، وعمل بسلاح الطيران البريطاني خلالالحرب العالمية الثانية • غذته أحداث الحرب بشحنات أهاجت استعداده الفكري للكتابة - وكتابة القصة القصيرة بالذات - الى جانب العديد من البرامج الاذاعية التي تناولت شؤون الحياة • غير انها ،في أغلبها كانت تتميز بغرابة التركيز على ما يتصل بعالم الغيب واقدار الناس • وقد صدر انتاجه الاول عام ١٩٣٣ ، ثم أكتسب اسلوبه نضجا فيمابعد • من مؤلفاته القصصية مجموعات بهذا العنوان: اكره أن أموت (١٩٣٨م)ـ قصة حب جلبرت برايت (١٩٤٠م) - السيدة ذات معطف الفراء (١٩٤١) - اشد سمكا من السماء (١٩٥٠) - اولاد السواحل (١٩٤٤) - هذه القصة، الحلم ، صدرت ضمن مجموعة قصصية عام ١٩٧٣م جمعها G.C Thonrley وتولت طبعها ونشرها مؤسسة لونجمان Longman

الحروف العربية •• مرة أخرى

● نشرت مجلة العربي في عددها ٢٣١ ، في حقل (قضايا حيوية) مقالا لي تحت عنوان: (دعوة لاعادة النظر في الحروف العربية) وقد علق عليه الاستاذ احسان جعفر بكلمة نشرت في العدد ٢٣٤ ، وانا لم اسعد بالاطلاع على تعليق الاستاذ احسان جعفر لان مجلة العربي لا تحصل في يد كل انسان بل لا بد لمن يود الحصول عليها من ان يكون مشتركا بها او سباقا الى شرائها وذلك لقلة عدد نسخها بالنسبة الى كثرة قرائها وطلابها ، ولكني حصلت على العدد ٢٣٨ واطلعت فيه على تعليق الاستاذ الدكتور محمد محمود السلاموني ، استاذ الدراسات اليونانية واللاتينية في جامعة الاسكندرية ،وفهمت من تعليق الاستاذ الدكتور السلاموني مضمون تعليق الاستاذ احسان جعفر ، كما اني اطلعت في العدد المذكور على تعليق للاديب بن احمد محمد من المغرب وقد افدت فائدة كبيرة من كلا التعليقين •

اما كلمة الاستاذ الدكتور السلاموني فانها تدل على علم وحصافة والمام بالموضوع • وملاحظتي عليها هي اني اذا كنت اهملت ذكر الحرفين اللذين U و I في كلمة چرچل فهذا اهمال يمكن تداركه بالتشكيل كما تفضل الدكتور السلاموني، واهمال التشكيل ليس ، في نظري ، مما يؤثر على لفظ الكلمة الاجنبية كثيرا لو لفظها عربي ولناخذ مثالا على ذلك كلمتي چيكوسلوڤاكيا ويوگو سلافيا فلو لفظ العربي مقطع (كو) في كلمة چيكوسلوڤاكيا Ko او Roo ولفظ مقطع (يوگو) في كلمة يوگوسلاڤيا Yogo او Yoogoo لما ابتعد بلفظه كثيرا عن فهم السامع ،لان مثل هذا الانحراف البسيط يحدث عند اهل اللغة انفسهم من مقاطعة الى مقاطعة اخرى في اسماء الاعلام ،ومع ذلك فيمكن ضبطه ، عند الحاجة ، بالتشكيل •

واما ما تفضل به الدكتور السلاموني من ان حرفي (تش) يغنيان عن استعمال الجيم المثلثة فانا لا اوافقه عليه لسببين اثنين الاول هو انه ما دام لدينا حرف واحد يقوم مقام حرفين او ثلاثة حروف فلماذا نستعمل حرفين او ثلاثة حروف مقابل حرف واحد ؟ والسبب الثاني هو ان استعمال (تش) او (اتش) بدل الجيم المثلثة يسبب اضطرابا ومثال ذلك ان التاء في اول كلمة تشرين ، وهي لفظ غير عربي ، هي اصلية فيها ولا يجوز حذفها بينما هي زائدة

الخيط الرفيع

● يقول المنادون بترجمة القرآن الكريم انها واجب ديني لنشر الاسلام في المشارق والمغارب وان هذا الطريق اسرع وايسر من الانتظار الطويل حتى تنتشر اللغة العربية في العالم ويقرأ الناس القرآن بلغته الاصلية• واين الموارد المالية والبشرية التي تؤدي هذه المهمة خير اداء فيقرأ القاصي والداني (في عالم واسع مختلف الالسنة) القرآن باللغة العربية •

ويقول رأي اخر ان الترجمة غير ممكنة فلا يستطيع انسان ان يعبر بالفاظ من عنده لم تسمى هذه الالفاظ (القرآن الكريم) لانه يتكون من المعنى واللفظ العربي المعجز الذي

فى لفظ چرچل • اما اذا كانت الجيم المثلثة من الحروف الجامدة فى اللغة العربية فهى ليست كذلك فى الفارسية او الاردية ولا يحتاج لفظها الى حرف الالف اللينة لكي يستطاع التلفظ بها وبالتالي فاننا لا نحتاج الى ثلاثة حروف وهى (اتش) فى چرچل ما دمنا نستطيع ان نكتفى بحرف واحد وهو الجيم المثلثة •

اما حرف (الغين) فانه وان كان قريبا من حيث اللفظ من حرف (گ) فان الواحد لا يغنى عن الآخر اذ لكل منهما صوت خاص فى مكانه فال (گ) فى كلمة (گورداسپور)، وهى مدينة فى باكستان ، هى غير الـ (غين) فى كلمة (غزنى) ، وهى مدينة فى افغانستان ، والتى يجب ان تلفظ (غ) فلو كتبنا الكلمتين بالغين لكنا مخطئين خطا ولفظا ولذا فلابد من ايجاد حرف فى الحروف العربية لكى تستطيع ان تلفظ الاسماء العلمية لفظا صحيحا •

واما جوابى على ملاحظة الاستاذ بن احمد محمد المدرجة فى العدد ٢٣٨ فهى أننى حينما طلبت ادخال اصوات هجائية جديدة على الحروف العربية لم اطلب ادخال تحسينات على اللغة العربية، كما تبادر للذهن الاستاذ الفاضل ، لانى لا اجهل ان اللغة العربية هى سيدة لغات العالم وهى اللغة الوحيدة بلا خلاف بين العلماء انها لغة كاملة لفظا ومعنى وصرفا ونحوا وبلاغة وهى هى التى نزل بها القران قبل نحو ١٤ قرنا ، بينما يدخل اصحاب اللغات الحية تعديلات على لغاتهم ، تعديلات مستمرة لايصالها الى درجة قريبة من الكمال ، وكل ما طلبته او بالاحرى اقترحته هو ادخال اصوات جديدة على الهجائية العربية لكى تستوعب التلفظ بالالفاظ الاجنبية وليس فى هذا ما يعيب اللغة العربية او يدل على انها قاصرة فى حدود كونها لغة عربية لالفاظ عربية ، واما قول الاستاذ بن احمد من ان اللغة العربية لغة مرنة تتكيف مع جميع لغات العالم فهذا مما لم انفه فى كلمتى السابقة بل هو ما اردت اثباته ، واثباته لا يكون الا باضافة اصوات جديدة على الهجائية العربية لكى يلفظ العربى اللفظ الاجنبى على وجهه الصحيح فى لغة اهله• واذا كان العربى يتقن اللغات الاجنبية ويتحدث بها دون ان يشعر مخاطبه انه امام عربى فما احرى هذا العربى ، حينما يتكلم العربية ويضطر الى ذكر اسم علم اجنبى ان يلفظه لفظا صحيحا •

واحب فى الختام ان اقول ان الغيرة على اللغة لا تكون بالجمود بل بالتطور فيما لا يمس الجوهر •

دمشق ــ د • احسان حقى

نزل من عند الله •

ولاتسمى قرانا وليس لها حكمة ولا تكون دليلا ومصدرا للاحكام الخ •

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : اليس بين الفريقين خيط رفيع ينتهى بنقطة يمكن التلاقى عندها والتوفيق امامها بين وجهتي النظر المختلفة لتسير الامور بدلا من وقف الحال الذى تعانيه وقديما قيل : سير الامور على الخطا خير من وقوفها على الصواب •

عبدالرحمن احمد شادى
ــ المنصورة

العربى الصغير

● ما المانع فى ان يكون العربى الصغير جزءا من العربى الكبير حتى لا يتعرض العربى الصغير الى الضياع او وصول العربى الكبير الى القراء دون وصول الصغير •

محمد الامين عثمان ــ
الاسكندرية ــ ج • م • ع

الثورة الايرانية

● هل فى نية العربى تقديم استطلاع عن الثورة الايرانية؟ ولم لا .. فالثورة وقعت فى منطقتنا ولابد ان يكون لها تأثير علينا .. سواء اكان سلبا ام ايجابا .

عبد القادر طربية – عمان – نأمل فى زيارة قريبة لايران بإذن الله .

■■■

عندما تكلمت الحيوانات

ورد فى العدد ٢٢٨ تحت عنوان «عندما تكلمت الحيوانات فى التراث العربى» قصة شعرية نسبها كاتب المقال لابى العنبس احد شعراء المتنبى كما رواها المسعودى فى مروج الذهب . ولدى عدد قديم من مجلة الهلال تطرق فيه الاديب الراحل كامل كيلانى فى آخر حديث اجرى معه لنفس القصة حيث قال :

« فقد مات من بشار حمار فرآه فى المنام يغازل أتانا عند باب الصيدلانى وفى ذلك قول الحمار على لسان بشار :

سيدى : خذلى اماما
من اتان الاصبهانى
هام قلبى بأتان
عند باب الصيدلانى
ولها خد اسيل
مثل خد الشنفرانى

فسأله بشار : ما الشنفران ؟
قال اسم لا يعرفه الا الحمير
فاذا قابلت حمارا فاسأله !

مجيد ابو حدور – قنزوبة

الملتقى الفكرى فى الجزائر

● نقلنا فهمى هويدى مشكورا ، الى اجواء الملتقى الفكرى فى الجزائر ، وذلك بمقالته المنشورة فى العدد ٢٤٠ ، تحت عنوان « موقعة جزائرية لاكتشاف الذات » . والمح فى سياق الكلام الى (الجدل الاكبر) الذى قام بين المشاركين حول مرحلة الحكم العثمانى ، مبينا ان الخلاف بين مفكرى المشرق والمغرب سار تقليديا ، وان المغاربة من المدافعين عن المرحلة ، والمشارقة من المنددين بها ، منوها بان المؤرخ المصرى الاستاذ محمد عبد الله عنان قاد الاتجاه المناوىء .

وتجدر الاشارة الى ان المصريين ، بوجه العموم ، يلتقون مع المغاربة فى الدفاع عن هذه المرحلة ، وهذا ما اظهره بحث سابق نشر فى العربى منذ وقت قريب ، وبندرجون اذن فى موقفهم مع تيار المغاربة . وهو يتفق ، مثلا مع الموقف العفوى للشعب الذى عبر عنه المؤرخ الجبرتى ابان المعارك ضد حملة نابليون على مصر . اما الاستاذ عنان فهو من الحالات النادرة التى تتبنى مثل هذا الموقف المتحامل .

ثانيا ، وهذا هو الاهم ، كل مشترك فى الملتقى نطق باسم الشخص فقط ، وعبر عن مستوى تفكيره ونوع رؤيته ودرجة امانته . ومن المؤكد ان مسلمى المشرق لم يعطوا تفويضا لاحد للتحدث باسمهم حتى يجوز ادراج المشارقة بين المناوئين .

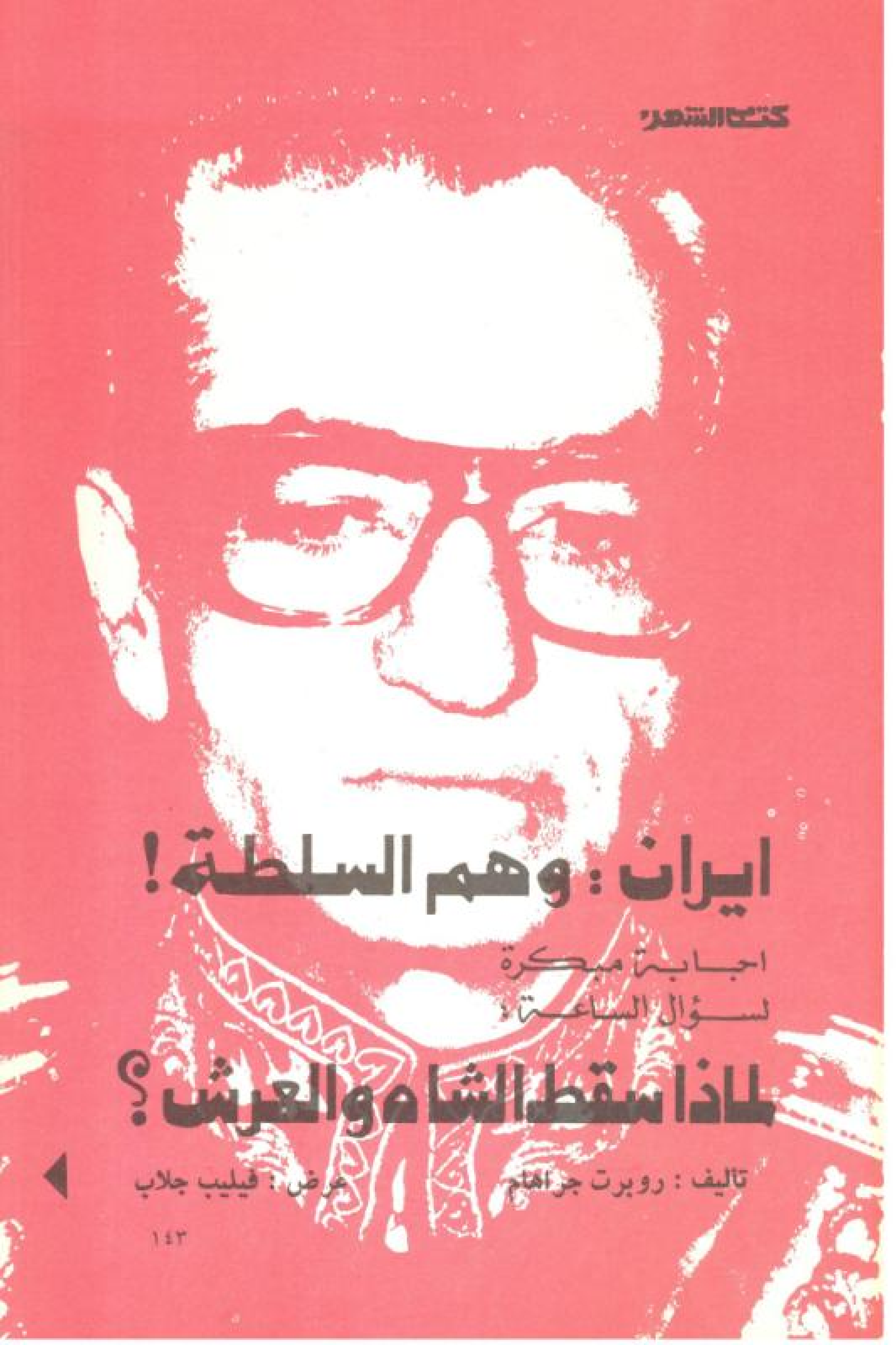
مروان على – ادلب

ما رأينا نحن فى القضية ؟

● ورد فى العدد/٢٤٢ فى اقوال معاصرة للرئيس السورى حافظ الاسد ما نصه : « وراى الامريكيين فى القضية نعرفه وراى السوفيت نعرفه ايضا . ولكن الراى المشترك للدولتين يتطلب بعض التفسير » .

ولكن الا ترى فى هذه الايام ان موقف بعض الحكومات العربية من نفس القضية لا يفسر .

طه حسين الرحل – حلب



ايران : وهم السلطة !

اجابة مبكرة
لسؤال الساعة :

لماذا سقط الشاه والعرش ؟

تأليف : روبرت جراهام

عرض : فيليب جلاب

هذا العرض يعتمد في الاساس على المعلومات والارقام التي ذكرها روبرت جراهام في كتابه الذي صدر اخيرا في لندن : «ايران ـ وهم السلطة» ، مع اضافات من مصادر اخرى ٠

وكان جراهام قد عمل لاكثر من عامين (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧) مراسلا لصحيفة «فايناشيال تايمز» البريطانية في لندن ٠ واتيح لكتابه ان يصدر اثناء احتدام الثورة الايرانية ضد الشاه والعرش٠ ورغم ان الكتاب يقدم بشكل موضوعي حيثيات سقوط نظام الشاه، الا ان المؤلف لم يستطع ان يتنبأ في كتابه بسقوط الشاه او العرش الايراني ٠ لكن الكتاب يثبت مع ذلك ان بعض الصحفيين او المؤرخين ذوي النظرة الثاقبة يعرفون (لحسن الحظ) اكثر مما تعرف اقوى اجهزة المخابرات العالمية !

■ عندما قررت الدول العربية المنتجة للنفط استخدام سلاح النفط بتخفيض الانتاج ومنع تصديره للدول المؤيدة لاسرائيل اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، قررت حكومة شاه ايران انتنتهز الفرصة «الذهبية » ٠ واعلنت شركة البترول الايرانية عن «مزاد» لبيع النفط لكل من يدفع اكثر ٠ وللمرة الاولى منذ اكتشف النفط يصل سعر البرميل الى اكثر من ١٧ دولارا ، بينما كان اقصى ارتفاع قررته منظمة « اوبيك» اقل من ١٢ دولارا للبرميل ٠

وعندما توقفت معارك حرب اكتوبر اصبح السعر الرسمي للبترول قريبا من السعر الاستثنائي ، وقفز دخل ايران السنوي من حوالي خمسة الاف مليون دولار الى عشرين الف مليون دولار ٠

كان الشاه يعتقد ان ايران لاينقصها الا المال لكي تصل خلال اثنى عشر عاما الى ما اسماه بمرحلة « الحضارة العظمى » ، ولكي تصبح القوة الخامسة في العالم ٠

وكانت الخلفية الحقيقية لكل ما يصدر عن الشاه في هذا الاتجاه هي استخدام الثروة لتدعيم النظام الامبراطوري وتثبيت سلطته الشخصية وسلطة اسرة بهلوي على عرش ايران ، بصرف النظر عن اصول علم الاقتصاد وقدرة المجتمع الايراني على استيعاب احدث مبتكرات التكنولوجيا في العالم ٠

وقد ورث الشاه عن ابيه احساسا دفينا بعدم استقرار سلطة الاسرة ، وضاعفت الظروف السياسية من هذا الاحساس لدى الابن عندما عزل ابوه ونفي الى جنوب افريقيا ، ثم كاد الابن ان يواجه نفس المصير اثناء صدامه مع الحركة الوطنية بزعامة مصدق لو لم تتول المخابرات الامريكية تدبير الانقلاب الذي اعاده الى السلطة ٠

ان تاريخ الاسرة المالكة لم يتعد ثلاثة وخمسين عاما منذ ان استولى ضابط ايراني مغمور اسمه رضا خان على السلطة ونصب نفسه ملكا ٠ والغريب ان رضا خان والد الشاه الحالي لم يكن ضابطا تلقى تعليمه في مدرسة عسكرية ٠ كان من اسرة متواضعة اضطرته الظروف عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره الى التطوع في لواء القوزاق الايراني الذي يتولى قيادته ضابط من روسيا القيصرية ٠ وكان رضا خان اميا لا يعرف الكتابة والقراءة٠ لكنه استطاع بشخصيته القوية ان يفرض نفسه ويثابر حتى اصبح ضابطا بعد ان تعلم بعض مبادىء القراءة والكتابة ٠ واستطاع رضا خان في النهاية ان يتولى بامر القائد البريطاني في ايران قيادة لواء القوزاق (وهو القوة المحاربة الوحيدة في ايران في ذلك الوقت) على اساس استخدامه بعدئذ لخلع الشاه الذي يحكم ايران باسم اسرة « قاجار » ٠

ولكي يعطي الشاه الجديد انطباعا بشرعية وعراقة اسرته غير اسمها من «خان» الى «بهلوي» وكلمة بهلوي تعني اللغة التي كان يستخدمها الذين حكموا فارس بعد الاسكندر الاكبر ، وهي اساس اللغة الفارسية الحالية ٠

ولكي تكتمل « العراقة » و « الشرعية » لا بد من توفر الثروة ، ومن هنا انتزع رضا بهلوي الاب مساحات شاسعة من الاراضي او «اشتراها» بثمن رمزي ٠ وعندما تنازل عن العرش مكرها ترك لابنه محمد رضا بهلوي من بين ممتلكاته الخاصة ٢٠٠٠ قرية تضم ٢٣٥٫٨٠٠ نسمة ؟

وسار الابن على نفس منوال الاب فى هذاالشان مع توفر ظروف افضل ، بسبب الثروة النفطية حتى وصلت ثروة الشاه واسرته الى ارقام فلكية كما يشير الكاتب فى مكان آخر •

الخطيئة الاخيرة

وهبطت الثروة على ايران وارتكب الشــاه خطيئته الاخيرة • قرر دون أن يراجع مستشاريه ان المال كفيل بحل كل المشاكل ، وأن نقص العمالة الفنية وانهيـار مستوى الخدمات من مواصـلات واتصالات ومسـاكن واجهزة مساعدة ، وكل مايسمى « بالبناء التحتى » ليست بذات خطورة !

ومع بداية عام ١٩٧٤ اصدر الشـاه قـرارا بمضاعفة اعتمادات خطة السنوات الخمس لتصـل الى ٦٩ الف مليون دولار • بل تجاوز الانفـاق الحكومى هذه الحدود نفسها ، اذ انفقت الحكومة فى عام ١٩٧٤ فقط ٢٢ الف مليون دولار فاصبحت كما يقول جراهام « كالسيارة التى تنتقل فجاة من السرعة الاولى الى الرابعة وهى تندفع الى اسفل منحدر » •

واصبحت طهران محطة ثابتة لكل رجال الاعمال الاجانب ، ومن يزعمون انهم من رجال الاعمـال حتى لا تفلت فرصة الاثراء السريع •

وشاهد المؤلف جراهام بنفسه مجموعات من ابرز مديرى الشركات الدولية الكبرى وهم يتنازلون بشكل مهين عن الكرامة الشخصية واحترام الذات من اجل الحصول على عقد او صفقة •ولان طهران لم تكن مستعدة لهذا « الزحف العظيم » اضطر رجال الاعمال الى النوم اياما واسابيع فى طرقات الفنادق • واضطر احد كبار مديرى الشركات اليابانية مرة الى النوم فى صحن احدالمساجـد انتظارا للقاء مسئول ايرانى لتوقيع احد العقود•

ولكى ندرك مدى عجز ايران عن استيعاب الاف الملايين من الدولارات وفقا للمشروعات الاقتصادية المرتجلة ، يكفى ان نعرف ان طهران العاصمةهى اكثر قطاعات ايران عصرية وتقدما تضم ١١٪من سكان ايران وتستوعب ثلث كل موظفى الحـكومة و ٦٠٪ منمجموع الطلبة و ٥٠٪ من كل الاطباء • ومع كل ادعاءات التحديث والعصرية الكاذبة حيث اعلن الشاه « اننـا عبرنا الحـدود بالفعـل الى الحضارة العظمى » ، لايستطيع المريض خـارج طهران ان يجد جهازا حديثا للاشعة بسبب النقص الفادح حتى على هذا المستوى من الفنيين !

وبينما توزع الصحف الايرانية ٨٢٠ الــف نسخة يوميا ، فان مجموع النسخ التى توزعخارج طهران لايتجاوز ٢٠ الف نسخة •

ورغم اكتظاظ طهران بسكانها وعجز اجهــزة الخدمات فيها ، ادت الخطط الاقتصادية التـى تتجاهل الاولويات الى تدفق الهجرة من الريف الى المدن عامة والى طهران بشكل خاص •

وعندما يختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملا ، لكنه كان مقصورا فى الحقيقة على بعض الافراد المحظوظين او ذوى العلاقات الوثيقة بالقصر والاسرة الامبراطورية ، الـذين جمعـوا عشرات الملايين فى وقت قياسى •

لكن غالبية الايرانيين كما يقول جراهام شعرت باحباط شديد وهى ترى اكبر جانب من ثروةايران القومية يتسرب الى المغامرين الاجانب والمحليين•

وبعد عامين من الازدهار !

وخلال اقل من عامين من «الازدهار» اصبحت ايران امام موقفين او ازمتين فى غاية الصعوبة • فمن ناحية كادت ان تنهار الزراعة الايرانية بسبب الهجرة الكثيفة من الريف وراء الارتفاع الهائل فى الاجور والحاجة الى ايد عاملة كثيرة •فبسبب ضعف الاراضى وندرة المياه ابتكر الفلاحون منـذ ازمان طويلة نظام القنوات التحتية التى تتجمـع فيها مياه الامطار والسيول لاستخدامها عندالحاجة. وهذا النوع من القنوات يعتمد على توفر الايدى العاملة فى الريف بكثرة ، لانها تحتاج الىصيانة مستمرة وتمتد عشرات الاميال بين القرىوالحقول• وعندما اشتدت حركة هجرة الفلاحين الى المدن انعدمت عمليات الصيانة المطلوبة للقنوات وانهار ٢٥٪ منها ، وكانت النتيجة اضطرار الحكومـة لاستيراد ٦٠٪ مما تستهلكه ايران من الموادالغذائية من الخارج •

ومن ناحية اخرى بدات الاختناقات والازمات تحاصر المشروعات الصناعية الضخمة التى ستوصل ايران الى اعتاب « الحضارة العظمى » !

ويضرب روبرت جراهام مثلا حيا لهذه الاختناقات التي اودت بالاف الملايين من الدولارات في مشروعات غير مجدية ، بما حدث عام ١٩٧٥ . كانت هناك ٢٠٠ سفينة تتجمع بحمولاتها خارج ميناء «خورامشهر» الايراني . وبسبب عجز الميناء عن استيعاب هذه الحمولة الهائلة من السلع ولوازم الانتاج والمصانع كان على السفن ان تنتظر خارج الميناء ١٦٠ يوما قبل ان تستطيع تفريغ حمولاتها .

وكلف ذلك ـ وفقا للقوانين الدولية ـ خزانة ايران مبلغ الف مليون دولار تعويضا عن تاخير تفريغ السفن !

وعندما فكر المسئولون على عجل بنفس شعار « النقود تحل كل المشاكل » قرروا شراء ٢٠٠٠ سيارة نقل وستة الاف جرار من الخارج . لكنهم اكتشفوا بعد شرائها انه ليس هناك ٢٠٠٠ سائق ايراني مدرب لقيادتها . فقاموا « باستيراد » ٨٠٠ سائق من كوريا الجنوبية وباكستان . لكن هؤلاء تمردوا بعد وصولهم بسبب عجز الحكومة عن توفير اماكن ووسائل اعاشتهم . وانسحب الكوريون والباكستانيون بعد اقل من ستة شهور ، فبدات حكومة الشاه برنامجا عاجلا لتدريب الايرانيين . لكن البرنامج لم يف بالعدد المطلوب . وحتى نهايات عام ١٩٧٧ عندما ترك « جراهام» ايران كان الزائر لميناء « بندر عباس » يرى مجموعات ضخمة من اللوريات والجرارات الجديدة التي اكلها الصدأ بعد ان انتظرت لاكثر من ثلاثة اعوام وصول سائقين دون جدوى !

الاقتراض من الخارج

كان الشاه يتفاخر امام الجميع بان ايران ستصبح القوة الخامسة في العالم . وبدا في تقليد الدول الراسمالية الكبرى بالبحث عما يشتريه من اسهم الشركات الكبرى المعروفة في اوربا والولايات المتحدة وامريكا اللاتينية . وتجاوز ذلك باقراض الدول الصناعية المتقدمة .

وفي عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ انفق الشاه مبلغ ٢٣٨٠ مليون دولار في قروض واستثمارات خارجية منها ٧٢٨ مليون اقرضت او اودعت في فرنسا وبريطانيا والدانمارك .

والمبلغ الاول يزيد كثيرا عما خصصته ايران لخطط التنمية في الفترة ما بين ١٩٤٩ و ١٩٦٢ .

واتفق الشاه في عام ١٩٧٤ ايضا مع بريطانيا على اقراضها مبلغ ١٢٠٠ مليون دولار على ثلاث دفعات سنوية ، حيث سدد دفعتين في موعدهما وعجز عن دفع القسط الثالث . وهو نفس ما حدث مع بنك فرنسا الذي اقرضه مبلغ ١٠٠٠ مليون دولار .

وتطلع الشاه الى شركة كروب للصلب في المانيا الغربية لشراء بعض اسهمها . لكن الشركة الاصلية رفضت وعرضت عليه ان يشترى ٢٥،٠٤٥٪ من اسهم شركة فرعية من مجموعة كروب اسمها « كروب هايتنفرك » ، وهي اكبر الشركات التي تحقق خسائر في مجموعة كروب ، فدفع الشاه ٣٠٠ مليون مارك المانى ثمنا لهذه الصفقة .

ثم دفع مبلغ ٥٥٠ مليون مارك ثمنا لربع اسهم شركة فرعية اخرى تابعة لكروب في البرازيل .

وخلال هذا كله استورد الشاه خلال اربعة اعوام فقط اسلحة ومعدات عسكرية تجاوزت ٢٠ الف مليون دولار ، على اساس وهم اعادة امجاد الامبراطورية الفارسية والتوسع على حساب العرب في منطقة الخليج .

لكن في يوليو عام ١٩٧٥ ادى السفه في الانفاق دون خطط مدروسة الى اضطرار الحكومة الايرانية للسماح لمؤسساتها بالاقتراض من الخارج . وكان الاعتقاد قبل عام واحد فقط ان ايران قد كفت الى الابد عن الاقتراض من الخارج ، بعد ان ارتفت الى مستوى الدول التي توزع على الاخرين معوناتها .

ورغم اضطرار حكومة الشاه الى اعادة النظر في بعض المشروعات الكبرى ، وتخفيض ميزانيات البعض الاخر ، الا ان الشاه لم يكف عن احلام العظمة العسكرية حتى عن طريق المقايضة بالبترول اذا تعذرت السيولة النقدية .

وفي ابريل عام ١٩٧٦ توصل الشاه بسبب هذا العجز المالى الى اتفاق ثلاثي للمقايضة مع شركات البترول وشركات الاسلحة الامريكية والبريطانية . ويقضي هذا الاتفاق بحصول ايران على ٣٠٠ طائرة اف ـ ١٦ امريكية واربعة مدمرات مقابل ٣٠٠

الف برميل بترول يوميا . ومن جهة اخرى تحصل ايران على صفقة صواريخ رابير بريطانية تساوى ٤٠٠ مليون جنيه استرليني مقابل ١٦ الف برميل بترول يوميا . وكان الشاه قد تعاقد من قبل مع شركة روكويل على نظام للمراقبة يتكلف ٨٥٠ مليون دولار .

لكن خطايا الشاه كانت اكبر واكثر حتى من مجرد استنزاف ثروة البلاد فيمشروعات اقتصادية فاشلة ، او في انفاق عسكرى لا تحتمه ضرورات الامن القومى الايرانى .

فقبل هذا وذاك كان الشاه قد خلط امن ايران وامنه الشخصى،وازال الحدود بين ميزانية الدولة وميزانية الاسرة الامبراطورية، ورأىفينفسه وصيا على شعب قاصر بوصفه هو الاب والمعلم والقائد، ورفض السماح بوجود او نمو اى حزب او هيئة او جماعة او فرد مستقل الرأى . اما من يتمردون من هنا او هناك فاما ان تغريهم الاموال او تردعهم سجون السافاك .

اعادة الترتيب

بعد نجاح الانقلاب العسكرى الذى دبرتـــــه المخابرات المركزية الامريكية عاد الشاه الىطهران، وبدات حملة القمع والقتل والسجن والتعذيب لكل من يشك فى ولائه المطلق للشاه.واحكمت الرقابة حتى على الصحف الموالية وروقب رجـــال الدين وتجار « البازار » باكثر الوسائل صرامة وبالمقابل اعاد الشاه ترتيب كل شىء واشرف بنفسه على تسليم اهم المناصب واخطرها الى اقرب المقـربين اليه او الذين تعاونوا معه ... دقيق .

تولى الجنرال فضل الله زاهدى قائد الانقلاب رئاسة الحكومة ، وعين الضابط الذى قبل ان يحمل مرسوم الشاه باقالة مصدق رئيسا لجهاز الشرطة السرية (السافاك) ولم يكن هذا الضابط سوى الجنرال نعمة الله نصيرى (الذى كان من اوائل الذين اقتصت منهم الثورة اخيرا وحكمت عليهم بالموت) .

اما الطيار الذى قاد طائرة الشاه الهارب الى روما قبل الانقلاب واسمه محمد خاتمى فقد عين قائدا للسلاح الجوى وزوجا لاخت الشاه غيـــر الشقيقة (فاطمة) !

ومن الامثلة الاخرى المعروفة،احد الارستقراطيين الايرانيين من اقرباء الاسرة المالكة السابقة ويدعى امير هاشانج دافالو ، الذى كوفىء بمنحه احتكار تصدير «الكافيار» الايرانى الى اوربا ، جزاء اتصاله بالشاه من فرنسا وعرضه تقديم اىمعونات مالية له اثناء اقامته القصيرة فى روما . امـــا الرجل الذى نسق اعمال المخابرات لخلع مصدق وهو سير شابور ريبورتر (ايرانى يحمل لقب سير بسبب خدماته لبريطانيا) فقد حصل على امتيازات ايرانية ضخمة تدر عشرات الملايين من الدولارات.

ولجا الشاه الى الاسرائيليين للاشراف علىامنه الشخصى بعد انقامتالمخابرات الامريكيةوالمخابرات الاسرائيلية (الموساد) بتنظيم جهاز السافاك الايرانى .

ولم يبق سوى ان يعلن الشاه بعد ذلك كله قيام الحكم « الديموقراطى » !

ولما كان منمقومات«الديموقراطية»وجود الاحزاب السياسية فقد قرر الشاه انشاء حزبين : حـزب مؤيد اسمه الحزب الوطنى (مليليون) والاخر يعارض باسم حزب الشعب (ماردوم) . ويتولى زعامة الحزبين بالطبع والانخراط فى صفوفهما مؤيدو الشاه واعوانه ، لان كل من يعارض الشاه او يعترض ليس ايرانيا ولا مكان له فى ايران .

الشاه يقوم بالثورة

لكن لم تمض بضعة اعوام حتى عاود الشـــاه الاحساس بعدم الامن والافتقار الى الشرعية ، فخشى حتى من بقاء اخلص اعوانه فى المناصب القيادية . وبدا بالجنرال زاهدى حيث طلب منه ان يرحل الى جنيف (لانه اصبح اقوى مما يجب) وعين الجنرال باكرفان احد رؤساء السافاك سفيرا فى باكستان لانه لا يتمتع بالحزم الكافى ضـد معارضى الشاه . اما الجنرال تيمور بختيار ابن‌عم ثريا اصفنديارى بختيار زوجة الشاه السابقة فقد طرد من رئاسة السافاك بعد ان حولها الى جهاز فى غاية القوة والبطش ، بتهمة طموحه الـــى

السلطة ٠ ثم امر بمغادرة ايران ، واحترق الشاه بعد ذلك ان جهاز السافاك تولى قتل بختيار خارج ايران ٠

لم تستتب الامور تماما رغم ذلك ٠ وبدلا من الاحزاب العلنية والسرية التي قمعها الشاه وصفى قياداتها اليمينية واليسارية وما بينهما ، نشات كرد فعل للقهر تنظيمات سرية ترى في اكثر الاحزاب السابقة (المتطرفة في نظر الشاه) احزابا مستكينة وتقليدية بما في ذلك حزب « تودة » الشيوعي نفسه ٠ وقامت تنظيمات سرية متعددة تؤمن بالكفاح المسلح وحرب عصابات المدن ضد النظام الامبراطوري ٠ وكان ابرزها من ناحية فدائيو الشعب (فدائيين خلق) ومن ناحية اخرى مجاهدو الشعب (مجاهدين خلق) ٠

وتضايق الشاه كثيرا من الحديث الهامس المستمر عن الثورة فاتخذ قرارا «خطيرا» وهو أن يقوم هو شخصيا بالثورة نيابة عن الشعب الايراني ٠ ومن ثم كلف عميد جامعة طهران باعداد نظرية هذه الثورة باسم فلسفة الثورة الايرانية وعلى اساسها اعلن الشاه ثورة الشاه والشعب ٠

وتقول الوثيقة التي اعدها عميد الجامعة ان الشاهنشاه اب لجميع الايرانيين وهو القائد والمعلم والمرشد لروح وفكر وقلب الامة، وهو فوق الطبقات مسئول عن التفكير والتدبير للشعب كله ونيابة عنه، وهو ما يسمى «فرمانديه» في اللغة الفارسية ويوازي لقب « الدوتش » لموسوليني في ايطاليا ولقب « الكوديللو » لفرانكو في اسبانيا ٠

وفي ذلك يقول الشاه للصحفية أوريانا فالاس: صدقيني عندما تكون ثلاثة أرباع الشعب لا تقرأ ولا تكتب ، فان الاصلاح يجب ان يتم عن طريق الاجراءات الشمولية الصارمة

وتحقيقا لهذا الهدف وهو ان يستمر الشاه في السلطة الى ان يتسلمها ابنه من بعده اصبحت كل السلطات جزءا من سلطة الشاه وشعارها : حكومة النخبة بالنخبة لصالح النخبة ٠

وتضخمت اجهزة الامن والقمع ٠ فهنالك القوات المسلحة التي تنفق ٣٥٪ من ميزانية ايران وتضم حوالي نصف مليون جندي ، ويشرف الشاه على ترقية وتنقلات ضباطها ابتداء من رتبة رائد ٠ وهناك الحرس الامبراطوري حوالي ١٥ الف جندي ويضم ابناء العائلات والقبائل والاقليات الموالية، ويسلح باحدث الاسلحة ٠ اما عدد العاملين في السافاك فيقدرون بحوالي ٦٠ الفا ٠ لكن عملاء السافاك غير المتفرغين تجاوزوا كثيرا هذا العدد٠ ولم يكن السافاك هو جهاز القمع والرقابة الوحيد٠ كانت هناك اربعة اجهزة اخرى تراقب اي نشاط سياسي او فكري وتراقب بعضها البعض ٠ وفوق هذه الاجهزة جميعها هناك جهاز اخر اسمه هيئة الرقابة الامبراطورية وهو المرجع الوحيد والنهائي امام الامبراطور ٠

كان جهاز السافاك مسئولا عن كل شيء في ايران ، وموافقته او اعتراضه هي الفيصل بالنسبة لاي مواطن ٠ ويروي روبرت جراهام ان اعتراض السافاك على تعيين كل من يصلح للعمل في الوظائف الفنية لاسباب سياسية في مطار طهران ادى الى عجز المطار عن تعيين احد !

ورغم ان الشاه مسئول عن كل شيء في ايران، لكن وظيفة رئيس الوزراء لا يمكن الاستغناء عنها لانه لابد ان يتحمل احد مواجهة النقد بدلا من الشاه ٠ ورغم وجود الكثيرين من رجال الشاه في قيادة الحزبين السياسيين على استعداد لاداء هذا الدور الا ان الشاه كان سريع الملل من لعبة الحزبين وتبادل الادوار ، فقرر في النهاية تاليف حزب واحد باسم راستاخيز « النهضة » ٠ وكانت مهمة الحزب الاساسية هي القيام بدور الشرطة « الشعبية » ، وافراغ اي مشكلة او مناقشة عامة من محتواها السياسي ٠

من مارس الى مارس !

ان دراسة نظام الشاه لا تكتمل الا بالحديث التفصيلي عن الطريقة التي تصرف بها في اموال ايران وثروتها القومية، دون ان يفرق بين ميزانيته الخاصة وميزانية الدولة ٠ ورغم ان الميزانية الرسمية التي تخصصها الدولة للامبراطور تبلغ ٤٠ مليون دولار في عام ٧٦ ـ ١٩٧٧ لكن الامبراطور يملك التصرف في اموال الدولة كلها دون ان

يراجعه احد . وهو يسيطر مثلا بشكل مباشر على شركة البترول الايرانية ، التى تقدم للجنة الخطة والميزانية حساباتها لكن دون ان يكون من حق احد مناقشة هذه الحسابات . وهى تزود ـ كما يقول جراهام ـ الشاه سرا بالاموال التى يريدها . وقد تعجب الامريكيون مرة عندما تاكدوا ان احدا لا يستطيع متابعة ميزانية الشركة ، واكتشفوا ان هناك سببا فى غاية الغرابة . ذلك أن الشركة تتعمد وضع ميزانيتها ودخلها على اساس السنة الميلادية اما كمية النقد الاجنبى الذى ياتى باسم الشركة الى البنك المركزى الايرانى فيتم حسابه وفقا للسنة الايرانية من مارس الى مارس!

ومن هنا لا يستطيع احد ان يحدد بالدقة دخل شركة البترول .

وفى عام ١٩٧٦ نشرت مجلة « لوكتار انشانيه » الفرنسية وثيقة رسمية تبين حسابات مؤسسة بهلوى عام ١٩٦٢ فى بنك سويسرى ، وجاء فيها ان الدخل الاساسى فى ميزانية المؤسسة يصل الى ١٢ مليون دولار شهريا تحول الى حسابها من شركة البترول الايرانية .

اما « مؤسسة بهلوى » هذه فلها حكاية اخرى . فقد حلت محل « ادارة اراضى الشاه » التى « ورثها » عن ابيه كما تقدم وتصل الى ٢٫٥ مليون هكتار . وعندما اصبحت قضية ثروة الشاه مثار احاديث كثيرة أعلن عام ١٩٦١ انه سيحول امواله وممتلكاته الى « مؤسسة بهلوى » . وقدرت هذه الممتلكات بحوالى ١٣٥ مليون دولار . وأعلن الشاه يومئذ أن ما تنازل عنه « لمؤسسة بهلوى » ٩٠٪ من ثروته ، اى لم يبق فى حوزته الا ١٥ مليون دولار .

لكن الارقام التى قدمها الشاه لم يصدقها احد. لانه سبق أن صرح فى عام ١٩٤٧ عندما شكل «مؤسسة الخدمة الاجتماعية» بانه تبرع للمؤسسة بحوالى مليون دولار مؤكدا ان هذا المبلغ يشكل نصف ما يملك من ثروة !

والحقيقة فى النهاية أن الشاه أراد ان يبدو الامر كما لو انه اعاد للدولة ما استولى عليه من ممتلكاتها . لكن « مؤسسة بهلوى » قامت فى الاساس لكى تخدم بأموالها ومشروعاتها نفس الاهداف التى تخدمها ثروة الشاه الشخصية .ولم يحدث سوى تغيير فى الاسماء .

وتقدر الاوساط المحايدة ارصدة مؤسسة بهلوى بحوالى ٣٢٠٠ مليون دولار وهى تضم ١٠ مصارف وشركة تامين ، وخمسة فنادق كبرى وخمس مناطق ومجمعات سياحية ، و٥ شركات تجارية ، وشركتين دوليتين ، وست شركات بناء ومقاولات ، وثلاث شركات للسيارات ، وخمس شركات للصناعات الكيماوية والجلود وغيرها ، و٣ شركات طباعة . وعشر شركات صناعية زراعية (سكر ولحوم واغذية) .

لكن الحقيقة ايضا أن الشاه لم ينفرد بثروة ايران ، وسمح لكثيرين من اتباعه بان يحققوا الملايين بكل الوسائل . فبعلم الشاه وموافقته حصل سير شابور ريبورتر على مليون جنيه استرلينى عمولة صفقة دبابات « تشيفتين » البريطانية .وفى دراسة « للبنتاجون » الامريكى عن الرشوة فى صفقات الاسلحة الامريكية لايران وصلت عمولة بعض المقربين من الشاه مبلغ ٢٨ مليون دولار عن صفقة واحدة .

ورغم المرتبات الخيالية التى كان يمنحها الشاه لضباط الجيش وهى ٢٠٠٠ دولار شهريا للضابط حديث التخرج و ٧٠ الف دولار سنويا للضابط برتبة لواء ، بخلاف الامتيازات العينية الكثيرة ، الا ان شهية كبار الضباط تفتحت فى كثير من الاحيان لدرجة ان احدهم وهو الادميرال رمزى عباس عطايا قائد البحرية ، استخدم السفن الحربية الايرانية فى نقل سلع بحوالى ٤ مليون دولار من منطقة الخليج لحسابه الشخصى ، حيث تاجر بها فى ايران !

لهذه الاسباب كلها انهارت أعمدة الحكم العسكرية والبوليسية والاقتصادية ، بفعل ضربات وجهها اناس عزل فى اغلب الاحيان ، الا من الطوب والحجارة والتصميم . وسقط الشاه والعرش وكان سقوطهما مدويا . ■■

فيليب جلاب ـ القاهرة

نزهة العقل الذكي جائزة مالية

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا . ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

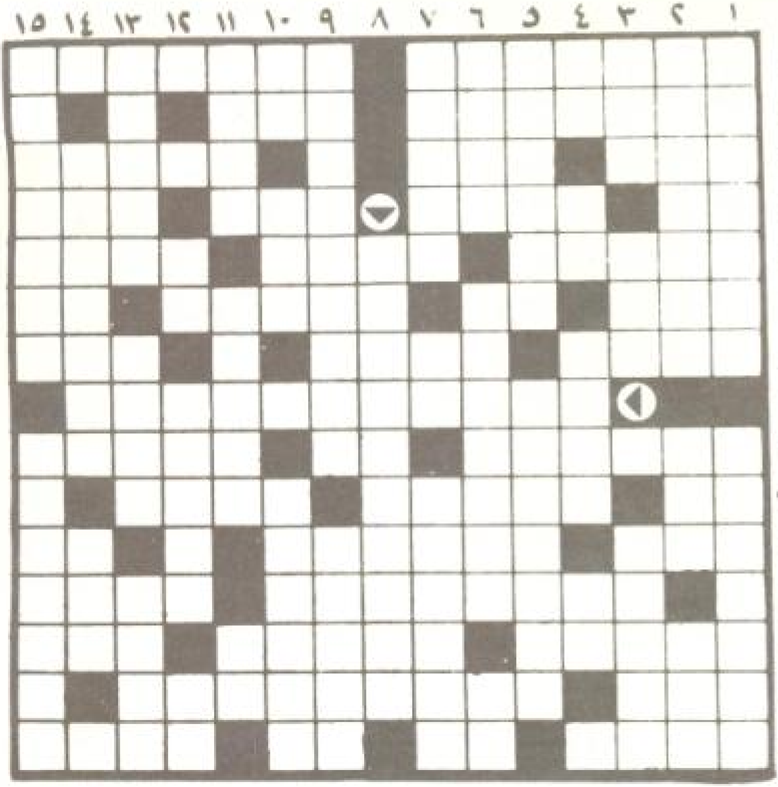
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٦ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم متصوف اسلامي شهير ، كما ستجد في (٨) راسيا اسم شاعر اسلامي من المخضرمين .

الكلمات الافقية :

(١) من الآثار العربية بالقدس ـ من سور القرآن الكريم .
(٢) من اصحاب المعلقات ـ قبر .
(٣) طوى ـ انفة واباء ـ بر .
(٤) نصف كلمة (وميض) ـ بحيرة مصرية ـ تتوق ـ ادخل .
(٥) ناموا ـ احفى ـ ارتفع .
(٦) من الاشجار ـ نصف كلمة (تابع) ـ قطر عربي ـ مقام موسيقي .
(٧) تثقل وتمرض ـ لغة ـ من المشروبات .
(٨) متصوف اسلامي شهير .
(٩) زعيم اليعاقبة في الثورة الفرنسية ـ حسم ـ من الاحجار الكريمة .
(١٠) حرفان متشابهان ـ يلفظون ـ تستجيب .
(١١) حساء ـ تجيء من الاسلاف ـ من وسائل العلاج الشعبي القديم .
(١٢) لقب هندي ـ في الاقدام .
(١٣) ننتمي ـ يعاجل ـ وكالة انباء عربية .
(١٤) في احدى مراحل العمر ـ من الفازات .
(١٥) اخاف ـ حرف نفي ـ للنداء ـ ارق .



الكلمات الراسية :

(١) عاصمة جامبيا ـ دولة من القارة الامريكية.
(٢) حيوان كان يستخدم قديما في صيد الارانب ـ مدينة سومارية قديمة ـ مجرى مائي
(٣) من الالوان ـ اقل ـ مميتة .
(٤) حرفان متشابهان ـ حرف عطف ـ يقدم ـ نصف كلمة (لسان) .
(٥) في الحركة الكشفية ـ زعيم افريقي راحل .
(٦) خلقك ـ في الجهاز التنفسي ـ حرفان متشابهان .
(٧) اقبلوا ـ حرفان متشابهان ـ اخفينا .
(٨) شاعر اسلامي من المخضرمين .
(٩) في الذرة ـ يماشي .
(١٠) نصف كلمة (صالح) ـ اتى ـ تبختروا .
(١١) وحدة قياس مساحات ـ ذكرى سنوية ـ هزّ .
(١٢) حرفان متشابهان ـ الاسم الشائع لاستيارات الصوديوم ـ من سور القرآن الكريم .
(١٣) ولاية امريكية ـ ينتسب الى احدى الجهات الاصلية ـ مساعدته .
(١٤) شبه جزيرة آسيوية ـ حرف ابجدي .
(١٥) روائي امريكي شهير راحل ـ دولة آسيوية.

كوبون مسابقة العدد ٢٤٦

اديب مصرى كبير راحل

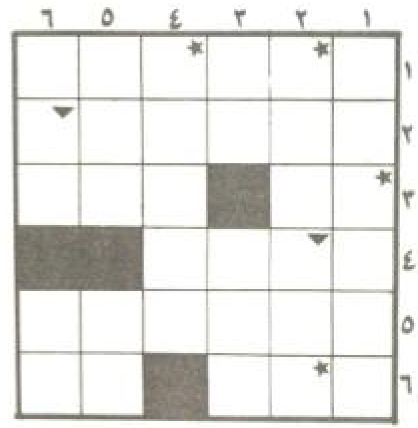
ابدا اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لاديب مصرى كبير راحل . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

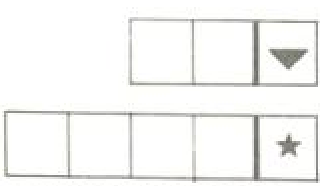
الكلمات الافقية :

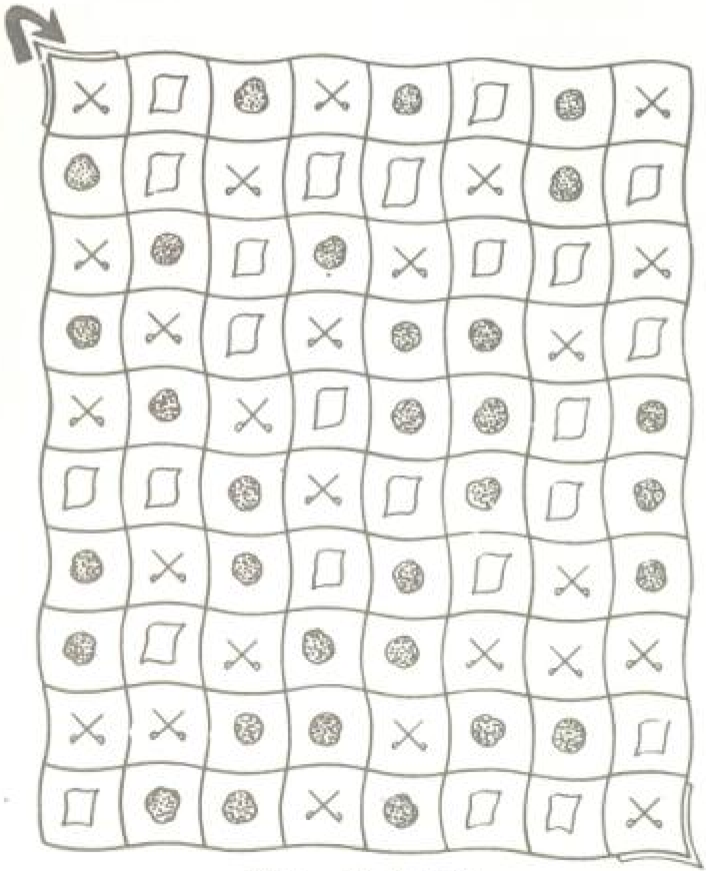
(١) سهول عشبية .
(٢) زجاجة .
(٣) من الاسماء الحسنى — اضاع .
(٤) راسخ .
(٥) اواظب عليه .
(٦) فى العين — فى الجهاز الدورى .

الكلمات الرأسية :

(١) من الزهور .
(٢) راسبون .
(٣) نصف كلمة (ترصع) — زنبرك .
(٤) برسلك .
(٥) ظاهرة جوية — مناص .
(٦) ارق — ضمير .







المتاهة الصينية

اذا سافرت بالقطار داخل الصين، ستدهش عندما ترى المواطنين يبدون كالصم والخرس ، يتبادلون حركات الايدى بسرعة فى صمت . لكن اذا سألت ، ستعرف انهم يلعبون لعبة « المقص يقطع الورق » . فتح اصبعين يعنى مقصا ، وبسط الكف يعنى ورقة ، وضم القبضة يعنى الحجر . اذا كان غريمك يلوح لك بقبضته ، عليك ان تبسط له كفك ، فالورق يلف الحجر . والكف المبسوطة تواجهها باصبعين مفتوحين ، فالمقص يقطع الورق . والاصبعان المفتوحان تقابلهما بقبضة مضمومة . فالحجر يكسر المقص .. وهكذا .

اذا بدأت من المربع الذى يشير اليه السهم باعلى الرسم ، حاول ان تصل الى الركن الايمن اسفل الرسم، مراعيا القواعد السابقة، مقص ـ ورقة ـ حجر ـ مقص .. ، ولك ان تتحرك بين المربعات ، من مربع الى آخر مجاور ، افقيا او راسيا او قطريا ، لتصل من اقصر الطرق .

اختبار معلومات :

اين الصواب .. واين الخطأ ؟

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ، فهل تستطيع ان تميز بينها ؟ .

(١) عبد الله النديم : من رواد الصحافة المصرية الوطنية الشعبية .

(٢) العقاب : طائر كبير الحجم من الجوارح.

(٣) فان دايك ـ اول من سافر بالطائرة عبر الاطلنطى .

(٤) ابن رشد : من اشهر فلاسفة وعلماء العرب بالاندلس .

(٥) الفولجا : رقصة اوربية شهيرة في القرن التاسع عشر .

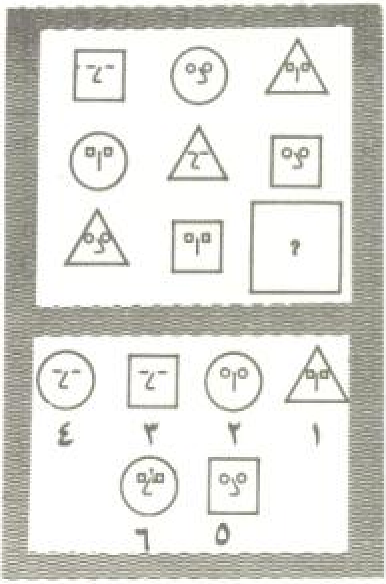
(٦) قرطاجنة : اسم معركة بين الفرس والعرب في فجر الاسلام .

(٧) بيدبا : فيلسوف هندى وضع قصص كليلة ودمنة .

(٨) كراكاتو : سلسلة جبال في امريكا الجنوبية .

(٩) كيوى : طائر لا يستطيع الطيران فى نيوزيلندة .

(١٠) نبتون : كوكب من المجموعة الشمسية.



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات التى بين الاشكال في الصفين العلويين، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب ان يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

طه حسين .

اين الصواب .. وأين الخطأ؟:

١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ صحيحة .

(٣) فان دايك : رسام فلمنكى شهير مات عام ١٦٤١ م .

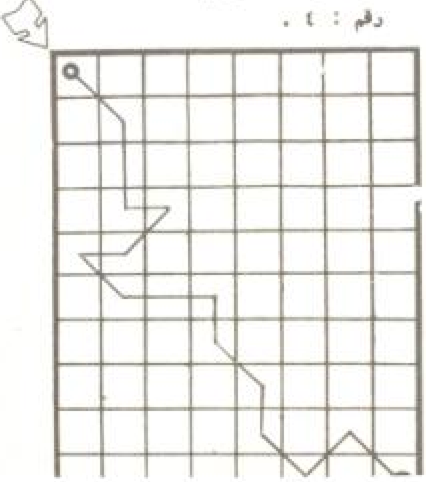
(٥) الفولجا : اطول انهار اوروبا .

(٦) قرطاجنة : مدينة قديمة في افريقيا الشمالية ، اسسها الفينيقيون قرب تونس حاليا .

(٨) كراكاتو : احدى جزر الهند الشرقية .

الشكل المطلوب :

رقم : ٤ .



من المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

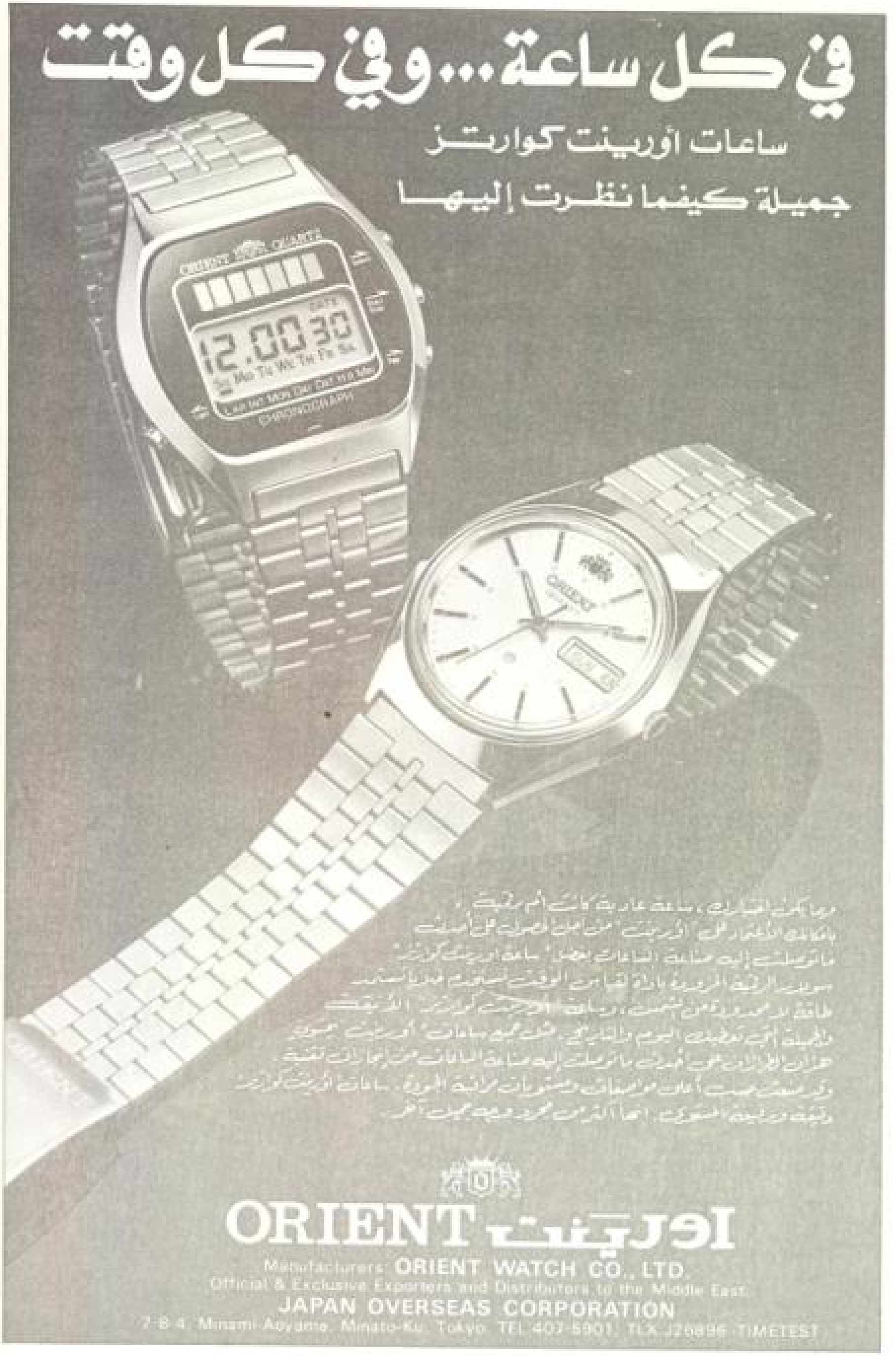
أول مايو ١٩٧٩



١١٦

الآلة الجهنمية

تأليف : جان كوكتو
ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاى
مراجعة : د. منيرة الصعيدى


في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
DATE
Su Mo Tu We Th Fr Sa
CHRONOGRAPH
ORIENT
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST



ما تصممه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

سهولة الوصول الى القطع والاجزاء، الصيانة البسيطة، والنقاط القليلة للفحص والمعاينة. هذه هي بعض صفات ومزايا شاحنات كاتربلر ذات الرافعة، المصممة لضمان نفقات تشغيل متدنية، مقابل الحصول على قيمة اجمالية عالية.

فالجودة والنوعية الفائقة مدمجة في كل من الموديلات الخمسين المختلفة كلها، التي تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٣٠٠٠,٢٧ كلغ انطلاقا من لوحة الرسم ومرورا بكل مرحلة من مراحل الانتاج.

وتمتد قيمة كاتربلر لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل "قد تشمل، مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص بأختيار الشاحنة، الصيانة والخدمة، توفر القطع بسرعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها وبذلك لا تهدر أموالك في انتظار القطع أو تضطر للاحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف".

ونحن نوجز ذلك بعبارة [شعار] فهي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصممة ومبنية لتأمين حصولك على قيمة اجمالية عالية، بتكاليف اجمالية منخفضة.

وهذا سبب وجيه للاتصال بوكيل كاتربلر الآن.



CATERPILLAR

Caterpillar Tractor Co هي ماركات مسجلة لشركة Cat, Caterpillar ®

أبو ظبي: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٤٤١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٩٢٣٨٧ **البحرين:** محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٥٣٥٧، المنامة، تلفون ٧١٣٩٠٧
دبي: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ١١٢٠، دبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٦٠٢٥٥ **مصر:** منتراك، ٢٩ شارع امين فكري، محطة الرمل، الاسكندرية، تلفون ٨٠٧٥٩٧
الاردن: شركة الجرارات والمعدات الاردنية المحدودة، طريق السلط، ص. ب. ٣١٣، عمان، تلفون ٦١١٤١/٤٢/٤٣ **الكويت:** محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ١٤٨، الصفاة، الكويت، تلفون ٨١٠٨٥٥/٥٦ **لبنان:** د. عزت جلاد وأولاده، ص. ب. ١١٠٢٠٨، بيروت، تلفون ٩٣٩٥٢٢ **الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية:**
الشركة العامة للآلات والأجهزة والمواد الزراعية، سيدي مصري، ص. ب. ١٤٥، طرابلس الغرب، تلفون ٣٢٥٢٠ فرع بنغازي، تلفون ٩٢٣٣٩ **سلطنة عمان:** شركة الزواهة للتجارة والمعدات، ص. ب. ١٠٠٢، مطرح، مسقط، تلفون ٢٦٩٠ **قطر:** محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٣١٧١، الدوحة، تلفون ٩١٠٢٦ **المملكة العربية السعودية:**
شركة الزاهد للتراكتورات والمعدات الثقيلة المحدودة، ص. ب. ١٥٨٨، جدة، تلفون ٧٢٠٠٠، الفروع: الدمام، تلفون ٢٢٥٩٤، الرياض، تلفون ٢٨٤٦٨ **الجمهورية التونسية:**
مؤسسة بن يدر بن، شركة معملية، ٩١ جادة قرطاجنة، تونس، تلفون ٢٥٦٥٧٧ **المغرب:** الشركة المغربية للمؤسسات بن يدر بن، ١٤٥ بولفار القادسية، الدار البيضاء، تلفون ٣٠٥٦٧٥
سوريا: د. عزت جلاد وأولاده، ص. ب. ٩٣، شارع حلب، القصور، دمشق، تلفون ١٩٦٤٨٥٤، فروع في حلب، واللاذقية، والقامشلي





مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير ــ وثائق ــ يوميات ــ ببيليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٥٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ــ كلية الاداب والتربية ــ الشويخ ــ دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧ــ٨١٦٧٩٩ــ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


سوني
SONY
KV-2010ME
SL-8000E
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح.
يسجل برامجك التلفزيونية المفضلة وتشاهدها في أي وقت تشاء.
وتشاهد البرامج العديدة المسجلة منها التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتستمتع بالنشاطات الرياضية
والبرامج التثقيفية والوثائقية واللهو العائلي البريء على جميع أنواعه.
وبإمكانك أيضاً حتى تصوير أشرطة في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
الخفيفة التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثهما أمامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني.
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً. وهو سهل الاستعمال.
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك.
سوني بيتاماكس. انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك.
Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

بكل هذا الأداء الموسيقي الرائع
نخشى أن تنسى مواعيدك الأخرى...



M1900F

مسجل كاسيت/راديو AM/FM مدمج بأحكام

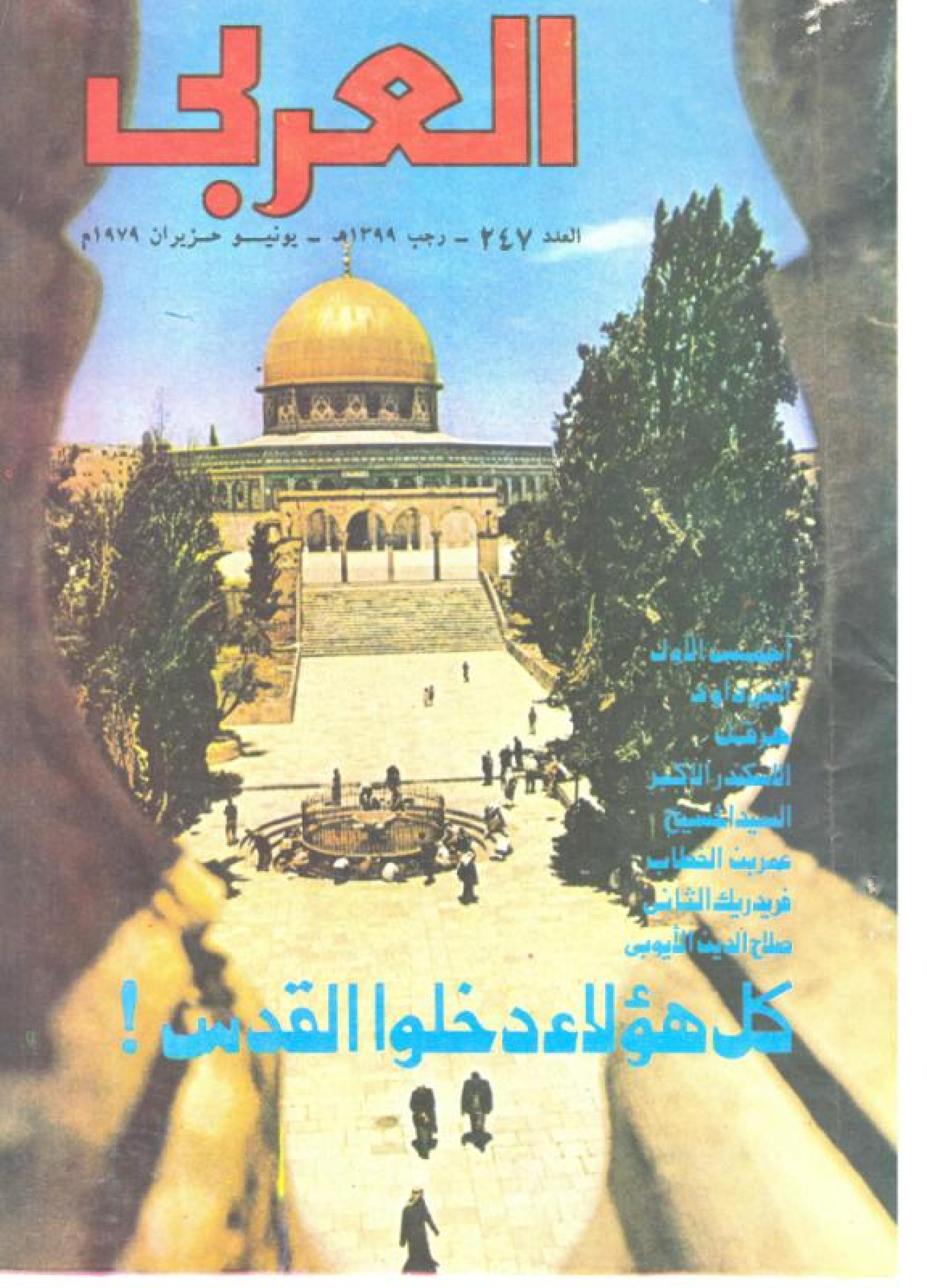
وهكذا أضفنا ساعة كوارتز LCD إلى مسجل كاسيت راديو النقال المعروف بشعبيته الواسعة. وبخلاف ذلك فإنه لم يتغير بالمرة. حيث بقيت طاقة الإخراج الموسيقي الإضافية ١,٢٠٠ ملي واط مع نفس الصوت الرائع من خلال مكبر الصوت قياس ٦,٦ سم ونفس مؤقت النوم للراديو ونفس القياسات المدمجة بصورة مدهشة ونفس الإضافات التكميلية البارعة من النخبة، وهذه كلها لتوفير متعة الإستماع لموسيقى العوالم الأخرى. بالإضافة إلى الساعة للمحافظة على مواعيدك في هذه الدنيا...



M1700F

مسجل كاسيت/راديو
ميني بالمراقبات المتغيرة

SANYO سانيو



العربي

العدد ٢٤٧ - رجب ١٣٩٩هـ - يونيو حزيران ١٩٧٩م

أحميس الأول
[illegible]
هرقل
الاسكندر الأكبر
السيد المسيح
عمر بن الخطاب
فريدريك الثاني
صلاح الدين الأيوبي

كل هؤلاء دخلوا القدس !

عزيزي القارئ

رغم ان رحلة القارئ عبر هذا العدد تطوف به فوق مساحة جغرافية شاسعة ، تمتد من أسرار كوكب المشتري التي تكشفت أخيرا في عالم الفضاء ، الى العديد من اركان العالم الارضي ، من السودان الى مصر الى الرباط ثم الى صنعاء ، ومن فرنسا الى انجلترا وايطاليا .. نقول رغم هذا كله ، فان موضوع العدد الاساسي هو « القدس » .

ذلك اننا لم نجد مادة افضل من « القدس » نركز حولها اهتمامنا ، في عدد شهر يونيو (حزيران) ، دون غيره من كل اشهر السنة ، لسبب لابد يدركه الجميع . فها قد مرت على وقوع القدس في الاسر ١٢ عاما ، تكتمل تماما هذا الشهر ، ليبدأ عام جديد ، تتواصل فيه احزان القدس ، لأجل لا يعلم الا الله مداه .

لقد اردنا ان نذكر بالقدس في هذا الشهر وتلك المناسبة ، اذ لا نملك الا التذكرة بان القدس هي الرمز عندنا بقدر ما كانت هدفا عند الغزاة . هي رمز الانتصار او الانهزام العربيين ، وكلما بعدت الشقة بيننا وبين استعادة القدس العربية ، بعدت المسافة بيننا وبين يوم النصر ، والعكس صحيح .

وسنظل نذكر ونلح في التذكير ، حتى يوم يعود صلاح الدين ليعيدها الى اهلها واصحابها وابنائها الشرعيين .

والى ان يجيء هذا اليوم ، ستظل القدس في القلب !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 247 June 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● من دون كل الصور والاغلفة فان صورة غلاف هذا العدد لا تحتاج الى تقديم او تعريف • اذ ليس لدينا ما نقوله عندما تقع اعيننا على قبة الصخرة • هي رمز القدس وكفى •وهي ـ القدس ـ موضوع استطلاع هذا الشهر (انظر الصفحات ٦٨ـ٩٤)•

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهـما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

العناصر الناقصة..

السؤال يطرحه كل عربي على نفسه ، ولا يجد له جوابا ...

مهما كان القطر الذى ينتمي اليه المواطن العربي . ومهما كانت الفئة الاجتماعية التي هو منها . ومهما كانت درجة التعليم او المستوى الثقافى الحاصل عليه .. فهو يطرح هذا السؤال على نفسه ، وعلى الاخرين حين يحاورهم ، بصيغة او باخرى من صيغ التساؤل ... تناسب ظروفه الثقافية والاجتماعية والبيئية التى يعيش فيها .. ولكن السؤال في الجوهر هو نفس السؤال ..

والسؤال يقفز ، كلما شعر اى واحد منا ـ وهو الشعور السائد ـ في معظم الاحوال أن هناك فرقا كبيرا .. ومسافة شاسعة .. بين ما « نعتقد ونتصور » أن العرب قادرون عليه ... وبين ما يحققونه بالفعل ... سواء في داخل بلادهم ، او فيما بينهم وبين العالم الخارجي من قضايا ومشكلات ...

السؤال هو :

ـ اننا نحن العراب لدينا من اسباب القوة كذا كذا وكذا .. فكيف لانستطيع ان نفعل كيت وكيت ؟

اننا اكثر من مائة مليون .. واكثر من عشرين دولة .. وعشرين جيشا .. ولدينا الموقع الجغرافي الاستراتيجي .. ولدينا السلعة الاستراتيجية الاولى وهي البترول .. فلماذا نقف منذ ثلاثين سنة هذا الموقف المتردى .. من اسرائيل .. ومن القوى الخارجية بوجه عام ... ؟!

فى القوة العربية

بقلم : أحمد بهاء الدين

يطلق المواطن العربي هذا السؤال على نفسه او على غيره ، كلما هاجت الخواطر أو ثار نقاش ، ثم ينتهي الى حالة من الحيرة والاحباط وعدم الاقتناع بما يلقى امامه او ما يعثر عليه هو من حيثيات ومبررات ...

السؤال هام ، وغير نظرى .. بل انه واقعى جدا . بل انه هو « السؤال » ! ...

وربما كانت البداية الصحيحة ، في محاولة العثور على رد مقبول ، هو ان نرد على السؤال بسؤال :

ـ نعم .. ان لدينا من عناصر القوة كذا وكذا وكذا .. ولكن ماهي ياترى عناصر القوة التي تنقصنا ؟ ...

وهل يا ترى نستطيع ان نستكملها ؟ وكيف ؟ ..

ان « القوة » ليست شيئا مجردا . يكون أو لايكون . انما القوة مجموعة عناصر ، ربما يغيب بعضها فيؤثر على سائرها . كالموقع الجغرافي مثلا . او الثراء . انها عناصر هامة في تركيب « القوة » . ولكنها بمفردها قد تنقلب الى عوامل ضعف : كأن تصبح الدولة الغنية او ذات الموقع الهام ، مطمعا للاخرين ، ومصدرا لاثارة شهية القوى الخارجية ضدها .

والتعدد مثلا .. قد يكون مصدر قوة اذا عرف كيف يتكامل ، وقد ينقلب الى مصدر

ضعف اذا كان سببا في التفكك والتناحر ...

مجلة « الشئون الخارجية FOREIGN AFFAIRES » الامريكية ، التى تصدر مرة كل ثلاثة شهور .. اصدرت عددا خاصا بمناسبة مرور خمسة وخمسين عاما على صدور اهم مجلة في نوعها ، كرست معظمه لعدد من اكبر المفكرين والساسة يناقشون فيه موضوع « القوة » !

بمعنى « القوة » في السياسة الدولية طبعا ...

وهناك طبعا ، عناصر « القوة » التقليدية المعروفة ، نسجلها هنا في ايجاز ، حتى نصل الى ما نريد التركيز عليه .

فمن ابرز عناصر القوة ، بمعناها التقليدى منذ القدم :

- القوة العسكرية ، وامرها معروف وحاسم طبعا .
- القوة الاقتصادية والمادية ، وهي ايضا امرها معروف ، وهي في الواقع ـ اى القوة الاقتصادية والمادية ـ هى التى تنتج الى حد كبير بين العنصر الاول وهو القوة العسكرية . فالدولة اذا كانت صناعية متقدمة ، ولديها مصادر الخامات المطلوبة ، تصبح اقدر من غيرها على انتاج السلاح وحشد الجيوش ، وانتاجيتها تجعلها اقدر من غيرها على احتمال تمديد الحرب زمنا اطول من خصومها .
- قوة عدد السكان والموقع الجغرافي ...

فالصين مثلا دولة متخلفة مثل دول العالم الثالث ، اذا اخذنا في الحساب مستوى المعيشة ومعدل دخل الفرد وغير ذلك ، ولكن مجرد انها دولة تضم حوالي الف مليون ، يجعل لها هيبة خاصة وخطرا خاصا ، ولو كان خطرا مستقبلا وليس آنيا ، ولكنه يدخل بالتأكيد في كل حساب .

وكذلك الهند ، وما يليها من بلاد .

وفي الصراع العربي الاسرائيلي مثلا ، رغم ان اسرائيل خرجت منتصرة في معظم الحروب ... إلا ان مجرد ان عدد سكانها ثلاثة ملايين والعرب اكثر من مائة وعشرين مليونا ، يجعلها في نظر العالم في وضع المدافع عن نفسه ، وضع من لايملك المستقبل .

ولا شك ان التقدم العلمى الهائل ، وانعكاسه على قدرة القوة العسكرية ، قد قلل من قيمة « العدد » ورفع من قيمة « النوع » : أي نوع الاسلحة التى في يد الجنود ، ومدى كفاءة وتعليم الجنود الذين يحملون السلاح ..

ففضائل الجيوش في الحروب القديمة ، حروب السيف والرمح ، من شجاعة وحماسة وكثرة عدد ، حلت محلها فضائل اخرى هي درجة التعليم ، ودرجة استيعاب الاسلحة الحديثة والتحكم فيها ، وقوة النيران لا قوة الافراد .

وليس مصادفة ان نجد ان « القوتين الاكبر » ، امريكا وروسيا ، كلتيهما تتجمع لها اكبر درجة من عناصر القوة سالفة الذكر :

العدد الكبير [٢٢٠ مليون امريكا ـ ٢٥٠ مليون روسيا] ، والقوة الانتاجية الهائلة وتوفر معظم المعادن الخام المطلوبة للصناعة داخل ارضها [حديد ـ فحم ـ بترول ـ الخ] فهما ليستا مثل اليابان او المانيا ، اللتين هزمتهما ، الى جانب اسباب اخرى ، ندرة البترول المستورد كله من الخارج .

القدرة على التحالف !

● يأتي بعد ذلك عنصر هام وان بدا غريبا ، وهو : قدرة الدولة على التحالف مع آخرين .

فهناك دولة تكون على درجة من الذكاء السياسي ، والمرونة ، وبراعة التخطيط ، بحيث يكون لها دائما حلفاء من دول اخرى تقف بجانبها في الحرب او السلام على السواء ..

فالمانيا مثلا خسرت حربين عالميتين ، لأنها كانت معزولة في اوروبا ، ولانها في الحربين لم تتمكن من كسب تضامن حلفاء مهمين معها .

وانجلترا بالمقابل هزمت نابليون ، ثم هزمت الامبراطور غليوم ، ثم هزمت هتلر .. لان انجلترا كانت دائما لا تخوض حربا بمفردها قط . انما تخوض حروبها دائما مع حلفاء . وكما قال تشرشل عندما امكنه التحالف مع اعدى اعدائه ، الاتحاد السوفيتي ، خلال الحرب ، من انه مستعد « للتحالف مع الشيطان » لكسب الحرب . كان دائما هو شعار الامبراطورية في اوج مجدها ، وقبل زوال شمسها ..

واسرائيل ، لم تكسب موقعة حرب او موقعة سلام . الا بتحالفات مع دول قوية .. مع انجلترا سنة ١٩٤٨ .. ومع فرنسا وانجلترا سنة ١٩٥٦ .. ومع امريكا سنة ١٩٦٧ .

واذا كانت هذه الصفة « القدرة على التحالف مع الاخرين » مهمة للقوى الكبرى .. وقد رأينا صراع الاحلاف في العقدين الماضيين وكيف كانت ضراوته .. فانه الزم للدول الصغيرة والنامية .. وفي هذا المجال يمكن ملاحظة المزايا التى استفادتها دول هذا النوع في دائرة التجمع العربي ، او التجمع الاسلامي ، او التجمع الافريقي ، او تجمع دول عدم الانحياز . فلاشك ان

التجمع على هذه المستويات قد ساعد في حالات كثيرة على تحقيق استقلال اقطار لم تكن مستقلة ، وحماية مصالح بلاد اخرى ..

وربما نلاحظ لهذا السبب ان الدول الكبرى او العالم الصناعي المتقدم كله .. ينفر من هذه التجمعات ، ويحاول تخريبها او تفكيكها قدر الامكان .

والواقع ان بند « القدرة على التحالف مع الغير » انما يشير ـ بين عناصر القوة ـ الى عنصر الحذق السياسي ، وبعد النظر .. واكتشاف المجالات المشتركة مع الغير ـ سياسيا واقتصاديا ـ وكيف تضع الدولة قضاياها في موضع القضايا العادلة التي « تقنع » الغير فوق ذلك .

ونستطيع ان نضيف في اطار وسائل الاعلام الحديثة ، ذات القوة الساحقة ، من سينما وصحافة واذاعة وتليفزيون . وهنا ايضا من السهل ان نلاحظ قيمة هذا العنصر ، اذا تذكرنا ما حققته اسرائيل من نتائج ، بسبب تأثيرها على اجهزة الاعلام في الخارج ، وكسبها للرأى العام العالمي خلال فترة طويلة ، قبل ان يتنبه العرب الى خطورة هذا السلاح وقيمته ...

الاوبيك !

● وقد وجد الباحثون والمفكرون ما وصفوه بانه نوع جديد تماما من انواع « القوة » لم يسبق له مثيل خلال التاريخ الانساني كله . وهو ليس موجودا حتى اليوم الا في حالة واحدة فقط : هي دول منظمة « الاوبيك » او منظمة الدول المصدرة للبترول .

نحن هنا نواجه نموذجا جديدا تماما : دول تفتقد معظم عناصر القوة التقليدية ـ في رأيهم ـ دول قليلة السكان ، ضعيفة عسكريا ، وغير ذات موقع استراتيجي هام . ولكن تكوين الكرة الارضية اعطاها ما يشبه الاحتكار لسلعة باتت اهم سلعة في العالم وهي البترول .

ولو كانت كل دولة مصدرة للبترول ، منفردة بنفسها ، لكانت قوتها اقل بكثير . ولكن قدرتها على التجمع ونجاحها فيه ، جعلها ذات نفوذ عالمي من نوع خاص .

فهي تستطيع بقرار منها ان ترفع اسعار كل شيء في العالم او تخفضها . اى ان اثر قراراتها يصل الى كل بيت وليس الى كل دولة فحسب . والدول العربية منها متقاربة جغرافيا ، ولها قضايا سياسية مشتركة ازاء العالم ، وبالتالي فهي قادرة على استخدام البترول كسلاح سياسي مباشر . وقد حدث هذا بالفعل بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وبعد ان كانت الشركات العملاقة ، المتعددة الجنسيات ، تملي شروطها على دول البترول ، انعكست الاية تماما .

ويضرب الخبير « جون كامبل » مثلا بالتأثير السياسي : اذ يذكر كيف ان الدول الاكثر اعتمادا على البترول العربي ـ اليابان وغرب اوروبا ـ هرولوا ساعة الخطر الى محاولة انقاذ علاقاتهم . وكان هذا موضع خلاف شديد بين هذه الدول وحليفتهم الأساسية ، الولايات المتحدة الامريكية ..

وحتى الان ـ يقول جون كامبل ـ نجد أن هذه الدول الاكثر اعتمادا على البترول العربي ، ان لم تأخذ خط السياسة العربية تماما ، بسبب وجود الولايات المتحدة ، الا انها على الاقل مضطرة « لمجاراة » العرب احيانا ، او على الاقل « مداراتهم » حتى لا تتدهور الامور الى وضع خطير ..

وقد كان ممكنا ان تفعل دول اخرى ما فعلته دول البترول : اى ان تظهر « اوبيك » تضم الدول المنتجة للفوسفات ، وهكذا بالنسبة للسلع الاخرى الأساسية ...

ولو ان تلك الدول المنتجة للخامات تمكنت من عمل تكتلات مثل تكتل دول البترول ، لتغيرت موازين القوى في العالم كله ، ولاصبحت الدول الفقيرة المنتجة للخامات في وضع قوى جدا ، ازاء الدول الصناعية المتقدمة ، المستهلكة لمعظم خامات العالم ..

ولكن هذا لم يحدث الى الان . ربما لان السلع الاخرى ليس لها اهمية البترول . ولكن من يخطط للمستقبل عليه ان يضع في حسابه هذا الاحتمال ..

البعد الداخلي

يأتي بعد ذلك عنصر من عناصر القوة ، ربما كان اقدم العناصر ، والكثيرون يعتقدون انه أهم عناصر القوة .

ذلك هو : البعد الداخلي ... اى الظروف الداخلية لاى دولة تريد ان تكون ذات قوة ما في الحياة الدولية ..

فكل العناصر السابقة .. من مال او سلاح او صناعة او اقتصاد .. انما هي في النهاية اسلحة في يد الدولة او المجتمع الذي يملكها ...

فهي كلها ـ مجتمعة او متفرقة ـ بمثابة السيف . وكما انه من المهم ان يكون سيفا قاطعا فانه من الاهم أن تكون « اليد » التي تمسك بهذا السيف ثابتة ...

فقد رأينا ـ مثلا ـ امبراطوريات اعرق واكثر حضارة وانتاجية وقوة عسكرية .. تنهار امام

المد الاسلامي ، البسيط ، القادم من صحراء فقيرة .. ذلك ان هذه الامبراطوريات كانت قد شاخت ، ودبت فيها عوامل الانحلال . فانهزمت رغم قوتها امام قوة اضعف منها في كل شيء الا في طاقة الايمان ، والاقتناع ، وقوة الاندفاع .

ونفس الشيء حدث للامبراطورية الاسلامية .. عندما وصلت الى ذروة حضارتها ، ثم دبت فيها عوامل الانحلال ، فصارت تتساقط قطرا بعد قطر ، امام زحف اوروبا الجديدة ، التي استردت شبابها .

وشروط « الوضع الداخلي » لاي بلد ، كثيرة ، وفي تقديري انها معروفة لاي قارىء ...

ولكن ذلك الحوار توصل الى ان هناك شرطين أساسيين ، لاغنى عن وجودهما قط ، حتى يصبح المجتمع مجتمعا قويا ، والدولة دولة قوة ...

بلهارسيا الامية

الشرط الاول هو التعليم

والشرط الثاني هو الاطار السياسي والاجتماعي

بالنسبة للشرط الاول ، فهو بالفعل شرط بديهي ، فقد دانت الدنيا في عصرنا هذا بالذات للعلم . والعلم ليس بمعنى العلوم التطبيقية وحدها ـ الكيمياء والطبيعة والهندسة والذرة ـ ولكن العلم بمعنى الاخذ بالاسلوب العلمي ، من اكبر الامور الى أصغرها ، وهذا لايتوفر الا بوجود قاعدة واسعة « متعلمة » .

وغياب هذا العنصر ، من أقتل الاشياء للقوة العربية الممكنة ..

ان وجود نسبة من الامية تدور حول ٧٠٪ في العالم العربي بوجه عام ، امر لم يعد مقبولا . وعبء على كاهل الامة العربية يفترس حيويتها ، كما تفترس الامراض المتوطنة جسد الانسان .

ولو وضعنا تاريخا مقبولا في معظم الحالات .. منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثم توالى حصول الدول العربية على استقلالها ، نجد ان دول الاستقلال قد ضيعت ربع قرن من الزمان ، دون ان تختفي الامية او حتى تقل بدرجة ملحوظة . انما نكاد نلهث لملاحقة عدم زيادة النسبة مع تزايد عدد السكان .

وقد اخذت قضية الامية في نظرنا مأخذ الترف . او الشيء الذي لا حل له . وهذا غير صحيح . اذا اطلعنا على تجارب بلاد اخرى ...

من المحراث في الزراعة .. الى الصاروخ في الحرب .. تتضاعف قيمة أي أداة بمدى تعلم الفرد وتدريبه وتعوده التعامل مع أدوات العصر ...

ان هذه هي احدى الثورات الكبرى التي يحتاج اليها العالم العربي . وبغيرها لا يمكن اجتياز حد معين من حدود القوة .

والاساس الاساس ، في انفصام الشخصية العربية ، هو وجود فئة متعلمة مثقفة .. وفئة غائبة تماما عن كل هذا ، الامر الذي يجعل الحوار في داخل الامة « حوار طرشان » ويننتج تمزقات وتصادمات في القيم والعادات والاهداف والمثل العليا .

الانسجام الاجتماعي

والشرط الثاني الذي هو الاطار السياسي الاجتماعي السليم ، القوي المرن في نفس الوقت ، كذلك شرط يبدو بديهيا .

والمقياس الذي يقيس به اي مفكر غربي مدى توفر هذا الشرط هو : مقياس الديمقراطية وحرية الرأي .

وهو بالتاكيد مقياس سليم . فالشعب الذي يستطيع ان يحقق الاستقرار مع توفر الديمقراطية وحرية الرأي ، هو الذي يمكن ان يقال عنه انه شعب منسجم مع نفسه ، قد تعمقت جذوره .

ولكننا لا نضع بالضرورة صورة واحدة للديمقراطية وحرية الرأي ، منقولة حرفيا من عالم آخر ..

انما نقول ان المطلوب توفر هذين العنصرين ، بشكل ينسجم مع تقاليد وقيم كل شعب ، ونوع تطلعاته واهدافه .

وذلك بدوره عنصر ناقص في كثير من بلادنا العربية ..

وبالتالي فهو عنصر قوة ينقصنا ونحن محرومون منه .

وما اشد ما تتعاظم القوة التي يملكها شعب ، اذا استطاع بمحو الامية ونشر الثقافة وتكريس صورة الديمقراطية ، ان يشارك كل الشعب - وليست فئة قليلة منه - في الحوار الابدي ، الدائر باستمرار داخل كل امة ، صاعدة ، ناهضة ، تنوي حقا ان تهزم مشكلاتها وان تحصل على أهم اسباب القــوة . ■■

احمد بهاء الدين

اشارات قرآنية

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

هذه اشارات بالغة الاهمية، تضمنها سياق الآيات في القرآن الكريم . قد نمر عليها سراعاولا نلتفت الى ما تعكسه من فكر وما تطرحه من قضاياحيوية ، وثيقة الصلة ببناء المجتمع وحركته .

بالتخطيط لا بانتظار المفاجآت

(انا كل شيء خلقناه بقدر : القمر ٤٩) ..

وهكذا فانه ما من شيء في بنيان الكون ، وتركيب العالم والحياة .. يخضع للصدفة .. من اصغر شيء فيه يغور في الطوايا التي لاتراها العيون : نيوترونات وبروتونات والكترونات .. وجينات وكروموسومات . وحتى السدم والنجوم والمجموعات الشمسية الهائلة والمجرات المنتشرة عبر مساحات لايحيط بها خيال انسان !!

كل شيء يجد نفسه مضبوطا ضمن ارادة الله، وعلمه ، وتخطيطه ، للخلق والصيرورة والمصير . انها رياضيات الابداع الالهي التي تحكم سنن الكون والحياة .. فلا تند ولاتطفى . ومن خلال هذه الحقيقة الكبيرة ، المعجزة ، يريد القرآن الكريم ان يعلمنا شيئا آخر : الا نتحرك في تجربتنا البشرية عبر العالم فوضى وعلى غير هدى .. الا نخطو خطوةواحدةتبني احتمالات نجاحها او فشلها على الصدفة .. ان نتجاوز هذا الموقف السلبي الى الايجاب الذى يليق بحجم الانسان وكرامة الانسان كخليفة لله على الارض ..

التخطيط ، ذلك هو ما يتطلبه منا الموقف . التخطيط الذى هو نقيض الارتجال ، والفوضى ، والتخبط ، وانتظار احتمالات الصدفة ، وعطف الحظوظ ، وتكشف المفاجآت ..

بهذا المعنى .. لاحظوظ ولا مفاجآت .. (من يعمل سوءا يجز به : النساء ١٢٣) .. وليس وراء هذه المعادلة الواضحة البينة من مصدر ..

وعندما دهش المسلمون لهزيمتهم في معركة احد اجابهم القرآن الكريم بالصراحة نفسها : (او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند انفسكم : آل عمران ١٦٥)

لم يلتزموا الخطط المدروسة المبرمجة ، التى رسمها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام .. فهزموا ..

ان دقة البناء الكوني ، وحبكة الحياة المعجزة .. وتنظيم السموات والارض .. تعلم

المسلم دائما ، وهو خليفة الله فى العالم ويده المريدة ، ان عليه ، اذا ما اراد ابداع حياة طيبة ، سعيدة جديرة بان تحيا ، ان يلتزم التخطيط ، ويتجاوز الفوضى والارتجال ..

ان هذا المعنى الكبير يكمن وراء انتصارات الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، واختزالهم المدهش لحيثيات الزمن والمكان ، وضرورات التاريخ ، وهم بصدد تحقيق متطلبات خلافتهم فى الارض .. ووراء تلك المعطيات الحضارية الباهرة التى انحنى لها الباحثون فى الشرق والغرب .. وانه كذلك وراء نهوض المسلمين فى اعقاب كل كبوة او هزيمة لحقت بهم على مدار التاريخ .. ولن ينهضوا من كبوتهم المعاصرة الا باعتماد المبدأ نفسه . المبدأ ، المستمد من جوهر الايمان بالله .. الخالق .. المدبر ..

وليس ما يقال ، وراء هذه الحقيقة ، من ان الدين يعلم الانسان الاتكال على الصدف ، والحظوظ وانتظار المفاجآت .. بذى بال .. وهو اتفه من ان تدور حوله المناقشات !!!

المنفيون من ساحة العلم

(عالم الغيب والشهادة ..)

وما اكثر الحقائق التى تبدو لحواسنا وعقولنا بظواهرها ، اما البواطن فهى مغيبة ، ولكنها مع ذلك جزء من الحقيقة لاتنفصل عنها ..

ان الغيب والشهادة أشبه – اذا صحت الاستعارة – بعملة ذات وجهين ، ليس بمقدور احد ان يفصل احدهما عن الاخر والا فقدت العملة شكلها وقيمتها .. والفرق هو أن العملة يرى وجهاها اما الحقيقة فقد يرى وجهها الاخر وقد لا يرى .. ومع ذلك فهو (وجود) حقيقى لا يقل ثقلا عن الوجه المنظور .. ان لم يفقه بكثير .. ان الغيب أشبه بالبطانة غير المرئية للشهادة .. أشبه ببعدها العميق الذى يغور بعيدا عن احاطة الحواس ..

ما من شهادة مجردة .. انها بشكل او اخر تجسيد لحقيقة مغيبة .. وان التشبث بالشهادة لايعدو أن يكون نوعا من العلم المبتور .. نوعا من الامية بحقائق الاشياء .. ولقد حكم القرآن بالعمى والضلال على اولئك الجاهلين الماديين الذين اتهموا الدعوة الجديدة باعتماد السحر ، لانه جاء بما لم تألفه معطياتهم الحسية الناقصة الرتيبة فقال « أفسحر هذا ام أنتم لا تبصرون الطور ١٥ » .. ودعاهم بذلك بل تحداهم ان يتخلوا عن اسلوب الاتهام الباطل الرخيص الذى لا يقوم على الحق الى التبصر بالحقائق لكى يلموا بابعادها الشاملة قبل أن يصدروا عليها حكما اسوة بما يفعله الماديون المعاصرون حذوك النعل بالنعل .

فهاهم بعض المثقفين منهم يتهمون كل من يؤمن بالوجه الاخر للحقيقة ، ويعلن اقراره بالغيب ، يتهمونه باللاعلمية – وفى احدى المحاضرات عن فلسفة توينبى الحضارية اتهم الرجل من قبل احد الاساتذة باللاعقلانية .. !! لانه حلق بفلسفته فى السماوات وتحدث عن أمور غيبية لا تمسك بها الحواس ..

ترى .. اذا حدث وان تغزل انسان بضوء الشمس ونادى أشعتها البيضاء قائلا : (يا من تضمين جوانحك على الاحمر والاخضر) .. اتخرجه مقولته تلك عن حدود العقل ، والتبصر لانه لا يتكلم عما تراه العيون ؟ .

ابدا – بل بالعكس – .. انه اكثر عقلانية بالمفهوم الواسع الذى يتجاوز به العقل أسر الحواس الى ما وراءها ، ويغادر دائرة المنظور القريب الى المنظور الابعد الذى يقره العلم المختبرى وتؤكده الدراسات التجريبية رغم نأيه المباشر عن الحواس ..

ان الحديث عن الحقيقة ليس امرا بسيطا سهلا ، كما أنه ليس حكرا على الذين أسرتهم ظواهر الاشياء المادية فحرنوا عندها ورفضوا تجاوزها الى الاعماق .. والذين يقفون دائما هناك هم عدد من الفلاسفة القلقين الذين لم يحلوا معادلة رياضية واحدة ولم يدخلوا مختبرا .. أما العلماء الذين عاشوا فى المختبر ، واستخدموا لغة الرياضيات لفك الطلاسم والرموز ، فانهم على النقيض . اخترقوا قشرة الظواهر والاشياء الى بطانتها وتوغلوا الى العمق .. وحدثونا ، وهم يحاولون هناك ، عن تهافت المادية ، وتفتت الصلابة وخداع الحواس ، وتكلموا عن الطاقة والحركة .. وتجاوزوا ذلك وقالوا بما يشبه التواجد الواعى فى قلب الذرة .. وبالغيب الذى يصعب حصره والتعامل

التهالي معه .. معترفين ، بذلك بان الاحاطة التامة بالجانب الاخر للحقائق ، الجانب الغيب ، ليس في طاقة انسان ..

وتبقى الحقائق ، تحمل دوما وجهيها .. الشهادة والغيب .. ولهذا يقرن القرآن الكريم في اكثر من موضع هذين البعدين وهو يتحدث عن علم الله المحيط بكل شيء ..

اما الذين آثروا ان يقفوا عند الاعتاب ، ولا يجرأون على تجاوز القشور الى العالم الداخلي للظواهر والاشياء .. فانهم آثروا أن ينفوا ليس فقط من ساحة الدين .. ولكن .. من ساحة العلم ايضا .. !

ليس بالاشياء تحيا المجتمعات

(وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا : مريم ٧٤)

انه ما من عصر كالقرن العشرين هذا يمكن ان يجسد امام وعينا ابعاد هذه الاية القرآنية الكريمة الموجزة .. انه حقا قرن الاثاث .. والرئي . قرن التكاثر الشيئي والتسابق في المقتنيات والتطاول في البنيان .. القرن الذي غدا فيه الاعلان عن (الاشياء) علما له اصوله ومناهجه .. وغدت احاديث الناس في المجتمعات اليومية تنصب في معظمها على التزود بالحاجيات المستجدة وملاحقتها واصطيادها والتباهي بتكديسها في غرف البيوت وصالاتها حتى ولو لم يكن وراءها ايما منفعة ..

القرن الذي اصبح الناس فيه ينفقون اكثر دخلهم على المظاهر المادية التي يعتقدون انها تمنحهم وجاهة اكثر وتشبع في انفسهم حاجات اعمق .. المظاهر في ملابسهم والمظاهر في مراكبهم .. والمظاهر في واجهات دورهم وعماراتهم .. حتى لقد غدا (الديكور) هو الاخر ، علما له اصوله ومناهجه ... يتهافت الناس على اصحابه من اجل ان يبدوا احسن اثاثا ورئيا !!

ان التقدم التكنولوجي ، بل النمو الذي تشهده (المدنية) عموما ، اي الجانب المادي من الحياة ليس سوى تراكم شيء .. تكديس الات بعضه فوق بعض .. ولم يكن بمقدور الاثاث يوما ، مهما كان نظيفا لامعا جميلا متقدما ومتقنا .. ان يقف بمواجهة المصير .. ان يخلص امة لم تحسن التعامل مع القيم التي هي اكبر من الاشياء والاثاث والديكورات .. يخلصها من مصائرها المفجعة .. من الهلاك النفسي والاخلاقي والصحي والاجتماعي والادبي الذي يقتحم عليها جدرانها الشيئية كالطاعون ، ويكتسحها واثاثها ورواءها الخارجي من مسرح التاريخ ..

وبصيغة اخرى يحدثنا القرآن عن هذه المأساة كما اعتاد ان يحدثنا عن كل قضية خطيرة من اكثر من زاوية ، فيطرح هذا النذير (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام ، حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس : يونس ٢٤) .

فها هنا ايضا يطرح القرآن النذير بصيغة عكسية بين استكمال الزينة الخارجية .. زينة الاثاث والاشياء والديكورات .. وبين الدمار الحضاري الشامل الذي يصيب امة ما انصرفت بكليتها الى القشور ، ولم تحسن ، بل لم تعرف كيف تتعامل مع الجواهر والاصول .

ولم تكن الحضارة في يوم ما مجرد تراكم في الاثاث وتكاثر في الاموال .. انه بدون معامل القيم ، وشدها ، ومؤشراتها ، لن يكون بمقدور هذا الحشد المفكك من المقتنيات ان يصنع شيئا ..

من اجل ذلك يطلق كبار المفكرين والفنانين المعاصرين نذرهم ضد هذا التكاثر المخيف الذي تختنق معه الرؤية الانسانية ويضيع بين اكداسه الانسان..انه يتزايد وفق نوال هندسي..فالقطعة الواحدة تغدو قطعتين ، والاثنتان تغدوان اربعة .. وهكذا .. تزداد عزلة الانسان يوما بعد يوم ، ويزداد حصاره .. ولن يكون الحصاد سائغ الشراب .. وصدق الله العظيم (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) ...

ليضع عنهم اصرهم والاغلال

(قل : لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا

او لحم خنزير ، فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان ربك غفور رحيم » الانعام ١٤٥ ..

بهذا الصدق الرباني الذي علمنا اياه الاسلام ، يحدثنا كتاب الله على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عن مسالة يومية تتعلق بالطعام والشراب بلمسات واقعية ، سمحة ، ترفض الدجل الديني الذي مارسه البعض .

(لا اجد فيما اوحي الى محرما على طاعم ..) بهذا الاطلاق السمح الذي يرفض القيود والتعقيدات والتضييق على الناس .. ويفتح امامهم — بدلا من ذلك — طريق الحياة السوى عريضا .. واسعا .. ممتدا ..

ان القاعدة هي الاطلاق .. واما التحريم فهو مجرد استثناءات محدودة وضعت لصالح الانسان نفسه .. وفرق بين استثناء محدد يجيء لصالح الانسان بعلم من الله وبين حشد من الاغلال والتحريمات يريد مرتزقة الدين ان يطوقوا بها اتباعهم لكي يزيدوهم ذلة وخضوعا ..

وفي دوائر اخرى يمارس المرتزقة لعبة مكشوفة ولكنها تدر عليهم الكثير . انهم بتضييقهم الخناق على اتباعهم .. بتجهيلهم والالغاز عليهم .. بتجويعهم وافقارهم باخضاعهم واذلالهم بوضع بتجويعهم وافقارهم باخضاعهم واذلالهم ، بوضع القيود والاغلال في ايديهم وارجلهم ، يضمنون عبوديتهم المطلقة والكسب الحرام الذي هو مردود هذه العبودية ..

ولقد جاء الاسلام السمح في الوقت المناسب تماما . جاء لكي يكسر الحلقة المفرغة ويدمر على المرتزقة مواقعهم ويوقف لعبتهم المرذولة ويحرر المستعبدين من ربق الاوهام والخرافات التي اذلتهم طويلا (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم " الاعراف ١٥٧) .

وفي كثير من الايات يؤكد القرآن الكريم رفضه للتحريمات المصطنعة ، واطلاقه حرية الممارسة الضرورية ، في اصولها المعقولة : ماكلا وملبسا واشباعا جنسيا ، بما يوازي حجم انسان وحجم ضروراته لا افراط ولا تفريط (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون : البقرة ١٧٢) ..

(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين .. قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة : الاعراف ٣١-٣٢ ؛ كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه : آل عمران ٩٣) .

وفي كثير من الايات يسخر القرآن الكريم باسلوبه الذي يرسم الصور ويجسد المواقف من اضاليل كهنة الدين ومرتزقته ، ويكشف الهدف الحقيقي الذي يكمن وراء هذه الاضاليل:

(وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله : الانعام ١٤٠) (وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا . فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا . فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان للهفهو يصل الى شركائهمساء مايحكمون: الانعام ١٣٦) (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها .. ، وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم : الانعام ١٣٨/١٣٩) .

(ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين . قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين ، نبئوني بعلم ان كنتم صادقين : الانعام ١٤٣) .

ولكن ، اذا كان القرآن الكريم يرفض هذا الافراط المتمثل باغلال المرتزقة وتحريماتهم التي ما انزل الله بها من سلطان ، وكبتهم لضرورات الانسان وانشطته الحيوية .. فانه في المقابل يرفض اي تفريط يقود الى الاسراف في التعامل مع هذه الضرورات : ماكلا ، وملبسا وجنسا ، بما يتجاوز حجم مطاليبها المعقولة الى نوع من البطر والاستنزاف . ويؤدي ليس فقط الى تدمير الانسان المفرط ، المسرف .. بل الى تدمير المجتمع البشري باسره .. المجتمع الذي يسمح للتفريط بان يكون ممارسته اليومية .

والايات القرآنية كثيرة في هذا المجال وشواهد التاريخ كثيرة هي الاخرى ... ■■

الموصل **د. عماد الدين خليل**

ثبت ان الحياة مستحيلة فوقه

كوكب المشترى يكشف عن أسراره

بقلم : المهندس سعد شعبان ❋

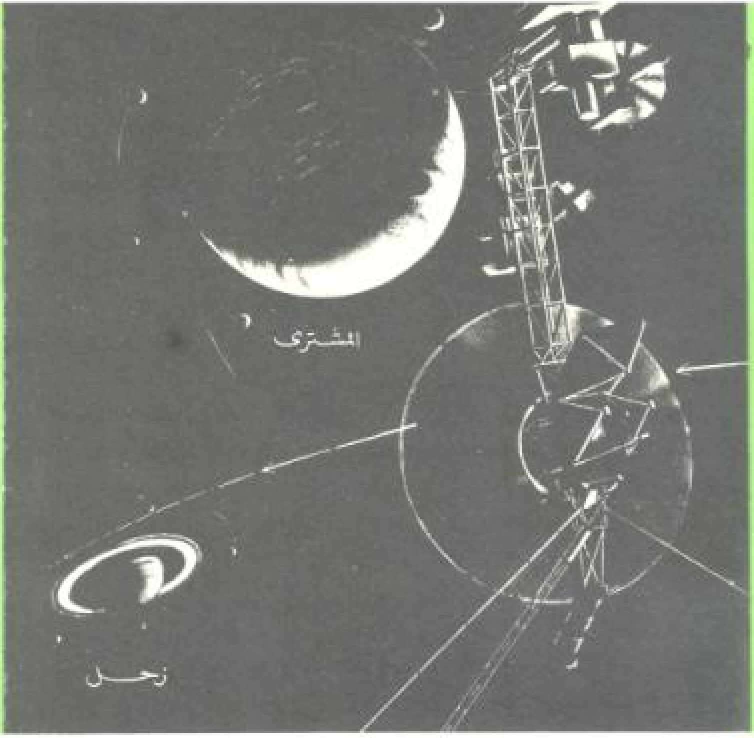
كوكب المشتري هو خامس كواكب المجموعة الشمسية في تسلسل البعد عن الشمس ، التي تعتبر بمثابة الام التي تجذب اليها تسعة أبناء ، تدين لها بولاء الجاذبية وتدور حولها في حركة دائبة .

ورغم ان هذه الكواكب التسعة تكون مع الشمس أسرة اصطلح على تسميتها « المجموعة الشمسية » ، الا أن هناك فارقا جوهريا بين طبيعة تكوين أم هذه الاسرة أي (الشمس) ، وبين أبنائها الكواكب .

فالام أتون متقد تنبعث منه الحرارة والاضواء ، أما الابناء فاجسام باردة ، جمدت سطوحها ، وتقلصت تربتها وأصبحت تتشكل من الصخور والأتربة الهامدة .وان كانت تختفي تحت هذه السطوح نيران متأججة ، تشكل جوفا سائلا ملتهبا لباطن هذه الكواكب .

وكشأن كل الأسر تتفاوت الكواكب من حيث القطر وبالتالي الحجم وكثافة المادة والوزن وان كان أغلبها كرويا أو قريبا من الكروى من حيث الشكل . واذا أخذنا كوكب الأرض كمقياس تنسب اليه هذه الاحجام

❋ عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس .



نجد أن كوكب المشتري يتربع على عرش الحجم ، فهو اكبر الكواكب قاطبة . فقطره يفوق قطر كوكب الأرض (١١٫٢) مرة ، ولذلك فان حجمه يبلغ قدر حجم الأرض (١٢٩٥) مرة . ولا يدانيه في هذا الحجم كوكب آخر . ومن حيث البعد فان كوكب المشتري يبعد عن الشمس بعدا يبلغ في متوسطه ٧٧٨ مليون كيلو متر لأنه يتخذ لنفسه ـ شأن سائر الكواكب ـ مدارا بيضاويا تقع الشمس في أحد بؤرتيه . ويتم دورته الكاملة حول الشمس خلال ما يقرب من اثنتى عشرة سنة أرضية وعلى وجه التحديد خلال ١١ سنة ، ٣١٣ يوما وهذا ما اصطلح الفلكيون على تسميته « عام » الكوكب . أما « يوم » الكوكب وهو مدة دورانه حول نفسه فلا تجاوز تسع ساعات ، ٥٥ دقيقة من توقيتنا الأرضي .

غير أن الشكل الفريد الذي يتفرد به كوكب المشتري دون غيره من الكواكب هو انبعاجه بمقدار $\frac{1}{17}$ من قطره ، لأنه غير تام الاستدارة . كما أنه يجذب اليه عددا كبيرا من التوابع أو الأقمار يصل عددها (١٢) اثنى عشر قمرا ، فهو أغنى الكواكب كذلك في اجتذاب الأقمار .

ولهذه الأقمار الاثنى عشر ـ والتي أصبح مشكوكا أن يصل عددها الى أربعة عشر ـ روعة خاصة عند رصدها بواسطة التلسكوبات الفلكية خاصة وأنها متساوية في الحجم . ولقد كان جاليليو أول من رصد هذه الأقمار وسمى أربعة منها عام ١٩١٠ . ورغم أنها أقمار تابعة في دورانها لهذا الكوكب الضخم ، الا أن أحجام بعضها يقرب من حجم الأرض .

ويزيد من تعقد تصور حركة هذه الأقمار حول الكوكب أن بعضها يدور حوله في اتجاهات مخالفة لاتجاهات الأخرى . فكأنها تشكل مجتمعة حول الكوكب مجموعة شمسية مستقلة .

في البدء كانت « بيونير »

أطلقت الولايات المتحدة الأميركية أولى سفنها لاستكشاف كوكب المشتري في فبراير ١٩٧٢ وكانت تحمل اسم « بيونير ـ ١٠ » وقد ظلت السفينة تتحرك في الفضاء نحو الكوكب ما يقرب من ٢٢ شهرا حتى اتخذت لنفسها مدارا حوله بين ١٠٠ ، ١٦٠ ألف كيلو متر .

وكان الهدف الرئيسي منها هو التقاط صور لسطحه بالإضافة الى قياس الاشعاعات البيكوكبية (التي بين الكواكب) .

وكانت السفينة تحمل عديدا من الأجهزة العلمية ضمن وزنها الذي بلغ ٢٧٠٠ كيلو جراما ، من أهمها أجهزة التصوير التي أرسلت الى الأرض صوراً واضحة عن سطح الكوكب وعن أسطح أقماره الاثنى عشر التي تدور حوله . ولقد استحدث استخدام وحدات نظائر كهرو ـ حرارية تعمل بالطاقة النووية لامداد السفينة « بيونير » بالقدرة اللازمة لتشغيل أجهزتها .

وكان على متن السفينة رسالة صامتة من أهل الأرض الى أي عقلاء يمكن أن يكونوا فوق سطح المشتري ، تتمثل في لوحة معدنية منقوش عليها رسم يعبر عن ذكر وانثى تسطع من خلفهما أشعة الشمس ، مع سهم يشير الى انتقال سفينة فضاء من دائرة تحتل المركز الثالث بين تسع دوائر تمثل الكواكب الى دائرة أخرى أكبر منها تحتل المركز الخامس . وكأن ذلك تعبيرا عن انتقال سفينة الفضاء من كوكب الأرض ذات المركز الثالث في تسلسل البعد عن الشمس ، الى المشتري الذي يحتل المركز الخامس في هذا التسلسل .

ولقد حملت الرسالة الى سطح الكوكب مظلة انفصلت عن السفينة وحطت على سطح الكوكب برفق اعتمادا على أن لغة التخاطب هي الرسم ، التي يمكن أن يتفهمها أي عقلاء على سطح الكوكب .

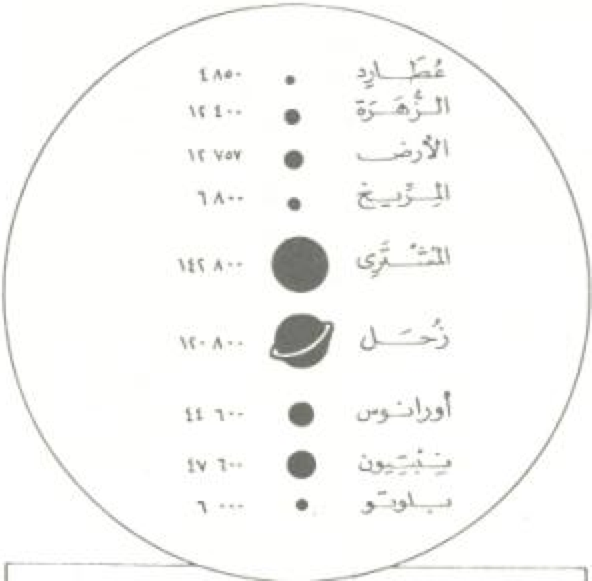
ولقد كان السبب الرئيسي في اطلاق الولايات المتحدة الامريكية للسفينة « بيونير ـ ١٠ » عام ١٩٧٢ هو تخير الوقت المناسب لتفادي حزام « الكويكبات » أو الأحجار الكونية الذي يحتل المدار بين كوكبي المريخ والمشتري حتى لا تتعرض للاصطدام بها .

ولقد أمدت صور « بيونير ـ ١٠ » العلماء بصور عديدة عن سطح المشتري ، ساهمت في فض المجهول عنه . وكان من أبرز ما استخلصوه وجود بقع كبيرة المساحة تتحرك فوق سطحه في حركة سريعة ، وتتفاوت ألوانها بين اللون الأحمر والأصفر والبني . ولقد كان من الممكن رصد هذه البقع بواسطة المحطات الأرضية وهي تقطع قرص الكوكب المرئي خلال خمس ساعات ولكن لم يكن لدى الفلكيين أية دراية عن طبيعتها . وبعد ذلك تكررت عملية استكشاف كوكب المشتري وزحل باطلاق السفينة « بيونير ـ ١١ » لتقوم بنفس المهام .

السفينة فواياجير تحقق الآمال

ولقد أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٧ سفينتين من طراز « فواياجير » (الرحالة) لغزو أربعة كواكب واحدا اثر الآخر وقد وصلت أولى السفينتين الى كوكب المشتري ، بعد رحلة طولها أكثر من ٨٠٠ مليون كيلو متر ومدتها ١٨ شهرا في الفضاء بدأت تقترب من الكوكب لتقوم بتصوير سطح الكوكب . والحق يقال أن السفينة « الرحالة » هتكت بعدسات أجهزة تصويرها كل أسرار المشتري وأعطت صورها تفسيرات جديدة بددت كثيرا من المفاهيم الخاطئة لدى العلماء . ومن اهم هذه المفاهيم أن عدد الأقمار التوابع للمشتري ليس (١٢) اثنى عشر كما كان مفهوما لدى الفلكيين من قبل ، بل زاد العدد الى ١٣ أو ربما ١٤ قمرا .

والسبب في حدوث هذا اللبس في عدد الأقمار رغم أنه معروف أن بعضها يفوق الأرض في حجمه ، أنه يصعب رؤيتها بواسطة المراصد الفلكية من الأرض ، عندما يكون خلف مدارها القرص الضخم لسطح الكوكب نفسه والذي سبق أن أوضحنا أن قطره يفوق قطر بعض هذه الأقمار مئات المرات . فضلا عن أن رصد حركة هذه الأقمار يكون صعبا وسط آلاف من الفوهات الدائرية التي تنتشر على سطح الكوكب . ولقد ثبت لدى العلماء من صور السفينة « الرحالة » أنه يوجد حول الكوكب حزام يبلغ سمكه ما يقرب من ٣٥ كيلو مترا وعلى ارتفاع ٦٠ ألف كيلو متر فوق خط استواء الكوكب ، ويتكون هذا الحزام من أتربة وأحجار كونية . وهذا الكشف له أهمية خاصة لأن هذا الحزام استحال على الفلكيين رؤيته خلال أي مرصد أرضي عبر أكثر من ثلاثة قرون ، على عكس الحزامين اللذين يسهل رؤيتهما حول كوكب زحل . ويرجح الكثيرون أن يكون هذا الحزام قد تكون نتيجة لتفكك أحد الأقمار الكثيرة التي



قطر الشمس ١٣٩٠٠٠٠ كيلومتر
وأقطار الكواكب بالكيلومترات

تدور حول الكوكب . ولقد جسمت الصور التي أخذت لأقمار المشتري المعروف أن عددها اثنى عشر ، سطوح هذه الأقمار لانها أخذت من قرب لم يتوفر لأي أجهزة تصوير من قبل . ولذلك رضحت الندوب والحفر والشقوق والتصدعات على كل منها وتأكد أن هذه الندوب والفوهات الدائرية التي على سطح هذه الأقمار حدثت نتيجة لاصطدام أحجار نيزكية فيها في فجر عصر التكوين . كما ثبت انه يوجد بعض البراكين الحية على بعض هذه الأقمار كمثل القمر الثاني للمشتري المعروف باسم « إيو » كما أظهرت صور أخرى آثار عمليات التعرية والتآكل في السطوح الطبوغرافية لبعض هذه الأقمار كمثل القمرين « جانيميد » . و « كاليستو » .

كما سجلت على القمر « أوروبا » سلسلة جبال عالية تمتد لأكثر من ٢٠٠٠ كيلو متر وحولها كثير من الفوهات وبعض البراكين .

سر المنطقة الحمراء

ولقد أجرت السفينة « فواياجير » قياسات بأجهزة جديدة لجو كوكب المشتري وقد تبين أن بعض الألوان التي رضحت في صور السفينتين (يونيو ـ ١٠ ، ١١) قد تحولت من اللون الاحمر الى اللون البني . وكانت هناك منطقة في جو الكوكب أطلق عليها الفلكيون اسم « المنطقة الحمراء » وهي تكبر الكرة الأرضية أكثر من ثلاث مرات وقد ثبت من صور السفينة « فواياجير » أن هذه المنطقة تمثل عاصفة دائمة تتحرك فيها الرياح في حركة حلزونية متمركزة فيا يشبه الأعاصير العاتية التي تهب على الأرض ، وتتمركز حول بؤرة تعرف باسم « عين الاعصار » . ذلك أن سرعة الرياح التي رصدت في هذه المنطقة تعتبر بالنسبة لنا على الأرض رياحا مدمرة لأنها لا تقل عن ٤٠٠ كيلو متر في الساعة لكنها ليست رياحا

كتلك التي نمهدها على ارلأض والتي تحرك كتلا من الهواء ، بل قوامها غازات الهيليوم والنشادر والهيدروجين وبعض من بخار الماء ، وكلها في حالة فوران متقد يدور في دوامات حلزونية . ويقدر العلماء أن هذه المنطقة الحمراء لا يمكن أن يكون عمرها أقل من ثلاثة قرون . والى جانب هذه القياسات في جو المشتري سجلت أجهزة السفينة قياسات أخرى عن الاشاعات التي يتعرض لها الكوكب وأقماره والتي تؤثر على طبوغرافية ولون سطحه ومن أهمها الأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية .

احتمالات الحياة على المشتري

على ضوء الثروة الضخمة التي وضعتها صور السفينة الرحالة « فواياجير » بين أيدي علماء الكونيات أصبحت صور الحياة المحتملة على كوكب المشتري غير محتملة بشكل شبه مؤكد . فقد كانت الافتراضات القديمة تقوم على أن البقعة الحمراء والسحب الملونة التي تظهر في المراصد الفلكية على سطح هذا الكوكب قد تخفي وراءها ظروفا ملائمة لصورة من صور الحياة . وسرح الخيال العلمي لدى بعض الروائيين فمزجوا العلم بالأدب ونسجوا قصصا عن مخلوقات غريبة الشكل والتكوين يمكن أن تسكن هذه المحيطات الهائلة على سطح الكوكب . واعتمد الروائيون في ذلك على تصوير تكوين هذه المخلوقات بحيث تكون شيئا ما بين الهواء الشفاف والمادة السائلة ، وتزعم هذا الاتجاه الافتراضي العالم الأمريكي « كارل ساجان » الأستاذ بجامعة كورنول وافترض أن يكون اللون المائل للاحمر الذي يشاهد على المشتري ربما يكون مادة عضوية وقد تكون هي الأساس الكيميائي للحياة .

وقد أجرى دكتور ساجان تجارب معملية على غازات تحاكي الغازات التي في جو المشتري ، وعندما عرض هذا الغاز للاشعة فوق البنفسجية لمدة ٤٠٠ ساعة متواصلة تكونت مواد عضوية ، وتخلف عنها فضلات مركبة تبين له أنها تشبه الى حد كبير تكوين البقعة الحمراء التي على المشتري . غير أن التحليل أثبت بعد ذلك أن هذه النواتج مركبات كبريتية أكثر منها مواد كيميائية .

وحاول عالم امريكي آخر هو دكتور لويس الأستاذ بمعهد ماساسوتش ومع افتراضات رياضية بالغة الغلو عن كميات الضوء الصادرة من الشمس ، ومن البرق ومن الصدمات الكهربائية والتي تحدث في جو المشتري وانطلق من ذلك الى تقدير كمية المواد العضوية التي يمكن أن تتكون عليه ، وخلص الى أن كمية ضئيلة جدا من المواد العضوية يمكن تخليقها على كوكب المشتري . ولقد أكدت صور السفينة « فواياجير » ـ ١ » من الفحص المبدئي لها أن صور الحياة على هذا الكوكب تبدو مستحيلة . ولكن الكلمة قد تتقرر بعد عدة شهور عندما يكتمل تفسير ما تجمع من آلاف الصور أمام لفيف العلماء الذين استقبلوها في المحطة الارضية لمتابعة السفينة والموجودة في بلدة باسادينا الأمريكية . وسوف تكتمل هذه الصور عندما يتوالى ارسال صور أخرى من السفينة الثانية « فواياجير ـ ٢ » التي ستصل الى المشتري بعد شهور قليلة لفض مزيد من الغموض عن هذا الكوكب .

الخطوات التالية

بعد أن قامت السفينة الرحالة « فواياجير ـ ١ » بالتقاط آلاف الصور ، وأصبحت هذه الثروة بين أيدي العلماء لاعطاء المزيد من التفسيرات الجديدة لها ، وجهت السفينة بعيدا عن كوكب المشتري لتكمل رحلتها ميممة وجهها شطر الكوكب التالي زحل . ومن المقرر أن تبلغه في نوفمبر عام ١٩٨٠ لتقوم بنفس المهام معه . غير أن السفينة التالية « فواياجير ـ ٢ » ستكون في طريقها من جديد الى كوكب المشتري لالتقاط مزيد من الصور ، ولا شك أن العلماء يركزون على محاولة جمع المزيد من المعلومات عن الحزام الذي اكتشف أخيرا حول المشتري .

وهكذا تمضي الجهود تباعا في كسر حلقات المجهول ، عن جاراتنا كوكب المجموعة الشمسية ، في محاولة للوصول الى اجابة شافية للسؤال الذي يحيرنا منذ الأول ، هل نحن سكان هذا الكون وحدنا ؟ .. ■■

م . سعد شعبان

أقوال معاصرة

■ الشيطان يحاول الان ان يفسد ما حققته الثورة الايرانية ، ويجب ان نطارده ونستبعده •

الامام آية الله الخميني


الخميني

■ دبلوماسية القوة والزوارق العسكرية لم تعد سياسة حكيمة من جانب الدول الكبرى ، فضلا عن انها مرفوضة تماما •

الشيخ سعد العبدالله

ولي العهد ورئيس وزراء الكويت •

■ ستكون « دولة لبنان الحر » هي الدرع الواقي لاسرائيل !

الرائد سعد حداد

في حديث مع تلفزيون العدو •


الشيخ سعد

■ على الامريكان ان يفهموا انه اذا لم يكن هناك حل شامل في المنطقة ، فان مصالحهم كلها ستصبح مهددة ، وهم يحرقون حتى اصدقاءهم دون ان يدروا •

المفكر الفرنسي كلود بورديه •

■ ان الضفة الغربية وقطاع غزة هما جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل •• ولن تكون ابدا دولة فلسطينية ولن يكون هناك انتقاد لسياسة اسرائيل في مناطق الحكم الذاتي •

حاييم لاندو ـ وزير المواصلات الاسرائيلي


ماركوس

■ واهمون اولئك الذين يطالبوننا بالحياد لان انحيازنا الى الولايات المتحدة الامريكية موقف لا بديل عنه •

الرئيس الفلبيني فردناند ماركوس

■ يجب الا يعامل صديق للولايات المتحدة منذ ٣٧ سنة كشاه ايران، مثل الهولندي الطائر الذي لا يستطيع ان يجد مرفا يرسو فيه •

هنري كيسنجر

وزير خارجية امريكا السابق


كيسنجر

■ المهم ان يحصل الفلسطينيون على حق تقرير المصير ، وبعد ذلك سيقررون كل شيء بشأن مصيرهم •

شفيق الحوت

ـ مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين ـ بيروت •

■ لقد كرهت نفسي والحياة ، لانني لا استطيع الصعود الى الباص ، كل ذلك لانني اتخذت قرارا بالدفاع عن وطني ، وخضت الحرب في فيتنام •

جون لانكستر ـ رئيس رابطة المشوهين الامريكيين •

العالم من حولنا

تطبيقات نظرية الحرب

شهدت منطقة الشرق الاوسط خلال الشهور القليلة الاخيرة عديدا من الحروب « المحدودة » . واستخدم تعبير حرب محدودة لانه هكذا يطلق عليها السياسيون وعلماء السياسة في الدول العظمى . اذ طالما ظلت الحروب محصورة بين التوابع او بين صغار الامم فهي محدودة ، ولا يجعلها اقل محدودية ارتفاع عدد ضحاياها او الخسائر الاقتصادية الناجمة عنها .

وتختلف الحروب المحدودة عن بعضها باختلاف درجة سخونتها ونوعية وتعدد اطرافها . فهناك حروب ساخنة كالحرب بين شطري اليمن والصومال والحبشة ، وهناك حروب يجري تسخينها ـ او على الاقل لا يجري تبريدها ـ كالحرب بين الجزائر والمغرب والحرب بين مصر وليبيا . وهناك حروب بين ابناء الوطن الواحد كحرب لبنان وحرب تشاد وحرب الاكراد ، وهناك ثورات وانفعالات وتمردات في ايران وافغانستان وتركيا .

ولا يعنينا في هذا المجال حصر حالات العنف التي تسود منطقتنا العربية وهوامشها في الشرق الاوسط ، ولكن يعنينا البحث عن عناصر مشتركة توحد بين هذه الانواع المتنافرة ، علنا نجد تفسيرا منطقيا لهذه الظاهرة . وبشكل انطباعي أقدم هذه الملاحظات السريعة :

أولا : ان العالم العربي محاط ـ ولاول مرة ـ بسلسلة من بؤر التوتر والقلق وعدم الاستقرار ، ففي الشرق ثورة في ايران وافغانستان . وفي الجنوب والغرب حروب بين اوغندا وتانزانيا وبين الصومال واثيوبيا وعلاقات تتدهور بسرعة بين السودان واثيوبيا ، وحرب في تشاد ، وفي الشمال قلق وتوتر في تركيا وتحرك بين اكراد ايران .

ثانيا : ان العالم العربي ـ ولاول مرة ايضا ـ يتمزق بصراعات داخلية غير محورية اي ان الحروب

المحدودة في الوطن العربي

بقلم : جميل مطر

السائدة والصراعات القائمة تنشب بشكل لا يسمح بانشاء تكتلات عربية واسعة تحسم الصراع سلما او حربا ، بل هي من النوع الذي يؤدي الى تفتيت العمل العربي الجماعي او شبه الجماعي .

ثالثا : ان معظم اطراف الحروب والثورات السائدة في المنطقة يمارسون حروبا او اشكال عنف يصعب خضوعها لتصنيف منطقي يجمع بين الحروب ذات الاسباب العقائدية او بين الحروب ذات الاسباب الاقتصادية او غيرها من اسباب الصراع المعروفه .

رابعا : ان الصراع الاساسي في المنطقة الناشب بين العدو الصهيوني والامة العربية يتوارى وتقل درجة سخونته وينخفض الاهتمام به جهدا ووقتا مع كل حرب جديده في العالم العربي او في هوامشه .

الوفاق والحروب المحدودة

كنا كدول صغيرة في زمان الحرب الباردة وخاصة في عهد ايزنهاور ودلاس ، نحسب ألف حساب لرد الفعل الغربي ازاء تصرفاتنا التحررية والاستقلالية ، ووجد بيننا في هذه الدول من اشفق على مصر حين تجاسرت وفرضت ارادتها على احد ممرات التجارة العالمية ، وكان رد الفعل عنيفا ودرسا قاسيا لكل من تسول له نفسه التعرض لمسارات التجارة والنفط او السماح لاعداء الغرب بمد بعض نفوذهم اليها .

ولقد كان الفهم العام لعلاقات الدولتين العظميين ان المواجهة بينهما مواجهة مصيرية للعالم كله ، اذ منذ ازمات البلقان وبرلين ظن العالم ان جميع المواجهات ستكون على هذا النمط ، الامر الذي يجعل البشرية في خطر دائم بسبب الاسلوب الذي اختطه القطبان لمواجهاتها الدولية .

ثم كان الاتحاد السوفيتي اول من بدأ اسلوب ممارسة المواجهة عن طريق اتباعه . مكتفيا بمد هؤلاء الاتباع بالعتاد والخبراء ، بينما استمر القطب الامريكي مستخدما اسلوب الممارسة الفعلية للحرب في مواجهة الاتباع او قوى التحرر العالمي . ولاشك ان فيتنام كانت الدرس الذي اقنع الامريكيين بفائدة النظرية

السوفيتية . اذ طالما ظل نظام القطبين قائما ظل التنافس على مناطق النفوذ مستمرا ، سواء كانت علاقات القطبين يسودها التوتر كما في ايام الحرب الباردة ، او اكتست بالوفاق كما هو الحادث حاليا . وحين تأكدت الولايات المتحدة ان استمرار ممارستها بنفسها حروبها المحدودة يؤدي الى اضعاف قوتها وهيبتها وان المواجهة المباشرة كبديل آخر صارت امرا في حكم المستحيل بالنظر الى نوعية الاسلحة والصواريخ المخزونة لدى الطرفين ، لم يعد امام القطب الامريكي سوى الاعتراف بفشل سياسته والاقتناع بجدوى السياسة السوفيتية التي تعتمد على حروب يمارسها الاتباع والاصدقاء .

بذلك اصبحت الحروب المحدودة جزءا من مفاوضات الوفاق وليست عنصرا من عناصر المواجهة العسكرية بين القطبين . فالوفاق كما شهدناه ـ ونشهده ـ لم يكن اتفاقا أو حدثا وانما عملية مستمرة من محاولات ابعاد خطر المواجهة العسكرية المباشرة عن طريق تعدد وتنوع المواجهة غير العسكرية وغير المباشرة ، والحروب المحدودة في مناطق اخرى غير مناطق المواجهة المباشرة (اوروبا واليابان) ، تعتبر احدى هذه المحاولات الامنة لتحقيق التنافس المشروع على مناطق النفوذ ، بشرط ان تمارسها اطراف اخرى تابعة او صديقة للقطبين المتنافسين .

مفهوم الوفاق لمناطق النفوذ

الا ان تبدل طبيعة العلاقات بين القطبين العظميين من حالة التنافس بالمواجهة خلال الحرب الباردة الى حالة التنافس بالوفاق استلزم وضع محتويات جديده لمفاهيم سائدة ـ مفهوم الاحلاف مثلا ـ لم يعد يعني نفس الشيء لما كان يعنيه خلال الحرب الباردة ، بل يمكن القول ان المساحة الاكبر من العالم خارج دائرتي القطبين صارت ارضا مفتوحة للتنافس الجديد . بمعنى اخر لم تعد هناك دولة صغيرة او منطقة باسرها محظور على القطب الاخر ان يحاول النفاذ اليها دون ان يهدد نفسه او العالم بمواجهة نووية مباشرة .

لقد اصبح من الممكن ان يشمل القطب السوفيتي بنفوذه دولة او منطقة تسيطر على ممر او خليج بالغ الاهمية من الناحية الاستراتيجية دون ان يقدم القطب الاخر على التصدي مباشرة لهذا النفوذ . وربما فسر بعض اصدقاء الغرب هذا الموقف من جانب القطب الامريكي على انه تساهل او تفريط او اهمال لحلفائه واصدقائه . بل وحدث ان القلق ساد دولا كثيرة تعتمد في امنها واستقرارها على الولايات المتحدة . ان هذا القلق ناشيء في الحقيقة عن اختلاف في الفهم لمحتوى نفس التعبير او المفهوم في السياسة الدولية . واذا صح القول فإنه يسود تخلف عام لدى معظم الدول النامية في هذا الناحية ، اذ لا زال اغلبها يعيش في اطار مفاهيم الحرب الباردة ، ومنها ان الدولة التي تقع تحت نفوذ قطب دولي فانها لا شك ستعمل يوما ما على حرمان القطب الآخر من مصادر تموينه او استخدام الممرات المائية الاستراتيجية التي تطل عليها .

هذا النوع من الفهم لا يستقيم مع قواعد السلوك الدولي الراهن . . اذ انه يفترض مرة ثانية ان القطبين مستعدان لمواجهة عسكرية مباشرة ، وهو امر لم يعد ممكنا ، فضلا عن انه اذا وصل تدهور العلاقات بين القطبين الى حد التهديد بالمواجهة العسكرية المباشرة ، فان نوعية الاسلحة والصواريخ التي توجد في حوزة القطبين تجعل المواجهة لا تعتمد على قاعدة عسكرية بهذه الدولة النامية او تلك .

الى جانب ذلك ، فان الدولة التي تصبح قاعدة لنفوذ اي من القطبين او التي تمتلك من المادة الخام أو الموقع ما يجعلها رصيدا استراتيجيا هائلا للقطب الذي تصادقه او تخضع لنفوذه ، هذه الدولة لن تستطيع بامكانياتها العسكرية المتواضعة ان تقوم باعمال تهدد حدود التوازن بين القطبين ، وستظل حركتها الدولية والاقليمية مقيده بارادة القطب التابعة له ، وهو الطرف الذي يدرك جيدا حدود مصالحه الدولية الاكبر وعلاقاته بالقطب الاخر .

وفي ضوء المفهوم المتخلف لقواعد السلوك الدولي لم يكن رد الفعل الامريكي لنظام منجستو في اثيوبيا شافيا لاصدقاء او اتباع الولايات المتحدة ، ولم تنته حتى الان حيرة المراقبين التقليديين تجاه السياسة الامركية التي مورست في ايران خلال العام الاخير .

وبنفس الفهم تحاول بعض الدول التطوع لانقاذ القطب الامريكي مما تتصوره ازديادا خطرا لنفوذ القطب السوفيتي في مناطق تعتبرها هذه الدول بالغة الحساسية للمصلحة القومية الامريكية . والواقع انه لا توجد دولة منفردة في القرن الافريقي او على مشارف البحر الاحمر او في شرق افريقيا تستطيع منع وصول النفط الى الولايات المتحد اعتمادا على صداقتها للاتحاد السوفيتي أو تبعيتها له ، لان اذا اراد الاتحاد السوفيتي ان يفعل ذلك فانه يكون قد اتخذ مسبقا قرارا بالمواجهة النووية المدمرة لجميع الاطراف ، وهذا قرار لا يتطلب ان يسبقه قرار اخر بالايعاز الى منجستو او غيره بمنع مرور الناقلات او تهديدها .

ومع ذلك فان الحاصل يشير الى ان القطب الامريكي لا يمانع ان تتحمس للدفاع عن مصالحه دولة او اخرى من دول هذه المنطقة ، لانه في هذا الحلة تكون الفائدة مضاعفة ، اذ يستمر التنافس بين القطبين عن طريق اتباعهما او اصدقائهما بعيدا عن المواجهة المباشرة ، ويستمر طلب الدول الصغيرة للسلاح فتمتص الصناعة الغربية الفوائض المالية ، وتنشأ اهداف لهذه الدول تبتعد بها عن السعي لتحقيق اهداف اكثر خطرا على المصالح القومية للولايات المتحدة .

التجربة الكوبية في العالم النامي

ان القلق الذي يساور كثيرا من دول الشرق الاوسط وبالذات بعض الدول العربية ، من « عدم اكتراث » الولايات المتحدة ازاء ظاهرة قيام نظم تابعة او صديقة للاتحاد السوفيتي ، هو من نفس نوع القلق الذي ساور حكام امريكا اللاتينية بعد نشأة نظام كاسترو في كوبا . وكان الرأي السائد بين قلة من المفكرين في القارة اللاتينية ـ وكان رأيا مرفوضا من كل قطاعات صناعة القرار السياسي ـ ان كوبا تخدم الاستقرار في امريكا اللاتينية لمصلحة الولايات المتحدة ، لانها تمثل خطرا نظريا يهدد كل حكومات المنطقة فيدفعها لمزيد من الحرص وعدم التساهل مع القوى المعارضة . وبعد حوالي ربع قرن من قيام حكم كاسترو قال مندوب الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، والمبعوث الشخصي للرئيس كارتر لحل العديد من المشاكل الافريقية ، ان الوجود الكوبي في القارة الافريقية عنصر استقرار في هذه القارة .

امامنا الدليل اذن على ان التجربة الكوبية لم تهدد مصالح الولايات المتحدة في القارة اللاتينية بل على العكس لدينا اكثر من دليل مادي على ان كوبا الماركسية حققت استقرارا مهما في القارة اللاتينية وساعدت على استمرار هيمنة الاستبداد العسكري في معظم انحاء القارة . ولدينا الدليل الاخر على انها تساهم في منع انفلات القارة الافريقية الى وضع يسيء للمصالح الغربية فيها .

ولربما كان المفروض ان تقوم اسرائيل بالمهمة الكوبية في المنطقة العربية . وربما ايضا كان فشل اسرائيل في القيام بهذه المهمة لطبيعة العداء القومي بينها وبين العرب هو السبب في ان الولايات المتحدة صارت اكثر ميلا لعدم الحيلولة دون قيام « كوبات » في الشرق الاوسط ، وبذلك يتحقق الامن للمصالح الامريكية عن طريق خصم مقيد الارادة محكوم التصرفات والانفعالات وهو مالم يتحقق عن طريق حليف حر الارادة مطلق التصرفات قد تتعارض طموحاته الاقليمية مع بعض المصالح الامريكية .

الحروب المحدودة حولنا

من بالغ الضرر ان تعتبر ان مظاهر العنف التي تجتاح المنطقة العربية وحواشيها من صدف العصر ، او انه لا يوجد بينها قاسم مشترك ، صحيح ان الصراعات والخلافات العربية ليست امرا جديدا على الامة العربية وصحيح انها تصل احيانا الى حد الاشتباك بالسلاح ، ولكنها لم تكن في اي وقت نابعة اساسا من جذور خارج المنطقة . ففي معظم الصراعات التي عرفها الوطن العربي في السابق كان الدور الاجنبي يأتي عنصرا مساعدا و مستفيدا من الصراع ، وفي معظم الصراعات استطاع الوطن العربي ان يحافظ على اقليميتها ويمنع محاولات تدويلها . أما الان فأكثر صراعاتنا يلعب

العنصر الاجنبي فيها الدور الاساسي سواء في اشعالها او في توجيه مساراتها . واكثرها ايضا تجاوزت حدود الوطن فصارت تناقش في منظمات دولية اخرى غير الجامعة العربية او تمول وتسلح من قوة عظمى .

والعنف كظاهرة من ظواهر السياسة التي صاحبت نشأة المجتمع الانساني ظاهرة لها ايجابياتها وسلبياتها ، ولا يمكن تجاهل ايجابياتها بالنسبة لتقدم البشرية والتطور الاجتماعي والاقتصادي وعملية بناء الامم ، الا اننا لا يمكن ان نتجاهل انواع العنف التي دمرت كثيرا من الحضارات والمجتمعات الانسانية وعطلت مسيرة التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وفي تاريخ الامة العربية سجل حافل لعنف اقام حضارة ونشرها في ربوع واسعة ولعنف دمر هذه الحضارة . وفي كل هذه الاحوال كانت الافكار التي تشعل العنف والاهداف الموجه ضدها او من اجلها ، هي المعيار الذي يحدد ابعاد ايجابياته وسلبياته .

وبالتحليل المتأني للعنف الواسع الناشب حاليا في المنطقة تتضح الامور التالية :

أولا : انه في اغلب الاحوال يأخذ شكل « الحروب المحدودة » ، اي ان اطرافه المحلية تحارب بعضها من اجل تحقيق اهداف غير عربية .

ثانيا : انه يأتي بعد مرحلة استهدفت فيها اطراف دولية ومحلية متعددة فكرة القومية العربية والعمل العربي الواحد ونجحت في كبح جماحها وتم خلالها تقليص امال واهداف الامة ، واحلال مذاهب براجماتية محل الفكر القومي .

ثالثا : ان حواشي المنطقة العربية صارت تحظى باهتمام الاطراف العربية اكثر من اهتمام هذه الاطراف ببعضها ، وبذلك يتحقق هدف تقليدي لاعداء الامة العربية الذين عملوا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على وأد فكرة النظام العربي ، وترسيخ نظرية نظام الشرق الاوسط . فالنظام العربي لا يمكن ان يسمح باندماج اسرائيل ويرفض وجودها عمليا كما يرفضه نظريا ، بينما في ظل نظام شرق اوسطي تصبح هوامش النظام العربي اطرافا عضوية تتساوى مع الاطراف العربية وتتفاعل معها في اطار غير عربي . ولذلك لا يفيد اسرائيل كثيرا ان تتحول دولة هامشية كايران الى مناصبتها العداء ، بقدر ما كان يضيرها اصرار العرب على اعتبار ايران وتركيا دولتين هامشيتين .

رابعا : انه بتحول الاهتمام الى الدول الهامشية كايران وتركيا وافغانستان وتشاد يخف التركيز العربي على اسرائيل . هذا التحول في حد ذاته يمكن اعتباره ضمانا « لأمن اسرائيل » افضل كثيرا من اي ضمان مادي او معنوي يمكن ان تقدمه الولايات المتحدة تحفيزا لها على توقيع معاهدات سلام منفصلة او شامله .

خامسا : انه في ضوء اكتشاف بعض الدول النفطية لسوء استغلال الدول الصناعية الكبرى للفوائض المالية العربية عن طريق امتصاصها برفع اسعار منتجاتها ، لجأت معظم الدول النفطية الى تقليص الانفاق الخارجي ، الامر الذي قد يؤدي الى مشكلات اقتصادية في الدول الصناعية التي وضعت خططها على اساس امتصاص الفوائض لآجال معينه ، ولا شك ان الحروب المحدودة وسيلة ناجحة ومضمونة لتعويض الفاقد في المشتريات الصناعية والاستهلاكية عن طريق زيادة مشتريات السلاح .

سادسا : ان الحروب المحدودة اسلوب فعال لارضاء طموحات الدول الصغيرة التي فقدت ادوارا رئيسية في العمل الاقليمي او الدولي ، والدول التي تسعى لتلعب أدوارا لا تتناسب مع امكانياتها اذا عملت منفرده .

سابعا : ان التغيرات التي طرأت على المنطقة العربية بعد عام ١٩٦٧ نتيجة الحربين ورفع سعر النفط والصدمات الدبلوماسية الامريكية المتعاقبة تسببت في تغيير معدلات القوة السياسية ولم تنشيء توازنا اقليميا جديدا . في ظل هذه الوسيلة الاقليمية تصبح الحروب المحدودة دوامات تنزلق اليها بسهولة الاطراف التي لم تكتمل لها عناصر القوة الاقليمية ، فتضطر الى تدعيم روابطها بقوة خارجية او ترهن المصالح القومية والوطنية لصالح اهداف جزئية ووقتيه . ■■

القاهرة ـ جميل مطر

مارجريت تاتشر

أقوى امرأة فى أوروبا

بقلم : منير نصيف



فى عام المرأة الدولى « ١٩٧٥ » فازت مارجريت تاتشر بزعامة حزب المحافظين وفى هذا العام أصبحت أقوى امرأة فى اوروبا ... الى اى جانب تنتمى هذه المرأة !؟

هل تركب رياح التغيير والى متى ؟

■ لو ان ادموند بيرك فيلسوف المحافظين الكبير في القرن الثامن عشر كان حيا اليوم ، لمن كان سيعطي صوته في الانتخابات العامة التى جرت في بريطانيا ؟ الزعيمة المحافظة التى رأست اول حكومة في اوروبا ام للرجل الذى اكتشف فجأة في مبادىء بيرك وفلسفته خير منقذ له ، فراح ينادي بالعيش مع «الشرور» القديمة التي اعتادها الناس» لانها افضل على اية حال من « الفضائل » الجديدة التى لا يستطيع احد ان يتكهن في النهاية بنتائجها !

حيرة ، لابد ان بيرك كان سيجد نفسه فيها ، لو انه عاش هذا اليوم الذى مرت به بريطانيا منذ سقوط حكومة العمال برئاسة جيمس كالاهان ، عندما سحب الشعب ممثلا في نوابه ثقته بها ، وكانت اول مرة تفقد فيها حكومة بريطانية ثقة الشعب منذ ٥٥ عاما ، فيضطر رئيس الحكومة الى تقديم استقالة حكومته ، ويدعو الى اجراء انتخابات عامة حتى يتمكن الشعب من اختيار حكومة جديدة يعطيها ثقته !

ثورة

وحيرة فيلسوف المحافظين في هذا الذى جرى ويجرى امامه ، ان رئيسة الحكومة الجديدة ، والوريثة الطبيعية الشرعية لزعامة الحزب الذى ساهم في خلقه ورسم له مبادئه ، تعلن تمردها على التقاليد ، وتدعوا الى التغيير الذى طالما حاربه وهو يقف مبشرا معلما مؤكدا ضرورة الابقاء على ما هو قائم ، ومقاومة التجديد والتغيير .. فقد كانت هذه وما زالت ، هي مبادىء حزب المحافظين وسياسته !

ثم على الجانب الاخر .. صوت زعيم حزب العمال ورئيس الحكومة المستقيلة المهزومة ، وقد اصبح بين يوم وليلة من « غلاة المحافظين » ، ووقف يعلن في خطابه الذى القاه على الشعب في بداية الحملة الانتخابية : « هل يريد الانجليز ان يروا كل شيء من حولهم يستاصل من جذوره؟» وكأنه يريد ان يقول لهم : « احموا النظام العمالي القديم بالرغم من كل اخطائه .. فالشيطان الذى تعرفونه خير من الشيطان الذى لاتعرفونه !! » .

فلسفة بيرك !

من هنا كانت الحيرة التى توقعوها للرجل الذى قامت فلسفته على اعلان الحرب على كل ماهو جديد ، حتى عندما قامت الثورة في فرنسا ، وقد ادركها في حياته التى امتدت من عام ١٧٢٩ حتى عام ١٧٩٧ ، لم يتردد في الدفاع عن نظام الحكم القديم رغم كل شروره ومساوئه ، وكانت صيحته : « لقد ظل هذا النظام الملكي قائما لفترة طويلة .. ان جذور الملكية والارستقراطية القديمة قد غرست في الارض بقوة ، بحيث اذا حاولنا اقتلاعها ، فقد ينقلب كل ما حولها ، وتشيع الفوضى والاضطراب !! »

الى هذا الحد من العداء التقليدى لكل ماهو جديد . ذهب بيرك في فلسفته ! وتمر السنون وتتردد الصيحة من جديد ولكن على لسان الرجل الذى قامت سياسة حزبه على قبول كل ماهو جديد ، طالما انه في النهاية سوف يعود بالخير على الشعب ، والطبقة العاملة الكادحة منه بصفة خاصة !!

ويذهب الفيلسوف المحافظ ، وتبقى فلسفته ولكن مرة اخرى في رأس الرجل الذى طالما اعتمد هو ومن كان من قبله من زعماء العمال على استنكارها والسخرية منها ، في كل حملة انتخابية جاءت بهم الى مقاعد الحكم في بريطانيا !

التغيير .. التغيير !

ثم تظهر هذه السيدة « المحافظة » لتعلن الثورة على هذه الفلسفة القديمة التى تعتبر تحديا لروح العصر ، وتعلن بقوة : « لقد خانت حكومة العمال العهد ، وحان وقت ذهابها لا بد من التغيير » .. لقد بقي العمال في الحكم ١٤ عاما متصلة !

وذهب العمال ، وجاء المحافظون برئاسة مارجريت تاتشر المرأة التى قلبت كل الموازين ، وضربت بالتقاليد « المحافظة » عرض الحائط في بلد التقاليد !

من هي هذه المرأة وماهي سياستها ؟ وكيف

ستواجه المرحلة العصيبة المقبلة بعد ان اعلنت تحديها السافر لاتحادات نقابات العمال القوية ، التي وصفتها بانها اصل البلاء والشر في بلادها ؟ انها تؤمن بان المخرج الوحيد للازمة الاقتصادية الطاحنة التي تمر بها بلادها ، هو مزيد من العمل والانتاج مع مضاعفة الحوافز ، وتخفيض اعباء الضرائب عن كاهل الطبقة العاملة بصفة خاصة.

اول امرأة

ومارجريت هي اول امرأة تنتخب زعيمة لاحد اكبر حزبين سياسيين في بريطانيا ، وقد جاء انتصارها الاول – زعامة حزب المحافظين – في الوقت الذي كان العالم كله يحتفل فيه بالعام الدولي للمرأة وهو عام ١٩٧٥ . ومنذ ذلك الوقت وهي تتعلم « لعبة السياسة » وكيف يجب ان تكون وخاصة عندما ذاقت مرارة الفشل وهي وزيرة للتعليم في حكومة المحافظين برئاسة ادوارد هيث، فقد دعت الوزيرة الى الغاء توزيع الحليب بالمجان على الاطفال في المدارس ، وقالت في تبريرها لهذا الاجراء ان معظم اهالي التلاميذ الصغار في هذه المدارس قادرون على دفع ثمن كوب الحليب لاطفالهم ، ثم ان الاموال التي ستوفرها الدولة من ثمن هذا الحليب الذي يوزع بالمجان ، سوف تغطي نفقات بناء ٧٥ مدرسة ابتدائية جديدة للاطفال الذين ضاقت بهم المدارس الموجودة حاليا في مختلف انحاء بريطانيا ! واثار القرار سخط الاباء واستياءهم ، ووصفها البعض « بسارقة لبن الاطفال » ! Thatcher milk snatcher .

ولكن مارجريت تاتشر لم تستسلم للهزيمة ! فبعد عام واحد من هذه « النكسة السياسية » استطاعت ان تنتزع زعامة الحزب من ادوارد هيث، الرجل الذي دفعها وشجعها ونقلها من نائبة في المقاعد الخلفية في مجلس العموم ، الى متحدث بلسان الحزب .. ومدافع عن سياسته ! وكانت خطوة جريئة ، وكانت في الوقت نفسه مفاجأة للكثيرين من زعماء الحزب الذين رفضوا تحدي هيث ، بدافع من الولاء والخجل !

ويقول اصدقاء مارجريت المقربون اليها : «لعل اهم ميزة في هذه المرأة انها تؤمن دائما بسياسة المواجهة فهي لاتعرف الطريق الى الباب الخلفي، وتؤمن بالنوافذ المفتوحة ، ولكنها لاتدخل منها »!

النجاح .. عادة !

ومارجريت امرأة غير عادية ، وقد اجمع اصدقاؤها وخصومها على انها سيدة على قدر كبير من الذكاء ، تتمتع بشخصية قوية ، لاتؤمن بالفشل ، وهي تقول دائما : « ان النجاح عندها عادة » ! وهي تعرف طريقها اليه ، وتعرف ماذا تصنع من اجل بلوغه ، ثم ان النجاح لا يخطئها لانها تستحقه فهي شديدة الثقة بنفسها !

حدث عندما كانت طفلة في التاسعة ، انفازت بالجائزة الاولى على القائها لقصيدة في مهرجان للشعر اقيم بمدينة جرانتام بمقاطعة لنكولنشاير، وحملت الطفلة هديتها ، وعادت الى مدرستها ، فلما لقيتها ناظرة المدرسة ، قالت لها : « لقد حالفك الحظ يا مارجريت » ؟

ولكن مارجريت الصغيرة لم يعجبها تعليق الناظرة ، فسارعت تقول لها : « لا .. انه ليس الحظ ياسيدتي ، فانا استحق النجاح » !

ابنة بقال !

ولدت مارجريت لابوين فقيرين من عامة الشعب وكان ابوها الفريد روبرتس بقالا ، وامها « خياطة » .. وكان من الممكن ان تنتهي دراستها ، كما يحدث احيانا في الاسر الفقيرة الكادحة في الريف ، عند المرحلة الابتدائية او الثانوية على الاكثر ثم تبحث عن عمل تعاون بدخلها منه اسرتها الكادحة ولكن ابويها صمما ، شانهما شان الكثيرين من الاباء ، على ان تكمل الفتاة الصغيرة تعليمها الجامعي .

ربما كانت نزعتها الى « التغيير » في اسلوب الحياة التي تعوداها وشكلها ، هي السبب ، والان فقد ورثت مارجريت تاتشر عن اسرتها ، اصرارها على تجربة كل ما هو جديد طالما انها مقتنعة بجدواه ونفعه !

وحصلت « ماجي » ، وهو اسم « الدلع » الذي كانت تناديها به امها ، ثم زملاؤها في الجامعة ، وفي البرلمان ، على بكالوريوس العلوم في جامعة

اكسفورد (شعبة الكيمياء) ، ودرست القانون بعد ذلك ، ورأست جمعية المحافظين بالجامعة ، وكانت ثاني امرأة تتولى هذا المنصب !

•• الزواج وظيفة

وفي الجمعية التقت بالرجل الذي اصبح فيما بعد زوجا لها وهو دينس تاتشر ، ولم تكن تفكر في الزواج في ذلك الوقت ، لان عملها في الجامعة وفي الجمعية ، يشغل كل وقتها ولانها كانت تؤمن بان الزواج وظيفة ، وان هذه الوظيفة تتطلب تفرغا «نصف الوقت» قبل مجيء الاطفال ، والوقت كله بعد وصولهم ! ولكنها مع هذا استجابت لدعوة دينس وهو يعرض عليها ان تشاركه حياته ، فقد كانت تحترمه وتحبه !

ولم تعط وظيفتها الجديدة كزوجة ، الوقت الذي كانت تريد ان تعطيه لها ، حتى عندما اصبحت اما لتوامين ـ ولدوبنت ـ هما الآن في الخامسة والعشرين من العمر •

هل كانت تهرب !

قالوا عنها كلاما كثيرا ، ووصفتها الصحف الانجليزية وغير الانجليزية بصفات شتى ، ولكن الذين عرفوا مارجريت تاتشر عن قرب يؤكدون انها من اقدر الشخصيات التي تعرف كيف تدير المناقشة وتخرج منها منتصرة • دعاها كالاجان اثناء الحملة الانتخابية الى الظهور امامه في حوار ينقله التلفزيون على الهواء مباشرة ! ورفضت مارجريت ! وقالت الصحف : « هذه اول مرة تهرب فيها من المواجهة •• ثم هي تعرف ان كالاجان « أستاذ » في المناورة وانه سيغلبها ، وان هزيمتها امامه على الشاشة سوف تؤثر على الناخبين وتفقدها الكثير من اصوات المتحمسين لها ! »

وقد يكون لهذا الكلام نصيب من الصحة ، فهناك نقاط ضعف كثيرة فيها ، وهي تعترف بها ، وفي مقدمة ما تأخذه السنة النقاد والاقلام اللاذعة عليها ، انها لا تنفعل للاحداث ، حتى ان البعض يجد صعوبة كبيرة في اكتشاف مزاجها •• وهل هي سعيدة أم غير سعيدة ، حتى لو كانت في قمة انتصارها !

وجه جامد كالصخر

لقد قفز النواب المحافظون من مقاعدهم في مجلس العموم ودوت حناجرهم بالهتاف ، وحدث هرج ومرج عندما اعلنت نتيجة الاقتراع بسحب الثقة من حكومة كالاجان في شهر ابريل الماضي ، وقبل اجراء الانتخابات العامة بشهر كامل تقريبا •• وتطلع الجميع الى « مارجريت » التي كانت هذه اللحظة بالنسبة لها هي بداية السباق في الشوط الاخير الذي سيوصلها الى كرسي الحكم •• فوجدوا وجهها جامدا كالصخر ! ولا حتى شبح ابتسامة صغيرة يوحي بما كان يعتمل في صدرها من انفعالات وهي تسمع نبأ هزيمة خصمها التي تحققت بفارق صوت واحد ، كان صاحبه النائب العمالي قد اصيب بنوبة قلبية ، ابعدته عن حضور هذه الجلسة العاصفة !

اما مارجريت نفسها ، فقد ردت على حملات النقد التي وجهت اليها بسبب رفضها دعوة كالاجان الى الظهور امامه في مناقشة تذاع على الشعب بالصورة والصوت ، بقولها : « ان المشاكل والسياسات التي ستوضع لحل هذه المشاكل والتخفيف من اثرها وحدها هي التي ستقرر مصير الانتخابات •• اية انتخابات ! فهي ليست منافسة بين شخصيات •• نحن لا ننتخب رئيسا جديدا للجمهورية •• ولكننا ننتخب حكومة ! »

وقالوا عنها : « انها تتمتع بقدرة عجيبة على تعرية الناس ، والوصول الى اعماقهم ، تماما كما ينزع المرء قشرة ثمرة الموز قبل اكلها ! »

وهي تقول ان هذا صحيح ، ولعل السبب المباشر وراء محاولاتها الدائبة في البحث عن الحقيقة والوصول اليها ، هو هذا القناع الزائف الذي تراه رئيسة الحكومة البريطانية الجديدة على وجوه الناس !

السياسة •• حملة عسكرية

كتب ستيفن فاى المعلق السياسي لصحيفة صانداى تايمز يصف مسز تاتشر : « انها تمشي وسط الجماهير في خطوات بطيئة وكانها في نزهة ، ويضطر مرافقوها من اعضاء الحزب الى الابطاء

بدورهم حتى تبقى هى دائما فى المقدمة .. ويمضى الوقت ، ويبدأ مساعدو مارجريت فى التطلع الى ساعاتهم .. ثم تتوقف فجأة ، لانها سمعت صوتا يسال وتنصت مارجريت باهتمام الى الناخبين ، وقد مال راسها الى اليسار قليلا ، واخذت تتطلع الى وجه محدثها بعينين نافذتين .. ثم تبدأ فى عملية عد على أصابع يديها وعرض فى نفس الوقت للخواتم التى تزينها . انها تسجل عليها النقاط التى اثارها محدثها .. فاذا ما انتهى ، وجاء دورها لكى ترد ، بدات تتحدث فى جدية ، لا مكان فيها للمداعبة .. انها تختلف عن اى زعيم سياسى ظهر فى بريطانيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، لا لانها امراة فحسب ، بل لانها تعتبر ممارسة السياسة « حملة » عسكرية فى بلد يفضل « الوئام » فى ظل التقاليد ! »

ولعل افضل ما ورثته تاتشر عن والدها ، ايمانه بفضائل العمل المثمر الجاد ، والتعليم ، والاعتماد على النفس والعمل الخيرى على مستوى الافراد . وقد كانت مارجريت تحمل الخبز والفطائر وتذهب الى بيوت الفقراء والمرضى وتقدم لهم مما أعدته لها أمها أو اشترته هى من مصروفها وهى طفلة !

رأيها فى تشرشل

سالوها مرة عن رأيها فى تشرشل والحرب العالمية الثانية قائمة، وقنابل النازى تدك العاصمة البريطانية دكا ، وقد انتقل سكان لندن للعيش تحت الارض فى انفاق المترو .. وقالت تاتشر وكانت يومها شابة فى السابعة او الثامنة عشرة (عمرها الان ٥٣ سنة) : « تشرشل محارب عظيم، رجل لا يعرف الياس ولا الهزيمة .. هكذا يبدو فى الظاهر مع سيجاره وابتسامته التى لا تختفى أبدا .. ولكن من يدرى ، فقد يكون ــ هو والياس ــ فى خندق واحد منذ ان انفجرت أول قنبلة على رأس لندن لا بد أن أتحدث اليه لكى أجيبكم على سؤالكم .

وقالوا عنها انها أم مثالية ، وانها تقدس حياة الاسرة . وتقول هى بفخر : « نعم ، لم ما هى الاسرة ، اليست هى الوحدة الصغيرة التى يتالف منها المجتمع الذى نعيش فيه ! »

وقد كانت صورة الاسرة فى رأسها عندما وقفت تلقى خطابها فى مجلس العموم قبل سقوط حكومة العمال بساعات قصيرة ، لقد استهلت هجومها على كالاجان وحكومته بالحديث عن التضخم وعن الجنيهات الكثيرة التى تنفقها ربة البيت فى السوق، مقابل كميات صغيرة من المواد الغذائية الاساسية التى لا تشبع ولا تغنى عن جوع .. فهى امراة اولا ، والمراة اكثر احساسا من الرجل بالغلاء واثره على حياة الاسرة والمجتمع وخاصة اذا كانت امراة عاملة .. فهى تذهب للاسواق ، وهى التى تشترى، وتدفع ثمن ما تشتريه ! وقالت تاتشر : « التضخم ثم التضخم .. فهو الذى يهدد امن الاسرة ، ويغير من العلاقات بين افراد الاسرة الواحدة ، وعندما يفقد المال قيمته ، تتضاعف عملية الاقتصاد صعوبة ، ويصبح التخطيط مستحيلا ، وبالتالى يبدو المستقبل معتما مخيفا ! »

وهناك ازمات كثيرة تفاقمت فى عهد حكومة العمال ، ولم يفت تاتشر الحديث عنها طوال حملتها الانتخابية ، ومن بينها ازدياد نسبة البطالة وهبوط الانتاج كما وكيفا ، وازمة الاسكان .. ولكن فى مقدمتها كلها الاضرابات العمالية التى شلت الحياة فى بريطانيا ..

تكون أو لا تكون

هل تستطيع مارجريت تاتشر رئيسة حكومة المحافظين ان تواجه اتحادات نقابات العمال القوية، هل تنجح فى وضع حد لاضرابات العمال فى المرافق الحيوية .. انها معركة ايديولوجية ، هكذا تصفها الصحف البريطانية المحافظة ، وستكون اول مواجهة لمارجريت تاتشر مع الحركة العمالية التى تزايدت قوتها بصورة خطيرة فى السنوات الاخيرة .. أما هى فقد أعلنت تحديها لهذه القوة التى باتت تتحكم فى البلاد وكانها « دولة داخل دولة » ، هل تنجح « ماجى » فى الغاء حق العاملين فى المرافق الاساسية فى الاضراب عن العمل مهما كان السبب؟ الاجابة على هذا السؤال هى التى ستحدد الى متى تبقى مارجريت تاتشر فى ١٠ دوننج ستريت ؟

انه ليس مجرد « تغيير » هذا الذى تنادى به رئيسة الحكومة الجديدة .. انه تحد لاكبر قوة فى بريطانيا اليوم ! تكون أو لا تكون ! ■■

حوار جديد حول التراث والتحرر

نظمت الجمعية الفلسفية المغربية بالاشتراك مع الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية مائدة مستديرة فى الفترة ما بين ٢ ـ ٨ ابريل الماضى بمدينتي الرباط وفاس بالمغرب حول موضوعين : الاول « النقد الذاتي للفلاسفة »حيث يقوم بعض الفلاسفة بعرض فكرهم عرضا نقديا امام عدد آخرمن الفلاسفة لتحديد مسارهم الفكرى وتطورهم العقلي ، كنوع من الاعتراف امام النفس بحضور الاخرين لتحديد قدر الفيلسوف •والثانى « التراث والتحرر» لتحديد الصلة بين القديم والجديد او بين الماضى والحاضر او بالتعبير الشائع بين الاصالة والمعاصرة •

والحقيقة انه لا رابط بين الموضوعين • فقد اختار الاتحاد الدولى الموضوع الاول لانه يصدر كل عام مجلدا على عديد من الفلاسفة ، وقد صدر حتى الان اربعة مجلدات لم يحتو اى منها على مفكر عربى واحد من بين سبعة مفكرين اوروبيين على الاقل فى كل مجلد•فى حين اختارت الجمعية الفلسفية المغربية الموضوع الثانى بالاشتراك مع الاتحاد الدولى ، وهو موضوع يهم العالم العربى والعالم الثالث بوجه عام • تبدو النزعة الفردية على الموضوع الاول وتتغلب النزعة الاجتماعية والحضارية والتاريخية على الموضوع الثانى وهو ما يميز بالفعل المجتمعات المتقدمة عن المجتمعات النامية •

وسوف نركز على الموضوع الثانى ، الذى يشكل احدى القضايا الحيوية التى تهم العقل العربى •

٤ اتجاهات

لم يقدم منذ البداية تحديد دقيق لمعنى «التراث» فبينما ظنه البعض هو التقاليد والعادات والسلوك لمجتمع معين اى المعنى الاجتماعى الخالص ، ظنه البعض الاخر ، ومنهم كاتب هذا المقال ، التراث

بقلم : الدكتور حسن حنفي

المكتوب اى الاعمال الادبية (بالمعنى الواسع) التي تركها السلف في الفلسفة والتصوف واصول الدين والفقه • وهي العلوم العقلية النقلية ، او في علوم القرآن والحديث والفقه والتفسير وهي العلوم النقلية الخالصة ، او في علوم الرياضة والطبيعة والفلك والجغرافيا والتاريخ وهي العلوم العقلية الخاصة • وقد ظنه فريق ثالث التراث الشفاهي غير المكتوب والمجهول المصدر مثل الامثال العامية والقصص والاساطير والملاحم الشعبية التي مازلنا نرددها والتي مازلنا نستشهد بها والتي تمدنا بالقيم وانماط السلوك • وظل هذا اللبس قائما طيلة المؤتمر حتى استحال احيانا الحوار بين المفكرين ، بالرغم من وجود بحث اولي عن معنى التراث (التقاليد) •

وقد ظهرت في الندوة عدة اتجاهات في معالجة هذا الموضوع نلخصها في اربعة : الاول الاتجاه النظري الخالص الذي يتناول الموضوع من الناحية النظرية خاصة في العلوم الانسانية • الثاني ، الاتجاه التراثي سواء عند المفكرين الاوروبيين او العرب المسلمين الذي يغلب جوانب الايمان الثالث الاتجاه الماركسي سواء كان انسانيا ام عقلانيا عند بعض المفكرين من المجموعتين الاوربية والعربية•والرابع ، الاتجاه التحرري الذي يمثله كاتب هذا المقال مع بعض المفكرين العرب •

١ ـ الاتجاه النظري : وقد مثل هذا الاتجاه الاستاذ ريو من البعثة الفرنسية بالمغرب في بحثه عن « ماذا تعني التقاليد ؟ » فقد فهم مصطلح Tradition بمعنى التقاليد الاجتماعية وتحدث عن معانيه المختلفة ووظائف التقاليد في الحركة الاجتماعية ، دون ان يربط هذا الحديث بلحظة تاريخية معينة او ان يعطي نماذج محددة في مجتمعات بعينها ، وكان قضية التراث او التقاليد لها حل نظري مسبق بصرف النظر عن تطور مجتمعات بعينها في لحظات تاريخية معينة • كما لم يبين الوظائف المزدوجة بل والمتعارضة للتراث او التقاليد ، فلا تعني المحافظة على التراث والتمسك بالتقاليد بالضرورة نزعة تراثية محافظة للتمسك بالقديم دون الجديد ، وذلك انه في لحظات ضياع الهوية القومية او في معارك التحرر ضد الاستعمار يكون التمسك بالتقاليد تاكيدا للهوية القومية التي حاول المستعمر طمسها• فقد كان الحرص على اللغة العربية وتحفيظ القرآن والتمسك باللباس الوطني في الجزائر والمغرب عاملا مساعدا على مقاومة الاستعمار • كما ان التمسك بمجرد الطربوش الاحمر والزر الاسود والمسواك واطالة الذقون واطلاق البخور والنحر في عيد الاضحى عند المسلمين السود في امريكا تاكيدا للهوية ضد المجتمع العنصري الابيض• والامثلة كثيرة في حرب تحرير فيتنام وفي اعتناء النظم الاشتراكية بالفنون الشعبية كعلامات مميزة للخصوصيات القومية للشعوب • وفي مقابل ذلك قد تكون هذه المحافظة في انظمة رجعية اخرى وسيلة لتغليب الظاهر على الباطن ، والشكل على المضمون ، كما هو الحال في تلك الانظمة التي تغالي في مظاهر التدين الخارجي في اللباس واقامة الشعائر على المضمون الاجتماعي للدين حتى يتصرف الوعي من الجوهر الى المظهر ، ومن المضمون الى الشكل ، وهنا تبدو التقاليد قناعا للتستر والنفاق ووسيلة لايقاف اية حركة اجتماعية تنادي بالتغيير واتهامها بالكفر والالحاد لانها تتجاوز المراسم والطقوس •

وقد حاول الاستاذ موتسوبولوس في بحثه عن « الجهل والاحكام المسبقة» بيان عدم معرفة الناس بمعنى التراث او التقاليد وتحيزهم ضدها او معها ولكن ظل الحديث نظريا خالصا دون ضرب امثلة من مجتمعات بعينها •

ماذا يعني التحرر ؟

٢ ـ الاتجاه التراثي : وهو الاتجاه التقليدي الذي دعا الى التراث القديم والمحافظة على التقاليد الايمانية للمجتمعات في المراحل الاولى من تطورها•وقد مثل هذا الاتجاه الاستاذ مرسييه رئيس الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية واستاذ الطبيعة والميتافزيقا في ان واحد وذلك في بحثه

«هل يؤدي التحرر الى فقد الاحساس بالمقدس ؟» وكانت اجابته بالنفي ، وان التحرر لا يؤدي الى ضياع الشعور بالمقدس. وقد اعتمد في تحليلاته على الطبيعة والوجود مستعملا ثقافته العلمية من اجل تحقيق اهدافه الميتافيزيقية وعلى راسها الدفاع عن الدين وابراز مقولة المقدس في شعور الانسان فالانسان يتحدد بالتعالي او المفارقة على ما يقول المثاليون في تحديدهم مسار الوعي من الخارج الى الداخل ثم من الداخل الى المتعالي.

وقد هاجمه العديد من المفكرين العرب من ان هذه النظرة قد يحتاجها الغرب بعد ان سئم من عقلانيته وعلميته وعلمانيته وتقدمه ، ولكن بالنسبة لنا في المجتمعات الناهضة فان التحرر لابد وان يقضي على كل المحرمات التي تكمن في وعينا باعتبارها مقدسات او « تابوه » لا يجوز لمسه او تناوله او الاقتراب منه مع اننا نفكر فيها ليل نهار بل ولا نفكر الا فيها وهي ثلاث : الله والسلطة والجنس . وكلما زدناها تحريما وتقديسا زاد احساسنا بها وتركيز وعينا عليها. وقد نشات هذه المقدسات في وعينا لاننا حرمنا منها ، حرمنا من التفكير الحر في الدين ،وحرمنا من ممارسة السلطة وممارسة الديمقراطية،وحرمنا من الجنس والحب كسلوك طبيعي للانسان ولم نتصوره الا في زوجة او في مومس ، وانكرناه كحق طبيعي . فالمقدس لا يعني فقط المحرم او التابوه في مقابل الدنيوي بل قد يعني العالم كله ، فالارض المحتلة مقدسة والفقراء الجياع مقدسون ، وثروات المسلمين التي تنهبها القلة مقدسة ، فالمقدس لا يعني الاخرة بل قد يعني الدنيا ايضا . فاذا كان الغرب قد شبع من الدنيا واتجه الى الاخرة عن صدق او نفاق فان مجتمعاتنا النامية مازالت تتحسس طريقها الى الدنيا وتحاول التحرر من تجميد المقدس في صورة كتاب او مكان او زمان او شيء حتى تنق في العالم وتنشط فيه .

وقد سار في هذا الاتجاه كل الفلاسفة الاوروبيون بلا استثناء ليبراليون او ماركسيون مما يدل على ان البناء الحضاري للوعي يجب الانتماء المذهبي له . فقد قدمت الاستاذة باران فيال بحثا عن « حقوق المستنيرين وواجباتهم » مبينة ان نمط المستنير هو المؤمن الذي يحب الاخرين وليس المفكر الحر الذي قامت على اكتافه الثورة الفرنسية، الذي غالى في العقل فانكر الايمان وتطرف في اثبات الطبيعة ونسي ما بعد الطبيعة ، وآمن بالحرية والفردية والمسئولية والمواطنة ورفض الارادة الالهية المطلقة ومدنية السماء .

وقد افاضت في الشرح والتطويل والاقتباس والاستشهاد حتى مل الجميع فكانت في واد والوعي العربي كله في واد آخر .

وقد شارك في هذا الاتجاه الاستاذ محجوب بن ميلاد من جامعة تونس على نحو نسبي في بحثه « الاسلام وحرية الفكر » . فالبرغم من انه اشاد باعلاء الاسلام من شان حرية الفكر وطلب النظر العقلي والبحث عن البرهان ، الا انه اعتبر الغزالي نموذج هذا الفكر الحر الذي يكون فيه العقل مدركا لحدوده ليفسح المجال لملكة اخرى غير العقل وهي البصيرة او الايمان . وقد اقتبس كثيرا من نصوص الغزالي من «المنقذ من الضلال» ليبين حدود العقل لاثبات قيمة حرية الفكر في الاسلام .

عن العقل والثورة

٣ ـ الاتجاه الماركسي : وقد مثل هذا الاتجاه الاستاذ مركوفتش استاذ الفلسفة السياسية في جامعة بلجراد بيوغوسلافيا على نحو ليبرالي والدكتور مراد وهبة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس على نحو عقلاني . فقد قدم الاستاذ مركوفتش بحثا بعنوان « انماط التحرر المعاصر ونظرياته » عارضا نوعا من ماركسيات القرن العشرين . وهو الماركسية الليبرالية التي تجعل من الماركسية هدفا ومن الليبرالية وسيلة كما هو الحال عند سدني هوك في امريكا او عبدالله العروي في المغرب ومثل باقي القرن العشرين مثل الماركسية الوجودية عند سارتر،والماركسية البنائية عند التوسر ، والماركسية البرجسونية عند جارودي ، والماركسية الهيجلية عند كوجيف . وقد بدت الماركسية الليبرالية عند ماركوفتش وكانها نموذج مطلق للتحرر لكل المجتمعات الاشتراكية والراسمالية ومجتمعات العالم الثالث. فالمجتمعات الاشتراكية تنقصها النزعة الانسانية التحررية الفردية ، فتضحي بالحرية الفردية من اجل العدالة الاجتماعية ،والمجتمعات الراسمالية تنقصها النزعة

الاشتراكية لانها تضحى بالعدالة الاجتماعية فى سبيل الحرية الفردية . وانظمة العالم الثالث ضحت بالاشتراكية والحرية معا فلاهي اقامت عدالة اجتماعية فوزعت الدخل القومى على الطبقات الكادحة ولا هى حرصت على حرية الفرد وحقه فى التعبير . ولم يحاول الاستاذ مركوفتش مواجهة الاعتراضات ضده بان هذا النوع من الماركسية الليبراليةهوماركسية الطبقة المتوسطة او تحريفية للماركسية العلمية ، وذلك لان مطلب الحرية ليس مطلب طبقة بعينها،وان كان المثقفون فى كل مجتمع هم الحريصين على التمسك به . والغريب ان تاتى هذه المحاولة منخلال التجربة اليوغسلافية التى تقوم على استقلال الارادة الوطنية والتمسك بحرية القرارالوطنيبالنسبة للمعسكر الاشتراكي. اراد الاستاذ ماركوفتش مضاعفة الحرية حتى اصبحت الماركسية لديه مجرد نزعة انسانية تحررية اشتراكية يكاد يتفق على اهميتها كل المفكرين .

اما الدكتور مراد وهبة فانه قدم بحثا بعنوان « العقل والثورة » جاعلا العقل اساسا للثورة والنظرة العقلانية شرط التحرر ، فالعقل وحده هو القادر على ادراك العلاقات ليس فقط بين الوقائع المادية بل ايضا بين الظواهر الاجتماعية. فاذا ما حدث هذا الادراك وقعت الثورة . وقد وجهت اليه عدة اعتراضات منها انه وقع اسير النظرة الهيجلية التى يبتلع فيها العقل كل شيء وبالتالي فهو يدعو الى ماركسية هيجلية تقوم على احداث الثورة عن طريق العقل . والحقيقة ان العقل بمفرده لا يحدث ثورة بل تحول العقل الى وعى ثورى ، وهو وعى بالطبقة حتى يكون العقل ادراكا اجتماعيا وحركة فى التاريخ . هذا بالاضافة الى ان النظم الليبرالية قد قامت على اسس عقلية فى تنظير العمل وتعقيل الواقع على ما وصف ماكسفيبر . صحيح ان ماركوز تحدث عن العقل باعتباره ثورة فى مقابل ما تطالب به الوضعية التى تعنى مجرد التسليم بالامر الواقع، ولكن هذا العقل هو وعى الطبقة او الوعى الاجتماعي المهدد بالاغتراب والتشيؤ . وقد يكون المقصود من الربط بين العقل والثورة هو تكييف الثورة طبقا للمجتمعات النامية التى ما زالت تدرك بالحدس والالهام حتى يكون هناك ضمان لاستمرارية الثورة وعدم نكوصها .

نحن والتنوير

٤ ـ الاتجاه التحررى : وهو الاتجاه الذى حاول الربط بين التراث والتحرر مبينا كيفية انتقال مجتمع معين ، خاصة المجتمع العربى ، من التراث الى التحرر بالمقارنة مع مجتمعات اخرى مرت بلحظات مشابهة ، فالاتجاه التراثى سكون وتضحية بالتحرر فى سبيل التراث ، والاتجاه الماركسى رغبة فى التقدم دون تحقيقشرطه وهوالاستمرارية والتواصل فى التاريخ . وقد مثل هذا الاتجاه كاتب هذا المقال فى بحثه « نحن والتنوير » . فالتنوير هو هذا الانتقال من التراث الى التحرر او من الماضى الى الحاضر ، او من القديم الى الجديد . حدث ذلك فى نهضتنا الفكرية فى القرن الماضى والذى اطلق عليه بعض لباحثين وصف العصر الليبرالى او عصر الاحياء ، والذى يشمل الحركات الاصلاحية والتيارات العقلانية العلمية الغربية والفكر الاجتماعى السياسى حول الامة والقومية والوطنية والدستور والحرية والديموقراطية . وقد حدث ذلك ايضا فى بدايات النهضة الاسلامية عندما حمل المعتزلة الاوائل لواء الفكر الحر ، وكانوا اول المدافعين عن الاصالة والمتمثلين للمعاصرة حتى اتت المحنة فى القرن الثالث الهجرى . كما حدث ذلك فى الوعى الاوروبى فى القرن الثامن عشر فيفلسفة التنوير التى ورثت الاصلاح الدينى فىالقرن الخامسعشر والنهضة فى السادس عشر والعقلانية فى السابع عشر . خاصة وان مفكرينا فى القرن الماضى مثل رفاعه الطهطاوى قد تتلمذوا على مفكرى الثورة الفرنسية وهم الفلاسفة الاحرار ، وتمثلوا افكار الحرية والديمقراطية والدستور والوطن .فالوعى العربى الان بالرغم من انتكاساته الحالية وكبواته وعثراته ينتقل من التراث الى التحرر .

ويقوم التنوير على عدة مفاهيم هى فى الحقيقة ابنية نظرية او قوالب ذهنية تحدد تصوراتنا للعالم وتوجه سلوكنا سواء كنا خاصة ام عامة. ويمكن تلخيص هذه المفاهيم فى ستة : العقل ، والحرية ، والطبيعة ، والانسان ، والمجتمع ، والتاريخ .

فاذا كان العقل قد ظهر فى كل فلسفة تنوير عقلا مرتبطا بالحس وبالتجارب والمشاهدات كما

هو الحال عند لوك وهوبز وهيوم او عند علماء اصول الدين الاوائل ، واذا كان العقل ايضا عقلا بديهيا استدلاليا قادرا على استنباط النتائج من المقدمات كما هو الحال عند ديكارت وعند المعتزلة الاوائل ، عندما جعلوا النظر اول الواجبات وعندما جعل ابو الهذيل الشك سابقا على النظر • فان العقل في وعينا المعاصر لم يرتبط بالحس بل غاب عنه الواقع المباشر كما انه لم يقم بوظيفة الاستدلال حيث تتسق المقدمات مع النتائج ولكنهظل عقلا صوريا يعمل في لا مادة تعبيرا عن عجزه عن تناول الواقع تخوفا وايثارا للسلامة ، او عقلا وجدانيا ينقلب فيه العقل الى ضده فيعتمد على الالهام الباطني والعلم اللدني •

وذا كانت الحرية قد ظهرت في التنوير الغربي على انها مطلب اساسي وتعني اساسا حرية الفكر قبل حرية العمل ، واذا كان مفكرونا من المعتزلة الاوائل قد مارسوا حرية الفكر وجعلوها شرطا للمسئولية ، فاننا في هذا الجيل انشغلنا في نيل استقلالنا الوطني والدفاع عن حرياتنا السياسية ضد المستعمر الاجنبي • ونسينا حرية الفكر باعتبارها شرط التحديثوضمان استمرار التقدم• فقام « الضباط الاحرار» في جيلنا بمهمة المفكرين الاحْرار حتى وصلنا الى ما نحن عليه من انكار حق التفكير على الاخرين ، ومن غياب للحوار والاراء المعارضة ومن سيادة الرأى الواحد والحل الواحد • وفي الممارسة سادت النظرية الاشعرية التي جعلت فعل الانسان مشروطا بتدخل الارادة الالهية ينتظر منها العون والتوفيق او الضلال والخذلان •

ولما كان الانسان في كل تنوير هو نقطة البداية فالعقل عقل الانسان ، والحرية حرية الانسان ، فان الانسان في وعينا المعاصر لم يتضح بعد كمقولة مستقلة ، ولذلك لم تقحم انظمتنا المعاصرةعلى احترام الانسانعقلا وارادة• وقد ورثنا من تراثنا القديم هذا الغياب ،فوصفنا الله في علم اصول الدين على انه انسان كامل، فالهنا صورة مكبرة لانفسنا ، وجعلنا الانسان طريقا الى الفناء في الله في علوم التصوف وانكرنا الذاتية الانسانية التي حاول اقبال اعادة اثباتها ، وجعلنا الانسان في علوم الحكمة معاصرا بين الطبيعيات والالهيات ، فهو اما بدن او نفس ولكنه ليس عالما مستقلا بذاته يعيش في العالم ، وتصورنا الانسان على انه منفذ للاحكام فيالفقه، وكان الانسان قد خلق من اجل الشريعة وليست الشريعة من اجل الانسان •

مشكلة النظم الاجتماعية

واذا كان التنوير في كل مجتمع يضع الانسان في علاقة مع الاخرين ويؤسس نظاما اجتماعيا يقوم على العدل والمساواة ، بل ويفجر الثورات من اجل ذلك كما حدث في الثورة الفرنسية ، فان نظمنا الاجتماعية ، بالرغم من الثوراتالعربية الاخيرة ، مازالت تقوم على رعاية مصالح الاقلية على حساب مصالح الاغلبية ، لدينا مشكلة الغنى والفقر ، والفيضان والقحط ، فائض الاموال ونقص الاموال • ولم تنجح ثوراتنا الاجتماعية القديمة مثل ثورات القرامطة والزنج في هذ المجتمعات التقليدية التي قامت على النشاط التجاري والاقتصادي الحر ، كما لم تنجح الفرق الثورية مثل الخوارج في تاصيل فكر اجتماعي يؤثر في وعي الامة ويكون رصيدا لثوراتها الاجتماعية الاخيرة •

ولما كان كل تنوير هو تنظير للتقدم وتحويل العناية الالهية الى قانون لتقدم المجتمعات وحركة التاريخ كما حدث عند هردر وكانط ولسنج في المانيا ، فان وعينا المعاصر لم يكتشف البعد التاريخي بعد ، ولم ندرك حتى الان في اي مرحلة من التاريخ نحن نعيش • لقد كانت حضارتنا القديمة تعيش في الخلود وتعتبر الزمان وهما ونقصا وعرضا زائلا كما هو الحال في علوم العقائد والحكمة والتصوف • لقد كان التاريخ لدينا رواية ونقلا على ماهو معروف في علم الحديث ، او طبقات واجيال ومشاهير الرجال في الحياة العامة او في فروع العلوم المختلفة او تاريخ بنوة منذ خلق ادم عليه السلام حتى آخر الانبياء • بل ان ابن خلدون فيلسوفنا للتاريخ تصور التقدم على انه انهيار وان المجتمع لاينهض الا لكي يكبو ويعود على بدء ، وان التاريخ يمر بحركة دائرية تتم في اربعة اجيال• ومازال يغلب على اتقيائنا تصور التاريخ على

انه انحطاط مستمر وبالتالي فلا يحدث تقدم الى الامام الا بالرجوع الى الخلف • ومن ثم غاب احساسنا بالمستقبل ورأينا عصرنا الذهبي وراءنا، واصبح السلف خيرا من الخلف • وقد حدثت اعتراضات عدة من المفكرين والباحثين العرب تتركز كلها حول بيان حدود التنوير القويم او رفض التنوير باكمله لافساح المجال للاشعرية المستمرة او بضرورة بيان كيفية تحقيق التنوير وتحويله الى ثورة اجتماعية وعلى يد من يحدث هذا التحول •

من الالهام الى العقل

ولقد انتهت الدائرة المستديرة فى آخر يوم لها بحوار عام بين جميع المشتركين أوروبيين وعرب عن « التراث والتقدم » وقد ظهر ان المجموعتين تعيش فى عالمين مختلفين ، وهذا طبيعى ،فبالرغم من اننا متزامنان الا اننا لانعيش نفس العصر • فقد ورثت الحضارة الاوربية حوالى ستة قرون من التطور ابتداء من الاصلاح الدينى فى القرن الخامس عشر حتى ازمة القرن العشرين • اما نحن فاننا مازلنا فى نهاية عصر وسيط وبداية عصور حديثة بدانا فى القرن الماضى بالاصلاح الدينى وعصر الاحياء وبدايات التفتح على الحضارة الغربية وبدايات التفكير فى الامة والقومية والوطنية فالمسافة بيننا تقارب خمسة قرون تقل او تزيد •

لذلك لا يوجد نمط واحد للتحديث ، وطريق واحد للانتقال من التراث او التقاليد الى التحرر، ولكن الامر يتوقف على اللحظة التاريخية التى يمر بها اى مجتمع أو كل حضارة • بل يمكن ان يقال ان هناك بناء للتحديث يوصف على النحو الاتى : اذا كان التراث فى حضارة ما مركزا حول الله فان تحديثه يكون بالانتقال الى مركز آخر هو الانسان اما اذا كان مركزا حول الانسان فان التحرر منه يكون بالعودة الى المركز الاول وهو الله • واذا كان التراث مركزا حول الخلود فان تحديثه يكون بنقل المركز الى الزمان اما اذا كان مركزا حول الزمان فان تحديثه يكون بالانتقال الى الخلود • واذا كان الزمان فى تراث ما دائريا فان تحديثه يكون بتحويله الى الزمان كتقدم ، اما اذا كان التراث يحتوى على تصور الزمان الخطى فان تحديثه يكون بالعودة الى التصور الدائرى • واذا كان تراث ما يركز على الدينى فان تحديثه يكون بتحويل بؤرة اهتمامه الى الدنيوى ،اما اذا كان هناك تراث آخر يركز على الدنيوى فان تحديثه يكون بتحويل اهتمامه الى الدينى • وهكذا يستمر البناء من الالهام الى العقل فى تراث او من العقل الى الالهام فى تراث آخر ، من الارادة الالهية الى الحرية الانسانية او من الحرية الانسانية الى الارادة الالهية ، من الايمان الى العمل او من العمل الى الايمان •

وقد يكون النمط الاول هو طريق تحديث مجتمعاتنا الاسلامية وقد يكون النمط الثانى هو طريق تحديث المجتمعات الاوربية • فبالرغم من انهما متزامنان الا انهما ليسا متعاصرين • ويبدو ان هذه الخاتمة هى التى ارضت جميع المؤتمرين فى المجموعتين العربية والاوربية فلم تعد الامور تصاغ بمفاهيم الصواب والخطأ او الحسن أو القبيح او الخير والشر بل بمقياس اللحظة التاريخية التى يمر بها كل مجتمع وكيفية انتقاله الى لحظة تاريخية اخرى •

وقد بذلت الجمعية الفلسفية بالمغرب برئاسة المفكر العربى محمد عزيز الاحبابى كل جهودها لانجاح المؤتمر بالاشتراك مع جمعية « عنان »التى قامت بكل التسهيلات والسهر على راحة المؤتمرين•

وقدمت جامعتا الرباط وفاس كل امكاناتهما للمؤتمر ، كما ساهم فى ذلك معظم الاساتذة فى الجامعتين وخاصة الشبان الجدد الذين يبشرون بخير كثير للامة العربية • كما شارك الطلاب باعداد غفيرة فى الحضور • وقد تفضل المسئولون المغاربة بتقديم كل مظاهر الترحيب والكرم العربى والدعوات فى القصور العربية على انغام الموشحات الاندلسية • وتخلل المؤتمر زيارات لمعالم المغرب ولمدنها الرئيسية ، حتى ازداد يقيننا جميعا بان المغرب هى بحق بلد العروبة والاسلام، وبلد الطبيعة الخلابة والتاريخ العريق • ■■

د • حسن حنفى

استاذ الفلسفة ـ كلية الاداب ـ جامعة القاهرة•



حكايات و أساطير يمنية

بقلم : الدكتور على الراعى

قضيت وقتا حافلا بالمتعة اقرا هـذاالكتاب الصغير : « حكايات واساطير يمنية » ، جمعها المثقف اليمنى الاستاذعلى محمد عبده •

والاستاذ على يعرف القيمة الحقيقيةلهذه الحكايات والاساطير ، فهى عنده محاولة من افراد الشعب اليمنى لتسجيل مواقفهم وعاداتهم وتقاليدهم وافراحهم واحزانهم • وهى فى الوقت ذاته تصورالصراع بين الخير والشر ، وبين الانسان وأعداء الانسان ، وتعبر عن التفاؤل العريض الذى يحس به افراد الشعب من ضرورة انتصار الخير على الشر ، مهما اظلمت الحياة ، وقست الظروف وتفنن الطغاة فى التنكيل بالناس •

---

* الناشر : دار العودة ـ بيروت ـ دار الكلمة ـ صنعاء •



والكاتب يحس بالخطر الذي يتهدد هذه الحكايات ـ خطر الاندثار · فالاذاعتان الصوتية والمرئية ، الى جانب المسجل ، اخذت تحل محل عادة سرد الحكايات والاساطير · والهجرة التي يقوم بها الشباب الان من القرى الى المدن ، ابعدت ما بينهم وبين حكايات واساطير الماضي ، وصرفت عقولهم وارواحهم الي ما تعج به المدينة من وسائل التسلية·

لهذا انحطت هذه الحكايات والاساطير في نظر البعض الى مستوى « كلام العجائز او حكايات النساء » · وهذا ما دفع الاستاذ علي محمد عبده الى المسارعة بتدوين ما يذكر او ما استطاع استقصاءه من هذه الحكايات ، وزاد من حماسه في القيام بهذا العمل انه وجد بعض هذه الحكايات تماثل بعضا من الاعمال الادبية الغربية · وهو راي صحيح ، ساحاول في تحليلي لبعض هذه الحكايات والاساطير ان اؤيده بشواهد تدعم ما وجده الاستاذ علي ، وتناصر الدعوة المؤثرة التي توجه بها في مقدمته الى جمهور الكتاب اليمنيين والعرب كي يتخذوا من هذه الحكايات والاساطير مادة لاعمالهم ، في القصة والرواية والمسرح ·

الجرجوف

في الحكاية الاولى واسمها : « الجرجوف » ، نجد انفسنا مع سرب من الفتيات ، قد تزين بغير ما يمكن من لباس وحلي ، وخرجن يحملن الجرار على رؤوسهن · كان عددهن سبعا ، غير ان اصغرهن كانت افقرهن · لم تكن تلبس لباسا فاخرا ولا حليا ، بل سترت نفسها باسمال بالية ·

سار سرب الفتيات وعيونهن تبحث في كل شجرة عن الدوم الذي خرجن لجمعه ، حتى انتهين الى واد فسيح ، انتصبت وسطه شجرة دوم كبيرة مثقلة بالثمار ، حتى كادت هذه ان تغطي اوراق الشجر ·

ووقفت الفتيات يتداولن فيمن منهن تتسلق الشجرة وتلقي الى الباقيات بالدوم · وواحدة بعد واحدة رفضت الفتيات تسلق الشجرة · هذه تخشى ان يتمزق قميصها الجديد ، وتلك تعتذر بانها استعارت ثوبها من امها ، فهي لا تملك المخاطرة به ، وثالثة تضن بمنديل ورابعة بسروال وخامسة بسحبه ·· وهكذا حتى وصل الامر الى الفتاة السابعة ، الفقيرة ·

لم تكن هذه تملك حجة واحدة تكفيها مشقة التسلق ، فكل ملابسها مزق ولهذا وافقت ـ مكرهة ـ على التسلق ، بعد ان وعدتها الفتيات بان يملان جرتها مع باقي الجرار · ووصلت الصغيرة بعد لأي الى الاغصان المثقلة بالثمار ، فجعلت تهزها فتسقط الثمار ، وتهرع الفتيات الى انتقاء الافضل منها ، والانضج ، ويتركن الاقل جودة او الافرع للبنية المسكينة · وما ان امتلات جرارهن ، حتى غادرن المكان ، تاركات البنت فوق الشجرة ، تبكي وتتوسل وتستغيث ، وما من واحدة منهن تاخذها بها شفقة ·

ومر الوقت ولا من انسان تتوسل اليه الفتاة ان يساعدها · وفجاة رات شبحا يتجه نحوها ، وسرعان ما تبينت فيه « الجرجوف » (١) · كان قد شم رائحتها فاتجه اليها ، واستغاثت البنت به

(١) لا يشرح الكاتب معنى هذه الكلمة وان كان واضحا من الحكاية أنه ما يسمى في حكايات المشرق : الغول ·

كي يساعدها على النزول ، فقال ان وراءه ستة جراجيف ، سوف يلي الواحد منها الآخر ، وترك لها امر الاستعانة بواحد منهم ويأتي الجراجيف الستة ، وكل منهم يحيلها الى من يليه • حتى وصل الجرجوف السابع ، فوافق على ان يعينها على النزول على شرط واحد هو انها اذا وقعت على اصبعه الخنصر فسيأكلها ، واذا وقعت على الاصبع الاوسط فسوف يتزوجها ، اما اذا وقعت على السبابة فسيمتلكها ، وان وقعت على الاصبع الاكبر فسوف يقتلها !

وتوافق الفتاة على هذا الشرط الخطر ،وتلقي بنفسها فتقع على الاصبع الاوسط فيتزوجها الجرجوف من فوره ، ويأخذها الى بيته ، الذي يشبه بيوت الادميين ، وان كان يفوقها بما فيه من اثاث فاخر وحلي نادرة واموال لا تحصى • وفي البيت حول الجرجوف نفسه الى شاب جميل ، استمال قلب الفتاة بما اظهر لها من حب • ولكي يوفر لها المزيد من الثقة سلمها مفاتيح ست من غرف البيت السبع ، ولكنه احتفظ لنفسه بالمفتاح السابع ، وترك للزوجة الشابة حرية التجول في الغرف الست ، وحذرها من ان تحاول دخول السابعة•

وبالطبع يثور فضول الزوجة الشابة ، ويزداد فضولها ثم يتفاقم فلا تستطيع ان تمنع نفسها من محاولة معرفة ما بالغرفة المحظورة • وتبحث طويلا حتى تجد المفتاح ، فلما تفتح الباب تلقى نفسها امام منظر مريع حقا • لقد امتلأت الغرفة باشلاء الضحايا الذين افترسهم الجرجوف على مر الايام• وكان للغرفة باب سري يدخل منه الوحش •

عودة الشقيق

كرهت الفتاة نفسها وحياتها مع الجرجوف ، واستبشعت ان تقضي الايام والشهور مع هذا الوحش المخضبة يداه وقدماه بالدماء • وحدس الجرجوف السر ، وأراد ان يستوثق ، فقال لزوجته انها قد مراها الذبول وان صحتها ليست على ما يرام ، فلعلها تحن الى امها ، التي تركتها وحيدة قبل الخروج مع البنات • واقترح الجرجوف ان يدعو اليها امها ، فوافقت المرأة على الفور • وعلى الفور ايضا حول الجرجوف نفسه الى صورة امها ، وجعلت هذه تحاول ان تحصل من ابنتها على سر شقائها • وهمت الزوجة بان تبوح بالسر ولكنها منعت نفسها في آخر لحظة • واضطر الجرجوف الى ان يحول نفسه الى اخ الزوجة والى صديقة لها ، على التوالي ، حتى ظفر من زوجته بما يؤيد شكوكه : لقد فعلت الزوجة المحظور • غير ان الوحش لا يبطش بالمرأة وانما ينصحها ـ وهو في هيئة صديقتها ـ ان تنسى ما حدث وان تحاول التعايش مع الجرجوف • غير ان الفتاة تعجز تماما عن ذلك •

وذات يوم شاهدت المرأة راعي غنم يرعى اغنامه على جبل يبعد عنها بمسافة فلوحت له بردائها ، فلما جاءها تبينت فيه اخاها ، فتعانقا ، واخبرها الاخ بانه منذ اختفائها وهو دائب البحث عنها في كل يوم •

ويبقى الاخ مع اخته حتى وقت الغروب ، فجاء الجرجوف وشم على الفور رائحة الادمي فقرر ان يبطش به • اقترح على زوجته ان يخرج مع اخيها الى السوق لشراء لحم ، وفي الطريق غدر الوحش بالاخ ، فذبحه وقطعه اجزاء اخذ بعضها وترك بعضا • فالتقطت حدأة الاصبع الاصغر للقتيل وكان يحمل خاتم الاخ ، واتجهت به الى الزوجة واخذت تصيح : واما مريم ، قتل اخوك بين ذراعي؟ وهذا هو اصبعه والخاتم • ثم القت للزوجة بالاصبع والخاتم •

وعاد الجرجوف بلحم الاخ المقطع وقدمه لزوجته على انه لحم اشتراه ، وطلب الى الزوجة ان تطهوه ، فعملت هذه مكرهة ، وجلس الاثنان ليأكلا اللحم ، فجعلت الزوجة تتظاهر بالاكل ، وتجمع من اللحم ما استطاعت ، فلما قام الجرجوف جمعت ما خلفه وراءه من لحم ، ووضعت الجميع في حفرة صغيرة ، واخذت تسقي الحفرة وما فيها كل يوم •

وبعد ايام قليلة نبتت شجرة قرع اخذت تكبر وترتفع اغصانها ، ثم اثمرت زهرة واحدة ، تحولت من بعد الى قرن اخذ ينمو والمرأة تتعهده بالعناية صباح مساء ، حتى نضج فقطفته واخفته عن العيون وداومت على العناية به حتى تشقق ذات يوم ، وخرج منه طفل صغير ، فرحت به الفتاة وعقدت عليه الامل في الخلاص ، فقد علمت انه اخوها وقد عاد الى الحياة من جديد •

وقالت الزوجة للجرجوف انها رزقت منه بولد ،

ولم تخف الولد عنه ، فترك هذا الولد يعيش في امان ، وان فعل هذا على مضض • وكبر الطفل واصبح رجلا ، ووثقت المرأة من قدرته على قتل الجرجوف ، فدفعت له بسيف معلق فوق رأس الجرجوف ، وطلبت اليه أن يضربه ضربة واحدة ـ واحدة فقط ، لا يلحقها باخرى ولا بثالثة ، فان الضربتين التاليتين كفيلتان بان تنقذا الجرجوف من الموت •

ويعمل الفتى بنصح أخته ، فيضرب الجرجوف وهو نائم مفتح العينين ، ضربة اولى ، ولا يسمع لرجاء الجرجوف له بان يضربه ثانية او يخطو على جسده ، او يتفل في وجهه • فلا يلبث الجرجوف ان يتخبط في حركته حتى يلفظ النفس الاخير •

ويعود الاخ واخته الى قريتهما ، محملين بما استطاعا نقله من كنوز الجرجوف •

ايزيس وأوزوريس

نقطة التقاء هذه الحكاية اليمنية بالاسطورة المصرية القديمة : « ايزيس واوزوريس » ،واضحة كل الوضوح : في كل منهما ادمي يقتل ، وتقطع اوصاله ، فتأتي امرأة وفية له ، متعلقة بقضيته فتجمع الاشلاء وتتوسل حتى تعود هذه الاشلاء الى اصلها ، ويعود صاحبها الى الحياة ، وينتصر الخير على الشر • ان الجرجوف هو رمز الشر في الحكاية اليمنية ، كما أن ست هو رمز الشر في الاسطورة المصرية • والحكاية اليمنية تجعل رمز الخير أخا للمرأة وابنا لها في الوقت نفسه ، وتجعل انتصار الخير على يديه • أما الاسطورة المصرية فانها تجعل نصرالخير على يد الابن وحده، اي حوريس • غير ان هذا فرق هامشي ، فان المرأة في الاسطورتين هي مهندسة النصر : توجه البطل، وتعلمه وتلقنه حتى يصل الى هدفه •

وفي الحكاية اليمنية ـ عدا هذا ـ ذلك الولوع الذي تجده في الادب الشعبي والذي يدفع الادميين الى ولوج مملكةالوحوش والتعامل معها ، والدخول في معارك واياها ، قد يقتل فيها الادمي وقد ينتصر •

وقد كنت في طفولتي اسمع ـ مفتونا ـ لامي وهي تحكي حكاية شعبية اسمها « لونجا » • وهي تشبه حكاية الجرجوف الى حد كبير • فان فتاة تسمى لونجا تخرج مع أخ لها اسمه حسن ،فيضلان الطريق ، وتقع لونجا في أسر غول مثل الجرجوف يأخذها هو الاخر الى بيته حيث تعيش معه مكرهة، الى أن تحين ساعة الخلاص ، فتصبغ لونجا كل ما في البيت بالحناء وتنسى «الرق» ، ثم يأتي الشاطر حسن فيأخذ الفتاة ويهربان معا ويجيء الغول من بعد ويزعق على لونجا كي تدلي «شعورها الطوال» وتنقذ اياها الغول من الحر والجبال » • وتروح الاشياء التي صبغتها لونجا بالحناء تلتمس للفتاة عذرا بعد عذر • فالفرن يقول انها مشغولة بالخبيز ، والطشت يدفع بانها تغسل الملابس ، والغرفة بانها تكنس المكان • ثم يأتي دور «الرق» الذي نسيت لونجا أن تحنيه فيكشف السر • ويثور غضب الغول فيأخذ يطارد لونجا والشاطر حسن ، وكلما وضع هذان في طريقه العقبات تغلب عليها حتى يوشك المطاردان على السقوط في أسره ،وفي النهاية يفلت الاثنان من فتك الانياب الحادة •

وفي الحكاية اليمنية أيضا ظاهرة المكان المحظور وهو الغرفة السابعة ، وظاهرة العدد السحري وهو أيضا الرقم السابع • فعدد الفتيات اللاتي خرجن لجمع الدوم سبع وعدد غرف بيت الجرجوف سبع أيضا • كما أن عدد « الجراجيف » الذين توالوا على الفتاة وهي معلقة بالشجرة هو كذلك سبعة •

والقدرة السحرية التي يملكها الجرجوف على تقمص الشخصيات وتحويل نفسه الى اي منها في ثوان ، هي أيضا من السمات المشتركة فيالحكايات الشعبية كلها • كما ان تداخل عالم النبات في عالم الانسان هو سمة مشتركة كذلك • وفي الحكايات الشعبية المصرية يقتل الادمي فيلة ، فيدفنه شخص عزيز عليه ويتعهده بالسقيا حتى يرتد ادميا من جديد • وفي هذه الحكايات أيضا ، كما في الحكاية اليمنية ، يصادق الطير الانسان ويكشف له الاسرار ، مثلما تفعل الحداة في حكاية الجرجوف ، وفيها كذلك رغبة دفينة في الانتصار على الموت • فاشخاص الحكاية الشعبية يقتلون ثم يعودون الى الحياة ـ الحياة الادمية او النباتية •

وورقة الحناء

الى جوار « الجرجوف » ، هناك حكايات أخرى

فاتنة ، لعل ارقها جميعا هي حكاية «ورقة الحناء» وهو اسم فتاة جميلة ، ماتت امها ، فتزوج ابوها من ارملة لها بنت من زوج سابق • واسم البنت اكرام •

ولا تسمح المساحة بسرد هذه الحكاية الفاتنة ، ولكن ما يدعو الى الدهشة فيها انها تحوى في بعض اجزائها قصة الفتاة الجميلة الفقيرة المضطهدة « ورقة الحناء » التي تتزوج من ابن السلطان بعد حفل راقص نسيت فيه ورقة الحناء فردة حذائها ، فجعل ابن السلطان يبحث بنفسه عن صاحبة الفردة الى ان وجدها وتزوجها • هذه هي قصة سندريلا ، التي نرددها ، ونتعلق بصاحبتها اسما ومضمونا ، على حسبان انها بعض من الادب الشعبي الغربي ، وواقع الامر انها ايضا جزء من اساطيرنا العربية في اليمن •

وفي هذه المجموعة من الحكايات حكاية فكاهية طريفة ، بطلها يحمل صفات واضحة من شخصية دون كيشوت • فهو يعيش في الخيال ليهرب من واقع مر هو هنا خياط اسمه حسن ، عرف بالبلاهة والجبن ، وداب الحظ على معاندته ، فما من زبون واحد يطرق بابه • ومن ثم تحتقره امراته وتروح تتخذ لنفسها عشيقا من دونه •

ولا يجد حسن ما يفعله سوى قتل الذباب ، وهو يحسب أن ما يقتله هو ادميون ويذهب الى امراته اخر اليوم فيقول : قتلت كذا من الاعداء وجرحت كذا وفر الباقون • يفعل حسن هذ ويتغنى ببطولاته في كل مرة حتى تصدقه زوجته اخر الامر فتتخلص من عشيقها ، وتاخذ زوجها ماخذ الجد •

وتطير شهرة حسن والشجاعة التي هبطت عليه فجاة ، فيستخدمه السلطان في التخلص من عدوين له لدودين • الاول وحش مفترس ، يقبع عند اسوار المدينة ليبطش بمن يدخل اليها او يخرج منها • وهذا يتغلب عليه حسن بمحض الصدفة فانه يخرج خارج المدينة على راس دابة محملة بمحلة فيها اقراص خبز وحبات نبات مخدر • ويربط حسن الدابة الى شجرة ، ويتسلقها خوفا على نفسه من الموت فياتي الوحش وياكل الدابة ويعبث بمحتويات المحلة ، ويلتهم الاقراص والحبات المخدرة فيصيبه الخدر وتبطل حركته • ويستيقظ حسن مع الفجر فيلجم الوحش ويركبه الى المدينة ، وهو لا يدرى حقيقة ما يجرى • وبالطبع يعتبره الكل بطلا مغوارا ، بينما هو تذهب نفسه شعاعا كلما تذكر ما حدث •

وبالصدفة ايضا يحرر حسن السلطان من عدوه الثاني ، وهو ثائر متمرد كان يعد العدة لغزو البلاد والاستيلاء على الحكم ، وهذا يخيفه حسن ـ دون أن يدرى ـ بمجرد نطق اسمه مجردا من كل لقب • وكانت بطولات حسن سبقته الى مكان الثائر ، ولذا يستسلم الرجل ، خاصة وأن حسن لا يقاتله بل يعانقه ، مما يجعله يظن ان حسن قد جاء معه بعفو السلطان • ويتوجه الجميع في موكب كبير الى قصر السلطان حيث ينعم السلطان على دون كيشوت اليمني بالخلع والاموال •

●

وكم هي رقيقة وفاتنة الحكايات اليمنية الاخرى التي تضمها هذه المجموعة حكايات مثل : « جليد الحمار » و « وسيلة » و « بشيبة ولا كل الشباب » وهي جميعها مليئة بالحكمة والمتعة والخيال المجنح •

انني اضم صوتي الى صوت الاستاذ علي محمد عبده في حث الكتاب العرب على النظر المدقق في هذه الحكايات ، قصد اتخاذها مادة لفنونهم في القصة والرواية والمسرح • ان احدى هذه الحكايات واسمها : صاحبة التويقت (أي المتسولة) تكاد تصرخ طالبة من يستخدمها في عمل مسرحي • بل ان الشخصية النسائية فيها لتقوم بالتمثيل • فهي متسولة تزوجها رجل غني ، فلما مرت عليها الايام والشهور حنت الى مهنتها ، واخذت تمثل لنفسها دورين : دورها هي كمتسولة ، ودور المحسن او المحسنة التي تتوجه اليه او اليها بالتسول • ويضبطها زوجها وهي تتسول من نفسها ، فيتاكد انها ما خلقت لنعيم البيوت وانما سعادتها في حياة التنقل ، فيطلقها وهو يقول : المتسولة تحن الى ماضيها • ■■

علي الراعي

● عن الدين والسياسة ●

المقالة الإبليسية !

بقلم : فهمي هويدي

هكذا عدنا الى « المربع الرقم واحد » ـ كما يقول الامريكان ـ واطلت برأسها من جديد دعوة الفصل بين الدين والدولة ، حتى يذهب ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر . وهي الدعوة التي وصفها محمد رشيد رضا في بدايات هذا القرن « بالمقالة الابليسية » ، نسبة الى ابليس ، وصنفها الزعيم المغربي علال الفاسي ضمن « الاسرائيليات الجديدة » ، التي تسللت الى التفكير الاسلامي ، واشار اليها سيد قطب بتعبير « الفصام النكد » !

ولابد ان نسجل ابتداء ان الذين صاروا يرددون هذه « المقالة الابليسية » هم اهل السياسة بالدرجة الاولى ، وان هؤلاء انفسهم هم الذين يسحبون « المقالة » عند اللزوم . اي ان اهل السياسة ينادون بالفصل عندما يشعرون بان الاسلام الحقيقي يهدد مصالحهم ، ولا يترددون في تأييد الضم كلما كان في ذلك خدمة لمصالحهم . فاذا بادر الاسلاميون الى التأييد والتبريك ، واذا خرجت طوابير الطرق الصوفية في مواكب الاستقبال والتوديع ، واذا اقيمت صلاة الشكر عندما يفرح السلطان ، وصلاة الخوف اذا قطب جبينه ، وصلاة الاستسقاء اذا عطش ، اذا حدث ذلك ، فمرحبا بالضم ، وسحقا للقائلين بفصل الدين عن الدولة .

اما اذا انفتح باب الحوار والاعتراض ، وتناثرت عبارات حق الله وحق الناس ، ورفعت شعارات الشورى والعدل والحرية ، فهنا ينبغي ان « يصحح » الوضع ، ويعرف كل حده وحدوده . ويطالب المتدينون بان لا يتجاوزوا عتبات المساجد ، وان يتركوا ما لقيصر لقيصر !

وفي التاريخ العربي الحديث ، من الثابت ان الانجليز رشحوا الملك فؤاد ـ ملك مصر ـ ليكون خليفة للمسلمين بعدما الغى كمال اتاتورك الخلافة الاسلامية في عام ١٩٢٤ . وأن الانجليز عندما فرضوا الملك فيصل بن حسين ملكا على العراق بعد الحرب العالمية الاولى ، قالوا ان اهل « الحل والعقد » ، هم الذين اختاروه ، بحر ارادتهم ، وبالضبط كما قال الشرع والملة !

وفي التاريخ الاسلامي ، فان واحدا فقط من اهل العلم هو الذي قال « بالفصل » ، هو الشيخ علي عبد الرازق ، في كتابه الذي اثار عاصفة شديدة وقت صدوره بمصر عام ٢٥ . وان كان المدافعون عنه يقولون انه استهدف بكتابه قطع الطريق على تعيين الملك فؤاد خليفة للمسلمين ، على اعتبار انه ليس في الاسلام خلافة ولا ملك .

وعندما قال العلامة الجزائري الكبير عبد الحميد بن باريس ، انه لا شأن لرجال الدين بالسياسة ، لم يكن يطرح قضية الفصل بكل تأكيد ، بل انه كان يريد ان يبعد ايدي الاستعمار الفرنسي عن التدخل في شئون جمعية العلماء الجزائريين ، التي كانت التربة الحقيقية التي نبتت فيها الثورة الجزائرية فيما بعد .

وعندما كتب الامام محمد عبده يقول : اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن كل حرف يلفظ في كل سياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة » .. عندما قال ذلك كان يعني « السياسة التي تضطهد الفكر او الدين او العلم ـ سياسة الظلمة واهل الاثرة » ، بتعبيره هو ، تلك السياسة التي كانت وراء نفيه من مصر في اعقاب تأييده للثورة العرابية ، حيث كان يمارس ذروة العمل السياسي .

●

وخارج هذا الاطار ، فاغلب الظن ان احدا من مفكري الاسلام لم يردد مقولة الفصل بين الدين والدولة ، التي لا يختلف اثنان على انها ضمن مواريث الفكر الغربي التي اخذت مكانها في التفكير العربي ، في عصور التدهور والانحطاط ، التي عاشها العالم العربي والاسلامي منذ اواخر القرن الثامن عشر ، مرتبطة بتحلل الامبراطورية العثمانية وبدء اندثارها .

وقتئذ كان الطلاق البائن بين الدولة والكنيسة قد تم منذ زمن لاسباب معروفة ، وكانت الثورة الفرنسية قد احدثت زلزالا في التفكير الاوروبي ، بينما سحرت شعاراتها في الحرية والاخاء والمساواة ، كل الطامحين الى النهضة في كل مكان .. وكانت عيون الشرق متجهة الى فرنسا . وفي تلك الظروف كانت طلائع المثقفين في الشرق تتوافد على باريس ، تنهل وتتعلم وتنقل . حتى قبل ان مؤلفات

فولتير وروسو ومونتسكيو قد وجدت في مكتبة احدى المدارس المصرية في عام ١٨١٦ . في تلك المرحلة وفد على باريس اثنان من ابناء الشرق ، قدر لهما ان يتركا بصمات بارزة على التفكير العربي ، فيا سمي بالتنوير عند البعض ، والتغريب عند آخرين . والاثنان هما رفاعه الطهطاوي القادم من مصر . وخير الدين التونسي القادم من تونس . وظلت كتب الطهطاوي والتونسي تعكس انبهار الشرقي بالتمدن الاوروبي ، وتدعو ملحة الى الاخذ باساليب الغرب في الحياة والتفكير . وان « نتخير منها ما يكون بحالنا لائقا ، ولنصوص شريعتنا مساعدا وموافقا » ،كما يقول خير الدين التونسي في مدخل كتابه « اقوم المسالك في معرفة أحوال المهالك » .

وعبر هذه الجسور انتقلت شعارات وافكار كثيرة الى العقل الاسلامي ، في مقدمتها تلك « المقالة الابليسية » . في الفصل بين الدين والدولة .

اي ان هذه الدعوة افراز غربي بحت ، اذ هي وليدة تجربة تاريخية خاصة وظروف مختلفة تماما ، دينية وسياسية واجتماعية . الامر الذي يتعذر معه ، باي منهج علمي ، ان تنقل المقولة الى تربة غير التربة ، ومناخ غير المناخ ، الا اذا تم ذلك بأساليب التعسف والمغالطة .

ومن الثابت تاريخيا ايضا ان الذين رفعوا لواء هذه المقولة ، من غير اهل السياسة ، هم فريقان . الببغاوات الذين استقر في اعماقهم ان الغرب هو التقدم والشرق هو التخلف ، وان « قرآنهم » الجديد ـ والعياذ بالله ـ هو كل مدونات الغرب وشعاراته . ودواء كل داء عندهم لا بد ان يكون في « صيدلية الحضارة الغربية » دون غيرها ، بتعبير المفكر الجزائري مالك بن نبي .

اما الفريق الثاني فيضم عددا من المفكرين غير المسلمين ، المستشرقين والعرب ، وبعضهم كاره للاسلام ، لا يتمنى الخير لاهله فضلا عن دولته . وبعضهم خائف من الاسلام متوجس منه بسبب من عجز في الفهم وقصور في الرؤية .

والكارهون لا تجدي معهم مناقشة ، والخائفون امرهم هين اذا حسنت نواياهم ، ومن اليسير تبديد مخاوفهم اذا ما رغبوا في الوقوف على الحقيقة . اما المقلدون فمشكلتهم اكبر . اذ ان هؤلاء هم الاغلبية ، وهم اصحاب مدرسة كبيرة ضاعت من بين اوراقها بطاقات الهوية والانتهاء ، والغيت من قاموسها كلمات الحصانة والشخصية المستقلة . هؤلاء المقلدون تستهويهم صياغات الغرب وشعاراته ـ من الفصل بين الدين والدولة الى العلمانية والليبرالية واليمين واليسار ـ فينقلونها باعين مغمضة الى واقعنا ، ثم يطالبوننا بان نفصّل الاسلام على قياسها .

●

وحتى لايكون التعميم ظالما ، فلابد ان نشير الى ان هناك من يلجأ الى هذه الصياغات ، لا بهدف التقليد الاعمى ، ولكن فقط من قبيل استخدام تعبيرات عصرية ، قد تساعد في الايضاح والافهام . ويدخل في هذا الاطار بين المحدثين مؤلف الدكتور مصطفى السباعي « الاشتراكية في الاسلام » ، ودعوة الدكتور فتحي عثمان الى ما اسماه باليسار الاسلامي [مجلة المسلم المعاصر ـ

العدد الثالث] .

وواقع الامر ان الباحث يستطيع ان يجد في كتابات اكثر الفقهاء ومفكري الاسلام شيئا من هذا كله . من التوازن ـ وليس الفصل ـ بين الدين والدولة ، ومن العلمانية التي ترفض السلطة الدينية ، ومن الليبرالية التي تطلق حرية الانسان ، ومن اليسار الذي يقف الى جوار الفقراء والضعفاء ومن الاشتراكية التي تطرح العدل الاجتماعي كقيمة اساسية .

لكن الخطأ والخطر هو في اعتبار هذه المداخل هي الاصل ، بينما الاسلام هو الوافد والطارىء . الامر الذي يفتح الباب لمنزلقات تقودنا الى نهايات قد تكون بعيدة عن الاسلام او نقيضة له . واذا افترضنا ان ذلك ليس الهدف المطلوب ، فينبغي ان يظل الاسلام اسلاما ، بغير تصنيف في مربعات الاشتراكية او اليسار او العلمانية . ينبغي ان يكون الاسلام هو الاصل ، هو الاطار والوعاء ، وكل ماعدا ذلك من صياغات لايتجاوز « وسائل الايضاح » وادواته . خصوصا وان الممارسات قد وسعت من تفسيرات تلك الشعارات المستحدثة ، حتى افقدتها اللون والطعم والرائحة .

وبالمقابل ، فان ثمة خطأ آخر يقع فيه بعض الاسلاميين ، هو انهم يستفزون ويعلنونها حربا شعواء ، تتراوح اسلحتها بين التشهير والتكفير ، على كل من ينطق بهذه الصيغ العصرية دون تمييز بين الدعاة والعصاة ، الامر الذي يضر بهم وبالاسلام ابلغ الضرر . فاذا كان الاسلام ليس هو الاشتراكية . لكنه بالتاكيد ليس ضد الاشتراكية . وحربهم على اليسار كثيرا ما تدفع بهم الى الوقوف في مربعات اليمين . وكم عانى الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ وهو من اجل مفكري الاسلام وقيادات الحركة الاسلامية في سوريا ـ لمجرد انه استخدم تعبير الاشتراكية . ولا يزال الدكتور فتحي عثمان ، الذي يعد من ابرز الكتاب الاسلاميين الواعدين ، يعاني من جراء استخدامه لتعبير « اليسار الاسلامي » .

●

لم نناقش تلك « المقالة الابليسية » في الدعوة الى الفصل بين الدين والدولة في الاسلام ، لان القائلين بها ـ كما سبقت الاشارة ـ اما ساسة احسوا خطرا من الاسلام فطالبوا بحبسه في المساجد ، او فريق الحاقدين على الاسلام ، او الجاهلين به من خائفين ومقلدين . اي انه ليست هناك دوافع موضوعية وراء طرح هذه الفكرة ، الامر الذي يضيق من فرصة المناقشة او يلغيها .

واذا كان هناك رأي واحد انفرد به رجل من اهل العلم مثل الشيخ علي عبد الرازق فانه منذ العشرينات وحتى الان،لم يجد الكتاب الاسلاميون من فقهاء الشريعة او القانون رأيا يفندونه وينقضونه في هذه القضية ، الا ما قال به صاحب كتاب « الاسلام واصول الحكم »،وبعد ستين عاما من التفنيد والنقض ، هدم رأي الشيخ علي عبد الرازق ولم تقم له قائمة من الناحية العلمية .

ولن نتوقف طويلا امام مقوله الشيخ علي عبد الرازق ، مكتفين بتسجيل رأيين لواحد من اشهر فقهاء السنة في العصر الحديث ، هو الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، وآخر من اشهر فقهاء ـ وزعماء ـ الشيعة المحدثين هو الامام آية الله الخميني .

في كتابه (من توجيهات الاسلام) كتب الامام شلتوت يقول : « .. ويصعب ان نفرق في الاسلام بين ما يمكن ان يسمى دينا فقط او سياسة فقط . فكل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة دين ، ويمكن ان يسمى سياسة الاسلام في التربية والخلق . وكل ما يتعلق بالمعاملات دين ، ويمكن ان يسمى سياسة الاسلام الاقتصادية والاجتماعية . وكل ما يتعلق بالحكم وتدبير مصالح المسلمين في دنياهم دين ايضا ، ويمكن ان يسمى نظام الاسلام في الحكم وادارة الدولة ، وهكذا يرتبط الدين بالدولة ارتباطا كبيرا في الاسلام . ارتباط القاعدة بالبناء . فالدين اساس الدولة وموجهها ، ولايمكن تصور دولة اسلامية بلا دين . كما لا يمكن تصور الدين الاسلامي فارغا من توجيه المجتمع وسياسة الدولة ، لانه حينئذ لا يكون اسلاما » .

وفي كتابه (دروس في الجهاد والرفض) ، يقول الامام الخميني لاتباعه : عرفوا الناس بحقيقة الاسلام ، كما لا يظن جيل الشباب ان اهل العلم في زوايا النجف وقم يريدون فصل الدين عن السياسة ، وانهم لايمارسون سوى دراسة الحيض والنفاس ، ولا شأن لهم بالسياسة .

ومن اقواله ايضا : ان من يقول بفصل الدين عن السياسة ، لا يفهم في الدين ، ولايفهم في السياسة !

●

وحتى اذا صرفنا النظر عن موقف الاسلام من قضية الدين والسياسة ، فان هذه الازدواجية في فهم الانسان ، بتقسيمه الى نفس وجسم ، عقل وروح ، ومخاطبة كل جانب بمدخل مختلف ، بحيث يتعين عليه ان يبحث عن غذاء روحه في الكنيسة وغذاء عقله خارجها . هذه الازدواجية اصبحت فكرة متخلفة علميا . وينقل الدكتور عماد الدين خليل في كتابه « تهافت العلمانية » ، ان فيلسوف التربية الامريكي (جون ديوي) يؤكد في مؤلفاته على ان الفصل بين العقل والروح في عالم الاشياء قد اصبح من النظريات القديمة البائدة ، ويكتب الدكتور محمد البهي في مؤلفه « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ، « ان الانسان الان في نظر البحث العلمي وحدة واحدة لا انفصال بين نفسه وجسمه » ... « وان تجربة توزيع السلطة في الغرب بين الكنيسة والدولة ، لم تثمر الاحتكاك بين السلطتين فقط ، بل كان من ثمراتها اخضاع احدى السلطتين للاخرى في النهاية » .

ولابد ان اكثرنا رصد ذلك الثمن الفادح الذي يدفعه الغرب الان نتيجة ممارسات هذا الفصل بين الروح والعقل ، وما ظاهرة انتشار الجماعات التي يختلط في فكرها الدين بالشعوذة في الولايات المتحدة الامريكية واوروبا الا اعلان عن اشهار افلاس هذه المدرسة التي اقامت ذلك العازل الخطير بين الدين والدنيا في اعماق الانسان وواقع المجتمع . وما مذبحة مزرعة جويانا الامريكية الشهيرة التي قتل فيها حوالي الف شخص في « انتحار مقدس » ـ الا جرس انذار يحذر من ذلك الفراغ الروحي الهائل الذي افرزته فكرة حبس الدين وراء جدران المعابد ، التي تتردد بيننا الان .

لكنه اذا كانت فكرة الفصل بين الدين والدولة مرفوضة ، ما هو المقبول اذن ؟ .

نواصل المناقشة في العدد القادم باذن الله . ■■

الى شاعر مهاجر



شعر : الدكتور

عبد العزيز المقالح

بكاء عينيه أفنى الضوء والحدقا ... وجفنه فى مراقى دمعه احترقا
هيمان ، حيران لا الاشجان تغسله ... فى بحرها ، لا ولا فى بحرها غرقا
يا ويحه كم يعانى من مطامحه ... وكم يكابد من أشجانه حرقا
بصوته دق باب الشرق فانتحرت ... به القوافى ومن أصدائها شرقا
تعثر الليل فى عينيه واحترقت ... محاجر الفجر فى أجفانه شفقا
يا من على البعد يبكى نار غربته ... انا على القرب نصلى نارها الارقا
تمرغت فى دموعى كل عاصفة ... وأوقدت فى دمائى الرعب والفرقا
أشجار شعرى على الشطآن يابسة ... جفت ، فما أثمرت وردا ولا ورقا
يا ليل صنعاء كم ليل حبلت به ... فصار يفترش الاحداق والطرقا
نجوم أيلول فى الافاق غاربة ... تناثرت أدمعا ، قد مزقت مزقا
هى القصائد تدمينى بجذوتها ... وفى خلايا دمائى سيفها برقا
أشدو بها فى سواد الليل منطرحا ... وفى ضحى الفجر أشدوهن منطلقا
وفى بلادى أغنى ، اختفى شجنا ... أصير حرفا على الافاق مؤتلقا
أذود عنها ذئاب الليل ، أحملها ... فى مهجتى رعشة ، فى خافقى فلقا
فهى التى أرضعتنى من مفاتنها ... وأطعمت شفتى من ريها عبقا
ما زلت أذكرها والقيد يجرحها ... وقومها يعبدون السيف ممتشقا
وأذكر الشاعر الموهوب يندبها ... ورأسه فى يديه ، يندب العنقا
كانت لنا فى ليالى عشقنا طربا ... فأصبحت فى ليالى بؤسنا رهقا
كم أحمق فاقد الادراك مرتعش ... عاش الحياة ضلالا والمنى حمقا
رام العبور الى صنعاء يحسبها ... مفتوحة فطواه صمتها حنقا
تعاظم الليل فى دربى وأذهلنى ... أن لا أرى فسحة فى الارض أو نفقا
وأظلمت دونى الافاق غاضبة ... فلا أرى فرجة فى الجو أو نفقا
لا تيأسوا يا أحبائى لمصرعها ... كم مرة قتلت ، كم حلمها انسحقا
لكنها من تراب الموت طالعة ... وفى دماء الضحايا قلبها خفقا
انى لاقرأ صبحا خلف ظلمتها ... والمح الفجر من أشواقها انبثقا

صنعاء ـ عبد العزيز المقالح

من قصائد الثورة والحزن

للشاعر الايطالي الشاب انجيلو انيزيني

هذا شاعر ايطالي شاب ، لم يعرفه الايطاليون بعد شاعرا ، لأنه لم ينشر بعد شيئا من شعره في كتب : وهو حريص على أن يظل بعيدا عن الأضواء . ولكنني عرفته شخصيا ، وبينه وبيني صلة صداقة متينة . وكانت معرفتي به عن طريق شقيقته الشاعرة والرسامة والموسيقية ريجينا أنيزيني ، تلميذة الشاعر سلفاتوره كوازيمودو ، الفائز بجائزة نوبل سنة ١٩٥٩ ، وصديقته .



الشاعرة ريجينا أنيزيني

الشاعرة والفنانة ريجينا عرفتها سنة ١٩٦٤ ، وكان الصديق الشاعر كوازيمودو ، رحمة الله عليه ، قد قدمها الي في بعض رسائله ، ثم جاءت تزور الأردن في ذلك العام ، وبقيت معنا أكثر من ثلاثة أسابيع ، زارت فيها مختلف أرجاء ضفتي الأردن ، وعادت من الرحلة راضية سعيدة .

وأما شقيقها أنجيلو فقد عرفته في منزلها في ميلانو بعد ذلك ، سنة ١٩٧٣ ، وعرفت أسرته . ووجدت فيه شاعرا انسانا ، طيب القلب ، رقيق الشاعرية ، رقيق العبارة . ولمست لديه حبا للعرب ، وايمانا بعدالة قضيتهم ، وكرها لاسرائيل وللغرب الذي يساند ظلمها



الشاعر سلفاتور كوازيمودو الفائز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٩



الشاعر الشاب انجيلو أنييزيني

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري
الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني

وعدوانها . وأطلعني أنجيلو على عدد من قصائده ، فأحببت فيها العفوية الناعمة المتدفقة ، والانسانية الجميلة ، والعاطفة الرقيقة الغامرة .

ان أنجيلو يقيم ويعمل في مدينة جنوا منذ أن أنهى دراسته الجامعية . وهو لا يكتب الشعر الا في فترات متباعدات ، ولا يكتبه الا بدافع نفسي ملح .

كان أنجيلو شديد التعلق بأمه ، وكانت أمه ملاكا رحيا فعلا ، وكانت تستحق محبة أبنائها . ثم توفيت أمه ، فكانت وفاتها صدمة عنيفة له لم يستطع تصديقها . وظل يحس بأنها تعيش معه في يقظته ونومه ، وترافق أحلامه الليلية . ومرارا متعددة كان يراها تزوره في منزله في جنوا ، وتجلس معه تخاطبه ويخاطبها كأنها ما تزال فعلا حية . وقد أقسم لي مرارا أن هذا لم يكن خيالا ، بل كان حقيقة ... الى هذا الحد كان تعلقه بها . وقد كتب عدة قصائد حزينة من وحي فراقها ، ومن وحي زياراتها له بعد موتها . وكان من أثر وفاتها أنه أصيب بذبحة صدرية ، وكاد يلحق بها .

من قصائد إيمانه بالقضية العربية ودفاعه عنها نختار قصيدتين له ، كما نختار عددا من قصائده الحزينة التي كتبها في والدته بعد موتها ، لكي يشاركني قراء (العربي) في تقدير هذه الشاعرية الجميلة ، وهذه الانسانية تفيض بها نفس الشاعر الشاب أنجيلو أنييزيني .

١ ـ انذار الى جزاري الأمة العربية
Monito ai carnefici della nazione Araba

(هذه القصيدة كتبها الصديق الشاعر يوم الاثنين الثامن من تشرين الأول / أكتوبر١٩٧٣ ، وهو اليوم الثالث من أيام حرب أكتوبر . وهو يعرب فيها بحماسة وغبطة عن فرحته بالمفاجأة العربية التي كانت يومذاك في أوج تحطيمها لغرور اسرائيل)

لم تكونوا تتوقعون هذا . أليس كذلك ؟
ولكن المصريين السريعين
عادوا فعبروا القناة ،
والسوريين يقاتلون على الجولان .
انها لأمة بأكملها تزأر
بصوت واحد . بل هو
قلب العروبة برمتها .
لقد حشرتموهم من قبل دون رحمة
في معسكرات الاعتقال ،
ورحتم تنسفون بيوتهم عابثين ،
وتهزأون بهم
بعد تجريدهم من كل شيء ،
الا من الروح .
وها هي الروح العربية تنبعث من جديد
واللاجئون ينتظرون في كبرياء
بعد سنين عديدة من التعاسة والعذاب .
وجنود الجيش الأردني الأبطال
الذين سقطوا شهداء ، دفاعا عن القدس المقدسة ،
ينهضون في عظمة
من قبورهم المكللة بالمجد .

. . .

لست أحقد عليكم ، أيها اليهود ،
بل أتألم لأجلكم في هذه الساعة .
ولكن من الممكن نسيان
جرائمكم الماضية كلها :
الارغون[١] ، والهاغاناه ، والارهاب
المنظم في أرض
لم تكن قط أرضكم .
بعد ألفي سنة عدتم
كالأذلاء المتسولين ،
ولكنكم كنتم في الحقيقة تتربصون
بمن لم يكونوا قط ممن اضطهدوكم .
ليس من الممكن نسيان شماتتكم القاسية
ازاء الخصم المهين
من جراء اذلالكم المجي الوقح .
ليس من الممكن نسيان
ازالتكم قرى بأكملها ،
ولا نسيان مأساة الشعب الفلسطيني .
ليس من الممكن نسيان النابالم
الذي احترق به الأطفال العرب كالمشاعل .
ان تلك المشاعل ما تزال
تحرق ضمير العالم المتمدن .
ومع ذلك فان توراتكم تتحدث
عن سدوم وعمورة ،
وكانت صحافتكم تصف العرب
بأنهم قطاع طرق في الصحراء . وها هم زعماؤكم
قطاع الطرق في القرن العشرين .
انكم تصرخون الآن ضد العدوان ،
وتخافون كما يخاف اللصوص :
سرقوا أرض الآخرين ، ولصوص الدماء البريئة
التي ستضطرون يوما الى ردها الى أهلها .
ومع أنه مكتوب
في الوصية التاسعة من وصاياكم العشر :
« لا تشته ما لغيرك » ، فقد سلبتم ما لغيركم .

. . .

كلا ، لست أحقد عليكم ، أيها اليهود ،
بل أسأل الله ان يعينكم ، وينير قلوبكم .
تعلموا من هذا الدرس الذي جاءكم صاعقا
مع هدير الاسلحة العربية
التي ستعرف كيف تكون كريمة .
عودوا الى المقاييس الانسانية ،
وتعلموا أخيرا كيف تصفحون
اذا شئتم أن يصفح عنكم الآخرون .
وعاشت فلسطين الى الأبد !

= = • • • • • = =

٢ ـ الى أين يا اسرائيل ؟ Quo vadis , Israel ?

(في هذه القصيدة الثانية ، يخاطب أنجيلو اليهود كما كان يخاطبهم المسيح حين كان ينعتهم بأبناء

---

(١) الأرغون هي عصابة السفاح مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل اليوم ، وصاحب مجزرة دير ياسين ، ومجزرة فندق الملك داود (ع . ن)

الأفاعي ، والقبور المجصصة ، وينذرهم بسوء المصير .
وفي القصيدة تجد روحا نبيلة تناصر الحق العربي على الباطل الاسرائيلي) .

. . .

الويل لكم يا أيها الفريسيون ، يا سلالة الأفاعي !
فأنتم حقا ، بغدركم المألوف كغدر الزواحف الثعبانية ،
وبمساعدة (ابن يهوذا) الأميركي ، هنري كيسنجر ،
قد لدغتم لحم الجندي « المصري » . لقد خدعتموه ،
وسخرتم به ، وأهنتموه ،
غير أن سخريتكم لن تعود عليكم بغير الوبال .
الويل لكم ايها الفريسيون ، يا نسل الأفاعي !
« اسرائيل ، اسرائيل ! » كذلك كنتم تهتفون بنشوة الفرح الظالمة :
« اسرائيل ، اسرائيل ! » مثلما كنتم تصرخون
في زمن العجل الذهبي ، وكنتم حينذاك في سيناء أيضا ،
خارج مصر ؛ وجاء موسى يحمل اليكم الوصايا العشر ،
وفي فورة غضبه حطّم الألواح
أمام جحودكم وكفركم بالله ومقدساته .
« اسرائيل ، اسرائيل ! » كذلك كنتم تهتفون
أمام صورة عبد الناصر ،
وقد شاهدتكم ملايين العيون على شاشات التلفزيون .
لقد تعلمتم أن تسخروا حتى من الموتى ،
ولكن ذلك الميت أكثر حياة
من أغاني انتصاركم الزائف .

. . .

« اسرائيل ، اسرائيل ! » هذه المرة
لن يعود اليكم موسى من جديد بعشر وصايا أخرى .
الويل لكم ايها الفريسيون ، يا أبناء الأفاعي !
يا رغوة الحثالة في هذا العالم .
ويا أيتها القبور المجصصة ، والبقايا الحقيرة ،
لمعتقلات أوشويتس وبوخينوالد الرهيبة ،
الذين لم يتعلموا من تلك الدروس شيئا
غير وحشية المخالب الحادة
التي فقتم بها وحوش الفلاة المفترسة المجنونة .
امضوا في عوائكم : « اسرائيل ، اسرائيل ! »
فليس نصرا لكم هذا التطويق
للجيش المصري الثالث غير المهزوم .
انكم لم تستطيعوا هزيمته
في ميدان القتال .

. . .

الويل لكم أيها الفريسيون ، يا جنس الأفاعي !
لقد عدتم الى عبادة الأصنام ،
حتى الحكم يعد معكم ،
ولا بد أن يسحقكم في النهاية .
اسرائيل ، اسرائيل ! الى أين يا اسرائيل ؟
ستبقى فلسطين الآن والى الأبد !

= = • • • = =

٣ ـ الأم ـ Madre

(هذه القصيدة وما يليها من قصائد الشاعر الحزينة ، التي أوحى بها فقد والدته) .

خطاك الحلوة مخملية كخطى غزالة ،
وعيناك البليلتان الزرقاوان بلون السماء
تنعكسان على الخضرة المترامية
وعلى مياه نهر تيشينو .
كل شيء هناك ما زال يتحدث عنك ،
فأنت في كل شيء
حتى في ما لا تبصره العيون .
في سواد الحزن الانساني
(وما زلتُ حياً) أحس صوتك
الهادىء المداعب ، ويديك
المعزيتين تداعبان شعري .

. . .

يا لجمال شعركِ ، يا طائر الفردوس الأشقر .
لا أريد أن أسالكِ
لماذا ينبغي
أن تتركينا ؟ الله وأنت تعلمان ذلك .
ولكن هذا العالم لم يعد عالمك .
لقد تألمتِ كثيرا
ولعلكِ كنتِ تشعرين بفقدان
طفولتكِ السحرية .
هناك شيء واحد ما زلت أريد
أن أقوله لكِ اليوم ، وهو أن تسمعي

صوتي العالي جدا وهو يناديك : « أمي ! »

٣ ـ بشري تحت شارة الأم ـ

Humanus sub signo matris

لم يعد لديّ ما أقوله
من خير أو من شر .
لقد توهم عقلي كثيرا جدا
وأصبح الآن متلاشيا أمام السرّ
الأشد وضوحا ،
سرّ الحياة والموت .
ان ظلمة الليل الداجية
لا ترعبني ،
غير انني الآن ما عدت أستطيع
أن أجيء أشد لذعا
مما رأيت .
لم يعد لدي ما أقوله .
انني بَشر تحت شارة الأمّ .

٤ ـ انتظار ـ Attesa

ان ضياءك ، يا نورا من النور ،
قد صعق الشمس .
ولكن أنت ؟ وأعني مظاهرك الأرضيةَ
التي عرفتُ متأخرا جدا
مدى انسانيتها الفائقة ،
عند الهبوط المعزّي ، هبوط الموت
المحرّر ، والقاسي لأنه عادل
ومن أصل الهيّ .
ولكن أنت ؟ وجسمك المتناغم ،
وصوتك الناعم ،
وأنت بشكل عام ،
وألمك الجبار ،
وكل ما رأيناه
منك بالعيون البشريةِ ،
ألم يكن كل ذلك كافيا
لمجد الله والأبديةِ ؟
انني أترقب منك الجواب !

٥ ـ فراغ ـ Vuoto

انا لست ما قد كُنتِه أنت
وحتى الآن لا أدرك
ولا أرى المطلق .
أما أنت فعيناك تريان الآن كل شيء
وهما تحدقان ذاهلتين
أكثر من عيني طفل ،
في الفردوس الأرضي
أمام تجليّ
السر المطلق والالهي .

= = ٠ ٠ ٠ ٠ = =

٦ ـ خشية الموت لا تقلقني

(timor mortis non conturbat me)

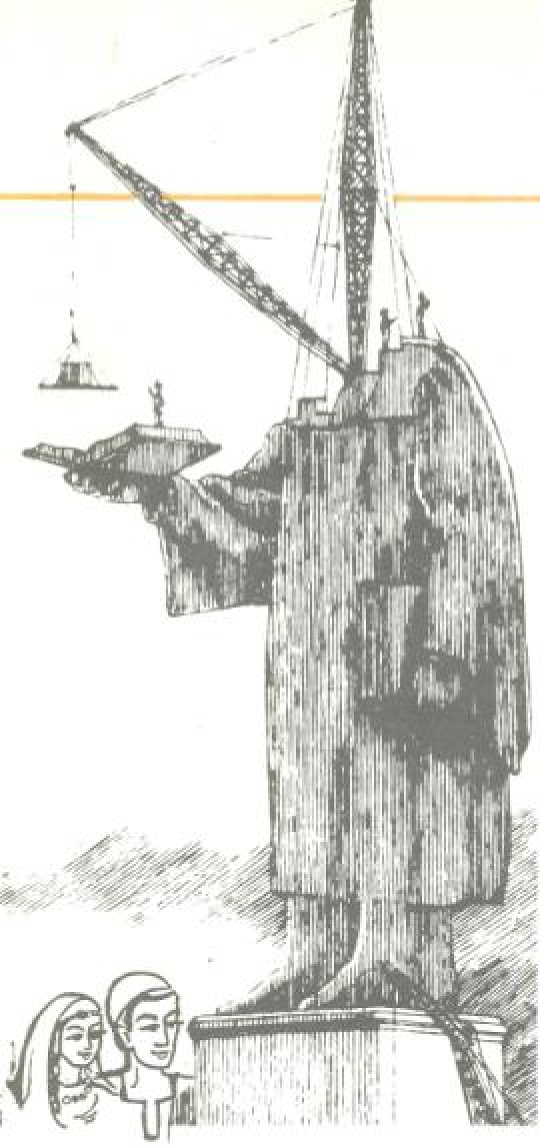
(في هذه القصيدة يشير الشاعر الى أنه رأى أمه ، بعد موتها ، تزوره في بيته في جنوا مدة دقيقتين ... وكان يؤمن بأن ذلك قد وقع فعلا ، وليس مجرد تصور ووهم)

لئن جفّ لساني
متآكلا من الشر الذي لا علاج له ،
ولئن أُغلِقَتْ عيناي
أمام إدراك المرئيات ،
وتوقف قلبي
حين قارب ما يُدْعَى
بالموت الطبيعي ، حتى عند ذلك كله
وحتى لو أصبحتُ بارداً
على رخام القبر ، أو مسجى
في تابوت ، فلن أموت .
انني أعيش ، وقد عشت ، وسأعيش دائما
لأنني رأيتك . دقيقتان
كانتا كعمر الأبدية :
أكثر من اليقين البشري ،
كانتا حدسا الهيا ، وعزما .

د . عيسى الناعوري
(عمان / الأردن)

عندما رفع الفلاح المصرى

من قاعدة تمثال كليبر



زوبعة فى تمثال !

بقلم : الدكتور علي راشد

عندما وقفت في ذات يوم من شهر أغسطس سنة ١٩٦٨ أتأمل تمثال الجنرال « كليبر » في الساحة المركزية بمدينة استراسبورج عاصمة مقاطعة الالزاس الفرنسية ، لم يكن يخطر لى على بال ان المصادفة التي ساقتنى الى هذا المكان غير المطروق من مثل كانت تعدني ، من دون سائر آلاف الناس الذين يمرون بهذه البقعة في موسم السياحة من صيف كل عام ، لأقف في هذا المكان بعينه ثانية ، وبعد عشر سنوات بالضبط ـ أي في يوم من اغسطس سنة ١٩٧٨ ـ شاهدا ومحققا في أطرف واقعة « تزوير فنى » دبرتها بلدية تلك المدينة ذات التاريخ

المأسوي . فان أكثر ما استرعى انتباهي وأثار تعجبي كان ذلك الرسم المجسم ـ في احدى اللوحتين البرونزيتين المثبتتين على جانبين متقابلين من جوانب قاعدة التمثال ـ لفلاح مصري شاب لاينقصه شيء من « طاقم الشغل » التقليدي المتواضع الذي لا يزيد على فأس في يده و « لبدة » تبتلع ثلث رأسه وقميص واسع الطوق ينزل الى ما تحت الركبة بقليل . وهي اعجوبة أو في الاقل مفارقة لا يشفع لها أن يكون هذا الفلاح هو أحد الشخوص التي تموج بها لوحة اريد لها ـ كما سطر تحتها ـ أن تمثل « موقعة » جرت في أطراف القاهرة بين المصريين وجنود « الفرنسيس » من أتباع الجنرال كليبر « ساري العسكر » حينذاك . فان مجرد وجود الفلاح المصري شاهرا فأسه في ذات الوضع الذي يتخذه وهو يهوى بها على الأرض الطيبة يهيئها للزرع ، في مواجهة جنود فرنسيين مزودين بأفتك أسلحة العصر ، لا يوحي فقط بأن « المعركة » كانت غير متكافئة ، بل يقطع بأنه لا معركة هناك على الاطلاق . وان الامر لا يعدو أن يكون مشهدا لجنود الجنرال كليبر وهم يقمعون في وحشية احدى الانتفاضات الشعبية التى كانت أسلوب اهالي القاهرة والريف المتاخم في مقاومة الاحتلال الفرنسي . ويكون وجه العجب من ثم هو أنه فات كل من اسهم في اقامة النصب تخليدا لامجاد الجنرال كليبر في مصر أن تلك اللوحة لا يمكن ان تحتسب من بين هذه الامجاد ، وأنها على الأقل لا تستقيم مع اللوحة الأخرى المثبتة في الجانب المقابل والتي تصور ـ كما سطر في أسفلها ـ موقعة « هليوبوليس » وقد سحق فيها جنود الجنرال الاتراك وفرسان المماليك والحقوا بهم الهوان الذي شاء خيال الفنان صانع اللوحة أن يجسده في أحد هؤلاء الفرسان وقد سقط من على جواده وقبع رثا ذليلا بينما تدحرجت عمامته واستقرت على قيد خطوات منه .

مفاجأة الزيارة الثانية

على أنني لم استرسل حينذاك فيما كان التعجب خليقا بأن يجرني اليه من البحث للتحقيق من مصدر تلك المفارقة . ولم أعد أفكر في الأمر ، وغادرت استراسبورج بكل مالها وما عليها بغير أدنى أمل او رغبة في العودة اليها . الى ان قادتنى بعض اهتماماتى في اغسطس الماضي الى أن أتوقف فيها لبضع ساعات وأنا قادم من الغابة السوداء بالمانيا في طريقي الى « نانسي » عاصمة مقاطعة اللورين المتاخمة . ولم أشا أن تمر بي هذه الساعات المعدودة في استراسبورج دون أن اهرول الى ساحتها المركزية في زيارة خاطفة لمواطني الفلاح المصري . ولكن ياهول المفاجأة . لقد اختفى الرجل من اللوحة التي بقيت مع ذلك في مكانها محتفظة بشكلها الظاهري جميعه ، بما في ذلك لونها الأخضر الترابي الذي اكتسبه البرونز بفعل الزمن الذي استطال عليها من تاريخ اقامة التمثال في سنة ١٨٤٠ كما سجل على جانب من قاعدته . وأصابنى الارتباك برهة أخذت انتقل خلالها بين اللوحتين اقارنهما بما وعته الذاكرة عنهما في زيارتي قبل عشر سنوات . وما لبثت الحقيقة أن تكشفت لى بكل أبعادها . فما زالت اللوحة التى تمثل موقعة « هليوبوليس » على حالها في الجانب الشمالي للقاعدة ، وقد كتب تحتها « هليوبوليس ٢٠ مارس ١٨٠٠ » ، يلي ذلك نداء نصه : « أيها الجنود ، ان الرد على مثل تلك الوقاحة لا يكون الا باحراز الانتصارات . فاستعدوا اذن للقتال » ، ثم توقيع بالأحرف الأولى وتاريخ « ١٨٤٠ » . أما اللوحة الأخرى على الجانب الجنوبي للقاعدة فقد برز فيها الجنرال كليبر ممتطيا صهوة جواده وسط جنوده في معركة ساخنة مع جنود جيش أوروبي آخر ، وقد سطر تحتها بيان مقتضب نصه « التنكيرشن ١٩ يونيه ١٧٩٦ » ، إشارة الى الموقعة التي مهدت لاستيلائه على « فرانكفورت » عاصمة ولاية « هيس » في غرب المانيا .

اذن فقد فطن القوم للمفارقة الفنية بعد نيف وقرن وربع من الزمان ، فاستبدلوا لوحة أعدوها لموقعة انتصر فيها كليبر في ألمانيا على أعداء الثورة الفرنسية ، بلوحة « الموقعة » التي دارت بعد ذلك بسنين حول القاهرة . وزاد هذا الخاطر من خيبة أملي بل محنتي في هذه اللحظة ، وخشيت أن يمتد أثر هذا الاحساس الى مطلبى في « نانسي » فيفسده . ومن ثم لم أجد مخرجا الا أن اعدل برنامجي لأبقى في استراسبورج من الوقت ما يتيح لى جمع أدلتي « الفنية » على ذلك « التزوير »

اعزز بها شهادتي الشخصية التي شاركني فيها لحسن الحظ ولداي اللذان كانا برفقتي في جولتي الأولى قبل عشر سنوات ، وربما شهود آخرون أجهلهم . وصرت اترددّ على التمثال وادور حوله متفحصا ومدونا خواطري وملاحظاتي ، مما لفت في احدى المرات انتباه زوجين من السائحين لم يملكا مقاومة الرغبة في استطلاع أمري ، فاقتربا مني مبتسمين وبادراني بالاستفسار عما يشغلني من أمر هذا التمثال . ولما أنهيت اليهما طرفا مما وقفت عليه ، كم كانت مفاجأتي اذ اطلعاني على تحريف آخر أقل شأنا ـ بل لعله مجرد خطأ مادي ـ تبيناه فيما سطر على أحد جوانب قاعدة التمثال عن تاريخ مولد كليبر وأنه في يوم ٦ مارس سنة ١٧٥٣ ، لا يوم ٩ مارس كما هي الحقيقة المثبتة في وثيقة ميلاده الرسمية التي يحتفظان بصورة زنكغرافية لها انتزعها الزوج من أحد كتبه واحتفظ بها منذ كان صبيا . وكان من المشروع أن استفسر بدوري من ذلك السائح ـ الذي تنم لكنته وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة عن انه اوروبي من غير الفرنسيين ـ عن سر اهتمامه بالجنرال كليبر الى هذا الحد . ولك ان تقدر مبلغ ذهولي عندما أعلمني بأنه هو كذلك ينتمي الى أسرة هولندية تحمل اسم « كليبر » !!

مفارقة أكبر

والواقع انني لم ألق صعوبة تذكر في جمع الأدلة . فقد يسر لي الأمر أن القائمين على استبدال اللوحة قد ترديا في مفارقة فنية أشد وانكى من تلك التي ارادوا طمس معالمها . ذلك أن التمثال قد صمم في الأصل استجابة لرغبة « مواطني كليبر ورفاقه في السلاح » ـ وهذا هو ماسجل على احد جوانب القاعدة ـ لتخليد ذكراه في مصر حيث اغتيل سنة ١٨٠٠ ووضع رفاته في تابوت عثر على قاعدته مؤخرا بحديقة مستشفى « قصر العيني » في القاهرة . والتمثال في ذاته قد لايعلن عن ذلك ، ولكن يعلن عنه كما لو كان بالحروف المضيئة ذلك النموذج الصغير لابي الهول الرابض عن يمين كليبر بارتفاع يصل الى طرف ردائه (الردنجوت) ، وكأنني بالتشكيلين البرونزيين على قمة النصب حروفا هائلة لعنوان من كلمتين : « كليبر بمصر » . ثم يتأكد هذا المعنى بما لايدع مجالا لادنى شك باللوحتين الجانبيتين تموجان بأحداث قادها كليبر ضد اهالي مصر بل القاهرة على التحديد ، وقد سجل تحت كل منها المكان والتاريخ زيادة في التوثيق . ففضيحة من دبروا استبدال اللوحة هي انهم لم يلتفتوا الى هذا اللحن المسيطر على معزوفة التكوين الفني كله ، فكانت لوحتهم عن موقعة (التنكيرشن) الالمانية « نشازا » يصدم الحس الفني ويؤذيه ، وتزويرا يسهل افتضاحه حتى بغض النظر عن السكوت المطبق عن ذكر اى بيان يشير الى تاريخ صنعها خلافا للوحة « هليوبوليس » في الجانب المقابل . وأما اللون الاخضر الترابي الذي اكتسبته اللوحة الزائفة فانه لايخدع الا من يجهل ان هذا اللون هو مما يستحضر كسائر الالوان التي يستخدمها الفنانون ، وانه شائع الاستعمال عندما يراد اعطاء التشكيلات ـ ولو كانت من مادة الفخار ـ مسحة البرونز الذي تقادم به الزمن .

هدأت نفسي بعد ان وضعت يدي على كل تلك المعطيات . ذلك الهدوء الذي يستشعره المحقق بعد ان تكتمل لديه عناصر الادانة في الواقعة التي اجهد نفسه في تحقيقها ، وهو يجهل مع ذلك مصيرها أمام القضاء . ومع كل ذلك فانه ليس فيما وقع معنى « التزوير » بالمفهوم القانوني ، لانه فوق ان الفعل بلغ من الافتضاح حدا بحيث لا ينطلي الا على من لا يحميهم « القانون القضائي » من التزوير ، فانه من عمل هيئة عامة تملك « الحقيقة » فيما تقيمه من التماثيل . فاذا ما استبدلت لوحة بلوحة أخرى بعد اكثر من قرن وربع من الزمان فليس هذا منها تغييرا للحقيقة ، وانما هو ابراز للحقيقة التي تملكها في صورة أخرى مختلفة ولو كانت فجة تصدم الحس الفني . فكلتا اللوحتين تمثل « الحقيقة » لدى بلدية استراسبورج في زمنين مختلفين . وعلى كل حال فقد قدرت أن مما يواسيني في محنتي باختفاء اللوحة التي تحمل رسم ذلك « الفلاح » المصري الوسيم ، أن أدفع بالقصة كلها الى ساحة « القارئ » غير المنظور ليرى فيها مايرى ، ولا عليه اذا ماعد الأمر كله مجرد « زوبعة في تمثال » ! ■■

د . علي احمد راشد

الدخان أعدى أعداء الأسنان

بقلم : الدكتور موفق ابو طوق

الدخان هو اعدى اعداء الاسنان ! ونظرة سريعة الى البقع الملونه التي تشوه الاسنان ، تشير على الفور الى احد آثار الجناية التي يرتكبها الدخان في حق الانسان .

ولا يقف ضرر التبغ عند هذا الحد .. خاصة اذا عرفنا ان البعض يمضغ التبغ ، نعم .. تصوروا ؛ يمضغ التبغ ، يمضغه ممزوجا مع مواد مخدرة حينا وحينا غير مخدرة ! يضع هذا المزيج بين الشفة واللسان ، ثم من هذا الموضع .. تبدأ الآفات بالكشف عن هويتها .. يغزر اللعاب . تتخدر اللثة ، تحتقن الشفتان ويمسها جفاف مصحوب بورم وانتفاخ ، يزول رونق الاسنان ويقترب لونها من الاصفرار والسواد ، يصيب حدودها القاطعة وسطوحها الطاحنة انسحال ملحوظ .. بعد حين ، وبعد ان تصيب الآفات اهدافها .. تحيط ذلك الوجه الانساني هالة متفردة ، لكثرة بصاقه وتنن رائحته !

والبعض يستعمل الغليون او السيجار .. يضعه في طرف فمه ، وقد يقلبه بين حين وحين او ينقله من طرف لآخر .. فتنسحل الاسنان انسحالا يناسب شكل الغليون ، هذا الانسحال يكشف العاج فيسمح بتسرب التبغ اليه والى كل النسج السنيه العميقة والسطحية ويلونها بالوان قبيحة غير مستحبة .. ثم ان هذا الغليون الصلب او السيجار القاسي يبدل من شكل هذه الاسنان ويغير من ارتصافها الطبيعي .. يجعل محاورها ذات انحراف غير مقبول ، فلا تعود كما كانت منتظمة في صف متزن نموذجي ، بل ان سوء الاطباق يصبح من ملامحها الاساسية المميزة !

وما ينطبق على الغليون والسيجار ، يكاد ينطبق على (المشرب) المستخدم لامتصاص دخان الجوزة او النارجيلة ..

واللسان ايضا

فاللثة تشكو .. ذلك الدخان يمرضها .. يزيد من سوء حالتها ، خاصة اذا رافقه اهمال لصحة الفم ونظافته ..

وما من شك ان نسبة اصابتها بالتخرب والالتهاب المزمن هي اعلى من نسبة اصابة شقيقاتها اللواتي يعشن في افواه غير المدخنين ..

ورغم ان الاطباء ينصحون صاحب اللثة المصابة بالتوقف عن الدخان حين اصابتها بالتهاب حاد ، خاصة في فترة نشاط هذا الاخير .. الا ان هذا الصاحب يعود الى سابق عهده بعد ركود المرض ، وكأن شيئا لم يكن !!!



واللسان له حصة من الشكوى .. وحصته كبيرة ، ولن نعدد الان منافع اللسان ، فهي معروفة لدى الجميع .. ولكننا سنعرج على الافات التي يمكن ان تهاجمه من جراء التدخين ..

بالاضافة الى التصبغات البنية والطعم المر .. هناك :

اولا : اللسان المشعر : لا اظن ان يدا تشد حليات الذوق ! ولكنها تتطاول .. نعم تتطاول من تلقاء ذاتها حتى تغدو مشابهة للشعر الكثيف المجعد الملون باللون الاصفر او البني او الاسود ..وتجلس هذه الحليات المفرطة النمو على الخط الاوسط لظهر اللسان وفي اماكن اخرى ..

غريب .. اليس كذلك ؟ بل الاغرب من ذلك ، انها احيانا تستطيل بشكل كبير لدرجة ان طولها يقترب من حدود السنتيمتر ، فتلامس حين تحركها شراع وقبة الفم مسببة شعورا بالغثيان وميلا للدوار ..

هل هناك إضرار أخر ؟ .. نعم ، ان هذه الحليات الكبيرة تؤلف مزرعة واسعة تتعهدها بالعناية ، وترعى في حظائرها المواد المتقرنة والفضلات المتراكمة ، وتحتضن بين ارجائها تلك الجراثيم التي تسرح وتمرح .. الا انها مزرعة عظيمة غزيرة المحصول ، من انتاجها : رائحة الفم الكريهة شعور بحس الاحتراق ، احساس بطعم غير مقبول ، بؤر انتانية لا تكل ولا تمل ..

لن تتحسن هذه الحالة .. ابدا ، الا ـ والا اداة استثناء كما تعلمون ـ الا اذا خفض الانسان عدد سجائره اليومية ، واعتنى بتنظيف لسانه بالفرشاة على الدوام .

ثانيا : طعامنا الشهي نتذوقه بلساننا .. فما حالنا حين يفقد هذا اللسان الجزء الاكبر من حاسة الذوق ؟ ما حالنا حين تتخرب اشعار الحس في براعمه الذوقية وتحسر حس تذوق الاطعمة المرة والمالحة والحلوة !!

ان المدخن المدمن يحتاج ـ كي يتذوق طعامه تذوقا جيدا ممتعا ـ الى تركيز في الملح يفوق التركيز الذي يتطلبه غيره بـ ١٢ الى ١٤ مرة .. وكما تعرفون يجب تجنب التركيز المرتفع في الملح لعلاقته بارتفاع ضغط الدم وامراض القلب .. مع الاعتذار من الزملاء اطباء الداخلية !

لكن ـ ولحسن الحظ ـ جميع هذه التأثيرات المرضية في حليات الذوق مؤقته ! ويستطيع الانسان استعادة

تذوقه الطبيعي في حال توقفه عدة ايام عن التدخين ..

ثالثا : تأملوا هذه اللويحات ، التي يتدرج لونها من الابيض في المركز حتى الاحمر الطبيعي عند الحواف .. تأملوا توزعها بشكل كبير عن اطراف اللسان الجانبية ..

انها الطلاوة !

في بداية اصابتها .. تكون غير مؤلمة ، مرتفعة قليلا ، وحيدة في سطح معين ، او معممة تشمل ظهر اللسان او اسفله او قاع الفم وحوافه الجانبية ..

اما في الاصابات المتوسطة .. هي تؤدي الى شعور بالحكة ، وحرقة في اللسان ، وجفاف في الفم .

وعندما تصبح الاصابات شديدة .. فانها تزداد ثخانة ، وتصبح سميكة صلبة جلدية القوام .. لا تستهينوا بها ، فهي ان اصيبت بتشقق وتقرح ، فان الطبيب يضع في هذه الحالة احتمال تحولها الى ورم خبيث !

رابعا : القرحة اللسانية المتشققة : قرحة وحيدة .. تشكو العزلة وتبكي الغربة ، تفتش مكانها عند الشق الاوسط تارة او على حواف اللسان قرب الذورة تارة اخرى .. تنشأ وتنمو ـ غالبا ـ على ذلك اللسان الذي يقبله الدخان باستمرار !!

خامسا : سرطان الفم : السرطان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، يمكن ان ينشأ من التدخين او مضغ التبغ ، يمكن ان يبدأ بالطلاوة كما ذكرنا التي تتحول مع الاهمال الى سرطان ، خاصة .. اذا لم يكف الانسان عن ممارسة تلك الهواية المؤذية !

المدخنون المدمنون

تنتقل من اللسان الى بقية الجيران .

تعالوا نسأل الشفة .. واصغوا معي الى تلك الوقائع :

يقول جوزيف برن مدير دار التجميل (ان وجوه السيدات المدخنات هزيلة ضعيفة ، وتفقد شفاههن لونها الجميل ، وتتجمع الغضون حول زوايا افواههن ، وتمتد شفتهن السفلى الى الامام ويبرز ما تحت الشفة العليا !) .

هذا من الناحية الجمالية !

ترى هل هناك امور اخرى ؟ .. نعم ، فالتدخين بالغليون مثلا يؤدي الى سرطان الشفة الخاصة المعروف بسرطان الفلايين ، وهو ناشيء عن التخريش بالتبغ والحرارة والضغط .. وليس غريبا ان يقال ان ٧٥٪ ـ ٨٠٪ من المصابين بسرطان الفم من المدخنين المدمنين !!

اذن ، هاهو جمال الشفة قد توارى ، وهاهو الورم الخبيث قد مزق حجابه واعلن عن وجوده ..

ولكن بين الافة البسيطة الاولى ، والافة المخيفة الثانية .. تاخذ آفات شفوية اخرى ، اماكن تتفاوت في اهميتها ..

مثلا .. هناك التقرن الشيخوخي : لويحات بيضاء متقرنة ناجمة عن حروق التدخين الدائم هي حالة قليلة الالم ، وتزول بالكف عن التدخين واعطاء بعض الفيتامينات .

هناك الاكزما : التي تصاب بها بعض الشفاه الحساسة ، تشفى ايضا بالتوقف عن ممارسة هواية الايذاء .

هناك الاعتياد على فتح الشفة الخفيف : الناشيء عن وضع اللفافة او الغليون في طرف الفم مما يجبر المدخن على التنفس الفموي حتى في حال عدم التدخين ، فتجف النسج الفموية وتحدث بها تغيرات التهابية تؤدى الى هبوط في مقاومتها !!

تنتقل من ملف الشفة .. الى ملف آخر .

ان ملف الغدد اللعابية .. ماذا يقول هذا الملف ؟

التدخين جسر يسمح لالتهاب الفم النيكوتيني بالعبور .. وحين يعبر هذا الالتهاب فانه يقذف احجاره الى كل مكان !

نقاط حمراء منتشرة في الجزء الخلفي من الغشاء المخاطي الحنكي ، والنقاط هي فتحات للغدد اللعابية الملتهبة ، والمتسعة ، بفعل النيكوتين .

هذا في اول الهجوم .

اما عندما يزداد تقدم القوى المعادية ، فان تقرن النسج الحنكية يزداد ، وتظهر بعض العقيدات في هذه النسج .. عدد قليل من العقيدات يتوضع في المنطقة الامامية من قبة الحنك ، اما منشأ هذه العقد فهو ضخامة الغدد اللعابية الناشئة عن انحباس اللعاب وحدوث تليف .

الان هجوم مكثف ، والمعركة الدائرة قد حمي وطيسها .. في هذه الحال ، تنشأ عقد في المنطقة الحنكية الخلفية التي تحتوي غددا لعابية ، ثم يصبح كامل المخاط الحنكي غير المخاطي ابيض اللون ذا مظهر شبيه بظهر اللحم المطبوخ .

بقي ان تعرفوا .. ان هذا المرض يصيب غالبا الانسان الذي يدخن الغليون ، وهو يحدث بفعل الحرارة والعوامل المخرشة ، وحدوثه حسب طريقة التدخين ـ مدار التبغ المستعمل ـ حساسية الفرد .

ولا يغيب عن ذهننا .. ان النيكوتين بكمياته الكبيرة يمكن ان يشمل العقد العصبية اللعابية ، والنتيجة المتوقعة في تلك الاحوال : نقص افراز اللعاب ، وجفاف الفم .. وللعاب كما نعلم اثر كبير في شفاء الالتهابات والجروح الفموية ، هذا بالاضافة الى وظيفته الاساسية في هضم اللقمة الطعامية .

ويمكن للدخان ايضا ، ان يغير من تركيب اللعاب الكيماوي ، ويزيد من تفاعله القلوي .. كما ان التدخين يضعف المادة الهاضمة للنشويات الموجودة في اللعاب ، ويخرب الخلايا التي تفرزها !!

العدو اللدود

هاهي الاسنان ، واللسان ، واللثة ، والشفة ، والغدد اللعابية .. قد تحدثت عن آلامها واحزانها ..

ترى .. هل بقي كلام ؟
ارى ان الجعبة لم تنته بعد !!!

الغريب الذي يشقى الانسان بمعرفته كل ساعة .. قد يزيد من كمية (القلح) ويساهم في تلوينه ، والقلح كما هو معروف ذلك الراسب القاسي الذي يتمركز غالبا عند اعناق الاسنان ، فيؤدي الى تشوه شكلها وبسبب التهاب اللثة وانحسارها .

العدو اللدود الذي يدخله الانسان الى جوفه بمحض ارادته .. سبب من اسباب (القلاع) هذا المرض الفموي المزعج الذي يسميه العامة (بالحمو) . والذي يظهر على الوجه الباطن للشفتين وعلى حواف او ذروة اللسان .. يبدأ بشكل حويات التهابية اتكالية حمراء مؤلمة تزول بعد ساعات ، احيانا تتحول الى قرحات مستديرة ذات حواف واضحة يتراوح حجمها من راس الدبوس الى حبة العنب .. واحيانا ـ في حالة الاهمال الشديد ـ تتطور الى التهاب الفم القلاعي المعمم !

الزائر الثقيل الذي يستضيفه الانسان عشرات المرات كل يوم .. يبث رائحة كريهة تلازم فاه المدخن وتنفر الناس من الاقتراب منه .. وهذه الرائحة ثابتة تخرج مع النفس الاصلي القادم من الاعماق ، ومهما كانت المطهرات الفموية قوية والمعاجين التجارية فعالة ، فهي تبقى محدودة التأثير مالم يتوقف المدخن عن استضافة هذا الثقيل !

واخيرا .. وليس آخرا !

بما ان الفم يعتبر محطة اولى لمسيرة الدخان ، فلماذا لا نعمل على اغلاق هذه المحطة في وجهه ؟ لماذا لا نضع المتاريس وننصب الحواجز ؟ لماذا لا نقول له عد من حيث اتيت .. عد بأذيال الخيبة والفشل .. عد بملامح العجز عن ممارسة هواية الايذاء في أجهزة الجسم !!

محاولة بسيطة .. قد تساعدنا في هذه المجابهة ..

هناك محاليل يمكن استخدامها مضمضة ، تجعل للدخان طعما وتولد في المرء نفورا داخليا من هذا الداء اللعين .

محاولة قد تنجح وقد لا تنجح ، فالاعتماد الاكبر ـ اولا واخيرا ـ على ارادة الانسان ورغبته الجادة في ترك الدخان .. ■■

د . موفق ابو طوق
حماة / سورية

المرج الأعظم

قصة بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

● تعالوا يامن تحسدون الراعي فانظروا كيف صـار •

عيناه ترودان الافق ، فاذا قابلتا وهج الشرق توقفتا هنيهة ، وصعدتا ببطء وانكسار تقيسان ارتفاع الشمس • وكلما علت مترا زاد الهواء احتداما ، واشتدت مأماة الخراف ، وانقبض قلب الراعي •

وعندما ترود عيناه الافق كرة أخرى ، يجد كل شيء كما كان • يجد لا شيء •

دائرة كأنهـا رسمت بالبركار ، لايكسرهـا نتوء ما • لا بيت ، لا شجرة ، لا جبل ، لا نار ولا دخان ، لاشيء يبشر بخلاص اخير او هلاكسريع، يرحم ذل الراعي وشقاء القطيع •

والارض بنية اللون عند الفجر ، صفراء بعيد الشروق ، بيضاء كالملح عند الظهيرة ، سوداء في الليل كحظ الراعي •

وسواد الليل أرحم من بياض النهار •

سواد الليل ظل كله • الارض كلها تستظل بالظلام • واذا لم يكن الا الظلام ظلا فمرحبـــا به • هكذا كان يفكر الراعي ، ولعل الخراف كانت تفكر مثله ، فهما في المحنة قريبان •

في الليل يحل التعب بالخراف فلا تشعر بالجوع ، ويضع الراعي حقيبته ويخرج منها اداوة الماء وكسرة من خبز الشعير ، فياكل ويشرب • ويرقد مستلقيا على ظهره ، ينظر الى النجوم ويحلم ، وهو يحس انساما دافئة ، محملة بنلق البحر ، تلفه كدثار لين •

لم يكن المرعى القديم ممحلا كل الامحال ، كانت ثمة اعشاب قليلة جافة ، وربما وجد الراعي ارطاة قصيرة فاندس تحتها حين يشتد الحر ، ملتويا كأنه ثعبان • ولكنه الطمع ، قاتل الله الطمع ! راح يتشمم الهواء ، ويقلب ناظريه في السماء ، ويرصد الرياح والانواء ، ولا نوء هناك ولا بلة مطر ، ولكنه كان يحسب نفسه خبيرا ، ورأى امارات ، وسمع من الريح هينمات ، فساق قطيعة نحو الغرب •

وكلما اوغلا في السير زادت الارض قسوة ، ويعود الراعي يتشمم الهواء ، ويقلب ناظريه في السماء ، فيقدر ان وراء الضيق فرجا ، ووراء الجدب خصبا ، ويطمئن نفسه بانـه لم يخطيء الحساب ، ولا جانب الصواب ، ويمتليء عزمـا وتصميما ، فيقد الارض بعصاه ، وتسرى فـى القطيع موجة نشاط ، وتتجاوب هنا وهنـاك مأمات ، وتتواثب نعـاج في طيمهن المرح ، وكان المرعى اصبح منهن على مرمى البصر •

ولكن الطريق طال • كلت القوائم ، وتكسرت الاظلاف ، وتلبد الغراء على الظهور ، وارتسم الغباء على الوجوه ، وزاغت العيون واختلط بياضها بالسواد •

الراعي فنان • طالما اطرب اخوانه بنغماته وهم متحلقون حول النار ، في تلك الليالي السعيدة عصر كانوا ياكلون اللحم ويشربون اللبن • ترى اين هم الان ؟ مذ اجدبت الارض وكلهم مشغول بامر نفسه • منهم من انطوى خبره ، ومنهم من يامل ان يصل الى شاطيء الخصب آمنا سالما ، فيكون اكثر ثراء واعظم نفوذا • اذا افتقر جارك وحافظت على مالك كنت كمن ضاعف ماله •هذه سنة الحياة •

الراعي فنان • واليوم يذكر نايه لا للطرب لكن للنسيان • اخرجه من جيبه واخذ يداعبه بشفتيه واصابعه • خرج منه اول الامر نغم خافت ممتد ، ولكنه ناعم رطب كحفيف ريح في عشب ناضر •



ثم جعلت الاصابع تعلو وتهبط ، واتلعت الشياه اعناقها منصتة للنغم • ابدا ما سمعت راعيها يحدثها بمثل هذه البلاغة ، ابدا ما دغدغ الناى حواسها بمثل هذا الشبق•ابدا ما انتشت اعطافها بمثل هذا السحر •

تمثلت لها من ثقوب الناى ارض خضراء تتالق فى الندى والنور ، فقاصت فى عشبها الطرى حتى شبعت وارتوت ، ثم راحت متكاسلة الى راعيها الذى اسند ظهره الى جذع دوحة عظيمة، وتحلقت حوله تثغو فى سعادة على ترجيع انغامه الحنون •

وابدا ما رات عينان مثلهما راعيـــا وقطيعا ، ولاسمعت اذنان مثلهما ثغاء وترجيعا • كان الناى يترجم احلام الراعى انغاما البرية ، فاذا هى فى قلب كل خروف ونعجة • وكانت قلوب القطيع كله تنبض بامل واحد فتلهم خيال الراعى • (وما دامت هذه الدائرة الكهربية متصلة فلن تؤذيهما صلابة الارض ، ولا حرارة الشمس ، ولا رطوبة البحر) • سيحتسفان الطريق لا يحسان ضيقا ولا رهقا ، ففى قلوبهما ايمان لا يتزعزع بانهما بالغان الغاية حتما ، ولو سارا الى آخر العالم فلا بد ان يجدا الارض الخضراء التى تتالق فى الندى والنور •

(كيف انقطع التيار ؟ من عند الراعى ام من عند القطيع ؟ لا أحد يدرى) • ولكنهما افاقا فاذا الاوصال مرتهكة ، والاظلاف دامية ،والارض كالعهد بها جهامة وصلابة ، وقد اكل كل واحد ظله • ربِاه ، اما لهذا الحلم البشع من آخر ،

ايهما الحلم وايهما الحقيقة ؟ المرج الاخضر الناعم بعشبه الطرى وظله الظليل ، ام الرحلة الطويلة المضنية في ارض لاتبض ، وتحت شمس لاترحم ؟

تدلت الالسنة ، وتقبضت الغلاصم • واصبح الموت ظما واختناقا اقرب من حبل الوريد •وعجيب وسط هذا الجفاف كله ان تبقى في القلوب نداوة تبعث قطرات من الدمع في العيون الشواخص • شواخص ولكنها لاترى • ولو رات ما احست • ولو احست العيون ما وعت القلوب • وعجيب وسط هذا الياس كله ان يبقى ثمة يقين تتعلق به آمال القطيع : يقين يحسه كل خروف (او نعجة) عندما ينظر في عيني اخيه • فمن هذه العيون البليدة التي كاد بياضها يمحق السواد ، كانت تطل شعلة صغيرة ، وستبقى هناك ، في اغلب الظن ، حتى يطفئها الموت : شعلة الايمان بان للراعي عيونا اخرى ، لاتغفل ولا تنام •

نظر الراعي الى نايه في غضب ، وهم بأن يحطمه • (فقد ايقن ان هذه القطعة من البوص المليئة بالثقوب ، والتي لاتزيد على ان تتلقى انفاسه ، وتقسمها طوعا لحركات اصابعه ، هي المسئولة عن انقطاع التيار) ثم ادكر انه لا يملك سواه ، ولن يجد في هذه القفار عودا واحـــدا من القصب ليتخذ نايا آخر ، فكظم غيظه ،وجعل يخاطب نفسه :

« النفس تضعف ، وقد عانت هـذه الشياه طويلا ، وكادت تهلك جوعا وعطشا ، فلا غـرو ان سئمت الحاني ، فهي لا تستطيع ان تقضمها باسنانها ، ولا تلوكها بالسنتها ، وليس فيآذانها قنوات توصل الى المعدة » •

وبرقت في ذهنه فكرة :

« لقد اخطات حين مثلت بالحاني مرجا اخضر ، وعشبا غزيرا ، وطعاما وفيرا ، وهذه اشياء خطرة ، ربما طربت الشياه لذكرها قليلا ، وماهي الا ان تتلفت فلا تجدها فتعظم حسرتها ، وربما نفقت او جنت • انما الراى انآعزف لها الحانا تنفخ رؤوسها كبرا ، وكانها اصبحت مالكة لكل هذه الارض الشاسعة الممتدة بين الجبل والبحر ، بل لكل مابين الارض والسماء ، ولا باس عندئذ بان املا هذه الارض مروجا وانهارا ايضا ـ لم لا ؟ ـ فسوف تظل تحلم بانهذا كله طوع اظلافها، تنال منه ما شاءت متى شاءت كما شاءت • نعم الراى هذا » •

انتعشت روحه بحماسة جديدة ، وقرب الناى من شفتيه ، وبدأ يصفير قوى ايقظ ما بقى في الشياه من نماء قليل ، فرفعت رؤوسهـا بعد انخذال ، ودفعت صدورها الخاوية في بطولة ، ودقت الارض باظلافها كدابها من قديم • وانطلقت الانغام نشيطة جريئة فرحة ، فاذا الشياه لاتعتسف ارضا جاسية تكاد تلتهب من حرارة الشمس ، ولكنها تخطو فوق سحاب كنديف القطن نصاعة ولينا ، ونظرت فاذا تحتها مروج خضر لا يبلغ البصر مداها ، فلم تشك ان كل هذه المروج لها ، وانها القطيع المختار منذ الاف السنين ليعمر هذه الارض ويملاها نعـاجا وحملانا • وكلما راق في عيونها مرج وهمت بان تهبط لترعاه لاح لها مرج جديد أبهى وأنضر •

واخذت الراعي نشوة الفن ، فراح يطيل في انغامه ويقصر ، ويصدح ويزغـرد ، ويجلجـل ويهمس ، ويندفع ويتمايل • راى خرافه تضحك، شفاهها تضحـــك ، عيونها تضحـــك ، والفـــرو الابيـــض النـــاصع على اجسامهـــا السمينة يكسوها عزا ومهابة • واستحال مشيها رقصا ، وهي تسبح في نور كنور القمر ليلة الرابع عشر، والهواء صاف كانما روقته الملائكة من اجلها • لم ابتلع الضوء كل شيء • لم يعد الراعي يرى خرافا ترقص • لم يعد يشعر بالهواء الصافي • لم يعد يتنفس • لم يعد جسده يضايقه ويشل حركته • كان يمد ذراعه فيمسح على النجوم ، ويربت على القمر • اصبح روحا كله • ها هو ذا قد ذاب في الهواء الصـافي ، ذاب في ضوء القمر ، سيحمله ضوء القمر الى بعيد سيلف به الارض ، سيطوف به على النجوم • ولكنه لاينسى خرافه • (انه الراعي الحدب الشفيق • خرافه هم اولاده) • لقد اصبحت ارواحا مثله ، تطوف معه على النجوم • لاتعرف جوعا ولا عطشا • لاتسال اين يذهب بها • سعيدة هي براعيها • آن ياخرافي ان تستريحي • آن ان تستريح انت وانا • هذا هو المرج الاعظم • فسيح فسيح• لانهاية له • رطب لين • وعميق الزرقة دعيه يحتضن اعضاءك المتعبة • ساظل اعزف لك حتى تنامي وتستريحي • وعندما يسكت صوت الناى ، ساكون انا ايضا قد استرحت • ■■

شكري محمد عياد

● نتيجة مسابقة العدد ٢٤٤ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ت	ن	ز	ا	ن	ى	ا	■	ا	ل	ا	ن	س	ا	ن
٢	ا	س	ق	ر	ب	و	ط	■	ل	■	ا	ش	ك	■	ى
٣	ل	ى	■	غ	غ	■	ل	ا	خ	ب	■	ج	ر	ا	م
٤	ى	ا	س	م	ى	ن	■	ب	ن	د	ا	■	ى	ل	م
٥	ر	ن	ى	ن	■	ت	خ	و	د	■	ل	ج	ا	م	■
٦	ا	■	د	ا	ن	ه	■	ا	ل	ا	م	■	ت	و	ا
٧	ن	ش	ق	■	ا	ى	ك	ل	ى	ب	و	س	■	س	ر
٨	■	ه	ش	ا	م	ب	ن	ع	ب	د	ا	ل	م	ل	ك
٩	ش	ر	ط	ى	■	ه	ف	ت	■	ى	ل	ى	ق	■	ى
١٠	■	ى	ه	ا	ج	م	■	ا	ك	ن	■	م	ى	ن	و
١١	ل	ا	■	م	ا	■	ا	ه	ر	ا	م	ا	ن	■	ل
١٢	ا	ر	ب	■	ل	ى	ب	ى	ا	■	ق	ل	■	د	و
١٣	م	■	ا	ب	و	ا	ل	ه	و	ل	■	ا	ر	و	ج
١٤	■	ب	ر	و	ن	ت	ى	■	ى	ح	ت	و	ى	ن	ى
١٥	ق	د	ى	م	■	ى	س	■	ه	د	ى	ل	■	ه	■

افقياً :

هشام بن عبد الملك

رأسياً :

أبو العتاهية

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : هشام بن عبد الملك . خليفة اموى ، بلغت الامبراطورية الاسلامية في عهده اقصى اتساعها . حارب البيزنطيين ، وبلغت جيوشه ابواب بواتييه في فرنسا ، حيث جرت معركة « بلاط الشهداء » مع شارل مارتل .

(٨) راسيا : أبو العتاهية . هو أبو اسحق اسماعيل بن القاسم ، كني بأبي العتاهية لميله الى المجون والتعته . اغلب شعره في الزهد والتنكر للدنيا ، مع حرصه الشديد على المال . بلغ منزلة عالية عند الرشيد .

الفائزون بالجوائز

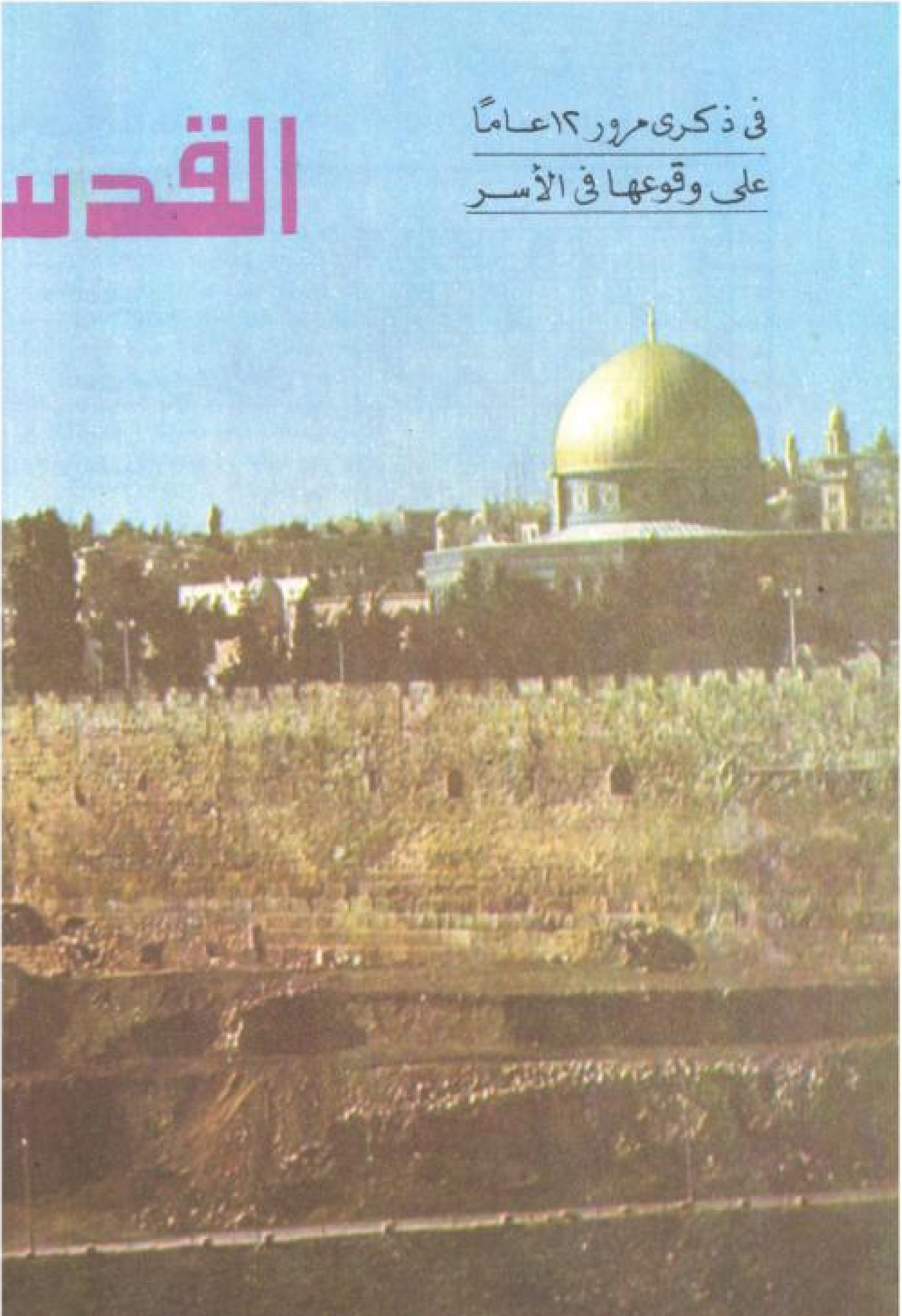
❋الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :سعد عبدالواحد حسين ـ بابل / العراق •

❋ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :جعفر حسن علوى الجفرى ـ الحديدة / اليمن •

❋الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :غنان محمد ـ الناظور / المغرب •

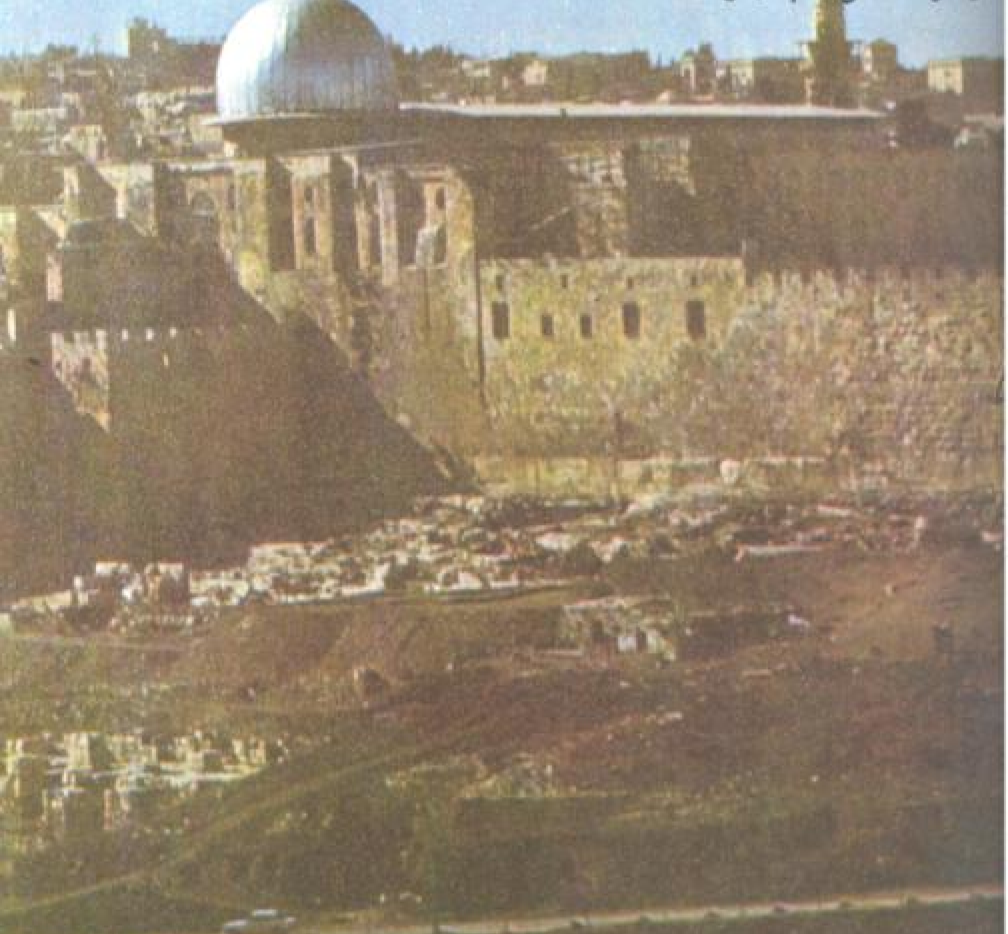
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ اروى عبدالغنى محمود ـ عمان / الاردن
٢ ـ منى على سليم ـ صيدا / لبنان
٣ ـ مصطفى صالح حمدان ـ الشعيبة / الكويت•
٤ ـ عبدالله ادريس البشير ـ الدمام/السعودية
٥ ـ عبد الرحمن عبد الله مشمع ـ المكلا/اليمن الديمقراطى •
٦ ـ يوسف محمد عبد القادر ـ الخرطوم/السودان
٧ ـ محمد بن احمد شريقى ـ حلب / سوريا
٨ ـ امية كمال ـ ادنبره /بريطانيا •


القدس
فى ذكرى مرور ١٢ عامًا
على وقوعها فى الأسر

ى القلب..

ستظل القدس هى التحدى الاكبر الذى يواجه العرب • فبقدر عروبة القدس،يكون حجم الارادة العربية•وستظل مزاعم اسرائيل فى القدس هى الاكذوبة الكبرى ، وبقدر ثبوت هذه الاكذوبة ، يكون مدى العجز العربى • وهذه زيارة للقدس ، فى مناسبة مرور ١٢ عاما على وقوعها فى الاسر الاسرائيلى ، انتقالا بالاكذوبة من عالم الوهم والخرافة ، الى عالم الواقع •



بقلم : مصطفى نبيل

للقدس سحر خاص .. واستمرارية فريدة تتحدى التاريخ .التقت داخلها حضارات العالم ، ومر بها الانبياء والاباطرة وجحافل الغزاة . كانت دائما احد مراكز التصادم بين الامبراطوريات القديمة والحديثة ، تعرضت للتخريب في حياتها الطويلة ١٦ مرة . وفي كل مرة كانت تقفز الى الحياة من جديد ، وتعود قوية متعافية ..

تجلت بها حكمة الانبياء ، ولعبت دورا هاما في حياة الاديان الثلاثة ، وشهدت « الاسراء » معجزة الاسلام الكبرى ، وهي اولى القبلتين وثاني الحرمين ، وشهدت جبالها ووهادها دعوة السيد المسيح ، وقال عنها العهد القديم « ارض حنطه وشعير وتين ورمان ، ارض زيتون وزيت وعسل » .

وهي للعرب « تاريخ محفوظ » ، وقد ظلت لفلسطين كالقلب ومن أكبر مدنها حتى بدأت المؤامرة الصهيونية ، ووقعت في الاسر . واصبحت اخطر تحد يواجهه العرب في تاريخهم الحديث ..

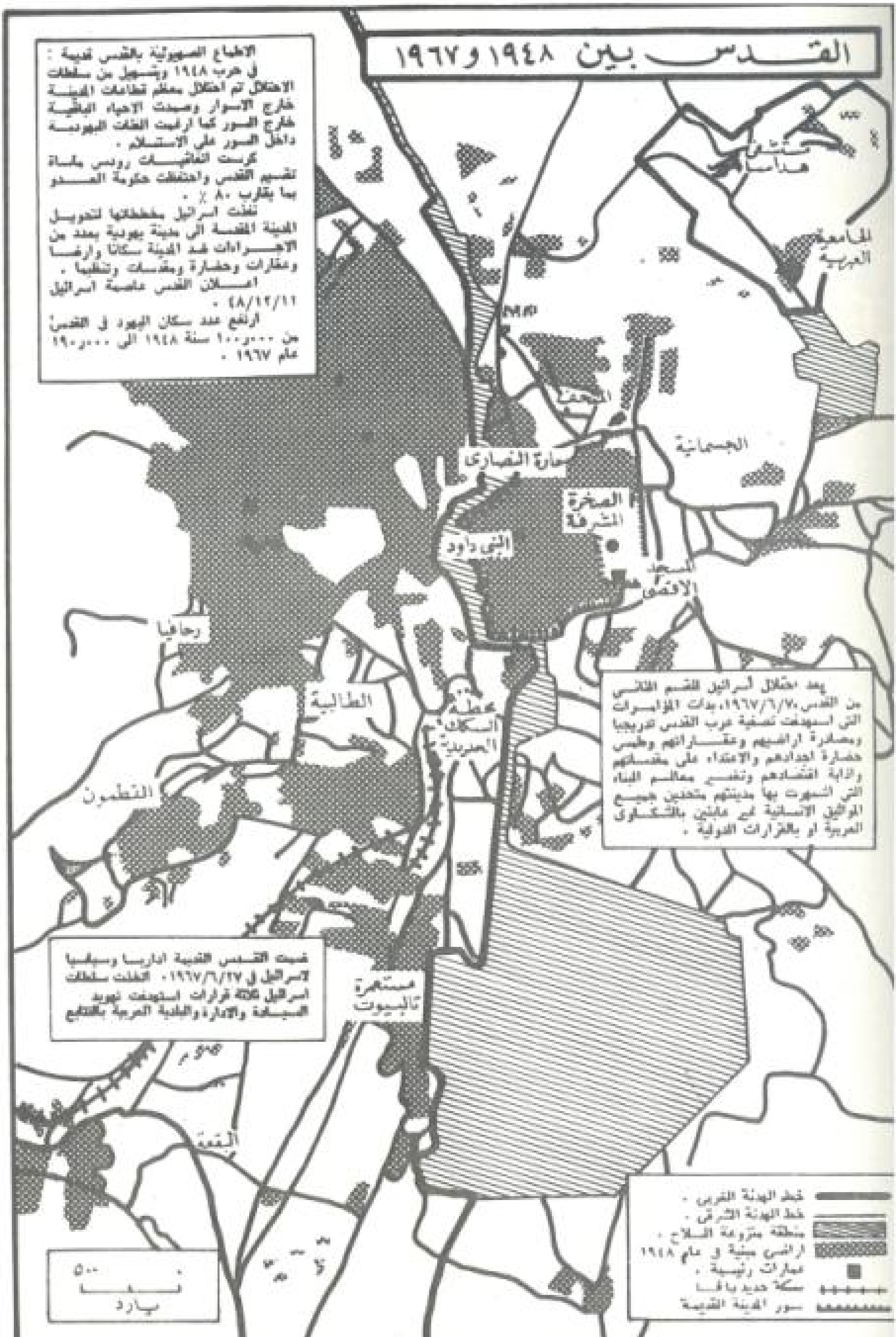
حينما اتجهت الى القدس تظهر رؤوس التلال في مظهر مهيب ساحر ، حتى تطل عليك المدينه « الخالدة » ، تقف وسط الجبال منتصبه في كبرياء على طول الافق ، وتلوح امامك صخورها البيضاء الذاكته ، وتستنشق رحيقها من حقول الزيتون وكروم العنب وسنابل القمح واشجار التين واللوز ..

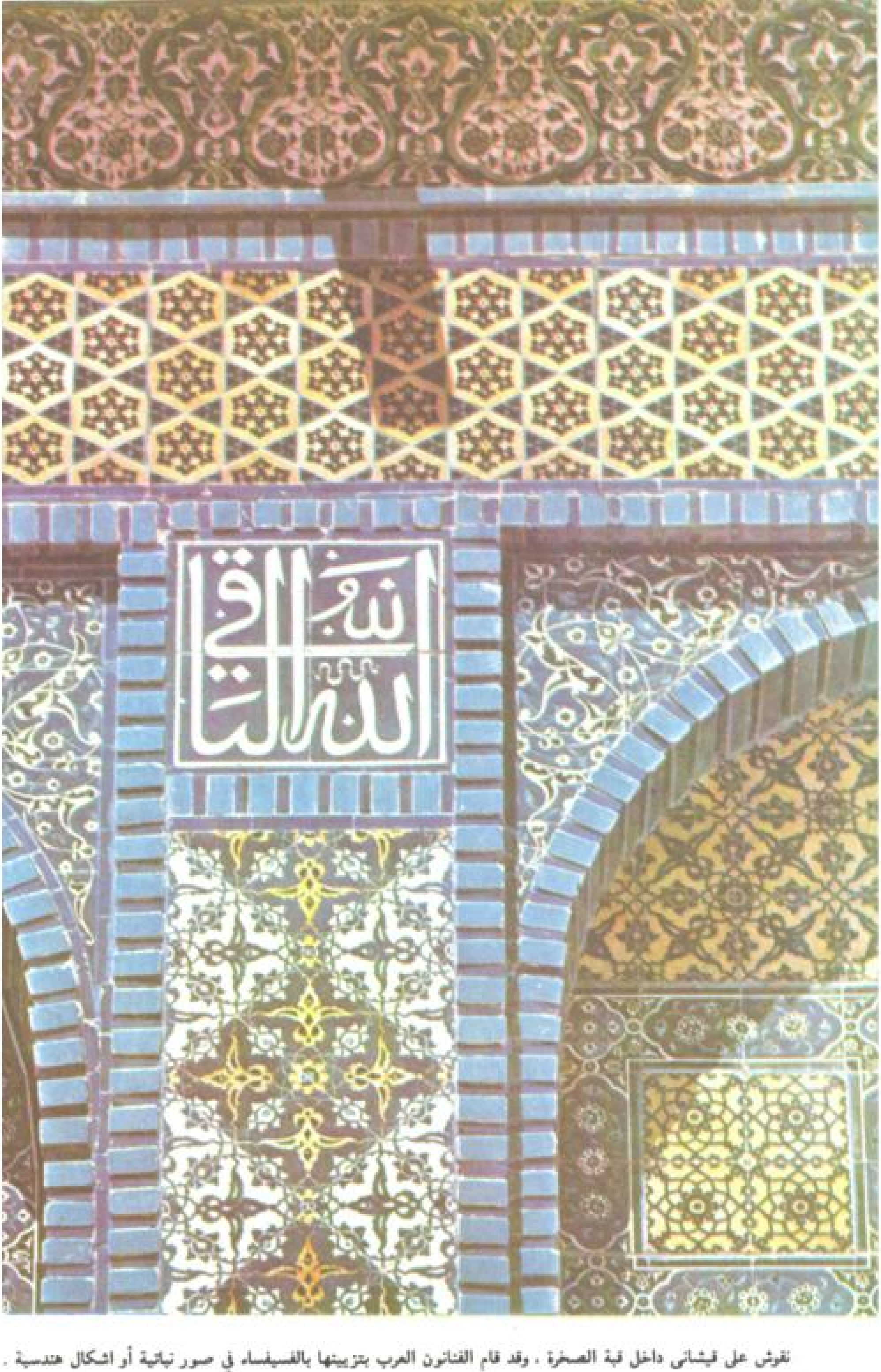
انت امام المدينه المقدسه التي تقوم على جبلين يمتدان على ارتفاع حوالي ثمانمائة متر فوق سطح البحر ، يعلنان هيمنة « القدس » على المنطقة باكملها ، في لوحة بديعة تكشف موقعها الخاص وتاريخها الفني ، ولعل سحرها في تلك الاعشاب البرية متعددة الالوان التي تغطي تربتها ، او لعله في مبانيها التي شيدت من حجارة محليه خاصة تضفي عليها غلالة من الوقار والسكينه ، او لعله ما يحيطها من جبال مشهوره اهمها جبل سكوبس من الشمال وجبل المكبر من الجنوب وجبل الزيتون من الغرب ، فهي مدينة التاريخ وما من موضع فيها الا به اثر لنبي او لحدث تاريخي ، وكل حجر من احجارها يحفظ ذكرى عزيزة غالية ..

وترى القدس موزعه على منطقتين متميزتين ، القدس القديمة التي يحيطها السور الكبير العتيق ، والذي كلما هدم في الحروب المتتاليه اعيد بناؤه ، وبها كل المقدسات : الصخره المشرفه ، والمسجد الاقصى ، وكنيسة القيامه ، ومعظم سكانها من العرب الفلسطينيين ، وقد بلغ عددهم عند نشوب الحرب العربية الصهيونية عام ١٩٤٨ نحو ستين الفا ، وللقدس القديمة أحد عشر بابا اهمها : باب العمود (او باب دمشق) ، وباب الخليل ، وباب النبي داود ، والباب الجديد ، وباب الاسباط ، وبوابة مندلبوم .

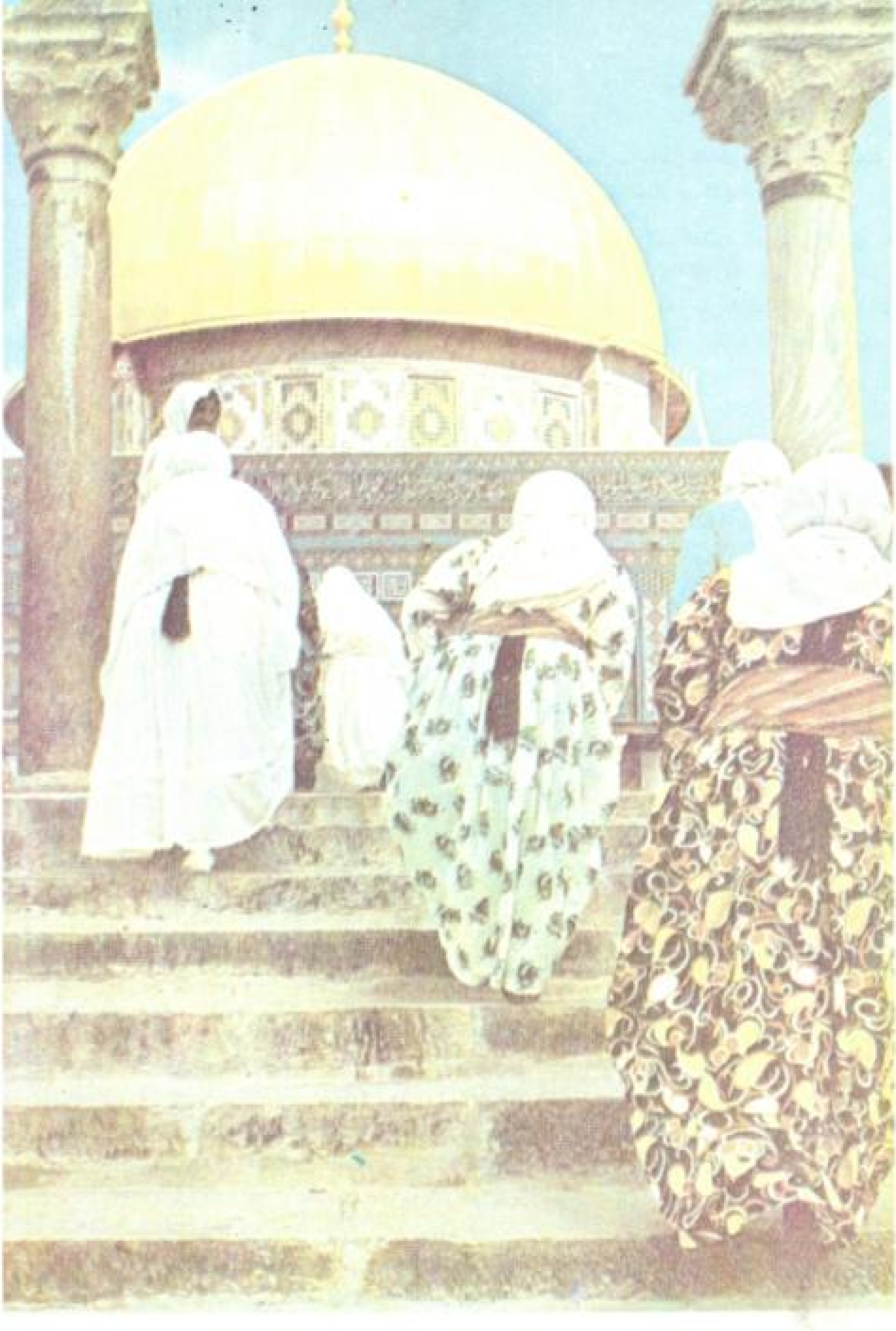
أما القدس الجديدة فتقع خارج السور القديم ، وتتميز بالعمران الحديث والاحياء الجديدة ، والشوارع المشجره والفيلات الانيقة والحدائق المنتشره ، وهي التي سقطت في ايدي العصابات الصهيونية في الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ..

والقدس كما يقول الجغرافيون قمة تل ، تستمد اهميتها الجغرافية من قاعدة موضعيه ، فهي من « مدن » القوافل بالموقع والموضع ، الذي يستولي عليها يصبح امامه الطريق الى الحجاز ، الى مكة والمدينة ، كما تصبح مواضع الحماية ملمحا واضحا فيها ، وهي نقطة التقاء طريق الحركه التاريخي من الشمال الى الجنوب على طول الهضبة الوسطى بالطريق العرضي الرئيسي بين يافا واول نقطه تصلح لعبور الاردن شمال البحر الميت ، اما موضعها فقد بدأت على قمة تل منيع ـ وتلك كانت ميزة هامة في الماضي ـ ، وتبدو نقطة ضعفها الجغرافي واضحة ، فهي تقع في اقليم جاف غير منتج ، وتعتمد


القدس بين ١٩٤٨ و١٩٦٧
الاطماع الصهيونية بالقدس قديمة :
في حرب ١٩٤٨ وبتسهيل من سلطات الاحتلال تم احتلال معظم قطاعات المدينة خارج الاسوار وصمدت الاحياء الباقية خارج السور كما ارغمت الفئات اليهودية داخل السور على الاستسلام .
كرست اتفاقيات رودس بلماة تقسيم القدس واحتفظت حكومة العدو بما يقارب ٨٠ ٪ .
نفذت اسرائيل مخططاتها لتحويل المدينة المقدسة الى مدينة يهودية بعدد من الاجراءات ضد المدينة سكانا وارضا وعقارات وحضارة ومقدسات وتنظيما .
اعلان القدس عاصمة اسرائيل ٤٨/١٢/١١ .
ارتفع عدد سكان اليهود في القدس من ١٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٤٨ الى ١٩٠,٠٠٠ عام ١٩٦٧ .
مستشفى هداسا
الجامعة العبرية
المتحف
الجسمانية
حارة النصارى
الصخرة المشرفة
النبي داود
المسجد الاقصى
رحافيا
الطالبية
محطة السكك الحديدية
القطمون
بعد احتلال اسرائيل القسم الثاني من القدس ١٩٦٧/٦/٧، بدأت الاجراءات التي استهدفت تصفية عرب القدس تدريجيا ومصادرة اراضيهم وعقاراتهم وطمس حضارة اجدادهم والاعتداء على مقدساتهم وازالة اقتصادهم وتغيير معالم البناء التي اشتهرت بها مدينتهم متحدين جميع المواثيق الانسانية غير عابئين بالشكاوى العربية او بالقرارات الدولية .
ضمت القدس القديمة اداريا وسياسيا لاسرائيل في ١٩٦٧/٦/٢٧ . اتخذت سلطات اسرائيل ثلاثة قرارات استهدفت تهويد السياسة والادارة والبلدية العربية بالقدس
مستعمرة تالبيوت
خط الهدنة الغربي .
خط الهدنة الشرقي .
منطقة منزوعة السلاح .
اراضي مبنية في عام ١٩٤٨
عمارات رئيسية .
سكة حديد يافا
سور المدينة القديمة
٥٠٠
يارد



نقوش على قيشاني داخل قبة الصخرة ، وقد قام الفنانون العرب بتزيينها بالفسيفساء في صور نباتية أو اشكال هندسية .



سيدات عربيات من القدس يصعدن الى قبة الصخرة ، وتظهر قبتها الذهبيه ، وقطرها ١٢ مترا ، وارتفاعها ٢١ مترا .

اساسا على صهاريج المياه الصخرية ، وتجلب المياه الان من عيون بعيدة في الشمال والغرب بالانابيب والمضخات ..

القدس .. المعيار

ولكل مدينه وظيفة خاصة ، فما بالك بالمدينه الخالدة المقدسة .. ؟!

تأتي وظيفتها من موقعها ، او من اهميتها السياسية او الحربية او الدينية ، او من مواردها مما يجعلها موطنا لصناعات خاصه ، والقدس يتداخل في دورها كل هذه الوظائف ، فهي « قافلة ثابته » ، وهي ليست من مدن الحدود ولا الثغور ، وهي منبع الديانات الثلاث ، ومن كبرى مدن الحج في العالم العربي . ولكن دورها ووظيفتها التاريخية يفوقان هذا كله ، بل ان القدس تتحدى الجغرافيا ، فتقع وسط الاقليم الجبلي الذي يصعب اختراقه فهو ليس عتبه بقدر ما هو عقبه ، على حد تعبير الدكتور جمال حمدان ، وقامت مثل مكة المكرمة في « واد غير ذي زرع » ، وليس في الجغرافيا السياسيه ما يفسر قدمها ، ولا حيويتها النادره ، فقد قامت بعد ان خربت في حياتها ١٦ مرة ، وكانت تقفز كل مرة من انقاضها الى الحياة ثانية في استمرارية تتحدى التاريخ ..

وهذا يقودنا الى وظيفتها الدائمة والتاريخية ..

لقد كانت على مر التاريخ تمثل المعيار الذي لا يخطىء على قوة العرب والاسلام ، فهي أمنة مزدهره في ظل ازدهار العرب ، وهي اسيرة كسيحة في ظل الضعف والانهيار الحضاري ، وهي دائما محور المواجهة بين العرب واعدائهم ، واذا اعدنا قراءة التاريخ ، فستتوالى اسباب هذا الحكم التاريخي ، هكذا كانت « محورا » للحروب الصليبية ، وهكذا كانت عندما تعرض الوطن العربي كله للاستعمار الأجنبي ويكشف ما قاله اللنبي عندما دخل القدس حيثيات هذا الحكم ، قال كلمته الشهيرة : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » وهكذا هي الان المعيار والمقياس ، تكشف رغم كل الاقنعه ـ وعمليات التجميل ـ الفاصل القاطع بين الهزيمة والانتصار ، وتبين الفارق في المسار بين التقدم والانهيار ..

فالقدس قلب القضية العربية بلا جدال ، اذا سار العرب على طريق تحريرها ، فهم سائرون على طريق المواجهة الصحيحه مع الحركه الصهيونية ، بكل ابعاد المواجهة الحضارية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والسياسية ..

لكي لاننسى .. !

لقد وقعت القدس في الاسر الاسرائيلي في جولتين : احتلال القدس الجديدة عام ١٩٤٨ ، ثم احتلال القدس بكاملها في يونيو عام ١٩٦٧ .

اصدرت الامم المتحدة في ٢٩ اكتوبر عام ١٩٤٧ قرار التقسيم ، ووضعت القدس تحت اشراف دولي ، كأحد حلقات التآمر على الارض العربية ، ورفضت الحركة الصهيونية تدويل القدس ، وبدأ الصراع التاريخي الجبار بين الحركة الصهيونية والحركة العربية على قدس الاقداس ..

والقدس ستبقى دائما المقياس والمعيار لقدرة العرب على انتزاع حقوقهم ، فهي ذات موقع استراتيجي هام تحيطها التلال ، وهي « رقبة الضفة الغربية ، وبقية المنطقة غربي النهر . فاذا تمكن الاسرائيليون من تطويق هذه الرقبة فسرعان ما ينهار بقية الجسم » .

وسرعان ما تذرع البريطانيون بقرار التقسيم ، واصروا على خروج اي جندي عربي من الضفة الغربية لنهر الاردن قبل الرابع عشر من مايو ، وما ان حلت ساعة جلاء القوات البريطانية حتى كانت القدس خالية من المقاتلين العرب تقريبا ، وتسللت التنظيمات العسكرية الصهيونية مغتنمة هذه الفرصة وتسللت الى القدس القديمة (العربية) . بعد ان كانت قواتهم قد استولت على القدس الجديدة واخرجوا سكانها العرب الى داخل القدس القديمة ، وبدأ ضباط الهاجانا يجوبون شوارع القدس بمكبرات الصوت يخاطبون اهلها قائلين .. « طريق اريحا لا تزال مفتوحة ، اخرجوا من القدس قبل ان تقتلوا » .

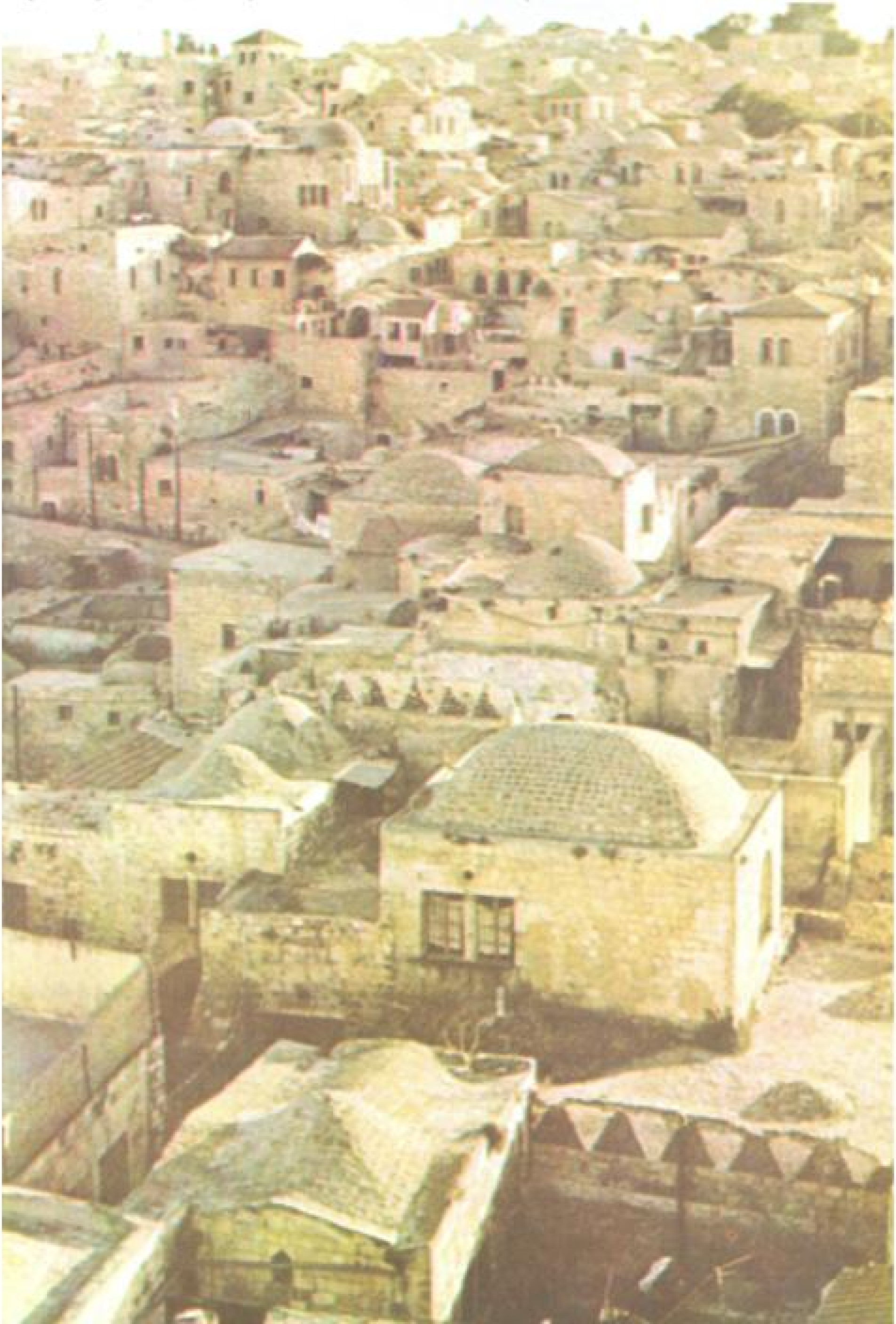


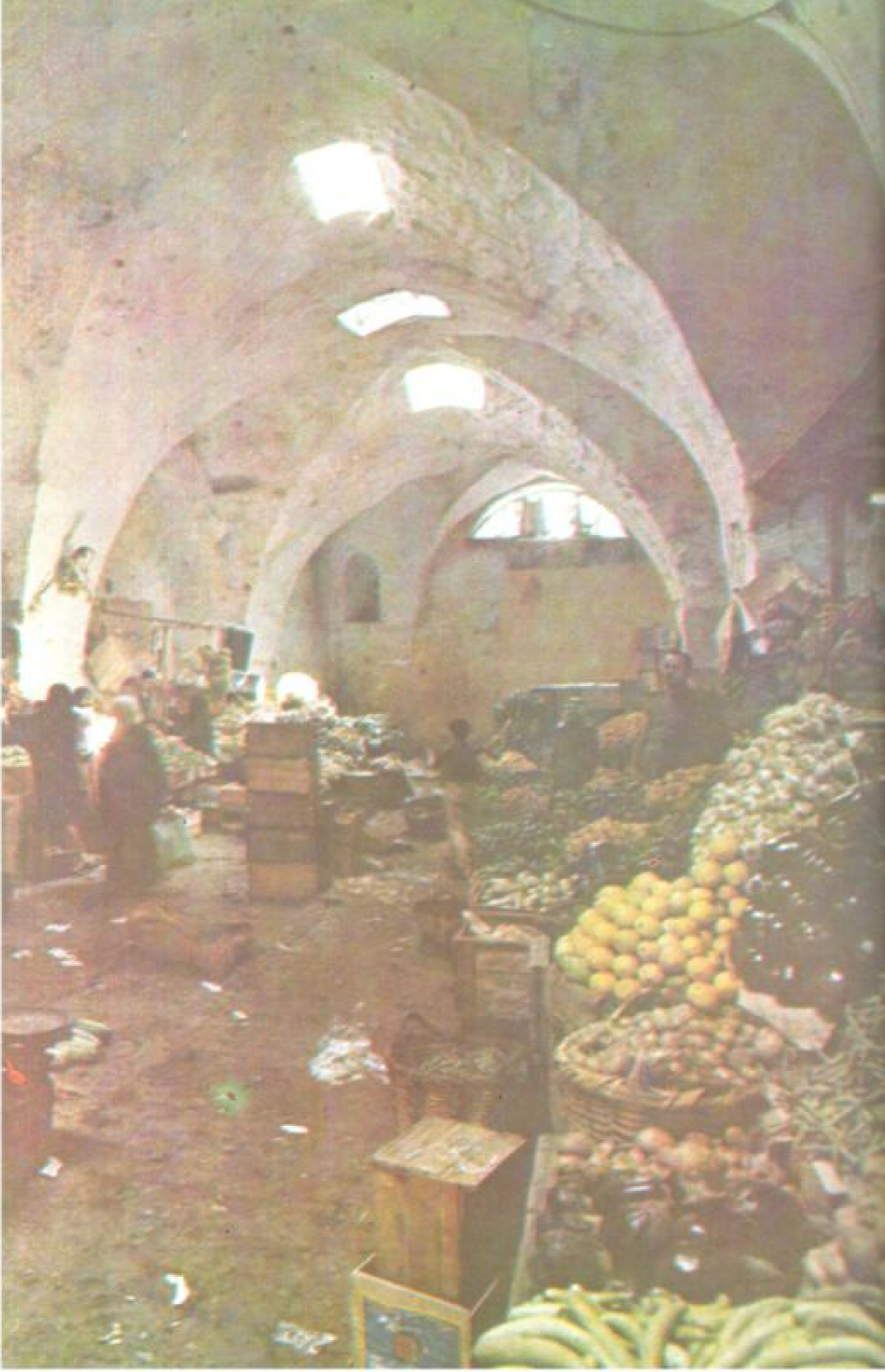
قبة الصخرة عام ١٨٧٥

وبدأت في ١٦ مايو الكتيبة السادسة الاردنية بقيادة عبد الله التل تتقدم نحو القدس القديمة لانقاذها من براثن الصهيونية ، وكانت في هذا الوقت قوات « الجهاد المقدس » تقاتل فيها رغم افتقارهم للسلاح والذخيرة والخبرة القتالية .

وفي صباح يوم ١٨ مايو كانت كتيبة الفيلق العربي تحتل مشارف القدس القديمة لتمنع الصهاينة من اقتحام ابوابها بعد ان احتلوا الاحياء المحيطة باسوار القدس القديمة كالشيخ جراح ومدرسة الشرطة وغيرها ، بينما كانت قوات الجهاد المقدس تحاصر الحي اليهودي في القدس القديمة بعد ان عززت بقوات من الجيش العربي ، وتم قطع الاتصال بينهم وبين القوات الصهيونية خارج الاسوار ، ثم ادخل قائد القوة المحاصرة دباباته الى الحي اليهودي مع فرقة هندسية تابعة لقوات الجهاد اخذت تنسف كل اوكار المقاومة الصهيونية ، وبعد عشرة ايام

منظر عام للقدس القديمة ... وعلى الصفـ
سوق القدس تحت قباب تاريخية عتيقة مـ
الصليبيين . قال عنها الرحالة فابري : « لـ
لأسواقها شبيها كلها مسقوفة بالقباب » .





من الحصار وفي يوم ٢٨ مايو اقبل حاخامان من الحي اليهودي نحو القيادة العربية يحملان علما ابيض وعرضا استسلام الحي للكتيبة العربية ، وتم الاستسلام بشروط القائد العربي ، وهي ان يؤخذ المقاتلون اسرى حرب ، وان يرحل النساء والشيوخ والاطفال والجرحى خارج اسوار المدينة المقدسة وان يتم تسليم السلاح والعتاد الحربي والذخيرة ، ووقعت وثيقة التسليم من قبل عبد الله التل قائد الكتيبة عن الجانب العربي وموشيه روزنك قائد الهاجانا عن الجانب الصهيوني في ٢٨ مايو ١٩٤٨ .. واخذ المقاتلون من اليهود اسرى حرب الى عمان ، وبقية السكان نقلوا الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة .

وقد بلغت خسائر الحركة الصهيونية في هذه المعركة ثلاثمائة قتيل وثمانين جريحا واربعين اسيرا ، اما خسائر العرب فكانت أربعة وعشرين شهيدا من الجيش العربي وعشرة من قوات الجهاد المقدس ، وخمسة وعشرين جريحا .

ملحوظة :

بسبب الظروف الموضوعية التي لا تشك أن قارىء العربي يدركها جيدا ، فقد اضطرت المجلة الى الاستعانة في تقديم صور القدس بعدد من المصادر والمراجع الاجنبية والعربية . في مقدمتها :

الارض المقدسة للمصور العالمي البستر دنكان ، والقدس ليكولين ثيرون ، ورسومات الفنان العالمي دافيد روبرتس التي خطها في القرن السادس عشر ، ومجلة ناشيونال جيوجرافيك مجازين ، والمجلة الوثائق « فلسطين تاريخ وحضارة » ، الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، واطلس الصراع العربي الصهيوني الصادر عن دار القدس .

المحرر

وانتهت هذه الجولة بسيطرة الصهيونية على القدس الجديدة وتجاهلها لقرار الامم المتحدة الخاص بتدويل القدس ، ومن جانب آخر تم انقاذ القدس القديمة من السيطرة الصهيونية ..

ومنذ اثني عشر عاما ، وفي ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، شنت اسرائيل الحرب على كل من مصر وسوريا والاردن ، وخلال هذه الحرب وقعت القدس القديمة وبقية فلسطين بكاملها تحت الاسر الاسرائيلي .

القدس بعد الاحتلال ..

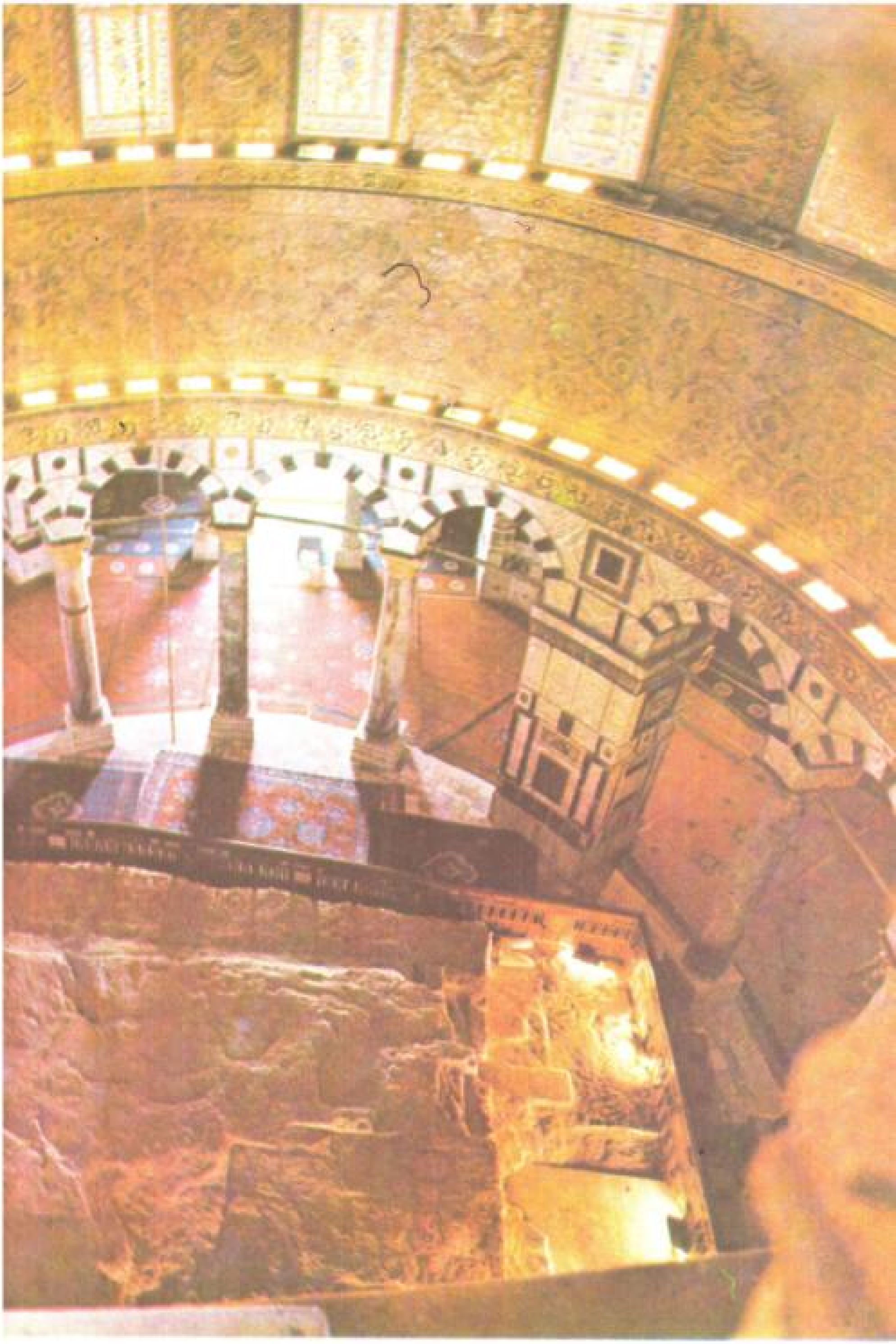
لم يكد يمضي على احتلال اسرائيل للقدس سوى ثلاثة ايام ، حتى اقتحمت الجرافات العسكرية منطقة الحرم الشريف ، ودمرت المنازل العربية ، وخلال ايام ثلاثة ازيلت من الوجود معالم حي تاريخي باكمله ، ثم انتقلت الى شارع الانبياء . في المنطقة المحيطة بحائط المبكى ، ومنطقة باب العمود واماكن اخرى ، وبدأت تغييرات في معالم المدينة المقدسة ، خلافا لكل الاعتبارات الدينية والتاريخية والجمالية والقانون الدولي ، وبعد حرب ١٩٦٧ مباشرة صادرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مساحات واسعة من اراضي القدس العربية لوصل القدس العربية بجبل سكوبس ، والغرض كان جغرافيا وسياسيا ، لضمان سيطرة اليهود عليها ..

وقد ادى هذا التخطيط الى مد القدس الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني قبل ١٩٦٧ ، بمساحة اشبه بالحزام عرضه ثلاثة كيلو مترات شمالا وجنوبا واصبحت بيت صفافا محاطة بالمناطق السكنية اليهودية وهي الآن ليس لها سوى منفذ واحد نحو بيت لحم .

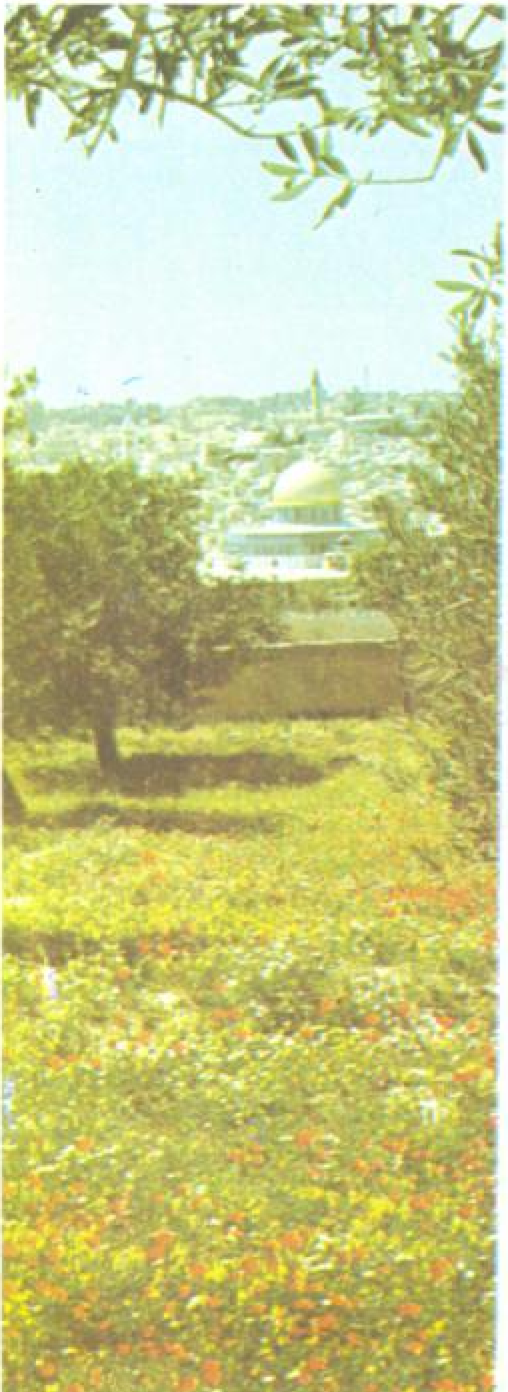
ومن شأن اقامة همزة الوصل بين نيفي يعقوب والقدس اليهودية المقامة على الاراضي العربية ان تثبت الوجود اليهودي شمال شرقي المدينة تاركة ممرا واحدا يربط القدس العربية بالضفة الغربية والجسور المقامة على نهر الاردن ، وتحف بهذا الممر مواقع الجامعة العبرية شمالا وتلبيوت الشرقية ـ مقر الحكومة ـ غربا ويتوسط هذا الممر طريق اريحا ، وهذا الممر الوحيد الذي يربط الحرم الشريف بالعالم العربي .



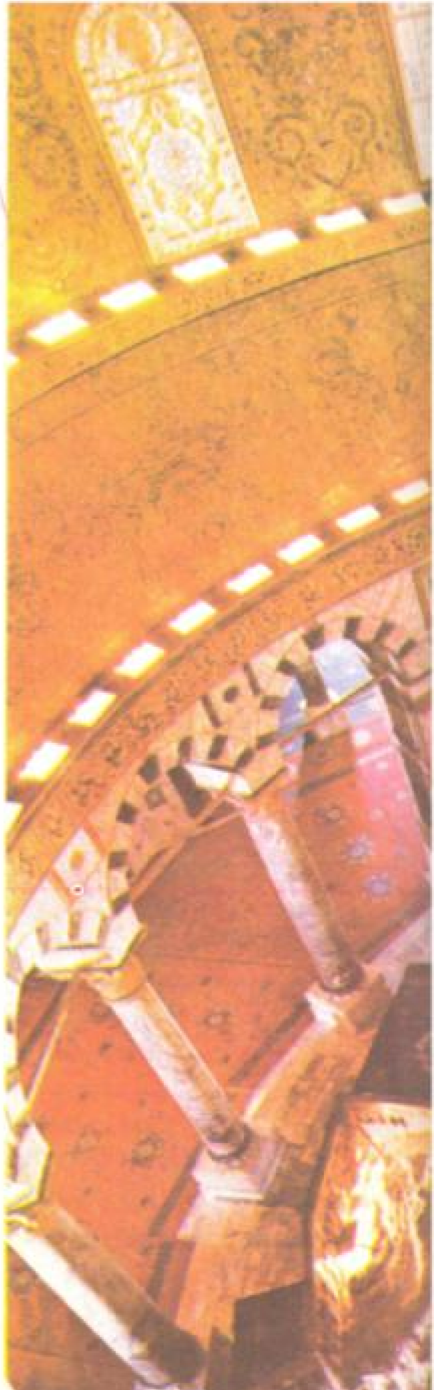
المسجد الاقصى عام ١٨٧٥



الصخرة ، احد الاماكن المقدسة في المدينة الخالدة ، والتي وصفها المقدسي بقوله : حجر أزرق وفي ناحيتها المواء



قبة الصخرة ومن خلفها المدينة .



ناعى ، كأن انسانا سار عليها .

وتوالت قرارات مصادرة العقارات والمباني العربية ، وبدأت الحفريات وعمليات الهدم .

ولم يسلم المسجد الاقصى ، فشب حريق في صبيحة ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ابتلع الجناح الجنوبي والشرقي من المسجد ، واتت النار على المنبر المطعم بالعاج الذي اقيم في عهد صلاح الدين .

واستمرت اسرائيل في سياسة خلق « حقائق جديدة » في القدس ..

من التاريخ

هذا هو ما آلت اليه القدس ذات التاريخ الطويل الحافل ، تنقل هنا بعض الفصول من تاريخها ، لانقصد الرد على المزاعم الصهيونية فيها . فهذه المزاعم محاولة مكشوفة لتضليلنا عن الطريق ، والحجة الظاهرة التي تعتمد عليها اسرائيل بالنسبة للقدس ، هي ان للقدس مكانا خاصا في اليهودية ، مما يجعل اطماع اسرائيل فيها مستساغة ، ورمز هذه الاطماع يتمثل في « حائط المبكى » تمويها لاهدافها الحقيقية ، وهذه المزاعم لا تسندها الحجة بل يسندها المدفع والطائرات وجنازير الدبابات وأفواه الجرافات ، ومن السذاجه ان تواجه المدفع بالحجة ، والصهيونية تستخدم منذ قيامها الدين اليهودي كأداة في لعبة الامم بين الدول الكبرى ، اما نحن فنميز بوضوح بين الصهيونية واليهودية ..

وندرك اهداف اسرائيل الحقيقية في القدس ، والتي تدور حول الرغبة في قهر الارادة العربية بانتزاع هذه الدرة الغالية من العرب ، وبالقهر تتحول الى عاصمة اسرائيل . فكل شيء « قابل للتفاوض باستثناء القدس » و « ستقاتل اسرائيل من جديد من اجل بقاء القدس موحدة » ❋ . وهل هناك بقية من نفع من حصر قرارات الامم المتحدة التي تؤكد حق العرب في القدس .. وهل من فائدة ترجى من استعراض اعمال اللجان العلمية الدولية التي تؤكد هذا الحق ، مضافا لها قرارات اليونسكو ، اكثر من الطحن الفارغ ، طالما بقيت غير مدعمة بالقوة ؟ !

يروى التاريخ ان اول من استقر بالقدس واتخذها موطنا هم الكنعانيون ، وهم قبيلة عربية خرجت من شعاب الجزيرة العربية ، منذ اربعة آلاف عام قبل الميلاد ، وحطت القبيلة رحالها حول نبع غزير فوق احد جبال القدس ، وقد وجدت نصوص مصرية قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة قبل الميلاد تشير الى وجود الكنعانيين في القدس ، وتكشف هذه النصوص عن حضارة متقدمة حققها الكنعانيون الذين استطاعوا التوصل الى استعمال المعادن في تلك العصور السحيقة .

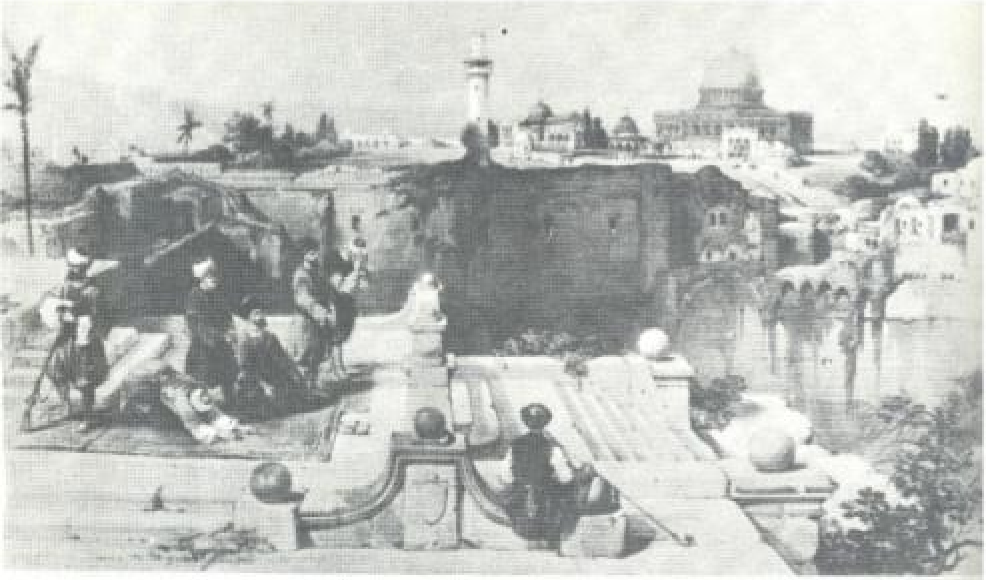
ويمضي التاريخ في حركته فبعد الكنعانيين جاء العموريون ، وهم قبيلة عربية ايضا خرجت من الجزيرة ، وكانوا اول من بني سورا للمدينة ، وفي سنة ١٤٠٥ قبل الميلاد احاطت بالقدس بعض القبائل المهاجمة ، فاستنجد ملكها العموري بفرعون مصر تحتمس الثالث الذي هب لنجدته ، وانقذ المدينة من الاخطار المحدقة بها ..

ولن نتابع كل تاريخ المدينة الحافل ، بل بعد بداية التاريخ المعروف للقدس ، نكتفي بمتابعة الفاتحين ، فمر بالقدس الفرس ، فالاغريق ودخلها الاسكندر المقدوني منتصرا سنة ٣٣٠ ق . م ، فبطالمة مصر ، فاباطرة الدولة الرومانية .

ولم يأت العبرانيون للقدس الا بعد ثلاثة آلاف سنة من انشائها ، ففي عام الف قبل الميلاد تجمعت القبائل الاسرائيلية وهاجمت القدس وفشلت في الاستيلاء عليها ، ولكن المغيرين دخلوها عن طريق سري يصل بين النبع خارج سور المدينة وقلبها داخل السور ، وبقيت القبائل العربية تعيش في القدس ، وحولها ، الى ان سقطت اخيرا المملكة اليهودية تحت ضربات المصريين القدماء ، وفي القرن السادس قبل الميلاد فتح نبوخذ نصر الملك الاشوري مدينة القدس واخرج اليهود منها وسباهم جميعا الى بابل .

ويكشف هذا العرض ان صلة العرب بالقدس ، سابقة على دخول المسلمين عام ١٧ هجرية ، وان الفتح الاسلامي لم يكن سوى الموجه العربية الاخيرة التي ازالت عن فلسطين العربية حكم الرومان الاجنبي ، كما

❋ تصريحات مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل .



القدس رسمها دافيد روبرتس ويظهر المسجد الاقصى .

خلصت العراق مثلا من حكم الفرس ، وكان سكان البلاد عربا من الموجات الارامية ، والكنعانية والعمورية من القبائل العربية التي سبقت موجة الاسلام ، واليبوسيون العرب احد بطون الكنعانيين ، هم الذين بنوا القدس ..

اما اليهود فقد كانوا في القدس في مراحل محدودة وباعداد قليله ، قبل الفتح الاسلامي وبعده ، ولم يكن قدومهم الى القدس الا متأخرا ، ولم يقيموا في القدس اكثر من سبعين عاما متصلة زمن حكم داود وسليمان ..

مواكب دخلت القدس

وفي مواكب التاريخ كانت القدس مركز الصراع ، ومعيار نتائجه ، وآخر محطاته ..

وهناك موكبان حاسمان في تاريخ العرب والقدس ، وقف عندهما التاريخ اجلالا واكبارا للحضارة العربية ، والذين دخلوا القدس كثيرون : دخلها معاوية ونصب ذاته خليفة في مسجدها الاقصى ، ودخلها الوليد بن عبد الملك يتفقد فسيفساء القبة التي بنى ، ودخلها المأمون معجبا من زخرفها الذهبي المنقوش ، ودخلها المعز لدين الله الفاطمي ..

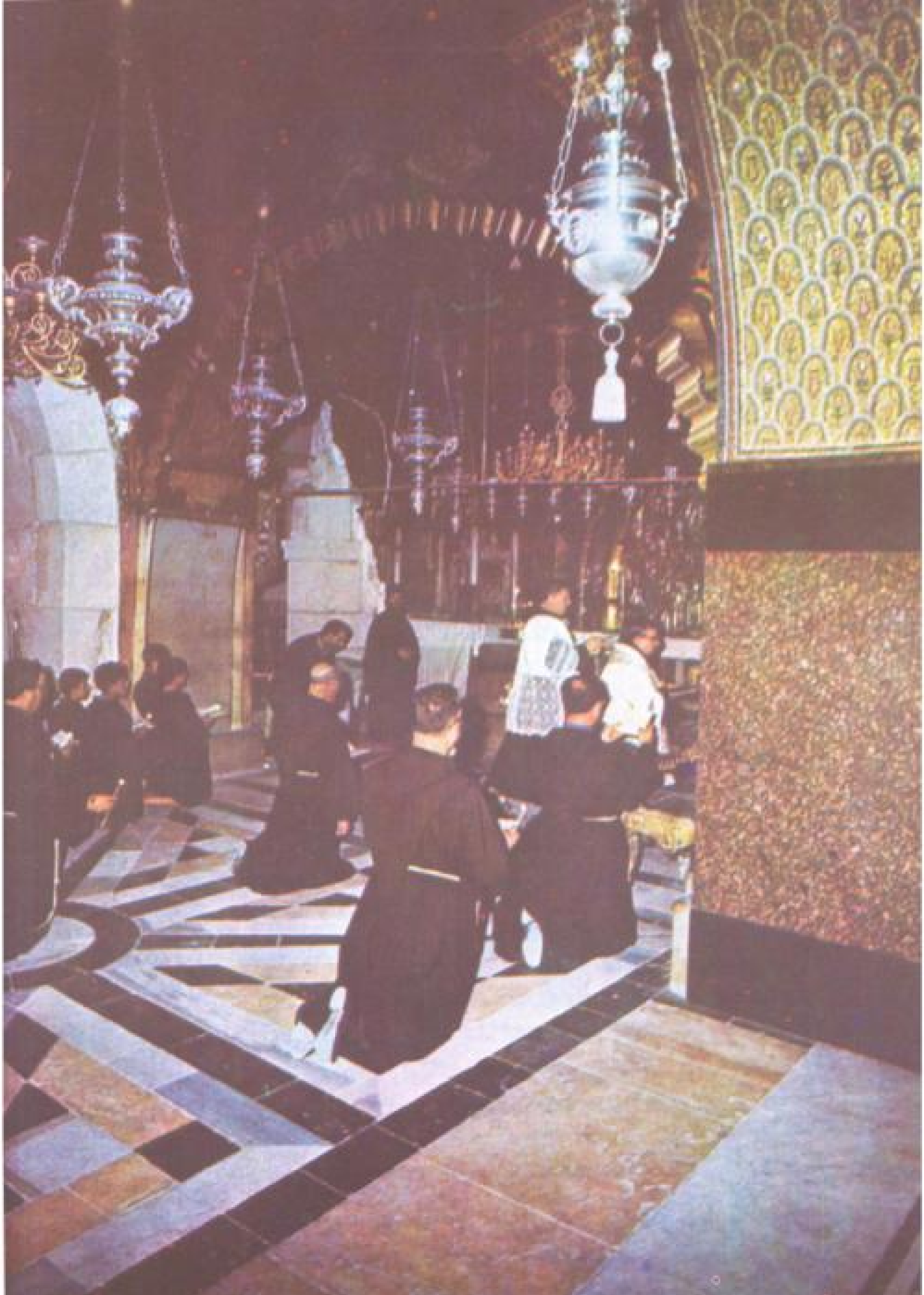
واستمرت مواكب الزاحفين تصعد اليها بلا انقطاع ..

اهم مواكب التاريخ العربي وقع منذ اربعة عشر قرنا ، والموكب الثاني شهده التاريخ بعد ستة قرون : موكب الفاروق عمر .. وموكب الناصر صلاح الدين .. الاول حرر القدس من البيزنطيين الغزاة ، والثاني رد عن القدس الحملة الصليبية ، ومازلنا ننتظر الموكب الثالث الذي يحرر القدس من الاحتلال الصهيوني ..

فبعد ان فتح المسلمون الشام ودمشق ، وحمص واللاذقية ونابلس ويافا وغزة ورفح ، اجتمعت كل فلول القوى البيزنطية المهزومة في القدس التي كانت تسمى « ايلياء » ، وحوصرت المدينة واستمر الحصار لمدة اربعة شهور ..

وبكل الابهة ولمعان الذهب ، ظهر صفرونيوس طالبا من المحاصرين قبول التسليم ، وطالبا الامان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه !

وعندما وصل الى عمر هذا الطلب ، قال ومن حوله عدد من الصحابه بينهم علي بن ابي طالب سأذهب ، ان تخليص ثاني الحرمين من الروم يستحق أن يسير من اجله الفاروق ، وخاطب علياً : اني استخلفك على



منظر داخل لكنيسة القيامة ، اهم الأماكن الدينية المقدسة عند المسيحيين في جميع أنحاء العالم ، وتحتوى على تحف نفيسه وأثار ث



كنيسة مريم المجدلية ، التي اقيمت على طراز الكنائس الأرثوذكسية الروسية القديمة .

المدينة يا علي ، فلم يبق الا القدس ، ويد الله هي العليا ..

وفي اليوم التالي خرج قاصدا القدس على بعيره وليس معه سوى غلام ، حتى وصل « الجابيه » على مشارف الشام ، وهناك كتب عمر « عهد اهل ايلياء » المشهور ، والذي جاء فيه :

« هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود ، وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه أمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو أمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم أمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة » .

وهذا المشهد احد المواقف الحضارية التي هي اسمى وانبل ما في التاريخ العربي ، فلم ياخذهم بالسيف وهم في قبضته ، بل اعطاهم الامان ، وهذا معنى ان تكون القدس عربية ، أن يجد فيها الامان كل من توجه الى خالقه .

وقد دعا اهل ايلياء الخليفة ليتسلم المدينة بنفسه ، وكان موكبه « بعيرا احمر وخلفه خصفة مملوءة بالتمر وقربة ماء .. » حتى انه فات الذين في استقباله ان يتعرفوا عليه ، ولحق به الناس ، وعلى رأسهم البطريق « صفرونيوس » حامي الكنيسة وسلمه مفتاح المدينة ..

وطاف صفرونيوس البطريق بضيفه العظيم ازقة المدينة التي سار فيها السيد المسيح من قبل ، وعندما هم بالصلاة في كنيسة القيامة ، خرج وصلى على نشز من الارض خارجها ، وتساءل صفرونيوس :

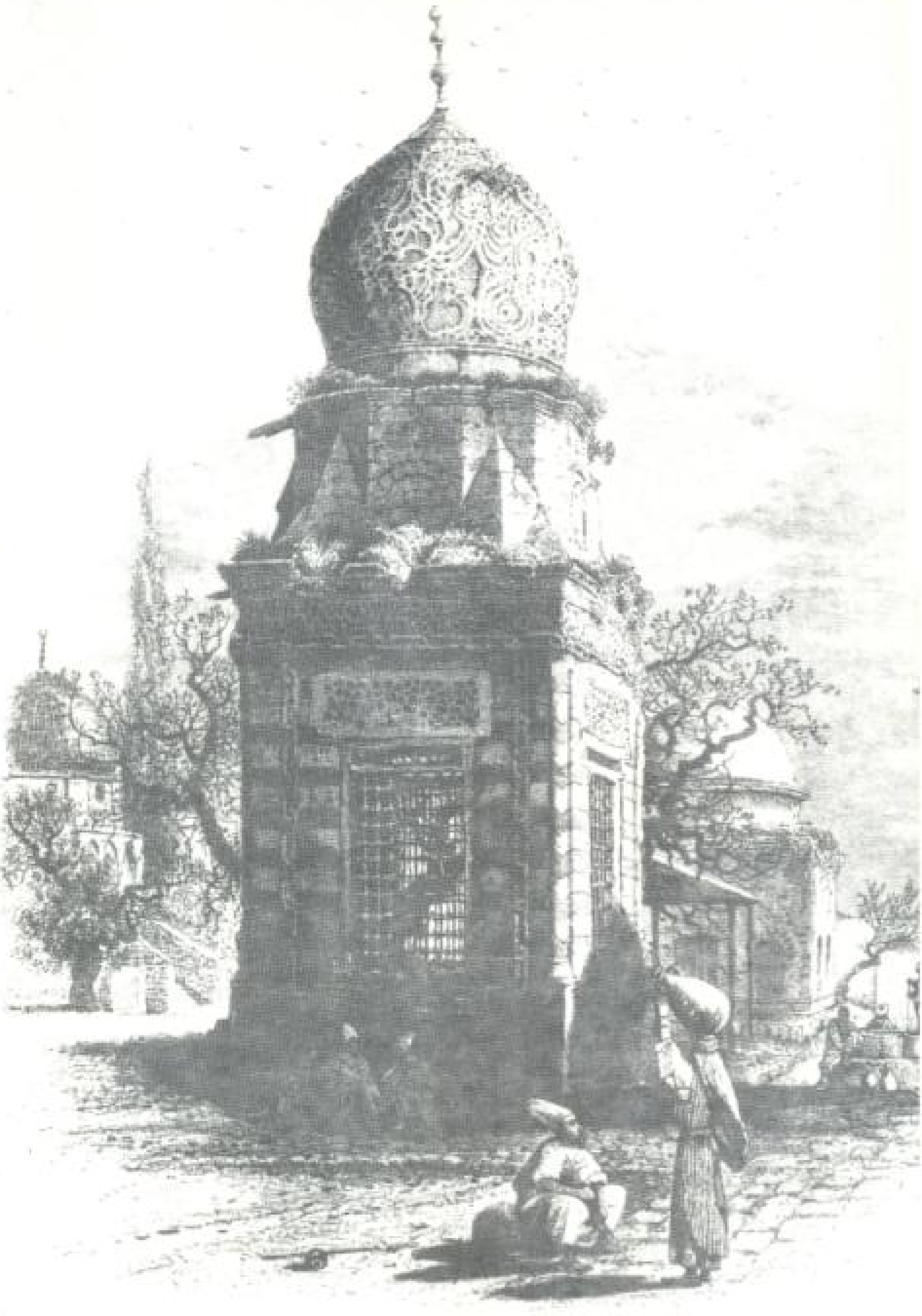
ـ أعن قلى يا امير المؤمنين ؟

× قال عمر : لا .. ولكني اخشى أن يغصبكم احد المكان من بعدي ، ويقول : هنا صلى عمر .. واقيم حيث صلى الفاروق جامع عمر ..

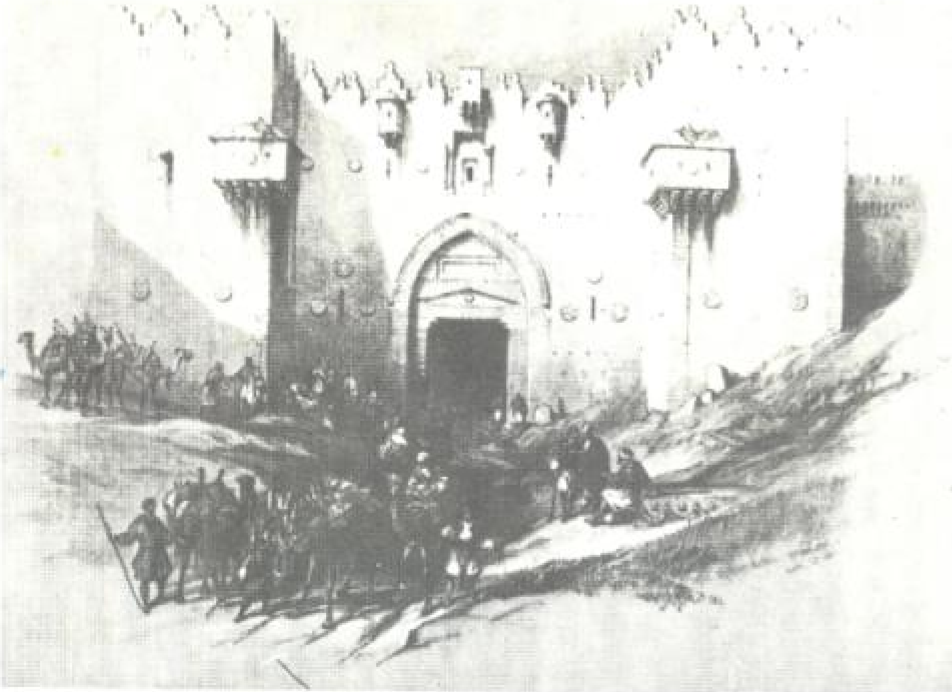
وبدأت منذ هذا التاريخ اهم الآثار الاسلامية ، فاقام عبد الملك بن مروان ، اقدم بناء اثري اسلامي هو مسجد الصخرة ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، وقد استخدم عبد الملك المهندسين والفنانين المدربين ، وللمسجد ابواب برونزية مزينة بصفائح فضية مزخرفة ، وهي من اقدم مابقي من هذا النوع من الزخارف ، وقام الفنانون بتزيينه بالفسيفساء والرسوم ، سواء عند بنائه او عند ترميمه أو تجديده ، ويشتمل على الطراز القاشاني الذي رصف بقطع البلاط المربعة او المسدسة الصقيلة ، ورسمت فيها صور نباتية او اشكال هندسية ، وترك لنا عبد الملك على دائر باطن القبة كتابة بالخط الكوفي ، هي اقدم كتابة اسلامية ، وبعد ذلك بنحو قرن وربع ، عمد الخليفة العباسي المأمون الى ترميم هذا البناء ..

وشرق القبة بناء صغير انيق يعرف بقبة السلسلة ، وكان يقوم مقام بيت المال لمسجد القبة ويبدو من طرازه وزخارفه انه يعود للعصر نفسه ..

وبالقرب من قبة الصخرة ، اقام الخليفة عبد الملك مسجدا آخر هو المسجد الاقصى ، غدت القبة منه بمثابة المزار ، واسم المسجد الاقصى يطلق على الباحة المقدسة برمتها ، البالغة نحو ٣٤ فدانا بكل ما يقوم عليها من



سبيل قايتباي ـ القدس ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠



بوابة دمشق احدى بوابات القدس وهي جزء من المدينة المقدسة .

ابنية مقدسة ، وقد قام الخليفة المنصور بترميم هذا المسجد مما لحقه من فعل الزلازل ، وقد اجرى فيه الصليبيون بعض التغييرات ، حتى استرده بطل الموكب الثاني صلاح الدين عام (١١٨٧م ـ ٥٨٣ هـ) .

موكب الناصر صلاح الدين

فقد كان الموكب الثاني الذي صعد تلال القدس نحو النصر ، هو موكب صلاح الدين ، وكما كانت وراء الموكب الاول امجاد اليرموك تواكبه ، كانت وراء هذا الموكب امجاد حطين تواكبه ، ولم يكن قد مضى على ملحمة حطين سبعون يوما بعد ، ثمانون عاما من الاحتلال وجاء الخلاص يوم دخل صلاح الدين عسقلان واستقبل وفدا من الفرنجة يعرضون السلم والهدنة والاحتفاظ بالقدس لمن فيها ، واصر صلاح الدين على تسليم القدس مقابل الامان لمن فيها ، ورفض الوفد ، فقال صلاح الدين :

ـ اذن اقسم ان اتالها بالسيف عنوة ..

ولم يمض أسبوعان وكان موكب النصر يصعد تلال القدس ، وضرب الحصار حولها ..

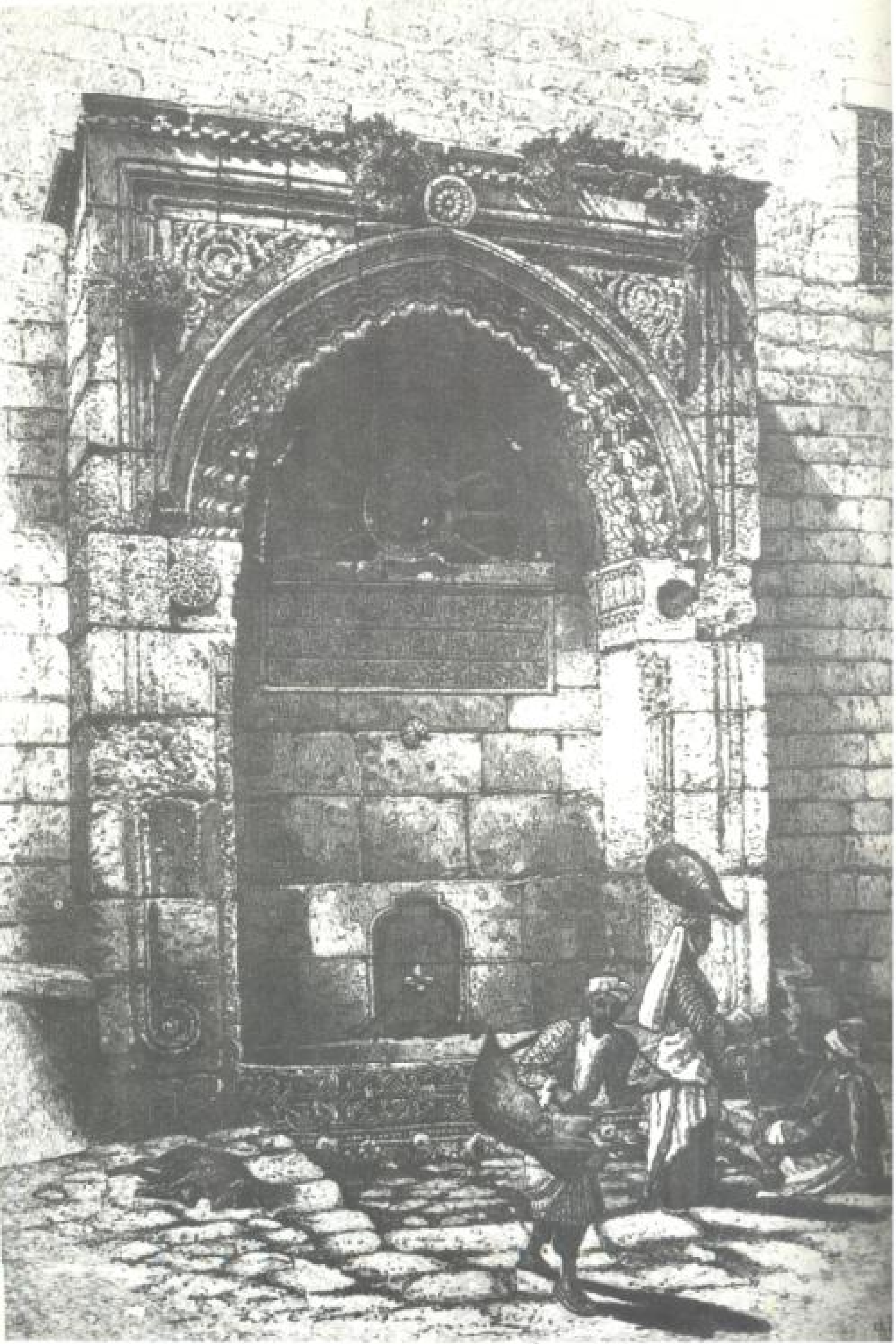
وظل صلاح الدين يطوف حول السور لمدة خمسة ايام حتى عثر على ثغرة الهجوم ، وهبط مساء اليوم الخامس على جبل الزيتون ، تجاه باب عمودا في كنيسة صهيون مهاجما ..

واشتد القتال حتى خرج وفد يطلب الصلح والامان ..

وقال صلاح الدين : لكم الامان على اموالكم وانفسكم ، تخرجون من ابواب المدينة تحت سيفي فقد اقسمت ان افتح المدينة عنوة بالسيف ..

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ ـ ٢٠ اكتوبر عام ١١٨٧ ، وفي ذكرى الاسراء ، كان موكب صلاح الدين يدخل القدس ، وارتفعت اعلامه وحدها فوق القدس العربية . ❀

❀ الذين دخلوا القدس وصلوا في المسجد الأقصى ـ د . شاكر مصطفى (مجلة العربي عدد ٢٣٢) .



سبيل باب السلسله ـ القدس ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

صوت الماضي

وقد تغنى بالقدس كل من زارها من الرحالة العرب والاوروبيين ، ولم يغب عنهم جميعا سحرها وجمالها ، وفي تاريخ العرب ظاهرة واضحة ، وهي عدد الكتب التي ارخت للمدن العربية ، وهي في مجملها كتابات جميلة حانية ، وحظيت « بيت المقدس » بعناية لا مثيل لها ، فقد ارخ لها ، ووصف آثارها واظهر منزلتها عدد كبير من العلماء ، وهذا صوتهم من اعماق الماضي .

كان اكثر من تغنى بالقدس ووصفها المقدسي الجغرافي (٣٧٥ ـ ٩٧٥ م) صاحب كتاب احسن التقاسيم ، يقول واصفا القدس : « ليس في مدائن الكون اكبر منها ، وليس بها حر وقل ما يقع بها ثلج ، سألت عن الهواء فقلت : سجسج لا حر ولا برد شديد ، بنيانهم حجرٌ لا ترى احسن منه ولا اتقن من بنائها ، ولا اعف من اهلها ، ولا اطيب من العيش بها ، ولا انظف من اسواقها ولا اكبر من مسجدها ، ولا اكثر من شاهدها .. » ويضيف ..

« انها بلدة جمعت الدنيا والاخرة فمن دعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها ، واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشياء المتضاده كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز ، اما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر واليها المنشر » .

ويصف الصخرة التي تقوم القبة فوقها : « والصخرة حجر ازرق لونه ، لم يطأها احد برجله ابدا ، وفي ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض ، كأن انسانا سار عليها فبدت آثار اصابع قدميه فيها ، كما تبدو على الطين الطري ، وقد بقيت عليها آثار سبع اقدام ، وسمعت ان ابراهيم عليه السلام كان هناك ، وكان اسماعيل طفلا فمشى عليها ، وزينت ارضه بالسجاد الجميل من الحرير ، وهناك قناديل كثيرة من فضة ، امر بصنعها سلطان مصر ، ورأيت هناك ايضا شمعة كبيرة جدا طولها سبع اذرع وقطرها ثلاثة اشبار ، ولونها كالكافور وشمعها مخلوط بالعنبر ، وسلطان مصر يرسل الى هناك كل سنة كثيرا من الشمع ، منه هذه الشمعة الكبيرة ، ويكتب اسمه عليها بالذهب .. »

وقبة الصخرة وصفها الرحالة العربي الشهير ابن

القدس عام ١٨٥٠ .





القدس عام ١٨٧٥ .

بطوطة (ولد عام ١٣٠٠م) ، فلم يكن يفوته زيارة قدس الاقداس ، قال :

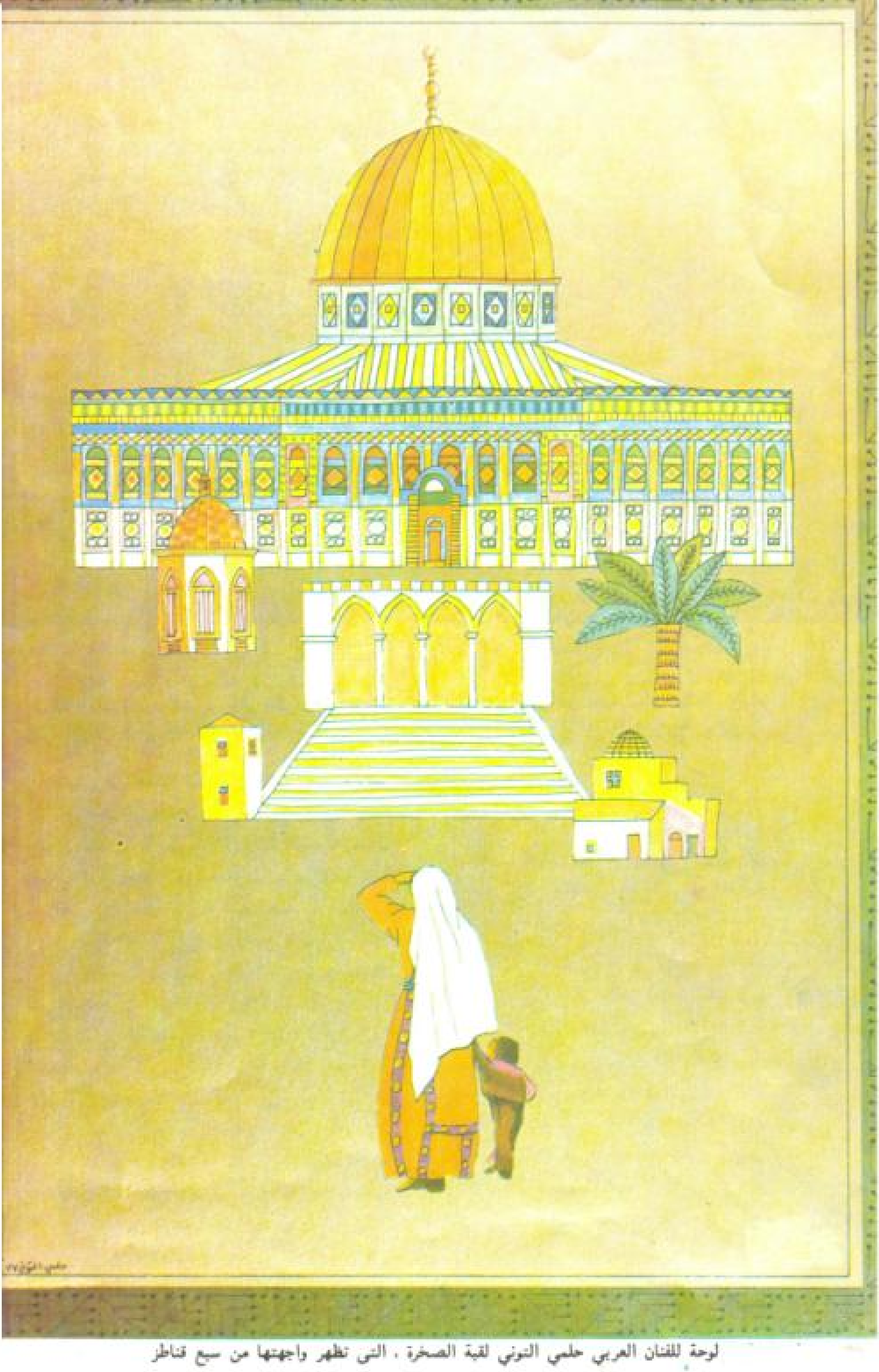
« وهي من اعجب المباني واتقنها وأغربها شكلا ، وقد توافر حظها من المحاسن ، واخذت من كل بديعة بطرف . وهي قائمة على نشز في وسط المسجد ، يصعد اليها في درج رخام ، ولها اربعة ابواب ، والدائر بها مفروش بالرخام ايضا ، محكمة الصنعة ، وكذلك داخلها ، وفي ظاهرها وباطنها من انواع الزواقة ، ورائق الصنعة ما يعجز الواصف ، واكثر ذلك مغشى بالذهب ، فهي تتلألأ نورا ، وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، وفي وسط القبة الصخرة الكريمة ، التي جاء ذكرها في الاثار . فان النبي ﷺ عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ، ارتفاعها نحو قامة ، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ، ارتفاعها نحو قامة ايضا ، ينزل اليها على درج ، وهناك شكل محراب ، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل ، يغلقان عليها ، احدهما : وهو الذي يلي الصخرة ، من حديد بديع الصنعة ، والثاني من خشب ، وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك ، والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه » .

فيض النور

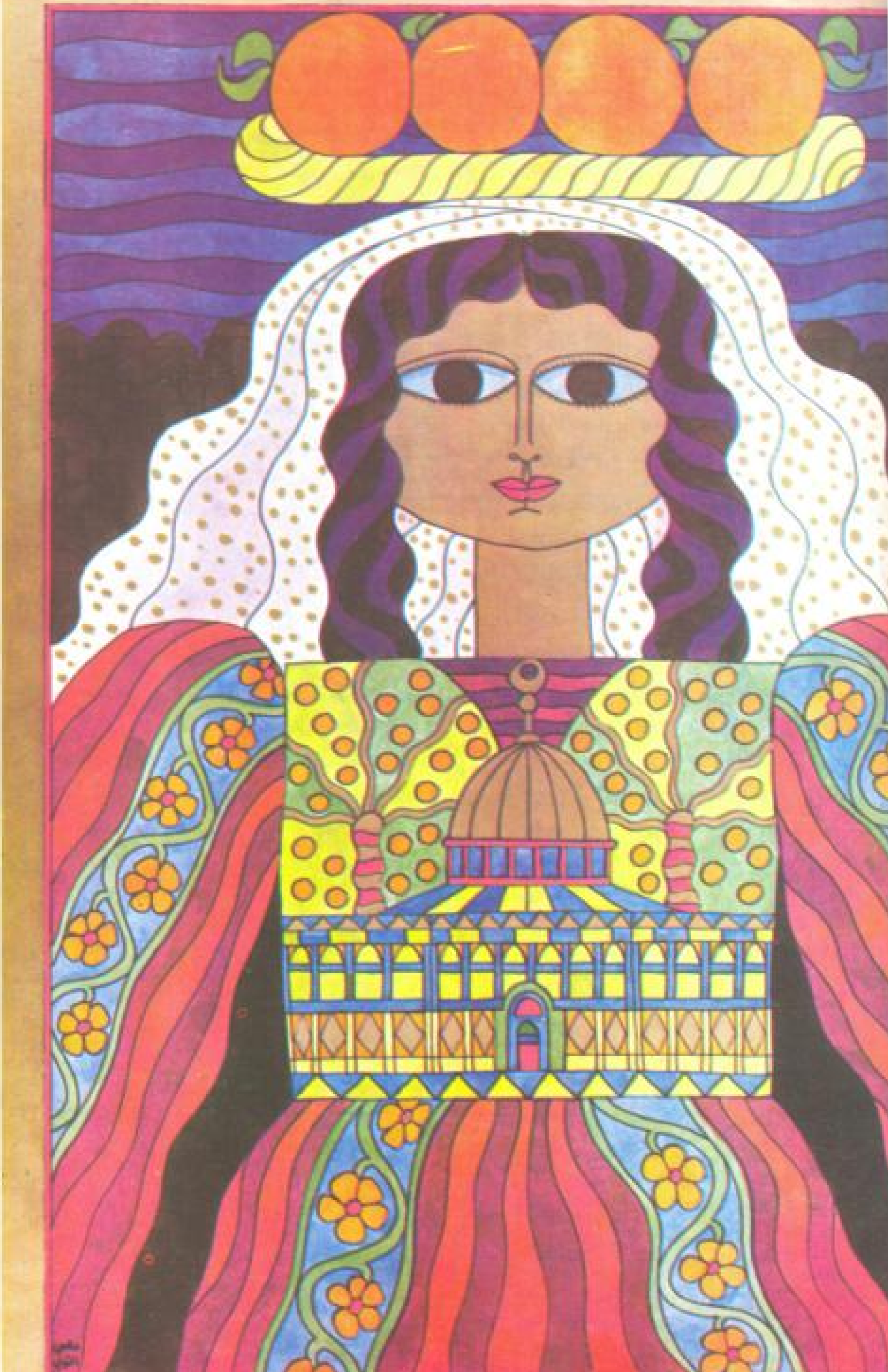
وها نحن نعثر على وصف لفيض النور في اليوم السابع لعيد الفصح المقدس تركه لنا برنارد الحكيم ، ويكشف مدى ما يشعر به من القداسة وقد كتبه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادى) قال :

« يجد الداخل الى القبر قناديل كثيرة معلقة فوقه ، فاذا كان صباح السبت السابق ليوم الفصح بدئت الصلاة في الصباح ، حتى اذا تمت ، انشد الكل بصوت رخيم : استجب يارب ، واستمروا في ذلك حتى ينزل الملاك وينير القناديل المذكورة ، وعندما يتقدم البطريك ويعطي لكل مطران حصته من هذا النور المقدس ، يسمح للشعب ان ينير كل قناديله .. »

وفي اواسط القرن الخامس الميلادي (الحادي عشر الهجري) زار القدس الرحالة الفارسي ناصري خسرو



لوحة للفنان العربي حلمي التوني لقبة الصخرة ، التي تظهر واجهتها من سبع قناطر



، « القدس في القلب » اللوحة الثانية للفنان التوتي .

وقدم وصفا للمدينة والصخرة يعكس مكانتها في قلب المسلمين في كل مكان .. يقول : « في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ (١٦ مارس ١٠٤٧ م) بلغنا بيت المقدس ، يسمى اهل الشام واطرافها بيت المقدس القدس ، ويذهب الى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب الى مكة من اهل هذه الولايات ، فيتوجه الى الموقف ويضحي ضحية العيد كما هي العادة ، ويحضر هناك لتأدية السنة ، في بعض السنين ، اكثر من عشرين الف شخص ، في اوائل ذي الحجه ، ومعهم ابناؤهم ، كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس ، من ديار الروم ، كثير من النصارى لزيارة الكنيسة هناك » ووصف القدس قائلا ..

« هي مدينة مشيدة على قمة الجبل ، ليس بها ماء غير الامطار ورساتيقها ذات عيون ، واما المدينة فليس بها عين فانها على رأس صخر ، وهي مدينة كبيرة كان بها ، في ذلك الوقت ، عشرون الف رجل ، وبها اسواق جميلة وابنية عالية ، وكل ارضها مبلطة بالحجارة ، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات ، وجعلوها مسطحة ، بحيث تغسل الارض كلها وتنظف حين تنزل الامطار ، وفي المدينة صناع كثيرون ، لكل جماعة منهم سوق خاصة ، والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي ، وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى (الساهرة) يقال انه سيكون ساحة القيامة والحشر ، ولهذا يحضر اليه خلق كثيرون من اطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فاذا جاء وعد الله كانوا بارض الميعاد » .

واوجز عبد الله بن عمر بقوله : « بيت المقدس بنته الانبياء ، وعمرته الانبياء ، وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه ملك أو قام عليه ملك .. » .

الرحالة الغربيون

وفي مرحلة تاريخية بعينها ، كثر الرحالة الأوروبيون الذين اموا القدس ، ينقلون ويكتبون عن المناطق التي شهدت مولد السيد المسيح ، والمناطق التي تنقل فيها ، ونقل عدد من الرسامين بريشته تلك المناطق التاريخية الساحرة . ومن هؤلاء الرحالة فابري الذي ترك لنا الكثير عن مدينة القدس .. قال :

« بيوت القدس مبنية بالحجارة ، وقد رأيت فيها بيوتا جميلة كبيرة ، لكن جزءاً كبيرا من المدينة متهدم مهجور » .. « ورغم ان القدس قد تهدمت فانه لا يزال فيها اربع اسواق جميلة طويلة ، مما لم ار له من قبل شبها ، كلها مسقوفة بالقباب ، وتحوى جميع انواع المتاجر ، وهذه الاسواق الاربع هي : سوق التجار وسوق العطارين وسوق الخضار وسوق الاطعمه المطبوخه والخبز .. »

ووصف اسواق القدس قائلا .. « زرت صباح اليوم اسواق المدينة وشارع الطباخين ، حيث رأيت جماعات كبيرة تشترى من المطاعم ، لان القوم لايطبخون في بيوتهم ، والطهاة ماهرون نظيفون » .

وقد قام عدد من الفنانين الغربيين في القرنين الثامن والتاسع عشر ـ بالتعبير عن قيمة القدس سواء بالقلم او الريشة ، والهدف ابراز صورة القدس التى لم يتبدل بهاؤها ، ومن هؤلاء : بارزون الفرنسي ، والذي رسم العديد من المشاهد في فلسطين وسوريا ، والاسكتلندي دافيد روبرتس الذي زار الشرق العربي في الاربعينات من القرن التاسع عشر والذي تعتبر اعماله ذات قيمة كبيرة ، وخاصة تصويره لطراز البناء القديم ، وايضا الامريكيان فن ووورد ..

وفي الوقت الراهن ، قامت الكاميرا بتسجيل مباني القدس التاريخيه ، بعين حساسة للفن والجمال وتنقل مأساة المدينة الى كل مكان ..

وبعد ..

ان الصراع حول القدس ليس صراعا حول قطعة ارض ، بل على تاريخ وحضارة ، ومفهوم رسالة ورمز ..

فهل تبقى القدس « جيتو » يهوديا تحيط به جدران العزلة والاستعلاء ، ام تعود القدس عربية ، مدينة للسلام ، تتعايش فيها الاديان الثلاثة ، وتفتح ذراعيها لكل من يسعى الى الله عابدا ..

هذا هو محتوى الصراع الذى تواجهه . ■■



درس في التذوق الفني

بقلم : الدكتور لطفي محمد زكي *

ان تناول التفاصيل المرئية هام في كل من تذوق أشكال الفن وفي انتاجها وابداعها . وهنا بعض الاختبارات في استجاباتنا البصرية . ففي لوحة « الموسيقيين الثلاثة » « للفنان بيكاسو » نجد فيها تفاصيل كثيرة . وفي نظرتنا الاولى اليها لا نستطيع ان نستجيب الى كل شيء تتضمنه هذه اللوحة ..

وفي الوقت نفسه قد نحبها في الحال او لا نحبها كلية . ويمكن أن تنمي قدرتنا على الاستجابة الى اللوحة من طريق نوعين من التدريب : الالفة باللوحة ـ والوعي بالوظيفة البصرية للتكوين او البناء الفني ..

فاذا كنا قد رأينا الكثير من اللوحات واسلوب الفنان الذي انتجها ، نكون بذلك قد قطعنا شوطا نحو الالفة بهذه اللوحة . (مثل ما قد نلاحظ ان بعض الناس يتطوعون في ان يكونوا ضد اسلوب لوحة لم يروها قط في حياتهم) .

دعنا نكتب في سجل ملاحظاتنا ، وصفنا لاستجاباتنا الاولى لتلك اللوحة ، ثم نسجل استجاباتنا اكثر في الاسابيع التالية ، كلما رأينا اللوحة مرة ومرات أخرى .

واذا درسنا التكوين او البناء الفني سوف نستطيع الاستجابة بقدر اوفر للوحة . ولكي نساعد انفسنا في عملية الالفة . دعنا نوازن بين لوحة « الموسيقيين الثلاثة » لبيكاسو ، ولوحة « منظر خلوي » للمصور « فان جوخ » . فقد بنيت لوحة « الموسيقيين الثلاثة » من أجزاء ومساحات كثيرة يمكن ان تتذوقها كتكوين او بناء فني في حد ذاته .. على حين انه قد استخدمت اكثر لوحة « منظر خلوي » الالوان كوسيلة اساسية للتعبير عن ذلك الموضوع .

واللوحة لاتكون افضل من الاخرى بسبب انها تختلف في تكوينها وفي بنائها ، ولكن اختلاف تأثيرها علينا كمراقبين او مشاهدين .

واذا كان في الاستطاعة استعارة مستنسخة لاحدى اللوحات من المكتبة الفنية . فاختر لوحة يبدو انها صعبة عليك في فهمها . (كاحدى اللوحات المعروضة هنا) ، ثم احتفظ بها في حجرتك حتى تستطيع ان تراها من وقت

* رئيس قسم التربية الفنية ـ كلية التربية ـ جامعة الرياض .

الى آخر . لاحظ اي تغييرات في احساسك بها ، حاول ان تحتفظ بنحو « مجموعة احاسيسك » عنها في اقرب وقت . واذا كانت هذه المستنسخة من حقبة تاريخية بعينها ، ومن ثقافة غير مألوفة لك ، يمكنك ان تزيد من تقديرك لها عن طريق دراسة تاريخ تلك الحقبة .

فلذا تناولنا ـ مرة اخرى ـ لوحة « الموسيقيين الثلاثة » للمصور بيكاسو شكل (١) واردنا ان نعرف شيئا عنها لكي نزيد من تقديرنا لها . فنجد انه في تاريخ الحركة الفنية المعاصرة قد تأثرت غالبية الافكار عن الفن باعمال المعماريين والمصممين .. وهؤلاء بدورهم تأثروا بالمصورين التكعيبيين امثال « بيكاسو » ، و « براك » صاحب لوحة « المنضدة » شكل (٣) .

فاللوحتان تحللان الاشكال الاساسية للنماذج اكثر من مظهرها الخارجي فحسب . فقد قام هذان الفنانان بتحليل الاشكال والهيئات الاساسية ، واهتما بالبناء والعلاقات القائمة بين التكوينات . وقد ذكر احد نقاد الفن : ان بيكاسو اكتشف وسيلة يوحد بها ويربط الابعاد الثلاثة في الموضوع مع سطحية المسطح . واضاف ناقد آخر بالنسبة للوحة « الموسيقيين الثلاثة » ان فيها قوة تردد فلا تحتوي فقط على عناصر زخرفية ، ولكن يوجد بها ايضا موسيقى داكنة اللون في العلاقة بين اشكالها . والمدرسة التكعيبية هي رد فعل للاشكال الفنية السابقة . والمدرسة التأثرية التي نعرض لها لوحة « منظر خلوي » للفنان « فان جوخ » الهولندي هي جماعة



الموسيقيين الثلاثة ـ متحف الفن الحديث
بنيويورك للفنان : بابلو بيكاسو .

بهرتها الاضواء والالوان في الطبيعة فانجذبت لها .. وساعدها الكشف العلمي لنظريات اللون على تدعيم فلسفتها هذه ..

●

وهكذا آلى التأثيريون على انفسهم الا يستخدموا غير الوان الطيف (الالوان السبعة : البنفسجي - النيلي - الازرق - الاخضر - الاصفر - البرتقالي - الاحمر) . وان يحصروا همهم في تسجيل مظاهر تلك الطبيعة في كل لحظة من لحظاتها الشاردة .

ولكي تكون فكرة اكثر وضوحا عن هذه المدرسة التأثيرية واساتذتها .. او قل هذا الكشف الجديد في ذلك



منظر خلوى متحف التيت
بلندن للمصور : فان جوخ

الوقت .. تأخذ مثالا لفنان رأى لاول مرة في حياته اعمال هذه المدرسة التأثرية .

هذا الفنان هبط على اخيه في باريس فصحبه الى معرض لاعمال هذه المدرسة .. فعندما رأت عينا الفنان هذه الاعمال .. جلس وفرك عينيه وتمتم :

« لقد تعودت منذ كنت في الثانية عشرة من عمري ، ان ارى لوحات قاتمة معتمة ..

هذه اللوحات لم أرها قط في حياتي .. ولا احلم ان اراها !



المنضدة - متحف الفن الحديث
بنيويورك للمصور : جورج براك .

لوحات غارقة مجنونة بالنور ! بالضوء والهواء !

لوحات مرحة تنبض بالحياة !

صورت في الوان حمراء اولية !

وفي الوان خضراء ..

وفي الوان زرقاء ..

رماها الفنان خلف بعضها في جرأة .. وعدم مبالاة ! »

تمتم الفنان بذلك ونظر الى توقيع اللوحة ..

فقرأ « ديجا ـ Degas » !

ثم نظر هنالك ..

مجموعة لوحات لمناظر خلوية لضفتي النهر .. اخذت كل نصيب من النضج .. غزارة اللون ووفرته للصيف الحار ، وقيظ الشمس وحرارتها وهي على رؤوسنا .

والتوقيع « مونيه ـ Munet » !

« ان الوان هذا الفنان لهي اكثر نورا وسطوعا عشرات المرات مما نجده في ازهى الوان لوحات متاحف هولندة كلها ..

ففيها : يبرز العمل بالفرشاة .. باللغرابة !

كل ضربة فرشاة واضحة جلية ! تلوح متسابقة في موسيقى الطبيعة .. باللغرابة !

سطح اللوحة دسم سميك ! عميق ، يخفق في ثمارها الناضجة ..

حقا انه فن غني ..

ان هؤلاء الفنانين جعلوا الهواء في لوحاتهم شيئا له قيمة .. شيئا له كيانه .

وهذه الحياة ، والحركة جعلت الهواء يفعل شيئا للعناصر التي تتكون منها اللوحة ..

انهم اكتشفوا النور والحياة ! الجو والشمس ! رأوا الاشياء في عنفوان قوتها .. رأوها وهي تحيا وتهتز وتفيض ..

رجال خلقوا فنا جديدا ..

وخرج الفنان مسرعا مندفعا من المعرض .. الى اين ؟

الى مرسمه .. الى لوحاته يحملق فيها ..

●

« يالله ! انها معتمة قاتمة !

يالله ! انها ثقيلة لاحياة فيها ! ميتة !

لماذا لم تخبرني .. يا اخي ؟

لماذا لم اعرف ؟

لماذا لم تستدعني من قبل ؟

لقد تركتني افقد ست سنوات كاملة من عمري ..

ولكن ماذا انا فاعل ؟

انظر الى هذه الكومة ! »

ودفع بقدمه في لوحة كبيرة معتمة ..

« انها كلها ميتة ، لا قيمة لها »

●

اتعرف من كان هذا الفنان .. وكيف اصبح بعد هذه الثورة العارمة على الفن الاكاديمي ؟ انه « فان جوخ » الذى اضحى فيما بعد علما من اعلام المدرسة التأثرية في الفن ..

ان نموك في التذوق الفني سوف يتضاعف اذا توافر لك مايلي :

١ ـ فهمك الخلفية الثقافية للاشكال الفنية .

٢ ـ احساسك بالفروق بين الفنانين في الاختيارات ، وفي التفسيرات ..

٣ ـ امتلاكك الفرصة المتكررة للاستجابة الفنية .

هذه لقطة نوعية لمجال من مجالات النشاط الفني اوردتها على سبيل المثال لا الحصر ، ويمكن في ضوء هذه المعالجة التصدى لنشاطات عديدة تؤكد هذا التحليل وتبرز معالمه وما اكثر هذه النشاطات المجتهدة في ميدان التربية عن طريق الفن .



هوايتهد .. فلسفته ومحاوراته

بقلم : عزت محمد ابراهيم

■ تتناثر فى السيرة الذاتية لـ « برتراندرسل » Bertrand Russel ، صفحات هنا وهناك تكون فى مجموعها صورة للفيلسوف الامريكى « الفرد نورث هوايتهد » Alfred North Whitehead (١) ، علها ان تكون فى ملامحها وسماتها اوضح من المطولات التى كتبت عنه ، او خصصت له ، ومرد ذلك الى الصلة القوية المتينة التى ربطت بين الفيلسوفين، فقد اشتركا معا فى تاليف كتاب «اصول الرياضيات» وكان « هوايتهد » استاذا لـ « راسل » فى جامعة « كمبردج » ، ثم قويت بينهما اواصر الصداقة يوما بعد يوم ، فكانا يتزاوران ، ويقيمان معا الايام الطويلة فى المكان الواحد ، ولم يغير من طبيعة هذه العلاقة غير رحيل « هوايتهد » الى امريكا ليتخذ منها وطنا غير وطنه .

كان عالما رياضيا جذبته الفلسفة

وقد كان « هوايتهد » فى بداية حياته الفكرية عالما رياضيا ، ثم شدته الفلسفة ، او لعله هـو

(١) انظر كتاب « سيرتى الذاتية » ـ تاليف برتراند رسل ، الترجمة العربية ـ دار المعارف ـ مصر (الهلالى) .

(٢) توفى عام ١٩٤٧ ، ومن مؤلفاته : أهداف التربية ، مغامرات الافكار ، دور العقل ، اساليب التفكير ، السلوك والحقيقة ، العلم والعالم الحديث .

الذي ارتمى في احضانها ، يلتمس فيها السلوى، والعزاء،او لاذ برحابها ينشد اجابة على تساؤلات، بعد ان نكبته الايام بفقد ابن له في بواكير شبابه•

الاستاذ والانسان

وصورة « هوايتهد » الانسان في هذا المقال هي من تصوير « رسل » ، او هي « هوايتهد » من وجهة نظر « رسل » ، وهو على ذلك الاعتبار كان على جانب كبير من الفكاهة الحلوة ، كما كان غاية في الرقة واللطف ، ولم تكن آراؤه اللاهوتية شديدة التزمت ، ولكن شيئا من هيئة القس كان يظهر في الطريقة التي يعبر بها عن مشاعره ، وفي كتاباته الفلسفية المتاخرة ، كما كان جم التواضع، لا يجد حرجا من سرد حكايات عن نفسه تغض من شانه ، وكان متشعب الاهتمامات ، وكانت معرفته الوثيقة بالتاريخ مثار الدهشة والاعجاب •

قدرته على التركيز

اما قدرته على التركيز في العمل ، فان «رسل» يصفها بانها كانت « خارقة تماما » ، ويسوق لذلك دليلا ، انه عندما كان يقيم معه في قرية مجاورة لـ « كمبردج » ، وجاءهما صديق ، فصحبه «رسل» اليه ، حيث كان جالسا يكتب شيئا في الرياضيات على مسافة باردة منهما ، ووقفا امامه وهو يملأ الصفحات تلو الصفحات بالرموز الرياضية ، غير ملتفت اليهما ، وغير شاعر بوجودهما ، وانصرفا بعد برهة وقد تولاهما شعور بالرهبة البالغة ، ورجل يستغرقه العمل على هذا النحو لا ينتظر منه ان يرد على خطاب ياتيه من صديق ، وقد كتب اليه « رسل » مرة يسأله عن مسالة في الرياضيات كان في مسيس الحاجة اليها ، فلم ياته منه رد ، وكتب اليه ثانية فلم يظفر منه بجواب ، وارسل اليه برقية فيها الرد على نفقته ، فكان مصيرها مصير سابقتيها ، ولم يجد مناصا آخر الامر من ان يشد اليه رحاله لينال ضالته،ويبرر «هوايتهد» تصرفه ذاك بانه لو رد على كل ما يصله من خطابات فلن يجد وقتا للعمل الاصيل •

كان شديد التعلق بزوجته

وهو مع ذلك لم يكن من النوع الذي لا يهتز ولا يتاثر ، ولم يكن على التحقيق ذلك الوحش المجرد عن انسانيته الذي يطلق عليه اسم « رجل الفكر الخالص » ، فقد كان شديد التعلق بزوجته واولاده ، بارا بهم ، عطوفا عليهم ، وكان « رسل » يقيم معه حين كانت زوجته تعاني من مرض في القلب ، وساوره القلق عليها ، وانتابته من اجلها الوساوس والاوهام ، حتى كان « رسل » يشك ـ اذا اصابها مكروه ـ ان يكون في مقدوره القيام بعمل علمي له قيمته •

ويصور « رسل » « هوايتهد » في صورة من كان على وشك الاصابة باختلال العقل ، والوقوع في مهاوي الجنون ، ولعله كان مسرفا في هذا الظن اسراف زوجته التي كان ينتابها القلق عندما تراه يقضي الايام في بيته لا ينبس بكلمة ، ولم تكن تخفي قلقها على « رسل » ، ملتمسة منه العون في الحيلولة بينه وبين ما تخشاه، ومرد ذلك الى ما يصفه « رسل » من انه كان شديد الضبط لنفسه ، حتى لا يطلع الناس على ما يعانيه في دخيلته وكان ذلك سر متاعبه ، وسر اختلاف ظاهره عن باطنه •

كان يعنى بتلاميذه وكانوا يحبونه

اما « هوايتهد » الاستاذ الجامعي فان « رسل » يصفه بانه كان من طراز نادر ، فهو يولي اهتماما شخصيا لمن يتتلمذون على يديه ، فيضفي عليهم خير عنايته ، ويستخرج منهم خير ما عندهم ، ولا يهزأ بهم ، ولا يتعالى عليهم ، ولا يغض من شانهم ، ولذلك كان موضع حبهم وايثارهم ، كما كان موضع تقديرهم واعزازهم •

فلسفة عسيرة

ويصف « رسل » فلسفة « هوايتهد »بعسر الفهم، وان فيها مالم يتوصل الى فهمه قط ، وانه كان في دور تكوينه الفلسفي واقعا تحت تاثير الفيلسوف الفرنسي « برجسون » ، ولعله كان ينعى عليه ميله الدائم لفلسفة كنط « Kant » ، ولم يكن «رسل» يحسن الظن بها •

عقدة انجليزية ، في الفلسفة الالمانية

ويظهر ان لدى فلاسفة الانجليز ما يشبه العقدة من الفلسفة الالمانية عامة ، وفلسفة « كنط » بخاصة ، فقد راينا في مقال

« عمانويل كنط » (٣) ان الفيلسوف الانجليزي « جون ستيوارت ميل » Mill ، كان يصف الفلسفة الالمانية بانها « كتاب اغلق بسبعة اختام » ، وبانه لم يقرأ « كنط » ولا هيجل Hegal ، ولم يتصل بهما الا عن طريق شراحهما من الانجليز •

هوايتهد والرياضيات

واذا كان «هوايتهد» قد اعرض عن «الرياضيات» وولى وجهه شطر الفلسفة ، فانه لاينكر جدوى « الرياضيات » مما يدخل في باب الثقافة العملية، والحياة العامة اللازمة للانسان في مسعاه ، فهو يرى ان لكل شيء وجها رياضيا ، تجده في طيران الطير ، ووزن الشعر ، وايقاع الموسيقى ، ومن مزايا الرياضيات انها تشجع على تطوير قوى التفكير المجرد ، واستنتاج القواعد العامة ، ولا ينكر فضل الهندسة في التفكير المنطقي السليم ، فالتفكير الجاد يتطلب جمع الافكار الاساسية ، والانصراف عن التشتيت الذي تسببه الاعتبارات غير المتعلقة بالموضوع ، وهذا هو ما يحدث تماما في الهندسة » •

وهو لا يسلم من الوقوع في التناقض، فهو يحط من قدر رياضيات القرن التاسع عشر ، ويرى ان الزمن قد عفى على ما كان يعد منها « حقائق ثابتة » مما كان يدرسه في جامعة « كمبردج » ، ثم هو يعلى من قدر رياضيات ما قبل الميلاد ، والتي لم تكن تزيد في زمانها عن تاملات مجردة ، لم تتناولها التجربة العملية ، (ومع ذلك جاء يوم ظهرت فيه قيمتها الكبرى من الناحيتين النظرية والعملية ، ولقد فتح « كلبر » و « ديكارت » و «نيوتن» باب العالم العلمي الحديث، واستعملوا الادوات التي اخترعها علماء الهندسة الاغريق قبل الفي عام) • ولذلك فهو يعد الحد من التامل « خيانة للمستقبل » •

هوايتهد والفلسفة الحضارية

ولقد كان ل « هوايتهد » الى جانب تخصصه الرياضي والفلسفي نظرات صائبة في التاريخ والاجتماع والفن والجمال ، مما يدخل في نطاق الفلسفة الحضارية التي اولاها جانبا من اهتمامه ، وهي كذلك التي قربت بينه وبين القارىء العادي ، فجعلت كتبه وافكاره في متناول يده ، ولو وقف اهتمامه على الرياضيات والطبيعيات فحسب ، لظلت كتبه وتاليفه حبيسة جدران الجامعات لا يعرفها الا المختصون (٤)

وشان « هوايتهد » في ذلك شان « جورج سانتيانا» و « وول ديورانت » وغيرهما من الفلاسفة والمفكرين الذين اقتربوا من مشكلات الانسان عن وعي وبصيرة ، فدفعوا بعجلة الحضارة الانسانية الى الامام مع من دفع بها ، وقد كانت الحضارة هي الشغل الشاغل ل « وول ديورانت » ، كما كانت « قصة الحضارة » في مجلداتها العديدة هي خلاصة تفكيره ، وما كان لفيلسوف مثل « برتراند رسل » على سبيل المثال — ان يتحقق له ما تحقق من شهرة ، وذيوع صيت ، وبقاء أثر ، لو اقتصر في تاليفه على « الرياضيات » ، ولم يشغل نفسه بقضايا الانسان عامة ، في وطنه وغير وطنه ، وكم من فلاسفة ومفكرين ابتلعتهم لجة النسيان لانهم ناوا بانفسهم عن مشكلات الانسان •

والفن والفلسفة واعلاء قيمة الفرد وضمان حريته ، هي من اهم المقومات الحضارية عند « هوايتهد » •

الفن عند هوايتهد

ومن ملاحظاته الصائبة عن الفن انه يحيل التجريد الى واقع ملموس ، فتتحول الافكار المجردة الى عمل ابداعي اذا مستها يد فنان ، فتدب فيها الحياة ، وتضطرب بالواقع ، وذلك هو محك قدرة الفنان ، ومقياس عظمته • والفكرة الواحدة قد تعبر عشرات العقول ، ويلتقطها عقل المتفنن — من بينها — فيحيلها الى عمل فني يكتب له البقاء والدوام •

والفن عند « هوايتهد » ليس اضطرابا وفوضى وقلبا للاوضاع ، انما هو دقة ونظام ، ومصدرة الفنان الحق هي الافادة من العاطفة الجياشة ، وتحويلها الى فن له ضوابط واصول • ويذكرني رايه في ذلك براى للمفكر الفرنسي «اندريه مالرو»

---

(٣) عدد ديسمبر ١٩٧٤ من العربي •

(٤) فلسفة هوايتهد في الحضارة : آ • هـ •جونسون — مؤسسة فرانكلين — بيروت ١٩٦٥ •

Malraux تتضمنه عبارته « الابداع الفني لاينبثق عن استسلام للاشعور، وانما عن القدرة على السيطرة عليه وتوجيهه ، وهذا هو الفارق بين الفن الحقيقي وفن المجانين » .

وليس معنى الضوابط والاصول عند «هوايتهد» هو التحجر والجمود ، فهو يعلي من شان مغامرات الافكار ، ويعدها من اهم العناصر الجوهرية لتكوين الحضارة ، واحسب ان الفرق بين الافكار في جيشانها واضطرابها ، وبينها في هدوئها وتنظيمها وترتيبها كالمياه المتدفقة تتحطم على فتخرب وتدمر، وتنساب هادئة مترفقة فتحيي وتورق وتزهر وتضفي على الحياة جمالا وبهاء .

والفلسفة لا مناص منها

والفلسفة امر لا مناص منه لازدهار الحضارة عند « هوايتهد » ، فهي محاولة لتنظيم المعلومات المتوفرة في فكرة عامة ، وهي كذلك لان العقل المتحضر يزداد حيوية بفعل نوع من « عدم الرضا السامي » ، وهو ما يمثل النزوع الفلسفي لملكة النقد .

العلم عند هوايتهد

وليس للعلم عنده كبير اعتبار في البناء الحضاري ، وحجته في ذلك ان الحضارة الانسانية قد قطعت شوطا بعيدا في الصين ، ولم يكن لهـا من التقدم العلمي شيء ذو بال ، وكذلك الحال في الهند وفارس ، والحضارة الاغريقية قامت على الفن والادب ولم تقم على العلم . وغير ذلك مما لم يذكره « هوايتهد » ان العلم اذا كان في مقدوره ان يخلق الحضارات ، فان في مقدوره كذلك ان يدمرها ويخربها ، ويحيل ازهر المدن واحفلهـا بالعمران الى خراب ويباب ، وليس كذلك الفن ، وليست كذلك الفلسفة ، الا ان تحول عن وجهتها على ايدي المتهوسين والمجانين ، ويجر ذلـك الى استخدام العلم فيما هو غير خليق به .

قيمة الفرد في حريته

اما اعلاء قيمة الفرد وضمان حريته، فلان الفرد المبدع الخلاق هو قوام التقدم والحضارة ، وهـو لا يؤتي ثمره ، ولا تزدهر ملكاته الا في ظل حرية وارفة يستظل بظلها ، وبغير ذلك فان « خصوبة الحياة لا تلبث ان تتلاشى وتتبخر في حرارة الطغيان » ، وما اكثر ما يحفل التاريخ على ذلك بالادلة والشواهد ، ولعله من مثار السخرية ان « موسوليني » كان دائم التساؤل عن ان ايطاليا الفاشية لم تستطع ان تنجب اديبا او فنانا يكون موضع فخرها .

هوايتهد يرفض نظرية التطور

وفي نطاق فلسفة التطور في التاريخ يرفض « هوايتهد » نظرية التطور ، فاذا كان هناك صراع على البقاء نتج عنه انقراض بعض الكائنات ، فان هناك كذلك تعاونا وثيقا بين الكائنات ، هو ضرورة لبقائها واستمرارها ، فالاشجار تنمو وتورق لان حشرات بعينها تقتل بعض الكائنات الضارة بها ، ولو بقيت لتوقف النمو ، ولأصاب الاشجار الموات والاضمحلال ، وكذلك بقاء الاشجار ، هو عون على بقاء بعض انواع من الحشرات تستمد منها غذاءها ، وسلوك اسراب الطيور حين يحدق بها خطر ، هو مثل في الطبيعة على ظاهرة العون المتبادل بين الاحياء .

وهو لا يرى بقاء الاصلح مقياسا للتفوق ، لان الحجر يقوى على البقاء القرون الطويلة ، وليس للانسان ما للحجر من عوامل البقاء ، وليـس التكيف مع البيئة شرطا من شروط البقاء ، فالبيئة تتغير في بعض الاحايين ، والكائن الحي الذي يتكيف معها تكيفا وثيقا يكون عرضة للفناء، ولكنه لا ينكر ان مرونة التكيف وامكانية التجديد في السلوك يكونان من دواعي استمرار البقاء والتغلب على عوامل الفناء .

رأيه في نظرية السكان

وهو يتصدى لنظرية « مالتوس » في السكان بالنقد والاعتراض ، فهي لا تنطبق على كل ناحية من نواحي العالم ، وليس صحيحا ان كثافة السكان والبؤس متلازمان بالضرورة ، فان مستوى المعيشة في الاراضي الواطئة ابان القرن السادس عشر كان مرتفعا ، وكانت البلاد مكتظة بالسكان، وعلى العكس من ذلك ما كان في المانيا حين كان البؤس متفشيا فيها ، مع قلة عدد سكانها ، وهذا كله فضلا عن ان النظرية قد اسقطت من حسابها الر التقدم العلمي والتغييرات في التجارة ، والتوسع

الجغرافي » ومن هنا فان الواقع قد جعل هـــذه النظرية واهية لا تنطبق على جزء كبير من وجه الارض » •

ولعلنا نجد مصداق ذلك اليوم فيما تبذله دول من مال ودعاية في تحديد النسل وضبطه ، يقابله ما يقع من دول اخرى من ترغيب في الانجاب وحث عليه ، حتى لتصبح الام المثالية عندها هي تلك التي تنجب اكبر عدد من الابناء ، فتمنح الجوائز وتغدق عليها العطايا والاموال •

دور الجامعات في الحضارة

ولعل من خيرة افكار « هوايتهد » وملاحظاته مامس به شؤون الجامعات ودورها في الحضارة ، وهو يرى الا يقتصر دور الجامعات على الحقائق والاساليب ، وانما ينبغي ان يتعدى ذلك الى اعلاء شان القيم ، وانماء ملكات النقد ، والحكم على الاشياء • والمعرفة وحدها لاتكفي ، واذا لم يصاحبها امتاع في تناولها ، ومالم تستخدم بحكمة ، فانها تكون « لعنة مخيفة » ، والجامعات العظيمة تتطلب اساتذة عظاما ، وليس مقياس عظمة الاستاذ الجامعي عنده هي كثرة تاليفه وتصانيفه ، ووفرة ما يصدر باسمه من مطبوعات ، فان بعض ما يطبع لغو كله ، ومكانه هو محرقة القمامة ، وليس صفحات مجلة الابحاث الجامعية » ، وانما مقياس العظمة هو الحماسة والاصالة والعبقريـة والتحصيل النـافع والثقـة ، ولكنه يحذر من الوقوع في الالتباس في فهم حقيقة هذه الصفات ، فان منها ما يكون زائفا مصطنعا « وما يبدو اشبه بالاصالة كثيرا ما يكون لغوا ، وما يحسب عبقرية يظهر بعد التمحيص والاختبار انه مرض عقلي » •

العبقرية عند هوايتهد

ومن نظراته الجديرة بالاعتبار للعبقرية انها ليست في كل الاحوال موهبة الفرد الذي يتمتع بها ، فما اكثر العبقريات التي تذبل وتضمحل اذا افتقرت للبيئة الصالحة التي تنمو فيها وتزدهر ، وهو يقول في ذلك : « ان الظروف التي تساعد على القيام بعمل عظيم سام هي العبقرية بمعناها الواسع الذي يتضمن المعرفة والملكة المكتسبة التي تضبط السلوك » •

فيلسوف متفائل

و « هوايتهد » على وجه الاجمال فيلسوف متفائل ، لا ينظر الى الانسانية بوجه مقطب ، وانما يتطلع الى العالم بوجه مشرق ، وهو حريص على بقاء الحضارة ونمائها وازدهارها ، ولا يخشى عليها من شيء قدر خشيته من القـوة والبطش والجبروت ، وهذه في رايه علامة على اخفاق الحضارة ، والذين يلجاون اليها ، ــ مهما تكن الاسباب والدواعي ــ هم اقل من المستوى الانساني ، واقرب الى المستوى الحيواني ، وهم اميل الى السعي وراء المنافع السطحيـة التي يؤثرونهـا على المزيـج الخصب للحق والجمال والخير ، اما السلام فهو موضـع سخريتهم ، وان مغامراتهم مآلها الشر والخسران والعاقبة الوخيمة ، ويضرب لهؤلاء مثل « هتلر » و « موسوليني » اللـذيـن كانا مجلبـة للدمـار لنفسيهما وللعالم على السواء •

ندوات في بيته يجتمع فيها طلابه

وبالرغم من كثرة مشاغل « هوايتهد » وتعدد مناصبه ، ووفرة تاليفه وتصانيفه ، واهتمامه باسرته ، وحدبه على اولاده ، وعنايته بطلابه ، بالرغم من كل ذلك فانه كان يجد الوقت لعقد ندوات في بيته يجتمع فيها طلابه يتناقشون ويتعلمون ويعلمون ايضا ، لا يعلم بعضهم بعضا فحسب ، ولا يفيد بعضهم بعضا فقط ، بل يعلمون استاذهم كذلك ، اذ كان يقول «من الخطا ان يظن الكبار انهم لا يستطيعون ان يتعلموا من الصغار » •

واعاد «هوايتهد» بندواته ذكرى صالونات فرنسا ابان القرن الثامن عشر ، وبدا الناس يتسامعون بها ، ويتحدثون عن « سهرات في بيت هوايتهد » فيكثر الاقبال عليها ، ويتزايد عدد المترددين على جلساتها حتى ليبلغوا عددا يتراوح بين الستين ، وما يزيد على التسعين في الليلة الواحدة ، وبين هؤلاء جميعا اتيح لـ « لوسيان برايس » المحرر في مجلة « جلوب » في « بوسطن » ان يحضر هذه الليالي السامرة العامرة ، وان يستمتع بما يدور فيها من محاورات ومناقشات ، يعجب بها ، ويؤخذ بروعتها ، ويدعوه ذلك الى ان يسجلها في كتابه « محاورات الفرد نورث هوايتهد » الذي كان وليد تلك السهرات الشائقة •

وكان « هوايتهد » يرسل الحديث في محاوراته على اذلاله ، ويترك نفسه على سجيتها ، فيبدأ

حديثه مثلا عن مناسبة من المناسبات التى تحتفل بها امريكا ، ويفضى به الكلام الى موضوع عن الصحافة الامريكية مقارنا بينها وبين الصحافة الانجليزية ، واذا به بعد ذلك امام مسألة من مسائل الفن والابداع تشغل البال وتستأثر بالاهتمام ، هى تلك الظواهر النابغة التى تظهر فى زمن ، فتكاد تحجب كل من يأتى بعدها ، فلا يتطاولون عليها ، ولا يمتد لهم ظل يضارع ظلهم، فضلا عن ان يمحوه من فوق اديم .

ان عصر النهضة يضمحل بعد « ميشيل انجلو » والاوبرا بعد « فاجنر» تبدو هزيلة ضعيفة ، فهل معنى ذلك ان يستأثر فنان واحد بعصر باكمله ، وبصورة من صور الفن فى زمانه ؟

ذلك سؤال يلقيه « برايس » ويسمع الاجابة من « هوايتهد » فى قوله « ان امثال هؤلاء يظهرون فى نهايات عهود مضطربة قلقة ، فيجمعون فى جعبتهم الموضوعات الكبرى الشاملة ، ويذهبون فلا يجد من يأتون على اثرهم شيئا يقدمونه ، فيتهافتون على صغائر الامور ، ولا يبلغون شيئا مما بلغه سابقوهم » .

ولعل معنى ذلك ان عصور الانقلابات والاضطرابات عصور لا يتسنى فيها الابداع والابتكار ، فهى تشغل الناس بما هم فيه من نكد وكمد ، وطلب السلامة لانفسهم ، وان كل ما كان مقدرا له ان يبتكر ويخلق فى مثل هذه الآونة يضطرب ويمور فى الخفاء ، حتى اذا هدأت الاحوال تبلورت فى شكل من اشكال عباقرة الفن والابداع، ولا يتيسر تكراره الا اذا تيسرت نفس الظروف والاحوال ، وعادت الدورة كرة اخرى ، وقلما يعود الزمان على نفس الوتيرة بالرغم مما يقال من اعادة التاريخ نفسه .

بين العلم والشعر

وبعد حديث الفن وعباقرة المبتكرين فيه يثار حديث عن العلم والشعر ، وما قد يكون بينهما من عداء خفيف او مستحكم ، فيقول « هوايتهد » : « اعتقد ان بعض عظماء الشعراء لو عاشوا فى زماننا ربما كانوا علماء ولم يكونوا شعراء ، ولقد ظلت « اكسفورد » قرونا عديدة تدرس الادب القديم ، وابت « كمبردج » ان تعلم الادب وعلمت الرياضة، ومع ذلك خرجت « كمبردج » من الشعراء اضعاف ما خرجت « اكسفورد » منهم » .

وحديث عن ديكنز

ويخوض المتحاورون يوما فى حديث عن « شارلز ديكنز » Dickens ، الذى واتته الشهرة على غير انتظار، ولم تكن شهرته بسبب اقبال القراء عليه، او بسبب من اسباب النقد وما يتصل به ، وانما كانت بسبب ظهور قانون اعانة الفقراء ، ومشروع اصلاح المساكن ، وينسب « هوايتهد » الشهرة فى عصرنا الى التأثر الدعائى ، واقانين الناشرين ، لا الى الاصالة والقيمة فى حد ذاتها .

■ ■

ولعل محاورات « هوايتهد » قد اعادت الى ذهن القارىء ما كان لنا من ندوات ومحاورات على شاكلتها ، نتج عنها قدر عظيم من مسائل الفكر والفلسفة ، من مثل « الامتاع والمؤانسة » لابى حيان التوحيدى ، الذى قيل فى كتابه « انه خاض كل بحر ، وغاص فى كل لجة » ، وهو ليال بلغت نحو اربعين ليلة قضاها ابو حيان مع الوزير ابى عبد الله العارض فى مسامرات فكرية ، ثم جمعها فى سفر من اجزاء ثلاثة .

وقد كان الوزير يقترح موضوع الكلام ، يسأل فيجيب ابو حيان ، او يسأل ابو حيان فيجيب الوزير ، او يتحاوران معا فى نقاش يتخلله اتفاق او تعارض ، ولا يخضع الكتاب لترتيب او تبويب، انما يسترسل مع سبحات الفكر حيثما سنح او برح ، وتمضى الليالى ليلة اثر اخرى ، فاذا آذنت الواحدة منها بانقضاء جاءت « ملحة الوداع » فتكون نادرة لطيفة ، او ابياتا رقيقة ، يختتم بها البحث ، فتكون ترويحا للنفس من بعد كد الذهن ، وعناء التفكير .

ولكن ذلك زمن مضى وانقضى ، واخشى ان يصح فى التغنى به قول القائل :

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان اولهم
يا للرجال لشعر غير مسئوم

وصدق من قال :

اذا انت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

■■

عزت محمد ابراهيم

اعداد : يوسف زعبلاوى



البنكرياس الصناعى

● تحدثنا فى هذا الباب وقبل حين عن مثل هذا الجهاز الخطير الذى مازال قيد التطوير .. وتعزى خطورته الى ان الدور الذى يقوم به يجعله جديرا بالاسم الاخر الذى يطلقونه عليه : البنكرياس الصناعى .. فهو لا يقف عند حد حقن المريض بالانسولين اوتوماتيكيا .. ولكنه يذهب الى حد تزويده به بالمقدار المناسب وفى اللحظات المناسبة. فقد تهبط نسبة السكر فى دم المريض فجاة وعلى غير توقع اثناء الليل او النهار .. وقد يتعرض هذا المريض تبعا لذلك لمضاعفات السكر الخطيرة البشعة .. وهى تشمل فيما تشمل العمى وامراض القلب والشلل وتعطل الكلى بغتة.. من هنا كانت الامال الكبيرة التى يعقدها علماء جامعة ييل Yale على الجهاز الصغير الذى ابتكروه وطوروه حتى اقترب من مرحلة الانتاج على نطاق واسع .

وغنى عن البيان ان هذا البنكرياس الصناعى كان موضع تجربة وامتحان فى المدة الاخيرة .. وقد جرب بصفة خاصة فى حالات السكر المستعصية التي يصعب التحكم فيها بنسبة السكر فى الدم ، بالرغم من حقن الانسولين المنتظمة ، وهى حالات كثيرا ما يعانى منها صغار السن من الشباب والاطفال .

ويوضع الجهاز الذى لا يزن اكثر من ٤٥٠ غراما على خصر المريض ويعلق بحزامه بحيث يسهل ايصال انبوبته البلاستيكية الى جسم المريض وغرس ابرتها الدقيقة فى جلده .. ويتولى الجهاز بعد ذلك امر المريض فيقوم بتحليل دمه وتحديد نسبة السكر فيه بصورة متواصلة ويحقنه بالانسولين اوتوماتيكيا فى اللحظة التى يظهر فيها ذلك التحليل هبوطا فى نسبة السكر فى دمه . والجهاز معد بحيث يستطيع المريض مضاعفة جرعة الانسولين التى يحقنه بها وذلك بالضغط على زر صغير من ازرار الجهاز وذلك فى الحالات التى يخرج فيها المريض على الحدود والقيود التى يلتزمها فى طعامه .

ويؤكد الدكتور فيليبفيليج Dr. ph. feliã وهو العالم الذى تولى رئاسة فريق العلماء الذين نجحوا فى اختراع البنكرياس الصناعى وتطويره.. يؤكد ان الجهاز مازال بحاجة الى مزيد من تجارب قبل دفعه الى الاسواق .

تاريخ التكنولوجيا في سبعة مجلدات

● صدر في بريطانيا في مطلع هذه السنة كتاب «تاريخ التكنولوجيا» .. وهو كتاب ضخم يقع في ٧ مجلدات ، ويبلغ عدد صفحات كل من المجلدين الاخيرين منه نحو ٧٠٠ صفحة .. اما الفترة الزمنية التي يغطيها هذا الكتاب فطويلة جدا وتشمل التاريخ كله .. منذ بداياته الاولى وحتى سنة ١٩٥٠ .
وقد استغرق العمل في هذا الكتاب ربع قرن كاملا وسددت نفقاته كلها شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية I. C. I. باستثناء المجلدين الاخيرين، وقد تعهدت بالاتفاق عليهما مطابع جامعة اكسفورد، وهي الدار التي تولت نشر الكتاب بكامله ..

اما اعمال التحرير فقد قام بها اربعة علماء معروفون هم شارلز سنجر Charles Singer واختصاصه تاريخ الطب .. اريك هولميارد Eric Holmyard استاذ العلوم في معهد كلفتون Clifton روبرت هول Rupert Holl استاذ العلوم في الامبريال كولج في جامعة لندن . تريفور وليمز Trevor Williams كيميائي ناشيء شارك في بحوث البنسلين ايام الحرب .

والغريب ان هذا الكتاب لاقى من الرواج حتى الان اضعاف ما توقعه له ناشروه.. وقد تم نشره مترجما الى عدة لغات اخرى غير الانجليزية.. منها الايطالية واليابانية .. اضف الى ذلك أن أحد اندية هواة الكتب في الولايات المتحدة اقدم على طبع الكتاب على اوسع نطاق .

ومما يذكر ان المحررين لاقوا من الصعوبة في الكتابة عن التكنولوجيا في القرن العشرين اكثر مما لاقوا في الكتابة عنها في القرون السابقة .. وفي ذلك يقول المستر تريفور : « سهل علينا الحديث عن الاشياء حتى عام ١٩٠٠ . اما بعدها ، ولاسيما حين تناولنا موضوع الالكترونيات ، على سبيل المثال ، فقد تعقدت الامور واصبحت مهمة العرض مهمة صعبة للغاية » ..

الحق الشمس .. !

● يبدو ان عصر الطاقة الشمسية قد بدا او على الاقل بات قاب قوسين او ادنى .. فهذا جهاز جديد يضمن الحصول على حرارة الشمس واستعمالها لاغراض تسخين الماء ، وذلك بتكاليف زهيدة ، اقل كثيرا من تكاليف السخانات العادية.

..اما مخترع الجهاز فاسترالي اسمه دافيد لتل D. L. وقد اطلق على جهازه اسم (تراك ـ صن) Trac - sun .. او ، ان شئت ، الحق الشمس او رادار الشمس ! وحسبك ان هذا الجهاز ذ. فاز مؤخرا بجائزة منظمة



الصحة العالمية ..

ويتكون الجهاز من اربع ادوات .. اداة ملاحقة الشمس بل نورها وحرارتها .. وهي هيدروليكية .. واداة تجميع الحرارة الشمسية ثم انبوب الحرارة .. وهو يعمل على اساس الجاذبية .. ورابع تلك الادوات مستودع الغزن ..وهو مصنوع بمواد عازلة .

وتعمل الاداة الاولى ، اداة الملاحقة على توجيه الثانية ، اداة التجميع ، نحو الشمس بقصد امتصاص اقصى ما يمكن امتصاصه (من الطاقة الشمسية . وتسقط هذه الطاقة على انبوب الحرارة المفرغ من الهواء والذي يحتوي على قليل من الماء .. وما اسرع ما يغلي هذا الماء فيتبخر وينطلق الى مستودع الماء حيث يتكثف على جدرانه .. وهكذا يتم نقل الحرارة الشمسية بسرعة هائلة .. تفوق سرعة الصوت، كما يقول المخترع .. ويتم توزيعها في الماء الموجود داخل المستودع ..

وتجدر الاشارة الى انجهاز « الحق الشمس » هذا لا يعتمد في عمله على اية بطاريات شمسية او ادوات كهربائية وسيكون في الامكان استعماله على نطاق واسع – في اواخر السنة الحالية – لا لمجردتسخين الماء فحسب ولكن كاساس لشبكات التدفئة المركزية .. او مصانع تحلية المياه .. او محطات توليد الكهرباء .

عمليات زرع القناة الرحمية هل تنجح .. ؟

● اجرى الدكتور بيتر سلفرستون Mr.P.Silverstone مؤخرا عملية زرع فريدة .. كان ذلك في مستشفى بنشام Bensham في بلدة جتسهد .. وقد استغرقت العملية ٣ ساعات وساهم في اجرائها ثمانية اطباء .. ولم يكن العضو المزروع سوى القناة الرحمية ، قناة فالوب الذي يسبب انسدادها عقم النساء في الثلث تقريبا من حالات عقمهن . فان كان الاخصاب خارج الرحم هو السبيل الذي اختاره الدكتور ستبتو وزميله الدكتور ادواردز لحل مشكلة ذلك العقم فان عملية زرع قناة رحمية تحل محل القناة المسدودة هي الطريق التي سلكها الدكتور سلفرستون لحل هذه المشكلة ..

اما المراة التي اجريت لها عملية الزرع هذه ففتاة من مدينة نيوكاسل في الثلاثين من العمر .. استئصلت قناتها الرحمية الاصلية بقصد الاعقام قبل خمس سنوات ..ثم تزوجت مجددا ورغبت في الانجاب ثانية فكانت عملية الزرع التي اجريت لها . ومما يذكر ان القناة التي زرعوها لها استاصلوها من فتاة اخرى اتفق ان وجدت في مستشفى بنشام في الوقت نفسه ،وذلك من اجل استئصال قناتها الرحمية وبقصد الاعقام .. وهكذا التقت مصلحة الفتاتين اللتين ثبت انتماؤهما لزمرة دم واحدة .

والظاهر ان عملية الزرع التي اجريت لفتاة نيوكاسل قد نجحت .. وقد دل على ذلك الفحص وصور الاشعة . فقد بقيت القناة المزروعة مفتوحة ولم تنسد بعد زرعها ، كما يحدث في مثل هذه الحالات . الا ان الحمل هو محك نجاح العملية الحقيقي . فما لم تجرب القناة المزروعة عمليا وتحمل فتاة نيوكاسل بالفعل فان الحكم بنجاح العملية يكون سابقا لاوانه .

وعملية الزرع هذه ليست الاولى من نوعها وان كانت قليلة او فريدة .. فقد اجروا عملية اخرى مثلها في جنوب افريقيا وعمليتين اخريين في استراليا . والمرجح ان هاتين العمليتين قد فشلتا ... اما عملية جنوب افريقيا فما اسرع ما عكسوها واستاصلوا القناة التي زرعوها وذلك بعد زرعها مباشرة . اما السبب فاصابة المراة بالتهاب البريتون Peritonitis.

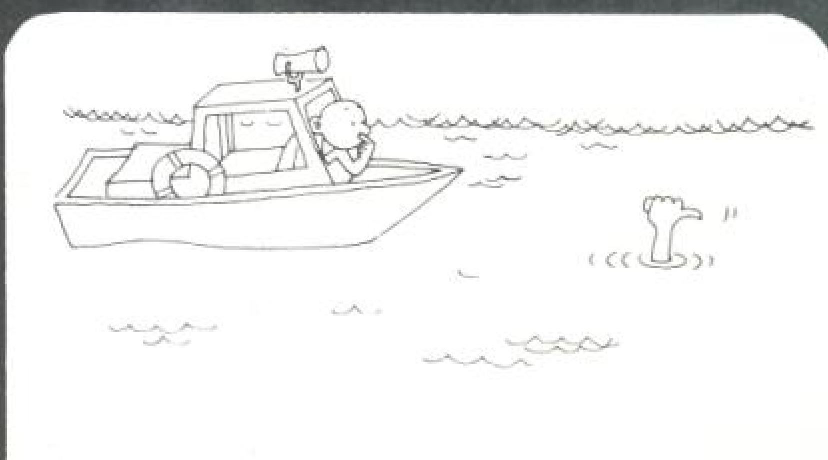
توصيلة

بريشة

بهجت











الشاعر الاندلسى القسطلى وحيرة النقاد فى أمره

بقلم : على أدهم

كثيرا ما تختلف آراء النقاد فى تقدير مواهب الشعراء والكتاب والفلاسفة والمفكرين، وتتباين أحكامهم فى وزن انتاجهم ، وبطبيعة الحال يرجع هذا الاختلاف والتعارض فى التقدير والوزن الى أسباب كثيرة ، قد يكون من غير الميسور استقصاؤها جميعا ، ولذلك ساكتفى بالاشارة الى بعض الاسباب التى اعتقد أنها فى أغلب الاحايين لها الصدارة فى الاعجاب والترجيح او التحامل والتنقص • وقد يكون فى طليعتها الحماسة والاعجاب الذى يستشعره الشبان فى مطالع حياتهم ، وغلبة المثالية على طباعهم •

ففى فورة حماسة الشباب يبحث الشبان عن بطل يعجبون به ، ويقفون فى صفه ، ويسيرون تحت لوائه ، ويتلقون آراءه وافكاره كانها وحى هابط من السماء، او كانه ملك الحكمة، واخذ بناصيتها، فاصبحت طوع امره ، ورهن اشارته ، وهذه المبالغة فى التقدير والمغالاة فى الاعجاب قد ينقلبان الى النقيض حينما تهدأ فورة الشباب ، وتتجلى غاياته ، وقد عرفت الكثيرين فى الحياة والكتب ممن استحال اعجابهم مقتا وزراية ، وتنكروا غاية التنكر لما كانوا يقدرونه ويكبرونه •

وهناك حكم عرفان الجميل والاشادة بما افاده الانسان من الكاتب او الشاعر ، ومن الامثلة البارزة فى تاريخ الادب لهذا النوع من الاعجاب والتقدير اعجاب الكاتب الكبير والمؤرخ الناقد « توماس كارلايل » بشاعر الالمان وحكيمهم « جيتى » ، فقد كان « كارلايل » فى ميعة شبابه يعانى حيرة فكرية ويضرب فى تيه مضل من الشكوك والحيرة امام مشكلات الحياة وغوامضها وخفاياها، واتفق انه تعلم فى تلك الفترة الحرجة من حياته اللغة الالمانية ، وشاءت المصادفة الحسنة ان يطلع على مؤلفات « جيتى » ، فوجد فيها ضالته المنشودة ، وردت عليه الامل فى الحياة ، والايمان بالخير،وعرف كارلايل لاستاذه هذا الجميل والفضل فى استنقاذه من بيداء الشكوك ، وظلام الحيرة ، فظل طوال حياته يشيد بعظمة جيتى ، ويثنى على حكمته ، ويكبر عبقريته ، وكان تقديره العالى ودفاعه المتوالى عن مكانة جيتى الادبية لمرة من لمرات الوفاء وعرفان الجميل ، ونقاد الادب المحدثون يقدرون مواهب كارلايل ، ويعجبون بوفائه وصدق سريرته واخلاصه لاستاذه، وان كانوا يرون فى فرط اعجابه بجيتى شيئا من المبالغة والاسراف قد لا يتابعونه فيه الى النهاية •

دور الحسد والغيرة

وهناك حكم الحسد والغيرة وما يولدانه من الكراهية والعنف ومجافاة الانصاف ، على ان حكم الحسد والغيرة قد لا يخلو من فائدة ، وقد يجيء الخير من الشر ، وينعم الله بالبلوى وان عظمت، والشاعر الذي قال ان أعداءه لهم عليه فضل لانهم عرفوه عيوبه فاجتنبها ـ قد أصاب الصواب ووفق ، ومن الامثلة البارزة في تاريخ الادب لما يفعله الحسد والغيرة رسالة الصاحب ابن عباد التي أسماها « مساوىء المتنبي » وقد نقل الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » في الجزء الاول الذي ترجم فيه للمتنبي جانبا منها ، وقد قيل ان المتنبي حينما فارق بغداد متوجها الى حضرة أبي الفضل ابن العميد ، طمع الصاحب بن عباد في زيارة المتنبي اياه باصفهان ، واجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان كما روى البديعي في كتاب « الصبح النبي عن حيثية المتنبي » ، وكان الصاحب حينذاك شابا ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطف المتنبي في استدعائه ، فلم يقم له المتنبي وزنا ، ولم يجبه عن استدعائه ، فصيره الصاحب غرضا يرشقه بسهامه ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وهو أعرف الناس بحسناته • وهذه الرسالة على ما بها من تحامل ومجافاة للانصاف وتعمد للاساءة ومغالطة في بعض الاشارات لا تخلو من فائدة ، وهي تعد من المراجع في دراسة أدب المتنبي ، لان الصاحب كان من كبار ادباء عصره ، وبرغم تحامله فانه قد وضع يده على بعض العيوب الجوهرية في شعر المتنبي •

وهناك حكم الجهل والغباء وعدم الفهم والعجز عن التقدير الدقيق وهو من أسوأ الاحكام ، واشدها امعانا في الشطط ، وان كان في الواقع لا يضر بجوهر رسالة الشاعر أو الكاتب ، وذلك لانه لا يصيب الهدف ، ويتحدث عن موضوع آخر غير الموضوع الذي يزعم العلم به ، ومن بواعث الاسف ان أحكام الجهل وعدم التعمق في الدراسة وسعة الاحاطة ليست قليلة ، سواء في الحياة او عوالم الادب والفكر • وكثيرا ما يتحامل الناس على أحد المفكرين وهم لا يعرفون حقيقة تفكيره واتجاه مذهبه ، وانما توهموا له صورة مخالفة لحقيقته ، وقد يكون سبب ذلك عجز تفكرهم وعدم قدرتهم على الارتفاع الى مستوى المفكر الذي يتصدون لنقده ، وقد يكون الدافع الى ذلك الدعاية التي يثها خصومه واعداؤه ، ومن كبار المفكرين الذين أساء اليهم وأضر بهم حكم الجهل ومجانبة الانصاف الفيلسوف الاسلامي الكبير ابن رشد ، فانه مع صحة ايمانه وصدق تدينه اتهم في دينه • ومنهم الفيلسوف الحكيم اسبينوزا الذي اتهم بالالحاد والذي قال عنه رينان في الاحتفال برفع الغطاء عن تمثاله في مدينة «لاهاي» انه كان ممتلىء النفس بفكرة وجود الله ، ولكن الذين عجزوا عن فهم تفكيره الفلسفي الدقيق رموه بالالحاد •

وهناك احكام أصحاب المذاهب المعينة،والنظريات الخاصة ، وهؤلاء يجد الانسان نفسه مضطرا الى تلقي احكامهم في احتياط وحذر ، لانهم ينظرون الى الشعراء والكتاب والمفكرين من زاويتهم الخاصة ، ويحاولون ان يفسروا اراءهم في ضوء الاتجاهات التي يؤثرونها، فالوجوديون مثلا يميلون الى ادخال اكثر الكتاب والشعراء في حظيرة الوجودية ، ويفسرون اقوالهم في ضوء المذهب الوجودي ، واكثر أصحاب المذاهب والنحل يتبعون هذه الطريقة ، فهم لا ينظرون الى الشاعر أو الكاتب نظرة خالصة وانما يحاولون أن يجعلوه وسيلة لتأييد مذهبهم • وهناك اختلاف الاحكام الناشيء عن اختلاف الامزجة والطبائع والاخلاق والعادات والبيئة والنشأة •

حتى تتحقق البراءة

ويمكن ان نستخلص من ذلك أن من يلتمس الحق ، ويتحرى براءة التقدير ، عليه أن يتلقى معظم ما يسمع من الاحكام الادبية في تحفظ وتبصر ، وان يقلبها على جوانبها قبل أن يقتنع بصحتها ليعرف غثها من سمينها •

والقسطلي ـ واسمه أحمد بن دراج ، وكنيته أبو عمر ، ولقبه القسطلي نسبة الى بلد في غرب الاندلس تسمى « قسطلة دراج » وقد ولد سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ـ يعتبر في طليعة كبار الشعراء الذين أثروا الادب الاندلسي ويقول عنه الثعالبي في الجزء الثاني من كتابه « يتيمة الدهر » كان بصقع الاندلس كالمتنبي بصقع الشام » ، واختار في كتابه مجموعة من أشهر قصائده •

وقد ظهر ابن دراج بين شعراء قرطبة في أواخر

فترة الخلافة ، واتصل بالمنصور بن أبي عامر في أوائل فترة الحجابة ومدحه بقصيدة مطلعها : ـ

أضاء لها فجر النهى فنهاها
عن الدنف المضنى بحر هواها

وضللها صبح جلا ليلة الدجى
وقد كان يهديها الى دجاها

وهي قصيدة حسنة السبك متينة البناء ، جعلت الشعراء المعاصرين له والمقربين من المنصور يخشون منافسته لهم فاتهموه بالانتحال والسرقة ، وقد بذل جهدا ليبطل هذا الاتهام ، ويثبت امتيازه وعظيم كفايته وصدق شاعريته ، وقربه المنصور ، وقدر كفايته الشعرية ، وكان يصحبه مع سائر الشعراء الذين كانوا يصحبون المنصور للاشادة بغزواته الموفقة المتوالية ،وارتفع شانه بين شعراء الاندلس والمغرب ، وقدره النقاد المعاصرون له واشادوا بنبوغه وعبقريته وقال عنه عبد الواحد المراكشي في كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » بعد ان اشار الى قوله في المنصور :

تلاقت عليه من تميم ويعرب
شموس تلالا في العلا وبدور

من الحميريين الذين أكفهم
سحائب تهمي بالندى وبحور

« أبو عمر هذا من فحول شعراء الاندلس والمجيدين منهم ٠٠ وكنت انا في أيام شبيبتي مولعا بشعره كثير الدراسة له ، فلم يبق على خاطري منه شيء أصلا خلا بيتين هما مما ارتجل في بعض مجالسه وهما :

اجد الكلام اذا نطقت فانما
عقل الفتى في لفظه المسموع

كالمرء يختبر الاناء بصوته
فيرى الصحيح به من المصدوع

وقال عنه الحميدي في كتابه « جذوة المقتبس » كان كاتبا من كتاب الانشاء فيأيامالمنصور بن أبي عامر ، وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء ، والمذكورين منالبلغاء ٠٠٠ وانطريقته في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته ، وينقل عن احد ادباء الاندلس قوله « لو قلت انه لم يكن بالاندلس اشعر من ابن دراج لم أبعد » وقوله مرة أخرى « لو لم يكن لنا من فحول الشعر الا احمد بندراج لما تاخر عن شاوحبيب والمتنبي»٠

وقد خصص له مؤرخ الادب الاندلسي ابن بسام في كتابه القيم « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» فصلا مطولا في القسم الاول من المجلد الاول نقل فيه قول ابن حيان « أبو عمر القسطلي سباقحلبة الشعراء العامريين ، وخاتمة محسني اهل الاندلس اجمعين » ، وقول أبي عامر بن شهيد « الفرق بين ابي عمر وغيره أن أبا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر الكلام ، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب ، وما تراه من حوكه للكلام ، وملكه لاحرار الالفاظ ، وسعة صدره ، وجيشة بحره ، وصحة قدرته علىالبديع، وطول طلقه في الوصف » واتبعذلك ابن بسام بذكر جملة فصول من شعر القسطلي ونثره ، قال في مقدمتها « وقد اثبت انا من شعره بما يبهر نيرات الالباب ، ويظهر خفيات الاسباب ، ومن نثره ما يبهر العقول ، ويباهي الغرر والحجول ،ويسامي التيجان والاكاليل » ٠

وقد ذكره ابن خلدون في مقدمته في الفصل الذي عقده ليوضح أن أهل الامصار قاصرون في تحصيل الملكة اللسانية البيانية ، وعده أحد من قويت فيهم هذه الملكة بكثرة المعاناة والامتلاء من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا ، مثل ابن حيان المؤرخ وامام أهل الصنعة في رأى ابن خلدون ، ومثل ابن عبد ربه مؤلف العقد الفريد ٠

رأى المحدثين

اما النقاد المحدثون فانهم لم يقبلوا أحكام النقاد القدامىعلى أنها مسلمات ، فالدكتور احمد ضيف يقول عن القسطلي « لم يكن شاعرا فطريا يقول الشعر عن شعور صحيح او دافع نفسي ، وانما هو مقلد بارع حتى في المعاني التي لم يشعر بها نفسه ، وفي وصف الامكنةالتي لم يرها الا في كلام الشعراء ،فهو منالذين اتخذوا الشعر صناعة لفظية ، والة من الات الكلام ليمدح به من يريد » ٠

والدكتور احمد امين يقول عن القسطلي في الجزء الثالث من كتابه القيم « ظهر الاسلام » والحق أن شعره يشبه شعر المتنبي في المظهر دون

المخبر ، فشعر المتنبي في مظهره أسلوب فخم قوي، تسمعه كانه قعقعة سلاح ، ومكنته قدرته على أن ياتي بالفاظ جزلة ، وأساليب عربية يستطيع ان يرغمها على التقديم والتاخير ، والذكر والحذف.

ولكن لم يكن لابن دراج قوة المتنبي في المعاني الذهنية الدقيقة ، ولا في الحكمة الرفيعة ، انما هو تلميذ المتنبي في فخامة شكله ، وهي مدرسة كان على راسها ابن دراج ، ومن تلاميذها ابن شهيد وابن هانيء ٠٠٠ وفي الحقيقة انك اذا قرات شعر هؤلاء الثلاثة ادركت أن شعرهم من راسهم ٠٠ وفرق بين الصوت القوي الاقرع الذي يخرج من الرأس وبين الصوت الحنون الذي يخرج من القلب ، وقد روى ان لابن دراج ديوانا من جزاين ولكن مع الاسف لم يصل الينا ٠

وقد خالف الدكتور احمد هيكل الدكتورين أحمد ضيف وأحمد أمين في تقديرهما لشعر القسطلي وذلك في كتابه القيم عن « الادب الاندلسي » ، والدكتور هيكل حجة في دراسة الادب الاندلسيوهو يقول في كتابه عن القسطلي بعد أن أثبت بعض قصائده « وهكذا تتضح شاعرية القسطلي الاصيلة البارعة ومقدرته على التصوير الحسي والنفسي ، وخاصة حين يصف الترحال ويصور الحنين ، وهكذا أيضا تتضح قسوة المرحوم احمد ضيف في حكمه على القسطلي ٠

ويرد على رأي أحمد أمين قائلا « وقد قسا المرحوم الدكتور احمد أمين على ابن دراج فقال بعد ان أورد أبياتا من قصيدته الرائعة « فترى من هذا محاكاة المتنبي في الوزن والقافية وتقليده في أسلوبه ومعانيه » والحق ان القسطلي لم يكن يحاكي أو يقلد ، وانما كان كغيره من كبار شعراء الاندلس ينافس ويسابق ٠

ويقول الناقد المستشرق الروسي « اغناطيوس كراتشكو فسكي » في الفصل الذي كتبه عن الشعر العربي في الاندلس ضمن كتابه « دراسات في الادب العربي» وقد قام بترجمتهالى اللغةالعربية محمد المعصراني « كان ابن دراج مثالا للشاعر الكاتب ، لا في الحضارة الاندلسية وحدها بل في الحضارة العربية كلها ، لقد كان واسع العلم ، قادرا على ان يقرض بسهولة شعر المديح والاستعطاء ، ونظم التواقيع شعرا ، فهو ناظم اكثر منه شاعرا ، ولكنه كان يملك ـ على اكمل وجه ناصية الصنعة بكل دقائقها ، وهو بطبيعته ذو روح بوهيمية ، ميال الى الحياة المرحة ، وكان هذا النموذج من الشعراء منتشرا في جميع قصور الملوك في الاندلس وافريقيا الشمالية ومصر ، وكان معروفا جيدا في الشرق أيضا في أيام العباسيين ، ولم يكن لهذا النموذج مكان معين ، ولا عصر معين ، وكلما قامت في عصر من العصور سلالة ملكية قوية وحاولت أن تكسب لنفسها الابهة اجتمعت حولها علىالفور حلقة منالادباء تساعدها في توطيد مركزها السياسي ، وتلبي حاجات افرادها الثقافيةوالجمالية ،وبفضل هؤلاء الشعراء الذين هم من نوع ابن دراج تثبتت نهائيا لدى قصور الملوك في الاندلس دعائم الشعر ذي الميول الكلاسيكية الجديدة الذي نشا في مدن العراق قبل العصر الاندلسي بقرنين ٠

ويقول الدكتور احمد هيكل « وقد كان ابن دراج كثير الشعر ، غزير الانتاج ، فقد روى أنه خلف ديوانا من جزاين ولكن هذا الديوان لم يبق عليه الزمن وكل الذي بين أيدينا من شعر ابن دراج هو عدة قصائد ومقطوعات متفرقة في الكتب التي ترجمت له أو عرضت مختاراته ٠

وواضح من ذلك ان اكثر الذين كتبوا عن ابن دراج وتصدوا لنقده لم يكونوا قد اطلعوا على ديوانه الذي يجمع الشعر الذي نظمه طول حياته وارجح أن هذا كان من أسباب اختلاف النقاد في تقدير شاعريته ، لان التقدير الصحيح يقتضي الاطلاع على الديوان ، وعدم الاكتفاء بقراءة المختارات الواردة في المراجع الادبية التي تناولت جانبا من سيرته وبعض نواحي شاعريته ٠

وقد عني الشيخ علي بن الشيخ عبد الله ال ثاني حاكم قطر السابق بالبحث عن الديوان حتى ظفر به الباحثون وتم طبعه على نفقته ٠ وقام بتحقيق المخطوط الاستاذ الدكتور محمود علي مكي، وظهرت الطبعة الاولى فيسنة ١٩٦١ وارجح ان وجهات النظر في تقدير ادب القسطلي وشاعريته قد تتقارب بعد الاطلاع على الديوان واستيفاء بحثه ودراسته ٠ ■■

علي أدهم

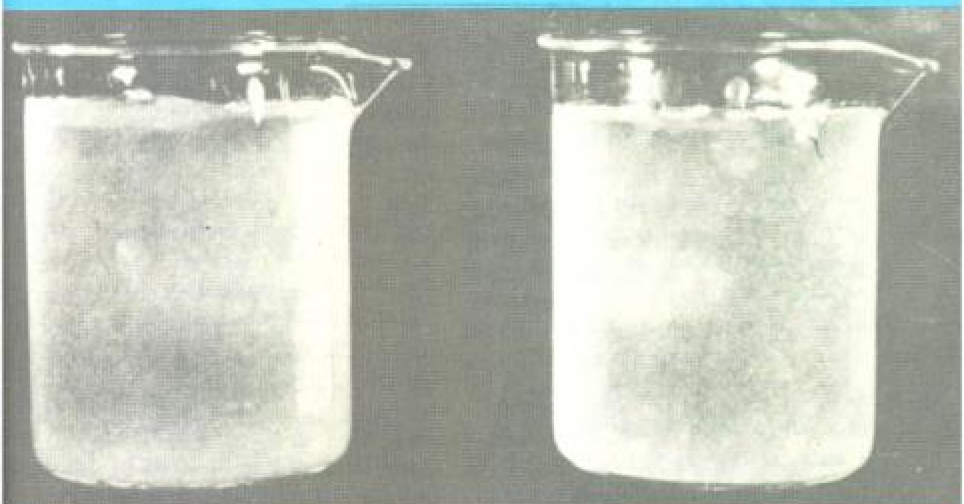
مــا يفــرقــه الانســان

يتعامل العلماء دائما مع الكون والحياة على انهما وحدات ، تآلفت في بنايات او تشكيلات لها نظمها وقوانينها ، ولكي ندرك اسرارها ، كان لابد ان نعرف طبيعة تلك الوحدات .. بداية من الذرات ، حتى ننتهي بالسماوات .

فالذرة مثلا كون دقيق له وحداته .. ووحدة الذرة جسيمات ذرية لها علماؤها ومعادلاتها وقوانينها وتفاعلاتها التي تاهت فيها العقول .

وللسماوات ايضا وحداتها اواجرامها التي تتجلى لنا على هيئة اقمار تدور حول كواكب .. الكواكب تطوف حول الشموس او النجوم .. النجوم تتآلف في مجرات .. المجرات تسبح في كون الله العظيم بقدر معلوم ـ ولهذه ايضا علماؤها ومعادلاتها وقوانينها !

وللحياة كذلك وحداتها .. ووحدتها خلية .. الخلية في نسيج .. النسيج في عضو .. العضو في مخلوق .. المخلوق وحدة في جماعة او شعب او وطن .



الصورة توضح كأسين بكل منهما خلايا اسفنجية مشتتة لنوعين ذي لونين مختلفين ، خلطت خلايا هذا النوع مع ذاك في خليط ، وتركت لشأنها ، لمعرفة اذا كانت الخلايا من النوع الواحد ستتعرف على بعضها .. وبمرور الوقت بدأت بالفعل في التجمع في مستعمرات صغيرة ، اخذت تكبر شيئا فشيئا (بداية من ١ حتى الخطوة ٤) ، وفي النهاية نستطيع أن نلاحظ أن خلايا النوع البرتقالي قد تجمعت في مستعمرات برتقالية ، وكذلك ، تجمعت خلايا النوع الاصفر المشوبة بخضرة في مستعمرات منفصلة كما في الصورة (٤)

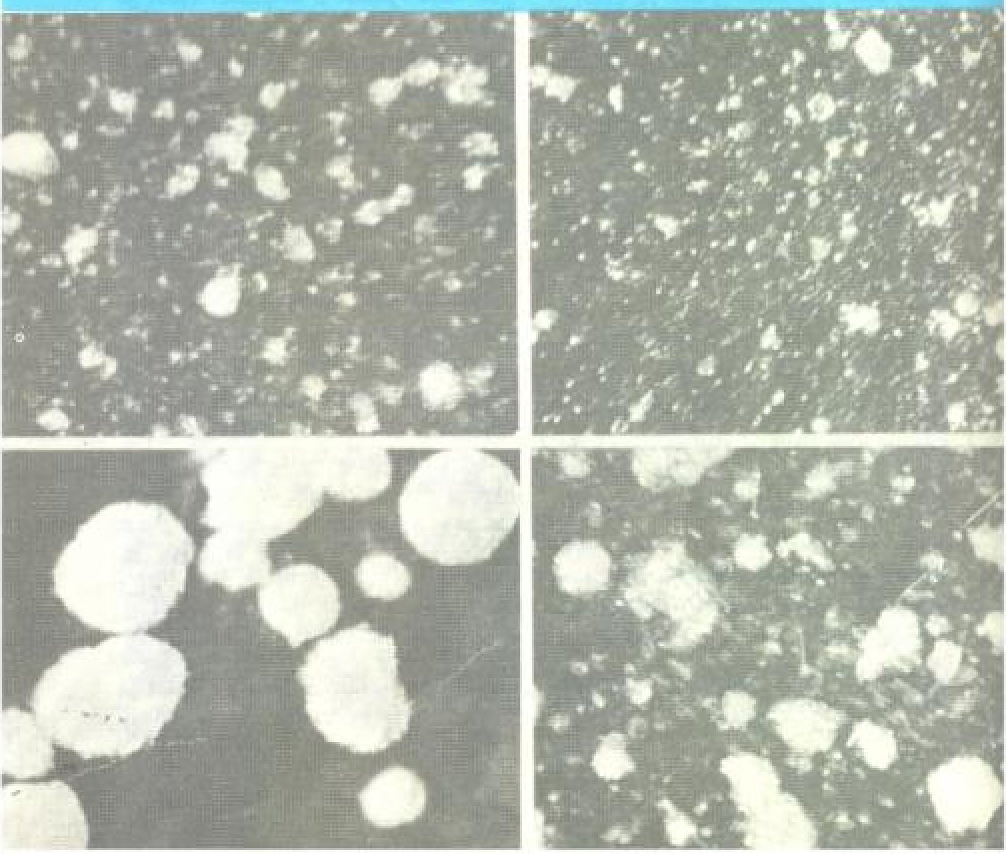
تجمعة الحياة

بقلم :
الدكتور
عبد المحسن صالح

ولكى ندرك سر الحياة ، كان لابد ان ندرك سر الخلية الحية ، ونعرف سلوكها ، ونلم بتراكيبها ، ونطلع على تفاعلاتها ، ونستكشف علاقاتها مع جيرانها فى الجسد الذى يطويها ، فهى تؤثر — بلا شك — فيما حولها ، وتتأثر بما يجرى فى اسرابها ، وكلما تعمقنا فى هذه المعرفة ، تكشفت لنا اسرار من داخل اسرار من داخل اسرار ... الخ .

فما من مخلوق نراه ، او لا نراه ، الا ونشأ من خلية .. لا يختلف فى ذلك الانسان عن الثعبان عن الحشرة عن الشجرة .. الخ ، فالكل من خلايا .. ولكل خلية « بروجرامها » الذى يرسم لها هدفها ، ويوضح لها معالم الطريق ، ولو استطعنا ان نلم بكل تفاصيل هذا البروجرام الخلوى ، لاستطعنا مثلا ان نعرف سر نشأة الخلية السرطانية التى تبيد حياة المخلوق ، او ندرك لغز تشكيل الجنين الذى يأتى من خلية واحدة ملقحة ، فاذ بهذه الخلية الوحيدة تنقسم وتنقسم ، ثم تتشكل فى طبقات ، وتتحول الى انسجة ، فتضع عينا هنا ، واذنا هناك ، وتحدد لكل نسيج او عضو مكانه الصحيح فى الجنين فاذا بنا نرى الخلق قد جاء سويا بصورته المتناسقة التى نراه به عليها .

والواقع ان التحديات التى تجابه علماء الحياة



لكثيرة .. كثيرة جدا ، كما ان البحوث التى قاموا بها للكشف عن الالغاز التى تدثرها الحياة بغلالات من السرية والكتمان لضخمة .. ضخمة جدا ، ومع ذلك ، فكلما تعمقنا فيها ، زاد شعورنا باننا كم كنا جاهلين !

بداية السر .. من مستعمرة أسفنج !

لكى ندرك سر الخلية الحية ، كان لابد ان نعزلها من المجتمع الذى فيه تعيش ، وندرس سلوكها فى الدوارق والانابيب والاطباق ، والواقع ان هناك علما قائما بذاته الان : هو علم زراعة الخلايا والانسجة بعيدا عن الجسم الحى ، فنحن نستطيع مثلا أن نربى اية خلية نشاء ، من اى مخلوق نريد .. بداية من خلية من المخ ، الى خلية من القلب او الكبد او الامعاء أو اى نسيج آخر تتوق الى معرفة الميكانيكية البيولوجية التى تجرى فى وحداته او خلاياه ، ولقد توج العلماء هذه البحوث العميقة باحداث الاخصاب بين الخلايا الجنسية ، ثم السيطرة عليه خارج الارحام ، ودراسة سلوك الخلايا الجنينية وهى تتشكل وتهاجر وتغير مواقعها تحت سمعنا وبصرنا ، بغية التوصل الى الاسرار التي تسيطر على بداياتنا ، او بداية أى كائن حى آخر ، ولقد تجسدت هذه البحوث اخيرا فيما اسماه العامة بطفل انبوب الاختبار ، وهو ما سبق أن قدمناه فى دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة (انظر عددى يناير وفبراير ١٩٧٩) .

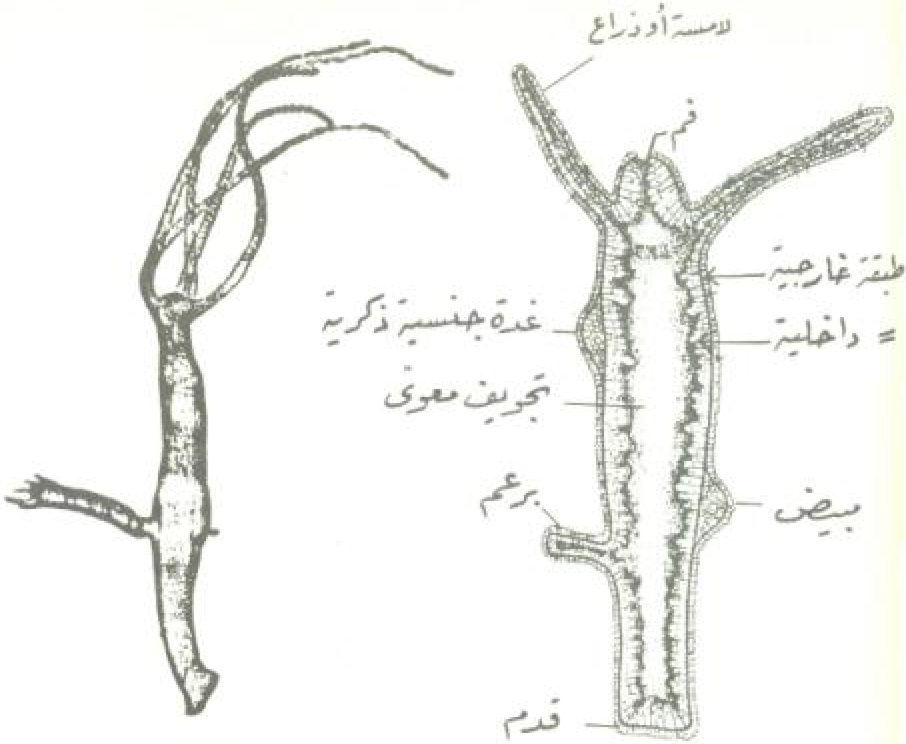
لكن بداية هذه البحوث كانت متواضعة .. فعندما راودت عقول بعض العلماء فى هذا المجال بعض الاسئلة الحائرة ، كانت التجربة العلمية الهادفة خير سبيل للتوصل الى اجابات مقنعة عن الكيفية التى يمكن فيها ان يحدث التجاوب والترابط والتفاهم بين خلية واخرى ، ولقد اجريت اول تجربة بسيطة فى هذا الميدان على مستعمرات الاسفنج ، وللاسفنج بعد ذلك انواع كثيرة تصل الى حوالى ٥٠٠٠ نوع .

هذا ومن المعروف ان الاسفنج حيوان بدائى يتكون من مستعمرات تضم فى طياتها ثلاثة انواع من الخلايا ، والواقع ان الاسفنج الذى نستخدمه ليس الا « اطلال » البيت المهجور الذى تعاونت ملايين الخلايا فى بنائه لتسكن فيه ، أو بالتحديد فى القنوات الكثيرة المتشعبة التى نراها على سطحه كثقوب صغيرة .

فى عام ١٩٠٧ قام عالم الفسيولوجيا الامريكى هـ.ف. ويلسون من جامعة نورث كارولينا باحضار مستعمرة لاحد أنواع الاسفنج ، ووضعها داخل قطعة من الشاش ذات الثقوب الضيقة ، وعصرها عصرا هينا ، فخرجت الخلايا من تجوانها ، ومرت خلال قطعة الشاش ، لتستقر فى وعاء يحتوى على ماء بحر ، وهامت الخلايا المشردة فى كل الاتجاهات دون هدف ظاهر ، لكن الامور قد بدات تتكشف بعد ساعات قليلة ، اذ اخذت الخلايا تتحرك وتزحف على قاع الوعاء ببطء شديد ، ثم بدات تتقارب وتتجمع وكأنما هى تحتضن بعضها بعضا ، وتبين فيما بعد كأنما هناك دافع يدفعها ليجتمع شملها فى كيان او « جاليات » خلوية .. ليس ذلك فحسب ، بل ان الخلايا قد بدات فى عمليات فرز وتنظيم وتبادل المواقع فى التجمعات الجديدة ، وكأنما كل خلية تسعى لتحتل مكانها المناسب بالنسبة لغيرها كما كان الحال فى المستعمرة الام التى تحطمت ، او كأنما هى لاتزال « تتذكر » موقعها بالنسبة لجيرانها فى المستعمرة ، فتسعى لتحقيق ذلك فى الجالية الخلوية التى جمعتها مع غيرها فى وعاء باحد معامل العلماء .

وخطا بعض العلماء ــ بعد ذلك ــ خطوات اخرى هامة ، فيجىء بول جالتسوف من معمل بيولوجيا البحار ، وتوم همفريز من جامعة شيكاغو ، فيختار كل منهما أنواعا من مستعمرات الاسفنج ذات الالوان المختلفة ، ويشردان الخلايا من مستعمراتها ، ثم يخلطان خلايا مستعمرة صفراء على خلايا مستعمرة برتقالية فى اناء به ماء بحر ، لمعرفة ماذا يمكن ان يحدث لهذا الخليط المشرد ، وكأنما يراود عقليهما سؤال محدد : هل يمكن لخلايا النوع الواحد ان تتعرف على بعضها ، ويجتمع شملها فى مستعمرات خلوية صغيرة ؟

وقد كان .. اذ تبين ان خلايا النوع الاصفر



حيوان الهيدرا البسيط التركيب ، اذ يتكون من طبقتين من الخلايا المختلفة، واحدة الى الخارج والاخرى الى الداخل (الصورة اليمنى) . والى اليسار يبدو الحيوان متكاملا ، ولقد أمكن قلبه كما تقلب الجورب مثلا، فجعل أحد العلماء خارجه داخله ، وداخله خارجه (انظر المقال)

قد سعت الى بعضها ، وكذلك فعلت خلايا النوع البرتقالي ، ولم يحدث ان تجمع هذا مع ذاك في مستعمرة مختلطة (انظر الشكل الذى يوضح ذلك) .

ولقد اعيدت هذه التجارب على انواع وانواع، فعرفت الخلايا من كل نوع نوعها ، فتالفت في جاليات خلوية ، لو انها عزلت وتهيات لها الظروف المناسبة ، لنظمت كل جالية نفسها ، ولاخذت خلاياها اوضاعها ، وعندئذ تبدأ في تكوين مستعمرة اسفنجية لاتختلف عن المستعمرة الام في قليل او كثير !

وبدأ العلماء في البحث عن السر الكبير . . اذ كيف تعرف الخلايا الشاردة اترابها ؟ وتجيء واحدة من التجارب بالكشف عن سر مثير . . اول سر في قائمة من الاسرار التي تنظم هذه العوالم الصغيرة .. فعندما وضع احد العلماء خلايا مفككة لنوع من الاسفنج في ماء بحر خال من أملاح الكالسيوم والماغنسيوم ، لاحظ ان الخلايا لم تتآلف او تترابط ، بل ظلت هائمة على « وجوهها » في الماء .. والغريب هنا ان الخلايا السرطانية التي تنشا في اجسام الانسان والحيوان قد تتفكك ايضا من اورامها ، وتهاجر الى مواقع اخرى ، وهذا ما لا تفعله خلايا انسجة الجسم السليمة ، فبينها رباطات خلوية تمنعها من الهجرة من مكان الى مكان ، ولقد توصل احد العلماء الى ان هجرة الخلايا السرطانية ، وانتشارها في الجسم ، يرجع ايضا الى نقص الكالسيوم في اغشيتها لسبب لا يدريه احد، انما الذى ندريه ان تلك الخلايا المدمرة تغير خواص جدرها ، فتجعلها قابلة للتفكك، وربما كان للكالسيوم في ذلك دخل ، وفي هذا قد يتشابه سلوك خلايا الاسفنج مع خلايا السرطان ، فنقص

الكالسيوم يؤدي الى تفكك هذا وذاك ، لكن الامر يحتاج الى بحوث اشمل واعمق لتعرف الخبر الاكيد ، خاصة مع الخلايا السرطانية التي لا تزال سرا مستعصيا حتى يومنا هذا .

ومع ذلك فهناك بحوث توضح أن بعض الكائنات البحرية مثل قنافذ البحر (الرتسا) لا تستطيع ان تعيش بدون وجود الكالسيوم ، خاصة في مراحلها الجنينية الاولى .. من ذلك مثلا ان كرت هيربست وجد أن خلايا اجنة حيوان الرتسا المتماسكة تتفكك الى خلايا هائمة اذا عاشت في مياه بحر خالية من الكالسيوم ، فاذا اضيف اليها هذا العنصر الهام ، بدأت في التجمع والالتحام ، وعاد الجنين الى وضعه .

كلمة السر يحملها كل نوع في خلاياه !

لكن البديهة ساقت العلماء الى ان املاح الكالسيوم أو الماغنسيوم أو أي ملح آخر لا يستطيع ان يكون الهادي أو المرشد أو الموجه الذي يوجه الخلايا الشاردة لتعرف اترابها ، بل لابد من وجود جزيء أو جزيئات عضوية ذات تكوين خاص، وبه أو بها «تنادي» الخلايا على بعضها، لتتقارب وتتآلف في مستعمراتها .

ولقد تحقق ذلك بالدليل عن طريق التجارب العلمية ، فلو اننا اخذنا مستعمرة اسفنج ، وشردنا خلاياها في وعاء ، ثم رشحنا هذه الخلايا وغسلناها بالماء ، ثم وضعناها في ماء بحر متكامل الاملاح ، فان الخلايا تظل هائمة على وجوهها ، ولن يسعفها وجود الكالسيوم والماغنسيوم في التعارف والترابط ، وهذا يعني ان كلمة السر قد انفصلت من أسوارها او جدرها وراحت في الفسيل ، فاذا اعدنا اليها «الفسيل» بما حوى ، زحفت وتقاربت والتأم شملها في مستعمرات صغيرة .

وهل « كلمة السر » هذه واحدة بين الخلايا التي جاءت من أنواع مختلفة من الاسفنج ؟ .. ام ان لكل نوع شفرته أو « كوده » الخاص به، فلا يهتدي به احد سواه ؟

لقد أجاب العالم الفسيولوجي همفريز على هذا السؤال بسلسلة من التجارب التي استخدم فيها انواعا من الاسفنج ذات الوان مختلفة ،حتى يمكن التعرف عليها بسهولة اذا ما تجمعت في مستعمرات ، فقام بتفكيك كل نوع وترشيحه وغسله في وعاء مستقل ، ثم خلط خلايا الانواع المختلفة في وعاء مشترك ، وامدها بماء بحر متكامل الاملاح ، فهامت الخلايا على وجوهها دون هدف ظاهر ، وعندما اضاف همفريز جزءا من الرشيح الذي تفككت فيه خلايا الاسفنج الابيض الى الخليط الهائم غير المتجانس ، بدأت خلايا هذا النوع



(١)　　(٢)　　(٣)　　(٤)

من القرص الجنيني أخذ العلماء قطعة من نسيجين مختلفين ، وفصصوا خلاياهما ، ثم خلطت هذه الخلايا مع تلك ، وبدأت في التجمع في مستعمرة واحدة (كما في ٢) ، ثم حدثت هجرة وتعارف، بحيث أصبحت خلايا الجلد الى الخارج والخلايا العصبية الى الداخل (كما في ٣) .. وأخيرا حدث انفصال تام بين هذه وتلك ، ليصبح كل نسيج قائما بذاته ، وبالصورة التي يوجد عليها في البداية الجنينية (كما في ٤) (راجع المقال لمزيد من التفاصيل)

تتعرف على بعضها،فتجمعت وتآلفت فى مستعمرات بيضاء ، وبقيت خلايا النوع القرمزى والاصفر مشتتة فى الماء ، وعندما اضاف الى الوعاء رشيح النوع الاصفر ، التام شمله ، وبقى القرمزى مشردا ، ولم يتآلف حقا الا برشيحه .

معنى هذا ان كلمة السر الكيميائية ليست موحدة بين الانواع المختلفة من الاسفنج ، بل ان لكل نوع شفرته الخاصة التى « ينادى » بها على خلاياه ، وقد تكون هذه الشفرة معقدة غاية التعقيد ، خاصة عندما تتكون من جزيئات بروتينية عملاقة ، أو من تآلف البروتينات مع السكريات المعقدة ، ثم وجودها على اغشية الخلايا او « جلودها » ، لتحدد لها معالم طريقها مع الخلايا الاخرى ، وبها قد تترابط وتتآلف .. أى كانما هى بصمات أو لغات لها فى عالمها شان يذكر .

لكن .. ما الذى يفيدنا من كل هذه البحوث او غيرها ؟ .. وهل لذلك دخل فى حياتنا ؟ بالتاكيد نعم .. فالواقع أن البحوث تبدأ دائما بدايات متواضعة ، ثم تتطور وتتعقد بتطور الافكار ، وسنرى معنى ذلك ، لكن بعد أن نقدم تجربة أخرى مثيرة لها صلة بالموضوع .

الهجرة .. فى الهيدرا

لقد أجرى عالم فسيولوجيا الحيوان ر.ل. رود ابوش من جامعة أيوا الامريكية تجربة طريفة وغريبة على حيوان الهيدرا البسيط التركيب ، حيث عكس وضع خلاياه ، فجعل داخله خارجه ، وخارجه داخله .. اى انه قلبه كما تقلب مثلا الجورب أو أصابع القفاز او قطعة من الامعاء فيصبح سطحها الداخلى خارجيا ، والعكس صحيح ، وهذا امر ميسور فى الجوارب أو القفازات ، الا أنه ليس كذلك بالنسبة لكائن حى صغير ، حتى ولو كان بسيطا بساطة الهيدرا ، ومع ذلك فقد نجح العالم فى سعيه .

على أنه يجدر بنا ان نقدم وصفا مبسطا ومختصرا لهذا الحيوان المائى ، حتى نلم بمغزى التجربة .. فالحيوان ــ رغم بساطته ــ اعقد تكوينا من مستعمرات الاسفنج ، اذ يتكون من انبوبة صغيرة مجوفة ، تحيطها خلايا تتكون من طبقتين ، طبقة داخلية هاضمة ، وطبقة خارجية بمثابة جلده الذى يحميه ، وبين خلايا هذه الطبقة وتلك،توجد خلايا حسية وعضليةوافرازية، وللحيوان بعد ذلك لوامس تحيط بفتحة الانبوبة (والفتحة تعتبر مجازا بمثابة فمه) ، فيصطاد بها رزقه ، او يستخدمها فى التنقل والحركة .

عندما قلب العالم الهيدرا ، فجعل خارجه داخله ، أوقعه فى مازق ، اذ أصبحت الطبقة الداخلية الهاضمة الى الخارج ، « وجلده » الى الداخل .وطبيعى أن الحيوان لو استمر على هذا الوضع الغريب ، فسوف يموت ان آجلا او عاجلا !

لكن الحيوان لم يمت ، بل استطاع ان يستخدم « تاكتيكا » بيولوجيا مثيرا ، وبه تغلب على الاوضاع المقلوبة فى كيانه ، فكان ان فكك الروابط التى تمسك بخلاياه ، وجعلها ــ اى الخلايا « تتزحلق » وتهاجر وتغير اوضاعها ، بحيث عادت خلايا الطبقة الهاضمة الموجودة فى الخارج ، فاصبحت فى الداخل ، وعاد الجلد الى الخارج ، بعد أن كان فى الداخل ، وبهذا فقد حل الكائن الاشكال ، وعادت الامور الى وضعها الطبيعى .

والواقع أن ما يحدث فى الهيدرا ، أو غيره من كائنات اعقد قليلا (تتكون من طبقات ثلاثة من الخلايا) ، قد حدث لكل منا فى بداية حياته الجنينية .. ففى بداية تكوين اجنة الانسان والحيوان ، تمر الاجنة باطوار ، وتحدث فى خلاياها هجرات وتغيير مواقع وتشكيلات غريبة ومثيرة ، وكانما الخلايا تحمل معها برنامجا زمنيا لا تحيد عنه ولا تميد ، ففى أوقات محددة تنطلق منها «رسل» كيميائية على درجةهائلة من الحساسية والكفاءة والتعقيد ، وكانما هذه الرسل بمثابة لغة رائعة تستخدمها الخلايا فيما بينها ، فتستجيب لها ، ومن خلال هذه الاستجابة والتفاهم تتشكل فى طبقات من فوق طبقات ، ثم تتميز الطبقات الى خلايا ، فتصبح هذه بشرة او جلدا ، وتلك قلبا ، وغيرها عينا أو اذنا او اعصابا او كبدا او امعاء او عظاما .... الخ ... الخ .

لكن مما لا شك فيه أن هذا الموضوع قد اخذ

من عمر العلماء عشرات السنوات ، واشتغلت فيه مئات المعاهد ومراكز البحوث ، ومع ذلك ، فلا تزال اسراره والغازه تعصر العقول عصرا .. صحيح اننا حصلنا على الكثير من المعلومات التي كتبت فيها مجلدات من فوق مجلدات ، الا ان هذا الكثير لا يزال قليلا بالنسبة لما تطويه الحياة من الغاز تحيرنا اعظم حيرة ، وطبيعي اننا لانستطيع ان نتعرض هنا للكشوفات الكثيرة والمثيرة التي حققها العلماء في هذا المجال ، فذلك يحتاج الى عشرات الاعداد الكاملة من هذه المجلة ، لكن يكفي ان نشير هنا الى بعض القشور ، اما لب الموضوع وجوهره ، ففيه متاهات قد نغرق فيها حتى اذاننا ، ودعك من العلماء ، فهم لا يزالون غارقين في بحر من الاسرار حتى الان !

انسجتنا تتشكل في الدوارق والاطباق !

وطبيعي ان عامةالناس ، أو حتىالمثقفين منهم، خاصة ممن ليست لهم دراية او صلة بالعلوم التجريبية البيولوجية ، قد يعرفون شيئا عن اطفال « انابيب الاختبار » ، لكنهم لا يدرون ان هذا الانجاز لم يكن ليتحقق الا من خلال عزل خلايانا الجسدية وزراعتها ، ثم تفصيصها وتربيتها وملاحظتها في الانابيب والدوارق والاطباق وهي تنقسم وتتحرك وتتشكل وتتغذى وتتنفس وتخرج نفاياتها .. الى اخر هذه العمليات الحيوية الهامة التي قادتنا الى طوفان من المعلومات عن اسرار تشكل الخلايا في اجنتها .

لكن دعنا نختر واحدة من هذه المعلومات ، فنختم بها موضوعنا هذا ، وليتبين لنا أن ما عرضناه في سلوك خلايا الاسفنج او الهيدرا او غير ذلك من كائنات لم يتسع لها المجال ، ليس الا جذورا قديمة ، أو دعامات متينة لما يجري في سمكة او ضفدع أو سحلية أو حمار او انسان .

ان بدايات الاجنة واحدة ، لكن « البروجرام » مختلف . . فالبروجرام هو الذي يحدد شكل المخلوق وصفته ونوعه ، ومع ذلك ، فالتجربة التي سنعرضها هنا جاءت من طور خاص من الاطوار الاولى في حياة الضفدع ، ولو اجريناها على نفس الطور الجنيني الذي يمر به القرد او الفار أو الانسان ، فسوف تؤدي الى نفس النتيجة .

وبدون الدخول في التفاصيل نقول باختصار شديد : لو اننا اخذنا جزءا يعرف باسم عرف العصب من جنين السمندر (وهو الذي يعطي فيما بعد الجهاز العصبي في الحيوانات) ، وفصصنا خلاياه بطرق كيميائية حيوية خاصة ، دون الاضرار بها ، ثم اخذنا الجزء الذي فوقه مباشرة (والذي يعطي البشرة فيما بعد) ، وفصصنا خلاياه كذلك ، ثم خلطنا هذه بتلك في محلول غذائي خاص ، لوجدنا ان الخلايا تتحرك وتتقارب ثم تميل الى التآلف والتماسك في كتلة خلوية يختلط فيها الحابل بالنابل ، دون تمييز ظاهر (انظر الشكل المنشور هنا للتوضيح).

لكن الامور تتضح بعد ذلك ، فينفصل الحابل عن النابل ، اي تعرف خلايا البشرة اترابها ، وخلايا العصب اترابها ، ليس هذا فحسب ، بل تحدثهجرة موقوتة بزمن، فتهاجر خلايا العصب الى الداخل ، وتهاجر خلايا البشرة الىالخارج، وتتآلف في نسيج يحيط بخلايا العصب احاطة السوار بالمعصم ، ثم يحدث امر غريب ، وفيه تتشكل خلايا العصب في الطبق بنفس الطريقة التي نراها بها في الكائن الحي ، ثم يصل الامر الى منتهاه عندما يؤكد كل نسيج استقلاله في موضعه ، فتحدث بينهما فجوة ، وكأنما كل يعرف طريقه ومنتهاه .

ومما لا شك فيه أن خلايا الانسجة المختلفة قد نشأت من اصل واحد .. أي من خلية وحيدة ملقحة ، وعندما تنقسم وتتشكل وتتطور، نراها تمر بنفس المراحل التي مرت بها رتب الكائنات الحية على هذا الكوكب .. اي أن جنين الانسان مثلا يعيد لنا قصة التطور التي استمرت اكثر من ١٥٠٠ مليون عام على الارض ، يعيدها لنا في اشهر تسعة ، وهو يتشكل ويتطور ويتعقد في رحم امه .. لكن هذا موضوع آخر ، وقد نفرد له دراسة اخرى مستقلة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، وما اكثر ما لا نعلم من اسرار الكون والحياة ...

د. عبد المحسن صالح
الاسكندرية

مقالات وكلمات

■ عش يوما خاليا من الهم ، تعش يوما خالدا ·

(مثل صينى)

■ من كثر ادبه كثر شرفه ، وان كان قبل وضيعا ، وبعد صيته وان كان خاملا ، وساد وان كان غريبا ، وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا ·

(بزرجمهر)

■ أعن أخاك ظالما او مظلوما ، ان كان مظلوما فخذ له بحقه ، وان كان ظالما فخذ له من نفسه ·

(من الحديث النبوى)

■ لايضيق سم الخياط على متحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين ·

(الخليل بن احمد)

■ من وثق من نفسه فهو غير محتاج الى ثناء غيره عليه ، ومن طلب الثناء فانه يدل على شكه فى قدر نفسه ·

(جستاف لوبون)

■ افاضل الناس اغراض لذا الزمن   يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانما نحن فى جيل سواسية   شر على الحر من سقم على بدن

(المتنبى)

■ ما معنى الشهرة ؟ هل يكترث النهر بزبده ؟ هكذا الشهرة : زبد متناثر من تيار الحياة ·

(تاجور)

■ اذا تم العقل نقص الكلام ·

(الامام على)

■ خذ الشراب قطرات ، وخذ الحكمة جرعات ·

(مثل صينى)

■ الرحمة جوهر القانون ، ولايستخدم القانون بقسوة الا الطغاة ·

(شكسبير)

■ سوء الظن بالناس هو المبرر لهم لكى يخدعونا ·

(لاشفوكو)

■ ملكت نفسى منذ هجرت طمعى   اليأس حر ، والرجاء عبد

(مهيار الديلمى)

■ من تراخى تألف ، ومن شد نفر ، والشر التناقل ·

(اكثم بن صيفى)

مصر
فى امثالها الشعبية

بقلم : الدكتور كمال نشأت

ينعقد الاجماع فى مجال تعريف المثل الشعبى على أنه حكمة شعبية شفهية مجهولة القائل لها طابع تعليمى من حيث الموضوع ، ولون من التركيز من ناحية الصياغة ، وان هاتين الخصيصتين ساعدتا المثل الشعبى على الذيوع والانتشار ٠

والامثال ظاهرة شعبية لا تنفرد بها امة من الامم وهى صورة للمجتمع وطريقة تفكيره ، ومنهجه فى السلوك من ناحية العادات والتقاليد ، ولذلك تعتبر وثيقة اجتماعية وتاريخية ونفسية يهتم بها الدارسون ، لانها ـ فى المقام الاول ـ تترجم عن فلسفة الحياة التى يدين بها شعب من الشعوب فى تلقائية وبساطة ٠ ولا شك أن انواع الخبرات المأخوذة من تجارب الحياة ، والتى يقوم عليها المثل الشعبى فى كثير من الاحيان ذات أثر فى سلوك الناس اعتمادا على أن المثل نتيجة خبرة سابقة لاجيال ماضية ، ومن هنا نعرف لماذا يقدم قائل المثل الجملة التالية كمقدمة للمثل الذى سيقوله وهى (اللى قبلنا قالوا ٠٠٠) على أن المتتبع للامثال الشعبية المصرية يرى لها امثلة مشابهة فى المضمون فى أمثال الاقطار العربية الاخرى ، وفى بعض الاحيان يجد نفس المثل مع تغير طفيف يمس لفظة هنا او هناك ، مما يؤكد فلسفة عربية شعبية تحدد مزاجا خاصا ، ونظرة واحدة للشئون الحياة ٠ ومن الجدير بالذكر ان أجدادنا قد اهتموا بجمع الامثال الشعبية قبل أن يعرفوا ما نسميه اليوم بالادب الشعبى ، فالميدانى والابشيهى وابن عاصم الكوفى من الاسماء اللامعة فى هذا الميدان٠

وثيقة تاريخية

وقد ساعدت صياغة المثل التى تعتمد على التركيز وفى أحيان كثيرة على السجع على سهولة حفظه ولعلنا نرى هاتين الخصيصتين فى مثل قولهم (فى الوش مراية وفى القفا سلاية) او (قصقص طيرك لا يلوف بغيرك) او (ما تيجى المصايب الا من القرايب) ٠ وكثيرا ما يعتمد المثل الشعبى على عنصر المفارقة او المقابلة مثلما نرى فى قولهم (زبال وفى ايده وردة) او (ناموسة وعاملة جاموسة) او (بره وردة وجوه قردة) او (ابنها بيعيط وراحت تسكت ابن الجيران) ٠ اما ناحية المضمون ، فالمثل الشعبى المصرى ـ مثل أمثال الشعوب الاخرى ـ وثيقة تاريخية واجتماعية فيه كل ما تعرضت له مصر فى تاريخها الطويل من تفتح وازدهار او كبوة وانكسار ٠ ترى ذلك كله فى صياغة عامية رشيقة تتحرى الايقاع عبر تناسق الجملة اللفظى ، وهى جمل قصيرة تتعمد



السجع في الغالب كما مر بنا ، فضلا عن روح الفكاهة التي عرف بها الشعب المصرى .

ولعل أهم الظواهر التي تلفت النظر ، ما نراه في المثل الشعبي المصرى الذى يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم والشعب المصرى ـ كبقية شعوب العالم ـ قد تعرض لبعض الحكام المستبدين . وطبيعى أن تكون بينه وبين هؤلاء الحكام علاقة كراهية وشك وحذر ، ومن هنا كان ابتعاد المصرى عن السلطان ، وانكبابه على حياته الخاصة يدبر امورها .. ولذلك قال (السلطان اللى ما يعرفش السلطان) ولان الحكم يقوم على التسرع والاخذ بالشبهات ـ اذ لا وقت لدى الحاكم الظالم للتحقيق وتحرى الحقيقة ـ قال (زى الحاكم مالوش الا اللى قدامه) . فاذا اكتشف المصرى بنظرته الثاقبة ان القوة الغاشمة ليست مناط الحكم قال (اذا كانت الشطارة بالقوة كانوا قالوا للطور يا باشا). ولعل المثل الاتى يبين الى أى حد كان الشك يسيطر على المصريين في عدالة الحاكم الجديد ، لانهم بخبرتهم قد عرفوا أن (ما أزرط من ستى الا سيدى) ولذلك قالوا (ما تفرحوش في اللى اتعزل اللا اما تشوفوا اللى نزل) و (افرحوا بقدومه .. جاكم بشومه) .

وقد كان من الطبيعى ازاء المظالم التي كانت تقع على الفرد أن يلجأ الى الوساطة لرفع الغبن الواقع عليه ، ولذلك قدموا النصيحة في مثل هذا المثل (اللى تجيله المصايب يدق الابواب العالية). ولما كان المجتمع منقسما الى طبقتين ، طبقة السادة الحكام ومن لاذ بهم من كبار الموظفين ، وطبقة الشعب الفقيرة من فلاحين وحرفيين وصغار تجار وموظفين ، ظهرت الامثال التي تتحدث عن ابناء السادة وهم (ابناء الاصول) ربيبو البيوت الارستقراطية والتربية الحسنة ، اما العامة من افراد الشعب فلن تجد لديهم الا الخسة .

من يسوق الحمير ؟!

ولا شك أن هذا التقسيم الطبقى كان هدفه تاكيد الفوارق بين الناس ، لصالح الطبقة العالية ، ومن هذه الامثال التي تدور في هذا المجال قولهم (ايش عرف الفلاح اكل التفاح) و (حاتروح فين يا صعلوك بين الملوك) ولكن الشعب الواعى كان ينظر بفطرته الصافية الى أن البشر جميعا سواسية كاسنان المشط وأن (كلنا ولاد تسعة) وان (الاقرع حصل ابو تاج) بل هم ينظرون الى المدل بقوته المترفع عن العمل من هذه الوجهة (لما انت كبير وانا كبير مين يسوق الحمير) . من وحى هذه النظرة أيضا كانت روح المقاومة لكل ما هو ظالم واستبدادى ، ولا ننسى هنا أن بعض الباحثين قد رموا المصريين بالوداعة التي ربطوها بزراعة الارض ،لان الزراعة تتطلب الصبر والبعد عن المشاكل ، والمقصود بالوداعة هنا غلبة روح المسالمة والابتعاد عن القتال ، وقد رد عباس العقاد على هؤلاء شارحا حقيقة الامر ، قائلا ان دماثة المصريين وتجنبهم القتال الا للضرورة القصوى ترجع الى أنهم أمة ورثت حضارة عريقة وأنهم

لا يحبون حياة الاغارة والقتال اذا شحت الارض٠٠ انهم أمة (اذا دعاها الحاكم الى حرب لا تعنيها فذلك شأنه وليس شأنها ، وتلك خسارته وليست بخسارتها ، أما اذا اصيبت في عمائدها وموروثاتها او ظهر الجور على أرزاقها ومرافقها فهنـــاك يستعصي ميادها كأشد ما يستعصي ميد أمه ،وهناك تصمد للحرب كما يصمد المقاتل المجبول عليها) ، وفي صد جيوش المغول والتتار والصليبيين ، وفي مقاومة الحملة الفرنسية ، وفي الثورة العرابية ، وفي حرب ١٩٧٣ ما يثبت كلام العقاد ٠ ومن هنا تظهر هذه الروح في مثل قولهم (اللي يرشنا بالمية نرشه بالدم) أو (افطر بيه قبل ما يتغدى بيك)، كما نراهـا في هذا المثـل الداعي الى القـوة (الحيطة الواطية كل الناس تنط عليها) ٠

يحرم على الجامع !

ومن خصـائص المثـل الشعبي المصري الـروح الفكاهية التي تظهر في محاولة الرسم الكاريكاتوري او السخرية التي غالبا ما تكون سخرية مفـارقة دالة لا سخرية عدوان أو شماتة ، ولعلنا نحس بذلك في الامثال الآتية :

(قالوا للمشنوق غطي رجليك ، قال ان رجعت ابقوا عاتبوني) و (ما تعرجش قدام مكسحين) و (الفار وقع من السقف قال القط اسم اللـه عليك) و (زي بعجر انما ما فيه الا شنايه)٠

والمصري مؤمن ايمانـا قلبيا بالله ورحمتـه ورعايتـه ، انه ـ سبحانه ـ فـي صف الضعيف والمظلوم (اللي مالوش حد له ربنا) و (ربنـا مع المنكسرين جابر) ٠ وهو سبحانه راع لكـل الضعفاء والمساكين يدبـر أمورهم وهم لا يدرون (رب العطا يدي البرد على قد الغطا) ، ومن هذا الايمان العميق تنبع الدعوة الى اعمال العقل في جميع شئون الحياة ٠٠ انها دعـوة الى استخدام أشرف ما وهب الله للانسان وهو العقل الذي وصل بالانسـان من المعيشة على التقـاط الثمـار الى الصعود والمشي فوق سطح القمر ٠٠ فالمصري أمام الامر الذي يحتاج الى تفكير أو استنتاج يقـول (ربنا عرفوه بالعقل) ، ولكن هذا الايمان الاصيل لا ينتهي الى « الدروشة » فاستعمال العقل حسب المثل الذي سبق هو الذي يؤدي الى مثل الموقف الذي يبلوره المثل الاتي : (اللي يلزم البيت يحرم على الجامع) فاهل البيت أحق بما فيه حتى لو كان الجامع في حاجة الى شيء مما يحتويه ، بل ان اللقمه التي تذهب جوع الجائع هي في منطق التفكير الديني السليم أحق من بناء جامع (كل لقمة في بطن جايع احق من بناية جامع) ٠ ويتصل بهذه النقطة الفهم الخاطىء بأن الزكاة واجبه على كل انسان حتى الذي لا يجد القـوت الكفاف ، من هنا جاء المثل الحكيم (يا مزكي حالك يبكي) ٠

ومن خلال الخبرة العميقة بالحياة عرف المصريون حقائق نفسية قبل ان يعرف علم النفس عنصـا مستقلا كاشفا خبيئة الانسان ، فقد عرف النـاس « عقدة النقص » قبل أن تسمى بهذا الاسم فقالوا (القرعة تتباهى بشعر بنت أختها) فالتي لا تملك شعرا ـ والشعر تاج الانوثة ـ لا تجد في مجـال المفاخرة الا المباهاة بشعر بنت اختها ما دامت لا تملك هذه الميزة الانثوية المطـلوبة والفـار القصير الذيل الذي راح مع بقية الفئران يضرب بذيله في ماعون العسل فلا يحصل على شيء على عكس رفاقه فذم العسل وقال انه حامض ٠٠ وأدرك صاحب المثل هذه الحقيقة ٠٠ وهي أن المتطلع الى شيء عندما لا يناله بعد الجهد الجهيد يذمه ، فقالوا تعليقا على ذم هذا الفاشل (ده قصر ديل) ، وقالوا فيمن يتنبه باستمرار لنقصه ولو ذكر عرضا في كلام بريء (اللي على راسه بطحة يحسس عليها) ، أما الموقف الذي يظلمه رئيسه فلا يستطيع أن ينفس عن نفسـه أمامـه فيروح يصب غضبـه على مرؤوسيه الصغار فله مثـل يقول : (ما قدرش على الحمـار اتشطـر على البردعة) ٠ أما العـدواني الذي لا يسعـد الا بالاعتـداء على الاخرين فله هذا المثـل (قالوا للغراب بتسرق ليه الصابونه قال الاذية في طبعي)٠ وقبل أن يتحدث علماء النفس عن مخيلة الخائف واضطراب أعصابه حتى يرى أشياء لا وجود لها ، كان المثل المصري قد حدد هذا الموقف خاصة حينما كان الناس يكثرون الحديث في قصص العفاريت ، فاذا بالمثل يتناول هذه القضية ويلخصها في هذه الجملة البسيطة (اللي يخاف من العفريت يطلع له ٠٠) ■■

د ٠ كمال نشأت

الثمار من جنس الغرس

طفولتك و شخصيتك

بقلم : الدكتور نبيه غبره

● المراقبة الذاتية هي قدرة الانسان على وضع الحدود المناسبة لسلوكه او تصرفاته تجاه الآخرين ، بحيث لا يتعدى على حقوقهم . وتجاه نفسه ، فلا يتجاوز اهدافه الاساسية في الحياة .



الانسان حين ولادته يكون غير واع لاحتياجاته هو ، فضلا عن حقوق الآخرين والام هي التي ترعى وليدها وتقوم بخدمته وتلبية حاجاته ، مطيعة له طاعة عمياء بدافع من فطرتها وعواطفها فالطفل في الاشهر الاولى من عمره يتصرف وينفعل مباشرة استجابة لنوازعه الداخلية ، دون اي تحفظ ، فهو اذا ما جاع او عطش بكى حتى يلبى طلبه ، واذا ماشعر بضيق او انزعاج او الم بكى حتى يهرع الى مساعدته ، بل ان خطر بباله شيء او احب ان يحوز شيئا بكى حتى يحصل على مراده . فهو تبع لهواه ومصلحته ورغبته ، والأهل والناس عموما يتقبلون هذا السلوك من الطفل الصغير بكل رحابة صدر . ولكن عندما يبدأ الطفل في سنته الثانية ، ويصبح قادرا على المشي ومولعا بالتعلم والتقصي والاختبار ، يبدأ شيئا فشيئا بتحمل المسؤولية

والقيام بشؤون نفسه ، كما يبدأ الأهل بوضع الحدود على تصرفاته بالتدرج شيئا فشيئا ايضا ويبدأ بسماع : انتبه ، لا تقرب هذا الشيء ، لاتفعل هذا الشيء ... ويتقبل الطفل الذى غذى بالمحبة والعطف الحدود التي يضعها له اهله ابتداء من السنة الثانية بكل ترحاب . تلك الحدود التي يضعها الأهل بالروح الطيبة التي لاتعنى بحال من الاحوال قصد المعاقبة او النكاية او نقصان المحبة . وهكذا يتعلم الطفل راضيا ان يقف عند حدوده ، وان لا يتعداها وان يكون نظاميا في حياته بحيث يستطيع في كبره ان يسلك في مجتمعه سلوكا مرضيا سليما .

ولكن هذه الطريقة الطبيعية في تطور سلوك الانسان والناجمة عن التعود على احترام حقوق الآخرين ، وعدم تجاوز الحد لا تتحقق دائما .

فقد لايوجد الجو المناسب في محيط الاسرة لنمو هذه العادات الحسنة ، وذلك لعدم توفر مايمكن ان نطلق عليه « الاحترام المتوازن المتبادل ما بين الطفل والأهل ». وهناك كثير من التصرفات الشاذة التي تعوق وجود الاحترام المتوازن المتبادل ، ومن اهم هذه التصرفات واكثرها شيوعا : ـ

١ ـ الخضوع المفرط لرغبات وطلبات الأطفال : فالاهل هنا يسارعون في تلبية رغبات ابنهم واهوائه في طفولته وبفعه دون مراعاة حقوقه واحتياجاته الحقيقية . وهذا يحدو بالطفل الى المبالغة في طلباته ، وان يثور غاضبا اذا لم يسارع الى تلبيتها ، مما يجعله مع الزمن أثرا غير مكترث لحقوق الآخرين أو ممتلكاتهم .

٢ ـ الاغداق على الطفل : ـ وهنا يغدق الأهل على الطفل باللعب وغيرها بشكل مفرط ، مما يؤدى بالطفل الى الضيق والملل وانعدام المبادرة او محاولة بذل الجهد .

٣ ـ الاهمال : وهنا لا يكون عند الأهل الوقت الكافي للاهتمام والانتباه الى الطفل ، مما يحرمه من لذة الاستمتاع بمساعدة اهله في كل مرحلة من مراحل نموه وتطوره . والتفاعل الطبيعي تجاه هذا الاهمال ، وخاصة ان حدث في السنين الاولى من العمر ، هو عدم المقدرة على عقد صداقات ناجحة مع الآخرين في المستقبل والاستمتاع بمثل هذه العلاقات ، ويغدو الطفل أثرا لانه لم يمارس العلاقات الصحيحة مع الآخرين ليتعلم منها معرفة مراقبة تصرفاته . وبفقدان الاستمتاع مع الآخرين يجد الطفل لنفسه لنفسه متنفسا باتباع هواه .

٤ ـ تحميل الطفل فوق طاقته من المسؤولية : هنا يحمل الاهل الطفل من المسؤولية عن قصد او غير قصد ما لا طاقة له به بالنسبة لمستواه الفكرى او التطورى . وهذا يجعل الطفل مشغول الفكر بشدة ، مما لايتيح له الاستمتاع بانشاء علاقات شخصية مع الآخرين ، او اللعب المنمى للمواهب كما انه قد يؤدى الى العصيان والتمرد او حتى الى اللامبالاة ورفض تحمل المسؤولية .

صفات نقص المراقبة العامة : يبدى الشخص المصاب بنقص المراقبة الذاتية بعض الصفات المميزة ، فهو يعيش ساعته دون اكتراث كبير للمستقبل ، وقد يكون انانيا . كما انه قد يميل الى النهم او الاكثار من الشراب او التهور في قيادة السيارة ، كما انه يكون مضيعا للمال والفرص. وباعتباره انانيا لجوجا فانه قد ينفجر غاضبا في سورة عارمة ولو اصبح كهلا عندما يصاب بخيبة امل فجائية ، او لا يستجاب طلبه . كما ان الشخص الأثر غالبا ما يكون غير منتبه او مقدر لمشاعر الآخرين ، فهو يؤذيهم ويجرح شعورهم وفوق ذلك يأخذه العجب ان اكتشف انهم قد تأثروا من حماقته وعدم مبالاته بهم .

واكثر مظاهر نقص المراقبة الذاتية شيوعا هي : ـ

● النزوات : قد تعترى النزوات كل انسان ، فيريد الأشياء عن غير طريقها وعلى الفور . ولكن من تنقصه المراقبة الذاتية يخضع لنزواته كليا ، ولو كانت تتعدى حقوق الآخرين او تتضارب مع اهدافه ومبادئه . وقد يكون سبب هذا السلوك الشاذ مغالاة الاهل في مدح الطفل واقناعه بتفوقه بالاضافة الى المغالاة في تلبية كل رغباته . فقد يقول الاهل للطفل بانه ذكي جدا وانه سيكون شخصا هاما في مستقبله وانه سيتغلب على كل الصعاب التي ستعترض طريقه مهما كانت . فهنا لم يساعد الاهل طفلهم في تطوير ملكة التنظيم الذاتي للنجاح. فعندما يكبر الطفل ويكتشف انه ليس ذلك الشخص الهام المزعوم ، وان النجاح ليس سهلا وآنيا واكيدا فقد ينتابه الشعور بالنقص وينتقد

نفسه لعدم تمكنه من النجاح الذى ضمن له من قبل اهله لما كان صغيرا .

ومهما كان نوع النزوات المسيطرة فالنتيجة واحدة وصاحبها شخص متهور لا يثبت على حال، يميل الى الافراط في الملذات ، وينتقل من عمل الى آخر ، ومن مكان الى آخر ، ومن صداقة الى اخرى ، وقد لايفلح في تحقيق اهدافه مما يؤدي الى تعاسته وشقائه في اغلب الاحيان .

● كثرة الطلبات : يصر الطفل على اهله بان يقدموا له اطعمة خاصة ، وحلوى خاصة ، وان يقصوا عليه ما لا ينتهي من القصص عند نومه ، وان يلعبوا معه عندما يريد ، ويصر على ان تهيأ له وسائل التسلية ، الى غير ذلك من الطلبات الكثيرة ، ولعله يثور غاضبا ان قدمت له البوظة السادة لان رغبته كانت في البوظة بالشوكولاته .

ليس من الشذوذ في شيء ان يطلب الانسان من الآخرين ان يفعلوا له بعض الاشياء ، ولكن على ان يشعر ان هناك حقوقا متبادلة فمن حصلنا منه على امر من الامور له الحق ان يحصل منا ما هو مقابل لذلك في المستقبل .

ويظهر تصرف هذا الشخص غير الطبيعي في كل مجال من مجالات الحياة اليومية . فان دخل المطعم مثلا اثقل على الخادم بكثرة طلباته وشكاياته ، وقد يعيد طبق الطعام اكثر من مرة لعدم موافقته لمزاجه الذى تصعب معرفته ، واذا ما اراد شراء حذاء فانه يعاين ويجرب كل نموذج في الدكان ثم يخرج دون ان يشترى .. وهكذا . وقد يستعمل بعض الوسائل المنافية للاخلاق الكريمة للحصول على مراده كالتهديد بافشاء الاسرار مثلا . وان كان تحت امرته بعض المرؤوسين يطلب منهم اشياء لا حق له بها مهددا اياهم بالعمل على الطرد او حسم الراتب . وقد يحاول استغلال نقاط الضعف عند الآخرين لجلب المصالح لنفسه .

هذا ، وان الطفل المهمل في صغره من قبل ذويه لايتوفر له الدافع القوى لايجاد وممارسة المراقبة الذاتية ، ذلك لان من اهم الحوافز التي تجعل الانسان يراقب تصرفاته هو الحرص على ارضاء من حوله ممن يبادلهم العاطفة والمحبة والاحترام ، وهو غير قادر على انشاء علاقات صميمة كما قدمنا . ويكون من عادة هذا الشخص استغلال الآخرين لمجرد مصلحته القريبة ولايستبعد ان يقطع صلاته التي لاتعود عليه بالنفع المباشر ، ومن شب على شيء شاب عليه .

شيء من التطمين الهادىء

● كثرة الغضب : وليس من المستغرب ان يشعر الانسان بميل نحو الغضب والغيظ عندما يصاب بخيبة امل ، ولكن الشخص الناضج يستطيع ان يكبح جماح غضبه ويكظم غيظه بحيث لا يؤذي الآخرين ويعلم ان انفعاله الشديد وصياحه قد يؤدي الى نتائج وخيمة تبعده عن الاشياء التي يريد تحقيقها . ولكن الشخص المتهور يندفع في سورة غضبه ، غير مبال لما يقول من فاحش القول ويسترسل في صب جام غضبه على الآخرين ثم لا يتورع مع ذلك من لومهم لاثارته .

ان مثل هذا الشخص يكون قد ترعرع على الاغلب في اسرة لم تضع حدا لسورات غضبه في صغره . ولعل اهله كانوا يخافون غضبه وقالوا له : ان غضبك شيء فظيع ! وهو خارج عن ارادتك وعلينا كلنا ان نخضع له . وقد يجد الشخص النزق معذرة لنفسه في القول المأثور بان الغضب يخفف من الكبت ، وهو قول غير صحيح فالمشاعر التي تتعدى الحدود وتؤذى الآخرين يحسن كبتها ، وهذا وان كان صعبا لكنه لا يقال عنه غير صحي بحال .

● المخاوف غير الطبيعية : وهي كسابقاتها من النزوات وكثرة الطلبات وسورات الغضب عبارة عن نوازع غير مراقبة ذاتيا وهي تبدا بصورة عامة من الطفولة لتستمر مع الكبر وخاصة ان كان هناك شعور بالنقص ، أو تجاهل ، او افراط في الرعاية . فمن الطبيعي ان يشعر الطفل بشيء من المخاوف لما يتمتع به من خيال واسع ، فقد يتوهم اشياء مخيفة في الجوار عندما يسمع صوت الريح العاصفة ، او حركة اغصان الشجر ، الى غير ذلك . وما يحتاجه الطفل في مثل هذه الاحوال هو شيء من التطمين الهادىء فقط ، ولا يجوز ابدا الانتقاص من الطفل ، او موافقته على مخاوفه . فكلا الموقفين يؤدي الى ازدياد الشعور بالخوف ولكن لا بأس في افهامه سبب ما يسمع وبكونه شيئا عاديا طبيعيا ، وان يؤخذ

بلطف وهدوء لينظر ويتأكد بنفسه مع ذويه ان لا شيء هناك .

وقد يطلب الطفل الى امه ان تنام جانبه لانه رأى حلما مزعجا او ان يذهب لينام الى جانبها لان شيئا ما اخافه في غرفته ، وهنا ايضا لا بديل عن تطمين الطفل بهدوء ولطف ، اما الخضوع له ومسايرته فانه يؤدي الى تثبيت المخاوف واشتدادها لان واقع التصرفات قد يوحي بوجود اشياء مخيفة حقا .

ان الانسان العادي لا بد وان يشعر بالخوف في بعض الظروف . فقد يشعر المستخدم بشيء من الخوف لدى مراجعته لرئيسه من اجل طلب ترفيع يستحقه نظرا لسوء طباع الرئيس . وقد يخاف المرء المرور من الاماكن المنعزلة المظلمة بعد ان سمع عن وقوع حوادث اعتداء متكررة في تلك الاماكن . وقد يخاف الانسان السفر بسيارته الى مدن بعيدة ان كانت سيارته قديمة لاحتمال تعطلها . فهذا كله وما شابهه من الامور الطبيعية .

ولكن ان يخاف الانسان ركوب الطائرة او السيارة او الصعود بالمصعد ، او ان يبقى وحيدا في منزله فهذا هو خوف مرضي .

والوقاية الطبيعية تكون بتطور المراقبة الذاتية منذ الطفولة ومساعدة الناشيء لوضع حد لمخاوفه .

واما ان بقي هذا الخوف المرضي حتى الكبر فلا بد من مساعدة الطبيب لازالته ، وتتبع في ذلك طريقة الشرطية العاكسة . ويدخل الطبيب بمقتضى هذه الطريقة مع مريضه الى منطقة المشكلة او الخوف بالتدرج خطوة خطوة ابتداء من التخيل ثم من الواقع . فان كان الشخص يخاف مثلا ارتياد الابنية المرتفعة فيبدأ الطبيب بمساعدة مريضه على تخيل نفسه وهو يصعد الى الدور الاول من بناء شديد الارتفاع ، ثم في جلسة ثانية يصل به الى الدور الثاني ، وهكذا . ثم في مرحلة ثانية يصعد به فعليا الى الدور الثاني ثم الثالث ، وهكذا حتى يزول الخوف نهائيا .

بسبب شذوذ التربية

لقد ذكرنا ان المواقف التربوية السيئة في الاسرة تشكل السبب الاهم في ضعف المراقبة الذاتية وان من اهم هذه المواقف تأثيرا الخضوع الزائد لرغبات الطفل، والاغداق عليه بالحاجيات، وتحميله من المسؤولية فوق طاقته ، واهماله ، وخاصة ان استمرت هذه المواقف سنين طويلة حتى البلوغ ، ولا بد عندها من اللجوء لمعونة الطبيب من اجل التخلص من هذه الصعوبات في اغلب الاحيان .

فان كان السبب الخضوع الزائد لرغبات الطفل وطلباته ثم لسورات غضبه فان الطفل يستمريء هذا السلوك ويؤوله تأويلا باطنيا ، فيتعود الخضوع لنفسه ونوازعه ، واذا ما استمر على ذلك واصبح كهلا فانه لا بد له من جهد كبير ووقت طويل حتى يستطيع تعديل سلوكه . وقد لا يحاول جديا تعديل سلوكه الا بعد صدمات وصعوبات يلاقيها في حياته كفقدانه وظيفته او صعوبات في علاقاته مع زوجته واصدقائه مما يسبب له آلاما كثيرة .

ومن كان ضحية الاهمال واستمر في رعاية نفسه لوحده فقط حتى البلوغ وظل خاضعا لنوازع الطفولة الابتدائية دون ان توضع له الحدود من قبل الآخرين ، فانه يستمر على ذلك في كبره ، ويجد في الخضوع لنوازعه الداخلية اهمية اكبر من اللذة التي يحصل عليها من معاشرته للآخرين .

ومن كان ضحية الافراط في الكرم فقد تكون حالته صعبة المعالجة ، فملله وضجره بالحياة يجعل عليه من الصعب المواظبة على المعالجة وما تحتاجه من تجميع للارادة والاصرار .

ومن كان ضحية الضغط الزائد والمطالبة بالمسؤوليات فوق الاستطاعة ، وكبر رافضا لتحمل المسؤولية ، واصبح نزوانيا طلوبا اتكاليا ، وكأنه يريد ان يعيش حياة الطفولة التي حرم منها في صغره . فهؤلاء يرفضون حياة الكهولة ولا يريدون ان تتاح لهم الفرص لمزاولتها .

المجتمع ونقص التربية الذاتية

قد يكون للمجتمع والبيئة والتقاليد التي يعيش فيها المرء دخل كبير في التأثير على المراقبة الذاتية ، فقد تكون هناك اغراءات كثيرة تنحرف بالانسان الطبيعي ، أو تغريه بالانحراف على

الاقل ، فما بالك بالانسان الاثر غير الملتزم في الاصل ؟

فمن الاقوال المشهورة في مجال الدعاية وخاصة في العالم الغربي : «انك تستحق شيئا افضل». ومن الاقوال الشائعة لدى الجميع: « متع نفسك، رفه عن نفسك ، استمتع بحياتك قبل ان يفوت الاوان » ... وكان القصد من هذه الفلسفة القول : انك لم تحسن التصرف مع نفسك فلا بد من اشياء خاصة من متع ومأكل وملبس الى غير ذلك ، ويشابه ذلك في التأثير الاعلانات الكثيرة المغرية في الشراء بالتقسيط . ومن الناحية الجنسية فالحال ادهى وأمر فالسينما واعلاناتها وبعض برامج التلفزيون والراديو والمجلات وغيرها كلها تثير الغرائز الجنسية وتشجع على ارضاء الشهوة من اقرب الطرق ، ولو كان ذلك يتنافى مع كل مبدأ أو عرف . وكذلك بالنسبة لمواضيع اللهو والتسلية فكثيرا ما يكون البطل المجد هو ذلك الشخص المتهور المندفع وراء شهواته والمحب للعنف والمجازفة .

كما ان نظرة اكثر المجتمعات اليوم للطعام والشراب والملبس اصبحت بعيدة كل البعد عن الاعتدال فلا يأكل او يشرب او يلبس الانسان للحاجة فقط بل للتمتع والمباهاة والمفاخرة . والامر أوضح من ان نطيل فيه الكلام .

واخيرا لا يخفى على احد تلك الموجات الحديثة من الحركات الاجتماعية التي تخالف ما تعارف عليه الانسان عبر الاجيال بل القرون من مبادىء واخلاق وانظمة مع ما فيها من تمجيد لهوى النفس والغرائز . فهذا كله ولا شك جعل اتباع الهوى وكأنه من الاوبئة الاجتماعية .

ولكن ما مدى مسؤولية الاهل يا ترى فهل هي فردية فحسب ام انها شاركت بشكل فعال في هذا كله ؟ مهما كان الحال فمما لا شك فيه ان نقص المراقبة الذاتية واتباع الهوى من الاسباب الاساسية للفوضى والتشوش والشقاء .

وخلاصة البحث والقصد ان على الاهل تفهم مسؤولية المراقبة الذاتية عند اطفالهم ، وذلك بتجنب اتباع المواقف المرضية ، وخاصة منها الافراط في الدلال أو الافراط في دفع الطفل وتحميله ما لا يطيق من المسؤولية ، او اهماله . وان توضع للطفل حدود ثابتة بروح من المحبة والاحترام دون انتقاص من الطفل او انتقاد زائد او اهانة ، بالاضافة الى تكليفه بالمشاركة ببعض الاعمال او الواجبات المنزلية ، حسب طاقته دون عنت ما .

ويحتاج اليافعون الى مزيد من الرعاية والاحترام ولكن دون الخضوع لرغباتهم غير الناضجة . ولا بأس بتشجيعهم على عمل يكسبون منه شيئا من الدخل يصرفون منه ان كان ذلك متيسرا كما هو الحال في البلاد الغنية مثلا والا فلا يعطون من النقود الا ما هم بحاجة اليه .

وأما ان كبر الانسان وهو لا يزال ضعيف المراقبة الذاتية . فيحسن له استشارة الطب لمساعدته . والا فانه قد لا يفكر في تعديل موقفه الا بعد تجارب اليمة ومريرة ، وقد يستمر في عاداته رغم ذلك لانه يجد في اتباع هوى نفسه راحة اكبر .

واما ما يتبعه معظم الناس من الانتقاد اللاذع فانه لا يجدي ، بل يجعل المصاب اكثر لوما لنفسه وقد يصل به الحد الى الهمود والعصيان . على حين ان المعالجة تبدأ باحترام المطلب الذي يؤدي الى احترام الذات فعندها يبدأ الشخص بتعديل سلوكه ، ولكن الامر يحتاج الى وقت وجهد طويلين على كل حال. ■■

(دمشق ــ د. نبيه غبره)

فاتورة في الجراحة

● قال الطبيب لرجل اسكتلندي : ان زوجته تحتاج الى جراحة استئصال اللوزتين ، وأن هذه الجراحة كان ينبغي أن تتم حين كانت زوجته فتاة صغيرة ،فأمر الاسكتلندي بأجراء الجراحة، وارسل فاتورة الجراحة الى حميه مطالبا بالاجرة .

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء



داء الاسقربوط

● كثيرا ما نسمع عن داءالاسقربوط ·· ترى ما هـذا الداء ؟ ·· وهل له علاج ؟

ان داء الاسقربوط هو مرض ناجم عن النقص في فيتامين جـ / C وكان قبل قرن ونصف نقمة على البحارة في رحلاتهم الطويلة·ومما يذكر ان فاسكو دي جاما الرحالة الشهير في رحلته الخالدةحولرأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧ فقد مائة من بحارته الذين كانوا (١٦٠) في تلك الرحلة ·

وان انسونز Ansons في رحلته حول العالم فقد نصف بحارته بعد مضي ثلاثة اشهر فقط من اقلاعه ·

وكان السلاح البحري للدول فقد العديد من افراده ومن قدراتهم على القتال لاصابتهم بهذا الداء ·

لم اكتشف بان هذا المرض يحدث من نقصفيتامين جـ لعدم تناول الفواكه والخضراوات الطازجة · وعندما نصح لند Linds رجال الاسطول البريطاني بتناول ملعقتين من عصير الليمون يوميا تضاعفت قوة افراده القتالية وقوة احتمالهم للرحلات الطويلة وغاب عنهم هذا المرض اللعين·

ويجب ان لا يفهم مما تقدم بان هذا المرض يصيب البحارة فقط ·

اذ هو يصيب الجميع كبارا وصغارا ذكورا واناثا اذيصيب كل من خلا طعامه لفترة طويلة من هذا الفيتامين فهو منتشر بين الجماعات التي تعتمد في اكلها على انواع معينة من الغذاء كالنشويات مثلا او على ما لا يحسن حفظه وطبخه من الطعام · فمن المعروف عن هذا الفيتامين بانه يتاكسد ويفقد تاثيره لو ترك معرضا لاكسجين الهواء وانه يتاثر كثيرا بالقلويات وكذلك بارتفاع الحرارة كما يحدث في عملية الطبخ ·

وهو ضروري لبناء المادةالتي تنتشر بين خلايا الجسمولسلامة جدار الشعيرات الدمويةونضوج ونمو الكريات الحمراء بالدم وفي التكوين السليم للعظم والاسنان، وفي عملية التنفس التي تحدث لانسجة الجسم ·

ونقصه في الاطفال يحدث عادة ما بين الشهر الثامن حتى الثاني عشر فيمرض الطفل لتوقف النمو الطبيعي والنزف من الشعيرات الدموية وخاصة ما وجد منها تحت غشاء العظم والقريب من الاطراف النامية للعظام الطويلة وان كان هناك قواطع بالفمظهر نزف منها وقد يحدث النزف في العينين او بالجهاز البولي او من اي مكان اخر ·

ويبدأ الطفل بالبكاء الشديد وخاصة اذا لمس او حمل لاحساسه بالم فيعظامه وعندما يترك في سريره ياخذ وضعا خاصا فيثني الركبتين ويباعد بين الفخذين كانه الضفدع مع انخفاض فيالقص ونتوء باطراف الضلوع وفلخ فيغضاريفها ·

ويشعر الكبار بضعف شديد وانحطاط ثم تظهر اعراض في اللثة حيث تنتفخ وتصبح كالاسفنج وتلتهب وقد تظهر على شكل براعم تكبر حتى تغطيالاسنان زرقاء اللون تنزف مع ابسط لمس مع رائحة كريهة في الفم ثم يبدأ ظهور بقع من النزف الصغير حول فتحات حويصلات الشعر بالجلد

فتنتفخ وتكبر وتكون الشعرة التي بها ملتوية كبريمة الزجاجات [illegible] ثم يزداد النزف اتساعا حتى ينتشر تحت الجلد كالكدمات وقد يحدث النزف بالمفاصل أو تحت غشاء الاعصاب أو تحت الاظافر او بالعينين او الجهاز البولي معكرا لون البول ٠

وقد يظهر ضعف في العظام فيقل تمكسها ويتاخر التئام الجروح او لا يلتئم ابدا ٠

وعادة ما يموت المصاب من ضعف مقاومته فيصاب بالالتهابات وخاصة التهاب الرئة ومن ثم هبوط بالقلب٠

والعلاج سهل وهو تناول كميات من فيتامين ج بطريق الفم او بالحقن وبعد فترة قصيرة تزول جميع هذه الاعراض ويعود الانسان لحالته الطبيعية٠

غير أن الوقاية تظل أهم من العلاج وكل ما يحتاج اليه الجسم كمية ضئيلة من هذا الفيتامين ما بين ٢٥ ـ ٧٥ جم يوميا لحمايته من هذا المرض اللعين ٠

ولذا ينصح الطبيب باعطاء الطفل الرضيع في الاسبوع الثاني من عمره مقدار ملعقتين من عصير البرتقال المخفف بكمية متساوية من الماء يوميا ٠

وهذا الفيتامين موجود بكثرة في :

أولا : الحمضيات مثل البرتقال والليمون والكريب فروت الخ ٠٠ سواء كانت طازجة أم عصارة محفوظة ٠

ثانيا: الخضراوات كالبندورة والسبانخ والملفوف والقرنبيط واللفت والجزر والبطاطا والجرجير ٠

ثالثا : فواكه الصيف كالفراولة وانواع التوت ٠

د ٠ فاروق المهتدي

المونيليا

● أنا سيدة عمري ٣٢ سنة أصبت بالتهاب علمت أنه مونيليا ،وبعد فترة ظهرت على ثم ولدى بقع بيضاء أخبرني الطبيب أنها مونيليا ، فما هي هذه المونيليا وهل هناك صلة بين مرضي واصابته ؟

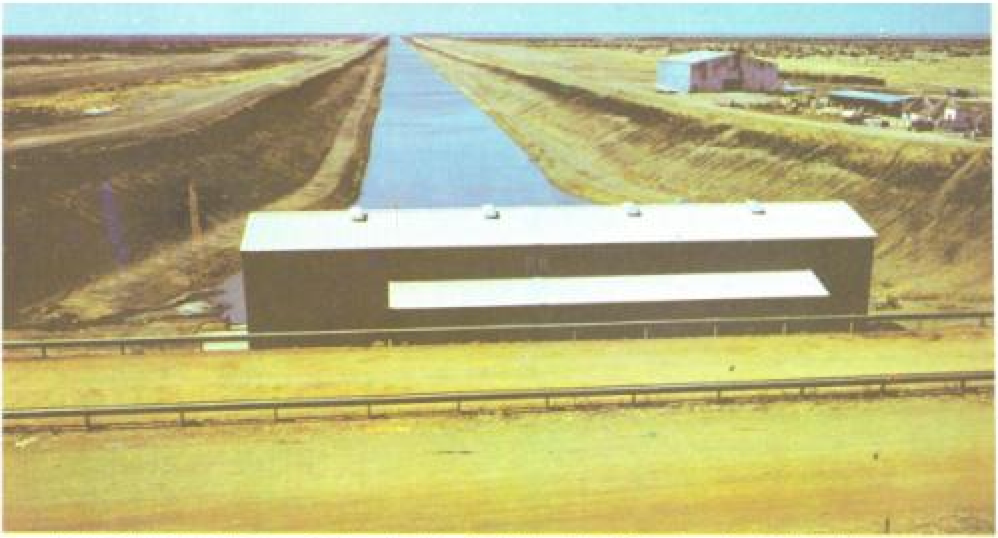
ـ المونيليا Monilia مرض فطري يصيب الرجال والنساء على حد سواء، ويحدث في اي عمر في الاطفال والكبار وهو منتشر في جميع انحاء العالم، وكثيرا ما تجد هذه الفطريات على البشرة أو على الاغشية واحيانا في البصاق او البراز بدون أن تؤدي الى اية اعراض أو متاعب ٠

ومن العوامل التي تؤدي الى انتشار المرض أو زيادة حدته وجود الفطر على الجسم ٠ الا ان هذا لا يؤدي الى الالتهاب او الشكوى الا في حالات الضعف العام ، زيادة السمنة ، مرض السكر حيث تزداد قابلية الشخص للاصابة، زيادة افراز العرق وكذلك الحمل يؤدي الى نشاط الفطر وزيادته كما يزداد المرض عند استعمال المضادات الحيوية بكثرة ، واستعمال الكورتيزون لفترات طويلة ٠

والتهاب المونيليا يمكن أن يصيب اي جزء من الجسم سواء البشرة او الغشاء المخاطي وقد يكون في مناطق محددة أو منتشرة على الجسم كله الا ان أكثر الاجزاء تعرضا للاصابة هي الاظافر وما حولها وكذلك ثنايا الجلد مثل الابط والفخذين واسفل الثدي حيث يكون الجلد رطبا ودافئا ويظهر التهاب المونيليا في الفم خاصة في الاطفال وكذلك المهبل عند النساء بعد الحمل ولذلك يجب على الحامل علاج هذه الالتهابات حتى لا يتاثر المولود بالالتهاب الذي يظهر على فمه ويسبب له متاعب تمنعه من الرضاعة السليمة ٠

وفي بعض الحالات قد تصيب المونيليا الرئتين وفي هذه الحالة تكون شديدة ٠

اما العلاج فقد أصبح الان أسهل من ذي قبل وذلك بواسطة عقار ميكوستاتين Mycostatin ويوجد على شكل حبوب للاصابات الداخلية وكذلك على شكل مرهم للاصابات الخارجية ، الا ان احتمال معاودة المرض واردة ولذلك وجب الانتباه الى استمرار العلاج حتى تمام الشفاء مع الابتعاد عن الاسباب والعوامل التي تزيد من فرصة حدوثه ■■



القناة الرئيسية ، وهي تنقل المياه الحلوة الى حقول قصب السكر ، وتمتد لمسافة ٢٧ كيلومترا من النيل الابيض حتى قلب مشروع كنانة (الصورة الى أعلا) •• « ونجوى » بنت البلد السودانية مع زوجة المهندس الزراعي حمزة احمد الشفيع مدير مزرعة كنانة وهي « تشيكية » في لقاء مع عيدان القصب ! (الصورة الى اليسار)

على طريق الأمن الغذائي في السودان :

السكر

أغلى من الذهب الأبيض وأنفع

استطلاع بقلم : منير نصيف تصوير : صلاح آدم

مصنع السكر في كنانة •• كل معداته جاءت من فرنسا والمانيا •• وهو ثالث مصنع من نوعه في العالم ، يبلغ انتاجه عندما يكتمل العمل في بنائه في العام المقبل ، ١٧٠٠ طن من السكر يوميا •





من الارض غذاء .. من الارض حياة منذ كانت هناك حياة .. فهي الماضي والحاضر والمستقبل .. لان الحياة مستمرة ..

والمستقبل هنا عندنا في ارضنا الشاسعة الواسعة المترامية شمالا وجنوبا .. نحن في حاجة الى كل حبة قمح .. كل ثمرة شجر .. كل قطرة ماء نرتوى منها ونروى بها ارضنا وزرعنا وحيواناتنا .. !

ولقد اهملنا الارض والزرع طويلا ، سعيا وراء رزق اسرع مع الالة في المدن ، فقد هرب الفلاح من ارضه لانه مل الانتظار .. يفلح الارض وينتظر .. وينثر الحب وينتظر .. وتمر شهور طويلة قبل ان يجنى ثمار ما زرع ، وياليتها تكفيه وتكفي قوته وقوت اولاده !

وصحونا فجأة على الواقع .. ان الثروة في الارض وليست في المدن .. فالعرب .. كل العرب وبدون استثناء ، يواجهون ازمة حادة في الغذاء .. لقد ثبت ان الغذاء العربي الذى يخرج من الارض العربية التى اهملناها ، بالكاد يكفى نصف عدد السكان الذين يعيشون على هذه الارض العربية من محيطها الى خليجها . من أين ياكل النصف الثاني . ؟

كيف يتوفر الغذاء للافواه التى تتزايد عاما بعد عام ؟

والجواب :

من المواد الغذائية التى نضطر الى استيرادها من الخارج وباضعاف تكاليف انتاجها لاسباب واضحة .. وبعملية حسابية بسيطة اتضح ان العالم العربي يدفع خمسة ملايين دولار يوميا لتغطية العجز في الغذاء الذى تحتاج اليه شعوب هذه المنطقة الغنية بارضها ومياهها ومواردها الطبيعية . !

هذا ما تضمنه التقرير الخطير الذى قدمه الدكتور فخرى قدورى الامين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية في اجتماعات المجلس التى انعقدت في دبي في اليوم الخامس من شهر ديسمبر من العام الماضي .

خمسة ملايين دولار يوميا ، اى ما يقرب من الفى مليون دولار سنويا ..

بل ٧ آلاف مليون

وعند الدكتور خالد تحسين على الخبير الزراعي في الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعي في الكويت ارقام اخرى مثيرة .. نقلتها عنه في حديث سابق معه عندما لقيته ليشرح لي أول برنامج « لتحقيق الامن الغذائي العربي » في السودان الشقيق موضوع هذا الكلام قال الرجل يومها : « ان دول العالم العربي قد استوردت ما قيمته ٧ الاف مليون دولار من السلع الزراعية الرئيسية خلال عام ١٩٧٥م وحده ! انني أستطيع ان اقول بلا تحفظ ان ما دفعه العرب خلال هذا العام وحده بلغ ثلاثة اضعاف ما كان يدفعه قبل حرب اكتوبر عام ١٩٧٣م .

لماذا كان هذا الارتفاع الهائل المخيف ؟

ويكمل الدكتور خالد حديثه : « هذه الزيادة ترجع الى ثلاثة عوامل .. اولها الارتفاع المستمر في تعداد سكان العالم العربي، والثاني ، الزيادة المستمرة لاحتياجات الفرد الواحد نتيجة لارتفاع مستويات الدخول في الدول العربية المنتجة للبترول ، وأخيرا ارتفاع اسعار المواد الغذائية المستوردة ، وهي ظاهرة لم تات مصادفة ، وانما كانت شيئا مدروسا ومخططا له .. كانت هي الرد الوحيد من جانب الدول المستهلكة للبترول على الاجراء الذى اقدمت عليه دول « الاوبك » عندما رفعت أسعار بترولها . !

« ودفعنا ، ومضينا ندفع ثمن المواد الغذائية

أرض شاسعة ضائعة !

- مساحة السودان ٦٠٠ مليون فدان .
- الارض الصالحة للزراعة تزيد على ٢٠٠ مليون فدان .
- المساحة المنزرعة منها حتى الان لا تزيد على ١٥ مليون فدان .



السيد علي شمو وزير الاعلام السوداني ..
« نحن نريد أن يرى العرب ماذا صنعوا ويصنعون فى السودان بأموالهم المستثمرة ، وكيف حققنا الكثير من المشروعات الانمائية بفضل جهودهم ، لا من أجل السودان وحده ، بل ومن أجل العرب ، كل العرب فى كل مكان.. فالسودان سوف يحقق فى المستقبل القريب باذن الله، الامن الغذائى للامة العربية كلها».

الذى ظل يرتفع ويرتفع عاما بعد عام لاننا امة مستهلكة ، ولان هذا الغذاء ضروري وأساسي للفرد العادي ولا يمكن الاستغناء عنه فهو قوته وقوت أولاده ! » .

« وبدا العرب يشعرون باهمية فتح مجالات الاستثمار النافع لرؤوس أموالهم داخل الوطن العربي ، لتغطية احتياجاتهم من الغذاء من ناحية، ولانهم بدأوا يدركون عدم جدوى الابقاء على رؤوس أموالهم فى شكل ودائع فى البنوك الاجنبية ، خارج حدود العالم العربي ، والاخطار التى تتعرض لها نتيجة بقائها بعيدا عن الاستثمار المجدى الذى يمكن ان يوفر لهم بلايين الدولارات كل عام ..

« فهناك التقلبات فى أسعار العملات الاجنبية ، كما حدث للجنية الاسترليني ، وكما حدث ويحدث للدولار ، وهناك التضخم المالى المخيف الذى يسود العالم الغربي منذ فترة طويلة من الزمن ، وكلها عوامل تؤدى فى النهاية الى تدهور القيمة الحقيقية لهذه الودائع » ..

المال العربى ... والتنمية

« ثم ، وهذا هو الاهم ، ان مشروعات التنمية العربية فى شتى المجالات فى حاجة الى المال العربي من اجل خير العرب ومن اجل مستقبل اكثر رفاهية .. وعلى رأس هذه المشروعات « الامن الغذائي » لتوفير حاجتنا من الغذاء اولا ، ثم تصدير الفائض على المدى البعيد .. وهكذا يتحول العرب من امة مستهلكة فقط الى امة مستهلكة مصدرة . وهو ليس حلما ، وانما حقيقة واقعة ومرتقبة ، ففي تقرير منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة ، جاء بالحرف الواحد « ان العالم سياكل فى الغد من ثلاث مناطق .. السودان العربي ، واستراليا وكندا ».

واصبح « الامن الغذائي » صيحة هذا الثلث الاخير من القرن العشرين .. فقد بدأنا نفيق من رقدتنا الطويلة . وعدنا نتجه الى الارض التى ارتبط بها اباؤنا واجدادنا منذ قرون طويلة .. فنحن شعب زراعي اولا .. وقد عرفنا الزراعة وتحولنا اليها منذ آلاف السنين حتى جاء وقت كنا نصدر فيه خير الارض ، رغم ضآلة الرقعة المنزرعة منها للخارج .. بعد أن ناخذ منها كل احتياجاتنا ، عندما كانت الكثافة السكانية عندنا لا تزيد على ثلاثة او اربعة انفس فى الكيلومتر المربع وأقل من ذلك فى بعض البلدان العربية .

هل ضاقت بنا الارض اليوم .. وهل تضيق اكثر واكثر فى الغد .. خبراء الزراعة والاقتصاد يقولون ابدا لن تضيق الارض بالعرب ، فما زالت لدينا مساحات شاسعة واسعة لم نستغلها، بل لم نصل اليها فنكتشف مجهولها بعد : وهى أمامنا على الخريطة .. فى مصر .. وفى العراق، وفى سوريا وحتى فى شبه الجزيرة العربية حيث يندر الماء ، وأخيرا فى السودان الكبير بنهره الخالد وروافده ..اراض هائلة صالحة للزراعة.. المساحة الاكبر منها تعتمد على مياه الانهار .. ومساحات اخرى أيضا كبيرة تعتمد على مياه الامطار وعلى المياه الجوفية !







شيد القائمون على المشروع مساكن تناسب كل فئة من العاملين فيه ••
وهذه مجموعة من مساكن الفلاحين في قرى كنانة، نفس طراز المساكن
التي اعتادوا العيش فيها قبل ان يستقروا • (الى أعلا)

المهندس الزراعي حمزة احمد التقي مع عيدان القصب • انها ضعف
طول قامة الانسان او اكثر لقد نجحت زراعة قصب السكر في ارض
الجزيرة بصورة فاقت كل ما كان متوقعا لها •(الى اليمين)

في السوق المركزي الذي اقيم وسط هذا المجتمع الزراعي الصناعي
الجديد •• « مدينة كنانة » يجد العاملون كل ما يحتاجون اليه من
المواد الغذائية التي تنقل اليهم بالطائرات من الخرطوم (الى اسفل)



كيف كانت البداية

وبدانا من حيث كان لا بد أن نبدأ .. من السودان الكبير .. وكانت نقطة البداية هنا في الكويت ، وفي عام ١٩٧٤م على وجه التحديد ، في أعقاب حرب أكتوبر .. حرب رمضان المبارك ويقول الدكتور : خالد تحسين علي « في أوائل هذا العام ، وبعد النصر الذي حققه العرب في اول حرب تشتبك فيها مع العدو وجها لوجه ، بدات الحقائق تتضح للعالم العربي وكانت كلها حقائق حيوية تتصل بغذائه ، أي بحياته ووجوده في هذه البقعة الغنية بارضها ومياهها والغنية ايضا بمواردها الطبيعية والبشرية » .

« وكان في مقدمة هذه الحقائق المحسوسة ، الجفاف الذي أصاب مناطق عديدة من العالم ، مما أدى الى تخفيض الصادرات من مناطق الفائض الى مناطق العجز في العالم ، ثم الزيادة الهائلة في أسعار المواد الغذائية ، كما ذكرنا : منذ هذه اللحظة بدانا نعيد النظر في اعتمادنا بصفة كلية على الدول المتقدمة .. وبدانا نعمل .

« وكانت الخطوة الاولى التي اقدمت عليها « الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعي » هي مشروع استغلال الموارد الزراعية والحيوانية في العالم العربي .. وقام الصندوق العربي الذي انبثقت منه هذه الهيئة باعداد فريق من الخبراء في كافة المجالات الزراعية وفي مجالات المرافق والخدمات كالري وتوليد الطاقة الكهربائية والنقل والتخزين الى آخره .. واعد هذا الفريق بدوره بالتعاون مع عدد كبير من السودانيين وبعض خبراء المؤسسات الدولية في الزراعة ما اسموه بالبرنامج الاساسي لتنمية القطاع الزراعي في السودان للسنوات العشر القادمة .

« هذا البرنامج ، يشتمل على مائة مشروع ومشروع في كافة مجالات الانتاج النباتي والحيواني والصناعات التي تقوم على المنتجات الزراعية والتسويق ومشاريع الخدمات والمرافق المكملة لها» .

ويكمل الدكتور خالد حديثه : « وقد قدرت تكاليف هذا البرنامج خلال السنوات العشر المقبلة بحوالي ستة آلاف مليون دولار .. والهدف في النهاية هو زيادة المنتجات الزراعية والحيوانية في السودان بنسبة تتراوح بين مائة في المائة و ١٥٠٪ لاغلب السلع الزراعية الاساسية باستثناء السكر فقد حدد البرنامج زيادة انتاجه بنسبة ٥٠٠٪ اي خمسة اضعاف ما ينتج منه حاليا !

لماذا السكر ؟

ونقف عند السكر .. لماذا السكر ؟ وليس القطن مثلا الذي كان وما زال محصولا رئيسيا يعتمد عليه الاقتصاد السوداني وغير السوداني منذ أمد طويل ؟ الجواب السريع ، أن القطن ليس غذاء ثم هو بعد ذلك يدخل في صناعات لا يقدر عليها غير القادرين !

وفي السودان .. وعلى ارض كنانة في قلب « الجزيرة » ، وهي الارض التي تقع بين النيلين الازرق والابيض .. اكثر مناطق السودان خصوبة وانتاجا .. وفي منطقة تبعد حوالي ٢٤٠ كيلو مترا جنوبي الخرطوم ، قضينا أياما مع قصب السكر ، ومع أضخم مصنع لانتاج السكر في العالم العربي ، وعشنا في هذا المجتمع الزراعي الصناعي الجديد الذي قام هناك مؤكدا استمرار الثورة الخضراء في السودان وعرفنا أخيرا الاجابة الشافية على تساؤلنا : « لماذا السكر » .

يقول الدكتور محمد عثمان أبو زيد الخبير بوزارة الزراعة بجمهورية السودان الشقيقة في تقريره « قصب السكر محصول نقدي » يقول : « منذ امد بعيد كان اكثر الباحثين في ميادين الاقتصاد والزراعة يبحثون عن محصول ينافس محصول القطن في مكانته التصديرية ، أو يساند القطن في مركزه القيادي ، ولكن معظم هذه الدراسات اثبتت أن محصول القطن ما زال يعود بربح كبير لا ينافسه فيه أي محصول آخر ..

المهندس الالماني « سونتاج » قضى أكثر من ربع قرن في بناء مصانع السكر .. في السودان وفي الهند وباكستان وفي ايران .. المصنع السوداني أحد أكبر مصانع السكر في العالم .



وارباح القطن ، كما هو معروف ، تفيد المزارع في معيشته وتساعد الحكومة على القيام بالتزاماتها » ٠

ثم ٠٠٠ ربح أكبر

ولكن هذا البحث ، وقد وضع في عام ١٩٧١م، يثبت ولاول مرة أن محصول قصب السكر لانتاج السكر ، هو الضالة المنشودة ، فهو يعود بربح اكبر بكثير من ربح القطن بالنسبة للمزارع وللدولة ، وللارض ذاتها ، ولكن هل تنجح زراعة القصب وصناعة السكر من القصب في السودان ؟ هل ينتهي عصر « الذهب الابيض » !

واثبت البحث أن كل الظروف متاحة لنجاح زراعة قصب السكر الذي اصبح اليوم منافسا للقطن ، الزراعة التقليدية الرئيسية ! لماذا ؟ لتوفر المناخ والتربة والماء والارض البكر الواسعة اللازمة لزراعة القصب ، ولان العائد من زراعة القصب اكبر بكثير بعد تصنيعه كما ذكرنا ، من زراعة القطن ، كما انه يوفر فرص عمل لآلاف العمال الزراعيين والصناعيين ، بعكس القطن الذي ينتهي العمل فيه بمجرد الانتهاء من جمعه من الحقول ! فمثلا اذا اقيم مصنع للسكر يمكن ان يطحن اربعة الاف طن من القصب يوميا فان العمل في الحقل وفي المصنع يوفر عملا لاكثر من اربعة الاف فني وعامل سوداني ٠

واخيرا ، لان السودان سوقا كبيرة لتسويق واستهلاك السكر محليا ، فقد بلغ الاستهلاك مثلا في عام ١٩٧٠م ، ٢٢٠ الف طن سكر وارتفع الرقم الى ٣٣٠ الف طن في عام ١٩٧٠م ومن المنتظر أن يصل الى ٤٣٠ الف طن في عام ١٩٨٠م ٠ وتدفع الدولة الملايين من العملات الصعبة لتوفير هذه الكميات للاستهلاك المحلي ! وهي ارقام تفوق بكثير ما يدخل خزائنها من تصدير القطن للخارج ، لأن ما كانت تنتجه مصانع السكر محليا ، لم يكن يكفي نصف استهلاك السودان المحلي ٠

سوق كبيرة في العالم العربي

واخيرا لان هناك بعد ذلك سوقا كبيرة للسكر في الدول العربية الشقيقة ، وتقول الاحصاءات ،



السيد عبد الرحمن سالم العتيقي وزير مالية الكويت عندما زار المشروع عام ١٩٧٧ ٠٠ قال : « يكفي ما سيوفره هذا المشروع الحيوي من فرص عمل لهذا العدد الكبير من الاخوة العرب في السودان »

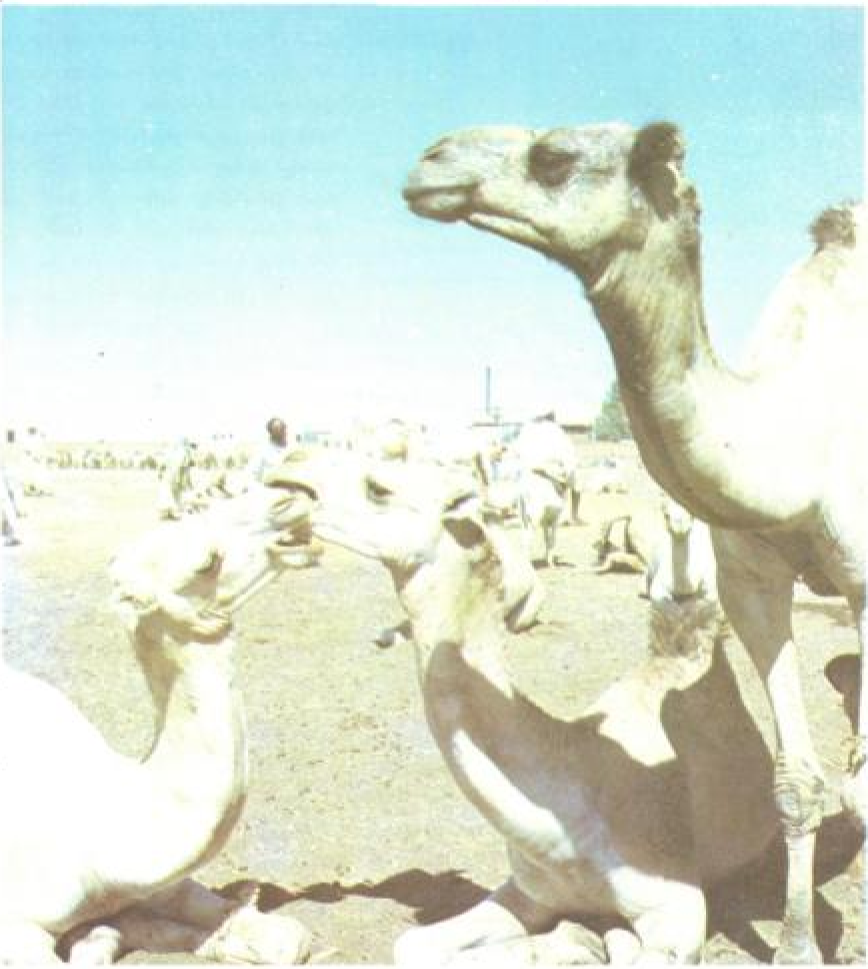
وهي اخر ما امكن الحصول عليه أن استهلاك الاقطار العربية من السكر في عام ١٩٦٩م مثلا بلغ ما يقرب من مليوني طن من السكر ، لم يكن لديهم منه اكثر من ربع هذه الكمية التي قدمتها المصانع العربية ، ومعنى هذا ان العرب استوردوا ما يقرب من مليون واربعمائة الف طن سكر من الخارج ! وتقول نفس الاحصائية ان ما استوردته السعودية واليمن بشطريها الشمالي والجنوبي ودول الخليج والكويت والعراق وحدها اكثر من نصف مليون طن من السكر في نفس ذلك العام ٠ ولا بد ان الرقم تضاعف هنا وهناك خلال السنوات العشر الماضية منذ هذا الاحصاء الذي لم تجد اقرب منه !

وليس معنى هذا ان السودان لم يعرف زراعة قصب السكر قبل هذا البحث ، فقدزرع المصريون القصب في السودان قبل اكثر من





داخل وحدة سكنية خصصت للخبراءالاجانب الذين ستنتهى مهمتهم بانتهاء العمل فى بناء المصنع •• مهندسانجليزى مع زوجته وطفليه ، وبيت مزود بكل وسائل الراحة •

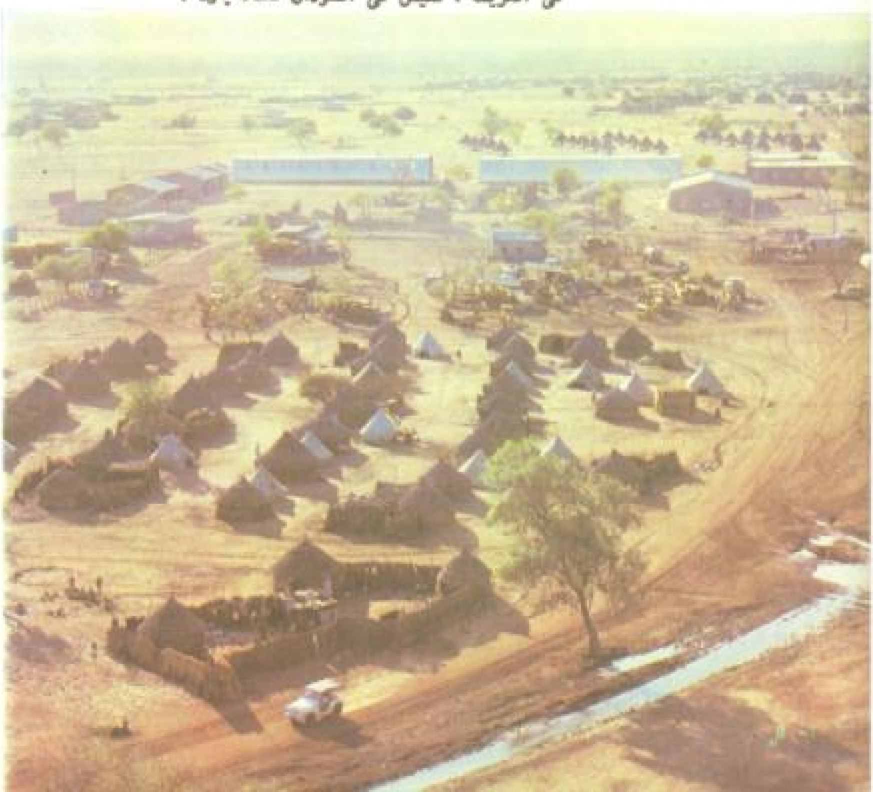


الثروة الحيوانية فى السودان•• ثروةهائلة ، فهناك أكثر من٥٠ مليون راس من البقر والاغنام والماعز والجمالموزعة على جميع انحاء القطر ••• (احصاء عام ١٩٧٦) •



حقل اخر من حقول قصب السكر في قرى كنانة ٠٠ما زالت العيدان صغيرة لم تنضج بعد ٠٠ ان المساحة المخصصة لزراعة القصب في منطقة المشروع تزيد على ٨٠ الف فدان ، تمت زراعة نصفها تقريبا او اكثر !

قرية بمساكنها الريفية (القطاطي) هكذايسمونها ، وهناك عدة قرى تنتشر وسط حقول القصب الواسعة ٠٠ وتتميز هذه المساكن بقدرتهاعلى مقاومة حرارة الجو في الصيف ، والامطار في الخريف ، فليس في السودان شتاء بارد !



ربع قرن واقام السودان اربعة مصانع في خشم القربة » او حلفا الجديدة وشمال غربي سنار وفي الجنيد وفي عسلاية في ارض الجزيرة ولكنها كانت زراعات محدودة ومصانع صغيرة ، بالكاد يكفي انتاجها ما حولها من المجتمعات الزراعية الصغيرة المنتشرة في بعض أجزاء وادي النيل الكبير في السودان ٠

ثم بدأ العمل الجدى من اجل تحقيق الاكتفاء الذاتي من السكر ٠٠ هذا الغذاء الشعبي الذى يدخل في عشرات الصناعات البسيطة والمعقدة ومن ثم تصدير الفائض منه الى الاسواق العربية في الدول الشقيقة ٠ وكان ذلك في عام ١٩٧١م عندما اتجهت الدولة نحو التوسع في زراعة القصب وانتاج السكر من القصب على اثر الانتهاء من الدراسات التي قام بها الخبراء من المواطنين السودانيين والعرب والخبراء من شركة لونرو الانجليزية ، والتي اكدت كلها ان السودان يمكن ان يصبح اكبر مزرعة لقصب السكر في العالم العربي كله ، وبالتالي اول دولة منتجة للسكر ٠

ولقيت نتائج الدراسات ترحيبا من جانب المسؤولين في حكومة السودان ٠ ورئيس الجمهورية بصفة خاصة الذى كان في هذا الوقت بالذات يعمل جاهدا من خلال اجهزة التنمية في السودان على النهوض بالزراعة والصناعة القائمة على الزراعة في آن واحد ٠

المزرعة ٠٠٠ والمصنع

وانتهت الدراسات النظرية الاولية ، لتبدأ دراسات التنفيذ ٠٠ وكان بطبيعة الحال موقع هذا المشروع الجديد الكبير اول شاغل للباحثين، اين نقيم هذه المزرعة ٠ ؟ واين يقام المصنع الضخم الذى سيحول هذه الميدان الخضراء الى سكر ؟ واتفق رأى الخبراء اخيرا على ان ارض الجزيرة ، او ارض ما بين النيلين الازرق والابيض هي انسب مكان لاقامة هذه المزرعة الواسعة والمصنع الملحق بها لسببين ٠٠ توفر مياه الرى من ناحية ، وخصوبة التربة من ناحية اخرى ٠

ووضع الخبراء اصبعهم على الموقع الذى شهد مولد هذا المشروع الكبير في عام ١٩٧٣ م ٠ في منطقة تبعد حوالى ٢٩ كيلومترا جنوبي مدينة « ربك » شرقي النيل الابيض وتبعد حوالى ٢٨٠ كيلومترا من مدينة الخرطوم (عاصمة السودان) و ٨٠ كيلومترا عن مجرى النيل الازرق او النهر الثائر كما يسمونه لغزارة مياهه وسرعة جريانها فيه ٠

وبدأ العمل في شهر مايو من عام ١٩٧٣ م ونقصد بالعمل هنا ، التجارب الزراعية التي اجريت على زراعة القصب في منطقة لا تزيد مساحتها على ٣٥ فدانا بعيدا عن الارض التي خصصت للمشروع بالقرب من شواطىء النيل الابيض ٠

وفي عام ١٩٧٤م تم شق ترعة نموذجية من النيل الابيض طولها تسعة كيلومترات وقد ساهمت المياه التي تدفقت فيها ، في اقامة مزرعة تجريبية اخرى داخل اراضي المشروع في هذه المرة ، وكانت مساحة هذه المزرعة الثانية حوالى الفي فدان ، وشكلت هذه المزرعة الاخيرة مصدرا اساسيا لاستزراع الارض التي خصصت للمشروع الرئيس ومساحتها ٨٠ الف فدان ٠

ولكن المشروع مالبث ان اصطدم بالمشكلة التي كان لابد وأن تواجهه ٠٠ مشكلة التمويل ، فلم تكن حكومة السودان وشركة لونرو قادرتين على توفير السيولة اللازمة للمضي في تنفيذ هذا المشروع ٠٠ وبناء عليه بدأت الجهود تركز في شرح مزايا المشروع وفوائده للدول العربية الشقيقة ٠٠ شركة لونرو من ناحية ، والحكومة السودانية من ناحية أخرى ٠

الكويت تساهم في المشروع

وكانت الكويت في مقدمة الدول الشقيقة التي سارعت الى المساهمة في المشروع ودعمه فقد دخلت الشركة العربية للاستثمار ، كما دخلت حكومة الكويت نفسها ممثلة في صندوق التنمية الكويتي ، باكثر من ٤٠٪ من تكاليف المشروع التي ستصل الى ٦٠٠ مليون دولار عند الانتهاء منه ٠ وساهمت الحكومة السودانية بحوالى ٤٠٪ ايضا من التكاليف، وغطت العشرين في المائة الباقية مؤسسة التنمية السودانية ومؤسسة الخليج وشركة نيشو ايواى Nisho Iway اليابانية وبعض المؤسسات الاخرى ٠

ثم بدأ العمل في حفر القناة الرئيسية التي

تتفرع من النيل الابيض وطولها ٢٧ كيلومترا في مطلع عام ١٩٧٦م . وحملت شركة Mcalpine ماكالباين الانجليزية مهمة شق القناة واقامة ثلاث محطات ضخ رئيسية . وكذلك شق قناة فرعية . وكانت هذه اول خطوة مكنت القائمين على العمل من استزراع اول خمسة الاف فدان من قصب السكر .. لقد توفر المال . وبدأ المشروع يخرج الى حيز الوجود . وكانت البداية مشجعة دفعت العاملين الى مزيد من العمل الجاد المثمر . وخاصة بعد ان قامت مؤسسة الرى والحفريات السودانية بشق قناة فرعية اخرى أتاحت للعاملين امكانية رى وزراعة ١٥ الف فدان أخرى من قصب السكر وبذلك اصبحت مساحة الارض التى تم زراعتها بالقصب ٢٠ الف فدان .

ثروة حيوانية هائلة

تحدث يس حاكم وزير الدولة السوداني للشئون الزراعية بالارقام عن الثروة الحيوانية في السودان . قال ان الاحصاء الذى اجرى فى عام ١٩٧٦ ، وهو آخر ما لدينا من احصاء رسمي يقول ان فى الاراضى السودانية الاعداد التالية من الحيوانات :

الابقار : ١٦٫٣ مليون
اغنام : ١٦٫٧ مليون
ماعز : ١١ مليون
جمال : ٢٫٦ مليون

وهذه الحيوانات موزعة على جميع انحاء القطر السوداني ، ولكن فى غرب السودان (اى مديريات دارفور وكردفان والنيل الابيض واعالي النيل وجونجلى وبحر الغزال) .. فى هذه المديريات تكمن الاعداد الرئيسية للانتاج الحيوانى .. وهو يكفى العالم العربى كله ويزيد.. والزيادة السنوية فى هذه الحيوانات بمختلف أنواعها تتراوح بين ٥٪ و ١٠٪ .

وفى نفس الوقت الذى كانت زراعة القصب تمتد وتتسع كان العمل يجرى على عجل فى بناء مصنع السكر ، المصنع الكبير الذى يعتبر ثالث مصنع من نوعه فى العالم . فقد شيد الاول فى ايران والثانى فى البرازيل والمصانع الثلاثة ما زالت تحت الانشاء فى مراحلها الاخيرة ، صممها نفس الرجل ، وهو مهندس المانى اسمه سونتاج Sonntag .

التقينا به ونحن نتجول وسط هذا المجتمع الجديد الذى قام فى قلب هذه المنطقة التى كانت الى عهد قريب مرعى للحيوانات ومأوى للقبائل التى استوطنت منذ مئات السنين بضعة اكواخ من الطين والقش تناثرت هنا وهناك ، ومن حولها الحيوانات ترعى ولا شيء اكثر من ذلك !

العمل عنده هواية

وفى مطار المدينة الزراعية الصناعية الجديدة كان لقاؤنا بسونتاج الرجل الذى امضى اكثر من ربع قرن من الزمان يبنى مصانع السكر فى كل ارض يزرعونها بهذا النبات الحلو .... السكر والبنجر ، ولو انه شخصيا يفضل سكر القصب ، فهو اجود واحلى انواع السكر اطلاقا .

قال سونتاج ، وكانت ترافقه زوجته فى رحلة قصيرة الى الخرطوم يعودان بعدها الى مقر العمل فى المصنع ، قال : « انها هواية اكثر منها عمل احترفه ، وهل هناك أحلى من طعم النبات الذى يقطر عسلا .. لقد شيدت مصانع للسكر فى الهند وباكستان وايران والسودان .. وهذا المصنع الذى ترونه امامكم هنا فى كنانة ، يعتبر اضخم مصانع السكر فى العالم ، انه سينتج فى اليوم الواحد أكثر من ١٧٠٠ طن من السكر ، وهو نتاج طحن ١٧ الف طن من قصب السكر يوميا اى ان كل عشرة اطنان من القصب تنتج طنا واحدا من السكر ! » وبعملية حسابية اخيرة يكون انتاج المصنع عندما يكتمل فى شهر نوفمبر من هذا العام ٣٠٠ الف طن من السكر سنويا ، سوف يستهلك السودان نصف هذه الكمية او اكثر قليلا ، ويصدر الباقى للدول العربية الشقيقة عندما تكتمل عملية التوسع فى زراعة قصب السكر



في مطار « كنانة » تهبط الطائرات قادمة من الخرطوم مرتين في الاسبوع ، ثم تقفل عائدة الى العاصمة ٠٠ وهكذا لا ينقطع الاتصال بين ادارة المشروع والعاملين فيه ٠٠ انهم في سباق مع الزمن لانجاز المرحلة الثانية والاخيرة في العام المقبل (١٩٨٠) ٠

حتى تصل الى الهدف المرسوم (٨٠ الف فدان) في عام ١٩٨١م ٠

ايام في كنانة

وقضينا بضعة ايام نجول داخل المدينة الجديدة وحولها، وتطوع المهندس الشاب حمزة احمد التقى مدير مزرعة كنانة لمرافقتنا في جولتنا ٠٠ لقد قام المصنع معلنا اقتراب الثورة الزراعية الصناعية في السودان ، وقامت حول المصنع وحول الارض الزراعية المحيطة به اول مدينة سكنية في هذه البقعة

قاعة الطعام الرئيسية وسط بيوت المهندسين العاملين في المشروع ، حيث تقدم لهم الوجبات الرئيسية الثلاث باسعار رمزية ٠٠ ويجدون فيها اطباق الطعام التي اشتهر بها المطبخ السوداني





الآلة في الحقل ، وهناك العديد من الجرارات الزراعية التي تنتشر في مختلف انحاء مزارع القصب الشاسعة كما ان هناك « ورشة » لاصلاحها وصيانتها .. والعامل الزراعي هنا يقوم بنقل عيدان القصب لاجراء التجارب عليها قبل تنظيمها وزراعتها من جديد .

التي ظلت مهجورة منسية مئات السنين ! مجتمع كامل تتوافر فيه كل الخدمات التي يحتاج اليها العاملون من كل الفئات .. في الاسكان والتعليم والصحة ودور العبادة ووسائل الترفيه .. وانتشرت المساكن المؤقتة والمساكن الدائمة التي بدأ العمل في تشييدها وأوشك بدوره على الانتهاء فوق رقعة من الارض تزيد مساحتها على أربعة آلاف فدان .. مساكن من كل نوع .. مساكن الفنيين التي شيدت بالطوب والاسمنت المسلح وزودت بأجهزة تكييف الهواء ومساكن للمزارعين في القرى الصغيرة المنتشرة بين مزارع القصب وقد روعي في بنائها الا تكون غريبة على أهل القرية من حيث الشكل والتصميم .. ثم محال تجارية لبيع المواد الغذائية لافراد هذا المجتمع الجديد من المزارعين والعمال ومساجد ومدارس .. وأخيرا دور للسينما وملاعب ونواد رياضية ..

١٠ آلاف فرصة عمل

كم فرصة عمل سيوفرها هذا المشروع الجديد لابناء السودان ؟

عشرة الاف على الاقل بين مهندس وموظف وعامل فني وفلاح ، وعشرة الاف فرصة أخرى للعمال الموسميين ، المجموعة الاولى سوف تستقر مع اسرها ، فاذا قلنا ان متوسط عدد أفراد الاسرة الواحدة من ابناء السودان العاملين خمسة افراد فسوف نجد أن أكثر من ١٥٠ الف نسمة سوف يرتزقون من العمل في هذا المشروع بين المصنع والحقل • قال عبدالرحمن سالم العتيقي وزير مالية الكويت عندما دعى لزيارة المشروع في السودان : « يكفي انه سيوفر فرص عمل لهذا العدد الكبير من المواطنين العرب • انني سعيد بهذا المشروع • »

اما الحقل الذي تبلغ مساحته ٨٠ الف فدان ، كما ذكرنا فقد تم تقسيمه الى خمس مناطق ، وقسمت كل منطقة بدورها الى مزارع وكل مزرعة تحتوي على اقسام ، وكل قسم منها يضم الف فدان ••

وكل قسم من هذه الاقسام يعتبر وحدة كاملة متكاملة بكل مرافقها وخدماتها للعاملين وأسرهم •• وكل مجموعة من العاملين في كل قسم تقع عليهم مسئولية العمل والانتاج داخل نطاق دائراتهم • وقد روعي في هذا التقسيم تطبيق نظام اللامركزية كما نرى •

ولم ينس القائمون على المشروع تخصيص مساحة صغيرة من الارض تتراوح بين أربعة وخمسة افدنة في كل قسم من هذه الاقسام لزراعة شتى انواع الخضراوات والفاكهة لامداد العاملين فيه بما يحتاجون اليه •• وبذلك يحقق لهم الاكتفاء الذاتي •

انفع من الذهب الابيض

والخلاصة •• ونحن ننقل هنا عن مدير مشروع كنانة ، السيد محمد البشير الوقيع : « ان الهدف من تنفيذ هذا المشروع هو تحقيق اكتفاء ذاتي للسودان من السكر الذي تنتجه المصانع الاربعة القائمة حاليا في الجنيد وخشم القربة وشمال غربي سنار وعسلاية ويبلغ مجموع ما يمكن انتاجه في هذه المصانع ٤٠٠ الف طن ، أي بزيادة ٤٠ الف طن عما يستهلكه أهل السودان حاليا •• والوصول بانتاج هذه المصانع الى ما هو مأمول ومرتقب ، يتطلب زيادة رقعة الارض التي تزرع بالقصب او زيادة انتاجية الفدان الواحد وهو ما نعمل الان على تحقيقه •

واذن فسوف يصبح السكر الذي سوف ينتجه مصنع كنانة كله للتصدير مستقبلا ••• وبذلك تستطيع الدولة كسب ملايين الدولارات بالعملة الصعبة ، وتخصيصها لتنفيذ المزيد من مشروعات التنمية •

ثم ماذا ؟ يقول المسئولون عن المشروع : « لا بد لنا أن نعترف بدور الكويت في تشجيع هذا المشروع ودعمه ، فقد كانت الكويت ولا زالت سباقة في المساهمة في مثل هذه المشروعات التي تتصل اتصالا مباشرا بالتنمية الزراعية وتحقيق الامن الغذائي في الامة العربية •

هل يبقى الذهب الابيض في السودان ذهبا •• ان السكر ايضا ابيض وهو اغلى بكثير من الذهب وهو انفع !

مجلس ادارة مشروع كنانة

يرأس المجلس الدكتور بشير عبادي وزير الصناعة السوداني ، ويمثل السودان ثلاثة اعضاء وهناك عضوان يمثلان الشركة العربية للاستثمار وعضوان يمثلان الكويت وعضوان اخران يمثلان المملكة العربية السعودية، ثم عضو واحد لكل من المساهمين الاخرين من غير العرب ، ولا تزيد نسبة من يساهمون به على ٥٪ من تكاليف المشروع •

يتفانى المخلص فى عمله
وزن «تفاعل» ودلالاته

بقلم : محمد خليفة التونسي

اذا قلنا « يتفانى المخلص فى عمله » فهم السامع ان المخلص يبذل اقصى جهده فى عمله ، كانه يحاول ان يفنى نفسه فيه • واستعمال الفعل « تفانى » فى هذا المعنى هو المشهور بيننا اليوم ، ولكن بعض لغويينا المعاصرين ينكرون فصاحته ، وحجتهم فى ذلك ان المشهور فى كل فعل على وزن « تفاعل » أن يدل على المشاركة بين اثنين او اكثر ، مثل تجادلا ، وتخاصما ، وتحابا ، ومثل : تجادلوا ، وتخاصموا ، وتحابوا ، او يدل على التظاهر ، مثل : تناوم ، او تغافل ، او تحامق ، اى تظاهر بالنوم ، أو الغفلة ، أو الحماقة ، وهو خلو منها•

فاذا طبقوا هذه القاعدة المشهورة على العبارة « يتفانى المخلص فى عمله » يجدون ان الفعل « يتفانى » لا يدل على التظاهر ، ولا على المشاركة بين اثنين او اكثر ، وان الصواب استعماله للمشاركة فيقال مثلا « يتفانى المتحاربان او المتحاربون » •

الانكار بهذه الحجة خطأ من جانبين : جانب القاعدة وجانب التطبيق ، فالفعل اذا كان على وزن تفاعل يدل على المشاركة او على التظاهر ولكنه قد يدل على معان اخرى يعنينا منها هنا اولا حصول الفعل بالتدريج او على التوالى فاذا قلنا « تفانى المخلص فى عمله » فمعنى ذلك انه « يفنى نفسه ، بالتدريج خلال عمله » •

وللفعل « يتفانى » هنا أشباه ، منها مثلا المضارع « تساقط » اى « تتساقط » فى وصف امرىء القيس لعذاباته فى مرض موته ، وقد احس ان الحياة تتسلل منه بالتدريج ، والموت ياتيه رويدا رويدا ، فتمنى لو جاءه الموت دفعة واحدة ليخلص من الامه التى هى فوق طاقة اللحم والدم ، فقال :

« ولو أنها نفس تموت جميعة
ولكنها نفس تساقط أنفسا »

ومثل ذلك قول ابن الرومى فى رثاء ابنه الاوسط « محمد » ـ وقد مات طفلا ـ يصف تقلبه بين الايدى التى تحتضنه وهو يذوى بالتدريج كما يذوى الغصن الطرى •

« وظل على الايدى تساقط نفسه
ويذوى كما يذوى القضيب من الرند
فيالك من نفس تساقط أنفسا
تساقط در من نظام بـلا عقد »

ويلاحظ فى عبارتنا « يتفانى المخلص فى عمله» كان الفاعل هنا مفعول به ايضا ، وهذا كثير فى لغتنا ، فيقال مثلا « رأيتنى فى الحديقة » و « وجدتنى على النهر » و « حسبتنى فى حلم» فالرائى هو المرئى ، وهكذا •

وعلينا هنا قبل المضى فى بيان دلالات الافعال على وزن « تفاعل » ـ ان نذكر تعريف الفاعل فى لغتنا وهو « الاسم الذى يدل على من فعل الفعل ، او اتصف به » فاذا قلنا « يتطامن السيد الكريم لخادمه » فالسيد هنا هو الذى حدث منه « التطامن » واذا قلنا « تطامن انفه » فالانف متصف بالتطامن ، كما نذكر ان الحدث فى الفعل الماضى (على وزن « تفاعل » أو غيره) هو الحدث

فى مضارعه وفى الامر منه ، وفى مصدره ، واسم الفاعل منه واسم المفعول ولهذا يجوز لنا هنا أن نضرب الامثلة بالمصدر وكل مشتقاته •

خلاصة أقوال قديمة وحديثة

يشير ما اطلعنا عليه من كتب الصرفيين القدماء الى أن الفعل « تفاعل » يأتى من اثنين أو جماعة بمعنى افتعل ، مثل تلاقينا بمعنى التقينـــا ، وتخاصما ، بمعنى اختصما ، كما يأتى من واحد ، مثل « تراءيت له » ويأتى بمعنى أظهر ، مثل : « تغافل وتجاهل وتمارض » اذا أظهر غفلة وجهلا ومرضا وهو خلو من ذلك •

وأوضـــح ما اطلعنـــا عليه ، فى ذلك عند المحدثين ما ذكره الشيخ أحمد الحملاوى فى كتابه « شذا العرف فى فن الصرف » وخلاصة ما أورده ان « تفاعل » اشتهر فى أربعة معان •

١ ـ التشريك بين اثنين فاكثر ، فيكون كل منها فاعلا فى اللفظ مفعولا فى المعنى ، مثل : تجاذب زيد وعمرو ، فكلاهما جاذب ومجذوب •

٢ ـ التظاهر بالفعل دون حقيقته ، مثـــل : تناوم وتغافل وتعامى ، اى اظهر النوم والغفلـــة والعمى ، وهى منتفية عنه •

٣ ـ حصول الشىء تدريجا ، مثل : تزايد النيل، وتواردت الابل ، اى حصل ذلك بالتدريج •

٤ ـ مطاوعة فاعل ، مثل : باعدته فتباعد •

ملاحظات اضافية

وقد انكشف لنا من تتبع طائفة من الافعال على وزن «تفاعل» انها تأتى لمعان كثيرة ، وهذه خلاصة ما انكشف لنا منها ، ونقسمها قسمين مجملين ثم نفصلها ، وقد لاحظنا أن بعضها يأتى من واحد ، وبعضها يأتى من اثنين أو جمع •

أولا : تفاعل من واحد

يأتى « تفاعل من واحد » مثل : تبارك الله وتعـــالى ، وتطامن البعير ، وتجـــافى جنبى عن المضجع ، وتقاعس الجبان عن الحرب ، وتخاذل فى نصرة صديقه ، وتراخى الاجل بالشيخ ، أو ترامى به العمر ، وتهالك البخيل على المال ، وتثـــاءب الطفل ، وتفـــاءل بالنجاح ، وتعاظم فى قول أبى نواس منيبا الى الله :

تعاظمنى ذنبى ، فلمـــا قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظمـــا

ويقول عمر بن أبى ربيعة فى قصة له مع نسوة استدعينه الى مجلسهن مخادعات له ، وهو يظن انه يخدعهن :

تبالهن بالعـــــرفان لمـــا رأيننى
وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعـــا

وفى هذه الحال يدل الفعل على احد المعانى الاتية :

١ ـ التظاهر بالفعل رياء ، مثل : تحامق مع الحمقى اذا كنت فيهم ، وكما فى قول الشاعـــر

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا
تجاهلت حتى ظن أنى جاهـــــل

٢ ـ تكلف الفعل عن اعتقاد به ، مثل : تتباهى الفتاة بجمالهـــا ، وتتفاخر بنسبها ، وتتواجه بثرائها ، وتتعاظم بثقافتها، وتتفاصح فى كلامها، وتتعالى فى معاملتها ، وتتمايل فى سيرهـــا ، ويقول : بشار

تجاللت عن فهر وعن جارتى فهر

٣ ـ المشابهة ، مثل : تكالب على الشـــهوات (اى أشبه الكلب فى الحرص عليها) وتذاءبت الريح ، (اى اشبهت الذئب فى اقباله من جهة مرة ، ومن غيرها مرة ، وربما كان منها « يتخايل فى مشيه » (اى يشبه الخيل ، فانها تمشى أحيانا متعرضة بجنبها ، لا الى الامام) •

٤ ـ حدوث الفعل متتابعا ، مثل : تماوج صوت أم كلثوم ، وتقاطر المطر ، وتناقص الماء بالتبخر ، وترادف الرزق ، ويتهالك على الدروس، ويتحامل على خصمه ، وتقادم العهد ، وتنامى الطفـــل وتهاوى البناء ، وتراجع فى سعيه ، وتراخت الحملة ، وتسارعت الحركـــة ، وتواتر الحديث ، وترامى الينا الخبر ، وتمادى فى الضلال •

٥ ـ الدخول فى شىء ، أو الميل اليه ، مثل : تيامن الطريق ، وتيـــاسر فى سعيه ، وتبـــاشر بالصباح ، وتفاءل بالوجوه الحسان ، وتشـــاءم بنعيق البوم ، وتكاسل فى عمله ، وتساهل فى حقه ، ومثل : تثاءب الطفل (أى مال الى الثاب وهو الفتور والكسل) •

٦ ـ طلب الفعل : مثل تقاضاه الدين (أى طلب منه قضاءه) وتحاكم الشاعر الى الناقد (أى طلب حكمه) ، ذهب الى الطبيب ليتـــداوى

(اى يطلب الدواء) ، او ليتشافى (اى يطلب الشفاء) •

٧ ـ مطاوعة فعل سابق (من اى وزن) اى التاثر به ، مثل : نثرت الحب فتناثر (اى انتثر) واطارت الريح الغبار فتطاير ، ومثل « تدافع » فى قول شاعرنا الجاهلى المنخل اليشكرى فى قصيدة غزلية من اجمل شعرنا العربى :

دافعتهـــــا فتدافعت
مشى القطاة الى الغدير

(والفاعل فى هذه الحالة متصف بالفعل ، وليس هو الذى فعله ، فهو فى معنى المبنى للمجهول) •

٨ ـ القيام بالفعل ابتداء (اى دون تاثر بفعل سابق) ، فهو كالفعل الثلاثى ، مثل : تنازل عن حقه (اى نزل) ، وتساءل عن اخيه(سال) وتجارا عليه (جرؤ) وتجاسر عليه (جسر) وتضايق الطريق (ضاق) وتجاوز الحد (جاز) توانى فى العمل (ونى) •

٩ ـ اعتقاد صفة الشىء ، مثل : اعطيته فى الكتاب دينارا فتقاله (اى عده قليلا) وتعاظمت الذنب (اى عددته عظيما) •

ويلاحظ ان سياق الجملة او المقام هو الذى يخصص الفعل باحد هذه المعانى ، وقد يصلح الفعل لاكثر من معنى فيها ، وكنا نود ان نضرب بعض الامثال لولا ضيق المجال •

ثانيا ـ « تفاعل » من اثنين أو جمع

وتاتى « تفاعل » من اثنين او جمع ، مثل : تظاهر الرجلان على الحق ، وتجادلا فى القضية، وتخاصما الى المحكمة ، ومثل : تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وتعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ، ومثل « تعاوى » و « تفاوى » فى قول شيخنا المعرى متافقا من ضعة البشر ، وتهالكهم على صغائر الدنيا ، ولم يستثن من ذلك نفسه :

كلاب تعاوت أو تغاوت لجيفة
وأحسبنى أصبحت ألأمها كلبا

وهذا النوع من الافعال كما تحسبناه يدل على احد المعانى الاتية :

١ ـ مجرد التشارك او الاشتراك فى الفعل ، مثل : تنادم الرجلان ، وتاكلا وتشاربا ساعة وتصاحبا فى الطريق ، وتجالسا فى صمت،ومثل : توافقوا فى الغناء متصافين ، وكانوا متعاصرين وتزامنت الوقائع (اى وقعت فى زمن واحد) وتناهبوا الغنائم •

٢ ـ التبادل (ويدخل فيه التشارك ايضا) مثل : تامروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، (اى تبادلوا ذلك ، فامر بعضهم بعضا بالمعروف، ونهاه عن المنكر) ومثل : وتعاونوا على البر والتقوى ، وتتجاذب الكواكب والنجوم ، وتعامد الخطان ، يتقارضان الثناء ، تعارفا بعد ان كانا متناكرين ، تقابض المتبايعان ثم تفارقا ، الصديقان يتساران ، اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان ، تفاهما فى القضية ، تتارك «المتخاصمان» ثم تهادنا ، وتصالحا وتسالما ، ثم تهاديا المودة•

٣ ـ المغالبة فى الفعل (وهى تشمل التشارك والتبادل بين طرف واخر مع رغبة كل طرف ان يغلب الاخر) مثل : تفاخر الشاعران ، ثم تهاجيا، تبارى الفريقان فى الكرة ، تتسابق الخيل ،يتساقى المتحاربون الموت و ،فى ذلك فليتنافس المتنافسون» والاحياء تتنازع البقاء •

ويلاحظ ان الافعال على وزن «تفاعل » اذا كانت تاتى من واحد فانه يمكن ان تاتى من اثنين ومن ذلك مثلا : يتلاعب القط بالفار • اذ يمكن ان نقول : يتلاعب الطفلان أو الاطفال بالكرة.ولكن من الافعال الدالة على اثنين ما لا يمكن ان ياتى من واحد ، فنحن مثلا لا نقول : « تخاصم محمود » ونسكت بل لابد ان نذكر له خصيما •

وبعض الافعال تاتى من واحد ومن اكثر ، مثل : « تفانى » فهو يمكن ان يدل على اكثر من واحد كما فى قول شاعرنا الجاهلى زهير بن ابى سلمى فى مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف حين اصلحا بين عبس وذبيان وتحملا الديات بينهما على اثر تحاربهما :

تداركتما عبسا وذبيان بعدمـــا
تفانوا ، ودقوا بينهم عطر منشم

ويقول المتنبى فى تهوين رغائب الدنيا وانهـا احقر من ان نتهالك عليها :

ومـــراد النفوس أصغر من أن
نتعـــادى فيه وأن نتفـــانى

ويمكن ان ياتى « تفانى من واحد » كما وضحنا انفا •

وللفعل على وزن « تفاعل » افعال من جنسه•• ترادفه ، سنتناولها فى صفحة قادمة بعون الله •

■■

.. عودة الذكرى

شعر : الدكتورة عاتكة الخزرجي

■ وانسابت الذكرى تقلـ — قلُ مضجعي وتقض امنى ..
وتدافع الأمسَ البعيـ — ـد فقرَّ في عيني وأذني
وبعثت فيَّ .. وكنت مد — فونا على مضض وضن
ورجعت أعنفَ ما تكو — ن .. فما الذى ترويه عنى..؟
أتراك تعرفني ؟ ومـا — أبقى الزمانُ عليك منى ؟
وأنا التي كانت وكنـ — ـت .. فأين أنت ؟ وأين أيني؟!
حـدث عن الأمس البعيـ — ـد .. عنى حديث الروح يغنى
وانقل عن العهد الأكيـ — ـد .. وقل بأنك لم تخنى..
وأفضْ على الروح الأمـا — نَ ، وقل: أيا نفس اطمئنى ...»
فلكم ضنيتُ وكم ظمئـ — ـتُ وكم ضللتُ وتاه ظنى ؟
ونسيتني .. حتى كأنـ — ـك لم تكن .. وأنا كأنى .. !
ولقاؤنا المشهود والـ — ـقسم العظيم بُشبحُ أذنى ..
اكذاك عهد المالكيـ — ـن : الغدر من بعد التجنى؟ !
ونسيتنى والغيد حو — لك حُوَّمٌ تثنيكَ عنى
ويغرك الألقُ السرا — ب ، فتنتشي من غير دنّ
وتدل بالتاجين : تا — ج المُلك والحسن المرن
وأضاع في بحر الغرو — ر ، فبالخفة مرجحنّ !
وأنا؟ ترى ماذا لديـ — ـك ؟ ومن أنا ؟ ماكنت اعنيه..؟



ياويلتاه علىَّ منـــــــــــ   لك ، وويلتاه عليك منّى . . !
وتضيق بِى الذكرى وقــــد   طفحت على جبـى ورُدّنى
وأضيق بالألم الصـــمــو   ت يهل دمعا بين جفــنى
ويضيق بِى الحرف المبـــ   ن ، فيا لعــىً قيد لســن
وأكاد أبتعث اللقـــــا   ء يجد في سمعي وعينى
فأراك . . أجمل ما تكـــو   ن ترفُ من دَلّ وحســن
تزدان بالتاجين والـــــ   غيدُ الحسانُ عليك تُثْنى
وتسير ما بين الخــــلا   ئق كالضحى في يوم دَجْنِ . .
تخطو على كل القلـــو   بِ خُطى المليك المطمــئن
ولقيتنى بين الزحـــــا   مِ ، فكنت منك ، وكنت منى . .
وحلفت للقلــب الغريـــ   ر ، وما تشكك منك ظــنى
وحلفت أنى للعهــــــو   د على المدى ، وثبت أنّــى
أواه ! ضاع الأمس منـــك ، وما أراه يضيع مـــنى . . !
مولاى ! أنت الأمس لـــ   كن لن اراك تغيبُ عنى . . ! ■■

قصة قصيرة

كشف الهيئة

بقلم : عباس أحمد

رسم : حلمي التوني

■ حينما هبط عصام في محطة سيدى جابر ، لم يكن المساء قد خيم تماما على مدينة الاسكندرية ، ولم يكن قد راى البحر في حياته من قبل . سار بضع خطوات يبحث عن صديق له في انتظاره . شعر بالهواء كأنه قطع من الثلج الصافي تذوب بين يديه وفي روحه . رأى الاشياء وقمم الشجر والبيوت البعيدة تلمع من خلال صفاء رائق كالبلور . كان يثبت منظاره على عينيه ، وينظر الى الافق ، وحين عاد ، دخل صديقه رواش في مجال رؤيته . واحتضن الصديقان . قال رواش :

ـ اين طلبة ، لماذا لم يأت معك .

ـ عدل عن رأيه .

وامتعض رواش قليلا ، واحس بخيبة الامل . ذلك ان طلبة بالذات ، كان هو الذى اثارهما للتقدم لمعهد التربية ، والدخول امام لجنة كشف الهيئة التي ستنعقد غدا . كان اكثرهم حماسة . كان هو الذى قال لهم حينما اجتمعوا عنده في القاهرة منذ ثلاثة اسابيع ، انه يجب ان نترك وظائفنا الحقيرة هذه التي نشغلها ، ونتخصص لتعليم ابناء الشعب . ان هذا هو الطريق الوحيد الذي يناسبنا ونناسبه ...... بل ان هذا هو الطريق الوحيد الذي يفتح كل الطرق الاخرى .

وكان عصام ورواش ـ على كل حال ـ يعرفان ان طلبة ، مهما تحمس ، واخذ على نفسه العهود والوعود ، يمكن دائما ان يخلف ، ولذلك سرعان ما تعديا الموقف . قال عصام ، وعيونه تريد ان تغطي كل شيء :

ـ اين البحر الآن ؟

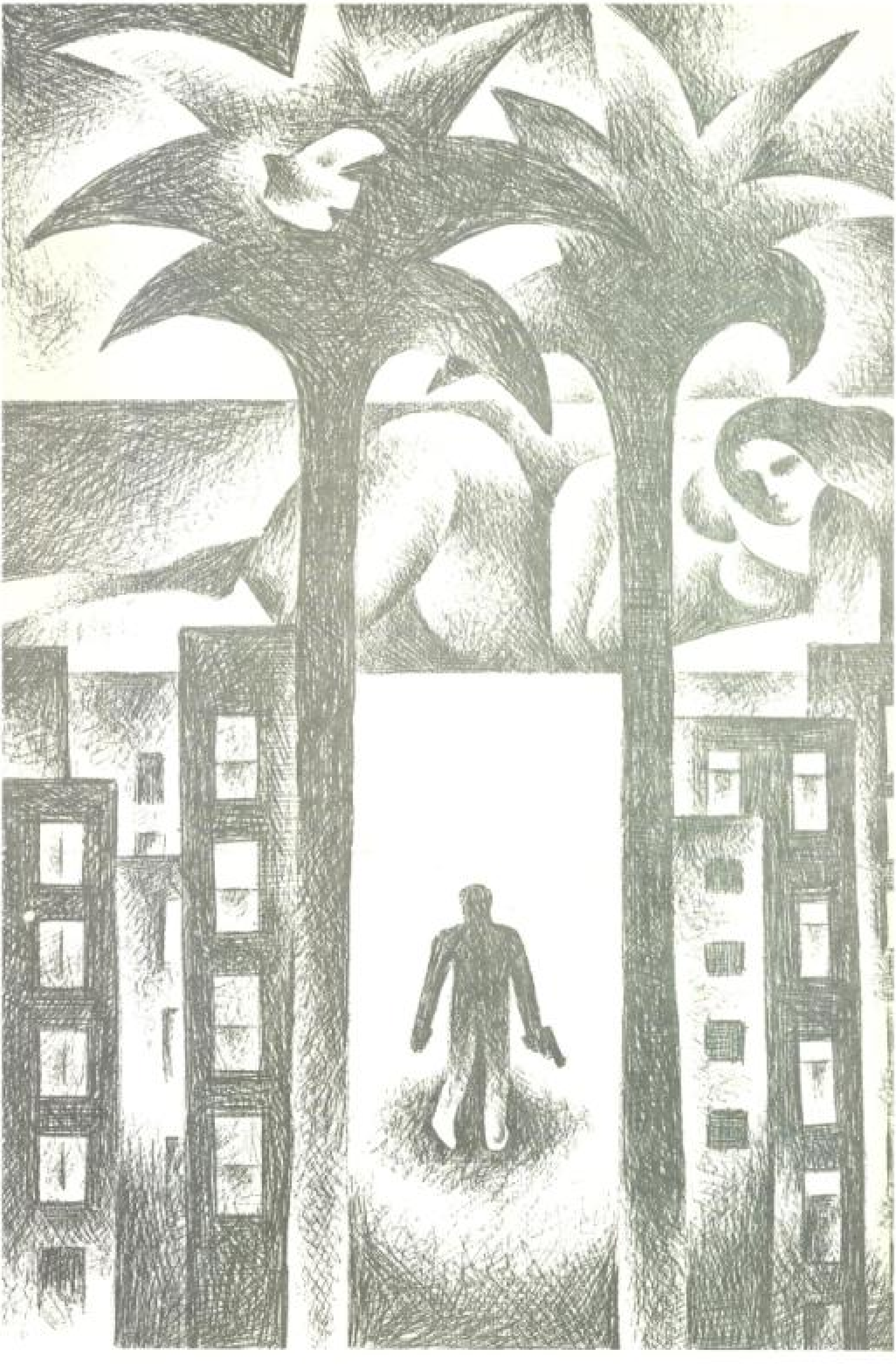
ضحك رواش

ـ لا تستعجل . بمجرد ان نضع حقيبتك في المنزل ، سننزل اليه . ويمكنك ان شئت ان تغرق فيه نفسك .

واصر عصام على ان يركب الترام في الطابق الثاني . كان البحر يلوح له من خلف الشوارع الضيقة في لمحات سريعة . لم يفهم وضع البحر بالنسبة للمدينة لم تكن للشوارع نهاية . كانت نهاياتها شفافة مضيئة دائما .

قال رواش ، مقلدا سمت الحكماء .

ـ يجب ان تحذر من نفسك تجاه البحر . شيئان يمكنهما ان يقصفا عمرك قبل الاوان ، البحر والنساء .



لم يضحك عصام . كان البحر قد لاح له في قوس كبير ثم اختفى . كانه خطف عينيه للحظة . بل كانه خطف قلبه . قال : ـ

ـ الواحد محدث .

ونزل الصديقان في الشاطىء . وعلى شارع دبنوكرات الذي يقطن فيه رواش ، بدا البحر كانه اشرطة من الحرير . وعلى النواصي ، كانت البنات والصبيان تفرد باحاديث متآنسة وبين وقت وآخر تنهيدة عالية .

ـ احبك ... احبك موت آه .

في شقة رواش فوق السطوح ، عاد الصديقان يناقشان لماذا لم يات طلبة . وقال رواش :

ـ لعله علم ان السلالي باشا ، سيكون رئيس اللجنة ـ فايقن ان فرصته لن تتاح .

ـ لم يقل لي ذلك .

وكان السطوح مفتوحا على البحر ـ في صدره شقة رواش ، وعلى يمينه شقة مدام تاسيا والماء الازرق الصافي يملأ الساحة بالجلال والفرح . وكانت مدام تاسيا قد خرجت ـ مشت في الساحة قليلا ، ثم وقفت وضمت روبها الاحمر حول جسدها . يبدو أنها تحاول ان تتذكر شيئا . ثم لم تلبث ان عادت بسرعة الى شقتها واغلقت الباب .

قال رواش غاضبا .

ـ عصام ... يجب ان نناقش بجدية ... هل سندخل امام لجنة كشف الهيئة غدا املا ...

واجاب عصام مبتسما وهادئا .

ـ انا لم أتردد في هذا الامر ؟

ـ اذن يجب أن تنصت الي .

وكانت تاسيا قد خرجت مرة اخرى . وراحت تنشر على الحبل فوطة بيضاء ناصعة . وقف عصام بعد ان كان جالسا .

رآته تاسيا يحملق فيها ـ ابتسمت وحيته . وقف رواش عن الكلام . رآته تاسيا .

ـ ازيك يا مسيو رواش ... دي اخوك ...

ـ لا يا مدام . دا واحد صاحبي . تصوري بيشوف البحر أول مرة في حياته

ـ باين عليه . عينه واسعة « كتير » .

وضحكت المراة ... وانصرفت

ولاح القماش الابيض الذي نشرته على الحبال كانه معلق في الفضاء وترقرقت عين عصام بزهوة الالوان .

ـ من هذه المراة . قل لي عنها شيئا .

وجاء صوت رواش ساخرا .

ـ اقول لك عنها شيئا انها امراة طيبة .

ـ وماذا ايضا .

ـ ان مدام تاسيا تحبك . أنها مديرة محل « الركن الصغير لفرنسا » سنخرج ونتناول عشاءنا هناك . هل أنت سعيد ؟

ولم يستطع عصام ان يهدأ . خرج من الشقة الي ساحة السطوح تجول في ارجاء السطوح . نظر على شبابيك مدام تاسيا عن قرب ، ووقف عندها ... قال في نفسه يا سلام ان البحر لا نهاية له وفاجاه صوت رواش من بعيد .

ـ ماذا تفعل هناك يا عصام

ـ لا شيء يا رواش (بعد لحظة)

لماذا تلاحقني ؟

وعاد عصام يتجول على مرمى السطوح تجاه البحر ...

ـ مدام (وصمت ... ثم همس)

ما لون عيونك ؟

ـ (وبدت عيون مدام تاسيا من خلال الشباك)

ـ (يهمس) مدام

ـ «العيون تاسيا من خلال فرجات الشيش ، لم يبد أنها فهمت شيئا » .

ـ مدام تاسيا ... انا اسمي عصام اتيت من آخر العالم لكي تحدث بيننا هذه اللحظة ... لماذا لا تفتحين الشباك .

ـ (وعيونها ما تزال بين فرجات الشيش)... لا اريد ...

ـ (لم يسمع عصام) . مد اذنه همس هه؟!

ـ لا اريد .

وكاد عصام لاول وهلة ... ان يمد أصابعه بين فرجات الشيش ولكن عيون تاسيا ابتعدت ... وسمع الصوت واضحا .

ـ لا اريد

ارتد عصام عن فرجات الشيش وهو يبتسم في ذهول . ووجد نفسه يترنح على مرمى البحر وكانت الموجات البيضاء تحطه الى بعيد ، ولكنه تحامل ، ودخل شقة صاحبه واستلقى على

السرير ، وقد يكون نام بعض الوقت .

فى الليل – بينما عصام يهبط السلالم وراء رواش ...

– انا لست متأكدا ... انني أريد ان اذهب امام كشف الهيئة غدا .

وكان الشارع فارغا تماما من كل الناس ، وكان البحر مجرد ظلمة وراءهما . ولم يستطع رواش ان يقول شيئا الا أن يهز كتفيه ويسير بجانب صاحبه .

قال عصام

– هل الركن الصغير لفرنسا بعيد عن هنا ؟

– (نظر اليه رواش وكل غضون وجهه مملوءة بالهم) ليس بعيدا . (بعد لحظة)

هل تريد ان تنام معها ؟

– (عصام فوجىء بالسؤال) بعد وقت « طبعا » .

– هل تسخر مني ؟

– لا

– انا سمعتها تجاوبني

– سمعتها تجاوبك ؟؟ ماذا تعني .

– قالت لا اريد

– ها ... ها ... ها ... ها ... هي قالت ذلك ... يالك من ساذج .

ومتى قالته ؟!

– سنذهب اليها ونرى

فى « الركن الصغير لفرنسا » – فى شارع صفية زغلول – دخل الصديقان .

كانت مدام تاسيا واقفة على البار . فى الركن جرسون يوناني عجوز .

المحل يمتد من الانفساح العريض الى ركن اخير ضيق يحوي السلالي باشا جالسا مع نفســه .

همس عصام

– ترجع يا رواش .

قال رواش وهو يضغط ذراع صديقه .

– هذه فرصتنا اذا اردنا ان ننجح فى كشف الهيئة غدا .

ونظر الباشا من ركنه البعيد ، عليهما ، وقد يكون ابتسم .

مدام تاسيا فرحت بوجودهما . اصبحت كأنها عشرة اشخاص فى المحل .

جاءت لهما بمفرش جديد على المائدة . وضعت امامها الكئوس من اشكال مختلفة

ضحكت مع رواش . نظرت فى عيون عصام بحذر

– شفت البحر مسيو عصام .

– (ارتبك عصام قليلا ... احب نطقهــا لاسمه) أيوه . لكن مالحقتش (لم ينظر فى عينها . ادرك حذرها ، فكلمها وهو خافض ... العينين ..) . « لا احد يستطيع ان يرى البحر دفعة واحدة » .

ضحكت تاسيا ضحكة صغيرة . ذهب حذرها فجأة

– ايوه ... يبدو ان صديقك شاعر مسيو رواش . (رفع عصام عينيه – وتلاقى معها) السلالي باشا ... فى ركنه البعيد كح كحة عصبية . نادى عليها . ذهبت اليه .

قال عصام

– لقد تحدد الموقف يا رواش

– اى موقف هذا الذي تحدد

(غضب عصام من برود صاحبه)

وكان الباشا فى الركن يقف تجاه تاسياويتدفق معها فى كلام ما . كان يملأ المكان . كانت نظارته سميكة ... وبدت عيونه كأنها مسلحة . اى نظرة فيها كانت متسلطة وهادفة . أى اتجاه منها كان يذهب الى حيث يريد بالتحديد .

حاول عصام ورواش ان يفهما حديث الباشا المتدفق بالفرنسية . ادركا انه يطلب منها كاسا خاصة من الخمر . كان يشرح لها النسب التى تتكون منها الكاس . كان يشير باصابعه محددا كل كمية على حدة . كانت اصابعه طويلة تتحرك برشاقة وبطء كأنها ديدان . وكان هو نفسه يتحرك برقة وحرية – حتى اصبحت المرأة فى متناوله تماما ، وكانت هي‌نفسها كأنها استسلمت له .... ولكنه برقة ايضا تحاشى ذلك . وعادت تاسيا بسرعة الى البار . سحبت بعض الزجاجات . اضافت من بعضها الى بعض . فى اول الامر كان المشروب فى الكاس فى حمرة العقيق ، ثم اضافت اليه من جديد فاصبح كعصير القصب الطازج .ثم اضافت اليه شيئا كأنه البهارات او التوابل .

– قال الباشا وهو يتذوقه

– برافو .... برافو ...

قالت

ـ لا احد ياصاحب السعادة يستطيع ان يعد لك هذا المشروب سواي . ضحك الباشا وقبلها على جبينها برقة .

وشعر عصام كانه يلقى بـه بعيدا على ساحل البحر ، والبحر اسود ، لا يعطيه شيئا

ـ مالـك .

ـ (عاد عصام ـ لكنه ظل غير متحد بما حوله) لا شيء .

ـ تبدو متعبـا .

ـ دوار مفاجيء اصابني

وقام عصام ، وسأل الجرسون .

ـ اين دورة المياه

واشار الرجل الى الركن الذي يجلس فيه الباشا .

ـ في هذا الاتجاه على الشمال .

وكانت تاسيا تقف على البار حاملة وجهها بين كفيها . وكانت حزينة . قبـل ان يتحرك عصام ... رأى وجهها كانه يغرب . كانت الان في وضع لا يراها فيه الباشا . يبدو ان حزنها كان عميقا . سمع صوت رواش .

ـ هل اتى معـك ؟

ـ لا ...

واذا به ينثني نحو تاسيا على غير توقع منه او من اى احد آخر . فوجئت المرأة به . عادت من استغراقها البعيد . لم تتكلم ولكنها كانت كانها تقول شعرا . لما همس عصام بكلمة لـم تدركها ابتسمت ، وظلت ابتسامتها حزينة.... قال عصام كلمات اخرى . كان يحدق فيها . كانت كلماته منغمة كتعاويذ السحرة . قالت المرأة اخيرا .

ـ توجد دورة مياه خاصة داخل البار .

تعال .

ولكن كل شيء ـ في هذه اللحظة بالذات ـ كان قد تكدس وتكشف .

الباشا هرع الى البار وبقايا كاسه في يده .

ـ مدام تاسيا ، اعدى كاسا اخرى .

وفي نفس الوقت ـ على باب الركن الصغير لفرنسا كان زائر جديد واقفا يرقب المحل بتمعن ... وكان رواش ايضا واقفا .

★ ★ ★

النور الاحمر الداكن على مدخل المحل . لم يبين ملامح الرجل الواقف . ومع ذلـك فكل واحد منهم قدر من هو . وفي هـذه اللحظة الطلقة ـ لتقدير الشخص العام وحصره في اطار شخص معين ، تلمع الاحلام في خواطرهـم . السلالي باشا ظنه سائقه معدور

بينما رواش صاح ... طلبة ... طلبة ...

بينما الجرسون العجوز تحرك بقلق بين ارجاء الركن ، لا يستقر . واختفت تاسيا ، كأن الارض انشقت وابتلعتها .

ولكن عصام كان قد واجه الباشا

ـ فلينته كل شيء الان .

ـ طلبة ، افعل شيئا .

ـ الحقني يا معدور . سيقتلني .

ـ لا بد ان ينتهي كل شيء الان .

ـ معدور الا ترى انه يقتلني اطلق عليـه الرصاص

ـ (لاح بينهم مسدس ... انطلق بلا صوت)

ـ طلقة اخرى ايها الابله .

ـ طلبة ... الا تحاول شيئا لانقاذ الموقف ؟

ـ سينتهي كل شيء الان .

ـ قدرت انكم هنا . وان هذا كله سيحدث .

ـ ليس هذا وقته . لقد انبثق الدم من انف الباشا .

ـ لم يمت بعد ..

ـ البحر راح . كل الانفتاح انغلق .

ـ بل انه طريق بلا نهاية .

ـ بل انها نهاية بلا طريق .

ـ ليس ثمة شيء الان بذي جدوى .

ـ اطفئوا الانوار .

ـ اطفئوا الانوار .

ـ من بين شيش الشباك نرى شيئا .

ـ فرجات الشيش

ـ نبص فيها

نلاقي وما نلاقيش .

ـ لا بد زى السواقى .

ان كنا عايزين نلاقي .

ـ نملا ونصب بره .

ـ في الغيط .

ونصب .

ونحب .

والميه تبقى مرة .

■■

عباس احمد

تحامل الغرب على العرب

● قرأت في العدد الممتاز من مجلة العربي لشهر كانون الثاني ١٩٧٩ تعليقات الدكتور فؤاد زكريا على كتاب (محاولة لفهم العقل العربي) لمؤلفه (جون لافن) وتفنيده الطيب لما جاء في هذا الكتاب من تحامل مغرض على العرب والمسلمين ، وقد سبق لي ان قرأت مقالا للاستاذ محيي الدين صبحي في مجلة (الحياة اللندنية) لصاحبها سمير شيشكلي مجلة ١ عدد ٢ لشهر ايلول ١٩٧٨ بعنوان (نحو ازالة تحامل الغرب على العرب) ، وقد تطرق الكاتب الفاضل الى ما جاء في كتابين كتبهما اليهودي رفائيل باتاي وهما (العقل العربي) و (العقل اليهودي) حاول فيهما هذا المؤلف ان يصور قومه اليهود على انهم جزء من الحضارة الغربية وبالتالي فهم حملتها والمدافعون عنها ، ووصف العرب بانهم امابديوية متخلفة جامدة تقليدية غبية متعصبة عدوانية ، وانهم معادون للغرب بفطرتهم وبطبيعة تكوينهم . وبالنسبة للثقافة فان الثقافة الغربية تعتبر كل جديد افضل من كل قديم ، وان التغيير في حد ذاته يعتبر حسنا لديها ، اما الثقافة العربية المرتبطة بالتقاليد فتعتبر القديم افضل من الجديد وبالتالي فان المحافظة على النظام القائم تعتبر فضيلة (كذا) .

واذا ما عدت الى تعليقات الدكتور فؤاد زكريا اقول بانني قد قرأت كتاب (جون لافن) وانا اعالج في احدى مستشفيات لندن ولم اتمالك بعد ان انتهيت منه من صب اللعنات على العالم الغربي الجاحد الذي يتقبل مثل هذه الافتراءات عن العرب وفيه عدد كبير من المثقفين والمستشرقين الذين درسوا تاريخ العرب وتعرفوا على فضلهم على الحضارة الغربية اليوم . كما ان هناك كثيرين ممن زاروا البلاد البلاد العربية وعاشوا فيها ردحا من الزمن واختلطوا باهلها وعرفوا ما عند العرب من فضائل اخلاقية موروثة لم تتبدل رغم المصائب والنكبات التي اصابتهم .

انني في الوقت الذي اقدر فيه حق التقدير تعليقات الدكتور فؤاد على كتاب (جون لافن) كنت اتمنى لو كان هذا المقال باللغة الانكليزية ليطلع عليه الغربيون ليتبينوا ما فيه من دس رخيص وتحامل وافتراء على الحقيقة وخروج عن الموضوعية التي يحاول بواسطتها المؤلف الاساءة الى العرب لاغراض شخصية او بدوافع سياسية او لكسب منافع مادية من رواج كتابه في اسواق الكتب المثيرة للعداء بين الشعوب والامم .

ان (جون لافن) و (رفائيل باتاي) ليسا وحدهما في هذا المضمار ، بل يتابعهما في ذلك مؤلفون اخرون هم الذين يشكلون التكوين الثقافي لرجال الاعلام الغربي فينشأ الغربيون ولديهم فكرة مغلوطة وثابتة ضد العرب . وليس من حل لهذه المشكلة التي تحول دون تفاهم الغرب مع العرب الا باعادة تثقيف العالم الغربي عن طريق كتب يضعها اساتذة من العرب مؤمنون بعروبتهم وعدالة قضيتهم باللغة التي يقرؤها الغربيون .

شريف يوسف
العنوان في بغداد
محلة نجيب باشا ـ شارع الحريري ٢٣/٥ ـ ٢٧

● قرأت في العدد ٢٤٢ لعام ١٩٧٩ في باب «كتاب الشهر» نقد الدكتور فؤاد زكريا لكتاب « العقل العربي تحت الفحص » للمؤلف الانجليزي المتعصب

حوار القراء

«جون لافن» ويطيب لي ان ابعث للدكتور زكريا عبر مجلتنا الرضية الهادفة باطيب التحيات والتقدير لملاحظاته القيمة العميقة ٠

وبالمناسبة هل تعلمون ماذا يفعل اليهود في مثل هذه الحالة ؟ انهم يسارعون دون ابطاء بواسطة المتخصصين منهم لهذه الغاية وبمساعدة مؤسساتهم المالية الغنية الى جمع نسخ الكتاب بابتياعها من المكتبات مهما غلا سعرها واتلافها حتى لايطلع عليها احد ! ثم من يدرينا انهم هم قد اشتروا هذا المؤلف وحملوه على تاليف كتابه للتشهير بنا والحط من شاننا سيما واننا لانجهل اساليبهم الخبيثة في سبيل كسب قضيتهم على جميع المستويات والظهور بمظهر المتفوقين علينا في جميع المجالات «فاين مؤسساتنا واين اثرياؤنا — وهم كثر — يبددون الاموال بلا حساب على الترف والكماليات للتصدي لهذا العمل الجليل ؟

ان القضايا القومية تحتاج الى نضج وتضحية لكسب الرأى العام العالمي ومجابهة عدونا المثقف الشرس ، وكفانا دعايات للاستهلاك المحلي فقط ، فالدعاية المفيدة والفعالة مكانها الصحيح المنبر الدولي ٠

واسمحوا لي ، بهذه المناسبة ، ان اقترح تاليف لجنة قومية على مستوى الوطن العربي من كبار مثقفينا ووضع كل الامكانات تحت تصرفها تكون مهمتها الاطلاع على كل ما يكتب عن العرب للاجابة عليه وتفنيده ٠ والله من وراء القصد ٠

دمشق — معدى هنيدى

ازمة الديمقراطية في العالم العربي

● ان ازمة الديمقراطية في عالمنا العربي ، تتمثل في ان حياة المجتمعات العربية سياسيا ودستوريا من حيث الواقع والعمل ، اصبحت بعيدة عن جوهر التعبيرات والاشكال الدستورية القائمة ، بصورة تفتح الباب الى فقدان الاستقرار المطلوب للتنمية والتطوير ٠

وقد عبر المرحوم الاستاذ عبدالرحمن الرافعي اصدق تعبير عن هذه الازمة بقوله : (من الحق ان نلاحظ الفارق الكبير بين نصيبنا من النظم الديمقراطية ، ونصيب كثير من البلدان التي سبقتنا اليها ، فالديمقراطية عندنا — والمراد منها حكم الشعب بواسطة الشعب ولصالح الشعب — تتعثر في سيرها ، ولايتجاوز نصيبنا منها بعض الظواهر التي تخفي وراءها اوضاعا ومعاني من الاستبداد والحكم المطلق) ٠

ولا شك ان اهم مظاهر هذه الازمة يرجع الى عدم قدرة المؤسسات النيابية على التمثيل الشعبي بكفاءة وفاعلية وعدم القيام بوظائفها التشريعية ، علاوة على التدخل الاداري المباشر او المقنع في تزييف الانتخابات البرلمانية ٠

عمرو عبدالمنعم

مصر ٠

العروبة في مصر

● قرات مقال الاستاذ اكرم زعيتر في عدد (مارس) ١٩٧٩

وقد بعث السكينة في قلبي وكان كالغيث في وقت الجفاف ٠

ففي هذا الوقت تنطلق الاقلام الرخيصة لاستغلال الخلافات السياسية بين الاشقاء العرب في محاولة لهدم الكيان العربي الذي يقف حائلا امام الاطماع الاستعمارية وذلك باطلاق الافكار المسمومة لتشويه صورة مصر والنيل من عروبتها ونزع جذور الانتماء الذي يحسه كل فرد مصري تجاه وطننا الام ٠٠ عالمنا العربي ٠

ومجلة العربي بتقديمها لمثل هذه المقالات انما تؤدي التزاماتها الكاملة نحو العروبة ٠

عبدالرحمن كامل

بلبيس — شرقية ٠

مجلة العـربى في الارض المحتلة

● مجلة العربي تتسلل الينا في الضفة الغربية والقطاع ولكنها تباع بخمسة اضعاف السعر الرسمي المنشور . وانا اعلم علم اليقين ان هذا الغلاء من صنع الموزعين وليس من صنعكم انتم ولكن الا توجد لديكم طريقة تخفف من جشع هؤلاء ؟

كمال محمود متولى
فلسطين المحتلة

اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة

● قرأت بكل شغف واهتمام المقال الذي قدمه الاستاذ قسطنطين تيودورى عن « اللغة العربية تأثرها بلغات الامم وتأثيرها في اللغات عبر القرون» ذلك المقال الذي نشر في العدد ٢٤٠ من مجلة العربي .

ولما لم يبين الكاتب في مقاله الاصول الاجنبية للكلمات التي اوردها باللغة العربية ونظرا لاهمية هذا الموضوع اللغوى فانني اتمنى ان يفعل ذلك، فينشر الكلمات المستعملة باللغة العربية مقابل الكلمات الاجنبية المأخوذة عنها مع التوسع بالشرح وابراز الامثلة.

المحامى لبيب عبده جوا
لبنان

الاطباق الطائرة بين الحقيقة والوهم

● في العدد رقم ٢٤٣ كتب الاستاذ مجدى نصيف مقالة عن عودة الاطباق الطائرة وخلاصة ما توصل اليه: ان هذه الاطباق خدعة تتحمل مسؤوليتها المخابرات الامريكية .

والحقيقة أن رؤية الاطباق الطائرة ليست وليدة يومنا هذا فهناك مقالات عنها في مجلة ريدرز دايجست في الاعـداد التي تلت الحرب الكونية الثانية . وفي هذه الاعداد ما يدلنا عند ربطه فكريا بالمعلومات المستجدة ان هناك شيئا ما وليس الامر مجرد وهم . واذكر مما أورده احد هذه الاعداد لمجلة ريدرز دايجست ان طبقا فضائيا قد تحطم فوق الغابات السودانية ووجود شكلين متفحمين قزمين بالقرب من الحطام .

ويذكر المقال ايضا اقتراب الصحون الطائرة من الغلاف الجوى لكوكب الارض عند نشوب حروب كبرى فيذكر مشاهده الناس لها في فترتي الحرب الكونية الاولى والثانية .

واذا نظرنا الى الموضوع من الزاوية العلمية البحتة فكل المزاعم الماضية واللاحقة مقبولة . فرمال الصحراء مكان مناسب لما يدعى بالهبوط (اللين) اى الهبوط مع اقل قدر ممكن من الارتطام . واغصان الاشجار في الغابات تخفف من شدة الارتطام ايضا.. هذا في الماضي اما في الحاضر فكل الروايات تتحدث عن هبوط اطباق في اماكن يكسوها الثلج كبولندا ... او اماكن تكسوها الرمال في امريكا والكويت ودول الخليج ونحن نعلم ان الروس كانوا يعيدون مراكبهم الفضائية الى المناطق المكسوة بطبقة كثيفة من الثلج لتؤمن اقل صدمة ممكنة حين الارتطام .

صلاح عثمان

وادى الاردن يناديكم

● ان وادى الاردن من المناطق التي تعتمد عليها المملكة الاردنية في انتاجها الزراعي والانجازات التي تمت هناك قمينة ان تنشر العربي عنها استطلاعا ، فهلا فعلتم ، خصوصا وانكم لم تستطلعوا الاردن منذ مدة .

السلط / الاردن
محمد عناسوه

دبلوماسية الوفاق

الدول الصغرى دفعت الثمن والكبار قبضوه !

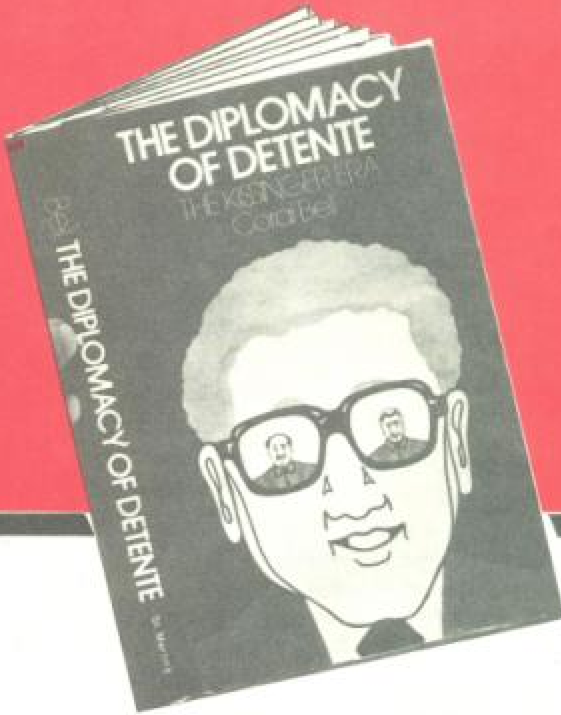
تأليف : كورال بل — عرض وتحليل : ياسر الفهد

على الرغم من ان سياسة الوفاق الدولي قد ابعدت عن البشرية شبح التهديد بحرب نووية مدمرة لاتبقي ولاتذر فان منعكسات هذه السياسة على مصالح الدول الصغيرة ، ومنها الدول العربية ، لم تكن طيبة فقد دفعت هذه الدول ثمن سعادة الدول الكبرى وطمأنينتها من جيبها الخاص .

في كل عصر من عصور الزمان ، بوجه عام ، وفي عصرنا الحاضر ، بوجه خاص ، لايمكن القول بأن مايجرى بين الدول الكبرى يخصها وحدها ، وان العلاقات القائمة بينها تعنيها دون غيرها . فسياسات هذه الدول واستراتيجياتها تترك مياسمها على أقدار الدول الصغيرة ومصائرها وتطبع بصماتها على مصالحها بدرجات متفاوتة . فبعضها يخضع لهذه الدولة الكبرى أو تلك خضوعا تاما مستكينا ويقف منها موقف العميل الذي يدور في فلك سيده ويمتثل لكل رغباته ، وبعضها الآخر يتأثر بها تأثرا محدودا . ويصعب التصور أن هناك اي دولة صغيرة تستطيع الادعاء بأنها لاتأبه لنفوذ الدول الكبرى ولا تقيم له وزنا . وفي الماضي البعيد لم يكن هذا النفوذ يمثل قوته اليوم . فقد برز الآن بالاضافة الى التفوق الكمي تفوق نوعي هائل تمتاز به الدول الكبرى ويتجلى في التقدم العلمي والتكنولوجي وتطور الأسلحة النووية . صحيح ان كثيرا من الدول الصغرى تملك البترول والمعادن والمواد الخام بأنواعها الا انها لم تحشد امكانياتها وتلم صفوفها بعد بدرجة تكفي لمواجهة سيطرة الدول الكبرى وهيمنتها عليها . وبالنسبة للدول العربية وهي دول صغيرة نامية فان لسياسات امريكا والاتحاد السوفياتي انعكاسات كبيرة جدا على مصالحها . وقد دخلت هذه السياسات منذ بواكير عام ١٩٦٩ منعطفا جديدا يتمثل بدبلوماسية الوفاق أو الانفراج الدولي التي ألقت بظلها الثقيل على الاوضاع العربية فأخذت هذه الأوضاع تزداد سوءا على سوء بصورة لم يسبق لها مثيل حتى وصلت الى ماهي عليه اليوم .

سياسة الوفاق

ان معظم الكتب التي تتصدى لموضوع الوفاق الدولي تتناول العلاقات الامريكية ـ السوفييتية وتأثيراتها في مشكلة الحد من التسلح وقضايا اوروبا الغربية ، وقليل منها يتصدى للوفاق بين أمريكا والصين ومايستجره من عواقب على اليابان ، ولكن كتاب (دبلوماسية الانفراج



الدولي) الذي نحن بصدد عرضه وتحليله يبحث في سياسة الوفاق ليس بين امريكا والاتحاد السوفياتي فحسب وانما ايضا بين امريكا والصين. ولهذا مايبرره فالوفاق يمثل استراتيجية دبلوماسية للتوازن الثلاثي للقوى الكبرى (لا الثنائي) . ومؤلف الكتاب هو البروفسور كورال بل ، الاستاذ السابق لمادة العلاقات الدولية في جامعة سسكس ، وعضو البحوث الحالي في الجامعة الوطنية الاستراتيجية في كانبيرا .

ومن مؤلفاته السابقة : دراسة في شؤون السلطة (١٩٦٢) ، اوروبا بدون بريطانيا (١٩٦٣) ، الحلف القابل للجدل (١٩٦٥) نقاليد الازمات (١٩٧١) ، واخيرا الكتاب الذى بين ايدينا . وقد استقى مادة هذا الكتاب من مقابلات اجراها في واشنطن ولندن مستعينا بالمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن، وبمركز وودرو ولسون الدولي للمفكرين في واشنطن .

يبدأ المؤلف بتقديم لمحات تاريخية عن العلاقات الدولية ، فبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وانقشعت عن البشرية غيوم حرب ساخنة رهيبة أطلت عليها حرب اخرى من نوع جديد هي الحرب الباردة .. أى سياسة حرب المعارك الدبلوماسية والعراك السياسى وتصعيد التوتر الدولي حتى يصل الى حافة الحرب النووية الساخنة . وقد حبك حبكة هذه السياسة جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية السابق . وكثيرا ماوضعت هذه السياسة العالم على شفير الهاوية وتخوم الهلاك. ومع اطلالة عام ١٩٦٩ غربت بصورة رسمية شمس الحرب الباردة وهلت على العالم سياسة جديدة هي سياسة الانفراج او الوفاق الدولي التي حاك خيوطها ونسج خطتها الاساسية هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية السابق ، وقوام هذه السياسة تخفيف التوتر الدولي وعمادها الابتعاد عن حافة الحرب الساخنة بين الدول الكبرى (وهذا لايعني استبعاد الحروب السريعة بين الحين والاخر بين الدول الصغيرة

وذلك مراعاة لمصالح صناعات الأسلحة !) .

ولكن سياسة الوفاق لم تولد بضربة كف ، بل ان بذورها الأولى زرعت في عهد ونستون تشرشل ، رئيس الوزراء البريطاني السابق الذي سعى الى تحقيق نوع من الانفراج في العلاقات بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي في عام ١٩٥٥ . وبعد موت ستالين بدأ مالكتوف يبدي ردود فعل ايجابية تجاه هذه السياسة . ومع مجيء خروتشوف بلغت القناعة داخل الاتحاد السوفاتي بجدوى الوفاق ذروة جديدة فقد شعر رئيس الوزراء السوفييتي الجديد ان الصين حليف غير مناسب قد يدفع بالاتحاد السوفياتي الى مزالق حرب نووية هو الخاسر فيها فاوقف مساعداته النووية عنها وشد الرحال ميمما شطر امريكا مبشرا بالانفراج السياسي ولكن حتى ذلك الوقت كانت دبلوماسية الحرب الباردة من الوجهة الرسمية هي السائدة .

في مهب الريح

وعندما اعتلى بريجنيف سدة الحكم كان كيسنجر في امريكا قد اتم حياكة الخطوط الرئيسية لسياسة الوفاق الرسمية . ومن هنا يتبين ان الملامح الأولى للانفراج رسمت في عهد تشرشل ثم تطورت بعد ذلك حتى بلغت اوجها الذهبي على يد كيسنجر الذي انطلق في حماسه لها من كراهيته الشديدة لقومية نابليون وهتلر وروحهما العسكرية وتقوم خطته على اساس المصالحة مع الاتحاد السوفياتي من جانب ومع الصين من جانب آخر . وتكتسب دبلوماسية الوفاق الامريكي مع الصين مغزى خاصا لان العداء والتوتر كانا اكثر حدة واستحكاما بين امريكا والصين منه بين امريكا والاتحاد السوفياتي .

ودبلوماسية الوفاق ليست دبلوماسية ثابتة قابلة للاستمرار الى الابد فهي معرضة للسقوط مع هبوب رياح تغير المعادلات والمصالح الدولية ، وان كان من المتوقع ان تستمر الآن لبضع سنوات قادمة . ونستطيع اجمال الثغرات الرئيسية في الوفاق الحالي بين الدول الكبرى بما يلي .

في كل دولة من دول الوفاق الثلاث متطرفون يتحينون الفرص للانقضاض عليه واستبداله باتجاه آخر متطرف يتناغم مع اهدافهم وقناعاتهم.

ـ انه لا يسري بين الصين والاتحاد السوفياتي، حلفاء الامس . فالصين ترى في الاتحاد السوفياتي عدوا لدودا لا يشق له غبار ويشكل خطرا عليها يفوق خطر الولايات المتحدة . كما ان الاتحاد السوفياتي بدوره يتوجس شرا من نوايا الصين. وهذه الثغرة بمثابة قنبلة موقوتة تهدد بنسف سياسة الوفاق برمتها .

ـ انه لم يستطع ان يمنع نشوب حروب صغيرة هنا وهناك بين فترة وفترة .

ـ انه اخذ في الحسبان مصالح الدول الكبرى فحسب دون مصالح الدول الصغرى .

ـ انه الآن يحقق فوائد للاطراف الضالعة فيه . فاذا مالاحت في الافق بوادر تبين لاى طرف من هذه الاطراف في يوم ما ان الوفاق لم يعد يخدم مصالحه ويحقق اغراضه فان اغلب الظن انه سيقلب له ظهر المجن ويخرج عليه مفضلا الارتداد الى سياسة الحرب الباردة او انتهاج نهج سياسي آخر .

وفي الوقت الراهن يستفيد الاتحاد السوفياتي من الوفاق اقتصاديا وتجاريا وتكنولوجيا فقد انتعشت بفضله تجارته بصورة ملحوظة مع امريكا واوروبا الغربية كما فتحت امامه الفرص لاستيراد السلع والتكنولوجيا الغربية ، ومن جهة اخرى ساعده الوفاق على تقليص ميزانيته الدفاعية وسريان الدم الغزير في مشاريعه التنموية . اما الصين فانها تستفيد بتحسين وضعها الاستراتيجي . وربما تكون الولايات المتحدة اكبر المستفيدين من الوفاق فهو يدعم فعاليتها الدبلوماسية ويمنحها مرونة وقدرة اكبر على المناورة السياسية ويخفف عن كاهلها مسؤوليات السعي الدائب للحفاظ على التوازن في مختلف مناطق العالم .

الشرق الاوسط

يثير المؤلف في كتابه مسالة هامة تتعلق بمدى تاثير الوفاق، في اثناء الازمات والاحداث العصيبة، في الدول الكبرى والدول الصغرى التابعة لها . والجواب الذي يقدمه من ذلك هو ان مصالح الدول الصغرى توضع على الرف ويضحى بها قرابين على مذبح الوفاق . ويسوق (بل) مثالا على ذلك حرب

تشرين التي ذرت قرنها بين مصر وسورية من جهة واسرائيل من جهة أخرى في عام ١٩٧٣ . ففي هذه الحرب تعرض الوفاق لمحنة عصيبة وتجربة خطيرة، ولكنه خرج في النهاية مكللا بالنصر بعد ان نجحت امريكا في اقناع الاتحاد السوفياتي بالضغط على العرب لنقل الصراع من أرض المعركة الى مائدة المفاوضات ، فقام هذا بدوره بافهام العرب بصورة ضمنية غير مباشرة بانه غير مستعد لدعمها عسكريا على نطاق واسع لئلا يعرض ذلك وفاقه مع امريكا للخطر . وقد حدا هذا الموقف بالعرب الى تلمس خطى التسوية السياسية كبديل عن الصراع العسكري . فكان ماكان من اتفاقيات الفصل التي حظيت بموافقة ضمنية من السوفييت رغم معارضتهم العلنية لها (وكانت هذه المعارضة للاستهلاك الداخلي العربي) . ويقول (بل)ان امريكا وحدها مؤهلة للضغط على اسرائيل لانتزاع تنازلات اقليمية منها لصالح العرب . والاتحاد السوفياتي وحده ايضا يستطيع – من حيث المبدأ – أن يضغط على امريكا لحملها على الضغط بدورها على اسرائيل من أجل تسوية عادلة . ولكن الاتحاد السوفياتي يصعب عليه القيام بهذا الدور في ظل سياسة الوفاق ، مما يجعل الخيار الوحيد المتبقي أمام العرب التوجه نحو امريكا حتى تتخذ سياسة متوازنة في الشرق الأوسط (ولكننا نرى ان العرب اذا احسنوا استغلال طاقاتهم الهائلة ووحدوا صفوفهم – وهذا يبدو في الوقت الحاضر املا بعيد المنال للاسف الشديد فسيكون بوسعهم وحدهم الضغط مباشرة على اسرائيل وانتزاع حقوقهم من اشداقها انتزاعا) .

ويمضي المؤلف الى ان كيسنجر استطاع اقناع بعض العرب بان امريكا هي معقد املهم وموئل رجائهم الوحيد وذلك بفضل سياسته الليئة المحنكة فهو دائما يحمل في يديه اقداح الشهد ويلوح بغصن الزيتون لا بالعصا ... فيلوح لاطراف النزاع بالمكاسب والاغراءات : انه يتحدث عن سحب القوات الاسرائيلية من الأراضي المحتلة اغواء للعرب وعن منح اسرائيل مزايا اقتصادية وامنية حتى يغريها بالدخول في شبكة التسوية كما يبشر بجماعة امدادات البترول وفتح قناة السويس ... الخ ، وهكذا انساق بعض العرب الى احاديث كيسنجر الساحرة واخذتهم روعة وعوده .

واذا كانت حرب تشرين قد اظهرت كيف تتفق الدول الكبرى على حساب الدول الصغرى فان المؤلف يبين ان هذه الحرب انطوت على بعض المكاسب بالنسبة للعرب الذين تعلموا – رغم أن الغرب استطاع تجنب حظر بترولي كامل – كيف يستخدمون سلاح النفط سياسيا واقتصاديا وكيف يرفعون اسعاره بعد ان كان ذلك لايخرج عن النطاق النظري . والنتائج الاساسية التي يخلص اليها المؤلف بشأن المنعكسات الشرق اوسطية لسياسة الوفاق هي : (آ) أن الوفاق تم على حساب المصلحة العربية (ب) التحالف العربي – السوفييتي في ظل سياسة الوفاق أصبح في صالح الاتحاد السوفياتي اكثر منه في صالح العرب، لان السوفييت ينالون في هذا التحالف مايبغون في حين لايحظى العرب منهم بمقابل على مايريدون بسبب الالتزامات السوفييتية تجاه الولايات المتحدة (جـ) ازدياد النفوذ الامريكي وتقلص النفوذ السوفياتي . (ونعتقد أن التراجع السوفييتي في الشرق الأوسط ليس بدون ثمن فقد قبض الاتحاد السوفياتي ثمنه في صفقات امريكية – سوفييتية وفرت له مكاسب اقتصادية وتجارية هامة فضلا عن المكاسب السياسية في مناطق اخرى من العالم . ولكن هذا في رأينا يجب الايدفع العرب الى قطع الصلات مع الاتحاد السوفياتي نهائيا فسياسة الوفاق لن تدوم الى الأبد، ومن الاجدى ابقاء الجسور مفتوحة والعلاقات قائمة ولكن على اساس التعامل بالمثل اي عدم اعطاء الاتحاد السوفياتي اكثر مما يعطيه للعرب . فالسياسة المثلى التي يجدر بالعرب انتهاجها تجاه الدول الكبرى جميعها ، وليس الاتحاد السوفياتي فحسب ، هي سياسة التعاون على اساس خدمة المصلحة العربية) .

في قبرص وآسيا

ويتعرض الكتاب ايضا للمنعكسات القبرصية لسياسة الوفاق وهي على عكس مايتوقع الكثيرون منعكسات سلبية لا ايجابية فقد كان من السهل كبح جماح الصراع بين اليونان وتركيا ونزع الفتيل عنه في سنوات الحرب الباردة بسبب شعور الدول الضالعة بالأزمة مثل قبرص واليونان وتركيا بالخطر وبالحاجة الى تضييق شقة الخلاف فيما بينها

والى الاتحاد تحت المظلة الاطلسية امام العدو المشترك . ولكن هذا اصبح أصعب بعد تحقق الانفراج الدولي فقد خف الشعور بالتهديد وبالحاجة الى التعاضد واصبحت الدول المذكورة تستطيع تحدي بعضها بعضا دون مخافة العدو بل ان بامكانها الاستعانة بتفوق هذا العدو لممارسة الضغط ، الواحدة منها على الأخرى .

على ان اهم ما تمخضت عنه سياسة الوفاق بالنسبة لجنوب شرقي اسيا التراجع الامريكي في هذه المنطقة لحساب الاتحاد السوفياتي (ونعتقد ان هذا جزء من الثمن الذى قبضه الاتحاد السوفياتي لقاء تراجعه في الشرق الأوسط والخاسر الوحيد في النتيجة هو العرب) ومن النتائج الاخرى اذكاء حدة الصراع بين الصين والاتحاد السوفياتي (وهذا دليل على مدى استفادة امريكا من الوفاق) فقد ولد الانسحاب الامريكي فراغا في منطقة جنوب شرقي اسيا مما ادى الى اشتداد التنافس بين الصين والاتحاد السوفييتي لملء هذا الفراغ (ونستطيع ان نلمس آثار ذلك في الأحداث الأخيرة التي شقت مجراها في المنطقة كالغزو الفييتنامي لكمبوديا والغزو الصيني لفييتنام) .

واوروبا بشطريها الغربي والشرقي ، لا تبدو سعيدة بدبلوماسية الوفاق لأنها اكتسبت شخصيتها الحالية ونظمها الامنية (كحلف الأطلسي وحلف وارسو) في اثناء الحرب الباردة . وقد اضحى الحلفان المذكوران مزعزعين الان ومعرضين للزوال بسبب قلة الحاجة لهما بعد الانفراج ولانهما صمما في الأساس لمواجهة ظروف الحرب الباردة . ومن النتائج الاخرى لسياسة الانفراج توتر العلاقات الاوروبية ـ الامريكية . فقد كان هناك دائما حتى خلال الحرب الباردة تناقض بين مستلزمات الامن الامريكي والشخصية الاوروبية الغربية المستقلة وهذا التناقض أثر في العلاقات الأطلسية ، والشيء نفسه ينطبق على العلاقة بين الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية والعلاقات الوارسية . وبعد سريان الوفاق ازداد التناقض حدة . ومن جهة اخرى فقد كان هناك دائما عدو مشترك لاوروبا الغربية وامريكا هو الاتحاد السوفياتي وكذلك عدو مشترك للاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية هو امريكا مما كان يدفع كل طرفين الى لم الشعث والتضامن في وجه الطرف الثالث وبعد الوفاق زال هذا العامل ووهن الرباط في الصفوف الأطلسية والوارسية .

مستقبل سياسة الوفاق

ان أى دبلوماسية دولية هي حتما دبلوماسية مرحلية تدوم لفترة من الزمن قد تطول او تقصر ، وهذا ينطبق بالطبع على دبلوماسية الوفاق . ولا شك ان انهيار هذه الدبلوماسية سوف يقرب العالم من حافة الدمار النووي .

يبقى سؤال اخير هو : ما موقفنا نحن من سياسة الوفاق .. هل علينا ان نشجعها من اجل صالح البشرية ام ان نتمنى زوالها من اجل صالحنا ؟

من الصعب جدا الاجابة عن هذا التساؤل بجواب واحد محدد . فمن غير المعقول ان يصفق العرب لسياسة الوفاق ويهللوا لها وهم اوائل ضحاياها ولكن من غير المنطقي ايضا ان يستبشروا خيرا بالعودة الى سياسة الحرب الباردة التي قد تدفع البشرية الى شفا حرب ذرية هوجاء تحرق الاخضر واليابس وتبيد الحضارة الانسانية عن بكرة ابيها . وفي هذه الحالة لن تكون الدول الكبرى وحدها ضحية مثل هذه الحرب بل ان الوبال سيلحق بالدول الصغرى ايضا ومنها الدول العربية . فركوب وعثاء الحرب النووية ليس بالأمر اليسير الذى يمكن المراهنة عليه . ومن جهة اخرى فان الحرب الباردة تغري الدول الكبرى باستخدام الدول الصغرى أدوات لها . والشيء الذي يجدر بالعرب ان يتمنوه هو استمرار دبلوماسية الوفاق الدولي دون أن يكون ذلك على حساب المصلحة العربية . وهذا لايتأتى لهم الا اذا استخدموا ثرواتهم البترولية والمعدنية والغذائية والمالية بطريقة تجعل من الصعب على الدول الكبرى الاستهانة بهم وحل قضاياها على حسابهم . فالحل عربي لادولي . واذا بقي العرب على ماهم عليه من تشتت وتخلف فان اوضاعهم ستستمر سيئة وحقوقهم مهدورة سواء اسادت دبلوماسية الوفاق ام الحرب الباردة وسواء حل السلام وخيم الوئام على العالم أو أطل شبح الحرب وانشب أظفاره بين الدول . ■■

دمشق ـ **ياسر الفهد**

● كتب جديدة ●

أدب الطّف

أو شعر الحسين عليه السلام

من القرن الاول الهجرى حتى القرن الرابع عشر

الجزءان الخامس والسادس ، تاليف الاستاذ البحاثة جواد شبر (دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع)

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

طلع علينا الجزءان الخامس والسادس من موسوعةادب الطف الممتازة، ويضم جزؤها الخامس ثمانية وستين شاعرا من شعراء القرن العاشر والحادى عشر والثاني عشر ، ويحتوي السادس على واحد وخمسين شاعرا من شعراء القرن الثاني عشر والنصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري، وبذلك تكون الموسوعة قد احتضنت حتى الآن مائتين وثلاثةوسبعين شاعرا وانه لعمرى لعدد ضخم ونحن على موعد ولقاء مع شعراء آخرين من القرن الثالث عشر في الجزء السابع المقبل •

وادب الطف لون خاص من الوان الادب العربي لا اعتقد أن التاريخ قد نسيه او تناساه ـ كما يقول المؤلف الفاضل ـ بل هو ملء القلب والنفس والروح • و (الطف) على ما يروى صاحب اللسان : ساحل البحر وفناء الدار ، والطف اسم موضع بناحية الكوفة ، وفي حديث مقتل الحسين عليه السلام : « انه يقتل بالطف ، سمي به لانه طرف البر مما يلي الفرات وكانت تجرى يومئذ قريبا منه » . (انتهى كلام ابن منظور) وعلى ذلك فان أدب الطف هو كل ما يتعلق بمقتل الحسين من شعر ونثر ، وقد انصرف الاستاذ شبر في القسم الاوفى من موسوعته الى أولئك الذين نظموا شعرا في الحسين ومأساة كربلاء والمع الماعا الى من عداهم ممن نظموا مقطعات او ابياتا عابرة ، وباعتقادي ان امثال هؤلاء يجب ان يفرد لهم فصل خاص ، وقد اشار المؤلف الى بعضهم في مقدمة الجزء الخامس ذلك لان الحسين والطف وكربلاء وعاشوراء الفاظ لها مدلولات مأساوية عميقة في لغتنا ، فقد لايكون الشخص قاصدا الرثاء وانما مشبها حالا من احواله بمأساة سبط النبي وآل بيته ، فمن ذلك مثلا قول الوزير المغربي ، وهو من شعراء القرن الخامس الهجرى وكان الحاكم قد قتل أهله بمصر ، كما جاء في معجم البلدان :

اذا كنت مشتاقا الى الطف تائقا
الى كربلا فانظر عراص المقطم
ترى من رجال المغربي عصابة
مضرجة الاوساط والصدر بالدم

وقد يصادف أن يكون صديق لك سميا للحسين أو مكنى به ويقضي نحبه ، فيضطرم اوار مأساة الحسين في مخيلتك من جديد،على نحو ما جاءفي قول

أبي جعفر الخازن يرثي أبا الحسين ابن سيمحون :

لهفي عليك ، أبا الحسين
عينا رمتك بكل عين
جرعتني غصص الجوى
وأريتني يوم الحسين

فهذان الشاعران وامثالهما ذكروا الحسين ويومه في مصائبهم لعمق انطباع المأساة في ذهن كل عربي ومسلم فما اسرع ما يتذكر احدنا الحسين عندما تلحقه مساءة او تصيبه مظلمة .

وقد تفنن الشعراء ما شاء الله لهم التفنن في ادب الطف حتى ادخلوا فيه بدائع الرقة والظرف، فقال قائلهم :

ولائم لام في اكتحالي
يوم استباحوا دم الحسين
فقلت : دعني أحق عضو
البسفيه السواد عيني

وأبعد الشعراء شوطا بل أشواطا حتى تغلغل هذا اللون من الادب في ماسينا العاطفية والغزلية واضاف الى الطف بعدا جديدا على نحو ما جاء في قول الشيخ حسين الكركي العاملي :

جودي بوصل أو بين
فاليأس احدى الراحتين
أيحل في شرع الهوى
أن تذهبي بدم الحسين ؟

او في قول محمد بن عمر النصيبي الشافعي :

حسين ، ان هجرت فلست أقوى
على الهجران من فرح الحسود
ودمعي قد جرى نهرا ولكن
عذولي في محبته (يزيد)

ولا يقل الجزءان الخامس والسادس عما سبقهما من اجزاء من حيث الجودة وحسن الاختيار ، ويقوم منهج البحث في الجزءين كما فيسائر الاجزاء على استهلال الفصل بقصيدة للشاعر تعقبها ترجمة ، وتتلو الترجمة أبيات وقصائد اخرى للمترجم له ، فانت تستمتع بالقصيدة ثم يحلو لك أن تعرف شيئا عن قائلها فيسعفك المؤلف بذلك ، ويجب أن تتذكر ان اكثر من يذكرهم من الشعراء مغمور منسي ، فليس من السهل العثور على تراجم كاملة لهم في المصادر والمظان ، فالموسوعة اذن مرجع للتراجم ممتاز .

وقد استعرضنا القصائد فوجدناها من شتى البحور والقوافي ، مزدانة بالوان البديع والمحسنات البلاغية ، ولا اخال المؤلف الدؤوب الا انه قد عانى مشقة كبيرة في تقصي أحوال القرون الثلاثة في جزئه الخامس ، ولا سيما القرن العاشر الهجري الذي انتابت فيه العراق ، موطن أدب الطف ومهده، من النكبات والمحن والاضطرابات ما نجده موضحا في كتاب (البابليات) للخطيب اليعقوبي و (سلافة العصر) للسيد علي خان المدني الذي جلا لنا وسط الصراع العسكري والسياسي أسماء نفر من شعراء الطف الذين تالقت بهم سماء النجف وكربلاء واعقبه الشيخ محمد علي بشارة النجفي بكتابه (نشوة السلافة) ليستدرك فيه أسماء من نبغوا بعد ظهور (سلافة العصر) ولولا هؤلاء المؤلفون لضاع الكثير من (أدب الطف) في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين .

وقد وضع الاستاذ في جزئه الخامس قائمتين حوت احداهما اسماء تسعة عشر شاعرا من القرن الحادي عشر وخمسة وثلاثين من القرن الثاني عشر، مع تواريخ وفياتهم .

ومن فحول شعراء هذا الجزء الشيخ علي العادلي العاملي وله رائعة في مدح الرسول الكريم يقول فيها :

سل وميض البرق ان لاح ابتساما
من يمين الجزع من أبكى الغماما ؟

ويتساءل الشاعر عن أحبته الماضين ومقامهم ، ثم يستقر به الرأي الى أنهم لا يزالون بين اضلعه فيقول :

بل همو في المنحنى من أضلعي
لا حجازا يمموها وشاما
يا وميض البرق بالله فسل
من ظباء الحي ان جرت الخياما
أحلال عندهم سفك دمي ؟
أي شرع حللوا فيه حراما ؟

والقصيدة كلها تذكرنا باسلوب مهيار الديلمي، احد مشاهير شعراء الشيعة في القرن الرابع الهجري ، بل ان لمهيار قصيدة بذات البحر والروي والانسياب الشعري الاخاذ .

والعقبة التي تجابه المؤلف الفاضل جواد شبر ، كما يشير هو في جزئه السادس كثرة شعراء الطف وصعوبة الاحاطة بهم جميعا ، لانهم « ليسوا من قطر واحد او من دين واحد ، فقد نظم في يوم الحسين المسلم وغير المسلم ... ذلك لان هدف الحسين لم يك هدفا خاصا يقتصر على طائفة دون طائفة او على امة دون امة ، بل الحسين للجميع ولكل من يتحسس بالاباء والكرامة والنخوة والشهامة» ويستشهد الاستاذ شبر بالاديب المسيحي بولس سلامة في ملحمة (عيد الغدير) حين يقول:

سيكون الدم الزكي لواءا
لشعوب تحاول استقلالا

وقد ازدان الجزء السادس بشاعر من اكابر شعراء الادب العراقي الحديث وهو كاظم الازري من اسرة الازري المعروفة في بغداد والنجف ، وكان صريحا جريئا نظم الشعر ولما يبلغ العشرين ، ولا تزال بعض ابياته حكما تتردد على السنة البغادده من مثل قوله :

وما أسفي على الدنيا ولكن
على ابل حداها غير حاد

او قوله :

وقد تاتي الخديعة من صديق
كما تاتي النصيحة من معاد

وهو في هذا قد تاثر طريقة ابي تمام والمتنبي مع أصالة وابداع يميزان شخصيته .

وتتضاعف اهمية هذا الجزء بوجود فصل عن ابن الخلفة المبدع في نوع خاص من النثر الشعري ظهر في العراق وعرف « بالبند » ، واشهر بند هو بند ابن الخلفة ، ولعل ادب الطف كان السبب في ظهور هذا الضرب من النثر المعجب الذي يندر أن نجد له نظيرا في ادب امة اخرى والى القراء نموذجا منه وهو في مدح الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد . يقول ابن الخلفة الحلي في استهلاله الغزلي للبند : « الا يا ايها اللائم في الحب ، دع اللوم عن الصب ، فلو كنت ترى الحاجبي الزج ، فويق الاعين الدعج ، او الخد الشقيقي ، او الريق الرحيقي ، او القد الرشيقي ، الذي قد شابه الغصن اعتدالا وانعطافا ... لما لمت محبا في ربى البيد من الوجد بها هام » ثم يبدي ابن الخلفة براعة في حسن الانتقال من الغزل الى المدح فيقول : « ولا اعلنت بذكر الشادن الاهيف سرا وجهارا ، مثل اعلاني بمدحي للامامين الهمامين التقيين النقيين ، الوفيين الصفيين » ثم يمضي في مدحه كاحلى ما يكون المدح وفي ثنائه كاخلص ما يكون الثناء . ورغم ضيق المجال فان الشيخ محمد رضا النحوي يجب أن يفرد من بين فطاحل هذا الجزء فقد كان بارعا في التخميس والتضمين ومصداق ذلك تضمينه لبيت سائر من ابيات المتنبي اذ يقول :

الى كم نمادي من ودادناه رقبة
وخوفا ونصفي الود من لا له ود
(ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى)
صديقا يماديه لخوف عسى يبدو
وانكد من ذا أن يبيت مصادقا
(عدوا له ما من صداقته بد)

وبعد فلا يسعني الا ان اشد على يد الاستاذ جواد شبر بكلتا يدي مهنئا ومتمنيا له النجاح والمزيد من التوفيق وسلام الله على السيد الحسين ابي الشهداء ما كر الجديدان وتعاقب الملوان .

د . صفاء خلوصي

طعم للسمك !

● علق صاحب دكان يبيع أدوات صيد السمك ، لوحا على باب دكانه كتب عليه : « طعم للسمك » ، ولاحظ احد زبائنه الخطأ فسأله : « الم ينبهك احد الى هذا الخطأ ؟» فقال التاجر: « نعم فقد دخل علي كثيرون لينبهوني ، فلم يخرج منهم احد الا وقد ابتاع شيئا » ...

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا . ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٦ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم رحالة عربي شهير ، وستجد في (٨) راسيا اسم قائد اسلامي .

الكلمات الافقية :

(١) دولة افريقية ـ الاسم الجديد لسيام .

(٢) هولندي اخترع التلسكوب ـ ذهب ـ حرفان متشابهان .

(٣) عارض زائل ـ صلح بين الرسول عليه الصلاة والسلام وقريش .

(٤) نصف كلمة (توبخ) ـ دولة افريقية ـ مقاصد مضمرة .

(٥) نسق ـ نحات فرنسي شهير وصاحب تمثال المفكر ـ حرف استفهام ـ احسان .

(٦) نصف كلمة (ارضى) ـ في فمه ـ بسيط .

(٧) تتنادم ـ عائمات .

(٨) رحالة عربي شهير .

(٩) فرح ـ من الاعشاب الطبية .

(١٠) نصف كلمة (صراع) ـ تقصير ـ يفقد الذكرى .

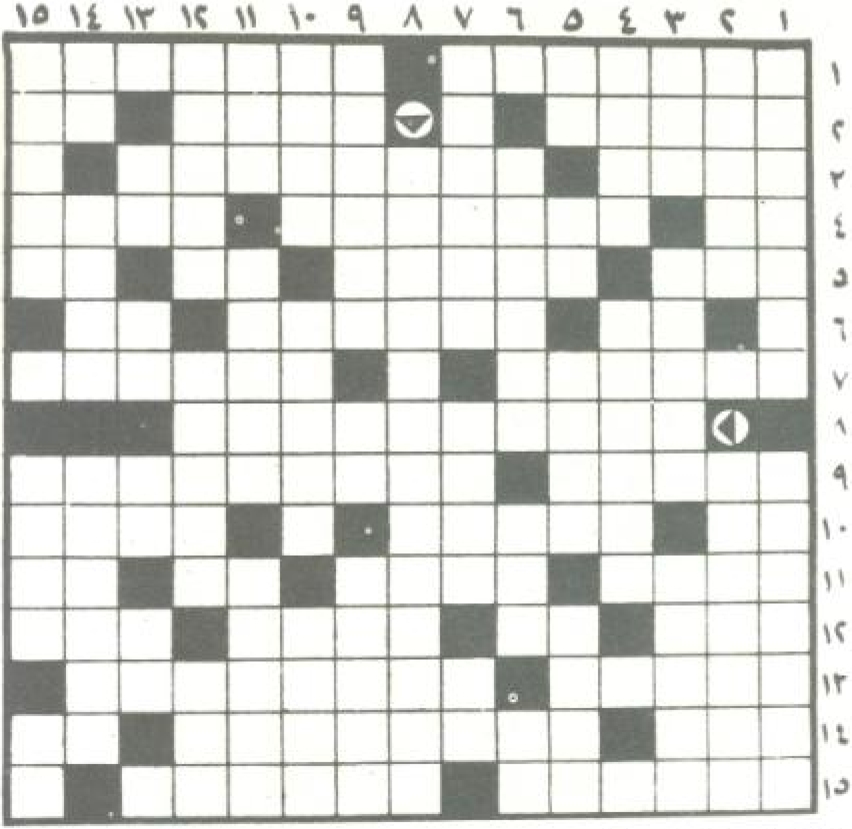
(١١) صمدت ـ حيوان اليف ـ حرف جر ـ نصف كلمة (تائه) .

(١٢) لبق ـ رمز جبري ـ جروا ـ افك .

(١٣) تلقى عن الاسلاف ـ من الاحياء المائية .

(١٤) قصد ـ من العناصر الكيميائية ـ مناص .

(١٥) يقصرون ـ تضيعها .



الكلمات الراسية :

(١) فى الفقرة ـ ايطالى اخترع ارسال الرسائل باللاسلكي .

(٢) من الاحجار الكريمة ـ من المدارس الفنية التشكيلية .

(٣) فقدت عقلها ـ هائشة ـ تشارك .

(٤) سهل ـ سافرات .

(٥) دق ـ نصف كلمة (وريث) ـ باعثة على السام ـ اعلن التواقص .

(٦) بحيرة عند منابع النيل ـ من الاحجار الكريمة ـ دق .

(٧) رائد الهندسة التقليدية ـ يتصاعد من السوائل الساخنة ـ من الاقارب .

(٨) قائد اسلامى .

(٩) تجاوزنا ـ فقد العقل ـ سمنة .

(١٠) من القارات ـ تتقدمه ـ رضيع .

(١١) يلزم ـ رواتب ـ مكان كريه السمعة .

(١٢) عندنا ـ عاصمة اوربية ـ جمعه .

(١٣) ضمير ـ فى البيضة ـ حرفان متشابهان ـ حرف عطف .

(١٤) غير ناضج ـ اشرع ـ خليط من الزيت والماء .

(١٥) اله الحصاد الاغريقى ـ عملة عربية ـ حرفان متشابهان .

كوبون مسابقة
العدد ٢٤٧

مؤسس الحركة الكشفية

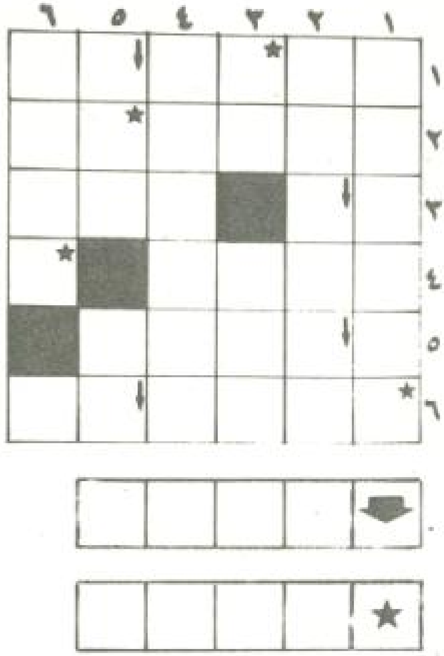
ابدا اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لمؤسس الحركة الكشفية . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

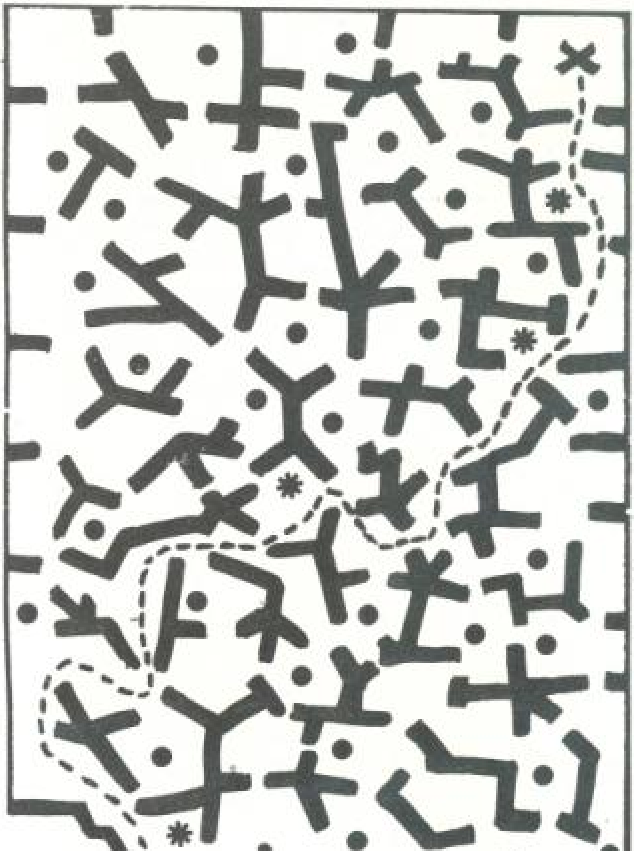
الكلمات الافقية :

(١) ينتسب الى دولة اوربية .
(٢) اسفون .
(٣) حيوان – حيوان .
(٤) بقى .
(٥) افزعكم .
(٦) ابختر .

الكلمات الراسية :

(١) الاسم الاول لشخصية نسائية هندية.
(٢) عالمات .
(٣) مناص – بصحبته .
(٤) من القارات .
(٥) حرف ابجدى – بسط .
(٦) يشرب .

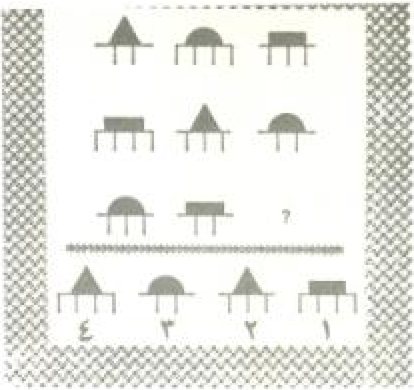




ثمرة الحياة

وضع صاحب البستان حرسا لحماية « ثمرة الحياة » التى استنبتها ، فطمع فيها الجميع . وضع الثمرة فى عمق البستان ، ووزع حرسه فى جميع انحائه ، وكانت ضربة الحارس لكل متطفل سارق لا تقتل ولكن تفقد الوعى لمدة خمس دقائق .

استولى احد المغامرين على الثمرة ، ومع هذا لم يغب عن وعيه اكثر من عشرين دقيقة ، منذ دخوله البستان وحتى وصوله الى الثمرة . هل تستطيع ان تعرف الطريق الذى سلكه؟



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات التى بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب ان يحتل المكان الخالى فى الصف الثالث .

اختبار معلومات

اين الصواب .. واين الخطا ؟

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خاطىء ، فهل تستطيع ان تميز بينها ؟ .

(١) الاستاكوزا : تعيش فى المياه الضحلة .

(٢) الاخطبوط : له اثنتا عشرة ذراعا .

(٣) ارسطو : كان معلم الاسكندر الاكبر .

(٤) التكسينات : هى السموم التى تفرزها الجراثيم فى الجسم .

(٥) الاصلة العاصرة : احدى عضلات الجهاز الهضمى .

(٦) ايسوب : مؤلف يونانى اشتهر بقصصه الخيالية .

(٧) البطريق : لقب دينى فى العصور الوسطى .

(٨) رجل الغراب : نوع من الحلوى الشرقية .

(٩) البيسون : نوع من البقر الوحشى .

(١٠) مالك الحزين : لقب شاعر عباسى .

الحلول

النجمة والسهم

بادن باول

اين الصواب .. واين الخطا .. :

١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٩ صحيحة .

(٢) الاخطبوط له ٨ اذرع .

(٥) الاصلة العاصرة نوع من الثعابين .

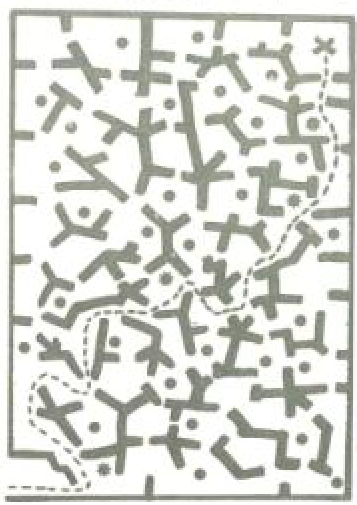
(٧) البطريق طائر ، يعرف باسم البنجوين .

(١٠) مالك الحزين طائر بمنقار طويل وارجل طويلة ، ويعيش على السمك .

متاهة : الحل كما فى الرسم

الشكل المطلوب :

رقم : ٤ .



مِنَ المسرح العَالمِى
سِلسِلَة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول يونيو ١٩٧٩

١١٧

جيتس فون برلشنجن

تأليف : يوهان فلفجانج جيته
ترجمة وتقديم : د. عبد الرحمن بدوى


في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
CHRONOGRAPH
ORIENT
مهما يكن اختيارك ، ساعة عادية كانت أم رقمية ،
بإمكانك الاعتماد على "أورينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة أورينت كوارتز"
سوليد الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم خلايا لتستمد
طاقة لا محدودة من الشمس ، وساعة "أورينت كوارتز" الأنيقة
والجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ . مثل جميع ساعات "أورينت" يحتوي
هذان الطرازان على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من ابتكارات تقنية .
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة . ساعات أورينت كوارتز
رقيقة ورفيعة المستوى . إنها أكثر من مجرد وجه جميل آخر .
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST


صورة تلفزيونية ملتقطة
سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح .
سجل برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء.
شاهد البرامج الجديدة المسجلة منها التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية
البرامج التثقيفية والوثائقية واللهو العائلي البرئ على جميع أنواعه.
بإمكانك ايضاً حتى تصوير اشرطة في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
الحقيقية التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثها امامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني.
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً . وهو سهل الاستعمال .
وزوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أو لبثها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك.
سوني بيتاماكس انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك.
KV-2010ME
SL-8000E
سوني بيتاماكس Sony Betamax
شاهد ما فاتتك مشاهدته



هل يجب أن تنتهي المتعة عند انتهاء المباراة؟

أشرطة كاسيت بيتا
إل ٢٥٠/٥٠٠/٧٥٠
(لمدة ٦٥، ١٣٠، ١٩٥ دقيقة)

كلاّ . إذا قمت بتسجيلها وحفظها ثم مشاهدة المباراة مرّة ثانية وثالثة ... وذلك بألوان متألقة لمدة ٣ ساعات وربع على جهاز سانيو VTC 9300P/S Betacord . ويتوفر زرّ التحكم عن بعد لأغراض التسجيل السهل بوقف أفلام الدعاية والأجزاء غير الهامة (إضافية حسب الطلب).ويوفر المؤقت المتطور إمكانية التسجيل أثناء غيابك مع إعداد الجهاز قبل ٧٢ ساعة بصورة مسبقة حتى ولو كان العرض خلال ليلتين متتاليتين فإن بإمكانك تسجيل كل شيء بدون حضورك .
وبعدها تبدأ متعة المشاهدة باستمرار متواصل ،حتى ولو انتهت المباراة فعلاً .

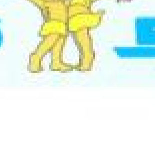


VCC 9500
للملوّن .
VC 1400 للأسود والأبيض .

VTC 9300P/S

P ب تعني بال
S س تعني سيكام

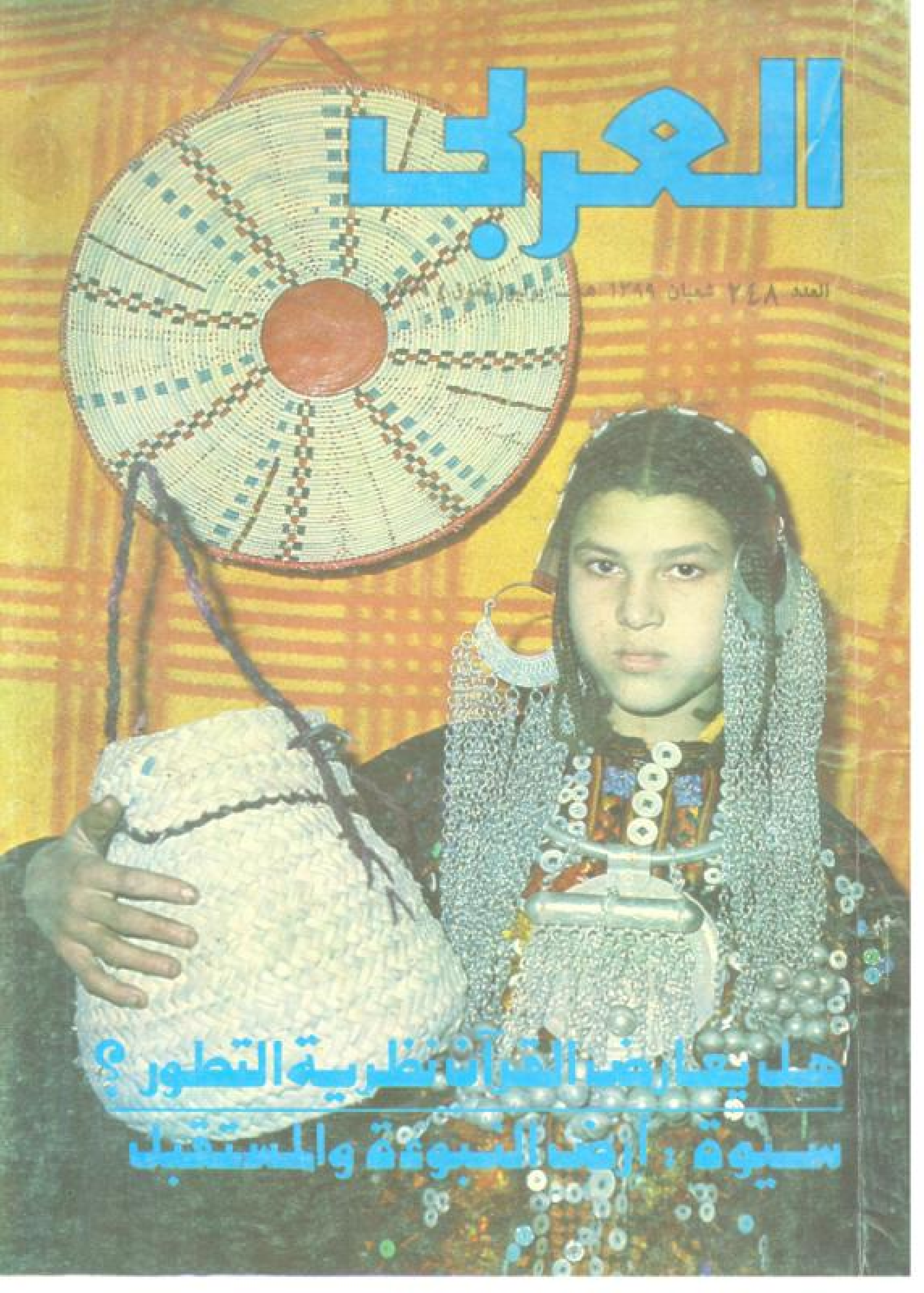
أيّ شريط للفيديو بعلامة « بيتا » يمكن استخدامه في جهاز VTC 9300P/S



SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٤٨ شعبان ١٣٩٩ هـ - يوليو (تموز)



هل يعارض القرآن نظرية التطور؟

سيوة: أرض النبوءة والمستقبل

عزيزي القارئ

خلال شهر يونيو (حزيران) الذي انقضى ، هبط الى النصف عدد الرسائل التي تشكو الينا اختفاء « العربي » من اسواق ثلاث دول عربية هي : المغرب ، وسوريا والعراق . والسبب ان قرارا اتخذ بزيادة المرسل من « العربي » الى هذه الدول الثلاث ، بنسبة ٣٠٪ من اول يونيو . وتلك بداية نأمل معها أن نتمكن مع اواخر العام الحالي من الاستجابة لطلبات زيادة التوزيع التي نتلقاها من بقية انحاء العالم العربي ، خصوصا ان ثمة جهدا كبيرا يبذل الآن لتوفير امكانيات افضل لطباعة المجلة وفق احدث الاساليب ، باحدث الماكينات .

ولعل قارىء العربي قد لاحظ ان زيادة « الكم » ، جاءت مقرونة بتقدم « النوع » في الطباعة . اذ اننا منذ العدد الماضي بدأنا اعتمادا اكبر على الصف الالكتروني ، الذي استخدم حروفا جديدة ، اكثر تقدما وجودة من الحروف التي كانت مستخدمة من قبل .

وهذه النتائج لم تكن لتتحقق بغير وعي كاف برسالة « العربي » وحرص شديد على انجاح هذه الرسالة وحملها الى كل قارىء يطلب « العربي » في وطننا الكبير ، من أقصاه الى أقصاه .

وهو وعي يتمتع به أولئك الجنود المجهولون الذين يشتركون معنا في دفع عجلة العربي وتقديمها في افضل صورة . وتمتد مساحته لتشمل قطاعا عريضا يمتد من قمة المسئولية الى قاعة الصف « وعنابر » التجليد في المطبعة .

أما عن المضمون ـ الأهم ـ فليس لنا أن نقول في شأنه اكثر من أننا نحاول أن نتجاوز صيغة المجلة الثقافية العصرية ، الى مجلة « موقف » ثقافي وعصري . والكلمة الاخيرة في هذه المحاولة لك أنت : عزيزي القارئ .

« المحـرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات :

استطلاعات :

عروبة :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 248 July 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● استطلاع هذا الشهر في صحراء مصر الشاسعة ، في واحة سيوة ، التي زارها الاسكندر الاكبر ليقدم الولاء « للاله آمون » • وغرق في رمال صحرائها جيش قمبيز ، وتحولت الآن الى بقعة خضراء حافلة بالحياة والحركة •• لكنها حياة غريبة ومثيرة • والصورة لواحدة من بنات سيوة • أبت الا أن تظهر ومعها نماذج من فنون سيوة •

(اقرأ الاستطلاع ص ٦٨)

فنون :

أدب ولغة :

علم نفس :

تاريخ :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٥ر٢ دينار • المغرب ٥ر٢ درهم • اليمن ٥ر٢ ريال • ليبيا ١٥٠ درهمـا • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ــ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ــ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »



حديث الشهر

هل ساعد الاعلام على التفاهم بين الشعوب ام العكس ؟

بقلم : أحمد بهاء الدين

هل زادت وسائل الاعلام الحديثة من درجة التفاهم بين الشعوب ؟

كان هذا موضوع برنامج تسجيلي عرضه التليفزيون الانجليزى ـ ال B.B.C ـ ورأيته في الصيف الماضي ، أي منذ سنة ، ولكنه مايزال يعود الى ذاكرتي ، في اكثر من مناسبة ..

وكان صاحب البرنامج ، واحد من المع الكتاب الصحفيين في انجلترا ، والذين طافوا العالم كمراسلين ، ولكنه كتب اهم مقالاته وكتبه عن الشرق العربي ، وكان صديقا عزيزا ، وكان اسمه دافيد هولدن ، وقد مات منذ اكثر من سنة ، في القاهرة ، برصاصة واحدة ، مازال سرها غامضا ، وان كان أقرب التفسيرات أنها المخابرات الاسرائيلية التي قتلته ، لانه كان يحمل اوراقا هامة عن اوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال ، وقد كان قادما من الضفة الغربية . وكل ما عرف هو انه قتل بعد خروجه من مطار القاهرة بساعات قليلة .

وقد وصل البرنامج التليفزيوني الممتاز ، الى نتيجة هي : أن تزايد وسائل الاعلام الحديثة ـ صحافة ،



اذاعة ، وكالات انباء ، تليفزيون ـ لم تزد في التفاهم بين الشعوب ، بل على العكس ، فقد كانت نتيجتها من هذه الزاوية ، سلبية الى حد بعيد ...

اي انها زادت من « سوء التفاهم » بين الشعوب !

●

وقد تبدو هذه النتيجة غريبة . بل انها غريبة فعلا ...

ففي خلال نصف قرن من تاريخ الانسانية كلها ، وقعت ثورة غيرت حياة الناس جذريا ، وهي ثورة وسائل الاعلام الحديثة ..

ظهرت الصحافة المكتوبة . فبدلا من تناقل الناس للاخبار بالسماع من فرد الى فرد ، قويت الصحافة بحيث توزع بالملايين في اليوم الواحد .

ومع التقدم العلمي ، ظهرت وكالات الانباء تنقل المعلومات والاخبار من أقصى انحاء الارض الى الجريدة من جهة ، وانتشر الطيران الذي صار ينقل الجريدة من مقرها الى مختلف انحاء الارض من جهة اخرى . فصار الفرد قادرا ـ في كل صباح ـ على أن يعرف كل ما وقع في العالم خلال الاربع والعشرين ساعة السابقة ، مع فيض من معلومات المراسلين ، وصور المصورين التي تنقل بالراديو في دقائق ، ومقالات المعلقين .. الخ .

ثم ظهرت الاذاعة . وصارت كل دولة ، مهما كان حجمها وقلة مواردها وبعدها عن مركز الاحداث ، لها اذاعة . بل صار وجود الاذاعة أحد أهم مقومات وجود أي دولة . وسبقت الاذاعة الصحف في الانباء . فهي غير مضطرة الى الانتظار حتى الصباح التالي ، انما هي تقطع البرامج وتذيع النبأ الهام فور حصوله . فاذا اغتيل رئيس جمهورية في امريكا ، علم المستمع في الخليج بالنبأ في نفس الوقت الذي يعلم النبأ فيه الامريكي المقيم على بعد أميال من الحادث ..

ثم ظهرت اعظم خطوة في تطور وسائل الاعلام : وهي التليفزيون . وظهرت بعده الاقمار الصناعية . وهكذا صار الفرد في اي مكان ، لاول مرة ، يسمع ويرى بنفسه ، على الهواء وفي نفس الوقت مباشرة ، ما يحدث على بعد الاف الاميال منه .. ابتداء من المعارك الحربية ، الى المؤتمرات الى مباريات كرة القدم .. تماما مثل الجالس في الملعب .

لقد قتل جون كنيدي على شاشة التليفزيون ورأى عشرات الملايين الحادث وهو يقع . وقتل بعده روبرت كنيدي أمام عدسات التليفزيون كذلك . وقد كنت نزيلا في مستشفى البحرية الامريكي في واشنطن ، ورأيت على الشاشة ، ساعة بساعة ، الايام الاخيرة لحرب فيتنام ، وسقوط سايجون ، وطائرات الهيليوكبتر تنتشل المتصارعين على الهرب من فوق سطح السفارة الامريكية .

كنت في حجرة المستشفى الصغيرة الهادئة ، ولكن التليفزيون جعلني أعيش في قلب فيتنام في اكثر الساعات دراماتيكية .

هذا « الصندوق الصغير الذي نقل العالم الى حجرة النوم » كما يقولون كان ثورة ما بعدها ثورة . بل انه في تأثيره على حياة العالم أقوى بكثير من أثر كل الحروب العالمية التي وقعت .

حقا . لقد غير التليفزيون مفاهيم مئات الملايين من الناس . وعلمهم . وفتح عيونهم على العالم من حولهم . وجعل العالم قرية صغيرة . فهم يرون القطب الشمالي كما يرون خط الاستواء . ويرون المناسبات الكبرى كما يرون الحروب . إنه الثورة التي لايظن ان هناك ثورة بعدها في دنيا الاعلام .

فلولا ان الامريكي العادي رأى حرب فيتنام على الشاشة لما تظاهر وضغط من أجل سحب أبنائه منها وانهاء الحرب . ولولا ان السود في امريكا رأوا خطباء البلاد السوداء يخطبون في الامم المتحدة وعرف ثوراتهم في إفريقيا ، لما ثاروا وطالبوا بحقوقهم في امريكا . ولولا ان المواطن في العالم الثالث رأى على الشاشة كيف يعيش ابناء المجتمعات المتقدمة ، لما انفجرت الثورات السياسية والاجتماعية تطالب بحقها في نيل قدر من مزايا الحياة في المجتمعات المتقدمة .

كل هذا معروف ، ومسلم به ...

ولو شئنا ان نمضي في ذكر الاثار المترتبة على ظهور وسائل الاعلام الحديثة ، لوجدنا لها أثرا في كل جانب من جوانب الحياة ..

ونحن نرى ان أفقر دولة تستقل ، تهتم بان يكون لها اذاعة وتلفزيون ، ربما قبل ان يكون لها جيش وشرطة وادارة .

وترى كيف ان أي ثورة او انقلاب ، لابد ان تبدأ بالاستيلاء على الاذاعة والتلفزيون .

لانها بذلك تستولى على أخطر مراكز التوجيه . وتحتكر اسماع الناس وابصارهم وعقولهم .

ولكننا نعرض هنا لجانب واحد من جوانب تأثير وسائل الاعلام الحديثة : هل زادت ـ كما يتوقع ـ من التفاهم بين الشعوب ؟

لاشك انها زادت من « معلومات » الشعوب الى حد بعيد ...

ففي الماضي ، كان الناس ينتظرون ربما بالقرون ، حتى يأتي « صحفي » عظيم ، مثل « ابن بطوطة » الذي كان فعلا وما يزال أعظم « صحفي » او « مراسل » في التاريخ العربي كله . فقد جشم نفسه أن يترك بلاده في شمال افريقيا ، ويقضي خمسة وعشرين عاما متوالية ، سائحا فيها عبر العالم الاسلامي كله ، في افريقيا ثم في آسيا ، ثم يذهب الى الهند ثم جزر المحيط الهندي ، ثم يصل الى الصين . رغم انعدام سبل المواصلات ، الا الدواب والقوارب الصغيرة ، ويسجل كل رحلته هذه ، مصورا حياة الشعوب من شتى جوانبها ، في كتاب ، يظل هو مرجع الناس عن هذه البلاد قرونا طويلة ..

ومع ذلك ، فلم تخل كتابات « ابن بطوطة » وامثاله مما يفعله الصحفيون حتى الان ، في البحث عن العجائب والغرائب ، من الوقوع في الخطأ نتيجة لذلك ...

يروي ابن بطوطة ـ مثلا ـ عن زيارته للجزر الواقعة بين سيلان واندونيسيا فيقول « في بعض تلك الجزر رأيت امرأة لها ثدي واحد في صدرها ، ولها ابنتان احداهما كمثلها ذات ثدي واحد ، والاخرى ذات ثديين ، الا ان احدهما كبير فيه اللبن والثاني صغير لا لبن فيه ، فعجبت من شأنهن » .

لاشك ان ابن بطوطة لا يعرف امرأة ذات ثدي واحد . ولكنه اما التبس عليه الأمر بسبب ثياب غريبة عنه . واما اعتمد رواية أحد الناس ، في عصر كانت تنتشر فيه قصص العجائب والخرافات بحرية اكبر .

هكذا كان يعيش العالم ويتلقى معلوماته . ولكن المؤكد ان كتب الرحالة كانت أقرب الى الصدق أو حسن النية على الاقل . فالكتابة من هذا النوع كانت عملا فرديا ؛ وغير خاضعة لرقابة ؛ ونادرا ما تكون فيها رغبة مسبقة في التحيز !

●

ولكن ، ماذا حدث مع الاعلام الحديث ؟

ان من السهل ملاحظة ان الحروب قد زادت عددا . وان تورط دول كبرى في مآزق بناء على تصورات خاطئة قد تفاقم . والخلافات بين الشعوب أعنف . والمظالم اكثر ...

ولا شك ان هذا كله له أسباب عديدة . ولكنني اعتقد أن الاعلام بوسائله الحديثة الجبارة ، كان له دور في هذا التفاقم ، بدلا من ان يكون مصدرا أكثر للفهم والتفاهم .

ولهذا أسباب كثيرة . ولكن الاسباب الرئيسية ، في تقديري ، التي أدت الى هذه المردودات السلبية هي : المنافسة الشديدة على سرعة نقل الخبر ، والمنافسة التجارية وبالتالي ازدياد الرغبة في الاكثار من الغرائب . ووقوع هذه الوسائل الاعلامية في أيدي « السلطة » بكل انواعها .. سلطة المال ، او سلطة الحكم ، او سلطة النخبة ، ثم اتخاذ هذه الوسائل الاعلامية سلاحا أساسيا من أسلحة الصراع بين الدول .

ان السرعة جزء أساسي من صميم حركة التقدم العلمي ، أو لعله ليس من الخطأ ان تقول ان السرعة جزء عضوي من حركة التقدم الحديثة في كل الميادين ، حتى صار أحد عناوين الحضارة الحديثة ومقاييسها أن نرى الناس في الطريق يلهثون . انه السباق في كل شيء . كما أنهم يتنافسون في الرياضة على من يكسر رقم السرعة بثوان قليلة ، وماذا ينفقون في سبيل هذا من مال وجهد وتدريب . فهو نفس الرمز في كل شيء . المطلوب دائما ، وما يقدم لنا على انه أخبار « التقدم » دائما ، هو السرعة . سيارات أسرع . طائرات أسرع . حروب أسرع . تحولات اجتماعية أسرع . والاعلام يأتي في المقدمة . تتميز وكالة الانباء عن زميلاتها بانها أذاعت النبأ دقيقة واحدة قبل غيرها .

والسرعة في هذا المجال قد تكون مطلوبة . ولكنها تقترن بالتأكيد بزيادة احتمال الخطأ ، وبالتسرع ، وبالسطحية .

ذلك ان سباق السرعة بين أجهزة الاعلام ليس في الخبر وحده . انه في الرأي والتحليل والصورة وكل شيء .

وهكذا رأينا المراسل الاجنبي تماما الذي يصل من امريكا مثلا ، وبعد يومين نقرأ رسالة له في جريدته يتحدث فيها عن أعمق قضايا مجتمع لم يعرفه الا لمدة ثلاثين او أربعين ساعة . والامر هنا يتوقف على انطباعاته السريعة ، وعلى مصادفات الناس الذين يراهم بسرعة ، وأساسا على أفكاره المسبقة . ومع ذلك ، فان كلماته المطبوعة لها وقع . ويقرأها الملايين على أنها الحقيقة الآتية من ساحة الاحداث مباشرة .

ولو أخذنا آخر مثل عن حدث كبير مثل ثورة ايران . ونرى كيف كتبت الصحف الاجنبية عنها أول الامر . والزوايا التي التقطت منها الصور ، وكيف كان رأيها يتغير كل يوم . وكيف اكتشفوا أن هناك شيئا اسمه الاسلام . ومع ذلك أخذوه بظواهر الامور . لان المطلوب هو من يكتب أسرع . ولو على حساب الحقيقة . فكل ما يحدث من اجتهادات انسانية هو عندهم اسلام . وكل صورة لفقراء ايران هي صورة « مسلمين » . وهكذا .

قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ بقليل ، جاء الى القاهرة لاول مرة في حياته أحد اكبر المعلقين الامريكيين ، هو جوزيف كرافت ، وجاء في مكتبي قبل مرور ٢٤ ساعة على وصوله . وكان مع ذلك قد كتب وارسل مقالته الاولى عن القاهرة ! . وسألته ماذا كتب بهذه السرعة قال : لقد وجدت القاهرة تعيش وتضج بالحياة ولا أحد مهتم بالحرب او بمشكلة احتلال اسرائيل للقناة . قلت له : كيف ؟ .. قال : انظر ، دور السينما مكتظة . الاندية وحمامات السباحة ملآنة . المتاجر والمحلات عامرة بالمشترين ...

وقاطعته قائلا : وماذا تظن عن أي بلد في حالة حرب ؟ هل تتوقف عجلة الحياة فيها ؟ هل يقف الناس طوابير مسلحة في الشوارع ؟ ان صاحب الدكان لابد ان يفتح دكانه مع الصباح .

والموظف لابد ان يذهب الى عمله . والزبائن لابد ان تشتري حوائجها . هل اذا رأيتني مع اطفالي يوم الاجازة في النادي ، فمعنى ذلك أنني غير مكترث للاحتلال الاسرائيلي ؟ ولكنك لو عاشرت المجتمع في مصر وأي بلد عربي ، فستجد انه لا يجتمع اثنان او ثلاثة ، حتى في كاباريه ، الا انتهى حديثهم عند مشكلة اسرائيل والاحتلال !

وقال لي انه لم يتح له ، بعد ، الحديث مع مصريين . .

وكان مسافرا في اليوم التالي !

●

ويقترن بعنصر السرعة والسبق ، الذي هو جزء من عملية الاعلام ، عنصر البحث عن الغرابة ، والمفارقة ...

فالمنافسة بين وسائل الاعلام شديدة . وكلما كبر حجم مؤسساتها زادت نفقاتها الهائلة ، واحتاجت الى مزيد من التوزيع . وهنا نجد قاعدة ان « الجنس والجريمة والعنف والمفارقة » هي دستور وسائل الاعلام الكبرى ، التي تسمى « جماهيرية » .

كل صحفي يريد ان يجد المرأة ذات الثدي الواحد . فهذا هو الخبر . وهذا هو السبق . حتى ولو كان هذا على حساب الحقيقة !

ويأتي بعد ذلك أهم سبب جعل وسائل الاعلام مصدرا من مصادر « سوء التفاهم » بين الشعوب وليس العكس ، وهو : وقوع الاعلام في يد السلطة ...

والسلطة هنا قد تكون سلطة الحكم اي الدولة . وقد تكون سلطة المال ، وقد تكون سلطة « النخبة » باي شكل من الاشكال ...

وبالنسبة لحالات تأثر الاعلام بسلطة الحكم والدولة ، فانها معروفة وواضحة . وغير محتاجة الى شرح . فالسلطة بوجه عام وفي كل النظم ادركت الخطورة الكبرى للدور الذي يلعبه الاعلام في تشكيل الرأي العام . والرأي العام هو السيد في بعض الحالات . ولكنه حتى في أضعف حالاته فانه يظل عنصرا مهما لم يعد ممكنا لاي حاكم ان يتجاهله ، فهو حتى في أضعف حالاته ، تنطبق عليه كلمة « إن ضغط الرأي العام مثل ضغط الهواء : تحسه ولا تراه » .

وفي الحالات التي لا تبدو فيها يد السلطة واضحة ، أو مباشرة ، على الاعلام ... نجد أنها تستعين بوسائل اخرى : اما القلة أصحاب المال ، وإما النخبة أصحاب الخبرة ..

فقد صارت أجهزة الاعلام أضخم من أن يقوم بها فرد عادي من الناس أو حتى حزب بأكمله . لانه يتكلف الملايين . بل ومئات الملايين . والثلاث شركات الكبرى للتلفزيون في امريكا مثلا ، كانت أضخم الشركات على الاطلاق . وسطوتها المسلطة على الناس حوالي عشرين ساعة في اليوم

سطوة هائلة . والزعيم السياسي إذا اراد أن يتكلم فيها فانه يدفع عشرات الاف الدولارات للدقيقة الواحدة . وأي شركة صابون او معجون أسنان اقوى اعلاميا من أي حزب باكمله !

ونفس الشيء في الصحافة الكبرى ...

وحين تتجه هذه القوى الى التضليل ، فان مفعولها لا يقاوم ، الا اذا كشفته أحداث كبرى وبعد سنوات .

وسأضرب مثلا على ذلك ، من أقوى وأغنى مجتمع ، وهو الولايات المتحدة الامريكية ...

لقد مات منذ سنوات قليلة أحد أقوى الرجال الذين عرفتهم الصحافة في العالم .

انه هنري لوس ...

وهو الذي أسس وامتلك مجلات « تايم » و « لايف » و « فروتشن » .

ومجلة « تايم » ـ حتى الان ـ يمكن القول بسهولة أنها اقوى مجلة على مستوى العالم كله وليس امريكا فقط . فهي توزع الملايين . وتوزع في انحاء العالم كله . ويقرؤها الجمهور ، كما تقرؤها النخبة من رجال السياسة والمال والاقتصاد ، وكل حاكم أو صاحب سلطة في اتخاذ القرارات في العالم ... من امريكا .. الى نيبال !

وقد اصدر الكاتب الامريكي المشهور « تيودور هوايت » كتابا عن حياته الصحفية . وقد بدأها مراسلا لمجلة تايم في الصين في اوائل الاربعينات ـ سنوات الصراع الاخير بين ماوتسي تونج وشيانج كاي تشيك ـ وصديقا مقربا لهنري لوس حتى وفاته .

ويروي تيودور هوايت قصة استقالته من مجلة « تايم » رغم صداقته لهنري لوس . وكان هنري لوس قد ولد في الصين . اذ كان ابوه مبشرا للمسيحية هناك . فتكون لديه رأي ثابت منذ العشرينات ، رغم تحول الظروف ...

يقول تيودور هوايت في وصف دقيق لواحد ممن يسمون « ملوك الصحافة » :

« كان هنري لوس رجلا فذا . إنه أحد أكبر عمالقة الصحافة الامريكية في تاريخها كله . ولن نفهم شخصية لوس وعقليته الا اذا أخذناه كدراسة عن « القوة » ـ قوة الصحافة . وبالتالي احساسه بالقوة الهائلة المطلقة في التأثير على الاحداث .

« وقد كان لوس مدركا هذه القوة التي في يده . في أيام مجده صنع رجالا وحطم رجالا . رفع ناسا مجهولين الى أوج الشهرة . ودمر مشهورين وحملهم الى زوايا النسيان . كان فهمه للصحافة هو : أن مراسليه في كان مكان عليهم أن يبعثوا اليه بكل ما يعرفون . بكل ما لديهم من معلومات وآراء وحقائق . وكان يعرف قيمة ذلك للقارىء . ولكن في مقر قيادته في نيويورك ، كان مديرو التحرير يحولون كل هذه المعلومات الى ما يخدم آراءه واتجاهاته الشخصية . كان يفهم أنه صاحب المجلة

ورئيسها . ولا أحد سواه . وبالتالي فقد كان أسخى رجل مع من يرسلون له الاخبار . ولكن المراسل ينتهي دوره عند هذا الحد . وليس من حقه أن يتدخل في طريقة تقديم هذه الاخبار للقارىء .

« من حقه ان يتلقى أحسن « الخامات » . ومن حقه بعد ذلك أن يطبخها كما يشاء !

« حرية الصحافة عنده : ان مراسله حر في ارسال ما يريد ، وهو حر في نشر ما يريد وكما يريد !

« وكانت قصتي مع لوس حول الصين . فبحكم تكوينه وتفكيره قرر للمجلة ان تتبنى شيانج كاى شيك تماما ، وكنت أنا في الصين أرى أن ما يحدث هو غير ذلك ، وأرسل الرسائل المسهبة ، وأجد رسائلي منشورة ، ولكن بشكل واسلوب واستنتاجات تخالف تماما ما كتبت وما اريده ان يصل للقارىء الامريكي .

« لقد ساهم لوس باكبر قسط في دفع سياسة امريكا في الشرق الاقصى في الاتجاه الخاطىء ... وكانت النتيجة أن احتاجت امريكا الى ثلاثين سنة اخرى ، والدخول في عدة حروب ، وفقد آلاف الارواح ، قبل ان تعرف طريق العودة الى آسيا ، ومن خلال الصين بالذات . »

هذه نظرة ، من ثقب الباب ، على نوع النفوذ الذي يمارس في أكبر مجلة في العالم ، وفي امريكا التي تتباهى بشدة الحرية فيها .

وتلك هي نوع السطوة التي أتحدث عنها . والسلطة التي قد تكون الدولة أو المال أو النخبة .. المهم هو « المؤسسة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية » الحاكمة . وقدرتها على تلوين مشاعر الرأي العام .

ويأتي في أعقاب ذلك ، بالبداهة ، ما ذكرته من استخدام الاعلام في المعارك الدولية : فنفس القدرة على تلوين الاتجاهات الداخلية ، قادرة على تلوين اتجاهات شعب نحو شعوب اخرى ، كوسيلة من وسائل الصراع بين السلطة في اكثر من بلد . حتى ولو كانت الشعوب لا مصلحة لها في هذا الصراع .. فالاعلام قادر على خلق موجباته ، ومبرراته .

●

اذن ؟

ان قوة الاعلام تزيد . وسوء استخدامه في العصر الحديث يتفاقم . وقد تنبه العالم الى ذلك . ففي الشهور الماضية فقط دعيت الى عدة مؤتمرات ـ من اليونسكو الى الامم المتحدة الى الجامعات ـ تبحث كلها هذه القضية .

ان المطلوب هو ان يكون للاعلام حصانة . وان يكون له ضمير ! كيف يكون ذلك ؟

تلك قصة اخرى !

احمد بهاء الدين

على أعتاب

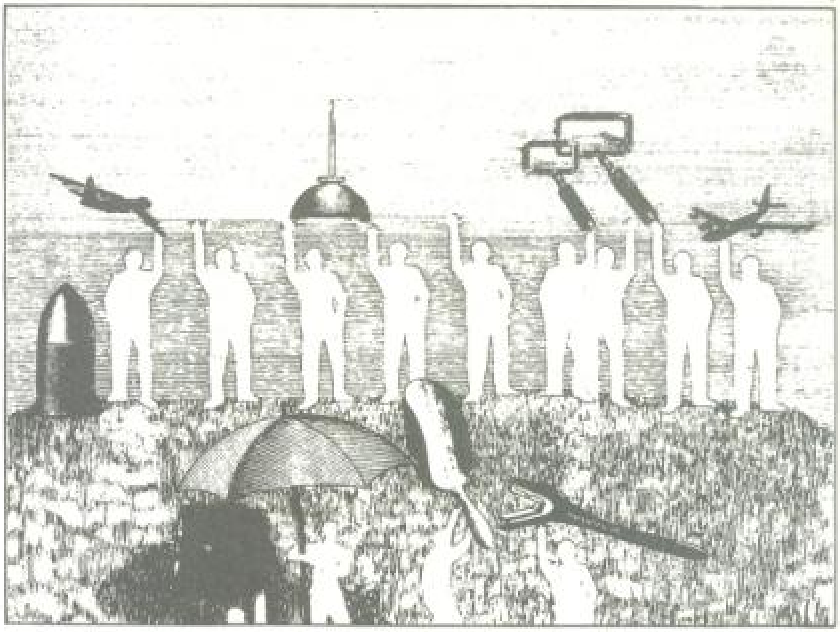
عصر العلم

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

مهما تجادل الناس حول فعالية العلم الطبيعي ، وتشككوا في مقدرة مناهجه على الوصول الى معرفة دقيقة للحقيقة الكونية المطلقة ، فان هذا الطور من تطور البشرية هو لاشك طور العلم . وهيمنة العلم على كثير من مظاهر حياتنا ، واتخاذ سبله وسيلة للنظر الى العالم من حولنا وفي انفسنا ، هو تحقيق لتطور العقل البشرى . فكما كان هنالك عصر حجرى اول وثان ، وعصر برونزى ، وتلتها شتى العصور فاننا لاشك نعيش الآن في العصر العلمى الأول ، أو قل نقف على أبوابه ، ان إردنا الدقة . وهذا امر طبيعي في تطور الانسان .

فكما كانت وسائله المادية تتطور من عصر الى عصر ، وتنتقل من حجر الى برونز الى حديد ، الى أن تبلغ المفاعل الذرى في القرن العشرين ، فان ملكاته العقلية كانت ايضا تتطور وتُرتقى من درجة التلمس والحسية المباشرة ، الى طور التأمل والتحليل والتجريد والاستقراء والاستنباط والنظر العقلى المجرد . وكان تصوره للعالم الخارجي ولنفسه يتطور ويرتقى تبعا لذلك ، كما تشهد بذلك مسيرة الانسان الفكرية والروحية عبر الاسطورة والسحر والوثنية والشرك ، حتى انتهت الى التوحيد وسيادة العقل في كل الامور بما فيها مسائل الدين التى كانت فيما مضى قائمة على التسليم المطلق بما توارثه الناس من غيبيات .

وليس الانسان في حاجة الى ان يسهب في مقدمات هذه السيادة العقلية . ويكفى أن نذكر أن أخر الاديان وهو الاسلام قد جاء تجسيدا حيا لامتزاج العقل بالروح لخلق الانسان السوى المتحضر المتكامل الشخصية المتوزان السلوك وبذلك انتفى ذلك الصراع القديم بين الدين والفكر ، وأصبح الحسن ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه العقل ، كما يذهب الى ذلك المعتزلة ، لان الله لايريد الا الأحسن لعباده ، ولو خفيت عليهم حكمته في



ذلك لبعض الوقت . جاءت معجزة الاسلام ، وهى القرآن ، خطابا للعقل ، ودعوة بالحسنى الى قبول المنطق . وجاءت اول كلمة فيه ، وهى اقرأ ، بداية لعهد جديد فى حياة البشر ، يؤذن بانتقال الناس الى مرحلة سيادة العقل المتمثلة فى ادوات الحياة العقلية من القراءة والكتابة والقلم والعلم . ولذلك لا عجب أن رأيناه يوجه خطابه للذين يعقلون فى اكثر من خمسين موضعا ، وللذين يعلمون أو لا يعلمون فى أكثر من مائة موضع ، ويتحدث الى الذين يتفكرون ويتفقهون فى اكثر من ثلاثين مقاما .

احتكام للعقل

سقت هذا الكلام لاصل الى نقطة ارتكاز فحواها أن كل تقدم بشرى مقبل سيكون تقدما فى عقل الانسان وملكاته الابداعية . وأن الله الذى دعانا الى التفكر فى خلق السموات والارض وفى أنفسنا ، كان يدعونا الى العلم ، ووضح قصورنا وعجزنا فى هذا المقام حين قال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . ودعانا الى الاستزادة من العلم فى قوله تعالى (وقل رب زدنى علما) . ولو كان الله سبحانه وتعالى يعلم ان علمنا قد انتهى بما جاءت به الرسالات من معارف وتوجيهات ، لما جاءت كل هذه الدعوات الحارة فى القرآن الكريم لطلب العلم والاستزادة منه . وعلى هذا قامت كل حضارة الاسلام الروحية والتشريعية والعقلية والمادية . فهى قد استمدت من القرآن الكريم أسسها العامة ، وتطورت باعمال الذهن والاستزادة من العلم . فليس هنالك شىء فى حضارة الاسلام لا يقف شاهدا على الجهد الفكرى المبذول ، ويكفى ان نشير الى أن أخص خصائص الدين ، وهو الفقه والتشريع ، هو فى اساسه ، وأن اعتمد على ماجاء فى القرآن والسنة من أحكام ، صرح شامخ للنظر العقلى يفخر به الفقه القانونى فى كل زمان ومكان . وليس أدل على مكان العقل فيه من أن كل أصوله بعد القرآن والسنة هى احتكام للعقل ، سواء أكان ذلك عن طريق القياس أو الرأى ، أو الاجماع الذى يقر اجتهاد المفكرين من المسلمين . ولعله ليس من الغريب لذلك ان نرى هذا الصراع الفكرى المثقف يجدد ويتشعب منذ ايام الاسلام الاولى ، متخذا من المعتقدات الاساسية والمسلمات مادة للجدل ، الذى عرف بعلم الكلام ، الذى سعى الى تحديد

المرتكزات الفكرية للعقيدة الاسلامية . فاتحا المجال بذلك الى نهضة فلسفية وعلمية كبيرة ظهرت آثارها فى تلك الثورة العقلية التى قامت على البحث والاستقصاء والتجريب فى كل فرع من فروع الحياة الفكرية .

ولو كان المسلمون يجترون كل ماجاء عن أسلافهم ، ويتقبلون ماورد عنهم بالتسليم والانصياع ، لما قامت كل هذه المعارك ، ولما أضاع الناس كل هذه السنوات من أعمارهم بحثا وراء الحقيقة ، مثلما فعل البخاري ومسلم والطبرى ومالك والشافعى والغزالى وغيرهم من أعلام التراث . وقد فعلوا هم كل ذلك لانهم يتقيدون بمنهج الاسلام فى النظر العقلى وتمحيص الحقائق حتى المسلمات منها ، أو ما يبدو أنها كذلك .

وقد دعا هذا المنهج العلمى فى تقصى الحقائق الى ابتكارهذه المقاييس الراقية فى الاستقراء والاستنباط والنقد التى قام عليها علم الحديث ، والتى عرفها أسلافنا فى كتب الجرح والتعديل وطبقات الرجال والاسانيد وعلم مصطلح الحديث ، وكل ذلك مما لم تبلغ مثله أرقى مناهج البحث العلمى فى العصر الحديث .

ويكفى ان نعلم ان البخارى قد سعى فى جمع مادته ستة عشر عاما متنقلا فى كل اطراف الامبراطورية الاسلامية ، وانه كان حتى بعد ان تستقيم له طرق البحث ، ويتأكد من كل مقاييسه النقدية فى تمحيص الحديث ، لا يسجله فى كتابه الا بعد ان ينام عليه ويستخير الله فى ذلك . وقل مثل ذلك فى التصوف ، الذى كان فى أساسه صفحة مشرقة من صفحات الابداع الفكرى الذى استشهد فى سبيله الكثيرون من أعلام الاسلام ، وعلى رأسهم الحلاّج .

وليس أدلّ على هذا الرباط الوثيق بين التصوف والنظر العقلى من ان الصلة بينه وبين الفلسفة كانت صلة تلازم ، وان الغزالى ، حجة الاسلام ، الذى وفق بين الشريعة والحقيقة ، أو بين الفقه والتصوف ، كان قمة فى الفلسفة والعلم والفقه والتصوف . اما حالة الدروشة والانجذاب عن العقل ، التى انتهى اليها بعض المتصوفة ، فانها من مظاهر الانحلال الفكرى الذى اعترى حضارتنا فى عصور التخلف . ومعنى ذلك ان النهضة التى قامت حول القرآن والحديث كانت نهضة عقلية شاملة ، كان من نتائجها تقويم الخط العربى ، واكتمال صورته ، من ترقيم وتشكيل ، واستنباط قواعد النحو العربى على أسس منطقية بالغة الدقة والتعقيد ، وغير ذلك من علوم العربية وفنونها ، الى جانب العلوم الدينية والفلسفية والطبيعية التى نجم عنها ازدهار فنون الهندسة والعمارة والطب والبصريات وما يتعلق بها من علوم الرياضيات والجبر والكيمياء والفيزياء والنبات .

الدين بالمعنى الشامل

وحين رفع الله مكانة العلماء فى كتابه وقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، وباعد بين من يعلمون ومن لايعلمون فى قوله (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وحين جعل الرسول الكريم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وفضل مداد العلماء على دماء الشهداء ، فان العلم المقصود كان العلم على اطلاقه ، الذى هو نقيض الجهل ، وليس تخصصا محدودا فى فرع من فروع المعرفة الانسانية ، اما كيف تقلص هذا المعنى العام للعلم ، ليصبح دالا على علوم الدين وحدها فى عرف المتأخرين من المسلمين فذلك مرجعه الى ما للدين من مكانة فى حياة المسلمين وفى حضارتهم من ناحية ، والى مبلغ الانهيار والتخلف الذى تردى فيه المسلمون من ناحية أخرى .

أما مكانة الدين فى حياة المسلمين وفى حضارتهم ، فنابعة من الفهم للدين بمعناه الشامل ، الذى يصل بين دنيا الناس وآخرتهم . فهو تنظيم لحياة الناس الروحية والاجتماعية بما جاء به من قيم انسانية ، وأحكام عامة وخاصة ، غايتها خلق الانسان السوى ، الذى يحقق فى نفسه وفى علاقته بغيره كلمة الله فى الارض : الحق والعدل والمساواة . ومعنى ذلك ان التعمق فى الدين بهذا المعنى الشامل ، لايكتمل الا بالتعمق فى كل ما له صلة بحياة الناس المتشعبة من علوم وفنون ، والا تخلف عالم الدين الذى يتصدى لحل مشاكل الناس عن حاجة الناس المتجددة على الدوام . فالدين مثلا تصدى لحل مشاكل الناس الاقتصادية وتنظيم حياتهم وفق أسس عامة تضمن العدالة والمساواة ، فكيف يتحدث عالم باسم الدين متصدياً لمشاكل الحياة الاقتصادية دون أن

يكون ملماً بالعلوم الاقتصادية ؟ وعلى هذا اجتهد علماؤنا الاوائل ، وجدوا فى طلب العلم فيما يتعلق بأمور المال والاقتصاد ، مُستفيدين فى ذلك مما ورثوه عن البيزنطيين والفرس وغيرهم ، فألفوا كتب الاموال ، مثلما فعل أبو عبيدة القاسم بن سلام ، وكتب الخراج ، مثلما فعل القاضى ابو يوسف ويحيى بن آدم وغيرهم ، وقل مثل ذلك فى كل ما يتعلق بحياة الناس الاجتماعية والفكرية .

فقد كانت غاية العلم عندهم هى توسيع دائرة الانسانية بتوسيع دائرة البحث حول نصوص القرآن والسنة بما يحقق انسانية الناس وسعادتهم فى ظروفهم المتقلبة وأوجه حياتهم المتجددة ، ومن هنا كانت حكمة الاجتهاد الذى هو بذل الجهد الفكرى لتطوير فهم الناس لنصوص الدين فى ضوء المعرفة الانسانية المتطورة بتطور مظاهر الحياة المعاشة . كان هذا المنحى الانسانى فى طلب العلم ، هو الذى يصل بين ثمرات المعرفة الانسانية وقضايا الدين ، التى هى قضايا المجتمع . لم يكن طلب العلم فى كل فروعه المادية والمعنوية غاية فى حد ذاته منفصلاً عن حياة الناس وقضاياهم المادية والمعنوية ، بل كان العلم مسخرا لخدمة قضايا الحياة ، فهو مادام يعين على توسيع دائرة الفهم لنصوص الدين ، بحيث تكون اقدر على التعبير عما استجد فى حياة الناس من ظروف ، فهو جزء لايتجزأ من معنى الدين الشامل . وبهذا المستوى فهم المسلمون الاوائل قول الرسول الكريم (من يرد به الله خيرا يفقه فى الدين) . لأن الفقه هو العلم والمعرفة . كانت نصوص الدين فى القرآن والسنة ، بحسبانها الاطار العام لتحقيق انسانية الانسان فى كل زمان ومكان ، هى الجوهر والأساس ، وكانت كل العلوم الانسانية الاخرى روافد تعين على فهم هذا الجوهر ، وتسهم فى ترجمته الى واقع معاش فى حياة الناس .

عندما اختل التوازن

ولارتباط البحث العلمى بالدين هذا الارتباط الوثيق لم يكن هنالك مجال للتفريق بين ما هو دين وما هو علم . فعالم الدين عالم على وجه العموم بمعظم معارف عصره ، والناس فى ذلك على تفاوت بحكم امزجتهم وعقولهم .

فلذلك لم تقم قضية الفصل بين الدين والعلم الا فى عصور الانحطاط ، حين انهارت الامبراطورية الاسلامية ، وتقلص ظل الرخاء المادى ، وجفت منابع الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية ، وجفت تبعا لذلك كل منابع المعرفة الانسانية التى ازدهرت فى عصور الاسلام الذهبية . فلم تعد حياة الناس الجافة ، ولا عقولهم الجامدة ، تتحمل ما كانت تتحمله حياة اسلافهم وعقولهم من المعارف والعلوم ، التى تقبع الآن فى الخزائن والمكتبات ، وتجردت بالتالى علوم الدين من كل ما يرفدها من علم ومعرفة ، وبقى الناس يجترون النصوص التى خلفها اسلافنا ، وهى مبتورة عن جوها العام ، الذى كان بمثابة الشرايين تغذيها بالدم والغذاء ، ويسعون الى بعثها فى حياة الناس وهم مبتورون عن ابسط المعارف التى تعج بها حياة العصر . ومادام الامر كذلك فلابد ان ينعكس جفاف العقول وضمور معرفتها على معنى العلم العام ، فينحصر فى الدائرة الضيقة الجوهرية ، دائرة النصوص الدينية المبتورة عن شرايينها وروافدها التى تكسبها الروح وتمنحها الحياة .

إن هذا الربط بين معطيات الدين ومنجزات العلم هو الذى منحنا جهابذة الرجال من امثال البخارى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن خلدون الذين تركوا بصماتهم القوية فى تاريخ الفكر البشرى . وهو الذى نقل دين الاسلام من مجرد نصوص يحفظها الناس عن ظهر قلب الى حضارة انسانية شاملة تشكل الحياة ، وتصوغ شخصيات البشر ، على نحو لم تعهده البشرية من قبل . وما انجزته الحضارة الاسلامية فى مجال البحث العلمى والنظر العقلى هو الاساس الذى تقوم عليه حضارة العصر . اذ أنها بتأكيدها لمكانة العقل فى حياة الناس عامة ، وربطه بحياتهم الدينية والروحية خاصة ، قد انتقلت بالبشرية الى العصر الذى نعيش الآن مظهرا حادا من مظاهره : هو المظهر الغربى الذى اختل فيه التوازن بين منجزات العلم من جهة ، ومعطيات الانسان الفكرية والروحية من جهة اخرى . وكل ذلك يجعل من تجربتنا الحضارية الرائدة مصدر الهام للبشر وهم يتخطون عتبات العصر العلمى الاول . ■■

الخرطوم ـ د . عون الشريف قاسم



جنين دجاجه عمره اربعة ايام .. لاحظ التشابه بينه وبين جنين الانسان (في الصوره المقابله) الذي يبلغ من العمر الاسبوع السادس .. وعلى هذا الاساس تشابه أجنة الحيوانات المختلفه في بداياتها . رغم اختلاف اعمارها

ناموس واحد :



من الميكروب

الى الإنسان!

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

نحن البشر خيط وحيد فى نسيج الحياة المتكامل .. لكنه أرقى وأعظم خيط بين ملايين الخيوط التى تنسج هذا النسيج !

فالذين يقولون ان الانسان خلق قائم بذاته ، أو متفرد بين المخلوقات فى صفاته ، لاشك مخطئون .. لأن الخطأ هنا نابع من عدم الادراك بما هو كائن ويكون !

صحيح أن الانسان متفرد بعقله وخياله وحضارته وابداعه ، لكنه ليس كذلك من الوجهة البيولوجية ، اذ لو رجعنا الى الأصول أو الأسس التى قامت عليها الحياة ، لوجدنا ان الكائنات الحية جميعا ، بداية من الميكروب الضئيل ، حتى تنتهى بالانسان العظيم ، تخضع لفكرة واحدة ، وتسرى بنواميس موحدة ، رغم انها تختلف فى التفاصيل ، ولكى يتضح لنا معنى ذلك ، كان لابد ان نعود الى البدايات الأولى فى الخلق ، من أوله الى آخره ، ومن بساطته الى تعقيده .

ولاشك أننا سنقع فى المأزق الذى وقع فيه عالم الأجنة الشهير « فون بير » ، اذا ما عدنا الى مرحلة خاصة من مراحل تطور الجنين ـ اى جنين تشاء ، من اى مخلوق تريد ، ولا يهم هنا ان كان الجنين لكتكوت فى بيضته ، او لجنين بشرى فى رحم أمه ، او ما بين ذلك من أجنة زواحف او قرود او فئران او خيول أو حيتان أو ما شابه ذلك (تمعن فى الصورتين المنشورتين هنا لجنين كتكوت وانسان .. ففيهما فصل الخطاب) .

لكن .. ما هى قصة فون بير مع أجنته ، حتى تعرف المغزى فيما تسرد ونقول ؟

كان فون بير يجمع أجنة حيوانات مختلفة فى مرحلة خاصة من مراحل تطورها ، ويحتفظ بها فى وعاء زجاجى به مطهر حافظ من التعفن والتحلل ، ولثقته فى نفسه ، لم يضع على كل جنين ما يوضح هويته أو نوعه ،

وعندما عاد اليها فيما بعد ليدرسها ، لم يستطع أن يرجع معظمها الى أصولها التى منها قد جاءت ، ولذا نراه يكتب فى مذكراته « اننى لا استطيع أن أحدد اطلاقا الى أية فصيلة اورتبة تنتمى هذه الأجنة .. فقد تكون لسحالى أو لطيور صغيرة أو لحيوانات ثديية فى مراحل نموها المبكر .. كم هى متشابهة فى أشكالها وتكوينها هذه البدايات لأجنة كل تلك الحيوانات ؟ ! »

والواقع أننا كلما عدنا الى الوراء أكثر فأكثر ، كان التشابه فى بدايات الأجنة أكبر فأكبر ، ولكى ندرك معنى ذلك ، دعنا نتعرض للاصول التى نشأت منها المخلوقات ، حتى صارت بالصورة التى نراها بها عليها .

فى البدء .. كانت خلية !

تتوحد جميع الكائنات فى النشأة الأولى .. فلكى يأتى بعرور أو انسان أو حوت الى الحياة ، كان لابد من تقابل الذكرمع أنثاه .. صحيح ان طرق الجماع بين الانواع تختلف ، لكن الهدف واحد .. والهدف ان تيسر الحياة سبل اللقاء بين خلية جنسية من الذكر ، وخلية جنسية من الأنثى ، ليتم الاخصاب أو التلقيح فى الأرحام ، أو فى الماء (كما هو الحال فى الضفادع والاسماك وقنافذ البحر وما شابه ذلك) ، أو حتى فى انابيب الاختبار ـ كما سبق ان اوضحنا ذلك فى دراسات سابقة .

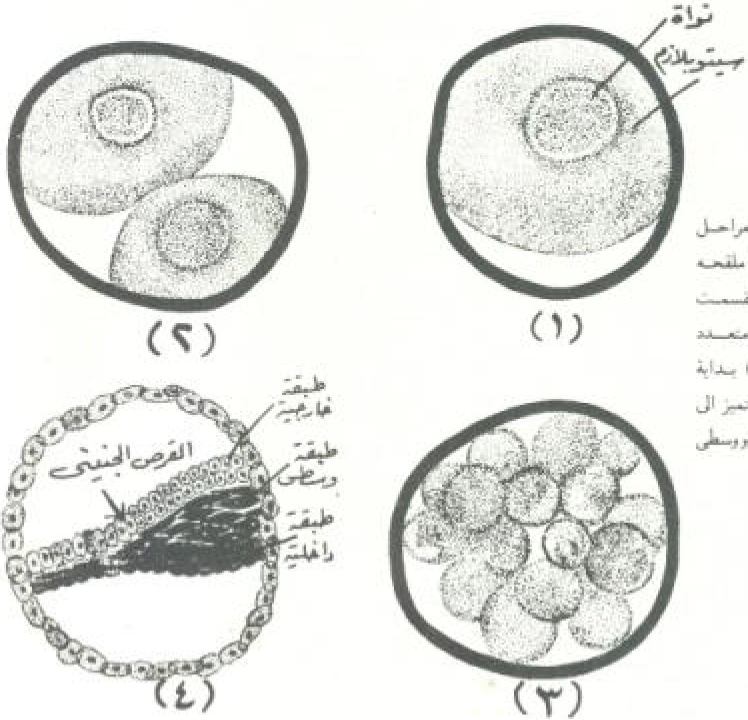
وفى اللحظة التى يتم فيها الاخصاب ، تتحدد صفات الكائن الحى ، ويبدأ بدايته الحقيقية على هيئة خلية لا تختلف فى الظاهر بين مخلوق ومخلوق ، لكن باطنها يحوى « البروجرام » الوراثى الذى ورثته من الأبوين ، وبعدها تترجم الخلية « بروجرامها » الى خطة عمل .. الى كائن حى يمر بمراحل محددة لا تختلف كثيرا بين نوع ونوع .. ايا كان شكل هذا النوع وحجمه ورتبته فى سلم التطور الذي يضع كل نوع فى درجته .

وبعد أن « ترتاح » البويضة الملقحة قليلا (انها فى الواقع راحة ظاهرية ، لكن فى الباطن تجرى أمور ضخمة على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد) ، تبدو وكأن شيئا قد ضغط على « زنادها » ، فاذا بها تطلق فى داخلها قذيفة التكاثر مثنى مثنى .. فتصبح الخلية خليتين ، فأربعة ، فثمانية ، فستة عشر .. فاثنتين وثلاثين ... الخ ، وتكبر كتلة الخلايا وتتضخم ، وتتحول الى ما يشبه الكرة الصغيرة التى تضم مئات وآلاف الخلايا ، لكنك لا تستطيع لها تمييزا !

والحق أن جميع الكائنات تبدأ هذه البداية الكروية ، وفيها لا تستطيع ان نؤكد ان كانت هذه الكرة الخلوية لانسان او خرتيت او أسد ... الخ ، لكن تمييز الأجنة لا يتأتى الا فى مراحل متأخرة من تطورها ، وكل مرحلة منها مرتبطة بزمن محدد .

ومن المثير أن نذكر هنا أن هذه البدايات الجنينية تعيد لنا قصة التطوُّر التى ظهرت بها الكائنات على هذا الكوكب ، فالذين درسوا الحفريات القديمة جدا (اى التى يرجع عمرها الى أكثر من ١٥٠٠ مليون عام) يخبروننا أن الكائنات لم تظهر هكذا اعتباطا ، بل ان الكائنات ذات الخلية الواحدة (البروتوزوا) قد سبقت الكائنات عديدة الخلايا فى الظهور ، وان منها ما يتكون من أربعة خلايا ، ومنها ما يتكون من ثمانية ، او ستة عشر ، او اثنتين وثلاثين ، او مئات أو آلاف الخلايا المتشابهة ، ومنها ما يشبه الكرة ... الخ ، اى كأنما الجنين الذى يبدأ حياته بخلية ، وينتهى بكرة مكونة من مئات أو آلاف الخلايا ، كأنما هذا الجنين يعيد نفس قصة ظهور الحياة على الأرض وتطورها من بساطة الى تعقيد .

والواقع أن هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة ، او ذات الخلايا العديدة ، لا تزال موجودة حتى الآن فى الماء ، لكن « بروجرامها » الوراثى لا يسمح لها بتعدى حدودها ، او تطورها الى مراحل أرقى ، فالذى يحمل لواء التطور والترقى هى الكائنات ذاتها ، فلكى تضيف الحياة الى بروجرامها فكرة جديدة ، كان لابد ان يظهر مخلوق جديد يحمل فى مخططه الوراثى تلك الاضافة ، والواقع أن مجىء الانسان فى النهاية ، كان محصلة ضخمة لكل الاضافات التى كانت فى جعبة الحياة على مر مئات الملايين من السنين ، وسوف يتضح لنا معنى ذلك بعد حين .



رسم مبسط يوضح مراحل الجنين : (١) بويضه ملقحه (٢) بويضه ملقحه انقسمت لخليتين (٣) الجنين متعدد الخلايا المتشابهه (٤) بداية القرص الجنيني الذي يتميز الى طبقات ثلاث : خارجية ووسطى وداخليه .

ثم كان التنوع والتميز

ذكرنا أن البويضة الملقحة قد انتجت ـ بعد عدد من الانقسامات المتتالية ـ كتلة من الخلايا المتشابهة على هيئة كروية ، وكان لابد من وضع حد لهذا الانقسام المتكرر ، حتى يمكن ان تحل محله فكرة اخرى تتصف بالتغير ، والتغير سمة من سمات التطور ، والتطور تنوع وتميز .. وقد كان !

ففى زمن موقوت ومحدد ، يتوقف الانقسام عند حد معين ، والذى يحدد هذا الزمن هو عدد الانقسامات التى لا تزيد ولا تنقص ، أى كأنما كل خلية تحمل معها « ساعتها » البيولوجية لتدق أو « تتك » دقات مقدرة ، وبها تعرف الزمن الذى يجب عليها فيه ان تتوقف ، وطبيعى ان هذا الزمن يختلف باختلاف النوع ، ففى حالة الانسان مثلا تتوقف الخلايا عن الانقسام بعد خمسة أيام ، وعندئذ يظهر على مسرح الكرة الصغيرة الجزء التالى من البروجرام ، ولكن بعد استراحة قصيرة !

كأنما الخلايا المتشابهة فى كرتنا الصغيرة تنتظر اشارة البدء فى الجزء التالى من مسرحية بعث الحياة فى بدايات الأجنة ، وعندما تأتيها الاشارة تشهد على مسرحها الدقيق حركة غير عادية ، وكأنما كل خلية هنا تعرف دورها ووجهتها التى فطرها الله عليها ، تماما كما يعرف كل ممثل فى فرقته ما هو مطلوب منه اداؤه سلفا .. المهم ان الخلايا تبدأ فى الحركة والهجرة ، وكأنما هى تعيد تنظيم مواقعها ، فيتوجه بعضها الى الخارج ، لتنتظم الواحدة بجوار الأخرى ، فتصبح للكرة جدارا ، ومن هذا الجدار الرقيق ـ الذى لا يزيد سمكه عن خلية واحدة ـ تنشا المشيمة التى تربط الجنين بجدار الرحم ، او تصبح همزة وصل بين الجنين وبين الغذاء المختزن (كما هو الحال مثلا فى جنين الكتكوت) .

وفى داخل تجويف الكرة تشهد البقية الباقية من الخلايا وهى تتزحلق وتغير مواقعها ، ثم تسكن لفترة فى

جانب من الكرة ، وفي الجانب الآخر يوجد فراغ ، وفي هذا الفراغ يمتد مسرح جديد ، والمسرح قوامه تلك الخلايا التي كانت تحتل ركنا من تجويف الكرة ، لكنها تهاجر من ركنها لتنتظم من جديد على هيئة قرص خلوي يمتد داخل التجويف ، كما يمتد السقف مثلا بين حجرتين تعلو إحداهما الأخرى ، ويطلق العلماء على هذا القرص اسم القرص الجنيني ، ومن خلاياه المتشابهة سوف تنشأ طبقتان مميزتان ، احداهما تعلو الأخرى ، والى هنا نكون قد وصلنا الى اليوم الثاني عشر من عمر جنين الانسان .

وفي بداية الأسبوع الثالث تتمخض الطبقتان عن طبقة ثالثة مميزة تقع بين الطبقتين اللتين تكونتا قبل ذلك ، والى هنا نكون قد وصلنا الى مرحلة جنينية ذات طبقات ثلاثة : طبقة خارجية ، وطبقة وسطى واخرى داخلية ، وفيها وعليها تتحدد كل أنسجة الجسم واعضائه ، والواقع ان هذه الطبقات الثلاثة ، وما يجري فيها من احداث غامضة أشد الغموض ، تبدو أمام العقل البشري بمثابة ظلمات ثلاثة ، وكأنما الحياة قد نصبت أمام العلماء أروع وأعظم مسرحية يقفون أمام فصولها المتلاحقة مبهورين ، فيرون « حبكة » الاخراج ، ودقة الأداء ، وتتابع خروج الانسجة والأعضاء بتوقيت زمني لاخلل فيه ولا فوضى .

لغز الألغاز !

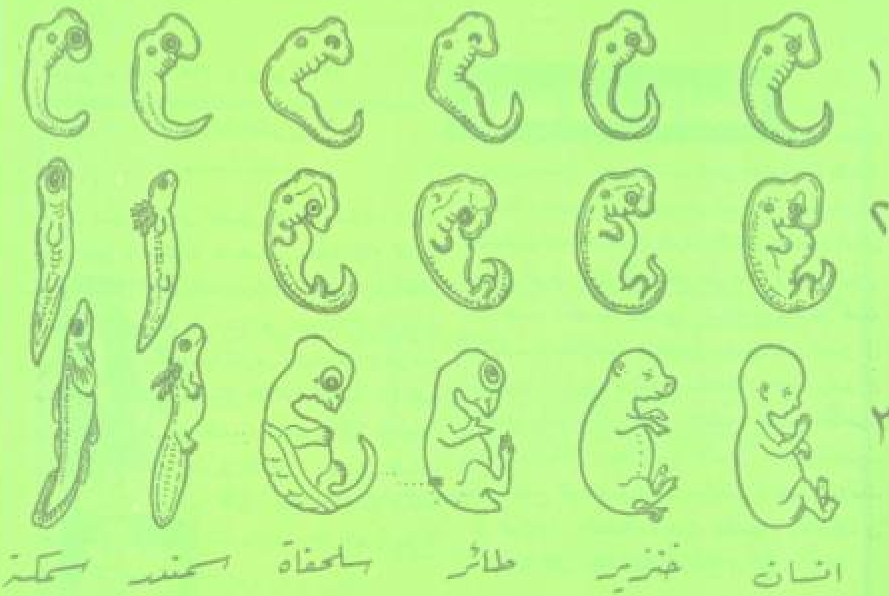
لكن .. كيف يحدث كل هذا ؟ .. وما الذي يوجه الخلايا ؟ .. وكيف تتنوع وتتميز بعد أن كانت متشابهة ؟ .. وبأية وسيلة تتشكل العين وتأخذ موضعها ، أو الأذن التي تسمع بها ، أو الأعصاب والعظام والغضاريف والأطراف والقلوب والأمعاء والكلى ... الخ ... الخ ؟

الواقع أننا نرى الظاهر .. نرى أجنة الحيوانات جميعا بلا استثناء ، ومن ضمنها الانسان بطبيعة الحال ، وهي تمر بأطوار ثلاثة بعد عملية الاخصاب : اولها طور التكاثر بالانقسام ، لتصبح الخلية الملقحة آلافا متشابهة ، ثم طور الحركة والهجرة لتأخذ كل خلية وضعها في نظام يخضع لبرنامج مقدر سلفا ، ثم طور التميز والتنوع الذي تجري أحداثه على القرص الجنيني ذي الطبقات الثلاثة .

ونحن نعرف الكثير عن عملية الاخصاب والانقسام الذي يؤدي الى تكاثر الخلايا ، لأن هذه العمليات من الميسور ملاحظتها وتشريحها وتصويرها ودراستها ، لكننا نعرف بدرجة اقل شيئا عن رحيل الخلايا او هجرتها وتغيير مواقعها ، لتصبح الخلية في الموقع المناسب ، لتقوم بالعمل المناسب ، وفي الوقت المناسب !

لكن ذلك القرص الجنيني هو لغز الالغاز ، او هو بمثابة الخريطة السحرية التي يتشكل منها كل مخلوق ويتطور ، وهو اكثر البدايات الجنينية غموضا على الفهم والادراك ، خاصة عندما تتحول طبقاته الثلاثة الى خلايا متميزة ، وانسجة متباينة ، واعضاء مختلفة ، وكل هذا يتم بخطوات سريعة متلاحقة ، تخضع ايضا لفترات زمنية محددة ، تجعلنا نحتار فيها اعظم حيرة ، وبحيث لا نجد لها تشبيها مناسبا يبسط لنا غموضها ، ومع ذلك فقد قدم لنا العالم البيولوجي جون تيلربونر من جامعة برنستون مقارنة متواضعة يقول فيها : ان تكاثر الخلايا يشبه صانع التماثيل الذي يضيف الى قالب التشكيل الخامة التي يصنع منها قالبه ، وحركة الخلايا وانتظامها يمكن تشبيهها بتشكيل هذا القالب وانتاج النماذج التي يهواها ، لكن مقارنته تنتهي عند هذه الحدود ، اذ أنه لا يجد بعد ذلك ما يسوقه لنا من تشبيه مقبول عن تنوع الخلايا وتميزها أو اختلافها ، رغم انها خرجت من اصل متشابه ، اذ ليس لدينا آية عملية طبيعية او صناعية في عالمنا ، وبها يمكن ان نقارن ما يجري في هذا القرص العجيب ، أو ما يتمخض عنه من أحداث مثيرة ، وبدونها لا يمكن أن يظهر على هذا الكوكب انسان او حيوان بصورته المعهودة .

كل ما نستطيع ان نقوله هنا أن الخلايا تنفذ بروجرامها من خلال جهازها الوراثي الدقيق الكامن في نواتها ، والنواة هنا بمثابة عقل الخلية ، او بمثابة عقل النحات الذي يحول الفكرة الى تجسيد في تماثيله المتنوعة .. اضف الى ذلك ان « عقل » الخلية او « مخها » الكامن في نواتها يعطي الاوامر او الشفرات التي تصنع عددا كبيرا من « الرسل » الكيميائية (مثل الهرمونات



كم هي متشابهه هذه البدايات لأجنة الحيوانات المختلفه اذ كلما عدنا الى الوراء في الزمن (الصورة رقم ١) ، كان من الصعب تمييزها ، ثم يبدأ التمييز بين أجنة السمكه والسمندر (حيوان برمائي) ، في حين أن الحيوانات الفقاريه يصعب تمييزها (الصورة رقم ٢) ، ومن مراحل متأخره نسبيا يمكن تمييز جنين الطائر والخنزير والانسان (الصورة رقم ٣)

او البروتينات) ، ومن خلال هذه الرسل ـ التى تنتقل من خلية الى جيرانها ـ يتم التفاهم بينها ، أى كأنما الخلية او الخلايا تنفذ تعليمات على درجة كبيرة من الغموض والاثارة .. غموض فى عقولنا ، ووضوح تام فى الطريق الذى تسير فيه خلايا الجنين نحو هدف محدد ، فاذا بها تغير فى بروجرامها على حسب الرسالة الكيميائية الواصلة اليها ، وتبدأ فى تحوير شكلها وموقعها وعملياتها الكيميائية الحيوية ، وعندما تبلغ هدفها ، ترسل بدورها رسلها ، لتؤثر من جديد على ما حولها ، وهكذا تسرى الأمور على هيئة مسلسلة من الاحداث المتلاحقة ، وفيها يلعب التوقيت دورا على درجة هائلة من الأهمية ، فالتجارب الكثيرة والمعقدة التى اجراها العلماء على هذه الخلايا الجنينية توضح أهمية عامل الزمن فى حياة تلك الخلايا !

ولكى نوضح جزءا من هذه الصورة الغامضة نقول : من الممكن مثلا ان نفصص خلايا الجنين الذى يتكون من خليتين او اربعة او ثمانية او ستة عشر ، الى خلايا منفصلة ، ومن الممكن ان تعطى اية خلية منها جنينا كاملا ، والسبب فى ذلك ان الخلايا لم تتميز بعد ، او قل انها بمثابة القالب الذى يعطى عددا من التماثيل المتشابهة .. ثم فى فترة زمنية تالية ، اى بعد ان تصل الخلايا فى انقسامها الى مرحلة معينة ، وفيها يخرج الامر الكيميائى ليعيد تخطيط وتحوير جهازها الوراثى ، تتصرف بطريقة اخرى مختلفة ، فقد تكون بداية لنسيج يرى ، أو يسمع ، او ينبض ، او يحس ... الخ ، ومن الممكن ايضا ان نتلاعب ببروجرامها عندما نضيف اليها « الرسول » الكيميائى الذى تنتجه خلية اخرى لا تمت لها بصلة تذكر ، فاذا بها تتقبل امرها ، وتحور بدورها فى مخططاتها ، لكننا لو تاخرنا قليلا فى اضافة هذا الرسول الكيميائى فى زمن قدر تقديرا ، فان الخلية لا تستجيب لهذا النداء ، فلقد وصلت الى المرحلة التى لا رجعة فيها ولانكوص .

الموضوع لاشك طويل جدا ، وقد نعود اليه فى دراسة قادمة لنوفيه حقه .

الانطلاقة الكبرى !

ان مسرح القرص الجنينى بطبقاته الثلاثة ، وما يجرى فيها من احداث غامضة ، يستعد الآن لثورة كبرى ، وليس لنا من هذه الثورة الا الظاهر ، وفى الظاهر غموض ، لكن الغموض هنا اقل غموضا مما يجرى فى الباطن ، فعلى مسرح هذا القرص المتواضع (والتواضع هنا نسبى) تنطلق الخلايا فى كل الاتجاهات .. انها اشبه هنا بحشد عظيم فى ظاهره فوضى ، لكن من هذه « الفوضى » الظاهرية ، يبرز تدبير ، وينبثق نظام ، ويتجلى ابداع ، ويكمن اتقان .. فكل طبقة من طبقات جنيننا تعرف طريقها ، وتنفذ برنامجها ، فلا تظهر كبيرة ولا صغيرة الا بتوقيت معلوم !

فمن الطبقة الخارجية يتشكل الجلد والاظافر والشعر (او الحوافر فى الحيوانات ، والريش والمخالب فى الطيور ، والدروع فى السلحفاة او حيوان المدرع ، والحراشيف فى الاسماك ... الخ) . ومن جزء منه أيضا ـ بعد عمليات هجرة وانبعاج الى الداخل ، ثم تنظيم وانفصال عن بقية خلايا الطبقة الخارجية ـ يأتى المخ والشبكة العصبية .

ومن الطبقة الوسطى تتشكل الغضاريف والعظام والنخاع والعضلات والقلب ، ومن الشفرات الكيميائية المتبادلة بين هذه الطبقة وبين الطبقة الخارجية ، يحدث تحوير وتعديل فى فترات زمنية ، بحيث تشترك خلايا هذه مع تلك فى إنتاج الاوعية الدموية والكلى والغدد الجنسية والبشرة (تحت الجلد) .

ومن الطبقة الداخلية تنتج الرئتان والغدد الصماء والجهاز الهضمى والكبد والبنكرياس والبلعوم والمرىء ... الخ .

وكل هذه الامور ـ ببساطة شديدة ـ تخضع لتعليمات متقنة وحساسة ، وهى بلا شك تجعل علماء الحياة يلهثون وراءها ، علهم يلمون بشىء من اسرارها ، فهم بدورهم يشتاقون اشد الاشتياق لمعرفة الاتقان والابداع الذى يتجلى لهم فى الخلق الذى قام على فكرة واحدة ، ليؤدى الى تجسيم ، فصوله متشابهة ، ثم اذ به يتشكل تحت سمعهم وابصارهم ، فيتحول الجنين غير المميز الى كتكوت او انسان او قرد او سلحفاة ... الخ ، رغم ان الظاهر واحد ، لكن الباطن مختلف ، وللناس الظاهر ، وللعلماء الباطن ، وما أروع الأسرار .. اسرار الباطن ، فهى تضع العين فى موضعها ، والقلب فى محله ، والأمعاء فى تجويفها ، والعضلات حول عظامها ، والاطراف فى صورتها التى نراها عليها ... الخ ... الخ .

لو أنك اطلعت على هذه التمثيلية البيولوجية المثيرة ، لوجدت أن زعانف السمكة ، واجنحة الطيور ، وأرجل الحيوانات ، وأطراف الانسان تخرج من مواقع محددة فى الجنين الذى يتشكل (انظر الصور المنشورة هنا) ، ثم قد يأخذك العجب وانت تشهد أن بعض أجزاء الجسم تنمو أسرع من اجزاء غيرها ، كما أن النمو النسبى بين الأجزاء المختلفة فى المناطق المختلفة يختلف كذلك من وقت لآخر .. ففى الشهر الثانى من عمر جنين الانسان مثلا تلحظ ان رأسه تحتل من الجسم نصفه ، وان الذراعين تنموان أسرع من الساقين ... الخ ... الخ ، وكل هذا محكوم بنواميس عظيمة من لدن حكيم خبير !

« جفت الاقلام ، وطويت الصحف » .. وران على العقل صمت طويل .. فيا أعظم الأسرار .. اسرار الحياة « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

● يجب عمل أى شىء بكل بساطة ممكنة ولكن ليس الى درجة كبيرة .

البرت اينشتين

● من الاشياء التى تساعد الفرد وتجعله أكثر تحملا للمسئولية أن تجعله يعرف أنك تثق فيه .

بووكر واشنطن

أقوال معاصرة



نزار قباني



براندت



كارتر



كرايسكي

■ الصهيونية تمثل نوعا من العنصرية وتقديسا للجنس ولست مستعدا لقبولها ·

المستشار النمساوى برونوكرايسكى

■ اننا نريد أن تكون علاقتنا بجيراننا مثل علاقة الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية بجاراتها فى دول أمريكا اللاتينية !

أبا ايبان

وزير خارجية اسرائيل السابق

■ أنا لا أحب النضوج فى الشعر · أحب الجنون فيه ·

الشاعر نزار قبانى

■ عندما أقرأ كتابا لا أتصور نفسى عجوزا، أو أننى أحمل عمرا، فى الواقع أشعر بأننى أعيش من غير عمر ·

الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار

فى حديث بمناسبة بلوغها سن السبعين

■ لقد سئمت لعبة التخفى ، فالحياة قصيرة جدا ، خاصة عندما يتقدم الانسان فى العمر ·

المستشار الالمانى السابق ويلى براندت

بعدما قرر طلاق زوجته ليتزوج سكرتيرته

■ النساء أكثر ميلا للواقعية وأقل اهتماما بالنواحى النظرية ، وهن ينظرن أكثر الى المدى البعيد ، لانهن مهتمات بالعالم الذى سينمو فيه أطفالهن ·

مارجريت تاتشر

رئيسة وزراء بريطانيا

■ اى خرق للاتفاق الجديد للحد من الاسلحة الاستراتيجية الامريكية السوفيتية ، سيكون اختبارا يهز الارض ·

الرئيس الامريكى كارتر

■ ان الحكومة العسكرية فى الضفة الغربية تتوارى عن الانظار عندما يتحرك المستوطنون اليهود ، أما اذا أبدى المواطنون العرب أى رد فعل ، فان الحكومة العسكرية تظهر للعيان على الفور ·

صحيفة القدس التى تصدر فى الضفة الغربية ·

بعدما هبت علينا ريح جديدة
من اطـلال ايام الخوارج !

بحث
لابد منه
في

الردة

... وأسبابها

بقلم : د . سعيد رمضان البوطي ❊

لا يكون موضوع المقالة ، في رأيي مستأهلا للنظر او النشر ، الا اذا كان منطويا على حل لمشكلة ، او متضمنا لاجابة على استفسار ، او تبصيرا بجديد ..

فالبحوث المعروفة ، التي لا جديد فيها ، لا مكان لها ، في اعتقادي ، الاّ داخل بنيانها الكلي المتمثل في العلم او الفن الذى تنتمي اليه . فان ارتباطها بما قبلها وتمهيدها لما بعدها يكشفان عن اهميتها ومدى فائدتها . ولا يتحقق هذا ، الا عندما تكون هذه البحوث متصلة بسلسلتها ، قائمة على مغارسها . فان فصلت عنها في مقال مستقل ، عادت كالكلمة المقتطعة من جملتها المفيدة ، او عادت كالجملة الواحدة المفصولة من كلامها الكلي المفيد لا ترى لها من جدوى ، الا كجدوى من يكرر درسا وعاه ، للتأكد أو التأكيد على انه متمكن منه .

بدعة جديدة

والبحث في معنى الردة واسبابها ، ليس في اصله ، وقبل هذه السنوات ، الا مثالا من هذا القبيل : شئ معروف ، لا جديد فيه ، ما ينبغي ان يبحث أو يدرس الا ضمن مجاله او المسائل المحيطة به من علم العقيدة والتوحيد .

ولكن امرا لم يكن في الحسبان ، طرأ على الاذهان ، بل

❊ رئيس قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق .

على نفوس طائفة من الشباب والباحثين المسلمين ، تجد منهم ـ قلوا او كثروا ـ في كل قطر وصقع ، جعلهم يبتدعون لمعنى الردة شيئا جديدا ، ويضيفون الى اسبابها أسبابا اخرى لم تسمع بها في كتاب ولا سنة ولم تتلقها عن اى عالم مخلص امين في تجلية حقائق هذا الدين كما وعاها الرعيل الاول من هذه الامة ، ثم الذين جاؤوا من بعدهم ، فمن بعدهم ، ممن يشكلون بحمد الله سواد هذه الامة (وهم الذين امر رسول الله ﷺ باتباعهم) بل هم الذين حذر بيان الله جل جلاله من التنكب عن صراطهم البين العريض اذ قال : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥٤ .

فكان ان تحول هذا البحث المعروف الذي لا جديد فيه ، بسبب ذلك ، الى مشكلة تحتاج الى حل ، بل الى معضلة يثور حولها النقاش والجدل ! .. وانظر ، فاذا انا مضطر الى معالجة مسألة الردة واسبابها في مقال ، في مثل هذه المجلة ! .. ولا والله ما كنت احسب قبل سنوات ، ان ريحا هوجاء ، ستنبعث من اطلال ايام الخوارج ، لتعصف بأذهان كثير من المسلمين اليوم ، فتقصيهم عن صريح كتاب الله ، وقواطع الكلام في سنة رسول الله ﷺ ، وعن الصراط الذي تلاقي عليه سواد هذه الامة ، وجماعتها المسلمة في كل زمان ومكان ! ..

ومهما تكن اسباب هذه الظاهرة لدى ثلة من الشباب ، الذين تجد نماذج منهم كما قلنا في كل قطر ، بل في كل بلدة ـ فانها ليست على كل حال اسبابا علمية ولا فكرية .بل مردها الى اسباب نفسية اثارها عامل رئيسي لا ثاني له ، الا وهو سوء التناسب بين العاطفة الاسلامية الحارة التي يتمتع بها السواد الاعظم من الجيل الصاعد من جهة ، والضوابط العلمية التي يفتقر الى معرفتها معظم افراد هذا الجيل من جهة ثانية . فلقد تحول سبيل دراسة الاسلام وفهمه ، عند اكثر هؤلاء الشباب ، الى برامج فكرية وعاطفية مجردة ، بعد ان ظل خلال دهور طويلة منهجا علميا قبل كل شيء ، يتم عن طريق استيعاب النظام الكلي للاسلام ، متمثلا في عقائده وتشريعاته واخلاقه . اما العاطفة فانما كانت تنبثق ثمرة ناضجة ، من خلال هضم هذا المنهج العلمي ، حيث يتلاقى كل من العاطفة والعلم على صراط واحد وجهود متناسقة مشتركة ، من اجل بناء المجتمع الاسلامي الصادق السليم .

ويحدث مثل هذا التحول الخطير ، عادة ، عند غياب العدد الكافي ، من العلماء المرشدين الربانيين من بين افراد المسلمين وشبابهم ، فينتشر هؤلاء عندئذ في طريق الدعوة الاسلامية بدفع من عواطفهم الهائجة ، كقطعان لا راعي لها ، فيربو من ذلك الغثاء الخادع ، وتقل الجذور الراسخة ، وتتكاثر الاراء المتخالفة ، اذ تهيج العواطف وتنعدم كوابح العلم وضوابطه ، فيدلى كل بالرأى الذي يروق له ثم يحصنه بأكبر شحنة من العصبية أو التعصب له . وعندئذ تتحول عملية الدعوة الاسلامية الى مجرد خصومات وحجاج للدفاع عن هذه الآراء .

الردة والكفر المطلق

ولا عاصم من هذا البلاء الماحق للجهد والمضيع للوقت والمفرق للجمع ، الا الرجوع الى العلم ، متمثلا في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وفي استنباطات الأئمة الأربعة منهما والقياس عليهما . فان جد بيننا جديد لا حديث عنه في كتاب ولا سنة ، ولا في اجتهادات الأئمة ، عهدنا بالبت فيه الى من يتوفر فيهم العلم الغزير ، والامانة الدقيقة ، والدين الخالص القويم . وهم اولئك الذين لا تخيفهم سطوة سلطان ولا تطمعهم نعمة انسان ، ويربؤون بدين الله عز وجل ان يتخذ مطية الى الدنيا ، او سلما الى المناصب والمغانم .

ولا ريب ان اصحاب هذه الصفات من العلماء قد غدوا قلة بين الناس ، ولكنهم بحمد الله موجودون ، تجد منهم في كل بلدة وقطر ، يستطيع كل من شاء ان يراهم ويستفيد منهم .

وبعد ، فان الحديث الخطير الذي يستمرئه كثير من المسلمين اليوم عن الردة والمرتدين ، ليس الا واحدة من المشكلات الناجمة عن هذه الظاهرة التي اوجزت البيان

لها والحديث عنها . ولعل من الخير ، بل من الضروري ، ان اضع بين يدي القارىء خلاصة سريعة ، عن الحكم الشرعي في هذه المسألة ، طبقا لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، ولما اتفق عليه جمهور المسلمين في شتى العصور السالفة . لعله يكون عونا على ان يضبط هؤلاء الاخوة عواطفهم بضوابط العلم واحكامه ، فلا يتسرعوا في الحكم على الناس باحكام ، قد يتحملون سوء عاقبتها وخطير منيتها في يوم من الايام ! ..

فمن الواضح ان الاسلام ، كما يتحقق بأركانه ، وبالمستلزمات الاساسية لتلك الاركان فانه يفقد بفقد شيء من تلك الاركان او المستلزمات .

ثم اننا ننظر ، فان كان فقد شيء من ذلك فقدا اساسيا ، اي غير مسبوق بما يناقضه من اليقين به ، فهو كفر مطلق ، وهو الذي يسمونه بالكفر الاصلي . ولـه وللمتلبس به احكام خاصة تعرف في اماكنها من كتب الفقه الاسلامي . اما إن كان فقده طارئا ، اي بعد يقين تام به ، فهي الردة التي سنبحث فيها الآن .

وليس الغرض هنا البحث في احكام المرتد ، ولكن القصد بيان اسباب الردة وموجباتها .

ميزانان اثنان

من المهم ان نعلم ان اسباب الردة ، مهما كثرت وتفرعت ، فان مردها ، سلبا وايجابا الى ميزانين اثنين :

اولها ، قول الله عز وجل : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ثانيهما ، ما تظافرت عليه دلائل القرآن الكريم والسنة المطهرة ، من ان الاحكام القضائية في الدنيا لا يجوز ان تنهض الا على البينات الظاهرة ، وان الله لم يجعل للناس وراء ذلك من الامر شيئا . فليس لأحد منهم ان يتعاطى حكما على غيب احد ، حتى تتظاهر عليه الحجج المعتمدة في الكتاب والسنة ، للعمل بها في دار الدنيا .

فأما الميزان الأول ، فيكشف لنا ان المكفرات ـ وهي ما استوجب الخلود في عذاب الله يوم القيامة ـ كل ما كان تعبيرا عن الاشراك بالله في ذاته او في شيء من صفاته . ويدخل في حكمه عن طريق القياس اليقيني الأول ، انكار وجود الله عز وجل ، وما هو في حكمه من الخلق اي نقيصة به تتنافى منافاة واضحة مع صفة الألوهية له عز وجل بل جحود الخالق سبحانه وتعالى ، وما هو في حكمه ، من سلب صفة الكمال عنه ، داخل في دلالة هذه الآية ذاتها . ومكان الدلالة فيها على ذلك قوله عز وجل : « ويغفر ما دون ذلك .. » .

فانه سبحانه وتعالى ، فتح باب المغفرة لكل من كانت معصيته ، دون مستوى الاشراك بالله عز وجل ، اي اقل خطورة منه . فبقيت المعاصي التي هي أبلغ سُوءاً من الاشراك به عز وجل ، ملحقة بحكمه ، بدلالة هذا النص ذاته . وهي محصورة في انكار وجود الخالق اصلا ، وفي الحاق شيء من صفات النقص به ، كالكذب ، والعجز ، والظلم ، والموت .. الخ .. واما المعاصي الاخرى ، التي هي دون الاشراك بالله عز وجل ، فكلها داخل تحت امكان عفو الله عنها ، مهما اختلفت وتنوعت صغيرة كانت او كبيرة . ومن ثم لا يوصف المتلبس بها او بشيء منها بالكفر او الردة .

واذن فعلى ميزان هذه الآية الجامعة ، تنزل عمومات الايات التي تدل بظاهرها على خلود بعض اصحاب الكبائر في النار يوم القيامة ، من مثل قول الله عز وجل : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، واعد له عذابا عظيما » النساء : ٩٤ وقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » المائدة : ٤٨ وقوله عز وجل : « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » المؤمنون : ١٠٤ .

اي فالاية الاولى يراد بها القاتل المستحل للقتل ، المصر على عقيدته هذه دون توبة . والاية الثانية تتحدث عن المعرضين عن حكم الله تعالى انكارا له وجحودا . والاية الثالثة تعني أولئك الذين ماتوا على معنى من معاني الشرك بالله عز وجل ، او على ما هو شر منه كالجحود به عز وجل .

اما الميزان الثاني ، فهو تبصير بحدود وصلاحيات

الانسان ، حاكما كان ، أو قاضيا ، او مفتيا في تطبيق الميزان الأول على سائر الناس .

ترى ما هي الدلائل والبينات التي يجوز ان يبنى عليها الحاكم او القاضي مثلا ، الحكم بكفر انسان أو ردته ؟

يوضح لنا هذا الميزان بأن الدلائل التي يجوز الاعتماد عليها ، في البت بهذا الحكم الخطير وما يستتبعه من احكام خطيرة أخرى ، انما هي الدلائل الصريحة القاطعة . فلا قيمة في هذا الباب لدلائل الفراسة والتوسم ، ولا لشيء من الدلائل اللزومية ، الا اذا كان اللزوم فيها قطعيا لا مجال لتخلف اللازم فيه عن الملزوم .

فلا يستدل بشيء من المعاصي ، مهما عظمت ، ومهما استمر العاصي في عكوفه عليها ، على انه كافر او مرتد . لأن الدليل اعم في هذه الحال من المدّعى . اذ رب رجل يتقلب في الوان المعاصي استهتارا واستجابة لرعوناته وجموح نفسه ، ويكون اعتقاده بالله عز وجل سليما ، والمقومات الاساسية لاسلامه متوافرة .

ولا يستدل بشيء من مظاهر المراوغة او النفاق ، مهما تنوعت واستمرت ، على كفر يستوجب حكما قضائيا في دار الدنيا ، بل لا يجوز حتى الجزم الاعتقادي بكونه كافرا ، ولو بدون ترتيب احكام قضائية عليه ، الا ان يتلبس هذا الانسان بما سماه رسول الله ﷺ كفرا بواحا ، أي ظاهرا مكشوفا ، فيقضى عندئذ بكفره وردته .

ومن ابرز الادلة على هذه القاعدة ما رواه مسلم واحمد وابن ماجه وابو داود عن اسامة بن زيد ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فصبحنا الحرقات من جهينة ، فأدركت رجلا ، فقال : لا اله الا الله ، فطعنته ، فوقع في نفسي من ذلك : فذكرته للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أقال لا اله الا الله وقتلته ؟ .. قال ، قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح . قال : أفلا شققت على قلبه ، حتى تعلم أقالها أم لا ؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني اسلمت يومئذ .

ومثله ما رواه مالك في الموطأ عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن عبد الله بن عدي بن الخيار أنه سارّ النبي ﷺ ، فلم ندر ما سارّه . حتى جهر رسول الله ﷺ ، فاذا هو يشاوره في قتل رجل من المنافقين . فقال رسول الله ﷺ : أليس يشهد ان لا اله الا الله ؟ قال بلى ولا شهادة له . قال : أليس يصلي ؟ قال بلى ولا صلاة له . فقال رسول الله ﷺ : اولئك الذين نهاني الله تعالى عنهم .

ومن تطبيقات هذه القاعدة في هديه ﷺ ، معاملته للمنافقين بناء على ظاهر ما يتلبسون به من دلائل الاسلام ، ووقوفه بهم عند هذا الحد ، دون ان يقتحم شيئا من سرائرهم مهما تجلى لتلك السرائر من ذيول وآثار .

تطبيقات

ان التصرفات التي تستوجب الردة ، اعتمادا على هذين الميزانين ، لا تخرج عن ان تكون اقوالا ، أو افعالا ، او ما يمكن ان يدخل في نطاق السخرية والتحقير .

فأما الأقوال ، فهي كل ما كان تعبيرا صريحا عن انكار ركن من اركان الاسلام أو الايمان ، او عن انكار حكم من الأحكام الاسلامية المعروفة من الدين بالبداهة والضرورة . كأن يبيح الفاحشة ، او قتل النفس بغير حق ، او يبيح الربا عموما ، بعبارة صريحة قاطعة في الدلالة على ذلك .

ذلك لان هذه الاقوال اما ان تكون داخلة في معنى الاشراك بالله عز وجل ، كالذي ينكر وحدانيته ، واما ان تكون ابلغ سوءا منه ، كالذي ينكر وجود الخالق عز وجل ، واما ان تكون في مستوى الاشراك به ، كالذي ينكر قواطع الاحكام الصريحة المشهورة في كتاب الله عز وجل ، اذ لا يتأتى انكار شيء من ذلك الا عن طريق انكار شيء من القرآن ذاته .

وأما الافعال ، فهي كل ما كان يحمل دلالة قاطعة على ما يتناقض مع ركن من اركان الايمان او الاسلام ، كالسجود لصنم ، وكالتزيي بالازياء التي تخص رجال الاديان الاخرى ، مما يحمل دلالة دينية متناقضة مع شيء

من اركان الاسلام والايمان .. فان هذه الافعال دلالة واضحة ، لا تقل عن دلالة النطق ، ولها مدلولات تناقض الاذعان لاركان الايمان والاسلام .

واما ما يدخل في نطاق السخرية والتحقير ، فهو داخل في الحقيقة في زمرة الاقوال او الافعال ، ولكن العلماء افردوه بنوع ثالث ، لعدم توفر الجد الذي من شأنه ان يتوافر في النوعين السابقين ، وضوابط السخرية او التحقير المستوجبين للردة ، ان يسخر المسلم من شيء من اركان الاسلام او الايمان او من اي حكم علم ثبوته وكونه من الدين بالبداهة والضرورة ، او ان يحتقره بوسيلة واضحة من وسائل التحقير .

اذن ، فكل ما كان التعبير عنه بالقول الواضح الجاد مستوجبا للردة ، فان تناوله بالسخرية او التحقير يكون مستوجبا للنتيجة ذاتها . كأن يسخر من الصلاة او الحج او الزكاة او من الجنة او النار ، او ان يحتقر القرآن تحقيرا واضحا بقول او فعل ؛ او يزدري الفقه الاسلامي عموما ، او يحتقر شيئا من الشعائر الاسلامية البارزة كالاذان والمساجد .. الخ .

ويكفي لثبوت الردة ، قضائيا ، بشيء من هذه الانواع الثلاثة من التصرفات ، مجرد تلبس الانسان بشيء منها بمحض ارادته واختياره . سواء اكانت مدلولاتها قائمة في ذهنه ام لا . وذلك عملا بالميزان الذي اوضحناه ، فان كلا من الاقوال والافعال المكفرة ، ومظاهر السخرية بشيء من اركان الدين ، ذو دلالة صريحة واضحة على ما يناقض العقيدة الاسلامية . فان كان القلب منطويا على ما يخالف تلك الاقوال او الافعال ، فإنه من الامور الباطنة التي لا سلطان للاحكام القضائية عليها . لذا فانا نحكم بردة كل من سخر ، مثلا ، بشيء من اركان الاسلام او شعائره البارزة ، ونكل باطنه الى الله عز وجل . الا اذا صرح لنا بما يكنه قلبه من الايمان والاسلام والاعتقاد المنافي لظاهر ما دل عليه عمله او قوله ، فيكون تصريحه هذا بمثابة التوبة عن الردة التي تلبس بها ، وتقبل منه علانية هذه ويترك باطن حاله الى الله عز وجل .

فتلك هي القاعدة ، وهذا هو تطبيقها . ومهما كثرت جزيئات الامثلة ، فان المسلم الذي الجم نفسه بلجام الشريعة واحكامها ، لن يتيه فيها ، ولن تقوى نفسه على تهييج عواطفه ، لتطلق الاحكام والاراء المتفقة مع اهواء النفس او ضغائن الفؤاد .

الحكم بغير ما أنزل الله

ولنعرض ، على سبيل المثال ، لواحدة من الجزئيات الكثيرة ، يشيع الخوض فيها ، والتساؤل عن حكمها بين كثير من الناس اليوم ، وهي : الحكم بغير شرع الله عز وجل .

فما هو حكم من قضى بغير شرع الله عز وجل في حق نفسه او في حق فرد من افراد اسرته او في حق من يمتد سلطانه عليهم ، كالزعيم في عشيرته والحاكم في رعيته ؟

وإنما رددنا الحكم بغير شرع الله عز وجل في هذه الصورة المتنوعة ، لكي يعلم كل مسلم ان الحكم بغير ما انزل الله تعالى ليس محصورا فيما يتم تحت قوس القضاء او في قصور الحكم .. وانما يتحقق في ابرام اي امر على وجه مخالف لما قضى به الله عز وجل ، سواء كان ذلك من الحاكم في حق رعيته او من رب الاسرة في حق اهله واولاده او من المسلم في حق نفسه وكل تفريق بين هذه الصور تفريق باطل لا معنى له .

اذن ، فما هو حكم من أبرم أمرا على وجه مخالف لما قضى الله تعالى به ؟

ينظر .. فان صاحب هذا الابرام دليل قاطع على أنه انما استبدل بحكم الله تعالى غيره جحودا بالله عز وجل ، او انطلاقا من زعم ان احكام الاسلام غير صالحة للحياة ، او ازدراء واحتقارا له ، وكان ذلك الحكم الذي قضى بغيره معروفا من الدين بالبداهة لكل الناس ، فذلك موجب من موجبات الردة عن الاسلام وان صاحب ذلك تكرير لشهادة الاسلام واداء للعبادات كالصلاة وغيرها . الا ان يتوب بالاقلاع عن ذلك السبب نفسه ، بأن يعلن خلافا لما بدر منه ، بأن الشريعة الاسلامية كلها صالحة للحياة ، وانه انما قضى فيما قضى به بباطل من الحكم ، وان الحق الثابت انما هو ما قضى به الله عز وجل .

اما ان لم يصاحب حكمه هذا دليل قاطع على الجحود او الازدراء او الاحتقار ، بأن احتمل ان يكون الصارف له على الحكم بما أمر الله به مجرد استهتار ، او استجابة لبعض رعونات النفس واهوائها او فرارا من التقيد بقيود الشريعة الاسلامية ، فلا يجوز التكفير بذلك ، كما لايجوز تطبيق أحكام الردة على من تلبس بمثل هذه المعصية مهما كانت أدلة هذه الاحتمالات ضعيفة .

ذلك لان مدار الامر في اصل كل من الكفر والاسلام انما هو الاعتقاد ! .. فاذا ترتب على القول او الفعل حكم بالتكفير ، فليس ذلك الا لان القول او الفعل ذو دلالة قاطعة على عقيدة مكفرة . فأما اذا لم تكن له على ذلك دلالة قاطعة لم يجز ترتيب حكم الارتداد او الكفر عليه وانحصرت دلالته على الفسق والعصيان مع احالة باطن الامر الى الله تعالى .

ولا نعلم مخالفا لهذه القاعدة الا الخوارج والوعيدية .. فان الشرذمة الاولى كفرت المسلمين بمجرد ارتكابهم الكبائر ، اما الثانية فقضت بخلود الفاسقين في النار اعتمادا على ظاهر بعض الآيات التي مر ذكرها ... وقد اتضح لك بطلان هذا الوهم من خلال بيان الميزانين اللذين وضعنا امامهما كلا من صريح كتاب الله وصحيح السنة المطهرة . وهو الذي قضى به سواد الامة وجمهور الائمة .

●●●

وختاما ، انني اناشد جميع الاخوة المسلمين حيثما كانوا ، الا يتحرفوا عن الصراط العريض الذي اختطه لنا كتاب الله وبينته لنا سنة رسول الله ، الى اي افراط او تفريط ، والا يدخلوا شيئا من حظوظ النفس واهوائها الى ساحة الكتاب والسنة ، وان يعلموا ان الدعوة الى الله ودينه انما يجب ان تنطلق من قلب سليم طهر من الاحقاد والاضغان والميل الى الشهوات والاهواء ، فلم يبق فيه متسع لأكثر من التحرق على دين الله والشفقة على عباد الله .

فان كان قصاري همنا اتباع هدى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فذلك هديه ، وهكذا كان شعوره وقلبه ، والا فرب شيء ارتدى مظهرا وانتمى في حقيقته الى ما يناقضه او يخالفه .

وقد قيل ان رجلا كان يعمد الى خلية نحل فيملؤها بعسل مزيف ، ويجمع حولها أسراب نحل عقيمة لا تنتج ثم يستخرج منها ذلك العسل ... ويقول لها ـ وهي تطوف بطنينهاحوله ـ :

« حسنا .. منكم الطنين المتبع ، ومني العسل المشبع » !..

ولكن مهما تكاثر النحل وتعالى طنينه حول الخلية ، فان ذلك لا يغير من الحقيقة شيئا . وسيظل العسل شيئا آخر غير هذا الشراب المموه . ■■

د . محمد سعيد رمضان البوطي

كل يغني على ليلاه

● حاولت زوجة دون جدوى العثور على عدسة عينها اثر سقوطها في سلة مهملات مملوءة الى حافتها العليا غير أن زوجها تمكن بعد مجهود كبير من العثور عليها .

وقالت له الزوجة والدهشة بادية على محياها : كيف عثرت عليها؟ فأجابها قائلا : حسنا ، لقد كنت تبحثين عن قطعة صغيرة من البلاستيك، في حين كنت أبحث عن سبعين جنيها هي ثمن العدسة .

شيرلي فريدمان

إفرست جالوا

نموذج العبقرية والنضال وسوء الحظ !

بقلم : الدكتور عبد العظيم أنيس

إفرست جالوا واحد من اعظم من انجبت اوربا - وفرنسا بالذات - في علم الجبر في القرن التاسع عشر ، عاش حياة اغرب من الخيال ومات في الواحدة والعشرين مقتولا بصورة تفوق خيال السينمائيين !

وكأني بقارىء يسأل : كيف يموت انسان في سن الشباب المبكر ويكون عالما فذا ورياضيا عبقريا ؟ والاجابة على هذا السؤال الطبيعي هو أن ما ينطبق على سائر البشر لا ينطبق على ادمغة العباقرة . إن جالوا لم يترك وراءه غير ستين صفحة ، ولكن هذه الصفحات الستين ظلت تشغل أذهان الرياضيين لأكثر من قرن من الزمان بعد وفاته ، ومازالت بعض آثاره تشغلهم حتى اليوم .

والمأساة في حياة جالوا ان اوربا عموما - وفرنسا خصوصا - لم تدرك عظم الخسارة بموته الا بعد اربعة عشر عاما من هذا الحادث ، عندما بدأ الرياضي الفرنسي الأشهر لوفيل في نشر اعمال جالوا والتعليق عليها في مجلة « الرياضيات البحتة والتطبيقية » .

وقد يسأل قارىء آخر : وما علاقة هذا كله بالنضال السياسي ؟ والاجابة هي أن جالو نشأ في فرنسا الملكية عندما كان الصراع في أوج عنفوانه بين الجمهوريين والملكيين . كان ابوه جمهوريا شديد الحماس ، وكان عمدة القرية التي عاش فيها جالوا مع عائلته ، ومن ابيه تشرب مبادىء الجمهورية واشترك بحماس وعنف في نضال الجمهوريين ضد الملك .. لوى فيليب . ولما كان رجال الكنيسة عموما منحازين الى صف الملكية ، تعلم من ابيه كره رجال الكنيسة ، وازداد حقده عليهم بعد ما تسببوا بمؤامراتهم الى دفع ابيه دفعا الى الانتحار نتيجة فرية كاذبة الصقوها به . ولم يستطع جالوا أن ينسى صورة جنازة ابيه وهي تمضي في شوارع القرية وسط مظاهرة اهلها ضد رجال الكنيسة ، وكان عليه ان يرى نعش ابيه ينزل الى القبر ، بينما احجار اهل القرية تنهال على بعض رجال الكنيسة الذي حضروا المراسيم !

وكان هذا النضال السياسي سببا في دخوله السجن حيث قضى ستة اشهر ... فعندما قررت الحكومة الملكية حل سلاح المدفعية بالجيش الفرنسي لاحتوائه على عديد من الضباط والمهندسين الجمهوريين من خريجي مدرسة « البوليتكنيك » العليا ، سارع الضباط الجمهوريون الى اقامة احتفال كبير للاحتجاج على هذا القرار ، وكان جالوا واحدا من الحضور .

في هذا الاحتفال شرب الحاضرون - تحديا - نخب الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، ونخب ثورة ١٧٩٣ ، ونخب روبسبير ، ونخب انتفاضة سنة ١٨٣٠ ، .ثم وقف جالوا (وهو شاب في العشرين) كأسه في يد ومطواته المفتوحة في اليد الاخرى واقترح ان يشربوا نخب « الملك ... لوى فيليب » !

للوهلة الاولى لم يفهم الحاضرون مغزى هذا النخب الغريب في اجتماع جمهوري ، ولكن عندما لمحوا السكين

في يده فهموا النخب على انه تهديد بقتل لوي فيليب ! وضجت القاعة بالتصفيق والهتاف وخرج رجال المدفعية الى الشارع يرقصون ويحتفلون طوال الليل .

وفي اليوم التالي قبض على جالوا في منزل امه ووضع في السجن . وهكذا بدأت أول محاكمة سياسية لهذا العالم الرياضي الشاب . ولقد شاءت الظروف ان يدافع عنه محام فرنسي ماهر ، وبمساعدة اصدقائه ادعى المحامي ان جالوا قال عند شربه النخب « نخب لوي فيليب اذا تحول الى خائن » ! وان الفقرة الاخيرة من جملته لم تسمع نتيجة الضجة التي تعالت في القاعة ، واقسم اصدقاء جالوا على ان هذا هو ما حدث بالفعل . اما السكين في يد جالوا فقد فسر المحامي وجودها بأنه كان يقطع بها قطعة الدجاج التي كانت في طبقه ! واقتنع المحلفون وحكموا ببراءة جالوا . وفي هدوء خرج من القفص وذهب الى منضدة الشهود حيث التقط المطواة وقفلها ثم ترك المحكمة دون ان ينطق بكلمة !

بعد هذا الحادث بشهرين القي القبض على جالوا مرة اخرى .. كاجراء وقائي هذه المرة ، اذ كان الجمهوريون على وشك عقد اجتماع كبير . وعبثا حاولت الحكومة توجيه تهمة اليه ، فلما فشلت وجهت اليه تهمة لبس زي سلاح المدفعية عند القاء القبض عليه ، وهذا العمل غير قانوني مادام سلاح المدفعية قد حل ، وفي هذه المرة ادين جالوا وحكم عليه بستة اشهر في السجن .

كان جالوا في العشرين من عمره ، وقد حاول استغلال هذه الاشهر الستة في كتابة كل بحوثه الرياضية استعدادا لتقديمها للاكاديمية الفرنسية بهدف الحصول على الجائزة التي تمنحها الاكاديمية سنويا لاعظم الرياضيين الفرنسيين !

مع جنون الرياضيات

ثم يبقى العنصر الثالث الذي ميز حياة جالوا ، ونعني به سوء الحظ !

ان جالوا لم يدخل مدرسة قط قبل سن الثانية عشرة ، وفي السنتين الاوليين كان تلميذا عاديا في ليسيه « لوي لي جراند » بالقرب من باريس ، وكان هذا النوع من المدارس آنذاك يهتم بالدرجة الاولى بالمواد الكلاسيكية في الدراسة : الخطابة ، اليونانية ، اللاتينية . أما الرياضيات فقد كانت تدرس كمادة ثانوية يختارها الطالب في السنة التي يريدها .

وبعد ان بدأ جالوا بداية مشجعة في السنتين الاوليين في دراسة المواد الكلاسيكية ادركه الملل وهو في الرابعة عشرة ، عندما بدأ ذهنه يتفتح بصورة انفجارية على العلوم الرياضية . ولقد قيل ان البداية في تفتح عبقرية جالوا الرياضية وقعت عندما رأى بالصدفة كتاب ليجندر في الهندسة ، وكان هذا الكتاب تحفة من العمل الفني تضرب بها الامثال . ولقد كان تقدير الاساتذة ان طالب الليسيه الممتاز قادر على دراسة هذا الكتاب خلال عامين ، ولكن جالوا قرأه واستوعبه وكأنه يقرأ قصة بوليسية !

كان جالوا قادرا على ان يجري في دماغه اعقد العمليات الرياضية دون ورقة او قلم ، ولهذا كان اساتذته غير قادرين على متابعته حتى كتب احد اساتذته عنه يقول « ان جنون الرياضيات يسيطر على هذا الصبي » . وعندما تقدم للامتحان الشفوي في المدرسة « البوليتكنيك » العليا دخل في نقاش رياضي معقد مع احد الاساتذة وكان هذا الاستاذ مخطئا فيما يقول ، وحاول جالوا ان ينبهه ، ولما اصر الاستاذ على موقفه فقد جالوا السيطرة على اعصابه فما كان منه إلا أن رمي وجه الاستاذ بماسحة السبورة !

في الخامسة عشرة من العمر لم يقتنع جالوا بكتب الرياضيات المدرسية التي كانت في يديه ، بل ذهب الى الاصول ، الى كتابات كبار الرياضيين في فرنسا فبدأ بقراءة الرياضي النابغة « لاجرانج » ، ثم تحول الى قراءة بحوث ومذكرات الرياضي النرويجي « آبل » - اعظم من انجبت اوربا في علم الجبر - وهي بحوث لم تكن موجهة الى الصبية المراهقين ، وانما الى كبار الرياضيين في اوربا وامريكا . وهكذا غرق جالوا في بحوث عن الحلول الجديدة للمعادلات ، وفي دراسات عن نظرية الدوال الناقصية ، وبدا له انه قد استطاع اخيرا ان يحصل على الحل العام لمعادلات الدرجة الخامسة ، الأمر الذي عجز عنه اعظم رياضي اوربا من قبل . ولقد اكتشف جالوا

بعد ذلك انه كان يبحث عن المستحيل ، وان أبل نفسه قد وقع في نفس الخطأ ، وانه لا يوجد حل عام لمعادلات الدرجة الخامسة .

وفي سن السادسة عشرة قرر جالوا ـ وهو لا يزال تلميذا في الليسيه ـ أن يتقدم لامتحان مدرسة « البوليتكنيك » العليا ، وكان حلم جالوا في دخولها يتمثل في ان هذه المدرسة هي موطن اعظم الرياضيين الفرنسيين من ناحية ، وانها من ناحية اخرى موطن الضباط المتمردين على الملكية في نفس الوقت . ولكن جالوا رسب ! وقيل في تفسير رسوبه انه كان في مستوى عرضه للبراهين الرياضية اكثر تقدما من اساتذته ، وأن هؤلاء الاساتذة لم يستطيعوا ان يفهموه .

في هذا الوقت كان جالوا قد استطاع ان يصل الى عدد من الكشوف الاساسية في نظرية المعادلات ، ونظرية الرمز ، وكان من المفارقات ان استاذه في الليسيه ريشار كان يشرح نظريات جالوا للتلاميذ مشيدا بعبقريته مناديا بضرورة دخوله « البوليتكنيك » دون امتحان .

رحلة سوء الحظ

وعندما بلغ جالوا الثامنة عشرة سجل كل اكتشافاته في مذكرة واحدة تقدم بها الى الاكاديمية الفرنسية ، وكانت الاكاديمية ترسل هذا النوع من المذكرات الى كوشي اعظم الرياضيين الفرنسيين آنذاك لكتابة تقرير دقيق عنها يبين مدى الجديد فيها . ولقد عرف عن كوشي الدقة في تقاريره والسرعة في عمله ، الاّ انه فقد مذكرة جالوا !

ثم لاحق سوء الحظ الشاب النابغة بعد هذا بعام ... كان جالوا قد كتب ثلاثة ابحاث جديدة في نظرية المعادلات ، وكانت النتائج التي توصل اليها غير معروفة بالمرة . ولقد تقدم بهذه البحوث على هيئة مذكرة الى الاكاديمية الفرنسية للحصول على جائزتها السنوية . وفي أمان وصلت المذكرة الى سكرتير الاكاديمية الذي اخذها معه الى منزله لدراستها . ولكنه مات بعد ذلك بأيام ، وعندما بحثوا عنها في ادراج منزله بالمنزل لم يجدوا لها أثرا !

وهكذا بدأ جالوا يعتقد ان شيئا آخر غير مجرد الصدفة يحاربه ، فقد رسب في امتحان مدرسة « البوليتكنيك » العليا مرتين ، وضاعت بحوثه التي قدمها للاكاديمية الفرنسية مرتين ، وهكذا اشتد حقده على الاكاديمية والاكاديميين ، وتحول من العلم الى السياسة ، الى جانب الجمهوريين في فرنسا الملكية عندما كانت مشايعة الجمهورية تعتبر راديكالية خطيرة !

وعندما بدأت احداث انتفاضة سنة ١٨٣٠ امتلأ قلب جالوا بالسعادة ، وحاول ان يقود زملاءه في الليسيه الى الشوارع ، ولكنهم ترددوا . ولقد رفض جالوا ان يعطي مدير الليسيه وعدا بعدم مغادرة المدرسة ، بل حاول ان يقفز من سورها ليلا لينضم الى طلبة « البوليتكنيك » الذين كان يملأون الشوارع ويصنعون التاريخ .. فلما فشل في ذلك بسبب ارتفاع السور اخذ يكتب خطابات الى الصحيفة المحلية مهاجما المدير والتلاميذ ، وتسبب احد هذه الخطابات في فصله !

قال في احد هذه الخطابات لطلبة الليسيه : « انني لا أطلب منكم شيئا لشخصي ، ولكني اطلب منكم ان ترفعوا اصواتكم دفاعا عن شرفكم وضمائركم » ! ولقد خرج جالوا من انتفاضة ١٨٣٠ الفاشلة بنتائج سياسة جديدة اكثر راديكالية ، واذهل اساتذته وزملاءه عندما اعلن ولاءه لصالح الجماهير الكادحة في فرنسا .

بعد فشل انتفاضة ١٨٣٠ ، وفصله من الليسيه كان جالوا في التاسعة عشرة من عمره ، فماذا يصنع شاب صغير في هذه السن ؟ ربما يبحث عن عمل يكسب به قوت يومه ؟

لا ... ليس جالوا ، وانما اعلن في الصحف عن انشاء « فصل خاص » في الجبر العالي يجتمع مرة واحدة في الاسبوع ! كان ينوي ان يحاضر في نظرية الاعداد التخيلية ونظرية حل المعادلات ونظرية الدوال الناقصية معالجة بطريقة جبرية ، وكل هذه المواد العلمية كانت من ابتكاره هو لم يسبقه اليها أحد من قبل . ولكن احدا لم يحضر ، فاضطر الى ان يتجه الى العمل السياسي مرة اخرى .

بداية النهاية

ثم كان يوم ٩ مايو سنة ١٨٣١ ، الذى هو بداية النهاية لحياة جالوا .. فى هذا اليوم وقع احتفال الجمهوريين الذى سبق الحديث عنه واقترح فيه نخب ملك فرنسا لوى فيليب ، وقبض عليه بسبب قصة هذا النخب فى اليوم التالى فى منزل امه ، ورغم انه حوكم ولم يُدَنْ ، الا ان هذه الحادثة جعلت العداء بينه وبين الملكيين عداء حادا واشعلت قلوب شبابهم بكراهية جالوا .

وبعد شهرين قبض على جالوا مرة اخرى بتهمة ارتداء زى سلاح المدفعية ، وهو السلاح الذى حله النظام الملكى ، وفى هذه المرة ادين وحكم عليه بالسجن ستة اشهر .

وخرج جالوا من السجن فى ٢٩ مايو ١٨٣٢ راغبا فى الذهاب الى الريف للراحة والاستجمام . وفى مساء هذا اليوم وقع حادث غريب ادى الى مقتل جالوا ، واختلفت الروايات حول حقيقة هذا الحادث . غير ان معظم الروايات تقول انه عند خروجه من السجن وجد شابين من شباب الملكيين فى انتظاره ، وتحداه احدهما الى مبارزة بالمسدسات ، وانه اضطر الى قبول هذا التحدى « دفاعا عن شرفه » !

كتب جالوا فى هذه الليلة الحاسمة الى صديقين له يقول :

« لقد تحدانى مواطنان ، وكان مستحيلا علىّ ان ارفض ، ولقد اخذا منى وعدا بالشرف الأ اخبر احدا . ارجو ان تسامحانى لذلك . وان المهمة التى اطلبها منكما سهلة جدا ... ان تثبتا اننى قبلت التحدى رغم انفى ، وبعد بذل كل جهد للتفاهم . ارجو ان تحافظا على ذكراى ، فالقدر لم يعطنى وقتا كافيا لتعرف فرنسا اسمى . سأموت صديقا وفيا لكما » .

كانت هذه الرسالة آخر رسالة شخصية كتبها قبل فاجعة موته ، ثم ظل طول الليل يكتب بشكل جنونى كل اكتشافاته الرياضية على هيئة وثيقة كما كتب وصيته . وفى كثير من هذه الصفحات الستين التى تركها جالوا كثيرا ما نجد هوامش تقول « ليس عندى وقت لبرهان هذا الجزء » ، ولكن الرياضيين الفرنسيين اجمعوا بعد ذلك على ان هذه الصفحات الستين ظلت تشغل رياضيى العالم قرنا من الزمان . لقد وجد جالوا لأول مرة حلا لمشكلة رياضية ظلت تشغل الرياضيين سنين طويلة دون اجابة : تحت أى شروط عامة يمكن حل معادلة جبرية . ليس هذا فحسب ، بل ان جالوا قد استخدم فى هذه الخطابات الاخيرة نظرية الزمر بنجاح مذهل ، وكان هذا الاستخدام عملا طليعيا فى عالم الرياضيات .

بالاضافة الى هذا فقد ائتمن جالوا بعض اصدقائه على مخطوطات رياضية كان قد اعدها لتقديمها للاكاديمية للمرة الثالثة ، وقد نشرت كل هذه الكنوز الرياضية بعد وفاته بأربعة عشر عاما .

كتب جالوا فى وصيته الى صديقه الحميم أوجست شفالييه يقول : « لقد حققت اكتشافات جديدة فى التحليل ... وارجوك ان تسأل الرياضى الالمانى جاوس علنا ان يعطى رأيه ، لا عن صحة هذه النظريات التى اكتشفتها ، وانما عن اهميتها » .

وفى فجر ٣٠ مايو سنة ١٨٣٢ واجه جالوا خصمه فى « ساحة الشرف » ، دون ان يعرف احد من اهله واقاربه ، تحقيقا للوعد الذى قطعه على نفسه . كانت المبارزة بالمسدسات ، وكانت المسافة بين الخصمين خمسا وعشرين خطوة ! .

ووقع جالوا .... ولم يكن هناك طبيب قريب لاسعافه . وهكذا ترك فى مكان مهجور ملقى على الارض حتى الساعة التاسعة صباحا عندما عثر عليه قروى بالصدفة فنقله الى المستشفى بعد فوات فرصة انقاذه .

وحضر اخوه على عجل الى المستشفى باكيا ، ولكن جالوا التفت اليه فى هدوء وقال : « لا تبك ... فانا فى حاجة الى كل شجاعتى لكى اموت فى سن العشرين » ! ■■

د . عبد العظيم أنيس



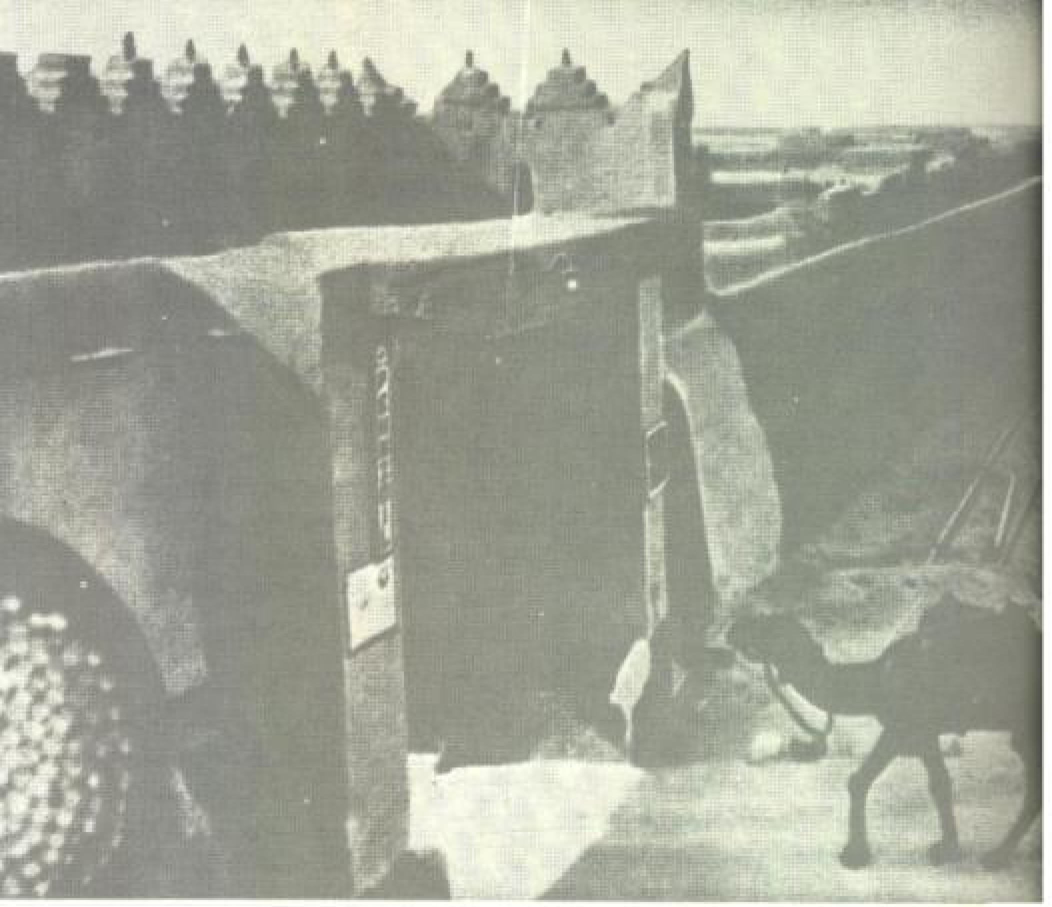
حول تاريخ الكويت

خبر جديد

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

الذين لاحقوا ظلمات المجهول في تاريخ الكويت الاول ، وجعلوا يبددونها باليسير من الاخبار الشفهية تارة وبالمنطق الفكري تارة اخرى ، وبالمقارنة والاستنتاج ثالثة او ببعض النتف من روايات المؤرخين السابقين او الرحالة الاوروبيين او تقارير المندوبين السياسيين او التجاريين ... كل هؤلاء استطاعوا بعد الجهد ، ان يرسموا من تاريخها الاول ما لا يعدو في خلاصته فقرات تغطي ما بين اواخر القرنين السابع عشر والثامن عشر ...

لملموا الاشارات التي ذكرها القناعي والرشيد والنبهاني وابن سند والشملان فقالوا : ان الكويت بدأت الظهور اواخر القرن السابع عشر (حوالي سنة ١٦٨٢ م ١١٠٠ هـ) وافترضوا انها نشأت مركزا صغيرا للصيادين بعد ان اقام بعض الامراء من بني خالد « كوتا » او حصنا في « القرين » الجزيرة المتاخمة للشاطيء . وجاءت قبائل العتوب مهاجرة تأهل الساحل الشرقي للجزيرة العربية منذ مطلع القرن الثامن عشر فاستقر قسم منها في هذا الموقع . وجمع الباحثون من الاسطر القليلة التي وردت هنا وهناك في سجلات شركة الهند الشرقية (الانكليزية) وفي تقارير الرحالة والمندوبين ، ليقولوا ان سعدون بن محمد بن غرير حكم الموقع في مطلع القرن الثامن عشر ، وتوفي سنة ١٧٢٢ ليصطرع افراد اسرته على الحكم . ومنذ اواسط القرن (١٧٥٢) اختار اهل الكويت صباح بن جابر شيخا على البلد واعقبه بعد عشر سنوات ابنه عبد الله بن صباح



الذى استمر في السلطة خمسين سنة . وفي اوائل عهده (بين سنة ١٧٦٠ ـ ١٧٧٠) صار للكويت سور من الطين . وكان فيها من القضاة محمد بن فيروز (المتوفي سنة ١٨٠١) وبعض آل العدساني . وفيها جامع بن بحر الذي عثر على وثيقة بتجديد بنائه تعود الى سنة ١١٦٣ هـ/١٧٤٥ م .....

اما السبب في نشأة البلد ثم ازدهاره فيجد تفسيره السهل المنطقي لدى الباحثين . في رغبة التجارة الاوروبية ما بين الهند واوروبا في الهرب من مشاكل البصرة ومن ضرائبها الباهظة في تلك الايام الى موقع آخر يؤمن الصلة بين الطريق البحرى في الخليج وبين الطريق البرى المؤدى الى بغدادمباشرة والى حلب ... وهكذا كان الصيادون ثم الغواصون على اللؤلؤ ثم التجارة او وسطاء التجارة والناقلون لها . هم الذين لعبوا الدور الاساسي في وجود البلد وفي نموه وحياته ، كما كان شيخه هو حامي البلد والقوافل ... وقد زاد في شأن الكويت ونشاطها ما اجتاح البصرة من الجوائح في الربع الاخير من القرن الثامن عشر . فتارة جاءها الطاعون فلم يترك بها الا المئات من الوجوه الصفراء . وتارة هاجمها الفرس فهي في الاحتلال والابتزاز . وثالثة قامت فيها الفتن فبعضها يفتك ببعض .... وهربت سفن التجارة من مرافئها لتبحث عن منزل آمن آخر لتجارتها الهندية مع الشرق العثماني واوروبا وكانت الكويت هي ذلك المنزل الامن .....

وجه لم يذكر

عدا هذه الفقرات المحدودة . والتي أضحت معروفة متداولة . ليس ثمة شيء هام آخر تعرفه عن تاريخ

الكويت خلال القرن الاول من وجودها . وهذه الفقرات تتصل جميعا بأمرين : التجارة والموقع وأثرهما في نشأة البلد ثم قيام نظام او مشيخة للحكم فيها ....

على ان ثمة جزءا جديدا حول ذلك التاريخ الاول لم يذكر في المعلومات المتداولة بعد . انه نص كان الى ما قبل اشهر ، دفينا في مخطوط منسي لم يطلع عليه احد ولا دخل في صورة الكويت التاريخية القديمة ، رغم شأنه وطرافته . النص الجديد الذي نلفت اليه الانظار لا يتصل بهذا او بذاك من امر التجارة او امر الحكم في ايام الكويت الاولى ، ولكنه يتصل بأمر آخر ليس اقل شأنا من الامرين الآخرين انه يلقي بعض الضوء على الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية للكويت في اوائل عهد الشيخ عبد الله الصباح .

يقول النص : « .... وقع الطاعون (في البصرة) فخرجت بعيالي الى قصبة سيدنا الزبير رضي الله عنه . فانكب علي اهلها واستروا (وسروا) بقدومي عليهم واكرموني بما قدروا عليه . وسألوني ان أقرأ الحديث . فقرأنا البخاري كل عصر في جامع سيدنا الزبير ، حتى وقع الطاعون في القصبة ، فخرجت الى الكويت وخرج معي جماعة . والكويت بلدة على ساحل البحر والمسافة ستة ايام برا فدخلتها واكرمني اهلها (اكراما) عظيما . وهم اهل صلاح وعفة وديانة . وفيها اربعة عشر جامعا ، وفيها مسجدان ، والكل في اوقات الصلوات الخمس تملأ من المصلين . اقمت فيها شهرا لم اسأل فيها عن بيع او شراء ، ونحوهما بل اسأل عن صيام وصلاة وصدقة . وكذلك نساؤها ذوات ديانة في الغاية . وقرأت فيها الحديث في ستة جوامع . نقرأ في الجامع يومين او ثلاثة فيضيق من كثرة المستمعين فيلتمسون مني الانتقال الى اكبر منه . وهكذا حتى استقر الدرس في جامع ابن بحر [1]

« وهو جامع كبير على البحر كجامع القمرية [2] في بغداد وجاء الطاعون اليها ولكنه لم يكبر ولم تطل ايامه .

« ولما تواترت الاخبار بانقطاع الطاعون عن البصرة اردت الرجوع اليها فقدموا لي سفينة كبيرة وانزلوني انا وعيالي لم ينقص الطاعون ـ ببركة حديث المصطفى ـ منا احدا ونزل في المركب معي من اكابر الكويت اناس بقصد التبرك بخدمتي ورفقتي . ونزل معي جميع من كان في الكويت من اهل البصرة بلا نول (اجرة) وصاحب المركب يخدمنا بنفسه .

وجرينا ببركة الله تعالى ونحن في احسن عبادة ، مشغولون نهارنا بمذاكرة العلم وتعليم البحرية الذين معنا امور دينهم . ولم يتفق لنا يوم نكرهه . ولم يتفق انا صلينا احدى الصلوات الخمس فرادى من حين نزلنا في المركب الى حين خرجنا . وكان نيتي ان لا اقيم في البصرة الا قدر انتظار الرفيق لقطعنا (لثقتنا) بان الطاعون ارتفع من بغداد .

فلما قطعنا البحر نزلنا ليلة وصولنا البصرة في السراجي [3] ... » .

عمره ٢٠٠ سنة

متى كتب هذا الكلام ؟ ومن هو صاحبه ؟

---

(١) جامع ابن بحر ما يزال موجودا قائما في الكويت . على شارع الخليج العربي مطلا على البحر ، ويسمى جامع الابراهيم ايضا . وهناك جامع آخر يحمل اسم ابن بحر يقوم على مقربة من الاول في مدخل سوق الخضار ويجري حاليا تجديد بنائه .

(٢) جامع القمرية هو ثاني جامعين اثنين هما اقدم الجوامع الباقية في بغداد . اتم بناءه الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (قبل سقوط بغداد بثلاثين سنة) ويبدو ان جامع ابن بحر حين جدد في الكويت سنة ١١٥٨ / ١٧٤٥ م بني على مثال جامع القمرية البغدادي .

(٣) السراجي قرية على نحو ٣ كيلو مترات من البصرة كانت مرفأ السفن الكبيرة وتقوم على نهر يحمل اسمها ويتفرع من شط العرب وتحمل فيه البضائع منها في المراكب والزوارق الى البصرة .

كتب هذا النص في سنة ١٧٧٢ اي قبل اكثر من مائتي سنة . كتبه المؤرخ العراقي عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١٧٨٥ م (١٢٠٠ هـ) ضمن رسالة تحدث فيها عن الحوادث التي شهدها في بغداد والبصرة في اواخر حياته ما بين سنتي ١٧٧٢ م ـ ١٧٧٨ م . وكانت في مخطوط فريد ، بخط السويدي نفسه ، منسي في خزانة الكتب بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد . وللرجل كتب اخرى عديدة ونشاط علمي وسياسي معروف في بغداد لعهده . وقد ضرب العراق في سنة ١٧٧٢ طاعون جارف القى الجثث في الطرقات وكان السويدي بين الهاربين من مدينة الموت الى البصرة اولا . فلما دمدم الطاعون في البصرة هرب مرة اخرى بعياله الى الزبير فلما دهمها بدورها الوباء هرب الى الكويت والوباء يحصد عشرات الالوف وراءه .. وحين عاد ناجيا ، مع اهله ، كتب خبر هذا الهرب وما بعده [٤] .. وفي هذا الخبر سجل ، من خلال اهتماماته الثقافية صورة الكويت التي رأى سنة ١٧٧٢ .

وفي الصورة التي رسمها السويدي اضافة جديدة الى تاريخ البلد . وتحديد لبعض الملامح في السكان والوضع الاجتماعي . ان وجود ١٤ جامعا ومسجدين قد يسمح بالتأكيد بان سكانه لم يكونوا يقلون في تلك الفترة عن عشرة الاف الى اثني عشر الفا . وهو رقم ليس بالقليل لتلك الايام يتفق مع الرقم الذي قدره (نيبور) الزائر الاخر الاجنبي الذي زار الكويت بعد السويدي بثلاثة اعوام . فقدر السكان بعشرة الاف واسطول الصيد الكويتي بثمان مائة مركب ...

لكل اسرة جامعها

ومن المحتمل جدا ان تكون تلك الجوامع من المساجد موزعة حسب مناطق سكنى الاسر الكبيرة التي كانت تشكل قاعدة الكويت السكانية . فهي اذن حوالي ١٤ اسرة كبيرة . ولكل اسرة جامعها الذي بنته في موقع سكناها . ولعل كثرة هذه الجوامع انما نجمت عن تنافس هذه الاسر في التدين ورغبتها في التوازي لاسيما وان ثرواتها تابعة جميعا من منبعين مشتركين هما البحر (صيدا وتجارة) والبر (نقلا ووساطة وحماية) .

وعلى اي حال فان وجود هذا العدد الواسع من الجوامع ينبيء عن وجود حياة حضرية طويلة الاستقرار قبل ذلك . وتكاثر الحاضرين المتزايد لدروس الشيخ في الحديث النبوي ، واسئلة الناس المركزة على العبادات لا المعاملات والاقبال على المذاكرة في امور الدين حتى على المركب ، وتعليم الملاحين عليه . كل ذلك يكشف جانبا من العطش العلمي ومن الحياة الثقافية النامية في البلد . كما ان امتلاء الجوامع بالمصلين في اوقات الصلوات وما وصف به السكان نساء ورجالا من الصلاح والفقه والدين ، وتبرع بعضهم بمركب كبير لنقل الشيخ الى البصرة ونزول من نزل مع الشيخ في المركب للتبرك بالخدمة والمرافقة او للسفر مجانا . يكشف بدوره القيم الدينية ـ الخلقية للناس وطابع البلد المتسم ـ وهو في مراحل نموه الاولى ـ بالتقي الواضح وبالتعاون ، وعرفان النعمة .

ولقد تكون اخبار الطاعون الرهيبة قد تركت ميسمها على تصرف الناس في تلك الظروف . وزادت في بروز الطابع الديني للبلد على حساب الطابع التجاري .. بل .. ولكن هل يمكن ان تكون هي التي بنت الجوامع وخلقت من العدم تلك التصرفات ؟

ان الصورة التي قدمها السويدي هي على صغرها خبر خاطف طريف ، معبر . وحين تشع مثل هذه النصوص ، في ظلمات الماضي المجهول ، فانما تقول انه لا يزال ثمة الكثير مما لا تعلمون ■■

الكويت ـ د . شاكر مصطفى

---

(٤) عثر على هذا المخطوط ونشره منذ عدة اشهر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وقدم له بمقدمة جيدة مع التحقيق والتعليقات الحسنة بعنوان : (تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ ـ ١٧٧٨ م) وطبعته وزارة الثقافة والفنون في بغداد سنة ١٩٧٨ .

● عن الدين والسياسة ●

حكومة اسلامية نعم..

عند الانفصال والاتصال بين الدين والسياسة لازالت وقفتنا . في « المربع رقم واحد » لم تغادره بعد . وهو مدخل لايتمنى مسلم عاقل ان يطرقه ، لان القضية ليست في الانفصال او الاتصال بل القضية في مبدأ التطبيق الاسلامي ذاته ، هل هو مطلوب ام لا ؟ .. فاذا كان الرد بالايجاب ، فلنشرع في الأعداد للتطبيق ـ الاهم ثم المهم ـ دون ان نضيع وقتنا في التنظير والجدل حول اللافتات والشعارات . اذا كان الرد بالسلب ، فلا محل للمناقشة ، وكفى الله المؤمنين القتال !

ومع ذلك يفرض علينا سؤال الانفصال والاتصال بين الحين والاخر ، لاسباب لاتتعلق بتطبيق الاسلام بقدر ما تتعلق بتوظيفه . وعندما يلقى السؤال وسط ما نتصوره مرحلة الصحوة الاسلامية ، فان الرد يكون واجبا ، بصرف النظر عن الدوافع والنوايا . وعندما يخرج السؤال من مواقع المسئولية والتأثير ، يصبح الرد أوجب .

●

في « مناقشة » العدد السابق ، قلت ان فكرة ان الانفصال بين الدين والدولة ، منقولة نقلا اعمى عن التجربة الاوروبية ، حيث عانى الجميع الامرين من « الاتصال » بين الكنيسة والامراء ورجال الاقطاع ، الامر الذى بلغ حد التسلط ، وحيث الدعوة صريحة في الانجيل الى ان يعطى مالقيصر لقيصر وما لله لله ، وقد تم هذا النقل من اوروبا الى العالم الاسلامي ، في ظروف الاحساس بالهزيمة التى عمت منذ بدايات القرن التاسع عشر . قلت ايضا ان فكرة الفصل هذه مرفوضة من وجهة نظر الاسلام ، ثم انها اصبحت مرفوضة حتى من وجهة نظر علم النفس التجريبي الحديث .

وللدقة أقول ان فكرة « الفصل » هي المنقولة والمرفوضة . ولكن فكرة « التقسيم والتمييز » بين الدين والدنيا عرفت عند فقهاء المسلمين منذ اكثر من تسعة قرون . ويمكن القول بان اول من وضع الاسس النظرية لفكرة ان الاسلام دين ودولة هو قاضي قضاة بغداد الشهير ، ابو الحسن الماوردي (٣٦٤ هـ ـ ٤٥٠ هـ) ، الذى يرتبط اسمه في اذهان كثيرين من الباحثين الاسلاميين بكتابه « الاحكام السلطانية » ، رغم أن له كتابا آخر اكثر اهمية ـ هو الذى يعنينا ـ يحمل اسم « ادب الدين والدنيا » .

واعترف ان معرفتي بهذا الكتاب قد تمت من خلال قراءة لرسالة الدكتوراه القيمة التي قدمها الى جامعة « السوربون » ، الدكتور فهمي جدعان ، استاذ الفلسفة والفكر العربي بالجامعة الاردنية .

حكومة دينية لا ؟!

بقلم : فهمي هويـدي

والتي صدرت مؤخرا فى كتاب بعنوان « اسس التقدم عند مفكرى الاسلام في العالم العربي الحديث » .

تتحرك نظرية الماوردي ـ يقول الدكتور فهمى جدعان ـ بين قطبين اثنين : الله والانسان ، الدنيا والاخرة ، الدين والدنيا ، الارض والسماء . لم يخترع الماوردى الفكرة ، لكنه فقط كشف عن عناصر المعادلة ، وقدم صياغة لنظرية التوازن كما جاء بها القرآن الكريم وفصلتها الاحاديث الشريفة .

وهو فى كتابه يفصل هذا التوازن معبرا انه « باستقامة الدين تصح العبادة ، وبصلاح الدنيا تتم السعادة » . ويحاول مثلا ان يحصر شروط صلاح الدنيا فى مسائل ستة ، اولها دينية اعتقادية ترتد الى « دين يتبع » ، والثانية سلطانية ترتد الى « سلطان قاهر » ـ « فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه وطمست اعلامه » ، والثالثة قانونية بها يسود العدل ، والرابعة مدنية بها يسود الامن ، والخامسة اقتصادية بها يعم الخير والرواج ، والسادسة انسانية مستقبلية بها يفتح باب الامل والرجاء فى المستقبل .

وهو يستدل فى رحلته بنصوص مثل الاية الكريمة « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » . ومثل خطاب الله سبحانه الى رسوله ﷺ « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » . اى اذا فرغت من امور دنياك ، فتوجه الى عبادة ربك . ومثل الحديث الشريف : « ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ، ولا الاخرة للدنيا . ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه » .

وكثيرة هي النصوص والمواقف التى اكدت على اهمية استمرار هذا التوازن ، والتى تدين المفرطين فى التعبد ، بمعنى اداء الفرائض من صوم وصلاة ، كما تدين اللاهين عن ذكر الله . وعندما قال الرسول ﷺ لمن قال انه يصلى الليل ابدا ، ثم من قال انه يصوم الدهر ولا يفطر ، وثالثهم القائل انه يعتزل النساء ولا يتزوج ابدا ، عندما رد الرسول على هؤلاء بقوله : اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له . ولكنى اصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . وقتئذ كان الرسول يعبر بصدق عن قيمة هذا التوازن بين الدين والدنيا فى حياة المسلم ، الامر الذى استوعبه عمر ابن الخطاب جيدا ولم يتردد معه فى ان ينهر رجلا يظهر النسك والضعف متعللا بالعبادة ، ثم يقول له : لاتمت علينا ديننا اماتك الله .

وما ينسحب على الفرد ، يسرى بنفس القدر على المجتمع . وبقدر انضباط معادلة التوازن بين

الدين والدنيا ، يكون حجم الادراك الحقيقي لروح الاسلام وفلسفته ، بل والعلامة التي تميزه عن غيره من الديانات . وكل اختلال في هذه المعادلة لصالح كفة الدين ـ بالمعنى التعبدي ـ او كفة الدنيا ، هو تعبير عن الخلل في فهم الاسلام ، والخطأ في تطبيقه .

وبهذا المفهوم عالج الاسلام قضية الحكم . « فأولو الامر » المعنيون في القرآن الكريم هم ـ باتفاق المفسرين ـ « الامراء والفقهاء » ، او رجال السياسة ورجال الدين ، اذا استخدمنا التعبير المتداول . كل فريق له دور ووظيفة ، لكنهما يتحركان بالتوازي وعلى نحو متكامل نحو هدف واحد . ووظيفة الامام او الحاكم هي « حراسة الدين وسياسة الدنيا » . هو « حارس » في شئون الدين ، لكنه « ممارس » في شئون السياسة ، ايضا باتفاق الفقهاء من البغدادي الى الماوردي ثم الغزالي والرازي وابن خلدون .

ليس هناك في التصور انفصال بين شئون الدين والدنيا ، وليس هناك تطابق ، بالمعنى الذي تختلط فيه الادوار وتذوب الحدود والمعالم ، بحيث ينصب البابا الملوك كما كان يحدث في اوروبا ، او يصبح الملك رأس الكنيسة مثلما حدث في روسيا القيصرية . هناك معالجة بالغة الحكمة والدقة ، تقيم الاتصال بين الدين والدنيا ، لكنها تميز بين الحلقتين وتحرص على ان يتحقق السعي فيهما بالتوازي والتكامل ، وان يظل الميزان بينهما متعادلا بغير افراط ولاتفريط .

لذلك لم يعرف التاريخ الاسلامي ـ كقاعدة ـ ذلك الحاكم الذي يعتبر نفسه « ظل الله في الارض » ، أو يزعم أن له علاقات خاصة بالسماء ، تفوق علاقة أي مسلم عادي على وجه الارض . ومنذ انقطع الوحي بوفاة الرسول ﷺ ، طويت الى الابد صفحة العلاقة بالخاصة مع السماء ، اذا جاز التعبير . وبات على المسلمين بعدما أبلغوا بالرسالة ، ان يواجهوا بايمانهم وعقولهم التحدي في اقامة الدين وعمارة الدنيا .

واذا كان قد نسب الى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور انه خطب بين الناس قائلا انه « سلطان الله في ارضه » ، فان تلك الواقعة ، على فرض صحتها ـ تعد شذوذا واستثناء في التفكير الاسلامي ، لايقاس عليه ، ولايعتد به .

واذا كان البعض قد استخدم في مخاطبة الخلفاء العباسيين خلال مرحلة الانهيار والسقوط ، تعبيرات مثل « ظل الله الممدود » ، فثمة اتفاق على ان تلك صياغات كانت تصنف وتمتد في اطار التعبير عن الطاعة والولاء ، ولا يمكن ان تحمل باكثر من ذلك . فضلا عن ان مايعول عليه في هذا الصدد هو رأى الفقهاء ، وليس اقوال الموظفين والولاة ورجال البلاط !

يقودنا هذا السياق الى موضوع « الحكومة الدينية » ، الذي يطرح بين الحين والاخر باعتباره أحد صيغ التطابق بين الدين والسياسة . وهو موضوع متفجر في الحقيقة . عاشت الكويت تجربة عاصفة معه في عامي ٧٠ و ٧١ ، عندما اصدر واحد من ابرز قيادات الحركة الاسلامية في مصر ، هو المستشار حسن العشماوي ، مسرحية بعنوان « قلب آخر لاجل الزعيم » ، الحقها بفصل أسماه « الفرد العربي ومشكلة الحكم ـ مناقشة حرة » . وفي مناقشته تلك ، طرح السؤال صريحا : هل يظن احد ان دعاة الحركة الاسلامية في المنطقة يريدون حكومة دينية فيها ؟ .. واجاب بنفس الصراحة : يقيني أن لا !

ثم استطرد : إن الحكومة الدينية بمفهومها الحقيقي هي تلك الحكومة التي تقوم فيها واسطة بين السماء والارض ، وتحكم هذه الواسطة باسم السماء ، فتحرم ما لا ترضى عنه ، وتحل مايسند مصالحها ، وبذلك تظلم هذه الواسطة ـ لحسابها ـ أهل الارض باسم السماء . وهي حين تستند في ظلمها الى السماء .. الى الغيب . لا تجد من يردعها ، لانها وحدها التي تفهم لغة السماء .

ولم يكد يصدر الكتاب حتى قامت قيامة الكثيرين ضده ، واتهم العشماوي بالردة والكفر والزندقة ، حتى أنه عندما مات الرجل دعا البعض الى عدم جواز الصلاة عليه ، بسبب مقولته هذه !

ولا أريد أن أناقش لا رأي العشماوي ولاتهم الذين ثاروا عليه ، لان الاعتراض الاساسي ليس على الحجج التي أثيرت ، ولكن على مبدأ طرح السؤال ذاته ، الذي هو من طراز الاسئلة التي افرزتها تجربة الغرب مع الكنيسة ، التي نقلناها الى ساحتنا الفكرية بغير مبرر ، وطالبنا انفسنا بالرد عليها . ذلك أن تعبيرات مثل الحكومة الدينية والسلطة الدينية لها تفسيراتها وملابساتها التاريخية الخاصة عند الاوروبيين ـ كما قلت في العدد السابق ـ ولا وجود لها اساسا في التفكير الاسلامي . حتى عندما اراد حسن العشماوي ان يعرف الحكومة الدينية ، لم يجد الا التفسير الغربي لها ، الذي لا علاقة له لا بالاسلام ولا بتجربة المسلمين . والنموذج الوحيد في التاريخ الاسلامي كله الذي يمكن ان يحمل معنى السلطه الدينية بالمفهوم الذي عرفه الغرب ، هو ابو جعفر المنصور والاقوال المنسوبة اليه . وهو النموذج الذي استند اليه ـ ضمن حجج اخرى ـ الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام واصول الحكم » ، ليحذر من مغبة الخلط بين الدين والسياسة ، وليلغي السياسة من الاسلام في النهاية .

●

وقد واجه الامام محمد عبده . موقفا كهذا خلال احتكاكه بالغرب والغربيين ، منذ ذهب بعد نفيه الى باريس ـ في بداية القرن الحالي ـ وعندما نشر في « الاهرام » مقالاته الشهيرة في الرد على « هانانو ❋ » الذي ترجمت الاهرام عن الفرنسية انتقاداته للاسلام .

وفي رده ، قال الامام محمد عبده : يقول مسيو هانانو ان اوروبا لم تتقدم الا بعد ان فصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وهو كلام صحيح . ولكن لم يدر ما معنى جمع السلطتين في شخص عند المسلمين . لم يعرف المسلمون في عصر من الاعصر تلك السلطة الدينية التي كانت للبابا عند الامم المسيحية . عندما كان يعزل الملوك ، ويحرم الامراء ، ويقرر الضرائب على الممالك ، ويضع لها القوانين الالهية .

ثم يضيف الشيخ الامام : وقد قررت الشريعة الاسلامية حقوقا للحاكم الاعلى ، وهو الخليفة او السلطان ، ليست للقاضي صاحب السلطة الدينية . وانما السلطان مدير البلاد بالسياسة الداخلية ، والمدافع عنها بالحرب او بالسياسة الخارجية . وأهل الدين قائمون بوظائفهم ، وليس له عليهم الا التولية والعزل ، ولا لهم عليه الا تنفيذ الاحكام بعد الحكم ورفع المظالم .

❋ للتفصيل انظر الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ـ الجزء الثالث ـ تحقيق محمد عماره .

وفي موضوع آخر (عن النصرانية والاسلام) يعدد الشيخ محمد عبده اصول الاسلام ، مشيرا الى ان من بينها « قلب السلطة الدينية » . وتحت هذا العنوان يقول : هدم الاسلام بناء تلك السلطة (الدينية) ، ومحا اثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من اهله اسم ولا رسم . ولم يدع الاسلام لاحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة احد . ولا سيطرة على ايمانه .

ثم يوضح فكرته بعد ذلك بقوله : ولا يجوز لصحيح النظر بأن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج « تيوكراتيك » ، اي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله .

ويضيف : ثم هم يبهمون (يضللون) فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد ، ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم : ان السلطان هو مقرر الدين ، وهو واضع احكامه ، وهو منفذها ... وهذا كله خطأ محض .

ثم يقول الشيخ الامام : ليس في الاسلام سلطة دينية ، سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لادنى المسلمين ، ويقرع بها انف اعلاهم ، كما خولها لأعلاهم يتناول بها من ادناهم .

وتلك نقطة تختلف عن مبدأ يقره الاسلام ويطالب به ، ان يكون هناك سلطان أو حاكم أو خليفة يقوم على أمر الناس « يحرس الدين ويسوس الدنيا » ، وهو ما انكره الشيخ علي عبد الرازق . وعن هذا المبدأ يقول الشيخ محمد عبده « لا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود ، وتنفيذ حكم القاضي بالحق ، وصون نظام الجماعة .. ولابد ان تكون (تلك القوة) في واحد ، هو السلطان او الخليفة » .

●

ان الفزع الذي ينتاب الكثيرين عندما تصدم اسماعهم فكرة معارضة الحكومة الدينية ، يرجع الى هذا الخلط بين مفهوم الحكومة الدينية في التجربة الاوروبية ، وبين الحكومة الاسلامية التي تقوم على امر المسلمين . وهي التي يمكن ان نعتبرها مدنية . اذا كان من المقارنة والمقابلة مع الحكومة الدينية بالتفسير الغربي .

واذا اردنا صياغة للموقف بعد هذه الرحلة ، فاننا نستطيع القول باننا ضد الحكومة الدينية التي تحتكر لنفسها الحديث باسم السماء ، ومع الحكومة الاسلامية التي تطبق شريعة السماء (التي تتبع ولا تبتدع ، بتعبير عمر بن عبد العزيز) . كما اننا ضد الحكومة التي تستمد شرعيتها من الوكالة عن الله ، ومع الحكومة التي تستمد شرعيتها من « بيعة » جماهير المسلمين . ضد الحكومة التي تعتبر نفسها فوق كل الناس ، ومع الحكومة التي يعد رأسها أجيرا عند أدنى الناس (قالها احدهم لمعاوية بن ابي سفيان في مجلسه : السلام عليك ايها الاجير !) .

ومن حق الكثيرين ان يسألوا بعد ذلك ، عن ماهية هذه الحكومة المعنية والمرجوة ؟

يحتاج الامر الى مناقشة اخرى .. ■■

بقلم : فهمي هويدي

ريش النعام

مسرحية من السودان

بقلم : الدكتور علي الراعي

حمل الي بريد « العربي » رسالة من الكاتب المسرحي والاديب الفنان المخرج الدكتور خالد المبارك ، المحاضر بجامعة الخرطوم والمنتدب عميدا لمعهد الموسيقى والمسرح بالخرطوم .

والرسالة تحمل الي بعضا من المسرحيات التي كتبها الدكتور خالد ، وتحمل ايضا بعضا من العتاب على شخصي ، لانني اكتب عن المسرحيين العرب من كل مكان في الوطن العربي ، ولا اذكر شيئا عن السودان !

وقد سبق لي ـ على صفحات العربي ـ أن تحملت على كاهلي الضعيف شيئا من تبعة التجزئة الثقافية التي تقوم الآن في الوطن العربي . وقلت ان من واجبي دائما ان ابحث وانقب واسعى الى حيث يوجد النشاط المسرحي العربي .

غير انني قلت ايضا انني لست المقصر الوحيد في هذا المضمار ؛ فهناك عجز الاجهزة الثقافية العربية عن احداث ورعاية التواصل الثقافي بين ارجاء الوطن العربي . وهناك ايضا عجز الكتاب والفنانين المسرحيين لتصيرهم في حق انفسهم ، اذ ينشرون كتبهم واعمالهم

ثم لا يعملون على ايصالها الى من يهمهم امر هذه الاعمال ، من بين النقاد والفنانين .

وعلى سبيل المثال ما ان قلت للمخرج المصري المعروف سعد اردش انني تلقيت بعضا من مسرحيات الكاتب المسرحي السوداني خالد المبارك ، حتى ابدى من فوره اهتماما بالمسرحيات ، ورجاني ان اعيره اياها فور انتهائي من قراءتها .

وارجو الا يغضب الدكتور خالد المبارك او يشعر بأي حرج حينما أقول له انه لا أنا ولا سعد اردش كنا نعرف شيئا عن اعماله ، قبل ان يتفضل هو علينا بتعريفه بنفسه .

وهو اسلوب ارجو ان يلجأ اليه سائر الكتاب والفنانين العرب ، حتى تنتظم منهم حركة شعبية تأخذ على عاتقها احداث التواصل الثقافي بين اجزاء الوطن العربي الشتيتة ، ما دامت الاجهزة الثقافية الرسمية غير قادرة ، او غير راغبة في احداث هذا التواصل .

حمل الي بريد « العربي » اذن بعضا من اعمال خالد المبارك ، فقرأتها جميعا ، وسعدت بها ، وها انذا ابادر بالكتابة عن واحد منها .

وخالد المبارك يعرفنا بنفسه وبخلفيته الثقافية في واحد من كتبه فيقول :

انه تخرج في جامعة الخرطوم عام ١٩٦٨ ، وانه كتب مسرحية : « ريش النعام » التي نشرت عام ١٩٧٦ ، كما اخرج له المسرح القومي السوداني مسرحيتين في عرض واحد هما : « هذا لا يكون » و : « تلك النظرة » .

وهو الى هذا ، كتب للتيليفزيون السوداني مسرحية : « ما رأيك في هذه التسريحة ؟ » ، وألف واخرج مسرحيتي : « رث الشلك » و « الشيخ فرح » في اطار جامعة الخرطوم ، كأسلوب من أساليب تدريب طلاب الدراما العملية . فكاتبنا اذن يجمع بين التأليف للمسرح وبين الاخراج له ، وهذه ميزة غير قليلة ، تمكن الفنان المسرحي من اتساع الافق وتعود على جناحي فنه : الكتابة والاخراج بالنفع المتبادل .

مشكلة الحرية والانضباط

وقد لفت نظري من مسرحيات خالد المبارك مسرحية : « ريش النعام » ، وفيها ينتزع الكاتب من صفحات التاريخ السوداني شخصية تاج الدين البهاري ، الذي تقول المصادر انه رحل من العراق الى السودان لينشر الاسلام في ربوعه ، واستخدم في ذلك وسائل يصفها الكاتب بأنها درامية ، ويفيد منها بالفعل في « ريش النعام » في المشهد التاسع من المسرحية .

والمسرحية تلبس الرداء التاريخي لتعالج موضوعا ابديا وهو : كيف السبيل الى حكم لا يعتمد على القمع ، ولا يبني السجون ، ولا يسن القوانين ، بل يعيش الناس فيه عيشة البساطة التامة ـ يتمتعون باعلى قدر من الحرية ، ولو كان معنى هذا ان يستغنوا عن كثير من متاع الدنيا !

الى السودان يأتي : ياسر ، هاربا من سلطان جائر ، ويأتي للسبب ذاته عثمان . يتقابلان على الطريق ، فسرعان ما يصبحان رفيقي سفر ، ثم يتحولان من بعد الى قطبين يمثلان الصراع الذي يدور في المسرحية بين اسلوبين نقيضين : حب الحرية المطلقة من جهة ، وضرورة الضبط والربط ـ من جهة اخرى ـ لقيام المجتمع الانساني !

يلتقي الصديقان بالشيخ تاج الدين البهاري البغدادي ، الذي سبقت الاشارة اليه ، ويحضران اجتماعا شعبيا يدعو اليه الشيخ ليجذب المريدين الى طريقته في الصوفية فيتقدم اليه ياسر اولا ، ويليه عثمان ، فيفقه كلا منهما في اصول الطريق والطريقة ، ويصبحان بهذا من مريديه .

أنت الحاكم

ثم نعلم في المشهد الثالث من الفصل الثاني ـ يقال لنا ولكنا لا نرى ما يقال مجسدا امامنا ـ ان الناس قد انتخبوا عثمان حاكما عليهم ، وان هذا قد مضى عليه بعض الوقت وهو يحاول ان يحكم دون احباس او قيود . انه حتى حوادث المشهد الثالث هذا لم يبن سجنا ، رغم

ان احد المواطنين قد تورط في الخطأ : تشاجر مع شريك له واصابه بجراح . ويومها وضع عثمان الامر بين يدي شيخه البهاري معتزما ان يحبس الجاني . غير ان الشيخ اعترض . والآن هذا هو الجاني نفسه قد مضى من احداث الجراح الى القتل . ومرة اخرى يعود عثمان ليضع الامر بين يدي الشيخ ، طالبا اذنه في بناء سجن يضم ذلك الجاني وامثاله .

غير ان الشيخ لا يستطيع ابدا ان يوافق على بناء السجن . دائما يخايل عينيه سجن عتيق رآه ببغداد : اقبية تحت الارض الرطبة ، قاتمة . اكتشف احد الوزراء فيها ذات مرة عشرات من المسجونين المنسيين . لا يعرف احد تهمتهم ولا ذنبهم . ظلوا بالسجن سنوات طوالا ، بعضهم حوكم وبعضهم الآخر مات من ارسله الى السجن فانفق نصف عمره بالأقبية المعتمة . ويصمت الشيخ وهو يروي ما عاين في انفعال ظاهر ثم يقول : « منذ ان رأيت اولئك السجناء وانا اقول : « بغداد » ، ولا اقول « مدينة السلام » . من يبني سجنا لن يعجز عن ملئه او لن يعجز اتباعه عن ملئه بالمجرمين والابرياء .

ويسمع عثمان كلام الشيخ فيقول : « لن افعل ما لا يرضيك . هل تريدني ان اسقط من حسابي بناء السجن ؟ سافعل ذلك . غير انني سآتي اليك مذكرا في اليوم الذي ترتكب فيه جريمة كان يمكن تلافيها .

ولكن الشيخ ينفض عن نفسه تبعة الخيار . ويقول لمريده : لا تخيرني انا . الخيار امامك انت ، الحاكم . ويثبت الشيخ على قراره هذا لا يغيره ، ويترك عثمان يشق لنفسه ـ بنفسه ـ طريقه .

في المشهد الرابع من المسرحية ، نرى ياسر وحيدا ، يناجي نفسه وربه ، ويدعو الله ان ينصره ، ان جار عليه ظالم ، وان ينتقم من عبيده الباغين واعوانهم . ولا يكاد ينتهي من مناجاته حتى يكتشف ان هناك من يسترق عنده السمع . فنعلم ان اول مريدي الشيخ ، قد وضعه صاحب السلطان ـ صديقه عثمان ـ تحت المراقبة .

ويدور في المشهد السادس نقاش بين الصديقين عثمان وياسر . يدور حول مفهوم الحرية ومجال تطبيقها . فالمهاجرون الجدد ، الذين وفدوا على السودان يرفضون الانصياع الى امر من الوالي . جادله كبيرهم قائلا انه قضى عمره كله يؤمر فيطيع ، وانه لهذا هاجر لهذه البلاد كي يعيش ويموت كحيوان الخلاء ، الارض امامه ممتدة ، والافق لا تحده حدود . وعثمان عاجز امام هذا الرجل وامثاله ، فبينهم خبراء تحتاجهم الزراعة . والدولة الجديدة ـ على كل حال ـ لا تملك ان تستغني عن جهد احد .

عن الشرطة والجيش

ويستفتي عثمان صديقه ياسر في هذا الامر : الى متى تظل الدولة بلا اجهزة ـ دون جيش يحمي أمنها الخارجي ، وبلا شرطة تنشر الطمأنينة في قلوب الرعايا ؟ هب الدولة اختلفت مع جيرانها او تعرضت لغزو خارجي ، فماذا يكون بوسعها ان تفعل اذ ذاك ؟

ويتخذ ياسر من هذا الموضوع الشائك الموقف ذاته الذي وقفه الشيخ من قبل . يقول لصديقه : ان هذا الموضوع يخيفه . ان وسائل الحكم هذه هي الآن في قمقم ، فمن يدري اذا اخرجت ماذا يحدث منها ؟ ثم لا يملك ياسر لصديقه الا ان يتعطف لحاله . فهو حاكم ، وما اشقى الحاكم حين يحكم بلدا مثل السودان بلا جيش ولا شرطة ، ويكون مواطنوه عشاقا للانطلاق الحر من كل قيد !

ويغادر الشيخ البهاري السودان في المشهد الثامن ، بعد ان يثبت عثمان على كرسي السلطان ، قائلا انه لا خير منه حاكما ، سوى صديقه ياسر ، وهو من علمنا : عزوف عن السلطة ، مشفق منها . وعبثا يقول عثمان انه لا رغبة له في البقاء في موضع السلطة ، فان الشيخ يؤكد له ان التبعة واقعة عليه لا محالة ، حتى ولو قبع في داره ، معتزلا الناس .

وتمر اعوام ، ونعلم في المشهد التاسع ان عثمان قد بقي على كرسي السلطان ، وانه حل المعضلة ، واتخذ ما يتخذه الحكام من وسائل ـ له الآن حجاب ، وجيش وشرطة ، وقصر باهي الاثاث . ويجيئه رسول من

الشيخ يسأل عن احوال السودان ، بعد ان طعن الشيخ في السن ، ولم يعد يستطيع الحركة ويفسر له عثمان ما حدث من تغيير . اما الشرطة فقد اتخذها بعد ان حاول احدهم ان يطعنه بخنجر ، لانه لم يحكم لصالحه في نزاع دب بينه وبين اهله . واما الجيش فقد انشيء لان القبائل المجاورة حاولت غزو السودان ، فردها الجيش على اعقابها . وقال له البعض ان القبائل لن تحترم الحكم حتى يكسو الحكم نفسه بالاثاث والرياش التي تبهر الناظرين . فقال عثمان : اذا كان ثمن السلام الدائم اثاث يبهر فلا بأس !

ويسأل الرسول عن ياسر ، فيقول له عثمان انه بالسجن . صار محورا لجناح خطر تؤمه بعض الصبية . اغتر بنفسه وبمكانه من السلطان ، فاستحق ان يسجن . وبالفعل نرى ياسر في المشهد العاشر والاخير وهو يتلو الاوراد ، ويستنزل اللعنات على عثمان . وكان عثمان قد سأل ياسر في لقاء سابق عما يكون موقفه لو ولي الامر ، يومها لم يقل ياسر شيئا ، لانه لم يكن يملك ردا مقنعا . اما الان وهو نزيل السجن ، فان رده حاضر : لو ولي الامر ، لجمع الناس في اليوم التالي وتنازل لغيره ، ثم لبقي بالمرصاد للحاكم الجديد ، يراقب افعاله ويجهر برأيه فيه .

ويقول عثمان : يجب الا يتصدى للنقد الا من يعرف كيف ينفذ الصواب . ويسود صمت قصير ثم يسأل ياسر صديقه عثمان فجأة : ما الذي اتى به الى السجن ؟ ويقول عثمان ان الشيخ مريض ، فهل يرغب ياسر في ان يرحل اليه ، كي يعوده ؟ ويثور ياسر قائلا : ليس بيني وبين الشيخ مسافة . انه معي هنا دائما . ثم يمضي ساخرا بعثمان فيقول : لم لا ترسل اليه احد حراسك ، او سرية مدججة بالسلاح ؟ ابعث بالجنود لكي يفزعوا المرض او يطردوا الموت . اما انا فباق هنا . باق بالداخل وباق بالخارج .

ويغضب عثمان ويقول : يشهد الله انني حاولت . ثم يأمر لصديقه بما لذ وطاب من طعام وشراب ، فان هذا الصديق على وشك ان يموت ، بطريقة سودانية مفزعة : يدخل بناء ومساعدوه فيسدون بالطوب والطين ما بالحبس من منافذ ـ نافذتان وباب وحيد ـ ويعلم ياسر ان اجله قد جاء فيموت وهو يذكر الله الخافض ، الجبار المتكبر ، القهار : جل جلاله . جل جلاله . جل جلاله

عناصر مؤثرة

وبهذا ينتهي الخط الرئيسي في المسرحية . وهو كما نرى يناقش موضوع الحرية والسلطة مناقشة حية وطريفة . ورغم ان عواطفنا تتجه طورا الى الشيخ ومريده ياسر ، لموقفهما النبيل من الحرية والاحرار ، فان موقفهما يلوذ بمثالية لا تؤدي الى شيء يمكن الركون اليه . وعلى هذا نعود فنجد في موقف عثمان شيئا مفهوما على الاقل ـ شيئا يمكن ان نقبله او نحتج عليه .

وقد كان من الممكن ان نكون اكثر قبولا لموقف ياسر من السلطة ، لو ان الكاتب لم يشأ ان يجعل مقاومة ياسر تتم خارج الخشبة . فنسمع بها ولا نراها مما يضعف من شخصية ياسر ، ويفقد المسرحية بعضا من المصادر المشروعة لقوتها ، ولا يمنحنا الفرصة كي نتعاطف مع ياسر لاننا لا نعرف ـ على وجه التحقيق . ماهية ثورته ولا اغراضها .

ويلفت النظر بهذه المناسبة ، ان خالد المبارك يحرم مسرحيته من مصدر آخر من مصادر القوة حين يروي لنا ، ولا يجسد ، انتخاب الناس لعثمان واليا عليهم . ان هذا المشهد قد كان جديرا بان يزيد من كم المتعة والحيوية في المسرحية ، بالاستخدام المشروع لعناصر الفرجة . وان كان ينبغي ان نقول على الفور : ان ما بالمسرحية من حيوية بوضعها الراهن يضمن لها انتباه الجمهور . فهي لا تخلو من عنصر الكوميديا ، التي يمثلها مهاجر خفيف الظل ، بدين ، كبير الكرش ، الحياة عنده اكل وخمر ونساء ، واسمه عبد السلام . هذا المهاجر المهذار ينضم الى عثمان وياسر في اول المسرحية ، ويوهمهما انه هرب الى السودان فرارا من حاكم عادل متزمت في تطبيق قوانين العفة والشرف . ثم تتبين من بعد انه انما هرب فرارا من زوجته .. !

كذلك يعطي خالد المبارك لشخصية ياسر بعدا اضافيا حين يجعله يهاجر بعد الحاح من زوجته ، (التي خشيت عليه مغبة آرائه المعلنة في الحكم والسلطان)

ويستقر ياسر في السودان ثم يتزوج وينجب بنتا يسميها باسم الزوجة التي تركها وراءه : وفاء . وهنا يعرض الكاتب احدى غرائب الطبيعة البشرية حين يقول ياسر لعثمان ، وقد جاءه الاول بوليدته وفاء : هل لا تزال جذوة غرامك بوفاء متقدة ؟ فيرد هذا بقوله : بل انطفأت من زمن . وانه انما يريد . فقط ! - ان يحتفظ بذكراها الجميلة ، فان من يتزوج من نساء السودان لا يتذكر غيرهن !

بالمسرحية ايضا شيء فاتن حقا - سلسلة من المشاهد القصيرة ، يبدو فيها مسافر يبحث عن متاع الدنيا . يجد اولا جناحي نعامة ، فيحملها ويواصل سيره على الطريق . ثم نراه من بعد في مشهد آخر وقد ضل طريقه ، وتحوطه الاخطار فيهتف فزعا : أين أنا ؟ أين أنا ؟ وفي مشهد ثالث ينفد زاد المسافر ، ويفرغ ماؤه ويبدو الهزال على جسمه وهو يبحث لنفسه عن مخرج . يجد قطعة فخار وجزءا من تمثال قديم فيصيح وهو يهذي : ريش نعام . العاج . الذهب . وفي المشهد التالي تجد المسافر على الارض يزحف بصعوبة ، وتبدو عليه آثار الجوع والعطش . انه يصرخ : لن اموت هنا . ساصل مدينة ما . تهران عطشان . عذبان . ريش النعام . وحين يظهر المسافر من بعد لا يقول شيئا . انه يحتار . يتلفت . يخرج . وفي آخر مشهد له ، يبدو لنا كالحيوان طالت اظافره ، وتدلى شعره . يتحرك ببطء ، يكتنفه الهزال لكنه يواصل السعي . ويختبر الاتجاهات ، ثم يترك الخشبة الى غير عودة .

ما معنى وجود المسافر ؟ اهو نوع من الحركة الموازية لحركة المسرحية ، يستخدمه الكاتب كي يعلق به على الموضوع الرئيسي ؟ ايكون مغزى وجوده رغبة الكاتب في أن يظهر ان نعيم الدنيا انما هو متاع الغرور ؟ وان من يسعى اليه يكون حاله كحال المسافر ، ينحط من الآدمية الى الحيوانية ، ثم لا يبلغ من بعد مأربه ؟ لا يملك النقد تفسيرا واضحا للمسافر الذي ضل الطريق . غير ان وجوده وغموضه وحركته الموازية لحركة المسرحية امور تزيد كلها من عمق المسرحية ومن اثرها على النفس . ■■

علي الراعي

البلاغة ما هي ؟

● عرف مجموعة من الحكماء البلاغة فقال حكيم يوناني: البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . وقال حكيم هندي : البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام .

وسأل معاوية بن أبي سفيان عمرا بن العاص من أبلغ الناس ؟ فقال : اقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة .

وقال ابو عبدالله وزير المهدي : البلاغة ما فهمته العامة، ورضيت به الخاصة .

اما البحتري الشاعر فيقول : خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل ، أما الثعالبي فيقول البليغ من يحول الكلام على حسب الأماني ، ويخيط الالفاظ على قدر المعاني ، والكلام البليغ هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا .

اما الامام فخر الدين الرازي فيقول : ان البلاغة هي بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل .



أنت ... والتسمم!

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

التسمم على أنواع مختلفة ، فهناك التسمم الغذائي وهو اكثرها شيوعا ، والتسمم الكحولي ، والتسمم الغازي أو المعدني ، والتسمم بالأدوية ولا سيما المنومات والمهدئات العصبية .

ولنبدأ بالتسمم الغذائي الذي ينجم عنه التهاب المعدة والأمعاء عن طريق الميكروبات والسموم التي تفرزها ، وتُعرف هذه بجراثيم السالمونيلا التي يحصل تلوث الأطعمة بها بواسطة الذباب والحشرات والفئران أو المشتغلين باعداد الأطعمة إذا لم يرعوا قدراً معيناً من النظافة ، أو إذا لم تحفظ الأطعمة في ثلاجات أو تُركت مفتوحة ، ولا سيما في حالة المعلبات التي يُؤكل شيء منها ، ويهمل ما تبقى على المائدة دون أن يعاد إلى الثلاجة بعد تغطيته .

بعد ساعة او ست ساعات

وبوسعنا أن نعرف نوعية التسمم من الفترة الزمنية ، فاذا حصل قيءٌ وأعراض تسممية أخرى بعد حوالى ساعة ، فالسبب مواد كياوية سامة ، أما بعد ست ساعات فالسبب افرازات سامة ، وأما التسمم الجرثومي فيحصل خلال فترة لاتتجاوز الثماني والأربعين ساعة ، والأعراض العامة للتسمم القيء والاسهال والمغص في البطن ، وفي أسوأ حالات التسمم تهبط درجة الحرارة ، ويغدو البراز سائلاً مزيجاً بالدم والمواد المخاطية ، ولابد للتأكد من التسمم من تحليل البراز والقيء والمواد الغذائية التي سببت القيء ، وتُغسل المعدة ، فضلاً عن إعطاء المريض الحقنة الشرجية لغسل أمعائه ، ويُصار إلى اراحته في الفراش إراحة تامة ويعطى السوائل بطريق الفم إن أمكن ، والا فعن طريق الوريد ، ويعالج الاسهال بمزيج البزموث وعند وجود الجراثيم يعطى المصاب الكلورمايستين والاستربتومايسين STREPTOMYCIN ويوسع المريض عند تحسن حاله بعض الشيء أن يتناول الشاي مع الخبز المحمّص المطلي بالزبدة : ويجب أن نلاحظ أن في بعض الحالات قد لا يحدث اسهال عند التسمم ، بل على العكس ، يحدث الامساك نتيجة شلل العضلات المعوية ، وقد تنتقل الاصابة إلى الأعصاب فتختل الرؤية وترتخي الأجفان ويعسر الكلام ويصعب البلع ، وتزداد سرعة النبض ، فاذا أهملت حالة المريض أفضت الأعراض إلى الوفاة ، خلال فترة لا تتجاوز الثمانية أيام .

ومن أهم أسباب التسمم الاعتماد على المعلّبات ، كما قلنا ، فمن الأفضل إذا ما كان الانسان في شك من أمرها أن يقوم بطبخها ، لقتل ما فيها من جراثيم قبل تناولها .

لأن إعدادها في المعامل قد لا يكون صحياً في بعض الأحيان . فليس كل المعلبات بنفس الدرجة من النظافة وعدم التلوث .

خطر المهدئات

وقد يحصل التسمم بطريق العقاقير ، ولا سيما المهدئات والمرقدات ، إذا ما استعملت بكميات أكبر من الحد المقرر . فقد تؤدي إلى انخفاض في الضغط وهبوط في التنفس وتعطّل في الكلى . والعلاج في هذه الحالة غسل المعدة والأمعاء واعطاء الأدوية المدرة والمنبهة . ولكيلا يصاب المريض بفقدان قدر كبير من السوائل يعطى محلول الغلوكوز أو الملح . ويزوّد بقدر كافٍ من الاكسجين لتسهيل عملية التنفس وقد يقتضي الأمر تزويده بالمضادات الحيوية Antibiotics لتحاشي التهاب الرئتين : على أننا يجب أن ننتبه إلى أن الالتهابات المعوية الحادة قد تكون متأتيةً عن اضطرابات عصبية أو عاطفية أو عن عدم موافقة أطعمة معينة لمزاج المريض كتناول انواع من الفطر Mushrooms أو الأسماك الصدفية Shellfish وقد تكون نتيجة للاصابة بالهيضة أو الكوليرا . فيجب عدم الخلط بينها جميعاً والتأكد من الحالة الخاصة للمريض قبل معالجته وأفضل وسيلة لذلك تحليل القيء والخروج .

ومع أن بعض حالات التسمم تكون بقصد الانتحار ، فان مئات الآلاف من الاصابات في العالم سنويا إنما هي نتيجة الخطأ أو قلة التدبر وعدم الاكتراث ولا سيا بين الأطفال الذين يتناولون مواد خطرة أو أدوية معدة للبالغين لمجرد أن ألوانها تكون جذابة أو أن طعمها مما يستهويهم . فينبغي دائما إبعادها جهد الامكان عن متناولهم .

وقد يكون التسمم بالافراط في تعاطي المشروبات الروحية . ولا سيا إذا ما اقترنت بتناول العقاقير المهدئة .

وتعالج حالات التسمم بالمواد القلوية المستعملة في التنظيف كالتايد TIDE مثلاً باعطاء المصاب عصير البرتقال أو الليمون او الخل المخفف .

وفي حالات التسمم بالحوامض المؤدية الى تضييق المريء، وتأثر الكليتين والكبد يعطى المريض قدراً كبيراً من الحليب أو بياض البيض .

قائمة بلا حد

أما التسمم بالكحول الايثيلي والميثيلي فيكون العلاج بمحلول بيكربونات الصودا . ومن الضروري في بعض حالات التسمم استعمال الكلية الصناعية لازالة المواد السامة من الدم . على أن المهم في الاسعافات الأولية للتخلص من السموم حمل المصاب على القيء، إما باعطائه المقيئات كالماء المالح أو بوضع الاصبع في حلقه بعد تناوله كأساً من الماء ، وتُكرّر العملية . ولا سيا مع الأطفال . حتى تصبح السوائل الخارجة من المعدة صافية . ويجب التنبه في اجراء عملية القيء إلى أن يكون الرأس أخفض من الجسم . لئلا تدخل مواد القيء القصبات الهوائية فتحدث الاختناق .

أما إذا كان المريض في حالة غيبوبة ، ولم يكن في المستطاع حملهُ على أن يقيء المواد السمية . فلا مندوحة إذ ذاك من اللجوء إلى غسل معدته . ويعطى المريض بعد الفراغ من ذلك . مواد مضادة للسموم كالخبز المحروق مع حليب المغنيزيا وحامض التانيك TANNIC ACID الذي يمكن استخراجه من الشاي المركز المغلي .

ولا أكون مغالية إذا ما قلت إن قائمة السموم لا حد لها . فالافراط في كل شيء له تأثير سمي حتى الاكسجين والماء وعناصر الغذاء . ولا شيء يبعدنا عن التسمم ويطيل أعمارنا كالاعتدال والنظافة . ويجب ألا نستهين بالتسمم فانه يحدث حتى في أكثر الدول تقدماً وتحضراً . ناهيك عن البلاد المتخلفة حضارياً وغذائياً وصحياً . وقد يكون التسمم عاجلاً تبدو آثاره وأعراضه في فترة قصيرة . وهو أهون علاجاً عندي من التسمم البطيء الذي يمتد عبر سنين نتيجة الادمان على الكحول والتدخين والمخدرات والولع بتناول العقاقير حتى من أجل صداع يسير أو تأخر طارىء في النوم ■■

اكسفورد ـ د . صبيحة الدباغ

عن مجالس الطرب في القرن الرابع الهجري

المغنيات والمغنون في بغداد

بقلم : جمال الدين الالوسي

هكذا كانت بغداد القرن الرابع الهجري : مدينة الطرب والترف والظرف .. مدينة مقبلة على الدنيا من كل باب .

روى ابو حيان التوحيدي ـ اديب الفلاسفة ـ قال : لقد احصينا ـ ونحن جماعة في الكرخ ـ ٤٦٠ جارية في الجانبين ـ يريد الكرخ والرصافة ـ و ١٢٠ حرة و٩٥ من الصبيان البدور ـ يجمعون بين الحذق في صنعة الغناء والحسن والظرف والضرب على الآلات وحسن العشرة ، هذا سوى ماكنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء وبالعزف ، الا اذا نشط في وقت ، او ثمل في حال ، وخلع العذار في هوى قد خالقه واضناه ، وترنم واوقع ، وجز رأسه ، وصعد انفاسه ، واطرب جلاسه ، واستكتمهم حاله ، وكشف عندهم حجابه ، وادعى الثقة بهم ، والاستنامة الى حفاظهم ، منهم « علوة » جارية ابن علوية في درب السلق ـ فكانت اذا رفعت عقيرتها فغنت بابيات السروي :

بالـــورد فـــي وجنتيك مـــن لطمك ؟
ومـــن ســقـــاك المـــدام ، لم ظلمك ؟
خـــلاك لا تـــســتفيق عـــن ســكر
توســـع شتمـــا وجفـــوة خـــدمك
معقـــرب الصـــدغ قـــد تملـــتَ فما
يمنـع مـــن لـــثم عاشـــقيك فمك
تجـــر فضـــل الازار منخـــرق
النَّعْلـــين قـــد لـــوث الـــثرى قدمك



اظل من حيرة ومن دهش
اقول لما رأيت مبتسمك :
« بالله يا اقحوان مضحكه
على قضيب العقيق ، من نظمك ؟ »

ومنهن « نهاية » وما زال هذا الاسم شائعا في العراق ، ومن الاسماء المحببة للجنس اللطيف ، وكانت مغنية لابن المغني ، واذا اندفعت بشدوها تغني صوتها الذي عرف بها ، والابيات لابن زريق البغدادي :

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني
صفو الحياة ، واني لا أودعه

وكان ابن فهم الصوفي اذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الارض ، وهاج وازبد ، واخذه الوجد ، واطربت سامعيها .

ومنهن « بلّور » جارية ابن اليزيدي ، كانت على ترجيعات صوتها الحنون ، المؤلف بين الاكباد المحرقة ، والمحسن الى القلوب المتصدعة ، اذا غنته .

اعط الشباب نصيبه
ما دمت تعذر بالشباب
وانعم بايام الصبى
واخلع عذارك في التصابى

وكان ابن البزار يهيم بصوتها ، ويغشى وعيه على غنائها ، فانه اذا سمع غناءها انقلبت حماليق عينيه ، وسقط مغشيا عليه ، وهات الكافور وماء الورد ومن يقرأ في اذنه آية الكرسي والمعوذتين الخ ...

قلم الفقيه !

ومنهم « قلم الفقيه » اذا تناوحت وتناقلت في استهلالها ، وتضاجرت وتذكرت شجوها الذي اضناها وأنضاها ، وسلبها عقلها ، وانساها حالها ، فاذا غنت

صوتها المعروف بها ـ لم يبق مستمع الا لدم صدره من الطرب .

اقــول لهـا والصبـح لـوّح نوره
كما لاح ضـوء البـارق المتألق
شبيهـك قـد واق ، وحـان افتراقنا
فهـل لـك في صوت ورطـل مروّق
فقالـت : « حياتـي في الـذي قد ذكرته
وان كنـت قـد نغّصتـه بالتفرق »

ومنهن « شعلة » ـ والاسم شائعٌ في العراق وقد يصغر للتحبيب ـ فاذا غنت صوتها :

لابـد للعشـاق من ذكر الوطن
واليـاس والسلـوة من بعـد الحزن

جُن الجراحيُّ ابو الحسن مع حشمته وقضائه في الكرخ ، وقيامته تقوم اذا سمعها ترجع في لحنها :

لو ان ما قد بلتنـي الحادثـات به
يلقـي على الماء ـ لم يُشرب من الكدر

فهناك ترى شيبته قد ابتلت بالدموع ، وفؤاده قد نزا الى اللهاة ، مع اسف قد نقب القلب ، واوهن الروح ، وهناك ترى ـ والله ـ أحداق الحاضرين باهتة ، ودموعهم منحدرة ، وشهيقهم قد علا ، وهذه صورة قد استولت على اهل المجلس وجدت لها عدوى لا تهلك ، وغاية لا تدرك ، لانه قلما يخلو الانسان من صبوة ، او صبابة ، او حسرة على فائت ، او فكر في متمنى ، او خوف من قطيعة ، او رجاء لمنتظر ، او حزن على حال ، وهذه احوال معروفة ، والناس منها على جديلة (اى طريقة) معهودة .

ومنهن « الخاطف » ذات الصوت الرخيم والتي عرفت بصوتها :

تلتهـب الـكف مـن تلهبها
وتحسر العيـن ، اذ تقصاها
كأن نارا بهـا محرّقـة
تهابهـا مـرة ، وتغشاهـا
تأخذهـا تـارة ، وتأخذهـا
فتحـن فرسانهـا وصرعاهـا

ومنهن « ترف » الصابئية ، اذا غنت عند نشاطها ومرحها ، وهواها حاضر ، وطرفها الى ابن العوادي ناظر ، وكان يجن بها :

لـبّ الهـوى كلمـا دعاكا
ولاح في الحـب من لحاكا
مـن لام في الحـب او نهاكا
فـرده في غيـك انهماكا
ان لم تكن في الهـوى كذاكا
انـال لذاتـه سواكـا

درة

ومنهن « درة » جارية ابي بكر الجراحي في درب الزعفران ، وكانت لا تعقد مجلسها الا في رجب ، فكانت بغداد تتزلزل من غنائها ، وصوتها المفضل .

لسـت انسى تلك الـزيارة لما
طرقتنـا واقبلـت تتثنـى
طرقـت ظبيةُ الرصافـة ليلا
فهـي احلى من جس عودا ، وغنى
كم ليال بتنـا نلـذ ونلهو
ونسقـى شرابنـا ونغنّـي
هجرتنـا فما اليهـا سبيل
غير انـا نقـول : « كانـت ، وكنـا »

واذا بلغت « كانت وكنا » رأيت الجيب مشقوقا ، والذيل مخروقا ، والدمع منهملا ، والبال متخذلا . ومكتوم السر في الهوى باديا ، ودليل العشق على صاحبه منادياً .

ومنهن « فتنوة » البصرية ، جارية ابن حجاج الشاعر ، وصوتها الذي عرف بها :

يالبتنـي احيـا بقربهمُ
فـاذا فقدتهـمُ انقضى عمري

ثم تثنت بصوتها الآخر :

هبينـي امـرءا ، امـا بريئـا ظلمته
وامـا مسيئـا تاب بعـد فأعتبا

فكنت كذي داء تبغى لدائه
طبيبا ، فلما لم يجده تطببا

ومنهن « علية » ، وكانت ترجع لحنها في حلقها الحلو الشجي ، بشعر ابن ابي ربيعة :

أسيري مكان البدر ان أفل البدر
وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر

سندس والاحلام الرديئة

ففيك من الشمس المنيرة نورها
وليس لها منك المحاجر والثغر

ومنهن « درة » البصرية وعرفت بصوتها :

يا ذا الذي زار وما زارا
كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من زهوه
ماضرّهُ لو دخل الدارا
لو دخل الدار فكلمته
بحاجتي ما دخل النارا
نفسي فداه اليوم من زائر
ما حل حتى قيل : « قد سارا »

ومنهن « سندس » ، جارية ابن يوسف صاحب ديوان السواد ، كانت اذا تشاجت وتدللت ، وقالت : « انا ـ والله ـ كسلانة مشغولة القلب بين احلام اراها رديئة ، وبخت اذا استوى التوى ، وأمل اذا ظهر عثر ، ثم تندفع مغنية :

مجلس صبين عميدين
ليسا من الحب بخلوين
تنازعا كأسا على لذة
قد فرجاها بين دمعين
الكأس لا تحسن الا اذا
أدرتها بين محبين

ومنهن « روعة » ، جارية ابن الرضى في الرصافة ، وكانت تبهج النفوس الحزينة اذا غنت صوتها المعروف بها :

وحق محل ذكرك في لساني
وقلبي حين أخلو بالاماني
لقد اصبحت أغبط كل عين
تعاينها فتسعد بالعيان

ومنهن « ظلوم » ، جارية ابي سعيد الصائغ ، التي كانت من اشجى المغنيات اذا قلبت لحنها الى حلقها واسترسلت ، ثم اوقعت فغنت :

فيالك نظرة أودت بعقلي
وغادر سهمها مني جريحا
فليت مليكتي جادت باخرى
واعلم انها تنكا القروحا
فاما ان يكون بها شفائي
واما ان اموت ، فاستريحا

ومنهن « خلبة » ، جارية ابي عائذ الكرخي فكانت اذا أخذت في هزارها ، واشتعلت بنارها ، وخلعت من عذارها ، وغنت ـ لم يبق احد الا وأدمى كفه استحسانا لها ، وطربا على صوتها :

قالت بثينة لما جئت زائرها :
« سبحان خالقنا ما كان اوفاكا
وعدتنا موعدا : تأتي لنا عجلا
وقد مضى الحول عنا ما رأيناكا
ان كنت ذا غرض او كنت ذا مرض
او كنت ذا خلة اخرى عذرناكا »

ومنهن « خلوب » جارية ابي ايوب القطان ، اذا أهلت واستهلت ، ثم اندفعت وغنت :

اذا اردت سلوا كان ينصركم
قلبي وما انا من قلبي بمنتصر
فأكثروا او اقلوا من اساءتكمْ
فكل ذلك محمول على القدر
وضعت خدي لادنى من يطيف بكم
حتى احتُقرت ، وما مثلي بمحتقر

ومنهن « علوة » ، جارية بنت خاقان ، وكانت تغني :

اروّع حين يأتيني الرسول
وأكمد حين لا يأتي الرسول
أؤملكم وقد ايقنت اني
الى تكذيب آمالي أؤول

ومنهن « حبابة » ، جارية ابي تمام . وكانت تطرب سامعيها اي اطراب بصوتها الحنون :

صددنا كأنا لامودة بيننا
على ان طرف العين لابد فاضح
ومد الينا الكاشحون عيونهم
فلم يبد منا ما حوته الجوانح
وصافحت من لاقيت في البيت غيرها
وكل الهوى مني لمن لا أصافح

ومنهن « حبابة » وكانت جارية ذات صوت رخيم حنون وهي في النوح لا اخت لها ، واحدة لا تضاهيها نائحة ، وان الناس في العراق ، قد تهالكوا على نوحها » ثم يقول التوحيدي « لولا اني اكره ذكره لرفعت الحديث به (يريد كراهته للنوح) وحبابة هذه كانت لها اخت يقال لها « صُبابة » وكانت في الحسن والجمال فوق اختها ، ولكنها في الصناعة والحذق في الغناء دونها ، وقد زلزلت هذه بغداد في وقتها ، ولم يكن للناس غير حديثها ، لنوادرها ، وحاضر جوابها ، وحدة مزاجها وسرعة حركتها بغير طيش ولا افراط » .

ويقول التوحيدي : « وهذه شمائل اذا اتفقت في الجواري الصانعات المحسنات خلَبن العقول ، وسحَرن الصدور ، وعجلن بعشاقهن الى القبور » . ثم يقول فيها : وصوتها المعروف بها :

عهود الصبا هاجت لي اليوم لوعة
وذكر سليمى حين لا ينفع الذكر
بأرض بها كان الهوى غير عازب
لدينا ، وغُصن العيش مهتصر نضر
بلى ان هذا الدهر فرق بيننا
واى جميع لا يفرقه الدهر

هكذا كانت بغداد

هذه صورة ، أو ـ الاصح ـ وثيقة فلكلورية من مأثوراتنا الشعبية لبغداد في القرن الرابع الهجري ، وهو القرن الذي اتسعت فيه عمارة بغداد ، وعاش اهلها في بلهنية ورخاء ، وبلغت الحضارة العربية من النضج اوجها ، وازدهرت العلوم والاداب ، ووضعت المؤلفات ، وتنافس الناس في الاقبال على اقتناء الكتب ، وبذلوا في الحصول عليها المبالغ الطائلة ، واصبحت بغداد قبلة طلاب العلم من أدب وفلسفة وتاريخ وطب وفقه وحكمة . ■■

الاعظمية/بغداد ـ جمال الدين الالوسي

مسمر في مكاني !

● بالرغم من تحذير الطالب الجديد بأن مدرس الفلسفة الذى سيعطيه دروسا خصوصية شخص غريب الاطوار ، الا أنه دهش وهو يهم بدخول حجرة الدرس باستاذه ممددا على ظهر خزانة كتب عالية . ومهما يكن من شيء فان الطالب قد هنأ نفسه لحضوره فى الموعد المحدد . وبعد ذلك جلس الطالب وأخذ يقرأ مقالته المطولة ويستمع الى ملاحظات المدرس عليها . ولم يكد الطالب يخرج من باب الحجرة حتى استدعاه أستاذه قائلا : بالمناسبة اذا رأيت حارسى أرجو أن ترسله لى بسرعة ، اننى مسمر فى مكانى هنا ولا أستطيع النزول .

ل . اتش . ابيردين

رد على مقال

هل يعارض القرآن نظرية التطور ؟

بقلم : الدكتور عبد الكريم الايرياني

في دوامة الجدل القائم بين من اسهاهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مقاله القيم « لماذا التعسف الباطل في تفسير القرآن بجر العلم اليه او حجبه عنه ؟ » (العربي ـ العدد ٢٤٦ ـ مايو ١٩٧٩) بانصار مدرسة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي اشار الكاتب الى نظرية التطور في الكائنات الحية بالقول ان هذه النظرية هي « مجرد فرضية لم يدعمها اي برهان علمي بعد . بل تواردت البراهين والادلة على بطلانها » .

لقد استرعى انتباهي هذا القول واثره على القارىء المسلم الذي سيجد ـ لو كان متخصصا في علوم الاحياء ـ صعوبة بالغة في قبول هذا الرأي . فذلك يضعه وجها لوجه امام نظرية تستند الى مقومات البحث العلمي ، وهي الملاحظة ثم البحث ثم الاستنتاج ونحن نعلمها لابنائنا في كتبنا المدرسية الا انها كغيرها من الافتراضات والنظريات العلمية كانت ومازالت وستظل خاضعة لمزيد من البحث والتمحيص . ولكن الامانة العلمية تفرض علينا ان نقول ان هذه النظرية لم يرفضها المجتمع العلمي كما رفض النظرية القديمة القائلة بان الارض هي مركز الكون مثلا ولكنها بحكم الضرورة لا يمكن ان تكون حقيقة مجردة مطلقة . لا يمكن الجدل فيها او معارضتها . الا ان الامر الذي لا مراء فيه هو ان الادلة التي توفرت حتى الان لتدعيم نظرية التطور في الكائنات الحية لا تقل عن تلك الادلة التي تدعم الكثير والكثير جدا من مقولات او نظريات العلم الحديث التي نقبلها بيسر وبدون نقاش .

اننا لا نود هنا ان نستطرد الى بحث هذه النظرية

التي لم تكن وليدة افتراضات داروين وحده ، وهو العالم الذي ظل متمسكا بنظريته وحريصا على عبادة الله في كنيسته حتى مماته . فقد تعرض لها علماء العصور القديمة ، من فراعنة ، وبابليين واغريق وغيرهم لانها تبحث في سؤال فرض نفسه حينئذ وسيظل يفرض نفسه مادام هذا الكائن الحي وهو الانسان سائرا على سطح هذا الكوكب . ولذلك فانه يصعب على قارىء مثلي ان يقبل بالقول ببطلان هذه النظرية التي لا يكاد يخلو كتاب في علوم الاحياء من وراثة وانسجة واجنة .. الخ من الاشارة اليها مع العلم بانها لم تعد بالصيغة التي وضعها بها داروين قبل ما يزيد عن مائة عام فقد تطورت الادلة عليها بتطور العلم ووسائله .

تجربة ذاتية

ونعود الى تعسفات المفسرين بالرأي كما اشار اليها الدكتور البوطي لنقول انها تصبح اكثر خطرا عندما تكون جزءا من المقررات الدراسية ، ويلزم الطلاب بقبولها . فقد جاء في احد الكتب الدراسية المقررة في بلد عربي ، تفسير لقوله تعالى « يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا . لا تنفذون الا بسلطان » بانه حث للناس على غزو الفضاء . وهو ما اعترض عليه الدكتور البوطي واجاد في تفنيده ، ولكن الاكثر من هذا هو ان ذلك الكتاب قد المح للطالب في طبعته الاولى التي صدرت قبل وصول الانسان الى سطح القمر ان شيئا ما سيحصل لرائد الفضاء عند هبوطه استكمالا لتفسير قوله تعالى « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

وعندما وصل الانسان الى سطح القمر ولم يصبه اذى صدرت الطبعة الثانية تقول ان السبب في ذلك هو ان القمر مازال في محيط السماء الدنيا (كذا !) . ولن تطبق الاية الكريمة السابقة الا على الذين يصلون الى منطقة اختراق السمع ، وهذا مالم يحصل بعد وعلينا ان ننتظر . واذا كان هذا نموذجا للتعسف الشديد الذي نجر اليه القرآن ونعلمه لابنائنا في بعض مدارسنا فان ذلك الكتاب المدرسي يحتوي على ما هو ادهى وأمر مما سبق الا ان هذا ليس مجال الحديث عنه .

منذ اربع سنوات خلت حضرت مؤتمرا اسلاميا للتعليم ، وفوجئت فيه باول متحدث باسم الدولة المضيفة يقول في كلمة الافتتاح ما معناه ان علم الوراثة وهو فرع من علوم الاحياء يتعارض مع الاسلام ومبادئه . لقد كانت مفاجئة ـ ان لم اقل صدمة ـ ليس لانني قضيت كل سني دراستي الجامعية متخصصا في هذا الفرع من علوم الاحياء فحسب ، بل لانني اعرف ان عددا من جوائز نوبل للطب التي منحت خلال الخمسة عشر عاما الماضية قد فاز بها علماء اجروا تجاربهم وتوصلوا الى اكتشافاتهم في مجال علم الوراثة . ولكنه لم يخف على سبب هذه المقولة بعد سماعها من المتحدث الكريم ، لان علم الوراثة في الكائنات الحية هو اليوم اقوى سند لنظرية التطور . وقد كان عزائي في تلك اللحظة هو انني لم افقد ايماني خلال عشر سنوات قضيتها في دراسة هذا العلم ، كما لم يخطر على بالي ان ما افعله يتنافى مع الاسلام ومبادئه . واحمد الله ايضا انني لم احرق كتبي واوراق بحثي بعد سماعي لذلك الراي الذي لا اشك في امانة واخلاص قائله . ولكننا كرجلين مسلمين اصبحنا حينها بموقفين متناقضين ، ناهيك عن انني حرصت على مغادرة المؤتمر قبل انتهائه لكي لايكون عالم الوراثة الذي يرأس وفد بلاده مصدر حرج لحكومته او للدولة المضيفة .

ان العبرة مما سبق هي انه في الوقت الذي اعجبني ما طرحه الدكتور البوطي ايما اعجاب ، الا انه اتخذ موقفا ثالثا يختلف عن موقفي المفسرين بالمأثور والمفسرين بالرأي . فهو موقف يضع القرآن الكريم وجها لوجه امام نظرية لا تكاد تخلو جامعة او مركز بحث علمي او مكتبة في ارجاء المعمورة من تناولها او البحث فيها . وهنا تفرض علينا الامانة ان نقول ان جمهرة علماء الاحياء يقرون اساسياتها وان اختلفوا في تفاصيلها شأنها شأن غيرها من النظريات . وصلب الموضوع في هذا المقال ليس الدفاع عن نظرية التطور او الدعوة الى قبولها فلن اكون في ذلك اقدر من توماس هكسلي وبعده جوليان هكسلي و . ت . هـ ديزانكسي وجيلورد سمبسون . فكلهم علماء لم يعرف عنهم انهم تخلوا عن دياناتهم من اجل الدفاع عن هذه النظرية . ولكنني ارى ان على علمائنا الافاضل

ان يزيلوا حيرة المسلم لا ان يعمقوها ولا يكفيني كمسلم ان تعاد الكرة الى بالاصرار على عدم صحتها لانني على يقين ان المئات بل والالاف من الشباب المسلم لا يتلقون دروسا في هذه النظرية فحسب بل يساهمون في اجراء البحوث العلمية عنها .

الموقف الثالث اشد خطرا

ان موقف علمائنا الذين هم مرجعنا في شئون ديننا من اية نظرية علمية بالقول انها تتعارض مع كتاب الله هو موقف ثالث يعتبر اكثر خطرا واشد اهمية من موقف المفسرين بالرأي الذين يتعسفون في تفسير القرآن الكريم على ضوء نظريات العلم الحديث . لان هذا الموقف الثالث يقحم القرآن فيما هو اخطر من مجرد التعسف في تفسيره الى التصدي لما يمكن ان يتوصل اليه فكر الانسان في سعيه وراء المعرفة التي حثه الله عليها ، فنظرية التطور مثلا مازالت تخضع للبحث العلمي في معظم جامعات العالم ولم يصرف النظر عنها . ومن ثم فان احتمال ثبوت الادلة والبراهين عليها جملة وتفصيلا امر وارد ما دامت غريزة البحث والاستكشاف صفة من صفات الانسان .

العقل لايلغى بجرة قلم

اذن فان مسلما مثلي لا يمكنه ان يلغي عقله وعلمه بجرة قلم ، سيجد نفسه في حيرة تامة عندما يقول له المختصون في شئون دينه ان نظرية علمية ـ ايا كانت ـ تناقض كتاب الله جل وعلا . وسيظل ملحا في سؤاله لهم لان الاجابة عليه لن تأتي من مختبر علمي او جهاز الكتروني بل يجب ان تأتي من أئمتنا المتبحرين في كلام الله الذين تقع عليهم مسئولية تفسيره لنا . وليس التفسير المطلوب هو التعسف في جر القرآن الى ما هو منزه عنه فنحن لا نقرأه لنتعلم منه الكيمياء او الفيزياء بل لنهتدي به الى سواء السبيل ، وما دام الانسان لم يؤت من العلم الا قليلا . فلماذا نقول ان نظرية علمية توصل اليها هذا الانسان مستخدما ما يعرف له بالطريقة العلمية حدود قواعدها اليوم والتي برهن بها على كثير من مسلمات العلم الحديث هي نظرية تتنافى مع ما ورد في كتاب الله ؟ اليس ممكنا انه لو عرضت نظرية كوبرنكس في علم الفلك على احد المفسرين بالرأي قبل ثلاثمائة سنة ، انه كان سيفسر بعض آيات القرآن ليستدل بها على بطلان تلك النظرية ؟ ومع ذلك فنحن نقبلها اليوم ولا نجد في القرآن الكريم ما يدعونا الى رفضها .

نخلص مما سبق الى القول انه بقدر ما اجاد الدكتور البوطي في تحديد اربع قواعد جامعة مانعة استخدمها في تفسير آيات من القرآن الكريم للتدليل على حقائق علمية اصبحت من البديهيات المسلم بها مثل الجاذبية وصدور الحرارة من الشمس مباشرة بينما يستمد القمر ضوءه بصورة غير مباشرة من جرم اخر . وكل ذلك يدل على أن ما يصبح بديهيا مسلما به لن يكون متعارضا مع كتاب الله . الا انه لايمكن استخدام نفس القواعد للتدليل على او لنفي بعض نظريات العلم الحديث التي لم يفرغ العلماء بعد من استكمال البحث فيها . وما اكثرها وليست نظرية التطور الا واحدة منها . ولعله من المفيد هنا ان نشير الى وجود دائرة في نطاق البحث العلمي كما نعرفه اليوم لا يستطيع الانسان بما أوتي من علم واسع وتقنية متطورة ان يجزم بصحة ما يلاحظه عندما يجري تجربته وهو يلجأ الى نظرية الاحتمال Probability ليقول ان احتمال صحة النتيجة التي يتوصل اليها من خلال تلك التجربة هو ٩٩٪ مثلا . ولا شك انه لا يجوز اقحام كتاب الله في نطاق هذه الدائرة من البحث العلمي التي تدل على قصور عقل الانسان اليوم في فهم وتعليل جميع اسرار هذا الكون .

واخيرا نقول ان جر القرآن الكريم لاثبات او دحض نظريات لم يقل العلم كلمته النهائية فيها ـ وما اكثرها ـ سيعني بالضرورة ان على الباحث المسلم ان يكف عن الخوض فيها نهائيا . ولايجوز له حينئذ ان يجري تجربة ليثبت بها صحة تلك النظرية او بطلانها . وهذا يعني بالضرورة التخلي عن بعض مجالات البحث العلمي على الاقل لغيرها وتلك هي الخطوة الاولى نحو التخلف . وحاشا لديننا ان يكون سببا في تخلفنا . ■■

الكويت ـ د . عبد الكريم الارياني

قصة قصيرة

الراية والبراءة

بقلم : مجيد طوبيا

انطلقت صفارة الحكم ، انتهى الشوط الأول من المباراة ، وفريق مدرستنا منهزم بهدف الى لا شيء ... جمعنا المدرب في حنان ابوى.أشار الى مئات الطلبة المتجمعين لتشجيعنا حاملين راية المدرسة ، قال :

ـ يجب ان تفوزوا ، لا تخيبوا رجاء زملائكم فيكم ، انتم تلعبون على أرضكم .. أومأنا حماسا .. وهبطت عيناى من راية المدرسة الى جموع التلاميذ ، أبحث عن عينى «نادية» حبيبتى حتى وجدتها تلوح ، فابتسمت وامتلات حمية ..

بدأ الشوط الثانى ، انتقلت فيه الكرة بين اقدامنا معظم الوقت ، من ركلة لاخرى ، بسرعة وقوة فى لعب حماسى انتهى باحرازنا ثلاثة اهداف وانتصرنا.ولم يعد أمامنا سوى مباراتين نكسبهما ونفوز بالكأس ..

بعد تحية الزملاء اتجهنا لأخذ الحمام نغسل العرق والغبار . خلعنا ملابسنا وانهمرت المياه فوق أجسادنا منعشة ، وتزاحمنا ، كل لاعب يريد أن يأخذ نصيبه من الرذاذ البارد ، صائحين صاخبين نشوانين بفرحة الفوز ، نتبادل تعليقات المرح والنكات . نتحادث عن تلميذات مدرسة البنات .. نتخاطف الصابونة ، نتناولها من فوق الحواجز الفاصلة بين دش وآخر .. كنا عراة مثل آدم ومع ذلك لم يغلق أحدنا بابه خجلا من الآخرين ..

ونحن نجفف المياه ونرتدى ثيابنا همس «فاروق غرباوى» بنذير الخبر لأول مرة وقال :

ـ عرفت من خالى المفتش أن ناظر مدرستنا قد تم نقله ..

صحت :

ـ كيف ينقلونه وقد انتصف العام الدراسى ؟

قال حسين حارس المرمى ممشطا شعره فى أسى:

ـ خسارة ، رجل طيب .

قال فاروق غرباوى :

ـ على نقيض خلفه القادم تماما .. حدثنى خالى أن الناظر المنتظر صارم وعنيف شديد القسوة .. وان شهرته بالوزارة تأديب المدارس المشاغبة .

زرر منير قميصه :

ـ لسنا مشاغبين .

أكمل فاروق غرباوى :

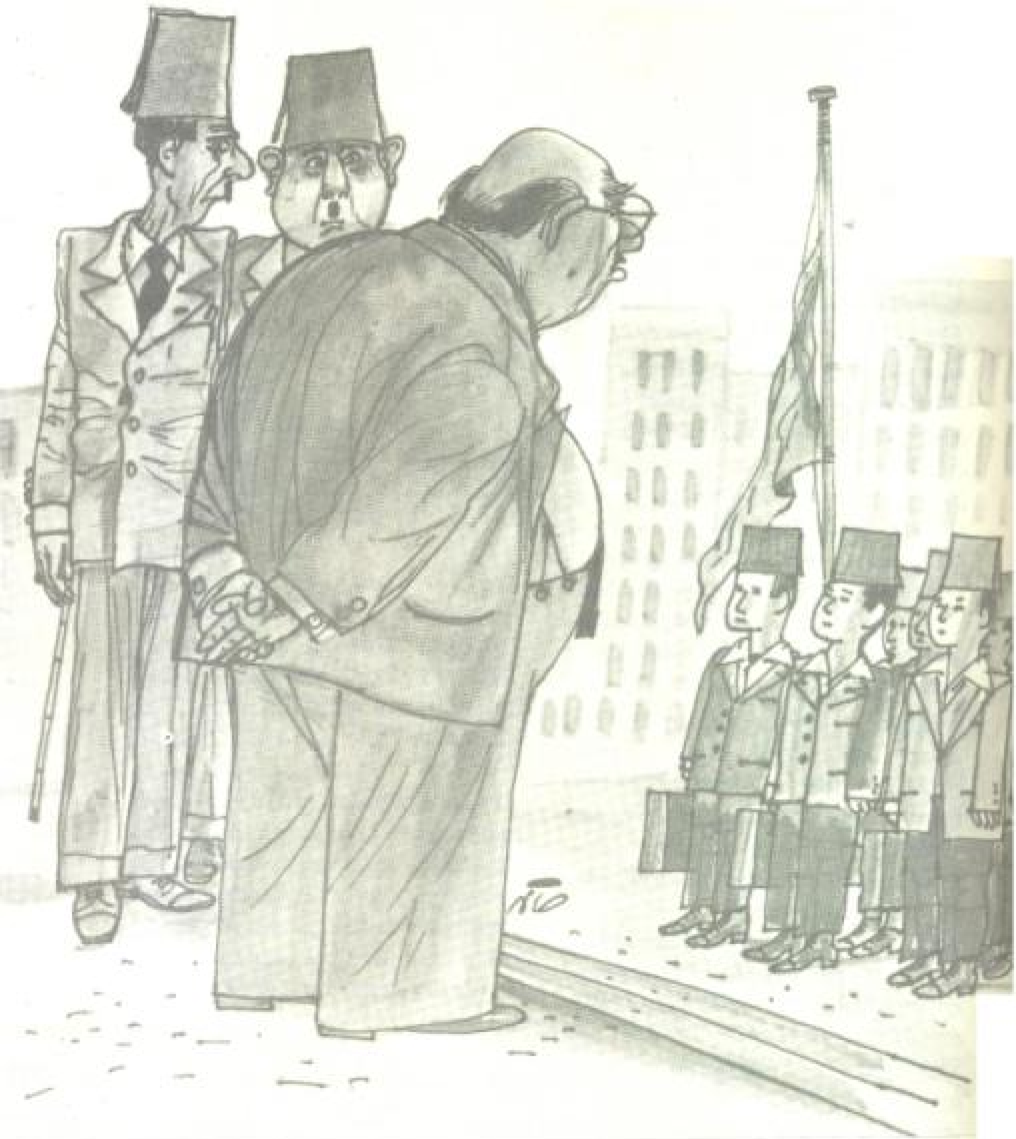
ـ عام واحد فى أية مدرسة مشاغبة يؤدبها ، ثم تنقله الوزارة الى مدرسة أخرى ليؤدبها وقد حان دورنا .

قلت فى ثقة :

ـ يؤدبنا من أجل ماذا ؟..ليبات وسوف نرى؟..

★★★

فى الخارج كان فى انتظارنا عشرات الطلبة السعداء، وحامل رايتنا يعيدها الى ساريتها ويرفعها خفاقة عالية .. وعن قرب لمحت حبيبتى نادية تتلكأ فى المسير فانسللت خلفها .. سبقتنى خارجة الى شارع النيل وسرت فى أثرها .. قبل ابتعادى التفت أتأمل مدرستى : كبيرة بمبناها فسيحة بملاعبها .. تقف شامخة مطلة على نيل



الصعيد في اتساعه ترفرف رايتها طوال الوقت ، تستقبل الشمس في شروقها وتودعها في غروبها ، مقهاقة مع نسيم الشمال .. وسوف نحتفظ لها بالكاس للعام الخامس على التوالي ..

لحقت بنادية ملهوفا لعادتها ، لكنها ابتعدت خجلة .. انحرفت الى شارع جانبي خال من المارة لم تلكات .. حاذيتها معاتبا .. اعتذرت كعادتها بخوفها من الناس .. قد يرانا من يعرف والدها ويخبره فتكون الطامة ويكون العقاب الوخيم .

قالت :

ـ تعرف تقاليد الصعيد .

ـ قلت :

ـ لا نرتكب فعلا مشينا .. احبك واريد ان تعرف الدنيا كلها انني احبك . ومستعد ان أواجه العالم كله بحبك ...

احمر وجهها سعادة ، وهنأتني بالفوز ..

وسرنا وقتا ، ثم افترقنا بعد أن تعاهدنا على الوفاء وعلى دوام المحبة مدى العمر ...

★ ★ ★

بعد أسبوع تحققنا من صدق النبأ ، عندما وقف ناظرنا أمام مكبر الصوت يودعنا بكلمات حارة معربا عن حبه لنا ولبلدتنا ، راجيا للجميع دوام التوفيق ، طالبا منا المحافظة على نتائج النجاح الممتازة التي حصلنا عليها طوال سنوات ادارته للمدرسة ..

على الفور سمعنا حكايات عجيبة عن الناظر القادم وصرامته .. سمعنا انه لا يبتسم أبدا ، لا يعرف الرحمة او الشفقة ، كحاكم عسكري قاسي القلب .. سمعنا أيضا أنه غليظ الكف ضخم الكرش ... قلت :

ـ سوف نفرغ كرشه من انتفاخه .

قال فاروق غرباوي نقلا عن خاله المفتش :

ـ الناظر القادم عقابه الوحيد الذي يؤمن به هوفصل من لا يعجبه فصلا نهائيا من كافة المدارس، يعني ضياع المستقبل ضياعا كاملا.والعياذ بالله!

ضحكنا سخرية .. رغم ارتفاع القهقهاتشعرت بها جافة مرعوشة غير واثقة .

وعلى الفور تملكني انقباض مبهم عصر قلبي حزنا ، ظل مسيطرا علي ولم يزايلني الا عندما لاقيت نادية،حيث عاودتني البهجة من دفء صوتها الحاني،ومن اندفاعة الدماء الى وجهي مع تلامس كفها بكفي..وسرنا حتى بدت لنا أطلال القراعنة القريبة ، حيث هناك كباش الفجر وماعزهم ما ان تشبع من الكلأ حتى تأخذ تتناطح وتتقافز حول تمثال الفرعون العتيد ...

★ ★ ★

مضى أسبوع آخر وسمعنا أن الناظر الموعود قد وصل بالفعل .. انتظرنا أن نراه ، ومر اليوم كله ، ومر يومان آخران من غير أن يلمحه أحدنا .. ظل حبيس مكتبه . يأتي قبلنا وينصرف بعدنا .. حتى شككنا في صحة نبأ وصوله ، لولا أن المدرسين أكدوا لنا وجوده .

وطوال هذه الأيام أطلق الطلبة شائعات غريبة عن أوصافه ، زعم أمين أغبى تلاميذ فصلنا أنه رآه ، ووصفه قائلا :

جسد طويل بكرش ضخم وقفا عريض .

لكن منير نقضه في ثقة :

ـ بل قزم سمين لا عنق له ، بعينين جاحظتين.

وفي يوم التمرين وبعد أن تدربنا ، وتوجهنا الى الحمام ودخلنا تحت المياه،أعلن حسين حارس المرمى بأنه رأى الناظر رؤية العين ، صاح :

هو باختصار شديد يشبه الغول ! !

وعلى الفور راح كل واحد منا يتخيله حسبما كان يتخيل الغول في حكايات طفولته .

★ ★ ★

مع بداية أسبوعه الثاني ، فوجئت مع عدد كبير من التلاميذ ببوابة المدرسة موصدة ، أغلقت قبل بدء الدراسة بنصف ساعة ودون تنبيه سابق ... تسكعنا في الشوارع عدة ساعات قبل أن نتوجه الى بيوتنا ... وحرصنا في اليوم التالي على التوجه مبكرا ... بدافع الرغبة لرؤيته .. وربما بدافع الخوف من صيته .. أنا شخصيا كنت شغوفا لمعرفة : «من أجل أية أفعال يريد تأديبنا.. وكيف سيفعل بنا ذلك ؟ »

دق الناقوس . فأغلقت البوابة الحديدية على الفور ، وبدأنا نتوجه كعادتنا الى الفصول لكننا فوجئنا بمدرسي الحصص الاولى .. يمتعوننا وبأيديهم ـ على غير العادة ـ عصي قصيرة ، ويطلبون منا الوقوف في صفوف .. ولاحظنا وجود خطوط جيرية على الارض لم تكن موجودة من قبل . خطان لكل فصل يقف تلاميذه بينهما ! قاومنا في البداية بسبب عدم التعود ، وبرغبة دفينة في التمرد ، لكن العصي في أيدي المدرسين أجبرتنا على الانصياع . فوقفنا كفرق الجيش في صفوف منتظمة ووجوهنا جميعا صوب الدرج المؤدي الى غرفة الادارة .. ومن هناك ، من عند أعلى الدرج ظهر الناظر المخيف .. فساد صمت كامل وشامل رهبة وفضولا .. وكان مظهره شتاتا مما سمعنا عنه ، متوسط الطول ضخم البدن منتفخ البطن وبلا عنق . وبلا عصا في يده ووجه مستدير متجهم ..

لاحظنا أن وجوه المدرسين وعيونهم لا تفارقه في انتظار أوامره .. في لحظات كان توترهم قد انتقل الينا فقمنا مأخوذين وعيوننا أيضا لا تفارق الوجه المتجهم الصامت . ولاحظت أن راية المدرسة منكسة عند أسفل السارية ..

فجأة وقع حادث خارق ، على حين بغتة انطلق من الصفوف الخلفية نواح هزلي . ضاعف من سخرية الصمت الهائل الذي كنا فيه .. وعلى الفور ضجت المدرسة بضحكات صاخبة ضحكات

عصبية مبالغ فيها وتعرجت الصفوف وكادت تنفلت ..

بوغت الاساتذة لبرهة ، ثم سرعان ما تولت عصبيهم اسكاتنا واعادتنا الى الانضباط مرة ثانية في الصفوف والى حالة الصمت المطبق .. فمكثنا شامتين نترقب رد فعل الوجه المتجهم ..

لم يخرج عن جموده ، ظل في هدوئه المقيت ، ثم همس في اذن وكيل المدرسة واستدار داخلا غرفته .. لوان وعرفنا مضمون همسته ، اذ ظللنا في أماكننا ، مذنبين طوال اليوم الدراسي .. والمدرسون يتبادلون مراقبتنا في حزم وهمة الى أن انصرفنا الى بيوتنا مهدودي الحيل ...

★ ★ ★

اليوم الثالث : وقفنا طوابير بطريقة أسرع ، وخرج البدين الضخم بوجهه المتجهم ، والراية منكسة مثل اليوم السابق ، مما ادهشني : لماذا ينكسها وهي التي لم تنكس في يوم من الايام ...؟

تنبهنا على وكيل المدرسة ينادي عددا من الاسماء ، خرج اصحابها مذعورين ، ليصطفوا واحدا بعد الاخر تحت الراية المنكسة ، حتى وصل عددهم الى عشرة .. وعندما سمعنا النبأ الصاعق ، نبأ فصلهم من الدراسة فصلا نهائيا وبلا رجعة .. الجمتنا المفاجأة ، وانكمش معظمنا واجمين .. ونحن نراهم يخرجون متباطئين في انكسار وعدم تصديق .. العجيب أن هؤلاء العشرة بالذات مسئولين بدرجة كبيرة عن صباح اليوم السابق ، فكيف عرف الناظر الجديد .. لابد ان بيننا وشاة أبلغوه .. فمن يكونوا .. ؟

بعد أغلاق البوابة الحديدية من ورائهم أومأ الناظر الى مدرس الالعاب بايماءة خفيفة فاذا به ينتفض مصدرا صوتا كصوت مدربي الجيش طالبا منا تحية الراية التي اخذ يرفعها امام أعيننا .. تابعتها بنظري وهي ترتفع تدريجيا وفي بطء رأيتها متهدلة والهواء ساكن ، لا ترفرف مثلما عودتنا .. شعرت بغصة تخنقني ، وبدموع ساخنة تملأ عيني فشاهدت هذه الراية متموجة متآكلة الحواف .. وللتو احسست بها غريبة عني ..

اثناء الحصص تشاورنا فيما يمكن ان نفعله لاعادة زملائنا المفصولين ، لكن المدرسين أرهبونا ونصحونا بالصمت ـ ولاحظت أن معظمهم سعداء بهذا الرعب المباغت ، خاصة غير الاكفاء منهم اذ كنا لا نحترمهم لعدم استفادتنا من حصصهم ـ ورغم ذلك حاولت حفنة من التلاميذ التدخل فكان نصيبهم الفصل النهائي أيضا .. ودون نقاش ودون قبول اية وساطة او ترحم .

★ ★ ★

اخيرا استتب نظام الناظر ، وتعودنا على الراية منكسة كل صباح وتعودنا على رفعها مع ظهور الوجه المتجهم ، أصبح ارتفاعها قرينا بظهوره . ... ويوما بعد يوم بدات امقت هذه الراية وهي التي لعبنا مبارياتنا دائما تحت لوائها وانتصرنا بها لكنها كانت رمزنا والان صارت رمزه ... ولهذا تجاهلنا اخذها معنا في المباراة التالية قبل النهائية ...

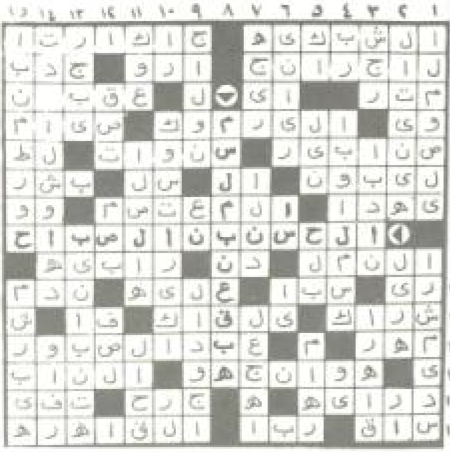
في هذه المباراة ما ان نزلت الى الملعب مع باقي الفريق حتى أصابتنا الدهشة ، كان عدد المشجعين من زملائنا أقل منه في اي وقت مضى .. ومع ذلك بذلنا كل جهدنا كي ننتصر ثم بذلنا كل جهدنا كي نتعادل ومع قرب نهاية المباراة صار كل طموحنا الا ننهزم ... وخرجنا متعادلين أمام فريق أقل من مستوانا بكثير ...

وفي المباراة الاخيرة ، مباراة الكاس ، كنا جميعا متوترين ... قبلها جمعنا الناظر وأمرنا بالفوز وأمرنا باخذ الراية معنا ، وخرجنا من عنده صامتين منكسرين ... ولهذا نزلنا الملعب خائفين ، باقل عدد من المشجعين والراية مرفوعة بلا حماس .. ولعبنا بلا حمية ، أكاد اقول ان زملاء لي تعمدوا الاهمال ، انا شخصيا اضعت هدفا أكيدا ، لا أدري كيف حدث هذا ؟ ، ... لا أذكر أن كانت مصادفة أم تعمدا .. الذي اذكره جيدا أننا عندما توجهنا الى أخذ الحمام ـ بعد هزيمتنا ، وبعد ضياع الكاس منا لاول مرة منذ سنوات .. كانت حركتنا بطيئة صامتة ، وكان الحزن يصبغ نظراتنا ويلجم السنتنا ، فانزوى كل لاعب مغلقا بابه على نفسه ، خالعا ملابسه بعيدا عن أعين الزملاء ، مقهورا خجلانا مزيلا تحت رذاذ الدش آثار المباراة عن جسده .

ارتدينا ملابسنا دون اهتمام ، وانصرفنا فرادى ، وعندما خرجت أنا وجدت عن قرب «نادية» تتلكأ في السير ، سبقتني الى الشارع على أمل ان الحق بها كعادتي ؟! لكني لم افعل . ■■

مجيد طوبيا

● حل مسابقة العدد ٢٤٥ ●



افقيا

الحسن بن الصباح

● رأسياً

مسلم بن عقبة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : الحسن بن الصباح • عارض انتصار المستعلي ، وأيد نزارا ، وهرب به من القاهرة الى الاسكندرية ، وحاول القيام بثورة ، ومات نزار في المحاولة • فر الى ايران حيث انشا حكم الاسماعيليين النزاريين من قاعدتهم « قلعة الموت » ، حتى قضى عليه هولاكو عام ١٢٥٦ •

(٨) راسيا : مسلم بن عقبة • قائد اموى ، شهد صفين مع معاوية ، قاد جيش يزيد ابن معاوية للانتقام من اهل المدينة بعد أن خرجوا عن عامله ، فغزاها واسرف فيها قتلا ونهبا في معركة الحرة •

الفائزون بالجوائز

- **الجائزة الاولى وقيمتها** ٣٠ دينارا فاز بها : **خالد علي عبد القادر** / عمان ـ الاردن •
- **الجائزة الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فاز بها : **السيد محمد زكي الوحش** / الغربية ـ مصر •
- **الجائزة الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فازت بها : **تماضر محمد احمد محمد** / المحرق ـ البحرين •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **حسن خليل اشتيوى** / الرياض ـ السعودية
٢ ـ **اكرو محمد** / اغادير ـ المغرب
٣ ـ **عبد الله حسن عز الدين** / البقاع ـ لبنان
٤ ـ **عواطف ادريس بشير** / الخرطوم ـ السودان
٥ ـ **ابتسام السعدى** / الجهراء ـ الكويت
٦ ـ **عوض عبد الله باحكيم** / المكلا ـ اليمن الديمقراطي
٧ ـ **سيف الدين اشتر** / اللاذقية ـ سوريا
٨ ـ **محمد حماد أبوطة** / دبى ـ الامارات العربية

■■

اعداد : يوسف زعبلاوى

حبوب يتناولها الرجال
فتمنع الحمل فى النساء

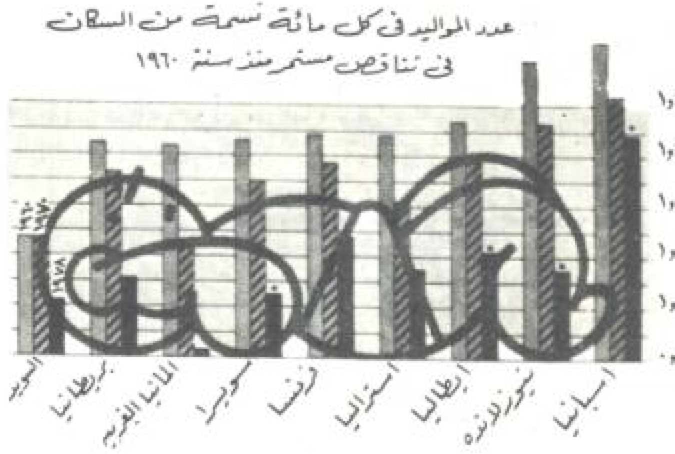
● منذ سنوات والعلماء الامريكيون يحاولون تطوير حبوب لمنع الحمل ، يتعاطاها الرجال لا النساء .. وقد اتخذت تلك الابحاث من الهرمونات أساسا لها .. وركزت فى الغالب على ما يعرف بالهرمونات (Steroidal) كالتسترون مثلا . الا ان الفشل كان حليفهم فى ذلك كله .. لا عجب اذن ان شعروا بمزيد من الدهشة حين اكتشفوا أن علماء الصين نجحوا حيث فشلوا هم !

فقد تمكن الصينيون من صنع الحبوب المنشودة منذ سنوات بحيث انتشرت واقبل عليها الاف الرجال من مواطنيهم دون ان يشكو احد منهم اية آثار جانبية ، أو يطعن فى فاعلية تلك الحبوب التى بلغت ٩٩٪ أو يزيد .. وهم يتناولونها بمعدل حبة واحدة فى اليوم وذلك لمدة الاشهر الثلاثة الاولى . ثم يتعاطونها بعد ذلك بقصد التوطيد بمعدل حبتين فى الاسبوع فقط .

وتعود قصة هذه الحبوب الى اواسط الستينات حين اكتشف بعض الباحثين من اهل الصين العلاقة بين عقم الرجال أو عجزهم عن الانجاب وبين أكل زيت القطن .. وهكذا انصب الاهتمام على مادة الجوسيبول Gossypol ، احدى مشتقات بذور القطن ، وتركز البحث فى خصائص هذه المادة الطبية .. وبدأ العلماء فى شنغاى يجربون الجوسبول هذا على الحيوانات سنة ١٩٧١ .. وبلغ من النتائج الطبية المشجعة التى حصلوا عليها ان راحوا يجربونه على بنى الانسان بحلول سنة ١٩٧٢ . وكان النجاح كبيرا بحيث وسع العلماء الصينيون نطاق تجاربهم واخذوا يوزعون الجوسبول على الاف الرجال من المتطوعين .

ومما يذكر عن حبوب الجوسبول هذه انها تعطل تكوين المنويات فى الخصيتين ولا تؤثر مطلقا على قدرة الرجل على القذف والانتصاب .. أى أن أثرها محصور فى تجريد السائل المنوى ، الذى يقذفه الزوج ، من المنويات المخصبة . أضف الى ذلك أن الرجل يستطيع استرداد قدرته على الاخصاب متى شاء .. فى غضون سنة من التوقف عن أخذ حبوب الجوسبول . هذا ولا تترك هذه الحبوب آثارا جانبية تذكر .. ما خلا بعض المضايقات الباطنية والميل الى التقيؤ والنقص المحدود فى محتويات البوتاس فى الدم ، وقد ظهرت هذه الاثار أو تلك فى ٢٪ فقط من الذين تعاطوا حبوب الجوسبول بانتظام .

ومن طريف ما يذكر ان الامريكيين هم الذين اكتشفوا أمر هذه الحبوب وأن علماء الصين لم يكشفوا النقاب عنها ، بل قل تكتموا بصددها حتى تسنى اكتشافها صدفة لفريق من خبراء تحديد النسل الامريكان اثناء زيارة قاموا بها للصين .



الفرنسيون مهددون بالانقراض عام ٢٥٠٠

● يبدو ان التهديد بالانفجار السكاني لم يعد قائما ... في دول الغرب المتقدمة على اقل تقدير ... فقد كان عدد المواليد فيها في تناقص مستمر منذ مطلع الستينات حتى هبط في فرنسا الي نحو ٤ر١ في كل مائة من عدد السكان وانخفض في ايطاليا الى حوالي ٣ر١ وتدنى الى ٢ر١ في بريطانيا وحوالى ١ر١ في السويد وبلغ الحضيض في المانيا الغربية حيث لم يجاوز عدد المواليد ٩٢ر في كل مائة من عدد السكان وذلك حسب احصاءات عام ١٩٧٨ ... (انظر الرسم) .

وهذه ظاهرة خطيرة للغاية . فهي تعني ان نصيب العائلة الواحدة من المواليد في المانيا لا يزيد على ٥ر١ مولود ... ولو ذكرنا ان النسبة الضرورية للابقاء على عدد السكان حيث هو ، ان شئت، نسبة استبدال الاموات بالاحياء ، تبلغ ١ر٢ للعائلة الواحدة ، لتجلى لنا الخطر الذى يتهدد عدد السكان في المانيا الغربية ... اذ يبلغ هذا حاليا ٦١ مليون نسمة ولكنه سيهبط اذا استمرت نسبة التوالد على ما هي عليه حتى يبلغ ٥٢ مليون نسمة بعد ٢٠ عاما اى سنة ٢٠٠٠ ... وما يصدق على المانيا الغربية يصدق على السويد فسويسرة فبريطانيا فالنمسا فهولندة فايطاليا فاسبانيا .... كل بدورها حسب نسبة التوالد فيها ...

من هنا كانت الاجراءات المختلفة التي بدأت تتخذها دول الغرب بقصد التشجيع على الانجاب فالمانيا الغربية التي كانت تكتفي بمنح علاوة للطفل الثالث حتى الان (١٠٨ دولارات شهريا) ستشرع عما قريب في منح علاوة اخرى للطفل الثاني تبلغ ٥٤ دولارا شهريا . اما فرنسا ، وبعض دول الغرب الاخرى ، فتتجه الى دفع مرتب ثابت لا يقل عن ٨٣٠ دولارا في الشهر الواحد ـ وقد يزيد ـ لكل عائلة يبلغ عدد الاطفال فيها ٣ او أكثر .

ومع ذلك فقد ظهرت في فرنسا حركة جديدة تطالب بالمزيد من

المخصصات والمرتبات التي تشجع على الانجاب ... ويتزعم هذه الحركة رئيس الوزارة الاسبق .. المسيو ميشيل دوبرى ، وهو ديجولي المذهب كما هو معروف ... وقد نشرت له صحيفة ليموند مقالا رئيسيا افتتاحيا صدرت به صفحتها الأولى .. ويقول المسيو دوبرى ، فيما يقول « انا لا ادعو الى ظهور العائلات الكبيرة من جديد ... وكل ما يهمني هو التحذير من المصير الذي ينتظرنا ... اعني الانتحار القومي او الانقراض ...

■■■

جهاز جديد صغير لتقطير المياه وتحليتها وتعقيمها

● لاريب في ان اجهزة تقطير المياه وتحليتها كانت نعمة كبرى بين النعم التي اتاحها العلم الحديث لانسان القرن العشرين . الا ان احجام هذه المقطرات الكبيرة واثمانها الباهظة كانت عقبة كأداء في سبيل انتشارها وتعميمها .. وكثرت المحاولات لصنع جهاز التقطير الصغير الذي قد يفي بالحاجة ، بلا طائل .. حتى كانت تكنولوجيا الفضاء وكان جهاز التقطير الذي زودت به سفن الفضاء ... فهذا جهاز صغير جدا وفعال جدا ولكنه باهظ الثمن ، وكان لا مفر من اجراء تعديلات في صناعته ليصبح في الامكان بيعه في الاسواق على نطاق واسع .. والظاهر ان احدى الشركات الامريكية نجحت مؤخرا في تحقيق هذه التعديلات ..

اذ لا يزيد وزن جهاز التقطير الذي بدأت تلك الشركة بيعه وتصديره بالفعل على ٥٠ كيلوجراما .. فيا اشبهه بمكيف الهواء الصغير المعد للتركيب في النافذة ولتكييف غرفة واحدة .. وتبلغ طاقة جهاز التقطير نحو ٢٥٠ جالون ماء .. وهو يعمل بالكهرباء دون ان يتجاوز استهلاكه منها ما يستهلكه جهاز التلفاز ..

اما فاعلية جهاز التقطير الصغير فتكاد تكون شاملة ، فهو يزيل ملوحة الماء .. ماء البحر ، ناهيك بالمياه الجوفية .. وهو يقضي على التلوث الذي قد يصيب الماء لاسباب كياوية .. ويستطيع هذا الجهاز كذلك القضاء على ما قد يحتويه الماء من بكتريا وفيروسات .. اضف الى ذلك كله الاشعاع الذري .. فقد يحتوي الماء على المواد المشعة بنسب ضارة بصحة الانسان .. والجهاز كفيل بتخليص الماء ايضا من هذه المواد .

ويعمل جهاز التقطير ، على صغر حجمه ، باساليب تقطير وتنقية ثلاثة في وقت واحد .. اولها الغشاء الذي يزيل كافة الشوائب الصلبة التي قد توجد في الماء .. ويتعرض الماء بعد ذلك للاشعة فوق البنفسجية ، ثم يمر بحجرة التقطير الفحمي .

■■■

العلاج بالكمادات الجليدية

● يلجأ الكثيرون من اطباء اليوم الى البرودة والكمادات الثلجية في معالجة كثير من الآفات ، نذكر منها ، على سبيل المثال ، حالات الصداع ولسع الحشرات والحروق والحرارة المرتفعة والرضوض الخ .. ولكن الكمادات العادية معروفة ومألوفة ، وهي في الغالب مصنوعة من قماش ويجري تبريدها بمياه ثلجية هي الاخرى عادية .. الا أنها لاتفي بالغرض كما ينبغي .. اذ سرعان ما تذهب برودتها وبرودة الماء الثلجي معها ، فيضطر المرء الى استبدال هذه او تلك عدة مرات في جلسة واحدة ..

لاعجب اذن ان ظهرت مؤخرا الكمادات الجليدية الحديثة فهذه تحتفظ ببرودتها الفائقة لمدة ساعة كاملة بحيث يمكن اطالة استعمالها وتكراره .. ثم انها تحافظ على مرونتها رغم حالتها الجليدية .. بحيث يسهل استعمالها في اى مكان من جسم الانسان ..

والكمادة الجليدية هذه مصنوعة من مادة جلاتينية تشبع بالماء ثم توضع في حجرة التجميد في الثلاجة الى حين الحاجة .

سيوة : أرض النبوءة

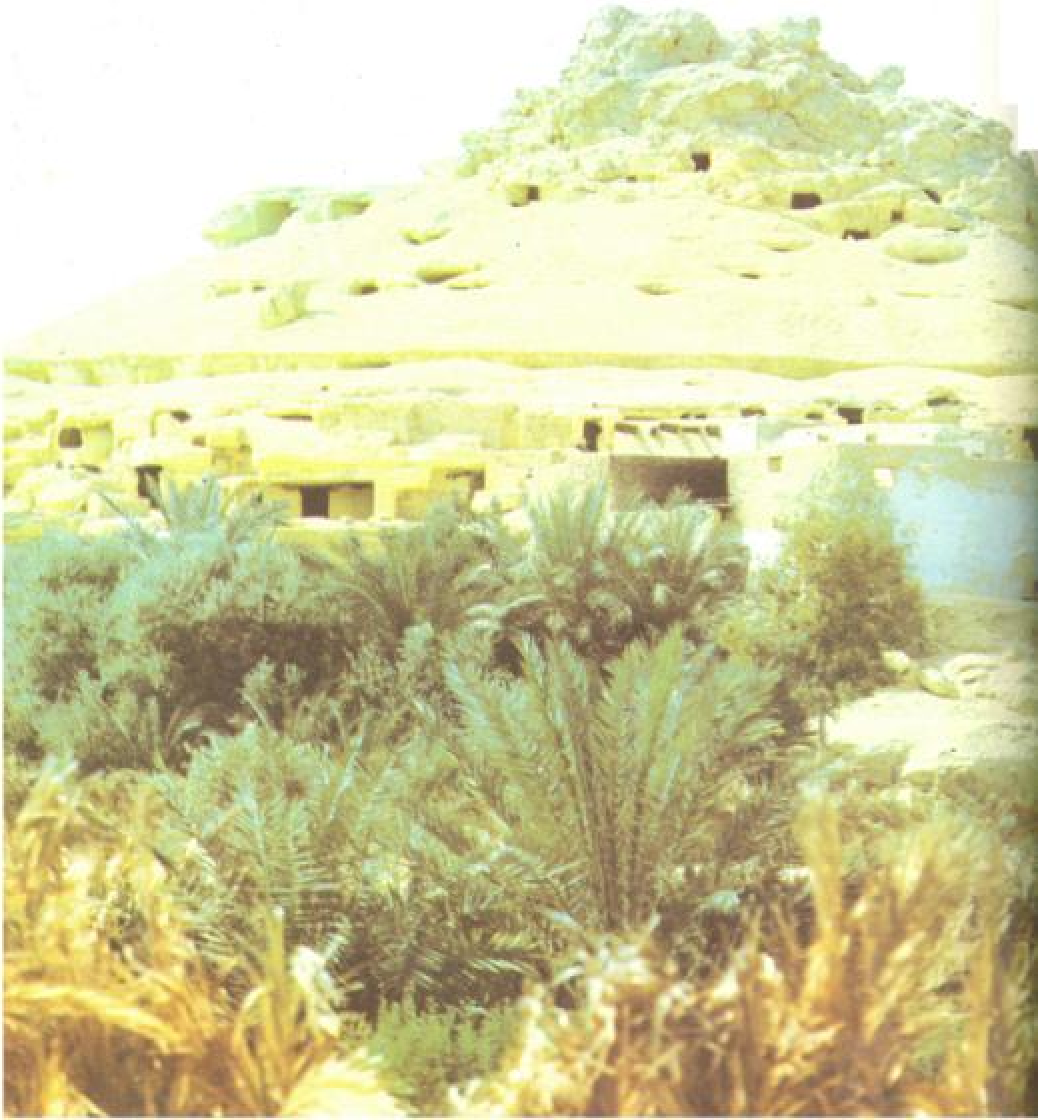
فتاة من سيوة .





والمستقبل

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل
تصوير : عبد الناصر شقرة



جبل الموتى وتظهر الكهوف التي لجأ اليها الاهالي اثناء الحرب العالمية الثانية .

قادم من واحة سيوه ..

من احد الواحات التي تضمها صحراء مصر الشاسعة ، قادم من ارض الزيتون والنخيل والعيون ، من ابعد الواحات المصرية عن « المعمور » ..

هي في كتب العرب القدماء « سنترية » ، وهي جوبيتر آمون في كتب الاغريق والرومان ، بها بقايا معابد وقبور يرجع تاريخها الى ايام الفراعنة القدماء ، وقد زارها الاسكندر الاكبر ليقدم الولاء للاله آمون ، وغرق في رمال صحرائها جيش قمبيز ..

داخلها يتحرر العقل من ادران الحياة ، فهي من اكثر المناطق شاعرية ، واشدها اثارة ، وهي دائما بقعة مضيئة في ذاكرة الذين مروا بها ، والذي شرب من عيونها ، وعاش بين اهلها ، ورأى سماءها ، فهي ذات طعم خاص ، ولغة خاصة هي « السيوية » ، وتقاليد وازياء فريدة موروثة ..

●●●

يقصد الواحة العديد من الزائرين ليس فقط بسبب مكانها في التاريخ بل لطبيعتها المميزة ، وقد كان زائر سيوه في الماضي يصلها بعد رحلة عذاب شاقة : أما الآن فتستغرق الرحلة من مرسى مطروح الى الواحة حوالى ساعة باحدى الطائرات الحربية ، وبأجر رمزي ، وتنقل الطائرة عشرين راكبا كما تنقل البريد ، وعندما تهب الرياح ويسوء الجو ، تعود الواحة الى عزلتها ، الامر الذي يؤدي احيانا الى تأخير رواتب الموظفين ..

وأهم ما يجذب الزائر تلك الطبيعة المميزة للواحة والتي تختلف في كثير من عاداتها وفنونها وآلاتها الزراعية ، وأزياء اهلها ، وعمارة بيوتها عن ريف مصر وعن سواها من الواحات المصرية ..

ولعل جاذبيتها الخاصة تكمن في كونها واحة وسط الصحراء ، فالصحراء مثل البحار الواسعة تثير لدى الكثيرين المشاعر المختلفة ، فعند البعض هي التيه اللانهائي ، وهي الغموض ، وهي ساحة مفقودة في بحر من الرمال محفوفة بالمخاطر ، وهي عند البعض الآخر مكان شاعري لساكني خيام الشعر وللجمل ذلك الحيوان الصبور المتميز .. فما بالك لو قطعت هذه الصحراء واحة خضراء تتفجر داخلها ينابيع المياه ، فتصبح نقيضا للوحشة والجدب وزحف الرمال على الاحياء ، وتصبح لها حلاوة الجزر وسط المحيطات ، من يصلها تكتب له الحياة .. من يصلها يصل الى الفيء بعد وهج الشمس ، والتجدد بعد الرتابة ، والخصوبة بعد الموات ..

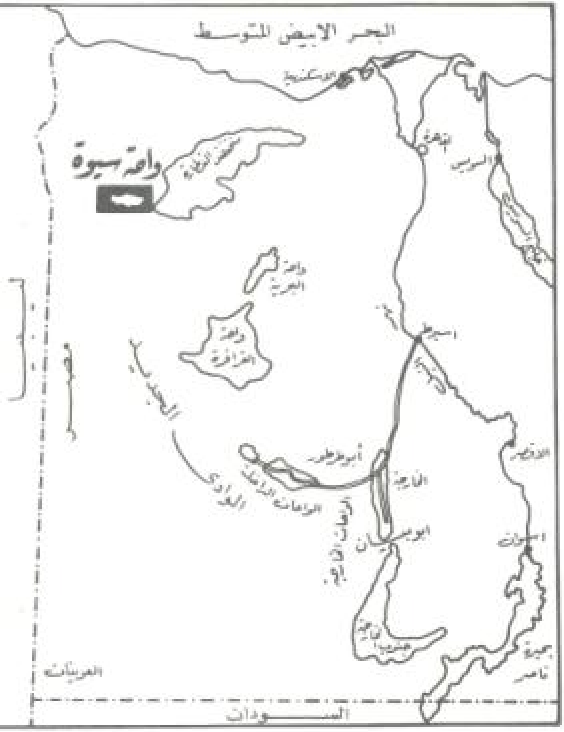
وللصحراء في مصر معنى خاص ، فزحفها هو التهديد الحقيقي للوادي الاخضر ، وقهرها هو انتصار الحياة ، فمساحة مصر التي تبلغ حوالى مليون كيلو متر مربع كلها صحراء فاحلة عدا ٤ ٪ منها ارض مزروعة يعيش فوقها حوالى ٩٩ ٪ من السكان ، ومليون من السكان يعيشون متفرقين فوق مساحة تبلغ ٩٦٥ الف كيلو متر .

ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى لواحة سيوه ونهر المياه الجوفية الذي تعيش فوقه ، وما يمكن ان تعد به هذه الواحة من امكانيات ما زالت معطلة ، والتي تحتاج الى شجاعة البدايات .. فهنا يمكن ان تقهر الصحراء .

كانت هذه الافكار تراودني عندما كنت متجها الى جبل الدكرور ، كأفضل مكان يمكن ان اشاهد من خلاله منظرا عاما للواحة ، وهو مكان يبعد خمسة كيلو مترات جنوب غربي البلدة يقضي فيه اهل الواحة اعيادهم ونزهاتهم ولياليهم القمرية ، تهب علينا نسمة ندية من عبق التاريخ وأريج المزارع من بقعة الخضرة وسط الصحراء والتي تتخللها الملاحات والعيون ، وسط كميات هائلة من النخيل واشجار الزيتون في منخفض يميل الى الاستطالة وينخفض عن مستوى سطح البحر بحوالي ثمانية امتار ، ان عدد النخيل في الواحة يبلغ ١٨٥ الف نخلة ، تقوم عليه حياة السكان ، ينتج اجود انواع التمور ، ويقوم النخيل بدور رئيسي في الواحة فمن سعفه يصنع ابن سيوه السلال والحصير والنعال ومن خوصه الجاف يدفىء البيت من لذعة الشتاء القارس ، والجريد للاقفاص والاسرة والكراسي ومن اخشابه تصنع اسقف المنازل ، وسور الحدائق ، ويمدهم ايضا بالشراب المفضل لديهم ، والنخلة شجرة معمرة تقدم ثمارها بأقل جهد ، ويمكن القول أن بالواحة اكبر مزرعة زيتون في مصر وتحتوي على عشرين الف شجرة زيتون مثمرة ، ويبلغ انتاج الشجرة الواحدة ٩٩ كجم وهو انتاج مرتفع بالنسبة للمتوسط العالمي ، ويقطع اللون الاخضر ثلاثة تلال احدهم جبل أغورمي والآخر جبل الموتى وثالث تعلوه استراحة حكومية ، ويعيش حول العيون والنخيل والزيتون ما يزيد عن ٧ آلاف و ٥٠٠ نسمة من ابناء الواحة ..

ويشتهر هذا الجبل الذي نقف فوقه بانه مركز لعلاج الروماتزم وشلل الاطفال بالدفن في رماله ، والمدهش ان احد السكان يحتفظ بخطابات وصلته من شتى انحاء العالم ، يشكرونه على علاجهم ، وعندما سألت طبيب سيوه الدكتور حسن بطه .. قال : عندما زار الدكتور فاروق الباز ـ عالم الفضاء ـ الواحة ذكر ان بها أنواعا معينه من الاشعاع يحتمل ان تكون السبب في شفاء هؤلاء المرضى ..

وبعد الغروب لا ترى اجمل من سماء سيوه فوق هذا الجبل ، هدوء وصمت وسماء صافية ونجوم ساطعة ، واتذكر قول حكيم مصري منذ الف عام قبل الميلاد ..



خريطة مصر ويظهر عليها موقع واحة سيوه .

« يا آمون .. انت ايها الينبوع العذب الذي يروي الظمأ في الصحراء ، انه ينبوع موصد لمن يتكلم ، مفتوح لمن يتذرع بالصمت ، وحينما يأتي الصامت ، تأمل ، فانه هناك « يجد الينبوع .. » وعرفت معنى الصمت مع التأمل في الصحراء ..

عين كليوباتره ..

ومن جبل الدكرور الى عين كليوباتره وسط أشجار النخيل والزيتون ، العين مسورة ، مياهها عذبة شفافة رقراقة ، هي التي تهب الحياة والنماء ، ان الشعور بالسعادة الغامرة يتملكك امام العين ، ترى زرقة وصفاء المياه وانعكاس الاشجار وخاصة عند الغروب ، ولكل عين طابعها المميز ، فعين العرايس تستحم فيها العروس قبل زواجها ، واخرى شريرة تجلب الشؤم لزائرها .

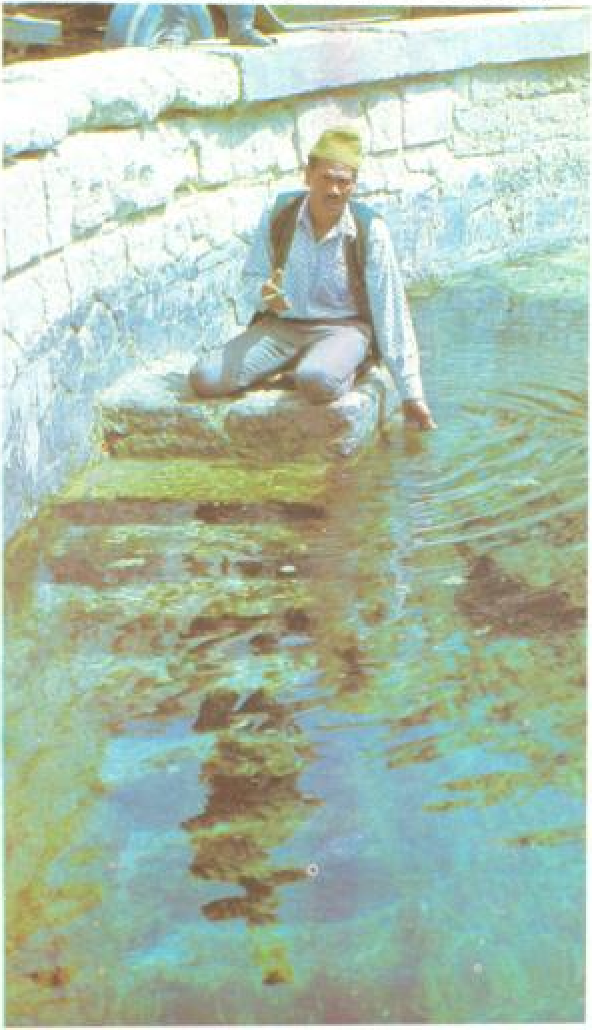
وتزيد عدد العيون في الواحة عن ٢٠٠ عين يتراوح ماؤها بين العذوبة والملوحة ، وعين ساخنة واخرى باردة ،

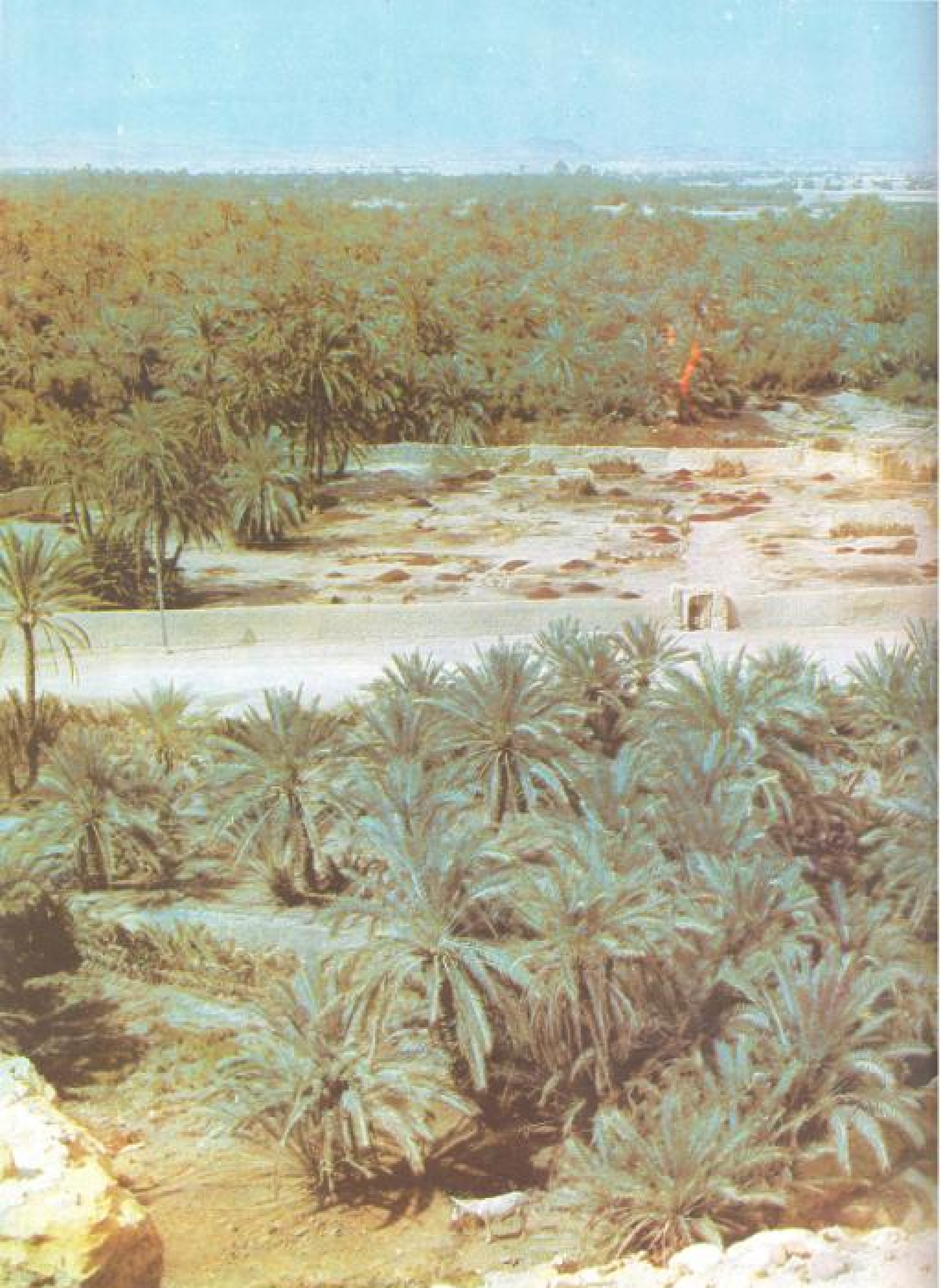




احد الوجوه الافريقية الى جوار اسوار بلدة « شالي القديمة » .

عين كليوباترة ، احد عيون الواحة ، والتي تزيد عيونها عن ٢٠٠ عين .





منظر عام للواحة وتظهر اعداد النخيل الكبيرة ، ويتوسطها مكان لتجفيف البلح .

وهناك وصف لهذه العيون أورده هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد .. « هنا عين مياهها دافئة في الصباح ، باردة في عز الحر ، تنتقل من البرودة الى السخونة ، وهي ساخنة تغلي في منتصف الليل .. »

ولأول مرة تصبح المشكلة الرئيسية في واحة وسط الصحراء ، هي الغرق ، فمن المألوف ان تغرق جزيرة في البحر ، اما ان تغرق واحة في الصحراء فهذا هو الغريب ، وهذا لغياب بعض مشاريع الصرف ، فاجمالي المياه المتاحة تبلغ ١١٣ الف متر مكعب في اليوم ، بينما اقصى الاحتياجات تصل الى ١٠١ الف متر مكعب في اليوم ..

الواحة المفقودة

بعد وصولي الى الواحة ألحت عليّ ذاكرتي بقصة انجليزية قرأتها منذ مدة طويلة ، تروي قصة مجتمع عاش في عزلة تامة لا يعرف عن العالم الخارجي شيئا ، بعد ان انفصل احد الوديان عن العالم بفعل زلزال رهيب ، وانزلق الى هذا الوادي صدفة احد الرحالة ليروي قصة تلك العزلة والقيم التي سادت مجتمعا معزولا ، تذكرت وقائع هذا القصة ، عندما لا حظت عادات المجتمع داخل واحة سيوه التي مازالت العزلة هي المؤثر الرئيسي في حياة اهلها ، ذلك التوجس والشك ، ومقاومة رياح التغيير التي تهب على واحة كانت سرا مجهولا تطويه الصحراء في كثير من العهود ، عانت من التجاهل والاهمال رغم انه عند أقدامها يتكسر جدب الصحراء ليفسح لعيونها المتفجرة وينابيعها الفضية البراقة مكانا للحياة ..

ان السبب الرئيسي لعزلة الواحة موقعها البعيد وسط الصحراء ، فهي احد مواقع هوامش الصحراء ، فالواحة تبعد ٨٠٠ كيلو متر عن العاصمة ، وتتصل من الشمال بساحل البحر الابيض المتوسط عن طريق دروب صحراوية متعددة ، ليس بينها طريق معبد واحد ، ويربطها بمرسى مطروح طريق طوله ٣٠٠ كيلو متر ، ما يقل عن نصفه فقط معبد ، وتستغرق الرحلة فيه تسع ساعات بالسيارة ، وهو ذات الطريق الذي سلكه الاسكندر الاكبر عام ٣٣١ ق . م ، ومن جانب آخر



أحدى الفتيات السيويات وشعرها المجدول

تتصل سيوه بالواحات البحرية بدق صحراوي كثير الرمال يبلغ طوله ٤٠٠ كيلو متر تقطعه قوافل الجمال .

واقرب تجمع بشري للواحة هي واحة جغبوب التي تتصل بها عن طريق درب يبلغ طوله نحو ١٣٠ كيلو متر ، ولكن الحدود السياسية بين مصر وليبيا تفصل بينها ، ولم يتوقف الاتصال ، ولم يقف التهريب من جغبوب الا عندما استخدمت دوريات الطائرات المروحية ..

وهناك درب آخر يتجه من سيوه شمالا الى منخفض القطارة ثم وادي النطرون ثم الفيوم وينتهي عند كرداسة ، وهذا هو الطريق الذي كان يربط الواحة بعاصمة مصر القديمة (ممفيس) وهو الطريق الذي قطعه الاسكندر في طريق عودته من زيارته التاريخية للواحة .

تلك هي الدروب التي تصل الى واحة سيوه ، واحة أمون التي ظلت حتى عهد قريب صندوقا مغلقا ، الا في الفترات التاريخية الخصبة ، تلك الفترات التي لا تقف دونها المسافات ، وقد كانت الواحة دائما اختبارا دقيقا لحيوية القلب وخفقاته ..

اللغة السيوية ..

وزادت العزلة النسبية للواحة بسبب اللغة الخاصة السيوية التي يتحدثون بها ، وهي لغة منطوقة وليست



مثل مثيلتها من المصريين القدماء .

مكتوبة ، وترجع الدراسات التي اجريت حولها انها ذات اصول بربرية ، وهي في ذلك تشابه اهل النوبة في جنوب مصر الذين لهم لغتهم الخاصة ، وهناك سبب آخر لتلك العزلة وهو تعرضها الدائم لهجمات البدو ، ففي الصحراء كل مدينة ، واحة ، هي قلعة محصنة بالضرورة ضد غارات وغزوات البدو ، ولذا فكلها مسورة بالحائط التقليدي والبوابات الضخمة ، فالبدو يأتون من الجبال الجرداء ، والوديان القاحلة ، يتجولون حول الواحة ، كأنهم ذئاب جائعة تحوم حول فريسة دسمة ، والبدو في الصحراء مثل القراصنة في البحار ، يغيرون على الواحة

البوابة القديمة التي تغلق خلال الليل ،
استخدم في صنعها أعجاز النخيل .



بين وقت وآخر لانتزاع القطعان والمحاصيل ، ويعودون لتبتلعهم الصحراء من جديد .

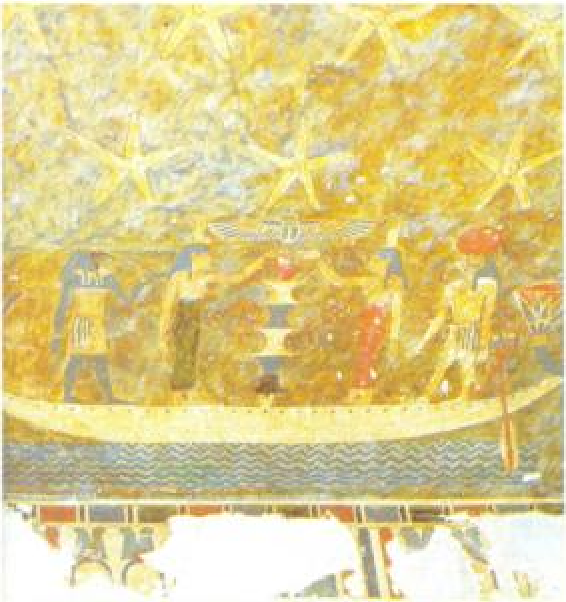
بلدة شالي

والآن لنتنقل بين المكان والزمان لنتعرف على مانقول ..

تقف فوق قمة تل يتوسط الواحة ، في مدينة شالي ، اسم البلدة القديم ، ويعني البلدة باللغة السيوية .. البلدة قطعة من التاريخ خرجت من العصور الوسطى ، بعد ان تحولت الى أطلال ، واصبحت مدينة اشباح ما زالت تعيش في وجدان أهالي سيوه وفي كتب المؤرخين ، بعد ان تركها سكانها وهبطوا الى السهل واقاموا منازلهم حول العيون ..

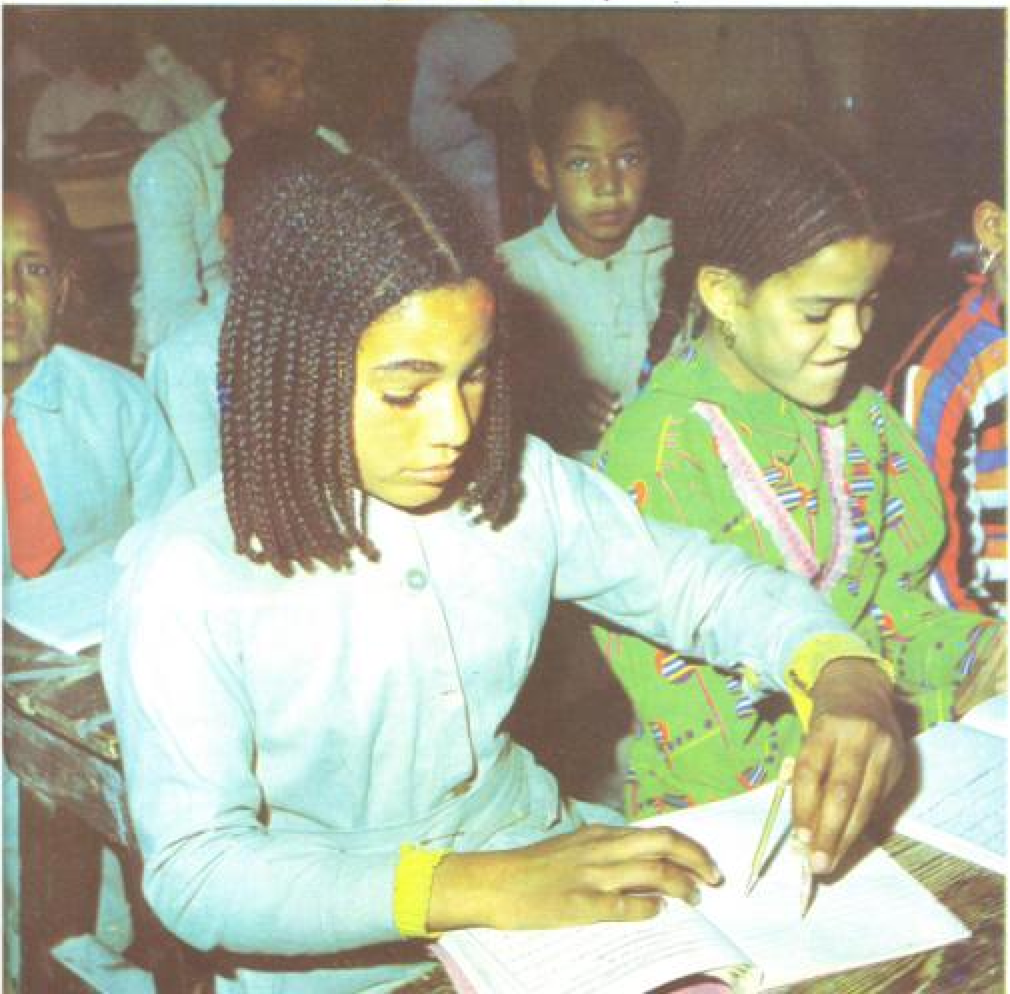
نحن في اوائل العقد الاول من القرن الثاني عشر ، أقام السكان منازلهم اعلى التل فوق الهضبة ، وحول الدور اقاموا سورا عاليا له باب ضخم من اعجاز النخيل ما زال قائما ، يقود الباب الى ازقة ملتوية ضيقة لا تتسع لأكثر من اثنين لسهولة الدفاع عنها واصطياد المهاجين ، يتوسط البلدة مسجد مازال قائما وحوله بقايا المنازل بنوافذها الضيقة كفتحات الجحور ، التي كانت وما زالت تبنى بمادة « القورشيف » ، والذي فرضت البيئة مادته ، وهو نوع من الطين الممزوج برمال الصحراء المملحة ، والذي يتحول بعد جفافه الى مادة صلبة كالاسمنت ، وهو عازل للحرارة في الصيف وللبرودة في الشتاء ، ومانع للذباب ، وبعد جفافه يظهر شق طولي في المبنى دليل تماسكه وصلاحيته للسكن ، وتصل بعض هذه المنازل الى سبعة طوابق ، والخطر على هذا النوع من البناء هو سقوط الامطار ، وهي نادرة في الواحة ، ولكنها يمكن ان تسبب كارثة عندما تذيب الاملاح وتتعرض هذه المباني للانهيار ، ويذكر الاهالي بالاسى هذه الكارثة التي وقعت مرتين ، احداهما في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٣٠ والاخرى في يناير عام ١٩٧٠ .

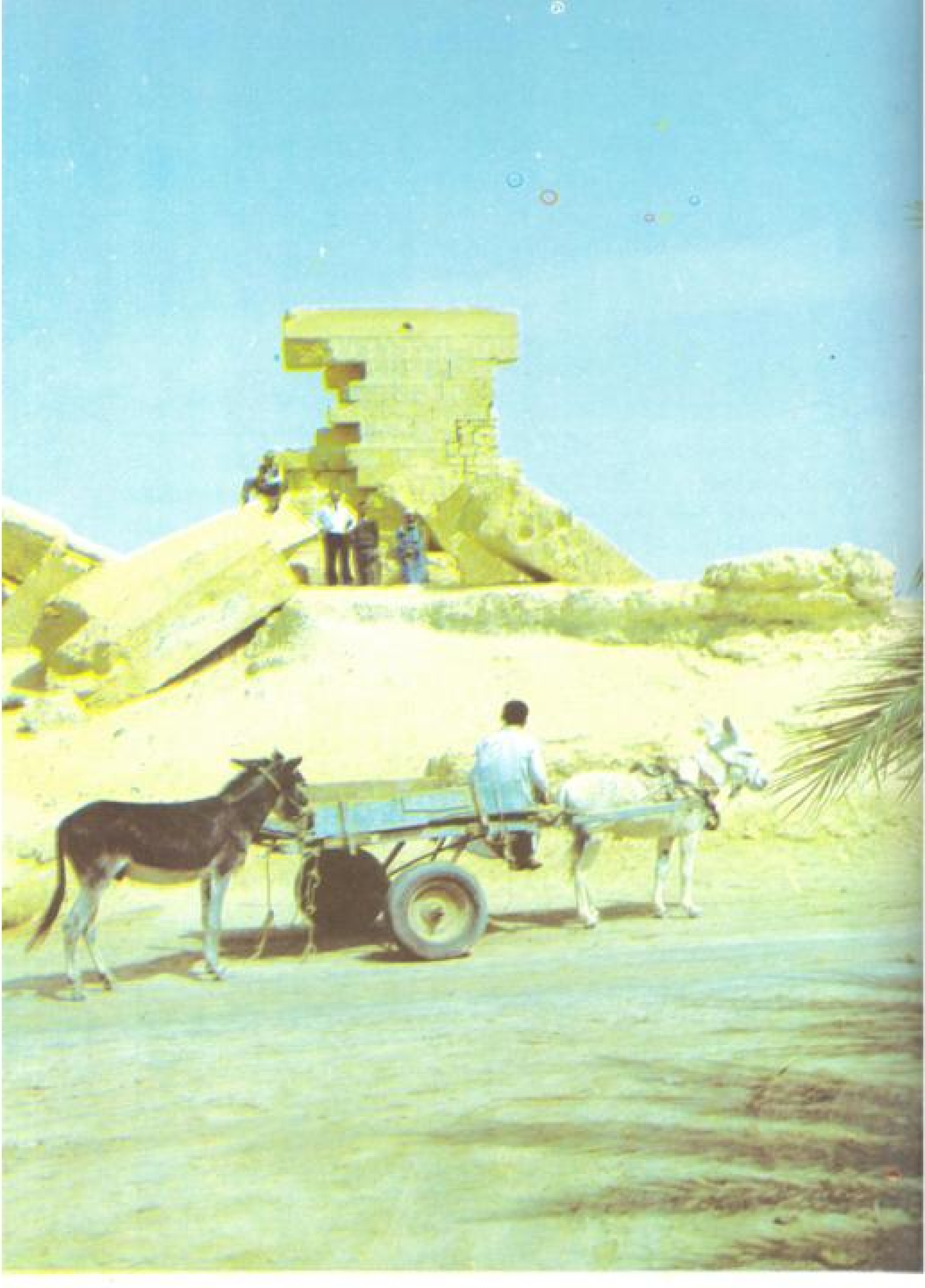
وتاريخ شالي محفوظ في مخطوط هام ، كتبه احد ابناء سيوه هو الطيب مسلم ، ويتوارثه احفاده ، والغريب ان هذا المخطوط لم يعرف طريقه الى المطبعة بعد .



لوحة على سقف احد مقابر جبل الموتى ، المركب التي تمثل الزمن ، ووسطها يهيمن الاله رع ، وتتربع المعبودة « نوت » ربة السماء ومن حولها النجوم .

احد تلميذات مدرسة آمون وقد جدلت شعرها في ضفائر دقيقة وعديدة ، وهي نفس الطريقة الفرعونية القديمة .





احد جدران معبد آمون يتهاوى في اهم نصب تاريخي في سيوه ،
وتظهر على بقايا الجدار كتابات باللغة الهيروغليفية .

وعندما تقلب صفحاته تجده يروى تفاصيل دقيقة عن الواحة ويتتبع قبائلها واصول سكانها ، كما يتتبع علاقتها بالسلطة المركزية ، ويجمع عادات وتقاليد الواحة ، واهم ما يحتويه « قانون » الواحة الخاص ، والذى يختلف عن العرف البدوى فى الصحراء ، ويختلف عما جرى عليه العمل فى ريف مصر .. ومما جاء فى هذا المخطوط ان واحة سيوه كان يسكنها سبع قبائل يعيشون فى الخيام ، ويتعرضون لهجمات البدو والبربر بين وقت وآخر ، وفرض الخطر الدائم على محاصيل السكان وحياتهم اسلوب ونظام حياتهم . فنشأت سلطة فى الواحة من مجلس رؤساء القبائل كان يطلق عليهم « الاجواد » يحكمون الواحة « كقيادة جماعية » وقامت مجموعة من الاعراف والتقاليد مهمتها حماية هذا التجمع ، ويقدم المخطوط القانون المدون لسكان الواحة والمكون من ٢٤ مادة ، وفيه يفرض على الاهالى بناء مساكنهم داخل اسوار « شالى » ، ويمنع النساء من مغادرة اسوار البلدة تماما ، ويمنع زواج فتيات ... من الغريب ، ويقرر نفى الزانية من الواحة الى الواحات البحرية ، او تقتل خنقا ويعتبر « الاجواد » موتها طبيعيا . واذا باع احد الاهالى سلاحه لاجنبي يجلد ثمانين جلدة ، ويعمل على استرجاع السلاح المباع ، ويحط من كرامة هذا البائع ، واذا خرج اثنان من ابناء الواحة وعاد احدهما دون صاحبه بغير اتفاق بينهما على هذا الافتراق يجلد اربعين جلدة ، كما يمنع قانون « شالى » اقامة الراحل اكثر من ثلاثة ايام ، وهكذا ..

الزقالة ..

كما نظم القانون المدون اوضاع « الزقالة » اى الممسك بالزقلية ـ العصا ـ وهم احد المعالم للحياة الاجتماعية القديمة فى شالى ، والذى يعود اصلهم الى الايام التى كانت فيها الواحة احد محطات القوافل ، ومحطة لتجارة الرقيق ، والذين يعملون فى زراعة الارض والحراسة ، وليس مسموحا لاحد منهم أن يقضى ليلته داخل اسوار « شالى » بل يبيتون فى الكهوف و « المطايا » وغير مسموح لهم بالزواج قبل سن الاربعين ، لكى يعطى كل وقته للعمل والحراسة ، وصاحب الارض يقدم له الملبس والمأكل . وبين الزقالة انتشر الفن فهم وحدهم الذين يسمح لهم بالرقص والغناء وانواع الطرب المختلفة . فى مجتمع رجالى لا يعرف المرأة ، وكان يمنع عليهم الغناء بالقرب من اسوار شالى حتى لاتصل اصواتهم للنساء ، ويصرح لهم بالغناء بعيدا فى المزارع ، ومن ينسى ويأخذه الطرب فيرفع صوته بالغناء بالقرب من شالى « يجلد اربعين جلدة ، واذا كررها يضاعف له العقاب .. »

ومازالت الاثار الاجتماعية لنظام « الزقالة » قائمة فى الواحة حتى الآن ..

كما ان للزقالة تمردهم ، فعندما وصل الى سيوه فى موسم الحصاد بعض النساء البدويات عام ١٧٠٥ ، واقمن فى خيامهن تحت سفح الجبل فى منطقة تسمى المنشية ، وحان وقت الرحيل اصر الزقالة على بقائهن ورضخ الاجواد لهم للمرة الاولى ..

اما كيف انتهت مدينة شالى ، وخرج اهلها من الاسوار ، فيذكر المخطوط ان ذلك تم فى عصر محمد على عام ١٨٢٠ عندما وصلت قواته الى المدينة ، ووضعت حدا لتهديد البدو ، وسمح مجلس « الاجواد » بالبناء خارج الاسوار ، فخرج اهالى سيوه من اسوار شالى وبقيت اسوار العزلة الطويلة داخلهم .

وقد كانت الواحات دائما مستعمرات لنفى المجرمين والاشقياء ، ثم اصبحت ملجأ لجماعة المطرودين ، ثم ملاذا صالحا للرهبنة والتقشف .

وتمضى الايام وتدخل واحة سيوه فى الاسلام .

فبعد ان زالت دولة الرومان فى عام ٦٤٠ م بعد فتح عمرو بن العاص مصر ، ورغم انتشارالاسلام ظلت الواحة فى عزلتها حتى عام ١١٠٠ م ، ولم يمض وقت حتى اعتنق سكانها الدين الجديد ، وفى عام ٥٠ هـ وخلال حكم عبد العزيز بن مروان اخبره بعض الناس انهم ضلوا طريقهم فى الصحراء وعثروا على بلد غنى بالحاصلات والفواكه فارسل جيشا للبحث عنها ولكن جيشه عاد ولم يعثر على الواحة التى ضاعت فى قلب الصحراء ، وحتى أواخر العام الهجري الأول عثر عليها موسى بن نصير بعد مسيرة سبعة أيام ولم يتمكن من




مسجد الواحة القديم ، ومسجد عمر في الجوف ، ويلاحظ تشابه العمارة في كل منهما .

التحامها ، وفي مخطوط سيوه .. ان قوات من الواحة انطلقت للقاء الجيش الاسلامي وابتلعتهم الصحراء .

وفي القرن الثالث للهجرة تمكن المسلمون من دخولها عن طريق قبائل بنى هلال ..

وتحولت الى مركز للصوفية والزهادة ، واستمرت الواحة في تواصل مذهل ، تتوجه الى الله ، واجتاحتها زوايا السنوسية التي انتشرت ، وبقى الدين يلعب دورا بارزا في حياة سكانها ، واستمرت علاقة انسان الواحة حميمة بخالقه .

خصوصية سيوه

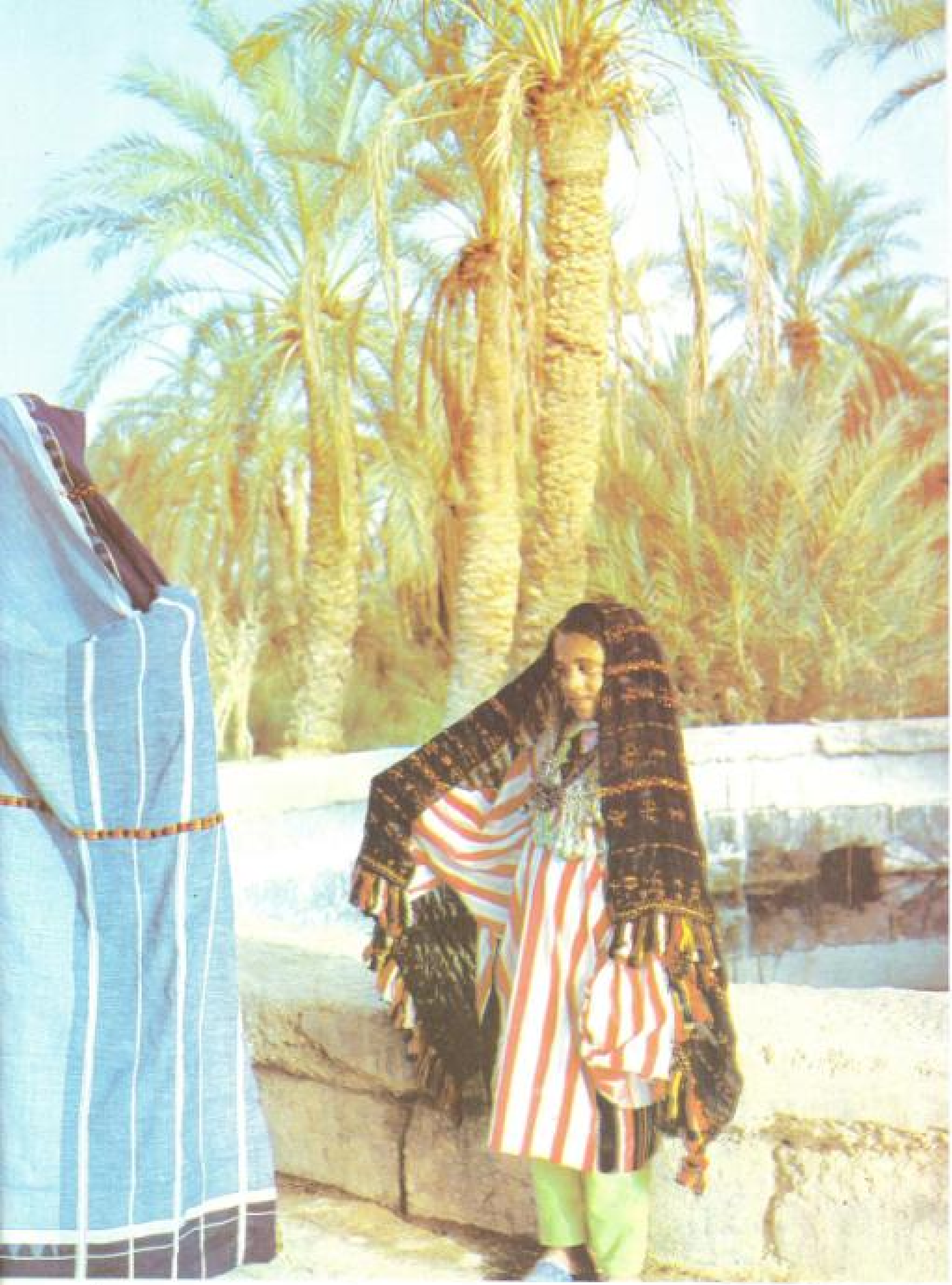
أهم مايلاحظه زائر سيوه ، احتياج المكتبة العربية لدراسة تتناول العادات والتقاليد والازياء والفنون والالات الزراعية ، لكشف امتداد هذه الظواهر ، ومغزى هذا التفرد ، خاصة ، ان هناك نظرية تقول ان الواحات مثل الجزر تختزن التاريخ البشري وتحافظ عليه ، ونظرية اخرى تقول ان فن الزراعة الذى عرفته البشرية بدأ في واحة سيوه ، ولن يقدم هذا التحقيق اجابات نهائية حول هذه المسائل ، بل ينقل مجموعة من الملاحظات التى تحتاج الى مزيد من البحث .

فمثلا يرتبط الاحتفال بمولد سيدى سليمان وما شهدته الواحة عندما ما غرق جيش قمبيز في رمال الصحراء ، فسيرة سيدى سليمان تتضمن هجوم احدى القبائل على الواحة ، ودعوة الشيخ الصالح الاهالى للصلاة ، فقامت عاصفة رملية قضت على الغزاة ، وهى ذاتها ـ كما سنرى ـ قصة كهنة الاله آمون مع جيش قمبيز ، كما يسهل ملاحظة ان الطريقة التى تجدل بها المرأة السيوية شعرها هى ذات الطريقة التى تجدها على اللوحات الفرعونية القديمة ، وكذلك التشابه المذهل بين مسجد الواحة ومسجد عمر رضى الله عنه والقائم في الجوف .

ويرجع مخطوط سيوه اصل السكان الى المصريين القدماء والبربر القادمين من المغرب العربي والافريقيين النازحين من اعماق القارة ، ويقول الدكتور فخرى ان قبائل البربر كانت من قبيلة زناته Zanata في شمال افريقيا ..

وتنفرد الواحة بعادات خاصة ذكرت بالتفصيل في « المخطوط السيوى » فمثلا يعتقد بعض السكان في السحر والتنجيم ، وكانوا يعالجون المريض بواسطة مجلس للطب برئاسة امرأة عجوز في مكان وجود المريض ، في طقوس ذات طعم افريقى ، وفي الواحة مازالوا يخشون الحسد ، ويخافون النظرة وعين الشر ، ويرهبون « العفاريت » ، وبعض عيون المياه في الواحة « مسكونة » وبعضها الاخر مبارك ومطهر .. ! !

ومن اغرب هذه العادات ما ينال المرأة من عنت بعد وفاة زوجها ، ويطلق عليها لفظ « الغولة » . وتختفى



فتاة بالزي السيوي وامرأة ملفوفة بملاءة امام عين تجزرت والنخيل من حولها .



فتحية السنوسي اول فتاة متعلمة تلقي دروسها عل اطفال سيوه .





رياح التغيير تهب عل الواحة ، مدرسة مختلطة بها ٨٧ فتاة من ٣٦٧ تلميذا .

عن الانظار لكي لا تلحق الضرر بمن يقع نظره عليها ، ويهرب الاهالي من الازقة التي تمر بها . ويحكم عليها ان تختفي في بيتها لمدة أربعين يوما مرتدية ملابس بيضاء ، وتقدم لها الطعام عجوز تدخل بظهرها ، وفي نهاية المدة تخرج للاغتسال وللتطهر من الشؤم في احد عيون سيوه ، ويخلي الناس طريقها ..

ويروى شيخ الجامع .. « كيف كانت جنازة المتوفى لاتراعي حرمة الموت ، بل تسير في موكب جنائزي يستخدم فيه الدق على الطبول » وقد تمكن احد الشيوخ الذين عملوا في الواحة من القضاء على هذه التقاليد المخالفه للاسلام ، واسمه الشيخ مصطفى جاد المولى ..

واذا انتقلنا الى الالات الزراعية ، فنجدها تختلف عن تلك التي تستخدم في ريف مصر . فتستخدم « الطورية » بدلا من المحراث ، وحتى الفأس له شكل مختلف ، وايضا الالات الموسيقية . الطبلة شكلها اسطواني يعلقها العازفون في رقبتهم وتطرق بجريد النخل ، و« الخميسة » آلة النفخ الخشبية وهي عبارة عن قصبتين من الغاب ، بكل منها خمسة ثقوب ، وازياء الواحة ، التي تمثل زخرفة الثياب فن توارثته النساء يتحلى بالبدائية والجمال ، وبه بعض الشبه بمناطق في الجزيرة العربية وشمال افريقيا ، وترتدي النساء داخل بيوتهن ازياء متعددة الاشكال ، زاهية الالوان ، تتفق في شكلها المستطيل ، واكمامها الطويلة الزائدة الاتساع وتتنوع في نقوشها والوانها ، وهي قصيرة الطول تصل الى اسفل الركبة ، ويرتدين سروالا يصل تحت القدمين ، ويزين نصفها السفلي بنقوش حريرية مختلفة الالوان ، وتملك كل فتاة مجموعة من الحلى يصل وزنها الى اربعين رطلا ، وهي فريدة في نوعها وفنها وصياغتها ، وكلها من الفضة ، وثوب الزفاف له فن مستقل ، وتقضي الفتاة سنوات في حياكته ، ويمتاز عن باقي الازياء بنقوش وزخارف من الحرير الملون . وزراير الصدف التي تزين بها الصدر تمتد في صفوف تشبه اشعة الشمس ، وتشبه الازياء في عهد المصريين القدماء ، والذي يرمز الى الشمس بالمعبود آمون .. وتنفرد بعادات الزواج ، وهكذا ..

الفرص المهدرة

يختلط في واحة سيوه القديم والجديد معا ، فلم تعد في عزلتها القديمة ، ولم تنته ايضا عزلتها ، وتقف في نقطة بين العزلة والاتصال ، فمثلا سقط الحاجز الجغرافي بخط الطائرات المنتظم ورغم ذلك لاتصل اليها الصحف وليس بها مصرف او فندق ، وفتحت المدارس للاجيال الجديدة ، واخرى لتعليم الكبار ، ودخلها الراديو والكثير من المخترعات الحديثة ومع ذلك بقيت المرأة وراء الاسوار ، واستبدلت الواحة الطبيب « بالساحرة » وأقيم مستشفي وبقي حاجز العزلة النفسي ، وهي في اتصال دائم عن طريق الجماعات القادمة من وادي النيل للعمل او للبحث والدراسة ومع ذلك تقاوم عناصر التغيير ، واستمر بعض السحر وبعض الخرافة ليعكس التقصير التاريخي والفرص المهدرة نحو المناطق النائية مثل واحة سيوه » .

وتقدم واحة سيوه نموذجا صارخا للامكانيات الاقتصادية المهدرة ، التي كان يمكن ان تكون نموذجا لعلاج المشكلات الرئيسية في مصر ، فحل هذه المشكلات خطوة لزيادة « الكعكة » التي يعيش عليها أربعون مليونا من البشر ، وكانت محاولات تنمية الواحة لاتتجاوز الدراسات والتوصيات والوعود ، وتؤكد هذه الدراسات ان دخل الفرد يزيد عن معدل مستوى دخل الفرد في مصر ، ويمكن زيادة رقعة الارض المزروعة اذا اقيمت بعض مشاريع الصرف ، والمثل الواضح عين قريشت التي « تذرف دموعها » ٢٠ الف متر مكعب يوميا تضيع في ملاحات الزيتونة ، وهناك ٢٩ الف فدان صالحة للزراعة ، وترتفع اسوار العزلة بالوعود المزيفة ، فمنذ عام ١٩٠٧ وهناك مشروع للصرف في عهد الخديوي عباس حلمي لاستصلاح الاراضي وريها من مياه عين قريشت ، وقد سار المشروع بطيئا بسبب نقص العمال ونفقات النقل العالية حتى توقف خلال الحرب العالمية الاولى ، وحديثا زار الواحة ثلاثة وزراء واسرفوا في الوعود التي تتناول أراضي عين قريشت ولم يتم منها شيء ، والواحة في اشد الحاجة الى مصانع آلية لعصر الزيتون وتعبئته بدلا من الطرق البدائية المتبعة حاليا ،

واخرى لكبس البلح ، ومصنع للعلبات الصفيح لتعبئة المنتجات ، وكل هذه المشاريع اثبتت دراسات الجدوى ضرورتهـا ، ولاتجـد من ينفذهـا ، هذا علاوة على الصناعات البيئية مثـل صناعـة الاحرمـة الصـوفية ، وصناعة الخوص ، كما تم اكتشاف الرخام الجيد ، وبقيت مشكلة النقل .. ! !

واهم مشروعات الواحة واخطرها بالنسبة لمستقبل سكان الواحة هو الطريق الذى يربط واحة سيوه بمرسى مطروح ، وهو مشروع قديم تقرر عام ١٩٢٨ ، وكلما بدأ العمل فيه عاد وتوقف ، وكم من الحكومات وحتى النظم تغيرت وبقى الطريق الان لم ينجز ، وقد بدأ العمل فيه مرة اخرى نرجو ان يستمر حتى إتمامه .

ويفسر احد العاملين في الواحة كيف بدأ التغيير وتحركت عجلة المشروعات ثم فجأة تباطأت وتعطلت ، بسبب الهجرة الواسعة الى ليبيا القريبة حيث الثراء السهل ، مما ادى الى نقص الايدى العاملة ، وتعطيل المشروعات ! ! ..

وقد عانت الواحة في الماضي في علاقتها بالحكومة المركزية ، فلم تر الا وجها واحدا للسلطة ، كمحصلة للضرائب أو باعثة بحملة للتأديب ، ولم تر الوجه الآخر الذى يقدم الخدمات ، بل كانت وما زالت « لحدٌ ما » منفى مثاليا للموظفين المغضوب عليهم ، وبقى الاهالى يذكرون بالتقدير والامتنان بعض النماذج للذين عملوا في الواحة باخلاص . مثل الطبيب انور ابراهيم ، والمأمور محمد جمال الدين المسيرى الذى ادخل الكهرباء عام ١٩٦٢ بتحويل اموال الاوقاف لشراء مولد للكهرباء ، والدكتور احمد فخرى الذى اهتم بالحياة الثقافية للواحة ، واخذ ينقب تحت الرمال عن مواقع التاريخ ، والشيخ مصطفى جاد المولى الذى حارب التقاليد البالية ..

ويبقى وضع المرأة في الواحة كمقياس دقيق لمدى التحديث . والتى مازالت ترى في الطريق ملفوفة بملاءة تغطيها الا من فتحة صغيرة ترى من خلالها ، فعن طريقها ينتقل الى الاجيال الجديدة القيم والمفاهيم ، واغلب الامهات الحاليات اميات ، يتحدثن في بيوتهن السيوية ، ومازالت المرأة لاتشارك الرجل اعمال الحقل مثل ما يحدث في الريف المصرى ، ولذلك يقل الانتاج الحيواني والالبان ، وحتى عام ١٩٧٦ كانت نسبة الفتيات اللاتى أتممن تعليمهن خارج الواحة لايزدن عن ثلاث فتيات ، التقيت بواحدة منهن وهي فتحية السنوسي والتى تعمل مدرسة في مدرسة آمون ، وهي رائدة في حركة التغيير ، وتنتشر في الواحة ظاهرة تعدد الزوجات وترتفع معدلات الطلاق ، فالمرأة في سيوه هي حصن المحافظة وبداية التغيير ..

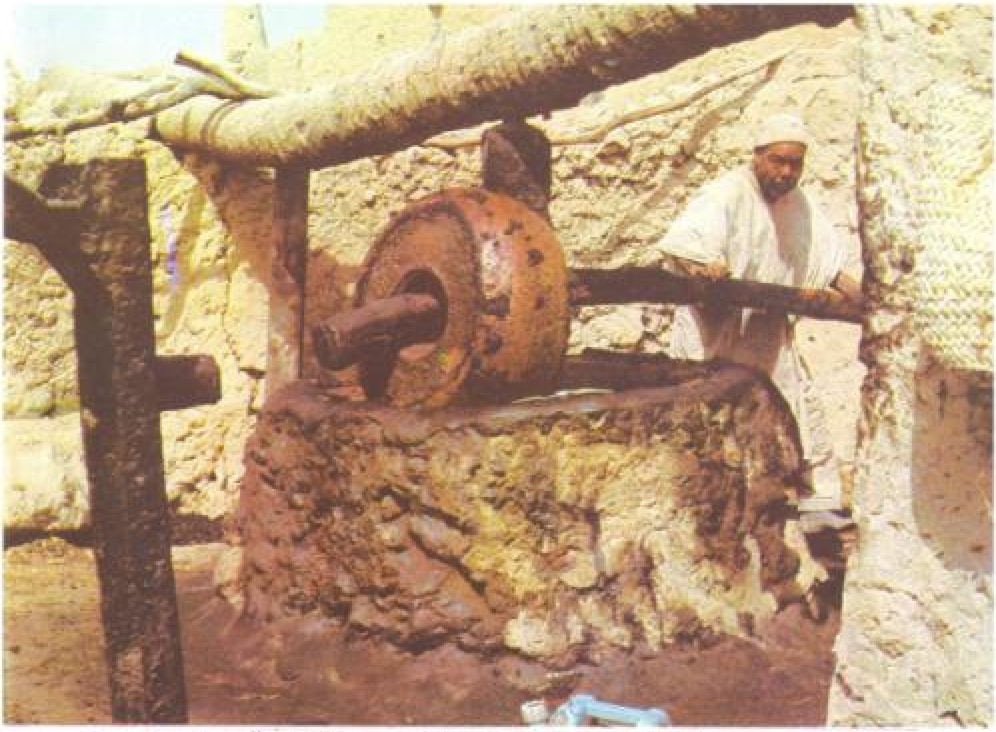
آمـون ..

ومن الحاضر الى الماضي

اقف امام معبد قديم متهدم فوق اعلى تل في اغورمى ..

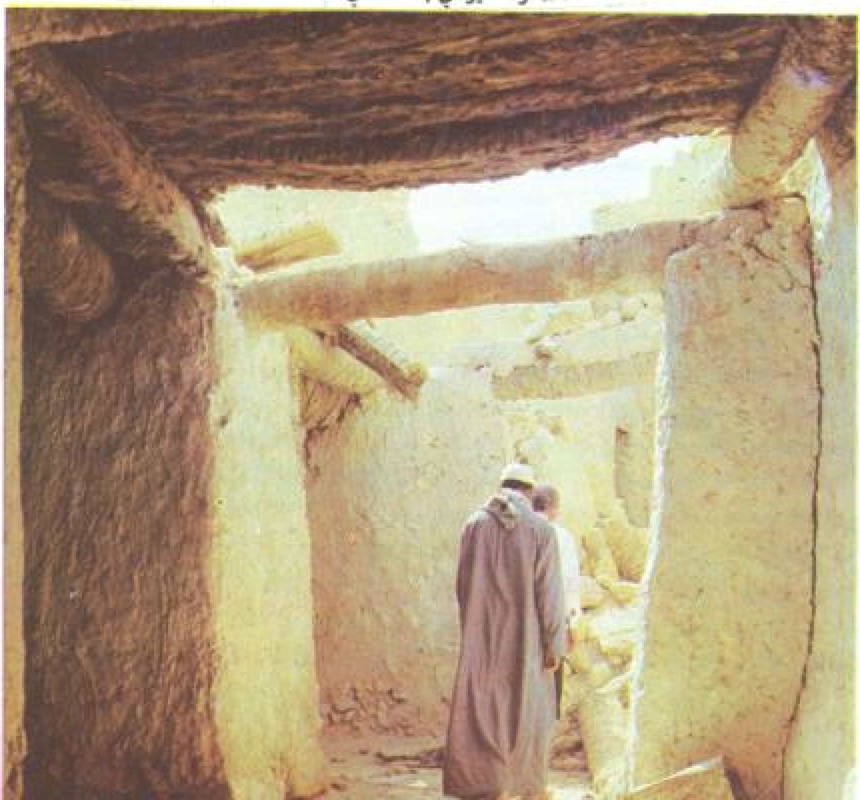
لقد زال من البناء كل علامات الشموخ والهيبة ، وحتى الرسوم التاريخية القديمة عبث بها الزوار ، وكتبوا فوقها اسماءهم في محاولة لمنافسة القدماء في الخلود ، انه معبد الاله آمون ، اهم بقايا التاريخ في الواحة . واهم مراكز التنبؤ في مصر القديمة بل وفي العالم القديم كله ، والى رحاب هذا المعبد جاء الملوك والقواد وارسلوا هداياهم الى كهنته بعد ان اشتهروا بالصدق ومعرفة المجهول على امل كشف اسرار المستقبل ، فقد عاش الانسان تؤرقه رغبة عارمة في كشف الغيب ومعرفة المستقبل واكتشاف المجهول ..

نحن في عام ٣٣١ قبل الميلاد ، يزور الاسكندر المقدوني معبد آمون قادما من الاسكندرية ، بعد ان انتقل الى باراتنيوم (مرسى مطروح) في طريقه الى واحة جوبيتر آمون ، بعد ان هزم داريوس الثالث ملك الفرس ، فهو ينوى استرضاء آلهة المصريين من اجل قيام مملكة واسعة الارجاء تجمع بين المصريين والاغريق ، وهي لعبة معروفة ، العمل على كسب الشعب عن طريق تقديس آلهته ، تكررت مرارا في العصور الحديثة عندما ادعى نابليون بونابرت الاسلام في مصر ، وعندما ادعت الامبراطورية البريطانية حماية الاسلام وحرصها على الخلافة ، بدأ الاسكندر يشق طريقه في دروب شاقة ، كاد يتعرض خلالها هو وجيشه للهلاك عطشا ، لولا ان اغاثه مطر مفاجيء ، ومرة اخرى



أحد الاهالي بالزي السيوي يعمل في معصرة يدوية لعصر الزيتون

احد أزقة سيوه في بلدة « شالي » .





لوحة من سيوه تنقل الزي السيوي الفريد بريشة الفنان عبد الغني ابو العينين .

يشرف على الهلاك عندما يضل الطريق ، ويلوح له غراب أسود فيتبعه ويصل الى الواحة بعد سبعة ايام ، وكان يصحبه مؤرخه المعروف كاليستاس Callisthenes الذي روى تفاصيل هذه الرحلة ، وعلى الفور توجه الاسكندر ومرافقوه الى معبد الوحي واستقبله كبير الكهنة يحيط به مساعدوه ، وخاطب الاسكندر باسم « ابن آمون » وبدأ المشهد الذي نقله التاريخ :

رمز الاله على شكل بيضاوي ، مرصع باحجار الزمرد وضعوه في سفينة يحملها الكهنة فوق اكتافهم ، وامام السفينة وخلفها ، مشى الكهنة والكاهنات يلبسون الملابس البيضاء ، وبعضهم يعزف على الالات الموسيقية ، والبعض الاخر يغني ويرقص ، واخذوا يدورون حول اليهو مرة بعد مرة ، حتى اعلن رئيس الكهنة ان نفس الاله آمون قد طابت ، وليتقدم بسؤاله من يريد السؤال ، وتقدم بعض رجال الاسكندر بأسئلتهم وتلقوا عنها الجواب ..

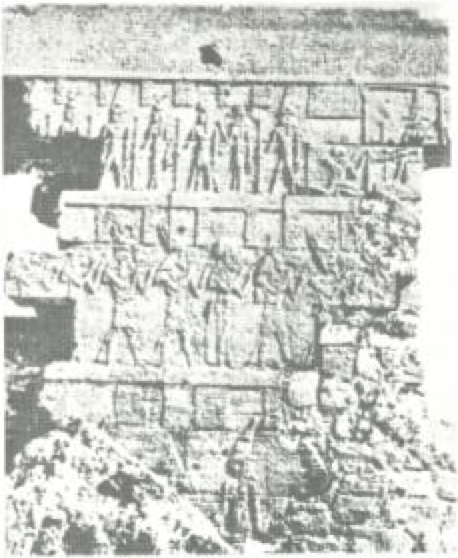
اما الاسكندر فقد طلب ان يسأل الاله آمون في خلوة ، فصحبه رئيس الكهنة الى الهيكل ، وسأل ما شاء وعندما عاد قال انه سمع من الاله آمون ما طابت له نفسه ، وبقي ما قاله الاله آمون سرا .

وعندما كان يعاني سكرات الموت في مرضه الاخير في بابل تقدم اليه اقرب اصفيائه ، اريديوس يسأله : ان يختار خليفته ، فاجاب : انها للاقوى ..

ولم يبق في ذاكرته سوى الواحة ، فأوصى بأن يدفنوه الى جوار ابيه آمون في الواحة ، ونسي في لحظته الاخيرة كل شيء الا واحة آمون ، فالدنيا كلها مظلمة الا بقعة ضوء واحدة في قلب الصحراء .. وفيما ينقله مؤرخ الاسكندر يلاحظ ذلك الخلط بين الاساطير اليونانية والتاريخ والتشابه مع ما جاء في الالياذة والأوديسة ..

التاريخ آيل للسقوط

ومن معبد التنبؤات الى معبد ام عبيدة الذي يقع على بعد مسافة قصيرة من صخرة اغورمي ، لم يبق من هذا المعبد سوى جدار واحد مغطى بالنقوش القديمة ، وجزء من الجدار يتهاوى ، الى جوار نقوشه القديمة ، يحيط



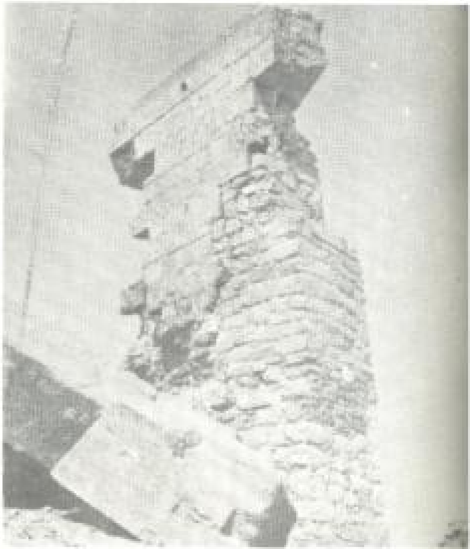
جدار معبد أم عبيده ، هكذا كان .

بها احجار كبيرة مبعثرة ..

واقيم هذا المعبد في عهد الاسرة السادسة والعشرين ، والنقوش القائمة على ما تبقى من الجدران تعتبر فريدة من نوعها ، وهي تمثل مواكب الاله وهي تقدم فروض الولاء للاله رع ، وكتابات باللغة الهيروغليفية .. والمنظر يثير قضية الحفاظ على آثار سيوه ، وما تعانيه من الاهمال ، فهنا التاريخ ، يتهدم ، يتآكل ، يتساقط في اهم نصب تاريخي في الواحة ، ولا يتقدم من ينقذه ، ويثير الاسى الاهمال الواضح لهذه الاثار كتراث انساني ، والغريب ان هذا المعبد لم يتهدم بفعل الزمن ، بل هدم عن عمد وسابق اصرار ، ففي عام ١٨٧٠ م قدم الى الواحه مأمور اسمه محمود عزمي وبدل ان يسعى الى ترميم المعبد ، نسفه بالديناميت ليشيد بحجارته مبنى للشرطة وبيتا له من بقايا التاريخ ، ويذكر مخطوط سيوه : ان محمود عزمي أول مأمور جاء من القاهرة في عام ١٣٦٥ هـ يؤخذ عليه انه هدم معبد آمون ، ويضيف ، « انه في الاغلب كان يهدف الى التنقيب عن آثار ونفائس .. !! »

جيش قمبيز

وكما تختلط الاساطير اليونانية بالحقائق التاريخية ، يختلط في الواحة التاريخ بالحاضر ، فمن اهم الاحداث



وهذا ما انتهى اليه .

التاريخية في حياة الواحة . توجه جيش قمبيز اليها ليؤدب كهنتها على تنبؤاتهم بهزائمه . فعندما بدأ الفرس يكونون امبراطوريتهم في القرن السادس قبل الميلاد ، احتلوا مصر عام ٥٢٥ . وذهب البعض يسأل كهنة أمون عن هذه الكارثة التى حلت بوادي النيل ، وجاء رد الكهنة حاسما ، ان المحنة لن تطول وسيلقى جيش قمبيز سوء المصير . وأراد قمبيز ان يلقن الكهنة درسا ، فأمر بارسال جيش كبير الى الواحة ، وروى المؤرخ هيرودوت قصة هذه الحملة ، وكيف صار هذا الجيش من طيبة ـ الاقصر حاليا ـ فوصل الى الواحات الخارجة بعد سبعة ايام ، وقصد سيوه لاحراق معبد أمون وتحطيمه ، وقتل الكهنة او احضارهم اسري ، ليتحدى النبوءة ويثبت انه لا بقاء ولا حياة لمن لا يخضع لارادته ..

وخرج الجيش من واحة الخارجة ، ولم يصل منه احد الى واحة أمون ، وقال الكهنة : ان الاله أمون انتقم لنفسه ممن ارادوا النيل من معبده ، فارسل عليهم « أمون » عاصفة رملية شديدة دفنتهم جميعا ..

وهو سر في حشايا الصحراء جذب المغامرين والحالمين بالثروة ، فرغم مرور ٢٥٠٤ عام على هذه الواقعة التاريخية ، فما زال هذا الجيش سرا ، سعت العديد من بعثات الاستكشاف الى هذه الثروة التاريخية ولم تصل اليها . وهي واقعة تثير خيال الباحثين والاجيال الشابة ليرتادوا الصحراء بحثا عن الكنز المفقود فجيش مؤلف من خمسين الف جندي بعتادهم واسلحتهم ثروة « جفاف الصحراء » كفيل بالحفاظ عليها ، بعد ان فات اهل ذلك الزمان ان يسألوا كهنة الاله أمون حول المكان الذي دفن فيه جيش قمبيز ، وبقى امل خافت ان تهب عاصفة رملية تكشف عن مكان الجيش كما سبق واخفته ..!

وهي نفس قصة سيدي سليمان ، وربما كان معنى ذلك ان سيدي سليمان قد حل محل كهنة الاله أمون في التاريخ المصري القديم ، وهي صورة من صور التداعي الثقافي والاستمرارية التي تثبت ان الواحة تختزن ما مر بها من تجارب واحداث تاريخية ..

جبل الموتى

الجول في معالم الواحة ، اتعرف على شخصيتها ، واسمع حكاياتها ، واشاهد معالمها ، وعند احد الجبال الذي يشبه المخروط وسط البقعة الخضراء ، زرت جبل الموتى ، الذي تحيطه الكهوف ، التي اقيمت منذ القرن الرابع قبل الميلاد وبعضها مقابر فرعونية قديمة ، وقصة اكتشاف آثار جبل الموتى هي قصة الواحة مع الحرب العالمية الثانية ، وقد تم اكتشاف هذه الاثار الهامة بالصدفة اثناء غارات الحرب العالمية الثانية ، بعد ان قطع هدوء الواحة قذائف الطائرات الايطالية بعد ان وصلت قوات المحور الى مرسى مطروح ، وفزع السكان من الغارات وهاموا في الجبال يبحثون عن مأوى ، وهناك عثروا على هذه المقابر ، وقد احتلت قوات المحور الواحة لمدة ثلاثة شهور و ١٨ يوما ، ومازال اهل الواحة يروون القصص عن تلك الايام ، وعن زيارة ثعلب الصحراء روميل لها والتي تمت يوم ٢١ سبتمبر ١٩٤٢ ، والاحتفال الكبير الذي اقيم له .

وخلال هذه الاحداث تم اكتشاف مقبرة « س ـ آمون » ، والذي رسم على جدرانها بالوان لم يمحها الزمن لوحة لصاحب المقبرة وهو يقدم القرابين لعصبة من الآلهة ، وسقفها الملون . ■■

مصطفى نبيل



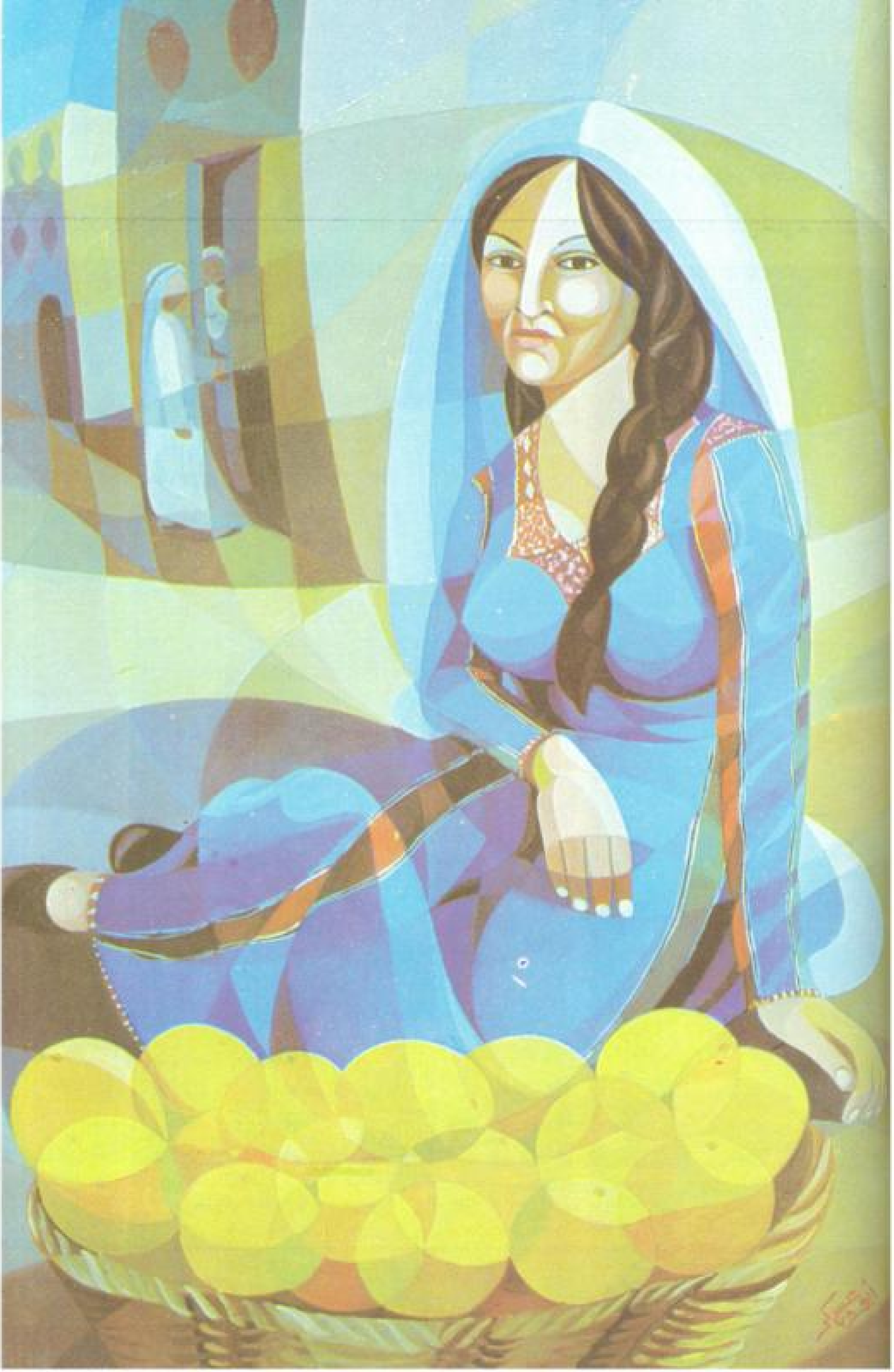
(القارئة الصغيرة) لوحة للفنان السعودي احمد عبدالله الملفوث (الى اليسار) وعلى الصفحة المقابلة لوحة للفنان الفلسطيني محمود ابو عسكر بعنوان « هل من مشتر » .

لقاء الفن التشكيلي العربي
في الكويت

استطلاع : صادق يلي   تصوير : صلاح آدم

الفنانة موضي العجي احدى عضوات جمعية الفنون التشكيلية الكويتية أمام احدى لوحات المعرض في جناح الكويت .





شهدت الكويت لقاء فريدا من نوعه في هذه المرحلة للفنانين التشكيليين العرب ، الذين قدموا من مختلف انحاء العالم العربي ، كل يحمل تجربته ويعبر عن واقعه وطموحاته .



كان معظم رواد المعرض من بنات حواء، والمعروف أن حواء تحرص دائما على حضور مثل هذه المعارض لما بين الجمال وحواء من صلات وثيقة عبر العصور.



الفنان عدنان حسين المولـه قال : ان ادراك الاشياء الجمالية تثير وجدان ومشاعر المرء بنسب متفاوتة فهذا يقنع من الوردة بمنظرها واخر يقتطفها وثالث لا يعيرها انتباها .

في هذا اللقاء عرض ١٤١ عملا فنيا من لوحات واعمال حفر ونحت من انتاج ١٠٥ فنانين تمثلت في لوحاتهم مختلف مدارس الفن التشكيلي المعاصر . وقد اشتركت في المعرض الدول العربية التالية : دولة الامارات العربية المتحدة . البحرين . تونس . الجزائر . المملكة العربية السعودية . السودان . سوريا . العراق . قطر . الكويت . لبنان . المغرب . اليمن الديمقراطي والجمهورية العربية اليمنية . وساهمت كل من هذه الدول بعشرة اعمال باستثناء الجزائر التي اشتركت بتسعة اعمال والجمهورية العربية اليمنية بخمسة اعمال . وقد اعتذرت الاردن والجماهيرية الليبية ومصر عن المشاركة في هذا المعرض الذي نظمته الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب في الكويت .

ملاحظة على الاقبال

وقد برزت في اعمال المعرض مظاهر اختلاف المدارس الفنية التي تسود الحركة التشكيلية العربية الراهنة . فقد استلهمت بعض اللوحات التراث العربي والتطور الحضاري في العالم لايجاد صورة مثلى للتفاعل الفني بين الاعمال الفنية العربية . وهي خطوة لتحقيق شخصية فنية عربية واضحة في خضم التيارات الفنية العالمية . وملاحظة اخرى نسجلها هنا . هي وجود عدد غير قليل من الاعمال الفنية التقليدية التي تتناول البيئات المحلية لوطننا العربي . كما ان بعض اللوحات تحمل طابع النضال القوي للانسان العربي الذي يكافح من اجل الارض المغتصبة . وبعض الاعمال ترسم جراح لبنان والحرب بين ابناء البلد الواحد .

وقد ضم المعرض اعمالا ذات مستوى جيد لفنانين جدد من الامارات العربية والسعودية والمغرب . حاولت ان تقترب من هذه التجارب الطليعية في الفن . على ان الملاحظة الجديرة بالاهتمام . والتي يطرحها هنا الفنان الكويتي عدنان حسين . عضو الجمعية الكويتية . هي ان اقبال الجمهور على مثل هذه المعارض الفنية لا يزال ضعيفا . « اذ ما ان يفتتح المعرض رسميا حتى يكاد يخلو من الزوار في الايام التالية » .

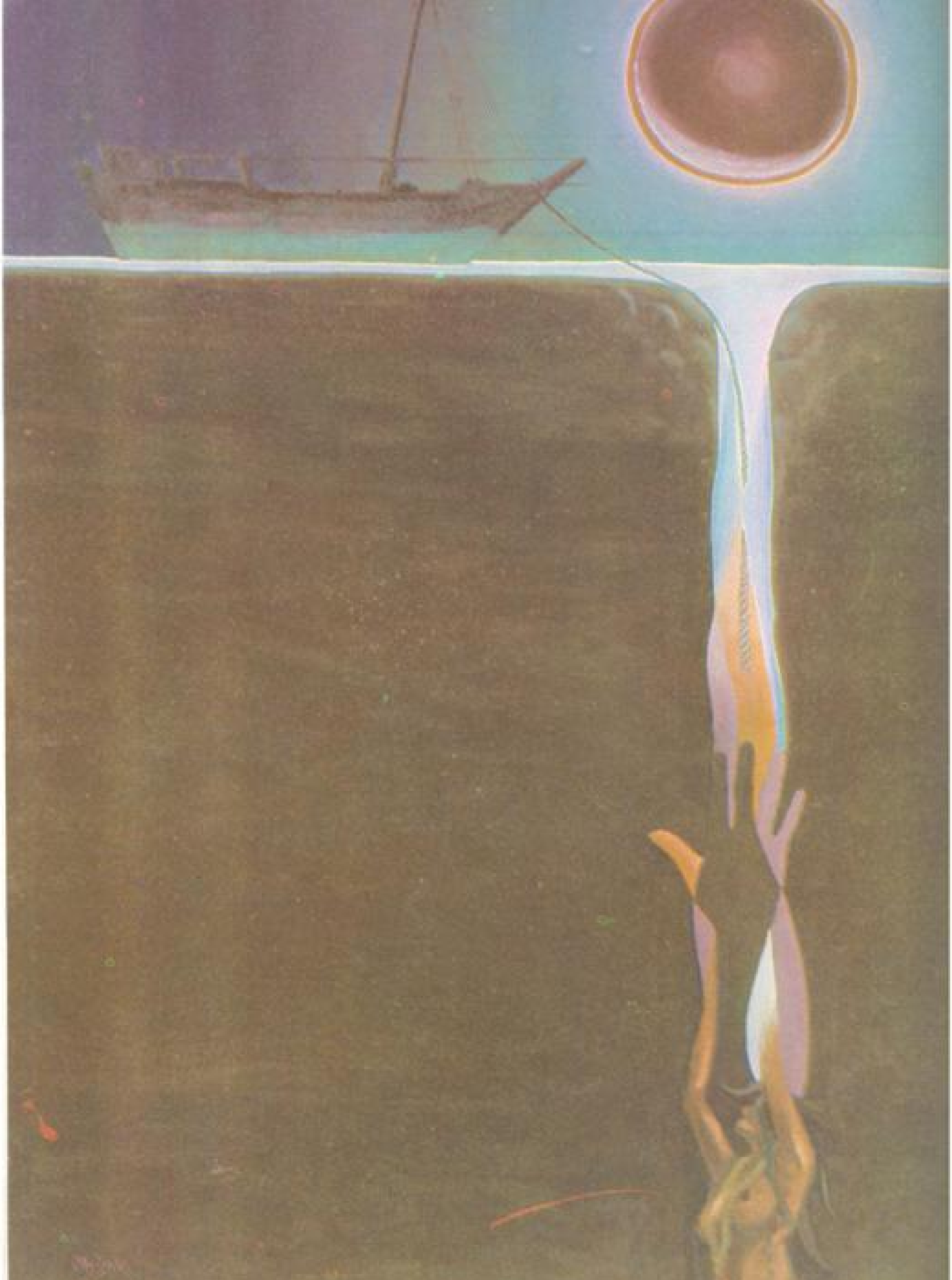
وقد تكررت هذه الظاهرة مع تكرار هذه المعارض المقامة . وبالاضافة الى ذلك فان هناك عزوفا من الجمهور عن اقتناء الاعمال الفنية . ويضيف ان قلة الاهتمام بالفنون التشكيلية خاصة ترجع الى عوامل عدة منها النظرة الاجتماعية والموقف الديني ثم عدم وجود الوعي الفني عند الناس .



(تكوين) لوحة للفنا
العراقي غازي السعو
وقد فازت هذه اللوح
بجائزة الشراع الذهبي
(الى أعلا) .



في جناح الكويت لط
لوحة الفنان جعفر دشت
(من وحي الفن الشعبي
وقد فازت هذه اللوح
بجائزة الشراع الذهبي



(الصراع) لوحة للفنان الكويتي محمود الرضوان وهذه اللوحة
فازت بجائزة الشراع الذهبي في معرض الفنانين التشكيليين السادس.

فبالنسبة للعامل الاجتماعي فالمعروف ان الانسان في الكويت صارع في سبيل الرزق وطرقه عبر ابواب متعددة اهمها طريق البحر غوصا على اللؤلؤ، والتجارة ثم رعي الابل والاغنام وهاتان الحرفتان تتصفان بعدم الاستقرار. ومن كان من عادته الانتقال سعيا وراء الرزق بالمشقة التي عانى منها الانسان الكويتي، قد يصعب عليه نقل واقتناء اشياء كثيرة قد يعتبرها ترفا.

وبالنسبة للموقف الديني، فلا يزال مجتمع الكويت



حفل المعرض بمجموعة كبيرة من اللوحات التي امتازت بخطوطها الحديثة أو ما تسمى بالمدرسة الحديثة والصورة نقاش هادىء حول بعض هذه الخطوط.

المحافظ متأثرا بالدعوات التي تصنف الفنون التشكيلية في جانب التحريم ، وفي مقدمتها التماثيل والتصوير .

والتوعيه الفنية

ويشكو الفنان عدنان حسين من غياب التوعية الفنية في كافة وسائل الاعلام لان الاعداد لاي عمل يلزم له توعية واعلام يهيىء الناس لتقبل على هذه الاعمال . فالاتصال المباشر وغير المباشر لها تأثيرها الفعال لانجاح مثل هذه المعارض وكذلك تقييم الاعمال من جانب المتخصصين ، وذلك لتوضيح معالم هذه المعرفة بين الناس .

ومع ذلك فان معرض الفنانين التشكيليين السادس لم يخل من التجارب التي استفادت من معطيات التراث ضمن رؤى ابتكارية فيها الكثير من الحداثة ومحاولات الخروج من الاتجاهات المباشرة بهدف تحقيق شخصية عربية واضحة ، ونخص بالذكر تجارب كريم بناني وميلود الابيض من المغرب وابراهيم الغرابي من تونس وفضل زيادة من لبنان وصالح التراكي وسيف الدين اللعوته من السودان .

ولتقييم اعمال الفنانين العرب ، شكلت لجنة من الاساتذة : اسماعيل الشيخلي نائب نقيب الفنانين العراقيين وكاظم حيدر امين عام الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب والدكتور حسن كمال محافظ متحف الفن الحديث بدمشق وسعيد خطاب عميد المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت ومحمود رضوان رئيس مجلس ادارة الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية وقدمت لكل من الاعمال الفنية الممتازة جائزة الشراع الذهبي وشهادات تقدير للاعمال المتميزة .

ومنحت لجنة التحكيم عشرة جوائز من فئة الشراع الذهبي الى الاعمال التالية : لوحة للفنان البحريني عبد الحميد احمد سعيد بعنوان (بدون كلام) ولوحة (تكوين) للفنان العراقي غازي السعودي ولوحة (شهادة مناضل) للفنان العراقي هاشم جوزي ولوحة (حركة متتالية) للفنان العراقي سالم الدباغ ولوحة (الصمود والمقاومة) للفنان الفلسطيني محمد بشناق ، ولوحة (الصراع) للفنان الكويتي عبد الرضا باقر ولوحة (الطبيعة) للفنان الكويتي سالم الخرجي ولوحة(من وحي الفن الشعبي) للفنان الكويتي جعفر دشتي ولوحة للفنان المغربي محمد القاسمي .

١٨ لوحة فازت

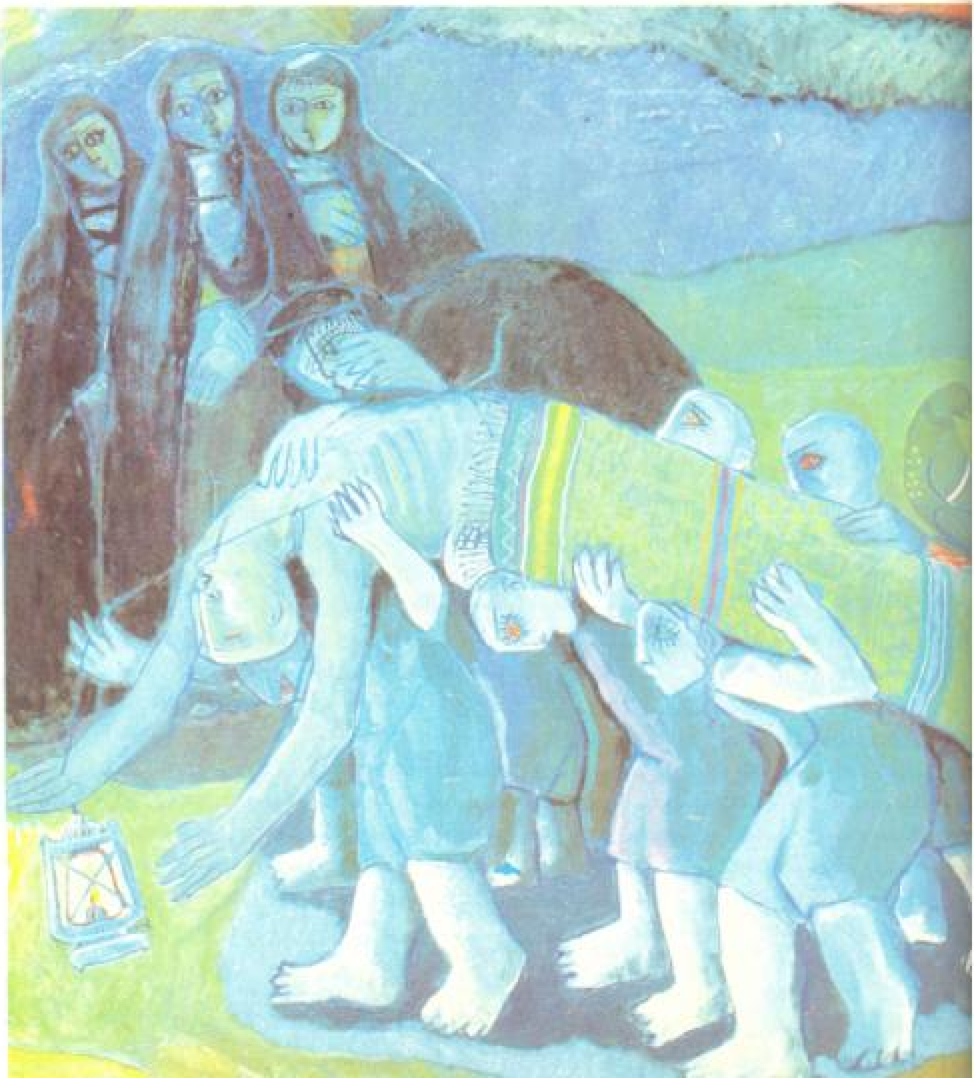
كما فازت ١٨ لوحة اخرى بشهادة تقدير وهي (كتابة على ابيض) للفنان التونسي نجا المهداوي ، ولوحة (عبد الله) للفنان السعودي محمد موسى السليم ، لوحة (الكابوس) للفنان السوداني حسن محمد نور ، لوحة (تكوين) للفنان السوري نصير شردي ، لوحة (بعد الحصاد) للفنان السوري فاتح المدرس ، لوحة (سنقاتل) للفنان العراقي عزام البزاز لوحة (ميلاد تل الزعتر) للفنان الفلسطيني عبد الهادي شلا ، لوحة (الانتظار) للفنان الفلسطيني جمال غريبة لوحة. (تركيب حروف) للفنان القطري يوسف احمد ، لوحة (من وحي القرآن) للفنان الكويتي عبد الرسول سلمان ، لوحة (من وحي الكويت القديمة) للفنان الكويتي يوسف القطامي ، لوحة (منظر من البقاع) للفنان اللبناني محمود امهز ، لوحة (قرية جيعدين) للفنان اللبناني محمد قدورة ، ولوحتان للفنانين المغربيين كريم بناني وميلود ابيض . ■■

الكويت ـ صادق يلي





(الانتظار) لوحة للفنان الفلسطيني جمال غريبة (بالصفحة المقابلة) ، و (على الطريق خلف قلعة تعز) .. لوحة زيتية من الجمهورية العربية اليمنية للفنان اليمني عبد الجبار احمد نعمان (الى اليمين)، و (شهادة مناضل) للفنان العراقي هاشم جوزي وقد فازت هذه اللوحة بجائزة الشراع الذهبي (الى اسفل).



رؤية جديدة للعالم العربى

رواد فيلم «الرسالة» شاهدوا أضعافهم فيلم «عنتيبي» وكتب الأطفال لاتزال تمجد الحملات الصليبية على العرب !

بقلم : روز مارى صايغ

خدمت المواقف السياسية المعادية للعروبة فى الغرب ، المصالح المتضاربة للدول المختلفة ، ولكن هذه المواقف كان لها دائما عنصران مؤثران فى الرأى العام الاوروبى الامريكى هما : اللامبالاة والعداء .. وحتى وقت قريب كان على العرب المقيمين فى الغرب أن يواجهوا ما يذكرهم يوميا بأن حضارتهم غير معروفة على أحسن الفروض ، أو هى محل احتقار على أسوأ هذه الفروض ! وتراوحت التجارب المؤلمة التى مروا بها بين الصعوبات التى يواجهونها فى سبيل العثور على سكن . والنكات التى يسمعونها عن الخيام والابل . ورسوم الكاريكاتير العنصرية . والتحيز فى التلفزيون والصحف ، الى جانب افتقار كامل تقريبا للكتب الجيدة أو الافلام عن العالم العربى . وشبه استحالة أمام نشر مقالات للكتاب العربى (الا اذا دفعوا الثمن !) .

حتى اليوم . وبعد أن تغيرت المظاهر السطحية لهذا الموقف الى الاحسن ، ومع استخدام محلات هارودز وسيلفريجز للغة العربية فى أساليب الاعلان للجمهور . نجد أن الزائر فى لندن يشعر بالصدمة نتيجة ضآلة المساحة التى تخصص للكتب عن الشرق الاوسط بعكس الكتب عن افريقيا والشرق الاقصى وأمريكا اللاتينية . وهو أمر ملحوظ فى محال بيع الكتب . أكثر من أى مكان آخر . مثل مكتبة ديلون ومكتبة كوليت . مخازن الزاد الفكرى للطلبة والمتخصصين . ووسائل الاعلام ما زالت هى الاخرى تترك المجال لاظهار تحيزها . كما حدث فى العنوان الرئيسى او



« المانشيت » في صحيفة « ايفنتج ستاندارد » في صيف عام ١٩٧٦ ، الذى اعلنت فيه على عرض الصفحة « العرب أسوأ المذنبين في حوادث السرقة من المحال التجارية » ٠ فقط كان القراء الباحثون عن الحقيقة هم وحدهم الذين ادركوا بعد قراءتهم نص الخبر ، أن النسبة الكبيرة من هؤلاء المتهمين بالسرقة من غير العالم العربي !

سكتت الاوركسترا ٠٠ ولكن !

ونسمع العرب الذين يمارسون عملهم المهنى في العلاقات العامة يتحدثون عن مدى التغيير الذى طرا على الراى العام في الغرب منذ حرب الايام الستة ٠٠وهو حديث تسمعه كثيرا كلما كانت هناك مناسبة٠ حقيقة ان « الاوركسترا » غير العادية للتحيز الصحفي التي سمعناها وقتها لم تتكرر منذ ذلك التاريخ ، ولكنها ايضا لم تظهر فقط بهذا الوضوح من قبل ٠ فالمفاجاة الدراماتيكية لحرب يونيو قد فكت القيود الدبلوماسية العادية التى كانت تسيطر على أسلوب التعامل ، وأتاحت الفرصة لالقاء نظرة خاطفة على شخصية الغرب المعادية للعروبة ٠ومنذ ذلك الوقت عادت الدبلوماسية تفرض نفسها من جديد ، يدعمها الخوف من فرض حظر على تصدير البترول للغرب ٠ لا بترول العرب فحسب ، ولكن الغرب بدا يرى بوضوح أن رأس المال العربى والسوق العربية ، عاملان اساسيان لدعم اقتصاد العالم العربى ٠ وفى ذات الوقت ادركت الحكومات العربية الاهمية السياسية لتحسين صورتها فى الغرب ، فاتجهت هى الاخرى الى استخدام المتخصصين فى العلاقات العامة ، والتأثير على المترددين فى أروقة البرلمانات ، ودفع الاموال للمجلات ، وتمويل الحوار الاسلامى – المسيحى ٠ وكلها اجراءات اتت بنتيجة عكسية ، فهى تساهم فى دعم اقتصاديات الدول المتعاطفة مع اسرائيل والمعادية للعرب ٠

وحتى بعد محاولات محطة الاذاعة البريطانية الان ، لايجاد توازن بين تعليقاتها المالئةلاسرائيل وتلك المالئة للعرب ، الى الانتهاء من اذاعة نشرة الاخبار (ولو أن هذا لا يعنى اكثر من وضع مايلز كوبلاند(١) ضد مايكل الكنز) • وحتى ايضا بعد ان كان هناك مهرجان للعالم الاسلامى ، وبعد قيام المسجد ذى القبة المذهبة فى ريجنت بارك ، وحتى بعد ان وقف عدة الوف من الطوابير الطويلة امام دار السينما التى تعرض فيلم « الرسالة » ، وحتى بعد الزيادة الملحوظة فى عدد الكتب العربية الجيدة التى تتحدث عن حياة العرب وثقافتهم •• حتى بعد هذا كله فاننا نجد اننا نرتكب خطأ كبيرا اذا بالغنا فى تقدير درجة التغيير فى المشاعر تجاه العرب ، او زدنا من عمقها •

فكثيرون ذهبوا لرؤية « الرسالة » ، ولكن اكثر منهم بكثير ذهبوا لرؤية « الإغارة على عنتيبى » التى يمجد اسرائيل ورجالها ودورهم فى فك أسر طائرة العال المخطوفة • هناك حقيقة اهتمام اكبر بالحضارةالعربية الاسلامية،ولكن علىمستوىالثقافة الجماهيرية ، نجد ان العالم العربى ما زال ستارا خلفيا لترويج الكتب الرخيصة من الجنس فى المطارات ، والكتب التى تتحدث عن المؤامرات السياسية ومن تهريب المخدرات ، حيث العرب الوحيدون هم صور لاشرار على ورق من الكرتون• فهنا لم تتغير الامور على الاطلاق عما كانت عليه فى « برج بابل » لموريس وست • وربما كان الامر الاكثر خطورة ان نجد الكتب المدرسية للاطفال غير وافية فى معظم البلدان الغربية ، الى جانب كونها غير دقيقة ومنحازة فى الموضوعات الخاصة بالاسلام والعرب • وفى نصوص كتب التاريخ التى تدرس فى مدارس الحكومة الانجليزية ، نجد ان التعرض للحملات الصليبيةما زال مسئولا عنتصور الاطفال لها بانها كانت حربا للخير ضد الشر !

عرفات والعرب : كتابان !

ولعل اكثر هذه الكتابات الما ضد العرب ، ما صدر اخيرا فى كتابين الاول بعنوان «ياسر عرفات» والثانى «العرب» لكاتب يدعى كيرنانوقد عرض الكتابان فى اماكن بارزة فى دور الكتب بلندن وبيروت وفى الاماكنالمخصصة لعرضالكتب الجديدة فى المطارات فى مختلف انحاء الشرق الاوسط ، وهو امر مستغرب وخاصة اذا كان المؤلف والناشر غير معروفين • ويزعم مؤلف الكتابين ان ترجمة حياة عرفات مستقاة اساسا منه هو شخصيا ، ومن الناس الذين يعرفونه ويتهم المؤلف ياسر عرفات بالغدر وأحط الاتهامات !

ويعتقد احد الرسميين الثقاة فى « وفا » وكالة الانباء الفلسطينية فى بيروت أن « كيرنان » هذا ليس فى حقيقة الامر سوى شخصية خيالية من ابتكار وكالة المخابرات المركزية • وان كتبه ما هى الا جزء من حرب المناورات الفكرية •

اما الكتاب الثانى « العرب » ، لنفس هذا المؤلف ، فلعله فى بعض النواحى اشد الما من عرفات ، اذ يزعم الكاتب « كيرنان » فى مقدمة كتابه ان مكتب الاعلام العربى فى نيويورك هو الذى وجه اليه الدعوة للقيام بالرحلة التى جمع فيها مادة كتابه • ويبدأ الفصل الاول من الكتاب برواية « شاهد عيان » • وهى رواية مختلقة ، للاغارة الاسرائيلية على معسكر اللاجئين فى النبطية بجنوب لبنان فى شهر مايو من عام ١٩٧٤، يروى فيها المؤلف قصة رجل عجوز وقف يسحق بقدمه رأس طفلة صغيرة من أجل اثارة اهتمام احد الاطباء بعقيده الجريح !

من حقنا المشروع أن نتساءل ، ونحن نرى هذه التيارات الثقافية الخفية التى تتسم بعنف غير عادى ، بهدف توسيع شقة الخلافات السياسية والاقتصادية بين العرب والعالم الغربى حول مسائل بالغة الاهمية بالنسبة لمستقبل الشعوب العربية•• من حقنا ان نتساءل : « ما هو الدور الذى قام به المستشرقون والمهتمون بالشئون العربية فى هذا الصراع » ؟ بل ما هو الموقف الذى يمكن ان يعلنوه ازاء المنطقة والشعوب التى اعترفت بمركزهم

(١) مايلز كوبلاند كان يعمل لحساب وكالةالمخابرات المركزية ، وعاش فى الشرق الاوسط وهو صاحب كتاب « لعبة الامم »• اما مايكل الكنزفهو صهيونى، وهو مراسل محطة الاذاعة البريطانية فى القدس المحتلة •

الاكاديمى ؟ ولكننا لا نكاد نغفل ، حتى نفاجأ بهذا العـدد الضئيل من الشخصيات التـى لعبت دورا مؤثرا حقيقة ، وبالعدد الكبير الذى وقف موقفـا معاديا من العالم العربى الحديث •

وقد كان هذا الفريق الاخير ، وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ، هو الذى هيمن على تكوين الفكر فى مراكز دراسات الشرق الاوسط ، وهو تطـور يرتبط ارتباطا وثيقا بالادراك الامريكى المتزايـد لضخامة حجم مصالح « العالم الحر » فى الشرق الاوسط • فقد استثمرت مبالغ طائلة فى هـــذه البرامج التدريبية ، مما يؤكد فعاليتها السياسية عمليا •

مطلب حيوى

وهكذا نرى أن الربط الوثيق بين الثقـــافة والسياسة، حيث تكون الثقافة أحد الاسلحة العديدة التى تستخدم لضمـان قيام « توازن » معـين فى الشرق الاوسط ، يتطلب من الشعوب العربية أو من حلفائها ـ وهو مطلب حيـوى ـ أن ينسقوا عملهم على المستويين من أجل الدفاع عن استقلالهم•

وهذا لن يتحقق عن طريق النشاط فى الاحداث الثقافية فى المناسبات ، ولا عن طريق المجلات ذات الطباعة الفاخرة التى تصدرها ادارات العلاقات العـامة ، ولا عن طريق تقـديم حفنـة من المنح الدراسية للطلبة فى الجامعات الغربية ، فلا شىء من هذا كله سوف يكون له اى اثر بعيد المدى على الحملة المعادية للعرب فى البلدان الغربية • ذلك لان المسالة ليست مجرد جهل أو تحيز بحيث يمكن تغييرها بفضل توافر النوايا الطيبة ـ كما حدث اخيرا فى حالة الصين ـ ولكن لان العرب لابد لهم ايضا وان يضعوا فى اعتبارهم سلطة الحكومات فى التاثير على الراى العام • الذى يعوز العرب فى رأيى هو مؤسسات ثقافية داخل نطاق النظام الثقافى الغربى •• مؤسسات تستطيع ان تاخـــذ على عاتقها مهمة النقد المدعم وتعرية الغرب فـى الوقت ذاته • ولهذا كان هناك اهمية بالغة لقيام مؤسستين جديـدتين للنشر ، مؤسسة « ايشـاكا » Ethaca -فى المملكة المتحدة ، ومؤسسة «مريب» Merip ، للابحاث والمعلومات الخاصة بالشرق الاوسط فى الولايات المتحدة الامريكية •

اما مؤسسة ايثاكا للصحافة ، وهى نتاج لجيل جديد من الدارسين فى الشرق الاوسط ، وبينهم عدد كبير من أصل عربى ، فقد اكتسبت شهرة منذ بدايتها بفضل سلسلة من الكتب الجريئة التى تبحث فى القضية الفلسطينية •

وعن طريق الاتصالات التى قامت بين مؤسسة ايثاكا للصحافة وبين روجر أوين بكلية سانت انتونى باكسفورد ، وطلال أسد بجامعة هل، صدرت مجلة Review of midule east studies أو « عرض لدراسات الشرق الاوسط » التى استطاعت ان تقف متحدية بنجاح المستشرقين المعترف بهم ، كما نجحت فى الوقت نفسه فى كسر العزلة الراكدة للدراسات الخاصة بالشرق الاوسط فـى بريطانيا ، عن طريق اتاحة الفرصة للاستماع الى أصوات الدارسين الشبان •

ومن بين كتب النقد الرائعة التى صدرت عـن هيئة دراسات الشرق الاوسط ، كتاب « القـرى العربية على الحدود فى اسرائيل » لطلال أسد ، «والافغانى ومحمد عبده» لقدورى، و «جيب وباون» لروجـر أوين ، و « الاسـلام والرأسمالية » لرودينسون ، وكتاب بيتر جران عن روايات مقبولة للتاريخ الاسلامى فى القرون الوسطى •

وتقـوم مؤسســة « ايثـاكا » بطبـاعة ونشر الدراسات العلمية عن الشرق الاوسط لكلية سانت انتونى ، وكذلك الدراسات الشرقية فى جامعـة اكسفورد • وبعض هذه الدراسات ، ولو أنهـا لا تندرج تحتها « على مفترق الطرق الى الحرب الاهلية ، لبنان بين ١٩٥٨ و ١٩٧٦ » للكاتب كمال صليبى ، وهو كتـاب جـدير بالاهتمـام • وكانت المملكة العربية السعودية، التى لم تكن محل دراسة كافية اذا قورنت ببقية الدول العربية ، موضـع تحليل اقتصادى للكاتبة هيلين لاكنر فى كتابهـا « بيت شيد فـوق الرمـال » • وهنـاك دراستان نافعتان مترابطتان لسمير رضـوان فى كتابـه « تكوين رأس المال فى الصناعة والزراعة المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٦٧ »ثم كتاب بيتر سلاجليت «بريطانيا فى العراق ١٩١٤ ـ ١٩٣٢ » الذى جمعه مؤلفه من واقع المعلومات السرية التى ازيح الستار عنهـا مؤخرا •

وقد بدا استعداد « ايثاكا » لتنويع نشاطهـا داخل نطاق الرؤية الواضحة للشرق الاوسـط ، جليا منذ صدور مجلتها الثانية « جازيل ريفيو »

Gazelle Review . وكما يبدو من اسمها ، فاننا نجد انها اخف واكثر جمالا وفنا من شقيقتها الكبرى « عرض لدراسات الشرق الاوسط » كما انها تتناول على نطاق اوسع الكتب الجديدة ، والفن والشعر والمذكرات والرحلات والبترول والدبلوماسية وقد تميز رئيس تحريرها روجر هاردى ، ببراعته في اختيار النقاد من ذوى التطلعات المختلفة بالنسبة للمستقبل ، حتى لا تبدو « جازيل » ابدا كما لو كانت مجرد ندوة « لاسرة الشرق الاوسط » يتبادل خلالها افراد الاسرة المجاملات ! فقد يحدث من آن لاخر أن ينجح كاتب في نطاق الحيز الصغير المتاح له ، أن يترك اثرا لا ينسى ، كما حدث مثلا في العرض الذى قدمه ابو لغد لكتاب محمد سيد أحمد « بعد أن سكتت المدافع » .

وبالنسبة لمؤسسة صغيرة تقوم وسط الظروف المشوشة للطباعة في بريطانيا ، نجد أن مطبوعاتها بالرغم من ذلك توزع بصورة طيبة ، ويمكن العثور عليها في معظم المكتبات التي تغذى الدارسين . لقد ازداد احساس الصحف بها خلال الفترة الوجيزة من قيامها ، ولا شك انها قد تركت الان اثرها على كليات الدراسات الخاصة بالشرق الاوسط في المملكة المتحدة .. نواة جديدة لتكوين موقف اكثر شمولا .

تقييم لمعارضة الشاه

ومريب تختلف عن ايناكا في اوجه عدة ، رغم اشتراكهما في التركيز على الشرق الاوسط . وهي تصدر نشرة دورية واحدة « تقارير مريب » ، وتحتل مكانها وسط صورخرئية للرسائل الراديكالية التي اخذت مكانها من حركة الاحتجاج على الاستمرار في حرب فيتنام . وبعض هذه التقارير ، « ناكلا ومريب » ، Nacla and merip ، ولدى المام جيد بهما ، يركزان اهتمامهما على مناطق معينة في العالم الثالث معرضين سياسات الولايات المتحدة لحملات النقد والتعرية . انهما ظاهرة جديدة على المسرح الامريكي، حيث كانت الحكومات حتى عهد قريب تعتمد على عدم المبالاة التام بالسياسة الخارجية . وعلى العكس تماما من المجلات الدورية المتخصصة في شئون الشرق الاوسط ، والتي كانت تصدر قبل عام ١٩٦٧ مثل « ميدل ايست جورنال » M.E. Journal او مجلة الشرق الاوسط ، لم تحاول « مريب » ان تلعب على « الحبلين » في النزاع العربي الاسرائيلي بل اتخذت باصرار موقفا مماثلا للفلسطينيين معلنة في الوقت نفسه ان اسرائيل اداة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط .

وهذه التقارير تصدر عدة مرات في العام ، وهي تتكون من مقالين او ثلاثة مقالات وافية شاملة، تتناول في العادة التطورات السياسية الجارية ، وكثيرا ما تاتي هذه المقالات في صورة احاديث ومقابلات مع شخصيات تعيش في مسرح الاحداث . وتضفي هذه الاحاديث على المقالات وضوحا يعادله ذلك العمق الواقعي للتحليل السياسي الذى تتميز به . و « مريب » لا تحاول ان تقف موقف الحياد من الاحداث السياسية ، وهي تختلف في ذلك عن هذا العدد الكبير من المجلات الاخبارية التي تصدر الان بالانجليزية عن الشرق الاوسط واذكر منها البعض القليل مثل الحوادث والنهار وميدل ايست « اى الشرق الاوسط » وافضل ما يمكن ان يوصف به اتجاه هذه المجلات التي تصدرها مجموعة تعاونية ، هو اليسار الامريكي الجديد .. ماركسي ولكنه ضد شيوعية الدولة . وتكمن قوتها في تحليلاتها ذات المدى البعيد التي تقوم على اساس نظرة فاحصة للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وقد حدث مثلا وقبل التغييرات التي وقعت اخيرا في ايران بوقت طويل ان نشرت « مريب » في عددها رقم ٤٠ الصادر في سبتمبر من عام ١٩٧٥ ، تقييما لاسباب المعارضة الاساسية للشاه ، تنبأت فيه بانفجار المعارضة ضده .

وبينما هي مجلة سياسية قبل كل شيء ، الا أن المقالات التي تحويها تتضمن معلومات اجتماعية وثقافية مفيدة ، وكذلك مقالات في الطب ، والاستعمار ، وشبكة الدراسات الخاصة بالشرق الاوسط ، واستراتيجيات بحث الحياة في العرب داخل اسرائيل ، ومركز المراة العربية ، والعاملين العرب في الولايات المتحدة ، والسينما العربية . كما تحوى المجلة ايضا قسما صغيرا لعرض الكتب الجديدة ، ولكنها تبقى بعد هذا كله مجلة سياسية اكثر منها ادبية ، وبذلك تختلف عن بقية المطبوعات الاخرى التي تصدر حاليا عن الشرق الاوسط .

الناشرون الاخرون يرقبون

ان هاتين المؤسستين للنشر اللتين تحدثنا عنهما يركزان اهتمامهما على الشرق الاوسط ولو ان عددا كبيرا من الناشرين في المملكة المتحدة بداوا يتوسعون في اقسامهم الخاصة بالشرق الاوسط ، لقد ادركت مؤسستا لونجمان Longman وماكميلان Macmillan منذ فترة من الوقت زيادة الاقبال في السوق العربية على الكتب التي تصدر بالانجليزية عن الشرق الاوسط ، غير ان مؤسسة جديدة للنشر هي « كروم انتهيلم » (٢) Croom and helm ، اصبح لديها الان ما يمكن ان يوصف بانه اقوى قائمة باسماء الكتب العربية بين دور النشر في المملكة المتحدة ، ولكن حتى الان لم نر هذا الاتساع الذى يبشر بالخير، ينتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة ، حيث لا تزال الكتب عن الشرق الاوسط تغذى القراء المتاثرين بالصهيونية بصورة اساسية • وهناك ناشر انجليزى اخر مهتم بالعالم العربي وهو « كوارتت » Quartet وسوف يصدر قريبا كتابا مصورا عن الفلسطينيين للمذيع الانجليزى جوناثان ديمبلباى Jonathan Dimbleby ، اما الصور ، فهي للمصور الحربي المشهود له بالبراعة دون ماكلين Don Mccullin .

وهناك دار نشر جديدة صغيرة اخرى هى « زيد » Zed وهي اكثر جدية في نظرتها الى الشرق الاوسط • وتختلف « زيد » عن بقية دور النشر الغربية الراديكالية ، بتركيز اهتمامها على دول العالم الثالث دون غيرها ، الى جانب اصدارها سلسلة من الكتب عن الاستعمار وآسيا والمراة في العالم الثالث وافريقيا والشرق الاوسط •

وقد نحت دار النشر « زيد » هذا النحو نتيجة لوعيها السياسي في محاولة لتحطيم العزلة التى تفصل بين مركز الاستعمار والاطراف التى انتهى عندها ، وكذلك مع مناطق العالم الثالث • وتهدف « زيد » بناء على تقديرها القائم على اساس اننا نعيش فترة تتسم بالتطورات السياسية السريعة والارتباطات النظرية ، اى المساهمة في الناحيتين : « الحوار النظرى ، والصراع السياسي الفعلي » •

وبين الكتب التى اصدرتها : « الامة العربية » لسمير امين و « ثروة بعض الامم » لماكولم كالدويل، و « امريكا•• السجل الامبريالى » لفيكتور كيرنان، ودراسة ليورى دافيز عن « الاسر الحاكمة » في اسرائيل بعنوان « اسرائيل ويتوبيا او المدينة الفاضلة شركة متحدة ! » كما ستصدر « زيد » قريبا « بنجلاديش » « الثورة التى لم تنته » وهو يحتوى على البيان الاخير للبطل الثورى طاهر ، وكذلك كتابا اخر عن تاريخ طبقة الفلاحين الفلسطينيين بعنوان « الفلسطينيون من فلاحين الى ثوريين » ويقوم باعداد الكتابين صاحبة هذا المقال ثم « الوجه العارى للمراة » للدكتور الصيداوى•

■■

لندن ــ روز مارى صايغ

(٢) تشمل قائمة كتب مؤسسة «كروم اند هيلم» بعد ان سكتت المدافع لمحمد سيد احمد واقتصاديات العالم العربي ليوسف صايغ ، وكذلك العوامل الحاسمة للتنمية الاقتصادية العربية لنفس المؤلف•

الايجار والكهرباء

وجد (والتر) بعد بحث مضن غرفة للسكن ، واثناء حديثه مع صاحبة البيت عن قيمة الايجار قال لها : ستصلنى بين فترة واخرى رسائل معنونة باسم (ورنر فينر) وهو اسمي المستعار لانى كاتب روايات •

نظرت اليه صاحبة البيت بحيرة وقلق وقالت له : ولكنى أمل الا تستهلك كثيرا من الكهرباء !

جنرال انزايغر / بون



اهل التصوف قد مضوا
صار التصوف مخرقة !
« الجنيد »

الصوفيون في المغرب

بقلم : عبد العزيز بنعبد الله ❋

التصوف المغربي قطعة حية من التصوف الاسلامي العربي لما تركته نظريات الصوفية المغاربة من آثار عميقة في الفكرة الصوفية الشرقية .

وتاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب بل يتجاوزه الى الجانب الثقافي والروحي . على أن التصوف المغربي كان له كبير أثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شذراته في مصنفات لم يكن من المنتظر أن تحفل به . فانك تجد اخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التي قامت في المغرب في وقت مبكر - مبعثرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات ، بل حتى كتب الفقه مثل « شرح ميارة على المرشد » و « معيار الونشريسي » الذي تحوي اجزاؤه نتفا متناثرة لو نسقت لتحصلت منها مجموعة لا بأس بها في وصف التيارات المتعاكسة التي خلقها انبثق الطرقية في المغرب .

ويغلب على ظننا أن الحركة الصوفية كانت أنشط في الجبل (لا سيا الريف) والقرى منها في الحواضر . اللهم الا بعض مدن الساحل التي كانت مهبطا لصوفية

❋ الاستاذ بجامعتي القرويين و محمد الخامس ومدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي .

الأندلس كسبتة وأسفي وسلا أو مدن داخلية كمراكش وفاس نظرا لاشعاعها الثقافي الذي تنجذب له النفوس .. ومهما يكن فان أولى التراجم الصوفية انما حظيت بها « مداشر » البادية ككتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف » لعبد الحق البادسي (في القرن الثامن) و « المعزى في ترجمة أبي يعزى » و « انمد العينين » لابن تجلات في مناقب الأخوين المزمير بين اللذين عاشا ردحا طويلا في أغمات ثم حظى صوفية المدن بكتب منها « المنهاج الواضح » في ترجمة أبي محمد صالح (المتوفي عام ٦٣١) تلميذ أبي مدين الغوث (ومدينة أسفي نفسها انما بنيت حول ضريح أبي محمد صالح كما قامت مدينة زرهون حول الضريح الادريسي بعد بناء المولى اسماعيل لهذا الضريح عام ١١١٠ هـ وتأسيسه جامع الخطبة الكبير المتصل بالضريح وكذلك وزان) « والسلسل العذب الأحلى في صلحاء فاس ومكناسة وسلا » لمحمد الحضرمي الذي صنفه في القرن الثامن وكذلك « الموكب الوفاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد » .

أقدم الرباطات

ولعل من اقدم الرباطات المغربية رباط واجاج بن زلو اللمطي السوسي الذي كان يسمى « دار المرابطين » وقد اتخذ مجمعا لطلبة العلم وقراء القرآن حسبما ورد في التشوف (ص ٣٦) الذي نجد من بين رجاله الصوفية كثيرا من « المعلمين » المنقطعين لتعليم كتاب الله . وهذا مظهر ثان لنوع ما كان يشتغل به الصوفية اذ ذاك . وسنرى فيما بعد كيف تطورت الفكرة الصوفية فانضافت الى التعبد بالقرآن تعبدات بالأدعية والأذكار .

وكان هناك نوعان [1] من الرباطات : رباط من الطراز الذي أشرنا اليه وكان يشمل المدن بكاملها كرباط ماسة ورباط فيط ورباط من نوع أخر هو عبارة عن « محلة » يرابط فيها المجاهدون وقد روى أن الضفة اليسرى لمصب أبي رقراق كان يرابط فيها نحو من مائة ألف من الغزاة الذين كانوا يتطوعون لمقاومة النحلة البرغواطية .

وبين هذه وتلك الرابطة التي ابتناها عبد الله بن ياسين في جزيرة قرب الساحل ، وتبتل فيها ثلاثة أشهر مع نفر من كدالة في مقدمتهم يحيى بن ابراهيم أمير صنهاجة . وقد توارد الناس على هذا الرباط حتى بلغ عدد المرابطين ألفا من أشرف صنهاجة كانوا النواة التي قامت بتأسيس الدولة المرابطية فكانت هذه هي الدولة الثالثة التي قامت في المغرب على أساس فكرة مذهبية بعد الدولة المدرارية في سجلماسة والدولة الادريسية في الشمال وقد فسح استعداد المغاربة الروحي المجال لدعاة المهدوية مثل محمد بن تومرت الذي أسس دولة الموحدين والعبيدي الذي قام بعده في جبل ورغة من أحواز فاس حيث تبعه كثير من قبائل المغرب أول عام ٦٠٠ هـ .

وكانت نفس الحركة ملحوظة كذلك في الاندلس أيام المرابطين حيث ذكر صاحب « لسان الميزان » (ج ١ ص ٢٤٧) أن أحمد بن قسي ابتنى مسجدا في بعض قرى شلب (البرتغال) وتحدث بالأباطيل ، كما ادعى النبوة ابراهيم الفزاري الساحر .

وقد تسربت الى المغرب من الاندلس الطائفة المسرية التي لم ينتشر نفوذها لقيام العلماء بنقضه وفي طليعتهم الامام ابن حزم الذي لا نعرف نظريات ابن مسرة الا من خلال انتقاداته . وهذه الطائفة وان كانت لا تتسم بالطابع الطرقي الا أنها من المذاهب التي ارتكز انتحالها على مذهب صوفي أساسه التأويل الرمزي للقرآن ، على طريق الاسماعيلية التي لعبت دورا كبيرا في تبلور الفكرة الصوفية في الاسلام ... ومنها الطائفة الاندلسية التي أسسها محمد الاندلسي نزيل مراكش وكان رجلا مولعا بالطب والكيمياء فسب الأئمة وأفتى فقهاء مراكش الحمراء بتضليله وزج به السلطان في غياهب السجن .

---

(١) عدد الربط والزوايا في سبتة سبع وأربعون محاذية للبحر داخل المدينة والأرباض (اختصار الأخبار لمحمد بن القاسم الأنصاري Hesperis م ١٢ عام ١٩٣١ ص ١٥٥) .

كانوا معلمين ومدربين

وقد ظل المغرب خلال العصور الأولى بعيدا عن الطوائف الضالة وعن النظريات الشاذة التي كانت تعصف اذ ذاك بالشرق . وقد شهد أبو بكر الطرطوشي الذي صنف كتابا في البدع والمحدثات في رسالة وجهها من الاسكندرية الى سلطان المغرب أن أهل المغرب هم المشار اليهم في الحديث الشريف « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق » ((هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والأحداث في الدين)) .

فنحن لا نكاد نجد أثر بدعة جافية في ربوع المغرب قبل القرن السادس ولا يمكن أن نعثر فيما صنف خلال القرون الأولى كالتشوف على اشارة الى شذوذ عند الصوفية أو صدور دعاوى نابية عنهم ، لأن التصوف كان اذ ذاك مطبوعا بالبساطة ولم يكن الصوفية يختلفون عن بقية الناس الا بكثرة العبادة وتلاوة القرآن وسرد المأثور من الأدعية وكانت الأذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة في القرآن . من ذلك بعض الأحزاب لا سيما أحزاب الشاذلي التي تتألف مطالعها من سلسلة آيات . ولم يكن لبس الخرقة والمرقعة صفة لازمة للصوفي المغربي الا اذا جاء ذلك عفوا عن طريق الزهادة في متع الدنيا . وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراء العلم وتلاوة القرآن والجهاد فاذا طالعت تشوف ابن الزيات وجدت أن كثيرا من رجاله كانوا (معلمين) أو (مدربين) يعلمون القرآن للصبيان ! .

وكان الأمر على خلاف ذلك في الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة الى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية ، والايغال في لبس المرقعات واندساس الأدعياء في صفوف النزهاء . حتى كان القشيري ينشد اذا جلس اليه الصوفية أبياتا منها :

أما الخيام فانها كخيامهم
وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم يقول أما الهيئات والمرقعات فمعروفة وأما القلوب فمنكرة ، وكان الجنيد ينشد :

أهل التصوف قد مضوا
صار التصوف مخرقة
صار التصوف ركوة
وسجادة ومذلقة

غير أن الفكرة الصوفية مالبثت أن تشعبت فتسرب اليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن الهجري على أثر انتشار الطريقة واندساس الأدعياء في الزوايا والرباطات ، فانتحل الكثير المذهب الصوفي لأغراض لاتمت الى الروح بصلة وأصبح التصوف عرضة للافتيات يستغله كل من يريد التوصل الى أعراض الدنيا عن طريق الشعوذة والتدليس على العوام والدهماء وتجردت الطرقية من شتى مظاهر الرواء والسمو والجاذبية والجمال .

وبدأت الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ القرن الثامن محاطة بهالة من التشكيلات المستحدثة . ومازال التراث الصوفي يتضخم ويتسع الى أواخر القرن الثاني عشر حيث اتضحت الخطوط واكتملت الرسوم والحدود بفضل ذلك النبع الفياض من التآليف التي ترجمت للصالحين ومناقبهم وطرائقهم .

والحقيقة أن التصوف بدأ يتدهور منذ أصبح في متناول العوام تلوكه ألسنتهم في غير هدى ولا اتزان ، ولن أضرب سوى مثل واحد وهو طريقة أبي محمد صالح دفين اسفي وتلميذ أبي مدين الغوث فقد كان اماما ذائع الصيت يرد عليه الصوفية حتى من مصر للأخذ عنه . وانتشرت طريقته خلال القرن السابع فكثر تلاميذه في الشام وبلاد الكنانة حتى مدحه البوصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

قفا بي على الجرعاء من جانب الغرب
ففيها حبيب لي يهيم به قلبي

غير أن طريقته هذه التي كانت سنية المعالم مالبثت أن انحرفت بما دسه فيها الدخلاء والأدعياء وأصحاب الأغراض من الدجاجلة والملبسين .

وفي القرن الثامن ظهر ابن خلدون بكتابه « شفاء السائل » فرد الطريقة الى أصولها ، وحلل خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الأدعياء .

الدخلاء والأدعياء

وفي القرن التاسع برز محتسب الصوفية الامام النقاد الشيخ زروق بكتابه « عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت » . وقد علل انتشار المبتدعة والأدعياء بانتقاص الايمان والجهل بأصول الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة (وهذا عنده من مبادىء الزندقة) وحب الرياسة مع الضعف عن أسبابها ، ثم أكد أن الصوفية الحقيقيين أنفسهم عرضة للخطأ وأن مقالاتهم يجب أن تعرض على الكتاب والسنة وأن الفقه والأصول شرطان في التصوف فلا تصوف الا بفقه .

وقد تعرض الى الأسس العلمية التي بنى عليها الطرقيون مددهم فذكر انهم قرروا مخالفة النفس بكل وجه ، وغلطوا في هذا الاطلاق لأن المقصود موافقة الحق بمخالفة النفس لا مجرد مخالفتها واستشهد بقول عمر بن عبد العزيز « اذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد » .

وأنهم تجردوا عن المعتادات بدلا من الانغماس بها وتغالوا في بعض المظاهر كتوفير ما تحت اللحية وأدخلوا على أنفسهم المشاق ، والأجر على الاتباع لا على قدر المشقة . وقد أشار الى الفتنة التي وقعت في الأندلس في القرن الثامن حول قضية اتخاذ المشايخ حتى تضارب الناس بالنعال وكتبوا الى البلدان الاسلامية يستفتون المؤلف . ولا شك أن شبوب تلك الفتن كان نتيجة مباشرة لانحراف التصوف عن الجادة وتدخل العوام في دقائقه . كما كان أبو المحاسن الفاسي ينهى عن ذلك مؤكدا أن كتب الحاتمي وابن الفارض « تسد على الناس باب الفتح » حسب تعبيره ، ويدعو الى الادمان على حكم ابن عطاء الله . والشعراني [٢] نفسه كان ينهى مريديه عن قراءة كتب التصوف والتوحيد المطلق كمصنفات ابن عربي وغيره من « غلاة الصوفية » (البحر المورود ص ٢٧٤) وهذا لا يتنافى مع ما جاء في مقدمة اليواقيت والجواهر من الدعوة الى كتب ابن عربي فانه احترس هناك ـ كما يقول زكي مبارك ـ حين أقنع المريد بأن ما جاء في كتب ابن عربي مخالفا للشرع انما هو من وضع الدساسين .

كما حمل اليوسي في محاضراته حملة شعواء على أدعياء الطريقة ورسم لنا صورة عما انتهى اليه التصوف المغربي بسبب من الدس في حظيرته من مغرضين فقد قال : « كم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون أو معتوه أو موسوس أو طيس فيقع به الاغترار للجهلة الأغمار . وقد يشايعه من مثله من الحمقى ومن الفجار » (ص ٣٩) ومن أغرب ما حكاه اليوسي (ص ٤٠) أن رجلا ورد على سجلماسة واتسم بالصلاح فأقبل عليه الناس ثم تبين بعد أنه يهودي .

وكانت البادية المغربية أكثر في الابتداع وأشد انحرافا عن الروح الصوفية لغلبة السذاجة على أهلها الذين كانوا يبلغون في التبرك بآثار الصالحين حد الشذوذ .

وقد قدر للمعاني الصوفية الرقيقة أن تستهوي جميع أصناف المثقفين في مختلف العصور . ولكن كل طائفة نظرت الى أسرار التصوف من خلال مزاجها واللون الخاص الذي تكيفت به روحها في الحياة . وقد لاحظ ذلك زروق في قواعده (القاعدة رقم ٥٩) .

جهابذة الفنون

واذا استعرضنا تاريخ الثقافة المغربية وجدنا أن أقطاب التصوف كانوا في نفس الوقت جهابذة الفنون وزعماء العلوم . وقد ذكر صاحب نشر المثاني أنه لولا

(٢) ذكر الشعراني في تنبيه المغترين (ص ٧) أن بعض الناس دس في كتابه « البحر المورود في المواثيق والعهود » وفي مقدمة كتابه « كشف الغمة عن جميع الأمة » ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأثار ذلك فتنة في الجامع الأزهر ولم تخمد الفتنة الا بعد أن أرسل النسختين الأصليتين المجازتين من بعض مشائخ الاسلام الى العلماء الأزهريين للاطلاع عليهما وقد أشار الشعراني في كتابه الى ما استحدثه كثير من مشايخ وفقراء عصره مما يخالف السنة حتى أصبحت أصول التصوف غريبة عند منتحل الطريقة .

ثلاثة لاتقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر، وهم : محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة ومحمد بن أبي بكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء، وعبد القادر الفاسي الذي تبلورت في عهده الطريقة الزروقية ، وغالب فقهاء افريقيا ـ كما قيل ـ تلاميذه ، وقد قيل في العربي ابن أبي المحاسن الفاسي أن به ختم علماء المغرب وكذلك والده وعمه أبو زيد الذي أفاض أبو العباس المقري في وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوه عن علماء المغرب فشبهه بالجنيد . كما شبهه غيره بالسيوطي لوفرة علمه .

وقد تمخضت الحركة الصوفية عن نمو وازدهار الثقافة في ربوع المغرب لا سيما البادية ولا يخفى ما أسدته الزاويتان الناصرية والدلائية من أياد بيضاء في هذا الباب وقد كان في زاوية محمد بن وسعدن السوسي تسعمائة طالب يكسيهم ويطعمهم من ماله الخاص وظل مستمرا على ميرته هذه أربعين سنة .

وكانت كتب التصوف تُدرس الى جانب كتب الحديث والتفسير ، فهذا أبو المحاسن الفاسي يدرس قوت القلوب والاحياء والشريشية في آداب السلوك ويلتف حوله خلق كثير وفي آخر حياته نفض يده من سائر العلوم الأخرى واقتصر على التفسير والحديث والتصوف ، وأبو المحاسن هذا كان اذا توجه من فاس الى القصر تعطلت الأسواق أو كادت لخروج الناس لمقابلته .

وهذا النفوذ الذي كسبه الصوفية حدا بالمرابطين والوحدين الى امتحانهم حيث استدعوا من الأندلس أو افريقية أمثال ابن العريف وأبي الحكم بن برجان وأبي مدين الغوث .

وقد هدأت نوعا ما حركة الامتحان في عهد المرينيين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لأن الدولة كانت قوية الجانب ، وقد انصرفت الى اتمام الحضارة المغربية التي بلغت في ذلك العصر ذروتها . لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض أمراء بني وطاس من ميع وانحلال .

فقد انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس فعمت البلاد ملتهمة ما تبقى من نفوذ الوطاسيين .

وأغرب ما في الأمر أن محمد الشيخ مؤسس الدولة السعدية ما لبث أن انقلب على الصوفية فقد امتحن أرباب الزوايا منذ سنة ٩٥٨ وذلك خوفا على ملكه لما كان للعامة في أصحاب الطوائف من اعتقاد . وفي أيام زيدان تضعضع نفوذ السعديين واستقل المجاهد العياشي الصوفي بالأمر في كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفية قوية وجانبهم منيعا حيث بلغت الزاوية الدلائية عنفوانها .

ولما استقل الملوك العلويون بالنفوذ في المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين اهلها في بطن الرمان أوائل المحرم عام ١٠٧٩هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد بن محمد بن ناصر وجهز « محلته » للزحف الى زاوية درعة ولكنه عدل عن ذلك بعد أن تحقق صدق ولاية الرجل .

كما جدد المولى اسماعيل بعض الأضرحة التي لم تكن في ذلك العهد أكثر من مساجد تقام فيها الصلوات وترتل فيها آيات القرآن والأذكار والدعوات . فلم ير الملوك مايدعو الى استنقاصها بيد أن الاستعمار وصنائع الاستعمار أفسدوا جوانب من هذه الروح الطبيعية التي كانت تسري في هذه البيوت الطاهرة .

من العالم الادنى الى الأسنى

ولعل من أبرز نماذج التصوف المغربي ، أي الفلسفة الروحية والخلقية المغربية ، رجلا تغلغلت مقالاته السيارة في قرارة النفوس فقومت أودها طوال أجيال متوالية . وطبعت التصوف المغربي بميسم خاص أفرغت منه الحقيقة الصوفية في قوالب شرعية ورُوح التوكل في صورة السبب ولطائف الروح وأسرار النفس في أشكال مبسطة . وذلك الرجل هو سيدي يوسف الفاسي الفهري ويمكن القول بأن نظريات هذا الرجل الخلقية والنفسية والالهية تتركز فيها خلاصة النظريات المغربية في هذا الباب .

ومن نظرياته الطريفة أن الرجل قد يؤخذ عن العالم الأدنى ليرقى الى العالم الأسنى وذلك عندما يتمحص صدقه واخلاصه وتضمحل أنانيته فتتكشف في باطنه

حقائق وتختلج في سره رقائق وتعرض له أحوال وجدانية لا تنضبط ولا ترتبط بمعهود ، وقد تسمو روحانية الصوفي فيتجرد عن بشريته ويتحد ، أي في التوحيد ، لأن الفناء هو اتحاد بلسان الحقيقة وهذه الظواهر كلها ذوقية وجدانية (فمن ذاق ـ كما يقول الشيخ يوسف ـ عرف ، ومن لم يذق فلا حرج اذا سلم واعترف وهذه لطائف تقصر عنها العبارة ولا تلحقها الاشارة اذ لا يفهم عنك الا من أشرف فيه ما أشرف فيك) .

وقد تجلى أبرز مظهر للتصوف الحقيقي في المغرب في اقرار التسامح والسلام في المجتمع واسعاف طبقاته واجراء الامدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس ، فهنالك مذهب صوفي مغربي يرجع الفضل في وضع أسسه ونشر دعوته لرجل من أهل القرن السادس هو أبو العباس السبتي الذي كان يرى أن الباب القوانين الشرعية هو الصدقة فكان يجلس في الأسواق والطرق ليحض على البذل والجود مرددا كلماته الخالدة :

(أصل الخير الاحساس وأصل الشر البخل) وقد اشتهر مذهبه أيما اشتهار حتى نعته معاصره الحاتمي في فتوحاته المكية بصاحب الصدق في مراكش .

وقد كان لهذه الدعوة أثرها فأسست الملاجىء في مختلف أنحاء المغرب حيث كان يأوي العجزة والفقراء والطلبة فيجدون الطعام السائغ والفراش الوديع ، وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهرات الانسانية فاضطر الملوك الى المساهمة فأسسوا الزوايا في الفلوات لايواء عابري السبيل وأوقفوا لها الأوقاف الوفيرة .

وقد استوثق التبادل بين المشرق والمغرب في هذا المجال في مظهرين : أولها انتشارطريقتين لكل من أبي الحسن الشاذلي الغماري وعلي ابن ميمون الفاسي صاحب كتاب « منتقهة ومتفقرة مصر والشام »بالاضافة الى نفوذ احمد البدوي الفاسي دفين طنطا ، وثانيهما انتشار مصنفات صوفية شرقية بالمغرب ككتاب الحكم العطائية الذي صار الناس يحفظونه عن ظهر قلب وقد علق عليه العلماء في شروح وفيرة كشروح ابن عباد وزروق والقلصادي ومحمد جسوس الفاسي والحراق وابن عجيبة التطواني ومحمد بن عبد السلام بناني والشيخ الطيب بن كيران الخ كما تبودلت رسائل منها جواب الشيخ الغزواني عن أسئلة الناصر اللقاني المصري وهي نموذج للتأويلات الصوفية المغربية للقرآن ، أما القصائد المغربية التي أصبحت تجري على ألسنة العامة فكثيرة منها أرجوزة حدائق الأزهار في الزاوية للبازغي والمقياس للوزير الغساني وديوان الحراق الذي نحا فيه منحى ابن الفارض وابن عربي وعبد الغني النابلسي في وحدة الوجود والتلبس بما يسمونه الحقيقة المحمدية ، ويعلو نفس الحراق أحيانا فيكاد يطاول سلفه ابن الفارض في رقة الأسلوب وسمو المعنى ، ومما يتصل بالتصوف العام قصيدة لأحمد الشريشي السلوي الشاعر الطبيب ، وقد شرحها كل من أحمد الصومعي وأحمد ابن أبي المحاسن الفاسي وهنالك كتاب يمكن أن يعتبر خلاصة للأدعية النبوية التي جرت على ألسنة الصوفية بعد القرن التاسع وهو « دلائل الخيرات » الذي شرحه أفراد من العائلة الفاسية . وقد انتشر في العالم الاسلامي هو وذخيرة المحتاج للشيخ المعطى الشرقي وقد نحا المغاربة منحى الصوفية المشارقة في مدح الأشياخ بقصائد لاتخلو من معلومات تفيد المؤرخ ، من ذلك دالية اليوسي في مدح سيدي محمد بن ناصر الدرعي وهي « مشهورة بين أهل الأدب » عارض بها دالية البوصيري في أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وقصيدة البوصيري هذه تدل على ما كان للصوفية المغاربة من مكانة في نفوس صوفية الشرق ، وقد مدح البوصيري كذلك أبا محمد صالح .

فالتصوف وان كان قد اعتراه شيء من الانحلال فقد كان له كبير الأثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة . فأصبح الشعب يلهج بالأدعية والأذكار ويتلو قصائد الغزل والمديح في سماع راقص لم تعد تخلو منه زاوية أو رباط وخاصة بمناسبة المولد النبوي الذي بدأ العزفيون يحتفلون به في سبتة ثم ملوك بني مرين في الحواضر وبذلك اندرج عنصر جديد طور لغة الضاد بالمغرب وطبع اللسان الدارج وخاصة منه البربري الذي اقتبس ما كان ينقصه في هذا المجال فتقاربت الشقة بين الفصحى والعامية في اللسانين . ■■

الرباط ـ عبد العزيز بنعبد الله

زكريا تامر

.. وقصص اطفال العرب

بقلم : احمد محمد عطية

تقدم قصص زكريا تامر للاطفال ، الوجه الجديد لادب الاطفال العربى ، والرد العربى المناسب على الغزو الثقافى الاجنبى فى هذا المجال . فقد شق زكريا تامر ، القصاص السورى المعروف ، طرقا ادبية جديدة أثرت الادب العربى الحديث فى كتاباته للكبار والاطفال على السواء .

فهو مبدع التعبيرية فى القصة العربية القصيرة . هذا الاتجاه الذى ابدعه زكريا تامر بقصصه التعبيرية المجموعة فى كتبه الخمسة : « صهيل الجواد الابيض » (١٩٦٠) ، « ربيع فى الرماد » (١٩٦٣) « الرعد » (١٩٧٠) ، « دمشق الحرائق » (١٩٧٣) ، و « النمور فى اليوم العاشر » (١٩٧٨) ، محاولا من خلالها ايجاد صوت جديد . فجاءت تعبيريته العربية لتعيد صياغة الواقع العربى بشمولية تستوعب التراث العربى والتاريخ العربى المعاش ، فى شكل جديد يتحول فيه المستحيل الى ممكن ، ويمتزج الواقع بالخيال ، ويجمع بين التفنن والابداع والتخييل والتعبير عن الاشواق لوطن عربى جديد اكثر انسانية وتقدما وتحررا وجمالا .

وكما تميزت التعبيرية الاوروبية بالعناية بالأطفال ورسومهم وادبهم ، فقد اتجه زكريا تامر الى الكتابة للأطفال ، بعد ان وجد قصص الاطفال العربية تسىء الى الطفل تربويا ولغويا ، وتحاول ان تشوهه بقيم لم تعد تنسجم مع ما حدث فى حياتنا من تغيير وتطوير . » كما قال فى اجابته على سؤال لمجلة « الموقف الادبى » السورية (عدد مارس ١٩٧٤) عن الحافز وراء تحوله الى الكتابة للاطفال .

فقد كانت قصص الاطفال العربية بعيدة عن عالمنا العربى الجديد بتحولاته الاجتماعية والسياسية . فهى ، فى غالبيتها ، قصص ساذجة تحاول التبسيط بحجة الطفولية ، ولا تساعد الطفل العربى فى التعرف على القضايا الاجتماعية والسياسية والقومية ، ولاتنمى مداركه ووعيه ، ولاتمده بقيم جديدة تتفق مع عالمنا الجديد . كما انها اغفلت امكانيات اللغة العربية من جمال وشاعرية وخلق فنى ، بلغتها التقريرية والخطابية وحكاياتها الخرافية الساذجة . وبايجاز لقد كانت قصص الاطفال معنية بالتسلية او بالدعاية او بالخطابة او بالتلقين والاملاء .

« السوبرمان » والطفل العربى

كما تسللت الى مجال ادب الاطفال العربى قصص الاطفال الاجنبية ، فى غزو ثقافى عبر المجلات الانيقة



زكريا تامر



المصورة والافلام التليفزيونية والسينمائية ، بما تبثه من قصص عن الانسان الخارق للطبيعة (السوبرمان) ، التى تلغى قيمة الانسان العادى وقدرته على التقدم والتعلم والابتكار والتغلب على مشاكله اليومية ، وتعمل على استلاب الطفل العربي وشده الى بيئات اجنبية والى شخصيات غير سوية ، كالمجرمين والقراصنة والمخبرين ، وتقدمها في صورة جذابة محببة الى الاطفال .

ولعل اخطر شخصية تبثها قصص الغزو الاجنبي هي شخصية الرجل الخارق للطبيعة التى تفتن الاطفال . كما لاحظ اليونسكو في تقريره عن « جمهور الأطفال » ، الذى كتبه « فيليب بوشار » وترجمه الى العربية « محمد انور الحناوى » . وقال خبراء اليونسكو ايضا ان قصص الرجل الخارق للطبيعة تبسط الشخصيات والدوافع النفسية ، وانها تقوم على المفاجآت وليس على الاعمال المبررة والمتوقعة ، وان البطولة الخارقة فيها معقودة للرجل الابيض ، لانها تزدرى الاجناس الملونة ، وان هذه الشخصية غير انسانية ، فالرجل الخارق للطبيعة لايتزوج ولايموت ولايحمل هموما يومية او ماديه او مه . ية . » بل انه يستعمل السيارات والمباني والتليفو . ت والطائرات وغيرها » دون حساب ، ' ن هذ يفتن القارىء في البلاد الفقيرة . وقد حذر اليونسكو في تقريره هذا من اثر اسطورة البطل الخارق في تقويض القيم التقليدية لكل بلد وتزييفها . وقال ان هذه الشخصية الاسطورة اصبحت « غولا دوليا يزيد في ضرره استخفاف الناس به . » ص ٦٥ . ودعا اليونسكو الى مواجهة هذه الشخصية الخطرة ، ليس بالقوانين ولكن عن طريق المواجهة الفكرية والفنية مع هذه الشخصية .

يضاف الى هذا ما تقوم به قصص الغزو الثقافي

الاجنبي من اغفال لشخصيات الابطال السياسيين والمناضلين الثوريين ، وتقديم الشخصيات التاريخية في صورة معجزة لايدركها البشر ولاتثير طموح الاطفال . ويماثلها في ذلك شخصيات الانسان الالي والانسان المتوحش والجاسوس والطفل المغامر ، التي تبعد الطفل عن النظر الواقعي في مجتمعه وحياته ومشكلاته اليومية .

لهذا اوصى اليونسكو باختفاء هذه النماذج الخارقة غير الانسانية ، لتحل محلها « مخلوقات انسانية معقولة قريبة الى الواقع . » ونادى بـ« تقديم النواحي الاجتماعية والانسانية على ماعداها . » (ص . ١٣) .

ان الطريق الى مواجهة هذا الغزو الثقافي الاجنبي في ادب الاطفال لايكفي فيه المنع والمصادرة ، بل انه يتمثل في ضرورة ابداع ادب اطفال عربي جديد ، يستوعب فنون ادب الاطفال ويعمل على عصريتها ، ويربط الاطفال بماضيهم القومي وقضايا مجتمعاتهم المعاصرة . ادب يجمع بين الجمال والشاعرية ، بين التسلية والجدية ، بين الفائدة والمتعة ، بين الاعلام والثقافة ، وبين الواقع والخيال .

الوجه الجديد

ومن هنا تقدم قصص زكريا تامر للاطفال هذا الوجه الجديد لادب الاطفال العربي ، الذي يتجاوز ادب الاطفال العربي التقليدي ، ويرد على الغزو الثقافي الاجنبي في مجال ادب الاطفال . وهذا ما عناه زكريا تامر بقوله لمجلة « الموقف الادبي » ، أن حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ اقنعته باهمية الجيل العربي الجديد الذي عليه مواجهة العدوان ، « ولذا فلابد من منحه الوعي وارادة التحدي والرغبة العميقة في التغيير والحفاظ عليه .. لابد من ان يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل الحرية والعدالة والفرح » . هذا عن موضوع القصص ، اما عن الشكل فيضيف زكريا تامر : « كما انني حاولت ان تكون قصصي بمستوى فني يجعلها لان تصبح وسيلة تشجع الطفل على حب لغته العربية الفصحى وتنمية قدراته على تذوق الادب الذى يخاطب عقله وقلبه دون ترفع ودون اسفاف ايضا . »

كتب زكريا تامر مجموعة كبيرة من قصص الاطفال صدرت كل منها على حدة في طبعات جميلة وضمت قصصه الاخرى في مجموعة « لماذا سكت النهر » (١٩٧٣) و « قالت الوردة للسنونو » (١٩٧٧) كما ترأس تحرير مجلة « اسامة » السورية للاطفال ، واسهم في تحرير بعض مجلات الاطفال العربية الاخرى . ويعمل حاليا رئيسا لتحرير مجلة « المعرفة » السورية ، بعد تقلبه في مهن شتى لعل ابرزها الحدادة حيث اكتوى بنار الحياة الشاقة لعامل الحدادة حتى انتخب نائبا لرئيس اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، ورئيسا لتحرير مجلته الشهرية « الموقف الادبي » . فزكريا تامر اديب عربي كون ثقافته بجهده الخاص . واقام ادبه على خبراته الواقعية وقراءاته العميقة الواسعة وحرصه على شق طريق جديدة للادب العربي الموجه للكبار والصغار على السواء .

عندما صدرت قصص زكريا الاولى في بيروت ، ترجمت الى عدة لغات اوروبية ، كالفرنسية والانجليزية والاسبانية ، وجذبت اهتمام القراء العرب والاجانب الصغار والكبار ، واثارت ضجة ثقافية واعلامية لدى الاصدقاء والاعداء . فوصفتها « هاعولام هازيه » الاسرائيلية ، في مقال كبير بعنوان « قطر الندى ، سندريللا ، والارنب الصغير .. يجندون في فتح » ، بانها « تتحدث الى القلب والعقل ، تستخدم وسائل بسيطة ومباشرة ، ولاتغرق في فيض كلام اعلامي بغير مغزى ، وتعليقات وتاريخ يثير الضجر والملل على نحو ما يسير عليه الاعلام الاسرائيلي ، بل تتجه الى الشخص البسيط في الشارع ، الى اطفال المدارس بصورة تجلب الانظار وتثير الخيال .. »

عن الانسان الفلسطيني

فقد شكلت قصص زكريا تامر للاطفال معالم ادب أطفال عربي جديد ، بتقديها للقضايا القومية والمفاهيم السياسية ، والقيم الانسانية في لغة سهلة جميلة واسلوب ادبي يعتمد على الصورة الشعرية والمزج بين الطبيعة والانسان ، دون املاء أو استعلاء . فشدت الكبار

والصغار الى القضايا المصيرية لوطننا العربي . وقد ادهشت قصته الصغيرة الجميلة « البيت » الجميع ببساطتها وقدرتها على الوصول الى العقل والقلب ، وهي التي عنتها صحيفة العدو الاسرائيلي بقولها « يجندون في فتح » . فتقدم القصة مجموعة كبيرة من المعارف عن الطبيعة وعالم الحيوان وتربطها بقضية فلسطين المحتلة . فتستعرض أنواع واسماء البيوت التي تلجأ اليها المخلوقات الحية ، من الدجاجة الى العصفور ، لتصل الى اهمية البيت والوطن في حياة الانسان ، ثم الى مأساة الانسان الفلسطيني الذي سلبه عدوه بيته ، ومن ثم لابد من استعادته بالنضال وقوة السلاح :

كل انسان له بيت
البيت هو المكان
الذي يمنح الانسان
الطمأنينة والسعادة
الفلسطيني لابيت له
والخيام والبيوت التي يحيا فيها
ليست بيوت الفلسطيني
اين بيت الفلسطيني ؟
بيت الفلسطيني في فلسطين
الفلسطيني لا يحيا اليوم
في بيته
بيت الفلسطيني يحيا فيه
عدو الفلسطيني
من هو عدو الفلسطيني ؟
عدو الفلسطيني هو
الذي احتل بيت الفلسطيني
كيف يستعيد الفلسطيني بيته ؟
بالسلاح وحده
يستعيد الفلسطيني بيته
بالسلاح وحده
يستعيد الفلسطيني بيته
سيعود الفلسطيني الى بيته
بيت الفلسطيني للفلسطيني

هكذا يقرب زكريا تامر القضايا القومية الى عقل الطفل العربي ويرسخ في وجدانه ضرورة تحرير ارض فلسطين المحتلة واستعادتها بقوة السلاح . وهو يكرر ذلك بقوة وبساطة معا ، في قصص تصل للكبار والصغار وتحرك تفكيرهم . وليس هذا بغريب عن ادب الاطفال في العالم ، فقد كان اندرسن اديب الاطفال العالمي ، يكتب للجميع الصغار والكبار ويقول : كان في بالي دائما وانا اكتب القصص الصغار ان الاباء والامهات سينصتون اليها ، وانه ـ من ثم ـ ينبغي ان تقدم اليهم ايضا مادة صالحة للتفكير .. » (اندرسن ، رومر جودن ، ترجمة حسين القباني ص ١٩٨) كما توصل « الدكتور وول » في بحثه عن « مطالعة المراهقين والبالغين للصحف » الى « ان اطفال المدارس الثانوية بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة يتابعون الاحداث السياسية بقدر معقول من الانتظام .. » (جمهور الاطفال ص ١٢٢) .

لماذا سكت النهر ؟

وتقدمت قصص زكريا تامر في مجموعته التالية « لماذا سكت النهر » ، فصارت اكثر ثراء وشاعرية وفكاهة . فقدمت المعلومات العامة للاطفال في اسلوب مرح غني بالفكاهة ، ومزجت الواقع بالخيال ، فانطلقت الحيوان والجماد في صور جميلة تستوعب الكون والطبيعة والانسان والحيوان . وعملت على تنمية وعي الطفل بالثقافة والقيم النبيلة ، دون وعظ او املاء ، وباسلوب الحكاية والاقصوصة والدراما . كما في قصته « غرفة البنت الصغيرة » حيث تدور احاديث خيالية عن مسائل واقعية في حوار مرح بين الجدران والسقف عن فائدة السقف ، وبين المجلة والقط عن فائدة القراءة . فتسأل المجلة القط : « اليست قراءة الكتب والمجلات افضل من مطاردة الفئران ؟ فتثاءب القط ، وعاد الى النوم خجلا دون ان يتفوه بكلمة . » .

وتصور قصته « لماذا سكت النهر » نهرا يحب التحدث الى الاطفال ويحلق بمياهه الجمال في الطبيعة فيبزغ الورد والزهور والزرع ويداعب القطط بمائه فيلمع فراءها جمالا ، حتى جاء رجل متجهم الوجه يحمل سيفا فاغتصب ومنع الجميع من الانتفاع بمائه الا مقابل

الذهب ، فغضب النهر وسكت عن الكلام . وعبثا حاول الاطفال والزهور والقطط ابعاد الرجل عن موقفه العدواني ، مستخدمين الحيلة والبكاء ، غير ان المعتدي لم يكف عن عدوانه الا بفضل رجال اقوياء يحبون الاطفال والقطط والورود . ومع انهم طردوا الرجل المعتدي الا ان النهر ظل ساكتا خوفا من عودته . فتقول القصة للاطفال بارق الكلمات ، ودون مباشرة او صراخ ، انهم يجب ان يظلوا دائما اقوياء لرد العدوان الذي قد يهاجمهم في اي وقت . فالحياة الجميلة تكفلها قوة الرجال .

وتتنوع قصص مجموعة « لماذا سكت النهر » الاخرى من حب الطبيعة والجمال ، بتقديم عالم الطبيعة الفني بشكل جميل يجمع بين المتعة والفائدة ، الى تقريب الواقع الاجتماعي والسياسي من عقلية الاطفال ، مرورا بـ « تصوير الهموم الاجتماعية ومشكلات الفقر والجوع والاستغلال ، والوعي بقضايا اقتصادية واجتماعية بصورة شاعرية مبسطة وعبر حوار قصير وجميل » وترسيخ حب الجمال وضرورة القوة للدفاع عن الوطن ، وبث قيم الحب والصداقة والفداء والتضامن مع المجموع ورفض الانانية وحب المال . مثل « القنفذ » الذي كان جميلا ثم ادركه القبح ، عندما تخلى عن اصدقائه الارنب والقط والخروف وتركهم يغرقون في الطوفان دون ان يحذرهم من اقترابه : « حياتي وحدها الجديرة بالحب والعناية » . ومثل « نداء » في قصة « رندا تلعب » ، التي ظلت « تقف وحدها محنية الرأس حزينة لان صغيرا لم يجد ما يأكل . » ومثل الحوار الذي دار بين السيف والوردة ، في قصة تحمل اسمها ، عن افضلية الجمال ام القوة ، واحتكامها الى رجل عجوز ، قال بان « الانسان يحتاج الى السيف والوردة معا ، فالسيف يحمي الانسان من الاخطار والوردة تمنح قلب الانسان الفرح . » .

السياسة والنسيج القصصي

وتشكل قصص زكريا تامر الحديثة ، المجموعة في كتابه « قالت الوردة للسنونو » ، ذروة التقدم في ادبه للاطفال . فارتقت القصص الى مستوى عظيم من الفن القصصي المقدم في قالب شعري موجز ومحكم ، يجمع بين العمق والايحاء ، وبين بساطة الصور وقدرتها على الايحاء والتوصيل . وبالرغم من اقترابها من مفهوم التربية والتعليم ، بما تقدمه من قيم ودروس ، الا انها تجنبت تماما كل كلمة مباشرة . ولم يعد زكريا تامر بحاجة الى اسلوب الاعلام والدعاية كما كان يفعل في قصصه السابقة عن القضايا العامة ، بل انه بحرصه الشديد على التركيز والشاعرية لم يترك كلمة سياسية او اجتماعية مباشرة تخدش النسيج القصصي البديع او تعرقل السياق واللغة الشعرية الجميلة .

كما اقترب زكريا تامر كثيرا بحنان من عالم الاطفال ، فبدا وكأنه يكتب بين الاطفال ويتوجه اليهم بحبه وفنه وقصصه الجميلة الموحية . ويبدو لي ان زواج زكريا تامر وحبه لطفله الصغير ، هو المحرك الجديد لهذا النبض الجديد في قصص زكريا تامر للاطفال ، الذي ارتفع بالمستوى الفني لقصص زكريا تامر الى مستوى عال لم تبلغه قصص الاطفال العربية من قبل . لهذا جاءت كل قصة من قصص « قالت الوردة للسنونو » قطعة فنية دقيقة وثرية بما توصله من معارف وما تحركه في الاطفال من حب للادب والفن والفكر ، من خلال عالمهم ، ذلك المزيج البديع من الطبيعة والحيوان والانسان ، وبما تتضمنه من تسلية وتشويق وفكاهة وتهكم ومرح ، وما توميء اليه من قيم ومفاهيم انسانية نبيلة .

ففي قصة « الكسل » يدور حوار بين ثلاثة عصافير على « حافة شباك مفتوح » حيث مها البنت الصغيرة نائمة على السرير ، حول كسل مها واستسلامها للنوم وعدم استيقاظها للذهاب الى المدرسة .. وعندما تعلن العصافير عن عدم حبها لهذه « البنت الكسل » ، تنهض مها وتخبر العصافير بان هذا هو يوم عطلتها المدرسية ولهذا فهي لا تذهب الى المدرسة . فدهشت العصافير ، وخجلت لانها اخطأت ، ولكنها بادرت الى التكفير عن خطئها فغنت لها اجمل ما تحفظ من اغنيات . » وهكذا تشير القصة ببساطة جميلة الى نبذ الكسل وضرورة الاعتذار عن الخطأ وجمال

معطلة المدرسية واهمية الاستيقاظ المبكر والذهاب الى المدرسة .

وتساب المفاهيم القومية حول ضرورة الوحدة عبر احداث قصة « اقوى رجل » وحوارها الرقيق ، التي تصور مجيء رجل قوي غريب الى مدينة ليتحدى ويهدد بمحاربتهم واستعبادهم . ويدور حوار بين اهل المدينة ، الذين يجسدهم القصة في شخصيتي رجل عجوز وشاب . ونادى الاول بالاستسلام للرجل العدو القوي بحجة ضعف اهل المدينة ، بينما يعترف الشاب بهذا الضعف ولكنه يرى في وحدتهم طريقا وحيدا للقضاء على العدو القوي قائلا : « نحن ضعاف الاجسام فعلا . ولكننا اذا اتحدنا نصير جسدا واحدا لا يمكن هزيمته . » ولم يبال الشاب بسخرية العجوز ، فاتحد اهل المدينة وتمكنوا من طرد الرجل القوي من مدينتهم .

وحول نبذ الكذب والتملق ، تدور احداث قصة « الحمار والقط » عن قط كسول يشعر بالعطش ولا يريد ان يتحرك ليروي ظمأه ، بل يريد ركوب الحمار لتوصيله الى النهر . ومن ثم اخذ ينافق الحمار ويمدح صوته ويصفه كذبا بالجمال . غير ان الحمار لم يصدقه ، فتركه يركب على ظهره ثم القى به ارضا . فسأله القط : « لماذا ضربتني ؟ قال الحمار : أنا أكره الكاذبين المتملقين . انت قلت لي ان صوتي جميل . وأنا أعرف من أكون . أنا حمار ولست مغنيا . » وعندئذ اعلن القط كفه عن الكذب والنفاق ، واعتزامه قول الصدق . فكافأه الحمار على صدقه بتوصيله الى ضفة النهر ليشرب ويروي عطشه .

أما ما قالته الوردة للسنونو ، في القصة التي منحت عنوانها للكتاب ، فهو حوار طريف بين الوردة والسنونو حول امكانيات كل منهما المحدودة وفائدتها . فالوردة تسعد الناس بجمالها ولكنها ثابتة وعمرها قصير . كما سخر منها السنونو . كذلك السنونو حر يطير من بلد الى بلد ، لكنه يطير ايضا فلا يعود . فيومىء زكريا تامر بعمق وجمال وحزن الى ان لكل شيء نهاية .

وتقرب قصة « يوم اشترى القط معطفا » صعوبات الحياة اليومية الى الاطفال ، بحكايتها عن قط صغير لم يبال بنصيحة أمه التي دعته الى عدم اللعب في الشوارع تحت المطر حتى لا يمرض . ولكن القط الصغير تحدى أمه زاعما بانه قوي لا يمرض . وعندما مرض القط الصغير رفض أيضا الاستجابة لنصيحة أمه بتناول الدواء لانه مر . فقالت له الام عبارة عميقة المغزى : « هكذا الحياة ياولدي .. ولا بد من يوم تذوق فيه المر . » وهكذا تقول القصة بواقعية وصدق ان الحياة ليست كلها حلوة بل فيها الحلو والمر .

هذه بعض النماذج من قصص زكريا تامر ، الوجه الجديد لادب الاطفال العربي . ■■

القاهرة ـ أحمد محمد عطية

آسف سنيور !

● كان ابسن الكاتب المسرحي النرويجي في زيارة لروما عندما شاهد حشدا من الناس يقف أمام اعلانات ملصقة كبيرة حمراء ۰ وقد ترك ابسن نظارته في غرفته بالفندق ولذلك لم يستطع أن يقرأ ماذا كتب عليها ۰ ومال الى شخص كان يقف بجانبه وقال له : سنيور ، من فضلك أخبرني عن مضمون هذه الاعلانات وأجابه الايطالي وهو يهمس في أذنه : آسف ، سنيور ، لا أعرف كيف أقرأ أيا منها ۰



ما اعقد طبيعة الانسان !

مصارعة الثيران في بلاد الاسبان

بقلم : يوسف الشاروني

هل تصنف مصارعة الثيران باعتبارها فنا ام رياضة ؟ وماذا فيها من الفن او من الرياضة ؟
هذان السؤالان ، حيرا الكاتب المصرى الاستاذ يوسف الشاروني ، عندما زار اسبانيا ، وعاد ليكتب للعرب هذا التقرير .

اثناء زيارتي القصيرة لمدريد في العام الماضي ، كان للصديقين المستعربين الدكتور بدرو مدير جامعة مدريد المستقلة والدكتورة كارمن الاستاذة بتلك الجامعة ، فضل دعوتي لمشاهدة رقص الفلامنجو ، الرقص الشعبي الاسباني ، وهو أقرب ما يكون الى رقصنا الشرقي من حيث الاداء والموسيقى والغناء والتوقيت — حيث ان حفلاته تبدأ من الساعة الحادية عشرة مساء او منتصف الليل وتمتد حتى قبيل الفجر — بل ان ملامح الراقصين والراقصات وبشرتهم الضاربة الى السمرة اقرب الى الملامح الشرقية ، ولا شك أن الراقصين ورقصهم من اثار الوجود العربي في اسبانيا .

اما الذى أتاح لي فرصة مشاهدة حلقة من حلقات مصارعة الثيران فهو الصديق لويس فلسطين . وهو فنان مصرى يعيش في اسبانيا منذ سبعة وعشرين عاما ، كان زميلا لي في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية (لم تكن هناك مرحلة اعدادية) ، ولم أكن قد رأيته ربما منذ افترقنا عقب انتهاء مرحلة الدراسة الثانوية ، ورغم احساسي بأهمية أن أرى مثل هذه المصارعة من باب العلم بالشيء ، وانه من غير المعقول أن أزور اسبانيا دون أن أراها ، لان مصارعة الثيران مثل رقص الفلامنجو هي روح الشعب الاسباني ، اقول انه رغم كل ذلك فانني خرجت منها غير مرتاح بل أقرب الى الاشمئزاز لانني اكتشفت ان الانسان — مصارعا كان أو متفرجا — اكثر توحشا من الوحش ، حقيقة كانما كانت قد غابت عني برغم تاريخ الانسان وحاضره ، وقد نبهني ما شاهدته في مصارعة الثيران بل وصدمني وأيقظني من غفوتي ومن حسن ظني بالانسان . ولعل المرحلة الوحيدة التي اعجبتني هي المرحلة الاولى من المصارعة حين يدخل الثور حلبة المصارعة — وقد اعلنوا



عن وزنه فوق لافتة صغيرة مكتوب عليها ارقام بالطباشير فيما يبدو تجاوز الخمسمائة كيلو جرام – مندفعا بكل قوته فيداوره ويلاعبه المصارعون – وليس مصارعا واحدا كما كنت اعتقد – ببراعة تستحق التقدير ، فتلك هى المرحلة الوحيدة التي يكون فيها الانسان بكل ذكائه امام الثور بكل قوته ، وقد همس صاحبي فى اذنى يشرح لى ان الهدف من هذه المرحلة هو اختبار الثور ومعرفة حركاته ومدى تهوره او حذره ، فالمصارع الذى سينفرد بالثور فى النهاية موجود بين هؤلاء المصارعين . ومع ذلك فحتى فى هذه المرحلة يظهر عدم التكافؤ بين الانسان والوحش ، ليس فى كثرة المصارعين بالنسبة للثور فحسب (يبلغ عددهم ثمانية فيما اذكر) بل حين يلجا هؤلاء المصارعون مذعورين من الثور الى ستائر خشبية موضوعة على حافة الحلبة المستديرة والتي تتوسط مدرجات المتفرجين ، وذلك حين يعجزون عن مواجهة الثور ويحسون ان حياتهم قد اصبحت فى خطر بينما لا يستمتع الثور بحماية مقابلة من خصمه الانسان .

السهام المزركشة

اما فى بقية المراحل فلا يعود ثمة تكافؤ بين الثور ومصارعه ، فالمصارع لا يواجه الثور فى النهاية الا بعد ان يكون مساعدوه قد اثخنوه بالجراح ، والمصيبة ان ذلك يتم بدعوى ايجاد تكافؤ بين حيوان وزنه اكثر من خمسمائة كيلو جرام ومصارع نحيف رشيق القوام – كأنه راقص من راقصى الباليه – لا يزيد وزنه عن ستين كيلو جراما ، كأنما المصارعة تتم بين قوتين جسديتين ، وليس بين قوة جسدية تقابلها قوة اكثر فتكا هى ذكاء الانسان وتفكيره .

فبعد المرحلة الاولى تعلن الموسيقى بدء المرحلة التالية ، بناء على اشارة من حكم المصارعة الجالس فى شرفة مرتفعة ، وفيها يدخل فارسان على حصانين محصنين تماما بما يبطل اى اثر لقرون الثور ، اما الثور فمكشوف لحراب الفارسين . وهكذا يهاجم الثور احد الفارسين وحصانه وينطحهما بقرونه الضخمة بل بكل ثقله وقوته فيكون اقصى ما يستطيعه هو ان يرفع الفارس وحصانه بضعة سنتيمترات عن الارض،بينما حربة الفارس تنغرز فى ظهر الثور

وبجوار سلسلته الفقرية على وجه التحديد ، فيسيل دمه بغزارة بين تصفيق جمهور متعطش لرؤية الدم .

اما المرحلة التالية فربما كان الخطر فيها على الانسان اكثر جدية من المرحلة السابقة ، فبعد اشارة من الحكم وعزف موسيقى قصيرة يدخل فارسو السهام ـ وهى سهام مكسوة بقماش مزركش جميل كانما ستهب الحياة بدلا من ان تفرز الموت ـ وهذه مرحلة اكثر جدية لانها تتلخص فى ان يتمكن اثنان من فارسى السهام من غرز ستة اسهم فى ظهر الثور المسكين . هنا يكون الموقف اكثر تكافؤا بين الثور وخصميه لانهما لا يحتميان على احصنة ضد قرون الثور ، بل يكونان راجلين لا يحميهما الا مهارتهما فى رشق السهمين فى مكانهما المحدد ـ ففى كل مرة لا يرشق الا سهمان ـ وذلك فى اللحظة المناسبة التى لا يجب ان تتقدم ولا ان تتاخر عن لحظتها المحسوبة بالمران والخبرة والمهارة وحسن التصرف وسرعته ، والا اطاحت قرون الثور بخصمه . ومع ذلك فاحيانا ما يطيش احد السهمين او يغرسان فى غير مكانهما المحدد وسط صفير جمهور يعبر عن احتجاجه واستيائه .

الناس والدم

ومن غرائب الامور ان هذا الجمهور الذى ينتشى من منظر الدماء تنزف من حيوان لم تنفعه قوته الحيوانية امام ذكاء الانسان ، يبدو ذات لحظة انه رحيم كل الرحمة ، عطوف كل العطف ، حين خرج الى الحلقة ثور بدا ان باحدى ساقيه الاماميتين عرجا خفيفا ، فهذا ضد قواعد اللعبة ، وكانما هذا هو وحده الذى لا يحقق التكافؤ بين الثور ومصارعيه ، ولعل بائع الثيران قد غش مشتريه ولعله اتفق معهم لان ثور المصارعة يباع باضعاف ثمن الثور العادى . ولكن يبدو ان الجمهور متيقظ ، متعطش لان يرى مباراة حامية بين ذكاء الانسان وقوة الثور ، وهذا لا يتم اذا كان بالثور شبهة عرج ، فتتصاعد صيحات الاستنكار لاعادته .

ولكن كيف يمكن اخراج الثور من حلبة المصارعة ، ومن ذا الذى يجرؤ على تنفيذ ذلك ؟ انه ذكاء الانسان وسعة حيلته . فما يلبث ان تظهر فى الحلبة مجموعة ثيران رفقاء ـ من غير ثيران المصارعة التي تتميز بسوادها ـ ومعها راعيها يهشها امامه بكرباج قصير فى يده لكى تعود من حيث دخلت ومعها ثور المصارعة الاعرج ، غير ان الثور ـ لفرط غباوته ـ لا يدرك ان عاهته قد خلصته من ميتة مؤلمة ، فتدخل الثيران الاخرى ليظل هو واقفا فى الحلبة ـ ويضطر الراعى الى تكرار المحاولة ، وبدلا من ان يتجه الثور مع بقية الثيران الى باب الخروج يتجه فجاة نحو الراعى الذى يفر مذعورا من الحلبة ليحتمى فى اللحظة الاخيرة بساتر من السواتر الخشبية الموضوعة امام السور الخشبى للحلبة المستديرة ، وللمرة الثالثة تظهر الثيران ليعود بها اخيرا الثور الاعرج بعد ان قام بهذا الاستعراض المثير امام متفرجيه ، ولعله اراد ان يكافئهم على اشفاقهم عليه ورحمتهم به وتخليصهم له من عذاب ينتهى به الى موت اكيد . وتساءلت ما مصيره بعد ذلك ، هل يعالج ليشفى ويعاد من جديد الى هنا ليلقى مصيره الذى انقذ منه الآن ؟ كما تساءلت هل كان دخول مثل هذا الثور خطأ حقيقيا ام كان امرا مقصودا من باب التنويع والتغيير ؟

اخيرا : المصارع فى الحلبة

فاذا تم رشق السهام الستة عزفت الموسيقى من جديد لتبدا المرحلة الاخيرة من مراحل المصارعة ، هنا فقط يبرز المصارع بثوبه الذهبى المزركش وهو يبرق عاكسا اشعة الشمس الواهنة ـ وقد اوشكت على المغيب ـ فالمصارعة تبدا فى الخامسة مساء او الرابعة والنصف وتستمر ساعتين ـ ويتميز المصارع بهذه الملابس على مساعديه الذين يرتدون ثيابا فضية اللون ، وكلها ثياب محكمة على اجسامهم تضاعف من نحافتهم ومن خفة حركاتهم ورشاقتها .. يبرز المصارع ليلتقى بالثور وقد اثخنته الجراح وانهكه الجرى والدوران ، وتدور المصارعة على اساس دراسة دقيقة لطباع الثور ، فحاسته البصرية ـ فيما يبدو ـ ضعيفة ، فلا يرى الاجسام الثابتة بوضوح ، بل هو اكثر استجابة للاجسام المتحركة ، وهذا هو اساس المصارعة ، فالمصارع يلوح للثور بعباءته الحمراء فى جانب بينما يقف هو فى جانب آخر ، فيندفع الثور هائجا الى حيث حركة العباءة بينما المصارع واقف فى مكانه مطمئن لا يدور الا دورة قصيرة ليواجه خصمه الذى يضطر

بحكم ضخامة جسمه أن يدور في دائرة أكبر ، ويظل المصارع يداور الثور ويناوره ، كلما كانت المناورة أسرع وأكثر والمصارع الى الثور أقرب — أو بتعبير أدق الى قرون الثور أقرب — اعتبر المصارع في عداد الماهرين المبرزين ، وكان الجمهور أكثر استمتاعا بمشاهدة مصارعة تسبب توترا أكثر لأعصابه ، ويبدو أن هذا هو ما يدفعه الى دفع ثمن التذكرة ، كما يحدث في السيرك وفي حفلات السباق الخطر وفي أفلام الرعب ، انه يتلذذ بتعريض نفسه للتوتر ، لابد أنه توتر صحي ينفس به عما يلقاه من توتر في واقع حياته — وداوني بالتي كانت هي الداء — وأخيرا يبدو على الثور انه قد انهك تماما فيبدو لهاثه واضحا في زفيره وشهيقه ولسانه المدلى من فمه . هنا يبدأ المصارع محاولة جديدة ، هي أن يغرز سيفه بين كتفي الثور لينفذ الى قلبه ، ولا يتم هذا الا بشرط أن يكون الثور في وضع خاص يتيح للمصارع أن يتم محاولته على الوجه الأكمل ، ويتم ذلك باستدراجه لكي ينحني برأسه نحو الأرض تمهيدا للقيام باحدى محاولاته لنطح خصمه ، فيكشف ما بين كتفيه للمصارع ، وفي خفة ورشاقة تخفيان وحشية وعنفا بلا شك ، وفي مزيج من الخوف والشجاعة ، يغرز المصارع سيفه في اللحظة المناسبة وفي المكان المحدد ، وما يلبث الثور على اثر هذه الطعنة النجلاء — كما يقول أسلافنا العرب — أن يترنح ثم تنهار قوائمه الاربعة ، فاذا لم تكن الطعنة قد أصابت منه مقتلا ، فانه يظل يقاوم خصمه ، الذى قد يضطر الى طعنه من جديد حتى يرتمي على الأرض وهو ينزف من فمه وأنفه ، وهنا تربط الجثة في حبل الى جوادين ليسحباه خارج الحلبة بينما يأتي من يرفع الرمال الملوثة بالدماء لاخفاء آثار المصارعة وتهيئة الحلبة لظهور ثور جديد ومصارع جديد .

قال لي صاحبي ان هذه المصارعة تشبه حياة الانسان ، يبدؤها — كما يدخل الثور حلبة المصارعة — قويا نشيطا منطلقا يحسب أن الدنيا له ، ثم ما يلبث أن يجد من يغرز في حياته حربة هنا وسهما هناك ، حتى يثخن بالجراح ، فيقع في النهاية صريعا لأنه لا يرى الخطر الحقيقي بقدر ما يرى أخطارا وهمية يندفع الى القضاء عليها ولا ينتبه الى الخطر الحقيقي الذى يتربص به والذى به تكون نهايته .

دور العرب

وعند خروجنا من الحلبة كانت الشمس قد غابت وثمة مصارعة من لون آخر بين النور والظلمة ، وفي الميدان الفسيح امام مبنى « الارينا » العربي الطراز (يقال أن العرب هم الذين ادخلوا مصارعة الثيران في اسبانيا) تمثال منتصب لرأس آدمي قيل لي انه تمثال احد ابطال المصارعة وضحاياها ، كان من ابرز وامهر ابطالها وفي اللحظة التي وصل فيها الى قمة بطولته كانت هي اللحظة التي فقد فيها حياته ، فعلى اثر دورة بارعة منه مع الثور ، التفت يحيي الجماهير التي جنت بمهارته وشجاعته والقا من نفسه مطمئنا الى وقفته ، لكن يبدو ان حساباته قد خانته او ان ثقته في نفسه كان قد بولغ فيها او ربما هو القدر الذى كان قد غير في تلك اللحظة ما اعتقد صاحبنا انه طبيعة خصمه .. اذ استدار الثور فجأة نحوه وفي لمح البصر شاله بقرنيه أو ربما باحدهما — فلا احد يذكر فقد كانت لحظة كلمح البرق بين قمة الحياة ونشوة المجد وبين سخرية الموت وصمت القبور — ليقع على رأسه فاقدا النطق .. فالحياة . وعند تشييع جنازته حمله اصدقاؤه ومروا بجثته امام المبنى الذى عشقه وطالما امضى فيه اروع لحظات حياته بين جمهور محبيه . اذ ذاك ادركت انه رغم كل ما اتخذه الانسان من حيطة فللعبة ضحاياها ، وان الملايين الذين يدفعون ملايين البيزيتات الاسبانية (يأتي اسبانيا سنويا ستة وثلاثون مليون سائح تكون مشاهدة مصارعة الثيران اول او اهم فقرات برنامجهم) ، انما يدفعونها لا لرؤية الثيران التي تنزف دمها حتى تنهار قوائمها وتخمد انفاسها ، بل لاحتمال وقوع هذه اللحظة التي يخشون وقوعها ، لحظة مصرع المصارع ، أخيهم الانسان. وتساءلت هل لو كانت هذه اللحظة مستحيلة الحدوث ، هل لو كان هذا الميدان خاليا ليس فيه تمثال شهيد لهذه اللعبة الخطرة ليذكرنا بأن ما وقع ما يزال ممكن الوقوع ، هل كانت كل هذه الجماهير تندفع بمثل هذا الاقبال ، وعلى استعداد لدفع كل هذه الاموال . تساؤل لم يكن لي رد عليه سوى : ما أعقد طبيعتنا البشرية ■■

يوسف الشاروني

غرائز النحل في مملكته

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع

مما لا جدال فيه أن معيشة النحل في مملكته وسلوكه الغريزى فى الحياة ونمط تناسله المتميز وانتاجه الطيب المذاق من العسل ، يشير فى الوجدان التأمل والتفكر ويدفع العقل الى التدبر والتمعن فى بديع الله فى صنعه واتساق التنظيم فى خلقه .

من المستحسن قبل الخوض فى غرائز النحل التعرف الى ماهية الغريزة فى الكائن الحى فلقد ثار جدل طويل لم ينقطع اواره حول مفهوم الغريزة ودواعيها فمنهم من قال بأن السلوك الغريزى فى الكائن الحى عبارة عن سلوك نوعى خاص يجب النظر اليه من زاوية التخصص النوعى للجسم ووظائفه الفيزيولوجية . بينما قال داروين بأن الغريزة نتاج للخصائص الوراثية المحددة فى الدماغ . غير أن هذه الفرضيات تتعارض تماما مع وجهة نظر ماكدوجل التى تدعى بأن الغريزة ليست فعاليات انعكاسية . وانما هى فعاليات فجائية وحسب .. وادعى كريج بأن الغريزة تراكم طاقة خاصة فى الجسم تؤمن حدوث التفاعل لدى الحيوان . وتحرير هذه الطاقة يتطلب توجيها ونزعة غريزية تنتهى بحدوث الفعل الغريزى ..

وأما غيرهم فكثيرون ، ممن تناولوا نقاطا أخرى مغايرة لسنا بصددها الآن .. وعلى كل حال فان المحور العام الذى تستند اليه أغلب الفرضيات السابقة فى شرحها لمفهوم الغريزة تتركز حول التأثير التلقائى المحدد من أنسجة الكائن الحى كرد فعل تجاه المهيج أو المثير .

وحرى بنا أن نتروى قليلا قبل أن نتقبل هذه التفسيرات على علاتها ، فلا نمضى سريعا أو مروراً عابرا بمفهوم الغريزة دون الولوج – ولو قليلا – الى أسرار القدرة الالهية الكامنة فى أعماق الكائنات الحية . فهذه القدرة هى التى تستهدى بها الحيوانات فى غرائزها الفطرية . وهى المرشد الرئيسى والأوحد فى السلوك الغريزى لهذه الكائنات غير العاقلة . ونحن هنا فى هذا المجال نتطامن لتعريف الغريزة على أنها عمل فطرى

ينبع من أعماق الخلايا بشكل موروث من الاسلاف الى الانسال وليس للجملة العصبية ولا للدماغ الا تأثير طفيف لا يكاد يذكر على هذا العمل الفطري .

وكل التغيرات الظاهرية والفيزيولوجية الطارئة على الحيوان انما هي أفعال لاحقة على تشوه الغريزة . ومن المنطقي حتما أن التأثير التلقائي المحدد من أنسجة الكائن الحي واحداث رد الفعل تجاه المهيج أو المثير والذي أوردته الفرضيات الموضوعة كلام يستدعي السخف والاستهجان حقا . فهل ان فطر الميسيليوم مثلا هو الذي « أثار » النمل الابيض وهيجه ، مما جعل هذا النمل يحمل الفطر الى حديقته فينميه ويربيه ثم يأكله ، أو كأن المن الموجود على سيقان النباتات قد حرك تأثيرا مهيجا في النمل مما أجبره على حمله الى أعشاشه ثم استثار بطونه حتى يفرز المادة الحلوة ومن ثم يتغذى عليها . بدون شك فان وراء هذه الغرائز وامثالها قدرة هادية مرشدة تتوالى في الاجيال على كر الدهور ومر العصور .

تقسيم طائفة النحل

ان الفئات الاساسية المكونة لجماعة النحل في مملكته هي :

ـ الملكات : وهي الاناث الوحيدة القادرة على انجاب الذرية في مملكة النحل بسبب تطور قناتها البيضية وكفاءتها الاخصابية العالية في وضع البيض . ولذلك تتميز بمؤخرة طويلة . وبامتلاكها لآلة لسع تلسع بها غيرها من الملكات ، وعادة توجد ملكة واحدة فقط في مملكة النحل .. واذا وجدت عدة ملكات فيجري التصارع بينها لاثبات الجدارة والاهلية في حكم المملكة .. وقد تموت الملكات الاخريات أثناء الصراع أو تغادر المملكة مع فئة من جماعتها طريدة لتبحث عن مكان خاص تنشيء فيه مملكتها .

ـ الشغالات أو العاملات : وهي الفئة التي تشكل الغالبية العظمى من أفراد مملكة النحل .. وتمتاز بصغر حجمها وضمور قناتها البيضية ولذا فهي لا تضع بيوضا الا في حالات نادرة جدا ، وكذلك تمتلك سلة لجمع حبوب الطلع وأداة لسع للدفاع عن نفسها وعن مملكتها . وتقوم الشغالات بعبء العمل في المملكة بكافة وجوهه ومجالاته . فنجد :

ـ جنود الحراسة : وهي التي تحرس بوابات المملكة وتدافع عنها ضد المهاجمين الغرباء عن أفراد الطائفة ، وكذلك تفتك بالمتسللين اذا تجرءوا بالتسلل داخل المملكة . وعلى هذا فهي تلسع كل من يقترب من المملكة أو يحاول مهاجمتها .

ـ عاملات التنظيف : وتقوم بتنظيف أرجاء المملكة من الاوساخ وبقايا البيض والعسل المهترىء والقشور والشمع التالف وبراز أفراد الطائفة والقتلى من المهاجمين الغرباء أو الملكات الصريعات ، وبيوض الحشرات ومسببات الامراض المتطفلة على زوايا وأركان المملكة .

ـ الوصيفات : وهي تشكل حلقة من الشغالات تدعى « الوصيفات » يحطن بالملكة احاطة تامة لحمايتها من الاذى وهجوم الغرباء عليها وكذلك لمساعدتها في وضع البيض . ومن مهام الوصيفات أيضا تقديم الغذاء الملكي للملكة وتنظيفها من الاوساخ وازالة آلة التلقيح « السفاد » التابعة للذكر والتي تلتصق بالملكة الفتية بعد قيامها بالطيران الزفافي وحصول التلقيح من قبل الذكر .

ـ الشغالات الخارجيات : وهي فئة من الشغالات تمضي سحابة نهارها طائرة من زهرة الى أخرى بحثا عن رحيق الازهار وحبات الطلع ، وقد تطير مسافات طويلة ضمن دائرة واسعة يصل قطرها الى ما يقارب ٥ كم . وتعود محملة برحيق الازهار في أفواهها وحبات الطلع في سلاتها المحمولة على أرجلها . وتهتدي هذه الشغالات في رحلتها بغريزتها دون أن تخطىء مكان مملكتها او تضل . ولو وقع مثل هذا الخطأ صدفة فان عقابا صارما سيواجهها اذا دخلت مملكة غريبة أو حاولت الدخول ، وقد يكون مصيرها الموت المحتم .

ـ شغالات انضاج العسل : ووظيفتها الاعتناء بالعسل بتهويته وتركيزه بتخفيف الماء منه وبالتالي انضاجه كي يصبح طازجا جاهزا للخزن في أمكنته المخصصة لذلك بعد ختمه بطبقة رقيقة من الشمع .

ويستتبع هذا الامر قيام الشغالات بافراز الشمع من الغدد الموجودة على الحلقات البطنية لبناء القرص الشمعي بتحاريبه السداسية الشكل ..

ـ شغالات الحضنة : وهي عاملات مهمتها العناية بحضنة الطائفة من حيث تقديم الغذاء لها وتغطيتها بطبقة رقيقة من الشمع حين دخولها طور العذراء والتشرنق ، وكذلك ازالة اليرقات الميتة وما الى ذلك .

وقد تتداخل الاعمال المتخصصة السابقة فيا بينها حيث تقوم شغالات بوظيفتين معا في أن واحد .. كأن تجلب الشغالات الخارجية الماء الى المملكة او تشارك شغالات في الهجوم على مملكة أخرى مجاورة بقصد السرقة أو تقوم شغالات بوضع بيوض فتدعى حينئذ بالامهات الكاذبة وغير ذلك .

ـ الذكور : وهي الفئة القليلة في المملكة التي لا تعمل ولا تقوم بأي نشاط سوى ملاحقة الملكة الفتية أثناء طيرانها الزفاف الوحيد في حياتها وتلقيحها من أجل وضع البيض واستمرار النسل . والذكر الاقوى في الطيران هو الذي يلقح الملكة ويموت صريعا في مكان التلقيح بسبب خروج أمعائه مع آلة التلقيح (السفاد) . وبعد عودة الملكة الفتية من زفافها ملقحة يصبح وجود الذكور في المملكة غير مرغوب فيه وتسعى الشغالات للتخلص منها اذا أمكنها ذلك . واذا صدف وخرج ذكر من بوابة المملكة فلا تسمح له الحارسات بالدخول .

غريزة التناسل في النحل

بعد أن استعرضنا فئات طائفة النحل يجدر بنا أن نتعرف على النواحي الاخصابية بكل فئة على حدة .

فالملكة : هي الانثى الوحيدة المخصبة التي تضع البيض والسبب في ذلك تغذيتها المستمرة على الغذاء الملكي الخاص بالملكات فهذا الغذاء غني بفيتامين E الذي يساعد على تطور الجهاز التناسلي ويشجع نضج البيوض وكذا النطاف . وعلى اعتبار أن الملكة تلقح مرة واحدة في حياتها من قبل الذكر لذا فهي تختزن النطاف في محفظة أو حوصلة تقع في مؤخرتها . وتحتفظ هذه النطاف بقدرتها الحيوية على الاخصاب لفترة طويلة قد تصل الى ١,٥ ـ ٢ سنة .

ومن الجدير بالذكر أن الملكة بعد مغادرتها لمملكتها تطير عدة دورات استعراضية من أجل تحديد وجهتها أثناء طيرانها الزفاف وكذا للاهتداء الى مملكتها عند العودة .

والذكر : وهو الفرد الملقح للملكة فيصب النطاف في حوصلتها لحفظ النسل واستمرارية الحياة . وعندما تشعر الذكور برغبة الملكة الفتية للخروج تتبعها على شكل سرب ، فيضل بعض الطريق ، ويسقط آخر من شدة الضعف ، أو يعجز آخر عن اللحاق بالملكة الفتية القوية وهكذا حتى يصل الذكر الاقوى الى الملكة ويلقحها .

والشغالة : وهي أنثى طبيعية من الناحية الصبغية ولكنها غير مخصبة ولا تنتج بيوضا ، بسبب ضمور قناتها البيضية وينشأ هذا عن عدم تغذيتها على الغذاء الملكي . غير أن لهذه القاعدة استثناء الا وهو وقوع ظاهرة الامهات الكاذبة . اذ يحصل أحيانا ـ أن تفتقد الوصيفات ملكتها سواء بالموت المفاجيء نتيجة مرض أو قد تضل الملكة مملكتها فتضيع ، أو قد تشيخ الملكة وتهرم ، وبالتالي تعجز عن وضع البيض أو عندما تضع بيضا لا ينتج سوى ذكور بسبب نفاذ المحفظة المنوية من النطاف . ففي كل الحالات السابقة وغيرها تنشأ نزعة غريزية في الشغالات ضارة ومخربة لحياة المملكة وتهددها بالفناء والانقراض . اذ تقوم شغالات الحضنة وغيرها بالتهام كميات من الغذاء الملكي فيؤدي ذلك الى تطور مبايضها ونضجها فتنشط لوضع البيض ولكن هذا البيض سينتج ذكورا أيضا لان هذه الامهات الكاذبة لم تلقح بنطاف الذكور . وبالتالي ومع مرور الوقت تنقرض الشغالات الهرمة ولا تبقى الا الذكور في المملكة فتفنى الطائفة وتضمحل . ومن الجدير بالتنويه هنا أن انصياع الامهات الكاذبة لغريزتها بوضع البيض دليل على استقلالية الغريزة عن دماغ الحشرات والجملة العصبية فيها . اذ تظن هذه الامهات الكاذبة أن قيامها بوضع البيض يضمن استمرارية النسل وانتاج الذرية . وهذه الظاهرة خطرة على حياة الطائفة ، ويجب ان يعمل المربي على تلافيها بقتل هذه الامهات الكاذبة لان مفعول

الغريزة الضارة سيستمر حتى ولو وجدت ملكة فتية جديدة في المملكة . ويمكن للمربي ان يكتشف الام الكاذبة بسهولة فمؤخرتها منتفخة وبيوت الذكور كثيرة بشكل غير طبيعي .

وتحديد الجنس !

لنتأمل الآن كيفية تحديد الجنس في نسل النحل . فمن المعلوم أن الصيغة الصبغية في خلايا الملكة هي (٣٢) صبغيا . أي أن العدد الصبغي (الكروموزومي) فيها زوجي (2 n) وكذلك تمتلك الشغالة نفس العدد الصبغي (٣٢) أيضا . بينما نجد أن الذكر يمتلك صيغة صبغية أحادية (1 n) أي (١٦) صبغيا فقط .

ومن الجدير بالتنويه أن البويضات التي تضعها الملكة تمر خلال تطورها ونضجها بانقسام منصف للصبغيات يدعى الانقسام الاختزالي أو المنصف ، فتصبح البويضة بموجبه حاملة للعدد الصبغي الاحادي وهو (1 n) . وعلى الرغم من أننا لسنا بصدد شرح ظاهرة الانقسام المنصف الرائعة الآن ، فان من الواجب علينا أن نقف وقفة عجلى نستطلع فيها هذا الانقسام المدهش والذي يدعو الى الاعجاب والعجب في هذه القدرة الالهية الجبارة المتحكمة في التنظيم الرائع البديع للانسال عبر كافة الاجيال والعصور ، بحيث يحفظ العدد الصبغي لكل كائن حي ثابتا دون تضاعف ولا نقصان (الا في الحالات النادرة الشاذة) .

ولننظر مرة أخرى الى هذا الابداع الالهي في تنظيم الخلق وتنوعه . اذ نجد أن الذكور في طائفة النحل والتي تمتلك ـ كما ذكرنا ـ صيغة صبغية أحادية تفرز نطافها جاهزة بعد ان تمر بانقسامات عادية (ميتوزية Mitosis) لاتختزل فيها الصبغيات . وبالتالي يبقى العدد الصبغي في النطفة على حاله أي ١٦ صبغيا . وهذه نقطة مخالفة للقاعدة الحيوية العامة في تكوين النطاف في الكائنات الحية . اذ من الضروري ان تختزل الصبغيات الى النصف في كل من النطفة والبويضة حتى يعود العدد الصبغي الى أصله عند اتحادهما مع بعضهما البعض بعملية الاخصاب . بينما نجد هنا في ذكر النحل لو وقع الانقسام الاختزالي أثناء تكوين نطافه لاصبح العدد الصبغي فيها (٨) واذن لاضطرب النسل ولم تتحقق الاستمرارية والروعة في هذا الكائن الحي .. فلله ما أعظم خلقك وما أروع حكمتك في بدائع صنعك .

أما الشغالات فانها تصنع تخاريب الحضنة من الشمع على هيئة عيون سداسية عميقة نوعا ما وهي على نمطين : عيون سداسية واسعة أو عريضة وقطرها $\frac{1}{4}$ بوصة أو عيون سداسية ضيقة وقطرها $\frac{1}{5}$ بوصة .

فبعد تلقيح الملكة من قبل الذكر تقوم بوضع البيض . فاذا أدلت الملكة مؤخرتها في العين السداسية الضيقة الموجودة في قرص الشمع فان هذه المؤخرة تنضغط بشكل خفيف مما يسمح بتلقيح البيضة النازلة من قناة البيض بالنطاف المخزنة في الحوصلة المنوية للملكة .. وبالتالي تصبح هذه البويضة ملقحة وذات عدد صبغي (2 n) باجتماع العدد الصبغي الاحادي من البويضة بالعدد الصبغي الاحادي من النطفة . ومثل هذه البويضة المخصبة تنتج شغالة عند انتهائها وتطورها ..

أما اذا أنزلت الملكة مؤخرتها في التخروب السداسي الواسع من قرص الشمع فان البيضة النازلة لا تتعرض لضغط وبالتالي لا تمر على الحوصلة المنوية ولا تلقح بنطفة ما فتخرج بويضة غير ملقحة . غير أنها تتابع تطورها وانقساماتها لينتج عنها ذكر طبيعي تماما ذو صيغة صبغية أحادية (1 n) بعملية تدعى التوالد البكري !

والآن لننظر كيف تنشأ ملكة النحل بغريزة رائعة تدعو الى الاعجاب ، وليس لها من تفسير سوى تلك القدرة الالهية الهادية . فعندما تشعر الشغالات بحاجة المملكة الى ملكة فتية ترفع بفكوكها يرقة فاقسة من بيضة ملقحة . أي ذات عدد صبغي (2 n) وموجودة في عين سداسية عريضة . ثم تقوم هذه الشغالات بمط اطراف العين السداسية بشكل مائل وعريض حتى يصبح الحيز واسعا ولا يعيق الحركة اليومية داخل المملكة فتنمو اليرقة براحة وسعة حتى يكتمل لها نموها

وتطورها . ومن البديهي اذن أن تقدم الشغالات لهذه اليرقة الملكية الغذاء الملكي طيلة فترة حضانتها وحتى بعد أن تصبح ملكة كاملة .

صنع العسل

تقوم الشغالات الخارجيات بجمع رحيق الازهار من مصادر شتى في الحقول والبساتين والحدائق وتعود به محملة الى مملكتها فتضع حمولتها في العيون السداسية العريضة ذات الميل البسيط نحو الاعلى حتى لا يسيل العسل منها . وبعد امتلاء هذه التخاريب تقوم بعملية تهوية مستمرة بأجنحتها لتكثيف هذا العسل وتركيزه حتى لا يتخمر وبعد ذلك تختمه بطبقة من الشمع الابيض عادة والخالي من المسام حتى لايمتص هذا العسل المركز والمخزن في التخاريب الماء والرطوبة الجوية . وأما حبوب الطلع فلا تغطى بالشمع وعادة لا تملأ التخاريب بالعسل تماما ويحفظ هذا العسل حتى أشهر الشتاء الطويلة لتأمين الغذاء لكافة أفراد الطائفة جميعا .

وأما الغذاء الملكي فتقوم الشغالات بعجن حبات الطلع الصفراء من رحيق الازهار ، ثم تفرز عليها لعابا خاصا من غدد لعابية متواجدة في البلعوم في رأس الشغالة . وبعد عدة عمليات تهوية ينضج هذا الغذاء ويصبح غذاء ملكيا خاصا بالملكات . ومع هذا فان شغالات الحضنة تقدم كميات قليلة من هذا الغذاء الملكي ليرقات الذكور والشغالات أيضا لمدة ٣ ايام فقط كي يكون نموها طبيعيا وأكثر تحملا ومقاومة للامراض .

وأخيرا فاننا لنعجز عن الاحاطة بكافة غرائز النحل واستكناه أسراره في مقال متواضع كهذا ، لان ذلك يحتاج الى مجلدات كبيرة تبحث في أعماق الحياة الاجتماعية التي يعيشها النحل . ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر بأن العلماء يتفقون على وصف الجملة العصبية والدماغ في الحشرات بالرقي والتطور الكبيرين بحيث يفضل تطور الجملة العصبية في الاسماك والبرمائيات .

وبعد ألا ترى معي عزيزي القارىء الى روعة البناء والهندسة في مملكة النحل وعظمته بهذه الغرائز المتنوعة المتفرسة في أفرادها . ونتطامن للقول بأن مصداق كلامنا هذا ما تورده الايات الكريمة التالية : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس . ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون . » صدق الله العظيم . ■■

جامعة حلب ـ د . محمد مروان السبع

اختيار !

● مضى احد الشبان من سكان الجبال فى مصادقة فتاة، الى أن استوقفه والدها وقال : « مضت سنة تقريبا وأنت تخطب ود نلى ، فما تريد ؟ أشريفة نيتك أم غير شريفة ؟ »

فقال الشاب الدهش : « اتعنى ان لى ان اختار ؟ » •

فنان خالق

● عرضت احدى الصور الفنية على الرئيس لنكولن ليبدى فيها رايه وقيل له انها من صنع فنان حديث فتأملها الرئيس قليلا ثم قال : « استطيع ان اقول بحق ان الفنان الذى صنع هذه الصورة فنان خالق لانه رسم شيئا لاشبيه له فى السماوات ولا فى الارض ولا فى أعماق البحار » •

العرب والتربية والحضارة

دراسة في الفكر التربوي المقارن

للدكتور محمد جواد رضا

تقديم : عبدالرزاق البصير

لو كنت مؤلف هذا الكتاب لضاعفت صفحاته كي تتسع المساحة امامي فاتمكن من تبسيطه ليستطيع اكثر الناس قراءته وفهمه • بل اني في الواقع اتمنى ان يفعل المؤلف ذلك فان ناشئتنا ومثقفينا في حاجة شديدة الى ان يغرس ما جاء في هذا الكتاب من افكار ونظريات في عقولهم ولكن اكثرهم قد لا يقبلون على مثل هذا الكتاب لانهم قد تعودوا على الغذاء الخفيف الذي لا تكاد العقول تنمو به الا نموا خفيفا • بل اني غير مخطيء اذا قلت بأن اكثر ما يقدم الى الناشئة في الساحة الفكرية هذه الايام ليس فيه غناء • فلو سألت أكثر ناشئتنا عن الفرق بين الحضارة والثقافة لما استطاعوا ان يجيبوك بشيء ولو سألتهم عما أطلقه العلماء من تعريفات للحضارة لما استطاعوا أن يجيبوك بشيء ايضا •

وتستطيع ان تقول مثل ذلك عن جهل معظم ناشئتنا باصحاب المذاهب التي تقول بالنزعة الفردية والمذاهب التي تقول بالنزعة الجماعية • وفي عدم اهتمامهم بالفئات التي تصنع التغيرات في المجتمعات البشرية • ولست في حاجة الى توضيح ما لهذه القضايا التي اشرت اليها من اهمية كبرى • اذ انها هي الاسس والقواعد التي ترتكز عليها حياة الامم المتحضرة •

وعلى اي حال فان المؤلف يعالج هذه القضايا الفكرية المهمة بصورة مركزة الى حد يحتاج من يريد ان يستوعبها الى صبر واناة • ولكي يكون هذا الحكم واضحا للقراء فاني اورد بعض فقرات من الكتاب • يقول المؤلف : « ان المجتمع نفسه قام نتيجة للفعالية الخلاقة لرجل ما او لجماعة صغيرة من الرجال استجابة الى تحد جوبهت به الجماعة كلها • حقا ان كل عرف او قاعدة وجدت اصلا في

فعالية فردية وان المجموع الكلي للقواعد والاعراف وهو ما يوافق « توينبي » على تسميته بـ « كعكة التقاليد » ٠

ويقول المؤلف ايضا : «اما الانثروبولوجيون الذين اشترطوا وجود تقويم معياري ، او معايير تقويمية لامكانية الحكم على ثقافة ما بالتحضر فقد كانوا مترددين في استعمال المعايير الاخلاقية لهذا الغرض وحبذوا بدلا عن ذلك استعمال معايير يكون القياس بها ممكنا وفقا لنمط معين من انماط الكفاية الداخلية » ٠

خمسة مذاهب

فانت ترى في هذه الفقرات انها مركزة تحتاج الى تبسيط للفرد العادي والى اثبات صحتها او خطئها ولما كانت التربية عنصرا اساسيا من عناصر الحضارة اذ ان الحضارة لم تصل الى ماوصلت اليه الا نتيجة للتربية والتعليم ٠ لذلك نرى المؤلف يورد خمسة مذاهب للتربية هي: انها وسيلة من وسائل الهيمنة الاجتماعية والمذهب الثاني يقول : بانها اداة المجتمع في تحقيق الوفاق الاجتماعي اما المذهب الثالث فانه يرى بانها اداة لتجنب الفرد نتائج الارتطام بالوضع الاجتماعي القائم ٠ وهذا يعني بان التربية تحاول ان تجعل الفرد منسجما مع مجتمعه ٠

ويقول المذهب الرابع بان التربية دمج ثقافي اى عملية تكييف واع او غير واع تتحقق من خلال العملية التعليمية بحيث يكتسب الانسان طفلا كان ام راشدا الكفاية الاجتماعية داخل ثقافته ٠

أما المذهب الخامس فهو مذهب النفسانيين الاجتماعيين وعلماء النفس المعنيين بنمو الطفل الذين يرون في التربية عملية « تطبيع اجتماعي » حيث ترمز كلمة التطبيع الى تلك العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد كيف يتكيف الى جماعته عن طريق اكتساب السلوك الاجتماعي الذي ترضى عنه تلك الجماعة ٠

وانت حين تتامل في هذه المذاهب الخمسة تجد الاختلاف بينها ضئيلا حتى ليخيل الى أن المذهب الاول هو المنبع الذي اخذت عنه بقية المذاهب الاربعة اراءها وافكارها فعبرت عن ذلك بصور مختلفة ٠ وكنت اتمنى على المؤلف لو انه لاحظ بان تشكيل الانسان يتم بعد ان يبلغ العشرين اذ انه يكون قد تكيف مع مجتمعه فاذا كان من سائر الناس فانه يجاري مجتمعه اما اذا كان من المتفوقين فانه يتامل في مجتمعه بتعمق فاذا ما رأى بعض عاداته غير متلائمة مع العقل والمنطق سعى الى احداث ما يراه من تغيير لذلك نجد طلاب الجامعة يشاركون في تغيير مجتمعاتهم فلا ينساقون معها ولسنا في حاجة الى توضيح ما يقوم به طلاب الجامعة من اناث وذكور من نشاط في كثير من الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية فان ذلك معروف لدى الجميع ٠ على ان المؤلف قد نبه الى ضعف الاختلاف في المذاهب التربوية التي اشرنا اليها فيما سبق ٠ ولقد احسن المؤلف صنعا عندما بحث في تاريخ الصين اذ كان بحثه لتاريخ هذه الامة العريقة والتي تكاد تبلغ ثلث العالم من حيث العدد ومن حيث التاثير الفكري ٠ فان جميع المثقفين يعرفون ما لكونفوشيوس من مكانة فكرية في دنيا الفلسفة والاخلاق ٠ فانت واجد في التجربة التي مرت بها الصين كل الوان التجارب التي مرت بها سائر أمم العالم من تحكم الذين يرون في انفسهم أنهم أعلى من سائر الناس ٠ كما تجد النزاع بين المذاهب الفلسفية والاقتصادية والاخلاقية ولم يشأ المؤلف ان يكون بحثه في تاريخ الصين بحثا مطولا لئلا يجلب الملل الى القراء فان تاريخ حضارة هذه الامة موغل في القدم بالاضافة الى أن أسماء الصينيين معقدة يصعب على القارىء نطقها واستساغة الفاظها كذلك الحال في احداث تاريخهم فانها قد تكون ثقيلة على نفوس الكثيرين ماعدا اولئك الباحثين الذين تعودت نفوسهم على وعورة طرق البحث ٠ وكل ماقصده المؤلف هو ان يعطي القارىء العربي ملامح تربوية عن هذه الامة وقد فعل مثل ذلك حين تحدث عن الحضارة الهيلينية ٠ فاوجز تاريخها مبسطا قدر المستطاع مراحل الفكر والحضارة كما قارن بين اتجاه الفكر ومسيرته عند الصينيين والاغريق ٠

بين الصين واليونان

وكمثال على ذلك نورد هذه الفقرة من تلك

المقارنة لتتضح للقارى دقة المؤلف وعمقه في دراسة تاريخ هاتين الامتين : يقول المؤلف (على ان المقارنة بين النظامين الاجتماعيين الصيني والاغريقي لايمكن ان تؤخذ على اطلاقها والا كانت مضللة ، فاذا كان الملك الصيني قد ظل حتى النهاية رمزا لقوةعلوية غامضةيستمد منها سلطانه وبأسه ، فان ملك حكومة المدينة الاغريقي سرعان ما فقد قواه السياسية لطبقة النبلاء الذين فقدوها بدورهم للشعب . واذا كان الشعب في الصين القديمة ظل بعيدا او مبعدا عن المشاركة في السلطة السياسية فان الشعب الاغريقي سرعان ما اصبح هو مصدر تلك السلطة وممارسها الفعلي . واذا كان الصيني القديم يتطلع الى الغيب التماسا للاجوبة على اسئلة العقل والضمير فان الغيب لم يمارس مثل ذلك النفوذ على عقل الاغريقي القديم) .

ولما كان اثر الامة اليونانية واسعا عظيما في الناحية العقلية والتربوية فان المؤلف رأى ان يقف عندها طويلا ذاكرا ما لسقراط وافلاطون وغيرهما من الفلاسفة المشهورين من اراء في التربية والفلسفة وما احدثوا من تغيير في التفكير الانساني ، الى درجة جعلت الرومان ينسخون تلك الاراء والافكار وينشرونها بين افراد شعوبهم باللغة اليونانية بحيث اصبح على المثقف الروماني ان يلم باللغة اليونانية ولكن الرومان لم يكونوا نسخةكاملة لليونان فانلكل امة مزاجها وطبيعتها وتكوينها فنحن نجد الرومان قد عنوا عناية شديدة بالخطابة وكان شيشرون وكونتليان هما الرائدين لهذا النهج حتى ان بعض مؤرخي التربية حاول ان يوجز سيرة الفكر التربوي في الحضارة الهيلينية فقال انها تمثل الانتقال المطرد من ثقافة النبيل المحارب الى ثقافة الكاتب ، ولقد كان ذلك قدرا مقدورا لحضارة مشت الطريق الطويل من الحرية الى الاستبداد .

وبالجملة فان قارىء هذا الفصل يقف على سيرة الحياة التربوية عدة قرون .

عندما جاء الاسلام

ومن الواضح ان التاريخ يحدثنا بان الحضارة الانسانية بقيت راكدة مدة طويلة حتى جاء الاسلام بنظرته الشاملة الى الكون والى طبيعة الانسان (ففاتحة القرآن توجه اهتمام المؤمنين الى حقيقة ان الله تعالى هو رب العالمين وليس رب قوم باعيانهم) . ويمضي المؤلف في رواية بعض الايات القرآنية الكريمة التي تؤكد هذه النزعة العميقة لطبيعة الانسانوالكونوفي ابرازها انشاء الاسلامهن اخلاق عالية التي لا يمكن للانسان ان يكون انسانا الا بالتخلق بها . ولقد كانت هذه النزعة من اهم العناصر في نشر الاسلام بصورة سريعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ . كما كانت سببا في تجانس اراء كثير من علماء التربية فيالاسلام يمثلهم الغزالي وابن جماعة ونصير الدين الطوسي ومجمل هذه الاراء ان لفظة العلم مقصورة على ما يتعلق بالدين من فقه واصول وتفسير للقرآن وما الى ذلك من هذا المفهوم . اما بقية العلوم كالحساب والهندسة فان مرتبتها اقل من ذلك بكثير عند هذه الجماعة من علماء المسلمين وتفرع عن ذلك : ان التعطش الى التسامي الروحي دفع بالفكر التربوي الاسلامي الى احتقار الدنيا وما يشتق منها من المنافع واللذات المباحة ومن الحرف والاعمال هذه التي يعتمد عليها قدر غير يسير من صلاح العيش الانساني وتتعلق بها سعادة الانسان وامنه على هذه الارض ، حتى لم يتحرج بعض كبار المربين المسلمين من وصم الاعمال اليدوية وهي مصدر الانتاج في المعاش الصناعي بنعوت قاسية .

وهناك تيار آخر منفتح على الفكر الاغريقي يمثل هذا التيار اخوان الصفا في الرسائل وابن مسكويه في « تهذيب الاخلاق » وآخرون غير ان اخوان الصفا هم الذين حملوا لواءه وتكلموا باسمه ومن هنا استحقوا اهتماما خاصا من المؤلف فنجده وقف وقفة طويلة عند رسائل هذه الجماعة فاورد منها نصوصا تكاد ترسم صورة متكاملة لفلسفتهم مما استغرق عدةصفحات منهذا الكتاب.

ومجمل رأي المؤلف في هذا التيار المنفتح انه يرى بان حاجاتالانسان متنوعة ومتعددة وأنالعلوم يجب أن تتعدد بتعدد هذه الحاجات ، ولهذا فنحن ملزمون بتحقيق درجة عالية من الموازنة بين هذه الحاجات . وان حاجات الانسان وظروفه المادية لا تقل اهمية عن حاجاته الروحانية وهي لهذا تحتفي

بالعلوم التي تخدم تلك الحاجات والظروف حفاوة بالغة •

اول مدرسة اكاديمية

واذا ما اردنا ان نتعرف على اسلوب التعليم عند المربين الاسلاميين فانه يتبين لنا بانهم يعتقدون بان من الافضل للطالب ان لا يتلقى علوما متنوعة لئلا يتشتت ذهنه فلا يتقن شيئا منها فكانهم يبالغون في التخصص ، وقد أورد المؤلف فقرات طويلة متعددة عن جملة من العلماء توضح هذا النهج ، ثم انهم يفرقون بين التربية والتعليم فهم يرون ان التربية اوسع من التعليم اذ انها تبدأ من الطفولة وعلى المعلم ان يكرر درسه اكثر من مرة ثم يسال الطالب عما اذا كان استوعب ما القى اليه • وبالجملة فان المربين الاسلاميين يعنون بالاخلاق بمقدار عنايتهم بالعلوم•

وقد بقي اسلوب التربية على هذا الحال مدة طويلة الى مابعد تاسيس المدرسة النظامية التي يعدها بعض المؤرخين اول مدرسة اكاديمية في الاسلام. اي انها كانت اول مدرسة تعنى بالحاجات المادية والعقلية والروحية لطلابها على حد سواء ثم اصبحت المثال الذي احتذى في تأسيس معاهد التعليم العالي الاخرى • وكنت اتمنى لو كان المؤلف اكثر وضوحا في تفصيل المناهج المقررة في تلك المدرسة المهمة لانها تعتبر اول معهد علمي كما سبقت الاشارة اليه • ويمضي المؤلف في الحديث عن هذه المدرسة الى حين اندماجها في المدرسة المستنصرية سنة ١٣٩٧ •

بعد ذلك ياخذ المؤلف قارئه الى رحلة تاريخية اخرى الى الغرب مبتدئا في الحديث عن الرأسمالية باحثا عن اصل هذا المصطلح في اللاتينية والانكليزية دارسا ما يعنيه هذا المصطلح في عالم الاقتصاد مفصلا في ذلك تفصيلا فيه كثير من الايضاح •

درس من فرنسا

وبعد ان ينتهي من ذلك ينوه المؤلف الى توجه ارباب الصناعة والتجارة بالاضافة الى الحكومات في اوربا وامريكا الى ماتحدثه التربية من اثر عظيم في النفوس • كما يحدثنا عن أن فرنسا كانت من اكثر الامم الغربية التفاتا الى اهمية التربية ، فهي لا تكاد تحل بها مصيبة حتى تبادر الى أسباب تلك المصيبة وتنتهي في جميع الاحوال الى ان التربية قبل وقوع الاحداث لم تكن على ما يرام فلا بد من اعادة النظر في مناهجها لكي تتجنب الامة مثل تلك الكوارث وهذه فيما أعتقد نظرية صحيحة نتمنى ان تاخذ بها الامة العربية فاننا لو فعلنا مثل ما فعل الفرنسيون في مناهج تربيتنا حينما تحل بنا الخطوب لتغيرت حالنا عما نحن عليه • وما اكثر الخطوب التي حلت بنا ولكنني لا اعرف اننا درسنا اسباب مصائبنا وخطوبنا دراسة شاملة تتقصى فيها أسباب هذا التخلف والضعف الذي جعلنا لقمة سائغة لاعدائنا المغتصبين ، ولعلنا لو عرفنا الاسباب لما حاولنا علاجها بصورة عملية على صعيد الواقع ولكي يجعل المؤلف قارئه يتصور مسيرة التربية تصورا متكاملا فانه بحث التربية في الدول الاشتراكية ولقد فعل في هذا الفصل مثلما فعله في الفصل الذي تحدث فيه عن التربية في الدول الراسمالية وبدأ بحثه بنشوء مصطلح الاشتراكية فقال : اننا لا نعرف متى نحت اصطلاح الاشتراكية في الاعصر الحديثة فهناك من يذهب الى ان بيير ليرو وهو من جماعة سان سيمون استعمل الكلمة اول مرة عام ١٨٣١ في مجلته Globe التي كان يصدرها لصالح تلك الجماعة • على حين يذهب آخرون الى ان الاصطلاح استعمل اول مرة عام ١٨٢٧ •

ومضى المؤلف يستعرض هذا الاتجاه الاشتراكي من الناحية التاريخية اذ كانت ملامحه موجودة في جمهورية افلاطون وبعض فلاسفة الاغريق متدرجا الى حين قيام دولة الاتحاد السوفيتي بصورة مفصلة بعض الشيء وتناول بعد ذلك الجانب التربوي في هذه الدولة التي تعد ١٦٩ مجموعة عرقية ومجمل الصورة التربوية عندهم انهم قد اهتموا بالناحية العملية اهتماما ربما كان اكثر من اهتمام الدول الراسمالية بهذه الناحية • الى جانب التعليم الالزامي لجميع الافراد ومرتكزون في تربيتهم على ان يغرسوا في عقول ابنائهم العقيدة الشيوعية • وقد فصل المؤلف في سلم مراحل التعليم عندهم كما أشار الى ما حدث من

اعادة النظر في برامج التعليم لما حصل من متاعب بالنسبة للطلاب والمعلمين .

(ولقد نتج عن هذا كله تقدم واضح في السوية العقلية والعلمية لمن يتم دراسته الثانوية حتى لقد لاحظ احد كبار المربين الامريكان في اواخر الستينات ان خريج المرحلة الالزامية الروسي يعادل في معرفته العلمية خريج احسن الثانويات الامريكية علما بانه لم يحصل الا على عشر سنوات من التعليم على حين أن قرينه الامريكي ينال اثنتي عشرة سنة من التعليم ، وان قليلا من الصفوة الامريكية يمكن ان يعادلوا الصفوة الروسية عقليا . وليس يرجع هذا الى الانضباط فقط وانما مرجعه ايضا حقيقة ان مجموع الساعات الدراسية التي ياخذها التلميذ الروسي في عشر سنوات يفوق عددساعات زميله الامريكي في اثنتي عشرة سنة) .

غير ان هذا المجهود اثر على صحة الطلاب تاثيرا دفع الاطباء الى توجيه رسالة مفتوحة الى الرأى العام الروسى محذرة من الواجبات الثقيلة وغير المعقولة الملقاة على كاهل طلاب المدارس وقد اعاد الروس النظر في مناهجهم فجعلوها مناهج يمكن لطلابهم استيعابها من غير ان يلقوا منها الاهتمام بالناحية العملية.وبالجملة فان مناهجنا التربوية لا يمكن ان تؤدى غرضها المطلوب الا اذا اعدنا النظر فيها وجعلناها عقلانية عملية بحيث لا ترى العمل اهانة للمتفوقين منا ولا تتردد في محاكمة اية مادة من مواد مناهجنا التربوية وهنا يورد المؤلف اراء لاكابر علماء التربية والفلسفة كالدكتور « متى عقراوى » والاستاذ نور الدين حاطوم والدكتور شاكر مصطفى والدكتور زكي نجيب محمود وكلهم مجمعون على اننا مازلنا نتكيء على الماضي دون ان نستلهم منه ما يلائم عصرنا ولا مناص لنا اذا اردنا ان ننتسب الى عصرنا انتسابا حقيقيا الا اذا جعلنا الانسان احد الموضوعات الرئيسية التي تتعامل معها مناهجنا وكتبنا المدرسية . هذا وقد وقف المؤلف على كثير من اراء المفكرين المستنيرين من الاقدمين كابن مسكويه واخوان الصفا ، واوضح ان لهؤلاء اراء مشابهة لآراء اكبر المفكرين المعاصرين وهي كلها تدعو الى العقلانية واشاعة العدل الاجتماعي والعناية بالانسان بحيث لا يكون آلة تردد ما يلقى اليه من الدروس وانما يصبح قادرا على البحث والعطاء .

■■

عبدالرزاق البصير

تجربة ناجحة !

● اشترى صاحب شركة كبيرة عددا من اللوحات التى كتبت عليها عبارة :« افعله الان » . وقام بتعليق هذه اللوحات في اماكن بارزة حول مكتبه أملا أن يكون ذلك حافزا لموظفيه على بذل مزيد من الجهد والنشاط . وبعد عدة أيام سأله صديق له عن جدوى خطته الجديدة ومدى تأثيرها فى الموظفين .

فأجاب رجل الاعمال قائلا : حسنا ولكن ليس بالطريقة التى اعتقدتها . فقد اختفى أمين الصندوق مع مبلغ خمسة عشر ألف جنيه استرليني ، وفر كاتب الحسابات مع سكرتيرتى الخاصة وطلب ثلاثة كتبة زيادة فى الراتب .

القلق

بقلم : الدكتور عبدالرؤوف ثابت ★

قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ❊
قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى ❊
سورة طه ـ الآيتان ٤٥/٤٦

خاف (قلق) موسى من عاقبة مقابلته لفرعون ومع ذلك نجح فى مهمته بفضل ايمانه وشجاعته ومساندة هارون

القلق ظاهرة عامة فى حياتنا ، كما هى فى عيادات الاطباء • وهو ـ كظاهرة ـ لا تعنى الاطباء وحدهم ، بل وجميع المشتغلين بالعلوم الانسانية ومنهم رجال الدين • تذهب البعض فى تفسير القلق على انه « الغرم الذى يتكلفه المرء ثمنا لارادته الحرة » •

والقلق فى مفهومنا الطبى مدلول له اكثر من جانب ، فهو ظاهرة طبيعية ومشكلة احيانا ومرض احيانا اخرى• ويمكن ان نعرفه على الوجه التالى :

اولا : القلق انفعال غير محبب الى النفس او محتمل ، ولو اننا كثيرا ما نتطلبه ونحتاجه اذ يثيرونه البعض فى نفوسهم عندما يتبارون على رياضة خطرة ، يتساوى فى ذلك اللاعبون والنظارة الذين يذهبون للاستمتاع بمشاهدة اللعب • وكلنا يعرف وقع الاثارة فى نفوسنا عند مشاهدة «فيلم» مشوق أو المسلسلات التلفزيونية ـ بعد نشرة الاخبار ـ او سماع الحواديت المخيفة عند الاطفال•

ثانيا : القلق انفعال لاحق ، اى متعلق بما سيحدث مستقبلا • على عكس الانفعالات (الماضية) مثل الندم والشعور بالذنب •

ثالثا : للقلق مسميات متشابهة مترادفة مثل الضيق ، الاضطراب ، الكرب ، الغم ، الغشية ، الجزع ، الذعر الى غيرها من « لغة » الانفعالات•

اخذ الاطباء كلمة القلق عن اللاتينية ومعناها (ضيق واضطراب) •

والخوف والقلق وكلاهما انفعال، مرتبطان باحساس الانسان بالخطر او التهديد بوقوعه • والخوف انفعال « حاضر » اى يتعلق بالواقع والان • حيثما يتبين الخائف مصدر الخطر وهو يخاف ، تبعا لنوع أو شدة الخطر • وقد يكون الخطر فى حالة القلق حقيقيا او وهما • فاذا كان القلق من أشياء واقعية ، كالقلق من الامتحانات ونتائجها ، فانه عادة يزيد كثيرا ولا يتناسب مع نوع ومصدر الخطر • وعلى اختلاف مدلوليهما فان الفرق

★ اخصائى الطب النفسى بجامعة الرياض



والقلق لهما نفس الاعراض النفسية والعضوية (الجسمية) ٠

أعراض الخوف والقلق

من المعروف ان الانفعالات تظهر على الوجه ، ولهذا فالوجه من اكثر الدلالات على وجود الخوف او القلق ٠ أما بقية الاعراض فهي :

ضيق في الصدر ، سرعة وصعوبة التنفس ، جفاف الحلق مع شعور بالاختناق ، سرعة وشدة ضربات القلب (الخفقان) ، شعور بالوهن أو الضعف او دوخة ٠ وعند اشتداد الخوف او القلق (نوبة الفزع) يظهر اضطراب المرء « يرتعد او يرتجف » ، وقد يجرى بعيدا (يهرب) او يثبت في مكانه او يتشبث بمن حوله أو يصرخ٠ويتصبب العرق البارد وقد يحدث تقيؤ أو تبول لا ارادى ٠ وكل أم اصيب طفلها « بفزع ليلى » Nightmare تعرف الاعراض الاخيرة جيدا ٠ والفرق بين « الكابوس » والفزع الليلى ان الطفل في حالة الكابوس يفيق من نومه تماما ثم يعاود النوم بعد ان يطمئن ويهدأ ٠ أما في حالة الفزع الليلى فانه لا يفيق من نومه ويتشبث بمن حوله ، وفي النهاية يعاوده هدوؤه وهو مازال نائما٠ والكابوس ظاهرة غير حميدة ولا ضرر منها أما الفزع الليلى فهو انعكاس لتعاسة الطفل الذى يجب عرضه على الطبيب النفسى ٠

ويمكننا قياس الخوف أو القلق بواسطة الاجهزة ٠ وبواسطتها نجد أن الدم يتحول من الجلد الى العضلات (شعوب البشرة أو الوجه) وتتقلص العضلات وتضيق الشرايين ٠ وكل طالب طب يعرف أن « ضيق الاوعية الدموية + تقلص العضلات + سرعة وشدة ضربات القلب = ارتفاع ضغط الدم » ٠

في بعض حالات القلق يبدى المريض اعراضا عضوية (جسمية) ولا يشكو من الاعراض النفسية ٠ فيشكو من اضطراب التنفس أو القلب او الامعاء او المعدة دون أن يدرى انه قلق٠ويعتقد انه مصاب بمرض في الرئة او المعدة أو القلب وكثير من المرضى يشكون من ضعف الجهد او الدوخة ، وعند قياس ضغطهم يكون مرتفعا ٠ ولا يعطى الطبيب في هذه الحالات علاجا للضغط الدموى قبل التأكد من خلو المريض من القلق ٠ وعادة ما يطلب من المريض أن يمر عليه بعد ثلاثة اشهر مثلا دون أن يخبره بارتفاع ضغطه ، وفي الغالب يصف له دواء ملطفا ٠ وغالبا ما يرسل الاطباء مثل هذه الحالات الى الطبيب النفسى ٠

القلق والخوف لازمان لحياتنا ٠ لا يخلو منهما انسان في أى وقت من الاوقات ، وكأنهما خيوط في نسيج حياتنا اليومية ٠ وهما من اهم الحوافز التى دفعتنا للتصدى أو الهرب Fight & Flight تجاه الخطر عندما كنا على الفطرة ٠ وهما اللذان يتحكمان الى درجة كبيرة في أدائنا المتحضر ٠ لذلك ، ولا يحتاج الامر الى الامثلة ، نجدهما في كل مكان ، في البيت او الشارع أو العمل ، هذا قلق من الامتحانات أو نتيجتها ، وهناك قلق على التجارة او الصحة أو الموت (الواقع « سكرات الموت»)٠والعلاقة بينهما وبين الاداء علاقة متوازية ومطردة ، كلما زاد القلق او الخوف زاد الاداء وحسن ، الى درجة ما ، بعدها يقل الاداء ويضعف حتى يتوقف ٠ ولو انعدم الخوف او القلق لما وجد « الدافع » ٠ يقول النفسيون (كل يختار لقلقه) بما معناه ان كل انسان يقلق بقدر ما يدفعه عمله الى القلق ، (ولا على القارئ من هذه النظرية المبهمة) ٠ أو بمعنى آخر ، نحن نحدد درجة قلقنا ونبقيه على مستوى معين حتى ننتهى مما نعمل ٠ مثال بسيط لهذا ، عند قيادتنا للسيارة ، ننتبه (نقلق) حسب ما يتراءى لنا وتبعا لدواع كثيرة منها الوقت وأهمية المقصد وثقتنا في السيارة وسلامة الطريق ٠٠ الخ ويبقى مستوى قلقنا ثابتا ولا يتأثر بحركة المرور مثلا

وكم سمعنا هذه العبارة لا داعي للقلق فكل شيء يسير على ما يرام اي كما يتوقع •

(الانسان « القلق »)

وعندما نصف انسانا بانه «قلق» نعني بذلك ان القلق من مقومات شخصيته وذوو الطبيعة القلقة لا يشكون عادة من قلقهم وان كانوا اكثراستعدادا للاصابة بنوبات من القلق الحاد • والانسان القلق يتعلم من خبرته في الحياة كيف يتفادى المؤثرات المقلقة وبهذا يمكنه انيحفظ عليه هدوءه النسبي• وكلنا يعرف اناسا كثيري العمل والانتاج بمـــا يدفعهم الى ذلك قلقهم • وهؤلاء قد يجر عليهم اجتهادهم) المشاكل احيانا (وكم جنى على المرء اجتهاده) • ويمكننا قياس الاستعداد القــلقي بواسطة الاختبارات النفسية التي تساعدنا على دقة التشخيص النفسي ومنها على سبيل المثال اختبار « ايزنك » Eysenck وكل عيادة نفسية لها اختباراتها الخاصة بها •

ويمكننا الى حد كبير دفع القلق عنا اومداراته بواسطة العمليات التوافقية اللاشعورية Coping Meebauism التي تعمل فينا لا شعوريا • مثل التجاهل او الانكار او أن «غيرنا » هو السبب في خطئنا او تقصيرنا ، او التبرير او التظاهر او التكبر أو حتى الغطرسة •

وهناك عوامل اخرى تقلل او تبعد القلق عنا مثل مقدار نضوجنا وايماننا واتقاننا لعملنــا ومهنتنا ومساندة الغير لنا واستقرارنا •

ويبلغ القلق حد المرض عندما يشكـو المريض من انه « قلق اكثر مما يطيق ويحتمل » ويقـول انه كان هادئا وسعيدا قبل ذلك • لم يشكو من الاعراض التي ذكرناها سلفا او بعضها • وبعض المرضى كما قلنا يشكون من الاعراض العضـوية دون ان يذكروا اعراضهم النفسية • وحتى هؤلاء يظهر عليهم القلق في وجوههم • ويحدث القلق المرضى في نوبات او ازمات تقل وتزداد مع الوقت• والقلقون بطبعهم يشكون من انهم اصبحوا « اكثر قلقا »• والفرق بين اعراض القلق العادي والمرضى هو في شدته فقط • لذلك يطلب المريض العون مـن صديـــق او مـن الطبيب والمؤثـــرات الاجتماعية التي تظهـــر القـــلق هي عادة مشاكل الزواج او الاطفال او العمل • لان القلق يظهر غالبا بعد الازمات او الانذار بوقوعها • وتعرف الازمة او الشدة Stress على انها اي تغيير او اختلاف في سير حياة الانسان المعتاد •

فوق الكباري والناطحات

مرض القلق الخاص او المحدد هو ما يتعـلق بمؤثر معين • وبسببه يعمل المريض على تحاشي هذا المؤثر ما وسعه ذلك الى درجة أن الفـزع يتملكه اذا لم يستطع تلافي المؤثر• وهذه المؤثرات هي : الاماكن المرتفعة مثل الكباري او المبـاني الشاهقة ذات الشرفات، والاماكن الفسيحة كالميادين والساحات ، والاماكن المغلقة والضيقة كالمصاعد والغرف الصغيرة ، والاماكن المزدحمة مثل المتاجر والـدوبقات او الحافلات • او رؤية حيوانات معينة او الحشرات •

في هذه الحالات يبدو المريض طبيعيا (لولا أن كثيرا من هؤلاء المرضى « قلقون » بطبعهم) ما دام بعيدا عن المؤثر • مثال لذلك السيدة التي تلزم بيتها لانها تفزع مننزول الدرج او زيارة المتاجر• وهذه لا تبدو عليها علتهـا ما دامت باقيـة في بيتها ، تقضى لها حاجاتها وتزار نادرا ولا تزور احدا أو ترد الزيارة • وقد ينتهي بها الحال الى شبه عزلة •

اما القلق العام فلا يرتبط بمؤثر معين ويصفه المريض على انه « قلق من لا شيء » •

وبما ان القلق عاطفة ، لذلك فهو كثـيرا ما يظهر في امراض نفسية اخرى مثل مرض الاكتئاب والشك التسلطي والفصام والصرع • وهو ظاهرة واضحة في مرض العتر العضـوي مثل حـالات الحميات والتسمم والاورام الخبيثة وغيرها وما تدعى بالامراض المتاخرة او النهائية • ويكـون القلق واضحا في حالات الجوتر التسممي (نشاط الغدة الدرقية) وانخفاض نسبة السكر في الدم ـ بلا سبب او نتيجة تناول جُرعة كبيرة من عقار الانسولين من مرضى السكر ، وكذلك يظهر القلق في مرض « منيير » Meniere الذي يصيب جهاز الاتزان في الاذن الوسطى •

ونسبة مرضى القلق بين السويين (العاديين) دن المجتمع من ٢ الى ٥ في المائة ، ونسبته في

المرضى النفسيين من ٦ الى ١٢ في المائة • ويتساوى النساء والرجال في اصابتهم به • والقلق من الامراض « العائلية » ، بسبب العامل الاسرى ، ولا دخل للوراثة فيه • اذ المشاهد أن يبذر الاب او الام بذور القلق في الاولاد بطرق شتى• ويكثر القلق بين الاقليات في المجتمع والتي تحافظ على عادات وتقاليد بيئتها الاصلية • وقد تتعدد الاصابة بالقلق (وكانه وباء) في التجمعات الخاصة كالمدارس والمعسكرات ، اذ تصاب عدة تلميذات ، في وقت واحد ، بسرعة او صعوبة التنفس (التنهيد) •

والاكتئاب والقلق كلاهما من الامراض النفسية الكثيرة الحدوث•ومنهما كثيرا ما يكون عرضا واضحا في المرض الاساسي ، سواء كان هذا المرض قلقا او اكتئابا • وكلاهما يحد كثيرا من الاداء والانتاج والمشاركة في الانشطة الاجتماعية • وقد يصعب احيانا حتى على الطبيب المختص التفرقة بينهما • ولكن ، اذا تذكرنا تفاعلات الوجه ، القلق او الحزن ، وعرفنا عن طبيعة المريض القلقة او التي تميل الى الاكتئاب ، وكذلك من التاريخ الاسرى ـ الاكتئاب مرض وراثى في الغالب ـ وبحثنا عن الظروف المصاحبة للمرض ، لساعدنا ذلك كثيرا على التفرقة بين المرضين • وما اثرت موضوع القلق والاكتئاب الا لان علاجيهما مختلفان وما يتبع ذلك من اضرار بالمريض •

علاج القلق

ان حالات القلق العادى لا تحتاج اطلاقا الى العلاج بالعقاقير بل الى التبصير والمساندة والفهم والتشجيع • وكثيرا ما يحمل العائلة الينا قلقهم قبيل او اثناء الاختبارات•مثل الطلبة في ذلك كمثل كل انسان يعيش الحياة بحلوها ومرها • هذا من ناحية . اما عن الناحية الاخرى وهي العلاج بالعقاقير فانني لا اعتقد ان احدا يجهل عن حبوب « الفاليم » ومشتقاتها • وهو علاج ناجح ومفيد في مرض القلق العام والمحدد • وكثير من المرضى وخاصة القلقين بطبيعتهم يتعاطون الفاليم كما يتعاطى غيرهم الدخان (السجائر) او الشاى او القهوة • وعند ذهاب مريض القلق الى الطبيب فان الاخير يصف له في معظم الاحيان حبوب الفاليم ٢ او ٥ او حتى ١٠ مليجرام ثلاث مرات في اليوم ـ ويعرفها المرضى بالوانها الابيض والاصفر والازرق على التوالى (اريد الحبوب الصفراء يادكتور ـ لو سمحتم •) •

وكانما كل امرىء يتطبب بشيء او اخر ، والاعتراف بواقع الفاليم يعتبر شجاعة ـ ولا اقول قلقا ـ في عالم مزقت اعصابه المدنية والوهم • ومع كل ، يجب استشارة الطبيب النفسي • لان العلاج « الحقيقى » للقلق هو العلاج النفسي في مختلف أنواعه ، لانه علاج القلق والشخصية التى تحمل القلق•او بمعنى اخر ، هو علاج ووقاية غالبا ما يكونان دائمين ـ وليس الفاليم او سواه• ويوجد دواء اخر حديث ولكنه لم يبلغ شهرة ولا انتشار الفاليم واعنى مركبات « البتابلوكرز » وهي معروفة للاطباء دون العامة والحمد لله • وفائدته انه يتحكم في خفقان القلب وارتفاع ضغط الدم وهذه الاعراض العضوية اذا زالت سكن القلق بعض الشيء حينما تنقطع « الحلقة المفرغة » التى يبدؤها القلق فيزيد من الاعراض العضوية وهذه تزيد من القلق وخاصة على الصحة، وهكذا• ولكن هذه المركبات ، على خطورتها لم تفد المرضى كثيرا ولهذا لم تحصل على شعبية نفسية تذكر • وثمة علاج نفسى وطريف مع ذلك ، واعنى به العلاج « بالاسترخاء » وهو من العلاجات السلوكية يتعلم فيه المريض كيف يسترخي عضليا وفكريا ليزيل عنه التوتر ، على اعتقاد بان زوال التوتر العضلى يزيل القلق (نظرية الدائرة المفرغة) ومن ذلك اتت فكرة وشهرة علاجات كـ « اليوجا » وغيرها وما يعرف عنه عند الغربيين بـ « علاجات الشرق » •

بعض مرضى القلق الحاد المزمن لفترة طويلة مما اتعسهم واتعس ذويهم ولم يستفيدوا من العلاجات المختلفة وخاصة اذا تضاعف مرضهم بامرض نفسية اخرى كالاكتئاب او غيره•يستفيدون غالبا بعد اجراء عملية جراحية (بسيطة في حد ذاتها من حيث انها عملية جراحية) في الفص المقدم من المخ Leucotomy ولكنى انصحهم أن يستشيروا اكثر من طبيب خبير في هذا النوع من العلاج قبل ان يتخذوا قرارا في ذلك • ■■

الرياض ـ د • عبدالروف ثابت

تصالح الخصوم واصطلحوا أو صَالحوا

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ ذكرنا فى الصفحة السابقة (العدد ٢٤٨) أن الفعل اذا كان على وزن « تفاعل » فانه قد يحدث من واحد ، مثل : «تفاءل الطالب بالنجاح» و « تباعد عن السوء » و « تثاقل فى المشى » أو يحدث من اكثر مثل : « تصالح المتخاصمان » ، «وتوافق المتخالفان» ، ومثل : «تزاور المتجاورون» « تفاهم المتفاوضون » • ثم ذكرنا المعانى التى يدل عليها الفعل زنة « تفاعل » سواء حدث من واحد أو من أكثر ، وأخرنا الكلام فى الافعال التى ترادفه ، أو يرادفها الى صفحة أخرى ، ونوفى هنا بما وعدنا من هذا هناك •

١ ـ يرادفه (معنى) احيانا ما كان على وزن « افتعل » مثل « ابتعدت عن السوء » و «انتهيت من عملى ، وامتثلت للشفاء » ، فهذه ترادف قولنا « تباعدت عن السوء » و « تناهى عملى » و « تماثلت للشفاء » وكل هذه الافعال تحدث من واحد •

ومثل « استبق العداءان النهاية » و « اعتنق الصديقان » و « اجتلد الجنود » و « اضطربت الامواج » فهذه ترادف « تسابق العداءان » ، و « تعانق الصديقان » ، وتجالد الجنود » ، و « تضاربت الامواج » ، وكل هذه الافعال من اثنين أو اكثر •

ومن الكلمات النادرة وزن الكلمة القرآنية « يخصّمون » واصلها يختصمون (باسكان التاء وادغامها فى الصاد) وهى ترادف (يتخاصمُون) •

ويلاحظ أن وزن افتعل لا يرادف وزن تفاعل على اطراد فى كل فعل ومن ذلك مثلا « تنازلت عن حقى، وتباطأت فى عملى، وتجاوبت العصافير، وتساقط الفراش » ، فنحن لا نستطيع أن نصوغ من جذور هذه الافعال ما هو على وزن « افتعل » •

وقد يأتى فعل على وزن افتعل من جذر على وزن تفاعل فلا يكون مرادفا له ، لاختلافهما معنى، مثل «تعادى الرجلان» من العَدو (الجرى) او من العداوة فاذا قلنا « اعتدى الطالبان » ، كان الفعل هنا من العدوان •

---

١ ـ لا يبدأ العرب كلمة بحرف ساكن (على خلاف كثير هم غيرهم) ويجلبون حينئذ قبله همزة للتوصل الى نطقه ولهذا تسمى «همزة الوصل» وهذا مثلاما يحدث فى « ال » ـ اداة التعريف غالبا ـ مثل « الكتاب » وفى افعال الامر من الثلاثى «اكتب»وفى الماضى والامر والمصدر من مزيده الخماسى والسداسى « افتقر ، استغفر » •

٢ ــ المرادف الثاني احيانا ما كان على وزن «اِتْفَاعَلَ» (بسكون التاء ، وقبلها همزة وصل) ، وهذا الوزن هو الشائع ، بل يكاد يكون مطردا في لهجاتنا الدارجة ، ولكن يبدو كانه مهجور في الفصيحة فاذا رجعنا الى افعال وردت في القرآن الكريم وغيره من شواهد الفصيحة مثل « اثاقل » و « اداراك » و «اداراْ » وجدنا علماءنا يقولون ان اصول هذه الافعال الثلاثة هي « تثاقل » ، « وتدارك » ، «وتداراْ» (تدافع) وحين نريد وزن هذه الافعال وامثالها نجد انها على وزن « اتْفاعل » وفق القواعد الصرفية التعليمية .

اذن هناك افعال في الفصيحة على هذا الوزن كالامثلة السابقة ، وقد قلبت التاء الساكنة كالحرف الملتصقة به بعدها ، وادغمت فيه ، وهذه الظاهرة الصوتية اى تأثر الحروف المتجاورة بعضها ببعض وابدالها بغيرها ــ شائعة في لغات كثيرة ، والغربيون المحدثون من علماء الصوتيات Phonetics يسمونها « التماثل Assimilation ويسميها سيبويه وابن جني « المضارعة » وهي تفيد المعنى نفسه لغويا واصطلاحيا ، فاذا بلغ « التماثل » غايته بين الصوتين في النطق امتزجا صوتا واحدا مشددا ، وهذا ما يسميه الغربيون « التماثل المزجي Coalescent assimilation ويسميه علماؤنا « الادغام » فاذا كان الحرف الثاني من الحرفين هو المؤثر في الاول فاننا نسمي التأثير « تأخريا » كما في « اتدارك » فان التاء الساكنةهنا قلبتدالا كالدالبعدها فادغمتا وصارتا دالا مشددة ، فتنطق « اداراك » (وربما كان الوزنان نطقين لاصل واحد) .

ولكن ما هي الحروف التي اذا ولي احدها التاء الساكنة قلبها حرفا مثله ؟

لقد تتبعنا هذه الحروف وتذوقناها ، فوجدناها اثني عشر ، تكون هكذا في الماضي والمضارع والامر دائما .

١ ــ التاء ، مثل « تتابع » تصبح « اُتْتَابَع » لم تدغم التاء فيما بعدها فتصبح حرفا مشددا هكذا « اَتَّابع الطلاب ، ويتابعون ، واَتَّابعوا يا طلاب » .

٢ ــ الثاء ، مثل « اَثَّاقل ، واَثَّاءب » .

٣ ــ الدال ، مثل « اَدَّاركوا الخطأ » .

٤ ــ الذال ، مثل « اَذَّاكروا دروسهم » .

٥ ــ الزاى ، مثل « اَزَّاحموا على الماء » .

٦ ــ السين ، مثل : اَسَّاءلوا عن الخبر .

٧ ــ الشين ، مثل : اَشَّاغلوا باللعب .

٨ ــ الصاد ، مثل : اَصَّافح الصديقان .

٩ ــ الضاد ، مثل : اَضَّاربت الامواج .

١٠ ــ الطاء ، مثل اَطَّاير الورق .

١١ ــ الظاء ، مثل : اَظَّالم الاعداء .

وكل هذه الحروف شمسية وهناك حرف قمرى واحد هو :

١٢ ــ الجيم ، مثل : اَجَّادلوا في الموضوع .

(والجيم صوت شديد التذبذب بين الشمسية والقمرية) .

وفي اللهجات الدارجة يتحول «تَفاعل» الفصيح الى « اِتْفاعل » دائما ، مع الادغام في هذه الحروف السابقة ودون ادغام (اى باظهار التاء) في غيرها ، وهذا دليل على ان وزن « اتفاعل » عريق في العربية ، وان بدا كالمهجور في الفصيحة (٤) .

■■

---

٢ ــ علم «الصوتيات» هو أعم اقسام علم «التجويد»وهو من علوم العربية ، ولا يختص بالقرآن منه الا مسائل قليلة .

٣ ــ بعض علماء القراءات يدغمون تاء التأنيث الساكنة (آخر الفعل) في أول حرف من الكلمة التالية لها ــ او يظهرونها ــ اذا كان الحرف أحدالحروف الستة الآتية : الثاء ، والجيم ، والزاى ، والسين ، والصاد ، والظاء ، مثل « كذبت ثمود » و «نضجت جلودهم» و « كلما خبت زدناهم سعيرا» و « أنبتت سبع سنابل » و « حصرت صدورهم » و « كانت ظالمة » .

٤ ــ يشبه « اتفاعل » في هذه الظاهرة الصوتية وزن آخر هو « اتْفعّل » ــ بتشديد العين ــ وله أيضا شواهد في الفصيحة بعضها قرآني مثل اصدق واطهر وهذا الوزن كانه مهجور في الفصيحة وهو شائع في اللهجات الدارجة .

كلمات فارسية نستخدمها كل يوم!

بقلم : الدكتور محمد التونجى

استاذ اللغة الفارسية بجامعة حلب

كثيرة هي الكلمات الفارسية التى نستخدمها فى حياتنا اليومية ، وتقترن بالاشخاص اقترانها بالاشياء • لكن الاعتياد عليها انسانا الاصل ، والمعنى بالتالي • وفى المقال يكشف لنا الدكتور محمد التونجي استاذ الاب الفارسى فى جامعة حلب ، جانبا من هذه الكلمات فارسية الاصل •

■ اذا رزق الله اسرة وليدا تحلق افرادها فى اجتماع عائلى ، واخذوا يبحثون عن اسم مناسب له او لها • وقد تطول هذه الاجتماعات ، كما قد تتعدد ، ولكن صبغة السرور تظل طافية علىجميع الافراد ، حتى يستقر الراى على اسم مناسب ذوقا او موسيقية •

ومثل هذا الامر كان يحدث منذ اقدم العصور• والعرب كانوا فى الجاهلية يبحثون كذلك عناسم مناسب للون الوليد او شكله • كتسميتهم العبد الاسود عنترة (ومعناه : الذبابة او الازرق منها)، ومى للطفلة الصغيرة ومعناها القردة الصغيرة•• وكانت بعض الاسر تسمى ذكورها باسماء انثوية، واناثها باسماء ذكرية • وقصدهم من هذا الاجراء التمويه عنى العدو اذا ما فاجاهم باغارة كاسحة•

وكانوا ينتقوناسماء يغلب عليها اسماء الحيوانات مثل : كلب ، غزال ، جحش •• الى ان جاء رسول الله (ص) فغير من اسماء المؤمنين ، كما حض المسلمين على انتقاء اسمـــاء لاولادهم •

وكان العرب يغرفون من محيـط لغتهم اسماء عرفت قبلهم ، او يركبونها بانفسهم • ومعغنى اللغة العربية فان بعض العرب كانوا احيانـــا يعكفون على اللغات المجاورة ينهلون منها اسماء يرون فيها طلاوة وفى استخدامها علوية •

وبطبيعة الحال فان اللغة الفارسيةكانت اسخى اللغات الاخرى رحابة صدر فى اعارة الاسماء لما بين اللغتين من تمازج واسع على مدى العصور، بالاضافة الى التركية والعربية بشتى فروعهما • ومن اطرف نتائج الاتصالات العربية الفارسية

تسرب أسماء عربية الى قلوب الاسر الايرانية ، وهي بلا شك ، كثيرة جدا تفوق أسماء الفرس انفسهم • دفعهم الى التسمي بها حبهم للدين ولآل البيت وللعربية • وكذلك تسربت أسماء فارسية الى اللغة العربية ، فتسمى بها أشخاص، وتكنى آخرون •

هذا التبادل في الاسماء استرعى انتباهي منذ سنوات،فشرعت اجمع الاسماء والكنى ذات الاصل الفارسي ، مما هو وارد في عربيتنا ، ولا سيما ماجرت عليه الالسن في عصرنا الحاضر •• وهذا هو محور مقالتي •

والذي دفع العرب الى التسمي والتكني بما هو فارسي الاصل اسباب عديدة ، نجمل اهمهـــا فيما يلي :

١ ـ كان التمازج العربي الفارسي حاصلا منذ الجاهلية تاريخا واجتماعا ، وقد امتدت آثار هذا التمازج حتى عصرنا الحاضر •

٢ ـ حكمت الخلافة العثمانية اغلب أجزاء الوطن العربي خمسة قرون • وكان الأتـــراك انفسهم يستخدمون الفارسية في لغتهم ، وينهلون منها الفاظا واسماء والقابا ومراتب • وكـــان التأثر بين هاتين الأمتين واسعا جدا ، لدرجة أن الفارسية عدت لغة البلاط العثماني ردحا مـــن الزمان •

فأثر الحكم العثماني في العالم العربي ، من نواح شتى ، بما في ذلك الأسماء • فقد حرصت بعض الأسر على التسمي بأسماء تركية ، والتكني بكنى ذات مظهر تركي • وهي في الحق فارسية، انتقلت الينا عنهم • كما أثر الحكم التركـــي بكيفية نطق بعض الأسماء العربية تبعا لمخارج حروفهم من حناجرهم • فهم يلفظون الواو كما يلفظ الأوربيون الحرف (٧) •

ولذلك لفظوا الاسم (مروة) العربي (مرفت) • ولم يعرفوا التاء المربوطة في لغتهم فحولوها الى تاء مبسوطة كقولهم : عزت ، حكمت ، جودت ، وهي في الأصل ذات تاء مربوطة ، وهكذا يجب أن تكتب (أعني بالتاء المربوطة) •

٣ ـ حكم المماليك بلاد الشام ومصر طويلا • وكان اغلب المماليك من الأتراك العثمانيين ، والأتراك الأذربايجانيين ، والأتراك المغول ، ومن الفرس • فكان أن احتفظ هؤلاء بأسمائهم،ونقلوها الى أبناء أهل البلاد بدافع التحبب أو التقرب •

٤ ـ غلبت الفارسية على الرتب العسكرية والادارية والحرف اليدوية فيتلك العهود المذكورة آنفا • وكان العرب يمتحون بعضها أحيانا، فتكنوا بها أو أنهم يحترفون حرفا يحرصون على تسميتها بحسب لغة الحاكم •

٥ ـ حرص الأسر العربية المعاصرة على اختيار الأسماء ذات الايقاع الموسيقي ، واللغة الفارسية تتحلى بهذه الصفة التي تجذب المرء الى تسمية ابنه أو ابنته •

وما سأذكره في عرضي هذا عبارة عن أسماء لأعلام ، وكنى لأسر ، مستبعدا أسماء الأماكن لبحث آخر•وقد عنيت بذكر معاني الأسماء والكنى حسما لتساؤلات العديد من المثقفين عن أصول هذه الكلمات ، ومعانيها •

من أسماء الاعلام

آرام : الهادىء والرزين •

آزاد : الحر والطليق •

ارجمند : صاحب القدر والقيمة مركبة مـــن (ارج) بمعنى القيمة ومن (مند) علامة اسم الفاعل ، وانقرا الكنية •

افشين : لقب وليس اسما عند الفرس ، وهو لقب ملوك بلاد اسروشنة •

بختيار : صاحب الحظ • مركبة من (بخت) أي حظ ، ومن (يار) بمعنى صاحب •

بهرام : نجم المريخ

بهنام : صاحب الاسم الحسن ، وهو مركب مـــن (به) بمعنى حسن ومن (نام) بمعنى الاسم •

بوران : البرد الشديد ، يرافقه مطر غزير أو ثلج •

ويروين : كوكب الثريا •

تاج : فارسية بهلوية • معناها قبعة الملـــوك المرصعة بالجواهر •

توران : اسم ملك معروف هو ابن افريدون ، منسوب الى منطقة تور •

جان : روح ، نفس • وهي غير (جـــان) العربية • اطلق هذا الاسم على الأسر ذات الاصل الفارسي التي هاجرت الى بلاد الشام •

جاويد : الدائم والخالد •

جلنار ومعناها زهرة الرمان،أصلها (كلنار)،

مركبة من (كل) بمعنى الـزهرة ، ومن (انار) بمعنى الرمان •

جوان : فتى ، شاب •

جهان : دنيا ، العالم • وتلفظ عندهم جيهان وكيهان •

خاتون : المرأة صاحبة الكلمة في البيت • وهو لقب تركي مغولي بمعنى سيدة المنزل • (والكلمة كانت شائعة في منطقة الخليج العربي بوجـه خاص) •

خانم : لقب تركي مغولي ، ما زال الفرس يستخدمونه لقبا للسيدة وللآنسة على السواء •

خورشيد : الشمس •

دانش : العِلم ، وهي اسم مصدر •

رستم : اسم أكبر بطل في ايران فـي العهد الأسطوري وهو من قواد الملك كيكاوس ، ومقامه يشبه مقام عنترة عندنا • ونطقه الصحيح بفتح التاء •

روشن : مشع ، مضيء •

زرياب : أي ماء الذهب • مركبة من (زر) بمعنى الذهب ، ومن (آب) بمعنى ماء •

سالار : قائد الجيش ، أو كبير القافلة ،وافضل القوم ، ورئيس الحرس •

سوزان : الابرة ، أو المحرقة ، أو المحترقة •

سوسن : الزهـر المعروف • ويلفظ عندهم : شوشن وشوشنه •

شاهناز : ملكة الدلال • مركبة من (شاه) بمعنى الملك ومن (ناز) بمعنى الدلال ويلفظونها (شهناز) كذلك •

شاهين : من الطيور الجارحة التي تربى للصيد شبيهة بالعقاب • ويلفظونها (شهين) كذلك •

شهرزاد : بنت البلد • مركبة مـن (شهر) بمعنى البلد ، ومن (زاد) بمعنى ابن او ابنة • ومن كلمة (زاد) كثرت أسماء العائلات التي تختم بكلمة (زاده) ولا تعني اكثر من ابن ،مثل اسرة : باقي زاده •

شهريار : صاحب البلد والأمير • مركبة من (شهر) بمعنى البلد ومن (يار) بمعنى صاحب•

شيركوه : مركبة من (شير) بمعنى الأسـد ومن (كوه) بمعنى الجبل • فصار المعنى : الأسـد الضخم •

الضحاك : أصل الكلمة (ازدهاك) أي الثعبان ذو الرؤوس المتعددة • ومنه جاء لقب الملـك الفارسي الضحاك الذي نبت ثعبانان على كتفيه

غنجه : برعم الوردة أو الزهرة •

فرزان : أحد أحجار الشطرنج بمنزلة الوزير ويقال للوزير كذلك (فرزان) • أصل نطقها عند الفرس (فرزين) •

فرهود : لها ثلاثة معان : الأول هو الممتلىء الوجه والثانيهو صبيح الوجه ، والثالث الأديب الفاضل • وهي غير (فرهود) العربية مضمومة الفاء •

فروزان : اللامع • المشع •

فيروز : المنتصر • النادر • وبالهاء (فيروزه) من الأحجار الكريمة • والهاء لدى التعريب حولت الى جيم فقالوا (فيروزج) ، ويكون لونه أزرق بصفاء السماء •

قابوس : معربة عن (كاووس) • معناه الرجل جميل الوجه ، الحسن اللون • مركبة من (كاو) بمعنى حسن ومن (وس) أداة تشبيه •

كافور : مادة عطرية مجمدة مستحوبة من شجر صيني وياباني وسومطري • لونه أبيض •

گلبهار : زهر الربيع مركبة من (گل) بمعنى زهرة ومن (بهار) بمعنى الربيع •

كلقدان : الاسم مركب من كلمتين ، من (كل) بمعنى الزهرة وهي فارسية ومن (قدان) بمعنى نصب الشجر الجديد وهي تركية • فصار المعنى : الزهرة المنصوبة حديثا •

كيوان : نجم زحل •

كيتي : الدنيا •

مهتاب : نطقه الفارسي (مهتاب) بسـكون الهاء ، معناه نور القمر • مركب من (ماه) بمعنى القمر ومن (تاب) بمعنى نور •

مهيار : صاحب القمر • مركبة من (ماه) بمعنى القمر ومن (يار) بمعنى صاحب ••

ميسون : اسم للغلام حسن الوجه والقد ونستخدمه نحن للمؤنث • مركب من (مى) بمعنى الخمرة ومن (سون) بمعنى مثل ، فصار المعنى : مثل الخمرة •

نازك : الظريف واللطيف • نطقها الاصلي عندهم بضم الزاى •

نازى : أصلها (ناز) بمعنى الدلال واللطف• والياء للنسبة فصارت : ذو اللطف والدلال •

ناهيد : نجم الزهرة والتيتدعى مطربة الفلك• وتلفظ : نهيد وأناهيد •

نريمان : البطل الشجاع • عندهم اسم للغلام يؤدي معنى القوة ، وعندنا اسم للمؤنث •
نهال : الشجيرة حديثة النمو ، أو غصن شجرة او خشبة يستخدمها الصياد لصيده • أو صيده •
نورهان : هدية المسافر •
نيازي : أصلها (نياز) •الحاجة والرغبة وهدية الدراويش ، والنذر • والياء للنسبة •
هزار : البلبل أو نوع من البلابل • العدد الف •
هويدا : الواضح والظاهر •
ياسمين : الزهرة المعروفة • وتلفظ عندهم كذلك : ياسَمَن •

وأسماء الاسر

اعتذر مسبقا عن كشف معاني الاسماء ، مع العلم بان الغالب عليها الجودة والحسن وستلاحظ ان بعضها فارسي صرف ، وبعضها مركب من الفارسية والتركية ، أو العربية مع الفارسية • كما ستلاحظ ان أغلبها القاب اميرية وحرف ، والقليل منها أوصاف :

الآغا : تطلق عندنا على سادات الأكراد وعلى أصحاب الأملاك الزراعية • وهي لفظة تركية مغولية•كتبها الأتراك بالقاف وكذلك يستخدمونها ولكن أغلب الفرس يلفظون القاف غينا والغين قافا • فقد سئل أحد أهل مازندران : لماذا تلفظون القاف غينا والغين قافا فاجاب : « استقفر الله ، من يقول هذا » • وهو لقب شرف في زمان العثمانيين ، ثم تدنى معناها حتى أطلقوها فيما بعد على الذي يجهل القراءة والكتابة ، بشكل ترادف كلمة (أمي) •
ارجمند : المحترم والعزيز،وذو الرتبة العالية، والأصيل ، والعالم •
التونجي : تركية مغولية • مركبة من (آلتون) بمعنى الذهب ومن (جي) نسبة تركية حديثة للحرفة•وهي حرفة معروفة أشبه بحرف الصياغ•
بابجي : اصل نطقها (بالباء والجيم الفارسيتين) اي الحذاء صانع البوابيج • مركبة من (پا) بمعنى القدم ومن (پوش) بمعنى لباس ومن (جي) علامة النسبة التركية •
باتنجكي : صحتها بالدال : بادنجكي • مركبة من (باد) بمعنى الريح والهواء ومن (آهنگ) ترد بمعنى صاحب ، فالمعنى : صاحب الهواء أو معبر الهواء • ويكون عادة بابا صغيرا يستفاد منه صيفا يدعوه الفرس (باد آهنگ) • والبادنجكي الذي يصنع هذه الأبواب •
باريجي : صانع البارود • مركبة من (بارود) ومن (جي) •
بازارباشي : معناها شيخ السوق • فارسيتها (بازار) بمعنى السوق و (باشي) الرئيس •
بازركان : السوقي • مركبة من (بازار) ومن (كان) نسبة مكانية •
باشا : مساعد الملك • مركبة من (پا) بمعنى القدم ومن (شاه) بمعنى الملك ، فصار المعنى الحقيقي : رجل الملك بكسر الراء •
بصمجي : الطباع او صانع نوع من الحلوى على الضغط• و (بصمه) نوع من الحلوى،و (جي) النسبة التركية •
بليد : غير ذكي أو نجس وتلفظ باؤها باء فارسية •
بيبي : تركية شرقية أو هندية • وهو لقب لسيدة المنزل أو الهانم ، وكذلك لقب للجدة •
بيرق دار : (بيرق) كلمة تركية بمعنى الراية ، مضافة اليها اللاحقة الفارسية (دار) بمعنى صاحب • فصارت : حامل الراية أو صاحبها ، وهي رتبة عسكرية عالية •
البيك : رسول السلطان على رجاله ، وهو الذي يسعى بالكتب على قدميه• في الاصل (پيك) بالباء الفارسية ، ثم عربت الى (فيج) ، واستخدموها بمعنى الشرطي • دخلت السريانية بلفظة Paiga •
التبان : مركبة من (تن) بمعنى الجسم ومن (بان) بمعنى الحارس • فالمعنى : حارس الجسم • وهي السراويل القصيرة التي يلبسها المصارعون والملاحون والسباحون •
جوخدار : (جوخا) كلمة فارسية افستائية بمعنى القماش السميك او اشبه بالبسة الرهبان، و (دار) بمعنى صاحب • فالمعنى صاحب القماش• وهي رتبة بلاطية في الحكم العثماني يهتم صاحبها بالاشراف على البسة الأمير •
خان : لقب تركي مغولي يطلق على الملوك والأمراء • واليوم هو لقب يرادف السيد في بلدنا •
خديوي : أصلها (خديو) وهو الملك ، وبه لقب عزيز مصر • وهي كلمة بهلوية بمعنى الملك

والأمير •

خزنة دار : مركبة من (خزنة) العربية ومن (دار) بمعنى صاحب • فالمعنى صاحب الخزينة • اى امين الصندوق • وخزينة فارسية الأصل معربة عن (كزينة) •

خوجا : وتلفظها كذلك (خواجا) ، وأهل دمشق يلفظونها ـ خَجا ـ والصحيح أنالواو التي بعدها الف لا تلفظ عندهم لانها وقعت بين الخاء والالف فلفظها الاصلي (خاجَه) •

دادا : كلمة تركية شرقية بمعنى الاخ ، ثم صارت بمعنى المربية بعد ان حولنا الالف الاخيرة الى واو فقلنا : دادو •

داية : ولفظها بالبهلوية Dayak اى المرضع والقابلة •

درويش : معناها الفقير والمسكين والواقف بالباب • مركبة من (در) بمعنى الباب ، و (ويش) بمعنى امام • ثم انتقلت الى المعنى المجازى هو من اختار الفقر والقناعة في ارضاء الله •

دَهمان : يذكر ادّى شير انه لقب يشبه الأمير ورتبة دون الملك • غير انني لم اعثر على اللفظة في الكتب الفارسية •

الرَّهوان : هو البرذون ، و (رهوان) معربة عن (رهوار) • مركبة من (راه) بمعنى الطريق و (وار) بمعنى صالح • والمعنى : البرذون الصالح للطريق والمسافات •

سِباهي : (سپاه) عسكر والياء للنسبة فصارت بمعنى العسكرى • و (سپاهي) رتبة عسكرية اذ حين عجزت الحكومة العثمانية عن دفع مرتبات الجيش اقطعتهم بعض الاراضي يستفيدون منها شريطة أن يلبوا طلب الحرب فورا • ولهذا تحول معناها الأصلي الى مالك القرية •

سَرخوش : السكران والمنتشي • مركبة من (سر) بمعنى الراس و (خوش) بمعنى السعيد •

سَردار : مؤلفة من (سر) بمعنى الرأس و (دار) بمعنى المالك ، اى مالك الرأس وهي رتبة عسكرية تعنى القائد او امر الجيش • ولعلها مركبة من (سر) العربية ومن (دار) فصار المعنى كاتم السر او صاحب السر •

سلاحدار : سلاح كلمة عربية و (دار) بمعنى الصاحب والمالك أي صاحب السلاح وحامله • وهي رتبة عسكرية عالية •

شَبارق : فارسيتها بضم الشين وأصل الكلمة (پيشباره) ومعناها نوع من الحلوى الرقيقة اللذيذة• وكذلك نوع من المقبلات • وحولنا الهاء الى قاف واطلقناها على قطع اللحم المطبوخة •

شهبندر : وتلفظها احيانا (شابندر) والأصل ـ شاهبندر ـ • وهي مركبة من (شاه) ومن (بندر) بمعنى الميناء • فصار المعنى ملك تجار الميناء• ثم صارت شيخ التجار في الساحل والداخل• ولذلك تسمت بعض الأسر بـ (شاهبندر التجار) • ولعل كلمة ـ شاه ـ هنا محرفة عن (شيخ) ، فيكون المعنى : شيخ التجار •

عَلمدار : حامل العلم وصاحبه • وهي رتبة عسكرية • والكلمة مركبة من كلمتين عربية وفارسية •

فرُّوخ : السعيد والمبارك •

القلاش : أصلها (كالوج) وهو الحمام الذي يسكن اعلى الدور والمساجد • ولها معان اخرى هي : الداهية والمحتال والمفلس •

كبّهوار : (كبة) فارسية بمعنى المدقوق والمسحوق وهي الاكلة الشهيرة ، و (وار) تركية بمعنى موجود • فالمعنى : الذى عنده كبة •

كَتْخُدا : (كد) بالفارسية بمعنى المنزل ، و (خدا) بمعنى صاحب اى صاحب المنزل، اى القائم على تدبير بيوت الأمراء • كان يلقب به معاون الوالي •

كماندار : صاحب القوس او رئيس الرماة • مركبة من (كمان) بمعنى القوس ومن (دار) صاحب •

كنج : معرب كنز •

كيخيا : يقال انها حرفت من (كلمة كتخدا)• وتلفظ كذلك : كيخو وكهيار وجيخو • ولعلها مركبة عن (كاخ) بمعنى القصر ومن يار بمعنى الصاحب • فالمعنى : صاحب القصر او المشرف على القصر •

مهمندار : مركبة من (مهمان) بمعنى الضيف ومن ـ دار ـ بمعنى الصاحب اى صاحب الضيف• وهي من وظائف البلاط • والمهمندار : مرافق الضيوف اثناء زياراتهم اى مدير التشريفات • ولعل معناها الرجل المضياف •

ميرزا : مركبة من (مير) العربية ومن (زا) المختصرة من ـ زادة ـ بمعنى الابن • فالمعنى ابن الأمير •

■■

حلب ـ د • محمد التونجي

حوار القراء

وسائل الاعلام وخطرها

● ان آراء الناس صارت صدى لما تنفثه وسائل الاعلام من افكار وآراء ·· ولايستطيع اليوم مكابر ان ينكر اهميـــة وسائل الاعلام في تكوين آراء الافراد والجماعات في الشئون المختلفة ، حتى قال احد علماء الاجتماع : « الرأى في جوهره هو خلاصة للمعلومات التـــى تصل الى الشخصية··فالسؤال لم يعد « مارأيك ؟ » انمـــا اصبح : «ماذا قرات ؟» «وماذا سمعت ؟ »

ولا شك ان التقدم العلمى الهائل الذى حدث فى مجال الاتصالات وعلم الالكترونات والاقمار الاصطناعية قد ساعد بشكل مذهل على توسيع رقعة وسائل الاعلام ·

والخطورة تكمن في انه لم يعد هناك مجرد بث نبا وبشكل محايد ، فالنبا المبثوث ، انما يحمل وجهة نظر تفرض على الناس بطريقة ذكية ·

سورية محمد عقاد

الاطباق الطائرة

● استحوذ موضوع الاطباق الطائرة على اهتمـام معظم الصحف والمجلات العربيـة ،فافـردت لـه الصفحـات ·· وانطلقت الاقلام،كل كاتب يترك لخياله العنان فى تصوير مايراه والكل يلبس ثياب العراف ··والعالم ببواطن الامور من اجل استعراض معلوماته وافكاره،فهذا يؤمـن ايمانا لايخالجـه الشك في وجود حياة اخرى في كواكب اخرى ·· وآخر يرفض فكرة وجود اطباق طائرة ويرى انها خرافات ·

حقيقة ان هذا موضوع هام· ولكنه لا يمثل لنا الان نقطة ارتكاز حيوية تستحق منا ان نجعلها موضوع الساعة·· وكل ساعة ونثير فيه الجدل ونعطيه كل هذه العناية ونحيطه بهذه الهالة فنحن لدينا الكثير من القضايا الهامة التى يجب ان نوليها كل كلمة ·· وكل فكرة من افكارنا ·

لدينا الجهل ·· والمرض·· الانسان الممزق المطحـون تحت قيود الذل في بعض الدول ·لدينا التمزق العربى والصراع المرير من اجل عروبتنـا ··لدينـا الكبت الفكـرى الـذى يعيشه مثقفونا والذى يجعلهم يتخذون مـن المجتمـع موقفـا سلبيا · لدينا القضية الكبرى·· قضيـة شعب بأسره يئـن تحت سياط المستعمر الجاثم فوق انفاسه لدينا الكثير بـل اكثر من الكثير الذى يجب ان نلقى الضوء عليه ·

ولندع الاطبـاق التى تطير لاصحـاب الرفاهيـة الفكريـة الذين لديهم الوقت والفـراغ لمثل هذه الموضوعات ويكفينـا سطور قليلة من هذا الموضوع غير المجدى على الاقل بالنسبة لنا · ام انها العادة المتاصلة فينا وهى ربط مشاكل الغرب التافهة بصميم حياتنا ·

عبد الرحمن كامـل ـ كليـة التجـارة وادارة اعمـال ـ الشرقيـة ـ جمهوريـة مصر العربية

الوباء الصهيوني يهدد العالــم

● منذ امد طويل والصهيونية تتغلغل فـــى توجيه الفكر الغربى في محاولة منها لفرض

سيطرتها الثقافية والفكرية على العالم وخلق مناخ فكرى مقتنع بالحركة الصهيونيـــة ويدين لها بالولاء الكامل •

وفى الوقت ذاته تستغـل هذه السيطرة الفـكرية •• فتغرق العالم بفلسفات عقيمة وهلوسات ادبية من اجل تحطيم عقيدة الانسان •• وهى فـى هذا المضمار بدافع من التعصب الاعمى للديانة اليهوديـــة وبدافع من عقدة قديمة لديهم وهى انهم سوف يحكمون العالم ذات يوم الى آخر هذه الخرافات المنبعثة من عدائهم للبشرية وحقدهم الدفين •

فالصهيونية وراء انتشار المـاركسية والـــداروينية والفرويدية وكافة المذاهب التى تثير البلبلة وترسب الـروح الانهزامية فى اعماق الانسان •

والانسان العربى هو اول اهداف الصهيونية بحكم الصراع المستمر منذ ظهور الاسلام •• بل وقبل ظهور الاسلام الـى اليوم والغد •• وعلى هـذا فهى توجه سمومها من اجـل النيـل من الدين الاسلامى والانسان العربى حتى تحقق احلامها التوسعية وامانيهـا الارهابية وهى فى هذا لا تتورع عن استعمال كل الاسلحـــة الفتاكة •

عبدالرحمن كامل
بلبيس ــ شرقية

حجــاج منذ الازل

● اطلعت على مقال فضيلة الشيخ طه الولى بعنوان حجاج منذ الازل فى العدد رقم ٢٤٠ والكاتب يشكر على تحقيقــه التاريخى فـى هذا الموضوع ســوى انه ورد فـى الصفحة ٥٤ قوله فى تعريف البراق : (والبراق هو الفـــرس المجنح الذى تقول التقاليـــد الشعبية انه الدابة التى نقلت النبى صلى الله عليه وسلم فى اجواء السماء عندما اسرى

أمريكا والفرنسيون

● تعقيبا على ما جاء فى العربى الصغير يناير ١٩٧٩ بقلم الاستاذ يوسف زعبلاوى: من ان مساعدة الفرنسيين للامريكيين فى حربهم ضد الانكليز كانت للصداقة التى نشأت بين الشعبين كالصداقة التى تجمع بين رفاق السلاح اقول :

ان مساعدة الفرنسيين للامريكيين لنيل استقلالهم ترجع للعداء الذى كان مستحكما بين الفرنسيين والانكليز الذين خاضوا حروبا طاحنة فيما بينهم فى العصور الماضية ، وقد تمكن الانكليز من انتزاع كندا من الفرنسيين عام ١٧٦٣ ولهذا عندما ثار الامريكيون ــ ومعظمهم منحدر من الجزر البريطانية ــ على الاستعمار البريطانى ،اغتنمت فرنسا الفرصة لتثار من بريطانيا وساعدت الوطنيين الامريكيين بحرب الاستقلال من منطلق القول المأثور (عدو عدوى صديقى)،واشتهر آنذاك الضابط الفرنسى المركيز لافاييت الذى قاتل البريطانيين على رأس قواته الفرنسية ، كما كان تغلب الاسطول الفرنسى على الاسطول الانكليزى القادم لنجدة القوة الانكليزية من الاسباب التى اضطرت الجيش الانجليزى للاستسلام للامريكيين فى ١٩ اكتوبر ١٧٨١ ، واضطرت بريطانيا للاعتراف رسميا باستقلال امريكا التى كانت تتألف من ثلاث عشرة ولاية مجموع سكانها ثلاثة ملايين نسمة ، وقد وقعت اتفاقية الاعتراف فى باريس فى الثالث من ايلول ١٧٨٣ •

سعيد الصغير ــ السويداء

به يوم ٢٧ رجب) .

في النص الذي ذكرته مغالطتان علميتان الاولى اهم من الثانية فاما الاولى فقد قال الحافظ بن كثير عند تفسيره لاية الاسراء : « وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا ثابت البناني عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى اتيت بيت المقدس..» الى اخر الحديث الشريف فيتبين من خلال الحديث ان ركوبه صلى الله عليه وسلم للدابة ثابت في السنة النبوية .

واما المغالطة الثانية فانه حتى التقاليد الشعبية لم تذكر بان حادثة الاسراء تمت في يوم ٢٧ رجب ، وانا ارى ان التقاليد الشعبية لا يؤبه لها في مقال علمي .

موفق الشيخ ابراهيم

سورية / ادلب

العربي في الجزائر

● للمرة الثالثة اكاتبكم من غرب الوطن - الجزائر - لاستطيع ان اصف لكم الفراغ الذي تركته مجلتنا العربي في مكتبات الجزائر بعد انقطاعها - « فالعربي »يعرفها القاصي والداني من المثقفين والقراء وذلك بما تحمله من انواع المعرفة بين طياتها .. سياسة.. اقتصاد ..فنون.. تاريخ .

ان القارىء الجزائري مني بخسارة كبرى .. فتجده الان يجري لاهثا وراء زميل له يملك اعدادا ليستلفها دون الاهتمام بتاريخ صدورها واذا وجد في المكتبات القديمة احد اعدادها فان صاحب المكتبة يجد فرصة ليبيعها باضعاف اضعاف ثمنها وصدقوني اذا قلت لكم بانني اشتريت ٢٠ (عشرين) عددا ب ٦٠ دينارا ما يعادل ١٥ دولارا مع العلم ان مرتبي لا يسمح بذلك ..

هكذا صرنا غرباء في وطننا نبحث عن ثقافتنا العربية الاصلية والسوق تغزوها جميع المجلات الغربية بلا استثناء واخواننا العرب يتفرجون ونحن ندفع الثمن ! .. فارحمونا يرحمكم الله .. بالله عليكم من المسئول عن انقطاعها .. شركة الجزائر للنشر والتوزيع ؟ ! امالشركة العربية للتوزيع ببيروت ؟ ام وزارة الاعلام في الكويت ؟ أم!

محمد توسرين

الجمهورية الجزائرية

محافظة المدية

لغـة الضاد تناشدنـا

● اللغة العربية هي اللغة النابضة بالمشاعر ..والزاخرة بالمعاني الجليلة .

وهي لغة تتطلب عقلا ناضجا ، وحسا واعيا لكي ينفذ الى اعماقها .. فيستجلي معانيها ويتذوق كلماتها ولكن مما يثير الحسرة والالم في نفس الانسان هو ان تفقد اللغة بريقها وطلاوتها .

وتضيع قواعدها بسبب السياسات الخاطئة التي تنتهجها وزارات التعليم ، فمثلا :

١ - نجد ان كليةدار العلوم وهي الكلية المختصة بتخريج مدرسي اللغة العربية لايدخلها الا اصحاب المجاميع المنخفضة والذين تنبذهم الكليات الاخرى.

٢ - ان وزارة التربية والتعليم وجدت عجزا في المدرسين ففتحت ابواب كليات التربية امام الطلبة واشترطت النجاح دون تحديد للمجموع فكانت النتيجة ان امتلات اقسام اللغة العربية بنوعية من الطلبة ليست لهم الخلفية ولا الرغبة ولا الاستعداد للغوص في اعماق اللغة .

والمشكلة هي بعد ان يتخرج هؤلاء، ويقوموا بالتدريس للنشء ستكون الحصيلة جيلا جاهلا بلغته .ففاقد الشيء لا يعطيه.

عبد الرحمن كامل

بلبيس - شرقية

قصة قصيرة :

أحزان السابعة مساء

بقلم : فاضل السباعي

ما كادت تطأ عتبة الباب ، وتُيمِّم شطرَ غرفتها ، حتى كان صوت أمها يلاحقها في عتاب :

ـ لِمَ تأخرت ، يا « عبير » ؟ أين كنت ، يا بنيتي ؟

أجابت :

ـ كنت في موعدي مع درس البنتين ، كما تعرفين ، يا أمي ! لماذا تُلقين علي هذا السؤال دائما ؟

ثم أحست أن نبرة صوتها جاءت حادة أكثر مما ينبغي .

ـ ولكنك تأخرت ساعة عن موعد عودتك ! انها السابعة الآن .أخواك الصغيران يحتاجان اليك .

نظرت عبير الى ساعتها :

ـ حقا ،يا أمي . (وبررت) فاليوم كانت البنتان قد دخلتا الحمام قبل بدء الدرس ... وخرجتا متأخرتين !

ثم سمعت أمها تتمتم ، وهي تمضي الى شأنها :

ـ لله ، كم تستحم هاتان البنتان !

دخلت عبير غرفتها . لم يسؤها ما في قول أمها من الشك . أغلقت دونها الباب . ولم تعمد الى نَضْوِ ثيابها ، بل استلقت ـ وهي في معطفها ـ على سريرها ، تعانق غطاءه ، وتود لو تطاوعها عيناها فتذرفان فيضا من الدموع .



تنهدت .

يا لك ، يا « محمود » ! أي شيء غيَّرك ؟ أتكون هي الزميلة الجديدة ، التي أخذت تتردد عليك في مكتبك ؟ ولكنه أكد لي ... كم أكد لي أن الفتيات : « هن عندي مجرد أرقام . ثقي بما أقول ، يا عبير . وأما أنت ؟ فأنت مستقري ... » .

تود لو تبكي ، لعل الراحة تتنزل على فؤادها ، فتتحلل من بعض ما تكابد من عذاب .

تلقّطت أذناها وقع خطوات أمها خلف الباب . فاستجمعت شتات نفسها ، ونهضت مبتعدة عن السرير . وقفت أمام المرآة : يا للحزن ، كم يتجلى في عينيها ، في محياها كله ! يوم ، يومان ، من أبغض ما مر بها من الأيام ! سألته ، أول أمس ، عن « النتيجة » ، فأشاح بوجهه معتبا ، فأدركت أنه الرسوب ! ... تمنت لو أن في الوسع أن « تتنازل » له عن اجازتها الجامعية ، ثم تعيد الكرة في « الدورة » الآتية الاستثنائية ! بل انها تمنت لو أنها ما نجحت في سنتها الأخيرة هذه ، لتتساوى واياه في ... التقصير !

علقت معطفها على المشجب . قد كان ، اليوم ، فاترا : تحسُّ الدمع يترقرق في مآقيها : انها « فتنة » ، التي تتردد على مكتبه في اليوم الواحد مرات ! آه ، ما أسرع الرجال الى التغيُّر ! ولكنها لا تفضُلني في شيء . أنا أصبحُ منها وجها ، وأجمل قواما ، وأكثر عِلما . وأما عيناي ، فكم تغزل فيهما ! وأنا ، فضلا عن ذلك ، أحبه ... أحبه ... أحبه !

تراءى لها أن تخط رسالة ، تعبر له فيها عن حبها الكبير :

« حبيبي محمود .

« ليس لي أن أنسى الأيام الحلوة التي أمضيتها معك ، ولا اللحظات الهنية . اني لعلى يقين من أن حياتي انما بدأت منذ عرفتك . لقد استطعت أن تغيِّر ركنا من حياتي ، بل لم لا أقول : قلبت حياتي كلها ، حين أشعرتني بطعم الحياة ، بمطلق وجودي ؟ بالاختصار : كنت ـ أنا يتيمة الأب ـ في حاجة الى حب رجل ، الى حب كبير ، فوضعتني أنت في غمار حب كبير ! » .

جاشت في صدرها ، وقد بلغت خواطرها هذا المبلغ ، رغبةٌ في البكاء : ان محمود قدري ـ حبه قدري ، الذي لا فكاك لي منه .

نضت الكنزة الصوفية . انها لتذكر كيف جمعت بينهما الأقدار . وستظل تذكر ، أبد الدهر ، ذلك التعارف الطريف الذي دار على « مطالعة كتاب » : كانت تجلس وراء مكتبها هكذا ، مبتعدة بكرسيها عن المكتب قليلا ، تقرأ في كتاب فتحته في قاع الدُّرج ، فعينٌ منها في الكتاب وأخرى على الباب حَذَراً من أن يفاجئها رئيسها المباشر ، الخصم اللدود لكل من يفتح من الموظفين كتابا جامعيا ! كان ذلك في آخر أيام شهر تموز في الصيف ما قبل الماضي (وعلى وجه التحديد : قبل عام وثلاثة أشهر !) . كانت قد تلقت خبر نجاحها في آخر مقررات السنة الثالثة ، فهي متحفزة للدرس والمطالعة ، فاستعارت من مكتبة الكلية كتابا من أمهات كتب الأدب ، لتقرأ فيه ساعة لا يكون بين يديها عمل تقوم به . دخل الغرفة ، مثل ظل ، شاب طويل أنيق . كان قد استرعى انتباهها من قبل حين لمحته في أرجاء المؤسسة غير مرة . أقبل الآن ليراجع في شأن يخص القسم الذي يعمل فيه . بدا أنها استلفتت نظره ، وهي في إكبابها على الدُّرج ؛ فدنا منها ، بعد أن قضى شأنه مع أحد زملاء الغرفة ليقول لها مبتسما :

ـ « في علمي أن الامتحانات الجامعية قد انتهت ! » .

كان رقيق اللفظ ، يخاطبها كما لو أن بينه وبينها وُدًّا قديما .

أجابته ، وهي تهم بأن تدفع الدرج الى الأمام :

ـ « انه كتاب أطالعه ، وليس مقررا جامعيا . » .

ـ « وما اسمه ، يا آنسة ؟ » .

ـ « كتاب الشعر لأرسطو » .

كانت تحدق الى قلب عينيه : عسليتان ، والبشرة حنطية .

ارتفع ، ههنا ، صوت أمها في الصالة :

ـ عبير ... أخواك ينتظران !

●

ـ ما عندك ، الليلة ، ؟

أجاب « صفوان » :

ـ ثلاث مسائل ... لم أعرف كيف تُحَل !

ـ طبعا ! وهل يستطيع عدو الرياضيات أن يَحُل مسألة حسابية ؟

ـ حللت اثنتين .

ـ وأنت ، يا « مروان » ؟

ـ أنا عندي كتابة درس « الأطفال يصنعون منضدة » خمس مرات ، يا عبير !

ـ وأين الدرس ؟

ـ هو ذا .

ـ هذا ليس درسا مما وصلتم اليه . أراه في آخر

الكتاب ! أهو « جزاء » فرض عليك لتقصيرك ، أيها المهمل ؟

- الأستاذ عاقبني دون سبب !

- دون سبب !!

- شكاني اليه رفيقي بأنني رفسته ، فصدقه وعاقبني !

- بريء ! المعلمون يظلمون دائما ، والتلاميذ ضحايا ! وأين رفسته ؟

- على « مقعده » !

- كان حقه أن يضربك ، جزاء « الرفسة » ، خمس عصي على كفيك ، أيها الرجيم ! ولكنه فضل أن يذيقك مرارة الكتابة التي تكرهها ! لم لم تكتب الجزاء عدد المرات المفروضة ، حتى الساعة ، أيها الكسول ؟ ؟

أجاب مروان متشكيا :

- كتبته مرة . ولكنه طويل ، صفحتان من الكتاب ، أنظري !

رفعت صوتها محتدة :

- وهل تتوقع ، أيها المعتدي على رفاقه ، أن أكتب لك المرات المتبقية ؟ دونك القلم ، فتابع الكتابة !

وأخذت كتاب الحساب بين يديها :

- « أحيطت حديقة مستطيلة الشكل بجدار من الشبك المعدني أنفق عليه ... » ! واكملت قراءة المسألة في سرها) وأنت ، ألم تعرف حل المسألة ؟

دافع صفوان عن نفسه :

- لو كانت الحديقة « مربعة الشكل » لعرفت الحل !

تهكمت به :

- وتريدهم أن يؤلفوا المسائل الحسابية حسب هواك ، أيها الـ ...

حانت منها التفاتة الى أمها ، الجالسة قبالتها على الديوانة ، فرأتها ترمقها بنظرة ... فأحجمت عن أن تنعت أخاها بما يستحق : بالغباء ! أدركت أنها تخوض - دون أن تعي - « شجارا » مع أخويها الصغيرين ، التوأمين ، اللذين أودعهما أبوها في أحشاء أمهاقبل أن يرحل عن الدنيا . وما كان قد عاش له في حياته سواها هي ! فكرت في ضيق : ولدان قد أفسدهما التدليل ! الأخت الوحيدة في البيت اجتازت مراحل الدراسة كلها دون أن يُعنَى بها أحد . تعمل - منذ أربعة أعوام - في وظيفة رسمية ، وتؤدي عملا اضافيا في بعض الأماسي ، ثم يكون عليها أن تقوم بتعليم المدللين مساء كل يوم ، درسا درسا ، كلمة كلمة ... فاذا رافقها في مسيرها من تتوسم فيه « زوج المستقبل » ، فتأخرت في عودتها الى البيت بعض الساعة ، وجدت أمها في انتظارها : « تأخرت ... انها السابعة ... الصغيران ... » ! فاذا ادعت : « دخلت البنتان الحمام ! » ، سرعان ما أبدت أمها من الشك ما يغيظ : « لله ، كم تستحم هاتان البنتان ! » .

ولكن البنتين لا تستحمان ، في الواقع ، الا بمقدار ما يستحم الناس . وانما هي « تدخلهما » الحمام ، أحيانا ، لتخرجهما متأخرتين ، قصد أن تبرر غيابها عن البيت هذه الساعة ! يستغرق الدرس - حسب الاتفاق الذي تعرف أمها تفاصيله - تسعين دقيقة ، تضاف اليها مسافة الطريق ذهابا وايابا نحوا من ساعة : فعليها ، اذن ، أن تكون في البيت في تمام السادسة . حسابات ومواعيد دقيقة معروفة ! تشرف على المدللين ساعة أو ساعتين ، ثم تأوي الى سريرها تطالع - وقد كانت قبل تستذكر في مقرراتها الجامعية - الى أن يدب الى جفنيها النعاس . ذلك هو برنامجها المسائي . ولكن عندما يكون محمود في انتظارها على باب الحديقة ليرافقها في طريق عودتها سيرا على القدمين ، هل يمكنها أن تدخل البيت في الموعد المقرر ؟ ... كان محمود فاترا ، هذا المساء ! كم كان فاترا ! تكلمه ، فلا يكاد يرد الا بأقل الكلمات ! بدا ساهم النظرات ، لاهيا عنها . أهكذا يستحيل الرجل الى قطعة من الجماد الاصم ، متى أن لقلبه أن يفرغ من الحب ، متى شرع يفكر بأخرى ؟ انها فتنة ، لا بد ، التي تلبس القصير - قلها من اللباس ، في كل يوم ، لونٌ وزي - وتطلي وجهها بالمساحيق وتحضر بالشعر المستعار ، وتكثر من التردد على مكتبه ! ... لمحتها ، قبل يومين ، في أحد الممرات ، وقد وقف كل منهما بازاء الآخر : كانت الوقحة

تعانقه بنظراتها موصصة العينين : ذلك ما لا يخفى على بصيرتها آه ، يالحظها التعس ! كم عليها أن تبذل حتى تحتفظ بقلب محمود !

« أحبك ، يا محمود ، حبا لا يسع طرفك أن يحيط بآفاقه القصية ! بكل صدق أحببتك ، والاخلاص كله منحتك . وهبتك قلبي ، وما ضننت ... وكيف أبخل على من جعلني أحس بوجودي ؟ » .

توقفت عن الكتابة .

ـ حسناً ، إقرأ المسألة الثانية .

ـ « باع قروي تاجرا كمية من الزيتون بسعر الكيلو غرام ... » .

كم هي حريصة على البقاء الى جواره . وكم هي شقية لأنها لن تستطيع ! أبلغها « المدير العام » ، اليوم :

ـ « يؤسفني أن أنهي اليك أن لا مكان عندنا لموظف مجاز باللغة العربية ! » (وأضاف ، وقد رآها ترتاع لقراره الحاسم) « ولكني أسألك ، وأنت الحريصة على تعديل وضعك الوظيفي : لم لا تتقدمين الى وزارة التربية للعمل مدرسة للعربية في المدارس الرسمية ، يا آنسة عبير ؟ فاناً هناك موضعك الذي يُسرتِ له أساسا ؟ » .

ان الحقيقة ، الحقيقة ، يجهلها هذا الرجل الكبير ! ومن أين له أن يعرف ؟ كيف يسعها أن تمضي بعيدا ، الى مؤسسة أخرى ، وتدع محموداً ههنا ؟ محموداً الذي تراه ، هذه الايام ، فاتر العاطفة متغيرا ! سألته ، أول أمس ـ وما كان لها أن تسأله ـ بعد أن عاد من زيارة له خاطفة الى الجامعة :

ـ « هل نجحت ، يا محمود ؟ » .

ما كان لها ان تتوجه اليه بسؤالها . لأن الكآبة ، التي توشح بها وجهه وعيناه ، كانت تغني . كان محمود قد حل ، من الدورة الاولى ، مقررات أربعة ، دخل بها الدورة الثانية على غير ما تريد له من التحضير والاستعداد . أخذت النتائج تتوالى ، فنجح في مقرر ، ثم في آخر ... والآن مضى الى الكلية ليستعلم عما بقي : إنه الرسوب ! فعليه ، اذن ، أن يستعد للدورة الآتية الاستثنائية ، في الشتاء القادم . لو كان وفق وأجيز ، لتعدل وضعه الوظيفي في المؤسسة فورا ، فهو موظف جاد متقن ، محبوب من رؤسائه . ولن يقول له المدير العام : « ولكني أسألك : لم لا تتقدم الى وزارة التربية للعمل مدرسا ، يا أستاذ محمود ؟ » . لن يقول له ذلك ، لأن محمودا لم يتخصص بالعربية أو التاريخ أو الرياضيات ، بل هو درس الحقوق ، المؤهل الذي ترحب به المؤسسة . ان محمودا ، وان تعثر في دراسته الجامعية ، يظل ذلك الشاب الذكي العصامي الطموح المستنير . الا أنه لا يدرس ! علته الوحيدة أن نفسه لا تقبل على الدراسة المنتظمة . انه رجل ، شاب ، لا يأسره البيت ، يدخل ويخرج بحرية . وهي ، أيضا ، على علم بما يؤديه في المؤسسة ، أحيانا ، من عمل اضافي . لو أنه يدرس على نحو ما فعلت هي ، لوفر على نفسه العامين اللذين ضيع ، وبعض العام الذي خسر أخيرا . آه ، ليت المؤهلات الجامعية مما يمكن التنازل عنه . وليكن ذلك ـ ان جاز لهذا الحلم ان يتحقق ـ حصرا بين الأحياء ... الذين ينوون اقامة حياة مشتركة !!

تابعت الكتابة :

« كل الصعاب تهون عندي في سبيل مرضاتك ، يا حبيبي . ساعة تبينت أنك حملت مقررا الى الدورة الاستثنائية ، وقرأت أمارات الأسى في محياك ، أحسست الدنيا تضيق بي والأرض تميد . آه ، يا حبيبي ، أقول ولا أملُ : ليتك من نجح ، وليتني من حمل المقرر نيابة عنك ! ليت العمر ، عمري ، يقدم لك قربانا في محراب نجاحاتك التي لا أريد لها أن تحد ، اذن لقدمت لك ، فوق صينية من ذهب ، نصف عمري ، واستبقيت النصف الآخر لنفسي ، كي أحياه بقربك ، يا حبيبي ! » .

اغرورقت عيناها . تدحرجت دمعة على هذا الخد ، ثم دمعة أخرى . مسحتها بصمت ، والولدان مكبان يكتبان ، وأمها غائبة في بعض شأنها . كم كنت فاترا ! لم لاتكافئني بمقدار ما أحبك ؟

ـ لماذا توقفت عن الكتابة ؟

ـ وَجِعَتني يدي ، يا أختاه !

ـ لا بأس في أن تريحها قليلا . ولكن ، ليكن في علمك أن المرات الخمس يجب أن تستوفيها ، الليلة ، كلها غير منقوصة سطرا واحدا !

ـ طيب !

فكرت : وديع ، أخوها مروان : « طيب » بوداعة حمل ، بعد أن سقطت من يديه كل حجة يمكن أن يتذرع بها . وأما البنتان ، هناك ؟ هنا ، يحق لها أن تغضب ، أن تؤنب ، أن تصرخ ، فتبث الخوف في الصدرين ! الصغيرين ! ولكن التعامل ـ هناك مع الصبيتين ـ يختلف ، فان أمهما قادرة مسيطرة ! وليست تنسى يوم تعرفها اليها حين تناقل بعض العاملين في المؤسسة خبر نجاحها المرموق . لقد أسرعت « ابتهاج خانم » ـ وهي موظفة من ذوي المراتب ـ تستدعيها الى مكتبها ، لتحاورها وتناقشها ، حتى تثبتت من مقدرتها وكفاءتها ، فعرضت عليها أن تقوي ابنتيها : « منى » و « هدى » ، بقواعد العربية ، ضمانا لنجاحهما في صفوف الاعدادي ... فهي ، منذ مطالع الخريف ، تتردد على بيتهم مرات ثلاثا في الاسبوع . وجدتهما ـ هما الأخريين ـ مدللتين ، الا أن فيهما ، عدا ذلك ، جرأة غير محمودة وشططا ! لقد سببت البنتان لها ، اليوم ، ضيقاً وحرجا . أزعجتها أمهما بملاحظة منها معادة ، مما جعلها تضطر الى أن تدافع عن نفسها ، فترد بايضاح لم تعد تشك في أنه أسخط ابتهاج خانم ! خرجت من عندهم مغتمة ، وقد رجت أن تلقى بين يدي محمود المنتظر في باب الحديقة القريبة ، منفرجا لضيقها وغمها . ولكن محموداً كان فاترا ، حتى لكأنه هو في حاجة الى من يسري عنه ! عندما شكت اليه ، في الماضي ، مما تعانيه من شطط البنتين واهمالها ، حضها على أن تتحمل ذلك في سبيل حبهما . أجل ، وكان يطيب خاطرها ، فيقول :

ـ « ان أحسن ما في تدريسك بنات ابتهاج خانم ، هو أنه يتيح لك أن تخرجي من البيت انها فرصتنا الغالية للتلاقي مساء ، يا عبير ! » .

كان هذا المنطق السائغ يلقى في قلبها راحة وأمنا ، ان مسيرتها واياه ساعة ، تذهب عنها كل عناء . تحدثا كثيرا ، في هذه المسيرات المسائية . تحدثا ، والليل يسدل عليها من عتمته سترا ، عن الصداقة البريئة ، والحب الوفي ، والحياة المشتركة ، والمستقبل السعيد . تحدثا كيف أنها سيعملان على أن يضما الراتبين الاثنين ـ اللذين سيرتفعان متى أن لها أن يعدلا وضعها ـ فيشتركا في احدى الجمعيات التعاونية ، ليحصلا على مسكن من غرف ثلاث : للنوم ، وللضيوف ، ويجعلان من الثالثة مكتبا يمارسان فيه هواية المطالعة النافعة ! كم ذكرها بما نزل في قلبه من عظيم الاعجاب ، يوم دخل مكتبها ، فرآها تطالع كتابا في قاع الدرج : « الامتحانات الجامعية انتهت ... » : « انه كتاب أطالعه ... » : « ما اسمه ؟ » : « كتاب الشعر لأرسطو » !

ـ « كل ما فيك ، يا حبيبتي ، حلو آسر ! على أن أول ما استلفتني فيك ، لحظة رأيتك تقرأين أرسطو في « قاع الدرج » ، محياك الوديع ، المشرب بسمرة خفيفة جذابة ، وعيناك اللتان قُدَّ لونها من ربيع نيسان . ان جمالك ، يا عبير ، عند المتذوقين ، هو أشبه « بالقطع النادر » : سمرة خلابة ، وعينان خضراوان ! » .

ويوم قدم لها ديوان شعر ، انتقاه واياها من مكتبة ، وسطر في صفحته الأولى هذه الكلمات : « الى صاحبة أروع : عينين ، أقدم أروع الأشعار ، لتحيا معها أروع الساعات ، و ... تذكرني ! » ، أنشأ يقول سعيدا :

ـ « كان أبعد مما أتوقع أن تعكف موظفة ، غارقة بين الأضابير والملفات ، على قراءة هذا الكتاب القيم . وقد كان ظني أن مثلها لا تكاد تعنى بأكثر من قراءة « حواء » و « الحسناء » . كم أنا سعيد بك ، يا حبي الكبير ! » .

وكان يطيب لها ، هي ، أن تحدثه :

ـ « كنت قد لمحتك ، في أرجاء مؤسستنا الكبرى ، مراراً ، فرأيتك لا تلتفت الي ، أو توليني أدنى اهتمام . حز ذلك في نفسي ، فحدثتها (لأعترف لك) : « متغطرس ! لا ينظر الى أبعد من أنفه ! » . ولكنك سرعان ما سعيت الي ، ذات يوم صائف ، وفي لحظة أعدها القدر باحكام ، لتكشف لي عن نفس طيبة بالغة الصفاء . أحببت ـ أنا السمراء ـ محياك الوضاء وعينيك العسليتين ، بقدر ما راقت لي تلك الشعرات البيض التي أراها تبرق ، قبل

الأوان ، في سواد فوديك ، تماما كما النجوم تلتمع في أديم السماء في ليلة مدلهمة ، يا حبيبي ! » .

كذلك تناجيا ، تحت وارف أشجار الدروب الجانبية ، في مسيرتهما المسائية المعتادة . ولكنه ، هذا المساء ، لم يتكلم . التزم الصمت ، فالتزمته .

رفع مروان ، وهو يتابع الكتابة ، من صوته :

ـ « دقت سعاد اصبعها بالمطرقة ، فصاحت من الألم : أخ .. أخ ! » .

فرفع صفوان ، وهو يقوم بعملية حسابية ، من صوته محتجا :

ـ ٢ في ٩ = ١٨ ، ٨ باليد ١ ، ٢ في ٣ = ٦ زائد ١ = ٧ ... خفض صوتك ، يا مروان ، أنت تغلطني !

ـ أراك لم تغلط !

ـ اذا رفعت صوتك ، ثانية ، غلطت !

زجرتهما ، وقد قطعا ، بنقارهما المفاجيء ، توارد خواطرها :

ـ اعملا بصمت ، وكفا عن الهزر السخيف !

فأخذ الولدان يكتمان ضحكاتهما المرحة ، في حين تناولت هي القلم بيد ترتعش :

« أتذكر ، يا حبيبي ، كيف أنني ضحكت لحظة أخذت يدي بيديك ، ثم لم تلبث أن تركتها ، كما لو أن نفسك عافتها وعافتني ؟ سألتني : « ولماذا تضحكين ؟ » : أجبتك ، وأنا ما أزال أبتسم ولكن بمرارة طافحة : « تذكرت نكتة ! » . ولم تكلف نفسك عناء سؤالي عن النكتة التي تذكرت ، لأنك كنت ممعنا في صمتك وفتورك ! والان ، وأنا أشكوك الى هذه الصفحة البيضاء ، أتدري ما هي النكتة التي زعمت أنني تذكرتها ؟ انها ... انها ، بكل بساطة : قصة حبنا ، التي بدت لي ، تلك اللحظة ، نكتة جديرة بأن تضحك فأين هي عاطفتك المشبوبة ؟ وأين حديثك الممتع ؟ وأين طيبتك ورقتك وصفاؤك ؟ وأين أين احتفاؤك بي الذي عودتني ؟ » .

طفرت ، ههنا ، من عينيها ـ وأمها في المطبخ تعد العشاء ـ دمعتان ، فدمعتان أخريان تحدرتا على خديها . التقطت دمعاتها بطرف منديلها ، وهي تجتهد أن تحبس أنفاسها خشية أن تجهش ! رباه ، أية ساعة عصيبة هذه التي تمر بي !!

فجأة ، رفع الولدان رأسيهما ، يهتفان بها :

ـ عبير ! عبير ! ما بك ، يا عبير ؟ ما خطبك ، يا أختاه ؟ ! ...

أجابت ، تتصنع اللامبالاة :

ـ لا شيء ! زكام ! انه زكام حاد ... ألم بي ، اليوم ... يا حبيبيَّ !

يا للهفة البريئة العذبة ، المتجلية في صوتيهما ، هذين المتخاصمين قبل قليل ، المتضاحكين ، اللذين أوسعتهما زجرا وتقريعا !

تمنت لو تنهض تعانقهما ، يحيانى ، أخواي الصغيران الحبيبان ، كم قسوت عليهما ! أحبهما ، أحب أمي ، أمي التي صبرت ، وشقيت وجالدت ، من أجل سعادتي وسعادة هذين العصفورين !

عالم أسرتي صغير وسعيد .

أية أحزان دهمتني ، هذه الساعة ، فأشقتني ؟ ! أحقا بدأ محمود ينصرف عني ؟ ولكنه أحبني على مدى عام وثلاثة أشهر ، أغدق علي فيضا من حبه وحنانه ، انه ينتظرني ، كل مساء ، على باب الحديقة ، على مقربة من منزل البنتين ، قبل أن نمضي في دروب المدينة والحياة ... أيمكن أن يذهب ذلك كله أدراج الرياح ؟ أيمكن ذلك ؟ هل يمكن ؟ ...

●

عندما خلت عبير الى نفسها في آخر الليل ، أحست أنها عادت سوية ، يغمر قلبها الحب والثقة والضياء فكأنها خرجت لتوها من مطهر تخلصت فيه من كل أدران النفس !

أخذت تفكر على نحو آخر : ولكن لماذا ظننت أن

محموداً كان فاترا . اليوم ؟ فاتنا فتوره ـ إن كان ـ مبرر مسوغ . انه ، بكلمة واحدة ، حزين ، لأنه أخفق في امتحانه . كان خجلا مني ، أنا التي نجحت متفوقة منذ أوائل الصيف ، ولم أقصر في ماضي أعوامي ، على حين ضيع هو ما ضيع ، وهاهوذا يضيف الى خسارته جديدا !

كان حزينا . كان كسير الخاطر !

آه ، يا ربي ! كيف مكنت احساسا كاذبا من أن يغشني طوال ساعة ؟ !

من كان فاترا تجاه من ؟

كان من حق محمود أن يحزن ، ويعبر عن حزنه بالصمت ، وهذا أضعف التعبير . فيكون علي أن أواسيه . ولكني ـ لغفلتي ـ توقعت منه أن يضحك ، يمرح ، يسترسل في أحاديث تمتعني ! كم كنت أنانية ! لماذا سهوت عن نفسي ؟

لست أشك ، يا حبيبي ، في أنك قد أمضيت ليلتك وقد تضاعفت أحزانك : حزنك الأول العميق ، وحزن آخر سببته رعونة من أردتها أن تسري عنك !

كم أنا بلهاء !

أنارت المصباح .

تناولت الرسالة من تحت المخدة . أمرّت على أسطرها عينيها : « أتذكر ، يا حبيبي ، كيف أني ضحكت ... تذكرت نكتة ... انها قصة حبنا ، التي بدت لي ، تلك اللحظة ، نكتة جديرة بأن تضحك قلب الثكل ! ... » .

أيتها الخواطر السخيفة : كيف مكنتك من أن تتسلل الى فكري وقلبي ؟ !

همت بأن تبكي . دفنت في المخدة وجهها ، أثار غيرتي ما رأيت من فتنة ، تلك التي تتهالك على الشباب كل الشباب . كم قد أكد لي : « هي عندي مجرد أرقام . ثقي بما أقول ، يا عبير . وأما انت : فأنت مستقري ، وتحت جناحك سأحيا العمر كله سعيدا ، يا حياتي ! » .

هو حزين ، الآن . كانت هي الصامتة الفاترة ! كانت غضبى . كان وجهها كتلة من الكآبة . لقد أزعجتها ابتهاج خانم بملاحظتها :

ـ « اسمحي لي ، يا آنسة عبير ، أن أبين لك أن استفادة البنتين ما تزال ضئيلة ! » .

فوجدت نفسها مضطرة الى القول :

ـ « وأنا أريد أن أؤكد لك ، يا ابتهاج خانم ، أني أبذل مع بنتيك قصارى جهدي . ولكني أراهما لاتوليان الدرس أو الوظائف اهتماما كافيا . اسمحي لي أن أقول : انهما الملومتان ! » .

سأعتذر لمحمود غدا ، وأقول : « قد كنت في ضيق ، صدقني ، يا حبيبي . أزعجتني ابتهاج خانم . قالت لي : ...... قلت لها : ...... » .

ولسوف يثور من أجلي ، ويهيب بي : « عبير ! عليك أن تتخلي ، منذ اللحظة ، عن تدريس البنتين . قولي لأمهما الموظفة الكبيرة : « ابحثي لك عن مدرسة أخرى ، تكون أكثر جلدا على تحمل شطط ابنتيك ، وعلى تلقي ملاحظاتك المعكوسة ! » . ان كرامتك عندي فوق كل اعتبار ! » .

سيقول لي ذلك ، وكفي هاجعة بين راحتيه . سأحس دفء كلماته يسري الى قلبي ، فيتغلغل مع الدم في أوصالي . وستكون مسيرتنا ، تحت وارف الشجر ، أكثر حرارة وحنانا !

سأقول لمحمود ذلك ...

سيقول لي محمود ...

سأقول له ...

سيقول ...

سأ ...

تراخت أناملها عن الرسالة .

ومصباح السرير ظل ، طوال الليل ، يرسل أشعته الوردية الى أرجاء الغرفة التي عادت هادئة وادعة ...

■■

دمشق ـ فاضل السباعي

نزهة العقل الذكي بجهد واحد ايضا

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا. .ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحت العدد بقطعها منه. .اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من أكبر قادة المسلمين ، وفي (٨) رأسيا تجد اسم أديبة أموية .

الكلمات الافقية :

١ ـ حيوان منقرض ـ قائد عسكري شهير في التاريخ .

٢ ـ بلا انيس ـ اوثق الاتفاق ـ اترك .

٣ ـ من شخصيات الثورة الفرنسية ـ من الفاكهة.

٤ ـ حرفان متشابهان ـ ضمير ـ في الصدور ـ من العناصر الكيميائية .

٥ ـ احساس بالحيرة ـ يغضبني ـ ابتسم .

٦ ـ قيّد ـ حدد مداها ـ نصف كلمة (خالص) ـ من الاقارب .

٧ ـ اشيد ـ من الاحياء المائية .

٨ ـ من اكبر قادة المسلمين .

٩ ـ يباري ـ اهفو ـ حيوان .

١٠ ـ وحدة قياس كهرباء ـ من الموازين ـ اجلال.

١١ ـ نصف كلمة (نائح) ـ القول الشائع ـ حيوان ـ حرف استفهام .

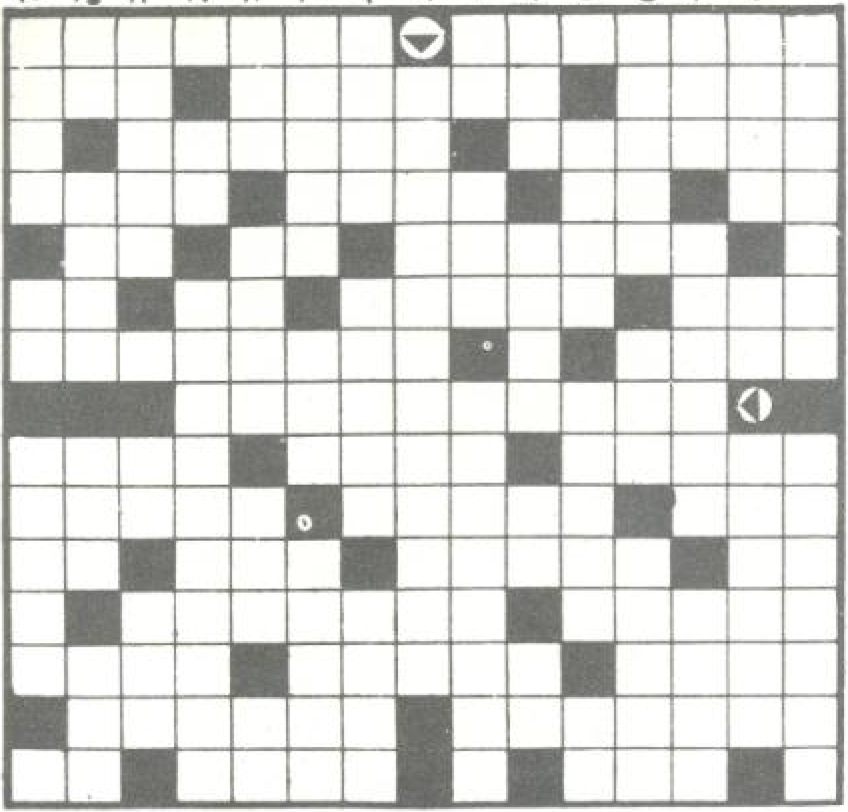
١٢ ـ حشرة ـ يبجلون .

١٣ ـ تأكد ـ مجاري مائية ـ امتناع عن ارتكاب المعاصي .

١٤ ـ عاصمة شيلي ـ من البحار .

١٥ ـ لعب ـ يهتم ـ من الاقارب .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥



الكلمات الراسية :

١ ـ دولة فى القارة الامريكية ـ اطول انهار الصين •

٢ ـ من الانبياء ـ حرفان متشابهان ـ موقعة بحرية تحطم فيها الاسطول المصرى •

٣ ـ ظلم ـ من الطيور ـ أردى •

٤ ـ اتافق ـ ينهض ـ اقربه •

٥ ـ من الاشجار ـ شجاعة ـ من حروف العطف •

٦ ـ حرف ابجدى ـ افزعه ـ حرف نفى ـ نصف كلمة (اجلس) •

٧ ـ نصف كلمة (سارت) ـ من اجزاء الجسم ـ من الآثار الافريقية •

٨ ـ اديبة اموية •

٩ ـ قصة من تاليف اميل زولا ـ فى مصنع النسيج ـ ترفض •

١٠ ـ أحارب ـ نازلة ـ اعادها •

١١ ـ جسم ـ يغش ـ وجع ـ صاحب •

١٢ ـ نصف كلمة (سواك) ـ من اغشية المخ •

١٣ ـ يسببه ـ من الاقارب ـ حرف ابجدى •

١٤ ـ رغب ـ من وسائل التكريم ـ نهض ـ من الطيور •

١٥ ـ جنة ـ احسان ـ عصى غليظة •

كوبون مسابقة
العدد ٢٤٨

النجمة والسهم

من دعاة تحرير المرأة

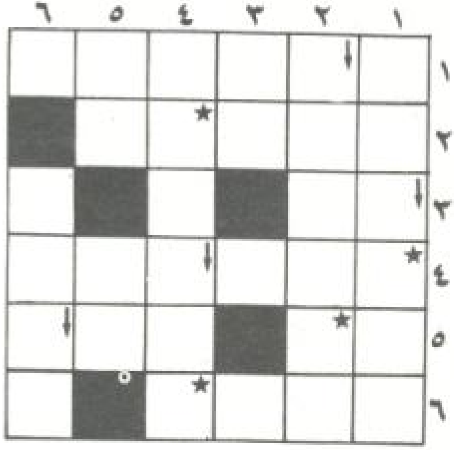
ابدأ أولا بحل مسابقةالكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعاتالتى بها الاسهم، ورتبها بحيثتحصل على الاسم الاول لكاتب مصرى من دعاة تحرير المرأة ، ومن تلاميـــذجمال الدين الافغانى • أنقل الحروف التى فى المربعـات التى بها النجـوم ،ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الكاتب •

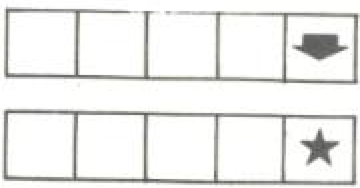
الكلمات الافقية :

١ ـ دولة مدينة في بلاد الاغريق •
٢ ـ شهر شمسي •
٣ ـ من الاقارب •
٤ ـ اجراس •
٥ ـ للتفسير ـ سخاء••
٦ ـ اسلحة حربية قديمة •

الكلمات الراسية :

١ ـ فاكهة •
٢ ـ من اشهر النحاة •
٣ ـ نصف كلمة (بسيط) •
٤ ـ صاحبكم •
٥ ـ وحدة موازين ـ نصف كلمة (عسير) •
٦ ـ انصت •





● اختبار معلومات ●

اين الصواب .. واين الخطأ ؟

هـذه المعلومات بعضهـا صحيح وبعضهـا خطأ ، هل تستطيع أن تميز بينها ؟ :

١ ـ ابن خلكان : من أشهر مؤرخي المماليك .

٢ ـ الارمـادا : اسطول فرنسي حاول غزو اسبانيا .

٣ ـ الاستلاكتيت : تتدلى من اسقف المغارات، كاعمدة الجليد .

٤ ـ الالزاس : مقاطعة في النمسا .

٥ ـ افلاطون : كان تلميذا لسقراط .

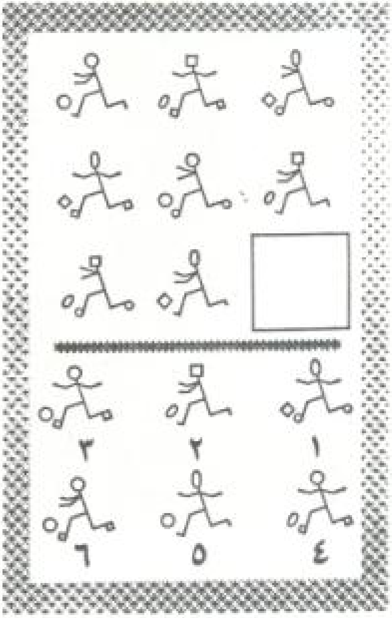
٦ ـ السيد المسيح : استغرقت دعوته لرسالته ثلاثة اعوام .

٧ ـ أوديسيوس : هـو مختـرع نظـام الـرى بالغياض .

٨ ـ بوذا : كان ابنا لاحد ملوك الهند .

٩ ـ التمساح : يبيض ولا يلد .

١٠ ـ جوليفر : شخصية روائية خياليةابتكرها سويفت .



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات التي بين الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول ان تعـرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب ان يحتل المكـان الخالي في الصف الثالث .

الحلول

النجمة والسهم :

قاسم امين .

★ ★ ★

اين الصواب وأين الخطأ ؟ :

١ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ صحيحة.

٢ ـ الارمـادا اسطـول اسباني حـاول غـزو بريطانيا عام ١٥٨٨ .

٤ ـ الالزاس مقاطعة في فرنسا .

٧ ـ أوديسيوس واسـمه الروماني اوليس ، من ابطالالاوديسا التيكتبها هوميروس.

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم : ٣



في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أوريينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
CHRONOGRAPH
مهما يكن اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية،
بإمكانك الاعتماد على "أوريينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة أوريينت كوارتز"
سواء الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم فيها استمداد
طاقة لا محدودة من الشمس، وساعة "أوريينت كوارتز" الأنيقة
والجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ. فكل جميع ساعات "أوريينت" تحتوي
هزاز الكوارتز على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من إنجازات تقنية.
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة. ساعات أوريينت كوارتز
رشيقة ورفيعة المستوى. انها أكثر من مجرد وجه جميل آخر.
ORIENT اوريينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يوليو ١٩٧٩

١١٨

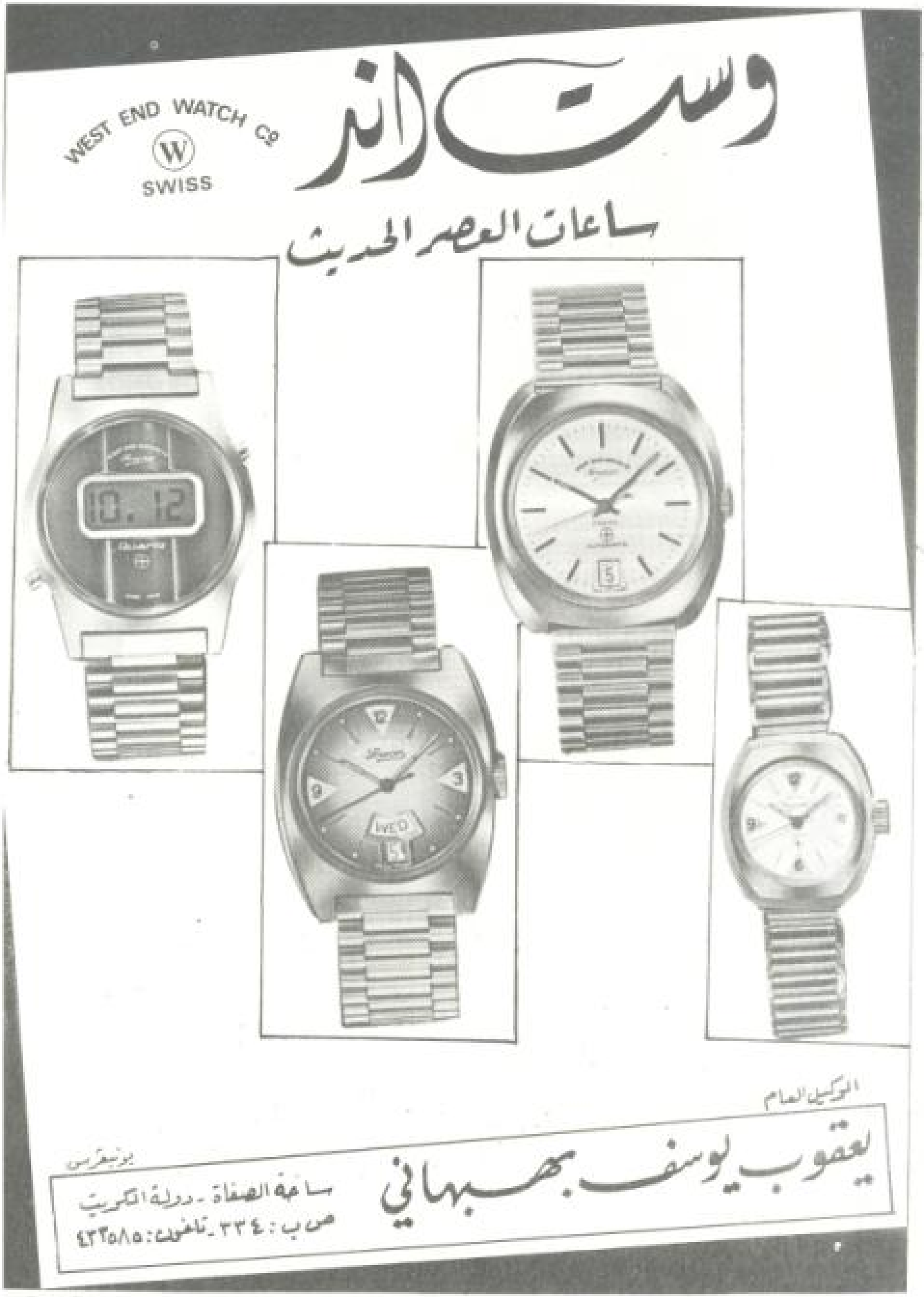
* مأساة طيبة أو الشقيقان

* فيدر

تأليف : جان راسين

ترجمة : أدونيس

تقديم : رولان بارت


وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
10.12
QUARTZ
WED
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص.ب: ٣٢٤ - تلفون: ٤٣٢٥٨٥

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المخرج في المسرح المعاصر

تأليف : سعد أردش

٢٥٠ فلساً

الكتاب التاسع عشر

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

ادّخـــروا مـــع لـــومبـــارد

جـدارة بـالـثـقـة في جـمـيـع الأوقـــات



تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد في لندن، وبجدارته بالثقة، وبضمان محافظته على اموالكم في جميع الاوقات، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع، المصممة خصيصا لكي تجعل اموالكم تدر عليكم مدخولا اكبر،
نحن عضو في مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق راسمالها واحتياطيها ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة

إخطار إيداع		ايداع لفترة معينة	
اشعار مسبق ٦ اشهر قبل السحب. تدفع الفائدة كل ٦ اشهر أو تضاف إلى الحساب. حد أدنى للايداع ٥٠٠ جنيه استرليني	٩½٪	مدة ثابتة محددة بعام. أسعار فائدة أخرى من سنتان إلى ٥ سنوات متوافرة. حد أدنى للايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني	١١٪

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل.

Lombard North Central

Bankers

إلى :

Lombard North Central Ltd., Dept R182, 17 Bruton Street
London W1A 3DH, England. Tel: 01-491 7050.

ارجو ان ترسلوا لي تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ______________________

____

العنوان ______________________

____

العنوان المسجل : Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England


صورة تلفزيونية ملتقطة
سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح .
يسجل برامجك التلفزيونية المفضلة وتشاهدها في أي وقت تشاء،
وتشاهد البرامج العديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتستمتع بالنشاطات الرياضية
والبرامج التثقيفية والوثائقية والأفلام العائلية المسلية على جميع أنواعها.
وبإمكانك أيضاً حتى تصوير أشرطة في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
الخفيفة التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثهما أمامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني .
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً ، وهو سهل الاستعمال .
أدره وزوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أو أبثها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك .
سوني بيتاماكس انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك .
Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

أعظم الإستعراضات العالميّة يمكن مشاهدتها مرارًا وتكرارًا مهما كانت أنظمة التسجيل



قد يصلك شريط فيديو كاسيت يحتوي على البرامج الرياضية والرحلات الممتعة من صديق قديم في فرنسا. غير أن التسجيل بنظام سيكام لا يعمل على مسجل فيديو كاسيت بنظام بال ولكن مع سانيو بال / سيكام بيتاكورد تنتهي كل همومك بشأن أنظمة التسجيل حيث بإمكانك إلتقاط، أو شراء، أو إقتراض أو غيرها... التسجيل على شريط الفيديو كاسيت من كلا النظامين. وبهذا تتاح لك مشاهدة أعظم الإستعراضات العالمية عندما تريد وإعادة عرضها مرارًا وتكرارًا مهما كانت أنظمة التسجيل.

BCORD VTC 9300PS



المميزات المثيرة لنظام سانيو «بيتا كورد»

- مؤقت آلي لمدة ٧٢ ساعة بأسلوب التسجيل اليومي
- آلية التحكم عن بعد للتوقف المؤقت / وتوقف التشغيل
- التسجيل لغاية ٣½ ساعة على أشرطة الفيديو كاسيت المدمجة

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٤٩
رمضان ١٣٩٩
اغسطس
(آب) ١٩٧٩



رمضان و الانسان

◄ القادسية: معركة الايام الثلاثة

فانيسا .. فن وقضية




المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

ربما كان مناخ رمضان المبارك ، فرصة مناسبة للحديث عن احتفالات القرن الهجري الجديد التي يعد الآن لها على قدم وساق ، لتبدأ بعد ثلاثة اشهر . ذلك ان احتفالات العالم الاسلامي بهذه المناسبة الكبيرة ، يعبر عن عاطفة ومشاعر طيبة بأكثر مما يعكس توجها عمليا جادا ، يبقى على مر الازمان ، شهادة لهذا الجيل الذي قدر له ان يعيش تلك التجربة النادرة .

ستقام ندوات ، وتنظم معارض هنا وهناك ، وستصدر الحكومات الاسلامية ودور النشر سيلا من المطبوعات بهذه المناسبة ، وربما عقدت مؤتمرات سياسية او غير سياسية ، فضلا عن محاولة البعض استثمار المناسبة فيما يسمى بالساحة الدينية !

وما ندعو اليه تحديدا هو : ان تنتهز هذه الفرصة لاعداد عمل علمي كبير ، مدروس ومؤثر ، ويحقق اضافة حقيقية الى رصيد الثقافة الاسلامية . وثمة افكار في هذا الصدد لم تر النور او لم تنل القدر الكافي من الرعاية الذي يسمح لها بالاستمرار . موسوعة اسلامية مثلا ، او موسوعة الفقه الاسلامي ، او تجميع الاحاديث النبوية ، واعادة فرزها وتخليصها من الشوائب التي تعلق بها ، او اعادة كتابة التاريخ الاسلامي .

مثل هذه المشروعات اذا التقت عليها جهود الدول والعلماء المسلمين ، يمكن ان تشكل حدثا ثقافيا قد يكون تعبيرا ملائما عن الاحتفال بهذا الحدث التاريخي المرتقب ، فضلا عن ان تلك مجالات أعيت الباحثين ، حتى اصبح التصدي لها يفوق امكانيات فرد سواء من حيث قدراته الانسانية او المادية .

ربما احتاج ذلك الى وقت اطول وجهد اعمق ، وربما لا تكون مثل هذه المشروعات ذات جاذبية اعلامية ، تركز حولها الاضواء ، وتنشر لها الصور . لكن المؤكد ان اي عمل علمي بهذا الحجم هو افضل استقبال لقرن هجري قادم .

الا اذا كان مطلوبا ان يكتفي بنشر الصور وتوزيع المطبوعات المزركشة والملونة ، وتقديم الاحتفالات تليفزيونيا !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

عروبة :

شخصيات :

اسلاميات :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 249 August 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● استطلاع هذا الشهر حول معركة « القادسية » التي انتصر فيها المسلمون على الفرس ، فيما اعتبر نقطة انطلاق للدعوة الجديدة ، وهذه الصورة واحدة من مجموعة لوحات أخرى رسمها الفنان عبد الغني أبو العينين، محاولا فيها تقويم الشخصيات التي شاركت الحدث الكبير ، على الجانبين الاسلامي والمجوسي (الاستطلاع ص٦٨)

أدب ولغة :

تربية وعلم نفس :

تاريخ :

فنون :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

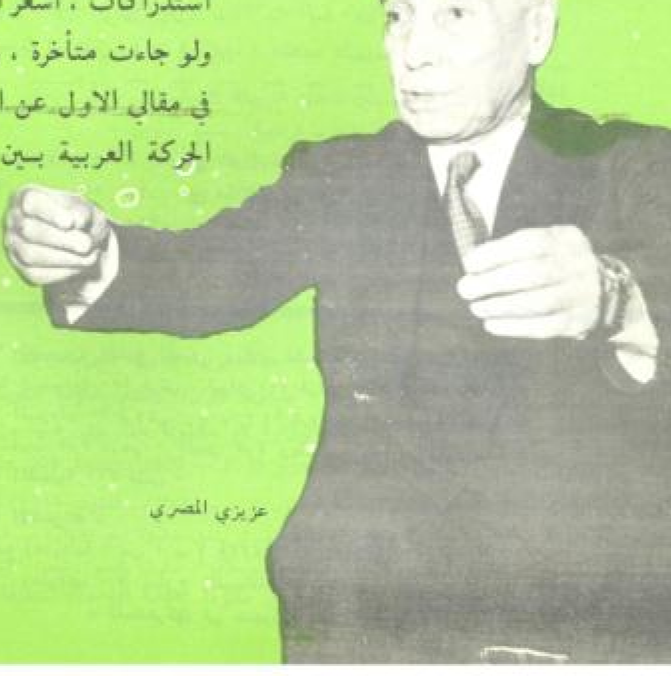
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

اشراقات عربية بمصر

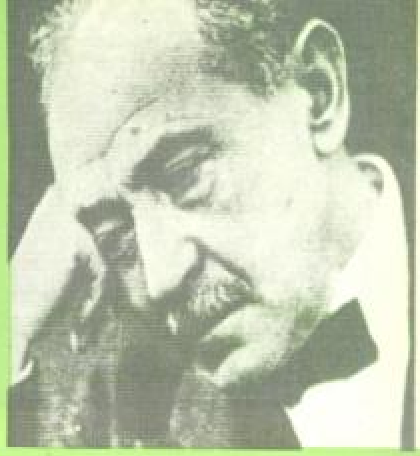
عزيز المصرى أحد أول قادة

كيف توّج العرب أحمد شوقي

كلما شرعت اكتب في موضوع « العروبة في مصر ، بين الاشراق والتحدي » تنثال علي الذكريات ويسوقني تداعي الخواطر الى استدراكات ، اشعر ان من تمام الحديث ايرادها ، ولو جاءت متأخرة ، ومن ذلك انني حين تحدثت في مقالي الاول عن اسباب التباين في النظرة الى الحركة العربية بين مصر التي كانت تشكو الاحتلال البريطاني ، وبين البلاد العربية التي كانت تشكو سياسة التتريك في العهد العثماني ، فاتني ان اورد مثالا ايضاحيا مهما آخر ، ذلك ان



عزيزي المصري



الحركة العربية

أميرا للشعراء ؟

بقلم : اكرم زعيتر

احرارا من العرب يمثلون حزب اللامركزية والجمعيات الاصلاحية والمهاجرين في الامريكتين ، والجالية العربية في باريس ، وطلابا عربا في جامعات فرنسا ، قد عقدوا في حزيران (يونيو) من سنة ١٩١٣ في باريس اول مؤتمر عربي في تاريخ العرب الحديث لمطالبة الدولة العثمانية بالاصلاح وبحقوق العرب السياسية والاشتراك الفعلي في ادارة المملكة على اساس اللامركزية ، وجعل اللغة العربية رسمية في الولايات العربية .

وقد حدث في الجلسة الاخيرة التي كان يترأسها الشيخ العربي الكبير عبد الحميد الزهراوي [١] ان شرع امين سر المؤتمر عبد الغني العريسي [٢] يتلو نص المقررات لمناقشتها ، فانبرى من بين حضور المؤتمر شاب مصري نابه هو الحقوقي الدكتور سيد كامل يسأل الرئيس الزهراوي : « هل للمصري ان يشترك في المناقشات ؟ » فاجابه الرئيس بالنفي ، فشب فتى بيروتي جامعي اسمه رامز المخزومي يسأل الرئيس : « .. ولكن اليست مصر ، يا سيدي ، بلادا عربية عثمانية ؟ » فاجاب الرئيس : « نعم ان مصر عربية عثمانية .. انا نحترم اخواننا المصريين واننا نحترم آراءهم ، وبهذه المناسبة اعتذر لانني لم اجد قبل الان فرصة لاوجه التحية الى الامة المصرية الشقيقة ، وها نحن الان نحيي اخواننا المصريين ، ونبدي حرمتنا لآرائهم ، ونعرف ان مصر عربية عثمانية ، ولكن بما أن لها ادارة خاصة لا ينفذ فيها رأي العثمانيين ، على حين ان للبلاد العثمانية كذلك ادارة لا ينفذ فيها رأي المصريين فاني رجوت ان يكون هذا عذرا كافيا لبقاء مناقشة الشؤون العثمانية منحصرة فيمن لآرائهم حق التأثير في أحوالهم » .

ومع ان جواب الشهيد الشيخ عبد الحميد الزهراوي لا يتفق والفلسفة القومية الشاملة ، فانه في ذلك الحين ، وفي عرف ذلك الزمان وظروفه يبدو منطقيا يعبر عن واقع .

وسألني سائل : « تكلمت عن العروبة في مصر ابتداء من العهد العثماني ولكنك لم تشر الى شخصية مصرية ، كان لها دورها العظيم في الحركة العربية ، انها عزيز علي المصري ؟ » فاجبت : « ان ريادة عزيز علي في حركتنا العربية مما لا تنكر ، ودوره في اشراقتها بالغ الاهمية ، ولكنه قد انطلق من الاستانة وتأثيره في مسيرة الحركة العربية كان في رعيلها الاول من شبان وضباط عراقيين وشاميين ، وقد عده احد تلاميذه : اسعد داغر العربي اللبناني ابا الفكرة العربية وحامل لوائها ، ولكن تأثيره في مصر ، شبانا وضباطا ، لم يكن في مجال

---

(١) شنقه السفاح جمال باشا في دمشق في ٦ ايار ١٩١٦

(٢) شنقه السفاح جمال باشا في بيروت في ٦ ايار ١٩١٦

العروبة قدر ما هو في دائرة المصرية ، اللهم الا ذلك التعاطف الفعال مع الثورة العراقية الموسومة بالكيلانية وما اقدم عليه من مغامرة انتهت بسقوط طائرته وسجنه !

قال : ولكن لقبه « المصري » ، وبحديث يدور حول العروبة في مصر فمن حقه وحق جيلنا عليك ان يكون لك حديث عنه .

قلت : لعزيز علي سيرة ضخمة حافلة بالمخاطر والمغامرات في البلقان والاستانه وطرابلس ـ برقة واليمن والحجاز ومصر ، وحسبنا الان منها دوره في بزوغ الحركة العربية ، فهو بعدما تخرج من المدرسة الحربية ، وابلى في قراع العصابات البلغارية ، وفي انفاذ الدستور العثماني وفي اليمن ، وعاد الى الاستانة ، توطدت علاقاته بشبان المنتدى الادبي ، علاقات استاذ بطلابه ، استاذ وطنية واخلاق ، وتمكنت صلاته بالضباط العرب في الجيش العثماني عراقيين وسوريين ، ولما اخذت النعرة الطورانية العنصرية تشتد لدى الاتراك ، وبدت بوادرها في مقاومة الحركات الاصلاحية العربية وابعاد الضباط العرب الى مختلف الجهات التركية بعيدين عن المناطق العربية ، اختط عزيز علي لنفسه خطة بدأها في مطلع ١٩١٣ ، بالاستقالة من الجيش وقد اوجس عارفوا شخصية عزيز علي من الاتحاديين ولا سيما انور باشا ، وزير الحربية الذي كان يحقد عليه في اثناء الحرب الطرابلسية خيفة من تلك الاستقالة ! فراحوا يراقبونه وضاعف شبهتهم ان داره في الاستانة غدت ندوة للضباط العرب الذين اخذت المشاعر القومية تتفاعل في نفوسهم ، وقد اسس هذا الضابط المصري الشجاع المؤثر ، الجذاب ، جمعية سرية سماها « جمعية العهد » انتسب اليها واقسم يمينها ، فريق كبير من الضباط العرب ، واني اذكر ان المرحوم طه الهاشمي ، القائد العسكري العراقي ، ورئيس الوزارة العراقية الاسبق كان يفخر بان عزيز علي قد املى عليه برنامج الجمعية ، وكلفه ، وهو في طريقه الى اليمن حيث تعين ضابطا في الجيش المرابط فيها ، أن ينشيء للجمعية فروعا ، فانشأها في بيروت ودمشق والموصل وبغداد والبصرة .. ويتلخص منهاج الجمعية بالسعي للاستقلال الداخلي للبلاد العربية على ان تكون متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا ، مع المحافظة على سلامة الدولة من مطامع الدول الاجنبية ولما كان الاتراك



عوني عبد الهادي

يشغلون المخافر اماء الغرب فعلى الامة العربية العمل كي تكون اهلا لان تغدو القوة الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر .. وفي البرنامج دعوة الى التمسك بالاخلاق الفاضلة .

ونحن اذا ذكرنا اسماء بعض الذين انضووا تحت لواء الجمعية ، ادركنا ضخامة هذا التنظيم السري فمنهم الاقطاب العراقيون : ياسين الهاشمي وطه الهاشمي وعلي جودت وجميل المدفعي ونوري السعيد ومولود مخلص وتحسين علي وعبد الله الدليمي وعبد الغفور البدري ، ومن الشاميين : « الشهيد » سليم الجزائري [٣] (وكان صنو عزيز تأثيرا وحرمة واخلاقا ، وقد سمعت هذا من الشهيد جعفر العسكري) ومحمد اسماعيل ، ومصطفى وصفي و « الشهيد » امين لطفي الحافظ [٤] ويحيى كاظم ، والجبان ، وكلهم من كبار العسكريين ، والشهيد الدكتور علي الشاشيبي [٥] المقدسي .

وبسبب قوة نفوذ الرجل ، والاحنة في نفس انور باشا وزير الحربية نحوه ، قبضت الحكومة عليه في شباط (فبراير) ١٩١٤ واحالته على المحكمة العسكرية بتهمة ملفقة تدور حول سوء ائتمان مادي في حرب طرابلس واهانة الضباط الاتراك ، وحكم عليه بالموت ثم بدل سجنا ... وعلى اثر القبض عليه ومحاكمته قامت أضخم وأقوى مظاهرات عربية عرفها تاريخ العرب الحديث حتى ذلك الحين ، شبان العرب في الاستانة يثورون ..

(٣) شنقه جمال باشا في بيروت في ٦ ايار ١٩١٦

(٤) شنق في بيروت في ٦ ايار ١٩١٦

(٥) شنق في بيروت في ٦ ايار ١٩١٦ .



جمال باشا السفاح

اجتماعات تعقد لتهريبه من السجن ، ضباط يهددون بالانتقام ، رسل يغادرون تركيا الى بخارست للابراق منها للمراجع المؤثرة في العالم ـ مناشير باسم الجمعية الثورية العربية تندد بالحكم وبالاتراك الذي صرحوا بما تضمره قلوبهم من البغضاء لابناء العرب ، فحكموا على هذا الشهم بالاعدام رغم توسل اكبر شيخ في الاسلام ورجاء اعظم العظماء في مصر .

واني احتفظ بصورة من رسالة لعوني عبد الهادي عضو مؤتمر باريس ارسلها الى رئاسة اللامركزية في مصر يقول فيها : « على اثر محكومية عزيز بك المصري اجمع « الاخوان » وذهبنا الى جريدة الطان والماتان والريغو دي باري والانسان الحر فدعوناهم الى ان يكتبوا هذا التلغراف الآتي الذي ارسلناه الى الصدر الاعظم في الاستانة وكان الامضاء اللجنة التنفيذية للجمعيات العربية وقد نشرته جريدة الطان وجريدة الانسان الحر في باريس وقد سمعت من عوني ان الذي قرر الابراق جمعية « اليد الحمراء » التي كان هو سكرتيرها .....

ويذكر كتاب « ايضاحات » الذي برر فيه السفاح جمال باشا « اعدام » الشهداء .. رسالة من رفيق العظم رئيس جمعية اللامركزية في القاهرة الى اركان الحركة العربية فيها : « عزيز لا يزال رهين السجن .. ونحن نواصل السعي هنا لانقاذه ، وقد اقمنا اجتماعا ثانيا ، وقررنا مراجعة اللورد كتشنر والتمسنا منه ان تتدخل الدولة الانكليزية وتصون حياة بطل برقة .. ، والرجاء ان تشيعوا بين الناس ان قصد الحكومة ان تقتل الرجل لانه عربي يجاهر بضرورة الاصلاح في بلاد الناطقين بالضاد .

● اشراقات عربية بمصر

ومما يجدر بي هنا ان اذكره ان خليل حمادة باشا المصري ، وقد عرف بكفايته ونزعته العربية كانت الحكومة العثمانية استعارته لاصلاح الاوقاف قد جعل داره على اثر اعتقال عزيز علي ، ناديا سريا للشباب العرب .. وحدث ان وصلت اليه قصيدة احمد شوقي الموجهة الى السلطان فكلف كل شاب ان ينسخ من أبياتها التالية عدة نسخ لتوزيعها على العرب في الاستانة :

بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذي
ما انفك في جنب الهلال يسيل
هلا حللت عن السجين وثاقه
ان الوثاق على الاسود ثقيل
ايقول واش او يردد شامت :
صنديد برقة موثق مكبول !
هو من سيوفك أغمدوه لريبة
ما كان يغمد سيفك المسلول
فاذكر امير المؤمنين بلاءه
واستبقه ان السيوف قليل

وقد ترجم الاستاذ فهمي المدرس العراقي ، وكان استاذا للاداب في دار الفنون في الاستانة هذه الابيات الى التركية ، ورفعها السيد احسان الجابري الامين الثالث في السراي الى السلطان محمد رشاد فترقرقت الدموع في عينيه تأثرا .

وقد وصف جمال باشا وكان حاكما للاستانة في مذكراته الضجة التي اثارها الحكم على عزيز علي والنقمة العارمة بين العرب ، واعترف فيها بانه من اشجع العرب واكثرهم امانة وقال انه كتب الى انور يطالبه ببذل جهده لاستصدار عفو سلطاني عنه وتعهد بابعاده فورا ، وقد صدر العفو الشاهاني عنه ، وغادر الاستانة في اليوم التالي الى القاهرة .

وكانت احدى أماني ، وانا في صدر شبابي ان التقي عزيز علي ، ذلك لانني كنت القي دروسا في القضية العربيه في معاهد بغداد ، وكان اسمه يتألق في تاريخ

اشراقتها ، ويذكره عسكريو العراق بالاكبار . وفي زيارة لمصر رجوت صديقي اسعد داغر ، وكان مفتونا بعزيز علي ويقول انه هو الذي غرس فيه الشعور الوطني ورباه على اداء الواجب ، ان يقدمني اليه ، وكان اللقاء في دار عزيز علي ، في عين شمس ، وجرى حديث مفاض ، وكانت اسئلة مني وأجوبة منه ودار نقاش ، وغادرت داره يتنازعني عاملان : اولهما اعجاب بقوة شخصيته وتدفق حيويته وشدة صراحته وقوة ذاكرته وسعة اطلاعه ، وثانيهما شعور ببعض خيبة امل او بانكسار خيال كما يقول الاتراك فقد اومأ في الحديث الي أريته وكأنه يريد ان يقول انه شركسي الاصل ، غير عربي ، ويكاد ينكر بعض ما اثر عنه في مطلع الحركة ، وكان ينثر ، في ضيق صدر تهم الجاسوسية هنا وهناك ، ويوصيني بالحذر الشديد من رجالات العرب ، ولما سألت صديقي اسعد : هل كان عزيز علي كما رأيته الان ؟

فاجات مبتسما : « كلا ، كان شيئا اخر صبورا واسع الصدر ، بعيد النظر ، ولكن المصائب التي حلت به قد بدلت مزاجه ولم تبدل معدنه واكثر ما اثر فيه نكران تلاميذه جميله ، ورؤيته صغار الناس في اعلى المراتب ، وحين عودته من منفاه في اسبانيا رفض اقرباؤه تسليمه منزله بحجة انه تنازل لشقيقته عنه خشية مصادرة الانكليز له ولم يتسلمه الا بعد الدعوى القضائية ، اخلاقه لم تتبدل ، وحين « الحزة والكزة » يتبدى عنصر البطولة فيه . » وفي اليوم التالي أفضل علي بزيارتي في الفندق ، فاطلعته على ما كان يجول في خاطري من منهج عمل قومي ، وما اجريه من اتصالات وعلى تشجيعه اياي فقد استرسل في تحذيري من رجال السياسة والجواسيس ، ثم كانت لي معه لقاءات شعرت فيها ان التبجيل الذي يلقاه من المشتغلين بالحركة العربية ، في مشارق الارض ومغاربها هو في حسبانه الجزاء الوحيد الذي كوفيء به على ما ابلى في خدمة قضية العرب ، وهنا اذكر استطرادا أنه حين حملت الانباء خبر تأليف علي ماهر باشا في اغسطس ١٩٣٩ وزارته واختيار القطبين العربيين عبد الرحمن عزام وصالح حرب وزيرين فيها وتعيين عزيز علي رئيسا لاركان الجيش المصري او مفتشا عاما ، هللنا وكبرنا وابرقنا من بغداد مهنئين مباركين واغلب ظني ان كل عمل انيط به بعد ذلك ، وكان الاسفار الى موسكو في عهد الرئيس عبد الناصر اخر ما تولاه ، هو دون ما كان يطمح اليه

وبعد فانني اعتقد ان العقد الثالث من هذا القرن قد شهد من تحديات النزعة الفرعونية واشراقات الفكرة العربية ما يمكن ان تعد ارهاصات للعقد الرابع الذي تاسست فيه جامعة الدول العربية ، وكان لمصر النصيب الاوفر من الجهود لقيامها ، وللخمسينات التي انتقلت العروبة فيها من فكرة واتجاهات وتعاطف ومواقف الى « قومية » صارت طابع الدولة ، والمؤشر الاول في سياستها ، ولكنني قبل البحث في احداث العقد الثالث المتصلة بالموضوع اراني استذكر من احداث العشرينات او العقد الثاني ، ما لا يستكمل البحث من دون الحديث عنها :

كان المهرجان العظيم الذي اقيم للمناداة باحمد شوقي اميرا لشعراء العرب كما وصفه اديب العربية اسعاف النشاشيبي : « أعظم عيد عربي أدبي عرفته العربية منذ كانت ، وقد استمر اسبوعا كاملا ليله كنهاره » (١٩٢٧/٤/٢٩ ـ ١٩٢٧/٥/٦)) وما يهمني ان اذكر هنا ان وفودا من الاقطار العربية قد يممت الى المهرجان الذي كان مظاهرة عربية رائعة وان اعلاما من ادباء العرب وشعرائهم قد القوا خطبا وقصائد ، واعلاما من ادباء العرب وشعرائهم القيت بالنيابة عنهم خطب وقصائد وهدايا من اقطار عربية قدمت لشوقي منها نخلة من الذهب الخالص وجناها لؤلؤ من البحرين واخرى من عدن وثالثة من النادي العربي في بومباي ، ويقعد المرض رئيس الاحتفال سعد زغلول فينيب عنه كبير الوفد شح الله بركات وتتلى كلمة سعد في تكريم « شاعرنا العظيم امير الشعراء ولكن ضعفا صحيا حرمني هذا الشرف الكبير » ويشير سعد الى انتدابه بركات باشا « ليخص بأطيب تحياتي حضرات وفود الاقطار العربية الذين جشموا انفسهم مشقة السفر لمشاركتكم في هذا التكريم الكريم ، فأرحب بقدومهم ، وارجو لهذا الاجتماع النبيل كل نجاح ، وان يكون وسيلة صالحة لتوثيق عرى المودة والاخاء بين اهل اللغة العربية الشريفة في سائر الامصار . » وتلقي في حفلات الاسبوع قصائد وخطب لمحمد كرد علي واسعاف النشاشيبي والامير شكيب ارسلان وشبلي ملاط ووديع البستاني وبدر الدين



عبد الرحمن عزام

النعماني وانيس المقدسي ومحمد الشريقي وخليل مطران من اعلام العربية من غير المصريين ، وتنتدب الثورة السورية شاعرها خالد الخطيب بحمل كتاب تحية موقعا من قادتها يمجد الشاعر الذي خلدها بقصائده ، وقد وصف شوقي في قصيدة له مقدم رسول الثائرين ومما قاله :

دنـا مني فناولني كتابـا ... احسـت راحتاي لـه جلالا
وجـدت دم الاسـود عليـه مسكا ... وكـان الاصـل فـي المسك الغزالا
كـأن اسامـي الابطـال فيـه ... حـواميم علـى رق تتالـى
رواة قصائـدي قـد رتلوهـا ... وغنوهـا الاسـنة والنصـالا
اذا ركزوا القنـا انتقلـوا اليهـا ... فكانـت فـي الخيام لهم نقالا

ويحضرني من خطبة استاذي اسعاف النشاشيبي قوله في ختامها : « الا ان محمدا ، وذكر محمد وقرآن محمد ولغة محمد وعربية محمد وادب محمد كل ذلك لن يزول ، كل ذلك لن يبيد وفي الدنيا مصر » .

ولا أدل على الروح الوحدوية التي تجلت في المهرجان من قول اسعاف في احدى لياليه في كرمة ابن هانيء : « .. ان ليس بسمارك هو شائد الوحدة الجرمانية وان ذكر التاريخ ـ وقد يجور التاريخ ـ ذلك ، لكن شائد وحدتهم هو غوتي ، باتيها قبل بلغته وأدبه ، وان غوتي الامم العربية هو احمد شوقي .

ولمناسبة ما اوردته عن اسعاف ومما يتصل بالموضوع وحدث في العشرينات في تلك الآونة اذكر ان وفدا من الاساتذة الفلسطينيين قد زار مصر وعلى رأسه الاستاذ اسعاف النشاشيبي ، وكان مفتشا للغة العربية في معارف فلسطين ، ودعي الوفد الى حفلة تكريم في المدرسة الخديوية ، وفيها القى احمد حسين على المسرح تمثيلية عنوانها : « برغم أنف نابليون » وورد فيها : « ان نابليون لم ينجح الا في تحطيم انف ابي الهول على الرغم من كل المدافع التي اطلقت عليه .. وخاطب نابليون الجنرال كليبر قائلا : انسف هذه الصخرة والا ابتلعتنا مصر كما ابتلعت الفرس والرومان والعرب » فهاجت العبارة اسعافا فقال في حفلة الشاي بعد المسرحية : « هناك في هذه الحجرة قال لنا شاب مصري : ان مصر قد ابتلعت الفرس والرومان والعرب ، صحيح ام مصر قد ابتلعت الفرس والرومان ، ولكنها لم تبتلع العرب ، ذلك ان العرب جاءوا مصر بشفيعين : القرآن ومحمد ﷺ . ايها المصري انك جميل ، هناك في انكلترا جاء الانكلو فاختلطوا بالسكسون فكان هذا المزيج المتفوق وهم الانكليز (الانكلوساكسون) وكذلك انتم ايها المصريون : انكم عرب مصريون ، فكونوا لنا في المشرق العربي ما كانه الانكلوساكسون في انكلترا » ، ويقول الاستاذ احمد حسين : « واشهد ان اسعاف النشاشيبي قد هز وجداني واشهد انه كان يؤكد حقيقة تاريخية ثابتة ومؤكدة وهي ان المصري الحديث هو مصري عربي »

وفي العشرينات كانت تثار بين حين وآخر في الصحف والاندية مناقشات في الموضوع وحدث ان نشرت جريدة « الاحرار » اللبنانية صيف ١٩٢٧ مقالا قالت فيه : « ان مصر تستغل القضية العربية ، وكانت من قبل بمعزل عنها ، وقد تكون لها مطامع كالتي جاشت بنفس ابراهيم ووالده محمد علي الكبير » فرد عليها الدكتور محمد حسين هيكل في السياسة الاسبوعية ردا جميلا شأن الدكتور هيكل في كل ما يكتب ومما قاله : « فالمصريون يعلمون أن لاخوانهم اهل بلاد الشرق العربي من نبل العاطفة ما يجعلهم اشد غضبا لمصر من اهلها واشد ازدراء لهذه التهم التي يراد بها التفريق بين بلاد يربطها التاريخ وتربطها اواصر قربى في العاطفة واللغة والثقافة ، ويقرب بينها اكثر من ذلك كله توجهها بقلوب ثابتة ونفوس ممتلئة ايمانا بالحق والعدل نحو الحرية والاستقلال » وبعد ان حيا سورية وجهادها في ميدان

العروبة والاغتباط اذا هي اقتعدت مقعد الزعامة من الشرق العربي قال : « واذا كانت الظروف الحاضرة قد ألقت على مصر عبء هذه الزعامة ثم استغلتها مصر لشيء فانما تستغلها لتوطيد اركان الوحدة العربية وأنهى مقاله : « فاذا لم نتعاون في الجهد ولم نتضامن في اجتياز الطريق حاقت بنا مخاطر جمة لا ندري ما تكون نتائجها . فاما التعاون ففيه نجاتنا جميعا . ولا تفيد مصر منه اكثر مما تفيد أي دولة من دول الشرق العربي وانما يفيد الجميع منه لخير الحضارة والسلام في العالم » .

واذكر اننا معشر الشبان في نابلس ، وكنا نتلقف « السياسة الاسبوعية » ونقرأها شغفين ، قد فرحنا بمقال هيكل ولكنني قلت : « ولم تتنصل مصر من ان تطمع فيا طمع فيه ابراهيم باشا اليس قيام دولة عربية كبرى من اعظم الاماني ؟ » على اننا استنكرنا كلمة « استغلال » وبادر استاذنا المفكر محمد عزة دروزه الى كتابة مقال نشرته السياسة الاسبوعية انكر فيه على الصحيفة اللبنانية لهجتها وحمد لها كونها السبب في فتح هذا الباب « والشر في بعض الاحيان يشكر اذا انتج خيرا » وقال : « فالعرب في سورية وفلسطين وشرق الاردن والعراق لا يعرفون ان بينهم وبين مصر بعدا يجعلها غريبة عن القضية العربية ويجعل لكلمة الاستغلال هذا المعنى الاستعماري البشع الذي تحاول ان تهول به الفئة التي كانت ولا تزال آلة الاستعمار ومطية المستعمر .. واما ان مصر تحاول ان تقتعد مركز الزعامة في هذه القضية فان الحقيقة التي لا يمكن دحضها والمكابرة فيها هي ان هذا المركز هو الذي يدعو مصر اليه عن اختيار سائر الاقطار الشقيقة وطوعهم بل ورغبتهم والحاحهم » .

وما لبث الدكتور هيكل حتى واصل الكتابة عن الروابط المادية والمعنوية بين شعوب الشرق العربي « وهي تزداد كل يوم توثقا لا زدياد شعور كل واحدة منها باواصر القربى ولحمة النسب بينها في الخلق والتفكير وتصور الحياة » .

ومن الغريب ان معظم الذين كتبوا عن العروبة في مصر قد وضعوا الدكتور هيكل في صف خصومها وهذا يناقض الواقع ويزيف الحقيقة فسيرة الرجل واقواله واتصالاته ومواقفه تبرهن على عكس ما ادعوه ، وكانت لي واياه لقاءات ، وقد حاضر في بلدي ، نابلس ، وحاضر في حلب ، وضرب على وتر العروبة فابدع وأطرب .

ومن مساجلات العشرينات تلك الردود على سلامة موسى حين حمل على الادب العربي وقال عن اللغة الفصحى : « انها تبعثر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية ، والمتعمق في اللغة الفصحى يتشرب روح العرب .. ويعجب بابطال بغداد بدلا من ان يتشرب الروح المصرية وتوالت الردود عليه ، ورماه الكثيرون بالشعوبية ، حتى انه ، في هذا النطاق خاصة لم يفلح في ايجاد نصير له !

وقبل ان انتقل الى الحديث عن الاشراقات والتحديات في الثلاثينات في مقال تال ، ارى التنويه بعلمين من اعلام الدعوة العربية في العشرينات وبعدها اولهما العلامة المؤرخ احمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة ، وقد جعل داره في الفسطاط منتدى ومضيفة للمشتغلين في الحركة العربية ، وبلغت حماسته لعروبته مبلغا جعله في مقدمة الذين ابرقوا للملك حسين بن علي مبايعا اياه بالخلافة حين جرت البيعة في عمان .

وثانيهما فارس العروبة عبد الرحمن عزام ، ذو السابقة في الجهادالطرابلسي ، والذي جلى في الدفاع عن الفكرة العربية في الثلاثينات ، ومما اذكره هنا ان حفلا تكريميا أقيم للزعيم السوري الدكتور عبد الرحمن شهبندر في القاهرة كان عزام خطيبه وقد دوى صوته : « ... ولقد كان يحق لمصر كاكبر وحدة عددية ، وقد تكون حاملة لاكبر ميراث ان تحمل لواء القومية العربية .. ان ثورات طرابلس ومصر والعراق والريف وسورية ليست الا حركات البناء في تصميم الوحدة العربية ... واذا كانت معاول الهدم الاستعماري تتغلب على معاول البناء الثوري ، فلا يهولكم ما ترون فان المعنى لن يهدم والقاعدة الفكرية التي تشاد على التعاون العربي انما هي التي ترسخ اسسها ويثبت بناؤها وليعلم العرب كافة ان مصر مهما كانت ظاهرة الحال فيها ، فانها لن تتأخر عن المشاطرة وحمل نصيبها في بناء المجد ورفع لواء الحضارة العربية » !

■■

والى المقال التالي

اكرم زعيتر

رمضان و الانسان

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

وهل الانسان الا سيد الكائنات وخليفة الله في الارض ، أسجد له الملائكة ، وأنشأه في الأرض واستعمره فيها ، وكرمه وعلمه ما لم يعلم ، وعرض الامانة على السموات والارض فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ؟ !

ذلك بأن الله خلق الخلق اصنافا ثلاثة .. فمنهم من لا يصدر الا عن قوانين الطبيعة فيه استجابة آلية فان جاع فوجد الطعام أكل وإن ظمىء فوجد الشراب شرب وإن دعاه الجنس لبى .. فلا يميز خيرا من شر ولا حقا من باطل ولا تحركه الا الغريزة فهذه هي البهائم والسوائم العجماوات وما عليها في ذلك من ذام ولا ملام .

على أن من خلق الله كذلك ملأ أعلى اطهارا ابرارا يسبحون بحمد ربهم ولا يعصون الله ما أمرهم . أولئك هم الملائكة .. دائبين على عمل الخير لأنهم لا يعرفون الا الخير ، معصومين من عمل الشر لانهم لا يعرفون الشر .. فطرة فطرهم الله عليها فلا تجد لفطرة الله فيهم تبديلا ، لم يشذ منهم الا ابليس لحكمة شاءها الله وما يشأ الله يكن !

أما الانسان ـ ويا ويحي على الانسان ـ فقد خلقه الله نسيجا خليطا ، فيه غرائزه تدعوه وتلح عليه وتشده الى طبيعته الأرضية ، وفيه نفخة من روح الله تسمو به إلى الاعالي وتناديه الى عالم النور ، وفيه ذكاء وقاد يصلح ان يشق به طريقه الى الاعلى أو الى الاسفل ، وفيه ميزان زوّده به الله وركبه فيه يميز به بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وذاتية ذات إرادة داخلية يصنع بها قراره ويوجه سكناته .. « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

في المعركة

الانسان اذن في معركة دائمة قائمة فله فضل المقاتل على القاعد . وليست كبرى معارك الانسان معركته مع الطبيعة يسخرها بما آتاه الله من علم ، ويهذبها بما ابتدع من زراعة وصناعة ودواء وشفاء ومراكب تحمله بأسرع من الصوت أو تنقله في اقطار السموات والارض أو وسائل تجعل شتاءه دفئا وصيفه بردا وسلاما .. فكل ذلك وغيره حصيلة ما يكتشفه عقل الانسان من نواميس الكون فيكون تراثا علميا ينمو ويربو جيلا وراء جيل ولا تملك عجلة العلم الا ان تدور الى الامام ..

ان معركة الانسان الكبرى كانت ولا تزال معركته مع نفسه .. أيغلبها ام تغلبه .. ومعركته مع شهواته او نزواته ومطامعه ومطامحه .. لانها قد تدعوه الى شر ، وقد تدعوه الى ماليس له بحق ، وقد تغريه بحقوق الآخرين سواء كانت اموالا او اعراضا او اوطانا او مقدسات ، فان لم يتماسك الانسان امام شهوات نفسه لم ينفعه ما بلغ من علم او فن او قانون : بل استحالت انجازات العلم في يده الى وسائل مدمرة واجهزة فتاكة تزيد ضراوتها بزيادة ما بلغ الانسان من العلم .

شريعة الانسان وشريعة الغاب

لو سلكنا ـ ولو للحظات ـ مسلك علماء علم الحيوان الذين يصنفون المملكة الحيوانية (ولا أدري لماذا لا يسمونها الجمهورية الحيوانية مثلا) فيدرجون بينها « الانسان » وان جعلوه على رأسها ، وحاولنا ان نعرف لماذا كان الانسان انسانا ، وما الذي يمتاز به حتى بلغ ذروة سنام الخليقة لادركنا ان ميزة الانسان ان حياته على الارض وهو ينمو ويبني حضارته كان فيها معنى فريد لا يوجد الا في الانسان ، ويتلخص هذا المعنى في « كبح جماح النفس » . ليس الانسان اقوى من الدب ولا اسرع من النمر ولا اكثر نظاما من النمل ولا نشاطا من النحل ولا تكاثرا من الأرنب ولا صبرا من الحمار .. حتى ذكاء الانسان وعلمه قد يكونان عليه لا له ، واذا كنا حتى الآن نبكي ان قتل هابيل قابيل فان قنبلة ذرية واحدة قد قتلت مئات الالوف .

الانسان هو الكائن الحي الوحيد الذي استقرت في حياته ركيزة اساسية هي أنه يقول لنفسه « لا » ، حيث ينبغي أن تقال .. ولو لم يكن من تراث الانسان ان ينهى نفسه عما ليس بحق ولا بخير لبادت حضارة الانسان من امد بعيد .. ولو استمرت حياة الانسان بعيدا عن هذا المبدأ الأصيل فقد تبيد حضارة الانسان في زمن ليس بالبعيد »

إن الانسان .. الانسان الفرد والانسان الجماعة .. كلاهما معرض لرغب الحياة او رهبها وما يحملان من ضغوط ، وليس له من منقذ الا ان ترى بصيرته الحق من الباطل فيلزم نفسه الخير ويزجرها عن الباطل .

اعداد وتدريب

والرهبة او الرغبة تنطويان على أعباء قد تؤود النفس كما ينوء العضل بالثقل الشديد ..... وكما تنمي عضلاتنا

بالأثقال نحملها فتشتد عودا وتزداد قوة كذلك تنمي عضلاتنا النفسية بالتعرض لمشقة نصبر عليها وتقوى بها ارادتنا فنستعين بها على ما سواها من مشقات ، وهنا تتجلى حكمة الصوم الكبرى ... ان نعطش فلا نشرب ونجوع فلا نأكل ، وتدعونا شهواتنا او نزواتنا او مزاجنا او عاطفتنا او غضبنا فاذا نحن نمسك بتلابيب أنفسنا ان تجمح ولو في غير طعام او شراب ، وهذا هو درس الصيام ... نتدرب عليه في رمضان لكي يكون في عوننا بقية العام ... ونقبل عليه كل عام ليكون دورة تدريبية سنوية توثق ما بين الجندي وسلاحه وتجدد المعنى فلا يعفى عليه النسيان .

فهل من اجل ذلك أصوم ؟

لا ؛ وانما أصوم لانني اومن بالله واصدق أن محمداً رسول الله ، فان أمر الله فليس عندي الا السمع والطاعة ... ولو لم يأمر الله بالصوم على هذه الصورة لما صمت على هذه الصورة ..... ولو أمر بصيام شهرين لصمتها شهرين ... ولو كان الصوم امرا من غير الله لناقشت فيه ولكنه أمر من الله ففي هذا كفاية لي ... ولهذا فلا أحس حماسا للذين يدعون المسلمين الى الصوم لعلة ما فيه من فائدة للنفس او للجسم رغم أنني مؤمن تماما بهذه الفائدة ذائق لحلاوتها مستفيد بآثارها ان دعوة الناس للصوم ابتغاء لتلك الفوائد فقط تصبح اذذاك دعوة علمانية وتجعل الصوم نوعا من الرجيم الذي يصفه الاطباء ، ولكنها دعوة تتغاضى عن أساس وركاز لا تستقيم الامور عندي الا به ، وهي حقيقة الصلة بين الله الخالق والانسان المخلوق ، بين المعبود الذي لا يعبد غيره والعابد الذي لا يدعو مع ربه احدا ، فان استقر هذا المعنى واتضح فلا ارى من بعده بأسا في ان يكشف العقل عن فوائد الصيام ، ليطمئن قلب ، ويزداد ايمانا مع ايمان ، او تجلى حسنات الاسلام لغير ابناء الاسلام .

وعلى هذا الأساس كذلك فانه يصعب عليّ كثيراً ان افهم فلسفة كثيرين ممن حولي يحرصون على صيام رمضان وهم في ذات الوقت لا يؤدون الصلاة .. أتراه صياما اجتماعياً ؟ أم تراه صياماً صحيا ؟ لأنه إن كان صياماً تعبدياً فكيف تكون العبادة لمن يقول لله « نعم » في الصيام ويقول له « لا » في الصلاة ؟

رمضان والحرية

وكم بين الناس من يحسب نفسه حرا وهو في الحقيقة رهن اغلال وقيود لا يبصرها ولا تدور بباله الا ان اضاء النور ووقف امام المرآة ، ولست اعني النور الكهربائي ولا المرآة الزجاجية ؛ اذكر من تلمذتي اذ نحن في رحلة في سيناء ونفدت من احدنا سجائره فكأنما اسودت الحياة واعتكر الجو وطاش الحلم وطارت النفس شعاعا ، وأدركت وأدرك صاحبي انه عبد لتلك اللفافة التبغية الصغيرة .. وهل انسى ونحن في المعتقل زميلي الاستاذ الجامعي العالم وهو جالس القرفصاء يرقب بنهم وقلق احد الشرطة يدخن سيجارته ، حتى اذا ما فرغت والقى بعقبها على الارض انقض عليها زميلي مع غيره انقضاض الجوارح على الفريسة كل يريد ان يغنمها ؟ فيا للعبودية !

ونحن في رمضان لا نصاب بسوء التغذية كما يحلو لبعض الاخوة الملاحدة ان يهاجموا رمضان واثره على الامة الاسلامية وهي امة الفقراء على الاعم ... بل لعل اغلب الناس ـ ولست منهم ـ تأكل في رمضان اكثر مما تأكل في غيره . ولكننا نمارس الحرية . نكسر طوق العادة وطوق الادمان وطوق الشهوة ؛ هذا موعد قهوة الصباح مكن لها في نفوسنا اننا كنا نحسوها كل صباح ... وهذا هو الحنين الى السيجارة تدعو وتلح ولكن للنفس من ذاتها عاصما اسمه الارادة تكتشفه وتمارسه وتتحرر به ، وهو الحال ان استفحل ظمأ او جاء موعد غداء او تحركت نزوة او عاطفة .

ان الحرية قوة جبارة ... ولكن احدا من الناس لن يكون قويا الا اذا كان اقوى من نفسه ... كم من دكتاتور اذل اعناق الرجال وملأ السجون بالاحرار يحسب انه قوي بالجيش والشرطة والاستخبارات وهو في الحقيقة عبد مسير لشهوات الحقد والتسلط والانانية !! وكم من مليونير اخضع ليله ونهاره لتنمية ملايينه الى بلايين يحسب نفسه غنيا وهو في الحقيقة موظف سخر لخدمة هذه الثروة على اجحف شروط يمكن ان تحتويها

قوانين الوظائف العامة او الخاصة ... فاذا مات لم يحمده الا ورثته ، وكانت محمدته الكبرى عندهم انه مات .

غرائز ونوازع وشهوات ركبت فينا فملكتنا ... وفي رمضان درس للحرية بليغ ، ان شيمة الكلب ان يقضم العظمة تلقى اليه ولا يفعل ذلك بجوع ساعة بل بجوع سليقة ... ويوم تلقى الى كلب بعظمة فيتعفف عنها ويقاهر جاذبيتها في سبيل معنى اسمى او رسالة انبل او هدف ارقى فقد عرفت الكلاب الحرية ، وآذنت دولة الكلاب بصعود ... « ولكنهم لا يفعلون » .

رمضان والانتاج

وكم وقف رمضان في قفص الاتهام بدعوى أثره السيء على « الانتاج » .. حتى لقد أباح بعض الحكام الفطر فيه حتى لا ينقص الانتاج ... وهي تهمة لم نسمعها في حق نيف وخمسين من ايام الجمع كل عام ... وفي اجازات الاعياد الدينية والأعياد القومية وأيام التظاهرات يرتبها الحكام احيانا والمحكومون احيانا واجازات نصف العام وآخر العام وهلم جرا ...

أما اصحاب الاعذار فمعروفون وقد أباح لهم الشرع ان يفطروا ... واما الاسوياء فقد عرفت منهم من صام اثناء الحرب ، ومن صام في أوربا وامريكا حيث كانت تغيب الشمس بعد التاسعة ، ومن صام في بلاد المسلمين فكان اوفر انتاجا واخلص أداء واحرص على عمله من المفطرين .

كذلك عرفت منهم من يصومون ببالغ المشقة ولكن هل رمضان الا تدريب على المشقة ! ان الامة التي تدخل الى « الصيانة » شهرا كل عام تصبر فيه على امر ربها وتتلو قرآنها ، وتقوى ايمانها ، أمة لا تضيع وقتها ولكن تستثمره اوفق استثمار على المدى القريب والبعيد .

ولقد حدث لبعض الدول الاسلامية في رمضان الصيف القائظ انها تجعل الدوام الرسمي للمصالح من بعد العشاء الى السحور ... وهو بلا شك أوفق من ترك الصيام ... ويبقى بعد كل شيء صاحب الضمير مخلصا ومنتجا ولو أده الصيام ، ويبقى فقير الضمير عاطلا وكاسدا ولو اترع جوفه طعاما وشرابا وقهوة وسجائر !!

رمضان والعرب

وهل يشذ العرب عن مقتضى الركيزتين الرئيستين : الامتثال لأمر الله وكبح جماح النفس وهل كان لهذه الامة من كيان الا عندما وقفت في صف الله وكبحت جماح نفسها عن غير هداه ! وعندما صارت الخلافة ملكا وصارت الدعوة دنيا تمزقت الدولة دولا فدويلات ... ثم ألت إلى ما نهى عنه الرسول بقوله « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض » ..

ثم صار امرهم بددا بين المذاهب والاهواء والشعارات ... منهم من يستخدم الدين ولا يخدمه ، ومنهم من يتنكر له او ينكره ، ومنهم من يرقبه بحذر ، ومنهم من إتخذ إلهه هواه . شهوات لا عاصم منها الا أن غدا العربي اقوى من نفسه ، واقوى من عواطفه ، واقوى من الانفعال الآني ، وأقوى من الفقر ومن الغنى ، وأقوى من العبودية الا لله وحده ...... وعلى التاريخ عجزت ان ابصر في العروبة للعرب رباطا ... فما من رباط الا حبل الله يوحد امته عربا وغير عرب !

وبعـد

فلا عاصم من امر الله الا من رحم ... ولا مفر من الله الا اليه . ولقد جربنا السبل من ديمقراطية واشتراكية وقومية ومدنية وعسكرية وغيرها مما نسمي ولا نسمي ... فما زدنا الا ضياعا وما زال منا من يحوم حول الاسلام ولكن لا يدخله ، ورغم تداعينا الى الوحدة وتنادينا بها فما زالت الخطوط الكاذبة التي رسمها الاستعمار على خريطة بلادنا وسمّاها حدودا ، باقية قائمة نداقع نحن عنها ضد بعضنا البعض بالمهج والارواح ! ذلك اننا نريد ان نملك لا ان يملك الله ، وأن فينا عصبية تخشى ان يذيبها الاسلام ، وان شهوة الاستئثار بالمال أو بالارض او بالسلطان ما زالت تحجبنا عن رسالة الاسلام كما بلغها محمد عليه الصلاة والسلام .

اللهم الهمنا ان نكون اقوى من انفسنا ، واقوى من شهواتنا ، والهمنا أن الدنيا عارية وانها ليست الا مزرعة الآخرة ، وان لك انت ـ لا لنا ـ الآخرة والاولى . ■■

د . حسان حتحوت

أقوال معاصره

■ حكام واشنطن يتحدثون عن عدم رغبتهم في التدخل في الشئون الداخلية للبلاد الاخرى ، ماذا بقى لامريكا اذن من وسائل التأثير . انهم هواة مبتدئون !

ريتشارد هيلمن الرئيس السابق للمخابرات الامريكية

■ الف شخص ينتحرون فى العالم كل يوم، و ١٠ آلاف يحاولون الانتحار

(احصائية نشرتها مجلة اورويبو الايطالية)

■ تصدير اللاجئين من فيتنام وكمبوديا ولاوس اصبح مصيبة دولية .

بيان لوزارة الخارجية الصينية

■ ليس صحيحا أن المائة الذين قتلوا في المظاهرات من الاطفال، بل انهم جميعا كانوا شبانا بالغين !

(الامبراطور بوكاسا)

امبراطور افريقيا الوسطى

■ ان شق حركة عدم الانحياز لادخال بعض الدول فى فلك القوى العظمى ، هو جريمة لا تغتفر فى حق الضمير العالمى .

(الرئيس اليوجوسلافى تيتو)

■ انفقت البلدان النامية ١٠ بلايين دولار سنة ٧٦ على استيراد السلع الغذائية ، وهى تمثل ٨٠٪ من مساعدات التنمية التى تلقتها هذه الدول فى السنة ذاتها .

(ادوار جوما)

(مدير المنظمة الدولية للاغذية والزراعة)

■ لقد فقدنا موقعا حيويا فى المشرق ، هذا صحيح، ولكننا مقابل ذلك ، حصلنا على عمق استراتيجى يمتد من بيروت الى شرق ايران .

ياسر عرفات

■ لا نريد الغرب ، ولا ديمقراطيته !

الامام اية الله الخمينى

■ هناك خلافات عقائدية بيننا وبين السوفيت ، لكن هذا لا يعنى تجاهل اهمية الدور الذى يلعبه الاتحاد السوفييتى فى السياسة العالمية .

الامير فهد بن عبدالعزيز



بوكاسا



تيتو



الخمينى



عرفات

ازاء عمليات التفتيت والتشكيك :

محنة الرأى العام العربى

بقلم : جميل مطر

شهدت التطورات السياسية في الوطن العربي خلال الاعوام الثلاثين الماضية دورا بارزا مارسه الرأي العام العربي في التأثير على ممارسات ومسارات السياسة العربية . وتشهد التطورات الراهنة أعنف حملة منظمة ومدروسة لتحييد هذا الدور البارز تمهيدا لاحلال خريطة الشرق الأوسط محل خريطة الوطن العربي ، وسوف تشهد الأسابيع والشهور المقبلة صراعا مصيريا بين كل ما تمثله غزوة النظريات الواقعية التي تجتاح المنطقة وبين الفكرة القومية التي يعتنقها هذا الكيان السياسي الغريب والفريد الذي يطلق عليه الرأي العام العربي .

وهذه العلاقة المتبادلة بين القرار السياسي والرأي العام تحظى باهتمام كبير لدى علماء السياسة بسبب أنها من أكثر المعادلات السياسية تعقدا وتشابكا . فالمفهوم الشائع ان الرأي العام يفرض تأثيراته على صانع القرار السياسي وبالتالي يأتي القرار استجابة لهذا الرأي . ولكن هذا المفهوم لا يفسر الا وجها واحدا من وجوه هذه العلاقة اذ يمكن لصانع السياسة صنع رأي عام تجاه موقف معين تمهيدا لصنع قرار سياسي معين . وتختلف درجات نجاح صانعي السياسة في اعداد الرأي العام باختلاف درجات حرية التعبير التي تتمتع بها جماعات التأثير والمصالح أو الاحزاب السياسية أو الصحافة وغيرها من وسائل الضغط في المجتمع . وأحيانا يلجأ صانع السياسة الى

عرض قضية ما على الرأي العام في اطار أوسع أو أضيق من اطارها الحقيقي بهدف اخفاء المعالم الأصلية للقضية التي يعد لها قرارا سياسيا معينا لانه يعلم أن القرار الذي ينوي اتخاذه لن يحظى بتأييد الرأي العام اذا قدمه في اطاره الحقيقي . ولذلك فتقديمه في اطار أوسع أو أضيق من هذا الاطار يسمح له باخفاء كثير من الحقائق على الرأي العام وتفويت الفرصة على وسائل التأثير الاخرى لانتقاد صلب الموضوع

في مواجهة القضايا الكبرى

ومن أوجه العلاقة المعقدة بين الرأي العام وصانع القرار الوجه الخاص بقدرة الرأي العام على احباط قرار سياسي اذا اكتشف أنه تم اتخاذه ضد رغبته أو تسبب في نتائج لم تكن ضمن الاطار الذي عرضه عليه صانع القرار . ومن أمثلة هذا النوع من القرارات قرار جونسون المعروف بقرار « خليج تونكين » وقرار « خليج الخنازير » الذي اتخذه جون كنيدي . حينذاك يصبح الرأي العام عنصرا أساسيا من عناصر احباط مفعول القرار السياسي وقد يصل الأمر الى حدوث أزمة في الثقة بين السلطة الحاكمة والشعب وتنشأ فجوة تصديق تنعكس آثارها على بقية التفاعلات السياسية في المجتمع .

وأحيانا يكون الرأي العام قوة جارفة تكتسح في طريقها كل محاولات التعبئة او الترشيد التي يقوم بها صانعو السياسة . وقد ثبت انه ليس من الأمور الحتمية ان يكون القرا السياسي المتخذ استجابة لضغوط الرأي قرارا ناجحا ، اذ لا يستطيع الرأي العام أن يلمّ بكل تفاصيل الموقف وانما ينطلق من مبادىء وتجارب أساسية شكلت لديه « نظرية عامة » عن قضية معينة .

الا أنه يجب أن نفرق في هذا المجال بين الرأي العام الذي يتشكل تجاه قضية كبرى والرأي العام الذي يتكون تجاه مسائل عادية . فالرأي العام تجاه المسائل العادية انما يعتبر في الحقيقة « مزاجا » للشعب يتأثر بتغيرات غير معقدة . أما القضايا الكبرى فهذه يتكون لها رأي عام نتيجة تفاعل عدد من الاقتناعات الأساسية للشعب مع عوامل ثابتة أو شبه ثابتة متصلة بهذه القضايا . فحين يقال ان الرأي العام الأمريكي يؤيد اسرائيل و يتعاطف معها فالمفهوم من ذلك أنه توجد لدى القطاعات المؤثرة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مجموعة من الاقتناعات الدينية و العنصرية والتاريخية شكلت بدورها اتجاهات عامة ازاء « قضية الشعب اليهودي » ، وحقه في اقامة دولته على « أرضه التاريخية » ، وازاء صراعه مع السكان العرب الذين « تصادف » وجودهم على هذه الأرض . لذلك فان الاتجاه السياسي الأمريكي الذي يقضي بحق اسرائيل في التمتع بأفضل أسس « الامن الهجومي » في مواجهة اعدائها العرب ، اتجاه لا يتناقض مع الاقتناع الامريكي « الديني والتاريخي » بأن اليهود شعب ظلمته بقية الشعوب عبر القرون .

هذه القضية لا تتعلق اذن بمزاج أمريكي في لحظة معينة يمكن تغييره في لحظة أخرى . اذ يمكن بسهولة تغيير مزاج الأمريكيين تجاه قائد أو زعيم سياسي أو تجاه صنف من أصناف معاجين الاسنان . ولكن يصعب بشدة تغيير معتقداتهم الأساسية . ولذلك فان جميع المحاولات الجزئية التي تبذل لاكتساب تأييد الرأي العام الأمريكي للحق العربي لن تؤدي في أفضل الظروف الا الى تحسين المزاج الامريكي تجاه سلوك دوله أو تطور معين لا يتناقض مع الاقتناعات والاتجاهات الأساسية للرأي العام الامريكي تجاه القضية .

عن السياسة العربية

للرأي العام العربي تجاه القضايا العربية الكبرى مقومات تاريخية وعقائدية وسياسية واتجاهات أساسية تكونت نتيجة أعوام طويلة من القهر العثماني والأوروبي ونتيجة المواجهة مع الغزوة الصهيونية . وقد وجد اتساق بين الاقتناعات التاريخية وبين الاتجاهات التي تشكلت عبر تجارب خاضها الشعب العربي جيلا بعد جيل ، ومما جعل هذا الاتساق يتدعم ويترسخ أن الافعال الاستعمارية والاسرائيلية كانت تأتي على الدوام تأكيدا لقوة هذا الاتساق ، فكل اجراء اسرائيلي يجد مكانه على الفور داخل « الفهم » العربي العام للقضية القومية سواء كان الاجراء يستهدف التوسع واكتساب الشرعية عن طريق الأرهاب والحرب أو يستهدف التوسع عن طريق ادعاء اقامة السلام .



جونسون



جون كنيدي



جمال عبد الناصر

ويستوى عند هذا الفهم اسرائيل « المحاربة » وأسرائيل « المسالمة » . فالمشكلة بالنسبة للرأي العام العربي ليست مشكلة توصيف اسرائيل وانما هي مشكلة اسرائيل ككيان يلزم لاستمراره ـ محاربا أو مسالما ـ الغاء كيان عربي واحد على الأقل ومن هنا يتردد الاتهام الموجه من الصهاينة الى الرأي العام العربي بأنه لم يرتفع بعد الى مستوى الاحداث والتفكير الواقعي ، وانه يحلم بتحقيق المستحيل . بمعنى آخر يريدون أن يحرموا الرأي العام العربي الحق في أن يحلم في الوقت الذي تتمتع فيه الصهيونية ليس فقط بكل الحق في أن تحلم ، بل وان تحقق احلامها .

يرتبط هذا الموقف من اسرائيل والصهيونية بالموقف الأساسي تجاه أوروبا أو الغرب بصفة عامة . فقد أتت اسرائيل من هذا الغرب الأوروبي وبتأييده وتشجيعه ولذلك أصبحت اسرائيل في نظر الرأي العام العربي محاولة جديدة من أجل عودة الغرب لفرض سيطرته على المنطقة ضمن محاولاته التي يزخر بها التاريخ الشعبي للمنطقة العربية ابتداء بالغزوة الصليبية ومرورا بالغزوة الفرنسية في مطلع القرن الماضي ، وبضرب محمد علي « باشا » وعزل مصر عن العالم العربي وفتح ابواب مصر لاوروبا في عهد اسماعيل ، ثم تقسيم المنطقة بين الفرنسيين والبريطانيين في اعقاب الحرب العالمية الاولى وفي اطار هذه المقومات التي شكلت الرأي العام العربي يمكن فهم دوره في السياسة العربية . وقد يكون من الصعب في هذا الحيز الضيق حصر جميع التطورات السياسية التي لعب فيها دورا أساسيا ، ولكن تكفي الاشارة الى دوره في احباط حلف بغداد وعزل حكومة نوري السعيد التي جاهرت بضرورة التصادق والتحالف مع انجلترا ، ودوره في افشال عدوان ١٩٥٦ على قناة السويس وأثار هذا الفشل على التغيرات الدولية عموما وخاصة فيما يتعلق بقبول المراكز الاستعمارية في الشرق الاوسط . وادواره في تدعيم خطوات تحرير الجزائر وعدن وبقية الاجزاء المستعمرة في المنطقة العربية .

تجربة عبد الناصر

وحين نستعيد شريط الاحداث في الأسابيع الاخيرة التي سبقت حرب ١٩٦٧ نتذكر الدور الكبير الذي لعبه الرأي العام العربي في دفع الأمور تجاه التصعيد . والتفاعل المتشابك والمعقد الذي نشأ بين الاجراءات الشكلية التي اتخذت لارضائه واتقاء لضغوطه وبين تصاعدات هذه الضغوط ولعلنا نذكر ان جمال عبد الناصر قد اعترف بعد شهرين من الحرب بان الضغوط التي مارسها عليه الرأي العام العربي قبل نشوب القتال لم تترك مجالا للتروي أو معالجة الامور بشكل أكثر حرصا . ومع ذلك فقد كان الرأي العام العربي نفسه الأداة الفعالة التي حافظت على حيوية الأمة العربية بعد الحرب وشجعت المؤتمرين في الخرطوم على عدم تضخيم وقع الهزيمة العسكرية

والواقع أن النفوذ الكبير الذي مارسه الرأي العام العربي على عمليات صنع القرار في العالم العربي بدأ يبرز في نجاحه في احباط مشروع اقامة حلف بغداد . اذ كان انتصاره الساحق على الحلف ونجاحه في منع انزلاق

حكومات عربية أخرى الى الخلف وتجنيده أحد النظم العربية القائمة . البدايات المحسوسة لتفاعلات متعاقبة في المنطقة مارس فيها دوره بفعالية كبيرة . وبسبب نجاحاته المتعاقبة نصب نفسه رقيبا على التصرفات الدولية للحكومات العربية . وعند ذلك الحين نشأت ظاهرة غلبة التأثيرات العربية على التأثيرات الداخلية في عملية صنع القرار السياسي في الدول العربية . وهي بلا شك أحدى الظواهر النادرة في العلاقات الدولية . وترجمت نفسها في عديد من مظاهر السلوك الدولي في المنطقة العربية . اذ كثيرا ما تناقضت المواقف العلنية لحكومات المنطقة مع ما تخططه من سياسات . وهو ما سبب صدعا متزايدا في الثقة بين الرأي العام ونظم الحكم على اختلاف انواعها ومشاربها . وكثيرا ما نزل الحكام في نهاية الامر عند ارادة الرأي العام العربي على الرغم من تمتعهم بتأييد من الرأي العام الداخلي . وفي مرات حاولت الحكومات العربية تحقيق مصالح قصيرة الأمد او اقليمية المضمون عن طريق العمل الثنائي أو الثلاثي تفاديا لضغوط الرأي العام . أو حاولت الانعزال كلية عن العمل العربي الجماعي . ولكن لم تحقق هذه التجارب أهدافها بالشكل الذي كانت ترجوه هذه الحكومات . وظلت كل تجربة محصورة المجال ومقيدة الحركة . وفي كل هذه التجارب المعروفة لم يحاول نظام عربي ان يدخل في مواجهة سافرة تتعلق بالمقومات الأساسية للرأي العام العربي . بل ان كثيرا من الحكومات التي نفذت هذه التجارب لم تعدم وسيلة « تنافق » بها الرأي العام أملا في تأجيل أو تفادي رد فعله حتى تستقر التجربة وتتأكد قدرتها على مواجهة الرأي العام العربي من موقع الامر الواقع .

ويتبين من مسار التطورات السياسية في المنطقة العربية ان الرأي العام العربي لم يخضع في يوم ما لنظام عربي معين . اذ وجدت باستمرار حدود تفصل بين النظم السياسية العربية والرأي العام العربي . حتى انه في تلك الحالات التي تطابقت أو كادت تتطابق اتجاهات واقتناعات نظام عربي مع اتجاهات واقتناعات الرأي العام العربي لم تخل العلاقة المتبادلة بينهما من توترات بل واحيانا أزمات . والسبب في ذلك يعود الى أن الرأي العام العربي اتجاه قومي أوسع وأكبر من أي نظام بل ومن كل النظم مجتمعه . بينما توجد على النظم العربية التزامات تفرضها مفاهيم السيادة وقواعد العمل الدولي أو مفاهيم تتعلق بالمصالح الضيقة للطبقة الحاكمة . نفس الشيء ينطبق على العلاقة بين الرأي العام العربي والاحزاب السياسية العربية . وربما يفسر ذلك فشل قيام الحزب العربي القومي الواحد . لان قيام هذا الحزب يتطلب وضعا نموذجيا لا توفره الصراعات السياسية والاجتماعية السائدة في العالم العربي . كما يتطلب زعامة قومية وقدرة تنظيمية لم تفرزها بعد هذه الامة . وحتى لو توفرت الظروف والزعامة والقدرة اللازمة يظل هذا الحزب عاجزا عن التعبير عن آمال واتجاهات الرأي العام العربي التي هي فوق طموحات اي مجموعة من الافراد او المصالح .

عناصر القوة والضعف

يتفاوت نفوذ الرأي العام العربي في تطور النظام العربي بتفاوت مراحل ومجالات هذا التطور وباختلاف طبيعة تفاعلات هذه المراحل . وكانت اهم مجالات هذا النفوذ المحافظة على حد ادنى من « تعريب » السياسات الخارجية للدول العربية . اذ نجح الرأي العام العربي في أن يفرض نفسه عاملا من أهم العوامل التي تتحكم في صنع السياسة في العالم العربي . وأثبت في العديد من المرات قدرته على التخفيف من الآثار السلبية لقرارات عربية غير موفقة . وعلى مضاعفة قوة وفعالية قرارات عربية موفقة . ووقف حجر عثرة في طريق نجاح سياسات دول عظمى تستهدف سلامة الوطن العربي وأمن طاقاته وثرواته الأساسية .

من هذا المنطلق يصبح الرأى العام العربي مصدر قوة عربية مضافة . ويصبح بالتالي هدفا لكل صانعي السياسات الذين يعملون ويخططون للتحكم في الامة العربية او الذين يريدون التحرر من سيطرته ونفوذه . ولكن الرأى العام العربي ليس كبقية مصادر القوة مصدرا ملموسا أو واضح المعالم . وليس طاقة محدودة يمكن استنزافها . أو ثروة يسهل امتصاصها . انه شيء ما موجود في الوطن العربي . لا يرتبط بأرض أو زعيم أو

حزب أو طائفة ، هو تعبير الامة عن نفسها في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، هو صبرها وغضبها وهو حارسها .

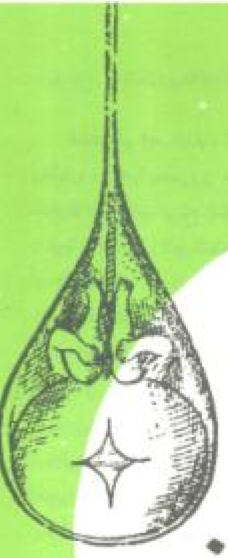
اذن فالرأى العام العربي في احدى نواحيه يتمثل في قوة الأمل والتفاؤل ، لانه من غير الممكن ان يقتنع انسان متشائم بفكرة قومية او تحررية ، او ان يتكون رأى عام من مجموع آراء يائسة . لذلك كان هدف تركيز الاعلام والسياسات المعادية منذ حرب ١٩٦٧ على استخدام كلمة الهزيمة كوصف لحالة سياسية نتجت عن معركة عسكرية هو نشر التشاؤم ، وهنا يتضح الفارق الكبير بين كلمة الهزيمة وكلمة النكسة . فترسيب وترسيخ الشعور بالهزيمة يهز اساس مقومات الرأى العام العربي ، لانه يعده للقبول بسياسات تتناقض مع هذه المقومات ، اما الاصرار على مفهوم النكسة فينبع من رغبة أكيده في الحاجة الى التعبئة ومواصلة النضال من أجل استعادة الحقوق القومية . ان أخطر تهديد يوجه للرأى العام العربي هو ذلك الذي يكون هدفه المقومات الاساسية التي تشكل عليها هذا الرأى ، وفي مقدمة هذه المقومات الأمل المتجدد نحو استخلاص الحقوق ومقاومة الخضوع للنفوذ الاجنبي . ولذلك فقد بنت اسرائيل سياستها على ضرورة الاستمرار في ارهاب وتخويف العرب ونشر اليأس في نفوسهم وتأصيل فكر وشعور الهزيمة ، واستخدمت لتحقيق ذلك سياسة الحروب المرحلية وضرب المدنيين والتهديد بما أسمته احتمالات استخدام يد اسرائيل الطويلة ، أي اليد التي تستطيع الوصول الى أبعد مكان في الوطن العربي والى أعماق النفس العربية .

ويرتبط بترسيخ الهزيمة نشر الوعي بضرورة دفع ثمنها كاملا . فالقبول بالهزيمة يعني الرضاء عن دفع الثمن من المقومات والاقتناعات الأساسية ، ويعني في الوقت نفسه عدم وجود بدائل أخرى غير الاعتراف بأن العدو متفوق وأنه منتصر وسيظل منتصرا وأن من حق المنتصر أن يحصل على مكافأة انتصاره من الحقوق العربية . وقد شاعت في الاونة الاخيرة مقولة أن العرب عاجزون عن ايجاد بديل ، وفي الحقيقة أذا رجعنا الى مقومات واقتناعات الرأى العام العربي لوجدنا البدائل متاحة ومتوفرة . واذا كانت بعض الحكومات العربية قد سدت على نفسها منافذ البدائل بارادتها أو سمحت بسد هذه المنافذ ، او عجزت عن رؤية البدائل ، فليس من حقها ان تفرض اليأس على الامة بأسرها بأن تضعها على طريق البديل الأوحد .

وللوصول الى هذا البديل الاوحد ، استخدمت الاطراف المعادية للامة العربية أسلوب الصدمات السياسية ، وهو أسلوب بديء في استخدامه في اعقاب حرب ١٩٧٣ ويهدف الى تمرير قرارات معينة في فترة زمنية تقع بين صدمتين حتى يكون الرأى العام عاجزا عن التقييم السليم أو التحرك لمنع الخطر الداهم . وقبل أن يستعد بالغضب او بالثورة تواجهه الصدمة التالية ، ومن خلال صدمات متتالية وقرارات تؤخذ في غيبة الرأى العام يتشكل في النهاية أمر واقع جديد . وقد ساهمت جهات دولية وعربية متعددة بقصد أو عن غير قصد في انجاح هدف هذه الصدمات . اذ شنت حملة تشكيك في كل الانجازات العربية التي حققتها الحركات والنظم الوطنية والتحررية العربية . وكانت بعض هذه الانجازات قد صارت اجزاء أصيلة من الاقتناعات الاساسية للرأى العام العربي ، وأعيد تقديم الصراع العربي الاسرائيلي في صورة هزائم متلاحقه تثبت العجز الدائم لهذه الامة ، واندلعت ثورات طائفية واشتعلت نيران الحروب المحدودة في عدة اماكن من الوطن العربي ، وانتشر الفساد والافساد بين فئات هامة من المثقفين العرب وهى الفئات صاحبة الدور الكبير في صناعة الرأى ، وضوعفت القيود على حرية التعبير في معظم انحاء الوطن العربي ، وخرّب العمل العربي المشترك عن طريق اضعاف الجامعة العربية والاتحادات والمؤسسات الشعبية وعن طريق تدعيم التجمعات الاقليمية والشعوبية .

وتتواصل وتتصاعد هذه الحروب ضد الرأى العام العربي بشكل عام والانسان العربي بشكل خاص بهدف فصل الاقتناعات الأساسية عن بعضها ثم التشكيك فيها واحدة بعد الاخرى ، وتعقيد مسالك البدائل امام الانسان العربي الا مسلكين ، مسلك يؤدي الى « الانتحار في العدو » بالاعجاب به والاندماج فيه ومسلك يقود الى « الانتحار في الذات » أي بالتبلد والانسحاب . ■■

جميل مطر



« هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء » قرآن كريم

تشكيل الجنين..

هذه الرحلة المثيرة!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

ظل عالم الاجنة الالماني هانز سبيان يدرس أجنة بعض الحيوانات الدنيا مثل الضفادع وقنافذ البحر وسمندل الماء وما شابه ذلك لأكثر من ثلاثين عاما متواصلة ، وقبل وفاته بست سنوات ، حصل على جائزة نوبل في العلوم البيولوجية عام ١٩٣٥ ، لأنه اكتشف ما أسماه « المنظم الأول » في تشكيل الأجنة .

صحيح أن سبيان لم يقدم لنا الا جزءاً صغيرا من فيض الأسرار العريضة التي تكتنف نمو الجنين وتشكله

الى أنسجة متباينة ، أو أعضاء متآلفة ، لكنه مع ذلك يستحق هذه الجائزة عن جدارة ، اذ ليس هناك ما هو أكثر غموضا ، وأصعب منالا من ادراك سر جنين وهو يبدأ من

بويضة ملقحة لا تكاد ترى ، ثم اذ به يمر بأطوار مثيرة ، ويتمخض عن تكوينات فيها من التناسق والروعة

والابداع ما يجعلنا نشعر شعورا غامضا ، وكأنما هناك أصابع يد سحرية توجه وتنظم وتشكل ، فتضع عينا هنا ، وفما هناك ، وتبرز طرفا ذات اليمين ، وآخر ذات اليسار ، ثم تنسق بين كل هذا تنسيقا مذهلا ، يتم تحت سمعنا وأبصارنا ، دون أن ندرى عما يجرى في الخفاء شيئا مذكورا .. كل ما ندريه أن يأتي الى الحياة مخلوق سوى متناسق ، وكل ما فيه يشهد بروعة في الخلق ، واتقان في الاداء .

عندما لم يجد العلماء الأوائل تفسيرا مريحا لما رأوه وعاينوه، راحوا يعبرون عن هذه الظاهرة البيولوجية المحيرة تعبيرات تريح النفس، لكنها تصيب العقل بالحيرة والضنى، لأن العقل يسعده أن يعرف، ويشقيه أن يجهل، فها هو ذا العالم المرموق كوفيير يكتب في عام ١٨١٧ فيقول «ان ولادة مخلوقات سوية هي أعظم أسرار الطبيعة والتنظيم العضوي على الاطلاق».. وحتى الى عهد قريب نسبيا يذكر عالم الخلية والوراثة ب. ولسون في عام ١٩٢٥ «ولكون خلية واحدة فقط تستطيع أن تحمل كل إرث المخلوق المعقد المتكامل، ثم لكونها قادرة على تشكيل حياة قوقع أو انسان في غضون أيام أو أسابيع، فان ذلك يمثل أعظم معجزة طبيعية».

وهو لعجزه عن ادراك ما يجري، لم يجد حرجا في ارجاع هذا الغموض الذي يسيطر على تشكيل الجنين الى ما أسماه بالمعجزة.

ومع أن العلم الحديث قد كشف لنا عن بعض أسرار المعجزة، الا أنها ـ مع ذلك ـ لا تزال أيضا معجزة تنحني أمامها رؤوس الأشهاد.. نعني العلماء الذين تاهوا في تفاصيلها أعظم تيه.

بين فكر قديم وحديث

وبينما كانت علوم الكيمياء والفيزياء والفلك والبيولوجيا.. الخ، تتشعب وتتقدم بداية من القرن السابع عشر وما بعده، الا أن أحدا من العلماء لم يجرؤ على أن يدلي بدلوه في الكيفية التي تتشكل بها الأجنة وتتطور.. لا في داخل الأرحام ولا في خارجها.. ومع ذلك فقد تقدم بعض الفلاسفة والعلماء في القرنين السابع عشر والثامن عشر بتصور غريب أراحهم من عناء التفكير.

لقد لاحظوا مثلا ـ ضمن ما لاحظوا ـ الحيوانات المنوية للانسان والحيوان وهي تسبح ـ تحت عدسات الميكروسكوب ـ بذيولها في نطفها، وقال بعضهم عنها انها ليست الا من عدليات تعفن في الغدد الجنسية، أو هي تنشأ فيها كما ينشأ الدود الصغير في «المش»، في حين ذكر البعض الآخر أن ما رأوه ليس الا طفيليات أو ميكروبات لوثت النطفة، الا أن فريقا ـ أكثر تعقلا ـ قد اعتقد ان هذه الحيوانات المنوية هي بذور الحياة التي ينشأ منها سائر أنواع الحيوان بما في ذلك الانسان.

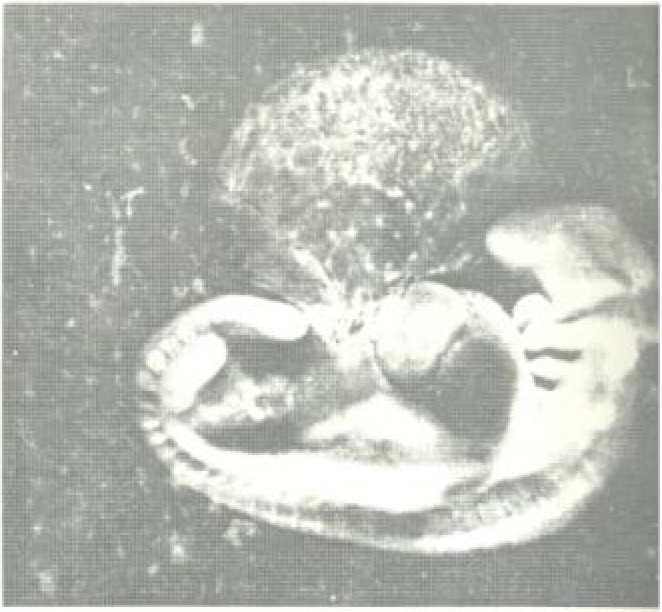
ثم ذهب خيال هذا الفريق الأخير الى ابعد من ذلك، واعتقد أن الانسان مثلا موجود بصورة دقيقة ومصغرة داخل الحيوان المنوي.. أو ان الحيوان المنوي الصغير نسخة ضئيلة للغاية من الانسان الكبير.. بمعنى أن هذه الخلية الجنسية الميكروسكوبية تحتوي على أطراف وبطن وأمعاء وقلب ورأس وأذنين وعينين وأنف وكل الأعضاء والأنسجة التي نراها في المولود أو الانسان البالغ، لكنها جميعا مطوية داخل الحيوان المنوي بصورة مصغرة للغاية، فاذا اتيحت لها الفرصة للحياة، فانها تتغذى وتتفرد وتكبر شيئا فشيئا، حتى تصير جنينا يمر بأطواره، ثم يولد.

الغريب ايضا أن بعض العلماء في ذاك الزمان ـ وبعضهم مرموق ـ قد ادعى أنه رأى بعض تفاصيل الانسان الدقيق وهي مصورة في الخلية الجنسية تحت عدسات الميكروسكوب، بل وذهب الى اكثر من ذلك، ورسم لنا صورة لما رأى!

وتمر عشرات السنوات بطيئة متثاقلة، ولا أحد يستطيع أن يمحو من الأذهان مثل هذه التصورات الساذجة، ذلك أن دراسة أطوار الأجنة تحتاج الى ملاحظات طويلة، وبحوث دقيقة، وأجهزة حساسة، كما أنها تنطوي على اسرار بالغة التعقيد، ولهذا بدأ العلماء الأوائل في اختيار أجنة حيوانات يمكن دراستها وملاحظتها تحت عدسات الميكروسكوب، وهجروا الى حين تلك التي تتطور داخل الأرحام.. وكان من ضمن ما اختاروه أجنة الضفادع وقنافد البحر (الرتسا) وسمندل الماء.. الخ، فهذه أو غيرها لا تحتاج في تربيتها وحضانتها وملاحظتها الى «تكنيك» دقيق، لأن أجنتها تبدأ في الماء وتعيش فيه وتتطور، ومن الميسور ـ والحال كذلك ـ دراستها تحت العدسات في قليل من الماء.

فسروا الماء ـ بالماء!

ولقد أيقن العلماء الذين جاءوا بعد ذلك خطأ فكرة الأوائل، خاصة بعد أن درسوا الخلايا الجنسية دراسة



جنين انساني عمره اربعة اسابيع ولا يصل وزنه لاكثر من سبعة اجزاء من عشرة آلاف جزء من الاوقية ، وطوله نصف سنتيمتر لا غير ... لاحظ بداية تكوين الرأس والسلسلة الظهرية والفص الامامي من المخ وبداية بروز العين الخ ... ولا شك ان تشكيله هنا ينطوي على معجزة عظيمة يحاول العلماء حل الغازها .

أكثر تفصيلا ، فلم يعثروا فيها على مخلوقات مصورة ، بل وجدوا مكونات دقيقة تحتل الخلايا ، لكن حيرتهم فيها قد زادت وتشعبت ، وجابههم في ذلك أصعب سؤال : كيف ـ اذن ـ تتحول هذه المكونات التي لا طعم لها ولا مغزى الى ضفدع أو حشرة أو فأر أو انسان ؟

وبدأوا يرقبون ويسجلون .. فوجدوا أن بويضة الضفدع أو قنفذ البحر أو أي كائن آخر تنقسم بعد عملية الاخصاب الى خليتين ، وذهبت الظنون ببعضهم ـ وعلى رأسهم العالم البيولوجي الألماني أوجست وايزمان ـ الى اعتبار هذا الانقسام في الخلية الملقحة بمثابة بداية في تخليق الجنين الى نصفين .. النصف الايمن من هذا الانقسام مسؤول عن خلق النصف الأيمن من الجسم ، والأيسر لخلق الجانب الأيسر ، ثم اذا انقسمت الخليتان بعد ذلك الى أربعة ، فان الخليتين العلويتين تكونان الجزء الأعلى من الجسم ، والسفليتين للجزء الأسفل .. وهكذا ، وكلما انقسمت الخلايا وتكاثرت ، فانها تأخذ في باطنها جزءاً من مادة الخلية الأولى لتدبر به شئونها ، فالجزء الحيوي الكامن في خلايا المخ مثلا غير الذي في الكبد أو العضلة أو الطحال .. الخ ، وهذه ـ بطبيعة الحال ـ ظنون خاطئة لا تخرج عن كونها تكهنات لا يساندها دليل .

ويأتي العالم الألماني هانز دريش في نهاية القرن التاسع عشر ، ويقوم بسلسلة من التجارب ، علّه يتحقق من الظنون التي راودت من سبقوه ، فأتى ببويضات ضفدع مخصبة ، وما أن بدأت تنقسم الى خليتين حتى رجها رجا عنيفا ، فانفصلت احداهما عن الأخرى ، وظن أن كل نصف سوف يتمخض عن نصف ضفدع أو جنين ، ولهذا نراه يكتب في مذكراته « لقد انتظرت بشغف ، وتطلعت الى ذلك اليوم الذي أرى فيه بدايات أنصاف الضفادع وهي تتحرك هنا وهناك ، وقد برزت أحشاؤها من جوانبها المشقوقة ، لكنني لا أشك لحظة انها ستموت ، اذ لا يمكن أن تستمر في حياتها وهي على مثل هذا الحال » .. ثم يعبر دريش عن دهشته وحيرته فيقول « لكن من الغريب أن أنصاف الخلايا لم تعط أنصاف أجنة ، بل وجدت أمامي مخلوقات كاملة تعوم في الماء بحرية تامة » !

ويتردد دريش طويلا في اعلان ما توصل اليه ، بل ذهب الى أبعد من ذلك ، وانتظر على البويضة الملقحة حتى انقسمت انقسامين متتاليين ، نتج عنهما خلايا أربعة متلاصقة ، ثم رجها رجا عنيفا ، حتى انفصلت ، وتركها لحالها ، وعندما عاد اليها بعد يوم أو يومين ، وجد كل ربع منها (أي خلية منفصلة) وقد انقسم بدوره الى خلايا كثيرة ، تحولت الى جنين كامل يسعى (طور من أطوار الضفدع المعروف باسم أبي ذنيبه) .. ثم ذهب الى أبعد وأبعد ، وانتظر حتى انقسمت البويضة الملقحة الى ثمانية أو ستة عشر ، وعندما فصل هذه أو تلك بطريقة الرج ، كانت كل خلية منها قادرة على أن تمنح جنينا كاملا ، ثم لا يلبث أن يمر بأطواره ، حتى يصل الى ضفدع يافع !

وعندما نشر دريش نتائجه على الملأ ، قوبلت بالمعارضة وعدم الارتياح ، وبدأت الاسئلة تنهال على رؤوس العلماء كالمطارق ، وانكبوا على دراسة هذه الظاهرة المحيرة في كائنات أخرى كثيرة ، وعرفوا أن العالم الألماني كان على حق ، وأن كل خلية جاءت من خلية ملقحة سابقة ـ بطريق الانقسام ـ انما هي نسخة طبق الاصل من تلك الخلية الاولى ، بدليل أن أيا منها يستطيع أن يعطي جنينا ، فكائنا سويا ، لكن هذه العملية لا يمكن أن تستمر على هذا المنوال ، فبعد زمن محدد يكون قد تم فيه عدد من الانقسامات ، ونتج منه خلايا طبق الاصل من بعضها ، بعد ذلك يحدث ما ليس منه بد ، اذ تبدأ الخلايا في التخلي عن « طفولتها » ، وتتميز الى خلايا أخرى تختلف ظاهرا عن الأصول التي منها قد جاءت ، ولولا ذلك ، لما كانت هناك خلايا مختلفة ، ولا أنسجة متباينة ، ولا أعضاء متناسقة كالتي تراها في المخلوقات التي تسعى أمامنا في كل آن وحين .. فلا أحد يستطيع أن يجادل في أن خلايا الجلد غير خلايا الكبد ، وأن خلايا المخ غير خلايا العظم .. الخ .. الخ .

اذن .. كيف تحولت هذه الأصول المتشابهه في بدايات الأجنة الى تكوينات خلوية قد تحسبها ـ لاختلافها ـ شيئا آخر غير الأصل الذي منه قد جاءت ؟ .. وما الذي أوحى الى هذه الخلية الجنينية لتكون عينا ، أو تلك لتكون لسانا أو غدة أو أمعاء أو طحالا ؟

أوحى الله فيها أمرها !

الواقع ان هذه التساؤلات وغيرها ، لمن أعظم التحديات الضخمة التي تجابه العلماء حتى الآن .. فلقد عرفوا من أسرار تشكل الأجنة القليل ، لكن بقي الكثير ، وكلما اكتشفنا منه شيئا ، وعرفنا لغزه ، عظمت في عقولنا سنن الله في خلقه ، وابداعه في تكويناته الدقيقة التي لا نكاد نحصيها عدا .

إن الجنين ـ أي جنين تشاء ، من أي نوع من المخلوقات تحب ـ يمر بأطوار محددة .. تراها تبدأ بسيطة ، وبخلايا متشابهة ، ثم بعد فترة زمنية ـ قدرت تقديرا لكل نوع من الأنواع ـ تشهد وكأنما هناك دافع خفي يحرك ويبدل ويغير ، ويبرز جزءا هنا ، ويحدث فجوة هناك ، وبالاختصار نرى فصول تمثيلية رائعة ودقيقة ليس كمثلها على الأرض مثيل .. ثم انها تتبع برنامجا زمنيا ، وكأنما هي تحمل في طياتها آلة غير منظورة ، لتقيس بها الزمن ، وتحدد الفصل القادم من تمثيلية تسري حلقاتها في دقة وابداع .

والعلماء يعلمون تماما أن هناك لغة سرية تنساب بين الخلايا الجنينية المتشابهة ، فتدرك مغزاها ، وتنفذ مضمونها ، وتستجيب لنداءاتها ، فتتغير ما بداخلها ، ويتغير بذلك شكلها ونمطها وسلوكها ، وقد تهاجر من موقعها ، لتنفذ رسالتها في جيرتها ، فتستجيب الجيرة للأمر الصادر اليها ، فتصبح سلالة خلوية جديدة ، لتهيىء نفسها لمهمة عاجلة ، تشارك بها في معمعة الأحداث التي تجرى حولها .. وهكذا تنطلق التوجيهات « والنداءات » في هذا العالم الصغير الصامت الذي يطوي أسراره بظلمات من فوق ظلمات .. هي في المقام الأول ظلمات تنعكس على عقولنا القاصرة ، فلا تكاد تدرك ما يجرى أمامها !

ولقد كان للعالم الألماني سبمان ـ الذي سبق ذكره ـ



امكن نقل « فنجان » العين في مرحلته الجنينية المبكرة وزرعه على رأس الضفدع عندما كان جنينا غير متميز ، وعندئذ تحول النسيج الكامن في الرأس الى عين ثالثة ، وهذا يوضح ان الاجنة تتشكل من خلال رسالات كيميائية موقوتة بأزمان محدودة .

بعض الفضل فى اماطة اللثام عن بعض هذه الأسرار .. فلقد ظل يرقب ويلاحظ ويسجل ويتعلم طيلة ثلاثين عاما ، حتى عرف من أين تنشأ العين ، وما هى حدود الرأس ، وموقع الأطراف ، ومن أى موقع ينشأ الجهاز العصبى ، أو الغضاريف والعظام .. الخ . لكن طموحه لم يقف عند هذا الحد ، بل كان يطمع فى معرفة بعض الأسرار التى توجه هذه الخلايا الأولى ، وتضعها فى مواضعها ، ثم تدفعها دفعا الى التميز والتشكل .

لقد استطاع مثلا أن يحدد الموقع الذى ستنشأ منه العين قبل أن تبرز الى الوجود ، فهناك بضعة خلايا غير مميزة تختفى تحت خلايا رقيقة تغلف الجنين .. هذه الخلايا المغلفة ستكون نواة لتكوين الجلد والبشرة ، وبعد فترة زمنية مقدرة ، تتكاثر الخلايا التى تحت الغلاف وتنمو ، ثم تبرز الى الخارج كانبعاج صغير ، ثم لا يلبث هذا الانبعاج البارز أن يغير شكله ، ويصبح أقرب الى هيئة قبعة دقيقة ، ومن هذا البروز (أو بداية العين) تبدأ محاور عصبية فى النمو والامتداد حتى تتصل بموقع محدد فى المخ البدائى ، ثم بعد فترة أخرى يبدأ غطاء العين الخارجى فى الانبعاج الى الداخل ليبدو وكأنما هو فنجان ذو جدارين .. الجدار الداخلى من « فنجان » العين يتميز الى خلايا أخرى جديدة ، وهى التى ستصبح فيما بعد الشبكية ، فى حين أن الجدار الخارجى ينمو ويتمدد ويحيط بجسم العين ليحميها ويحدد شكلها .. وفى الوقت الذى تتشكل فيه الشبكية ، تبدأ خلايا البشرة التى تغطى العين فى التشكل أيضا ، فنراها وقد تحركت الى الداخل لتحتل فتحة الفنجان ، ثم تتحول من خلايا بشرة الى عدسة العين التى توجه الضوء الى الشبكية ، وبعد أن تكتمل هذه السلسلة من التكوينات ، تبدأ القرنية فى الظهور بمثابة نافذة تحمى العين .

ان ما ذكرناه فى تكوين العين ليس الا قشورا علمية ، أو وصفا مبسطا لعمليات معقدة تتم خطوة خطوة ، ولو أمسكت بساعة زمنية ، لوجدت أن كل خطوة منها ، مقيدة بفترة محددة ، ولا يمكن ـ بعد ذلك ـ أن يظهر تكوين ، الا اذا ظهر تكوين سابق ، وهذا يعنى

ببساطة شديدة أن التكوين السابق قد جهز كلمة سر كيميائية يوجهها الى التكوين اللاحق ، فيدرك مضمونها ، ويبدأ بدوره في تجهيز كلمة سر أخرى مختلفة يوجه بها الخطوة التالية .. وهكذا ، ومن أجل هذا نرى العين في النهاية وقد اكتسبت أنسجة مختلفة ، ولكل نسيج منها وظيفة محددة ، وموقع مقدر ، رغم أنها نشأت جميعا من خلايا غير مميزة !

والواقع أن هذا التغير والتشكل يسري على أساس ما أسماه سبيان بعملية الحث الكيميائي ، بمعنى أن كل نسيج أو خلية تصنع مادة كيميائية ، لتحث بها غيرها ، فتتغير ما بها ، وتتحول هذه الى نسيج جديد يأخذ دوره



ضفدع بثلاث ارجل ... ولقد امكن تحقيق ذلك بزرع برعم لقدم من جنين ضفدع آخر ، وحث هذا ذاك بمواد كيميائية ، فتكونت ساق ثالثة في الضفدع البالغ .

وموقعه الملائم من أجل التناسق في مرافق الجنين المختلفة .. ولا يزال الحث ينتقل من نسيج الى نسيج ، حتى يتم المراد من رب العباد !

العين في غير موضعها .. وهلم جرا !

على أن سبيان قام بتجربة غريبة على بداية الجنين ، اذ نزع فنجان العين من موضعه بطريقة الجراحة الدقيقة ، ثم زرعه تحت خلايا بشرة البطن ، وعندئذ بدأت خلايا البشرة في تغيير هويتها وتحولت الى عدسة العين ، وبعد ذلك بدأت العين تتكون في البطن بدلا من الرأس !

وقد تبدو هذه المحاولة الغريبة بمثابة تسلية أو لهو لايقدم في معرفة أسرار الخلق ولا يؤخر ، لكنها - في الواقع - ليست لهوا ، إذ هي تنطوي على بداية موفقة تفتح أذهاننا على أسرار لا أول لها ولا آخر .. فعندما انتقل فنجان العين الى ما تحت بشرة البطن ، كان يحمل معه كلمة السر الحاثة على تغيير تلك البشرة وتحويلها الى عدسة عين ، ولا يهم ان كانت هذه البشرة على ذراع أو رقبة أو قدم أو ظهر ، الخ ، اذ هي - أي البشرة - تظل على حالها في أي موقع من مواقعها حول جسم الجنين ، ما لم تأتها رسالة كيميائية خاصة تدفعها الى التغير ، فتتغير كما تغيرت من قبل وهي تغطي فنجان العين على الرأس - الا أن عدسة العين التي نشأت على البطن لا تستطيع أن تتقبل أمرا آخر لتتغير به الى شيء آخر ، فما دامت قد حققت شخصيتها ، فانها لا تتخلى عنها !

ولقد اكتشف سبيان ما أسماه « المنظم الأول » أو الحاث الأول .. اكتشفه في بضع خلايا جنينية ستحول فيا بعد الى ما يعرف باسم الحبل الظهري والفلقات .. فهذا وتلك يحثان خلايا الجلد أيضا لتتخلى عن طبيعتها ، وتتحول الى قناة عصبية ، ومن هذه القناة تنشأ - في فترة لاحقة - نواة الحبل العصبي والمخ .. ثم ان شبكة الأعصاب بدورها تنتج مادة أو مواد كيميائية لتحث بها خلايا جنينية حولها ، فتحولها الى انسجة أخرى ، فيقوم كل نسيج ببعث مادة حاثة جديدة ، لتحث ما حولها .. وهكذا تسري الامور على هيئة برنامج زمني

مقدر ، ومن خلاله تتغير الخلايا وتتطور .. خطوة من وراء خطوة .. وهكذا !

ومن أغرب التجارب التى قام بها سبهان انه فصل القناة العصبية من موضعها فى جنين ، وزرعها تحت جلد جنين آخر لم تتميز خلاياه بعد ، فكان أن ظهر جنين جديد فى المنطقة التى زرعت فيها قناة العصب المنقولة ، وكأنما لدينا توأمان ملتصقان ، وتعليل ذلك لا يخفى على لبيب ، فقناة العصب المزروعة تحتوى على العوامل الحاثة التى تشكل جزءا من الخلايا فى الجنين الجديد ، فكان أن تقبلت الأوامر قبولا حسنا ، وبدأت فى سلسلة من الأحداث الموقوته ، لتشكل جنينا يلتصق بالجنين الأصل الذى امتلك بدورة منظمه الخاص به أيضا ، ليستخدمه فى تشكيل نفسه !

ولا بد هنا من ذكر حقيقة هامه .. ان الحث الكيميائى متاح فقط للخلايا الجنينية التى لم تتميز بعد الى نسيج محدد .. فهذه الخلايا الجنينية الأولى يمكن اعتبارها « بسبع صنايع » ـ على حد قول المثل العامى ، أو أنها خلقت لكل المواقف ، فلو أتيت ببعضها فى طبق زجاجى ، وأمددتها بمادة حاثه معينة ، فانها تتحول مثلا الى خلايا كبدية ، وتحتفظ بهويتها دون أن تستجيب لأى حث آخر بعد ذلك ، أو قد تتحول هذه الخلايا الجنينية غير المميزة الى خلايا عظام ، أو دماء ، أو عضلات ، أو طحال ، أو كلاوى .. الخ كل هذا يتوقف على نوع المادة التى تحثها وتأمرها .

دلائل أخرى

والتجارب التى أجراها العلماء فى هذا المجال كثيرة ومتنوعة ، وهى توضح لنا أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى فى هذه الخلايا أمرها ، ورصد لها زمنها ، وقدر لها برونجرامها ، وسرى كل شىء فيها حسب شرائع وسنن لا خلل فيها ولا فوضى .

لقد عزل اثنان من العلماء الفرنسيين جزءا صغيرا من بشرة جنين كتكوت (فرخ صغير) ، وزرعاه فى طبق زجاجى وأمداه بالغذاء المناسب ، ونمت البشرة وتفرطحت ، لكنها فشلت فى انتاج أى أثر من الريش ، وعندما أضيف اليها جزء من خلايا عصبية من نفس الجنين ، بدأ الريش يظهر ، وهذا يعنى أن الخلايا العصبية تحمل معها كلمة السر أو المادة الحاثة لخلايا الجلد ، لتتم الخطوه التالية .. أى انتاج الريش على جلدها .

وفى الكلية مثلا تنتشر أعداد رهيبة من الأنابيب الدقيقة التى ترشح النفايات مع البول ، لكن هذه الأنابيب قد تكونت فى الحالة الجنينية من نوعين من الخلايا لا يمتان لبعضهما بصلة تذكر ، ومع ذلك كان لابد من وجودهما متجاورين ، ليتبادلا الحث أو الرسائل الكيميائية ، وعلى هداها يتعاونان فى تنشئة هذه الأنابيب الهامة التى تتوقف عليها حياتنا ، اذ لوغابت احداها ، ولم تتخاطب مع الأخرى ، فلا تنتظر من الكلى خيرا !

كما أن الغضاريف ما كانت لتنشأ لولا حث يأتيها من الجهاز العصبى .. والعلماء يستطيعون التدليل على ذلك فى الأطباق ، فلو أتيت ببعض الخلايا التى ستكون من المفروض غضاريف ، ووضعتها بمفردها ، فانها تبقى على حالها خلايا عادية ، لكن ما أن تضيف اليها بضع خلايا عصبية ، الا وتستجيب لرسالتها ، فتحثها لكى تعلن عن هويتها الكامنة ، فتخرج من صمتها ، وتتحول الى غضاريف ، ثم الى عظام .. وهكذا .

والواقع أن الموضوع ـ بعد ذلك ـ طويل جدا ، وفيه من المتاهات والأسرار ما يشغل الآلاف من علماء الأجنة الذين يعملون فيه ليل نهار .. لكن فيما قدمنا الكفاية ، لتعلم قبسة ضئيلة من الحقيقة الخالدة ، فهى دليلنا الحى المجسم على بديع وحى الله فى مخلوقاته .. والوحى الذى نقصده هنا هو وحى نظام فى المقام الأول « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

لكن بقيت لنا كلمة أخيرة .. اذ أحيانا ما تخطىء الرسالات الحاثة بين الخلايا ، أو قد تضل طريقها نتيجة لعوامل طارئة ، وعندئذ يحدث ما لا تحمد عقباه ، وتنتج بذلك مخلوقات غريبة ، ولهذه موضوع آخر ، لنعلم منه مالم نكن نعلم ، وما أكثر ما لا نعلم ! « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

هذا الخطر القادم

عندما تودع
أسرار الناس
داخل
بنوك المعلومات !

بقلم : الدكتور حسن احمد عيسى

هل يأتي يوم تخزن فيه اسرار الناس في كل بلد داخل بنك للمعلومات ؟

وهل تخلو العملية من تهديد لحرية الاشخاص اذا كشفت ، وربما تعويق لسير العدالة اذا حجبت ؟

هذه المشكلة ، تطل برأسها الآن ، رغم انها لازالت في البداية ، اذ انها مقصورة في المرحلة الراهنة على البحوث التي يجريها علماء الاجتماع على جوانب سلوك الانسان وحياته الشخصية ، وسلوك الجماعات التي يتكون منها المجتمع من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وهم يستخدمون في هذه البحوث عينات كبيرة من السكان بحيث تكون العينة ممثله للمجتمع ككل ، حتى يمكن تعميم نتائج هذه البحوث على المجتمع نفسه .

والسؤال الذي يثار عادة هو : ما مصير هذا الرصيد الهائل من المعلومات التي تتجمع لدى هؤلاء الباحثين ، أفرادا أو هيئات ، بعد ان ينتهوا من أبحاثهم ؟ هل يحتفظ بها الباحث لنفسه ؟ أم يتلفها ؟ أو يتركها مهمله في زوايا النسيان ؟ أم يحتفظ بها للاستفاده منها بوجه عام في بحوث تالية ؟

ان تكرار البحوث يتطلب استخدام عينات جديدة ربما كانت لها نفس الخصائص . وهذا ما يؤدي الى ضياع الجهد والنفقات فيما كان يمكن توفيره باستخدام نفس



العينات السابقة والاستفادة من المعلومات المتوفره عنها .

من هنا نشأت الحاجه الى الاحتفاظ بالمعلومات . وبزغت الفكره في بعض المجتمعات المتقدمه تكنولوجيا في صناعة الحاسبات الالكترونية كالولايات المتحدة الامريكية حيث تحولت الى فكرة انشاء بنك قومي للمعلومات .

وقد أكد بعض العلماء الاجتماعيين بشكل ملح على ضرورة وجود مثل هذا المركز القومي في كل بلد ، بحيث يقيم بيانات البحوث المختلفة ويحتفظ بها بشكل دائم فيوفر معلومات عن افراد المجتمع او عينات منه ، ويكون من وظائف هذا البنك تسهيل التحليل الاحصائي للبحوث الاجتماعية ، ويضع نهاية لتكرار الجهود في البحوث الميدانية خاصة . وهي البحوث التي تقوم بها المؤسسات المختلفة في المجتمع .

مشكلة الحرية الشخصية

ولكن هناك مخاطر عديدة لمثل هذه البنوك تتمثل في ان هذه المعلومات ترتبط بأشخاص لهم الحق في التمتع بحريتهم الشخصية . فما الضمان في الا تهدد مثل هذه المعلومات حريتهم الشخصية وحياتهم الخاصة ؟ وما الضمان لعدم اساءة استغلال هذه المعلومات ضدهم ؟

حول هذا الموضوع بالذات اختلف العلماء في موقفهم من فكرة انشاء مثل هذه البنوك . فبينما يرى بعضهم ان مثل هذه البنوك قد توفر مصدرا قيما للمعلومات ، للبحوث الاجتماعية ، يرى البعض الاخر ـ ممن تهمهم قضية الالتزام الاخلاقي للعلم ـ ان هذه البنوك تتضمن في الوقت نفسه تهديدات خطيرة للحياة الشخصية للافراد ومدى ضمان سريتها وخصوصيتها .

فالبحوث في مجال العلوم السلوكية قد تتناول اخص خصائص الانسان وسلوكه الشخصي الحميم ، ويكفي كأمثلة على ذلك البحوث التي تتناول السلوك الجنسي ، مثل بحث « كنزي » عن السلوك الجنسي لدى عينتين من الذكور والاناث في المجتمع الامريكي . او البحوث التي تتناول السلوك المنحرف كالجريمة او تعاطي المخدرات بانواعها ، كبحث تعاطي الحشيش الذي اجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر على عينة كبيرة من الذين وقعوا تحت تأثير التعاطي .

وحتى يمكن الاستفادة من مزايا بنك المعلومات دون التعرض لاخطاره على الافراد ، اقترح بعض العلماء ، عدة طرق لحماية بنوك المعلومات ، حين تنشأ ، من هذه المخاطر . وربما كان من الممكن ان تتبنى الهيئات التي تقوم بالبحوث السلوكية هذه الطرق فيما تقوم به من بحوث حالية تعتمد فيها على الحاسب الالكتروني وعلى تخزين المعلومات فيه وطلبها عند اللزوم . وتعتبر هذه في الواقع بداية لبنوك المعلومات الآن على نطاق ضيق .

هل تنجح الضمانات ؟

واول هذه الطرق يتطلب ان يتضمن برنامج الحاسب الالكتروني في بدايته طلبا لتحديد شخصية من يستعمل البرنامج ليراجعها الحاسب على قائمة موجودة لديه تضم كل من يكون لهم حق استعمال هذه المعلومات . وان يتم التحقق من الشخصية بطريقة فعالة كأن يكون عن طريق التعرف على بصمة الاصبع ، او بصمة الصوت (وهي عبارة عن تسجيل صوتي دقيق محلل بواسطة ادق الاجهزة الصوتية للتعرف على خصائص الصوت ونبراته الفريدة التي لا يتشابه فيها اثنان من البشر) .

وثاني هذه الطرق هو ان يكون للحاسب الالكتروني ان يسجل شخصية كل من استعمله ، وان يحدد البيانات التي استعملها .

وثالث هذه الطرق هو ان ينبغي على الحاسب ان يرفض الطلبات التي تقدم له لطلب معلومات عن افراد بعينهم ، اذ يجب ان تطلب هذه المعلومات عن الجماعات وليس عن افراد .

وهناك مشكلات اخرى تنشأ في حالة « الدراسات الطولية » أي التي تتبع مجموعة معينة من الافراد وتجمع عنهم البيانات في مجال ما على فترات طويلة من الزمن . وتدور هذه المشكلات حول ضمان سرية المعلومات التي تتضمنها بيانات هذه الدراسات الطولية . فاذا جمعنا بيانات عن مجموعة معينه من الافراد على فترة طويلة من الزمن ، فلزام علينا لكي نحتفظ بسرية هذه البيانات ، ان نجمع بيانات مماثله عن مجموعة متكافئة معها من الافراد ، بحيث يكون امامنا فرصة لاختيار بيانات اي من المجموعتين ، وهكذا يمكن اخفاء شخصية الافراد الذين استمدت منهم هذه البيانات .

« ملف الربط »

وفي حالة الاحتفاظ بالمعلومات في الحاسب الالكتروني ، ينصح بعض العلماء باستخدام نظام يعرف باسم « ملف الربط » او الكشاف وهو نظام يضمن سرية البيانات ، واستجابة الحاسب باعطاء هذه البيانات بطريقة لا تكشف عن اسماء اشخاص ، خاصة بالنسبة لانواع معينة من المعلومات التي تمس الحياة الشخصية للافراد .

واساس هذا النظام هو ان تحفظ المعلومات في ملف خاص بها دون ان يكون عليها اسماء اصحابها . ثم تحفظ الاسماء في ملف آخر بعيدا عن الملف الاول . ويكون هناك نظام ترميز عشوائي مشترك للتعرف على الافراد او على المعلومات .

ووظيفة ملف الربط او الكشاف هي الربط بين المعلومات الخاصة بالبحث واسماء الافراد الذين تخصهم هذه المعلومات .

وفي حالة الدراسات الطولية يمكن استخدام اجراء يؤدي لمزيد من التحوط والسرية . ويقضي هذا الاجراء بان تحفظ البيانات التي تجمع في كل فترة زمنية من فترات الدراسة الطولية في ملفات منفصلة عن بعضها مكانيا . وتشتمل على طريقة ترميز تتيح التعرف على بيانات كل فترة زمنية ، وبحيث يحتوي احد الملفات على معلومات عن الافراد موضوع البحث ونظام ترميز عشوائي للتعرف عليها ، بينما يحتوي ملف ثان على اسماء الافراد وعناوينهم بنفس طريقة الترميز السابقة . وفي الفترة الزمنية التالية يتم عمل ملف ثالث بنفس الطريقة .. وهكذا ..

في مواجهة القضاء

ويواجه الباحثون في العلوم الاجتماعية احدى المشكلات القانونية الهامة وهي التي تتعلق بتعهداتهم للافراد الذين يستخدمونهم في بحوثهم كمصدر للمعلومات بان تظل هذه المعلومات سرية . فمثل هذه التعهدات ليس لها اى سند قانوني يدعمها مثلما هو

الحال بالنسبة للاطباء ورجال الدين او ان مثل هذا السند ضئيل للغاية .

واوضح الامثلة على ذلك ما يحدث عند استدعاء هؤلاء الباحثين للادلاء بشهادة في المحكمة عن اية معلومات او امور تخص المفحوصين الذين اجروا عليهم بحوثهم . والادلاء بالشهادة له الاولوية من الناحية القانونية على تعهد الباحث بالسرية لمفحوصيه . وهو مطالب امام المحكمة بعدم اخفاء اي معلومات يعرفها عن هؤلاء الاشخاص . والا اعتبر مخالفا للقانون بكتمانه لمعلومات تؤدي الى تعويق سير العدالة . وحتى يحين ذلك الوقت الذي تعطي فيه النظم القضائية والتشريعية للباحثين في العلوم الاجتماعية هذه المكانة المتميزة التي تسمح لهم بالاحتفاظ بسرية المعلومات عن مفحوصيهم ، اسوة بما هو متبع مع الاطباء ورجال الدين . سيكون من الضروري لهؤلاء العلماء في بعض الحالات ان يودعوا « ملف الربط » او الكشاف الذي يساعد في التعرف على شخصية الافراد في احد اجهزة الكمبيوتر التي توجد في اي بلد اجنبي غير بلده .

والصحفيون ايضا

وتمس مشكلة السرية هذه فئة اخرى هم الصحفيون الذين يعتمدون عليها لحماية مصادر معلوماتهم . وهم يعتقدون ان هذه المصادر ستمتنع عن امدادهم بالمعلومات اذا لم تكن على ثقة بانها ستبقى سرية ، وسيتوفر لها نوع من الحماية ضد عمليات القمع الحكومية .

ورغم ان هناك قوانين تحمي حرية الصحافة في كثير من البلاد ، الا انه كثيرا ما تلجأ بعض الحكومات الى رفع دعاوى قضائية ضد الصحف والصحفيين لاجبارهم على كشف مصادر معلوماتهم التي قد تكون من كبار موظفي الحكومة نفسها او من المعارضين لها . وقد احصيت في الولايات المتحدة مثلا حالات تفوق المائتين لمحاكمات من هذا النوع الذي يكون هدف الحكومة فيه كسب الحق في اجبار رجال الصحافة على كشف مصادر معلوماتهم .

ونفس هذا الوضع ينطبق على الهيئات العلمية الاكاديمية التي تزايد حذرها من محاولات الحكومة لكسب مثل هذه الحقوق التي تتيح لها معرفة مصادر المعلومات الاكاديمية التي تحصل عليها هذه الهيئات . ومن اشهر الامثلة على ذلك ما قامت به الجمعية الامريكية لعلماء الانثروبولوجيا والجمعية الامريكية للعلوم السياسية والجمعية الامريكية لعلماء الاجتماع ، من رفع دعوى امام المحكمة العليا لطلب البراءة في قضية تتصل بالبروفيسور صامويل بابكين الاستاذ في جامعة هارفارد . وقد طلبت هذه الجمعيات العلمية الثلاثة من المحكمة ان تتخذ قرارها في هذه القضية التي تتعلق برفضه الكشف عن مصادر المعلومات العلمية ـ على التعديل الاول من الدستور الامريكي الذي يحمي السرية الخاصة بالبحوث العلمية الاكاديمية .

وحتى ذلك الوقت الذي تصل فيه المحكمة العليا الى اتخاذ القرار الملائم في هذه المسألة ، او حتى يصدر قانون فيدرالي في الولايات المتحدة ليحمي سرية مصادر البيانات العلمية الاكاديمية ، حتى يحين ذلك الوقت ، سيجد الباحثون أن من الصعب عليهم توفير السرية لكثير من انواع البيانات ، وعلى وجه الخصوص تلك البيانات التي تتعلق بالسلوك المنحرف او السلوك الاجرامي . بل انهم بالاضافة الى ذلك قد يتعرضون كثيرا ـ عندما تودع لديهم مثل هذه البيانات السرية ـ لان يطلبوا لاداء الشهادة امام المحاكم حين تكون للحكومة صلة بمصادر هذه السرية (كأن يكون اصحابها من كبار الحكومة او من رجال الحزب المعارض) .

وسيجد الباحث المدعو للشهادة نفسه ايضا معرضا لصدور احكام ضده ، لو حاول تنفيذ وعده بالاحتفاظ بسرية المعلومات لمن اخبروه بها . وذلك لان رفضه افشاء سرية مصادر المعلومات سيعتبر تعطيلا لسير العدالة باخفاء معلومات تخص التحقيق في القضية المعروضة .

وسوف يؤدي ذلك بالباحثين الى تجنب مناطق البحث الحساسة للبعد عن المشكلات القانونية التي ترتبط بها . والواقع ان هذا يرسم امامنا صورة كئيبة لمستقبل التقدم العلمي ■■

الكويت ـ د . حسن احمد عيسى

هل كان حقا ضد الفلسفة ؟

العقل عند الغزالي

بقلم : الدكتور . محمد عبد الهادي ابو ريدة

للعقل مكان رفيع في الاسلام ، فالقرآن يخاطب العقل ويبني الايمان على نظر العقل وادلته ، وفيه نجد العقائد كلها موضوع بحث وسؤال وبيان بالبرهان الواضح امام العقل السليم . ولا يكاد يوجد بين اصحاب مدرسة من مدارس الفكر الديني او العلمي والفلسفي وبين المسلمين الا وللعقل عندهم دوره الكبير . وكثيرون من مفكري الاسلام على تنوع نزعاتهم ، الفوا كتبا في العقل وحقيقته او في قوانينه وادلته ، سواء في ذلك القدامى منهم والمحدثون .

وكان من مفكري الاسلام من تنوعت جوانب تفكيره او تطورت نظرته للاشياء ولتيارات الفكر المعاصر له ، بحيث تصبح دراسة موقفه الفلسفي وموقفه من العقل موضوعا شيقا ودقيقا يحتاج الى انعام النظر في كتبه لمعرفة حقيقة آرائه . ومن هؤلاء ، حجة الاسلام الامام ابو حامد الغزالي .

واهل الاديان المنزلة على تنوع روحها ونظرتها للاشياء يؤمنون بان التعليم الذي جاءهم من الله ، وهو ما يشتمل عليه الوحي ، حق لايتطرق اليه الشك ، لانه من الله ، وهو الحق وقوله الحق .

لكن الوحي ، وان كان تعليما من الله فهو انما يأتي للبشر بلغاتهم وبحسب مفهومات عقولهم لما في عالمهم وما في انفسهم . غير ان حقائقه ومقاصده تحتاج في كثير من الاحيان ، وفي أمور معينه ، الى فهم يتجاوز ظواهر الالفاظ ويعلو على ظواهر الاشياء ، ويحتاج ايضا الى تأويل يرفع الفكر الى الحقائق التي يشتمل عليها التعليم الالهي .

وهكذا تظهر مشكلة فهم الوحي ودراسة العلاقة بين ما جاء فيه وبين ما يعرفه الانسان او يتصوره بما لديه من وسائل المعرفة .

والمشكلة موجودة عند اهل الاديان كلها ، ولمفكريهم آراؤهم فيها . وكلما كان المفكرون اصحاب قدم راسخة في الدين والعلم جاءت آراؤهم جديرة بالدراسة . .

ومن هؤلاء ايضا الامام الغزالي الذي يقف في تاريخ الفكر الاسلامي عالما بالدين ومفكرا متفلسفا ، وناقدا للفلسفة وصاحب راي طريف وهام في العلاقة بين الوحي والعقل .

غير انه ليس من السهل معرفة رأيه في بعض المسائل ، وذلك بسبب تطور حياته الفكرية وتصنيفه الكتب في كل مرحلة من ذلك التطور .

من تلك المسائل موقفه من الفلسفة ومن العقل ، ورأيه في العلاقة بين الوحي والعقل او الشرع والعقل ، كما يختار هو العبارة .

وكثير ممن كتب عن آراء الغزالي يزعم انه بكتابه « تهافت الفلاسفة » قضى على الفلسفة ، مع انه في الحقيقة ما حارب الا الميتافيزيقا اليونانية التي لا تقوم على ادلة كافية ، وهو قد حاربها بسلاح العقل والمنطق ، ولم يفعل اكثر مما فعل الفيلسوف الالماني « كانت » Kant ، ولم يقل احد ان كانت قضى على الفلسفة .

ولقد كان من آثار محاربة الغزالي للميتافيزيقا اليونانية ان زاد الاهتمام بالعلم ، وتاريخ العلم في الاسلام يشهد بذلك .

الغزالي وديكارت

وتكلم كثيرون ايضا عن موقف الغزالي من العقل ، فاصدروا احكاما لا هي دقيقة ولا هي صحيحة فبعضهم قال مثلا ان الغزالي ، بعد ان انتهى الى حياة التصوف صار يرى « ان العقل يجب ان لا يستعمل الا لهدم الثقة في نفسه ، وان المعرفة الوحيدة اليقينية هي التي تحصل بالذوق » يقصد الذوق الصوفي . وهذا هو ما قاله / د . ب ماكدونالد D. B. Macdonald في مقاله عن الغزالي في دائرة المعارف الاسلامية ، وهو كلام ليس له ما يؤيده عند ابي حامد حتى في المرحلة الصوفية . فاذا كان قد ورد على السنة الصوفية ذم للعقل ، فان الغزالي يشرح ذلك بان ذمهم له موجه الى مفهوم العقل عند المتكلمين ، وهو عبارة عن المجادلة والمناظرة ، لا الى العقل نفسه ، ثم يقول :

« فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه ، وقد أثنى الله تعالى عليه ؟ وإن ذم فما الذي بعده يحمد ؟! فإن كان المحمود هو الشرع فبم عُلم صحة الشرع ؟ فإن عُلم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما . (آخر كتاب العلم من كتب « الاحياء »)

والغزالي يتحدث في « مشكاة الأنوار » عما يعرض لبعض الصوفية في حال « الفناء » و « السكر » وما يصدر عنهم من عبارات تشير إلى فقدهم التمييز بين الخالق والمخلوق ، ويقول إنها ناشئة عن سقوط سلطان العقل عنهم ، فإذا رجعوا إلى الحالة العادية عادوا الى التمييز الصحيح بحسب العقل ، الذي هو « ميزان الله في أرضه » ، كما يقول أبو حامد .

الحق ان الغزالي ، في كتبه المتنوعة يعترف بالعقل وسلطانه ، وله عبارات تشبه ما نجده عند ديكارت في اول كتابه « مقال في المنهج » . يقول الغزالي : « يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق ، فما من احد الا وهو

راض عن الله سبحانه في كمال عقله . واشدهم حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله » (كتاب العلم ـ الوظيفة السابعة من وظائف المتعلم) .

ثم ان ابا حامد ينتقد متابعة آراء الغير ، وذلك ما نسميه الخضوع لسلطان المفكرين ولا يزال يوصي قارئه قائلا : « لا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف اهله » وينتقد المقلدين اشد انتقاد ويقول ان المقلد لا يمكنه ان يتعلم منه شيئا ، وان من يحاول تعليم المقلدين فهو « كمن يضرب في حديد بارد » .

واضع الشك المنهجي

والغزالي واضع طريقة الشك المنهجي ، كما تدل على ذلك عباراته في آخر كتابه « ميزان العمل » اذ يشرح لمن يسأله عن حقيقة مذهبه هو ، معاني « المذهب » الذي يتبعه الانسان ، ويذكر تنوع هذا المفهوم بحسب مقصد صاحبه ، ويرى ان مذهب الانسان الحقيقي هو ما يؤمن به في قرارة نفسه ، عن تفكير واقتناع . ثم يبين للسائل خطر التقليد على صاحبه ويقول :

« لا خلاص الا في الاستقلال » ثم يخاطب قارئه قائلا : « ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات الا ما يشككك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب فناهيك به نفعا ، اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال » .

وعند أبي حامد في كتبه المنطقية أن العقل هو وحده أداة المعرفة . لكن الحواس تشوش عليه ، وهذا يوجب نقد المعرفة الحسية . والخيال أيضا ، أو الوهم كما يسميه أبو حامد ، يشوش وظيفة العقل ، فعلى الانسان أن يحارب سلطان الوهم ، لكي يستطيع تصور الأمور المجردة والحقائق غير المحسوسة .

ويهتم الغزالي أيضا في كتبه تلك بأن يبين مصادر حكمنا على الأشياء ، وهو يفصلها أكثر مما فعل سلفه من اليونان والاسلاميين ، ويتناولها جميعا بالفحص ، فيميز ما هو منها يقيني يمكن أن تبنى عليه أحكام صحيحة . وفي ثنايا ذلك يبين أسباب الخطأ وكيفية تفاديها ، ويعالج مفهوم اليقين وشروطه وشروط البرهان الصحيح . وهذا نجده في فصول رائعة من تلك المصنفات المنطقية ، مثل « محك النظر » وخصوصا « معيار العلم ؟ » وهو بتعريفه للعلم اليقيني في كتاب « المنقذ » وبيانه لشروط اليقين سبق ديكارت سبقا لا شك فيه .

والحق أن كتب ابي حامد في المنطق تشتمل على إضافات كثيرة لنظرية المعرفة ونقدها سواء منها ما يتعلق بالأمور التجريبية المحسوسة وما يتعلق بالقيم العملية والخلقية ، ونقده يشبه ما نجده عند الفلاسفة الأوروبيين في العصور الحديثة (الفيلسوف الانجليزي جون لوك مثلا) .

وكان أبو حامد يثق في العقل وأحكامه الى حد أنه ، في كتابه « القسطاس المستقيم » ، يقول إن في إمكانه ، بفضل المنهج الصحيح ، رفع الخلاف بين الخلق في الآراء ، لو استمعوا إليه واتبعوا المنهج الذي يرسمه لهم في معرفة الحق .

وكثيرا ما ترد في مصنفاته عبارات مثل : « برهان العقل » ، « سبيل العقل » ، « حاكم العقل » ، « بديهة العقل » ، « ضرورة العقل » ، « طبيعة العقل » ، « محض العقل » ، « قضاء العقل » .

أما عن المعرفة الدينية فإن الذي يؤخذ من كتب أبي حامد ، مثل كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » ، أن مصادر هذه المعرفة هي :

أولا ـ الوحي الالهي أو الشرع المنقول ، كما يعبر هو .

ثانيا ـ العقل الانساني أو الحق المعقول ، على حد عبارته .

ثالثا ـ ما يفيضه الله على قلوب بعض عباده من أنوار هدايته التي يكشف بها لهم عن حقائق الدين ، مما يساعدهم على معرفة أسرار ما أنزله الله على لسان نبيه ﷺ . وهذا يبين لهم وجه الاتفاق بين « مقتضيات الشرع وموجبات العقول » .

ويقول الغزالي في كتاب عجائب القلب من كتب « الاحياء » إن القلب له بابان : أحدهما مفتوح نحو عالم

الملك والشهادة ، والثاني مفتوح نحو عالم الملكوت .

فالفلاسفة يحصلون على المعرفة من الباب الاول ، والأولياء الذين عكفوا على تطهير القلب وجلاء مرآته يحصلون على المعرفة من الباب الثاني . وهذا هو « علم المكاشفة » الذي تتجلى فيه المعرفة بالله وصفاته وحكمته في أفعاله وبالروح وسر القدر ...... وهو ليس علما استدلاليا بل معرفة شبيهة بالعيان .

وهذه المصادر يكمل بعضها بعضا . يقول الغزالي (مقدمة كتابه « الاقتصاد في الاعتقاد ») إن اتباع ظاهر النصوص وإنكار منافع البحث والنظر في الدين ناشيء عن « ضعف العقول وقلة البصائر » ، وهو تفريط معيب ، لأنه اذا كان لا مستند للشرع إلا نص الوحي ، فان صدق النبي فيا أخبر به لا يعرف الا « ببرهان العقل » .

ومن جهة أخرى ، الغلو في الاقتصار على العقل الخالص دون الاستضاءة بنور الشرع ، كما يفعل الفلاسفة وغلاة المعتزلة ، ناشيء عن « خبث الضمائر » ، وهو إفراط معيب أيضا ، لأن من المقطوع به أن العقل كثيرا ما يعتريه الارتباك والقصور .

فالتفريط في جانب والافراط في جانب ، من غير اجتهاد في ايجاد الانسجام بين الوحي والعقل ، يجعل المعرفة غير موحدة وغير يقينية . وعلى هذا الاساس يقول أبو حامد « قد خاب على القطع والبتات وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات » .

ويضرب الغزالي أمثالا للعلاقة بين الوحي والعقل ، وهي أمثال تتكرر في كتبه . ولنذكر منها مانجده في كتابه « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » :

« العقل لن يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل . والعقل كالأس والشرع كالبناء ، ولن يغني أس مالم يكن بناء ، ولن يثبت بناء مالم يكن أس » .

« فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان بل متحدان . ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن ، نحو قوله : « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » . ولكون العقل شرعا من داخل قال الله تعالى في صفة العقل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » . فسمى العقل دينا . ولكونهما متحدين قال : « نور على نور » ، أي نور العقل ونور الشرع . ثم قال : « يهدي الله لنوره من يشاء » ، فجعلهما نورا واحدا . فالشرع اذا فقد العقل لم يظهر به شيء وصار ضائعا ضياع الشعاع عند فقد البصر ، والعقل اذا فقد الشرع عجز عن أكثر الامور عجز العين عند فقد النور » .

بين العقل والدين

على أن العقل ، وإن كان قادرا على معرفة كثير من الامور بطريق النظر والاستدلال ، مثل : الاستدلال على وجود الصانع وعلى حدوث العالم ونحو ذلك من أمور تستند الى النظر في الواقع الذي نشاهده ، فان هناك أمورا ليس للعقل سبيل الى القطع بها ، مثل البعث والثواب والعقاب في الآخرة ، فهذه أمور تحتاج الى شهادة الوحي لكي تصل الى اليقين . وأيضا يمكن للعقل أن يصل الى أحكام كلية مثل حكمه بحسن اعتقاد الحق وقول الصدق والعدل والعفة ، لكنه لا يقدر على اليقين فيا يترتب عليها من أحكام .

والواقع ان الغزالي في كتبه المنطقية ، وهو يفحص مآخذ الأحكام اليقينية ، تناول الأحكام الخاصة بالخير والشر والحسن والقبح ، ورأى انها ليست من القضايا العقلية البديهية ، وإنما ترجع الى المصلحة العملية أو حسن المعاشرة ورقة الطبع ، بحيث يمكن الشك فيها ، لكن الذي يجعلها واجبات هو الوحي الذي يوجب الواجبات ويرتب عليها الحساب ، من ثواب وعقاب .

ومع اعتراف الغزالي بقيمة العقل ، فانه يميز بين ميدان العقل وميدان الدين تمييزا واضحا . فنحن نجده في كتاب العلم من كتب « الاحياء » ، يقسم العلوم الى :

علوم شرعية تستفاد من الأنبياء ولا يرشد اليها العقل من حيث هي أصول كلية ، وإن كان العقل يتنبه إلى فروع تستنبط منها .

وعلوم غير شرعية يرشد اليها العقل والتجربة ، كالرياضيات والطب وغيرها .

وأبو حامد ، في الباب الثاني من القطب الرابع من كتابه « الاقتصاد في الاعتقاد » ، يتكلم عن وجوب التصديق بأمور ورد بها الشرع ويقضي العقل بجوازها ، وهو يقدم لكلامه في ذلك بأن يقول : إن ماعدا البديهيات ، وهي القضايا المعلومة بالضرورة ، ينقسم الى :

١ ـ ما يعلم بدليل العقل دون الشرع مثل حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته كالقدرة والعلم والارادة والكلام الالهي ، اى الوحي .

٢ ـ ما يعلم بالسمع دون العقل ، مما هو جائز عقلا ويمكن وقوعه وعدم وقوعه ، فيأتي السمع مخبرا بوقوعه كالنشر والحشر والثواب والعقاب ونحوهما من الأمور الأخروية .

٣ ـ ما يعلم بدليل العقل وبالسمع مما يقع في مجال العقل ، ومتأخر في الرتبة من إثبات الوحي ، مثل انفراد الله تعالى بخلق الأشياء ورؤيته في الآخرة وما يجري هذا المجرى .

وموقف الغزالي بحسب كلامه في كتاب « الاقتصاد » وفي غيره ، إزاء العقائد الموروثة ، يتلخص في الأصول الآتية :

١ ـ استبعاد المحال استبعادا تاما ، والمعول في هذا على العقل وحده .

٢ ـ إذا قضى العقل باستحالة رأى ، مثل كون الله جسما ، وورد في الوحي ما يفهم من ظاهره جسمية الألوهية ـ كالذي ورد في الوحي عن يد الله أو عرشه مثلا ـ وجب تأويل الوحي ، لأنه كما يقول الغزالي ، لا يتصور أن يشتمل الوحي على قاطع مخالف للمعقول ـ والتأويل هنا ينصب على الآيات المتشابهة .

٣ ـ وإذا جاء الوحي بتأكيدات وجب النظر فيها ، فان كان العقل مجوزا لها وجب التصديق بها قطعا ، إن كانت الأدلة السمعية قطعية في متنها ومستندها ، وظنا ، إن كانت الأدلة ظنية ، كما يجب العمل بها في الحالين دون تمييز بين القطعي والظني ، خصوصا إذا جاءت أدلة العقل فرفعت الظن الى درجة القطع .

٤ ـ إذا كان في الوحي تأكيدات يقضي العقل بأنها غير مستحيلة وجب التصديق بها ، والعمل طبقا للتصديق ، لأنه ، كما يقول الغزالي ، مالا برهان على إحالته فلا ينبغي أن ينكر لمجرد الاستبعاد .

فنحن نلاحظ اولا : أن العقل الانساني المنطقي ، عند الغزالي ، هو الذي يرفض المستحيل والمتناقض ، وهو بمثابة الرقيب الأعلى الذي يجيز أو يرفض ما يعتقده ، ويقول الغزالي إن كون المذهب مردودا أو مقبولا إنما يكون بعد كونه معقولا .

ونلاحظ ثانيا : أن الأساس هو استبعاد المحال ، ثم التوفيق بين الوحي والعقل ، على اعتبار أن الوحي من عند الله ـ وهذا ظاهر ـ وأن العقل من حزب الله وجنوده ، وهو كما يقول الغزالي في « مشكاة الأنوار » ، « نور » وأولى بان يسمى « نورا » من تسمية العين الحسية المبصرة نورا ، لأنه يدرك نفسه ، ويدرك القريب والبعيد وماوراء الحجاب ، ويدرك بواطن الاشياء ، ويتصور ما لا نهاية له ، ويدرك ما لا يدركه الحس ، فلا ينخدع بخداع الحواس .

مفهوم النبوة

ويقترن مفهوم « الوحي » بمفهوم « النبوة » ، وهي ، بحسب كلام العلماء مرتبة عليا ينالها بعض البشر ، لكنه لا ينالها إلا من يختاره الله لرسالته وهداية خلقه ، فضلا منه واجتباء .

وللمتكلمين والفلاسفة تصوراتهم لهذه المرتبة وأحوالها ، لا يمكن أن ندخل فيها ، وإنما يعنينا ما يقوله الغزالي عنها ، وهو في كتاب « المنقذ » يتكلم في التمهيد لرأيه بما يشبه نظرية في المعرفة : فالنفس الانسانية تكون في أول أمرها خالية من كل معرفة ، ثم إن الانسان يدرك بوسائل الادراك ، وكل إدراك يطلعه على جنس من الموجودات أو عالم منها ، كما يقول الغزالي .

وأول ما يحصل للطفل إدراك الحواس ، على ترتيب يذكره الغزالي ، حتى إذا نما الطفل ظهر فيه التمييز الذي

يساعده على إدراك أشياء أعلى من المحسوسات ، ثم يترقى إلى طور العقل ، فيدرك الأحكام العقلية ، ما هو جائز أو واجب أو مستحيل يقول أبو حامد :

« ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمورا أخرى ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات ، وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز . وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأباها ، فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها ، وذلك عين الجهل ، إذ لا مستند لهم إلا أنه طور لم يبلغوه ولم يوجد في حقهم ، فيظنوا أنه غير موجود في نفسه » .

ويقول الغزالي إن الله قرب النبوة للخلق بأن أعطاهم نموذجا من خاصيتها ، وهو النوم الذي يدرك فيه الانسان ما سيكون في الغيب إما صريحا وإما على صورة مثال .

وخواص النبوة كثيرة ، وبعضها يدركه الانسان بالذوق إذا سلك طريق التصوف . أما اليقين بنبوة شخص معين فلا يحصل إلا بمعرفة أحواله ثم بدراسة ما يجيء به ، فعند ذلك يدرك صحة النبوة كما يدرك المتخصص في علم من العلوم صدق أصحاب هذا العلم المتخصصين فيه .

ولا بد من تجربة ما يقوله النبي في العبادات ومن الاحساس بتأثيرها في تصفية القلب ومن تجربة المبادىء التي يجيء بها . واجتماع ثمرة التجربة يؤدي الى حصول العلم بصدق النبوة .

ومعنى كل ذلك أن خواص النبوة التي هي خواص النفس التي تتلقى الوحي يدركها الانسان بالمشاركة الذوقية وبالتجربة الروحية .

ولكنْ هناك سؤال : كيف يعرف من طريق النظر صدق وحي جاء من عند الله ؟

يدل كلام الغزالي في كتابه « القسطاس المستقيم » على أن الوحي الالهي كما يتمثل في القرآن يشتمل في داخل ذاته على معيار أو قانون لمعرفة الحقائق في العلوم كلها وفي القرآن نفسه . والواقع أن القرآن فيه ذكر « الكتاب » ، أي الوحي المكتوب ، مقرونا الى « الميزان » ، وذلك في مثل قوله تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » . (س ٥٧/الحديد/ ٢٥) .

والغزالي لا يريد أن يفهم من لفظ « الميزان » تلك الآلة التي توزن بها الأشياء المادية ولا ما فهمه كثيرون من المفسرين قبل ذلك ـ مما هو صحيح ايضا ـ وهو ان المقصود هو ميزان الشرع والعدل ، بل هو يفهم منه ميزان المعرفه ، خصوصا المعرفة بالله وبما يأتي من عنده . وهو ميزان يصدق على كل انواع المعرفة .

والغزالي يستخرج قوانين هذا الميزان وقواعده من تأمل آيات القرآن وما فيها من حجاج وبيان للحق في مواجهة الباطل ، ويسميها « موازين » ، تقريبا للافهام .

واذا كان الباطنية قد اعتمدوا في معرفة الحق على الرجوع الى « الامام المعصوم » فان ابا حامد قد رد عليهم في كتاب « القسطاس » ، وضمن هذا الرد تحليلا منطقيا لآيات الوحي ، وبذلك استعمل العقل في فهم الوحي بالعقل ، كما ادرك خواص النبوة بذوق القلب .

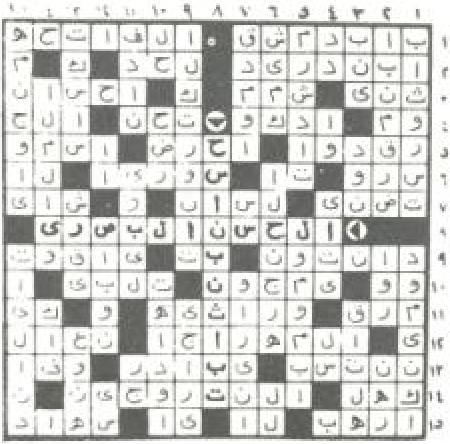
كان ابو حامد رحمه الله اكبر من استعمل العقل وادلته في شرح اصول الدين واصول احكام الشريعة وفي شرح آداب الدين واخلاقه ، وأكبر من اعتمد على العقل في الرد على المخالفين حتى لقب بحق « حجة الاسلام » .

وكان دقيقا في شرح العلاقة بين الوحي والعقل ، وهو اذا كان في شرحه لحقائق الدين قد اعتمد على العقل النظري فانه في تذوقها قد اعتمد على تصفية العقل لكي يستطيع ادراك الحقائق بالتجربة الروحية دون حجاب الى جانب ادراكها بتصور العقل .

وان بيانه لدور العقل والحدود بين معارفه وبين ما يجيء به الوحي يدل على اتزان لا نظير له الا عند الفيلسوف الالماني كانت الذي جاء بعده بقرون كثيرة والف كتابه « نقد العقل المحض » الذي يوازي في كثير من جوانبه كتاب « تهافت الفلاسفة » . ■■

الكويت ـ د . محمد عبد الهادي ابو ريدة

● حل مسابقة العدد ٢٤٦ ●



أفقيــاً :

الحسن البصري

رأسـياً :

حسّان بن ثابت

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : الحسن البصري . **متصوف اسلامي شهير . ولد بالمدينة واقام وتوفي في البصرة . لقي عثمان بن عفان وعبد الله بن العباس، كان فريدا في معرفة الاحكام الشرعية والتدريس والوعظ والحديث . اثر على جيل من المسلمين ، وعنه اخذ واصل بن عطاء الذي غدا راس المعتزلة .**

(٨) راسيا : حسان بن ثابت. **شاعر اسلامي من المخضرمين ، ولد في يثرب ، اتصل بالغساسنة ومدحهم ، ولقي في بلاطهم النابغة الذبياني وعلقمة . اسلم وغدا من انصار النبي،وهجا القرشيين،لقب «شاعرالنبي».**

الفائزون بالجوائز

- **الجائزة الاولى وقيمتها** ٣٠ دينارا فاز بها : **مجدي بولس ابراهيم** / الخرطوم / السودان
- **الجائزة الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فاز بها : **محمد احمد المختار** / الرياض / السعودية
- **الجائزة الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فاز بها : **اياد يوسف نوري** / الموصل / العراق

❋ ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمس دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **محمد ابراهيم زاهر** ـ القاهرة / مصر

٢ ـ **عبدالعزيز ناصر عبدالمحسن السعيد** ـ الشامية / الكويت

٣ ـ **ابراهيم عبدالحميد عبدالفتاح** ـ ابوظبي / الامارات

٤ ـ **عبده بن عبده حدين الوصابي** ـ صنعاء / اليمن الشمالي

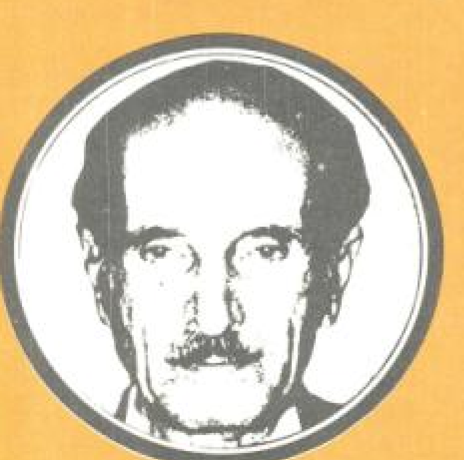
٥ ـ **غادة الامين** ـ طرابلس / لبنان

٦ ـ **آمنة محمود القطامي** ـ عمان / الاردن

٧ ـ **احمد محمد نور** ـ القامشلي / سوريا

٨ ـ **بلمختار منصور** ـ المحمدية / المغرب

■■



ميخائيل نعيمة ومسرحيته الرائدة

المال والبنون

بقلم : الدكتور علي الراعي

في العدد الممتاز عن المسرح ،الذى اصدرته مجلـــة « الاداب اللبنانية » في يناير ١٩٥٧ كتب الاستاذ عبداللطيف شرارة تحت عنوان : «المسرح اللبناني الحديث»يقول : « لم يستطع لبنان ان يوجد المسرح كفن ، وانما استطاع ان يوجده كادب ، كاثر يقرأ ، كاسلوب في التعبير عن الحياة والنفس ،وظلت المسارح التى نشأت فـــى البلاد ، محصورة ضمن المعاهـــدالعلمية ، فى الاعم الاغلب منها ، ولم تؤثر في حياة الشــعب تاثيرامباشرا ، بحيث يقبل على العنايـة بتنشئته ،ممثلا ، وممثلين وبناء مسارح ، وتوجيه الادباء نحـــو التاليف المسرحي »

● هذا القول صحيح على اطلاقه ، لو قصرنا النظر على ما فعل لبنان ، الارض والوطن فـــى حقل المسرح عقب ان مات مارون النقاش كسير الفؤاد محسورا اذ تبين ان دوام هذا الفن فـــى لبنان امر بعيد الاحتمال .

ولكن لبنان ، الفنان ، والمقتبس والكاتب والممثل لم يترك عنايته بالمسرح بوفاة النقاش ، انه صدر الجزء الاهم من فنه المسرحي الى مصر، فجاءت اليها وفود الفرق ـ مثل : فرقة سليم النقاش ، ابن اخ مارون النقاش ، وما نجم عنها

من فرق مسرحية : فرقة يوسف الخياط ، وفرقة سليمان القرداحي وفرقة اسكندر فرح ٠

والى مصر ايضا جاء الكتاب والمترجمون المسرحيون ، وبرز الكاتب المسرحي فرح انطون ، الذي قدم للمسرح المصري اول مسرحية اجتماعية انتقادية تعنى بشئون مصر وتتحدث عن متاعب بنيها ومشاكلهم ، مسرحية : مصر القديمة ومصر الجديدة ٠

ومن لبنان ايضا جاء الفتى الطموح جورج ابيض ، الذي هوى فن المسرح ، واخذ يسعى للانجاز فيه ، حتى ارسله خديوي مصر في بعثة الى فرنسا عاد بعدها الى مصر لينشيء اول فرقة تقدم التراث العالمي في المسرح على اسس ثابتة ومعروفة ، بعد ان اصبح جورج ابيض ذاته اول ممثل عربي يتلقى فنون التمثيل بطريقة عملية على يد فنان فرنسي كبير هو سيلفان ٠

اما الساحة اللبنانية نفسها فقد خلت من التمثيل العام ، الموجه الى الناس ، وتقوقعت حركة المسرح في احضان المدارس ، وفي جمعيات الهواة ، واصبحت في بعض الاحيان حركة مناسبات اجتماعية تقام حفلاتها لدى ختان اولاد الولاة العثمانيين ، ثم جاءت السينما والاذاعة من بعدها فحولت انتباه اللبنانيين من التمثيل الحي ، الى التمثيل بالوساطة ٠

ونعود الى مقالة عبداللطيف شرارة فنجده يقسم المراحل المختلفة التي مرت بها حركة المسرح في لبنان اربعة اقسام ٠

١ ـ المحاولات الاولى ـ مارون النقاش ٠

٢ ـ الترجمات ، وفيها عرب شبلي ملاط مسرحية « الذخيرة » عن الفرنسية ومسرحية «شرف العواطف او صاحب المعامل الحديدية » عن جورج اونه الفرنسي ، وترجم اديب اسحق مأساة راسين «اندروماك» شعرا ونثرا وعرب فارس كلابوليشاع كرم مأساة « زايير » لفولتير ونقلاها الى الشعر العربي ٠

٣ ـ مرحلة بعث التاريخ الوطني العربي ، وفيها وضع نجيب الحداد مسرحية شعرية تتناول حياة عبدالرحمن الداخل عنوانها (حمدان) ووضع الشيخ احمد عباس الازهري مسرحية : « السباق بين عبس وذبيان » ٠ ومن ثم كثرت المسرحيات التي تتخذ موضوعاتها من التاريخ العربي ، وانضم الاباء المسيحيون الى زملائهم المسلمين في الجهود المبذولة لاستخدام فن المسرح اداة لبعث الروح الوطنية والقومية ، وتعميق الشعور الديني ، والاعتداد بالسلف الصالح ، وتوجيه الناس الى المثل العليا والبطولات ٠

٤ ـ مرحلة الواقعية الاجتماعية ، وقد وصلت موجتها الى لبنان من وراء المحيط الاطلسي كمظهر من مظاهر حركة ادبية نشيطة هي حركة ادباء المهجر في امريكا ، وكانت قد شملت المسرح ايضا ، الى جانب فنون القصة الاخرى والنقد فكتب جبران خليل جبران مسرحية : « ارم ذات العماد » وكتب ميخائيل نعيمة مسرحية : « الاباء والبنون » صورت المسرحية الاولى فكرة رئيسية لدى جبران وهي ان الذات المن ما في الوجود ، وهي الكنز الاسمى الذي ينطوي على جميع الامجاد والمسرات والافراح التي يتوق اليها الانسان ، وعالجت المسرحية الثانية صور الخلاف في الراي والفكر والميل لدى الاجيال المتتالية حول موضوعات الحياة الكبرى كالزواج والحب والمعاشرة والانفاق والكسل ، واوضح نعيمة في مسرحيته ما يعتري المجتمع اللبناني من ادواء ، وما يقوم فيه من صراع بين جيل محافظ ، يباعد بينه وبين الحياة الحديثة ، وجيل آخر حديث يصبو الى التخلص من القديم في الادب ونهج الحياة معا وفي التفكير الاجتماعي والسياسي كذلك ٠

انتهى ما كتبه الاستاذ عبد اللطيف شرارة عن هذه الفترة من تاريخ المسرح اللبناني ٠

من بين المسرحيات التي ذكرها الاستاذ شرارة، احب ان اوجه عناية خاصة لمسرحية نعيمة : الاباء والبنون فقد كانت بحق مسرحية رائدة باكثر من معنى وضع فيها كاتبها وجهة نظر جديدة خاصة بادب المسرح واهميته وسماه لاول مرة في ادبنا العربي بالاسم العلمي له وهو دراما بعد ان كانت هذه الكلمة تستخدم ـ وظلت بعد نعيمة سنوات طويلة تستخدم ـ كمرادف لكلمة تراجيديا بدلا

من معناها الحقيقي وهو الادب المسرحي عامة ، بما فيه من كوميديا وتراجيديا •

يقول ميخائيل نعيمة في مقدمته للمسرحية (كتبت عام ١٩١٧)، ان الرجاء المعلق على النهضة الادبية التي بزغ نورها حتى شمل بلدانا عربية كثيرة يضعف كثيرا اذا ما مضت الامة العربية في اهمال شان الدراما ، وهي فن لو خير الغرب بينه وبين بقية الالوان الفنية ، لاختار الدراما دون سواها •

وبعد ان يشير الى تدني النظرة الى الدراما في البلاد العربية ، فالممثل فيها بهلوان والممثلة عاهرة ، وفن التمثيل ضرب من العبث واللهو ، يمضي نعيمة فيقول : لست اشك قط في اننا سنرى عندنا عاجلا او اجلا ، مسرحا وطنيا تمثل عليه مشاهد حياتنا القومية ، انما يقتضي لذلك قبل كل شيء ان يحول كتابنا انظارهم الى الحياة التي تكر حولهم كل يوم ، بعجرها وبجرها وافراحها واتراحها ، وجمالها وقبحها ، وشرها وخيرها وان يجدوا فيها مواد لاقلامهم ، وهي غنية بالمواد لو دروا كيف يبحثون عنها •

ويلزم ميخائيل نعيمة نفسه بالنصيحة قبل غيره ، فيقتطع من واقع الحياة في لبنان على ايامه، ذلك الموضوع الذي ما زال يتكرر التعبير عنه في المسرح العربي حتى اليوم وهو : الصراع بين الاجيال ، التناقض بين القديم والجديد ممثلا في تضارب المصالح والاراء بين الاباء والبنين •

في مسرحية «بين الاباء والبنون» ام قوية الارادة، صلبة الشكيمة اسمها ام الياس مات عنها زوجها وترك لها الياس سماحة : الابن البكر ، وهو في الثلاثين ، وخليل الابن الاصغر ، وهو في الرابعة والعشرين ، وزينة ابنتهما الوحيدة ، وهي في العشرين •

تعيش ام الياس في الماضي عيشا مطلقا ، ولا ترى للحاضر اى حق في ان يشد عليها جلال ذلك الماضي ، او يفرض عليها بعضا مما يعد به او يهدد من تغيير •

كان الماضي مجيدا،تشهد بهذا الاسلحة القديمة المعلقة في غرفة الاستقبال في بيت آل سماحة سيوف وبنادق وخناجر ورماح وصور قديسين وملائكة ، والى جوار هذا صورة بطرس بك ، الوالد المتوفى للاسرة ، في اطار كبير مذهب •

هذا هو الماضي المجيد ، وام الياس مصممة التصميم كله على ان لا تكتفي بالعيش فيه في الخيال ، بل ان تفرضه واقعا لا مناقشة في مشروعيته على اسرتها جميعا •

وعليه، فان زينة مقدر لها في عرف ام الياس ان تتزوج من رجل لا تحبه ، فضلا عن انه يكبرها كثيرا في العمر ، وهو الى هذا عاطل ، لا عمل له الا قول الشعر الرديء الذي يحسبه من فرط عجبه بنفسه ، روائع في فن القصيد •

على زينة ان تتزوج هذا العاطل لانه بك ابن بك ، والام تظن ان حسبه ونسبه وما تفترض ان يقترن بهذين من ثروة ، هي جميعا المبرر المنطقي والمشروع لزواج ابنتها من الشرور : ناصيف بك •

اما زينة ، فانها غائبة عن الوعي تماما ، يقال لها سوف تتزوجين ناصيف بك ، فلا تبدى رايا سلبيا او ايجابيا ، فهي لا تزال تعيش في اسار امها •

على ان اخاها الاكبر الياس يشعر شعورا ممضا بثقل وطأة الماضي وفداحة سطوة امه عليه وعلى الاسرة فهو من الام في صراع دائم ، ما لبث ان اورثه تشاؤما قاتلا ، حتى فكر طويلا في الانتحار ، وهو لهذا ينكر قيمة الحياة التي دفع اليها ،ويراها ظلمةمتصلة تبدا بظلمة الرحم وتنتهي بظلمة القبر •

اما صديقه داود سلامه ، وهو مدرس في مدرسة داخلية ومثل الياس في الثلاثين ، فهو يرى لذة الحياة في الصراع والتحول والرغبة في تغيير الاشياء ، وهو لهذا كبير التفاؤل ، ان تكن الحياة مسافة بين ظلمتين فان كثيرا من الاضواء يتوسط هاتين الظلمتين ، وهو لهذا متعلق بالحياة راغب فيما تقدم من متع ، غير منكر لما فيها من الالم ولكنها الحياة ، لا يتركها المرء الا وهو راغم ، يتركها بارادة عليا تعرف ما هي فاعلة •

هذه الارادة العليا تضع في طريق المتشائم الكبير فتاة يانعة كالزهر ، اسمها شهيدة وهي اخت المتفائل داود • وتضع في طريق زينة ، اخت الياس المسلوبة الارادة ، ذلك الفتى المناضل داود • فتكون النتيجة ان يحب الياس شهيدة ، وان تغرم زينة بداود ، فتتخلى عن سلبيتها ، وتقاوم مقاومة وحشية الزيجة المفروضة عليها ، وتنجح في فسخ خطبتها الى الشاعر الدعي رغم مؤامرات ابيه ، موسى بك عركوش الذي طعن فيه السن ، واصبح قلقا على مصير ابنه ، بعد ان بلغ الابن الاربعين ولم يتزوج ولهذا يمد موسى بك بصره الى ثروة ام الياس لتنقذه وابنه من الدين ومن الحجز على الممتلكات •

غير ان الشر ينهزم ، والاخيار يتزوج بعضهم من بعض ويساق ناصيف بك الى الحبس لعجزه عن الوفاء بديونه ، بينما يحجز على بيت ابيه موسى بك لديون اخرى •

وتنتهي المسرحية وقد زلزل العالم الراسخ الذي كانت تعيش فيه ام الياس ففقدت رشدها حتى غدت لا تعرف ماذا تفعل بنفسها • وتوافق ـ في الاخير ـ على الزيجتين اللتين يقترحهما الابنان والبنتان الجيل الجديد الصاعد ، المتطلع الى ان يعيش في عصره لا في عصور خلت : شهيدة لالياس وزينة لداود •

تعترض مشاكل الحوار ميخائيل نعيمة ، فيحلها بالحل التقليدي الذي كان سائدا على ايامه العامية لغير المتعلمين ، والفصحى لمن يملكون ناصيتها ، ويعترف في الطبعة الثانية للمسرحية ـ ١٩٥٣ ـ بانه حاول طويلا ان يستعيض عن العامية بالفصحى ، فشعر في كل مرة كالولد يكره على جرعة من دواء كريه الطعم والرائحة • ذلك ان لكل من الفصحى والعامية عبقريتها الخاصة ، ولكل دور ولكل مجال •

ومسرحية « الاباء والبنون » تنتمي الى الواقع المعاش فعلا ، وان تخللتها نغمات من الحب الرومانسي ومن الاخلاص المفرط في النقاء • ولكنها تستحق بالفعل رد الفعل الكبير الذي اثارته في محيط الكتابة للمسرح •

وهي الى جوار كونها مسرحية رائدة ، قدمت للمسرح اللبناني نموذجا يحتذى في فن الكتابة الواقعية للمسرح ، تعتبر تطبيقا عمليا لما طالب به نعيمة في مقدمته من ضرورة التفات الادباء الى فن كتابة المسرحية باعتباره جزءا رئيسيا من اجزاء الادب لدى كل امة ناهضة •

ومن حسن حظ المسرح العربي ان صاحب هذا المبدأ الخطير الاهمية هو ناقد ومفكر ومثقف وانه قد جمع الى هذه المواهب حسا مسرحيا واضحا •

فلقد كان من الممكن ان يكتب نعيمة هذه المسرحية ويضمنها كل ما جاء فيها من مبادئ سامية وحوار راق ، ولغة واضحة معبرة ، وحوادث وشخصيات ، ثم ينقص هذا كله تلك الصفة الثمينة التي سميتها الحس المسرحي ، وهي في عرف النقد الدرامي : القدرة على تصور الاحداث والاشخاص تصورا تمثيليا واذ ذاك يصبح العمل الناتج مجرد كتاب ادبي ـ اثرى يقرأ ولا يمثل ، تماما كما قال الاستاذ شرارة في مقاله •

غير ان موهبة نعيمة قد شملت ذلك الحس الثمين ايضا ، فاصبحت : « الاباء والبنون »قطعة ادبية وفنا مسرحيا معا • ان خلق شخصية ام الياس المرأة العاتية الحديدية الارادة التي تعيش في الماضي ولا ترضى به بديلا ، يضع ميخائيل نعيمة في صف كتاب مسرح موهوبين خلقوا ـ مثله ـ هذه الشخصية النسائية القوية ، ويرد على الفور اسم الكاتب الانجليزي وليم كونجريف ـ ١٦٦٠ ـ ١٧٢٩ ـ في مسرحيته : هكذا الدنيا تسير ، التي صور فيها شخصية العجوز المتصابية ليدي وشفورت • كما يرد اسم تشيكوف ومسرحيته : ـ بستان الكرز ـ التي صور فيها امرأة قوية ـ على طريقتها الخاصة ـ تعيش هي الاخرى في الماضي ولا تقوى على نسيان جماله كما نذكر ايضا احمد شوقي وخلقه لشخصية نسائية قادرة هي الست هدى في المسرحية التي تحمل الاسم نفسه• واخيرا نفكر في كاتب مسرحي سوري معاصر هو وليد اخلاص الذي صور ـ في الاقدار ـ شخصية المرأة القوية الشكيمة التي تعيش بكل جوارحها في ماض ينحسر عنها في قسوة ، وهي شخصية الخانم في مسرحية : « هذا النهر المجنون » ■■

د • على الراعي

● عن الدين والسياسة ●

تيه الحاكمية وقناع سيادة الامة !

بقلم : فهمي هويدي

اذا كان الحاكم المسلم هو « مدير السياسة » في البلاد ـ والتعبير للامام محمد عبده ـ فالمتصور نظريا ان تصبح الحكومة الاسلامية هي جهاز « ادارة السياسة » في الداخل والخارج . وانها من حيث الشكل لا تختلف عن الحكومات التي نعرفها ، في الواقع او في الكتب ، قد تختلف في الدور والوظيفة ، من حيث انها تدير شئون مجتمع مسلم .

ومع ذلك ، فالمسألة ينبغي الا تتناول بتبسيط او تعميم . لانه بقدر ما اعتبرنا مناقشة مسألة الدين والسياسة بمثابة تورط في البحث عن اجابة اسلامية على سؤال اوروبي ، كذلك فان الدخول في تفصيلات موضوع الحكومة الاسلامية ـ فضلا عن انه سابق لاوانه ـ هو تورط من نوع آخر له اكثر من وجه .

فهو ـ اولا ـ عدوان على اهل الاختصاص ، لان ادارة المجتمع الاسلامي هي مسألة اقرب الى اختصاص رجال القانون والادارة قبل غيرهم . ثم انه ـ ثانيا ـ ربما يكون انحرافا بمسار المناقشة لانه قد يحصر الاسلام في السياسة وحدها ، ويحصر السياسة في الحكومة وحدها . واذا كان التطبيق الاسلامي يحتاج الى حكومة تقوم به ، لكن العكس ليس صحيحا بشكل مطلق . فكم توفرت للمسلمين حكومة ، في التاريخ السابق واللاحق ، لكن الاسلام الحق ظل محجوبا او ممسوخا .

وتعليق الاسلام على « حكومة » ايا كانت ، هو من طراز الاخطاء الشائعة ، التي راجت منذ غاب الفهم الصحيح ، تماما كما ان تصور الاسلام مجموعة من القوانين التي تضبط حركة المسلم ، هو خطأ اشد خطرا . واذا اعتبرنا ان الاسلام في عمومه عقيدة وشريعة ، العقيدة تقوم داخل الفرد المسلم أولا ، والشريعة هي كل ما انزله الله سبحانه ليلتزم به الانسان في علاقاته بربه واهله ومجتمعه وبالكون والحياة ※ . اذا وضعنا ذلك في الاعتبار ، فسوف تنتبه الى ان في الالتزام الاسلامي آفاقا تتجاوز السياسة والحكومة ، فضلا عن ان اكثرها لا تطاله يد القانون ونصوص الجزاء . ولا بد ان اذكر ايضا ان ثمة فرقا لابد ان يكون واضحا بين موقف يعتبر الحكومة احدى دعامات البناء الاسلامي ـ وهو ما نلتزم به ـ وبين موقف آخر يعتبرها الدعامة الوحيدة ، الاولى والاخيرة ، وموقف ثالث يلغي الحكومة من التصور الاسلامي ، وهو ما نعارضه .

●

بعد الايضاحات والتحذيرات ، نعود الى اجابة السؤال الذي توقفنا عنده في الحلقة السابقة من المناقشة : ما هي طبيعة الحكومة الاسلامية ، المعنية والمرجوة ؟

اكثر الردود شيوعا بين الاسلاميين الآن ، هي عبارة « حكومة الله » ، التي يأتي بها « حزب الله » ، لتعلي كلمة الله .. وهؤلاء هم دعاة « حاكمية الله » سبحانه وتعالى ، وهو التعبير الذي صكه الفقيه الباكستاني الكبير ابو الاعلى المودودي ، واستخدمه ، وطوره في العالم العربي سيد قطب ، حتى أصبح يطل صراحة وضمنا من بين سطور كتابات كثيرة ، تتراوح بين الرسائل الجامعية للدكتوراه ومنشورات الجمعيات السرية والمتطرفة ، من الجزائر الى الشام .

وواقع الامر ان تعبير « حاكمية الله » هو من نوع الصياغات السهلة والخطرة . فهو سهل لانه يلخص الحل في كلمتين ، ويجنبنا ، مؤقتا ، الجدل ووجع الدماغ . وخطير لانه بتعميمه الشديد لابد يواجه مأزقا في التنظير او التطبيق . لانه يتسع ، لتقديرات وتفسيرات مختلفة ، قد يختلط في ظلها حق الله سبحانه بحق الحاكم وحق الناس . ويكاد يصبح تعبير حاكمية الله فكرة مجردة وهلامية ما لم يترجم الى خريطة للواقع تسهم في عمارة الارض واسعاد البشر . تماما كما ان تعبير مشيئة الله يمكن ان يظل تعبيرا مجردا خارجا عن حسابات الانسان ، مالم تر هذه المشيئة من خلال سنن ونواميس الكون ، وبناء النتائج على الاسباب .

وهي مفارقة لها دلالتها ، ان يقترن تعبير « حكم الله » بتجربة لعبت الخديعة دورها فيها ، وافرزت اول حزب سياسي في الاسلام ، واول خلل في بناء الدولة الاسلامية .

يوم « صفين » جرت الواقعة والقتال دائر بين خليفة المسلمين علي بن ابي طالب ، ومعاوية بن ابي سفيان والي الشام الطامع في الخلافة . وكفة القتال بدت راجحة لصالح جيش علي ، الامر الذي لم

※ للتفصيل انظر كتاب الشيخ محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » .

يلك رجال معاوية ازاءه الا استخدام سلاح الدهاء والمكر . ورفعت المصاحف على رؤوس الرماح وسط جيش معاوية ، ونادى المنادي أن « هذا كتاب الله بيننا » . واختلف رجال عليٌ على التحكيم ، حتى رفضه فريق من بني تميم ، الذين كان من رأيهم الاستمرار في قتال معاوية استجابة لقول الله تعالى « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » ، وقال قائلهم « عروة بن ادية » « لا حكم الا لله » .. فكان اول من نطق بهذه العبارة ، واصر على مواقفه ، وانفصل برجاله من بني تميم ، الذين عرفوا « بالمحكمة » .. الذين كانوا بذرة الخوارج فيا بعد .

وكانت بعد ذلك الخديعة الشهيرة ، التي خلع بمقتضاها على وثبت معاوية ، وبدأت حقبة جديدة في التاريخ الاسلامي ، كانت وراثة الحكم وانفصال الدولة عن الشريعة بين سماتها البارزة .

على أن صفحات التاريخ الاسلامي تسجل قبل حادثة صفين موقفا استخدم فيه لفظ الجلالة بشكل آخر ، عندما توجه فريق من المسلمين الى الخليفة عثمان بن عفان ، يطالبونه بالتنحي عن منصبه ، وكان رده عليهم : لا انزع قميصا كسانيه الله تعالى .

ومن قبيل هذا الاستخدام المبكر للفظ الجلاله ايضا ، ذلك الحوار الشهير بين الصحابي أبي ذر الغفاري ، ومعاوية بن ابي سفيان ـ بعد توليه الخلافه ـ عندما ذهب ابو ذر يحاسب الخليفة الجديد على طريقته في الانفاق وتوزيع الاموال ، وكان رد معاوية الرافض لاعتراض أبي ذر ، ان المال مال الله .. فيا كان من أبي ذر الا ان قال : كأنه بذلك يريد ان يحتجنه (اى المال) دون المسلمين . اني لا أقول انه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين .

●

وليست غريبة في سجل الحكم محاولات الاحتماء بالله سبحانه ، واستخدام الطريق الى السماء لتحقيق العديد من الاهداف السياسية ، من تثبيت السلطة ، الى ارهاب الآخرين ، الى تصفية الخصوم ، ومصادرة حق الجماهير في التعبير والتفكير .

ومن المعالجات اللافتة للنظر في محاولة التعبير عن تصور الاسلام لنظام الحكم واين يقف الله ـ سبحانه ـ منه ، ما كتبه الدكتور جمال الدين عطيه في العدد العاشر من مجلة « المسلم المعاصر » اذ قال ان الاسلام ينفرد بموقف متميز عن الديمقراطية والثيوقراطية ، في نظرته للحكم . فالديمقراطية تنطلق من مبدأ ان الامة مصدر السلطات ، بما يجعل تسلسل السلطة فيها كما يلي : الامة الحاكم . بينما تنطلق الثيوقراطية من مبدأ ان الحاكم ظل الله في الأرض وخليفته على خلقه ، بحيث يصبح تسلسل السلطة هو : الله الحاكم الامة .

اما في الاسلام ، فالحكم او السيادة او الحاكمية ، او غير ذلك من المصطلحات التي تحتاج الى اعادة نظر وتحديد .. ـ والتعبير للدكتور جمال عطية ـ هو اصلا لله ، والناس مستخلفون عن الله في عمارة الكون واقامة شريعة الله ، وعليهم تنظيا لامورهم ان يتخذوا من بينهم اميرا او خليفة او رئيسا ، بما يجعل تسلسل السلطة في نظر الاسلام كالاتي : الله الامة الحاكم .

واذا كان لي أن اسهم في صياغة هذه المعادلات ، باضافة بسيطة ، فانني اضعها على الوجه التالي : اذا كان الله ـ منكورا في النظام الشيوعي ، فانه غير مذكور ولا منكور في النظام الديمقراطي ، واذا كانت مفاتيح ابواب السماء حكرا على الحاكم في النظام الثيوقراطي فان تلك الابواب مفتوحة على مصاريعها لكل الناس في النظام الاسلامي .

وحتى عهد قريب ، كانت كتابات الاسلاميين تتجه اكثرها الى اعتبار ان « الامة مصدر السلطات » في الاسلام ـ وهي مدرسة اخرى غير مدرسة « الحاكمية » ـ وكان هؤلاء يستخدمون ذلك المبدأ الذي قررته الجمعية التأسيسية في عصر الثورة الفرنسية ، والذي يكرس « السيادة للامة » ردا على الشعار الذي كان سائدا من قبل ، داعيا الى ان « السيادة للملك » وهو الشعار الذي كان يعبر عن نظرية التفويض الالهي .

وكان من القائلين بهذا الرأي مفتي مصر الاسبق الشيخ محمد بخيت في مؤلفه (حقيقة الاسلام واصول الحكم) الذي رد به على كتاب الشيخ علي عبد الرازق الشهير الذي اشرنا اليه من قبل . اذ كتب الشيخ بخيت يقول « ان المسلمين هم اول امة قالت بان الامة مصدر السلطات كلها ، قبل ان يقول ذلك غيرها من الامم » .

وكان هؤلاء وغيرهم ممن رفعوا شعار سيادة الامة ، من غير المتخصصين في الواقع . اذ ان اكثرهم كانوا من الفقهاء والمتخصصين في العلوم الشرعية . ولما كانت هذه قضية دستورية بالدرجة الاولى ، فقد تصدى لها بالنقض واحد من ابرز فقهاء القانون الدستوري المحدثين ، هو الدكتور عبد الحميد متولي ، في كتابيه « الاسلام ومبادىء نظام الحكم » و« ازمة الفكر السياسي الاسلامي » .

●

بعد استعراضه لاصل كل من الشعارين ، سيادة الملك وسيادة الامة ، قال الدكتور متولي : اذا كان مبدأ سيادة الامة انما استنبط ليكون بمثابه معول لهدم نظرية معينة ، يستند اليها نظام حكم مطلق ، واذا كانت النظرية قد تم هدمها ولم يبق اثرلها (اذ لم يعد هناك من يقول بالتفويض الالهي الان) فما فائدة هذا المعول اذا ؟ .. لماذا نبقي عليه ؟ !

ويمضي الدكتور متولي قائلا : ان مبدأ سيادة الامة لايكفل الحرية ولا يحول دون قيام حكم استبدادي ، بل ان له اثر ايجابيا . ذلك لانه يعمل على زيادة او مضاعفة تلك النزعة الاستبدادية ، اي انه يعود مصدرا للاستبداد ، مشجعا على قيام حكم استبدادي .

ثم يضيف : ومن خصائص السيادة ، كما يذكر رجال الفقه الفرنسي الذين اصطنعوا تلك النظرية ، انها سلطة عليا لاتعرف فيما تنظم من علاقات داخل الدولة ، سلطة عليا اخرى معادله او منافسة لها او اعلى منها . اي انها سلطة مطلقة لاحدود ولا قيود عليها .

ثم يقول الدكتور عبد الحميد متولي « انه مما يزيد من خطر ذلك المبدأ على الحرية انه ليس هو الشعب ـ من الناحية العلمية الواقعية ـ هو الذي يريد او يتكلم ، وانما هم بضعة افراد (الحكام) هم الذين ـ في الدول الديمقراطية ـ ينتفعون بتلك العصمة عن الخطأ التي يسبغها ذلك المبدأ على الامة » .

ويقترح الفقيه الدستوري المصري اخيرا ، انه اذا كان ولابد من وضع السيادة في صياغة تفيد الامة من ايجابيات المبدأ ، وتجنبها سلبياته ، فليكن النص على انه « لاسيادة لفرد ولا جماعة على الامة » .

واذا كان لي ان اضيف الى ماذكره استاذنا الدكتور متولي ، فانه من وجهة النظر الاسلامية يعد الاطلاق غير مقبول في ممارسات السلطة او السيادة في ظل شعار سيادة الامة . لان هذه الممارسات ينبغي ان تظل محكومة باطار الشريعة الاسلامية وتعاليمها .

●

بعد هذه « الرحلة » ، التي ارجو الا تكون دسمه باكثر مما ينبغي ، لي ملاحظتان سريعتان :

ـ الاولى : ان الحوار حول مبدأ سيادة الامة هو وقوع في ذلك المحظور الذي اشرت اليه في مدخل هذه المناقشة وما قبلها . وهو استمرار لمحاولات البحث عن دواء لعللنا في « صيدلية الحضارة الغربية » وكما ان الحوار حول مسألة الدين والسياسة هو بمثابة بحث عن اجابة اسلامية لسؤال غربي ، فان الجدل حول سيادة الامة هو اعتساف مماثل تقدم بموجبه صياغة غربية لواقع اسلامي ! .. وفي الحالتين فاننا نظل متأثرين بالهزيمة امام زحف الحضارة الغربية .

ـ والثانية : ان صيغا مثل حاكمية الله وسيادة الامة ، تطرح باعتبارها حلولا اسلامية لقضية الحكم . وفي عصر كالذي نعيشه كثرت فيه اساليب التحايل والتمويه ، وصارت بضاعة الشعارات فيه بغير قيمه ، وتقدم فيه تكنولوجيا خداع الجماهير وتخديرها .

في عصر كالذي نعيشه صارت ابشع الممارسات تتم تحت شعارات تحمل اكثر الكلمات رقة وعذوبه وجاذبيه . في عصرنا هذا لم يعد الشعار ضمانا او حائلا دون ان تمضي الممارسة على نحو يتجاوز اي قيمة ويهدرها .

ومع احترامنا لكل اشياع فرق الحاكمية او السيادة ، فاننا مضطرون لتنحية مثل تلك العبارات جانبا ، لكي نعرف على وجه التحديد : من حقا بيده الامر في المجتمع الاسلامي ؟

نواصل المناقشة في العدد القادم بـإذن الله . ■■

عندما تقصف الخيام

للشاعر : حسن عبد الله القرشي
السفير بوزارة الخارجية السعودية

بواديكِ أقطعُ كلَّ الفيافي
وأمشي على دَرْبِ كلِّ الصواعقِ ، كلِّ الرعود
خَبِرتُ المتاهَ
كم احتضنتني البراكينُ
كم جرَّبتني العواصفُ
كم هدهدتْ قدمي القيود
حجازيةَ الدمعِ
ياريحَ أشرعتي أنتِ
يا فجوةً للزلازلِ ترتطمُ الرُّوحُ فيها
وتجري تيّاراتِ حبٍ عنيد !

❊ ❊ ❊

كأسي ، انتفضنا معاً
ثم ذبنا معاً في مسارِ القوافلِ
في غضَبِ الريحِ
في تَسَحُّبات ظلال الخريفْ
وأيقنتُ أنّيَ جسرٌ من الحُزْن ،
لن تقطعَ الجسرَ
لن تركبَ الموجَ
من أرهقتْها الرُّؤى والطُّيوف ؟

❊ ❊ ❊

حذار .. هتفتُ
وأشفقتُ .. في الفم ملحٌ
وفي الصدر شوكٌ

وطرقي رماد
وأنت تسيرين يرهقك الأينُ
والطيبُ منكسبُ الفوْح يغمرُ وجهَ الوهاد
حجازيةَ الشوق
تذبحني لهفةٌ في المحيا
ويفجؤني نبضُ نهدٍ لعوبٍ
ويلجمني السرُّ والذكريات !

❋ ❋ ❋

وأبصرتُ كلَّ الخيام عَطاشى
ملاعبُ خيلِ الزمان تبدّت لعينى طُلولاً
وأوديةَ الخصب تقرأ كتبيا
وهودجكِ الشارد المترنّح يلطمه التيه
ولا موئلٌ للعشيّات
والياسمينُ مدلّى حسيرٍ
حجازيةَ الومضة المستبدّة
أطيافكِ الغرّ نهرٌ من العطرِ
مزرعةٌ للدوالى
تلالٌ من الصندلِ المشرئبِ
مجامرُ للصندلِ الرّطبِ
آنيةُ الأقحوانِ الفريد !

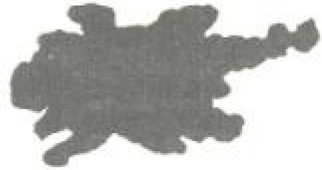
❋ ❋ ❋

حجازيةَ الهمسِ
بحّ الصدى في مسارِ النجوم
ويجرحُ ليلَى دوماً نداك

وينطفئ النغمُ الحُلو
ثم تلوحينَ فالكونُ نارٌ ونور
عشقتكِ والكونُ ما زالَ طفلاً
ورتّحنى العشقُ والكونُ شيخٌ ضرير
فمن أنتِ ؟ من أنتِ ؟
فيمَ تلوحينَ في خاطري كلَّ حين ؟
ففى مُلتقى الفجرِ أنتِ ...
وفي وَهج الشمسِ شمسٌ تربّق الضياء
وأنى التفتُّ أراكِ
أرى زهرةَ الياسمين !

❋ ❋ ❋

حجازيةَ الدمع
أخضرُ دمعكِ
ينسابُ في رئتى .. ينشدُ لهاثاً
ويفرشُ كالظلِّ أهدابَه
يتوغلُ في خاطري قبّاً أحمراً
وسراباً بديد
لماذا تفرُّ طيورُ المنى من حديقتنا ؟
يستحيلُ الهديلُ نعيباً ؟
لماذا يرافقنا شجرُ القحطِ والمحْلِ
في كلِّ دربٍ ؟
ويزرعُ الشوكَ في أرضِ غابتنا وحدها ؟
وتزأرُ كلُّ وحوشِ الفلاةِ بأسماعنا
لماذا نخافُ ؟ نذلُّ ؟ نضيعُ ؟
وفي كفّنا سيفه (ابن الوليد) ؟ !



السرطان وغذاؤنا

دليل علمي جديد يؤكد أن نصف حالات السرطان التي يصاب بها الانسان تسببها نوعية الغذاء !

ان تعاطي الاملاح يسبب ارتفاعا في ضغط الدم ، كما ان تناول السكر قد يؤدى الى الاصابة بمرض البول السكرى ، في حين ان اكل لحم البقر والزبدة يسبب انسدادا في الشرايين من شانه ان يؤدى الى الاصابة بالنوبات القلبية •

وجرى في الاونة الاخيرة ربط الغذاء الغنى والوافر في الولايات المتحدة الامريكية بتزايد عدد الامراض الخطيرة ، وان امراضا اكثر خطورة قد تكون في طريقها الى الظهور • واصبح الباحثون مقتنعين الان بان اصناف الاطعمة التي يضعها الامريكيون على موائدهم تلعب دورا رئيسيا في التسبب باكثر الامراض خطورة واشدها فتكا بالانسان الا وهو السرطان •

واحتدم النقاش والجدل حول العلاقة بين الغذاء والسرطان لياخذ طابعا سياسيا في احدى مراحلة • فقد أعلن عضو مجلس الشيوخ الامريكي جورج مارك كفرن الذى رأس لجنة فرعية استمعت الى شهادات مختلفة ووجهات نظر عديدة اثناء جلسات علنية في الشهر الماضي حول التغذية اعلن عن اكتشاف دليل جديد هو أن نصف حالات السرطان التي يصاب بها الانسان مرجعها الى الغذاء • وانتقد ماك كفرن المسؤولين في معهد السرطان الوطني بسبب انفاقهم ستة عشر مليونا من الدولارات فقط من مجموع ميزانيتهم الحالية البالغ ثمانمائة وسبعين مليون دولار على دراسة دور الغذاء في التسبب بالسرطان في الوقت الذى ينفقون فيه مائة مليون دولار على أبحاث ما تزال غير مجدية ، وكلها منصبة على الفيروسات التي تسبب السرطان •

سرطان القولون

واوضح باري كومونار من جامعة واشنطن في سانت لويس في معرض تاييده لما ذهبت اليه اللجنة الفرعية في تحقيقاتها ، اوضح بان الهمبورغر (شطائر لحم البقر) المقلي في أوعية معدنية يحتوي على مواد تسبب تغيرا هاما في البكتيريا التي قد تؤدى بدورها الى احداث الاصابة بالسرطان • وفي الحقيقة فقد درس الباحثون في معهد السرطان الوطني وفي اماكن عديدة في اصقاع الارض لسنوات عديدة العلاقة المحتملة بين



الاطعمة الغنية بالالياف النباتية : هل هي عامل او علاج وقائي ؟

الغذاء والسرطان وبصفة خاصة السرطان الذى يصيب الجهاز الهضمي والذى يستاثر وحده بمائة واثنين وسبعين الفا وحتمائة حالة من أصل سبعمائة ألف حالة جديدة من هذا المرض الخبيث والمميت تحدث في الولايات المتحدةالامريكية سنويا•

واعرب هؤلاء الباحثون كذلك عن اعتقادهم بان الغذاء الغنى بمواره الدهنية قد يعجل فى الاصابة بسرطان الصدر الذى تبتلى به حوالى تسعين الف امرأة في الولايات المتحدة كل عام •

وعلى أية حال فان العلاقة بين الغذاء ومعظم أنواع السرطان ما تزال غير محددة أو واضحة المعالم •

ويقول غيو غورى رئيس برنامج الغذاء والتغذية والسرطان التابع لمعهد السرطان الوطنى ان الغذاء ليس سببا جوهريا بذاته ولكنه مجرد عامل قد ينشط أو يعيق وظيفة العوامل الاخرى المساعدة على احداث الاصابة بالسرطان •

عادات الاكل

لقد تم الحصول على ادق المعلومات الموثوقة عن دور الغذاء في السرطان عنطريق القيام بدراسات خاصة بعلم الاوبئة على مجموعات من الاشخاص• مثال ذلك : فقد وجد ان اعلى معدلات الاصابة بسرطان الامعاء تحدث في البلاد التى تستهلك نسبة عالية من لحم البقر الغني بالدهن الحيواني ومن هذه الدول : الولايات المتحدة الامريكية ، سكوتلندا ، نيوزيلاندا ، كندا ، والدنمارك • وتم تاكيد العلاقة بين الدهنيات وسرطان القولون (الامعاء الغليظة) عن طريق اختبارات وفحوص لفئات من الناس الذين تتغير عادات الاكل لديهم من خلال هجرتهم الى بلدان اخرى • فاليابانيون الذين يتناولون أطعمة تقليدية تحتوى على نسبة قليلة من الدهنيات يصابون بسرطان الامعاء بنسبة تقل عن ثلث الاصابات بهذا المرض الذى يحدث بين الامريكيين ، ولكن اليابانيين ــ الامريكيين الذين اصبحوا مولعين جدا باللحم البقرى والزبدة شانهم فى ذلك شان الاوروبيين يواجهون مخاطر الاصابة بسرطان الامعاء بالمعدل ذاته الذى يصاب به الامريكيون الاخرون •

وهناك قطاع من الامريكيين البيض لا يتناول

اللحوم فيطعامه الذى يقتصر علىالخضر والحبوب والفواكه وهم بالتالي يصابون بسرطان الامعاء بنسبة اقل من تلك التى يصاب بها أبناء بلدهم عموما .

ومهما يكن من شيء فانه لم يتقرر بعد بصفة قاطعة كيف تساهم الدهنيات في الاصابة بسرطان الامعاء .

ويقول الدكتور اوبرنست وايندر من مؤسسة الصحة الامريكية ان الدهنيات تزيد من تركيز احماض الصفراء (وهي مادة يفرزها الكبد وتختزن في المرارة) في الامعاء الغليظة وكذلك تنشط نمو نوع معين من البكتريا المعوية ، ومن ثم تقوم هذه البكتريا بالتفاعل مع احماض الصفراء لتنتج المسرطنات (وهي مواد محدثة للسرطان) .

وأعلن بعض الباحثين أن الغذاء المحتوى على نسبة عالية من النخالة والخبز المصنوع من الحبوب جميعها ، وكذلك الاطعمة الغنية بالالياف النباتية تعمل على وقاية الجسم من سرطان الامعاء عن طريق امتصاص او تخفيف المواد المحدثة لهذا المرض . مثال ذلك : فالفنلنديون الذين يستهلكون نسبة عالية من المواد الدهنية والنباتية يصابون بسرطان الامعاء بمعدل منخفض نسبيا . وعلاوة على ذلك وجد الدكتور هارى غولد سميث من احدى كليات الطب في الولايات المتحدة الامريكية ان الفئران التى تتغذى على طعام يحتوى على نسبة عالية من المواد النباتية تصاب باورام خبيثة بمعدل اقل من ذلك الذى تصاب به الحيوانات الاخرى التى تتغذى على اطعمة تحتوى على مواد نباتية قليلة .

توازن الهرمونات

ان مخاطر الاصابة بسرطان الصدر تتفاوت كذلك تبعا لكمية المواد الدهنية في الغذاء . ونسبة الاصابة بهذا السرطان لدى النساء اليابانيات هي فقط خمس النسبة بالاصابة ذاتها لدى النساء الامريكيات ، ولكن النساء اليابانيات اللواتي يتناولن اصناف الغذاء الامريكي اصبحن معرضات للاصابة بسرطان الصدر بالنسبة ذاتها التى تصاب بها النساء القوقازيات (احد افراد العرق الابيض) .

وما يزال الدليل على ذلك ضعيفا ، غير ان الدكتور وايندر يعتقد بان الدهنيات تؤثر على توازن الهرمونات لدى الانثى . واظهرت دراسة اجريت مؤخرا على النساء ان التحول من الغذاء المحتوى على نسبة عالية من الدهنيات الى الغذاء النباتي يعمل على تخفيض مستويات الدم في البرولكتين (وهو هرمون في الفص الامامي من الغدة النخامية ينظم افراز الكبد في الثدييات) الذى من شانه ان يساعد على التسبب في الاصابة بسرطان الصدر .

وعلى اية حال فان المطلوب اثباته هو ما اذا كان مثل هذا التغير في عادات الاكل من شانه ان يخفف من مخاطر اصابة المرأة بسرطان الصدر . وليس بالضرورة ان يكون الغذاء الامريكي النموذجي رديئا برمته .

ويعتقد بعض الباحثين ان مثل هذا الغذاء قد يساعد على الحد من الاصابة بسرطان المعدة الذى انخفضت الاصابة به بنسبة خمسين بالمائة في الربع الاخير من هذا القرن .

ففي اليابان ما يزال سرطان المعدة شائعا نسبيا وذلك على الارجح بسبب النتروجين والمواد الفعالة المحدثة للسرطان الناتجة عن تفاعل النترات (ملح حامض النتريك) والنترايت (ملح الحامض النترى) مع مواد اخرى في الطعام . فالنترات موجودة في السمك المدخن (يعالج بتعريضه للدخان) الذى يستهلكه اليابانيون بكميات هائلة جدا . ويعزو بعض الباحثين منذ ان ابطل فيتامين ٢ تحول النترات والنترايت الى نتروجين، يعزون انخفاض الاصابة بسرطان المعدة بين الامريكيين الى ازدياد استهلاكهم للفواكه والخضراوات .

سرطان جديد

وسبب الاستخدام على نطاق واسع لمواد تضاف الى اخرى بمقادير صغيرة في الطعام لاعطائها خصائص مرغوبا فيها او لطمس خصائصها البغيضة ، سبب قلقا ازاء مخاطر ظهور سرطان جديد في الولايات المتحدة .

مثال ذلك : فالنترايت المنطوية على ضرر كبير تستخدم كمادة واقية للحم المقدد او المملح ، غير ان بعض الخبراء لا يبدون انزعاجا لذلك لان

يتعـــرض الامريكيون بسبب تنـــاولهمللدهنيات على الارجح لمخاطر الموت بسرطان الامعاء والصدر • وفي اليابان فقد تم ربط النترات بسرطان المعدة •

موضع السرطان		نسبة الوفيات في كل مائة الف نسمة	
		الولايات المتحدة	اليابان
سرطان الامعاء	المعـدل	١٨ر٣	٤ر٨
	الذكور	١٧ر٢	٤ر٦
	الاناث	١٩ر٣	٥ر٠
	المعدل	٧ر٢	٤٦ر٦
سرطان المعدة	الذكور	٩ر٠	٥٧ر٤
	الاناث	٥ر٦	٣٦ر٣
سرطان الصدر	الاناث	٢٩ر٦	٥ر٤

المصدر : منظمة الصحة العالمية ، احصائية عـام١٩٧٣

الطبخ يقضى على معظم هذه المواد قبلوصولها الى الفم • ووضع السكرين (مركب متبلر احلـــى من السكر مئات المرات) فى المستقبل ما يزالموضع شك • والخطر المقترح على المحليات التى وجد انها تسبب السرطان فى الجرذان قد ياخذ طريقه الى التنفيذ فى اى وقت بعد اعلان نتائج دراسة واسعة النطاق تجرى حاليا على مرضى سرطـان المثانة • ويوجد الان دليل ضعيف على انالسكرين يسبب اصابة بنى البشر بالسرطان ، وكذلك فان خطر الاصابة بهذا المرض الفتاك الذى يسببـــه الهمبورغر ما يزال مشكوكا فيه • وترتكز هــذه الشكوك على اختبار الامبية (حييوين وحيـــد الخلية يتغير شكله باستمرار) حيث وجد أن المواد التى تسبب تغيرا هاما واساسيا فىالبكتريا قادرة كما يفترض على احداث السرطان ايضا •

واعرب بعض الخبراء عن اعتقادهم بان اختبار الاميبة ليس فعالا بالدرجة ذاتها التى تتم فيهـا الاختبارات علىالحيوانات والتى تستهدف اكتشاف المواد الكيميائية التى قد تسبب اصابة الانسان بالسرطان • وحتى اذا كان الهمبورغر المقلـــى يحتوى على المواد المحدثة للسرطان فان السؤال الذى يطرح نفسه هو : ما العلاج الناجع ضـد هذا الداء الوبيل ؟

ولم يثبت حتى الان بالدليل القاطع ان هناك علاقة وثيقة بين الغذاء وحدوث الاصابة بمرض القلب ، كما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين انواع معينة من الغذاء والسرطان •

وبعد كل هذا فان السلطات المختصة توضح بان السرطان مرض معقد او مركب ، وان عشـــرات العوامل بما فى ذلك عامل الجينات (الورثة) وترق الحياة تلعب بدون ادنى شك دورا فـــى احداث هذا المرض •

ووجه المسؤولون فى معهد السرطان الوطنـى رسالة الى الاميركيين دعوهم فيها الى وجوب استخدام الحصافة والفطرة السليمة فى عادات اكلهم (غذاء يحتوى على القليل من السعرات الحرارية بوجه عام ، وعلى القليل من الدهنيات بوجه خاص) • ■■

ترجمة واعداد : سمير جيوسى

أدب اسلامي : كيف ؟

بقلم : الدكتور احمد مطلوب

جامعة بغداد

درج مؤرخو الادب العربي على أن يقسموه الى عصور ، وأن يسموا الفترة التي بدأ فيها الاسلام وعاش في ظلها الامويون « العصر الاسلامي » • وهي تسمية غير دقيقة لأسباب منها : ان الاسلام لم يؤثر في أدب تلك الفترة تأثيرا كبيرا ، لان النفوس بقيت منشغلة بالجهاد الاكبر ونشر الدعوة الاسلامية في الآفاق ، وان بعض القيم التي سادت في العصر الاموي لم تكن اسلامية ، بل ظلت مرتبطة بالجاهلية ، وكان الشعراء يأخذون منها ، بل يزيدونها ضراما ، كما فعل شعراء السياسة والهجاء وأصحاب العصبيات القبلية ، وان تسمية تلك الفترة بالعصر الاسلامي توحي بأن الادب العربي لم يكن اسلاميا خلال العصور التي تلته • وهذا ظلم كبير للذين حملوا لواء الحق في كل مكان ، وكان لهم دور عظيم في نشر العقيدة الاسلامية والدفاع عنها •

لقد ظهر أدباء خلال العصور المختلفة يحملون الفكر الاسلامي ويعبرون عنه ، وزخر النثر بكثير من الصور المشرقة التي تظهر القيم الاسلامية الرفيعة باسلوب بديع ، فيه من الاقناع ما يحمد عليه أصحابه ، وحفل الشعر العربي ببعض الاشراقات الاسلامية التي كانت تضيء من خلال ما تراكم من شعر شغل بالتعبير عن ملذات الحياة والدعوة الى اغتنام الفرصة ، لان الحياة سراب • وكاد هذا اللون يطغى على الشعر العربي في فترات مختلفة ، لولا نداء الضمير واندفاع المؤمنين الى المساهمة في الحياة العامة والتصدي لكل من يسيء الى العقيدة او يحاول طمس أنوارها • ولعل شعر الحب العفيف الذي ينبع من قلوب تخشى الله ، وشعر الدفاع عن الطبقات المسحوقة ، والشعر الصوفي ، والشعر الذي صور انتصارات المسلمين على أعداء الله ، خير ما بقي من ذلك التراث الضخم • غير أن معظم ما خلدته الايام من الادب ـ ولا سيما الشعر ـ لا يمثل الروح الاسلامية خير تمثيل ، لان بعضه انحرف عن الحق والجمال ، وأخذ يصور الدعوات المشبوهة والعقائد المنحرفة والاهواء

المسعورة • ولا يبعد من ذلك شعر التملق الذى أساء الى الفكر الاسلامى وأعاق حركته واوقف زحفه ، لانه اتخذ من الباطل غطاء ومن الزيف شعارا ، وحجب الرؤية حينما جعل الملوك والسلاطين خير ما جادت به الايام ودعا الى الاقتداء بهم ، لانهم ظل الله فى ارضه ، والشعراء أول من يعلم انهم كاذبون • ومثل ذلك شعر الغزل الماجن والخمرة والطعن فى الاعراض والتحريض على اثارة العصبيات والتمييز العنصرى والدعوة الى الخروج على الاسلام ليشيع الفساد ويستعبد الانسان بعد أن حرره الاسلام من قيود الذل والهوان والشهوة •

الدين والادب والاخلاق

وقد كان من المؤمل ان يؤثر القران الكريم والحديث النبوى الشريف فى نفوس اولئك الشعراء ويصرفهم عما ذهبوا اليه • ولكن ما حدث يوحى بأنهم لم يستفيدوا من هذين المنبعين ولم يؤثرا فى قلوبهم وعقولهم ليعبروا عن الكون والحياة والانسان من خلال التصور الاسلامى • والغريب انهم كانوا أكثر حرية من المعاصرين فى الابتعاد عن هذا الاتجاه ، وكانوا يدعون الى فصل الادب عن الدين والاخلاق ، اى انهم لا يريدون الالتزام بعقيدتهم التى تدعوهم الى الخير وتفتح امامهم سبل الحياة ، فهم كالذين اضاعوا انفسهم فى هذه الايام وركضوا لاهثين وراء شعار « الفن للفن » وهو شعار ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، لانه يفرغ الانسان من قيمه ويجعله بعيدا عن مجتمعه الذى يحيا فيه • والاغرب من ذلك أن القاضى الجرجانى (ـ ٣٩٢ هـ) يقول فى وساطته : « فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتاخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الامة عليه بالكفر » • واذا كان هذا صحيحا من الناحية الفنية ، فانه غير مقبول من الوجهة العقيدية التى تحتم الالتزام بالقيم الرفيعة والاخذ باسباب تقدم الانسان لا تصوير نوازعه وشهواته وعزله عن الحياة العامة وعن مجتمعه • وكان على الادب العربى أن يلتزم بذلك ليقدم للعالم صورة مشرقة بناءة ، ولكنه ظل بعيدا عن القرآن الكريم والنظرة الشاملة الى الكون ، ولم يستفد مما جاء من تصوير بارع لمشاهد القيامة والطبيعة والقصة والعواطف الانسانية الرفيعة (١) • ويبدو أن العناية بالاسلوب واللغة صرفتهم عن الاهداف السامية فلم يأخذوا من كتاب الله الا بلاغته التى صاغوها قواعد فقدت ظلها بعد جيل أو جيلين ، وأصبحت لا توحى بالحياة والحركة التى كانت فى كتاب الله • ولو اتخذوا الكتاب العزيز لهم شرعة ومنهاجا فى التعبير عن الحياة لكان لهم أدب انسانى رفيع • ومن هنا تسقط التهم التى توجه الى الاسلام وتتهاوى فرية القائلين بانه عاق الادب العربى عن التطور لالتزامه بالثابت ، ولو اتخذ الادباء الالحاد لهم سبيلا لجاءوا بكل أدب عظيم • والواقع يكذب هذه الفرية فما كان للادب اتصال كبير بالاسلام فى كل العصور ، ولو اتصل به لجاء خير كثير ، لان الاسلام ليس مواعظ وحكما وارشادات فحسب ، وانما هو تصوير للكون والحياة والانسان من خلال قيمه الخالدة ونظرته الشاملة الى الوجود •

صلة انقطعت

واذا فات القدماء هذه الحقيقة فان الدنيا ما تزال بخير على الرغم من شيوع الالحاد والعودة بالانسان الى عهد الغاب • وما يزال الايمان يعمر قلوب كثيرين فى مشارق الارض ومغاربها ، وهم متطلعون الى خلق أدب اسلامى جديد يعبر عن الانسان وتطلعاته ، ويجلى أشواقه وآماله ، ويرسم صورة

---

١ ـ من خيرة الكتب التى عالجت مثل هذه المسائل كتاب « منهج الفن الاسلامى » •

صادقة للاجيال التي تتخطفها العقائد الزائفة والمذاهب المودية باهلها الى النار . ولئن كاد الادب القديم يخلو من هذه النزعة السامية فان الادب العربي الحديث ليفتقر الى ذلك افتقارا مخيفا يوحى بان الصلة انقطعت بينه وبين الواقع الذى يحياه الناس ، لانه يمتلئ بالتصورات البعيدة عن الانسان الذى كرمه الله وجعله خليفته في الارض . ويزخر بالاتجاهات المنحرفة التي نقلها اصحابه عن قوم اكلهم التمزق وارهبهم الموت والعدم . فاصبحوا خائفين يترقبون بعد أن فقدوا الايمان بالله والاعتزاز بالانسان الذى يصارع الحياة من أجل الوصول الى أنبل المقاصد وأشرف الغايات . ان الحمأ المسنون الذى تردى فيه بعض الادباء كاد يطغى على الجنة التي عرضها السماوات والارض . وان التقليد الزائف الذى انحدروا اليه يكاد يكون السمة البارزة فيما يتردد اليوم على الاقلام .

ان الادب العربي مدعو في هذه الفترة التي تمر بها الامة في نضالها ضد أعداء الانسانية الى الاخذ بالتصور الاسلامي في معالجة القضايا ليحقق الانسان اهدافه في الحياة الحرة الكريمة ، ويصل الى ارفع ما يصبو اليه ويحقق اهداف الرسالة الخالدة . وهي رسالة تقوم على الحق والخير والعدل والجمال . والادب الذى يخدم هذه الاهداف هو الادب الذى ينبثق عن التصور الاسلامي الذى يشمل الكون والحياة والانسان ، وهو تصور يعتمد اول ما يعتمد على اعلاء شأن الانسان ورفعه من الهوة التي تردى فيها حينما فقد الايمان .

مطلوب في الادب الجديد

وينبغي أن يبرز هذا الادب حقيقة العقيدة الاسلامية باسلوب فني رفيع ليكون له تأثير نفسي عظيم الى جانب ما يقدم من صور حية ناطقة . وان يكون مسه للقيم الاسلامية مسا فنيا يهز النفوس هزا رفيقا ويشرح القلوب للايمان . واذا ما اريد للادب ان يكون اسلاميا فينبغي ان ياخذ العقيدة منطلقا له ليحقق الالتزام الذى ينبع من الايمان الصادق والفكر العميق . ولعل اهم ما يمثل هذا الادب الجديد : النظرة الشاملة الى الحياة كما صورها الاسلام لا كما تصورها النحل الزائفة والاهواء الجامحة . والشوق الى الله لا باسلوب التناسخ والحلول بل باسلوب القرآن الذى يرفض ما يشيع الان في ادب بعض الكتاب ممن تأثروا بالاتجاهات المريبة . والابتعاد عن فكرة تعدد الالهة التي شاعت في الادب الحديث نقلا عن الملاحدة والافاقين الذين ظهروا في عهود الجاهلية او الذين ظهروا في كهوف الضياع الذى اخذ يطبق على العالم بعد ان فقد ايمانه بالله وقدرته . والعزوف عن الخرافات والاساطير التي تعوق تقدم الانسان وتقضى على طموحه في بناء مستقبل زاهر يتخذ العقل والعلم له سبيلا . والابتعاد عن تأليه الانسان واضفاء صفات الالوهية على الطبيعة التي هي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وليست هي الاله كما يدعون . وقد ادى تأليه الانسان ورفعه الى السماوات العلى الى سحق الشعوب والقضاء على امالها في التحرر والانطلاق من العبودية . والابتعاد عن العقائد المخالفة للاسلام كالدعوات المضللة التي تشيع في هذه الايام ، والاستفادة من التصور الفني في القرآن الكريم . وما يتصل بالحياة الدنيا والحياة الاخرة لبث القوة في النفوس ويزرع الامل في القلوب . والغريب أن لا يستفيد المسلمون من ذلك في حين اقتبس الغرباء من ذلك الشيء الكثير ، وبنوا اعمالهم الادبية على ما في كتاب الله من حديث عن الفردوس والمطهر والجحيم ، كما فعل دانتي في الكوميديا الالهية وغيره من كبار ادباء العالم ومفكريه . وكان بعض الادباء العرب يريدون النكاية بالاسلام حينما ينهلون من النحل الفاسدة والعقائد الزائفة ، وينقلون عن الكتب التي ينكرها كل عقل سليم .

وينبغي ان يكون الادب الاسلامي ثورة لايهادن احدا ولا يرضخ الا لسلطان الله الذى خلق هذا الكون . وان يكون حرا لا يخشى في الحق لومة لائم . ولايرهبه جبروت ، ليكشف الزيف ويرسم الطريق وينير الحياة .

مقياسان للادب

وينبغي بعد ذلك كله ان يخضع نقد الادب لمقياسين : مقياس اسلامي ياخذ اصوله من التصور

الشامل للكون والحياة والانسان وينطلق من كتاب الله وسنة رسوله (٢) ، ومقياس فني يستقي أصوله من اللغة العربية وبلاغتها وسحرها الاخاذ . وبغير هذين المقياسين يفقد الادب هويته ويصبح افكارا تصور العقيدة كما ترسمها الدراسات العلمية ، او اظهارا للقدرات الفنية من غير محتوى اصيل .

هذه نظرة عامة في الدعوة الى ادب اسلامي ؟ وهي ليست بدعة من البدع ، وانما هي تعبير عن الواقع الذي ينبغي ان ينطلق منه المؤمنون بالله والامة والوطن اذا ارادوا حياة شريفة ووطنا حرا . وليست الامم بافضل من امة العرب ، فلكل امة عقيدة تنطلق منها وتبني حياتها وتلزم افرادها بالاخذ بها حينما يفكرون وحينما يعملون . واذا اريد للعرب والمسلمين ان تكون لهم منزلة بين الامم فعليهم ان يتخذوا منعقيدتهم السامية ورسالتهم الخالدة شرعة ومنهاجا ، ليبنوا حاضرهم ويستشرفوا مستقبلهم ، ويقدموا للعالم فكرا جديدا يحملهم على اجنحة العزة ليكونوا خير امة اخرجت للناس .

والى ان يظهر هذا اللون من الادب ويسود الحياة الانسانية سيظل الفكريتيما لا اب يرعاه ولا ام تسهر عليه ، لانه فقد الانتساب الىالامة، وضاع في غمرة الصراع الذي يشهده العالم ، وهو صراع يهدف اول ما يهدف الى اشاعةالاحقاد وزرع الفساد ليمزق الامم وتتم السيطرة عليها من خلال ضياعها . وما اصدق القرآن الكريم حينما يقول : « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ، ولعل الادباء يغيرون ما بانفسهم ليعودوا الى مائدة السماء ، منها ينهلون ، وعنها يصدرون ، وفي ذلك خير عظيم.

■■

د . أحمد مطلوب
استاذ في كلية الاداب ـ جامعة بغداد

---

(٢) من خيرة الكتب التي عالجت هذهالمسألة كتاب « في النقد الاسلامي المعاصر » للدكتور عماد الدين خليل .

لسان سليط

● حكى أن شريك بن الأعور دخل على معاوية بن ابي سفيان وكان شريك هذا دميم الخلقة فقال له معاوية : انك ياشريك دميم والجميل خير من الدميم ، وانك لشريك ، وما لله من شريك ، وان أباك لأعوروالصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك .

فاجابه شريك قائلا : انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب ، وانك لابن امية وما امية الا امة صغرت ، فكيف صرت امير المؤمنين ثم خرج وهو يقول :

ايشتمني معاوية بن حـــرب
وسيفي صارم ومعـــي لساني
وحولي من ذوي يزن ليـــوث
ضراغمة تهش الـــى الطعان

من الادب البلغاري :

أخوان

تاليف : أنجل كاراليتشف

ترجمة : عيسى فتـــوح

تخاصم غوران وبيتكو ، ابنا ايلين العجوز ، على ملكية والدهما ، اذ حاول كل واحد منهما ان ينال الحصة الكبرى . تبادلا مر الكلام ، وهاجم كل واحد منها الاخر كالذئب . بدأت كلاب القرية تنبح ، واندفع الجيران ليفرقوا بينهما ، فتدبروا الامر بالجهد . وقف الاخوان منتصبين أمام بعضهما ، والشرر يتطاير من أعينهما . حينما انتقل ايلين الى العالم الاخر ، كان قد ترك لابنيه حصانا أسود كالغراب ، وسيفا طريـا كالثعبان ، وقوسا بعشرين سهما ذهبيا مريشا ، وصقرين رماديين ، وعصفورين شجاعين . تلك كانت الملكية التي تصارع بيتكووغوران مزاجلها.

قال العجوز بانو ، ذو اللحية الرمادية ، وهو يدخل بينهما : «يا عيب الشؤم ! لماذا تثيران القرية كلها بخصامكما ؟ ان أكاليل الزهور لم تذبل على قبر والدكما بعد ، وأنتما تتصارعان على تركته . كان والدكما رجلا فاضلا ، دافع عن الناس ، وحارب من أجل العدالة ، وكان ذا نفوذ وتأثير . كم من أناس مساكين جفف دموعهم ! لقد ترك لكما اسما أثمن من ثروات العالم كلها . اذهبـا وسكنا نفسيكما في اى مكان ، حتى يحل السـلام في قلبيكما ، وتدركا أنكما أخوان فعلا ! » .

حنى ابنا ايلين رأسيهما ، ثم امتطى غوران الاكبر ، الحصان الاسود ، وسار عبر حقول الصيف العميقة ، حيث كانت السنابل الذهبية تحف ، وكان الحصادون بمناديلهم البيضاء ، يغنون . حينما اجتاز الحقول ، دخل غابة سنديان ظليلة ، وتوقف عنـد نبـع مكسو بالطحلب . ترجـل عن حصانه ، وتركه يرعى . انحنى فوق النبع ، وشرب كمية من الماء البارد ، ثم استند الى جذع شجرة سنديان معقد ، ورنا ببصره الى الارض ، فرأى دربا أبيض يتلوى تحت الاشجار الساكنة . كانت نملة تزحف على الدرب،وتجر معها حبة من حبوب الدخن ، بحجم عين العنديليب . لكن الحبة سقطت في ثقب صغير ، وعبثا حاولت النملة اخراجها ، فتركت الحبة واندفعت بسرعة الى تلة النمـل القريبة ، وبعد حين عادت النملة الصغيـرة المجدة ، وزحفت نحو الثقب . جاءت بعدها نملة اخرى ، قد تكون أختها . نزلت كلتاهما في الثقب ودفعتا الحبة معا بجهد عظيم ، ثم جرتا نحو تلة النـمل . نظـر غوران طويـلا الى النملتين الصغيرتين الحكيمتين ، فاضيئت نفسه ، وزالت الغشاوة عن عينيه .

دعنا الان نر ماذا فعل بيتكو ، الاخ الاصغر . حينما رأى أن أخاه انطلق بالحصان، أخذ الصقرين واندفع الى المروج التي كانت تغص بأسراب من الفراشات الزرقاء كالقنطريون العنبري ،وترفرف فوق العشب الطويل . كانت السماء زرقاء وعميقة.



حلق نسر أبيض فى الهواء ، ورسم دوائرواسعة، منتظرا أن يشرد حمل صغير عن القطيع ليمسكه وياخذه الى فراخه الجائعين • حين راى بيتكو النسر ، اطلق الصقر الاول عليه ، فانقض الطائر الشجاع كالسهم حتى وصل الى النسر • نشبت معركة ضارية بين طائرى الصيد ، وتناثر ريشهما فوق المرج الاخضر • فجاة صرخ الصقر يطلب النجدة • حين راى ابن ايلين أن صديقه المجنح أصبح فى خطر ، أطلق سراح الصقر الثانى ، فضرب الاخوان قوة ملك الهواء•رفرفت اجنحتهما• اطلق النسر صرخة يائسة ، وحاول أن يهرب ، لكن الصقرين أمسكاه وانحدرا به ، فسقط النسر المسكين فى المرج الاخضر كانه حجر • قبل أن يسترجع أخر انفاسه ، ألقى نظرة حزينة على الجبل ، حيث كان فراخه الجائعون ينتظرونه ، وبدت عيناه كأنهما تقولان :

« لماذا لم أرزق أخا بمنقار حاد ، وجناحين قويين ! لكان ساعدنى فى تلك المعركة الوعرة »

رفرفت فراشة زرقاء ، فوق جناح النسرالممدد، ثم حطت على ريشة فزينتها •

رمى بيتكو الصقرين بسرعة ، ثم عاد الى البيت ليبحث عن أخيه ، فقد وضح له الان : « اذا لم يكن لك أخ فى هذه الدنيا ، فيجب أن تجد واحدا ! » •

حين دخل فناء بيت أبيه ، وجد أخاه ينتظره عند عتبة الباب •

« سامحنى على الكلمات التى قلتها لك ، يا أخى • خذ كل ما تركه لنا والدنا ، لكن لا تفتقد منى » ثم قبل يد أخيه •

ربت غوران على رأس أخيه ، ثم قال له :

« لن نتخاصم أبدا بعد اليوم • سنعيش معا ، يساعد واحدنا الاخر ، وسنتقاسم كل ما نكسبه• وضم ابنا ايلين بعضهما بحرارة • ■■

دمشق ــ عيسى فتوح

اعداد : يوسف زعبلاوى

اطفال الانابيب بالجملة



● يبدو ان السنوات القليلة القادمة ستشهد ظهور عدد من المستشفيات الخاصة بالاخصاب خارج الرحم ، لا في بريطانيا فحسب ولكن في الولايات المتحدة ايضا . فقد نشرت مجلة نيوزويك في عددها الصادر في الخامس من شهر مارس (آذار) الماضي مقالا مفصلا عن الخطط التي وضعها مستوصف نورفولك The Norfolk Clinic , East Virjinia Med . College التابع لكلية فرجينيا الشرقية الطبية . وقالت المجلة ، فيما قالت ، ان هذا المركز اعد العدة للاسهام في صناعة اطفال الانابيب على نطاق واسع ، وذلك وفقا لطريقة العالمين البريطانيين الدكتور ستبتو والدكتور ادواردز . ومعنى هذا ان الحالات التي ينوي مركز نورفولك معالجتها هي حالات انسداد قناة فالوب فقط .. وان رسومه لاجراء العملية ستتراوح بين ١٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ دولار .

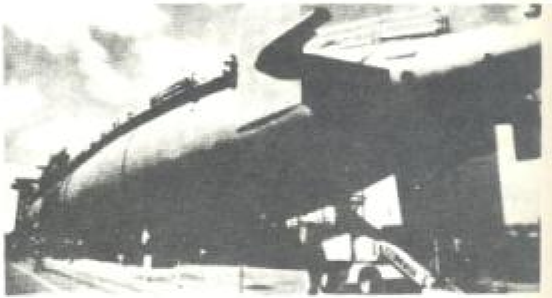
وتشيد المجلة بذكر مدراء هذا المركز والعاملين فيه وبخاصة الدكتور هوارد جونز Dr. Howard W. Jones وزوجته الدكتوره جورجيانا سيجار جونز Dr. Georgiana Seegar Jones وهما من كبار الأساتذة (Emeritus Professors) العاملين في جامعة جون هوبكنز . وتجدر الاشارة الى ان الدكتور ادواردز ـ احد العالمين البريطانيين الرائدين في ميدان الاخصاب خارج الرحم ـ عمل سابقا تحت اشراف وتوجيه الدكتور هوارد جونز .. وانه كان ـ هو وزميله الدكتور ستبتو ـ على اتصال مستمر بالدكتور جونز وصحبه في السنوات الاخيرة .

على ان مركز نورفولك لن يتمكن من البدء في تنفيذ خطته مالم ترفع السلطات المعنية في الولايات المتحدة الامريكية الحظر الذي كانت فرضته على عمليات الاخصاب خارج الرحم ،قبل نحو ٤ سنوات .. ولعل هذا الحظر هو السبب الرئيسي الذي حال دون قيام المختصين في الولايات المتحدة بتلك العمليات والذي اتاح للعالمين البريطانيين فرصة السبق في هذا المجال . وقد بات من المرجح ـ ان لم نقل من المؤكد ـ ان يرفع الحظر المذكور في مستقبل قريب جدا .

وتجدر الاشارة الى ان العالمين البريطانيين الرائدين ـ الدكتور ستبتو والدكتور ادواردز ـ ماضيان حاليا في تهيئة

مستوصفها الخاص بأطفال الانابيب .

اما موقع المستوصف ، الذي سيباشر اعماله قبل نهاية السنة او في مطلع السنة المقبلة ففي بلدة كمبردج حيث الجامعة الانجليزية المعروفة .



احدث الغواصات النووية

● درجت السلطات العسكرية ، في الدولتين العظميين بخاصة ، على استبدال جيل من اسلحتها ـ الطائرات مثلا او الدبابات او غير ذلك ـ بجيل أخر ، احدث طرازاً واكثر تطوراً .. وقد يكون الجيل القديم في حالة ممتازة ، بل قل جديدة ، نظرا لانه لم يوضع موضع الاستعمال الفعلي ، من قريب او بعيد .. وقد يكون حديث الطراز نسبياً وتتمناه دول اخرى كثيرة .. ثم قد يكون الجيل الأحدث باهظ الثمن .. ومع ذلك فان السلطات المعنية لا تتردد في احالة الجيل القديم على التقاعد ، مهما كانت النتائج .. ولعل سلطات البحرية الامريكية تنوي شيئا من هذا القبيل فيما يتصل بغواصاتها النووية .. فهي تملك حاليا ٣١ غواصة نووية من طراز لافييت ، تحمل كل منها ١٦ صاروخا من نوع بوزيدون (C 3) . وتملك ايضا ١٠ غواصات نووية اخرى ، خمسة منها من طراز واشنطن والخمسة الثانية من طراز ألن . وتحمل كل واحدة من هذه ١٦ صاروخا من نوع بولاريس (Polaris) .... وبالرغم من ان هذه الغواصات والصواريخ جديدة لم تدخل معركة ولم تستعمل كثيرا او قليلا ..... وبالرغم ايضا من أن أطرزتها حديثة جدا ولم يمض على ابتكارها سوى سنوات معدودات .. فانها اقتربت على ما يبدو من سن التقاعد .

ذلك ان الاسطول الامريكي اوصى على صنع (١٣) غواصة نووية من طراز ترايدنت Trident البالغة التطور ... وقد استلم الاول من هذه في شهر مايو الماضي ، وتسمى اوهايو ، على ان يستكمل تسليحها وتدخل حيز الخدمة الفعلية في شهر نوفمبر من السنة القادمة .

ويبلغ طول اوهايو هذه ٥٦٠ قدماً ووزنها ١٨٫٧٠٠ طن .. اى ضعف ما عرف عن حاملة الطائرات من طراز يوركتاون Yorktown الذي الذي نشط إبان الحرب العالمية الثانية . اما ثمن اوهايو هذه فلن يقل عن ١٢٥٠ مليون دولار ... للغواصة الواحدة فقط ...

وتمتاز الغواصات الجديدة بالراحة والرفاهية التي تتيحها

لبحارتها ... فسيكون في وسع هؤلاء ـ ويبلغ عددهم ١٥٤ ضابطا وبحارا في الغواصة الواحدة ـ ان يناموا في غرف صغيرة نسبيا تتسع الواحدة منها لتسعة منهم فقط ـ وذلك عوضاً عن القاعات الشاسعة الواسعة المعدة لنومهم في الغواصات القديمة ... اضف الى ذلك ان كل غرفة تشتمل على صالون ومائدة ، وان سماعات اجهزة الستريو منتشرة في كل مكان بحيث يستطيع البحار ، اى بحار ، سماع الموسيقى في اى وقت يشاء .

ولكن للغواصات الجديدة مزايا اخرى عسكرية اخطر من كل ما ذكرنا .. فبينما لا تحمل الغواصة القديمة الا ١٦ صاروخاً نرى ان الغواصة الجديدة تحمل ٢٤ صاروخا .. ثم ان الرؤوس الحربية التي يبلغ عددها ١٢ رأسا في كل صاروخ من صواريخ ترايدنت الجديدة لا يزيد عددها على ٣ رؤوس في صاروخ بولاريس ويبلغ ١٤ رأسا في صاروخ بوزيدون . اضف الى ذلك ان مدى صواريخ ترايدنت يبلغ ٤٠٠٠ ميل في حين ان مدى صواريخ بوزيدون وبولا ريس لا يزيد على ٢٥٠٠ ميل .

وتتميز الغواصات الجديدة ، الى جانب ذلك كله ، بسرعة اكبر وضجة أقلّ من الغواصات القديمة ..

محاضرة علمية القاها الدكتور ستبتو في امريكا

● القى الدكتور باتريك ستبتو محاضرة علمية هامة في سان فرنسيسكو وذلك في الاجتماع الخاص الذي عقدته جمعية الخصوبة والانجاب الامريكية لسماع تلك المحاضرة .. وبلغ عدد الحضور نحو (١٢٠٠) طبيب من المختصين فيما يعرف حاليا بالطب البيولوجي (Biomedicine) . ولو ذكرنا ان بعض الاطباء الامريكيين سبق لهم ان طعنوا في جهود الدكتور ستبتو وزميله الدكتور ادواردز .. تلك الجهود التي تكللت بمولد لويزا براون طفلة الانابيب الاولى ... لو ذكرنا ذلك لتضاعف تقديرنا للاعجاب الفائق الذي حظيت به المحاضره السالفة الذكر ... فما كاد يفرغ الطبيب البريطاني من محاضرته حتى وقف كل من في القاعة وراحوا يصفقون ويصفقون . ثم وقف رئيس الجمعية ليقول : فهمنا الآن ما الذي صنعه الدكتور ستبتو وزميله ... ولا اعتقد ان احدا يستطيع بعد اليوم ان يطعن في منجزاتهما الباهرة من قريب او بعيد .. ومما قاله المحاضر .. ان عدد المحاولات التي اجرياها ـ هو وزميله ـ لزرع الجنين في الرحم ، بعد تكونه بتلقيح البويضة في انبوب الاختبار .. بلغ ٣٢ محاولة ، وذلك فيما بين نوفمبر سنة ١٩٧٧ واغسطس سنة ١٩٧٨ ... وقد تم الحمل في ٤ حالات فقط .. وتمت الولادة في اثنتين من هذه الحالات ... فكان الطفلان السليمان لويزا براون وألاستير مونتجومري .. حقاً لقد ولدا قبل الأوان . ولكنهما سويّان تماما وينموان على ما يرام . اما الحالتان الاخريان .. فقد انتهى امرهما بالاجهاض التلقائي .. وقد وقع في احداهما بعد ٢٠ اسبوعا من الحمل وبنتيجة لتمزق الغشاء Membrane الذي يعيش الجنين داخله ولا يستطيع العيش خارجه .. بحيث مات بعد طرحه بساعتين .. وجاء الاجهاض في الحالة الثانية بعد١١ اسبوعا من الحمل وكان سببه شذوذا خلقيا Chromosomal Abnormality .

واشار الدكتور ستبتو الى ان مثل هذا الشذوذ يحدث ايضا في حالات الاخصاب والحمل العادية ولا يمكن اعتباره نتيجةً لعملية الاخصاب خارج الرحم . ■■

بيولف

بقلم : الدكتور عبدالواحد لؤلؤة

تعد هذه الملحمة الشعرية الكبرى اهم واكمل أثر أدبى فى اللغة الانجليزية القديمة • فقد نظمت فى حدود سنة ٧٤٠م وشانها شان الملاحم الكبرى فى التاريخ الادبى فان مؤلفها الحقيقى غير معروف ، بل ربما كان لها أكثر من مؤلف واحد ، وقد تناقلها الرواة منذ ان وقعت حوادثها فى القرن السادس للميلاد فى بلاد (الجيت) بين الدنمراك وجنوب السويد •

● تقع الملحمة فى حدود ثلاثة الاف ومئتى (بيت) من الشعر ، ينقسم كل بيت الى قسمين بما يشبه الشطر والعجز فى الشعر العربى القديم • ولكن البيت الواحد لا يعرف القافية التى عرفها الشعر العربى منذ القدم فقد دخلت القافية الى الشعر الاوروبى فى اوائل القرن الثانى عشر للميلاد عن طريق الشعر العربى فى الاندلس الذى وجد فيه الشعراء الجوالون (التروبادور) من اسبان وايطاليين وفرنسيين نوعا جديدا فى الشكل ، قافية وايقاعا وموضوعات ، فبدأوا يقلدون هذا الشعر العربى الجديد على اوربا ، فنشأ الشعر الاوروبى (الجديد) قياسا الى موروث الشعر اللاتينى الذى لم يعرف القافية رغم انه عرف الوزن • وكانت هذه بدايات التطور الشعرى فى اوروبا ، الذى ازدهر فى عصر النهضة ، ومنه تفرعت الاداب الاوروبية باللغات المعاصرة المعروفة •

يعتمد القالب الشعرى الذى نظمت به هذه الملحمة على جملة قوامها بيتان فى كل شطر منهما نبرتان فى الايقاع ، تحمل كل نبرة صوتا لفظيا يتكرر بما يدعى (القافية الرأسية) • لم يتكرر هذا القالب الشعرى فى الادب الانجليزى ولا فى الاداب الاوروبية الاخرى ، مما يجعله صفة مميزة للشعر (الانجلوسكسونى) وبصورة أدق لشعر اللغة الانجليزية (القديمة) •

واللغة الانجليزية القديمة هى لغة قبائل (انجلز) و (ساكسون) و (جوت) ممن نزحوا من اعالى اوربا الوسطى الى الاجزاء الجنوبية الشرقية مما يعرف اليوم بالجزر البريطانية •كان هذا النزوح تدريجيا ، ولكن يحددون له تاريخا رسميا هو عام ٤٤٩م ويدعى ذلك التاريخ (الغزو الانجلوساكسونى) ولغة اقوام (الانجلزوالسكسون) لهجة جرمانية قديمة ، ولكنها خضعت لتطورات فرضتها ظروف المحيط الجديد واهمها دخول

المسيحية الى الجزر البريطانية عام ٥٩٧م على يد (اوغسطين) مبعوث (جريجورى العظيم) بابا روما ، الذى عنى عناية خاصة بنشر المسيحية فى تلك الجزر النائية عن مركز الامبراطورية الرومانية • كان دخول المسيحية الى الجزر البريطانية بطيئا وتدريجيا ، بدأ باعتناق ملك اقليم (كنت) للدين الجديد بتأثير زوجته المسيحية ومالبث الانجلوسكسون الوثنيون ان اعتنقوا الدين الجديد (والناس على دين ملوكهم) • كان اصحاب هذا الدين من ابناء روما ، وكانت لغتهم هى اللاتينية ، التى بدأت تمتزج بلغة الانجلو سكسون بصورة تدريجية •

وبعد مرور حوالى قرنين من الزمان بدأت اقوام الانجلوسكسون تكتب بحروف اللغة الجديدة • ويحدد المؤرخون اواسط القرن الثامن للميلادعهد اول نظم لهذه الملحمة الشعرية ، وهذا التاريخ هو عصر ازدهار الحضارة العربية فيدمشق وبغداد ومنها امتدت الى الاندلس •

تدور حوادث الملحمة حول وحش اسمه (جرندل) ظهر فى مملكة (هروثجار) فى الدانمارك • كان هذا الوحش قد أثار الرعب فى انحاء المملكة اذ كان يجوس اثناء الليل حتى يصل قصر الملك فيقتحمه ويلتهم خمسة عشر من المحاربين الاشداء فى حاشية الملك (هروشجار) اثناء نومهم • وعندما يغادر القصر يلتقط خمسة عشر آخرين بين ذراعيه الضخمتين ويذهب بهم بعيدا الى مكمنه فى المياه العميقة • استمرت هذه الحال اثنتى عشرة سنة حتى وصلت اخبار الوحش (جرندل) الى مملكة (هيجيلاك) فى جنوب السويد ، فسمع بها البطل (بيولف) ابن اخ الملك (هيجيلاك) زعيم اقوام (الجيت) • ويقرر البطل (بيولف) ان يتجه الى الدانمارك مع اربعة عشر من اصحابه الاشداء لتخليص مملكة (هروشجار) من بلاء الوحش (جرندل) • وعند وصوله يرحب به الملك ، ولكن (انفرث) احد رجال الحاشية يعير (بيولف) انه قد خسر فى مباراة سباحة • ويرد (بيولف) معيرا (انفرث) انه لم تكن لديه الشجاعة ولا القوة لتخليص بلاده من مخاطر (جرندل) • وفى الليلة الاولى يهاجم (جرندل) قصر (هروشجار) ويقضى على واحد من رجال (بيولف) فيتصدى له البطل من غير عدة ولا سلاح فيغلب الوحش ويخلع ذراعه ،فيفر الوحش هاربا ويخلد (انفرث) الحاسد الى الصمت وقد غلبته شجاعة هذا الضيف المنقذ • اقيمت الافراح فى المملكة وعلقت ذراع الوحش فى قصر الملك • وفى الليلة التالية هجمت ام الوحش تطلب الثار لابنها ، فهجمت على واحد من رجال (بيولف) واختطفت ذراع ابنها من القصر وهربت الى اعماق الليل • كان (بيولف) ورجاله نائمين فى دار جوار قصر الملك ولم يعلموا بما حدث حتى صبيحة اليوم التالى •

وفى الحال توجه بيولف ورهطه بصحبة الملك الى المياه العميقة بحثا عن ام (جرندل) • وهنا وهنا يتقدم الحاسد (انفرث) من البطل (بيولف) ويعطيه سيفه ليستعين به على محاربة ام (جرندل) تحت المياه • ولكن السيف لا يجدى نفعا ، وتكاد ام الوحش ان تفتك بالبطل (بيولف) لولا لطف الله وحماية درعه المضفورة • وهنا يجد البطل سيفا من صنع العمالقة فيهجم به على ام الوحش ويقطع رأسها ثم يقطع رأس (جرندل) كذلك ، لان الوحش كان قد فقد من قوته اعظمها بعدما اصابه على يد (بيولف) الذى لاحقه الى المياه العميقة • وخرج (بيولف) الى البر يحمل الرأسين وبقية من السيف العجيب لان دماء الوحش قد ذوبت النصل فلم يبق منه الا اقله مع المقبض • يعود البطل الظافر الى قصر (هروشجار) يحمل برهان بطولته ، فيرحب به الملك ويكرم وفادته ولكنه يحذره من التفاخر والكبر ، رغم ما انجز من جلائل الاعمال •

ويعود (بيولف) مع رهطه من (الجيت) الى بلاده فى جنوب السويد فيستقبله الملك ويتسلم

منه الهدايا التي حمل معه من بلاد (هروشجار) ويعطيه بالمقابل سيفا نفيسا وجزءا من المملكة• وبعد وفاة (هيجيلاك) وابنه يتولى (بيولف) الحكم ويعمر خمسين سنة على العرش •

هنا تبدأ مغامرة ثانية يكون بطلها (بيولف) الملك العجوز • فقد كان ثمة كنز عظيم يحرسه تنين مخيف يكتشف ان كنزه قد سرق منه كاس ذهب نفيس قدمه السارق الى الملك (بيولف) • فهاج التنين وراح يعيث في المملكة فسادا وينفث النار من خياشيمه فيحرق كل شيء • ورغم ان بيولف كان قد وهن العظم منه ، الا انه قرر منازلة التنين بسيفه النفيس • ولكن السيف ينكسر في النزال ويهرب اتباع (بيولف) الاحد عشر الى الغابات عدا ويجلاف ويتبرى (بيولف) لمصارعة التنين وجها لوجه ولكن التنين يغرز اسنانه في رقبة البطل فيهاجمه (ويجلاف) بسيفه وينال منه فيقلبه(بيولف) ويقضي عليه • ولكن بيولف قد اصابه جرح مميت فيامر تابعه الوحيد ان يستخرج الكنز بعد مقتل حارسه التنين ، وتقام للبطل المحتضر مراسيم حرق وثنية ويفطى بدروعه وبالكنز الذى كان سبب كل ذلك البلاء، وتشيع اخبار وفاة (بيولف) ويحذر الناس من مصائب ستحل بالبلاد بسبب تخلي الاعوان عن خدمة سيدهم حسب ما تقتضيه اصول الفروسية وتبعية الزعيم في تلك الازمان •

تشير (الدلائل الداخلية) في هذه الملحمة الشعرية انها من اعمال اواسط القرن الثامن الميلادى كما سبق القول ولكن الاحداث التاريخية تعود الى اوائل القرن السادس الميلادى • فى هذه المدة بين الاحداث وبين تدوينها بشكل ملحمة شعرية كانت القصص قد مرت بقرنين من الزمان وكانت وثنية (الانجلوسكسون) تتضاءل امام توسع المسيحية • وهذا يعني ان السيرة البطولية قد دخلت فيها (تفسيرات) مسيحية وعبارات دخلت مع رجال كنيسة روما وثقافتهم الكلاسيكية من الغريقية ولاتينية ومسيحية•ومن تلك (الدلائل الداخلية) مايشير الى ان مؤلف الملحمة بشكلها الذى وصل الينا كان على معرفة (بانيادة) فرجيل و (الياذة) هوميروس • وربما كان من رجال الدين المقربين الى البلاد في مملكة (مرسيا) من ممالك (الانجلوسكسون) وعلى معرفة دقيقة بحياة الارستقراطية وتبعية الزعامة القبلية • فثمة الكثير من الاشارات الى ان المؤلفكان على علم بالكتاب المقدس وبخاصة في صورته المنظومة في قصائد (التكوين) و (الخروج) و (دانيال)• والصراع بين البطل بيولف والوحش جرندل هو الصراع بين الخير والشر • كما ان ثمة الكثير من العبارات الوعظية مما لا يتيسر الا لمن عرف اصول المسيحية فمزجها بالتراث الوثني الانجلوسكسوني ومعرفة المؤلف باحوال البلاط والمعارك لا تحتاج الى توكيد . فهي الاطار العام للملحمة •

من أجل هذه الاسباب جميعا يجد الباحثون في تاريخ هذه الملحمة الشعرية انها تصور الحياة في الجزيرة البريطانية منذ دخول قبائلالانجلوسكسون وبخاصة في القرنين الخامس والسادس ، ولكن منالناحية الفكرية ومجتمع القصور وعلية القوم• ومن الطريف ان اول واهم ملحمة شعرية باللغة (الانجليزية القديمة) لا تذكر (انجلترا) ولو مرة واحدة • لان الملحمة تدور حول بلاد الانجلوسكسون الاصلية وهي الدانمراك والسويد وليس (الجزر البريطانية) فقط • .

وبهذا المعنى فان هذه الملحمة تصور الحياة (الجرمانية) ومثلها العليا في الحرب والزعامة وليس الحياة (الانجليزية) • عرفت هذه الملحمة في مخطوطة واحدة وجدت مع مخطوطات اخرى باللغة (الانجليزية القديمة) في مجلد في مكتبة (سر روبرتكتن ، ١٥٧١ ــ ١٦٣١) وهي الان في مكتبة المتحف البريطاني بلندن • تعود هذه النسخة الى حدود عام ١٠٠٠م ، وقد اكتشف قبل حوالى قرن واحد من الزمان • والطريف في الامر كذلك ان ابناء اللغة الانجليزية اليوم لا يستطيع اغلبهم قراءة هذا النص الشعرى الاول في لغتهم ، لانه قد كتب بلغة (اجنبية) • ■■

عبد الواحد لؤلؤة

قبل رمضان العام الثاني عشر من الهجرة

القادسية

معركة الأيام الثلاثة

بقلم : احمد عادل كمال

لوحات : عبد الغنى ابو العينين



لوحتان احداهما تعكس وجه العرب (الى اليمين) والاخرى تعكس وجه الفرس احد قادة جيش سعد بن ابي وقاص بطلعته البسيطة والمتواضعة وقد تسلح بما يحمي صدره ووجهه في ناحية . وعلى الناحية الاخرى ملك الفرس يزدجرد الى جانبه زوجته . التاج فوق كل رأس ومظاهر الابهة والعظمة تنطق بها ملامح الصورة .



كان شهر رمضان مقبلا بخيره وبركته . اذ لم يكد ينتصف شهر شعبان من العام الثاني عشر للهجرة ، حتى تحقق النصر العظيم للمسلمين في مواجهة الفرس ، وهزم رستم قائد الفرس بخيله وأفياله و « أحدث » أسلحته ، وجيشه الجرار ، أمام سعد بن ابي وقاص ، قائد جيش المسلمين الذى لم يكن يملك الا الايمان والفطنة ، ورجالا ارادوا الشهادة ، وقرأوا « سورة الأنفال » قبل النزال !

وكانت معركة القادسية ، التي استغرقت ثلاثة أيام ، وقتل فيها من المجوس ٥٠ الفا ، ومن المسلمين ٨٥٠٠ .

وكانت القادسية بابا عبر منه الاسلام الى العراق وفارس والشرق كله .

الآن تعود القادسية ، في انتاج سينمائي عربي كبير ، اشترك في مراحل الاعداد له مؤلف كتاب « القادسية » و « الطريق الى المدائن » أحمد عادل كمال ، والفنان المصرى عبد الغنى ابو العينين الذى رسم شخصياته وصمم أزياء ذلك العصر ، اعتمادا على المراجع التاريخية الموثوق فيها . والاثنان يشتركان في تقديم هذه الدراسة ، بالكلمة المكتوبه والصورة المرسومة .

مع مطلع العام الثاني عشر للهجرة كان جيش يقوده خالد بن الوليد ينساب على رمال الدهناء في طريقه الى فتح العراق بعد ان فرغ من أمر مسيلمة الكذاب ، وفي نحو من اربعين يوما اكتسح غربي الفرات من الخليج الى الحيرة، ثم أحرز النصر في معارك أخرى في الشمال حتى تم تطهير حوض الفرات من النفوذ الفارسي . وسارت جيوش أخرى الى الشام ، فكان لها مع الروم مواقع فانتصرت في عربة والداثنة ، وانهزمت قوة يقودها خالد بن سعيد في مرج الصفر .

فبعث ابو بكر خالد بن الوليد بنصف جيش العراق الى الشام ليدعم جيوش المسلمين هناك ويقودها وبقي بالعراق المثنى بن حارثة الشيباني على النصف الباقي ، وتوفي ابو بكر الصديق فولى عمر أمر العراق الى ابي عبيد بن مسعود الثقفي وأمده بالرجال فواصل انتصاراته ولكن الفرس هزموه في معركة « الجسر » واستشهد بها .

ومرة اخرى قاد المثنى عمليات العراق فثأر في البويب ليوم « الجسر » ، وحشد الفرس طاقاتهم واستعدوا لهجوم مضاد يخرجون به المسلمين من الارض المحررة ، ولم يسمح لهم المثنى بفرصة ايقاع هزيمة أخرى بالمسلمين ، فانسحب من جميع أرض العراق لحين استكمال حشوده .

كان ذلك في شهر ذى العقدة ١٣ هـ يناير ٦٣٥ م .

معارك المصير

وهنا تأتي هذه المعركة الحاسمة في التاريخ :

القادسية . فلقد كان أكاسرة فارس وقياصرة الروم يمنعون وصول صوت الدعاة المسلمين الى رعاياهم ، وبلغ الامر في الشام الى قتل هؤلاء الدعاة صبرا ، وفي فارس ان مزق كسرى برويز كتاب النبي ﷺ اليه ، وارسل الى واليه على اليمن ليقبض على النبي ويحضره اليه ! فلم يكن بعد ذلك بد من الحرب لفتح باب الدعوة الى الله ثم ترك العباد أحراراً في اختيار الدين الذى يرغبون : « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي . »

ولقد وضعت القادسية حدا حاسما لأمال المجوس فلم يروا بعدها نصرا أبدا ، ليس من السهل على دولة مهما عظمت ان تحشد طاقاتها لمعركة مصير ، فان فعلت وفقدتها صارت بعد ذلك أشد عجزا ، فان معارك المصير مكلفة منهكة . ولقد كانت القادسية معركة مصير للفرس في حين لم تكن كذلك للمسلمين ، اذا فقدها المسلمون كانوا يعودون الى صحرائهم ليعاودوا الكرة ، أما اذا فقدها الفرس فقدوا معها ارض العراق . والذى حدث انهم فقدوا مع الارض الجيش والهيبة والكرامة فانفتح ما وراء القادسية لجيش الصحابة والتابعين ، واستمر أثر ذلك الفتح من يومذاك الى يومنا هذا ... امة مسلمة في العراق ومن وراء العراق فارس والشرق .

كان خالد بن الوليد نهج من أساليب الحرب الخاطفة ، وكذلك كان المثنى بن حارثة . وكان ذلك يوافق أبا بكر الصديق . ولكن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان له طابع آخر فاختار لذلك القائد الذى يوافقه ويناسبه : سعد بن أبي وقاص ، وراح كل في مجاله يعد للحرب اعدادا هادئا محسوبا . لقد القى الفرس طاقاتهم كلها في المعركة ، سلاحا وعتادا وأفيالا وفرسانا واعدادا كبيرة من الجنود ، وأكثر رجالاتهم حنكة وحنكة وشهرة . وكذلك فعل المسلمون بتكتيل امكاناتهم بقيادة هذا القائد سعد بن أبي وقاص ، خال رسول ﷺ وأحد السابقين الى الاسلام وأحد الستة المرشحين للخلافة بعد عمر . الاسد المتواضع عف اليد واللسان مجاب الدعوة ، الذى كان الناس يرجون دعوته ويخشونها .

خرج سعد وجيشه من المدينة في حوالي ١٣ شعبان ١٤ هـ اول اكتوبر ٦٣٥ حتى نزل زرور ، ولحقت به أعداد أخرى وحشد من نجد وكان المثنى ينتظره في جيشه ، ولكن المثنى توفي الى رحمة الله قبل ان يلقاه سعد . ومكث سعد يجمع ويحشد وينظم جيشه ويحثه ويعين القادة والاركان ، حتى أتم السلم القيادى لهذا الجيش الذى بلغ بضعة وثلاثين ألفا .

خطة الحملة

وقد توافق رأى سعد مع وصية المثنى ومع رأى عمر في شأن الخطة المعدة للمعركة المرتقبة . وكانت خطة غاية في البساطة ترتكز على الاتي : ـ

١ ـ اختيار ارض المعركة بحيث تكون بين الصحراء وبين الشبكة المائية المعقدة لارض العراق من انهار وبطائح ومستنقعات ، وذلك حتى لايتورط جيش المسلمين في القتال على ارض من ذلك النوع لم يألفها ولها مخاطرها ، وبحيث يكون خط رجعته مفتوحا الى الصحراء التي هي ملاذه . فاذا دارت المعركة على غير ما يشتهي رجع الى صحرائه . أما اذا دارت على الفرس فان الشبكة المائية من ورائهم سوف تكون وبالا عليهم . هذه الصفة المطلوبة للارض هي التي حددت القادسية موقعا مختارا للمعركة ، فكان على المسلمين ان يستدرجوا جيش فارس الى هذا الموقع .

٢ ـ ان تستهدف المعركة القضاء على جيش فارس تماما ، حتى يكون بذرة هزيمة حيث حل .

نزل سعد بجيشه القادسية حوالى ١٦ صفر ١٥ هـ ٢٩ مارس ٦٣٦ م بعد سبعة أشهر من خروجه من المدينة . وانتظر المسلمون ان يجيء اليهم جيش فارس الذي كان يتلكأ فرقا من المعركة . واراد سعد ان يجبرهم على الحضور فعمد الى شن الغارات على نواحي العراق من شماله الى جنوبه متخذا من القادسية قاعدة ينطلق منها ، وكانت غارات تموينية تستهدف الى جوار ذلك الحصول على الاطعمة من المواشي والاسماك والحبوب



احد مبعوثي المسلمين رجل ممن لا يسترِيب منهم احد ويطمئن اليه الجميع . ينطلق في الصحراء يستكشف الطريق ويكشف مواقع العدو .



زوجه يزدجرد ملك الفرس ، تقف وراء زوجها الملك في التحريض على المسلمين واسكات الصوت الجديد الصاعد من الجزيرة العربية .

رستم قائد جيش الفرس ، وقد تمنطق سيفه وظهر في ابهى صورة . ويعكس مظهره حالة الترف التي عاشها الفرس في آخر عهدهم .



والتمور .. وكان ذلك في ذات الوقت استنزافا للفرس . وضج الاهالي بالشكوى الى ملكهم يزدجرد يطلبون حمايته ، فراح هذا يستحث قائد جيشه رستم على التقدم الى القادسية . كان المسلمون يتكتمون خطتهم فلم يعرفها سوى قادتهم ، فلو ان الفرس عرفوها لتجنبوا الوقوع فيها .

وارسل سعد وفدا الى يزدجرد يدعوه الى الاسلام ، ولكن هذا كان سيىء الادب معهم فهددهم بالقتل وحملهم وقرا من التراب حتى عادوا به الى القادسية وتوعدهم بغزو بلادهم . واستبشر المسلمون بحمل تراب فارس وتشاءم الفرس مما فعل ملكهم . وأخيرا جاء جيش فارس .. مائة وعشرون ألفا يتبعهم ثمانون ألفا من العبيد والتبع من المدائن حتى نزلوا القادسية امام جيش المسلمين .

كانت ساحة المعركة ارضا منبسطة يحصرها من شمالها الشرقي نهر العتيق احد فروع الفرات وكانت عليه قنطرة ، ويحدها من الجنوب الغربي خندق سابور عليه حصن قديس الذي اتخذه سعد بن ابي وقاص مقرا له ، وكانت المسافة بين الخندق والعتيق نحوا من ٦٠٠ متر . وكانت الى الشرق مستنقعات من بطائح الفرات وإلى الغرب مثل ذلك بينهما كيلو مترين او اكثر قليلا ، فكأنما كانت ساحة المعركة معبرا جافا بين تلك الفيوض والمجاري المائيه .

المجوس أمام المسلمين

كان المسلمون قد وضعوا ايديهم على قنطرة العتيق قبل مجيء المجوس ، فصنع هؤلاء ردما على نهر العتيق عبروا عليه الى الساحة التى اختارها المسلمون ، وصف رستم جيشه كالآتي : من اليمين الى اليسار ، هرمزان على الميمنه ٢٨٠٠٠ من جند الاهواز ، يليه جالنوس على ٢٤٠٠٠ من جند الباب ، ثم القلب ٢٠٠٠٠ جند همدان عليه بهمن جاذويه ثم بيرزان على ٢٤٠٠٠ من جند نهاوند وسجستان ، ثم مهران الرازى على الميسره ٢٤٠٠٠ من جند الري والجبال . ونصبوا لرستم سريرا عليه مظلة والى يمينه راية فارس الكبرى في القلب وهو قطاع بهمن جاذويه وذلك في مقابله حصن قديس حيث استقر سعد . وكان مع الفرس ٣٣ فيلا مدربه على القتال واصطف المجوس على شفا نهر العتيق .

اما المسلمون فكان سعد قد فرغ من تنظيمهم قبل ان يدخل ميدان القادسية فجعلهم عشرة اعشار ، وجعل منهم ميمنه عليها عبد الله بن المعتم العبسي وكانوا من قبائل العدنانيه من ربيعة ومضر ، وميسرة عليها شرحبيل بن السمط الكندي وكانوا من قبائل القحطانيه من الازد ومراد وكنده والنخع وبجيله وغيرها . وادخل المقدمه من تميم والمؤخره من اسد في الوسط بين الميمنه والميسره وجعل منهما قلبا . وكان سعد يبعث الى عمر كل يوم بريدا ، وكان عمر يخرج من المدينه كل يوم حين يصبح فيقعد على طريق العراق حتى ينتصف النهار ينتظر الاخبار ويستخبر الركبان .

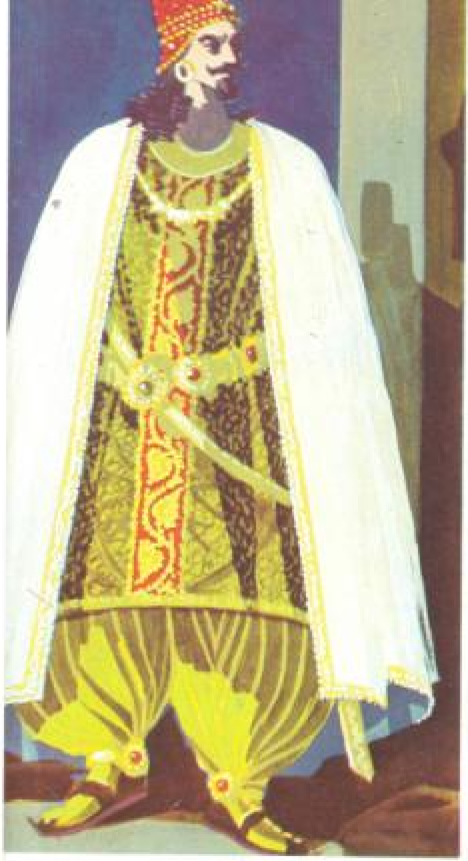
واصيب سعد « بعرق النسا » وبدمامل في فخذيه فلم يستطع الركوب ، فأكب من فوق قديس على وسادة في صدره يصدر أوامره في رقاع يلقي بها الى خليفته خالد بن عرفطه . وكانت صفوف المسلمين اسفل قديس والخندق من ورائهم . ومشى ذوو الرأى واصحاب البطولات والفضل والخطباء والشعراء بين صفوف المسلمين يذكرونهم الله ويحمسونهم للقتال وهم اشد الناس حماسا له . وامرهم سعد الا يحدثوا امرا حتى يصلوا الظهر فاذا فرغوا فانه مكبر تكبيرة ليرددوها من خلفه ويشدوا عليهم تمائمهم ، فاذا كبر الثانية فليكبروا وليتهيأوا ويعدوا عدتهم ، فاذا كبر الثالثة فليكبروا ولينشط الفرسان ويخرجوا للمبارزة ... » فاذا كبرت الرابعة فشدوا النواجذ على الاضراس واحملوا فازحفوا

احد قادة جيش المسلمين ، تنطق ملامحه بحقيقة الرسالة التي يدعون اليها .. ليسو غزاة ولا طامعين ، ولكن مبشرين ومنذرين وفاتحين





رستم قائد جيش يزدجرد ملك الفرس ، في ثياب اخرى وقد اطل الكبرياء من طلعته ، بينما بدت عليه مظاهر الثقة الشديدة في هزيمة العرب القادمين من صحراء شبه الجزيرة .



نموذج لاحد ضباط جيش المجوس ، الثياب مختلفة نسبيا ، لكنها تعكس حياة الرغد والترف عند الفرس .

الملك يزدجرد على عرشه ، بالتاج والصولجان ، وكل الكره للاسلام والمسلمين والتاهب للقضاء على الدين الجديد واهله .



جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله » . وقرأ المسلمون سورة الانفال في كل كتيبة ، فهشت قلوبهم وغشيتهم السكينه .

وكبر سعد تكبيرته الاولى ثم الثانيه ثم الثالثه ، والمسلمون يرددون التكبير من بعده فتهتز له قلوب المجوس وبدأت المبارزه بين الفرسان .

أرماث ١٣ شعبان ١٥ هـ ١٩ سبتمبر ٦٣٦

وحرك الفرس جناحهم الايمن بأكمله ـ هرمزان وجالنوس ـ ١٣ فيلا و ٥٢٠٠٠ مقاتل ووجهوه نحو قطاع صغير من ميسرة المسلمين هو قبيلة بجيلة وكانت الفين ، وصبوا عليها سهامهم فكانت تتساقط عليها كالمطر . وربط الفرس خيلهم بعضها الى بعض وراحت افيالهم تعيث في كتائب بجيلة فنفرت منها خيلها ولكن مشاتها ثبتت في بسالة واستماتة حتى كادت بجيلة ان تطحن .

واتسع نطاق الهجوم الفارسي فشمل النخع وكندة عن يسار بجيلة . وامر سعد بني اسد وكانوا ٣٠٠٠ عن يمين بجيلة ان يدفعوا عنها ، فكانت بطولتهم مثار اعجاب سائر القبائل فقد تصدوا للافيال ذلك السلاح الرهيب ، حتى استطاعوا ان يردوها الى الوراء ويزحزحوها عن جيشها . فتقدمت فرقة بهمن ـ ولم تكن قاتلت بعد ـ نحو بني اسد وانضمت اليها فرقة جالنوس ليبيدوا بني اسد .

وكبر سعد تكبيرته الرابعة فزحفت جميع صفوف المسلمين على طول الجبهه ، ونشطت فيول الفرس فكانت خيل المسلمين تخافها وتفر من امامها . وقام ابطال بني تميم بعملية فدائية لاخراج الفيول من المعركة ، فجعلوا لكل فيل فريقا من الرماه يرمون ركبانه بالنبل ليشغلوهم ، في حين يتسلل آخرون الى ادبارها فيقطعون احزمة توابيتها . وكان كلما سقط صندوق من فوق فيل قتل المسلمون طاقمه ، حتى اعريت جميع الفيول . واستمر القتال اليوم وردحا من الليل ثم تراجع كل فريق الى مواقفه وقد قدمت بنو أسد وحدها خمسمائة شهيد .

هذا اليوم الاول للمعركة يذكره الرواة باسم يوم أرماث .

أغـواث ..

وأغواث هو اليوم الثاني للمعركة . كان معسكر النساء بالعذيب خلف الجبهة بنحو خمسة كيلو مترات ، وكانت الحاجة ماسة الى كل رجل ، فقامت نساء المسلمين بتمريض الجرحى وحفر قبور الشهداء . عجب واعجاب بامرأة تحفر قبرا لا تدري من يدفن فيه بعد قليل زوج أو أخ أو ابن أو غريب يكفي انه شهيد من المسلمين ! هذا في حين ترك المجوس قتلاهم في ارض المعركة لم يحملهم أحد .

في هذا اليوم بدأت طلائع جيش خالد بن الوليد تعود من الشام بعد ان حسم الامر في اليرموك كانوا سته الاف عليهم هاشم بن عتبة وعلى المقدمات التي تصل القعقاع ابن عمرو . واختفت الفيول هذا اليوم فقد استغرق اصلاح توابيتها اليوم بأكمله . وعلم القعقاع بما فعلته الفيول بالامس وافزاعها خيل المسلمين فابتكر فعقاعية طريفة ، فألبس عددا من الابل براقع ذات أشكال مفزعة أعدت في الحال ففعلت بخيل المجوس من الفزع مثلما فعلت فيولهم لخيل المسلمين بالامس . فلما صلى المسلمون الظهر تزاحموا فاقتتلوا حتى انتصف الليل فتحاجز الفريقان .

وكانت كفة المسلمين هي الراجحه .

عماس ١٥ شعبان ١٥ هـ ـ ٢١ سبتمبر ٦٣٦ م

في اليوم الثالث ، أصبحت الارض حمراء مما تشربت من الدماء . وحمل المسلمون ألفين من الشهداء والجرحى الى العذيب فأسلموهم الى النساء . وما زالت في ساحة

نموذج لامرأة من بنات العرب كما تظهر في الفيلم الجديد . الثياب الفضفاضة والقوام الرشيق والجمال الاخاذ .





نموذج آخر لاحد مقاتلي المسلمين ، السيف في يده ، وقربة الماء على كتفه والايمان بالله يملأ قلبه .

المركة عشرة الاف جثة للمجوس لا يهتمون بحملها تدوسها أقدام الناس والخيل ، وكان وجودها يفت في معنويات الفرس . في هذا اليوم استمر وصول وحدات جيش خالد ، كما عادت فيول الفرس الى القتال . وهنا عمد المسلمون الى اخراجها نهائيا من المعركة ، وذلك بضرب عيونها وخراطيمها ، وتم ذلك قبل الظهيرة . استمر القتال اليوم والليل كله . فكان صليل الحديد كأنها أصوات الحدادين ، حتى تنفس الصبح وأشرقت الشمس والقتال دائر والفرس والمسلمون متعبون لم يغمض لهم جفن .

وجهز القعقاع كتيبة من الابطال الاشداء أراد ان ينهي بهم المعركة فجعلوا وجهتهم سرير رستم حتى اقتربوا منه وحماته يدافعون باعياء . وهنا تظهر صلابة المقاتل المسلم واصراره وصبره . ونشطت الرياح فاطاحت بالمظلة عن السرير والقت بها في نهر العتيق ، وبلغت كتيبة القعقاع السرير وقد قام عنه رستم . وعلى ضفة العتيق وجد هلال بن علقمة بغلا يحمل حملا ثقيلا فضرب حبالـه بسيفه فسقط الحمل على رجل يستتر به واذا هو رستم ، فأصابه في ظهره اصابة جسيمة . ولكنه جرى نحو النهر وألقى ما كان عليه من دروع وسيف ورمى نفسه في الماء لينجو بنفسه . ولكن هلالا لحق به وأخذ برجله فسحبه من الماء حتى أخرجه الى البر ثم ضربه بسيفه حتى فلق جبينه وأنفه وألقاه تحت ارجل البغال .

وبوصول المسلمين الى العتيق انقسم جيش الفرس الى قسمين وانهار القلب ، وبدأ جالنوس الانسحاب عبر الردم ومن بعده هرمزان . فكان انسحابا كلفهما كثيرا من ارواح جنودهما ، وأبيد من لم يتمكن من الانسحاب .

●

قتل من المجوس في القادسية خمسون ألفا . واستشهد من المسلمين ثمانية آلاف وخمسمائة . وكانت من معارك التاريخ الحاسمة التي انتصرت فيها الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة وأفيالها وعتادها باذن الله . وقد جاءت معركة القادسية بعد معركة اليرموك بأربعين يوما ، فانفتح العراق هنا وانفتح الشام هناك والله مع الصابرين . ■■

القاهرة ـ احمد عادل كمال

(بل امرأة وانثى !)

سألوا مارجريت تاتشر أول امرأة تتولى رئاسة الوزارة في بريطانيا وأوروبا :
« هل أنت امرأة حقيقية ، أم أنك رجل يرتدي ملابس النساء ؟ »

وردت مارجريت في حدة : « بل انا امرأة كاملة الأنوثة .. وانا فخورة بأن أكون امرأة .. لان المرأة هي العنصر الاساسي لاستمرار الحياة ! »

دعاء للامام زين العابدين ★

اذا حل شهر رمضان

الحمد لله الذى هدانا لحمده ، وجعلنا من أهله ، لتكون لاحسانه من الشاكرين وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين ، والحمد لله الذى حبانا بدينه واختصنا بملته ، وسبلنا فى سبل احسانه ، لنسلكها بمنه الى رضوانه حمدا يتقبله منا ، ويرضى به عنا .

والحمد لله الذى جعل من تلك السبل شهر رمضان شهر الصيام ، وشهر الاسلام ، وشهر الطهور ، وشهر القيام . فأبان فضيلته على سائر الشهور بما جعل له من الحرمات الموفورة ، والفضائل المشهورة ، فحرم فيه ما أحل فى غيره اعظاما ، وحجر فيه المطاعم والمشارب اكراما ، وجعل له وقتا بينا ، لا يجيز جل وعز أن يقدم قبله ، ولا يقبل أن يؤخر عنه .

اللهم صل على محمد وآله وصحبه ، والهمنا معرفة فضله واجلال حرمته ، والتحفظ مما حظرت فيه ، واعنا على صيامه بكف الجوارح عن معاصيك ، واستعمالها فيه بما يرضيك . حتى لا نصغى بأسماعنا الى لغو ، ولا نسرع بأبصارنا الى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا الى محظور ولا نخطو بأقدامنا الى محجور ، وحتى لا تعى بطوننا الا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا الا بما قلت ، ولا نتكلف الا ما يدنى من ثوابك ولا نتعاطى الا الذى يقى من عقابك .

اللهم صل على محمد وآله وصحبه ، وقفنا فيه على مواقيت الصلوات الخمس بحدودها التى حددت ، وفروضها التى فرضت ، ووظائفها التى وظفت ، واوقاتها التى وقت ، وأنزلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها ، الحافظين لاركانها ، المؤدين لها فى أوقاتها ، على سنة عبدك ورسولك فى ركوعها وسجودها وجميع فواضلها على أتم الطهور واسبغه ، وابين الخشوع وابلغه .

ووفقنا فيه لان نصل أرحامنا بالبر والصلة ، وأن نتعاهد جيراننا بالافضال والعطية ، وأن نخلص اموالنا من التبعات ، وان نطهرها باخراج الزكوات .

وان نراجع من هاجرنا ، وان ننصف من ظلمنا ، وأن نسالم من عادانا ، حاشا من عودى فيك ولك فانه العدو الذى لا نواليه ، والحزب الذى لا نصافيه .

اللهم انى أسألك بحق هذا الشهر ، وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه الى وقت فنائه من ملك قربته ، أو نبى أرسلته أو عبد صالح اختصصته ان تصلى على محمد واله وصحبه ، وأهلنا فيه لما وعدت من كرامتك ، واوجب لنا فيه ما اوجبت لاهل المبالغة فى طاعتك ، واجعلنا فى نظم من استحق الرفيق الاعلى برحمتك يا أرحم الراحمين .

★ الامام زين العابدين هو على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ، كان عابدا عظيما فى عصره فسموه (زين العابدين) ولكثرة سجوده سموه (السجاد) ولد فى المدينة المنورة سنة ٣٨ للهجرة وتوفى فى سنة ٩٥ للهجرة ودفن فى البقيع .

العربية بين العبرية والسريانية

بقلم : الدكتور ابراهيم السامرائى

عنيت منذ زمان بعيد بمسالة العربية وما أخذته من غيرها من اللغات وما أعارته هي الى اللغات الاخرى ، ومافتئت أعنى ب « التعريب » في العصور التاريخية وفي عصرنا الحاضر (١) ولعل هذا قادني الى ما يسمى ب « التغريب » بالغين المعجمة .

ولقد دفعني الى ان اكتب هذه المقالة الموجزة ما قرأته في مجلة « العربي » (العدد ٢٤٠) من مقالة للسطنطين تيودوري وسمت ب « اللغة العربية وتاثرها بلغات الامم » واحببت ان اقف على ناحية منها . ومن غير شك ان هذه الجمهرة من الكلم الدخيل ، ومثله الذى افادته اللغات الأخرى من العربية ، لدليل على الحياة الفعالة لهذه اللغة وعلى الحركة الحضارية النشيطة التى أدت الى الاعارة والاستعارة . ولا أريد أن افصل في أسباب هذه الحركة الدائبة من الاعارة والاستعارة ذلك

---

(١) من المفيد أن أميز بين التعريب في العصور التاريخية والتعريب في عصرنا . لقد اتفق المتقدمون على أن « المعرب » هو الكلمة الاعجمية التى قبلتها العربية فان وافقت بناء من أبنية العربية وكانت أصواتها لا تتنكر لاصوات العربية أخذت بحالها ، فان لم يكن شيء من ذلك فيميل اللغوى المعرب الى بناء عربي قريب من بناء الكلمة الاعجمية ، وان كان في أصواتها شيء لا وجود له في الاصوات العربية صير الى نظيره او قريب منه . أما التعريب في عصرنا هذا فهو أن يجعل المصطلح الاعجمي والعلوم الجديدة كافة بلغة عربية فهو ترجمة كاملة بل نقل الى اللغة العربية . وهذا يعني أن المصطلح الاعجمي ينبغي أن يكون مصطلحا عربيا قوامه مادة لغوية عربية . على أن هذه اللغة الجديدة قد وسمت بسمات كثيرة ليست عربية هي مادة من « التغريب » وهذا شيء افردنا له بحثا برأسه .

ان الموضوع يدفعنا الى الخوض في المسألة التاريخية وامرها معروف لدى الباحثين في التاريخ الحضاري بوجه عام (٢) .

الاقدمون أخطأوا

ولقد بحث المتقدمون في الدخيل والمعرب وافردوا له كتبا او انهم اشاروا اليه في مصنفاتهم اللغوية غير ان هؤلاء لم يقـدموا في هذا الامر المهـم الاكيد الذي يسلم من الطعن والنقد على انهم انجزوا أشياء هي في العلم بمكان عال . ولعل سبب ذلك انهم يقيمون الظن والحدس مقام العلم ويأخذون الضعيف مأخذ القوي ويطلقون احكاما لا يمكن ان يقبلها العلم في عصرنا ولا سيمـا علم اللغة الحديث . انك لتجـد الجواليقي في كتاب « المعرب » يقول مثلا ص ١٦ ـ ١٧ :

الابلة : قال ابو حاتم ، قال الاصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية : كانت « الابلة » قبل الاسلام وكان العمال يعملون في الارضين ، فاذا كان الليل وضعوا دوابهم عند امرأة تسمى « هوبا » فجاءوا فلم يروها ، فقالوا : هوبالتا اي : ذهب .

وقال غيره : الابلة كانت تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها ، يقال لها « هوب » خمارة ، فماتت فجاء قوم من النبط يطلبونها فقيل لهم « هـوب ليكا » اي : ليست ، فغلط الفرس فقالوا : « هوبلت » فعربتها العرب فقالوا « الابلة » . والابلة ايضا القدرة من التمر ، قال الشاعر :

فياكل ما رضَّ من زادنـــــا
ويـابى الابلـــــة لم ترضض

وقال بعض اهل العلم : بها سميت الابلة .

قال ابو علي : وزن الابلة « فعلة » فتكون الهمزة أصلية . ولو قال قائل : انه « افعلة » والهمزة زائدة مثل « ابلمة » و « اسنمة » لكان اولا .

اقول : هذا الخلط في معرفة الاصول الصحيحة للكلمة واللجوء الى النمط الاسطوري في معرفة كلمة ليس من العلم في شيء . وهذا يدل على ان الجواليقي وهو ينقل اقوال المتقدمين ليشير الى افتقار اولئك الى المعرفة الصحيحة ذلك انهم لم يعرفوا ما خلا العربية من اللغات ذات الصـلة والعلاقة .

وقال ايضا في « المعرب » ص٨١ :

والبرخ : الكثير الرخيص . قال ابو بكـر (يريد ابن دريد) هو لغة يمانية واحسب اصلها عبرانيا او سريانيا . وهو البركة والنماء .

اقول : ان ما جاء به ابن دريد في « الجمهرة » من نسبته الى لغات اليمن أو ما عبر عنه بقـوله واحسب أنه عبراني او سرياني ليشير الى ضعف مادته في معرفة الاصول فهو يقيم هذا العـلم « المزعوم » على التوهم والحسبان . ولو عرف ان هذه المادة سامية الاصل وجدت في الارامية والعبرانية والعربية ومن غير شك انها معروفة في البابلية الاشورية لقطع بكونها عربية وليست من الدخيل ذلك انها ترجع الى اصل سامي كما هي في الوقت نفسه ارامية وعبرانية وبابليـة للسبب نفسه .

وقال في ص ٢١١ :

قوله تعالى : « وصلوات » في الاية « لهدمت صوامع وبيع وصلوات » سورة الحج الاية ٤٠ قال هي كنائس اليهود وهي بالعبرانية « صلوتا » .

واظن أن الجواليقي نقل هذه من « الكشاف » ٣/٣٤ ـ ٣٥ للزمخشري حيث قال : وسميـت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها . وقيل : هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية « صلوتـا » . اقول : ألم يعرف هؤلاء الاوائل هذه اللغات السامية معرفة

(٢) من غير شك ان الحاجات الحضارية في الظروف التاريخية المختلفة دفعت العرب الى استعارة الكلم الدخيل كما دفعت غيرهم من الامم . غير أن هذه الحاجات ليست السبب الوحيد لهذا « الاخذ » فقد يكون التقليد والمحاكاة سببا في الاخذ ان كان هناك اتصال بين أمة واخرى . وقد يكون من هذا ما وقع في احدى معاهدات صلاح الدين الايوبي مع الافرنج سنة ٥٨٧هـ . لقد حاصر الافرنج الصليبيون مدينة عكا وهي من مدن صلاح الدين [illegible] وفرضوا على صلاح الدين ان يؤدي لهم مائة الف دينار في ثلاثة [illegible] ومن غير شك أن هذا [illegible] « ترم » وهو الكلمة الاعجمية . انظر كتاب الروضتين في اخبار الدولتين [illegible] ١٨٩ لابي شامة .

يقينية ، ومن أجل ذلك فهم يخلطون بين العبرانية والسريانية ، حيث أن الكلمة « صلوتا » تشير الى البناء الارامي السرياني الذي ينتهي بالفتح الطويل في اخر الكلمة يعبر به عن اداة التعريف التاريخية التي زالت من الاستعمال •

ولعل من جهلهم بالاصول انهم ذهبوا الى ان « البيعة » والكنيسة مادتان فارسيتان كما أشار ابن دريد في « الجمهرة » •

ولم يكن الخفاجي صاحب « شفاء الغليل » اسعد حظا من الجواليقي في « المعرب » • فقد اعتمد على الجواليقي واضاف اليه أشياء أخرى ولم يكن ذا معرفة أكيدة في اللغات التي نسب اليها الكلم الدخيل الذي أشار اليه في «كتابه» • واذا كنا نأخذ على هؤلاء المتقدمين جهلهم باللغات السامية وخلطهم بين الارامي والعبراني مثلا ، فاننا لننعى باللائمة عليهم حين يتجاوزن هذا الحد فلم يقطعوا بشيء مما يرجع الى الفارسية مثلا وشيوعها في المجتمع العربي القديم •

لقد ذهبوا الى ان « الكنيسة » فارسية الاصل وهذا من أعجب الجهل ، وذلك لان مادة « كنس » من المواد المشتركة السامية • فهي آرامية عبرانية عربية ولعلها بابلية آشورية بسبب من الاصل المشترك • ان مادة «كنس» تفيد السكن والاستقرار ومن هنا كان في العربية « كناس الظبي » وفي التنزيل العزيز « والجواري الكنس » وجاءت « الكنيسة » و « الكنيس » في الارامية والعبرانية•

هل الاصل سرياني ؟

هذه لغة خاطئة عن خلط المتقدمين وخبطهم في معرفة الاصول فهل كان أهل عصرنا هذا أقرب الى العلم منهم ؟ هذا سنعرضه فنقول :

لقد جاء أهل عصرنا هذا فصنفوا في المعربات مما أصله « سرياني » وهي كما يأتي :

١ ــ كتاب الدوائر السريانية في لبنان وسورية للقس حبيقة البكنتاوي الراهب الماروني اللبناني المطبوع في جونية في جزءين صغيرين جمع فيهما هذا المصنف الالفاظ السريانية المتداولة في العربية فصيحها وعاميها مما هو معروف في سورية ولبنان • لقد طبع الجزء الاول سنة ١٩٠٢ وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٠٤ ، والكتاب على صغره اشتمل على استدراكات وتصحيحات وملاحيق وذيول ومسائل اخرى وفي هذا الكتاب حواش غير مفيدة لا صلة لها بالموضوع • وقد تناول هذا الكتاب بالنقد الاستاذ فيليب حتى في كتابه « اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان » فقد ذكر في الصفحة ٤٥ ما يأتي :

« ان كتاب الدوائر » هذا حوى مالا يقل عن ٥٠٠ لفظة سريانية دارجة على ألسن الناس ولكننا حين نعود الى الكتاب نجد ان الجزء الاول قد اشتمل على ١٩٣ كلمة ، وان الجزء الثاني قد اشتمل على ١٥٤ كلمة ومجموع هذا وذاك اقل بكثير مما أثبته الاستاذ حتى • على ان في هذه المجموعة من الالفاظ المعربة طائفة من أسماء القرى والمدن •

٢ ــ كتاب « اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان » للفيلب حتي المطبوع سنة ١٩٢٢ في بيروت • وفي هذا الكتاب عرض تاريخي للغات السامية في سورية ولبنان تكلم فيه على بقايا السريانية في عامية لبنان وفصيحها ، ومعنى هذا ان المواد السريانية يستخدمها الكتاب اللبنانيون في كتبهم العربية • وفي الكتاب عناية بالعربية ومكانتها اشار فيها الى الخصائص السامية التي احتفظت بها العربية فكانت عونا على فهم تلك اللغات الاخرى ، ولقد أشار الى هذا مطران دمشق على السريان اقليميس يوسف داود في كتابه « اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية » الطبعة الثانية •

٣ ــ الالفاظ السريانية في المعاجم العربية لمارأغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس (نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٨ ــ ١٩٥١) •

وفي هذه الكتاب حشد كبير لمواد كثيرة زعم المؤلف انها سريانية دخلت في العربية ، ولقد وجدت صاحب الكتاب المشار اليه قد جار عن السنن الواضح فخبط خبط عشواء فكان كحاطب ليل • ولقد نشر الكتاب مقالات متسلسلة في مجلة « المجمع » ولكن لم نعقب على شيء من اقواله ، وكنت قد أشرت الى ان « المعرب » للجواليقي و « شفاء الغليل » للخفاجي قد اشتملا على شيء من المواد السريانية المعربة ، ان هذا الذي جاء في الكتابين المشار اليهما قليل

بالقياس الى ما ادعى ماراغناطيوس افرام الاول سريانيته .

لقد فات هذا المصنف كما فات القس يوسف حبيقة صاحب كتاب « الدوائر السريانية فيسورية ولبنان » الذى اشرنا اليه ، ان بين مجموعة اللغات السامية اصولا مشتركة . وهذا يعنى ان الاصول المشتركة تكون عربية كما تكون سريانية او عبرانية او اية لغة اخرى من مجموعة هذه اللغات .

غير انى استثنى من ذلك الكلمات الخاصة بلغة من تلك اللغات واستعيرت فى لغة اخرى فانتقلت وهى تحمل ذلك المعنى الخاص وشيئا من اصواتها فى تلك اللغة . وهى بذلك تخرج من الاصل السامى المشترك ، ثم ان هذه المواد الخاصة التى تستعار الى لغة اخرى تبقى محصورة فى موطن استعمالها الاصلى . ولاضرب مثلا يوضح هذه الناحية فاقول :

ان الالفاظ النصرانية قد عرفتها العربية وهى دخيلة فيها مقيدة فى الاستعمال بما يتصل بالمعانى النصرانية نحو : الباعوث ، والدنح ، والساهور ، والقس ، وغيرها كثير . وهذه الالفاظ سريانية دخيلة وان استعملها العرب المسلمون ، لانها ظلت مقيدة بمعانيها النصرانية. اما ما عدا هذا فكيف نقول ان الاب والابن والاخ والحم والعين والرأس والسن وسائر اعضاء الجسم سريانية وهى من المشترك السامى الذى اشرنا اليه ؟

ان فى هذا المنهج افتئاتا وباطلا وبعدا عنالعلم وتكرانا للحدود التاريخية الزمنية ، فكيف يقال افتراضا ان « الرب » فى العبرانية ماخوذة من السريانية ، والعبرانية اقدم عهدا من السريانية الارامية بقرون عدة ؟

منهج خاطىء

هذا هو المنهج الخاطىء الذى لم يسلم منه القس يوسف حبيقة البسكنتاوى الراهب المارونى فى كتابه « الدوائر » . ودونك طائفة من المواد التى ادعى حبيقة سريانيتها وانها عربت فى العربية : كع ، زعق ، حتم ، لاط ، فقفق ، قرفز ، اشحط ، شرم ، نمص ، شقل ، غوغاء ، اجم الكرمة ، زلع ، هيف ، حسك ، سكيكة (تصغير سكة) سكر الباب ، قدح ، قف ، سبلة (بمعنى سنبلة) ، وغير هذا مما هو مشترك سامى قديم فى اللغات السامية كافة .

ومثل هذا كان صنيع ماراغناطيوس افرام الاول فى كتابه « الالفاظ السريانية فى المعاجم العربية » الذى اشرنا اليه . فقد حشد طائفة كبيرة من مواد سامية مشتركة وادعى انها سريانية دخيلة فى العربية منها :

اب ، ابل ، القية ، اجم ، اسل ، امن ، جم ، جمل ، جلم جنة ، حنان ، حول ، حيل ، خص (بمعنى بيت من قصب وحصر) ، دين ، دبس ، درب ، رق (جلد) ، سجن ، سجد ، سهر، صديق ، صدقة ، عرب ، غرب ، عقل ، فردوس، قرط ، قرية ، قرا ، قدس ، قربان ، كيان (مصدر كان) لبب ، هيمن .

وهذا مما يرفضه اللغوى الصحيح لانه مفتقر الى البحث الجاد مما هو خاص بعلم المعجميات المقارنة .

ومن غير شك ان صاحب المقالة التى نشرت فى مجلة العربى (العدد ٢٤٥) السيد قسطنطين تيودورى قد اعتمد على الاب حبيقة والمطران مارافرام وغيرهما فيما ذهب اليه من سريانية الكلمات الاتية : جاسوس ، بقعة ، رقعة ، تجر ، حسن ، حكم ، اسبوع ، حرب ، رصيف ، روح ، حيوان ، رحمن ، جنة ، ربح ، اس (بمعنىاساس) امهات (جمع ام) ، بيت ، ترجم ، حشرة ، دمية، مروحة ، زمن ، زيت ، سفينة ، مسجد ، حانوت ، كنيس ، صمام ، درب ، دير .

لو انهم علموا

وليس بى حاجة ان ادفع هذه المزاعم لاقول ان هذه المواد ليست مما استعارته العربية من السريانية كما ذهب « تيودورى » فى مقالته ، ولكنها من المشترك السامى القديم فان المواد : جس حكم وروح وربح وحيوان ورحمن مثلا من المواد السامية المشتركة . ولا اريد ان اسهب فى ذكر هذه الطائفة من الكلم فان اهل العلم باللغات السامية يعرفون مثلا ان مادة « رحم » و « حيو » من المواد المشتركة . وكيف يكون جمع « امهات » بالهاء من السريانية ؟ الم يعرف السيد قسطنطين

تيودوري ان جمع ام في العربية اما بالهاء « امهات » او « امات » بالتضعيف مثل سنلوسنوات وسنهات؟

وهذا امر يعرفه اهل العربية . ولقد فرقت العربية بين امهات فقالوا هي جمع لـ « ام » على الحقيقة و « امات » بالتضعيف فقالوا هي جمع « ام » على المجاز كقولهم : امـات الكتـب لا « امهات الكتب » وهذا في راى جماعة من اللغويين الاقدمين ولم يحصل اجماع عليه .

ولا بد من القول : ان السريانية قد وجدت سبيلها الى الالسن الدارجة كما في عامية سوريا ولبنان وفلسطين ، والموصل (في شمالي العراق)، وقد كتب غير واحد في هذا الموضوع كما اشرنا الى كتاب الدكتور فيليب حتي .

وقد صنف داود الجلبي من العراقيين رسالة وسمت بـ « الاثار الارامية في لغة الموصل العامية » (ط . الموصل ١٩٣٥) .

والى مثل هذا ذهب القس سليمان الصائغ في مقالة نشرها في مجلة النجم (عدد تشرين الاول ١٩٣٣) .

كما اشار الى العامية البغدادية وما اشتملت عليه من الالفاظ الارامية السيد يوسف غنيمة في مجلة لغة العرب في سنتها الرابعة في مقالات عدة وسمت بـ « الالفاظ الارامية في اللغة العامية العراقية » .

ومن غير شك ان بين هذه المقالات مادة مكررة عرض لها الثلاثة المذكورون .

اخيرا ..

اذا كان المتقدمون قد خلطوا بل خبطوا في مزاعمهم فيما هو سرياني او عبراني او اى شيء وآخر فان شيئا من هذا الخبط لم يسلم منه المعاصرون الذين تهيأ لهم من وسائل العلم ما يستطيعون به ان يقطعوا برأى علمي أصيل .

لقد ادعى المتقدمون مثلا ان « ابليس » من ابلس اى « يئس » وعلى هذا فالكلمة عربية ، وان « انجيل » من النجل وهو ظهور الماء على وجه الارض ، وعلى هذا فالكلمة عربية ايضا .

اقول اذا كان المتقدمون مفتقرين الى معرفة ان « الانجيل » هو من اليوناني Evaggile فليس اهل هذا العصر معذورين ان اختلفوا ورد احدهم على صاحبه ، كما اشار الى ذلك الراهب الماروني ادى شير في « كتاب الفارسية في العربية » فقد رد على الاب انستاس مـارى الكرملي وعلى اليسوعي لامنس فيمـا ذهبـا اليـه في جملة مواد قالا بانها يونانية او لاتينية ، وذهب هو الى انها فارسية ولو أن هؤلاء علموا ما علمه المستشرقون الالمان مثل سيجمند فرنكل في كتابه :

Die aramaeiscnen fremdwoerter im Arabischen - Leiden,1886.

والمستشرق الالماني جسينوس في كتابه :

Lexicon manvuale Hebraicum et chaldaicum - Lipsiz, 18:7.

وغيرهما من اهل العلم ، لاستطاعوا ان يقفـوا على الحقائق وينبذوا المزاعم والترهات . ■■

د . ابراهيم السامرائي
عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
واستاذ بكلية الاداب جامعة ـ بغداد

الخير كله

● عن امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : جمع الخير كله في ثلاث خصال : النظر والسكوت والكلام . فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو ، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة ، وكل كـلام ليس فيه ذكر **فهـو لغـو** فطوبى لمن كان نظره عبرا ، وسكوته فكرا ، وكلامه ذكرا وبكى على خطيئته وأمن الناس شره .

طريق الاثبات ودلائل الخيرات

بقلم : الدكتور علي راشد

لم يكن قد مضى على هبوطى مدينة النور طلبا للعلم قبل نيف وأربعين عاما الا بضعة شهور . وكنت فى ذلك اليوم من الشتاء ـ الاخير قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ـ اقبع خلف الزجاج اطالع صحيفة « الاهرام » فى مقهى على مقربة من سكنى فى حى « مونبارناس » بباريس ، الذى اشتهر حينذاك بمرتاديه من أهل الفن والادب من كل جنس ، عندما وقع نظرى على خبر تنفيذ حكم الاعدام شنقا فى « شقيقين » . لم يغفل الخبر التفاصيل المتعلقة بوزن كل منهما عند دخوله السجن وعند خروجه من الدنيا ، وعدد الدقائق والثوانى التى استمر خلالها النبض بعد الشنق وذلك بطبيعة الحال فضلا عن لغة تصور الجريمة التى دفعت بالشقيقين الى هذا المصير . تضمنت ما بدا لمحرر الخبر انه أهم عناصر الاثارة فى هذه المأساة - وهو أن الشقيقين ـ وكانا ريفيين فى شرخ الشباب ـ قتلا زوجين طاعنين فى السن ليلا فى عقر دارهما طمعا فيما توهما انه تحت يد الزوج من اموال او ودائع - فكانت كل غنيمتهما من الجناية الشنعاء ثلاثة عشر قرشا !

وغمرنى الخبر باحساس من الاسى المشوب بالزهو الحزين . فهذه مأساة كنت قد شاركت بشخصيتى كمحقق ـ قبل ذلك بسنتين ـ فى تسطير حلقتها الوسطى ما بين وقوع الجريمة والمحاكمة . وقد وقفت من خلالها على ما هو أروع البارة من المفارقة المتولدة عن المقابلة بين شباب القاتلين وشيخوخة القتيلين او بين بشاعة الجناية وضآلة العائد منها . ذلك أننى تبينت من خلال تحقيقى لهذه الجريمة ان بصمات الاصابع ليست وحدها التى تدل على المجرم ، وان هناك من بصمات « العقلية » ـ أو البصمات « الثقافية » ـ ما قد يفوقها احيانا فى قوة التدليل والاقناع ، وان كانت الاولى يحكمها قانون بعث بسبب الى الاعجاز ، بينما الثانية رهينة بالمصادفة وحدها . وتداعت الى ذاكرتى وقائع تلك الجناية العظمى وملابساتها فقد كنت حينذاك فى أول عهدى بأعمال « النيابة العامة » ، وهناك فى القرية الوادعة « الرابضة فى أعماق ريف دلتا النيل » شاهدت الشيخ الذى جاوز الثمانين جثة هامدة خلف باب داره المتواضعة وقد تهشمت رأسه بضربة واحدة من عصا غليظة كانت أكثر من كافية لتذهب بما بقى فيه من اطلال الحياة وفى الغرفة الوحيدة المعدة للمعيشة والنوم داخل الدار شاهدت الضاحية التى قاربت هى الاخرى الثمانين جثة ، يشير جحوظ عينيها الى أنها قتلت خنقا ، وقد تمددت على أرض الغرفة فوق فراش قديم بال ، وتناثرت حولها محتويات صندوق ريفى هو كل ما فى الغرفة من أثاث خشبى .

ولم اخرج من تحقيقاتى فى هذه الجولة الاولى بأكثر من أن القتيلين كانا فى الاصل غريبين عن القرية ، هبطاها قبل أربعين عاما وطاب لهما المقام فيها لما لقيه الزوج ـ الذى كان تقيا ورعا حافظا لكتاب الله الكريم وعلى علم بأمور الدين والشريعة

السمحاء ــ من احتفال اهل القرية به ، الى حد أن سعوا حتى نصيره اماما لمسجدهم ، واتخذوه هاديا ومرشدا فى أمور دينهم وناصحا فى أمور دنياهم ومعاملاتهم ، وأمينا على أسرارهم وودائعهم ، وان الحادث وقع بعد منتصف الليل ولم يكتشف الا فى الصباح ، وانه لا أثر هناك يدل على الجانى ، وانهيت تحقيقاتى فى ذلك اليوم باثبات ذلك تاركا لاجهزة الامن مواصلة البحث عن الجانى •

وغادرت القرية بعد أن احتفظت فى « حرز » بكل ما عثرت عليه مبعثرا فوق أرض الغرفة من ملابس واوراق لاحتمال أن يكون بشىء فيها فائدة فى كشف الحقيقة ، وكان من بين ما عثرت عليه واستلفت نظرى بصفة خاصة ، بقية من صفحات كتيب تبدأ بصفحة ٦١ ، تاكدت انها مكملة لكتاب « دلائل الخيرات » ، ليس فقط من نوع الادعية ومدائح السيرة النبوية المسطرة فى هذه الصفحات، بل ومن مقطع بعينه منها كنت أردده شخصيا فى صباى مع المنشدين بعد صلاة العشاء فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ، وما زلت حتى هذه اللحظة اذكر منه كلمات « وبأهل بدر بالصحابة كلهم بالتابعين لهم دوام سرور ••• » •

ومضى على ذلك اسبوعان كدت أنسى خلالهما هذه الجريمة فى زحام العمل الذى لا يهدأ يوما واحدا لا فى النهار ولا فى الليل ، الى وافتنى اجهزة الامن بتقرير يفيد أنه قد تم ضبط متهمين بارتكابها ، أحدهما من أبناء القرية والثانى من قرية أخرى لا تبعد عن هذه الا قليلا ويعمل حلاقا متجولا بين القرى على دراجة ، وان المتهم الاول قد أدلى باعتراف مفصل عن الجريمة وكيفية ارتكابها ودل على زميله المتهم الثانى مسندا اليه وحده قتل المجنى عليهما ، وزاعما أن السرقة دون سواها هى كل ما كان يعنيه هو ، وكان بين السطور ما يوحى بان المتهم لم يدل بهذا الاعتراف الا تحت الاغراء بعقاب هين ان لم يكن «مع وقف التنفيذ» • وزاد هذا الخاطر عندى من الريبة والحذر اللذين كان من المألوف ان تؤخذ بهما امثال تلك التقارير، بسبب الشبهة التى كانت شائعة حينذاك حول محاولات الشرطة لتصيد فاعل لاية جريمة بأى ثمن ، ولم تكن مطابقة الاعتراف لأدق تفاصيل ارتكاب الجريمة كافية لدفع تلك الريبة ، لولا أن التقرير قد اختتم بملاحظة عابرة عن تفتيش المتهم الثانى عند ضبطه ، ومحتويات الكيس الجلدى الذى يضم أدوات الحلاقة ويحمله على دراجته ، تفيد العثور بين هذه المحتويات على كتيب غير كامل بعنوان « دلائل الخيرات » تقف صفحاته عند ٦٠ ، ! فانه بهذه الملاحظة تفتحت أمامى كل مغاليق القضية، وتكشفت الحقيقة ناصعة لا يأتيها الشك من أى جانب ، وأيقنت أنه لا أمل أبدا لأى من المتهمين للافلات من القصاص ، وهذا يقين فى الثبوت لا يوفره لا الاعتراف وحده ، ولا مجرد العثور على بصمات أصابع المتهمين فى مكان الحادث •

سارعت اذن الى استكمال التحقيق ، فأعاد المتهم الاول اعترافه دقيقا ومفصلا ، أما المتهم الثانى فقد أنكر التهمة فى البداية بعناد وصلابة شديدين ، حتى عند مواجهته بزميله الذى نفى أن تكون له به أية صلة ، وعلل حيازته للكتيب المضبوط فى الكيس الجلدى مع ادوات الحلاقة بأنه «القرآن» الكريم يحتفظ به على الدوام فى هذا الكيس للتبرك رغم انه لا يقرأ ولا يكتب • فلما ووجه بأنه ليس القرآن ، وبأن له بقية التقطت من على مسرح الجريمة ، وشاهد بعينى رأسه هذه البقية تضم الى الكتيب المضبوط معه وتكمله تماما، أصابه الذهول والاعياء ، ولم يملك الا أن يدلى باعتراف لا يقل دقة وتفصيلا عن اعتراف المتهم الاول ، وان كان قد ألقى بدوره على هذا الاخير وزر القتل زاعما أن ما قلته القرآن هو كل غنيمته من الجريمة وانه نزل لزميله عن نصيبه فى القروش الثلاثة عشر !

وهكذا كانت « دلائل الخيرات » التى رددتها فى صباى ليالى رمضان بمسجد « أم هاشم » هى بعينها « دلائل الاثبات » التى جعلتنى أرى بكل اليقين ــ والقضية ما زالت فى مرحلة التحقيق الابتدائى ــ حبل المشنقة يلتف حول رقبتى المتهمين، وهذه الرؤية المبكرة هى بالذات مصدر احساسى بالزهو وأنا أطالع خبر تنفيذ حكم الاعدام فيهما بعد ذلك بنحو سنتين ، بعيدا فى باريس ! ■■

كلمة وفاء في ذكراه :

السنهوري



ان الناظر في الدول العربية اليوم ليجد انه مقنن التشريع المدني في مصر والعراق وسورية وليبيا والكويت • وقد جاءت هذه التقنينات المدنية متطابقة أو متقاربة ، بحيث تصلح أساسا لوحدة تشريعية في البلاد العربية ، هذا الرجل الكبير هو المرحوم الاستاذ الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري ، وجدير به وبنا أن يحملنا الخلق العربي أن نتذكره في هذه الايام اذ في مثلها انتقل رحمه الله الى الرفيق الاعلى ، وكان وهو يضع هذه التقنينات يشير الى ما يجب أن تصير اليه في المستقبل ، فلم يوهم الناس بأن تقنيناته التي كان يضعها خالدة بل كان بالعكس يبشر بتقنين اكمل يوضع في المستقبل ويحل محل ما سيضعه هو من تقنينات • وهذا ما يحدث الآن في كثير من البلاد العربية بل والاسلامية •

في العشرين من يونيو سنة ١٩٧١ انتقل الى جوار ربه باعث هذه النهضة القانونية العربية :

الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري ، ففقدت البلاد العربية عظيما من أبنائها قلما يجود الزمان بمثله على أمة واحدة في زمن متقارب •

مصلحة مصر والعرب

لقد أعطى السنهوري العلم كل حياته فاعطاه العلم كل شيء من مجد باق وثراء واسع ، فكان القدوة الحسنة لكل انسان ، يبقى المجد وتبقى

بقلم : الدكتور محمد زكى عبدالبر ★

تشهد البلاد العربية اليوم حركه تقنين هائلة ، فى الكويت وفى الامارات العربية وفى السودان وفى مصر وفى غيرها تتجه الى الشريعة الاسلامية تستمد منها التشريعات تستبدلها بالتشريعات الموجودة فيها الان ، وجدير بنا ان نتذكر فى هذا المقام الرجل الذى بدأ هذه الحركة التقنينية المباركة فى مصر وغيرها من البلاد العربية . وكانت غايته التوحيد بين التقنيات فى هذه الدول بوصف القانون أساسا من أسس الوحدة .

ان الطريق بهما جميعا هو العلم يزينه الخلق الرفيع .

للسنهورى نواح متعددة يغطيها العد يبلغ فيها جميعا أعلى ذراها ، وكانت واحدة منها كافية لتمييزه عن اقرانه ، ولسنا نريد هنا أن نؤرخ للسنهورى أو أن ندرس منهجه وآثاره فذلك موضع آخر ونرجو أن ينهض بذلك فريق من تلامذته ، وفاء لحقه عليهم ، ولحق الشباب والاجيال المقبلة ولكنا نريد هنا أن نشير فى المجلة الى بعض ملامح هذه الشخصية الفذة تكريما له .

كان السنهورى يؤمن بمثل عليا يمكن جمعها فى رعاية المصلحة العامة ونشر العلم والقانون . والتمسك بالحرية وتحقيق العدالة والمساواة ومسايرة التطور والاقبال على العمل فى جد واخلاص والتشبث بالاتقان . ويمكن ارجاعها كلها الى المصلحة العامة باعتبارها الغاية ، والى القانون بوصفه وسيلة والى العمل باعتباره مطية ، والى الاتقان بوصفه المستوى الذى يلتزمه . وكان يتصف بصفات قلما اجتمعت لغيره ، وهى التى جعلته مع الايمان بالمثل السابقة والعمل بها ، الرجل العظيم القدوة والمثل ، من افق واسع وارادة قوية وبصيرة نفاذة وصبر وجلد وعلو همة ومتانة تكوين جسدى ونفسى .

آتاه الله بسطة فى النظرة فكان يفهم المصلحة العامة على أنها المصلحة العامة لمصر والبلاد العربية كلها ، وللانسانية جمعاء ، فى كل الميادين : ميدان القانون والعلم والسياسة والصناعة واللغة ... الخ وفى كل الازمان : فى الحاضر والمستقبل ، وبالنسبة لكل الافراد . ويرى المصلحة العامة فى حرية المواطنين وديموقراطية الحكم وتضامن المجتمع وعدالة النضال ونشر العلم ومجاراة الزمن بتطوير النظم لتلائم المستقبل ، وكان يفهم العلم على أنه كل اروع ما كان وما هو كائن وما سيكون ، وكان يفهم القانون اوسع ما يكون الفهم ، كان يرى القانون فى كل شيء ويرى فى القانون كل شيء ، يرى فيه ويراه فى الظواهر الكونية والعلاقات الاجتماعية ، يرى فيه ويراه فى العلم وما فيه من الحقائق الواقعية الطبيعية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادبية والمادية والنفسية ، والحقائق التاريخية والحقائق العقلية او المنطقية ، والحقائق المثالية ، ويرى فيه الصياغة المحكمة الجميلة من احلال الكم مكان الكيف والاتجاه الى الشكل والتقسيم والى الاوضاع ، الفرضية والصورية

★ الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة الدمام محمد بن سعود الاسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية

والتصويرية » . واللغة الفصيحة المبنية في دقة واحكام . وقد حملته نظرته الواسعة أن يجمع في دراسته بين القانون الغربي والفقه الاسلامي ، وبين القانون العام والقانون الخاص والاقتصاد ، وبين قوانين الدول المختلفة ، وبين الفقه والقضاء والتشريع، كما جمعفي نظرته بين الماضي والحاضر والمستقبل : ففهم الماضي ، وأدرك الحاضر ونقده ، وبصر بالمستقبل ومهد له . وقد تجلى ذلك في اعماله وسيرته فكان موضوع رسالته « الخلافة الاسلامية وتطورها لتصبح عصبة امم شرقية » . وفي وقوفه الى جوار المشروعات الجادة كمشروع « القرش » الذي نادى به وهو طالب الاستاذ أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة شفاه الله .

وفي تقنيناته فقد قام القانون المدني العراقي الذي وضعه على أساس من النظر الى الحاضر والمستقبل وقام القانون المدني المصري والسوري والليبي والتشريعات الكويتية على أساس الماضي والحاضر من تشريع وفقه وقضاء والنظر الى المستقبل .

ودوره لا يمكن أن ينسى في تشجيع ومعاونة الطلبة في دراستهم واعدادهم رسائل الدكتوراه ، وفي فتح باب دخول مجلس الدولة منطريق المسابقة لمن فاتهم ذلك . وفي انشاء معهد الدراسات العربية العالية ، وافتتاح مدرسة الخرطوم القانونية ، ونشر المدارس وانشاء الجامعات ومسارعة الى التعريف بمبادىء التكافل الاجتماعي وهو استاذ والاخذ بها في التقنين .

العمل .. العمل

وكان معتدل المزاج هادىء النفس . وقد هيأ له ذلك الصبر على الدراسة حتى كان يلم بدقائق كل موضوع الماما تاما ويتعرف كل الاراء التي قيلت فيه ويهضمها ثم ينقدها نقد الصيرفي الماهر للدرهم والدينار . فيعملها وينثرها نثرا حتى يظهر ما في باطن كل من نقص أو خطأ وعيب وما فيه من صواب . ثم ينفي الغيث عن كل رأي ويبقي المزايا ويعيد التركيب بما صح ويضيف عليها من عنده فيأتي الرأي جامعا للصواب بريئا من الخطأ والقصور وهو ما نسميه «النهج الجامع» الذي يؤدي الى « الوسطية الجامعة بين الاطراف » حيث يكون ذلك هو خير الامور .

وكان يفهم الحياة على أنها العمل الجاد المخلص بل الفناء فيه ومن يتصور انه وهو يقوم باعباء الوزارة كان يضع القانون المدني وهو عبء تنوء به العصبة في سنين كثيرة ، وانه وهو رئيس لمجلس الدولة يرأس مجلة القضاء الاداري ويشرف على أقسام التشريع والفتوى ويتعرف كل موقف فني فيها ، يشرح القانون المدني ويحاضر في كلية الحقوق ، وانه وهو يشرح القانون المدني يشارك في الاشراف على معهد الدراسات العربية العالية ويحاضر فيه ويخرج ستة أجزاء في« مصادر الحق في الفقه الاسلامي » لم يسبق اليها . ويساهم فيأعمال مجمع اللغة العربية ويضع قوانين الكويت ودستور السودان وغيرها . ومن يتصور انه وقد تجاوز السبعين من عمره كان يعمل في اليوم ثماني عشرة ساعة . وكان يدفق ـ بنظرته الواسعة وحكمته ـ بين هذا العمل الجاد ، وراحته فكان يأخذ بين الحين والحين فترة يستريح فيها بمشاهدة السينما أو الجلوس في كازينو أو مقابلة محبيه وزائريه .

وكان شجاع القلب ثابت الجنان فما تردد في الصمود أمام العاصفة اذا اطمأن أن واجبه يلزمه بذلك . وقد جر عليه ذلك متاعب جمة فما وهن وما استكان : اخرج من الجامعة فما ضعف ، واخرج من العراق تحت ضغط الحكومة الوفدية خلال عمله في مشروع القانون المدني العراقي فاتمه في سورية وامتحن وهو رئيس لمجلس الدولة فيما عرض عليه من قضايا تقييد الحرية الشخصية وحرية الصحافة فوقف الى جوار الحرية وفك الاسار عن المعتقلين واطلق الحرية للصحف رغم جبروت الملك والحكام يومذاك . وحورب من الحكومة وقتذاك في رياسته لمجلس الدولة فصمد وانتصر .

وكان منصفا في احكامه على الاشياء والناس لا يميل به هوى ولا تتحكم فيه عاطفة ومن مثله يقول في المرحوم عبد الحميد أبو هيف « انه أول فقيه في مصر شق للفقه المصري طريقه الحديث». وفي المرحوم عبدالحميد بدوي لا اعرف عقلا في

القانون أصفى ولا انقى ولا اعمق من عقل عبد الحميد بدوى وكان فى محنته ينصف العالقين له بسل والمتنكرين لفضله عليهم .

العالم الاديب

وكان منطقيا مرتب الذهن الى ابعد الحدود على نحو فريد . ومن ثم كان عرضه للقضايا العلمية بل وكل الامور ، مشافهة او كتابة ، فى غاية من الترتيب والوضوح كى يجعلها تبدو للسامع بسيطة سهلة ، وما كانت كذلك الا بهضمه وترتيب ذهنه وتنظيم كلامه على نحو منطقى من التدرج والتقابل والتشابه والتغاير والتعارض والتطابق والقاعدة والاستثناء .

وكان اديبا عالما يهتم بالعبارة ، يحررها ويدقق فى اختيارها فتاتى جزلة دقيقة جامعة مانعة شاملة للنفى والاثبات ، وان القارىء للقوانين التى وضعها ولكتبه ليدرك لاول وهلة انه كان الاديب الفحل العالم الآخذ نفسه باصول المنطق حتى اثرى لغة القانون بمصطلحات جديدة لم تكن مستعملة قبله . وكان يؤمن بالتخطيط : يحدد الغاية ويبين سبيلها ويرسم مراحلها ويقدر لكل رحلة زمنا . وكان قوى الارادة يلتزم بهذا التخطيط لا يخلفه حتى المرض لم يستطع ان يزحزحه عن المضى فى سبيله وبهذا استطاع ان ينجز ما يعجز عنه عشرات من المجيدين . وكان من اروع تخطيطه انه خطط لاخراج الوسيط بالمدة التى قدرها . فما كاد ينتهى من اخراج الجزء العاشر منه ويعلن لخاصته انه انهى واجبه حتى غادر الدنيا الى رحاب الله جل وعلا مرتاح النفس انه ادى رسالته .

وكان حكيما وسطا بين الاطراف من كل شىء : بين العزلة والاختلاط وبين الجد والفكاهة ، بين المبادىء والنظريات . وموقفه من النظريات الشخصية والنظريات الموضوعية فى القانون شاهد على ذلك وكان يميل الى توجيه النظم ولقد كان من اعلى الاصوات فى المطالبة بتوجيه القضاء فى محاضرته (واجبنا القانونى بعد المعاهدة) وكان فرحه شديدا عندما تحقق ذلك .

وكان مع عزة نفسه متواضعا . وقد التقى هذا الخلق مع سعة الافق وحبه لمجاراة الزمن والتطور . فكان يحرص على سماع كل رأى مهما بدا بعده من الصواب ، ومهما كان صاحبه اقل منه سنا ومقاما . وكان لا يستبعد رأيا من المناقشة مهما بدا غريبا او خاطئا ، وبهذا جاءت مؤلفاته وبحوثه جامعة لكل الاراء والاحكام مسايرة لكل جديد .

وبكل هذه المثل والاخلاق عمل للوحدة العربية بالتقريب بين قوانينها وبالتوحيد ان امكن . وببيان الاسس العلمية لهذه الوحدة بانشاء معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية . فلقد كان من تفكيره ولقد ساهم مساهمة جادة فى رسم نظامه وتنفيذه والمحاضرة فيه ، وليس من المصادفات ان نجد الدول المتقاربة الان فى العالم العربى هى الدول المحكومة بالقوانين التى وضعها السنهورى .

وكان ذا نزعة واضحة الى الاصلاح والتطوير وقد تمثل ذلك عندما كان وزيرا للتعليم فقد وضع الاسس التى يقوم عليها التعليم اليوم ، وفى كتبه ومحاضراته وقوانينه .

ابن الاسكندرية

ولد السنهورى لابوين ينتسبان الى الطبقة الوسطى ، والطبقة الوسطى ـ كما قال رحمه الله ـ هى العمود الفقرى لكل امة : على جهود ابنائها تقوم كل نهضة . فمن ابنائها يخرج العلماء ورجال الفكر والادب والفنون ورجال الصناعة والتجارة وعمد النهضة الاقتصادية والنهضة الفكرية وكل شخص قادر على ان ينهض بالامة وان يسير بها قدما الى الامام .

ونشأ فى مدينة الاسكندرية . وكانت ولادته فى اواخر القرن الماضى ـ ١١ اغسطس ١٨٩٥ ـ ونشأته فى اوائل القرن الحالى . وكانت مصر ـ وما جاورها ـ اذ ذاك تموج بمختلف التيارات فى كل نواحى الحياة: السياسية والقومية والاجتماعية واللغوية والادبية والدينية ، فكانت راية الجهاد ـ بعد هزيمة عرابى ـ مرفوعة بيد مصطفى كامل ينضوى تحتها كل وطنى يجاهد الانجليز واعوانهم من المتمصرين والمصريين ، وكان النزاع على

اشده بين الانجليز وبين القصر وبين الشعب ، وكان التنازع بين الاجانب وبين المصريين ، وبين المحاكم الاهليةوالمحاكم الشرعيةوالمحاكم القنصلية والمحاكم المختلطة . وكانت تتجاذب الناس تيارات قوية بعضها الى الخلافة الاسلامية وبعضها الى العروبة وبعضها الى الفرعونية ، وكانت مصر علاوة على ذلك تتفاعل مع الاحداث في البلاد العربية : في الحجاز وليبيا وغيرهما ، وكانت صيحات التجديد سواء في اللغة او الشعر او الفن او الادب او الدين تعلن ، فتجد انصارا او تجد مناوئين يتخوفون منها لذاتها او لما يعلق حولها من شوائب ، وكانت هذه التيارات خليقة أن تنشيء في مصر جيلا هم في الحقيقة بناة النهضة التي نرى اليوم اثارها في مصر والبلاد العربية ، في مختلف المجالات .

وكان الفقيد العظيم وسط هذه البيئة الطبيعية والاجتماعية والسياسية الثابه المتضاربة بمواهبه الفذة ، الصورة المشرقة لبيئته ومجتمعه اذ لولا هذه المواهب والصفات لكان كغيره من الناس الذين نشأوا مثل نشاته ولم يكن لهم دور كدوره .

ان هذا المقام ليضيق عن الكلام عن السنهوري وحسبنا ان نقول : اذا كان لروما ان تفخر بفقهائها ولفرنسا ان تزهو بمشرعيها ولانجلترا ان تعتز بقضاتها ولبلاد ما وراء النهرين أن تعلو بعلمائها ، فان للعرب المعاصرين ان يباهوهم جميعا ويعلوا عليهمجميعا برجلواحد ،مقنن وقاض وعالم . ذلك هو أستاذنا الجليل المرحوم الدكتور عبد الرزاق احمد السنهوري : الاية على أن الامة العربية رغم كل شيء لم تعقم بل ظلت قادرةوستظل قادرة على انجاب الافذاذ الذين يزينون جبين الانسانية جمعاء .

استاذنا الجليل : رحمة الله عليك ، وسلام عليك في عليين . ■■

الرياض ـ د . محمد زكي عبدالبر

الحركة ... نشاط

● قيل ان أبا الاسود الدؤلي كان جادا دؤوبا يحب لحركةوالنشاط ،ولهذا كانرغمتقدمه في السن يركب بغلته ليصلي في المسجد ، ويذهب الى اسواق المدينة لقضاء حاجاته ويزور اصدقاءه قال له رجل : يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ، ولو لزمت منزلك كان ذلك أودع لك . فقال له : ، صدقت ، ولكن الركوب يشد أعضائي ، وأسمع من أخبار الناس مالم أسمعه في بيتي ،وأستنشق الريح الصافية ، والقى اخواني وأحبائي ، ولو جلست في بيتي لاغتم بي اهلي وأنس بي الصبي ، واجترأ على الخادم ،وكلمني من أهلي من يهاب كلامي لالفهماياي وطول جلوسهم عندي ،حتى لعل العنزات تلقى فضلاتها علىفلا يقول لها أحد (هش) » .

مرة أخرى :



المظاهر المسرحية عند العرب !

بقلم : أحمد علبى

نحن غنائيون نطرب للآه في حلق المغني ، ونقول الشعر فنصعده من رحيق القلوب وعصارات الانفس • هكذا كنا وعلى هذا المنوال نكاد نبقى ، نجمع خيوط الوجدان ونلملم الحسرات ونقطف الاشواق ، فيستحيل هذا الحصاد من الاحاسيس والتباريح الى قصائد ذاتية تحظى الفردية فيها بالنصيب الاوفر • ومع ذلك فليس أجود الشعر هو الذى يعبر دوما عن ذات الشاعر ، فمن يكتشف ينبوعا من المشاعر في أغوار نفسه وطوايا روحه ليس له فضل من يرتاد أرضا مجهولة بحثا عن ينابيع الاخرين • وعلى كل حال فالسؤال هنا فيما اذا كان شعراؤنا وأدباؤنا ، في الطور الكلاسيكي للادب العربي ، قد عرفوا الطريق الى فن أدبى ، عريق عند أمة اليونان ، هو الشعر المسرحي ، أو بتعبير آخر المسرحية ـ شعرية كانت أم نثرية ـ التى تخرج من حيز القرطاس الى عالم النظارة فتغلو مسرحا ؟

يحلو لبعض الدارسين ، يحثهم الى ذلك هوى قومى او بريق خادع ، أن يلتمسوا « المظاهر » ، ربما لاعتقادهم ان ما لا يدرك كله لا يترك جله مهما كان ! فكيف يدعون هذه « المظاهر » ، على سذاجتها احيانا ، دون ان يجدوا لها كوة ، او نقبا اذا اعيت الحيلة ، تلج من خلاله ، ولو بضيق واختناق انفاس ، دائرة الفن المسرحي !

صوفى زاهد يحاكم الخلفاء

عن السلف الصالح جاءتنا حكاية صوفى زاهد كان للخليفة العباسى « المهدى » معاصرا (١) ، وكان يقيم من نفسه قاضيا « منفردا » ، اذ كان من دابه ان يعقد جلساته مرتين ، وذلك في يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، اما المكان فعلى

(١) ابن عبدربه : العقد الفريد ، ج ٦ ص ١٥٢ـ ١٥٤ ، تحقيق : أحمد أمين : ابراهيم الابيارى ، عبدالسلام هارون ، لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٧ •

تلة عند أرباض بغداد . وهو يمضي اليها ممتطيا قصبة او عصا ، فيتبعه جمهور من الرجال والنساء والصبيان ، يتحلقون حوله وينصتون لاحكامه . « فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة » . وبعد أن تنعقد « هيئة المحكمة » الممثلة في هذا الرجل الصوفي الغيور على الدين وحقلته ، ينادي من فوق التل : « ما فعل النبيون والمرسلون، أليسوا في أعلى عليين ؟». فتسري بين الجمهور همهمة الايجاب : نعم . ثم يقول : « هاتوا أبا بكر الصديق » . فيتقدم رجل او غلام ويجلس بين يديه على انه أبو بكر . فيثني الرجل الصوفي على هذا الخليفة الذي ولي الامور في ساعات عصيبة ، ويشرع في تعداد أعماله الفاضلة ، قائلا : « جزاك الله خيرا ، أبا بكر ، عن الرعية . فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمدا ، عليه الصلاة والسلام ، فأحسنت الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع ، وفزعت منه الى أوثق عروة وأحسن ثقة » . ويعمد بعد هذا الاطراء الى اصدار حكمه على هذا الخليفة الراشدي الاول ، فيبعث به الى جنان الخلد قائلا في الناس : « اذهبوا به الى أعلى عليين » . وهكذا ينصرف الرجل او يتقدم من يصرفه الى حيث يتابع ما يجري .

وينادي الصوفي مجددا : «هاتوا عمر» . فيتقدم رجل او غلام آخر . فيقول له هذا الواعظ : « جزاك الله خيرا ، أبا حفص ، عن الاسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت الفيء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت في الرعية وقسمت بالسوية ، اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبي بكر » .

ثم يأتي دور عثمان ، فيلحقه قليل من التأنيب اذ يقول هذا القاضي لمن يمثله : « خلطت في تلك الست ... ، ولكن الله تعالى يقول (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) وعسى من الله موجبة . ثم يقول : اذهبوا به الى صاحبيه في أعلى عليين » .

وينادي عليا ، فيتقدم رجل او غلام ، فيخاطبه معظما فعال الامام : « جزاك الله عن الامة خيرا ، أبا الحسن ، فانت الوصي وولي النبي ، بسطت العدل ، وزهدت في الدنيا ، واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة .«اذهبوا به الى أعلى عليين من الفردوس » .

عقب الرباعي الراشدي تتغير أحكام الرجل الواعظ وتنصب كلماته غاضبة متوعدة ، فهذا معاوية يعنفه قائلا للصبي او الرجل الذي يمثله : « انت القاتل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وحجر بن الادبر الكندي الذي اخلقت وجهه العبادة ، وانت الذي جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفيء ، وحكم بالهوى، واستنصر بالظلمة ، وانت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي ». واثر هذا الحساب العسير يصدر الصوفي حكمه على معاوية قائلا : « اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة » .

اما يزيد بن معاوية فحسابه أعسر وأشق ، فعلى ممثله تنصب الاتهامات : « يا فواد ، أنت الذي قتلت أهل الحرة ،وابحت المدينة ثلاثة أيام، وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسينا وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الابل » . وهكذا يلاقي يزيد مصيرا رهيبا اذ يصدر الحكم : « اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار » .

ولا يسلم من الامويين سلامة حقيقية وينال مغنما سويا سوى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، اذ يخاطب الصوفي الواعظ الغلام او الرجل الذي ندب عنه قائلا : « جزاك الله ، يا عمر ، خيرا عن الاسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ،وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق » . ثم يوصي به ان يلحق بالصديقين البررة .

وبما انها أيام تداولها بين الناس فقد صار الامر ، بعد توالي الخلفاء الامويين جميعهم ، الى العباسيين ، وفي عهدهم يعيش هذا الرجل الزاهد، وهاهرزا يلوذ بالصمت اذ ادركهم ويسكت.لكن

الجمهور يخرج هذا الذى نصب من نفسه قاضيا لمحاكمة رجال التاريخ الاسلامى ، فيقدمون اليه رجلا على انه «السفاح» منادين : هذا أبو العباس امير المؤمنين ! ولم يكن الصوفى فى موضع يسمح له بالتخلص من الحاح الجمهور ، كما انه لم يكن على استعداد لان يماشى قواعد ما ندعوه « الدبلوماسية » او بتعبير ذلك الزمان «التقية»، ولهذا يخرج عن صمته معلنا : « بلغ امرنا الى بنى هاشم ؟ (وردت العبارة فى بعض المراجع « بنى العباس » وهى الاصح منطقيا وفق سياق الرواية) ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم فى النار جميعا » . وبهذا ينفرط عقد الناس ويمضى كل الى سبيله .

آراء للدارسين

وبعد هل ما تقدم يشكل مظهرا مسرحيا ؟ وهل يطلب منا أن نعتقد أن هذا فن مسرحى ؟ وهل هذه الرواية « مما يدل على أن العرب كان عندهم ما يشبه من وجه تمثيل الوقائع المعروف الآن (بالتياترو) » ؟ (٢) ولن نتسرع فى ابداء رأينا ،بل نؤثر ان نعرض أولا لآراء بعض الدارسين الذين عالجوا الموضوع ، ثم نعقب عليها ونناقشها، بحيث نخلص من ذلك كله الى رأى نراه سديدا وواقعيا .

يبحث جرجى زيدان فى التمثيل العربى فيقول : « فازهر التمدن الاسلامى واثمر وليس فيه ثمة تمثيل ــ الا ما كان من قبيل الشعائر الدينية كتمثيل قتل الحسين عند الشيعة او بعض ما ياتيه أصحاب الطرق الصوفية من الاشارات او الحركات التمثيلية » (٣) . وبعد أن يورد زيدان باقتضاب كبير قصة الرجل الصوفى التى سبق لنا تفصيلها يعلق عليها قائلا : « وقد عد ذلك بعضهم من قبيل التمثيل ، وهو بالحقيقة من قبيل الشعائر الدينية نحو تمثيل قتل الحسين » .

وهذا رأى نقر بوجاهته ، فالزوايا والتكايا ملأت العالم الاسلامى من دمشق الى تطوان ، ومن شاهد الاذكار او انخرط فى الفرق الدينية والطرق الصوفية على أنواعها يدرك انها لا تقتصر على الاشارات والحركات التمثيلية فقط ، بل تشتمل أيضا على ايقاع فى الخطو يشبه الرقص ، وعلى صنوج تصطفق ودفوف ينقر عليها ، وعلى انشاد جماعى يشدو بالمدائح النبوية .

يوم عاشوراء

بيد أن هذه الاحتفالات الدينية والطقوس الدخيلة التى تجد فى أولياء الله محاور لها ، لا تدخل فى باب المسرح بقدر ما تندرج فى باب الادب الشعبى او التراث الشعبى . ولنؤكد هذا الامر نذكر يوم عاشوراء او قصة المقتل الشنيع المأساوى للحسين بن على الذى حدث فى العاشر من محرم سنة ٦١ هـ عند مذبحة وقعة الطف فى كربلاء . ولقد سقنا هذا المثال نبغى من ورائه ان نصيب هدفين : الاول ان بعض الدارسين يتوسل بهذا المثال ليدلل على انه اصل من «صول المسرحية فى الادب العربى . ويفوت هذا البعض ان تمثيلا كهذا لم تكن البيئات العربية فى الامبراطورية الاسلامية « مرسحا » له انما صار يجرى فى فارس ويعتمد على اللغة القومية ، ويدعونه هناك « روز قتل » ، ويكون من حضور « يوم القتل » الشاه ورجال فارس الرسميون . ويتم هذا « التشخيص » فى ساحة تنصب فيها الخيام التى تحمل شارات الحداد السوداء ، ويبدو قبر الحسين مغطى بالسواد ، وفى أحد جوانب الساحة تظهر اعشاش ترمز الى كربلاء . وينبرى شيخ فيحكى قصة مقتل الحسين بنبرات حزينة نائحة ، فتنهمر عندها الدموع من المآقى ، ويقوم من يلتقط هذه الدموع السخينة بواسطة قطنة يعصرها فى قارورة يلجأ اليها المرضى وقد استعصى عليهم الداء ، أى تصبح هذه

---

(٢) محمد توفيق البكرى : صهاريج اللؤلؤ ،ص ٢٥٨ ، شرح : أحمد الشنقيطى ومحمد المصرى، مطبعة الهلال بالفجالة مصر ١٩٠٦ ــ وقد أورد«البكرى» رواية ابن عبدربه عن الصوفى الزاهد مع بعض الايجاز واختلاف طفيف فى العبارات (ص٢٥٨ و ٢٥٩) .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ص ١٢٩ ،مطبعة الهلال ــ مصر ١٩٣٧ .

الزجاجة عقارا للاستشفاء•وينتهي هذا الاحتفال* بوضع النار على الاعشاش فتحترق كربلاء (٤) ، وهي للحاضرين كرب وبلاء على حد قول الشريف الرضي •

وهكذا فان هذا « التشخيص » لا يمكن أن ينسب الى المجتمع العربي ، ونعتقد أنه كان من الصعوبة بمكان ، ان لم يكن من المحال ، أن يجرى نقل هذا الاحتفال في الوسط العربي ، اللهم الا بسرية وتكتم ، وفي بقع شيعية الهوى ، وخاصة في العراق المتاخم لايران ، وذلك لان السلطة الاموية فالعباسية بعدها لم يكن ليروق لهما أبدا أن تسمحا للمعارضة العلوية بفرصة ثمينة تعرض من خلالها قضيتها وتنافح عنها على نحو غير مباشر ، شان الاحزاب في أيامنا التي تتوسل بشتى الفرص، سواء أكانت اجتماعية وثقافية أم دينية أحيانا ، وذلك لتلقى الاضواء الهادية على ما تعتنقه من مبادىء وما ترتئيه من افكار •

التراث الشعبي

أما الهدف الاخر الذى سعينا من اختيار قصة مقتل الحسين اليه فهو رغبتنا في أن نبسط لقارىء هذه الصفحات كيف تحول يوم عاشوراء بعض الشيء عن مغزاه الديني الصرف وأصبح جزءا ، قد لا أغالي اذا قلت قوميا ، من تراثنا الشعبي المحلي • أقول تراثنا الشعبي لان هذا الاحتفال انتقل بسماته التمثيلية في مطلع هذا القرن ، وربما قبل ذلك بقليل ، الى بيئتنا اللبنانية ، وعلى وجه التحديد الى مدينة «النبطية» في جنوب لبنان• وتمت هذه النقلة عن طريق أسر عجمية وذلك على ذمة اهل الاطلاع من سكان المدينة ـ استوطنت في «النبطية» • وليس هذا الامر بمستغرب اذا علمنا الصلات الوطيدة التي تربط شيعة جنوب لبنان ، وخصوصا رجال الدين ، بالنجف في العراق وبايران عبر المزارات المقدسة•مع العلم أن تلاوة سيرة الحسين شان قديم في هذه المدينة ، لكن الجديد هو المظاهر التمثيلية• كما أن هذا الاحتفال بيوم عاشوراء ، عبر سماته التمثيلية ، شرع يظهر خلال السنوات الاخيرة في بعض الاحياء الجنوبية من بيروت •

واحتفال « النبطية » بيوم عاشوراء الذى يتجدد كل عام ذكرني بما كان ومايزال جاريا في أوروبا من مناسبات تقليدية احتفاء بالقديسين ، وهم نظراء الاولياء في مشرقنا • وهذه المناسبات الاوروبية تتخللها المواكب من الرجال الذين يلبسون الازياء القديمة وتبرز فيها التقاليد والمعتقدات في أوجها كما هي فرصة يتقاطر التامها الناس من كل حدب وصوب فيمرحون ويتحللون من متاعب دنياهم • أما العجائز وأصحاب القلوب المترعة بحب الله وصفوة رسله فهذه المناسبات فرص لا تعوض للغيبوبة الروحية والتجلي الرباني • وربما هي لبعض النسوة مجال حيوى للتمني في أن يخرجهن المولى من طور العذرية الى الحياة الزوجية ، أو من حالة العقم في انجاب الاطفال الى الخصب والفيض • وكما عند هؤلاء الاوروبيين عندنا،فاحوال البشر الصميمة هي هي تحت كل كوكب •

وأنا هنا لا أنحصر بيوم عاشوراء ، انما أجول بفكري في المعتقدات الشائعة في أقطار الوطن العربي، وخاصة في مصر حيث يكثر الاولياء ويكثر أتباعهم ، وحيث لحفلات الزار وقع سحري حسبما يروى • أضف الى هذا ما للمولد النبوى من هرج، وما لموكب المحمل ، محمل الحجيج ، من مرج • ومن هذا القبيل الاحتفالات الزاهية البهيجة بمولد السيدة زينب ، أخت الحسين ، في مصر ، اعجابا بها ولما أبدته من بسالة ورباطة جاش وجراة في وجه يزيد بن معاوية قاتل الحسين بن علي ، وهي التي حمت بجسدها من القتل ، غداة كربلاء

(*) يبدو أن احتفال ايران بيوم عاشوراء قدعرف تبدلا أو تطورا ملحوظا • فان العلامة موريه » يصف هذا الاحتفال الذى شهده في العام ١٨١١ وصفا بديعا يحرك مشاعر المؤمنين ويهز افئدتهم (راجع مجلة « الهلال » السنة ١٨ ،ج ٨ ، أيار • ١٩١٠ ، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٨) •

(٤) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية،ج ٢ ص ٣٠٠ ، مطبعة الهلال ـ مصر ١٩٣٠ ـ عمر الدسوقي : المسرحية ، نشاتها وتاريخها واصولها ، ص ١١ و ١٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤ •

وبعدها ، ابن الحسين المتبقي من ذريته ومن نسل الامام علي من فاطمة ، وهو زين العابدين الذي حفظ تراث جده علي بن أبي طالب من الضياع والاندثار (٥) ٠

ان بعض هذه المظاهر الدينية ــ القومية لا تنفرد بها مصر ، انما هو أمر مشترك بينها وبين غيرها من الاصقاع العربية ٠ وما يهمنا أن نشدد عليه أن هذه الاحتفالات الدينية بشتى مظاهرها ، بما فيها الاعياد ، وحتى الاعراس واشباهها ، ليست مسرحا ولا هي منه في شيء ، بل هي تدخل بمجموعها في ما ندعوه تراثا شعبيا على اختلاف فنونه ٠ وفي التراث الشعبي مسرح شعبي ، ولكن هذه الاحتفالات ليس فيها ما يخولها ولوجه ، كما هو الحال على سبيل المثال بالنسبة لفن شعبي عريق هو « خيال الظل » ✽ ٠ اذ لا مسرح ، في نهاية المطاف ، ومهما كان شانه ، دون نص مسرحي ٠

المسرحية الاخلاقية الكنسية

يعلق احد الدارسين على رواية الرجل الصوفي، زمن الخليفة المهدي ، التي وردت في أوائل بحثنا فيقول : « ويذكرنا ما كان يفعله هذا الصوفي الصالح بالمسرحية الاخلاقية التي عنيت بها الكنيسة » (٦) ٠ وهذا الرباط الذي عقده الباحث بين رواية الواعظ الصوفي والمسرحية الكنسية يبدو في واقعه ضعيفا مهلهلا ٠ فهناك خيط يكاد ينقطع بين الرجل الواعظ والمسرحية الدينية في أول حبوها ، أي عندما انبجست فكرة طريئة في ذهن القساوسة ٠ هذا مع العلم أن المسرحية الدينية في طورها البدائي ، وقوامها حوار فصيح ، كانت الاناشيد والتراتيل هي السمة الغالبة عليها ٠ أما هذا الخيط التلف ــ لفا فينمحي تماما مع تقدم الرحلة التمهيدية للمسرحية الدينية ٠ كما أن الحياة فرضت نفسها على المسرحية الدينية بحيث أضحت نصف دينية ، لها جناح غميس في أرض البشر وجناح يتمشق سماء المعجزات ويسبح فيها مهوما ٠

بل أن الحياة غزت المسرحية الدينية بموضوعات خطيرة الشان ٠ فان « مسرحيات الاسرار » حوت مضامين يقف منها عادة الادباء جزعين لرهبتها وفداحتها ٠ كشاب يغتصب ابنة الملك الفاتنة ثم يقضي عليها ليرخي الستار على جريمته ، أو كالاشاعة التي سرت عن علاقة اثيمة بين زوج وحماته ، أو شان قصة ذلك الدوق الذي كان يضاجع ابنته ثم تعرف الزوجة بالامر فتقضي الابنة على أمها ٠٠ ! هذا هو الجانب الدنيوي ، أما الجانب الديني فيرد مع عذاب الضمير واستيقاظه ، ومع حلول المعجزات التي تضع نقطة النهاية لهذه المسرحيات التي كانت تحظى بـ « ديكور » جذاب خلاب ٠

أما « مسرحيات الاخلاق » ــ حسب التسمية الواردة لهذا النوع في تاريخ المسرح ــ فهي أيضا لا يمت اليها الرجل الصوفي الآنف الذكر باية صلة ، لان هذه المسرحيات تشتمل على ما تشتمل عليه الانواع الادبية من مسرحية أو رواية أو قصة ، عنينا عنصر الاحداث المتدرجة التي تتوالى فتتعقد ، ثم تجد سبيلها الى الحل فالنهاية ٠ أما ما يورده الصوفي العباسي فادعى أن يسمى عظة أو « حدوتة » ٠ في حين « يظهر أن مسرحيات الاخلاق تطورت نحو الحياة العامة تطورا كبيرا جدا ، حتى أننا نعدها حلقة الاتصال بين مسرح العصور الوسطى والمسرح الحديث » (٧) ٠

وهناك نقاط ينبغي أن ناخذها بعين الجد والتقدير ٠ ان المسرح الديني نشا في بيئة أوروبية كانت قد عرفت قبلا المسرح اليوناني العظيم وتابعه المسرح اللاتيني ، أي أن المسرح الديني لم يكن

---

(٥) محمد جواد مغنية : المجالس الحسينية ، ص ١٠٣ ــ ١١٦ ، بيروت (؟) ٠

(✽) راجع دراستنا المسهبة عن خيال الظل وممثله الفذ محمد بن دانيال : « أول مؤلف مسرحي في الادب العربي » مجلة « دراسات عربية » السنة ٢ ، العدد ١١ (بيروت ــ أيلول ١٩٦٦) ص ٣٧ ــ ٥٨ ٠

(٦) عمر الدسوقي : المسرحية ٠٠٠ ، ص ١٢ ٠

(٧) محمد كامل حسين : في الادب المسرحي ، في العصور القديمة والوسطى ، ص ١٧٨ ، دار الثقافة بيروت ٠ ١٩٦٠ ٠

جاهلا بالتقاليد المسرحية السالفة ، وان كان قد انقطع بها الزمان قرونا • ثم ان الدين المسيحي تتخلله طقوس كنسية هي تمثيلية في شكلها • زد على ان الحس الدرامي متوتر في مجريات الدين المسيحي • » ولعل المسيحية تفوق غيرها من الديانات في أنها تعنى أكثر منها بابراز دراسة العالم والضمير البشري هذه ، وذلك ان تاريخ البشرية ليس في نظرنا الا ماساة تنتهي بالصليب والامه » (٨) •

رأى رئيف خورى

تمضي بنا الصفحات ومع ذلك نعود الى الصوفي البغدادي اياه ، ليس لهوسنا بهذه « الحدوتة » انما لاننا لاحظنا أن الباحثين يخرجونه من جعبتهم كمثال ، اول ما يخرجون ، في وجه الذين ينكرون على الادب العربي ، من وجهة نظر علمية بحتة ، هويته المسرحية قديما زمن الرشيد والمامون والمتوكل• ولقد عالج الفقيد الغالي رئيف خوري موضوع هذا الواعظ فخلص الى القول « وليس ثمة ريب في ان ذلك الصوفي البغدادي كان شيئا من ممثل ، يتخذ تلك التلة مسرحا في يومين من أيام الجمعة ، ويجعل ركوبه القصبة نوعا من اعلان • وليس ثمة ريب في أن عمله كان شيئا من تمثيل،ومن رواية تمثيلية يشترك فيها أشخاص كثر ، ولكنه هو الذي يحتكر الكلام فلا يتكلم ممثل سواه ، الا الجمهور وذلك عند الختام » (٩) •

نرغب في ان نشير أولا الى أن هذا الزاهد الذي كان يمتطي قصبة عند ذهابه الى « مرسحه » في ضواحي بغداد ، قد استعان بهذه الوسيلة التمثيلية المنحى لاعلان ارائه الدينية ، غير أن ما نطق به لا يختلف في شيء عن أحاديث القصاصين ومنشدي السير في الاسلام أو الوعاظ عامة • وفي المسرحية نعول دائما على النص ، لانه العماد الاساسي والركيزة الاولى ، أما التمثيل أو ما قد يشابهه فليس بالحكم ، لان بوادر التمثيل كثيرة في حياتنا اليومية ، ولربما كان أحسن مسرح هو الحياة الانسانية نفسها •

والفكرة الثانية نسوقها تعليقا على المرحوم رئيف خوري في قوله ان عمل الرجل الصوفي « كان شيئا من تمثيل ومن رواية تمثيلية يشترك فيها اشخاص كثر ، ولكنه هو الذي يحتكر الكلام فلا يتكلم ممثل سواه ، الا الجمهور وذلك عند الختام » • فلا ندري هل جمهور القوم هو جمهور مشاهدين او انه يشارك في « المسرحية الصوفية » شان التجمعات التي تبدو على خشبة المسرح في بعض الاعمال المسرحية ؟ ثم اذا كان الصوفي يحتكر الكلام دون غيره فهذا أمر يرد في سياق المسرحية احيانا ، غير انه في المسرحية جزء من كل ، وهذا الجزء يشتمل على « مونولوج » داخلي تتدفق فيه المشاعر الدفينة وتتعرى النفس من خداعها • فأين الدرويش الصوفي من هذ كله ؟

وأخيرا فمن رأى رئيف خوري « أن ذلك الصوفي البغدادي كان شيئا من ممثل » ، كما لا يرتاب أيضا في « أن عمله كان شيئا من تمثيل » • بيد أن أرباع الحقائق وأنصافها قد تكون أحيانا طاعنة في الحقائق اكثر مما تكون داعمة لها • ويبدو رأى رئيف خوري وجيها وله ما يسوغه في ما لو أن هذه الظاهرة استمرت وتكاثرت وتعممت ، بحيث نقول عندها ان حكاية هذا الصوفي غرسة او جنين نما بعد ذلك وكبر ونضج• ولكن ما الحيلة والفسحة الزمنية التي تفصل بين هذا الصوفي العباسي و محمد بن دانيال ، أبرز ممثل لفن « خيال الظل » المسرحي ، تمتد الى أبعد من خمسة قرون ؟ ثم لا ريب أن الثاني لم يقبس من الاول شيئا ، بل ربما لم يسمع به قط !

اضمحلت « المظاهر » لغياب الحرية

- اما لماذا لم يحدث التطور فتتكاثر ظاهرة الرجل

---

(٨) جان فرابييه و أ • م • جوسار Frappier Gossart
المسرح الديني في العصور الوسطى ، ص ٧ و ٨ ، ترجمة محمد القصاص ومراجعة محمد مندور ، مكتبة النهضة المصرية (؟) •

(٩) التعريف في الادب العربي ، ج ٢ ص ١٨٨ ، لجنة التاليف المدرسي بيروت ١٩٥٧ •

الصوفي وتاخذ بالنمو ، علما بان المسرح انطلق عند ظهوره من قواعد دينية وترعرع عند اعتاب المعبد ، فمرد هذا الى ان المحكمة التي عقدها الصوفي الطيب كانت اشبه اتهام لجور بعض المتربعين على كراسي السلطة من الحكام ، فكيف يسمح الخليفة « المهدي » لظاهرة كهذه ان تدوم وتستمر ؟ انها حرية الخلق والتعبير يسعى الحاكمون على الدوام لشلها قبل ان تشلهم وتقوض معابد عتوهم .

ان «الاقطاعية» الشرقية التي من سماتها الحكم الفردي المطلق والطغيان ، ليست ارضا صالحة لنماء المسرح القائم على نقد السلطات وكشف اضاليلها . انه المحكمة التي تاباها السلطة الجائرة التي لم تتدرج في سلم التطور الاجتماعي والتاريخي الى مرتبة الديمقراطية الاثينية مثلا . ان الادب لمحتاج الى الحرية كحاجة السمك الى الماء ، والا غدا لهوا واسمارا وتملقا واستجداء واذا طالعنا سير الخلفاء العباسيين الاوائل ، وهم السفاح والمنصور والمهدي ، لوجدنا انهم كانوا يرغبون في المسامرة وسماع مفاخرات العرب وغرائب الاخبار (١٠) .

وينبغي ان نلتفت الى عبارة وردت لدى ابن عبد ربه، عند ذكره لرواية الصوفي المتقمة الذكر، وهي ان هـذا الرجل « كان عاقلا عالمـا ورعـا ، فتحمق ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنـكر » (١١) . معنى ذلـك ان الصـوفي كـان يتظاهر بالحماقة كحيلة ليعقد محكمته ، فهو عاقل مجنون ! ولا ادل على هذا من ان صاحب « العقد الفريد » قد اورد هذه الرواية ضمن « اخبـار الممرورين والمجانين » ! اذ اي عاقل في العصـر العباسي كان بمكنته ان يعقد محكمة كهذه ؟ ويبدو من مجريـات الروايـة على نحـو جلي ان هـذا « المتحامق » كان شيعي الهوى معارضا للسلطة القائمة .

ولهذا ولان الحرية غائبة موءودة فان فنا آخر هو الخطابة كاد يندثر مع العباسيين ، لان حرية الراى والسيف لا ياتلفان ! ان المسرح له جمهوره، والجمهور كلمة وحقيقة تخشاهما السلطة المستبدة وتراقبهما . ان المساجد نفسها كانت موضع قلق السلطة العباسية ايام صلاة الجمعة ، لان المسجد كان يشغل عهد ذاك مهمة سياسية جليلة ، شبهها بعضهم بما للبرلمان اليوم في الحياة المعاصرة من شان . ولهذا كان هناك قيد فقهي فحواه ان صلاة الجمعة تحتاج الى اذن عام تفتح بموجبه المساجد ابوابها !

■■

بيروت ـ احمد علبي

---

(١٠) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ص ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٧٨ ـ ١٨٠ ، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٣ .

(١١) العقد الفريد ، ج ٦ ص ١٥٢ !

الأيام تكشف الحقيقة

● هي : ما اسم هذين العروسين اللذين سكنا بجوارنا ؟

هو : يجب ان ننتظر اسبوعين . فانه الى الان لا يناديها الا «ياحبيبتي»

وهي لا تناديه الا « ياحبيبي » .

تذكار الصداقة

● هو : لقد كان زوجك المرحوم من اعز اصدقائي فارجو ان تعطيني شيئا من تركته احفظه كتذكار صداقة عندي .

هي (بحزن لا يوصف) رحمه الله انه لم يترك شيئا غيري .

في قاعه غاصه بجمهور غفير وتحت فيض من الاضواء وقفت الممثلة العالمية فانيسا رد جريف لتلقي كلمه بمناسبة زيارتها الى الكويت لحضور حفل الافتتاح العربى الاول لفيلمها « الفلسطيني » . في هذه المناسبات تلتهب الاكف بالتصفيق ويرتفع مد الحماسة عاليا .



● صورة ممثلة



مع الفلسطينيين « أنا واحدة منهم »

فانيسا ردجريف
الفنان والقضية

بقلم : الفاروق عبد العزيز



◀ فانيسا في فيلمها « تكبير الصورة » التي لعبت فيه دورا شبه صامت .

وربما كان يحلو للمتأمل القابع خارج دائرة الاضواء الكاشفة ان يسلي نفسه بمحاولة الاجابة على تساؤلات من نوع من تكون ؟ وكيف جاءت الينا ؟ ولماذا ؟ ولكنني على يقين من ان الانفعال لم يترك له سبيلا لالتقاط الانفاس . لماذا ايضا ؟ لان فانيسا اكدت في كلمتها على ما اسمته « حقيقتين » هامتين لا سبيل الى تجاهلها :

اولاها : هي شعور قسم من الرأي العام البريطاني بالندم تجاه ممارسات حكومات الاستعمار السابقة والتي سببت الكوارث لغيرهم من الشعوب . « لهذا ارجو ان تتقبلوا من هؤلاء البريطانيين عملهم وقد جاءوا الى بلادكم يبحثون عن الحقيقة ، وتقبلوا منهم كل مشاعر الوفاء بالجميل لما علمتهم اياه حضارتكم . وأخيرا تقبلوا منهم محاولتهم الرمزية البالغة التواضع للتكفير عن الجريمة الكبرى التي ارتكبتها بريطانيا الاستعمار في فلسطين .. » .

وثانية هاتين الحقيقتين هي .. « ان النضال الفلسطيني والعربي بشكل عام هو الذي فرض عليّ وعلى امثالي احترام ثورتكم وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة . لولا هذا لما اكتشفنا مبلغ الظلم الذي وقع عليكم . لقد أرضعنا اعلاما غربيا معاديا لكم ناكرا لحقوقكم . وهكذا تحول الامر شيئا فشيئا الى اكتشاف ابعاد مسؤوليتنا الاعلامية تجاه قضيتكم التي صارت قضيتنا .. »

النجم والنجم الحقيقي

من اضواء الاستوديو الى لهب القنابل . من هالة النجومية الى غبار المعارك . من اكاليل الزهر الى اكاليل الشوك .. او رحلة البحث عن الحقيقة في خنادق المقاومة او في مخيات اللاجئين ... هذا بالاضافة الى بضعة عناوين اخرى على نفس النسق يمكن « تطعيم » هذا المقال بها . فالامر هنا يغري بذلك وحالتنا هذه تثير التأمل .

حينا التقيتها لاول مرة عن بعد في احد اروقة الشعب في بغداد بعد عرض فيلمها « الفلسطيني » قلت هذه هي جان دارك زماننا . في المرة الثانية قلت ان لديها شيئا اشبه بالايمان الصوفي « بالحقيقة » . في الثالثة كنت قد ادركت الشيء الكثير عن تفكيرها والتزامها العمل . وحينئذ بدأت الحقائق المتعلقة بها تأخذ حجمها الطبيعي . لهذا عندما التقيتها في الكويت للمرة الرابعة كان من الضروري ان تغيب العبارات الضخمة الشعرية الغارقة في العمومية ويحل محلها حديث عن الفيلم التالي بعد « الفلسطيني » .

ولكن لماذا كانت العبارات « الضخمة » الاولى ؟ الاننا ظلمنا كثيرا في الاعلام الغربي فاستقبلنا قدوم نجم كبير الى بلادنا والى قضيتنا استقبالا يماثل في حجمه شعورنا بالظلم ؟ ربما . وربما تعددت الاسباب ولكن تبقى حقيقة تأثير « النجم » على الجمهور .

فمنذ ما يربو على ربع قرن ونظام النجوم في السينما يفعل فعله . نجوم حقيقية تصعد ولا تسقط ابدا ، ونجوم يصنعها خبراء الدعاية . ونجوم تكافح لكي تحتفظ بالقمة وعشرات المئات من القصص والاساطير والحكايات حول النجوم والسدم والمجرات التي تسبح في افلاكها . وهنا تحول النجم الى كيان خارج عن ذاته تمتد الى الاطار الخارجي على شاشة السينما او التلفزيون او الوسائط الاعلامية الاخرى . وهنا يتجاوز النجم حقيقته . وقد اكدت الدراسات الاجتماعية والنفسانية في عديد من بلدان العالم على تأثير النجم ـ الاطار الخارجي على اجيال كاملة .

قالت فانيسا تعليقا على هذا التصور« ان النجومية هي مجموعة من المثل الزائفة التي خلقها ارباب الدعاية . انها شيء لامعنى له يمسخ (النجم) ويحيله الى سلعة في ايدي اصحاب رؤوس الاموال الذين لايعنيهم سوى استثماره تجاريا . وقد اسهم ذلك في غالبية الاحيان في خلق زائف ايضا ووهمي تدور حوله موضوعات الافلام » .

عندما قررت فانيسا ان تنتج « الفلسطيني » قررت في الوقت ذاته بالطبع اختيار « الشكل » الذي سيخرج الفيلم من خلاله .

« اخترت الشكل الوثائقي لاسباب عديدة اهمها ان هذا الشكل يقدم الحقيقة ولاشيء غير الحقيقة . انه لايعيد تمثيل حقيقة ولكنه يقدمها كما هي . وعلي القيام بترتيب ما رأيته من الحقيقة بشكل يخدم اهدافي . على استثمار عيني الانتقائية . ومن اسباب اختياري له ايضا هو انني اردت ان افاجيء وعي المشاهد الغربي ، لا من خلال قصة لها بداية ووسط ونهاية مسلية او محزنة او مفرحة ، ولكن من خلال نقل الوثيقة الحية الى الشاشة . واخترت ان اكون مقدمة لهذه الوثيقة استثمارا لنظام النجوم ذاته وهو الامر الذي دفع آلاف المشاهدين حينما عرض الفيلم الى مشاهدته .

« لقد عشت مع النجوم الحقيقيين الذين يصنعون الاحداث ولا يزيفون الواقع . وهؤلاء هم ابطال افلامي الوثائقية . هل تعلم لماذا بلغ زمن الفيلم ١٥٧ دقيقة ؟ لانني اردت ان اعطي لهؤلاء النجوم حق الكلام الذي انكرناه عليهم طويلا . ان ثمة آلاف الالاف من الكلمات التي لم تنطق بعد على الشاشة وآلاف من الصور التي لم تظهر بعد على الشاشة . وكان يتملكني شعور بان يطول زمن الفيلم ما شاء له ان يطول وعلى العالم ان يسمع وان يرى » .

هناك مثلث يمكن تصوره في علاقة النجم بالجمهور بالحقيقة . فالفيلم الوثائقي يتولى مهمة « تعبئة » و « تحريض » المشاهد وشحنه باتجاه رؤية ما لقضية من القضايا . وهو سلاح خطير افعل في الواقع من الفيلم الروائي القائم في الاساس على اعادة تمثيل وتركيب الواقع باستخدام القدرات الخيالية الخلاقة .

« لكل منهما مجال تأثيره وفاعليته . لم يحن الاوان بعد لكي انتقل الى الفيلم الروائي . نحن بلا شك في حاجة ماسة الى افلام روائية عن القضية العربية . ولكن ذلك لابد وان يتم من داخل اطار نظام النجوم . ونعمل من خلاله بالضرورة . غير ان لدينا الفرصة الآن لانتاج فيلم جديد عن الصهيونية ، يعرض بها ويفضح اساليبها النازية الفاشية . ومثل هذه الافلام كالمعارك تحتاج الى توقيت ناجح . واعتقد ان وقت هذا الفيلم قد حان » .

نقاط الارتكاز

تقوم شخصية فانيسا رد جريف على تصور مثالي للعالم مع ادراك كامل للضرورات العملية لبلوغ هذا التصور . ربما كان هذا بسبب ظروف نشأتها في بيت مسرحي يؤمه في عطلات نهاية الاسبوع عمالقة المسرح البريطاني ، من امثال السير لورانس اوليفييه وجون جيلجود واليك جينيس وغيرهم . وقد حرص والدها السير مايكل رد جريف ووالدتها الليدي رد جريف (وهما ممثلان عتيدان) على خلق جو يسمح بتنمية هذه التصورات المثالية . كان والدها نفسه منتميا الى حركة اشتراكية مثالية في الثلاثينات . أما هي (وقد ولدت عام ١٩٣٧) فقد التحقت بمدارس الباليه والموسيقى والدراما التي تضمن تنشئة « هادئة » لفتاة لم تعرف القلق .

يقول عنها معجم اكسفورد السينمائي « انها كانت ممثلة مسرحية ناجحة قبيل ظهورها في السينما في اول افلامها « مورجان : حالة مناسبة للعلاج » (١٩٦٦) الذي رشحت عنه للاوسكار . وتضيف ناقدة المعجم « ان ادوارها السينمائية لم تمنحها في كل الاوقات المجال الكافي لممارسة موهبتها الحرفة التي اظهرتها على المسرح ، ولكن هذه آراء يمكن الاختلاف معها على اية حال .

« لقد نشأت في محيط فني صرف . ابي وامي واخوتي كانوا يعملون جميعا بالمسرح . ولكن وعيي بدأ يتفتح شيئا فشيئا على ما هو خارج عن عالم المسرح منذ عام ١٩٤٣ فصاعدا

كانت الغارات النازية فوق لندن تشدني الى آفاق اوسع من مداركي الصغيرة . وفي وقت مبكر بدأت ادرك قانون الصراع .

بيد ان هناك حادثا كان له تأثير هام على تكوين شخصيتي وكان ذلك حين تعلمت القراءة والكتابة وامسكت بالصحيفة لاول مرة في حياتي . فاذا بي اقرأ عن اطفال يموتون من الجوع في الهند درة التاج البريطاني السابقة . انتابني شعور بالغضب والاحباط ، انا التي لم اذق طعم الجوع ولا الحرمان قط .

في عام ١٩٥٦ لست ادري ما الذي دفعني الى الانضمام الى المظاهرات الغاضبة على حكومة ايدن بسبب العدوان الثلاثي على مصر . كنت في التاسعة عشرة من عمري وقتئذ ، ولم تكن قراءاتي السياسية قد بلغت مرحلة النضج بعد . ولكنني وجدت ذلك ضروريا .

في مطلع الستينات كان عملي المسرحي قد بدأ يلمع (بدأت بالتحديد في أوائل عام ١٩٥٨) وبدأت اكتشف الخط الموازي لعملي الفني . وتمثل ذلك في الاهتمامات العامه . شاركت وقتئذ في حملة « امنعوا القنبلة » التي قادها الفيلسوف برتراند راسل . كنا نتظاهر ونخطب ولم اكن قد اكتشفت اهمية العمل التنظيمي بعد .

في عام ١٩٦٣ التحقت بحزب العمال ولكنني اكتشفت بعد عدة اشهر انه لا يتفق مع مثالياتي ولا مبادئ فترکته .

ومع عام ١٩٦٤ شاركت في تنظيم اكبر حملة في بريطانيا ضد التورط الامريكي في فيتنام « الحملة من اجل الهند الصينية » . وكان ذلك الوقت مبكرا للكثيرين حتى داخل الولايات نفسها .

في خلال هذا كله كنت احاول اكتشاف ذاتي وتحديد معالم شخصيتي . كنت احاول الالتصاق قدر الامكان بالامكانيات العملية لتحقيق مثلي .

« في يونية من عام ١٩٦٧ كنت اعمل في « احد الافلام » في جنوب فرنسا وهناك تلقيت مكالمة من هوليود توصيني بالانضمام الى فنانين آخرين في توقيع بيان يساند اسرائيل ضد العرب . رفضت لان هذا كان يتعارض مع مثلي » .

في السبعينات تلاشت كلمة المثل من قاموس فانيسا وحلت محلها مصطلحات عملية عن كيفية تحقيق هذه المثل . انضمت فانيسا الى حزب العمال الثوري لتنظيم حياتها السياسية ، ومن خلاله اكتشفت حقيقة القضية الفلسطينية .

بيد ان الخطين المتوازيين لم يقدر لها ان يبعدا كثيرا عن بعضهما . خط الفن ـ وخط القضية . لقد عملت فانيسا مع مخرجين كبار في افلام كبيرة « كتكبير الصورة » (١٩٦٧) مع انطونيوني و « هجوم اللواء الخفيف » (١٩٦٨) مع توني ريتشاردسون و « ايزادورا » (١٩٦٨) مع كاريل رايس والاخيران من رواد « السينما الحرة » في بريطانيا في الخمسينات ، بينما يعتبر انطونيوني فنانا عملاقا منفردا . كما عملت مع كيف راسل في « الشياطين » (١٩٧١) في دور راهبه .

« خلال احدى فترات الاستراحة اثناء تصوير هذا الفيلم خرجت انا وزميلاتي بزي الراهبات لنجتمع في خيمة لنصدر بيانا ضد الشياطين الذين ارادوا التلاعب بحقوقنا النقابية » .

في السبعينات شاركت فانيسا في افلام اخرى اهمها « جوليا » (١٩٧٧) الذي فازت عنه بجائزة الاوسكار في العام الماضي و « يانكس » (١٩٧٨) الذي يروي قصة على هامش دخول الحلفاء الى بريطانيا اثناء الحرب العالمية الثانية و « اجاثا » (١٩٨٩) الذي يتعرض لفترة من حياة الكاتبة البوليسية الشهيرة اجاثا كريستي . والفيلمان الاول والثاني من اخراج فريد زنيمان وجون شليزنجر وكلاهما من اساتذة هذا الفن والثالث من اخراج مايل ابتد .

المهنة والقضية

« شيء رائع ان تتاح لك فرصة التعبير عما تعتقد من خلال عملك . لقد اقتربت من هذا الشعور الى ابعد حد في « جوليا » . فهي امرأة اجتازت طريقا صعبا واكتشفت في لحظة ان الحياة لاتساوى شيئا دون عمل

من اجل المجموع . لقد فوجئت باختياري لاداء هذا الدور من قبل ليليان هيلمان مؤلفة القصة ذاتها . كان ذلك حين كتبت العب مسرحية « السيدة الآتية من البحر » لهنريك ابسن في برودواي . لقد احسست ان جوليا امرأة مختلفة ولكنها شديدة القرب مني . ولدينا نقاط اتفاق كثيرة . انني افهمها جيدا . انها امرأة سياسية ولهذا تفاعلت مع الدور .

هذا بالاضافة الى ميزة اخرى . فوجود جين فوندا - وهي امرأة تعلن ما تعتقد وتفعل ما تؤمن به - في دور ليليان نفسها قد خلق بيننا علاقة عميقة من الاخذ والعطاء جعلت اداءنا سهلا ممتعا كما يقولون .

« ان هناك سطورا في قصة ليليان تتطلب معاناة كاملة لكشف غوامضها الادائية . لقد ساعدني كثيرا ما تعلمته واكتسبته على المسرح بوجه خاص . كيف يمكن ان تتطابق الملامح الخارجية - مع السلاسة والوضوح والتركيز - مع الملامح الداخلية للشخصية - هذه مسألة مهنية .

« تعلمت الكثير من ستانسلافسكي الذي اومن بمدرسته في الاندماج و « التقمص الوجداني » . لقد ترك كتاباه « تدريب الممثل » و « حياتي في الفن » اثارا هائلة على ممارستي المهنية .

« ان المسرح عمل جماعي . انه علاقة مباشرة مع الناس . وهو فن تشكيلي في المقام الأول . في السينما يخلق تفاعل الانسان مع التكنولوجيا شيئا مختلفا » .

حدثتني فانيسا عن ظلال الحقيقة التي اكتشفتها من قبل في عمل من اعمالها : « ايزادورا » الذي يروي قصة حياة الراقصة ايزادورا دنكان ، التي قادت ثورة في منحنى هذا القرن في الرقص الحديث .

« نعم تعلمت منها بل لقد تركت هذه الشخصية اثرا كبيرا علي . لقد جمعت الاطفال وفتحت مدرسة لتعليم الرقص الذي يقوم على مبادىء التماثل مع الحركة الطبيعية . كما درست الفلسفة والتاريخ الطبيعي وصبت هذا كله في ادائها . كما تعرفت الى فنان المسرح الكبير جوردون كريج وزارت موسكو بعد الثورة ورقصت رقصات ثورية هناك . في هذا وفي « تكبير الصورة » ظلال كثيرة من الحقيقة » .

فانيسا تعتقد انها بدأت وحسب . فالماضي لم يكن سوى عتبة على طريق لم تبد نهايته الان بعد . تؤمن ان تحقيق التلازم الممكن بين الفن والقضية هو بمثابة الخلاص الوحيد بالنسبة لها . ومن الواضح ان فانيسا الفلسطينية العربية قد وجدت بالفعل امكانية تحقيق هذا التلازم غير الممكن بالنسبة للكثيرين .

« هل تعلم ان هناك فنانين عالميين عديدين من زملائي يهمسون في احاديثهم الخاصة معي حول تأييدهم لقضية او لقضايا من التي اومن بعدالتها ، ولكنهم يخشون الجهر بذلك خوفا من بطش الصهيونية . يعجبني كثيرا مارلون براندو كممثل وكرجل يجهر بما يريد . جين فوندا كذلك خاصة بعد عام ١٩٦٩ (العام الذي قامت فيه فوندا ببطولة « انهم يقتلون الجياد .. اليس كذلك ؟ » عن الازمة الاقتصادية في الثلاثينات) .

ولسوف يتزايد هؤلاء ، وعلينا القيام بجهد مكثف لتشجيعهم وضمهم الى صفوفنا » .

وعادت فانيسا تتحدث عن الامل وحضرتني مقولتها في العام الماضي : كل متشائم جبان . ■■

الفاروق عبد العزيز

● هناك ثلاث طرق لانجاز عمل ما : أن تقوم به بنفسك ، أن تستخدم أحدا للقيام به ، أن تمنع أطفالك من عمله .

مونتاكرين في مجلة صن شاين

● الذكرى هي الشيء الذى لا يمكن أن ينسى ويظل عالقا في الذهن .

جين بول ريكتار



في السنة الدولية للطفل :

مـــاذا قال ابن عرضــون في تربيـة الصبيان ؟

بقلم : مصطفى المهماه

هذه مخطوطة محفوظة بالخزانة المغربية الملكية بعنوان « مقنع المحتاج في آداب الزواج » ، للعلامة المغربي أحمد بن عرضون الجزلي ، عمرها حوالي أربعة قرون ، لكنها تتحدث في موضوع يعنينا كثيرا خصوصا هذا العام ، في السنة الدولية للطفل .

يشتمل مخطوط « مقنع المحتاج في آداب الزواج » على مقدمة ، وقسمين ، ويشتمل كل قسم على أربعة أبواب ، وخاتمة خاصة بالطفل ، قسمها المؤلف إلى فصلين .

وقبل أن نقدم أفكار ابن عرضون التربوية ، وكذلك الاشارة إلى بعض الآراء التربوية لعلماء عاصروه او عاشوا قبله التي استشهد بها متوخيا منها التدعيم ، فلا بأس أن نعطي نبذة موجزة عن حياته وعصره .

حياته : هو احمد بن الحسن بن عرضون الزجلي الشاوي ، عالم مشارك ، وفقيه موثق ومؤلف منطلق العبارة واسع الافق ، واشتغل بالقضاء ، والتدريس سنوات في شفشاون ، وكثر الآخذون عنه ، توفي سنة ٩٩٢ هـ الموافق ١٥٨٤ .

عصره : اتسم عصره بكثير من الأحداث التاريخية منها انهيار المجتمع الاسلامي بالاندلس وطرد الاسبان للعرب في سنة ١٦٠٩ م . وظهور الاستعمار البرتغالي بل وتكالب الاستعمار العالمي للسيطرة على المغرب .

وكثرة الفتن والاضطرابات الداخلية ، والتطاحن على الحكم ، وفقدان الثقة والاطمئنان داخل المجتمع ، فهذه العوامل كما هو معروف أثرت تأثيرا بليغا وسريعا في البنيان الاجتماعي المغربي بظهور عدة ظواهر اجتماعية ، كان لها أثر كبير على أفراد المجتمع . وخاصة الطفل . في هذه الظروف دعا هذا العالم الى تربية الطفل تربية شمولية .



الفصل الاول : (تدريب الآباء للصبيان أو من يقوم مقام الآباء) .

ويستهل هذا الفصل بقول الامام أبي بكر بن العربي رحمه الله في (مراقي الزلف) .

ان الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصور ، وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به اليه ، فان علم الخير وعود نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه كل معلم ومؤدب له ، وان عود الشر وأهمل إهمال البهائم ، شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم به ، والوالي عليه ، وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا) .

ومهما كان الاب أن يصونه من النار الدنيا ، فأن يصونه من نار الآخرة ، وصيانته بأن يؤدبه ، ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة ، وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر وهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول نشأة ، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة ، تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فاذا وقع عليه نشأ الصبي وانتجت طينة من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث .

التغذية : ومما ينبغي مراعاته الآباء للصبيان أو اولياؤهم الاعتناء بصلاح أقواتهم ، بحيث لا ينالون شيئا فيه اداؤهم وينالون ما فيه صلاحهم ودواؤهم .

آداب المائدة : أول ما يغلب عليه من الصفات شدة الطعام ، فينبغي أن يؤدب فيه مثل ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه ، ويقول « باسم الله » ويأكل مما يليه ، ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره ، ولا يحدق إلى الطعام وإلى من يأكل ، ولا يسرع في الأكل ، ويمضغ الطعام مضغا جيدا ، ولا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ ثوبه ، ولا يديه ، ويعود الخبز القفار في بعض الأوقات ، بحيث لا يدي الادام ، حتما ، ويقبح عنه كثرة الأكل ، بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم وان يذم بين يديه الصبي بكثرة الأكل ، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل ، ويحبب إليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به ، والقناعة بالطعام الخشين .

لبس الثياب : يحبب للصبيان الثياب البيض دون الملون ، والابريسم ، ويقدر عنده ، أن ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ، ويكرر عليهم ذلك . ومهما رؤى على صبي ثوب من ابريسم أو ملون فينبغي أن يستنكر ويذم ذلك ، ويحفظ الصبي عن

الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه يرغبه .

ويقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ، ويحذرهم منهما أكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفات السموم على الصبيان ، بل على الأكابر ايضا .

المشي والحركة : ينبغي أن يمنع على الصبي النوم نهارا ، فانه يورث الكسل ، ولا يمنع النوم ليلا ، ولا تكن الفرش الموطأة ، حتى تتصلب أعضاؤه ولا يتحف بدنه ، فلا يصبر على التنعم ، بل يعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم .

ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة ، حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع ، ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره .

تعليم القراءة والكتابة : ان يشتغل في المكتب بتعليم القرآن ، وبأحاديث الأخيار ، وحكايات الأبرار ، ليغرس حب الصالحين في قلبه ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ، ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذور الفساد .

وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان .

وينبغي أن يؤذن له بعض الفراغ من المكتب ـ الكتاب القرآني ـ أن يلعب لعبا جميلا يستفرغ اليه تعب الكتاب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميت القلب ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا .

وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي ، وأن ينظر اليهم بعيني الجلالة والتعظيم .

آداب عامة : مهما بدا في الصبي من مخائل التمييز ينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور الحياء ، فإذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض فليس ذلك إلا من إشراق نور العقل عليه ، حتى رأى بعض الأفعال قبيحا ، ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء ، وهذه هدية من الله تعالى إليه ، تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه .

وينبغي إذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، أن يكرم عليه ويجازى ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة ، فينبغي أن يتغافل عنه ولا ستره ، ولا يكاشف ، ولا يظهر أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله لا سيما اذا سترت الصبي ، واجتهد في اختفائه ، فان إظهار ذلك ربما يفيد خسارة ، حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك ، فان عاد ثانيا فينبغي أن يعاقب سرا ، ويعظم أمره فيه ، ويقال له إياك أن يطلع عليه في مثل هذا ، فيفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فان يهون عليه سماع الملامة ، وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، لا يوبخه إلا أحيانا وينبغي للأم أن تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح .

وينبغي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ، ولا يتمخط ، ويتثاوب بحضرة غيره ، ولا يستدبر عليه ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضرب كفا تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده ، فان ذلك دليل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ويمنع من كثرة الكلام ، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه عادة أبناء اللئام ، ويمنع اليمين رأسا صدقا أو كذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع أن يبدأ بترك الكلام ، ويمنع ألا يتكلم إلا جوابا ويقدر السؤال ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ، وممن هو أكبر سنا منه ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان ، ويجلس بين يديه ، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري على شيء من

ذلك ، فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء .

ومهما يبلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يساغ له في ترك الطهارة ، والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض الأيام من شهر رمضان . ويعلم كلّ ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ، ومن الكذب والخيانة والفحش ، وكلّ ما يغلب على الصبيان ، فإذا وقع نشؤه على ذلك ، فالصبي مع قرب البلوغ أمكن له أن يعرف أسرار هذه الامور .

فيذكر الاطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوي الانسان على عبادة الله تعالى ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها ، إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دارهم لا دار مقر ، وأن الموت منتظر كل ساعة ، وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة ، حتى تعظم عند الله درجته ، وتتسع جنان نعمته . فاذا كان النشوء صالحا ، كان هذا الكلام عند البلوغ ما ترا ناجحا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، واذا وقع النشوء بغير ذلك حتى الف الصبي اللعب ، والفحشاء ، والوقاحة ، وشدة الطعام واللباس والتزين والتفاخر نشأ قلبه على عدم قبول الحق .

الفصل الثاني : يتعلق بتعليم الولدان

في هذا الفصل يناقش الصفات التي يجب ان تتوفر في المعلم والطرق التربوية التي ينبغي اتباعها . فيقول : « ينبغي ان يكون المعلم من اهل الدين والعفاف وغير ذلك من محاسن الاوصاف » . ويدعم هذا الرأي بكثير من الآراء نسوق منها :

قال : يوسف بن عمر يجب على المعلم اصلاح حاله ظاهرا وباطنا باتباع السنة ليقتدي به الصبي .

وقال : ابن الحاج « ... وينبغي على المعلم أن لا يضحك مع الصبيان ولا يباسطهم لئلا يفضي ذلك إلى الوقوع في عرضه وعرضهم ، وإلى زوال حرمته عندهم ، إذ أن من شأن المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذين يقتدي بهم فليهتدي بهديهم .

وينبغي أن يكون وقت الألواح معلوما ووقت تصويرها معلوما ووقت عراضتها معلوما ، وكذلك قراءة الأحزاب ، حتى ينضبط الحال ولا يختل النظام ، ومن تخلف عن ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابلة بما يليق به فرب صبي يكفيه عبوسة وجهه عليه ، وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ ، والتهديد وآخر لا ينزجر إلا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله ، وقد جاء أن الصلاة لا يضرب عليها إلا لعشر فما سواها ، فينبغي له أن يأخذ معه بالرفق مهما أمكنه إذ أنه لا يجب ضربه في هذا السن المتقدم فإن كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربا غير مبرح ، فلا يزيد على ثلاثة اسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف ، فان اضطر إلى زيادة على ذلك فله ما بين الثلاثة الى العشرة سوطة ولا بد أن تكون الآلة التي يضرب بها دون الالة الشرعية التي تقام بها الحدود .

وينبغي على المعلم أو يتعين عليه أن لا يترك أحدا من الصبيان يأتي إلى المكتب بغذائه أو بدراهم أو فلوس يشتري شيئا في المكتب فمن هذا تتلف أحوالهم ، وينكسر قلب الصغير الفقير ، فيرجع ولد الفقير منكسر القلب غير راض بنفقة والديه ، كما يرى من نفقة له الانساء في الدنيا ، ويترتب على ذلك مفاسد جملة قل أن تنحصر ، وينبغي له أن لا يدع أحدا من الباعة يقف على المكتب للبيع .

وينبغي أن يكون موضع قضاء الحاجة معلوما ، إما أن يكون وقفا او ملكا أباحه صاحبه ، ويؤمن على الصبي فيه ثم يعودهم إذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته ، فلا يترك غيره يخرج حتى يرجع الأول لما يخشى عليه من اللعب وغيره ، بسبب الاجتماع ، ولا يتركهم يقضون الحاجة مع الجدرات والطرق لما في ذلك من الاذاية للجالس والمار .

ولا باس بانصراف الصبيان يومين في الجمعة ، يعني يوم الخميس والجمعة ، وكذلك ، انصرافهم قبل العيد بيومين أو ثلاثة وكذلك بعده .

طريقة التعلم : فان ما جرت به العادة والعرف أن الصبي إذا دخل المكتب يكتب له (باسم الله الرحمان

الرحيم) » وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما » .

ويأتي المؤلف في هذا الصدد بآراء كثيرة منها

١ ـ رأي العلامة سحنون فيقول : (فينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن والشكل والهجاء والخط الحسن ، وحسن القراءة بالترتيل ، وأحكام الوضوء ، والصلاة ، وفرائضها ، وسننها ، وصلاة الجنائز ...) .

٢ ـ رأي محمد بن عبد الله الهبطي (أن يتحتم على المعلمين تقرير قواعد الايمان والاسلام ، والشهادتين وتقرير معنى ذلك تقريرا كليا حتى ترسخ تلك المعاني في قلوب الولدان) .

٣ ـ رأي ابن الحاج (ينبغي أن يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حروف القرآن ، فانهم يتسلطون بذلك على الحفظ والفهم وهو أكبر الأسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها ، ويشمل المذكور والاناث ، سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل حتى جهل فيه الله ورسوله . وبذلك يسهل عليه باذن الله جميع ذلك فلعله يطالع عقائد السنة ، ويفهم ما يجب عليه من الفروض الضرورية ، ويختص بالأنثى مطالعة ما يختص بها من أحكام الحيض وغير ذلك ، والغالب أنها تقدر ولا تسأل عن ذلك فإذا طالعت بعض ذلك يكون سببا لارشادها بعون الله .

يتبين من هذا العرض الموجز أن آراء العالم أحمد بن عرضون في التربية تمتاز بشمولية التربية والتوجيه من أجل طفولة سعيدة ومجتمع صالح ، كما يتضح أنه لا يقتصر على رأيه بل يدعمه بآراء غيره من العلماء حتى يتمكن القارئ والمربي من الاحاطة التامة بقواعد التربية ان لم نقل التكوين الشامل . ■■

الرباط ـ مصطفى المهماه

(كومة العصي !)

يحكى ان رجلا كان عنده سبعة اولاد .. وكان يدربهم ويعلمهم كل يوم ، حتى اذا اشتد عودهم بدأ يجمعهم في فناء البيت الخلفي ويلقنهم بعض دروس الحياة ، فكان يدعو كل واحد من ابنائه الى اعداد قطعتين من العصي بنفس الطول والسمك . ثم يطلب اليهم بعد ذلك ان يحمل كل واحد عصا في يده ويضع الاخرى في كومة العصي على الارض . فاذا انتهوا من هذه الخطوة طلب الى كل ابن من ابنائه ان يحاول كسر العصا التي يحملها في يده .. ويفعل الابناء ما امرهم به والدهم في سهولة ويسر .. ويظنون ان الدرس قد انتهى !

ولكن الاب لا يلبث ان يعود الى كومة العصي التي تجمعت على الارض .. لقد اصبحت تضم سبعة عصي بعدد ابنائه السبعة ، وهنا يطلب الى كل منهم ان يحمل الكومة كلها ويحاول ان يكسرها بين يديه كما فعل بالعصا الواحدة . وتبدأ المحاولات ، ويفشل الابناء ... ويضحك الاب في سعادة ويسأل : « والآن هل وعيتم الدرس ؟ »

مقالات فى كلمات

■ استخدم كل ما لديك من مواهب ·· ان الغابة كانت تبدو ساكنة هادئة لو أن الطيور كفت عن الغناء لتترك المجال لتلك التى تجيد الغنـاء دون غيرها !

« مجلة سانشاين »

■ كثير من العباقرة كانوا يصعدون سلم المجد فى بطء شديد ·· ولكن هكذا أيضا أشجار البلوط ·· انها لا تصل الى الجمال الذى تتميز به ، والكمال الناقع قبل مرور مئات السنين !

« جورج هنرى لويس »

■ كلما تضاءلت « المعرفة » عند الرجل ، ازداد ولعا بالحديث عن هذا القليل الذى يعرفه !

« قول لمجهول »

■ افضل لنـا بكثير أن نخرس تلك الالسنة التى لا تكف عن الحديث ، طالما انها لا تقدم لنا فى النهاية عملا أو حتى مجرد فكرة جديدة !

« توماس كارليل »

■ اذا كنت تريد أن تحقق النجاح ، فلا تقف أمام الدرج الممتد امامك وتتأمله ·· اسرع وابدأ فى الصعود ، قد تتعثر حينا ، وتسقط أحيانا ، ولكنك فى النهاية سوف تصل ·

« قول لمجهول »

■ ضغط الرأى العام وأثر هذا الرأى فى صنع الاحداث ، أشبه ما يكون بضغط الهواء وأثره على الاحياء ·· انك لا تستطيع أن تراه ولكنه موجود بقوة !

« وليام ورنر »

■ الملاقات العامة ليست دواء للوقاية من مرض ·· وهى ليست مزيلا للرائحـة تنثره حولك عندمـا تحس بزكم أنفـك ·· ولكنها فن من فنون الحياة !

« كينيث هاجنسن »

■ لو أن كل رجل أصيب بدوار البحر ، وارتعدت فرائصه وهو يرى المركب يهتز أمام الاعاصير ، فقرر أن يعود بها من حيث جاء ··· لبقى الهنود الحمر يمتلكون أمريكا حتى اليوم !

« ادوين ستيوارت »

الليزر

ثورة فى عالم الضوء

بقلم : الدكتور عبد اللطيف ابو السعود

يعتبر الليزر اهم كنز اكتشف في عالم العلوم التطبيقية . وهو جهاز صغير ، ذو امكانيات جبارة ، الامر الذي دعا جميع شركات الالكترونيات ، والبصريات ، وابحاث الفضاء ، الى الاشتراك في السباق الذي يهدف الى تطوير هذا الجهاز ، والافادة من امكانياته غير المحدودة .

ويمكن مقارنة اكتشاف هذا الجهاز الجديد باكتشاف صمام الراديو ، وما ادى اليه من تطوير لاجهزة الراديو ، والرادار ، والتليفزيون ، والترانزستور .

وبمساعدة بالليزر ، لم يعد الضوء وسيلة يمكن ان نرى بها ، بل اصبح الضوء اداة قوية تمكنها حمل الرسائل لمسافات جبارة ، والقيام بالجراحات الدقيقة . كما اصبح الردار ادق عشرة آلاف مرة مما كان عليه . وامكن لحام الاسلاك المتناهية في الدقة . واذا جمعت اشعة الليزر في بؤرة قريبة اصبح لاشعة ضوء الليزر المجمعة خاصية مذهلة ، الا وهي تحويل اي معدن من المعادن المعروفة الى بخار . والاسم « ليزر » مأخوذ من الحروف الاولى لعبارة Light Amplification by Stimulated Emmission of Radiation .

أي تقوية الضوء بواسطة اطلاق الاشعة بالاشارة . اي انه يحمل مفهوما جديدا لما يمكن ان يقوم به الضوء من اعمال .

عن الضوء والليزر

ان اشعة الضوء ، وموجات الراديو والتليفزيون ، واشعة اكس أنواع من طاقة الاشعاع الكهربي ، التي تنتقل على هيئة موجات ، تختلف في اطوالها وتردداتها . واذا تراوح طول الموجات بين ٠ر٠٠٤ مم (وهو طول موجة الاشعة البنفسجية) و ٠ر٠٠٠٨ مم (وهو طول موجة الاشعة الحمراء) فانه يمكن رؤيتها على شكل ضوء .

واطول الموجات هي موجات الراديو ، فهي تصل الى ١٠ أميال طولا ، اما تردداتها فهي اصغر الترددات . ويليها موجات التليفزيون ، وموجات الرادار ، ثم الاشعاع الحراري (او الاشعة تحت الحمراء) . وفي الجانب الاخر من الطيف توجد الاشعة فوق البنفسجية ، واشعة اكس ، واشعة جاما . وتتميز هذه الانواع بموجات اقصر ، وترددات اعلى .

والضوء العادي منتشر . فهو يتفرق من الشمس ، او من المصباح الكهربي في جميع الاتجاهات بطريقة غير

منتظمة . وتأتي الينا موجات الضوء العادي بجميع الاطوال ، والالوان ، وفي جميع الاتجاهات . وهي بذلك تقوي او تضعف بعضها البعض بطريقة غير منتظمة ، ولذلك فان مثل هذا الضوء لا يمكن أن يعطي قوة كبيرة عند اي تردد معين ، مهما بلغ تركيزه ، او جمعه في بؤرة .

وهذا بعكس ضوء الليزر الذي يمكن تنظيمه ، بحيث تتشابه جميع موجاته ، وتسير بخطوة واحدة قمة بجوار قمة وقاعاً بجوار قاع ، على هيئة حزمة منتظمة انتظاما فريدا .

رحلة الكشف العظيم

ولم يأت هذا الكشف العظيم وليد الصدفة ، كما هو الحال في كثير من الاكتشافات العلمية . فكل ما يتعلق بهذا الكشف يمثل نصرا في القدرة على التحكم .

ذلك انه في عام ١٩٥٨ ، تمكن الدكتور تشارلز تونز (وكان يعمل في جامعة كولومبيا) بالاشتراك مع الدكتور آرثر شولو (من معامل بل) ، من وضع القواعد الاولية لجهاز الليزر ، وذلك اعتمادا على الاستنتاج المنطقي ، والاستخدام العبقري للمبادىء الفيزيائية التي كانت معروفة منذ ٣٠ عاما مضت .

وكانت نقطة البداية هي الحقيقة القائلة بان الضوء ينتج من نشاط الالكترونات ، تلك الجسيمات الدقيقة السالبة الشحنة ، التي تطوف كالكواكب حول نواة الذرة في مدارات محددة ، كما هو الحال في الكواكب التي تطوف حول الشمس .

وتوجد في كل ذرة مجموعة ثابتة من المدارات ، ولكن يمكن للالكترونات ان تقفز من مدار الى آخر حسب ما تكسبه او تفقده من الطاقة . فاذا اكتسبت الالكترونات طاقة من مصدر خارجي ، كتيار كهربي مثلا ، فانها تقفز مؤقتا الى مدارات اعلى واسرع ، داخل الذرة ، بعيدا عن النواة .

وقبل مرور اجزاء من الالف من الثانية ، تعود هذه الالكترونات التي زادت سرعتها ، الى مداراتها الاصلية ، معطية طاقتها الزائدة على هيئة اشعاع مغناطيسي كهربي . واذا كان هذا الاشعاع في نطاق جزء معين من المجال المغناطيسي الكهربي ، امكن رؤيته على هيئة ضوء .

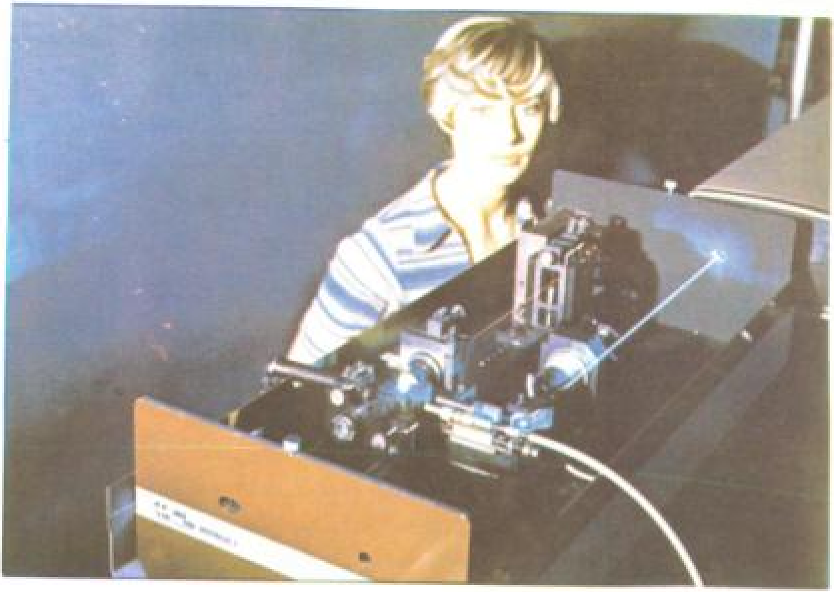
وهكذا يتبين انه لانتاج الضوء ، يجب ان تمتص الالكترونات اولا طاقة من مصدر خارجي . وفي انبوبة « النيون » مثلا ، تأتي هذه الطاقة من التيار الكهربي . اما في الليزر الاول الذي صنعه دكتور مايمان ـ وكان على هيئة قضيب وردي اللون ، من الياقوت الصناعي ، في سمك قلم الرصاص ـ فقد كان المصدر الخارجي هو الضوء المعتاد نفسه ، يأتي من مصباح « فلاش » كالمستخدم في التصوير ، ملفوفا حول قضيب الياقوت ويحتوي الياقوت الصناعي على عنصر الكروم ، وعندما يضاء الفلاش ذو الضوء القوي ، فانه يثير بعض الالكترونات في ذرات الكروم ، ويدفعها الى مدارات اعلى . وعندما تعود هذه الالكترونات الى مدارها الاصلي ثانية ، فانها تعطي ضوءا احمر اللون ، وهو اشعاع طبيعي ، وهذا الضوء متفرق مثل اي نوع آخر من الضوء .

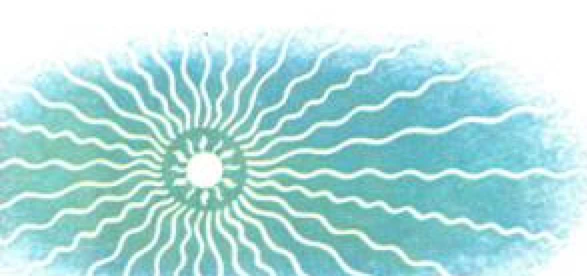
ترويض الالكترونات

ولترويض بعض هذه الملايين من الالكترونات غير المنتظمة ، قام دكتور تاونز ودكتور شولو بتصميم وسيلة معقدة . فالالكترونات التي قفزت الى مدارات اعلى غير ثابتة ، وهي مستعدة لاعطاء الفائض من طاقتها . وبتعريض هذه الالكترونات لموجات ضوئية ذات اطوال مماثلة لما سوف تشعه هذه الالكترونات ، يمكن حمل الالكترونات على اطلاق فائض طاقتها بسرعة اكبر من تلك التي تطلق بها الالكترونات هذه الطاقة ، بوسائلها الخاصة . والاهم من ذلك هو ان موجات الضوء التي تطلق بهذه الوسيلة ، تسير بخطوات واحدة مع الموجات التي تتسبب في اطلاقها ، بل انها تزيد من قوتها كذلك .

وقد فكر هذان العالمان في انه اذا وجد عدد كبير من الالكترونات المثارة ، فان موجات الضوء التي تتكون تلقائية في اول الامر ، تعمل على دفع الالكترونات المثارة الاخرى في اشعاع موجات مشابهة في الحال .

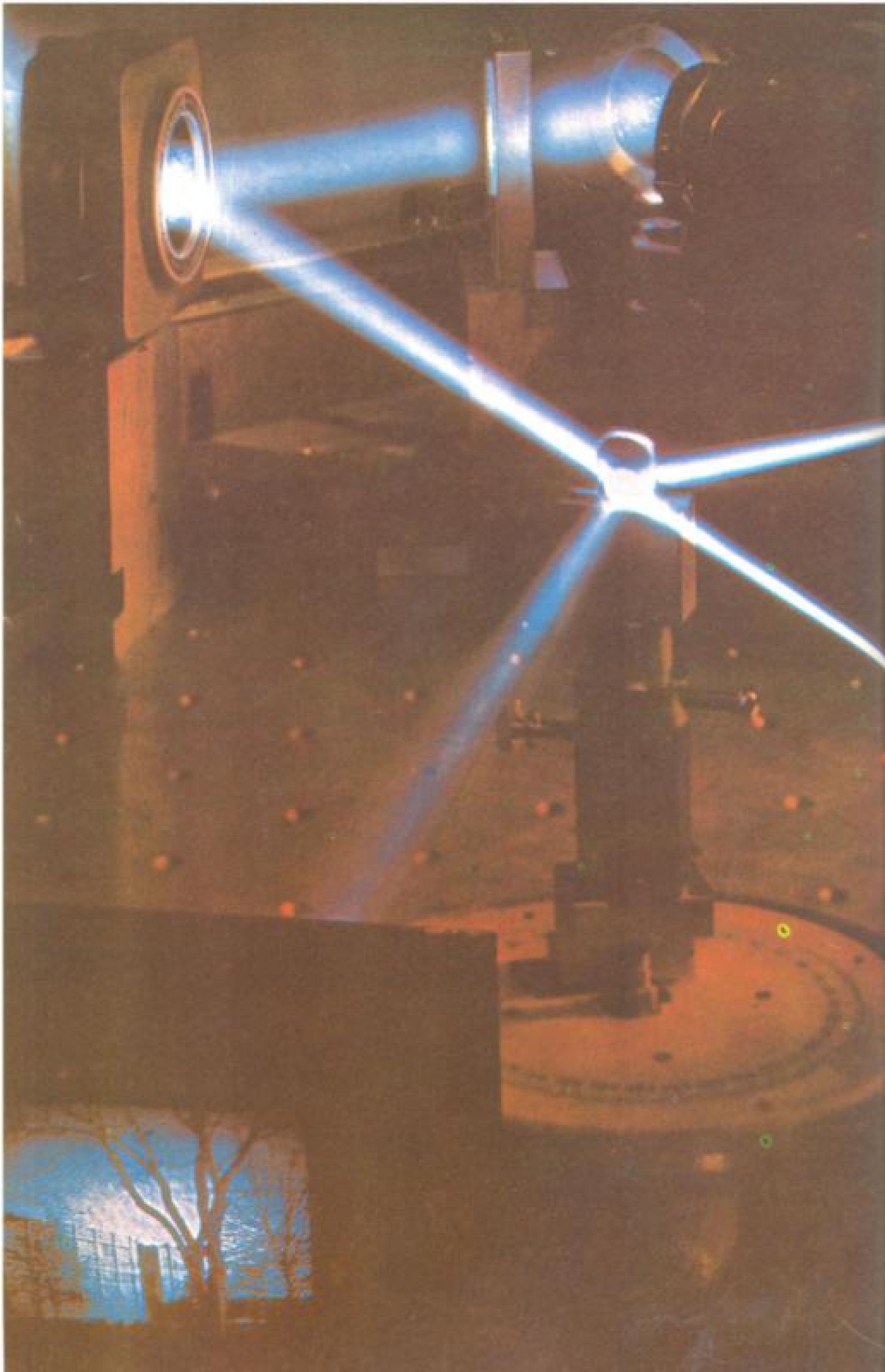
شعاع ضوء الليزر الذي ترى ، يختلف عن شعاع الضوء العادي اختلافا كبيرا . فموجاته الضوئية متجانسة واطوالها متساوية تماما ... الا انها قصيرة ، بالغة القصر ، وتقاس بعشرات الاجزاء من المليون من البوصة الواحدة ... وهي سوية متوازية ومترابطة بحيث تستطيع قطع مئات الآلاف من الكيلومترات بدون أن تتعرض لاي بعثرة ... على نحو ما يحدث لاشعة الشمس مثلا .





شعاع ضوء الليزر ، وقد ولده جهاز الليزر الذي ترى ، من شعاع ضوء عادي . وقوام هذا الجهاز قضيب من ياقوت صناعي يلفه شريط حلزوني (انظر الرسم) . ويمر شعاع الضوء العادي بذرات هذا الياقوت ، وقد شحنت بالطاقة التي يمده بها الشريط ، فتثيره هذه الذرات وتضخمه ثم تطلقه ... فيخرج من الجهاز شعاعا آخر ... هو شعاع الليزر الوضاء النفاذ .





ولكن لسوء الحظ ، فان الموجات الناتجة ، والتي يمكن تقويتها كانت تضيع بسرعة في زحام الضوء المتفرق .

وفجأة ، تحقق العالمان من ان الخطوة الحاسمة ، هي توجيه بعض موجات الضوء الاولى ، الناتجة من الالكترونات ، بحيث تمر في الالكترونات المثارة ، مرارا وتكرارا . وبوضع مرآة عند كل من طرفي الجهاز ، امكن بدء تفاعل متسلسل قوي . وهكذا ضاعت الموجات التي كانت تسير في زوايا مختلفة ، بينما امكن زيادة قوة تلك الموجات الافقية المسار ، بحيث تثير الكترونات اخرى في كل رحلة ، الى ان تزيد قوتها بلايين المرات .

واذا كانت احدى المرآتين مفضضة لدرجة اقل من الاخرى ، فان هذه الموجات القوية تتمكن في النهاية من اختراق هذه المرآة ، على هيئة حزمة قوية من ضوء الليزر ، منتظمة الى درجة كبيرة .

ليزر الياقوت

حدث هذا كله في كسر من الثانية ، عندما تم تصميم اول ليزر في عام ١٩٦٠ . فقد قام دكتور مايمان بصقل طرفي قضيب من الياقوت ، وتفضيضهما ، الى ان اصبحا مرآتين صغيرتين . الا ان احدى المرآتين كانت شفافة الى درجة ما . وعندما اضاء دكتور مايمان مصباح « الفلاش » ، اندفعت حزمة ضوئية حمراء قوية ، خارجة من الطرف نصف الشفاف ، لمدة واحد من الالف من الثانية ـ وهكذا بدأ عصر جديد في استخدام الضوء .

وبعد ستة اشهر من ظهور ليزر الياقوت ، قام الدكتور علي جافان في معامل شركة بل ، بعرض جهاز ليزر غازي ، يمكنه ان يعمل باستمرار ، بدلا من العمل على نبضات مثل ليزر الياقوت ، ولكن بقوة اصغر . وبدلا من النهايات العاكسة ، التي تبدأ التفاعل المسلسل لموجات الضوء ، فان هذا الجهاز الجديد يشبه انبوبة النيون العادية . وقد استخدم هذا العالم في جهازه مزيجا من غازي الهيليوم والنيون ، ينشطه تيار كهربي ، فيصدر عن مزيج الغازين الاشعة تحت الحمراء غير المرئية .

وتبع ذلك صنع انواع اخرى من الليزر ، مبنية على استخدام غازات مختلفة ، لتشع اضواء بترددات مختلفة .

وعلى عكس الليزرات الصلبة ، التي تنتج كمية كبيرة من القوة والحرارة ، بحيث يجب تشغيلها عند درجة حرارة النتروجين السائل (١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر) ، تجد ان الليزرات الغازية تعمل عند درجة حرارة الغرفة .

والاتجاه السائد الآن هو انتاج ليزرات أصغر حجما واخف وزنا . ومن امثلتها ما انتجته شركتا أي . ب . م ، وجنرال الكتريك ، وهو يتكون من شبه موصل صغير الحجم لدرجة يصعب معها رؤيته بدون مجهر . وهناك من يقوم بصناعة ليزرات باستخدام بعض السوائل او الزجاج . وانواع مختلفة من اللدائن . ويعلن كل يوم عن اكتشاف انواع جديدة من الليزر .

مزايا مذهلة

يمكن استخدام الليزر في توليد الضوء ، بنفس طريقة توليد موجات الراديو والتليفزيون والرادار ولكن ضوء الليزر يمتاز بمزايا مذهلة . ولما كانت موجات ضوء الليزر تسير متوازية تماما ، فان اشعته لا تنحرف كثيرا مهما طال مسارها . والاهم من ذلك ، هو ان موجات الضوء اقصر عشرات الالاف من المرات من موجات الراديو ، وهذا يعني ان شريطا ضيقا من الضوء المرئي يمكنه ان يحمل ترليونات من الذبذبات في كل ثانية ، ويمكنه بذلك ان يرسل كمية هائلة من المعلومات . وقد امكن حساب ما يمكن ان تحمله الحزمة الضوئية الناتجة من ليزر واحد ـ من رسائل الراديو والتليفون ، والبرقة الكاتبة ، والتليفزيون ، فوجد انها تعادل جميع قنوات الاتصالات التي تستخدم حاليا .

واليوم نجد ان ترددات الراديو والتليفزيون مزدحمة ، ولكن هذا الزحام في حركة المرور الالكترونية لا يقارن بما هو منتظر في المستقبل القريب . ذلك ان خبراء الاتصالات يعتقدون ان نقل الرسائل سيتضاعف عاما بعد عام . وهذا هو السبب في ازدياد الاهتمام بالليزر ، وبما يحمله من امل واسع في ميدان الاتصالات ، بالرغم من ان استعمالاته ما زالت قليلة نسبيا .

والمشكلة الكبرى هي ان اشعة الليزر لا يمكنها اختراق السحب ، او الجليد او الضباب ، الا اذا

استخدمت جزءا كبيرا من طاقتها لاختراق ما قد يقف في سبيلها . وطالما بقي استعمال الليزر وقفا على سطح الارض ، كان من الواجب اتخاذ احتياطات شديدة ، لتلافي تأثير الطقس .

وتدرس معامل شركة بل امكان وضع انابيب طويلة مفرغة ، تحت الارض لهذا الغرض ، بحيث لا يؤثر الغبار او بخار الماء في اشعة الليزر . ولعل شبكة من هذه الانابيب ، تمتد عبر بلد معين وتجهز بمحطات تقوية تبعد كل منها مسافة ٣٠ ميلا عن الاخرى ، قد تكون اقتصادية بدرجة كافية .

كما ان الرادار المبني على ضوء الليزر هام للغاية ، ومن فوائده العملية تتبع الاقمار الصناعية ويمكن الاستفادة من الوقت الذي تستغرقه اشعة الليزر ، في الوصول الى القمر الصناعي ، والعودة منه والزوايا التي ينعكس بها الضوء ، في حساب مكان القمر الصناعي .

وهذه الطريقة ليست ادق من الطرق المستخدمة في تتبع الاقمار الصناعية بالراديو فحسب ، بل انها تجعل من غير الضروري قيام الاقمار الصناعية بإرسال اشارات لاسلكية ، وبذلك يمكن تتبع الاقمار الصناعية الصامتة بدون صعوبة ، من مجموعة من المحطات تقام في مناطق صافية السماء . فاذا تسببت السحب في اعاقة عمل محطة منها ، فان اي محطة اخرى ، على مرمى البصر من القمر الصناعي ، يكون في امكانها القيام بواجبها خير قيام . ويلاحظ ان ضيق حزمة اشعة الليزر تجعل الرادار الذي من هذا النوع ، مضادا لتداخل الموجات .

وبالرغم من ان حزم اشعة الليزر رفيعة ، فانه يمكن تركيزها في بؤرة بدقة متناهية ، باستعمال العدسات البسيطة . ومن امثلة ذلك ان مهندسي معهد ماساشوستس للتكنولوجيا قاموا في صيف عام ١٩٦٢ باطلاق ابرة من الضوء الاحمر الى القمر ، فاضاءت مساحة من سطحه قطرها ميلان . ويقارن هذا بادق حزم الموجات الدقيقة ، والمستعملة في الرادار المعتاد ، والتي تنتشر فوق مساحة من سطح القمر ، يبلغ اتساعها ٥٠٠ ميل .

ثقوب في الماس

وبالاضافة الى كون حزم اشعة الليزر رفيعة ، فانها تمتاز بخاصية اخرى مفيدة ، الا وهي الحرارة والقوة الهائلتان ، اللتان تظهران بوضوح عند تركيز هذه الاشعة في مساحة صغيرة ، عن قرب . فقد وجد ان حزمة من اشعة الليزر ، يمكن ان تكون اسخن من سطح الشمس بملايين المرات .

ولبيان هذه القوة الخارقة ، قام الباحثون في شركة جنرال الكتريك باستخدام ضوء الليزر في عمل ثقوب دقيقة في الماس ، وهو اشد المواد المعروفة صلابة . وقد استمرت الشرارات الحمراء جزءين من الالف من الثانية ، وتطايرت اجزاء الهدف على هيئة سحب من الدخان الازرق .

ويمكن استخدام هذه الحرارة في الجراحات المتناهية في الدقة . فقد قام اخصائيو العيون ، في مركز كولومبيا الطبي ، باستخدام الليزر لازالة درنات صغيرة من شبكية عين احد المرضى ، فورا وبدون الم . وكان ذلك في الستينات . اخترق الضوء عدسة العين دون ان يحدث بها ضررا ، وتم تركيزه على مكان الدرنات ، خلف العين ، فقام بحرق هذه الدرنات على الفور .

وبالرغم من انه سبق استخدام حزم قوية من الضوء العادي ، لمثل هذه العمليات ، الا ان ضوء الليزر يستغرق وقتا اقصر الف مرة . كما انه يعطي حرارة اقل بكثير ، وبذلك يتضاءل الضرر الذي يحتمل حدوثه .

كما امكن لحام الشبكية المنفصلة ، في قاع العين . وحل ضوء الليزر محل ادق المشارط ، في بعض الجراحات .

وقد افادت الصناعة من ضوء الليزر في عمليات القطع واللحام الدقيق . وبازدياد الحاجة الى الاجهزة المصغرة ، كان من الضروري تطوير الالات حتى تفي بحاجات هذا الاتجاه الجديد وظهرت في الاسواق انواع من الليزرات ، لتستخدم في هذه الاغراض . اذ يمكن بواسطتها قطع اجزاء تكاد لا ترى من الدوائر الكهربية الدقيقة ، او لحام اسلاك متناهية في الدقة ، بحيث لم تعد مثل هذه العمليات تشكل اية صعوبات كبيرة .

■■

د . عبد اللطيف ابو السعود

المعهد العالى للموسيقى

الخطوة التالية : أوبرا الكويت

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب

تصوير اوسكار مترى





الناى : سلوة الرعاة مع اغنامهم ، لطالبة من المعهد تخصصت فى الناى»



والصوت الوديع فى لحظة وداع الشمس للنهار ـ الصورة الى اليمين
وفى الصورة العليا يبدأ بعض طلاب المعهد فى معزوفة موسيقية ..

وتحقق الامل ، وقام المعهد العالي للفنون الموسيقية في الكويت ، ليكون خطوة مؤدية الى اوبرا الكويت ٠

الآن صار في المعهد ١٨٥ طالبـاوطالبة من ابناء الكويت والخليج ، نبغت منهم الطالبتان عاليـة حسـين ورابحة مرزوق ، اللتان اصبحتا مـن « نجوم »الاذاعة والتلفزيون الكويتي٠وفي العام القادم يحتفل بتخريج اول دفعة من المعهد ٠٠

كانت البداية هي : معهد الدراسات الموسيقية، الذي بدا فكرة شغلت الفنان الكويتي احمد باقر في اوائل الستينات حتى تحولت الى حقيقة في اوائل السبعينات (١٩٧٢) ، واصبح هو رئيسا لمجلس ادارة المعهد ٠

بدا المشروع صغيرا ككل شيء في بدايته ، واكمل الطلبـة والطالبـات تعليمهم الموسيقي الثانوي٠ثم ما كادت الدفعة الاولى تتخرج وتحمل شهادة الثانوية الموسيقية ، حتى سارعت وزارة الاعلام بدولة الكويت التي تبنت المعهد الاول منذ نشاته ، في الاعداد للدراسات الموسيقية العليا التي سيكملون معها مسيرتهم الفنية ٠٠ وقـام المعهد الجديد موضوع هذا الاستطلاع ٠

لكن هذه ليست نهاية الطريق ، فالمستقبل لايزال مفتوحا لخطوات اخرى عديدة ٠ وعن هذا المستقبل يقول الفنان احمد باقر : « انني ارى بعد بضع سنوات من الان ، وقد اصبح لدينا العديد من الفرق الموسيقية التي ستسد حاجة الاذاعـة والتلفزيون والمسرح ٠٠ وفي مجال التدريس ايضا سيتخرج الكثيرون من المتفوقين من الجنسين ٠٠٠ هؤلاء الذين سيحملون عبء اتمام الرسالة في اعداد الاجيال القادمة للعمل في هذا المجال الفني الرفيع ٠٠ وسوف يكون لدينا عازفون وعازفات في مقدورهم ان يقدموا لنا السيمفونيات والاوبرات العالمية ،وسوف يتحقق عندئذ حلمنا الكبير بانشاء دار للاوبرا في الكويت ٠

مجلس ادارة للمعهد

لقد انطلق المعهد العالي للفنون الموسيقية في طريق واضح المعالم خلال مسيرته العملية بعد ان اصدر نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الاعلام الشيخ جابر العلي السالم ، قرارا بتشكيل مجلس ادارة المعهد برئاسة عميده الاستاذ احمد باقر ، ويضم في عضويته السادة حمد عيسى الرجيب ، واحمد مشاري العدواني ، وابراهيم اسماعيل مدير ادارة المعاهد بالوزارة ، بالاضافة الى رئيس قسم التاليف والنظريات ورئيس قسم الالات وكذلك رئيس قسم الاصوات ـ وحدد القرار الـوزاري





اهتم المعهد بدراسة الفنون الشعبية ،وتطويرها مع الحفاظ على أصولها
(الصورة لعدد من الطالبات يؤدين لونا من الفنون الشعبية) ٠

الذى صدر فى يناير الماضى اختصاصات مجلس الادارة وهي رسم السياسة العامةللمعهد واقتراح ما يتعلق بتحقيق اهدافه ،ووضع اللائحة الداخلية وتحديد شروط تعيين أعضاءهيئةالتدريس وواجباتهم ونظام ندبهم واعاراتهم وترشيحهم فى مهام علمية. كما ينظم القبول والدراسة والامتحانات وكل ما يتعلق بالشؤون الطلابية،وتنظيم البحوث والاشراف على النشاط الثقافى والفنى العام ، وتنظيم الرعاية الاجتماعية والصحية والرياضية ، ومنح الدرجات العلمية والشهادات،وكذلك وضع نظام البعثات العلمية والبعثات الداخلية والمنح الدراسية والتدريبية ، واعداد مشروع الميزانية واقترح انشاء الجديد من الاقسام ومراكز البحوث والدورات التدريبية وتنظيم دراسات فى غير اوقات الدراسة العامة ، وتفويض عميد المعهد فى اجراء التصرفات التى يرى المجلس تفويضه فيها وآخر مهام المجلس كما نص عليها القرار تشكيل لجان فنية من بين أعضاء هيئة التدريس ومن غير هؤلاء من الخبراء لدراسة بعض الموضوعات التى يرى المجلس ضرورة تشكيل لجان فنية خاصة لها ٠

ولمالم يكن هناك مقر يشمل كافة المعاهد الفنية التابعة للوزارة ، حرصت وزارة الاعلام على توفير المكان المناسب لهذه المعاهد ولهذا تم اختيار موقع كبير تقام عليه كل المعاهد التابعة للوزارة ٠٠هذا ما قاله لنا السيد ابراهيم اسماعيل ،مدير ادارة المعاهد بوزارة الاعلام ، واضاف قائلا : ان الدراسات اللازمة لهذا المجمع قد انتهت ومن المنتظر ان يباشر التنفيذ قبل نهاية هذا العام باذن الله ٠٠ ويستطرد السيد اسماعيل حديثه قائلا : « ان بناء هذا المجمع ، سوف يسهل بدون



فتيات الكويت .. دخلن كل ميدان بحثا عن العلم والثقافة ، والصورة
لعدد منهن يزاولن دراستهن الموسيقية باسلوب علمي حديث .





مديرة المعهد وهى تقدم ارشاداتها
حول العزف العملي لعدد من الطلبة .

شك الاتصال بين كافة المعاهد الفنية وتنسيق العمل فيما بينها ، كما ان اختيار الموقع قد جاء ليسهل الوصول اليه من الدارسين والمدرسين سواء الذين يقيمون منهم داخل الكويت او في مناطقها البعيدة مثل الاحمدي والفنطاس والجهراء وغيرها .

ونسأل مدير ادارة المعاهد ، عن المكافآت التي تعطى للدارس ، وكذلك المنح الدراسية السنوية، فيقول .. ايمانا من الوزارة بوجوب تشجيع الالتحاق بالمعهد من جانب الطلاب خصصنا مبلغ خمسين دينارا تقدم مكافأة شهرية لكل طالب ، حتى يتمكنوا من مواصلة الدراسة ، اما ما يتعلق بالمنح فقد قال السيد ابراهيم اسماعيل ، ان الوزارة قد خصصت ٢٥ منحة دراسية تعطى لابناء المنطقة الخليجية وابناء الجزيرة العربية ، وبالمعهد الان بعض هؤلاء يتلقون دراساتهم مع اخوانهم ابناء الكويت ولعل هذا الاهتمام بتقديم مثل هذه المنح، ينطلق من حرص الوزارة على تقديم كل مساعدة علمية لازمة لابناء المنطقة كما تقدم لابناء الوطن على حد سواء ..

البحث عن المواهب

ونعود الى انشاء المعهد العالي للدراسات الموسيقية . قال الاستاذ احمد ان المعهد استمرار لمعهد الموسيقى الثانوي الذي انشىء في العام الدراسي ١٩٧٢م بفصل واحد وامكانات قليلة متواضعة . وعندما تخرجت اول دفعة وحصل خريجوها على الثانوية العامة الموسيقية رات الوزارة ضرورة افتتاح المعهد العالي لالتحاق الطلبة به . ويتم قبول الطلاب بالمعهد بحسب شروط خاصة واختبارات معينة ولا ناخذ من المتقدمين الا الموهوبين وقد شجعنا الاقبال السنوي على الاستمرار في تطوير الدراسة داخل المعهد ..

اما فيما يتعلق بأسرة التدريس بالمعهد ، وكيفية سير الدراسة فيه فقد قال الاستاذ احمد باقر ان وزارة الاعلام تحرص دائما على اختيار اساتذة من ذوي الخبرات العالية في تخصصاتهم الموسيقية ، ولذا فان الاتفاق يتم سنويا مع نخبة من هؤلاء الاساتذة الذين تخصصوا في علوم الموسيقى المختلفة ، كما ان المعهد يتعاون مع وزارة التربية من خلال انتداب بعض المدرسين في التخصصات النظرية كالدين واللغة العربية وغيرها من المواد الاولية التي يحتاجها الطالب في حياته العملية .

مناخ .. دراسي موسيقي

ونتجول بين اروقة المعهد العالي للدراسات الموسيقية فاذا هو مزود بكل الوسائل اللازمة في اي صرح تعليمي ، فصول نظرية يقصدها الطلبة لتحصيل موادهم الدراسية تحت اشراف الاساتذة ثم ينتقلون الى الدراسات العملية لتطبيقها دروسه على الالات المختلفة ، كما يتعلمون فنون الاصوات والتاليف من اجل ايجاد جيل يتمتع بمستوى جيد من الاداء الغنائي والتاليف الفني الذي يعطي للحركة الموسيقية الكويتية دورا بارزا على نطاق الوطن العربي وحتى العالم الخارجي .. وفي المعهد مكتبة تحوي كافة الكتب اللازمة ومختلف



مديرة المعهد : تفيدة الملاح

الفنون الموسيقية ، ويتوافد الطلبة يوميا على المكتبة لاختيار ما يحتاجونه منها كمراجع لبحوثهم العملية ودراساتهم النظرية •

وتتابع الجوله • فنجد امامنا ورشة اصلاح الالات الموسيقية التيحرصت الوزارةعلىاستكمالها داخل المعهد حتى يستطيع الطالب ان يتعلم كيفية اصلاح آلته ، وكيفية تركيب اجزاء الالة ، فمهمة العازف لا تنتهى عند اجادة العزف على آلته فحسب ولكن المهم ايضا ان يعرف تفاصيل كل جزء فى هذه الالة ، وصفات كل منها والدور الذى يؤديه فى الالة الموسيقية ومقاييس كل جزء فيها ونغمة كل وتر ••

وللمعهد منهاج تربوى خاص ، واخر تشاركه فيه وزارة التربية ، وفى هذا الموضوع حدثتنا مديرة المعهد تفيدة الملاح فقالت ، ان اختيار المواد النظرية يتوقف على الطالب ولكن هناك مواد اجباريةمقررة عليهكالدين،واللغةالعربيةوغيرها من المواد الاولية واللازمة لحياة الانسان العامة، وفيما يتعلق بالجانب الموسيقى من المواد فان هناك اقساما لهذا النوع من التدريس مثل قسم الالات ، الذى يتركز التعليم فيه على الالة التى يختارها الطالب ، ثم قسم الاصوات ، ولهمنهج خاص به ، وكذلك قسم التاليف والنظريات ، وهو قسم لا يقبل الا الموهبين وتتوقف مديرة المعهد لاستعادة انفاسها ثم تقول : وقد يتسال عن السبب فى ان هذا القسم مقصور على الموهوبين والجواب انه يعتمد على استعداد خاص ثم هو منالاقسام الشاقة التى تتطلب جهدا كبيرا عن الجهد المطلوب فى الاقسام الاخرى ، فالتاليف الموسيقى فن له طابعه الخاص وله مقاييسه المحدودة لهذا كان حرصنا على اختيار الموهوبين لهذا القسم••

مواهب قدرها المعهد

وتواصل الحديث مع مديرة المعهد ، لنسالها عن حجم الاقبال على المعهد ، فتقول : ان الاقبال السنوى الذى نواجهه شجعنا على الاستمرار فى الدور الذى يؤديه المعهد ، صحيح اننا وجدنا اقبالا متواضعا فى بداية افتتاح القسم المتوسط فى المعهد ، لكن هذا الاقبال ازداد مع استمرار



احدى طالبات المعهد ، فى عزف منفرد على القانون ••

الاعوام الدراسية ، والتغيير الاجتماعى الذى طرأ على مفهوم الموسيقى كعلم وكثقافة مثل بقية العلوم الاخرى ، ثم تقول : لدينا الان فى المعهد العالى ١٨٥ طالبا وطالبة من الكويتيين وابناء الخليج بالاضافة الى ٥٠ مدرسا فى التخصصات الموسيقية المختلفة ولقد قدم المعهد ، والحديث للمديرة تفيدة الملاح ، مواهب للكويت فى الاداء الموسيقى مثل الطالبة عالية حسين والطالبة رابحة مرزوق ، وهما من بنات الكويت اللتين نبغتا فى هذا الميدان ، وتختتم مديرة المعهد حديثها قائلة، وسوف نحتفل فى العام الدراسى القادم باذن الله بتخريج اول دفعة من طلاب هذا المعهد •

ان المعهد العالى للفنون الموسيقية ، قدشارك فى الاسابيع الثقافية التى اقامها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب فى عدد من الدول العربية واخرها ذلك الذى اقيم بالمغرب وقد قدم طلاب المعهد صورة طيبة للمستوى الفنى فى الكويت •

ثم ماذا ؟ بقى ان نرى الحلم يكتمل ، عندما ياتى اليوم الذى تقوم فيه اول دار للاوبرا فى الكويت ، وهو ليس ببعيد !

يوسف الشهاب



الى اعلى ـ يبدو أحد اساتذة المعهد في مصاحبته عدد من الطلبة في عزف جماعي .



الى اليمين ـ احدى مدرسات المعهد ، تصاحب بالبيانو ، الطالبة رابحة مرزوق، في وصلة غنائية على النوتة .



العزف الثنائي من الدراسات التي يحرص عليهامعهد الموسيقى ، فيمارسها الطلاب خلال دراستهم
اليومية •• والصورة لطالبة مع زميلها في عزفالثنائي ••



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

المواد المزيلة لرائحة العرق هل منها ضرر ؟

● أتضايق كثيرا من رائحة عرقي • وقد نصحتني صديقاتي باستعمال أحد المستحضرات المزيلة للرائحة • فهل هناك من ضرر من استعمال مثل هذه المستحضرات ؟ •

ـ اختلفت الاراء حول هذا الموضوع وقبل أن تجيب على سؤالك ياسيدتي ، يجدر بنا أن نعرف شيئا عن وظيفة العرق الرئيسية •

وظيفة العرق الرئيسية منع حرارة الجسم من أن تزيد عن معدلها الطبيعي ، فاذا زادت خرج العرق من الغدد ، وانتشر على سطح الجسم ليتبخر بعد ذلك • وهو لكي يتبخر لا بد له من حرارة وهذه يأخذها من الجسم نفسه، فتنخفض بالتالي درجة حرارة الجسم • والعرق (الجديد) أو المفرز حديثا لا يكون في العادة مصحوبا برائحة كريهة خاصة في الاجسام الصحيحة والنظيفة ، ولكنها تصبح كريهة اذا تحلل العرق بفعل بعض البكتريا التي تنمو وتزدهر على الجلد عندما تتوفر لها البيئة الملائمة من دفء ورطوبة ، وظلام تحت الملابس ، وغذاء •

كيف تعمل هذه المواد وكيف تكون الاضرار ؟

١ ـ مانعات التعرق : تعمل هذه المواد عن طريق وقف أو تقليل التعرق ، في الاماكن التي توضع فيها أو ترش عليها ، وذلك لاحتوائها على كلوريد الالمنيوم الذي يعمل على تضييق المسامات أو قفلها ، فيتوقف افراز العرق ، وتخف الروائح الكريهة في هذه الاماكن ويكون الضرر حينئذ بمنع العرق من أن يؤدي وظيفته التي شرحناها آنفا •

صحيح ان الغدد العرقية في الجسم تبلغ المليونين عدا وقد تصل الى ثلاثة ملايين غدة احيانا ، وان قفل مسام بعضها سيجعل العرق يخرج من أماكن أخرى من الجلد، الا ان الناس يرشون هذه العقاقير في أماكن الاحتكاك تحت الابطين وفي أعلى الفخذين ، وهذان الموضعان يحتويان على الغدد العرقية الكبرى •

٢ ـ المستحضرات التي تحتوي على مواد قاتلة للبكتيريا : وذلك لمنع تحلل العرق، وبالتالي لمنع حدوث الرائحة الكريهة • اهم هذه المواد الداخلة في صنع مثل هذه المستحضرات هي الهكساكلوروفان، والبثيونول•

ولا جدال في أن هاتين المادتين قاتلتان للجراثيم • ولكن كما أن لكل دواء منافعه التي من اجلها يستعمل فان له مضار ثانوية ، وقد تكون خطيرة أو قد يقل خطرها • لقد وجد أن جلد بعض الناس حساس لهما، اذا مسه أحدهما اصيب الجلد بالتهابات أو

بحساسية وخاصة الحساسية للضوء ·

كذلك وجد ان الهكساكلوروفان ، اذا جرى امتصاصه عن طريق الجلد احدث في بعض الناس تنبيها للجهاز العصبي المركزي ، مما يؤدي الى بعض التشنجات في اجسامهم ، خصوصا اذا كان في الجلد حرق او تسلخ او تهتك · ويكون الضرر اكبر اذا جرى امتصاصه عن طريق الاغشية المخاطية في الجسم او اصاب رذاذه العين او وضع علىمساحات واسعة من الجلد·

لقد وردت مؤخرا عدة تقارير ، تفيد انه من الممكن امتصاص هذا الدواء عن طريق الجلد في الاطفال بكميات كافيةلاحداث اصابات اسفنجية في المخ تكون احيانا مميتة · كما ان هناك تقارير أخرى تفيد انه في سنة ١٩٧٢م ، ادى استعمال (بودرة) أطفال تحتويعلى ٦٪ هكساكلوروفان، وهي كمية كانت زائدة عن حدها نتيجة غلطة في صناعة هذه (البودرة) ، أثارت الشكوك يومذاك في انها كانت السبب في موت ما يزيد عن عشرين طفلا في فرنسا ·

لهذا السبب وذاك، أصدرت « ادارة الاغذية والعقاقير الامريكية » امرا بمنع استعمال هذه المادة ، سواء وحدهـا ، او مشتركة مع غيرهـا ، في مستحضرات التجميل ، وصناعة الصابون وكذلك سحبت من اسواق انجلترا المستحضرات التي دخل صنعها مادة البثيونول ، واوقف نهائيا استعمال هذه المادة في صناعة مواد التجميل فيتلك البلاد ·

٣ـ المعطريات : وهي اقل ضررا من سابقاتها ، الا ان جلد بعضالناس حساس ايضا لبعضها ، خصوصا اذا لبخ الجلد بكميات كبيرة منها ،لذا وجب استعمالها في حدود الاعتدال ، ويرذ الجلد برشات صغيرة جدا منها اويتطيبيه ببضع قطرات منها

٤ـ المواد الملونة : كثير من هذه المستحضرات والصابون يحتوي على مواد ملونة ، وهذه بدورها تسبب حساسية في الجلد عند بعض الناس ·

ما البديل عن هذه المواد ؟

النظافة · وذلك بالاستحمام المستمر بالماء والصابون،خاصة الصابون المصنوع من زيت الزيتون ، كالصابون النابلسي، وفي الاجواء الحارة وعند بعض اصحاب المهن المعرقة يجب أن يكون هذا الاستحمام يوميا ، بل ويستحسن أن يكون مرتين في اليوم ان سمحت ظروف العمل كذلك بتخفيف شعر ما تحت الابط ثم بتغيير الملابس يوميا خاصة الملابس الداخلية والجوارب،والقمصان الخارجية ·

رائحة الفم

● الاحظ ان رائحة فمي تبدو كريهة ·· ولا ادري سببا لذلك فما هي الامراض التي تسبب مثل هذه الرائحة ؟

ـ ان الامراض المسببة لانبعاث رائحة كريهة من الفم ،كثيرة ومنها :

١ ـ التهابالوزتين والتهاب القصبات الهوائيةوالجيوبالانفية خصوصا اذا ازمن هذا الالتهاب ·

٢ ـ وجود خراج في الرئة يمكن ان يؤدي الى تعفن في محتوياته وخروج هذا التعفن بشكل رائحة كريهة عند التنفس ·

٣ ـ امراض الكبد وخصوصا التليف الكبدي ، والتهابات الكلى وقصورها عن العمل مما يؤدي الى ارتفاع في بولينا الدم تجعل رائحة النفس كريهة ·

وهكذا يتضح ان لرائحة الفم الكريهة أسبابا عدة وهذه الرائحة تزول بزوال اسبابها · ■■

بقلم : محمد خليفة التونسي

١ ـ الخصومة (القطيعة)

في الفصيحة « خاصمه ، فخصمه » أي جادله فغلبه بالحجة . « واختصما » « وتخاصما » : تجادلا و « الخصام ، والاختصام ، والمخاصمة » : المجادلة أو الجدال و « الخصومة » : الجدل وفي القرآن الكريم « قوم خصمون » أي جدلون ، أو أهل جدل ، وفيه أيضا « يخصمون » ـ وهذا وزن نادر ـ أي يختصمون . ولا بد في الخصومة من طرفين أو أكثر .

وفي الدارجة نقول : « خاصمه » أي قاطعه ، بل عاداه ، « وتخاصما وتخاصموا » بمعنى المقاطعة والمعاداة ، وهذا الاستعمال فيما نرى عربي فصيح ، وان لم يرد في شواهد الفصيحة ومعاجمها ، لان الخصومة بمعنى الجدل في الفصيحة لا تكون الا بين طرفين أو أكثر ، ونتيجة ذلك التغاضب والمعاداة والتقاطع غالبا ، اذ يتعصب كل طرف لوجهته ، ولا سيما عند الخلافات الذاتية التي تصحبها العواطف والاهواء ، لا بل عند الخلافات الموضوعية أيضا أحيانا ، فقلما يبدأ الخلاف في قضية موضوعية حتى تنقلب ذاتية ، أو شبيهة بها ، الا اذا كان الخصم من ذوي الخلق الرفيع والحكمة العميقة .

فالتعبير بالخصومة عن القطيعة في الدارجة تعبير بالنتيجة عن السبب ، وهذا اسلوب مجازي شائع في العربية الفصيحة وفي سائر لغات العالم ، للارتباط الوثيق بين الاسباب ونتائجها في كل العقول ، ومنه في القرآن الكريم « اني اراني اعصر خمرا » والخمر لا تعصر ، بل يعصر العنب فتنتج الخمر ، ويسمي البلاغيون هذا النوع من المجاز « اعتبار ما سيكون » .

وليست الالفاظ في اللغات الا اوعية المعاني ، ووسائل تبليغها بين المتخاطبين .

٢ ـ عز الشتاء وعز الصيف

تقول في الدارجة مثلا : « هو لفوته ، أو لفقره ، يرتدي ملابس خفيفة في عز الشتاء أي في الوقت الذي يبلغ فيه برد الشتاء أشده » ، وكذلك تقول : « كان شاعرنا المتنبي حين جاء بغداد كبيرا يرتدي الملابس الثقيلة في عز الصيف حفاظا على سمته الوقور » أي في الوقت الذي تشتد فيه حرارة الجو هناك .

وكلا التعبيرين « عز الشتاء » و « عز الصيف » فصيح ، لان معنى « العز » ـ كما في لسان العرب ـ القوة والشدة والغلبة ، وربما كان مأتى الكلمة بهذا المعنى هو كلمة « العز » ، بمعنى الارض الغليظة أو المكان الصلب ، ومثلها كلمة « العَزاز » ومن ذلك « فرس معتزة » أي غليظة اللحم أو شديدته وكذلك « عزز المطر الارض » أي لبدها وشددها حتى لا تسوخ فيها الارجل ، وكذلك « العزاء » الارض الشديدة ، ومعنى « عز الشتاء » هنا بلوغه غايته ، وهكذا عز كل شيء .

وعلى هذا يجوز ان نقول في الفصحى « قابلت صديقي في عز فرحه ، وواسيته في عز حاجته » و « الغرب الآن في عز تقدمه الصناعي » و « الحديقة في عز ازدهارها » و « النهر في عز فيضانه » و « خرجت في عز المطر » و « سرت في عز الظلام » وكذلك « عز الغنى » و « عز الفقر » و « عز المعركة » و « عز الراحة » و « عز القيلولة » و « عز النوم » و « عز الشغل » و « وعز الحب » و « عز العاصفة » .

وتشبه ذلك عبارة أخرى هي « شد النهار » في معلقة شاعرنا « عنترة » خلال ابيات يصف فيها نهاية معركة مع خصم له ، اذ قتله عنترة فسال دمه على صدره ورأسه ، ثم جف فصار اسود الى زرقة لون « النيلة » ، قال :

عهدي بـه شـدّ النهـار كأنمـا
خُضِبَ اللَّبـان ورأسُـهُ بالعظلم[١]

٣ ـ هي زوجه ، وزوجته أيضا

في صفحة لغوية سابقة (العربي/٢٣١) ذكرنا ان استعمال كلمة « زوجة » لامرأة الرجل ـ استعمال فصيح كاستعمال كلمة زوج لها ، وانها تفضلها احيانا كما في مسائل الميراث ، أو قسمة التركات ، وذكرنا شواهد ذلك من النصوص المأثورة ، ومن المعاجم (ومصدرها الاكبر هو هذه النصوص) ونضيف هنا شواهد اخرى منها نصان ذكرهما أديبنا الكبير الجاحظ في كتابه « الحيوان » أولهما للتجراني أحد الرجاز يهجو زوجته ويصف شراستها معه ، ويظهر انه كان ساقطا ضعيفا :

من منزلي قد اخرجتني زوجتي
تهر في وجهي هرير الكلبة[٢]

والنص الثاني رواه عن ابي نواس عن أعرابي « قلت لزوجتي ، وهو والله عندها اصدق [٣] » ثم ذكر قول الاعرابي ، ولا يعنينا هنا ايراده .

وفي الامالي للقالي [٤] فصل عنوانه « مطلب أسماء الزوجة » ذكر المؤلف بعض اسمائها ومن ذلك قوله « امرأته وحليلته ، وزوجه وبعله وبعلته ، ومعزبته » ثم روى عن الاصمعي قوله : « لا تكاد العرب تقول : زوجته » وروى عن يعقوب « يقال : زوجته ، وهي قليلة » ، ويكفينا دليلا على فصاحة « زوجة » انها وردت عن العرب ولو على قلة ، بل يكفي ورودها ولو مرة واحدة كما في بيت الراجز التجراني هنا ، ولا يحتج بأنها وردت لضرورة الشعر فيه ، فقد كان الراجز يستطيع ان يضع بدلا منها كلمة في وزنها ومعناها دون خلل في النظم ، مثل « بعلة » وهي كلمة مشهورة لا يجهلها مثله ، وان كانت « زوجة » أشهر منها .

وهنا ملاحظة نضيفها خاصة بالاصمعي هنا وامثاله من المتشددين ، فهو أمين في نقوله عن العرب ، ولكنه ليس صاحب الرأى الفاصل فيما لم يسمعه ، وفي تأويلاته وأحكامه ، لانها اجتهادية ، ولا بد في المسائل الاجتهادية من معرفة شخصية المجتهد أو شيء من سيرته لتأثر اجتهاده بمزاجه ، والمعروف عن الاصمعي انه كان ـ لأسباب ـ اذا سئل عن معنى كلمة في أى نص عربي تحير وتغير وجهه ، اذا كانت قد وردت في القرآن الكريم ، حذرا من أن يفتي في القرآن بما ليس على يقين تام منه ، وهذه نزعة قد يحمدها المتشددون أمثاله ، ولكن لو تمسك بها سائر العلماء لبقي القرآن دون تفسير ، ولما استخرج عالم شيئا من احكام القرآن في الاخلاق والفقه ونحوه ، وفي ذلك جمود وتعطيل لا تحمد جرائره .

---

(١) اللبان (بالفتح) الصدر ، والعظلم : النبت الذي نسميه في الدارجة « النيلة » وعربه اسلافنا عن أصل فارسي فقالوا : « النيلج » ـ كعادتهم في تعريب امثاله والكلمة العامية الطف ، وهي بيننا الآن اشيع .
(٢) الحيوان (طبعة الساسي) ١٢٣/٦
(٣) الحيوان ٧٥/٦
(٤) طبعة دار الكتب المصرية ١٩/١ ـ ٢٠

قصة

زعتر

قصة : عبد الله عمر باحكم

ككل الدهماء ، تراه في صورته التي شاهدته بها أول مرة ، ثم لا تعرف من أين أتى . ذلك هو زعتر ، مجذوب حارتنا ، والطرف المكمل لها كحارة شعبية عربية .

الصورة الاخرى في اعتقادنا للفرد ان لم يكن جادا او مكافحا وله أسرة أو قبيلة ترعاه ..

واهتمامي بزعتر ليس عطفا خالصا .. بل تدرج إلى إعجاب .. لقد استطاع أن يؤدي دوره في قصته وبطريقته على أكمل وجه .. لكن أسفي كبير أن ذلك الاهتمام لم يأت الا متأخرا .

ظهر زعتر في الحارة بلا مقدمات .. ككلب ضال .. أو كقطة كبرت .. بعد أن ولدتها أمها في أحد الاركان .. ولعل كرمنا الزائد عن الحد هو الذي جعله يقرر بصفة نهائية الاستقرار في الحارة ليصبح أحد معالمها الرئيسية .

ولم نعرف الا متأخرين جدا أن زعتر هذا له قصة من نوع ما ..

أكدتها بعد ذلك .. مجموعة الاوراق « الرثة » .. التي استطعنا قراءتها فيما بعد .

قرأها أحد زملائنا باهتمام بالغ بعد أن غسل يديه بمحوق « البوراكس » وهو يؤكد للجميع أن مهمة قراءتها ضرورة .. فربما يكون فيها ما يخص شخصاً ما .

لكن خيبة الامل كانت كبيرة .. فالاوراق البالية متعلقة بقضية جنحة مباشرة أقامها محمد متولي عبد الغفور الشهير « بزعتر » على السيد سامي السلاموني سكرتير وزير المعارف العمومية في شهر أغسطس عام ١٩٤٩ م .

زعتر كان عربجيا يملك حمارا وعربة يسرح بها في الشوارع ليسترزق ، عندما اصطدم حماره بسيارة الوزير .. مات الحمار وتكسرت العربة ، فضاع رأس مال زعتر . هذا ما تقوله أوراق الجنحة .



وان كان محضر الشرطة يقرر غير ذلك .. ويؤكد أن عربة زعتر قد أحدثت تلفا جسيا في السيارة منها كشط للدهان في عربة الفورد الجديدة موديل ٤٩ الخاصة بمعالي الوزير . والتي كان يقودها السيد سامي السلاموني السكرتير الخاص .

والواقع ان الحقيقة ضائعة هنا . وان كانت ليست مهمة تماما .

ومن الصعب الوصول الى فكرة معينة . واعتبارها حقيقة معتمدة لكن شيئا من اثنين حدث :

ان عربة زعتر قد صودرت لسوء استعماله لها .. والاضرار بعربة الوزير الفارهة وهذا قول عجيب مبتور يثير الدهشة .. وان كان البعض ردده باقتناع .

او ان العربة تحطمت فعلا والحمار قد مات .. بناء على دعوى الجنحة المباشرة التي أقامها محمد متولي عبد الغفور الشهير بزعتر على مسئوليته الشخصية وموكلا عنه الاستاذ « زاهر ابو الوفا » المحامي والمستشار سابقا . مطالبا بالتعويض لموكله . . والحبس لسامي السلاموني بتهمة الرشوة والتزوير في محاضر رسمية ومستندا على أقوال شهود العيان .

لكن مذكرة الحكم لا تؤكد شيئا اطلاقا ، والشهود لم يؤخذ بأقوالهم ، باعتبارهم من العربجية زملاء زعتر ..

وانتهت القضية من أول جلسة بالبراءة .. وتغريم زعتر الاتعاب .

هذه هي الحكاية الخلفية على ما أظن لزعتر قبل ظهوره في حارتنا .. وان كنت شخصيا لا أعرف يقينا عن زعتر الا صورته الكاريكاتورية .

كوفية صوف يضعها على رأسه صيفا وشتاء .. وجلبابا مخططا .. لم أتأكد تماما ان كان يستبدل به بين موسم وآخر جلبابا جديدا .. ومنشة بذبالات من خيوط الكتان .. وملف الاوراق الكالحة اللون .

ومنذ كنت في الاعدادية الى ما بعد تخرجي من كلية الطب .. كنت ارى تلك الصورة الدائمة لزعتر ولا ألحظ عليه أية تغيرات أخرى ربما لسوء ملاحظتي .

على أن زعتر رغم صورته البائسة والمنفرة .. لا يحظى بالازدراء قط .. ويلقى عطفا ايجابيا عظيما من اصحاب المحلات في الحي .. حيث يظل طوال اليوم .. يلتقط لقمة من « السباك » ورغيفا من البواب .. وفنجان شاي من « القهوجي » وللحق فان الجميع يعطيه بكرم زائد . ويشبع دائما . ثم في آخر النهار ، وبعد أن يوغل الليل ، يلقي بنفسه خلف المستشفى المقام في الحي والذي عيشت فيه أخيرا ..

وينام ليصحو مبكرا جدا ، وقبل أي صاح ، ككلب حراسة أصيل ..

وللصدق ، فانا كشباب محترم لم نكن نجرؤ على مخاطبة زعتر ، او القاء السلام عليه ، خشية أن نتهم من بعضنا بالسخافة ، او المس في قوانا العقلية فأية وسيلة تفاهم في اعتقادنا يمكن أن تتم مع معتوه . الا بوساطة معتوه آخر .

بل ان ذوي التخصصات النفسية من الاطباء ـ في ظننا ـ لن يكونوا قادرين على التفاهم معه ، ولا جدوى من علاجه طالما أنه مسالم جدا وغير مؤذ .

وبصراحة : خطر ببالي مرة أن زعتر يقدم شيئا مجهولا للحي ، لا أدري كنهه ولهذا يجد في حينا المأوى والطعام .

وبقيت حكاية زعتر هكذا .. ليست مثيرة للاهتمام كثيرا ، او قليلا . انسان يروح ويجيء في طول الحارة وعرضها لا لشيء الا ليظل قائما هكذا .. يعبر عن وجود انسان .

وفي مرة أفلتت مني عبارة عجيبة أمام احدى الممرضات .. فعندما سألتني : كيف الحال يا دكتور ؟

أجبتها : كلنا بخير .. ما دام زعتر بخير .. !

ولقد خيل لي أنني استشف بعض الامتعاض على وجهها .. خاصة وانا الطبيب المستجد وهي الممرضة القديمة القديرة .

وقالت : زعتر هذا مسكين . !

اذن فهي قد أحست بزعتر ، وعطفت عليه ، لكن لماذا تخاف من سيرته وتمتعض ؟

فليعش نعم .. ! أما أن يكون مثار حديث بيننا فذلك مخيف جدا . ؟ !

ترى هل هي « تلافيف » نفسيه تربض في أعماقنا ؟ وهي التي تجعل الحديث عن زعتر ثقيلا ممجوجا ؟

أم أن « للصورة » وجها آخرا .. ربما هي أن تنأى عن « مسئولية » شخص .. ليس تحت مسئوليتنا . !

لكن من الذي سيحاسبنا ان اهتممنا به علنا أو تركناه .. !

كل ما سبق مبالغة عظيمة بلا شك .

فزعتر هو زعتر ..

كأي زعتر .. في أي مكان .

شخص ارتضى عيشته كما « اتسقت » له فهل من المعقول ان يكون له وضع غير وضعه الطبيعي الذي هو فيه ؟ !

تلك وجهة نظر حقيقية ، وعملية بلا شك ، جزلة الدعائم والاسانيد .. ؟ !!!

لكن دعونا من المحاضرات .. أخشى مع استمراري في سرد وتحقيق الدعائم والاسانيد ان يتولد لديكم رد فعل عكسي .. ولتستشرح ضمائركم .. ! كما استشراح « ضميري » فالاجدى أن تستوحوها أنتم بأنفسكم .

ودعوني أكمل « حكاية زعتر » او مأساته القصيرة . ؟ !

بصراحة وبوضوح فان نهاية زعتر كانت مأساة .. ما كان يجب أن تنتهي بهذه الصورة « الغليظة » .

في يوم من ايام

والذنب هنا ذنب الاسطى احمد صاحب كراج السعادة ..

ولا ذنب على أحد سواه .. ولنترك الفلسفة جانبا فهي تسبب الصداع .. ! ولا تصل بنا الى نتيجة ..

في يوم من أيام شهر « مايو » أو قل من نهاية أيام الربيع كان الهواء البارد مازال يهب وان كان بلا صقيع ـ .

قد لعبت فكرة برأس زعتر . وبكل ثقة . خطا خطوات ثابتة نحو السيد أحد ... وبصوت أجش قال له : أنا تعبان يا عم أحد .. ! تشغلني في الكراج ؟ .

ويجب ان اعترف هنا بكرم السيد أحد .

لقد أهمل « هيبته وسطوته » وترك « كوب » الشاي الذي يحمله وصرخ في عماله وأهل الحي : تعالوا يا شباب .. زعتر يريد أن يعمل ... !

واجتمع الكل وردد .. ما العجب .. شغله يا مهندس .. ؟ !

وغلب ذلك الرأي ؟ !! وكان لا يمانع فيه أحد من البداية ..

ثم بدأت فيما بعد ما اسميناه تحن والمرضات .. « حفلة تعميد زعتر واعداده للعمل » ؟ !

ولا أنزه نفسي عن قول ذلك وسماعه .

وعلى كل فان تلك رغبة الاسطى احمد المجردة !

فقد وافق على تشغيل زعتر بمرتب شهري ثابت .. وادراجه في جداول التأمينات « المعاشية » والطبية .. بشرط واحد .. هو أن يقوم عمال الكراج .. بتنظيفه وتطهيره من القاذورات التي حفل بها جسمه ، على الرغم من أن زعتر لا يختلف في شيء عن عمال الكراج المرجودين في حوزة الاسطى أحمد فعلا .. لكن ذلك كانت رغبته الوحيدة ..

وما بقي من أوراق .. تكفل باتمام انجاز استخراجها بنفسه .

وبدأ عمال الكراج في تنفيذ المهمة بهمة ونشاط ، أحضروا علبا من مسحوق الغسيل وقطعا من الصابون المربعات .. وتطوع أحدهم بفكرة من عنده .. فاحضر زجاجة « كلور » من تلك المخصصة لغسيل الملابس والبلاط .. وليف حمام خشن .

وأمام الكراج .. جردوا زعتر من ملابسه تماما .

وبخرطوم المياه المخصص لغسيل السيارات .. اكملوا المهمة على أتم وجه ممكن .. كأنهم يقومون بتنظيف عربة للمحل .

لكننا لم نر ما أصبح عليه زعتر فلم نتتبع ما حصل ، فالحدث لا يغري اصلا بتتبعه كلما خطر ببالنا .. أن زعتر .. سيصبح عاملا في الكراج .

لكن تقدرون فتضحك الاقدار .

ففي المساء وبعد صلاة العشاء تقريبا .. وانا في نوبتي بالمستشفى .. حضر « عثمان » عامل الكراج مهرولا .

الحق يا دكتور . زعتر يموت ...

حملت أجهزتي كأي طبيب يتصرف بصفة اعتيادية .. ازاء أية حالة .. وذهبت وفي ركن من الكراج وجدت زعتر ينتفض .. مصفر الوجه والجسد .. ويواجه صعوبة بالغة في التنفس .. والسعال يكاد يمزق صدره .

سبحان الله .. لم ترع « الجراثيم » صداقتها الدائمة مع زعتر .. وهو يتجول في الحارة ويرتع مثلها بين أكوام القاذورات .

فأصابته بالتهاب رئوي حاد ..

شيء متوقع تماما . ولكن ليس مع شخص مثل زعتر . هذا ماقلته لنفسي ..

ولم أجد ما يمكن وصفه الا المضادات الحيوية .. ومركب كورتيزوني لتوسعة الشعيبات الهوائية بالاضافة الى بعض المقويات ..

وأنا أقول : بلوى تضاف الى بلوى .

وانتهت مهمتي ..

فليست من مسئوليتي تقديم المزيد من العناية لزعتر .. او نقله الى مستشفى ، اذ ليس من اختصاصي ادخال أحد فيه ..

وكدت أقول حالته خطرة وميئوس منها لأبرهن على كفايتي امام عمال « الكراج » والسيد أحمد وكفاءتي ستتأكد هنا .. بموته أو حياته والعياذ بالله ..

لكن ما قلته كان غير ذلك .. وأوصيتهم أن يهتموا به ويحرصوا على تدفئته .. ولم أتأكد تماما ساعتها . هل التدفئة من مستلزمات العلاج .. أم الافضل أن يبقى في ظروف اعتيادية طبيعية حتى لا يتعرض لنكسة أخرى .

لكن ما اهتممت به فعلا هو انني اعطيت زعتر بنفسي الحقن وعدت الى العمل ثم الى البيت .

ومع تباشير الصباح ـ حل معه خبرا تناقلته الحارة

الفتاة الغنية الفقيرة



لم تستطع ملايينها ان تشتري لها السعادة التي قضت عمرها كله تبحث عنها ! فقد ماتت اخيرا المليونيرة الحزينة باربارة هاتون ، ـ عن ٦٦ عاما ـ صاحبة محلات « ولورث » التي تنتشر في كل الولايات الامريكية وفي اوربا ، وتعتبر واحدة من اغنى نساء العالم واوسعهم ثراء ! .. ولم يكن معها في وحدتها غير المرض الذي اصابها منذ سنوات ، وغير الحزن الذي امتلأ به قلبها منذ ان بدأت تدرك انها تعيش حياة بلا هدف !

لقد قضت باربارة سني طفولتها منذ ان كانت في الرابعة من عمرها ، ضيفة في بيوت اقاربها الأثرياء ، وكان رصيدها في البنوك في هذه السن الصغيرة يزيد على العشرين مليون دولار ، تركها لها جدها المليونير « ولورث » وكانت تقول : « ما قيمة هذه الملايين مع فتاة يتيمة مثلي ، بلا ام ترعاها وتحنو عليها ، وبلا بيت تشعر بالدفء بين جدرانه ! »

وكبرت باربارة وتزوجت سبع مرات ولكنها لم تجد السعادة التي ظلت تبحث عنها طول حياتها مع اي زوج من الرجال السبعة ، وكان بينهم ثلاثة امراء ، وكونت ، وبارون والممثل الامريكي المعروف كاري جرانت .. وقررت ان تكف عن محاولاتها في البحث عن السعادة مع رجل يحبها ويحنو عليها ، واكتفت بالحياة مع ابنها « لانس » الذي رزقت به من

والمرضات في أول دقيقة من بداية يوم العمل الرسمي .

« مات زعتر » .

لم يجرؤ أحد أن يسألني عن تفاصيل الحالة حتى شهادة الوفاة لا أدري كيف استخرجوها .

ولم نتكلم في الموضوع بإسهاب « على الاطلاق .. تناقلنا الخبر فقط بايجاز « زعتر مات »

واضفت أنا .. أن حالته كانت خطرة .. وان الهيام في العراء الطلق .. كان السبب في موته ولم يفده العلاج .

جنازة بسيطة .. بلا مقرئين .. وفي ليلة واحدة .. أقامها الاسطى أحمد لزعتر .. بعد أن عاد « صبيان » القهوجي .. وصبيان صاحب الكراج من مهمة الدفن .

وانتهت حكاية زعتر مجذوب الحي ..

ما حدث بعد ذلك هو أن أحد زملائي .. تطوع بقراءة الاوراق التي يحملها ، وقال انها مهمة يجب أن يقوم بها أحد .. فربما كان فيها شيء له أهمية ليجد فيها ما سبق ، وما قد جاءت سيرته .

ثم حرقت كل متعلقات زعتر ، وكل ما وجد معه من قروش قليلة .. صرف على جنازته بالاضافة الى ما دفعه صاحب الكراج .

هذا ما حدث قصصته عليكم ولم أغفل منه شيئا . ■■

المدينة المنورة ـ عبد الله عمر باحكم

زوجها الاول . فكانت تجلس معه وتحكي له متاعبها والامها ، وكان يخفف عنها ويحملها بين ذراعيه ، كما تفعل الام مع طفلتها ويقول لها : « انت امي وابنتي .. انت كل شيء في حياتي .. الا يكفيك هذا ! » ونسيت باربارة الدنيا وهي تعيش مع ابنها الوحيد .. ولكن القدر شاء ان يحرمها من اجمل شيء في دنياها الجديدة ، فقد مات لانس ، قتل في حادث سقوط طائرة في عام ١٩٧٢ !

وعادت باربارة هاتون الى وحدتها وشقائها مع ملايينها ..

ويقول دافيد هيمن ، الكاتب الامريكي في كتابه الجديد الذي يحدثنا فيه عن حياة هذه المرأة التعسة ، وكان من اقرب الناس اليها : « لقد كانت باربارة بعد ان رحل ابنها ، تبحث في وجوه الشبان الذين يمرون امامها على الشاطىء حيث كانت تنزل في فندق هوليود ، فاذا وجدت بينهم شابا قريب الشبه من ابنها ، دعته الى الجلوس معها ودفعت له الف دولار ، مقابل بضع دقائق يقضيها في الحديث معها .. في اي شيء .. وعن اي شيء .. فاذا انتهى الحديث القصير ، انفجرت تبكي كما يبكي الاطفال ! » لقد أمضت شهورا طويلة قبل رحيلها لم يطرق أحد خلالها باب بيتها الكبير الذي هجرته لتقيم في فندق وتكون قريبة إلى الناس » .

ويقول هيمان في كتابه : « انها لم تستطع ابدا ان تنزع صورة ابنها من مخيلتها .. لقد بدأت نهايتها المفجعة برحيل ابنها الوحيد !! »

كل الأيدي التي كانت تمتد اليها طالبة مصالحتها ، وصداقتها ، كانت تقبض الثمن دائما .. فهي لم تجد يدا واحدة خلال حياتها بين ازواجها السبعة ، تربت على كتفها ، وتمسح دموعها .. كان اصحاب الايدي دائما يسألون : « كم هو الثمن الذي ستدفعه لنا ! »

الرجل الوحيد الذي تزوجها ولم يكن طامعا في ثروتها هو ممثل السينما كاري جرانت .. ولكنه اكتشف بعد ثلاث سنوات من زواجه بها انه كان يشفق عليها !

حوار القراء

الكليات والجزئيات في الاسلام

● لعل فهمي هويدي في كتابته عن الاسلام يعطي الصورة المشرقة للاسلام في هذا العصر الذي ايقن فيه الانسان ان سعادته لا تكون الا بالاسلام عقيدة ونظام حياة، في الحكم والاقتصاد والاجتماع.

ولكنه يجانب الصواب عندما يصور مطالب العلماء في اقامة الحدود الرادعة لكل ظالم وفاجر . والدعوة للباس المحتشم دفعا لكل مفسدة ومحاربة السينما والتلفزيون على انها جزئيات فيقول : ـ (وليأذن لي الذين يشغلون انفسهم بقضية الحدود واللبس والخلع والسينما والتلفزيون. ليأذن لي ذوو النوايا الحسنة هؤلاء، ان انسب اليهم انهم يحاربون على غير الجبهة الاساسية ويلهثون في غير الاتجاه الصحيح . بل انني ازعم ان فتح هذه الجبهات والتركيز عليها يجهض المداخل الاصلية للتوجيه الاسلامي الحق ويشغل المسلمين بالجزئيات ، تاركين الكليات التي تمثل جوهر الرسالة وهدفها العظيم) . ولا اريد ان ادافع عن الزعامة الاسلامية التي قد تخطيء وتصيب كبشر غير معصومين . ولكنني اريد ان اقدم الصورة الحقة للاسلام من الكتاب والسنة ما يؤيدهم.

فانهم لا يشغلون الناس بجزئيات تافهة فاقامة الحدود من اسس الحكم بكتاب الله تعالى بقوله سبحانه تعالى (ان الحكم الا لله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فهي كلية اساسية لهذا الدين بقوله (ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله) ذلك لجلد الزاني وهذا التشديد العنيف في اقامة الحدود ليدل على انها اساسية وليست جزئية .

محمد عبدالغني ابوشرخ
الاردن ـ الزرقاء

صوت الاغلبية المقهورة

● من عجائب الامور في وطننا العربي ، ان رأي الاغلبية لا قيمة له وان رأي الفرد هو الحقيقة الواضحة رغم كل العبارات المنمقة والتي تصدم اسماعنا من كثرة ترديدها . فنحن صباحا او مساء نصفق ونهلل للديمقراطية واحترام الفكر وننادي بالعطاء الفكري وننادي بوحدة الصف العربي . كل هذا جميل ولكن ما ايسر القول وما اصعب التنفيذ . فلو نظرنا للانسان في واقعه اليومي نجده مطحونا ، مكبلا باغلال الفقر والجهل والمرض ، نجده يكاد يبيع حريته من أجل لقمة العيش .

وتموت القيم وتهدم الامال وتتبدد الاماني وتختلط الحقيقة بالوهم في سماء النفاق ويصبح للحقيقة الف لون ، والف منطق والف ثوب ، مع ان الحقيقة ليس لها الا صوت واحد هو صوت الحق وثوب الحرية . فمتى تعود للانسان آدميته ، وللفكر قدسيته ، وللحقيقة جلاؤها وهيبتها وللعلم أصوله وللحياة معالمها . متى نرى الحقيقة في ثوبها العادي ، ومتى نكف عن عبادة الفرد وانكار القيم والمعتقدات ، متى نكف عن ابتداع اساليب النفاق والقدرة على تحويل النور الى الظلام.

عبدالرحمن كامل
بلبيس ـ شرقية

■■■

نحن والتقدم

● دأبت مجلة العربي في الاعداد الاخيرة على نشر بعض الابحاث المستفيضة عن موضوعات وان كانت حيوية الا ان مكانها المجلات الاكاديمية المتخصصة . رجاء الاهتمام بالموضوعات التي تهتم بمشاكل الحياة اليومية والعبء المتزايد على الانسان في هذه المرحلة .

زكريا عبد الرحيم محمد
ج . م . ع ـ السويس

ارتيريا

● نحن شعب عربي تسري في عروقنا الدماء العربية .. ومن أبنائها المخلصين نؤثر فيها ونتاثر بها.. نصرها نصر لنا .. وهزيمتها هزيمة لنا . والشعب الارتيري يناضل منذ سبعة عشر عاما من اجل حقه في تقرير مصيره ببطولة نادرة امام قوة طاغية تريد طمس كيانه وكرامته .

ان الحرب التي يشنها النظام الاثيوبي لم تنل من عزيمة هذا الشعب بل ستزيدها قوة واصرارا .

ونامل ونحن نقاتل بالحديد والنار أن نجد في مجلة العربي قلما عربيا يقاتل معنا .

الطالب الارتيري
حامدي بن خليفة

صفحات طبيب الاسرة

● نرجو ان تنظروا في امر زيادة عدد صفحات طبيب الاسرة فانا نعتقد ان الفائدة التي نجنيها منها ان لم تزد فانها لا تقل باي حال من الاحوال عن ما نجنيه من الابواب الاخرى .

بعض قراء العربي بالرياض السعودية

هي الروح الاسلامية

● لقد قرات في العدد ٢٤٤ من مجلة العربي من مقال (فيليب حتي) في الصفحة ٢٥ يقول فيه (ان الروح الاسلامية لا تكفي لتعليل الفتوحات الي ان قال : انما هي الحاجة التي دفعت بمعاشر البدو الي مواطن الخصب) .

ان هذه النظرة من مفكر عربي الى الفتوحات الاسلامية تعد اجحافا لحقيقة الفتوحات الاسلامية والغاية التي دفعت لها . فقد كانت غاية سلفنا الصالح من الفتح اعلاء كلمة الله تعالى .

ولن ننسى قول عقبة بن نافع عندما فتح البلاد الواسعة الى ان انتهى الى البحر الخضم فخاض غماره بفرسه وهو يقول : يا رب لولا هذا البحر الواسع لمضيت مجاهدا في سبيلك واعلاء كلمة الله .

حلب ـ سوريا
حميد ارناؤوط

صرح للغة العربية جديد

● اقيم مؤخرا صرح جديد للحفاظ على اللغة العربية في الاردن وهو مجمع اللغة العربية الاردني الذي انشىء عام ١٩٧٦ وقد رسم المجمع لنفسه سياسة تستند الى محاور ثلاثة :

١ ـ معالجة اسباب ضعف اللغة العربية .

٢ ـ تعريب المصطلحات الاجنبية .

٣ ـ تعريب التعليم العلمي في الجامعات العربية .

وتصدر عن المجمع مجلة دورية تعكس نشاطه وسياسته وقد صدر العدد الاول من هذه المجلة في شهر كانون الثاني ١٩٧٨ ويشارك المجمع في المؤتمرات والندوات العلمية . كما اهتم المجمع في انشاء مكتبة خاصة به لتكون مرجعا للباحثين والدارسين .

ونحن نامل ان يسهم هذا المجمع في اثراء لغتنا العربية متعاونا مع المجامع الشقيقة .

عيسى الناعوري
امين عام المجمع

مسابقة العدد

● لدى اقتراح حول جوائز المسابقات فبدلا من النقود التي تصرف للفائزين اقترح ان تعطى لهم اشتراكات في مجلة العربي لان الدنانير زائلة والعربي باقية تقاوم الزمن والاقتراح كما يلي : —

(١) الجائزة الاولى اشتراك في مجلة العربي لمدة سنتين .

(٢) الجائزة الثانية اشتراك في مجلة العربي لمدة سنة

(٣) الجائزة الثالثة اشتراك في مجلة العربي لمدة ستة اشهر

اما الثماني جوائز الاخرى فالاشتراك في مجلة العربي لمدة ٣ اشهر

طه حسين

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

الشعر والفن في العربي

● صفحتان لم اشاهدهما في العربي في العدد الاخير (تشرين ثاني ١٩٧٨) الصفحة الاولى لم تقدمها « العربي » من قبل وهي صفحة الفن التصويري الذي يجسد الجمال في اروع المناظر فيا حبذا امامن فنانين في الامة العربية يحملون روح الاصالة الصحيحة فيتخيلون معركة احد ، حرب القادسية ، طارق بن زياد يفتتح الاندلس عمر بن الخطاب يصلي قرب كنيسة القيامة ، ابا تمام ينشد المعتصم بعد فتح عمورية ..

والصفحة الثانية : صفحة الشعر لم غابت صفحة الشعر في العدد الاخير وقد صدق من قال :

لولا النبوة كان الشعر قرآنا .

لم لا ينشر لبدوى الجبل بعض قصائده وعمر ابوريشة هل جف معينه ، ومحمد الجواهري والياس قنصل وعاتكة الخزرجي وسميح القاسم ... ولتعلموا اننا متعطشون لقراءة خلجاتهم .

احمد السيد الموسوي

لبنان

زيدوا المطبوع من العربي

● نحن القراء في سوريا نواجه مشكلة في الحصول على مجلة العربي ... ولست ادري السر في هذا ، اذ لا يستطيع القارىء الحصول على عدده من العربي الا عن طريق اشتراك في مكتبة خاصة ، وكل مكتبة تحصل على اعداد محدودة ، وهذا يعني ان الحصول على عدد رغم الاشتراك ليس مؤكدا ، بالاضافة الى عدم التزام الباعة بسعر المجلة الرسمي ، فانا مثلا اشتري العدد الواحد بثلاثة اضعاف السعر المكتوب على الجلد .

وانا ارجوكم باسم قراء مجلة العربي في سوريا بان تزيدوا الكمية المخصصة لنا حتى نستطيع الحصول على العربي بيسر .

بشار العاصي

سوريا

العربي : زيدت كمية القطر السوري اعتبارا من عدد يونيو ٧٩ ، بنسبة ٣٠٪ .

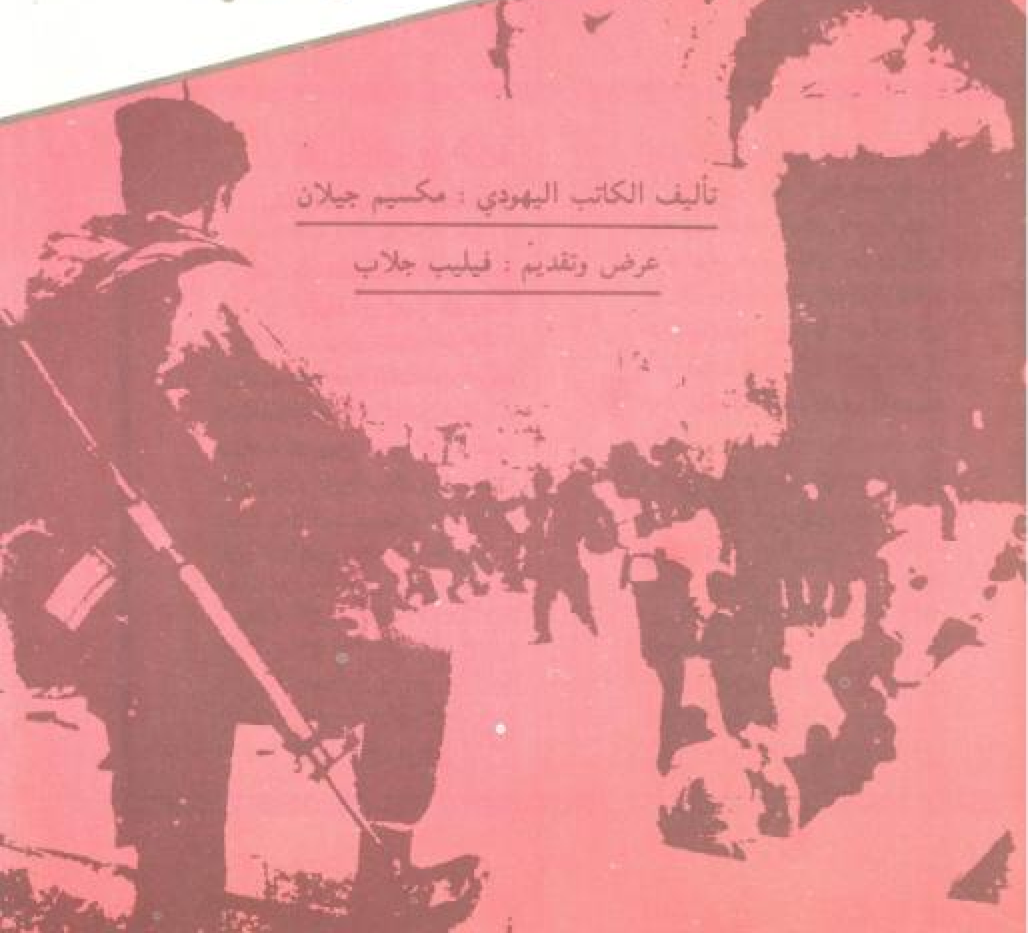
كتاب الشهر

"شاهد من أهله" : العنصرية الإسرائيلية عميقة الجذور

كيف خسرت اسرائيل روحها ؟

تأليف الكاتب اليهودي : مكسيم جيلان

عرض وتقديم : فيليب جلاب



طرأت فكرة هذا الكتاب ، الذي ظهرت طبعته الاولى في بريطانيا عام ١٩٧٤ كما يقول « جيلان » ، في الصباح الباكر من الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، عندما صكت اذنيه صفارات الانذار لاول غارة جوية .

يقول المؤلف : علمت ان الحرب نشبت اخيرا . ولمدة ستة ايام راقبت اناسا احببتهم واحترمتهم يقتلون اناسا آخرين احببتهم واحترمتهم بنفس الدرجة . كنت ممزقا في تلك اللحظة بين رغبتي القوية في ان اصبح جزءا من الكل ، ورغبتي التي لا تقل قوة بان مثل هذه الحرب لم تكن ضرورية » .

في السادس من يونيو كانت قد مرت على المؤلف سبعة اسابيع منذ ان غادر السجن بعد قضاء جزء من العقوبة ، بسبب كشفه لبعض اسرار الاجهزة السرية الاسرائيلية (شين بيت) عن دورها في اختطاف الزعيم المغربي المهدي بن بركه . وبسبب هذا « الجرم » عوقب مكسيم جيلان بعد خروجه من السجن من جانب السلطات باهماله وعدم مطالبته بالاشتراك في الحرب « دفاعا » عن اسرائيل .

« وعندما تكون في وطن يتصرف كل ابنائه كرجل واحد ، فهذا نوع حقيقي من الضغوط » .

كان المطلوب بالنسبة لجيلان ولغيره أن يعتنق المواطن الاسرائيلي نظرية « مع وطني ، مصيبا او

عن المؤلف والكتاب

ولد المؤلف مكسيم جيلان في فرنسا عام ١٩٣١ لاب فرنسي يهودي من رجال الاعمال . ووصل الى فلسطين عام ١٩٤٤ قبل ان يتجاوز عامه الثالث عشر . وبعد اربعة اعوام انضم الى احدى الجماعات السياسية الصهيونية التي كان يتزعمها ناتان يالين ـ مور . ثم اشترك في صفوف العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ في الحرب ضد العرب .

ولكن تطور مكسيم جيلان السياسي والفكري بعد ذلك ادى به الى السجن داخل اسرائيل ثلاث مرات . المرة الاولى عام ١٩٥٢ بتهمة حيازة وثائق سرية اسرائيلية تكشف بعض ما تريد اسرائيل إخفاءه . والمرة الثانية عندما حاولت الاجهزة السرية الاسرائيلية دفعه لقتل الدكتور رودلف كاستنر احد الزعماء الصهيونيين بتهمة تعاونه سرا مع المانيا النازية . واخيرا سجن عام ١٩٦٦ لنشره مقالات ، دون عرضها على الرقابة ، تكشف دور المخابرات الاسرائيلية في خطف واغتيال الزعيم المغربي المهدي بن بركه .

وفي عام ١٩٦٩ اضطر مكسيم جيلان الى مغادرة اسرائيل نهائيا واعادة النظر في موقفه « القومي » اليهودي .

والكتب التي ظهرت عن القضية الفلسطينية وعن المعاملة التي يلقاها العرب داخل اسرائيل او في الأراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ليست قليلة . ولم يخل الامر من بعض الكتاب

تخطنا » . ومن هنا توصل مكسيم جيلان الى موقفه النهائي : « انني لم اعد افكر كيهودي « يهودي » ، انني وطني من الشرق الاوسط ، وولائي لكيان لم يولد بعد » .

ومن ثم كان هذا الكتاب : « كيف خسرت اسرائيل روحها » .

ديمقراطية من ؟

اسرائيل دولة ديمقراطية . برلمانها منتخب وصحافتها حرة . والقوانين الاسرائيلية تضمن للمواطنين حرية الاعتقاد والمساواة بين كل الناس ومهما اختلفت اصولهم . ولا تعرف اسرائيل القوانين التي تحد من حرية الانتقال في الداخل والى الخارج . هي - كما يقول مكسيم جيلان - « جنة الديمقراطية او الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط ، كما لا يمل الناس في بلادي من ترديد ذلك » .

ومن الناحية النظرية لا يستطيع احد ان يرفض تلك المسلمات . لكن من الناحية العملية ستكتشف ان « الديمقراطية » الاسرائيلية قشرة هشة على السطح تخفي تحتها ابشع انواع المظالم والعنصرية والتفرقة بين المواطنين ، بسبب أصولهم وعقائدهم ومواقفهم الفكرية والسياسية .

تختلف الديمقراطية في اسرائيل وفقا لكل فئة من السكان . وسكان اسرائيل يمكن تقسيمهم الى اربع فئات :

- الفئة الاولى تضم اعضاء المؤسسة الصهيونية الحاكمة وانصارهم . وهذه المؤسسة تملك بالطبع الحق

الاسرائيليين او اليهود على درجة عالية من الامانة والانصاف . لكن كتاب مكسيم جيلان ينفرد بميزة اخرى وهي انه تتويج لموقف عملي ضد اسرائيل التي « خسرت روحها » بعد ان قضى المؤلف اجمل ايام شبابه في حرب من اجل قيامها وبقائها . وهو يريد ان يقول - سواء اتفقنا او اختلفنا معه - ان اسرائيل القائمة حاليا ليست تلك التي أرادها كثير من الذين حاربوا من اجلها . وفي رأى هذه المجموعة التي ينتمي اليها الكاتب من « اللاصهيونيين » ان اسرائيل تعامل المواطنين العرب بنفس الطريقة التي تعامل بها حكومة جنوب افريقيا العنصرية السكان السود وهم اصحاب البلاد الاصليين . ويستخدم مكسيم جيلان نفس الاسم الذي يطلقه حكام جنوب افريقيا على المناطق « السوداء » المعزولة التي يعيش فيها مواطنون من الدرجة الرابعة وهو « بانتوستان » !

لكن الاهم من ذلك ان المؤلف يتتبع الخيط الواحد او القاسم المشترك من العنصرية الاسرائيلية في الفكر وفي الدولة والمجتمع والجيش والصحافة والاقتصاد والطبقات والارض ، وكيف يوجه هذا كله في تنسيق وتخطيط كاملين ضد الاقلية العربية التي تتحمل ما لايطاق لكي تظل ملتصقة بارض الآباء والاجداد .

وفي هذا العرض سنركز على هذا الجانب بالذات من كتاب « جيلان » ، لكي تكتشف ان مأساة الشعب الفلسطيني والعربي في الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، لاتقاس بما يعانيه اخوتهم داخل اسرائيل او الارض التي تم احتلالها ابتداء من عام ١٩٤٨ .

الكامل في كل الامتيازات الديمقراطية التي توفرها القوانين الاسرائيلية .

- والفئة الثانية تضم فريقا من اليهود لم يلتحقوا بعد بالمؤسسة الصهيونية الحاكمة . وهم المهاجرون الجدد الذين يتعرضون لاستغلال اقتصادي واجتماعي قبل ان يتم استيعابهم في احد الاحزاب السياسية التي تشكل المجتمع الاسرائيلي .

- والفئة الثالثة تضم يهودا اسرائيليين من نوع آخر، وهم الذين يتحدون التركيب الاجتماعي والواقع السياسي للمؤسسة الصهيونية الرسمية ، ولا يخفون عداءهم للصهيونية ، او « لا صهيونيتهم » على الاقل ! . ويتعرض هؤلاء « المتمردون » للضرب والقهر والسجن ، والاغتيال احيانا ، كما يقول المؤلف .

لكن بالرغم من ذلك تنظر المؤسسة الصهيونية الرسمية الى اليهود اللاصهيونيين او المعادين للصهيونية كيهود يشكلون جزءا من الاغلبية الممتازة ، يمكنهم الحصول على نفس حقوق الاغلبية اذا اعلنوا « التوبة » .

- اما الفئة الرابعة فهي الاقلية العربية سواء من المسلمين او المسيحيين او الدروز ، وكل من يرتبط بفكرة القومية العربية . انهم كما يقول المؤلف مدانون بالقوانين غير المكتوبة للمؤسسة الصهيونية . وهم يتعرضون دائما للاحتواء والسيطرة والاحباط في كل ما يتعلق بتفكيرهم المستقل ، وتنظيمهم السياسي وحرية الحركة من مكان لآخر داخل اسرائيل .

انهم يعيشون في « بانتوستان » عنصرية غير مرئية .

ومن هنا يقرر المؤلف الاسرائيلي ان الحكم على معيار الديمقراطية في اسرائيل يجب ان يأخذ في الاعتبار هذا التقسيم للسكان . ولا يمكن ان نحكم على درجة تمتع العربي « الاسرائيلي » بحرية الفكر والتعبير بمجرد معرفة عدد الصحف التي تصدر في اسرائيل والى أي حد تخضع للرقابة والسيطرة . فالمعيار الحقيقي لحرية العربي هو معرفة عدد الصحف التي يملكها ويوجهها العرب للقراء العرب ، ومدى تفوق غير العرب في السيطرة عليها ومراقبتها وتوجيهها .

والصحف لمن ؟

العنصرية كما يقول المؤلف تتنافى مع الديمقراطية وحرية التعبير . والمشكلة التي تواجه المؤسسة الصهيونية هي كيفية السيطرة على حرية التعبير دون ان يبدو ذلك واضحا . والحقيقة أن السيطرة لم تتم حتى الآن بشكل كامل ، لكن تكميم الافواه يسير بشكل مطرد في طريقه المعلوم . اما الهامش الضيق بين حق التعبير وتكميم الافواه فهو ما يسمى الآن بالديمقراطية الاسرائيلية .

وتنطلق نظرة على الادوات الرئيسية للتعبير في اسرائيل الى جانب الاذاعة والتلفزيون التي تخضع للاشراف الحكومي او العسكري الكامل .

حتى عام ١٩٧٢ بلغ عدد الصحف اليومية التي تصدر باللغة العبرية في اسرائيل ثلاث عشرة صحيفة وهي :

- صحيفة « دافار » التي يسيطر عليها حزب العمل .

- « شاعار » وهي نشرة اقتصادية يسيطر عليها حزب العمل .

- « عال هامشمار » ويسيطر عليها حزب المابام ، وهو شريك حزب العمل في اتحاد سياسي واحد .

- « هاتسوفيه » و « هاموديع » تنطقان باسم الاحزاب الدينية المؤتلفة مع اي حكومة .

- « يوم يوم » وهي جريدة صغيرة مالية مستقلة .

أما أكثر الصحف اهمية فهي :

- « معاريف » وهي اكبر الصحف المسائية ، المملوكة لكبار رجال الاعمال . وابرز المساهمين فيها « اوفيد بن أمي » عمدة ناتانيا ومن اغنى الاغنياء في اسرائيل . ويعبر اوفيد بن أمي عن اصحاب سياسة التوسع وضم الاراضي العربية الى اسرائيل .

ـ « يديعوت احرنوت » : وهي الصحيفة المسائية الثانية ، ويوجه سياستها واحد من اكبر المتطرفين الاسرائيليين وهو دكتور « هيرتزل روزنبلوم » ، الذي يطالب بالشنق الجماعي لرجال المقاومة الفلسطينية ، لكن المسئول المباشر عن تحرير الصحيفة صحفي بارع يدعى دوف يدكوفسكي ، يخصص صفحة من بين خمس صفحة للكتاب المعارضين بشرط الا يتعرضوا للقواعد الاساسية للبناء الصهيوني . اما بقية الصفحات فيخصصها المحرر لتدعيم كل ما يهاجمه هؤلاء المعارضون بالتحديد !

ـ لكن اقدم واكبر الصحف الصباحية واكثرها جدية هي صحيفة « هآرتز » ، ويديرها مليونير اسرائيلي ولد في المانيا يدعى « جيرشوم شوكين » . ورغم صهيونيتها المفرطة الا انها ليبراليه ، لانه من الصعب على رجل هارب من المانيا النازية الا يفهم حقيقة اخطار الشمولية التي يتجه اليها النظام الاسرائيلي . وهي نسبيا تعد بمثابة « قلعة » لحرية التعبير ، رغم رفضها القاطع في المسائل الاساسية لنظرية « الديموقراطية لكل سكان اسرائيل » .

وهذه الصحف الاسرائيلية كلها المسماة « بالحرة » تخضع لمستويين من الرقابة الفعالة . المستوى الاول : هو الرقابة العسكرية المباشرة التي تربط كل ما ترفضه من المواد بقضايا الدفاع والامن والاقتصاد والهجرة والاراضي المحتله والقانون العسكري ... بل وحتى البترول ! والمستوى الثاني للرقابة يأتي من خلال لجنة « اختيارية » تضم رؤساء تحرير الصحف حيث يجتمع بهم سرا على فترات شبه منتظمة رجال الاجهزة السرية ووزارة الخارجية ومكتب المتحدث باسم رئيس الوزراء ، ويقدمون اليهم معلومات كاملة حول بعض القضايا الحساسة التي لا يجب ان تنشر على الرأي العام . وهذه اللجنة هي خط الدفاع الثاني ـ كما يقول المؤلف ـ ضد حرية التعبير ومن أجل حجب المعلومات عن الرأي العام .

ثم يأتي بعد ذلك تليفزيون واذاعة اسرائيل وهما مؤسستان حكوميتان تخضعان لسيطرة صارمة ، بالاضافة الى اذاعة أخرى للجيش الاسرائيلي .

أما اطرف التفسيرات التي يذكرها المؤلف عن اسباب تأخر اسرائيل في ادخال التليفزيون ، الى ما بعد استقالة دافيد بن جوريون من رئاسة الوزارة ، فهي عدم رغبة بن جوريون شخصيا في ادخال التليفزيون خوفا من انتشار صورة غير ملائمة لاغلب قادة اسرائيل وهم من كبار السن الذين لم تعرف عنهم الاناقة !!

اذن حرية التعبير كما يقول مكسيم جيلان متاحة عن طريق الصحف والاجهزة المذكورة للقسم الاول من سكان اسرائيل وهم اليهود المؤيدون للمؤسسة الصهيونية الرسمية .

أما اللاصهيونيون من اليهود أو المعادون للصهيونية من العرب واليهود فليست لهم فرصة حقيقية للتعبير عن انفسهم . وليست لهم صحف يومية . لان كل الصحف الاسرائيلية ـ ما عدا هآرتز و « معاريف » و « ويديعوت أحرونوت » ـ تعتمد اعتمادا كاملا على الدعم المالي الحزبي والحكومي . وهي تنال انصبة محددة من اموال المعونة الغربية وفقا لنفوذها داخل المؤسسة الرسمية ، الى جانب الاشتراكات الاجبارية التي يفرضها « الهستدروت » على النقابات العمالية بالنسبة لصحيفة « دافار » .

ومن هنا لا يستطيع الحزب الشيوعي مثلا ان يصدر صحيفة يومية ، اكتفاء بصحيفة اسبوعية باللغة العبرية ، وأخرى باللغة العربية تصدر مرتين اسبوعيا . وهي التي تنشر اخبار عمليات القمع ضد السكان العرب في اسرائيل وفي الاراضي المحتلة .

اما بالنسبة للفلسطينيين فلا يسمح لهم باصدار صحف الا اذا كانت تحت سيطرة أو توجيه صهيوني . وكانت جماعة « الارض » العربية قد اصدرت نشرة بنفس الاسم عام ١٩٦٠ ، لكن السلطات الصهيونية استخدمت قوانين الانتداب البريطاني في الغائها . وفيما عدا مطبوعات الحزب الشيوعي الاسبوعية والشهرية المحدودة التوزيع ليس هناك مجال آخر لنشر آراء الوطنيين العرب .

ولا تكتفي السلطات الصهيونية بقمع الاراء السياسية المعارضة وحجبها عن النشر في الصحف ،

لكن هناك موقفا خاصا للرقابة العسكرية الاسرائيلية من « الشعر العربي » بالذات . فعندما توافق الرقابة العسكرية على اجازة ديوان شعر عربي بعد حذف بعض قصائده وابياته تبقى المشكلة هي توزيع الديوان ، وهو اجراء شبه مستحيل .

والاكثر استحالة بالنسبة للشاعر العربي هو ان يحمل كتبه ليوزعها على السكان العرب في القرى المتناثرة المنعزلة ، لانه لا يستطيع وفقا لقوانين الطوارىء المطبقة على العرب ان يتخلف عن العودة الى منزله بعد غروب الشمس !

هاعولام هازه

لكن هناك استثناء وحيدا وهو مجلة « هاعولام هازه » التي يصدرها اوري افنيري الصحفي والسياسي الاسرائيلي . وفي بلد كاسرائيل محدود السكان ومحدود القراء بالتالي ، يصعب نجاح اي مجلة او صحيفة لا تتلقى دعما ماليا صهيونيا بوسيلة او اخرى .

وعندما اسس افنيري وشالوم كوهين مجلة « هاعولام هازه » حاولا الاستقلال بها عن السيطرة الصهيونية والاعتماد على القراء فقط .

واتبعت المجلة اسلوبا مثيرا وهو ان تكون مزيجا من الصور الجنسية والاخبار المثيرة الى جانب التعليق السياسي الرصين . لكن المجلة تعرضت للمصادرة اكثر من مرة . ولان افنيري ليس عضوا في لجنة « رؤساء التحرير » فقد تم اسكاته بوسيلة اخرى منذ انتخابه عضوا في « الكنيست » عام ١٩٦٥ ، عن طريق دعوته الى « التشاور الشخصي » مع الوزراء والمسئولين في المؤسسة الصهيونية الرسمية ليعرف الحقائق التي يراد إخفاؤها بشرط الا ينشرها . وهكذا تمنع الصحيفة الوحيدة التي كانت تنشر الحقائق من النشر بوسائل خاصة .

لكن هذه الوسائل الخاصة جاءت بعد سلسلة من عمليات القمع ضد افنيري وكوهين ، بما في ذلك « الضرب » الذي كاد ان يفضي الى الموت ، ثم تدبير عملية نسف مطابع المجلة واصدار الامر للجيش الاسرائيلي بعدم شرائها . ولم يكن هذا الامر الاخير هينا ، اذ ان اي مجلة رائجة في اسرائيل يصل توزيعها ما بين ١٠ الى ٢٥ الف نسخة اسبوعيا . ولما كان الجيش الاسرائيلي يشتري ما بين خمسة الى عشرة الاف نسخة اسبوعيا فانه يستطيع ان يصيب اي مجلة معادية بخسائر فادحة .

وفي عام ١٩٧١ قامت المجلة بحملة شخصية ضد موشي ديان فكانت النتيجة نهب وتخريب مكاتب المجلة . واصدرت الاجهزة السرية مجلة اخرى لكي تنافس مجلة افنيري لكنها لم تصمد طويلا . ورغم استمرار مقاومة افنيري ومجلته الا ان المحاولات الكثيرة المتنوعة ضدهما اثرت في شخصية افنيري . فمن ناحية اصبح يخشى ان يوضع دائما في سلة واحدة مع الخارجين على المؤسسة الصهيونية . ومن ناحية اخرى اصبح يعتقد انه وحده الذي يملك ان يغير الامور مما ادى به الى الغيرة والتشكك من شركاته وزملائه في نفس الاتجاه والانفصال عنهم . وانتهى الامر الآن بأوري افنيري ومجلته الى اهتزازات كثيرة في المواقف السياسية بل واحيانا الى اتخاذ مواقف اكثر تطرفا من المواقف الصهيونية الرسمية !

الصهيونية تتبنى النازية !

عندما اصدرت الامم المتحدة قرارا بادانة الصهيونية كفكرة عنصرية ، قامت قيامة اسرائيل والولايات المتحدة ضد القرار والامم المتحدة رغم ان الولايات المتحدة ترفع شعار الدفاع عن « حقوق الانسان » ضد اي اضطهاد عنصري او سياسي . لكن مكسيم جيلان مؤلف هذا الكتاب يكشف من عنصرية اسرائيل ما لم يكشفه قرار الامم المتحدة واكثر مما يتناوله العرب عادة في الحديث عن عنصرية اسرائيل . يقول جيلان : ان اسرائيل تتحول بشكل مطرد وصريح الى دولة عنصرية . وكل من ليس يهوديا فهو مواطن من الدرجة الثانية في احسن الاحوال .

ان « اعلان الاستقلال » الاسرائيلي يؤكد ان جميع المواطنين في اسرائيل متساوون أمام القانون ايا كان جنسهم او دينهم او اتجاههم . لكن هذا الاعلان لم يتحول ابدا الى قانون او وثيقة دستورية . وتجنبت جميع الحكومات وضع دستور ثابت للدولة . اكتفاء بقوانين

دستورية تصدر وفقا للحاجات السياسية للمؤسسة الرسمية او وفقا للرغبات الشخصية لاعضاء الحكومة ، مع الاستفادة التامة من قوانين الطواريء الموروثة من عهد الانتداب البريطاني على فلسطين .

ومن ثم اصبح اليهودي فقط هو الذي يملك حقوقا في اسرائيل حتى لو لم يولد بها ، ويحرم منها غير اليهودي حتى لو ضربت اصوله في الارض لمئات السنين .

وادت فكرة الحقوق التلقائية لليهودي الى مسألة « النخبة اليهودية » وتراجع غير اليهود الى درجة ادنى في السلم الاجتماعي . وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل الاحزاب الدينية التي ترفع شعار « النقاء اليهودي » تحصل على نفوذ هائل في المجتمع والدولة والجيش ، بحيث تصبح العنصر البرلماني الحاسم رغم ان مؤيديها لايتجاوزون نسبة ١٦٪ من سكان اسرائيل .

ومن اجل تأكيد فكرة « النقاء اليهودي » وهي فكرة عنصرية مائة في المائة توصلت المؤسسة الصهيونية الى نفس القانون النازي الهتلري وهو ان « اليهودي هو المنحدر عن جد يهودي » .

ولهذا رفضت المحكمة الحاخامية الاسرائيلية طلبات الكثيرين من الاوروبيين والاوروبيات المقيمين في اسرائيل لاعتناق اليهودية ، ومن بينهم فتاة بولندية (١٥ سنة) تعيش في اسرائيل منذ عام ١٩٦٢ ، طالما لا يعتنق احد ابويها الديانة اليهودية ، رغم موافقة الام على ان تعتنق ابنتها اليهودية .

وهناك حالات اكثر شذوذا ، حيث استطاع الضابط البحري الاسرائيلي « شاليت » أن يحصل قبل تعديل القانون على حكم من المحكمة العليا بان ابناءه من ام اسكتلندية (غير يهودية) يعدون من اليهود . لكن طفله الذي ولد بعد ذلك لا يعد يهوديا ، لان اليهودي هو المنحدر عن ام يهودية !

ولعل اوضح مثال على ذلك كما يقول المؤلف هو قصة ياكوف ماركوس الذي ولد لاب يهودي وام غير يهودية . اشترك ماركوس في معركة سيناء عام ١٩٥٦ ضد القوات المصرية وقتل فيها . ومن هناك نقل ودفن مؤقتا في المقبرة العسكرية وراء سور يفصله عن الموتى اليهود . وعندما احتج والد القتيل استطاع بن جوريون ـ منتهزا فرصة غياب كبير الحاخامين ـ التوصل الى حل وسط وهو دفن جثة ماركوس في مقبرة اليهود في قبر منعزل بشرط الا تختلط عظامه بعظامهم مع ضرورة اجراء عملية الختان للجثة !

لكن هذه القصص المتكررة المثيرة للسخرية ليست مجرد مادة للتندر ضد بعض المتهوسين من اليهود الصهيونيين . ذلك ان تطبيقاتها في المجتمع الاسرائيلي تحول مئات الالوف من غير اليهود الى مخلوقات غير بشرية تلقى الوانا من القهر والاستبداد والعذاب في كل ما يتعلق بوجودها وحياتها ، دون بارقة امل واحدة .

يقول مكسيم جيلان ان اليأس الذي اصاب العرب داخل اسرائيل بسبب الاجراءات العنصرية دفع بعضهم الى التفكير في التحول الى اليهودية لكي يجدوا مخرجا من الجحيم . لكن حتى هذا المخرج لم يعد ممكنا . والى جانب القانون السابق الذكر هناك اجراءات اخرى بالنسبة للعرب المطالبين بالتحول الى اليهودية . فقد اعلن وزير الشئون الدينية الاسرائيلي عام ١٩٧٠ ردا على سؤال لاحد النواب بان الاجهزة السرية تفحص بناء على طلبها سجلات اي متقدم للتحول الى اليهودية . وان رجال الدين اليهود يقومون بالاشراف المتصل على طالبي التحول وتقديم تقرير بذلك .

فليهاجروا ..

فما الذي اوصل العرب في اسرائيل الى هذا اليأس ؟

ان الحكم العسكري في اسرائيل يغطي بشكل مباشر مناطق واسعة تشمل النقب وكل شمال اسرائيل او الجليل والمنطقة الوسطى . وليس هناك خارج الحكم العسكري الا القدس وبير سبع وتل ابيب وحيفا ونتانيا . واستمر الفلسطينيون في هذه المناطق يخضعون لحظر التجول من التاسعة او الثامنة مساء حتى الخامسة او الرابعة صباحا لمدة اربعة عشر عاما منذ قيام اسرائيل . وتستطيع ان تتخيل كما يقول المؤلف الاثر النفسي على الفلسطينيين بعد هذه السنوات . لقد اصبحوا « لا ـ سياسيين » . ومن ثم الغيت بعض هذه الاجراءات .

وحتى الآن لا تسمح اسرائيل للمواطنين العرب بتكوين اى حركة او تنظيم سياسي مستقل (فيما عدا « الارض » التى الغيت) . وكل عربي ينشط سياسيا سواء في صفوف الحزب الشيوعي او كفرد مستقل يسجل اسمه في القوائم السوداء .

وتعمل المؤسسة الصهيونية باصرار على منع قيام اية اغلبية عربية في اى منطقة داخل اسرائيل . وفضلا عن تشتيت العرب في قرى متفرقة ومنعزلة ، حاولت السلطات الاسرائيلية الحد من الاغلبية العربية في الناصرة وعكا ببناء احياء يهودية كاملة . لكن عندما استطاع العرب الحصول على الاغلبية في انتخابات البلدية في الناصرة حتى عام ١٩٦٩ قررت السلطات الاسرائيلية بناء مدينة موازية باسم كيريات الناصرة (فوق المدينة القديمة) باعتمادات مباشرة من وزارة الدفاع خصصت لسكنى اليهود فقط .

وبينما تتمتع اكثر المناطق اليهودية انعزالا بالخدمات الطبية ووسائل الاتصال فان الكثير من القرى العربية خاصة في الشمال محرومة تماما من هذه الخدمات .

اما التعليم الذي يتلقاه التلميذ العربي في اسرائيل فيتجاهل عن عمد تاريخ وحضارة العرب ويركز على تاريخ الصهيونية و « الشعب » اليهودي في العالم .

ومن المذهل ان وظيفة التدريس بالنسبة للمدرس العربي في المدارس العربية لا يحصل عليها العربي الا بعد موافقة الاجهزة السرية (ستين بيت) !

وقد ادى ذلك الى هجرة مائة الف عربي من اسرائيل في الفترة ما بين قيام الدولة وحرب عام ١٩٦٧ . والغريب ان معظم هؤلاء من الفئات المتعلمة المطلوبة في اى مكان الا في اسرائيل . رغم ان اقل من ١٪ من العرب هم الذين يتاح لهم التعليم العالي .

بدايات العنصرية الاسرائيلية

لم تبدأ العنصرية الصهيونية مع قيام الدولة الاسرائيلية . لكنها سبقت قيام الدولة ولعبت دورا في قيامها .

كانت البداية تبدو طبيعية وتتسم بالبراءة . فقد رفع بعض العلماء الصهيونيين الذين لا يؤمنون بالديانة اليهودية شعار « ديانة الارض » كبديل لها . وكان المبرر في رأيهم هو تطهير يهود « الشتات » من ماضيهم المحزن كسماسرة واصحاب حوانيت ومرابين عن طريق التركيز على العمل اليدوي وزيادة الاراضي البكر والصحراء .

لكن النهم الى الأرض ـ كما يقول المؤلف ـ كان ضحيته الفلسطينيون . وقد اعلن ديان مرة دون اى تردد انه « ليست هناك قرية يهودية واحدة لم تقم مكان قرية عربية .. » .

وبدأت محاولات انتزاع الارض من العرب قبل قيام الدولة عن طريق التمويل من الصندوق القومي اليهودي وشراء الارض من الافندية (اى الاقطاعيين) العرب ، على ان يرحل منها العمال الفلسطينيون . لكن ذلك لم يكن كافيا اذا لم تتجاوز ملكية اليهود للارض حتى عام ١٩٤٧ في نهاية الانتداب اكثر من ٥ر٧٪ من اراضي فلسطين . وهي نسبة ضئيلة للغاية . وجاءت الفرصة الذهبية عام ١٩٤٨ عندما استغلت اسرائيل الحرب لتصفية الارض والمشكلة الفلسطينية .

وفي عام واحد هدمت اسرائيل ٢٥٠ قرية فلسطينية بعد طرد سكانها .

وفي عام ١٩٥٩ اعلنت السلطات الاسرائيلية ان الممتلكات التى تخص « الغائبين » العرب (سواء كانوا خارج او داخل اسرائيل) تضم ٣٠٠ قرية مهجورة او نصف مهجورة مساحتها ٥ر٣ مليون دونم (الفدان = ٤ دونم) . وتبلغ الملكية الزراعية « للغائبين » ٨٠ الف دونم موالح و ٢٠٠ الف دونم فواكه متنوعة . اما الملكية في المدن فتشمل ٤١٦ر٢٥ بناية تحتوى على ٤٩٧ر٥٧ شقة سكنية و ٧٢٩ر١٠ دكانا ومحلا .

هذه الثروة الضخمة اصبحت في حوزة ادارة ممتلكات « الغائبين » الاسرائيلية ، تتصرف بها كما تشاء في الهدم والبناء والتمليك او التأجير لليهود فقط .

ويقول مكسيم جيلان ان من اكثر الامور خزيا للمواطن الاسرائيلي ان تحصل الدولة ايجار المنازل التى

نقلت اليها بعض الفلسطينيين لكنها لا تعطي هؤلاء الفلسطينيين ايجارات منازلهم التي يملكونها ويسكنها اليهود . فالغائب في نظر المؤسسة الصهيونية ليس هو الذي غادر اسرائيل فقط ولكنه ايضا ذلك الذي لاتفصله سوى عدة امتار عن منزله وممتلكاته !

من يحمي العنصرية ؟

كيف تستطيع دولة في حجم اسرائيل ان تواصل الحياة في ظل سياسات عنصرية ضد اقلية عربية ليست ضئيلة ؟

هناك عاملان في رأي المؤلف بدونهما لاتستطيع اسرائيل ان تبقى كدولة يهودية « خالصة » وهما :

- المعونات الخارجية .

- والجيش الاسرائيلي (تساهال) .

و « تساهال » ليس مجرد جيش . انه دولة داخل الدولة ، وامبراطورية اقتصادية في غاية الحيوية والحركة ، ومصدر لاينقطع لتصدير المديرين للاقتصاد المدني . وهو اسلوب حياة والسلطة الرئيسية للتخطيط بالنسبة لمجالات الاستيطان الزراعي ، والتنمية الصناعية والامن وغيرها .

و « جيش الدفاع » الاسرائيلي يشكل بالنسبة للمواطن العادي المجال الاساسي لتكوين معتقداته . وهو رمز هويته والعمود الفقري « لاسرطه » الجديدة في الشرق الاوسط .

ويبدأ التمهيد للارتباط بالجيش منذ الدراسة الابتدائية حيث يتلقى كل تلميذ او تلميذة تمرينات شبه عسكرية في كتائب الشباب المرتبطة بكل مدرسة او معهد وتسمى « جادنا » .

وفي سن الثامنة عشرة يتم تجنيد الشباب حيث يقضي الشاب ثلاثة اعوام والشابات ثمانية عشر شهرا .

وتستغل المؤسسة الصهيونية هذه الفترة الحرجة في سن الشباب (من ١٨ الى ٢١ سنة) لتضمن حماية النظام من الهزات الاجتماعية الراديكالية للشباب . ففي مثل هذه السن يذهب الشباب في اغلب بلاد العالم الى الجامعات او المصانع ويواجهون المشاكل الطبقية ويتعلمون التمرد ويمارسون الانفصال عن الاسرة .

اما في اسرائيل فيحدث نفس الشيء ولكن في الاتجاه المضاد . ففي الجيش يتعلم الشباب النظام واستخدام الاسلحة المدمرة وما تعطيه من احساس بالزهو والقوة . وفي الجيش يمارس الشباب العلاقات الجنسية حيث الاختلاط في المستعمرات العسكرية وفي المعسكرات ، ويتكون لديهم احساس بالتوحد مع الارض البكر ، والاعتقاد المبرر بانهم يدافعون عن وجود وحياة الوطن .

وهذا ما يدفع الشاب الاسرائيلي لكي يبتعد عن مشاكل التمرد ضد السلطة ويتوحد مع حياة الجيش اذ يواجه صراعا حقيقيا مع اعداء حقيقيين .

ومن هنا يمكن ان ندرك لماذا لاتبرز مجموعات كثيرة من الشباب الثوري بعد الانتهاء من خدمة الجيش الاسرائيلي . بل ان الملاحظ هو تحول كثيرين من الشباب إلى الاتجاه المحافظ عند نهاية الخدمة في الجيش وبداية الدراسة الجامعية .

من « الخس » الى « الترانزستور » !

لكن في كل الاحوال يظل الجيش الاسرائيلي هو الحقيقة الاساسية المؤكدة وينمو على اساس القول بالحاجة المستمرة للمستوطنين على الطراز العسكري حتى تصبح اسرائيل قلعة يستحيل هزيمتها .

ومن هنا يرتبط الجيش مباشرة بالاستيطان والمستوطنات ، وبالتنمية الصناعية وصناعة الاسلحة والاليكترونيات وصناعة الطيران ومهمات الجنود والاغذية المحفوظة . ان الجيش يشرف على كل شيء ابتداء من زراعة « الخس » الى صناعة « الترانزستور » . والمؤسسة الصناعية مسئولة عن الانتاج والبيع والتوزيع . ولذلك يقول جوزيف سافير وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي عام ١٩٧٠ ان نصف العمال الاسرائيليين عام ١٩٦٩ امتصتهم الصناعة

العسكرية . وكانت اسرائيل وقتها تصنع ٩٠٪ من ذخيرتها وتصدر اسلحة ومعدات عسكرية الى الخارج بما يساوى ٤٠ مليون دولار سنويا .

ولهذه الاسباب كلها اصبح النموذج الاعلى في الدولة العنصرية هو الجيش . واصبح المجتمع الاسرائيلي « في حالة عشق للحرب وللجيش » لانهما يعطيان احساسا بالامن (حتى لو كان متناقضا) ويتميان عقل وعضلات الاقتصاد ويملآن الجيوب بالنقود .

والاكثر من ذلك اصبح الجيش فوق كل تنظيم . فمن خلاله يمر كل اسرائيلي . ونجاحه او فشله في الجيش [illegible] لنفس النتائج في الحياة المدنية . ولا يوجد صاحب [illegible] الذي يمكن ان يوظف احدا دون ان يطلع على [illegible] تسريحه من الجيش .

وحيث ان قيادة الجيش جزء اساسي من المؤسسة الحاكمة ، هناك التقاء تام بين القيادة العسكرية والقيادات العليا لاهم المؤسسات الصناعية التابعة للهستدروت . وهناك ما يشبه الاتفاق على ان تحصل الدولة والهستدروت على الجنرالات المسرحين لمناصب الادارة ، وتحصل المؤسسات الخاصة على صغار ومتوسطي الضباط لنفس الهدف . ولذلك أصبح الضباط هم العمود الفقري للفئات التنفيذية والادارية في اسرائيل .

كان كثير من السياسيين والمفكرين « الليبراليين » يخشون ويحذرون في بداية تكوين الدولة من تحول اسرائيل تدريجيا الى دولة عسكرية . وهذا بالدقة ما حدث . لقد اصبحت « عسكرة » اسرائيل حقيقة حتمية بسبب الوضع الاجتماعي والعسكري للدولة اليهودية . وكلما انتقل ضابط من الخدمة الى الاحتياطي تدعمت تلقائيا فئة المديرين العسكريين . وأدى ذلك الى مشكلة اجتماعية لان المديرين الجدد نقلوا معهم الاسلوب العسكري والنظر الى مصالح المؤسسة الصهيونية حتى لو تعارضت مع مصالح العاملين أو المصنع ، الى جانب ضيق الصدر إزاء العاملين وإزاء العمليات الديمقراطية والقانونية في المؤسسات .

لكن الاخطر من ذلك ان هذه الطبقة الجديدة ذات الاتجاه اليميني الشمولي في تصاعد مستمر . وهي تستند في النهاية على الجيش الذي يمثل العنصر الوحيد المنظم والأكفأ والاقوى ذا الدور الواضح .

وبينما يدرك الجميع ان اجهزة الدولة الاسرائيلية الاقتصادية والسياسية اجهزة « طفيلية » الا ان الجيش بالنسبة للجميع هو الاساس والضروري . وليس امامه الا ان ينجح أو يهلك ، فتهلك معه الدولة ... العنصرية . ■■

القاهرة ـ فيليب جلاب

الخطأ والصواب

كتب ابراهام لنكولن محرر العبيد في امريكا : « انني افعل كل ما في وسعي لاصل الى افضل ما يمكن ان احققه ، وانا امضي دائما في طريقي حتى النهاية ، فاذا جاءت نهاية الطريق ناجحة كما اردتها ان تكون ، فلن اقيم وزنا لما قيل عني وضدي ، اما اذا اثبتت النهاية انني كنت على خطأ طول الطريق ، فلن يستطيع احد ان يقنعني بأنني كنت صائبا حتى لو كان هذا الاحد كتيبة كاملة من الملائكة ! » .

نزهة العقل الذكي

مسابقة العــدد

■ مسابقة هذا العدد هي «الكلمـات المتقاطعة» .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة، حتى لا تشوه صفحـة العدد بقطعها منه.. اما الكوبون المنشور فى اسفل الصفحة المقابلة، فمن الضرورى ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتى :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينـارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز ماليـة قيمتها ٤٠ دينـارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلـة العربى صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٩ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول اكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حـل مسابقة الكلمات المتقاطعة، ستجد فى (٨) أفقيا اسم واحد من صحابة الرسول صلى اللـه عليه وسلم، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم سلطان عثمانى .

الكلمات الافقية :

١ ـ عالم يونانى شهير قبل الميلاد ـ من مستخرجات البترول .

٢ ـ من عتاد الحرب الحديثة ـ صلاحية .

٣ ـ تحسس ـ اله الفناء عند الهندوكيين ـ افقر ـ الاسم الشائع لثانى اكسيد السيليكون .

٤ ـ مجرى مائى ـ تقبض على ـ لاعب .

٥ ـ عالم جغرافى فلورنسى شهير ـ حرف استفهام .

٦ ـ نصف كلمة (سفير) ـ جوهر ـ مقام موسيقى ـ بحيرة افريقية .

٧ ـ فى العـين ـ نظـير ـ من ألمع قـادة انجلترا العسكريين فى القرن السابع عشر .

٨ ـ من صحابة الرسول .

٩ ـ عملـة عربيـة ـ عظم ـ حـرف عطف ـ من ادوات الفلاح .

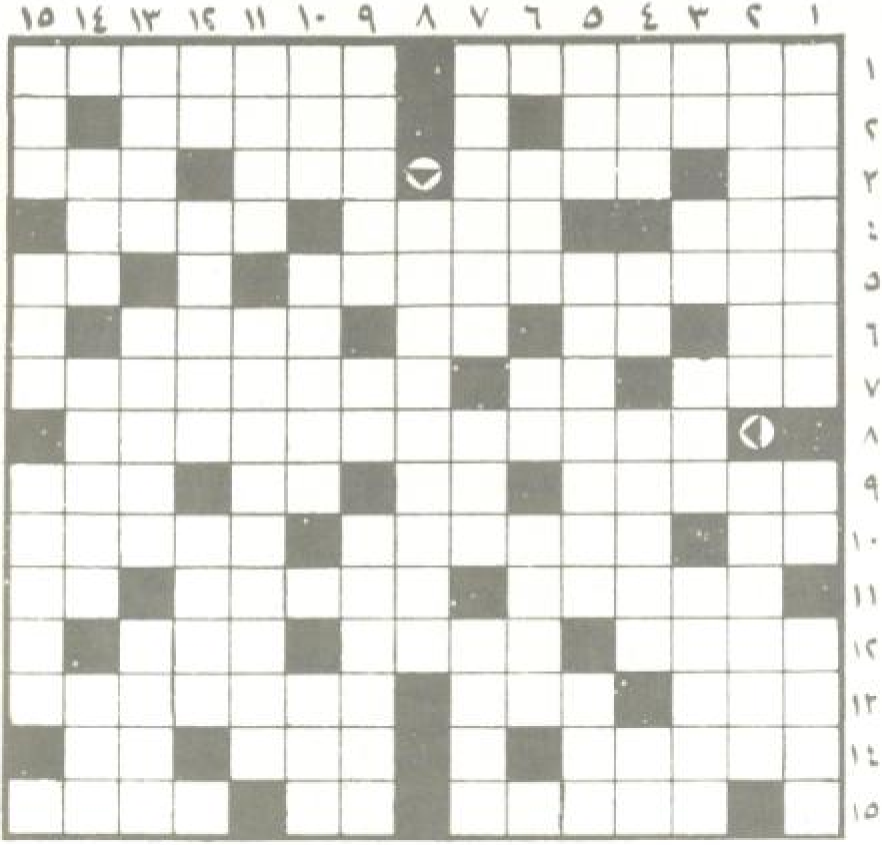
١٠ ـ لمس ـ من الغازات ـ يخفض القدر .

١١ ـ وحدة قياس مسافات ـ ضعيفة ـ تجدها فى (لغة) .

١٢ ـ من اطوار الحشرة ـ أذاع ـ يرشد .

١٣ ـ سكت متحيرا ـ هرب من سيده ـ الدكتاتور الوحيد فى تاريخ انجلترا .

كوبون مسابقة العـدد ٢٤٩



١٤ ـ من الاشجار ـ وحدة قياس زمن ـ حرفان متشابهان •

١٥ ـ يتعجب ـ نصف كلمة (نتيبع) ـ وحدة مكاييل •

الكلمات الرأسية :

١ ـ دولة من القارة الامريكية ـ فى الجهاز الدورى ـ ينتحب •

٢ ـ اقصى حدود العمران البشرى جنوب العالم ـ يديرها •

٣ ـ جذب ـ نصف كلمة (رسول) ـ يشرّع ـ أتبع •

٤ ـ من الاحجار الكريمة ـ جميع ـ مارة ـ نصف كلمة (بيوت) •

٥ ـ يبصر ـ من أصحاب المعلقات ـ سهاد •

٦ ـ غصن ـ حيوان ـ من الاسماء الحسنى •

٧ ـ موقعة بحرية انتصر فيها اليونان على الفرس عام ٤٨٠ قبل الميلاد ـ سلمت ـ طائر جارح •

٨ ـ سلطان عثمانى •

٩ ـ الطعام ـ من الاقارب ـ المعاهدة التى أنهت حرب الافيون الصينية •

١٠ ـ حيوان مفترس ـ يتمهل ـ حكت •

١١ ـ عاصمة حامورابى ـ من العناصر الكيمائية •

١٢ ـ رمز هندسى ـ من الثمار ـ تدك •

١٣ ـ للزينة ـ أبدى تاييدى ـ عاصمة توجو •

١٤ ـ حرف ابجدى ـ من الذخيرة ـ يسام •

١٥ ـ من الاقارب ـ من الاشجار ـ دولة افريقية •

عالم فرنسى معروف

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لعالم طبيعى فرنسى استغل قوة البخار فى تسيير السفن . انقل الحروف التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

الكلمات الافقية :

١ ـ عمالقة ذات عين واحدة فى الاساطير الاغريقية .
٢ ـ من الاسماء الحسنى .
٣ ـ فى الذراع ـ غذاء طبيعى كامل .
٤ ـ من حواريى السيد المسيح .
٥ ـ سافطون .
٦ ـ ظرف مكان ـ حرف استفهام .

الكلمات الراسية :

١ ـ دولة أوروبية .
٢ ـ يدكتان .
٣ ـ نصف كلمة (كانت) ـ تجدها فى كلمة (أعسر) .
٤ ـ نبات متسلق .
٥ ـ مصارق .
٦ ـ جلى ـ كشف .

٦	٥	٤	٣	٢	١	
★				↓		١
↓	■	★				٢
			■	↓		٣
■	↓	★				٤
★			↓			٥
		■	★			٦

					⬇

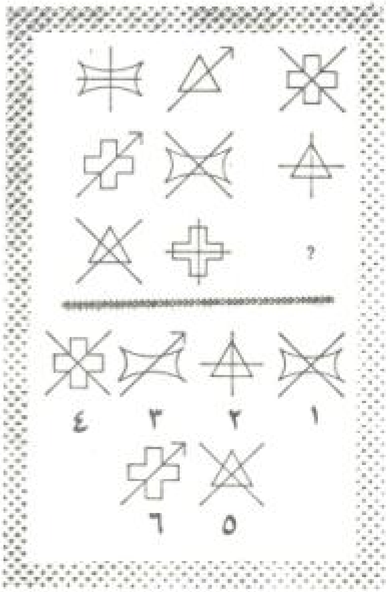
					★

● اختبار معلومات ●

اين الصواب .. واين الخطا ؟

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ، هل تستطيع أن تميز بينها ؟

١ ــ المقريزى : من أشهر مؤرخى عصر المماليك .
٢ ــ مسينا : من الهة الاغريق .
٣ ــ المزولة : استخدمت تاريخيا لقياس الوقت عن طريق ظل الشمس .
٤ ــ كيبتاون : مدينة هامة فى جنوب افريقيا .
٥ ــ مترولوجيا : علم مسح الاراضى .
٦ ــ الماموث : فيل ضخم توجد بقاياه فى سيبيريا
٧ ــ كلهارى : امبراطورة يابانية .
٨ ــ كوبرنيكس : اول فلكى يكتشف دوران الارض حول الشمس .
٩ ــ لستر : بطل رياضى عالمى فى رياضة رمى الجلة .
١٠ ــ الهارمونى : علم التالف الصوتى .



الشكل المطلوب

من الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحتل المكان الخالى فى الصف الثالث .

الحلول

النجمة والسهم :

دينيس بابان .

★ ★ ★

القط العابث :

١ ــ اخضر ، ٢ ــ احمر ، ٣ ــ ازرق ، ٤ ــ أسود ، ٥ ــ أصفر .

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم : ٣

★ ★ ★

أين الصواب وأين الخطا ؟ :

١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ صحيحة .
٢ ــ مسينا مضيق يفصل ايطاليا عن صقلية .
٧ ــ كلهارى صحراء فى افريقيا الجنوبية .
٩ ــ لستر جراح اكتشف استعمال المطهرات للقضاء على الجراثيم .


في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
CHRONOGRAPH
ORIENT
ومهما يكن اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية،
بإمكانك الإعتماد على "أورينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة أورينت كوارتز"
سوبر الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم خلايا تستمد
طاقة لا محدودة من الشمس، وساعة "أورينت كوارتز" الأنيقة
والجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ. مثل جميع ساعات "أورينت" يحتوي
هذان الطرازان على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من انجازات تقنية.
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة. ساعات "أورينت كوارتز"
دقيقة ورفيعة المستوى. انها أكثر من مجرد وجه جميل آخر.
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول أغسطس ١٩٧٩

١١٩

ليوكاديا

تأليف : جان أنوي
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال
مراجعة وتقديم : يوسف شاهين

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

التفكير المستقيم و التفكير الأعوج

ترجمة: حسن سعيد الكرمي

٢٥٠ فلساً

الكتاب العشرون

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠ر٠٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير ــ وثائق ــ يوميات ــ ببيليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ــ كلية الاداب والتربية ــ الشويخ ــ دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧ــ٨١٦٧٦٦ــ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح .
سجل برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء .
أو شاهد البرامج العديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية
والبرامج التثقيفية والوثائقية والأفلام العائلية البريئة على جميع أنواعها .
وبامكانك أيضاً حق تصوير أشرطة في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
الخفيفة التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثهما امامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني .
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً . وهو سهل الاستعمال .
أدره وزوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أو بثها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك .
سوني بيتاماكس . انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك .
Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

أعظم الإستعراضات العالميّة يمكن مشاهدتها مرارًا وتكرارًا مهما كانت أنظمة التسجيل



قد يصلك شريط فيديو كاسيت يحتوي على البرامج الرياضية والرحلات الممتعة من محطات تقدم في فرنسا. غير أن التسجيل بنظام سيكام لا يعمل على مسجل فيديو كاسيت بنظام بال ولكن مع سانيو بال/سيكام بيتاكورد تنتهي كل همومك بشأن أنظمة التسجيل حيث بإمكانك التقاط، أو شراء، أو إقتراض أو طبقًا... التسجيل على شريط الفيديو كاسيت من كلا النظامين. وهذا ما يتيح لك مشاهدة أعظم الإستعراضات العالمية عندما تريد وإعادة عرضها مرارًا وتكرارًا مهما كانت أنظمة التسجيل.

BCORD VTC 9300PS



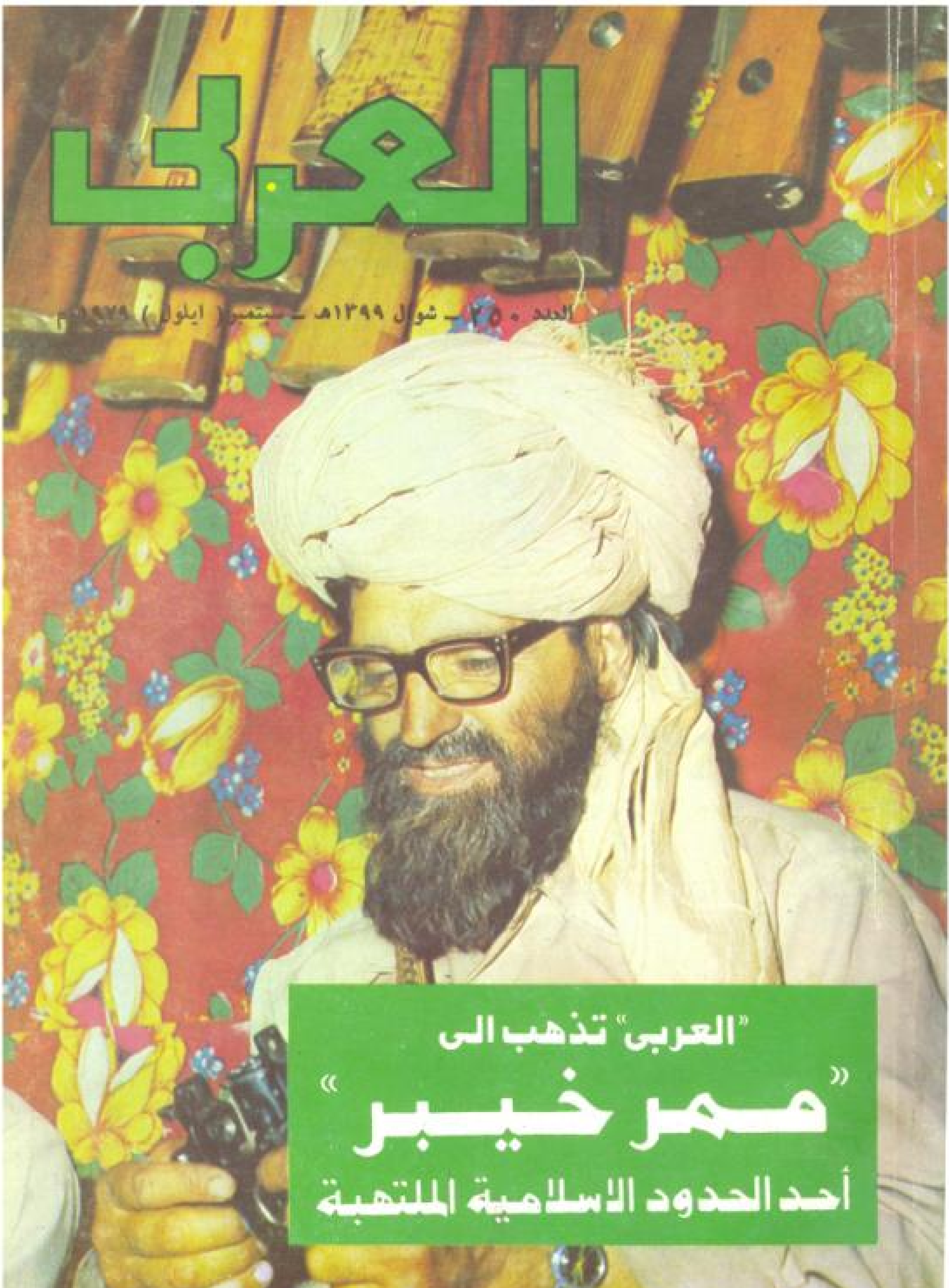
المميزات المثيرة لنظام سانيو «بيتاكورد»

- مؤقت آلي لمدة ٧٢ ساعة بأسلوب التسجيل اليومي
- آلية التحكم عن بعد للتوقف المؤقت/ وتوقف التشغيل
- التسجيل لغاية ٣ ½ ساعة على أشرطة الفيديو كاسيت المدمجة

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٥٠ ـ شوال ١٣٩٩هـ ـ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩م



"العربي" تذهب الى

"ممر خيبر"

أحد الحدود الاسلامية الملتهبة

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

نادت مجلة العربي - ومازالت تنادي - بالبدء في اقامة موسوعة عربية شاملة، تنقل الى القارىء العلوم الحديثة وكافة الوان الحضارة العربية، وتيسر للمثقف العربي ما توصل اليه الفكر الانساني في شتى حقول المعرفة، مما يجعل عائدها على العقل العربي والثقافة العربية عظيما.

وهناك مشروع قدمته منظمة العلوم والثقافة العربية لا قامة دائرة معارف عربية، تقدر تكاليفه بعشرين مليون دولار امريكي وهو مبلغ زهيد اذا قورن بحجم الانفاق العربي في وجوه اقل نفعا وهل يوجد انفع من الصناعة الثقيلة في مجال الثقافة ... ؟!

فمنذ اصدر الكاتب الفرنسي « ديدرو » موسوعته، قفزت الموسوعات قفزة هائلة الى الامام، واصبحت احد أعمدة المعرفة في اي مجتمع يسعى الى الحضارة والتقدم، ومن أشهر الموسوعات وأهمها « دائرة المعارف البريطانية » والتي انتقلت مؤخرا بجهازها الدائم الى مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الامريكية، وغيرها مئات من الموسوعات المتخصصة، سواء كان الموضوع علميا او فنيا او تاريخيا، وحتى الحركة الصهيونية أدركت اهمية دوائر المعارف، وانشأت دائرة المعارف اليهودية « انسيكلوبيديا جودايكا » والحافلة بتاريخ اليهود وسير رجالهم.

وفكرة اقامة موسوعة عربية تتردد بين وقت واخر، وفي اكثر من عاصمة عربية ولدى اكثر من مؤسسة ثقافية عربية، ولكنها - كالعادة - مازالت تتعثر امام عقبات كثيرة.

ونتساءل .. لماذا لا تتوحد كل الجهود ؟؟ ويبدأ جهاز دائم مهمته التنسيق والتخطيط والتنفيذ وأن توضع بين يديه الامكانيات المادية، وان يستعين بمئات المتخصصين على طول الوطن العربي في شتى المجالات انه مشروع يحتاج الى سنوات طويلة، ولا وقت لدينا نضيعه ... !

وعسى ان توحدنا الثقافة بعد ان فرقتنا السياسة.

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات :

سياسة واقتصاد :

عروبـــة :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 250 September 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● هو حقا واحد من أوسع معابر التاريخ ، وباب باكستان الشمالي .. « والباتان » هم حراس هذا الممر وحماته منذ قرون .. وقبائل «الباتان» اكبر مجتمع قبلي في العالم وقد اعتصموا وراء حصون من الاسوار والتقاليد، واطلوا على الكون بعيون الشك وفوهات البنادق ..

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

استطلاعات :

تربية وعلم نفس :

ادب :

فنون :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢ر٢ دينار ، المغرب ٢ر٢ درهم ، اليمن ٢ر٢ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »



عالم من سياحة ..



● منذ عشرات قليلة من السنين ، كانت « السياحة » ، ميزة لا تدركها الا القلة ، وكانت كلمة « السائح » مقصورة على صاحب الثروة الواسعة .

وحتى هؤلاء ، كانت الحركة بينهم بسيطة .

كان الملك او رئيس الدولة يقضي عشرات السنين متوجا ربما لا يبرح بلده او لا يبرحها الا مرة ، اذ كانت الرحلة الملكية حدثا هاما يستعد له ، واجراءات طويلة معقدة .

وكان السفر للسياحة له ناس قليلون مشهورون به . أذكر في مصر مثلا ان موسم السياحة كان يعد ناجحا اذا جاء « اغاخان » و « البيجوم » زوجته .. وعشرات مثلهم .. وامتلأت الغرف القليلة في فندق « كاتاراكت » في اسوان و « ونترپالاس » الاقصر ، وكان « وصول سائح » من هذا النوع خبرا تنشره الصحف في صفحاتها الاولى ، ونقرأه ونحن صغار وكأننا نتابع أخبار نوع نادر من البشر ، يقضي الصيف في مكان والشتاء في مكان !

وايضا كانت صورة السائح في ذهننا ونحن صغار هي صورة رجل عجوز أو امرأة طاعنة في السن لأنهم هم في العادة اصحاب القدرة المالية ، واصحاب الفراغ وقلة العمل ، لان السياحة نفسها كانت مقترنة في ذهننا بالمال الموروث دون عمل ..



وعندما اكتشف الانجليز مثلا شاطئا دافئا على البحر الابيض المتوسط هو مدينة « نيس » على الريفيرا الفرنسية ، يهربون اليه احيانا من برودة بلادهم وضبابها ، كان يعتبر هذا في فرنسا نفسها انه « من غرائب الانجليز » . وسمي كورنيش نيس باسم « شارع الانجليز AVENUE DES ANGLAIS » ، حتى الان ... رغم انه صار شارع العرب .. وجلا عنه الانجليز منذ زمن !

وبعد الحرب العالمية الثانية ، نشر الامريكان كلمة السياحة بتدفقهم الهائل على أوروبا . ايامها الدولار هو الملك . وسائر العالم فقير بائس . وحتى وقتها كان الشائع ان هؤلاء الامريكان القادمين من خلف المحيط وكأنهم من كوكب آخر ، كانوا ظاهرة فريدة ، لناس اكتشفوا الكرة الارضية ويريدون معرفة أصولهم التي هاجروا منها .

وبترول .. وفضول .!

بقلم : أحمد بهاء الدين



أيام زمان

كانت الفنادق قليلة حتى في اكبر العواصم ، وفاخرة جدا ، وكانت حجرة الفندق في حجم شقة واسعة من أيام ما قبل المباني الجاهزة التركيب والعمال الكوريين ! وكان السفر اساسا بالبواخر . والرحلة تستغرق في البحر لا اقل من اسبوع ومع نهاية الحرب العالمية كان التقدم الهائل قد جعل الطيران من اوروبا الى امريكا يستغرق ستا وثلاثين ساعة فقط (اربع ساعات تقريبا بالطائرة الكونكورد الان) وكانت لندن منذ عشرين عاما فقط خالية من المطاعم الى بيوت الشاي التابعة لشركة « الليونز » ومطاعم السمك والبطاطس المقلي FISH AND CHIPS رغم انها كانت عاصمة الدنيا .

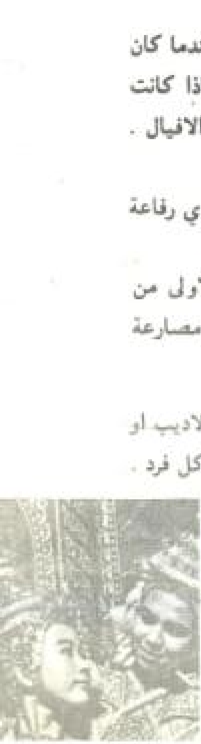
وكان هناك أدب من اعظم الآداب الانسانية وهو « ادب الرحلة » سواء قبل قرون ، عندما كان رجال مثل « ابن بطوطة » يرحلون الى اخر بلاد الله ، متجشمين الاهوال ، لا يعرفون اذا كانت ستكتب لهم العودة ام لا ، ليكتبوا عن العالم الذي لا يعرفه الناس ، والبلاد التي تركب الافيال . ولكنهم كانوا عبر التاريخ قلة نادرة .

واستمر هذا حتى العصور الحديثة . من كتب الفرنسي « ليوتي » عن الشرق او المصري رفاعة الطهطاوي عن باريس ....

وحتى الاربعينات من هذا القرن العشرين « كسب بعض اعظم الكتاب شهرتهم الاولى من أدب الرحلة .. سواء ماكتبه أندريه مالرو عن الصين وكمبوديا او إرنست همنجواي عن مصارعة الثيران في اسبانيا او مقهى « الكلوازيري » في باريس ...

ولكن السفر انقلب انقلابا تاما في العشرين سنة الاخيرة . لم يعد السفر للمليونير ولا الاديب او التاجر والمستكشف . بل كاد يصبح « حقا جماهيريا » من « حقوق الانسان » يتطلع اليه كل فرد . وعرف العالم سياحة جديدة تماما ..

ماذا حدث ؟..



اشياء كثيرة نذكر بعضها لا بترتيب الاهمية ولكن بترتيب تداعي الخواطر ...

لماذا بدأت السياحة ؟

الثورة الصناعية التي حشرت الناس بالملايين في المدن الصاخبة . والرغبة بعد « التشبع بحياة المدن » التي لا ترحم ، ورد الفعل ازاء « العمل الشاق الممل الرتيب » في المكاتب والمصانع وتحول الناس الى ارقام والى تروس صغيرة في آلات هائلة .. جعلهم ساعة الاجازة يركنون الى الفرار ... الى الطبيعة ، الى تحكم الانسان في نفسه ومزاجه ولو لأسابيع كل سنة ..

اكتشفوا شواطيء البحار وقمم الجبال وقيمة الخضرة وأنفاس الغابات .. واذكر دائما في هذا المجال كلمة لزوجة رئيس وزراء انجلترا الاسبق « هارولد ويلسون » ، وهي اديبة شاعرة لها عدة دواوين ، عندما سألها صحفي عن شعورها حين تركت بيتها خارج لندن وسكنت لاول مرة في قلب لندن ، وفي مقر رئيس الوزراء « رقم ١٠ داونتج ستريت » فقالت : في قلب المدينة اشعر ان كل نسمة أتنفسها قد تنفسها قبلي عشرات ! »

ثم جاءت زيادة السرعة ، واختصار المسافات وانخفاض النفقات (وسنعود الى اسبابها بعد قليل) .. كان عبور الاطلنطي يستغرق اسبوعا في اسرع السفن .. وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومع ظهور الطيران وانتشاره ، كانت نفس الرحلة بالطائرة من باريس الى نيويورك تستغرق ستا وثلاثين ساعة (الان تقطعها الطائرة الكونكورد في اقل من اربع ساعات . والاعلانات تقول : افطر في اوروبا مع عائلتك وتغد في امريكا مع اصدقائك !) .

ثم انكسر اهم حاجز وهو التكاليف ، تنافست شركات السفر بالبحر والبر والجو . ومنذ سنة مثلا جاء رجل اعمال انجليزي اسمه ـ لاكر ـ فألغى من الطائرة كل التفاصيل : المضيفة الجميلة والطعام الفاخر والحجز المسبق ، مقابل « مجرد نقل المسافر الى مقصده ، باقل من نصف التكاليف ! » . واعطته ملكة انجلترا لقب « سير » مكافأة له على هذا الانقلاب ...

هذا كله اوصل السياحة الى متناول يد الطبقة المتوسطة في العالم ، والطبقة العاملة في البلاد المتقدمة ، حيث امتلأت الطائرات ومجموعات شركات السياحة بالبروليتاريا ، وتدفق الشباب ذكورا وإناثا في نهم شديد على السياحة والسفر.

فضول الانسان الغريزي ، هذا الفضول الذي هو أحد مميزات الانسان على الحيوان ، هو احد اهم محركات التقدم من قديم الازل . ان الفضول لمعرفة الافكار والفلسفات ... هو نفس الفضول لمعرفة الاجرام السماوية ، وأسرار الفلك منذ آلاف السنين .. هو نفس الفضول الذي يطلق الاقمار الصناعية بتكاليف خرافية لمعرفة القمر والمريخ .. الفضول الذي كان يشبه لدى الناس عالم فلك او كاتبا رحالة ... صار مع هذا التطور في العالم فضولا يجب ان يرتاد كل انسان آفاقه بنفسه .. افلام السينما وحكايات الصحف وشاشات التليفزيون التي ترينا كل ارجاء المعمورة زادت الرغبة في المعرفة

والمعايشة ، ولم تطفئها ... وصارت القيمة الثقافية لزيارة بلد ومعرفة مجتمع ، كالقيمة الثقافية لقراءة اهم كتاب او عشرات من الكتب .. ولعلي استطردت ...

ولكننا ونحن مجتمعات نامية .. وربما كانت تطلعاتنا حتى الآن اكثر تواضعا .. فإنني اريد ان اغرز معنى هاما هو حاضر بعض الناس ومستقبل لباقيهم ... وهو ان السياحة صارت ضرورة وتزداد ضرورة .. وان الانسان الحديث انسان مسافر .. ان للدراسة ، او لزيارة المتاحف ، او للجلوس على مقهى في بلد غريب ...

واقل الناس حيلة في امريكا واوروبا مثلا يسافرون بالسيارات .. او الدراجات .. او سيرا على الاقدام .. وينامون في الفنادق الرخيصة .. او الخيام التي يحملونها .. او في العراء ، المهم ان يتحرك ، ان يعبر حدودا ما ، ان ينسى ـ لشهر ـ مكابدة احد عشر شهرا ...

والصيرورة الى عالم متحرك مستمرة وفي ازدياد ... حتى يعرف المسئولون عنا ، والرواد فينا وقادة الطريق ... ان هذا مستقبل لا بد من الاستعداد له .. بل والعمل من اجله ..

.. والبترول ايضا

طبعا لا يمكن لمتأمل عربي ، الا ان يذكر سببا هاما حرك الكثير من هذه الاسباب ، وجعل كل هذه الوسائل متاحة .. اكتشاف وقود محرك رخيص .. هو البترول ..

وهو السبب الذي اشرت منذ قليل الى انني أؤجله الى آخر الاسباب ...

فغني عن الاشارة ، ان كل هذه العجلات التي تتحرك .. من الدراجة الى السيارة الى الحافلة الى الطائرة .. والمحركات التي تدور في جوف البواخر .. الى الآلات التي تنتج في المصانع كل هذه الوسائل .. كل هذا .. كله .. يدور بطاقة محركة .. وكانت الطاقة المحركة اما باهظة التكاليف .. واما نادرة ـ واما غير ممكن اطلاقا استخدامها في مجالات هامة (هل كانت ستطير طائرة بالفحم مثلا ؟) .. حتى عرف البترول فاختزل كل هذا .. وسهله .. وتجاوزه .. ثم تدفق بكميات هائلة ، وحتى الان باسعار هي ارخص من اي وقود اخر ... فكان ، بعد العقل البشري صاحب الفضل الاول في خلق هذا العالم الجديد . في دفع حدود الانسان وتوسيع آفاقه آلاف آلاف المرات . وانا أضعه بعد العقل البشري لان عالم الانسان ، اذا تحدثنا عن التطور ، اداته الاولى الحاسمة هي العقل . واذا كنا نقول « الانسان بأصغريه : قلبه ولسانه » ومجموعهما هو التعبير عن العقل . فاننا نستطيع ان نقول ان العالم .. رغم كل جيوشه وصواريخه وناقلات النصف مليون طن ، يصدق عليه تماما ، ودائما « ان العالم بأصغريه : قلبه ولسانه » .

وانا لا اتحدث هنا عن البترول ، رغم كل الاغراءات ، حديث سياسة او حديث اقتصاد . والدنيا من حولنا لا حديث لها إلا عن « البترول سياسة واقتصاد » . انما اتحدث عنه من جانب حضاري ، انساني ، اثر ويؤثر في فكر الانسان ، وأفق الانسان وتكوين الانسان ، ونسيج كل خلية حية في الانسان .

ناحية قلما تحدث عنها او اهتم بها أحد ، ولعلها تكون مجالا لحديث مستقل ...

وبعد ذلك يستكثر الانسان « المتقدم » علينا .. ثمن البترول !

سائح .. وسائح

والانسان في الرحلة قد يكون آلة تصوير صماء ، ولكنه لا يكون انسانا من النوع الذي نريد ، الا اذا وجد نفسه ـ تلقائيا ودون قصد يتذكر ناسه ، وبلاده ، ويقارن ويتمنى الامنيات فهذا وحده هو حقا « الانسان المسافر » .

وأنا اتحدث عن انقلاب السياحة .. فاتذكر بلادنا العربية ...

كما يرى الانسان منا الصاروخ فيتمناه لبلاده . والرخاء فيتمناه لمجتمعه . وحرية العقل والفكر والضمير فيتمناها لشعبه وقومه .. ويرى نفس الانسان السفر وهو موضوعنا في هذه الصفحات فيتمناه لبلاده ..

لا شك ان شعوبنا العربية ايضا تمر في هذا المجال بانقلاب واسع . « مرض الحنين الى السفر » ، كما اسميه ، مستخدما عنوان مسرحية فرنسية قديمة ، مرض صحي يعالج اعراضا أخرى كثيرة واذا كان يجتاح شعوبنا .. من اقدر الناس الى زهور الشباب التي تكتظ بها حقولنا وبرارينا .. فهذه علامة صحية . ولكن تقصير المسئولين فينا في هذا المجال ، كبير .. وهو تقصير نحو انفسنا ......

ماذا ينقصنا ؟

اتطلع الى خريطة وطننا العربي .. فاجد فيها كل ما تتوق اليه النفس الراغبة في المعرفة .... والتغيير ... والترفيه ... وكل ما يشبع اي نوع من انواع الفضول ....

الجبال الشامخة والغابات السامقة الاشجار ، والجليد في جبال الاطلس والجزائر وشمال العراق ولبنان وما فوق شواطيء سوريا !..

الشواطيء البالغة الجمال ؟.. مصر وليبيا وتونس .

صيد البحر ؟ في البحر الاحمر والخليج ....

صيد البر ؟ في الصحاري وفي غابات السودان !

الدفء في الشتاء ؟.. في جنوب مصر وفي الخليج طراوة الصيف ؟ في كل الساحل العربي من سوريا الى الساحل المغربي على المحيط الاطلسي ...

آثار اسلامية وعربية ؟.. قاهرة الالف مأذنة والمسجد الأموي والكاظمية والاعظمية والفن العربي الاسلامي الرفيع في تونس والمغرب .

آثار حضارات اقدم ؟.. وادي ملوك الفراعنة في طيبة ... بابل القريبة من بغداد .. تدمر وبالميرا في بادية الشام ، ومسارح الرومان في سبراطة وغيرها ...

سياحة دينية ؟ صحية ؟ ثقافية ؟.. ترفيهية ؟ ان السياحة الان سياحات .

ماذا بقي وليس موجودا عندنا ؟ بكثرة وغزارة .. وتنوع .. وجمال ؟

انني لا ادعو الى « الاكتفاء الذاتي » في السياحة ولا الى ان لا نعرف سوى انفسنا فهي معرفة ناقصة ... ولكن اليست معرفة هامة ؟.. بل أليست معرفة انفسنا هي أول خطوة على طريق المعرفة كله ...

فماذا فعلنا ؟

اننا لسنا في حاجة الى اختراع البخار وقد صرنا في عصر الذرة . فلنفعل ما فعلوا ....

لقد انتبهت كل الدول الى اهمية السياحة الداخلية . ثقافيا وحضاريا بل واقتصاديا ...

فجزء كبير من مال السياحة في تلك البلاد ، ينفق داخلها ينميها يجملها ، يوسع دائرة رخائها ، ويربطها ببعضها البعض .

والسياحة الداخلية عندي ليست داخل القطر ، بل داخل الوطن العربي ...

والمفتاح هو ان نعاملها على هذا الاساس بالافعال لا بالاقوال . فقد صارت السياحة في امم شتى كأمم السوق الاوربية المشتركة سياحة داخلية ... لو اعتبر الطيران العربي طيرانا داخليا لهبطت التكاليف الى النصف ..

لو سهلت تأشيرات الدخول السياحية لتضاعف السائحون ...

لو فصلنا تماما بين سياسات الحكومات ـ واحيانا امزجتها ـ وبين تنقلات وعلاقات الامة الكبرى .. لزالت المخاوف ..

لو رصدنا أموالا تشجع بها رحلات الطلبة والشبان والشابات الى « الخارج » ورتبنا رحلات بسيطة التكاليف وبسيطة المظاهر في « الداخل » بين ارجاء الوطن الواحد .. لزالت معلومات خاطئة ، وصفت نفوس مضللة ، وحق علينا القول الكريم « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ! » .

لو وضعت الدول العربية استراتيجية لشبكة طرق ومواصلات عربية ، ينفق عليها من المال الوفير غير المستثمر ، من الايدي العاملة المعطلة ، لتبدلت شرايين الحياة في الجسد العربي تبديلا .

اين الطريق البري من بور سعيد الى طنجة ؟

اين خط السكة الحديدي الغابر من دمشق الى الحجاز ؟

ايعقل ان لا يكون بين مصر والسودان الا طرق القوافل التي انفتحت من مئات السنين دون اضافة واحدة ؟

هل وضع خطة استراتيجية لشبكة مواصلات عربية مسألة صعبة ، كوضع استراتيجية موحدة لحل قضية فلسطين ؟

نحن نطلب الاساسيات والبديهيات ، ولا نعثر عليها .....

أين وأين وأين ...... وألف أين ؟

والى متى لا نجد ما نكتبه الا ان نقول : أين ؟! ●●

احمد بهاء الدين
باريس صيف ١٩٧٩م

مسلمون والإسلام

بقلم الدكتور : عون الشريف قاسم

ذهب شيخنا الوقور الى أوروبا في مشارف هذا القرن دفاعا عن دينه وعن وطنه ، فرأى من قوة الشخصية الاوروبية وخلقيتها ما دفعه الى القول بأن في أوروبا اسلاما وان لم يكن هنالك مسلمون ، في حين أن في الشرق مسلمين ولا اسلام لهم. وردد صديقنا الصحفي الذى زار الصين الشعبية مؤخرا قولة مصلحنا الديني الكبير حين رأى من استقامة أهل الصين وجديتهم وتفانيهم في أداء الواجب ما بهره فقال ان الصينيين لا ينقصهم من الاسلام الا اسمه .

والواقع ان عناصر الدفع الحضارى تنبع من الداخل ، حين تتهيأ للامة أسباب النهضة . وان ما يعبر عنه الغربيون بالشخصية الخلقية للفرد والجماعة ، هو الاساس الروحي والفكرى الذى ترتكز عليه كل منجزات الانسان الحضارية . فلن تستطيع أمة أن تبني نفسها ماديا ما لم تكتمل اداتها الروحية ، وتتبلور شخصيتها الخلقية . ومن هنا يذهب كثير من الناس الى أن ازدهار الحضارة يتطلب ثورة روحية ودينية . ولا يذهبن الظن بالناس الى أن الثورة الروحية المقصودة هي من قبيل هذا الذى نشاهده في حياتنا من نشاط ديني مكرور يقف عند الحركات ، ولا ينفذ الى داخل النفس. اذ الثورة الروحية المعنية هي تحقيق قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . ومعنى ذلك أن الناس بحاجة الى ثورة داخلية تعيد صياغة شخصياتهم ، فيتغير ما بانفسهم من جمود وخمول وتخلف فكرى وروحي واجتماعي ، وتتحول السلبيات الى ايجابيات ، ويحل النشاط مكان الكسل ، وتنطلق قوى النفس من عقالها ، فتتألق العقول ، وتشرق النفوس بكل الفضائل الانسانية اللازمة لتقدم الانسان من صدق واخلاص وتفان وتضحية في سبيل الصالح العام ، ويتحد ظاهر الانسان مع باطنه ، فيتطابق القول والعمل ، وتنتفي الثنائية التي هي علامة التخلف الحضارى . وفي كل ذلك تاكيد للروح الجماعية دون اهدار لشخصية الفرد ، وهو ما نعبر عنه بروح المواطنة التي تستثمر طاقات الافراد من أجل الصالح العام .

سلوك الرجل العادي

وفي هذا الجو المفعم بالنشاط تنمو الشخصية الانسانية ، وتتميز بالتفرد والاستقلال ، فتتوقد الاذهان وتزدهر العلوم والفنون ، ويختلف عطاء الناس باختلاف ملكاتهم، فتتعدد الاتجاهات والافكار وتصطرع دلالة على الحيوية في كيان المجتمع ، وتتوشج الصلة بين الفرد ومجتمعه فيحس بالمسئولية الاجتماعية ، وتكاد القيم الفردية تصبح قيما جماعية، فيلتقي الضمير الفردي بالضمير الاجتماعي• ومقياس كل ذلك ليس في الكتب أو المحافل العامة، بل في حياة الناس العادية ، فسلوك الرجل العادي في حياته اليومية هو المحك لكل هذا • فبقدر ما يتجلى في علاقات الناس من تهذيب وتسامح وأدب وامانة وشرف يكون تحضر الناس،وبقدر ما يسود هذه العلاقات من خشونة وعنف وخداع وسوء أدب يكون تخلفهم الحضاري • فقوة الشخصية الخلقية هي الضمان الحقيقي لكل تقدم اجتماعي ومادي • لان التقدم لا يكون بغير التضامن والتكاتف والتكامل والتعاون ، وكلها صفات معنوية روحية نابعة من تراث الامة الذي هو تلخيص لكل تراث الانسان في حدود ظروف الامة الزمانية والمكانية• فالرجل الانجليزي مثلا الذي ينتظر دوره في الصف دون أن يزاحم من سبقه ، أو ذاك الذي تصدمه أو يصدمك دون قصد فيبادر كلاكما الى الاعتذار في أدب ، أو ذاك الذي يضع ثمن الصحيفة ويأخذ نسخة دون أن يتلفت فيقتبس واحدة بلا ثمن ، أو تلك الفتاة التي تسعى في الطريق دون أن يساورها شعور بأنها بضاعة معروضة للمتفرجين او انها الفتنة التي يجب أن تجذب أنظار الناس بما تلبس أو بما لا تلبس من زينة و ثياب ، كل هؤلاء يستمدون سلوكهم من هذه الشخصية الخلقية التي يرتكز عليها بناء المجتمع ، ويحرص الناس على المحافظة عليها مهما تغيرت أحوالهم • فوراء هذه الموضات المتلاحقة في الازياء والافكار والمذاهب ، مهما بلغت عبثيتها ، محاولات جادة للتعبير عن القيم الموروثة في أوضاع جديدة ، وكل ذلك رهين بالتجربة والخطأ ، ومن هنا تتتابع الاشكال والموضات دون أن تستقر على حال نسبة للاضطراب العام في العالم المتقدم عامة ، وسعيه الدائب للتغيير والتطوير • فكل هذه الظواهر الاجتماعية التي تطفو على سطح الحياة الغربية في شكل حركات الرفض او الفوضى او الرجعة الى الدين وما اليها ، أساليب للتعبير عن وضع حضاري معاش ، وهي وسائل للوصول الى شكل يستقر عليه تعبير المجتمع عن قيمه الموروثة • ولكن العالم المتخلف المنفصم الشخصية لا يدرك الفرق بين الوسائل والغايات ، فيتخذ الاشكال المجردة عن فكرها غايات واهدافا وسبيلا الى التطور ، فيبتعد عن الجادة مرحلتين • أولاهما اقتصاره على العرض دون الجوهر من تجربة الغرب الحضارية• وثانيتهما اكتفاؤه بتجربة الاخرين المعبرة عن وضعهم الحضاري المختلف ، مهما التقى الناس في الانسانية ، وبذلك ينصرف عن معاناة تجربة تغيير حياته بما يتلاءم وظروف مجتمعه ، الى التقليد والمحاكاة ، وهما علامة العقم والافلاس وسبيل الانقراض الحضاري والذوبان في الحضارة الطاغية •

تجربة الانسان

ان الناس مهما اختلفت اديانهم وعاداتهم ووسائل حياتهم ، يلتقون في الاسس الانسانية العامة المنتزعة من تجربة الانسان على الارض ، والتي لا بقاء لمجتمع متحضر بدونها ، وهي التي تمنح الشخصية الخلقية للفرد والجماعة هيكلها ومرتكزها • ولكن تعبير الناس عن هذه الاسس الانسانية يختلف باختلاف الاقوام والبيئات • فان لكل مجموعة من الناس أسلوبها الخاص في الحياة، ونظرتها المحددة للكون • وهذا الاسلوب وهذه النظرة هما اللذان يصوغان شخصية الفرد ، وبالتالي شخصية الجماعة بحيث نجد شخصية الانجليزي مغايرة لشخصية الفرنسي، وان اتحدا في المصدر الحضاري العام • ومن باب أولى أن تختلف شخصية الصيني أو العربي عن كليهما ، للاختلاف الكبير في الاسلوب والنظرة اللذين هما تلخيص لتجربة الامة منذ ان وجدت على الارض • فتجربة قوم في هذا المجال قد تفيد ، ولكنها لا تغني عن المعاناة الذاتية • اذ ليس هنالك بديل للثورة الروحية في داخل الشخصية الحضارية للامة ، فتنطلق قواها لتغيير الحياة من حولها بما يتلاءم واسلوب القوم ونظرتهم المتفردة للحياة • وبذلك تتغير وسائل التعبير عن القيم الموروثة ، فتتطور الشخصية الحضارية بتفجير منابعها الروحية المختزنة ، فيشرق الباطن على الظاهر ، وتنتفي

الازدواجية بين واقع الناس المعاش وصورولهم المختزن ، اذ يلتحمان فيفقد احدهما الآخر ، فيكون الماضي جزءا حيا من الحاضر المتجدد أبدا بما يطور حياة الناس في عالم شديد التغير • فان التغير والتجديد هما سمة العصر الصناعي الذى نعيش فيه ، وسيتضاعف اثرهما في العصر الذرى التي نشهد بوادره • وعلى الناس ان يوطنوا انفسهم على قبول هذه الحقيقة ، وان يجروا في انفسهم من التغييرات والتعديلات بما يسمح لهم بالحركة الذاتية ، بدل ان يظلوا طول حياتهم يحملون على نقالات ، او عجلات مستوردة من الغرب ، مثل ما يعمل المرضى او المكسحون •

لنعترف باننا في العالم الثالث نجتر ثقافات المتقدمين من اخواننا في الغرب والشرق ، ونقلد الاشكال التي يعبرون بها عن معاناتهم الحضارية دون منطق او مبرر سوى منطق المحاكاة ، لعجزنا عن النظر المستقل لقضايا مجتمعنا ، وقصورنا عن وصل شخصيتنا الحضارية بهذه القضايا ، فتتفجر قوانا الكامنة المختزنة خلال التاريخ، فيتصل ماضينا بحاضرنا بما يشبه مجرى النهر الذى كانت تعوق حركته السدود والصخور ، فبمجرد زوالها ينساب في حرية وقوة مندفعا الى الامام • ان معظم الايدولوجيات والافكار التي يتبجح كثير من مثقفينا في العالم الثالث بالتمشدق بها ، تعبير عن اوضاع في مجتمعات غير مجتمعاتهم ، ولا فضل لهم فيها غير النقل والاجترار •وقد عشنا طويلا على التقليد والمحاكاة في الافكار وفي نمط الحياة • وقد آن لنا ، وقد استقلت معظم اوطاننا عن سيطرة الاستعمار المباشر ، ان نعلن استقلالنا الفكرى ، وان ننظر الى تجربة الغرب الحضارية في حجمها الطبيعي، بحسبانها تجربة انسانية رائدة، تستفيد منها ، ونطور حياتنا بثمراتها العظيمة ، ولكنها ليست بديلا عن تجربتنا الحضارية الخاصة ،التي تحتاج منا اول ما تحتاج الى الشجاعة لترفض الذوبان والانخراط في التيار الطاغي على العالم الان ، وان نستعيد لثقتنا بانفسنا وبمقدراتنا وبطاقاتنا الروحية ، التي استمد الغرب منها بعض قواه • فان كثيرا مما عندهم ، موجود عندنا، كامن في ضمائرنا ووعينا • وقد آن لنا ان نكشف عنه حجب الجهالة ورواسب السنين •

عن تجارب الآخرين

ان قضايا مجتمعنا قضايا تنمية وبناء • وعلينا ان نواجه مشاكلها باساليب ووسائل نابعة من ذواتنا ، ومن تجاربنا المختزنة ، دون ان نبحث عن البديل في تجارب الاخرين ، وان استفدنا منها في تطوير ما بايدينا من وسائل • وهذا يدعونا الى البداية من اول الطريق ، وذلك باكتشاف انفسنا ، ومعرفتنا لمقدراتنا الروحية والفكرية عن طريق الدراسة والبحث والمعايشة لتراثنا واصول حضارتنا التي انفصلنا عنها بحكم التخلف الحضاري وتسلط الاستعمار • ان تقدمنا الحقيقي النابع من اصالتنا الكامنة في أعماق شخصيتنا لا يكون بتلقف شعارات الآخرين واجترار أفكارهم • فاننا مهما بالغنا في ذلك ، فلن نكون سوى مقلدين أو نسخ للآخرين • أما سبيل البعث الحقيقي لامتنا فهو تطويع ثمرات العلم الحديث ، لاكتشاف ذواتنا وتأكيد أصالتها ، لا للهروب منها ، والتنصل عن أخص خصائصها حتى نحسب في زمرة المتحضرين • ان التحضر معاناة وليس تقليدا • والمعاناة لا تكون الا بالانكفاء على الذات للتنقيب عن مصادر القوة فيها في ضوء تجربة العصر ، وبذلك تتأكد شخصيتنا ، ونصبح منتجين للحضارة لا مستهلكين، وأهم من كل ذلك نصبح انفسنا ، بدل أن نذوب في غمار الآخرين • ■■

الخرطوم ــ د • عون الشريف قاسم

اعطوا اعينكم حظها من العبادة

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : اعطوا اعينكم حظها من العبادة فقالوا : يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال : النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه •

كلها خرافات ليس لها قدم أو ساق !



دائرة البروج

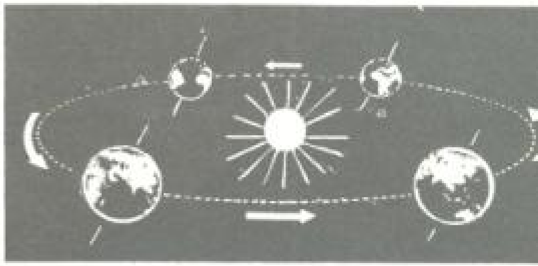
البروج وحظوظ الناس

بقلم : المهندس سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس

نسج كثير من الناس الاساطير عن البروج فى الحضارات القديمة . وأقسم الله تعالى بها فى القرآن فى مطلع سورة باسمها بقوله «والسماء ذات البروج ... واليوم الموعود .. » ولكن مازال كثيرون يجهلون حقيقة أمرها ولا يربطون الا بينها وبين الحظ والبخت والطالع . وصدق من قال « كذب المنجمون ولو صدقوا » .

■ من العادات الشائعة بين كثير من قراء الصحف والمجلات في كثير من الشعوب البدء بقراءة الحظ المدون فيها والذى يتوافق مع تاريخ الميلاد حسب البرج الذى يقع فيه هذا التاريخ • ولقد اصبحت الصياغات العامة التي يتلاعب بها محررو هذه الابواب من الصحف،عن المال والعاطفة والعمل عناصر مؤثرة على بعض العقول اعتمادا على الربط بين العلم والحظ ، استقراء للنجوم عن طوالع والدار خلق الله فيما سيحدث لهم رجما بالغيب وتنبؤا بما سيحدث لهم • ولقد رسخ في اذهان الكثيرين ، ان هناك علاقة بين هذه التنبؤات غير الدقيقة وبين العلم ، من الى ما تعود عليه العامة من مظنة امكان استقراء النجوم لمعرفة مصير عباد الله•وكان العلم أصبح قادرا على قراءة اللوح المحفوظ ، ومعرفة ما تاتى به الايام ، كانها مسطرة فوق صفحة في السماء • وتاتى هذه الظنون مرتبطة بما يطلقون عليه اسم



« البروج » وبروج السماء بريئة من كل هذه المزاعم •

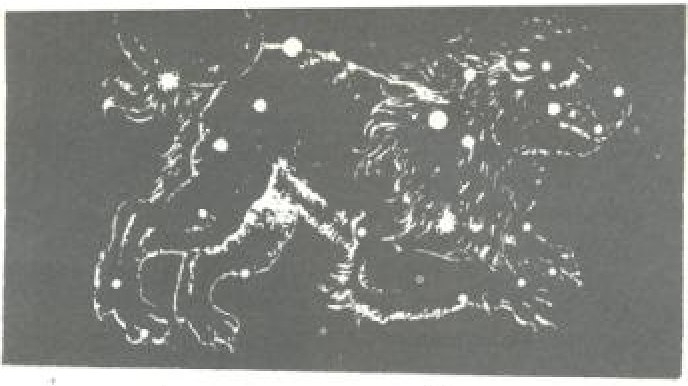
وهدفنا هنا أن نستعرض سويا الحقائق الفلكية التى تلقى الضوء على أن الربط بين علم الفلك وحظوظ الناس ، ليس الا تلاعبا بالافكار توارثناه منذ جهل الكثيرون بحقائق الكون وما كان يعرف عن اجرام السماء الا القليل وشاءت الزمرة التي تعرف هذه القشور أن تجعل من الحقائق العلمية وسيلة لغزو غريزة الفضول وحب التطلع للمستقبل ، والامال العريضة التي تسيطر على اذهان كثير من الناس• وهناك حقيقة راسخة ان قدامى العرب كان بعضهم ضالعين في هذا المضمار تحت ستار علم أسموه « علم الهيئة » وتبعهم الغربيون حيث ابتدعوا « علم التنجيم » Astrology وربطوه ظلما بعلم الفلك بل واستقوا تسميته منه ومازالت هذه العلوم تربط بين اسم الشخص ، واسم امه ، وتاريخ مولده وبرجه ، وبين حظه المكتوب على جبين السماء ، في تدور مريض لاقتراب كوكب زحل من الارض واقتران مدار المشترى مع مدار المريخ ! •• وكلها في شريعة العلم وعلى ضوء حقائق الكون الثابتة التي لم تتبدل ولم تتغير منذ خلق الله الكون ، خرافات ليس لها قدم ولا ساق •

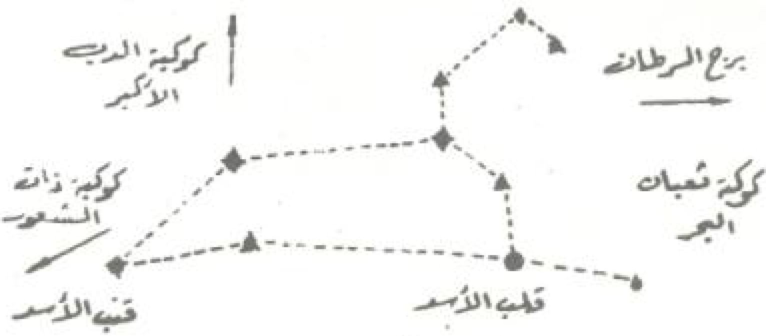


اين نحن في الكون

سؤال يطرح نفسه على ذهن كل مفكر أو متدبر ، أين موقعنا من هذا الكون ؟ والحقيقة ان الشمس وما حولها من كواكب ، تقع في ركن قصى من أركان « مدينة نجمية » تسمى المجرة • وهي ذات شكل فريد لانها تشبه صفحتي طعام متقابلتين ، أو كقرص كبير منتفخ من منتصفه ومدبب من طرفيه وقطر القرص الكبير يماثل عشرة امثال ارتفاعه عند المنتصف • ولكي نتصور ضخامة حجم مدينتنا النجمية هذه يكفي أن نعرف أن طول القطر الاكبر لقرص المجرة يقاس بالوحدات الفلكية بمقدار ١٠٠٫٠٠٠ سنة ضوئية ، بينما ارتفاعه المنتفخ عند المنتصف يبلغ هذا القدر اى ١٠٫٠٠٠ سنة ضوئية•والسنة الضوئية بالوحدات الطولية تعادل ٦ مليون مليون ميل • ومعنى ذلك ان قطر المجرة الاكبر طوله ستمائة الف مليون مليون ميل (٦ مسبوقة بسبعة عشر صفرا) •

والشمس ليست في مركز هذه المدينة النجمية الضخمة كما كان يظن القدامى بل هي في أحد أطرافها • وموقعها يقرب من طرف قرص المجرة على القطر الاكبر ، بحيث يقسم هذا القطر بنسبة





نجوم برج الأسد

(١ : ٤) فهي قرب حافة القرص ، وتدور حولها الكواكب التسع التي منها الارض ٠

ومهما حاولنا تشبيه تواضعحجم أسرة الشمس وكواكبها بالنسبة لما حولها من نجوم او شموس اخرى ، فلن نستطيع تقريب الامر ، الا بانها لا تعدو كونها كذرة رمل وسط تيه في صحراء مترامية الاطراف ٠ ومهما كبرت اقطار وأبعاد الكواكب ، وأبعاد الشمس نفسها ، فلن يغني هذا من القول بانها في غاية الضآلة قياسا للنجوم الاخرى ، المنتشرة في المدينة النجمية ، لان كثيرا منها يفوقها حجما ويكبرها قطرا ٠فضلا عن أن المسافات التي تفصل هذه النجوم عن بعضها ، مسافات شاسعة ، لا يمكن أن تقاس بوحدات الاطوال العادية التي نستخدمها على الارض كالميل والكيلومتر ، والا لاضطررنا لوضع عشرات الاصفار امام كل بعد ، ولذلك ابتدع الفلكيون لانفسهم وحدة قياس للاطوال الفلكية هي « السنة الضوئية » والتي سبق القول أنها تعادل ستة مليون مليون ميل ٠ فهي المسافة التي يقطعها الضوء خلال عام كامل ، ومعروف أنسرعة الضوء هي اكبر السرعات المعروفة على سطح الارض حتى الان وتعادل ١٨٦٫٠٠٠ ميل في الثانية الواحدة ٠

والشمس تجرى لمستقر لها

تظهر الشمس لاهل الارض بعدها تشرق كل يوم من اتجاه نسميه « الشرق » وتختفي في الاتجاه المقابل ونقول انها تغرب ٠ وهذه الحركة تظهر الشمس وكانها تدور حول الارض ٠ وما هذه الحركة الا حركة ظاهرية تظهر لنا معاكسة للحقيقة ٠ فالارض لها حركتها الذاتيةحولمحورها من الغرب الى الشرق ٠ فتظهر الشمس خلال نهار الارض وكانها تتحرك من الشرق الى الغرب ٠

والارض ، شانها شان كل كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس على مدار اهليلجي اى بيضاوى تقع الشمس في احدى بؤرتيه ، وتتم هذه الدورة خلال ٣٦٥ يوما وربع اليوم ٠ ويسمى هذا باسم « المدار الظاهرى للشمس » ٠ ونقول نحن اهل الارض أنه مدار للشمس وهو في حقيقته مدار للارض ، لاننا لا نستطيع رؤية الحركة التي تؤديها الارض ، ولكن نرى عكسها ٠ ويميل مدار الشمس الظاهرى على مستوى خط استواء الارض

بمقدار ٢٣٪ درجة • ولولا هذا الميل ما حدث تقلب فصول السنة •

وحركة دوران الارض على مدارها البيضاوي حول الشمس ، ليست حركة منتظمة بل متغيرة حسب بعد الارض عن الشمس • فتزداد سرعة الدوران عند اقتراب الارض من الشمس ، وتقل سرعتها كلما بعدت عنها وذلك وفقا لقانون الحركة الذي اكتشفه العالم الالماني « كبلر » بين عامي ١٦٠١ و ١٦٣٠ •

اين تقع بروج السماء

لقد عرف العرب بروج السماء منذ الجاهلية ، قبل ظهور الاسلام ، ثم نزلت سورة من سور القرآن الكريم باسم سورة البروج ، تاكيدا لادراك العرب لبروج السماء وتضمنت السورة قسما بالبروج «والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ••• » •

ودائرة البروج هي الشريط الذي يحف مدار الشمس الظاهري من جانبيه بمقدار ٩ درجات من كل جانب• وكانها حزام عرضه ١٨ درجة يتوسطه مدار الشمس • ولكي تقطع الشمس هذا الحزام في منتصفه خلال اثنى عشر شهرا فانه يمكن تقسيمه الى اثنى عشر جزءا ، يسمى كل منها برجا • ويميز كل برج شكل معين لحيوان او لطير ، هي اشكال النجوم التي تقع في البرج والتي ترى ليلا عند حلول هذا البرج كما ان لها رموزا فلكية اخرى تشتهر بها • وغني عن البيان ان النجوم او الشموس في الفضاء ذات ابعاد متفاوتة واحجام مختلفة بل والوان متغايرة ، ولكنها بالنسبة للناظر اليها من الارض تظهر وكانها في مستوى واحد هو مستوى الرؤية وكانها تكون شكلا محددا، وقد تخيلها الاقدمون على هيئة طيور او حيوانات او ابطال اساطير خرافية كانت تسيطر على حياتهم• لذلك فهي تمثل المنظر الخلفي للبروج ولكنها ليست كذلك لان الشمس اقرب منها الى الارض بكثير •

ولقد تعارف الاقدمون على تسمية مجموعات النجوم المتقاربة التي تكتظ بها السماء باسم «الكوكبات» او «المجموعات النجمية» • ولكن البروج حالة خاصة من هذه الكوكبات هي التي تقع في حزام مدار الشمس الظاهري • وهي حسب مواعيد مرور الشمس بها مقسمة الى شهور (انظر الجدول)

البروج والاساطير

لم يكن القصد في الازمان القديمة من تخيل مجموعات نجوم السماء سواء في البروج او غيرها من الكوكبات على هيئة حيوانات او طيور او حشرات الا بقصد تذكرها وتخيل الاساطير والخيالات عنها • ولذلك اختلفت اسماء بعض البروج لاختلاف تصور نجومها في عصور مختلفة•

فبرج الجوزاء او التوامين تخيله العرب كطفلين توامين يقفان بجوار بعضهما ، واطلقوا على احدهما التوام المقدم،وعلى الاخر التوام المؤخر • وشاركهما في ذلك اليونان حيث نسب وجود طفلين الى جوار امهما الملكة ليدا زوجة ملك اسبرطه •

الحمل	٢١ مارس	٢٠ أبريل
الثور	٢١ ابريل	٢١ مايو
الجوزاء أو (التوامين)	٢٢ مايو	٢١ يونيو
السرطان	٢٢ يونيو	٢٢ يوليو
الاسد	٢٣ يوليو	٢٢ أغسطس
العذراء أو السنبلة	٢٣ أغسطس	٢٢ سبتمبر
الميزان	٢٣ سبتمبر	٢٢ اكتوبر
العقرب	٢٣ اكتوبر	٢١ نوفمبر
القوس أو (الرامي)	٢٢ نوفمبر	٢١ ديسمبر
الجدي	٢٢ ديسمبر	٢٠ يناير
الدلو أو (الساقي)	٢١ يناير	١٨ فبراير
الحوت أو (السمكة)	١٩ فبراير	٢٠ مارس



نجوم برج العقرب

اما برج السرطان فقد تصوره الكلدانيون على هيئة سرطان بحرى يمسك بقدم هرقل فى كوكبة نجمية اخرى هى «الجاثى» أثناء صراعه مع ثعبان البحر • وتخيل الاقدمون توزع نجوم برج «الاسد» على هيئة ملك القابة جالسا ويده ممتدة الى الامام . ويقال ان قدماء المصريين شبهوا هذا البرج بابى الهول• بينما اعتقد اليونانيون أن هذا الاسد صرع هرقل فى الالعاب الاوليمبيه • ولكن نجد ان الحضارة العربية لها بصماتها على أسماء كثير من النجوم ومن أخصها النجوم التى فى ذنب الاسد، حيث أطلق عليه العرب اسم الذنب ومازال اسمه باللاتينية Dnebola الى الان •

وبرج العذراء عرف فى حضارة قدماء المصريين باسم ايزيس التى تحمل سنبلة قمح ، ولذلك يسمى فى بعض االكتب القديمة بسم برج السنبلة•

اما برج الميزان فترجع تسميته الى الرومان، وقد تصوروه كذلك فى حضارات الهنود والصينيين وقدماء المصريين وكانه يمثل الهة العدالة تمسك فى يدها ميزانا ذا كفتين ، بينما لو امعنا النظر فى نجومه نجد اشدها لمعانا أربعة نجوم تنتظم على هيئة معين • وفى كل الحضارات القديمة تخيلوا نجوم برج العقرب على هيئة عقرب يرفع زبانه الى اعلى . ولكن فى أساطير الصينيين أيام كونفوشيوس كانوا يطلقون على هذا البرج اسم «النار العظيمة» وجدير بالذكر ان العرب أطلقوا اسم « شوله» على النجم الاخير الذى قرب ذيل العقرب وترجم اسمه الى اللاتينية من بعدهم Shawla • وكذلك تصور القدامى نجوم برج القوس أو الرامى على هيئة رجل نصفه الاعلى انسان ونصفه الاسفل فرس • وهو يمسك بيده قوسا مشدود الوتر يصوبه نحو قلب العقرب الذى يقع برجه بجواره • وبينما تصور العرب نجوم هذا البرج على هيئة نعام يروح ويغدو لشرب الماء•ويلمع بين نجوم هذا البرج نجم اسمه القوس الجنوبى وترجم اسمه باللاتينية على هذا النحو نقلا عن العرب Kaus •

ولقد ارتبط تشبيه نجوم برج «الدلو» أو الساقى بالماء منذ القدم فقد تصوره الكلدانيون على هيئة رجل يحمل جرة ينسكب منها الماء • وتصورها العرب على هيئة ساق يحمل وعاءين للماء على كتفيه يربط بينهما عصا• بينما تخيلها قدماء المصريين كدلو كبير تتجمع فيه المياه ويحدث فيضان النيل عندما يمتلىء بالماء •

ولقد تصور السريانيون نجوم هذا البرج فى صورة سمكية • وورد فى خرافات اليونانيين أسطورة تحكى كيف هربت الملكة فينوس وابنها فى مياه نهر الفرات عندما هاجمها وحش مفترس، فغير شكلهما على هيئة سمكتين • ■■

م • سعد شعبان

العالم



ابني كيف صرت بعد ثمان من سنيّ اللحود والاكفان
فهي تكفي لكي يذوب لها اللحم وتفنى العظام في الديدان
اكل الدود كل ما فيك ـ لا ريب ـ بلا رأفة ولا استئذان
الحق الجذع بالمفاصل والاطراف ـ لم يرع حرمة للبنان
وهي كانت تصوغ للشعر آيات لتتلى في سورة الألحان
وتناجي بها الحسان فتسبيهنّ مهما ارتفعن بين الحسان
نسق في القريض ابدعه الفن بوهج الرؤى وفيض البيان
حسد البحتري انغامه الغرّ ـ جرت في مثالث ومثاني
وتمنى الطائي ما يخلب الألباب فيها من روعة في المعاني
وخيال لم تبنه الاستعارات وان كان شامخ البنيان
لا ، ولم تمسك القوافي ولا الأوزان من حدّ غربه بعنان
فهو فيها كأنه ليس فيها وهي فيه رقص الصبايا اللدان
يا له من مشيّد طاول البنيان حتى لم يبق شأوا لباني
لو رأى الدودُ ما بنته البنان الغر للشعر من رفيع المكان
لتحاشى بأن تكون له زادا ولو ذاب من لظى الحرمان
ولأبقاك كالشهيد فلم تبل ولا ذرّة من الجثمان

●

لم تزل يا بنيّ ترنو الى شعري بعين المتيّم الوطان
مثلما كنت حين كنت غلاما بأبيه يزهو على الغلمان
وحماس المحبّ قد يحجب العيب فلا تهتدي له العينان
ان اكن يا نزار [١] صرت رفاتا في ضريحي بعد السنين الثماني
فانا في السماء باق بروحي سابحا بين حبّها والحنان
فلقد كنت في الحياة رحيما لا اطيق العذاب للانسان

---

(١) اصغر انجال الشاعر .

عــام ألفيــن

شعــر :
الدكتور محمد عبده غانم



امقت الظلم دائما اينما حلّ وأدعو للبرّ والاحسان
فتلاشت بعد المهات ذنوبي ـ وهي كثر ـ في رحمة الرحمان
غسل العفو زلّتي واستحمت مهجتي في اشعة الغفران
كيف صرتم بنيّ بعد رحيلي هل ظفرتم بالعز بعد الهوان
هل اعدتم الى العروبة مجدا ضيعته الاضغان منذ زمان
هل عرفتم مواطن الداء فيكمْ وهو يسري كالسمّ في الأبدان
وسعيتم الى العلاج ولو كان يبتر الأذى بحدّ السنان
ام قنعتم بجرعة تلو اخرى من دواء المصاب بالهذيان
وفلسطين هل اعدتم اليها راية العرب حرّة الخفقان
ام لصهيون ما يزال عليها سلطة المستبدّ بالسلطان

●

ابني زال عن فلسطين ما كان بها من معالم العدوان
واستردت ابناؤها كلّ ما كان لهم من كرامة وكيان
ارجع الغاصبون ما اغتصبوه بعد ذلك العتوّ والطغيان
وارتضوا ان يكون حالهم فيها كحال النزيل في الأوطان
لا كحال الذي يقول بلادي دون غيـري وان ابى الثقلان
انا وحدي الذي يسيطر فيها بحقوق ورثتها من فلان
فلارثى ما شئت من سلطان ولعرقي ما شئت من عنفوان
زال عنهم ذلك الغرور الذي قد كان في « بيجن » وفي « ديان »
بعد ان ادركوا بأن مصير الكل رهن الدمار في كل آن
وبأن الفداء لن يترك الغاصب مهما استعان بالشيطان
بعد ان لاحت النهاية في البدء بصوت النذير في ايران
ودوت دعوة التلاحم في الاسلام تغزو عواصم البلدان
وتنادي للسلم والعدل باسم الدين لا باسم « ماركس » او « رينان »

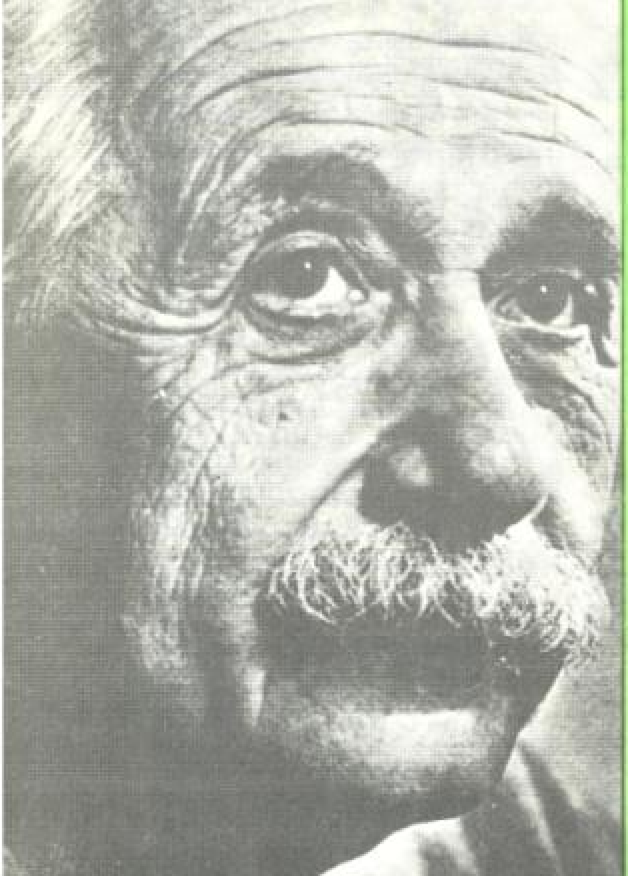


ايقنوا ان لعبة الشرق والغرب غدت لعبة بغير رهان
يتسلى بها المشاهد كالصبيان زاروا حديقة الحيوان
يشهدون القرود تقفز في الاقفاص بين الاسلاك والقضبان
مثلما يقفز المهرج في السيرك يحاكي طريقة البهلوان
لم تعد حيلة تجوز على البله ولا تنطلي على الصبيان
لم تعد خطة بها تقسم الاوطان ما بين طامع والثاني
يحكمون البلاد باسم بنيها وبنوها في عالم النسيان
يتبارون في الشعارات ما دامت بلا غاية سوى الروغان
ويزيدون في شقاء الأشقاء ببذر الشقاق والخذلان
لم يقولوا الا القلائل منهم كيف خصمان باسمنا يحكمان
كل هذا ولىّ وعاد الى العرب حماهم في السر والاعلان
وتلاشى ما كان في اليمن الميمون من فرقة ومن اضغان
لم يعد لانشطارها لجنوب وشمال شأن ولا شبه شان
بل غدت وحدة يعيش بنوها في وئام ما ينقضي وأمان
ولصنعاء في الديار مقام لا يضاهيه غيره او يداني
فهي عند الجميع عاصمة القطر ونبع الالهام والايمان
ولها في الجنوب ميناؤها الحر كما كان من قديم الأوان
عدن وهي تستجيب لصنعاء وتصغي لهمسة الوجدان
فاذا بالجميع صوت ينادي فوق هام الجميع شعب يماني .

●

عام الفين يا ابي طهّر الأرض من الموبقات والأدران
وقضى العلم بالقضاء على الجهل واودى الرخاء بالحرمان
واحتوى الطب بالعلاج اذى الداء فلم يبق منه شعب يعاني
وغدا للمصاب بالقلب ما يزرع قلبا محله في ثواني
بل تلاشى الفضاء حتى نزلنا في رحاب المريخ بل كيوان
كل هذا قد جاء في عام الفين فللّه ذانك الألفان
فاسترح يا ابي وحلّق كما تهوى بما شئت من سماء الجنان
فلقد خيّم السلام على الأرض وعاش الانسان للانسان

صنعاء ـ د . محمد عبده غانم



البرت اينشتين هذا العبقرى الصهيونى

بقلم الدكتور :
عبد العظيم انيس

لم يحظ عالم على طول تاريخ البشرية بما حظي به اينشتين من دعاية في اجهزة الاعلام الجماهيرية من صحافة واذاعة وتليفزيون ، ولم تحدث محاولة من قبل هذه الاجهزة لكي « تبيع » للناس رجلا من العلماء كما حدث في حالة اينشتين .

ليس هذا ينطبق على الطبول التي دقت له في عام ١٩١٩ عندما تطابقت المشاهدات الفلكية مع نبوءته النظرية فحسب ، ولا ينطبق على الضجيج الذي دبر له بعد خطابه الشهير الى روزفلت عام ١٩٣٩ حول قضية القنبلة الذرية فحسب ، وانما ينطبق على الهالة التي رسمتها اجهزة الاعلام الغربية والامريكية خصوصا عن البرت اينشتين هذا العام (١٩٧٩) بمناسبة مرور مائة عام على مولده .

والسؤال الطبيعي : لماذا ؟..

هل هو عبقرية تختلف نوعيا عن العبقريات التي عرفتها الرياضيات والفيزياء ؟ هل ما قدمه اينشتين من تصورات نظرية هو الثورة الوحيدة التي وقعت على طول تطور هذين العلمين ؟ اين اذن علماء الفيزياء الذرية الحديثة ونظرية الكم ابتداء من ماكس بلانك وديراك مرورا بماكس بورن ودي بروجلي وهايزنبرج ... الخ ؟.

الحقيقة ان الضجة التي تثار حول اينشتين ، والقصص الخرافية التي تنشر عنه وعن النسبية لا تعود الى اهمية اكتشافه النظري فحسب ، وانما تعود بنفس القدر الى اعتبارات ليست علمية بحتة كذلك .

ومن هذه اعتبارات سياسية تتعلق بالدور الذي لعبه في توجيه نظر الولايات المتحدة الى الخطورة الحقيقية في حصول المانيا على القنبلة الذرية خلال الحرب العالمية الثانية . عندما كان رجال الحرب الامريكيون يعتقدون ان هذا الخطر ليس الا مجرد نكتة !

ومن هذه الاعتبارات ايضا التي لا ينبغي أن تنسى ان اينشتين يهودي صهيوني ، لا نقول هذا عنه ادعاء ... وانما هو فخور بصهيونيته معتز بها منذ عام ١٩٢١ ، شارك في اكثر من حملة لجمع التبرعات للحركة الصهيونية ، وحاضر في الجامعة العبرية بالقدس بل عرض عليه عام ١٩٥٢ بعد وفاة وايزمان ان يكون رئيسا لدولة اسرائيل ، وتردد في مبدأ الامر ثم رفض باعتبار انه لا يصلح للعمل السياسي !

وهذه الحقيقة ـ عقيدته الصهيونية ـ تفسر جزئيا الطبول التي تدقها له اجهزة الاعلام الغربية المليئة بالصهاينة والتي تلعب دورا هاما في توجيه الرأي العام الغربي (الامريكي خصوصا) ، حتى ادت الضجة حول اينشتين الى سريان عديد من الخرافات بين الناس عن الرجل وعن نظريته النسبية .

من هذه الخرافات ان النظرية النسبية لا يفهمها غير سبعة اشخاص في العالم وليس هذا صحيحا بالطبع لان الذين يفهمونها كثيرون من العلماء ، ومن هذه الخرافات ان اينشتين اعظم رياضي عرفته البشرية والحقيقة انه من الصعب ان يجد اينشتين مكانا له بين الرياضيين النابهين لانه عالم فيزياء نظري (ولا شك انه من عباقرة هذا العلم) فحسب ، ولقد استعان اكثر من مرة عند تطوير نظريته من النسبية الخاصة الى النسبية العامة بعلماء رياضيات يعرفون اكثر منه بكثير ، ومن هؤلاء الرياضي الالماني جروسمان صديق صباه ..

ومن هذه الخرافات الشائعة عن اينشتين ان عبقريته تفتحت في جميع الاتجاهات منذ طفولته المبكرة والحقيقة ان اينشتين كان طالبا فاشلا في المرحلة الثانوية الى درجة انه فشل في الحصول على شهادة الثانوية العامة لدخول الجامعة وحتى عندما دخل مدرسة البوليتكنيك العليا في زيورخ (ETH) كان مهددا بالرسوب في امتحان التخرج لاهماله دراسته لولا مساعدة زملائه له !

لقد كان النمو الفكري العلمي لاينشتين بطيئا ومترددا في فترة صباه وشبابه المبكر ، ولم تتفتح عبقريته في الفيزياء النظرية الا بعد تخرجه من الجامعة ، ولعل هذا يفسر تردد جامعات سويسرا في تعيينه في وظيفة معيد بالجامعة زمنا طويلا !

منطو ضعيف الذاكرة

ولد اينشتين في ١٤ مارس سنة ١٨٧٩ في مدينة الم بالمانيا من ابوين يهوديين ، وبعد سنة من مولده أفلست تجارة والده ، فانتقلت العائلة الى مدينة ميونخ حيث اسس والده وعمه ورشة للاعمال الكهربائية الكيميائية . ولقد ادخله والده ـ هو وشقيقته ـ مدرسة ابتدائية كاثوليكية في ميونخ وفي هذه المدرسة كان الاطفال الاخرون يعيرونه بديانته اليهودية ، وكان هذه

الشاكسات الصبيانية الفضل في ان ينشأ اينشتين متمسكا بعنف بتراثه الديني وثقافته اليهودية .

كان البرت منطويا على نفسه ميالا الى الوحدة ، وان اقترن ذلك بنزعة فضول قوية ورغبة في الاستكشاف لا شك فيها خصوصا عند مواجهة العالم الخارجي . وهو يذكر انه عندما كان مرة مريضا في الخامسة من عمره اراه والده بوصلة جيب واثار اعجابه انه لما كانت ابرة البوصلة تشير في اتجاه واحد دائما ، فلا بد ان يكون هناك شيء ما يؤثر عليها ، وهذا الشيء موجود في الفضاء « الفارغ » .

وحين بلغ اينشتين العاشرة دخل الجمينزيوم ، المدرسة الالمانية التقليدية ، حيث قضى فيها خمس سنوات ، وعندما اضطرت العائلة الى الرحيل الى ميلانو سعيا وراء انشاء مصنع صغير هناك عام ١٨٩٤ تركت البرت عند بعض اقاربه لكي يكمل الجمينزيوم . ولكن لسبب غير واضح لم يكمل دراسته وترك المدرسة دون ان يحصل على الشهادة الثانوية التي تؤهله لدخول الجامعة . ومع ان فشله في الحصول على الشهادة الثانوية غير واضح الاسباب ، الا انه من المؤكد ان اينشتين كان تلميذا صعبا غير محبوب من اساتذته ، وكان كثير الجدل والمخالفة ، ولم يكن يخفي نفوره من مدرسيه الى درجة ان مدرس اللغة اليونانية استدعاه مرة وطلب منه ان يغادر المدرسة فورا قائلا : « انك لن تكون شيئا في هذه الحياة » .

وكان معروفا ان اينشتين يتمتع بذاكرة ضعيفة ، ولعل هذا هو سر كراهيته للغة اليونانية وعلوم الاحياء وغيرها من المواد التي تعتمد في تحصيلها جزئيا على الحفظ وقدرة الذاكرة .

وفي هذه المرحلة من حياته سادت حالة العائلة المالية ، واصبح من الضروري ان يبحث اينشتين عن عمل ، ولكن اسرته كانت تطمع في ادخال ابنها الجامعة ، وكانت العقبة الكبرى ان اينشتين لم يحصل على الثانوية وبدونها يستحيل دخول الجامعة في المانيا .

ومن حسن حظ اينشتين ان وجدت الاسرة حلا لهذه المعضلة . ففي زيورخ هناك المدرسة العليا للتكنيك المعروفة باسم (ETH) ، ودخول هذه المدرسة العليا لا يشترط غير اجتياز امتحان قبول . وهكذا ذهب اينشتين الى زيورخ ، ولقد كان امتحان القبول يشترط النجاح في المواد التالية : الرياضيات ، الفيزياء ، اللغات ، علوم الاحياء ، ومع تفوق اينشتين في نتيجة امتحان الرياضيات والفيزياء الا انه رسب في اللغات وعلوم الاحياء ، وبذلك رفضت المدرسة قبوله !

عند هذه اللحظة الحاسمة يتدخل الحظ مرة اخرى لصالح اينشتين ، فقد اعجب مدير المدرسة باجاباته في الرياضيات والفيزياء الى درجة ان رتب له قضاء سنة في مدرسة ثانوية قريبة لكي يعيد امتحانه في العام التالي وهكذا نجح اينشتين في المرة التالية في اجتياز امتحان القبول سنة ١٨٩٦ ودخل ال (ETH) .

كان اينشتين سعيدا بوجوده في سويسرا ، متحازا الى التعليم السويسري عندما يقارن أحواله في المدرسة السويسرية بحالته في الجمينزيوم الالماني ، وعندما يقارن بين الديمقراطية السويسرية وبين العسكرية الالمانية ، وقد بلغ عداؤه لاسلوب الحياة الالمانية الى درجة تخليه عن جنسيته الالمانية عام ١٨٩٦ وظل خمس سنوات بلا جنسية حتى حصل على الجنسية السويسرية عام ١٩٠١ وظل محتفظا بها طوال حياته .

وفي المدرسة العيا للتكنيك في زيورخ (ETH) قضى اينشتين اربع سنوات يدرس منهجا خاصا في الرياضيات والفيزياء وضع خصيصا لهؤلاء الذين يعدون انفسهم لمهنة تدريس هذه المواد في المدرسة الثانوية . والغريب ان اينشتين لم يكن تلميذا متفوقا في الدراسة وقيل في تفسير ذلك ان المحاضرات التي حضرها لم تثر حماسه ولذلك كان انتظامه في حضور المحاضرات ضعيفا وكان يفضل ان يقرأ المراجع الكبيرة بنفسه حتى لو كانت بعيدة عن مقرر الدراسة ، ولقد كان هذا الاهمال لمحاضرات أساتذته كفيلا ان يؤدي به الى كارثة في قاعة الامتحان لولا زميله مارسيل جروسمان (وهو نفس الشخص الذي ساعده رياضيا على صياغة النسبية العامة بعد ذلك بسنوات) الذي كان يحتفظ بمذكرات ممتازة عن محاضرات الاساتذة وكان يسمح

لاينشتين ان يذاكر منها . وهكذا نجح اينشتين وتخرج عام ١٩٠٠ في حالة نفسية غريبة ، فقد ظل لمدة عام كامل شديد الكراهية للتفكير في اي مشكلة علمية !

بداية الثورة الفيزيائية

غير ان ولعه بالفيزياء النظرية بدأ يعود بالتدريج ، وفي عام ١٩٠١ كتب اول بحث فيزيائي له واستطاع نشره في مجلة علمية سويسرية مرموقة وهي مجلة « حوليات الفيزياء » .

وحاول اينشتين ان يستفيد من هذا البحث في ايجاد عمل جامعي له فارسل منه نسخا الى كثير من العلماء ولكن احدا منهم لم يهتم بالبحث ولا بصاحبه ! ثم توسط له والد صديقه وزميله مارسين جورسمان لدى مدير ادارة « براءة الاختراع » في برن حيث عين عام ١٩٠٢ موظفا في الادارة . وفي هذه الادارة التي كان العمل فيها محدودا جدا اختمرت عبقرية اينشتين الفيزيائية في السنوات السبع التي قضاها هناك . وهي بالتأكيد اخصب سنوات حياته في الفيزياء النظرية .

وفي عام ١٩٠٤ كان اينشتين قد نشر أربعة ابحاث في نفس المجلة العلمية السويسرية المرموقة ومع اهمية هذه الابحاث الا انها لم تكن غير مقدمة لعبقريته التي انفجرت مرة واحدة عام ١٩٠٥ .

ان عام ١٩٠٥ يعتبر عاما اساسيا في تاريخ علم الفيزياء النظري ، فقد نشر فيه اينشتين ـ وهو في السادسة والعشرين من العمر ـ اربعة ابحاث يعتبر ثالثها بمثابة ثورة على المفاهيم الفيزيائية التي كانت سائدة حتى ذلك الزمان ولعل هذا يفسر التحفظ الذي تلقت به الاوساط العلمية هذه الابحاث في مبدأ الامر ، مع استثناءات قليلة فقد كانت افكار اينشتين بمثابة ثورة على التصور النيوتوني للكون ، وهو التصور الذي كان سائدا حتى عام ١٩٠٥ .

ان البحث الثالث ـ وهو اهم ابحاثه الاربعة ـ كان يحمل العنوان المتواضع « حول كهروديناميكية الاجسام المتحركة » ولكنه أول عرض جاد لما يعرف اليوم باسم نظرية النسبية الخاصة . ورغم ان البحث لم يزد عن تسعة آلاف كلمة الا ان اينشتين رمي فيه جانبا كل الافكار النيوتونية السائدة عن الزمان والمكان بشكل بدا وكأنه إهانة للذوق العام .

حتى ذلك الوقت كان السائد هو ما اكده نيوتن في « البرنسيبيا » من ان الزمان مطلق والمكان مطلق ايضا ، وكان هذان المبدآن مقبولين من جمهرة العلماء . وقد ترتب على هذا التصور مع التطورات التي حدثت في علم الضوء ان افترض العلماء انه لا بد من وجود شيء في الفضاء (سموه الاثير) لكي يحمل موجات الضوء ، وانه وفقا لهذا يمكن تصميم تجربة لاكتشاف حركة الاجسام خلال الاثير . ووفقا لهذه التصورات ايضا ساد الاعتقاد بان سرعة الضوء غير ثابتة ولكن تجربة مايكلسون ـ مورلي عام ١٨٨٧ اثبتت ان سرعة الضوء في الفضاء ثابتة . وبدت النتيجة غير متفقة منطقيا مع المفاهيم النيوتونية .

ولقد قدم اينشتين افتراضين أساسيين هما جوهر نظرية النسبية الخاصة ، اولها ينص على انه لا توجد تجربة من اي نوع قادرة على اكتشاف السكون المطلق او الحركة المطلقة المنتظمة في خط مستقيم (وهذا ما سماه مبدأ النسبية بالمعنى الضيق) وثانيهما ينص على ان الضوء يتحرك في الفضاء الفارغ في خطوط مستقيمة وبسرعة ثابتة .

ولقد بدا كل من هذين الفرضين وحده مقبولا ومدعما من التجربة ، ولكن التوفيق بين هذين الفرضين كان مستحيلا في إطار الافكار الفيزيائية السائدة آنذاك . فلكي يوفق اينشتين بينهما كان عليه ان يتخلى عن مفهوم الزمان المطلق ومفهوم المسافة المطلقة ، وكان عليه السماح بان ينكمش طول المسطرة التي يقيس بها المسافة خلال حركتها في الفضاء وان تبطىء الساعات التي تقاس بها الزمن بالنسبة للمشاهد المبتعد عنها ، وان تقبل ان حدثين يقعان في نفس الوقت بالنسبة لمشاهد قد يقعان في زمنين مختلفين بالنسبة لمشاهد آخر .

ان هذا هو ما قبل به اينشتين ، والغريب انه في ثورته هذه على مفهومي الزمان والمكان لم يستخدم غير

معادلات كانت موجودة قبله وتعرف باسم معادلات لورنتز !

وفي عام ١٩٠٧ اكمل اينشتين ثورته في علم الفيزياء بنشر بحثه الذي اثبت فيه ان الكتلة والطاقة متكافئتان وفي هذا البحث قدم معادلته المشهورة : الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء .

وكانت هذه المعادلة هي اول تفسير جدي لظاهرة الاجسام المشعة ذريا والتي تستمر سنوات طويلة في اشعاعها ، وقد وجدت هذه المعادلة تأكيدها الفاجع لأول مرة في قنبلتي هيروشيما ونجازاكي في اليابان عام ١٩٤٥ .

كيف استقبل علماء الفيزياء هذه الثورة الجديدة على يد اينشتين ؟

لقد وقف معظم المشاهير منهم موقفا مترددا مدة طويلة قبل قبول ثورة اينشتين ، ينطبق هذا على وجه الخصوص على لورنتز صاحب المعادلات التي استخدمها اينشتين لاثبات وجهة نظره ، كما ينطبق على بوانكاريه الذي كانت ابحاثه على بعد خطوة واحدة من الوصول الى نظرية النسبية الخاصة . ولكن العالم الالماني الكبير ماكس بلانك كان ايجابيا في موقفه منذ نشر اينشتين بحثه الثالث عام ١٩٠٥ وحتى اليوم ما زال هناك علماء فيزياء كبار لا يعتقدون ان النظرية النسبية خالية من المآخذ والعيوب !

ولعل من علامات ذلك العصر موقف جامعة برن من ابحاث اينشتين حتى عندما اصبح اسمه مرموقا في دوائر الفيزيائيين . لقد أحس اينشتين ان وظيفته في ادارة براءة الاختراع قد صارت عقبة امام تفرغه للبحث الفيزيائي ، ولذلك تطلع الى الحصول على وظيفة في الجامعة وتقدم بهذه الابحاث التي احدثت دويا في دوائر الفيزيائيين الى جامعة برن كشهادة على كفاءته العلمية . ولكن جامعة برن رفضتها لانها غير مفهومة ! ثم عرضت عليه الجامعة في عام ١٩٠٨ وظيفة مساعد مدرس للفيزياء (بعض الوقت ودون اجر) واضطر اينشتين إلى قبولها !

في هذه الفترة وجد اينشتين حليفا جديدا في هيرمان مينكوفسكي الذي كان استاذا له في زيورخ وإن استقر بعد ذلك في جامعة جوتنجن بالمانيا كاستاذ للرياضيات ، واليه يعود الفضل في وضع صياغة رياضية شكلية جديدة للنظرية النسبية بما ادخله من مفهوم جديد وهو مفهوم « المجال الزمكاني » ومات مينكوفسكي بعد انجاز هذا العمل بعام واحد .

على قمة المجد :

واخيرا عين اينشتين استاذا مساعدا للفيزياء بجامعة زيورخ في مايو سنة ١٩٠٩ . والغريب ان هذه الوظيفة المستحدثة كانت في الاصل معروضة على فردريك ادلر (ابن فيكتور ادلر مؤسس الحزب الاشتراكي الديمقراطي النمساوي) الا ان فردريك اصر على الانسحاب لصالح اينشتين وبذل جهدا خارقا لاقناع اعضاء مجلس التعليم في زيورخ (ومعظم أعضائه كانوا اشتراكيين ديمقراطيين) بقبول هذا الاقتراح ، وبالفعل استقال اينشتين من ادارة براءة الاختراع في برن وانتقل الى زيورخ .

منذ ذلك الوقت انهالت العروض الجامعية على اينشتين وتبارت الجامعات في عروضها المغرية لكي يقبل اينشتين الذهاب اليها ، بدأ ذلك بعرض الجامعة الالمانية ببراغ تعيينه في وظيفة استاذ الفيزياء النظرية بها ، وقبل اينشتين الا انه لم يقض في براغ اكثر من عام ونصف اذ عرض عليه معهده الذي درس به في زيورخ (ETH) وظيفة استاذ الفيزياء النظرية به لمدة عشر سنوات . كان ذلك في يناير سنة ١٩١٢ وقبل اينشتين وذهب الى زيورخ ، ولكنه ايضا لم يبق طويلا في زيورخ فقد كان عديد من العلماء الالمان وعلى رأسهم ماكس بلانك يعملون جاهدين على إعادة اينشتين الى برلين ، وكان العرض الالماني هذه المرة مغريا جدا .. عضوية الاكاديمية البروسية للعلوم ، وظيفة مدير معهد القيصر ويلهلم للبحوث ، وحرية كاملة في البحث او التدريس حسب رغبته مع حقه في الاحتفاظ بجنسيته السويسرية اذا شاء . ومع ان اينشتين كان يكره العسكرية الالمانية الا ان اغراء العرض كان قويا جدا بحيث لم يستطع رفضه وهكذا عاد اينشتين الى برلين في ابريل سنة ١٩١٤ .

ولكن احلام اينشتين في حياة اكاديمية سهلة ومريحة في برلين لم تلبث ان انهارت عندما أعلنت المانيا الحرب على روسيا في اغسطس ١٩١٤ . وبدأ قلق اينشتين من جديد عن العسكرية الالمانية . ولكنه لم يتوان عن ان يوقع ـ تحديدا ـ بيانا لعدد من العلماء خلال الحرب يطالب بتعاون علماء الدول المتحاربة وانشاء عصبة امم اوربية .

وفي اوائل ١٩١٦ بلغ اينشتين قمة مجده العلمي بنشر بحثه الاساسي في نظرية النسبية العامة . ومنذ هذا العام لم يحقق اينشتين حتى وفاته انجازا علميا له مثل هذه القيمة . ويصف العالم الالماني الكبير ماكس بورن هذه النظرية كما يلي : « انها اعظم انتاج فكري بشري عن الطبيعة وهي اغرب توليفه بين النفاذ الفلسفي والحدس الطبيعي والمهارة الرياضية ولكن صلة هذه النظرية بالخبرة اليومية ضعيفة . انها تبدو لي كعمل من اعمال الفن العظمى تثير المتعة والاعجاب من على البعد » .

ما هو الفرق بين نظرية النسبية الخاصة التي نشرها اينشتين عام ١٩٠٥ وبين نظرية النسبية العامة ؟

ان النسبية الخاصة قد وحدت بين ميكانيكا نيوتن وبين الديناميكا الكهربائية لماكسويل بشرط ان تكون الاجسام منتظمة السرعة في حركتها . اما النسبية العامة فهي تزيل هذا الشرط . انها تتعلق بالحركة المتسارعة ومثلها الواضح حركة الاجسام تحت تأثير الجاذبية . في النسبية العامة قدم اينشتين لاول مرة مبدأ يدعى « مبدأ التكافؤ » . وهو ينص على أن مجال الجاذبية عند اي نقطة في الفضاء يكافيء تماما اي مجال صناعي للقوة الناتجة عن التسارع بحيث يستحيل على اي تجربة ان تميز بين المجالين ومن نتائج هذا المبدأ ان الجاذبية تحني اشعة الضوء . وقد تنبأ اينشتين بدقة بمقدار الانحناء الذي يحدث لشعاع ضوء صادر من نجم عندما يمر في مجال جاذبية الشمس . وكانت هذه النبوءة هي احدى نبوءات ثلاثة ترتبت على نظرية النسبية العامة .

وهكذا توفرت الفرصة الذهبية للتحقق من هذه النبوءة . ففي عام ١٩١٦ سارع الفلكي البريطاني الكبير ادنجتون ـ الاستاذ بجامعة كمبردج ـ الى طلب معونة الحكومة البريطانية لارسال بعثتين فلكيتين ـ احداهما الى البرازيل والاخرى الى جزيرة برنسيب على الساحل الغربي الافريقي (قاد ادنجتون هذه البعثة) اذ كان من المعروف ان في هذين المكانين سوف يحدث خسوف كلي للشمس في ٢٩ مايو سنة ١٩١٩ . والكسوف الكلي للشمس هو الفرصة الذهبية للتحقق من صحة او كذب نبوءة اينشتين حول انكسار شعاع الضوء عندما يمر في مجال جاذبية الشمس .

ولقد اكدت الصور الفوتوغرافية التي اطلقت في هذا اليوم التاريخي دقة نبوءة اينشتين واعلن النبأ رسميا في اجتماع مشترك بلندن للجمعية الملكية وللجمعية الفلكية الملكية في ٦ نوفمبر . وصحا اينشتين في ٧ نوفمبر ليجد العالم كله يتحدث عن النظرية النسبية وليجد شهرته تجوب الافاق .

ان هذا هو اليوم الذي تحول فيه عالم فيزيائي لاول مرة في التاريخ الى شخصية جماهيرية عالمية .

التوجه الى الصهيونية

في عام ١٩٢١ تحول اينشتين الى العقيدة الصهيونية ووافق على ان يشترك مع وايزمان ـ اول رئيس لدولة اسرائيل ـ في رحلة الى امريكا لجمع التبرعات للحركة الصهيونية وزار فلسطين بعد ذلك حيث حاضر في الجامعة العبرية هناك وفي هذا العام ايضا منح اينشتين جائزة نوبل للسلام .

وفي يناير ١٩٣٣ اصبح هتلر مستشارا لالمانيا وكان اينشتين في امريكا آنذاك يقضي اجازة . وادرك عندئذ انه لن يستطيع العودة الى المانيا وعلى الفور قدم استقالته من عضوية الاكاديمية البروسية وذهب الى بلجيكا حيث استقبله ملك بلجيكا ثم قضى صيف ١٩٣٣ في بريطانيا حيث قابل ونستون تشرشل . ثم عاد الى امريكا في اواخر ١٩٣٣ حيث عين استاذا بجامعة برنستون وبقى فيها كل حياته .

ولقد جرت لافكار اينشتين تغيرات كثيرة على مدار حياته . واثبت في معظمها ان العالم الفذ عندما يخرج عن مجال تخصصه ـ قد يتحول الى ساذج سياسي . وان الحماقة ليست مستحيلة حتى على العلماء النوابغ .

لقد كان اينشتين غير صهيوني في مبدأ الامر ثم تحول الى هذه العقيدة العنصرية بحجة مناهضة حركة عنصرية اخرى هي النازية الالمانية . ولقد قدم اينشتين نفسه كداعية للسلام وضد الحرب اياكان سببها . ولكنه غير رأيه عام ۱۹۳۳ عندما وصلت النازية الى الحكم حيث دعا الى الحرب ضد النازية . وبعد الحرب العالمية الثانية كان اينشتين واحدا من دعاة الحكومة العالمية ، وهي دعوة لا تستهدف في الحقيقة الا التغطية على الاستعمار واستمرار استغلاله لبلدان العالم الثالث .

وعلى الرغم من المذابح التي ارتكبها الاسرائيليون ضد المدنيين من الشعب الفلسطيني في دير ياسين وغيرها لم يرتفع صوت اينشتين بالاحتجاج على هذه الجرائم . كأن الجرائم ضد الاوربيين شيء وضد شعوب العالم الثالث شيء آخر !

أما من الناحية العلمية فقد أخذ اتجاهه العلمي في الهبوط بعد عام ۱۹۱٦ . وقد تركزت ابحاثه خلال سنوات مابين الحربين في البحث عن نظرية كونية جديدة . وفي محاولة اختراق مجالات جديدة في نظرية الكم . ثم في البحث عن نظرية موحدة للمجال الفيزيائي وفي هذه الاتجاهات الثلاث لبحوثه لم يحقق اى نجاح هام . والحقيقة انه كلما مرت السنون . بدا هذا المعلم العجوز معزولا عن اغلبية زملائه من اساتذة الفيزياء النظرية ، بل معزولا عن التيار الفكري الاساسي الصاعد في علم الفيزياء النظري وخلال سنوات مابين الحربين حدثت تطورات فيزيائية خطيرة كان اينشتين معزولا عنها ، فقد تم اكتشاف النيترون في كمبردج سنة ۱۹۳۲ . وفي عام ١٩٣٤ نجح العالم الايطالي فرمي في تفتيت ذرة اليورانيوم وتلى ذلك اتساع البحث عن الانشطار الذري في جامعات اوربية مختلفة بحيث بدت فكرة القنبلة الذرية مشروعا غير مستحيل . وهكذا اشتد الالحاح في اوربا على سؤال هام : هل يمكن لالمانيا ان تنتج هذه القنبلة ؟

في صيف ۱۹۳۹ ذهب عالمان مجريان مهاجران الى امريكا هما ليوزيلارد وادوارد تيلر لمقابلة اينشتين في مصيفه بامريكا حيث ناقشاه في هذا السؤال بالذات ، وكان رأيهما ان المانيا قادرة على انتاج السلاح الخطير .. القنبلة الذرية . وسارع اينشتين بكتابة رسالة الى روزفلت في اغسطس سنة ۱۹۳۹ ينبه الى هذا الخطر ويطالب بتشكيل لجنة لمناقشة هذا الموضوع .

ومع ان اللجنة قد شكلت بالفعل الا ان الحكومة الامريكية ترددت ولم تتخذ قرارا بانتاج القنبلة الا في ديسمبر سنة ١٩٤١ قبل هجوم اليابان على بيرل هاربر بايام .

ولقد افاق اينشتين على قنبلتي هيروشيما ونجازاكي ، وامتلأ قلبه بالحزن واليأس ولكنه لم يستطع ان ينسى ما حدث لليهود ولو دقيقة واحدة . تلك كانت مشكلته الاولى والاخيرة ووصل به عنف الشعور الى اتخاذ موقف معاد للالمان كألمان وليس كنازيين فقط لقد رفض الانضمام الى هيئات علمية المانية بعد نهاية الحرب وهزيمة النازية . ورفض ان يكون عضوا في اكاديمية بافاريا وظل محافظا على هذا الموقف حتى نهاية حياته .

وفي عام ١٩٤٨ اجريت لاينشتين اول جراحة كبيرة في الجهاز الهضمي . وقيل انه كان يعاني من السرطان . ومنذ هذه العملية بدأت صحته في التدهور ولكنه ظل محافظا على حيوية كافية تسمح له بالوقوف ضد المكارثية في امريكا سنة ١٩٥٣ .

وفي عام ١٩٥٥ كتب اينشتين الى صديق له يقول « لقد بدأت انظر للموت كدين قديم واجب السداد » وكان آخر عمل قام به هو اشتراكه مع برتراند رسل في البيان الذي وقعه احد عشر من كبار مثقفي العالم ينذرون فيه البشرية بالفناء اذا قامت حرب عالمية جديدة .

وفي ١٨ ابريل سنة ١٩٥٦ مات اينشتين . واعلنت اسرائيل بعد وفاته انه كان يعد بيانا لاذاعته بمناسبة الذكرى الثامنة لتأسيسها !

ولقد سمحت عائلته للمركز الطبي في جامعة برنستون اخذ مخه لاجراء دراسة علمية . واعلن دكتور توماس هارفي المسؤول عن هذه الدراسة ان نتيجة هذه الدراسة سوف تنشر خلال سنة ۱۹۷۹ . وعندما سئل عما اذا كان هناك من فارق بين مخ اينشتين ومخ الانسان العادي قال انه لم يجد حتى الان اى فارق ! ■■

د . عبد العظيم أنيس



سلاح بيد الأقوياء

يورو ماركت
يورو دولار
ماذا تعنى ؟

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

لم تعد اليوروماركت أو اليورودولار من الكلمات المستخدمة فى لغة اهل الاقتصاد وحدهم، ولا كتب الاقتصاد الدولي وحدها ولكن الجميع صاروا يتداولون الكلمتين ، حتى وجدت لها مكانا يوميا فى الصحف.

ماذا تعني هذه اليوروماركت ـ او دولار ؟

هو سوق العملات الدولية ،السوق التى تنشأ عن تداول العملات خارج حدودها الوطنية ،متحررة من الرقابة الوطنية .



والتعامل بهذا الاسلوب له تاريخ قديم • فمنذ وقت طويل وقبل الحرب العالمية الاولى كانت سوق لندن تتعامل في مختلف العملات الاجنبية • ومع ذلك فان ذلك لم يؤد الى ظهور ظاهرة مماثلة لما نحن بصدده الان • والسبب في ذلك يرجع الى ان التدخل النقدي من جانب السلطات النقدية الوطنية كان محدودا في ذلك الوقت ، ولذلك لم تظهر اختلافات اساسية بين التعامل في العملات في الاسواق الوطنية وفي خارج هذه الاسواق •

على ان الصورة تغيرت بعد ان ازدادت اشكال الرقابة والتدخل من جانب السلطات النقدية واصبح التعامل في العملات خارج حدودها الوطنية يعني التحرر من قيود هذه الرقابة •وهذا ما ساعد على ظهور اسواق العملات الدولية •

فبعد الحرب العالمية الثانية اعادت بعض البنوك وخاصة في سوق لندن احياء التعامل في العملات الاجنبية وخاصة الدولار • فهذه البنوك كانت تفضل الاحتفاظ بالدولارات التي تحصل عليها من معاملاتها خارج الولايات المتحدة الامريكية وذلك بدلا من توظيفها في نيويورك •

كذلك وجد عدد من البنوك الاجنبية في لندن التي تفضل الاحتفاظ بالدولارات بعيدا عن الولايات المتحدة الامريكية • ومن ذلك بنوك دول الكتلة الشرقية التي كانت تخشى ان تصادر او تجمد ارصدتها الدولارية في الولايات المتحدة الامريكية اثناء الحرب الباردة بين الكتلتين ، وفي نفس الوقت تحتاج الى الاحتفاظ بارصدة من الدولارات لمواجهة احتياجات تعاملها الخارجي•

على ان اهمية هذه الارصدة الدولارية خارج الولايات المتحدة الامريكية قد ظهرت بوجه خاص في الستينات وبوجه خاص بعد فرض ما يعرف باسم ضريبة توحيد الفوائد Interest Epualisation Tax (IET) في ١٩٦٣ •فهذه الضريبة في صورتها الاولية على الافراد والمؤسسات عند شراء الاصول المالية الاجنبية•وكان الغرض منها تحديد خروج رأس المال من الولايات المتحدة لحماية العجز في ميزان المدفوعات بمنع الاجانب من الاقتراض من سوق نيويورك ، وقد استثنى من ذلك الاستثمارات الامريكية المباشرة لمالها من تاثير مفيد على تدعيم ميزان المدفوعات • وقد ترتب على هذه الاجراءات ان اضطر المقترضون الاجانب الى الاقتراض الدولار من خارج الولايات المتحدة الامريكية • وكان من رأى الخزانة الامريكية انه من المستبعد ان تصبح قروض البنوك الاجنبية في لندن وغيرها بديلا عن السندات الاجنبية Foreign Bonds لان قروض هذه البنوك كانت عادة قصيرة جدا،وقليل منها لمدد اكثر من ثلاث سنوات ، وما جاوز الخمس سنوات كان نادرا • وقد تبين عدم صحة هذه الافتراضات وان البنوك الاجنبية تتمتع بمرونة كافية لمواجهة احتياجات السوق • وقد ساعد ذلك على اتساع نشاط البنوك الاجنبية في التعامل بالدولار خارج الولايات المتحدة الامريكية •

وفي سنة ١٩٦٥ ثم في ١٩٦٨ اتخذت اجراءات اكثر تشددا لمنع خروج الدولار من الولايات المتحدة للخارج ، مما زاد من حاجة المشروعات للاقتراض من خارج الولايات المتحدة وادى الى مزيد من الدعم الى الاسواق الخارجية •

خارج الدولة

وبناء على ماتقدم فاننا نستطيع ان نعرف سوق العملات الاجنبية او اليورو ماركت ،بانه سوق للنقود للاقراض والاقتراض بالدولار وغيره من العملات الاخرى خارج الحدود الوطنية لدولة العملة المتعامل فيها، فاهم ما يميز اليورو ماركت هو انها لا تخضع لرقابة وتنظيم دولة العملة التي يتم التعامل فيها ، فهي سوق تتحرر من رقابة السلطات النقدية في دولة العملة المتعامل فيها، ولذلك يقال بانها سوق غير منظمة ، بمعنى انها ليست خاضعة للسلطات النقدية •

ولكن – ليس بمعنى انها لا تخضع للقوانين الاقتصادية وعدد من القواعد الاتفاقية التي تضمن جدية العمل بها •

وهذه السوق هي سوق قصيرة الاجل ، تتكون اساسا من ودائع قصيرة الاجل من الدولار وغيره من العملات في خارج حدودها الوطنية •

ومن ذلك يتضح ان اليورو ماركت هو دولار يتمتع بكافة خصائص الدولار ، وكذلك الامر بالنسبة للعملات الاوروبية الاخرى (المارك او الفرنك)•

واذا اطلق عليها اسم « الاوروبي » فلانها تتداول في اوروبا وخاصة في سوق لندن•ولكنها يمكن ان تتداول في اسواق اخرى مثل سنغافورة او هونج كونج •

ولذلك يمكن ان نتحدث عن الدولار الاسيوى بالمقابلة باليورودولار «فالاوربية» او «الاسيوية» صفة لمكان التعامل بعيدا عن السوق لوطنية ٠

وينبغي عدم الخلط بين اليورو ماركت وبين السندات الدولية اليوروبوند E ro Bonds فهذه الاخيرة هى عبارة عن اصول مالية طويلة الاجل في شكل سندات محررة بعملات اجنبية متعددة ٠ وتصدر هذه السندات نتيجة لعمليات تجمع البنوك Syndicates للتعهد بالاكتتاب ، واهم مراكز اصدار السندات هى لوكسمبرج ٠ وتختلف السندات الدولية عن اليورو ماركت فى انها طويلة الاجل ، وهي تمثل في الواقع جزءا من سوق رأس المال الدولي وتتأثر بما يحكمه من عوامل ٠

٣ شروط للسوق

ويمكن القول بان وجود اليورو ماركت وتطوره قد استلزم تحقق ثلاثة شروط،وقد توافرت جميعا فى العمل ٠ وهى :

١ ـ اختلاف اسعار الفائدة المحلية ، وهو ما يعكس اختلاف قواعد التنظيم النقدى فى الدول المختلفة والاجراءات المطبقة في كل منها واختلاف ظروف الدورة الاقتصادية في هذه الدول وكذلك اختلاف اساليب وادوات السياسة النقدية والاقتصادية المطبقة ، واهدافها فيمابين هذه الدول ٠

٢ ـ وجود درجة كافية من الحرية في نظم الصرف وانعدام الرقابة عليه مما يعطى الدائنين والمدينين حرية التعامل فى العملات الاجنبية ٠

٣ ـ توافر قدر من الثقة في العملات محل التداول بما يوفر للمتعاملين الاطمئنان الي ان الكسب من التعامل فى هذه السوق بعيدا عن رقابة دولة العملة لن يلغيها خسارة اكبر نتيجة تقلبات اسعار الصرف ٠

ولذلك فانهيمكن القول بان قيام اليورو ماركت هو نتيجة لتوافر اطار عام من حرية الحركة للنقود ورأسالمال منناحية ووجود بعضالاجراءات المقيدة وغير الشاملة من ناحية اخرى ٠ فهذه السوق نشات بالنظر الى وجود ظاهرتين غير منسجمتين تماما ، وهي الحرية من ناحية والقيود من ناحية اخرى ٠

فالحرية ليست كاملة لان هناك رقابة وقيود ، والقيود ليست مانعة لان حرية تحويل العملات وحرية الانتقال تسمح بالتهرب من هذه القيود ٠ وهكذا فاننا نجد اليورو ماركت هو تعبير عن قدرة راس المال والنقود فى التهرب من القيود المفروضة والاستفادة من الاطار العام للحرية والافادة من المزايا المترافرة بعيدا عن الرقابة الوطنية ٠

وقد تمتعت لندن بصفة خاصة بمزايا جعلتها اهم مراكز اليورو ماركت على وجه الاطلاق٠فلندن تتمتع منذ القرن التاسع عشر بدور متميز فى العمليات المصرفية مما خلق لديها بنية اساسية ضروريةللعمليات المصرفية سواء فيشبكة الاتصال الداخلى او الخارجى ، او من توافر الخبرات والكفاءات المؤهلة والرخيصة وغير ذلك من التسهيلات ٠

واهم القيود التى تخضع لها البنوك الوطنية فى تعاملها فى اسواقها الوطنية والتى تتحرر منها البنوك الاجنبية ترجع الى بعض التنظيمات التى ترفع كلفة العمليات على هذه البنوك سواء من الاقراض او الاقتراض ٠

واذا كانت لندن قد تمتعت بهذه الظروف ، فان مراكز اخرى قد استطاعت ان تجذب جزءا من التعامل فى اليورماركت سواء فى اسيا ، وخاصة سنغافورة او فى امريكا الوسطى فى بهاما ٠ وهنا يكون لجو الحرية وعدم وجود ضرائب او رقابة وتوافر خبرات الدور الاساسى ٠

دور عجز المدفوعات الامريكي

اشرنا الى ان الدولار يمثل العملة الرئيسية فى اليورودولار ٠ وقد تعرضنا لبيان انواعالقيود التي ساعدت على البحث عن مجال جديد متحرر من هذه القيود ٠ على انه من الضرورى الاشارة الى امر هامساعد على نمو وتغذية اليورو ماركت وهو عجز ميزان المدفوعات الامريكي ٠ فالولايات المتحدة الامريكية عرفت عجزا فى ميزان مدفوعاتها منذ اواخر الخمسينات واصبح مستمرا منذ الستينات ٠ ويرجع هذا بوجه خاص الى الدور الذى قام بهالدولار باعتبارهعملة المدفوعاتالدولية ومن ثم «عملة الاحتياطى

ومع وجود القيود المشار اليها فى سوق نيويورك ، فان كثيرا من المتعاملين فى الدولار

كانوا يفضلون ابقاء هذه الدولارات بعيدا عن نيويورك • وكانت لندن مع مزاياها الطبيعية وتحررها من القيود المكان الملائم •

وعلى ذلك فقد ساعد استمرار العجز في ميزان المدفوعات الامريكي على توافر التدفق المستمر للدولارات في اليورو ماركت •

وقد اشرنا الى ان اليوروماركت تتكون اساسا من التعامل في الودائع قصيرة الاجل خارج السوق الوطنية للعملات • ولذلك فان المتعاملين في هذه السوق هم المقرضون والمقترضون لهذه الودائع • ويحدد المتعاملون في هذه السوق مصادر التمويل واستخداماتها •

اما المقرضون او مصادر التمويل فهم الحكومات والبنوك المركزية ، والبنوك التجارية ،والمؤسسات المالية وخاصة المشروعات الصناعة الكبرى• وتمثل الحكومات والبنوك المركزية العنصر الرئيسي للاقراض ، فهذه الحكومات والبنوك المركزية تقوم بايداع احتياطياتها من العملات الاجنبية في اليوروماركت للحصول على فائدة مع ضمان توافر المرونة الكافية • وقد تقوم الحكومات والبنوك المركزية بهذا الايداع مباشرة او عن طريق بنوكها التجارية او عن طريق بعض المؤسسات الدولية مثل بنك التسويات الدولية •

كيف تتم العملية

لنتذكر الحقيقة الاساسية هنا ، وهي ان اليوروماركت هي في الحقيقة عبارة عن قيود محاسبية في البنوك وليست انتقالات فعلية للعملات من بلادها الى البنوك الاجنبية • فكل عملية في اليورودولار مثلا تتمثل في انتقالات الودائع في البنوك الامريكية بالولايات المتحدة الامريكية لحساب بنوك اوربية ، دون خروج دولار واحد من الولايات المتحدة الامريكية الى سوق لندن مثلا او سنغافورة • هذه هي الحقيقة الاساسية ، ولبيان ذلك ناخذ مثالا عمليا •

نبدأ بافتراض ان احد المستثمرين اراد ان يضع مبلغ مليون دولار في سوق اليورودولار للاستفادة من مزايا اسعار الفائدة مثلا .. فهذا المستثمر يكون له في الاصل حساب دائن في احد البنوك الامريكية في الولايات المتحدة الامريكية ،

وهو الان ينقل هذا الحساب الى احد اليوروبانك (بنوك اوروبية) ، فيامر بنكه في الولايات المتحدة الامريكية بنقل هذا الحساب لامر البنك الاوربي (في لندن مثلا) • وفي هذه الحالة لا تحدث اية انتقالات فعلية للدولارات من الولايات المتحدة الامريكية الى لندن وانما يتعلق الامر بمجرد قيود حسابية ينقص فيها البنك الامريكي من خصومه مليون دولار كانت مستحقة للمستثمر ، ويزيد هذه الخصوم بمليون دولار اصبحت مستحقة للبنك الاوروبي في لندن ، وفي نفس الوقت يقيد البنك الاوروبي في لندن زيادة اصوله مليون دولار وديعة له في البنك الامريكي في الولايات المتحدة الامريكية ، وزيادة خصومه بمليون دولار مستحقة للمستثمر الفرد •

وهذا كله يتم دون انتقال للدولارات التي تظل موجودة في الولايات المتحدة وان اصبحت الان مملوكة للبنك الاوروبي في لندن •

ثم ان هناك محلا للتساؤل عما اذا كان في امكان البنوك الاوروبية الاضافة الى الكتلة النقدية العالمية بخلق يورودولار او عملات دولية جديدة ، كما هو الحال في البنوك التجارية المحلية التي تقوم بخلق نقود جديدة (نقود الودائع) اثناء قيامها بمنح ائتمانها للمتعاملين معها ، وهناك خلاف في الراي حول هذا الموضوع •

وقبل ان نتناول هذا الخلاف ينبغي ان نشير الى ان هذا الخلاف يتعلق في الواقع بمدى امكان البنوك الاوروبية الاضافة الى العملات في تعاملها مع غير البنوك • اما في التعامل الداخلي بين البنوك الاوروبية ، فمن الواضح ان هناك ودائع جديدة تنشا فيما بينها تؤدي الى زيادة حجم المطلوبات من اليورودولار • ولكن هذا لا يمثل زيادة حقيقية في عرض النقود لها اثر اقتصادي• نظرا لان البنوك ليست وحدات منفقة ومن ثم لا تاثير لها على مستوى النشاط الاقتصادي ، وطالما ظلت العلاقة فيما بين البنوك الاوروبية ، فان تضاعف المطالبات فيما بينها لا اهمية له • وتثور الصعوبة فيما يتعلق بمعاملات البنوك مع الغير • فهل تؤدي عمليات هذه البنوك الى الاضافة الى وسائل الدفع بحيث يمكن القول بان اليوروماركت يزيد من عرض النقود ، ام انها على العكس لا اثر لها على زيادة عرض النقود•

هذه المسالة على جانب كبير من الاهمية • لان عددا من الاقتصاديين يرون ان البنوك الاوروبية تخلق في الواقع نقودا جديدة ، وبذلك تساهم في الضغط التضخمي العالمي وتاتي خطورتها من انها ليست خاضعة لاية سلطة سياسية • وبذلك تمثل ثغرة في النظام النقدي العالمي • وهي ثغرة ذات اثار تضخمية عالية •

واياً كان الامر ، فان ابداء الرأي في هذا الموضوع يتوقف على تحديد دور البنوك الاوروبية، هل هي مجرد وسيط مالي مثل صناديق الادخار وان المودعين فيها دائما من المستثمرين ، ام انها اكثر من وسيط مالي وانها اشبه بالبنوك التجارية بحيث ان المودعين فيها ليسوا بالضرورة مستثمرين وانما يفضلون الايداع لدى هذه البنوك كوسيلة مستمرة وعادية لتسوية المعاملات •

والسؤال المطروح الان هو هل البنوك الاوروبية ـ وهي مؤسسات مالية وسيطة ـ قد وصلت الى مرحلة البنوك التجارية بحيث ان المتعاملين معها ليسوا بالضرورة مستثمرين وانما يقبلون الايداع لديها لتسوية المعاملات • في هذه الحالة فان البنوك الاوروبية يمكن ان تخلق نقودا جديدة ، ولن تضيف الى حجم الكتلة النقدية • اما اذا ظلت البنوك الاوروبية مجرد وسيط لتجميع الموارد المالية للمستثمرين وتوزيعها مقابل عائد على المقترضين فانها لا تخلق شيئا جديدا •

والواقع ان المتعاملين مع البنوك الاوروبية هم ايضا من المستثمرين، ولم تستخدم ـ بعد ـ الودائع الاوروبية كوسيلة لتسوية المعاملات • ومن هذه الزاوية يمكن القول بان البنوك الاوروبية لاتعدو ان تكون مؤسسات مالية وسيطة • ومع ذلك فان هناك اتجاها متزايدا لدى العديد من المؤسسات وخاصة الشركات متعددة الجنسيات للاحتفاظ دائما بودائع لدى البنوك الاوروبية بصرف النظر عن حاجتها للاستثمار • ومع مزيد من التعامل فيما بين هذه الشركات عبر البنوك الاوروبية فانه لا يمكن ان نتجاهل ان هذه البنوك يمكن ان تساعد على زيادة النقود في العالم •

اليورومارکت والدول النامية

وقد زاد اعتماد الدول النامية في السنوات الاخيرة على الاقتراض من اليورومارکت ففي خلال الفترة ٧١ ـ ٧٣ مولت البنوك التجارية الخاصة حوالي ٢٠٪ من احتياجات هذه الدول وارتفعت هذه النسبة الى ٤٢٪ في الفترة ٧٤ ـ ١٩٧٦ ، هذا مع ملاحظة تزايد حجم العجز في موازين مدفوعات هذه الدول • وقد اثار هذا الوضع عدة تساؤلات حول مدى سلامة عمليات هذه البنوك ، واتجهت بعض الجهودات الى محاولة تقليص اعتماد الدول النامية على هذا التمويل بايجاد مصادر اخرى للتمويل • ومن الافكار السائدة في هذا الخصوص اقتراح ويتيفن مدير عام صندوق النقد الدولي لايجاد تسهيلات جديدة من الدول الصناعية والدول النفطية لتخفيض اعتماد الدول النامية على المصادر الخاصة واليورومارکت •

ويمكن القول بصفة عامة ان هذه الظاهرة ترجع الى ما لحق موازين المدفوعات من تطور بعد ١٩٧٣ على وجه الخصوص • فقد ازدادت الفوائض النفطية مما ادى الى ظهور عجوزات مقابلة ونظرا لان الفوائض النفطية قد اتجهت في جزء كبير منها الى اليورومارکت ، فانه من الطبيعي ان يتم تمويل جزء كبير من العجز المقابل عن طريق نفس السوق• ولذلك فان الدول النامية مضطرة للالتجاء الى اليورومارکت للحصول على التمويل اللازم •

ويثور الخلاف بين الاقتصاديين ـ كما هو الحال دائما ـ حول دور اليورومارکت في تحقيق الاستقرار العالمي • فالبعض يرى ان هذا النظام باعتباره مستقلا عن اي تنظيم ورقابة دولية ، يمكن ان يكون سببا في اهتزازات وعدم استقرار للاوضاع المالية والنقدية ، في حين يرى البعض الاخر انه لنفس السبب ، فان اليورومارکت يعتبر من اسباب الاستقرار لان تضارب السياسات وتعارضها هو السبب الرئيسي لعدم الاستقرار، واليورومارکت باستقلاله النسبي يمكن ان يساعد على تحقيق التوازن بايجاد وسيلة موضوعية للتوفيق بين الاتجاهات المتضاربة•

اما الحقيقة بين الرأيين ، فانها تتوقف على موضعك ، وفي اي طرف تكون • ولذلك فانه لا جدوى من البحث في اي الرأيين اصوب • واذا كان من ضرورة للاختيار • فاننا نقول بان اليورومارکت ـ ككل المؤسسات يخدم الاقوياء اكثر •

د • حازم الببلاوي

عندما هبّ العرب

لصدّ الفرنسيين عن مصر

بقلم : الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى

لسنا بحاجة الى البحث عن شواهد على احساس امتنا بالمصير المشترك وسعيها في الملمات الى تكتيل الجهود درءا للخطر المشترك . لهذا لن نوغل في سرد تفاصيل التكاتف لمواجهة الغزو الصليبي والمغولي وغير ذلك ـ اذ المسار التاريخي لهذه الأمة ملىء بأخبار البطولة والفداء .. اذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . وسنتناول في هذا المقال صفحة مطوية لم يسلط عليها الضوء بعد ، تتناول مبادرة الحجازيين الى الوقوف الى جانب اخوتهم المصريين في كفاحهم ضد الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت .

فلقد جاءت هذه الحملة الى مصر في عام ١٧٩٨ - كما هو معروف لضرب انجلترا في تجارتها الشرقية واقامة مستعمرة فرنسية على النمط الحديث في مصر ذات الموقع الاستراتيجي الهام ، مما يوفر لفرنسا - خاصة اذا ما امكن وصل البحرين الاحمر والمتوسط - قاعدة لاقامة امبراطورية استعمارية في الشرق الاوسط . وما ان وطئت اقدام الفرنسيين مصر حتى اصدر بونابرت منشورات تعلن على المصريين انه انما جاء الى البلاد لتخليصهم من ظلم المماليك ، وانه قد حصل على موافقة السلطان العثماني صاحب السيادة القانونية والدينية على البلاد . وبالاضافة الى ذلك فقد حاول بونابرت ان يتقرب الى المصريين بشتى الوسائل ، ومنها اعلانه انه رسول الثورة الفرنسية الداعية الى الحرية والاخاء والمساواة . وانه قد جاء لتحريرهم ملوحا لهم بامجاد الفراعنة التي كانت قد قطعت بها الاسباب ، وبالاضافة الى ذلك فقد ادعى بونابرت الاسلام مستشهدا ببعض الايات القرآنية (وكان قد قرأ الترجمة الفرنسية للقرآن في سيرته البحرية من مارسيليا الى الاسكندرية) والاحاديث النبوية ، ملوحا للمصريين بقضائه في مالطة على تنظيم الفرسان الاسبتارية الذين يرجع تاريخهم الى الحروب الصليبية ، وكانوا قد استقروا في جزيرة رودس عقب القضاء على الكيانات الصليبية في الشام ثم انتقلوا الى مالطة بعد استيلاء الاتراك العثمانيين على رودس - وفي مالطة قاوموا الحصار العثماني ثم اعترضوا الملاحة الاسلامية في البحر المتوسط .

الا ان محاولات بونابرت للتودد الى المصريين لم تجده فتيلا . فسلوك رجال الحملة لم يكن يتمشى مع العادات والممارسات الاسلامية الدائرة ، خاصة انهم كانوا يشربون الخمر ويفطرون في رمضان علنا ويخالطون بعض النسوة بصورة خارجة على المألوف ، وان بونابرت قد اباح البغاء العلني . وفوق كل ذلك فقد اعلن السلطان العثماني الجهاد ، بعد ان تسربل في ذلك الوقت برداء الخلافة - ودعا رعاياه وغيرهم من المسلمين الى التصدي لمقاومة الحملة الفرنسية ، وهكذا نشبت الثورة في القاهرة منطلقة من الازهر ، بعد مجيء الحملة بوقت قصير ، كما اندلعت الثورات في المدن الكبرى وتجاوزتها الى الارياف : فقل ان وجدت مدينة او قرية مصرية لم ترفع لواء العصيان ضد الغزاة - هذا برغم تفوق الفرنسيين الواضح على المصريين في التنظيم والسلاح .

دعوة الى الجهاد

وانتشرت الدعوة الى الجهاد بعد ما اثار استيلاء الفرنسيين على مصر الشعور الديني في العالم الاسلامي ، وذلك من نفس المنطلق الذي حشد المصريين ضد الغزاة . حقيقة ان بونابرت قد راسل بعض الحكام المسلمين ومنهم امام مسقط وحاكما تونس وطرابلس (في ليبيا الحالية) محاولا التودد اليهم وطمأنتهم ازاء اهداف حملته ، الا ان ذلك لم يجده فتيلا ، خاصة وان بريطانيا قد ضيقت الخناق على الفرنسيين بعد تحطيم اسطولهم في موقعة ابي قير البحرية (او كما تسميها المصادر الاوروبية موقعة النيل) - وهكذا قاوم اهل الشام الحملة التي قادها بونابرت في عام ١٧٩٩ ، وقيض بعد ذلك لاحد الشوام - سليمان الحلبي - ان يقتل كليبر الذي خلف بونابرت في قيادة الحملة بعد رحيله الى فرنسا . ولقد ابدى الحلبي - وكان مجاورا بالازهر - شجاعته اثناء محاكمة الفرنسيين له وتقبل الموت بصدر رحب . كما ان الجيلاني (او الكيلاني) قد دعا الى الجهاد في الحجاز واخذ يستثير الهمم الى ان استطاع جمع قدر كبير من المال والمتطوعين الذين دارت المعارك بينهم وبين الفرنسيين في مدن وقرى صعيد مصر متعاونين مع بقايا المماليك والقبائل العربية وغير ذلك ، ضد العدو المشترك الى ان استشهد الجيلاني وتفرقت قواته .

ويشير المؤرخ المصري المعاصر - عبد الرحمن الجبرتي - الى الجيلاني ورجاله في الجزء الثالث من تاريخه - ففي ذكره لاحداث شهر شعبان سنة ١٢١٣ هـ (يناير - فبراير ١٧٩٩) يورد ما يلي « ومنها تواتر الاخبار ... بان رجلا مغربيا يقال له الكيلاني كان



مقاومة المصريين والاتراك لقوات نابليون الغازية عند شاطيء أبو قير

بجاورا بمكة والمدينة والطائف ، فلما وردت اخبار الفرنسيين الى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج اهل الحجاز لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة ، وان هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعو الى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين . وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا في معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا اموالهم وانفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر الى القصير مع من انضم اليهم من اهل الصعيد وبعض اتراك ومغاربة من كان خرج منهم مع غز عند وقعة انبابه . وركب الغز معهم ايضا ، وحاربوا الفرنسيين ، فلم تلبث الغز كعادتهم وتبعهم هوارة الصعيد والمتجمعة من القرى ، وثبت الحجازيون ، ثم انكفأوا لقتلهم وذلك بناحية جرجا ، وهرب الغز والمماليك الى ناحية اسنا .... ووقع بين الحجاز والفرنسيس بعض الحروب غير هذه المرة بعدة مواضع - وينفصل الفريقان دون طائل » . كما يزودنا الجبرتي باخبار عن نشاط بقايا هؤلاء المتطوعين الذين بقوا في القاهرة ، فيذكر انهم انضموا مع غيرهم الى احد المغاربة الذى دعا الى جهاد الفرنسيين في محافظة البحيرة ، ثم زحف باتباعه الى القاهرة فأقض مضاجع الفرنسيين .

مخطوطة يمنية

وقد نشر الصديق الدكتور سيد مصطفى سالم موخرا مقتطفات (١) من مخطوطة يمنية عنوانها « درر

(١) نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر (القاهرة ١٩٧٥) .

تحور الحور العين بسيرة الامام المتصور على واعلام دولته الميامين » ، عثر عليها في مخطوطات مكتبة جامع صنعاء الكبير . ومؤلف هذه المخطوطة هو لطف الله بن احمد جحاف ، الفقيه الحافظ المؤرخ الذي الف في التاريخ والحديث والفقه والتفسير والأدب ، الى جانب نظمه الشعر الجيد ، وقد كرس جحاف ـ الذي عاصر الحملة الفرنسية ـ مخطوطته لتاريخ اليمن في عهد الامام المنصور على بن المهدى العباس (١٧٧٥ ـ ١٨٠٩ م) وكتبها على طريقة الحوليات الشائعة لدى المورخين العرب حتى ذلك الوقت واذا كان الاطار العام لتفكير جحاف مصطبغا بالصبغة الدينية السائدة في عصره ، فان كتاباته تعيننا على استجلاء مستوى تفكير العرب حينئذ ، ومدى تصورهم لاحداث العالم بعد ان عاشوا فيا يقرب العزلة على اثر الكشوف الجغرافية وانصراف اوروبا الى العالم الجديد والطرق المحيطية الكبرى ، واستمرار النضال بين الشرق والغرب الذي تزعمته من الجانب الاسلامي ـ الدولة العثمانية التى واجهت اوروبا عدة قرون . وقد سبق ان اكدت ان اضمحلال العالم العربي ـ الاسلامي كان سابقا على ظهور العثمانيين وان مرجعه الحكم الاستبدادى وما ارتبط به من قفل باب الاجتهاد ، ثم الحروب الطاحنة التى تعرضت لها المنطقة العربية وعلى رأسها الحروب الصليبية والغزو المغولي وما ارتبط بالخلافات المذهبية من صراعا سياسية وعسكرية وانتشار البدع باسم التصرف .. وهكذا ساد التقليد المنطقة العربية ـ الاسلامية ، فكان الاضمحلال العام الذي استكان فيه المجتمع لحالة تبلد عام مقرونة بالغيبيات الباعثة على السلبية . وهكذا اقتصر حيز الدراسات على العلوم المتعلقة باللغة العربية والعلوم الدينية والفقه والمنطق ومبادىء الرياضيات ، خاصة وقد انطفأت الجذوة الخلاقة التي وفقت العرب والمسلمين الاول الى ارتياد وتطوير العلوم والاداب والفنون والفلسفة والفقه والتشريع والجغرافيا مما افسح المجال للاهتمام بالشكليات والتظاهر بالعلم والانغلاق .

وليس من الغريب والحال كذلك الا يدرك كل من جحاف والجبرتي ابعاد الصراع الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا ـ ومن ثم ما نجده من اعتبار الجبرتي اياها نوعا من العقاب الالهي للمصرين على ابتعادهم عن الجادة ، على حين ان جحاف يرجع مجيء الفرنسيين الى مصر الى خلاف بين احد التجار الفرنسيين وبين حاكم مصر ، ويعتبر بونابرت « سلطان بلاده » ، ويذكر ان جزيرة مالطة كانت « تحت حوزة الانجليز » قبل استيلاء الفرنسيين عليها ، وان حاكمها المدعو « قنصل » هو الذى لجأ الى السلطان العثماني ليشكو اليه امر الفرنسيين ويحثه على الانتقام منهم ! على ان اهمية ما نشره الدكتور سيد سالم من المخطوطة ترجع الى مجموعة الخطابات التى تبودلت بين بعض الحكام العرب والمسلمين بشأن الحملة الفرنسية والحاجة الى الدفاع عن الوطن العربي ـ الاسلامي . فلقد اثاروا روح الاخوة الدينية الاسلامية ودعوا الى مواجهة الفرنسيين باسم الاسلام ، في الوقت الذي اطلق فيه السلطان العثماني نداء الجهاد . وفيا يرويه جحاف عن التنادى في الحجاز الى مساندة المقاومة المصرية للفرنسيين نجد صورة تفصيلية تفوق ما رواه الجبرتي ـ وهذا امر طبيعي ، اذ الحجاز جغرافيا ـ اقرب الى اليمن منه الى مصر ، وقد آثرنا اثبات روايته بهذا الصدد بحذافيرها وفيا يلي ما يثبته جحاف في احداث عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ م) :

ضد الكفار اللئام

« وفيها قام في البلدة الحرام بوظيفة الدعاء الى اقامة شعار سنام الاسلام ، محمد المغربي الجيلاني الهاشمي لما وردت الاعلام بما صنعه الكفار اللئام من الهجوم على ساحات مصر . وتصدر بالحرم الشريف فالتف عليه خلائق واستمعوا الى ارشاده الى انهج الطرائق ، وفعل دعاؤه في القلوب ما فعل ، وتسامع الناس باخباره فوردوا اليه وبذلوا نفوسهم واموالهم بين يديه ، وكانت النساء تأتي فتستمع الى ما يمليه من احاديث الحض على الجهاد

فيلقين الى الحلقة فتخاتهن (خواتمهن) وعقودهن ومليوسهن ويقلن ذلك الذي علينا فاجتمعت عنده اموال واسعة ووردت اليه المتطوعة من البلاد الشاسعة ، فسار بهم لمناجزة اعداء الله الفرانسة ......

« كان السيد محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين الى الجهاد ، فمن اعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي فانه تصدق في سبيل الله بخمسمائة بندق صفار مغربية ومائتي حربة من حراب الشام ومائتي سيف ، واربع مائة كيس من البرز والفي نعـل يتنعلها فقـراء المجاهدين ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن العسيري بمهات جهز بها ثلاث سواعي (سفن صغيرة) يركبها المجاهدون وملأها لهم ميرة ، ومنهم الشيخ احمد قاني جهز دواوين في سبيل الله ، ومنهم الشريف غالب بن مساعد ، جهز خمس سواعي في سبيل الله (شاحنة) ، ومن اهل ينبع محمد ابو العسل جهز داوا من داواته وثلاث سواع أخرى من اهل ينبع ، فسير السيد محمد الجيلاني جماعة متطوعة من جدة وتلك الداوات فكانوا نحوا من أربعة آلاف مقاتل . ثم سار ناحيا نحو المدينة المنورة فمر بأهل رابغ والخليص (واديان بين مكة والمدينة) فدعاهم فأجابوه وبذلوا أموالا واسعة . وسار الى بدر فأنالوه وخرج منهم جماعة متطوعة . وكان له وكلاء يجمعون الاموال معه ، ثم نزل بالصفرا (جهة من جهات المدينة المنورة) فدرس « وعظ » بها ودعا الى الجهاد فجاوبه بأموال واسعة .. وسار الى المدينة فتسلم من اهلها اموالا جزيلة وخرج منهم ٣٠٠ متطوع فنزل بالجميع الى ينبع . وجاء الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم ، فحمد الله ، وسار بمن معه » . ثم يسرد جحاف انباء المعارك التي دارت بين متطوعة الحجاز وبين الفرنسيين في صعيد مصر : في قنا وسمهود وأبنود وبئر عنبر وجهينة وجرجا ، وكيف انهم ـ برغم استبسالهم ـ لم يكن لهم قبل ازاء الفرنسيين المتفوقين عسكريا ـ وهكذا « انفصم ... عقد نظام المتطوعة وذهب الناس ارسالا لا امير لهم ـ منهم الذاهب الى مصر والذاهب الى الشام والعائد الى الحرمين » .

وحين ارغمت الحملة الفرنسية على الجلاء عن مصر بعد ان حاصرتها بريطانيا واعدت الدولة العثمانية قواتها وسيرتها لاسترداد مصر ، يهلل الجبرتي لذلك ويعتبره مظهرا من مظاهر التقديس والعناية الالهية التي انقذت مصر المحروسة » ويشترك مع جحاف في تجسيم الدور الذي قامت به الدولة العثمانية في محاربة الفرنسيين ، دون ادراك كاف لقوة اوروبا التي لن تلبث ان تشن هجوما شاملا على دار الاسلام سقط فيه آلاف الضحايا قبل ان تتحرر معظم الاراضي من دنس الغزاة . وتتكرر الصورة التي استعرضناها حين تطوع الحجازيون لنصرة مصر ، فيتقاطر المتطوعون مرة تلو اخرى من شتى الاقطار لنجدة البلد الذي يتعرض للعدوان برغم تفوق السلاح والتنظيم الاوروبيين ، يدفعهم الى ذلك دافع الجهاد الديني والقومي سعيا وراء التحرير والاستشهاد .

■■

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

طول الآذان

● كان لرجل من الاذكياء اذنان طويلتان فاراد احد الثقلاء أن يهزأ به فقال له : أيها الصديق ان أذنيك طويلتان جدا على جسم انسان • فأجابه : صحيح أن أذني طويلتان على جسم انسان ولكن ألا ترى أن أذنيك قصيرتان على جسم حمار •

● عن الدين والسياسة ●

بغير شعارات : من

هذه المرة ، سنعطي النظريات والشعارات « اجازة » . سوف تستأذن دعاة الحاكمية وانصار سيادة الامة ، في ان تنحي لافتاتهم جانبا ، وندخل في صلب القضية . لان الاغلبية الساحقة من الناس لا تعنيها في الواقع صياغة الشعار الذي يرفعه النظام الذي تتعامل معه ، وهل هو سيادة الامة او سيادة القانون او سيادة الزعيم . بل يعني الجماهير بالدرجة الاولى دورها في هذا النظام او ذاك ، ونصيبها منه ، يعني الجماهير ، في الدور كله ، ان تعرف : هل تقوم بدور البطولة ، ام « الكومبارس » ، ام المتفرجين ، ام هم مجرد « ديكور » في المشهد !!

وقد كان السؤال الذي انتهت عنده الحلقة السابقة في مناقشة الدين والسياسة هو : من حقا بيده الامر في النظام الاسلامي ؟

اذا أردنا أن ندخل في صلب القضية ، ونقف على ارض الحقيقة مباشرة ، فسوف يفيدنا بكل تأكيد ان نحدد موقف الاسلام الصريح من قضيتين هما عصب اي نظام في هذه الدنيا : الحكم والمال ، او السلطة والثروة .

ذلك أن المحك الحقيقي لاختبار مدى صلاحية ، أو حتى شرعية أي نظام هو مدى مشاركة الناس في دعامتين هامتين . وكلما اتسعت مشاركة الجماهير في « مرفقي » السلطة وا ثروة ، توفرت للنظام عناصر الصحة والايجابية والشرعية ، والعكس صحيح تماما . فكلما ضاقت دائرة المشاركين في السلطة والثروة ، تقلصت عناصر الصحة والايجابية والشرعية ، وانفتح الباب لشرور وسلبيات أكثرنا يدركها جيدا ، وربما عانى منها ايضا !

واذا عرفنا « من بيده الامر» في هذين المرفقين ، من وجهة النظر الاسلامية ، فسوف نقف على حقيقة من بيده الامر في المجتمع الاسلامي .

●

لنبدأ بالسلطة ..

عند أهل السنة جميعا ، فان « الامامة عقد» ، يتم بين الأمة والامام ، ويرتب التزامات على كل طرف ، شأن أي عقد آخر ، كما يرتب « شرطا جزائيا » على الطرف الذي يخل بالتزامه . قد يصل الى خلع الامام من منصبه ، وانهاء عقده ، بالحسنى او بغيرها !

ومن أشهر الذين تناولوا هذا العقد الخطير بالدراسة ، كبير اساتذة القانون في مصر الدكتور عبد الرزاق السنهوري « باشا » ، الذي كان اول من دعا في مصر الى اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الاساسي للقوانين .

قال الدكتور السنهوري عن عقد الامامة كما عرضه الفقهاء المسلمون ، انه عقد حقيقي ، مستوف

يملك السلطة والثروة ؟

بقلم : فهمي هويــدي

للشرائط من وجهة النظر القانونية . ووصفه بأنه مبني على الرضا ، وان الغاية منه ان يكون هو المصدر الذي يستمد منه الامام سلطته ، وهو تعاقد بين الاخير وبين الامة ❋ . وانهم ـ فقهاء المسلمين ـ عرفوا نظرية « السيادة » كما عبر عنها جان جاك روسو فيا بعد ، وان كانت نظرياتهم قد احتوت على عنصر زائد خاص بها . اذ بينا « افترض » روسو ان ثمة عقدا بين الحاكم والامة ، يحكم الأول بمقتضاه ويستمد شرعيته منه ، فان عقد الامامة عند المسلمين حقيقة واقعة وليست افتراضا ولا وهما .

وقد تبدو هذه مفاجأة لاكثر دارسي القانون ـ وأنا أحدهم ـ لاننا لم نعرف طوال سنوات دراستنا الجامعية ان هناك من قال قبل روسو بنظرية « العقد الاجتماعي » ، بين العجم فضلا عن العرب . وفي كتب ومراجع القانون الدستوري التي كانت بين ايدينا ـ في الخمسينات على الاقل ـ لم يكن يذكر روسو الا بانه « ابو الديمقراطية الحديثة » ، ومبتدع تلك الفكرة الباهرة ، التي اوجدت بطريقة عبقرية مخرجا قانونيا سهلا يقيد سلطة الحاكم ، ويعبر عن التزامه تجاه الامة ، بهذا العقد الضمني غير المرئي .

لم نكن نعلم ـ الا بعد تخرجنا من الجامعة وبعدما اغلقنا كتب « الدستوري » المقررة ـ ان الفقهاء المسلمين اشبعوا نظرية العقد دراسة وتحليلا وصياغة ، قبل « روسو » بسبعة قرون على الاقل !

الامامة عقد اذن تنشئه ارادة الامة ، من خلال ممثليها ، أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار او الشيوخ والنواب . وهو مماثل لأي عقد آخر يعبر عن الارادة الانسانية ، مثل عقود الوكالة والوديعة والقضاء . والبيعة من البيع . ولذا قال عنها ابن خلدون في « المقدمة » (وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده ، جعلوا ايديهم في يده ، تاكيدا للعقد . فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري . فسمي « بيعة » ، مصدر « باع »)

ويسوق الدكتور ضياء الريس في كتابه بعضا من اقوال الفقهاء في هذا المعنى ، منها ما قاله « البغدادي » في كتابه « اصول الدين » : « قال الجمهور الاعظم من اصحابنا (يقصد اهل السنة) ومن المعتزلة والخوارج والنجارية ، ان طريق ثبوتها (الامامة) الاختيار من الأمة » .

ومنها ما ذكره الرازي أن الأمة هي صاحبة الرئاسة العامة ، كما يتبين حين تقرر ان « تعزل الامام لفسقه » . وما دامت هي صاحبة الرئاسة العامة ـ يضيف الدكتور الريس ـ وهي التي لها حق عزل الامام ، اي انهاء العقد او فسخه ـ فهي المبتدئة له ، وهي المشرفة عليه ، وصاحبة الحق الاول فيه .

ومنها ما قاله الماوردي في « الاحكام السلطانية » ، انه اذا تنازع اثنان على الامامة « وادعى كل واحد منهما انه الأسبق ، لم تسمع دعواه ، ولم يحلف عليها ، لانه لا يختص بالحق فيها . وانما هو حق المسلمين جميعا . فلا حكم فيه ليمينه ولا لنكوله عنه » .

❋ للتفصيل انظر كتاب الدكتور محمد ضياء الدين الريس ـ النظريات السياسية الاسلامية .

وبعد أن يبرم العقد بين الأمة والامام ، ويتأهب لممارسة وظيفته ، فهو ملزم بأن تتم ممارساته هذه من خلال « الشورى » . فالحاكم الفرد لا وجود له في الاسلام ، ونصوص القرآن الكريم التي تحدثت من قريب او بعيد عن موضوع الحكم والقيادة لم تستخدم الا كلمة عبارة « اولي الامر » ، وهو ما يعزز فكرة جماعية القيادة في كل موضع .

« والشورى » هو اسم احدى سور القرآن الكريم ، التي نزلت قبل ١٤ قرنا ـ بينما العالم الاوروبي لم يعرف البرلمانات الا في القرن التاسع عشر ! ـ وقد وردت لفظة الشورى في موضعين احدهما على سبيل الامر الموجه الى الرسول ﷺ ، ومن بعده ـ « وشاورهم في الامر » ـ آل عمران ١٥٩ ـ والثانية في وصف مجتمع المسلمين ، المؤمن بالله ، والمقيم للصلاة ـ لاحظ السياق ـ ثم بعد ذلك .. « وامرهم شورى بينهم » ـ الشورى ـ ٣٨ .

ولا نريد ان ندخل في مزيد من التفاصيل ، اذ يكفي ان نقرر ان الشورى تتم من خلال ممثلي الامة . كيف يختارون ، وكم عددهم ، ولاي فترة زمنية ؟ تلك كلها جوانب تخضع لرأي اهل الاختصاص والخبرة .

والذي يعنينا هنا هو ان ممثلي الامة هؤلاء لهم حق الرقابة على السلطان والسلطة ،لكنها ليست مقصورة عليهم وحدهم ، لان هذه المهمة تشاركهم فيها جموع المسلمين ، بل هي فرض واجب على كل قادر من المسلمين . واذا استخدمنا التعبير الشرعي فان ابرام عقد الامامة بمثابة « فرض كفائي » بمعنى أن أهل الحل والعقد أو أهل الشورى والاختيار يقومون بهذه العملية نيابة وكفاية عن الامة ، الأمر الذي يسقط الفرض عن الآخرين . أما مراقبة تصرفات السلطان والسلطة فهي « فرض عين » لا تصلح فيه الانابة او التمثيل . بل يجب أن يباشره المسلم بنفسه ، وقدر استطاعته .

●

وتنطلق فكرة رقابة الشارع الاسلامي ـ ان صح التعبير ـ على ممارسات السلطة من مبدأ بالغ الاهمية يقرره الاسلام هو : حق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يطالب به الفرد والمجتمع المسلم .

.. « كنتم خير أمة اخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ـ آل عمران ١١٠ » ـ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ـ آل عمران ١٠٤ « .. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض : يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ـ التوبة ٧١ » (لاحظ انه في ترتيب التزامات المسلمين تجاه بعضهم في هذه الاية ، ياتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المقدمة) .

وفي هذا الاتجاه ، يفصل الحديث الشريف الامر في قول النبي ﷺ : من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

والتحديد والتفصيل في هذا الحديث له وجهان :

ـ انه موجه الى كل مسلم ، ايا كان مقامه او مكانه ، اذ يقول : « من راى منكم » ، اي من كافة المسلمين .

ـ انه يعتبر تغيير المنكر مرتبطا بايمان المسلم ، اذ ينص على ان التغيير بالقلب هو الحد الادنى للايمان ، الامر الذي يعني ان الحد الاقصى للايمان ـ او الايمان الامثل ـ يتمثل في التغيير بالفعل لمن هو قادر عليه .

وقد كان هذا التكليف بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي فصله الحديث الشريف الداعي الى التصدي للمنكر بالفعل او بالقول او بالقلب ، وراء اغلب حركات التمرد والرفض والثورة في التاريخ الاسلامي . الامر الذي دعا بعض الفقهاء الى تفسير حديث تغيير المنكر بصورة لا تؤدي الى انفلات الامور في المجتمع الاسلامي . فقالوا ان خطاب التغيير الايجابي (بالفعل او بالقول) موجه الى جماعة المسلمين التي تملك قوة العمل او قدرة التغيير ، اما التغيير السلبي (بالقلب) فموجه الى الافراد ، الذين قد لا يملكون اكثر من ذلك .

وتحرك المسلم ، ومشاركته في توجيه السلطة والسلطان ، له درجتان : النصيحة اولا والتصدي ثانيا .

هو مدعو الى توجيه النصح . وفي الحديث الشريف : الدين النصيحة . قالوا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم .

وفي الحديث ايضا : « ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الامر ، ولزوم جماعة المسلمين » .

واذا لم تجد النصيحة ؟

يقول الامام ابن حزم « والواجب ان وقع شيء من الجور ، وان قل ، يكلم الامام في ذلك ، ويمنع منه . فان امتنع وراجع الحق .... فلا سبيل الى خلعه . وهو امام كما كان ، لا يحل خلعه . فان امتنع عن انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ، ولم يراجع ، وجب خلعه ، واقامة غيره ممن يقوم بالحق » .

واذا تعلق الامر بظلم فالجرم افدح ، والتصدي أوجب .

وباب التصدي للظلم هذا فريد من نوعه في الفكر الاسلامي . ذلك بان المسلم بمقتضاه ، مطالب شرعا ودينا بان لا يقف مكتوف الايدي ازاءه . بل ان النصوص تتوعده بغضب الله وعذابه في الآخرة ، اذا استسلم للظالم او سكت عليه .

وفي الحديث الشريف : ان الناس اذا رأوا الظالم ، فلم يضربوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقابه .

وفي الحديث ايضا : اذا رأيت امتي تهاب ان تقول للظالم ياظالم ، فقد تودع منهم ، وبطن الارض خير لكم من ظهرها .

ولم يكف الخلفاء الراشدون ، خصوصا ابو بكر وعمر ، عن استنهاض همم المسلمين في التصدي لانحرافات السلطة والسلطان . فهذا ابو بكر يخطب بين المسلمين بعد بيعته قائلا : قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن أسأت فقوموني . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .

وهذا عمر بن الخطاب يحرض الناس على تقويمه حتى قال له أحدهم : والله لو علمنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا . ويستقبل عمر هذا الرد بقلب مستريح قائلا : الحمد لله أن جعل في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه !

وبنفس هذا المنطق ، وقف عمر أمام المسلمين وخطب فيهم قائلا : لوددت اني واياكم في سفينة في لجة البحر ، تذهب بنا شرقا وغربا ، فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم ، فان استقام اتبعوه ، وان حيف (ظلم) قتلوه .

وعندئذ قال طلحة : وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه ؟

فكان رد عمر : لا ، القتل انكل (اخوف) لمن بعده ؟

هل رايتم حاكما في التاريخ يدعو الناس الى الثورة المسلحة عليه ، اذا ما انحرف ، ويصر على تحريضهم في كل مناسبة ؟؟

وقد كانت مثل هذه النصوص ، وراء اجماع اهل السنة على وجوب خلع الامام الظالم ، بالحسنى او بغيرها ، كما قلت . حتى قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين « ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته . وهو اما معزول ، او واجب العزل . وهو على التحقيق ليس بسلطان . ! »

اي ان ممثلي الامة الذين ابرموا عقد الامامة ، لهم ان يفسخوا العقد اذا أخل الامام بالتزاماته ، وفي مقدمتها الجور والظلم .

●

لقد كان سؤالنا في بداية هذه الرحلة هو : من يملك السلطة والثروة في المجتمع الاسلامي ؟ ولعلي اجبت عن الشق المتعلق بمشاركة الجماهير ومسئوليتها تجاه السلطة والسلطان .

بقي موضوع الثروة ، وهو ما تعرضت له تفصيلا في مناقشة سابقة جرت حول موضوع العدل . بعنوان « مال من هذا ؟ . (العدد ٢٣٩) ، وكان قوام المناقشة انه مال الله بنصوص القرآن (آتوهم من مال الله الذي آتاكم) ، وأن هذه الصيغة ترجمت على عهد النبي ﷺ ، والراشدين من بعده ، على أنه « مال الناس » .. وهو التعبير الذي استخدمه ابو ذر الغفاري في رده على معاوية ، الذي حاول ان يبرر اطلاق يده في بيت المال ، بانه مال الله .

ويستند هذا التفسير لعبارة مال الله ، الى نص قرآني آخر هو : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ » .

هو مال الله في التنظير ، مال الناس في التطبيق ، باعتبار انهم خلفاء فيه .

والنص في القرآن على أنه مال الله ، وأن الناس مستخلفون فيه ، له حكمة بالغة اريد بها تحطيم احتكار القلة للمال ، وتأكيد حق الجميع فيه ، الامر الذي يعني الاكثرية من عامة الناس وفقرائهم .

حتى قال النبي ﷺ : اني والله لا أعطي أحدا ، ولا أمنع أحدا ، انما أنا قاسم أضع حيث أمرت .

وحتى قال عمر بن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد . وما أنا أحق به من أحد . والله ما من المسلمين أحد الا وله في هذا المال نصيب .

وحتى رد عمر بن عبد العزيز على وفد بني أمية الذين جاءوا يطالبونه بصرف مخصصاتهم وامتيازاتهم : والله ما هذا المال لي ، وما لي الى ذلك من سبيل .

●

ماذا يسمى هذا كله . حاكمية ام سيادة للامة ؟ يمين ام يسار ؟ .. دين ام سياسة ؟

ليسمه من يشاء بما يشاء . لكنه عند الله هو الاسلام .

ولله الامر من قبل ومن بعد !

■■

● حل مسابقة العدد ٢٤٧ ●



افقياً :

محمد بن جبير

●

رأسياً :

حسان بن النعمان

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : محمد بن جبير ، ولد في بلنسية باسبانيا ، وتوفي بالاسكندرية عام ١٢١٧ . درس الفقه والحديث . شرب الخمر صدفة ، فحج تكفيرا . زار الاسكندرية ومكة والمدينة والكوفة والموصل وحلب ودمشق وعكا وصقلية . سجل ذلك في « رحلة ابن جبير » .

(٨) راسيا : حسان بن النعمان ، قائد غساني شهير في الفتوحات الاسلامية ولي افريقيا ، حارب البيزنطيين والبربر في عهد عبد الملك بن مروان وتغلب عليهم . توفي عام ٨٦ هجرية .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :سعد مرزوق جاد ـ الاسكندرية ـ مصر
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :محمد نافع حمد العطاري ـ مكة ـ السعودية •
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :محمد ماجد السبيعي ـ النويصيب ـ الكويت •

✻ ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمس دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبدالاله عبداللطيف حسن ـ الهندية ـ العراق

٢ ـ سلطان محمد حربان ـ تلين البحرين الجامعية ـ البحرين

٣ ـ عبدالغني عبدالهادي ـ عمان ـ الاردن

٤ ـ عبدالله كامل النجمي ـ اللاذقية ـ سوريا

٥ ـ بار فايض محمد ـ الدارالبيضاء ـ المغرب

٦ ـ راغدة اميل زنقول ـ حاصبيا ـ لبنان

٧ ـ ابراهيم عبدالحميد عبدالله ـ ابوظبي ـ الامارات

٨ ـ غالب برجي ـ هيوستن ـ امريكا



البشير الابراهيمي

مصلحاً وثائراً

بقلم : عمر بن قينة

الاستاذ بجامعة الجزائر

★ ان الحديث عن البشير الابراهيمي هو جزءمن الحديث عن فترة هامة فى حياةالجزائر المكافحة، عرف الوطن فيها محنة الاستعمار ، وتلون اساليبالمقاومة والنضال • احتل مكانة فكرية بارزة لفتت اليه انظار الجميع ، وبواته مكانه بين اعلام الفكرفى العالم العربى • غير ان الحديث عن حياته يعد جزءا من الحديث عن مواقفه • وقد آثرت انأقسمها الى اربع فترات لان كل فترة كانت ذات طابع خاص ، ليس فيما يتعلق بالاحداث فقط ،بل فيما يخص مواقفه وفكره ايضا •

الفترة الاولى تمتد بين عامى ١٨٨٩ و ١٩٢٠ • فقد ولد محمد البشير الابراهيمى فى ١٤ يونيـــو ١٨٨٩ بدائرة سطيف حيث تلقى تعليمه الاولى فحفظ القرآن الكريم ودرس بعض المتون فى الفقه واللغة العربية • وفى سنة ١٩١١ م توجه نحـو المشرق العربى فمر بالقاهرة حيث تعرف فيها على بعض شعرائها ومفكريها ، وبعد نحو ثلاثة شهور قصد المدينة (المنورة) بالحجاز فاقام فيها وتفرغ للدراسة كطالب ظل يتردد على أساتذة اللغـــة والدين وعلى مكاتب المدينة ، فدرس واطلع على الكتب القديمة والحديثة، برغبة ملحة فىالتحصيل والاطـلاع • فبحث دارســا وقرأ مستظهرا وطالع متفهما نحو خمس سنوات ، فوعى ما قرأ وتمثله • خلال ذلك وصل الى هناك عبد الحميد بن باديس من الجزائر (١٩١٣ م) فتم التعــارف بينهما ، جمعهمــا حب الوطـن ووحـدة الآمـال فتواصلت لقاءاتهما واتصلت مدة اقامة بن باديس هنـــاك يتحدثان عن الوطن ومستقبله • ثم عاد ابن باديس الى الجزائر اما البشير الابراهيمى فقد انتقـــل سنة ١٩١٦ م الى دمشق وقد كتب يقول عن هذه المناسبة / •• « خرجت من المدينة فيمن خرج الى دمشق فى أخريات سنة ست عشرة ميلادية » وفى دمشق اشتغل الابراهيمى بالتدريس ، وحاضر فى النوادى والمساجد حتى اواخر سنة ١٩٢٠ عندمـا عاد الى الوطن مودعا تلاميذه وهم يذكرون جميله، فقـال عن هـذه المنـاسبة بعـد ذلك بثلاثين سنة «••• يايوم الوداع ما أقساك ، لا أنسى بعد ثلاثين سنة ولن أنسى ما حييت موقف الوداع•••وتلامذتى الاوفياء يقدمون الىبخطوطهم كلمات فى ورقات »•

الفترة الثانية

بعودة محمد البشير الابراهيمى الىالجزائر تبدا الفترة الثانية من حياته ، فشرع فى التعليمكزميله

* أصل الموضوع محاضرة ألقيت بمناسبة ذكرىوفاة الابراهيمى فى سينما « الاتحاد » بمدينـــة « بو سعادة » •

وصديقه عبد الحميد بن باديس ، واستمرت علاقاتهما التي بدأت في الحجاز تتوطد ومشاوراتهما تتكرر واتصالاتهما تتسع ، فلما كانت سنة ١٩٣١ اسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ٥ مايو ، كرد فعل على الاستعمار الذي عمل للاحتفال بالعيد المئوى للاحتلال، وانتخبت الجمعية عبدالحميد بن باديس رئيسا لها والبشير الابراهيمي وكيلا • فواصل الرجلان عملهما مع سائر اعضاء الجمعية وازدادت مسؤولياتهما واسست الجمعية صحف « الشريعة » و « السنة » و « الصراط » ثم « البصائر » التي صدرت سنة ١٩٣٥ م والتي استطاعت ان تنقل صوت الجمعية خارج الجزائر ، فقال عنها احدهم في المشرق العربي « طلعت علينا البصائر ، من عاصمة الجزائر ، فاسمعت العالمين الشرقي والغربي صوتها العالي المرفوع » •

واصل البشير الابراهيمي نشاطه ضمن الجمعية كشخصية بارزة مؤثرة ، حتى كانت الحرب العالمية الثانية فابعدت السلطات الاستعمارية بعض اعضاء الجمعية وفرضت على بعضهم الاقامة الجبرية كما اعتقلت اخرين في السجون فاوقف بن باديس في قسنطينة وابعد الابراهيمي الى « افلو » بالغرب الجزائرى حيث اوقف ايضا ، وبعد نحو أسبوع فقط توفي ابن باديس • افرج عن البشير الابراهيمي سنة ١٩٤٣ فاستمر في ممارسة عمله كرئيس لجمعية العلماء بعد وفاة ابن باديس • واثناء حوادث ١٩٤٥ التي أبيد فيها الآلاف من ابناء الجزائر برصاص الاعداء ، في هذه الحوادث قيد الابراهيمي الى السجن مثل الآلاف من الجزائريين الذين طالبوا بحقهم في الحرية والحياة •

ثم اعلنت الحكومة الاستعمارية عفوها العام فكتب الابراهيمي بعد ذلك عن هذه المناسبة يقول عن الحكومة الاستعمارية « •• كانها رأت عدد القتلى منا لم يبلغ النصاب المقرر فحكمت محاكمها العسكرية على العشرات بالاعدام ونفذته فيهم » اما عن اطلاق سراح المعتقلين فيقول « •• اطلقوا سراحنا باسم العفو العام والامتنان كاننا مجرمون الحقنا العفو ، لا مظلومون برأتنا العدالة » •

بعد هذه الحوادث التي كشف فيها الاستعمار عن وجهه الحقيقي ونياته الحاقدة استانف الابراهيمي نشاطه رئيسا للجمعية فاعاد صدور جريدة « البصائر » سنة ١٩٤٦ بعد توقف دام أكثر من خمس سنوات •

الفترتان الثالثة والرابعة

لقد كانت حركة جمعية العلماء مرحلة هامة في يقظة المجتمع الجزائرى وكان اثرها ابرز في الميدان الاصلاحي والتعليمي مما ساعد على خلق مناخ فكرى اخذ في الانتعاش تدريجيا • لكنه بقي في حاجة الى عناصر وطنية تشيع فيه روح الحياة اكثر •

من اجل ذلك سافر البشير الابراهيمي سنة ١٩٥٢ الى بعض البلدان العربية والاسلامية ملتمسا من بعض حكوماتها ان تخصص منحا دراسية للطلبة الجزائريين ، ولم يشأ البشير الابراهيمي أن تتوقف همته عند هذا الحد • اما الفترة الرابعة فهي فترة النهاية ، شيخوخة تحد من الحركة والنشاط، ونسيان او تناس وتنكر له من طرف البعض • عاد الابراهيمي الى وطنه ، واتصل بالامة الجزائرية في أول صلاة أم فيها الجمهور بمسجد « كتشاوة » الذى اعيدت له صفة المسجد بعد أن كان الاستعمار قد حوله الى كنيسة ، كان ذلك الاتصال بالجمهور عن طريق الاذاعة التي نقلت خطبتي الجمعة ، فاعادت كلماته للكثيرين من رفاقه وغيرهم أعذب الذكريات واحلاها، لكن الصمت لا يلبث أن يفرض نفسه عليه ، فعاني وتالم • وفي ١٩ مايو ١٩٦٥ توفي الابراهيمي ، فودعته الامة الجزائرية بقلوب حزينة ، وعيون دامعة عليه كشخص من رجال الاصلاح فيها ، واحد بناة نهضتها الفكرية الحديثة، من الذين عملوا لاصلاح مجتمع واسهموا في تكوين شبابه وارشاده وتثقيفه •

اغمض البشير الابراهيمي عينه في بلاده ، وحاز قبرا في ثراها كما كان يتمنى • انتهى كشخص من الحياة ، وبقي في ماله من اعمال وآثار بين الناس •

في مواجهة الاستعمار

كان البشير الابراهيمي الشخصية الثانية البارزة بعد ابن باديس فكان ساعده وعضده في المعركة الاصلاحية ، فعمل لتاسيس المدارس وتعميمها ، وخلفه بعد وفاته رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فواصل المسيرة التي بدأها مع ابن باديس عاملا من اجل ايقاظ النفوس الخاملة ، منددا بالبدع المتفشية ، ناصحا للامة بضرورة

الاتحاد والتآزر ، داعيا لنبذ الخلافات الحزبية الضيقة والقضاء على الروح الاقليمية المتفشية في حتى ان النفوس المتحجرة معرضا بالصراعات الشخصية التي تخدم الافراد والاستعمار ، وليست في صالح المجتمع الجزائري وتطوره ساعيا من أجل تكوين شباب الوطن ثقافيا ،وتوجيهه عقديا ،مناوئا للاستعمار في نطاق وسائله الفكرية وحدود استخدامها •

تبرأ الابراهيمي من أن يوصف بالسياسي ، وان جمعيه العلماء ايضا ليست جمعية سياسية ولكنها جمعية دينية • وسواء اقال الابراهيمي هذا عن اقتناع وصدق ام قاله تجنبا لمضايقات العدو فانه لما لاحمه الاستعمار ولاحق اعضاء الجمعية باسم السياسة فان الابراهيمي جهر بالقول : (••• ونكن علماء وسياسيين ولتكن كل شيء يحمي امتنا ، ويحمي ديننا ولغتنا ••• ما دمت لا تجد صاحبك الا حيث تكره، فمن العدل الا يجدك صاحبك الا حيث يكره) •

وكان للبشير الابراهيمي صوته الواضح المعبر عن مشاعر الامة الجزائرية ، أو عن اغلبية وطنية ، يستجيب للاحداث اليومية ويتخذ منهما موقفا وله فيها رأى • (ابدا بما شئت واختم بما شئت من النظم والقوانين التي تساس بها الجزائر تجدها كلها دائرة في مبادئها وغاياتها على محور واحد / هو احتقار المسلم الجزائري وبغضه ••• هلم تجد الاستعمار يقول لك انا احق منك بالتصرف في دينك • فقد اصبحنا لكثرة ما بلونا من سرائر السياسة الاستعمارية وعجمنا من اعوادها نفقه كثيرا من اتجاهاتها ومراميها) •

لن ننكر ابدا الاثر الذى احدثته التنظيمات الوطنية الاخرى في سبيل بعث وعي وطني • لكن جمعية العلماء كانت اكثر تأثيرا في الجمهور لطابعها الديني الذى يشد اليها جماهير المواطنين، خاصة عندما ترى هذه الجماهير ان الدين غدا وسيلة لاثبات الشخصية الوطنية التي من بين دعائمها اللغة الوطنية • كان للجمعية اثرها في مختلف الاوساط في المدن والقرى فاستجابت الفئات الشعبية تبذل الاعانات المادية وتقدم الهبات لبناء المدارس وتعليم العربية الامر الذى اغاظ الاستعمار واثاره ، فاذا كان يصعب عليه منع المقبلين على التعليم العربي فانه حاول أن يقيد هذا التعليم ، فالمدارس لا تفتح الا برخص ، والمعلمون لا يباشرون عملهم الا بشروط تخضع للظروف والملابسات ، والمعلمون هم عرضة للمضايقات والدعوات الى السجون •

يقول الابراهيمي في احدى هذه المناسبات •• (كان التعليم جريمة يترتب عليها العقاب ••• بدات دعوة المعلمين تترى ، ونحن نقدر أنها ستعم، وان أول المطر قطر ، وان الاحكام ستكون بالغرامة فالسجن ، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة وستتلقى هذه الاحكام بنفوس مطمئنة بالايمان ، وحسبنا شرفا ان يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا ••• وحسب الاستعمار ديمقراطية أن يحاكم معلمي العربية والاسلام)و(يحرم الاستعمار الفرنسي التعليم على مسلمي الجزائر ويفرضه على ابنائه في وطنه ، فاعجب لشيء واحد يحرم في وطن ويفرض في وطن ، ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب ولم يندهش خصوصا في وطن كالجزائر لغته العربية ودينه الاسلام) •

الاستاذ والمرشد

في الفترة الثانية من حياة الابراهيمي عمل استاذا ومرشدا بعد عودته من المشرق ، ثم سافر في الفترة الثالثة سنة ١٩٥٢ حرصا على مستقبل الطلبة ، وفي اثناء اقامته هناك طيلة عشر سنوات كان الاب العطوف للطالب الجزائري •

هؤلاء الطلبة الذين كانوا يسافرون للدراسة خارج الجزائر كان يعلق عليهم الابراهيمي آمالا كبيرة ، وكان وهو في الجزائر لا يفتر في اسداء النصح لهم وتذكيرهم بواجباتهم نحو وطنهم ، فمثلما اعطى كثيرا من اهتمامه للتعليم داخل الجزائر لم يهمل الطلبة وهم خارج الوطن قال في احدى كلماته التوجيهية يخاطب الطلبة •• (ها انتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان ••• كنا اول من نام واخر من استيقظ •• نهدم ونرفع الانقاض ونبني ونعمر في آن واحد) •

لم يخاطب الطلبة الجزائريين خارج الوطن •• (اعيذكم بالله وبشرف العلم أن تمودوا الى

الوطن كما فارقتموه بنصف قارئ، وربع قارئ، وعشر قارئ) ثم يضيف (... انتم ـ يا ابناءنا ـ بواكير نهضة علمية وقد اطل زمانها ، وظهرت تباشير فجرها الصادق ... والعلم هو اساس الوطنية وقطب رحاها ومركز دائرتها ، ودليل سيادتها .. لاحق لكم بل الحق كله للوطن عليكم).

وما كان يغيب عن الابراهيمي النزعات او التيارات التي يمكن ان تجرف الطالب وتصرفه عن هدفه .. الاساسي وتضله ، فيكون بذلك قصر في حق وطنه . يقول في مثل هذه المواقف يخاطب الطلبة الجزائريين (ان لصوص العقول افتك من لصوص الاموال ، واشد منهم عيثا وافسادا .. اعيذكم بالله وبشرف العلم وبامانة الوطن ان تنفقوا من اوقاتكم في غير الطلب والتحصيل للعلم ... ان هذه الامة يا ابنائي هي امتنا وهي راس مالنا وهي مناط قوتنا ، ومظاهر اعمالنا . فعلينا ان نراعي شعورها في غير واجب يترك او محرم يؤتى).

يقول الابراهيمي / ان (من اراد ان يخدم هذه الامة فليقراها كما يقرا الكتاب وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية ، فاذا استقام له العمل وامن الخطا وضمن النجاح والتمام له.. انني جربت ودرست وانني قرات هذه الامة وفهمتها) درس المجتمع الجزائري فكان لسانا معبرا عنه ايام محنته دفاعا عن قيمه وعقيدته ، وقوميته ، ورفض كل محاولة تدعو الى الاطمئنان للعدو المحتل او التعاون معه (يعذر النائم ولا يعذر المستيقظ ، والامة نامت نوما طويلا وثقيلا ... افاقت الامة الجزائرية افاقة غير منتظمة لان الاحداث التي سببت لها النوم حقنتها بانواع شتى من المخدرات) ولم يهمل التشهير بكل نزعة تكون سببا في زرع الخلافات في اوساط الشعب الجزائري (أصل دائنا التفرق والخلاف ، ومن الخلاف تشعبت شعب تلتقي معه في الاثر والنتيجة ، والشر والضر . فاذكر الخلاف تذكر التخاذل والانانية ووهن العزائم والتفرط في المصالح الوطنية ، واذكره تذكر كل مرض عقلي تعانيه .

وعن حبه العربي والاسلامي يقول .. (قومي هم العرب اولا، والمسلمون ثانيا، فهم شغل خاطري وهم مجال سرائري وهم مالئوا ارجاء نفسي) وقد أساءه أن تكون هناك أقطار عربية او اسلامية اسما لا فعلا ، لا تفعل ما يخدم العروبة او الاسلام .. (هذه ممالك العروبة والاسلام كثرت أسماؤها وقل غناؤها ، وهذه احوال العرب والمسلمين الذين يقبل عليهم العيد فيقبل بعضهم على بعض يتقارضون التهاني ويتعللون بالاماني ، افلا اعذل اذا لقيت الاعياد بوجه عابس ولسان بكي ، وقلم جاف وقلب حزين ؟)

ويتجاوز بعد ذلك اظهار الاستياء الى الدعوة الصارخة لتغيير الوضع (ناسي عليك يا شرق ان تتقاذفك الاقدار فتنقلب من عبادة الاصنام الحجرية الى عبادة الاصنام البشرية ، فمتى تنهض بمن يكسر هذه في الآخرين كما كسرها محمد في الاولين) كما اهتم بالقضية الفلسطينية ودعا الى العمل من أجل تحرير فلسطين ملحا على ضرورة تواجد الفلسطينيين في المقدمة (اعمال عرب فلسطين مقدمة ، فاين الكتاب ؟ وطليعة فاين الكتائب ؟ وواجب فاين ما لا يتم الواجب الا به ؟) .

كانت ثقافة الابراهيمي ثقافة عربية متينة ، درس كتب التراث ، وتمثلها فكان لها ابرز الاثر في كتاباته . ولم تكن كتاباته مجرد صدى لهذه الثقافة التقليدية بل فيها ابتكار واصالة ،تستوحي التراث لكنها تعبر عن وجدان صاحبها ، وتعكس ذاته . متانة في العبارة وقوة في الاداء ورشاقة في الصياغة ، يميل الى السجعة لكنه لا يخضع لها ، بل يخضعها لمقصده الذي يريده لاداء المعنى كاملا لا لمجرد اكتمال الشطرة او الوحدة .

من اقواله في مثل هذه المواضع .. (أيها الاعراب هل فيكم بقايا من حرب ام محارب ، دبت بينكم العقارب وانتم اقارب ، فتكدرت المشارب وتقوضت المضارب ، وغاب المسدد في الرأى والمقارب) .

لقد أحب الابراهيمي وطنه واخلص له واحب امته وتعلق بها ، ناصحا موجها ، فكانت شخصيته مؤثرة في الاصلاح والثقافة والتربية والادب ، وكان له دوره البارز ومواقفه الواضحة ، فاحتل مكانة خاصة ، في الوطن وخارجه . ■■

الجزائر ـ عمر بن قينة



« الذي خلق فسوى ،
والذي قدر فهدى »
.. قرآن كريم

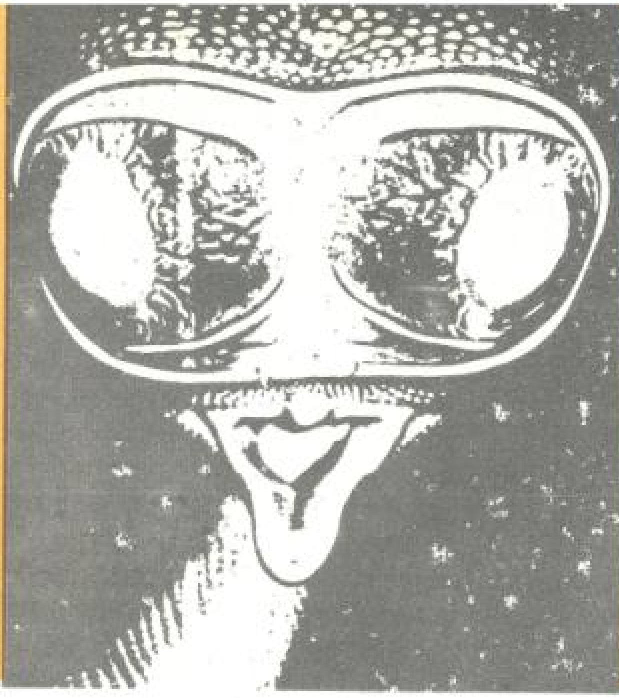
تشوه واضح في توأمين ملتصقين لاحظ ان الرأسين قد التحما في رأس واحد وكذلك الجذعين ، لكن المخلوق المشوه جاء بأربع أذرع وأربع أرجل !

خطأ الخلقة

كيف ولماذا ؟

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

في الخلق ابداع ظاهر وباطن .. فأما الظاهر ، فهو ماعاينته الحواس ، وتجلى تناسقه لكل الناس ، وأما الباطن ، فهو لخاصة العلماء الذين يبحثون في اسرار الكون والحياة ، ويتطلعون - بعين غير عيونهم - الى وحدات الخلق الدقيقة ، التي تترجم - فيما بعد - الى مخلوقات كثيرة نراها رؤية العين ، وقد نتدبر في اختلاف اشكالها والوانها وقسماتها ، أو لا نتدبر !



عينـان تكادان تلتحمان في رأس جنين كتكوت .. لاحظ انها جاءتـا كبيرتـين ومشوهتين ، كما ان المنقار الاعلى قد اختفى !

والعلماء الذين يتعاملون مع اسرار الحياة ، يدركون تمام الادراك انهم يتعاملون مع سنن متقنة ، وشرائع محكمة ، وقوانين صامدة ، لا يعتريها خلل ، ولا تحل بها فوضى ، فالخلق المتناسق ، والنظام المتآلف هما السمتان البارزتان الدالتان على فكرة اصيلة تجمع كل المخلوقات في اطار واحد ، وكأنما هما تشيران الينا من طرف خفي الى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق !

هذا هو المفهوم العام الذي تتطلع اليـه في كل آن وحين ، أو هي القاعدة العريضة التي ارتضتها الحياة لمخلوقاتها سبيلا ، لكن قد يحدث بعض الشذوذ او الحيود في حالات نادرة ، فتأتي بعض المخلوقات بصورة غير سوية ولا متناسقة .

وقد ارجع الناس من قديم الزمن شذوذ تكويـن المخلوقات الى قوى غيبية ، او تصورات غير منطقية .. فأقدم تسجيل لمثل هذه الحالات ما ورد على لوحة من الفخار اكتشفت في العراق ، ويرجع تاريخها الى حوالي ألفي عام قبل الميلاد ـ أي في عهد آشور بانيبال ملك نينوى ، وفيها ذكرت بعض حالات شذاذ المخلوقات ، وما صاحب ولادتها من احداث اعتبروها نذيـر شؤم بقدمها الى الحياة ، اوهي دلالة على غضب الآلهة ، ولهذا كان من عادة القدماء ان يقتلوا كل وليد يجيء بشيء شاذ في جسمه ، وأحيانا ما يحكمون بالموت على أمه ، ظنا منهم أن في ذلك ارضاء لآلهتهم الغاضبة !

ولقد كان الظن السائد في العصور الوسطى في اوربا ، او حتى الى عهد قريـب نسبيا (حوالي القرن الثامن عشر) ان مجيء وليد به بعض الشذوذ في الخلقة ، يرجع الى تدخل الشيطان اثناء عملية الجماع ، ولقد حاول بعض الحكماء ان ينتزوا الناس عن هذا الأفكار الخاطئة ، فنرى مثلا في تعاليم بيترو بومبوناتزى التي ظهرت في عام ١٥٢٩ بعنوان « بحث في القضاء والقدر » ما يشير الى ذلك بقوله « انهم الأغبيـاء فقط الذيـن يرجعون الأسباب التي لا يدركـون عنها شيئا الى الله او الشيطان » .. وهو يقصد بذلك اسباب مجيء شواذ الخلق الى الحياة .

وشيئا فشيئا بدأت هذه المفاهيم الخاطئة تأخذ نبرة أخرى اكثر تعقلا ، وان كانت لا تخلو من الخرافات ، فمن الناس من ارجع الشذوذ في الخلق الى تلوث في نطفة

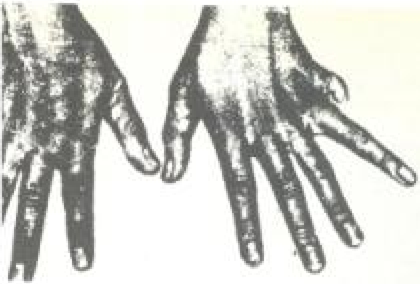
الرجل ، ومنهم من أعادها الى نوع الطعام والشراب الذي يتناوله الآباء والأمهات ،او الى اتصال جنسي ببعض الحيوانات ، او حتى بمجرد النظر اليها اثناء الحمل ، او الى أثر الكواكب والنجوم اثناء عملية الاخصاب ، او الى هواجس او تصورات رديئة تتعرض لها الأمهات أثناء الحمل .. الى آخر هذه التفسيرات التي لا تقوم على اساس .

وفي القرن الثامن عشر احتدم الجدل ، وطال النقاش حول الأسباب الكامنة وراء شذوذ الخلق ، وكانت هناك مدرستان .. احداهما يتزعمها ونسلو ، الذي قال ان السبب كامن في النطفة ، والثانية يتزعمها ليميري الذي أشار بأن الشذوذ عامل طاريء ، ولقد ترتب على ذلك ان تدخل رجال الدين في المعمعة ، وقالوا اذا كان الشذوذ في النطفة ، فان ذلك يتنافى مع حكمة الله الذي خلق كل شيء فأبدع خلقه ، ويرد فريق آخر برأي يحاول أن يتخطى به ذلك المأزق الفكري ، فيقول : ان الله حر فيما يفعل ، حتى ولو كان في ذلك خرق للنواميس الطبيعية ، ولو انكرنا عليه هذا الحق ، فاننا بذلك نحد من قدرته وجبروته وحريته فيما يفعل او يخلق .. الى آخر هذه المجادلات التي طالت ، حتى وضع العلم يده على السر الكامن فيها .

العلم ينير الطريق

وكما اشرنا في بداية هذه الدراسة الى ان العلماء في تعاملهم مع اسرار الكون والحياة ، يرون غير ما يرى الناس ، فكل صغيرة في الخلق او كبيرة ، تقوم على فكرة بديعة ، وغالبا ما يعبرون عنها بمعادلات او قوانين .. وهذه تعني ـ في المقام الاول ـ التناسق بكل ابعاده ومعانيه ، وتعني اكثر أن نواة الخلق ذاته متقنة اعظم اتقان .. لكنها ـ في الوقت ذاته ـ محكومة بعوامل طبيعية لا يمكن انكارها .. فكأنما الله سبحانه وتعالى قد أوحى في كل خلق امره او نظامه ، لكن هذا الخلق المنظم ليس به جمود ، بل هو دائما في ديناميكية متحررة متجددة ، ليكون هناك تغير ، والتغير سمة من سمات التطور ، وعكس ذلك ركود ، والركود موت !

لكن .. ما دخل هذا بشواذ المخلوقات ؟



شذوذ في عدد الاصابع عن المألوف ، فجاءت كل راحة بست اصابع ، واحيانا ما ترتفع الى سبعة

له دخل .. فالذين درسوا مكونات الكائنات الحية ، بداية من الفيروس الضئيل ، الى الانسان العظيم ، يدركون تماما أن الذي يحكمها ، ويحدد لها صفاتها ، مخطوطات وراثية نعرفها باسم الأحماض النووية ، لأنها تسكن نواة الخلية .. صحيح ان جزيئاتها التي تتألف فيها واحدة وموحدة في كل الكائنات ، لكن ترتيب هذه الجزيئات يختلف .. ولكي نوضح ذلك نقول : ان هذه الجزيئات تشبه مثلا حروف لغتنا تلك ، ومن تبادل تلك الحروف وتآلفها في كلمات ، يمكننا ان نكتب ما نشاء من مجلدات ـ كذلك وضع الله فكرة كل المخلوقات على هيئة شفرة كيميائية ، وبها يخلق ما يشاء .. الفكرة لا شك عظيمة ، لكنها ليست جامدة ولا راكدة ، بل يعتريها التغير دائما ، وهذا التغير في صالح الحياة ، وهو الذي يعطيها دفعة الى الأمام .. الى التطور والارتقاء ، لكن هذا الأمر تحكمه عوامل فيزيائية وكيميائية وبيئية وبيولوجية ... الخ ، ولا يمكن فصل هذا عن ذاك ، فمحصلته النهائية تنبع من الكون وتصب فيه ، ونحن ـ وكل الخلائق ـ لسنا عن ذلك بمعزولين ، حتى ولو كنا في بروج مشيدة !

اذن .. فالحياة ـ ممثلة في كل مخلوقاتها ـ تسري حسب خطة محكمة ، لكنها تتعرض ـ رغما عنها ـ لعوامل أو نواميس كونية لحكمة مقدرة ، الا ان التعرض لهذه الحكمة قد يتشعب فيه الحديث ويطول ، وقد نفرد لذلك دراسة اخرى مستقلة ، لكن يكفي أن نذكر هنا ان هذه العوامل نادرا ما تتداخل في النظم الوراثية لتجعلها تكبو وتنتكس ، بل هي غالبا تدفعها دفعا كدفع الله الناس بعضهم ببعض ، لينصلح حالهم ، مصداقا لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .. وما يسري على الناس ، يسري على

الجزيئات والذرات وكل الكائنات .. يسري عليها من خلال دفع او صراع او تنافس او تفاعل .. تعددت الأسباب ، والهدف واحد .. اي « ليتصهر » كل شيء ويصقل صقلا حسنا ، ليبدو في النهاية كدرة نادرة فيها تناسق وجمال .

هذا الدفع او التفاعل ـ من خلال العوامل التي ذكرناها ـ يؤدي الى ما نعرفه علميا باسم الطفرة ، والطفرة تغير محتوم في المورثات التي تورث الكائنات صفاتها ، لتتخطى بها الظروف الصعبة التي تعترض حياتها ، وهذا هو المراد من رب العباد ، او هو احد النواميس الراسخة التي يتعامل معها العلماء ليل نهار .. لكن قد يحدث في حالات نادرة ان تكبو الطفرة وتنتكس ، وهو أمر طبيعي في هذه التجربة الكونية الضخمة التي تمر بها المخلوقات ، مثلها في ذلك كمثل الخير والشر ، اذ لولا هذا ما عرفنا ذاك !

وكما يتغلب الخير على الشر دائما ، كذلك تتغلب الطفرات الحسنة على الطفرات السيئة ، فاما الحسن فيبقى ، واما السيء فمآله الى زوال .. ولهذا نرى الشواذ من الأجنة ذات التشوهات الواضحة تختصر الطريق الى الدار الآخرة حتى قبل ان تولد ، او ربما بعد ولادتها بزمن قصير !

وتشير بعض الاحصائيات الى انه من بين كل مائة الف حالة ولادة في الانسان ، قد تأتي ٦١ حالة تحمل تشوهات خلقية كبيرة قد تحول بينها وبين استمرارها في الحياة ، في حين ان ٤٥٤ حالة (من المائة الف) قد تأتي بتكوينات شاذة على المألوف ، ومع ذلك فمقدورها ان تعيش ، لأن الطفرة محتملة .

اذن .. فالأنماط الفكرية التي أشارت الى ان الحيود عن الخلق السوي يرجع الى النطفة ، او ينبع منها ، كانت على حق فيا قالت ، كذلك كانت الأفكار التي نادت بان الطفرة تنشأ من عامل طارىء او خارج عن النطفة ذاتها ، كانت افكارا لاغبار عليها ايضا ، او ان الاثنين معا قد يحدثان الطفرة .. وهذا ما اشارت اليه البحوث الطبية والعلمية ، وتحقق ذلك ايضا بالتجارب التي اجراها العلماء على الحيوان .

حالات من واقع حياتنا

ولكي نوضح ما سلف ان ذكرناه ، دعنا نضرب له مثلا ومثلا .

اننا نقول دائما إن استخدام المبيدات الحشرية قد اكسب الحشرات بعض المناعة ضد هذه المبيدات ، فما عادت تتأثر بها .. وهذا قول ليس صحيحا تماما ، فحقيقة الأمر ان المبيدات تقتل الحشرات بالملايين والبلايين ، ولا تكسبها ـ كما نظن خطأ ـ مناعة ، انما الذي يحدث ان من بين ملايين الحشرات توجد طفرات جد قليلة ، ربما طفرة واحدة في المليون ، او ربما أقل او أكثر .. والطفرة طبيعية ، وهي تنشأ دائما قبل اكتشاف المبيدات بمئات الملايين من السنين ، ونحن نكتشفها دائما



ضفدع بثلاث أيد وساقين .

في الميكروبات والنباتات وسائر انواع الحيوان .. حتى خلايانا نفسها تطفر ، وكلما تقدم بنا العمر ، يزيد عدد هذه الطفرات ، لدرجة ان حوالي مليون خلية من خلايا اجسامنا تطفر او تتغير في بعض صفاتها في كل يوم ، لكن هذا موضوع طويل ، وليس له هنا مجال ، وعلينا ان نعود الآن الى الحشرات والمبيدات .

فدود القطن او المن النباتي قد ينتشر في الحقول بالبلايين ، والمبيد يبيد كل هذه البلايين ، لكن قد يحدث ان يكون بينها عدة طفرات تختلف في صفة او بعض صفات عن البلايين ، وبهذه الصفات المكتسبة تستطيع ان تقاوم هذه السموم ، وعندئذ تعيش وتنمو وتتكاثر .. صحيح ان اعدادها جد قليلة ، وبحيث لا تستطيع ان تلحظ وجودها في الحقول ، لكن اعطها عمرا ، اعطها عدة سنين ، تجد القليل قد اصبح كثيرا ، وقد ينتشر بلاؤه اكثر من الأجيال السابقة التي هلكت بالمبيد ، ولو اردت ان تبيده بالمبيد ذاته ، فانه لا يتأثر به ولا يموت ، ولابد أن نبحث عن مبيد آخر أكثر فاعلية ، وقد ينفع هذا المبيد الجديد في ابادة البلايين ، لكن لا ننسى ان من بين هذه البلايين قد توجد عدة طفرات ، وبها يواصل النوع حياته !

اذن .. فالطفرة الطبيعية هنا تقف مع الأنواع ، لتتخطى بها ظروفا طارئة .

ومثلنا الثاني يأتي من اليابان .. ففي نهاية الحرب العالمية الثانية أسقطت قنبلتان ذريتان على هيروشيما وناجازاكي ، فمات عشرات الألوف من البشر في التو واللحظة ، وعاشت ملايين اخرى بعاهاتها التي سببها الاشعاع ، ومن بين هذه الملايين كانت توجد آلاف النساء الحوامل في فترات مختلفة من الحمل ، وعندما وضعن مواليدهن ، جاءت المواليد بخلقة شاذة ، ومنها ما خرج ميتا ، وقد ظهر عليه تشوه شديد ومخيف .. ولا يزال العلماء حتى الآن يضعون مثل هذه الحالات تحت البحث والمراقبة ، خاصة في الرجال والنساء الذين اصيبوا بالاشعاع ، فلم يظهر عليهم علامات تشوه يمكن ان تلفت النظر ، لكن الذي حدث بعد ذلك بعدة سنين ، ان بدأت المواليد الشاذة تفد رغم غياب الاشعاع ، لكن أثره مع ذلك ظل باقيا في الغدد الجنسية ، فعندما أصابها أول مرة ، احدث فيها تغيرا تختلف درجته بدرجة شدة الاشعاع ، والتغير هنا يشير الى طفرات غير مرغوب فيها .. وهي بلا شك كامنة في الخلايا الجنسية ، وعندما يحدث الاخصاب بين هذه وتلك ، فقد لا تستمر الحياة في البويضة الملقحة ، لأن الطفرة كانت فجائية وكبيرة وغير محتملة ، وهنا نقول ان الاشعاع قد اصاب المخلوق بالعقم ، أو قد يحدث الاخصاب ، وينمو الجنين ، لكن بعض مورثاته قد حل بها شيء من تدمير وتغيير ولا بد ان ينعكس هذا على شكل الجنين ، فيأتي شاذا بدرجات تختلف باختلاف درجة ما اصاب الغدد الجنسية من اشعاع .

اذن .. فالطفرة المتنكسة هنا ليست في صالح الحياة .. ولا هي من صنعها ، بل سببها الانسان .

ومثلنا الثالث يأتي من خطأ كيميائي وقع فيه الانسان دون ان يدري ، فلا زالت قصة مأساة عقار « الثاليدوميد » الذي تناولته بعض الحوامل في المانيا عام ١٩٦٢ ماثلة في الاذهان حتى الآن ، خاصة بين صانعي الدواء .. اذ عندما تناولت الحوامل هذا العقار المهدىء ، جاءت الاف المواليد الى الحياة مشوهة .. فمنهم من جاء بغير يد او ذراع او ذراعين ، او ساق او ساقين ... الخ ، وهذا يعني ان العقار قد تداخل في العمليات البيولوجية الحساسة اثناء تشكل الجنين ، وحاد بها عن الطريق المستقيم .. فكان ما كان .

وهنا لا نلوم الطبيعة ، بل يقع اللوم على الانسان !

والامثلة على ذلك كثيرة جدا .. لكن يكفينا ما قدمنا ، ليوضح لنا جزءا من الحقيقة التي غمت على كثير من الناس .

غابة هائلة من الاحداث المتداخلة

ان مجيء نسبة ضئيلة من الكائنات الغريبة بحالات شاذة عن المألوف تخضع لعوامل لا تعد ولا تحصى .. فهي تبدأ اول ما تبدأ في الخلية الجنسية .. انثوية كانت او ذكرية ، والواقع ان العبء كله يقع على مخزونها الوراثي ، وفي هذا المخزون اسرار ضخمة تتوه فيها العقول ، كما انها تتعرض دائما لعمليات من التباديل

والتوافيق قد تربو على البلايين ، وأي خطأ - حتى ولو كان وحيدا - لابد ان يترك بصمته الخاطئة على المخلوق الذي سيفد الى الحياة ، وعندئذ نقول ان الخطأ الناشيء وراثي ، اي انه بدأ من مورثات الخلية ذاتها ، وقد تكون الاخطاء في النطف كثيرة ، نتيجة لتعرضها لعوامل خارجة عن ارادتها ، وعندئذ لا يظهر الجنين الى الوجود ، وحتى لو ظهر ، فانه يظهر على هيئة وليد مشوه مرعب ، وخير له ولنا ان يودع حياته .

فاذا تركنا النطف الجنسية جانبا ، مع ما تحتويه من معمعة بيولوجية ، ومع ما تتعرض له من عوامل فيزيائية وكيميائية واشعاعية .. الخ ، واتينا الى الجنين ، لوجدنا ان الجنين ذاته يمر بمراحل معقدة وحساسة ودقيقة ، وهو في اثناء تشكله يتعرض ايضا لآلاف التفاعلات التي تنشا من الخلايا ، او تصب فيها (انظر دراستنا عن هذا الموضوع في العدد السابق من هذه المجلة) .. ولو حدث ان تعرض الجنين في أية مرحلة من مراحل تطوره لحيود او خطأ او تداخل كيميائي او فيزيائي غير مرغوب فيه ، فان ذلك ينعكس بلاشك على شذوذ في تكوين اعضائه وانسجته .

والذين درسوا تكوين الاجنة يخبروننا أنه ما من نسيج او عضو يظهر ، انما يظهر عن طريق رسالة كيميائية ، او شفرة سرية محددة يستقبلها مما حوله ، فيغير موضعه ، او ينمو على حسب برنامج زمني محدد ، او يبطيء نموه حتى يعطي الفرصة لنسيج غيره .. الخ .. وفي كل هذه الخطوات المعقدة قد يحدث حيود طفيف ، فيؤدي الى شذوذ يحل محل الانسق المنشود .

والتجارب الكثيرة جدا التي اجراها العلماء على الحيوان توضح ذلك اعظم توضيح ، وهي بلاشك ترشدنا الى مزيد من المعلومات عن العوامل الطارئة التي تؤثر على الاجنة ، وتصيبها بشذوذ في التكوين ، ومن الحصيلة العلمية المكتسبة ، يمكن معرفة اسرار قد تنفعنا في تجنب الاسباب التي تؤدي الى هذا التشويه في الخلقة في الانسان .

ولقد كان العالم الطبيعي سانت هيلير سباقا في هذه التجارب ، ففي بداية القرن التاسع عشر عرض بيض الدجاج لعوامل طبيعية مختلفة من شانها ان تحدث اضطرابا في الاجنة اثناء نموها في المراحل المختلفة ، فأحيانا ما كان يرج البيض بشيء من العنف ، او يحدث ثقوبا في مواضع مختلفة من قشوره ، او يضعه مقلوبا في اوضاع مختلفة ، او يضع حوله غلافا من الشمع في مساحات صغيرة او كبيرة ، بغرض حرمان الاجنة من نسبة من الاوكسجين ، او التبادل الغازي عموما ، او يعرضها لدرجات حرارة أعلى او اقل من المعدل المطلوب .. الخ ، وبالفعل ظهرت بين الكتاكيت التي فقست نسبة كبيرة تحمل تكوينات غريبة تتسم بالشذوذ ، وتختلف درجة الشذوذ باختلاف المعاملة التي عامل بها البيض ، وهي - على اية حال - تشبه الى حد بعيد الشذوذ الناتج طبيعيا .

ويجيء بعده العالم البيولوجي داريست ، وعلى مدى ١٤ عاما (من ١٨٧٧ حتى عام ١٨٩١) ظل يعامل بيض الدجاج بطرق اخرى اكثر تنوعا مما جربه سانت هيلير ، فحصل على آلاف كثيرة من كتاكيت جاءت بكل ما هو معروف او غير معروف من الشذوذ الذي لا تاتي به لو تركت لحالها .. وكل هذا يعني ان نسبة من البيض الذي يحتضنه الدجاج قد يتعرض لظروف طبيعية غير مضبوطة ، فيؤدي الى بعض التشوهات ..

والواقع ان إحداث التشوهات الخلقية في أنواع كثيرة من الحيوان يحتل فرعا هاما من فروع البيولوجيا ، ولقد استخدم العلماء لذلك وسائل كثيرة جدا .. منها تعريض الجنين في مراحل نموه المختلفة لجرعات من الاشعاع ، ومنها اصابته ببعض الفيروسات والميكروبات ، ومنها تعريضه لنسب من الغازات المختلفة ، او تلويثه بأحد المركبات الكيميائية التي استخدمت منها الآلاف ، او احداث اضطراب فيه بتعريضه للوخز بابرة او مبضع في مواضع مختلفة ، أو تسليط جرعات من الاشعة تحت الحمراء ، او الاشعة فوق البنفسجية ، او بتحديد نوع الغذاء للأمهات أثناء تكوين البيض ، او أثناء حمل الأجنة في ارحامها ، كأن يكون الغذاء مثلا غنيا بالبروتين وفقيرا في المواد السكرية ، او العكس ، او به نقص في بعض الفيتامينات ، وزيادة في فيتامينات أخرى ، أو إمداد الجنين ببعض الهرمونات او حرمانه منها .. الخ ..

ونحن لا نستطيع هنا ان نقدم ما تمخضت عنه هذه الدراسات من آلاف التشوهات التى جاءت بأنماط مختلفة ، فالمجال بها يضيق ، لكن يكفى ان نذكر ان التشوه قد يبدو على الاطراف ، فتطول او تقصر او تتضخم او تأتي معوجة او بأصابع زائدة او ناقصة عن المألوف ، او قد يختفي طرف او اكثر ، او قد يلتحمان ، او يزيد عددها عن المعدل .. الخ ، وأحيانا أخرى قد يأتي التشوه في العيون ، فتلتحم العينان في عين واحدة ، أو يأتى الجنين بعين واحدة سليمة ، والاخرى شاذة ، كان تكون بارزة الى الخارج ، او لا وجود لها على الاطلاق ، او قد تأتى عمياء ... الخ ، وفي مناقير الطيور ، وشفاه الحيوانات قد يظهر العجب ايضا ، فيظهر الجزء الاسفل من المنقار ، في حين يختفي الجزء الاعلى ، او قد يأتيان ملتحمين ، او معوجين ، وقد تخرج الشفة العليا مشقوقة .. وقد يأتى المخلوق بغير جنس محدد ، بمعنى انك لا تستطيع ان تحدد ان كان هو ذكرا او انثى ، فلقد اختلط الحابل بالنابل ، وكثيرا ما يأتي الوليد متضخما على غير العادة ، او قزميا ضئيلا ، او به بروزات وثنيات وتلافيف لا تسر الناظرين ، او قد تأتى الرأس مشوهة وشاذة ، او يأتى الوليد برأسين ، او برأس واحدة وصدرين وبطنين ، او بدون ذيل (كما هو الحال في الحيوانات ذات الذيول) ، او قد يحتل القلب غير موضعه أو يحدث تقوس في العظام او في العمود الفقري ، او تغيب بعض العظام .. الخ .. الخ ، كل هذا يتوقف على العامل الطبيعي او الكيميائي او الاشعاعي او الحيوي الذي يتعرض له الجنين في مراحل النمو المختلفة .

وفي الانسان مثيل

هذه العوامل الطارئة ـ وراثية كانت او عارضة ـ تؤثر ايضا على الانسان بنفس الوسيلة ، فتظهر فيه مسخ بشرية ، او تشوهات خلقية .. تراها مثلا في عدم تناسق جذع او ذراع او قدم او ساق او راس او عين او أعضاء جنسية او عظام ملتوية ، او سلسلة ظهرية مشقوقة ، او شفة غير ملتحمة ، او اصابع ناقصة او زائدة او ملتحمة ، او حنجرة قمعية الشكل ، او بروز عيون او عماها ، او التحام العينين في عين واحدة ، او غياب قزحية العين ، او عدم تكوين الغدد العرقية ، او ظاهرة المهق (غياب الصبغة السمراء التي تعطي الجلد لونه المعروف) ، او ظاهرة الجلد القشري السمكي الذي تخشوشن فيه البشرة الانسانية وتتقشر باستمرار كأنما هى حراشيف الاسماك ، او الجلد المغطى بشعر كثيف كشعر الحيوان سواء بسواء .. الخ .

لكن مما لا شك فيه ان اللوم يقع الى حد كبير على الانسان ، خاصة عندما لوث ماءه وطعامه وشرابه بالمبيدات واطلق في هوائه عشرات الملايين من اطنان الغازات الناتجة من الاحتراق (وفيها مركبات ضارة مثل الرصاص والزرنيخ) ، ورفع نسبة المواد المشعة في البيئة التي يعيش فيها ، فانسابت في النهاية الى شحمه ولحمه وعظامه ، عن طريق طعامه وشرابه ، هذا بالاضافة الى آلاف المركبات الكيميائية التي تتسرب في هواء مصانعه ، او العقاقير التى قد تتداخل مع العمليات الحيوية في اجسامنا ، وقد تحدث فيها تغيرا يؤدي الى طفرة ، وقد تكمن هذه الطفرة في الخلايا الجنسية ، فتأتى بتكوين شاذ .. الخ ، او الطعام غير المتكامل العناصر خاصة النقص في بعض الفيتامينات ، او العادات الضارة مثل تعاطى المشروبات الكحولية ، او تدخين السجائر ، او اصابته ببعض الفيروسات والميكروبات ، خاصة في الأمهات الحاملة لأجنتها ، او الكشف بالأشعة السينية التي ثبت انها قد تكون ذا اثر ضار على تكوين الجنين ، خاصة في اشهر الحمل الاولى (ولهذا لا ينصح الأطباء بتعريض الحامل لاى كشف بالاشعة) .. كل هذا وغيره من صنع ايدينا ، وهو بلا شك ينعكس على بيئتنا المحيطة بنا ، او في بيئة اجسامنا ، والحق ان كل شىء جاء متوازنا من لدن حكيم خبير ، وغالبا ما يخل الانسان بهذه الموازين الحساسة ، فينعكس الخلل على حياة الانسان والنبات والحيوان ، وقد يؤدي كل هذا الى مزيد من التشوهات على المدى الطويل .. وعلى العلم ان يدرس ويجمع الاحصائيات الدقيقة ، لنعرف كيف يجيء الخطأ ، وندرك بذلك رؤوسنا من ارجلنا ، ولا نلقي بأخطائنا جزافا على مبدع هذه الاكوان .. « الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى » .. وفي ذلك الكفاية « لقوم يتدبرون » . ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

مسرحية الوافد لميخائيل رومان



بقلم : الدكتور علي الراعي

الكاتب المسرحي المصري ميخائيل رومان واحد من اهم الكتاب الذين افرزتهم الحركة المسرحية المصرية ابان ازدهارها في الستينات . وعلى كثرة ما كتب هذا الفنان للمسرح وللاذاعة وللتليفزيون ، فهو لم يلق بعد ما يستحق من تقدير ، ولا تزال اعماله الكثيرة في هذه المجالات مبعثرة او غير مجموعة ، بل اخشى ان اقول ان بعض المسرحيات قد فقد او هو في طريقه الى الضياع .

وفي قلبي ركن دافء لميخائيل رومان وفنه . واني لأرجو ان تواتيني الفرصة كي اعطيه بعض ما يستحق من تقدير وفاء له وعرفانا بالجميل الذي قدمه للمسرح العربي خاصة .

كتب ميخائيل رومان مسرحيات اجتماعية وسياسيه كثيرة منها : « الدخان » و « المعار والمأجور » و « العرضحالجي » و « ليلة مصرع جيفارا العظيم » و « الوافد » .

وقد اخترت ان اتحدث ، من بين هذه المسرحيات كلها ، عن مسرحية « الوافد » لأنها مسرحية سياسية من لون مختلف عما نألفه في المسرحية السياسية . فالمؤلف فيها لا يتحدث عن مشكلة سياسية بعينها ، في بلد معين ، أو حتى في قارة بأكملها ، وانما هو يعالج مشكلة الفرد المطحون بين عجلات هائلة ، تسحقه ، وتدوس كرامته ، وتحاول ان تبث فيه الاحساس بالضآلة . وهذا

الفرد ـ في رؤية الكاتب ـ موجود في كل مكان تقدم فيه الآلة على الانسان ، وتعبد هذه الآلة ، وتبذل لها القرابين في كل يوم ، من عقول وأرواح وأجساد البشر .

الانسان والآلة

هي آلة لا انسانية ، شديدة الوطأة ، قاسية الانضباط ، بلغ من كفاءتها انها أصبحت الهدف الاساسي في الحياة . هي التي تحدد للناس أدوارهم ووظائفهم . وهم ينتسبون اليها بفضل أزرار كثيرة جدا . لكل فرد من الناس زر واحد . وعمله الوحيد ، ووظيفته في الحياة هي : أن يضغط على الزر الذي هو موكل به .

وتبدأ المسرحية ـ وهي من فصل واحد ـ وقد وصل أحد المسافرين ، واسمه « الوافد » الى فندق ، بعد سفر طويل مجهد . وصل وهو يتضور جوعا ، فجلس الى احدى الموائد ، واخذ يمني نفسه بالطعام الفاخر الذي ينوي ان يطلبه .

ولا يلبث الوافد طويلا حتى يأتي اليه شخص يسميه الكاتب : « المندوب » ، فيعانق الوافد بحماس ، ويروح يتحدث اليه كأنه صديق قديم حميم . ويقابله الوافد في برود ، فهو لم يسبق له أن تعرف اليه ، لكن المندوب لا يعبأ ببرود الوافد ويروح يجري واياه حوارا غريبا ومضحكا ، سر الضحك فيه ان الوافد ينكره ، ولكنه لا يستطيع ان يرفضه أيضا ، فثمة شعور داخله يحذره من ان يغضب او يحتج اكثر مما ينبغي . فهو في مكان غامض حقا . وذلك المندوب يعرف عنه كل شيء : اسمه ، واسم ابيه ، واسم امه وعمره وعمله ، وأين يسهر ، ومحل اقامته ، وكم ولد لديه واسم زوجته ، ولماذا تزوجها ، ومتى .

ثم يعرض المندوب على الوافد ، ان يعمل معه في الفندق ، فيحرج الوافد حرجا واضحا ، ويتردد ، ويأسف المندوب لموقف الوافد لأن هذه هي فرصة العمر بالنسبة « لصديقه » الوافد ، ثم يتركه لأنه مضطر الى السفر . ويغادر المندوب المكان وهو يوصي الوافد أن يتصل به .

ويدخل المنظر خادم الفندق ، وما ان يحييه الوافد تحية جائع مشتاق حتى يفاجئه هذا بأن يطلب اليه ترك المائدة ، لأنها تقع في مكان مخصص للزبائن العاديين ، وهؤلاء يأكلون ما يقدم لهم ، لا يختارون طعامهم قط بأنفسهم . يأكلون من أربع قزانات كل قزان في ارتفاع عمارة . وهي تحوي خضارا وارزا وسلطة وفاكهة . ولحما . هذا هو طعام الملايين . كل منهم يأكل كما يأكل الآخر . على ان هناك مجالا للممتازين كي يختاروا ما يشاءون من لذيذ الطعام !

هل أنت معنا

ويندفع الوافد في طلب الأكل الممتاز . ديك رومي . لا . يغير رأيه الى حمام لا . يغير رأيه مرة ثانية الى فخذ خروف مشوية على نار هادئة . او : لماذا لا يأكل قطعة من فخذ غزال ؟ الحلو ؟ تدعه جانبا الآن .

وبغتة يفاجيء الخادم الوافد بسؤال : هل انت معنا في الفندق ؟ ويرتج على الوافد ويقرر وهو يتلعثم ـ انه بالفعل من عملاء الفندق . فيسأله الخادم عن رقم الغرفة . فيدلي برقم ٦٦ . ويعود الخادم ليسأل : متى جئت ؟ فيقول الوافد : من ساعة . بالضبط ؟ ـ يسأل الخادم . ويرد الوافد : لا أعرف . ويسأل الخادم : جئت بالطائرة ؟ ويقول الوافد لا .

ثم لا يلبث الحديث بينهما أن يتحول الى تحقيق يجريه الخادم مع الوافد في صراحة وانضباط ، يتكشف معها ان كل شيء في هذا المكان محسوب بدقة . المسافة بين المحطة والفندق ، تستغرق كذا دقيقة ، اذا جاء الزبون ماشيا ، وكذا دقيقة اخرى اذا جاء راكبا حنطورا ، ودقائق ثالثة اذا جاء بالتاكسي .. الخ .

ولما يعجز الوافد عن الادلاء بالمعلومات الدقيقة

المطلوبة ، يطلب اليه الخادم أن يصاحبه لاداء بعض الاجراءات الشكلية . ويحتج الوافد ، ويصرخ ، ويتعالى صراخه ، فيشير اليه الخادم أن يجلس فوق المقعد الوحيد ، ثم يخرج .

وهنا يدخل « المسئول » فيتعرف عليه الوافد ـ أو هكذا يقول هذا الأخير ـ ويأخذ الاثنان في استرجاع ذكريات الماضي ، أيام طفولتها وفجأة يتخذ الحوار شكل مظاهرة سياسية يشترك فيها الاثنان ، يهتف فيها الوافد : الى الامام يا رجال ، ويرد المسئول : الحرية أو الموت . وتتردد شعارات : الى الامام ، الموت للاستعمار ، **الجهوا الى قصر النيل** ، الموت للجبناء . في سبيل السلام . **في سبيل كل الشعوب** .. الخ .

ويندمج المسئول في دوره ، ويهتف في حقد جنوني : **« الكلب على خطى خاننا »** . ويرد الوافد : « الكلب **اسماعيل صدقي خاننا** » . ويتبادل الاثنان ذكر اسماء **باقي الخونة** ، ويتحول الموقف الى مظاهرة وطنية متخيلة ومرتجلة يقع فيها الشهداء ، وتتردد الاناشيد الحزينة ، يبدأها الوافد ، ويتلقفها المسئول في حماس .

وفجأة يهبط حماس المسئول الى قرب الصفر ، ويفقد اهتمامه بصاحبه ، وينتهي الموقف الى الواقع الأرضي المر ، بعد هذه الشطحة التراجيكوميدية . ويتذكر الوافد جوعه ، فيرجو صديقه ان يتوسط له حتى يأتوه بطعام ، وهنا يسقط السؤال الثقيل على رأس ـ الوافد . يسأله صديقه : هل انت معنا في الفندق ؟

وينهار الوافد مرة اخرى ، ويقرر العدول عن الطعام ، فيقول المسئول ، لا يمكن . ان الأكل هنا اجباري .

ثم يشرح المسئول للوافد عمله في هذا المكان ـ فهو مسئول عن أن يضغط زرا من الازرار مخصص له . والمسئول فخور بهذا العمل المجيد . انها مسئولية ضخمة جدا ، كما يؤكد للوافد .

وفجأة يعتلي المسئول مقعدا ، ويخرج ورقة من جيبه ، ويمسك بمكبر وهمي للصوت ويتحدث عن الوافد . يصفه للمستمع في الطرف الآخر بأنه مقطوع الصلة بالزمان والمكان . مليء بالامراض المستعصية ، متورم الذات ، يعتقد انه فوق العامة ، وانه نافر المثال . امثاله يصرخون وهم على المشنقة : « انا القانون . أن الدولة » .

طبقا للتعليات

ويحاول الوافد مدافعا عن نفسه : الا يمكن ان اكون ثوريا وتقدميا بالقياس الى عصري ؟ فيجيب المسئول : ليس لدي تعليات بهذا . فيسأل الوافد : وان جاءتك تعليات ؟ فيرد المسئول : تصبح تقدميا ، او ثوريا ، وعظيا ، ومجيدا وخالدا .

ويكرر الوافد عدوله عن طلب الطعام ، فيرفض الآخر هذا الطلب . ثم يتبين الوافد انه ـ في الحقيقة ـ معتقل في هذا المكان : لا طعام ، ولا خروج ، حتى يستدعى الخبير للنظر في أمر الوافد .

ويأتي الخبير ، فيتبين الوافد فورا انه صديق له حميم . ويطلب الوافد الى صديقه أن يعده ، قبل المضي في حديث الذكريات أن يخبره أولا : هل هو الآخر يعمل على زرار . فيجيب الخبير فورا ، وبكل بساطة : طبعا !

ويقول له الخبير ، عرضا : « انت معنا في الفندق طبعا . وحين يحتج الوافد ، يقول له الخبير انه لا يستطيع التعامل معه قبل ان يستكمل المعلومات عنه ، كي يعطيها للآلة . وبدون هذه المعلومات لن تصرف الآلة الطعام الذي يطلبه . وما لم يدل اليه الوافد بالمعلومات المطلوبة ، فسيصبح نكرة في هذا المكان .

وهنا تعلو ثورة الوافد ، ويشتد صياحه ، فيصيح في الموجودين :

انتم ، واحد ، واحد ، انا احتقركم . كلكم عبيد . نكرات مخلوقات بلا مواهب ، ولا أطماع ، ولا أحلام ... أنا حر . أنا حر . تحررت من كل قيد : من التذكرة ،

والبطاقة ، وحقيبة السفر . وكل ما تفعلونه لا يهمني ولا يهز لي شعرة . اعظم منه بيت في قصيدة أو اغنية في فم بكر ، او وردة همجية في البراري ، وانتم وكل الالات والأزرار والاجهزة والمعدات ، كلكم علامة على تدهور العصر . عصر الاصابع والازرار ، والمكن الحديد .

ويمضي الوافد في ثورته ، فيفضل على التقدم الآلي الجبار في يد فلاح فرعوني قديم ، ومغزل الصوف في يد كهل اشيب ، ويشيد بحسن النخيل الحزين والسواقي الناعية ، والسواد الذي تتشح به العجائز كأنهن في جبانة فرعونية من أيام رمسيس . وهو وحده ...

وفجأة يخيل اليه انه يسمع صوتا منذرا : انا سامع واحد بيقول : نفسك في ايه ؟ لا . انا مش عاوز اموت . لا . لا . لا . لا . محدش يسألني نفسك في ايه . مش عاوز حد يسألني نفسك في ايه . لا . لا . لا .

وعلى هذه النغمة الملتاعة ، اليائسة ، المرعوبة ، تنتهي المسرحية .

كوميديا مرة

يسمي ميخائيل رومان هذه المسرحية : كوميديا . وهي كذلك بالفعل ، ولكن ، اي مرارة تكتنف الكوميديا فيها ، واي شجن يتخلل الضحكات ! انها من نوع الكوميديا التي يضحك فيها الانسان حتى يداري بكاءه .

والمشهد الذي يلتقي فيه المسئول بالوافد ، فلا يلبثان أن يؤلفا مظاهرة سياسية دموية ، يتخيلان فيها الدم جاريا والشهيد ملفوفا بعلم ، وجموع المتظاهرين تهتف بسقوط الخونة ـ هذه المظاهرة ، وتلقائية تأليفها ، واندفاع المسئول الى المشاركة فيها والهتاف بحقد جنوني ، ثم هبوط حماس المسئول بعد ثوان الى درجة الصفر ـ هذا كله هو من تكتيك الكوميديا المرتجلة . حيث امثال هذه المشاهد العفوية تنبثق فجأة بين اثنين من الكوميديانات : يبدأ احدهما بفكرة ، فيشاركه الآخر بفكرة اخرى وتمتزج الفكرتان ، وتصبحان مشهدا مسرحيا قصيرا ، يوزع فيه الدوران توزيعا فوريا ، وتستمر هذه المسرحية القصيرة برهة ، حتى تستنفد الغرض منها ، فتختفي .

غير ان هذا التكتيك العفوي المظهر ، لا يستخدم في : « الوافد » من اجل الاضحاك . انه في الواقع غوص مفاجيء في لا وعي الشخصيتين ، تعرف منه ان كليهما كان صاحب مبدأ ، ناضل من أجله . هذا هو السبب في ان المسئول ينسى نفسه ويندمج في ماضيه للحظات ، ثم يثوب الى رشده ، فيهبط حماسه ويواصل دوره الجديد .

اما الوافد ، فواضح انه على العهد مقيم ، وان اضطر الى ان يدفن مبادئه واحلامه في قاع النفس ، انه يصف نفسه لصديقه الخبير قائلا : « عشرين سنة والالوف وراء بعضها وحوش كواسر . وأنا فوق الاكتاف من قدام ، في وش المدفع . ... كل ما آجي أمشي في شارع الاقي الشارع زحمة . اضطر ادور على حارة جانبية ، امشي فيها عشان اوصل » .

فهو مناضل ملاحق اذن . وهذا هو السبب في انه لا يجد لنفسه مكانا في الفندق . ولكن ما هو معنى الفندق ، وما مغزى ما يدور فيه .

الفندق قد يكون الحزب في دولة تؤمن بالحزب الواحد . هذه الدولة ، على قدرما نستطيع الاستشفاف من النص ، قد جندت مواطنيها جميعا لخدمة اغراضها . وفرت لهم الغذاء والكساء ، والعيش المادي المعقول ، وحولتهم ـ في مقابل هذا ـ الى أرقام وبطاقات وخانات وهويات ، وجعلتهم مادة تبتلعها آلات الكومبيوتر ، التي أصبحت هي وحدها سيدة الموقف .

هي دولة يتحكم فيها التكنوقراط ، اذن . وفي خلال العشرين سنة السابقة على الحوادث ، ابتلعت الدولة ـ الآلة ـ جهود كل الناس ، ونظمتهم ، وأوكلت الى كل منهم زرارا يضغط عليه ، فيؤدي مهمته . والقى في روع المواطنين ان هذا العمل جليل خطير الشأن ، يستحق ان يكرس له المرء حياته كلها .

وليس فقط المسئول ، هو من باع ماضيه النضالي وقنع بأن يصبح اصبعا ، يضغط على زر . هناك ايضا الخبير ، وهو واحد من أصدقاء الوافد . وهذا فتكت به الايديولوجية الآلية الى حد انه قبلها بلا صراع فهي شيء طبيعي جدا ، بالنسبة له . هذا ما يجعله يرد على سؤال الوافد ببساطة قائلا : « طبعا » ، حينما يسأل الاول ان كان هو الآخر قد اعطى زرارا .

بل ان حسنية ، صديقه الوافد فيما مضى ، واحدى المعجبات به ، قد قدمت هي الاخرى الى الجيل ، وانضمت الى الفندق ، وتزوجت ، واخذت تعمل في رضى .

الوافد فقط ، من بين اصدقائه ، وهو الذي رفض الانتماء الى الحزب ـ الفندق . وهو لهذا ، ملاحق ، مضيق عليه . ليس هذا وحسب ، بل انه الآن نكرة . لان جميع الوثائق التى كان من الممكن ان تثبت هويته ، قد ضيعها هو ، او ألقى عليها التراب ستارا كثيفا اصبح من المستحيل معه العثور عليها .

ويرى الوافد هذا الوضع المادي القاتل ، فيرفضه في شدة ، ويعلن رفضه في ثورة غاضبة عارمة . ويمضي به الغضب فيعميه ، اذ يجعله يفضل عصر ما قبل الآلة ، على هذا العصر الميكن ، البارد الحس ، العديم القلب .

غير ان هذه انما هي ثورة العاجز . لهذا ، تمتد اليه يد الآلة ، وتقتنصه في برود وتصفيه !

ان الوافد صرخة احتجاج ضد كل ما يهدر انسانية الانسان ضد عبادة الآلة والكفر بالبشر . تدين كل ما يخنق الحب في القلب ، ويصادر الحلم في النفس ، ويلطخ في الانسان ، اجمل ما في الانسان : حب الحياة . حب الحرية .

ان بها الاحتجاج الدفين ذاته الذي نجده عند كافكا ، وعند بيكت ، وعند يونسكو وعند ميخائيل رومان في مسرحياته الأخرى ، وخاصة : « الدخان » ! ■■

د . علي الراعي

بلزاك و .. الحمار ! !

● زعم الكاتب الفرنسي المشهور بلزاك انه يستطيع التنبؤ بمستقبل الناس من دراسة خطوطهم . فجاءته احدى السيدات وقدمت له ورقة عليها بضعة أسطر قائلة ، انها لصبي في سن العاشرة .

وتمعن بلزاك في الورقة ثم أجاب : ان صاحب هذا الخط سيبقى حمارا الى الابد .

فضحكت السيدة وقالت على الفور : ـ ان هذا الخط هو خطك انت عندما كنت في العاشرة من عمرك .

الدرويش

قصة : محمد صالح القمودي

المكان ·· باريس ، والزمان ·· عصر شتاء مطير ، والموقع ·· قرب قوس النصر ،والظرف ··في زحمة المتسابقين خلف مصالحهم ، والحدث : كهل يتكيء فوق فتحات القطار النفقى محتميا بدفئه ، ناظرا الى العالم المضطرب من حوله فى سخرية،وهو يرتشف جرعات من زجاجة نبيذ رخيص،ويدندن اغنية من مختارات الصعاليك ·

■ شعاع من شمس يخترق الحجب باسما كانه يضحك مما يرى ، وانا اقترب من الكهل،واجتازه ظنا منى بانه واحد من دراويش باريس الذين يهيمون على وجوههم فى العاصمة الكبيرة ، يبيتون فى انفاق القطار او تحت القناطر ·· ويعبون النبيذ كلما حصلوا على (فرنك) يشترون به زجاجة من اردا الاصناف ·

توقفت عن السير فجاة وقد سمعت عجبا : الدرويش ينطق بلسان عربى مرددا اغنية شعبية يقول مطلعها : فى الغربة فتى لى ·· عمــرى ضاع ·

هل انا فى قطر عربى أم فى فرنسا ؟ !

مبلغ علمى ان دراويش باريس ·· هم مــن (الكلوشار) الفرنسيين الرافضين لبنية مجتمعهم جملة وتفصيلا ، والغارقين فى حياة خاملة مقدرة بسكرة صحوة منه ·· لكن ان ينطق احدهم بلسان عربى يردد اغنية شعبية ، فالأمر محير يتطلب الاستجلاء ·

جلست على مقعد قريب من مجلس الدرويش، واخذت اراقبه من خلف صحيفة تظاهرت بقراءتها ·· لقد تجاوز الستين ، اشتعل الراس منــه شيبا ، وتساقطت الاسنان وهنا ، وتغضن الوجه هما ·· رث الهنـدام ، زرى الهيئة ، مشتت الافكار ·· لا يكاد يكمل فقرة من اغنية حتى ينتقل الى ابيات يتلوها فى نبرات مسرحية :

ـ ساعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشمـاء

ارنو الى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والامطار والانواء

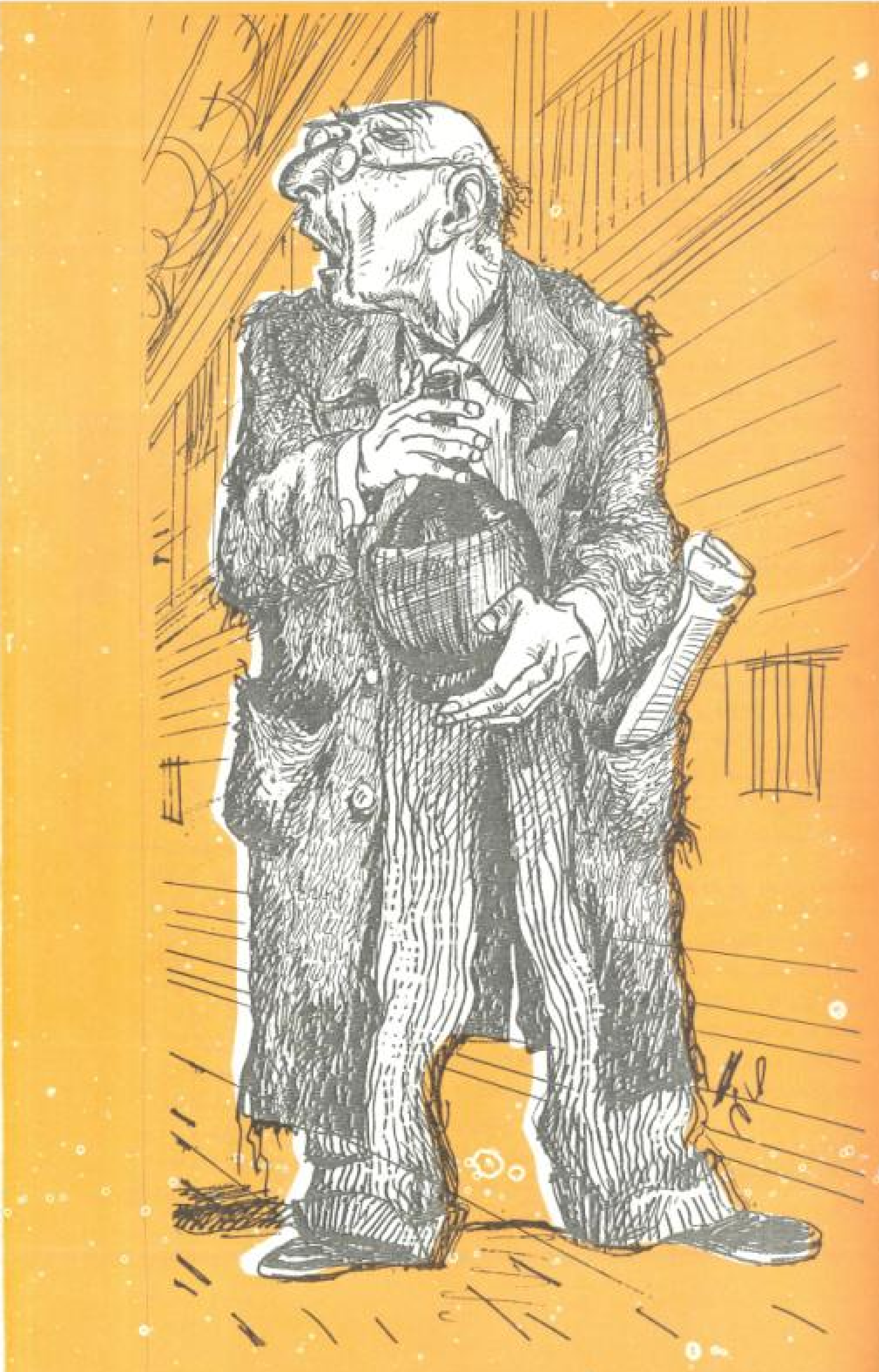
واذا ما ابصر سيدة تمر ·· امطرها بوابل من كلمات الغزل ، ثم عاد الى غنائه وتلاوته ·

وفجاة !

التفت وكانه قد احس بنظراتى الفاحصة ؛

اخفيت وجهى خلف الصحيفة،وتهيات للنهوض والابتعاد ··

لكنه قفز نحوى وامسكنى من ذراعى صائحا :



ـ اهلا بولد عمي !

متلعثما قلت :

ـ اهلا وسهلا ..

ثم محاولا الافلات :

ـ سلام عليكم .

لكنه تملق بطرف ثوبي صائحا :

ـ وهل الخروج من الحمام مثل الدخول اليه؟!

ثم آمرا :

ـ اجلس !

جلست على مضض وانا العن فضولي سرا .

لاحظ الدرويش كدري فقال :

ـ لا تخف ، ساروي لك قصتي ولن يكلفك ذلك غير فرنك واحد فقط . حياة كاملة بفرنك، يـا بلاش !

قلت ملاطفا :

ـ ما بالك قد اهملت نفسك يا اخي ؟!

اختار بيتا من الشعر ليجيب ..

ـ لا تحتقر صغر النجوم فانما

اعلى الكواكب ما استبان ضئيلا

ـ انا لا احتقرك وانما ارثي لحالك .

وهو يمسح دمعة سالت على خده ، قال :

ـ لو عرفت قصتي ، لرثيت لي اكثر .

ـ وما قصتك ؟!

ـ منذ عشرين سنة .. كنت مواطنا عاديـا كملايين المواطنين من سكان المغرب العربي .. اعيش على دخل بسيط انفقه على زوجة وفية وابناء بررة .. واستمتع بدفء الشمس وحرارة الاخوة الاسلامية .. لكن رفيقا للسوء اخرجني من جنتي .

ـ كيف ذلك ؟

ـ خدعني باوهامه فرافقته .

ـ وزوجتك واولادك ؟!

ـ ادعيت لهم انني اتغرب طلبا للرزق .

ـ ورفيق السوء ؟

ـ سرق مدخراتي وهرب ،فلم اره بعد ذلك ابدا .

ـ ماذا صنعت وحدك في اوروبا وبلامال ؟

ـ رضيت باتفه الاعمال واشقها حتى لا اموت من الجوع .. ثم عاقرت الخمر حتى ادمنتها .

ـ الم تفكر يوما في العودة الى زوجتـك واولادك ؟ !

ـ فكرت مرارا وحلمت بالعودة الى الشمس والدفء والصفاء .. لكنني اخفقت في العودة .. اخفقت .

ـ لكن .. لماذا ؟!

ـ الم الكبائر دفعني من هاوية الى هاوية .. عشقت امراة ساقطة وعشت معها اتجرع الهوان.. امتصت شبابي حتى اذا ما وهن العظم مني لفظتني كالنواة ، فصرت درويشا يهيم على وجهه .. لايصحو الا ليسكر لان الواقع ابشع من ان يتحمله.

ـ اليس من الاحفظ لكرامتك ان تعود الـى بلادك ؟

ـ وهل يعود الموتى الى بلدانهم ؟!

ـ لكنك حي ترزق !

ـ بالنسبة لزوجتي واولادي ، انا ميت منذ مدة طويلة .

ـ كيف حدث ذلك ؟!

ـ عندما ايقنت الا فائدة مني .. جمعت مبلغا من المال ارسلته الى زوجتي ، مدعيا انه من صديق صرف تعويض وفاتي وارسله الى ارملتي.

ـ وهل صدقت زوجتك ذلك ؟

ـ لا ادري .. الاخبار التي استقيتها تؤكـد بانها رفضت الزواج ثانية ، وبانها كرست حياتها لتربية اولادها .

ـ وكيف هم الآن ؟

ـ احدهم طبيب والآخرون بين مدرس ومهندس وضابط .

ـ يالها من ام عظيمة زوجتك !

ـ احلم بها كل ليلة .. كما يحلم المطرود من الفردوس بالجنة الضائعة .

.. وتوقف الدرويش عن الحديث ، ثم مسح دموعه وهو يهتف :

ـ اعجبتك قصة حياتي ، اذن فقد صرت استحق زجاجة من النبيذ !

وما ان استقرت الفرنكات القليلة في جيبه ، حتى نسي وجودي وعاد الى مجلسه فوق فتحـات القطار النفقي النبيذ ويدندن . ■■

باريس ـ محمد صالح القمودي

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوي

حفرة شارلمان

بدأ العمل في شق قناة تصل بين نهري الراين والماين من جهة وبين نهر الدانوب من جهة اخرى ... وسيبلغ طولها ١٧١ كيلو مترا وعمقها ٢٥ مترا وستعبد بالاسمنت في قاعها وجدرانها . وستكفل « حفرة شارلمان » ، كما يرغب في تسميتها الكثيرون ، استمرار الملاحة من بحر الشمال الى البحر الاسود ... عبر مسافة ال ٣٥٠٠ كيلو متر التى تقطعها تلك الانهر .

اما الباعث على تسميتها حفرة شارلمان فهو ان فكرة حفر هذه القناة خطرت اول ما خطرت لشارلمان قبل اكثر من الف عام . وبالرغم من انه لم يفعل شيئا في سبيل تحقيقها فان اسمه التصق بالقناة وكأنه حفرها بالفعل ... هذا بالرغم من ان امير بفاريا لودفيغ الاول كان اولى بالشفعة وقد حفر في القرن الماضي القناة الاولى التي وصلت بين النهرين .



ومما يذكر عن القناة الجديدة انها ستمر بهضبة يبلغ ارتفاعها حوالي ٣٥٠ مترا فوق مستوى سطح البحر . والاهم من ذلك انها ستحفر فوق سطح الارض وتتخذ شكله فتتسلق التلال وتهبط حيث الوديان ، كما هو الحال في قناة بناما . وستنطلق الحفرة من بلدة بمبرغ على نهر الماين فلا تكاد تبتعد عنها حتى تتسلق هضبة يبلغ ارتفاعها ١٧٠ مترا ... ومعنى هذا ان القناة ستكون مدرجة ـ كما هي قناة بناما ـ وتعتمد على المضخات والحواجز للتحكم بالمياه وفق الحاجة .

وسينتهي العمل في القناة المزمعة سنة ١٩٨٥ .... وستكون المنافع المترتبة عليها كبيرة ومتنوعة ، تشمل فيما تشمل الري وتوليد الكهرباء ... علاوة على ضمان استمرار الملاحة النهرية على نحو ما اسلفنا .

« الجازوهول »

وأزمة البترول

فـى امريـكا



● تسببت احداث ايــران بتوقف ضخ النفط الايرانــى مدة اسبوعين او ثلاثة .... ثم عاد البترول الى التدفق بعدها كالعادة ... ولـكن التوازن بين العرض والطلب فى صناعة البترول وتجارته بلغ من الدقة والحرج ما جعل لذلك التوقف اثارا بالغـة الخطورة ... وقد تجلت هذه الاثار فى الولايات المتحدة ، وبخاصة فى ولاية كاليفورنيا، اكثر الولايات المتحدة عـدد سكان واكثرها عدد سيارات ولو تسنى لك مشاهدة ارتـال السيارات المصطفة امام محطات البنزين فى لوس انجلس وهوليود وغيرهما من المدن ، تنتظر دورها ، حتى اذا مضى ساعتان او ثلاثة وكادت اللقمة ان تصل الى الفم ، اعلنت محطة البنزين توقفها عن الضخ فى ذلك اليوم وذلك لنفـاد مخزونها ... لو تسنى لـك رؤية السيارات التى اضطـر اصحابها لتركها امام منازلهم او على جوانب الشوارع بسبب عدم توفر البنزين ... ولو تسنى لك مشاهدة اصحـاب تلك السيارات ، وبعضهم من اصحاب الملايين الذين يمتلك الواحد منهم عدة سيارات ، كيف اضطروا لركوب الباصات والقطارات ، ربما لاول مرة منذ ايام الحرب العالمية ... لو تسنى لك مشاهدة ذلك كله لحسبت ان الولايات المتحـدة الامريكية تخوض حربا عالمية ثالثة ،حرصت على الابقـاء على اخبارها العسكرية طى الكتمان ...

وراء السلطات المعنية مـا رات وما ادى اليه توقف ضخ النفط الايرانى المؤقت وراحت تسن القوانين وتضع النظم وتتخذ الاجراءات الكفيلة بتحاشى ما تنذر به الازمـة من تفاقم حاليا او مستقبلا ... ولجات بعض شركات البترول الى مزج بنزين السيارات بمادة كحولية مستخرجة من المصـادر النباتية او الحيوانية التـى تحتوى على النشا والسكر ، (راجعها نشرناه فى هذا الباب فى العدد ٢٤٤ صفحة ٦٢) ..

ومع ان نسبة هذا الكحول فى المزيج لا تزيد على ١٠٪ ونسبة ما يستطيع توفيره من البترول لا تزيد بالتالى على ١٠٪ ايضا فان المعنين فـى الولايات المتحدة يعلقون عليه اهمية كبيرة جدا ... ذلـك ان مقدار ما تستهلك الولايات المتحدة من بنزين السيارات يبلغ من الضخامة بحيث ان العشر الذى يمكن توفيره تبعا لاستعمال الجازوهول لا يقل عن ١٠ ملايين جالون بنزين سنويا ... هذا بالطبع اذا شاع استعـمال الجازوهول وعم محطات البنزين جميعها ... وذلك فى الولايات المتحدة كلها ... وهو ما لا ينتظر وقوعه قبل منتصـف الثمانينات ... اما الان فعدد المحطات التى تضخ الجازوهول

لا تزيد على ٥٠٠ محطة ، اى ٥/١ من عدد المحطات التى درجت على ضخه فى الماضى غير البعيد ... فى الثلاثينات من هذا القرن ...

الجازوهول اذن ليس جديدا ... وقد انتشر الجازوهول فى الولايات المتحدة كذلك سنة ١٩٧٤ ، ايام حظر النفط العربى .... وكانوا يسمونه انذاك « ممدد الجازولين » Gasoline Extender .

ماموث روسى يزور لندن

● زار لندن فى شهر مايو الماضى طفل سوفياتى عجيب • انه طفل ماموث صغير اكتشفوه مدفونا فى الجليد قبل نحو سنتين •

كان ذلك فى يونيو عام ١٩٧٧، وفى منطقة نهر (ديما) احد روافد نهر كوليما وهى منطقة تقع بمحاذاة القطب الشمالى الى الجنوب وقد ثبت للعلماء ان الماموث الطفل (او ديما كما سموه) لا يزيد عمره على ٧ ـ ٨ شهور وان الزمن الذى مضى عليه وهو مدفون فى الجليد على عمق نحو ٣ امتار، لا يقل عن ٣٩٫٥٠٠ سنة •

ويبلغ طوله ٤٥ بوصة وارتفاعه ٤١ بوصة • اما خرطومه الذى يبلغ طوله نصف طول الماموث نفسه...بالضبط ٢٢ بوصة ... فقد ظهر عليه، عند فتحته ، مثل الاصبعين اللذين طالما لاحظهما العلماء فى رسوم الماموث على جدران الكهوف ... ويبلغ من صغر سن ديما انه كان بلا انياب وبلا شعر ، ما خلا بضع جدلات هنا وهناك •

على ان اهم ما يذكر عن ديما انه اول ماموث يكتشفونه من مماميث ما قبل التاريخ .. وانه اول ماموث يكتشفونه كاملا منذ زمن طويل • فقد اكتشفوا الكثير من عظام الماموث او اسنانه فى الاصقاع الشمالية،الامريكية والسوفياتية .. وحتى فى انجلترا وغيرها من البلاد الاوربية الا انهم لم يكتشفوا ماموثا كاملا مثل ديما طيلة المائة والخمسين سنة الماضية •

ومن طريف ما يذكر ان العلماء عثروا على بقايا نباتات نصف مهضومة فى معدة ديما وامعائه وهم يأملون فى التوصل الى الاجابة على عدة اسئلة مازالت مبهمة كالاسباب التى ادت الى انقراض الماموث ، وصنوف النباتات التى انتشرت فى العصر الجليدى الاخير الذى انتهى قبل ١٠ ـ ١٢ الف عام وانتهى معه عهد الماموث •

اما اغراض الزيارة التى قام بها ديما الى لندن فعلمية او اعلامية،وذات صلة بالمعرض السوفياتى الذى اقيم فى العاصمة البريطانية فى الربيع الماضى ... وتجدر الاشارة ان قيمة التامين الذى شمل سلامة ديما بلغت ٨ ملايين جنيه •

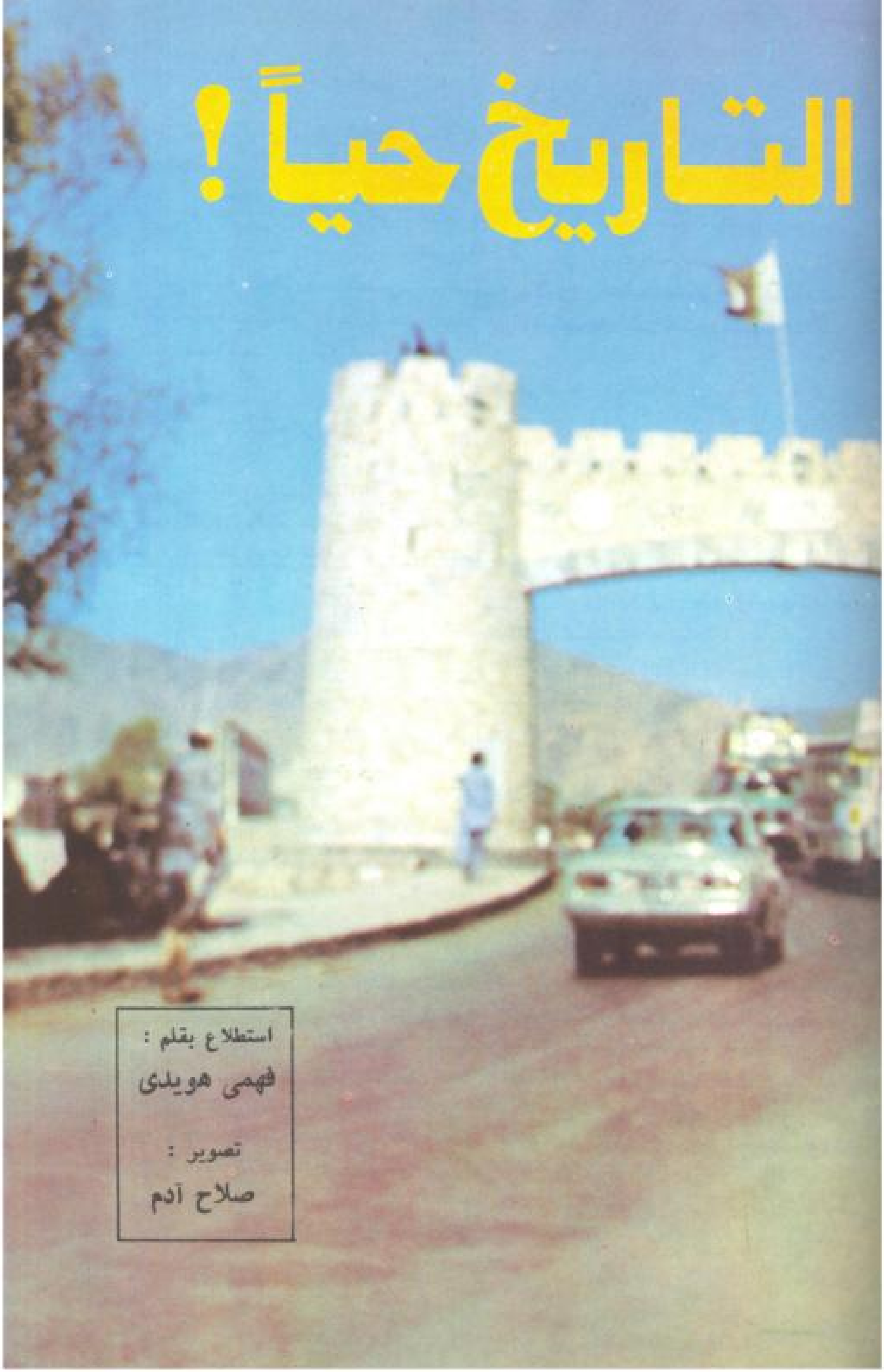
قمر صناعى لتجميع الطاقة الشمسية

● يبدو ان النية متجهة الى اطلاق قمر صناعى من نوع فريد ، قبل حلول عام ٢٠٠٠ .. اذ سيقوم هذا القمر بتجميع الطاقة الشمسية وارسالها امواجا قصيرة Microwave الى محطة شمسية خاصة على سطح الكرة الارضية ... وستبلغ مساحة سطحه ٥٠ كيلو مترا مربعا وسيتخذ له مدارا حول الارض فى الفضاء الخارجى بعيدا عن الغلاف الجوى ،حيث يمكن ضمان حصوله على ضوء الشمس باستمرار ....

اما مقدار الطاقة التى يمكن الحصول عليها بواسطة هذا القمر الصناعى فتساوى مجموع الطاقة التى تولدها خمس محطات نووية مجتمعة ... اى ان محطة الاستقبال الارضية التى ستلتقط الامواج القصيرة بواسطة هوائى ضخم بمساحة كبيرة تبلغ بضع كيلو مترات مربعة....لم تحول تلك الامواج الى طاقة كهربائية ...سيكون فى وسعها توليد ٥٠٠٠ ميجا واط كهرباء ...


مہمر خیبر:

التاريخ حياً!



استطلاع بقلم :

فهمي هويدي

تصوير :

صلاح آدم

ليست الرحلة الى ممر خيبر مجرد انتقال من مكان الى مكان ، ولكنها قفزة حقيقية ـ مادية ومعنوية ـ من زمان الى زمان ، ومن عالم الى عالم مغاير ومختلف تماما !

هو مسرح كامل لتاريخ حي ، تختلط عليه الصور في تداخل مثير ، الماضي والحاضر ، الأسطورة والحقيقة ، المجد والموت ، الطهر والخطيئة . وعلى المسرح تقف قبائل « الباتان » ، اكبر مجتمع قبلي في العالم ، وقد اعتصموا وراء حصون من الاسوار والتقاليد ، وأطلوا على الكون بعيون الشك وفوهات البنادق . وبتراث غنائي تهدهد فيه الام رضيعها باغاني السيف والسهم ، ولا تخلو فيه قصائد العشق من ذكر الدم !

موقع ممر خيبر

هو حقا واحد من أوسع معابر التاريخ ، وباب باكستان الشمالي ، والباتان هم ايضا حراس الممر وحماته منذ قرون ، لكن الباب الشرعي للاثنين (الممر والباتان) يحمل اسما ثالثا هو « بشاور » .

وربما كان اسم بشاور غريبا على اسماع الكثيرين ، اذ ان ذيوع شهرة ممر خيبر قد طغى على كل ما حوله ، وخطف الاضواء من مواقع اخرى لا تقل عنه اهمية ولا عراقة ، ان لم تكن اهم واعرق . ومدينة بشاور هي من ضحايا تلك الشهرة الكاسحة التي تمتع بها ممر خيبر ، وهي شهرة روج لها الكتاب والروائيون ومنتجو افلام السينما ، الذين وجدوا في ذلك الممر الذي يخترق هضبة سليمان بجبالها الشاهقة مسرحا تتوفر له عناصر الاثارة والتشويق ، فضلا عن « دراما » الاحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة .

وهكذا انقلبت الآية حتى صارت بشاور هي مدينة الممر ، بدلا من ان يكون خيبر هو ممر المدينة . ولا اخفي انني كنت واحدا ممن جذبهم ممر خيبر دون غيره ، وان الرحلة الى ممر خيبر دون غيره ايضا ـ كانت هي الهدف الذي سعيت اليه ، ومنذ هبطت بنا الطائرة في كراتشي ، فتشت وسط الرطوبة الخانقة عن كتاب تشارلز ميللر « خيبر ـ قصة الجبهة الشمالية للهند البريطانية » . وما كدت اقرأ سطوره الاولى حتى وجدت المؤلف يتحدث عن « بشاور » ، وكيف انطلق منها الضابط البريطاني الفينستون ـ اول انجليزي يدخل المدينة عام ١٨٠٩ ـ ليعبر ممر خيبر ، برسالة من حكومة « جلالة الملك » الى ملك الافغان في كابول .

وعندما بدأنا رحلتنا الداخلية في باكستان متجهين الى ممر خيبر ، وجدنا انفسنا في مطار بشاور ، ومرافقنا « عناية الله » يدعونا الى استلام الحقائب ، لاننا قد « وصلنا » !

ووسط الدهشة والاستغراب استسلمنا ، حتى ادركت فيما بعد ان خطأ لم يحدث ، واننا مضينا في الاتجاه الصحيح .

في المدينة الملكية

ذلك انه يصعب الفصل بين ممر خيبر وبشاور . فالذين عبروا خيبر قادمين من أسيا الوسطى استخدموه كجسر يصلون منه الى بشاور ، والذين عبروا الممر قادمين من بلاد الهند لم يبلغوه الا بعد ان تمركزوا في بشاور .

وللدقة ، فانه عندما لم يكن للممر اسم ، عندما كان مجرد طريق مترب يتلوى وسط تلال هضبة سليمان ، كان للمدينة اسم مسجل في المدونات الاولى لتاريخ المنطقة ، هو « قندهار » ، وقد مر بها رحالة صيني اسمه « هسين تسانج » ، في القرون الاخيرة قبل الميلاد ووصفها في مذكراته بانها « مدينة ملكية » مليئة بالفواكة والزهور ، وقتئذ كان الآريون قد عبروا الممر من وسط اسيا واستوطنوا في قندهار ، وبعدهم عبر الاغريق تقلهم



خريطة توضح موقع ممر خيبر

فصائل جيش الاسكندر الاكبر . وحكموا قندهار حوالي ٢٠٠ عام . وبقيت اعداد كبيرة منهم في المنطقة . ولا تزال بصمات هذه الفترة بادية الآن في ملامح وجوه بعض الباتان . فضلا عن تأثيراتهم على ما عرف بمدرسة « قندهار الفنية » ، التي هي خليط من الفن الاغريقي والبوذي ، وهي المدرسة التي اقامها « الكوشان » الذين قدموا من اواسط آسيا المتاخمة للحدود الصينية ، وكانوا اول من صور بوذا ونحت تماثيله . اذ انشأوا فنا قائما بذاته يخدم عقيدتهم الدينية كبوذيين ، ومحوره الاساسي بوذا الانسان والمبشر . (في متحف بشاور مجموعة نادرة لاعمال هؤلاء الفنانين العظماء) .

وظلت مواكب الغزاة تتوافد عبر الممر على مدار التاريخ . من الشمال الهون البيض والفرس والترك والمغول ، ومن الجنوب الهندوس والانجليز .

وخلال تلك القرون كان للمدينة اسمها الكبير وكان للممر وظيفته كجسر ومعبر . وتغير اسم قندهار الى « بشاور » ـ مدينة الزهور في اللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) . واطلق على الممر اسم « خيبر » ، الذي يرتبط بدخول الاسلام . والمقتبس عن « جبل خيبر » الذي جرت في ظله الغزوة الشهيرة على عهد النبي عليه السلام .

واذا كان « بابر » اول امبراطور مغولي مسلم وفد الى المنطقة في النصف الاول من القرن السادس عشر ، قد تحدث عن بشاور في مذكراته التي كتبها بالفارسية ، مفتونا بجمالها وكثرة زهورها . الا انه لم يذكر اسم « خيبر » ، رغم انه عبره في قدومه من بلاد الافغان . الأمر الذي قد يعني ان الاسم اطلق على الممر بعد ذلك . خصوصا وان حكام كابول المسلمين اختاروا بشاور مقرا لهم . حتى جاء الاحتلال البريطاني وحولها الى مقر قيادة قواته في جبهة شمال الهند . منذ منتصف القرن التاسع عشر . حتى تقسيم الهند وانشاء باكستان عام ١٩٤٧ .

١٦ بابا للمدينة

وحتى منتصف الخمسينات . كانت بشاور مدينة محاطة بسور كبير . يتخلله ١٦ بابا . كل باب يؤدي الى مكان . فهذا باب « لاهوري » وذاك باب « دلهي » ، والثالث باب « كابولي » ـ هكذا كانوا ينطقونها ـ وكان الكابولي ينفتح على طريق يؤدي مباشرة الى ممر خيبر ، قبل ان ينتهي بالعاصمة الافغانية « كابول » .

تهدم السور الآن واندثرت الابواب . واصبحت « المدينة الملكية » هي المدينة القديمة . وزحف سكانها خارج السور ، وزرعت الى جوارها مدينة جديدة ، للحكام والعسكر واصحاب الوظائف العليا . في نفس المنطقة التي كانت تتمركز فيها قيادة قوات الاحتلال الانجليزي . وصارت بشاور مدينة مفتوحة بلا سور وبلا ابواب . وزاد من انفتاحها على الجميع انها اختيرت عاصمة لمقاطعة الحدود ، احدى المقاطعات الاربع التي تتكون منها باكستان (المقاطعات الثلاث الاخرى هي البنجاب والسند وبلوشستان) ...

واصبح عدد سكان بشاور ٣٥٠ الفا . حتى اختلط فيها الحابل بالنابل . وصارت شوارعها وميادينها تضم مزيجا من البشر بمختلف الاشكال والازياء . تتراوح لغاتهم بين الاردو (اللغة الام في باكستان) والانجليزية لغة اكثر المتعلمين . والبنجابي والسندي والباشتو

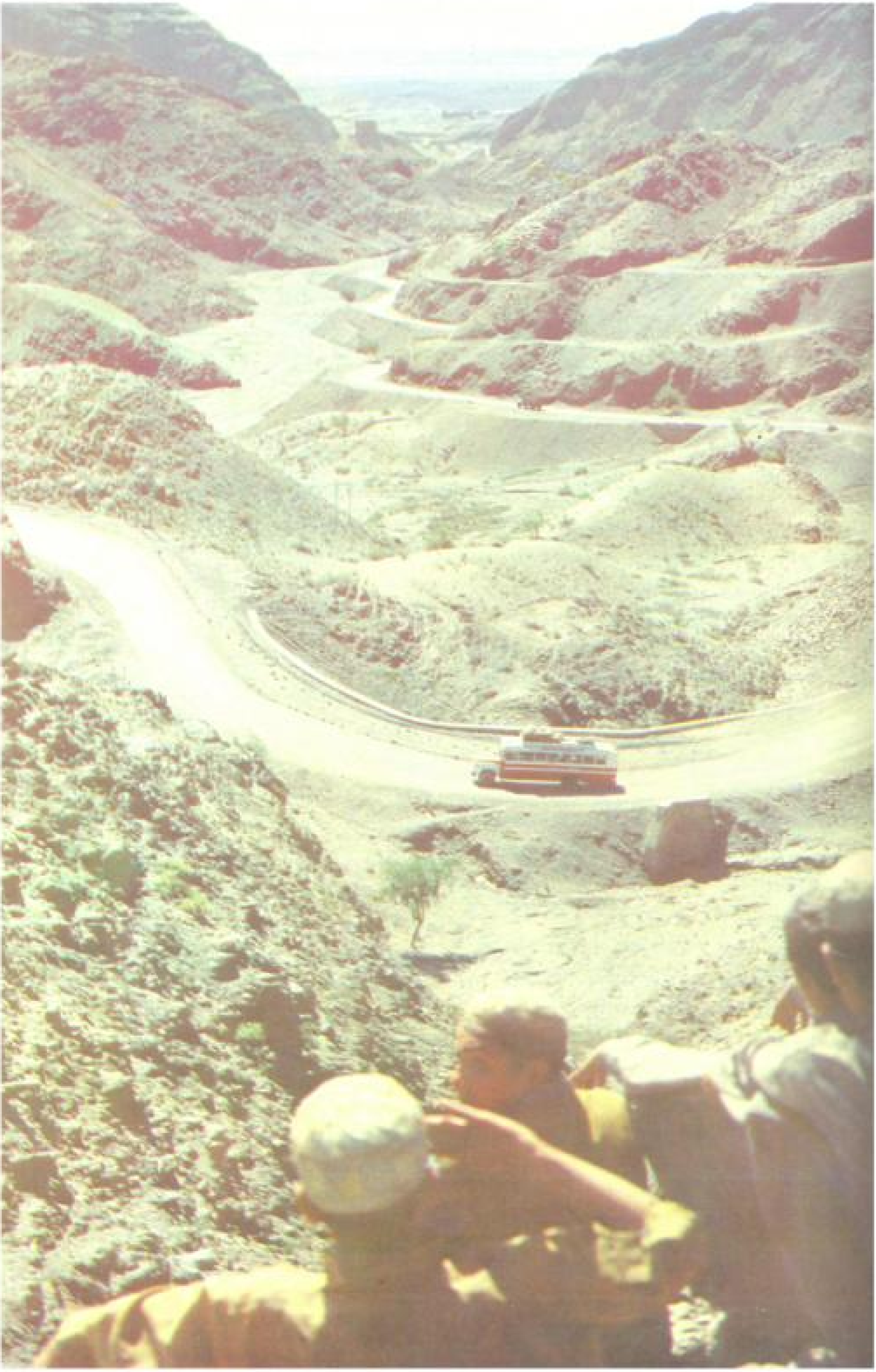




(فوق) فريق من حراس مقر قيادة الحرس الوطني وقد اصطفوا في طابور الصباح ـ
(تحت) رجال قبائل الباتان قرب باب خيبر بأغطية رؤوسهم التقليدية (الكاب) ، وقد جلسوا فوق الارائك (الاسرة وقت اللزوم) في انتظار اتوبيس خيبر .

(الصورة الى اليسار) لممر خيبر ، وقد تلوى مخترقا جبال هضبة سليمان الصخرية ، واصلا بين باكستان وافغانستان .





(لغات محلية) .. قد تميز بينهم الباثان ، بأغطية رؤوسهم الاقرب الى « الكاب » وعيونهم الخضراء ، والبنادق المعلقة على الاكتاف . لكنهم يذوبون وسط الجموع التي تزدحم بها المدينة ، والقادمة من انحاء باكستان للزيارة او للتجارة ، غير قوافل السياح التي لا تنقطع صيفا وشتاء .

وأكثر من ذلك ، فانت في بشاور تلمح بعض النسوة في الشوارع بين الحين والاخر . اكثرهن يلتحفن « البردة » او « البرقة » الشهيرة ، وهي الملاءة التي تغطي الجسم كله ، من قمة الرأس الى اخمص القدمين ، وتتخللها ثقوب صغيرة امام العينين للرؤية . وتكاد تكون الزي الشائع في افغانستان . وظهور هؤلاء النسوة في الشوارع يعني على الفور ان بشاور لم تعد عاصمة « الباثان » .. كما كانت ، ويعني ايضا انك لست في مجتمع باثاني خالص . وانما مجتمع تسللت اليه تقاليد غريبة ، وانفلت عياره ، حتى خرجت نساؤه للتسوق في الشارع !

امتثالا لدواعي الامن !

واذا كانت بشاور الان مدينة شبه عصرية ، تنتمي في وجه منها الى القرن العشرين بجامعتها الكبيرة ومراكز بحوثها ومستشفياتها وحي الارستقراطية الباكستانية ، العسكرية والاقتصادية ، الا ان الحي القديم ، او بشاور القديمة ، ما زالت ثابتة على العهد .

. في الحي القديم ترى وجها اخر لبشاور ، يتجسد في السوق ، او « البازار » كما يقولون هناك . اذ تختلط فيه رائحةُ « الكباب » المشوي على الارصفة بقعقعة كاسات الشاي الاخضر (يسمونه القهوة ـ والقهوة المعروفة عندنا يسمونها « كوفي » ! ويعرفها الاغنياء فقط) وتصطف هذه الكاسات تحت « السامورفار » الذي توقد ناره بالفحم او الاخشاب ، وتتداخل معها اصوات مطارق الحرفيين المهرة في زخرفة النحاس ، وصيحات باعة احذية الباثان المطرزة والمقوسة الاطراف . هناك الباعة والمشترون والمتسامرون ، يجلسون القرفصاء في تلك المحلات المتلاصقة والصغيرة ، التي يصعب احيانا ان ينتصب الفرد قامته في داخلها .

وربما كانت قسمات الوجه القديم اوضح ما تكون في « شارع القصاصين » ، الذي لا يخلو من ذكره اي كتاب او اي نشرة سياحية عن بشاور ، واسمه المتداول هناك هو : « قصة خواني بازار » وهو اسم مشتق من « وظيفة » تاريخية لذلك الشارع ، الذي كانت مقاهيه في الازمنة السابقة هي ملتقى التجار والشعراء والجنود والمغامرين ، القادمين من بلاد العرب والهند والسند وخراسان ، وكانت لقاءاتهم هذه هي فرصة تبادل الاخبار والطرائف والحكايات . وهناك من يقول بان تلك المقاهي كانت تعج بالحكائين ، رواة القصة والملاحم الشعبية ، الذين تعرف منهم مغني الربابة والشعراء الشعبيين

لا تزال في الشارع بقية من هذه المقاهي ، ولكن اكثر محلاته تحولت الى التجارة ، بعدما راح وقت السمر والحكايات ، وصار البيع والشراء اكثر فائدة واكثر ربحا .. ودخلته كلمة « بيزنس » لغة الباشتو التي تتحدث بها قبائل الباثان !

في المدينة القديمة ايضا ، لا تزال شواهد التاريخ قائمة ، واكثرها يحمل بصمات عصر المغول الذين كان لبعض ملوكهم اهتمامات واضحة بالانشاء والعمارة .

تطالعك على الفور « بالاحصار » ، اي قلعة « بالا » الهائلة التي بناها الامبراطور بابر ، وجددت فيما بعد . ولا تزال في الخدمة العسكرية الى الآن ، حيث دبت فيها الحياة مؤخرا ، عندما تصاعد التوتر على الحدود بين باكستان وافغانستان .

تتمدد القلعة في مدخل المدينة المواجه لممر خيبر ، وعندما اقتربنا منها ، قال مرافقنا بحزم : لقد فاتني ان انبهكم من البداية ان التصوير محظور في مناطق الحدود لدواعي الامن في حالتين : القلاع والنساء . والتعليمات والتقاليد هنا تعتبر تصوير القلاع تهديدا للأمن العسكري ، بينما يعد تصوير نساء الباثان تهديدا للأمن الاجتماعي !

وامتثلنا لدواعي الامن ، رغم ان صورة القلعة مسجلة في كل كتاب عن بشأور ، ورغم ان تصوير امرأة مخبأة داخل « البردة » لا يضر ولا ينفع !



في نهاية ممر خيبر ، على الحدود الافغانية شرطي يلقي نظرة على ما يحمله احد الافغان ليتأكدوا من انه لم ينقل اية اغذية ، بينما الباقون في الانتظار .

تجاوزنا قلعة بالا الى مسجد « محبة خان » الكبير الذي بني في عهد الامبراطور المغولي شاه جهان (القرن ١٦) باني مسجد لاهور العظيم « بادشاه » ، وتاج محل في الهند ، احدى عجائب الدنيا السبع ، وقد تاه مدخل المسجد وسط ازقة المدينة القديمة ، بسبب تكدس المحلات التجارية التي كادت تسد الطريق اليه .

بعد القلعة تتناثر المباني القديمة في بشاور ، قصر « جور خوتري » المغولي الطراز ، الذي اصبح مقرا للادارة الحكومية (دار التحصيل) ، قاعة « شوك الدجار » التي اصبحت مخصصة للاجتماعات السياسية ، حديقة وزيرخان ، قبر نواب خان ، احد حكام كابول الذين ادوا خدمات جليلة لبشاور ... ولعل اجمل مباني المدينة ، التي احتفظت بطابع العمارة التقليدي للمنطقة هي مباني جامعة بشاور ، التي تمتد على مساحة ضخمة من الارض تحيط بها حدائق واسعة ، تعد نموذجا مصغرا لمدينة الزهور التي راح زمانها ، وصار الزائر يقرأ عنها الكتب باكثر مما يراها في بشاور اليوم .

عند باب خيبر

حان موعد ذهابنا الى ممر خيبر ، وانطلقت سيارتنا من بشاور على طريق « كابولي » القديم ، على نفس الدرب الذي سلكته مواكب الافيال ، والجمال والخيول ، حاملة العسكر والعتاد وقوافل التجارة ، على مدى التاريخ .

في الطريق قال مرافقنا عناية الله : تذكرون طبعا تعليمات الامن ، التي قد يمكن التهاون في تنفيذها داخل بشاور ، كما قد يمكن التهاون في تنفيذ الحظر الخاص بتصوير القلاع حتى خارج بشاور ، ولكن الذي لا يمكن التهاون فيه هو تصوير النساء في قرى «الباتان» المنتشرة على جانبي الممر فالباتاني لا يخاطب زوجته امام الناس ، فما بالكم اذا صورها غريب !! هذه عندنا جريمة لا يمحها الا الدم ، بل ان ثمة قرى اخرى يعترض اهلها على اي تصوير - حتى المباني والاشجار - على اعتبار انه من المحرمات . وقد اطلق احد ابناء قرية « مسجد علي » النار على بعض السياح الذي حاولوا تصوير قريتهم عن بعد . ونحن نحذر كل الاجانب من الخروج عن شارع الممر الرئيسي ، ونقول لهم بوضوح اننا لسنا مسئولين عنهم اذا خرجوا عن الشارع ودخلوا اي قرية باتانية .

ولم يكن الانذار بحاجة لمزيد من الشرح ...

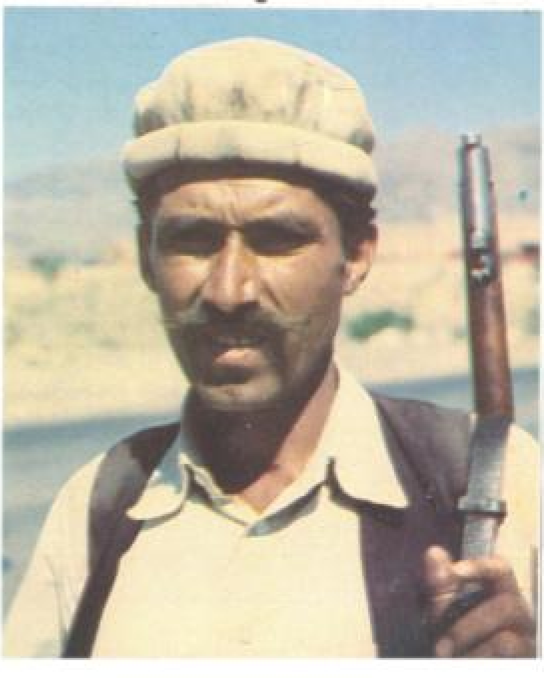
بعد عشر دقائق من مغادرتنا بشاور ، كانت سيارتنا

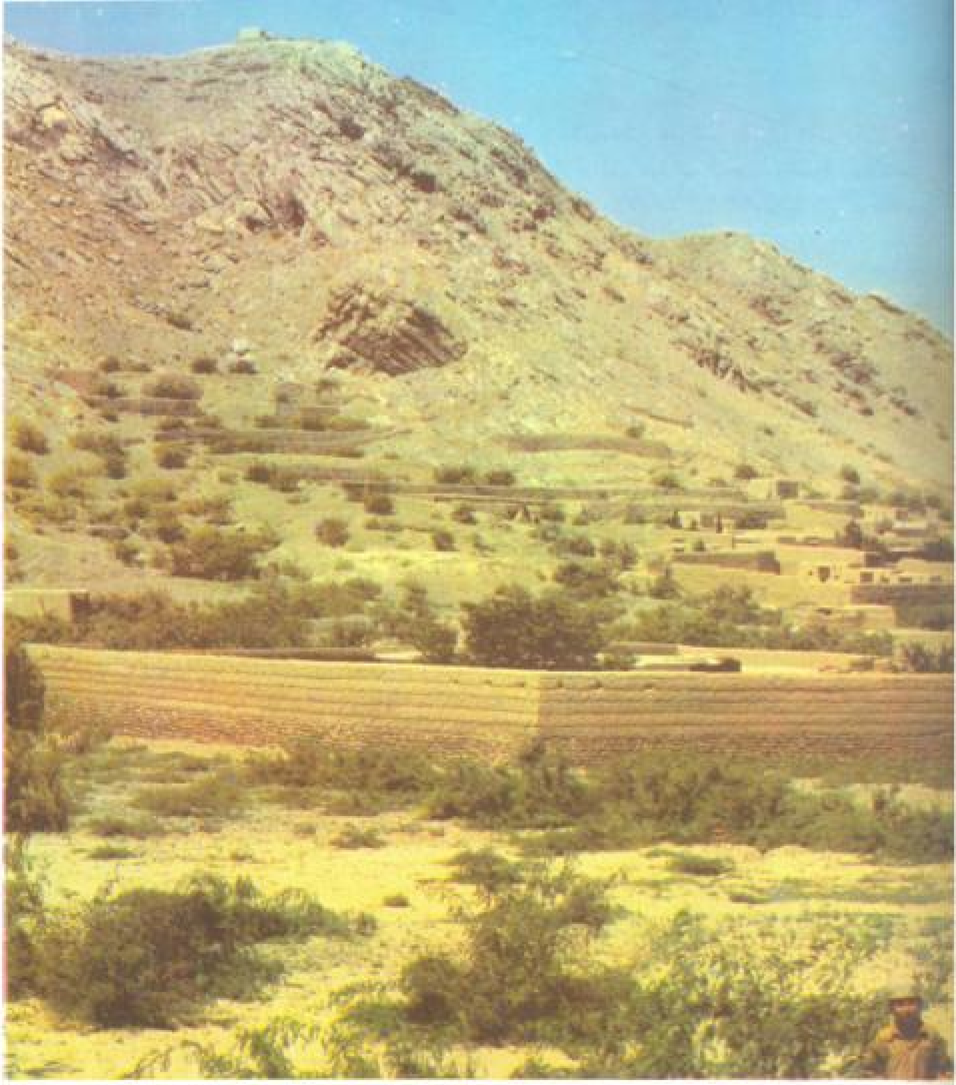




ثلاثة وجوه باتانية . تلميذ في مدرسة بلدة (مسجد علي) مرتديا زي كل المدارس في منطقة الحدود .. (فوق) ـ ثم احد رجال قبيلة « الافريدي » بالكاب والبندقية والعيون الخضراء (تحت) ـ وفتاة صغيرة « سرق » الزميل صلاح أدم صورتها بعد عناء شديد ..







نموذج لقرى الباتان التي لا يرى منها غير الاسوار ، التي تحجب القبائل عن الاعين الفضوليه ، وربما عن العالم الخارجي (فوق) ـ ثم قطار خيبر العجوز الذي يتحرك في رحلة واحدة كل اسبوع بين بيشاور ولنديكوت .. لاحظ الدخان المنبعث من مقطورته في المقدمة والمؤخرة (تحت)



تقف الى جوار مدخل رمزي من الحجر على شكل قوس نصر ، كتب عليه بالاردية « باب خيبر كا افتتاح صدر باكستان فيلد مارشال ايوب خان » اشارة الى ان هذا القوس افتتحه الرئيس الاسبق ايوب خان (كان ذلك في عام ١٩٦٣) .

المكان ساحة عادية مليئة برجال قبائل الباتان ، بقبعاتهم واسلحتهم ، وقاماتهم المديدة ، جماعاتهم متناثرة في غير انتظام ، بعضهم يتسوق . من المحلات التجارية التي اصطفت في جانب من الساحة لتبيع كافة احتياجات الباتان . من اللحوم والخبز الى البنادق والخناجر وطلقات الرصاص . وبعضهم ينتظر / الحافلة (الباص) وسيارات الاجرة . وبعضهم جالسون في مقهى صغير يحتسون كاسات الشاي الاخضر (القهوة) ، او ينفثون الدخان من النرجيلة الهندية المعروفة باسم « تشيلم » .

والى جوار القوس بناية صغيرة يجلس فيها بعض الموظفين الذي يراجعون تراخيص مرور السيارات ويحصلون الرسوم من المخالفين ، والضريبة ممن يحملون سلعا مستوردة من مناطق الحدود الداخلية .

ووراء التلال كانت تتمدد قرية جرود الباتانية ، اول قرى الممر واسمها مشتق من اسم الملك الفارسي « جمشيد » ، الذي ادمج في كلمة « رود Road » اي طريق بالانجليزية ـ واصبح جم رود او جرود ، وكان جمشيد قد عبر الممر ووصل الى هذا المكان ، وعسكر فيه .

وتطل على الساحة من عل قلعة جرود الشاهقة ، التي بناها الهندوس في عام ١٨١٠ . وهي بموقعها الهام عند مدخل الممر ، وبتحصيناتها الشاهقة ، تمثل موقعا دفاعيا اساسيا له قيمته الكبرى .

عبرنا باب خيبر ، ودخلت سيارتنا الى الممر الذي يرتفع ١١٠٠ متر فوق سطح البحر ويمتد بطول ٣٠ ميلا ، مخترقا تلال هضبة سليمان ، التي تعد واحدة من اعلى هضاب آسيا ، وينتهي به المطاف عند حدود افغانستان .

ولا يستطيع عابر الممر بالسيارة لاول مرة ان يقاوم الدوار ، لكثرة عمليات الصعود والهبوط ، والالتفاف والدوران ، والانكفاء الى الامام والتراجع الى الخلف ، دعك مما يصيب الاعصاب من توتر وفزع ، في لحظات يخيل اليك اثناءها ان الطريق قد انتهى ، وان السيارة ستقفز الى الوادي ، او عندما ترى الطريق مسدودا بقافلة من الشاحنات الضخمة التي تغطيها الرسوم والنقوش ذات الالوان الفاقعة وتتوهم ان لا مكان لسيارتك في الطريق ، وان ملاذها الوحيد في تلك اللحظات هو الوادي ايضا . يضيق الطريق الى ١٦ مترا احيانا ، ويتسع حتى يصل الى ميل في احيان اخرى ، وفي اتساعه وضيقه لا تتوقف عليه الحركة ، بمختلف وسائل الانتقال ، من المهار الى احدث سيارات المرسيدس ، ولمختلف القادمين من لاجئين الى سياح ومواطنين افغان وباتان ، وقلة من المهربين ، الذي يسلك معظمهم طرقا اخرى .

رحلة قطار التاريخ

تروي كتب التاريخ ان اول من مهد ممر خيبر هو شيرشاه سوري ، احد ملوك المغول ، في منتصف القرن السادس عشر ، ولكن الطريق المستخدم الان ، وهو مواز للطريق القديم ، شقه الانجليز بعد الحرب العالمية الاولى سنة ١٩٢٠ ضمن خطوات اخرى ، لاسباب عسكرية خالصة ، ارادوا بها تسهيل عمليات نقل القوات والامدادات من بشاور الى الحدود الافغانية ، ذلك انه بعد الحرب الاولى قدر الانجليز ان الروس يخططون للوصول الى الهند ـ لضرب مصالحهم هناك او للوصول الى المحيط الهندي ـ وان ذلك قد يتم عبر افغانستان وممر خيبر ، واعد الانجليز عدتهم لمواجهة هذا الاحتمال (لاحظ ان النفوذ الروسي وصل الان فعلا الى ابواب خيبر من الجانب الافغاني) .. فمهدوا هذا الطريق ، ومدوا خطا للسكة الحديد ـ ليس بعيدا عن الممر ـ بين بشاور ولنديكوت ـ اهم بلدة على الطريق توقعا للطوارىء .

ولا يزال خط السكة الحديد يعمل الى الان ، ولا تزال باقية الى جواره كتل الاسمنت المسلح التي اعدها الانجليز ووزعوها على مناطق معينة ، لقطع الطريق

امام اي « عدو » اذا لزم الامر .

لكن القطار اصبح جزءا من اثار الماضي ، يجذب انتباه السياح الذين يتدافعون لالتقاط صوره ، وهو يتحرك بوقار شديد ، قاطعا مسافة ١٥ ميلا في ساعتين ، تقود وحداته الست (٣ للركاب و ٣ للبضائع) عربتان لا تزالان تعملان بالبخار ، احداهما في المقدمة تجره ، والثانية في المؤخرة تدفعه . والكل قانع بجهد القطار ، اذا قورن برحلة قوافل الجمال التي كانت تستغرق يومين كاملين لعبور الممر .

رحلة واحدة يقطعها القطار اسبوعيا في التاسعة من صباح كل يوم جمعة ، يذهب من بشاور الى لنديكوت ، السياح يدفع كل منهم نصف دولار للتذكرة ، والباتان اكثرهم يستخدمونه بغير تذاكر ، على اعتبار انهم اقاموا علاقة خاصة بالقطار على مدى حوالي ٦٠ عاما حتى اصبح واحدا من « اسرة الممر » ، واصبحوا هم لا يحسون بالغربة او التكليف في داخله الامر الذي يبرر ركوبه بغير تذاكر ، اذ لا يصح ولا يليق ان يدفع المرء قيمة تذكرة لدخول بيته !

ترهق تلك الرحلة القطار ، الذي يبلغ سن الاحالة الى المعاش في العام القادم ، فيعود الى بشاور لصيانة تستمر ستة ايام ، يعود بعدها الى اداء وظيفته في اليوم السابع .

وازاء ذلك ، فان العبء الاكبر يتحمله الطريق البري الذي تتزايد اهميته يوما بعد يوم .

واذا كان القطار يثير الانتباه والتأمل في ناحية ، فان ما يثير الدهشة حقا ، هو قرى الباتان التي يلمحها المرء عندما ينبسط الطريق . وللدقة فانت لا ترى قرى ولكنك ترى اسوارا عالية متراصة ، في لون رمال الصحراء ، تتخللها ابواب ضخمة ، مماثلة لبوابات القلاع ، ينفتح في جانب منها باب صغير في حجم قامة الانسان .

وهذه الاسوار العالية تعكس الى حد كبير شخصية مجتمع الباتان ، ذلك المجتمع المحافظ المنعزل ، الذي يشك في الغريب ـ ربما لكثرة تعرض بلادهم للغزو ـ ويقدس حرمة الاسرة ، ويرفض الافصاح عن نفسه .

والبيت عنده ليس مأوى فقط ، ولكنه « ساتر » وغطاء ، وقلعة محاربة ايضا . هو حصن بكل معنى الكلمة ، تتوفر له مقومات تحقيق الامن العسكري والامن الاجتماعي ايضا ! اذ غاية ما تراه من منشآت البيت ـ بعد السور ـ برج مراقبة في ركن منه للرصد والصد ، وربما مئذنة مسجد ، واطراف بعض الاشجار ، وفي حالات كثيرة : صواري التقاط الارسال التلفزيوني !

وغاية ما تراه من اهل البيت ، صبية يلعبون امام بابه ، ورجل يتمدد في ظل السور وقد اطلت فوهة بندقيته من وراء ظهره ، ولا حققتك عيناه الخضرتان ابدا ، لا ترى امرأة في الشارع الا والضرورة الملحة دفعتها الى ذلك ، وغالبا ما يكون خروجها هدفه عيادة الطبيب .

فيما عدا ذلك ، فحياة الباتانى كلها وراء السور المرتفع . الرجل وابناؤه المتزوجون واحفاده (البنات عند ازواجهن) وكثيرا ما تتوفر للبيت الاجهزة الحديثة ، من ثلاجات ومكيفات فضلا عن اجهزة التليفزيون . غير انه محظور على النساء مشاهدة التليفزيون ـ هكذا قال مرافقي الباتانى ـ ربما لاسباب تتعلق بالامن الاجتماعي ايضا !

في غرفة السمر يسمونها « الحجرة » يلتقي الرجال وخلانهم حول التليفزيون كل مساء ، يحتسون القهوة (الشاي الاخضر من فضلك) ويدخنون تشيلم » . بينما النسوة في مكان آخر يثرثرن او يطرزن ، وليس هناك ما يمنعهن من الاستماع الى الراديو .

١٠ ملايين باتانى

تنتشر القرى بغير عدد فوق التلال وعند السفوح والوديان بطول الحدود الباكستانية الافغانية (١٤٠٠ كيلو متر) ، وينتقل الباتانيون بملايينهم العشرة على الجانبين بغير هويات ولا جوازات سفر فقبائل الباتان افغانية الاصول ، وابناء عمومتهم الباتانيون ايضا منتشرون في افغانستان . ولغتهم ـ الباشتو ـ لغة اساسية في افغانستان . ولهذا السبب لم يشعر الباتان بأية غضاضة عندما وفد عليهم ١٠٠ الف لاجيء من افغانستان في الشهور الاخيرة . واذا كان الانطواء والشك في الغريب من سمات الباتان ، الا ان الافغان لهم وضع خاص .







واحد من عشرات المحلات التجارية في بلدة « درا » المكدسة بكافة انواع البنادق والمدافع الخفيفة والمسدسات والخناجر . المصنعة محليا والمستوردة . البيع للجميع وبأي كمية (الى اليمين) ـ ثم تجارة الحشيش في الطريق العام : القطعة الصغيرة بروبيتين والكيلو بعشرين دولارا . أشتر وتصرف . فهذه منطقة « حرة » (فوق) ـ والصورة السفلى من سوق لنديكوت . الارز بالبهارات والطماطم والالوان الجذابة ، وجبة حارة في الطريق .



لقد استقبلوهم بحرارة بالغة ، لاسباب عرقية ، ثم انهم مسلمون اولا واخيرا . لكنهم لم يفتحوا لهم بيوتهم ، تلك الحصون غير القابلة للاختراق . لذلك يقيم اللاجئون الافغان في مجموعات من الخيام تظهر على جانبي ممر خيبر .

لكنك لا تستطيع ان تمد بصرك طويلا خارج الممر ، ليس فقط لان التعليمات تقضي بضرورة الالتزام بالطريق الرئيسي وعدم تجاوزه على اي صورة ، ولكن ايضا لان القمم الشاهقة لا تدع لك فرصة الرؤية البعيدة . فقط تلمح عند هذه القمم بعضا من اثار وحدات الجيش البريطاني ، وتستوقفك قلعتان كبيرتان كانتا من مواقع تمركز القوات البريطانية ، احداهما قلعة « شاجاى » ، وبعدها قلعة « مسجد علي » .

وتعدد القلاع على ممر خيبر له دلالته . ذلك انه اذا كان للممر قيمة تاريخية كبرى ، فان قيمته الاستراتيجية اكبر واعظم . فمن يقبض على ممر خيبر تصبح بشاور في يده . ومن يسيطر على بشاور ، يهدد الباكستان كلها .

ينبهنا مرافقنا الى ان للقلعتين وظيفة عسكرية دفاعية لا علاقة لها بامن الطريق ، لان امن ممر خيبر ـ عمليا ـ ليس من مسئولية الدولة . ولكنه من مسئولية قبائل الباتان وتحديدا : اثنتين من قبائل الباتان اللتين تعيشان على جانبي الطريق ، هما قبيلة افريدي اولا ، ثم قبيلة شنوراى ثانيا .

المنطقة طبعا تحت سيادة الدولة من الناحية القانونية ـ هكذا يقول مرافقنا ـ ولكن امن المنطقة بين ايدي القبائل . ليس هذا فقط ، بل ان الشريط الحدودي كله يعتبر « منطقة حرة » ، بالمعنى الامني والاقتصادي معا .

للدولة جيش وعسكر وحرس وطني وموظفون للتحصيل هذا صحيح ـ يضيف مرافقنا عناية الله ـ لكن ذلك يدخل في نطاق تقرير السيادة من حيث الشكل . ولكن الممارسة الفعلية ، يباشرها الباتان . اذا وقع حادث مثلا تتدخل الحكومة عن طريق الاتصال برئيس القبيلة . واذا تنازعت قبيلتان فان دور الحكومة ينحصر في محاولة التوفيق بين شيوخهما . واذا حدثت وفاة ، فلا بد ان يكون ممثل الحكومة موجودا ، ويلتزم بالتقاليد المتبعة ، اي لابد ان يقدم ـ مع العزاء ـ مبلغا من المال ، او خروفا صغيرا .

مع حاجي ملك رحمن

قلت لمرافقي : هل استطيع ان التقي برئيس قبيلة افريدى ؟

« بسيطة » ـ هكذا قال ـ ثم اضاف ـ لا مشكلة في لقائه ، خصوصا وان بيته على الطريق . العقبة الوحيدة هي المواعيد . والقى نظرة على ساعته ثم قال : ربما كان نائما الآن في فترة القيلولة .

ادهشتني الملاحظة ، اذ لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحا !

ولاحظ الرجل دهشتي . فبادر الى ايضاح الموقف . فالباتان يستيقظون مع صلاة الفجر . يؤم الاب كل رجال البيت في تلك الساعة المبكرة في المسجد اذا توفر له ـ وبعد الصلاة يقرأون القرآن ويحفظون منه ما يمكن حفظه ، ثم يشربون الشاى (الاحمر) فقط ـ لا يفطرون ـ وينطلقون الى العمل ، واغلبهم يمارسون اعمالا حرة من تجارة او نقل وربما زراعة .

وفيما بين العاشرة والحادية عشرة ، يتناول اكثرهم طعام الغداء خبز القمح الشهير ال « نان » مع اللحم ، والخضر ، ثم ينامون حتى صلاة الظهر ، حيث يشربون « القهوة » ، ويستأنفون العمل الى ما قبل صلاة المغرب ، حيث يتناولون طعام العشاء ، ويشربون القهوة للمرة الثانية . ويتسامرون في « الحجرة » او في غيرها ، حتى تحل صلاة العشاء ... فيصلوها ثم يناموا .

وهناك آخرون يتبعون نظاما مغايرا ، فيتناولون طعام غدائهم بين الثانية عشرة والواحدة ظهرا ، ثم ينامون حتى صلاة العصر .

وكان مصير لقائنا معلقا على هذه النقطة : هل ينام رئيس القبيلة قبل صلاة الظهر ام بعدها ؟

لكنني كنت مصرا على لقاء رئيس قبيلة افريدى باي ثمن ... ذلك ان هذه القبيلة دون غيرها من قبائل



صناعة السلاح في قرية درا ، وراء كل بيت مصنع صغير ، بوسائل بدائية يقلدون احدث البنادق

الباتان مذكورة في كل كتاب صدر عن ممر خيبر ، وفي مذكرات كل الضباط الانجليز الذين كتبوا عن تجربتهم في شمال الهند . وعلى رأسهم اول هؤلاء الضباط الفينستون ، الذي صب عليهم جام غضبه ، ووصفهم بانهم اشهر لصوص المنطقة ! ... وفي كتاب اخر قرأت وصفا لرجال قبائل افريدي يقول : لهم وجوه من الصخر ، وقلوب اسود ، وعيون صقور ، وسيقان فهود !

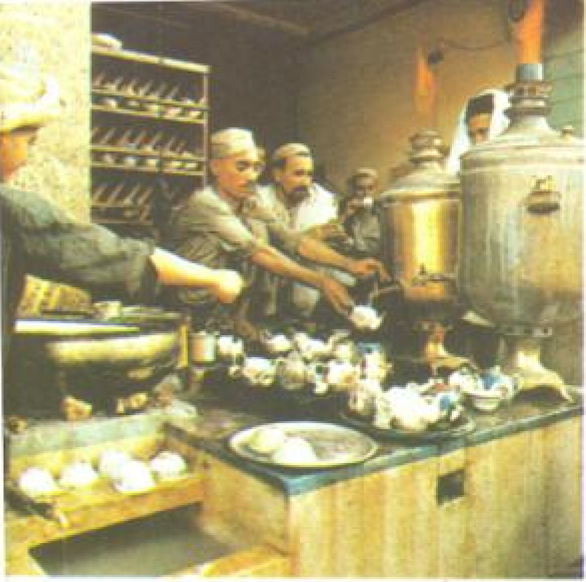
عند رئيس القبيلة

انحرفت السيارة عن الممر ، وتوقفنا امام باب فخم ، وقال مرافقنا ، هذه هي قرية مسجد علي . وهذا بيت رئيس قبيلة افريدي : حاجي ملك رحمة الله خان ! ومن الشرح فهمت ان الرجل حج الى بيت الله مرتين ، وان لقب « الحاج » له قدسية خاصة ، تقدمه على اية القاب دنيوية اخرى ، حتى ولو كان اللقب هو الملك !

وهو ملك حقيقي ـ له سلطة وليس له تاج ـ والملك في الاردية هو الحاكم ، ومملكته تشمل الجزء الاكبر من ممر خيبر ، ورعاياه ـ الافريديون ـ حوالي مليون شخص ، اي انه عمليا يكاد يكون في وضع مساو لحكام بعض امارات النفط . اذ ان رعاياه في حجم اي امارة نفطية محترمة وموارده غير محصورة ، لكن حجم التجارة الهائل الذي يعبر طريق خيبر ، وعمليات التهريب الكبيرة التي تتم هناك ، ذلك كله لابد أن يوفر دخلا كبيرا لقبيلة افريدي . واهم من هذا وذاك ، فحتى اذا كان الدخل المادي محدودا وليس في المستوى النفطي ، فيكفي ان الرجل يتحكم في ممر خيبر ، بكل رصيده التاريخي ، وأهميته الاستراتيجية ، لباكستان وافغانستان .

وحتى اذا طبقنا المبدأ المتداول في عالم الادارة ، والذي يعطي الاولوية للوظيفة قبل الموظف ، فالرجل يستحق اللقب بجدارة ... وهو ملك ، شئنا ام ابينا !

وهو ليس « حاجي » فقط ، لكنه ايضا قاضي القبيلة ، يطبق الشريعة الاسلامية على قدر معرفته وبمعونة شيوخ القبيلة ، وان كان « القصاص » هو اكثر احكام الشريعة نفاذا وشيوعا .



نموذج للمقاهي الشعبية في حي القصاصين . « الساموفار » مليء بالشاي الاحمر والأخضر (القهوة) والعمال جالسون القرفصاء ، والزبائن لا ينقطعون . (الى اليسار) النحاس المزخرف والمطروق من اهم صناعات بيشاور . وشارع القصاصين مليء بالمحلات التجارية التي يقوم فيها الحرفيون بعرض اعمالهم . بالصفحة المقابلة)

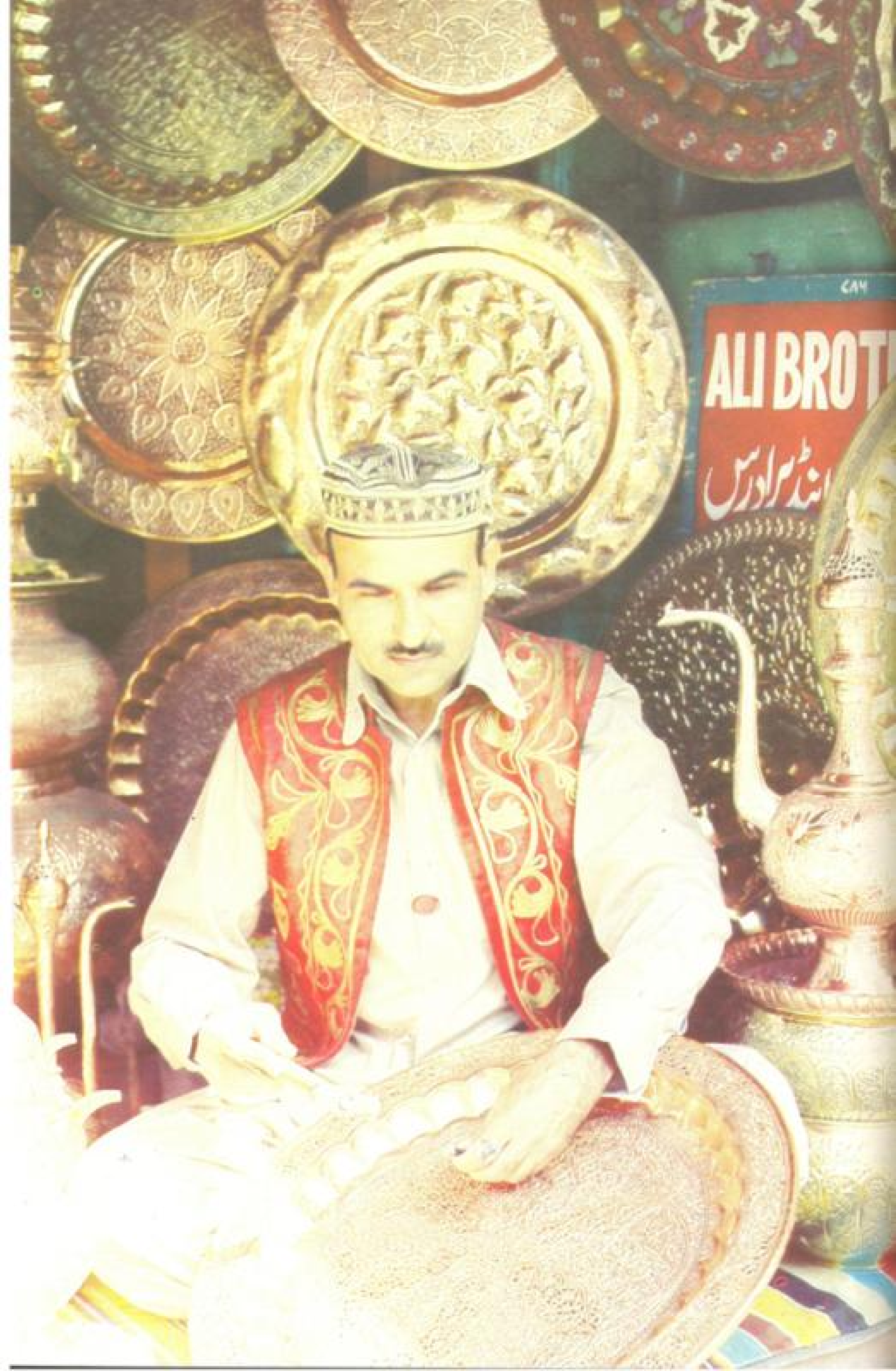


صناعة الخزف تمثل مكانا بارزا بين الحرف التي يتقنها الباتان . والتي تتركز في مدينة بيشاور . التكوينات وبساطة الخامات والالوان تجذب السياح كثيرا . (فوق) ـ الاحذية الباتانية المشغولة والمطرزة . لا فرق في التصميم بين احذية الرجال والنساء . الفرق في الخامات والالوان فقط . (تحت)





من حلي المنطقة ـ حلق ذهبي رصع بالاحجار الكريمة ، وتصميمه متأثر بالشكل العام للحلي في شبه القارة الهندية .


ALI BROT

ومرافقنا يعرف الكثير عن حياة الزعيم الشخصية والعائلية ، رغم انه يجهل مواعيد نومه ، يعرف مثلا انه في سن السادسة والسبعين ، وان له زوجة واحدة ، وستة اولادوابنتين واربعة احفاد . ويذكر بان رئاسة القبيلة متوارثة في اسرة حاجي ملك رحمة الله منذ اجيال سحيقة ، وانه اذا كانت الباتان هي اكبر مجتمع قبلي في العالم ، فان الافريديين هم اكبر قبائل الباتان واوسعها نفوذا .. وهكذا .

وبعد أن علمنا انه موجود ، وانه لم ينم بعد ، اذن لنا بالدخول ، فاجتزنا الباب الصغير الى ساحة فسيحة ، تمدد في جانب منها خزان للمياه ، بينما كانت حجرة الاستقبال في الجانب الاخر . حجرة بسيطة تراصت فيها بعض الاسرة المصنوعة بطريقة بدائية ، من الاخشاب والحبال . وتناثرت على الاسرة الحشايا التي يتكىء عليها الجالسون ... الارض عارية والنوافذ حديدية ، والحجرة مظلمة . اخرجوا بعض الاسرة الى مكان ظليل في النور ، ووضعوا منضدة امامنا ، ورزعوا عليها اطباق اللوز والزبيب واكواب اللبن ، وبجوار كل طبق حجر صغير ، يستخدم في تكسير ما يستعصي قضمه من حبات اللوز .

توافد ابناء رئيس القبيلة ، ومد الصغار رقابهم عبر بابين جانبيين ، يقودان الى المجهول وانكفأ احدهم من التزاحم ، ثم ولى باكيا مذعورا .

تصافحنا على الطريقة الباتانية بلقاء الايدي وتلامس الصدور ، اذ لا عناق ولا قبلات ، ولا شيء مما يستعيبه المقاتلون ابناء الصحراء .

جلسنا صامتين ، فقد كان الجميع يترقب وينتظر ، وبعد لحظات انفتح باب جانبي صغير ، صعد الرجل منه درجا ، ثم اتجه نحونا ، واصبحنا في مواجهة حاجي ملك رحمة الله خان .

فاجأنا ببساطته وابتسامته الودودة التي اطلت من فوق لحية كثة بيضاء . وبحثت في وجهه عن آثار الحجر المنحوت او عيون الصقر ، حتى ساقي « الفهد » ، فلم اجد مما قرأت شيئا وقلت ، لعلها الشيخوخة لم تبق من هذه المعالم على شيء ؟

حدثنا عن الباتان ، فقال انهم مسلمون موحدون بالله ، غالبيتهم العظمى من أهل السنه (على مذهب ابي حنيفة) و ٢٠٪ منهم شيعة جعفرية مقاتلون منذ الأزل ، هكذا علمتهم الحياة منذ وجدوا في منطقة « الناس » هذه . السلاح جزء من حياتهم بالسيف يرقصون ، وبالتصويب يلهو الصبية ، والاطفال ينامون على اغنية شهيرة تحفظها الامهات تقول :

نم ياحبيبي نم .....

لقد رحل ابوك الى الحرب

حاملا سيفه وقوسه وسهامه !

وفي اشهر اغاني الحب تقول الفتاة لخطيبها :

ادفن اعداءك بدمائك تطرهم طلقات

واذا نفدت ذخيرتك

فسوف اقايض بعقدي لاحصل لك على المزيد

من تقاليد الباتان

لهم تقاليدهم الخاصة في الزواج . الفتاة لابن عمها ، او ابن قبيلتها على اسوأ الفروض ، على ما هو شائع عند قبائل العرب . وللرجل زوجة واحدة الا اذا كانت عاقرا او لم تنجب اولادا . هنا فقط تحق له زوجة ثانية في ليلة الزفاف يعلن على الملأ تفصيلا ماذا قدم ابو العريس وابو العروس . والزواج ابدي والطلاق يعني القتال . واذا نشب القتال فلا شأن للحكومة به . يتفق الشيوخ على هدنة ، علامتها حجر كبير يوضع بين القبيلتين . وازالته تعني أحد أمرين : ان النزاع سوى ، او ان القبيلة التي ازالته مصرة على استئناف القتال . واذا فشلت كل المساعي ، تتدخل الحكومة للتوفيق بين الرؤوس واحلال السلام .

ليسوا ضد الغريب كما يقولون بل بالعكس ، فالطعام محسوب فيه احتمال وصول اي ضيف ، والضيف لا يسأل عن هويته او قصده الا بعد ثلاث ايام من حلوله وفي التقاليد العربية الاصيلة شيء مثل ذلك) واذا استجار بهم احد لابد ان يجيروه . واذا



تمثال من مقتنيات متحف بشاور ، من مجموعة فنون قندهارا التي يبدو التأثر واضحا بالفن الاغريقي

احتمى بهم ، فالمساس به جرح لكبريائهم وكرامتهم . والقصاص قيمة اساسية ، والعين بالعين والسن وبالسن والبادي واظلم .

سألته عما تردده كتابات بعض الانجليز عن قبائل الباتان ، والافريدي بوجه خاص . ابتسم حاجي ملك رحمن ، لما يعني انه فهم الاشارة ، وقال : طبعا لا بد ان يلصقوا بنا كل التهم ، فقد كانوا محتلين لارضنا ، وارادوا فرض سلطانهم علينا ، ثم هم كفار معتدون ، فقد اهدرنا دمهم وابحنا اموالهم .... ولم نهدأ الا عندما فهمونا ، وعاملونا باحترام .

ثم وجه حاجي ملك رحمن حديثه الى مرافقنا الذي كان يتولى الترجمة من الباشتو الى الانجليزية . فقال لي عناية الله : « ان رئيس الافريدي لديه سؤالان يريد ان يوجههما اليك » . وكان السؤال الاول هو : « لماذا عجز العرب بكل اعدادهم ودينهم الذي يحث على الجهاد واموالهم وسلاحهم عن هزيمة اسرائيل واستخلاص حقهم منها ؟ » . واضاف متعجبا : « الا يوجد عند العرب مجاهدون » !

● عمر خيبر ••

فاجأني السؤال ، فقلت ان تلك حقيقة مخجلة ، ورددت بالقول الذي اسعفتني به المفاجأة .

ثم كان السؤال الثاني هو : هل حقا ستقوم القيامة في القرن الخامس عشر الهجري الذي يبدأ قرب نهاية هذا العام . هل عند العرب علم بهذا الامر الذي يؤكده رجال الدين والشيوخ في مناطق الحدود ؟ !

وكان ردي ان ذلك علمه عند الله ، وانه لا احد من العرب او العجم يستطيع ان يعلم بهذا « الخبر » مسبقا ...

وهز الرجل رأسه وسكت !

طاف علينا الساقي بابريق اللبن الرائب ، ودعينا للمرة العاشرة لتناول اللوز والزبيب ، ثم كانت ملاحظة حاجي ملك رحمن التالية هي : أنه خلال رحلة الحج ، لاحظ ان اكثر العرب المسلمين يتصرفون مثل « الفرنجيز » !

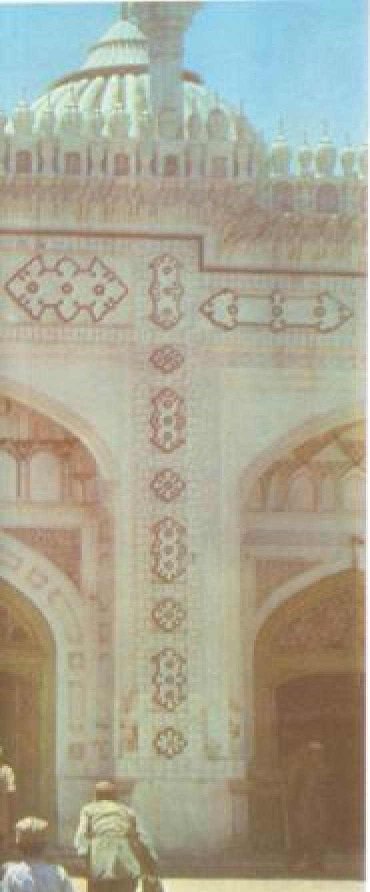
واضاف المترجم موضحا ان حاجي رحمن يستخدم هذه الكلمة للتعبير عن السلوك المقلد للغرب ، شكلا ومضمونا ، وان « فرنجيز » ، هي بمثابة دمج لكلمتي « فرنجة » و« انجليز » ، وهو دائما يعبر عن خيبة امله في الاجيال الجديدة ـ حتى من ابناء الباتان ـ مدللا على ذلك بانهم صاروا فرنجيز والعياذ بالله !

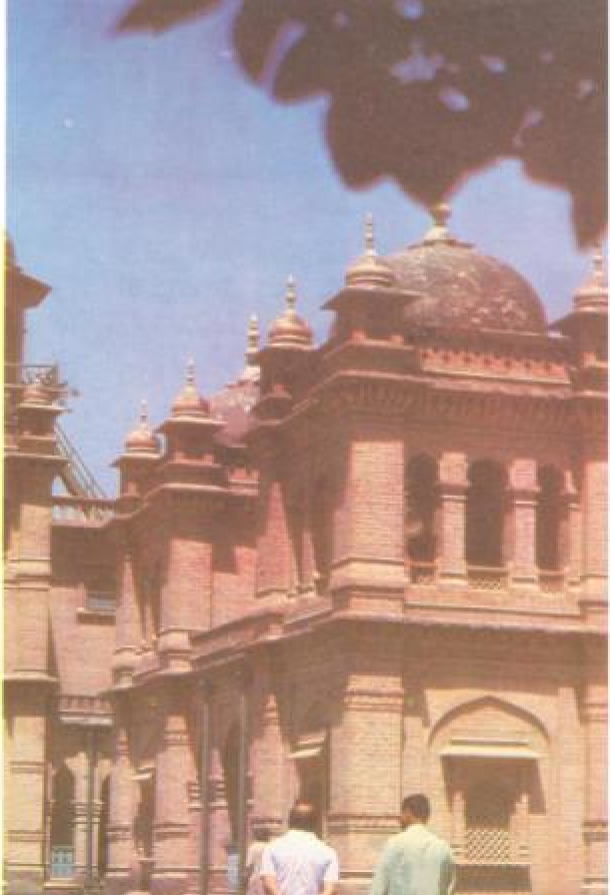
شجعني ذلك ان أسأله عن رأيه في الاجيال الجديدة من الشباب ، فلوى شفتيه باحباط شديد ، وقال ان الايام السعيدة راحت ، ومعدن الناس تغير ، والمستقبل لا يبشر بالخير حتى بدا في حديثه انه موقن بان نهاية العالم قد اقتربت !

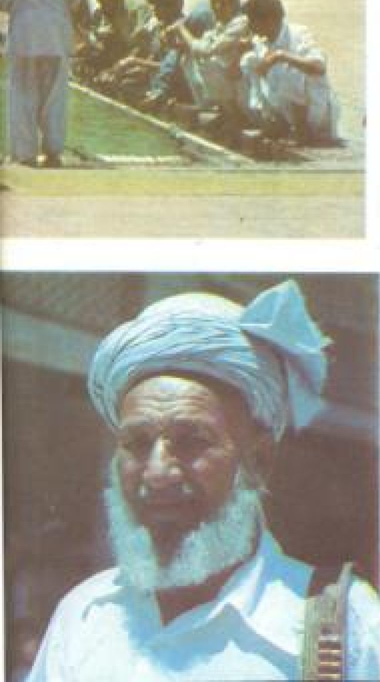
استأذناه في التصوير ، فامهلنا لحظات اختفى خلالها ، ثم عاد حاملا سلاحه على كتفه وذخيرته على صدره ، وعمامته ملفوفة بعناية على راسه .. كان حاجي ملك رحمن بزيه الرسمي كاملا !

في السوق

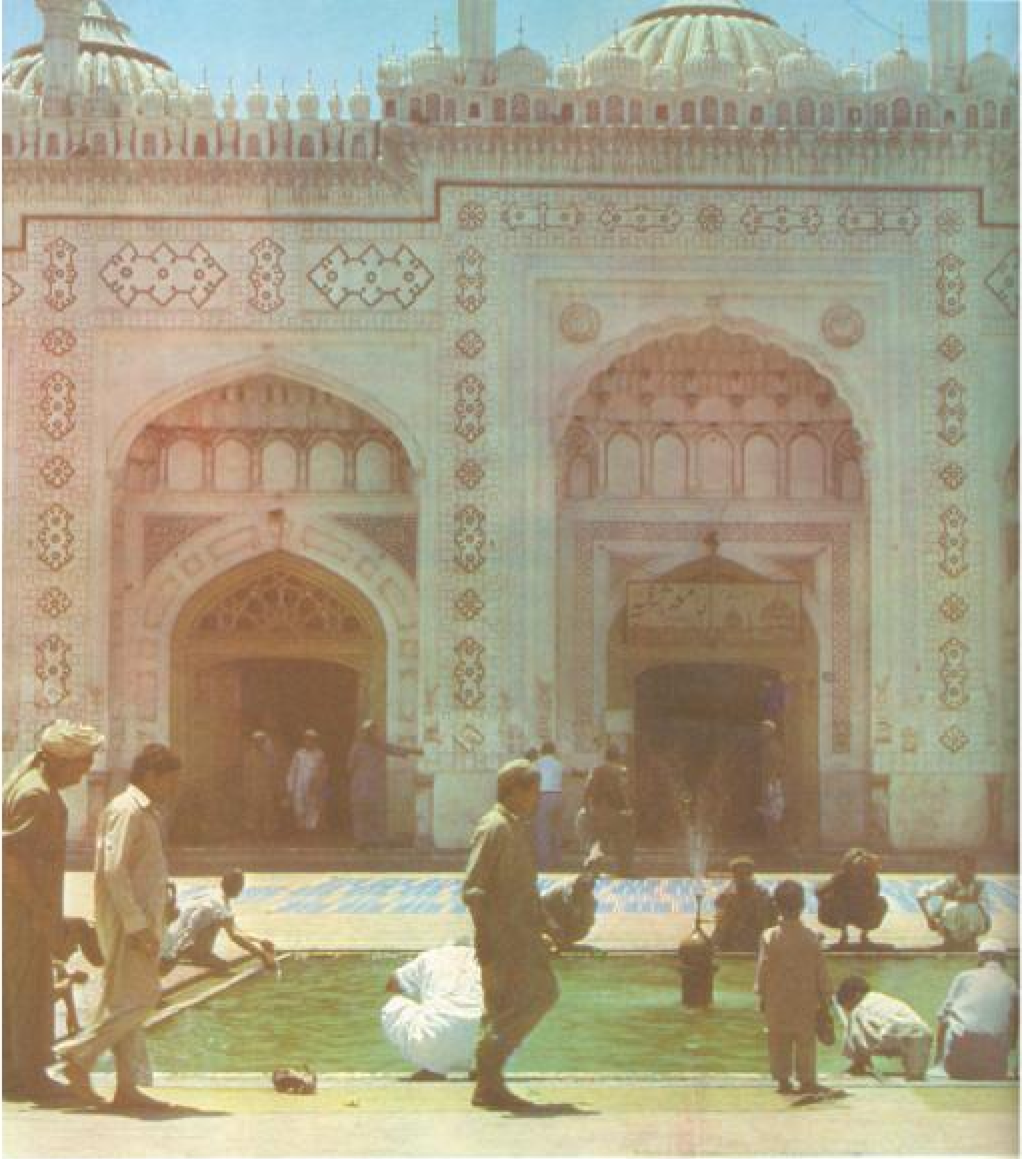
رأيت اطفالا صغارا يشترون قطع الحشيش من فئة الروبيتين ، تماما كما يشترون الحلوى من بائع اخر على الرصيف .







لقطة جانبية لمباني جامعة بيشاور التي تعد من الابنية القليلة النادرة التي احتفظت بطابع العمارة القوطي والمغولي . ورغم انها « جامعة بيشاور » ، لكن اكثر منشآت الجامعة تحمل اسم خيبر (فوق) والصورة الى اليسار حاجي ملك رحمة الله خان .. رئيس قبيلة الافريدي أهم واكبر قبائل الباتان ، التي تسيطر على الجزء الاكبر من ممر خيبر ، وتحتكر التجارة في الممر . لاحظ ان غطاء رأسه مختلف عن الكاب التقليدي لأهل الباتان . وهم يسمون هذا الغطاء الذي تتميز به قبيلة الافريدي (باتكاي) .





مسجد « محبة خان » في بشاور القديمة ، والاسم لأحد حكام بشاور في العصر المغولي ، بني في عام ١٦٧٠ ، ولا يزال محتفظا بتصميمه والوانه . لاحظ بركة الوضوء التي تتوسط فناء المسجد . والصورة السفلى للمصلين في الفناء .

سوق لنديكوت من طابقين ، احدهما يتصل مباشرة بممر خيبر ، والثاني لا بد من هبوط الدرج اليه ، وان كانت السوق « السفلى » هي الاكثر ازدحاما بالمحلات التجارية والمطاعم والمقاهي ، وباعة كل شيء من كل مكان !

اثار انتباهنا ايضا ذلك الحشد الكبير من سيارات النقل الذي اصطف على جانبي الممر عند لنديكوت ، والمخازن الضخمة المكدسة بالاطارات . وقيل لنا ان هذه المخازن هي منبع حركة تهريب الاطارات الى انحاء الباكستان ، وان هذه الاطارات تحمل على البغال والحمير ، لتتسلل عبر الصحراء الى المدن ، وتنتهز سيارات النقل الفرصة في كل رحلة لترك اطاراتها القديمة وأخذ الجديدة ، بينما هناك شاحنات اخرى لا هم لها الا مثل ذلك في لنديكوت ، ثم بيع الجديد داخل باكستان ، والعودة باطارات قديمة اخرى لاستبدالها .. وهكذا ، اى ان هذه الشاحنات تظل في حالة ذهاب وعودة دائمة لهذا السبب !

دار افغانستان

انطلقت بنا السيارة ، بعد هذا العالم الغريب ، الى نهاية ممر خيبر ، حيث الحدود الافغانية ..

كان الطريق موحشا ، وقرى الباتان بادية على البعد وقد ران عليها صمت ثقيل . بينما رجال قبيلة الافريدي يظهرون ويختفون ، وترى من فوهات بنادقهم اكثر مما ترى من وجوههم .

وصلنا الى طورخم ، آخر قرية على الممر ، وآخر قرية عند نقطة الحدود الباكستانية الافغانية . وكما في جمرود ـ قرية بداية الطريق فان القرية بعيدة عن الاعين نسبيا ، ووجود الحكومة والغرباء اكثر من وجود رجال الباتان . لكن المشهد هنا متغير في تفاصيل عديدة ، اهمها ذلك الحاجز « المزلقان » الذي يفصل بين البلدين . ويقف على كل جانب جماعة من حرس الحدود لكل بلد . ولا قيود مفروضة على انتقال الاهالي . ولكن باكستان تمنع نقل الاغذية والحبوب خاصة الى الجانب الآخر . وقد رأينا حشدا من الشباب والصبية الذين جاءوا من الحدود الافغانية ، وتسوقوا في قرية طورخم . اشتروا قمحا ودقيقا وسكرا ، وعندما حاولوا العبور باحمالهم منعهم الجنود الباكستانيون « مالم يردوا ما معهم » ويعودوا كما اتوا ، تنفيذا للتعليمات . وقيل لنا ان هؤلاء يقضون الساعات انتهازا لاى فرصة للعبور ، ويحلون المشكلة بصورة أو أخرى .

عند الحاجز الحديدي ، ثبتت لافتة تقول : دار افغانستان بوست راست برويدا .. وكان هذا يعني ان نعود ادراجنا مرة اخرى الى بشاور ..

حاجي « آرمز » ستورز » وتجارة الاسلحة

لكن الرحلة لم تكن قد انتهت بالنسبة لي . ذلك ان هذه الاسلحة المنتشرة في ايدى الباتان ، اثارت في نفسي رغبة ملحة لمعرفة مصدرها الحقيقي ، خصوصا وان الكتابات المنشورة تشير كلها الى ان الباتان هم الذين يصنعون اسلحتهم بانفسهم ، وان قبيلة الافريدي هي التي تحتكر صناعة وتجارة الاسلحة ..

قلت لمرافقنا عناية الله : من أين تأتي كل هذه البنادق والمسدسات والمدافع الخفيفة ؟ فرد بهدوء أهل « درا » لديهم رد على اسئلتك ..

كانت « درا » هي القرية التي تمول اهل الباتان بملايينهم العشرة بكل اسلحتهم . واسمها بالكامل « درا أده خيل » . تنام في احضان واحة من جبال هضبة سليمان . على بعد ٢٧ ميلا من بشاور . سكانها مائة الف ، معظمهم اما تجار للسلاح او صناع له .

ـ لماذا « درا » دون غيرها ؟ من ابناء الافريدي ، او عموم الباتان ؟

ـ الصدفة والضرورة دفعت أهل « درا » الى صناعة السلاح . عندما اشتبكوا مع وحدات الجيش الانجليزي في منتصف القرن الماضي ، والاحتلال لا يزال في بدايته . كان ابناء « درا » لا يعرفون غير السيوف ، وكان الجنود الانجليز يحملون بنادق من ذلك الطراز القديم والبسيط . بعد ايام من الاشتباك رجحت كفة الانجليز ، واحس الافريديون من ابناء « درا » انهم على وشك الهزيمة . فاستولوا على بعض البنادق من الانجليز ، وبسرعة فكوا سرها ، واستطاعوا تقليدها بذكاء ومهارة



البجوم نون رئيسة مؤسسة السياحة بباكستان : السياحة تأثرت بسبب الاحداث في افغانستان

شديدة .. ومنذ ذلك العهد وهم يمارسون المهنة ، التي تحولت الى تجارة رابحة ، روجت لها تقاليد الباتان وحرص كل واحد على ان يحمل السلاح ويقتنيه ولو لم يستخدمه .

الطريق الى القرية بسيط لا يوحي بشيء . يخترق مساحة من الاراضي المزروعة . ويتوازى معه مجرى جاف لمياه الامطار . تطالعك مقابر القرية في البداية ، وبعد قليل يبدأ صف من البيوت المتواضعة ، ويبدأ شارع السوق « درا بازار » .. تقطع مسافة بين محلات البقالة والمطاعم والجزر ، كأنما رصت للتمويه . لكنك بعد ذلك تفاجأ بمحلات لبيع السلاح على الجانبين ، بأعداد لا تحصى ، وان قدرها البعض بمائتين . وفي داخل كل محل اكداس من الاسلحة التي وضعت على الجدران وفي الاركان . الى جوارها طلقات نارية موضوعة في قدور زجاجية ، مماثلة لتلك التي يوضع فيها « الطرشي » و « المخلل » على واجهات المطاعم في بلادنا !

يوضح مرافقنا الصورة قائلا : هذه ايضا تجارة مشروعة ولا علاقة للدولة بها . واي شخص يستطيع ان يشتري مئات البنادق وقطع الذخيرة ، ولن يسأله احد من انت او الى اين ستذهب بها . هذه منطقة حرة ، وهو حر . وهو مسئول عن السلاح بعد شرائه . استخدمه او هربه ، هذا شأنه وتلك مشكلته . مثلا ، يجيء الثوار الافغان الى هنا يشترون الاسلحة ويهربونها ، وتتهم الحكومة الباكستانية بأنها تدعمهم بالسلاح . وهذا ليس صحيحا . ذلك انهم يشترون السلاح من القبائل ، ومن مناطق مفتوحة لا سيطرة للحكومة عليها .

توقفنا عند متجر كتب على واجهته بالأردية : حاجي أرمز ، أند بستل ستورز . (hagi arms & pistol stores) أي مخازن اسلحة ومسدسات الحاج . وصاحب

● معمر خيير ••

المتجر يعرف نفسه بأنه حاجي أرمز جلخان افريد (كلمة أرمز ـ السلاح ـ اصبحت جزءا من اسم الرجل) عمره ٢٥ سنة ، ومتزوج ، وقد توارث هذه المهنة ابا عن جد .

« تجارة مربحة والحمد لله ـ هكذا يقول حاجي أرمز ـ فالسلاح مطلوب بكثرة كل يوم ، وهو رخيص ايضا ـ المدفع الخفيف ، والبرن والستن ثمنة حوالي ألف روبية ، والبندقية بين الف والفي روبية ، والمسدس بين ٣٠٠ والف روبية » .

« نصنع السلاح ؟ هذا صحيح ، لكننا نستورده من كل مكان في العالم » وسكت حاجي أرمز ثم قال ـ لدينا بنادق من المانيا الغربية واسبانيا وانجلترا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا . السلاح الامريكي غالي الثمن بسبب تكاليف الشحن . والسلاح الروسي لم يكن متوفرا على الاطلاق ، لكنه بدأ يظهر بكثرة الآن ، بعد دخول الروس الى افغانستان .

قمنا بجولة في ورش صناعة السلاح ، التي تشكل وجها آخر غريبا لمجتمع الباتان . اذ لا يخلو بيت في القرية من جناح يسهم في تصنيع السلاح . بشكل او باخر . ووراء ظهر السوق اقيمت ورش على مساحات كبيرة ، تعمل منذ طلوع الشمس الى غروبها في صناعة البنادق والمسدسات . وامكانيات الصناعة وخاماتها كلها محلية . والتقليد يتم بمهارة فائقة . وعجلة الانتاج دائرة بغير توقف .

ولا تكتشف كل غوامض الباتان ، ولا تنتهي فصول حياتهم المثيرة . لكن المؤكد انهم سعداء بهذه الحياة ، فخورون بها ، غير مستعدين لتغييرها . والتعبير عن اعتزازهم بأنفسهم يسجله تراثهم الشعري في قصائد لا تحصى . بينها قصيدة يعلن فيها الباتان على الملأ :

في الحرب ليس لي في العالم ند ..
لا في بخاري أو كابول
ولا فايول أو في السند .
سهامي تشق الفضاء قوية وجسورة
تصرع اعدائي مثل الرعد ..
فتهلل السماء لا نتصاراتي ..
وتحت سنابك خيل ترتجف الارض !

سينما ٧٩

... أمريكيا

شباب يرفض الحرب في « الشعر »



بقلم :

الفاروق عبد العزيز



جين فوندا : من فيتنام الى المفاعلات النووية



مفكر الاستراتيجية الكبير كلاوتزفيتز له نظرية مفادها ان « الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى » . وقبل خمسة عشر عاما اعلن المخرج الايطالي الكبير فرنشيسكو روزي ان هذه الخلاصة صالحة للتطبيق في السينما وقال ، مدشنا بذلك تيارا سينمائيا متميزا ، ان « السينما هي تعبير عن استمرار الصراع بوسائل اخرى » .

هل في التعبير مبالغة ام افتقار الى تقدير واقعي لحجم السينما في الوسائل الاعلامية المعاصرة ام هو تعبير عن امل مكبوت ؟

لقد كانت مقولة روزي تعبيرا نظريا مبكرا عن تيار قدر له ان يتجسد ويستمر منذ نهاية الستينات والى يومنا هذا وهو تيار عرف « بالسينما السياسية » . ولا يبدو في الافق ما يشير الى ان شيئا سيقلل من اندفاعة هذا التيار . بل على العكس فثمة ما يؤكد اتساع مجراه الرئيسي وتعدد روافده .

او هذا هو على الاقل ما تشي به مقدمات الرؤية في قائمة اهم ما شاهدناه من افلام ١٩٧٩ حتى الآن ....

عقد من السينما السياسية ـ بمفهومها المصطلحي ـ اخرج « سينمات » سياسية متعددة . هذا طبيعي فالعالم والمذاهب والرؤى عديدة ومتنوعة أما لماذا يتضاعف الاهتمام الجماهيري بهذه السينما ؟ فذلك يعود الى أنها تحمل المشاهد من مقعد المتفرج لتضعه وجها لوجه امام لوحة الاختيارات : شاشة دار العرض هي الغلاف الشفيف الذي يعكس الواقع ـ الصراع من خلفه . كما أن السياسة صارت غذاء كل يوم على موائد الفقراء والاغنياء .

بيد ان ثمة فنانين قلائل استطاعوا اثراء السينما السياسية وتعميق مفاهيمها النظرية وتطوير اساليب المعالجة من خلالها . هذا العام استطيع ان أؤكد ان العالم على موعد مع واحد من اهم انجازات الفن السابع طوال تاريخه : « الرؤية الآن » لفرانسيس فورد كوبولا .

هذا هو اول قائمة افلام عام ١٩٧٩ الامريكية .

« كل الأطفال مجانين لانهم ينتظرون أمطار الصيف »

من اغنية « النهاية » في افتتاحية « الرؤية الآن » بصوت جيم موريسون .

لتوه بدأ الجرح الفيتنامي ينزف في السينما الامريكية . في العام الماضي شاهدنا « العودة الى الوطن » لهال اشبي الذي عالج فيه محنة المحاربين البواسل (العائدين) الى الوطن محملين بالنياشين التي ما يلبثون أن يخلعوها ليمضوا الى البحر عراة او بالعاهات الجسدية المستديمة التي تدمر ارواحهم)) ومحنة امرأة من الطبقة الوسطى تكتشف عدمية هذه الحرب من خلال تجربة ملموسة في مستشفى للمشوهين .

هذا العام عرض في مهرجان كان السينمائي الدولي الثاني والثلاثين العرض العالمي الاول للفيلم الذي طال انتظاره « الرؤية الآن » لفرانسيس فورد كوبولا . وقد شاهد المتفرج العربي كل افلام كوبولا منذ « أنت الآن ولد كبير » الى « المحادثة » و « الاب الروحي » بجزئيه . ومن خلال افلامه الثلاثة الاخيرة استطاع كوبولا ان يحقق شهرة عالمية قائمة على ادراك لدوره كمجدد في الفكر الهوليودي التقليدي السائد منذ اكثر من نصف قرن .

لقد استطاع كوبولا الرافض ان يعمل داخل « الماكينة » الضخمة دون ان يتنازل عن مفاهيم أساسية شكلت فيا بعد معالم رئيسية في فكره السينمائي . لقد استطاع ببساطة ان ينتج « سينما ضخمة بأفكار كبيرة وحقق مزاوجة منشودة بين ما يسمى النجاح التجاري والامتياز الفني .

« لقد صنعنا « الرؤية الآن » بنفس الطريقة التي شن بها الامريكيون الحرب في فيتنام . كان عددنا كبيرا واموالنا ومعداتنا كثيرة ولكننا بدأنا ننزلق الى هاوية الجنون شيئا فشيئا . كنت اظن في البداية اني اصنع فيلما حربيا ولكن الامور تطورت الى حد ان الفيلم هو الذي صنعني . لقد صنعت الغابة هذا الفيلم »

احد مشاهد العذاب

لا احد يمكنه التوكيد ـ او القطع ـ بان « الرؤية الآن » فيلم عن الحرب .. اوعن حرب فيتنام فان ما شاهدناه هو رؤية تشبه في تفاصيلها احد مشاهد العذاب وتحول عناصر الطبيعة الكونية في يوم القيامة .

والفيلم الذي تكلف انتاجه ثلاثين مليون دولار ويستغرق عرضه ساعتين ونصف الساعة مبني في

عموده الفقري على قصة جوزيف كونراد الشهيرة « قلب الظلام » . واساس القصة هي رحلة بطله فيليب مارلو عبر نهر يوغل في اعماق الغابة حيث يبدأ الانسان من نور ذاته رحلته الى قلبه المعتم . والقيمة الاخلاقية لقصة كونراد ترتكز على تحقيق المواجهة بين اخلاقيات الجانب المتمدن من الانسان والجانب الغريزي الممعن في وحشيته وبدائيته .

في الفيلم يتحول مارلو الى الكابتن الشاب ويلارد الذي قام بمهمة « كنت في امس الحاجة الى مهمة بالغة السوء .. اردت مهمة اكفر بها عن خطاياي » ومهمة ويلارد السرية هي الوصول الى كولونيل متمرد هوكيرتز « يلعب دور الاله » مع اهالي احدى المناطق الواقعة عبر الحدود الكمبودية . ويقول له رؤساؤه : « استمع يا ويلارد .. نظن انك تفهم ان هذه المهمة لا وجود لها ولن يكون لها وجود » !

ويروي ويلارد بصوته الاجش الطفولي ما جرى له خلال رحلته النهرية الى « قلب الظلام » ... « لقد كان هناك تركيز هائل للطاقة الامريكية في الغابة . طاقة من الشباب الغض لو امكن تفريغها في شيء اخر غير الضجيج والخراب والالم فمن المؤكد انها كانت ستغطيء الهند الصينية لالف عام » .

ولكن ويلارد يرى هذه الطاقة امامه تتبدد وتحترق مع قنابل النابالم (قال الكولونيل الامريكي قائد الهجوم على قرية عزلاء انه « يعشق رائحة النابالم في الصباح .. انها تشبه رائحة النصر »)) وتغيب في الضجيج مع هدير الهيلوكوبتر (يعشق الكولونيل فكرة ان يصاحب هجومه عزف مقطوعة فاجنر « نزهة الفالكيير ») ثم يمتصها السراب مع لألأة العرض الذي تقدمه فتيات البلاي بوي والذي يوشك ان ينتهي باغتصاب جماعي .

شيئا فشيئا يتحول ويلارد الى قاتل - يهاجمون قارب صيد ويقتلون من فيه ويرفضون حمل امرأة جريحة فيقتلها - وتقترب المهمة من غايتها .

كتب كونراد يقول على لسان راويته مارلو : كلما اوغلت في النهر فان ذلك كان يشبه العودة الى البدايات الاولى للخليقة حينما كانت الخضرة الوحشية تغطي الارض والاشجار ملوكا » ....

ومع هذا كله فان ويلارد يرى اجسادا بشرية تزين عيون الخضرة وتنتشر فوق الارض المخفية .

في « معبد » كيرتز نسمع اله الرعب العملاق المجنون (يلعب الدور مارلون براندو) يقرأ مقاطع من « الارض الخراب » و « الرجال الجوف » لاليوت ويتحدث عن الرعب الفلسفي . وعندما يقتله ويلارد نرى الاخير وقد استحلت سحنته الى سحنة رجل اجوف محشو بالقش او الى وجه تمثال ينير قلب الظلام . ان ويلارد يتحول - بعد رحلة القيامة - الى اله جديد ، بدائي ومتوحش .

هذه هي « الرؤية » التي استغرق كوبولا اعواما ثلاثة في اعدادها . كيف قدمها ؟ بما يليق بالمغزى الفلسفي العظيم لقصة كونوراد وبما يليق بتأمل فنان عظيم للذات الانسانية من خلال ازمة الانسان الامريكي في حرب فيتنام .

نال « العودة الى الوطن » جوائز في مسابقة الاسكار العالمية الشهيرة هذا العام . ومنحت جوائز اوسكار أخرى لفيلم اخر عن فيتنام هذا العام ايضا وهو « صائد الغزلان » لمايكل تشيمينو الذي يعتبر من اسوأ الافلام العنصرية في تاريخ السينما فهو يروي قصة ثلاثة جنود اصدقاء يذهبون الى الحرب الفيتنامية حيث يفعل بهم الفيتناميون المتوحشون الاعاجيب !! ويركز الفيلم بشكل خاص على لعبة الروليت الروسية التي تسحق نفوس واجساد الجنود الثلاثة .

لا احد يجيب او يطرح أصلا السؤال المنطقي : لماذا انت ولماذا جئت الى هذه البلاد - فيتنام ؟ لان الاجابة تأتي مع نهاية الفيلم حينما يلتئم شمل ما تبقى من الاصدقاء لينشدوا نشيد « بارك الله امريكا » ...

« الشعر » : لا يهم ان يكون طويلا او قصيرا

ماذا يهم إذن في فيلم ميلوش فورمان المأخوذ عن المسرحية الغنائية الشهيرة : « الشعر » ؟ « فيلمي ليس

حنينا الى الماضي (نوستالجيا) دعتنا من خداع انفسنا فحتى يتص شباب عاديون اقيتو شعورهم فان « الشعر » لا يثير حنينا الى الماضي . »

كان المخرج الامريكي ـ التشيكي الاصل ـ يتحدث في مؤتمر صحفي في كان عن تجربته مع المسرحية الشهيرة والتي قدمت منذ حوالي اثني عشر عاما في برودواي . وموضوع المسرحية ـ كالفيلم ـ هو حرب فيتنام .

وقتها والحرب في عنفوانها كان الشباب المساق الى الجندية كالمساق الى حتفه ـ يطلق شعره و يرتدي ملابس غريبة احتجاجا علنيا على الحرب والتركيبة الاجتماعية السياسية التي تؤجج نارها وكان عام ١٩٦٧ هو العام الذي مهد لنوع من الانتفاضة العالمية الرافضة لهذة التركيبة في كل مكان . وقد وصفت هذه الانتفاضة في العام التالي بثورة الشباب . من هنا كانت المسرحية تعبيرا ، انبثق ساعتها عن واقع مرير .

ولكن « الشعر » الفيلم لا يتنل بالفعل حنينا الى الماضي فكما ذكرت في مقدمة هذا المقال ان الجرح الفيتنامي قد بدأ ينزف لتوه وان الامريكيين بدأوا الان في تأمل هذه الحقبة من تاريخهم . لهذا جاء « الشعر » في اوانه ووسط تيار ينادي بفتح ملفات الحرب والضمير الامريكي في هذه الفترة .

وحكاية الفيلم بسيطة للغاية . فثمة شاب قروي استدعى للتجنيد ثم للترحيل الى فيتنام . ويمنحه ابوه خمسين دولارا لكي يشاهد بها نيويورك « المدينة الكبرى » . في الحديقة المركزية يلتقي بثلاثة شباب وفتاة (بينهم اسود) يرفضون التركيبة الاجتماعية ويغنون للحياة وللسلام . يضمون « الكابوي » اليهم . ومن اول نظرة يقع « الكابوي » في غرام فتاة من الطبقة البورجوازية الكبيرة . ويسخر الفيلم والشاب من قيم وعادات هذه الطبقة ويجند الكابوي وعندما يكون مستعدا لترحيله الى فيتنام يأخذ احد هؤلاء الشباب مكانه ليتيح له الفرصة توديع حبيبته الثرية . ولكن تفوته الطائرة و يقتل زميله في فيتنام بدلا منه . مجرد رقم وسط شواهد قبور لا حصر لها .

وتلخيص الفيلم لا يفيد قارئنا . فالفيلم رؤية



« الرؤيا الآن » : الحرب بحجم اسطوري وحقيقي معا .



نورما راى امرأة الفت بها ظروف حياتها في خضم معركة الاتحاد : مواجهة مع السلطة

بصرية وصوتية بالغة القوة والتأثير ولا يمكن بالطبع عزل اغانيه عن سياق الحدث فيه فالاغنية هنا لا تقطعه بل تكمله وتعلق عليه احيانا .

ولان تيار « السينما السياسية » ما يزال سائدا فانني احب ان اشير الى فيلمين امريكيين اخرين تتفاوت اهمية كل منهما ولكنهما جزء من هذا التيار ومن بين اهم افلام هذا العام .

الاول « نورماراى » لمارتن ريت والثاني هو « المرض الصيني » لجيمس بردجز .

« اشعر بالرثاء للسينما الامريكية التي تجاهلت بشكل مجحف حياة المرأة العاملة .. »

على غرار « الرؤية الان » ـ وان كان في منطقة اخرى من مناطق الصراع ـ يرتبط « نورماراى » بشخصية صانعه . نحن هنا بصدد مخرج عجوز (ولد بنيويورك في مارس ١٩٢٠) قادم الى هوليود من الجنوب الامريكي حيث يتصارع في اضواء الحياة اليومية تراث مائتي عام من العنصرية والفكر المحافظ والنزعة الريفية التقليدية .

ومارتن ريت يعمل في السينما منذ نهاية الثلاثينات . وحتى عام ١٩٥١ اخرج ريت عشرات المسرحيات في برودواي وعددا هائلا من افلام التلفزيون المأخوذة من اعمال كبار الكتاب الامريكيين بيد انه لم يكن قد حقق ما يريده في هوليود . وفجأة في ذلك العام اتهم ريت « بميول متطرفة » من قبل لجنة النشاط غير الامريكي التي شكلها السيناتور مكارثي للتحقيق في « عقول الفنانين والكتاب » باسم الديموقراطية ! !

وكانت النتيجة هي الفصل من العمل والادراج في القائمة السوداء . « لم افهم حينها لماذا وضعوني في القائمة كان لي اصدقاء تقدميون وكل انسان حر فيما يعتقده وقد طلب مني ان ادينهم ولكني رفضت تماما » .

مع توارى شبح المكارثية عاد ريت الى هوليود ومن اهم افلامه « حافة المدينة » و « لا للاجور المنخفضة »

و « الصيف الحار الطويل » و « الصوت والغضب » و « ساوندر » و « كونراك » .

منذ سن مراهقتي كان اهتمامي يتوجه بشكل اساسي الى معالجة الصراعات التحتية ... ولقد ادت بي خلفيتي السياسية والعاطفية الى كراهية التمييز » وشاء ريت ان ينتقم من المكارثيــة مبينا دوافع ظهورها في فيلمه « الجبهة (١٩٦٧) والذي قدم فيه عددا من الذيــن شملتهم تحقيقات هذه الفترة .

« نورماراى » هو تقريــر عن امرأة عاملة في احد مصانع الغزل والنسيج بمدينة جنوبية . امرأة تجد نفسها فجأة وقد دفعتها الاحداث الحياتية اليومية الى ممارسة مهمة تبدو « غير طبيعيــة » . فهذا الكــائن الضعيف الذي اهلكته نوازل الطلاق من الزوج الاول ووفاة الزوج الثاني والاطفال وحب جديد وثالث وفصل من العمل والراتب المنخفض وحرارة الجنوب ـ هذا الكــائن يتحول الى قائد نقابي محلي فيا بدا انه الطريق الوحيد المتبقي لممارسة الوجود الانساني داخل جدران المصنع الكابية .

من هذا القهر يصاغ نموذج جديد لأمرأة عاملة . انها امرأة بسيطة محافظة كالاخريـن ولكـن عناصر الواقع الضاغطة المحيطة تجعل منها زعيمة نقابية .

واهميــة هذا الفيلم لا ترجع في اعتقادي الى تقديمه نموذجا إيجابيا للبطل في مواجهة ظروف يوميــة قاسيــة يمكن تلمسها هنا وهناك وحسب ، ولكن أهميته القصوى ترتبط بنجاح ريت في الابتعاد الكامل عن تحويل نورما الى بطلة تردد شعارات عن حق او عن باطل انك هنا تلتقي بالظروف ذاتها التي يمكن ان تحول اى انسان الي نورما راى . انك هنا تعيش نبضات الواقع ذاته وعليك انت ان تقرر ما اذا كانت هذه الظروف ضاغطة بما يكفي لخلق امرأة مثل نورماراى ام لا .

« اشعة الشمس افضل من الاشعة الذرية ! »

هكـذا كان يهتف المتظاهرون الذيــن تجمعوا على الشاطيء اللازوردي في كان هذا العام يوم عرض فيلم جيمس بردجز « المرض الصيني » . هذا في حد ذاته تأثير سياسي اجتماعي للفيلم . ومنذ عشر سنوات كان المخرج الكوبي الكبير سنتياغو الفاريز يتمنى ان تفعل السينما فعلها في الجماهير ازاء « الصراعات » الحاضرة فتدفعها الى الاعلان عن ردود الفعل لديها . مرة واحدة خرجت الجماهير بعد عرض احد افلامه لتتظاهر واذكر انه كان فيلم « الآن » .

لم يتمنى ذلك منتجو « المرض الصــيني » ـ ومن بينهم الممثلة جين فوندا المعروفة بمواقفها المعارضة لحرب فيتنام ـ ولكن الواقع حقق الامنية غير المنطوقة مرتين : الأولى حين عرض الفيلم في مطلع ابريــل المــاضي في مختلف انحاء الولايات المتحدة ولاقي اقبالا عاديــا وما لبث ان وقعت حادثة تسرب الغاز الذري من مفاعل ثري مايل ايلاند في بنسلفانيا بامريكا حتى تدافع الناس في اقبال غير عادي لمشاهدة الفيلم الذي يروى احداثا مشابهة . والثانية حين تظاهر المتظاهرون في كان .

و « المــرض الصــيني » هو إعلام عن الهيمنة الاعلاميــة في الولايــات المتحدة . وبعبارة اخرى فهو تقرير تلفزيوني عن علاقة التقارير التلفزيونية بالاحداث ذات الاهمية القصوى في حياة المواطن الامريكي .

و « المرض الصيني » هو إسم رمزي للباحثين عن الصين بحفر حفرة بقطر الارض على امل ان تنتهي بهم في الصين . وقد استخدم التعبير هنا كناية عن المرض الناتج عن تسرب الغاز الذري .

وتلعب جين فوندا في « المــرض الصــيني » دورا مشابها لدورها في « العودة الى الوطن » . فهي في الاخير امرأة من الطبقة الوسطى تجهل كل شيء تقريبا عن حرب فيتنام وتتطور معرفتها بالحرب من خلال ظروف كثيرة مركزة تمر بها . في « المرض الصيني » تلعب دور مقدمة برامج تليفزيونية ميدانها هي حيوانات الحديقة « فموعدنا اليــوم مع القرد بوني ... وغدا سنرى ماذا فعلت الغوريلا » .. وفي جولة روتينية تتوجه مع مصور للقيام بتحقيق تليفزيـوني عن احد المفاعلات الذريـة



« المرض الصيني » يدق ابواب المدينة المعاصرة

المملوكة لاحدى الشركات . في المفاعل تحدث هزة يحس المصور بجديتها رغم اخفاء الحقيقة عنها بواسطة مدير العلاقات العامة . وفي الفيلم الذي صور خلسة نرى وجه المهندس الممتقع جاك ليمون . وترفض الشبكة التليفزيونية اذاعة التحقيق . الامر الذي يؤدي بالمصور الى تهريب الفيلم لعرضه على لجنة تحقيق فيدرالية . وهذا أيضا لم يتم لاغتيال مساعده ومطاردة المهندس الذي كان يوشك على الادلاء بشهادته حول خطورة الامر في احدى اجزاء المفاعل . وعن طريق تهديد اصحاب الشركة ينجح المهندس في الادلاء بشهادته للمذيعة ولكنه يقتل بواسطة صاحب المفاعل . وعندما يصل البوليس ومندوبو الصحف وشبكات التليفزيون يتعذر اثبات الحقيقة ـ الكارثة ولكن الجميع « يشم رائحتها » .

ويتضح في الفيلم الترابط الوثيق بين اصحاب المصالح في شبكة التليفزيون والمفاعل مما يعطي الفيلم مذاقا سياسيا واضحا ولكنك ـ على المستوى الشخصي ـ تشعر بالاحباط الشديد ازاء الهيمنة « الخرافية » للوسائل المرئية والمسموعة على نوع وكمية ما يمكن ان يصل اليك من الحقائق . وتظل تشعر طوال الوقت إنه برغم الاستنارة الديمقراطية في المجتمع الا ان ثمة مناطق ـ منتشرة على كل المستويات ـ لم يصل اليها النور بعد .

روافد

لا تدعي هذه الرؤية للسينما الامريكية في عام ١٩٧٩ احاطة شاملة لكافة اتجاهات وروافد هذه السينما الثرية فنحن هنا لم نشر من قريب او من بعيد لاتجاهات افلام الكوارث والخوارق من امثال « سوبرمان » و « غريب في الفضاء » او افلام اخرى « كالمحاربين » أو « هروب الى اثينا » او « السيدة تختفي » . فلماذا لم نشر اليها ؟ الاجابة هي ان السبب الاساسي وراء ذلك هو شيوعها وعراقتها الى الحد الذي صار عنده من اليسير



« نورمـا راي » : النقابـة تنبثق من ضرورات واقعية

على أي مشاهد في اي مكان ان ينسبها الى هوليوود دون حاجة الى التفكير او التخصص . هذه هي السينما كما ارضعناها وكما تعرضها اليوم شاشات الدنيا . ولكن هذا لا ينفي بحال قدرتها التقنية التي أسهمت في تطوير الصناعة ذاتها ليفيد منها فيلم « كالرؤية الآن » مثلا . لا ينفي احد ان افادة مارتن ريت من الشكل التقليدي ـ الذي عرفناه خلال هوليود ـ قد جعلت من فيلمه عملا قابلا للتوصيـل بالدرجة الاولى لاوسع قطاعات المشاهدين . انها سينما موجودة ومنتشرة ومؤثرة وثريـة ، وهي صناعة وتجارة لا سبيل الى تجاهل اهميتها .

بيد ان تركيزنا في هذا العرض على رافد من روافد هذه السينما وهو تيار السينما السياسية فإنما قصد به توكيد وجود وثراء هذه السينما داخل المحتوى الاوسع للسينما الامريكية بعد ما شاع ان السينما السياسيـة هي خلق اوروبي بحت ومستمر . ولا يتسع المجال هنا لاستخراج امثلة امريكية قديمة تدل على وجود هذا التيار وتأصله ولكنه ظل رافدا ضيقا متفرعا عن المجرى الهوليـودي الشاسع . كما قصدنا ايضا اثارة اهتمام القارىء بسينما لا تلقى من الاهتمام الصحفي العربي ما تستحقه .

في قائمة هذا العام افلام اخرى ليست سياسيـة بالمعنى المباشر ولكنها من اعمال الادب السينمائي الذي يصل احيانا الى تخوم السياسة واحيانا اخرى الى مملكة التأملات الذاتية .

« دم حكيم
أو أنبياء تحت الطلب »

« اعتقد ان كتابي يجذب المجانين . تلقيت خطابا

يفيدني بان الناس الذين اكتب عنهم لاوجود لهم .. ديانة الجنوب هي « اصنع ديانتك بنفسك » وهو شيء اجده ، ككاثوليكيــة ، امرا مؤلمـا ومؤثرا ومفعما بالكوميديــا السوداء . أجده ملينا بكبرياء واعية تؤدي بهؤلاء الانبياء الى الانسياق خلف تصورات دينية مضحكة فليس لديهم ما يصححون به خرافاتهم العملية سوى أن يعلنوا عنها بشكل درامي فج . من واقع تجربتي فان كل ما يثير الضحك فيا كتبته هو اكثر اثارة للرعب منه الى الضحك ، او لعله مضحك لانه مروع أو مروع لانه مضحك .

ان اهتمامي الاساسي كان موجها دائما نحو معالجة الصراع بين الايمان بما هو مقدس وبين عدم الايمان به وهو الهواء الذي صرنا نتنفسه في عصرنا الراهن »

هكذا كتبت فلا نري أوكونور عن روايتها « دم حكيم » التي تحولت الى فيلم هام للمخرج الامريكي الكبير جون هيوستون . وموضوعها غريب علينا ولكنه معاصر وبالغ الاثارة .

أنت أمام انبياء يوميين يعدون بالعشرات .. فقراء واغنياء يهذون بخرافات وهلوسات ممعنة في الجنون .

فالشاب هازل موتس الذي عاد من الخدمة العسكرية حديثا يمضي مستثارا برؤى دينية مهلوسة من ايام طفولته ـ ليعظ الناس في الشوارع حول الكنيسة الجديدة ـ كنيسته هو . في هذا القاع تشاهد الانبياء الدجالين الاخرين يتصارعون حول المهنة الجديدة . وموتس ليس دجالا ولكنه مهووس . يفقأ عينيه ويمزق صدره ويهيم على وجهه الى ان تلتقطه امرأة عجوز ليعيش معها .

ولا ينسى هيوستون ان يرينا تمثال جوزيف مورمون نبي الديانة المورمونية الجديدة (اتباعها الان في الولايات المتحدة نحو خمسة ملايين ولها كنائس وطقوس خاصة) والذي يعتبر تجسداً حيا لظاهرة « اصنع ديانتك بنفسك » ولدينا مثال قريب في القس جيم جونز المهووس الذي قاد عملية الانتحار الجماعي لنحو الف شخص في « أرضه المقدسة » في جويانا .

والنتيجة هي تأكيـد على الافلاس الروحي الذي تعانيه الحضارة الغربية يوما بعد يوم .

ايام الجنة

هذا فيلم « جميـل » وقطعة من الادب السينمائي الخالص عن ايام الحصاد في نهاية القرن الماضي حين كانت جموع تشبه القوافل تحل على الحقول لتحصد وتحصل على اجور اعلى .

قصة فتى وفتاة لا يعلم احد عنهما شيئا . اخوان او حبيبان ينضمان الى الجموع ويعيشان لفترة قبل ان يحل الجراد ويحل معه السبب الذي يدعوهما الى الرحيـل . مغامرة تنتهي بقتل الفتى .

من الصعب ان تصف فيلما كهذا اعتمد بالدرجة الاولى على التصوير الرائع (لنستور المنديروس) الذي جعل من أيام الجنة تلك اياما ممعنة في الحلم .

الاضواء الشمالية

على العكس من « أيـام الجنة » فان الفيلم الامريكي « الاضواء الشمالية » يحفل كثيرا بالاضواء العادية في حياة المزارعين بنورث داكوتا في حوالي عام ١٩١٥ (فترة قريبة من تلك التي تدور فيها احداث « ايام الجنة ») انت هنا بصدد فيلم من خارج هوليود .

فالكاميرا تلتقي بفلاحين حقيقيين يعيشون في المنطقة ويشترك معهم الممثلون . والفيلم يروى جانبا من تجربة قادها هنري مارتينسون لتأسيس ماسمي « عصبة الانصار » في عام ١٩١٦ لتبني حقوق الفلاحين . ويروى القصة احد مؤسسي هذه العصبة (٩٥ عاما) مما اكسب الفيلم احساسا واقعيا غامرا .

فيلم بالابيض والاسود بكاميرا قياس ١٦ مم . والرؤية الآن « باكبر واحدث تقنيات السينما . سينما موازية وسينما في المجرى الاوسع ...

هذا جانب من حيوية السينما الامريكية . ■■

الفاروق عبد العزيز

دفاع عن السُّلطان

في ٣٠ مارس عام ١٤٣٢ م ، كان ميلاد السلطان محمد الثاني الذي عرفه التاريخ باسم محمد الفاتح . كان على العصور الوسطى ان تنتظر ٢١ عاما بعد هذا التاريخ حتى تنتهي ، ذلك ان ثمة اتفاقا بين المؤرخين على ان العصر الحديث يبدأ بفتح القسطنطينية في ٢٩ مايو عام ١٤٥٣ م .

كان العالم في تلك الفترة مشغولا بفتوحات العثمانيين في اوروبا وبالصراع العثماني ـ الاوروبي حين كانت الفكرة التى تحكم العثمانيين هى جمع العالم الاسلامي في دولة واحدة تحت رايتهم والانطلاق نحو الغرب للجهاد . ولم يكن العالم حينذاك كاليوم في عدده فلم يكن عدد سكان العالم يتجاوز ٤٠٠ مليون نسمة موزعين كالتالي : نحو ٢٧٥ في آسيا و ٧٠ مليونا في اوروبا و ٤٠ مليونا في افريقيا و ١٥ مليونا في امريكا . وقد حاول بايزيد الصاعقة تحقيق الوحدة الاسلامية بحرب المماليك في الشام ومصر وضم ممتلكاتهم الى الدولة العثمانية لولا ظهور تيمور لنك ، وانتصاره على بايزيد عام ١٤٠٢ م . والفاتح ايضا كان يطمح الى ذلك ، اذ انه كان في الطريق بالفعل الى قتال الدولة المملوكية وضمها الى الدولة العثمانية لولا وفاته .

اعداد الفاتح

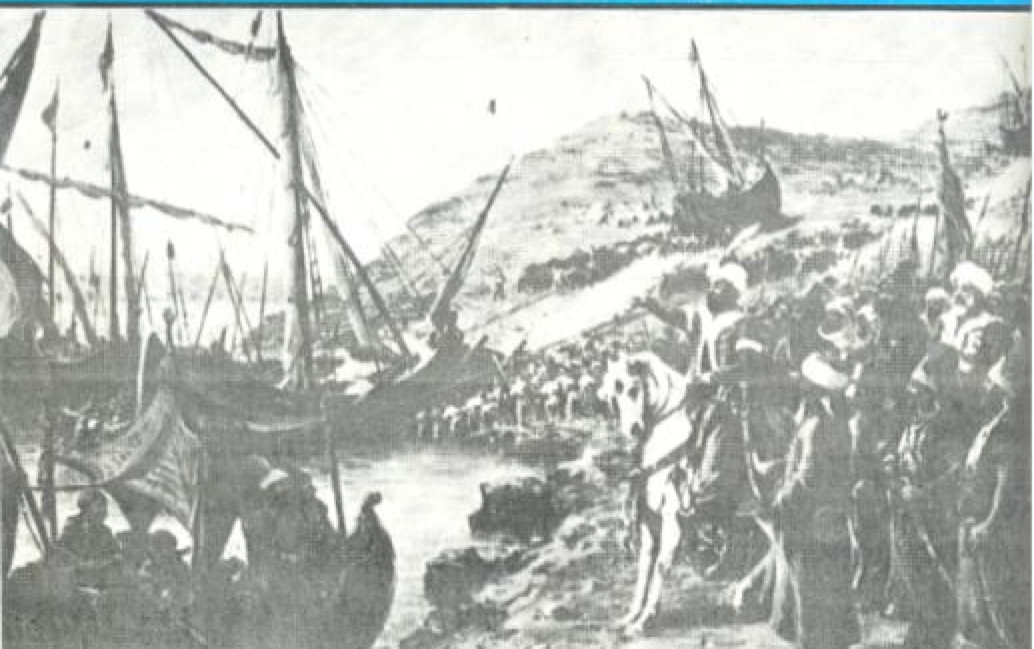
خضع السلطان محمد ـ شأنه في ذلك كل امير عثماني ـ لنظام تربوي صارم تحت اشراف مجموعة من علماء عصره المعروفين . اخضعه شيوخه الى دراسة أكاديمية منظمة وهو ما يزال غضا فتعلم القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم العصرية ـ آنذاك ـ من رياضيات وفلك وتاريخ ودراسات عسكرية نظرية وتطبيقية . كان السلطان محمد يشترك في الحروب التي كان يشنها والده السلطان مراد الثاني ضد اوربا او التي كان يصد فيها اعتداءاتهم .

وكعادة آل عثمان في اسناد ادارة ولاية لكل امير وهو صغير حتى يؤهل لقيادة الدولة بعد ذلك قضى محمد فترة امارته في مغنيسيا تحت اشراف مجموعة من علماء الدين . وكان محمد محظوظا اذ كان المشرفون عليه من

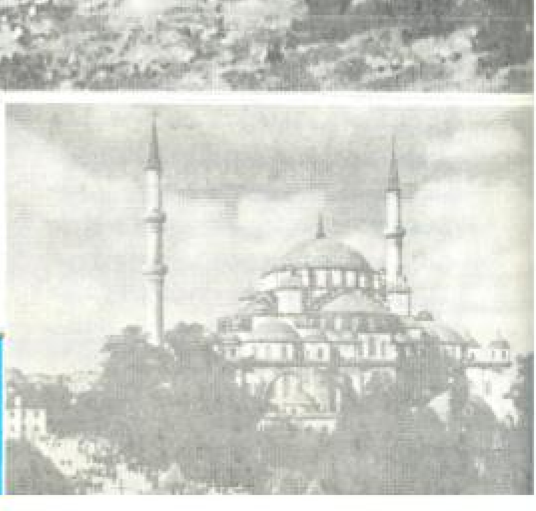
محمد الفاتح

لم يفتح القسطنطينية فقط
لكنه غير تاريخ
أوروبا أيضاً !!..

بقلم : محمد حرب عبد الحميد



لوحة تصور تسيير السفن على
البر وانزالها في مياه الخليج



جامع الفاتح في استانبول

اساطين علماء العصر في مقدمتهم الشيخ آق شمس الدين والملا الكوراني . (عالم الدين عند العثمانيين الاوائل كان عالما موسوعيا في شتى علوم المعرفة في عصره) . وقد أثرت مجموعة العلماء هذه في تشكيل الامير الصغير ونجح العلماء في تشكيل اتجاهاته الثقافية والسياسية والعسكرية . وكان الشيخ آق شمس الدين صارما مع الامير حتى ان السلطان محمد وهو سلطان قال لاحد وزرائه عن شيخه هذا : ان احترامي لهذا الشيخ احترام يأخذ بمجامع نفسي وانا ماثل في حضرته مضطربا ويداي ترتعشان » .

ثقافة الفاتح

درس السلطان محمد بجانب دراسته الاكاديمية النشطة المنظمة اللغات الاسلامية الثلاثة التي لم يكن يستغني عنها مثقف عصري آنذاك وهي : العربية والفارسية والتركية . والسلطان محمد الفاتح شاعر له ديوان شعر بالتركية ، وله بيت مشهور يقول فيه :

نيتي هي الامتثال للامر الالهي « جاهدوا في سبيل الله »

وحماسي انما هو حماس في سبيل دين الله

وعرف السلطان محمد ايضا اللغات : اللاتينية واليونانية والصربية . ولا تخفى اهمية هذه اللغات لامير في طريقه لسلطنة الدولة العثمانية .

فترة امارة محمد في مغنيسيا جعلته ـ بفضل توعية مجموعة اساتذته ـ اكثر الامراء العثمانيين وعيا في دراسة علوم التاريخ والجغرافيا والعلوم العسكرية ، خاصة وان اساتذته وجهوا اهتمامه الى دراسة الشخصيات الكبيرة التي اثرت في مجرى التاريخ . وابانوا له عن جوانب العظمة في تلك الشخصيات كما وضحوا له نقاط الضعف فيها املا في ان يكون اميرهم ذات يوم اكثر الحكام عبقرية .

ولا شك ان الشيخ آق شمس الدين استطاع ان يلعب دورا كبيرا في تكوين شخصية محمد وان يبث فيه منذ صغره امرين هما اللذان جعلا منه فاتحا ، وهما :

١ ـ مضاعفة حركة الجهاد العثمانية .

٢ ـ الايحاء دوما لمحمد منذ صغره بانه هو الامير المقصود بالحديث النبوي : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير اميرها ولنعم الجيش » .

وعن تحقيق النقطة الاولى يكفي هنا اخذ قطاع تاريخي في حياة السلطان محمد ـ بعد ان اصبح سلطانا للدولة ـ لنرى فيه حملاته العسكرية ، واكتفى هنا بتعداد حروبه البرية على الجبهة الاوروبية فقط .

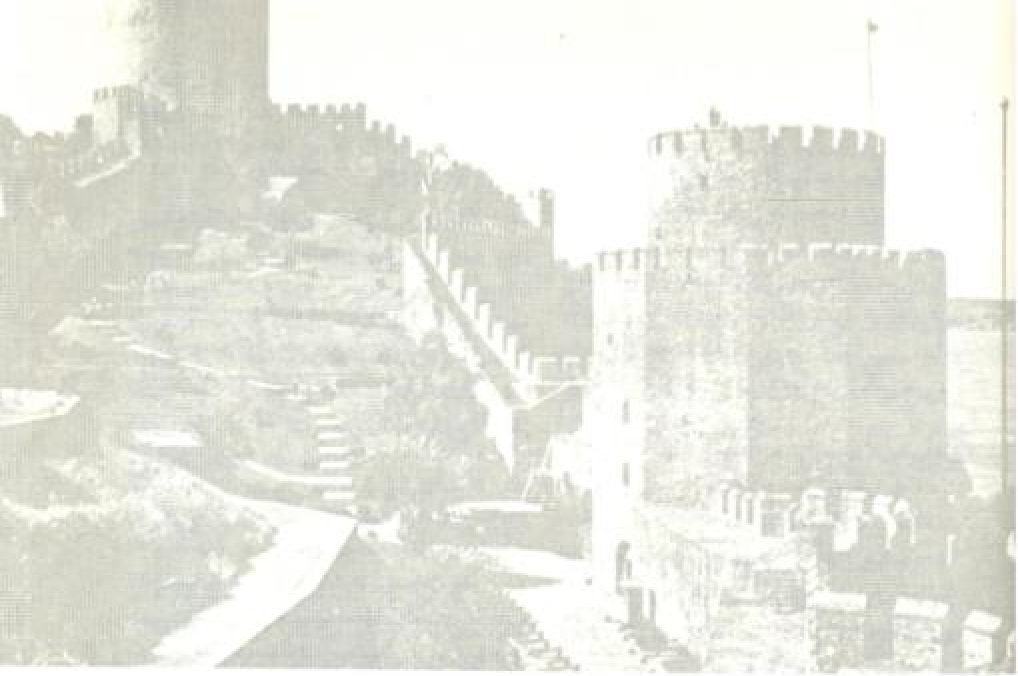
عام ١٤٥٣ م فتح القسطنطينية ـ عام ١٤٥٣ م ـ ١٤٥٩ م فتح بلاد الصرب ـ ١٤٦٠ فتح بلاد المورة ١٤٦٢ ضم بلاد الافلاق ـ ١٤٦٣ ـ ١٤٧٩ فتح بلاد ألبانيا ـ ١٤٦٣ ـ ١٤٦٥ فتح بلاد البوسنة والهرسك ـ ١٤٧٦ حرب المجر .

ومنذ حرب بلاد المجر وحتى وفاة الفاتح (عام ١٤٨١) دخلت الدولة العثمانية في حروب بحرية كثيرة منها : ضم الجزر اليونانية عام ١٤٧٩ وضم اوترانتو عام ١٤٨٠ . ومعلوم انه كان قد اعد بالفعل جيوشه وتحرك على رأسها لمحاربة المماليك الا ان الموت عاجله .

مؤشرات فتح القسطنطينية

رأى محمد السلطان ان فتح القسطنطينية كما انه يحقق املا عقائديا عنده فانه ايضا يحقق للدولة العثمانية ايضا يسر فتوحاتها في منطقة البلقان وحتى تكون بلاده متصلة لا يتخللها عدو . وكانت القسطنطينية تمثل الارض العدوة الواقفة في طريق الفتوحات في اوربا ، فبدأ في عاصمته ادرنة الاستعدادات لعملية فتح القسطنطينية ومن ذلك صب المدافع خاصة الضخم خاصة الضخم منها والاستعداد لنقل هذه المدافع الى اسوار المدينة .

ثم رأى السلطان محمد ان جده بايزيد الصاعقة كان قد بنى للغرض نفسه ـ وهو محاولة فتح القسطنطينية ـ قلعة على الضفة الاسيوية من البسفور سماها « اناضولو حصا رى » اى قلعة الاناضول . كانت هذه القلعة تقوم على اضيق نقطة من مضيق البسفور ، فقرر محمد ان يبني في مواجهة هذه القلعة على الجانب الاوربي من البوسفور قلعة سماها (روملي حصا ري) أي قلعة منطقة الروم (يطلق الأتراك على الجانب الأوروبي من



روملي حصاري

تركيا والمنطقة الملاصقة له والمعروفة الان باسم البلقان بسم روم ايلي اي منطقة الروم) وكان القصد من هذا هو التحكم في البسفور تماما . وكان السلطان محمد هو الذي وضع بنفسه تخطيط هذه القلعة ونفذها المعماري مصلح الدين اغاو ٧٠٠٠ عامل انهوا مهمتهم في اربعة اشهر كاملة .

تم البناء فخرج بعض الجنود العثمانيين للتفرج على القسطنطينية فما لبث ان وقع بينهم وبين البيزنطيين المجاورين لاسوار المدينة بعض حوادث شغب كان لها رد فعل عند السلطان محمد فاصدر اوامره بابعاد البيزنطيين المجاورين للاسوار وكذلك ابعاد القرويين المجاورين للمدينة . فقام امبراطور بيزنطة قسطنطين دركازين باخلاء القرى المجاورة وسحب سكانها الى داخل المدينة ثم امر الامبراطور باغلاق ابواب القسطنطينية واحكام رتاجها .

وبينما الاستعدادات العثمانية تجرى على قدم وساق في ادرنة لفتح القسطنطينية كان الوضع في المدينة غاية في الاضطراب . فالامبراطور قسطنطين يطلب معونة عاجلة من البابا نيقولا الخامس . فاستجاب البابا وارسل الكاردينال ايزودور الى القسطنطينية . فتوجه هذا الكاردينال ــ وهو كاثوليكي ــ الى كنيسة اياصوفيا واقام فيها المراسم الكنسية على الاصول الكاثوليكية مخالفا بذلك بل ومتحديا لمشاعر شعب القسطنطينية الارثوذكس . وقف الشعب يتفرج على الكاردينال المتقذ باشمئزاز بالغ . كان امبراطور القسطنطينية يميل الى فكرة اتحاد الكنيستين الارثوذكسية . والكاثوليكية اما رئيس الحكومة لوكاس نوتاراس مع جناديوس (الذي صار بطريكا بعد الفتح) فقد عارضا بشدة هذا الاتحاد خوفا على الكاثوليكية من الفناء . وقال نوتاراس قولته الشهيرة : « اني افضل رؤية العمامة التركية في القسطنطينية على رؤية القبعة اللاتينية » ولم يكن البيزنطيون قد نسوا بعد الاعمال الوحشية التي قام بها اللاتين عندما احتلوا القسطنطينية عام ١٢٠٤ م . ومع ذلك فان الكنيسة اللاتينية لم تتوان عن ارسال موجات المتطوعين الى القسطنطينية بناء على طلب امبراطورها العون . لكن مجيء ايزيدور لم يحقق ادنى نتيجة في مسألة اتحاد الكنيستين .

الحصار والفتح

وفي ابريل ١٤٥٣ حاصر العثمانيون القسطنطينية برا وبحرا واشترك في الحصار من الجنود البحرية ٢٠٫٠٠٠ جندي على ٤٠٠ سفينة . اما القوات البرية فكانت

٨٠٫٠٠٠ جندي ، والمدفعية ٢٠٠ مدفع .

وقفت القوات البحرية العثمانية بقيادة بلطة اوغلو سليمان بك على مدخل الخليج الذهبي وكان عليه تدمير الاسطول البيزنطي المكلف بحماية مدخل الخليج ولان البيزنطيين كانوا قد اغلقوا ـ قبل الحصار الخليج بسلسلة حديدية طويلة يصعب من جرائها دخول اى سفينة الى الخليج . فقد كان هذا اكبر معضلة امام العثمانيين لان سفنهم كان عليها ان تحمل الجنود وتدخل الخليج لا تزاحم لكي يضربوا القسطنطينية .

ثم جاءت ٣ سفن جنوية وسفينة بيزنطية بقيادة القائد الشهير جوستنياني ارسلها البابا للدفاع عن القسطنطينية ولنقل الامدادات اليها ، جاءت هذه السفن ولم تستطع البحرية العثمانية منعها . فبعد معركة عنيفة مع البحرية العثمانية تغلب جوستنياني ومضى بسفنه الى الخليج ففتح لها اهل القسطنطينية السلسلة الحديدية وادخلوها ، وكانت هذه الحادثة دافعا لكي يفكر السلطان محمد في خطة عسكرية شهد لها القواد العسكريون بالبراعة .

كانت هذه الخطة تقضي بنقل ٦٧ سفينة من السفن الخفيفة عبر البر من منطقة غلطة الى داخل الخليج بتفادي السلسلة ، وتمت هذه العملية بوضع اخشاب مطلية بالزيوت على طول المنطقة المذكورة ، ثم دفعت السفن لتنزلق على هذه الاخشاب في جنح الظلام ، بعد ان استطاعت المدفعية العثمانية باطلاقها مدافع الهاون ان تشد انتباه البيزنطيين اليها وبالتالي لم يلتفت احد لعملية نقل السفن الى الخليج .

نقلت السفن وانزلت الى الخليج ووضعت الواحدة تلو الاخرى على شكل جسر على عرض الخليج ، حتى استطاع الجنود الانتقال عليها وصولا الى بر القسطنطينية . وما ان جاء الصباح الا والدهشة قد تملكت اهل القسطنطينية . يصف المؤرخ دوكاس وهو بيزنطي عاصر الحادثة ، دهشته من هذه العملية قائلا : « انها لمعجزة لم يسمع احد بمثلها من قبل ولم ير احد مثلها من قبل » .

وبعد ان فشلت البحرية العثمانية في احباط محاولة جوستنياني دخول الخليج ، لم يملك السلطان محمد الا الامر بالهجوم العام الذي اشتركت فيه كل القوات العثمانية مرة واحدة ، وقبل هذا مباشرة ارسل السلطان محمد للامبراطور ـ للمرة الثانية ـ يطلب منه تسليم المدينة سلما حقنا للدماء، وللامبراطور ان ينسحب الى أي مكان يريده بكل امواله وخزائنه . وتعهد السلطان محمد بتأمين اهل القسطنطينية ـ في هذه الحالة ـ على اموالهم وارواحهم وممتلكاتهم . لكن الامبراطور ـ بتحريض من الجنوبيين ـ رفض هذا العرض .

وفي ٢٦ مايو اراد ملك المجر ان يضغط على السلطان محمد وهو في هذا الوقت الحرج ، فارسل يقول له انه في حالة عدم توصل العثمانيين إلى اتفاق مع امبراطور القسطنطينية فإنه (أي ملك المجر) سيقود حملة أوروبية لسحق العثمانيين . ولم تغير هذه الرسالة شيئا وان كان محمد قد صفى بعد ذلك حسابه مع ملك المجر .

مضى نهار ٢٨ مايو هادئا . وعند الفجر وبعد الصلاة مباشرة ، اتجه السلطان محمد الى مكان الهجوم ومع دوى المدافع الضخمة الذي بدأ مع الشفق صدر الامر السلطاني باخراج العلم العثماني من محفظته . (وهذا يعني عند الاتراك الامر ببداية الهجوم العام) .

استطاعت المدافع اثناء ذلك احداث فتحة في الاسوار ثم اجتاز الجنود العثمانيون الخنادق المحفورة حول القسطنطينية ومن ثم اعتلوا سلالم الاسوار ، وبدأ الجنود يتدفقون على ثلاث موجات ، اشتركت الانكشارية في الثالثة منها ، فاضطر قسطنطين ان يدفع بقواته الاحتياطية التي كانت مرابطة بجوار كنيسة الحواريين (سانت ابو ترس) (مكان جامع الفاتح بعد ذلك) لتدخل المعركة ، وما لبث ان اطلق جندي عثماني سهمه فاصاب القائد جوستنياني اصابة بالغة وانسحب جوستنياني من ميدان المعركة رغم توسلات الامبراطور له ، لان جوستنياني كان له دور كبير في الدفاع عن المدينة .

وكان اول شهداء العثمانيين هو الامير ولي الدين سليمان الذي اقام العلم العثماني على اسوار المدينة البيزنطية العريقة . وعند استشهاده اسرع ١٨ جنديا عثمانيا اليه لحماية العلم من السقوط واستطاعوا حمايته حتى واصل بقية الجنود تدافعهم على الاسوار ، وثبت العلم تماما على الاسوار بعد ان استشهد ايضا هؤلاء

الثمانية عشر جنديا . اثناء ذلك كان العثمانيون يواصلون تدفقهم الى المدينة ، عن طريق الفتحات التي أحدثتها المدفعية في الاسوار ، ثم عن طريق تسلق السلالم التي اقاموها على اسوار المدينة . ثم استطاع جنود اخرون من فرق الهجوم العثمانية فتح بعض ابواب القسطنطينية ، بينما نجح اخرون في التحكم في سلسلة مدخل الخليج وفتحوها ، وبالتالي تدفق الاسطول العثماني الى الخليج وبعد ذلك الى المدينة نفسها ، وساد الذعر البيزنطيين وكان قد قتل منهم من قتل فهرب من استطاع الى ذلك سبيلا .

الفاتح يعطي الامان

لكن الشعب خاف واسرع يتجه نحو كنيسة ايا صوفيا . وعندما دخل الفاتح المدينة امر باحراق جثث القتلى تفاديا للامراض . وسار على ظهر جواده الى الكنيسة حيث تجمع الشعب البيزنطي ورهبانه . وما ان علموا بوصول السلطان الفاتح حتى خروا سجدا راكعين بين انين وبكاء وعويل . وصل الفاتح ، نزل من على ظهر حصانه . صلى صلاة الشكر لله على توفيقه له بالفتح . ثم سار يقصد شعب بيزنطة ورهبانه . ولما وجدهم على هذه الحالة من السجود انزعج وتوجه الى رهبانهم قائلا : « قفوا ! استقيموا فانا السلطان محمد ! اقول لكم ولجميع اخوانكم ولكل الموجودين هنا انكم منذ اليوم في امان في حياتكم وحرياتكم » . وهذا ما سجله مؤرخ بولوني كان معاصرا للخطة .

كان هذا التصرف من الفاتح له اثر كبير في عودة المهاجرين النصارى الذين كانوا قد فروا من المدينة . وامر الفاتح قواده وجنوده بعدم التعرض للشعب بأذى ثم طلب من الناس العودة الى ديارهم بسلام . وحول اياصوفيا الى جامع على ان تصلى فيه اول جمعة بعد الفتح (كان الفتح يوم ثلاثاء) وكانت اياصوفيا اكبر كنيسة في العالم واقدم مبنى في اوربا كلها .

كان سلوك الفاتح عندما دخل القسطنطينية ظافرا ، سلوكا مختلفا تماما . كان الفاتح يستطيع حسب شريعة الحرب في زمانه ان يفعل ابسط ما تقول به شريعة الحرب في العصور الوسطى وهو نفي شعب المدينة المفتوحة الى مكان اخر او بيعه في اسواق النخاسة . لكن الفاتح قام بما عجز عن فهمه الفكر الغربي المعاصر له من تسامح ورحمة ، فقد قام بالآتي :

١ ـ اطلاق سراح الاسرى فورا نظير مقابل مادي قليل يسدد على اقساط طويلة المدى .

٢ ـ اسكان الاسرى الذين كانوا من نصيبه في المغانم في المنازل الواقعة على ساحل الخليج .

٣ ـ عندما ابيحت القسطنطينية للجنود ثلاثة ايام عقب الفتح ، كان هذا الاذن مقتصرا على الاشياءغير المعنوية ، فلم تغتصب امرأة ولم يمس شيخ عجوز ولا طفل ولا راهب بأذى ، ولم تهدم كنيسة ولا صومعة ولا دير ولا بيعة ، مع ان المدينة اخذت بالحرب ورفضت التسليم .

٤ ـ كان من حق الفاتح قانونا ـ ما دامت المدينة قد اخذت عنوة ـ ان يكون هو نيابة عن الجيش الفاتح مالكا لكل ما في المدينة وكان من حقه ايضا تحويل نصف الكنائس والبيع وعلى مدى زمني طويل الى جوامع ومساجد وترك النصف الاخر لشعب المدينة على ما هو عليه . وفي وقفيات السلطان محمد الفاتح بنود كثيرة على بقاء اديرة جوكاليجا وايا وليبس وكيرا ماتوا والكس في يد البيزنطيين .

٥ ـ اعترف لليهود بملكيتهم لبيعهم كاملة وانعم بالعطايا على الحاخام موسى كابسالي .

٦ ـ عين (في ١٤٦١) للجماعات الارمنية بطريقا يدعى بواكيم ليشرف على مصالح الارمن ويوحد صفوفهم .

٧ ـ بدأت اعمال تعمير المدينة ابتداء من ٢ يونية ١٤٥٣ (كان الفتح يوم ٢٩ مايو من العام نفسه) وامر بنقل جماعات كثيرة من مختلف انحاء الدولة الى القسطنطينية للإسهام في اعادة انعاشها .

٨ ـ اعاد الفاتح للارثوذكس كرامتهم التي اهدرها اللاتين الكاثوليك بان اعطاهم حق انتخاب رئيس لهم يمثلهم ويشرف على شئونهم واصبح سكولا ريوس (جناديوس) اول بطريق لهم بعد الفتح العثماني للقسطنطينية ، وبذلك انقذ الفاتح ايمان الامة التي فتح ديارها واحيا الارثوذكسية بعد ان اخذت تخفت (لاحظ ان هذا التصرف من الفاتح تسبب في تكتل اوربا

الكاثوليكية ضده) .

٩ ـ جعل الفاتح مسائل الاحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والميراث وامور الوفاة الخاصة باهل المدينة المفتوحة من حق الجماعات الدينية المختصة ، وكان هذا امتياز امنعدم النظير في اوربا ذلك الوقت .

الفاتح وحكام عصره

لقد تصرف الفاتح تصرفا حضاريا في الوقت الذي كان الحكام من الشرق والمغرب يتلذذون بسفك الدماء وبقتل الناس بالالاف . ويتلذذون وهم على موائد الطعام بمنظر الاسرى وقد اخترقت بطونهم اسنة رماح الجنود وبرفع الاسرى على الخوازيق وبخلط دمائهم بانواع الشراب . (قارن بين اعمال جنكيز خان وتيمور لنك في الشرق ، وفلال وهونيادى في الغرب ، وبين موقف الفاتح من المسيحيين واليهود بعد فتحه القسطنطينية ـ كمثال ـ وكذلك قارن بين موقف دولة بيزنطة عندما هدمت حي المسلمين في القسطنطينية وأبادت سكانه بعد ان علم الامبراطور بانتصار تيمور لنك على السلطان العثماني بايزيد الصاعقة في واقعة انقرة عام ١٤٠٢ ، وبين الفاتح في تناسيه لهذه الحادثة والصفح عنها وعن نصارى المدينة بعد دخوله القسطنطينية) .

ان الجيوش الصليبية قد ازهقت في عملية احتلال القدس ارواح ٧٠,٠٠٠ بريء . يقول هـ ج . ويلز في ذلك : « كانت المذبحة التي دارت في بيت المقدس رهيبة وكان الراكب على جواده يصيبه رشاش الدم الذي سال في الشوارع .. ونفس المؤرخ يقول عن هولاكو : « كان هولاكو يفتح فارس وسوريا واظهر المغول في ذلك الزمان عداوة مريرة للاسلام ، ولم يكتفوا بتذبيح سكان بغداد فقط بل .... وقد صارت ارض الجزيرة منذ تلك اللحظة التعسة يبابا من الخرائب والاطلال لا تتسع الا للعدد القليل من السكان .... » .

وتقول سامحة آي وردى : « ان الجيوش الصليبية التي تدفقت على القسطنطينية (عام ١٤٠٢) قامت بتحويل المدينة الى خرابة بائسة فقيرة معدمة بعد ان كانت غنية معمورة يسودها الرخاء » .

وعندما دخل شارل الخامس تونس عام ١٥٤٠ لم يترك حيا امامه الا قتله ولم تسلم من وحشيته حتى الجمال والقطط . وهذا ما ذكره شهاب الدين تكين داغ في مذكراته عن الدولة العثمانية .

ان هذه الامثلة اذا ما قارناها بموقف الفاتح الحضاري من القسطنطينية واهلها ، نرى الفاتح قائدا منعدم النظير بين اقرانه من اباطرة الشرق وحكام الغرب . ولو كان الفاتح قد اتبع ما كان يجرى على الجانب الغربي من البحر المتوسط من فظائع الاسبان في الاندلس وما فعلوه بالمسلمين وبالعرب لما اصبح هناك مسيحي واحد في القسطنطينية .

دور المدفعية العثمانية

كان المدفع اختراعا حديثا مروعا غير مجرى التاريخ . وكان مدفع الهاون اختراعا عثمانيا عرفه العالم لاول مرة اثناء حصار العثمانيين للقسطنطينية كما كان المدفع الضخم خاصة مع الهاون اكبر عامل في فتح المدينة .

كان المدفع الضخم من اختراع اثنين هما : مصلح الدين واوربان . واوربان هذا مختلف في اصله هل هو مجرى او روماني . كان المدفع ضخما جدا تسمع طلقاته من مسافة (١٠٠) ستاد (٢٥ ميلا) وقذيفته من الحجر والبارود تبلغ زنة القذيفة الواحدة (١٥٠٠) كيلو جرام تصل مداها الى مسافة ميل . (يقول اداري مونتالدو ان عدد المدافع التي صبها كل من مصلح الدين واوربان قد بلغ ٢٠٠ مدفع) .

وعندما كان المدفع ينقل من ادرنة العاصمة الى القسطنطينية ليستقر امام اسوارها كان لزاما على العثمانيين توسعة طريق ادرنة ـ القسطنطينية وقام بهذه العملية (٥٠) مهندسا ومائتا عامل ، وكان يجر المدفع (٦٠) جاموسة ويسند المدفع من على جانبيه ٤٠٠ رجل قوي (٢٠٠) على كل جانب ، وذلك حتى لا ينزلق المدفع يمنة او يسرة اثناء مروره (فرانتزيس يقول بان بعض هذه المدافع كان يحتاج الى ٢٠٠٠ رجل لجره) .

ولقد لعبت مدافع الهاون دورا ملحوظا في الحصار سواء في الضرب او في عمليات التمويه وان لم تكن كافية للتحكم تماما في الخليج كله .

وبسبب هذه المدافع حدث التحول الكبير في اوروبا .

فالمعروف ان اوروبا كانت تعيش ـ الى ما قبل فتح القسطنطينية ـ في العصر الاقطاعي الذي كان يمثله الاقطاعيون الذين يعيشون داخل حصون مسورة باسوار ضخمة . وكان هذا هو رمز العصور الوسطى في الغرب . فلما اخترع العثمانيون المدفع الهاون والمدفع الضخم وانهارت امام طلقات المدفعية العثمانية اسوار القسطنطينية . ثم اخذ المدفع في الانتشار ، اخذت اسوار الاقطاعيين في التهاوي والسقوط . فانتهى عهد الامير الاقطاعي المستبد واخذت الدول تتشكل ، ومعها ظهرت بداية التاريخ الحديث ومن هنا فان مدفع العثمانيين في فتح القسطنطينية اصبح هو مفتاح تاريخ العصر الحديث ، وعلى هذا اتفق المورخون سواء في الغرب او في الشرق .

مغالطة مفضوحة

في عام ١٩٥٣ نشر المستشرق الالماني فرانز بابنجر كتابا بعنوان « السلطان محمد الفاتح وعصره » قال فيه ان السلطان محمد الفاتح مات مسموما وان الذي قدم له السم ليشربه طبيبه اليهودي يعقوب باشا .

كان ادعاء بابنجر هذا نتيجة ترجمة متعسفة لكلمة تركية جاءت في نص في تاريخ عاشق باشا زاده المسمى تواريخ ال عثمان ، في الفصل الخاص بمرض السلطان محمد الفاتح الذي ادى الى وفاته . والعبارة المقصودة هنا هي كالتالي : « اتفق الاطباء ـ اى اطباء السلطان ـ على اعطائه (شراب فارغ) . وكان مجلس اطباء السلطان يضم فيمن يضم يعقوب باشا اليهودي « المهتدي » ولم يكن باشا هذا من النفوذ بحيث ينفرد بالرأي في المجلس . وضعت الكلمة التي تعسف في ترجمتها بابنجر كما هي من النص التركي يقول بابنجر بان هذه الكلمة تعني السم ، مع انها في الحقيقة الدواء المقيىء بمعنى الدواء الذي يفرغ المعدة مما بها من اكل وما شابهه .

كان بابنجر يقصد من هذا الادعاء ان يجبر الرأي العام العالمي عامة والتركي خاصة الى طرح مسألة موت الفاتح بالسم ومناقشتها ولما كان من المعروف تاريخيا ان السلطان محمد الفاتح ـ جريا على العادة التركية في ذلك الزمان ـ قد اقام جامعة فوق مقبرة بيزنطية ، فان معنى تحليل وفاته ان يشمل ذلك حفرا سيجر بالتالي الى عملية تقليب التربة ويمتد الامر الى المقبرة البيزنطية القديمة وبالتالي سيتحول جامع السلطان محمد الفاتح ـ بحكم قانون الاثار التركية ـ الى منطقة اثرية ومتحف وبالتالي كان لا بد ان يغلق تماما امام المصلين وتمنع فيه الصلاة (لاحظ ان جامع صوفيا كان تحول بحكم القانون التركي الى متحف ولم تعد تقام فيه الصلاة) .

فطن المؤرخ التركي شهاب الدين تكين داغ الى حملة بابنجر على الفاتح فقام هذا المؤرخ القدير اثناء احتدام مناقشة هذا الادعاء في الصحف والمجلات والندوات الثقافية التركية ، قام بكتابة بحثه المشهور « قضية موت الفاتح » اشار فيه الى ان بابنجر اعتمد في ادعائه هذا على عاشق باشا زاده وهو مؤرخ عثماني اتى بعد حادثة فتح القسطنطينية بواحد وثمانين عاما ، ولم يقل هذا شيئا جديدا على المؤرخين السابقين عليه من الذين عاصروا الفتح من عثمانيين واجانب . ولم يدع احد من هؤلاء مثل هذا الادعاء وانما اتفقوا على ان موت السلطان الفاتح كان نتيجة لاصابته بالنقرس ، وهو المرض الذي اصاب كثيرا من سلاطين ال عثمان على درجات متفاوتة كان اخرهم السلطان عبد الحميد الثاني .

ثم فند شهاب الدين تكين داغ تعسف بابنجر في ترجمة كلمة « شراب فارغ » ودحضه من وجهتي نظر لغوية وتاريخية ، ثم اثبت فشل زعم بابنجر في مسألة تسمم الفاتح وفضح نواياه .

كان لموقف شهاب الدين تكين داغ اثر حاسم في ايقاف الحملة العالمية والتركية المحلية على السلطان محمد الفاتح وعلى مؤامرة تحويل جامعه المشهور الى منطقة اثرية ومتحف .

وكما لم ينس الغرب لصلاح الدين الايوبي استرداده للقدس ، فان الغرب لم ينس ايضا للفاتح فتحه القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية فما زال يوم ٢٩ مايو من كل عام هو يوم حزن عند بعض رجال الدين الغربيين .. وهو يوم فتح القسطنطينية . ■■

استنبول ـ محمد حرب عبد الحميد

إذا لم تعرف الى اين انت ذاهب فقد تنتهي الى مكان آخر !

أهداف حياتك كيف تحددها ؟

بقلم : الدكتور عبد الله محمود سليمان
قسم علم النفس ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت

ماذا اريد من حياتي ؟ سؤال لا يكف الانسان عن سؤاله في كل ساعة وفي كل يوم . ماذا افعل هذا المساء ؟ وغدا ماذا يجب ان انجز ؟ وعلى اجابة الانسان على هذا السؤال ، وعلى اسلوبه في التعامل معه يتوقف الكثير ، فكل انسان يسعى الى تحقيق شيء والى بلوغ هدف . والهدف هو محطة الوصول التي يحددها الانسان لنفسه ، ويسعى الى بلوغها باذلا الجهد ، راكبا الصعب واذا اختار الانسان محطة موجودة بالفعل على الخريطة ، يمكن ان يصل اليها ، بطائرة او قطار او سيارة ، او حتى دراجة ، وكان في امكانه ان يستقل احدى هذه الوسائل ، لتمكن من بلوغ هدفه بسلام .

ولنتأمل نفسك : أليست حياتك سعيا دائبا وجهادا متصلا ؟ فما ان تبلغ هدفا حتى تسعى الى آخر ، وما ان تصل الى محطة حتى تستعد الى الرحيل الى اخرى . ولو كان بلوغ هدفك الاول مريحا آمنا ، فسيكون سعيك الى بلوغ هدفك الآخر مريحا آمنا كذلك ، واذن فعليك منذ البداية ان تحدد هدفك بحيث يمكن الوصول اليه ، وان تختار الطريق الذي يؤدي الى هدفك بحيث يمكنك السير فيه ، وهذا يعني ان تكون اهدافك واقعية وعملية وملائمة لقدراتك ، وان تكون سبل الوصول اليها ممكنة ، حتى اذا ما بلغت هدفك شعرت بالراحة واخذت

تستعد للسعي الى هدف آخر وهكذا ستجد حياتك سلسلة متصلة من الاهداف ، وستجد نفسك في سعي دائم اليها .

ومنذ ان كنت طفلا وانت تسعى الى شيء ما ، كنت لا تكف عن الحركة ، وكنت تخلق لنفسك دائما اسباب النشاط ، كان والداك يرسمان لك اهدافك ، لكن ما ان كبرت حتى اخذت تحاول ان ترسم اهدافك بنفسك وهذا طبيعي ومتوقع ، فكلما نما الانسان ، وكلما ازداد وعيه بذاته ، اخذ قدره بين يديه ، واخذ يخطط لحياته ، ويرسم اهدافه بنفسه .

كيف تخطط لاهدافك ؟

قرأت في الايام الاخيرة كتابا صغيرا كتبه استاذ سابق بجامعة مينسوتا ، يشغل الآن منصب نائب رئيس مركز القيادة الابتكارية ، اما الكتاب فيحمل عنوانا طويلا وغير تقليدي هو « اذا لم تعرف الى اين انت ذاهب ، فمن المحتمل ان تنتهي الى مكان آخر » ، واما المؤلف فهو دايفد كامبل .

يؤكد كامبل اهمية التخطيط فيقول : « اذا اردت لشيء ان يحدث فلا بد ان تخطط له » . ولقد سأل كامبل كثيرا من الناس الذين حققوا في حياتهم نجاحا كبيرا عن اسباب نجاحهم ، وكانت اجاباتهم تكاد تأتي متماثلة ، اذ يقولون : « حظ كبير ، ولكن مع كثير من التخطيط » فالنجاح لا يأتي الينا ونحن جالسون نستمتع بهدوء الحياة ، او نتعمد البعد عن ضوضائها ، اذ لابد من العمل الجاد الدءوب ، واذ اردنا ان نحقق شيئا ، فلا بد ان نخلق الظروف لحدوثه . ويقدم لنا كامبل عدة قواعد نهتدي بها في تخطيطنا لاهدافنا هي :

١ ـ التخطيط امر احتمالي ، وهذا يعني ان خططنا قد تحقق وقد لا تحقق ، واذا عرفنا ذلك منذ البداية ، فستوفر على انفسنا كثيرا من الاسى فليس هناك شيء مؤكد في الحياة . ويجب ان نتحقق ان اية خطة نضعها ، انما تتعامل مع المجهول ، ويترتب على ذلك عدة نتائج :

اولا ـ هناك عدة اشياء نستطيع ان نفعلها لتزيد من احتمالات نجاحنا .

ثانيا ـ من الافضل ان يكون لدينا خطط بديلة .

ثالثا ـ اية خطة يمكن ان تفشل ، ومن الافضل ان نعد انفسنا لذلك .

٢ ـ يجب ان نضع خططنا بحيث تغطي عدة فترات من حياتنا ، مثل ساعة او اسبوع او سنة ، او عشر سنوات ، ومن الطبيعي ان تختلف خططنا للعام القادم عن خططنا للسنوات العشر القادمة ، وانت تستطيع ، بل يجب ان تخطط للسنوات العشر القادمة ، ولكنك لا تستطيع ان تخطط لها بدقة ، لان هناك كثيرا من العوامل غير المعروفة لك الان والتي ستؤثر على خططك في السنوات العشر القادمة . وكما قال ونستون تشرتشل مرة : « يجب على المرء ان ينظر دائما للامام ، ولكن من الصعب عليه ان ينظر الى ابعد مما يرى » . وانت تستطيع بل ويجب ان تخطط للساعة القادمة ، وانت تستطيع ان تفعل ذلك بقدر كبير من الدقة ، ولكن بالطبع ، فان اية ساعة واحدة من عمرك ، لن يكون لها تأثير كبير على حياتك .

وبالرغم من ان هناك قدرا كبيرا من الاحتمالات في السنوات العشر القادمة ، الا انه من المؤكد بعد هذه الفترة ، انك ستكون قد كبرت عشر سنوات . فاذا كان عمرك الآن سبع عشرة سنة ، فمن المحتمل في العشر سنوات القادمة ان تكمل تعليمك ، وتلتحق بعمل ، وقد تترك اسرتك ، وقد تتزوج وتبدأ اسرة اخرى ، أترى ؟ هناك تغيرات اساسية قد تحدث في حياتك ، والمفاجآت التي يمكن ان تطرأ لك كثيرة ـ ماذا فعلت لتستعد للعشر سنوات القادمة ؟

اما اذا كان عمرك الان سبعا وثلاثين عاما ، فمن المرجح ان تصل الى قمة مستقبلك المهني في العشر سنوات القادمة ، كما يصل دخلك الى اقصى مدى له ، وسيكبر اطفالك ويصلون الى سن الالتحاق بالجامعة ، وقد يتركون المنزل بعد قليل ، كما سيبدأ جسمك في الكبر بسرعة ، وستكون طاقتك على العمل واحتمالك المشقة اقل مما تستطيع الان . وستكون في طريقك الى منتصف العمر ، وقد تكون هذه الحقيقة مؤلمة ، ولكنها واقع .

٣ ـ يجب ان يخطط المرء بحيث يكون متعمقا في مجال واحد على الأقل من مجالات حياته . ركز بقوة على

شيء ما ، سواء كان عملك او هواية لك ، او نشاطا ما من الانشطة الجماعية . حاول ان تكون ممتازا في نشاط واحد على الاقل ، ممتازا لدرجة كافية تستطيع ان تشعر معها بالفخر لانك تعرف انك انسان له قيمة يستطيع ان يعمل على الاقل شيئا واحدا بشكل ممتاز . ولكي تفعل هذا فانك تحتاج الى الاخلاص والتصميم والمثابرة . وانت لا تستطيع ان تكون مخلصا وممتازا ومصمما في كل المجالات . لا تحاول ان تكون ممتازا في كل شيء ، بل اختر شيئا واحدا ، وكن ممتازا فيه ، واذا اخترت الشيء الملائم ، فستحدث لك اشياء جميلة .

٤ ـ يجب ان تخطط لممارسة نشاطات مختلفة ، حتى ولو ركزت على ناحية واحدة . فالحياة مليئة بالمتغيرات ، وافضل ضمان لك ضد التغيرات المأساوية هو ان يكون لك مواهب متعددة ، ومميزات مختلفة . لتأخذ هذه الحقيقة في الاعتبار وانت تخطط لاهدافك .

٥ ـ خطط لكي تنجز اعمالك بالتدريج لا بواسطة قفزات مسرحية . فكل شيء ذو قيمة في الحياة تحصل عليه عن طريق مجهودات صغيرة محدودة متتالية : التعليم تتمه بالتدريج ، والاطفال ينمون قدرا في كل يوم ، والحدائق الجميلة تخطط وتنمو ببطء ، والمواهب تتحدد ، والعلاقات تتشكل ، والعاطفة القوية توجد بالتدريج . فحياتنا هي سلسلة من العمليات في كل المجالات ـ كالعمل والاسرة والاصدقاء ـ نحاول ان نخلق بواسطتها حياة افضل . وقليل من هذه العمليات ما يتحرك بسرعة .

انت تخطط اذن لتحقق عملا ما ، او لتحقق عدة اعمال .. هذا العمل هو الهدف الذي تسعى الى الوصول اليه . وقد استعرضنا معا الشروط التي يرى دايفيد كامبل انك اذا اتبعتها كان تخطيطك جيدا . لنعد الى هذه الشروط ، ولنتأمل ، فبعضها يحتاج الى مزيد من التفكير . واول ما يلفت النظر هو الشرط الثاني الذي يوضح اننا ونحن نحدد الهدف ، يجب ان تأخذ الوقت الذي يتحقق فيه الهدف في الاعتبار واننا يجب ان نحدد اهدافنا تتحقق في فترات محددة ومختلفة في حياتنا . كيف ؟ يجيب كامبل : اننا يمكن ان نصنف اهدافنا طبقا للوقت الذي يستغرقه تحقيقها الى :

أ ـ اهداف بعيدة المدى . وتهتم هذه الاهداف باسلوب الحياة التي يود الفرد ان يحياها : اي نوع العمل الذي يريد ان يمارسه ، وما اذا كان يريد ان يتزوج ، ونوع الاسرة التي يريد ان يكونها . وبالرغم من انه يجب ان يكون لك خطة ترسم فيها اسلوب حياتك ، الا ان كامبل ينصحك بألا تحدد خطة مفصلة تماما ، ذلك انه ستحدث في حياتك تغيرات ، وان هذه التغيرات قد تكون كبيرة ، ولذلك يجب ان تكون خططك مشاريع اولية ، ترسم تفاصيلها حين تقترب من الواقع الذي ستشاهدها فيه ، كما يجب ان تكون مرنة يمكن تعديلها اذا ما اقتضى الامر ذلك .

ب ـ اهداف متوسطة المدى . وهي الاهداف التي تسعى الى تحقيقها خلال السنوات القادمة في حياتك ، كالخمس سنوات القادمة مثلا . وتهتم هذه بنوع التعليم او التدريب الذي تريد ان تحصل عليه ، او بالخطوة التالية في حياتك المهنية ، فتلميذ المدرسة الثانوية مثلا ، يفكر في نوع التعليم الجامعي الذي يريد ان يتلقاه ، ونوع المهنة التي يريد ان يعد نفسه لها . وتستطيع انت ان تتحكم في هذ الاهداف اكثر مما تتحكم في الاهداف البعيدة المدى وتستطيع ان تعرف ما اذا كنت ستستطيع ان تحقق هذه الاهداف ، او ما اذا كان يجب ان تعدل خططك ، وتعيد تحديد اهدافك ..

جـ ـ اهداف قصيرة المدى . وهي الاهداف التي يمكن ان تتحقق من الآن وفي خلال شهر واحد الى سنة واحدة من حياتك . وتستطيع ان تحدد هذه الاهداف بقدر كبير من الواقعية ، كما تستطيع ان تتنبأ مبكرا بما اذا كنت ستحققها ام لا . وينصحك كامبل بالا تحدد اهدافا يستحيل الوصول اليها ، فبالرغم من انه قد يكون من المفيد ان تحدد اهدافا ذات قيمة ، تبذل الجهد لتحقيقها ، الا ان هذه الاهداف يجب الا تكون صعبة وغير واقعية ، بحيث تثبط همتك ، وانت تسعى الى تحقيقها . ومن هنا يجب ان تسعى الى اهداف واقعية ، وتحاول جاهدا تحقيقها .

د ـ اهداف صغيرة . وهي الاهداف التي يمكن ان تتحقق في وقت قريب من يوم الى شهر ، وتستطيع ان تتحكم في هذه الاهداف بقدر اكبر مما تستطيع أن تتحكم في الاهداف طويلة المدى . فانت تستطيع ان تخطط

برنامجا للاسبوع المقبل او الشهر القادم . واذا كانت خططك مقبولة ، فستكون فرص نجاحك في تنفيذ هذه البرامج كبيرة . اما اذا اكتشفت ان خططك طموحة جدا ، فتستطيع ان تعدلها في المراحل التالية ، تذكر انك اذا حصرت تفكيرك ، وحددت خططك في فترات قصيرة من الوقت ، فتستطيع ان تتحكم بقدر اكبر في كل فترة .

هـ ـ أهداف مصغرة . وهي الاهداف التي يمكن ان تتحقق في الخمس عشرة دقيقة القادمة او الساعة القادمة . وهذه هي الاهداف الوحيدة التي تستطيع ان تتحكم فيها تحكما مباشرا ، ولذلك فانه بالرغم من انها تكون اهدافا متواضعة ، الا انها هامة جدا ، لانه من خلال الاهداف المصغرة ، تستطيع ان تحقق الاهداف الكبيرة ، واذا انت لم تستطع ان تتقدم نحو اهدافك الكبيرة خلال الخمس عشرة دقيقة القادمة ، فمتى تحقق تقدما ؟ في الخمس عشرة دقيقة القادمة ؟ او التي تليها ؟ لابد انك ستلتقط خمسة عشرة دقيقة في وقت ما ، وتبدأ مسيرتك .

وانت ، اذا استطعت ان تخطط جيدا اهدافك المصغرة ، وتتقدم في تحقيقها ، فتقول مثلا : سأبدأ في عمل الواجب المطلوب مني الآن . سأحادث صديقي الان لكي نتفق على موعد اللقاء في يوم الجمعة . سأبدأ لاعداد حقيبة ملابسي لرحلة الاسبوع القادم الآن . اذا استطعت ذلك ، فستجد انك تسير في طريق تحقيق اهدافك الكبيرة .

وعلى العموم ، فانه كلما كان الهدف كبيرا ، قلت امكانية تحكمك فيه . فاذا وضعت لنفسك هدفا كبيرا ، كان تكون عالما مشهورا ، او مخترعا ناجحا ، او موسيقيا عظيما ، فانك لن تستطيع ان تحقق ذلك اليوم ، ولكنك لو قلت لنفسك سأدرس اليوم العشر صفحات الاولى من كتاب مبادىء الطبيعة او سأتعلم الحروف الاولى للنوته الموسيقية ، فستجد ان عشر صفحات من كتاب ، أو عدة حروف موسيقية لن تكون شيئا كبيرا ، ولكنها خطوة على الطريق .

والنقطة الهامة التي يجب الا تغيب عن ذهنك هي ان الاهداف الوحيدة التي تستطيع ان تتحكم فيها هي الاهداف الصغيرة ، وان سر التخطيط الناجح هو كيف نربط بين عدة اهداف صغيرة بحيث تزداد فرصة نجاحك في تحقيق اهداف كبيرة .

لاحظ ان كامل حين صنف الاهداف جعل اساس التصنيف الزمن الذي يمكن ان يتحقق الهدف خلاله ، اي مدى قرب الهدف من الحاضر او بعده عنه .

هناك خاصية اخرى للاهداف يهتم بها المرشدون النفسيون حين يلتقون بمن يساعدون من الافراد هذه الخاصية هي ان نحدد الاهدف في شكل انواع من السلوك يمكن ملاحظتها اذا ما تحقق الهدف ، فانت اذا حددت مظاهر السلوك التي اذا تحققت ، تحقق معها هدفك ، كان من السهل عليك البحث عن طريقة تحقق بواسطتها هذه المظاهر السلوكية .

لنأخذ مثالا : السعادة كهدف ، فالناس عادة يقولون ان السعادة مسألة نسبية ، لانهم لا يستطيعون ان يتبينوا في لفظ السعادة اشياء معينة يسعون الى تحقيقها ، لكن لو حاولنا ان نحدد معنى السعادة بواسطة اشياء معينة نحققها ، لسهل علينا تصور الهف ، والطريق الى تحقيقه ، لو حاولنا ان نحدد السعادة بان نقول ان الانسان السعيد هو من يكثر ابتسامه ، ويقل توتره ، هو الذي يكون منتجا راضيا عن اسلوب حياته ، هو الذي يحب الحياة ويستمتع بها ، لو حددنا السعادة بهذه المظاهر السلوكية ربما امكن بعد ذلك ان نهتدي الى الطرق التي نحقق بها هذه المظاهر السلوكية فتتحقق السعادة للناس .

ولنتذكر أيها الانسان خاصيتين للهدف ، الاولى هي انه كلما كان الهدف قريبا من حاضر الانسان كان في استطاعة الانسان ان يتحكم في امكانية تحقيقه بشكل اكبر ، والثانية هي كلما كان الهدف يترجم الى مظاهر سلوكية محددة ، امكن التوصل الى اساليب تتحقق بواسطتها هذه المظاهر السلوكية وبالتالي يتحقق الهدف .

وليس عيبا ان نحلم باهداف كبيرة وبعيدة ، انما العيب ان نظل نحلق في فراغ هذه الاهداف الكبيرة البعيدة ، دون ان نكتشف طريق الوصول اليها ، الذي هو اهدافنا الصغيرة والمصغرة . ■■

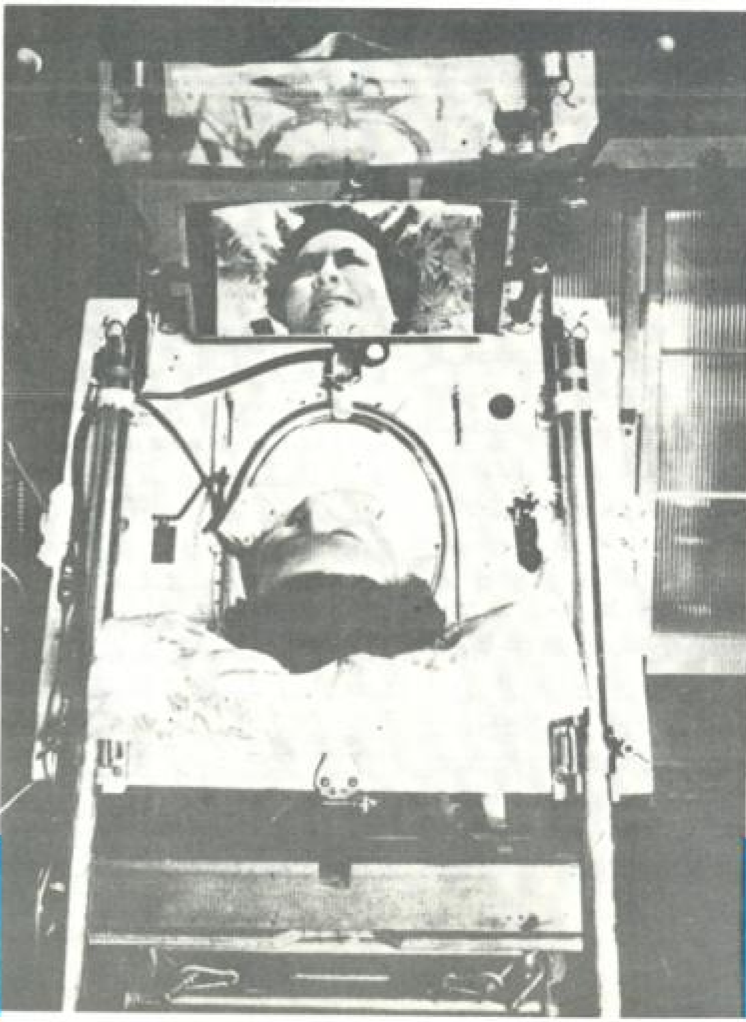
د . عبد الله سليمان

شلل الأطفال

عندما يخطئ الكبار ويدفع الصغار الثمن !

بقلم : الدكتور فاروق المهتدى

سيدة مصابة ترقد في جهاز التنفس الاصطناعي





شلل الاطفال مرض معد حاد ، يظهر اما كحالات متفرقة او بشكل وبائي ، وينتج عن فيروس ، ويعطي اعراضا مختلفة ، قد تكون خفيفة ، وقد تكون من الشدة بحيث تترك شللا وتعطيلا وارتخاء في بعض عضلات الجسم .

وتاريخ المرض يمتد الى قرون خلت ، غير ان اول وصف كامل له جاء من العالم الالماني «هاين» عام ١٨٤٠ م وفي عام ١٨٨٧ م تمكن العالم «اوسكار مدين» من اكتشاف المرض بصورة وبائية في السويد . وبعد ٩ أعوام تمكن العالم الامريكي « كافرلي » من اكتشاف الحالات البسيطة وحامل الفيروس . واستمرت الابحاث حتى تمكن العالمان « برنت وماكتمارا » في عام ١٩٣١ من اكتشاف أن للفيروس سلالات ثلاثة تعطي نفس الاعراض ، ولكن بواقع مختلف من حيث الشدة والآثار الناتجة عن الاصابة .

وظهرت موجات وبائية من المرض في كثير من الاقطار على مر السنين في شمال أوربا وشمال امريكا وفي استراليا ونيوزيلندة وجنوب افريقيا . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م ظهرت حالات شديدة في منطقة البحر الابيض المتوسط . وفي عام ١٩٥٠ ظهرت ٣٣٫٣٤٤ حالة في الولايات المتحدة وحدها .

اذا دخل خلية حية

والفيروس تكوين دقيق جدا اصغر من البكتيريا بكثير . ولا يرى بالمجهر العادي ولكنه يرى بالمجهر الالكتروني المعقد . ولا يمكنه التكاثر والنمو الا اذا دخل خلية حية . وهو مسبب لعدد كبير من الامراض المعدية . والفيروسات أنواع عدة منها ما يصيب الانسان والحيوان والنبات والحشرات والبكتيريا .

وفيروس شلل الاطفال هو من أدقها حجما ويتكون من حمض النرويك محاطا بجدار من مادة زلالية ، ويبلغ قطره ٢٨ مليميكرون (والمليميكرون واحد على ١٠ ملايين من المليمتر) . ولعدم وجود المادة الدهنية في تكوينه نراه يقاوم الكثير من المواد المطهرة والمعقمة ، ولكن يمكن اضعافه بالمؤكسدات القوية وبتعريضه للاشعة فوق البنفسجية .

ويعيش الفيروس لفترة من الوقت في الماء والحليب . ورغم أن فيروس شلل الاطفل ينتمي الى مجموعة الفيروسات المعوية الا انه من عشاق الجهاز العصبي، اذ سرعان ما يتجه اليه . والغريب انه يختار أماكن خاصة منه ليسكن بها ويتكاثر . ويعتبر الانسان المصدر الوحيد لهذا الفيروس .

ورغم أن الاسم « شلل الاطفال » يعطي انطباعا بان هذا الفيروس لا يصيب الا الاطفال ، غير أن هذه التسمية خاطئة ، أطلقت في اوائل هذا القرن عندما كان الفيروس يفتك بعدد كبير من الاطفال بين العام الثاني والعام الخامس من أعمارهم ، والحقيقة أن الفيروس يصيب جميع الاعمار ، وان كان الطفل حتى عامه الاول تكون لديه مناعة ضده ـ الى حد ما ـ منقولة عن والدته .

والظاهرة اللافتة للنظر انه كلما تقدمت الرعاية الصحية والعناية بالنظافة في مجتمع ما ، زادت نسبة الاصابة بالشلل في الكبار ، ويرجع ذلك لعدم تعرضهم المبكر للفيروس وعدم اكتسابهم المناعة ضده ..

وتتم العدوى من شخص الى آخر عن طريق حلقة دائرية تضم الفم والحلق والجهاز الهضمي والبراز . ويمكن دخول الفيروس لجسم الانسان بطرق اخرى كالرذاذ او حقن العضل أو الوريد او تحت الجلد التي تكون حاملة للفيروس ، أو بواسطة الجروح كتلك الناتجة من عملية استئصال اللوزتين . ولكن ذلك لا ينتشر الا في حالات وجود المرض بشكل وبائي . ويكون انتشاره على نطاق ضيق جدا . وتكثر العدوى في أواخر الصيف وأوائل الخريف من كل عام . وتكون مدة الحضانة ما بين اسبوع الى ثلاثة أسابيع .

في الجهاز العصبي

وعند دخول الفيروس جسم الانسان سرعان ما يتكاثر في جهازه الهضمي والغدد اللمفاوية التابعة له . ثم يأخذ طريقه للجهاز العصبي .وهنا يستقر في أماكن خاصة منه : النخاع الشوكي وخاصة في خلايا القرن الامامي ـ النخاع المستطيل ، وهنا يختار نواة أعصاب الرأس والمراكز الحيوية به والتي تتحكم بالقلب والتنفس وتنظيم الحرارة ـ المخيخ ـ الدماغ الاوسط وخاصة في المادة الرمادية منه ـ المهاد والمهاد السفلي ـ الجوهر القشري للمخ وفي مركز الحركة به .

وعند دخول الفيروس الى الجسم تنشط عملية المقاومة وتظهر الاجسام المضادة. فان كانت المقاومة نشطة وقوية تمكنت من التغلب على الفيروس ومنعه من الانتشار ومن ظهور أعراض المرض الناتج عنه . وتمكنت أيضا من ايجاد مناعة دائمة بالجسم. أما ان كانت المقاومة ضعيفة وغير نشطة لسبب من الاسباب ، انتشر الفيروس وظهرت أعراض المرض على المصاب .

ويمكن أن تتخذ العدوى احد المظاهر الآتية:

أولا : العدوى غير الظاهرة بالفحص الكلينيكي، ولا يشكو المصاب من أية أعراض وذلك نتيجة لسرعة عملية المقاومة وفعاليتها .

ثانيا : العدوى المقيمة أو الخائبة وهنا تظهر أعراض الحمى فقط .

ثالثا : العدوى التي تعطي أعراض التهاب السحايا غير الميكروبي ولكن لا تسبب شللا .

رابعا : العدوى التي ينجم عنها الشلل ويمكن تقسيمها الى : تلك التي تصيب النخاع الشوكي ـ التي تصيب الانتفاخ النخاعي ـ التي تصيب الدماغ .

ويمكن للعدوى أن تجمع بين هذه المظاهر الاربعة. ومن حسن الحظ أن العدوى غير الظاهرة هي الاكثر انتشارا ، تليها العدوى المقيمة . وهنا يشعر المصاب بصداع بسيط ، وارتفاع في درجة الحرارة، واحتقان بالحلق ، وغثيان وقيء واسهال وضجر وخمول . وترتفع الحرارة تدريجيا لتصل أعلى ارتفاع لها بعد ثلاثة أيام ولا تزيد عن ١٠٣° فهرنهايت (٣٩٫٤° مئوية) ، ثم تهبط بسرعة ، من حسن الحظ أن ثلثي المرضى يتم شفاؤهم شفاء تاما ، وثلثهم يمر الى المرحلة التي تليها .

أما العدوى التي تعطي أعراض التهاب السحايا، فبالاضافة للاعراض السابقة تظهر أعراض اصابة الجهاز العصبي وهنا يحس المصاب بتيبس وألم بعضلات الرقبة من الخلف ، ويشتد الصداع والغثيان والقيء ويشعر المصاب بهبوط عام ، وقد يصاب بشلل عابر بالمثانة وبامساك .

أما العدوى التي ينجم عنها الشلل فقد تبدأ بنفس الاعراض السابقة ، وفي حالة اصابة النخاع الشوكي يشعر المصاب بألم وتقلص في بعض العضلات وغالبا ما تكون عضلات الاطراف . ويبدأ ظهور الشلل بعد مضي يومين الى خمسة أيام ، ويكون غير متماثل كأن يصيب مجموعة من العضلات في طرف من الجسم ويترك عضلات الطرف الثاني . والسيقان أكثر تعرضا من الذراعين، والعضلات الكبيرة أكثر تعرضا من الصغيرة ، ولذا تكثر الاصابة بمجموعة عضلات قصبة الساق وعضلات الفخذ ،وعضلات منطقة الكتفين ، والعضلة الدالية، والشلل هنا يكون رخوا مع فقدان القوة العصبية وضمور سريع بالعضلات المصابة .

وفي حالة اصابة الانتفاخ النخاعي تكون الحالة خطرة لان الاصابة هنا تؤثر على المراكز الحيوية والتي تنظم التنفس والدورة الدموية وحرارة

الجسم ، وقد تؤدى الى اضطراب بها ، وزرقة بالجسم ، وزيادة افرازات الانف والغدد اللعابية ويصبح المصاب وكانه غارق بافرازاته • وقد تؤدى هذه الحالة الى الالتهاب الرئوى والاختناق•

وفى حالة اصابة النخاع يكون المصاب سريع التهيج ، حاد الطبع فاقد التركيز والتفكير السليم، ويصاب برعشة بالاطراف والاصابع قد تصل الى حد التشنجات الشديدة •

ويجب علينا ان نفرق بين الاصابة بفيروس شلل الاطفال والحالات التى تعطى اعراضا شبيهة لاعراضه مثل : ـ حالات ارتفاع الحرارة : كالانفلونزا ، والتهاب السحايا التدرنى او الميكروبى ، والحمى الروماتزمية ، والتهاب المفاصل الروماتزمى ، والالتهاب الرئوى ، والتيفوئيد ، والدوسنطاريا ، والتهاب المسالك البولية، والتهاب الحلق واللوزتين الحاد التى تؤدى الى الام عضلات الرقبة •

الحالات التى تؤدى الى ضعف بالعضلات : كمرض جوليان بارى وبعض السموم كالرصاص ، ونقص بعض الفيتامينات والدفتريا ، ومرض الكلب ، والتيتانوس (الكزاز) ، وحالات الهستيريا •

حالات تؤدى الى شلل كاذب : مثل الكسور والكدمات والتهاب المفاصل والتهاب العظم الحاد والاسقربوط • والمعروف عن فيروس شلل الاطفال انه عند دخوله الجهاز العصبى يختار نواة الخلية التى تسيطر على الحركة بالجسم ويترك الخلايا التى تسيطر على الاحساس ، ولذا نرى ان حساسية الجسم تبقى سليمة دون تاثير •

قواعد للعلاج

ويعتمد العلاج على قواعد اساسية هى : علاج الحالة حسب شدة الاصابة التى بها ـ التقليل قدر المستطاع من التشوه الذى قد ينجم من الشلل ـ علاج المضاعفات التى قد تحدث مستقبلا ـ تخفيف التاثير النفسى الناتج على المصاب واهله ، واعدادهم نفسيا ، لتقبل العلاج المستمر الطويل ، والتشوه الخلقى الذى قد يحدث •

وكباقى حالات الاصابة بالفيروسات ، لا يوجد حتى الان علاج فعال ، يمكنه القضاء على فيروس شلل الاطفال • ويمكن علاج حالات العدوى العقيمة، وحالات اعراض التهاب السحايا غير الميكروبى والتى لاتسبب شللا ، فى البيت ، حيث ينصح المريض براحة تامة بالسرير ولمدة اربعة عشر يوما ، مع اعطائه المسكنات والمهدئات ، ووضع مكمدات حاره كل ساعتين او ثلاثة لمكان الالم ، والعناية بنظافة وتغذية الجسم ، واستمرار الملاحظة بعد تحسن حالته لفترة شهرين على الاقل للتاكد من عدم حدوث ايه مضاعفات •

اما الحالات الشديدة والتى تسبب شللا فيجب نقلها الى مستشفى معد جيدا ومجهز باجهزة خاصة لاستقبال مثل هذه الاصابات ومضاعفاتها • وهنا يجب عزل المصاب فى جو هادىء ولمدة ثلاثة اسابيع مع العناية بالنظافة التامة والتخلص من الفضلات بصورة جيدة تضمن عدم انتشار الفيروس، وعند حدوث الشلل يوضع الطرف المصاب بوضع خاص يجعل العضلة او العضلات المصابة فى حالة ارتخاء تام وتشد العضلات المضادة للتقليل قدر الاستطاعة من حدوث التشوه •

ويجب المحافظة والعناية بالمثانة والامعاء والجلد وخاصة تلك الاماكن المعرضة منه للضغط المستمر•

وفى حالة حدوث اضطراب بالجهاز التنفسى او اصابة عضلات التنفس والحجاب الحاجز والمراكز الحيوية ، يستعان فورا بالاجهزة الخاصة لمثل هذه الحالات ، كان يوضع المصاب بجهاز خاص للتنفس الاصطناعى لفترة من الزمن حتى يزول الخطر ويمكنه ثانية العودة لعملية التنفس الطبيعية وان كان هناك افرازات كثيرة يجب شفطها بجهاز خاص ومساعدة المصاب بجهاز اخر على التنفس ، وقد نلجا فى الحالات الشديدة لاجراء عملية شق القصبة الهوائية ووضع انبوبة بداخلها لتفادى حدوث الاختناق

وعادة مانعطى المضادات الحيوية لا كعلاج ولكن كاجراء وقائى لمنع المضاعفات مثل الالتهاب الرئوى، وقد نستعين بجهاز الاكسجين فى بعض الحالات • وان حدث هبوط بالقلب نعالجه حالا •

وبعد ان يخف الالم مباشرة نبدا بعملية تحريك العضلة او الطرف المصاب ، ويجب الاستعانة بعد ذلك وفى اقرب وقت باخصائى الطب النفسى واخصائى التدليك الطبيعى واخصائى العظام ، لاجراء

اللازم حسب متطلبات كل حالة وحسب التشوه الذي حدث بها .

مياه الشرب أولا

والوقاية تنحصر بالعناية بنظافة المجتمع عامة، ونظافة الفرد خاصة . وبما ان الفيروس ينتشر من الفضلات الى الانسان عن طريق الفم وجب مراقبة وفحص مياه الشرب والمواد الغذائية بصورة دقيقة .

وفي حالة ظهور المرض بشكل وبائي في بلد ما ، يجب العناية بكل من تظهر عليه اعراض مشابهة لاعراض المرض ومراقبته مراقبة جيدة . وعزل المصاب فور تشخيص حالته . والتخلص من فضلاته بطريقة تضمن عدم انتشار الفيروس . وننصح في هذه الحالة بعدم الكثرة في اعطاء الحقن ، لانها كما سبقوان اشرنا يمكنها نقل العدوى . وننصح ايضا بعدم اجراء العمليات على الحلق والفم مثل استئصال اللوزتين وعدم السباحة في المسابح العامة .

وقبل اكتشاف الطعم الواقي كانت المناعة تتم بعد التعرض للفيروس بكميات قليلة تنشط المقاومة بالجسم وتكون الاجسام المضادة ، فتمنع ظهور اعراض المرض وتعطي مناعة دائمة .

وفي بداية النصف الثاني من هذا القرن ، وفي عام ١٩٥٤ تقريبا تمكن العلماء من الوصول الى اكتشاف هام ، وهو ان الاجسام المضادة لفيروس شلل الاطفال يمكن ايجادها وتكوينها بالجسم عند اعطاء مركبات بها فيروسات قد تم اضعافها او القضاء عليها . ومن هنا ظهر طعم « سلك » Salk والذي يحتوي على مجموعة فيروسات تم القضاء عليها وطعم « سابين » Sabin الذي يحتوي على فيروسات حية امكن اضعافها . وكلاهما يحتوي على الانواع الثلاثة من فيروس شلل الاطفال التي سبق ذكرها . وطعم « سلك » يعطي بالعضل واحد ملليمتر كل شهر ما بين الشهر السادس والثاني عشر ، وجرعة منشطة كل عامين .

اما طعم « سابين » فيعطي عن طريق الفم ، والجرعة هي نقطتان عند بلوغ الطفل الشهر الثاني والرابع والسادس من عمره ، ثم جرعة منشطة بعد عام واخرى عند دخوله المدرسة اي حوالي العام السادس من العمر . وهو الطعم المفضل الآن لسهولة اعطائه ولانه يدخل الجهاز الهضمي وينشط مقاومة الجسم ويحتوي على الفيروسات الحية التي تم اضعافها .

وبعد هذا الاكتشاف العظيم وبعد التمكن من منع حدوث هذا المرض الخطير ـ بصورة قد تكون تامة ـ بواسطة التطعيم يتأكد لدينا ان اي اهمال او تقصير في اعطاء الطعم (وبجميع جرعاته) قد يعرض الطفل او الانسان الكبير لهذا المرض اللعين . ولذا يمكننا القول : « بأن شلل الاطفال ينتج من خطأ واهمال يقع فيه الكبار ويعاني منه الصغار طول حياتهم » . ■■

الكويت ـ د . فاروق المهتدي

دعنا نصل جماعة

● زعموا أن ثعلبا مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا يؤذن . فقال له : أما تنزل حتى نصلي جماعة ؟ فقال الديك : ان الامام نائم في أصل الشجرة فايقظه حتى نصلي جماعة . فنظر الثعلب من حوله فرأى كلبا فقفز هاربا . فناداه الديك : أما تأتي لنصلي ؟ فقال : نعم ،أجدد وضوءا وأرجع .

السكرتيرة الحسناء



وآلة العصر

بقلم : سعد الحاج بكرى

■ كنت اذهب اليها مرة كل شهر وقد خلت جيوبي من الدراهم ، وكانت هي تستقبلني بنظرة ترحيب من عينيها الجميلتين وسؤال العارف عما اريد ، لأجيبها باظهار جيوبي الخاوية المنتظرة للراتب الشهرى ولاحظى منها بابتسامة تزيد من جاذبية وجهها الصبوح . كانت تجلس وراء مكتب صغير على جانبه الايمن حاملة اوراق كتب عليها الداخل والمقصود العمل المطلوب انجازه ، وعن يساره حاملة اوراق اخرى كتب عليها الخارج والمقصود نتائج الاعمال المنجزة.ومن حولها في غرفتها الصغيرة الانيقة خزائن تحوى أوراقا كثيرة مرتبة في ملفات ومصنفة في تسلسل وتنظيم ، فقد كانت واحدة من موظفات الشئون المالية في المؤسسة الكبرى التي كنت اعمل بها .

كان يحلو لي في زيارتي الشهرية لها ان اراقبها وهي تؤدى عملها تتحرك بانوثة ورقة وتحسب الاموال بخفة ودقة . كنت اضع امامها في حاملة اوراق الداخل وثيقة احضرها من دائرة شؤون الموظفين تحوى تفصيلات عملي خلال الشهر الماضي . ايام العمل المنتظم ، وايام الغياب ، ساعات العمل الاضافي والمكافآت ، التعويضات والترفيعات والارباح . وكانت هي تقوم اولا باناملها البيضاء النحيلة بسحب الوثيقة من حاملة اوراق الداخل لتضعها امامها فوق المكتب ، ولتقراها بعينين جادتين وهي تتحرك من مقعدها ، مظهرة جمال قدها المياس وتناسق ثيابها الانيقة ، لتحضر ملفي الخاص من احدى الخزائن الى مكتبها تستعين بما فيه من معلومات عن راتبي الاساسي ودرجة وظيفتي لتحسب اجوري المستحقة بناء على قوانين الشركة ، وتعيد الملف الى مكانه بعد اضافة وثيقة شؤون الموظفين اليه . ولتقوم اخيرا وهي تنظر الي وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة رقيقة بوضع شيك بالمبلغ المستحق لي في حامله اوراق الخارج لاتسلمه شاكرا بتصريح اللسان عملها ، ومثنيا بتلميح العيون على جمالها ولطفها .

البديل بطاقة

وفي ذات يوم ذهبت الى دائرة شؤون الموظفين

فاعطيت وثيقة هي عبارة عن بطاقة مثقبة مختلفة في الشكل عن الوثيقة المعتادة التي كنت اتلقاها. اتجهت الى غرفة الفتاة الجميلة موظفة الشؤون المالية لاجدها مقفلة وعلى بابها ملاحظة تقول ان شيكات الرواتب سوف تعطى عن طريق آلة جديدة ابتاعتها المؤسسة تدعى الحاسبة الآلية Computer وانها لذلك قد استغنت عن عدد من الموظفات والموظفين. قرأت الملاحظة حتى آخرها بشعور امتزج فيه الاسى على فقد الزميلة الظريفة التي اعتدت ان اراها كل شهر ، مع الرغبة في استطلاع الآلة السحرية التي تؤدي بمفردها عمل العديد من الناس . واتجهت الى حيث الحاسبة الآلية لاجد غرفة كبيرة قسمت بحائط نصف زجاجي الى قسمين : الداخلي منه عبارة عن اجهزة الكترونية متعددة الاشكال ، والخارجي منه عبارة عن مجموعة من الاجهزة الصغيرة لكل منها مدخل ومخرج . وضعت الوثيقة على احد المداخل لاحصل بعد ثوان من المخرج على الشيك المطلوب . كيف تم ذلك وكيف حصلت الاجراءات التي كانت تؤديها تلك الفتاة :

★ كيف تلقت الآلة الوثيقة من المدخل المماثل لحاملة اوراق الداخل على مكتب الفتاة وكيف قرأتها ؟

★ اين الخزائن ، واين الملفات وكيف استطاعت الآلة احضار ملفي الخاص للاستعانة بما فيه من معلومات ؟

★ كيف استطاعت الآلة حساب اجوري المستحقة بناء على قوانين الشركة ، وكيف استطاعت هذه الآلة الصماء فهم تلك القوانين والعمل على اساسها ؟

★ كيف ادت الآلة كل هذا العمل بثوان وكيف قامت بكتابة الشيك وتقديمه الى عند المخرج ؟

مقارنة بين الآلة .. والفتاة

كيف تم كل ذلك امر قد يبعث على الحيرة ويبني هالة اسطورية حول هذه الآلة الحديثة . ولعل فهم الامور يبدد الحواجز ويرضي العقل في اكتشاف خفايا الوجود . وقد يكون من المفيد لتحقيق الفهم المنشود البحث اولا عما يحتاجه عمل موظفة الرواتب ومن ثم مقارنة اداء الفتاة له مع اداء الآلة .

يحتاج العمل الى :

★ مدخل لادخال الوثائق او البرامج او البيانات .

★ برنامج للعمل وفق القوانين والانظمة المتبعة ، قوانين الشركة مثلا .

★ مخزن لاستيعاب المطلوب في الوثائق وحفظ برنامج العمل .

★ مخازن اخرى لتخزين المعلومات التي قد يحتاجها العمل كملفات الموظفين .

★ وسيلة لاداء العمليات المطلوبة .

★ مخرج لاعطاء النتائج .

★ جهاز للتحكم باداء العمل .

كانت الفتاة تحفظ برنامج العمل في ذاكرتها ، وتستوعب فيها متطلبات الوثائق بعد ان تقرأها بعينيها الجميلتين . وهذا ايضا ما تفعله الحاسبة الآلية فهي تقرأ المعلومات الداخلة اليها عن طريق جهاز ادخال خاص Input هو في حالة الوثائق قارىء البطاقات Card Reader حيث تمثل الثقوب بالنسبة اليه ما تمثله الاحرف بالنسبة لعيني الفتاة ، ثم تقوم بحفظ هذه المعلومات Data في ذاكرتها Memory الى جانب برنامج العمل الذي يجب ان تؤديه . فاذا كانت ذاكرة الانسان هي خلايا المخ ، فذاكرة الآلة هذه هي خلايا الكترونية خاصة .

اما المعلومات المساعدة عن موظفي الشركة فقد كانت تحفظ في ملفات توضع في خزائن حول مكتب الفتاة ، حيث كانت تعود اليها لتذاكرها عند الحاجة ، فقد كانت هذه الملفات عبارة عن ذاكرة مساعدة للفتاة في اداء عملها . والذاكرة المساعدة هذه Auxiliary Memory موجودة ايضا في الحاسبة الآلية ، وغالبا ما تكون على هيئة شريط مغنطيسي Magnatic Tape يشبه شريط تسجيل الاصوات .

كانت الفتاة في تحديدها للاجور المستحقة تقوم باجراء العمليات الحسابية على ورقة خارجية او بمساعدة اداة حساب صغيرة Calculator وفق قوانين وانظمة العمل . وتقوم الحاسبة الآلية باداء ذلك بواسطة وحدة الحسابات Arithmatic Unit القادرة على فهم وتنفيذ خطوات برنامج العمل المقيم في ذاكرة الحاسبة .

عند الانتهاء من حساب اجور اي من العمال ، كانت الفتاة تقوم بكتابة الشيك ووضعه في حاملة

اوراق الخارج • والحاسبة الآلية تقوم أيضا بنفس العمل بواسطة جهاز مخرج خاص Output يكون أحيانا على هيئة طابعة خط LinePriuter أو طابعة عادية او شاشة تلفزيونية VEU

يحكم الانسان فى عمله جهاز عصبى يمتد عبر خلايا الجسم • وهذا هو الحال ايضا فى الحاسبة الآلية حيث انها تحتوى على جهاز تحكم Control يقوم بضبط خطوات العمل وتسييرها بحيث تبدو وكانها تتداعى بشكل تلقائى • ولئن كان الانسان جسدا يكتسب العلم والفكر فالحاسبة الآلية هى تكوين يتقبل التوجيه ويتألف هذا التكوين Hardware من قطع معدنية ودوائر الكترونيه تعمل بانسجام وفق توجيه يحدده برنامج عمل Software تؤديه الآلة •

وحدة الزمن جزء من المليون من الثانية

وتتميز الحاسبة الآلية عن الانسان بان وحدة الزمن بالنسبة اليها هى جزء من مليون من الثانية Microsecond . وانها صماء لا تتعرض لاية مشاكل نفسية او اجهادات فكرية أو مداعبات الزملاء ، وعلى ذلك فبامكانها أداء عمل العديد من الناس بكفاءة افضل ودقة أعلى • ونتيجة لذلك فقد غالى الكثيرون اذ اسموها بالعقل الالكترونى. فاذا كانت مزية العقل هى التفكير ، فان هذه المزية تكرار فكر محدد وضعه لها انسان . كتتابع خطوات اجراء حسابات الرواتب من اجل كل الموظفين • ولئن استطاعت هذه الآلة أن تحل محل تلك الفتاة الجميلة فى عملها المحدد فهى لا تستطيع أن تحل محلها فى قراءة كتاب أو ابداع فكرة ، وهى لن تستطيع ان تكون البديل لمفكر او مخترع ولو انها تستطيع أن تكون المساعد الامين لهذا العالم أو ذلك المبدع •

واستخدامات الحاسبة الآلية فى حياة اليوم كثيرة ومتعددة الجوانب والدلائل تشير الى أنها ستكون اكثر اتساعا وانتشارا فى المستقبل ، فهى فى المصارف تؤدى الحسابات ، وهى فى مكاتب السفر تقوم بحجز المقاعد للمسافرين، وهى فى المستشفيات ترقب أحوال المرضى • وهى فى مراكز البحوث والجامعات تنفذ برامج الدارسين لحل المشاكل العلمية ، وهى فى الطائرات والبواخر تساعد فى الملاحة ، ولعلها تاخذ طريقها فى المستقبل الى كل بيت •

العرب والرومان والاغريق وعمليات الجمع والطرح

والحاسبة الآلية بشكلها الحالى هى حصيلة تاريخ طويل بحث خلاله الانسان عن ادوات تعينه فى اجراء حساباته • فقد استعان اولا بيده وكلمة رقم احادى Digit فى اللغة اللاتينية تعنى اصبعا • ثم استخدم الرومان والاغريق بعد ذلك آلة الاباكوس Abacus لاجراء عمليات الجمع والطرح ، وهى عبارة عن رقعة مقسمة تشبه رقعة الشطرنج تجمع الاحجار على كل من اقسامها حسب متطلبات العمليات• وفى عام ٨٢٥م وضع أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى اول كتاب شامل فى علم الحساب • وظل هذا الكتاب مرجعا وحيدا فى هذا العلم لزمن طويل حتى ان الكلمة الفنية الانجليزية Algorithm والتى تعنى طريقة معينة او برنامجا محددا لحل قضية ما ماخوذه عن اسم هذا العالم الشهير • وفى عام ١٦٤٢م بنى بليز باسكال Blaise Pascal اول آلة حسابية تقوم باجراء العمليات الاربع الجمع والطرح والضرب والقسمة لمساعدة والده موظف الحسابات فى ادارة الجمارك• وقد كان تشارلز باباج Charles Babbage اول من بنى حاسبة الية تشبه فى عملها آلة اليوم كان ذلك عام ١٨٣٣م ، لكن هذه الآلة لم تاخذ حظها من الانتشار لانها اعتمدت على التكوين الميكانيكى دون الالكترونات التى لم تكن قد ظهرت بعد • ومرت الايام وفى شهر مايو (أيار) عام ١٩٤٩ ولدت اول حاسبة آلية الكترونية فى جامعة كمبردج •

وقد تطور هذا النوع من الحسابات بعد ذلك وبسرعة فائقة عبر اجيال اربعة الاول منها كان يستخدم صمامات الراديو والوصلات النحاسية ، والاحدث فيها يستخدم دارات التكامل ذات المجال المتسع LSI فحاسبة بحجم غرفة كبيرة من الجيل الاول تعادلها حاسبة بحجم كرسى عادى من الجيل الرابع،ولئن استطاعت آلة الجيل الرابع أن تاخذ مكان الفتاة الجميلة فى أداء حسابات الرواتب، فقد تستطيع آلة الجيل الخامس ان تاخذ مكان الزوجة العزيزة فى اداء الاعمال المنزلية • ولكن تبقى الحاسبة الآلية آلة صماء ، ويبقى الشعر والخيال والفكر والابداع ملك للانسان وحده •

■■

سعد الحاج بكرى

الأمثال الكويتية المقارنة

تأليف : أحمد البشر الرومي وصفوت كمال

لعل كره الحديث عن النفس من أهم أخلاق الذين يؤمنون بخدمة العلم وقيمته . فقلّ أن تجد باحثا أرهق نفسه في تأليف موسوعة من الموسوعات العلمية أو الأدبية يحدثك عما لقي في تأليفه من مشاق ومصاعب وكل ما ينوّه به أهل الموسوعات الفقهية واللغوية والادبية والتاريخية والفلسفية والمفسرون بأنهم بذلوا قصارى جهدهم فيما قاموا به من تأليف .. فعلى قرّاء هذه الموسوعات أن يصفحوا عما يجدونه من عيوب أو تقصير في كتبهم ، بل ان أولئك العلماء يعترفون دائما بفضل من سبقهم بالتأليف .. تجد ذلك واضحا في مقدمة (ابن منظور) في كتابه لسان العرب والزبيدي في تاج العروس والنويري في نهاية الارب والقلقشندي في صبح الأعشى الى غير ذلك من الموسوعات .



وهذا الكتاب الذي صدر مؤخرا « الأمثال الكويتية المقارنة » ، اشترك في تأليفه احد الباحثين الجادين في التراث الكويتي ـ احمد البشر الرومي ـ الذي امضى قرابة ٤٠ عاما في جمع الأمثال ، يدفعه الى ذلك وعيه التلقائي بأهمية الأمثال كتعبير عن فكر وخبرة المجتمع فأخذ يدوّن ما يسمعه من أمثال تتردد خلال الحياة اليومية على جزازات من الورق ، فلما بلغ ما جمع من الأمثال قرابة ثلاثة آلاف مثل وجد أن الفائدة لا تكون تامة الا اذا قارن بين هذه الأمثال وغيرها من أمثال الجزيرة العربية وأمثال العراق والشام ولبنان وفلسطين والمغرب ومصر . وأورد ما يناسبها من أشعار باللهجة الفصحى حينا وباللهجة الدارجة أحيانا أخرى فاقتضى ذلك منه أن يرجع في كتابه هذا الى مصادر كثيرة بلغت المئات . كما اشترك في تأليف الكتاب الاستاذ صفوت كمال خبير الفنون الشعبية ، بتجربته الفنية في هذا المجال ، والحق أن الاستاذ صفوت كتب مقدمة مفصلة أشار فيها الى ما تعنيه كتب الأمثال من تصوير لعادات الشعوب وسلوكها وأخلاقها وتقاليدها فهي معين لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع أو اللغة أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم كما نوّه بجهود المفكرين العرب المهتمين بهذا اللون من الأدب . ومن يتأمل تراثنا العربي يجده زاخرا بمجموعات كثيرة قيّمة من الأمثال تؤكد اهتمام كثير من العلماء بهذا اللون من التعبير .

اقدم كتاب

ويرى الأستاذ صفوت كمال أن كتاب الأمثال للمؤرخ السدوسي المتوفي سنة ١٩٥ هـ أقدم كتاب وصل الينا في الأمثال بعد كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي المتوفي في حدود ١٧٠ هـ .

أما سبب عناية أولئك العلماء بجمع الأمثال فانه يعود الى أن هذا الجانب من التعبير يصوّر تجارب الأمم وعاداتها وتقاليدها تصويرا فنيا يجعله سائرا على ألسنة الناس وهذا أمر يستحق كل ما يبذل في سبيله من جهود واهتمام بالاضافة الى أن التنزه في كتب الأمثال يعود على الانسان بكثير من المتعة وجليل الفائدة لما تحتويه من قصص اجتماعية وأحداث تاريخية ، ولما تتضمنه من أشعار حكمية يحتاج اليها الانسان في كثير من المناسبات . فما من أحد الا وتراه يستشهد ببعض الأمثال حين يحتاج الى ذلك كما سترى ذلك فيما بعد .

وعلى أي حال ، فان هذا الكتاب الذي بلغت صفحاته ستمائة وعشر صفحات ستتبعه أجزاء أخرى .

وقد رتبت هذه الامثال حسب موضوعاتها كالاجتهاد والاحسان والاختيار وأدب المائدة والادراك الى غير ذلك مما تشير اليه من النواحي الاجتماعية . وهذه طريقة لم أجدها فيما قرأته من كتب الامثال . وليس من شك أنها نافعة تسهل البحث للدارسين ومن الامانة العلمية أن أنوه بما قام به مركز رعاية الفنون الشعبية من عمل متواصل في اعداد هذا الكتاب باشراف المؤلف حتى خرج على هذه الصورة الممتازة التي هو عليها . فنأمل من هذا المركز أن يواصل جهوده فيصدر من الآثار ما يغني التراث الشعبي وينفع الباحثين في هذا الميدان ليسد نقصا يشكو منه كثير من الباحثين .

طالع وجه العنز !

بقي علينا أن نتعرف على الكتاب بايراد بعض ما جاء فيه من الأمثلة ليتضح لنا النهج الذي سلكه المؤلف في تنسيقه . يورد المؤلف في باب الاستدلال كثيرا من الأمثلة وهذا بعضها :

١ - (طالع وجه العنز واحلب لبن)

ذكره كل من الأستاذين خالد سعود الزيد وعبد الله النوري في كتابيهما عن أمثال الكويت .

« شوف وجه العنز »

وفي الجزيرة العربية : « ناظر وجه العنز » . ويقال : « شف وجه البقرة واحلب لبن »

وفي العراق : « شوف وجه العنز » . و « شوف العنزة واخذ حليب » .

وفي فلسطين : « شوف العنزة وخليك من حليبها » . و « اتطلع في وجه البقرة قبلما تحلبها »

وفي مصر : « اتطلع في وش البقرة قبل ما تحلبها » .

وقال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر

وقريب منه قول شاعر آخر :

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم
ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

٢ - (الكتاب يتقرا من عنوانه) :

وفي العرق : « المكتوب يتعرف من عنوانه »

وفي فلسطين : « المكتوب يتقرا من عنوانه »

وفي مصر : « خذ الكتاب من عنوانه » و « الجواب يتقرى من عنوانه » .

ومما يناسب هذا المثل قول العباس بن الأحنف :

لا جزى الله دمع عيني خيرا
وجزى الله كل خير لساني
نم دمعي فليس يكتم شيئا
ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي
فاستدلوا عليه بالعنوان

وحدة هذه الامة

وفي باب (الاستسلام) جاءت أمثلة منها قولهم :

٣ - (النوم سلطان) :

وفي الجزيرة العربية : « النوم سلطان جاير » . ويلفظ « صلطان » بحرف الصاد بدل « سلطان » .

وفي ذلك يقول الشاعر :

والنوم ينتزع العصا من ربها
ويلوك تني لسانه المنطق

ويقال في النوم أيضا : « النوم عافية »

وفي العراق يلفظه وكلمة « سلطان » يغلب عليهم أن يلفظوها « صلطان » ..

قال البهاء زهير :

من لي بنومي أشكو ذا السهاد له
فهم يقولون ان النوم سلطان
ويرسل الطيف جاسوسا ليخبره
ان كان يغمض لي بالنوم أجفان

وفي سوريا ومصر وفلسطين بلفظه .

وفي باب (الاستمتاع) جاءت أمثال منها :

٤ ـ (يا حلو الما على الظما) :

وفي الجزيرة العربية : « احلى من الما على الظمأ » . ويقال أيضا : ألذّ من الما على الظما » .

وقال أعرابي :

حديثك أشهى فاعلمي لو أناله
الى النفس من برد الشراب على الظما

وفي العرق : « أحلى من الماي على الظما » .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

قلت وجدي بها كوجدك بالعذ
ب اذا ما منعت طعم الشراب

ويقال أيضا : « أطيب من مي البارد على قلب العطشان » .

وأورده الميداني : « أطيب من الماء على الظمأ » .

وجدير بنا أن ننتبه الى أننا حين نتأمل في أمثالنا العربية تتضح لنا وحدة هذه الأمة في تفكيرها وتعبيرها وتجربتها . فكم هو مجرم في حق هذه الأمة من يسعى ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، لتفريق كلمة هذه الأمة وتمزيق شملها . ألا طيّب الله ثرى الشاعر المهجري المطبوع (جورج صيدح) حيث يقول في قصيدة عامرة تعبّر عن مشاعر كل مخلص لهذه الأمة :

حلل الحب ما التعصب حرم
فاتحدنا وما خلقنا لنقسم
شرع مجدنا سواء نبينا
أرز صنين أو نخيل المقطم
حدثونا عن انفصال فلذنا
باتصال من العواطف محكم
وضربنا عن السياسة صفحا
واحتكمنا الى اللسان واللدم
أي غنم من القطيعة نجنى
ان خسرنا مؤونة القلب والفم ؟
رب سور على الحدود منيع
ان لمسناه بالشعور تهدم
ما بناء علوج عهد انتداب
كيف تبنيه دولة الخال والعم ؟
يا ولاة الامور سمعا لشكوانا
وسعيا ان المهم المقدم
أوثقوا عروة العروبة فينا
ذهبت ريح أمة تتقسم

■■

الكويت ـ عبد الرزاق البصير

(هذه المرأة احترمها !)

قال جورج واشنطون ، محرر امريكا من الاستعمار الانجليزي : « انني اكن كل احترام لتلك المرأة التي خرجت من بيتها لتخوض غمار الحرب ، وهي تحمل قضيبا من حديد يستخدم في اذكاء نار المدفأة .. فقد سمعت ان العدو قادم ، فاسرعت لملاقاته ومقاومته !

وسألوها : « ماذا عساك صانعة بهذا القضيب الحديدي ؟ » فاجابت في حماس شديد : « على الاقل سوف يعرفون مع أي جانب اقف ! »

تكلموا تعرفوا



عندما يعجز المرء عن مسايرة نظيره او اقناعه بالحجة القاطعة ، يظهر الغضب ويجادل به كوسيلة وحيدة للتخلص منه او التفوق عليه . ويرى العرب ان هذا السلوك هو اولى بوادر العي . فضربوا المثل بقولهم : (أول العي الاحتلاط) اى الغضب .

والملاحظ ، ان الشخص العصابي يعاني دائما في لغة تخاطبه عسر الكلام وصعوبة فى انتقاء الالفاظ والاساليب على النسق الجميل بسبب جنوحه الى الفهاهة أو السرعة الكلامية والرغبة الجامحة في الوصول الى النتيجة قبل غيره لان عقله المضطرب لا يقوى على الأناة والانضباط والانتظار ولشد ما يتألم أن يتفوق عليه مخاطبه أو يصيب رأيا وجيها .

كل أولئك وغيره بدافع مما يعانيه من عصاب نفسي .

وبما ان المرء مخبوء تحت لسانه ـ وهو المترجم الحق والامين للانسان ـ فمن هذا المنطلق اذن ، تصدر احكام الناس على الناس بمختلف النعوت والاوصاف ترفع شانهم او تسقطهم من خلال الكلمة اذ تخرج من الافواه .. وتعتبر تلك الاحكام معايير مضبوطة ومبنية على اساس من المعطيات العقلية والمنطقية بدليل ان الكلمة لا يحسنها الا بعاقلة الكلام والاذكياء العقول من اسوياء البشر ، او هى الحسن الذى (عده ارباب الفصاحة من صنعة الجن) . يقابل هذا ان رداءة الكلمة من رداءة العقل ، كما لو قلنا ان « اول خبث الماء من خبث ترابه » .

ولما كانت الكلمة مرآة وملكة عقلية ، فلا بد فى ظهورها التلقائى خارج نطاق الكبت من عنصر لا يقل اهمية عن مكوناتها الاساسية ، الا وهو الثقة بالنفس ، لانه في حالة الشعور بالنقص يصبح السلوك الفردى شاذا ومضطربا ، ويتخذ له اثناء الكلام ـ على الاقل ـ موقفين متباينين يتميز احدهما بالحدة والحرارة الانفعالية مقرونا بالحركات الايمائية والايحائية بجوار فقدان السيطرة على الافكار وانعدام الترابط بينها مما يؤدى الى اضعاف المنطق الجدلي والبرهان العقلي . وبالتالى الى تعطيل البديهة وسرعة الخاطر . ويتميز ثانيهما بالفتور الارادى وخمود الهمة او العزوف الكلى عن الكلام تلافيا للوقوع فى الخطأ او امعانا فى اخفاء العيوب الذاتية او نزوعا الى التقوقع الانطوائى وذلك انسياقا مع التقلبات المزاجية او المناخية التى يخضع لها العصابى من

بقلم : عبدالوهاب شكرى

حين لآخر • وهو كاف للتقليل من فعالية الكلمة والاسهام فى انخفاض معنوية الفرد الى المستوى الادنى لوجود اختلال فى المقومات التكاملية للشخصية •

وهذا النوع من الافراد لا يجيد الكلمة ان ملكها الا على الورق حين يخلو الى عزلته ،ولكنه مع ذلك تنقصه شجاعة الراى فى غياب الثقة بالنفس لدخول مجالات القول او حلبات الصراع الفكرى بكفاءة موازية او على قدم المساواة حتى مع توفره على الموهبة او امكانات الخلق والابداع•

وقليلة هى الحالات التى يبدو فيها العصابى كشخص سوى يشارك مخاطبيه فى ادارة الحديث بطلاقة جيدة وبانماط عالية من التعبير فى اطار الموضوعية • ولكنها مجرد حالات استثنائية لا تلبث ان تعقبها انفعالات نفسية وتوترات عصبية ليعاود منطقه الفهاهة او العى وما سواه من انواع العيوب الكلامية خاصة اذا تعذر عليه ايجاد تفاهم مع الغير لسبب او لآخر او توالت سقطاته ولم يقر له احد برأى او ينضم الى مساندته، وحينئذ يطيش صوابه ويفقد توازنه ويبرز الغضب كسلاح فى المواجهة بدل الكلمة الموزونة الهادئة التى هى سيدة كل المواقف تستاثر بالاهتمام وتحقق اكبر قدر من التفاهم والتقارب •

لماذا الكلمة ؟

ورغم كون العى عيبا فى المنطق او الجدليات سواء من الناحية اللفظية او السلوكية ، الا انه مازال اللغة التى يلجا اليها النقاد فى كثير من معاركهم النقدية كلما افرغوا ما فى كنائنهم • فنجدهم يتراشقون بنيران اسلحتهم الكلامية الهجومية والدفاعية ، متنكبين عن أسلوب اللباقة والجدل الهادىء ، فيضيع عليهم القصد ويخطئون المرمى فلا يصيبون الا اهدافا هامشية • وبالتاكيد لو انصفت الكلمة من العى واعطيت حقها من البيان لوجد التفاهم سبيله الى النفوس وصارت اعمال النقاد انجازا ومعجزة تصطلح على تحقيقها جهودهم المتصارعة المتضافرة حول قضايا الثقافة والنقد •

ومن هنا ياتى دور الكلمة كمرآة للعقل او ميزان تقييمى له تحدد مداه تصاعديا او تنازليا •

ومن خلال الكلمة يرتب المرء اما فى عداد العقلاء او فى عداد الحمقى او فى منزلة ما بين هولاء واولئك على اساس المقدرة على اجادة الكلمة او عدمها •وقديما قيل: (اللسان ترجمان الانسان)•

فبالكلمة اذن ، يعرف الناس وبها تقاس درجات عقليتهم وانماط تفكيرهم • وهى ايضا تبيان لفلسفتهم واتجاهاتهم فى الحياة •

فانت عندما تريد ان تدير مفتاح الفهم لعقل ما تصطنع المواقف وتثير لدى صاحبه حوافز التعبير ثم تدعه يتكلم على سجيته دون ان تتدخل الا بمقدار ما تدعو الحاجة الى ذلك • وسوف يعرب لك عن عقله اعرابا تاما يجسد صورته على الحقيقة الكاملة •

فلا غرابة اذا كان اناتول فرانس يمجد الكلمة لانها قوام الشخصية او الرجولة ورديفها فى ذلك العقل المزاوج • وليس من قبيل المصادفة او الاغراء ان يحفظ سواد المثقفين لاناتول هذه المقولة الذائعة (الاسلوب هو الرجل نفسه) ، كما ظل الاديب محمد السباعى يردد على مسامع ولده المأسوف عليه الكاتب يوسف السباعى هذه النصيحة : (الكلمة هى الرجل يايوسف)،وسرعان ما جذبه وميضها اللامع واستهواه مدلولها الرائع لاول وهلة ليغدو يوسف السباعى من كتاب مصر المبرزين •

نعم، وبعد هذه التحليلات الموجزة التى سقناها آنفا ، ها هى ذى معطيات نموذجية تترى تباعا فى هذا السياق تضع أمامنا الكلمة كصورة فوتوغرافية للعقل او كميزان تقييمى له • وسوف نلمس عن قرب دورها فى تحديد معالم الشخصية من خلال التفكير الحر الذى يتبناه الشخص بواسطة الكلمة•هذا التفكير الذى تختلف انماطه وتتباين من شخص لآخر حسب الصورة التى تظهر بها الكلمة ذاتها كاداة للافصاح والتشخيص والقياس العقلى والبناء الهرمى للشخصية على سبيل الارتقاء بها من اسفل القاعدة الى القمة او العكس •

الاحنف بن قيس •• سيدا

وحرى بنا ان نستقطب فى البداية واحدا من اعلام العرب فى فجر الاسلام احدث الكثير من الآراء وصاغ صورا رائعة للحكمة • ارتقت به

الكلمة الى قمة الشهرة وعظم الشان • جمع بين الرأى والشجاعة وهما فضيلتان متى تحلت بهما نفس مرة بلغت من العلياء كل مكان على ما جاء فى بيت المتنبى •

ذلـكم هو الاحنف بن قيس الذى تقلد زعامة اهل البصـرة وصـار قطب السيادة فيهم غير مدافع•اليه يفزع الناس عند المشورة•كان له مقام مرموق عند الحاكمين • برز كزعيم نـادر المثال ، يرأس الوفود وعليه تحال الكلمة ، يحسن الاداء والتبليغ لما اشتهر به من الحكمة والحصافة والحس العام •

ارسله أبو موسى الاشعرى ـ وكان يومئذ واليا على البصرة ـ ضمن وفد من سراتها الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مهمة رسمية• فقام الاحنف بين يديه خطيبا (يسترعيه النظر الى اهل البصرة) ، فاعجب الخليفة بذكاء عقلهوبطلاقة لسانه وفصاحة منطقه ، ولم يتمالك ان أشار اليه قائلا : (هذا والله السيد ••) • فاحدثت هذه القـولة دويـا فى الافـاق وتناقلتها الالـسنة وتغنى بها الركبـان ، وعلا بذلك شان الاحنف علوا كبيرا •

ذلك لان الاحنف تكلم فاجاد ونطق فاحسـن القول • وذاك ديدنه يفل الحز ويصيب المفصل ، ما أشـار فى الامـر الا وأخذ فيه بالحـزم واتى بالرأى الصواب • وقلمـا اخطـا • اذ ذاك شعر الخليفة عمر انه امام حكيم المعى قد يحمل خصائص الرجال ومزايا الحكماء، فاقر له بذلك رغم حداثة سنه • ولا شك ان الاحنف عاد والوفد المرافق له وقد حقق اهداف زيارته للخليفة الذى لم يخف اعجابه به واجابه لا محالة الى ما طلب وهو عنه راض ولقدره مجل •

عباس العقاد •• كاتبا

ومن رواد الجيل المعاصر تستقطب شخصيةعباس محمود العقاد التى احتلت فىنظرنا مكان الصدارة بين اوساط المثقفين على طول امتداد رقعة الوطن العربى ازيد من نصف قرن • ويهمنا ان نقف عندها هى ايضاكنموذج آخر وقفة عابرة لاستشفاف دور الكلمة فى تقييم العقل وصياغة العبقرية •

كانعباس محمود العقاد يتابع دراستهالابتدائية فى احدى مدارس اسوان وهو يومئذ حدث صغير• وشاء الصدف ان يؤم تلك المدرسة زائر هـو الاستاذ الامام محمد عبده • واثناء تفقده لاحوال الدراسة فيها اطلعه استاذ اللغة على احـدى كراسات العقاد الانشائية ، وما ان فرغ الاستاذ الامام من قراءة أحد مواضيعها حتى قال وهو يربت على كتفى العقاد : ـ ما اجدر هذا ان يكونكاتبا بعد •

ومـا فتىء هـذا الاطـراء المنصف ـ وحسبه انه شهادة من الاستاذ الامام ـ حافزا قويا وزادا مشجعا للعقاد على مواصلة الدرس والتحصيل غير ابه ولا مكترث بما يصادفه من عراقيل ومعوقات الى ان بلغ غاية مناه وضرب بسهم وافر ككاتب ومفكر عظيم • ويرجع تنبؤ الاستاذ الامام وصدق فراسته حول مستقبل العقاد الى كون هذا الفتى الذكى الطموح قد ملك ناصية اللغة فاسلست له قيادها واسلمت له زمامها وهو بعد ما يزال فى ريعان الشباب وفى بداية الطريق • مما عكس بوضوح الصورة الناصعة لمستقبل العقاد فى ذهن الاستاذ الامام • الامر الذى افضى به الى الحكم عليه مسبقا بالعطاء والنبوغ والالمعية من خلال الكلمة المسطرة دون حاجة الى روز لذكاء •

غير ان هناك نفرا من النقاد لا يفقهون فكر العقاد بالقدر اللازم فينعتوا اسلوبه بالتعقيد والغموض على غرار أسلوب أبى العلاء المعرى ، وماذاك الا لقصورهم عن ادراك ماتمتاز به كتاباته النثرية والشعرية من جزالة فى اللفظ واختصار فى العبارة مع الاشراقة والوضوح • وهى قمـة شـامخة لا يدانيه فيها الا رواد قلائل من مفكرى العصر •

وما سر استعصاء فهم هؤلاء النقاد لفكر العقاد الا لانهم لا يتكلفون مشقة التركيـز ولا عنـاء الاستيعاب لسبر اغواره بكل اناة ووعى المامى • والذنب ذنبهم لا لاسلوب مفكرنا المبدع •

والنجم تستصغر الابصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

ومن هنا جاءت مآخذهم المتجنية لتضع عقليتهم فى احجامها الحقيقية مع رسم بيانى لها يحدد مواقعها من السلم الارتقائى على ضوء مواقفهم من فكر الاعلام وفلسفة المشاهير • وكلاهما قاعدة قياسية فى الغالب الاعم لتقييم المعطيات العقلية ومدى التحصيل المعرفى عند جيل المثقفين فى كل عصر من خلال تلك المواقف بغض النظر عن روائز الذكاء المستخدمة فى علم النفس •

واناس اسقطتهم الكلمة

وكون الانسان حيوانا ناطقا بحكم الجبلة والفطرة، فلا بد انه كاشف عقله للناس سواء بوعي او بغير وعي • ونعود فنكرر القول بان الوسيلة الى ذلك هي الكلمة التي بها فقط يعلو الانسان او يسفل ، وبها ايضا يعز امره او يهان • وسوف نوضح فيما هو ات عكس ما ذهبنا اليه انفا • فاذا مظاهر الشخصية مستعارة مزورة ، واذا هي ايضا تسرع الهبوط مع المنحنى الهرمي وتتهاوى كجلمود صخر حطه السيل من عل ، أو كاعجاز نخل خاوية طوحت بها رياح عاتية •

وانما وقع الاكتفاء ببعض النماذج على بساطتها لشهرتها فقط مع العلم باننا نصادف لها احوالا مشابهة في حياتنا الثقافية والاجتماعية وصورا متكررة في حياتنا اليومية •

فقد قيل ان أبا حنيفة كان يبسط رجله في حلقة الدرس لمرض أو عياء • وذات يوم أقبل عليه شيخ كث اللحية مهيب الطلعة حسن المظهر ، يخاله الرائي لاول وهلة انه من اهل العلم والفضل والوجاهة او من ذوي الرتب العالية ، فما كان من ابي حنيفة الا ان لنى رجله على ألم احتراما للزائر • ثم مضى يشرح في درسه (موعد صلاة الصبح) ، فاذا بالشيخ يسال : (وما العمل اذا طلعت الشمس قبل الفجر) ؟ فاجاب ابو حنيفة (العمل ان ابا حنيفة يبسط رجله ويحمد الله)•

وبهذه الكلمة فقط ، ابان الرجل عن تفاهة فاضحة وسخافة في السؤال انهارت معها قيمته المظهرية ، ومن ثم خاب ظن الامام ابو حنيفة الذي سارع الى حمل نفسه على الاطمئنان بعد معاناة• وكاني به لحظتها يردد مع الشاعر :

ترى الرجل الطرير فتبتليه
ويخلف ظنك الرجل الطرير

كذلك حدث لشميم الحلي شاعر الحلة بالعراق في اواخر القرن الخامس الهجري وكان من عقلاء المجانين ، اشتهر بالعلم مع الغرور والاعجاب بالنفس ، مما جعل مجلسه قبلة الرواد من مختلف الفئات الاجتماعية ما بين عالم وجاهل وحاكم ومحكوم • وكان بعضهم يجلس فلا يتكلم حرصا من الزلل وتلافيا للوقوع في الخطا فيثيروا غيظه، بينما كان بعضهم يتكلم فلا يحسن الكلام فيزيدوا حنقه •

ومن هؤلاء الزائرين جماعة من التجار الواسطيين ترامى الى سمعهم ما يتمتع به شميم من علم وفضل•فلما حضروا الى مجلسه تمسكوا بالصمت المطبق وظلوا ساكتين لا ينبسون ببنت شفة حتى لا يصدر منهم ما من شانه اثارة غضبه • فعجب شميم من حالهم ودهش من منظرهم اذ كانوا اصحاب عمائم ضخام وهيئات مهيبة • ولما اراد احدهم ان يتكلم باسمهم ، لم تسعفه موهبته واكتفى بالقول : (ادام الله ايامك) • ثم عاد من جديد ليغرق في صمت طويل مع الجماعة فازداد تعجب شميم وقال : (ما هؤلاء ؟ فاني ارى عمائم كبارا ظننتها على ادميين) ؟ ولما هموا بالانصراف ، حاول احدهم ان يودعه بقوله : (ادع لنا بجمع الشمل)، فاخطا حيث قال : (يا سيدي ، ادع لنا بشمل الجمع) • فازداد غضب شميم وقال : ايش هؤلاء وكيف خلقهم الله • (العربي العدد ٥٩/١٩٦٣) •

ومن تراثنا الادبي الخالد نستشف مثالا اخر في العجز عن الابانة وايضاح المراد بصرف النظر عن القيمة المظهرية لصاحبه الذي يهمنا منه فقط كونه مضرب المثل في العي الذي هو احد العيوب الكلامية ليستوفي الموضوع بعض الجوانب المهمة التي لها ارتباط بالفكرة المعالجة • وذلك رجل من ربيعة يدعى باقلا ، اشترى ظبيا باحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي ؟ فمد يديه ودلع لسانه يريد احد عشر فشرد الظبي وكان تحت ابطه • فضرب المثل : (اعيا من باقل) •

وهكذا رأينا حتى الآن ، انه كلما تمت اجادة الكلمة واحسن استعمالها نطقا او كتابة او هما معا ، دل ذلك على رقي في العقل وتقدم في الفكر ، ثم رأينا على التو كيف يحدث العكس وحسب المرء ان يتكلم لتصنيفه في هذا المستوى او ذاك • وقديما قيل : (تكلموا تعرفوا) • وقال العلامة ابن حزم الاندلسي في معرض النصح :

اجد الكلام اذا نطقت فانما
عقل الفتى في لفظه المسموع
كالمرء يختبر الاناء بصوته
فيرى الصحيح به من المصدوع

■■

عبدالوهاب شكري
ورزازات ـ المغرب



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

فتق الحجاب الحاجز

● ما هو فتق الحجاب الحاجز ؟

ان للمريء فتحة يمر بها وهو ذاهب الى المعدة ويحيط هذه الفتحة عضلة بحيث تفصل عند انقباضها بين اتصال المريء بالمعدة . وهذه الحالة تصيب في معظم الاحيان كبار السن . أو المتمتعين بالسمنة المفرطة ونجد ان هذه الفتحة تتسع بحيث أن جزءا من المعدة يصعد بجوار المريء الى تجويف الصدر وهذا يزيد الضغط داخل تجويف البطن بسبب اندفاع الاعضاء الى الامام أو وجود غازات أو أي ورم داخل البطن وفي الحالات الاخرى تضعف هذه الفتحة وتتسع .

الا ان اتصال المعدة بالمريء يترك مكانه عند البعض ويصعد داخل التجويف الصدري ويشكو المريض نتيجة لضغط الجزء الذي يمر بالمريء من ثقل في الجزء الاوسط أو من ألم ينتشر في الجزء الايسر من الصدر الى اعلى حتى يصل الى الكتف الايسر وفي بعض الحالات ينتشر هذا الالم في الذراع الايسر كله وهذا الالم يشبه الى حد كبير ألم الذبحة الصدرية أو انسداد الشريان التاجي للقلب مما يجعل المريض في حالة هلع خوفا على قلبه وفي بعض الحالات يتأثر الغشاء المخاطي داخل الجزء الذي يصعد الى أعلى الصدر ويتقرح .

وفي حالة صعود المريء والمعدة الى أعلى فان افراز المعدة ينساب دائما الى الجزء السفلي من المريء وهو حمضي مما يسبب التهابا فيه وبالتالي شعورا بحرقة دائمة خلف عظم القص ويزداد هذا الالم بعد تناول الطعام أو النوم على الظهر وذلك عندما يصعد جزء كبير من المعدة داخل التجويف الصدري . والملاحظ كذلك أن الذين يعانون من هذه الأعراض كثيرا ما يتجشأون لمحاولة اخراج الهواء من المريء ظنا منهم أن هذا يقلل من الالم .

والتشخيص في هذه الحالات يعتمد على عمل اشعة ملونة للمريء والمعدة مع الاخذ بعين الاعتبار الاوضاع المختلفة حتى يظهر الجزء الذي يدخل التجويف الصدري .

كذلك لابد من استبعاد ضيق شريان تاجي القلب بعمل تخطيط للقلب لانه في بعض الحالات يكون المرضان متلازمين خصوصا وان كليهما يحدث في سن متقدمة .

والعلاج : يتلخص في ان يتناول المريض وجبات خفيفة على فترات قصيرة ويكون غالبا من غير المواد المهيجة للمعدة كالبهار والفلفل وما شابهها من المواد الدهنية كذلك ان يمتنع المريض عن الاكل قبل الذهاب الى الفراش بثلاث ساعات على الاقل ثم لابد أن ينام على وسائد مرتفعة حتى لا تندفع المعدة الى أعلى في التجويف الصدرى .

وكذلك فان انقاص الوزن في حالة السمنة يحسن الحالة . وفي الحالات الشديدة التي لا تستجيب لهذه العلاج تجرى عمليات مختلفة لارجاع الجزء الصاعد في تجويف الصدر وتضييق الفتحة التي يمر منها المريء .



تقلص عضلات المريء

● أعاني من ألم خلف عظم القص وكأن الاكل يتراكم هناك ولا ينفذ الى المعدة بسهولة واذا زادت هذه الحالة تقيأت الاكل الذي أتناوله فما السبب ؟

ـ لعل ذلك هو مرض تقلص عضلات المريء الموجودة في الجزء السفلي منه مما يؤدي الى عدم تناسق تقلص هذه العضلات وبالتالي رفع الاكل الى أسفل المعدة فيؤدي الى تجمع الاكل فوق المنطقة المصابة الى أن يرتفع عمود الاكل في المريء الى مستوى يمكن أن يضغط على الجزء المصاب فينتفخ ويخرج الغذاء . ولقد وجد كذلك أن الاعصاب التي تقوم بامداد العضلات المصابة في حالة خلل مما يؤدي الى هذا التقلص .

والملاحظ في هذه الحالة أنها تحدث تدريجيا بمرور شهور أو سنين وتكون الحالة مصحوبة بألم خلف عظم القص عند تناول الطعام . وفي حالات اخرى غير مصحوبة بألم وأحيانا تبدأ فجأة بعد اضطرابات نفسية وذلك لعدم قدرة المريض على البلع بسهولة . ومع استمرار الحالة يتمدد المريء ويزداد حجمه ويضغط على القلب . وفي بعض الحالات يتجمع الاكل واذا ناء المصاب رجع هذا الاكل الى البلعوم ومنه يذهب الى الشعيبات الهوائية محدثا التهابات فيها .

وكذلك فان وجود الاكل فترة طويلة في المريء يسبب له التهابا شديدا ويحس المصاب بحرقة ويترتب على عدم وصول الاكل الى المعدة وبالتالي عدم استفادة الجسم منه . الشعور بضعف عام في الصحة ونقصان في الوزن كلما ازدادت الحالة سوءا وبقيت بدون علاج .

والتشخيص في هذه الحالة يعتمد على وصف المريض لحالته المرضية .

ويمكن تشخيص المرض كذلك بعمل الاشعة الملونة للمريء والمعدة . والعلاج في هذه الحالة يتلخص في أعطاء المريض المهدئات مع طعاوشبه صلب بين السائل والصلب ويكون ساخنا بدرجة حرارة الجسم . وكذلك تستعمل الادوية التي تساعد على ارتخاء عضلة المريء المصابة وفي بعض الحالات التي لاتستجيب لهذا العلاج يمكن توسيع الضيق في المريء بتمرير انابيب يمكن نفخها حتى يتيسر فتح ومرور الاكل .

وهناك حالات متقدمة يكون المريء قد انتفخ كثيرا بحيث لاتجدي فيها عملية التوسيع بالانابيب نجد ان التدخل الجراحي هو الحل النهائي ولو ان ذلك له مضاعفاته من حيث ان افرازات المعدة تذهب الى الجزء السفلي من المريء مسببة التهاب هذا الجزء مع تقرح وتنزيف فيه . « وعملية هيلر » هي العملية المثالية التي تقطع فيها العضلة المصابة دون المساس بالغشاء المخاطي فوقها .



تقلص عضلات المريء

● أعاني من ألم خلف عظم القص وكأن الاكل يتراكم هناك ولا ينفذ الى المعدة بسهولة واذا زادت هذه الحالة تقيأت الاكل الذى أتناوله فما السبب ؟

ـ لعل ذلك هو مرض تقلص عضلات المريء الموجودة في الجزء السفلي منه مما يؤدى الى عدم تناسق تقلص هذه العضلات وبالتالي رفع الاكل الى أسفل المعدة فيؤدى الى تجمع الاكل فوق المنطقة المصابة الى أن يرتفع عمود الاكل في المريء الى مستوى يمكن أن يضغط على الجزء المصاب فينتفخ ويخرج الغذاء . ولقد وجد كذلك أن الاعصاب التي تقوم بامداد العضلات المصابة في حالة خلل مما يؤدى الى هذا التقلص .

والملاحظ في هذه الحالة أنها تحدث تدريجيا بمرور شهور أو سنين وتكون الحالة مصحوبة بألم خلف عظم القص عند تناول الطعام . وفي حالات اخرى غير مصحوبة بألم وأحيانا تبدأ فجأة بعد اضطرابات نفسية وذلك لعدم قدرة المريض على البلع بسهولة . ومع استمرار الحالة يتمدد المريء ويزداد حجمه ويضغط على القلب . وفي بعض الحالات يتجمع الاكل واذا نام المصاب رجع هذا الاكل الى البلعوم ومنه يذهب الى الشعيبات الهوائية محدثا التهابات فيها .

وكذلك فان وجود الاكل فترة طويلة في المريء يسبب له التهابا شديدا ويحس المصاب بحرقة ويترتب على عدم وصول الاكل الى المعدة وبالتالي عدم استفادة الجسم منه . الشعور بضعف عام في الصحة ونقصان في الوزن كلما ازدادت الحالة سوءا وبقيت بدون علاج .

والتشخيص في هذه الحالة يعتمد على وصف المريض لحالته المرضية .

ويمكن تشخيص المرض كذلك بعمل الاشعة الملونة للمريء والمعدة . والعلاج في هذه الحالة يتلخص في أعطاء المريض المهدئات مع طعام شبه صلب بين السائل والصلب ويكون ساخنا ، بدرجة حرارة الجسم . وكذلك تستعمل الادوية التي تساعد على ارتخاء عضلة المريء المصابة وفي بعض الحالات التي لاتستجيب لهذا العلاج يمكن توسيع الضيق في المريء بتمرير انابيب يمكن نفخها حتى يتيسر فتح ومرور الاكل .

وهناك حالات متقدمة يكون المريء قد انتفخ كثيرا بحيث لاتجدى فيها عملية التوسيع بالانابيب نجد ان التدخل الجراحي هو الحل النهائي ولو ان ذلك له مضاعفاته من حيث ان افرازات المعدة تذهب الى الجزء السفلي من المريء مسببة التهاب هذا الجزء مع تقرح وتنزيف فيه . » وعملية هيلر » هي العملية المثالية التى تقطع فيها العضلة المصابة دون المساس بالغشاء المخاطي فوقها .

ذلك الشيطان المشتعل ؟



بقلم : الدكتور عبد اللطيف ابو السعود

لم يخترع الانسان النار ، ولكنه اكتشف كيف يستخدمها . وكان هذا الاكتشاف كفيلا برفعه عن مرتبة الوجود الحيواني بدرجة لم يحققها اي اكتشاف او اختراع آخر . فقد كانت النار اول قوة حققت للانسان بعض الاستقلال عن البيئة التي تحيط به . كما كانت النار اساسا للقدر الكبير من التكنولوجيا الذي امكن تحقيقه في السنوات اللاحقة . وما زالت هي الاساس لمعظم العمليات الصناعية الحديثة .

والنار ظاهرة طبيعية يتكرر حدوثها في الطبيعة من آن لآخر . تشتعل النيران الطبيعية نتيجة لانفجار البراكين ، او للاشتعال الذاتي للمواد العضوية المتحللة ، او نتيجة البرق بومض في السماء . وبينما كان الرجل البدائي يعيش في القفار ، اتيح له مشاهدة النار وهي تشتعل وملاحظة آثارها من دمار وخراب . ولابد انه لاحظ كذلك ان النار تعطي الدفء والضياء . وذلك فقد عقد العزم على استئناس ذلك الشيطان المشتعل ، والاستفادة من خصائصه المفيدة . ولقد اعتبر النار شيطانا ، لانها بدت له حية متلئة بالحياة ، ولانها كانت تلتهم كل ما يعترض سبيلها . فقدرة النار على الحركة ، وعلى التهام الاشياء ، كانت من علامات الحياة . والنيران الطبيعية تتحرك وتأكل . وتفعل ذلك بقوة هائلة لا يمكن التحكم فيها . لهذه الاسباب نجد ان الانسان البدائي قد اتخذ من النار معبودا . ولكنه لاحظ ان في امكانه ان يجعل من هذا الاله خادما يقوم له بالكثير من الاعمال ، لو امده بكميات محدودة من الوقود . فالنار التي تمد بكميات محدودة من الوقود بمثابة هي نار يمكن

التحكم فيها

وما ان تمكن الانسان البدائي من الحصول على قطعة من النار ، ولعلها كانت فرع شجرة مشتعل ، من غابة اشتعلت فيها النار ، فقد عمل على ابقائها مشتعلة ، بامدادها بين الحين والاخر بقطع صغيرة من اغصان الاشجار .

كيف كانوا يشعلون النار ؟

في بادىء الامر ، لم يعرف الانسان البدائي كيف يشعل النار . لذلك ، فانه كان يسرقها من نيران الطبيعة . وكلما انتقل الانسان البدائي من مكان الى اخر ، كان عليه ان يحمل معه تلك الجمرات المتقدة بحرص وعناية ، وان يحافظ عليها ، لانه كان يعلم جيدا انها اذا ذوت ، كان عليه ان ينتظر حتى تشعل الطبيعة نارا اخرى ليسرق منها قطعة . وبمرور الاياء ، تعلم الانسان البدائي كيف يشعل النار .

وكلما نقب العلماء عميقا في تاريخ الانسان ، عثروا على اثار النار التي صنعها الانسان البدائي . فقد اكتشف العلماء ان الانسان الذي كان يعيش في العصر البليوسيني ، كان يستخدم النار . وهذا يرجع الى ٢٥٠٫٠٠٠ عاء مضت . وهي الاياء التي عاش فيها انسان بكين ، وهو واحد من اقدء اجدادنا . وقد سمي بهذا الاسم لان مخلفاته وجدت لاول مرة في كهف من الحجر الجيري ، بالقرب من بكين ، عاصمة الصين . وقد وجد داخل الكهف رماد خشب وعظاء . وهذا يدل على ان انسان بكين قد استخدم النار في حياته اليومية .

ولا احد يعرف على وجه التحديد متى بدأ الانسان البدائي في اشعال النار بنفسه . ولكن العلماء يعرفون ان ذلك بدأ في عصور سحيقة . وهم يعتقدون انه قد جاء نتيجة لملاحظة الانسان البدائي للشرارات تطير في الهواء . ذلك ان نيران الغابة كانت تنتشر بفعل الشرارات الساخنة ، تحملها الرياح .

ولابد ان الانسان البدائي قد لاحظ اثناء قطعه للصخور ، تلك الشرارات الصغيرة ، التي كانت تتناثر هنا وهناك . ونتيجة لهذه الملاحظة ، بحث الانسان البدائي عن انواع الصخور التي تعطي شرارات كلما طرقت بحجر اخر . فقد لاحظ ان خاء بيريت الحديد ، الذي يوجد بوفرة في الطبيعة ، ويعطي وابلا من الشرارات عندما يطرق بقطعة من الصخر . كما ان حجر الصوان الذي كان يستخدم في صناعة كثير من الادوات البدائية ، كان يعطي شرارات اكثر .

كان الانسان البدائي يطرق الاحجار بعضها ببعض ويوجه الشرارات الناتجة الى كومة من اوراق الاشجار الجافة واغصان الاشجار الصغيرة . وبمرور الزمن ، اصبح الحديد وحجر الصوان هما المستخدمين في عمل الشرارات لاشعال النار . وقد استخدمت هذه الطريقة في البنادق الاولى ، ومازالت تستخدم حتى يومنا هذا ، حيثما لاتتوفر اعواد الثقاب .

كما استخدم الانسان البدائي احتكاك الخشب لاشعال النار . وقد استخدمت لهذا الغرض طرق كثيرة ، وادوات متعددة . كان منشار النار يتكون من قطعة مسننة من الخشب ، تمر فوق اسنانها قطعة اخرى من الخشب جيئة وذهابا ، بسرعة كبيرة . اما محراث النار فكان يصنع بنفس الطريقة تقريبا ، من قطعة من الخشب بها تجويف ، وتمرر قطعة اخرى من الخشب في هذا التجويف ، جيئة وذهابا ، بسرعة كبيرة .

ولعل مثقاب النار كان اكثر هذه الاجهزة نجاحا ، كان مثقاب النار يتكون من كتلة من الخشب ، بها ثقب محفور فيها . تدخل عصا في هذا الثقب ، وتدار بسرعة ، بطريقة او بأخرى . في احدى هذه الطرق ، كانت العصا تفرك باليدين . وفي طريقة اخرى ، يلف حبل حول العصا لعمل حركة الدوران . ولكن انجح هذه الطرق ، كان ذلك الذي يستخدم قوسا ، يلف حبل حول العصا ، مشدودا بفعل القوس . وما كان على موقد النار الا ان يحرك القوس بسرعة الى الاماء والى الخلف .

ولم يكن من المهم اي الطرق تستخدم . ولكن المهم هو انها كانت جميعها تشعل النار .

واحتكاك الخشب ايضا

من المعروف ان احتكاك قطعتين من الخشب بعضهما ببعض ، يؤدي الى سخونتهما . والمعتقد ان هذه

الاحجار الساخنة ، على هيئة روافد صغيرة . وعندما تجمدت ، اكتشف الانسان البدائي مادة يمكنه ان يصنع منها ادوات افضل واسلحة تمتاز عما كان في حوزته .

وكان اول المعادن التي عرفها الانسان هو النحاس ، لسهولة صهره وسهولة تشكيله . وقد تعلم الانسان البدائي كيف يبحث عن الاحجار التي تحتوي على خام النحاس ذي اللون الاخضر تشوبه زرقة . وتعلم كيف يصهر المعدن ويخلصه من الاحجار ، وكيف يصب النحاس المصهور في قوالب .

ثم بدأ يبحث عن الصخور التي تحتوي على خامات معدنية اخرى . وكانت خطوة كبيرة الى الامام .

وبعد عدة آلاف من السنين ، ولد عصر الحديد ، وما كان ذلك الا لان الانسان قد تعلم كيف يستأنس الـه النار ، ويجعل منه خادما له .

ولم يكف الانسان عن استخدام النار . ففي يومنا هذا ، نجد طرقا كثيرة متقدمة لانتاج هذه الظاهرة الطبيعية . ولكننا ما زلنا نستخدم النار بنفس الطريقة التي استخدمها الانسان البدائي ، عندما نطهو الطعام ، ونصنع الفخار ، ونصهر المعادن . ونحن نحرق الغاز او الزيت لتدفئة منازلنا ، كما نستخدم الشرارات الكهربائية الساخنة لتشعل الوقود داخل محرك السيارة . كما اننا نبحث عن طريقة لترويض حرارة اقوى نار على الاطلاق ، وهي الشمس ، حتى نتمكن من القيام بأعمال اخرى اكبر وأهم .

لقد كانت النار واحدة من اهم اكتشافات الانسان الاول . ومازالت النار من اهم اكتشافات الانسان في كل العصور . ■■

د . عبد اللطيف ابو السعود
الاستاذ بكلية الهندسة جامعة الاسكندرية

عندما ينسى الجراح !

● فتح المريض الايرلندي عينيه بعد العملية الجراحية .. وهتف بصوت مسموع : ـ حمدا لله لقد انتهت العملية بخير . فقال له مريض في الفراش المجاور : « لا تكن مسرفا في التفاؤل . فقد نسي الجراح « اسفنجة » في معدتي واضطر الى شق بطني مرة ثانية » . وقال المريض الذي الى يساره : « وأنا أيضا قد اضطر الجراح الى فتح بطني مرة ثانية لأنه نسي « المبضع » في جوفي ..

وفي هذه اللحظة فتح باب الغرفة وأطل الدكتور الذي أجرى العملية للايرلندي وقال : ـ هل عثر أحدكم على قبعتي ؟! فأغمي على الايرلندي ! !

لن يعود !

● دخل امريكي مطعما وعلق معطفه ووضع عليه ورقة كتب فيها « هذا المعطف خاص ببطل الملاكمة ، وسيعود بعد عشر دقائق » . ولما رجع لم يجد المعطف ورأى مكانه ورقة مكتوب فيها « أخذ المعطف بطل الجري ولن يعود أبدا » !

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ حين اتم استاذنا الكبير عباس محمود العقاد نظم ديوانه الرابع « اشجان الليل » سنة ١٩٢٨ ضم اليه يومئذ دواوينه الثلاثة السابقة التي نشرها متفرقة قبل ذلك باعوام مختلفة ، وسمى الاربعة « ديوان العقاد » فما نشر حتى تناوله الادباء واللغويون بين تقريظ وتجريح ، وكانت المعركة بين القديم والجديد في الادب على اشدها في مصر والشام والعراق - يومئذ خلال الحربين العالميتين . فكان مما انكره عليه بعضهم عبارة جاءت في قصيدة عنوانها « يوم الظنون » مطلعها

« يوم الظنون صدعت فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل انا الذي
ما لان في صعب الحوادث مقودي »

وكانت « الظنون » التي يشير اليها في القصيدة تدور حول صاحبته « سارة » التي نشر قصته معها بعد بضع عشرة سنة وسماها ايضا « سارة » .

وكانت العبارة المنقودة قوله في البيت الثاني « انا الذي ما لان في صعب الحوادث مقودي » إذ قال المنكرون لها إن في العبارة على هذا الوجه خطأ نحويا ، والوجه الثاني الصحيح ان يقول « انا الذي ما لان في صعب الحوادث مقوده » . ولو انه قاله كذلك لوقع في خطأ عروضي ، وان صحت العبارة في رأيهم نحويا .

ويلاحظ ان الوجه الاول الذي سار عليه استاذنا قد روعي فيه ضمير المتكلم « انا » ليتسق معه ياء المتكلم في « مقودي » ، كما ان الوجه الثاني الذي رآه وحده المنكرون صوابا قد روعي فيه الاسم الموصول « الذي » لينسجم معه ضمير الغائب في « مقوده » .

وفات هؤلاء المنكرين ان الوجهين صحيحان ، وانه اذا كان الوجه الثاني اشيع فان الاول هو الأبلغ ، وفي ادبنا نصوص كثيرة تؤيد الوجهين .

من امثلة الوجه الاول قول شاعرنا الكبير المتنبي :

« انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
وأسمعت كلماتي من به صمم »

وكان من الجائز - نحويا لا عروضيا - ان يقول « انا الذي نظر الاعمى الى ادبه . واسمعت كلماته من به صمم » . ولكنّ التعبير الذي اختاره المتنبي ابلغ ، لانه ادل على حضور شخصه في وعيه ، واعتزازه بشخصيته ، واحضار ذلك لنا كي نراه ماثلا امامنا . إذ كان ذلك دأبه طوال حياته في كل شعره منذ صباه حتى وفاته ، وكذلك نقول في العقاد ، فقد كان له مثل ذلك ، وعبارته كما قالها تمثله امامنا - وهو العزيز الابي المهيب - باكيا منهارا وقد افلتت منه كل ازمة عزمه وحزمه ووقاره بسبب الكارثة العظمى التي حاقت به ، والظنون مقبلة مدبرة تتوالى في تمزيق هذه الازمة الجبارة حتى بددتها

ونضيف الى ذلك ان عبارتي المتنبي والعقاد على وجهيها هذا لازمتان عروضيا ، ومما يؤيد هذا الوجه الاول عبارات كثيرة نكتفي ببعض ما ورد منها في

ادعية موثوقة مأثورة عن الامام علي زين العابدين السجاد بن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب . من هذه العبارات ما ورد في دعاء له يستقبل فيه من ذنبه ، ويطلب العفو من ربه ، اذ قال : « انت الذي وصفت نفسك بالرحمة ... وانت الذي سميت نفسك بالعفو » .

ومما ورد بالوجه الثاني مطلع هذا الدعاء، وهو قوله : « اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ، ويا من الى ذكر احسانه يفزع المضطرون ..... » .

ثم يقول بعد عبارات في الدعاء نفسه ، والموقف واحد « انت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما ، وانت الذي جعلت لكل مخلوق من نعمك سهما » وهذا على الوجه الاول ، ويتبع ذلك مباشرة قوله « وانت الذي فضله أعلى من عقابه ، وانت الذي عطاؤه اكثر من منعه ، وانت الذي اتسع الخلائق في رحمته ... » الى عبارات اخرى على هذا الوجه .

ومن مطلع دعاء له في ذكر التوبة وطلبها قوله : « اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين ، ويا من لا يجاوزه رجاء الراجين ، ويا من لا يضيع لديه اجر المحسنين ، ويا من هو منتهى خوف العابدين » وهذا على الوجه الثاني .

ثم قال في اثر ذلك مباشرة « ويا من انت غاية خشية المتقين »[1] وهذا على الوجه الاول .

ومن هنا يتضح لنا جواز الوجهين ولو في موقف واحد وحديث واحد ، وان كان الاول ـ في رأينا ـ أدل على الحضور النفسي ، وهو انسب لضمائر الحضور منفصلة ومتصلة ، وهي تشمل ضمائر التكلم (انا ، ونحن .....) وضمائر الخطاب (انت .....) .

ويلاحظ ان الوجه الاول يراعي فيه ضمير المتكلم والخطاب فيكون ضميره مثله بعد الاسم الموصول فيقال مثلا في حال المتكلم « انا الذي نجح ابني » أو « انا الذين فزنا بالجائزة » ويقال مثلا في حال الخطاب : « انتم الذين شهدتم بالحق » و « انكن اللائي تعمرن البيوت » .

والوجه الثاني يراعي فيه الاسم الموصول (دون نظر الى ضمير التكلم او الخطاب قبله) فيكون ضميره مثله للغائب ، فيقال مثلا : « نحن من فازوا بالجائزة » وانك الذي نجح ابنه » وانتم من يحفظون العهد ويوفون بالوعد » .

ومن شعر احمد شوقي مطلع مشهور في قصيدة يبين فيها فضل العلم والكتب ، هو

« انـا من بدل بالكتـب الصحابا
لـم اجـد لي وافيا الا الكتابا »

ولو قال « انا من بدلت بالكتب الصحابا » لصحت عبارته عروضيا ، وكانت ابلغ لانها ادل على امتلاء نفسه بشخصيته وشعوره بذاته ، وكلتا العبارتين صحيحة نحويا .

اما اذا كان المسند اليه للغائب (ضميرا او غيره) فليس للعبارة معه الا وجه واحد هو الثاني ، باعادة الضمير بصيغة الغائب مراعاة له او للاسم الموصول بعده ، كالآية الكريمة « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » ، وقول النبي عليه السلام « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناس على دمائهم واموالهم » ، وقول الفرزدق (او غيره) من قصيدة مشهورة في مدح علي زين العابدين :

هذا الـذي تعـرف البطحـاء وطأته
والبيـت يعرفـه والحـل والحرم

---

(١) كل هذه الشواهد من كتاب « الصحيفة السجادية » للامام علي زين العابدين ، شرحها الاستاذ عز الدين الجزائري ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٨ ، والسجادية نسبة الى « السجاد » ، لقب آخر مثل « زين العابدين » لكثرة عباداته وصلواته ، حتى اسود من جبهته موضع سجوده .

حوار القراء

عن استطلاع القدس

● بعض معلومات استطلاع مدينة القدس الذي كتبه مصطفى نبيل في العدد ٢٤٧ من العربي تحتاج الى تصحيح :

يقول السيد نبيل في مقاله « ان للقدس القديمة احد عشر بابا اهمها : باب العمود او باب دمشق وباب الخليل وباب النبي داود والباب الجديد وباب الاسباط وبوابة مندلبوم »

اولا : الصحيح ان للقدس القديمة ستة ابواب فقط هي : باب العمود وباب الساهرة والباب الجديد وباب الاسباط وباب الخليل وباب النبي داود .

ثانيا : اما بوابة مندلبوم فهي ليست من ابواب سور القدس القديمة وهي ليست بوابة بالمعنى الصحيح وهي تبعد عن سور القدس نحو ثلاثة ارباع الكيلو متر وانشئت هذه البوابة عام ١٩٤٨ عندما احتل الصهاينة معظم احياء القدس الواقعة خارج السور وقد انشأ كل من الاردن وحكومة اسرائيل مراكز للجمارك والشرطة والصحة بالقرب من عمارة يملكها شخص اسمه مندلبوم فسميت تلك البوابة المجازية بوابة مندلبوم وكان المسيحيون العرب من سكان اجزاء فلسطين التي احتلت في تلك السنة ١٩٤٨ يأتون الى القدس لزيارة الاماكن المقدسة في عيدي الميلاد والفصح ويعودون الى مدنهم وقراهم بعد انتهاء الاحتفالات بهذين العيدين لدى مختلف الطوائف المسيحية وكان اقرباء القادمين من المنطقة المحتلة ينتظرونهم عند تلك البوابة وما ان يجتازوها حتى يتعانق الفريقان وتجري دموعهم مدرارا ولذا اطلق على هذه البوابة ايضا اسم « بوابة الدموع »

رشاد ابو غربين
الكويت

القراسة

في نظرة المرء سفر يروي سيرته
ويبرز الخلق ان لينا وان وعرا
والعين تنبيء ما في القلب من وطر
سيان ان بان في الافعال او ستروا
ما العين الا دليل للنفوس بها
مرآة صدق لمن في صحنها نظرا
والوجه يعرب عن نيات صاحبه
ويبدي للناس كشفا بالذي شعرا
فباطن المرء مرسوم بسحنته
لا فرق ان قال حقا هذا او نكرا

محمود عباس مسعود
ولد زورر - كندا

نحو وجدان جديد

● مقال نحو وجدان جديد للدكتور عزت الشريف العدد ٢٤٠ من العربي يس الجرح ويتكلم عن صميم مشكلة تحضرنا وتقدمنا وقد اصاب الحقيقة عندما قال : ان الشعوب المتخلفة تتنقل نقلة صورية ، حيث تنفصل فيها روح ومقومات حياتها الوجدانية والشعورية عن واقعها المعاش وهي تحيا في الحاضر بجسمها فقط .

وكثرت مقارنة الكاتب لنا بالحضارة الاوروبية والتي اعتبرها مختلفة عنا في تراثها وقيمها وعاداتها وتاريخها وجميع ظروفها الحضارية . ولكن كما تعلم اننا اصبحنا متسابقين قسرا لمجاراتها وتنفيذها في ابسط أشكالها حتى في اكل البسكويت والكيك . وذلك ناتج من الاستعمار الفكري الذي ما زالت ترزح تحت نيره شعوبنا الاسلامية قاطبة .

محمد عيسى
الجماهيرية الليبية

سؤال

● لماذا تخلو مجلة العربي من الكتابات في المجال الهندسي الكهربي منه او الميكانيكي فلماذا وجدت مقالات في هذا المجال فاعتقد انها لا تأخذ حظها كما هو الحال في الشعر او الادب مثلا .

البهي رياض محمد حجازي
ج . م . ع

ـ المجلة ترحب بأي مقال ثقافي يمكن ان يستوعبه القارىء ويستفيد منه . والمقالات المتخصصة في المجلات المتخصصة .

في ملف آل البيت

● قرأت مقال الدكتور صفاء خلوصي تحت موضوع كتب جديدة « ادب الطف عن شعر سيدنا الحسين » وقد احببت ان ابعث اليكم بهذه الابيات المتواضعة مني كهاوي شعر ولست بشاعر لضمها الى ملف آل البيت لديكم ومن الاقوال المأثورة للسيدة زينب سلام الله عليها عند مرورها بمدينة حماة مع من معها من آل البيت سلام الله ورضوانه عليهم اجمعين سائلة ما اسم هذه المدينة الكريمة فاجابوها هذه مدينة حماة فقالت « حماها الله من كل ظالم » ان هذا الدعاء متوارث عبر الاجيال ومنسوب الى السيدة زينب سلام الله عليها وقد استهواني هذا الدعاء ونظمت به الابيات التالية :

قالت لمن حولها من هم بذي صلة
قالوا حماة فقالت رب يحميها
وانزلوها على رحب بذي صلة
مستنكرين على الاشهاد عاصيها
والنهر يجري وفي طياته غضب
على الطغاة وسمي النهر عاصيها

عبد الله السقاف
لبنان

نداء من الجزائر

● من المؤسف جدا ان كل جزائري محروم منذ سنوات من مسابقة العربي : فما هي اسباب انقطاعها ؟ هل لا يمكن توزيعها بواسطة المكتب الثقافي لسفارتكم بالعاصمة الجزائرية ؟ او بواسطة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؟ وهذه الأخرى اليس بامكانها ان تقبل اشتراكات القراء الجزائريين واستلام مبلغها التقدي ؟

احمد بن بليديه
بئر خادم/الجزائر

ـ نتفق معك في التعبير عن الاسف . ونأمل ان تبذل احدى شركات التوزيع الجزائرية جهودها في محاولة حل مشكلة انقطاع العربي عن الجزائر .

ذلك الوجه وتلك الرائحة

قصة بقلم : أبو المعاطي ابو النجا

■ لا أدري متى بدأت اشم تلك الرائحة .. ؟

رائحة دخان ينبعث من شيء يحترق .. لم تكن حادة أو نافذة ... لكنها بعد أن تنبهت اليها بدت ملحة ومستمرة ... دون أن تفصح عن طبيعة الشيء المحترق أو مكانه .

ولأنني في تلك اللحظة كنت أقود السيارة (زوجتي بجواري تتحدث في أمر لم يكن يروق لي أن تنبشه) فقد وجدتني أسألها ، وأنا أهدىء من سرعة السيارة وأنحرف بها إلى يمين الطريق ، قبل أن أتوقف تماما :

ـ أتشمين تلك الرائحة ؟

ـ دائما تغير الحديث ، كلما فتحت معك هذا الموضوع .

لم أرد على زوجتي ...

نزلت من السيارة رفعت غطاء المحرك ، جعلت أبحث عما يمكن أن يكون مصدرا لتلك الرائحة ، سرعان ما كففت عن البحث حين تأكد لي وأنا واقف في الطريق أن الرائحة تملأ الجو كله من حول ، تلفت في كل الجهات فلم أبصر ما يشي بمكان الحريق ، كان الوقت مساء ورائحة الدخان لا شكله هي ما يدل عليه ، وحتى حين كان الدخان يظهر حول مصابيح الطريق المضاءة ، فقد كان يبدو في شكل موجات الضباب التي تنتشر أحيانا في مثل هذا الوقت من السنة ، مسببة الاحساس باللزوجة والاختناق .

زايلني القلق على السيارة ليحل محله قلق شامل غامض عن مصدر تلك الرائحة التي تملأ الجو كله في هذا المساء .

قالت زوجتي بعد أن عدت إلى مكاني في السيارة :

ـ ماذا حدث ؟ عن أي رائحة تسأل ؟

ـ رائحة شيء يحترق .

ثم تابعت حين بدا على وجه زوجتي وكأنها فجعت في إجابتي فلاذت بصمت إنكاري .

ـ لعلهم يحرقون هنا أو هنالك أكوام القمامة .

حينذاك قالت زوجتي بعصبية :

ـ كان من الافضل أن تواصل السير لنبعد عن تلك المنطقة كلها .



قلت متعلقا بأمل واه :

ـ اذن فأنت تشمين مثل تلك الرائحة ؟

ـ في الحقيقة لا أشم شيئا ، لكن ما دمت أنت تفعل ذلك فلماذا لا أصدقك ؟

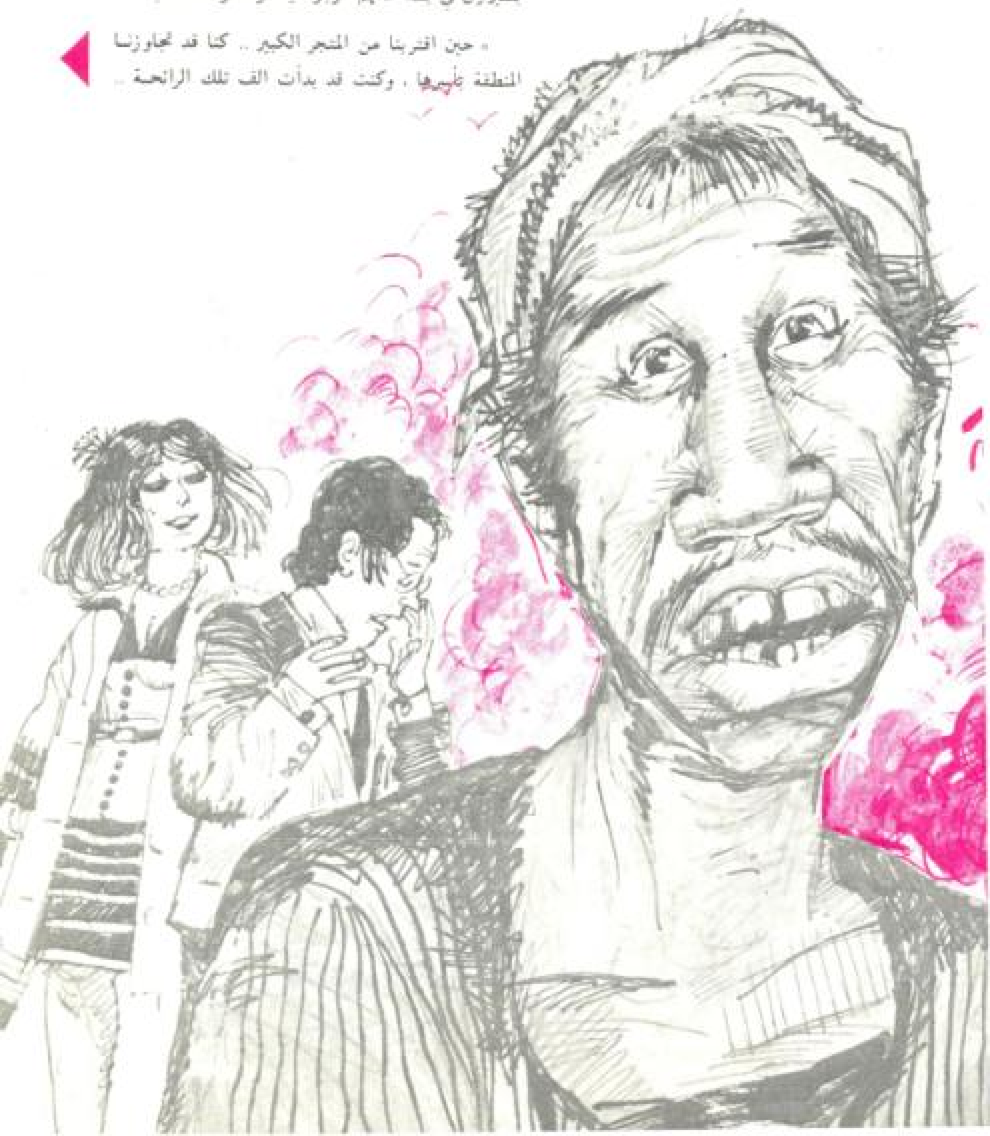
ثم تابعت بلهجة من يريد أن ينهي الموضوع

ـ الافضل أن تسرع لنلحق المتجر قبل أن يغلق أبوابه

لكني لم أسرع ... لم أقدر على الاسراع .. كنت أتوقع بين لحظة واخرى أن أسمع صوت سيارة الاطفاء أو الاسعاف والنجدة .. وهي تمرق بجوارنا ...

كانت الرائحة تسير من حولي بأسرع من سرعة السيارة بدأت ألاحظ بقية السيارات وهي تلحق بنا وتسبقنا والناس فيها يتحدثون أو يضحكون .. لا يبدو على وجوههم فضول أو ترقب أو قلق .. لعلهم لم يشموا أبدا تلك الرائحة المجهولة المصدر . وكذلك المارة .. كانوا يسيرون في بطء كأنهم خرجوا ليشموا الهواء فحسب .

ـ حين اقتربنا من المتجر الكبير .. كنا قد تجاوزنا المنطقة بأسرها ، وكنت قد بدأت الف تلك الرائحة ..



كأنها جزء من الجو في مثل هذا الوقت من السنة .. » .

« حين تركنا السيارة بدأت أرى الدخان أكثر مما أشمه .. فالمكان غارق هذه المرة في الضوء ، والناس يدخلون ويخرجون ، وطبقات الدخان تتراقص في الأضواء وعلى الوجوه .. تخفي الملامح ، أو تظهرها لا مبالية أو ضاحكة أو مهتمة بأمر آخر غير تلك الرائحة ..

نظرت الى زوجتي متوقعا أن أرى نظرة فزع أو على الاقل نظرة تصديق لما قلت منذ قليل ... لكنها كانت مشغولة عن الامر كله بتسوية فستانها وشعرها .

وقبل أن أفتح فمي بكلمة سمعتها تقول وهي تبتسم :

ـ لعلك تستمتع الان برائحة الدخان الحقيقية .

ـ متى كانت رائحة الدخان تبعث على المتعة ؟ قلتها بفزع

ـ حين تكون منبعثة من فحم تشوى عليه قطع الضأن ؟ .

قالتها زوجتي بطمأنينة زادت من فزعي .. كنت أعرف أنه يوجد على مقربة من المتجر الكبير محل للشواء . وبالتأكيد تختلط روائح الضأن المشوي بروائح الحريق الاخر الذي لا يريد أن يفصح عن مكانه .. والذي لا يريد أحد أن يشعر به .

شعرت بعبث المحاورة معها ، كنت قد وعدتها بعشاء « في كازينو » الشاطىء الذهبي ، ومنذ قليل رفضت الحديث معها في موضوع لا أحب سيرته ، وسوف تظن أنني اختلق فرصة للنكد أو الشجار ..

قلت مسايرا ومداريا وساوسي :

ـ لا يهمك ... سوف نتعشى شواء في الكازينو بعد أن نخرج من المتجر ..

في داخل المتجر الكبير كنت أعتقد أنني سوف أستريح لبعض الوقت من تلك الرائحة .. ومن التفكير فيها .. سرت بجوار زوجتي ننتقي حاجاتنا ونضعها في عربة اليد التي نسوقها في ممرات المتجر . في جنبات المتجر تنبعث موسيقى هادئة وناعمة ، تحمل الناس على أن يتحدثوا في همس ، وربما هي التي تشغلهم عن تلك الرائحة التي بدأت أشمها هذه المرة مختلطة بروائح الأجبان والفاكهة واللحوم والعطور والصابون و ......

ـ ما رأيك في هذا النوع من الجبن ؟

قالتها زوجتي وهي تمد لي يدها بقطعة من الجبن على طرف سكين صغير أخذته من البائع .

كانت قد ذاقت قطعة منه ، وملامحها تنطق بالاعجاب بهذا النوع وترغبني في شرائه ، لم أكن أشجع هذه الطريقة في اختبار المأكولات . لكني تذوقتها مجاملة لزوجتي ، ووجدتني أقول لها باستسلام .

ـ رائعة .... خذي منها ما تحبين .

ماذا يحدث لو قلت لها .... لزوجتي : إن هذا الجبن يبدو وكأنه منقوع في تلك الرائحة ، التي لا تريد أن تعترف حتى بوجودها في الجو ؟

أنا لا أناقش زوجتي حين ينحصر الحوار بيني وبينها ، فكيف أناقشها في قضية يقف الى جوارها فيها كل الناس .. ؟

« حين تدرك أنك وحدك ترى أو تسمع أو تشم ما لا يحس به سواك ، فأنت على حافة الجنون ، أو غارق في حلم كئيب ..

ولو كانت لك فرصة الاختيار ـ فأنت سوف تتمنى مثلي أن يكون ما تراه أو تسمعه مجرد حلم ثقيل .

لم تكن تلك هي المرة الاولى التي أحلم فيها ، وأدرك خلال حلمي انني احلم ، دون أن يوقظني ذلك الادراك من النوم .

عشت مرارا تلك التجربة ، وعايشت فيها تلك الحرية المخيفة التي يتيحها لك ذلك الضوء الشاحب من الوعي ، وأنت في ذروة حلمك ..

وفي أحلامي هذه كنت أرفع صوتي بما كنت أخاف من مجرد التفكير فيه ، وأقفز من الاعالي ، وأواجه المخاطر ، وأصفع الوجوه التي أتجنب رؤية أصحابها .

لم لا أنتهز الفرصة وأقول لزوجتي رأيي الحقيقي في الموضوع الذي كنت أتجنب الحوار معها فيه ؟

لم لا أقول لها : « إنني احتقر أهلك وأهلي معا .

أحتقر صلحهم وخصامهم ، وصوتهم العالي الذي لا يقول شيئا ، وإصرارهم على أن يرهنوا زماننا لحساب زمانهم ، وأننا ما دمنا قد تزوجنا ، فمعنى ذلك اننا بلغنا سن الرشد .. ولن نسمح لهم .....

ـ فيم تفكر ؟ وماذا تنتظر ؟

قالتها زوجتي وهي تنظر لي في دهشة ، كان المحاسب قد فرغ من عمل الحساب ، وينتظر من يدفع له ثمن المشتروات ..

وكان الحمال قد فرغ بدوره من تحميل حاجاتنا على العربة التي يدفعها أمامه إلى مكان السيارة ، وينتظرنا بدوره لنقوده إلى مكانها .

وهأنذا أسرح حتى في داخل الحلم .

نقدت البائع حسابه ، وتقدمت الحمال إلى باب المتجر في طريقنا الى السيارة ..

في تلك اللحظة ، أحسست انني على وشك ان أصحوا من حلمي أو أدخل في حلم أشد قتامة .. هذا الحمال أكاد أعرفه ... هذا الوجه ؟

توقفت قليلا .. إلتفت اليه ، استوثق مما أرى ، لو رفع رأسه الى وجهي لعرفني .. هذا الوجه الأسمر .. والأنف العريض ، والأسنان المفلوجة ،وتلك الشفه المدلاة أليس هذا « هو حسن أبو شفه » ؟ .

كنت أريد أن أعايش الحلم ، ولكن الواقع بدأ يعايشني معايشة أنكى وأشد .

الحمال لا يرفع رأسه .. عيناه على قدمي ، يتبعني ، يداه تدفعان عربة النقل المحملة بمشترواتنا ، إنه بثيابه الزرقاء المخصصة للحمالين التابعين للمتجر يبدو كأنه جزء من المؤسسة ينفصل عنها ليعود إليها بعد قليل ..

أهذا الذي يعايشني حلم أم واقع .. ؟ أم انه حلم أشد مكرا ودهاء « فحسن أبو شفه » الذي أعرفه كان رجلا ناضجا حين كنت أنا طفلا في القرية .. قد يصلح هذا الحمال الشاب ابنا له .. لكن ما الذي يجيء بابنه هذا من قريتنا إلى هذه المدينة الساحلية النائية عند الحدود .. ؟

كنا قد خرجنا من المتجر الكبير لأرى وأشم من جديد رائحة الدخان تواصل حفلها الراقص في الأضواء ...

وانفجر في رأسي شيء مخيف تذكرته فجأة ... ذكرني به « حسن أبو شفه » ، فهو مثلي يعرف تلك الرائحة يعرفها جيدا كان مثلي أول من شم تلك الرائحة التي كانت تملأ سنوات طفولتي وصباي .

« كنا في وقت الظهيرة ... الحر جاثم يكتم الانفاس والناس يلوذون بالدور والاشجار ، والبهائم راقدة تجتر طعامها ، أو دائرة في السواقي أو الاجران ... والشياطين تعرف وقت القيلولة فلا تغادر جحورها ... الصبية وحدهم الذين يتسللون من بيوتهم حين تغفي عيون الأهل ، يلعبون في الأجران المليئة بالقش ويستحمون في الترع ، ويتسلقون أشجار التوت والجميز ..

في ذلك اليوم شممت تلك الرائحة ، كان الوقت الذي يفصل بين رؤيتي للدخان ورؤيتي للنيران أقصر من أن يتسع لتلك الصرخة التي احتبست في صدري .. رأيت وسمعت « حسن أبو شفة » الذي لم يكن طفلا ولا شيطانا ولكنه نفر من أنفار الكفر يندفع صائحا وصارخا وفي يده المذراة التي كان يقلب بها القش يحاول وحده أن يطفيء بها النيران المجنونة التي كانت تنتقل بين أكوام القش في سرعة الريح ...

رأيت أسراب الطيور وهي تفزع من أعشاشها ، وتصرخ في السماء المليئة بالدخان ، رأيت الكلاب والقطط والدجاج وهي تجري على غير هدى هنا وهناك وقبل أن يغادر الناس بيوتهم ، ؛ وسمعت أصوات البهائم تخور في الزرائب قبل أن يتنبه أصحابها ويفكوها من حبالها لتنطلق الى الحقول هاربة من النيران ... وقبل ذلك كله رأيت « حسن ابو شفة » الذي أدرك في لحظة عبث محاولته لاطفاء الحريق وهو يقطع بمنجل كان يجذب به أكواما من القش ، يقطع حبال البهائم المربوطة في النورج وكانت البهائم تجره خلفها وهي تحاول النجاة من الحريق ... وتكاد تدوسني في طريقها .

رأيت حسن أبو شفه يجتذبني من ذراعي وأنا مسمر في مكاني لا اقوى على الحركة في طريق البهائم الهائجة ...

لو سألت الحمال الذي ينقل مشترواتنا الى السيارة عن ذلك اليوم ، لما أنكر شيئا مما جرى فيه .. بالتأكيد سمع من أبيه قصة ذلك اليوم .. لو سألته عن اسمه « ومهما يكن اسمه » فسوف ينتهي بحسن أبو شفه .

ولو سألته عن بلده لوجدته من قريتي . ؟

أبوه وأنا شاهدا ذلك اليوم ، ولكنه لا يتوقف الا أمام السيارة ... ينقل إلى خزنتها الخلفية حاجاتنا ، ويرفع الى وجها من الماضي ، لا يتوقع الا كرم الأجر ، هو مثل الجميع هنا لا يشم تلك الرائحة ... ولعله يحلم مثل زوجتي بشواء من المحل المجاور . لعله مثلها لا يشم سوى رائحة الضأن المشوي !

لم ينته الحريق في قريتنا الا بعد أن انتهى كل شيء .

ظلت رائحة القرية المحترقة ... رائحة القش والتبن والاخشاب ... شهورا طويلة تملأ سماء القرية وأرضها ، تختلط بالطعام والشراب ، يشمها أهل القرية ، وأهالي القرى المجاورة ... الذين يمرون بها ، وحتى بعد أن أعيد بناء قريتنا وترميم ما تبقى منها ، ظللت أشم تلك الرائحة في احلامي .. واحيانا في يقظتي ... وأسمع صرخات حسن ابو شفة في ذلك اليوم ... لقد كف بعدها عن الصراخ ، ولكنه ظل يمشي ذاهلا في طرقات القرية ... يحكي حتى لمن لا يسمعونه قصة ذلك اليوم ... ويؤكد للجميع أن ذلك لم يحدث بسبب الريح بل لأن قريتنا قد فعلت اشياء كثيرة تستحق بها غضب الله ... لم يكن ما جرى حريقا ولكنه غضب ، وغضب الله لا ينزل الا بمن يستحقه .

خذلني الحمال الذي تركني وعاد الى المتجر يسوق عربته الفارغة دون سؤال أو جواب .

خذلني الناس الذين لا يشمون سوى رائحة الشواء .

خذلني الحلم والواقع حين لم تظهر ألسنة النيران بعد ألسنة الدخان ..

خذلتني زوجتي حين قالت وهي تجلس بجواري ـ

ـ أنت تبدو متعبا هذه الليلة ، ولكنك سوف تستريح حين تشم هواء البحر المنعش في كازينو الشاطىء الذهبي وتنتعش على أنغام الموسيقى .. سمعت أن الكازينو يقدم في هذه الأيام عروضا مدهشة ... ثم أضافت حين لم تلمح على وجهي أثرا طيبا ...

ـ وسوف يكون العشاء على حسابي ...

تذكرت أنها تقول نكتة وأنه كان يجب على الأقل أن ابتسم لكني لم أرد .. زوجتي لا تعرف « حسن أبو شفة » .. ولن يروق لها أن أروي حكايته .. ولن تصدق أي شيء أقوله لها هذه الليلة ، استسلمت لحديثها الذي لم أكن أسمعه .. استسلمت لنداء البحر .. الهواء هناك نقي بلا شك ... من يقوى على أن يعكر هواء البحر .. ولو طاردنا الحريق الى الشاطيء فسوف نجد هناك فرصة للنجاة ألا يفضل ركاب السفن المحترقة أن يموتوا غرقا ؟ .

في كازينو الشاطيء الذهبي .. كانت الموسيقى تنساب حالمة وناعمة ، هواء البحر يحملها الى بعيد.. هواء البحر يطرد حتى رائحة الشواء التي يشتهر بها الكازينو مثلما يشتهر بمفاجآت عروضه المثيرة ..

شعرت بنوع غريب من الراحة ، كدت أقبل دعوة زوجتي الى الرقص .. لولا أن جاء النادل ووقف في أدب جم ينتظر أوامرنا ..

قالت زوجتي وهي لا تزال محتفظة بروح المرح :

ـ ما دمت أنا التي سأدفع الحساب دعني اختار العشاء ..

راحت تنتقي من قائمة الطعام ، وتأمر النادل وهو يسجل في دفتر صغير بيده ..

تفعل ذلك وهي تبتسم ... ترفع رأسها الى النادل وهي لا تزال تبتسم ..

صحيح أن زوجتي لم تر في حياتها « حسن ابو شفة » مرة واحدة ولكن كيف لم تدرك بعد أن هذا النادل هو نفسه الحمال الذي تركناه منذ لحظات عند المتجر .. هل خدعها بحق هذا القفطان الاحمر الذي يرتديه ؟ هل تخدعها هذه الأشرطة الصفراء التي تطرز اطراف الصدر والاكمام ؟

أليس هذا هو نفس الوجه الاسمر والانف العريض والاسنان المفلوجة ؟

صحيح أنه يملك لهجة النادل وابتسامته المحسوبة ونظرته المدربة وانحناءته الرشيقة ... ولكن متى تعلم ابن حسن ابو شفه القراءة والكتابة ؟ ؟

ـ سوف نرقص حتى بعد العشاء .

قالتها زوجتي وهي تمد يدها .. ربما يجدي حوار الأيدي حين تعجز الكلمات .. قمت معها مستسلما .. هذه ليلة للاستسلام ... ما أروع أن يستسلم الانسان للاشيء ... عندها يصبح المرء لا شيئا حقيقيا ..

صالة الرقص تمتلىء بالنغم والوجوه والعيون والاجساد والايدي غير الحقيقية ..

الرائحة هي الاخرى تبدو هنا غير حقيقية ... تذوب في هواء البحر وفي سواد الليل والمياه .. ويحملها الهواء مع الموسيقى الى بعيد ..

فجأة تصمت الموسيقى ..

فجأة تعود الرائحة ...

يرتفع من نفس الميكروفون الذي كان يصرخ منذ لحظة صوت مدير الكازينو :

ـ الجمهور الكريم ... سوف نقدم لكم بعد لحظة اكثر عروضنا اثارة ..

تفضلوا بالخروج الى شرفة الكازينو لتشاهدوا العرض .. إنه يقع في قلب البحر .. لا تنزعجوا .. ... فهدفنا هو تقديم تسلية مثيرة ... إنه مجرد عرض ... سفينة تحترق في البحر ، وركابها يقذفون بأنفسهم الى المياه طلبا للنجدة ... إنه مجرد عرض فاستمتعوا فقط بما ترون .. أنتم لا تزعجون حين ترون ذلك في الأفلام .. يمكنكم أن تقولوا انه عرض مسرحي حي ، ان كازينو الشاطىء الذهبي لا يدخر وسعا في تسليتكم رغم الغلاء . فالحريق الذي يلتهم السفينة يغني كل شيء .. ورغم ضخامة تكاليف العرض فان ما نحرص عليه هو تقديم تسلية مثيرة حقا ...

أيمكن أن يكون هذا العرض المثير حقا هو مصدر تلك الرائحة قلتها وكأنى اخاطب نفسي .

قالت زوجتي .. وكانت تلك أول مرة تعترف فيها بتلك الرائحة :

ـ نعم .. ربما كان ذلك حقا .. فلا تقلق .. المهم أن تستمتع بالعرض ... ألم اقل لك ..

كنت قد أصبحت غير قادر حتى على القلق ..

غير راغب حتى في التفريق بين الحلم واليقظة ..

لا أحد يريد أن يوقظني من الحلم ..

العرض لا يريد أن ينتهي

صرخاتي تختنق في داخلي

صرخات ركاب السفينة تغرق معهم .

النادل يقف خلفنا في هدوء ويهمس .

ـ سيستمر العرض طويلا ، والعشاء جاهز يمكننا أن نحضره لكم في الشرفة ، لتأكلوا وأنتم تتفرجون :

ووجدتني أندفع اماه الجميع الى قلب البحر .. كانت تلك هي الحرية الوحيدة المتاحة لي ..

قلت لنفسي : لو كان ما أراه حلما فلتكن تلك نهايته

ولو كان واقعا فهذه أفضل نهاية .

كان آخر ما سمعته بعد ما خلته صرخة زوجتي هو صوت يرتفع في الميكروفون :

ـ لا تنزعجوا أيها السادة .. فذلك أيضا جزء من العرض .

■■

ابو المعاطي ابو النجا

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٠ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول نوفمبر (تشرين) ٢ ـ ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم أحد ملوك الحمدانيين ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم سلطان عثماني .

الكلمات الأفقية :

١ ـ كاتب ايطالي قديم ، ومؤلف « ديكاميرون » ـ مصارعون من روما القديمة .

٢ ـ الطبقة الجوية التي تطير فيها الطائرات النفاثة ـ آلة موسيقية .

٣ ـ أثارت شكها ـ من الحوامض ـ من الفرائض .

٤ ـ كثير ـ من أصحاب المعلقات ـ من أماكن التسلية .

٥ ـ توجيه الانتباه ـ تقصر .

٦ ـ وحدة قياس كهرباء ـ حرف نفي ـ أقفر ـ بعد .

٧ ـ من الفواكه ـ من الأمراض .

٨ ـ ملك حمداني .

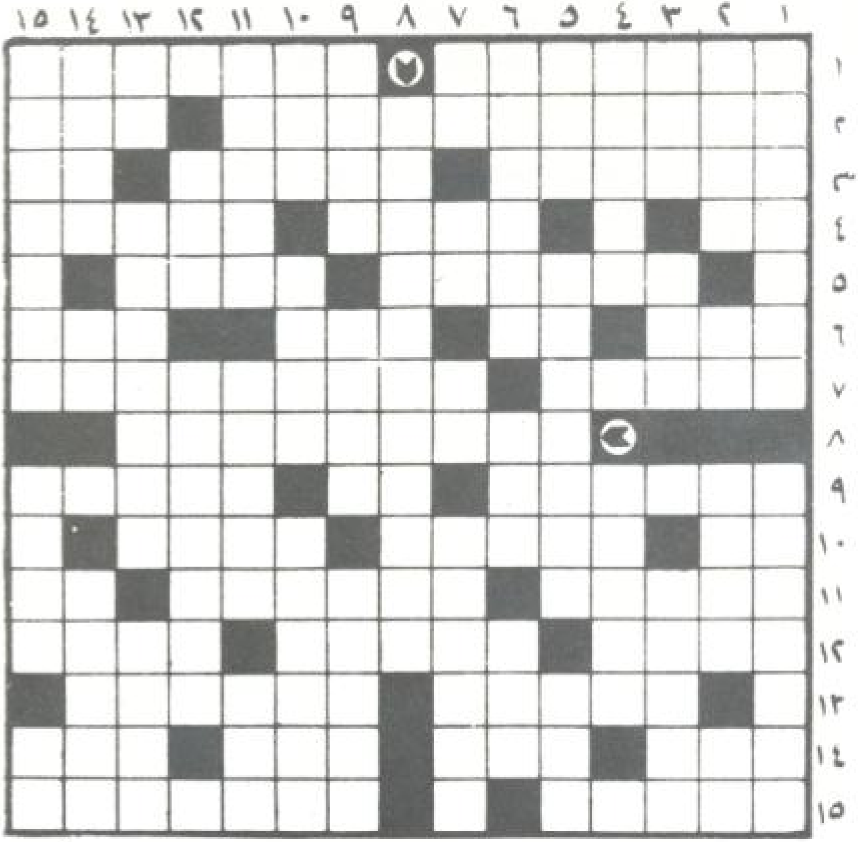
٩ ـ من القارات ـ يختص ـ شكه .

١٠ ـ هرب ـ دولة أسيوية ـ لبقة .

١١ ـ نبات متسلق ـ ينابيع مياه ساخنة ـ مناص .

١٢ ـ أكرر ـ من الزهور ـ بحيرة أمريكية .

١٣ ـ مصائب ـ عارية .



١٤ ـ حرف أبجدي ـ في عروقي ـ أسمو ـ حرف أبجدي .

١٥ ـ عاصمة الامبراطورية الآشورية القديمة ـ درجة النعيم الابدي في العقيدة البرهمية .

الكلمات الرأسية :

١ ـ دولة أمريكية ـ فيلسوف أغريقي معروف .

٢ ـ من وسائل التكريم ـ حرفان متشابهان ـ شكل هندسي منتظم ـ للتفسير .

٣ ـ من مستلزمات الطالب ـ قبل اليوم ـ من الثمار .

٤ ـ أسكته ـ يقايض .

٥ ـ من الماشية ـ جهاز ابصار ـ بعد .

٦ ـ يتوجّعن ـ كلمة (رأي) مبعثرة ـ استمرّ .

٧ ـ حرفان متشابهان ـ نصف كلمة (بائس) ـ لفظة ضيق ـ لازمة لفتح الأبواب .

٨ ـ سلطان عثماني .

٩ ـ ناقع ـ فقدت الابن ـ عقيدة راسخة .

١٠ ـ حرف أبجدي ـ فقدان الحساسية ـ عاصمة أسيوية .

١١ ـ أصل ـ قطر عربي ـ من العلوم الرياضية .

١٢ ـ تحيط ـ قمر صناعي .

١٣ ـ وعاء ـ الاستعداد الفطري ـ يرشدا .

١٤ ـ في الصحراء ـ في الجهاز الدوري ـ اثبات .

١٥ ـ دولة أفريقية ـ من المحيطات ـ حرف استفهام .

كوبون مسابقة
العدد ٢٥٠

صاحب الفردوس المفقود

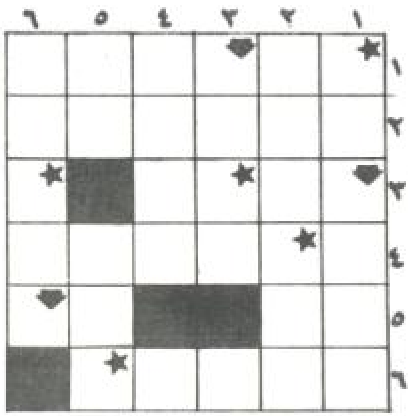
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الأسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الأول لشاعر انجليزي شهير وصاحب الفردوس المفقود . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

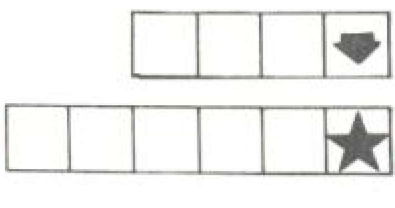
الكلمات الافقية :

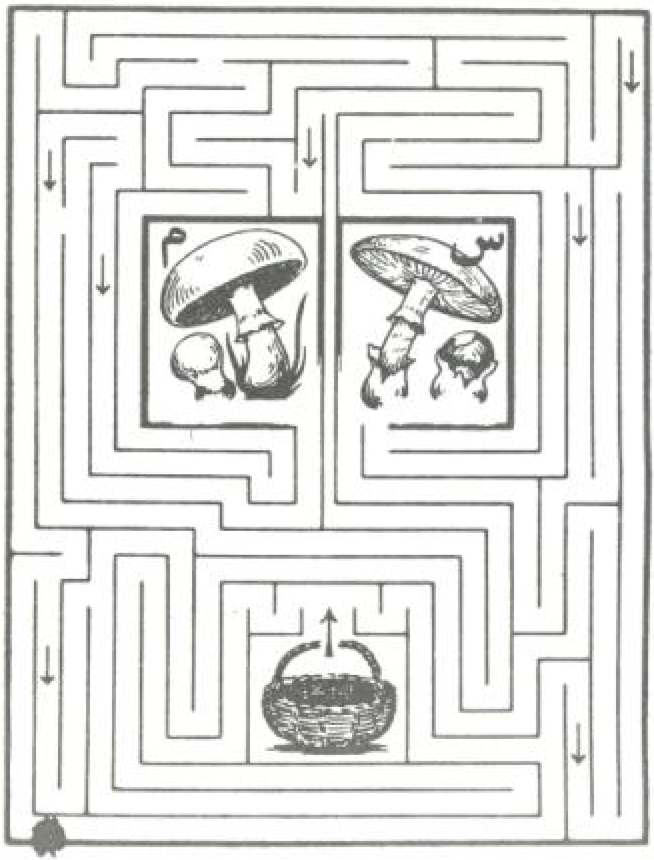
١ ـ مستمر بلا انقطاع .
٢ ـ عشق الذات .
٣ ـ شطر .
٤ ـ نتخوف منه .
٥ ـ متشابهان ـ خطر .
٦ ـ ظاهرة طبيعية .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من العناصر الكيميائية .
٢ ـ أناشيد دينية .
٣ ـ في الوجه .
٤ ـ آسر .
٥ ـ نصف كلمة (صياد) ـ زوج .
٦ ـ لعبهن .







عشّ الغراب

مبتدئا من السلّة ، هل تستطيع أن تصل الى عشّ الغراب وتضعه في السلّة ؟ . لكن احذر أن تصل الى عشّ الغراب الذي على اليمين (س) فهو سام ، فالذي نقصده عشّ الغراب الذي الى اليسار (م) المغذي اللذيذ . عندما تسلك طريقك ، محظور عليك السير عكس الاسهم ، أو المرور في الطريق الواحد أكثر من مرّة .

أين الصواب ؟. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها مغلوط ، هل تستطيع أن تميّز بينها ..

١ ـ ابن مقرض : عالم نبات عربي قديم .

٢ ـ السيراني : رحالة عربي وصل الى الهند والصين .

٣ ـ باثورست : عاصمة جامبيا .

٤ ـ بوكسر : من سلالات الكلاب .

٥ ـ توريرو : مضيق بالبحر الابيض المتوسط .

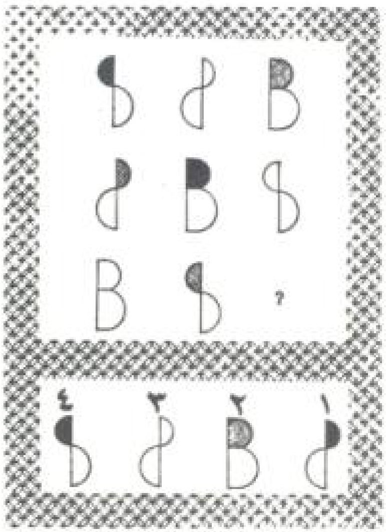
٦ ـ خانق الفهد : حيوان استرالي مفترس .

٧ ـ زرياب : نجم أعلام الموسيقى في دولة الاندلس .

٨ ـ شومولونجا : من أحفاد جنكيز خان .

٩ ـ كلارينيت : آلة موسيقية .

١٠ ـ مايون : أشهر براكين الفلبين .



الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحتل مكان علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

جون ملتون .

***

أين الصواب وأين الخطأ ..

كلها صحيحة ما عدا :

١ ـ ابن مقرض : حيوان كان يستخدم في صيد الأرانب .

٥ ـ توريرو : مصارع الثيران .

٦ ـ خانق الفهد : من الزهور .

٨ ـ شومولونجا : الاسم التبتي لقمة افرست .

***

الشكل المطلوب :

رقم (١) .

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٩

١٢٠

* الشر يستطير
* الصابرون

تأليف : جاك أوديبرتي
ترجمة وتقديم : د. نعيم عطية
مراجعة : يحيى حقي

8090



ما تصممه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

إن شاحنات كاتربلر ذات الرافعة مصممة لتلبية إحتياجاتك العملية داخل الورش وخارجها. لهذا هناك ٥٠ طرازاً مختلفاً بقدرات رفع تتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠,٢٠٠ كلغ، تعمل بواسطة محرك كهربائي، أو ديزل، أو بنزين، أو محرك يعمل بالغاز الطبيعي السائل. والصيانة عملية بسيطة، كما أن نقاط الفحص والعناية قليلة العدد جداً.

والأهم من ذلك كله، جرى بناء شاحنات كاتربلر ذات الرافعة في كل المراحل وفقاً لمستويات الجودة الفائقة.

وقيمة كاتربلر تمتد لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل.

"لقد تشمل مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص باختيار الشاحنة. الصيانة والخدمة. وتوفر القطع بسرعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها. وبذلك لا تهدر أموالك في إنتظار القطع، أو تضطر للاحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف"

ونحن نتوج ذلك بعبارة فهي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصممة ومبنية لتأمين حصولك على قيمة إجمالية عالية بتكاليف إجمالية منخفضة. وهذا سبب وجيه للاتصال بوكيل كاتربلر الآن.

CATERPILLAR

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٤٤١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٣٢٣٨٧ **البحرين** : محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٥٣٥٧، المنامة، تلفون ٧١٣٩٠٧
دبي : محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ١١٧٠، دبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٢٥٥.. **مصر** : مانترالد، ٢٢ شارع أمين فكري، محطة الرمل، الاسكندرية، تلفون ٨٠٧٨٩٧
الأردن : شركة الجرارات والمعدات الأردنية المحدودة، طريق المحطة، ص. ب. ٣١٣، عمان، تلفون ٦١١٤١/٤٢/٤٣ **الكويت** : محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ١٤٨، الصفاة، الكويت، تلفون ٨١٠٨٥٥/٥٦ **لبنان** : م. عزت حلاوة وأولاده، ص. ب. ١١٠٢٠٨، بيروت، تلفون ٩٣٢٥٢٢ **الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية** : الشركة العامة للآلات والأجهزة واللوازم الزراعية، سيدي مصري، ص. ب. ١٤٨، طرابلس الغرب، تلفون ٣٢٥٢٠ فرع بنغازي، تلفون ٩٢٣٢٩ **سلطنة عمان** : شركة الواحة للتجارة والمعدات، ص. ب. ١٠٠٤، مطرح، مسقط، تلفون ٣١٦١٠ **قطر** : محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٢١٧١، الدوحة، تلفون ٤١٠٢٦ **المملكة العربية السعودية** : شركة الزاهد للتراكتورات والمعدات الثقيلة المحدودة، ص. ب. ١٥٨٨، جدة، تلفون ٢٧٠٠٠ الفروع: الدمام، تلفون ٢٢٥٩٤، الرياض، تلفون ٢٨٤٦٨ **الجمهورية التونسية** : مؤسسة بي. باريدين، شركة مختلطة، ٩١ جادة قرطاجنة، تونس، تلفون ٢٥٦٥٧٧ **المغرب** : الشركة المغربية لمؤسسات بي باريدين ١٤٥، بولفار المقاومة، الدار البيضاء، تلفون ٣٠٥٦٧٥
سوريا : م. عزت حلاوة وأولاده، ص. ب. ٢٣، شارع حلب، القابون، دمشق، تلفون ١٩١٤٥٥٤، فروع في حلب، واللاذقية، والقامشلي

جي سي بي عندما تتطلب الافضل فقط



إن جي سي بي هي مؤسسة بريطانية مصدرة لآلات البناء. خاصة منه بالمئة ونوعية منتجاتها المعتمدة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة انحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المتعددة.

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحفارات الزاحفة الهيدروليكية، وشاحنات الجرف المفصلية ذات العجلات، وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية التي تحتل المركز القيادي في اسواق اكثر من ٥٠ خمسين بلداً.

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في اكثر من ١٠٠ بلد.

وكموزعين محليين لـ جي سي بي، فاننا نفخر بأن نقدم لكم تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحملة، والمحملات ذات العجلات والحفارات الزاحفة التي تقترن بخدمات الاسناد.

عندما تتطلب الأفضل، اختر جي سي بي.

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

ويكمن وكلاء جي سي بي في: الجزائر، البحرين، قبرص، مصر، اثيوبيا، إيران، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية، تونس، تركيا، السودان، الامارات العربية المتحدة، الجمهورية العربية اليمنية، الجمهورية العربية...

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ...

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel: Athens 922 6718. Telex: 219314.








في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
مهما يكن اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية،
بإمكانك الاعتماد على "أورينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة أورينت كوارتز"
ORIENT QUARTZ
12:00 30
CHRONOGRAPH
ORIENT
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST

بالمراسلة
وبمقابل ٥ دولار شهرياً
تتعلم

المحاسبة العامة
(برنامج كامل ١٨ شهراً)

ويشمل المواد التالية:

١ - مسك الدفاتر
٢ - محاسبة الشركات
٣ - محاسبة البنوك
٤ - قانون تجاري
٥ - قانون العمل
٦ - مراسلات تجارية

إدارة الأعمال
(برنامج كامل ١٨ شهراً)

ويشمل المواد التالية:

١ - إدارة عامة
٢ - إدارة مالية
٣ - اقتصاديات الأعمال
٤ - إعلان
٥ - مالية عامة
٦ - ادارة مشتريات ومخازن
٧ - قانون تجاري

السكرتارية الادارية
(برنامج كامل ١٢ شهراً)

ويشمل المواد التالية:

١ - التنظيم الاداري
٢ - مسك الدفاتر
٣ - اختزال
٤ - مراسلات تجارية

يسرّ إدارة مدرسة بيروت للعلوم التجارية "برنامج دروس بالمراسلة" ان تعلن إلى الأخوة الطلاب والطالبات في جميع الأقطار العربية والأجنبية. أنها باشرت بتطبيق برنامجها التعليمي الجديد "دروس بالمراسلة" لكي تتيح الفرصة أمامهم لمتابعة دراستهم دون تحمل أعباء السفر، وذلك بأقل قدر ممكن من التكلفة. ويمكن اختصار المدة المقررة، وذلك عائد لمقدرة الطالب على استيعاب البرنامج.

ملاحظة: جميع المحاضرات تعطى باللغة العربية والمصطلحات التجارية تعطى بالعربية والانكليزية.

لمزيد من المعلومات:

أكتب لنا فوراً لنرسل لك جميع التفاصيل مجاناً

العنوان:

مدرسة بيروت للعلوم التجارية / برنامج دروس بالمراسلة - ص. ب ١١/٨١٨٥ - بيروت - لبنان.

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي

تأليف : د. محمد علي الفرا

٢٥٠ فلساً

الكتاب الحادي والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

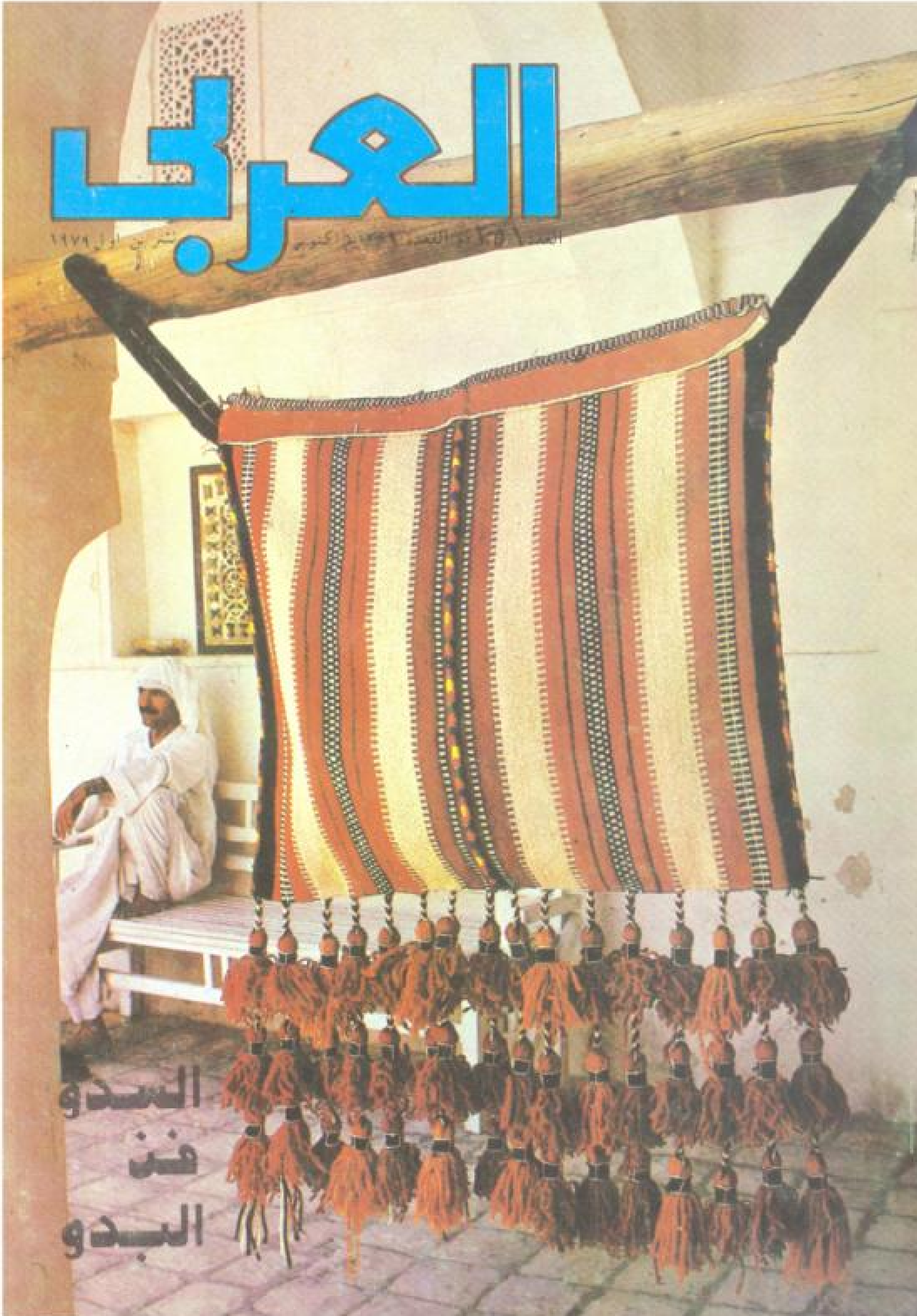
ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

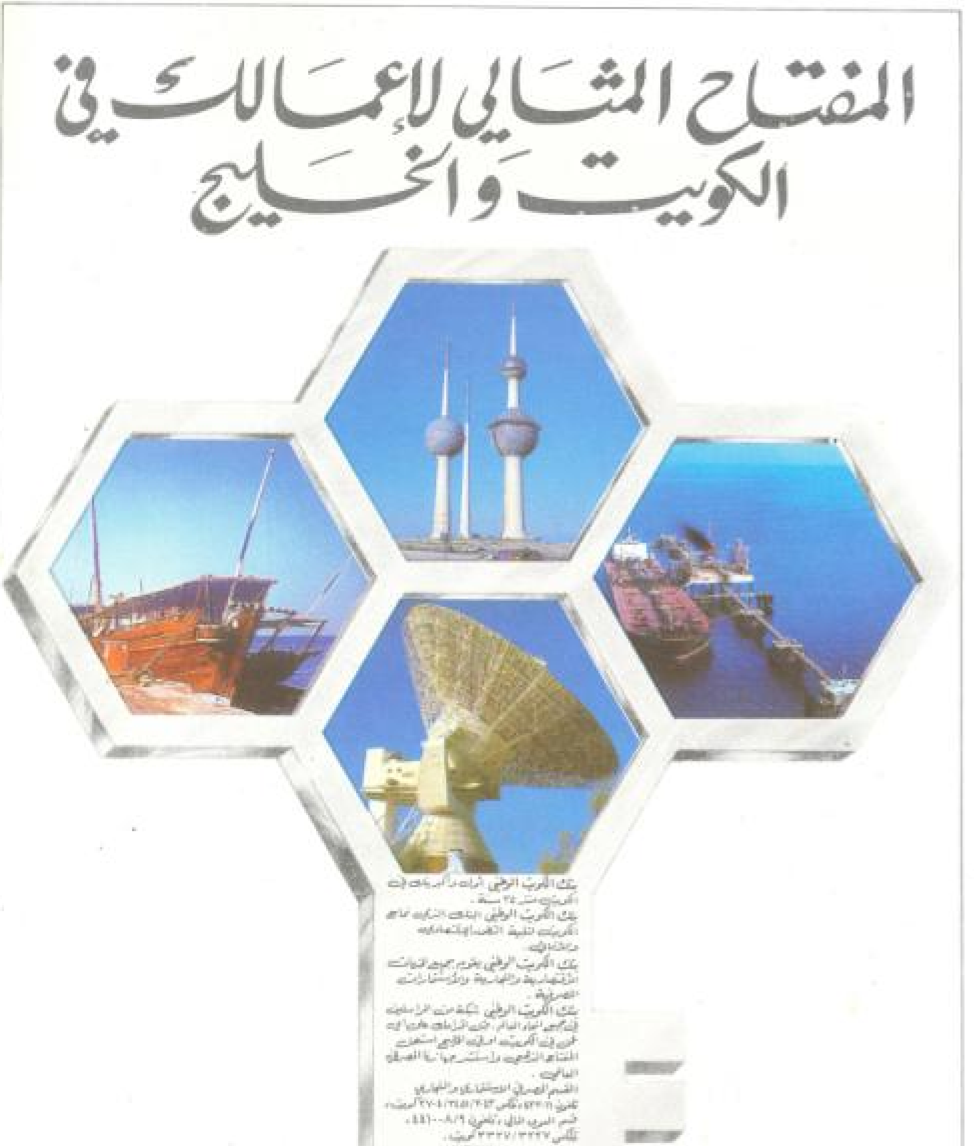
هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح .
سجل برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء.
وشاهد البرامج العديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية
والبرامج التثقيفية والوثائقية والأفلام العائلية المتوفرة على جميع أنواعها.
وبإمكانك أيضاً حتى تصوير الأفلام في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
الخفيفة التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثهما امامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني.
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً . وهو سهل الاستعمال
ادن وزوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أوليتها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك
سوني بيتاماكس انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك .
سوني بيتاماكس Sony Betamax
شاهد ما فاتتك مشاهدته


الابتكار المدهش في حجمين
M 9998
راديو ستيريو في ٤ موجات / مسجل كاسيت ،
إجمالي الطاقة الموسيقية ٤٢ واط ، دولبي ،
نظام آلية الانتقاء الموسيقي AMBS الاوتوماتيكية ،
مع مكبر صوت داخلي منفصل .
M 7700
راديو ستيريو في موجتين AM/FM
مسجل كاسيت طاقة
الإخراج الموسيقي ٤ واط ،
مكبرين للصوت قياس ٩,٢سم ،
مع ضوابط الانتقاء موسيقى
الستيريو والتنغيم ومستوى
الصوت والموازنة ، إخراج
ماسي للكاسيت .
* دولبي هي العلامة التجارية لمعامل دولبي انكوربوريتد M9998
* يتوفر كذلك موديل في ٤ موجات M7700
SANYO
سانيو


العربي
تشرين أول ١٩٧٩
السدو
فن
البدو


المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

خلال الاسابيع الاخيرة ، توالت الكتابات في مختلف المجلات والصحف العربية ، التي تعلن اليأس من الحاضر والمستقبل ، وتدعو صراحة الى ما اسموه « الاستقالة من العروبة » !

ولا نعرف كيف يمكن ان يتحقق ذلك ماديا وعمليا ، وكيف يمكن ان نقرر ان نغير جلودنا وعقولنا وقلوبنا ، هكذا بين يوم وليلة . لكننا نفهم بكل تأكيد ان هناك عشرات الاسباب التي اصابتنا جميعا بالاحباط والحزن والتشاؤم . ونعلم اننا لسنا اول امة منيت بالهزيمة ، ولسنا آخر من فجع في أمانيه ، او مسخت احلامه ، وداسها الابناء قبل الاعداء .

نسلم بالعجز والهزيمة ، لكننا لا نرى ان الانتحار هو الحل او المخرج . بل نقول انه رغم كل الغيوم وجدران القتامة ، لا يزال هناك بصيص من امل .

والخطوة الاولى على طريق الامل هو هذا الرفض للهزيمة والتمرد على العجز ، وادانة أسبابه ونتائجه .

وما دمنا ندين الباطل كله ، فنحن على الطريق الصحيح . لا يهم على اي نقطة من الطريق نحن ، ولا يهم كم فيه من المنعطفات والعثرات ، ولا يهم كم يستغرق المشوار . تلك كلها تفاصيل تتفاوت في الاهمية ، فالطريق ذاته هو الاهم .

اننا لا نريد أن نفتعل أملا ، لكننا فقط نقرر حقيقة تتوه احيانا في لحظات الانفعال والقنوط !

« المحـــرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

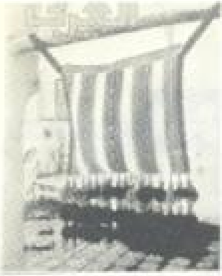
ALARABI — No. 251 October 1979 — P. O. Box 748 KU.

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● ينتقل البدو في الصحراء من حالة البداوة الى الاستقرار ، وتتغير معالم حياتهم الاجتماعية فكيف نحافظ على ما ينتجه البدو من فن جميل يعكس البيئة والحياة الحرة الطليقة ـ وهذه لقطة لاحدى هذه القطع الفنية فى المعرض الدائم الذى يطل على الخليج ******

اقرأ الاستطلاع ص ٧٠

أدب .

فلسفة :

تاريخ :

فنون :

كتاب الشهر :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٣٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٤٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

● للمشتركين فى جمهورية مصر العربية .

وجه جديد للعالم

● كان حديث الشهر الماضي عنوانه « عالم من سياحة وبترول .. وفضول » ..

ولعلني اعطيت بعض جوانب الحديث حقها ، وذكرت ان عنصرا هاما لم تتسع الصفحات لان يستوفى حقه ، وهو البترول ...

وكما ذكرت ، فيما احسب ، فانني لا اتحدث عن مشكلة البترول من زواياها المعروفة : لا مشكلة الطاقة ، ولا اسعار البترول ، ولا الصراع بين دول « الاوبيك » والدول المستهلكة .. ولا الصراع السياسي الذي يستتبعه هذا الوضع الاقتصادي .. الى آخره .

ولكنني احاول ان اتأمل ، في سلسلة من الاستطرادات ، الآثار الاجتماعية التي ساهم بها البترول في هذا العالم كما نعرفه ... وحتى الآثار التي ساهم بها في تشكيل نفسية الفرد نفسه .

وبغير كثير من المبالغة ، كانت هناك اكتشافات قليلة غيرت وجه حياة الانسان على الارض . اختراع الورق خلق اول صلة مدونة بين الناس . اختراع الطباعة مثلا جعل المدونات في متناول عدد اكبر وخلق شيئا اسمه التعليم والقراءة على نطاق واسع . اختراع البارود نقل الحروب من لقاءات عدد من الفرسان في ساحة وغى بعيدة ، الى الحروب التي تشترك فيها وتعاني منها الشعوب كلها ، اذا ارادت طبعا ان تكسب حربا .



ثم صنعه البترول !

بقلم : احمد بهاء الدين

من هذا المستوى اكتشاف البترول .

فالبترول هو الذى وضع العالم على طريق الحركة الهائلة والانتاج الوفير .

صحيح ان اكتشاف البخار ثم الكهرباء كانا خطوة على الطريق . وصحيح ان اكتشاف الصحافة والاذاعة نقل صورة العالم الى الانسان حيثما كان .

ولكن لو وقف الامر عند هذا لما حدث ما حدث . ولما رأينا العالم الذى نعرف .

كان البخار سيقف عند حدود ، وكذلك الكهرباء . فالفحم ـ الذى كان مصدر تلك الطاقة ـ يمكن ان يدير مصنعا او يسير سفينة . ولكنه ما كان ممكنا ان تطير به طائرة ولا تسير به سيارة ولا تحارب به دبابة . وما كان ممكنا ان ينتشر استخدام الطاقة هذا الانتشار .

النقلة الانسانية الواسعة

فالنقلة الانسانية ، في مدى انتشارها ، من عالم الفحم الى عالم البترول ، اشبه بالنقلة التي تمت من عالم الكتابة الى عالم الطباعة . فصار ممكنا ان يطبع من المخطوط ملايين النسخ . وصار ممكنا ان تصدر ملايين الصحف كل أربع وعشرين ساعة ..

اولا ، لرخص تكاليف البترول . ثانيا لسهولة استخدامه في ملايين الوحدات الصغيرة ـ الطائرات والسيارات مثلا ـ هذا اذا قصرنا اثره على عنصر « الحركة » وحده في حياة الانسان ، لا على عناصر تأثيره في شتى نواحي الانتاج .. من الانسجة الى المطاط الى بروتين الطعام ...

صحيح ان العقل الاوروبي كان هو القائد للتقدم العلمي في القرون الاخيرة . وصحيح ان اكتشاف البارود او الطباعة او البخار ، كان اثر « العقل الانساني فيها » اهم من اثره في اكتشاف « خام » البترول .

ولكن الغريب ان مادة التطور العلمي ـ سواء في مؤلفات المؤرخين او في مقررات المدارس ـ حينما تتعرض للخطوات ـ او المنعطفات الحاسمة ـ في طريق الثورة العلمية الصناعية تذكر ظهور البخار ، ثم اللاسلكي ، الى آخره ... ولكنها لا تذكر بنفس الدرجة من الاهمية : اكتشاف البترول .

مع انهم ، في النهاية ، اى الاوروبيين ، هم الذين اكتشفوه .

ولكن هذا الاهمال ـ او الاغضاء ـ ربما كان مصدره ان معظم الاكتشافات السابقة يمكن انتاجها في اى مكان من العالم ، ماعدا كل ما هو عائد الى البترول ، فهو مخزون اساسا في مناطق محددة في العالم . فهو مصدر الطاقة الوحيد الذي تتحكم فيه عوامل الجغرافيا السياسية الى حد بعيد . وفي حين ظهر الفحم مثلا في بلاد الصناعة ـ انجلترا والمانيا مثلا ـ ظهر البترول في « المستعمرات » التي لم يشأ الغرب وقتها ان يعلم ابناءه ان شريان حياته الحديثه مربوط بتلك البلاد . وان ما يأتي الغرب من هذه البلاد اهم كثيرا من الشاي ، والتوابل ، والعطور ، والحرير الفاخر المصنوع بالايدى .

ان الجوانب الانسانية كثيرا ما يجرى اغفالها عند تعداد العوامل المؤثرة في الاحداث .. وهذا هو احد اكبر جوانب النقص في الفكر البشرى ، واحد اهم اسباب الصراعات ...

لقد صار البترول عنصرا حاسما في حياة العالم منذ الحرب العالمية الاولى . ومنذ قال « لويد جورج » رئيس وزراء انجلترا قبل خمسين سنة « لقد سبح الحلفاء الى النصر على بحر من النفط » . ولكن المرء يلاحظ ـ في حدود ما يعرف ـ ان الاجيال الغربية لم تتعلم قط في برامجها ومدارسها ولا في وسائل اعلامها ، اى شيء عن قيمة البترول . وبالتالي لم تتعلم تلك الاجيال ان حضارتها مرتبطة في تطورها باماكن بعيدة في القارات الاخرى « التي ظلت بالنسبة له « مستعمرات » ، سواء بالمعنى المادى او بالمعنى المعنوى والنفسى ..

لم يتعلم العقل الاوروبي العام ان تقدمه مربوط بدرجة حيوية ـ لا كمالية ـ بقارات اخرى وشعوب اخرى . وحتى حين انسحبت جيوشه واسلحته ، ظل يحس « نفسيا » ان باقي العالم مستعمر ، تابع له .. وان سلعة كالبترول متاحة ـ بديهيا ، وبلا مقابل تقريبا ـ كماء المحيطات التي ليس لها مالك . وبالتالي تأخرت الذهنية الاوروبية والامريكية كثيرا في ادراك ضرورة قيام علاقة جديدة ، اكثر احتراما وتوازنا ، مع « الآخرين » .. الذين هم بالنسبة لهم : بقية البشر !

ولذلك ، عندما « فوجيء » الرأي العام الغربي بحكاية « ازمة الطاقة » رأينا ردود الفعل العجيبة الغريبة ، وكأن الامر مفاجأة . واستطاع الحكام الغربيون واصحاب المصالح الغربية ـ سياسية واقتصادية ـ ان يستخدموا ذلك المزيج من الرعب والمفاجأة والذهول و يوظفوه لمصالحهم السياسية ، و يسندوا به تهديداتهم العسكرية .

فالعالم الغربي « نفسيا وذهنيا » ما زال في حاجة الى ان يتعلم ان سائر الكرة الارضية ليست مستعمرة له ، ولا هي مكرسة لخدمته . وان علاقته بالغير هي علاقة « حاجة متبادلة » وليست علاقة « قوي يتصدق على ضعيف » .

وقد جرفني موج الحديث الى بعض شواطيء السياسة ، رغم انني احاول هنا ان اسبح بعيدا عنها ... لانها شواطيء مطروقة كل يوم وكل ساعة ..

انما اريد ان اتحدث عن الاثر الحضاري للبترول . ولكثرة الآثار وتشعبها الرحيب لا بد من اختيار خيط واحد . وليكن : الانتقال والحركة ...

واصبح العالم قرية كبيرة

ان الكل متفق على ان اهم تطور في حياة العالم خلال نصف القرن الاخير ، هو ان العالم صار « صغيرا » . او صار « قرية كبيرة » كما يقول « مارشال ماكلوهان » . وقد صار العالم صغيرا بفعل اشياء كثيرة : البريد والبرق والتليفون واللاسلكي والصحف والاذاعة والتليفزيون ...

ولكن اهم ما جعله « صغيرا » ، بكل ما لذلك من نتائج ، هو سرعة وسهولة النقل والانتقال ..

نقل الافكار ، ونقل الجيوش ، ونقل الافراد ، ونقل السلع والبضائع ..

النقل السيىء والنقل المفيد ..

النقل السيء ، الذي صار ممكنا معه القاء آلاف القنابل على اقصى البلاد ، وخلف خطوط القتال بمئات الاميال (دعك من الصواريخ) وبالتالي لم تعد الحروب مقصورة على الجنود ، بل شاملة لابعد البشر عن الصراع . فلم تعد هناك « قرية آمنة » ! وكان هذا مستحيلا بدون البترول بالذات ...

والنقل البريء ...

فبعد ان كان الرسول يسافر من بلد الى بلد في شهور ليبلغ رسالة .. صار عاديا ان يجتمع ممثلو مائة وخمسين دولة ـ العالم كله ـ في الامم المتحدة طوال السنة وفي اي وقت من السنة . فالطائرات النفاثة ـ ووقودها البترول ـ اختصرت الشهور الى ساعات .

ولسنا في حاجة الى تفصيل اي مثل من هذين المثلين فقط . فآثارهما على العالم معروفة وملموسة وظاهرة كل يوم . لولا ان الانسان ينسى . وسرعان ما يألف الجديد الغريب ويعتبره عاديا وبديهيا ومفروغا منه !

ولكن ، لندخل الى طريق اضيق ، وننسى الطائرة ، ونكتفي بالسيارة .. ومرة اخرى : السيارة كأداة ما كان لها ان تقوم وتوجد ، دون اكتشاف البترول . وما كان لها ان تنتشر دون رخص سعر البترول ـ حتى الآن !

ولنأخذ مجتمعا واحدا ، هو المجتمع الامريكي ، لنرى كيف اعادت « السيارة » تشكيله حتى على المستوى الفردي ...

وسنأخذ المجتمع الامريكي نموذجا ، لا لانه حالة فريدة ، ولكن اولا لانه سبق غيره في هذا المضمار . ولان ما يحدث فيه . يتكرر في كل مكان من العالم تقريبا وان اختلفت الصور والدرجات .

ولان امريكا بحكم اتساعها تكاد تكون قارة كاملة ..

في المشهد العام ، لاول وهلة ، نجد ان السيارة اعادت توزيع السكان تماما ، وفي اتجاهين متعاكسين في نفس الوقت :

فالسيارة هي التي خلقت المدن الكبيرة . اي التركزات السكانية الكثيفة . مدن العشرة ملايين ساكن او اقل او اكثر ، مثل نيويورك ولوس انجلوس ولندن وباريس وطوكيو .. الخ . ـ من الواضح انه كان مستحيلا ظهور « المدن الكبرى » بهذا الحجم في العالم كله ، بخيرها

وشرها دون وجود السيارة . ونحن نعرف ان ظهور هذه المدن الكبيرة ، وتزايدها ، حتى يومنا هذا ، خلق من القيم والعادات الجديدة ، واوجد من المزايا ومن الشرور على السواء ، ما يعكف المفكرون على دراسته وما وضعت من اجله آلاف الكتب

وفي عكس هذا الاتجاه ، جعلت السيارة قيام التجمعات السكانية الصغيرة ممكنا في اي بقعة من الارض . فكما قامت مئات المدن الكبرى ، انتشرت آلاف القرى . لان ساكن القرية في ابعد اماكن امريكا التي كانت مهجورة ، صار يمكنه ان يعيش وأن يصل اليه كل شيء على مدار السنة . من طعام وشراب وثياب واي ادوات موجودة في المدينة . بل ان ولايات صحراوية تماما - مثل اريزونا - صارت ولاية مأهولة مسكونة ، بل وفيها افخم اماكن الترفيه واللهو والفنادق (لاس فيجاس مثلا) .. قامت هنا في قلب الصحراء تماما . لان السيارة وضعتها على الخريطة لاول مرة .

حتى الجغرافيا تغيرت

ذلك ان وجود السيارة باعداد كبيرة - من الشاحنات الكبرى ، الى الحاويات المبردة ، الى السيارات الفردية - خلق صناعة ربما كانت اكبر صناعة في العالم ، وغير خريطة الجغرافيا ، وهي : الطرق .. بكل انواعها ! وبكثرة كان مستحيلا ان تقوم بدلها خطوط السكك الحديدية مثلا .

انظروا الى الطرق الكبرى في بلادنا وفي العالم كله . الشاحنات المحملة بالخضر والفاكهة واللحوم تقطع الطرق من غرب اوروبا الى الخليج وفي امريكا من المحيط الى المحيط . متفرعة الى كل مدينة وكل قرية . لانها يمكن مدها في السهول والصحاري ، وفوق الجبال ، وفي الانفاق .. فلم يعد هناك مكان معزول . ولم يعد هناك حاجز طبيعي يحول دون تدفق الحياة وتثبيت جذورها في اي ارض . وكان لهذا ايضا الكثير من الاثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ..

خلقت الحياة في اشد المناطق برودة .. بالتدفئة ، واشد المناطق حرارة بالتبريد ..

السيارة خلقت المدن الكبرى .. وخلقت الضواحي .. وفتحت أراضي جديدة للسكن والاقامة .. وللزراعة والانتاج .. وضاعفت حجم التجارة والتبادل حتى في داخل القطر الواحد .. ومئات ملايين الافدنة في العالم ما كان يمكن زراعتها الا بطرق تشق اليها ، وسيارات تجرى عليها ، وجرارات وموتورات تزرع وتحصد وتروى ..

وكل هذا في النهاية بمادة اساسية تجري في هذه الشرايين والاوردة ، هي : البترول ..

وعندما نتأمل « ثورة الطرق » التي نتجت عن استخدام السيارة وتزايد الاعتماد عليها ، نجد انها من اهم الاشياء التي غيرت معالم الحياة ، واوجدت اشكالا جديدة للحياة . لم تعد الطرق هي تلك المسالك الضيقة غير الممهدة . وفي التاريخ نجد ان « يوليوس قيصر » كان اول من انتبه الى شق الطرق ـ بمنطق ذلك الوقت ـ ولكن لاسباب حربية ، حتى يسهل مرور عجلاته الحربية الى حيث تتجه اهدافه في الغزو . ولكي تكون ابعد مناطق الامبراطورية في متناول يده ، يقمع اي تمرد بعيد في اسرع وقت . وتنبه لها هتلر ، في المانيا التي تنافس امريكا في سرعة انتاج السيارات بكثرة وبأرخص التكاليف . فأوجد الـ « اوتوبان » او الاوتوستراد « او » الهاي واى « حسب اللغة . وهي الطرق الكبرى ، التي تتجاوز زحام المدن ، وتمهد بادوات ومواد صلبة قوية ، وتسمح للسيارات بالاندفاع فوقها بأقصى سرعة .

وتنبهت لها امريكا ، ليس لأسباب حربية فقط . ولكن لاسباب تتصل بتطور الحياة وتوسيع الرخاء كما ذكرنا من قبل . وهذه الطرق الكبرى أوجدت بدورها أشياء جديدة أوجدت محطات البنزين . اوجدت « الموتيلات » او الفنادق الصغيرة ، والمطاعم السريعة . واعيد بناء فروع للبنوك تسحب منها المال وانت في السيارة . ومطاعم تأخذ منها ماتريد وانت في السيارة . وحتى سينما السيارات وغيرها مما يسهل السفر بالسيارة في بلد يصل حجمه الى حجم قارة مستقلة .

وقل ارتباط الفرد بالمكان

وبسهولة الحركة والانتقال ـ بسبب السيارة ـ قل ارتباط الفرد بالمكان . فقبل ذلك ، كان الانسان يعيش مع اسرته منتميا الى بلدة او الى ولاية بعينها . وتتوالى الاجيال من بعده في نفس المكان . ولكن السيارة جعلت الوطن . بالمعنى المحلي ـ هو حيث يوجد الرزق ، وفرصة الحياة الاحسن . فالبيت الامريكي اكثر البيوت تنقلا . حتى أطلق البعض على الشعب الامريكي صفة انه « امة على عجل » !

وشيء من هذا يتسرب بالتدريج الى سائر انحاء العالم . تبعا لدرجة التقدم ونسبة عدد السيارات الى السكان ، وكمية الطرق المتوفرة .

وقد يمكن الانعطاف الى حديث ادبي قصير ..

فكما ان « القطار في الأدب الروسي » صار موضوعا للبحث الادبي في فترة ما ، بسبب

طول المسافات الهائل ، وان الناس يعيشون في القطار احيانا اياما طويلة متوالية ، تسمح بتصور مئات من الصور الدرامية . كذلك فان قارىء الادب الامريكي لا يمكن الا ان يجد اثر « السيارة » في الفن الامريكي .

واضرب المثل بقصة واحدة هامة في الادب الامريكي ، هامة لان مؤلفها هو « جان كيروان » اول اديب عبر مرحلة القلق في الروح الامريكية في الستينات وما بعدها . ولانها اهم اعماله (وقد مات شابا من فترة قصيرة) والرواية اسمها « على الطريق on the road » . والاسم وحده يكفي للدلالة على الموضوع . وفي ايجاز شديد ، فان بطل القصة صعلوك شاب حائر ضائع مضيع لمن حوله . ولكن روحه كأنها ليست في صدره بل في موتور السيارة التي يملكها احيانا ، ويستعيرها احيانا ، ويسرقها احيانا اخرى . انه يطوف بامريكا من المحيط الى المحيط . على متن سيارة . وليس موضوعنا هنا هو القصة ، فقط أشير هنا الى شعور القارىء بان السيارة هي البطل الاخر في القصة . هي المرض والشفاء . هي المشكله وهي الحل .

واذكر انني عندما فرغت من قراءة تلك الرواية ، قفزت الى ذهني مقارنة بين السيارة اليوم وبين الجواد بالنسبة لفارس الامس .

انها ـ كالجواد ـ اداة الحركة . ولكنها اكثر من ذلك . انها علامة « الفروسية » وحافز « السرعة والانطلاق » . ورمز الجسارة ..الى جانب انها رمز المكانة الاجتماعية ..

وليتأمل القارىء افلام « الكاوبوى » الامريكية ودور الجياد فيها . ثم ليتأمل افلام المغامرة الامريكية الحديثة ، فسوف يجد السيارة تلعب نفس الدور : المطاردات المثيرة . والسرعة الجنونية والسيارة المندفعة اداة للجريمة . والسيارة الناعمة اداة للحب !

نصف الافلام الامريكية نجد ان السيارة فيها تلعب دورا اساسيا بشكل او بآخر ..

ولعلى استطردت ..

ولكنني اعود لاقول : انها جولة حرة وراء جانب من جوانب البترول وتأثيره في حياة العالم .

فبغير وجود البترول . وباسعار رخيصة (حتى الآن) لكانت الدنيا غير الدنيا التي نعرفها اليوم .

ومثل هذا الجانب البسيط ، يوجد الف جانب آخر . ●●

لندن ـ احمد بهاء الدين



ماذا أعددنا لنستقبل عصر الطاقة البديلة ؟

بقلم : الدكتور سعود عياش

تحتل أزمة الطاقة وارتفاع أسعارها واحتمالات نضوب مصادرها التقليدية كالفحم والبترول والغاز اهتماما بالغا فى عالم اليوم . كما أن المهتمين والمختصين بموضوع الطاقة يتحدثون بشكل دائم منبهين الى ضرورة التعامل بعقلانية مع المصادر التقليدية وضرورة التفكير والعمل على الاستفادة من المصادر البديلة كالطاقة الشمسية والطاقة الهوائية وطاقة المد والجزر والطاقة الحرارية فى البحار والمحيطات ومصادر أخرى غيرها .

ومن جانب آخر يجرى الحوار حول انتقال التكنولوجيا من الدول الصناعية الى دول العالم الثالث لمساعدة الأخيرة في تطوير اقتصادياتها ورفع المستوى المعيشي لسكانها . وقد عقدت للان اجتماعات عديدة على مستوى دولي لمناقشة هذه المسألة . ولا يخفى أنه مازال على دول العالم الثالث أن تقطع مسافات طويلة قبل اللحاق بالمستوى الحالي للدول الصناعية . ولا يخفى أيضا أن أي عملية تنمية اقتصادية أو تصنيع في أى دولة في العالم الثالث تتطلب استهلاكا متزايدا من الطاقة . غير أن مثل هذا الاستهلاك المتزايد للطاقة يتطلب توفير مصادر طاقة مضمونة وبأسعار معتدلة كي يتسنى لها النجاح . وفي ظل وضع الطاقة العالمي الحالي لاتبدو الصورة مشرقة أمام دول العالم الثالث .

ان الاستفادة من مصادر الطاقة البديلة يتطلب توفر تكنولوجيا ملائمة حسب المصدر المتوفر في هذه الدولة أو تلك . فاستغلال الطاقة الشمسية يتطلب توفر صناعة لمعدات وأجهزة لتجميع هذه الطاقة وخزنها وتحويلها الى أشكال طاقة أخرى حسب الحاجة . كذلك فان استغلال الطاقة الهوائية يتطلب انشاء صناعات لتصنيع الأجهزة اللازمة لذلك . وعليه فان مصادر الطاقة البديلة كمصادر قائمة بذاتها لا يعني الكثير مالم يتم الاستفادة منها . ومثل هذه الاستفادة لن تتحقق بدرجة عالية من الكفاءة مالم تلجأ دول العالم الثالث الى دخول مجال تصنيع الأجهزة والمعدات اللازمة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الطاقة الناتجة من مصادر الطاقة البديلة لن تتحول الى سلع تباع في السوق العالمية كما هو الحال مع مصادر الطاقة التقليدية من بترول وفحم وغاز . ان أقصى ما يمكن أن نتوقعه في المستقبل المنظور هو أن تقوم احدى الدول بتزويد احدى جاراتها بما يفيض عن حاجتها من الطاقة . لكن وحيث

أن هناك طلبا متزايدا على الطاقة فان هذا الأمر يبدو مستبعدا .

لذلك فمن الصعب تصور أن تصبح مصادر الطاقة البديلة مصادر للدخل القومي في دول العالم الثالث . على العكس من ذلك ، فالمتوقع أن تحتاج هذه الدول الى استثمارات كبيرة لشراء الأجهزة والمعدات المطلوبة ، وهذا ما يشكل عبئا ماليا على هذه الدول التي يعاني معظمها من مشاكل مالية .

من هنا نرى أنه يتوجب على دول العالم الثالث ـ والدول العربية من ضمنها ـ أن تلجأ الى التفكير الجدي بانشاء صناعات لانتاج الأجهزة والمعدات المطلوبة للاستفادة من مصادر الطاقة البديلة . ان البديل لهذا هو أن تستمر دول العالم الثالث في الاعتماد على التكنولوجيا المستوردة لفترات طويلة قادمة .

وغني عن القول أن طبيعة مصادر الطاقة تحدد طبيعة التكنولوجيا المطلوبة للاستفادة من المصادر اياها . فالتكنولوجيا المستعملة في استخراج الفحم الحجري تختلف عن مثيلتها المستعملة في انتاج النفط والغاز . كما أن التكنولوجيا المطلوبة في المصدرين السابقين تختلف عن التكنولوجيا المطلوبة في المفاعلات النووية . وعلى ذلك ، فان طبيعة مصادر الطاقة البديلة ستحدد طبيعة التكنولوجيا المطلوبة .

خصائص الطاقة البديلة

تتمتع مصادر الطاقة البديلة بمجموعة من الخصائص المشتركة منها : ـ

١ ـ ان هذه المصادر ذات عمر طويل جدا ويمكن اعتبارها مصادر دائمة . فالطاقة الشمسية والطاقة الهوائية والطاقة الحرارية في البحار والمحيطات وطاقة أمواج البحر ، كلها مرتبطة بالشمس بشكل أو بآخر . فالطاقة الشمسية تأتي مباشرة مع أشعة الشمس ، وحركة الرياح تتأثر بحركة الشمس التي ينتج عنها صيف وشتاء وتغير في الظروف الجوية . أما الطاقة الحرارية في البحار والمحيطات فهي نتاج لما يخزن من طاقة شمسية تسقط على سطح البحار والمحيطات . وأمواج البحر نتاج لحركة الرياح بشكل أساسي والتى هي بدورها نتاج لحركة الشمس واشعاعاتها . وبالنتيجة فان الشمس مصدر أساسي لأشكال الطاقة البديلة المختلفة هذه . وحيث أن الشمس مصدر دائم في المنظور البعيد ، يمكننا القول أن مصادر الطاقة البديلة هذه هي مصادر دائمة .

٢ ـ ان مصادر الطاقة البديلة رغم ديمومتها على المدى البعيد الا أنها لا تتوفر بشكل منتظم طوال الوقت وعلى مدار الساعة . فالطاقة الشمسية تعتمد على وصول أشعة الشمس الى سطح الأرض ولذلك فهي متوفرة أثناء شروق الشمس فقط . أما في الليالي وحين تتلبد السماء بالغيوم أو تثور العواصف الرملية والترابية فان الاستفادة من الطاقة الشمسية تكون معدومة . كذلك فان كمية الطاقة الشمسية المتوفرة أثناء اليوم الواحد تختلف من وقت الى آخر . فالاشعاع الشمسي يكون عاليا أثناء الظهيرة ويقترب من الصفر عند الشروق والغروب . ثم هناك تغير كمية الطاقة الشمسية الساقطة على الأرض خلال العام حيث تكون مرتفعة في الصيف وقليلة في الشتاء .

وينطبق ذات الأمر على الطاقة الهوائية . فحين الحديث عن الطاقة الهوائية فاننا نقصد الطاقة الناتجة عن سرعة الهواء . وتدلنا التحليلات النظرية على أن كمية الطاقة الهوائية تتناسب مع مكعب سرعة الهواء . وهذا يعني ببساطة أنه اذا تضاعفت سرعة الهواء فان كمية الطاقة تتضاعف ثماني مرات ، وأما اذا انخفضت الى النصف فان الطاقة تنخفض ثماني مرات . وكما نعلم فان سرعة الهواء ليست ثابتة بل تتغير باستمرار . ومن أجل الحصول على صورة معقولة عن سرعة الهواء المتوقعة فلا بد من اللجوء الى الدراسات الاحصائية . ومن المعلوم أيضا أن سرعة الرياح في الشتاء تكون أعلى منها في الصيف مما يعني توفر طاقة هوائية في فصل الشتاء أكبر منها في الصيف .

أما حركة أمواج البحر فهي مرتبطة بسرعة الرياح ويكون البحر مائجا في الشتاء أكثر منه في الصيف وبالنسبة للطاقة الحرارية في البحار والمحيطات فهي

متوفرة في الصيف أكثر منها في الشتاء بسبب أن فارق درجات الحرارة بين مياه السطح ومياه الأعماق تكون أكبر صيفا منها شتاء .

٣ ـ ان الطاقة المتوفرة في المصادر البديلة ليست شديدة التركيز . وبالتالي فان الاستفادة من هذه المصادر يتطلب أجهزة كثيرة وكبيرة الحجم . فالمعدل السنوي لسقوط الطاقة الشمسية على سطح أفقي مساحة متر مربع واحد لاتزيد عن ٥ ـ ٦ كيلو واط في اليوم الواحد في معظم المناطق . وفي معظم المناطق خاصة البعيدة عن خط الاستواء فان هذا المعدل أقل من ذلك . واذا أخذنا في الاعتبار ان كفاءة استخدام الطاقة الشمسية في التطبيقات المختلفة تتراوح في العادة بين ٢٠ ـ ٤٠٪ ، فان كمية الطاقة الممكن الحصول عليها من متر مربع واحد تتراوح بين ١ ـ ٢ كيلوواط في اليوم .

وأما بالنسبة للطاقة الهوائية فان كمية الطاقة تعتمد على سرعة الهواء ومساحة الطاحونة الهوائية المستعملة . واذا ما أريد الحصول على كمية طاقة كبيرة فلا بد من زيادة عدد الطواحين الهوائية وتكبير أحجامها .

وفي مجال الطاقة الحرارية في البحار والمحيطات فان العامل المؤثر في هذا المصدر هو فارق درجات الحرارة بين مياه السطح ومياه الأعماق . وفي المناطق الملائمة للاستفادة من هذا المصدر يتراوح الفارق في العادة من ١٠ ـ ٢٠ درجة مئوية بين مياه السطح والمياه على عمق يتراوح بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ متر . أما كفاءة الأنظمة التي تعمل على فارق درجات الحرارة هذا فتتراوح ما بين ٢ ـ ٣٪ .

ان خصائص مصادر الطاقة البديلة اعلاه تفرض مجموعة متطلبات تتعلق بالتكنولوجيا المطلوبة للاستفاده من هذه المصادر .

خصائص تكنولوجية

ان أكثر مصادر الطاقة البديلة شيوعا واستعمالا هي الطاقة الشمسية وطاقة الهواء . أما بالنسبة لأشكال الطاقة الأخرى كطاقة أمواج البحار والطاقة الحرارية في البحار والمحيطات وطاقة المد والجزر فهي مازالت بشكل عام في طور التجارب والدراسات (باستثناء مشروع فرنسي يعمل على المد والجزر ومستغل تجاريا) . الطاقة الشمسية والطاقة الهوائية مصدران معروفان منذ القدم واستطاع الانسان استعمالها لتلبية بعض متطلباته من الطاقة . ويمكننا ادراج بعض الخصائص التكنولوجية لهذين المصدرين :

١ ـ ان انخفاض درجة تركيز الطاقة في المصادر البديلة يتطلب استعمال أعداد كبيرة من الأجهزة اللازمة للحصول على الطاقة اياها . فزيادة الاستفادة من الطاقة الشمسية لا يمكن ان يتم الا عبر زيادة مساحات السطوح المعرضة لأشعة الشمس . هناك بالتأكيد ضرورة العمل على زيادة كفاءة الحصول على الطاقة بواسطة المجمعات الشمسية غير أننا سنواجه ضرورة زيادة مساحات المجمعات الشمسية من أجل زيادة الاستفادة من هذا المصدر . واذا وضعنا في اعتبارنا أنه لا يمكننا الحصول حاليا على أكثر من ٢ كيلو واط بالمعدل لكل متر مربع من المجمعات الشمسية لأمكننا تصور المساحات الكبيرة المطلوبة من أجل أنتاج متطلباتنا من الطاقة .

هناك بعض التقديرات بأن تلبية احتياجات الكويت من الكهرباء بواسطة استعمال الطاقة الشمسية يتطلب مساحة من المجمعات الشمسية تقدر بحوالي ٣٪ من مساحة الكويت . ان هذا يعني ببساطة اننا بحاجة الى ٥٠٠ كيلو متر مربع من المجمعات الشمسية . ومع ازدياد الطلب على الكهرباء تزداد الحاجة الى مساحات أكبر من المجمعات والأجهزة الأخرى .

أما بالنسبة للطاقة الهوائية فمن غير العملي زيادة حجم طاحونة الهواء خارج حدود معينة ، اذ لا يمكننا التفكير بعجلة طاحونة هواء ذات قطر يساوي مئات الأمتار لأن هذا الامر غير عملي . لذلك فان زيادة الاستفادة من الطاقة الهوائية يتطلب زيادة عدد طواحين الهواء والعمل على زيادة كفاءتها أيضا .

٢ ـ ان الطبيعة غير المنتظمة لتوفر الطاقة في

المصادر البديلة يقتضيء اللجوء الى عمليات التخزين . من جانب آخر فان الطلب على الطاقة ليس ثابتا طوال الوقت بل يتغير حسب الاستعمالات . ان تلبية الطلب المتغير على الطاقة يتطلب توفر مرونة عالية في التخزين .

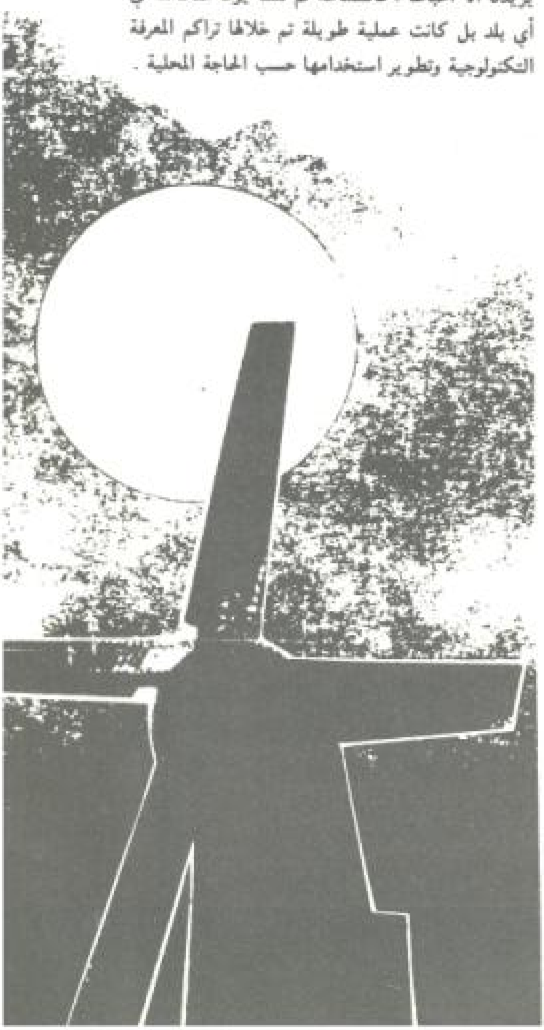
تختلف عمليات التخزين حسب الحاجة الى الطاقة ونوعها . فاذا كانت هناك حاجة الى مياه ساخنة توجب علينا تخزين المياه الساخنة . واذا كانت هناك حاجة الى انتاج الكهرباء توجب تخزين سوائل على درجات حرارة عالية وبكميات كبيرة . كذلك هناك امكانية استعمال الطاقة الفائضة في أوقات الطلب القليل لتشغيل مضخات مياه ورفعها الى خزانات عالية ومن ثم استعمالها في تشغيل توربينات وانتاج الكهرباء . ثم هناك امكانية انتاج الهيدروجين وخزنه في خزانات تحت ضغط عال ومن ثم استعماله في التوربينات أو لتزويد المنازل لأغراض التدفئة وغيرها من الاحتياجات .

٣ ـ ان المستوى التكنولوجي المطلوب لانشاء صناعات أجهزة الطاقة البديلة الممكن الاستفادة منها حاليا ليس على درجة عالية من التعقيد ، بل ان في استطاعة معظم دول العالم الثالث المساهمة بنصيب كبير في انتاج متطلباتها من الأجهزة والمعدات . فالاستفادة من الطاقة الشمسية ـ خاصة في مجال التحويل الحراري ـ يتطلب انشاء صناعة مجمعات الطاقة الشمسية . ان مثل هذه الصناعة يمكن انشاؤها في اي بلد في العالم الثالث ضمن المستويات التكنولوجية السائدة في العالم . والى ذلك فإن الاستثمارات الأولية لمثل هذه الصناعة ليست عالية .

ان التقديرات الاقتصادية الحالية لمشاريع الطاقة الشمسية تدل على أن كلفة المجمعات الشمسية تعادل نصف تكلفة مجمل المعدات المطلوبة . وبذلك ، فان مبادرة دول العالم الثالث المختلفة الى مجال التصنيع هذا سيؤدي الى خلق العديد من فرص العمل والى اعتمادها على ذاتها بدل الاستمرار في الاعتماد على المستوردات الخارجية .

ولا يختلف الامر كثيرا حين الحديث عن الطاقة الهوائية . فالاستفادة من هذا المصدر أمر معروف تاريخيا ويقال أن أول الطواحين الهوائية ظهرت في بلاد فارس قبل أكثر من ألفي عام . ان منظر الطواحين الهوائية ليس أمرا غريبا على الكثيرين منا بل مازالت هناك بعض الطواحين في دول عربية مختلفة . واذا كانت القدرات قد توفرت لمن سبقونا لصناعة الطواحين فلا يوجد ما يبرر عجزنا الحالي .

من المحتمل ان لا تكون الأجهزة المصنوعة محليا في دول العالم الثالث على نفس درجة الكفاءة ومستوى النوعية كتلك المصنوعة في الدول الصناعية المتقدمة . لكن ، علينا ان لا نعيش في ظل هذا الهاجس الذي لن يزيدنا الا احباطا . فالصناعة لم تنشأ يوما متكاملة في أي بلد بل كانت عملية طويلة تم خلالها تراكم المعرفة التكنولوجية وتطوير استخدامها حسب الحاجة المحلية .



نقل المعرفة التكنولوجية

أن صناعات معدات وأجهزة الطاقة البديلة مازالت في مراحلها الأولى . ويمكن القول ان الاستفادة من مصادر الطاقة البديلة بشكل عام مازال في مراحله الأولى أو المراحل التجريبية . وينعكس هذا الأمر على تكنولوجيا الطاقة البديلة التي مازالت في بداية عهدها ولم تدخل بعد مراحل معقدة أو خارج القدرات التكنولوجية لمعظم دول العالم الثالث . ان هذه الدول تواجه مسألة ما اذا كانت ستستمر في الاعتماد على الخارج لشراء متطلباتها التكنولوجية أم أنها ستلجأ الى تطوير قدراتها التصنيعية الداخلية .

ان باستطاعة معظم دول العالم الثالث أن تدخل مجال تصنيع بعض معدات وأجهزة الطاقة البديلة وأن تزيد من الاعتماد على نفسها لتلبية احتياجاتها من الطاقة بدل استمرار الاعتماد على الآخرين .

ان تجارب التنمية في دول العالم الثالث في مرحلة بعد الحرب الثانية تدلنا على أن مقولات انتقال التكنولوجيا لم تسفر عن النتائج الايجابية المرجوة . فقد تحول انتقال التكنولوجيا الى تصدير بعض المعدات الصناعية الى دول العالم الثالث دون توفر المناخات التكنولوجية الملائمة للاستفادة من التكنولوجيا المستوردة . فالتكنولوجيا مثلها كأي أمر آخر لها أبعادها الاجتماعية وتتطلب توفير الكوادر البشرية العلمية القادرة على الاستفادة من التكنولوجيا والقادرة على التحكم بها وتطويعها بالشكل المطلوب .

وخلاصة القول فان باستطاعة دول العالم الثالث أن تنقل المعرفة التكنولوجية ما ارادت ذلك . فالعلم والمعرفة ليسا حكرا أو امتيازا لأي مجتمع كان بل لابد لها من اجتياز كافة العوائق والحواجز للانتقال الى كل مكان . غير أن ما يمكن أن يصبح حكرا وامتيازا لمجتمع من المجتمعات هو أن يقوم بوضع هذا العلم وهذه المعرفة موضع التطبيق العملي بينما يبقى الآخرون جالسين في انتظار أن يأتيهم رزق من الغيب .

فالحقيقة الواضحة أن عصر الطاقة البديلة آت لامحالة . وستحتاج الاستفادة من المصادر البديلة الى الكثير من الأجهزة والمعدات . ولأن مازال المجال مفتوحا أمام الجميع للمساهمة في انتاج حاجياتهم للاستفادة مما توفرة الطبيعة لهم من مصادر . ولسنا في شك من أن أبسط بديهيات الوجود البشري هي قدرة البشر على الاستفادة مما توفره لهم الطبيعة من مصادر ومعطيات طبيعية . ان موضوع الطاقة البديلة يطرح هذا التحدي ولا بد لنا من الاستجابة . ■■

د . سعود عياش
معهد الكويت للأبحاث العلمية

ليست أمي . !

● كنت اعبر كندا بالسكة الحديدية منذ عهد قريب ، وكان في الحجرة المجاورة لحجرتي سيدة عجوز بدينة مزينة بالجواهر حادة الطباع . فلم يكن شيء يعجبها ، وكانت تقرع الجرس بلا انقطاع لتستدعي الفراش . وفي نهاية اليوم الثالث رثيت لحال الفراش ، فاقترحت عليه ان يدعها في فراشها ويوصد الباب عليها حتى يصل القطار الى فانكوفر . فقال : « مهلا يا سيدتي . انها أم رجل من الناس ، وقد بلغ من فرحي بأنها ليست أمي ، أنه صار يسرني ان أبذل لها كل ما تريد » .

اشراقات وتحديات

بقلم : أكرم زعيتر

عندما وقفت مصر تدافع عن الأقصى

مكرم عبيد : مسلمون في الوطن مسيحيون في الدين

في مصر حفلت الثلاثينات باشراقات عربية ساطعة ، واما التحديات التي جابهت العروبة فلم تكن صارخة ، بل كان لها فضل اندفاعة عربية ظافرة بددتها وكادت تعفي على آثارها .

ففي الثلاثينات دافعت مصر عن الاقصى ، وفيها يممت بلاد الشام شخصيات مصرية أثرت وتأثرت ، وفيها عقد أول مؤتمر برلماني عربي ، وأول مؤتمر نسائي عربي . وفيها انشئت جمعيات وحدوية ، ودار حوار واحتدم نقاش حول عروبة مصر ، تناول النواحي الثقافية والتاريخية والسياسية ، وكان للفكرة العربية النصر .

وبعد ، فقد نشبت في آب (اغسطس) سنة ١٩٢٩ ثورة فلسطينية عنيفة اوقدت شرارتها حادثة اعتداء يهودي على البراق ، حتى سميت « ثورة البراق » وخلاصة امرها : ان حائط المبكى هو الحائط الغربي للحرم الشريف . وفي الحرم قبة الصخرة التي جرت التقاليد الاسلامية على انها المكان الذي عرج منه النبي (ﷺ) ليلة الاسراء الى السماء ، وهناك داخل ذلك الحائط من جهة ساحة الحرم ، غرفة يعتقد انها المكان الذي ربط فيه البراق (فرس النبي) ليلة الاسراء . فأصبح الحائط يعرف لدى المسلمين بالبراق . وحائط المبكى يشكل كذلك جزءا من الحائط الخارجي لهيكل اليهود القديم . وقد اعتاد اليهود زيارته واقامة الصلاة

فيه ـ وحدث أن جلب اليهود ادوات جديدة للمبكى واقاموا ستارا يفصل بين الرجال والنساء ، ونفخوا في الصور ، مما جعل المسلمين يعتقدون ان الغاية الاخيرة لليهود هي استملاك المسجد الاقصى تدريجيا ، زاعمين انه الهيكل مبتدئين بالجدار . وفي احدى مظاهراتهم رفعوا العلم اليهودي على الحائط وانشدوا نشيد الها تكفا ... مما اثار العرب ... وامتدت الثورة من القدس الى الخليل وبيسان وحيفا وصفد ويافا . وكان مما اوصت به لجنة التحقيق في أسباب الثورة الاسراع في تعيين لجنة دولية من قبل عصبة الامم للفصل في الحقوق والمطالب المتعلقة بذلك المكان المقدس . فتألفت لجنة من سويدي وسويسري وهولندي وباشرت عملها في اواخر أيار (مايو) ١٩٣٠ .

وهبت مصر العربية المسلمة الى الدفاع عن المسجد الاقصى بايفاد بعض اقطابها للشهادة والمرافعة امام اللجنة الدولية . وقد تألف الوفد من المحامي الكبير الوزير محمد علي علوبة باشا والمؤرخ العلامة احمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة والشيخ محمد الغنيمي التفتازاني شيخ الطرق الصوفية وهو شيخ مثقف واسع الاطلاع ، طلق البيان ، حاضر البديهة ، وصحبهم عميد الجالية الايرانية الوجيه المتمصر ميرزا مهدي رفيع مشكي .

واتفق الرأي على ان تعقد اللجنة جلستها على صورة محكمة وقد حشد اليهود ثلاثة من كبار محاميهم وفقهائهم للمرافعة في نهاية استماع الشهادات ومناقشاتها ، وانتدب العرب للمحاماة عن قضيتهم احمد زكي باشا ومحمد علي علوبة باشا والاستاذ عوني عبد الهادي ....

واقام نادي الشبيبة التلحمية في بيت لحم (وهو ناد يمثل النصرانية العربية الاصيلة) حفلا تكريميا كبيرا للوفود العربية والاسلامية التي اعتمرت بيت المقدس دفاعا عن القدس . وانتدبت تلك الوفود المحامي المصري المفوّه محمد علي علوبة باشا للكلام باسمها ، وأراني حريصا عليها ان انقل من خطابه العبارات التالية يرسلها قلب مصري كبير تتسق مع موضوعنا : « نعم أيها السادة ان قضيتنا واحدة وان وطننا واحد وكرامتنا واحدة وآمالنا واحدة ... لقد حضرت وزملائي للدفاع عن



الجالس في الوسط سماحة الحاج امين الحسيني وعلى يمينه : محمد علي علوبة باشا ، فمزاحم الباجه جي رئيس وزراء العراق فصلاح الدين بيهم (بيروت) فوجيه افغاني ، وعلى يسار الحاج امين احمد زكي باشا ، فالغنيمي التفتازاني ، فاحمد حلمي باشا ، فامين بك التميمي .

الوقوف على شمال القارىء السادة : اسحق درويش ، عبد القهار مذكر (اندونيسيا) عزة دروزة ، صبحي الخضراء ، الشيخ عبد القادر المظفر ، جمال الحسيني ، الشيخ يعقوب البخاري ، فخر الدين الحسيني ، ابو بكر الاشعري (اندونيسيا) ، زكي التميمي ، عبد الرؤوف المصري .

حقوق هذا البيت المقدس ... وهذا واجب علينا بل من اول واجباتنا ، لانكم لستم المالكين لهذا البيت المقدس ، وانما نحن مالكوه ، وانتم وكلاؤنا عليه ، نعم اتينا لنرى ما حل باماكننا ولنرى ماذا عمل وكلاؤنا . ان هذا البيت هو ملك للمسلمين كافة ، وانه بيت الله الذي شرفتم بان تكونوا حراسا له وقواما عليه .. وانما جئنا الى هنا لنرى قوتكم في القيام على حراسته وصيانته ، واعلموا ايها السادة ان خصومكم مهما كانت قوتهم ومهما كان جاههم ومهما بلغت اموالهم ومساعيهم ، لأعجز من ان ينالوا من حقوقنا في مقدساتنا واوطاننا ، فان القوة ما كانت في يوم من الايام حقا وانما الحق هو القوة » .

وشرعت اللجنة في سماع الشهادات فلفتت شهادة الاستاذ التفتازاني الانظار وبهرت الابصار ، فقد برهن على ان الحائط جزء من المسجد الاقصى ، وانه يجب على كل مسلم ذي شأن في حكومة البلاد ان يمنع اليهود من ان يقيموا كنيسا في مكان لا شأن لهم به ، « والذي يقرب اليهود من المسجد الاقصى انما يضع الهشيم بجانب الكبريت . وقد حاولت كمجتهد في التاريخ ان أصل الى ذلك الجاني الذي سمح لهم بالتقرب من الحائط لانه لا يجد من الشرع ولا من التقاليد ولا من الاسباب ما يؤيد وجهة نظره ، وقد كانت جريمة زادتنا اسفا اذ لم نصل الى معرفة ذلك الجاني حاكما او غير حاكم !

حوار مثير

وهنا وقف كبير محامي اليهود الدكتور علياش يناقش التفتازاني :

ـ قلتم انكم تشتغلون بالتاريخ ، فالى متى وجدتم ترجع عادة هذه الصلاة من قبل اليهود ؟

جـ : لا . لا . لم اقل كلمة « الصلاة » بل قلت التقرب من الحائط ... اى ان يقتربوا من الحائط ، وهذا الذي ذكرتموه لم يذكره احد من العرب ولكنني عندما اتيت القدس عام ١٩١٣ وزرت البراق رأيت يهوديين او ثلاثة واقفين هناك .. فسألت شيخا مسلما كان معي : ماذا يصنع هؤلاء اليهود هنا ؟ فاجاب ببيتين من الشعر هما :

أمر على الديار ، ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا



وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

ففهمت ما عناه الشيخ وسكت : « وقد ترجم البيتان للجنة فبدت على اعضائها الدهشة وانبسطت اسارير هم ...

ـ ولكن ماذا فهمت من ذلك الجواب ؟

جـ : فهمت ان اليهود يبكون على شيء فقدوه ... انهم ظاهرا يقبلون الحائط الذي هو خارج الهيكل ولكنهم يقبلونه اكراما لما في داخله .

ـ وماذا يوجد في الداخل ؟

جـ : انت اعلم .. الصخرة ... الصخرة !

ـ اظنكم توافقون حسب بعض الروايات على وجود مكان داخل الحرم يسمى « قبة جبرائيل » ؟

جـ : لم اسمع بهذا قط ، لان جبرائيل مقيم في السماء ... لا في قبة !

ـ هل تعلمون ان باب البراق يسمى باب الجنائز ؟

جـ : لم اكن مهندسا للحرم حتى اعرف تفاصيل ذلك !

ـ هل يمكنكم ان تشيروا الي علامة ثقة يقول : ان البراق هو المكان الذي يمر منه اليهود ؟

جـ : لم يكن هناك يهود في ذلك الوقت ولم يخطر ببالنا انهم سيدعون يوما بذلك حتى نعين لهم المحل !

ـ اذن كيف تعرفون محل البراق حينما حددتموه ؟

جـ : هذا سمعناه بالتواتر من آبائنا واجدادنا كما تسمع حديث النبي (ﷺ) وهذه الطريقة عندنا اصح من الكتب ، لانها اسناد موثوق به . وماكنا نظن ان اليهود سيفترون علينا حتى تشغل انفسنا بتبين المحل ، لاننا نعلم ان نبينا عليه الصلاة والسلام حين رحلته للسماء ركب البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كله دون تعيين في الاجزاء .

ـ عندنا مثل عبراني يقول : اذا كان اسلافنا ملائكة فنكون نحن رجالا ، وان كانوا رجالا فنكون نحن حميرا ... والمعنى ان القدماء كانوا اتقى منا .

جـ : لكم ان تصفوا انفسكم بما تشاءون ، واذا اردت ان تعلم عن القدماء فارجع الى ما عمله المسلمون مع اسلافك .. لم يسبق لليهود ان ادعوا في البراق حقا ...

ـ أتعترضون على يهود طاعنين في السن يذهبون الى البراق فيبتهلون ويجلسون ؟

جـ : نعم . نعم . وانصحهم الا يفعلوا فيكفوا انفسهم مؤونة التعب .. في حين انه لا مجبر يجبرهم على الذهاب فالله في كل مكان .

ـ اذن تعترضون على ذهاب اليهود حتى للابتهال ؟

جـ : بلا شك وان من سمح لهم منا بذلك كان مجرما .. نعم من منحكم ذلك كان مجرما

رئيس اللجنة للاستاذ التفتازاني : هل تعتقدون أن السماح لليهود بالبكاء كان جناية ؟

جـ : اذا كان اليهود يستندون في تقربهم الى الحائط الى امر حاكم فان ذلك الحاكم الذي اصدر الامر يعد مجرما تجاه التاريخ وتجاه المسلمين ... ولكن كان السلام يسود الناس جميعا ... ولو شعر المسلمون يومئذ بخطر اليهود ومطامحهم لمنعوهم .

علياش : اذا كان الامر كذلك فاقترابنا من الحائط لم يكن ممنوعا .

جـ : ليس كذلك ، انهم كانوا يبكون فقط لا غير .. ثم صاروا يدعون حق الزيارة ... ثم صاروا يحضرون التوراة والمقاعد والمناضد كأنهم في كنيس ... مثلهم مثل الذي يتمسكن ليتمكن .. اي ليبنوا كنيسا في المسجد الاقصى .

عندما تكلم شيخ العروبة

وفي ١٧ تموز (يوليو) انتهت الشهادات وجاء دور المرافعات ولما اتم محامو اليهود مرافعاتهم ، افتتح الدفاع شيخ العروبة احمد زكي باشا بخطاب تاريخي رائع القاه

بلغة فرنسية راقية ، واستغرق ساعتين ونصف ساعة ، عرف فيه معنى الحالة الراهنة statu quo (الستاتيكو) وفند مزاعم اليهود التاريخية من الدهر الاقدم حتي يومنا هذا ، وشرح مطامعهم في استرداد جدار البراق تمهيدا لاعادة بناء الهيكل على انقاض الاقصى ، وأسهب في الحديث عن التسامح الاسلامي وكيف سمح لهم بتشييد معابدهم مع ان ذلك كان محرما عليهم ايام الرومان والوثنيين والروم النصارى . وضرب الامثال على اهمية الستاتيكو في تاريخ النصرانية في فلسطين .. وكيف ان مبدأ ابقاء القديم على قدمه قد ادى تلافيا للفتنة الى جعل امانة مفتاح كنيسة القيامة وسدانتها بين العائلتين الاسلاميتين المقدستين اللتين كانت في عهدتهم من قديم الزمان منذ السلطان سليمان القانوني وهما : ال جودة الحسيني وال نسيبة الخزرجي . واسترسل في مرافعته مظهرا حق المسلمين الخالد في ملكية المسجد الاقصى وجداره .

هذا ومما يستحق التنويه به ما ابداه احمد زكي باشا في مطلع دفاعه وما ايده فيه وكرره محمد على علوبة وعوني عبد الهادى من تحفظات اكد فيها ان الشعب العربي الفلسطيني قد اعلن رسميا وفي كل الظروف عدم اعترافه بالانتداب البريطاني على فلسطين . وأنه بناء على ذلك لا يرتبط ولا يتقيد باى نظام مستمد من هذا الانتداب ولا الاقرار باى نتيجة ترجع الى ما يسمى بالوطن القومي اليهودى . وان وقوفه امام اللجنة وادلاءه بالبيانات يجب الا يدل في حال على انه يتزحزح عن هذا الاتجاه الذى اتخذه الشعب الفلسطيني ممارسا وحده حقه في تقرير مصيره . كما ان المسلمين يعلنون ان كل ما يتعلق بالمقدسات الاسلامية انما تعالج من اولى الامر المسلمين الذين تنص عليهم الشريعة الاسلامية والا سلطان او حق في ولاية الحكم لاحد عليها .

وفي اليوم التالي ١٨ يوليو (تموز) استمعت اللجنة الى مرافعة القانوني المصرى الشهير محمد على علوبة باشا فأكد عدم الاعتراف بالانتداب او التقيد باى نظام مستمد منه ، وقال : ان احمد زكي باشا تناول موضوع النزاع من الوجهة التاريخية ، وسأقصر كلمتي على الناحيتين السياسية والقانونية . وراح يبرهن على ان مخاوف العرب حقائق ملموسة ان لم تظهر اليوم نتائجها فانها لا محالة ظاهرة في المستقبل القريب او البعيد ، وشرح مطامع الصهيونية وما ترمي اليه من الاستيلاء على المسجد الاقصى . واستشهد باسانيد جمة وبأقوال زعمائها ثم قال : « ان اليهود مهما كثر عددهم في فلسطين فسيكونون دائما أقلية ضئيلة امام العرب الضاربين حولهم في جميع الاقطار العربية ... وان عمل اليهود لو تم فانه سيكون نكبة لا على فلسطين وحدها ، بل على الأمم العربية والمسلمين من مراكش الى بلاد الملايو ومن زنجبار الى روسيا ..

ثم استمعت اللجنة الى مرافعة المحامي المدرّه عوني عبد الهادى الذى تولى تفنيد شهادات اليهود بحجة بالغة .

وتجول احمد زكي في فلسطين ، وحاضر في مدنها وكتب في صحفها وكان داعية عروبة ، اما محمد على علوبة باشا فقد زار لبنان ودمشق وكانت رحلته تلك بركة على الفكرة العربية ، وقد احاطه دفاعه المجيد عن البراق بهالة من التقدير ، ومما اذكر قوله في حفلة تكريم اقامها له الاستاذ عجاج نويهض في رأس المتن بلبنان حضرها كرام المواطنين واقطاب من الكتلة الوطنية السورية : « ان قوميتنا التي ورثناها مع الثقافة ومع اللغة ومع غيرهما من مقوماتها انما هي القومية العربية فنحن على اختلاف الاقاليم والاقطار تنطوى تحت لوائها العظيم . انها حقيقة غابت عن البعض منا وانكشفت للبعض الاوفر عددا ، وهي ما تزال تنكشف للذين غابت عنهم ، ولقد تأخرنا في فهمها وفي قدر خطرها وجلال شأنها ، اذ فيها قوتنا واعتزازنا » .

واعتمر علوبه باشا ، محامي البراق ، دمشق فأقيم له حفل كبير حضره رئيس الجمهورية وألقى في الحفل خطابا ، ما اسرع ما تقلته صحف سورية ولبنان وفلسطين والعراق . وبدا فيه فارس العروبة الشجاع وقد كانت له بعد ذلك جولات قومية في المؤتمر الاسلامي بالقدس وفي وفد السلام الى الامامين عبد العزيز ويحيى حميد الدين ، والوفد الى الهند في سبيل إنشاء جامعة في القدس وفي مؤتمر بلودان وفي المؤتمر البرلماني ، وفي الوفد البرلماني الى لندن وفي الاتحاد العربي .....

احتفال بالفكرة العربية

ان علوبة باشا في خطابه الاروع بدمشق نذر نفسه لخدمة الفكرة العربية ، ذلك انه بدأ خطابه التاريخي سائلا نفسه : « هل أستحق هذا الاكرام وهذه الحفاوة الكبرى ؟ ثم اجاب : بعد البحث اقتنعت بأنكم على حق في الاحتفال والتكريم ، لان هذا الاحتفال موجه الى الفكرة التي ألهمنيها ربي والتي سأدافع عنها ما دمت حيا . انها فكرة الرابطة بين الامم العربية اخوية وفكرية واجتماعية واقتصادية . وان شئتم أريد ثقافة عربية عامة متحدة .. وكيف يمكن ان تكون فكرة فيها حياة الامم العربية ونجاحها ، ولا يحتفل الشاميون بها وهم ابناء تلك الدولة الاموية الكبرى وهم حراس اسم الدولة العربية ... واذا كان لي ان اعتمد على احد في تنفيذ فكرة اعتقد انها جليلة ، فانما اعتمادي الاول عليكم وعلى بلدكم وعلى امتكم وانتم ابناء هذه الفكرة وأباؤها » ومما قاله في خطابه مما يتصل بموضوع المقال : « وانه ليحزنني أيها السادة ان أرى وان اسمع بعد ان ذهبت الى فلسطين ردافعت عن قضيتها وعلمت ان الامم العربية امة واحدة يربطها رباط واحد ، نعم يحزنني ان افكر انه يوجد في بلادي فريق مهما كان وكان شأنه يبث فكرة الفرعونية ـ انا لا ادري ما الحافز الذي حدا ذلك النفر الضئيل في مصر الى أن يصرخ بقوله : حذاريا مصر ان تكوني واسطة عقد الامم العربية واختها الكبرى لانك لست منها بل انت فرعونية ، ان الفرعونية ليست جنسا من اجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم ولا يمكن ان يقال ان هذه الفرعونية جنس ، فلا يقال : ان هذا فرعوني .... كما يقال ان هذا سامي وهذا آري وهذا حامي ، ولكنها الاغراض المجهولة ارادت ان تخلق من الفرعونية جنسا لا وجود له . واسترسل : على انني لو فرضت أن هنالك جنسا فرعونيا لحما ودما وعظما فان فوق هذا الجنس جنسا آخر ورابطة اخرى هي ان هذه الامم العربية تجمعها لغة واحدة وتقاليد واحدة وعادات واحدة وآلام واحدة وآمال واحدة » ثم قال : « لم يكن الانسان انسانا الا باللغة والتفكير لا باللحم والدم والعظم فاللحم والدم والعظم يشترك فيها الانسان مع غيره من الحيوانات التي يرتفع عن مستواها ولا يرضى عاقل ان ينحط الى دركها ويشعر بشعورها . ان الانسان ياسادتي خلق من تلك النفخة القدسية التي هي الفكرة والآمال والآلام والكرامة ، ومع هذا فاني أبشركم ... فلا تتطيروا ولا تحزنوا ، فما مصر إلا عربية ، ولا تقوم الا على انها عربية ولا يرضى المصريون بغير العربية » وفند علوبة باشا من يقول ان مصر مصرية فقط ، وبرهن على ان المصري الذي ينادي بالفرعونية انما يسيء الى نفسه وقضية بلاده وتساءل عن علاقة مصر بالسودان ، اذا كانت هي فرعونية والسودان ليس فرعونيا لحما ودما وعظما وانما هو عربي صحيح الانساب والاصول . وقال : ان من يتمسك بهذه البدعة يطعن مصر طعنة نجلاء ، والاولى للمصري ان يترك العناية بالاموات ويعتني بالاحياء ، حتى تنقذهم مما هم فيه ، لا ان تلحقهم بالاموات » . واسهب في القول عن رابطة الثقافة وعن الميراث الاسلامي الجليل وقواعد الدين الحنيف وركز على الاهتمام باللغة العربية وهي اغزر لغات الارض مادة وافصحها لهجة ، وضرورة اتساعها لجميع مسميات العلوم ، ودعا الى ايجاد معجم عربي عام تجمع فيه الاسماء العربية القديمة والمستحدثة معا واقترح عقد مؤتمر عربي لهذه الغاية ، « فلغتكم ، هي استقلالكم ، هي آمالكم ، هي مجمعكم هي عملكم » .

وحين عاد الى مصر خطب في مستقبليه ان هذه الامة العربية تمتد من جبل طارق الى بلاد الفرس ... وان هذه الامة ثابتة مهما بلغ انقسامها المصطنع .... انه انقسام لا يمكن ان يكون ابديا والواحد منا معشر المصريين يحس انه ليس فردا من امة لا يبلغ مجموعها الاثلاثة عشر مليونا ، بل فرد من امة مجموعها ٨٠ مليونا ...

في عاصمة الوطنيين

وجاءت بعد ذلك زيارة مكرم عبيد للبنان وسورية وفلسطين صيف ١٩٣١ مهرجانا لعروبة مصر في بلاد الشام ، ولقب مكرم ، ابن سعد احاطه بهالة من المجد ... وقد اشرت في مقال سابق الى خطبته في مصيف رياض الصلح بعاليه ، ثم اعتمر دمشق فاحتفلت به كتلتها الوطنية اي احتفال . وكانت خطب الوطنيين وخطبته

ملاحم بطولات ولا عجب اذا انهى خطبته : « قد تكون دمشق عاصمة الامويين وعاصمة السوريين كلا ، بل انها بنظري عاصمة الوطنيين . فيا ايها السوريون ، اشكركم كل الشكر لانكم اردتم ان تكرموا مصر الكبرى في شخصي الصغير ، فوصيتي ان نعمل كلنا للحرية فهي ليست متعة يتنعم بها المترفون ، بل هي نعمة يسعى اليها المجاهدون . فاذا سرنا كنا من الظافرين واذا عملنا فان الله ولي العاملين » .

وابرق موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية لفلسطين الى دمشق يدعو ابن سعد الى بيت المقدس كما ابرق الاستاذ اسعاف النشاشيبي يرجوه ان يكون ضيفه فاجاب بالشكر والتلبية .

وتناولت القلم لاكتب مقالا افتتاحيا لجريدة الحياة المقدسية التي كنت اشارك تحريرها عنوانه : « مكرم عبيد في فلسطين » وكنت قد ألمني وكثيرا من شباب العرب ان يتقرر بناء ضريح سعد على الطراز الفرعوني ، وكنا نعلم ان الفكرة فكرة المهندس الوزير الوفدي عثمان محرم الذي بنى بيته في شارع الهرم على هذا الطراز لانه في الطريق الى الاهرام . وأثار مقال في البلاغ المصرية فينا نفرة وفيه ان « الطراز الفرعوني معناه نحن ابناء الفراعنة مطلوب منا ان نحيي فنهم قبل اي شيء آخر » ، وفي مقالي رحبت بمكرم ، أحر ترحيب «فلسطين اذ تحييه ، انما تحيي مصر العربية ، لا الفرعونية ، مصر الناهضة المجاهدة ، الزعيمة في شخص فتاها العربي ... » وتحدثت عن اهتمام الشعب الفلسطيني بقضية مصر وانه يعرف قادتها وجهادهم اكثر مما يعرفه الكثيرون في مصر .

وقلت معاتبا : « اسيئت الامة العربية اساءتين : اولها بناء ضريح الزعيم العظيم سعد زغلول على طراز فرعوني ، وسعد زعيم عربي كما هو زعيم مصري ، ويعتبره جميع العرب المثل العالي في الوطنية . ونخشى ان يكون بناء الضريح على طراز فرعوني دعوة العرب الى ان ينفضوا من حول مصر ولا سيا ان الوزارة التي وضعت تصميم البناء وزارة وفدية يصح لها ان تدعي تمثيل الشعب المصري ، والاساءة الثانية هي محاولة وزارة الطغيان في مصر ، وزارة اسماعيل صدقي ان تخرج امير المجاهدين وقرة عين المخلصين الأمير عادل ارسلان من مصر ، واذا كانت الاساءة الثانية صادرة عن وزارة خارجة على الشعب ولا يد لمصر في اجتراحها ، فماذا تقول في الأولى وهي صادرة عن وزارة شعبية ... هذه كلمة عتاب نرجو ان تحمل على محمل الاخلاص لفكرة الارتباط العربي بمصر » .

مسلمون في الوطن ومسيحيون في الدين

ومنذ اجتاز مكرم حدود سورية الى فلسطين حتى وصوله الى القدس وهو يستقبل بحفاوة ، وكان الترحيب في عكا بالغا ، وفي خطابه فيها ارسل قولة ، اصبحت دستورا لكل مسيحي عربي عامل في الحقل القومي : ان الوحدة العربية تدفع اذى المستعمرين واطماعهم الا اننا مسلمون في الوطن وان كنا مسيحيين في الملة والدين » .

وفي ١٠ ايلول (سبتمبر) أقام رئيس اللجنة التنفيذية العربية حفلة تكريم كبيرة في فندق بالاس ، خطب فيه عوني عبد الهادي باسم رئيس اللجنة موسى كاظم الحسيني الذي حال مرضه دون الحضور ، فحيا ابن سعد ، سعد زغلول حامل لواء الحرية والاستقلال وتحدث عن خليفته مصطفى النحاس وعن ولده مكرم ، وعن المفاوضات المصرية الانكليزية ، وطالب باهتمام مصر بقضايا سورية وفلسطين والبلاد العربية واهتمام مصر بالقضية العربية يساعد القضية المصرية ويدنيها من استقلالها .

اما اسعاف النشاشيبي فمما علق بالذاكرة من خطابه : « ماذا اقول عن مصر قبل عمرو وبعد عمرو مصر التي استبدت بالمتقين ، فكانت مصدر العلم والمدنية وموئل العرب والعربية ... اما سعد فكلمتان فقط ، كلمة لي وكلمة لعدوى : كان يناقشني رجل بالبعث ، فقال : لا نشور هناك فقلت له : البعث حق والله قادر ، وهذا سعد قد بعث امة ، والله اكبر . الله اكبر . قالت جريدة التايمس الانكليزية : لم يظهر في مصر منذ الفين وخمسمئة سنة عظيم مثل سعد .» اما عيسى البندك فقال : « ان الكلمة التي كانت تخرج من سعد تصبح في الاقطار العربية دستورا وعهدا قوميا » .

ثم القى مكرم خطابا رائعا مرصعا مسجعا حيا فيه مدينة الوحي والالهام وقال : « لقد اغدقت فلسطين على مصر الثناء كريما ، والشعور صميا ، فليس لمصر إلا ان تبادلكم التحية بالتحية والمحبة بالمحبة ، والفضل اولا منكم ، وهذه بضاعتكم نردها اليكم » ومما قاله : « ان كلا منا سعد اذا اراد ان يكون سعدا كما ان كلا منا عبد اذا رضي ان يكون عبدا » وكان بيت القصيد قوله : « رابطة العربية تلك هي الرابطة الجديدة القديمة ، رابطة العربية ... انها رابطة كان لابد من ايجادها ، اذا لم تك قد وجدت من تلقاء نفسها ، لقد تكاتف المستعمرون ، فلا اقل من ان نجابههم بهذه الوطنية الكبيرة ، التي هي وطنية عربية ، ثقوا انا كلما رأينا من الشر نذيرا فان الله سبحانه سيجعل منه للخير بشيرا فالنور من الظلام يسطع وكلما توالى الظلم فالظلم للظلم بدفع . »

وعاد مكرم يبشر بالعربية ، وسنرى في الآتي مواقف له مجلجلة بالانتصار لها ، وقد قال فور عودته في حديث له : « ان غرض الذين يريدون اخراج مصر من مجموعة العالم العربي غرض سياسي يرمي الى فصلها لتقف سدا في هذا العالم العربي بين شرقه وغربه . »

وفي صيف هذه السنة ١٩٣١ عقد عدد كبير من شباب مصر وطلبة البعثات العربية في المدارس المصرية اجتماعا ، اقترحوا فيه تأسيس جمعية الوحدة العربية لتنظيم الروابط بين مصر والاقطار العربية . وانتخبوا لجنة من الاساتذة الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بتخصص الازهر وصالح جودت المحامي ومحمود حفني المحامي ومحب الدين الخطيب صاحب الزهراء والفتح وخير الدين الزركلي صاحب الاعلام ومحمد علي الطاهر صاحب الشورى ونقولا حداد صاحب مجلة السيدات والرجال وسامي السراج الكاتب المعروف . وقد اصدروا بيانا شرحوا فيه ضرورة قيام هذه الجمعية ، وتحدثوا عن عوامل الاتصال بين مصر والاقطار العربية ، والروابط العربية والروابط في المواصلات والادب والفكر والصحافة والاقتصاد وقالوا فيه : « لقد كان الشرق قبل الحرب العظمى يتجه بالحرمة والاكبار نحو الدولة العثمانية لانها كانت دولة الخلافة ، فلما تغيرت الحال في تركيا بطبيعة نتائج الحرب العظمى ، صار الشرق عامة والشرق العربي منه على الخصوص ، يرى ان قيادته الفكرية اصبحت منوطة بمصر ، فهو يحذو حذوها في ثقافته وآدابه وافكاره وفي تشكيلاته الاقتصادية والمالية وحتى في موسيقاه واوضاعه الكمالية وهذه هي بوادر الوحدة التي لا تلبث ان تتحقق بين تلك الشعوب الشقيقة ... »

كما رأينا في اوائل الثلاثينات قيام جمعية الرابطة العربية التي ترأسها القطب الوفدى محمود بسيوني رئيس مجلس النواب المصرى .

ومن آيات التعاطف الوطني بين مصر وفلسطين ان سارت في آب من تلك السنة (١٩٣١) مظاهرة نسائية كبرى في مدينة نابلس احتجاجا على تسليح اليهود ومطالبة باطلاق المعتقلين ، وكانت اول مظاهرة نسائية في تاريخ نابلس ، ورددت الوكالات انباءها ، وكانت جريدة « الحياة » المقدسية لسان الحركة . فتلقيت برقية من القاهرة كان تأثيرها في نفسي بالغا فبادرت الى توزيعها على زعيمات الحركة اللواتي اجبن عليها معتزات . وهذا نصها : « ترجو تبليغ سيدات نابلس ما يأتي اتصلت بنا انباء ما قمتن به من الحركة الوطنية في سبيل بلادكن الكريمة وما لاقيتن من الارهاق والشدة . انا لنرى من واجبنا ان نهنئكن على ما أظهرتن من شجاعة وتضحية ، مما نعده مثلا اعلى للامم الشرقية التي عدا على استقلالها الاجنبي الغاصب . وانا لنبعث اليكن بتحياتنا مشفوعة بدعائنا ان يوفقكن الله تعالى وايانا الى نيل استقلالنا .

رئيسة اللجنة السعدية للسيدات

شريفة رياض

ولقيت الدعوة العربية بعض التحديات ودارت حولها مساجلات ، وموعدنا المقال التالي ابعث به الى « العربي » اذا اطمأننت الى نشر هذا المقال خاليا من الاغاليط وذلك لان مقالاتي الثلاث قد حشدت بعساكر من الاغاليط وددت لو تنزهت مجلتنا الراقية العربي عنها . ■■

اكرم زعيتر

أقوال معاصرة



الامير فهد

- همرم منطقة الخليج واحدة ، ويجب أن نواجهها برأى واحد مشترك .

الامير فهد بن عبد العزيز ولى عهد المملكة العربية السعوديه

- لا أمل فى حل مشكلة الطاقة ما لم يتبع الامريكيون خطا واضحا فى سياستهم الاقتصادية .

ريمون بار/رئيس وزراء فرنسا

- كم يكون المرء تافها اذا أمضى وقتا كبيرا فى شبابه الذى لا يعوض جريا وراء الحب .

الكاتب الصينى ليانج شانج



اميلدا ماركوس

- يجب أن يكون الحاكم مثل راعى البقر أحيانا ، اذ يصبح مستعدا لان يستخدم سوطه لكى يعيد الجميع الى المسار الصحيح .

اميلدا ماركوس قرينة الرئيس الفلبينى

- ان نصف المليون عربى فى الجليل ينتظرون فرصة الاطباق على اعناقنا وخنقنا .

الميجور جنرال ابيغدور القائد الاسرائيلى للمنطقة الشمالية



فانس

- اريد أن أعلن بشكل مطلق أن تاييدنا الدائم لامن وسلامة اسرائيل ثابت ولا يمكن زعزعته .

وزير الخارجية الامريكى سايروس فانس

- ان ثورتنا كرست انتصارها بدخول الحمام السرى للديكتاتور سوموزا !

احد رجال الثورة فى نيكاراغوا ، بعد الاستيلاء على القصر .



كارتـر

- الكلمات العاطفية التى قالها الرئيس كارتر بحق الفلسطينيين تفوح منها رائحة النفط .

جريدة واشنطن ستار

- لا تبكوا على الشهداء بل اتبعوهم الى قلب المعركة .

من كتابات الجدران فى مدينة ليون بنيكاراجوا

- بعد أن نجح الهنود الحمر فى أن يحافظوا على هويتهم ، آن الاوان لكى يتخذ هذا الشعب قراراته بنفسه .

الزعيم الهندى فرانسيس هيكرو

حكاية اندرويانج

بقلم : **منير نصيف**

توقف الرجل الاسود .. وما اكثر ما توقف في مسيرته الطويلة على مدى قرن او يزيد من الزمان منذ ان حرر لينكولن « العبيد » ، من أجل تأكيد حقه في الحياة ..

توقف ليتساءل : « من هو الصديق .. ومن هو العدو ؟ » بالامس كان الرجل الابيض هو عدوه ! ولكنه اليوم وبتحديد أدق « الصهيوني » الابيض الذي يملك قوة



التأثير والضغط على كل المؤسسات الحكومية والأهلية ، ابتداء من رجل الشارع حتى البيت الابيض الامريكي .

وامتلأ الهواء برائحة الكراهية وهي رائحة ليست غريبة فقد كانت تملأ سماء أمريكا على اتساعها منذ اكثر من ربع قرن من الزمان او اكثر قبل ان يخرج الرجل الاسود ويمشي تحت الشمس ليعبر في حرية عن احزانه إبان حكم الرئيس القوي الجنرال دوايت ايزنهاور ، ثم جون كنيدي من بعده .

وقال السود* : « هذه هي مشاعر اليهود تجاهنا اذن !.. وانهالت المكالمات التلفونية على زعماء الصهاينة في امريكا : « انتم تخدمون مصالح اسرائيل في امريكا . انتم تضعون مصلحة هذه « الدولة الاجنبية فوق مصلحة امريكا وقبلها !

وامتلأت السماء بغيوم ، لا احد يعرف متى ولا كيف تنقشع ! هكذا تبدو الصورة اليوم في الولايات المتحدة الامريكية ، في أعقاب الضجة التي اثارتها « إقالة » اندرو يانج سفير أمريكا في الامم المتحدة !

من تخلى عن من ؟

والسؤال المحير هنا .. كيف حدث ما حدث ؟ والكل يعرف طبيعة العلاقة القوية التي تربط بين الرئيس الامركي جيمي كارتر .. وبين الرجل الذي اختاره هو ليمثل بلاده في المنظمة الدولية ، من الذي تخلى عن من ؟ هل هو كارتر الذي بكى وهو يكتب الرسالة التي اعلن فيها قبول استقالة يانج ، صديقه الذي احبه ووضع فيه كل ثقته ؟ ام هو يانج الاسمر الذي قال مبررا اسباب استقالته بأسلوب مهذب منمق : « لقد اشفقت على صديقي كارتر من الحرج الذي سيجد نفسه فيه !

رأى يانج في رئيس امريكا الذي تحمس له ، ووقف بجانبه منذ ثلاثة سنوات ، وهو يخوض المعركة الانتخابية العاتية ، انه رجل امين نظيف متدين .. ثم انطلق الى الشارع يبشر بفضائل الرجل حتى اوصله الى البيت الابيض !

ورأى كارتر في يانج الذي لازمه كظله أيام المعركة التي خاضها من عالمه المجهول في حقول « الفول السوداني » الى الشارع الامريكي .. رآه أن يانج « أعظم دبلوماسي عرفته في حياتي » فقد كان اندرو او « آندي » كما يحلو لكارتر ان يناديه ، هو الذي أخذ على عاتقه مهمة الاجابة على الاسئلة التي كان كارتر يصطدم بها في كل مكان يذهب اليه ويخاطب منه ضمير الامة الأمريكية : « من انت يا مستر كارتر ! »

لماذا ذهب يانج اذن ؟ ما الذي حدث بين الصديقين ؟ والجواب : « النفوذ الصهيوني الذي يحكم تصرفات اكبر واغنى دولة في العالم ! »

جرعة منشطة !

واذا عدنا بضع سنوات الى الوراء استطعنا ان نفهم مغزى ما حدث ويحدث في الولايات المتحدة الامريكية ، في ظل هذا النفوذ القوي الذي يعتبر العامل الاول والمؤثر في علاقات امريكا بالعالم الخارجي .

في اوائل الستينات ، وفي اعقاب إنتهاء حكم رئيس امريكا القوي الجنرال ايزنهاور ، وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت نداء الى يهود أمريكا يدعوهم فيه الى اعلان ولائهم لاسرائيل اولا ، ولا بأس من أن يدينوا بالولاء أيضا لامريكا ، البلد الذي يعيشون فيه ويرتزقون ، ولكن بعد اسرائيل !!

وثار اليهود الامريكيون ، وقالوا انهم امريكيون وليسوا اسرائيليين ! ومات رئيس حكومة اسرائيل العجوز ، ولكن سموم ندائه بقيت تسير في عروق العديد من اليهود الذين يملكون قوة الضغط والتأثير لقد كان السم هناك قبل هذه « الجرعة » المنشطة ، ولكنها

* عدد السود في أمريكا ٢٢ مليون نسمة .

على أية حال نجحت في تحصينهم وزيادة مقاومتهم .. وقد كان هؤلاء هم الذين وقفوا بكل ثقلهم وراء الحملة المحمومة التي ادت في النهاية الى طرد السفير الامريكي يانج (٤٧ سنة) من منصبه الذي امضى فيه ما يقرب من ثلاث سنوات قطع فيها الآلاف من الأميال وتحدث في العشرات من الاجتماعات مع ممثلي ١٤٧ دولة (عدد الدول الاعضاء في المنظمة الدولية) ، وادلى بمئات التصريحات بهدف الوصول الى تقديم صورة افضل لبلاده امام عيون العالم الخارجي .

الانتماء للعالم الثالث

ونجح يانج باعتراف بلاده ورئيسها .. حتى ان مندوب احدى الدول الاسيوية لم يجد حرجا في ان يقول للسفير الامريكي : « لا ادري لماذا اشعر كلما لقيتك بانك تنتمي الينا .. او ربما كنا نحن ننتمي اليك .. انا نحس بانك واحد منا ! »

ما جريمة يانج ؟ انه في شهر اغسطس الماضي التقى بمندوب فلسطين او مراقبها في الامم المتحدة في بيت صديقه سفير دولة الكويت بمدينة نيويورك .. ولم يكن سفير أمريكا الاسمر ، اول مسؤول امريكي يتصل بزعماء حركة التحرير الفلسطينية او من يمثلهم فقد تمت اتصالات على مختلف المستويات ، كما ذكرت مجلة « تايم » الامريكية ، وحددت تواريخ هذه اللقاءات ، بين الرسميين الامريكيين ومنظمة التحرير في بيروت .. ودمشق ، وفيينا وأمريكا نفسها ثم في بيروت مرة اخرى .. فلماذا كانت هذه الضجة الآن ؟

لا يعجب اسرائيل

ان تصريحاته في مناسبات ماضية لم تعجب اسرائيل قال مثلا « أن مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة شخصيات لطيفة هادئة » .. ووصف « القصف الاسرائيلي لجنوب لبنان بالقصف الامريكي لفيتنام » .

لقد كان يانج واضحا وصريحا منذ اللحظة الاولى التي بدأ يمارس فيها نشاطه السياسي في الامم المتحدة بحكم منصبه الجديد .

فقد قال للصحفيين الذين التفوا حوله في مقر المنظمة الدولية : « شيء واحد استطيع ان اؤكده لكم ، وهو انني لن اكون ابدا الرجل الاسود في البيت الابيض ! أو « زنجي البيت الابيض » والمعنى الذى ذهب اليه يانج مفهوم ، فهو يريد ان يقول انه لن يكون اداة لاحد وانه لن يدلي برأى ولن يتخذ موقفا .. اى موقف الا عن قناعة وبدون خضوع لاى « ضغط أبيض » .

فقد عاش يانج آلام الزنوج واحزانهم في طفولته وشبابه .. وكان هناك على مقربة من الزعيم الزنجي الراحل مارتين لوثركنج بطل المقاومة العنصرية ، الذى قتلوه في شهر ابريل من عام ١٩٦٨ فقتلوا معه ضمير امة .. يومها وقف يانج يقول امام الجثمان المسجى امامه : « سيبقى لوثركنج ملكا ومالكا لقلوب الملايين من محبي السلام والحرية . » .

وحمل اندرو يانج آلام وآمال زنوج امريكا بعد رحيل لوثركنج ، فهو الذى مضى يكمل الرسالة التي بدأها استاذه ومعلمه ! من هنا كان وقع سقوطه قويا بين السود في امريكا وعددهم ٢٣ مليونا والسود وغير السود في الخارج ، وفي افريقيا بصفة خاصة .

جذور الرجل الاسود

خلال محاولاته الاخيرة لتهدئة النفوس الثائرة في روديسيا وجنوب افريقيا قال يانج : « لقد اخترع الانجليز العنصرية » وقرأ « الجذور » ورأى هذا الوجه القبيح لهؤلاء الذين اسروا الرجل الاسود وباعوه وسخروه في بناء « امبراطوريتهم » الجديدة في هذا العالم الجديد البعيد . فلما انتهت مهمتهم جلسوا يحتفلون بذبحه !

وقرأت امريكا معه قصة الرجل الاسود الذي بنى بدمه وعرقه هذه الدولة الكبرى .. وكانت من اروج الكتب توزيعا في العالم خلال العامين الاخيرين .. واكثرها تأثيرا على المشاهدين الذين تابعوا حلقاتها المصورة على شاشة التلفزيون .

كان والد يانج طبيب الاسنان المعروف في مدينة أتلانتا ، يرى آثار الكراهية على وجوه ابناء الحي الذى يعيشون فيه من السكان السود .. وكانت تقطر دما .. البيض يتعقبونهم ورجال الشرطة يطاردونهم .. واشفق الأب على ابنه وقرر ان يعاونه على مواجهة هذا البغي والعدوان فعلمه الملاكمة على يد ملاكم محترف .. ولكن يانج لا يذكر انه استخدم قبضة يده مرة في حياته ، فقد كان له دائما طريق آخر بعد تخرجه من الجامعة في عام ١٩٥١ .. لقد اختار ان يكون قسيسا ... ودرس اللاهوت وحصل على الليسانس بعد اربع سنوات !

الدبلوماسية الهادئة

وفي هذه المدرسة الهادئة ، تعلم يانج الحوار المقنع ، وتعلم الايمان بالله ، وبحقوق الانسان في كل مكان .. وتعلم قبل وبعد هذا كله نبذ العنف . كان يدخل اجتماعا .. اى اجتماع في ولاية جورجيا ، حيث التقى بصديقه كارتر بعد ذلك بسنوات طويلة .. وكانت التفرقة العنصرية بين السود والبيض اعنف ما تكون في تلك الفترة في منتصف الخمسينات .. فقد كان الرجل الاسود مواطنا من الدرجة الثانية في بلده ، محروما من ممارسة حقه السياسي لانه غير متعلم ! .. مغلوب على أمره في كل مجال من مجالات الحياة .. كان يعيش وراء حائط عال ، وويل له اذا حاول ان يتسلق هذا الحائط لمجرد ان يلقى نظرة عابرة على ما يحدث وراءه على الجانب « الابيض » !

وكانت هناك اجتماعات كثيرة تعقد بين زعماء السود وحدهم لبحث ومناقشة آلامهم ومحاولة العثور على حل لها .. وكانت هناك اجتماعات اخرى بين السود وعقلاء البيض لتجنب الانفجار الذى يوشك ان يودى بوحدة الامة الامريكية .. وكان يانج يحضر هذه الاجتماعات الأخيرة التي كانت دائما ساخنة ملتهبة لا مجال فيها للحديث الهادىء او المناقشة العاقلة ويصل الشاب المتحمس الى مقر الاجتماع فلا يكاد البيض يلمحونه حتى يبدأون في التحفز ولكنه يسارع الى تهدئتهم : « سامضي بينكم دقيقتين او ثلاثا ثم انصرف .. سأكون مستمعا فقط ولن اتكلم الا اذا طلبتم الى الكلام ! »

صلاة طويلة

وتلتقط اذنه وسط الصخب الذى يملأ المكان كلمة او عبارة تعبر عما تحمله قلوب هؤلاء العنصريين المتعصبين من كراهية لكل ما هو اسود !! ويبتسم يانج ثم يقول في هدوء : « دعونا نشترك جميعا في صلاة قصيرة » . ويرفع الجميع أيديهم ويصلون وتهدأ النفوس ويحين الفرصة التي انتظرها ...... فيمضي في حديثه ، وكأنه في صلاة طويلة .. وعندما ينتهي الاجتماع يكون قد مضى على يانج ثلاث ساعات وهو يتكلم ..

وبقدر ما كان اندرويانج صريحا ولبقا في حديثه الذي يشد المستمعين كان ايضا مستمعا ذكيا ، يحفظ ويهضم ما يسمع ، ولا ينفعل حتى لو كانت كلمات محدثه تحمل له الشتائم والاهانات ... كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه لحظة واحدة ... ولكنه لا يلبث ان يتحول الى الجد بسرعة اذا استمع الى تفسير خاطىء او الى معلومات يحاول صاحبها من ورائها ان يقلب حقائق معينة لاحداث عرفها ودرسها .

قال يانج

حتى بلاده لم تسلم من النقد ، فهو الذى قال : « ان السجون الامريكية مليئة بالمسجونين السياسيين . »

« ان السود في السويد يلقون نفس المعاملة السيئة التي يتعرض لها الرجل الاسود في « كوينز » « بنيويورك » .

« ان جيرالد فورد وريتشارد نيكسون من انصار السياسة العنصرية .

« إن باتريشيا هيرست إبنة ملك الصحافة في أمريكا ، سجينة سياسية ايضا » .

لقد قال يانج وهو يعلن نبأ استقالته على الصحفيين او على الاصح الاستقالة التي اجبرته وزارة الخارجية الامريكية على تقديمها بعد الضجة الاسرائيلية المفتعلة .. قال : « من الصعب جدا ان افعل ما اظن انه

في مصلحة بلدي ، وفي الوقت نفسه احافظ على قواعد البروتوكول والدبلوماسية انني لا اشعر باي اسف لأي عمل قمت به ... ولن استطيع ان اقول انني لن افعل ما فعلت اذا واجهت نفس الموقف مرة أخرى » .

هل كان يانج رجل سياسة

« كان من اقدر السياسيين الذين عرفتهم امريكا » هكذا قال عنه صديقه كارتر الذي اراد ان « ينام » على الحادث المفتعل كما قال لمساعديه بالحرف الواحد لولا الضغوط الصهيونية التي املت عليه ارادتها وسلبته اقدس حق من حقوقه المشروعة بوصفه رئيسا للولايات المتحدة الامريكية .

قريب الى السماء

لقد اشتغل يانج بالسياسة عقب مصرع الزعيم الزنجي لوثر كنج مباشرة ، ورشح نفسه لعضوية الكونجرس الامريكي مرتين .. وفاز في المرة الثانية ، في عام ١٩٧٢ وكان يمثل مدينة اتلانتا بولاية جورجيا ، ومن هذا المنبر الجديد راح يدعو الى الحب والتسامح والتعايش السلمي بين السود والبيض . أما صلته بالرئيس كارتر ، فقد بدأت في عام ١٩٧٥ وعندما بدأ يتحمس لهذا الرجل الذي اعتزل عمله كعالم من علماء الذرة في البحرية الامريكية ليتفرغ لزراعة « الفول السوداني » في مزرعته ، كان يؤمن بأن جيمي كارتر يمكن أن يكون رئيسا مثاليا لامريكا .

وعندما وصل كارتر الى البيت الابيض في النهاية ، اراد ان يكافىء يانج على المجهود الذي بذله خلال حملته الانتخابية فعينه سفيرا لامريكا في الامم المتحدة .

وجاء يانج الى نيويورك مع زوجته « جين » واولاده الاربعة اندريا وليزا وبولا واندرو الصغير ، واقام الجميع في الطابق الثاني والاربعين بفندق والد ورف تاورز . وقال اصدقاؤه مداعبين تعليقا على اختياره لهذا الدور العلوي في الفندق : « انه يريد ان يكون دائما قريبا من السماء . »

واستغنى يانج عن سيارته الرسمية الفاخرة الكاديلاك واستبدل بها سيارة فورد عادية وكان يدعو سائق سيارته لتناول الافطار معه في كافتيريا الامم المتحدة ، قبل ان يذهب الى مكتبه الذي اختار للعمل فيه اكبر عدد من السيدات السود المتعلمات .

ماذا قالت أمه ؟

امرأتان مازالت كلماتها تدويان في اذنيه في هذه اللحظة الحرجة التي تمر بها امريكا كلها .. الاولى أمه التي اتصلت به تلفونيا عقب اعلان نبأ تعيينه سفيرا لأمريكا في الامم المتحدة : « هل تركت مقعدك في الكونجرس من اجل هذا المنصب . ارجوك الا تفعل . إبق حيث انت .. فهذا افضل لك ولنا ولكل رجل وامرأة من السود في امريكا » .

اما المرأة الثانية ، فقد كانت كورا ارملة الزعيم الزنجي الراحل مارتين لوثركنج ، وكانت هي الاخرى تعترض بقوة على تركه مقعده في مجلس الشيوخ الامريكي من اجل هذه الوظيفة الجديدة .

« لم اكن اريد هذا المنصب لم اكن اريده » . كانت هذه كلمات يانج بعد العاصفة ! ولكن كيف ستنتهي ؟ هل تهدأ الثورة التي تعتمل اليوم في صدور السود في امريكا وهم يرون الرجل الذي يمثلهم ويحمل آمالهم لمستقبل افضل يهوي تحت مطرقة النفوذ الصهيوني ؟

لقد بدأت المواجهة بين السود من جانب وبين يهود امريكا من جانب .. ولكن الى اى مدى ستتفاقم هذه المواجهة ، وما هو تأثيرها على انتخابات الرئاسة المقبلة وعلى مستقبل الرئيس الامريكي كارتر بصفة خاصة رغم كلمات التقدير التي ختم بها رسالته وهو يعلن قبول « استقالة » الرجل الذي وضع فيه كل ثقته ؟ لا أحد يدري ! ؟

أما يانج نفسه ، فلا أحد في امريكا او في خارج امريكا يتوقع ان يهوي يانج هكذا في هدوء او ان يختفي لفترة طويلة ، فهو رجل يؤمن بمبادىء ومثل عليا ، في زمن اصبحت فيه هذه المبادىء عملة نادرة . ■■

عندما أوغل السندباد .. وعاد



للشاعر :

صلاح عبد الصبور

■ ... كل شيء تجلى له وتكشف ...
كان انحدار المياه الى منبع النهر حتما ،
وصار الرحيل
مللا يستطيل
ثبت السندباد مجاديفه ، وادار الشراع عن الريح
واستعد ليوم المعاد

***

في فصول الرحيل الطويل
عرف السندباد الصباحات
عرف السندباد الاماسي

***

كان بعض الصباحات يتسع البحر فيه ،
ويصبح كونا من الطيب واليشب ، والشمس
مجمرة تتدلى سلاسلها الذهبية ، ثم
يعانقها الغيم ، تبتل حافتها بالندى ،
كاشفا سر الوانها السبعة المستكنة فيها
يخرج البحر الوانه
يمزج البحر الوانه



يتبارى مع الشمس وصلا وعشقا ، ويبذل
حتى تحل العرى ، ويذوب الوجوم
زبرجدة يصبح البحر ، ينفث لؤلؤه
الزبدي ، ويملؤك الفرح ياسندباد كما
امتلأت حبة بالرحيق ، وتمثل للنزع والنسم
صدرك قيثارة تتناوب فيها اصابعها الخشنات
الرقيقات ....
ينتشي السندباد ويمرأى الزمان يعود
اليه ، وينفي ويثبت فيما حوت عينه من رؤى ،
وما احتملت من ظلال البلاد
وما احتملت من شجى كامن أو أسى مستعاد
ويبحر في عرقه ودماه ، ويرسي بشط
الزمان البعيد القديم

***

وتعود الى السندباد طفولته ، وتعود الحقول
حقولا ، ويعود الغدير ليمتد كي تتأرجح في
جانبيه الحقول
وتعود السكينة كي تتمدد فوق الغدير
وتعود نجوم المساء
لكي تتناثر فوق ملاءتها ارخبيلا
يطوف بين جزائره السندباد
زمنا مستعاد

***

ويعدو .... ويعدو
(يضحك السندباد لصورته ، وهو يعدو)
وتصلصل في قلبه الطفل اجراسه الذهبية ،
يعدو .... ويعدو



ويعود اليه صباه رغيفا ، ونهدين
كانا يميلان في صوره ، يلتهان معا بين خاصرتيه ،
لقد خانك الوقت ياسندباد ، تسرب فوق رمال
حياتك ، لولا فم البحر ، اسنانه الزبدية ،
لولا عناق الرياح وانفاسها في وتينك كانت
حياتك مقفرة كشتاء الصحارى ، وملساء
مثل صخور الشواطىء ، كنت قضيت من
الوجد والحزن ، اوغل اذن سندباد ، افترع
خيمة الافق ، وادخل ....
ترشف نداها البلبل ، ارتعد نشوة ،
وتحول عمودا من الفرح والنار ، ينتفض جدرانها ،
يتلهب في عمقها ، ثم يهوى كبرق اضاء ، كبرق
خبا
... وتقضي زمان الصبا

●

كان بعض الصباحات ينكمش البحر فيه ،
ويغدو اديما من الجلد ، اسود مفضوضنا
لزجا بالطحالب والسمك الميت والزيت ، تلهث
نحو الاديم شفاه المياه مشققة عطشا للرياح
...... اهذا هو البحر ؟
لحد من الماء ، واد من الخضرة المطفأة
...... اهذا هو البحر ؟
موت تئن به جهشات المجاديف معولة ، والشموس
ممزقة في جهات السماء

***

كان بعض الاماسي غطاء جميلا كجسم امرأة
كان بعض الاماسي غطاء ثقيلا كقبر

كان بعض الاماسي ثوبا شفيفا ، ذيول
الطواويس ، نثر النوافير ، اعراف خيل
الرياح العراب
يمتطي السندباد الظلام المنقط بالضوء ،
يبحر نحو مياه السماوات ، وحدك تمضي
ايا سندباد ، وقد ثمل الندماء واغفوا ،
ونامت أيادي رجالك فوق المجاديف ، لا
شاهد لارتفاع البراقع الا عيونك ،
جزت طباق الهواء الثمان الكثيفة ....
بحر وسيع سماوات ، واصبحت معنى
تحوم فيه المعاني ....
وجدت ...... فقدت ..... وجدت
ورأيت الذي قد سمعت
وسمعت الذي قد رأيت

***

كان بعض الاماسي ثوبا صفيقا من الزيت
والقار ، الريح ساكنة كالزجاج ، على وجهها
البارد المستطيل تخثرت الظلمات كدم ...
اخلفت وعدها السحب ، لم تتفتح
حدائقها عن زهور النجمات ، لم يرد البدر
اباره في حقول السحاب ، وما تبعته عيونك
وهو يرطب خديه في زرقة الماء او خضرة
العشب ، نفسك مثقلة بالهموم ، اناخ
عليك المساء واثقل حتى انكسرت شجى
وانحللت هباء
وبثقل نفسك ما حملت من رؤى
وما احتملت من ظلال البلاد
وما احتملت من شجى كامن ، او اسى مستعاد

صلاح عبد الصبور



ونحن على ابواب موسم جديد :

الساكت عن الحج والساكت عن الحق !

بقلم : فهمي هويـــدي

نريد ان نرد الى الحج اعتباره !

اذ ليس معقولا أن تهدر فريضة من فرائض الله في عرض سنوي يقام على مرأى ومسمع من الجميع ، ثم لا يتحرك احد لكي يحفظ للفريضة جلالها وهيبتها ، ورسالتها .

ليس معقولا ان يتحول مؤتمر أمة المسلمين الى موسم تتلاطم فيه أمواج البشر الهادرة حول أقدس الاماكن ، بغير ضابط ولا رابط ، حيث يتفلت عيار الجميع ، ويكاد يداس تحت الاقدام أي شيء ، بل كل شيء !

وليس معقولا أن تنتهي تلك الرحلة العظيمة الى الله ، المليئة بالتدبر والتأمل وبالمناسك ذات الدلالات والرموز ، الى أن تصبح « محنة » هي صورة من يوم الحشر ، حيث يحاول كل انسان أن يستنقذ نفسه ، مكتفيا من الحج بثواب النية والمعاناة ، والامتثال الى امر الله سبحانه وتعالى .

وليس معقولا ان تتدنى « منافع المسلمين » المرجوة من الحج ، لتصبح مقصورة على جماعات التجار والمستغلين ، القادمين والمقيمين ، ومعهم شركات الطيران والملاحة « والسياحة الدينية » !

نريد أن نبقي للحج على قيمته . نحميه من ريح الجاهلية التي ارتدت به في الماضي ، من وظيفة كان يؤديها المكان ، الى أن صار مجرد طقوس وعبادة للحجارة والاوثان !

ألم يكن ذلك البيت الذي بناه في البدء ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام ، مكانا طاهرا يؤمه المؤمنون لعبادة الله ، ثم توالت الازمان ، فاذا بالاصنام ترفع فوقه ، واذا بعبادة الله تصبح عبادة للاحجار ، واذا بالطائفين العابدين يتجردون من ثيابهم ، ويقفون أمام الاصنام عرايا ، يسألونها الشفاعة والمغفرة ؟

للحج حكمة نفهمها ، ولا يخلو واحد من كتب العبادات والتفسير من الافاضة فيها وشرحها . والذين تصدوا للموضوع فريقان : أحدهما يرى فيه امتثالا لامر الله سبحانه وتعالى ، الذي هو جزء من الايمان

والتسليم . ومن هؤلاء الامام الغزالي ❋ ، الذي يقول : « ووضعه (اي بيت الله الحرام) على مثال حضرة الملوك ، يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق . شعثا غبرا ، متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت ، او يكتنفه بلد ، ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ، وأتم في اذعانهم وانقيادهم .. ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول ، كرمي الاحجار بالاحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية » .

والفريق الثاني يؤكد معنى الامتثال في الحج ، شأنه شأن كل العبادات التي يشكل الخضوع لله وحده احد اهدافها ، لكنه يركز الى جانب ذلك على أهمية الوظيفة التي يؤديها الحج في عالم الاسلام والمسلمين . ومن هؤلاء الامام الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الاسبق ، الذي كتب يقول ❋ :

« ليس المعقول ـ ولله الحكمة البالغة ـ ان يكون القصد من هذا الاجتماع (يقصد الحج) مجرد ان يطوف المؤمنون بالبيت ، وان يقفوا في عرفات ، فان الله يعبد في كل مكان ، ويجيب الداعي في كل مكان .. وانما الحكمة كما افصحت عنها آية الحج ، ان يجتمع الموحدون في زمن واحد ومكان واحد ، ليشهدوا منافع لهم وليزيلوا تفثهم . (اي تتطهر اجسامهم وقلوبهم وعقولهم من الادران) . ويذهب الشيخ شلتوت الى حد اعتبار ان كلمة « التفث » تنسحب على ادران جماعة المسلمين ، لا الافراد وحدهم ، ومنها « وقوعها ـ الجماعة ـ تحت سيطرة الجهل والفقر وتحت سيطرة الغاصبين » ، وهذا هو نص العبارة التي استخدمها الامام في سياق حديثه .

وفي موضع آخر يقول الشيخ شلتوت : والحج باعتبار مكانته في الاسلام ، وغايته المقصودة منه للفرد والجماعة ، جدير أن يتجه اليه رجال العلم والرأي ، ورجال التربية والثقافة ، ورجال النظم والادارة ، ورجال المال والاقتصاد ورجال الشرع والدين ، ورجال الحرب والجلاد . جدير ان تفد اليه الطبقات ذات الرأي والحزم ، ذات النظر والاجتهاد .. جدير ان يتجه اليه هؤلاء جميعا .. يتعارفون ويتشاورون ، ثم يعودون الى بلادهم أمة واحدة ، متحدة القلب ، متحدة الشعور والاحساس » .

ثم يضيف : ولعل في هذا ما يكشف لنا عن المراد « بالافئدة » التي جاءت في دعوة ابراهيم عليه السلام ، حينما اكمل البيت ورفع قواعده ، واسكن من ذريته بواديه « فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ـ سورة ابراهيم ٣٧ فان كلمة « افئدة » لا تعني مجرد الاشباح التي تروح وتغدو ، والتي لا تعرف من معنى الحج سوى أعماله الفردية ، وسوى زيارة الرسول عليه السلام . انما تعني الارواح والقلوب التي تقدر ما يجب ان يكون لهذا الاجتماع الحاشد من اهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة كما جمعت اشباحهم العبادة والذكريات » .

والفرق بين تصور الفريق الاول الذي يمثله الامام الغزالي . والفرق الثاني الذي يمثله الشيخ شلتوت ، هو بحجم المسافة بين القائلين بان العبادة لذاتها ، والعبادة لوظيفتها . الحج للحج ، ام الحج

❋ للتفصيل انظر « احياء علوم الدين » للامام الغزالي ـ الجزء الاول .

❋ انظر كتاب الشيخ محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » .

لاجل مصلحة جموع المسلمين ؟ وان كان لابد ان نقر بأن المسافة بين الرأيين ليست شاسعة كما قد يبدو لاول وهلة ، وانما هو ـ في حالتنا هذه ـ ترتيب للأولويات لا أكثر . فالامام الغزالي لا يسقط مصلحة المسلمين من الحسبان ، ولكنه يقدم عليها معنى الانقياد والتسليم لامر الله سبحانه وتعالى . والشيخ شلتوت لا يلغي ما في الحج من عبودية لله سبحانه ، ولكنه يركز على المصلحة التى يحققها الحج في شأن « خطط الحياة العزيزة » .

ومع ذلك ، فان وضوح النصوص القرآنية يحسم التردد بين الرأيين . ذلك أن الآيات التي تضمنت دعوة الناس الى الحج تقول صراحة : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » . ـ الآيات ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ من سورة الحج .

أي أن أول ما ذكر في حكمة الحج بنص القرآن منفعة المسلمين ومصلحتهم . والتعبير الوارد في النص عام ومطلق ، يتسع للعديد من الصور التي تشمل الفرد والجماعة ، كما تشمل المصلحة المعنوية والمادية في الدنيا والآخرة ، الأمر الذى يرجح راى الشيخ شلتوت في الواقع .

●

الا أن هذا كله يبدو نوعا من الجدل النظرى ، بل نوعا من الترف الفكرى ، اذا ما حاولنا مطابقته بالواقع . ذلك أن ما يجرى في موسم الحج شيء يختلف تماما عن كل ما ذكرته كتب العبادات وتفاسير القرآن الكريم ، شيء لم يرد في كتاب ، ولا أظنه خطر على بال أحد ممن اجتهدوا وحققوا وفسروا .

ولا أعرف أي قدر من الذهول يمكن ان يصيب هؤلاء ، اذا ما بعثوا من قبورهم ورأوا ما انتهت اليه صورة الحج ، ثم قارنوا بين ما رأوه وبين ما كتبوه عن المناسك ورموز قصة ابراهيم وزوجته هاجر وابنهما اسماعيل ، وعن معايشة الحجاج لهذه التجربة ، ثم ضراعتهم الى الله ورجمهم للشيطان قذفا للشر والباطل ثم ما آل اليه حال الذبح رمز التضحية والفداء في سبيل الله . ناهيك عما يحدث حول الكعبة المطهرة . والحرم النبوي الشريف .

لنا ان نتصور مقدار صدمة هؤلاء الائمة والمجتهدين ، اذا ما أطلوا بعيونهم على الحقيقة ولو للحظة واحدة . ولنا أن نتصور أنهم لا بد عاكفون على مراجعة الكثير مما قالوا به واجتهدوا فيه وألزمونا به ، سعيا وراء الاكمل والأمثل . ذلك أن هناك آراء عديدة في مناسك الحج تحتاج الى اعادة نظر ، لنتأكد اولا من مدى مطابقتها لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة ، وتحديد وجه وحجم الالتزام فيها ، ثم مدى امكانية الالتزام بهذه الآراء والاجتهادات في ظروف الحج الراهنة .

فمطالبة المسلمين بأن يدخلوا الى المسجد الحرام ـ في طواف التحية ـ من « باب السلام » صارت متعذرة ومستحيلة . وبنفس القدر يستحيل أن يقبل الحجاج الحجر الاسود او حتى يلمسوه . بل وهو انجاز عظيم اذا استطاع الحاج ان يقف في محاذاته عن بعد ليجعل منه نقطة بدء للطواف . ثم انه من رابع المستحيلات ان يطالب الحاج بالذهاب الى « الملتزم » ـ حائط الكعبة بين الحجر الأسود وبابها ـ ليلصق صدره ووجهه بالجدار ، ويرفع يديه حتى تبلغ استار الكعبة ، ثم يشرع في الدعاء الى الله سبحانه .

ولا أعرف هل من «مصد- الظروف الصحية التي لا تخفى على أحد - وبعد ما انضم وباء الكوليرا الى قوافل الحجاج في السنوات الاخيرة - أن يدعي الناس الى الشرب من بئر « زمزم » رغم أن الاحاديث النبوية امتدحته ، في ظروف مختلفة تماما ، منذ ١٤ قرنا .

كذلك فان رمي الجمار - الذي افتى الشيخ شلتوت بأنه « ليس بفرض يبطل الحج بتركه ، وانما هو مطلوب على سبيل الوجوب في جمرة العقبة التي ترمي وحدها في اليوم العاشر ، وعلى سبيل السنة في بقية الايام » - عملية الرمي هذه تحتاج الى مناقشة وحسم ، اذ ان بعض الفقهاء يصرون على ان يلتقط كل حاج ٤٩ حصاة ، ثم يستمر الرمي ٧ مرات ، الامر الذى لا يخلو من ضحايا عديدين كل عام .

ومسألة الهدى - الحيوان الذى يهدى باسم الله الى الحرم ، فيذبح فيه ويطعم منه الفقير والمسكين - هذه ايضا تحتاج الى مراجعة ، ذلك انه اذا كان الاهداء الى الله يتحقق فيما يجرى الآن ، فان الشق الثاني منعدم تماما ، مما يحيل « مني » بعد الذبح الى صورة لا اظنها ترضي الله بأى حال .

وفضلا عن هذا وذاك ، فلا أعرف كيف يتمكن الحجاج من ترديد الأدعية المأثورة اثناء أداء المناسك بقلوب صافية وتوجه الى الله سبحانه ، بينما هم يتدافعون في صراع البقاء والاستمرار بأيد معروقة وانفاس مختنقة وصدور تئن من الالم والمعاناة . واذا كان مستحبا الا يبدأ المسلم صلاته قبل لحظات يستجمع فيها توجهه الى الله ويصرف عن ذهنه شواغل الدنيا ، فكيف يقبل في الحج نقيض ذلك تماما ؟

●

ولا اريد أن أخوض في التفاصيل حتى لا تشغلنا الجزئيات عن الكليات ، وحتى لا ابدى رأيا هو من شأن اهل الفقه والاختصاص . لكن ما قد يمكن ان نتفق عليه مبدئيا هو ان هناك « مشكلة » حقيقية ومتفاقمة تهدد الحج .

هذه المشكلة لها ثلاثة اوجه ، اولها يتعلق بالوظيفة ، والثاني يتعلق بالعدد ، والثالث يتعلق بالتورع .

ذلك انه من الثابت ان الدور المفترض للحج في حياة الامة الاسلامية أسقط من الحسبان ، لاسباب مبررة ومقنعة ، ناشئة عن حقيقة أنه لم تعد هناك أمة اسلامية ! فضلا عن أن علماء المسلمين هم في الأغلب موظفون لدى الحكومات ، ولقاؤهم في موسم الحج ، اذا تم - يظل دائما محكوما باطار علاقات الدول اتفاقا واختلافا ، الامر الذي ليس للاسلام فيه ناقة ولا جمل ، ولا يرجى منه خير أو أمل !

ومن الثابت أيضا أن الاماكن المقدسة أصبحت تنوء بجموع البشر الهائلة التي تفد اليها من كل أنحاء العالم الاسلامي ، والتعبير : جغرافي وليست له اية دلالة اخرى - وينبغي أن نسلم بأن للمكان « طاقة » ، اذا استوعبت حجاج المسلمين عندما كانوا ألوفا فمن غير المعقول أن يظل المكان ذاته مطالبا باستيعاب حجاج المسلمين بعد أن تضاعفت اعدادهم ولله الحمد ، وصارت بعشرات الملايين . ومهما كانت جهود التوسيع والامتداد التي تبذل ، فلا يمكن بأي حال أن تتم بنفس معدل تزايد الحجاج ومن المحزن أن عمليات التوسيع هذه تتم دائما على حساب مبان ومنشآت لها قيمة تاريخية لا تعوض ، اذ ان بعضها يرجع الى القرون الاولى للاسلام ، واغلبها كانت بيوت للصحابة عليهم رضوان الله . ولا بد من وسيلة للحد من هذه الاعداد المتزايدة ، حفاظا على حرمة الفريضة ، وحرمة الاماكن المقدسة ، بل وحرمة المسلمين

انفسهم . والاقتراحات عديدة في هذا الشأن ، وهي تتراوح بين وقف السماح بالحج للذين أدوا الفريضة من قبل ، او المرضى والعجائز « الذين لا يستطيعون اليه سبيلا » ، وبين وضع حد أقصى للحجاج يتفق عليه بين المعنيين بالأمر ، يقرره المؤتمر الاسلامي ـ مثلا ـ وتتولى كل دولة الالتزام بالحد الموضوع.

ومن ناحية ثالثة فان القادمين الى الحج ـ خصوصا من الدول الافريقية والاسيوية ، يفدون برغبة مخلصة في الامتثال لأمر الله سبحانه ، لكن اكثرهم قليل المعرفة بالاسلام ، ولا معرفة له على الاطلاق بمناسك الحج واركانه ، الامر الذي يفسد عليهم وعلى الآخرين حجهم . فضلا عن أنه يضاعف حجم المعاناة التي تؤذي الجميع . ولا بد من وسيلة لتوجيه هؤلاء وترشيدهم قبل الحج واثناءه .

وليت الحماس لحماية الحج ورد اعتباره يأخذ مظهرا أكثر جدية ، فتتم الدعوة الى مؤتمر يبحث مشكلات الحج ، على غرار مؤتمر المسجد او مؤتمر الدعوة الاسلامية ، او مؤتمر السيرة النبوية ، خصوصا وان مشكلات الحج اشد خطرا واكثر الحاحا ، واذا كان علماء المسلمين الآن ليسوا مؤهلين ، فضلا عن انهم ليسوا مفوضين بطبيعة الحال ، في بحث شئون الامة ، فقد يستطيعون ان يسهموا في انقاذ الحج مما آل اليه .

●

وثمة ملاحظات سريعة وأخيرة ، بعضها للايضاح وبعضها للعلم ، لكنها واجبة التسجيل :

ـ ذلك أنني أرجو ألا اكون مضطرا لأن أذكر بضرورة التفرقة بين الحج والحجاج . وهذا جزء من التفرقة الواجبة بين الاسلام والمسلمين . بين القيمة وتطبيقاتها . وكما أن ما يؤخذ على المسلمين ينبغي الا يحمل على الاسلام ، فشتان بين الاثنين ، كذلك ينبغي الا نخلط بين الحج ذاته وبين الممارسات التي تتم اثناءه ،

ـ ثم انني ادرك تماما أن الحج ليس نزهة ، وأن المشقة من طبيعة هذه الفريضة . لكن هناك مشقة لا بد منها ومشقة اخرى يمكن تجنبها ، فضلا عن أن الامر في بعض الاحيان لا يكون مقابلة بين مشقة ومشقة ، ولكنه يصبح اختيارا بين مشقة وهلاك !

ـ من ناحية أخرى فانه بعد تعذر تحقق الوظيفة الاولى للحج ـ منفعة عامة المسلمين ـ اصبح الامر مقصورا على اداء الممكن من المناسك والشعائر ، فانني اخشى ان يتحول الحج بمضي الوقت ليصبح في جوهره مجرد « عمرة » يؤديها عدد هائل من المسلمين ، في زمن معلوم ، وفي هذه الحالة قد يفضل الكثيرون أداء « العمرة » في وقت آخر وفي ظروف أكثر ملاءمة ، الأمر الذي قد يؤدي الى أن ينفرط عقد الفريضة .

ـ ثم اننا اذا القينا نظرة على الفرائض الخمس ، واكتشفنا كيف أفسد علينا الصيام حتى كاد أن يتحول من شهر للعبادة الى شهر للعبث ، ثم كيف ضيعت الزكاة في عصر صارت فيه بلاد المسلمين بين أغنى أهل الارض ، بينما عامة المسلمين اكثر الارض تخلفا وفقرا ، ثم هذا هو الحج يتعرض للاهدار عاما بعد عام .. اذا تأملنا هذه الصورة فسوف نكتشف أنه لم يعد باقيا من الفرائض غير الشهادتين والصلاة ، وان اسلامنا ـ أركانه ودعائمه الخمس هذه المرة ـ في خطر داهم .

والأمر كذلك ، الاترون معي ان الساكت عما يجري في الحج ، يكاد يصبح مثل الساكت عن الحق .. كلاهما « شيطان اخرس » ! !

فتح دمشق

الاحد ١٥ رجب ١٤ هـ ٣ سبتمبر ٦٣٥

بقلم : احمد عادل كمال

■ سارت جيوش المسلمين لفتح الشام تخوض معارك الفتح معركة تلو اخرى حتى جاءت الى مدينة دمشق . ولقد كانت دمشق هي مقصد الفتح ووجهته من بادىء الامر حتى يمكن ان تطلق على عملية فتح الشام عنوان « الطريق الى دمشق » .

حاصر المسلمون دمشق فبعث الروم جيوشهم جنوبا الى فلسطين ، فانسحب المسلمون من حول دمشق لملاقاة عدوهم هناك ، في اجادين ثم عادوا الى حصار دمشق ، ومرة اخرى ارسل الروم جيوشهم الى بيسان بالاردن فصادت جيوش المسلمين لملاقاتهم هناك بين فحل وبيسان ، ثم رجعت لتحاصر دمشق فالتقت بجيوش الروم عند مرج الصفر جنوبي دمشق ايضا فهزمتها ثم احكمت قبضتها على دمشق حتى تم فتحها .

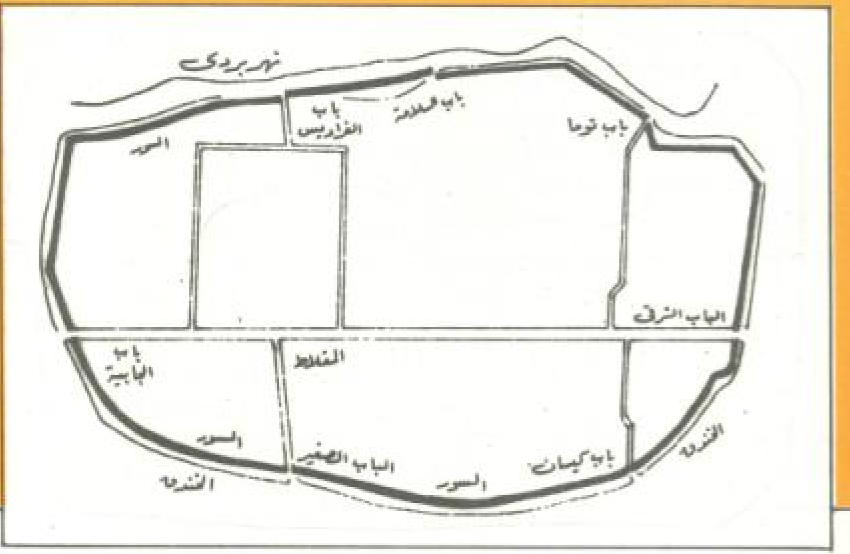
كان يحيط بدمشق سور من جميع جهاتها بناه الروم فيا بين عام ١٠٥ ـ ٢٩٥ م ، ارتفاعه نحوا من عشرين قدما (يعني ارتفاع بيت من طابقين تقريبا) وسمكه خمسة عشر قدما وكان عليه ابراج بارزة مربعة الشكل يبعد كل برج عن الذي يليه ٥٠ قدما تقريبا . وكان مبنيا بالحجارة الضخمة وصفحت ابوابه بالحديد .

وقد جاء في احداث الفتح ذكر ستة ابواب هي الباب الشرقي وباب توما وباب الفراديس وباب الجابية والباب الصغير وباب كيسان (وكان يعرف بباب يونس) وكان يحاذي سور دمشق من خارجه خندق يتصل بنهر بردى فيمتلىء بالماء ليزيد من حصانة الاستحكامات ، وعلى من يريد مهاجمة السور ان يعبر الخندق اولا .

حاصرت جيوش المسلمين بقيادة ابي عبيدة بن الجراح دمشق اربعة اشهر ، واعتصم المدافعون بالاسوار انتظارا للمدد وكسر حدة اندفاع الهجوم ، يراودهم الامل انه ـ كالحصارات السابقة ـ لا يلبث هرقل ان يبعث جيشا من جيوشه هنا او هناك ، فيجبر المسلمين على الانصراف الى لقائه ، ولكن المسلمين ضيقوا على المدينة وشنوا الغارات على ما حولها حتى استولوا على غوطة دمشق فكانت مصدرا لتموينهم بما حوت من تين وزيت وزيتون وحدائق غلبا وفاكهة وأبا .

على ابواب دمشق

ونزل خالد بن الوليد بجيشه على الباب الشرقي حيث اعتاد ان ينزل في كل حصار سابق بين الباب وبين



دير للنصارى على مسافة ميل منه كان يعرف بدير صليبا ، ونزل عمرو بن العاص على باب توما ، ونزل شرحبيل بن حسنة على باب الفراديس ونزل ابو عبيدة على باب الجابية غربي دمشق . ونزل يزيد بن ابي سفيان جنوبي المدينة على الباب الصغير وباب كيسان . واقام ابو الدرداء في قوة عند قرية برزة بسفح جبل قاسيون على طريق حمص ، كما قام ذو الكلاع الحميري على حوالي ٤٥ كيلو مترا من دمشق على طريق بعلبك ، حتى يقطعا الطريقين على قوات الروم ان حاولت الاقتراب .

وكان ابو عبيدة احب الى الروم من خالد بن الوليد وذلك للين ابي عبيدة وغلظة خالد عليهم في الحرب ، ولكن شعب دمشق من غير الروم كانوا على صلة بخالد عن طريق اسقفهم حيث كان قد تقدم الى خالد بالتحية واخذ منه عهدا يوم هبط خالد من العراق اول قدومه الشام ، فتوددوا الى خالد وتودد اليهم .

هذا التباين بين الروم واتجاه نصارى دمشق كان وراءه اضطهاد الروم لاهل البلاد بسبب اختلافهم في المذهب الديني ، فقد تطورت المذاهب المسيحية حتى صار المذهب الكاثوليكي هو المذهب الرسمي للرومان منذ اواسط القرن السادس . وكان اصحاب المذهبين اليعقوبي والنسطوري من اهل البلاد عرضة للاضطهاد والمطاردة من جانب السلطة .

ووجد اهل الشام في الاسلام سماحة تسمح لهم باعتناق ما يشاءون دون ضغط او اكراه (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ، ومن هنا تباينت المشارب واختلفت بين الروم الحاكمين والاهالي المحكومين . كان هم الروم أن يجبروا اهل الشام على اعتناق مذهبهم وكان هم هؤلاء ان يدينوا بمذهبهم ويتمسكوا به .

وحدث ان ولد لبطريق الروم على دمشق (القائد الرومي) مولود سر به ، فاقام احتفالا كبيرا واولم وليمة لحامية المدينة المحصورة فاكلوا وشربوا وغفلوا عن مواقعهم من الحراسة ، فقد كانوا مطمئنين الى حصانة استحكامات مدينتهم ولم يخطر على بالهم ان يتمكن المسلمون باى وسيلة من كسرها عنوة .

وجاءت عيون خالد من اصحاب الاسقف يخبرونه الخبر من وراء الاسوار . وكان خالد قد اعد درجا (سلالم) من الحبال تنتهي باوهاق (حلقات مما يدلنا ان

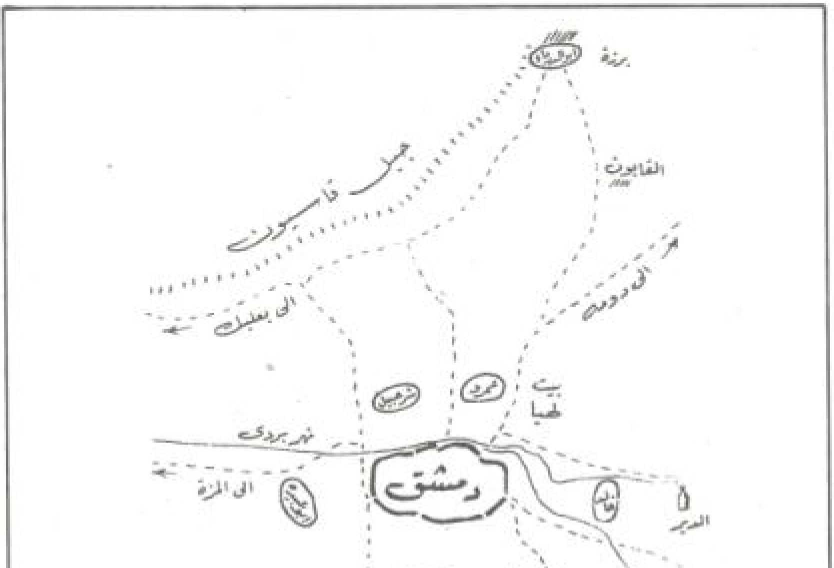
الفكرة كانت مبيتة عند خالد ولكنه كان يتحين الفرصة لانفاذها .

واقترب خالد بجنوده من المدينة ، ثم تقدم هو وأشد من معه وعبروا الخندق سباحة على قرب منفوخة وكان ذلك في احصن موقع واعرضه خندقا ، وراحوا يقذفون بالحبال الى اعلى السور حتى اشتبك وعقان فتسلقها القعقاع بن عمرو التميمي ومذعور بن عدى العجلي فاثبتا مزيدا من الحبال باعلى السور ، وتتابع المسلمون في صمت وسكون على التسلق في حين اتجه جانب اخر نحو الباب . ثم انحدر الذين تسلقوا السور الى الداخل ومعهم خالد وقد ترك من جنده باعلى السور من يحمي هذا المعبر ، وما زالت حامية دمشق في طعامها وشرابها واحتفالها لا تشعر بهذا الامر الخطير حتى امر خالد جنوده فكبروا من فوق الاسوار وهاجهم فيمن معه حتى فتح الباب الشرقي وتدفق من خلاله من كان خارجه ، وبدأت معركة دمشق في شوارع دمشق ، وتسارع جند الروم الى مواقعهم ولا يدرون حقيقة الخبر وقد اخذتهم المفاجأة اخذا .

ورأت قيادة الروم أن الباب الشرقي قد اقتحم عنوة وان المعركة تدور تجاهه من داخله فقررت طلب الصلح على الفور طلبوه من ابي عبيدة الرابض تجاه الجابية فقبله ، وفتحوا ابوابهم جميعا وتدفقت من خلالها جيوش المسلمين حتى التقوا جميعا بوسط المدينة عند سوق الزيت بحي المقسلاط ، وكان الاسقف يسير مع خالد ناشرا كتاب الامان الذي كتبه له . دخل خالد عنوة يعمل السيف فيمن يعترض طريقه ودخل ابو عبيدة وسائر الامراء سلما وصلحا .

صلح دمشق

كتب خالد بن الوليد كتاب الامان للاسقف عن شعب دمشق ، واقر ابو عبيدة بن الجراح الكتاب باعتباره القائد العام . ذلك الكتاب يتضمن لاهل دمشق ما يلي : الامان على الدماء ـ الامان على الاموال ـ الامان على الدين والكنائس من ان يسكنها المسلمون او ان يهدموها . « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى خالد



بن الوليد اهل دمشق اذا دخلها ، اعطاهم امانـا على انفسهم واموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ... »

اما الصلح مع الروم فقد تم بينهم وبين ابي عبيدة ، ولم نعثر بشانه الا على نص واحد غير مقبول عندنـا لاكثر من سبب . ولم يكن على صيغة كتاب من ابي عبيدة الى الروم وانما جاء في شكل كتاب من الروم الى ابي عبيدة يشرطون فيه شروطا على انفسهم .

واول ما يستلفت النظر في الرواية ان سندها الوحيد الذي ذكرها سند متهافت خرجه ابن عسـاكر في تاريخ مدينة دمشق ٥٠٤/١ قال : قرأت على ابي القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان ، عن القاضي ابي عبدا لله الحسن بن احمد بن عبد الواحد (نجهله) انا ابو المعمر المسدد بن علي بن عبدا لله الاملوكي « فيه تساهل » ، ابنا ابي (نجهله) انا ابو القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي (نجهله) ، انا عبد السلام بن العباس بن الزبير (نجهله) انا ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عفير (نجهله) عن عمه زرعة بن السفر (نجهله) ، عن ابي مخنف (ضعيف) ، حدثني محمد بن يوسف بن ثابت (نجهله) ، عن عباس بن سهل بن سعـد (نجهلـه) هؤلاء المجاهيل قد بحثنا عنهم في نحو من ثلاثين من اهم مراجع الرجال فلم نعثر على ذكر ، وقد قلنا نجهلهم ولم نقل مجهولين تحرزا ان يكون لاي منهم ذكر في مرجع لم نطلع عليه .

ولقد اشتمل النص ـ وهو نص طويل ـ على امور غير مقبولة ولا معقولة مثل « ونقوم لهم (للمسلمين) من المجالس اذا ارادوا المجالس » فلا تعقل ان يكون ذلك شرطا من شروط الصلـح ، ومثـل « ولا نعلم اولادنـا القرآن » فانه يناقض ما خرجت جيوش المسلمين من اجله فهل كان ابلاغ كلام الله هو الرسالة او منعه وكتانه ؟ ومثل قولهم « ولا نظهر شركا في نادي المسلـمين » ومـا نحسب الروم يقرون على انفسهم بالشرك وانما كانوا يرون الايمان في انفسهم ! ومثل « ... ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ان ينزلوها » اذ من المعلوم ان النصـارى لا يمنعون احدا من دخول كنائسهم .... الخ .

مقارنة بين النصوص

فاذا قارنا بنود هذه المعاهدة بنصوص المعاهدة التالية لها مباشرة وهي صلح بعلبك لتـأكد عدم صحـة هذه البنود . « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب امان لفلان ابن فلان ، واهل بعلبك رومها وفرسهـا وعربهـا ، على انفسهم واموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى ارحائهم وللروم ان يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ولا ينزلوا قرية عامرة ، فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الاولى ساروا الى حيث شاءوا ، ومن اسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا ، ولتجارهم ان يسافروا الى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليهـا ، وعلى من اقام منهم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا .

نص صريح في مقدار السـاحة التي اعطى بها هذا الصلح ، يسمح المسلمون لرعايا عدوهم الذي ما زال في حالة حرب معهم ان يرعى دوابه وماشيتـه الى مسافـة خمسة عشر ميلا ، وان يمهل من اراد الجلاء منهم شهرين ليجلوا ويسمح لتجارهم بالتجـول في البـلاد التـي تم فتحها ، فكيف نسيغ ان يجيء هذا النص على ما ذكرنا وصلح دمشق على ما ذكرت تلك الرواية الوحيدة .

هذا ويبدو انه وقع خلط عنـد بعض الـرواة بين الصلحين ـ صلح اهل دمشق وصلح الروم بدمشـق ـ يقول البلاذري « وزعم الهيثم بن عدى ان اهل دمشق صولحوا على انصاف منازلهم وكنائسهم » ولكن الواقدى يقول « قرأت كتاب خالد بن الوليد لاهل دمشق فلم ار فيه انصاف المنازل والكنـائس . وقـد روى ذلك ولا ادري من اين جاء به من رواة ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من اهلها بهرقل وهو بانطاكية فكثـرت فضول منازلها فنزلها المسلمون » . ونرى تعليل الواقدي سليا وصحيحا .

بعد فتح دمشق اقام بهـا المسلمـون حتـى انقضى الشتاء فسلكوا البقاع وفتحـوا بعلبـك ثم كان هدفهـم التالي مدينة حمص . ■■

احمد عادل كمال



عندما تمرض عضلات الجسم

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ حتى عضلات الجسم يزحف عليها المرض ليس في سن الشيخوخة فقط .. ولكن في عمر الشباب ايضا . وهي عديدة تلك الامراض التي تصيب عضلات الانسان ، وتبلغ ذروتها بمرض العضلات الخبيث ، بينما تكون في اخف حالاتها وابسطها عندما تصاب اغلب العضلات بالالتهاب الذي يعرف باسم « الروماتيزم » .

وقد شاءت الاقدار ان يصاب المرحوم الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة « العربي » الراحل بذلك المرض الخبيث ، وشاءت الاقدار ان اكون طبيبه طوال السنوات العشر الاخيرة من عمره . وقد رايته وهو يعاني من اثار ذلك ، ومع ذلك ظل الرجل مؤديا لواجبه الذي نذر له حياته ودمه ، متفانيا في خدمة الوطن العربي .

ولا زلت اذكر ، عندما زرته ذات يوم ، انه نهض من فراشه وظل يقلب اوراق بعض كتبه ، ثم عاد وجلس امامي وكتب بالحروف اللاتينية Myasthenia Gravis ثم قال : اعتقد انني مصاب بهذا المرض

وكان رحمه الله صادقا في تشخيصه .. فقد كان فعلا ضحية هذا الداء الخطير : مرض العضلات الخبيث او المميت .

مرض العضلات الخبيث

وهو مرض يصيب مجموعة من عضلات الجسم ، حيث تظهر عليها علامات المرض .. ثم ينتقل الى مجموعة اخرى ... وهكذا .. ويحس المصاب بهذا المرض ان مجموعة العضلات المصابة يصيبها التعب بسرعة .. فاذا اصيبت عضلات العينين تجد ان العضلات لا يمكنها القيام بوظيفتها ، فيرى المصاب الشيء شيئين عندما تجهد هذه العضلات ، ولا يتمكن من البلع او مضغ الطعام لفترة طويلة عندما تجهد العضلات المختصة بهذا المرض .. ويتجمع اللعاب بالفم فيبصقه المصاب ، وتتكرر هذه العملية بكثرة . واذا ما اصيبت العضلات المختصة بالكلام تراه يعجز عن التعبير عما يدور بخاطره ، ويكون كأنه مصاب « بخنق » شديد فتاتي الكلمات من سقف حلقه ، وفي الحالات الشديدة لا يفهم المستمع شيئا مما يقوله المريض .

واذا اصيبت عضلات الرقبة تجد المريض لا يمكنه ان يبقى عنقه مرفوعا ، فيسقط راسه الى الامام ، ويضطر ان يسنده بيديه ليرفعه الى اعلى .

وتتأثر الاطراف العلوية بنسبة اعلى من الاطراف السفلية ، فتجد المصاب يشكو اولا من انه لا يمكنه ان يرفع يديه ليحلق او ليمشط شعره ، وفي الحالات الشديدة لا يتمكن من رفع يديه الى فمه ليتناول طعامه . واذا ما اصيبت عضلات الحنجرة وعضلات القفص الصدري ، والحجاب الحاجز الى ذلك كثيرا على التنفس ، واذا كانت النوبة شديدة ربما تكون مميتة بسبب توقف عملية التنفس .

وفي بداية المرض يكون ضعف العضلات عند الاجهاد فقط ٠٠ ويمكن للجزء المصاب ان يستريح ثم تتحرك العضلات ، ولكنها سرعان ما تجهد مرة ثانية ، دون انتتمكن من القيام بوظائفها ٠٠وعندما يستمر المرض فترة طويلة بسبب الشلل العام لهذه العضلات مما يسبب اصابة عضلات التنفس بالشلل ايضا فتكون الوفاة ٠

السبب غير معروف

والسبب في هذا المرض غير معروف على وجه التحديد ، لذا وضعت نظريات عديدة ، منها ان مادة الاستيل كولين Acetyl Choline التي تخرج من نهاية العصب الواصل الىالعضلة تتعرض لمؤثرات تضعفها وتكسرها تدريجيا حتى تنعدم ، وبذلك تتوقف العضلة عن الاستجابة للعمل بعد ذلك ٠٠ اما هذه المؤثرات فربما كانت زيادة نشاط الانزيم « كولين استيريز Choline esterase التي تكسر مادة الاستيل كولين ٠ ولعل ذلك ناتج من خروج مادة صماء تعرف بالثيمس Thymus ولكن لانه لوحظ انها تتضخم او يظهربها ورم فيهذا المرض ٠٠ والبعض يعتقد ان هذا المرض ناتج من مادة من داخل الجسمنتيجة لتفاعل داخلة ٠٠واعتبر المرض منامراض Auto immune idisbases اى مرض ناتج من ظهور مواد بالجسم تؤثر على اجزاء فيهوتسبب امراضا ٠

وبرغم كل هذا التقدم فى البحث فى كنه هذا المرض ، لم يوجد الدواء الناجع للقضاء عليه ، الا انه في بادئ الامر تعطى علاجات تؤثر على انزيم الكولين استيريز الذى يهدم مادة الاستيل كولين ، ومن هذه العلاجات مشتقات البروستجمين المختلفة ، ثم في بعض الحالات تجرى عملية لازالة غدة الثيمس Thymus ٠

ولكن هذا يؤثر على تحسن الحالة بعض الوقت، ولكن حالة المريض تتردى في نهاية المطاف ، ولا يجدى اى علاج ٠

ومن الملاحظ ان هذا المرض بالعضلات يصيب الرجالوالنساءمعا٠ولوان نسبتهفيالنساءاعلىمنها في الرجال ، ويكثر حدوثه في السن ما بين ٢٠ ــ ٥٠ سنة ٠٠ ولكنه من الممكن ان يصيب الانسان ما بين سن ٣٠ ــ ٧٠ سنة ٠٠ وتختفى اعراض المرض لفترة طويلة ، ويستعصى تشخيص المرض في بادىء الامر لعدم قدرة المصاب على وصف حالته ، حتى انه يظن بان ما يعانيه انما هو ناتج عن اضطراب نفسى ، او اجهاد «عقلى» ، او غير ذلك من الاسباب التى لا تمت بصلة الى المرض ٠ ويشخص المرضبعد فوات فترة الى انتظهر اعراضه واضحة او تعمل الفحوصات التى تدل عليه ٠

المرض غير الخبيث

وعلى الجانب الاخر نجد ان مرض العضلات غير الخبيث هو الاكثر شيوعا ، ومن منا لم يصب بالم فى عضلة من عضلاته ، وهو ما يعرف باسم (الروماتيزم) وفي هذه الحالة يحدث التهاب فى الانسجة الضامة بالعضلات وحولها مما يسبب الاما حادة او اقل من الحادة اومزمنة فيالعضلة المصابة، وينتشر هذا الالم فى العضلات المجاورة ٠ ويكون حادا فى بعض الحالات حتى لا يمكن للمصاب مثلا ان يحرك رأسه عند اصابة عضلات رقبته ، او ان يحرك طرفا من اطرافه ، او الانحناء او تحريك ظهره يمنة ويسرة لتيبس هذه العضلات المصابة ٠ وعند اصابة عضلات القفص الصدرىيشعر الانسان بالالام فى اماكن مختلفة من الصدر متنقلة ، يظن البعض ان ذلك مرض بالقلب اذا كانت العضلات المصابة فى الناحية اليسرى من الصدر ٠

ويرجع السبب لالتهاب العضلات الى عوامل عدة منها اصابة الاغشية التى بالعضلة باصابات طفيفة او بالغة تغلق فى العضلة بؤرة حساسة ينتشر منها الالم فى اماكن مختلفة من العضلة المصابة الى العضلات المجاورة ٠او ان هذا التيبسبالعضلة يرجع الى اصابة العصب الذى يغذى العضلة ٠

وفىبعض الحالاتيرجع السبب الىتعرضالعضلات للبرودة الشديدة ، او تيارات الهواء الباردة ، كما يحدث ذلك فى الشتاء او حتى فى الصيفعندما يتعرض الشخص لتيارات المكيفات او المراوح المختلفة التى تستعملفى تلطيف الجو ٠ وكذلك فان انتقال الشخص من جو شديد الحرارة الى آخر شديد البرودة يعرض عضلاته لمثل هذه الالام الشديدة ٠

وكذلك فان وجود بؤرات ملتهبة فى الجسم يساعد على استعداد عضلاته لمثل هذا الالتهاب ، كما هو الحال فى المصابين بالتهاب مزمن باللوزتين

او الاسنان او المجاري البولية ،لذا كان من الواجب البحث عن هذه البؤر عند علاج مثل هذه الحالات •

ولقد وجد انه في بعض الحالات يكون هناك نتوء في الياف العضلات المصابة ، مع وجود بروز دهني من الاغشية المحيطة بها مما يسبب هذه الالام •

ولقد لوحظ كذلك ان اصابة مثل هذه العضلات يكون منتشرا في بعض العائلات مما يشير الى ان هناك اسبابا وراثية تكمن في العضلات المصابة تظهر عند تعرضها لاسباب اخرى •

مثل هذا المرض الطارىء او المزمن بالعضلات يحتاج الى معرفة الاسباب التي ادت اليه واستئصالها ان امكن او معالجة هذه الاسباب ، ثم ان الالم بها تخف حدته بتعاطي المسكنات في هذه الاحوال واهمها مركبات تحتوي على حامض السلسليك مثل الاسبرين وكذلك تقل حدة المرض بتدفئة العضلة المصابة او تدليكها ودهنها بالدهن الخاص الذي يلطف من الالام ويساعد على زوالها •

وعضلات الصدر ايضا

وتجدر الاشارة هنا الى مرض يصيب عضلات الصدر التي بين الضلوع وتسبب آلاما مبرحة حتى انه لو اصابت هذه الالام اعلى البطن لاختلط على الاطباء تشخيص المرض ، وربما فتح البطن خوف حدوث اسباب جراحية للاسراع في معالجتها ، ولكن يتضح بعد ذلك انه كان راجعا لالتهاب العضلات ، ومما يسبب صعوبة تشخيص المرض انه يكون مصحوبا بارتفاع في درجة الحرارة ، ويعاني منه الاشخاص في السن ما بين العاشرة والثلاثين، وتستمر الالام الى بضعة ايام ربما قاربت الاسبوع، ثم يبدأ في التحسن والتلاشي دون ان يترك وراءه اية مضاعفات ،وعلاج مثل هذه الحالة يكون بتعاطي المسكنات الى ان يشفى المريض •

اهمية التنفس الاصطناعي

وهناك امراض تصيب العضلات ، ولا يعرف الى الآن كنهها ولا سببها ، فيحتار المريض ويحتار الطبيب معه •• وهذه الامراض تعرف بامراض تاكل او ضمور العضلات ، ومعظمها وراثي • ويحدث في صغار السن ، فتجد مجموعة من العضلات ربما تكبر وتتضخم في بادىء الامر لوجود مواد دهنية بين اليافها • ومع انها ضخمة الا انها ضعيفة لم تتلاشى هذه المواد الدهنية وتضمر العضلة ويزداد ضعفها • وقد اعطى لهذه الامراض اسماء مكتشفيها ، فربما اصابت عضلات الوجه مع عضلات الرقبة والكتف ، او تصاب عضلات الكتف والصدر والذراع من اعلى وفي بعض الاحيان تصاب عضلات الاطراف من اسفل الذراعين او اسفل الساقين •• ويستمر المرض لسنوات عدة الى درجة لا يقوى المريض معها على الحركة ، فيضطر في النهاية الى ان يصبح قعيدا اسير الفراش لا يقوى على شيء ، وربما اصيب في نهاية الامر بالتهاب رئوي سبب له الوفاة •• ومع ان الطب يتقدم فما زلنا نجهل كنه هذه الامراض ، وما زلنا نتخبط في علاجها دون وصول الى اصلها ومعرفة كنهها ، وكل ما يعطى للمريض هو مقويات تساعده على ان ينشط بعض الشيء وعلاج المضاعفات عند حدوثها •

ولعل من اغرب امراض العضلات ايضا ذلك المرض الذي يسبب ضمورا في العضلات وفي الوقت نفسه يسبب تقلصات شديدة بها تستدعي الجهد الشديد ليتغلب المريض على ارتخاء هذه العضلات والقيام بوظائفها • وهي ايضا لها علاقة بالوراثة ، وبعضها يكون مصحوبا بضمور في الخصى وعتامات بعدسة العين والبعض الاخر لا يحدث فيه ذلك • ولعدم معرفة كنه هذا المرض ايضا نجد الطب يتخبط في علاجه دون ما جدوى ، اللهم الا اعطاء ادوية تساعد على ارتخاء هذه العضلات حتى لاتحدث بها تشنجات شديدة تمنع المريض من الحركة ،وياخذ المرض مداه ، وربما امتد الى سنوات وسنوات بل وربما اثر على المريض مرض آخر من شانه ان يودي بحياته،وليس له علاقة بمرض العضلات الذي يعاني منه •

امراض تصيب الياف العضلات

امراض العضلات التي تحدث نتيجة لالتهاب في بعض الياف العضلات والتي تعرف باسم Collagen diseases

وتكون مصحوبة بآلام شديدة في العضلات مع ارتفاع في درجة الحرارة ، وربما اصيب الجلد

فوق العضلة مع تقلصات شديدة به ، ثم يحدث ضمور فى العضلات تدريجيا ، وربما امتد المرض الى العضلات غير الارادية فى الامعاء وغيرها ، وسببت اعراضا لها علاقة بالاعضاء التى تصيبها، ولهذا السبب كان الخطر دائما يكمن فى مثل هذه الامراض • وتتحسن حالة المريض بعض الوقت ليقابل نكسة اخرى ، وهكذا •

ولقد وجد ان المريض يستفيد باعطائه مركبات الكرتيزون وغيرها بعض الوقت ، ولكن سرعان ما يتوقف مفعول هذه المركبات ، ويضطر المريض الى ان ياخذ كميات كبيرة منها دون حدوث الفائدة المرجوة ، او ربما بطل مفعولها وزادت مضاعفات المرض واودى بحياة المريض •

مرض تراخى العضلات

وهناك مرض غريب ايضا يصيب العضلات فى بعض العائلات ، ويحدث ذلك على فترات ، وربما لفترة قصيرة او طويلة حسب كل حالة ، فيجد المريض نفسه لا يقوى على الحركة ، ويصاب بشلل فى عضلات جسمه ، وبعد فترة يستعيد المصاب الحركة لتعاوده من ان الى اخر • فى بعض هذه الحالات وجد ان مادة البوتاسيوم تقل فى المصاب ، وباعطائه البوتاسيوم تتحسن حالته بسرعة ويمكنه الحركة ، مع ابتعاد المريض عن الاسباب التى تؤدى الى هذا الشلل الوقتى كالاجهاد ، او التعرض للبرد الشديد ، او تعاطى كميات كبيرة من الحلوى او الجوع الشديد ، او الاضطرابات النفسية •

وفى الحالات التى تصاب فيها عضلات التنفس يحتاج المصاب الى تنفس اصطناعى لبعض الوقت الى ان تعود الحركة للعضلات وتستمر هذه النوبات الى سن ٢٠ ــ ٣٠ ثم تبدأ فى الاختفاء وفى بعض الحالات ربما استمرت النوبات الى سن الخمسين او الستين ، وتستمر النوبة من ١٢ ــ ٢٤ ساعة ، وتتاثر السيقان اكثر من الذراعين ، ويصل الشلل الى اقصى مداه فى حوالى ساعة ، ثم تبدأ الحدة فى النقصان الى ان تنتهى النوبة ، ويعود المريض الى حالته الطبيعية ، وكان شيئا لم يحدث ، لتعاوده بعد فترة من الزمن •• ويكون حدوثها عادة فى الصباح عندما يبدأ المريض فى الاستيقاظ ، فنجد انه لا يمكنه ان يحرك اطرافه •

تاثر العضلات بسبب الأمراض الاخرى

وهناك امراض تصيب العضلات عندما يصاب الجسم بامراض اخرى ، فتنعكس هذه الامراض، وتسبب ضعفا فى العضلات او حتى ضمورا بها كما هو الحال فى امراض الغدة الدرقية •• او شلل الاطفال ، وانواع اخرى من الشلل التى تصيب الجسم والتهاب المفاصل المزمنة ، وما يتبع ذلك من ضمور فى العضلات حولها لقلة استعمالها ، والالتهابات التى تصيب الاعصاب كما هو الحال فى مرض البول السكرى ، وفى بعض السرطانات ، وغير ذلك من الامراض المختلفة ، وعلاج مثل هذه الحالات يتوقف على علاج السبب ــ ان امكن ــ الذى سبب حدوث هذا الضعف او الضمور فى العضلات •

على ان هناك امراضا عديدة تصيب العضلات، اثرت ان لا اتعرض لها لكثرتها ، ومنها على سبيل المثال الاورام التى تصيب العضلات •• وذلك حتى لا يقع القارىء فى متاهات هذه الامراض ، ويظن البعض كما هى العادة ، انه يعانى منها ، فهى صعبة التشخيص لاول مرة ويحتاج تشخيصها الى فحوصات عدة منها ، المخبرية او الشعاعية ، وحتى ذلك ربما لا يكفى وربما احتاج الامر لاستعانة بالاجهزة الكهربائية او حتى اخذ عينة من العضلة وفحصها •

واحب ان انوه هنا قبل ان اختتم مقالى ، اننى لم اتعرض الى واحد من اكثر امراض العضلات انتشارا الا وهو الناتج من اصابات العضلات وتعرضها للشد ، او الالتواء ، او حدوث تقطع بها ، فهذا من اختصاص المختصين فى امراض الحوادث والاصابات •

هذه هى بعض امراض العضلات اضعها امام قارىء « العربى » ، راجيا ان لا يطبقها على نفسه او ان يتصب نفسه خبيرا ويشخص المرض لغيره ، فياحبذا لو رد الشىء الى اصحابه ــ كما يقولون ــ لابداء الرأى السديد ، والعلاج السليم قبل فوات الاوان • ■■

د • محمد محمد ابو شوك

العاطفة عند الغزالي

محبة الله ومحبة الجمال

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريده

كان الامام الغزالي رحمه الله بطلا من أبطال الفكر بمعناه المطلق ، لكن دراسة أبي حامد للنفس الانسانية وأخلاقها وخلجاتها في شتى أحوالها وللمشاعر في مجال العلاقات الانسانية الخاصة ، كما تتجلى في حياة الأسرة ، والعامة كما تتمثل في آداب الأخوة والألفة والصحبة والمعاملة مع الجميع الناس ، تدل على علم وتذوق لحياة القلب والروح من طراز فريد .

وآثار فيلسوفنا وتطور مجرى حياته ومواقفه فيها توحي للمتأمل أنه كان مرهف الحس ، لكنه كان إنسانا متوازنا في نفسه بين ما يقضي به العقل وبين حاجات العاطفة الانسانية .

واذا كان « حجة الاسلام » قد ترك التدريس في « المدرسة النظامية » ، أكبر معاهد العلم في ذلك العصر ، رغم ما كان له فيها من شأن وما أصابه من نجاح ، وخرج من بغداد ، تاركا الاهل والولد أيضا ، فانه فعل ذلك تحت وطأة عاطفة لا تقاوم من شوق الروح الى اليقين والسكينة والاطمئنان إلى حياة وأعمال خالصة من شوائب الحياة الدنيا وغاياتها .

ورجع أبو حامد الى وطنه ، هادىء النفس ، وقد تخلص من أزمة وقوف الروح بين جوانب الدنيا الزائلة ودواعي الآخرة وحياة الابد . فلما دعاه الوزير ضياء الملك بن نظام الملك ، عام ٥٠٤ هـ ، الى معاودة التدريس في النظامية ، كان مما اعتذر به أن له تلاميذ وجلساء من « أرباب القلوب » ، الفقراء المتورعين ، لا يجب أن يحرمهم من رعايته وارشاده ويتركهم بقلوب مجروحة .

وهكذا توجت حياة المفكر الكبير بالعاطفة الرقيقة وتكاملت أخلاق روح متوثبة نادرة المثال .

ويتجلى شأن العاطفة عند حامد في ميادين شتى ، من أهمها :

- المحبة ، محبة الله وحب الجمال في مظاهره السامية .

- تذوق جمال الأصوات والانغام والألحان .

محبة الله

في المجلد الرابع من « إحياء علوم الدين » يتكلم الغزالي في محبة العارفين لله تعالى وشوقهم إليه وأنسهم به ورضاهم بما يصنعه بهم . وهو يشرح كل هذه المفهومات والمشاعر شرحا وافيا ، فيه تحليل رائع وعمق وغزارة في المادة ودلالة على أن أبا حامد قد عرف ما يتحدث عنه ذوقا روحيا عميقا ، لا مجرد معرفة لفظية .

يبتدىء أبو حامد كلامه بوصف حال المحبين لله وبيان علو مقام المحبة ةوأنها « الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها ، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها ، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها » .

ثم يرد فيلسوفنا على بعض العلماء الذين ينكرون إمكان محبة الأنسان لله ، زاعمين أنه « لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله » « وأما حقيقة المحبة فهي مستحيلة في حق الانسان إلا مع من هو من جنسه ومماثل له . فلما أنكروا المحبة أنكروا توابعها من الشوق والأنس ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب .

ومن الطبيعي أن يحب الانسان خالقه حبا يليق به تعالى ، وقد دعى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الى محبة الله ومحبة الانسان . وقد أكد القرآن المحبة بين الله والانسان ، كما أكد ذلك حديث الرسول ﷺ . أما أبو حامد فهو يجعل المحبة موضوع كتاب برأسه من كتب « الاحياء » ، ويفصل الكلام في حقيقة المحبة بمعناها المطلق ، وأسبابها ، وأنه لا يستحق المحبة بمعناها الحقيقي إلا الله ، ويبين أن أعظم اللذات النظر الى ذات الله ، ويشرح الأسباب التي تقوي المحبة لله ، ومعنى محبة الله للانسان ومحبة الانسان لله ، وكل ما يقترن بذلك من أحوال ومفهومات ، شرحا شافيا يحرك أعظم العواطف على أساس من المعرفة وتصور الفكر .

وبعد أن يذكر أبو حامد شواهد الشرع على حب العبد لله وشيئا من كلام أهل المحبة ، ويشرع في بيان حقيقة المحبة وأسبابها ، على أصول وأسس يرتبها :

أولا : فيبتدىء بتعريف الحب بأنه عبارة عن « ميل الطبع الى الشيء الملذ ، فإن زاد ذلك الميل وقوي سمي عشقا » ، ويعرف البغض بأنه عبارة عن « نفرة الطبع عن المؤلم المتعب ، فإذا قوي سمي مقتا » .

والمحبة لا يمكن تصورها إلا على أساس من المعرفة والادراك ، ، وهما لا تكونان إلامن كائن حي يتصور ويشعر ، فلا يتصور أن يصدر الحب عن جماد . وهنا يخالف أبو حامد الفلاسفة الذين تكلموا عن عشق المادة للاله ، كما زعم أرسطو وابن سينا بعده .

ثانيا : إذا كان الحب ناشئا عن الادراك والمعرفة فهو ينقسم بحسب القوى المدركة وموضوعات إدراكها .

وللانسان حواس خمس ، لكل منها موضوع تدركه ولذة ببعض ما تدرك ، فتحبه وتميل اليه بطبعها : فلذة العين في الابصار ورؤية الصور الجميلة ، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ...

والى هنا يكون « حجة الاسلام » قد قرر وجود جمال محسوس يلتذ به عضو الحس ، وهذا أحد الآراء في التجربة الجمالية .

لكن للانسان حسا سادسا « مظنته ألقلب ، لا يدركه إلا من كان له قلب » ، وقد يسمى « العقل » أو « النور » ، أو « البصير الباطنة » ، وهو يدرك أمورا معنوية لا تدركها الحواس ، منها الأمور الالهية . ويقول الغزالي « إن البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكا من العين ، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار » ، ويريد أبو حامد من ذلك أن يبين أن حب الله أمر ممكن يدركه القلب ، وأن لذة القلب بما يدركه من الأمور الالهية الشريفة ، التي تجل عن إدراك الحواس ، أعظم وأقوى من لذات الحواس . وإنكار ذلك إنكار لما يتميز به الانسان وقعود به في درجة البهائم .

وهنا يكون « حجة الاسلام » قد قرر وجود جمال معنوي روحاني تدركه الروح وتلتذ بإدراكه .

الحب للحب !

ثالثا : الانسان يحب نفسه ، ومن الطبيعي أن يحب غيره لأجل نفسه ، لكن هل يمكن أن يحب غيره لاجل ذاته لا لأجل نفسه ؟ . ويثير أبو حامد هذا السؤال ، لأن من الناس ، وهو يسميهم « الضعفاء » ، من لا يتصور من الانسان حبا لشيء إلا لحظ يعود عليه . ولكي يثبت أبو حامد عكس ذلك فإنه يشرح أسباب المحبة ، وهو يحصرها في خمسة أسباب :

١ ـ أول محبوب عند الانسان ، وعند كل حي ، ذاته ونفسه ، بمعنى أنه يحب وجوده واستمرار وجوده حبا طبيعيا ، لأن الوجود محبوب لذاته ، ولذلك يحب الانسان أبناءه اعتقادا منه بأن في بقاء نسله نوع بقاء له ، وهو لا يؤثر الموت إلا فرارا من آلام الحياة . ويحب أيضا كمال وجوده ـ بالصحة والعلم مثلا ، ويحب المال والاهل والاصدقاء ، لأنها كلها تساعد على دوام الوجود وكماله .

٢ ـ الاحسان ، فالانسان يحب كل من يحسن اليه ، ويبغض من يسيء اليه ، وهذه فطرة إنسانية ، وهذا عند التحقيق يرجع إلى السبب الاول ، لان المحسن يساعد على دوام الوجود أو كماله .

٣ ـ الحب لمن هو محسن في نفسه ، وأن لم يصل احسانه إلى المحب .

٤ ـ الجمال والحسن ، فإن كل جمال محبوب عند من يدركه ، سواء كان الجمال صورة ظاهرة محسوسة أو صورة معنوية يدركها القلب ، والحب الحقيقي للجمال حب له لذاته ، لا لحظ يعود على المحب ، وهو غير الاشتهاء ، وسيأتي مزيد بيان لهذا كله .

٥ ـ الحب على أساس مناسبة ومشاكلة بين المحب والمحبوب ، « لان شبه الشيء منجذب اليه ، والشكل الى شكله أميل ، وذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ، ويألف الطير نوعه ... وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف ، وهذا أمر تشهد به التجربة » .

والمناسبة قد تكون في أمر ظاهر ، مثل مناسبة الصبي للصبي ، وقد تكون في أمر خفي من المعاني الباطنة ، وهي من عجائب أساليب المحبة التي لا يمكن شرحها بالكلام ، ومن ذلك ما يشير إليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

رابعا : ثم يشرح الغزالي ، في فصل ممتع حقا ، « معنى الحسن والجمال » ، مشيرا في أوله إلى ما يظنه المحبوسون « في مضيق الخيالات والمحسوسات » من أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال الانسان ، فان الحس الاغلب على الخلق حس الابصار ، وأكثر التفاتهم الى صور الاشخاص ، فيظن أن ماليس مبصراً ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يُتصوّر حسنه ، واذا لم يُتصوّرْ حسنه لم يكن في إدراكه لذة ، فلم يكن محبوبا » .

يقول فيلسوفنا إن هذا خطأ ظاهر ، لأن الحسن ليس مقصورا على الملامح التي تقدم ذكرها ، فصفة الحسن تطلق على الخط الجميل وعلى الاصوات والثياب وعلى الحيوانات فيقال : هذا خط حسن ، وهذا فرس حسن ، ونحو ذلك فأي معنى لحسن هذه الاشياء إذا لم يكن الحسن إلا في صورة تدركها العين من النوع الذي تقدمت الاشارة اليه ؟

يقول أبو حامد إن العين تستلذ النظر إلى الخط الجميل ، والأذن تستلذ استماع النغمات الطيبة ، « وما من شيء من المدرَكات الا وهو منقسم إلى حسَن وقبيح ، فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء ؟ »

وضع الغزالي هذا السؤال الذي يتفق مع الرأي الفلسفي الثابت من أن الجمال أحد القيم التي تعتبر « قيما عالية » مثالية ـ trans cendental values ، لأنه ما من شيء يوصف بها أو بضدها .وسيجيب فيلسوفنا على هذا السؤال .

وقد كان فلاسفة سابقون ، مثل أفلاطون وأرسطو وغيرهما ، قد تكلموا في الجمال ، فقال أفلاطون أن الجمال الذي نشاهده في الاشياء عبارة عن مشاركة لها في مثال الجمال الذي يتصوره أفلاطون في عالم وراء هذا العالم المحسوس ، وهو « عالم المثُل » ، وعند أفلاطون أن للفنون والمعارف والنفوس ، جمالها الخاص بها .

أما تلميذه أرسطو فإنه ينظر إلى الواقع المحسوس ، ويرى أن سمات الجمال في الكائن الحي ، وفي كل ما هو مركب من أجزاء ، هي الوحدة والتناسب بين الاجزاء والحجم المناسب والاشراق .

أما أبو حامد فانه في « الاحياء » يذكر من صفات الجمال في الصورة المحسوسة ما تقدمت الاشارة اليه ، ويذكر في « ميزان العمل » من ملامح الجمال الظاهر في الانسان « ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه ، بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها » .

لكن فيلسوفنا يبحث عن تحديد لمفهوم الجمال المشترك بين الاشياء المتنوعة التي تقدم ذكرها وتوصف بالحسن ، فيقول :

« كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال ، وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر . فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه ، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها . ولكل شيء كمال يليق به ، وقد يليق بغيره ضده .... فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب ، وكذلك سائر الأشياء » .

معيار شامل للجمال

ونحن نلاحظ هنا اجتهاد الغزالي في وضع معيار عام شامل للجمال . ولا أعرف ، في حدود علمي ، أن احدا قبله وضع هذا المعيار . ومن أهم ما فيه أن جمال الشيء يكون بحسب ذاته من جهة ووظيفته من جهة أخرى .

لكن كل هذه السمات من الجمال خاصة بالمحسوسات . والغزالي مهتم باثبات الجمال المعنوي الذي لا تدركه الحواس وإنما يدركه العقل أو « البصيرة الباطنة » ، ومنه جمال المعنويات بوجه عام والجمال الالهي بوجه خاص .

ولذلك فان أبا حامد يجيب على اعتراض من ينكرون وجود جمال لا تدركه الحواس فيقول :

« اعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات : إذ يقال : هذا خلق حسن ، وهذا علم حسن ، وهذه سيرة حسنة ، وهذه أخلاق جميلة ، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير . وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس ، بل يدرك بنور البصيرة الباطنة ، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة ، والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته » .

ويستدل فيلسوفنا على ذلك بحب الناس للأنبياء وأفاضل الصحابة وحب علماء المذاهب الذين كانوا أهل علم وتقوى وإفاضة للخير وإرشاد للناس ، ويذكر أنه يبلغ من محبة الناس للعلماء أن يضحوا في سبيل اتباعهم ونصرة آرائهم تضحيات كبرى .

ومن المعلوم أنهم لم يروا أولئك العلماء ، ولا عرفوا صورهم المحسوسة ، وإنما عرفوا أخلاقهم وفضائلهم النفسية والدينية .

وهذا هو أساس تمييز أبي حامد بين الجانب المادي المحسوس في شخص الانسان والجانب المعنوي ، أو ـ كما يختار هو الاصطلاح ـ بين « الصورة الظاهرة » و « الصورة الباطنة » ، وهذه الأخيرة عبارة عن جملة خصال حميدة ، عقلية وخلقية ، تكون الشخصية الجميلة التي من عرفها لم يملك نفسه من أن يحبها ، أيا كانت .

فالحسن والجمال ظاهر وباطن ، وكذلك الصورة الجميلة .

إن كل ما يقوله أبو حامد عن الجمال ، وخصوصا عن الجمال المعنوي ، تمهيد للكلام عن الجمال الالهي الذي هو من أسباب المحبة لله ، الى جانب كماله وجلاله وإحسانه ، بحيث يكون الله تعالى عند من عرفه حق المعرفة هو وحده المستحق للمحبة بالحقيقة .

وليس معنى هذا أن الأشياء الجميلة بالمعنى العام الشامل للجمال ليست محبوبة لجمالها ، بل المقصود هو أن محبة غير الله أن تكون من جهة نسبتها الى الله « ومن

أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله » ، لأن الله هو الاصل ، وهو مبدع الأشياء وحافظها ومجملها بالحسن بكل صوره .

ويبين أبو حامد ، بالرجوع الى أسباب المحبة التي تقدم ذكرها ، أنه « لا محبوب عند ذوي البصائر الا الله » ، وكل تلك الاسباب « مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ، ولا يوجد في غيره إلا آحادها ، وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في غيره وهم وتخيل ، وهو مجاز محض لا حقيقة له » ، وهذا على خلاف مايتخيله « ضعفاء العقول والقلوب » .

وقفه عند الأسباب

ويتناول فيلسوفنا أسباب المحبة واحدا واحدا ، فيجد أنها متحققة بالمعنى الكامل المطلق في حق الله تعالى .

١ ـ فاذا كان العارف يحب وجود ذاته وبقاءها وكمالها ، فان ذلك يقتضي غاية المحبة لله ، لأن ذاته وبقاءه وكماله مستفاد من الله ، وأثر من آثار قدرته ، شأن كل شيء ، لأنه « ليس في وجود شيء له بنفسه قوام إلا الحي القيوم الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به » ، ومن خلا قلبه عن حب ربه ، فذلك لأن قلبه مشغول بنفسه وشهواته ، ذاهل عن خالقه .

٢ ـ وأيضا اذا كان الاحسان من أسباب المحبة للمحسن ، فان الله تعالى هو المحسن لخلقه بأنواع الاحسان التي لا يحيط بها الحصر ، « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وكل من أحسن من الخلق فهو ليس محسنا بالحقيقة ، بل من إحسان ربه اليه ، ابتداء باعطائه الوسائل ، وبفضل توفيق الله له .

٣ ـ وأما المحبة للمحسن في نفسه ، فان الله هو المحسن لجميع الخلائق ، بايجاده لهم وترفيههم وتنعيمهم بأسباب النعيم ، وتجميلهم بضروب الزينة ، والغزالي يفصل في ذلك ، مشيرا الى بدائع الصنع الالهي وإحكامه .

٤ ـ وأما حب الجمال لذات الجمال ، فان الجمال الالهي من النوع الذي تعرفه القلوب والبصائر ، وإذا كان في المخلوقات جمال تتعشقه القلوب فانه من آثار صفات الكمال والجمال الالهي ، القدرة والعلم والقداسة .

٥ ـ وأما المناسبة الخفية التي بين المحب والمحبوب فهي ليست مناسبة ترجع الى الصورة أو الشكل ، بل الى معان غير محسوسة يدركها الانسان بالذوق في أثناء سلوكه الى الله . وفي الانسان خاصة هي « الروح » وهي أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق ، « ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي » . وفي القرآن قول الله تعالى في حق آدم :

« فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » . فهذه الروح هي التي تجعل الانسان مستعدا للقرب من الله تعالى بالاقتداء به في الصفات ، من العلم والبر والرحمة على الخلق بالاحسان اليهم ، وهي أساس المناسبة ، والغزالي يقصد ، بطبيعة الحال ، أن الله أظهر في الانسان صفات خاصة تجعله أهلا لمعرفة الله ومحبته ، وهو يرفض كل ما تصوره « القاصرون » من تشبيه الله بالانسان أو قول بالاتحاد أو الحلول أو نحو ذلك .

ومحبة الانسان لله على أساس ما وضعه الله في فطرته من استعداد هي أعظم المحبة وأقواها وأعزها وجودا .

ويشرح أبو حامد باسهاب سمو لذة المعرفة بالله والنظر الى وجهه الكريم ، على أساس « أن لذة العلم بقدر شرف العلم وأن شرف العلم بقدر شرف المعلوم » ، ولا أشرف من العلم بالله وبأسرار الربوبية وعالم الملكوت .

لذة المعرفة هنا لذة روحانية ، وهي قمة لذات ابن آدم التي تبدأ عند الطفل بلذة اللعب ، تأتي بعدها لذة الزينة ثم لذة الجنس ، وبعدها لذة الرياسة ، ثم لذة العلم والمعرفة التي أعلاها لذة معرفة الامور الالهية ، وهي تكون مع سن الاربعين .

وينتهي أبو حامد من الكلام في المحبة بأن يقول أن أصل المحبة ، لله موجود في كل قلب ، لكن المحبة تتفاوت بمقدار قوة المعرفة بالله وانصراف القلب عن محبة غيره إلا من جهة نسبته اليه تعالى .

أما محبة الله للانسان فهي ليست بالمعنى الانساني

الذي هو « ميل النفس إلى موافق ملائم » ، لان هذا نقص ، والله كامل في وجوده وجلاله وجماله ، فهو منزه عن ذلك ، وإنما المحبة الالهية للانسان هي أن يكشف الله عن قلبه الحجاب حتى يعرفه حق المعرفة ويراه رؤية روحانية ويتمكن في مقام القرب منه .

حب الجمال

أما حب الجمال في فلسفة الغزالي فهو من أشيق جوانب فلسفته . ولا عجب أن يكون لحجة الاسلام ولغيره من علماء الاسلام آراء في الجمال .

فالشعور بالجمال فطرى في الطبيعة البشرية ، وإن انفعال الانسان بالجمال منذ بدء حواسه في الادراك وتعلق أرواح الاطفال البريئة بكل جميل تدركه حواسهم أبلغ دليل على فطرية المتعة الجمالية في طبيعة الأدمي الرائعة .

وإذا نحن صرفنا النظر عن مظاهر حب الجمال وإبداع الصور الجميلة عند البدائيين ، فإننا نلاحظ عند شعراء العرب في الجاهلية قوة انطباع أرواحهم بالجمال ووصفهم لدقائق ما وقعت عليه حواسهم من محاسن ، وهم قد وصفوا الجمال المعنوي الذي يتجلى في صفات النبل والمآثر ، كما وصفوا الجمال الحسي .

فلما جاء القرآن كان مداره حول الحق والخير ، لكنه نبه الاحساس بالجمال ولفت النظر إلى مظاهره في السماء وزينتها والأرض وبهجتها بما عليها ، وتكلم عن « زينة » الحياة الأخرى . وفي القرآن إشارة إلى التجربة الجمالية المذهلة التي فيها يفنى متأمل الجمال عن نفسه . (سورة يوسف)

وفي القرآن وصف جمال الفضائل ، من « صبر جميل » ووصف الاعمال الطيبة بأنها حسنات وبأسماء الله بأنها « الحسنى » .

وقد عبر الاسلاميون عن انطباعات نفوسهم بمظاهر الجمال وتكلموا في المحاسن سواء في صورة الانسان أو في الكلام من شعر ونثر أو في بعض الفنون كالغناء ، ولكنهم لم يضعوا انطباعاتهم ولا إحساسهم بالجمال في نظريات ـ وكلامهم في الحسن موجود في أمهات كتب الأدب مثل كتاب « المعارف » لابن قتيبة وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه .

ومن الذين تكلموا في الجمال والتجربة الجمالية قبل الغزالي ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) فهو في كتابه « الاخلاق والسير » يعقد فصلا قصيرا في « صباحة الصور » وفيه يتكلم عن مظاهر الجمال ، مما يسميه « الحلاوة » و« الروعة » و« القوام » ونحوها ، فيعرفها . وكلامه يشبه تعريف العلماء الاوروبيين لمعاني الحسن التي يعبر عنها بكلمات مثل : Beau, Joli Charmant, Gracieux, في اللغة الفرنسية .

ويرى ابن حزم أن الجمال أو الحسن لا يمكن تعريفه بأكثر من ذكر اللفظ ، لانه شيء تدركه النفوس وقيل إنه وهو « برد مكسو على الوجه » .

ونظرية ابن حزم في المتعة الجمالية ، كما وصفها في كتابه « طوق الحمامة » ، هي أن النفس بطبيعتها جميلة ، ولذلك فهي تحب الجمال وتتعشق الجميل .

فلما جاء أبو حامد تناول الجمال في « الاحياء » على النحو الذي تقدم بيانه ، وزاد في « ميزان العمل » أن الجمال يدل في الغالب على جمال في النفس يشرق على البدن . ولذلك تعرف أخلاق الانسان من ملامحه ، وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس ، كما يقولون .

ومن أهم ما في الأمر أن الجمال في نظر حجة الاسلام موضوع حب من النوع السامي ، يقول أبو حامد إن أحد أسباب المحبة أن الانسان يحب الشيء « لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه ، وذلك كحب الجمال والحسن ، فإن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال ، وذلك لعين الجمال ، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة ، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها » .

لذة الروح

ويؤكد « حجة الاسلام » هذا ، ويبين استقلال حب الجمال لذاته عن حبه اشتهاء له ، بأن يشير إلى محبة مظاهر الجمال في الطبيعة ، وأن النفوس تستلذ النظر الى الماء الجاري وأنواع الأزهار والأطيار الجميلة ، دون أن

يكون مع ذلك اشتهاء ، بل « إن الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر » .

ونحن عندما نتأمل عبارات أبي حامد في وصف التمتع بالجمال نلاحظ شبها في جوهر المعنى ، بل في اللفظ ، بين ما يقوله « حجة الاسلام » وما يقوله الفيلسوف الالماني كنت Kant من أن المتعة الجمالية « سرور لا مأرب وراءه » intexesseloses Wohlgefallen وأن في هذه المتعة غايتها دون غاية أخرى Zweckmassigkeit ohne Zweck .

وقد قص علينا أبو حامد من أحوال أهل المحبة والشوق ومن مكاشفاتهم وما غمر قلوبهم من النعم الالهية أمورا غريبة وجميلة حقا ، وهي جديرة بأن يتأملها الفلاسفة وأن يجعلها العلماء موضوع دراسة جدية ، في ضوء المعرفة بالنفس الانسانية وأسرارها .

وإن الانسان ليعجب كيف وصل أولئك القوم الى تلك الأحوال التي لا يعرفها ولا يتصورها من كل همهم الجري وراء الأشياء ، هاربين من قلوبهم التي في صدورهم ومن خالقهم الذي أعطاهم الحياة الدنيا بكل ما فيها ، فنسوا المعطي واستغرقوا في العطية .

تكلم « حجة الاسلام » في الجمال ، وفي الجمال الالهي ، ورفع تأمل الجمال إلى مستوى لذة روحية عليا قائمة على معرفة بعناصر الجمال والجمال الحقيقي الأعلى ، وبذلك فتح الباب أمام من جاء بعده من مؤلفين إسلاميين تأثروا به ومن شعراء صوفيين هاموا بحب الله وتحدثوا عن جماله وعبروا عن الأفكار النظرية بشعر عاطفي .

لكن أبا حامد كان ، على عمق روحانيته وأبعادها الكبيرة ، مفكرا متفلسفا يغلب عليه المنطق والتحليل الفكري ، فتكلم عن الحب في بساطة الأسلوب العلمي ، وبذلك أثرى الموضوع بالأفكار ولطائف أحوال القلوب في وقت واحد .

وما من شك في أن كثرة ورود لفظ الحب والجمال والبهاء على لسانه وتأكيده للمحبة الحقيقية ولطبيعة التجربة الجمالية السامية ، وكذلك تصوره للجمال المعنوي ، كما يبدو في الشخصية الانسانية صفات من العلم والتقوى وسائر خصال الخير ، وكما هو متحقق لله تعالى في صفات الكمال الفريد والجلال الأعلى والجمال الأسمى والقداسة المطلقة ، وهي كلها صفات يتضمن بعضها بعضا ، كل ذلك يدل على أن روح « حجة الاسلام » قد أشربت إدراك الجمال ومحبته ، ولو أنه كان شاعرا لجاء في كلامه عن تجربته بأروع المعاني .

ومن المؤلفين الذين اقتبسوا من آرائه عبد الرحمن بن محمد الأنصاري القيرواني المعروف بابن الدباغ (ت.٦٩٦ هـ) في كتابه « مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب » (حققه ونشره المستشرق الألماني هـ . ريتر ، بيروت صادر ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م) . وهو في هذا الكتاب أخذ أفكارا لأبي حامد وفصلها وأضاف في تفصيلها أفكاره وإحساسات روحه وتجاربه ، وهو يحتاج الى دراسة تحليلية قائمة بذاتها .

أما الذي تغنى بحب الله وبجماله فهو عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) . وإذا كان أبو حامد يقول بكل بساطة إن كل ما في المخلوقات من صفات مظاهر لتجليات الصفات الألهية ، فان ابن الفارض يقول :

وصرح بإطلاق الجمال ولا تقل
بتقييده ، ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها
معار له بل حسن كل مليحة
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر
فظنوا سواها ، وهي فيها تجلت

وتحدث أبو حامد عن لذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية وأسرار الأمور الالهية ونظام الملكوت ، وهو يقول « إن العارف لا يزال من مطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض » .

والانسان يعجب كيف يمكن أن تلتقي المعرفة العقلية بالأحوال الروحية على هذا النحو ، لكن العقل لا يتجاوب مع القلب إلا عند الشخصيات الفذة المتكاملة التكوين ، كما كانت شخصية « حجة الاسلام » رحمه الله . ■■

محمد عبد الهادي أبو ريده

الانطباعية قريباً من

مزيع الضفادع

بقلم : الدكتور علي راشد

كنت وما زلت لا اقرب الفنون الا من زاوية « آدابها » ، ولا آخذ منها ـ بالتذوق ـ الا ما هو متاح لمثلي . وفي هذه الحدود فقد تبينت على سبيل اليقين ان « الانطباعية » ـ وليس « التأثيرية » كما هو شائع في لغتنا ـ هي الترجمة العربية الصادقة لفظا ومضمونا لكلمة فرنسية ذاعت منذ مستهل السبعينات من القرن الماضي .

■ عندما تقدم الفنان ـ الشاب حينذاك ـ « كلود مونيه » الى صالون موسمي كبير للعرض بلوحة تصور بزوغ الشمس على نحو في الشكل واللون عجيب ، وقد خط تحتها عبارة « انطباع (impression) ... بزوغ الشمس » . فرفضت اللوحة كما رفضت لوحات اخرى لزملاء له من جيله ، وكان من بينهم ـ ويا للعجب ـ « اوجست رنوار » و « ادواد مانيه » وغيرهما من العمالقة المشاهير فيا بعد ، والذين تباهي بلوحاتهم ـ حتى « المرفوضة » جدران متحف اللوفر بباريس حاليا . وانبرى احد الصحفيين يهزأ بهذه الزمرة من شباب الفنانين « المرفوضين » ويصفهم في سخرية لاذعة بجماعة « الانطباعيين » اشتقاقا بالذات من كلمة « انطباع » التي اطلقها « مونيه » . ولم تكن هذه اللوحات « المرفوضة » الا انسياقا حادا في تيار « الرومانتية » ـ بمعنى الذاتية الحالمة في التعبير الفني ـ الذي غشى الفنون والآداب في القرن التاسع عشر منذ بدايته . وكان ذلك الاتجاه قد بدأ يتسرب الى مجال التصوير باللون على ايدي افراد من الجيل السابق على « مونيه » واقرانه ، هجروا المراسم وما يكبلها من قواعد وقوالب وانماط والوان استقرت عليها « التقاليد » وشكلت ما يعرف في تاريخ الفن « بالكلاسية » ، وخرجوا

يضربون في الخلاء للقاء الطبيعة البكر بهدف اقتناص مظاهرها الخلابة ورصد الوانها المتغيرة بتأثير انعكاس ضوء الشمس على الكائنات في فترات النهار المختلفة بين الشروق والغروب ، والمتباينة من راصد لآخر تبعا لما يقع ـ او « ينطبع » ـ في حس كل انه يراه . فالانطباعية بهذا اللفظ وما يحمله من معنى هي اذن في اصل نشأتها اتجاه رومانتي خاص في مجال التصوير باللون ، امتد بعد ذلك بطريق الميل الى التعميم الى مجالات اخرى في الفنون التشكيلية او التعبيرية بما في ذلك الموسيقى . ولا اعتراض بداهة على هذا الامتداد ، وان كنت عاجزا حقيقة عن الاقتناع بمصطلح « التأثيرية » الذي شاع في لغتنا على السنة المتحدثين واقلام الكاتبين بديلا من « الانطباعية » او حتى مرادفا لها . على ان « الانطباعية » بمفهومها الاصيل ـ وهذا دليل آخر على اصل نشأتها في مجال التصوير باللون ـ لم تلبث طويلا عند صيغتها الاولى التي بلورها « كلود مونيه » على نحو ما سيتضح فيما يلي من استطرادات . فانها سرعان ما فتحت الباب واسعا لاتجاهات اخرى في هذا المجال خرجت من تحت جناحيها وتدرجت متصاعدة في الغرابة ، من « التنقيطية » و « التكعيبية » وغيرهما ، حتى انحدرت الى ما يلامس العبث في ايامنا .

ولم يكتف « كلود مونيه » باطلاق اللفظ الذي صار عنوانا لمدرسة كبرى في التاريخ الحديث للفنون ، ولكنه راح يرسي اسس هذه المدرسة بتجارب رائدة سجلها في العديد من لوحاته الخالدة . من ذلك لوحة « زهور الخشخاش » البرية وهي تعربد في الحقول بلونها الاحمر الناري كأنها احتفال بمولد الربيع تضيئه شموع جهنمية لا حصر لها . وتجربته الفريدة على كاتدرائية « نوتردام » بباريس عندما عمد الى تصويرها في اوقات مختلفة من النهار ، وخرج من ذلك بمجموعة من اللوحات متباينة الشكل واللون لذات الموضوع . ومن الآثار التوثيقية الكبرى كذلك عن نشأة « الانطباعية » لوحة « طاحونة الجاليت » « لأوجست رنوار » ، الذي جمعته بكلود « مونيه » ـ فضلا عن النزعة الانطباعية ـ صداقة وطيدة في الفترة الباكرة من حياتهما الفنية . فبعد ان فرغ « رنوار » من لوحته الخالدة هذه سأله بعض اصحابه ، الذين ادرجهم بين الشخوص العديدة التي احتوتها اللوحة ، عن ذلك اللون العجيب لثوب الفتاة التي كانت تتصدرها وهي تراقص ضابطا شابا ، وكيف انه جاء مغايرا تماما للون الذي اجمعوا على انهم رأوه في ضوء النهار الساطع . فاجاب الفنان الاشهر ـ وكان ما زال في شرخ الشباب ـ بان اللون الذي سجله في اللوحة هو ما « انطبع » في حسه هو لحظة رؤيته له .

وفي اندفاعة « انطباعية » اكثر اثارة لم يقف « كلود مونيه » عند مجرد هجر مرسمه والخروج الى الخلاء ، بل زاد على ذلك أن هجر مسكنه والمدينة كلها ، واتخذ مسكنا ومرسما في « قارب » صغير ارساه في نهر السين قرب بلدة « بوجيفال » بضواحي باريس . ومن هذا المقر انطلق يتصيد للوحاته مواضيع من الطبيعة المحيطة به من كل جانب . وكان من بين ما سجله تخليدا لهذه المنطقة الرائعة الجمال لوحته عن « السين عند بوجيفال » التي يصور فيها رؤيته الفنية الخاصة لمياه نهر السين وهي تتهادى تحت جسر عتيق . ولوحة اخرى لمقصف عائم كان يقصده جمهور الباريسيين في نزهاتهم الخلوية في تلك المنطقة اشتهر باسم « عش الضفادع » (Grenouillere) ، وقد تكون كلمة « خلية » اقرب من كلمة « عش » في اداء المعنى الذي يوحيه الاصل الفرنسي ، لولا ان الضفادع بتكوينها واسلوبها في التحرك لا تنسجم مع الخلايا كما ينسجم النمل او النحل .

وقد عجبت ان يحظى « عش الضفادع » هذا باهتمام « اوجست رنوار » كذلك ، فيصوره بدوره في لوحة لا تختلف عن لوحة صديقه « مونيه » الا في الرؤية الفنية الذاتية لمياه نهر السين شكلا ولونا ، وفي الزاوية التي تناول منها كل من الفنانين ذلك المقصف العائم ، وهو اختلاف يبرز مرة اخرى بالدليل المحسوس صدق النظرة « الانطباعية » . بل ان « رنوار » لم يكتف بتصوير ذلك المقصف التاريخي ، فقد قفز الى ظهره واعمل فرشاته والوانه في ابداع لوحته الشهيرة التي اسماها « الغداء على مائدة البحارة » والتي ضمت عددا من رفاقه ، وصاحبته وهي تحمل بين يديها مداعبة كلبها الصغير الاسود ، وعملاقا عريض المنكبين مستدير اللحية من بحارة المقصف وقف بجوار المائدة متصدرا اللوحة كما لو كان ذلك بقصد توثيق عنوانها . وشغلني هذا الوصف القريب للمقصف العائم ، واهتمام رائدي

الانطباعية به في لوحاتها الى هذا الحد ، فالضفادع ليست على سبيل القطع كائنات تصلح ـ باي مقياس ـ للايحاءات الفنية حتى في مجال « الانطباعية » ومهما كانت شطحاتها . فرحت في محاولة سلاجة للتفسير اتوهم ان افضل ما كان يقدمه ذلك المقصف العائم لرواده من الاطعمة هو حساء افخاذ الضفادع الذي اشتهرت به بعض المطاعم الفرنسية . وتذكرت وانا امر بهذا الخاطر تلك الاماكن التي تشتق عنوانها من أشهى ما تقدمه لروادها او ما تخصصت فيه من الاطعمة ، مثل « الديك الذهبي » او « السمك الفضي » او « كازينو الحمام » وهكذا .

وبقيت زمنا على هذا الوهم كلما تطلعت الى لوحتي مونيه ورنوار عن « عش الضفادع » . الى ان التقيت في قراءاتي عن « الانطباعية » وفي كتابات المعاصرين لها من مشاهير الادباء ـ من امثال « اميل زولا » و « جي دو موباسان » بما لعله يعطي تفسيرا اكثر « عقلانية » لظاهرة ارتباط الضفادع بالاجواء الفنية والادبية في تلك الحقبة ـ التي وصفت بانها « العصر الزاهي البهيج » ـ وارتباطها على التحديد بتلك المنطقة بالذات من ضواحي باريس قرب « بوجيفال » . فقد تبينت ان نهر السين يلتف في هذه المنطقة حول جزيرة صغيرة خضراء اتخذها شباب الباريسيين في ذلك « العصر » مرتعا للهوهم قبل انتقالهم الى المقصف العائم لتناول الطعام . وفي قصة قصيرة ماجنة « لموباسان » تنتهي الاحداث والمصادفات المثيرة بان يقتاد « البطل » فتاته ـ التي اوقعها القدر بين براثنه بعد ان « فقدت » صاحبها الذي ذهب يبحث لها عن كلبها الضائع في متاهات الغابة ـ الى منطقة « بوجيفال » حيث الجزيرة والمقصف . وادركت بعد قراءتي لهذه القصة انه اذا كان « عش الضفادع » ممثلا في المقصف العائم هو ما اجتذب اهتمام الفنانين العظيمين « مونيه » و « رنوار » لصلته بتجاربهما الانطباعية في هذا الموقع ، فان « مرتع الضفادع البشرية » فوق الجزيرة الملعونة ـ التي تمد المقصف بمخلوقاتها ـ هو كل ما كان يعني كاتبا مريض الخيال (والعقل) مثل « موباسان » لم يشغله في ثلاثة أرباع ما كتب الا الواقع الحسي بل الجنسي الصرف العاطل من اي رؤية فنية او جمالية . اي ان كلا من المقصف والجزيرة كان موئلا « للضفادع » الآدمية ، ولكن بمفهومين ثانيهما هابط .

وايا كان الامر ، فقد انتهزت منذ سنوات مناسبة ما قدرت انها الذكرى المئوية للوحة « مونيه » عن « الانطباع » بـبزوغ الشمس » وقررت ـ انسياقا مع ميلي الغريزي للتحقيق ـ الذهاب الى موقع كل تلك الاحداث عند « بوجيفال » لاجراء « المعاينة » . ولم يدهشني انني لم اعثر على اثر او طلل لشيء مما رأيت في اللوحات او قرأت في السير او القصص عن الانطباعية وصلتها بالضفادع . فحتى الجزيرة التي كانت مرتعا للعابثين قد ضاعت معالمها في خضم انشاءات هندسية مائية (هيدروليكية) اقيمت هناك منذ عشرات السنين ، ولعل ذلك انجز في حياة رائدي الانطباعية التي امتدت حتى سنة ١٩١٩ بالنسبة لرنوار وسنة ١٩٢٦ بالنسبة لمونيه . ■■

د . علي احمد راشد

العلاج النافع !

● دهش أحد الاطباء الانجليز لما دخل عليه شاب لم يره من قبل وأخذ يشكره قائلا : لقد نفعني جدا علاجك يا دكتور . ولم يجد الطبيب بدا من مصارحته بأنه يراه لاول مرة . وهنا ضحك الشاب وقال : نعم هذا صحيح يادكتور... ولكنك عالجت عمي الذي توفي منذ اسبوع وترك لي ثروته الطائلة !

اعداد : يوسف زعبلاوى

بديل للسكر جديد تم تصنيعه فى اسرائيل

● منذ زمن غير قصير والعلماء ماضون فى البحث عن بدائل للسكر جديدة ... غير السيكلامات والسكارين ... وكان من الطبيعى ان يضاعفوا جهودهم فى هذا الصدد ، فى مطلع السبعينات ، حين تم حظر السيكلامات نهائيا ، وان يكثفوها ثانية قبل نحو اربع سنوات ، حين اتجهت السلطات المعنية فى الولايات المتحدة الى حظر السكارين ...

وكثر الحديث فى الاوساط العلمية عن الابحاث التى يقوم بها الدكتور بوا Dr. GE. Du Bois وزملاؤه العلماء ، فى دينابول، فى بالو التو ... ونشرت مجلة سيانس فى عددها الصادر فى ٢٨ يناير ١٩٧٧ عن البدائل التى كان اولئك العلماء يسعون الى تحسينها وتخليقها بعد ان نجحوا فى اكتشافها وعزلها . ومما يذكر عن تلك المركبات المحلية انها بالغة الحلاوة بالرغم من انها مستخلصة من قشور البرتقال والجريبفروت ... بل من تلك المادة التى تسبب طعم المرارة فى تلك القشور . وكانت المشكلة لا فى التحويل الكيماوى الذى تحتاجه تلك المادة لتظهر حلاوتها وتطغى على مرارتها ... وانما فى عدم الاحساس بحلاوتها فور تناولها ... وكذلك فى استمرار الاحساس بحلاوتها بعد الفراغ منها ... ولاندرى الى اين وصلت جهود الدكتور دى بوا وصحبه ...

وفوجئنا بتقارير ظهرت فى مطلع هذه السنة وتشير الى نجاح العلماء اليهود فى اسرائيل وفى مختبرات معهد وايزمن فى رحبوت بالذات ... فى تصنيع البدائل السالفة الذكر من مادة النارنج الموجودة فى قشور الجريبفروت ... وفى الوصول بهذه البدائل الى مرحلة الانتاج على نطاق واسع . ويؤكد علماء معهد البحث العلمى فى رحبوت ان البديل الجديد الذى اطلقوا عليه اسم NeoDhc احلى من السكارين بنحو ست مرات ... ومن السكر الطبيعى بنحو ٢٠٠٠ مرة .. ! ويقولون انهم اقاموا مصنعا رائدا لانتاج المحلى الجديد على نطاق تجارى .

ويشير العلماء اليهود ايضا الى الطعم اللطيف الذى يتركه البديل الجديد فى الفم وهذا اشبه بطعم عرق السوس والنعنع ويؤكدون قابليته للهضم السريع والكامل ...

جهاز جديد لضبط سرعة السيارات

● منذ اكتوبر الماضى (سنة ١٩٧٨) وشرطة المرور فى لندن تستعمل جهازا جديدا لضبط سرعة السيارات المنطلقة فى الشوارع .. والجهاز الجديد عبارة عن رادار يمكن حمله باليد ، ويشبه شكله شكل مدفع صغير او مجفف للشعر كبير ... وقد تم تطويره فى كندا من قبل احد مهندسى الصواريخ الالمان النازيين .

وكان موضع ترحيب شرطة لندن منذ البدء نظرا لان رادار السيارات الذى سبق لها ان اعتمدته طيلة الست عشرة سنة

الماضية يفتقر الى الضبط الذي يتصف به الجهاز الجديد.

ذلك ان موتى كيب Muti Quip وهذا هو اسم الرادار الجديد ـ قد اثبت ان مدى فاعليته لا يقل عن ٤٠٠ يارده ... وهو فوري ولا يحتاج الا الى ثوان معدودة لتحديد سرعة السيارة المنطلقة في الشارع . لدى اجتيازها النقطة التي يقف فيها شرطي المرور الذي يحمل الجهاز . ويبلغ من ضبط هذا الجهاز ان احتمال الخطأ فيه لا يجاوز ١/٢ ميل في الساعة ... اي ان خطأه ـ اذا هو اخطأ ـ لا يكاد يبلغ ٥ر٪ .

ومن مزايا هذا الجهاز انه يسجل ويحتفظ بالسرعة التي يرغب الشرطي في الاحتفاظ بها ... وذلك بقصد الرد على سائق السيارة اذا ما انكر سرعته الفائقة . اما اذا اصر السائق على انكاره فليس اسهل من تسجيل سرعة احدى السيارات الاخرى بحضوره فيتاكد بنفسه من ان الجهاز لا يخطيء ، فيتقبل الامر الواقع.

ومما يذكر هنا ان اجهزة الرادار المستعملة في ضبط سرعة السيارات في اكثر بلاد العالم كانت في الغالب بعيدة جدا عن الدقة والضبط ... ولطالما كشفت تلك الاجهزة عن جسم متحرك بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة وتبين بعد ذلك ان الجسم المتحرك لم يكن سيارة او قطارا او طائرة ... بل انه لم يكن سوى شجرة ثابتة راسخة في مكانها !

بطارية جديدة
تعمر ٢٠ ـ ٣٠ سنة

● نجح بعض علماء (ناسا) في تطوير بطارية تختلف عن البطاريات التقليدية اختلافا جذريا وتمتاز عليها امتيازا كبيرا . ومن مزاياها الرخص ... رخص الثمن وقلة النفقات (½ ثمن البطارية العادية) ، ومن تلك المزايا ـ ان لم نقل اهمها ـ طول البقاء .. فان بطارية الجديدة تظل فعالة طيلة ٢٠ ـ ٣٠ سنة ومعنى هذا ان حياتها تبلغ نحو (١٠) اضعاف حياة البطارية التقليدية او يزيد .

اما بيت القصيد في البطارية الجديدة ففي قدرتها على تحويل الطاقة الكيماوية الى طاقة كهربائية وذلك تبعا لجريان سائلين فيها وعبر خلاياها Cells . والسائلان هما كلورايد الكروم وكلورايد الحديد . وليس في ذلك اي سر او سحر ... فالتحويل المذكور عملية كيماوية بسيطة معروفة لدى الكثيرين من طلاب المدارس الثانوية ... وقد اطلقوا على البطارية الجديدة اسم رودكس Redox وذلك نسبة الى جوهر المهمة التي تقوم بها ، وتعرف بالانجليزية Reduction Oxidation

ويعزى طول امد بطارية رودكس الى غشاء خاص يحول دون اختلاط سوائلها ، بعضها ببعض ، ويمنع التلف الذي يلحق بالبطاريات التقليدية نتيجة للشحن واعادة الشحن الذي تحتاجه بين حين واخر . فهذا اذن غشاء بالغ التطوير ويعود الفضل في ابتكاره الى شركة ايونكس Ionics في ماساشوستس . اما بطارية ردوكس ككل فقد تم تطويرها في مركز ابحاث لويس في كليفلان في اوهايو ، حيث يعمل عدد من علماء وكالة الفضاء الامريكين . والبطارية قيد المرحلة الاخيرة من التجارب العملية .وقد بات نزولها الى الاسواق قاب قوسين او ادنى.

وسيكون في مقدور هذه البطاريات الجديدة خزن الطاقة الكهربائية التي تولدها مولدات ضعيفة تعمل بقوة الريح او الطاقة الشمسية . وسيكون في وسعها ايضا خزن الكهرباء في محطات القوى الكهربائية الى حين الحاجة .... حين يزداد الضغط ويتعرض التيار الكهربائي الى الانقطاع .

عودة الى القرآن ونظرية التطور

بقلم الدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي

اطلعت ، اخيرا ، في العدد ٢٤٨ من مجلة العربي ، على مقال للاستاذ الدكتور عبد الكريم الايرياني بعنوان : « هل يعارض القرآن نظرية التطور » وهو يتضمن نقدا رفيقا ، مشفوعا بثناء اشكره عليه ، على بعض ما جاء في مقالي المنشور في العدد ٢٤٦ من مجلة العربي بعنوان لماذا التعسف الباطل في تفسير القرآن ؟

ويتلخص نقده في القول بأن نظرية التطور لما كانت تستند الى مقومات البحث العلمي وطرائقه ولما كان جمهرة علماء الاحياء يقرون أساسيات هذه النظرية وان اختلفوا في تفاصيلها : فان القول بأن القرآن ينكر هذه النظرية اقحام للقرآن في طريق محرج . اذ من المحتمل ان تنضج هذه النظريات غدا ثم تتحد وتتلاقى على حقيقة علمية لا يأتيها الباطل . فنكون قد انطقنا القرآن عندئذ بما يتنافى مع حقيقة علمية أثبتها البحث العلمي .

لذا يرى الدكتور الايرياني ، بدافع من غيرته على كتاب الله عز وجل ، انني قد أبدعت بهذا القول مذهبا ثالثا ، قد يكون في واقعه شرا من المذهب الذي عقدت مقالي لتحذير الناس منه ، وهو التحرر من قواعد التفسير ابتغاء تحميل القرآن ما قد لا يحتمله من المعاني والافكار .

ولا اعتقد (بعد الامعان في هذا الذي كتبه الدكتور الايرياني) ان ثمة اي خلاف جوهري حول نظرية التطور بين الذي قررته في مقالي المذكور ، وما استدرك به عليّ في مقاله هذا .

فيكفي اننا التقينا على القول بان كل ما يقال عن تطور الانسان لا يزال في طور النظريات المتعارضة ، وان سلك الباحثون اليها السبيل العلمي المعروف ، وهي الملاحظة ثم البحث ثم الاستنتاج .

اذن فمرد الاستدراك على ما قد كتبت ، هو قولي بأن القرآن لا يمكن ان يقبل نظريات التطور لانها تتنافى مع نصوصه المحكمة ، المتعلقة باصل الانسان ، وسبب

استدراكه على هذا القول ، ما يراه من احتمال ان تؤول النظرية غدا الى حقيقة علمية !..

ولكي ازيل الغموض الذي اقتضى من الدكتور الايرياني هذا الاستدراك اوضح نقاطا ثلاثة ، قد تكون ذات اهمية في هذا البحث :

النقطة الاولى

انني لم اتخذ موقفا ثالثا عندما حذرت من البحث في القرآن عما يمكن ان ينهض شاهدا لنظرية التطور [١] ، كما يفعل او يحاول بعض الناس . ولا عندما قلت : ان هذه النظرية لم يؤيدها الى اليوم اي دليل علمي ، بل تواردت الادلة على بطلانها .

وانما سقت هذا الكلام تطبيقا للميزان الذي يجب الاحتكام اليه عند تفسير اي آية من القرآن ، وهو الميزان الذي تتلاقى عليه كل من مدرسة التفسير بالمأثور ومدرسة التفسير بالرأي .

فقد قلت ـ ولا ازال ـ ان تفسير قوله تعالى : « وقد خلقكم اطوارا .. » بنظرية النشوء والارتقاء جنوح كبير عن القاعدة ذات الشروط الاربعة لتفسير القرآن اذ ان هذا التفسير يتناقض مناقضة حادة ، مع تلك الآيات الكثيرة التي تنص على أن جنس الانسان خلق في احسن تقويم وان السمة الانسانية كانت ملازمة له ، منذ خلق الله لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام على النحو الذي بين . فلم يحصل الانسان على هذه السمة فيما بعد اكتسابا او بعد صراع مع الطبيعة كما قد يتوهم .

فاذا اتضح ان الامر كذلك ، فلا يسوغ لنا بحال ان نتجاهل شيئا من مضمون هذا الميزان بصدد تفسير قوله تعالى « وقد خلقكم اطوارا » من اجل ان المسألة تتعلق بنظرية التطور ، ومن اجل ان جمهرة علماء الاحياء يبحثون فيها .. وانه يوشك ان يأتي يوم تصبح فيه هذه النظرية حقيقة علمية ... فاننا لو ذهبنا هذا المذهب لكان ذلك منا تحيزا واضحا ، وخرقا لشمولية الميزان الذي هو وحده مدار الصحة والبطلان في تفسير أي نص قرآني .

ولو فتحنا على أنفسنا باب هذا التحيز لتسابقت الينا مسائل كثيرة اخرى تدعونا الى سلوك الطريق المتحيز ذاته تجاه كثير من الآيات المشابهة .....

فكثير من علماء الحياة ـ مثلا ـ لا يزالون يواصلون بحوثهم في اصل الحياة ومدى امكان ايجادها عن طريق تفاعل كيميائي وربما نسجوا لانفسهم بعض النظريات او الفرضيات في هذا الصدد وان لكثير منهم آمالا قوية في الوصول الى نتائج ايجابية ، من وراء بحوثهم هذه . ولا ريب انهم كغيرهم يسيرون طبقا لما يقتضيه المنهج العلمي المتمثل في الملاحظة ، فالبحث ، فالاستنتاج . فهل يستوجب هذا ان نتجاهل ما يقرره القرآن في عبارة صريحة حاسمة ، من ان الانسان لن يصل الى معرفة حقيقية لكنه الروح ؟

النقطة الثانية

ان هذا الذي قررته لا يعني ابدا ضرورة الكف عن اي بحث علمي يتعلق بمعرفة اصل الانسان ، ومدى احتمال ان يكون قد نشأ من حيوانات أخرى . كما لا يعني وجوب الاعراض عما يقوله الباحثون في ذلك .

انني ـ وقد آمنت بما يقرره كتاب الله عز وجل ـ من ان الانسان لم يتطور خلال التاريخ من اي فصيلة حيوانية اخرى ، لا اجد اطلاقا ما يمنعني من متابعة ما يقوله اصحاب هذه النظرية ودراسة ما قد ينتهون اليه من بحوث في ذلك ـ كما انني لا اجد اي مسوغ لحمل الناس على الكف عن هذه الدراسة ، والاعراض عما يقوله علماء هذا الشان في ذلك .

ذلك لانني على يقين بأن هذه المتابعة ستزيد المؤمن بما يقرره القرآن طمأنينة ويقينا ، وتساهم في تبديد اسباب الشك والجحود عند الآخرين.

فليطمئن الدكتور الايرياني ، الى انني لا ادعو اولئك العاكفين على دراساتهم لتاريخ نشأة الانسان الى اغلاق دراساتهم هذه لمجرد ان القرآن يجزم بان الانسان لم يتطور من اي حيوان اخر بل انني لن اجد امامي ما يؤكد صدق هذا القرار القرآني ، خيرا من استمرار هؤلاء

---

(١) نقصد بالتطور هنا القول بتطور الانسان من اجناس او انواع اقل شأنا فلا جرم اننا لانعني هنا الحيوانات الاخرى .

الناس في بحوثهم ، على ان يكونوا امناء على الحقيقة العلمية متحررين عن كل اسبقية في التطلع والحكم .

النقطة الثالثة

على الرغم من ان الدكتور الايرياني قد اكد في مقاله ان مسألة التطور لم تتجاوز بعد مرحلة النظرية .. على انها ليست نظرية واحدة بل نظريات متخالفة ، الا ان سياق كلامه قد يوهم كثيرا من الناس بان المسألة كادت ان تصل الى درجة الحقيقة العلمية ، وذلك لشدة اهتمام الدكتور الايرياني بها ، وتأكيده ان جمهرة علماء الحياة ما يزالون يقومون ويقعدون بها ويجزمون بان الحقيقة العلمية مخبوءة فيها .

لذا فانني لا اجد مناصا ، من بيان حجم هذه النظرية او النظريات اليوم ، ثم من بيان السر في ان جمهرة علماء الحياة (الاجانب) لا يزالون يقومون ويقعدون بها ، على الرغم من ان جهودهم المبذولة في تهديمها اكثر من جهودهم المبذولة في اشادتها !..

ان ما يسمى اليوم بنظرية النشوء والارتقاء ، ليس اكثر من حلقات من الفرضيات المتضاربة والمتناسخة ، في محاولة للوقوف على اصل الحيوانات عامة والانسان بصورة خاصة (وانما يعنينا هنا الانسان) بدأها العالم التصنيفي لا مارك بوضع تفسيرات معينة يرتبط معظمها بعوامل البيئة والمناخ ، اقام عليها تصوره لفكرة التطور .. وما ان وضعت نظريته هذه تحت مجهر البحث والنقد حتى ظهر فسادها ، ثم ما هو الا ان دفنت تحت وابل من النقد الذي صوب اليها من كل جهة .

ثم جاء داروين فاخرج في عام ١٨٧١ كتابه المشهور « اصل الانواع والانتخاب بالنسبة للجنس » ضمنه نظرية جديدة للتطور اقامها جهد استطاعته على مبدأ اختيار الاصلح .

ولكنها ما ان سارت بين الناس قليلا ، ونالت الشهرة الطبيعية بحكم غرابة ما قد جاء به ، وبحكم تطلع من حوله من الناس الى معرفة اي تفسير لاصل هذا الكائن العجيب حتى منيت هي الاخرى بانتقادات كثيرة جدا ، كشفت عن كثير من الثغرات العلمية فيها ، ذكر طائفة كبيرة منها الدكتور عبد الحليم سويدان في كتابه علم الحياة ، ثم قال انها جزء يسير من انتقادات كثيرة اخرى وجهت الى الداروينية .

وحسبنا ان نعلم بان داروين نفسه قد استدرك على نظريته بانتقادات كثيرة وجه اليه بعضها من الاخرين ، واستقل هو بتوجيه سائرها الى نفسه . وقد سجلها في كتابه دون ان يجيب على شيء منها وانما اكتفى بالاعتذار قائلا ان ما نعلمه من تاريخ الانسان لا يبلغ شيئا اذا ما قورن بمبلغ جهلنا بالتاريخ .

ولا يتسع هذا المقال لعرض هذه الانتقادات العلمية الهامة التي استدرك بها داروين على نفسه ، ثم وقف منها موقف المعترف بجهله العاجز عن الاجابة الشافية ، ولكن بوسعك ان ترجع الى كتاب اصل الانواع ص ٤١٢ فما بعد وص ٤٤٧ فما بعد ، على سبيل المثال .

ثم انه كان للانتقادات الكثيرة التي توجهت الى نظرية داروين اثر كبير في ان تتهاوى ويمر عليها عهد من السقوط والتردي ، ولكن طائفة من الباحثين عادوا فاشادوا من انقاضها نظرية اخرى جديدة ، اطلق عليها فيما بعد اسم « الداروينية الجديدة » اعتبرت بمثابة النسخة المصححة لنظرية داروين . وقد تزعم هؤلاء الباحثين العالم الهولندي : Hugo De Veries) غير ان هذه النسخة المصححة ايضا مالبثت ان استهدفت لانتقادات كثيرة ووقعت تحت وطأة تناقض لم تجد اي مفر منها (٢) .

اذن فما الذي يسجله ميزان الرؤية العلمية لهذا الموضوع بعد هذا الاستعراض الموجز ؟ .. انه يسجل على الفور ان فكرة التطور لم تتجاوز بعد مرحلة الفرضية التي تتجاذبها الشواهد المتناقضة وكل ما قيل او كتب فيها لا يعدو ان يكون محاولات مبتورة تثير مزيدا من مشكلاتها اكثر مما تحل شيئا معه من معضلاتها ..

(٢) ذكرت سلسلة هذه النظريات ، مع تفاصيل الانتقادات التي وجهت الى كل منها في كتابي « كبرى اليقينيات الكونية » ص ٢٧٢ ـ ٢٩٠ .

سؤال أخير

يبقى ان نتساءل : فما للباحثين والناقدين اذن ، يعودون هم انفسهم فيقبلون فكرة التشوء والتطور في الجملة ، اى بقطع النظر عن اى تفسير لها ؟ .. وهذه هي الظاهرة التي جعلت الدكتور الايرياني يقول (ان جمهرة علماء الاحياء يقررون اساسياتها ، وان اختلفوا في تفاصيلها) وانها لظاهرة تستدعي التساؤل والاستغراب اكثر مما تدعوا الى التأسي والاطمئنان !.....

فان علينا ان نتساءل حقا : لماذا يعمد هؤلاء العلماء الى سائر التفسيرات التي ظهرت الى الآن لفكرة التطور الانساني ، فيحطمونها تحطيما ، حتى اذا استراحوا وقعدوا ، عادوا فقالوا : ولكن لابد ان الانسان قد ترقى صعدا الى ما هو عليه الان عن طريق التطور والارتقاء !... فمن اين جاء اتفاقهم على « لابد » هذه ؟

والجواب ان هؤلاء الباحثين لم يضعوا في بداية بحثهم جميع الاحتمالات الموضوعية المتعلقة بهذه المسألة تحت مجهر واحد من النظر والفحص ، وهو ما يسمى عند العلماء : (الاستقراء التام) وهو شرط اساسي للدخول في اى بحث علمي بل تبذوا من احتمالات الامر ما لا رغبة لهم فيه . ولم يقفوا عنده باى تأمل او نظر ، الا وهو احتمال أن تكون الحقيقة كما فسرها الخالق نفسه في محكم كتابه ، ثم حصروا بحثهم في النطاق الذى اختاروه لانفسهم . وضمن هذا النطاق جالوا وبحثوا عن النشأة الاولى وأصل الخلق وعلاقة الانسان بالحيوانات الاخرى . وهذا ما يسمى عند العلماء بالاستقراء الناقص .

فكان عليهم (وقد حكموا على انفسهم بهذه المساحة الضيقة في البحث) ان يتخيروا اقرب الحلول التي يجدونها امامهم فاذا لم يعثروا على ما يتفق والادلة العلمية فان عليهم ان لا يرجعوا ـ على كل حال ـ بافكار فارغة . اذ ان الرجوع بافتراض ما ـ مهما كان محاطا بالشكوك والريب ـ اليق بطموح الفكر من الرجوع بموقف سلبي حائر .

اى ان قبول هؤلاء الناس لاى مذهب يفترض فكرة التطور في تاريخ نشأة الانسان مهما كان فيه من النقائص والثغرات ، اقرب الى القناعة الانسانية من القول بان الارض او السماء قد انشقت فجأة عن كائن معقد الصنع عجيب الطوية ، يهدد الارض بقوته ويطمح الى القمر بسلطانه ، ذلك لانه إن لم يقبل بالفرضية الاولى على علاتها ، لا بد ان يجد عقله مرغما على هذه الاخرى .

ومن منا يتردد في اختيار الحل الاول ، عندما نجد انفسنا محصورين في مضيق ليس فيه الا احد هذين الحلين ؟

ولا ريب ان هذا الاختيار يستند الى منطق .. ولكنه منطق نسبي يأتي على قدر المضيق الذي حبس هؤلاء الباحثون انفسهم فيه . ولكنه جنوح خطير عن سبيل البحث العلمي الذى يجب ان ينهض على الاستقراء التام واطراح الرغبات والاهواء عن الطريق .

غير ان هذه النتيجة التى الجئوا اليها الجاء لا تلزمنا نحن بحال ، فاننا ننطلق في بحثنا لهذه المسألة وغيرها من استقراء الاحتمالات كلها بما فيها تقرير الخالق جل جلاله ، دون اى تفريق بينها في باديء الامر .. ثم لما رأينا سائر نظريات التطور تعاني من وطأة انتقادات هامة وجهت اليها ، ورأينا كلا منها يصرع الاخر ويبطله ، ايقنا ان الحق الذى يهدى اليه العلم في هذا الموضوع هو ما يقرره الخالق نفسه ، في بيان واضح قاطع .

وانظر كم يشعر الانسان بطمأنينة النفس والعقل ، عندما يعود من رحلته مع تلك النظريات المتصارعة المتخاصمة ، ليجد نفسه اخيرا امام هذا البيان الالهي الاخاذ .

(ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا)

لذا أعود فأقول مؤكدا : اننا لا نصد أنفسنا ولا نصد الناس عن متابعة كل ما يقوله الباحثون في هذه المسألة ، بل ندعو الى القراءة والمتابعة . ذلك لان اليقين بأحقية القرار القرآني الصريح ، انما يأتي ثمرة الوقوف على مدى الاضطراب الذى يشيع في النظريات الاخرى . ■■

دمشق ـ د . محمد سعيد البوطي

قصة قصيرة :

زوجتي الجميلة

بقلم : زينب صـــادق

قالت زوجتي الجميلة وهي تنظر الي بشيء من الاحتقار والغرور : « الف رجل يتمنى انيتزوجني جمالي لا يليق الا بامير .. اما انت .. » ومطت شفتيها بامتعاض .. ابتسمت ساخرا من كلامها ومنظرها • فانا لم اعد ارى جمالها هذا الذي تتحدث عنه وكانت صورتها الاخيرة في عيني لامرأة قبيحة تحاول ان تخفي قبحها بالوان صارخة من الملابس والماكياج ،وعطرثقيل يكتم الانفاس •

● ● ●

اول مرة وقعت عيني عليها منذ سنتين ظهرت فجاة في النادي الرياضي الذي اشترك فيه •كانت تقف وسط مجموعة فتيات ، تسمرت في مكاني كان قوة مغناطيسية قد شدتني اليها • وقلت هــذه الفتاة الرائعة الجمال لابد ان تكون لي • ويبدو انها قد تعودت هذه النظرة الاولى المندهشة فارتسمت على شفتيها ابتسامة مبتعدة كانهـــا ترسل لي رسالة : ليس من السهل الوصول لي• وظلت صورتها تطاردني طوال ذلك اليوم والايام• التالية • ظهرت فجاة واختفت فجاة مثل حلــم جميل ، وندمت انني لم اتعرف عليها او اعرف عنها شيئا في ذلك اليوم •كنت انتهي من دراستي في السنة النهائية في كلية التجارة واعدو الى النادي ابحث عنها ، الى ان وجدتها يوما فــي صحبة ابنة خالتي ، ورقص قلبي طربا واضطرابا، وذهبت حيث تجلسان ، وبدون استئذان جلست وعرفتني ابنة خالتي بالجميلة•في السنة الثالثة كلية الاداب ، وعضوة جديدة في النادي •

كنت حذرا في تقربي اليها وحديثي معها حتى اكون بالنسبة لها مختلفا عن بقية الشباب الذين يحاولون التقرب اليها • وتحتقرهم بنظرة مــن عينيها الجميلتين ، او بكلمة ساخرة من شفتيها الجميلتين وسمعت انها صفعت يوما شابا اعترض طريقها ، وزاد اعجابي وتمسكي ان تكون لي •

حدثت اختيالاستاذة في الجامعة عنها وقابلتها، يومها قالت اختي مباشرة للجميلة انني معجب بها واحب ان اخطبها وسالتها ان تحدث اهلها فــي هذا الامر وتحدد لنا موعدا لزيارتهم •

الجميلة لابد ان يكون مهرها كبيرا ، وشبكتها غالية فهل سيدفع هذا طالب لم يتخرج بعد • لم يعمل بعد ؟ !

لا استطيع ان انسىنظرة ام الجميلة لها كانها هي التي صنعت جمالها وليس الخالق سبحانه • ونظرتها لي ، من اين ساحضر مهرها • وكيف ساكفل لها حياة تليق بجمالها ؟ !

سافعل المستحيل •

كنت متفوقا في دراستي، وكنت ادرس اللغات بجانب دراستي حتى اعمل في احدى الشركات او البنوك الاجنبية التي تدفع مرتبات عالية • ونلت ما اريد في العمل بمساعدة اختي واقارب مهمين وبتفوقي • وبعد سنتين ، وبعد ان نالت الجميلة شهادتها ، وبعد ان دفعت امي مهرها الكبير • اصبحت الجميلة لي •

لقد احبتني • هي قالت هذا يوما ، لمعاملتي المختلفة لها عن الاخرين ، لحبي لها المجنون كنت اطير فرحا وانا اعلن لاعضاء النادي ان الجميلة اصبحت لي • لكنني لا انسى نظرة رجل مجــرب وكلماته « الجمال ليس في المظهر ، الجمال شيء اخر ربما تعرفه على مر السنين » •



نعم · الآن انا اعرف ان الجمال ليس في المظهر بعد تجربة سنة واحدة مع زوجتي الجميلة· الجمال ضوء يشع من النفس الداخلية يشع من النفس الحساسة الطيبة يشع من العقل الذكي فيضفي على الانسان انسانية تحبب فيه الخلق وتجعله ضوءا مشعا لحياتهم ايضا ·

ربما لذلك تصبح اجمل الجميلات اقبحهن اذا كانت تفتقر للجمال الداخلي للنفس والعقل · ربما يسالني احد · الم تكتشف غرورها وحقيقة نفسها الداخلية اثناء فترة التعارف والخطوبة ؟ ؟

نعم · اكتشفت اشياء لم تعجبني ، لكن كان جمالها يطغى على افكاري ، وحسد الشبان انني فزت بحبها وخطبتها كان يعميني · اجمل الجميلات تتابط ذراعي ، يا فرحتي · ويا خيبة امالي ·

لان والدي فقدناه من اول سني دراستي الثانوية· واخي الذي يكبرني يعمل في بلد بعيد· واختي الاستاذة في الجامعة تزوجت ، فانا اعيش مع امي ، وقد رحبت ان اقيم وزوجتي معها في شقتنا الكبيرة · وكذلك رحب اهل زوجتي الجميلة فهذا لن يكلفهم عمل جهاز كامل لشقة جديدة · وقالت الجميلة وقت خطوبتنا انها تعتبر امي امها ايضا·وحمدت الله على هذه التساهيل·

سالتها يوما : « يا جميلتي في اي مكان تريدين ان تعملي ؟

وصرخت كان لعبانا ساما عضها فجاة ، وانطلقت الكلمات منشفتيها الجميلتينمثلطلقات الرصاص « أعمل ٠٠ تريدني أن أعمل ٠٠واستيقظ مبكراكل صباح وأجري لالحق المواصلات وانضم الى طابور الموظفات البائسات القبيحات ، ويذهب جمالي من الارهاق انت لم تتزوجني لاعمل ، وانت لست محتاجا لنقود عملي ٠ مرتبك كبير وامك تدفع معظم مصاريف البيت من دخلكم الخاص ٠

الجمتني المفاجاة ٠ او الصدمة وقلت : العمل يعطي للمراة قيمة وينمي شخصيتها ٠ مطت شفتيها الجميلتين وقالت : المراة القبيحة هيالتي تعمل ٠

كدت اقول لها وهل نساء العالم الان قبيحات وانت الجميلة ٠ لكن صمت ٠ ثم قلت لها ملاطفا٠ انت حصلت علىدرجات تؤهلكلعملدراسات عليا٠ بعدها يمكنك ان تعملي بالتدريس في الجامعة ٠

قالتساخرة بغرور : هلتدرىكيف حصلت على هذه الدرجات ؟

قلت : باجتهادك طبعا وحبك للعلم ٠

ضحكت ضحكة لم تعجبني وقالت : بجمالي ٠٠ كان المراقبون فيلجنة الامتحان يقولون ليالاجابات الصحيحة ٠ انا لم احب العلم يوما ٠ واخذت الشهادة الجامعية لانها موضة تتحلى بها الفتيات

وكانت المرة الاولى التي شعرت فيها انني اريد ان اصفعها ٠ لكني امسكت يدي ٠ وقلت لها يوما : ياجميلتي ستكونين زوجة فقط وتنجبين لي اطفالا في غاية الجمال ٠ قالت : لن انجب قبل خمس سنوات ، لا اريد ان افسد جمال جسدي الان ٠ اريد ان استمتع بالحياة معك ٠ نخرج للنزهات والسهرات ٠ نسافر الى بلاد العالم ٠٠ » ٠

لم افكر كثيرا في ماذا يدور براس زوجتي الجميلة ٠ كنت اريد ان استمتع بها ومعها بالحياة٠اعود من عملي اجدها مستلقية باسترخاء٠ او فيالنادي مع صديقات تستمتع بنظرات الاعجاب وتزاول رياضة الحديث مع النساء ، فهي لا تحب ان تزاول اي رياضة اخرى في النادي ، وحاولت ان اجعلها تزاول رياضة التنس معي وفشلت ٠ كنت دائما انتقد النساء اللاتي يجلسن كل يوم في النادي يتحدثن ، واتساءل لماذا لا يعملن ، او لماذا يتركن بيوتهن كل يوم ؟ !

وكل مساء ، تريد زوجتي الجميلة ان اصحبها للخارج مهما كنت متعبا من عملي ٠ ولا تحب ان تجالس امي او تساعدها في اعمال البيت ٠ ولا تحب ان تزور اختي وزوجها لان ضيوفهما من المثقفين الثقلاء،وانا احب مجالسة هؤلاء الناس٠ فقد نشات على حب العلم والثقافة واذا كان اتجاهي للدراسة التجارية الا أن هذا لم يمنعني منالاطلاع،اما زوجتي الجميلة فهي لا تقرا كتابا٠ وتلقي نظرة على جريدة الصباح بلا اهتمام ٠ وتغطس في مجلات الموضة وتتشاجر معي اذا عارضتها في شراء رداء ٠

واصبحت تتشاجر مع امي اذا هي طلبت منها مساعدة في اعمال البيت ٠ وتحدثت بصوت مرتفع قبيح مع اختي الاستاذة وتطاولت عليها بالكلمات عندما نصحتها يوما الا تكون عاطلة وان تفعل شيئا في الحياة ٠

زوجتي الجميلة لا تحترم الكبار ٠ وتصورت ان جمالها يغفر لها كل الهفوات ٠ وان نظرات الاحتقار وابتسامات الامتعاض وكلماتها مثل طلقات الرصاص كل ذلك لن يشوه جمالها ٠ وانها الملكة المتوجة بالجمال وعلى من حولها ان يخدموها وكانت امها عندما تاتي لزيارتنا تؤكد هذا لنا ٠ واصبحت حياتي لا تطاق من الارهاق المادي والنفسي ٠

نظرت الى زوجتي الجميلة وتساءلت ٠ مافائدة الراس الجميل اذا كان خاليا من الافكار الجميلة٠ مافائدة الايدي الجميلة اذا لم تصنعا شيئا جميلا وما فائدة الجسد الجميل اذا كانت النفس خالية من الجمال ؟ ! وظهرت لي رؤيا واضحة لمستقبلي معها وشعرت بانقباض٠لذلك عندما نطقت زوجتي الجميلة بالكلمة البغيضة طلقتني وافقتها على الفور وشعرت بارتياح ٠

● ● ●

اعتذرت لامي على الاهانة التي سببتها لها دون قصد وهيالتي ربتنيعلىحب العلم والناس٠ وقالت بحنان : « لا تحزن يا بني هناك فتيات كثيرات جميلات » ٠

قلت : « لا يا امي ٠٠ لقد فهمت اخيرا معنى الجمال » ٠ ■■

زينب صادق

● حل مسابقة العدد ٢٤٨ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	د	ى	ن	ا	ص	و	ر	■	ن	ا	ب	ل	ى	و	ن
٢	و	ح	ى	د	■	ا	ث	ع	ا	ق	د	■	ا	د	ع
٣	م	ى	ر	ا	ب	و	■	ا	ن	ا	ن	ا	س	■	ى
٤	ى	ى	■	هـ	ن	■	ر	ى	ا	ت	■	ك	ر	و	م
٥	ن	■	ا	ن	د	هـ	ا	ش	■	ل	ى	■	هـ	ش	■
٦	ك	ب	ل	■	ق	ا	س	هـ	ا	■	غ	ا	■	ا	ب
٧	ا	ب	ن	ى	■	ل	■	ب	ل	ح	ا	ل	ب	ح	ر
٨	■	■	ع	ق	ب	هـ	ب	ن	ن	ا	ف	غ	■	■	■
٩	ى	ن	ا	ف	س	■	ا	ث	و	ق	■	ن	ا	ق	هـ
١٠	ا	و	م	■	ا	ل	ر	ط	ل	■	ا	ك	ب	ا	ر
١١	ن	ا	■	ا	ل	م	ث	ل	■	ك	ل	ب	■	م	ا
١٢	ج	ر	ا	د	هـ	■	ى	ح	ث	ر	م	و	ن	■	و
١٣	ت	ى	ق	ن	■	ا	ن	هـ	ا	ر	■	ت	و	ب	هـ
١٤	س	ن	ت	ى	ا	ج	و	■	ب	هـ	ر	ى	ن	ج	■
١٥	ى	■	ل	هـ	و	■	ن	■	ى	ا	ب	هـ	■	ع	م

افقيا :

عقبة بن نافع

رأسيا :

عائشة بنت طلحة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : عقبة بن نافع • ابن اخت عمرو بن العاص فاتح مصر وحاكمها • غزا شمال افريقيا ، وبنى القيروان • لكنه لم ينجح في اخضاع البربر ، فقتل على حدود الصحراء •

(٨) رأسيا : عائشة بنت طلحة • اديبة عالمة باخبار العرب من شهيرات النساء في العصر الاموى بالنسب والجمال والذكاء والمروءة • أبوها طلحة من خير الصحابة ، وامها ام كلثوم ابنة الخليفة ابى بكر •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : خالد جميل عبدالحميد ـ عدن/اليمن الديمقراطي
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : سامى حاج محمود ـ اللاذقية/سوريا
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها العروصى محمد ـ مكناس/المغرب

※ ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمس دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سعاد خليل مصطفى ـ العريش / مصر

٢ ـ عادل سليم شهاب الدين ـ وزارة الكهرباء / الكويت

٣ ـ احمد عارف القانى ـ بيروت / لبنان

٤ ـ زاهر بسام مطرجى ـ الدمام / السعودية

٥ ـ صباح صادق احمد ـ كاظمية / العراق

٦ ـ نفير على يقمور ـ عمان / الاردن

٧ ـ محمود محمد عبدالله على ـ المحرق / البحرين

٨ ـ حمد محمد بدر المنذرى ـ ولاية بحرى / سلطنة عمان

الفـــائزون فـــى مسابقة العدد ٢٤٦

ترجو ادارة العربى من القراء الذين فازوا فى مسابقة العدد ٢٤٦ ، ان يرسلوا عناوينهم الثابتة اليهـــا تمهيدا لارسال جوائزهم •(العـــربى)

السدو
فن البدو

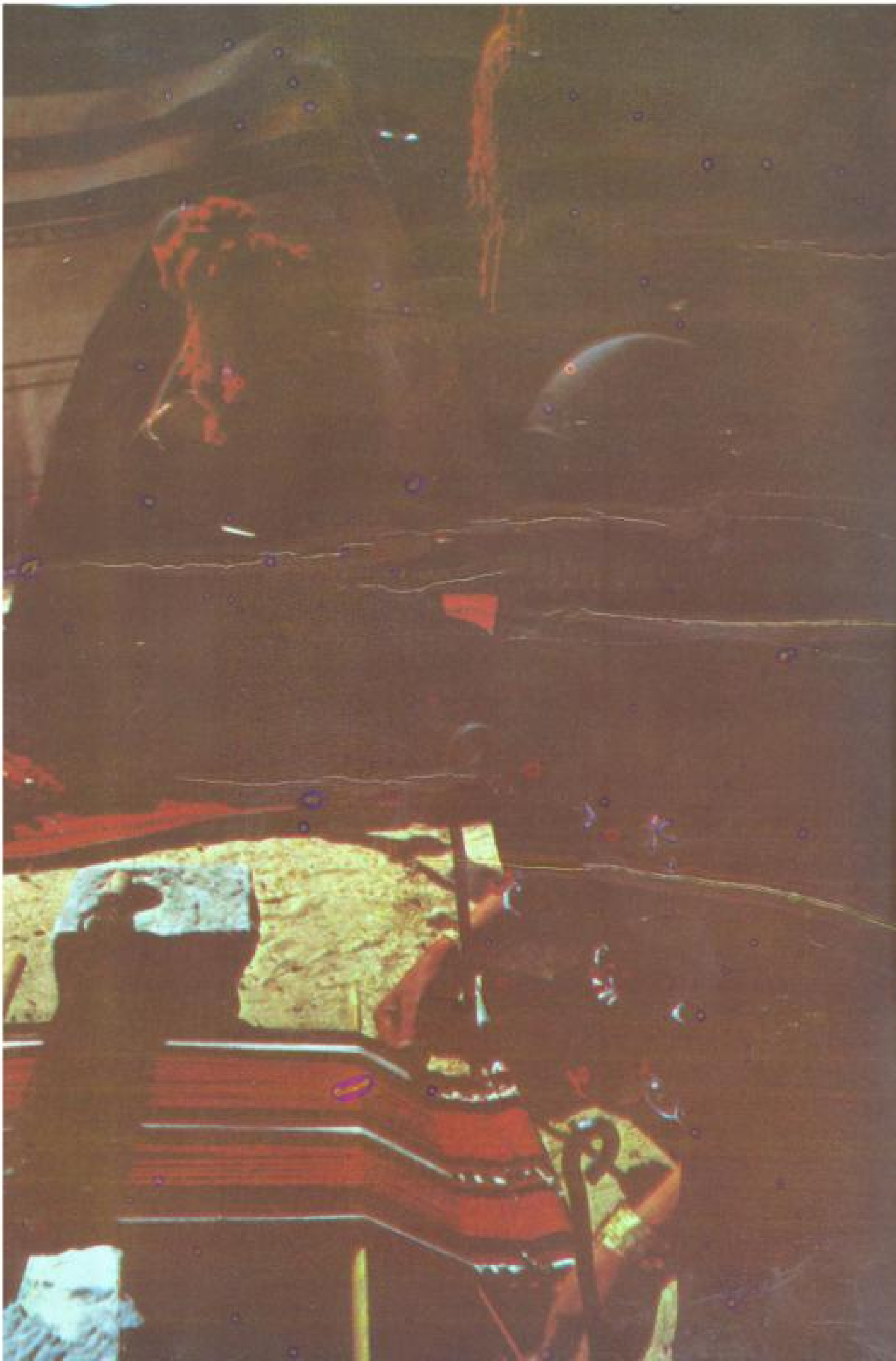
تحاول النساء الكويتيات الشابات المشاركة في السدو بحثا عن الصوف وتراثه وطريقته

استطلاع :
مصطفى نبيل

تصوير :
عبد الناصر شقرة

الشمايل والمزودة بحرزها المستمدة من البيئة البدوية





يتغير المجتمع العربي في الكثير من اجزائه ، وينتقل من البداوة والترحال الى الحداثة والاستقرار ، ويصاحب هذه الحركة جهد في اتجاه مضاد يتمثل في الحفاظ على ما ينتجه البدو من فن اصيل يعكس حياة الصحراء ، وما تحمله من تراث عربي يتضمن محتويات بيت الشعر والخرج والبسط والسفايف .

ويبدأ هذا الجهد بالمسح والتسجيل ، ثم استلهام هذه الاعمال واستنباط أعمال فنية جديدة تصبح جزء من البيت العربي الحديث ....

وهذا هو الدور الذى اختارته لنفسها جمعية « السدو »في الكويت ..

■■■

احد معالم الحياة العربية ، وهو حياة البدو في الصحراء ، مهدد بالزوال امام زحف الحياة الحديثة ، وتختفي تلك الصورة التي كانت تميز الحياة في الصحراء ، البدو الذين ينتقلون متحررين من الهموم خلف الماء والكلأ ، ينصبون خيام الشعر حول الآبار ، ويقيمون حياة بسيطة وشاعرية ولكنها خشنة قاسية ، تقوم هذه الحياة على « الاكتفاء الذاتي » ، تفي القطعان بكافة احتياجات القبيلة التي تعيش على لبنها ولحمها ، ويعتبر الجمل مصدرا من مصادر غذاء البدوى ووسيلة لانتقاله ووبر الجمل من اغلى واجود الاصواف تحيكه النساء البدويات مع صوف الماشية ليشبع كافة احتياجاتها ...

ومنقولات البدوى تقتصر على ما هو ضرورى : رحاة ، رقيق لتحميص حبوب القمح او لانضاج الخبز ، اناء لصنع القهوة ، دلو من الجلد لصب المياه ، بعض القرب ، قصعات ، فناجين صغيرة لشرب القهوة ، قدر ، بساط وفراش في نفس الوقت ، تحيكها البدوية ، وفي بعض الاحيان نول لنسج الصوف كل ذلك في بيت الشعر ، وهم قوم بالغو القناعة اذ تكفيهم بضع حبات من التمر وحفنة من الثريد ، والقناعة والاكتفاء الذاتي هما سر قوتهم ومصدر شجاعتهم .

والبداوة تضرب بجذورها في ارجاء العالم العربي وشبه الجزيرة العربية منذ القدم ، ولهم نظامهم الحضارى المتكامل يعيشون في اعماق الصحراء، وحول المياه وتحت زرقة السماء ومع النجوم في الليالي الحالكة ، القبيلة نظامهم الاجتماعي ، ويعيشون مع الظروف الطبيعية القاسية والموارد الاقتصادية المحدودة ، فيزدرى البدوى الزراعة والصناعة والحرف المختلفة ، باعتبارها تحط من مكانته ، واحتكر السلطة في البادية ثالوث أطرافه البدوى والجمل والنخلة ، واستمرت البادية الحارس على التقاليد والشعائر العربية .

وهذه هى مكونات البيئة الفطرية لحياة البدو ، يستلهمون ـ البيئة في فنهم ، وينتجون القصص الشعبي او شعر النبط والحكايات والنوادر والازجال ، او فنهم التشكيلي الذى يتمثل في « السدو » فن حياكة الصوف في البادية .

في أعين الاخرين

وجذبت حياة البدو اهتمام العديد من الرحالة والكتاب الاجانب الذين تناولوا معالم الحياة العربية ، ورأوا فيها الشخصية الفذة المميزة ، وقد كتب الكاتب الأوروبى نيبور يقول .. « البدو الذين يعيشون تحت الخيام كقبائل مستقلة بذاتها ، مازالوا يحتفظون بتقاليد اسلافهم واخلاقهم ، ومثل هؤلاء يصح القول بانهم عرب أقحاح يتمتعون بجميع تلك المزايا المتأصلة في جمع افراد قبائلهم ... »

وتنقل لنا السيدة ديكسون ـ (أم سعود) التى اختارت أن تقضى كل حياتها في الكويت ـ بكثير من



الاجنبيات يقبلن على شراء اعمال السدو.

الاعجاب والتعاطف قطعة حية من معالم حياة البادية في الكويت . وبعين نفاذة تلتقط التفاصيل الصغيرة ، وصفت حياة الصحراء التي عشقتها منذ ما يزيد عن ربع قرن . تقول في كتابها « الكويت بيتي » « عندما قررنا امتلاك احدى الخيام في الصحراء ، اقترح علينا شراء القطع الطويلة المنسوجة يدويا من العراق ، حيث يستخدام وبر الماعز في تقوية خيوط النسيج ، وكان سرورنا بخيمتنا الجديدة بالغا ، وكان صوف الغنم اثناء هذه الفترة يجز خلال شهرى مارس . وابريل ثم تتولى النساء نقله الى شاطىء البحر لغسله جيدا قبل غزله ، ويتولى النساء عادة اخذ الغنم والماعز الى المراعي ، ويعمدن في كل مرة يخرجن فيها الى المراعي الى اخذ كومة من الصوف للتسلي بغزلها بواسطة مغزل يدوى خفيف خلال حراستهم للقطيع وهو يرعى ..

وبحلول فصل الصيف ، كانت القبائل تنقل خيامها الى مكان يقرب من مدينة الكويت خارج اسوار المدينة قرب ابار الماء في منطقة « الشامية » . كما يسهل على المرء مشاهدة الانوال ممدة امام الجزء المخصص للنساء من الخيام .

وصف السدو

تمد البدوية خيوط الصوف حول قطعة خشبية تسند بحجرين او علبتين قديمتين من التنك ، مراعية طول القطعة التي يتوجب عليها تبديلها من الخيمة ، ثم تأخذ في رفع خيوط الصوف بالتناوب على بعد متر من الطرف القريب منها ، وذلك على قطعة من الخشب فوق علب من التنك تكون اعلى من مستوى الاحجار او العلب السابقة ، وبعدها تأخذ في تمرير الصوف المغزول من الجهة اليمني الى اليسرى فوق وتحت هذه الخيوط ثم رجوعا الى الجهة اليمني ، مع شد الخيوط بقطعة مسطحة





الصحراء والجمل وبيت الشعر العناصر الاساسية لحياة البدو، ويظهر « العدول » على ظهر الجمل بنقشته البدائية .

« المزودة » بالوانها المختلفة بعد ان استخدمت البدوية حبات « الخرز والترتر » .

البساط احد منتجات البدو ، نقشة الشجرة ، ويظهر عليها الرموز التي تستخدمها البدويات العقرب ، رمز الخصوبة في الصحراء ، والمقص ، رمز المنع والتحريم .(الصور على الصفحة التابعة)



من الخشب أو بقرن غزال ، وهذه العملية تؤدي الى انتاج نسيج محكم .

وتجدد البدوية قطعة واحدة من وسط الخيمة في كل عام ، وتستخدم القطعة المستبدلة لظهر الخيمة او الرواق ، وكان من المثير ان نشاهد عند زيارتنا لمختلف العائلات البدوية اختلافا في اشكال الزخارف في الوسائد ، تبعا للقبائل المختلفة .

فمثلا نساء قبائل العجمان كن يصنعن اشكالا زخرفية خاصة تتضمن نماذج تمثل الماعز او العقارب وربما الهوادج ، وكانت خيوط الصوف الابيض المصبوغ بالالوان الحمراء والصفراء تستخدم في تنميق الاشكال في القطا والوسائد .. »

وتضيف فيوليت ديكسون في موضع اخر ..« توفر الاراضي الصحراوية الواقعة خلف اسوار مدينة الكويت مراعي خصبة للبدو الذين ينتقلون باستمرار هنا وهناك في طول البلاد وعرضها ، ويتوقف البدو عن الترحال في الصيف ، وتفرض عليهم شهور الصيف البالغة الحرارة ان يظلوا على مقربة من اماكن المياه وحول الابار في الصحراء ، وكلما وجدت المياه الصالحة للشرب قامت حولها القرى ، وتقع سلسلة من هذه القرى بمحاذاة الشاطىء الجنوبي للكويت ، والى الغرب تقع « قرية » الجهراء وهي من الاماكن التي استوطن فيها البدو ، وفي المواقع القريبة من التلال خلف السور ووراء حدود الحزام المجدب ، كانت الاراضي تنبت الاعشاب الصحراوية التي تزينها بلون اخضر جميل ، ويشعر العربي المثقف بالاعتزاز في اسلافه البدو ويكن كل احترام وتقدير لرجال القبائل العريقة .. »

رياح التغيير

ان هذه الصور الجميلة لحياة البدو وصناعة السدو التي تحدثت عنها السيدة ديكسون منذ ربع قرن اختفت اليوم الكثير من معالمها امام التطور الذي أصبح يعني توطين البدو ، واختفى الجمل لتحل محله السيارة واختفى بيت الشعر الذي كانت تنسجه البدوية وتضفي عليه لمسات من البيئة ويقام بدلا منه البيوت الحديثة ، وجذبت المراكز الحضرية البدو تخلصا من حياة البداوة القاسية واندفعت تيارات الهجرة لتضم اكفأ عناصر القبيلة من شبابها ، واتجهت نحو مجالات العمل الجديدة .

وبقي السؤال الصعب : كيف يتم التغيير نحو الحداثة ، وفي ذات الوقت يحافظ على الروح العربية من « الاغتراب » .. ؟ وكيف يقع التغيير ولا ينفصل المواطن عن تراثه التقليدي ولا تتحطم خير ما في اسلوب حياته التقليدية ، وبالتالي يتجنب ان يقع اسيرا لاسلوب حياة « هجين » ...؟!

وبمعنى اخر .. كيف تتحقق المعادلة بين القديم والجديد ، بين الاصالة والمعاصرة ؟

شغلت هذه القضية مجموعة من ابناء الكويت ، ولم يكتفوا بالحزن والاسى على عالم مفعم بالشاعرية والبساطة اخذ في الزوال ، بل سعوا الى عمل ما ، وبذل الجهد الذي يساهم في الحفاظ على فن وتراث البادية ، واقاموا جمعية لهذا الغرض ، أي تعمل من أجل الحفاظ على احد الجوانب الفنية في حياة البادية ، هو فن حياكة الصوف « السدو » .

على الخليج

في بيت كويتي عتيق على طراز عربي اصيل يطل على الخليج ، اقامت جمعية « السدو » مقرها ومعرضها الدائم ، بعد اعوام ثلاث من الاعداد ، وبدأت الجمعية نشاطها بدراسة فن « السدو » وتسجيل مراحل عملية الحياكة ، وجمع ما تبقى منه ، وجابوا الصحراء يبحثون عن البدويات اللاتي مازلن يشتغلن بهذا الفن لاعداد فريق من العاملين القادرين على انتاج المنسوجات التقليدية ، وأغرت الجمعية البدويات بالاستمرار في هذه الصناعة على ان تتولى تسويق الانتاج ليصبح من مكونات البيت الحديث ، ولم تتعود البدويات بيع انتاجهن بل ينسجن احتياجاتهن على مدار العام ، ولم يكن ابدا للكسب الاقتصادي ، وقد حددت الجمعية اهدافها والتي نشرتها في كتابها الذي يحتوى نماذج جميلة لمكونات فن السدو بما يلي :

■ البحث في الطرق التقليدية في صناعة وتكوين



البيت المطل على الخليج العربي والذى اختارته جمعية السدو مقرا لها .

وحياكة الصوف والعمل على المحافظة على « السدو » .

■ اعداد فريق عمل من الفنانين والحرفيين يشتغلون بالسدو .

■ اقامة معرض دائم لاعمال السدو .

■ انقاذ تراث السدو القديم من الاندثار وحفظه والنهوض به لقيمته الثقافية والفنية الجمالية وتشجيع وتطوير المهارات المرتبطة به ، فحالة البداوة الى زوال وحالة الترحال الى الاستقرار .

■ وضع دراسة للاساليب التقليدية المرتبطة بهذا الفن ، وتكوين مجموعة عرض دائمة لنماذج من المنسوجات المختلفة والفريدة في اشكالها ونقوشها .

من المحيط الى الخليج

وجولة في معرض السدو ومشاهدة الأعمال الفنية المختلفة ، تتأكد خلالها ان فن السدو هو انعكاس صادق لوجدان البدو والبيئة التى يعيشونها بكل رموزه وتكويناته المختلفة ، كما تلاحظ التشابه بل التطابق لاعمال البدو في الصحارى العربية من المحيط الى الخليج ، وتعتبر حرفة النسيج من اقدم الحرف التقليدية ،

ومع كل ما تمثله من بساطه الا انها تكشف مقدرة فائقة ومهارة كبيرة وتتوافق الزخارف والتكوينات الفنية مع حياة البدو الذين يعيشون في الفلاة وكأنهم يمتطون صهوة الأبدية ، ولا يمكن ان يدرس فن السدو في معزل عن البيئة التي نشأ فيها ، فرموزه الاغنام والجمال وعندما استخدموا الاصباغ كانت من الاعشاب الصحراوية .

انتبه على صوت مرافقي الذي يقطع تأملاتي بقوله : ان الاشكال الهندسية التي تحيكها المرأة البدوية نسيجا جميلا ، تدخل فيها البدوية رموزا من واقع البادية مثل الشجرة والمشط والمبخرة والمقص والعقرب والطائرة ، اما المشط والمبخرة فيمثلان الاحتياجات الهامة للمرأة البدوية ، اما الدلالة الرمزية للرسوم الاخرى ، فهي للمنع والتحريم ، فالمقص اداة ضرورية للمرأة الحائكة ، بينما العقرب وسمه الزعاف يرمز الى خصوبة الصحراء ، اما الطائرة فتمثل التحليق نحو الحياة الحديثة ، وهكذا .

وتستعمل المرأة البدوية الحروف الابجدية كجزء زخرفي من النقشة ، وتكاد حرفة السدو ان تقتصر على المرأة باستثناء صناعة العبايات ، وتعتبر مهمة صيانة بيت الشعر المنسوج من صوف الغنم الاسود من المهام التي تولتها ايضا البدويات .

ويمكن لزائر المعرض آخر أيام الاسبوع ان يشاهد النساء البدويات يعملن على الانوال بلباسهن التقليدي ، ويرى الفن البدوى الجميل يخرج من بين اناملهن ، وما زالت المرأة البدوية ترفض باصرار أن يلتقط لها اى غريب صورة :

وبعد .....

ان فن « السدو » وجد من يسجله ويبعث تراثه ، ويحافظ عليه وبقي ان يظهر من يجمع ويسجل ويحفظ بقية فنون البادية ، بل ويسجل نماذج من حياة وقيم البادية ، التي ستستمر المادة الخام للوجدان العربي ، انها مهمة يجب ان تنجز قبل فوات الاوان . ■■

مصطفى نبيل





المساند بنقشاتها المختلفة والتى توزع داخل بيت الشعر .

الفنانة البدوية الى جوار معروضات صنعتها للبيع من بسط وسفايف .





البساط
ورسومه
المتعددة

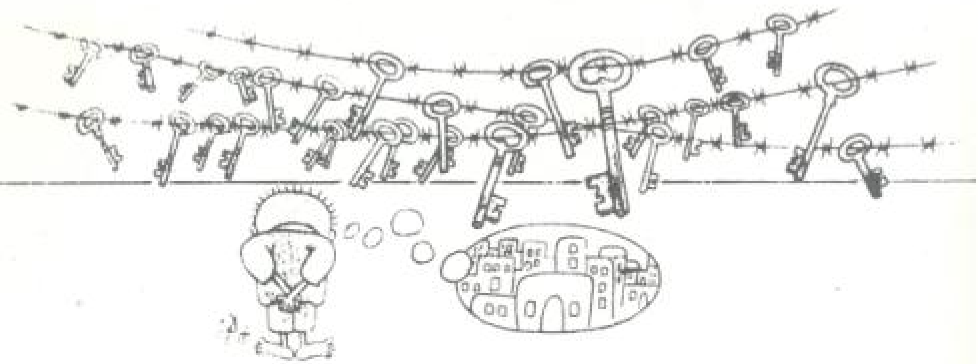
الفلسطينيون في أمثالهم الشعبية

بقلم : محمد العبد المصري

نستطيع ان نستشف الكثير من الامثال الشعبية الفلسطينية ، في التصاق هذا الشعب بالقيم العربية الاصيلة ، وفي تسجيل استمرارية التاريخ على ارضه ، ثم في مدى ارتباطه مع الشعوب العربية المحيطة به ، حتى تكاد أكثر أمثاله الشعبية أن تصبح صورة طبق الاصل من الامثال السائدة في مصر وسوريا بوجه خاص .

ان الفلسطيني من خلال ترحابه بضيفه ـ مثلا ـ يرى ان (الضيف ضيف الله) وان مجيء الضيوف لن يرهقه ماديا لانه يعتقد انه (بيجي الضيف وبيجي رزقه معه) وان مشاركة الضيف له في أكله لن يضيره شيئا لأن (أكل اثنين كفى ثلاثة) وان بيته يتسع للضيوف مهما كان ضيقا اذ أن (بيت الضيق يوسع ألف صديق) وكما كان العربي لايسأل ضيفه عن اسمه أو حاجته قبل مرور ثلاثة أيام فالفلسطيني كذلك يرى أن (ضيافة الضيف ثلاثة أيام وثلث) وانها سبة ووصمة عار ان يوصف أحدهم بأنه (بيكره الضيف وزوادته معاه) وانه مهما كان وضعه المالي فالتقاليد تقول له (اظهر عترك ولا تظهر بخلك) وذلك لان

(البخيل عدو الله) ومهما قدمت لضيفك من زاد قليل فانه سوف يقدر موقفك لأن (لاجود الا من الموجود) واذا كانت التقاليد تتطلب من المضيف ان يكرم ضيفه فان على الضيف أن يعلم أن (الضيف أسير المحل) فلا يتصرف الا اذا سمح له صاحب البيت بذلك لأن (الدخول بالخاطر والخروج بالدستور) ومن الضوابط التي تضعها التقاليد على الضيف الا يدخل البيوت متطفلا لأنه (يارايح بدون عزومه ياقليل القيمة) وكذلك (يارايح بدون عزومة ياقاعد على غير فراش) ، وألا يكون نهما اذا قدم الطعام لانه (اذا كان الاكل بلاش بطنك عليك مش ببلاش) وألا يحضر (لا يحمله على الحضور) الا الاكل فاذا اكل انصرف لان

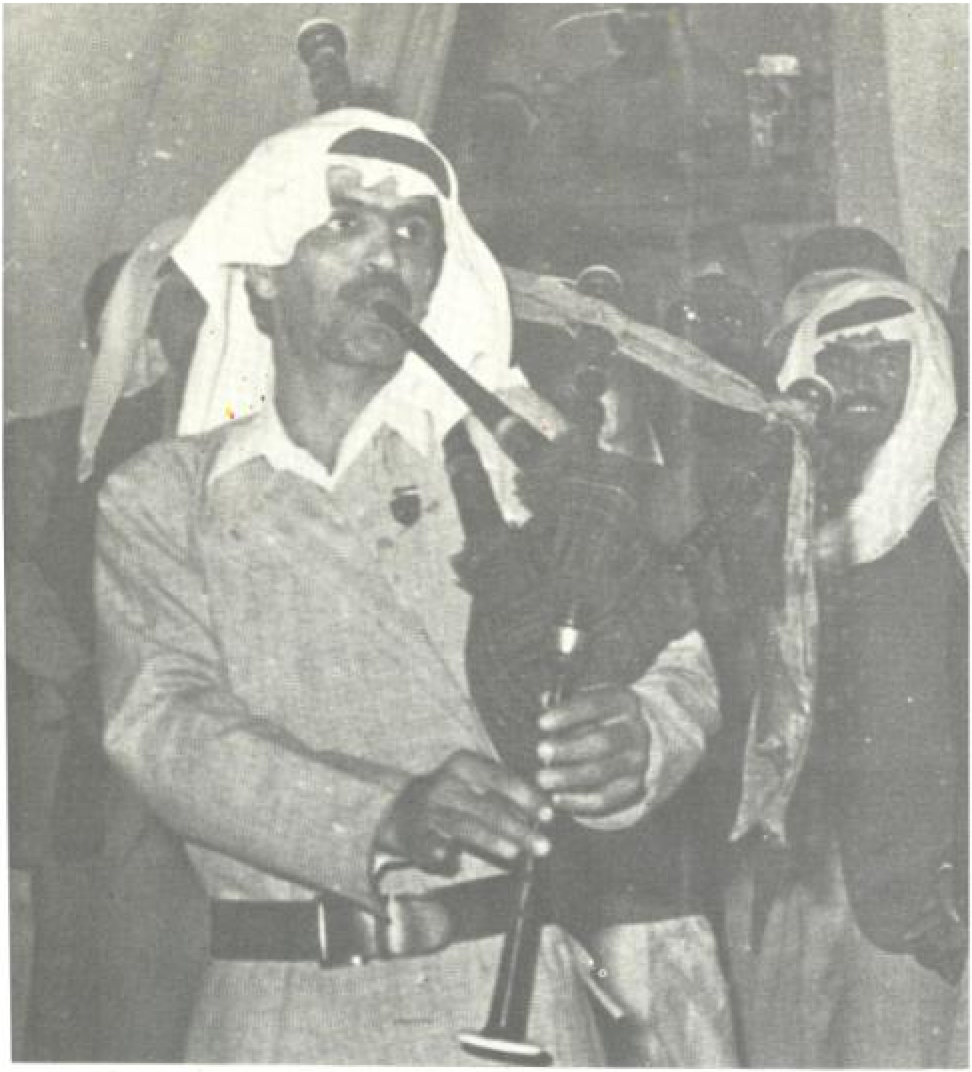


(الضيف المشوم بياكل وبيقوم) . واذا حل أمرؤ ضيفا على قوم وقدم الطعام فعليه أن يأكل ولا يتعلل بالشبع لان) عيار الشبعان أربعين لقمه) .

من الاهل الى الجار

في الشخصية الفلسطينية من سمات الشخصية العربية ، العصبية للاهل والعشيرة . والارتباط بهم ، فالفلسطيني يرى ان رابطة الدم رابطة أبدية لأن (عمر الدم ما بيصير مية) وان ارتباطه بأهله وذويه هي كارتباط أعضاء الجسم بالجسم لاتنفصل عنه اذ ان (الظفر ما بيطلعش من اللحم) . كما يرى أن البر بالاهل هو دليل كون المرء عضوا صالحا في المجتمع لأن (اللي ما فيهوش خير لاهله ما فيهوش خير للناس) وان المرء الذي لا يمد يد العون لذويه في حال استطاعته ذلك يفقد مبرر وجوده في المجتمع لان (الشجرة اللي ما بتظلل أهلها حللّ الله قطعها) واذا كان (الاقربون أولى بالمعروف) فيجب أن يراعي الاقرب فالاقرب منهم ويقف الى جانبه ولو على حساب أقربائه الاخرين كما يجب ان يقف مع ذويه ضد الغرباء فالتقاليد تطلب مني أكون (انا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب) وهو يرى ان عشيرته أرأف به ممن سواهم لأن (أهلك ان مضغوك ما بيبلعوك) ودائما (الدم بيحن) وهم أمان له من عاديات الايام ، وكهف يأوي اليه حين الخطر لأنه (ما بيحمل همك الا اللي من دمك) كما انه (ما بيحن على العود الا قشره) و (اللحمة ان نتنت ما بيحملها الا صاحبها) وأهل المرء سند له في النوائب ، وعون على الشدائد لأن (اللي مالوش ظهر بيموت قهر) و (اللي له ظهر ما بينضربش على بطنه) . ويجب على المرء أن يعتز بأسرته ويفخر بالانتماء اليها مهما كان وضعها الاجتماعي لانه (ما بينكر أصله الا اللئيم) ويكون افتخاره بأسرة الاب لأنهم أهل عصبيته دون أهل الأم . وقد (سألوا البغل مين أبوك ؟ قال : الحصان خالي) .

والفلسطيني يرى لجاره حقوقاً ترفعه الى منزلة الأخ (قال : مين أحسن لك ، جارك القريب والا أخوك البعيد ؟ قال : النافع فيهم) ويرى أن رعاية الجار هي واجب ديني لأن (النبي وصى على سابع جار) ، واذا كان هناك خير يجتنى فالجار أولى به من الآخرين وذلك لان (الجار أولى بالشفعة) ويجب على المرء أن يطلب الخير لجاره لانه (مادام جارك بخير أنت بخير) ، وانه يجب ان تغفر لجارك ان أساء اليك وذلك لأن (الجار جار ولو جار) ولا تقابل اساءته بالاساءة لأن (الجار اللي بدك تصاحبه كيف تقابحه ؟) ، واذا بليت بجار لا تنفع معه الحسنى فتحد من علاقاتك به مكتفيا بالتحية العابرة قائلا له (صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي) . أما اذا تمادى في أذاه فيجب الابتعاد عنه ما وسعك ذلك فانه (ان جار عليك جارك حوّل باب دارك) وان تصبر على أذاه (أصبر على جارك المشوم يايرحل يابيقوم) ولعل من الأمور التي تصور مدى ارتياح الفلسطيني لجيرانه انه يتمنى ألا تقتصر علاقاته على الطيبين منهم على الدنيا فقط بل تتعدى ذلك الى الحياة الاخرى فتراه يقول معتزاً بجيرانه (اللي جاورنا فيهم دنيا يجاورونا فيهم آخرة) . وعندما يريد احدهم ان يشتري منزلا او ارضا يبحث اولا عن نوعية الجيران معبرا عن ذلك بالمثل القائل (ابحث عن الجار قبل الدار) .



الثار والجهار !

وإذا كان الفلسطيني يظهر جانب اللين والسماحة الى أهله وجيرانه ، ويحتمل اذاهم ويوسع لهم صدره ، فانه يبدي جانب الخشونة والأنفة الى كل من يحاول هضم حقه أو الحط من شأنه . وهو وان كان يكافىء على الحسنة بأحسن منها (اللي بيتطلّع لي بعين باطّلع له بالعينتين) فهو يكافىء على السيئة بالسيئة فتراهم يقولون (اللي باعك بيعه وان طلب الجفا زيده) أو (اللي بيبيعك بالبصل بيعه بقشره) . وقد لا يكتفي بمقابلة الاساءة بمثلها بل بأكثر منها (اللي سبّ أبوك الخشب سبّ أبوه الذهب) . وهو حريص على ألا يجعل الآخرين يأنسون منه ضعفاً يطمعهم فيه لأن (الحيطة الواطية مرمى حجار الناس) كما أن (اللي بيعمل ظهره قنطرة ، الناس بتدوسه) وكذلك (اللي بيعمل نفسه حمار ، الناس بتركبه) ويجب ألا يسمح للآخرين أن يوقعوا به لأن (اللي دايق لحمك كل ما شافك بيتلمض) . كما يجب مقابلة جبروت المعتدي بجبروت أشد وأنكى لأنه (ما بيجيب الرطل الا الرطلين) . واذا كان هذا الظالم العاتي قد أوقع بالكثيرين فيجب أن يفهم بأن (مش كل الطير اللي بيتاكل لحمه) بل ان هناك طيوراً

مستعصية على الصيد ، مرة المذاق ، واذا كان عمرو بن كلثوم يقول : ـ

اذا ما الملك سام الناس خسفاً
أبينا أنْ نقر الذل فينا

فالفلسطيني يرى وجوب التصدي للحاكم الظالم والضرب على يده حتى لا يستفحل شره ، ويزداد ظلمه ، فقد (سألوا فرعون مين فرعنك ؟ قال : من قلة ما حدا يردني) وانه في سبيل الحياة الكريمة على المرء ألا يخشى الموت او يهاب الردى لأنه (ما بيقطع الراس الا اللي ركّبه) ، كما يجب عليه ألا يخشى السجن في سبيل مبادئه لأن (السجن ملح الرجال) ، واذا كان أبو تمام يقول :

تذم الفتاةُ الرودُ شيمة بعلها
اذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

فالفلسطيني حريص على أخذ الثأر ممن ظلمه ، وهو لا ينام على ثأر ، لأن (اللي ما بياخد الثار بيكون حار) وأشد سكان فلسطين حرصاً على الاخذ بالثأر هم البدو ، فالبدوي لا ينسى ثأره مهما طال الزمن اذ أن (البدوي بياخد ثأره بعد أربعين سنة وبيقول استعجلت) .

تأثيرات البيئة

المثل الشعبي وليد البيئة يجيء معبراً عن أحاسيس سكانها ومقتضيات حياتهم ، لذا تجد لسكان المدن الفلسطينية أمثالاً لا مجال لاستعمالها في القرى والبوادي وكذلك توجد أمثال مقصورة على كل من البيئة البدوية أو المجتمع القروي ، فحين تسمع المثل (سبع صنعات في ايدي والبين جاير عليّ) وكذلك المثل (مش كل من صف الصواني قال أنا حلواني) تعرف فيهما مثلين من أمثال أهل المدن حيث تكثر الصناعات والمهن ويقوم التنافس بين أربابها .

أما اذا سمعنا المثل (اذا أمطرت بلاد بشرّ بلاد) فتعرف أنه من أمثال الفلاحين الذي تقوم زراعاتهم على المطر والذين ينتظرون هطوله بفارغ صبر اذا تأخر كما هو الحال عند فلاحي فلسطين ، وعندما تسمع المثل (كل واحد بقطّينه بيقطّن) يتبادر الى ذهنك منظر الفلاحين الفلسطينيين وكل منهم منهمك مشغول بتجفيف ثمار التين الخاصة بكرومه .

واذا كان سكان المدن يقولون (حاميها حراميها) فأهل القرى يقولون (لو سلم المارس من الحارس الدنيا بخير) .

ومن أمثال بدو فلسطين (ربيع مصر بيروح في طريقها) يضربون به المثل على الامر تكاليفه توازي النفع المرجو منه ، وهذا المثل يبين لنا كيف كان يذهب بدو فلسطين الى اقليم الشرقية من أرض مصر لتسمين مواشيهم واذا ما عادوا الى فلسطين هزلت المواشي وهي تقطع فيافي سيناء ، واذا كان أهل المدن يضربون المثل للولد الطالح يخلف والده الصالح بقولهم (وردة خلّفت شوكة) فالبدو يقولون (يا ما نار خلّفت رماد ويا ما جمال خلّفت بعر) ، وفي مقابل قول اهل المدن لمن يريد أن يقوم بالعمل بعد انتهاء الآخرين منه (الناس راجعون وهو حاجون) فالمثل الذي يردده البدو في هذا الموقف (روّحت الرعيان ومقيدح سرح) واذا كان أهل الحواضر يقولون (لا تقول فول حتى يصير في المكيول) فالبدو يقولون (لاتعد بقرك قبل فوات الزعقوق) والزعقوق حشرة تصيب الابقار في فصل الخريف فتجعلها تهيم على وجوهها . ومن أمثال البدو كذلك (البوص ما يندق أوتاد) والمثل (حبل الليف بيرخي) يضربونه للحث على عدم الاعتماد على ذوي الاصل الخسيس ، وفي أمثالهم أيضا (سنة موت الجمال عملوا الأعور قايدة) و (مين شاف سليمة في سوق الغزل) والمثل (اللي بتربط ايده على السيف ما بيضرب) وهي أمثال تعطيك صورة حية للبيئة البدوية بما فيها من جمال ونيران ورعاة وخيام ... الخ . كذلك يكثر في أمثال أهل الساحل ذكر البحر والسفن [illegible] فمن أمثالهم .

المركب اللي فيها ريسين بتغرق ـ المركب اللي ما فيها لله بتغرق ـ اذا غرقت مركبك [illegible] رجلها [illegible] الرعنا [illegible] صدف البحر

[illegible] والمنية [illegible]

[illegible] التبن عن القمح



التاريخ العربي

هناك بعض الأحداث التاريخية الهامة التي تركت صداها في الوجدان الشعبي عبر القرون ومن هنا أخذ الشعب يرددها في أمثاله ، ومن هذه الاحداث ما يكون قد وقع في العصر الجاهلي مثل قولهم (جايب رأس كليب) يضربونه لمن يحضر شيئا ويظهر أعتزازه الشديد بما احضر . وكليب المذكور في المثل هو كليب بن ربيعة سيد وائل الذي ضربت به العرب المثل بالعزة فقالوا « أعز من كليب وائل » وقد كان يحمي مواقع القطر فلا يرعى حماه وقد قتله جساس بن مرة بن ذهل الشيباني فترتب على مقتله حرب البسوس التي استمرت لاربعين سنة . أو تكون حادثة وقعت في زمن الرسول ﷺ مثل قولهم (أمكر من يهود خيبر) وهم قبيل من اليهود كانوا يسكنون خيبر شمال المدينة وقد حاربهم النبي ﷺ وأخضعهم ، ومن أساليب مكرهم ان امرأة منهم حاولت قتل النبي ﷺ باهدائها له شاة مسمومة أو يكون زمن وقوع الحادثة العصر العباسي ، فتراهم يضربون المثل للأمر تريد تداركه بعد فوات الأوان بقولهم (بعد خراب البصرة) وقد خربت البصرة سنة ٢٥٧ هجرية أبان ثورة الزنج ، وبعد أن فعل الزنج الافاعيل بالبصرة وبأهلها وجه العباسيون الجيوش لانقاذها ، ولابن الرومي قصيدة مؤثرة يرثي بها البصرة ويذكر ما يفعله الزنج بها . ولعل أكثر الحوادث تأثيرا في الوجدان الشعبي هي الغزوات الصليبية تلك الهجمة الشرسة التي تلاحقت موجاتها موجة أثر أخرى لمدة قرنين من الزمن ، كانت أوربا تقوم خلالها بقذف شواطيء فلسطين بين حين وآخر بمغيرين جدد تحملهم الأساطيل قادمين من جهة الغرب ، حتى ترسخ في الوجدان الشعبي ان الجهة الغربية هي مصدر الشرور التي لا يتوقع ان يأتي منها خير ، وقد عبر الشعب عن ذلك بالمثل (ما بيجي من الغرب اللي يسر القلب) يضربه مثلا عند حلول من يسبب له المتاعب والمضايقات ، وأصبح لفظ الصليبي في الأمثال الشعبية الفلسطينية يرمزبه الى العدو والدخيل فتراهم يقولون (زوان بلادك ولا قمح الصليبي) ويقولون (اللي بياكل قمح الصليبي بيضرب بسيفه) . وقد لفت نظري أن الحس الشعبي يفرق بين لفظي صليبي ونصراني ، فاذا كان لفظ الصليبي يرمزبه الى العدو الدخيل فان الأمثال التي ورد فيها لفظ نصراني تحمل معاني المودة والتسامح ، فتراهم يقولون لمن لا يعبأ بانضمامه الى قوم وانسلاخه عن آخرين (أسلمت سارة لا زودت المسلمين ولا قللت النصارى) كما يرددون في مجال أن ليس للنصارى غدر اليهود (كول عند اليهود ونام عند النصراني) .

ومع توالي موجات الغزو الآتية من الغرب رأى بعض سلاطين المسلمين العمل على حرمان الغزاة من فرصة اتخاذ مدن الساحل قواعد ينطلقون منها الى ماوراءها من ديار المسلمين ، فقام الناصر صلاح الدين بتخريب عسقلان حتى لا يتخذها الصليبيون قاعدة للهجوم على مصر ، كما قام الظاهر بيبرس بتخريب يافا عند فتحها ، ولما كانت عسقلان من أزهى مدن فلسطين وأكثرها عمرانا فقد ترك تخريبها أسى وحزنا في وجدان الشعب نجد صداه في قولهم (كانت عسقلان مدينة) يضربونه للأمر كان له خطره وشأنه ثم أخنى عليه الزمن فدرس وباد .

وبعد خروج الصليبيين من بلاد الشام ، قامت فرقة الاسبتارية بالاستيلاء على جزيرة مالطة واتخذت منها قاعدة لمهاجمة سفن المسلمين وشواطيء بلادهم وذلك بعد أن قضوا على كل أثر للمسلمين في الجزيرة مما جعل مالطة في الوجدان الشعبي رمزا لديار الكفر التي لا يوجد فيها من يقيم شعائر الاسلام ، ومن هنا جاء المثل (مثل اللي بيأذن في مالطة) يضربونه لمن يدعو حيث لا يستجاب له . وان هذه الحروب التي تسترت باسم الدين هي التي جعلت الفلسطيني رغم تسامحه الديني الذي يعبر عنه بقوله (كل واحد على دينه الله يعينه) وقوله (الدين للديان) جعلته يرى أن العداء الحقيقي هو العداء الديني ، وقد جاءت الغزوة الصهيونية المتسترة برداء الدين لترسخ لدى الشعب هذا المفهوم فتراهم يقولون (عدوك عدو دينك) ويقولون (عدو دينك عمره ما بيعينك) . ■■

الاسكندرية ـ محمد العبد المصري

ثورة المسرح الجديد فى بريطانيا

بقلم : جمال الكتاني

لقد أرست الثورة المسرحية التي بدأت في انجلترا بعد الحرب العالمية الثانية قواعدها وأتمت رسالتها وحققت جل أهدافها .. ولم يبق الا تقييم ما حقق كل كاتب مسرحي عن طريق كل مسرحية كتبها وما حقق كل مخرج مسرحي عن طريق كل تمثيلية أخرجها ، وما جنت تلك الثورة بوجه عام .. ومن الواجب أن نذكر باديء ذي بدء أن بعض المسرحيات العادية المعاصرة ما زالت تحتوي قدرا من العاطفية والتفسيرات الخاطئة فيا يتعلق بالطبقة العاملة ، يساوي أو يزيد عما كان يحتويه سلفها من أخطاء تتعلق بالطبقة الارستقراطية .. كما يجب ان نشير الى ان كتابات بعض كتاب المسرح ، الذين ظهروا في أوائل هذه النهضة المسرحية وتوقع لهم النقاد مستقبلا زاهرا ، لم تتطور بدرجة تحقق ما عقد عليهم من أمل .



تولىّ زعامة الثورة المسرحية المعاصرة في انجلترا أربعة من كتاب المسرحيات هم صمويل بكت وجون أوزبورن وهارلد بنتر ، وجون آردن .. وكان أكثر الاربعة وأعمقهم أثرا على تلك الحركة المسرحية هو لا شك « جون أوزبورن » لأن اهتمامه بالناحية الطبقية من المجتمع كان واضحا محددا ، والناحية الطبقية عنصر من أهم عناصر أي ثورة .. وأوزبورن هو الذي فتح الباب للطبقة العاملة بعد أن طال طرقها لهذا الباب .. ومع أن رواد المسرح في لندن ما زالوا أساسا من أهل الطبقة الوسطى ، الا ان الوضع قد بدأ يتغير فيما يتعلق بالمسارح غير التجارية التي تتلقى اعانات مالية وتقدم المسرحيات الجاهزة من بين مجموعة المسرحيات التي في جعبتها .

ومن أهم العلامات الدالة على تطوّر المسرح الانجليزي المعاصر هو ظهور مسرح « الاخراج الجماعي Ensemble Theatre » الذي يرجع الفضل فيه الى « برتلوت برخت » أولا ، ثم الى « جون لتل وود » و « كنث تاينان » اللذين كافحا في هذا السبيل عشرين عاما . وخير مثال على مسرح « الاخراج الجماعي » هو الاخراج الذي قدمه مؤخرا « بيتر هول » وهو زعيم المخرجين في المسرح المعاصر ـ بالاشتراك مع جون بارتون وكذا الاخراج الذي اشترك فيه « جون بارتون » و « ترفور نن » و « كليفورد وليامز » ، للجزءين الاول والثاني من هنري الرابع .

واشتراك اكثر من مخرج واحد في تقديم تمثيلية واحدة أمر لم يكن يخطر بالبال في انجلترا قبل عشرين سنة . كما ان ما اقدم عليه المخرج بيتر هول من ابرام عقود طويلة الاجل مع الممثلين ، مما أمّن لهم نوعا من الاستقرار وقوّى روح الجماعة والتعاون بين اعضاء الفرقة الواحدة ، كان فتحا جديدا في عالم المسرح هيأ الفرصة لتطوير أسلوب الاخراج والتمثيل ، فكانت النتيجة أسلوب اخراج شيكسبيري جديدا تماما على انجلترا المعاصرة ، يستمد أصوله من « برخت » . وهذا الاسلوب الجديد يعارض الاسلوب البطولي ويؤكد بشدة جميع الحقائق العادية في الحياة العادية للشخص العادي .... فالجنود الذين يظهرون على المسرح المعاصر اصبحوا اكثر من شخصيات اضافية تكون جماعات يزين بها المسرح وتملأ ما قد يكون فيه من فراغات ... انهم اليوم يظهرون كشخصيات لذاتها ، شخصيات تكدّ وتكدح وتعرق وتحس بالجوع والعطش ... شخصيات تجرّ امتعتها ، وتجرّ دوابها ...

أما سيوفهم ودروعهم فسيوف حقيقية من فولاذ وحديد ، وملابسهم الخشنة من قماش خشن فعلا ، وما يغطي وجوههم واجسادهم من دم او طين ، هو دم وطين وليس مجرد الوان أو « ماكياج » ... فالمسرح الجديد لا يقدم ومضات او لقطات عارضة لايضاح فكرة معينة .. والمسرح الجديد لم يعد خلفيّة لقصيدة تقرأ او خطبة تلقى ، ولكنه اليوم ضرورة لازمة تدور حولها فكرة الاخراج التي تعتمد على الواقعية وتؤكدها .. لهذا زادت اهمية المصمم الفني المسرحي الذي يلعب اليوم في الاخراج دورا خطيرا ... ونذكر من صفوة هؤلاء المصممين ، جون بري الذي يدين بالكثير لمصممي « برخت » من امثال كاسبار نهر .

ويميز التصميم والمناظر هذه الايام انها جميعا تتسم بالبساطة وعدم الافراط في الزينة والقصد في استخدام الالوان والاضواء والاعتماد على نصب وادوات توضع في مقدمة المسرح ... وقد تكون هذه كرسيا خشبيا عاديا او عربة خشبية او طاولة رخيصة ... توفر كلها للمسرحية جوا محليا .

وعلى الرغم من ان مسارح لندن التجارية لا تستطيع ان تجاري مسارحها القومية التي تكاد تحتكر الاسماء اللامعة من نجوم المسرح وكواكبه ، الا اننا نلحظ اتجاها قويا نحو الاسلوب الجماعي في التصميم والاخراج . واوضح دليل على ما طرأ على المسرح الانجليزي من تغيير ، هو المذهب الجديد الذي يتبع في توزيع الادوار على الممثلين .. ففكرة المخرج المعاصر عما يجب ان تكون عليه سحنة الممثل وشكله وملامحه تختلف عما كانت عليه فكرة سلفه فالمسرح المعاصر يقبل من الممثلين لهجات ريفية او اقليمية خشنة ولا يصر على اللهجة المهذبة التي يتدرب عليها خريجو الاكاديمية الملكية للتمثيل .. وحتى الملامح التقليدية الجميلة



اوزبورن

بالوسامة التي كانت من قبل امرا مألوفا مطلوبا ، قد بدأت اليوم تختفي تدريجيا من بين صفوف الممثلين الذي يعملون على المسرح المعاصر .

وكان المخرج قبل عشرين سنة يجد صعوبة في الحصول على ممثل يجيد لعب دور الرجل العادي ، اما اليوم فالصعوبة التي يصادفها المخرج هي في الحصول على ممثل شاب يتقن لعب أدوار الملوك والامراء وافراد الطبقة الارستقراطية .

ولقد وضع المخرج « بيتر هول » نظرية جديدة للاخراج تؤكد النواحي والخصائص التي تشترك فيها شخصيات الملوك والقواد في شيكسبير مع شخصية الرجل العادي فهو يحاول ان يحدد اوجه الشبه بين شخصيات العظماء وبين الافراد العاديين ثم يؤكد اوجه الشبه هذه بدلا من تأكيد نواحي الاختلاف بين هذه وتلك . فيختار لمن يلعب دور « لير » مثلا ، رجلا يجمع بين صفات الملوك وصفات الرجل العادي ...

بداية ثورة المسرح

وقد يتساءل البعض عن الدور الذي لعبه الكاتب المسرحي جون أوزبورن في كل ذلك ... وترد بأن النقاد حين يتحدثون عن الثورة التي حدثت في المسرح الانجليزي المعاصر ، انما يتخذون يوم ٨ مايو ١٩٥٦ تاريخا لبدء تلك الثورة .. وهذا هو التاريخ الذي ظهرت فيه مسرحية « اوزبورن » التي عنوانها « انظر خلفك في غضب » على مسرح « رويال كورت » ومن عنوان هذه التمثيلية كانت عبارة « الشاب الغاضب » التي جرت في الانجليزية مؤخرا مجرى الامثال ومنها كذلك اخذت انا الاسم الذي اطلقته على مدرسة أوزبورن ـ « الغاضبون » .

وليس في تعيين تاريخ عرض هذه التمثيلية على المسرح بدءا للثورة المسرحية ما يعني ان تلك الثورة قامت بين عشية وضحاها ، أو أن تلك التمثيلية كانت من الثورة لحمتها وسداتها ولونها ... الذي حدث ـ ويحدث عادة ـ كان تطورا تدريجيا بدأ قبل تاريخ عرض المسرحية المذكورة واستمر الى ما بعده ولعله لم يستنفد دفعته بعد .. وكل ما هناك هو ان « اوزبورن » اكسب النوع الجديد من « الابطال » والطراز الجديد من « الممثلين » شعبية كبيرة ..

ولعلي انحرف عن السياق قليلا لاشير الى هذا « الغضب » الذي ارتبطت باسم اوزبورن ومسرحيته التي اشرنا اليها فأقول ان كلمة « الغضب » ليست هي الكلمة التي تنطبق على الواقع ، ولا بد ان اوزبورن اختارها عامدا رغم ادراكه لهذه الحقيقة ، لان من طبيعة الغضب ان ينصب على شيء او على شخص معين .. اما اذا كان الغضب عاما ينصب على كل شيء فهو في الواقع ليس بغضب . وهذا ما ينطبق على « جيمي بورتر » بطل مسرحية « انظر خلفك في غضب » . فهو يصب جام غضبه على كل شيء وعلى كل من يحيط به ـ اليسون وكليف ـ وغيرهما من شخصيات المسرحية وهو الى جانب ذلك غاضب على جرائد الاحد وعلى النظام الاجتماعي وعلى النساء والمحافظين من اعضاء مجلس العموم البريطاني ، وعلى المبشر بلي جراهام ، وعلى كل من يحنّ الى ايام الامبراطورية ، وعلى الكنيسة ، وعلى ما يلمس من عدم مبالاة الناس ... و « جيمي » نفسه سلبيّ لانه لا يقدم للناس بديلا عما ينتقد ... فهو يتمنى تغيير الاوضاع ولكنه لا يدري الى اي وضع آخر يكون التغيير ، وفي هذا ما يدل على أن « اوزبورن » ليس خليفة « لبرنارد شو » ، وانه لا يقدم ، بل لعله لا يملك برنامجا للاصلاح الاجتماعي . كل ما عنده هو رسالة يحملها بطل المسرحية الذي يقول :

« ليس هناك من يهتم او يكترث ... فالناس لا يفيقون من رقادهم ولا ينفضون عن انفسهم ثوب الكسل . يا إلهي ، كم أتمنى أن أرى قليلا من الحماسة البشرية . حماسة فقط لا غير . اريد ان اسمع صوتا دافئا يرتفع الى السماء يقول : الشكر لله ، فانا حي . وانا افكر ، لم لا نمارس لعبة ما ؟ هيا .. دعونا نتظاهر بأننا آدميون ... واننا احياء فعلا . ولو لفترة .. ما رأيكم ؟ دعونا نتظاهر بالآدمية بهذا يصرخ أوزبورن فيدوي صوته دون ان يتبلور الصوت علاجا للداء الذي يشكو منه صاحبه ...

من هو جون أوزبورن ؟

هو زعيم كتاب المسرح الانجليزي المعاصر ، وهو مدير لشركة من شركات الافلام يحترف التمثيل ويزاوله بين حين وآخر ... ولد في يوم ١٢ ديسمبر ١٩٢٩ وتلقى تعليمه في كلية « بلمونت » .

في مقاطعة « ديفون » . وأهم ما يعرف عنه اجتماعيا انه ـ كما يصفه عارفوه ـ « مزواج » وأراه انا رجلا « مطلاقا » ان جاز هذا التعبير ..

تزوج أوزبورن أول مرة عام ١٩٥١ « باملا اليزابث لين » التي طلقها عام ١٩٥٧ وتزوج بعد ذلك أربع مرات .. وكانت خامسة زوجاته « هيلين رودس » التي تزوجها في العام الماضي ١٩٧٨ .

اوزبورن كما اسلفنا يتزعم مدرسة الكتاب المسرحيين المعاصرين ، وظهرت تمثيلياته على المسرح والسينما . ويزيد عدد هذه التمثيليات عن اثنتى عشرة تمثيلية ظهرت احداها على التلفزيون . ومن اشهر ما كتب اوزبورن ، مسرحية عن مارتين لوثر زعيم الثورة الدينية المعروفة ، عنوانها « لوثر » ، ثم مسرحية « ادلة غير مقبولة » ويجمع النقاد على انها خير ما كتب ، ومسرحية « فندق في امستردام » وغيرها .. وتتسم التمثيليات التي كتبها اوزبورن مؤخرا بفنتازية سيكلوجية وعمق ادراك ...

الا ان اهم مسرحيات اوزبورن كلها من الناحية التاريخية والثورة جميعا ، هي مسرحية « انظر خلفك في غضب ».. بطلها « جيمس بورتر » يحارب على الجبهتين الوحيدتين اللتين تتوافران له ، الجنس والكلام . ويستخدم اوزبورن بطل مسرحيته هذه في معالجة ناحية « الجنس » بنفس الطريقة التي تستخدم بها اية شخصية تقليدية في اية تمثيلية تقليدية .. اما في ناحية الكلام ـ اي ما يلقى من خطب ومونولوجات ، فالامر يختلف عن ذلك ... فالحركة التمثيلية لا تتوقف ابدا اثناء كلام « جيمس بورتر » ، ذلك لان ما في الخطب والمونولوجات التي يلقيها من فكاهة يثير ضحك المشاهدين ويحتفظ للمسرحية بحيوية قوية .... واوزبورن ، اذ يقدم مسرحيته هذه للجماهير ، لا يقتصر على سرد قصة عن شخص اسمه « جيمس بورتر » ، بل انه يذهب الى ابعد من ذلك اذ يستخدم خشبة المسرح كمنصة او منبر ، وشخصية البطل كبوق يعلن على الملأ مزيجا من الافكار التي يريد نشرها وابرازها ، وهي افكار موجهة في جملتها ضد الاوضاع المألوفة والتقاليد المرعية . خذ مثلا ما يقول عن « ناجيل » رمز رجل السياسة المعاصر :

« انه رجل وطني مخلص ، وهو انجليزي ! ... لا تروقه فكرة انه كان يبيع مواطنيه طوال تلك السنين . فماذا يعمل اذن ؟ الامر الوحيد الذي يستطيعه هو ان يعتصم في برج حماقته والطريقة الوحيدة للاحتفاظ بالاوضاع على ما هي عليه بقدر الامكان ، حتى ان تعقد أي بديل لها بحيث لا تستطيع العقول الفقيرة الصغيرة ان تفهمه او تدرك معناه ... وهذا يتطلب جهدا كبيرا هذه الايام . صدقني . ولكن لا تقلق ... انه سينجح ، بل وانه سيفوق في ذلك كل من عداه ... » .

وتتطور المسرحية ويتطور معها دور « جيمس » فلا يقنع بأن يكون بوقا يتحدث عن الآفات والعيوب الاجتماعية .

الوضع المعاصر والكابوس المعاصر

ولقد نجح « اوزبورن » في تمثيليتي المسل » و « ادلة غير مقبولة » بدرجة اقل ، في خلق « ابطال » لهم

وزنهم ، يمثل كل منهم ناحية مهمة من نواحي الحياة المعاصرة في انجلترا ، لا عن طريق التعبير عن حالات نفسيه وذكر ملامح من الجماعات معينة فحسب ، بل عن طريق تلخيص الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها البلاد وتشخيص تلك الحالة كذلك .. فشخصية « أرشي رايس » ليست مجرد شخصية كوميدي فاشل يعمل تحت ظروف تقاليد شعبية تحتضر وتلفظ انفاسها الاخيرة ، بل ان « الميوزيك هول » المتداعية ـ وهي دنيا « أرشي » ـ تمثل انجلترا نفسها كما يمثل « أرشي رايس » كل فرد من افراد الشعب خير تمثيل .. فكل من هؤلاء الافراد يدرك ـ دون ان يصرح ـ انه حي « ميت او حي » ، وان الذي يبرر استمرار حياته هو ما يتوقع من لذة جسدية من الكأس التالية التي قد يحتسيها او المرأة التالية التي قد يلامسها . وتمثل شخصية « أرشي » ذلك الدرك الذي انحدر اليه الشعب الذي يعلن عدم الاكتراث من ناحية اذ يقول ـ لا يعني شيء ـ ويبدي غاية الاهتمام من ناحية اخرى .. وهذه الشخصية مثال حي على حالة متدهورة لان « أرشي » يشعر انه قد تعدى مرحلة الاحساس بالالم ، ثم نراه بعد لحظة منفطر القلب مكسور الفؤاد لسمع خبر مقتل ولده . واذا كانت « الهجرة » هي الرباط الوحيد الذي يربطه بوطنه انجلترا ، فلم يرفض الهجرة اذن حين تعرض عليه تذكرة سفر مجانية الى كندا ؟ انه لا يحس بولاء لوطنه ولا بولاء لزوجته ولكن « اوزبورن » يحب فيه اصراره على الكفاح ، ويعجب به لانه لا يقعد عن المحاولة ابدا ..

اذا كان « اوزبورن » قد جسد الوضع المعاصر في « جيمي بورتر » و « أرشي رايس » فان في « بل ميتلاند » بطل مسرحية « ادلة غير مقبولة » تجسيدا للكابوس المعاصر . فهو شخص مكافح فاشل يغرق في بحر من عدم اكتراث من يحيط به من الناس ... و « بل » هذا رجل مهني .. فهو محام بدأت حياته تتقمص الحلم الذي يقلق نومه كل ليلة ، فهو يرى فيما يرى النائم انه مطلوب للمثول امام محكمة اعضاؤها هم اصحاب المؤسسة التي يعمل فيها ... نراه في قفص الاتهام يحاول الدفاع عن نفسه فيعقد لسانه ويرتج عليه ويعجز عن صياغة ردوده في عبارة مقبولة . ونراه بعد ذلك في مقر عمله يسوق الحجج ويقدم الادلة ليقنع الناس ان خدماته لازمة لهم ، فلا يصيب في ذلك نجاحا ، واذا بالناس تنفض من حوله واحدا بعد واحد ، موظفات المكتب ، زبائنه ، بنته ، خليلته ، فيدرك في نهاية الامر انه يقف وحيدا .... والقاعدة العامة في الحياة هي انه اذا كانت خدماتك لا تلزم لاحد ، فلن يكون هناك من يخدمك ، او يقاسمك فراشك ، او يطلب مشورتك ، او يخاطبك تلفونيا .. عند ذلك تتبين انك لا تملك غير نفسك ... فماذا تحصل اذا لم يكن في نفسك ما يكفيك ؟ .... هنا يصل اوزبورن بالمسرحية الى ختامها فاذا بالموقف الذي وصل اليه اشد وطأة من الكابوس الذي بدأت به المسرحية وحاولت علاجه ...

ولفكرة « العزلة » وخاصة تلك العزلة التي تتزايد على مر الايام ، مكانة هامة في مكتبات « اوزبورن » فعلى الرغم من اتصال « جيمي بورتر » بغيره من شخصيات مسرحية « انظر الى الماضي وانت غاضب » ، الا اننا نراه وحيدا في ادراكه الموجع لما حوله من آفات .

الانسان يتحدى

ومن احب الصور الى قلب « اوزبورن » ، صورة رجل يقف وحده في وجه الاوضاع القائمة في بلاده ، وفي وجه العصر الذي يعيش فيه دون ان يهتم بالقضايا التي تجعل هذا الموضوع ضرورة لازمة .... ومسرحية « لوثر » ، وهي من مسرحيات اوزبورن التي كانت موضعا للتساؤل والجدل الحاد الطويل ، هي في الواقع مسرحية ترسم صورة لثائر متمرد ، لاتهتم كثيرا بناحية « الايمان » ولا تعالج ، الا بصورة عابرة ، ما في الكنيسة من تعاليم وما فيها من مثالب ان جاز ان يكون في الكنيسة مثالب . فشخصية « لوثر » في المسرحية تمثل التمرد والعصيان دون ان تأبه بأسباب هذا التمرد وذاك العصيان .

وفي ايثار « اوزبورن » لا بطاله ومحاباتهم دون غيرهم من الشخصيات ما يؤدي الى عزلتهم وبعدهم عن المجتمع .... وهذه ظاهرة غريبة حقا لا نتوقعها من كاتب يساري النزعة فمعظم ابطاله من صميم الطبقة العاملة

ولكن ليس منهم رغم ذلك من يمثل الطبقة العاملة ، كما اننا لا نرى منهم واحدا يعيش في محيط تلك الطبقة العاملة .

لروح الفكاهة ، والنكتة الحلوة مكان ملحوظ في مسرحيات اوزبورن ، فكل شيء عنده جائز ما دام يضحك ولا ينافي الذوق او طبيعة السياق ... ولكن روح الدعابة تتحكم في شخصيات اوزبورن اكثر من تحكم هذه الشخصيات في الدعابة ومعنى ذلك ان للشخصية كامل الحرية في سرد أي حكاية طريفة مضحكة .

والنكتُ ذاتها مهمة جدا بالنسبة لأوزبورن ، فمسرحية « المسلي » مثلا تدور حول شخصية رئيسية نتوقع ان نسمع منها النكتة تلو النكتة .. ونلمح نفس الظاهرة في تمثيلية « تحت الغطاء العادي » وان كان المؤلف لم يصب في هذه ما اصاب في « المسلي » من نجاح ... استمع اليه يقول في آخر مشهد من مشاهد « الميوزيك هول » في المسرحية :

« بين الكواليس شخص يحمل » خطافا « او » صنارة « ... انت تعرف ذلك .. دون شك .. انه يقف هناك .. حيث استطيع ان اراه .. انه لا شك جابي الضرائب »

ونجد هذا الاتجاه في جميع مسرحيات اوزبورن اللهم الا في مسرحية « لوثر » لان طبيعتها الدينية لا تناسب النكت .. فأي محاولة من هذا النوع تبدو فيها عقيمة نابية تنفر الذوق السليم .

لا يعتبر اوزبورن من ناحية الصنعة المسرحية وفي التأليف المسرحي مؤلفا من النوع التقليدي فحسب ، بل اننا نراه ـ من ناحية ـ كاتبا بدائيا كذلك .. فهو مثلا يبدأ مسرحيته وعلى خشبة المسرح ثلاثة من الممثلين ، ثم يدخل اثنان اثناء الحوار ، بدلا من أن يستغل وقع دخول كل ممثل من الثلاثة على حدة ، مما يعزز الجو الدرامي عادة ... ولعل اوزبورن يلجأ الى ذلك عامدا ليوفر على نفسه عناء كتابة بدء الحوار بين الشخصيات الموجودة على المسرح فعلا .. ولسنا نسوق ذلك لا هميته ولكن نذكره لمجرد الدلالة على ان اوزبورن يتعمد على المونولوجات ، بدلا من الحوار ، الى حد بعيد ليحتفظ للمسرحية بحيويتها .

ماذا وراء المونولوج

ومما يميز كتابات ازبورن كذلك انه يعطف على بطل قصته ويرعاه الى حد انه يخضع له بقية الشخصيات دون ان يسمح لها بمقاومته او معارضته .. وهو بهذا يقلل من فرص الصراع الدرامي ، رغم اننا نفترض ان الغضب هو المحرك والدافع الى الكتابة وانه هو الذي يوحي بالهجوم على الدنيا الحديثة ونقدها ، تلك الدنيا التي يقول « جيمي بورتر » عنها انها تفتقد المثل التي تستأهل ان نموت في سبيل الدفاع عنها .... وعلى الرغم من ان الهجوم على الدنيا الحديثة يقتضي مقارنتها بغيرها ، او بعصر آخر ـ وهنا يتجلى ما في كتابات اوزبورن من تناقض ـ فاننا نجد ان اوزبورن يستعرض في حنين ، لا في غضب ، العصر الادواردي ، وما كان فيه من استقرار ورضا ، بينما يهاجم الماضي بكل غضب في اي سياق آخر ....

وبعد مرور خمس سنوات على ظهور مسرحية « انظر خلفك في غضب » بدأ الناس يتساءلون عما اذا كان اوزبورن قد استنفد جميع قدراته وامكانياته الدرامية ، وعما اذا كانت جعبته قد فرغ ما فيها من تمثيليات ، ولكنه سرعان ما طلع على الناس بمسرحية « ادلة غير مقبولة » فأجمع النقاد لتوهم على انها خير ماكتب .

ولقد وجد اوزبورن في مادة هذه المسرحية حلا لمعظم ما كان يواجه من مشكلات كانت من قبل تعقد كتاباته ، ومن هذه مشكلة الحوار التي كان يواجهها دائما فيضطر الى الاستفادة بالمونولوج الذي اتسم عنده بقوة خطابية هائلة وروح فكاهة منعشة .. ولكن المونولوج اسلوب يصعب استعماله في الدراما دائما ، ففي « انظر خلفك ... » يفيض « جيمي » بالمونولوج تلو المونولوج ، بينما يستمع غيره من شخصيات المسرحية لما يقول .

وتتكشف لاوزبورن في مسرحية « أدلة غير مقبولة » حقيقة كانت تخفى عليه وهي أن مصدر ما يلقى من صعوبة في ربط الشخصيات بعضها ببعض ،

هو الامر الذي يقلقه ويهمه ، وهو عدم اتصال الناس بعضهم ببعض . ونرى في « أدلة غير مقبولة » مدى وضوح رؤية اوزبورن وحدتها .. فآلام البطل « بل ميتلاند » وعذابه تصدر عن ادراكه التدريجي لما بينه وبين عالمه من فرقة .. فهو محام في الاربعين من عمره ، يمارس من القانون ناحية لا ترتفع فوق الشبهات ـ وهي قضايا الطلاق ـ له زوجة ، وبنت واحدة وخليلة ، وهو على وشك ان يصاب بانهيار عصبي كامل . فيخال له ان الدنيا كلها تضمر له العداء وتتآمر على تجاهل وجوده ... اصدقاؤه يجمعون على هجره والبعد عنه ، والناس تقطع مكالماتها التلفونية معه قبل نهايتها ـ او هكذا يخال اليه ـ وموظفو مكتبه يهملون شأنه ، وزبائنه لا يعملون بمشورته ، وبنته اذا زارته وقفت صامتة وهو يهذر .. فاذا صمت هو ، رحلت هي عنه دون ان تنطق بكلمة واحدة ...

هكذا تبين اوزبورن ان الناس لا يستمعون لاحد وخاصة من يلزمهم الاصغاء اليه .. والعكس هو الوضع على المسرح لان اشتراكنا بخيالنا ومجرد استماعنا لا يشركنا فورا في دنيا الحركة التي تجري ... فواجبنا هو ان نسمع لا ان نعمل .. ولهذا لا نصدق عيوننا تماما حين نرى ان الناس لا تصغي الى « بل ميتلاند » او تلتفت اليه ، لأن القلق يساورنا حينئذ اذ ندرك مدى اعتمادنا على نوايا الغير ومدى استعدادهم لمساعدتنا .

لا تخلو مسرحية « أدلة غير مقبولة » من بعض هنات .. فأوزبورن مثلا قد اسهب واطال في عرض كابوس محاكمة « ميتلاند » .. وكان الاجدى ان يضغط المحاكمة حتى لا يملها المشاهد وحتى لا يميع اثرها الدرامي ... ثم اننا لا نستطيع تحديد موضع مشهد « اللواطي » من المسرحية ـ رغم دقة المشهد وقوته ، فنحن مثلا ندرك ان النساء اللاتي يزرن البطل سعيا وراء الطلاق ، تمثل كل واحدة منهن ناحية من اخلاق زوجة البطل ، حتى لنكاد نعرفها دون ان نراها على المسرح ... لكن ترى الى اي شيء يرمز اللواطي ؟ .

وتكشف هذه المسرحية عن ضعف مونولوجات اوزبورن من الناحية الدرامية اذا ما وجهت هذه المونولوجات الى شخصية موجودة على المسرح فعلا .. بدلا من من توجيهها الى الجمهور مباشرة .. كما ان هذه المسرحية تتميز عن غيرها من مسرحيات اوزبورن من حيث ان شخصياتها لا تظهر في مشهدمن المشاهد ثم تختفي بعد ذلك تماما ، ومن حيث ان هذه الشخصيات لا تتطور عن طريق مونولوجات تكشف عن طبيعة كل منها .

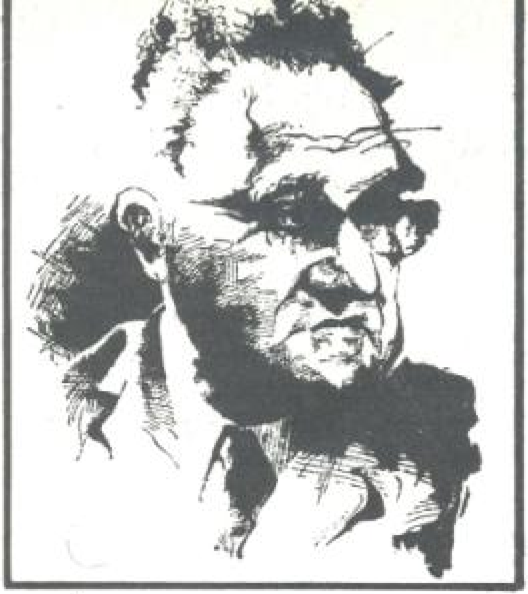
ترى هل هناك رسالة ، غير الرسالة الاجتماعية ، يريد اوزبورن ان يبلغها لجمهوره ؟

في مقال نشرته له « دكلاريشان » Declaration « قال اوزبورن » اريد ان احرك شعور الناس .. اريد ان القنهم دروسا في الشعور والاحساس . ويمكنهم بعد ذلك ان يفكروا لهذا نجد أن مسرحياته مشحونة بشعوره السافر مما يمكنها من ترك آثار عميقة ، كتلك الدهشة المحمومة التي تملك علينا شعورنا اذ يعود « جيمي بورتر » من الجنازة ليجد « اليسون » قد هجرت الدار . وما اصاب « نكول وليامسون » من ذعر لما لم يستطع كاتب المحامي ان يتحدث معه تليفونيا .... كانت ثورة « جيمي بورتر » على اليسون » هي ثورة على الطبقات الحاكمة ... وبكاء « أرشي رايس » عند سماع خبر مقتل ولده ، بكاء على الضحايا العزل الذين يقتلهم جهل رجال السياسة ..

لقد اراد أوزبورن ان يلقي على الناس درسا في الشعور والاحساس ولكنه لم يكن مستعدا للتعرف على ما يحس الناس به ، ومع ذلك فاننا اذا قيمنا كتابات اوزبورن لوجدنا في كل مسرحياته ومضات من بريق العبقرية ، دون ان يتحقق لها استقرار في الاسلوب او تحكم في التغييرات التي تطرأ على لحظات التوتر والازمات . ولعل في كراهيته للنقاد ما يعلل كبت قدرته على نقد نفسه ، كما ان في كراهيته لمراجعة ما يكتب ما يعلل ما في بناء مسرحياته من ضعف يسهل علاجه ... ومع كل ذلك فنحن نتطلع في شوق وشغف الى مسرحيته القادمة ، فالحياة في لندن بدون مسرحياته مملة لا تطاق .

اوكسفورد ـ جمال الكتاني

رسالة باريس


جارودى

بقلم :
محمد صالح القمودى

لحظة صدق فرنسية

في حين تواصل اوروبا الغربية جمع شتاتها الاقتصادي والسياسي ، ينبرى بعض مفكريها ليعلنوا ان زمن المراجعة قد حان، وأن ساعة الحساب قد دقت، وأن على القارة التي شيدت امجادها باستغلال تراث وثروات غيرها .. ان تعترف بانها ليست الاذكى ، ولا الاعلم ولا الاعرف فوق كوكب الارض.

باريس عاصمة الفن والادب في اوروبا الغربية ... حرك ركود حياتها الفكرية مؤخرا تيار تحددت معالمه . انه تيار الصحوة وما تتطلبه من شجاعة في مواجهة النفس لانتزاع اوهامها واسقاط اقنعتها وحملها على التواضع في التعامل مع الغير .

بعد قرون من الصلف والتعالي ، جاءت لحظة الصدق ومعها انكماش الخجل وانكسار التبجح هذا اتيامبل ـ ١ ـ استاذ الادب المقارن في جامعة السربون يعلن بان زمن التعالي الاوروبي قد انقضى .. وهذا جارودى ـ ٢ ـ يواصل تعريفه بحضارات الامم عبر الاجيال .. وهذا مونتوى ـ ٣ ـ يقدم ترجمة جديدة بالفرنسية لمقدمة ابن خلدون ، مصبوغة بمشاعره النابضة كفرنسي اشهر اسلامه واتخذ اسما جديدا منصور الشافعي.

يقول اتيامبل : ـ التعالي القومي في اوروبا .. فات زمانه وانقضى . لقد ان الاوان الذى يجب ان نتواضع فيه لنعترف بما للشرق علينا من فضل . وان كان غرورنا قد منعنا من ان نفعل ذلك بالامس فلنفعله اليوم .. ولننزل غشاوة الصلف التي حجبت عنا روية الحقيقة .

هذه اوروبا قد عثرتها الازمات الاقتصادية بعد ان تخلصت الشعوب من سيطرتها الاستعمارية، فكيف تبدو يا ترى لقد شاخت وترهلت : نضبت مواردها ، شح رزقها ، قل نسلها ، وسيطرت عليها احتكارات تمتص نبض الحياة في عروقها.

ان لهذه القارة المتهالكة ان تكتشف بان نهضتها مدينة للعرب والاتراك والصينيين .. وان ثروتها منهوبة من افريقيا واسيا وامريكا .. وانها لن تكون بعد اليوم الاقوى والاعظم .

ان لهذه القارة المزهـــوة بثقافتها وعلومها ان تعلم بانها ناقلة وليست واضعة معلمة ..... وبانها مطورة وليست مكتشفة .

ان لها أن تتعرف على ينابيع الثقافة الشرقية وأن تنهل من معينها ، وان تقارن بين الابداعات الانسانية في تواضع لا حجب الرؤية الصحيحة .

اما روجية جارودى ، فهو لا يكتفي بالتنبيه كما يفعل زميله ، بل يدفع الكتاب تلو الكتاب ليكشف عن الحضارات الانسانية عبر الاجيال ، وليقنـع الاوروبيين بضرورة التحاور مع الامم الاخـرى للاستفادة من ابداعاتها ، وللتعرف على قيمها .

لقد صدر له مؤخرا كتاب بعنوان كيف صار الانسان بشريا وهو جولة ممتعة بين ثقافات الامم هدفها التاكيد على وحدة الانسان رغم اختلاف وتباعد الزمان وغيوم التنافر وحواجز سوء الفهم . ويواصل جارودى مسيرته اذ يعد حاليا كتابا عن التصوف الاسلامى وهو لا يخفى اعجابه بالحضارة العربية الاسلامية ونظامها الشامل الذى يجمع الدنيـا والدين .

هذا التيار الفكرى الذى حرك ركود الحيـاة الثقافية في باريس مؤخرا يعيد الى الاذهـان كتابات فرانتس فانون (٤) الطبيب النفساني الذى انضم الى جبهة التحرير الوطني الجزائرية وساندها بفكره رغم ارهاب الاستعمار الفرنسى .

يقول فانون في كتاب (المعذبون في الارض) وهو اخر كتاب صدر له قبل وفاته ، فنال به شهرة واسعة ... يقول : ـ لقد فرض العنف على شعوب العالم الثالث حتى صار المواطن فيها لا يدخل المجتمع الانساني الا اذا اقتحمه بقوة السلاح .

لم يوجه فانون نداءه المشهور الى شعوب العالم الثالث : ـ

يا ايها المعذبون في الارض .. اخرجوا من الظلمات الى النور . الفجر الوليد يجب ان يلقانا مسلحين بالصلابة والفطنة والعـزم . فلننتزع الاوهام التى قيدنا بها الاستعمار الاوروبى . ان اوروبا تتحدث عن الانسانية وهي تستعبد الانسان انجازاتها التقنية .. لن تبهرنـا ولن تفقدنـا توازننا نحن لن نقلد اوروبا .. علينا ان نربي الانسان الكامل الذى فشلت اوروبا في تربيته ، علينا ان نستحدث نظاما يحفظ للانسان توازنه ولا ينحرف بفطرته .

ترى ....

اية اتجاهات سيتخذها هذا التيار الفـكرى الجديد ؟

× هل يدعم الاناسة (٥) وهو علم يبحث في اصل الجنس البشرى وتطوره واعرافه وعاداته ومعتقداته ... مثلما حدث عندما دعا روسـو (٦) الى الاهتمام بدراسة الانسان الفطرى لانه اطيب من الانسان الذى افسدته حضارة الغرب فاستغل الاستعمار الغربي دعوته اذ حول علم السلالة (٧) وهو علم يبحث في اصول السلالات البشرية ، الى اساليب لاستعباد الشعوب ونهب ثرواتها .

× ام انه سيطرح التعصب والعقد ، ويقبل على دراسة الحضارات الاخرى بقلب مفتوح وصولا الى الحقيقة ؟

واذا ما فعل ذلك .. فانه حتما سيتوقف طويلا امام الآيات القرانية التالية : « يا ايها النـاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبـا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم . ان الله عليم خبير » (الحجرات ـ ١٣) .

× وعندها ....

سيكتشف رواد هذا التيار الفكرى الجديد ان مؤسس علم الاناسة ليس روسو او موس (٨) وانما هو الله جل جلاله في كتابه العزيز .. وانهم لن يصلوا الى علم نافع حتى يستوعبوا هذه الآيات الكريمة التى تفتح ارحب الافـاق للتعاون بين البشر في ظل الاحترام المتبادل ، والتعاون المثمر النابع من التقوى .

باريس ـ **محمد صالح القمودي**

---

(1)— Etiemble — Retours du monde.
(2)— Roger Garoudy — Comment l'homme devint humain.
(3)— Vincent Monteil — Discours de l'histoire universelle.
(4)— Frantz Fanon — Les damnés de la terre.
(5)— Anthropologie.
(6)— Jean-Jacques Rousseau — Du Contrat social.
(7)— Ethnologie.
(8)— Marcel Mauss — Sociologie et Anthropologie.

رسالة روما

غناء وعبير

قصائد باللغة الايطالية فازت بجائزة سان فالنتينو

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني

في منتصف عام ١٩٧٨ تلقيت دعوة للاشتراك في مسابقة شعرية تجري في ايطاليا كل سنة ـ منذ عشر سنوات ـ للفوز بجائزة (سان فالنتينو) . والجوائز الأدبية في ايطاليا أكثر من أن تحصى ، وفي كل سنة يتبارى الناشرون والكتاب للفوز بها ، وتعقد لها لجان التحكيم ، وتشتغل بها الصحافة وكل وسائل الاعلام الأخرى . وهي في الواقع من الوسائل الناجحة في تشجيع الحركة الأدبية وزيادة اقبال الجماهير على القراءة . وجائزة سان فالنتينو ذات فروع : للقصة وللشعر ، وللمنشور وغير المنشور من الشعر والقصة : والجانب الشعري منها كان لهذا العام يختص بالحب ـ حب الانسان عامة ، وحب المرأة كذلك . وعلى الرغم من أن هذه الجائزة لا يرافقها أي مبلغ نقدي ، كالكثير غيرها من الجوائز ، فان الاقبال عليها يتزايد من عام الى عام . وقد علمت أن عدد المتسابقين لها هذه المرة قد وصل الى نحو أربعمائة شاعر وشاعرة من الايطاليين .

وأنا لدي مجموعة من القصائد كتبتها باللغة الايطالية خلال الأعوام الأخيرة ، وتبلغ خمسا وثلاثين قصيدة قصيرة ـ على طريقة الشعر الغربي الذي يميل الى القصر في الغالب ـ فرأيت أن أبعث بهذه المجموعة للمسابقة ، استجابة للدعوة ، وان لم يكن لي أمل كثير في الفوز بين مئات الايطاليين المتقدمين للمسابقة ، وهم أبناء اللغة ، وأنا غريب عنها .

وبعد نحو شهر تلقيت من سكرتيرية اللجنة المشرفة على الجائزة اشعارا بوصول المجموعة مشفوعا بتمنيات النجاح . وفي مطلع هذا العام ، ١٩٧٩ ، تلقيت رسالة تهنئة من سكرتيرية اللجنة ، مع قرار لجنة التحكيم القاضي بمنحي (جائزة خاصة لأحسن شاعر أجنبي باللغة الايطالية) .

وكان موعد تسليم الجوائز للفائزين هو الحادي

والعشرين من شهر نيسان الماضي . ولم أتمكن من الحضور بنفسي لتسلم الجائزة ، فكتبت الى صديقين لي في روما لكي ينوبا عني بحضور الاحتفال وتسلم الجائزة : وهذان الصديقان هما : المستشار الثقافي في السفارة الاردنية السيد سليم الربضي ، والدكتور فتحي مقبول ، مدير المركز الثقافي العربي في روما ، وأحد مدرسي اللغة العربية في المعهد الجامعي الشرقي في نابولي .

وحضر الدكتور فتحي مقبول الاحتفال ، وألقى فيه كلمة نيابة عني ، وتسلم الجائزة باسمي . والجائزة عبارة عن كأس فضية كبيرة الحجم ، تقوم على قاعدة من الرخام الابيض الجميل ، ومعها ميدالية ذهبية ، وبراءة تقدير من لجنة التحكيم ، وكتاب يشتمل على قصيدة واحدة لكل واحد من الشعراء الذين اشتركوا في المسابقة . ويقول الدكتور مقبول في رسالته التي وصلت مع الجائزة ان الجمهور الذي حضر الاحتفال كان يزيد عن خمسمائة شخص ، مما يدل على الاهتمام الذي تتمتع به هذه الجائزة .

لقد سبق أن نشرت الصحف والمجلات العربية نبأ فوزي بهذه الجائزة ـ وهو ثاني جائزة أدبية ايطالية أفوز بها ، وكانت الأولى جائزة (البحر المتوسط الثقافية) من باليرمو سنة ١٩٧٦ ، ونالها معي من العرب الشاعر نزار قباني ، والكاتب الليبي الصديق خليفة التليسي ، ومع الجائزة مبلغ من المال لكل واحد ممن نالوا الجائزة . وهي الجائزة عينها التي فاز بها توفيق الحكيم عام ١٩٧٧ ، فازت بها الشاعرة فدوى طوقان سنة ١٩٧٨ ـ

ولقد طلب الي كثير من الاخوة الادباء في الاردن والبلاد العربية أن أترجم لهم بعضا من قصائدي الايطالية الفائزة بجائزة سان فالنتينو ، لكي يقرأوها باللغة العربية . وها أنا أقدم لهم بعضها نثرا باللغة العربية حسب رغبتهم .

١ ـ رغائب

ان كنت ، يا أخي ،
ترغب في أن تكون بحق أهلا
لأشعة الشمس ،
ولعبير الأزهار والورود ،
وضحكات الحدائق والحقول ،
وخرير الجداول والأنهار ،
وللسلام والهدوء
على الشواطيء والجبال ؛
وان كنت تود أن تنعم مطمئنا
بأفراح الحياة ،
ففكر في أن الجميع كذلك يرغبون
ـ ولهم مثل حقك في الرغبة ـ
في الأمور عينها التي تريدها أنت
والتي تفكر أنت نفسك
في امتلاكها .

. . .

٢ ـ اللاجيء

اللاجيء هو انسان مهان ،
انسان طعن في كرامته ،
ولكي ينتقم لنفسه من الظلم
يفعل كل شيء ليجعل الجميع أيضا يحسون بمثل مهانته
ويشعرون بمثل مذلته .

. . .

اللاجيء انسان فقد كل شيء ،
ولهذا
يفعل كل ما بوسعه ليجعل الآخرين أيضا
يفقدون مثله كل شيء .

. . .

اللاجيء انسان . وهو ككل الناس
حين يفقد بيته ووطنه ووسائل عيشه
يفقد حتى الاحساس
نحو الانسانية بأسرها ،
ونتيجة لذلك يصبح عدوا
للجميع ،

ولكل ما هو انساني .

. . .

بالمحبة والعدالة وحدها

يستطيع اللاجيء أن يسترد كرامته

ويسترد حبه للآخرين .

. . .

٣ ـ وطن عام

لماذا تخترعون الصواريخ

ووسائل الموت والدمار الأخرى ؟

لماذا تقيمون الحواجز والحدود

لتفرقوا بين الناس وبين الاقطار ؟

ارفعوا بدلا من ذلك أعلام السلام

والثقة المتبادلة ، والاخاء ،

اخترعوا بدلا من ذلك وسائل عامة

للسعادة

والرخاء

والحب بين البشر

بذلك تستطيع الأرض أن تصبح

وطنا عاما وسعيدا

لبني الانسان أجمعين .

. . .

٤ ـ فراشات

فراشات ربيع

من كل لون وسحر

تستريح مطمئنة وادعة

على خديك .

وفي عينيك

يضحك الربيع

وترفرف أجنحة ذهبية

من ألف فراشة .

. . .

٥ ـ ورود وبركات

من كان في وسعه أن يغرس

نبتة شوكية ،

ففي وسعه كذلك

أن يغرس حديقة أزهار

وورود شذية .

. . .

من كان قادرا على أن يلعن ويشتم

فهو قادر كذلك على أن يبارك

وأن يخلق البهجة

في حياة الآخرين .

. . .

طوبى للذي ،

بدلا من أن يغرس الشوك ،

وبدلا من أن يلعن ويشتم ،

يفرح بأن يغرس

حدائق أزهار وورود ،

ولا يعرف

غير أن يبارك ، ويخلق البهجة

في حياة الآخرين !

٦ ـ غناء وعبير

العندليب ذو الحنجرة الذهبية

قبل شروق الشمس

يلقي علي « صباح الخير » ،

وفي حنجرته الصغيرة تغرغر عذبة

ألف أغنية حب .

. . .

وأنت يا حبيبتي تستيقظين مع الشمس

وعلى شفتيك ابتسامة حلوة ،

ثم تدنين مني ، وبقبلة منك

تعطينني أعذب ما في الصباح

من شذى عابق ،

وتأتي الي « صباح الخير » من حنجرتك

عذبة هامسة

كأحلى ما يكون غناء العندليب !

٧ ـ فتاة

هنيئا لك يا فتاتي ،
فأنت كزهرة الربيع
لم يكلل الثلج رأسك بعد
ولا أصاب قلبك الدائم الدفء .

. . .

وأما أنا فأحس
بكل برودة الثلج
وأرى فم الهاوية الرهيب
يفغر لي شدقيه بشراهة
ليبتلعني في أعماقه !

. . .

٨ ـ شيخوخة

اغتبطي يا صديقتي ،
فأنت ما زلت شابة وجميلة ،
فلماذا تشعرين بالشيخوخة والوحشة ؟

. . .

ما دمت قادرة على أن تحبي
فأنت دائما شابة
وأنت دائما زهرة
تفوح بأشهى العبير !

. . .

٩ ـ فاقة

ـ هذه الخرق البالية
من مزق لك أياها أيها الطفل ؟
ـ الشقاء ؛ الفاقة !
ـ أأنت يتيم أيها الطفل ؟
ـ نعم ، رغم أن لي أبا وأما !
ـ هل هجرك أبوك وأمك ؟
ـ لقد هجرني الجميع :
أبي وأمي
والمجتمع المترك ،
وكذلك أذرع الحب والحنان !
ـ صبرا ، أيها الطفل ، صبرا
فستنمو يوما ،
وتصبح قويا ، صلب العود
وستقهر الاسى
وستخلق من جديد !

. . .

١٠ ـ السنديانة

كم من عقود
سقطت ميتة
عند أقدام هذه السنديانة المتفردة
التي تقف في قلب الصحراء
وتظل قوية عالية
ولا تني تزداد شبابا !

. . .

أنها بخضرة أوراقها
تستقبل في حضنها
طيور السماء ،
وفي ظل أغصانها الوارف
تستضيف وحوش الفلا
مثلما تستضيف
المتنزهين المرحين
وعابري الصحراء
الذين يمضون تحت أشعة الشمس المحترقة
منهوكين ، والعرق يتصبب منهم .

. . .

هنيئا لك يا سنديانة الصحراء ،
فأنت لا تعرفين الشكوى من الوحدة
ولا من الشيخوخة !

الدكتور عيسى الناعوري



لابد من صيغة تواؤم بين البيت والمدرسة

محنة التربية والثقافة

بقلم : محمود محمود

حينما يتحدث الباحثون عن التربية لا نجد بينهم خلافا كبيرا فيما يعنون بها ، حتى انهم ليكادون ان يستغنوا عن تعريفها نظرا لاجماع الرأي في معناها . والتربية التي اعنيها في هذا المقال بالذات هي ذلك النظام الذي الفناه من تقسيم النشء الى مجموعات من الاعمار واختصاص كل مجموعة بمرحلة من مراحل التعليم لها معلموها ومناهجها ووسائلها وكتبها وطرقها في التقييم ، ومهما اختلفت الطرق والوسائل فمما لا مشاحة فيه ان الكتاب والكلمة المكتوبة هي اهم الوسائل في نقل المعرفة .



وليس الامر كذلك حينما نتحدث عن الثقافة . هنا يختلف المقصود بهذا اللفظ . في الدراسات الانثروبولوجية الانسانية يعني به الباحثون نمطا شاملا من انماط الحياة في مجتمع من المجتمعات ، واسلوبا خاصا من اساليب العيش . ومن مظاهر الثقافة بهذا المعنى النظم الاجتماعية والسياسية ، واسباب التعاون او التنافس بين الافراد ، وما يعده الناس حلالا وما يعدونه حراما ، ما يخجلون منه وما يفخرون به . وطقوسهم الدينية ومقدساتهم وشعائرهم . وطبيعي ان تكون الطريقة التي يسلكها الكبار في تنشئة الصغار من اهم سمات الثقافة بهذا المعنى . ولا نستطيع في هذا المجال ان نعلي ثقافة على اخرى ، وان نضع سلما للقيم نقسم الثقافات المختلفة وفقا له فليست هناك ثقافة افضل من غيرها . هذا اسلوبك في العيش وهذا اسلوبي ، وكل ميسر لما خلق له .

ونستخدم « الثقافة » كذلك بمعنى آخر ، وذلك حينما نقصد بها مجموعة من المعارف والمهارات والمشاعر يتميز بها فرد عن آخر ، ويرى فيها المجتمع قيمة اعلى وقدرا

اكبر . والمدارس تأخذ بهذا المعنى فتنتقي من المفاهيم والموضوعات ما تخضع له الطالب لكي يصبح مثقفا مهذبا ، يختلف بثقافته هذه عن عامة الناس ولعل هذا المعنى هو الذي اشار اليه مايثو أرنولد عن الثقافة حين قال في تعريفها « انها خير ما فكر فيه الانسان وعبر عنه » .

عن الثقافة الشعبية

وهناك معنى للثقافة يقع وسطا بين هذا وذاك ، وهو يتخير مجالات معينة يعدها من الثقافة ، ولكنه لا يفاوت بينها في القيم . فالموسيقى الشعبية وسمفونيات بيتهوفن مثلا كلاهما من امور الثقافة ، ولا تفضل احداهما الاخرى ، لأن الموسيقى بعامة تلعب دورا هاما في حياة الانسان . والرياضة البدنية كرياضة الذهن سواء بسواء لأن الرياضة عموما من النشاطات البشرية الأثيرة . والفكر والعمل سيان إذ لا غنى للمرء عن هذا او ذاك . الثقافة اذن مجموعة مختارة من النشاطات البشرية ولا تشتمل على كل ضروب النشاط الانساني ، وليس لأي فرع من فروع المعرفة او العمل قيمة اعلى . هذا المعنى للثقافة هو الذي اخذ به ج . هـ بانتوك احد اساتذة التربية المعاصرين في بريطانيا .

والثقافة باي معنى من المعاني لها اثر عميق في حياة الناس ، فهي التي تمدنا بوجهات النظر الى هذا العالم الذي نعيش فيه . ولنضرب لذلك مثلا : كان الانسان في الماضي ينظر الى الظواهر الطبيعية نظرة تختلف عن انسان العصر الحاضر ، فاذا رعدت السماء مثلا كان ذلك دليلا على غضب الآلهة ، اما الرعد عندنا فهو نتيجة لازمة لتوافر بعض العوامل الطبيعية ، ولم نعد نخشاه كما كان يفعل آباؤنا الاوائل . نحن نعتمد على التفسير العلمي وهم على الوهم والخرافة . غير ان شيئا من ثقافة الماضي لا يزال يسري في دمائنا ويندس في شعورنا .

والتربية الصحيحة هي التي تنقل العلم الحديث الى الطالب وتبني في الوقت نفسه على ما في تراث امته من خير وفضيلة ، وتخلق من القديم والجديد مزيجا مؤتلفا لا يؤدي الى انفصام الشخصية او حيرة المتعلم .

وجدير بنا في هذا الصدد ان نذكر ان الثقافة كانت الى عهد قريب تستند الى مضمون الكتب من ناحية والى العرف والتقاليد من ناحيةاخرى . الطبقة العليا من الشعب تأخذ بما تحتويه الكتب ، وعامة الشعب تتشبث بالقول المتداول والرأي الشائع . ولقد كانت لهذه الثقافة الشعبية قيمتها الكبرى ، وبخاصة في القرى وقبل ان يتجمع الناس في المدن الصناعية . فكان الفلاح الساذج يعيش بمقتضاها بغير تناقض ويجابه بها قسوة البيئة وخشونة العيش بشئ من المرح وكثير من الشجاعة في اطار هذه الثقافة الشعبية التي لا تعرف الكتاب والمكتوب كانت تتنوع قدرات الافراد . ولم يكن هناك نظام تعليمي عام تقيس بمعياره القدرات فتكل الى فئة المتعلمين في المدارس ممارسة الادارة والمهن الرفيقة ، وتستبقي لغير المتعلمين حتى ان كانوا من ذوي الكفاءات ـ الحرف اليدوية والاعمال الخشنة . ولم تكن المعرفة وقفا على من يلتحق بالمدارس ويقرأ الكتاب ، وانما هي صفة لمن يثبت الجدارة في العمل ويؤتي الحكمة في الرأي بغض النظر عن خضوعه لنظام تعليمي معين . وقد روى لنا التاريخ قصصا مثيرة عن بطولات قام بها افراد أميون لا يقرأون ولا يكتبون ، واعمال فنية رائعة أداها رجال ذوو خبرات عملية وتجارب مباشرة مع مواد الطبيعة بشتى صورها . وقد برز من بينهم الحكماء والشعراء من ذوي الرؤى الواضحة والخيال البديع هؤلاء كانوا يستمدون ثقافتهم من التقاليد الموروثة التي تنتقل بالرواية من جيل الى جيل . يتلقاها ويضيف اليها جديدا من وهبه الله القدرة على الابتكار .

بين الاصالة والتجديد

ولا احب ان استرسل في الاطراء على هذه الثقافة الشفوية العفوية فأعطيها قدرا فوق قدرها متأثرا بالعاطفة وتقديس الماضي ، ولكني في الوقت عينه لا احب ان أحط من شأنها او انتقص من قيمتها . ويكفي ان يكون الايمان بالدين اهم عناصر هذه الثقافة ، ولا اقول ذلك تعصبا وانما اقوله لان الانسان لا يعيش مطمئنا الا اذا كانت له فلسفة للحياة تحدد الغرض منها وتكسبها معنى وتجعل لها هدفا ، كما تحدد طريقة تعامله

مع غيره من افراد المجتمع على اسس يقتنع بها الجميع . وليس كالدين ، أمر يؤدي كل هذه الاغراض ، على الرغم مما كانت تشوبه احيانا من خرافة ، وعلى الرغم من ان بعض الحكام كانوا في بعض العصور يتخذونه وسيلة لتحقيق اغراضهم الشخصية وغمط الناس حقوقهم بل وتعريضهم للاضطهاد في بعض الاحيان .

وحينا نشيد بالثقافة الشعبية لا يفوتنا انها كانت تدعو الى الالتزام بقواعد معينة من السلوك يتنافى مع ما نبتغيه من تحرير الفكر وهذا التعارض بين الأصالة والتجديد يقتضينا ان نبحث عن صيغة للتوفيق بينهما تكفل للانسان الاتزان المطلوب ، وذلك بأن نبني الجديد على اساس من القديم وفي هذا يقول الناقد الانجليزي المعاصر س .إليوت « ان الفن الرفيع يجب ان يكون تهذيبا للفن الشعبي ولا يقف منه موقف المعارضة » . وقد كان شكسبير يرجع الى الاساطير القديمة ويخرجها في ثوب جديد يتمثل في مسرحياته الخالدة . ومن مزايا الثقافة القديمة انها موحدة الى حد كبير ، لا طبقية فيها . وليس كذلك الامر في هذه الايام ، فهناك طبقية ثقافية ملحوظة تشيع البغضاء بين الافراد ؛ ولعل اشد ما تصم به الانسان ان تتهمه في ذوقه ، ومما زاد من حدة هذه الفوارق الطبقية حركة التصنيع والانتقال من الريف الى الحضر ، وهي الحركة التي ظهرت بوادرها في اوربا في القرن التاسع عشر ، واخذت في الانتشار حتى اصيبت بها بلادنا اخيرا .

في رحلة التحول

ما هي الآثار الثقافية التي ترتبت على التحول من الصناعات الريفية الى التصنيع الآلي على نطاق واسع ؟

كان صاحب الحرفة اليدوية ينتقي بنفسه المادة التي يشكلها من حديد او خشب او صلصال او غير ذلك ، وكان يقوم بأثر عمليات التشكيل بتصميم وجهد يده ، يحدد لنفسه مواعيد العمل ، ويطبع انتاجه بطابعه الشخصي ، ويراه في صورته النهائية ويحس مسئوليته عن قيمته الفنية . كل ذلك كان يتم باتصاله المباشر بكل خطوة من خطوات العمل ، يستخدم حواسه الخمس ، السمع والبصر والذوق واللمس والشم ، وينعم بهذه الممارسة المباشرة .

وكان لذلك بطبيعة الحال اثر في التربية ، فالصبي الذي يتدرب على عمل من الاعمال يكتسب المعرفة والمهارة بطريقة تكاد ان تكون لا شعورية بحتة .

وقد غيرت الصناعة الآلية الحديثة هذا الاسلوب . وربما وفرت للناشئ مستوى اعلى من العيش ، وصحة بدنية افضل ، وفراغا اطول ، ولكنها امعنت في الفصل بين الحياة الخاصة والحياة العامة ، بين البيت والعمل ، واخضعت الطالب لدقات الساعة ورنين الناقوس او الصفارة ، وتغيرت العلاقات الودية ، وامسى ساخطا على الحياة بعد ان كان راضيا بها كل الرضى . واتسعت الفجوة بين العامل وصاحب العمل ، وكأن العامل سلعة من السلع او جزءا من آلة ، وتكونت النقابات تطالب للعامل بمزيد من الاجر ومزيد من الراحة ، واتخذت المساومة لذلك سبيلا ، لان المسئولية الاجتماعية انقضى عهدها وولى . واتجهت التربية نحو تزويد الطلاب بالثقافات النظرية ، ولم يدخل العمل في صلب العملية التربوية ففقد العامل الناشئ مهارته الصناعية التي لا غنى له أو للمجتمع عنها .

ومن الوجهة التربوية لعل اهم ما ترتب على التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي نجمت عن حركة التصنيع هو تلك التجربة الفذة في تاريخ الانسان ، وهي انشاء نظام تربوي يكفل التعليم للجميع ولسنا ننكر ان كل مجتمع من المجتمعات كانت له وسائله في تربية الصغار ، سواء كان ذلك بجهد من الآباء ام بتدريب يتولاه كبار العاملين . ولكن هذا الذي كان يحدث لم يكن نظاما ثابتا وحقا شرعيا ترعاه الدولة ، ولم يكن مرجعها بالضرورة الى تعليم القراءة والكتابة .

ومما دعا كذلك الى تعميم التعليم على اساس معرفة القراءة والكتابة انتشار الديمقراطية التي تقتضي الناخب ان يكون على دراية بما يقدمه المرشحون من برامج سياسية واقتصادية ، غير ان الحافز على تعليم الجميع هو انشاء المصانع التي كانت تتطلب من العاملين فيها المقدرة على فهم الارشادات التي تتعلق بتسيير الآلات التي يقومون على ادارتها . وقد كان من مستلزمات تجمع

الناس في المدن ايجاد الوسائل التي تؤدي الى سرعة الاتصال بنشر الانباء والاخبار مكتوبة وتوزيعها حتى يمكن للمعنيين قراءتها وادراكها .

وانتهى امر تيسير التعليم للجميع الى جعله الزاميا بحيث يصبح واجبا بعد ان كان حقا . ولم يكن من المهم ان يتقن المتعلم القراءة والكتابة وانما كان يكفي ان يفك رموز الكتابة ويدرك من مغزاها بقدر طاقته .

النوع لم يتقدم

ومن هنا نجد ان التعليم انتشر كماً دون ان يرتقي نوعا ، وظن القائمون عليه ان الاتصال بالقراءة يغني عن الاتصال المباشر .

وفي بداية تعميم التعليم الابتدائي كان معنى التعليم رفع مستوى العامة الى مستوى الطبقة العليا ، فكانت الثقافة التي تقدمها المدرسة منقطعة الصلة بالحياة وبالعمل ، وكل ما تهدف اليه ان يتحدث المتعلمون من الطبقات الدنيا بما يتحدث به ابناء الطبقة الرفيعة بغض النظر عن التقاليد الشعبية او ممارسة الحرف اليدوية فاذا اختارت المدرسة على سبيل المثال اغاني او اناشيد يرتلها الطلاب كانت من الأدب القديم الذي لا يتصل بحياتهم ، ولم تكن من تلك الاغاني والاناشيد الشعبية التي يرتلها العمال وهم يؤدون اعمالهم في الحقل او اثناء العمل .

والثقافة اذن التي كانت تفرضها المدرسة الابتدائية على الطلاب ثقافة غريبة عن بيئتهم ، لا تمس شيئا من كيانهم ، ولا يستطيعون مواصلتها في حياتهم بعد انتهاء الدراسة . ومن ثم رأى كثير من المفكرين ان المدرسة الابتدائية التي لا تعلم الثقافة المحلية مدرسة فاشلة لانها تهتم بالمظهر دون الجوهر وتحاول ان تثقف العقل وتهمل الغريزة .

ثم أليس الكتاب هو المحور الذي يدور حوله التعليم في المدرسة ؟ اننا لا ننكر قيمة الكتاب في نقل المعرفة ، ولكنا يجب ايضا الا نبالغ في هذه القيمة . الم تقم حضارات انسانية بأسرها دون ان يكون الكتاب عمادها ؟ ان عملية القراءة معناها علاقة خاصة بين القارئ والمقروء ، علاقة تؤدي به الى اعتزال المجتمع وتركيز الذهن في الرموز التي يسعى الى ادراك ما ترمي اليه ، ولا يمكن ان تبلغ القراءة مبلغ الاستماع وتبادل الحديث . لأن الكلمة المنطوقة تقتضي اتصالا اجتماعيا على الاقل بين فردين ، وتحمل نغما يضيف الى المعنى العام شيئا كثيرا ، كالسؤال او التعجب او التأكيد او الملل او السخرية او غير ذلك من الانفعالات . الكلمة المنطوقة لها رنين قد يملأ اركان المكان ، اما الكلمة المكتوبة فلا أثر لها الا على العين ومنها تنتقل الى الذهن لتفسيرها ولا يفيد منها الا قارئها ، اما الكلمة المنطوقة فتأثيرها على السمع ، وقد يكون السامعون جماعة وليس فردا واحدا . ومؤدى ذلك ان الكلام يثير انفعالات نفسية تعجز عن اثارتها الكتابة ، وكلنا يعلم ان الصمت ملازم للقراءة ، وهو من شروط المكتبات وقاعات المطالعة ، مما يجعل القارئ منطويا على نفسه لا يتبسط مع الناس ولا يخالطهم . وعلى ذلك فالكتاب قد يدعو قارئه الى التأمل والتفكير ، ولكنه على الرغم من ذلك ـ لا يمكن ان يؤدي ما يؤديه الاتصال الاجتماعي . ولعل ذلك هو ما حدا بواحد من كبار المفكرين والادباء في العصر الحاضر ـ وهو د هـ . لورنس ـ ان يقول :

« ان الجماهير العريضة لا ينبغي لها قط أن تتعلم القراءة والكتابة » .

اي ان لورنس وامثاله لا يؤمنون بديمقراطية التعليم ، ليس حطا من شأن الجماهير ولكن حفاظا على تقاليدهم وكيانهم . وقد كانوا بالعقائد والاساطير وبمختلف الفنون وبانماط السلوك الموروثة يفهمون الحياة ويفسرون لغزها ويمارسون العيش في غير ما حيرة او قلق . يقول لورنس عن جيل والده :

ويفسرون لغزها ويمارسون العيش في غير حيرة او قلق.

لقد كان لورانس يرى المدرسة بنظامها الذي نشأت عليه شرا مستطيرا . على الاقل بالنسبة للعمال الكادحين . المدرسة تنقل الى الطلاب الافكار المجردة ، وهي لا تتلاءم مع استعداداتهم الطبيعية ، ومواد الدراسة لا تكفي حلا لمشكلة الحياة .

وفي هذه الصيحة التي نادى بها لورنس نجد لب

مشكلة التعليم ، وهي التعارض بين ما تقدمه المدرسة وما يمارسه الطلاب في الحياة . ونحن ليس بوسعنا ان نحرم صغارنا من الثروة التي تقوم عليها مدنية اساسها المعرفة المدونة . ان ذلك يتنافى مع العدالة الاجتماعية التي تنادي بها اليوم ، كما انه يحرم الطالب من الاتصال بالعالم عن طريق القراءة والكتابة ، وهو اهم وسائل الاتصال في العصر الحديث .ولكن هل يحول ذلك دون التعلم كذلك عن طريق المعرفة المباشرة بالحس والممارسة ، وبخاصة بعدما آمنا بأن المدرسة قد فشلت الى حد كبير في ان تزود المتعلم بما يؤثر في حياته المقبلة ، وبأن المدرسة تزوده بثقافة لا تتفق مع الثقافة التي سوف يحياها بعد خروجه من المدرسة ؟

المدرسة والصحف

والمدرسة ـ لسوء الحظ ـ تحاول ان تقوم بمهمتها وتؤدي واجبها في وقت تعددت فيه وسائل الاتصال الاخرى التي تقدم برامج تثقيفية واعلامية وترفيهية تتلقاها الجماهير بشغف شديد نظرا لما تقوم عليه من سبل الاغراء ، ولما اصاب الناس من ملل من ثقافة الكتاب .

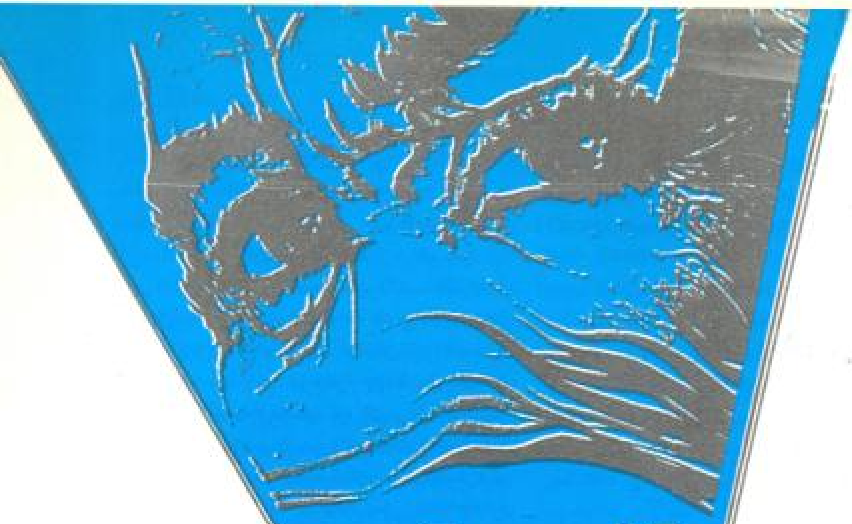
ولسنا نزعم ان المدرسة لم يكن لها قبل وسائل الاتصال الحديثة بديل ، فلقد كان هناك المقهى واجتماعات الرقص والغناء والاستماع الى القصص ، ولم تستطع المدرسة ان تصرف الناس عن هذه المصادر للثقافة لأن المدرسة كانت تعتمد على تعليم القراءة والكتابة ، وهي بذلك وحده لا تستطيع ان تبث الروح الانسانية بين المتعلمين وقد ظهرت فئة من رجال الصحافة تستغل هذه القدرة الجديدة عند الناس ـ القدرة على فك رموز الكتابة ـ وهي تبغي الكسب ولا تنشد التثقيف ، فاخذت تنشر في الصحف ما يثير المشاعر بغض النظر عن قيمته الادبية ، وتستخدم وسائل الطباعة الحديثة بمغرياتها في العرض والتصوير ، وأقبل الناس عليها يتشربون بما تقدمه وما تحتويه وينصرفون عن المعرفة الصحيحة فكأن ديمقراطية التعليم ـ مع ظهور الصحافة الرخيصة ـ كانت وبالا على الناس .

ثم كان التقدم التقني السريع بعد ذلك ، وظهرت السينما والراديو والتليفزيون ، فاضافت للثقافة ابعادا جديدة تختلف عما تقدمه الكلمة المطبوعة وتتفوق عليها في الجاذبية والاغراء . ان ظهور هذه الوسائل الكهربائية قد أثر في حياة الانسان العادي بدرجة يتعذر قياسها ، ولكنها قدمت له من غير شك ثقافة اخرى غير ثقافة المدرسة ، ثقافة عامة شعبية وان اختلفت عن الثقافة الفولكلورية القديمة . فلقد كانت هذه الثقافة الاخيرة ـ مهما يكن من امرٍ ـ ثقافة نابعة من الشعب ، اي ان افراد الشعب هم مبدعوها وهم الذين يتلقونها ويضيفون اليها اشكالا وانماطا جديدة . اما ثقافة الوسائل الكهربائية فتأتيهم من خارج ، يستهلكونها ولا ينتجونها ، ويقفون منها موقفا سلبيا ، خاضعين لما تمدهم به دور الصحافة وافلام السينما ومحطات الاذاعة . وبوسع هذه المصادر ان تفرز ثقافات ضخمة تنشرها على نطاق واسع وتخضع بها انسان العصر الحديث بما تقدم له من الوان اللهو وصنوف المعرفة التي لا يمارسها المستمع او القارىء او المشاهد ، والتي تنطوي على اخلاقيات ابعد ما تكون عن المثالية المنشودة .

ونجمل ما سبق في ان المشكلة الرئيسية للتربية في القرن العشرين هي ان المناهج المدرسية تهتم بالجانب المعرفي والجانب العقلي اكثر مما تهتم بحاجات الطفل الاساسية الذي يقع مستقبل حياته في المصنع او الحقل او في الخدمة الاجتماعية حيث لا تجديه الدراسات الاكاديمية التي تلقاها في المدرسة ان المناهج المدرسية لا تتعرض الا بالقدر اليسير للخبرة الثقافية التي سوف تعيشها الاغلبية الساحقة من رواد المدارس . واذا كانت المناهج الحالية تلائم فئة قليلة من الناس سوف تحيا حياة الترف او تنقطع للعلم والدراسة النظرية فهي قطعا لا تلائم الاطفال الذين يعيش آباؤهم ثقافة تختلف عن ثقافة المدرسة كل الاختلاف .

رفي هذا الجو من التناقض بين مجتمع المدرسة ومعترك الحياة لا بد لنا من اعادة النظر فيما تقدمه المدرسة لطلابها ـ لابد لنا من ايجاد صيغة توائم بين البيت والمدرسة ، او بين الثقافة الشعبية والتعليم النظامي . ■■

محمود محمود



للعجائز فقط!

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

بتقدم الطب والعناية المتزايدة بالشيوخ اصبح المواطنون المتقدمون في السن يؤلفون طبقة خاصة لهـا مكانتهـا في المجتمعـات المتحضرة ، فسدس المجتمع البريطاني من المتقاعدين او العائلين على المعاش . ومعنى ذلك أن تعدادهم لا يقل عن تسعة ملايين نسمة وعددهم آخذ في الازدياد ، واهم ما يعانيه هؤلاء الشعور بالوحدة والانعزال وتدهور الصحة (وهو امر طبيعي كلما تقدم الانسان في السن) وسوء السكن ، لذلك اصبحت الحـاجة ملحة لقيام مؤسسات تعنى بشؤون هذه الفئة من كل هذه النواحي ، وقد قام ما لا يقل عن خمسين الف متطوع في المملكة المتحدة وحدها لمعونة أمثال هؤلاء المواطنين ، فما هي مشكلات المواطنين المتقدمين في السن ؟ انها صحية ومالية وسكنية وعاطفية ، وقد كتبت تقارير وعقدت مؤتمرات لمعالجة هـذه المشكلات ، كان آخرها مؤتمر العناية بالمسنين الذي عقد بلندن ، ففترة التقاعد بالنسبة لبعض المسنين قد تطول فتبلغ الثلاثين عاما او اكثر ، وهي اطول من فترة الطفولة والبلوغ والسن المتوسطة ، وقد حظيت كل هذه الفترات بالدراسة والعناية اكثر من الفترة التي نحن بصددها ، وسن التقـاعد اشد وطـأة على الرجل منهـا على المرأة ، ولكن الاخيرة تتأثر حتما بما يتأثر به زوجها من حيث انخفاض المورد والمكانة والضجر من العطالة وقلة الرفقاء ، وتدهور الصحة العامة ،على انه باعتقادنا اذا ما توفرت الصحة امكن تلافي الكثير من المشكلات الاخرى ، فمـا هي الامراض التي يعـاني منهـا المتقدمون سنا ؟

مراهقون هناك ومسنون هنا

الملحوظ في الوقت الحاضر ان قارتي آسيا وافريقيا تعجان بالاطفال والمراهقين ، في حين ان العالم الغربي ، على العكس من ذلك ، قد اخذ يتسم بازدياد نسبة المسنين فيه ، وعلى الاخص في بريطانيا وفرنسا والسويد والولايات المتحدة الامريكية ، حيث نجد ان عشرة بالمائة من السكان يتجاوزون الخامسة والستين من العمر ، وعلىذلك فقد ظهر فرعان جديدان من الدراسات الطبيةوهما متقاربان من بعضهما ومتكاملان ، اولهما علم الشيخوخة Geriatology وثانيهما Geriatrics علم امراض الشيخوخة ، وليست الشيخوخة مسالة عمر معين ، فبعض الشيوخ يبلغون ذروة انتاجهم في الثمانين او ما بعدها من سنين والامثلةالمعاصرة والتاريخية كثيرة وطريفة ، في حين ان آخرين يبدون شيوخا عاجزين في الستين او حتى قبلذلك، بل ان هناك حالات نادرة شاذة ظهرت فيها اعراض الشيخوخة قبل العشرين .

وعلى ذلك أرى الا تحدد سن الاحالة على المعاش او التقاعد بعمر معين ، وانما بحالةالشخص الصحية وقدرته على الانتاج وكفاءته ونوعيةالعمل الذي يقوم به ، وحددت هذه السن فيالمملكةالمتحدة بالستين للنساء والخامسة والستين للرجال ، وهي ليست بقياس دائما ، وقد يستثنىاساتذةالجامعات احيانا فيؤخر سن احالتهم على المعاش او يمنحون لقب « استاذا شرف » او « استاذا متمرس » Professor Emeritus ليستمروا على التدريس .

وقد اقترنت دراسةالشيخوخة في اذهان الكثيرين بالامراض المزمنة التي تعتري المسنين ، ولكنها في الحقيقة اكثر من ذلك ، فان الدراسات الحالية تهدف الى محاولة اعادة الشيوخ الى وضع طبيعي او ما يقارب الطبيعي كسائر المواطنين وادخالهمفي المجتمع من جديد ولو من باب ثان بعد ان خرجوا منه او كادوا بعد احالتهم على المعاش وتركهم لزملائهم في العمل والابتعاد عن اصدقائهم وهبوط مكانتهم الاجتماعية ، فليسوا قلة اولئك الذين ينظرون الى الشباب والكهول الذين هم في اوج العمل نظرة خاصة تختلف تماما عن نظرتهم الى المسنين المحالين على المعاش والعاطلين عن العمل ، والحقيقة ان عشر هؤلاء فقط يحتاجون الى تمريض طويل الامد ، ويبلغ تعداد الذين تجاوزوا الخامسة والستين مليونين وربع المليون نسمة في المملكة المتحدة وحدها ، فهم فئة جديدة اخذت تظهر الى الوجود بفضل الحضارة وتقدم الطب، وعدد النساء فيهم ضعف عدد الرجال ، فالمراة على العموم اطول عمرا من الرجل ، ومنذ سنة ١٩٠٠ ارتفع معدل العمر من ٥٠ الى ٧٠ سنة اي بمقدار عشرين سنة وهي نسبة عالية .

حتى الرأس يصغر

ومع ان الشيوخ اكثر عرضة للامراض من الشباب ، فان الشيخوخة بحد ذاتها ليست مرضا ، واهم ما يلاحظ في المتقدمين في السن ان الاعضاء تصبح اصغر وتاخذ في الضمور ، وبعضها الآخر يعتريه الضعف في النشاط والفعالية ، فالدماغ مثلا يبلغ حجمه الكامل في مستهل البلوغ ، ثم ان وزنه يخف تدريجيا بنحو ١٥ ٪ عندما يبلغ الانسان السبعين ، ويتناقص تزويده بالدم نسبيا ، ثم ان بعض الخجيرات تموت حسب العمر المقدر لها وراثيا فلا يعوض عنها ، او يعوض عنها باخرى ضعيفة اقل فعالية ونشاطا والنوع الاول من الخجيرات ، اي التي لا يمكن التعويض عنها ، هي خجيرات الدماغ والجملة العصبية المركزية ، اما الثاني ، وهو ما يمكن التعويض عنه بما هو اضعف ، فخجيرات البشرة والكبد والكليتين ، وكل ذلك متفاوت من شخص لآخر ومن عضو لعضو في نفس الشخص ، على ان فعالية الجسم بصورةعامة تبقى كافية للحياة بالرغم من ان احتياطيها ياخذ بالتناقص وتصبح ملاءمة ذاته للتطورات ضمن نطاق متضائل تدريجيا .

وثمة فئة ضئيلة من الشخصيات المسنة مزعجة يصعب التعامل معها ، فتجلب على نفسها الرفض من المجتمع ، فتتضاعف مشكلاتها بسبب عدم المرونة العقلية التي قد تصاحب بعض انواع الشيخوخة ، فهؤلاء قد يكونون متقوقعين حول ذاتهم، ولا يمكنهم ان يتطوروا ليستجيبوا لمتطلبات الآخرين .

توازن السوائل مطلوب

واهم ما انصح به من الناحية الطبية توازن

السوائل فى طعام المسنين ، فالشيخ يحتاج الى ما لايقل عن اللترين من السوائل كل أربع وعشرين ساعة . وقد تزاد هذه الكمية فى حالة الحمى والتعرق والادرار الزائد ، فاذا كان المسن ياكل بصورة طبيعية اعطى لترا من السوائل مع وجبات طعامه بصورة شاى ومرطبات ومنعشات ، ولترا آخر يترك بجانب فراشه ، والا فالواجب حتى فى حالة عدم تناوله الاطعمة ان ياخذ يوميا لترين من الماء لتحاشى خطر يبوسة الجسم وجفافه المستمرين ، وينبغى ان يحتفظ للمسن بوزن معين ويقاس ضغطه بانتظام ، وقد يلجأ الى ذلك فى فترات متقاربة ، ولا سيما اذا أصيب برجة عصبية أو انهيار لأى سبب من الاسباب ، وقلما يعالج المسنون بعقاقير قوية مضادة للضغط ، فالمسنون الذين يعالجون بالمهدئات . والعقاقير المضادة للكآبة والانقباض النفسى قد يعانون من انخفاض الضغط والدوار ، وفى مثل هذه الحال ينبغى قياس ضغطهم فى الاوضاع الثلاثة: الوقوف والجلوس والاضطجاع .

ومما تجدر الاشارة اليه أن أعراض بعض الامراض الخطيرة تختلف فى المسنين عنها فى الشباب، فالجلطة القلبية مثلا تظهر فى غير المسنين بصورة الام قوية فى الصدر خلف الاضلاع ، وكثيرا ما تصعد هذه الآلام الى الفكين أو تمتد الى الذراع الايسر مصحوبة برجة مع عرق بارد وتدبق ولزوجة ولون شاحب ونبض سريع وهبوط فى الضغط ، فالاعراض واضحة للعيان بشكل يستدعى اتخاذ الاجراءات الطبية الفورية ونقل المريض الى المستشفى ، اما فى الشخص المسن فتبدو الاعراض بصورة عدم ارتياح مبهم كثيرا ما يعزى لسوء الهضم بدلا من الآلام الشديدة ، ويكون ذلك مصحوبا بالشعور بالضعف مع شحوب بعض الشيء، بدلا من الرجة العنيفة ، ويكون أول الاعراض الواضحة شللا نصفيا بسبب هبوط ضغط الدم . وقد لا يمكن معرفة حقيقة المرض الا بعد أخذ التخطيط الكهربائى لقلب المريض المسن .

ونجد نفس الشيء فى مرض القلب الناجم عن تصلب الشرايين التدريجي ، فقلما يشكو المسنون من الم يضايقهم فى الصدر عندما يرتقون السلالم او يصعدون منحدرا (وهو ما يعرف بالذبحة الصدرية عند غير المسنين) وانما مجرد ضعف وانحلال ، ونجد تفاوتا فى اعراض مرض السكر والتهاب الغشاء المحيط بالامعاء (البريتوان) عند انفجار الزائدة الدودية فى الشبان والشيوخ ، فعلينا أن نكون على حذر فى أمر الشيوخ والا نتهاون فى عدم وضوح الاعراض والا نستخف بها ، فاقل شكوى من المسن قد تخفى وراءها مرضا خطيرا ، ومن واجبنا ان نعنى بالمواطنين المتقدمين سنا لا من الناحية الانسانية فحسب ، بل لانهم بتجاربهم الضخمة عون لا يستهان به لتقدم الحضارة البشرية . ■■

أكسفورد / د . صبيحة الدباغ
الطبيبة الباحثة فى مستشفيات جامعة أكسفورد

فى الحجابة

● كان خالد بن عبد الله القشيرى يقول لحاجبه : اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن عنى أحدا فان الوالى لا يحتجب الا لثلاث : عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسأله الناس شيئا .

مَلْقَى السَّبيل

أثر نفيس مجهول

بقـلم : فـاروق شـوشـة

كثيرا ما تطغى شهرة أثر أدبي مـا ، من بين آثار مؤلفه المتعددة ، على ما أبدعته قريحته من عطاء آخر ، قد يكون أحق بالنظر والتقديم • ذلك هو ما حدث لهذا الاثر النفيس من بين كنوز تراثنا العربي ، رسالة « ملقى السبيل » لفيلسوف المعرة رهين المحبسين : أبي العلاء المعري • فقد طغت على هذه الرسالة شهرة آثاره الاخرى ، التي عكف عليها النقاد والدارسـون والمتاملون وقلبوها على وجوهها المختلفة ، بحثا عن شواهد على فكره وفلسفته ، وعلامات تشير الى هواجس قلبه وعقله ومفاتيح الى موقفه من الحياة والقضايا الكبرى في عصره ، وفـي مقدمة تلك الاثـار اللزوميات أو لزوم مالا يلزم وديـوان سقط الزند والمؤلف الضخم : رسالة الغفران •

وهكذا كتب على « ملقى السبيل » ان تظل أمدا طويلا ، قابعة ، في زوايا النسيان ، لا يعرفهـا الناس ، ولا يسمع بها شـداة الادب ودارسوه ، وظلت حبيسة بين مخطوطات تراثنا العربـي ، حتى اتيح لها ان ترى النور لاول مرة ، وان يتناقلها المهتمون بالاثار الادبية على يدي العلامة حسن حسني عبدالوهاب أحد أعلام النهضة التونسية الحديثة في الاقتصاد واللغة والادب الذي حققها ونشرها وقدم لها ، ثم أتيح لها المزيد من الانتشار والذيوع والدوران عندما اختارها العلامة السوري محمد كرد علي ـ الرئيس الاسبق للمجمع العلمي بدمشق ـ ضمن ما انتقاه من عيون النثر العربي البليغ في كتابه الجامع « رسائل البلغاء » التي أصدرت احدى طبعاته لجنة التاليف والترجمـة والنشر في القاهرة ، في منتصف الاربعينيات ،

وهكذا اتيح لهذا الاثر المنسي والمجهول ان يكتشفه ويحققه عالم تونسي ، وان يختاره ويصنفه عـالم سوري وان تقوم بنشره دار مصرية •

في زمن العزلة والانقطاع

اعتمد المحقق على نسخة مخطوطـة بمكتبـة الاسكوريال في اسبانيا تحت رقم اربعمائة وسبعة وستين ، وهي بخط الراوي لها القاضي ابي محمد عبد الله بن القاضي أبي الفضل عبد الرحمن بن يحي الديباجي العثماني ، رسمها بالاسكندريـة

اوائل القرن السادس الهجرى ، كما عرضهـــا المحقق على نسخة اخرى مخطوطة موجودة بالمكتبة التيمورية فى القاهرة • ويبدو ان رسالة « ملقى السبيل» على عدم التفات المشارقة اليها واهتمامهم بها كانت معروفة فى الاندلس ، فقد جا فى كتاب نفح الطيب ان الحافظ ابا ربيع الكلاعى الاندلسى عارضها بتاليف سماه : « مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقــى السبيل »• كما تحتوى مكتبة الاسكوريال على كتاب برقم خمسمائة وتسعة عشر من وضع ابى عبدالله محمد بن ابى الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ، عارض به « ملقى السبيل » ايضا •

فما حكاية « ملقى السبيل » هذه •

يستنتج محقق الرسالة ــ العلامة حسن حسنى عبدالوهاب ــ ان المعرى قد الفها فى الدور الاخير من حياته ، زمن عزلته وانقطاعه ــ حوالى سنة اربعمائة وثلاثين من الهجرة ، وقد زهد فى الدنيا لكبره واقتراب اجله ، فكأنه اراد الرجوع للمبادىء الدينية ، وسلك طريق الوعظ والنسك وتمسك بالاعتقاد •

وهو يلتمس الدليـل على ذلك من خلال اراء المعرى المنبثة فى ثنايا هذه الرسالة نثرها وشعرها، والتى تخالف المعهـود من سابق ارائه ، خاصا بالحياة والموت والبعث، والموقف من الاديان، وحرية العقل،مما جعل له سمتا خاصا فى تصور الدارسين والباحثين ، واضفى على موقفه هذا شكوكـــا وتصورات ، منتزعة من اشعاره فى اللزوميات وسقط الزند وكتاباته فى رسالة الغفران وفـــى غيرها من الرسائل •

ونمضى خطوة أخرى مع محقق الرسالة ، وهو يستشهد لفكرته هذه ، عن كتابة الرسالة فـــى الطور الاخير من حياة المعرى ، وعما طرا على ارائه ومواقفه فيها من تغيير وتبدل : « ايــن قوله زمن صغره لما كان فى غزارة قوله وعنفوان شبابه :

ضحكنا ، وكان الضحك منا سفاهة
وحـق لسـكان البرية أن يبـكوا
يحطـمنا ريب الـزمان ، كأننـا
زجـاج ، ولكن لا يعاد له سبك !

(وفى البيت الثانى اشارة فسرها الشارحون قديما بانها تعنى عدم ايمان المعرى بفكرة البعث بعد الموت) •

اين قوله هذا من اعترافه بالبعث والمعاد فــى هاته الرسالة ، كقوله : وفى الاخرة يكون المجمع وقوله : « وعند البارى تكون الزلف » وهلم جرا •

ونستطيع ان نضيف الى هذا المثال الذى اشار اليه المحقق من شعر المعرى مسجلا موقفه القديم من قضايا الحياة والمصير والدين والاخرة ،امثلة وشواهد اخرى لعل من ابرزها قوله :

قـد ترامت الـى الفساد البرايـــا
واستـوت فى الضلالة الاديـــان
أنا أعمى ، فكيف أهدى الى المنهج
والنـــاس كلهـــم عميـــان ؟

كما نسبت اليه ايضا الابيات التى تقول فى اللاذقية فتنة

فى اللاذقية فتنة
مابين أحمد والمسيح
قس يعـالج دلبـة
والشيخ من حنق يصيح

ويروى هذا البيت فى صورة اخرى هى

هـذا بناقـوس يـدق
وذا بمـئذنة يصيـــح
كـل يعـــزز دينـه
ياليت شعرى ما الصحيح

نهج فريد فى نوعه

اما عن النهج الذى اختطه المعرى فى تاليف هذه الرسالة ، فهو نهج فريد لم يسبق اليه • الا انه يسير فى كتابتها بحسب تـرتيب الحـروف الهجائية التى جعل من كل حرف فيها قافية للعظة او الحكمة التى يصوغها فى قالبين من النثـر والشعر على التوالى ، مؤكدا براعته فيهما معا ، وهكذا حتى يصل الى حرف الياء فتنتهى صفحات الرسالة وسطورها، التى جاءت فى صياغة نثرية محكمة،وصنعة شعرية رفيعة،تضم فى كلماتها القليلة خلاصة فكره وتجربته فى الحياة والوجود والعدم وموقفه من الشك والايمان ، ورحلته بين الدنيا والاخرة ، فى اسلوب نابض بالسخرية والتهكم،

وحرارة التناول ووهج التامل ، هو اسلوب المعرى الذى اعتابه فى كل اثاره •

ويستوقفنا عنوان هذهالرسالة «ملقى السبيل» ، والملقى بفتح الميم هو مكان اللقاء ، وجمعه : الملاقى ، او هو اعلى الجبل يؤدى اليه ويلاذ به • ويضم الميم : هو اللقاء فى القبر او الشىء وهو ايضا المكان الذى يلقى فيه الشىء ، وواضح من هذا مناسبة العنوان بفتح الميم بمكان اللقاء او لوضع العصمة والامان من الطريق ، والسبيل هنا هو سبيل الرشاد والهداية •

ويلاحظ المحقق ان اسلوب الرسالة فى مجمله يشابه كثيرا لهجة الخطب البليغة ذات الفصول القصار التى كان يلقيها خطباء العرب كسحبان بن وائل وقس بن ساعدة وعامر بن الطفيل وامثالهم باسواق الجاهلية •

وهو لا يكتفى بهذه الملاحظة ، بل يقدم من كلام هؤلاء البلغاء مايدعمها ويؤيدها عندما يوردنموذجا من كلام قس بن ساعدة خطيب بنى اياد الذى قال فيه النبىصلىالله عليه وسلم : رايتهبسوقعكاظ على جمل احمر يقول : أيها الناس ، اجتمعوا ، فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلماهوات آت،فىهذه ايات محكمات مطر ونبات واباء وامهات ، وذاهب وات ونجوم تمور وبحور لاتغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج وسماء ذات ابراج ••• الخ .

فما الذى قاله المعرى فى رسالة «ملقى السبيل» ورأى المحقق فيه تماثلا فى الاسلوب بينها وبين خطب هؤلاء البلغاء القدماء

يقول المعرى من قافية (الهمزة) :

كم يجنى الرجل ويخطىء ، ويعلم ان حتفه لايبطىء، ثم نظم المعنى شعرا فقال :

ان الانـام ليخطئـــون
ويغفر الله الخطيئـة
كم يبطئون عن الجميـل
وما منايـاهـم بطيئـة

ويقول من قافية (الالـف) :

ابن آدم فى سير وسرى،يهجر بحرصه الكرى، وطالما كذب وافترى ، ليصل الى خسيس القـرى (القرى بكسر القاف ما يقدم للضيف من طعـام وزاد) وانما يحصل على الثرى ، كأنه لايسمع ولا يرى •

نظم المعنى شعرا فقال :

أما يفيق المرء من سكره
مجتهدا فى سيره والسرى
نحت من الاخرى فلم تنتبه
وفى سوى الدين هجرت الكرى
كم قائل راح الى معشر
أبطل فيما قاله وافترى
على القرى يحمل أثقاله
وانما يأمل نزر القرى
يفتقر الحى ويثرى وما
يصير الا جثوة فى الثرى
اسمع فهذا قائل صادق
أراك عقباك فهلا ترى

من غريب اللغة

اما بصرك فحديد ، واما ثوبك فجديد ، وقضاؤك بقضاء الله مديد ، وحولك العدد والعديد ولكنك سواك السديد ، طرفك وعد ووعيد ، فهل تبدى وهل تعيد ، ام غريك ـ اى قبرك ـ هو السعيد •

ثم نظم الفكرة او العظة شعرا فقال :

ارى ملكا تحف به موال
له نظر الى الدنيا حديد
ضفا برد الشباب عليه حتى
مضت حقب وملبسه جديد
يزول القيظ فى صيف ومشتى
ويستر شخصه ظل مديد
وفت عدد لديه فمن دروع
وأسياف ينوء بها عديد
وكان السعد صاحبه زمانا
ولكن طالما شقى السعيد
بداشخص المنون لناظريه
وقيل له أتبدى أم تعيد
تصعد فى المراتب غير وان
وأحرزه على الرغم الصعيد
تفرقت الجنود فما حمته
وأبطلت المواعد والوعيد

ولا يخرج المعرى فى رسالته ملقى السبيل عما اعتاده الناس منه ، والوقوف على الغريب من اللغة، وتصد للوعر الصعب من القوافى التى يتجنبها غيره من الشعراء ، وايثار للمهجور منالكلمات ما دامت تنهض بالدلالة التى تجيش فى عقلـه ووجدانه ، غير عابىء بوعورتها او كونها حوشية غير مستأنسة او مطروقة ، وفى هذا تاكيد او

اعلان عن اقتداره اللغوى الذى فاق به معاصريه ونظراءه من المبصرين ، وتحقيق لمقولته الذائعة :

وانى وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

تماما ، كما كان ايثاره لقالب اللزوميات (أولزوم مالا يلزم ، فى قوافى قصائده التى تحمل هذه التسمية ، اشارة حاسمة الى تفرده واقتداره ، وايضا الى حسه الموسيقى الزائد ، فاذا كانت القافية الواحدة فى شعر الاخرين تحدث اثرها الموسيقى المطلوب ، فالمعرى بلزومياته، اى بقافيته المزدوجة والمثلثة وربما هو اكثر من هذا ، يحدث جرعة موسيقية مضاعفة فى خواتيم قصائده ،كما يعلن - بطريقة لافتة للانتباه - عن ثروته الهائلة من اللغة ، التى تتسع للاتيان بهذه القوافى المركبة - دون أن يصيبه عنت او مشقة ، وانما كل كلمة فى الموضع الذى خلقت له ، احكاما واقتدارا .

بين المعرى وشبنهاور

من هنا ، كان احتفاظ المعرى بأن تحمل بعض قوافيه فى رسالة «ملقى السبيل» السمات التى حملها سائر شعره ، يقول من قافية (الطاء) ، وهى عادة قافية مهجورة ، لا يلجأ اليها الشعراء، بل هم يتحاشونها ويتجنبونها :

فودك علاه الشمط (اى بياض الراس الذى يخالط سواده) والمرء ينقص وينمط ، كالطفل كهلك فيلا يقمط ، لقد عرف هذا النمط،والنفس تظعن ولا تشحط ، وأجر من كفر يحبط ، أيــن موفق لا يغلط ، والموت فى العالم مسلط ، وعالك الملك لا يقنط . نظم - بعد ذلك - الفكرة فقال :

الام الحـرص والرغبة
فـى أشيب كالاشمط
وكالطفـل غدا الكهل
فـما للكهـل لا يقمط
ولا يغضى أخـو الريبـة
أن ينـقـص أو ينمط
فما الخاسر الا كافـر
أعمـالـه تحبـط
بنـى ادم ان تعصـوا
فـما أخسر من يقـنط
فبطشـم صـاحب الثـروة
والـزاهـد لا يغبط
أمـا تغلـط فى الدهـر
بـأن تـوجد لا تغلط

ولا يفوت محقق الرسالة ان يعقد مقارنة طريفة بين أبي العلاء المعري والفيلسوف الالماني شوبنهاور ، الذى سجل آراءه الفلسفية فى عدة كتب اهمها : « الارادة فى الطبيعة » ، و « أساس الحكمة» واشهرها (فصول فى الحكمة فى الحياة) . وهو يرى أن مذهب شوبنهاور قائم على أن جميع مشاق الانسان واتعابه الدنيوية الاصل فيها ما يسميه (ارادة لبشر) ،يعني شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة . او ليس هذا رأى المعرى فى ملقى السبيل عندما يقول :

« انك الى الدنيا مصغ ، وحبها للبشر مطغ ، لو انك لشانها ملغ ، ابغاك ما تأمله مبغ ؟ » .

بل هو يذهب الى ابعد من هذا ، فهو يرى ان هناك علاقة وتشابها آخر بين أبي العلاء وشوبنهاور، وهو كونهما لم يتزوجـا ، وعاشا فى عزوبة مستمرة وعزلة وانقطاع ، مما اثر فى طبيعتهما وجعلهما يتشاءمان وينتقدان الهيئة الاجتماعية ، ويتناولان اهل الدين وارباب الشعائر والنساء والاعتقاد ، ويسيئان الظن بالدنيا وساكنيها .

والفرق - فى رأيه - بين العالمين ، هو كون شوبنهاور اشتغل فى علم الفلسفة ودراستهـا والتدوين فيها ، بخلاف المعرى الذى لم يشتغل بالفلسفة من حيث هى علم وانما كان يبحث عن اسباب الاشياء وتعليل وجودهـا ، فتخطر له خطرات حكيمة تستحوذ على مخيلته وتحتل الحاد ، فتسبكها قريحته الشعرية فى تلك القوالب العجيبة التى تظهر فى قصائده .

يبقى ان نعود فنؤكد ان رسالة ملقى السبيل - النثرية الشعرية - تفتح الباب لتعديل كثير من الافكار المعروفة عن المعرى ، تلك التى اخذت وانتزعت من ثنايا اشعاره وكتاباته المعروفة والمتداولة ، التى يبدو فيها المعرى صوت احتجاج ورفض وقلق وتمرد وشك اكثر منه صوت ايمان وخشوع وعودة الى اليقين . ومن هنا تنبع القيمة الحقيقية لهذه الرسالة ، فقد لا تضيف بعـدا جديدا الى شاعرية المعرى الاصيلة ، او صنعته البلاغية المقتدرة ، لكن من شانها ان تحدث تعديلا هاما فى فكرتنا عنه كمفكر وفيلسوف .

القاهرة - فـاروق شوشة

بودلير

شـــاعر المـــــرأة

بقلم : الدكتوره ماري فرنسيس

الشاعر الفرنسي المشهور « شارل بودلير » صاحب « ازهار الشر » نذكر هذا الشعر الخالد البارع في التعبير عن الملذات الحسية .... ففي أبداع قصائده التي تبلغ القمة من حيث العمل الفني نجده منغمسا انغماسا تاما في نشوة المتعة ، وهو يشدو بالمرأة « مليكة المعبودات » ، معبرا عن رغبته « المتموجة التي تعلو وتهبط بين القمم والوديان » لجسد المرأة « الرائع » .

والى جانب هذا ، كان « بودلير » يحس بحاجة ملحة الى أن يتصل بالمرأة ، لا عن طريق الجسد فقط ، بل عن طريق القلب والروح ، ويفيض عليهـا هذه القـوة العاطفيه التي تكتظ بها جوانحه . وهنـا نذكر له هذا الشعر الوجداني الذي يشدو فيه باجلال وتمجيد المرأة « الملاك » ، « الإلهة » ، التي يوقد افـكاره كالشمـوع على هيكلها ، بينما تلمع هي كنجمة بعيدة المنال ...

والى جانـب هذين الوجهين (الحسي والروحاني) هنالك وجه آخر للمرأة في شعره ، ولكنا نكاد نجهله . وهذا الوجه كريه ، ويصفه « بودلير » أبشع الوصف . فتارة تبدو له المرأة « حيوانا قاسيا » ، وتارة اخرى « حيوانـا دنيئا » او مخلوقا سافلا .

المرأة والشر

وهذه المرأة في عالـم « بودلـير » تجسيد مؤذ لقـوى الشر ، وباعثـة للبغض والهـلاك . فهـو يتصورهـا « مصاصة دماء » تهدم وتفني . وتمثل له صورة حية للشيطان في قصيدة « الفناء »

« يلازمني الشيطان دوما مستثيرا ...
ولأنه يعرف حبي الكبير للفن
يتخذ شكل امرأة فاتنة مغرية
وبشتى الطرق والمحاولات يلصق شفتي بأقداح محرمة
وبهذا يبعدني عن أعين الله
متعبا جاهدا لاهثا ... »

وتبـدو له علاقتـه مع تلك الشريرة « مبـارزة » شيطانية بين رجل وامرأة هيا :

« جنديان يندفع الواحد منهما صوب الآخر
وقد نثر سلاحهما الضوء والدم في الهواء ...
يا لثورة القلب الناضجة اجتاحها الحب ...
يا لشيطان الحب ، انه يخلد احقادنا الى الأبد



بودلير

وكان « بودلير » يحس أشد الاحساس بهذا الصراع العنيف ويشعر برذائل هذا الطراز الشرير من النساء . ففي قصيدة « الجواهر » يشبه مفاتن المرأة بملائكة السوء ، وفي شعره يرمي هذا المخلوق الشيطاني بعين اللعان ...

فماذا كانت حقيقة شعور « بودلير » نحو هذه « الملعونة » ؟ انه يدهشنا حين يصرخ في « المرأة المفرطه المرح » :

« اني أكرهك بقدر ما أحبك ! »

وتلك هي صرخة اليائس العاني .. وفي قصيدته المشهورة « الشرفه » يقول الشاعر :

« وشربت أنفاسك ايها الدمار اللذيذ ... »

فيا ترى تلك الكراهية العاشقة ؟ ...

« السادية » و « المازوكية »

إذا حللنا هذا الشاعر « البودليرية » تظهر لنا « سادية » مؤكدة . وتتغذى هذه السادية من القسوة المفرطة نحو المرأة التي تبدو هنا فريسة حب « بودلير » الطاغي :

« سألتف حولك كالثعبان ....
سأحكمك وأملكك
بقوة الخوف وحده .... »

وفي قصيدة اخرى يصفها متلذذا « بثمرة مروضة » او « عبدة مزهوة بانتصار مولاها عليها .

وفي هذا العالم « البودليري » الغريب تحمل المرأة معاني الاشتهاء إذا اقترنت بالشقاء وامتزجت بالحزن حتى تحقق الاثارة الجنسية . فرغبة « بودلير » السادية تحصل لها اللذة إذا خيل اليه أنه يضرب المرأة ويفجر دموعها بقسوته :

« سأضربك بلا غضب
وبلا كره .. كالقصاب
كموسى وهو يضرب الصخر
وسأستدر من جفنيك الدموع
لأروى صحرائي بماء العذاب
وستبح رغبتي المملوءة املا
على دموعك المالحة
كسفينة في عرض البحر ... »

واذا كانت السادية تلون جانبا من شعره فاننا نرى « مازوكية » واضحة تلون جانبا آخر من شعره . ولبودلير المازوكي يتم السرور الجنسي بتحقيق العذاب لنفسه . ويقول وهو يردد في شعره رنة الشجي ممزوجة بنشوة الاستمتاع :

« ... كل المحبوبين
أقداح مرة نشربها مغلقي العيون
والقلب المصاب بالنصال ، متلويا من الالم
يحتضر كل يوم ، مباركا السهام . »

وهكذا تظل نفسية « بودلير » في صراع شبه دائم بين الساديه والمازوكية ، فهو ظامىء للقسوة وتعذيب

الغير ، كما هو ظامىء لتعذيب نفسه ومفرطا على نفسه في الهوان والمذله :

« انا الجرح والسكين
انا الصفعة والخد
انا الضحية والجلاد »

فبالتناوب والتداخل تتحقق في نفسية « بودلير » ازدواجية السادية والمازوكية فهو الطاعن والطعين ... انه يستمتع بملذات مشبعة بالسوء ويشمل من عطور « ازهار » « الشر »

المرأة « تناسق جسماني »

في عالم « بودلير » ، اذا كانت المرأة المقترنة بالعنف تبلور السادية والمازوكية عنده ، فمن جهة اخرى تكشف المرأة « الغبية » ، « الجاهلة » ، عن احتقاره للنساء . فهو يصفها في شعره ـ « بئرا لا يخلو من الغباء » ، ولا يعترف لها بأي مقدرة على مشاركته المباهج الذهنية . ففي « قصيدة الخريف » المشهورة ، تسأله الحبيبة ، وهي مستشعرة بتباينهما وعدم تكافؤهما معه ، قلقة على قيمتها الفكرية :

« ماهي قيمتي بالنسبة لك ايها الحبيب العجيب ؟ »

فيجيب هو بأمر حاسم :

« كوني فاتنة واصمتي »

وكان « بودلير » يهتم ويهيم بجمال المرأة وفتنتها ، متجاهلا بل مادحا احيانا غباءها وذهنها المغلق ، المظلم . فيقول :

« ان البلاهة هي زينة الجمال في اكثر الأحيان »

ونجده في شعره يقوم ، من خلال صور تعبيرية ، بلاهة المرأة المختارة ، شاديا بعيونها البليدة ، الفارغة من أي ذكاء . هاتان العينان

« اللتان لا تحتويان على أي سر ثمين
علب حلي خالية ، أنواط بدون ذخائر
واعمق منكم انفسكم يا سموات . »

وبعد هذا لا ندهش اذا رأينا « بودلير » يتحدث باحتقار ساحق وبشراسة عن المرأة في يومياته إذ يقول :

« المرأة سطحية ... غبية صغيرة ... على الانسان أن يضرب التي يحبها ، كلما تعمقت في الفن ، وكلما قللت من الاقتراب الجنسي . »

وهكذا كان « بودلير » لا يغفر للمرأة اي ذكاء ، فاهتمامه غالبا كان يتركز بحدة على جسد المرأة متغنيا بمفاتنه في نشوة لا نهائية ...

غير ان الغباء النسائي ، في عالم « بودلير » يبدو احيانا مذلة او عارا :

« المرأة ظامئة تريد أن ترتوي ، ساخنة تريد اطفاء نارها بالقرب الجنسي ... المرأة طبيعية ـ اى فظيعة ـ سوقية ... »

وبالرغم من هذه الأراء الساخطة ، فهذا الشاعر « الجالس على عرش الجمال واللذة الحسية » ، هذا الفنان الشغوف بالجمال ، المأخوذ بما يعرض جسد المرأة تحت نظريته الفنية ، يرى جمال الجسد الخالق لنبية المثير هو :

« ... موهبة سامية
تنتزع التوبة لأي عار ... »

***

وهكذا كانت المرأة ثراء خصبا لشعر « بودلير » وعبقريته . وكان هو في نفس الوقت فنانا قلقا يحس بالندم على ضعف الانسان امام الشهوات ... من خلف هذه « الوحشية » ، كما يقول في قصيدته « الفجر الروحي » كان يود دائما .

« ان يستيقظ ملاك ...
وتتفتح سماوات روحانيته في لازورد فضي
امام عيني الرجل الخاطىء المتألم ... »

د . ماري فرنسيس
مدرسة الادب الفرنسي ـ جامعة القاهرة



صحة الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

أمراض المثانة

● ان الدم الذي يجري في عروقنا يصب عادة في الكليتين بمعدل ليتر ونصف في الدقيقة لتنقيته ، وتخرج الفضلات غير النقية عن طريق الحالبين الى كيس عضلي قابل للتقلص والتمدد يعرف « بالمثانة » ومنها تنقذف الى الخارج ، وتتحمل المثانة معدل نصف لتر من الادرار دون مضايقة ، ولكنها تكون اكثر عرضة للتمزق في حالة امتلائها منها في حالة فراغها فيما اذا اصيبت البطن بضربة عنيفة ، لذلك ينصح سواق السيارات بالالتفات الى هذه الناحية قبل الشروع بسياقة سياراتهم ، وان اي عطب يصيب النخاع الشوكي يحدث شللا في المثانة ، وقد تصاب المثانة بالتهاب وهو اكثر حدوثا عند النساء منه عند الرجال، لان مجرى الادرار في الحالة الاولى اقصر ، فهو لذلك اكثر عرضة للالتهابات الجرثومية .

وهناك في الغالب علاقة بين الحصى في المثانة وتكون الاكياس فيها ، غير انه لا يعرف على وجه الضبط ايهما يبدأ اولا ، ويمكن تشخيص الاورام في المثانة بظهور الدم في الادرار.

ويوسعنا ان نفحص المثانة مباشرة بآلة تعرف بالسيستوسكوب Cystoscope او منظار المثانة ويمرر عادة في الاحليل ، ويمكن اجراء العملية على المثانة بسهولة عن طريق الجزء السفلي للبطن ، والى ايام الجراح الانكليزي ليستر Lister المتوفى سنة ١٩١٢ لم يكن من الميسور فتح البطن من دون احداث كارثة التهاب الصفاق Peritonitis

وفي العمليات القديمة لاستخراج الحصاة من المثانة كانت تتبع طريقة فتح المثانة من الاسفل اي من طريق الشرج.

وقد تبين من دراسة احصاءات الامراض ان سرطان المثانة في تزايد ولا سيما بين اولئك الذين يعملون في معامل المطاط والاصباغ لسنوات عديدة مستخدمين مادة البنزيدايين Benzidien ومادة النفثالماين Napl.thalmine وقد لا تكون النتوءات الجديدة في المثانة خطرة بادىء ذي بدء ، ولكنها قد تؤدي في النتيجة الى السرطان وفقدان الدم الذي يحط من مستوى الصحة العام ويمكن تشخيص ذلك بوجود دم في الادرار بين حين وآخر، وهذه ظاهرة حرية بالاهتمام دائما ، سواء اوجد السرطان ام لم يوجد ، حتى وان كان سببه بسيطا ، والمعالجة في هذه الحالة جراحية ، وكلما عجل بها كانت افضل ، لانها على العموم قابلة للشفاء فيما اذا تدورك الامر في وقت مبكر ، وعلى العكس من ذلك فيما اذا اهمل ، وبعض هذه الاورام متأتية من التعرض الى المواد الكيماوية المستعملة في الاصباغ ومصانع المطاط، كما ذكرناه ، وكثرة حالات سرطان المثانة في مصر يحملنا على الاعتقاد بان البلهارزيا سبب آخر من اسباب سرطان المثانة ، وقد تعالج الاورام بالكي الكهربائي في الحالات البسيطة ، وفي الحالات المتقدمة برفع المثانة وايصال الحالبين بالمعي المستقيم ، غير ان هذه العملية قد تحدث

الرضاعة والحليب المجفف

● أخبرني الطبيب بعد الولادة أنه يجب ارضاع الطفل من الثدى لمدة شهور وعدم الاعتماد على الحليب المجفف من البداية فهل هناك أى فرق بينهما ؟

ـ ان حليب الام هو انسب الاطعمة لرضيعها وذلك لانه خلق ليناسب الجهاز الهضمي للرضيع وحاجته الغذائية ويتدرج معه منذ بدء ولادته حتى الفطام، وذلك علاوة على ان حليب الام يحتوى على كثير من مضادات الامراض التي تعطي مناعة وحصانة ضد كثير من الامراض كما انه مضمون النظافة ومعقم بصفة دائمة فلا يحتاج الى غلى او تعقيم.

والحليب يشمل معظم العناصر الغذائية تقريبا واننا نعتبره يقارب الكمال ولكن ليس كاملا لانه يفتقر الى الحديد وفيتامين ث وهذه ضرورية لتكوين هيموجلوبين الدم وسلامة اللثة وتكوين الاسنان ولذلك كان لابد من تعويض الطفل عندما يبلغ الشهر الثالث من عمره باعطائه حساء الخضراوات وعصير البرتقال وغيرها .

ويجب ان نعلم ان كل مائة جرام من حليب لدى الام تعطى الجسم ٦٢ سعرا حراريا ولايجوز ان تمتنع الام عن ارضاع طفلها الا فى حالات المرض اوسوء تركيب الحليب او عدم كفايته .

ويحتوى حليب الام على انواع عالية من البروتينات ذات القيمة الحيوية العالية والقابلة للهضم والتمثيل والتي لا بد من وجودها للطفل لبناء انسجة جديدة ولنموه .

وحليب الحمارة هو اقرب الالبان للحليب الآدمي ويمكن للطفل هضمه بسهولة اكثر من اى حليب آخر ، كذلك فان مرض السل نادر في الحمير منه في البقر والجاموس الا ان المواد الدهنية ضئيلة في هذا الحليب ولذلك لا يمكن استعماله كغذاء للطفل مدة طويلة ولكنه مفيد جدا في حالات الضعف والنزلات المعوية واود ان انبه أن الحليب ليس له اى ضرر ولا يؤثر على خلق الطفل او طباعه في المستقبل .

كذلك فان حليب الماعز والناقة سهل الهضم ويمكن استعماله للاطفال وعموما فان الاطباء ينصحون الان بانه يجب على الام ارضاع طفلها من ثديها لاطول فترة ممكنة لصحة وسلامة الطفلة .

التهابا فى مؤتنف الزمن ، لذلك يفضل بعض الجراحين ايصال الحالبين بمثانة اصطناعية خارج الجسم يحملها المريض معه حيثما ذهب ، ومع ان هذه الطريقة لا تخلو من مضايقات ، كما هو معلوم ، الا انها اسلم صحيا فى المدى البعيد .

وكنتيجة للالتهاب المزمن فى « المبولة » قد تظهر زائدة لحمية عند النساء تكون بحجم الحمصة قرمزية اللون براقة وحساسة تحدث الما عند التبول وتدمى بسهولة فيصطبغ الادرار بالدم ولا علاج لها غير ازالتها بعملية جراحية .

وقد تصاب المثانة كما تصاب الكليتان بالسل ، غير ان مثل هذه الاصابة اصبحت فى ايامنا هذه نادرة . وكان فحص الادرار منذ ايام السومريين وقدامى المصريين ولا يزال الى يوم الناس هذا من اهم الفحوص لتشخيص الامراض ، وقد اصبح اليوم لا يعتمد على العين المجردة بل على مختلف التحليلات الكيماوية ، مع ملاحظة اللون والترسبات والروائح والكثافة فمن طريق فحص الادرار يمكننا ان نتبين اضطرابات الكليتين وتسمم الدم اثناء الحمل والامراض العصبية وداء السكر وامراض العظام والسرطان واضطراب الغدد والكبد والحمل، وبطبيعة الحال يمكننا ان نعلم عن اضطرابات المثانة نفسها .

والمعروف ان الشخص البالغ الصحيح المعافى يبلغ ادراره الخمسين اوتصا خلال كل أربع وعشرين ساعة ، تطلق خلال اربع او ست مرات في النهار ولا شيء خلال الليل وتتباين الكميات وعدد المرات بالطبع بمقدار ما يحتسيه المرء من سوائل ومقدار ما يفقده عن طريق التعرق او الاسهال او القيء ويرجع ازدياد التبول الى الاصابة بمرض السكر ، واذا كان الشخص متقدما في السن فقد يكون السبب مرضا في الكلية او تضخما في غدة البروستات ومن أبرز علامات هذا الاخير التهوش في الليل للتبول •

اما الالتهابات الموضعية فقد يكون سببها التهاب المثانة بالذات او وجود حصى او تقرح او ورم فيها او قد تكون نتيجة تغرش في موضع آخر ينعكس على المثانة من مثل وجود الديدان او البواسير او تدلي عضو كالرحم مثلا عن موضعه السوى او الضغط على المثانة اثناء الحمل ، ويكون الادرار حامضيا اكثر مما ينبغي •

ومن امراض المثانة عدم القدرة على التبول لافراغها لمدة ساعات عديدة مع تشنجات مؤلمة في القسم السفلي من البطن وقد يكون سبب ذلك اضطرابا عصبيا وتعالج هذه الحالة بوضع كيس ماء حار على البطن مع محاولة التبول في حمام دافيء حتى يحين موعد مجيء الطبيب فبوسعه ان يقدم العلاج الآني الناجح ويجرى الترتيبات اللازمة للوقوف على اسباب الحالة الطارئة •

وقد تحدث حرقة عند التبول نتيجة للاصابة بالزهرى او التهاب الاحليل او اصابته بالقرحة او السرطان ، ومن الملحوظ احيانا ضعف مسيل الادرار وبطوءه وسبب ذلك تضيق المجرى البولي او تضخم البروستات او وجود الحصى وهناك كذلك احتمال حصول تشنج عصبي في منفذ المثانة ولا سيما بحضور اناس آخرين ، ويمكن التغلب على ذلك بالتبول بعيدا عن انظار الاخرين ، وقد يجد المريض صعوبة في البدء بالتبول ومأتى ذلك ايضا الاعصاب او الشيخوخة او ضعف عضلات المثانة او توسعها نتيجة تضخم البرستات المزمن ، وقد تنطلق قطرات من الادرار اثناء الضحك او السعال او العطاس، وعلاج ذلك التمارين الرياضية لتقوية العضلات للاثمرات في اليوم، واللون الطبيعي للادرار اصفر بني وقد يكون برتقاليا فيما اذا كان مركزا نتيجة الحمى او ارتفاع حرارة الجو او اضطراب الكبد • اما اللون الوردى او الاحمر فقد يكون نتيجة تناول حلويات ملونة ، اما الخضرة الفوسفورية فناجمة عن المقويات والمستحضرات الكيماوية للفيتامينات •

الشاى والقهوة

● نصحني الطبيب بالاقلال من شرب الشاى والقهوة للتخلص من التوتر الذى اعاني منه، فهل لي ان اعرف اضرارهما ؟

– ليس للشاى او القهوة اية قيمة غذائية، وكلاهما يحتوى على مادة «الكافيين» ومادة «التانين» الا ان الشاى يحتوى على نسبة اكبر من مادة «التانين»• وهذه المشروبات تسمى مشروبات منبهة نظرا لوجود الكافيين الذى ينبه الجهاز العصبي والقلب وكذلك الكليتين •• ولذا يزيد افراز البول• اما «التانين» فهو مادة قابضة تؤدى الى الامساك وتؤثر على الاغشية المخاطية للفم والمعدة والامعاء فتؤدى الى تهيج هذه الاغشية وحدوث عسر الهضم•• ومادة التانين في الشاى تزيد كلما زاد غليه وبالتالي تزداد مضاره•

اليونان والـ

بلد سياحي يتألف من مجموعة هائلة من الجزر .. يفد اليها السائحون ليتمتعوا بشواطئه في الصيف والوقوف أمام آثاره والتنقل بين جزره تحت دفء شتائه .

واليونان تملك ثـا
المسؤولين وقفة ، فا





رب

فكر وحضارة وحديث عن المستقبل

استطلاع بقلم : منير نصيف   تصوير : أوسكار مترى

أكبر اسطول تجارى فى العالم .. تصنع السفن وفى أحواض بنائها كان لنا مع
ان السياحة والنقل التجارى تشكلان المصدر الرئيسى للدخل القومى فى هذه البلاد



من فوق قمة جبل ليكافتيوس الذي يرتفع عن سطح البحر بحوالي الف قدم • كانت لنا إطلالة على مدينة قديمة حديثة •• قديمة بتاريخها وحضارتها •• حديثة باسلوب حياتها العصري •• عرفها العرب في فجر الاسلام وحتى قبل أن يجيء الاسلام •• بعضهم جاء اليها حاملا تجارته •• وبعضهم حط فيها متنقلا بين شواطئها وجبالها ووديانها ، ناقلا اليها دينا حنيفا وخلقا سمحا كريما •• وبعضهم أخذ من حضارتها وفكر فلاسفتها •• وأعطى كما أخذ من فكر وفلسفة العرب والمسلمين الاصيلة !

هي مدينة اثينا ، عاصمة اليونان •• وهي كما ذكرنا ليست غريبة علينا ـ نحن العرب ـ كما اننا لم نكن ابدا غرباء على هذا البلد الذي يسبح بجزره التي تزيد على الثلاثة آلاف جزيرة ، صغيرة وكبيرة ماهولة وغير ماهولة ، في مياه البحر المتوسط ، التي ركب اجدادنا امواجها ، وارتفعوا معها الى القمة ، فكرا ودعوة وحضارة وانتشارا بين اهل الغرب والشرق •• سواء بسواء •

كيف كان هذا مع اليونان •• بلد الاغريق وارض الفلاسفة •• الذين مازالوا يعيشون معنا في الكتب حتى اليوم •• من هيرودوت ابو التاريخ ، الى سقراط وافلاطون وارسطو ••

ونرجىء الحديث مؤقتا عن التاريخ وعن روابط الفكر وعلاقات العرب التي جمعت وتجمع بين العالم العربي واليوناني ، فسوف يكون لنا مع كل هذا عودة في مكان اخر من هذه الرحلة السريعة التي حاولنا معها ان نقدم بالكلمة والصورة شيئا عن حاضر اليونان ، كما رأيناه خلال زيارتنا لها •• وعن الماضي القريب منه •

اما البعيد الموغل في القدم فلن يكون لنا حديث عنه في هذا المكان • ان حاضر بلد •• اي بلد ماهو الا امتداد لما كان عليه حال شعبه من فكر وثقافة وحضارة وتاريخ في الماضي القريب والبعيد •• ولكننا سوف نكتفي بالقريب الان لان البعيد بعيد جدا •• الذي غير الصورة ويغيرها هو عنصر الزمن وما تصنعه الايام بها •• فاللوحة الجميلة الملونة هناك باقية حيث هي •• كل ماحدث كما توقع فان جوخ : ان ريشة الفنان الجديد الذي يجيء من بعدي قد يجد اللوحة غريبة عليه فهي لا تمت الى العصر الذي يعيشه بصلة •• وقد يعبث بها ماشاء له العبث ليضيف عليها طابع الحياة التي تسود العصر ولكن هل استطاع هذا الفنان العصري أن يخفي مع كل

هذا العبث ملامح الحياة القديمة في اليونان •• ابدا •• انها هناك باقية ثابتة بالوانها التي ربما فقدت بعض بريقها بفعل الزمن •• ولكنها لم تختف ، كل ماحدث هو هذا الزحام الهائل الذي تراه حول اللوحات الجميلة •• الناس والمركبات وناطحات السحاب • وكل ما يمت الى الحياة العصرية بصلة حتى كادت الصورة القديمة الجميلة ان تتوارى وسط الزحام •

نحن لا نحاول ان نجمع في هذه السطور القليلة ماء البحر في وعاء كما يقولون وانما نحن نحاول ان نعرض شريطا قصيرا لانطباعاتنا عن هذا البلد وماحدث له وفيه وعلاقتنا به نحن العرب على مر القرون القريبة •

تسلقوا الجبل

ونبدأ من حيث تكون البداية •• كيف تبدو اليونان او بلاد الاغريق وهي التسمية الاصح •• اليوم كانت اليونان ومازال بلدا ناميا •• ولكنه نمو يختلف عما تعودناه ورايناه في البلاد النامية الاخرى في القارتين الكبيرتين •• آسيا وافريقيا او في منطقتنا العربية •• فهي تنمو نموا سريعا كاد يتقلها او هو نقلها بالفعل الى دولة متقدمة • ـ بمواردها وصناعاتها واصرار ابنائها •• هؤلاء الذين رفضوا البقاء وراء الجبل فتسلقوه وخرجوا الى الشمس غير عابئين بلسعاتها سائرين في الطريق الذي اختاروه لانفسهم •• فراحوا يكدحون ويعملون ويعرقون ، حتى بلغوا النهاية او كادوا •• قبل الحرب العالمية الثانية اي منذ اربعين عاما او اكثر او اقل ، كانت اليونان دولة فقيرة •• ليس فيها غير الارض التي يزرعونها وياكل ابناؤها خيرها وما تجود به •• وغير اسطول صغير للنقل البحري ، يربط بين جزرها المنتشرة في البحر المتوسط ، وربما بينها وبين بعض الدول المجاورة التي كانت تنقل اليها ومنها

تجارتها ثم بعض الصناعات البيئية التى نبعت من ارضها او انتقلت اليها مع الحكم العثمانى عندما كان الاتراك يصولون ويجولون فى العالم العربى وفى اوروبا رافعين علم امبراطوريتهم وعلم دينهم الاسلامى الحنيف . قال المؤرخون المسلمون بعد ان نفض العرب وغير العرب عن بلادهم غبار الاستعمار العثمانى : لقد نهبوا ارضنا ، واستولوا على كنوزها حتى آثار النبى صلى الله عليه وسلم حملوها معهم الى القسطنطينية استنابول اليوم وتصوروا انهم بهذا قد نقلوا عاصمة الاسلام الى تركيا .

وانتشر الاسلام من أرضه

ولكن الاسلام بقى فى الارض التى نبع منها ، وانتشر الى البقاع الدانية والنائية بين المؤمنين بالله ورسوله الكريم ، وغرقت الدولة العثمانية فى بحر الظلام والتخلف حتى كانت بداية هذا القرن العشرين عندما قضى كمال اتاتورك على كل ما ربطها أو كان يربطها بالعالم الاسلامى لغة وحضارة واستمرت تركيا فى عيشها « مع المرض » فقد كانت الرجل المريض فى أوروبا .

وخرج العثمانيون من اليونان بعد اربعة قرون من الاستعمار الذى دام حتى اوائل القرن التاسع عشر .. ولكنهم تركوا وراءهم بصماتهم .. فالطابع التركى هناك يراه الزائر فى المبانى القديمة وفى الاسواق وفى الصناعات التقليدية التى تعتمد على الايدى والاصابع الماهرة .. صناعات يدوية من الفضة والنحاس والاخشاب والفخار والصدف والاقمشة القطنية بزخارفها والوانها .

واندلعت الحرب العالمية الثانية وانتهت بعد ان تركت اليونان وكل دول شبه جزيرة البلقان ومعظم دول اوروبا شرقا وغربا ، رمادا وركاما .

وصحت الشعوب الجريحة من رقدتها المؤلمة على الواقع المفجع .. كيف .. ومن أين يبداون من اجل اعادة الحياة الى بلادهم التى تفوح منها رائحة الموت والخراب .

وكانت البداية صعبة شاقة محرقة .. كانت مليئة بالعمل والكفاح والتضحيات ، ولكنها كانت فى النهاية مثمرة .. وبقدر العطاء كان الجزاء.. فهذه هى قصة الشعوب مع الارض منذ كانت هناك حياة . وقد تفاوتت درجات التعويض عن الاضرار التى احاقت بالعالم من جراء الحرب التى أوشكت ان تقضى على كل مظهر من مظاهر الحياة فى اوروبا واسيا .. وتفاوتت من بلد الى بلد بل من مدينة لاخرى .. البعض ، لاسباب سياسية اولا واقتصادية وعسكرية نهض بسرعة فقدكانت الاموال تتدفق على تلك البلدان من اغنى دولة فى العالم ونعنى بها الولايات المتحدة الامريكية.. والبعض بقى يكدح ويعمل فى نطاق ما تسمح به الامكانيات المتوفرة لسنوات وسنوات طويلة ذاقت خلالها شعوبها مرارة الفقر والحرمان الى ان استطاعت ان تقف مرة اخرى على قدميها ، ثم تقفز بعد ذلك قفزاتها الهائلة وتؤكد وجودها فى عالم اليوم والغد ..تماما كما حدث للسلحفاة البطيئة التى وصلت نهاية الشوط وسبقت الارنب بعد رحلة شاقة طويلة .

الابناء العائدون

واليونان واحدة من تلك الدول التى انتعشت بعد جهد وبعد سنوات طويلة من العمل الجاد رغم ما اعترضها فى مسيرتها من صعاب عندما صحا الشعب يوما، فوجد الحرية قد غابت .. بعد أن سيطر الجيش على البلاد ، ولكنها لم تكن سوى غفوة قصيرة عاد اليونانيون بعدها الى المضى فى مسيرتهم ، بعناد واصرار .

ثمة عامل هام كان له دور مؤثر ساهم بصورة مباشرة فى بناء اليونان الجديدة .. مدنها وشواطئها السياحية الجميلة .. ومصايفها وتجارتها التى تعتمد اليوم على ثانى اكبر اسطول تجارى فى العالم .

وهو تلك الهجرة المعاكسة .. لقد عاد الى اليونان ابناؤها الذين كانوا يعيشون فى المهجر فى مصر وفى بقية الدول العربية وغير العربية، عشرات ومئات الالوف حاملين معهم ما جمعوه من مال خلال رحلتهم الطويلة مع الحياة فى هذه البلاد التىكانت لهم وطنا ثانيا..يشدهم الحنين الى بلدهم من ناحية ثم الرغبة فى مد يد العون لمواطنيهم والوقوف معهم فىانطلاقتهم لبناء بلدهم وتعميرها فى ظل ظروف سياسية واقتصادية مواتية .

حدث هذا فى أوائل الستينات عندما زرنا أثينا للمرة الاولى .

ومرت السنون وعدنا الى اليونان مرة اخرى





سوق البراغيث سوق قديم معروف في قلب العاصمة اثينا، يزدحم بالسائحين دائما، ويشتهر بالصناعات اليدوية التي حملها الاتراك معهم اثناء حكمهم الطويل لليونان .. وصناعة الاواني النحاسية والنقش على النحاس صناعة اسلامية قديمة ابتكرها الفاطميون وعاشت وتطورت مع العرب ومع غيرهم في كل بقعة وصلوا اليها شرقا وغربا .



فى عام ١٩٧٧، وقصدنا المكان الذى عرفناه ، وكانت المفاجأة ‥ فلم نصدق ان تلك الاعوام التى انقضت بين زيارتنا الاولى يمكن ان تصنع كل هذا الذى صنعته فى ميدان واحد فى هذه المدينة الصغيرة الكبيرة ‥ فقد قامت العمارات الضخمة ، وافتتحت المحال التجارية الكبرى ‥ وانتشرت فنادق الدرجة الاولى على جانبى الميدان الكبير ‥ الصورة كلها تغيرت بكل معالمها وهى نفس الصورة التى رأيناها فى زيارتنا الاخيرة عندما سافرنا الى اليونان هذا العام لنقدم هذا الاستطلاع ‥ مع فارق واحد ، هو اننا هذه المرة لم نكن نتفرج ‥ وانما كنا نرى ونسمع ونسجل ٠

دولة نامية متقدمة

واليونان بلد غريب ‥ وبلد صغير فى الوقت نفسه ، لاتزيد رقعة اليابسة فيه على ١٣١ الف كيلومترمربع ‥بما فى ذلك جزره العديدة العائمة فى مياه البحر والتى يسبح معها مئات الالوف من السائحين فى صيف كل عام ٠ تعداد سكانه لايزيد على تسعة ملايين نسمة يعيش نصفهم تقريبا فى العاصمة أثينا‥ وهى مشكلة تفاقمت على مر السنين ‥ فلم تكن العاصمة الصغيرة التى تبلغ مساحتها اربعمائة كيلو متر مربع مستعدة لايواء هذا العدد الضخم من السكان ‥ ولكنها مشكلة كل الدول النامية التى تحولت من مجرد مجتمع زراعى الى مجتمع زراعى صناعى‥ ومع هذا التحول يبدأ النزوح من الريف الى المدينة ‥‥ حيث الكسب اوفر واسرع مع دخان المصانع وهدير الآلات ‥

وواجهت اثينا مشكلة ‥ وهى مازالت تعيش فيها كلما ازداد الطلب على الايدى العاملة ، مع حركة البناء والتعمير التى غيرت وجه اليونان ‥ورفعت اجر العامل وضاعفت الدخل القومى ٠

ونسمع ونقرأ فى الاحصائيات الرسمية ان اكثر من نصف مليون سيارة تجرى الآن فى شوارع العاصمة الضيقة الصغيرة وهى فى زيادة مستمرة فهناك عشرة الاف سيارة جديدة تنزل الى شوارع العاصمة شهريا ‥‥ والنتيجة ‥ ان الجو فى العاصمة قد تلوث وبلغت نسبة التلوث فى الهواء درجة الخطر ٠

وطبيعى بعد هذا أن تواجه المدينة المكتظة ازمة اسكان وهى مرة اخرى ظاهرة يعانى منها



مجموعة من الطلبة العرب في جامعة ا
وهناك اكثر من ألف طالب من مخ

العالم كله من أدناه الى اقصاه ‥ ولكنها هنا فى اثينا قد استحكمت حتى بات منالعسير العثور على سكن مناسب فى منطقة وسط المدينة حيث يبلغ ثمن الشقة التى تتألف من غرفتين مع مرافقهما مبلغا يتروح بين عشرة وعشرين الف دينار كويتى ٠

وكان لابد من البحث عن علاج سريع لهذه المشكلة التى ازمنت وباتت تهدد المدينة بالاختناق ‥ انها مرة اخرى مشكلة تعيشها الدول النامية التى تعانى من الارتفاع المخيف فى نسبة زيادة عدد السكان ولكنها هنا فى اليونان اقل الرا بكثير عنها فى اى دولة اخرى ‥ فلا تتجاوز نسبة الزيادة فى السكان ١٪ سنويا ‥ فى عام ١٩٦٠ كان تعداد السكان ستة ملايين نسمة ‥ وفى عام ١٩٧٩ بلغ تسعة ملايين نسمة ، وليسوا كلهم مواليد جددا فهذا الرقم يشمل مئات الالوف من المهاجرين العائدين الذين بنوا وعمروا وساهموا باموالهم فى بناء نهضة بلادهم ٠

واجريت الدراسات لانقاذ العاصمة بسرعة من الاختناق الذى يتهددها‥ ووضع الخبراء أصابعهم على الحل٠لابد من نقل جميع الوزارات والمصالح الحكومية من قلب المدينة الى الضواحى ‥ بهذه الطريقة وحدها يخف الضغط عن منطقة وسط العاصمة ‥ واضاء رئيس الوزراء كرامنليس الضوء الاخضر ‥ وبدات الاجهزة المعنية فى تنفيذ المشروع على الفور ٠

عودة الى الارض

فى بداية التحول من مجتمع زراعى الى مجتمع



ية سالونيك العاصمة الثانية لليونان ••
طار العربية في الكليات العملية •

صناعي زراعي • كاد ابناء اليونان ينسون الارض وخيرها ، ولكنهم سرعان ماعادوا اليها يصلحونها ويفلحونها من جديد حتى بلغت نسبة الاراضي المزروعة اكثر من ٢٨٪ من مجموع مساحة اليونان كلها ••فهي بلد زراعي صناعي معا •• ولكن ماذا يزرعون •• وماذا يصنعون هنا •

اكبر حاصلات اليونان الزيتون ، والدخان والفواكه والحمضيات •• ثم القمح الذي اصبح يكفيهم الان ويفيض •• وهم يستخلصون الزيت من الزيتون ويصدرونه كذلك الدخان وله في الخارج أسواق عديدة والفواكه والخضروات الطازجة ، وتصدرها اليونان الى دول السوق الاوربية المشتركة التي تم توقيع الاتفاقية الخاصة بدخولها فيها يوم ٢٨ مايو الماضي •• ولكن عيون اليونانيين كلهم تتجه اليوم الى العالم العربي •• والى السوق العربية •• فنحن أولى بحكم الجوار ، وبحكم ماكان يربط بيننا من علاقات ، وما نحمله لكم في قلوبنا من محبة وتآلف ومشاركة •• وهي مشاعر كانت وما تزال تربط بيننا منذ مئات السنين • هكذا قال لنا الدكتور يوانيس بورغاكيس ، الرجل الذي يحمل اليوم مهمة تطوير وتنمية هذه العلاقات التاريخية القديمة بين العرب واليونانيين • وسنعود اليه والى الدور الذي يضطلع به كسفير متجول لبلاده في الدول العربية كلها•• وهو يؤكد أن هناك مئات المشاريع العربية اليونانية التي بدأت تخرج الى حيز التنفيذ •

والفلاح هنا يزرع أرضه •• وكل الفلاحين يملكون الارض التي يزرعونها ، وهي مساحات صغيرة لا تزيد في المتوسط على خمسة أو عشرة هكتارات ••

السياحة والنقل البحري

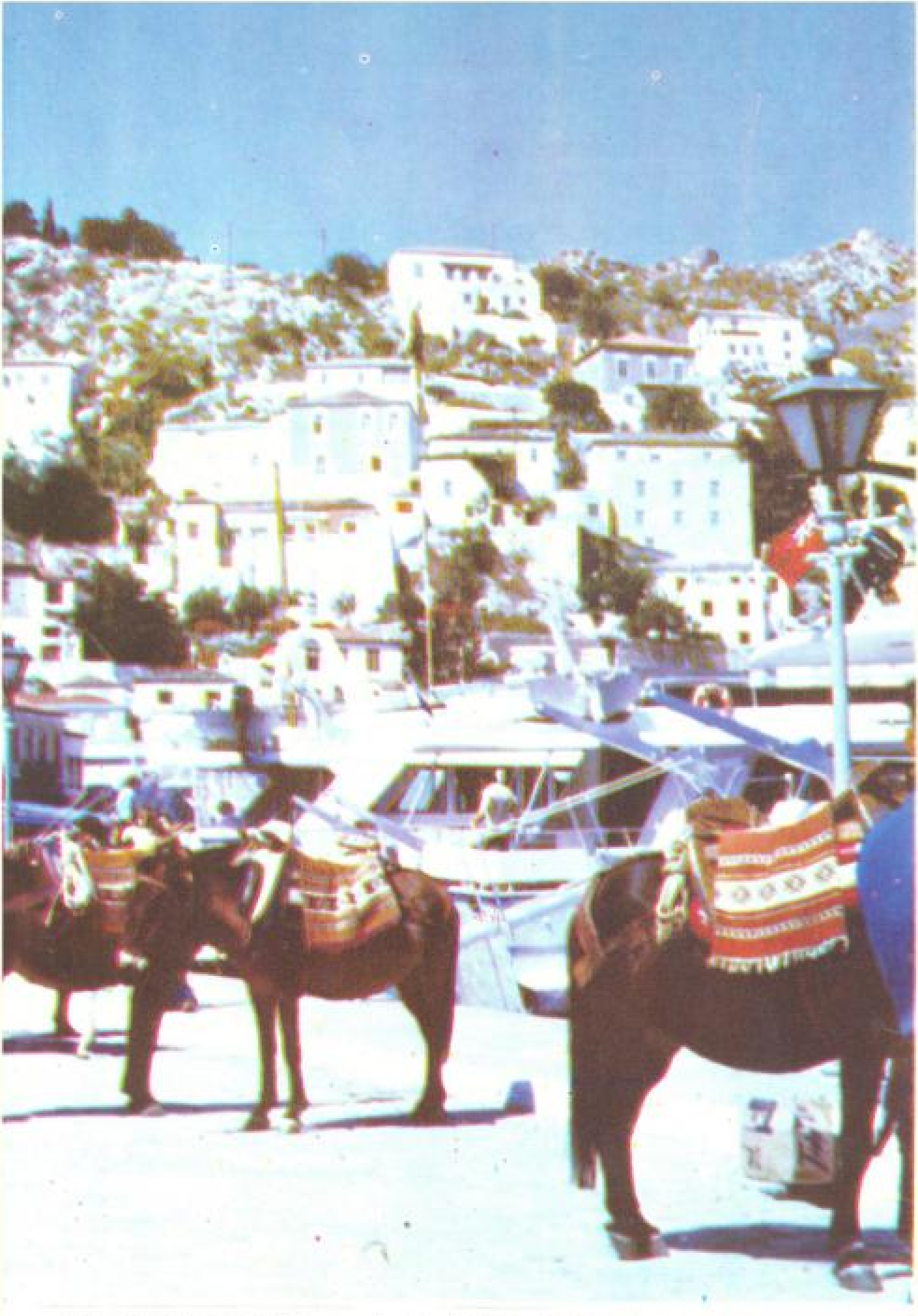
ولعل أهم صناعة في اليونان اليوم هي صناعة السياحة فقد تفنن ابناء اليونان في تجميل شواطئهم وجزرهم الفنية بمناظرها الساحرة ، وعرفوا كيف يكرمون ضيوفهم واستطاع التاريخ والجبل والبحر وشواطئه ان يجتذب مئات الالوف من السائحين في صيف كل عام • حتى بلغ دخل اليونان من السياحة في العام الماضي ١٩٧٨ مبلغا يزيد على البليون ونصف بليون دولار (١٥٠٠ مليون دولار) ، وهم يتوقعون ان يصل هذا الدخل في صيف هذا العام الى الضعف تقريبا •• ولا يملك السائح العربي ، وهو يرى هذا الجمال الذي تحالف الانسان مع الطبيعة في صنعه الا ان يقف ويتأمل ويتساءل : (الم يكن في مقدورنا ان نحول شواطئنا العربية الجميلة الى جنات تشد هذه الملايين من السائحين ؟ عندنا التاريخ وعندنا الحضارة العربية القديمة وكل المقومات التي تجعل من بلادنا اجمل المناطق السياحية في العالم •• ومع هذا لم نصنع الا القليل من اجل تنمية صناعة السياحة وتطويرها •

وتأتي صناعة بناء السفن والنقل التجاري في المرتبة الثانية كمصدر للدخل القومي في البلاد فاليونان تملك كما ذكرنا ثاني اكبر اسطول تجاري في العالم بعد اليابان ، وقد بلغ دخل اليونان من النقل البحري وبناء السفن واصلاحها في العام الماضي اكثر من ١٥٠٠ مليون دولارا أخرى • ويضم الاسطول التجاري اليوناني اكثر من خمسة الاف وحدة بحرية من سفن للشحن وناقلات بترول وسفن للركاب وسفن لصيد السمك وقاطرات لسحب السفن الكبيرة •

يقول المسئولون في (شركة هلينك) للملاحة البحرية وبناء السفن : (لقد ذهب عصر السفن العملاقة والسبب هو خفض الدول العربية لانتاجها من البترول من ناحية وعودة الملاحة الى قناة السويس ، وهذا هو الاهم فلم تعد السفن تدور حول طريق رأس الرجاء الصالح، كما كانت تفعل طوال سنى اغلاق القناة •• ان الطلب الان على بناء سفن لا تزيد حمولتها على ٨٠ الف طن) •

امتزاج الفكر

نكتفي بهذا القدر من حديثنا عن اليونان ،



في احدى الجزر اليونانية السابحة في مياه البحر المتوسط ، يجد السائحون متعة في ركوب الحمير
والبغال التي تنقلهم في رحلة بطيئة على الشاطيء وفوق جبالها ووديانها ·· والجزر مقصد السائحين



سائحتان في جولة في احدى الجزر تتأملان (الزير)الذى كان يمتلىء بالماء أيام العرب ·



الزراعة بدأ الاهتمام جديا بالارض في السنوات الاخيرة ، منذ ربع قرن أو أكثر او اقل ·· فقد كانت اليونان كلها قبل ذلك تعيش على صيد السمك

ونعود الى موضوعنا ٠٠ (اليونان والعرب) ، وقبل ان نتحدث عن تاريخ امتــزاج الفكـر والحضارة بين المؤرخين والفلاسفة الذين عبروا الحدود برا وبحرا لينقلوا عبر الاتجاهين ٠٠ من شبه الجزيرة العربية الى اليونان وبالعكس ، ما توصل اليه اهل الفكر والعلم عندنا وعندهم ٠٠ قبل هذا الحديث ننقل هذه المقدمة لسـفيرهم المتجول الدكتور يورغاكيس ، وقد زار الكويت ، وكل الدول العربية ، وعاد الى بلاده ، ولقيناه ودعانا لتناول فنجان قهوة (يونانية) ٠٠٠ واياك ان تسميها قهوة « تركية » والا وجــدت القهوة تغطيء الفنجان وتغرق ملابسك • الى هذا الحد يكرهــون الاتراك ٠٠ ويكرههـم الاتراك • وفي اليونان ٢٠٠ الف تركي مسلم ، ولكنهم جميعـا يحملون الجنسية اليونانية • المهم قال الرجل وهو يحيينا بالعربية : « تتساءلون لماذا هذا الاهتمام بالعرب الان ؟ وانا اقول لكم انه ليس جديدا والا اعتبرنا العـلاقات بين العرب واليونانيين جـديدة وهي ليست كذلك فتاريخ الاتصال بين الشعبـين الصديقين تاريخ فكري وحضاري وتجاري ايضا ، وهو يرجع الى قرون عديدة مضت ، فقد كانت العلاقات تشمل جميع النشاطات البشرية ٠٠ كانت القاعدة قائمة اذن ، وكانت قاعدة متينة وراسخة ٠٠ وكل ما حدث هو عودة طبيعية الى حالة كانت قائمة فعلا، ولكن بصورة اخرى تفرضها بطبيعة الحال التغييرات التي طرات على حياة الانسـان ومتطلباته في هذا العالم الجديد المتطور ، وهو عالم لا يمت الى القديم بصلـة وان كان يعتبر امتدادا له » •

والدكتور او البروفـور يورغاكيس ، كان حتى عام ١٩٧٧ وقبل ان يتولى منصبه الجديد رئيسـا لمركز الدراسات العربية ودراسات حوض البحـر المتوسط ٠٠ وفي العام ذاته اصبح رئيسا لمجلس ادارة الغرفةاليونانية للتنمية والتعاون الاقتصادي مع الدول العربية •

عـلاقات افضل مـع العـرب

قال لنا السيد اسكندر قدسي ، مدير معهـد الدراسات العربية والاسلامية : « لا تنسوا ان شمس الديمقراطية قد غابت عن اليونان لاكثر من ثماني سنوات منذ ان قامت الحكومة العسكرية في عام ١٩٦٧ حتى عودة الحياة النيابية فيعام ١٩٧٤ ٠٠ ثم لا تنسوا ما هو اهم من ذلك ٠٠ لقد بدأ العالم الخارجي من حولكم يحس بالعـرب وقدرة العرب العسكريـة والاقتصادية بعد حربكم ضـد اسرائيل في اكتوبر من عام ١٩٧٣ ٠٠ فقد ادرك الغرب والدول المتقدمة ، بصفة خاصة اكثر من اي وقت مضى ان العرب مصدر الطاقـة الرئيسي « البترول » ٠٠ فلماذا لا نكون على علاقة افضل معهم » •

الواقع ان الاهتمام بتنمية العلاقات مع العالم العربي بدأ في عام ١٩٧٤ ٠٠ ولم يقتصر هذا الاهتمام على المجالات الاقتصادية فحسب ولكنـه شمل ايضا النواحي الثقافية والفكرية ٠٠

في هذا العام نفسه ١٩٧٤ ولاول مرة في تاريخ اليونان تاسس معهد دراسة « اللغات » ٠٠ واقبل الطلبة اليونانيون من مختلف الكليات الجامعية في اثينا على دراسة اللغات الاجنبية واللغـة العربية منها بصفة خاصة ، فقد ادركـوا انهـا الجسر الوحيد الذي يوصلهم الى المعرفة ٠٠ معرفة المزيد عن العرب ٠٠ ثقافتهم ، وحضارتهم وكل شيء عنهم ٠٠ ثم لانهم وجدوا ان الترابط بين الشعوب وتوثيق العلاقات بينها لا يمكن ان يتم الا عن طريق التفاعل الثقافي والحضاري بينها ٠٠ فكيف لهم هذا وهم يجهلون لغة هذه الشعوب ؟

وهذا الذي يحدث في اليونان اليوم ، وهـو ظاهرة جديدة كما ذكرنا ، حمل شعلتها فريق من الشباب العربي الذي جاء الى هذه البلاد العريقة ليتعلم ويعلم ، ونذكر منهم السيد انطوان اسو وهو سوري الاصل ، جاء الى اليـونان في عام ١٩٥٢ ، وفي رأسه هذه الفكرة ٠٠ فكرة نقـل اللغة العربية الى ابناء اليونان ، وراح انطوان يرعى فكرته ويطورها الى ان حانت الفرصة اخيرا،



السيد عتيق النقمان القائم بالاعمال بالسفارة الكويتية في اثينا ٠٠ « لا بد من الاهتمام بنقل حضارتنا الى الشعب اليوناني » •



الدكتورة فاتن عبد البارى فى مكتبة جامعة ارسطو مع اثنين من الخريجين الذين يقومون بدراسات عليا فى الفلسفة والتاريخ اليونانى احدهما اردنى والثانى مصرى .

بعد سنوات طويلة ، وقامت المدرسة أو المعهد الجديد لتدريس اللغة العربية.. اصولها وادابها وتاريخها لكل الشباب الطموح .. وتدريس اللغة اليونانية فى الوقت نفسه لكل من يريد أن يتعلمها من الشباب العربى .. ان اليونانيين يتبعون الكنيسة الارثوذكسية الشرقية .. ولكن الاسلام لم يعرف يوما التعصب وأهل اليونان لا يتعصبون لدينهم ولكنهم لا يحبون الاتراك.. لا لانهم مسلمون ولكن لانهم أتراك وقد ارتبط « التركى » دائما فى أذهانهم بالاستعمار العثمانى !

المدرسة العربية الليبية

وفى اثينا ايضا قامت المدرسة العربية الليبية فى أحد الاحياء القريبة وهو حى ارجيروبوليس ومعناها « المدينة الفضية » وتبعد حوالى تسعة كيلومترات عن قلب العاصمة . ذهبنا لزيارتها والتقينا بهيئة التدريس .. انها تضم مدرسين ومدرسات من مصر والعراق والاردن وليبيا وسوريا .. بدات الدراسة فيها عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ وهى تضم اليوم ستين تلميذا وتلميذة فى المرحلة الابتدائية والاعدادية من ابناء العرب العاملين فى اليونان .. وفى كل عام يضاف الى المدرسة فصل دراسى أعلى للناجحين . والدراسة فى المدرسة بالمجان .. وهى تشغل مبنى صغيرا جميلا ويستعد المسئولون فى المدرسة لبناء مسجد صغير فى فنائه حتى يتمكن التلاميذ من تادية صلاة الظهر فى المسجد وهم يؤدون الصلاة على اية حال الان ولكن فى احد فصول المدرسة الصغيرة .

الدكتور يورغاكيس سفير اليونان المتجول .. « الاهتمام بالعرب ليس جديدا » .. ان العلاقات بيننا وبينكم ، قديمة ، قدم التاريخ.



وقريبا سوف تشهد اثينا اول مركز اسلامى تم الاتفاق على بنائه على ارض تابعة للاوقاف المصرية وقد تنازلت عنها مصر .. ولكن يبدو ان هناك بعض العقبات التى تعترض تنفيذ هذا المشروع رغم ما يؤكده الدكتور يورغاكيس من ان كل الخطوات قد اتخذت فى سبيل بناء المسجد والمكتبة الاسلامية وان الحكومة اليونانية فى صدد التعاقد مع المهندسين العرب الذين سيقومون بعملية تنفيذ بناء المسجد الذى اصبح اليوم مطلبا قوميا لكل السفارات العربية وافراد الجالية الاسلامية فى اليونان .

مع قنصل الكويت

ومع قنصل عام الكويت فى اليونان السيد عتيق الفقعان ، كان لنا حديث عن العرب واللغة العربية فى اليونان ، قال : « ان الصحافة العربية أصبحت تجد لها مكانا فى أكشاك بيع الصحف هنا ، معظم الصحف العربية والمجلات تصل الى اثينا وسالونيك .. ولكن العرب وحدهم الذين يشترون هذه الصحف والمجلات ويقرأونها .. اننا نريد ان يتعرف الشعب اليونانى على الدول العربية .. انني اقترح اصدار كتيبات دورية باللغة الانجليزية تتحدث بالصورة والكلمة عن التقدم الذى حققه العرب فى شتى مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والادبية .. ولا يكفى أن يرى اليونانيون هذا التقدم فى الصور .. يجب أن تنقله اليهم .. يجب ان نقيم المعارض العربية فى اليونان ، وان ندعو اليونان الى اقامة معارضها فى الكويت وفى بقية الدول العربية .

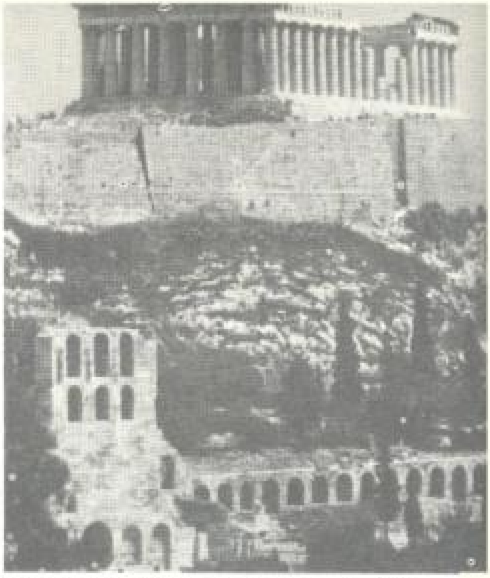
« ثم انني ادعو بعض هذه الدول العربية القادرة على تقديم اكبر عدد من المنح الدراسية للطلبة اليونانيين فى الكليات العلمية وكلهم يجيدون الانجليزية ، فهؤلاء هم خير من يستطيع ان يعود بصورة واضحة للحياة فى بلادنا .. والعكس صحيح ، فهم ايضا خير من ينقل صورا



أستاذ اللغةالعربية بجامعة
أثينا السيد انطوان اسو
(من أصل سوري) وطالبة
يونانية تكتببالعربية على
السبورة في معهد « دراسة
اللغة العربية» في أثينا ٠

في المدرسة الليبية العربية
يتلقى أبناءالعرب المقيمين
في أثينا علومهم طبقا
لبرامج الدراسة في بلادهم
٠٠ أحد الانجازات التي
تحققت خلال السنوات
الاخيرة بعد حرب اكتوبر ٠





الاكروبول .. لم تعد اعمدته القديمة قادرة على الصمود لقد ارهقته الشيخوخة . واسرع ابناء اليونان يضمدون له جروح السنين .

للحياة الثقافية والاجتماعية والحضارية فى بلادهم الى اخوانهم العرب الذين سيتلقون العلم معهم فى جامعاتهم .

فى جامعة ارسطو

ومن خلال نافذة صغيرة فى مكتبة جامعة ارسطو بمدينة سالونيك كان لنا لقاء بوجهين . ساهما بجهد كبير فى تذكير طلاب العلم بما كانت عليه العلاقات بين العرب واليونانيين . منذ مئات السنين وفى كليات هذه الجامعة يدرس الان اكثر من الف طالب عربى من شتى الاقطار العربية والافريقية والاسيوية فهى هذه الجامعة اكبر تجمع للطلبة العرب فى اليونان ..

ونعود الى صاحبتى الوجهين ..الاولى يونانية هى الدكتورة تيرانيا فالالاس استاذة الفلسفة والادب العربى بالجامعة والثانية مصرية وهى الدكتورة فاتن عبدالبارى التى جاءت من مصر بعد حصولها على الماجستير لتنبش فى كتب التاريخ وتثبت فى رسالتها التى قدمتها لنيل الدكتوراه ان الكندى اول فلاسفة العرب اثر فى الفلسفة اليونانية كما تاثر بها ، اما الدكتورة فالالاس فقد كانت استاذتها فى الجامعة ، وكانت أول من صفق لفاتن اثناء مناقشة الرسالة ، واعلنت أنها تستحق درجة الدكتوراه بامتياز .. وقد كان .

● اليونان والعرب ..

وتسال الاستاذة اليونانية عن تلميذتها فتقول : « لقد تفوقت علينا واتت بما لم تات به الكتب انني اتمنى ان ازور الجامعات العربية لاتعرف عن كتب على فكر وحضارة بلادكم » .

لماذا هذه الرسالة

واما الدكتورة فاتن فتقول عن السبب الذى دفعها الى اختيار هذا الموضوع بالذات لرسالتها لعل السبب الاساسى الذى اثار الرغبة فى نفسى لبحث هذا الموضوع هو الفكرة الخاطئة السائدة عن فلسفتنا الاسلامية عند بعض الباحثين الغربيين فى تاريخ الفلسفة ، وجانب من الباحثين الشرقيين ايضا ، فهم يرون ان الفلسفة الاسلامية ماهى الا صورة من الفكر اليونانى وان فلاسفة الاسلام امثال الكندى،والفارابى وابن سينا وابن رشد،ماهى الا مراكز يونانية فى العالم الاسلامى، وان فلسفتهم خلت من الجدة والاصالة .

وقد حاولت من خلال دراسة وتحليل نصوص الكندى باعتباره اول فلاسفة الاسلام ، ان اضع اجابة صحيحة من هذا التساؤل الخاص بفكرة اصالة الفلسفة الاسلامية او تبعيتها للفلسفة اليونانية وانتهيت من بحثى بالنتيجة التالية ، وهى ان فلسفة الكندى ، هى فلسفة اختيارية ، وان فيلسوف المسلمين العرب قد استفاد فى فلسفته من جميع التيارات الفكرية التى كانت سائدة فى عصره، الاسلامية منها وغير الاسلامية، وان فلسفته فى جوهرها تعبر بصدق عن مبادىء وروح الاسلام ، رغم ما نلمحه فيها من عنصر يونانى.وهذا لا يضير فيلسوف المسلمين فاللاحق يتاثر بالسابق ، وهو شئ طبيعى ، ولكن الخطا كل الخطا ان تعتبر هذا نوعا من النقل او الترجمة كما كان سائدا عند البعض .

ونصل الى نهاية جولتنا السريعة مع اليونان والتاريخ القريب .. ونترك سالونيك عائدين الى اثينا ، ونقف امام أعمدة « الاكروبول » او المدينة العالية ، ونسمع صوتا يحذرنا من الاقتراب منها ، ماذا حدث ؟ انها لم تعد قادرة على الصمود .. بدات الشيخوخة تهدها .. وهى فى حاجة الى علاج سريع لتصمد وتمضى فى رؤيتها للاجيال القادمة صفحات من تاريخ اليونان القديم .. وتشهد معها انجازات على الطريق الى المستقبل . ■■

منير نصيف

الجفاف

قصة بقلم : يوسف القعيد

■ فى الصباح ، صحا من نومه ، فتح عينيه ، بدأ اليوم بذلك الاحساس باماكن الألم فى الجسم ، طالعه سقف الحجرة ، جلس ، حاول الوقوف ، احس بدوار ، خيل اليه ان الارض تدور ، والجدران تلف ، فادرك ان هيكله مريض خلع جلبابه الوحيد الذى كان ينام به على اللحم ، مر بيديه على جسمه ، توقفت اصابع يديه بين ثنيات اللحم ، هالته البرودة الثلجية المنبعثة من جلده . فهمس لنفسه « يالله حسن الختام » ارتدى ملابس الخروج ركب مداسه (حذاءه) فى طريق خروجه ، مر على الحظيره ، كانت تطل من داخلها العتمه ، وكانت زوجته تجلس تحت الجاموسه ، تمسك الضرع الممتلىء بين يديها وتضع بين فخذيها شاليه الحليب . انه يسمع صوت اصطدام قطرات اللبن الدافئة بقاع الشاليه . وبخار اللبن الدافىء ، يستريح على وجه زوجته فيزيده احمرارا ودار بين المواشى ، نظر فى المزاود امامها فوجدها خاليه ، فاستشعر فى نفسه معنى القحط والجفاف والايام العجاف .. استدار ، وكان جو الحظيرة يعبق برائحة اختمار الأرض ببول وروث البهائم طول الليل .

خرج . فى المسجد توضأ وصلى ، ان بخار الصبح يخرج من افواه الرجال مع تمتمات الصلاة .

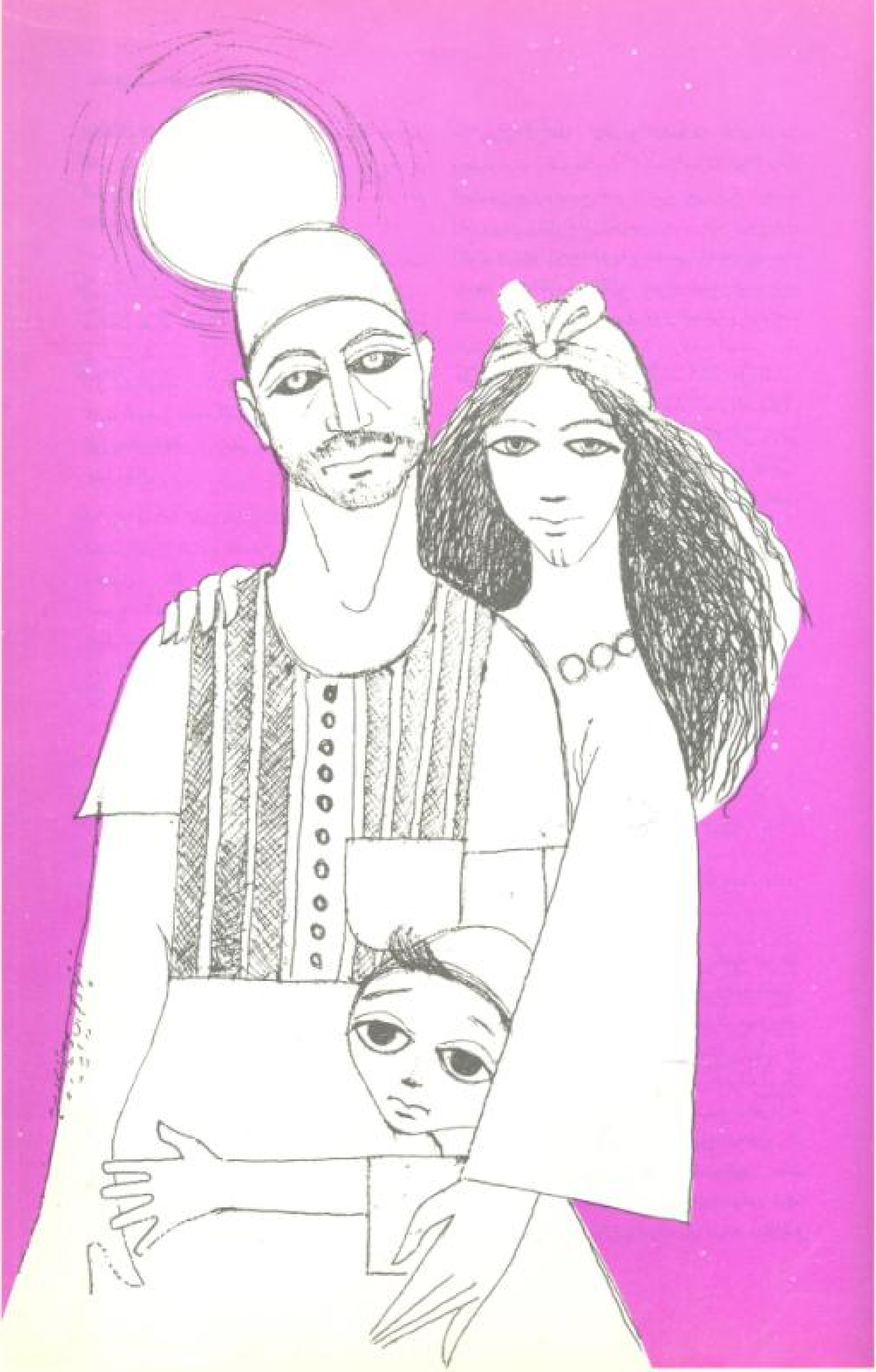
ـ التحيات لله ، الطيبات المباركات ، .

ختم صلاته رفع يديه نحو سقف الجامع ، دارت عيناه المشربتين بالرجاء على حيطان الجامع الاربعة .

اطبق بكفيه على ملامح وجهه المجهده . قبل يديه ، وكان بين شفتيه الجافتين .. وجلد يده الخشن المشقق دفء غريب .

ـ انا نفسى فى الملوحه ياسى وردانى .

فى لحظة دخوله منزله ، كانت زوجته تقف وسط الدار ، بدت له داره واسعة عليها بمفردها أن زوجته تتحسس بطنها ابتسم لنفسه قال لها : انه سيحضر لها الملوحه من السوق القادم . تناول طعام افطاره ، لقيمات مكسورة مغموسه بجفاف الايام ، شرب الشاى . سأل زوجته ان كانت تطلب اى شىء ، قال لها انه سيحضر وقت القياله للغداء معها ، وسيترك الحقل والمواشىء فى رعاية جاره ، فى الحظيرة ، فك رباط الجاموسه ، والحمار ، والماعز الصغيرة وضع على الحمار بردعته ، أمسك بمقود الجاموسة فى يده ، خلال حوارى البلد تجنب برك المياه فى الحوارى الضيقة ، تناهى الى سمعه صوت الراديو . أنها نشرة الاخبار تأتى من راديو فى دكان بقال صغير وكان الاطفال الصغار فى الطريق الى مدارسهم ، ان وردانى ينظر ناحية الاطفال بأسى ويقرر لنفسه ، ان هذه



الكائنات الرائعة ، ستظل حلما غريبا بالنسبة له ابد العمر يتخيل ابنه . ذلك الشيء الرائع المجهول . وهو في الطريق الى مدرسته ، حاملا كتبه بين يديه ، سائرا مع زملائه .

في الطريق الى الحقل ، وتراب الارض مبلل بقطرات الندى ، والشمس تخرج على البعد ، من الافق الشرقي ، صافحت عيناه خضرة النباتات . بدت له الحقول كراحة يد مستوية ، غير انها راحة يد رصاصية اللون ، انها اول ايام الربيع ، وكل شيء حوله يؤكد معاني الخصب ، كانت الارض غامقة السواد ، مبلولة بالندى وكانت المزروعات الخضراء ، تبدو وسط سواد الارض كأمنية حلوة المذاق .

ان نداءات الحيوانات والطيور ، تعلو وتتجاوب في فضاء الحقول الواسع فتتحول الى نغمة اشتياق وسط الحقول . . فكر ورداني انه بعد يوم ، عدة ايام ، اسبوع ، شهر ، عدة اشهر ، قد تلد زوجته طفلا صغيرا يحمل اسمه ، وعندما يعود الى البيت في آخر النهار ، وعلى باب البيت ونسمات الماء الطرية تكنس الحواري من حرارة اليوم ، يقف الطفل الصغير قطعة من اللحم الاحمر ، تقف بين قدميه ، يقول ويداه الصغيرتان تلوحان ابويا جه ، ابويا جه ، ويرفعه بين يديه ، يقبله ، يدخل به المنزل .

ان ورداني يمر الان بحواري البلد شارعها الرئيسي ، إنه يتبادل تحية الصباح مع الرجال الاخرين ، يخرج من البلد ، يترك البيوت الواطئة خلف ظهره ، وعلى مدى البصر ، كانت الحقول تمتد امامه الى مالا نهاية .

على رأس الحقل ، بالتحديد ، عند مدار الساقيه ، تحت شجرة الصفصاف ربط المواشي ، خلع جلبابه ، والطاقية ، والصديري تأكد من وجود المحفظة الجلدية فيه .

فتحها ، اغلقها ، لم يكن فيها ، سوى نقود قليلة ، قروش متآكلة الاطراف . في المحفظة أيضا ، خطابات قديمة ، ايصال من الجمعية التعاونية اعلان من محكمة امساكية شهر رمضان الماضي ، ايصال بمبلغ سيقترضه من بنك التسليف ، الاسبوع القادم .

وفوق كل هذا ، يوجد في المحفظة ، ختم اصفر ومطواة حادة ، لف ملابسه ، نفض مداسه من التراب العالق به ، وضع هذه الاشياء على فرع شجرة الجازورين ، نزل حقل البرسيم ، هبت عليه نسمة هواء اكدت في انفه رائحة الخضرة والخصب ، أحضر البرسيم ، وضعه امام الماشية ، وكانت اعواده تلمع تحت ضوء الشمس الصفراء ، جلس فوق مدار الساقية ، استراحت عيناه على زرقة السماء الصافية ، ارتفعت الشمس ، نام على ظهره ، تحسس بباطن يده حبات الطين على المدار ، امسك بقطع الطوب ، رماها في مياه القناة الصغيرة ، تكسرت امواج المياه الهادئة ادار عينيه في الارض والافق البعيد بدت حواف الحقل مالحة ، تطفح ملحا ابيض ، وفكر في يوم ما قد تخصب الارض ، تكسوها خضرة رائعة تخصبها ..

ـ ارم بياضك .

كانت مساحة الرمل الصغيرة ، تبدو في غموض الايام القادمة ، وكانت اصابع الغجرية المعرقه تعبث بالرمل مد ورداني يده في جيبه ، اخرجت اصابعه قطعة فضية كانت تعرف مكانها من قبل ، رماها على الرمال .

وشوش الدكر .

ذكر اسم امه ، واسم ابيه .

نظر الى الخطوط الطولية والعرضية امامه .

ـ أمامك سكة سفر ، سافرت ام لا ؟

ـ على باب الكريم .

قالت الغجرية كل شيء طلبت ان يكفيه الله عين الحسود ، وذكرته بنذور نذرها ونساها في زحمة الحياة ، اكدت لكل الجالسين ، انه لا يخرب البيوت سوى عين الحسود ، او نذر منسي وضربت لهم الامثلة ، وران على جمع الرجال صمت مشوب ـ وقام ورداني غير انه لم يقل ما كان يود قوله . لقد جلس ، تكلم ، استمع ، غير ان ما بنفسه ظل سره الخاص وتقدم اليها رجل آخر غيره . ان الغجرية ما زالت تتكلم ، والجميع ينصت اليها . سالت من عيون الرجال احلام لن تتحقق ابدا ، وعود قديمة منسية . ومن الاشداق نزلت احرف من كلمات مدفونة في

حبات القلوب وسأل ورداني نفسه ، وثمة كلمات ، متى يأتي زمن تتحقق فيه الاحلام .

حدث هذا بالامس ، وبعد ان ترك الفجرية ، ذهب الى الجامع ، وبعد الصلاة ، جلس في صحن الجامع ، وكان الظلام قد حل ، كان هناك الشيخ محمود ، عرض عليه حاله ، سأله المشورة ، قال آيات من القرآن الكريم وروى احاديث نبوية شريفة .

حكى حكايات كثيرة ، لف ودار في تذاكارته القديمة ، وبعد حكايته كان موعد صلاة العشاء قد حل ، قام يستعد للصلاة مع الاخرين ام الشيخ محمود المصلين .

ان ورداني يرفع يديه .

ـ نويت اصلي صلاة العشاء حاضر جماعة .

ـ الله اكبر .

ـ « وكل نفس ذائقة الموت » .

الوجوه مستطيلة ممصوصة ، باهتة المقل ، الصمت يتخلل بين الكلمات عظم الله أجرك .

ـ شكر الله سعيك .

آيات القرآن يقرأها مقرىء كفيف البصر . مات والدي ، وقبل ان ينجبني ، ذهب الى شيخ بعيد . ذات صباح ، ارتدى جلباب الصوف الغامق وركب حمارته وهناك ، فتح له الشيخ الكتاب وكواه بالنار على ظهره ، وفي وسط رأسه ووضع له فوق الكي ورقة عنب خضراء وطلب منه ان يغيرها كلما يبست . وبعد وفاة والدي بأيام ، حضر اناس غرباء بالليل ، ونقلوا حدود حقلي ، اخذوا منه مساحة كبيرة ، ضموها لحقول الجيران ، وفي صباح اليوم التالي اشارت عليه امه ، ان يقدم شكواه ، في المركز قضى يوما وليلة ، اخذوا اقواله ، سألوه عمن يتهمهم .

واطلعوا على حيازة الارض ، وبالليل ، خلف مبنى الحجز ، اعتدى عليه رجال مجهولون ، ضربوه ، حتى بصق دما واجبره احدهم ان يسمي نفسه باسم امرأة وفعل ما طلب منه . وفي الصباح ، عاد الى البيت واصبحت مساحة الارض التي اخذت منه ، جرحا في حبة القلب .

كانت الايام اياما عصيبه .

في آخر الليل ، تتسع الحجرة عليهما ، تبدو زوجته ربابة العود ، الشعر مفكوك تنز منه قطرات المياه التي لها رائحة النفوس البشرية انها ترتدي جلبابا واسعا على اللحم ، تجلس بجواره خجلى ، يقترب منها ، وبداخله شيء ما يرتجف من الخوف ، يتحسس باصابع يده الخشنة ملمس جلدها الناعم وكان يخيل له ان الرجال المجهولين خلف باب الحجرة فيغمض عينيه .

يفزع من سؤالها ، يجمع في يده غدائر الشعر الليلية ، تزداد العيون اتساعا . وفي الصباح يقف فوق كرسي من الخشب في الطست ، خلف القرن يدلق المياه الباردة فوق جسمه من كوز صغير يرنو الى زوجته بقلق يحاول ان يتساءل : ثم يجيب على التساؤل ويخرج .

مدار الساقية مرة اخرى .

قام ورداني من نومه ، لم يكن هناك ما يمكن القيام به سوى الانتظار فكر ورداني انه لا يوجد في البلد ما يمكن عمله .

فأدرك ان يومه طويل الى ابعد الحدود ، بحث بعينيه عن رجل يتسلى باللعب معه ، وعلى البعد لمح رجلا يجلس على مدار الساقية ، رفع صوته ، نادى عليه . وعندما حضر اليه راح يتحدث معه . انهما يتكلمان معا عن دور المياه ، والارض والزراعة وعندما لم تبق اية كلمات تقال . راح الرجل يجمع قطع الطوب الاخضر والاحمر ، ويكوم التراب فوق مدار الساقية . راح الرجل في صمت وببطء ، يحول اكوام التراب الى عيون صغيرة متجاوره . ثم نفض يديه من التراب ونفخهما .

ـ هيا نلعب دور سيجا .

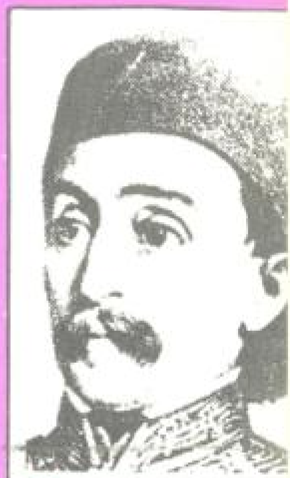
ـ كلابك السمرة .

مد ورداني يده ، امسك بالكلاب ، راح يستعد للعب . وكانت تهب عليهما نسمات هواء ربيعية مشبعة برائحة الصباح الطرية . ■■

يوسف القعيد



محمد علي باشا



كلوت بك

مذكرات كلوت بك

وقصة أول مدرسة عربية للطب الحديث

بقلم : الدكتور سلمان قطاية

استاذ في كلية الطب بجامعة حلب ـ سوريا

كان محمد على حاكم مصر كبيرا ولاشك ، اذ استطاع أن يبدأ النهضة الحديثة في مصر وبشكل جيد ، فقوى الجيش ،ونشر العلم ، وأكثر من البعثات ، ونشط الاقتصاد •

ومن الاعمال الرائعة التي تحققت فيزمانه ، انشاء اول مدرسة طبية في البلاد العربية حسب المفهوم الحديث •

فعندما قوى الجيش وزوده بالاسلحةالحديثة ، كان ولا بد أن يهتم بصحة الجنود وأن يؤسس أيضا فرعا صحيا جيدا •وشاءت الظروف أن يستعين بطبيب فرنسي هو انطوان كلوت (١٧٩٣ ـ ١٨٦٨) الذي نال لقب بك واشتهر باسم كلوت بك •

وعندما تقاعد وانسحب من الحياةالعامةعكف كلوت بك على كتابة مذكراته او املائها ، في بلده مرسيليا •

وظلت نسخة من مذكراته في المكتبةالخاصة لملك مصر فاروق الاول الذي ورثها عن اجداده • وكان بعض المؤرخين يعودون اليها للدراسة والتمحيص •

حتى عام ١٩٤٩ عندما طبع الكتاب وظهر في كتاب من القطع الكبير يقع في حوالى ٤٥٠ صفحة تحتوى على صور ورسوم عديدة • وقد أشرف على اخراجه وتصحيحه جاك تاجر أمين المكتبة الخاصةللملك • وطبعها المعهد الفرنسي للآثار الشرقية •

■ والكتاب هام من عدة وجهات نظر : فهو يلقي الضوء على عدة حوادث هامة حدثت ايام محمد على الكبير ، اذ يذكرها بدقة وملاحظة ، ولكنه بشكل لا يتحدث الا عما يجرى حوله فقط ضمن دائرة صغيرة واحيانا صغيرة جدا •مركزا الحديث بحيث يدور حول شخصه هو فقط •

الا ان اعظم ما قام به كلوت بك هو تاسيس مدرسة ابى زعبل الطبية والمشافي الملحقة بها •

بدأ حياته كحلاق جراح Barrier Chirurgien في عائلة فقيرة من غرنوبل ولكنه ظل يكدح ويعمل حتى استطاع ان يصبح طبيبا جراحا معترفا به من جامعة مرسيليا •

ولكنه كان شديد الطموح ، عصبيا ، قليل الصبر ، نزقا ، متهورا • وهكذا فلم يتورع من الدفاع امام اساتذته عن نظرية قديمة غير معترف بها في فن المعالجة غير عابيء بغضب الاساتذة •

وادخل علاجا جديدا ، وراح يلقي الدروس على زملائه في المدينة ••• كل هذا وغيره اضطر مجلس الكلية الى طرده منها •

وعندما علم برغبة محمد على باشا بتوظيف بعض الاطباء الفرنسيين الشباب في الجيش • ترك كل مشاريعه في بلده بما في ذلك مشروع زواج وانطلق الى مصر ••• نحو المغامرة ، والعمل على تحقيق طموح لا يتناهى •

وسرعان ما نجح في مصر في كسب ثقة الحاكم والامراء بفضل شجاعته ، وشرفه ، ونشاطه الذي لا يعرف الكلل ، ومعلوماته الطبية الجيدة •

واستغل ثقة محمد على لكي يحقق مشاريعه وطموحه ، وليس ليبتز المال • ثم اصبح طبيب وجراح الجيش المصرى ، فطالب بانشاء مشفى جديد ، وتاسيس قانون طبي حديث ••• ثم تاسيس مدرسة طبية للشبان المصريين •

واستطاع ان يتحدى بجراءة متناهية كل من عارض فكرته هذه ، واجتاز كل العقبات • ولكي يبرهن على نجاح عمله اخذ طلاب الدفعة الاولى من المدرسة وذهب بهم الى باريس حيث قدموا امتحان التخرج النهائي امام هيئة فاحصة مؤلفة من أشهر اساتذةالعاصمةالفرنسية •••ونجحوا فيالامتحان• الا ان تهوره ، وسرعة نجاحه ، دفعاه الى مواقف غير مستحبة • فقد راح يطلق الاحكام في كل مادة،

وكل امر ، ويتداخل في الامور السياسية والاقتصادية والفنية •

وحتى في الطب كانت له مواقف شاذة ، اذ راح مثلا يدافع ، بعد دراسة سطحية جدا ، عن النظرية القائلة بان الطاعون داء غير سار •

كذلك كان يقول بان التدريس النظري للتوليد ولامراض العيون ، وطب الاسنان ، غير ضروري• يكفي أن يحصل الطالب على بعض المعلومات العملية • ؟ •

وكان ، بسبب طموحه واعجابه بنفسه يعشق الحصول على الميداليات والاوسمة • واستطاع ان يجمع منها مجموعة كبيرة •

وبعد أن أسس بنجاح مدرسة أبي زعبل الطبية أسس مستشفى مدنيا في القاهرة ، وجده البيمارستان وجهز دار توليد وعلم النساء فن التوليد •

وحاول حين دخل ابراهيم باشا سورية ان يفعل في دمشق ما فعله في القاهرة ورغم كل ذلك ، وربما كان بسبب صراحته الشديدة ، وبعد وفاة محمد علي أوعز اليه عباس باشا بترك مصر التي احبها كثيرا •

عندئذ ترك القاهرة بحزن شديد ، واستقر في مرسيليا ، ولكنه لم يلبث ان اصيب بتلين في الدماغ شل حركته وفكره • وقبل وفاته اهدى مجموعة الاثرية الثمينة الى متحف بارك بولي •

ولقد أطلقت مدينة غرنوبل حيث ولد ، ومدينة القاهرة ، اسمه على شارع فيهما •

رسالة الى محمد علي

والكتاب مؤلف من ثمانية اجزاء ، كرس كلوت بك الجزء الثالث لتاريخ تاسيس مدرسة ابي زعبل الطبية عام ١٨٢٧ ، وذلك في الصفحة ٦٣ •

ويقول في بداية الفصل انه شعر بالحاجة الى عدد أكبر من الاطباء ، اذ كان عدد افراد الجيش المصري ١٥٠ ألفا وعدد الاطباء لا يجاوز الخمسين• وكان من المستحيل الحصول على العدد اللازم من اوروبا •

وبعد هذه المقدمة تبدأ فقرة هي أجمل ما في الكتاب ،وأروع درس يعطي لكل البلاد المتخلفة وكثير من البلاد العربية •

يقول كلوت بك : « كان الطب والجراحة يدرسان بشكل ممتاز تحت حكم الخلفاء العرب • ولكنهما فقدا عظمتهما • فالثورات المختلفة التي كان وطن الفراعنة مسرحا لها • ومر تعاقب الفاتحين عليها، وهجوم وتاسيس الامبراطورية التركية اعدمت القومية المصرية • وعلى اعتبار أن العلوم والفنون تهرب من « البرابرة » ، فقد تركت بلادها ، وذهبت لتحتمي في بلاد أخرى ، وتشهر شعوبا جديدة ، وكان خروجها من مصر يعلن بداية مملكة الجهل • كان أجداد المصريين يعلمون الشعوب ، وكان الغرباء يسالونهم النصيحة ، كما يفعل الشرقيون اليوم بالنسبة لاوروبا • هؤلاء المصريون انفسهم كانوا محاطين باحكام مسبقة عندما وصلت الى البلاد ، ولقد كنت شاهدا على الآلام الرهيبة التي كانوا يحاطون بها •

وبعد أن تفحصت مقدار ما يمكن للطب أن يقدم من خدمات ليس للجيش فقط وانما للشعب جميعا، فكرت في تاسيس مدرسة طبية محلية لتؤمن بعدئذ حاجة مصر من الاطباء » •••• وها هي الرسالة التي كتبتها لسموه (أي سمو محمد علي باشا) والتي كانت تحتوي على البرنامج كله :

«رسالة الى صاحب السمو محمد علي بخصوص انشاء مدرسة طبية :

يا صاحب السمو ،

لقد برهنت التجربة أن الامراض تكتسح البلاد باضرارها باكثر مما تفعله نيران العدو • فلقد استدعيتم من اوروبا ، عددا كبيرا من أطباء الجيش ، وانشاتم مشافي طبية عديدة ، ولقد بدات تظهر هذه الحضارة الناشئة على سكان هذه البلاد الجميلة • الا ان هذا النظام الجديد للاشياء ، اذا كان يؤمن حجة مصر العالية ، لكنه لا يؤمن مستقبل التقدم ، بل أقول استمرار مثل هذا العمل •

ان المؤسسات المفيدة لكي تكون دائمة يجب ان تكون وطنية ومستقلة عن مساعدة الاجانب الذين قد يضطرون للعودة الى بلادهم بسبب مصالحهم أو غاياتهم أو ألف ظرف مختلف • لذا كان من الواجب ايجاد أطباء من بين العناصر الوطنية ، وعلى كل حال فان هذا هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى هدف التمدن وللحصول على رجال مخلصين لمصالح الوطن •

ولتحقيق هذا المشروع اقترح :

١ ـ ان يجمع في المستشفى المركزى مئة وخمسين شابا عربيا درسوا اللغة العربية والحساب ، على ان يكونوا تحت تصرف الاساتذة وتحت ادارتي •

٢ ـ ان يتماشى التعليم مع دراسة اللغة الفرنسية •

٣ ـ ان توزع دروس التعليم بالشكل التالى : فيزياء ، كيمياء ،علم نبات ، تشريح ،فيزيولوجيا، صحة ، اقراباذين ، علم سموم ، امراض داخلية وخارجية ، صيدلة • ويترجم التعليم الى لغة الطلاب بواسطة مترجمين متعلمين •• وبعد خمسة سنين من الدراسة يصبح الطلاب برتبة مساعد ••

وعلى هذا الاقتراح وافق صاحب السمو محمد على على الموضوع بمجمله واستلمت امر تعييني مديرا للمدرسة •

وبعد ان يشرح ويسرد اسماء الاساتذة الذين استدعاهم وانتقاهم ، ينتقل فيصف الطلاب فيقول:

« اخذنا مئة وخمسين طالبا من الجوامع ، من بين طلاب الفقه • وبداوا بالدراسة على نفقة الحكومة • وطبقنا النظام الداخلى وخضع الطلاب للانضباط العسكرى » •

ولم يكن لهؤلاء الشباب المعلومات ناقصة جدا عن العلوم الاخرى • فكانت الظواهر الطبيعية مشروحة لهم بواسطة قصص سخيفة • ولم يكونوا يعرفون من الفلسفات الا فلسفة ارسطو التى تدرس في جامع الازهر المشهور • فوجدت من الضرورى ان يتلقوا معلومات عامة عن الفلك والفيزياء الخ ••• وان يتعلموا الهندسة التى كانوا يجهلونها تماما •• وهكذا وبعد شهرين استطعنا ان نلمس ان الافكار القديمة قد امحت من افكارهم • وهكذا فلم يعد خسوف الشمس حادثة غريبة وضارة ، ولم يعد يفسر الزلزال على انه بسبب نقل الارض من قرن الى قرن ثور يحملها على قرنيه ، وينقلها عندما يتعب • وبداوا يرون المضحك فى هذه المعتقدات ، وغيرها كثير مما كان يرى ليس فقط عند افراد الشعب بل عند الرجال الذين يقومون باكبر الوظائف • ولقد عرفت اميرا من عائلة محمد على كان يؤكد ويؤمن بان الرعد ناجم عن فرقعة السوط الذى تضرب به الملائكة ••وكنا نجرى التجارب الفيزيائية امام الطلاب • وهكذا وذات يوم اطلقت بالونا فى الهواء ، فجاء موظفو المدرسة وهم يصرخون بان هذا البالون الذى كان يرتفع فى الجو سوف يولد الطاعون ••

مترجمون للطلاب

ورغم كل هذا فقد بدت عقبات صعبة التجاوز خلال عملي • اولها واكثرها جدية كانت مواجهة طلاب لايعرفون سوى العربية مع اساتذة يجهلونها• ومحاولة اجبار الطلاب على تعلم الفرنسية او اجبار الاساتذة على العربية مضيعة كبرى للوقت• وجاءتنا الفكرة البسيطة بالاستعانة بمترجمين ، ولكن كيف العمل لايجاد مترجمين باستطاعتهم ترجمة المصطلحات العلمية بالدقة الضرورية ؟ ولم استطع حل هذه المشكلة لذا تجاوزتها •

كان فى البلاد عدة شبان مسيحيين يجيدون الفرنسية والعربية • واستطعت جمع ثمانية منهم الحقتهم بالمدرسة بصفتهم مترجمين على ان يعدوا بدراسة الطب بشكل نظامى •

وبدأ كل مترجم بدراسة مادة ما من العلوم وترجمة درس كل استاذ بعد ان يكون قد تفهمه جيدا بالفرنسية •

وللحصول على نسخة اكمل ما يمكن ، كنا نعطى الدروس مطبوعة او مكتوبة باليد ليدرسوها ويترجموها • وكان الاساتذة بعدئذ يشرحون النص ويقدمون التفسير الضرورى • وبعد ذلك ، وللتاكد من مدى الامانة فيها • كان على المترجم ان يعيد الدرس امام الاستاذ •

وهكذا تترجم المحاضرة وتراقب وترسل الى احد العلماء (الفقهاء) لمراجعتها من حيث الاملاء وصفاء اللغة ، ثم تملى عندئذ على الطلاب •

ولقد واجهنا صعوبة اخرى : اللغة التقنية • وذلك بسبب التقدم الهائل الذى حصل فى الفترة التى مرت بين اختفاء المدارس الطبية فى الشرق وتشكيل المدرسة هذه التى اقوم عليها ، اذ نتج عنه فراغ كبير من ناحية اللغة التقنية ، كان من الصعب املاؤه •• عندئذ جمعت مجلسا مؤلفا من الاساتذة والمترجمين والعلماء ، وقررنا ان تكون الاصطلاحات اليونانية واللاتينية هى الاساس على

ان تطبق على الكلمات الشيء الضروري لتعريبها كما فعلت شعوب الغرب جميعا • وقررنا ايضا ان تضع الكلمات الحديثة لكي يكون المعنى مفهوما اكثر ••• » •

وهنا ينتقل الى مقطع لعله اجمل ما في هذا الفصل اذ يقول :

« كان من السخف ، حتما ، ان نعلم الطب بلغة اوروبية • ان ادخال التعليم العلمي عن طريق لغة البلاد هو الطريقة التي تفرضها التجربة والعقل• وهذا هو الطريق الذي اتبعته كل الامم التي دخلت الحضارة تدريجيا •

ان التعليم بلغة اجنبية يقلل من نجاحه ، ولا يمكن تدجين العلوم ونشر فوائدها • ولكن كان من الضروري تعليم احدى هذه اللغات للطلاب ، لانه وبالنسبة لهم ، الوسيلة الوحيدة للبقاء على اتصال بالمعلومات الحديثة • ولقد عنيت بالحاق مدرسة تحضيرية بالمدرسة الطبية ، وكان برنامجها تدريس اللغة الفرنسية ، وفيما بعد وبعد تنظيم التعليم الطبي في مصر ، اسست تدريسا للغة الفرنسية •

وهكذا ، وبعد ان ينهي الطلاب دراستهم ، يستطيعون متابعة التقدم الذي لا يتوقف • وان يتفهموا الاكتشافات التي تلقي ضوءا جديدا على مشكلات لا تزال غامضة بحيث انها تخدمهم في معالجة مواطنيهم ولمصلحة الحضارة » •

ويتحدث كلوت بك بعد ذلك عن مشكلة خاصة وهامة الا وهي تدريس التشريح وتشريح الجثث • لانها كانت تلقى معارضة دينية كبيرة فيقول :

دراسة التشريح

« استقدمت من فرنسا هيكلا عظميا جيدا وتاما، كنت قد اشتريته في مدينة تولون ، من السجن • وكان ذلك اول قطعة تشريحية اقدمها للطلاب ، ولكنني افهمتهم سلفا ان هذه عبارة عن عظام « مسيحي كلب » وليس عليهم من حرج في استعمالها • فتقبلوا هذه الحجة واخذوا بعض الدروس مع شرح للهيكل •

رغم ذلك، وبعد دراسة الهيكل الانساني بمجمله، كان يجب ان نبدأ بدراسة كل عظم على حدة • وعندما فكاننا الهيكل لم يعد هذا كافيا لمئة وخمسين طالبا • عندئذ طلبت منهم فيما اذا كان استعمال بعض العظام الانسانية المتبقية من الجثث التي نهشتها الضباع وابن اوى ، للتدريس يعد جريمة• وكانت تلك الجثث في مقبرة مجاورة متروكة للحيوانات والزمن • فاجاب اكثرهم تعقلا واقلهم تعصبا بان ذلك لا يعد كفرا • فدعوتهم لاحضار هذه العظام • فاحضروها بهمة اكثر مما توقعت واستطعنا هكذا ان تتم دروس علم العظام •

وكنت قد حصلت بذلك على اقصى ما يمكن من الطلاب ، ولكنني كنت بعيدا عن تشريح الجثث • وكان لزاما علينا رغم كل شيء ان نصل الى ذلك• فتكلمت عن اهمية هذه الدراسة • وصرحت في الوقت نفسه ، ان رغبتي لم تكن في تشريح جثث المسلمين ، ولكنني ما كنت أرى السبب في عدم تشريح الجنود السود الذين من الواجب اعتبارهم وثنيين لانهم لم يكونوا مسلمين أو مسيحيين • وصفة الوثنيين هذه كانت تضع السود في مكانة احط حتى من مكانة اليهود ، ولم يذهب كلامي سدى ، فلقد وافق الطلاب جميعا ، وبدانا بدراسة القسم الرخو من الجسم • وللتغلب على التقزز ، بدانا ببعض الدروس على الاعضاء والنسج ، كذلك على دراسة عامة للتشريح • واستطعنا ان نبدا بشكل جدي وانتظامي دراسة التشريح الوصفي • حصلت اذن على موافقة الفقهاء ، وتغلبت على عواطف الطلاب •ولكننا كنا مجبرين على الاحتفاظ بالسر بشكل قاطع • لانه اذا عرف الناس خارج المدرسة ما نفعل لتعرضت حياتنا وحياتي بشكل خاص للخطر • لان الشعب سيغضب اذا ما عرف ، ولسوف تضطر السلطات لمنعنا من التشريح• وكان من السهل علينا الحصول على الجثث بدون الاستعانة بالقرباء • لان مدرج التشريح كان متصلا بالصالة التي كانت تغسل فيها الجثث حسب التقاليد الاسلامية ، وكنا هكذا نسرقها (بشكل ما) دون ان يشعر احد •

ولقد فهم الطلاب انفسهم انه كان من مصلحتهم عدم كشف نوعية اعمالنا • ما عدا واحدا فقط ، مدفوعا بالتعصب ، فكر ذات يوم باغتيالي •

محاولة للاغتيال

وفي الواقع ، وفي العشرين من حزيران عام

١٨٢٩ . وبينما كنت أحضر درس الفيزيولوجيا الذي كان يلقيه أحد الاساتذة ، وهو الدكتور ستروبيني، وفي نهاية الدرس، تقدم نحوي الطالب اشموني وقدم لي رسالة مكتوبة باللغة العربية . وما أن استلمتها ، حتى استل خنجرا مخفيا تحت ثيابه ، وضربني به على الرأس ، ولكن الخنجر تزحلق ، فضربني مرة أخرى في الساعد الايمن . لانني بحركة عفوية ولعصابية نفس قدمت ذراعي امام صدري . فانطلقت صرخة كبيرة من الطلاب . وانتشر الذعر بين الاستاذ والمترجم ، اللذين ظنا ان ثورة عامة قد انطلقت ، فهربا وتركاني وحيدا جريحا . ولكن الطلاب ألقوا بانفسهم على أشموني، وأخذوا منه سلاحه ، وكادوا يقتلونه لولا ان تدخلت . واستطعت الحفاظ على برودة أعصابي . وأمرت بتوقيف المجرم في سجن المستشفى . لانني اردت طمس الحادثة خشية الفضيحة . ولكن رغم ذلك فقد أعلمت السلطات بالامر . ولكن بدل ان تعمل منه عبرة لغيره ، اكتفت بسجن أشموني ثمانية أشهر ، وعندما قام محمد بك وزير الحربية بالتحقيق ، أنكر الطلاب الحادثة ، وهم الذين نزعوا السلاح عن المجرم ... وكل ما فعلوه أنهم أرسلوه في الحملة التي أرسلت الى سوريا » .

ونلاحظ هنا أن كلوت بك يحاول أن يقارب بين هذه المحاولة واغتيال الجنرال كليبر من قبل سليمان الحلبي ، وذلك تعظيما لنفسه وزيادة في اعطاء الاهمية الكبرى لذاته .

اما الحكم بالنفي والسجن فهو الحكم الذي كان القانون المصري انذاك يطبقه على من يقوم بهذه المحاولة .

ولكن كلوت بك يستمر في وصف الحادثة بالتفصيل ويعلق عليها ما شاءت له أهواؤه خلال أكثر من خمس صفحات طوال .

وفي الصفحة ١٠٣ وحين الحديث عن مدرسة التوليد نراه يؤكد على فكرة هامة جدا اذ يقول :

« ان وجود هذه المدرسة كامل على ما يبدو لي . ولكن هل ستدوم في المستقبل ؟ كلا وبدون شك . ولكن ولكي لا تترك هذه المؤسسة الجميلة تذوي ، ولكي نحميها من الاهواء والصدف ، لا يوجد سوى وسيلتين (١) : الاولى أن نجعلها وطنية ، وأعني ذلك الانتهاء من الاساتذة الاوربيين واستبدالهم باساتذة من بين العرب » .

وهذا يدلنا على ان كلوت بك كان رجلا شريفا مستقيما وضع كل امكانياته في خدمة مصر وشعبها وواليها . ولم يكن هدفه خدمة الاستعمار ولو كان ذلك لدافع عن فكرة التعليم باللغة الفرنسية وعن ابقاء الاساتذة الاوروبيين أو الحاق هذه المدرسة باحدى الكليات الفرنسية الطبية . كما حدث في بيروت بالنسبة للكلية اليسوعية ، او الجامعة الاميركية ... أو كما قام بعض المثقفين (كذا) يدعون الى تطبيق امثال هذه المشاريع عندما قرر تاسيس كلية طب في حلب . ■■

حلب ـ د . سلمان قطاية

(١) أما الوسيلة الثانية فهي ارسال المتفوقين من العربيين لاتمام الدراسة في أوروبا ثم العودة لتعيينهم اساتذة في المدرسة .

أربع خصال

قال الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : من أعطى أربع خصال فقد أعطى خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها : ورع يعصمه عن محارم الله ، وحسن خلق يعيش به في الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل ، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة .

حوار القراء

العرب قبل الاسلام

● اشار فهمي هويدي في استطلاع العمارة اليمنية الى ان الحضارة العربية ما قبل الاسلام لم تكن اقل شأنا من الحضارات الاخرى المعاصرة كاليونانية والفارسية والهندية ... فالامة التي توصلت الى التكلم بلغة القرآن وكتابتها ووضع قواعدها واصولها .. وشيدت السدود .... وتعاطت التجارة الدولية ... لم تكن حضارتها هامشية كما اراد اقناعنا بها المفكرون الغربيون ومعظم المستشرقين ...

ان الله عز وجل لم ينزل القرآن الكريم باللغة العربية لان الامة التي تتكلمها كانت في مستوى حضاري يمكنها من تفهم تعاليمه وتشريعاته الانسانية ولديها المقدرة على تطبيقها فكم من الايات كرست وقائع سبق ان مارسها العرب وكم من الايات الغت تشريعات سبق ان طبقها العرب ..... فالاسلام أتى ليتوج هذه الحضارة والقى على امتنا مسؤولية التبشير بالاسلام وشرحه ونشره وتطبيقه على الامم الاخرى .

المحامي اسعد امين بكار
لبنان

د . عبد الوهاب مورو

● نعت الانباء موخرا رائدا من المع رواد الجراحة والطب في مصر والشرق ، عرفته الاجيال المعاصرة من الاطباء ، استاذا وعميدا لكلية طب القصر العيني ومديرا لجامعة القاهرة هو الدكتور محمد عبد الوهاب مورو . بيد ان الجراحة صفحة واحدة من حياة هذا الرجل العملاق وغيرها صفحات مطوية كان مورو مديرا للجامعة عندما أعلن شبابها الجهاد ضد الاستعمار البريطاني في عام ٥٤ واحالوا حرمها معسكرا للتدريب ، ومدرجاتها مركزا للقيادة ، ومعاملها مصنعا للقنابل الحارقة والذخيرة . ولم يخف المدير قلقه واشفاقه على ابنائه ، فلما رأى طابور الافتتاح يطوف بالجامعة والطلقات الاولى للحركة تنطلق تحت شرفة مكتبه ، ادرك ان عزمات الشباب لن تلين لقلق الوالد واشفاقه ، ، فازداد احساسه بمسئوليته نحوهم كوالدهم وكاستاذهم فدعاهم لمقابلته ، وذهب ثلاثة من قادتهم الى عيادته الخاصة تحت جنح الليل ، واغلق الباب وليس فيها سواهم واخذ يسأل ويستفسر عن امكانياتهم وخبرتهم وخطتهم حتى اذا اطمأن قلبه لصدقهم ولجدهم قدم لهم من ماله الخاص مبلغا كان اكبر ما تلقوه حتى ذلك الوقت للحركة والقى بكل ثقله معهم موجها ورائدا ، وراعيا ، وحاميا .

الحضارة اليمنية

● قرأت باستمتاع ما نشر في عدد مايو ٧٩م في مجلتنا الحبيبة « العربي » تحت عنوان العمارة اليمنية تتحدى ، وانني لا استطيع ان اصف لكم شعوري حين رأيت وقرأت الاستطلاع عن بلدي الغالية اليمن ... والذي وضحتم لاخواننا القراء عن الكثير من الحضارة اليمنية ...... وكم سيكون اجمل واهم لو كان هذا الاستطلاع قد شمل اليمن شمالا وجنوبا ليعطي للقاريء معلومات

وبوقف اتحاد الطلاب كل نشاطه وكل امواله على المعركة وجد ما سواها ، وقرر صرف ثلاثة آلاف جنيه للكتيبة المتجهة للميدان فاوقفت الحكومة صرف المبلغ قبل ان يتم ، ولكن القافلة مضت قدما ، وسقط اول الشهداء ، عادل غانم ، وسالت دماؤه وكأنما سالت في عروق مصر بأسرها فتحركت كتيبة جامعة الاسكندرية ، واستعدت جامعة عين شمس ، وافتتح الازهر معسكره ..... وجمع مورو اتحاد الطلاب واتخذوا قرار الصرف من جديد وصرف المبلغ بالفعل قبل ان تستطيع الحكومة شيئا ..

وابى الرجل الا ان يسهم بكل ما يستطيع في المعركة ، فطلب ان يعالج الجرحى بنفسه ووقف ، وهو ارفع اساتذة مصر شأنا ، ينتظر اول الجرحى على الباب الخارجي لمستشفاه الخاص اكبارا لهم وتقديرا .

وإذا كان مورو قد رعي حركة الجهاد واسهم فيها استاذا ومديرا وطبيبا وجبلا صامدا لضغوط هائلة ، فان من حق رائد الجراحة على ابنائه الاطباء ان يسجلوا انهم رتبوا برغم كل العقبات ـ تغطية طبية لميدان القتال كان محورها ومحركها الذي لا يهدأ الطبيب الانسان سعيد النجار رحمه الله وشباب الاطباء في جامعة عين شمس وجامعة القاهرة ، وان اول شهداء معركة التل الكبير الشهيرة كان طالبا بكلية طب القصر العيني وكأنما اراد التلاميذ ان يشهدوا استاذهم الطبيب « أن اليد التي ترتفع بمبضع جراح لتستأصل داء فرد ، قد تهوى بصارم بتر لتستأصل داء امة » ... وهل كالاستعمار داء ... ؟

الطبيب : عصام الشربيني

كاملة عن اليمن وليوضح له اكثر عن هذا الشعب الغني بحضارته وتاريخه البطولي ..... اننا نأمل من « العربي » ان تسارع بكشف النقاب عن الحضارة اليمنية العريقة وذلك بعمل استطلاع شامل عن اليمن شمالا وجنوبا بمئات السنين ، وليعرف ايضا عن تاريخ هذا الشعب الحافل بالبطولة والتضحية ليبقى دوما رافع الرأس حرا سيدا .

حمد مثنى جباري
اليمن الديمقراطية ـ الضالع

صورة المسجد الاقصى

● لقد أعجبني غلاف العدد ٢٤٧ من المجلة الصادر في يونيو حزيران ١٩٧٩ حيث كان الغلاف صورة ملونة لمسجد الصخرة ، والحقيقة ان الغلاف قد لفت انظار القراء جميعا حيث انني لاحظت ان الاعداد نفدت بسرعة من المكتبات والاسواق وذلك ما دعاني لان اكتب اليكم ، راجيا منكم ان تجعلوا هذا الاقتراح موضع اهتمام وهو أن تجعلوا هدية العدد الممتاز للسنة القادمة بشاير صورة كبيرة ملونة لمسجد الصخرة الشريفة ......

نزار عبد القادر
الامارات العربية المتحدة

خطأ غير مقصود

● لاحظت ان باب طرائف غريبة يحتوى على بعض الاحاديث النبوية الشريفة ، واعتقد ان هذه الاحاديث الجليلة لا يليق ان نضعها تحت ذلك العنوان فهذه الاحاديث هي برهان على عظمة الرسول الكريم ﷺ كما هي لنا نحن المسلمين شعاع يضيء لنا الطريق الذي نسلكه اقتداءا بنبينا الرحيم ﷺ .

اقول ذلك رغم يقيني

العميق ولقنتي المطلقة بانكم لم تقصدوا الاساءة الى احاديث الرسول الاعظم ﷺ غير ان هناك من يحكم على الامور بظواهرها ولم يجد في ذلك ستارا او قاعدة ينطلق منها ما يسيء الى سمعة العربي التي تعتبر اي اساءة لها اساءة لنا جميعا .

حسين عبد الله الديني

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ـ من المؤكد ان ذلك كان خطأ غير مقصود نأمل الا يتكرر .

من لبناني لاهله

● الحرب الضروس التي خضناها ـ نحن ابناء لبنان ـ ضد انفسنا افهمتنا حقيقة واحدة هي ان المنتصر فيها خاسر وانها اسوأ وسيلة لحل مشاكلنا ...

ان الله سبحانه لم يرسل الانبياء الى هذه الارض من أجل التفرقة بل من اجل المحبة والتاريخ سوف لا يرحمنا .. ولبناني لن يسامحنا ونحن لن نغفر لانفسنا ما فعلته انفسنا من شرور وبلاء .

نوح فاعور

شتورة / لبنان

امية المتعلمين

● اعتقد ان السبيل الى تقدم امتنا العربية هو محو الامية . وليس الذي اقصده امية الذين لا يعرفون القراءة والكتابة وانما هو محو امية المتعلمين .

فكثير من خريجي الجامعات في وطننا العربي ليس لديهم القدرة على معرفة الخطأ من الصواب في كثير من الامور الهامة التي تتعلق بمستقبل بلادهم . ينظرون الى المشاكل الضخمة بلا مبالاة لانهم لا يعرفون التمييز بين الخطر والامان .

وهذه هي امية المتعلمين التي يجب العمل على القضاء عليها قبل أن تنتشر .

فتحي ابو السعود

مصر ـ بور سعيد

قرطاجنة

● في العدد (٢٤٦) شهر ايار ١٩٧٩ وتحت عنوان « اختبار معلومات » « الخطأ واين الصواب » ورد ما يلي : « قرطاجنة مدينة قديمة في افريقيا الشمالية اسسها الفينيقيون قرب تونس حاليا » .

والحقيقة ان قرطاجنة اسسها الفينيقيون على الساحل الشمالي للبحر الابيض المتوسط اي على الساحل الاوروبي وبالتحديد في الاندلس (اسبانيا حاليا) . اما المدينة التي بناها الفينيقيون قرب تونس فهي مدينة (قرطاجة) او (قرطاج) وليس قرطاجنة . والتشابه في الاسماء راجع لان المدينتين عاشتا في فترة زمنية واحدة ولغرض واحد وهو خدمة التجارة الفينيقية على سواحل البحر الابيض المتوسط .

خلف حمد ...

العراق / ...

غربة العربي

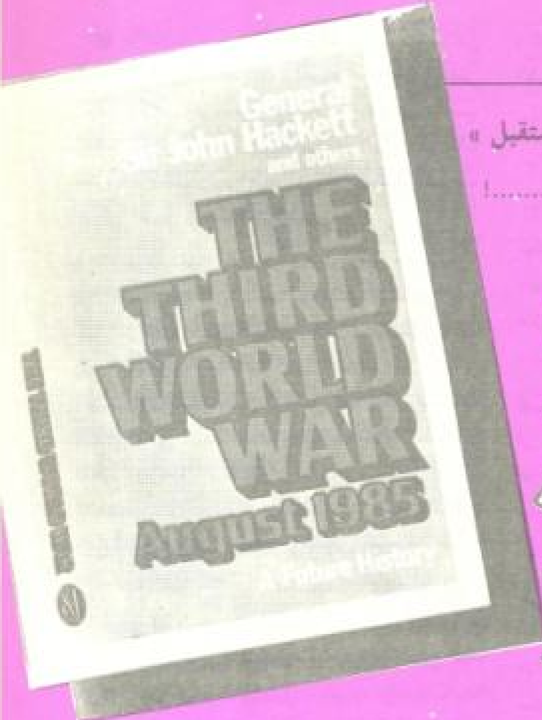
● من يقرأ الاستطلاعات التي تنشرها مجلة العربي عن خيرات وطاقات وثروات وطننا العربي وعن واقع المسلمين في العالم يشعر بالغربة عن وطنه العربي والاسلامي . فالاستطلاعات تناولت على سبيل المثال لا الحصر كالاردن ـ اليمن ـ مكة ـ بغداد العباسية ـ يوغسلافيا ـ اسطنبول ـ تونس ـ وافغانستان واخيرا وليس آخرا في العدد ٢١٧ ـ عن السودان وثالث الحرمين واولى القبلتين مسجد الاقصى فهذه تبين مدى اهمية وطننا العربي وتصور مؤسساتنا الثقافية العربية في هذا المجال .

مصطفى علي سليم

لبنان

اول تطبيق كامل لعلم « استقراء المستقبل »

ولكن ....!



الحرب العالمية الثالثة

أغسطس ١٩٨٥ م

تأليف : الجنرال سير جون هاكيت وآخرون

عرض : فيليب جلاب

منذ بضعة شهور نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية خبرا يقول ان من بين ما قدم للرئيس الامريكي اخيرا لكي يقرأه على وجه السرعة كتاب عن الحرب العالمية الثالثة « أغسطس ١٩٨٥م ، من تأليف احد كبار القادة العسكريين البريطانيين ، وهو الجنرال سير جون هاكيت ومجموعة من ابرز الخبراء العسكريين والسياسيين . ثم تبع ذلك ، فيما يبدو انه حركة منسقة ، تقديم اهم الصحف البريطانية والامريكية للكتاب الجديد . وكان الكتاب نفسه قد اعيد طبعه للمرة الثالثة ولم يمض على صدور طبعته الاولى اكثر من عام واحد .

■ اما المؤلف جنرال هاكيت فيعد في بريطانيا من ابرز العسكريين الاكاديميين والضباط المحاربين في نفس الوقت ، وكان آخر منصب عسكري تولاه هو منصب القائد الاعلى للجيش البريطاني في الراين في المانيا الغربية ، ونائب رئيس هيئة الاركان العامة لمجموعة جيوش الشمال في حلف الاطلنطي .

ويعرف الجنرال هاكيت بانه من زعماء « الصقور » بين العسكريين في بريطانيا وفي حلف الاطلنطي وقد سبق ان احتال للالتفاف على القانون البريطاني الذي يمنع العسكريين من الكتابة الى الصحف حول المسائل السياسية والعسكرية ، بأن ارسل مقالا الى صحيفة « التايمز » قبل انتهاء خدمته يؤكد فيه الحاجة الملحة الى تدعيم وزيادة الانفاق العسكري لدول حلف الاطلنطي ، ووقع المقال بوصفه نائب رئيس الاركان العامة لقوات الشمال بحلف الاطلنطي ، متجاهلا صفته الاساسية كقائد للجيش البريطاني في الراين !

ومنذ ان طرح عالم امريكي من اصل الماني هو البروفيسور « اوسيب فليختها يم » فكرة ابتداع علم اسماه « علم استقراء المستقبل » ظهرت مؤلفات كثيرة تحاول التنبؤ بمواقف معينة : اقتصادية او علمية او سياسية . لكن في حدود علمنا لم يظهر مؤلف كامل يتناول حدثا محددا وهو الحرب العالمية الثالثة (اغسطس ١٩٨٥) بكل تفاصيلها الحربية والسياسية سوى هذا الكتاب الذي نعرض له .

ولكن العيب الاساسي لهذا الكتاب هو انه لم يحاول ان يتبع منهجا علميا للتأريخ للمستقبل فهو يبدأ بمعطيات ذاتية محددة تمثل وجهة نظر « الصقور » في الغرب ، ومجملها ان الطرف الآخر في الشرق هو الذي يخطط للعدوان والحرب والبدء باستخدام الاسلحة الذرية . وهو الذي لابد ان ينهزم . لكن ميزته الاساسية رغم ذلك هو تقديم « سيناريو » كامل ودقيق لوجهة نظر فريق كبير ذي نفوذ خطير في المؤسسات الرسمية الحاكمة في المعسكر الغربي . وهذه هي رؤيتهم لانفسهم وللعالم .

والمفروض كما يشير المؤلف ان كتابه ظهر عام ١٩٨٧ اي بعد عامين من نشوب الحرب العالمية الثالثة ونهايتها . ولذلك يعتمد الكتاب في بعض الاحداث على « التخمين » ، لان كثيرا من الوثائق « اختفت في الظروف المدمرة التي سادت قرب نهاية الحرب » .

تقرير للرئيس طومسون

وفي نوفمبر عام ١٩٨٤ انتخب الامريكيون الرئيس الاربعين للولايات المتحدة الامريكية ، لكي يتولى مهام منصبه في يناير ١٩٨٥ . وكان طومسون جنوبيا جمهوريا محافظا ، ومجهولا تماما قبل عامين من انتخابه ، مثل سلفه الرئيس السابق كارتر .

كان طومسون قلقا بسبب نقص معلوماته في الشئون الدولية ، ومن ثم طلب الى اثنين من كبار المستشارين ان يقدما ، كل على انفراد تقريرا يلخص وجهة نظرهما عن التحديات الاساسية التي تواجه ادارته في الفترة من عام ١٩٨٥ الى عام ١٩٩٣ .

وركز احد الخبيرين وهو « ثينك ـ تانك » تقريره على « الجنوب الفقير » في العالم والمشاكل المترتبة على الصراع بين الاغنياء والفقراء . لكن طومسون لم يعجبه هذا التقرير بعكس تقرير الخبير الاخر وهو وزير خارجية سابق ، فقد حظي بتقدير الرئيس طومسون وكان محور التقرير هو العلاقة بين الاتحاد السوفييتي وبين « الشمال الغني » في العالم .

ويرسم التقرير الصورة على النحو التالي :

ـ ان الاتحاد السوفيتي غير قادر على التكيف مع العالم المتغير ، وتحيط به الازمات من الغرب والشرق والجنوب .

ـ اخطر نقطتين في الموقف (لاسباب مختلفة) هما بولندا ويوغوسلافيا ، وقد انحرفت بولندا بشكل واضح عن اساليب المجتمع الشيوعي واذا تغيرت بولندا نهائيا فمن المحتمل ان تتبعها تشيكوسلوفكيا والمجر ، اما المانيا الديموقراطية (الشرقية) فتتجه الى البحث عن دور سياسي اكبر يتناسب مع تفوقها الاقتصادي داخل المعسكر الشرقي . اذ ان معدل الدخل القومي للفرد يصل الى ٤٠٠٠ دولار في السنة وهو ضعف المعدل في الاتحاد السوفيتي .

ـ ادى الاشتراك الناجح للحزب الشيوعي الايطالي في الحكومة منذ عام ١٩٨٢ وقيام حكومة الجبهة الشعبية

من الاشتراكيين والشيوعيين في فرنسا الى احباط التقدم نحو الوحدة الاوربية واضعاف حلف الاطلنطي . لكنه من جهة اخرى هدد الاتحاد السوفييتي بالخطر ، لانه اثبت ان هناك طرقا اخرى ناجحة للوصول الى الاشتراكية ، وشجع بولندا على المضي قدما في اتجاهاتها الخاصة .

ـ تكونت في يوغوسلافيا (ما بعد تيتو) خلايا ومجموعات موالية للسوفييت في (الصرب) ويطلب الشيوعيون في الصرب مساعدات سوفيتية لضرب الثورة المضادة في « سلوفينيا » و « كرواتيا » . ويستهدف السوفييت من الاستجابة لهذا الطلب افهام بولندا ان الجيش السوفييتي قادر على التدخل .

ـ يرتكب حلف الاطلنطي خطأ فادحا بسبب موقفه الغامض غير المحدد إزاء يوغوسلافيا .

ـ اذا كان السوفيت يخشون من تدخل الماني غربي كرد فعل لتدخل سوفيتي ضد بولندا ، الا انهم يعتقدون ان رد الفعل الغربي ازاء تدخلهم في يوغوسلافيا لن يتجاوز مجرد الاحتجاج .

ـ هناك حركة تذمر بين جيل المثقفين السوفيت بسبب زيادة فترة التجنيد الى ثلاثة اعوام .

ـ كل الدلائل تشير الى ان التقارب الاقتصادي والسياسي بين الصين واليابان سؤدي الى خلق كيان هائل مشترك .

ـ ازدادت مسألة حساب احتمالات الردع النووي تعقيدا بسبب انتشار الاسلحة الذرية في العالم الثالث لدى الاطراف الموالية لواشنطن او موسكو على السواء .

ـ من المحتمل ان تقع ازمات متعددة اذا بدأت « الامبراطورية » السوفيتية تعاني من الشروخ بسبب الضغوط الداخلية . ومن المنتظر وقوع تطورات هامة في الاسابيع الاحدى عشرة قبل تولي الرئيس طومسون السلطة .

تقرير ريابوخين

اثناء معركة الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٤ نشبت معركة تلفزيونية حامية بين طومسون ومنافسه الديموقراطي مونديل نائب (كارتر السابق) حول رأي كل منهما في حكومة بولندا وهل هي تابعة للحكومة السوفيتية ، وموقف الولايات المتحدة ازاء احتمال نشوب ثورة ضد الحكومة البولندية والاتحاد السوفيتي . وقد اتخذ طومسون في رده التليفزيوني موقف « الصقور » الامركيين المتشددين ، ولم يتراجع بعد ذلك بل واصل خط الهجوم ضد حكومة بولندا .

وعندما انتخب طومسون رئيسا للولايات المتحدة وقعت بالمصادفة بعض احداث الشغب في بولندا ، قامت وزارة الداخلية البولندية بالقبض على « زعماء العمال » بسبب ما اشيع عن اعتزامهم القيام باضراب عن العمل في اليوم المحدد لتولي طومسون مهام الرئاسة . واتسع نطاق المواجهة بين الحكومة والعمل ، واستولى بعضهم على المصانع ورفعوا عليها علم بولندا القديم .

ورغم انتهاء الازمة بالتفاوض بين الحكومة والعمال ، وعودة « السيطرة الاسمية » للحكومة على البلاد الا ان قلقا حادا سيطر على الزعماء السوفيت ، الذين عقدوا اجتماعا للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي مع كل رؤساء الجمهوريات السوفيتية لبحث ورقة العمل التي كلف بكتابتها الاكاديمي السوفيتي ريابوخين .

فقد رأى كثيرون ، كما يقول المؤلف ، ان احداث بولندا التي وقعت في ١١ نوفمبر ١٩٨٤ هي البداية الحقيقية لنشوب الحرب العالمية الثالثة . والغريب ان بولندا هي نفس البلد الذي بدأت منه الحرب العالمية الثانية من جانب هتلر ، وان ١١ نوفمبر هو الذكرى السادسة والستين لنهاية الحرب العالمية الاولى .

درس المجتمعون تقرير ريابوخين ، واستطاع الغرب الحصول على التقرير رغم سريته المطلقة ويتلخص التقرير الذي اخذت به الحكومة السوفيتية فيما يلي :

ـ رغم بعض التصريحات المؤسفة التي اعلنها طومسون الا انه ليس من المحتمل ان يشن هجوما نوويا ضد الاتحاد السوفيتي . وهو نفس موقف الاتحاد السوفيتي .

ـ ان الاتحاد السوفيتي يواجه موقفا يسترعي الانتباه . فمن بين ١٨٠ رئيس دولة في العالم هناك حوالي مائة منهم يذهبون الى فراشهم كل ليلة دون ان يتيقنوا من انهم لن يتعرضوا للقتل من انقلاب قد يقع في الصباح . وكان كبار المسئولين السوفيت (فيما عدا فترة حكم ستالين) لا يخشون من هذا المصير لكن بعد احداث بولندا هناك احتمال كبير لحوادث انقلابات في دول اوروبا الشرقية وهو امر غير مستبعد ايضا في بعض الجمهوريات السوفيتية خاصة في الجنوب وفي الشرق الاقصى .

ـ ليس من الحكمة ارسال قوات سوفيتية لقمع « العمال » البولنديين ، او استخدام القوات البولندية لنفس الغرض . لكن في حالة قيام اصحاب الاتجاهات « الانتقامية » (والرجعية) بقلب حكومة بولندا او المانيا الديموقراطية فلا بد من ارسال قوات سوفيتية لتصحيح الاوضاع .

ـ بسبب الوضع في بولندا ، علينا ان نضع الامريكيين في وضع ضعيف في مكان آخر من العالم ونفرض عليهم اتخاذ بعض اجراءات التراجع المهين خلال الاسابيع الاولى لحكم الرئيس طومسون .

السلام الزائف

بدأ الاتحاد السوفيتي تنفيذ تقرير ريابوخين ، كما يقول المؤلف ، منذ ٣٠ نوفمبر عام ١٩٨٤ وكان الوضع العالمي مواتيا تماما للاتحاد السوفيتي .

ففي المنطقة العربية والشرق الاوسط جددت مصر علاقاتها العسكرية والسياسية مع الاتحاد السوفيتي واعلنت قيام الجمهورية العربية المتحدة من مصر والسعودية والعراق والكويت ، ودعت الى اجتماع لرؤساء حكومات دول « الاوبيك » . وهددت بالتدخل العسكري الفوري ضد اي بلد يحاول التعرض لمصالح الجمهورية العربية المتحدة او يحاول ارسال قوات الى « الساحل المتصالح » او عمان . وهو تهديد واضح لايران التي ظلت قلعة للنظام الامبراطوري والدفاع عن مصالح الولايات المتحدة الامريكية ! ! (ظهر كتاب الحرب العالمية الثالثة قبل شهور قليلة من اشتعال الثورة الايرانية وسقوط نظام الشاه) .

وفي الجنوب الافريقي انتشرت الاضطرابات المعادية للحكم العنصري الابيض ، وتحفزت الدول الافريقية المستقلة (الموالية للسوفيت !) لانهاء السيطرة البيضاء .

وفي شبه القارة الهندية وقعت احداث خطيرة بعد ان اصبحت الهند مجموعة من الدول والدويلات الاشتراكية والرأسمالية .

وفي خليج عدن اغرقت غواصة سوفيتية سفينة ايرانية ، وتعرضت سفينة تجسس امريكية للضرب بالصواريخ ، ولم تتوقف الاحداث المثيرة عند هذا الحد . فقد تم تدمير بئر بترول بريطانية في بحر الشمال واضطربت الاوضاع في برلين الشرقية ، واغتيل رئيس المكسيك ، وارسل الامريكيون قوة بحرية الى الخليج في بندر عباس . ووجهت حكومة مصر دعوة الى الاتحاد السوفيتي ليسيطر على قناة السويس ، بعد ان اغلق الاسطول الامريكي السادس المدخل الشمالي للقناة !

ويجري المؤلف هنا مقارنة بين موقف حلفاء امريكا الاوربيين وبين اعضاء حلف وارسو . ويتحو باللائمة على دول اوروبا الغربية لانها تريد الحصول على بترول الشرق الاوسط دون ان تقدم مساعدة عسكرية للولايات المتحدة لكي تعيد فتح الطريق الى مواقع البترول بالقوة ، بعد ان ساد المنطقة نفوذ سوفيتي واضح . ويدافع المؤلف البريطاني بحماس عن موقف الولايات المتحدة التي يقول انها تتساءل في سخرية عن موقف دول أوروبا الغربية ازاء الخطر السوفيتي المباشر في اوربا ، اذا اضطرت الى سحب قواتها من اوربا الغربية لفتح طرق البترول في الشرق الاوسط وحمايتها !

ويظل الوضع بين الحلفاء الغربيين غامضا بينما يتفق وزيرا خارجية الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في نهاية يناير ١٩٨٥ على عقد مؤتمر قمة في ١٥ فبراير . وينتهي مؤتمر القمة الامريكي السوفيتي بالاتفاق على الاحتفاظ بالوضع الراهن وان تظل السيطرة على حقول البترول كما كانت ، اي تظل السعودية والكويت

والعراق ومصر مع الاتحاد السوفيتي ، بينما تظل ايران وبقية دول الخليج العربية مع الغرب . ويتوقف تزويد الجانبين سواء في افريقيا او المنطقة العربية بالاسلحة مع الابلاغ المتبادل عن التحركات البحرية واستئناف محادثات « سولت » والخفض المتبادل للقوات .

لكن ما يسميه المؤلف « بالسلام الزائف » لم يغير شيئا من عدم الثقة بين واشنطن وموسكو فاستؤنفت الاشتباكات السياسية حول المسائل الثلاثة الجوهرية وهي البترول والشرق الاوسط والبلقان .

وكانت يوغوسلافيا على التحديد قد تجاوزت وتغلبت على مشكلة (الخلافة) بعد تيتو واتجهت بشكل متزايد الى اقتصاد السوق الاقرب الى مفاهيم الغرب الاقتصادية ، وتبلور الوضع في الجمهوريات اليوغوسلافية الى حيث اتجهت (سلوفينيا) الى الغرب واتجهت « الصرب » الى الشرق . لكن الجنرال هاكيت مؤلف الكتاب يلاحظ ان الدول الرأسمالية في الغرب بدأت تعي اصرار السوفيت على القضاء على الرأسمالية وازدياد قوة التسلح الهجومية السوفيتية . وهو يرى ان الرأي العام الغربي الذي كان يرفض في السبعينات تأييد الاجراءات العسكرية والانفاق العسكري المتزايد في الغرب اصبح الان (عام ١٩٨٥ متحمسا لمواجهة التسلح السوفيتي باجراءات مماثلة) .

ويعبر المؤلف في كل مناسبة عن ضيقه من العمال واحتقاره لموقف نقابات العمال « طائبة وبعض اجنحة حزب العمال بسبب ما يسميه « بؤس » الشعب البريطاني لاعادة توزيع الثروة ... وهم البريطانيين بانهم « يستخدمون بشكل قبيح وسائل اسلوب الحسد » ضد الاغنياء في عهد حكومات العمال ، ويرى ان هذه المواقف عطلت بريطانيا عن تخصيص اجزاء هامة من ميزانيتها لمواجهة « الخطر السوفيتي وادت الى انسحاب قواتها من مناطق كثيرة في العالم . لكنه « يستبشر خيرا » بتغيير النظام في بريطانيا قبل عام ١٩٨٥ ، وبعد ان تغير كل شيء ابتداء من نظام التعليم الى تعميم التدريب العسكري في الجامعات .

بداية الغزو

في ٢٧ يوليو ١٩٨٥ . بينما كان القائد الاعلى للقوات الامريكية في اوربا يلتقي بوفد من رجال الكونجرس في مقر قيادته في هايدلبرج في المانيا الغربية ، ابلغه احد ضباطه ان القوات السوفيتية عبرت الحدود الى يوغوسلافيا منذ ساعات قليلة .

اما اهداف هذا الهجوم السوفيتي ونطاقه فالمؤلف لديه دائما حل موفق لاقناع القاريء وهو العثور على « وثيقة سرية » سوفيتية بعد انتهاء الحرب تكشف اهداف « ومطامع السوفييت » ! وحسب هذه « الوثيقة السرية » فان الخطة السوفيتية تهدف الى احتلال المانيا الغربية وتحييدها ، ومن ثم انهيار حلف الاطلنطي وفتح باب المفاوضات الثنائية بين واشنطن وموسكو لتسوية الاوضاع العالمية وسيترتب على ذلك في نظر السوفيت تقوية نفوذهم واضعاف الحركات الاشتراكية الوطنية داخل حلف وارسو وحسم الامور قبل عام ١٩٨٧ ، اي ان تؤدي البرامج العسكرية الجديدة في حلف الاطلنطي الى وضع قيود على حرية السوفيت العسكرية وقبل ان تصبح الصين مستعدة تماما من الناحية العسكرية وقبل ان يتدهور موقف الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط .

عندما ايقن الامريكيون بان السوفيت يعدون للهجوم الشامل وانهم بدأوا التعبئة الكاملة في الرابع عشر من يوليو ، اصدر الرئيس الامريكي قرار التعبئة الكاملة بدوره وتعبئة بقية دول حلف الاطلنطي التي تحركت قواتها على المسرح الاوربي بالفعل .

وفي الرابع من اغسطس تلقى الضابط البريطاني المناوب في مركز القيادة المشتركة لحلف الاطلنطي نبأ تليفونيا عاجلا بان جنود المظلات السوفيت قاموا بعملية ابرار جوي . ولم يكن الضابط يرسل اشارة الانذار حتى فوجيء بجندي سوفيتي يقتحم مكتبه ويصرعه على الفور !

بدأ الهجوم الشامل اذن ضد قوات حلف الاطلنطي لغزو اوربا الغربية ، واعلن السوفيت ان الهدف من هذا الاجراء هو مجرد الدفاع عن النفس بسبب « مطامع النازيين الجدد في المانيا الغربية ومن يساندهم من الامبرياليين » .

اما الهدف من دخول يوغوسلافيا فهو « اعادة

السلام والاستقرار بعد أن قامت قوات رأسمالية بغزو بلد اشتراكي هو « سلوفينيا » . ووجه السوفيت نداء الى حكومات بريطانيا وايطاليا وفرنسا بالا يشتركوا في تقديم العون الى النازيين الجدد ، وطالبوا الولايات المتحدة بان تعترف باخطار انبعاث النازية في المانيا مرة اخرى . كما وجه السوفيت تحذيرا واضحا بان موسكو لا ترى « في الوقت الحاضر استخدام اسلحة نووية » لكن استخدام اي اسلحة نووية او مشعة ضد حلف وارسو سيؤدي الى رد سوفيتي بلا حدود .

ورغم قرار فرنسا بالاشتراك الايجابي الى جانب قوات حلف الاطلنطي الا ان حصيلة اليوم الاول من الهجوم كانت لصالح السوفيت وحلف وارسو ، وسقطت اجزاء كبيرة من المانيا الغربية والنمسا والنرويج وكل هولندا تحت سيطرة قوات حلف وارسو .

ومن هنا بدأ ضغط القادة العسكريين الامريكيين في ميادين القتال لاستخدام الاسلحة الذرية الميدانية كوسيلة وحيدة لمنع انهيار حلف الاطلنطي . وانقسم قادة الحلف حول المسألة فلم تؤيد استخدام الاسلحة الا بلجيكا ، ووقفت المانيا الغربية وهولندا ضد الاقتراح الامريكي ، وترددت بريطانيا . اما فرنسا فقد اعلنت انها مسئولة عن استخدام اسلحتها الذرية الخاصة لكنها لن تقدم على هذه الخطوة قبل ان تتشاور مع حلفائها .

واتصل الرئيس الامريكي بعد منتصف ليلة ١٢ اغسطس ١٩٨٥ بالقائد الاعلى للقوات الامريكية في اوروبا ليطمئن على مقدرة قوات حلف الاطلنطي ازاء الاجتياح السوفيتي ، لكن القائد الامريكي علق الموقف على ما يصل في النهاية عن طريق الجسر الجوي والبحري الامريكي عبر الاطلنطي .

كانت الخسائر الامريكية في الرجال والطائرات والسفن فادحة بسبب نشاط اسطول الغواصات والطيران السوفيتي خاصة ان القوات السوفيتية سيطرت على غالبية الاهداف الارضية والطرق البحرية ابتداء من مخارج بحر البلطيق وساحل بحر الشمال والى الطريق البحري بين بريطانيا والقارة .

وعندما وصلت خسارة الجسر الجوي والبحري عبر الاطلنطي الى معدلات غير متوقعة ثار السؤال من جديد بين صفوف العسكريين في الغرب حول استخدام الاسلحة الذرية .

الاندحار

لكن في الخامس عشر من اغسطس بدأ الهجوم المضاد للقوات الامريكية وحلف الاطلنطي فاحدث تغييرات هامة في الوضع العسكري ، بعد ان ظلت المبادرة منذ اشتعال الحرب في ايدي قوات حلف وارسو . ويحدد المؤلف اسباب فشل خطة السوفيت بعد ذلك وبداية تراجعهم بعدة اسباب اهمها :

ـ تصورهم ان احتلال المانيا الغربية وانهيار حلف الاطلنطي سيحدث قبل ان يتمكن الغرب من تعبئة قواته .

ـ موقف فرنسا غير متوقع .

ـ بداية التمرد وحرب العصابات احيانا داخل المناطق المحتلة في المانيا وداخل بعض الدول الاشتراكية نفسها مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا .

ـ حرب الدعاية الاذاعية والتلفزيونية التي تفوق فيها الغرب على الشرق وكانت المعركة الرئيسية فيها لكسب افريقيا والشرق الاوسط والاقصى . ولا يكف المؤلف البريطاني « الاسترالي الاصل » عن اظهار نزعاته المعادية للشعوب الملونة بمناسبة وبدون مناسبة فهو يلوم الغرب بمناسبة الحديث عن افريقيا لان تأييده للحكومة العنصرية في جنوب افريقيا لم يكن حاسما وشاملا ضد الشعوب السوداء . وهو لا يرى في الشرق الاوسط عند الحديث عن معركة الدعاية اثناء الحرب الا « بترولا » ومواقع ، وطرقا تساعد على ارساله الى حيث يريد الغرب . اما الشعوب والحكومات في افريقيا والشرق الاوسط « فلا يهمها من الذي على حق او على خطأ بين المتحاربين » لكن المهم لديها هو من الذي سيكسب » !!

ويسترشد المؤلف بعبارات قالها الجنرال « ويفل » قبل ذلك وهو يرقب الازمة العالمية السابقة من مسرح الشرق الاوسط ملاحظا ان البترول ، والنقل البحري والقوة الجوية والبحرية هي مفاتيح الحرب ضد المانيا وايطاليا . وهذه العناصر يعتمد احدها على الاخر .

فالقوتان الجوية والبحرية تعتمدان على البترول . والبترول ينقل بالسفن والسفن نفسها تتطلب حماية جوية وبحرية .

ومشكلة الغرب في رأي الجنرال هاكيت ان كل هذه العناصر صحيحة بعد نصف قرن ، ما عدا ان الحلفاء لم تعد لهم السيطرة عليها كما كان في الماضي . فقد تعلم السوفيت الدرس ونسته بريطانيا . وبينما اصبح للسوفيت ٨٠٠٠ سفينة تجارية مسجلة تستطيع ان تنقل ٢٠ مليون طن و ٥٠٠ ناقلة بترول ، واحتياطي من البترول الخام يصل الى حوالي ٧ الاف مليون طن ، لم يعد لبريطانيا ما تستطيع ان تدخل به الى مستوى الدول العظمى . ويواصل المؤلف سرد ما يمتلكه السوفيت من المقومات التي تضمن النصر في الحروب وفقا لنظرية « ويفل » . فبينما تستورد الولايات المتحدة التي تملك احتياطيا هائلا من البترول (حوالي ٥ آلاف مليون طن) ما يصل الى ٥٠٠ مليون طن سنويا لا يستورد السوفيت شيئا ويصل حجم الاسطول الحربي السوفيتي الى حوالي ٢٥٠ سفينة حربية و ٣٠٠ غواصة اغلبها يسير بالطاقة النووية ، و ٧٠٠ طائرة بحرية ، و ١٠ الاف طائرة مقاتلة من بينها ١٠٠٠ قاذفة و ٤٠٠ طائرة معاونة للقوات الارضية ومثلها للدفاع الجوي الى جانب ٢٠٠٠ طائرة نقل وهيلوكوبتر .ورغم ذلك كله وعلى عكس نظرية « ويفل » التي يدافع عنها المؤلف خسر السوفيت وحلف وارسو الحرب العالمية الثالثة ، فيما يشبه « افلام » رعاة البقر التي يجب ان ينتصر فيها الابيض ضد « الهنود الحمر » .

بدأت هزائم حلف وارسو منذ شن حلف الاطلنطي هجومه المضاد في اوربا الغربية وتتابعت الحلقات بعد ذلك ضد الاسطول السوفيتي في جنوب الاطلنطي وفي البحر العربي والجزء الغربي من المحيط الهندي . اما في الشرق الاوسط فكان التدخل الامريكي حاسما ضد قوات الجمهورية العربية المتحدة (مصر ـ السعودية ـ العراق ـ الكويت) فمنعت ايران من الغزو ومنعت السعودية من تصفية حسابات مع الامارات ، ويسرت الاستعداد في عمان لحشد قوات الهجوم المضاد التي ستصفي وتكتسح اليمن في معركة واحدة حاسمة !

اسرائيل محايدة

اما وضع اسرائيل في الحرب العالمية الثالثة فقد كان في غاية الغرابة . كانت القوات الاسرائيلية في حالة استنفار منذ اعلنت الجمهورية العربية المتحدة في نوفمبر ١٩٨٤ لكن الاتحاد السوفيتي قدم ضمانا لاسرائيل بعدم التعرض لها مقابل التزام اسرائيل بالحياد التام . وهو ما تم بالفعل .

ويقول المؤلف ان القوات الامريكية شنت هجوما منسقا مع قوات ايران وجيش الامارات فقضت على القوات السوفيتية وقوات الجمهورية العربية المتحدة في الجزء الشرقي من العربية السعودية واجبر اصحاب الحلف الامريكي دولة الكويت على قطع علاقاتها مع مصر والسعودية « ومرة اخرى كما يقول المؤلف » اصبح الخليج فارسيا بصرف النظر عما تفكر دولة الامارات » ! فالمهم طبعا هو الا يظل الخليج عربيا . وحتى النظام العنصري في جنوب افريقيا استعاد بمعونة القوات الامريكية سيطرته على شعوب الجنوب الافريقي ، وانهارت النظم الافريقية الوطنية .

الحرب الذرية

ازاء الهزائم المتعاقبة انتصر (الصقور) في القيادة السوفيتية العليا ، وتقرر استخدام الاسلحة الذرية بشكل محدود ، لكي تؤدي الى تفاوض بين موسكو وواشنطن وانقاذ ما يمكن انقاذه .

اما في القيادة الغربية فقد انتصر « الحمائم »طبعا وتقرر عدم مواصلة الزحف الى داخل الاتحاد السوفيتي نفسه ، وعدم تكرار خطأ هتلر في الحرب الثانية . وتوصل الامريكيون مع المانيا الغربية الى حل وسط وهو اشتراك قواتهم في احتلال المانيا الشرقية . لكن قبل تنفيذ الخطة اطلق السوفيت صاروخا ذريا موجها الى قلب مدينة « برمنجهام » البريطانية التي تعد مركزا هاما للصناعات عامة وللصناعات الحربية بنوع خاص . وفي نفس الوقت تحدث الرئيس السوفيتي الى الرئيس الامريكي وابلغه عن الهجوم الذري المحدود ، وعن طلب ارسال وفد امريكي للتفاوض خلال اسبوع .

واحدث الصاروخ الواحد من الدمار والقتل في

برمنجهام ما يتضاءل الى جانبه ما حدث في « هيروشيما » ونجا زاكي في اليابان . فقد تعرض ٢ مليون نسمة للاشعاع ، مات منهم فورا حوالي ٣٠٠ الف نسمة واصيب ٢٥٠ الف بجراح خطيرة ، وحوالي نصف مليون بدرجات متفاوتة من الجراح .

ورد الامريكيون والبريطانيون باطلاق صاروخ لكل منها على مدينة « منسك » السوفيتية ، وابلغوا السوفيت عن طريق الخط الاحمر بانه هجوم محدود كرد على ضرب برمنجهام وان اجابتهم حول التفاوض ستصل خلال ثلاثة ايام .

واحدث الصاروخان الامريكي والبريطاني في الاتحاد السوفيتي مالم يحدثه الصاروخ السوفيتي في بريطانيا او حلف الاطلنطي . فقد كان الصاروخ الامريكي ايذانا بانطلاق كل عوامل (التمرد » والثورة » والانفصال » داخل الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو وازاء وعد امريكي بمساندة اوروبا الشرقية ضد موسكو ، والجمهوريات السوفيتية ضد موسكو ايضا قررت جمهورية كازاخستان الانفصال ووقعت صدامات دامية في جمهورية اوزبكستان . وتم اتصال سري بين حكومة بولندا ولندن للاستعداد للانفصال عن حلف وارسو .

اما موسكو نفسها فقد اعد المؤلف لها نهاية اكثر « درامية » فقد استطاع نائب رئيس المخابرات وهو ضابط بوليس اوكراني ان يقتل رئيسه ويحضر بدلا منه اجتماع المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ثم يقتل الرئيس السوفيتي داخل الاجتماع . ويعلن انه تولى منذ تلك اللحظة منصبي الرئاسة وسكرتيرية الحزب ثم يأمر بابعاد وسجن الاعضاء المتشددين ويقبل تأييد الاعضاء المعتدلين لسياسته . ويتصل « الرئيس » السوفيتي الجديد بالرئيس الامريكي ويطلب وقف استخدام الاسلحة الذرية ووقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة ، ويقبل الذهاب الى مؤتمر في هلسنكي وفي المؤتمر تشكل الجمهورية السوفيتية وفدا مشتركا على اساس انهاء اتحاد الجمهوريات بعد ذلك .

وهكذا تنتهي الحرب العالمية الثالثة بعد ان نشبت في حوالي اربعمائة صفحة من خيالات وتمنيات الجنرال سيرجون هاكيت وزملائه !

لكن المؤلف يتواضع في النهاية ويقول : « من الممكن الا تنشب الحرب العالمية بالطريقة التي توقعناها لكن المهم هو انه ما لم يحسن الغرب من دفاعاته في السنوات القادمة ستؤدي الحرب الى كارثة للغرب . اما اولئك الذين يطالبون بتخفيض نفقات الدفاع في الغرب فهم يعيشون في عالم من الوهم ولو ان السوفيت قاموا بهجومهم في السبعينات (الآن) لحققوا نجاحا باهرا .

ولقد بذل المؤلفون كل ذلك الجهد في الحقيقة من اجل هذه العبارة الاخيرة . ولنفس السبب وضع الكتاب امام الرئيس كارتر . وتولت بعض الصحف قرع الطبول : « ان هناك كتابا خطيرا على مكتب الرئيس كارتر » !

القاهرة ـ فيليب جلاب

التمثال .. السياسي الناجح !

ذهب انا تول فرانس يوما مع صديق له الى معرض للفنون الجميلة توقف أمام تمثال رجل كان قد قطعت يداه ورأسه وكان من عمل رودون المثال المعروف فسأل الصديق انا تول بدهشة : ماذا يمثل هذا التمثال ؟ فأجابه اناتول : انه كما ترى تمثال رجل لا يقدر على اداء أي عمل نافع ، غير انه ... سياسي ناجح !

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ديسمبر (كانون اول) ١٩٧٩ .

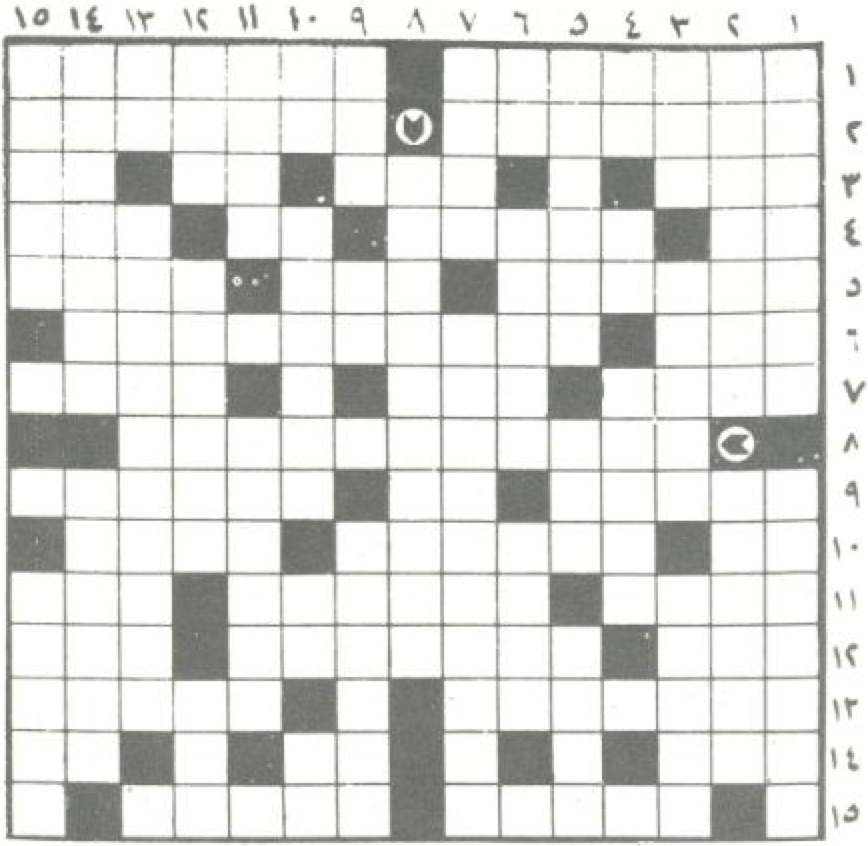
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيًا اسم مؤسس الدولة الطولونية ، كما ستجد في (٨) رأسيًا حاكم وقائد اسلامي

الكلمات الأفقية :

١ ـ معركة بين الفرس والاغريق ـ دولة أوربية .
٢ ـ من سور القرآن الكريم ـ نكسبه الى جانبنا .
٣ ـ تنبح ـ شخصية فكاهية من التراث العربي ـ تقسم ـ نصف كلمة (أدعو) .
٤ ـ نصف كلمة (مخزن) ـ ملك كريتي قديم ـ من الاقارب ـ من الألوان .
٥ ـ يمضون ـ رجاء ـ أنشأه .
٦ ـ ضياء ـ وثيقة معروفة في التاريخ الانجليزي .
٧ ـ يصمت ـ ابيضّ شعره ـ قارب صغير يستخدمه الهنود الحمر .
٨ ـ مؤسس الدولة الطولونية .
٩ ـ من الجوارح ـ أصلح ـ دولة أفريقية .
١٠ ـ عمر ـ الأخذ عن أصل سابق ـ ذكرت .
١١ ـ ثمن ـ دولة أوربية ـ نوم .
١٢ ـ حكى ـ السلطة التنفيذية ـ شكوك .
١٣ ـ من أماكن التسلية ـ من الاشجار .
١٤ ـ يخصنا ـ اكتمل ـ نصف كلمة (عاتي)
١٥ ـ سهو ـ من الانبياء .

كوبون مسابقة العدد ٢٥١



الكلمات الرأسية :

١ ـ من دعاة الوحدة الايطالية ـ ينتسب الى احدى القارات .

٢ ـ طائفة تتبع عقيدة أسيوية ـ رئيس أمريكي سابق .

٣ ـ نسّق ـ من الظواهر الطبيعية ـ وطان .

٤ ـ نصف كلمة (سواك) ـ فات ـ تشعران .

٥ ـ من العناصر الكيميائية ـ حساء ـ أرفض .

٦ ـ لفظ تعجب ـ زجر ـ تقطعه .

٧ ـ تأمل ـ عالم عربي من رواد الكيمياء .

٨ ـ حاكم وقائد اسلامي .

٩ ـ ضمير ـ حرف استفهام ـ أعوامه .

١٠ ـ نصف كلمة (لسان) ـ من العناصر الكيميائية ـ في العروق ـ حرف استفهام .

١١ ـ يكلّ ـ قابلها .

١٢ ـ لمع ـ معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا ـ لعب .

١٣ ـ نصف كلمة (عاني) ـ مسرحية لتشيكوف .

١٤ ـ في العين ـ فصيلة من الآلات الموسيقية .

١٥ ـ نبهه ـ يشيّده .

موسيقي الماني شهير

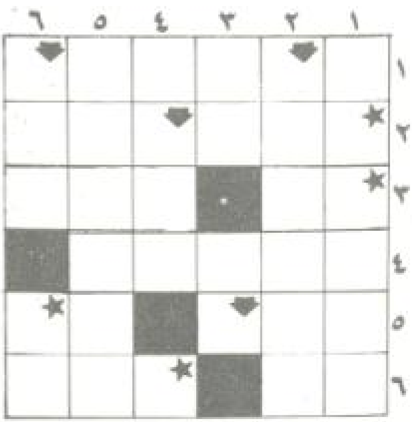
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لموسيقي الماني وضع العديد من الاوبرات والتراتيل الدينية . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها بحيث تصنع لقبه .

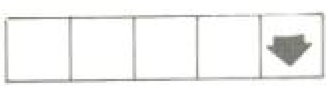
الكلمات الافقية :

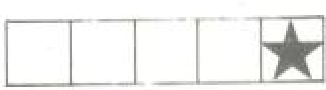
١ ـ عملية في الجهاز الهضمي لبعض الحيوانات
٢ ـ مبتكر صناعة السينا الناطقة .
٣ ـ ضمير ـ ضرورية للباحث .
٤ ـ ملك كريم من الملائكة .
٥ ـ من مواد البناء (معكوسة) ـ دلّ .
٦ ـ للنداء ـ تسأم .

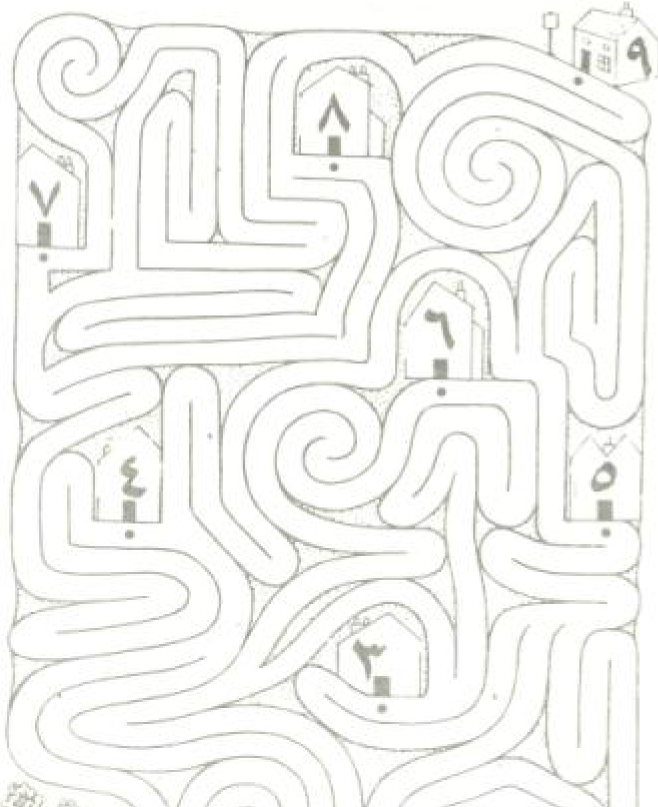
الكلمات الرأسية :

١ ـ من التقاويم .
٢ ـ دولة أفريقية .
٣ ـ نصف كلمة (يفتك) ـ هزّ .
٤ ـ سلسلة جبال أمريكية .
٥ ـ استوحى .
٦ ـ تشق ـ أرشد .









ساعي البريد

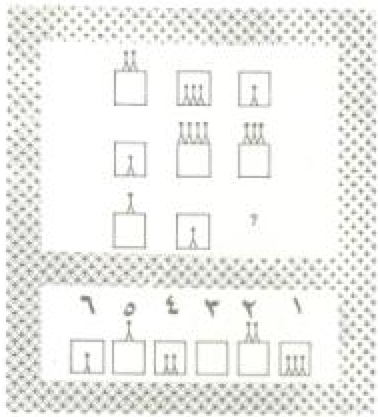
كان على ساعي البريد أن يمرّ على البيوت التسعة مبتدئا بالبيت رقم (١) ومنتهيا بالبيت رقم (٩) ، بحيث لا يمرّ بالبيت أو الشارع أكثر من مرّة واحدة ، فهل تستطيع أن تعرف الطريق الذي سلكه ساعي البريد ؟.

أين الصواب ؟. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خاطيء ، هل تستطيع أن تميّز بينها ؟..

١ ـ الأشنات : اتحاد بين نباتين مختلفين يعيشان معا .
٢ ـ الكويكرز : جماعة روحانية أسسها بانجلترا جورج فوكس .
٣ ـ باصون : حيوان من فصيلة الجاموس .
٤ ـ بيت الحكمة : أوّل جامعة عربية أنشأها المأمون في بغداد .
٥ ـ جران كولي : شاعر فرنسي رومانتيكي من القرن التاسع عشر .
٦ ـ دور كنج : من سلالات الدجاج .
٧ ـ سان سانس : عاصمة احدى دول أمريكا اللاتينية .
٨ ـ فان الين : ممثل من روّاد السينما الأمريكية .
٩ ـ كولينان : أضخم ماسة اكتشفت في مناجم أفريقيا .
١٠ ـ موسورجسكي : موسيقي روسي وضع الحان بوريس جوردينوف .

الشكل المطلوب



• من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الأرقام يجب أن يحلّ محلّ علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :
جورج هندل .

ساعي البريد :
المرور على البيوت بالترتيب التالي ١ ـ ٦ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٨ ـ ٧ ـ ٩ ـ .

أين الصواب .. وأين الخطأ :

جميعها صحيحة فيما عدا التالي
٣ ـ الباصون : آلة نفخ موسيقية .
٥ ـ جران كولي : سدّ شهير على نهر كولومبيا .
٧ ـ سان سانس : موسيقي فرنسي وضع الحان شمشون ودليلة .
٨ ـ فان الين : حزام من الاشعاعات حول الأرض .

الشكل المطلوب :
رقم (٤) .


CAT



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول أكتوبر ١٩٧٩

١٢١

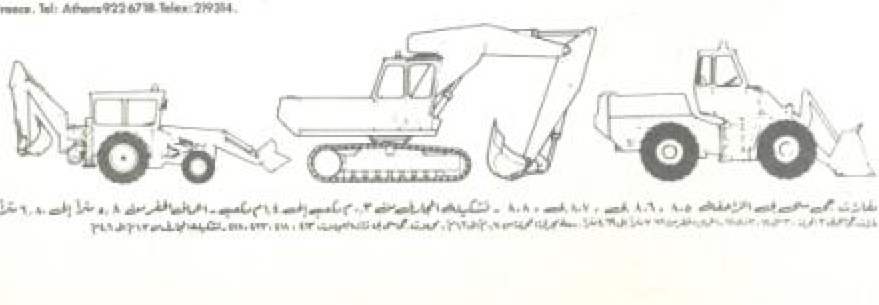
مضيفة النزلاء

تأليف : جاك أوديبرتي - ٢

ترجمة وتقديم : د. نعيم عطية

مراجعة : يحيى حقي





عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

البيئة ومشكلاتها

تأليف :

رشيد حمد الحمد - محمد سعيد صباريني

الكتاب الثاني والعشرون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

ادّخـروا مـع لـومبـارد

جـدارة بـالثقـة فى جـمـيـع الأوقـات



تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد فى لندن ، وبجدارته بالثقة ، وبضمان محافظته على اموالكم فى جميع الاوقات ، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع ، المصممة خصيصا لكى تجعل اموالكم تدر عليكم مدخولا اكبر .
نحن عضو فى مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التى يفوق راسمالها واحتياطيها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة

أخطار إيداع	ابداع لفترة معينة
١٠ $\frac{١}{٢}$ ٪ — اشعار مسبق ٦ اشهر قبل السحب تدفع الفائدة كل ٦ اشهر او تضاف الى الحساب حد ادنى للايداع ٥٠٠ جنيه استرليني	١٢٪ — مدة ثابتة محددة بعام. أسعار فائدة أخرى من سنتان إلى ٥ سنوات متوافرة. حد أدنى للايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل.

Lombard North Central
Bankers

إلى :
Lombard North Central Ltd., Dept. U182,
17 Bruton Street, London W1A 3DH, England. Tel: 491 7050.

ارجو ان ترسلوا لى تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ______________________

____

العنوان ______________________

____

العنوان المسجل : Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠ر٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير ــ وثائق ــ يوميات ــ ببيليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ــ كلية الاداب والتربية ــ الشويخ ــ دولة الكويت
ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)
هاتف : ٨١٦٨٠٧ــ٨١٦٧٩٩ــ٨١٦٨٢٤

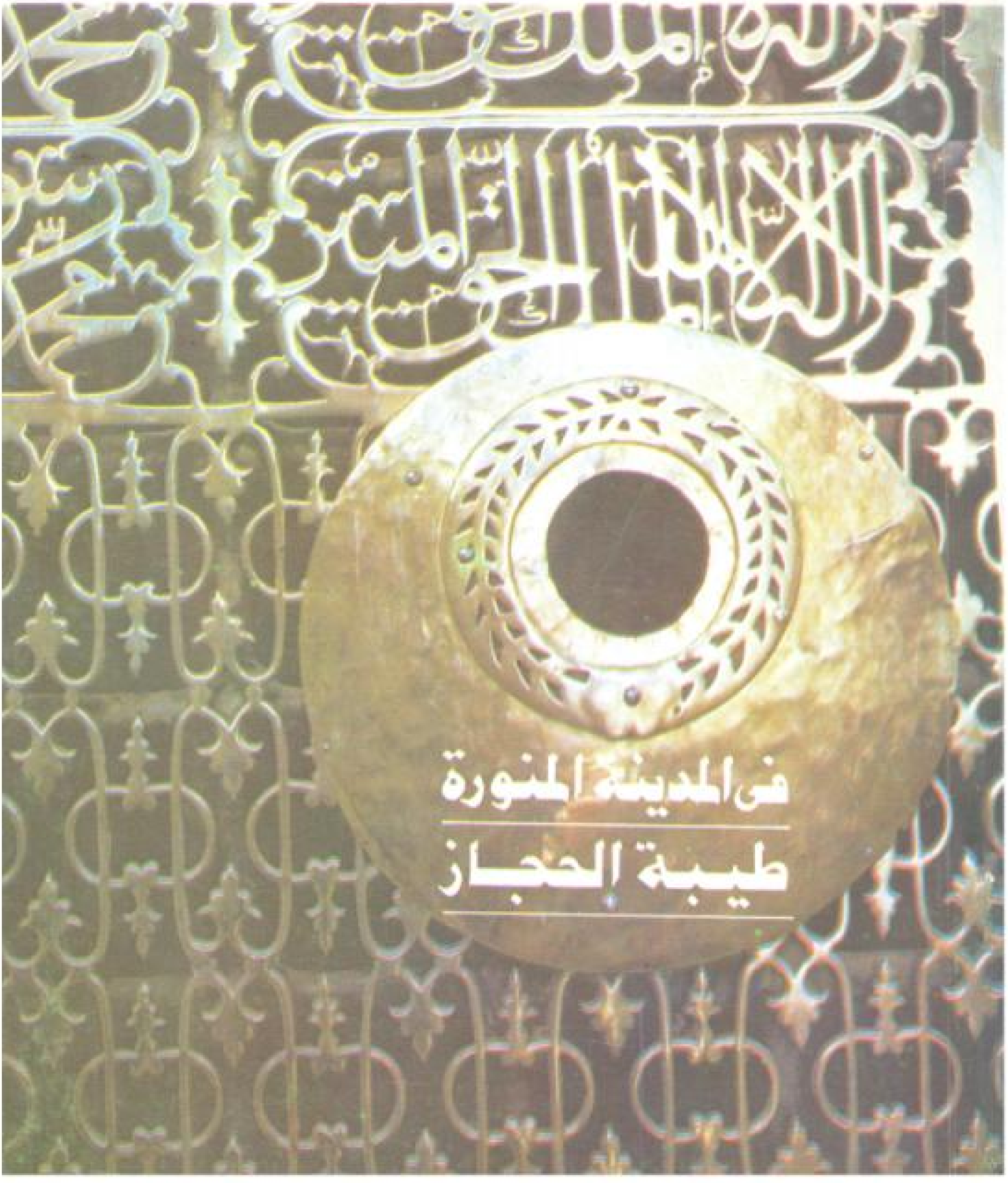
جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


سوني
SONY
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس Sony Betamax


الإبتكار المدهش في حجمين
M 9998
راديو ستيريو في ٤ موجات / مسجل كاسيت ،
إجمالي الطاقة الموسيقية ٢٤ وات ، دولبي* ،
نظام آلية الإنتقاء الموسيقي AMSS الأوتوماتيكية ،
مع مكبر صوت داخلي منفصل .
M 7700
راديو ستيريو في موجتين AM/FM
مسجل كاسيت طاقة
الإخراج الموسيقي ٤ وات ،
مكبرين للصوت قياس ١٢،٩ سم ،
مع ضوابط للإنتقاء موسيقي
الستيريو والتنغيم ومستوى
الصوت والموازنة ، إخراج
سلس للكاسيت .
M9998 * دولبي هي العلامة التجارية لمعامل دولبي انكوربوريتد
M7700 * يتوفر أيضاً موديل في ٤ موجات
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٥٢
ذو القعدة ١٣٩٩ هـ
(نوفمبر)
(تشرين ٢) ١٩٧٩




المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

● في هذا الشهر، يحتفل العالم الاسلامي بعيد الاضحى المبارك، ويبدأ المسلمون عام وداع القرن الهجري الرابع عشر، استعدادا لاستقبال القرن الهجري الجديد باذن الله.

ولم نجد وسيلة نعبر بها عن مشاعرنا ازاء هاتين المناسبتين، الا ان نصحبك معنا ـ عزيزي القارىء ـ في زيارة للمدينة المنورة، ولقبر الرسول ﷺ. ففي تلك المدينة الطاهرة، التي شهدت مولد دولة الاسلام، وضمت بين جناحيها جثمان نبي الاسلام، قضت بعثة العربي عشرين يوما، حاولت خلالها ان تنقل القارىء الى المدينة، وتنقل المدينة الى القارىء.. في سياحة عريضة تمتد قبل الاسلام وبعده، وحتى زمننا هذا.

وقد فرض جلال المناسبتين نفسه على هذا العدد من العربي، من مقال رئيس التحرير على الصفحات الاولى، الى دراسة الشهر على الصفحات الاخيرة، الامر الذي قد يلحظ فيه القارىء قدرا زائدا من «الدسم» امتد حتى موضوع مثل «الغناء»، والذي عالجه الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة، أحد أبرز أساتذة الفلسفة في عالمنا العربي، عارضا رأي الامام أبو حامد الغزالي فيه.

ومن كاليفورنيا الى باريس، مرورا بالخرطوم وقبرص ويوجوسلافيا، وفي عوالم العلم والفكر والفن، التقت كتابات هذا العدد على الهدف الاساسي، وهو: الاحتفال بالايام المباركة التي تعيشها امتنا هذا الشهر.

ونرجو ان يكون المقال على قدر المقام!

وكل سنة وانتم طيبون. ■■

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات :

عروبة :

طب وعلوم :

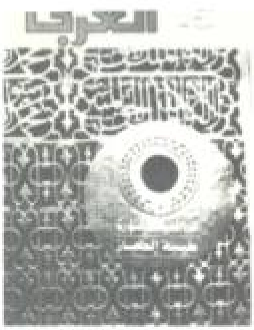
استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI -- No. 252 November 1979 -- P.O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤٦ تلغرافيا « العربي »
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● من هذه الكوة الصغيرة يطل المسلمون على قبر الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة . وحول هذا المكان الطاهر اقيم المسجد النبوي . الذي يؤمه المسلمون من كل مكان . عابدين قانتين . داعين الله بان يجعل ايام المسلمين خيرا وبركه ـ انظر استطلاع المدينة المنورة ص ٦٨ .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج . م . ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢,٥ دينار . المغرب ٢,٥ درهم . اليمن ٢,٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الازدهار اليهودي في ظل

حرية الرأي والعقيدة كانت

الصراع العربي الاسرائيلي ، له ابعاد مثيرة جدا ومتعددة . ساعة تبدو عناصره الاساسية بسيطة واضحة ، وساعة تبدو معقدة التركيب الى آخر الحدود .

ولسنا نعني هنا ، فضلا عن اننا لانقوى ـ في مجلة شهرية ـ على ملاحقة التطورات المتسارعة لهذا الصراع . ولكن من الممكن او من الضروري التعرض للخطوط الكبرى والاهداف العامة لقضيتنا العربية ازاء اسرائيل ، خصوصا اذا كانت معها خلفية فكرية او ثقافية ...

الحرب والسلم ، او للاحرب واللاسلم ، علاقات تتوالى بين الدول ، او الشعوب ، او القوميات او النظم .

وتتراوح حظوظ الاطراف يوما عن يوم ، تبعا لعلاقات القوة في فترة ما ، وللظروف المحلية ، والظروف الدولية ، وغيرها ... خصوصا ونحن في عالم يزداد تقاربا وتأثرا متبادلا ، فلم تعد هناك ازمة او مشكلة او قضية ، يمكن عزلها عن ظروف العالم الذى نعيش فيه ، وتفاعلاته المتغيرة ...

من هذا المنطلق ، كنت ولا ازال لا اتصور للصراع العربي الاسرائيلي الا نهاية بعيدة . قد تتوالى الفصول وتتعدد الوقفات والنهايات الوقتية . ولكن نهاية « طبيعية » حقيقية ، لا سياسية فحسب ، لن تكون الا بوجود مجتمع يهودى ، مهما كان الاسم السياسي الذى سوف يحمله ، يعيش

والظرف المتشابه الذى ينطلق منه تفكيرنا ، هو وجود حضارة عربية قوية متجددة ، يمتزج فيها أحسن ما في ماضيها بأحسن ما يمكن أن نحققه في حاضرها ومستقبلها ..

لو قام هذا الظرف ـ وما اظن الا انه يوما سيقوم ـ فلا يمكن تصور اى صيغة اخرى للعلاقة العربية الاسرائيلية .. او غيرها من العلاقات في المنطقة ..

تجربة الاندلس

وقبل ان نخوض في المراجع الاسرائيلية ، من حقنا ان نعود الى مؤلفات المؤرخ العربي الكبير النزيه عبد الله عنان ، أهم من أرخ للاندلس في العصور الحديثة .

ينقل الاستاذ عبد الله عنان عن « ابن خلدون » قوله : ان شمال افريقيا الغربي كانت توجد فيه قبل الفتح الاسلامي قبائل يهودية ، تلقت تعاليمها الدينية من بنى اسرائيل في المشرق . ولكن تلك الاقطار كانت تحت حكم الامبراطورية قبل الاسلام . وكانت تتعرض لغزوات « الوندال » من شواطيء فرنسا واسبانيا . وكانت الامبراطورية الرومانية تعمل على تنصير الاهالي بالقوة . فمنهم من تنصر ومنهم من تعرض لعذاب شديد .

« وكان يهود الجزيرة (شبه جزيرة ايبيريا التي هي حاليا اسبانيا والبرتغال) كتلة كبيرة عاملة ، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل ، يعانون اشنع الوان الجور والاضطهاد . وكانت الكنيسة منذ اشتد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود ، وتتوسل الى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة . ففي عهد الملك سيزبوت فرض التنصر على اليهود او النفى او المصادرة ، فاعتنق النصرانية كثير منهم كرها ورياء (سنة ٦١٦ ميلادية) . ثم توالت عليهم بعد ذلك صنوف الاضطهاد والمحن ، حتى ركنوا مرة الى التآمر وتدبير الثورة ، وتفاهموا مع يهود المغرب على المؤازرة والتعاون . ولكن المؤامرة اكتشفت قبل نضجها (٦٩٤ ميلادية) ، وكان ذلك في عهد الملك راجيكا ، فقرر ان يشتد في معاقبتهم ، واجتمع مؤتمر الاحبار في طليطلة للنظر في ذلك . واجاب الملك الى ما طلبه ، وقرر معاقبة اليهود باعتبارهم خوارج على الدولة يتآمرون على سلامتها ، ولانهم ارتدوا عن النصرانية التي اعتنقوها من قبل . وقرر ان ينزع املاكهم في سائر الولايات الاسبانية وان تحول الى جانب العرش ، وان يشردوا ويقضى عليهم بالرق الابدى للنصارى . وان يهبهم الملك عبيدا لمن يشاء ، وان لا يسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية ، وان ينزع ابناؤهم منذ السابعة ويربون على دين الناصرية . والا يتزوج عبد يهودى الا بنصرانية ، ولا تتزوج يهودية الا بنصراني . وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود ايما عصف . فكانوا قبيل الفتح الاسلامي ضحية ظلم لا يطاق وكانوا يتوقون الى الخلاص من هذا

النير الجائر ، ويرون في اولئك الفاتحين الذين يتركون للناس حرية الضمائر والشعائر مقابل جزية ضئيلة ، ملائكة منقذين » .

كانت هذه الصورة للواقع اليهودي في المغرب والاندلس بين سنتي ٦١٦ و ٦٩٤ ميلادية تقابل - في المشرق - الفترة الواقعة بين الهجرة النبوية تقريبا وخلافة عمر وفتح الشام وفارس ومصر والعراق ، وخلافة علي . وقيام الدولة الاموية ، ثم اول اصطدامات ضد البيزنطيين في ديارهم ذاتها ، واول حصار للقسطنطينية سنة ٦٧٩ ميلادية . ولم يتأخر فتح الاندلس (٧١١) كثيرا .

ولا شك ان كسر العرب لشوكة الامبراطورية الرومانية في عقر دارها ، كان اكبر عامل لسكان شمال افريقيا واسبانيا على الثورة ، واكبر امل لهم في الخلاص .

.. وصول طارق بن زياد

ولذلك لم يكن غريبا ، حين عبر طارق بن زياد بجيوشه الى اسبانيا ، ان « اليهود كانوا يعاونون المسلمين في تلك الفتوح .. وعندما وصل طارق بن زياد بجيوشه الى طليطلة مخترقا هضاب الاندلس .. كان القوط قد فروا ، ولم يبق بها سوى اليهود وقليل من النصارى ، فاستولى طارق عليها ، وابقى على من بقى من سكانها ، وترك لاهلها الكنائس ، وترك لاحبارها حرية اقامة الشعائر الدينية .

يقول المؤرخ الامريكي سكوت « .. كان دفع الجزية يضمن الحماية لاقل الناس ، وكان يسمح للورع المتعصب ان يزاول شعائره دون تدخل ، كما يسمح للملحد ان يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة ، والاحبار يزاولون شئونهم في سلام ! » .

حرية الرأى والدين والعقيدة

حرية الرأى والدين والعقيدة ، كانت مفتاح الحضارة العربية الذى فتحت به الابواب على ظلام العصور الوسطى في اوروبا نفسها . ومازالت ولا تزال في كل مكان مفتاح كل تقدم ...

يقول المستشرق الاسباني جاينجوس « لقد سطعت في اسبانيا اول اشعة لتلك المدنية التى نثرت ضوءها فيا بعد على جميع الامم النصرانية ، وفي مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الاخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء . والى حكمة العرب ، وذكائهم ،

النير الجائر ، ويرون في اولئك الفاتحين الذين يتركون للناس حرية الضمائر والشعائر مقابل جزية ضئيلة ، ملائكه منقذين » .

كانت هذه الصورة للواقع اليهودي في المغرب والاندلس بين سنتي ٦١٦ و ٦٩٤ ميلادية تقابل ـ في المشرق ـ الفترة الواقعة بين الهجرة النبوية تقريبا وخلافة عمر وفتح الشام وفارس ومصر والعراق ، وخلافة علي . وقيام الدولة الاموية ، ثم اول اصطدامات ضد البيزنطيين في ديارهم ذاتها ، واول حصار للقسطنطينية سنة ٦٧٩ ميلادية . ولم يتأخر فتح الاندلس (٧١١) كثيرا .

ولا شك ان كسر العرب لشوكة الامبراطورية الرومانية في عقر دارها ، كان اكبر عامل لسكان شمال افريقيا واسبانيا على الثورة ، واكبر امل لهم في الخلاص .

.. وصول طارق بن زياد

ولذلك لم يكن غريبا ، حين عبر طارق بن زياد بجيوشه الى اسبانيا ، ان « اليهود كانوا يعاونون المسلمين في تلك الفتوح .. وعندما وصل طارق بن زياد بجيوشه الى طليطلة مخترقا هضاب الاندلس .. كان القوط قد فروا ، ولم يبق بها سوى اليهود وقليل من النصارى ، فاستولى طارق عليها ، وابقى على من بقى من سكانها ، وترك لاهلها الكنائس ، وترك لاحبارها حرية اقامة الشعائر الدينية .

يقول المؤرخ الامريكي سكوت « .. كان دفع الجزية يضمن الحماية لاقل الناس ، وكان يسمح للورع المتعصب ان يزاول شعائره دون تدخل ، كما يسمح للملحد ان يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة ، والاحبار يزاولون شئونهم في سلام ! » .

حرية الرأى والدين والعقيدة

حرية الرأى والدين والعقيدة ، كانت مفتاح الحضارة العربية الذى فتحت به الابواب على ظلام العصور الوسطى في اوروبا نفسها . ومازالت ولا تزال في كل مكان مفتاح كل تقدم ...

يقول المستشرق الاسباني جاينجوس « لقد سطعت في اسبانيا اول اشعة لتلك المدنية التى نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الامم النصرانية ، وفي مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الاخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء . والى حكمة العرب ، وذكائهم ،



1.



يهودي اسباني .. امام محاكم التفتيش بعد خروج المسلمين من الاندلس من كتاب ابا ايبان عن قصة اليهود .

تونسي يهودي يصلي في معبد . يلاحظ ابا ايبان على الصورة تأثر بناء المعبد اليهودي بفن العمارة الاسلامي المغربي .

يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها » .

ويقول المؤرخ لين بول « انشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت اعجوبة العصور الوسطى ! بينا كانت اوروبا تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من اقام بها منائر العلم والمدنية » .

ويعود الاستاذ عبد الله عنان ، وقد استقرت الاندلس وازدهرت فيقول في سياق حديثه « اما اليهود فقد كانت منهم اقليات في معظم المدن الأندلسية تتمتع بحماية الحكومات الاسلامية ورعايتها . وقد ازدهرت هذه الاقليات اليهودية فيا بعد ، وظهرت منها شخصيات بارزة تولت مناصب كبيرة في الدولة ، وغلب نفوذها في بعض المناطق ، كما حدث في مملكة غرناطة ، وظهرت كذلك في ميدان العلوم والاداب ، ونبغ منها علماء نابهون مثل ابن ميمون وغيره » .

اول مرة تشيع القراءة والكتابة

وفي سياق آخر من تاريخ عبد الله عنان الضخم عن الاندلس ، يروى ان الاندلس كانت اول بلد في اوروبا تشيع فيه القراءة والكتابة بين الناس ، بينا كانت في بقية اوروبا مقصورة تقريبا على رجال الدين . وفي عصر « الحكم المستنصر » الذى انشأ المكتبة الاموية الكبرى ، شاع اقتناء الكتب واقتناء المكتبات الخاصة « وكانت سوق الكتب في قرطبة من اشهر الاسواق واحفلها بالحركة ، وسرى هذا الشغف باقتناء الكتب الى النصارى واليهود » بعد ان شاعت اللغة العربية بينهم « وكان كثيرون منهم يتذوقون ثمرات التفكير العربي من ادب وشعر وفلسفة وغيرها ، وكان من اشهر هؤلاء الطبيب اليهودى حسداي ، طبيب الحكم الخاص ، وفي ظله وتحت رعايته كتب يهود قرطبة باللغة العربية ، والفوا بها مختلف الكتب . وكان من اشهر المكتبات الخاصة فيا بعد ، مكتبة يوسف بن اسماعيل ابن نغرالة اليهودى ، وزير باديس أمير غرناطة » .

ومن اكثر الفقرات دلالة ، قوله « ويجب اخيرا ان لاننسى الاقلية اليهودية . فقد عومل اليهود منذ الفتح بمنتهى الرفق والرعاية ، وازدهرت اعمالهم التجارية والصناعية في ظل ذلك التسامح الاسلامي المأثور . ووصلوا في قرطبة في ظل الخلافة الى ذروة النفوذ والرخاء . وفي ايام الناصر تولى احدهم ، وهو العلامة حسداي بن شبروت ، الاشراف على الخزانة العامة ، وكان قبل ذلك قد حظى برعاية الناصر لخدماته الدبلوماسية ، وترجمته لكتاب ديسقوريدس عن الاعشاب الطبية ، من اليونانية الى العربية ، وهو الكتاب الذى اهدى قيصر منه نسخة الى الناصر . وفي ظل هذه الرعاية ، وفد كثير من العلماء والادباء اليهود الى قرطبة ، ايام الناصر وولده الحكم ، وقامت في ظل نشاطهم مدرسة قرطبة التلمودية ، ومؤسسها الرابى بن حنوش ، وازدهرت في ظلها البحوث

التلمودية ، وغدت مركز الرياسة والتوجيه لهذه البحوث . واستمرت الخلافة الاموية ، ومن بعدها حكومات الطوائف على رعاية الاقلية اليهودية وتشجيعها . وكان يهود قرطبة يرتدون الزى العربي ، ويتخلقون بالتقاليد والعادات العربية ، ويمتازون بثرائهم ومظاهرهم الفخمة » .

دراسة اسرائيلية جديدة

وفي بحث حديث جدا ، منشور منذ شهور قليلة ، للكاتب الاسرائيلي « الفريد مورابيا » ، عنوانه « الثقافة اليهودية في اسبانيا الاسلامية » » ، نجده يعطينا تقريبا نفس الصورة التي رسمها المؤرخ العربي الكبير . ومن اخذ عنهم من المؤرخين الاسبان ...

ويستهل « الفريد مورابيا » دراسته بكلمة للاستاذ ج . فاجولا ، يقول فيها « لم يحدث طيلة العصور الاولى وحتى آخر القرون الوسطى ان حققت اليهودية المبعثرة ذاتها في بيئة غير يهودية ، كما فعلت في اسبانيا » . يقصد بذلك العصر الاندلسي الاسلامي هناك ...

ومعظم هذا البحث ، يقدم لنا ما يشبه القائمة الطويلة لاسماء اهم اليهود الذين ترعرعوا في ظل الدولة الاسلامية في الاندلس وتأثروا بها وتركوا لليهود اهم تراثهم .

وهو يركز ـ من باب الاختصار ـ اختياره في مجالات اربع هي : الدين ، واللغة ، والشعر ، والفلسفة ...

والقائمة طويلة جدا ...
ولكن ، يكفى تسجيل بعض الملاحظات عليها :

اولا ـ ان القائمة ، التى هي على سبيل المثال لا الحصر ، طويلة جدا وغزيرة . وان ابحاث هؤلاء العلماء لم تتناول فقط علوم الحياة كالطب والهندسة . ولكن الكثير منها تخصص اما في تعميق وايجاد اسس للغة العبرية ، واما لتعميق وتحليل وشرح اسس الديانة اليهودية .

والدين واللغة امران من أهم الامور التى تحفظ استمرار اى شعب . والتسامح الاسلامي في هذا المجال بالذات يلفت النظر وله اهمية خاصة . لانه يدل على اتساع الحضارة الاسلامية العربية لهذه الاعمال التى اصبحت اهم مراجع التراث اليهودى . في حين كان الشائع في غير ذلك العصر ، تشجيع اصحاب الاديان الاخرى فقط على الامور الدنيوية من طب وهندسة ، لانها تفيد الجميع .

ومؤرخون يهود ـ مثل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق ـ يحاولون اذا ذكروا فضيلة

التسامح ان يبرروا بروز اليهود بأبحاثهم الدنيوية فقط . او كفاءتهم في الطب مثلا . وسنعود لذلك بعد قليل .

ولكن دلالة التسامح والتشجيع في صدد دراسات تستكمل وضع قواعد اللغة العبرية والديانة اليهودية ، اكبر واعمق . فهي تدل فوق استنارة السلطة الحاكمة وتسامحها في حرية العقيدة ، على ثقة هائلة بالنفس .

ثانيا ـ ان معظم هذا التراث اليهودي ، في تلك المواضيع وغيرها مكتوب باللغة العربية التي كان يتعلمها ويتقنها هؤلاء . وابا ايبان نفسه يعترف في احد كتبه بأن حوالي ٦٠ في المائة من التراث اليهودي ما زال غير مترجم الى العبرية بعد .

ثالثا ـ ان هؤلاء المؤلفين ، لم يكن عملهم مقصورا على انتاجهم هذا في الاندلس الاسلامية فقط . انما نجد الكثيرين منهم جابوا آفاق العالم الاسلامي العربي في ذلك الوقت من بغداد شرقا الى طليطلة غربا . بعضهم طلبا للعلم . وبعضهم لينشر افكاره عن اليهودية بين يهود العالم العربي في شتى اماكنهم ، كما يقول المؤلف الاسرائيلي الفريد مورابيا في بحثه هذا الذي نعرض له ! كان التسامح اذن يشملهم في كل العالم العربي الاسلامي ، بينما كانوا لا يجسرون على الحركة في نصف العالم الآخر في ذلك الوقت : كل ما هو شمال البحر الابيض من دول أوروبية مسيحية ، فنجد مثلا :

اسحق الفاسي ، الذي ولد في « قلعة حماد » بالقرب من قسنطينة « الجزائر الآن » واستمد اسمه من فاس التي عاش فيها معظم عمره ، وتلقى دروسه في القيروان . وعاش حتى الخامسة والسبعين من عمره بين المغرب والاندلس . يقول المؤلف الاسرائيلي انه من اهم من فسروا التلمود ، ونشر تعاليمه بين تلاميذه مثل يوسف بن ميجاش ويهوذا هاللفي ، وافرايم الحمادي (نسبة لقلعة بن حماد) وباروخ بن الباليه ، وكان يرسلهم الى انحاء العالم الاسلامي حيثما وجد مجتمع يهودي لنشر تعاليمه

ـ مناحم ابن ساروق ، صاحب اهم قاموس عبري تلمودي الى الان ... والوحيد الذي كتب قاموسا حتى ذلك الوقت بالعبرية مباشرة ، اذ كان معظم الكتاب اليهود يكتبون بالعربية ، ثم تترجم بعض اعمالهم الى العبرية .

ـ دوناش بن الابرط . الذي ولد في بغداد ، وتتلمذ على يد « سعيد بن جاعون » ثم جاب العالم العربي حتى استقر في فاس . وكان لغويا وشاعرا .

ـ يهودا بن داود الذي يعتبر مؤسس قواعد اللغة العبرية الى الآن ، وقد ولد في فاس . وكتب


מקנת כספי הצעיר חיים לבית הלוי
נכתב הספר הזה שיש בו ארבעה ועשרים

يقول ابا ايبان عن هذه الوثيقة « بدأت كتابتها في طليطلة ، وانتهت كتابتها بعد طرد اليهود من اسبانيا ، في القسطنطينية الاسلامية ، وهي دعاء خلاصته : رجاء ان يأتي الخلاص قريبا » .

مؤلفاته في تأصيل قواعد اللغة العبرية باللغة العربية ، وترجمت بعد ذلك . واستعان بكثير من قواعد اللغة العربية في وضع قواعد جديدة للغة العبرية .

ـ موسى بن عزرا : احد اهم الشعراء العبرانيين . واهم مؤلفاته اسمه بالعربية « كتاب المحاضرة والمذاكرة » .

ـ يهودا الحريزي الذي وصفه المؤلف بأنه كان يسافر كثيرا بين الاندلس ، ومصر ، وفلسطين أو سوريا ، وما بين النهرين (اي العراق) يقدم اعماله الفنية والفكرية لكل مجتمع يهودي . وهو اول من اخذ شعر « المقامات » من العرب واستخدمها باللغة العبرية .

ـ وفي مجال الفلسفة يقول الباحث الاسرائيلي إن الاندلس الاسلامية كما اعطت للعالم كله ابن طفيل وابن رشد وغيرهما ، فقد تربى ونشأ في اعقابهم اهم فلاسفة اليهودية مثل « باهي بن باقودة » الذي الف احد اهم كتب الفلسفة اليهودية بعنوان « كتاب الهداية الى فرائض القلوب » . ولم يترجم كتابه الى العبرية الا بعد مائة سنة من تأليفه .

... الى آخره .. الى آخره ...

المؤرخ .. والسياسي

واذا عدنا بعد ذلك الى « ابا ايبان » المؤرخ والسياسي قبل ان يكون استاذ تاريخ ، نجده لا ينكر شيئا من هذا في الاساس ...

بل يقول في كتابه « قصة اليهود » ان اليهود لم يعرفوا درجة من الازدهار وتحقيق الذات طوال التاريخ كله الا مرتين : مرة في الولايات المتحدة الامريكية اليوم ، ومرة في الاندلس الاسلامية منذ قرون !

ونقول له ان هناك مع ذلك فارقا : فما وصلوا اليه في الولايات المتحدة جاء بعد العصر الحديث وانتشار التنوير في العالم كله .. في حين انهم وصلوا الى ذلك في الاندلس ، في العصور الوسطى . ووسط ظلامها ، وفي اوج التعصب والاضطهاد الديني في اوروبا !

ثم ان ابا ايبان ـ كما سبق وذكرت ـ يركز على الذين برزوا في ظل العالم العربي في تلك الحقبة بمهاراتهم الشخصية في الطب او المال او الهندسة او الترجمة . ومن الطبيعي ان لا يبرز ولا يوضع في كتب التاريخ الا اسماء الاكفاء والمشهورين . ولكن اليس هذا البروز بحاجة ، فوق الكفاءة ، الى شيء آخر .. وهو جو التسامح واحترام حرية العقيدة ؟

ان النابهين لا يبرزون فجأة في عصر دون عصر . ولا في قطر دون قطر . انما يبرزهم عنصر أساسي يسمح للموهبة أن تتفتح الى أقصى قدراتها . وذلك هو جو احترام حرية العقيدة .

اي دور يريدون ؟

والغريب ان ابا ايبان يقول في احدى صفحات كتابه عن « قصة اليهود » أن سبب بروزهم قام على اتقانهم اللغات المختلفة ، بحكم وجودهم في اقطار مختلفة . وبالتالي كانوا ضروريين للنقل والترجمة بين تلك الاقطار . وبين عالم العرب وعالم اوروبا مثلا في تلك الحقبة التي تحدث عنها . وهو من حيث لا يشعر يحاول ان يجعل هذا دورا خالدا لليهود ، يميزهم عن سائر الدنيا ، ويجعلهم ضروريين لتسيير هذه الدنيا .

وهو بهذا يهزم قضيته من وجوه كثيرة دون ان يدري .

صحيح انهم قاموا طويلا بدور المبعوثين والمترجمين بين الدول ...

ولكن هذا يفترض دوام وجودهم في « الشتات » ، بعكس العقيدة الصهيونية التي تريد جمعهم في وطن واحد .

ثم ان هذا كان مفهوما في عالم كانت القراءة والكتابة ودراسة اللغات كلها مقصورة على القلة النادرة ، لضرورات الفكر والاطلاع او لضرورات العامل التجاري والسياسي . وكانت مقصورة تقريبا على رجال الدين .

اما الان ، وقد اصبح التعليم ومعرفة اللغات شيئا شائعا وأساسيا بل ومفترضا وجوده في اي مجتمع انساني .. فان هذه الوظيفة الخاصة قد انتهى دورها . ولم يعد دور اليهودي العالمي مطلوبا !

والواقع ان الاسرائيلي حين يكتب يحتار دائما بين اختيار دور المواطن الصهيوني وبين دور المواطن العالمي . وهما نظرتان مختلفتان .

ولنا عودة الى كتابات ابا ايبان ، فهي آلاف من الصفحات .

وبعده ...

فلم يكن موضوع هذا الحديث كل العلاقة العربية الاسلامية اليهودية ، والا لطال الحديث . ولذكرنا آلاف الأدلة على أن ازدهار العرب وتحضرهم وقوتهم كانت تلقائيا تعطي اليهود فرصة اكبر ...

وانه ليكفي ان نذكر ان عمر بن الخطاب هو الذي اعادهم اول مرة الى القدس بعد ان حرم الرومان عليهم سكنى المدينة .

وان صلاح الدين الايوبي هو الذي اعادهم مرة ثانية بعد ان هزم الصليبيين ، الذين حرموا اليهود بدورهم من مجرد الاقتراب من القدس ...

ولكن الحديث انصرف اساسا الى تجربة واحدة ، هي التجربة الاندلسية ، التي لم يتسع المجال مع ذلك الا لمجرد سرد لمحات خاطفة منها ... تثبت صواب ما ذهبنا اليه في اول هذا الحديث على المدى التاريخي .

❊ ❊ ❊

ان النظرة التاريخية المفصلة ، تثبت قول بعض الباحثين اليهود انفسهم ، من : ان عصر التنوير العربي في اوج الامبراطورية الاسلامية وحضاراتها ، هو الذي لعب اكبر دور في حفظ استمرارية اليهود كبشر ، وكتراث ، وتاريخ ، ومعتقدات .

فلم يكن لهم طول التاريخ مكان آخر يتنفسون فيه . ■■

احمد بهاء الدين

الدين في عصر العلم

بقلم الدكتور : عون الشريف قاسم

كانت الحرب العالمية الثانية حدا فاصلا بين عهدين في تاريخ البشرية ، وبداية لتحولات جذرية على كافة المستويات في الفكر والسياسة والاجتماع . فقد دخل العالم فيها عصره الذري الاول وشهد في اعقابها تكريس انقسام العالم الى معسكرين ايديولوجيين لم يلبثا ان فقدا مع الزمن تماسكها وقوتها ، فانهارت الامبراطوريات الراسمالية في افريقيا وآسيا ، وتقلصت كل من انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ـ واخيرا البرتغال ـ الى حجمها الطبيعي داخل حدودها الجغرافية .

وسعت الولايات المتحدة الامريكية الى وراثة هذا الماضي الاوربي ، ولكن نضال الشعوب المستضعفة خاصة في الهند الصينية وضع حدا حاسما لمثل هذا التطلع غير المشروع ، فارتد الأمريكان على اعقابهم بعد حرب فيتنام يبحثون عن دور جديد في استراتيجية العالم .

ولم يكن المعسكر الشرقي الوليد بأحسن حالا من المعسكر الرأسمالي العتيق ، فقد دبت الخلافات الايديولوجية والقومية بين دوله ، مما اضطرت معه الدولة المهيمنة الى استعمال القوة لبعض الوقت لوضع حد للتفتت والانفلات ، ولكن هيهات ! فقد كان التطور الاجتماعي والفكري أقوى من كل رابطة ايديولوجية وعسكرية ، فانشق العالم الماركسي على نفسه ، وانعكس ذلك على فكرة الأممية فاستحالت الى قومية تبشر بها الاحزاب الشيوعية في دول المعسكر الشرقي وفي الدول الغربية على السواء ، وفقدت النظرية الماركسية في اثناء ذلك اهم اركانها الفكرية من مثل (دكتاتورية البروليتاريا) التي الغتها معظم الاحزاب الشيوعية في العالم الغربي من برامجها ، ومن مثل (العنف الثوري للوصول للحكم) الذي استبدلت به كثير من الاحزاب الشيوعية الاوربية طريقة الانتخاب الديمقراطي للوصول الى الحكم .

وكان لابد للمنافسة الاقتصادية بين الشرق والغرب من ان تترك آثارها الواضحة على شعوب اوروبا الشرقية التي بدأت تتطلع الى تحسين مستوى حياتها بطلب المزيد من بضائع الاستهلاك بدل التركيز على الصناعات الثقيلة وصناعة الاسلحة ، فانفتحت ابواب المعسكر الشرقي للشركات الغربية لسد النقص في بضائع الاستهلاك في الاسواق الشيوعية . وكان ذلك دافعا للاتحاد السوفيتي ليلتقي مع الولايات المتحدة الامريكية للبحث عن الدور الجديد الذي عليهما ان يلعباه في الاستراتيجية العالمية الجديدة . وما سياسة التعايش السلمي ، وما تبعها من سياسة الوفاق ، إلا تعبير عن احساس الدولتين الكبيرين بان مصالحهما المشتركة كدولتين صناعيتين في مواجهة بقية العالم تجعل الخلافات الايدولوجية بينهما تأتي في المقام الثاني . وفي ذلك ما فيه من إشارة الى أن التقدم العلمي والصناعي هو اساس التجمع والتحالف ، وان حروب المستقبل ستكون حروبا اقتصادية اكثر منها ايديولوجية ، والدلائل كلها تشير الى الفجوة التي تزداد اتساعا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المنتجة للمواد الخام المتخلفة .

تغيير شامل في المواريث

ولو كان لكل ذلك آثاره على الصعيد الفكري والحضاري . فقد تمخضت الازمات الاقتصادية والاجتماعية والتي اجتاحت العالم الغربي ، وما نجم عنها من اضطرابات وحروب قومية واستعمارية ، عن تغيير جذري في المناخ العقلي الموروث عن القرن التاسع عشر ، والذي كان من اهم سماته التفاؤل بمستقبل الحضارة الغربية خاصة والجنس البشري عامة ، والايمان بالعلم التجريبي كسبيل أوحد الى التطور ، مع التصديق المطلق بفكرة التقدم ، وما يتصل بكل ذلك من فكر مادي يرتكز على النظريات الميكانيكية والبيولوجية التي قام عليها العلم التجريبي ، وكلها نظريات جبرية تنظر الى الوجود كآلة دقيقة الصنع تسير سيرا ذاتيا وفق قوانين حتمية لا إرادة فيها ولا خيار .

وقد فسرت هذه النظريات نشأة الكون من عدم ، وخرجت بنتيجة ان المادة وحدها هي التي تتطور متى تهيأت لها الظروف دون تدخل من قوة عليا او ارادة الهية ، وان الانسان نفسه بحسبانه قمة التطور لا يخرج عن هذه القاعدة . وقد سعى داروين الى البرهنة على هذه النظرية من خلال نظرية النشوء والارتقاء المعروفة بنظرية التطور التي ترصد تطور الحياة من عناصرها المادية الدنيا خلال ملايين السنين وصولا الى الانسان العاقل . وقد انعكست هذه النظرة المادية الحيوية على الحياة الفكرية بدرجات متفاوتة ، وكانت اعظمها تأثيرا على الوضع الديني في العالم الغربي ، فاهتزت الاسس الدينية القائمة على ارادة الله المسيطرة على الكون ، وبدا وكأن العلم التجريبي قد جرد هذه الارادة الالهية من مفعولها ، وأنها أصبحت لا معنى لها في عالم ينشأ ويتحرك تحركا ذاتيا ميكانيكيا جبريا دون حاجة إلى عون من خارج ذاته .

وعلى هذا جاءت معظم الافكار السياسية والاجتماعية الاخرى ، فقام الفكر الماركسي ليقيم على التحليل المادي نظريته السياسية والاجتماعية في الحتمية التاريخية التي تسير الانسان خلال التاريخ كما تسير الآلة وفق قوانين مادية اجتماعية محددة لا دخل لارادة الانسان فيها . وجاء علم النفس ليدعم كثيرا من الاسس المادية في النظرة الى الانسان بحسبانه آلة تدور وفق انماط من السلوك الميكانيكي محددة ، توجهها غريزة الجنس عند فرويد ، واللاوعي الجمعي عند يونج ، وعقدة النقص عند آدلر . وقد سعي الروسي بافلوف الى توضيح استجابة الانسان الميكانيكية الى المؤثرات الخارجية بما أجراه من تجربة على الكلب الجائع الذي عوده على انتظار الطعام كلما قرع جرسا ، فكان الكلب يستجيب لقرع الجرس وان لم يكن هناك طعام .

وقد كانت هذه النظريات العلمية الرائقة المتفائلة التي تستطيع ان تتنبأ بكل ما يمكن ان يحدث في كل ميادين العلم والاجتماع وتفسره تفسيرا ماديا مما قوى من ثقة الغربيين بأنفسهم وبقدراتهم ، فتطورت المجتمعات الصناعية وازداد ثراؤها بفضل التطبيق الذكي لمنجزات العلم ، وقد انعكس كل ذلك على سيطرتها العسكرية والثقافية على معظم شعوب العالم غير الغربية . ولكن هذا التفاؤل بقدرة الحضارة الغربية على التقدم اصيب بنكسة عظيمة وهي تشهد كل افكارها تتهاوى تحت الأنظمة الفاشية والنازية والاستعمارية والقمعية ، واستحال الايمان بالعلم الى شك مريب وهو يتحول تحت ايدي الأشرار من بني البشر الى اسلحة فتاكة تفنى البشر بالملايين ، وقد بلغت حصيلة ذلك اكثر من اربعين مليونا من القتلى في الحربين الكبيرين وحدهما .

آثار القنبلة الذرية

واهتزت القاعدة الفكرية للنظرة المادية كلها حين تمكن العلماء من شق نواة الذرة الذي كان السبب في صنع القنبلة الذرية ، واصبحت ذرة المادة التي كان العلماء وكل الماديين يحسبونها باقية دائمة لا تتغير ولا تتجزأ ، فانية زائلة ككل شيء في الوجود ، ونسفت نظرية النسبية التي طورها اينشتاين الجبرية الميكانيكية في النظرة الى الوجود لتحل محلها النظرية النسبية ، واصبح قانون الاحتمالات في تفسير حركة المادة هو الاتجاه العلمي السائد ، بدل قانون السببية الميكانيكية القائمة على الحتمية المطلقة الموروثة من القرن الماضي .

وبذلك أوسع الجبر مجالا للاختيار ، وانفتح الباب امام حرية الارادة من جديد ، وكان لكل ذلك آثاره البعيدة المدى على الفكر الديني خاصة والفلسفي عامة . اذ ان العلم الحديث لم يكتف بتجريد المادة من مجالها الخارجي الثابت المتمثل في حركتها الملموسة في اطار الزمان والمكان فجعل كل ذلك امرا نسبيا فحسب ، بل ذهب الى ابعد من ذلك بان جرد المادة نفسها من ماديتها التي ارتكزت عليها كل النظريات في العلم الحديث . وبذلك فقدت المادة صلابتها وتفتت الى مجموعة من الذرات ، وحتى الذرات استحالت الى عوالم عجيبة التكوين مكونة من حزم من الالكترونات والبروتونات وما اليها من الاجسام الكهربية التي تتحرك في مجالاتها تحركا لا يخضع لقياس يمكن التنبؤ به ، وانما هو الى الاحتمال اقرب منه الى الجزم والحتمية . وبذلك تحولت المادة الصلبة الى طاقة مختزنة قوامها ذرات كهربائية هي في نهاية المطاف ذبذبات او موجات ضوئية يختلف العلماء في تفسيرها ، وبذلك دار العلم دورة كاملة ليلتقي في الوقت الحاضر على الأقل مع موقف الفلاسفة المثاليين الذين كانوا يقولون ان مظاهر الكون الخارجية ليست هي حقيقة الكون ، وانما هي بأشكالها التي تبدو لنا من صنع عقولنا او حواسنا القاصرة ، فلو كنا مثلا نملك عيونا مزودة بالأشعة السينية لبدت هذه المظاهر مختلفة عما هي عليه مثلما تبدو صورة الانسان الذي يتعرض لأشعة إكس .

في عصر الايمان

وليس معنى ذلك ان أساس العلم الطبيعي قد انهار ليصبح مجموعة من التصورات الذاتية تختلف باختلاف العقول ، وانما الذي تغير هو التفسير المادي الجامد لظواهر الكون ، ليحل محله منهج جديد في النظر الى الكون يتجاوز نظرة التعصب لكل ما هو مادي ومحسوس ،

الموروثة عن القرن التاسع عشر المجافية لروح العلم الحقيقي الذي يجب ان يبحث في كل شيء . وان لم نستطع في الوقت الحاضر ابتكار الوسائل التي تخضع بها كثيرا من ظواهر الكون الغامضة للبحث العلمي ، لأن طبيعتها مختلفة عن كل ما عهدناه من الظواهر المادية الملموسة ، ولا تستطيع مناهجنا العلمية الراهنة النظر فيها او اخضاعها للتجربة في المعمل .

ومعظم جوانب الظاهرة الانسانية تدخل في هذا المجال ، ولذلك كانت معظم العلوم الرامية الى تفسير الظاهرة الانسانية كعلم النفس وعلوم السياسة والاجتماع تبدو اقرب الى التفسيرات الذاتية منها الى الحقائق العلمية المجردة التي لا تقبل الجدل ، وذلك راجع الى تغول النظرة المادية الموروثة التي تسعى الى تفسير كل ظواهر الوجود من خلال المنهج الميكانيكي القائم على سرمدية المادية والقوانين الحتمية التي تحكم حركتها . ومما يلفت النظر في هذا المجال ان علوم الطبيعة كالفيزياء والبيولوجيا التي اقترنت في الماضي بالايغال في المادة والدعوة الى الالحاد هي نفسها التي احدثت هذا التغيير الشامل في المناخ العلمي لعصرنا بحيث اصبحت تدفع بالكثيرين من العلماء الى الايمان الى درجة صارت فيها لغة بعضهم شبيهة بلغة فلاسفة المتصوفة في الفكر الاسلامي .

كل هذه التحولات الجذرية في اوضاع العالم الغربي السياسية والاجتماعية والفكرية تلقى بظلالها الكثيفة على مجريات الاحوال في مجتمعات العالم الثالث التي ظلت لفترات طويلة تعكس بالتقليد السالب أفكار الغرب ومؤسساته ، وتسعى جاهدة الى صب ذواتها في قوالبه الفكرية والاجتماعية المستوردة دون كبير اعتبار لخصائصها الذاتية التي قد تستعصى على عملية الصب في القوالب الجاهزة .

وما دام للحضارة الغربية كل هذا التأثير على واقع الحال في مجتمعاتنا في العالم الثالث فان فهم ما يجري من تطور في هذه الحضارة الطاغية خطوة لازمة لفهم ما يجري في العالم من انعكاس له من ناحية ، ثم للاستفادة من كل هذا الفهم وانعكاسه في بلورة موقف حضاري مستقل تستعيد به شعوب العالم الثالث شخصياتها السليبة ، وتسهم في دفع مسيرة الانسان الى الامام . ■■

الخرطوم . د . عون الشريف قاسم

شباب بعد التسعين

ماذا يصنع الرجل بنفسه عندما يبلغ سن التقاعد ويحال الى المعاش ؟ اجاب وليام موريس من مقاطعة ساوثمبتون في انجلترا على هذا التساؤل ، عندما وقف وسط حفل صغير اقامته الجامعة بمناسبة حصوله على شهادة البكالوريوس في الآداب ! وكانت مفاجأة اذهلت الحاضرين عندما صعد « الطالب » الى المنصة ليتسلم شهادته .. فقد وجدوا امامهم شيخا عجوزا احنت السنون ظهره ، انه ناظر مدرسة « سابقا » ، احيل على المعاش منذ اكثر من ثلاثين عاما .. ولم يكن يحمل شهادة عليا في ذلك الوقت ، قبل حلول القرن العشرين .. وعاد الى الكتب .. وحقق احلى امانيه ولكن بعد ان كان قد اصبح شيخا جاوز الثالثة والتسعين من عمره ! لقد نجح الطالب الشيخ بامتياز مع مرتبة الشرف ! وهو يعد الان لنيل شهادة الماجستير ! ●

من كتاب الكون المفتوح:

نحن سلالة طبخة كونية

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

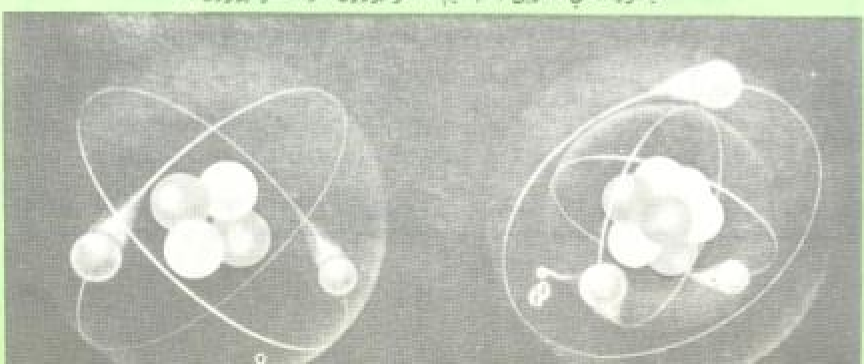
منذ وقت غير بعيد ، بدأ العلماء في قراءة كتاب مثير !

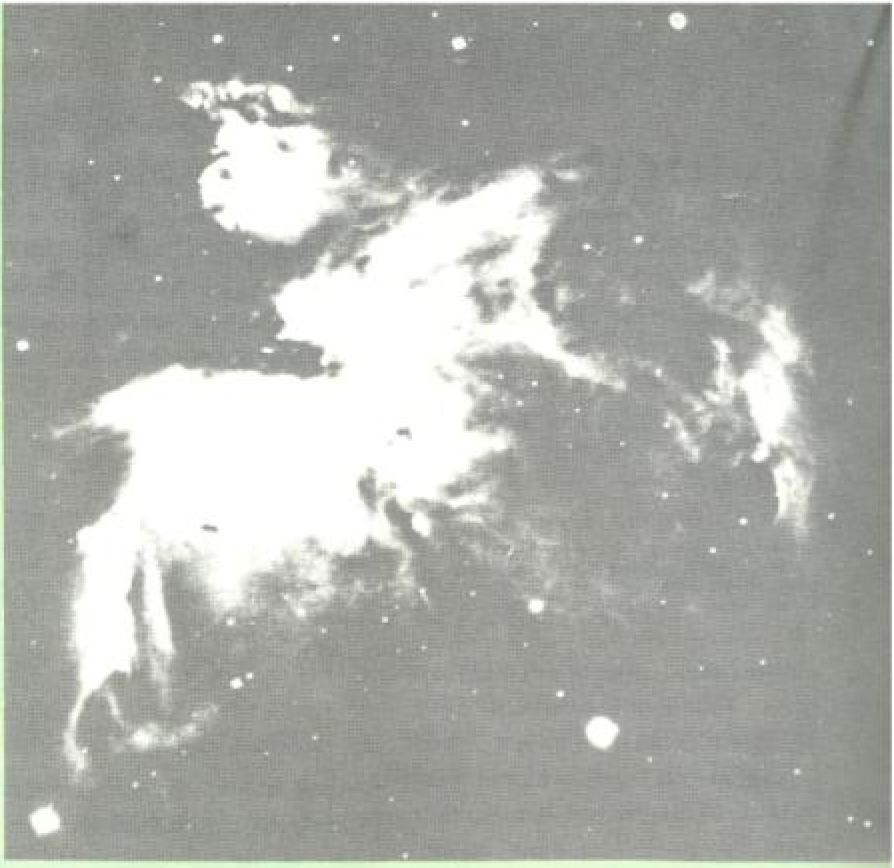
للكتاب حروف او رموز ليست كحروفنا أو رموزنا ، ومع ذلك فعندما تتجمع هذه الحروف في نظم خاصة ، فانها تؤلف فيما بينها كتاب الكون المجيد بما فيه من ذرات وجزيئات ومخلوقات وارض وسماوات .

ولاشك اننا جزء من هذا السجل المحفوظ في قرار مكين .. جزء لايكاد يظهر أو يبين ، لكنه ـ مع ذلك ـ يمثل اروع فكرة تتوه فيها العقول .

دعنا اذن نلقي نظرة فاحصة على محتويات كتاب الكون المجسد ، لنقرأ فيه كيف بدأ الله الخلق على اساس « لغة » ليس كمثلها لغة .

نموذج لذرة هيليوم (الى اليمين) ، وهي اعقد قليلا من ذرة الايدروجين .. اذ تتكون من بروتونين يدور حولها اليكترونان .. ثم ذرة ليثيوم (الى اليسار) وهي اعقد من سابقتها .. ففي نواتها ثلاثة بروتونات ، يدور حولها ثلاثة اليكترونات في مدارين (الجسيم الاحمر بروتون ، والاصفر نيوترون) .





احدى السدم السماوية العملاقة التي تحتوى على كميات ضخمة جدا من الايدروجين ، ومنها تتكون النجوم ثم تطبخ هذا الغاز البسيط وتحوله الى سلالات عنصرية اكثر تطورا وتعقيدا ، ثم تموت النجوم وتنفجر ، لتنثر عناصرها في الكون ، وقد تتجمع هذه في كواكب قد تنشأ عليها حياة !

الانسان نوع وحيد من ملايين الأنواع التي ظهرت على هذا الكوكب من قديم الزمن ، ورغم أنه قد جاء بعقل راجح ، وفكر صائب ، وقوام معتدل ، وغير ذلك من الصفات التي تؤهله لأن يحتل بين المخلوقات موقعا قائما بذاته إلا أن الانسان يشترك مع كل المخلوقات الحية في حروف اللغة السرية التي « كتبت » بها جميعا ، وعرفناها على هيئة شفرة كيميائية وراثية تورث الكائنات صفاتها .

ولكي نوضح أكثر نقول : إن حروف لغتنا مثلا هي الاساس في كل ما كتب المفكرون وسجلوه على ورق .. الحروف تتجمع في كلمات .. الكلمات في جمل .. الجمل في فقرات وصفحات وفصول وكتب مكتوبة .. الكتب لا شك مختلفة في الموضوع والمضمون والاسلوب ، ثم في فكر من فكر فكتب فقدم لنا كتابا عميقا او ضحلا ، هذا بالرغم من أن حروف اللغة وكلماتها واحدة ، لكن المهم في تنسيق الفكرة واخراجها .

كذلك تكون كل المخلوقات .. انها أيضا بمثابة كتب مكتوبة بمفردات لغة مثيرة لا تزيد حروفها او شفرتها على اربعة لاغير ، ومن خلال ترتيب هذه الشفرة الرباعية في سجلات كيميائية منظمة ، كان لابد أن تنتج أشرطة

دقيقة غاية الدقة ، وعلى هذه الاشرطة يسجل كيان كل مخلوق صغر شأنه أو كبر .. وهذا ينبئنا بأن فكرة الخلق من البداية موحدة ، وأن الانسان ليس خلقا قائما بذاته ، أو كائنا منفردا في صفاته ، بل هو نوع تجمعه مع الأنواع الأخرى مفردات تلك اللغة البديعة التي يسعد العلماء بقراءتها ، كما يسعد المسلم مثلا بقراءة القرآن الكريم .

في البدء جسيمات !

ولكي ندرك نحن سر هذه اللغة الكونية ، ونعرف مفرداتها ، كان لابد أن نتعرض للبداية ، لنتطلع الى بديع صنع الله في كل ما خلق فسوى فقدر .. قدرها نظما من داخل نظم من داخل نظم .. وهلم جرا .. ربما مصداقا لقوله تعالى « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » !

إن كل ما يسرى في الارض والسماوات من عوالم حية وجامدة ، وكل ما ينتشر فيها من نظم مادية متفاعلة ، إنما هو خلق قام على أساس فيه جاذبية واثارة لقوم يتفكرون .

فالانسان مثلا نظام حي متفاعل ومتناسق ، وعلى درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .. إنه جسد وروح على حسب الاعتقاد السائد .. والعلم لا شأن له بالروح ، لأنها من الامور الغيبية ، ثم ان المنهج العلمي لا يبحث في الغيبيات ، ولا هي داخلة في مجاله .. « يسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ـ وامر الله هو امر نظام في المقام الاول ، وهو ـ اى الامر ـ يتبع شرائع الله وسننه في خلقه ، ومن خلال هذا الامر او النظام المتناسق المعقد نرى ظاهر الخلق في انسان وحيوان ونبات .

لكن لهذا الظاهر باطن أعمق وأروع وأجمل .. وكلما تعمقنا في الباطن ، واعتقدنا اننا اصبحنا من الحقيقة « قاب قوسين أو أدنى » ، أشاحت بوجهها ، فلا نستطيع لها تمييزا ، ومن هنا يحق القول الفصل « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

فالانسان ظاهرا يتكون من جسد .. الجسد من أعضاء .. الاعضاء من أنسجة .. الانسجة من خلايا .. الخلايا من جزيئات .. الجزيئات من ذرات .. الذرات من جسيمات ، والى هنا نتوه .. لأن الجسيمات بدورها تلعب معنا لعبة أزلية .. فأحيانا ما تسلك سلوك الموجات الكهرومغناطيسية ، واحيانا اخرى تتصرف كجسيمات مادية .. اى انها هذه وتلك ، ولا نستطيع لطبيعتها تحديدا (انظر في هذا الصدد مقالتنا على صفحات مجلة العربي ـ عدد مارس ١٩٧٨ بعنوان « الحائرون الثلاثة ») .

ومن اين جاءت هذه الجسيمات التي تكونت منها الذرات فالجزيئات فالمادة المتفاعلة التي تتشكل منها كل النظم السارية في الارض والسماوات ؟ !

الواقع ان الجسيمات موجات .. والموجات جسيمات .. فالعلماء الآن يستطيعون ان يجسموا الموجات ، ويموجوا الجسيمات ، بمعنى ان إحداهما تؤدي الى الاخرى ، فاذا تجسدت الموجة ، ظهر الجسيم ، واذا تحرر الجسيم من ماديته ، كان موجة كهرومغناطيسية لا زمان لها ولا مكان ، بل تنطلق في كون الله الفسيح بسرعة الضوء ، وهذه لا نستطيع بها امساكا ، بل تتحول من صورة الى أخرى .. أي من تردد موجي الى تردد آخر ، وهو ما نعرفه باسم الموجات القصار أو الطوال ، أو ما بين ذلك من أطوال ، وكل هذا تحكمه المعادلات الرياضية ، والقوانين الطبيعية ، التي ترشدنا الى ما في الكون من اسرار مطوية !

ألف باء .. عالمنا المادى

لكن .. ما دخل كل هذا بخلق الانسان وغير الانسان .

الواقع ان الموجات والجسيمات هي مدخلنا الاساسى الى فكرة الخلق المبدعة .. وهي هنا بمثابة « الحروف » الأولى التي انتظمت في كتاب الكون المبهم ، لتؤلف كل ما فيه من صور ونظم .. ظاهرة باطنة .

فمما لاشك فيه ان الكشوفات العلمية الهامة قد وضعت بين أيدينا ثروة هائلة من المعلومات عن الكون

وما حوى ، والفضاء وما طوى ، فنحن نعرف بعض ما يجرى في السماوات من خلال ما يأتينا منها من موجات ، والموجات بدورها لغة جديدة يعرفها أربابها ، وهي تنطلق من المادة الكونية ممثلة في جسياتها وذراتها وجزئياتها ، وانطلاقها يتأتى بفعل قوى تتسلط عليها فتثيرها وتهزها هزا ، ومن الاهتزازات الناتجة تنبع الموجات الكهرومغناطيسية لتوضح حالاتها وهويتها ، وبها تستقبل بعض أنباء السماوات ونحن قابعون بأجهزتنا على أرضنا ، فنفك بعض ألغازها ، ونعرف مضمونها .. لكن ذلك موضوع متشعب وطويل ومثير ، وقد نعود اليه في دراسات أخرى لنوفيه حقه من التوضيح .

ما نريد ان نتوصل اليه هنا ان الموجات طاقات .. فالضوء المنظور مزيج من سبع موجات تختلف طولا أو ترددا او طاقة ، وهذه نطلق عليها اسم الطاقة الضوئية ، ومعها ايضا طاقات او موجات اخرى غير منظورة للعين البشرية .. فالطاقة الحرارية (الاشعة تحت الحمراء) غير منظورة ، لكنها محسوسة ، وكذلك تكون الاشعة فوق البنفسجية واشعة اكس واشعة جاما .. الخ ، ولكل نوع من هذه الاشعة غير المنظورة تردد يختلف عما سواه ، وطاقة تختلف باختلاف الموجة ، لكن أعنف هذه الاشعة ، وأشدها بأسا هي أشعة جاما أو جيم ، وهي التي تنطلق من الشمس والنجوم وبعض المواد المشعة والقنابل الذرية .. ولقد أمكن تجسيد هذه الاشعة القاتلة في معامل العلماء ، فتحولت الى جسيمات مادية من ذلك النوع الذي يدخل في تكوين الذرات .. وهذا أيضا موضوع كبير لا نستطيع ان نتعرض له هنا ، لكن يكفي ان نذكر ان كوننا الذي نعيش فيه ، ونراه على هيئة مادية ، انما جاء تجسيدا جسيميا لأضواء أو أنوار أو طاقات عاتية لا قبل لنا بها ، وعندما تجسدت في بروتونات ونيوترونات واليكترونات ، كانت هي بمثابة الف باء عالمنا المادى .. او بمثابة اللغة السرية التى خطت « قاموس » النظم الذرية .

آدم الذرات

ففي البدء كانت ألف ، وكانت باء .. ولو تآلفت الألف مع الباء في نظام دقيق ، لنشأت ذرة الايدروجين .. والايدروجين بدوره هو « آدم » الذرات ، أى الخامة الغازية الاولية الخفيفة البسيطة التى ظهرت أولا ، ثم اشتق من « صلبها » كل السلالات الذرية التى نعرفها في عالمنا وكوننا الذى يمتد حولنا بغير حدود .

وحرف الالف هنا هو الحرف الاول من كلمة اليكترون في لغة البشر ، وحرف الباء تشير الى بروتون .. فاذا دار الاليكترون حول البروتون في مدار ، ظهر أبسط نظام ذرى يمثل لنا ذرات الايدروجين .. وهو أكثر السلالات انتشارا في الكون (حوالى ٩٨٪ من مادة الكون) لكننا نعرف في حياتنا عناصر الكربون والنيتروجين والاوكسجين والفوسفور والحديد والذهب والفضة والرصاص .. الى آخر هذه القائمة التى تضم ٩٢ عنصرا طبيعيا ، غير ما قام الانسان بتخليقه في معامله .. فكيف نشأ كل هذا وجاء ؟ .. وما هى الصلة بين الايدروجين والفحم والذهب والفضة وغير ذلك من سلالات عنصرية تختلف فيا بينها اختلافا واضحا ، ليظهر منها الغازي والرخو والصلب وما شابه ذلك .

الواقع انها كتبت جميعا بالألف والباء .. بالأليكترون والبروتون .. لقد تآلف هذان الحرفان او الجسيان في نظم أعقد واكبر .. فكانت كل العناصر التى اشتقت من « آدم » الذرات .. من الايدروجين المؤلف من اليكترون وبروتون .

إن الذهب مثلا ليس ذهبا ، لان جسيماته التى كونت ذراته من ذهب ، ولا كانت كذلك ذرات الفحم او الكلور او الصوديوم .. بل جاء الذهب ذهبا ، لان عدد بروتوناته ٧٩ ، ولا بد ان يدور حولها ٧٩ اليكترونا ، حتى يأتى البناء الذري متعادلا ، إذ من المعروف أن كل بروتون يحمل شحنة كهربية موجبة ، وكل اليكترون يحمل شحنة كهربية سالبة .. هذه قدر تلك تماما .. و ٧٩ موجبة تعادل ٧٩ سالبة ، وهنا يكون التوازن الكهربي .. أعظم وادق توازن نراه في كل عناصر الكون قاطبة .

احذف من ال ٧٩ بروتونا واحدا فقط ، عندئذ يظهر معدن او عنصر جديد يختلف عن الذهب اختلافا واضحا .. وهذا يتمثل لنا في عنصر البلاتين .. فنواته تحتوى على ٧٨ بروتونا يدور حولها ٧٨ اليكترونا .

وماذا لو أضفنا الى نواة عنصر الذهب بروتونا ؟ !

عندئذ يظهر عنصر آخر مختلف هو الزئبق .. فقد تآلفت في نواته ٨٠ ب (اى بروتون) ويدور حولها ٨٠ أ (اى اليكترون) في مدارات !

لهذا اذا اتيت واحدا من علماء الفيزياء أو الكيمياء أو غيرهم ممن يقرأون اللغة الذرية بحرفيها البسطين وقلت له : ما هو العنصر الذى تآلفت ـ في ذراته ـ من الالفات ستة ، ومن الباءات ستة ، لقال لك على الفور : إنه الكربون ـ ففي نواته ست بروتونات ، يدور حولها ست اليكترونات .. وماذا عن عشرين ألفا مع عشرين باء يقال : إنه الكالسيوم .. وهكذا .. !

أى كأننا نحن في الواقع أمام لغة بسيطة غاية البساطة ، لكن من هذه البساطة تنبع أروع فكرة قامت على أكتافها كل عناصر الكون أو ذراته .. فالمسألة كلها لا تتعدى جسمين أساسيين يتآلفان بأعداد مختلفة في نواة ومدارات ، لتعطى الأرض والسماوات صفتها المادية كما نعرفها في وقتنا الحاضر .

النجوم .. أفران للتجميع !

ذكرنا أن الطاقات أو الموجات هي التى تتمخض عن ولادة الجسيمات السالبة والموجبة ، وقد تكون أعداد هذه قدر تلك تماما (على مستواها الكونى) ، فما أن ينشأ بروتون إلا وله قرينه الذى يدور حوله على هيئة اليكترون ، فتتكون ذرة الايدروجين .. أخف وأبسط ذرات الكون على الاطلاق واكثرها انتشارا ـ كما سبق ان ألمحنا .

ولكى تأتى السلالات الذرية الأعقد من الأيدروجين (الذى اعتبرناه بمثابة « آدم » الذرات) ، كان لابد من قوى كونية رهيبة لتجمع البروتون مع البروتون في نواة ذرة ثم تدفعهما دفعا لكى يتآلفا في حيز ضئيل غاية الضآلة .

وليس جمع البروتون مع البروتون بالامر الهين ، ولا هو بسيط بساطة من يجمع حروف لغة في آلة الطباعة ، أو يلصق شيئا في شيء آخر ، ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، لأن كل بروتون يحمل شحنة كهربية موجبة ، ولهذا يتنافران تنافرا بالغ الشدة والضراوة ، ولابد من قوة أو طاقة رهيبة لكى تحيل بغضهما أو تنافرهما الى تآلف ووفاق .. وقد كان !

الطبخة

ففي الشموس أو النجوم تتم « الطبخة » من خلال تفاعلات نووية جبارة ، وهذه تؤدى الى اطلاق كميات هائلة من الحرارة تصل في جوفها الى عشرات الملايين من الدرجات المئوية ، ويمثل هذا السعير الجبار تكسر حدة التنافر بين بروتون وبروتون ، فيجتمعان رغما عنهما في نواة عنصر أعقد قليلا من الايدروجين .. هذا العنصر نعرفه باسم الهيليوم .. وذرات الهيليوم تتكون من بروتونين يدور حولها اليكترونان .. والهيليوم كلمة مشتقة من هيليوس ، وهى كلمة يونانية تعنى الشمس .. أى أن الهيليوم هو عنصر الشمس أو أى نجم آخر من نجوم الكون ، لأنه موجود بكثرة في أتونها ، وهو النتيجة الحتمية « لطبخ » الخامة الايدروجينية التى تعيش عليها النجوم .. ذلك أن الايدروجين هو وقودها أو طعامها المفضل ، ومن نفايات هذا الوقود تنتج ذرات أعقد وأعقد ، وكلما نضب معين الايدروجين بمرور عشرات ومئات وآلاف الملايين من السنين ، ونتج عن ذلك معظم السلالات الذرية (كالكربون والاوكسجين والنيتروجين والكالسيوم والحديد .. الخ) التى نعرفها في كوكبنا أو في كواكب اخرى ، كلما هرمت الشمس أو النجوم حتى تودع في النهاية حياتها ، وقد تتبعثر مادتها المتمثلة في ذرات معقدة في الكون ، لتتجمع مرة أخرى في كواكب باردة مثل كوكبنا ، ومن هذه السلالات الذرية قد تنشأ صور من الحياة تتخذ أشكالا شتى (كما حدث في أرضنا) .

ولقد تعلم الانسان مما يجرى في شموس الكون أو نجومه من أحداث ، فصنع قنابله الايدروجينية المدمرة على نفس المنوال ، ذلك أن فكرة القنبلة الايدروجينية قد تأسست على صنع قنبلة انشطارية (اى تشطر فيها نوى ذرات مشعة كالبلوتونيوم) فتؤدى الى اطلاق كميات هائلة من الحرارة تصل الى ملايين الدرجات ، فتساعد

على التحام نوى ذرات الايدروجين الثقيل .. تماما كما يحدث في الشمس ، فيؤدى ذلك بدوره الى اطلاق مزيد من الطاقات الرهيبة المدمرة .

الأرض من رفات نجوم ميتة !

نعود لنقول : إن أجسامنا وأجسام كل الكائنات الحية هى من « رماد » أو رفات « طبخة » ايدروجينية تمت في بعض النجوم التى عمرت هذا الكون منذ آلاف الملايين من السنين ، ثم تجمع كل ذلك في عناصر معقدة بفعل قوى الجاذبية الكونية ليؤدى الى تكوين الاجرام الباردة (مثل الاقمار والكواكب) بما فيها من كربون وفوسفور ونيتروجين واوكسجين وايدروجين وحديد ونحاس وكالسيوم .. الخ . ولاشك أن هذه العناصر المختلفة سوف تصبح بمثابة مفردات لغة جديدة في كتاب الكون المجيد ، تماما كما كان البروتون والالكترون والنيوترون بمثابة المفردات التى تكونت منها كل الذرات في النجوم .

اننا لم نتعرض هنا للنيوترون لان الحديث عنه قد يطول ، لكن يكفى ان نذكر ان النيوترون جسيم ذرى متعادل ، وهو أيضا يجىء من تجسيد الموجة ذات الطاقة العاتية ، وله في نواة الذرة رسالة هامة ، إذ هو يحافظ على « تلطيف » عملية التنافر بين البروتونات ، ولولاه لما كانت هناك ذرات ولا جزيئات ولا صور مادية ولا أجرام سماوية ، ولتبعثر كل شىء في الكون اشتاتا .. ثم ان النيوترون مشتق من البروتون ، فلو ترك نواة الذرة فانه يفقد شخصيته ويتحول – في غضون دقائق معدودة – الى بروتون بعد أن يطلق من جوفه شحنة سالبة يحملها اليكترون وبها يخرج .. أضف الى ذلك أن البروتون الموجب قد يتحول الى جسيم متعادل (أى نيوترون) لو أنه امتص اليكترونا ذا شحنة سالبة .. أى كأنما هى « ذرية بعضها من بعض » – على حد قول القرآن الكريم !

لكن لا علينا من كل ذلك .. فملخص القول : أن السلالات الذرية التى تبنى أرضنا وتدخل في تكوين دمائنا ولحمنا وعظامنا كانت – في عهد من عمر الكون سحيق – في نجوم تشتعل بطاقات نووية جبارة ثم جدت وهوت .. لنأتى نحن من أنقاضها ، ولتتجمع مادتها من جديد في نظم حية اكفأ وأعقد ، فلو اننا حللنا كل الكائنات الحية تحليلا كيميائيا ، لوجدناها تتكون من حوالى ثلث عناصر هذا الكوكب .. كربون وايدروجين واوكسيجين ونيتروجين وفوسفور وكالسيوم وحديد وصوديوم وبوتاسيوم .. الخ .

لكن انتظام هذه الذرات في جزيئات كيميائية عضوية وغير عضوية يسير وفق شرائح ذرية .. أى كأنما الله قد أوحى نظامه في هذه الذرات بصورة رائعة لتنتظم في مركبات .. كما تنتظم الحروف هنا في كلمات أو لنقل أن هذه الذرات بمثابة حروف مركبة ليخط بها الخالق لغة اخرى لها مغزاها ورسالتها في كل ما نرى وما لا نرى .

إن كل عالم لاشك خبير في قراءة ما تخصص فيه .. فعالم الجسيمات والذرات حاذق في اكتشاف ما تنطوى عليه هذه النظم الدقيقة للغاية من أسرار ، وعالم الكيمياء ماهر في لغة معادلاته وتفاعلاته الكيميائية ، وعالم الحياة يعرف لغة جزيئات خلاياه وأنسجته .. وهكذا ، ولهذا تراهم يعبرون عن ذلك دائما بالجسيم الأول ، والذرة الاولى ، والجزىء الوراثى الأول ، والخلية الأولى ، وأخيرا الانسان الاول الذى جاءت من صلبه البشرية جميعا ! .

يعنى هذا أن هناك أصولا أو وحدات للخلق تراكبت في وحدات أكبر وأعقد وأعظم وأكفأ .. ولقد بدأناها في هذه الدراسة المختصرة بجسيمات تؤدى الى ذرات ، وتلك هى وحدات الخلق الاولى التى أدت إلى تكوين مركبات لا نكاد نحصيها عدا ، ومن هذه المركبات نشأ الجزىء الوراثى الاول ليدير به آلية الحياة في الخلية الأولى ، لتتوج مشوارها الطويل بالانسان الاول ، ولهذه وغيرها دراسات قادمة لنقرأ « مخطوطات » الله المجسدة في خلقه ، فنرى بها « ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت » .. في كتاب الكون المفتوح على العقول الواعية .. لا اللاهية ! ■■

الاسكندرية – د . عبد المحسن صالح

مهداة الى استشهاد بطلة عربية



● لم يكن موتا حزينا وشقيا
انه قد كان موتا عبقريا !
.. ذلك « الموت الجميل »
كان عرسا طار فيه الف عصفور زميل
كان عرسا سال فيه الوردمنجرح «الجليل»
كان عرسا ناح فيه العزم من تحت الصليل
وتغطى الحزن فيه بالهديل
وبدا الاصرار وجها يعربيا
وشذى طفلا ، واصرارا نبيا !

■■■

رجرج المطاط فوق البحر أشواقا عتية
لشباب شق قلب الليل ــ والاعداء ــ في نور القضية
أطرقوا . ثم استداروا حول أشواق الصبية
.. وهي ــ تلك البنت ! ــ لم تمسك بغير البندقية
اسندتها .. ثم هامت بين وديان قصية
وعلى الاهداب ذكرى لمساحات شجية
.. حين كانت وردة في مزهرية
لم تداعب خصلة الشعر العصيه
لم تلامس في المرايا دورة الصدر العتيه
والعطور الانثويه
والخطوط الاولية
.. حين كانت لوحة للسبع عشرة
همها قد كان جمع الشعر يعدو كالطيور الاسيوية
في شريط فيه الوان ثرية !
.. همها قد كان « يافا » والوجوه العربية
وكلاما قيل يوما عن قضايا البشرية !

■■■

حين كانت نجمة في « طبرية »
وقريبا كان للموج عويل
ذكروها بحبيب ليس مجهول الهوية
اسمه « الموت الجميل ! »
.. صوته صوت كمان راعش فوق العشيه

للدكتور عبده بدوي

وخطاه ليلكيه
فافاقت من رؤاها اللؤلؤية
ثم راحت فى الهواء
ترسم « الفاء » الى « النون » القصية !
ـ ومشى ظل ابتسام فى الجفون المخملية
واستراحت فىالزوايا بسمة فرحى فتيه ـ

■■■

طار منها القلب عصفورا سماويا حزينا
فهو قد خف الى « يافا » الشهيدة
٠٠ انها تحفظ اياما سعيدة
لم تزل تاتى مع الحلم الظليل
لغطاها ٠٠ للموع قبل ايام الرحيل !
٠٠ انها رغم المآسى لم تكن يوما وحيده
انها كانت عنيدة
فباقصى القلب كانت ساحة البيت العتيدة
والعصافير الوليدة
والفراشات الشريدة
ويد الام تغطى جسمها الطفل النحيل
وابوها وهو يمشى مشية حيرى وئيدة
ـ اسمه كان سعيدا ذلك الشيخ الجليل ـ
ومشى العمر ٠٠وجاءت فترة الحزن الطويل
٠٠ كلما مدت يديها فى صباح لجريده
قرات « عـــرس دلال حــان فــى الارض البعيلة !
ورات بالقرب منها قامة الموت المديدة
قامة الموت الجميل
وخيوطا من دماء تتلاقى ٠٠ وتسيل !
وامتقاعا ! وشحوبا ! وبروده



■■■

لحظة ٠٠ والعالم الممتد اضحى شركا
لحظة ٠٠ واشتدت الدبكة ٠٠ والناى شكا
لحظة ٠٠ قال المغنى « أوف » وارتج البكا
لحظة قد اطلقت وردة حب طيب
اخذت صورة وجه ـ رق فوقى ملكا ـ
غاب حينا ٠ رف حينا ٠ سلكا !
■■

فى زمن الـرِّق الثانى !

الخرطوم ـ فهمي هويـدي

كما ان هناك استعمارا جديدا ، ثمة رق جديد !

لقد قيل لنا ان ان الاستعمار الجديد هو سياسي واقتصادي وثقافي . لكن التطبيقات اثبتت ان هذا التعريف يتستر على ما هو افدح من الاستعمار . وانه مرر علينا شركاً خبيثا نصب لنا ، اخفيت في طياته جرثومة زمن الرق الثاني ، الذى قادنا بغير وعي منا الى تيه التمزق والاغتراب .

لقد تبين ان الوجه الثالث للاستعمار الجديد ـ الثقافي ـ هو قناع هذا الرق الجديد . ذلك ان الاحتلال عندما يبسط نفوذه على عقول الناس ، ويقيم ثكناته وسط جنباتهم ، لا يصبح استعمارا . بل هو مرحلة وابعد واخطر .. هو استرقاق بكل المقاييس !

ان الاستعمار هو أن تنهب ثروة شعب آخر ، اما الاسترقاق فهو أن تملك شخصا آخر .

الثروة هي موضوع الاستعمار . والانسان هو موضوع الاسترقاق !

والاختلاف بين الاستعمار والاسترقاق هو اختلاف في النوع . لكن ما بين الاسترقاق الاول والثاني هو فقط مجرد اختلاف في الدرجة . تماما كالفرق بين المرض العادي والمرض الخبيث !

في زمن الرق الاول كان « السيد » يمتلك بالمال والقهر ناتج عمل الانسان ـ يمتلك عرقه .

وفي زمن الرق الثاني صار السيد يتلقى بغير مقابل نتاج فكر الانسان . يمتلك عقله .

تعالوا نجرب ، نفتح حوارا حول اية قضية فكرية . سيفد هؤلاء بنظاراتهم السميكة وياقاتهم البيضاء والغلايين المدلاة من شفاهم ، سيتكلمون ويتكلمون ، مستخدمين خليطا من كلمات العرب والعجم . لكنك

اذا ما صممت اذنيك لحظة ، وتفرست في وجوههم جيدا ، ثم اقتربت اكثر واكثر ، ومددت بصرك الى اعماقهم ، فسوف تكتشف الحقيقة المفجعة . سترى الواحد من اصحابنا هؤلاء وقد تعرى تماما من كل ما يستر ، وجثا على ركبتيه مطأطىء الرأس ، امام سيد وقف في كبرياء ، يرطن بالانجليزية او الفرنسية او الالمانية او الروسية .. او .. او . لكن السيد لا يحمل سوطا هذه المرة ، ففي رطانته الكفاية . هي البوق والسوط .

لاهم مسلمون ، ولاهم عرب ، وان اقسمت الاوراق باغلظ الايمان انهم كذلك . بل انهم ايضا لاهم امريكان ولاروس ولافرنسيون .. وان اكدت الشواهد انهم كذلك . هم مسخ من هؤلاء وهؤلاء ، لابقوا كما كانوا في الاصل ، ولا صارو كما اصبحوا في الصورة !

اقول ذلك وامام عيني شريط الحوار الذي شهدته في الخرطوم مؤخرا ، والذى كان موضوعه « التحدى الحضارى في الشرق الاوسط » . وقد اثار انتباهي فيه ، اولا ان الداعي اليه هو اتحاد طلاب جامعة الخرطوم . شريحة من الجيل الحائر والباحث عن الهوية الضائعة . ثم . ثانيا . حصيلة المحاضرات والمناقشات التي جرت في قاعة مسرح الجامعة وخارجها ، وتناولت مختلف جوانب حياتنا الفكرية ومظاهر التبعية والاستقلال فيها .

وقد كان الاسبوع الثقافي في مجمله دعوة ملحة الى الانعتاق ، والفكاك من اسر حالة الاسترقاق الجديد الذى فرض علينا ، منذ رحيل الاستعمار عن عالمنا العربي والاسلامي في الخمسينات والستينات .

قال لي أحد المشاركين في الاسبوع الثقافي ، وهو قادم من احدى دول المغرب العربي : تصور انه طوال سنوات الاحتلال الفرنسي كانت اللغة العربية تدرس في كل مراحل التعليم مع الفرنسية ، ومنذ خرج الاستعمار اصبحت العربية تدرس حتى الصف الثالث الابتدائي فقط ، وتم « تطوير » المناهج بحيث اصبحت تدرس كلها بعد ذلك ، وحتى نهاية التعليم الجامعي ، باللغة الفرنسية .

وقال قادم آخر من المشرق : لا تزال المعركة عندنا مستمرة بين الداعين الى الثقافة الفرنسية وانصار الثقافة الانجليزية . يتعاركون على الولاء للسيد الانجليزى او السيد الفرنسي . وخنقت اصوات المذكرين بأننا مسلمون وعرب ، وان لنا ثقافة يعترف بها العقلاء من « السادة » في اوروبا وامريكا .

ووقف احد المتكلمين يتحدث عن بصمات عقلية جيل الرق الثاني في مجال التربية وعلم النفس . بدءا بالذين يروجون لافكار فرويد في التفسير الجنسي لعلاقة الطفل بأمه وانتهاء بخلو مناهج التعليم من ذكر الله ، « فالطبيعة » هي الخالقة في الفيزياء ، والمعادلات هي التي تفسر كل شيء في الكيمياء ، والصدفة هي التي صنعت الجغرافيا ، والانسان صانع التاريخ !

كأن الله جل جلاله قد منع من دخول مدارسنا . وكأن معركة الكنيسة والعلم ، البابا والامبراطور ، جرت في بلادنا ، امس فقط !

ورووى رابع هذه القصة التي جرت في مجتمع عربي مسلم فرضت عليه قيم عبادة الغرب . باسم المعاصرة والتحديث حرم القانون الزواج باكثر من واحدة ، وقرر عقوبة على ذلك . وقد حدث ان مرضت زوجة لاحد الاشخاص ، وكان مرضها مزمنا ومستعصيا . وخشية ان يطلقها زوجها ، اقترحت عليه الزواج من ابنة عمها . وتم الزواج بالفعل ، واستمر سنتين او ثلاثا . وخلال هذه المدة تسرب النبأ ، فالقى القبض على الرجل وقدم الى المحاكمة ليعاقب على مخالفته القانون ..

الى هنا والامر محتمل ، لكن ما حدث في قاعة المحاكمة كان اغرب !

حاول محامي الزوج ان يبرىء موكله بطبيعة الحال ، فاهتدى الى حيلة تدفع عنه التهمة . ولان القانون يجرم الزواج من ثانية ، ولا يعاقب على الزنا ، اذا بلغت المرأة سن الرشد ، فقد وقف المحامي امام الملأ يعلن ان الرجل برىء مما نسب اليه ، وان علاقته بالمرأة لم تكن زواجا والعياذ بالله ، ولكنها كانت علاقة بعيدة عن هذه الشبهة .. كانت علاقة زان بزانية ! !

واستبسل المحامي لكي يثبت براءة الرجل من جريمة الزواج ، مؤكدا ان الامر لا يخرج عن مجرد الزنا ، الذي يحميه القانون . ولكن الادعاء استبسل بنفس القدر في اثبات ان المتهم لم يكن بعيدا عن براءة الزنا ، وان « شواهد الحال » تؤكد انه اقترف جريمة الزواج !

وطال الجدل ، وقدم كل طرف مرافعته ، واحيلت القضية الى المداولة ، ثم جاء نطق القاضي بالحكم الذي اخذ بحجج الادعاء بان جريمة الزواج ثابتة ، وان الدفع القانوني بتوفر حالة الزنا لا يقوم على اساس . « وبناء عليه » ، حكم بسجن المتهم لمدة سنتين ، وبالتفريق بينه وبين زوجته الثانية !!

ونشر الحكم في الصحف ، واستقبله المسلمون بخليط من الذهول والفزع !

وصفق جيل الرق الثاني لانتصار « سيادة القانون » .

●

في كتابه الشهير « من اجل حوار بين الحضارات » ، الذي ادان فيه الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي الحضارة الغربية ، واصفا اياها بأنها « كارثة » و« عرض زائل » ، سجل جارودي جانبا من ممارسات الغرب في ابادة ثقافات الآخرين منذ القرن السادس عشر . وكان مما قاله ان عملية الابادة هذه بدأت في امريكا ذاتها . « فما ان وطئت قدما الاسباني « هرمان كورتز » اليابسة ، حتى اباد ثقافة « الازتك » ، واجهز على ثقافة شعب « المايا » . وقد نظم « ديجو دولاندا » وهو اول اسقف « ميراندا » في « بوكاتان » ، محرقة حقيقية ، وتبجح بأنه قضى على جميع كتابات « المايا » ليسهل دخول المسيحية » !

وظل هدف ابادة الثقافات مستمرا ، بصيغ مختلفة .

ففي سنة ١٩٦٨ ، اعلنت جبهة تحرير موزمبيق « فرليمو » : « ان التربية في المجتمع الاستعماري انما تتم لخدمة المستعمر .. وفي نظام الرق ، لا تهدف التربية الا الى تكوين جيل من العبيد » .

وفي سنة ١٩١٩ حدد وزير المستعمرات الفرنسي « هنري سيمون » هدف التعليم في افريقيا ، بانه يرمي الى « تحويل افضل العناصر من السكان الاصليين الى فرنسيين ناجزين » .

وفي سنة ١٨٩٩ ، صدر بيان رسمي عن ادارة الاحتلال يحدد سياسة التربية والتعليم في مدغشقر بالوضوح التالي « نريد ان تجعل من المدغشقريين الاحداث رعايا اوفياء مطيعين لفرنسا ، وان تقدم لهم تعليما صناعيا وزراعيا وتجاريا ، لتلبية حاجات المستعمرين ، ومختلف الدوائر العامة في المستعمرة . »

ان استئصال ثقافات الآخرين ، وتفريغ عقولهم من كل ارتباط او انتماء الى الاصول ، كان تمهيدا ضروريا لدخول زمن الرق الثاني الذي نتحدث عنه . وهدف « تحويل افضل العناصر من السكان الاصليين الى فرنسيين ناجزين » . لم يكن سمة مقصورة على الاستعمار الفرنسي ، ولكنه ظل شعارا غير معلن لكافة موجات الاستعمار التي اطبقت على بلدان العالم الثالث . فالانجليز ارادوا تخريج « انجليز ناجزين » ، والأمريكيون حرصوا على تربية « امريكان ناجزين » ، واذا تمكن الروس فلا بد ان يسعوا الى تربية « روس ناجزين » .. وهكذا !

ومعركتنا مع هؤلاء الابناء « الناجزين » للحضارة الغربية ، وكسب هذه المعركة ضروري لبلوغنا مرحلة الانعتاق الثقافي ، وهو الخطوة الاولى على طريق التحرير الحقيقي .

●

ما العمل ؟ ..

ليست القضية هي هل نأخذ من الحضارة الغربية اولا نأخذ ، فان احدا لا يستطيع ان يقف بمعزل عنها . فضلا عن انها ليست ملكا للغرب ، وان ادعوا ذلك ، بل هي مرحلة في حضارة الانسان التي ساهم فيها المسلمون بالنصيب الاوفر . لكن القضية هي كياننا المهدد بالضياع وهويتنا التي تتعرض للطمس والمسخ ، على أيدي اولئك « الابناء الناجزين » للغرب ، الذين اقتصر دورهم على « الاستقبال » دون الارسال .

ولا مفر من « ثورة ثقافية » نسترد بها هويتنا المفقودة ، ونكنس بها من عقولنا وكتبنا علامات المسخ والتشوه .

لا بديل عن اجراء عملية تطهير واسعة ، تزيل آثار محاولات الابادة الثقافية التي لا نزال نتعرض لها ، كبارا وصغارا .

ان الانعتاق الفكري ، التخلص من قبضة الرق الثاني ، لا بد وأن يبدأ بمراجعة شاملة لمناهج التعليم ، وبنقض موضوعي لفكر التبعية والتسليم بكل ما هو غربي .

ان اي محاولة « للغرس » ، لا بد ان يسبقها « حرث » ، يهيىء للزرع فرصة صحية للنماء والازدهار .. وبغير هذه الثورة الثقافية ، فاننا نظل نغرس زرعا في ارض لم تحرث بعد !

وبيننا بغير شك من لا يزال قادرا ان يقوم بالحرث بالكفاءة المطلوبة ، فثمة عقول وخبرات لا تزال تحتفظ بأصالتها وفكرها النقي ، الذي تجاوز اطار التبعية والانقياد ، وتعامل مع ثقافة الغرب بمنطق « البناء لا التكديس » ، كما يقول مالك بن نبي .

ان استثمار هذه الدعوة في اشاعة جو من الارهاب الفكري ، هو جريمة اخرى لا تقل فداحة عن « حالة الاسترقاق للغرب » . فنحن لا نريد ان نستبدل سوطا بسوط . نريد ان نستبدل فكرا بفكر ، وصحة بمرض ، وقوة بعجز .

نريد ان نعيش ذاتنا ، في زماننا . نريد ان نتخلص من انفصام الشخصية وازدواجها . نريد ان نقضي على بقايا الاغلال التي خنقت ارواحنا ، ولوثت عقولنا ، وطوقت جذورنا حتى كادت تقتلعها .

و .. رحم الله امرأ عرف زمانه ، واستقامت طريقته ، كما يقول الحديث الشريف .

وللمناقشة بقية في الشهر القادم باذن الله .

■■

المستشرقون المعاصرون

في تجربة للنقد الذاتي

بقلم : الدكتور محمد فتحي عثمان

مرت على العرب والمسلمين ـ بل والشرقيين بوجه عام ـ فترة من الزمن ، كان كل ما يصدر من الغرب عنهم قضايا مسلمة لا مجال فيها لنقاش ... واعتبرت بحوث المستشرقين والمستعمرين وعلماء الدراسات الاسلامية من الغربيين نموذجا يحتذي ومثلا اعلى ، وصارت الاقتباسات المأخوذة عنهم زينة كتابات الشرقيين والعرب والمسلمين ، وغدت النتائج التي انتهى اليها الاولون منطلقات ومرتكزات للآخرين ...

برزت كتابات الغربيين عن الاسلام والمسلمين بين مسلمي الشرق بعد الحرب العالمية الاولى ، واصبح قراء الدراسات الاسلامية ـ فضلا عن المشتغلين بها ـ يألفون تماما اسماء مرجوليوث وميور وتوماس ارنولد البريطانيين وسلفستردي ساسي وسديو الفرنسيين ، ونولدكه وجولدزيهر من الكتاب بالالمانية وكايتاني الايطالي وغيرهم . ثم اعقب ذلك جيل احدث لمعت فيه اسماء هاملتون جب وماسينيون وفلهوزن وبروكلمان وبكر وجوستاف فون جرو نيباوم ونالينو وغيرهم ، حتى وصلنا الى الشيوخ المعاصرين من المستشرقين امثال

برنارد لويس وجاك برك (١) والجيل التالي من المستشرقين المعاصرين وهم في سن الرجولة او الشباب .

وظلت كلمة اى مستشرق هي الحكم الفصل في اية قضية فكرية تتعلق بالدراسات الاسلامية والشرقية ونقطة البدء عند اي باحث مسلم او عربي او شرقي زمنا ليس بالقصير ... وثمة واقعة ذات دلالة رويت عن الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر الاسبق رحمه الله وكان هو مصدرها شخصيا ، اذ كان يجلس في احد دواوين عربة الدرجة الاولى من القطار مع ابنته التي كانت تدرس بالمدارس الفرنسية ، ولعلهما كانا في طريقهما الى الاسكندرية .

وتصادف وجود سيدة فرنسية في الديوان نفسه ، ما لبث ان تبادلت الحديث مع ابنة شيخ الازهر وربما علمت منها مباشرة او استنتجت من ان ابا الفتاة شيخ من شيوخ الاسلام . وكانت السيدة الفرنسية على شيء من الثقافة ، فحدثت الفتاة عن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وما قراته عنه من وقائع وأراء وابدت اعجابها به وبعد ان بلغ الشيخ وابنته غاية رحلتهما فوجيء الشيخ بابنته تطلب كتابا عن عمر بن الخطاب وتذكر ما سمعته عنه من رفيقة السفر الفرنسية .

فكان الشيخ رحمه الله يعلق على ذلك فيقول : انا شيخ الازهر وابنتي تعيش معي تحت سقف واحد ليل نهار ولم يدفعها ذلك الى ان تطلب شيئا تقرأه عن عمر بن الخطاب او عن نبي الاسلام ؛ او عن اي علم من اعلامه او عن شيء من وقائع تاريخية ، ولكن حديثا قصيرا مع سيدة اثناء رحلة اغراها بذلك ! وانتهى رحمه الله الى القول بانه يبدو ان المسلمين لن يحاولوا التعرف على دينهم وتاريخهم حتى تعتنق اوربا الاسلام فيكون تحول اوربا الى الاسلام دافعا للمسلمين الى الاعتزاز به والجد في التعرف عليه والعمل به ! ! !

وهذه واقعة تعبر في سخرية متشائمة عن مكانة الغرب الفكرية بين المسلمين حتى في شئون دينهم الذي يؤمنون به ويعرفون مصادره ويتكلم العرب منهم لغة القرآن ورسول الاسلام ﷺ ! ! ولكن الجيل المعاصر من المستشرقين لم يسعد بالمكانة والاتباع اللذين حظي بها رواد المستشرقين والذين اعقبوهم مباشرة . . واقترنت التيارات الوطنية والقومية والاسلامية التي انفجرت بعد الحرب العالمية الاخيرة بمحاولات ساذجة لرفض كتابات المستشرقين والمستعمرين وعلماء الاسلاميات الغربيين اول الامر ، ثم بمحاولات جادة للنقد اخذت تتوالى شيئا فشيئا .

موقف المشايعين للغرب

وكان جيل طه حسين ومنصور فهمي وتلاميذهما من غلاة المشايعين للحضارة الغربية وثقافتها « خيرها وشرها حلوها ومرها ، ما نحب منها ومانكره ومن زعم غير ذلك فهو خادع ومخدوع » ، كما عبر طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » ، وكما عبرت مذكرات السيدة زوجته الفرنسية التي نشرت اخيرا وقد اوضحت في جلاء كيف كانت قيادة البيت وتوجيه الاولاد في يدها تماما ، حتى اعلنت الاسرة كلها الحداد الطويل منذ هزيمة فرنسا امام الالمان ودخولهم باريس في الحرب العالمية الاخيرة واستمر ذلك الى ان دخل ديجول وجيش فرنسا الحرة مع جيوش الحلفاء باريس . وكان الرجل يسلم

(١) يعتبر كتاب نجيب العقيقي « المستشرقون » الذي نشرت طبعته الثانية في ثلاثة اجزاء سجلا شاملا للمستشرقين واتجاهات الاستشراق في مختلف بلدان الغرب ... ولم اذكر اسم « فيليب حتى » لانه لبناني الاصل ، وقد كان يعتز بأصله كثيرا الى ان توفي رغم جنسيته الامريكية ، وقد عانى - ولا سيما في اواخر حياته - من جراء اصله اللبناني واعتزازه به .

لزوجته هذه القيادة ويترك لها تماما توجيه الاطفال ، ولم يناقشها قط في هذا الامر . وكانت تحترمه ، كما تشهد بذلك صفحات المذكرات . كما كان هو يحترمها وبدا له ان يترك لفكرها القيادة والتوجيه علامة لاحترامه هذا الفكر ولتعلقه بصاحبته .. واشهد أن كل ما كتبه خصوم الدكتور طه حسين منذ الرافعي الى شباب المعاصرين عن الاتجاه الغربي لطه حسين ، لم يفعل في اثبات ذلك ما فعلته مذكرات السيدة قرينته ، ولروايتها في هذا الامر مكانتها ، وبخاصة انها لم تتحدث عن زوجها الا بكل ما ينبيء عن الود والاجلال ، وكذلك كان يتحدث عنها رحمه الله .

وشهدت كلية الاداب بالجامعة المصرية وقت عمادة طه حسين ووقت نفوذه بعد تركه العمادة ، الحرص على استقدام اساتذة اجانب في مختلف المجالات ، وفي مقدمتها الادب العربي ومنها تاريخ مصر واحيانا ما يتصل بالاسلاميات ، وعمل في الجامعة ليتمان وناللينو وغيرهم .

ثم اخذت نزعات الرفض للفكر الغربي ـ او لسيادته المطلقة بعبارة ادق ـ تبدو ساذجة اولا فواعية جادة بعد ذلك ، منذ قيام الحرب العالمية الاخيرة التي لم يكن للعرب والمسلمين فيها « ناقة ولا جمل » كما عبر شيخ الازهر المراغي بالنسبة لمصر ، ومع ذلك تكبد العرب والمسلمون في نصرة الجهود الحربية لبريطانيا وحلفائها التضحيات الجسام ... وقامت في كلية الاداب خلال السنوات المبكرة من الاربعينات موجة محدودة من التذمر بمناسبة كتاب ادبي فيه تعريض عابر برسول الاسلام صلوات الله عليه كان يدرس في قسم اللغة الانجليزية . وكان اصحاب الموجة طلابا متحمسين للاسلام لا باحثين اكاديميين متعقبين لاتجاهات المستشرقين وغيرهم من الكتاب الغربيين الذين يعرضون للاسلام واخطائهم المنهجية العلمية عن عمد او قصور .. ولكن ما لبثت البحوث الجادة في هذا الصدد ان توالت من افراد الجيل الذي تتلمذ على طه حسين ومن عدد اكبر من افراد الجيل الذي اعقبه . ثم اخذ الاتجاه يقوى ويتسع ويتعمق حتى الان . وظهرت كتابات محمد البهي وعمر فروخ ومالك بن نبي (٢) تنقد اتجاهات المستشرقين وآراءهم . وعني البعض بتعقب كتابات المتابعين لاتجاهات الاستشراق من الباحثين المسلمين والعرب (٣) . ومن احدث ما ظهر في نقد اعمال المستشرقين واتجاهاتهم كتاب كبير بالانجليزية لباحث فلسطيني مسيحي يعمل في التدريس باحدى الجامعات الامريكية هو ادوارد سعيد بعنوان « الاستشراق » (orientalism) ، ولنا عودة لهذا الكتاب في مقال قادم ان شاء الله . ومع البحوث الجادة في تقديم اعمال المستشرقين واتجاهاتهم وآرائهم لا تزال تتردد نغمة الرفض المطلق بين المتحمسين من المسلمين او من الغرب لدوافع دينية او قومية .

تحول منهج الباحثين

واذا كان المسلمون والعرب ـ والشرقيون بوجه عام ـ قد تحولوا من التسليم المطلق لآراء المستشرقين الى الرفض المطلق والنقد الموضوعي ، فان المتأخرين من الباحثين الغربيين المشتغلين بالدراسات الاسلامية قد تحولوا عن الاتجاه الشمولي الذي كان يمثله المستشرقون الرواد ومن اعقبهم مباشرة ، اذ كان المستشرق يجمع دراسة العربية وعلومها (اللغة والنحو والبلاغة والادب والعروض) والاسلام وعلومه (علوم القرآن والسنة والعقيدة والفقه) فضلا عن التاريخ والبلدان وغيرها . ويضيف الى ذلك اللغات السامية وربما العبرية ودراسات الكتاب المقدس بوجه خاص ، الى جانب

---

(٢) انظر للاول « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » وقد الحقت بطبعاته الاخيرة بحث بعنوان « المبشرون والمستشرقون » وانظر للثاني مع خالدي « التبشير والاستعمار » وانظر للثالث كتيبا صغيرا بالفرنسية بعنوان « المستشرقون والاسلام » وقد سبق ان عني محب الدين الخطيب بترجمة كتاب شاتلية الذي جعل عنوانها « الغارة على العالم الاسلامي » وله كتابات متعددة رائدة في هذا المجال ، رحمه الله واجزى مثوبته .

(٣) انظر مثلا د. محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها .



اليونانية القديمة ، وغير ذلك احيانا .. مما يذكر المرء بالعلماء والمفكرين الموسوعيين القدامى وماجرت عليه الجامعات الاسلامية العريقة مثل الازهر والزيتونة والقرويين قبل ادخال التخصصات المحدثة في اصول الدين والشريعة واللغة العربية وفصل احداها عن الاخرى ، اذ كان الطلاب يدرسون علوم الاسلام والعربية جميعا الى جانب المنطق والفلك والتاريخ والاخلاق ـ وربما الرياضيات ايضا في مرحلة اولية من الدراسة .

وجاء المحدثون من الباحثين الغربيين المشتغلين بالدراسات الاسلامية وبخاصة في الولايات المتحدة فآثروا ان يعكف منهم فريق على دراسة اللغة العربية وآدابها ، وفريق اخر على دراسة علوم العقيدة والفلسفة ، وثالث على التفسير والفقه ، ورابع على تاريخ العرب والمسلمين مترابطا حتى زمننا المعاصر دون فواصل زمنية ، بينا يعكف فريق خامس على دراسة المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، وسادس على دراسة الثقافات السائدة والانثربولوجيا ... ويكون كل فريق مختصا في دراسة للمرحلة الجامعية الاولى (الليسانس او البكالوريوس) بمجال التخصص الموضوعي المطلق غير مرتبط بالاسلاميات ، بمعني ان يدرس اللغات السامية ، او الاديان والفلسفة والقانون او التاريخ او الاجتماع والانثربولوجيا بوجه عام ، ثم تبدأ دراسته للاسلام والعربية في رحلة الدراسة التي تعقب رحلة الليسانس والبكالوروس . ونظر الباحثون الذين تخصصوا بهذه الطريقة في الكتابات الشمولية للمستشرقين السابقين فوجدوا فيها ثغرات لم ترضهم فنقدوا هذا الاتجاه ودعوا الى مسايرة الاتجاه العام للمعرفة في التخصص النوعي الفرعي بحيث يطبقون ذلك في مجال الدراسات الاسلامية ... ولكن استمر ايثار (شمولية) الاستشراق عند الباحثين الالمان ، والى حد ما عند الفرنسيين ايضا . وفي حين تأثر المشتغلون بالاسلاميات في بريطانيا وبخاصة شبابهم ـ بنزعة التخصص السائدة بين أقرانهم في الولايات المتحدة .

وهكذا برز بين المستشرقين المعاصرين من شيوخ وشباب مشتغلون بالفقه الاسلامي ، كان من روادهم شاخت الالماني رغم ان جيله وبلده الف الاستشراق الشمولي وقد تبعه في هذا المجال كولسون البريطاني ويودفيتش الامريكي الجنسية البولندي الاصل ، واختص لاووست الفرنسي ابن تيمية ببعض دراساته . كما عني جرونيبام وبرنارد لويس بصفة خاصة بالتاريخ والحضارة ، وعني مورو برجر الامريكي وجاك بيرك الفرنسي بالاجتماع والمجتمعات الاسلامية وجرتز بالثقافات والانثربولوجيا . وتميز الفرد كانتويل سمث ومالكولم كير بدراسة الاتجاهات الفكرية الاسلامية الحديثة هذا الى جانب المختصين بدراسة العقيدة والفلسفة والتصوف .

كذلك اخذ جيل من العرب والمسلمين والشرقيين الدارسين في الولايات المتحدة المضطلعين بالتدريس فيها طريقهم الى الظهور بين المشتغلين الغربيين بالدراسات الاسلامية . وان كان اصلهم يرجع الى البلاد العربية ومنهم من يدين بالاسلام ، ومن هؤلاء مهدي الحسيني الذي عرف باطروحته ودراساته عن ابن خلدون وشيبان (او شعبان) الذي عرف بدراسة من جزءين عن تاريخ الاسلام . وادوارد سعيد الذي عرف بكتابه عن الاستشراق ، ولم يكن مشتغلا في الاصل بمثل هذه الدراسات . وكل هؤلاء يشتغلون بالتدريس في جامعات الولايات المتحدة الامريكية . وبرز قبل هؤلاء البرت حوراني بجامعة اكسفورد في بريطانيا وجورج حوراني بجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس وانيس المقدسي بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالولايات المتحدة .

لقاء كاليفورنيا

ويقوم مركز دراسات الشرق الادنى في جامعة كاليفورنيا بلوس انجليس ويتسمى باسم المستشرق جوستاف فون جرونيباوم الذي ولد بفيينا عاصمة النمسا وعمل في الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٣٨ في معاهد علمية بنيويورك وشيكاغو ، وانتهى الى جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس . وقد توفي في لوس انجليس واوصى بما كتبه للمركز المذكور ، ويمنح المركز في كل عامين (ميدالية) لباحث مبرز في الدراسة الاسلامية ، يعقد بمناسبة تقليدها ندوة محدودة يدعى اليها علماء الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة وبعض الدول الاوربية وتسمى المدالية باسم المستشرق جيورجيو ليفي دبلافيدا . وفي المدة من ٢٧ الى ٢٩ ابريل سنة ١٩٧٩ . احتفل المركز بتقديم مدالية دبلافيدا لسابع مرة ، فهي قد انشئت منذ اربعة عشر عاما تقريبا ، وكانت في هذا العام من نصيب البرت حوراني الاستاذ بجامعة اكسفورد في بريطانيا وهو لبناني الاصل وله كتاب معروف عن « العرب والتفكير الحر الحديث » وتتكون لجنة منح المدالية من ستة علماء مبرزين في الدراسات الاسلامية ينتمون لمعاهد علمية متعددة في انحاء العالم . وهؤلاء هم حاليا الاب جورج شحادة قنواتي من معهد الدومنيكان بالقاهرة ، فرانز روزنتال من جامعة بيل (الولايات المتحدة) ، برتولد شبولر من جامعة همبورج (المانيا الغربية) ، اندرياس تيتيز من جامعة فيينا (النمسا) ، سبيروس فيرونيس وامين بناني من جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس (الولايات المتحدة) .

وقد ضمت الندوة زهاء خمسين مدعوا ، معظمهم من اساتذة الجامعات الامريكية ، ومن المدعوين من يعني بمجال الدين عقيدة وشريعة ، ومنهم من يعني بدراسة المجتمعات الاسلامية ، ومنهمْ من يعنى بمجال التاريخ والحضارة الاسلامية ، ومنهم من يعني بالادب العربي وهكذا . وبين هؤلاء المدعوين احاد من المسلمين : منهم الاستاذ فضل الرحمن واصله من شبه القارة الهندية وهو يعمل حاليا في جامعة شيكاغو ، والاستاذ الجبار وهو بريطاني اعتنق الاسلام وتسمى بحميد ويعمل في جامعة كاليفورنيا في بركلي ، والاستاذ الباقي هو ماس التونسي الاصل ويعمل حاليا في جامعة كاليفورنيا في بركلي ، الى جانب الاستاذة عفاف لطفي السيد من جامعة كاليفورنيا في بركلي وكاتب هذا التقرير من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض الذي كان من المدعوين الوحيد الذي يعمل في جامعة اسلامية في بلد اسلامي . وقد دعي قبيل انعقاد المؤتمر ببضعة ايام ، وكان هناك بين المدعوين أحاد أخرون من المسيحيين العرب منهم ادوارد سعيد من جامعة كولومبيا في نيويورك ، ومنح خوري وفرح زيادة وغيرهم .

وكان المحور الذي تدور حوله موضوعات الندوة « الدراسات الاسلامية (المحدثة) : رصيدها ومشكلاتها » . وكان الخطاب الافتتاحي في الندوة لرئيس الجامعة تشارلز يونج ، وقد اعقبه بالحديث الفائز بالمدالية البرت حوراني فتقلد المدالية ثم تناول في خطابه للندوة موضوع « التاريخ الاسلامي ، تاريخ الشرق الادنى ، التاريخ الحديث » . وقد اشار الى تطور الدراسة التاريخية لمنطقة الشرق الادنى من المنظور الاسلامي في اول الامر ، الى دراسة للمنطقة من نظرة تربطها باوربا سياسيا وعسكريا واقتصاديا وتعتبر الشرق (ادنى) الى اوربا موقعا واهمية ، حتى وصلت الدراسة للمنطقة حديثا الى دراسة موضوعية ترتبط بالعصر وقيمه ولا تربط المنطقة بزمن قديم او بمنطقة اخرى ، وكأن هذا التاريخ قد (أستقل) باستقلال دول المنطقة وقيام دولها (العصرية) او المعاصرة ، هذا تسليم الباحث (بالاستمرار) التاريخي للجذور الاسلامية في التاريخ الحديث للمنطقة باعتبارها (اصولا كلاسيكية) ، وهذه النزعة التي تحاول ان تنتزع المنطقة من الاسلام مع التسليم بأهميته في تكوين (الاصول) التاريخية فحسب هي نزعة معروفة عند المشتغلين بتاريخ المنطقة من الغربيين والمتابعين لنهجهم .

اهتمام متزايد بالاسلام

وقد تعاقب المتحدثون على تقويم الجهود العلمية التي قدمها المشتغلون بالدراسات الاسلامية من مختلف الدول الغربية ومنهم من اتجه في حديثه جهة

(شمولية) على عادة المستشرقين الرواد واتباعهم ومنهم من آثر وجهة متخصصة بشأن المتأخرين فعني بدراسة مجال بعينه مثل الدين او التاريخ او المجتمعات او الادب .

فتناول « جوزيف فان اس » من جامعة توبنخن في المانيا الغربية تقويم الاستشراق الالماني ككل منذ يوليوس فلهوزن الى كارل بكر . وعرض ادوارد سعيد من جامعة كولمبيا في نيويورك للوجهة اللغوية في دراسة الاسلام المرتبطة بالثقافة الفرنسية والتي تتمثل في رينان وماسينيون ومثل ادموند بيرك الثالث من جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز الاتجاه المؤمن بالتخصص النوعي داخل نطاق الدراسات الاسلامية ، فكان موضوع حديثه « سوسيولوجيا الاسلام ، تقاليد المدرسة الفرنسية » وكذلك فعل ايرالابيدوس الذي كان موضوع حديثه « الاسلام والتجربة التاريخية للشعوب الاسلامية : التحدي المعروض على الباحثين المعاصرين » . ومن الذين مضوا في تقويم جهود المشتغلين بالدراسات الاسلامية من زاوية تخصص معين أيضا جاروسلاف استيتكفيتش من جامعة شيكاغو الذي تناول في حديثه « الشعر العربي والاتجاهات المتنوعة للنقد الاوربي ، مزايا الممارسة النقدية وعيوبها » وفضل الرحمن من جامعة شيكاغو الذي كان موضوع حديثه « الدراسات الاسلامية ومستقبل الاسلام » وقد عني بوجه خاص بالدراسات التي تتناول الاسلام باعتباره دينا وهي مجال اهتمامه .

ومن المؤسف حقا ان الاوراق التي تقدم بها الباحثون في الندوة لم تطبع وتوزع ، وبذلك كان لا بد من الاعتماد على الذاكرة والمذكرة . ومن الملاحظ ان المتحدثين في الندوة لم يكن بينهم سوى مسلم واحد . وقد اوضح فضل الرحمن في جلاء ان ما يتعلق بالاسلام باعتباره دينا ، الباحثون المسلمون اقدر على دراسته وعرضه ، ولا بأس أن يشارك المسلمين غيرهم في المجالات الاخرى مثل التاريخ والادب ولكن الباحث المسلم الوحيد بين المتحدثين عرض في جوابه على سؤال احد المشاركين في الندوة للتشدد والمحافظة بين المسلمين . ومع اشارته للفارق بين مفهوم هذه النزعة في المسيحية ومفهومها في الاسلام والفارق بين الجماعات الاسلامية الحديثة في مفهومها للتشدد والمحافظة وفي الممارسة والتطبيق ، الا انه سمي جماعات اسلامية معينة في شبه القارة الهندية والبلاد العربية ووصفها بتلك النزعة . ويبدو ان الباحث قد عاني شخصيا من بعض المشكلات بالنسبة لمن وصفهم بالتشدد والمحافظة في الهند . ولفضل الرحمن كتاب معروف بالانجليزية توالت طباعاته المتعددة عن « الاسلام » ويتضمن اجتهادات شخصية لا يرضى عنها جمهور علماء المسلمين . على ان للكتاب ايجابياته واهميته باعتباره مرجعا متداولا بين قراء الانجليزية عن الاسلام كتبه مسلم لا بد ان يكون فهمه للاسلام وتعبيره عنه على اي حال اقرب للحقيقة وادق من كتابات غير المسلمين .

وقد تجلى في المؤتمر تزايد الاهتمام بالاسلام بين الباحثين الغربيين نتيجة الاهتمام بمصادر النفط في البلاد الاسلامية على ضفتي الخليج وفي ليبيا ونيجيريا واندونيسيا ، وبخاصة بعد احداث قطع النفط خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، واحداث الثورة الايرانية التي انتهت بخروج الشاه منذ شهور وما ترتب عليها بالنسبة للنفط ايضا . ونسأل الله ان يتزايد (الحضور) العلمي للمسلمين في مختلف مجالات الدراسات الاسلامية ومؤتمراتها ، فهم اعلم بدينهم واقدر على التعمق في دراسته والتدقيق في عرضه حتى يفرضوا احترام وجودهم العلمي على المشتغلين بهذه الدراسات في كل مكان .

وهم يستفيدون من الاتصال العلمي بغيرهم من المشتغلين في هذه المجالات ومن مناقشة الموضوعات من وجهات نظر مختلفة ، فيضيفون الى مصادر معرفتهم التي تعتمد على القراءة رصيدا من التعرف على وجهات النظر واتجاهات البحث الاخرى ، ومن الحوار والخبرات المكثفة التي تتجمع في المؤتمرات ويستفيدون من ذلك كله ، كما يفيدون الآخرين بما لديهم من معرفة وتمرس بالمصادر واللغة . ولكي يؤتي هذا التعاون العلمي ثماره لا بد ان يجري في مناخ صحي من التفهم المتبادل والبحث الجاد والحوار الايجابي البناء حتى يترتب على ذلك نتائجه في تبادل المعارف والخبرات وتنميتها بتعاون الجهود .

وعلى الله قصد السبيل . . . ■■

د . محمد فتحي عثمان

النفط والوحدة العربية

تأثير النفط العربي على مستقبل الوحدة والعلاقات الاقتصادية العربية ـ مركز دراسات الوحدة العربية

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

بهذا العنوان الاساسي والفرعي صدر في بيروت عن مركز دراسات الوحدة العربية الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته . وهو الكتاب الاول في سلسلة دراسات عن الوحدة العربية يزمع مركز دراسات الوحدة العربية اصدارها . وهو من تأليف الاقتصادي العربي الدكتور محمود عبد الفضيل .

يحاول المؤلف في الكتاب البحث عن اجابة لسؤال طرح من قبل المفكرين العرب منذ مدة طويلة وقد ازداد ترديده خلال السنوات الخمس الاخيرة . والسؤال هو : هل يحقق النفط العربي الوحدة العربية ؟ ام ان هذا النفط الذي استفادت منه اقطار عربية دون اخرى قد يعيق الوحدة المنشودة والتي كانت ولا تزال امل الجماهير العربية ؟ للاجابة على هذا السؤال ، وهو كما يظهر للقارىء متشعب وسياسي اكثر مما هو اقتصادي ، يفرد الدكتور محمود عبد الفضيل الفصول السبعة التي تناول فيها الموضوع لمحاولة الاجابة على جزئيات من السؤال المطروح .

في الفصل الاول يطرح الدكتور محمود اطار المشكلة الذي هو بصدد بحثها ثم يتناول في الفصول الخمسة اللاحقة بعض القضايا الواقعية في اطار الاقتصاد السياسي القائم بين الاقطار العربية اليوم وهي : تدفقات العمالة من البلدان العربية غير النفطية الى البلدان العربية النفطية . ثم الآثار الايجابية والسلبية لعملية هجرة العمالة العربية الى الدول النفطية هذا في الفصل الثاني والثالث . اما الرابع والخامس ، فيعني الدكتور محمود عبد الفضيل بموضوع التدفقات المالية من البلدان العربية النفطية الى البلدان العربية غير النفطية ثم اموال النفط والمشروعات العربية





المشتركة . اما الفصل السادس والسابع فيفردهما المؤلف لمعالجة الاتجاهات الجديدة في مجال التطور التكاملي لحركة عوامل الانتاج في الوطن العربي اولا . ثم الاقتصاد السياسي للوحدة العربية وآفاق المستقبل .

في هذا الاطار يناقش المؤلف تلك القضية الحيوية ، قائلا ان « الحقبة النفطية الجديدة » ـ ويعني بها فترة ارتفاع اسعار النفط في بداية ١٩٧٤ ـ قد ولدت علاقات وظواهر جديدة في اطار الوطن العربي لذلك فان هذا العمل (الكتاب) يصفه المؤلف بأنه « المحاولة الاولى للامساك بشكل منهجي ومنظم بالقضايا والمشاكل والآفاق الجديدة التي يطرحها وجود البترول العربي » .

وعندما يأتي المؤلف الى تحديد اطار المشكلة التي يعالجها يذكر ان اوضاعا وعلاقات اقتصادية جديدة تتشكل وتتبلور في المنطقة العربية ـ منذ الحقبة النفطية الجديدة ـ ادت الى تغيير معالم الصورة الاقتصادية المألوفة في الخمسينات والستينات ، وخلقت بذلك وضعية ديناميكية جديدة تحتم طرحا جديا لقضايا الاقتصاد السياسي وللعلاقات الاقتصادية العربية من منظور التكامل الاقتصادي والوحدة العربية ص ٩ . ويرصد المؤلف بعض هذه الظواهر في ارتفاع متوسط الدخل للفرد العربي في اقطار النفط مع استمرار او انخفاض في هذا الدخل في اقطار عربية اخرى مما نتج عنه تقسيم العرب الى « دول العسر » و « دول اليسر » . ويلاحظ الكاتب ان هذا الوضع ناتج عن ظروف جغرافية وتاريخية عابرة .. غير ان آثاره بدأت تترك آثارا وحساسيات بعيد المدى .

وقد لاحظ الكاتب في هذا الاطار معدلات النمو المرتفعة في اقطار اليسر . ويبدو لنا ان الكاتب قد اخذ كحقيقة نهائية الدخل الضخم من النفط بأنه معدلات نمو ـ الا اذا كان الانفاق هو المقصود بالتعبير ، وهنا يجوز قبوله ، حيث ان مفهوم النمو وبالتحديد التنمية مرتبط بتحقق مجموعة عناصر بجانب العناصر الاقتصادية وهي الاجتماعية والسياسية .

كما ان الكاتب في هذا الاطار لا يحدد اتجاه (مسار) واضح لاتجاه التفكير لديه حول هذه القضية ففي حين يقرر (في ص ١٣) « ولكن بالرغم من تزايد حدة الفروق واتساع حجم الفجوة بين بلدان المجموعتين (دول العسر ودول اليسر) ، فان تزايد عائدات النفط قد ساعد من ناحية على خلق شبكة جيدة ومتنامية من العلاقات الاقتصادية والتدفقات المالية والعمالية والسلعية بين بلدان المجموعتين » الا انه في صفحة ١٨

يلاحظ من جديد (انه بالرغم من كثرة المؤسسات والمشاريع العربية المشتركة ما زالت النظرة القطرية الاقتصادية هي السائدة . فقد نتج عن ارتباط النفط بنشوء الدولة الحديثة في بلدان الخليج العربي والالتزام بالكيانات الصغيرة ظهور نوع جديد من « القطرية النفطية ») الازدواجية المنهجية تظل قائمة كما قلنا وهي عدم تحديد موقف او محصلة للاجابة على السؤال الفرعي وهو هل « التعاون » العمالي والمالي ايجابي ام سلبي لحساب القضية الاصلية وهي الوحدة العربية . وفي موضوع تدفقات العمالة من البلدان غير النفطية الى النفطية وتأثيراتها . هذه الظاهرة السلبية والايجابية معا يضع امامنا المؤلف هذا الموضوع المتشابك بوضوح وجلاء فقد غدت عمليات الهجرة وانتقال الايدي العاملة من البلدان العربية غير النفطية الى البلدان العربية النفطية من اهم معالم الحياة العربية المعاصرة (ص ٢٠) الا ان هذا الموضوع « التصدير والاستيراد » للايدي العاملة قد اثار ولا يزال يثير مجموعة معقدة من المشكلات فاولا الهجرة الى الدول النفطية غير منظمة ولا مقننة . كذلك تسبب في بعض قطاعاتها « فراغا » في الدول المصدرة . مع الاتجاه في الكثير من الاقطار النفطية الى استيراد عمالة اجنبية (غير عربية) . ورغم ان المؤلف هنا قد اعطانا الكثير من الاحصاءات الحديثة بحجم ونوع واتجاهات الهجرة . الا انه أغفل الى حد ما العامل الانساني . وبالتحديد علاقات العمل وتأثير المهاجرين على المقيمين من حيث الاتجاهات الثقافية والسياسية والتي يمكن ان نتعرف من خلالها على الايجابيات او السلبيات الناتجة على موضوعات كالوحدة العربية ـ او المصير العربي المشترك .. الخ . على الرغم من اهتمام المؤلف بتأثير هذه الهجرة على ميزان المدفوعات والطاقة الادخارية وشكل الاستهلاك في الدول المصدرة . ويضيف المؤلف هنا حقيقة مغايرة للفهم العام في الادبيات التي تتناول موضوع الهجرة العربية . وهي ان الهجرة تحل مشكلة البطالة المقنعة والحقيقية في دول التصدير . ولكن المؤلف يصل الى عكس هذا التصور وهو ان الهجرة لا تحل نهائيا مشكلة البطالة (ص ٥٤) حيث ان للاخيرة اسبابها المتعددة كأعداد الايدي الفنية الماهرة والاستعداد الاجتماعي لتعاطي نوع معين من العمل .. الخ وليس فقط وجود فرص العمل او عدم وجودها . وضمن القضايا الهامة والتي تصب باتجاه سلبي في قوة العمل ـ المهاجرة بالتحديد والمحلية ايضا ـ هذا « الاتجاه الاستهلاكي النفطي » ان هذا الموضوع هام واساسي لدراسة تأثير هذه العلاقات على مستقبل الوحدة العربية فالمؤلف يعرض اليه بشكل دقيق (في الصفحات من ٦٥ ـ ٧٤) فهو يجد ان « من الجدير بالذكر ان « تأثير المشاهدة » بين الشعوب العربية هو اقوى بكثير من دور تأثير مشاهدة الشعوب العربية لغيرها من الشعوب » ويعطي المؤلف مجموعة من الاسباب لهذا التأثير والتأثر . وما يهمنا هنا هو ان هذه الملاحظة هامة في تحديد طبيعة العلاقات الخاصة والمميزة للشعب العربي . فهو اذا ليس « شعوبا » بالمعنى السياسي للكلمة انما مجتمعات وثقافات ذات اصول واحدة تجمع بينها لحمة وتسيج في اطاره يتم تحقيق اهدافها . ومن هنا فان ملاحظة المؤلف حول « تأثير المشاهدة » كان يمكن ان تطور اكثر .

وعندما يناقش المؤلف موضوع التدفقات المالية من البلدان العربية النفطية الى البلدان العربية غير النفطية . فانه يلاحظ اولا ان مشكلة « الفوائض المالية » هي مشكلة مطروحة على المستوى القطري ولكنها بالتأكيد ليست على المستوى القومي ـ ويمكن ان تكون قوميا على العكس « مشكلة نقص في التمويل » . كما يلاحظ المؤلف عن حق ان مشكلة الفوائض النفطية المالية ليست دليلا عن ثراء المنطقة انما هي احدى ظواهر تخلفها الاقتصادي ودليل على عدم كفاءة اسواقها المالية سواء في استيعاب هذه الفوائض أو تشغيلها .

الا ان المؤلف في هذا الاطار يعالج الواقع فيتجه الى دراسة دور مؤسسات التمويل الانمائي العربي في تسيير حركة « الفائض » داخل المنطقة العربية . ويعنى الكاتب بدراسة أولا : مؤسسات التمويل متعددة الاطراف ومن امثلها الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي والشركة العربية للاستثمار .. الخ (ص٧٦ ـ ٧٧) وكذلك مؤسسات التمويل الانمائي القطرية . ومثالها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية . وصندوق ابو ظبي للتنمية

والصندوق العراقي والسعودي .. ويدخل المؤلف في نقاش اقتصادي في هذا الاطار من حيث الاستخدام الافضل لهذه الاموال خاصة في مؤسسات التمويل القطرية ويلاحظ المؤلف الضآلة النسبية للموارد المالية المخصصة لصناديق الانماء العربي من جانب الدول العربية المصدرة للنفط وكذلك سلبيات سياسات الاستثمار الذي تقوم به الصناديق .. « ويعود ذلك ـ كما يلاحظ المؤلف ـ الى نوعية المستثمر العربي الخاص في الدول النفطية ـ فهو عادة مستثمر يعرف طريقه بسهولة في مجال الاستثمارات العقارية وأعمال الوساطة التجارية ، ولكنه محدود الخبرة في الاستثمارات المباشرة الاكثر تعقيدا في المجال الصناعي . ولذا فهو يؤثر عليها القرارات السهلة . (ص٧٩) .

كما يشير المؤلف الى حقيقة سلبية اخرى في هذاالاطار وهي « ان الجانب الاعظم من حركة الفوائض المالية للبلدان العربية النفطية يجري اعادة تدويرها خارج اطار صناديق الانماء .. كما ان الجانب الاعظم من الموارد المالية لهذه الصناديق موزعة بين يدي الودائع لدى البنوك والاستثمارات المالية » ويعترف المؤلف أن وجهة النظر التي يدعوا لها في اطار الاستخدام الافضل لهذه الاموال ـ من خلال صناديق الانماء ـ لها معارضوها والتي قد تبني وجهات نظرهم على حقائق اقتصادية ايضا (ص٨٥) .

ويذهب المؤلف بعد ذلك الى نقد سياسات التمويل لصناديق الانماء العربي التي تعكس تخلفا هاما في الاداء في مجال استكشاف واعداد وترويج المشروعات والبرامج الاستثمارية العربية المشتركة (ص ٩١) ويقترح بعد ذلك اسلوبا امثل لعمليات الاقراض الانمائي لصناديق الانماء العربية وهو اسلوب « تمويل برامج التنمية » لتفادي عيوب وسلبيات اسلوب « التمويل المشروعي » . ولا شك ان هذا الاقتراح طموح للغاية اذا اخذنا بالاعتبار واقع المساعدات الانمائية من حيث رأس المال المتاح والسياسات المرسومة .

في القسم الآخر من هذا الموضوع يدرس المؤلف تدفقات المعونات المالية من الدول العربية النفطية الى الدول العربية غير النفطية ، ويشير الى هذه المعونات على انها دعم مباشر للميزانية ـ وهي اما تدفقات ميسرة او غير ميسرة الشروط ، كما يشير المؤلف الى ان الفرق بين حجم الارتباط اي الاموال التي وعد بتمويلها وبين الحجم الفعلي للمسحوبات اي الاموال التي دفعت بالفعل جد كبيرة . ولا تفوت المؤلف ملاحظة ان هذه المعونات لها اسباب سياسية الا انه يقع في خطأ المقولة العامة للنظام الرسمي المصري عندما يوازن (في صفحة ٩٨) بين خسائر مصر من جراء الدخول في معركة مع اسرائيل والمبالغ المدفوعة لها من الاقطار العربية ـ بهذه الاشارة يبدو ان المؤلف قد يقبل المقولة المرددة في الصحافة والقائلة بأنه يجب تعويض هذا القطر او ذاك بسبب دخوله المعركة مع عدو مشترك ؟؟ ويذهب المؤلف الى محاولة القاء الضوء على البواعث ـ كما سماها ـ التي دفعت الدول العربية النفطية الى تقديم المعونات المالية للدول العربية غير النفطية (مصر ـ الاردن ـ سوريا) ويحدد هذه الاعتبارات على انها اعتبارات سياسية واعتبارات اقتصادية واعتبارات اخلاقية ؟ ؟

وعندما يعكف المؤلف على دراسة اموال النفط والمشروعات العربية المشتركة يعدد المشروعات العربية الكثيرة المشتركة التي أنشئت بمبادرة من جانب مؤسسات حكومية او مشروعات عربية مشتركة وأنشئت بمبادرة من جانب شركات الاستثمار العربية ، وكذلك المشروعات العربية المشتركة في قطاع النفط والتي كانت منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (بمجلسها الوزاري) خلف فكرة هذه المشروعات . ويخلص من هذا الموضوع بملاحظة « انه على الرغم من ان الشركات والمشروعات العربية المشتركة قد تكون احد الاشكال الهامة التي تسمح بتدفق رؤوس الاموال الخاصة والعامة ... ولكنها ستبقى صيغة محدودة الاثر فيما يتعلق بتحقيق التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية (ص ١٢٥) .

وعندما يتحول المؤلف الى دراسة الاتجاهات الجديدة في مجال التطور التكاملي لحركة عوامل الانتاج في الوطن العربي ، فان القارىء يلاحظ بوضوح المفارقة التي يصل الكاتب اليها بعد ان يعدد المجهودات الضخمة لحماية « رؤوس الاموال العربية في الاقطار العاملة فيها وعدم وجود هذا الاهتمام « للانسان العامل » (ففي حالة

انتقال رأس المال نجد ان هناك الكثير من التنظيمات المؤسسية والترتيبات القانونية التي تحكم حركة انتقال وانسياب رؤوس الاموال من البلدان العربية النفطية الى البلدان العربية غير النفطية ، اما في حالة انتقال عنصر العمل فليس هناك اية تنظيمات مؤسسية أو ترتيبات قانونية بدرجة مناظرة الفعالية تحمي حقوق العامل العربي) (ص ١٢٩) ففي ظل الأوضاع الراهنة يلاحظ غياب اي اطار تنظيمي واضح ومحدد لحقوق العمالة المهاجرة ... فالغالبية من الدول العربية تضع العامل العربي في وضع العامل الاجنبي .

ويدرس المؤلف بكثير من التفاصيل الاطر القانونية التي تضمن وتشجع تدفق رأس المال العربي كاتفاقية منازعات الاستثمار الخ من الاتفاقيات والقوانين ... لقد حاول المؤلف محاولة جادة لدراسة ظاهرة الغنى في بعض الاقطار العربية من جراء النفط وتأثير ذلك على بعض العلاقات الاقتصادية في الاقطار العربية ـ وتلك محاولة جديدة وجريئة بغير شك . الا ان عنوان الكتاب كان يمكن ان يكون النفط والعلاقات الاقتصادية العربية ـ حيث ان الاجابة على السؤال الذي طرح في البداية وهو مدى تأثير النفط على الوحدة العربية لا يمكن حسابه اقتصاديا فقط فهو في المجال الاول سياسي وفلسفي ايضا ـ من بعض الاتجاهات المدروسة في هذا الكتاب مثلا يظهر لنا ان النفط في بعض الاوقات عامل تقارب ايجابي وفي بعض الاوقات الاخرى عامل تنافر سلبي لذا لا يمكن وضع اليد على محصلة اقتصادية بعيدا عن الاطار السياسي الاجتماعي القومي وكذلك الدولي لتحديد دور النفط على الوحدة . فالنفط بحد ذاته لا يمكن اعتباره عنصرا حاسما في تحقيق هدف كالوحدة العربية وحتى عن طريق اقصى ما يمكن من التعاون الاقتصادي . لذلك فان السؤال الذي طرحه المؤلف على نفسه لم تجر الاجابة عليه بوضوح ـ وهذه سلبية منهجية تلاحظ على الكتاب . الوحدة العربية قضية ربما اثر عليها سلبيا وجود النفط والاموال الناتجة منه وهناك دراسات اليوم في الغرب ترى ان زيادة اسعار النفط هو طريق لتطمين الاقطار العربية وبالتالي اعطاء تنازلات قومية في قضايا مصيرية ربما مثل القضية الفلسطينية ـ التي لم يشر المؤلف الى علاقتها بالنفط وبالتالي بالوحدة ـ او قضايا اخرى مثلها*. وكذلك في مجال أخر فان النفط قد حقق نوعا من الوحدة « مثل دولة الامارات العربية » التي لم يشر المؤلف اليها من قريب او بعيد .. وتبقى قضية الوحدة والنفط مجالا لكثير من الاجتهادات وهي أن الوحدة العربية ليست احادية العنصر ـ ولكنها موضوع مركب تحتاج الى دراسة في الاطار الشمولي .. ومع ذلك يظل الكتاب الذي بين أيدينا مؤلفا قيا ومحاولة جادة تفيد القارىء العربي في الموضوع . ■■

د . محمد الرميحي

---

* انظر في هذا الموضوع على سبيل المثال كتاب
prtrt r. odell oil and world power - pengiun books 1978 .

منطق الاطفال

كانت احدى السيدات مارة في الطريق فرأت طفلا امريكيا يدخن سيجارة ، فقالت له محذرة : ـ هل يعلم والدك أنك تدخن سيجارة ؟

فأجابها الطفل على الفور : ـ وهل يعرف زوجك بأنك تكلمين الرجال في الطريق ؟



قراءة في ملحمة

الحرافيش

بقلم : الدكتور صلاح فضل

« في ظلمة الفجر العاشقة ، في الممر العابر بين الموت والحياة ، على مرأى من النجوم الساهرة ، على مسمع من الاناشيد البهيجة الغامضة .. طرحت مفاجأة متجسدة للمعاناة والمسرات الموعودة لحارتنا » .

في هذه الافتتاحية الشاعرة يلخص الكاتب الكبير نجيب محفوظ ملامح رؤيته الكونية كما تتجسد في ملحمة الحرافيش ، فهي رؤية تتذرع بالاسطورة دون ان تقع في قلبها ، وتسترق السمع لما وراء الواقع دون ان تبرح مكانها ، وتطرح مناجاة الماضي اسئلة على المستقبل الموعود .وهي فوق ذلك تقيم « حارتنا » نموذجا للكون ، وتجعل منها العالم الاكبر ، وترى فيها الماضي السحيق والحاضر القريب . فهي من هذه الوجهة امتداد لعملية السابقين « اولاد حارتنا » و « حكايات حارتنا » ، ولكنها طراز فريد في بنائها الفنى ، يجرب فيه مؤلفنا اطارا روائيا ملحميا من حقه ان يدرس بعناية وتمهل ، فاذا كانت الملاحم الكبرى تشمل عادة اثنتى عشرة مرحلة ، فان الحرافيش تتضمن عشر حكايات ، وتستغرق امتدادا زمنيا مهولا يمتد عبر ما يربو على عشرة اجيال اى قرابة اربعة قرون . وكل حكاية تتوزع الى فصول تتراوح بين الطول والقصر ، وتبلغ الحكاية في المتوسط ٥٠ فصلا ، قد يتكون احدها من جملة واحدة مثل قوله :

« لو ان شيئا يمكن ان يدوم على حال فلم تتعاقب



نجيب محفوظ

الفصول ؟» (صفحة ١٩٤) او يستغرق عدة صفحات ، وتعتمد في التوزيع على الحدس بالزمن وطيه ، وحركة الشخصيات ، وتنقلات الاحداث ، وتنبسط او تتكثف طبقا لتداخل هذه العناصر ، لكنها تخضع في نهاية الامر لنوع من الايقاع الشديد الانضباط البالغ الدقة . فاذا كان نجيب محفوظ يثير دهشة مؤرخيه بانتظامه والتزامه ودقته الصارمة فان توازن الاجزاء في ملحمة الحرافيش لا يقل عن ذلك اثارة للدهشة ، اذ قد تطول الفصول او تقصر لكن مجموعها يصل في عدة حكايات الى ثماني وخمسين صفحة لا يتجاوزها في معظم الاحوال .

من ناحية الشمول

وعندما نتساءل عن اهم العناصر الملحمية في الرواية الحديثة نجدها تتمثل في ثلاث عناصر : الشمول الكلي في الرؤية ، والاستبعاد الزمني بالاسطورة ، والتكثيف الشعري في الاداء . فماذا في ملحمة الحرافيش من هذه العناصر ؟

من ناحية الشمول هناك طموح شديد لتمثيل الانسان في الرواية باعتباره كائنا بشريا يلخص تاريخ الخليقة ، فعاشور الناجي يعادل الانسان الاول ، ابن الخطيئة ، لقيط في الكون ، تمتد اليه يد ضرير ـ الشيخ عفرة زيدان ـ الذي ربما كان يعادل القدر العشوائي ، ويحاول غوايته اخوه درويش ـ على وزن ابليس ـ ولكنه ينجو بالعمل المسخر لخدمة الانسان . ثم يحل الوباء بالحارة (= الدنيا) ويفتك بأهلها ، ويعتصم عاشور مع زوجته الغانية وابنه بالجبل فيمثلون النجاة من الطوفان في قصة الخليقة . ويظل عاشور رمزا للخير ودرويش رمزا للشر ويتجاوران ، احدهما يقوم بدور « الفتوة » المثالي الذي يسخر قوته لحماية المستضعفين ونشر العدل وردع الوجهاء وتحقيق الخير . والثاني يدير « البوظة » ويلعب بالغرائز ويثير الفتنة ويرضي الشهوات ، لكن مثالية عاشور الناجي ليست مثالية اخلاقية فحسب بل ايضا مثالية فلسفية ، اي انها لا تقوم على اساس من استقراء التاريخ البشري والاحتكام الى مراحل تطوره الفعلية ، وانما تعتمد على فرض من صنع المؤلف ، هو ان بطلا ما يقرر بمحض ارادته الفردية ان يقيم نظاما من الفتونة على اساس من الخير والعدل ويرفض انحرافها الى البلطجة والتكسب بالقوة . وبالرغم من ادراك المؤلف ووعيه العميق بالعوامل الفاعلة في المجتمع وللصراع الطبقي ولنزعات النفس الانسانية

ولمختلف القوى التي تدير الحياة وتمثيلها برموز متكررة مثل السبيل والزاوية والبوظة والتكية ، الا ان هذا الادراك لا يفيده في التكييف التاريخي المتوازن للدور الذي يقوم به نموذجه الاساسي . فيظل عاشور ومن بعده ابنه شمس الدين شخصيات فرضية وهمية لاتتمتع بحياة خصبة مشبعة برائحة الوجود الفعلي . انها تعيش فحسب حياة الاشباح دون اية ارتباطات تاريخية محددة ،

ويظل هذا الافتقار الى الوجود الفعلي بزخمه الخصب ماثلا في معظم اجزاء الرواية ، فهي تقع في مصر المحروسة ، في مكان متعين على مشارف الصحراء مما يلي الدراسة ويتاخم الجيوشي ويقرب من العطوف ، ولكنها تقع في فراغ زمني رهيب ، لا حكام ولا عهود ولا مراحل تاريخية خاصة ، فهل كانت مصر حينئذ عثمانية ام مملوكية أم خديوية ؟ الم يكن لها اى احتكاك بشعوب اخرى تركية اسلامية ام اوربية غازية ؟ باستثناء بعض الاشارات اليسيرة في التكية والخواجة لا سبيل امامنا لموقعة ملحمة الحرافيش تاريخيا .

وهذا على وجه التحديد ما يقصده المؤلف ، فهو الذي كتب من قبل القصة التاريخية يدير ظهره عامدا للتاريخ استجابة للمطلب الثاني من مطالب الاطار الملحمي الروائي وهو الاستبعاد الزمني بالاسطورة ، والاسطورة هنا لا تتمثل في الافعال الخارقة المعجزة ولا في البطولات الفذة النادرة ولا في العناصر الغيبية المذهلة ، وانما تتمثل على وجه التحديد في اقامة عالم خاص مقطوع الوشائج الظاهرية على الاقل بدنيا الناس وما يأهلها من سكان حقيقيين لهم اسماء تاريخية محددة .

بين الحلم والمعجزة

لكن هذا القدر من التمثيل الاسطوري لا يكفي لبعث الروح الملحمي في الرواية ، فكان على نجيب محفوظ ان يكون اشد جرأة في ملامسة الفعل الخارق المعجز ليضرب في العظم الميثولوجي الصلب ، وقد اوشك في لحظات قاتلة ان يدخل مجال الاسطورة لكنه كان لا يلبث ان يولي الادبار كأنه يفر من حقل الغام . مثلا عندما احتدمت المأساة في نفس شمس الدين غيرة على امه ذات الماضي الموجع ذهب محزونا الى ساحة التكية « ومن شدة اساه حمل السور المتراسي فوق عاتقه » (صفحة ١٢٤) . وعندما يدرك الشيب شمس الدين يتذكر - فقط يتذكر - الاولياء الذين عمروا الف عام . وتأتي الحكاية السابعة لتدعو المؤلف الى مشارفة الأسطورة بجرأة أشد ، اذ اراد جلال أن يدرك الخلود فذهب الى شاور يلتمس السحر ومرافقة الجان ، فأشار عليه بالاعتزال عاما كاملا وبناء مئذنة بلا مسجد ووقف عمارته على مريدته حواء ، وبعد أن وفى جلال بكل ذلك مات بالسم على يد زينات الشقراء ، وخرج عاريا لينكفىء على حوض الماء ويصبح أمثولة ساخرة في فم الأجيال .. كان الطريق ممهدا لأسطورة فذة ، ولكن نجيب محفوظ لا يجرؤ على اقتحامه ، ويكتفي بمحاولة الايحاء لنا بالمناخ الأسطوري - بالرائحة فحسب - بوسيلتين :

أولاهما : تحويل الأحداث الواقعية العادية الى مبالغات تختمر في حضن الماضي وتصبح عجائب .

وثانيتهما : استخدام الحلم لمعانقة المعجزة وكسر قوانين العالم الخارجي ، مثلما نرى عند وحيد في حلمه بعاشور الشيخ الأكبر (صفحة ٢٦٢) .

وبهذا يظل عالم الاسطورة مغلقا أمام نجيب محفوظ يقعده حسه الواقعي الحرفي عن ولوجه ويدفعه طموحه الملحمي الكبير لمشارفته ، ولو تذكرنا مثلا ما فعله كتاب أمريكا اللاتينية في نهضتهم القصصية المذهلة التي اصبحوا بها سادة الرواية العالمية الحديثة لوجدنا أن سر عظمتهم يكمن على وجه التحديد في اكتشافهم لصيغة جديدة من صيغ الواقعية هي ما أطلقوا عليه الواقعية السحرية ، ولوجدنا أن كبرى أعمالهم « مائة عام من الوحدة » لجارثيا ماركيث تقدم عالما شديد الشبه بما يطمح نجيب محفوظ الى تقديمه في ملحمة الحرافيش ، ولكن المؤلف الكولومبي يعانق الأسطورة ويرتضي الفعل الخارق لتمثيل القوى الكامنة في الانسان ، ويثري رمزه بأبعاد ميثولوجية متعددة الاشعاعات .

دورة الحياة في الملحمة

على أنه ينبغي لنا أن نمضي مع الحرافيش لنرى كيف

تكتمل دورة الحياة فيها ، ولنقف على معنى هذه الدورة ودلالة رموزها الأساسية . فالجيل الأول والثاني من الفتوات ينجون لقناعتهم واصرارهم على الزهد والنقاء الطبقي ، فهم فتوات يرفضون مخالطة الوجهاء والتلبس بالترف ، ثم لا يلبث وريثهم سليمان أن يزل ، تحمله رموش فاتنة غاوية ، فيدخل دار السمري ويدفع أبناؤه ثمن تخليه عن العهد وفقدانه للفتونة والصحة والشرف ، وتتم مأساة الجيل الرابع بالصراع ـ لا على المال فقد أكلوا منه حتى بشموا ـ وانما على المرأة .

اذا كان التطلع الطبقي هو اللغة الاساسية التي أودت بسليمان وأفقدته عهد الفتونة ، فان نزوات المرأة وكيدها كفيلان بتدمير أولاده والقضاء على ما بقي لهم من مال وجاه ، ويظل المبدأ الذي يقود أبطال نجيب محفوظ في هذه الرواية ويحدد مصائرهم هو : الزهد وحده طريق النجاة . والترف والمرأة كلاهما سبيل الهلاك ، وهو مبدأ يتم تصوره بشكل متعادل على الواقع التاريخي ويتم عرض الاحداث عليه بطريقة فرضية مسبقة مما يؤدي الى نتيجة خطيرة يصبح التغير تدهورا الى الاسوأ والتطور خروجا من الفردوس المفقود ، مما يكاد يلغي منطق الحياة والتاريخ ويقيم بديلا عنه كونا مثاليا يخضعه لقوانين تختلف عن قوانين التطور الاجتماعي والانساني المعروف .

واقول « يكاد » لان حاسة نجيب محفوظ الروائية الواقعية تسعفه على الفور في الحكاية الرابعة التي تعرض قصة المطاردة والتي تفوح منها الى حد كبير رائحة الحياة في العصور الوسطى ، اذ تتجلى مهارة المؤلف في بعث المناخ التاريخي والموقعة المكانية . ربما لانه يخرج من نطاق الحارة الشاحبة الماثلة كذكرى بعيدة فينشد قربه من مركز الضوء ونقطة الرصد وتمتلىء شخوصه بحياة فعلية مختلفة عما كان للاشباح السابقة ، وربما لانه يكف في هذا الفصل عن الخضوع الحرفي لمنطق الثواب والعقاب الاخلاقي ويسمح لمفارقات الحياة ان تسخر قليلا من السيمترية الصارمة ، وان تواجهنا بمصير عبثي تتمخض عنه هذه المطاردة . فسماحة يفر من حكم ظالم بالاعدام ، وفي الليلة التي يسقط فيها عنه الحكم بالتقادم يعود ليرى زوجته قد غررت به واقترنت بغيره ، وينشب بينه وبين غريمه صراع يدفعه الى قتله دفاعا عن النفس ، ولكنه يبقى مطاردا دون ذنب حقيقي ، اذ لا تلبث مفارقات الحياة ان تتكشف عن جانب آخر من المأساة ، فغريمه لم يمت حقيقة وهروبه الثاني لاجدوى منه ولا ضرورة له ، لكن من ذا يدله على السر ؟ ويضع نجيب محفوظ لهذه الحكاية ختاما بارعا يستعيره من ابيات حافظ الشيرازي التي يثبتها بالفارسية في الرواية ، وترجمتها :

ليس لآلامنا من علاج سواك ايها الغوث
وليس لهجرتنا من سبيل سواك ايها الغوث

فيعطي ايقاعا باتا مستصرخا بأعتاب السر الكبير ، ولكنه يمضي الى ابعد من ذلك فيستحضر هذا الغائب مرة ثانية وقد صار شيخا ضريرا تقر عينه باولاده فيلقى ايضا ـ على المدى البعيد ـ جزاءه وثوابه .

حيل دائمة

ولا تنفد حيل نجيب محفوظ في تنويع الشخوص ، بل يتجلى في كل فصل مظهر جديد من اقتداره الروائي يكسر حدة الرتابة ويكشف جانبا آخر من نفس الصورة . فيخرج علينا في الحكاية السادسة بامرأة بارعة الجمال من آل الناجي الفقراء ، تطمح الى السيادة بحسنها وفتنتها ، لكنها لا تتربع على عرش الفتوة مباشرة ، بل تكاد تصل اليه عبر اربعة ازواج ، احدهم فران والثاني تاجر بطارخ والثالث فتوة لا يبني بها اذ يصرع في موكب عرسه والرابع عميد آل الناجي يصبو وهو في كهولته ويتزوج منها . بيد ان المؤلف لا يطيق هذا الطموح من امرأة ولا يصبر عليه فيدخر لها شر ميتة ، اذ يهجم عليها زوج مطرود ويهشم راسها في ميدان الحسين . هذه النهاية لا تتسق الا مع منطق نجيب محفوظ في الحنق على طموح المرأة والحرص على ان تلقى شر الجزاء .

فهي مثال آخر على النهايات الاخلاقية « المحفوظية » التي تولد في نفس القارىء غير قليل من المرارة والاسى وتدعوه الى أن يتمنى قدرا من الفوضى في عوالم نجيب محفوظ شديدة الاحكام بالغة السيمترية والحرفية في المصائر البشرية .

ويتمتع اهل الحارة بذاكرة عجيبة ، فهم يتوارثون اخبار الاجداد وقد صارت اساطير بالتقادم ومثلا عليا بالاماني ، فعاش نموذج المثل الاعلى للفتوة ـ وهو مصنع القوة في خدمة الخير والجماعة ـ في وجدان الناس ، ولم يوشك ان يتحقق بعد العهد الاول السعيد سوى في الحكاية التاسعة ، حيث جاء فتح الباب في عام المجاعة ليعاند طغيان الفتوة المحتكر وليوزع الغلال من وراء ظهره على الفقراء ، وعندما علق في السقف عقابا على فعلته ثار الحرافيش وقضوا على الفتوة ، ولكن فتح الباب كان نموذجا لحب الخير دون ان يتسلح بالقوة ، وقد حيل بينه وبين مصدر قوته ـ وهم الحرافيش وعامة الناس ـ فتهشمت رأسه عند مئذنة جده المجنون .

وهنا نجد أنفسنا امام نقطة تحول في التصور العام للرواية ، فحب الخير لا ضمان لدوامه ان اعتمد على الفرد ، ولا بد لكي يستمر من ان يستمد قوته من ارادة الجماعة . وهذا على وجه التحديد ما يتحقق في الحكاية العاشرة اذ يجيء عاشور الاصغر جامعا بين القوة والحق ، بين الفتوه وحب الخير ، فامتلأت الحارة على يديه عدلا كما كانت أول مرة ، مع فارق واحد جوهري يمثل الدلالة الاخيرة لدورة الرواية ، وهو ان قوته هذه المرة لم تكن قوته كفرد بل قوة جموع الشعب ، اى بلغة العصر الوسيط قوة الحرافيش . وبهذا يصبح المعنى الاساسي للرواية هو عدم استطاعة البطولة الفردية ان تنتصر طويلا للخير والعدل ، ولهذا تتجلى ضرورة الاعتماد على البطولة الجماعية .

ولن يماري احد الان في اهمية هذه الرؤية ، لكن الاهم منها هو كيف يحدث ذلك ؟ كيف تمارس الثورة وفي ظل اية ظروف . اما هذا القدر من الدرس الذي نخرج به من الحرافيش فهو نفسه عصارة خبرة الانسان في العصر الحديث ، انه قد ادرك وهو على اعتاب الوعي التاريخي بأنه وحده لن يفعل شيئا ، ومع الجماعة يد الله . لكن كيف وبأية وسائل ؟ هذه هي القضية اليوم . ومن هنا يتضح انه كان من المستحيل على رؤية نجيب محفوظ ان تكون ملحمية بالفعل او اسطورية حقيقية لانها تحاول ان تستشرف الواقع وتسلم بمعطياته وتعانق خبراته ، لكنها لا تختبر تصورها على نار المعاناة التاريخية الفعلية بل تتأملها على ضوء فروض فلسفية مصطنعة مفارقة للوجود العملي .

آفاق شعرية فذة

ونأتي عقب ذلك الى العنصر الثالث الملحمي وهو التكثيف الشعري فنواجه نجيب محفوظ في قمة تمكنه وبراعته وأستاذيته ، فبعد أن تحرر أسلوبه الى النثرية الشديدة في الكرنك وحضرة المحترم ، يرتقي في ملحمة الحرافيش الى آفاق شعرية فذة تتمثل في عدة مستويات :

ـ أولها وأدناها الينا المستوى اللغوي المباشر ، حيث يكتنز الكلام ويتشكل في اطر قريبة من الشعر المنثور خاصة في مطالع الفصول مثل الافتتاحية التي سقناها في مستهل البحث ، ومثل قوله في الحكاية الاولى :

« ماذا يحدث بحارتنا ؟
ليس اليوم كالامس ، ولا كان الامس كاول امس
امر خطير طرأ
من السماء هبط ، ام من جحيم الارض انفجر ؟
وهل تجري هذه الشئون بمحض الصدف ؟
ومع ذلك فالشمس ما زالت تشرق
والليل يتبع النهار
والناس يذهبون ويجيئون
والحناجر تشدو بالاناشيد الغامضة ..
ماذا يحدث لحارتنا ؟ » (ص.٥)

فاسلوب التساؤل وتقديم الفاعل والجار والمجرور على المسند وتقطيع العبارات وتكرار نفس السؤال مع تنويع يسير في الحرف ، كل هذا يشدنا الى منطقة العبارة الشعرية بالتضافر مع الايقاع الداخلي للكلمات وهندسة الجمل التي لا تلبث ان تبوح بروحها الشعري حالما اعيد توزيعها على الاسطر . وامعن من ذلك في باب الشعر صيغ تتراءى من خلفها موروثات ثابتة ، فعبارة « امر خطير طرأ » لا تثير الجلال الملحمي الا بما تبعثه من ايحاءات بعبارات سابقة ، وعبارة « من السماء هبط .. ام من جحيم الارض انفجر » تتداعى في وجدان القارىء مع ابيات شوقي عن النيل .

ومِنَ السماء نزلت أم فجرت من
عليا الجنان جداولا تترقرق

وتثير العبارات التالية ايحاء بالصيغ القرآنية ذات الرصيد الموسيقي والدلالي الخصب . ويتمثل المستوى الثاني في تكثيفه الشعري في الاستطعامات الذكية التي يقتبسها من الشاعر الفارسي العظيم حافظ الشيرازي في غزلياته ، ونجيب محفوظ يلعب في هذه الاستطعامات لعب محترف حاذق ، فهو يستغل غروبة الحرف الفارسي وسهولة قراءته واختلاف اللغة واستغلاق معناها على القارىء العربي ليحدد القدر المسموح له بتلقيه وهو هيكلها الصوتي فحسب كي يناوئه ويشاغله بسرها المكنون ، انه يلعب بورقة الابهام المتبدي من الاسطر ليثير جملة ايحاءات رمزية حافلة بالدلالة ، فهذه الاناشيد قد تمثل القوى الروحية الدائمة المتعالية على الزمان والمتأبية على المكان ، لقد قال عنها مرة - على لسان جلال - انه يدرك لماذا لا ترد على طارق ، لانها خالدة مثل الموت ، هذا الخلود اذن هو الوظيفة الرمزية للاناشيد ، لانه يضعها لخلفية ثابتة قائمة على حافة الحارة الحافلة بالمتغيرات فكأنها الشاشة المضيئة بغموض والتي تعرض فوقها حركة الوجود الطاغية اللاهية ، فهي ابدا ماثلة هناك لتصنع المفارقة بين الموت والحياة والروح والجسد والدين والدنيا .

وظيفة الاناشيد

وكل تلك هي عناصر العالم عند نجيب محفوظ - ولتمثل في التحليل الاخير النغم الشرود المبهم العذب الذي يرمز للمجهول في حياة الناس ويغطي منطقة الغموض الشاعر في وجودهم . ولكنها عند من يعلمون فض الاسرار عميقة الارتباط بموقعها من الفصول ، انها غالبا ما تقوم بدور القرار الموسيقي والدلالي للاحداث والشخصيات ، فهي مرة صحوة الروح والجمال عند عاشور اذ يكون معناها [1] .

يا من يشع ضياء الحسن من وجهك الصبوح

ويا من ينبع الجمال من طابع حسنك المليح (صفحة ١٥)

ومرة اخرى انذار بسوء المصير وتوقع للآلام اذ تقول :

لقد غرقت العيون في الدم من بكاء القوم (صفحة ٢٩)

ثم تصبح عند عاشور ايضا مناشدة للحظات الصفاء ومغازلة لعوالم القرب وهي تقول :

لا ملجأ لي في هذا العالم غير اعتابك

وليس لنا دونها من قبلة (صفحة ٥٩)

فاذا انتقلنا الى شمس الدين اخذت قوانين المادة والفساد تمارس فعلها في عالمه ، ولانه نقي فهو يدرك ما هو مقبل عليه ولا يستطيع له ردا ، عندئذ يهتف موجعا :

شتان بين صالح الاعمال وما انا فيه من خراب

فانظر الى تفاوت الطريق وتعدد الاسباب (صفحة ١٣٩)

ثم نمضي مضيا في عالم الخراب - وهو مصطلح صوفي يرادف عالم المادة والجسد - فتكاد تتقطع بنا الاسباب عن عالم الروح حتى لنود نظرة من كيميائه الساحرة :

قل لمن يجعل التراب تبرا بنظرة واحدة

الا عين علينا ولو من طرف خفي ؟ (صفحة ٢٠٣)

وعندما تتصاعد الاناشيد لتتسلق امواج الظلام وتحف بساحة وهو مختبىء خلف اسوار التكية في انتظار حبيبته مهلبية ليهرب معها من طغيان الفتوة يصبح معناها :

في هذا الزمن .. فان رفيقي البريء من الخلل

---

(١) أذكر بالشكر والتقدير الدكتور محمد نور الدين تفضله بترجمة هذه الأبيات .

هو كأس الخمر الصافية .. وسفينة الغزل (صفحة ٢١٤)

وينصت جلال للغناء وهو في لحظة فائقة يكاد يشارف السحر ويطرق باب الخلود فينساب اليه الصوت في عذوبة وكأنه يتدفق من داخله :

قال طائر الجميلة للوردة اليانعة في الصباح

كفكفي من الدلال فلست وحدك المونقة في البستان (صفحة ٤٠٢)

وبعد ان تدور الحياة دورتها ، ويأتي عاشور الثاني ويهب كل فتى نبوتا من الخيزران وثمرة من التوت يصبح هتاف الحناجر الشادية :

بالامس في وقت السحر
نجاني من الغصة
والآن في ظلمة الليل
منحني ماء الحياة ! (صفحة ٥٦٧)

عن الطريق الصوفي

ومع ان نجيب محفوظ ـ فيما يبدو ـ بعيد عن الطريق الصوفي ـ فقد انطق احدث ابطاله « جلال ابو السعود » في قصة « ايوب » بنقد حاد للتصوف على اساس انه « ارستقراطي مقاماته التوبة والفقر والتوكل .. اما طريقي فمقاماته في الحرية والثقافة والعلم والصناعة والزراعة والتكنولوجيا .. والتصوف يجعل من الشيطان العدو الحقيقي للانسان اما الطريق فعدوه يشمل الفقر والجهل والمرض .. » الا ان كثيرا من التسربات الصوفية قد تخللت ملحمة الحرافيش ونازعت حالات ولغة ابطالها . وما حضور حافظ الشيرازي العميق المتكرر الا سرادقا صوفيا في مدن نجيب محفوظ الآهلة .

التكثيف الشعري ايضا في قوة الاداء الدرامي ودقة الحوار والقصد في الوصف والاقتصاد الشديد في الكلمات ، في مثل المشهد التالي :

« كان شمس الدين ماضيا نحو مسكنه ليلا عندما اعترضه شبح امرأة . همست :

ـ مساء الخير ..

ـ عيوشة ؟ .. ماذا جاء بك ؟

ـ هلا تتبعني الى حجرتي ؟

خفق قلبه . خاف الدعوة ، ثار فضوله ، اشتعل شبابه . مضى وراءها صاغرا

(صفحة ١١٩)

فالحوار لا يتضمن ردودا ، بل هو سهام موجهة لا تقتلع من المكان الذي تنغرس فيه . والتعليق جملة من الافعال المتتابعة التي تجسد عالمه الداخلي ، والتنامي فيها لا يقتصر على التصاعد النفسي من الرغبة الوجلة الى الانسحاق الذليل تحت جبروت الشهوة العارمة ، بل يتجاوز ذلك الى تزايد المقاطع في كل جملة حتى تنسحب الكلمات معه ممدودة مستطيلة في القسم الاخير .

وعندما تتراكم امتصاصات نجيب محفوظ للروح الشعبي وتشربه بالحكمة العامة يتضح هذا في ايجازاته المتكاثرة التي تبدو احيانا كأنها تعليق شاعر الربابة وهو يلخص حكمة الاجيال في مثل قوله :

« تنساب عربة الزمن مكللة بالزهو والحياء ، صلصلة عجلاتها المدوية لا يسمعها احد . الاذن لا تسمع الا ما ترغب في سماعه .

يتوهم الفحل انه اقترن بالدنيا قران دوام ..

ولكن العربة لا تتوقف ، والدنيا زوج خؤون !

(صفحة ١٢٧)

فالى جانب التعبير بالصورة الذي هو من خاصية الاداء الشعري ، يتوقف مؤلفنا ليقول حكمته عن الطبيعة الانسانية والحياة في وقفة تعد من ابرز مميزات الشاعر العربي الشعبي في قربه ونفاذه معا .

ان نجيب محفوظ هنا من سلالة اصحاب القول الفصل والكلمة الجامعة ، ولكنه يختلف عنهم في روحه الملحمي وحدة احساسه بايقاع الزمن والانصات للمجهول ومزج الاغنية بالخاطر البعيد ورؤية عجلة الحياة ، وهي تدور في غفلة من القلوب الواهمة فيتوتر حركة الطبيعة ويكتشف منظومة الحياة وينصت في لحظاته الشعرية الملحمية المكثفة لموسيقى الوجود . ■■

القاهرة ـ د . صلاح فضل

من لم يحركه الربيع وأزدهاره ، والعود وأوتـاره ، فهـو فاسـد المزاج وليس له علاج ..

الغــزالي

الغناء والموسيقى

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة

تقع حياة الامام الغزالي ، رحمه الله ، في قرن من قرون الحضارة الاسلامية الغنية باتجاهاتها . وكان فن الغناء وفن الألحان قد تطور على أصوله الأولى بين العرب حتى وصل ذروة عالية من الرقى ، كما كانت قد ظهرت التآليف النظرية في الموسيقى قبل ذلك بأكثر من قرنين على يد الكندى . ثم جاء الفارابى وابن سينا فأضافا تآليفهما . وكان التأليف النظرى متمشيا مع الممارسة العملية للصناعة في الغناء .

وكان عصر الغزالي عصر فكر علمي وفلسفي ، وعصر غناء متنوع في طبيعته وأهدافه .

ولم تزل الأنغام والألحان دائما وسائل كبرى للتعبير عما يختلج في النفس البشرية من ضروب الانفعالات التى قد تعجز عنها اللغة العادية . ومن العبارات المأثورة قولهم إن الأنغام والألحان فضل من المنطق عجز عنه اللسان فأخرجته الطبيعة بالألحان .

وعنـد بعض فلاسفـة الاسـلام (أبـى سليمان السجستاني) رأى يشبه رأى أحد الفلاسفة الأوروبيين (الفيلسوف الألمانى هيردر Herder) ، وهو أن النفس



عند الإمام الغزالي

الانسانية فيها الأنغام والألحان ، وهي تظهر وتتجلى في مواقف الحياة ، وتصل الى رقيها بفضل الصناعة والتدريب العملي .

لكن من المعروف ان الألحان والأنغام لا تحسن إلا مصاحبة لأحوال القلوب . والقلوب تختلف فيما يشغلها أو يرد عليها فتعبر عنه ، من حب وشوق وحنين ، فرح أو حزن ، حماسة أو هدوء ....

وللصوفية ما يشغل قلوبهم من حب الله والشوق إلى لقائه والحنين إلى حياة الملأ الأعلى ، ولهم في ذلك أشعارهم ، لكنهم يسمعون غير ذلك من تعبير عن أشواق القلوب وعن الوصال ومقامات القرب ، فينزلون ما يسمعون على أحوالهم ومواجيدهم وحنين أرواحهم ، وهذا ما يسمونه « السماع » ، وله عندهم شأن كبير ، بل له فلسفته وميتافيزيقاه ، وله آدابه اللطيفة . وكل ذلك سطروه في كتبهم ، ويجده من يشاء عند أبي بكر الكلاباذي (ت ٣٨٠ هـ) في كتابه « التعرف لمذهب أهل التصوف » وعند أبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨ هـ) في كتابه « اللمع » وعند أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) في « الرسالة في علم التصوف » .

وليس السماع مجرد محبة لأنغام أو ألحان تصاحب حال المريد ، ولا مجرد استحضار لحال من الأحوال السنيّة أو « استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال » ، بمعنى التلطيف لما يعانيه المريد . وإنما يستند إلى شيء أعمق من ذلك بكثير .

ففي القرآن الكريم أن الله تعالى خاطب الأرواح في الأزل ، وأشهدها على أنفسها بربوبيته : « وإذ أخذ ربك من بني آدم ، من ظهورهم ، ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألستُ بربكم ، قالوا : بلى ، شهدنا » (س٧/الأعراف/١٧٢) .

على أساس هذه الآية ، التي تسمى « آية الميثاق » ، قال بعض العلماء من المتكلمين ومن الصوفية إن المعرفة بالله تعالى مغروسة في الأرواح وإن الأدلة العقلية عبارة عن إظهار لها وتفصيل وتصديق .

وللصوفية على أساس هذه الآية أيضا رأيهم في السماع :

سئل الجنيد (ت ٢٩٧ هـ) : ما بال الانسان يكون هادئا ، فاذا سمع السماع اضطرب ؟

فقال : ان الله لما خاطب الذرّ (= الأرواح على صورة يرمز اليها بالذر) في الميثاق الأول بقوله : « ألست بربكم ، قالوا : بلى » ، استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك » (الرسالة للقشيري) .

ويقول أبو محمد رويم بن أحمد (ت٣٠٣هـ) : « إن القوم سمعوا الذكر الأول حين خاطبهم بقوله : « ألست بربكم » ، فكمن ذلك في أسرارهم ، كما كمن كون ذلك في عقولهم ، فلما سمعوا ظهرت كوامن أسرارهم ، فانزعجوا كما ظهرت كوامن عقولهم عند إخبار الحق لهم عن ذلك فصدقوا » (التعرف للكلاباذي) .

وهذا المعنى لا يزال يتردد عند شعراء الصوفية من عرب وفرس وترك : سعدي الشيرازي ، ابن الفارض ، جلال الدين الرومي ، العسكري الشاعر التركي .

يقول سعدي عن الذاكرين لله (البستان ـ كتاب العشق) :

ألست أز أزل همجنان در بكوش
بفرياد قالوا : بلى ، در خروش

(قوله تعالى : ألست بربكم ، في آذانهم من الأزل ، فهم في ذكرهم يقولون : بلى) .

فكأن جمال الصوت ، أو النغم وما يعبر عنه ، شيء من عالم أعلى يذكر السامع بما كان هناك .

ولذلك لما سئل ذو النون المصري (ت ٢٤٥ هـ) عن الصوت الحسن ، قال : مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة . ولما سئل عن السماع قال : وارد حق يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى اليه بنفس (أي بهوى) تزندق .

وليس من المهم أن يكون ما يسمعه الصوفي لحنا بالغ الجمال خالبا للُبّ أو شعرا ملتهبا بعاطفة الحب والشوق ، لأن قلبه من شدة ما فيه من الحب والشوق يتحرك لأقل شيء ، فصوت الطير يحرك قلبه ، بل صوت الريح وصرير الباب . وقد أحسن الشاعر سعدي في التعبير عن ذلك بقوله (البستان : كتاب العشق) .

نه مطرب ، كه آوازباي ستور
سماع است گر عشق داري وشور

(المعنى أنه ليس المهم هو المطرب ، بل صوت أرجل الدواب سماع إن كنت عاشقا) .

وجاء « حجة الاسلام » فتناول الموضوع على طريقته بالتفصيل والتحليل ، وفلسف السماع في ضوء فكره الدقيق ومعرفته الواسعة وروحه الحساسة وتجاربه الروحية .

آداب السماع والوجد

فهو في المجلد الثاني من « الاحياء » ، في كتاب خاص عنوانه « كتاب آداب السماع والوجد » ، يبتديء بعبارات حارة في وصف أهل الفناء في الحب والشوق « الذين أحرق الله قلوبهم بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته ، حتى أصبحوا من تنسّم روح الوصال سكرى ، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجمال والهة حيرى ، فلم يروا في الكونين شيئا سواه ، ولم يذكروا في الدارين إلا إياه . إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم ، وإن قرعت سمعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم .... وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق ... لم يكن انزعاجهم إلا إليه ولا طربهم إلا به ، ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم الا فيه ، ولا شوقهم إلا الى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ، ولا ترددهم إلا حواليه ، فمنه سماعهم واليه استماعهم ، فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته » .

هذا هو حال أهل المحبة والشوق ، وهم أهل



السماع . لكنهم لا يسمعون بآذانهم بل بقلوبهم التي استقر فيها حب الله ، بعد أن عرفته العقول ، فصارت لهم مع الله مواقف من الشوق لا يعرفها غيرهم . وكما عبر عن ذلك سعدى الشيرازي ، على سبيل الرمز :

نشايد بدارو دوا كرد شان
كه كس مطلع نيست بر درد شان

(لا يمكن علاجهم بالدواء ، لأنه لا أحد مطلع على آلامهم) .

ويشرح الغزالي تصوره للقلب الانساني الذي يعده « لطيفة ربانية » ، فيقول : « إن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر ، وأخفيت كما أخفى الماء تحت التراب والمدر » .

ويرى أبو حامد أنه « لاسبيل الى استثارة خفايا القلوب إلا بقوادح السماع ، ولا منفذ اليها إلا من دهليز الأسماع ، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه ، كما لا يرشح الاناء إلا بما فيه ، فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه » .

ونحن نذكر رأى الغزالي بعباراته هو ، لأنها أبلغ تعبير عن تفكيره ، فالحق أنه يتكلم من أعماق روحه وتجاربه ، ولذلك جاءت عباراته بهذه الروعة والعمق .

ولا شك أنها تحتاج ، رغم وضوحها ، إلى تأمل العلماء في طبيعة النفس البشرية وطبيعة الألحان والأنغام والسر في تأثيرها العظيم في نفوس الكائنات الحية ، خصوصا النفس البشرية .

وبعد أن يتكلم أبو حامد عن السماع ومظاهر تأثيره في الانسان يشرع في بيان آراء الفقهاء في حكم السماع ، والمقصود سماع ماليس مجونا ولا فسادا ، فمن الفقهاء من حرمه أو كرهه أو اعتبره من الذنوب ، لأنه لهو أو لعب يشغل عن الدين ، ولأنه كما يقول الشافعي مثلا : « اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة » . ومن الفقهاء من أباحه ، خصوصا الصوفية ، تحريكا للحب والشوق . ويذكر عن الخضر عليه السلام أن السماع هو « الصفو الزلال » .

منهج في تحليل الغناء

لكن أبا حامد ينظر في الموضوع على أساس آخر : لا يوجد في الدين نص يحرم السماع ولا قياس على نص ، فيبقى النظر في السماع من حيث هو ، وهنا يأتي منهج أبي حامد في تحليل الغناء الى عناصره لمعرفتها ، كل منها على حدته ، ثم النظر فيها مجتمعة :

فعند تحليل الغناء نجد أن فيه سماع :

١ ـ صوت طيب ، وهذا هو الوصف الأعم ، وسماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب حلال بالنص . وهنا يذكر الغزالي بعض الأحاديث ، وهو حلال بالقياس ، لأنه تلذذ حاسة السمع بادراك ماهو مخصص بها ، كغيرها من الحواس ، وهذه فطرة .

٢ ـ صوت طيب موزون ، والوزن شيء زائد على حسن الصوت ، فقد يكون الصوت حسنا غير موزون أو موزونا غير حسن . ومن الأصوات الموزونة أصوات بعض ذات السجع من الطيور ، « فهي مع طيبها



موزونة متناسبة المطالع والمقاطع ، فلذلك يستلذ سماعها » ، ومنها أصوات بعض الآلات الموسيقية ، فلا حرمة في ذلك إلا ما نهي عنه من آلات أهل المجون والشراب ، والنهي عنها ليس لذاتها بل لما يصاحبها من تذكير بالشراب وما يؤدي اليه ، وهو أمر عارض .

٣ ـ كلام موزون مفهوم ، وهو الشعر ، وليس فيه من زيادة إلا كونه مفهوما ، « والكلام المفهوم غير حرام » . والحق في ذلك ما قاله الشافعي رحمه الله ، وهو « أن الشعر كلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

وإذا كانت العناصر ، كل منها على حدة ، مباحة ، فإن الجملة مباحة أيضا ، إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ، وليس ها هنا شيء محظور .

٤ ـ كون السماع محركا للقلب مهيجا لما هو الغالب عليه .

وهنا يتعرض أبو حامد لمشكلة ، لا أعرف ، في حدود علمي ، أحدا اهتم بها قبله بمثل اهتمامه . هو يقول :

« لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح ، حتى أنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا ، فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن .... ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ... » .

ويؤكد فيلسوفنا قيمة هذا الانفعال الانساني أمام الجمال فيقول : « من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج » ، ويشير الى تأثير الغناء في صرف الطفل عما يبكيه والجمال عن ثقل ما تحمله ، ثم يزيد رأيه تأكيدا بقوله : « إن تأثير السماع في القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص ، مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم ، فإنها جميعاتتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته » .

وإذا كان الأمر متعلقا بتأثير السماع في القلب الانساني ، فان الحكم في أمره بالاباحة أو بالتحريم لا يصح أن يكون مطلقا ، بل يراعي فيه اختلاف الأحوال والأشخاص وطرق الأنغام نفسها والغاية منها .

وهنا نجد رأي الغزالي في الوظيفة الدينية الروحية والانسانية بوجه عام للسماع . وهو يذكر أمورا كثيرة تكون للغناء فيها « أغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب » .

من ذلك غناء الحجيج لما فيه من تهييج الشوق إلى حج بيت الله ، « وإذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا » ، وكلما كانت عناصر الغناء والألحان كثيرة متنوعة كان التأثير أبلغ .

والغناء والألحان من وسائل تحريض الغزاة والمجاهدين ، إذا كان مع الألحان شعر يدعو إلى الشجاعة والتضحية . ومن ذلك رجزيات التشجيع في أنواع المبارزات ، « وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس » ، وكل ما في الأمر أن يكون القتال مشروعا وأن تكون الألحان نفسها عاملا على تقوية النفس لا على حل عقدة الشجاعة وإضعاف صرامتها .

ولا ينسى أبو حامد غناء النياحة وأصواتها ، شريطة ألا تكون على ما فات ونفذ فيه قضاء الله ، وإنما تكون

على ما فات من تقصير الانسان وما فرط منه . » وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود . لأنه يبعث على التشمير للتدارك . ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة » . والمبدأ العام عند ابي حامد هو أن المفضي الى المحمود محمود .

ويدلك على إدراك فيلسوفنا لحاجات النفس الانسانية الى ما يصاحب شعورها بالسرور في أوقاته ، مثل أيام الأعياد والعرس وقدوم غائب وولادة مولود ونحو ذلك ، وهذه مناسبات للسرور المباح ، قوله : « وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه » ، على نحو ما حدث مثلا عند استقبال الرسول ﷺ في المدينة . ومن لطيف تقدير أبي حامد للطبيعة البشرية أنه يسمح بالتعبير المتنوع عن السرور : بالغناء ، بالشعر ، بالرقص والحركات ، في حدود آداب الدين .

العشاق .. والمشتاق

وهناك سماع العشاق ، وفيلسوفنا يأذن به « تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس » . على أن يكون ذلك في عشق مباح . ومن الطريف تقدير الغزالي وتفهمه لنفسية العاشق المشتاق وما يريح قلبه ، فهو يقول :

« ان الشوق وان كان ألما ففيه نوع لذة ، اذا انضاف اليه رجاء الوصال ، فان الرجاء لذيذ واليأس مؤلم . وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ، ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال ، مع الاطناب في وصف حسن المحبوب . وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله ، كمن يعشق زوجته أو سريته ، فيصغي الى غنائها لتضاعف لذته في لقائها ، فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ، وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وهذا منه » .

وهناك أخيرا سماع من أحب الله واشتاق الى لقائه ، فصار لا ينظر الى شيء الا رأى الله فيه ، ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه ، فالسماع في حقه مؤكد لحبه مهيج لشوقه » ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها وينكرها من كلّ حسه عن ذوقها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا ، مأخوذا من الوجد والمصادفة ، أي صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، هي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها ، فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي » .

وهنا يؤكد أبو حامد من جديد امكان محبة الانسان لله ، لأنه مصدر الموجودات لها ، « ولا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه ... بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس ... فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته »

ولا يحرم السماع الا لأمور عارضة مثلا : من المغني اذا كان سببا للفتنة والفساد أو من الغناء نفسه اذا كان مجونا ، أو من المستمع اذا أنزل ما يسمع على شهوات نفسه ، أو اذا جعل السامع ديدنه سماع الغناء واشتغل به عن أمور دينه ودنياه .

ويتناول أبو حامد الآراء التي تحرم الغناء والسماع فيحللها تحليلا دقيقا ويفهمها في ضوء المحافظة على فضيلة النفس الانسانية وروحانيتها وحاجة القلب الأدمي في هذه الحياة الى الترويح الذي لابد منه للاقبال على العمل في أمور الدين والدنيا .

حتى تصفو القلوب

ويحلل فيلسوفنا في فصل ممتع آثار السماع وآدابه :

١ ـ الفهم ، وهو بحسب المستمع :

سماع بمجرد الطبع ، أي مجرد الاستلذاذ بالألحان ، وهو مباح ، لكنه أول وأقل رتب السماع .

سماع الفهم ،لكن مع تصور مخلوق معين أو غير

معين ، وهو سماع الشباب من أرباب الشهوات ، وهي حالة أخس من أن تذكر الا لبيان خستها .

سماع الفهم ، لكن مع تحويل معاني ما يسمع الى أحوال نفسه في معاملته لله وتقلب أحواله في التمكن مرة والتعذر أخرى ، وهو سماع المريدين ، فاذا سمع المريد مثلا ذكر عتاب أوقبول أو وقرب أو بعد أو وحشة ونحو ذلك ، فانه لابد أن يوافق حال المريد ، فيجرى مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه في الحب والشوق الى الله .

وهناك سماع من يسمع عن الله ، فانيا بالكلية عن نفسه وأحواله ، « وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص »

٢ ـ الوجد ، وله تعريفات عند الصوفية وعند الفلاسفة فمن تعريفات الصوفية : الوجد انزعاج القلوب الى الحق ، عند ورود وارد السماع (ذو النون المصرى) ، أو : الوجد مكاشفات من الحق أو رفع الحجاب ، ومن كلمات الفلاسفة : في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظة ، فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرّت وطربت اليها .

لكن أبا حامد يفصل بيان معنى الوجد ، فيقول « انه عبارة عن حالة يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه » ، وهذه الحالة اما ان تكون مكاشفات من قبيل العلوم والتنبيهات ، واما أن تكون أحوالا من الشوق أو الخوف والحزن والقلق .

والسماع بوجه عام يؤثر فى تصفية القلب ، والصفاء يسبب الكشف ، ومن المكاشفات والاحوال ما يمكن التعبير عنه ومنها مالا يمكن .

وقد تفطن الغزالى الى شيء يراه غريبا ، وهو تأثير أصوات الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة ، فاذا كان الغناء كلاما مفهوما فأنه يمكن ادراك وجه تأثيره في النفس التي تفهم معاني الكلام . لكن ما وجه تأثير الأنغام أو الأصوات غير المفصلة فى كلام يعقله السامع ؟

يثير فيلسوفنا هذا السؤال ويشير الى تلك التأثيرات العجيبة التى لا يمكن شرحها ويقول :

« وقد يعبر عنها بالشوق ، ولكنه شوق لا يعرف صاحبُه المشتاقَ اليه ، فهو عجيب . والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى الى ماذا يشتاق ، ويجد من نفسه حالة كأنها تتقاضى أمراً ليس يدرى ما هو ، حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب أدمى ولا حب الله . وهذا له سرٌ ، وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة المشتاق ، وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه ، والثانى معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه ، فان وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الأمر ظاهرا ، وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوّقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث دهشة وحيرة لا محالة لا يدري الانسان سببها » .

فى أعماق النفس البشرية

وينتهى فيلسوفنا الى « أن فى نفس الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلى ، الا أنه لم يتخيل من هذه الأمور الا الأسماء والصفات ... فالسماع يحرك منه الشوق . والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه ، وأنساه مستقره الذى اليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمراً ليس يدرى ما هو ، فيدهش ويتحير ، ويضطرب ، ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص . فهذا وأمثاله من الأحوال التي لايدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها »

ولا شك أن أبا حامد ، بهذه الملاحظة ، قد لمس جانبا عميقا في النفس البشرية وشوقها الحقيقى نحو المجهول الأعلى . وقد نجد ذلك عنده من تفطن اليه من المستشرقين ، وهو المستشرق الألمانى يوليوس أوبرمان **Julius Obermann** فى كتابه بعنوان :

Der Philosophische und Religioese Subjektivismus Ghazalis

(المذهب الذاتي الفلسفي والديني عند الغزالي)

وقد يكون جلال الدين الرومي (ت ٦٢٨ هـ) يشير الى ما قصده الغزالي من هذا الشوق . اذ يتحدث في أول ديوانه « المثنوى » ، على طريق الرمز ، عن الناى ، فيقول :

استمع من الناى ماذا يحكى ومن آلام الفراق كيف يبكى

ويقول : منذ أن قطعونى من أرض الغاب وأنا أبكى ، ومن بكائى يبكى كل رجل وكل امرأة

أريد صدراً قد مزقه الفراق لكى أشرح له آلام الاشتياق

فكل من بعد عن موطنه حنّ الى وقت الرجوع اليه

ويقول الغزالي ان من الوجد ما يهجم على صاحبه ، ومنه ما على الانسان أن يستجلبه بالاكتساب ، طلبا لصفاء القلب وتحريكا للشوق الى الله : واذا كانت آيات القرآن الكريم تبعث الوجد في قلوب المؤمنين ـ والغزالي يذكر الشواهد على ذلك ـ فان الأشعار التى يصنعها أهل المحبة تناسب أيضا أحوال القلوب الآدمية فتحركها بالوجد .

ويختم أبو حامد كلامه بذكر آداب السماع : مثل اختيار الزمان المناسب والمكان المناسب واختيار الأقران من أهل الوجد ، ومثل تجنيب من لم ينضج لأحوال الوجد أن يشترك فيه ، والاصغاء بالقلب لما يقال من تعبير عن الحب والشوق مع الوقار وضبط المشاعر ، لكى تتعمق الأحوال في النفس ، والمشاركة للاخوان في تعبيرهم عما يرد على قلوبهم .

واذا كان الغزالي قد تكلم في الأنغام والألحان وبين عظيم تأثيرها في القلوب فانه في ثنايا كلامه قد مسّ مشكلة العلاقة بين الفن والطبيعة .

ومن المعلوم أن بعض الفلاسفة ، مثل أرسطو وكنت ، يرون أن الفن محاكاة للطبيعة . والغزالي في كلامه عن الأصوات الموزونة ، ما يخرج من جماد كصوت الأوتار وما يخرج من الحيوان ، يقول : « الأصل في الأصوات حناجر الحيوانات ، وانما وُضعت المزامير على أصوات الحناجر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة » .

« وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناع ، وبه قصدوا الاقتداء » .

ورأى الغزالي يتفق مع ما يقوله القرآن الكريم من أن الله تعالى « أحسنُ الخالقين » ، « الذى أتقن كل شيء » و « أحسن كلَّ شيء خلقه » ، بحيث تكون الطبيعة التى صنعها الله مجال نظر الانسان ، لكى يفكر ويعرف ويصنع ويبتدع .

خاتمة .

في هذا البحث بقسميه في العاطفة عند « حجة الاسلام » دار الكلام حول عاطفة الحب الذى يربط الانسان بما تميل اليه من أمور عادية وأمور متعالية ، وحول ما تحركه الأنغام والألحان في القلوب .

وللقلب الانسانى موقفان :

إما أن يشتغل بحب هذه الدنيا ومتاعها .

وإما أن يرى فيها وفي خيراتها طريقا الى ما بعدها ، فيأخذ منها بنصيب ، ويجعل ما فوقها غاية روحه ومنتهى طلبها .

وخيرات هذه الحياة انما هى على مستواها وبحسب طبيعتها ، لكن ما فيها اشارة الى ما فوقها ، وهو خير منها ، والله خير من الدنيا وما بعدها .

واذا كنا خوطبنا عن خيرات وسعادات الحياة العليا بلغة حياتنا وعالمنا فما ذلك الا لأجل التفهيم والمساعدة على امكان تصور ما هناك ، مما « لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

وان ما نجده عند الغزالي ، صاحب العقل الكبير والروح العميقة والعاطفة القوية ، معبراً عن حال طائفة كبرى من البشر ، سيظل على الدوام شاهدا على أن لحياتنا أعماقا بعيدة الغور وأن لها آفاقا بعيدة المدى ، وكل يسعى الى خير نفسه وسعادته ، على قدر علمه وجهده وقدرته . ■■

د . محمد عبد الهادى ابو ريدة

آفاق الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

حرارة المصانع الفائضة
مصدر من مصادر الطاقة البديلة

● كثرت مصادر الطاقة البديلة في المدة الاخيرة ٠٠الا أن واحدا منها بالذات يبعث على مزيد من الاهتمام ٠ذلك هومايخرج من المصانع ومحركاتها من حرارة غالبا ما تضيع في الجو وتذهب هباء ٠٠ فهذه حرارةذات درجة مرتفعة نسبيا ولا يكلف الحصول عليها شيئا ٠٠ فلو امكن استغلالهاكمصدر بديل للطاقة ، والاستغناء بها عن البترول او الغاز في شتى المجالات التي تعتمد على هذا او ذاك ٠٠ لكان في ذلك كسب عظيم ٠٠

والظاهر ان ذلك اصبح في ...ول اليد ، في الدنمراك ...ن الاقل ٠٠ ذلك ان سلطات بلدة فردريكا عقدت اتفاقا مع شركة (سوبرفوس) Super Foss الكيماوية يقضى بحصول تلك السلطات علىالحرارة الفائضة من مصانع سوبرفوس ٠ ولما كانت التدفئة في فردريكا ، المدينة الساحلية ، التي يبلغ عدد سكانها حوالى ٥٠٫٠٠٠ نسمة، مركزية بالمعنى الدقيق، وكانت المياه الساخنة التي تعتمد عليها تدفئتها يجرى تسخينها في مركز واحد كبير تتفرع منه الانابيب وتنطلق الى شتى منازل مدينة فردريكا وحوانيتها ٠٠وكان هذا المركز يقع بالقرب من احد مصانع السمادالتابعةلشركة سوبرفوس بات امداد المركزبحرارة المصنع امرا في غاية السهولة ٠

وسيكون منشان هذا الاتفاق الرائد خفض كمية البترول التي يستهلكها مركز التدفئة بمقدار النصف بحيث تصبح ١٢٠٠٠ طن سنويا ٠ اى ان الحرارة الفائضة التي ستأتيه من مصنع السماد ستقوم مقام ١٢٠٠٠ طن بترول في السنة٠ وسيترتب علىذلك خفضرسوم التدفئة التي يدفعها اهل فردريكا بمقدار ١٠٠ جنيه للمنزل الواحد سنويا ٠

علاج جديد
يبشر بالشفاء من سرطان الدم

● يعتبر مرض اللوكيميا اوسرطان الدم اخبث الامراض الخبيثة ٠٠ فهو مرض مميت ومستعص الى اقصى الحدود ٠ ويصدق هذا بخاصة على ما يسمونه باللوكيميا النخاعية المزمنة Chronic Myeloid Leukemia احد انواع سرطان الدم ، وهى كثيرة ٠ غير أن الاساليب العلاجية والتجارب التي ياخذونها في مستشفى هامرسميث في لندن ويعالجون بها اللوكيمياء النخاعية التي ذكرنا ، بدأت تبشر بالخير وتبعث على الامل٠

ونذكر على سبيل المثال المستر شارلزكوبسي، ٣٦عاما٠ فقد بلغ به مرض اللوكيميا النخاعية مرحلته اليائسة المميتة ٠٠ لم عولج بالاساليب المبتكرة في المستشفى اللندني وهو معافى الان وبصحة جيدة، وقد مضى علىمعالجته ١٥شهرا ولم يكن فيها بحاجة الى اكثر من الفحوص الطبية العادية التي جعلوا يجرونها له في نهاية كل شهر ٠

وقد مثل ذلك في شخصين آخرين .. رجل في الثلاثينات وامرأة في الخمسينات من العمر .. عولجا من اللوكيميا النخاعية بالاسلوب نفسه وهما في تحسن مستمر .

وقوام هذا الاسلوب الجديد الزراعة .. زراعة كرات الدم البيضاء .. فهم يزرعون في دم المريض وهو في المرحلة الخطيرة من المرض ، نفس الكريات البيضاء التي ينتزعونها من دمه وهو في المرحلة الاولى غير الخبيثة من المرض .... وتوضع هذه الكريات بعد انتزاعها في سائل مناسب للابقاء عليها حية ثم تحفظ في امبولات وتخزن الامبولات في البرودة في نيتروجين مسيل .

ويذكر هنا ان مرض اللوكيميا النخاعية لا يكون خبيثا في الغالب في المرحلة الاولى التي تعقب تشخيصه والتي يستطيع الاطباء مدها واطالتها شهورا او سنين . ولكن لا مفر من ان تنتهي ، وعندئذ تتكاثر الكريات البيضاء في دم المريض وتصبح عرضة للاورام الخبيثة .

ويعمد الاطباء في تشفى هامرسميث الى معالجة المريض بالمستحضرات المضادة للوكيميا كخطوة اولى ، حتى اذا قضت هذه المستحضرات على الكثير من الكريات البيضاء الخبيثة قاموا بزراعة الكريات البيضاء السليمة التي كانوا انتزعوها من دم المريض في وقت مبكر واحتفظوا بها على نحو ما اسلفنا .. ومن شأن هذه الكريات المزروعة ، ومن شأنها وحدها ، ان تبعث على انتاج كريات بيضاء جديدة .. وسليمة .. فهي مأخوذة من دم المريض نفسه بحيث يتقبلها جسمه ، ولا يرفضها كما يحدث في حالات نقل الدم العادية التي تكون فيها الكريات البيضاء مأخوذة من دم احد المتبرعين .

كمبيوتر الترجمة

● نجحت احدى الشركات الامريكية في تطوير جهاز كمبيوتر للترجمة الفورية . والمقصود هنا ليس جهاز الجيب الصغير الذي تحدثت عنه الصحف مؤخرا وانما الجهاز الكبير المستوفي الذي يستطيع الاعتماد عليه المترجمون المحلفون والمختصون .. فهو يختزن نحو ٣ ملايين كلمة في اللغتين اللتين يغطيهما الجهاز الواحد من الاجهزة الحالية .. وهما اما الاسبانية / الانجليزية او الفرنسية / الانجليزية ، والعمل ماض على قدم وساق من اجل صنع اجهزة تغطي اللغات التالية : العربية / والانجليزية ، الهولندية / والانجليزية ، الالمانية / والانجليزية ، العبرية / والانجليزية وكذلك اليابانية والبرتغالية والروسية بمقابل اللغة الانجليزية .

ويشمل هذا الجهاز شاشة سمعية بصرية وآلة كاتبة الكترونية وكمبيوترا صغيرا .. فانت تضرب على الالة الكاتبة النص الذي تريد ترجمته من اللغة الاسبانية مثلا .. فلا تلبث ان تقرأ على شاشة العرض ذلك النص مترجما الى اللغة الانجليزية . وقد يروق لك النص المترجم فتقره دون تعديل .. وحينئذ تستطيع الحصول عليه مطبوعا بالالة الكاتبة لدى الضغط على احد الازرار .

وقد لاتعجبك الترجمة تماما ، لا سيما اذا كان النص ادبيا او فلسفيا او غير ذلك مما تغلب عليه العبارات الاصطلاحية او الذوقية .. عندئذ تستطيع الضغط على ازرار معينة لاستبدال كلمة باخرى ، او جملة قصرت في اداء المعنى المقصود في النص الاصلي .. ثم تطلب النص المترجم بصيغته المعدلة النهائية فتحصل عليه دون تأخير ، مطبوعا على الالة الكاتبة كالسابق .

وقد تخونك الذاكرة وانت تجري التعديل فتغيب عنك الكلمة المناسبة للمكان المناسب .. فما عليك في تلك الحال الا الضغط على ازرار معينة فيوافيك الجهاز بمجموعة من الكلمات المترادفة على شاشته لتختار من بينها الكلمة المناسبة .

قصة قصيرة :

الغراب

للكاتب الروسي : ايفان بونين

هو كاتب روسي كبير . ولد في مدينة فورونيج سنه ١٨٧٠ ، لعائلة ارستقراطية . وما ان ترعرع حتى هجر بيته هربا من ذلك الجو الارستقراطي المزيف الذي كان يخيم على علاقات الاسرة والذي يصور جانبا منه في قصة « الغراب » . بدأ حياته الادبية بنظم الشعر وأصدر عدة دواوين . وكان صديقا لتولستوى وتشيخوف وغوركي . وكان للأخير أثر بالغ في اقناعه بكتابة القصة واعتناق الافكار الديمقراطية . وقد كتب عنه يقول : « أخذ بونين يكتب النثر بطريقة جعلت الآخرين ينظرون اليه كأفضل مبدع في أسلوب الكتابة في العصر الحديث » .

أهم قصصه « الانسان القديم » و « حوار في منتصف الليل » و « الحشائش الضعيفة » و « معبد الشمس » و « سيد من سان فرانسيسكو » .

هاجر الى باريس بعد قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ وبقي هناك حتى توفي سنة ١٩٥٣ .

أشهر اعماله التي صدرت في باريس هي : رواية « حياة أرسينيف » و « تحرير تولستوى » و « مذكرات بونين » التي صدرت سنة ١٩٥٠ .

(المترجم)



كنت لا ازال طفلا ، عندما شاهدت في مزرعتنا لوحة ظهر عليها رسم نابليون بونابرت بقبعته المعهودة وسرواله الابيض وحذائه الجلدي الطويل . فضحكت فجأة وانتابني السرور لانها ذكرتني بلوحات الفنان بوغرانوف « مغامرات قطبية » حيث لاحظت ان هناك شبها كبيرا بين نابوليون وطير البطريق القطبي . لكنني مالبثت ان اطرقت رأسي حزينا مفكرا ومحدثا نفسي : اذا كان نابوليون يشبه البطريق ، فان والدي اكثر شبها بالغراب ...

شغل والدي منصبا كبيرا في مركز المحافظة . وقد زاد هذا المنصب في افساده . ولكن لم يكن في مجتمع الموظفين ـ الذي ينتسب اليه ـ من هو اكبر منه شأنا ، واكثر عبوسا واقل كلاما واشد قسوة في حديثه وعمله .

كان ربع القامة سمينا محدودب الظهر قليلا ، أسود الشعر قاسيه . اما وجهه فطويل ، قاتم ، حليق ، كبير الأنف . وصفوة القول : لقد كان غرابا حقيقيا وخاصة عندما يظهر بلباسه الاسود في حفلات مجتمعنا الارستقراطي « المحترم » ويقف ثابتا محدودبا قرب طاولة الشراب ، يحرك رأسه الغرابي الكبير ذات اليمين وذات الشمال ، ويراقب الجميع من مكانه بعينيه الملتمعتين السوداوين الراقصتين والمقتربتين ، ويطيل النظر الى العاملة ذات الابتسامة الساحرة وهي تقدم الشراب بيدها البيضاء المزدانة بالحلي والاحجار الكريمة ـ انها امرأة فارعة القامة تحتذي خلخالا من العاج وترتدي الفرو ، ولها أنف صغير جميل جعلته مساحيق التجميل أبيض ورديا حتى لتحسبه أنفا مستعارا !

لقد ترمل والدي منذ زمن بعيد . وكان له طفلان فقط ، أختي الصغيرة ليليا وأنا . أما منزلنا فكان يقع في

الطابق الثاني لاحدى الابنية الاميرية . يتلألأ بغرفه الكبيرة ، النظيفة كالمرآة . ويطل على حديقة بين الكنيسة والشارع الذى تسكن فيه .

لقد عشت في موسكو طوال فترة الدراسة . ولم أقم بزيارة منزلنا سوى مرتين في العام . في عيد الميلاد ، وفي العطلة الصيفية .

بعد انهائي الدراسة وعودتي من موسكو ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، مما ادى الى نزوحي نهائيا عن المنزل. فقد اجتزت امتحانات السنة الاخيرة في المعهد بنجاح ، وحصلت على شهادتي وعدت الى مسقط رأسي . وما ان وصلت حتى أصابتني الدهشة للتغير المفاجىء الذى اصاب منزلنا . فقد ألفيته يزخر بالحياة والنشاط ، وكان عهدي به ساكنا هادئا . وادركت بعدها ان ذلك التحول بدأ منذ ان رحلت المربية العجوز الطويلة الباردة الشبيهة بواحد من قديسي القرون الوسطى الى جوار ربها .

لاحظت بعد وصولي الى منزلنا ان الفتاة ايلينا ابنة الموظف الذى يعمل عندنا قد غمرتها السعادة والبهجة . لكنها ـ بعد ايام ـ مالبثت ان انقلبت رأسا على عقب وتحول ذلك الفرح الى نوع من الخوف والخشية . فلم تعد تنبس بكلمة عند جلوسنا حول طاولة الغداء مع والدنا . وكان يزيد من خوفها وحذرها طبيعة أختى ليليا الصامتة . أما أنا فكنت أتتبع بانزعاج عيني ليليا السوداوين وحركاتها العنيفة . وشعرت من خلال صمتها المخيف انها مضطربة جدا ، كمن يترقب حدوث أمر عظيم بين لحظة واخرى . اما والدى فقد تبدلت طباعه وكف عن رمي خادمه الشيخ العجوز « كورى » بنظراته الحادة . وعلى غير عادته أخذ يتكلم بهدوء وروية ، موجها كلامه ذاتها الى الفتاة ابنة الموظف مناديا اياها بصيغة الاحترام :« ايلينا نيقولا يفنا المحترمة » محاولا المزاح والضحك . اما هي فقد ارتبكت وتكدرت وأجابت بابتسامة حزينة وتبقع وجهها الناعم النحيف .

لم تجرؤ ايلينا على النظر الى . فقد كنت بالنسبة لها مخيفا اكثر من والدى . وبالمقابل فان والدى تجاهل وجودى والمكان الذى اجلس فيه . وادركت كما ادرك هو انها كانت تحاول جاهدة الا تلتقي نظراتها مع نظراتي ، وان تنصرف بسمعها الى مايقوله والدى ومتابعة « الشر » المتحرك بيننا ، على الرغم من جهلها لذلك الخوف الذى يؤرقنا . اى الخوف المبطن بالفرح لسعادتنا ببقاء كل واحد منا الى جانب الآخر .

كان والدى يشرب الشاى مع أصدقائه أثناء السهرات فقط . اما وقت العمل فكانوا يقدمونها له في فنجان كبير ذى حواف ذهبية يضعونه امامه على الطاولة . اما اليوم فقد قضى السهرة معنا في المنزل ـ على غير عادته ـ وشاركنا شرب الشاى في غرفة الاستقبال . وبينما كانت ايلينا تغلي الماء في « السماور » وتحضر لوازم الشاى ، غطت ليليا في نوم عميق حتى الصباح .

خرج والدى من مكتبه المنزلي بمعطفه الطويل الواسع ذى البطانة الحمراء ، وجلس في كرسيه الوثير وطلب منها ان تسكب له فنجانا من الشاى الساخن . فملأت له فنجانه ثم سكبت لي واخيرا لنفسها . بدأ والدى بحديث طويل ـ ربما كان اطول حديث في حياته ـ مما اثار دهشتنا . قال موجها كلامه لها . ان لون الالبسة السوداء الوردية هى انسب الالوان لاصحاب الشعر الاشقر يا ايلينا نيقولايفنا .. ولو انك ارتديت ثوبا اسود مطرزا ذا ياقة عالية او حلة من حلل القرون الوسطى المخملية القرمزية المرصعة بصلبان ياقوتية لظهر ذلك عليك بديعا جدا ... ويناسبك ايضا معطف فرو ازرق ذو بطانة مخملية و .. قبعة عروس دائرية ... ثم ضحك وقال : ان هذه مجرد احلام طبعا . فكل ما يتقاضاه والدك من عمله عندنا هو سبعون روبلا في الشهر . ولديه بالاضافة اليك خمسة اطفال آخرون . هذا يعنى انكم ستعيشون فقراء مدى الحياة . ان مصيبتكم هي في احلامكم التى تمدكم بالقدرة على مواصلة الحياة وتعطيكم القوة والامل . يالها من احلام ! .. صحيح انها مجرد خيال الا ان بعضها يتحقق احيانا ... فهذا احد الطباخين في محطة مدينة « كورسك » قد ربح منذ مدة بطاقة « يا نصيب » بمبلغ ٢٠٠ ألف روبل . انه مجرد طباخ بسيط !

كانت تنظر اليه محاولة تتبع كلامه باعتباره نوعا من النكت الطريفة التى تدعو الى الابتسام . بينما شرعت انا

انظر الى رسم نابليون المعلق على الجدار وكأني لا اسمع شيئا . اما هو فتابع حديثه الى ان شملني به ! قال : لتنظر الى هذا الشاب انه يحلم ايضا . فوالده سيموت قريبا وبالتالي سيحصل على كميات كبيرة من الذهب ! لكنه في الواقع سيخرج صفر اليدين بعد وفاة والده . صحيح ان والده يملك ثروة كبيرة الا انه من الصعب وصولها الى يد ابنه ، لانه مبذر من الدرجة الاولى .

لقد علق هذا الحديث في ذهني حتى هذا اليوم لأنه كان آخر حديث « عائلي » سمعته منه . ففي صباح ذلك اليوم ذهب والدي لحضور حفلة عيد ميلاد المحافظ ، ولم يتناول معنا طعام الافطار ، وهو الذي لايفطر معنا عندما يكون متفرغا من الاعمال ، فكيف به اذا كان مرتبطا بالمواعيد ! ! لذلك فقد اقتصر الطعام على ثلاثة اشخاص : ليليا وايليا وانا . وقبيل الانتهاء منه ، قدمنا الى اختي الصغيرة ليليا نوعا من المربيات عوضا عن مربى الكرز المحبب اليها .فبدأت بالصراخ والضرب على الطاولة وتحطيم الاطباق على الارض . ولم نستطع تهدئتها الا بعد جهد كبير ، وبعد ان قدمنا لها وعودا قاطعة بمعاقبة الطباخ و ... و ... الخ . ثم مالبثت ان غرقت في نومها ، بعد ان سال الدم من اصابعنا من جراء عضاتها المؤلمة وبعد ان بذلنا مجهودا جبارا لحملها الى السرير ! وما ان هدأت الطفلة حتى اتانا صوت انهيار المطر الغزير في الخارج وأضاء لمعان البرق بين حين وآخر الغرف المظلمة وتحطم زجاج نافذة نتيجة الرعد القاصف .

كان لذلك تأثير كبير على ايلينا فقد انبسطت ملامح وجهها واخذت تترقب بجميع حواسها شيئا ما مجهولا ثم قالت فجأة : اني أشعر بأن حريقا شب بالقرب منا ! اسرعنا الى غرفة الاستقبال وفتحنا النوافذ فاذا بجلبة كبيرة في الشارع ، وقد وصل فريق اطفاء الحرائق ووجه خراطيم المياه نحو شجر الحور المشتعل . وتمكن رجاله الواقفون على عرباتهم بقبعاتهم النحاسية والممسكين بخراطيم المياه الطويلة وبسلالم التسلق ، من اخماد اللهب .

كنا نقف واحدا الى جانب الآخر عند النافذة المطلة على الشارع بالقرب من مكان الحريق وقد اصابنا رذاذ ماء الاطفاء الممزوج بغبار المدينة الرطب ، وكنا نرقب مايدور حولنا ونستمع الى الاحاديث باضطراب ظاهر .

بدأت الضجة تخف وذهبت عربات الاطفاء . وعندما عبرت آخر عربة تحمل خزان ماء احمر كبير الحجم ، شعرت بخفقان قلبي وضيق جهتي ... وامسكت يدها الممتدة بارتخاء الى جانب فخذها متوسلا اليها ناظرا الى وجنتيها اللتين أخذتا تشحبان شيئا فشيئا . اما هي فقد شقت شفتيها وارتفع صدرها بشهيق عميق ثم اتجهت نحوي مستغفرة بعينيها المغرورقتين بالدموع . فما كان مني الا ان امسكت بكتفيها وقبلتها لاول مرة في حياتي . ولم يمض بعد هذه الحادثة يوم واحد الا والتقينا عشرات المرات في غرفة الاستقبال او في غرفة الطعام او في الردهات وأحيانا في مكتب والدي ، الذي لايعود الى البيت الا مساء . وكنت اقبلها في كل لقاء ...

شعرنا ان والدي عاد الى عادته في عدم شرب الشاي معنا مساء . والى التزامه الصمت والعبوس . لكننا لم نعد نعيره اي اهتمام . اما وقت الغداء فقد أخذت ايلينا تجلس بهدوء ورزانة على مائدة الطعام .

في اوائل تموز اصاب اختي ليليا مرض جعلها تلازم الفراش واخذت تتناول الادوية والاطعمة المناسبة . ثم تحسنت حالتها وتماثلت للشفاء رويدا رويدا . خلال فترة مرضها منعت ايلينا من مغادرة غرفة المريضة . فكانت تثبت لوحة ورقية كبيرة على قاعدة خشبية وترسم بالاقلام الملونة نماذج لمدن سحرية كالتي نسمع عنها في قصص الف ليلة وليلة . وكانت تحيك احيانا اخرى لنفسها كنزات صوفية اضافة الى تلبية طلبات ليليا الكثيرة .

اما من جهتي فقد قتلتني الوحدة في البيت الهادىء الفارغ . كما قتلني الشوق العميق والرغبة القاهرة لرؤيتها وتقبيلها وضمها الى صدري . جلست في مكتب والدي واخذت أقرأ ما يقع عليه اختياري من مكتبته . وذات مرة بينما انا أقرأ وصل الى سمعي فجأة وقع خطواتها الخفيفة الناعمة السريعة فرميت الكتاب جانبا واسرعت نحوها قائلا :

ـ هل أصبت شيئا من النوم ؟

لوحت بيدها عند الباب وقالت :

ـ لا . لم اتم . الا تعرف ذلك ؟

وادركت جيدا انه لم يغمض لها جفن منذ يومين لكن ذلك لم يؤثر على صحتها ، كما يؤثر عادة على معظم فاقدي العقول والمجانين !

طلبت مني البحث عن اقلام صفراء وبرتقالية في مكتب والدي ... وكانت هذه حجتها كي تراني ... وتقدمت مني باكية وقالت :

ـ يا الهي ! متى سينتهي كل ذلك ؟ قل له بأنك تحبني . فالأمر لم يعد يتحمل الصبر . والى متى يمكننا السكوت ؟ وما الغاية منه ؟ فليس هناك قوة في العالم تستطيع ان تفرقنا !

رفعت وجهها المبلل بالدموع ، والقت برأسها على صدري . ضممتها بشدة ثم رفعتها ووضعتها على المكتب . كنت في تلك اللحظة محلقا في عالم آخر وليس باستطاعتي ادراك مايدور حولي ! وهل يمكن للانسان ان يمتلك ناصية التفكير في مثل تلك اللحظات ؟ وبينا نحن على هذه الصورة ، سمعت سعالا خفيفا يأتي من فتحة باب المكتب . فنظرت من فوق كتفها فاذا بوالدي يقف وينظر الينا . ثم مالبث ان استدار بجسمه المحدودب وعاد من حيث أتى . وعندما حل موعد الغداء لم يخرج أحد منا لتناول الطعام . وفي المساء قرع الخادم باب غرفتي وقال لي : « والدك يريد منك الحضور الى مكتبه » .

دخلت المكتب . كان يجلس في كرسيه الوثير امام طاولة العمل . ودون ان يلتفت بدأ كلامه قائلا : عليك ان تسافر غدا الى قريتي في مقاطعة« سامارسك » ، وتقضي هناك فصل الصيف . ومع حلول الخريف تذهب الى موسكو او بيتربورنج وتبحث عن عمل يناسبك . واذا راودتك فكرة الرفض وعدم الطاعة ، فاعتبر نفسك محروما من حقك في الارث . وغدا سوف أطلب من المحافظ ان يؤمن لك وسيلة نقل الى القرية . اما الان فاذهب في سبيلك ولاتدعني ارى وجهك ثانية . اما بشأن المصاريف وما تحتاجه من مال وبعض الاشياء الاخرى فسوف يسلمك اياها احد الاشخاص غدا صباحا . وسوف اكتب في الخريف رسالة الى ادارة قريتي كي تخصص لك مبلغا من المال تستطيع العيش به في العاصمة الى حين تسلمك العمل . ولا تفكر بل لاتأمل في رؤية ايلينا قبل رحيلك . هذا كل ماأردت ان اقوله لك . اذهب الآن لشأنك يا بني ـ

لكني غادرت منزلي في تلك الليلة سرا الى مقاطعة ياروسلافا ، ونزلت في قرية احد اصدقائي الاوفياء واقمت عنده حتى مطلع الخريف . ثم سافرت الى مدينة بيتربورنج ووجدت هناك ـ بمساعدة والد صديقي ـ عملا في وزارة الخارجية . وبعد عدة ايام كتبت الى والدي اخبره بتخلي الدائم عن كل ما يصيبني من ارثه وتركاته ، وعن رفضي التام لأي نوع من انواع المساعدة التي يفكر في تقديمها لي .

علمت بعد ذلك ان والدي احيل على التقاعد في فصل الشتاء وقدم الى بيتربورنج ايضا للاقامة الدائمة فيها . وقالوا لي ايضا : بأنه قدم مع زوجة في ريعان شبابها وجمالها وأناقتها .

وفي احدى الامسيات بينما انا داخل الى قاعة مسرح « مارنكي » وقع بصري قبيل رفع الستارة بدقائق معدودات عليهما فجأة ! رأيته و ... رأيتها ... هي ! جلسا في مقاعد الصف الاول بالقرب من خشبة المسرح ووضع امامهما على الحاجز الخشبي منظارا صغيرا للتقريب صنع من الصدف الخالص . كان هو في ثيابه الرسمية السوداء محدودبا كالغراب يقرأ باهتمام بالغ برنامج المسرحية مضيقا عينيه كي يرى الاحرف .

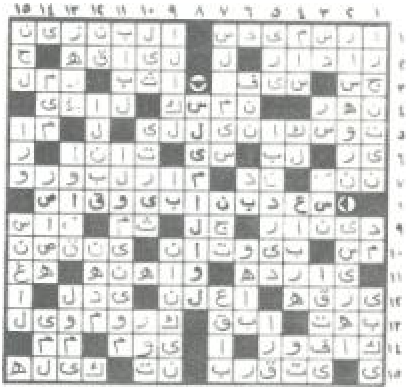
اما هي فكانت تتلفت بكل حيوية ونشاط وانتباه الى قاعة المسرح المتلألئة بالاضواء وتستمع الى همس القاعة المكتظة بالناس . وتنظر الى البسة السهرات الزاهية التي ترتديها النساء اللواتي يجلسن قريبا منها ، وقد علق في عنقها صليب صغير من الياقوت المتلألىء كالنار المشتعلة . اما ساعداها النحيفان فقد غطاها قفازان مخمليان ناعمان قرمزيان . وعلى كتفها شال ياقوتي ...

نظرت الى الغراب . وتذكرت حديثه « الطويل » ... ثم تابعت حوادث المسرحية .

باريس في ١٨ ايار ١٩٤٤

ترجمة : ابراهيم مرشد كاسوحة

● حل مسابقة العــدد ٢٤٩ ●



أفقيا

سعد بن أبي وقاص

●

رأسيا

سليم الأول

اثنتان في واحدة :

٨ ـ أفقيا : سعد بن أبي وقاص . خامس السابقين الى الاسلام ، واحد العشرة المبشرة . قاتل الى جانب النبي في جميع الغزوات . قاد جيوش فتح فارس . وانتصر على رستم في القادسية ، وشيد أول مسجد بالكوفة .

٨ ـ رأسيا : سليم الاول . تاسع السلاطين العثمانيين . قضى على دولة المماليك في موقعة مرج دابق بالقرب من حلب عام ١٥١٦ ، وفتح سورية ومصر ، فخضعت له كل البلاد العربية .

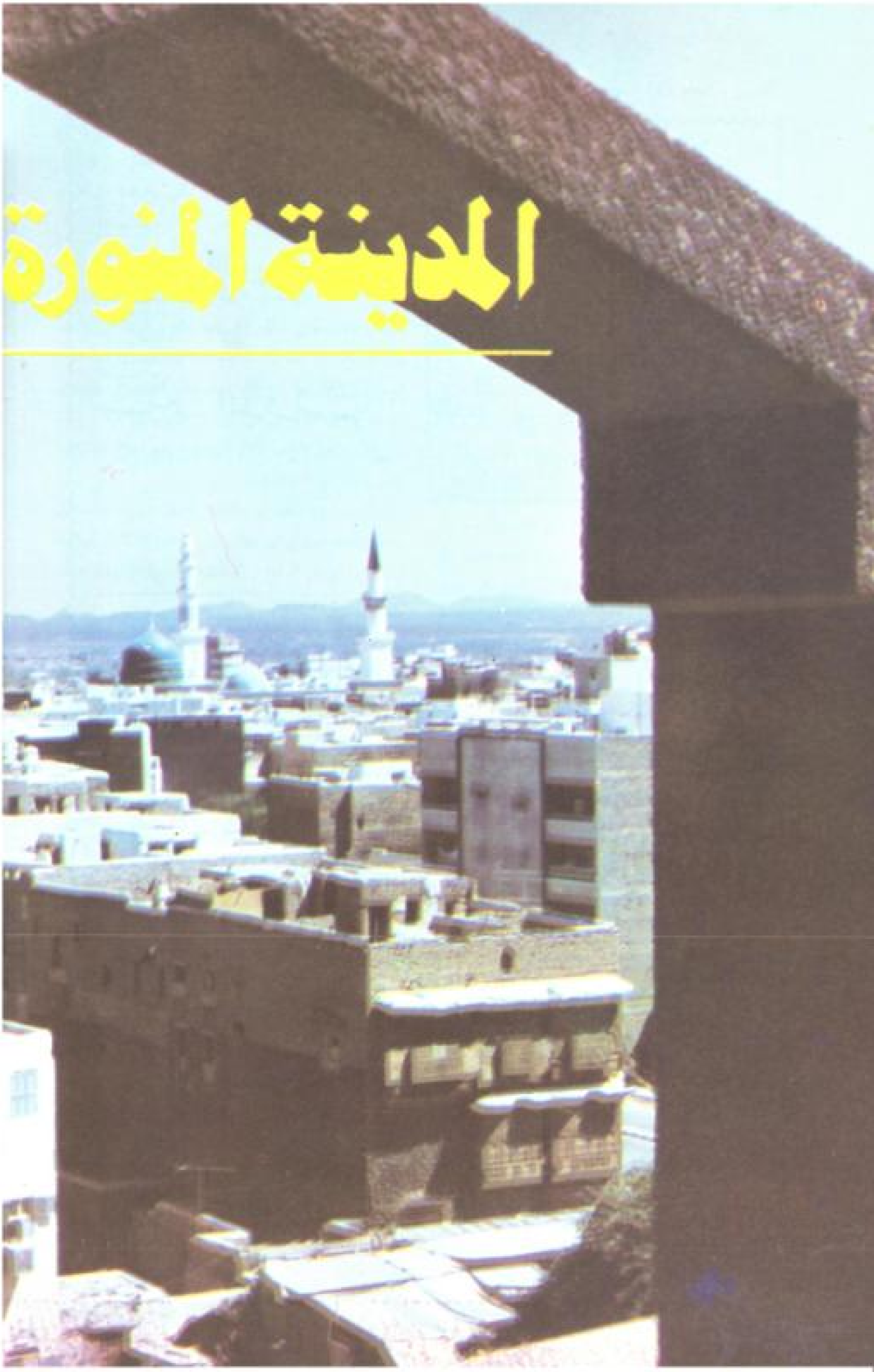
الفائزون بالجوائز

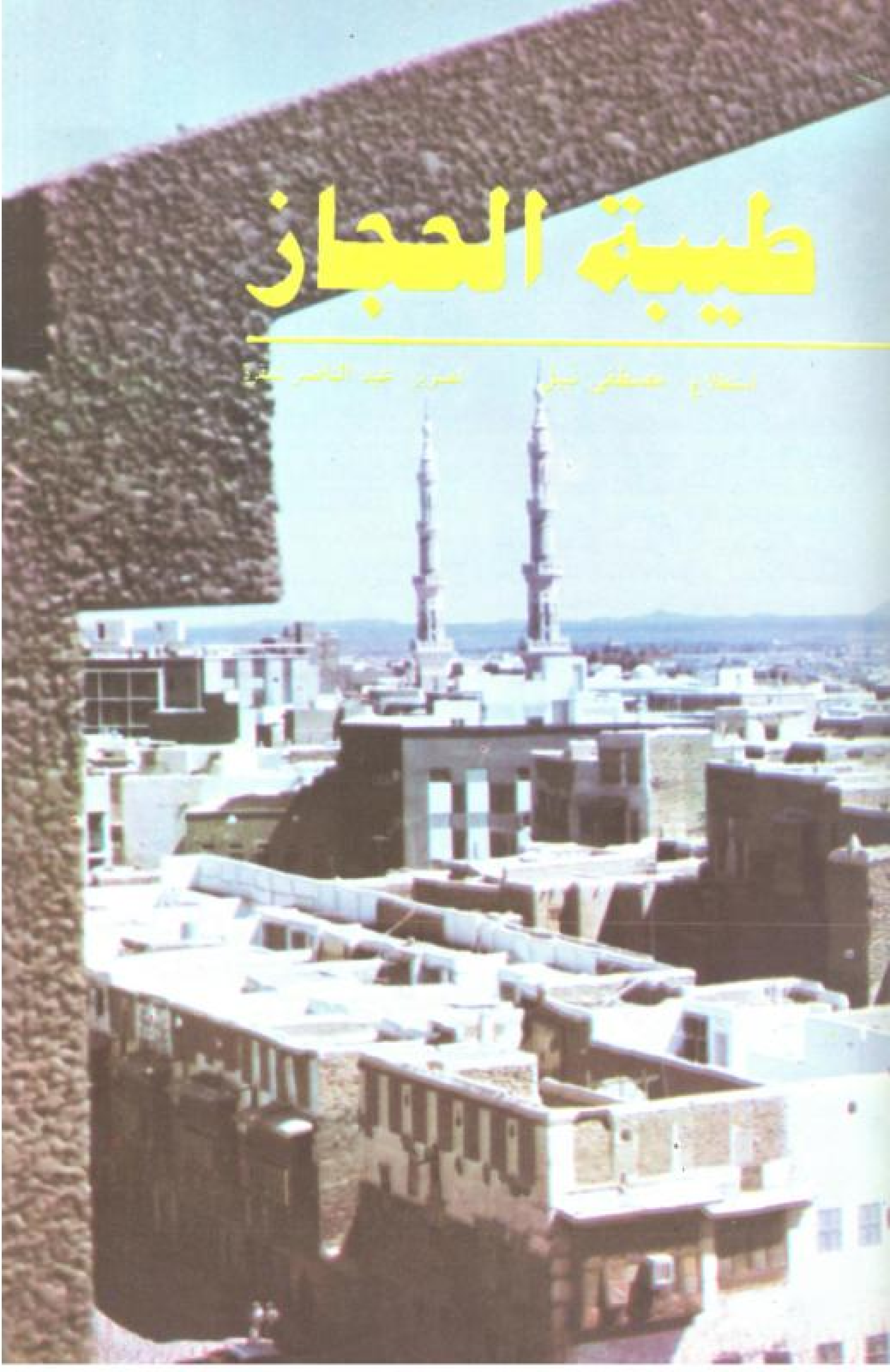
- الجائزة الاولى قدرها ٣٠ دينارا ، فاز بها أحمد علي صالح كرمان الحديدة/الجمهورية العربية اليمنية
- الجائزة الثانية قدرها ٢٠ دينارا فاز بها أحمد محمد بدر المنذري ولاية عبري/عمان
- الجائزة الثالثة قدرها ١٠ دنانير فاز بها سالم عمر أحمد عمرو طنطا/مصر

٨ جوائز قدرها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير والفائزون بها :

١ ـ عمر عبد الله محمد باكر ـ الدوحة/قطر
٢ ـ عبد الفتاح المراد ـ حماة/سورية
٣ ـ سكينة محمد القحطاني ـ المحرق/البحرين
٤ ـ فاطمة وليد جلال الدين النقيب ـ الكويت
٥ ـ حسن عبد الله دفع الله ـ أم درمان/ السودان
٦ ـ المرابط محمد ـ تطوان/المغرب
٧ ـ عبد الرؤوف خاتون ـ كانو/نيجيريا
٨ ـ محسوب أحمد ابراهيم النجار ـ نكسار/ مالطة

المدينة المنورة




طيبة الحجاز

الى المدينة المنورة كانت هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، التي تحل ذكراها خلال أيام . والى المدينة المنورة ذهبت « العربي » في استطلاع هذا الشهر .

من هنا انطلقت الدعوة ، ومن هنا بدأ التاريخ الاسلامي ، وهنا ولدت الدولة الاسلامية ، وهنا دفن الرسول ﷺ .

■ لقد احتضنت المدينة الدعوة الجديدة ، ووصلت معها الى النصر ، وخرج منها الاسلام الى العالم قوة سياسية وحربية وعقيدة ونظاما متكاملا ، وتحت لوائها توحدت الجزيرة العربية وانتقلت من كونها تعبيرا جغرافيا لتصبح أمة فتية واحدة ، وبدأت داخلها أول محاولة لتنظيم الجماعة العربية على اساس العقيدة وليس على اساس القبيلة ، وبها بعث العرب قوة محركة فعاله . .

والحقت الدعوة الجديدة الهزيمة باعظم الامبراطوريات المسيطرة على العالم ، الفرس والرومان ، وانضوت تحت لوائها مصر والشام والعراق وفارس ، تم هذا كله في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز اربعين عاما ، كانت « المدينة » في أثنائها العاصمة والمركز والقلب لكل هذا المجد التاريخي .

وما زالت هذه المرحلة المتألقة حلم البشرية جميعا ، عندما تحقق العدل والمساواة والاخاء وتحرر الانسان من كافة انواع القهر والاستغلال ، بدأها النبي (ﷺ) وتبعه الخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان وعلي في « جمهورية » قائمة على الشورى . .

ويعود كل مجد « المدينة » وحتى اسمها للدعوة الاسلامية ، فقد كان يطلق عليها « يثرب » وتحولت بعد الهجرة الى « مدينة رسول الله » ، واذا تقلص اليوم دورها السياسي ، ولم تعد عاصمة ، فستبقى مكانتها سامية على مر الايام كمثوى لرسول الله ، تهوى اليها الافئدة من مشارق الارض ومغاربها ، وتستمر تاريخا محفوظا متجسدا ، يقصدها الحجاج والعديد من الكتاب والباحثين في السيرة النبوية وعلم الحديث ، وتناولها عدد كبير من المؤرخين والرحالة الذين يتابعون خطى البشرية وعلاماتها ...

وقد عاش النبي منذ بدأ الرسالة وحتى انتقاله الى الا ' ق الاعلى ثلاثا وعشرين سنة هجرية ، قضى منها ثلاث عشرة في مكة وعشر سنوات اخرى حاسمة في المدينة ، وكل احداثها مدونة ومسجلة ، ويذكر شبلي نعماني ـ احد ابرز المفكرين المسلمين في الهند ـ .. « انه الى يوم الدين لن يستطيع احد ان ينافس المسلمين في فخرهم بحفظ ادق تفاصيل كل حادثة في حياة الرسول ، بطريقة دقيقة واعية ، لا يصل الى مستواها تسجيل حياة اي انسان آخر من قبل ، ولا يمكن ان ننتظرها من بعد ، ومن أجل تسجيل هذه الحياة بادق تفاصيلها ، سجل العلماء اسماء واوصاف ثلاثة عشر الف صحابي في وقت كان فجر نظام التأليف » .

مدينة رسول الله اذن هي موضوع جولتنا ومحل حديثنا ، جولة داخل شوارع المدينة وازقتها ، نتوقف عند كل اثر له دلالة تاريخية ، وجولة اخرى عبر الصفحات والكتب التي أرخت للدعوة وللبلدة وما اكثرها .. بل انها في الحقيقة جولة خلال « الحلم الانساني » الذي يستمر المثل الاعلى لعدد من المفكرين الداعين الى صحوة عربية ..

على مشارف المدينة

عندما اقتربت السيارة من مدينة رسول الله ، سبقها خيالي ، يرسم صورة ترسبت في الوجدان من مطالعات في التاريخ والتراث ، تقترب من البلدة وغلالة من البهاء والرونق تلقي بظلها على المكان ، وكانت لحظة تأمل تجمع فيها التاريخ ، ومن حولك الجبال والوديان والحدائق الوارفة ، ومن بعيد ترى القبة الخضراء ومآذن المسجد النبوي الاربعة ، وكانت الرحلة التي تثير في



المدينة المنورة في الليل ، وتشاهد مآذن وقبة المسجد النبوي الشريف تحيط به احياء المدينة المختلفة .

النفس من صور الجهاد ومغالبة المصاعب ما لا تثيره رحلة اخرى .

ولحظة دخول المدينة المنورة من اللحظات المؤثرة التي سجلها عدد من زوارها على مر الايام ..

قال فيها محمد حسين هيكل في مطلع هذا القرن : « القبة امامي تقوم حولها المآذن وترتفع في الجو وتحيط بها قباب اصغر منها حجما . القبة منارة القبر الذي يثوى فيه رسول الله . أوليست المدينة هي التي اوى اليها فنصرته من يوم هجرته الى أن اختاره الرفيق الاعلى .. »

وذكر ابن جبير : « من البيداء تبصر المدينة المكرمة . ويظهر للعين منارة مسجدها بيضاء شامخة .. »

ويقول القزويني : « الداخل اليها يشم رائحة الطيب . وللعطور رائحة لا توجد في غيرها »

ويصفها المستشرق جون كين عام ١٨٧٧م .. « ان المدينة عندما تشاهد من بعيد اول مرة يمكن ان تقارن باستانبول حينما تنظر اليها من بحر مرمرة . وحينما تلوح في الافق للحاج المتعب القادم اليها ، بمنائرها العديدة ، والشمس تشرق عليها في الصبح ، وبنطاق زرعها العريض الاخضر الذي يحيط بها فيحجزها عن جدب الصحراء المخيف المترامي ، تبدو كأنها جوهرة محاطة بفسيفساء من اللؤلؤ المطعم في حاشية متألقة من الميناء الخضراء اللماعة .. »

ويصفها البتانوني في الرحلة الحجازية .. « المدينة مبنية في وسط واد شاسع يمتد الى الجنوب واغلب مبانيها من الحجر المجلوب اليها . وشكل الابنية فيها هو بعينه ما رأيناه بمكة وجدة . وكانت مشرق النور الاسلامي الذي امتد منها الى بقاع الارض .. »

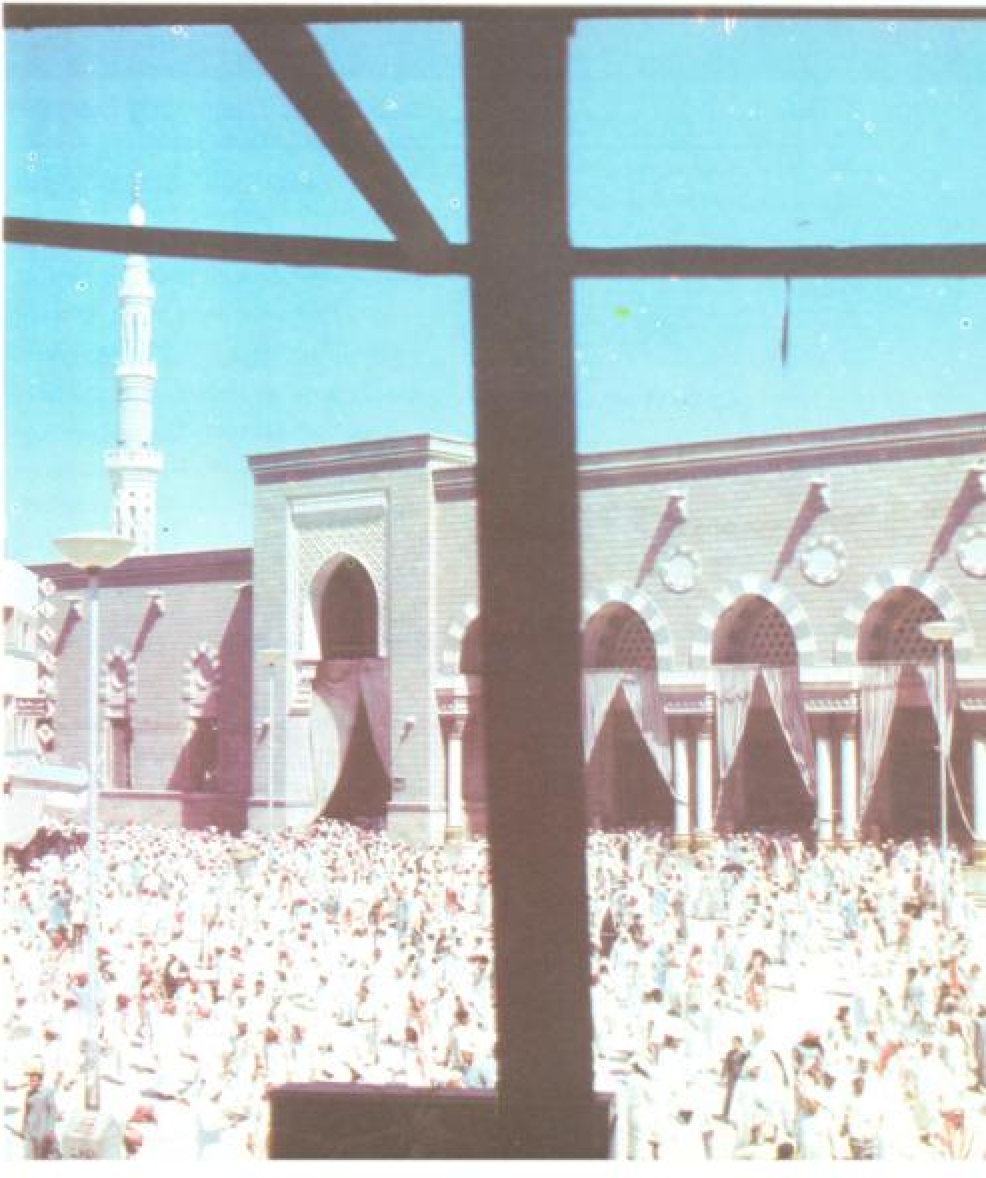
مسرح الاحداث

وتمتد وقفة التأمل ، واتساءل : هل يلقى موقع المدينة وجغرافيتها ضوءا على دورها التاريخي المتميز .. ؟ والجغرافيا هي خشبة المسرح التي جرت عليه فصول التاريخ ، اي اذا تغلبت الجغرافيا ، او بمعنى آخر لو ان الموقع اعظم اثرا من احداث التاريخ .. ؟ ، هل تكون المدينة اوفر نفوذا واكبر حظا .. ؟

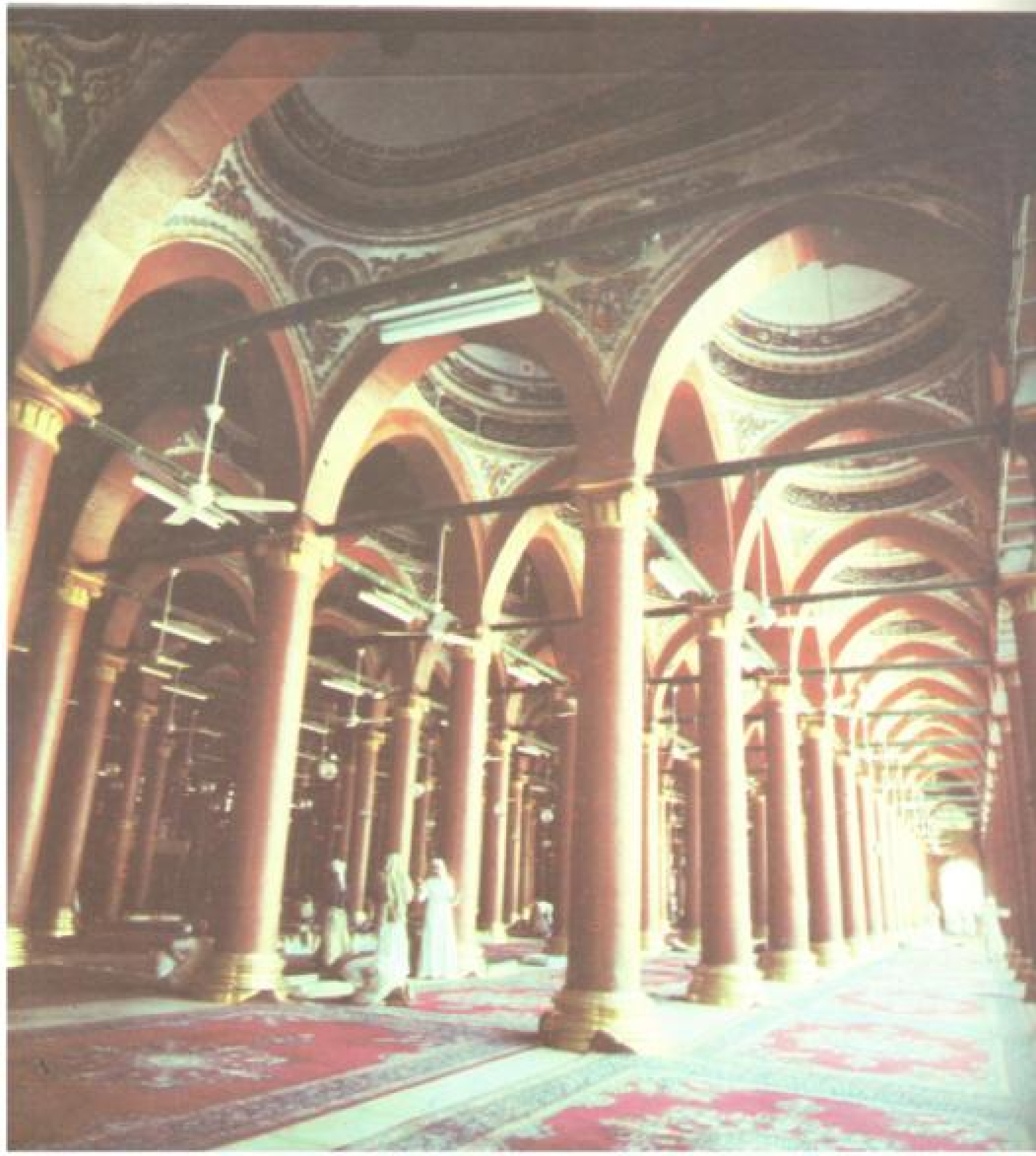
ماذا تقول جغرافيا وطبوغرافية المدينة .. ؟

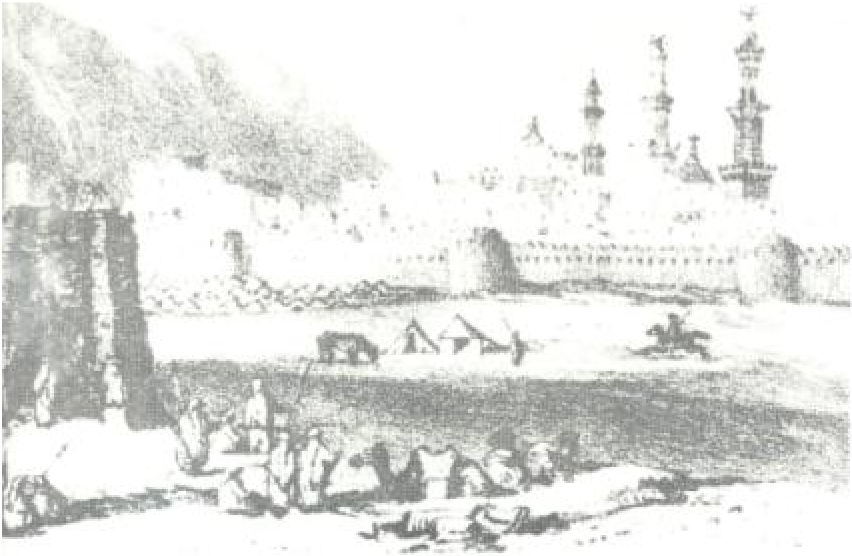
هي موقع حيوي وموضع خصيب ، تتوسط الكتلة المعمورة في المنطقة التي تتركز فيها الحياة البشرية في الحجاز ، الذي يحجز سهل تهامة عن مرتفعات نجد ، ويرتفع فوق سطح البحر اكثر من ستمائة متر ، وجوها اقرب الى الاعتدال ، وموقعها موقع واحة استراتيجية ، وهي مدينة قوافل تتصل ببادية نجد من الشرق ومنها الى العراق وتتصل بالبحر الاحمر من الغرب ، وتقع على طريق القوافل بين اليمن والشام ، وكانت بحق بوابة

المصلون امام ساحة المسجد النبوي الشريف ، ويظهر جانب من عمارة المسجد ، واحد ابوابه واحدى مآذنه ، وتشاهد النوافذ والاعمدة والأقواس ، طراز العمارة يبين تراكم الفن العربي على توالي العصور ومن كافة ارجاء عالم الاسلام (**تحت**) .. جانب من جدران المقصورة النبوية ، استخدم الفنان العربي الخط في كتابة سور من القرآن الكريم لتجميل المقصورة كما تظهر الثريات التي قدمت هدايا للحرم النبوي الشريف (**الى اليسار**) ساحة واروقة المسجد النبوي ، وتظهر الاعمدة والسقوف المزخرفة ، وتشاهد نقش البسط المفروشة المميز (**الى اليسار اسفل**) .









لوحة للمدينة المنورة كما رسمها الرحالة البريطاني بيرتون عام ١٨٥٣ م بعد تنكره في ثوب افغاني باسم الميرزا

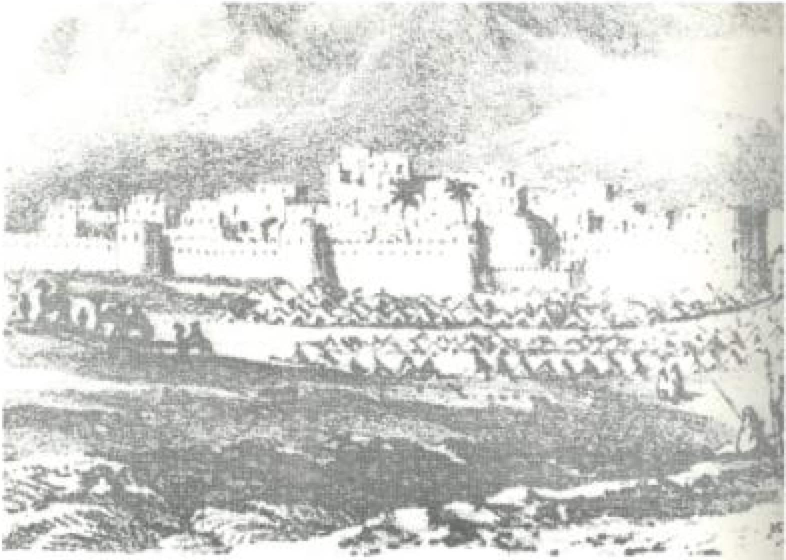
عام ٥٥٧ هـ ، بعد ضبط غريبين يحفران سردابا يصلهما الى قبر رسول الله (ﷺ) ، فصب حول مثوى

الجزيرة العربية ـ الشام ، كما تقع في نهاية وادي القرى وبداية وادي العقيق ، وبالقياس الى مكة فهي واحة كبيرة المساحة تطوقها الحدائق ، ومحصنة طبيعيا ، واحة خصبة تحيطها الجبال على شكل « حدوة الحصان » تتجه فتحتها الى الجهة الجنوبية الشرقية وتقع على هضبة اواسط الجزيرة العربية ، جبل أحد عند شمالها الغربي ، الذي شهد إحدى المعارك الفاصلة في الاسلام ، ومازال قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب في ذات المكان الذي سقط فيه شهيدا ، والى جانبه جبل عسير الذي يبعد اربعة أميال عن المدينة ، ويحد السهل من الشرق والغرب « الحرات » أي البقع البركانية والمغطاة بالبازلت الاسود والتي تبعد مسافة طويلة عن البلدة لتمتد البقعة الخضراء من الارض الخصبة ، وتتوفر فيها المياه المتجمعة من الجنوب وتغذي طبقة المياه الجوفية وتكثر فيها الينابيع والعيون ..

ويجمل القول ان المدينة في موقع متوسط ، مدينة قوافل ، محصنة طبيعيا ، واحة خضراء وسط البيداء ، ميسور تواصلها مع العالم الخارجي ، ولعبت هذه الصفات دورا بارزا في تاريخها في فجر الاسلام ، عندما كانت المدينة الموقع والبشر طرفا مباشرا في الوقائع التاريخية ..

اول مسجد ..

تواردت هذه الصور وتتابعت عندما كنت في طريقي نحو المسجد النبوي ، استوقفني مرافقي عند مسجد قباء ، اول مسجد اقيم في الاسلام « مسجد اسس على التقوى » ، ان كل مكان في المدينة يروي قصة الهجرة النبوية الشريفة ، البقيع مقبرة صحابة رسول الله وجبل احد والعقيق وحدائقه الغناء من حوله ، وضاحية قباء اول موضع وصل اليه الرسول في المدينة ، فبعد ان واجهت الدعوة الجديدة الاضطهاد والعنت من قريش في مكة ، هاجر عدد من اصحاب النبي الى المدينة ، وفي خريف نفس العام ٦٢٢ م هاجر النبي وصاحبه ابو بكر واقاما في غار ثور ثلاث ليال ، وكادت قريش تصل اليهما ، وفزع ابوبكر وقال له الرسول .. « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ، ونزل القرآن .. « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم .. » ، وبعد عشرة ايام وصل الرسول وصاحبه الى مشارف يثرب يوم ٢ يوليو عام ٦٢٢ م ، وكان اول مقامه



عبد الله بوشهر و يشاهد المسجد والسور وبيوت البلدة وقلاعها ، واخر من شيد السور نور الدين محمود بن زنكي
الرسول رصاصا بعمق كبير ، وجدد السور حماية للمقدسات الاسلامية .

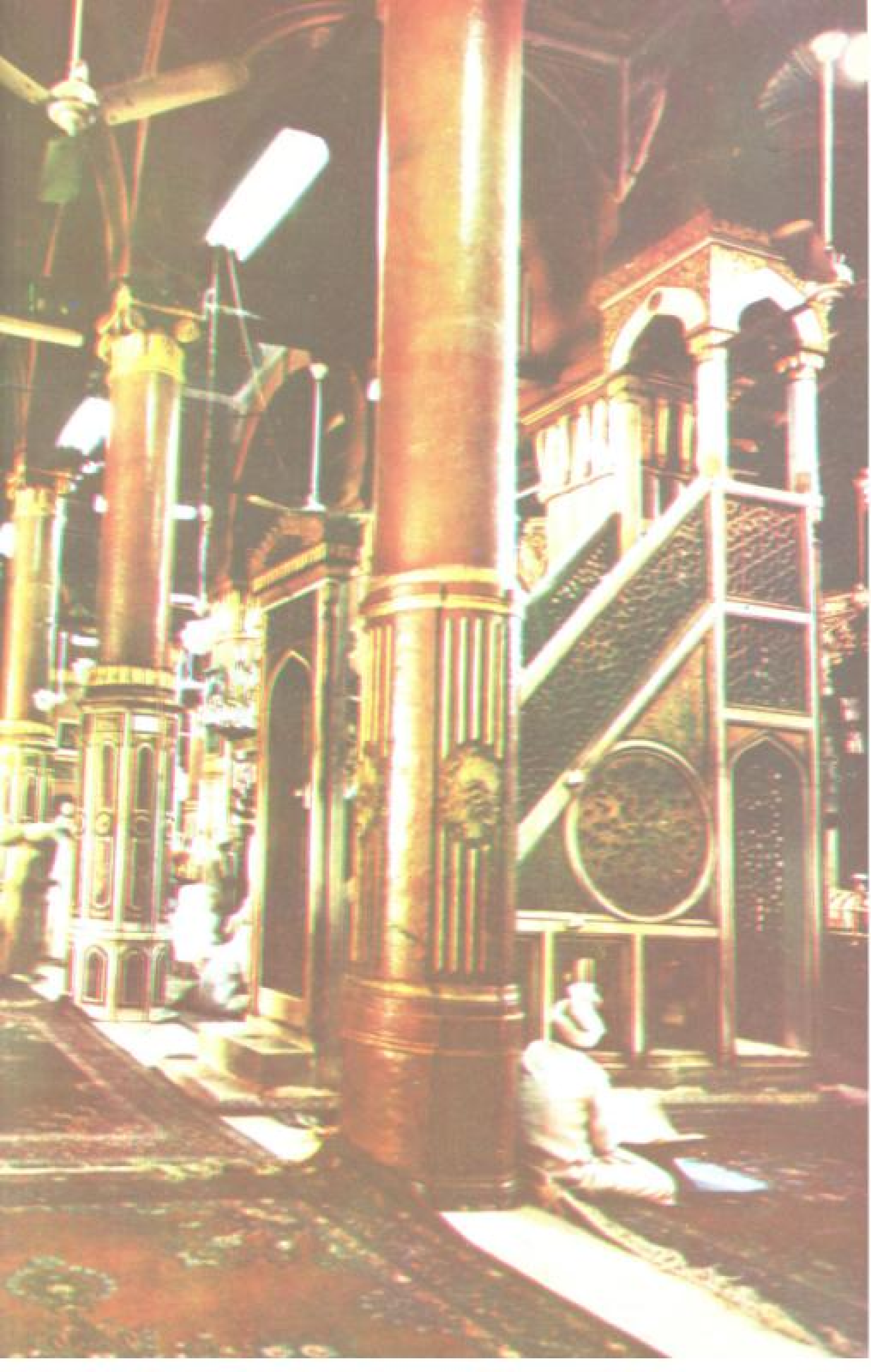
في ضاحية قباء ، ومكث خمسة ايام قبل الانتقال الى وسط المدينة واستقبله اهل يثرب استقبالا حارا ، وفي باطن المدينة أقام في دار أبي ايوب الانصاري وبني بيته الذي يتألف من عدد من الغرف تحيط بفناء جدرانه من اللبن ، وسقفه من الخوص والجريد ..

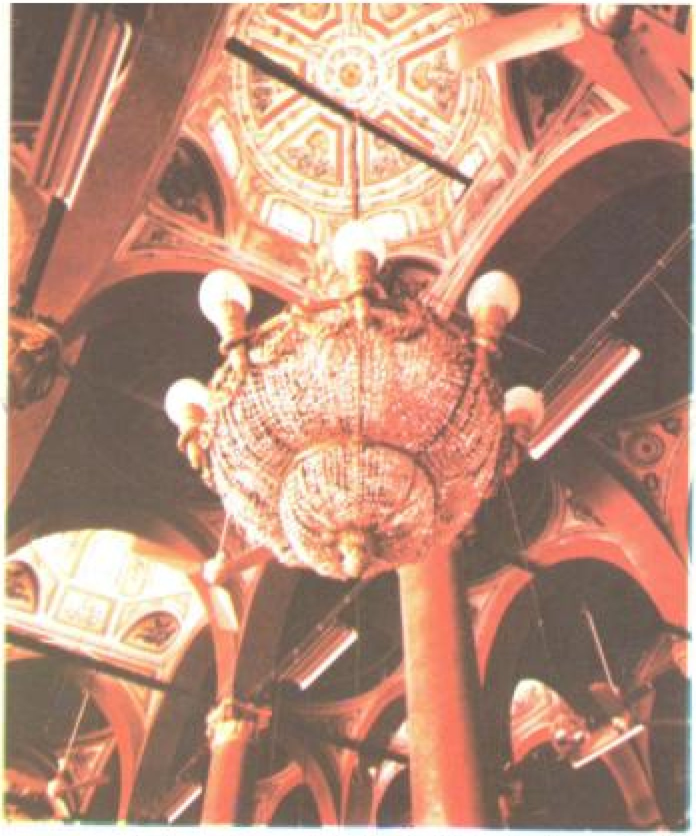
اول قاعدة للاسلام ..

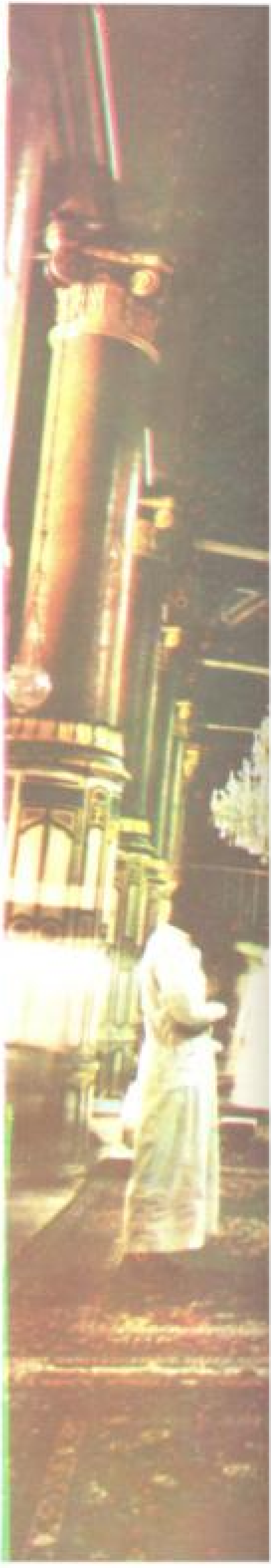
وما ان استقر المقام برسول الله حتى شرع في تنظيم الجماعة الاسلامية ، وارسى اسسها عن طريق التربية والايمان والعمل المشترك ، وقام المجتمع فوق قطعة من الارض محررة من العسف والقهر ، واتت الجماعة من الممارسات ما يؤكد صدق ما ذهبت اليه ، وبينما كانت المدينة تتسع ، وتتصل القرى الصغيرة بعضها ببعض ، اخذ يتكون جيل مؤمن على اساس من العقيدة الصادقة ، وتحول الاوس والخزرج المتصارعان دائما واصبحوا جميعا « الانصار » الذين نصروا النبي ودعوته ، وتحول المهاجرون والانصار بعد فترة وجيزة واصبحوا جميعا « صحابة » رسول الله (ﷺ) . وبينما كانت الارض تزرع والمساجد تقام ، بدأت مرحلة الجهاد التي يطلق عليها في كتب السيرة « المغازي » ، والتي اقامت دعائم القاعدة الرئيسية للاسلام .

واذا تأملنا المعارك التي خاضها المسلمون من المدينة ، تبين اهمية موقع المدينة التي اختارها النبي ، فكانت موقعة بدر اول معركة في الاسلام تهدف الى قطع الطريق على تجارة قريش التي تمر على مقربة من المدينة ، مدينة القوافل ، وهي المعركة التي اعلت شأن الاسلام عندما غلبت « فئة قليلة فئة كثيرة » ؛ وقد مررت بالموقع الذي شهد هذه المعركة في طريقي الى المدينة ، التي اقيم عند مدخلها مقبرة شهداء بدر ، وتنتشر حولها بعض المباني لاستقبال الزائرين ، واقيم في مكان العريش الذي بناه المسلمون لرسول الله مسجد يسمى مسجد العريش ..

وكانت العلامة الثانية في تاريخ الاسلام ، موقعة أحد ، والتي كانت اصرارا من قريش لفتح الطريق امام تجارتها ، ودحر الدعوة الجديدة ، ولم تحقق قريش اهدافها رغم الخسائر التي مني بها المسلمون والشهداء الذين سقطوا ، ولم تفتح طريق الشام ، وشهد السهل المنبسط شمال المدينة والذي ينتهي عند جبل أحد هذه الموقعة الحربية ، ولم يبق لقبة حمزة ولا لمسجده أثر ، بعد ان أقام الوهابيون مكانها قبرا ..







الجزء الامامي من الحرم النبوي والمكان الذي يمتد من المنبر حتى المقصورة النبوية وهو الروضة الشريفة (الى اليمين) . السقف المنقوش تحت القباب ، والثريات المكونة من عناقيد الكريستال في السقف القبلي (اعلاه) . اثنان من المصلين يؤديان فريضة الصلاة في صحن المسجد في خشوع (اسفل) .



وبعد فشل قريش في فتح طريق التجارة ، اخذت تعقد التحالفات مع بقية القبائل لمواجهة خطر انتشار الدعوة الجديدة ، وتجمعت القبائل وسارت الى المدينة في موقعة الاحزاب ، والتى لعبت « طبوغرافية » المدينة دورا بارزا في الدفاع ، عندما امكن سد فتحة « حدوة الحصان » واستخدموا اسلوبا حربيا جديدا أشار به الصحابى سلمان الفارسى ، وحفر الخندق ، وعجزت القوى المهاجمة عن عبوره ، وعاد المهاجمون الى بلادهم مدحورين في ذى القعدة من السنة الخامسة للهجرة ..

الخندق والسور

وليس للخندق أثر فى المدينة اليوم ، وان كان قد حدد بعض الباحثين مكانه ، كما ان الرحالة المغربى ابن جبير وصف الخندق خلال زيارته التى تمت عام ٥٨٠ هـ بقوله « غرب المدينة وقبل وصولك للسور بمقدار غلوة تلقى الخندق الشهير ذكره الذى صنعه النبى عند تحزب الاحزاب » .

يقول عبد القدوس الانصاري ـ الكاتب السعودى صاحب المنهل ـ حول الخندق والسور في كتابه آثار المدينة المنورة « قد عفا أثر الخندق اليوم ولم يبق منه شيء يعرف سوى ناحيته » . أما السور فقد امتدت المدينة وانكمشت خلال مراحل مختلفة مما اقتضى ان يبنى لها سوران ، ولم يبق اثر لكليهما فى المدينة اليوم ..

اخذت صور التاريخ تتلاحق ، وتسبقنى الى مثوى الرسول الكريم ، حيث يرقد رمز الحرية والمحبة والجهاد والعدالة ، وقد كانت حياته الحافلة نبراسا ومشعلا للانسانية ، والذى يأتى المسلمون من كل انحاء الارض يزورون قبره ويصلون فى مسجده ، ووقفت وقفة تذكرة وعبرة .

رمز الجماعة ومركزها ..

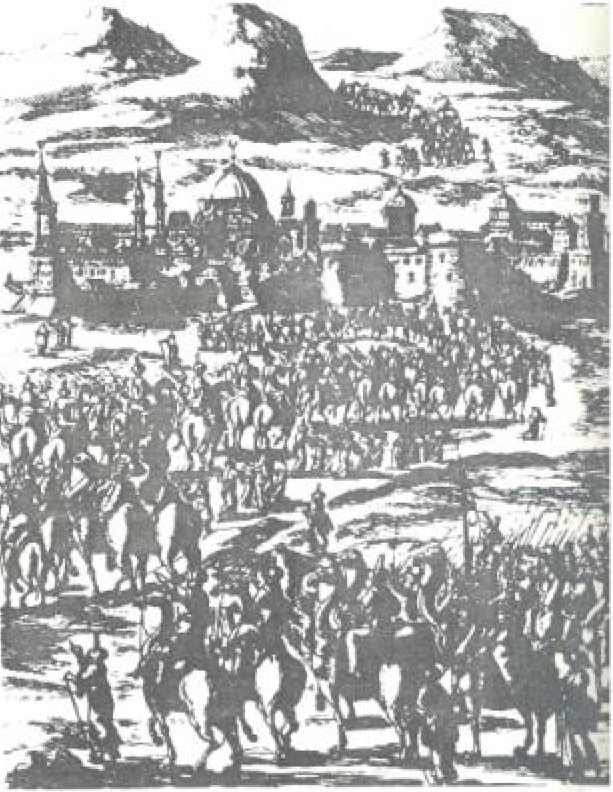
كانت الخطوة الاولى لانشاء الجماعة هي بناء المسجد النبوى ، مركز الجماعة ورمزها ، والذى كان في تلك الايام مكانا لمؤتمراتهم ومحلا لتجمعهم ودارا لندوتهم الى جانب وظيفته الرئيسية كمكان للصلاة ..

يميل المسجد في وضعه المتوسط الى شرق المدينة ، وينقسم الى المسجد والصحن واخيرا مكان متسع غطى بالمظلات لكى يسع المصلين فى ايام الجمع واثناء الحج ، تشعر امامه بالطمأنينة والسلام ، أسراب الحمام من حولك ، القبة الخضراء والمآذن الأربع آية من آيات فن العمارة ، واكتملت لتوها آخر توسعة للمسجد ، والتى انجزت على مرحلتين المرحلة الاولى اضافت للمسجد ١٦٣٢٦ مترا مربعا ، واعيد بناء المئذنتين التى يبلغ طول كل منهما ٧٠ مترا ، ثم التوسعة الاخيرة من الناحية الغربية عن طريق بناء مظلات ضمت ٣٥ الف متر مربع ، وتستوعب العمارة السعودية الاخيرة العمارة العثمانية فى مظهر متناغم ، وتظهر بين ابوابه القباب التى ترتكز على اقواس قامت على عمد من الصوان المكسى بالمرمر الموشى بماء الذهب ..

وأمامه أمضى فى رحلة مع الزمان تمتد خمسة عشر قرنا ..

لقد انعكست على المسجد النبوى الشريف التغيرات والاحداث التاريخية التى شهدها عالم الاسلام ، يظهر معالم ذلك فى تراكم فن العمارة الاسلامية على مر العصور ، لمسات من التأثير من جميع البلاد الاسلامية ، فهذا بساط عجمى ابدع الفنان نقوشه ، وذلك المحراب صنع فى مصر آية فى فن زمان صناعته ، وهذا صممه المهندس التركى سنان باشا ، وعاش الحرم النبوى يروى بشموخه الكثير من وقائع التاريخ ، ويقف ليعوض مسحة الاسى على غياب بيوت المدينة القديمة بعمارتها وتصميمها البسيط ، كما كانت عليه في صدر الاسلام ، والتى كانت مبانيها من مواد لم تقدر على مغالبة الزمن ، عندما اقام التابعون عند كل مبنى تاريخى أثرا يدل عليه أو شاهدا مكانه ، وقدم المسلمون كل براعتهم فى تجميل القباب ، وارسلوا المهندسين والصناع من كافة ارجاء العالم الاسلامى على توالى العصور ، جاء الوهابيون فى مطلع القرن التاسع عشر وأزالوا هذه الآثار وتلك القباب بحجة انها تتنافى مع جوهر الاسلام وبساطته ، وبقى بناء المسجد الحرام شامخا خالدا ، لا تمسه يد التبديل بل يضاف اليه ..

وفى السيرة وأوصاف الرحالة وحكايات اهل المدينة ، تجميع ورصد لكل ما مر به من تطورات ،



لوحة أخرى للمدينة عام ١٦٨٣ م ، وترى قوافل الحج التي يحميها الجنود المسلحون ونشرها الرحالة الايطالي فارتيا .

والتى تبدأ مع هجرة الرسول الى المدينة ، وانتقاله من قباء لدار ابى ايوب خالد الانصارى ، وهناك اقام مسجده واشترك في البناء بنفسه ، جدرانه من الآجر ، وسقفه من الجريد ، وعمده من أعجاز النخيل ، اقيم على هيئة مستطيل طوله ٧٠ ذراعا وعرضه ٦٣ ذراعا وأنشىء الى جواره عريش مغطى بسعف النخيل التى لا تزيد عن ستة اذرع ، وكانت بداية هذا المسجد نقطة البدء لعمران المدينة ، وامتد شارع مبلط من غربى الجامع الى جبل سلع وطريق آخر الى البقيع مقبرة شهداء الاسلام ، ومنذ هذا الوقت استمرت عادة العرب اذا اختطوا مدينة ان يبدأوا باقامة المسجد الجامع في الوسط وحوله دور الحكومة ..

وهذه كانت البداية ..

ايام الخلفاء الرشدين ..

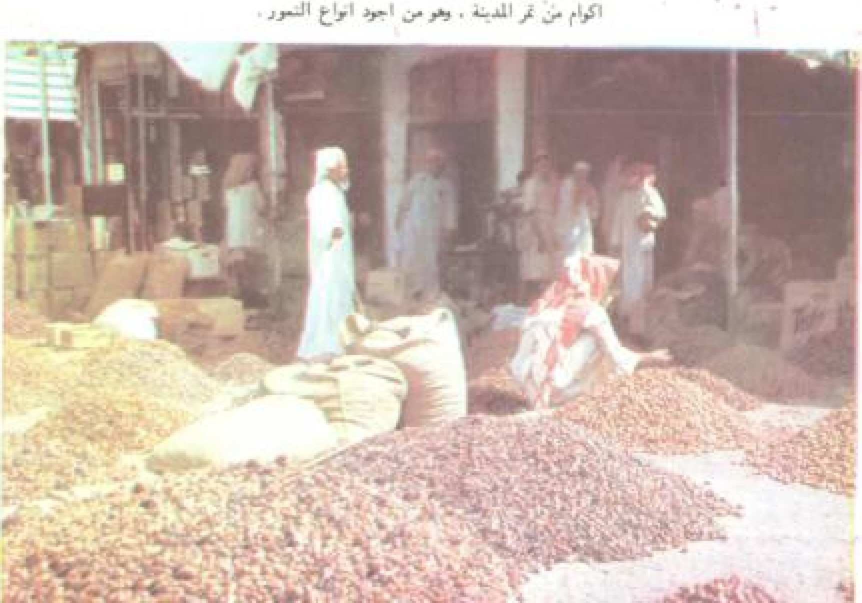
ومع تطور الجماعة الاسلامية ونموها قام عمر بن الخطاب باول توسعة للمسجد في السنة السابعة عشرة للهجرة بنفس البساطة وعلى نسق البناء الاصلى ، وفي خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٧ للهجرة ، زاد عثمان في الحرم النبوى في الناحية الجنوبية ، وبنى جدره بالحجارة المنقوشة ، واستبدل بأعجاز النخيل حجارة ادخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاص ونقشها من خارجها ، وجعل سقفه من خشب الساج ، وزاد ايضا في نظام المقصورة التى اتخذها ابن عفان محلا له ، والتى مازالت تعرف حتى الآن بمحراب عثمان ..

أما بيت الرسول فكان الى جوار المسجد ، وانتقل النبي الى بيت عائشة عند مرضه ، الذى كان مصنوعا من جريد مستور بمسوح الشعر ، ويحيط به منازل صحابته ، دار ابى ايوب الانصارى ، ودار عثمان بن عفان جهة الشرق ، ودار آل عمر بن الخطاب الى جنوب المسجد ، وجوارها من الغرب دار العباس عم رسول الله ، ثم دار مروان بن الحكم ، وفي غرب المسجد دار أبى بكر وشمالها دار عبد الرحمن بن عوف ، وأدى تكرار التوسعة الى أزالة معظم هذه البيوت التاريخية .



من هذه المحلات يشتري القادم الى المدينة حاجا او معتمرا ذكرى من مدينة رسول الله ، والعديد من هذه المحال تحيط ساحة المسجد النبوي .

اكوام من تمر المدينة ، وهو من اجود انواع التمور .





احد المحال ما زال يحافظ على الطابع القديم .

وعند انتقال النبي الى الرفيق الاعلى دفن في بيت عائشة ، ووورى الثرى الى جواره ابو بكر بعد عامين وثلاثة اشهر من موت الرسول . ومن بعد عشر سنين من وفاة أبي بكر دفن عمر بنفس الحجرة وهي على حالها . وفي العهد الاموى ايام خلافة عبد الملك بن مروان ، قام واليه عمر بن عبد العزيز بزيادة المسجد وضم حجرات ازواج النبي ، ودخلت الحجرة النبوية ليضمها المسجد عام ٨٨ هـ . واقام ابن عبد العزيز اربع مآذن . وغطى ارضه بالرخام . ووشى حوائطه بالفسيفساء . وكسا سقفه بالذهب ، وجعل اساطينه من المرمر ، ولم ينزع حجرا الا ووضع مكانه اخر . وغشى عناية فائقة بالمقصورة النبوية . واتخذ المسجد النبوى صورة أقرب الى مساجد اليوم ، مع الحفاظ على شكله العام وشخصيته النافذة .

ثم قام المهدى بن المنصور ايام العباسيين بزيادة المسجد من الناحية الشمالية عند صحن المسجد ، وكانت زيادة بلغت نحو الثلث من مساحة المسجد ، واحيطت بأروقة من العمد والقباب .

وزمن العاصفة التى اطلقها التتار وهبت على بغداد جارفة مدمرة ، في هذا الوقت احترق الحرم النبوى في رمضان (عام ٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٦ م) ، واهتز عالم الاسلام ، بعد ان اتت النار على جميع محتوياته . ولم يسلم منه سوى القبة التى اقيمت لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الشريف .*

وبعد ان تولى الظاهر بيبرس حكم مصر وصد الغزو التتاري ، جهز الاخشاب والحديد والرصاص وارسل الصناع من مصر الى المدينة وقد أعادوا بناء المسجد على ذات الهيكل ، واضيفت اليه مئذنة « عالية » .

ومرة اخرى اصابت المسجد النبوى صاعقة عام ٨٨٦ هـ ، وانتقلت النار الى بقية انحائه ، واحترقت المقصورة والمنبر والكتب المخطوطة والمصاحف ، وسلم من الحريق الحجرة النبوية والقبة بالصحن ، فوجه حاكم مصر الاشرف قايتباى الامير سنقر الجمالى الى المدينة ومعه الصناع والمواد اللازمة للعمارة ، واقيمت لأول مرة القبة فوق الحجرة النبوية .

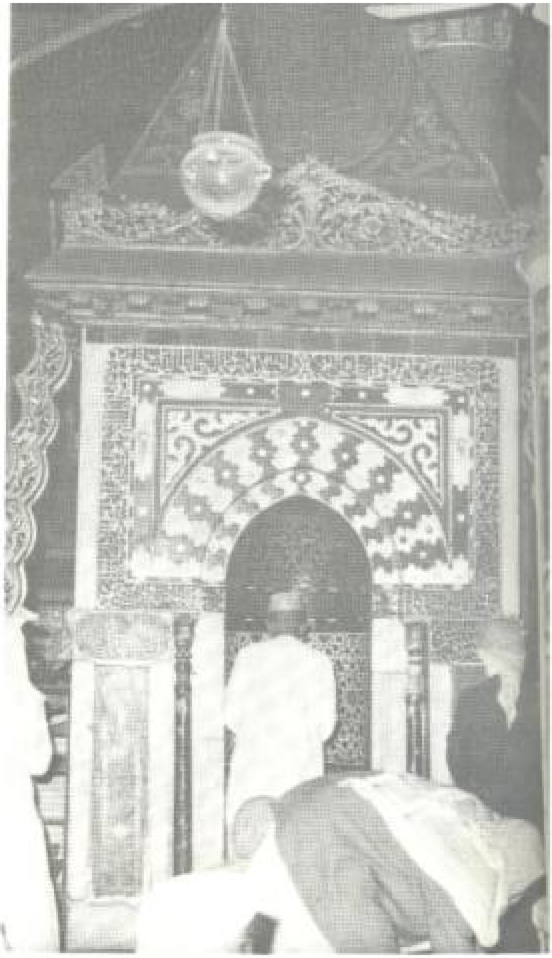
ومما يذكر ان عالم الاسلام قد اصابه الجزع ، وتهيب المسلمون الدخول الى الحجرة الشريفة لاصلاحها ، وثار جدل حاد ، حسمه نور الدين السمهودى الذى قدم من صعيد مصر واتخذ جوار النبي موطنا . وكتب « وفاء الوفا لحضرة المصطفى » قدم فيه دراسة مدعمة بالحجج الشرعية يطالب فيها بسرعة اصلاح الغرفة (توفى عام ٨٤٤) هـ .

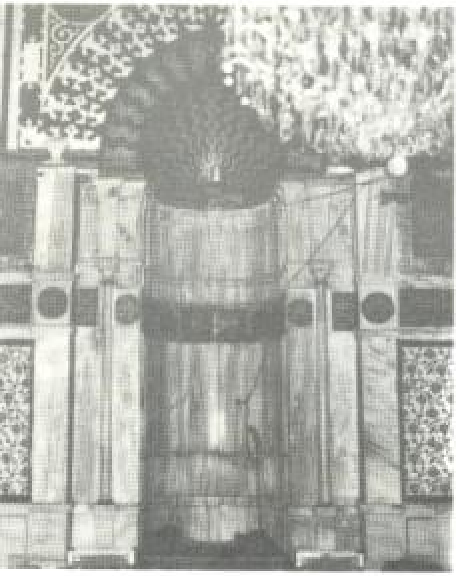
وايام الخلافة العثمانية قام السلطان سليم بتشييد محراب هو القبلة القائمة الان غرب المنبر النبوى ، وطعم هذا المحراب بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب . ثم بنى السلطان محمود القبة . وكانت العمارة الكبرى التى قام بها العثمانيون هي عمارة السلطان عبد المجيد . والذى هدم جزءا من المسجد واقام ما يحل محله . وتم هذا التجديد عام ١٢٧٧ هـ .

واضافت هذه العمارة العقود من الحجر الاحمر المنحوت حول محراب عثمان . وشيدت القباب ذات النوافذ من الزجاج الملون المحاط بشبابيك من النحاس . وشيدت المئذنة المجيدية على طراز رائع . وحافظت على ما كتب على جدران المسجد من سورة الفتح وقصيدة البردة للبوصيرى ، واسماء الله الحسنى . واسماء الرسول الكريم . والذى قام به عبدالله زهدى واستغرق عشر سنوات في كتابة سورة الفتح وحدها ..

ويلاحظ ان كل من أضاف لعمارة المسجد قد عمل على الحفاظ على ما سبقه ، فجاء ممثلا لعصور مختلفة ، ترى ذلك وانت تطوف في اروقة المسجد ، زخارفه والخطوط العربية والثريات والبسط . ووقفت مكاني مأخوذا عند المقصورة النبوية . وحقا ان وقفة امام قبره فيها من التذكرة اكثر من قراءة العديد من كتب الحديث والتاريخ والسيرة ، عندما تتذكر جهاده وطريقه ونصره ، والمقصورة آية من جمال الفن الاسلامي . والى جوارها الروضة النبوية المكان الواقع بين الغرفة النبوية والمنبر . جموع المسلمين تدخل وجموع تخرج في لحظة تجرد وإيمان ، وياليتها تستمر .. !!

* للاستزادة في منزل الوحي ـ محمد حسين هيكل .





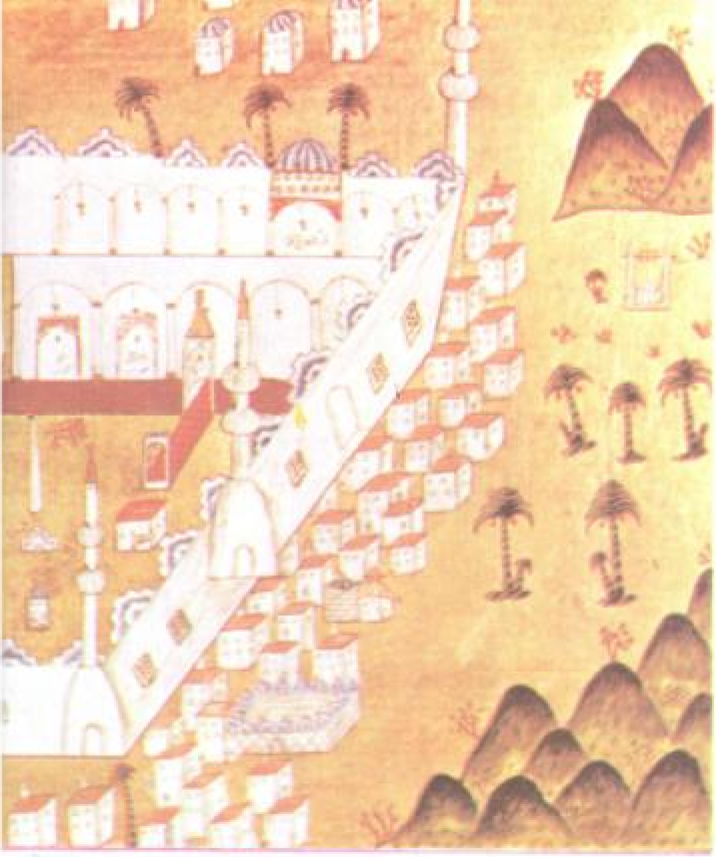
محرابان داخل المسجد النبوي ، اقيا في فترتين مختلفتين ، والمحراب احد عناصر المسجد واحد عناصر الفن الاسلامي ، وتظهر العناية الفائقة في خطوطه ونقوشه ومادته .

هنا ولد الفن المعماري بقيام المسجد النبوي ، فهو وان كان بالغ البساطة في البداية الا ان تصميمه جمع معظم العناصر التي صارت تتكون منها المساجد فيما بعد ، فقبة الصحن والقبلة والمحراب والمنبر هي العناصر الاساسية ، والمسجد النبوي هو الذي حدد اشكال المساجد التي اقيمت فيما بعد ، ولا رابة فقد نشأ الفن الاسلامي من فيض الشعور الديني العميق ، وكانت عمارة المساجد هي اصل الفن المعماري الاسلامي ، ونشأت الزخارف الاسلامية لزينة النوافذ وتجميل السقوف في اشكال هندسية ونباتية ـ للابتعاد عن تصوير الشخوص ـ ، وقدم الخط العربي وسيلة زخرفية جميلة لكتابة سور القرآن الكريم ..

وقفت طويلا في خشوع امام المسجد النبوي وداخل المقصورة النبوية ، فهنا تجمع الماضي والحاضر كما تروى تطور عمارته صورا تمتد على طول التاريخ ..

الحلم الانساني

ان تاريخ المدينة غلاب ، وخاصة مرحلة « الحلم الانساني » ، الذي يمتد زمنيا من عهد الرسول ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، التي يحلو لعدد من المؤرخين ان يطلقوا عليه عصر « المدينة الفاضلة » عصر المجتمع الخير الذي حلم به افلاطون نتبين معالمه ، ذلك العصر ا‍لـ ‍ي حفل بالانتصارات وتميز بشظف العيش وخشونته مصحوبا بالتقوى والبساطة والزهد .

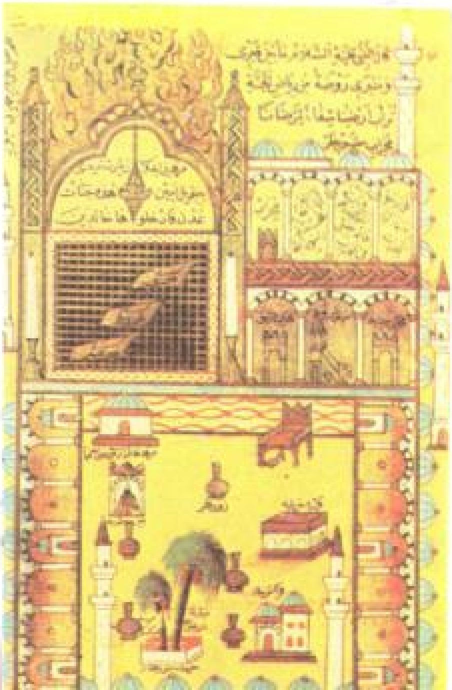




لوحة نادرة رسمها احد الفنانين للمسجد النبوي الشريف ، وهي ذات قيمة تاريخية كبيرة وتحتفظ بها ضمن مجموعها مكتبة **Cheter Beatty** في دبلن ، وقد رسمت على الارجح قبل التجديد العثماني ، وهي اقرب الى الوصف الذي ذكره بيرتون والذي زار المدينة عام ١٨٥٣ م ووصف المسجد النبوي بقوله : المسجد متوازي الاضلاع به ساحة وسطى مكشوفة تسمى الصحن ، يحيط بها بهو له صفوف عديدة من الاعمدة ، والاروقة بها سقوف منبطة . وهي مقببة مثل القبب الاسبانية ، ويحتضن الطول الداخلي للجدار الجنوبي صف الاعمدة المحيطة بالروضة ، ويبلغ عدد المآذن خمسة ، وتنتهي المنارتان بشكل بيضاوي صلب ، وبه صحن اوسط مكشوف ، ويلفت النظر به سياج من خشب مربع الشكل يسمى « حديقة السيدة فاطمة » ويوجد بالصحن نخلات قديمة يباع ثمرها باسعار عالية .

وتظهر في اللوحة بيوت الصحابة حول المسجد ، كما تظهر الاماكن التاريخية مغطاة بالقباب ، والمدينة تحيطها الجبال .





لوحة اخرى من نفس المجموعة بمكتبة دبلن وتظهر بها المقصورة النبوية محاطة بهالة من نور .

لوحة ثالثة ضمن مجموعة مكتبة دبلن تمثل المسجد النبوي الشريف ولا تختلف مكوناته عن اللوحة الاولى .

في هذه المرحلة تزايد اقبال العرب على سكنى البلد الآمن فتضاعف سكانه ، وعمرت اراضيه واتصلت اجزاء السهل بعضها ببعض ، واتصلت المدينة بطريق التجارة ، عندما سادت القيم الجديدة وتحولت الى واقع ، وحلت العقيدة محل القبيلة ، واصبح القائد هو النبي « ﷺ » ثم الخليفة ، الذي لم يأت عن طريق الوراثة ، فالبشر حقا سواسية ، وقام الحكم على اساس الشورى ، وتحقق المثل الاعلى الذي غاب طويلا فيما بعد في بقاء وحدة الامة التي شملت كل بلاد الاسلام .

وقدمت المدينة عطاء حضاريا وافرا ، عندما كان الخليفة في المدينة مثل رجل طلب اليه ان يضبط سيلا متدفقا اخذت تتزايد روافده ، وامر عمر باحصاء الناس لكي يحسن توزيع ما يأخذون فكان اول احصاء معروف يقصد منه ضبط ما ينفق من موارد الدولة .

وبدأت مرحلة التدوين ، وحفظت في المدينة المخطوطة الاصلية للمصحف بعد ان كتبت ثلاث نسخ بعث بها الى جيوش الاسلام المرابطة في دمشق والبصرة والكوفة وكان اول من بدأها ابوبكر الصديق والذي بقي في الخلافة عامين وثلاثة اشهر وعشر ليال حكم الامة فيها على افضل الوجوه ، واسندما يتعلق باموال الدولة الى ابي عبيدة بن الجراح ، واسند القضاء والفصل في الخصومات الى عمر بن الخطاب ، وكان اول من جعل بيتا للمال ، ونشأ علم الحديث على أيدي صحابة رسول الله .

وقدم المجتمع الاسلامي ما يبدو انه قانون صحيح على الدوام ، وهو ان المجتمع « الحلم » ينبغي ان يكون مجتمعا متحركا يقظا متحفزا يبني ويزرع ، وفي نفس الوقت يقدم افراده عن طيب خاطر حياتهم لاطراد نموه ، ومن اجل انتصار الذين يبنون الحياة في مواجهة أولئك الذين يهدمون قيم الخير والحب والجمال .

تكونت الجماعة الاسلامية في العام الاول للهجرة ، وبعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة شملت الجماعة الحجاز وتهامة ، ثم امتدت خلال العامين الاخيرين من حياة الرسول وضمت جزيرة العرب برمتها ، وتميزت هذه المرحلة بالقوة والروابط الاجتماعية الحميمة ، وبعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى وفي عهد ابي بكر الصديق (١١ ـ ١٣هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤م) ، وصلت الجيوش العربية الحيرة جنوب العراق وبعض مناطق غرب العراق ، ثم فلسطين ، وشهدت موقعة اجنادين بعد ان قضي على الردة ، واتجهت الجيوش لتحمل الدعوة الى فارس وتواجه البيزنطيين في الشام ، وبدأت معالم الاطار السياسي والعسكري للدولة في الظهور ، وبعد وفاة ابي بكر تولى عمر بن الخطاب المسئوليه (١٣هـ ـ ٦٣٤ م) ووضع ضوابط صارمة لضمان سير الجماعة فمثلا رفض الاذن للصحابة بالانتقال الى الأمصار ، وحاسب عماله على ما يحصلون عليه من أموال خلال توليهم مناصب عامة ، ولم يسمح لدين غير الاسلام بالبقاء في جزيرة العرب ، وتكاملت في عهده نظم الدولة وادواتها ، وعاشت الدولة الاسلامية ذروة نموها ، ففتحت الشام بعد معركة اليرموك ، وتسلم الخليفة بنفسه « بيت المقدس » ، وحقق العرب انتصارهم الكبير في معركة القادسية ، وفتحت ايران وزالت امبراطورية كسرى وفتح الطريق نحو الشرق ، وانضوت مصر تحت لواء الاسلام ، وبدا انه لا يوجد حد لانتشار الدعوة الجديدة ، واكمل عمر المسيرة كقائد احسن توجيه الجماعة وبرع في قيادتها .

وتولى عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين (٢٧ هـ/٦٤٤ م) وسارت الجيوش العربية نحو افريقيا ، وخلال عهده ظهرت الفتنة الكبرى وبدأت الثورة عليه في الكوفة ، وقتل وهو يقرأ القرآن في بيته في المدينة ، فكانت بداية الاختلاف والانقسام في العالم الاسلامي ، فبعد ان انتقلت الخلافة الى علي بن طالب الذي أصبح الشخصية الاولى في المدينة ، وبويع بالخلافة في مسجدها في ٢٤ يونيو عام ٦٥٦ ـ ٣٦ هـ ، واعترف بخلافته في كل العالم الاسلامي الا انه تخلف عن مبايعته طلحة والزبير وعائشة ، وغادروا المدينة الى مكة ومنها الى البصرة .

وكانت هذه الاحداث التي تتوالى هي نهاية العصر « الجمهوري » الذي تركزت الزعامة فيه في مدينة النبي بذكريات الرسول وروعته وهيبته وعمق أثرها في النفوس ، وانتهى « الحلم » الى حرب اهلية ، اولا بين علي من جانب وطلحة والزبير وعائشة من جانب آخر ، ثم بين علي ومعاوية ...

ولم يكن لعلي جيش في « المدينة » فغادرها الى الكوفة في اكتوبر عام ٦٥٦ بعد ان قضى بها أربعة اشهر ، وفي موقعة الجمل قتل طلحة والزبير وانتقلت الخلافة الى الكوفة لتنتقل فيما بعد الى دمشق .

وهكذا انتقل دور الزعامة من المدينة الى الأمصار عندما تحرك الوسط الجغرافي الى الشمال مع اتساع الدولة ، واتخذ علي الكوفة عاصمة له ، وظل عدد من صحابة الرسول في المدينة ، وتحولت الى مركز للعلم الذي يقصده الاتقياء ، ونقل لنا التاريخ حوارا دار بين علي بن أبي طالب وأحد الصحابة الذي ذهب يقنعه بالعدول عن مغادرة المدينة .

قال عقبة بن عامر : « يا امير المؤمنين ان الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله والسعي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق ، فان كنت انما تسير لحرب أهل الشام فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد بن أبي وقاص زحف القادسية ، وابو موسى زحف الاهواز » .

واجاب علي : « ان الاموال والرجال بالعراق ، ولأهل الشام وثبة احب أن اكون قريبا منها » .

عيون وآثار ...

ومن التاريخ الحافل الى الوضع الراهن ، ارى واسمع واتجول مازلت ابحث في الحاضر ما له علاقة بتلك الايام المجيدة ، فتجولت بين مساجد المدينة التي اقيم أغلبها يخلد ذكرى موقف او شهيد ، ومعظمها بسيط في عمارته وما يحتويه ، واكثرها على نمط المساجد المعروفة في شبه جزيرة العرب ، والتي لا تزيد على مربع من الارض تحيط به جدران من الحجر ، ويعلوه من ناحية المحراب سقف يستند الى عمد بسيطة ، وفي بعضها تقام الصلاة احيانا ، فالصلاة دائما في المسجد النبوي .

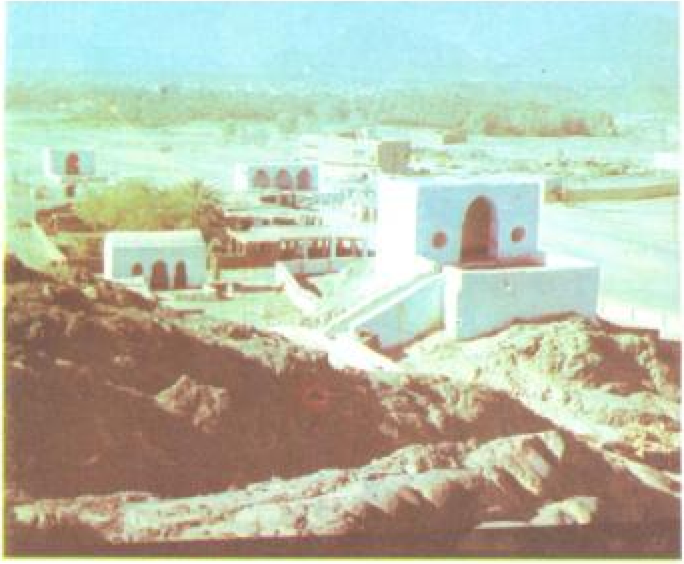
وزرت عيونها وآبارها ودورها والتي أهمها ما اتصل بحياة الرسول ، وحتى اليوم لم تحقق العديد من آثارها الذي يختلف حولها الرواة واصدر الكاتب عبد القدوس الانصاري كتابا حاول فيه جاهدا تحقيق آثار المدينة (قدمت في مجلة العربي عدد ١٥٨ و٢٣٤) .

وسرت في شوارعها وازقتها واسواقها ، أستنشق عبيرها الخاص ومذاقها المتميز ، وتلاحظ انها مثل العديد من المدن العربية ذات التاريخ العريق ، تشاهد القديم والجديد جنبا الى جنب ، تعاني مثل غيرها مرحلة التدهور الذي عانت منه خلال القرون الماضية ، واليوم تفيق وتتعافى ، تحتضن تاريخها وتسعى الى ابرازه ، مع طاقة على الاستمرار بلا حدود كنواة مقدسة تجذب حولها وظائف متعددة كطلب العلم والتجارة والفندقة والخدمات التي يحتاجها قاصدوها ، رغم انها تجذب الذين لا يقيمون وزنا للمباهج ، الذين يكرسون حياتهم للعلم والمعرفة في جوار مثوى رسول الله ، ويشد اليها الرحال الباحثون عن الحقيقة ، يعايشون المكان الذي شهد فجر الاسلام ، ومع توالي السنين تفردت بتكوين سكاني خاص وتراكم حول مسجدها المجاورون لقبر رسول الله ، فعاش الى جانب اهلها جنسيات اسلامية من كل أرجاء العالم الاسلامي ، ولم تغب هذه الملاحظة عن الرحالة السويسري بورخارت * والتي ذكرها عام ١٨١٤م بقوله « ان اهل المدينة أكثرهم من الغرباء الذين تجذبهم ، قدسية البلدة ، من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وليس بها سوى أقلية محدودة من نسل الانصار ومن بين الاسر القديمة أسر تنحدر بنسبها الى نسل العباسيين ، وعدد من الشرفاء الذين يمتدون الى الحسينيين » .

حجم سكان المدينة

وانبسطت المدينة وانقبضت بالنسبة لحجم سكانها ، فكانت في مطلع هذا القرن تفوق في حجم السكان اي مدينة عربية اخرى في شبه الجزيرة العربية ، اكبر من مكة وجدة والهفوف وايضا الكويت وعدن ، ايام عمل خط حديد الحجاز ، اما اليوم فيبلغ عدد سكانها ١٠٠ الف ، وتفوقها كل من مكة التي تقترب من المليون ، والرياض التي وصلت الى ما يزيد عن المليون نسمة ، وانتقل مركز الثقل من الحجاز على ساحل البحر الاحمر الى المنطقة الشرقية على الخليج بعد تدفق الذهب الاسود ، وتقوم اليوم بوظيفتها الدائمة كنواة دينية عندما يجتمع

* سمي نفسه الشيخ ابراهيم الشامي وكتب ناشره « اتقانه اللغة العربية ساعده على تقمص دور المسلم » .



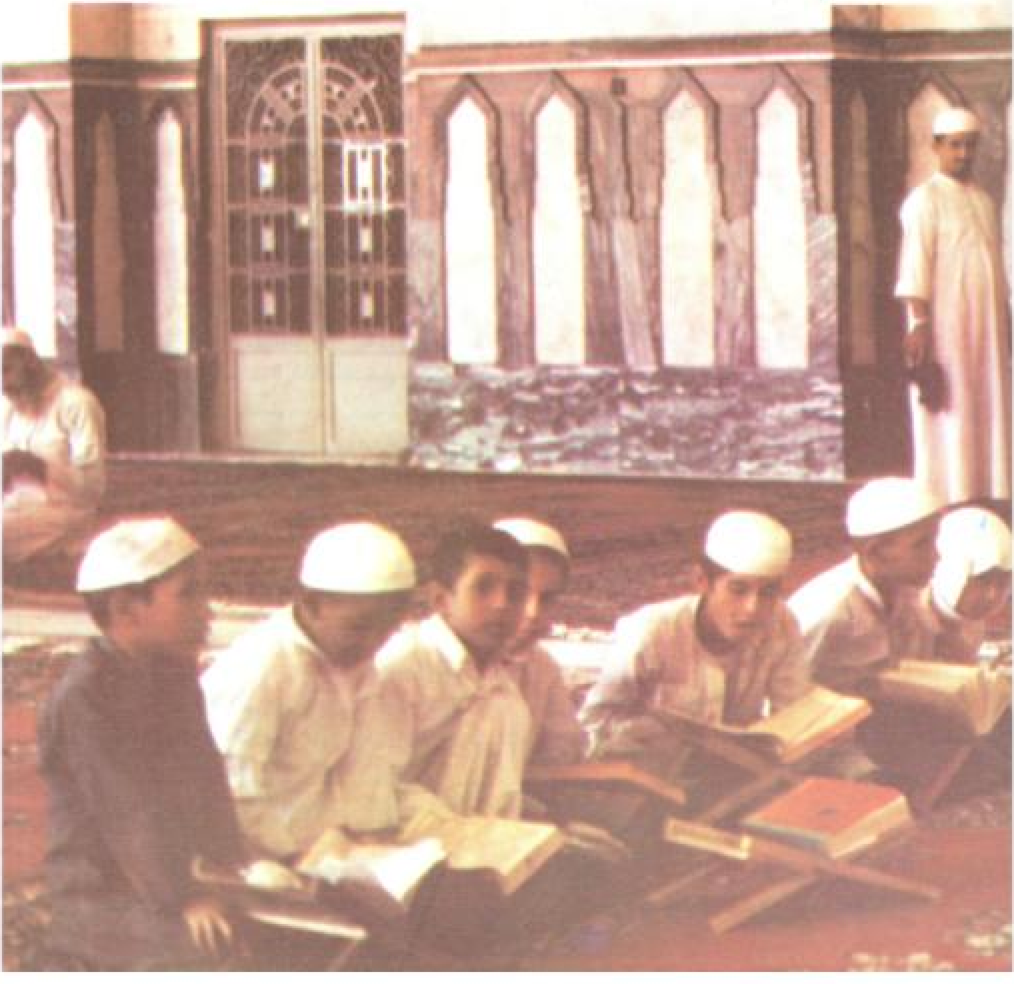
حلقة من الصبية يتلون القرآن الكريم داخل المسجد النبوي الشريف



مسجد الفتح فوق جبل سلع المطل على موضع الخندق ، وهو المسجد الذي دعا فيه الرسول (ﷺ) ربه فنصره في غزوة الاحزاب ، والى جانبه ثلاثة مساجد اخرى احدها مسجد سلمان الفارسي صاحب فكرة الخندق ، ويليه مسجد علي بن ابي طالب وجنوبه مسجد ابو بكر الصديق .. شيد هذه المساجد التاريخية الوليد بن أبي بكر ثم رممت على مر العصور . (بالصفحة المقابلة) .

مسجد القبلتين .. صلى النبي فيه متوجها الى بيت المقدس ، وبه امر بالتحول الى الكعبة واطلق عليه مسجد القبلتين .. وتحددت المدن المقدسة عند المسلمين بمكة والمدينة وبيت المقدس





في جامعتها الاسلامية المسلمون من كافة الجنسيات يدرسون القرآن واصول الاسلام ، او عندما يقصد زوارها مكتبتها الزاخرة بالكتب والمخطوطات القديمة ، ويبقى المسجد النبوي الشريف عصب الحياة يدور في فلكه كل سكان المدينة ، ولا ينقطع داخلها النشاط الاسلامي قط ، فترى السكان يجتمعون في المسجد النبوي بين صلاة المغرب وصلاة العشاء يستمعون الى ما يلقي عليهم ويناقشون امور دينهم ، وعندما يؤذن المؤذن للصلاة يغادر أهل المدينة محالهم واعمالهم ويتجهون جميعا الى المسجد لتأدية الصلاة ، تزدحم الشوارع حول المسجد بالمحلات والفنادق والمكتبات والحرم النبوي يهيمن على حياة البلدة ....

ومازال القديم في « طيبة الحجاز * » اكثر ايحاء ودلالة من الجديد ، تجد القديم في أزقتها وطرقها المجاورة للمسجد النبوي ، التي وجدتها ضيقة لا تنفذ اليها الشمس ، ويغلب على عمارتها الطراز المملوكي بمشربياته المعروفة ، وهذه البيوت مهددة بالانقراض امام زحف المباني الحديثة ، ويجلب الى سوقها البضائع من كل مكان ، وتسمى أزقتها ، زقاق القماشين ، وزقاق الخياطين ، وزقاق الاغوات ، وهكذا .. ، ولا تصدر المدينة اليوم سوى تمرها المشهور بحلاوة مذاقه وتعدد انواعه .

واستمتعت في نهاية جولة السوق بالجلوس واحتساء الشاي في احد المقاهي المحلية التي تتكون من اعمدة من الخشب ذات سقوف من جريد ، صنعت بها ارائك خشبية عالية وفرشت بنوع مميز من الحصير .

فن العمارة

العمل على قدم وساق ، الجرافات والرافعات تقيم المباني الحديثة والعمارات مكيفة الهواء على احدث طراز ، وتشق الشوارع العريضة المرصوفة ، هذا ما تراه في الاحياء الجديدة من « المدينة » طراز العمارة اوروبي باستثناء عدد قليل من البنايات ذات الطراز العربي ، وما أبعد هذه الصورة التي أراها في حي « المناخة »



محطة سكة حديد الحجاز ، ولقطة صحفية نادرة للحظة افتتاح الخط التقطت عام ١٩٠٨ م .

الحديث بمبانيه التي استوردت موادها من كل انحاء الارض عن الوصف الذي ذكره الافندي علي موسى في كتابه وصف المدينة (عام ١٣٠٣هـ ـ ١٨٨٥م) والذي يقول .. « الحاصل ان المدينة المنورة وجوانبها الاربعة اذا غاب نجم الثريا وثقل العذق على النخيل ، تمرض الاجسام ويقل النشاط ، فاذا ظهرت الحمراء والصفراء في النخيل اشتد الحر والسموم ، وطاب النوم على الاسطح تحت السماء ، ويبدأ النشاط شيئا فشيئا الى زمن الخريف » . ان هذه الصورة القديمة تتغير اليوم ، ولكنها تحتاج الى ضوابط تقضي على طراز العمارة المتنافر والبعيد عن مكونات البيئة .

وخاصة في « المدينة » صاحبة كل هذا التاريخ المجيد ، بل هي معقل العروبة والاسلام التي لم تخضع طوال تاريخها لاحتلال اجنبي غير اسلامي ، والتي حرم دخولها على غير المسلمين ، لكل هذه الاسباب يفاجأ زائرها بما يتهدد طرازها العربي من الضياع ، ويبحث عن شخصيتها التي يتوقع ان يجدها في عمارتها ، ويتوقع ان تكون مستودع ما بقي من حضارة الاسلام ، هي المؤهلة لتكون في طرازها المعماري وتخطيطها النموذج للاصالة المتزاوجة مع فن العمارة المعاصر ، ويصاب بالاسى أمام الفجوة الكبيرة بين ما يتوقع وما يرى .... !!

لقد تغيرت تغيرا كبيرا عن الوصف الذي ذكره بوركهارت .. « ان المدينة مبنية بالحجر كلها ، وتتألف

* احد اسماء المدينة التي اطلقها عليها النبي (ﷺ) .



بيوتها من طابقين بوجه عام ومن سطوح منبسطة ، وهي من احسن المدن الشرقية في بنائها ، وهي تأتي بعد حلب .... »

سكة حديد الحجاز

ومن ابرز الابنية ذات الطراز المعماري الخاص محطة سكة حديد الحجاز ، طراز جذاب لم تفعل به يد الهدم كما وقع في العديد من الابنية الاخرى ، وقد توقف هذا الشريان الذي يربط الاراضي المقدسة بدمشق ، والذي لعب دورا حيويا في تاريخ المدينة ، عندما كان يساعد على انسياب الحجاج والبضائع والافكار من والى المدينة .

بدأ هذا الخط يعمل في خريف ام ١٩٠٨ ، والذي كان يقطع مسافة تقترب من الف ميل ، واقيم من تبرعات الشعوب الاسلامية التي ساهمت بثلث النفقات ، وتوقف هذا الخط اثناء الثورة العربية وخلال الصراع بين العرب والترك ، بقيت اجزاء منه تحتاج الى اصلاح منذ الحرب العالمية الاولى وحتى اليوم ، رغم انه لايحتاج الى نفقة كبيرة ، وهو مازال يتعثر في لجان واجتماعات مشتركة في كل من الرياض ودمشق وعمان ، رغم ان هذا المشروع من النوع الاستراتيجي الذي تحتاجه الدول العربية لتوثيق الروابط بينها ، علاوة على ما يقدمه من فائدة الى مدينة رسول الله ...

وهذا المشروع مع خطوات اخرى يعيد للمدينة جانبا من قيمتها التاريخية ، من هذه الخطوات وضع آثارها موضع التقدير والحماية ، فتحصر وترمم ، ومنها ايضا ان تراعي المباني الجديدة الطراز العربي الشرقي ، ويقفز الى ذهني ذلك المتحف الذي شاهدته في ويلز بانجلترا والذي اقيم على مساحة كبيرة ، يعرض داخله حياة البلدة منذ قرنين من الزمان ، نفس طراز المباني القديمة ، واثاث البيوت ، والازياء وطرق الانتقال ذاتها بالعربة التي يجرها جوادان ، والحرف القديمة النجار والحداد والخباز يعملون بأدواتهم القديمة ، والمتحف مدينة كاملة بعثت فيها الحياة القديمة ، وكأن زائره قد انتقل الى مرحلة حية من التاريخ ، يرتاده الزائر في رحلة ثقافية ترفع الذوق وتنمي الحس العام ، وتضمن التواصل بين الماضي والحاضر ......

فهل تأمل في قيام مثل هذا المشروع في المدينة والذي ينقل المرحلة التي شهدت فجر الاسلام ، ثم هل نطمع في الحفاظ على ما تبقي في المدينة من آثار ، عن طريق حظر التشييد او الازالة الا بعد الحصول على تصريح خاص ، ففي بلدة مثل الفاتيكان يحظر نهائيا نقل حجر من مكانه الا للضرورة وبمعرفة سلطات المدينة والمشرفين على الآثار بها ....

وتحتاج المدينة اكثر الى تغييرات تبرز تاريخها ، وتجعل حاضرها متصلا بماضيها المجيد ......

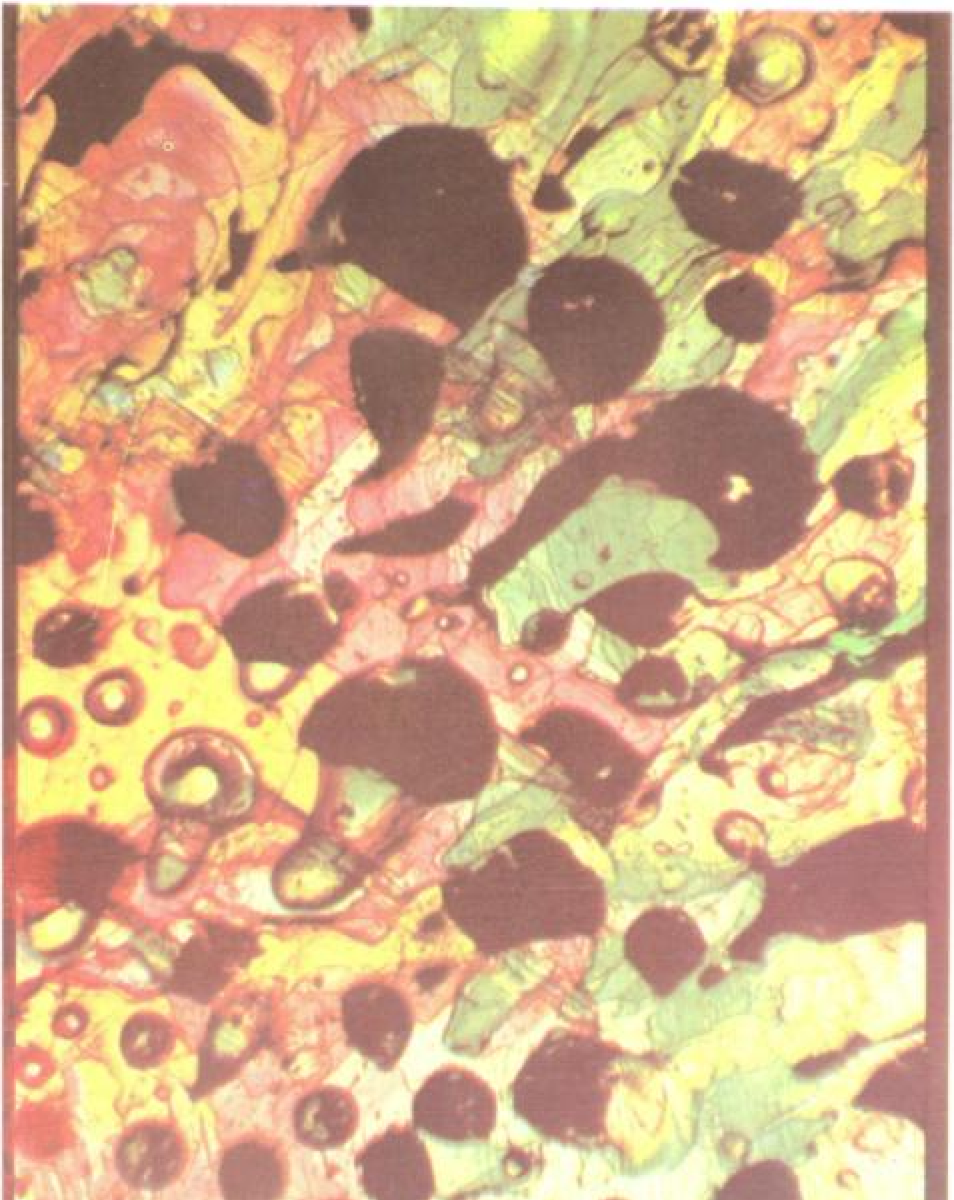
وبعد

هذه رحلة عبر الزمان والمكان في « المدينة المنورة » ، لا تزال بحاجة الى مزيد من الجهد والوقت ، لكي نقف اكثر مع كل أثر للرسول الكريم وخلفائه من بعده ، نستلهمه ونعايشه ونتمثله ، ونقتفي أثره .. ونتلمس منه عبق التاريخ ..... ■■

مصطفى نبيل

هذا الجمال

باستخدام الاضاءة المستقطبة يمكن معرفة معلومات هامة عن المادة المعدنية ، علاوة على الرؤية الجمالية
٨٥٠ درجة ، فيظهر سحر التحول فى الطبيعة كاملا، وهذه الماد



بقلم : صفـوت كمـــال

الكامن حولك

تكوينات مادة النحاس الفلورى حينما يتفاعل معدن النحاس مع مادة الفلور الكيميائية تحت درجة حرارة وغيرها من مواد يستخدمها الحرفيون فى صناعاتهم الشعبية .





مازالت المادة بطبيعتها البسيطة والمركبة ، وبتكوين أشكالها المتداخلة، هي النبع الذى لا ينضب لالهام الفنانين التشكيليين منذ أقدم العصور للآن ...

ومع التقدم العلمي الذي احرزه الانسان عبر حقب الزمان أمكن للانسان أن يبين عن ما في الطبيعة وموادها المتنوعة من صور الجمال المتعددة .

فالطبيعة موشاة بالخطوط المستقيمة والمتكسرة .. المتعرجة والحلزونية .. والتكوينات الهندسية التي تفوق كل ما أبدعه الفنانون شعوريا أو لا شعوريا في اعمالهم الفنية . فعالم الطبيعة بما يتضمنه من مواد .. وبما تحتويه هذه المواد من تكوينات فنية كامنة وظاهرة من الخط واللون والشكل يفوق كل ما أدركه الفنانون للآن ...

ولكن تحتاج هذه الطبيعة الثرية بموادها وتراكيبها ، الى رؤية بصرية أكثر جلاء وتأمل أعمق ادراكا .. وادراك بصيرى أشد شفافية .. حتى يمكن للانسان ـ والانسان الفنان خاصة ـ

رؤية عجائب الابداع الجمالي اللامتناهي من التناسق والتناغم والتآلف في الاشكال الهندسية التى تحتويها مختلف مواد الطبيعة . فالخطوط والالوان بدقتها ودرجات شفافيتها وتنويعاتها الدقيقة الراقية تشكل كيانا لانهائيا في عمليات البناء الفني الموجود داخل المادة . كما ان ما يحتويه عالم المادة من أشكال هندسية لا متناهية يكون نوعيّة فريدة من فنون التعبير عن الخلود .....



قطعة نسيج من جمهورية بنين بافريقيا ، تزخر بالوحدات الزخرفية الهندسية • وبالرؤية المجهرية تبدو أشكال جديدة •

ديناميكية الشكل

ويفيض عالم المادة بأشكال من التكوينات والايقاعات الديناميكية ، التى تعطى كلها معا رؤية لا نهائية لعالم الجمال والكمال اللامتناهى الكامن داخل المادة •

وهذه الديناميكية المستمرة فى ديمومة حية هى التى تعطى للمادة حيوتها دون تصلب أو جمود •

فالوجود من حولنا •• هو وجود حى ، يحتوى عجائب من الابداع الفنى اللامتناهى ، لم نتعرف بعد على الكثير من جوانبه •• وما زال عالم الطبيعة غامضا أمام أعين الفنانين التشكيليين ، وان كان اشد وضوحا أمام العلماء والباحثين •••

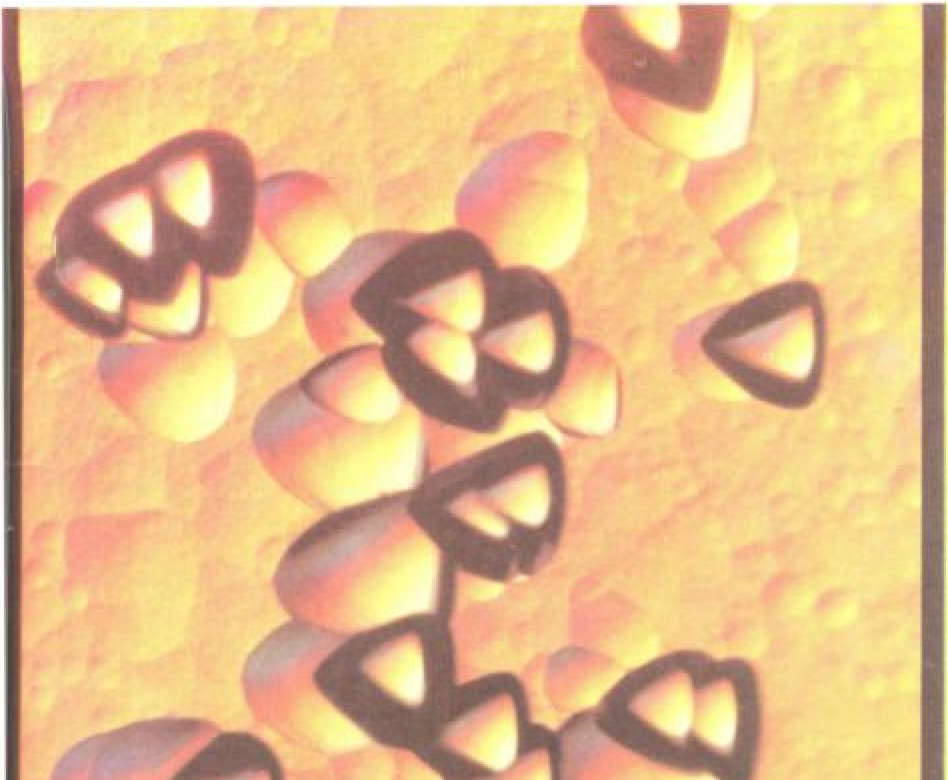
فلقد امكن للعلماء والباحثين رؤية الشكل الكامن فى بنية الاشياء••• وادركوا العلاقة القائمة بين مختلف الاشكال التى تكون الوجود الحقيقى للمادة • واكتشفوا من خلال الرؤية المجهرية عالما لا نهائيا من التكوينات الرائعة والعناصر « الموتيفات » المتباينة حينا ، والمتآلفة أحيانا ، والالوان المتداخلة فى نقاء وتناغم ، والايقاعات المتعددة ، التى تعطى المواد على اختلاف نوعياتها ثراءا فنيا لانهائيا • كما تشكل الاشكال الهندسية المركبة والبسيطة الكامنة داخل المادة شكلا آخر يفوق الشكل الظاهر منها للعين المجردة ••

شكل ظاهر •• وشكل خفى

نعم •• شكل ظاهر يبدو للعين المجردة •• وشكل آخر كامن ، تظهر بعض جوانبه بالرؤية المجهرية ••

فعالم الطبيعة كعالم الانسان له برّانيته وجَوّانيته ، على حد تعبير استاذنا الدكتور المرحوم ـ عثمان امين ، وبنية هذا العالم تتحقق من العلاقة القائمة بين ماهو ظاهر وما هو غير ظاهر •

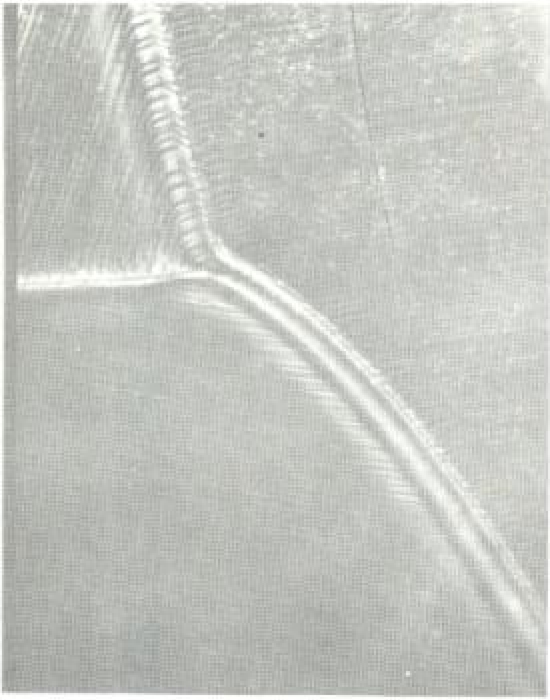
واذا كان الفن التجريدى قد تميز منذ بداية هذا القرن (١٩١٠) بالبناء الفنى والايقاعات الخطية واللونية التى تجرد الجزئى ليصبح كليا

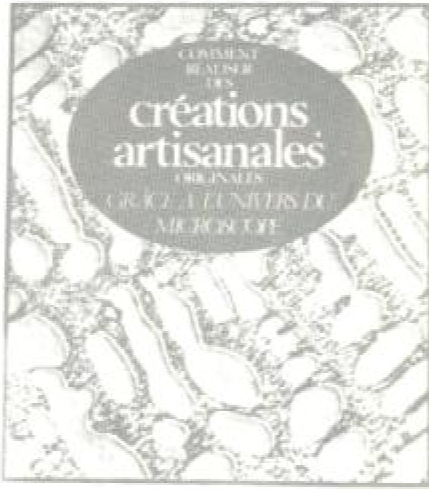


يرى الفنان مثلما يرى العالم في عالم المادة تكوينات وتراكيب



متعددة ومتنوعة لانهائية ، معقدة التركيب سوية الشكل .

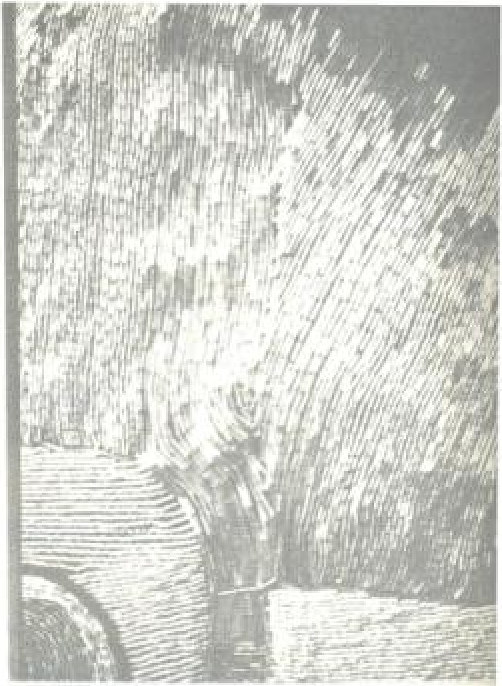




وتجعل الشكل الظاهر متعدد الاشكال من خلال العلاقات القائمة بين الخط والخط . واللون واللون .. ، والخط واللون . فقد امكن للفنان التجريدى من خلال ادراكه لهذه العلاقة الحية بين الاشكال المختلفة ، أن ينفذ ببصيرته الى عالم الكمون الفنى فى مكونات المادة . فالفن التجريدى لم يكن فى واقعه العلمى تمردا على ما سبق من مدارس فنية ، اهتمت اكثر ما اهتمت بالشكل الخارجى ، بل كان رؤية أشد وضوحا لما هو كائن بالفعل .. وكما يقول الاستاذ «جاك انكيتل» Jacques Anquetil فى تعليقه على اللوحات التى صورت مجهريا لجزئيات من الابداع الفنى الكامن فى مواد الصناعات الحرفية ، ان الفن التجريدى ، هو حالة من حالات الكشف المستقبلى لعالم المادة ، برؤية فنية وببصيرة واعية Prescience . فقد امكن للفن التجريدى ان ينفذ الى ماهو كائن وكامن ، مما لم يكن مدركا برؤية علمية واضحة من قبل ، ولكن بفضل الامكانات العلمية المتقدمة فى عصرنا الحاضر امكن رؤية الشكل الكامن فى عالم الاشياء ومعرفة التكوينات التى تشتمل عليها المادة . لقد عرف اخيرا ، ان الكون يتكون من مجموعة مركبات تتداخل فى عدد متناه من التكوينات الهندسية داخل عدد لا متناه من الاشكال المتنوعة .. فالتكوينات الهندسية بتداخلها وتنوعها تحقق اشكالا غير متناهية ، متعددة متنوعة ، وكان هذه الاشكال بتعددها وتنوعها ، فى حالة خلود ابدى وديمومة مستمرة .

لقد اكتشف الفنانون ، وبخاصة التجريديون ، من خلال رؤاهم الفنية ، لا من خلال الرؤية المجهرية ، اسرار التناغم والتناسق الكامنين فى العالم المرئى ، والعالم غير المرئى فى الطبيعة والانسان فى حين كانت رؤية الفنانين الطبيعيين الى عالم الطبيعة خلال القرن ١٩ ـ ترتبط بعالم الضوء وظاهر الطبيعة .. رؤية ترتبط بظاهر الطبيعة وليس بباطنها .. رؤية تهتم بالسطح

★ ـ انظر تعليقه على اللوحات التى تضمنها الكتيب الذى أصدره بالاشتراك مع ميكل جلفنشتين Michel Jhelfenstein واللوحات المنشورة مع هذا المقال منقولة عن هذا الكتيب ، الذى صدر فى باريس خلال هذا العام ١٩٧٩ .



تكوين من نسيج الخرز المصنوع فى مدينة بيدا بنيجيريا، تلك المدينة التى مازالت تحتفظ للآن باسرار صناعة الخرز المصرى القديم • ويكشف لنا المجهر عن الوان وخطوط لم تبد من قبل للعين المجردة ••

المرئى لا بالبناء الداخلى للطبيعة • فى حين كانت رؤية الفنانين التجريديين اكثر قربا من الواقع الكامن غير المرئى ، الموجود بالفعل فى الطبيعة ، ولكنه خفى بالنسبة لحواسنا المجردة •• الى أن حدثت الاكتشافات الكبيرة الحديثة فى عالم البصريات ، وامكن للعلماء ، من خلال العدسات المكبرة ، رؤية تراكيب المادة ، فظهر لنا من خلال المجاهر المكبرة الشكل الكامن ، والالوان الخفية ، والخطوط الدقيقة ، والوحدات الهندسية ، كما ظهر الشكل الكامن الخفى بانماطه الرائعة، والذى كان يختفى تحت وداخل الشكل الظاهرى المرئى من عالم المادة •

الفن التجريدى ••

وفى الواقع انه منذ ظهور الاتجاه التجريدى فى الفن الحديث (١٩١٠) حدث تحول كبير فى عمليات التقييم الفنى للابداع الانسانى وبخاصة فى مجال فن التصوير •

فلقد أعطى هذا الاتجاه الفنى رؤية تأملية وعلمية ادراكية اكثر عمقا فى فهم وتقييم واقع الخبرة الجمالية الانسانية •• فقد تميز هذا الاتجاه الفنى الحديث ، بالقدرة على استخلاص عناصر الاثر الفنى [illegible]

جديد ، لا ينطوى على اى صلة بالشكل الواقعى •• واذا كان بول سيزان ، الفنان الفرنسى ١٨٣٩ ـ ١٩٠٦) أحد رواد مدرسة ما بعد الانطباعية يعتبر من اوائل رواد هذا الاسلوب الفنى فى فن التصوير حينما استهدف بناء الاشكال الفنية على أسس هندسية ، فان الفنان الروسى فاسيلى كاندينسكى Wassily Kandinsky الذى ولد فى موسكو ١٨٦٦ وتوفى فى باريس ١٩٤٤ • يعتبر بحق رائد هذا الاتجاه الحديث فى فن التصوير • ويرجع اكتشافه للاسلوب التجريدى ـ كما هو معروف ـ الى نادرتين حدثتا فى حياته ، فقد اكتشف كاندينسكى ، بدقة ملاحظته ، جمالا رائعا فى ثوب امرأة • وكان هذا الجمال نابعا من انسجام الالوان التى انتشرت فوق الثوب على شكل غير معروف، مما جعله يفكر فى الاستغناء عن استخدام الاشكال الطبيعية فى لوحاته ـ وقد استبدت به هذه الفكرة حينما تأمل ذات يوم احدى لوحاته التى رسمها لمنظر طبيعى وكانت فى وضع معكوس، فصمم على رفض كافة اشكال الطبيعة لاقتناعه بان التصوير ، فن كالموسيقى ، يمكن التعبير فيه عن المشاعر والافكار بالالوان والاشكال التجريدية، مثلما تعبر الموسيقى بالاصوات المتناغمة عن افكار ••ومشاعر الانسان •

الموسيقى والفن التجريدي

فالموسيقى كابداع فنى متميز يعتمد على الادراك والحس ، فى محاولة لاستخلاص القيمة الجمالية فى الابداع الفنى الموسيقى ، باعتبار أن الموسيقى فى اساسها ، تعبير عن المشاعر فى شكل فنى ، قوام أسلوبه الايقاع والنغم .

فالموسيقى شعور يتجسد فى رموز ايقاعية ونغمية ، وواجبنا ان لا نتصور ابدا ان هذه الرموز هى الموسيقى بذاتها . والا كنا ـ كما يقول « بورتنوى Julius Portnoy نخلط بين الرمز وما يدل عليه .

فالانسان هو الذى يضفى قيمة بشرية ومعنى بشريا على الاصوات والحركة الموسيقية ❋

الفن العربي والتجريد الهندسي

ولا شك ان الفن التجريدى يفوق غيره من الفنون ، لانه يعطى مجالات فسيحة من الرؤى الفنية التاملية دون تحديد أو تشيىء للانفعالات الانسانية .

وقد أعطى الفن العربى الاسلامى بتجريداته الهندسية ، وتكويناته الزخرفية شكلا لا نهائيا من التكوينات الفنية كما حرر الفنان العربى من ربق المحاكاة الحسية وانطلق بقدرات الفنان الى مجالات حرة من التعبير لا تغفل القيمة الجمالية المطلقة . تلك القيمة التى تتحقق من خلال علاقات التوافق والاتساق والتناغم والتالف بين المنظور والمدرك .

ولقد تميز الفن العربى الاسلامى من خلال وحداته الزخرفية الهندسية بجوانية تكمن فى العلاقة القائمة بين الوحدات الزخرفية المتكررة والمتنوعة فى تكامل هندسى ، وبين اتساقها الفنى فالتصور الهندسى والنظر الرياضى لعالم الاشياء هو تجريد ذهنى للجزئى ليصبح كليا . كما أن العمل الهندسى هو تطبيق فى نفس الوقت للتصور المطلق وتحديده فى جزئيات محسوسة تدل ايضا على المطلق ، مع امكانية تكوين تشكيلات لا نهائية من تلك الوحدات الهندسية المتناهية .

فالتصور الهندسى بطبيعته كنشاط عقلى انسانى ، هو رؤية فكرية مجردة لها فى نفس الوقت وجودها الدال عليها فى عالم الاشياء .

ويذهب كثير من الباحثين الى ان الرسم التجريدى الهندسى اللين الذى تميز به الفن العربى الاسلامى الرقش العربى ـ Arabesque يلتقى مع الفن التجريدى فى مجال الانطلاق للتعبير عن المطلق .

« فالرقش العربى والفن التجريدى يسعيان على السواء الى التعبير عن المجهول أو عن غير المعدود وغير المرئى والغيبى » . (★)

فقد امكن للفنان التجريدى برؤيته الدقيقة وشفافية ادراكه . التعبير عن واقع العلاقة الكامنة بين عناصر الطبيعة لا ظاهرها فحسب .

كما كشف العلم بادواته عن واقع هذه الطبيعة ومكوناتها لا ظاهرها فحسب .

واللوحات التى بين ايدينا تقدم نماذج من الرؤية العلمية لطبيعة مكونات المادة من خطوط والوان وتشكيلات ، تلتقى فى نفس الوقت مع الرؤية الفنية للقيمة الجمالية لتشكلات والوان هذه المكونات .

وتكشف بشكل مباشر عن الجمال الكامن فى عالم المادة ، ذلك الجمال الفنى والطبيعى ، الذى يفوق قدرات الانسان فى التعبير عن ما يحوطه وما يراه . ■■

صفوت كمال

خبير الفنون الشعبية

★ ـ جوليوس بورتنوى، الفيلسوف وفن الموسيقى، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

★ ـ راجع ، د . عفيف بهنسى ، جمالية الفن العربى سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٤ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت ١٩٧٩ .


رولان بارتس وماري فرانس

الاستاذ الجليل ممثلا

بقلم : محمد صالح القمودي

بعد القنبلة الهائلة التي قذف بها (رجيس دوبريه) عندما نشر كتابه (السلطة الفكرية في فرنسا) [1] والذي كشف فيه حقيقة الاوضاع الفكرية في بلاده .. حل مهرجان (كان) السينمائي قضية فكرية اخرى احدثها اشتراك (رولان بارتس) ـ الاستاذ الجليل في (الكوليج دي فرانس) وصاحب كتاب (علوم الاساطير) الشهير ـ في فيلم (الاخوات برونتي) كممثل لدور ثانوي .

فرنسا اختارت فيلم (الاخوات برونتي) [2] لتشترك به في مهرجان (كان) الدولي . والواقع ان المخرج (اندري تشيني) والمصور (برونو نويتن) قد افلحا في تقديم لوحات فنية خلابة ، تتلاحق في تجانس رائع ... وكأنهما يستخدمان ريشة ولوحة ، لا عدسة واضاءة .

لم يفز الفيلم بالجائزة الاولى ولا الثانية ، لم يفز بأية جائزة على الاطلاق رغم جودته ... لكنه فجر قضية فكرية ما زالت حديث الاوساط الثقافية الفرنسية .

طول الفيلم يزيد على الساعتين ، وابرع واجمل ممثلات فرنسا يقمن بادوار الاخوات (بورنتي) طوال

١ ـ Régis DEBRAY - Le pouvoir Intellectuel en France .
٢ ـ André TÉCHINÉ - Les Sœurs Bronte .

مدة العرض ، لكن رجلا يظهر لدقائق معدودة قبل النهاية بقليل ، هو الذي فجر القضية الفكرية .

انه (رولان بارتس) الاستاذ (بالكوليج دي فرانس) وهو ارفع المؤسسات التعليمية في فرنسا ، يرتقي اليه الاساتذة بعد شهرة مسيرة ينالونها من التدريس في اكبر الجامعات ، ومن تأليف كتب تفرض نفسها على الناس كمراجع موثوق بها .

السخرية والحقيقة

من بين اساتذة (الكوليج دي فرانس) تميز (بارتس) بتخصصه في دراسة (علوم الاساطير) [3] . ويعرض آراءه في أسلوب مميز سهل ممتع ، يجمع بين السلاسة والعمق ، ويجانس يمزج بين الدعابة والجد ... لكنه يدهش ويحمل على التفكير .

واساطير (بارتس) ليست هي اساطير الاولين .. اساطير الخرافات وآلهة الاغريق بل هي .. لكن ، مهلا ! ماذا لو تركناه يحدد بنفسه ما يعنيه بالاساطير ، ولماذا اتخذ هذه التسمية .

يقول في مقدمة كتابه (علوم الاساطير) :

النصوص التي جمعتها في هذا الكتاب .. دونتها خلال السنتين من ١٩٥٤ الى ١٩٥٦ وفقا لما تجود به الاحداث اليومية بفرنسا .

مادة التفكير كانت متنوعة : من مقال في صحيفة الى صورة في مجلة ، الى فيلم في احدى دور السينما ، الى حفلة في قاعة ، الى عرض في متحف .. اما موضوع التفكير فقد كان ذاتيا .. افرضه ولا يفرض علي .

« الاساطير » هي الكلمة التي بدت لي الانسب لوصف تعارف الناس خاطئين على تسمية بالمسلمات . تناولت الكلمة في البداية معناها التقليدي ، غير انني تيقنت من امر حاولت استخلاص نتائجه فيما بعد ، وهو ان الاساطير تشكل لغة خاصة .

وهكذا امعنت التفكير في امور تبدو ابعد ما تكون عن الادب مثل المصارعة الحرة ، والاطباق الشهية ومساحيق التنظيف .. لأخلص في نهاية المطاف الى تحديد الأسطورة المعاصرة .

نصوص هذا الكتاب تلاحقت عبر الشهور ، ورابطها الوحيد هو التكرار في الحاح . لا ادري ان كان المثل القائل بأن التكرار يعلّم الاشرار ينطبق عليها .. غير ان التكرار في حالها له دلالة .

عما ابحث يا ترى ؟
ابحث عن الدلالات .
لكن ....
اهي الدلالات بمنظاري ، ام بمنظار الاخرين ؟
انها الدلالات كما اراها وافهمها ...
وقد تكون لكاتب الاساطير .. اسطورة .

انا لست من انصار الراي القائل بان للعالم موضوعية وللكاتب ذاتية ... وكأن الاول ينعم « بالحرية » والثاني يعاني من قيود « الموهبة » .

انا اطالب بحقي في خوض الحياة السائدة في عصري بكل تناقضاتها ، والتي قد تجعل من السخرية شرطا لبلوغ الحقيقة .

تفرغ للدور الخطير

هكذا تحدث (رولان بارتس) عندما صدر كتابه (علوم الاساطير) في طبعته الاولى سنة ١٩٥٧ ، ثم توالت طبعات الكتاب ، وارتقى صاحبه سلم المجد بسرعة .. فوجد لزاما عليه ان يقدم للطبعة الشعبية من كتابه الصادرة سنة ١٩٧٠ بالكلمات التالية :

ـ في هذا الكتاب تصميان :

الاول يهدف الى نقد مذهبي لما يسمى باللغة المستعملة في تثقيف العامة والثاني يسعى الى فك مبدئي لهذا التركيب اللغوي .

اخلص الى القول بان الادانة لا تصح بغير اداة

٣ ـ Roland PARTHES - Mythologiks .

للتحليل الدقيق .. وبان علم اكتشاف الدلالات يقترن بالطبقة الاجتماعية التي تفرز تلك الدلالات .

تربع (رولان بارتس) على قمة المجد بعد ان انتشرت كتاباته وتحولت الى مراجع أساسية في مجالها حتى ان صاحبها فاز بكرسي في (الكوليج دي فرانس) حيث يلقي في اطاره دروسا اسماها (اجتماع الدلالات والرموز والتمثل الجماعي) .

الاستاذ الجليل .. علق دروسه خلال السنة الدراسية ٧٨/٧٩ ربما ليتفرغ للقيام بدوره « الخطير » في فيلم (الاخوات برونتي) .

لكن .....

مهلا !

الدور .. والدرس !

انا لم احدثكم عن الدور الذي يقوم به (بارتس) في الفيلم ، وهو أول ادواره على الشاشة ، وقد لا يكون الاخير .

انه يقوم بدور الكاتب البريطاني (وليام تاكري) [٤] الذي احاط (شارلوت برونتي) بعنايته وشملها برعايته .

وحيث ان (بارتس) لا يجيد التمثيل فقد عمد المخرج الى حيلة لاخفاء قصوره عن المشاهدين ، فجعله يسير في الظل وهو يلقي الجمل القليلة التي كان عليه ان يلقيها ، بحيث لا تظهر انفعالات وجهه المصاحبة للالقاء .

ولتبرير اختيار استاذ جليل للقيام بالدور ، بدلا من اي ممثل مبتديء .. ترك المخرج حرية « اعداد » الجمل التي سيلقيها باسلوبه المميز .. لكن اعداده جاء خاليا من روح الابتكار .. وابرز مثال على ذلك ، الجملة التالية :

ان الحياة قصيرة جدا بالنسبة للفن ! عبارة خاوية لا اسطورة فيها ولا دلالة ثم نرى (بارتس) في مشهد اخير : ينتظر (شارلوت برونتي) ـ وتقوم بدورها (ماري فرانس بيزيه)[٥] وهي من اجمل ممثلات فرنسا ـ في ردهة الاوبرا ثم يصعد بها الى مقصورته ويقدم لها منظارا لتشاهد العرض .

وان كانت بعض الصحف الفرنسية تنشر حتى تفاصيل الضرائب التي يدفعها رئيس الجمهورية (جيسكار ديستان) عن دخله .. فانها لم توضح المبلغ الذي دفع (لبارتس) ليقوم بدوره في الفيلم .

الاوساط الثقافية الشابة .. هالها ما صار اليه الاستاذ الجليل الذي هز اساطير المترفين وحطمها في يوم من الايام .. ثم لاحقه المترفون وتربصوا به الدوائر حتى وقع في شراكهم ، وتحول الى حلية تعلق على صدر غانية . وما الحياة الفنية بين برائن المترفين سوى غانية تبيع جسدها لتسلم الدخل الى من اجبرها على بيع جسدها وابتذال مفاتنها !

هذا ما حدث لاستاذ فرنسي جليل .. اوردنا حكايته للذكرى .. والذكرى تنفع المؤمنين . ■■

باريس ـ محمد صالح القمودي

---

٤ ـ William THACKERAY .

٥ ـ Marie France - PISIER .

● هناك ثلاث طرق لانجاز عمل ما : أن تقوم به بنفسك ، أن تستخدم أحدا للقيام به ، أن تمنع أطفالك من عمله .

مونتاكرين في مجلة صن شاين

● الذكرى هي الشيء الذى لا يمكن أن ينسى ويظل عالقا فى الذهن .

جين بول ريكتاو

مارون النقاش
وتجربته الرائدة في

بقلم : الدكتور عبد الرحمن ياغي

منذ دخلت الحملة الفرنسية ، شرع الفرنسيون يقيمون في مصر بعض الاسس التي ترتفع عليها واجهات لمعالم من الحضارة الجديدة . ومن بين ما اقاموه في الازبكية حينذاك مسرح لهم يمثلون على خشبته مسرحيات تمثيلية ، اعدوا لها العدة ، واحضروا معهم الممثلين والمخرجين والكتاب وكل من يتطلبهم هذا العمل الفني الكبير ... كما جعلوا كل ما يحتاج اليه المسرح !

ويذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه الكبير « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » (ط . بولاق ١٢٩٧ ـ ج ٣ ص ٣٥) ... في مجال تعداده لما احدثه الفرنسيون في مصر من معالم الحضارة : « منها : انهم احدثوا بغيط النوبي المجاور للأزبكية ، أبنية على هيئة مخصوصة منتزهة ، يجتمع بها الناس والرجال للهو والخلاعة ، في اوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ... او يكون مأذونا وبيده ورقة .... »

وفي موضع آخر يذكر انهم كانوا يمثلون الروايات الفرنسية امام رجال الحملة ... وان الشعب المصري كان يقف حول السور الذي اقامه الفرنسيون من الالواح الخشبية حول خشبة المسرح ..... وكان افراد هذا الشعب يسترقون البصر من خلال هذه الالواح ليروا ما يجري داخلها ..... !



ثم نقرأ لرفاعة رافع الطهطاوى عن ملاهي باريس ومتنزهاتها .. في « تخليص الابريز في تلخيص باريز » ما يلي : « ... اعلم ان هؤلاء الخلق ، حيث انهم بعد اشغالهم المعتادة المعاشية .. لا شغل لهم بأمور الطاعات .. فانهم يقضون حياتهم في الامور الدنيوية واللهو واللعب ويتفننون في ذلك تفننا عجيبا .. فمن مجالس الملاهي عندهم محال تسمى (التياتر) ـ بكسر التاء المشددة وسكون التاء الثانية ـ (والسبكتاكل) ـ وهي يلعب فيها تقليد سائر ما وقع .

وفي الحقيقة ان هذه الألعاب هي جد في صورة هزل .. فان الانسان يأخذ منها عبرا عجيبة . وذلك لانه يرى فيها سائر الاعمال الصالحة والسيئة ومدح الاولى وذم الثانية .. حتى ان الفرنساوية يقولون : انها تؤدب اخلاق الانسان وتهذبها .. فهي ـ وان كانت مشتملة على المضحكات ـ فكم فيها من المبكيات !

ومن المكتوب على الستارة التي ترخى بعد فراغ اللعب باللغة اللاطينية ما معناه باللغة العربية : قد تصلح العوائد باللعب !

واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس ارباب فضل عظيم وفصاحة .. وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التآليف الأدبية والأشعار ، ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الاشعار وما يبديه من التوريات في اللعب وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت لتعجب غاية العجب !

ومن العجائب انهم في اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة ويتعمقون في ذلك وقت اللعب حتى يظن انهم من العلماء . بل الاولاد الصغار التى تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها .

ابن صيدا

ولعل الفضل في اقتناص البذور المسرحية من الغرب وزرعها في التربة العربية يرجع الى ابن صيدا في لبنان .. ذلك التاجر المغامر المثقف (مارون النقاش = ١٨١٧ ـ ١٨٥٥) الذى كان مشعلا متوهجا في مجالات الادارة والتجارة الى جانب ثقافته في العربية والتركية والايطالية والفرنسية !

وليس من شك في ان الثقافة التى امتلأت بها جوانح مارون هي التى حركت لديه النفس المتطلعة الى البضائع الجديدة النافعة والوسائل الحديثة المغرية التى كان يتوقع لها ان تروج في عالمه العربى ، او على اقل تقدير يتوقع ان تكون موضع اهتمام فيما لو عرضها عرضا سليما كما يعرض التاجر البارع بضائعه .

وفي (أرزة لبنان) يذكر نقولا النقاش اخو رائدنا مارون ان مارون قد تمكن من علوم النحو والصرف في اللغة العربية ، كما تمكن من علوم المنطق والعروض والمعانى والبيان والبديع .. وكان من ثمار هذه الثقافة اللغوية ان مارس نظم الشعر وتفوق فيه على اقرانه .

ويذكر اخوه كذلك كلفه بعلم الارقام والحساب ومسك الدفاتر حسب الاصول الافرنجية .. وقد كان استاذا في ذلك لكثير من التلاميذ في مدينة بيروت ، بل اصبح المستشار الاول في الشؤون التجارية وما يستغلق على الناس من قضاياها !

ثم يذكر اخوه ولوعه باللغات والفنون حيث تعلم التركية والايطالية والفرنسية كما تعلم الموسيقى وتمكن منها .. وقد اصبح رئيس كتاب جمرك بيروت .. وعضوا في الغرفة التجارية قبل ان يتفرغ للاعمال التجارية الحرة التى كانت تلائم طباعه المغامرة .. شأنه في ذلك شأن والده الذى كان عضوا قبله في مجلس تجارة بيروت .

هذه الروح المغامرة مكنته من الانطلاق في رحلات بعيدة .. الى اسواق متعددة .. بهدف استيراد البضائع ، غير ان روحه الثقافية المستطلعة جعلت عينه اليقظة تتطلع الى كل جديد .. وتختبر كل جديد .. وترصد علاقات الناس وطباعهم في تركيبهم الاجتماعي الجديد .. ومن هنا كانت رحلاته مدرسة مثمرة له ولامته . فحين مضى في سفراته في سوريا ، ودخل حلب والشام وغيرهما ـ انطلق حتى وصل الى الاسكندرية في ١٨٤٦ ، ثم القاهرة . ومن هناك مضى وقطع البحر الى ايطاليا .. وكانت ايطاليا في منتصف القرن التاسع عشر مركز اشعاع فني مسرحي ولا سيما في فنون الاوبرا .. وكان تاجرنا متفتح القلب والعين الى الفنون .. فنسي تجارته ومضى يرتاد المسارح ويشهد الاوبرات وفي نفسه قلق المستطلع الذي يستوعب الابعاد في سبيل نقلها او نقل بعض منها الى بيئته .. وكان له ما اراد .

المجتمع المولييري

وكان وقتذاك اسم موليير يملأ الاسماع في أوساط المثقفين العرب .. فمضى رائدنا يقرأ ويقرأ ، لموليير وقد صادف هوى في نفسه .. ولكنه كان ذا دراية بحيث يدرك ان تركيب المجتمع المولييري يختلف عن تركيب المجتمع الماروني النقاشي .. ولهذا ادرك الفرق بين التركيبين وعرف كيف يخلق البؤرة التي يلتقي فيها محور اهتمام الجماعة البيروتية ، وهو الذي خبر الناس وعلاقاتهم واخلاقهم وطباعهم !

يكشف عن هذا كله تلك الخطبة التى القاها بين يدى أول مسرحية عربية في تاريخ الفن المسرحي العربي ، حين قدم مسرحيته (البخيل) سنة ١٨٤٧ ، حيث قال :

« .. وها انا متقدم دونكم الى قدام . محتملا فداء عنكم امكان الملام لهؤلاء الاسياد المعتبرين ، اصحاب الادراك الموقرين ، ذوى المعرفة الفائقة .. والاذهان الفريدة الرائقة ، الذين هم عين المتميزين بهذا العصر .. وتاج الالبا والنجبا بهذا القطر .. ومبرزا لهم مرسحا ادبيا .. وذهبا افرنجيا مسبوكا عربيا .. على أنني عند مروري بالاقطار الاوروبية .. وسلوكي بالامصار الافرنجية قد عاينت عندهم فيما بين الوسايط والمنافع .. التي من شأنها تهذيب الطبايع .. مراسح يلعبون بها العابا غريبة .. ويقصون فيها قصصا عجيبة ، فيرى بهذه الحكايات التي يشيرون اليها والروايات التي يتشكلون بها ويعتمدون عليها من ظاهرها مجاز ومزاح ، وباطنها حقيقة وصلاح ...

وقال في موضع آخر : بهذه المراسح تنكشف عيوب البشر فيعتبر النبيه ويكون منها على حذر .. وعدا اكتساب الناس منها التأديب ورشفهم رضاب النصائح والتمدن والتهذيب ، فانهم بالوقت ذاته يتعلمون الفاظا فصيحة ويغتنمون معاني رجيحة .. اذ من طبعها تكون مؤلفة من كلام منظم ووزن محكم .. ثم يتنعمون بالرياضة الجسدية واستماع الآلات الموسيقية .. ويتعلمون ان ارادوا مقامات الالحان وفن الغنا بين الندمان . ويربحون معرفة الاشارات الفعالة واظهار الامارات الهالة ويتمتعون بالنظارات المعجبة والتشكيلات المطربة .. ويتلذذون بالفصول المضحكة المفرجة والوقائع المسرة المبهجة .. ثم يتفقهون بالامور العالمية والحوادث المدنية ويتخرجون في علم السلوك ومنادمة الملوك وبالنتيجة فهي جنة ارضية وحافلة سنية .. فارجوكم ان تصغوا لها وتسمعوا .. وهذا ضرب منها فتمتعوا ...... » .

ومن هنا فهذه الخطبة وثيقة فنية ذات قيمة تاريخية وادبية ليس لها مثيل .. وسنقف عندها لنتبين دلالتها على تركيب المجتمع وموازين هذا المجتمع وقيمه وتطلعاته وعلاقاته ودعواته الاخلاقية والاجتماعية والفنية .

ولكن قبل ذلك نورد ما يكمل هذه الخطبة من اقوال وردت وصدرت عن رائدنا الاول في هذا المجال .. فهو يقول في موضع آخر :

« .. ان طلاوة الرواية ورونقها وبديع جمالها يتعلق ثلثه بحسن التأليف .. ثلثه ببراعة المشخصين .. والثلث الاخير بالمحل اللائق .. وبالطواقم والكسوة الملائمة » .

ثم يقول بشأن الاشارات الزائدة في عملية التمثيل :

« .. اما انا فلا استحسن هذه الاشارات .. بل انما انا على رأي موليير .. اشهر المؤلفين بهذا الفن .. الذي قال : ان من لا يحسن تشخيص روايتي بدون اشارات تدل على ما ينبغي عمله ... فالاحسن الا يشخصها ! »

البخيل .. مسرحيته الاولى

بمثل هذا الفهم للعمل المسرحي .. وبمثل هذا الوعي على الجهاز المسرحي ، وبمثل هذه الحماسة وهذا الجهد الدائب يقدم مارون النقاش مسرحيته الاولى في الادب العربي وعنوانها (البخيل) في بيته في بيروت سنة ١٨٤٧ م حيث كان النظارة من طبقة قناصل بيروت واعيان بيروت وسراة بيروت .

وفي سنة ١٨٤٩ م يقدم في بيته مسرحيته الثانية بعنوان : « ابو الحسن المغفل .. او ..... هارون الرشيد » وكان المشاهدون من طبقة والي الايالة .. ونخبة من رجال الدولة العثمانية ووزرائها وكانوا حينذاك في زيارة لبيروت . ولعل رائدنا الاول قد انتهزها فرصة فقدم بين ايديهم مسرحيته الثانية ودعا اليها فيمن دعا قناصل الدول واعيان المدينة ... ولعل من حسن حظ التاريخ الادبي المسرحي ان يكون بين المدعوين السائح الانكليزي داوود اركوهارت David Urquhart مؤلف كتاب : « لبنان ـ جبل سوريا ـ تاريخ ومذكرات » .. وان يذكر وصفا لذلك في مذكراته فيقول :

« ـ ١٣ من كانون الثاني سنة ١٨٥٠ : بعد انتهاء المجلس ذهبنا الى المسرح . ان الرواية التي افتتح بها اول مسرح عربي قد وضعها ابن احد اعضاء المجلس . وقامت بتمثيلها عائلته . وهي عديدة . في بيتهم القائم في الضواحي .. وهم موارنة ينتسبون الى مارون .. فمن عجيب الاتفاق ان نجد اسم عائلة فرجيل في هذه المحاولة لبعث الفن العربي . كان موضوع الرواية المعلن عنها (هارون الرشيد وجعفر) .... وقيل انها مكتوبة ببيان عربي رفيع تتخللها اشعار تنشد انشادا .. امتطينا الخيول .. وسرنا تتقدمنا مشاعل السنديان المتوهجة واخترقنا زقاقا ضيقا .. وهبطنا درجا منحدرا (يصعب على الخيل اجتيازه) وبلغنا بيتا تعمه الفوضى وهو يغص بجمع حاشد كانوا في هرج ومرج .. ولما ادخلنا الى قاعة الاستقبال وجدنا ثلاثة من العلماء الوقورين هم المفتيان والقاضي .. وكانت الورود منثورة في ارجاء القاعة .. والانوار تتوهج في كل ناحية فتوالت علينا عبارات الترحيب .. ثم اديرت اكواب القرفة الساخنة .

اما المسرح فقد اقيم امام البيت وكان على المثال الذي نحرص على تحقيقه في قاعتنا التمثيلية . باب في الوسط تعلوه كوتان .. وعلى جانب منه نافذتان .. وكانت الكراليس في آخر الفناء ... وبالقرب منها تقع الابواب الجانبية .. اما المنصة فقد اقيمت في الصدر .. وجلس النظارة امامها ونشرت فوق القاعة ظلل من اشرعة السفن .

كان هؤلاء قد شاهدوا في اوروبة ان المسرح له انوار امامية .. وتقوم في مقدمته (كوشه) للملقن فتوهموا انها من لوازم المسرح الضرورية فالصقوها حيث لا حاجة اليها .. وعلى ذلك وضعوا كراسي لجلوس الخليفة ووزيره .. ومرايا كبيرة للسيدات (متأثرين بما شاهدوه على المسارح الاوروبية) .

اما الازياء فقد كانت تبدو على الاقل مطابقة للتاريخ .. اما ادوار النساء فقد قام بها شبان مرد نجحوا تماما في تنكرهم .. ولما لم يكن بين الممثلين نساء ، لم تقع عيني على امرأة بين الحضور .. ولا في النوافذ المفتوحة المطلة على الحديقة !

ومثلت بين الفصلين الثاني والثالث هزلية قصيرة يدور موضوعها على زوج خانته زوجته . وقد كان الموضوع خطيرا جدا .. وقد اقر بذلك المفتي السابق الذي تابع تطور الحوادث باهتمام زائد .. ولم يتورع عن ان يكشف لاحد الطرفين عن خطط الطرف الآخر . والحقيقة انه زج بنفسه في الحوادث . وكأنه كان يقوم بدور (الجوقة) راثيا او ممجدا . وقد تنبه الزوج اخيرا عندما رأى في النافذة الجانبية السيدة وعشيقها ، بينما كان المفتي من على كرسيه ينتقد بشدة اجرام الزوجة وبلاهة الزوج . وقد قابل الجمهور هذه الحملة بعاصفة من الضحك مما ساعد على نجاح هذه الهزلية نجاحا يعزى في المقام الاول الى هذا الممثل الذي لم يدخله المؤلف في مسرحيته .

ولعل من حسن حظ الدارس العربي الحديث ان الاستاذ الباحث الاخ الدكتور محمد يوسف نجم قد يسر له امر هذه الوثائق حين جمعها في متناول يده ونشرها في سلسلة (المسرح العربي دراسات ونصوص .. مارون النقاش) .

المسرح يتحول الى كنيسة

ويشير اخونا الدكتور محمد يوسف نجم إلى أن مارون النقاش قد حصل على فرمان عال بانشاء مسرحه الذي اقيم بجوار بيته خارج السور .. وقد تحول هذا المسرح الى كنيسة بعد وفاته عملا بوصيته .. واشتراه القاصد الرسولي . ولعل كنيسة (السانتا) المعروفة اليوم في بيروت في حي الجميزة على مدخل طريق النهر هي القائمة تنفيذا لوصيته .

وقد قدم مارون على هذا المسرح مسرحيته الاخيرة (الحسود السليط) سنة ١٨٥٣ م الاجتماعية العصرية وينقل لنا الدكتور نجم عن (ارزة لبنان) ما قاله سليم النقاش في جهد عمه مارون النقاش :

« .. وقد جعل في هذا الفن تغييرا غير قليل .. من أدخله الى بلاد الشرق في اللغة العربية وهو المرحوم عمي مارون النقاش .. فانه حين ساح في اوروبا ودوخ اقطارها .. رأى حال الروايات عندهم وما تجنى منها بلادهم من الفائدة والانتفاع .. فحملته الغيرة والوطنية والحمية السورية على ادخاله الى بلاده .. فعاد اليها والف روايات لا ينتظر مثلها من مؤلف في فن لم يكن يعرفه غيره من ابناء وطنه على انه لا يستغرب من مثله . ولما رأى عدم ميل ابناء وطنه الى هذا الفن المفيد نظرا لعدم معرفتهم بمنافعه زاده فكاهة فجعله في الرواية الواحدة شعرا ونثرا وانغاما ، عالما ان الشعر يروق للخاصة والنثر تفهمه العامة والانغام تطرب .. ولا حاجة الى ذكر ما تكبده من المصاعب والاتعاب في باديء الامر .. حتى حمله الاعياء الى القول في احدى رواياته : ان دوام هذا الفن في بلادنا امر بعيد . على انه اجهد نفسه في جعل رواياته ادبية محضة .. قاصدا بذلك تهذيب ابناء وطنه .. فاتى بالمطلوب من الروايات لانها إنما تفيد اذا كانت ادبية .. ترغب في الفضائل وتنهى عن الرذائل .. » .

٤ حقائق

ولا بد من وقفة بين يدي هذه الوثائق .. نستنطقها لتعرف الابعاد التي انطلق فيها رائد الجهود المسرحية الاول في الحياة العربية :

والحقيقة الاولى التي تتكشف عن خطبة مارون النقاش بين يدي عمله المسرحي الاول .. (البخيل) .. هي انه ممتلىء النفس قناعة بأن ما هو مقدم عليه يشكل وسيلة حضارية وثقافية متقدمة .. تمضي بمن يأخذ بها الى الامام .

والحقيقة الثانية أن هذه الوسيلة المتقدمة لم تكن رائجة في العالم العربي .. ولم تكن تجلب الربح ولم تكن تكسب صاحبها الوجاهة والجاه .. وانما هي معاناة فنية .. بل هي مجلبة للملامة حيث تكلف صاحبها الجهد والمال دون مردود .. بل قد ينظر اليه الناس نظرة متدنية مالم يكن قوي النفس .

والحقيقة الثالثة ان ادخال هذه الوسيلة يحتاج الى سعة حيلة وحسن تدبر وقدرة على التأتي للامور بحكمة ومن اجل ذلك نراه يستميل قلوب الحاضرين المدعوين ويتألف نفوسهم بل ويثني عليهم ويطريهم وينعتهم باعلى النعوت حتى يتقبلوا هذه الوسيلة في بيئتهم !

والحقيقة الرابعة هي ان مارون النقاش مدرك لما هو فاعل .. فهو قد احضر مادته من مناجم الفكر والثقافة الاوروبية الافرنجية .. فالمادة المستوردة افرنجية في حقيقتها وجوهرها ... ولكنه صاغها وشكلها صياغة عربية شكلا .. بحيث تلائم المزاج العربي والتركيب الاجتماعي العربي . هذا ما حدث بالفعل في رواياته : فحين عكف على قراءة موليير بكل ابعاده الادبية والثقافية والفنية ادرك دور موليير في تلوين الحياة الاجتماعية الفرنسية تلوينا فنيا ، ولكنه الى جانب ذلك ادرك الفرق بين التركيبين الاجتماعيين . العربي والفرنسي . فمضى حذرا في رسم خطوطه وتلوين قطاعاته الاجتماعية مراعيا تلك الفروق . ثم احس بحكم اطلاعه ان تطعيم العمل الادبي بروح التراث امر مستحب ،

فعكف على استخلاص ما تبقى من حكايات ومواقف ومتوارث من نوادر البخل مما امتلأت به كتب التراث العربي .. ومزجها بالذوق الحديث المتعارف عليه في زمنه القريب من منتصف القرن التاسع عشر .

من هنا كانت عملية معاناة دقيقة خطرة ! تكلف الكثير من جهد وتحتاج الى الكثير من الحكمة وتتطلب الكثير من الدراية .. وتقتضي الكثير من التضحية ! وهذا ما يدفع بنا الى تقدير الجهود الرائدة الرائعة التي قام بها مارون النقاش في سبيل استيراد هذه (الوسيطة) وهذه (المنفعة) الى تربة المجتمع العربي حيث كان يؤمن بمدى التهذيب الذي ستطبع به طبائع الناس . وهو يسمي التمثيل لعبا غريبا يقص فيه قصص عجيب . حيث يبرز في هذه الحكايات المشار اليها والروايات التي يتشكل بها الاوروبيون ما يبدو في ظاهره المزاح والمجاز وفي حقيقته وباطنه الحق والصلاح .

واذن فمارون متفتح النفس والعقل والقلب والعينين على عمله وعلى ابعاده الاوروبية وامكانية ابعاده العربية . ومن هنا كانت تتجاذبه عدة عوامل في الداخل والخارج وكان يبذل الكثير في سبيل التوفيق بين كل هذه العوامل . من هنا كان دوره خطيرا عظيم الشأن !

المسرح الغنائي

وحينما جاء دوره في الاختيار بين المسرح النثري والمسرح الغنائي الشعري اقتحم الصعب واختار اقتباس المسرح الغنائي الشعري الملحن المنغم . حيث كانت نفسه اميل الى الاوبرا التي يخرجونها في جو موسيقي وفي تنغيم وتلحين لما كان يتمتع به من ثقافة موسيقية ولأنه قدر أن قومه سوف يستطيبون الاوبرا ومن هنا :

« صوب اخيرا قصده الى تقليد المرسح الموسيقي المجدى » وهو مدرك الى جانب قدرة هذه المسارح على فضح العيون المستكرة وترسيخ ما يهذب الطباع و يؤدب النفوس وتقديم النصح وطرق التمدن والتهذيب على حد تعبيره .. هو مدرك ان روح العصر تولى اللغة عناية فائقة .. فيعلن ان المسارح تعلم كذلك اللغة والالفاظ الفصيحة ، وتقدم للناس المعاني الرجيحة .. وهذا دور كانت تقوم به (المقامات) في الحياة العربية في مطلع النهضة فهو ينبه الى ان هذا الدور يصبح من مهام المسارح .. بل هو دور مأخوذ بعين الاعتبار . فهذا الكلام « المنظم » والوزن « المحكم » وسيلة نافعة من وسائل تعليم اللغة والمعاني !

وبعدها يعدد المنافع التي يجنيها الناس من اقبالهم على هذه المسارح فيقول انهم الى جانب كل ما ذكره يتنعمون بالرياضة الجسدية حين يعمدون الى الحركة والتشكل في المواقف المسرحية كما يتمتعون باستماع الآلات الموسيقية .. وهي فرصة للسامعين كي يتعلموا مقامات الالحان . ومن هنا تجد فهرسا للالحان في كل فصل من فصول مسرحيات مارون النقاش ، ونجد توضيحا لطريقة الغناء الفنية حين يرد مقام غنائي . كما يتعلم المشاهدون كيف يعمدون الى الاشارات المؤثرة دون مغالاة في ذلك .. بل كيف تكون الاشارة في موضعها . وهو يشير الى أهمية الديكور والمناظر والتشكلات المعجبة المطربة .. وهو حريص على التنويع من فكاهة مضحكة الى احداث مبهجة الى شؤون عالية الى حوادث يومية . وكأن المسارح لدى الاوروبيين على حد تعبير مارون النقاش مدرسة لتعليم السلوك !

ولعل معرفته الدقيقة لحقيقة العملية المسرحية قد جعلته يتقدم الى عمله بكل حذر وتدقيق وحسن دراية .. فليس العمل المسرحي في رأيه قائما بالدرجة الاولى على حسن تأليف النص المسرحي وحده ، ولا هو قائم على اتقان التمثيل وحده ، ولا هو قائم على اعداد المسرح بكل ادارته ولوازمه وملابسه وطقومه وحدها ! بل هو على درجة من الدقة بحيث يعرف مقدار النسبة التي ينبغي أن يكون عليها كل بعد من هذه الابعاد : فثلث لحسن التأليف .. وثلث لبراعة الممثلين .. وثلث ثالث لاعداد المسرح وأدواته ولوازمه .

وصية

هذا الادراك المبكر للعملية المسرحية جعلت العبء عليه كبيرا . وحين عكف على مصاحبة موليير في ضوء هذا الفهم المتكامل للعملية المسرحية تأثر بموقف موليير

من الاشارات حيث كان لا يحب الاتكاء عليها اتكاء زائدا . ولعل احساسه بثقل العبء هو الذي دفعه الى ان يوصي في وصية الموت بأن يتحول المسرح الى كنيسة ، فقد كان على يقين من ان المضي في هذا العمل الكبير يحتاج الى جهد جبار والا انقلب الامر الى عكس المرجو منه .. فهو يخشى الا يتوافر لهذا العمل من يقوم بحسن رعايته وحسن تكفله على الوجه الصحيح ، ولهذا آثر ان ينتهي به حيث هو عمل ناجح دون ان يصيبه الوهن ! والاحساس الثاني هو ان تحويله الى كنيسة فيه ما يشعر بأن العملية المسرحية انما هي عملية مقدسة وهي وسيلة من الوسائل التي لا تقل عن العبادة ، فلا ضير من تحويل المكان الفني الى مكان مقدس ! والتعليق الاخير هو ان هذا الامر الذي ينظر اليه نظرة تقل عما يستحقه من اكبار وتقدير انما ينبغي له الا يصيبه الحيف بعد صاحبه ، ومن الخير ان يتحول الى مكان مقدس يذكر بقدسية الجهد الفني . وما اظن ان مارون كان في نيته شيء من الاحساس بشعور التكفير عما اقدم عليه من جهود فنية في هذا السبيل .

بهذه الجهود الرائدة ارسى مارون النقاش اسس الفن المسرحي ولكل ما يحيط بها من ابعاد على وجهها الصحيح ! وليس يعني هذا ان مسرحياته قد بلغت ذروة الاجادة .. بل يعني ان ما وراءها من تفهم فني كان صحيحا .. اما التطبيق فأمر صعب في هذه المرحلة .

وقد حرص النقاش على ان يدعو علية القوم في ذلك المجتمع حتى يعلي من شأن هذه الوسيلة الجديدة ، ويرسخ لها اركانها .. فكان النظارة هم من طبقة والى الايالة ، ونخبة من رجال الدولة العثمانية انتهز مارون فرصة وجودهم في بيروت فدعاهم ، كما دعا قناصل الدول ، واعيان المدينة .

.. والجمهور

هذا الجمهور الذي يقدم له مارون عمله هو الذي كان بيده الحل والربط في هذه الشؤون وفي سواها من شؤون الحياة .. فقد كان النظام لا يزال شبيها بنظام الاقطاع الذي ساد اوروبا من الزمان قبل ان تظهر معالم الطبقة الوسطى ، ولكن الحركات الجديدة اخذت تبرز وتحدد بعض الملامح للطبقة الوسطى في هذه المرحلة . ولعل مسرحيات مارون النقاش ان تكون مؤشرا يشير الى اهمية الدور الذي ينبغي للطبقة الوسطى ان تقوم به في المجتمع على ملأ من رجالات الطبقة العليا !!

وقد كان يبيح لنفسه التصرف في القدر الذي يقتبسه عن الكتاب الاوروبيين ولا سيما موليير ، وفي القدر الذي يضمه من التراث ، بحيث تتقبله النفوس في التركيب الاجتماعي الجديد الذي يبشر به ! وكأن مسرح النقاش كان أسهما تشير الى وجوب التغيير في تركيب المجتمع وقيمه وموازينه على اسس جديدة . ولعل مضمونه يشير الى كل هذا .

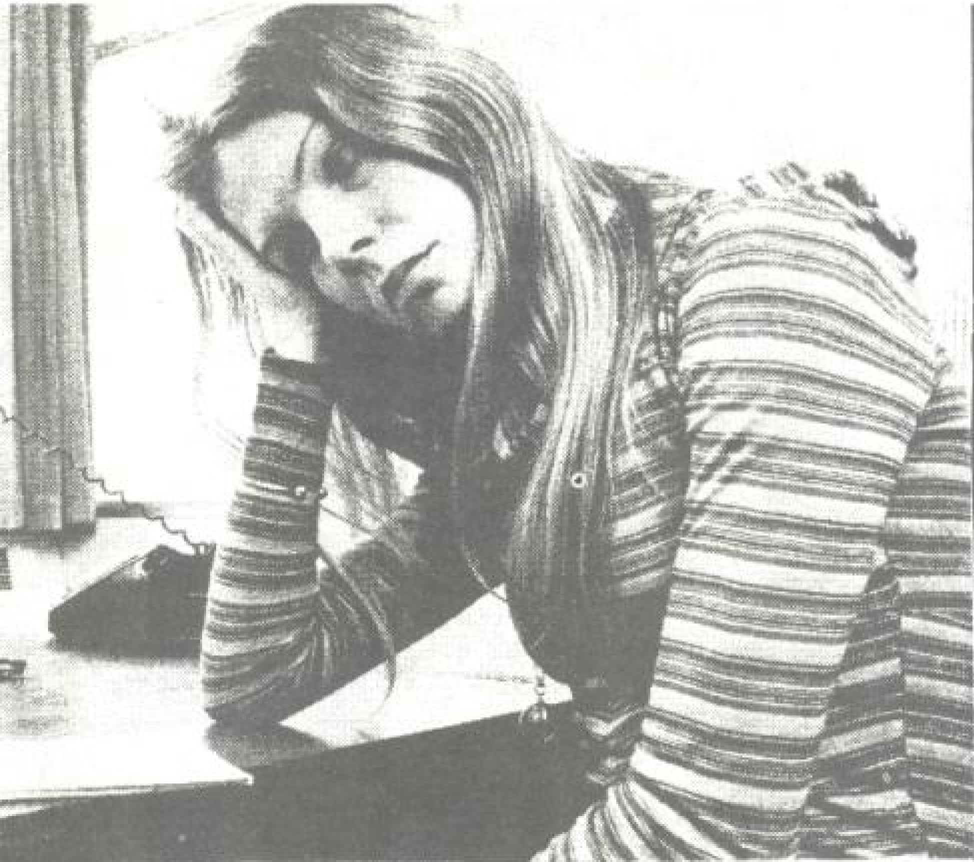
وقد اعانه على هذا الدور كونه المؤلف والمخرج والمنفذ والممثل وكل الابعاد الثلاثة في العملية المسرحية .

هذه المسئولية كلفت مارون جهدا لم يستطع من جاء بعده ان يحافظ عليه . فشد سليم النقاش الرحال ، وانتقل بكل الجهاز المسرحي وبكل هواة التمثيل من الذين كانوا في فرقة مارون الى بيئة اوسع صدرا واقدر على قبول هذه الوسيلة الحديثة وتنميتها واستقبال العاملين فيها .. الى مصر .. وذلك في سنة ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧م .. وكان قد مضى على وفاة مارون النقاش حوالي عشرين عاما حاول محبو مارون واقاربه وهواة المسرح ان يبقوا على حياة هذه النبتة الجديدة ، ولكن اعياهم الامر فآثروا الرحيل الى مصر .

ومن هنا ندرك كيف خفف مارون النقاش من امر الالتزام التام بالاوبرا والتنغيم الكامل لكل اجزاء المسرحية ، فقد جعل لميل ابناء وطنه اعتبارا « ولما رأى عدم ميل ابناء وطنه الى هذا الفن المفيد ، نظرا لعدم معرفتهم بمنافعه ، زاده فكاهة فجعله في الرواية الواحدة شعرا ونثرا وانغاما ، عالما ان الشعر يروق الخاصة ، والنثر تفهمه العامة ، والانغام تطرب .. » .

وحين نعرض لمحاور هذه المسرحيات سيتضح دور مارون في تأليفها ، وفي مدى انتفاعه بموليير ، واطلاعه على التراث الموروث في الحياة الثقافية العربية ! ...

عمان ـ الدكتور عبد الرحمن ياغي



العقم

لم يعد مشكلة بلا حل!

العقم هو عدم القدرة على انجاب النسل ، وليس معناه الضعف الجنسي ، فقد يكون المرء عقيما ومتمتعا بقواه الجنسية ، وعلى العكس فقد يكون منجبا للاطفال ، ولكنه ضعيف جنسيا لأسباب نفسية ودوافع عاطفية يمكن معالجتها .

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

ومع ان معظم المتزوجين ينجبون اطفالا من دون صعوبة ، فان بعضهم قد يحتاج الى الانتظار عدة اشهر قبل ان يحدث الحمل ، وقد لا تسبغ عليهم هذه النعمة الالهية الا بعد سنوات من الخيبة واليأس والقنوط ، وفريق ثالث لا ينعم بها مطلقا ، ولا يمكن اعتبار الزواج عقيما الا بعد مضي سنتين ، وبامكاننا ان نقول ان القلة من الناس قد يمكن ان تعتبر عقيمة عقما مطلقا أو منجبة انجابا مطلقا ، وبين النقيضين حالات عديدة متباينة في كلا الجنسين .

وليس بوسع الادوية والعلاجات ان تكون ذات نفع دائما ، ولكن كل حالة من حالات العقم جديرة بالدراسة والاستقصاء والبحث على حدة .

الزوجان معا

وقبل كل شيء يجب ان نعنى بالزوجين معا ، لا بأحدهما دون الآخر ، غير أن بعض الازواج يرفضون عرض انفسهم على الفحص والعلاج ، تصورا منهم ان ذلك يشكل اهانة لرجولتهم ، مع انه يفضل فحص الرجل قبل المرأة ، والحقيقة ان لا علاقة للعقم بالرجولة او القابلية الجنسية . والرجل المتحضر المتمدن لا يشعر بالاهانة فيما اذا ثبت انه عقيم .

وحتى في عصر الاستنارة والعلم الذي نعيش فيه نجد ازواجا غير منجبين هم في الحقيقة جاهلون لأبسط قواعد الحياة الزوجية المنجبة ، فقد يكون عقمهم راجعا الى جهلهم بفترة الاخصاب عند الزوجة ، فأكثر الاوقات احتمالا لحصول الحمل يكون قبل العادة الشهرية بأسبوعين ، وهو موعد خروج البويضة من المبيض .

وقد يكون احد الزوجين مصابا باضطراب عصبي ، فاذا امكن التغلب على ذلك تهيأ جو الاخصاب في كثير من الاحوال . وقد يكون الاضطراب العصبي متأتيا من عدم انجاب النسل فاذا امكن تبني طفل زال هذا العامل وامكن الاخصاب والانجاب .

وبوسعنا أن نقول ان جميع حالات الاعتلال الصحي تفضي الى تقليل قابلية الاخصاب ، فالخطوة المعقولة في مثل هذه الحال العناية الصحية العامة ، مشفوعة بعدم الاتصال الجنسي بالزوجة لفترة من الزمن يعقبه اتصال في فترة الاخصاب اي قبيل العادة الشهرية باسبوعين .

ومن وسائل معالجة العقم الاخصاب الاصطناعي على ان تؤخذ مادة الاخصاب ـ على قلتها وضآلتها ـ من الزوج نفسه .

ويمكن كذلك معالجة مختلف الاضطرابات التكوينية في جسم المرأة جراحيا ، فقد يخفق المبيضان احيانا في فرز البويضة شهريا لاضطراب في الغدة النخامية ، وتقع هذه الغدة تحت الدماغ وتفرز هورمونا يحفز المبيضين على العمل ، فاذا اخفقت الغدة امكن حقن المريضة بالهورمون اللازم او المركب الصناعي المماثل المعروف بالكولوميفين clomiphene مع تحذير المريضة بأن مثل هذه المعالجة قد تفضي احيانا الى ولادة توأمين وثلاثة او اكثر .

وفي بعض الحالات قد يكون كلا الزوجين سالما غير انه يحدث وجود تضاد بين افرازات الزوجين فتكون المعالجة صعبة كما لو كانت افرازات الرجل غير طبيعية ومضطربة . ولا علاج لمثل هذه الوضعية الا بتبني طفل او الاخصاب الاصطناعي الذي لا يمكن ان يجري الا بموافقة الزوجين الخطية مع عدم ذكر مصدر مادة الاخصاب .

نجح زرع البويضات

يجب الا تنسى حالات انسداد الانابيب المؤدية الى عدم الاخصاب وقد يكون الانسداد ناجما عن الالتهاب قبل الزواج بسنوات نتيجة الاصابة بالسيلان او مضاعفات الاجهاض او التهاب الزائدة الدودية الحاد الذي يشمل الانسجة المحيطة بها . ويمكن معالجة معظم هذه الحالات بعد التأكد منها وفحصها بدقة .

يضاف الى ذلك كله حالات الرحم غير الطبيعية كالتليف او الانحراف او الانقلاب الى الجهة المعاكسة للوضع الطبيعي او عدم الكفاية الهورمونية ، وهو امر محتمل فيما اذا بدأت (العادة) بعد سن السادسة عشرة

وكانت متباعدة الفترات وقليلة . في مثل هذه الحال يمكن استعمال المحفزات الهورمونية .

ومع ان اضطرابات الغدة الدرقية والاصابة بداء السكر ليست عامة ، فانها ذات اثر في الموضوع ويجب ان تعالج ، وعلى المرأة غير المنجبة الا تقوم بتمارين شاقة في الصباح وان تنتبه الى فترة الاخصاب التي تقع بين اليوم الحادي عشر والسادس عشر بعد اليوم الاول من اخر عادة شهرية ، وان الراحة الفكرية والجسمية المتأتية عن الاستمتاع بعطلة تفضي في الغالب الى الاخصاب والانجاب .

وقد امكن في ايامنا هذه حتى معالجة المبيض المخفق في افراز البويضات جراحيا وذلك بطريق استئصال المبيض العقيم وزرع مبيض خصب مكانه . فقد اعلن في بوينس ايرس ان امرأة عاقرا تبلغ السابعة والعشرين أجريت لها عملية نقل مبيض ، ويعتقد الجراح الذي اجرى العملية ان هذه المرأة التي رفض ان يذكر اسمها تمثل الحالة الاولى في العالم لامرأة تحمل طفلا بمبيض مزروع . وقد وهبت المرأة المبيض من قبل احدى صديقاتها الحميمات ، وتمت الموافقة على عملية الزرع لمساعدة المريضة لاصلاح ما كانت تعانيه من مشكلات الهورمون المتسببة عن نقص فعاليات المبيض ، وقد لوحظ بعد نجاح العملية ان العادة الشهرية عندها اصبحت طبيعية ، وراجعت المستشفى للفحص عندما توقفت دورات عادتها فتبين انها حامل . وامكن كذلك زراعة قناة فالوب في حالة عطبها او قطع الجزء المسدود منها وايصالها بالرحم .

ويقول الطبيب الجراح الذي قام بعملية زرع المبيض على رأس خمسة عشر طبيبا معهم عالم نفساني ، ان امام فرقة الزرع حالات اخرى تحت الدرس ، وقد طور بعض الاجهزة المستعملة في الزرع ، وهو يتوقع انقلابا خطيرا في معالجة حالات العقم المستعصية جراحيا في المرأة والرجل معا باستئصال الاعضاء العقيمة وزرع أخرى خصبة مكانها .

خصب الرجل والمرأة

هذا وان عملية فحص الرجل ابسط واسرع من فحص المرأة ولا تكلف نفقات باهظة ، وعلى العكس من ذلك فحص المرأة اذ يستغرق وقتا اطول ويتطلب صورا شعاعية للرحم وقناتي فالوب للتأكد من عدم وجود اى انسداد . واخذ نماذج من بطانة الرحم للتأكد من ان المبيض يفرز البويضات بصورة صحيحة ، وكذلك دراسة الهورمونات الجنسية في دم المرأة .

فاذا وجد الرجل سالما اجرى فحص المرأة المعقد ، وكثيرا ما تجد المرأة سالمة بعد تحملها مشاق الفحوص المجهدة ، بينما الجهة الاخرى هي المقصرة .

وقد تؤدى احيانا عملية اصلاح الفتق غير المتقنة في الرجل الى الحاق بعض الاضرار المفضية الى العقم وعدم الانجاب .

ويعتمد خصب الزوج وقدرته على الانجاب على مجموع حيوية الزوجين لا مجرد زوج واحد . فقد يتعادل ضعف الانجاب في احدهما بقوة الانجاب العظيمة في الآخر ، اما اذا كان كلاهما ضعيف الانجاب فقد ينجم عن ذلك العقم . وتتفاوت الخصوبة مع العمر . فتبدا منخفضة نسبيا عند المرأة الى سن السابعة عشرة وتصل ذروتها بين العشرين والرابعة والعشرين ، ثم تأخذ بالهبوط ببطء باديء ذي بدء وبسرعة بعد سن الخامسة والثلاثين .

اما في الرجل فلا تهبط قدرة الاخصاب بصورة محسوسة الا بعد سن الاربعين وقد تبقى عالية جدا حتى سن متأخرة نسبيا ، ولا تتأثر قوة الاخصاب بالافراط والتفريط في الاتصال بين الزوجين .

وفي ٥٪ من حالات الزواج العقيم يكون السبب الجهل بالشروط اللازمة للانجاب ، وقد لوحظ ان ١٥٪ من الزيجات في المملكة المتحدة وامريكا بدون انجاب وحوالي ٨٪ منها بسبب عوامل قاهرة ، وتكون قوة الانجاب في كثيرين آخرين ضعيفة الى درجة انه لا يولد للعائلة الواحدة اكثر من طفل او طفلين خلال العديد من سني الزواج .

ومن الانصاف ان نقول ان ٤٠٪ من حالات الزواج العقيم سببها الزوج كليا او جزئيا والاسباب الرئيسية في

الرجل هي الاصابة بالسيلان والالتهاب والضمور بسبب الاصابة بالنكاف .

وقد يسهل توسيع عنق الرحم عملية الحمل في بعض الحالات التي ليس فيها تشويه او ابتعاد كبير عن الوضع الطبيعي .

اما قيمة المعالجة الهورمونية فضئيلة الا اذا ثبت وجود نقص في تكوين البويضات او الحيوانات المنوية ، فيكون حقن هورمونات الغدد النخامية التي تؤثر على نمو الغدد التناسلية ذا فائدة احيانا . غير انه اذا كانت الانابيب مغلقة فالنتيجة سلبية وتتضمن عمليات فتح الانابيب جهودا كبيرة ولا تكون ناجحة الا في بعض الاحيان .

ومن هنا ولدت فكرة (اطفال الانابيب) اذ تؤخذ البويضة من المرأة وتلقح بحيوانات منوية من الزوج في انابيب مختبرية ثم تعاد الى الرحم لتنمو وتتطور هناك . وكان اول من نجح في هذه العملية الجراح البريطاني المعروف الدكتور استبتو . وقد احتفلت « لويز » طفلة الانبوب مؤخرا بعيد ميلادها الاول فقد مرت سنتها الاول بشكل طبيعي جسميا ونفسيا وعقليا ، ويؤمل ان يفتتح مختبر على نطاق واسع للعديد من اطفال الانابيب في المستقبل مع مستشفي يستقبل خمسين سيدة في ان واحد . ■■

أكسفورد ـ د . صبيحة الدباغ

أكاذيب ! !

● من أكاذيب ابريل المشهورة : ان صحفيا « فرنسيا » أراد ان يطلع على الناس بكذبة يكون ضحيتها اكثر من واحد . فأعلن في صحيفته ان معرضا للحمير سيقام في أول ابريل في مكان عينه بالذات ، وأن الدخول مباح للجمهور ...

وفي اليوم المعين ، والساعة المحدودة تقاطر الناس على مكان المعرض ليشاهدوا الحمير المعروضة فلم يجدوا سوى انفسهم ، وتنبهوا بعد فوات الوقت الى ان المسألة لعبة خبيث في أول ابريل .

منطق الاطفال

● كانت احدى السيدات مارة في الطريق فرأت طفلا امريكيا يدخن سيجارة ، فقالت له محذرة : ـ هل يعلم والدك أنك تدخن سيجارة ؟

فأجابها الطفل على الفور : ـ وهل يعرف زوجك بأنك تكلمين الرجال في الطريق ؟

مقالات في كلمات

- الرجل يكره هؤلاء الذين يضطر الى الكذب أمامهم !
فيكتور هوجو

- الشجاعة الحقة في أن تكون الرجل الوحيد الذى يعرف أنه خائف !
ايرل ولسون

- الحد المسارى الاكبر للسرعة يكمن فى أنها تستغرق وقتا طويلا جدا !
شسترتون

- انا أفهم زوجى لانه لا يفهمنى ! ولذلك فانه حبه لي يزداد كل يوم !
كوليت

- بارك الله فى الرجل الذى يشغله عمله عن القلق فى النهار، ويشغله النعاس عن القلق فى الليل !
ليوايكمان

- الراديكالي هو الرجل الذى ثبت قدميه بقوة ولكن في الهواء!
فرانكلين روزفلت

- الذين يقولون لك لا تدع الاشياء الصغيرة تزعجك، لم يجربوا النوم مع « ناموسة » فى حجرة واحدة !
كاترين شاندلر

- عندما تبكى السماء تعيش الارض !
مثل من هاواى

- اذا شعرت وانت تقلب الصفحة الاخيرة فى الكتاب الذى تقرأه، أنك فقدت صديقا عزيزا ، فاعلم أنك قد قرأت كتابا رائعا !
بول سوينى

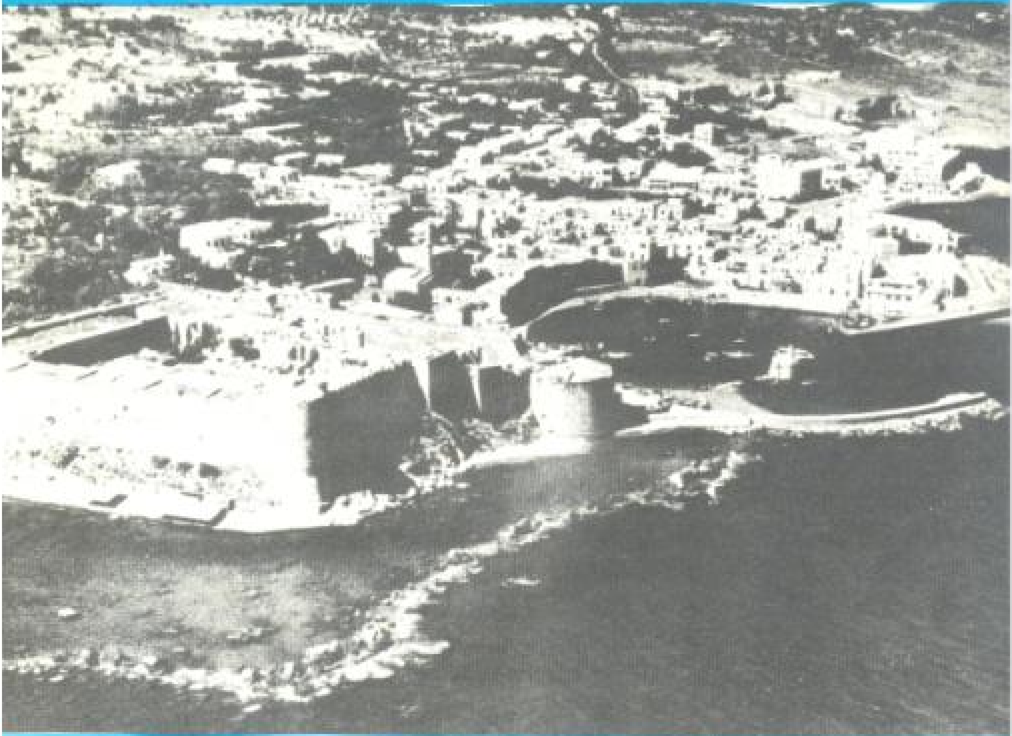
- اذا كنت تريد أن تكون شخصية محبوبة فى المجتمع ، فيجب أن توافق على أن تتعلم أشياء كثيرة ، رغم أنك تعرفها تمام المعرفة !
تاليران

فتح قبرص
في عصر المماليك

بقلم : الدكتور عمر عبد السلام تدمري

استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانية

اتخذ الصليبيون من جزيرة قبرص قاعدة رئيسية للانقضاض على سواحل الشام ومصر بعداخراجهم نهائيا من الشام في عهد الملك الاشرف خليل بن قلاوون . ورغم توقيع عقد الصلح بين المماليك والقبارصة سنة ٧٧٢ هـ/ ١٣٧٠ م ، فان القبارصة لم يحترموا شروط الصلح احتراما كليا ، اذ كانت مواني قبرص تتخذ ملجأ لسفن الجنوية عندما كانوا يغيرون على سواحل الشام ومصر . كما أن القبارصة انفسهم كانوا يشاركون « الكتلان » و « الجنوية » في غاراتهم العدوانية منذ اوائل القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي ، بل ان ملك قبرص قام بنفسه بغارة مع الكتلان في سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م . وتوالت غاراتهم بعد ذلك مما دفع بالمماليك الى الاغارة على الجزيرة في عامي ٨١٣ و ٨١٤ هـ / ١٤١٠ و ١٤١١ م . ولكنهم عادوا واغاروا على ساحل الشام جنوبي بيروت في سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م .



وعندما عزم السلطان المؤيد « شيخ المحمودي » (٨١٥ ـ ٨٢٤ هـ/١٤١٢ـ١٤٢١م) على غزو الجزيرة سارع ملكها الى عرض الصلح فاجابه المؤيد الى ذلك ، واشترط عليه ان يتعهد بالامتناع عن ايواء القراصنة في موانئ الجزيرة ، وألا يسمح بالقيام بأي عمل من أعمال القرصنة ضد سواحل الشام ، وأن يتعهد بالا يقدم الزاد او المأوى للقراصنة في حالة اذا ما لجأوا الى موانئ جزيرته ، وأن يمتنع رعاياه من القبارصة عن شراء البضائع من القراصنة . وتم الاتفاق على فداء ٣٢٥ اسيرا من المسلمين كانوا في الجزيرة . وانعقد الصلح في ١٤ تشرين الثاني ١٤١٤ م (٨١٧ هـ) .

ورغم انعقاد الصلح هذا ، فان القبارصة عادوا الى سياستهم العدوانية في العام التالي ، مما حدا بالسلطان المؤيد ان يطبق مبدأ المسؤولية الجماعية ضد جميع تجار الفرنج وقناصلهم في الاسكندرية ودمشق . واذ كان البنادقة حريصين على مصالحهم التجارية وعلاقتهم مع المماليك ، فقد سارعوا بارسال سفير يحمل هدية للسلطان مع كتاب ينفي اية علاقة لهم باعمال القرصنة التي يقوم بها الفرنج ، فقبل المؤيد هديته ، وعقد مع البنادقة معاهدة مؤرخة في ١٧ أيلول ١٤١٥ م (٨١٨ هـ) .

الانتقال الى الهجوم

واستمر القبارصة في تعدياتهم على ساحل مصر والشام حتى استقر الحكم في دولة المماليك . للسلطان

الاشرف برسباي في سنة ٨٢٥ هـ/١٤٢٢ م . وفي عهده فتحت صفحة جديدة من صفحات الحروب بين المسلمين والقبارصة . وامتازت هذه الصفحة بان المسلمين اخذوا يكيلون الضربات للقبارصة في عقردارهم بعد ان كانوا في موقف الدفاع خلال نصف قرن سبق .

ولقد واجه الاشرف برسباي بعد ايام قليلة من سلطنته ، وبالتحديد في شهر شعبان ٨٢٥ هـ/١٤٢٢ م . غارة واسعة للقبارصة والكتلان شملت ساحل مصر وبرقة والشام ، وسمح لهم عدم استعداد المماليك في المراكب البحرية بنجاح غارتهم على الاسكندرية . ويشير الى ذلك المؤرخ « المقريزي » في روايته لهذه الغارة حيث يقول : « وهجم في الليل غرابان فيهما طائفة من الفرنج على ميناء الاسكندرية فوجدوا فيهما مركبا للتجار فيه بضائع بنحو مائة الف دينار فاقتتلوا معهم عامة الليل ، فخرج الناس من المدينة فلم يقدروا على الوصول اليهم لعدم المراكب الحربية عندهم ولا وصلت سهامهم الى الفرنج بل كانت تسقط في البحر » . وبعد ان احرقوا المركب التجاري بكل ما فيه من بضائع توجهوا نحو ساحل برقة ، فاستولوا على البضائع والاموال وعادوا الى الاسكندرية ومنها ساروا الى ساحل الشام فاغاروا على بيروت ، ثم عادوا الى قبرص بعد ان اصابوا كثيرا من البضائع والاموال ووقع في قبضتهم عدد كبير من التجار والاهالي المسلمين .

وجاءت هذه الغارة لتضع الانتقام من القبارصة والكتلان في اولى اهتمامات الاشرف برسباي . وكان من الطبيعي ان يتخذ اجراءات انتقامية ضد الفرنج فنقض الاتفاقية التي كانت قائمة بينه وبين البنادقة ، وانقطعت العلاقات بينه وبين الكتلان الذين ارسلوا سفارة لهم قبل فترة الى مصر ، بينما اخذ يعد العدة لغزو قبرص . وسبق ذلك قيام القبارصة والكتلان بغارة على نواحي دمياط في شهر رجب ٨٢٧ هـ/١٤٢٤ م . استولوا فيها على مركبين تجاريين فيهما بضائع كثيرة ومايزيد عن مائة رجل . وفي رد انتقامي امر الاشرف برسباي بايقاع الحوطة على اموال التجار التي ببلاد الشام والاسكندرية ودمياط والختم عليها ومنعها من السفر . وبدأت السفن الحربية المصرية تتحرك للتصدي للفرنج فسار « غراب » من الاسكندرية وآخر من دمياط الى القاهرة حيث شحنا بالمقاتلة والاسلحة بالاضافة الى ثمانين مملوكا . واعطوا الاوامر بان يبحروا الى طرابلس الشام وياخذوا منها ومن سواحل الشام عدة « اغربة » ويقوموا بحراسة الشواطىء والبحث عن سفن الفرنج التي تقوم بالقرصنة . فاخذوا مركبا من كل من بيروت وصيدا ، و« غرابا » كبيرا من طرابلس حتى اجتمع لهم ٦٠٠ مقاتل .

ويبدو انهم لم يصادفوا في تفتيشهم مراكب للفرنج في البحر ، ولذا رأوا أن يسيروا الى جزيرة قبرص فوصلوا الى « فماغوستا » حيث اثر صاحبها ان يهادنهم ليضمن سلامة المدينة ، ولذا لم يتعرض لها المماليك وواصلوا سيرهم جنوبا بمواجهة الساحل الشرقي من الجزيرة الى ميناء « لماسول » التي اخذ اهلها اهبتهم للدفاع عنها بقيادة حاكمها « فيليب بيكوبتي » . غير ان المسلمين هزموهم واحرقوا ثلاثة اغربة واغرقوا ثلاثة اخرى كانت ترسو في الثغر ، واغاروا بعد ذلك على القرى الساحلية فاحرقوها ، وعادوا وهم يحملون الغنائم مع الاسرى .

« الأغربة » في الطريق

ويذكر المؤرخ البيروتي « صالح بن يحيى » ان السبب المباشر لهذه الغزوة ـ وهي الغزوة الاولى او الصغرى التي تعارف عليها المؤرخون ـ هو ان احد التجار من دمياط يدعى « احمد بن الهيم » كان قد شحن مركبا كبيرا له من ميناء طرابلس الشام محملا بالصابون وبضائع كثيرة بمبلغ كبير من المال ، وما ان وصل المركب الى فم دمياط حتى تصدى له مركب تابع للقراصنة من طائفة « البسقاوية » (١) واستولوا عليه وتوجهوا به الى قبرص ، فجاء هذا التعدي ليفتح السلطان بتواطؤ صاحب قبرص مع قراصنة الفرنج رغم انه كان يدعي الحفاظ على مصالح المسلمين التجارية . ولذلك امر السلطان بعمارة ثلاثة اغربة من مصر ثم ابحارها الى بيروت ، وأمر ايضا بان يتوجه معها غراب صغير من بيروت ، وغراب كبير من طرابلس ، فاجتمعت خمسة أغربة منها ثلاثة كبار يقود الواحد منها ١٨٠ مقداف . واثنان صغيران لكل منها اقل من ١٠٠ مقداف ، عليها

ثلاثة من امراء مصر ، وامير من طرابلس ، وامير من الشام ، وقصد الجميع جزيرة قبرص في اواخر شهر رمضان سنة ٨٢٧ هـ . ولكن الريح فرقتهم وردتهم الى طرابلس فتجمعوا من جديد وتوجهوا الى الجزيرة في اوائل شهر شوال من السنة فها جموا ميناء ليماسول واخذوا قسما منها بينما احتمى الفرنج بحصنهم ، فنهب المسلمون ما وصلت اليه ايديهم واخذوا ٢٥ اسيرا بين رجال ونساء واطفال .

اما « غرس الدين الظاهري » فيورد رواية تختلف قليلا فيقول ان الملك « جانوس » صاحب قبرص اعتدى على المسلمين ، فارسل السلطان ينهاه عن ذلك ، ولكن الملك تكلم في حقه ولم ينته فارسل السلطان اربعة اغربة ليقوم قادتها بكشف حقيقة الامر ، خاصة بعد أن قام ملك قبرص بالاستيلاء على مركب للسلطان كانت متوجهة بهدايا الى السلطان « مراد » العثماني . وقد سبقت الاغربة الى جزيرة قبرص فاحرقوا عددا من المراكب وقتلوا امير ليماسول واخذوا المدينة ونهبوها واحرقوها وعادوا بالغنائم .

ومهما يكن السبب المباشر لهذه الغزوة فانه بدا واضحا ان المماليك قد صمموا على منازلة الجزيرة من جديد بهدف فتحها خاصة وان نتيجة الغزوة كانت مشجعة ، ولذا اخذ الاشرف برسباي يواصل اعداد العدة لذلك ، وشرع في تحصين البلاد والسواحل واعطى الاوامر بتجهيز المراكب الحربية والاستكثار منها ، وارسل الى طرابلس وبيروت ودمياط والاسكندرية بأمر بتركيز الجند في السواحل وحراستها من الفرنج .

وفي الواقع ، اثبتت تلك الاجراءات فعاليتها عندما ارسل « جانوس » ملك قبرص مركبين مشحونين بالرجال والغذاء الى سواحل مصر والشام للاغارة على مراكب المسلمين ، وعلى السواحل فكانوا كلما وصلوا الى ساحل وجدوا عليه حراسا ، حتى جاءوا الى مصب نهر الكلب شمالي بيروت ليأخذوا منه الماء ، ومهدوا لنزولهم باطلاق مدفع ليضمنوا عدم وجود احد هناك ، ولكن الحرس كانوا يقظين حين كمنوا لهم حتى نزل بعض الفرنج في مركب الى البر فاطبق عليهم المسلمون وامسكوا جماعة منهم وفر الباقون الى رفاقهم سباحة فيما تمكن المسلمون من احراق مركبهم .

مناورة على الساحل المصرى

رغم ان الاشرف برسباى كان يسير في خطوات لتجهيز الاسطول البحرى استعدادا لغزو الجزيرة ، فقد كانت هناك محاولات لاعادة العلاقات الى سابق عهدها اثناء عقد الصلح ، ومن تلك المحاولات الوساطة التى قام بها احد الشيوخ الصلحاء حيث تعهد للملك القبرصي ان يسعى له لدى السلطان لرفع الحظر عن زيارة كنيسة القيامة أمام النصارى ، وذلك مقابل ان يطلق من عنده من اسرى المسلمين . ولكن جانوس ركب رأسه ولم يلتفت الى وساطة الشيخ بل امسك ابنه الذى جاءه رسولا وأخر عنده .

ومنذ اول سنة ٨٢٨ هـ/١٤٢٥ م . بدأ العمل يوميا في صنع مراكب حربية في مصر . وفي شهر ربيع الاخر بديء بصنع طريدتين حربيتين لتضاف الى طريدتين جاهزتين . ورافق التجهيزات البحرية عناية بتحصينات السواحل ، فتم في ذلك الوقت بناء برج حربي بالقرب من الطينة على ساحل البحر وشحن بالاسلحة والمقاتلة ، وفي المقابل واصل الفرنج اعمالهم العدوانية فهاجموا ميناء صور على ساحل الشام في شهر جمادى الاولى حيث نشبت معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من الفرنج ، وبلغ قتلى المسلمين نحو الخمسين رجلا . وسار الفرنج بعد ذلك شمالا فاجتازوا مياه طرابلس وارادوا الاغارة على ساحل نيابتها ، ولكن عساكر الحصون التابعة لطرابلس تصدت لهم ، وجرت موقعة بين طرابلس وجبلة اسفرت عن مقتل جماعة من الفرنج وانهزام مراكبهم عن بقي . ويبدو انهم بعد انهزامهم لجأوا الى ساحل جزيرة ارواد القريبة من انطرطوس ورابطوا هناك للايقاع بالسفن الاسلامية . ونجحوا بعد وقت قصير في الايقاع بمركب خرج من اللاذقية وهو يحمل شحنة من المجاذيف لنقلها الى مصر واستخدامها في تجهيز الاسطول . واذ اخذ المسلمون على حين غرة فقد قتلوا جميعا وكانوا خمسين رجلا ولم يفلت سوى رجل واحد . واستولى الفرنج على المجاذيف وما كان في المركب من عدد ، ثم اشعلوا النيران في المركب .

ولما كان ملك قبرص على علم بما اعده الاشرف برسباي من مراكب حربية بهدف غزو جزيرته ، فقد عمل على ان يبعد الخطر عن مملكته وان ينقل الحرب الى ساحل مصر ، ولذا سير اسطولا من تسعة اغربة بقيادة امير البحر المعروف في المصادر العربية باسم « باله » فرابط في عرض البحر امام ثغر دمياط لمحاصرة المراكب الحربية التي تم تجهيزها في دار الصناعة ببولاق ، ولكنه فوجيء بعد قليل بمراكب الاسكندرية وقد اتت من خلفه مما جعله يواجه الحصار بدوره ، فآثر الانسحاب دون الدخول في معركة غير محمودة النتائج بالنسبة لمراكبه . وهكذا تسنى للاسطول المصري ان يبحر الى ميناء طرابلس الشام التي اتخذت كقاعدة رئيسية لقوات المماليك البحرية والبرية ، فأرسى عندها لبضعة ايام للراحة واستقبال المراكب التي تم تجهيزها في المواني الشامية ووصول الخيول التي سارت في البر الى طرابلس وعدتها ٣٠٠ فرس لتحمل صحبة الغزاة من الميناء في البحر . وكان الغزاة الذين خرجوا من القاهرة نحو الف رجل جهز منهم الاشرف برسباي ٦٠٠ رجل وجهز الامراء ٣٠٠ رجل ، فيما نودي بالجهاد لمن اراد في مصر .

الرايات السلطانية في فماغوستا

اجتمع في ميناء طرابلس ثمانية اغربة تم صنعها في بولاق ، مع اربع حمالات كبار مهمتها حمل الخيول والاثقال ، وحمالة تم صنعها في بيروت لتقوم بحمل اثقال عسكر دمشق مع ثلاثة اغربة قام الدمشقيون بشحن احدها بالمقاتلة ، كما شحن نائب صفد احدها ، والثالث كان لبني بحتر امراء الغرب وبيروت ، ويقوده المؤرخ صالح بن يحيى في نحو مائة من البحارة والمقاتلة . بالاضافة الى حمالة قام نائب طرابلس الامير « سيف الدين قصروه » بتجهيزها ، وغراب جهزه في طرابلس حاجب حجاب حلب وشحن بالامراء والمقاتلة من طرابلس وحلب . فضلا عن المراكب التي تجهزت في الاسكندرية حتى بلغ مجموع ما احتشد في ميناء طرابلس : ست حمالات ، وعشرة اغربة بين كبار وصغار ، وست مراكب قراقير ، ومركبان مخروط ، واثنا عشر زورقا ، وست بنوق صغيرة ، فكان المجموع اكثر من اربعين قطعة . « واجتمع فيها من الامراء والجند والمطوعة من العشير والزعر عدد كثير » . وكان القائد العام للاسطول الامير « جرباش الكريمي » المعروف بـ « قاشوق » قد ارسل الى جانوس ملك قبرص رسولا يعرض عليه تقديم الطاعة للسلطان الاشرف ، واوصى الرسول بان يعود بمركبه الى طرابلس ، غير ان جانوس رفض هذا العرض ، وافاد الرسول الذي عاد الى طرابلس فيما بعد بأن ملك قبرص « كان قد مال الى الصلح ، فما وافقه اخوه » .

وفي صباح الاثنين ١٤ من شهر رمضان ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥م ، ابحر الاسطول من ميناء طرابلس بعد انتظار اكثر من اسبوع لاستكمال الاستعدادات ، وبعد بضعة ايام ظهر المماليك امام الساحل الشرقي لجزيرة قبرص ، وقاموا بعملية انزال لقوة صغيرة من المقاتلين على بعد ٣٠ ميلا من ميناء فماغوستا ، التي سارع اميرها الى اعلان خضوعه للسلطان الاشرف ، وقام بتعليق الرايات السلطانية على قلعة المدينة ، فاغتنم المسلمون الفرصة وقاموا بشن غارات واسعة على القرى الواقعة في ذلك الساحل ثم توجهوا الى الملاحة جنوبي فماغوستا بينها وبين ميناء ليماسول ، بعد ان قاموا بتنفيذ خطة حربية بارعة حيث سار قسم من المقاتلين في البر في حين سار القسم الاخر في الاسطول بمحاذاة الساحل ، فكان الزحف برا وبحرا ، وقام المقاتلون في البر بتخريب واحراق كل ما يواجهونه مستندين الى حماية اسطولهم . ولقد دب الذعر في قلوب الفرنج « حتى كان الثلاثة من المسلمين يدخلون الضيعة وفيها ما بين المائة والخمسين فلا يمتنع عليهم احد » .

هجوم ليلة العيد

وتحرك جانوس للتصدي للغزاة فسير اخاه في الف فارس وثلاثة آلاف راجل ، غير الكمناء ، ولكن محاولاتهم بقطع الطريق على الزاحفين نحو الملاحة فشلت ولم يصمد الفرنج امام المسلمين . وفي جهة البحر تراجعت مراكب الفرنج منهزمة من غير قتال ، مما جعل المسلمين يندفعون في زحفهم وينزلون الخيول من المراكب ويكثفون الهجوم البري حتى دخلوا الملاّحة واكتسحوها تخريبا واحراقا وقتلوا اميرها ، « ويقال انه كان شديدا

على اسرى المسلمين وكان يقال له عين الغزال » . وفشل جانوس في نجدة المدينة واحتاط المسلمون على المعدات التي ارسلها لمساعدة اميرها . وتابع المسلمون زحفهم بمحاذاة الساحل الجنوبي الغربي الى ميناء ليماسول حيث هاجمه نحو ١٥٠ مقاتلا ليلة عيد الفطر ، وتمكنوا في صباح يوم العيد من الاستيلاء على برج حربي هناك وقتلوا واسروا كثيرا من الفرنج ثم احرقوا البرج وهدموه ، « ولم يكن في جزيرة قبرص برج مثل هذا البرج في التحصين وعظم العمارة » . وتتبع المسلمون الفرنج في الكهوف والمغارات وراحوا يقتلون ويأسرون ويحرقون وينهبون القرى حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الاسرى وامتلأت ايديهم بالغنائم ، والقى كثير منهم ما اخذه الى الارض ، وكتب قائد الغزوة الامير جرباش كتابا الى الامير « قصروه » نائب طرابلس بهذا الفتح . وارسله مع مراقق للغزاة كان بعثه قصروه من طرابلس ليأتيه بأخبارهم ، وعندما وصل الخبر الى طرابلس كتب نائبها يبشر السلطان برسباي بهذا النصر .

وما لبث المسلمون ان اخلوا الجزيرة بعد ان بلغهم ان الملك جانوس يستعد للخروج اليهم ، فآثروا الفوز بما حازوه من غنائم وما حملوا معهم من اسرى وبلغ عددهم نحو الالف ، فابحروا بكل ما غنموه الى مصر حيث دخلوا القاهرة « وقد جلس الناس بالحوانيت والبيوت والاسطحة والشوارع ، حيث ان الشخص كان لايكاد ان يمر الى طريقه الى بعد مشقة كبيرة ، وربما لا يستطيع السير ويرجع الى حيث اتى » .

وذكر « ابن حجر » : « ويقال ان جملة من قتل في مدة نصف شهر من الفرنج خمسة آلاف ، ولم يقتل من المسلمين في هذه الغزوة الا ثلاثة عشر نفسا ، وكان طلوعهم الى القلعة بالاسرى والغنائم يوما مشهودا » .

سباق على الجهاد

لما كان غزو الجزيرة سنة ٨٢٨ هـ . لم يخضعها لسيادة دولة المماليك ، حيث اقتصر على تخريب المدن والقرى واحضار الاسرى والغنائم ، فان الاشرف برسباي لم يرض بذلك ، بل كان يتطلع الى اخضاع الجزيرة الى سيادته والتخلص من عدوه جانوس الذي اخذ يراسل ملوك الفرنج ويستنجد بهم على مهاجمة ثغر الاسكندرية ودمياط وبيروت وطرابلس الشام ، ولذلك رفض الاشرف وساطة صاحب استانبول الذي « شفع في اهل قبرص ان لا يغزوا » . وكان من عوامل اصراره على اخضاع الجزيرة استمرار تحريض الجنوية له ضد جانوس بسبب عدائهم له . ولعل الجنوية ارادوا بذلك ان يضربوا خصمين لهم هما : القبارصة والبنادقة ، اذ كان البنادقة قد شاركوا عمليا في مقاتلة المسلمين اثناء غزوتهم للجزيرة سنة ٨٢٨ هـ . يضاف الى ذلك ان بعض قوى المسلمين الاتراك على شاطىء آسيا الصغرى استنجدوا بدولة المماليك لحمايتهم من اعتداءات القبارصة .

ولقد انفق الاشرف برسباي اموالا جزيلة لصنع اسطول بحري كبير ، وشراء ما يلزم من المراكب حتى اجتمع في ميناء الاسكندرية نحو ١٨٠ قطعة بحرية ، وتقرر ان تكون الحملة عن طريقه مباشرة ، ولذلك تجهز المقاتلون في طرابلس الشام وساروا الى مصر في شهر جمادى الاخرة سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م . فوصلوا مع عساكر دمشق وصفد وغزة « وكان لقدومهم يوم مشهود » . وبلغ عدد العساكر الذين خرجوا اكثر من ٩٠٠٠ رجل ، فضلا عن الذين جاءوا متطوعين للجهاد من مصر والشام ، وقد اخذ الحماس والشوق الى الجهاد ببعضهم حدا كاد يودي بهلاك عدد كبير من المسلمين ، ومن بينهم عسكر طرابلس اذ ابحروا بمراكبهم رغم التحذير بخطورة ذلك لارتفاع الامواج وشدة الرياح فغرقت اربعة مراكب كان من بينها مركب عسكر طرابلس ولكن المقاتلة تمكنوا من النجاة ، ولم يغرق سوى تسعة انفار . وعندما خير السلطان العساكر الذين خسروا مراكبهم بين العودة الى بلادهم او العودة الى القاهرة اصروا على الخروج مع الحملة . واسهب المؤرخ « ابو المحاسن » في وصف الجو المشحون بمشاعر الجهاد والخروج للغزو « حتى انه كان الرجل ينظر في وجه المسافر للجهاد يعرفه قبل ان يسأله لما يوجهه من السرور والبشر الظاهر بفرحه للسفر » .

وكما حدث قبيل الغزوة السابقة فقد حاولت مراكب الفرنج تعويق خروج الحملة بين ميناءي رشيد والاسكندرية ، ولكن المراكب الاسلامية تكاثرت على

الفرنج وهزمتهم بعد ان خسر المسلمون عشرة قتلى .

وكان الاشرف قد عهد الى الامير « تغري بردي المحمودي » بقيادة العساكر البرية ، وجعل على قيادة القوات البحرية « اينال الجكمي » ، وحدد اختصاصات كل منهما حتى لا يعارض احدهما الآخر .

الملك جانوس اسيرا

وفي ٢٠ من شعبان ٨٢٩ هـ اول حزيران ١٤٢٦م ، اقلع الاسطول في اكثر من ١٠٠ مركب الى قبرص وتوجه ناحية ميناء ليماسول ، وهناك جرى انزال قوة الى البر قامت بمهاجمة حصن المدينة الذي اعاد الفرنج بناءه وتقويته بالمقاتلين ، وتمكن قائد هذه القوة من اسناد سلم على الحصن حيث صعد اليه فيما كان الفرنج يفرون منه بعد ان كانوا قد هيأوا الزفت المغلي لقذف المسلمين به . وسيطر المسلمون على الحصن ثم زحفوا الى بلدة خاضعة لنفوذ البنادقة ، فاحاطوا بها وامتلكوها بعد ان بذلوا الامان لاهلها ، وعلموا منهم ان الملك جانوس حشد جيشا من خمسة آلاف فارس وسبعة آلاف راجل ، فارسلوا اليه ليدخل في طاعة السلطان ولكن جانوس قام بقتل الرسول حرقا ، وعبر بذلك عن تصميمه على التصدي للمسلمين . وخرج من عاصمته لقتالهم ، كما امر بتسيير قوة في البحر لضرب الاسطول ، فلم تغنه حشوده نفعا ، وحلت بجيوشه الهزيمة الساحقة في الموقعة التي جرت يوم الاحد غرة شهر رمضان ، فيما وقع هو في قبضة المسلمين ، كما حلت الهزيمة في بالمراكب الحربية التي اقبلت لمساعدته وقتل في هذه الموقعة ما يزيد عن ستة آلاف نفر ، كان من بينهم « هنري » اخو الملك جانوس ، بينما اخذ قائد الكتلان الذي جاء لنجدة القبارصة اسيرا .

وحتى يثبت المماليك سيطرتهم على جزيرة قبرص بكاملها حولوا قسما من قواتهم لتغزو قلبها ومدنها الداخلية بعد ان كانوا حتى ذلك الوقت يكتفون بغزو الشريط الساحلي . وقد تمكنت تلك القوة من شق طريقها الى العاصمة نيقوسيا واستولت عليها . وسيق جانوس مع مئات الاسرى بينما كان اعيان نيقوسيا ورهبانها ووزراؤها يعلنون خضوعهم لسلطان المماليك ويطلبون الامان ، ويتعهدون بتقديم مبلغ من المال . وما لبثت بقية مدن الجزيرة ان استسلمت للفاتحين ، وبعث اهل فماغوستا يطلبون الامان . وهكذا سقطت جزيرة قبرص بيد المسلمين للمرة الثانية بعد نحو تسعمائة عام من فتحها للمرة الاولى في ايام الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، على يد معاوية بن ابي سفيان ، ولقد اسهب المؤرخون في وصف الموكب الحاشد الذي شهدته شوارع القاهرة اثناء استقبال الغزاة الفاتحين وهم يسوقون الاسرى وفي مؤخرتهم الملك جانوس ، وابنه ، وقائد الكتلان ، وقد امتطوا بغالا عرجاء وهم يرسفون في القيود . وترك كل من بدر الدين العيني ، وابن حجر العسقلاني ، والصيرفي ، والمقريزي ، وابو المحاسن ، وغيرهم من المؤرخين المعاصرين وصفا دقيقا لذلك المشهد العظيم البالغ الروعة .

واذ اصبح جانوس في قبضة الاشرف فقد ابدى الاذلال والخضوع بين يديه امام قناصلة الفرنج في مصر . وهدده السلطان بالقتل او يفدي نفسه بمبلغ خمسمائة الف دينار . ومازال المترجمون يترددون بين السلطان والملك حتى تقرر الصلح بعد ايام بينهما ، على ان يؤدي جانوس مائتي الف دينار منها مائة الف دينار معجلة ، ومائة الف دينار اخرى يؤديها بعد وصوله الى قبرص ، وان يقوم بدفع جزية سنوية مقدارها عشرون الف دينار .

واشترط جانوس مقابل ذلك ان يكف السلطان عنه البنادقة والكتلان . فضمن له السلطان ذلك ، وانعقد الصلح . وتقرر ان يكون جانوس نائبا عن السلطان في حكم الجزيرة . اذ تحقق صاحب رودس من مصير قبرص ، فقد آثر السلامة لجزيرته وبعث الى السلطان يسأل الامان ، « وان يعفى من تجهيز العسكر اليه ، وانه يقوم بما يطلب منه » . فعقد الاشرف برسباي الصلح مع فرسان الاسبتارية برودس لقاء تعهدهم بعدم حماية قراصنة الكتلان في جزيرتهم . وتم ذلك في جمادى الاولى سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٧م . واستمرت قبرص تؤدي الجزية حتى بعد ان آل الامر فيها الى حكومة البندقية في سنة ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٩م . لتدخل من بعد في حوزة الدولة العثمانية . ■■

طرابلس ـ د . عمر تدمري



كأنه لم يمت ...
وكأنه من غرائب الحياة ومتناقضاتها أن أتحدث عن ذكرى مرور اكثر من ثلاثة أرباع القرن على وفاته، وأنى له أن يموت بالنسبة الى وانا دائم الاستشهاد بما قال، دائم الترجمة لما كتب شعرا ونثرا، دائم الحديث اليه في العديد من مؤلفاته الطريفة الموزعة على غير انتظام حوالى، أو ليست قراءة الكتاب ضربا من الحديث الودى الصميم الى مؤلفه ؟.

أوسكار وايلد

(١٨٥٦ - ١٩٠٠)

العبقرى الذى عاش فى غير عصره

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

كان ذلك عام ١٩٣٦ يوم تعرفت عليه او بالاحرى على مؤلفاته فشغفت بها ايما شغف لم عرفت قصة حياته المأساوية .

ولد أوسكار او فلاهيرتي ولز وايلد Oscar O.Flahertie Wills Wilde في الخامس عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥٦ بمدينة دبلن حيث تلقى دراسته قبل أن تستقبله جامعة اكسفورد التي اخرجت الكثيرين من العظماء، وحطمت العديد منهم . وفي كلية مودلن باكسفورد وضع مبدأ « عبادة الفن من أجل الفن » ، ذلك المبدأ الذى اصبح موضع تهكم مسرحية (الصبر) Patience لجلبرت وسليفان Gilbert and Sullivan

ومن أشهر مسرحياته . (مروحة السيدة ويندرمير) و (امرأة غير ذات بال) A Woman of no Importance و (اهمية الجد) The Importance of Being Earnest .

ومن أشهر رواياته : « صورة دوريان غراي » قيل انها كانت من وحي اللورد الفريد دوغلاس

عندما كان في سن السابعة عشرة ، في أوج شبابه وجماله ، وقد تليت فقرات منه اثناء محاكمته وكانت سببا من أسباب الحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة سنتين .

ومن قصصه المشهورة كذلك : « جريمة اللورد ارثر سافيلي » Lord Arthur Saville's Crime

وهي قصة فارية كف تنتهي بخاتمة مفجعة.

وكانه بذلك تنبأ بخاتمته المؤسفة هو اذ رماه اللورد كوينزبرى الذى كان يعارض صداقة ابنه اللورد الفريد دوغلاس له بتهم اخلاقية فحكم عليه في ايار (مايو) ١٨٩٥ بالسجن فانتهى الأمر به في سجن ريدنغ Reading في منتصف الطريق بين اكسفورد ولندن ، وهناك نظم قصيدته الخالدة (اغنية سجن ريدنغ) ، وفيها يصف مشهد تنفيذ حكم اعدام مؤثر .

ولا أزال احفظ مقاطع من هذه القصيدة الموسيقية ذات الوقع الحزين ، واليك مقطعا مما احتفظت به الذاكرة رغم بعد العهد ، وقد ترجمته في حينه شعرا :

ان رقص المرء يحلو
وسط الحان الكمان

أو على نغمة عود ومزامـ
ـير ، اذا جاد الزمان

عندما يبسم حظ
والهوى في عنفوان !

لا كرقص مفجع
ذابل فيه البنان

في فراغ هائل
حيث تعلو قدمان

ثم تهدا بفتور
وتلاشى (١) في ثوان

وما ان خرج من السجن حتى التمس سبيله الى باريس حيث قضى السنوات القليلة من حياته وكتب لنا اعترافاته التي نشرت بعد وفاته بنصف قرن تحت عنوان «من الاعماق» De Profundis

وكانت منيته في باريس في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٠ مات وليس بينه وبين مستهل القرن العشرين غير شهر واحد ، فكانت من أمانيه التي لم تتحقق وهو أن يرى مطلع القرن الجديد الذى سيكون أكثر حرية وانطلاقا كما كان يعتقد.

وعندما كشف عن قبره بعد سنوات وجد أوسكار وايلد وكانما مات لساعته ، ولم يكن قد تغير فيه شيء سوى أن لحيته قد طالت بعض الشيء . ذلك انه كان قد دفن في ارض كلسية حافظت على هيكله بشكل عجيب .

ضحية التزمت

لقد راح اوسكار وايلد في قمة ابداعه وذروة انتاجه الخلاق ضحية تزمت العصر الفكتوري الذى اتسم ـ مع الاسف ـ في بعض ما اتسم به ، بالرياء والنفاق والمظاهر الكاذبة التي كان يانفها اوسكاروايلد . ولنا في أوسكاروايلد مثل وعبرة في ان لايثمل الانسان بخمرة النجاح الى اقصى حدودها فقدكان يخيل لاوسكاروايلد معبودالمجتمعات الانكليزية على اختلاف طبقاتها انه يجوز للعبقرى مالا يجوز لسواه ،وماكان يتصور لحظة أن المجتمع الانكليزى سيتنكر له شر تنكر بين عشية وضحاها وان المعبود المحبوب سيغدوضحية مهينة تحت قدمى عابده . كان بوسع اوسكاروايلد أن يتلافى التطورات المؤسفة والنهاية المفجعة بتمزيق البطاقة المهينة التي بعث بها اليه الماركيز كوينزبرى الى (الكافيه) رويال Cafe Royal بدلا من استخدامها حجة لاقامة دعوى القذف على الماركيز،رغم الحاح اللورد الشاب الفريد دوغلاس الذى كان يكره اباه اشد الكره ويمقته غاية المقت ، وكان بوسع أوسكاروايلد ايضا أن يهرب الى فرنسا عندما دارت عليه الدوائر واصبح متهما بعد أن كان متهما ، ومدعى عليه بعد أن كان مدعيا ، وقد نصحه اصدقاؤه بان يفعل ذلك،بل ان السلطات المسؤولة كانت مستعدة لان تغض النظر عن محاولته هذه وتقدم له العون على ذلك ، ولكن اوسكار وايلد ابى ذلك اشد الاباء ، ويبدو أنه كان مصمما على أن يكون شهيد مبدئه ، مبدأ الفن

(١) الهمزة في (تهدا) مخففة ، و (تلاشى) أي تتلاشى ويجوز حذف احدى التاءين اذا توالتا في فعل ، ولاسيما في الشعر . وقد حاولنا محاكاة ايقاع النص الانكليزي جهد الامكان .

للفن الذى وضع اسسه يوم كان طالبا بجامعة اكسفورد ، فالجمال فى نظره معبود اينما كان وحيثما كان .

لقد كان اوسكاروايلد زين المحافل والمجالس،اذ كان يكفى لاى بطاقة دعوة أن يشار فيها اشارة خفيفة الىان الحفل سيزدان بحضور اوسكاروايلد ليجذب اليه نجوم المجتمع المتالقة ، وقد كانت لاوسكاروايلد طريقة بارعة فى الحفلات ، فما كان ليجتذب اليه الانظار لاول وهلة ، انما كان يبدأ حديثه هادئا هامسا به الى اقرب مجاوريه ، ثم اذا به يعم ويسرى فى الحفل كله ، ومن عجائب عبقريته ونبوغه انه كان يختلق البكر من الاحاديث والقصص فى التو واللحظة ، ويرتجل الرائع من ماثور الكلام فقد كان سريع الخاطر قوى العارضة، حاضر النكتة ، وقد بدت كل هذه المواهب اثناء محاكمته مما حمل المستمعين على التصفيق له اكثر من مرة ، رغم تشدد الحاكم ومنعه التصفيق داخل قاعة المحكمة ولاسيما لرجل متهم قبل صدورالحكم عليه .

أسقط لقب أبيه !

لقد كانتمسرحيات اوسكاوايلد تمثلفيكبريات المسارح بلندن والرجل يحاكم بل حتى بعد أن دخل السجن ، ورغم أن بعضهم كان يتظاهر باحتقاره، حتى أن احدهم بصق بوجهه اثناء نقله من سجن لاخر ولكن فان احد سجانيه المعجبين به جازف باحراق بطنه لانه نقل له وجبة طعام لذيذة حارة اخفاها تحت قميصه .

وهكذا اختلفت الاراء فيه،ولكن الكثرة الكاثرة كانت ولاتزال شديدة الاعجاب به وقد استرداليوم اعتباره على اتم وجه ، بعد أن تنكر لهحتى أهله وذووه اذ بلغ الامر بابنه الذى كتب تاريخ حياة أبيه بعد سنوات أن أسقط لقب أبيه من اسمه واتخذ لقب أمه بديلا لينجو من قالة النـاس وتعليقاتهم المؤلمة .

ولا أريد هنا الدفاع عن اوسكاروايلد فان فى فنه الرفيع خير مدافع وشفيع ، الا أننى أريد ان اؤيد نظرية ابن جنى فى الفصل بين فن الشاعر والاعتبارات الاخرى التى لا تدخل فى منطقالفن، واشفع ذلكبقولىان كثيرا مما اتهمبهاوسكاروايلد كان مبالغا فيه،بل كان ظلما وعدوانا ماتاه الحسد ومرده الضغينة الشخصية ولكل عبقرية ثمنهـا ، وقد دفع اوسكاروايلد الثمن باهظا ، ولكن لولاه لكان الادب الانكليزى الحديث باهتـا ولاختفت الاستشهادات المرحة القائمة على المفارقات مـن كثير من الشفاه !

■■

اكسفورد / د . صفاء خلوصى

ماذا يدمر الانسان

● المهاتما غاندى كان يحدث عنزته وهى لاهية عنـــه بتناول طعامها من الحشائش التى يجمعها لها ، بينما هو قانع بقطرات الحليب التى تقدمها لهويعيش عليهـا قال لهـا يوما ، وما أكثر ما كان يقول لرفيقةكفاحه السلمى : « سبع أشياء تدمر الانسان :

« السياسة بلا مبادىء » ـ « المتعـةبلا ضمير » ـ « الثروة بلا عمل » ـ « المعرفة بلا قيم » ـ « التجارة بلا اخلاق » ـ « العلم بلا انسانية » ـ « العبادة بلا تضحية »



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

شلل الوجه النصفي

● شلل الوجه النصفي أو شلل « بل » ما هي أسبابه وأعراضه وعلاجه ؟

ينتج شلل الوجه النصفي عقب اصابة العصب السابع ، وهو من الاعصاب التي تخرج من المخ ، وتمر بقنوات وفتحات في جمجمة الرأس ، وعند خروجه يتفرع ليغذي عضلات الوجه ، وهو عصب حركي لا دخل له بنقل الاحساس ،ولكن العصب الذي ينقل حاسة الذوق من ثلثي اللسان في الامام ، يشترك معه في جزء من مسيرته ، لذا تتأثر حاسة الذوق في بعض حالات الاصابة الشديدة .

واصابة العصب السابع لها اسباب عدة ، فقد تنجم عن وجود أورام أو نزف أو أمراض بالمخ او الاغشية التي تحيط به ، او عن التهاب الاعصاب عامة، أو التهاب الأذن الوسطى او العمليات التي تجرى عليها . ولكننا عندما نتكلم عن شلل الوجه النصفي أو شلل «بل» كما يسمى احيانا ، انما نتكلم عن تلك الاصابة التي تصيب الجزء الاسفل منه ، ذلك الجزء الذي يخرج من الثقب الابرى وقناته بعظم الراس حتى عضلات الوجه .

والسبب المباشر لهذه الاصابة غير معروف حتى الان، ولكن وجد بان هناك احتقانا في الانسجة المحيطة بالعصب وانتفاخا بها ، مما يسبب ضغطا على العصب فيسبب الشلل .

وشلل الوجه النصفي يحدث في الجنسين ، الذكور والاناث بالتساوي ، وقد يصيب جميع الاعمار ، غير انه ينتشر اكثر في الفترة ما بين ٢٠ و ٥٠ سنة .

اعراضه :

قد يحس المصاب بالم بسيط خلف الاذن ليوم او يومين ، وبعدها يبدأ الشلل ، وتتغير تعابير الوجه ، فيفقد المصاب القدرة على اغلاق عينه وتدمع بكثرة ، ويتساقط الدمع على الخد ، وترتخي عضلات الفم ، ويأخذ شكلا خاصا لان العضلات السليمة بالجهة المقابلة تجذبه نحوها ، وقد يسيل اللعاب او تسيل السوائل عند شربها من زاوية الفم ، ويتجمع الاكل بين الاسنان وعضلات الخد المشلولة بعد مضغه ، وقد يحس الانسان بثقل وخدر بسيط في الجهة المصابة ، ولو ان حساسية الجلد لاتتأثر ابدا وتبقى كما هي لان العصب السابع ـ كما ذكرنا ـ عصب حركي .

ويأخذ وضع المنكمش على نفسه ،وهو راقد في سريره ، فيثني الركبتين ويقوس الظهر، وينفر من المضايقات ، وقد ترتفع درجة حرارته . وقد يمر بفترة من فقدان الذاكرة .

وفي حالة وجود نزيف في المخ، تطول فترة فقدان الوعي وتزداد عمقا ، ويفقد الحركة بعض عضلات الجسم، ويبطىء النبض اكثر واكثر ويظهر اختلاف في سعة الحدقتين، وعادة ما يكون النزيف في

الجهة التي تتوسع الحدقة بها ببطء.

وهناك قاعدةطبية عامةتقول « بانه من الافضل وضع كل مصاب بضربة على راسه افقدته الوعي ولو للحظات تحت المراقبة الطبية لايام معدودة ، خوفا من وجود نزف بطيء في احد الاوعية الدموية المغذية للمخ، ،لاتظهر اعراضه الا بعد فترة من الزمن ، واكتشافه المبكر ضروري للمصاب والطبيب » .

موانع الارضاع الطبيعي

● ما هي موانع الارضاع الطبيعي ؟

ـ هناك ظروف وحالات معينة تجعل من الارضاع الطبيعي وسيلة غير عملية او غير مفضلة ، وفي حالات اخرى ضارة . لذا يلجا الطبيب الى نصح الام باعطاء طفلها حليبا صناعيا ومن هذه الحالات والاسباب : تعاطي الام المرضع لبعض الادوية مثل ادويةتمييع الدم ، واصابة الام بمرض التدرن الرئوي (السل) عندها يجب اعطاء الطفلالطعم الخاص ضد السل وبالطبع اعطاء الام العلاج اللازم مع ضرورة ابعاد طفلهاعنها لمدة حواليشهرين.

كما ان اصابة الام بامراض القلب وهبوط القلب تشكل مانعا ولو مؤقتا ضد الارضاع الطبيعي الا اذاكانت الام تحت اشراف طبي تام يؤكد سلامة قيامها بالارضاع الطبيعي .

واصابة الام بتسمم الغدة الدرقية وتناولها الادوية المعالجة لذلك يشكل مانعا ضروريا ضدالارضاع الطبيعي اذ ان هذه الادوية تنتقل عن طريق حليب الام اليالطفل مما يؤدي الى نتائج سيئة كتضخم الغدة الدرقية وضعفنشاطها.

وهناك قائمة من الامراض التي اذا ما اصيبت بها الام المرضع اصبح الارضاع الطبيعيضارا بصحتها وبالتالي بصحة طفلها وهذه الامراض هي : امراض الكلى المزمنة والامراض الاخرى المزمنة . كالسرطان وامراض الحمل النفسية التيقدتؤثر علىعلاقة ومعاملة الام لطفلها خاصة تلك الحالات المصحوبة باكتئاب نفسي شديد ولقد اعتبر مرض السكري من الامراض التي تشكل مانعا للارضاع الطبيعي ولكن هذا الوضع اختلف الان خاصة اذا كانت الام تحت اشراف طبي كفيل باستمرارية الام على العلاج الفعال والغذاء المناسب .

وتوجد بعض الحالات التي تشكل موانع وقتية للارضاع الطبيعي مثلالتشوهات الخلقية عند الطفل والفراج واصابة الطفل بضمور الفك السفلي او وجود خراج في ثدي الام ، هذه الحالات تعيق من عملية الارضاع الطبيعي الناجحة ولو انه كثيرا ما يستفيد الطفل مع ذلك من حليب الام عن طريق الزجاجة او الملعقة ،وقد تضطر الام احيانا الياستعمال الحلمات الصناعية اذا ما كان عندها تشوهات في الحلمة كالحلمة المسطحة او الحلمة الغائرة او القصيرة . ولا تنس ان هناك الاطفال المصابين بحساسية الحليب او سكرالحليب الذين لايستجيبون لحليبالام وانما لحليبصناعي خاص مثل الحليب الخالي من سكر الحليب والمزود بالفيتامينات الضرورية للطفل والمتوفر بالاسواق تحت اكثر من اسم .

عندما كانوا يتكلمون العربية فى يوغوسلافيا

بقلم : اسماعيل احمدى

المدرس بجامعة بريشتنا اليوغسلافية



عنيت الفتوحات العثمانية عناية كبيرة بتأثير الثقافة الاسلامية على شعوب البلقان ، وهى لم تؤثر على النظم الادارية فحسب بل أثرت فى جميع مرافق الحياة من ادارية واقتصادية واجتماعية ودينية مما ادى الى تكوين حياة جديدة ٠

ان الفتوحات جاءت بلغة وثقافة جديدتين كانتا مقصورتين على الجزيرة العربية كما هو معروف ٠ ومع الفتح الاسلامي خرجت اللغة تسير فى ركابها ، ومع الانتصار فى الفتوح أخذت اللغة العربية توطد اقدامها فى البلاد المفتوحة ، بل اخذت تحل محل اللغات المحلية شيئا فشيئا لانها لغة الحاكمين الجدد ، ولانها لغة الدين الجديد الذى آمن به كثير من الناس ، ولانها اصبحت لغة الدواوين فاقبل على تعلمها الجميع ٠

لقد ازاحت اللغة العربية امامها فى اول انتشارها اللغات المحلية التى كان يتحدث بها شعب مقدونيا و قوصوى ، بحيث لم تمض فترة وجيزة على الفتوح حتى كانت اللغة العربية اللغة العامة فى البلاد التى تم فتحها ٠ وهنا يطرح السؤال : كيف استطاعت اللغة العربية ان تكون لغة الادارة فى الامبراطورية العثمانية فى اوائل القرن الخامس عشر فى هذه البلاد ؟

منَّ المعروف لدينا انها كانت لغة الدولة الى اواخر القرن الثالث عشر فى آسيا الصغرى اى الى تلك الحقبة لم تكن اللغة التركية رسمية ولا لغة ادارية للدولة العثمانية ٠

ويؤكد احد العلماء الاتراك انه فى الفترة السلجوقية كان حديث عامة الناس فى ديار بكر

باللغة العربية وانها كانت لغة رسمية ، ويقول ايضا ان كثيرا من الشعراء الاتراك يشكون من صعوبة نظم الشعر وايجاد الفاظ شعرية مناسبة للقصيدة .

وكان للنزعة الدينية وقدسية هذه اللغة اثر كبير في انتشارها ، فلم تكن هناك كتابة سوى العربية ، لذلك ليس من الغريب اذا وجدنا اليوم كل مراسيم الدولة مكتوبة بهذه اللغة .

وبصدد انتشار اللغة العربية وثقافتها لابد من ان نلقى نظرة على وسائل تدريس هذه اللغة ومستوى التعليم في مدارس مقدونيا وقوصوى ، كما سنتطرق للحديث عن مكاتب الصبيان والمدارس كعوامل اساسية في دراسة هذه اللغة في هاتين المنطقتين .

الكتاتيب

كانت مكاتب الصبيان معاهد اساسية لتعليم صبيان المسلمين وسميت دور التعليم وكذلك « صبيان مكتب » ويدرس في هذه الكتاتيب صبيان المسلمين من كلا الجنسين الذكور والاناث التعاليم الدينية والواجبات الاخلاقية ، اما المواد الرئيسية التى درست في تلك الكتاتيب فهى :

قراءة القران الكريم ، وقراءة بعض القصائد الدينية . اما بالنسبة لتعليم الكتابة العربية فكانت حينئذ كتيبات صغيرة تسمى : الف باء سفارا وهو ما يعادل اليوم الكتاب الصغير الذى يدرسه التلاميذ في السنة الاولى والثانية من المرحلة الابتدائية .

وبهذه الكتيبات تعلم الصغار الابجدية العربية ، وكانوا ينتقلون من سفارة الى اخرى اى من كتيب الى اخر . لانه كان مقررا عليهم عدة سفارات فاذا انهى الصغير قراءتها كلها انتقل الى قراءة المصحف الكريم وحفظ بعض سوره .

وقد كان حرص مسلمي مقدونيا وقوصوى على تعليم اطفالهم هذه المبادىء عظيما ، الامر الذى يبدو في العبارات المختلفة التى وصلت الينا مثل هذه العبارة : ويبنى مكتبا واحدا لاجل تعليم الادب والقران العظيم لصبيان الفقراء والمساكين » والعبارة الاتية : «ويبنى بقربها بيتا لتعليم القران الكريم وتفهم الصبيان وعين بيتا ليسكن الامام بقرب الجامع الشريف وهذه العبارات واضحة تدل على مدى رغبة مسلمي مقدونيا وقوصوى في تعليم صبيانهم اللغة العربية وعلى انهم اشتركوا اشتراكا مباشرا معنويا وماديا في تاسيس الكتاتيب والمدارس لتثقيف صغارهم بهذه الطريقة الجديدة .

اما الدولة العثمانية فقد كانت ايضا تقوم بمهمة بناء الكتاتيب لتثقيف مسلمي البلاد المفتوحة . وقد لاحظ احد الرحالة الفرنسيين تلك المدارس الابتدائية في الدولة العثمانية في سنة ١٥٥٣م وقال : ان الاتراك العثمانيين يبذلون الجهد ويحبون ان يعلموا اطفالهم الكتابة العربية .

ولتحقيق تلك الرغبة بدءا في داخل المساجد اجنحة خاصة او مباني خاصة ، وكانوا يرسلون اولادهم الى هناك ليتعلموا القراءة والكتابة وشيئا من قواعد اللغة العربية ، ويشمل هذا التعليم بناتهم ايضا وتعلمهن المعلومات ، فلا نجد قرية صغيرة الا وفيها كتاتيب للدراسة .

وكانت طريقة الدراسة في تلك المدارس الابتدائية ان يجلس التلاميذ على البساط ويقراون بصوت عال كل على حدة وهم في حلقات . وكان للقران الكريم اهمية خاصة ، وكان مادة رئيسية في تلك المدارس فان معرفة قراءته تتعلق بمعرفة الحروف العربية وحفظ بعض السور القرانية لاداء الصلاة عند المسلمين . ولذلك كان اساس تعليم الاطفال مرتبطا بتعليم القران والعلوم الاسلامية الاخرى .

وهكذا يمضى الصغير فترة دراسته في هذا المكتب الى أن يقرا القرآن كله مرتين أو ثلاث مرات . وبعد ذلك يعتبر قد انهى المرحلة الاولى من الدراسة ويقام احتفال كبير بمناسبة ختم القرآن .

والاحتفال يقام بصورة جماعية وفردية ، اما الاحتفال الجماعى فيقام اذا كان عدد الذين ختموا القران الكريم كبيرا . وأما الاحتفال الفردى فيقام فى بيت التلميذ لانه وحيد وليس هناك سبب للاحتفال الجماعى .

الخوجا والتلاميذ

ولم يكن هناك حينئذ وقت محدد لالتحاق الصغار بالمكتب بل كان ذلك حسب عرف المنطقة ، فمثلا في اسكوبيا Shkup كان المعتاد ان الصغير يلتحق

بالمكتب عندما يكمل اربع سنوات ، وفي المناطق الاخرى عادة يلتحق الصغير في سن السابعة • وكان المعلم يدرس كل واحد على حدة ويعطي لكل صغير درسا ويسمى هذا الدرس صباحا وهذا بالطبع بعد ان يستمع المعلم الى الدرس القديم فاذا درسه دراسة جيدة يعطيه درسا جديدا او «صباحا اخر» وان لم يستوعبه فلا ينقله الى درس جديد •

وكانت الدراسة تبدأ في الصباح الباكر ولذلك سمي الدرس «صباحا» وكان هناك فراغ واستراحة في الظهر لصلاة الظهر وتناول الغداء ، وبعد الغداء ، تستمر الدراسة حتى غروب الشمس

وكان المكتب يشتغل كل يوم عدا يوم الخميس بعد الظهر ويوم الجمعة كله وايام الاعياد الدينية ويبدو ان اطفال بعض الاغنياء كانوا يتعلمون في بيوتهم ، وتدل على ذلك العبارات التي تشير الى ان المكتب قد بني لصبيان الفقراء والمساكين •

وفي بعض الاحيان كانت للكتاتيب أبنية راقية تعلوها قباب ضخمة مع قاعة واسعة للمحاضرات أو ما سميت «درسخانة» وبجانبها غرفة صغيرة للمعلم ومساعده • اما الكتاتيب في المحلات العادية فكانت مجرد بناء بلا قبب وهناك قاعة للمحاضرات فقط وبعد انهاء الصغير هذه المرحلة الابتدائية يستطيع ان يذهب ليشتغل لدى الصناع أو التجار ، حسب المرحلة العائلية •

فاذا كانت عائلته ذات سمعة طيبة تفتح له أبواب المستقبل ، والمهم ان تعطى للصغار المبادىء الاولى للحياة وان يفتحوا لهم ابوابا كثيرة من حيث العمل والعلم • اما الصغار الذين انهوا الكتاتيب الخاصة للدولة فهم يتفرغون لتخصصهم بفنون خاصة يعينهم في مختلف وظائف الدولة في قصر السلطان • ومن الطبيعي ان يواصل المتفوقون دراستهم على المستوى الثانوي •

وكان المعلم مسؤول المكتب وقد اشتهر عند عامة الناس باسم خوجا • ولنيل هذه الدرجة العلمية ينبغي للانسان ان يكون قد درس بالمدارس وتميز بالاخلاق الحسنة • وكان مكلفا بهذه المهمة امام المسجد والخطباء وحفاظ القرآن الكريم • اما في كتاتيب البنات فكانت المعلمات يقمن بمهمة التعليم وكانت تختار امرأة كبيرة السن تجيد قراءة القرآن الكريم والمواد الاساسية التي تدرس بالمكتب •

اما ما يتعلق بالكتاتيب التي كانت بالقرى البعيدة فانه لم يكن لتلك الكتاتيب معلمون معينون ، وكان بعض المعلمين يقومون بمهمة التدريس على الرغم من بعدها والمسافة التي كان يقطعها الماشي الى المكتب •

وكان مؤسس المكتب هو الذي يقوم بترشيح المعلم ، ويصدر القاضي قرار التعيين • ويسمى القرار «برات» وكان المعلم يأخذ مخصصاته اعتمادا على هذا القرار من الوقف• وكانت مخصصاته تعادل مخصصات ائمة المساجد وخطبائها • ونذكر هنا مثلا المعلم الذي كان بكتاب كوكلي بك بقرية زينوفو Zinovo قرب مدينة بريزرن Prizren . وكانت مخصصاته اليومية اقجين وهي عملة فضية تداولها الاتراك اول مرة في عهد ارخان والد مراد الاول وهذه المخصصات لم تكن ثابتة وكانت تتغير حسب تغيرات المعيشة حينذاك• وقد بدا تأسيس الكتاتيب كمنشآت اولى للتثقيف في العالم الاسلامي في مقدونيا منذ انتشار الاسلام وثقافته ، ومعنى ذلك انها قديمة العهد في هذه البلاد •

وكان في اول الامر يخصص ركنا من أركان الجامع لتعليم الاطفال المبادىء الاولى للقراءة وبازدياد محلات المسلمين وزيادة عدد السكان يوما بعد يوم احتاج الامر الى انفصال المكتب من الجامع والمسجد وبناء ابنية خاصة لابناء المسلمين• ويزودنا الرحالة اوليا جلبي بلمحة واضحة عن كثرة هذه الكتاتيب في مقدونيا وقوصوى وهي كما يقول الرحالة كانت ٧٠ مكتبا في اسكوبيا واشهرها كوجا مصطفى باشا ، وفي اخريد ٧ كتاتيب وفي غوستوار سنة ١٦٥٩ اسس محمد باشا جامعا ومكتبا بجانبه ، وفي اشتيب ١١ مكتبا ، وفي مناستير Manastir ٥٠ مكتبا وهذه البلدان تحمل نفس الاسماء الى يومنا هذا في مقدونيا •

ولا نغالي اذا قلنا ان عدد الكتاتيب يزيد عن الالف في مقدونيا وقوصوى وكل هذا دليل واضح على مدى اهتمام العثمانيين بنشر اللغة العربية وثقافتها في هذا القطر على الرغم من الفترة

التي واجهوها حينئذ ٠ كانت هذه الوسائل الاولى لتعليم اللغة العربية ، في هذه المعاهد يعلم الحرف الاول للابجدية العربية ، ٠

٥ درجات للمدارس

بعد الكتاتيب نأتي الى المدارس

وقبل الحديث عن مدارس مقدونيا وقوصوى لابد من ان نعطي لمحة مختصرة عن نشأة المدارس العثمانية لان هذه المعاهد التعليمية وليدة تلك المنشآت الثقافية ٠ واذا نظرنا الى تاريخ نشأة هذه المدارس ، نجد ارخان بن عثمان ١٣٢٤ ـ ١٣٦٠ م قد انشأ المدرسة الاولى سنة ١٣٣١ م وعين داود مدرسا لها وهو المترجم التركي المشهور لمؤلفات ارسطو وكان قد تخرج في مصر ٠

اما المدرسة الثانية فقد انشأها قائد جيش ارخان واسمه لالا شاهين في مدينة بورسه ٠ وهكذا بدأ سلاطين الامبراطورية العثمانية ووزراؤها وقادتها بانشاء المدارس والجوامع والكتاتيب في الدول المفتوحة التي ادت الى انتشار لغة جديدة ودين جديد وثقافة جديدة ٠

والجدير بالذكر في تاريخ نشأة التعليم العثماني في هذه المناطق هو انشاء طراز خاص لهذه المدارس التي سميت «مدارس الثمانية» وبعد فترة سميت باسم آخر وهو « صحن ثمان » والتي بدأ بتأسيسها السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٧١م في استنبول ٠

انقسمت المدارس حينذاك الى خمس درجات ، تتميز كل درجة عن الاخرى حسب مخططات الاساتذة وسمعة مؤسسيها ، وتعتبر المدرسة في ادنى مرتبة او درجة اذا كانت المخصصات اليومية للمدرس (٢٠ ـ ٢٥) اقچة ، واعلى منها كانت المدارس التي لمدرسيها من (٣٠ ـ ٣٥) اقچة وبعد ذلك تأتي المدارس التي يعطى فيها المدرس ـ ٤٠ ـ اقچة ، والدرجة الرابعة تشمل مدارس البكوات والوزراء العثمانيين ، وفي الدرجة العليا كانت مدارس السلاطين والامراء والاميرات والمخصصات اليومية للمدرسين في مدارس الدرجتين الاخيرتين كانت ـ ٥٠ ـ اقچة ٠

ان هذه المدارس كلها كانت في مرتبة قبل دخول الطالب (الصحن) أو ما سمي «المدارس الثماني» وقد هيأت الطالب للقدوم الى الصحن ، اما مدرسة الصحن فقد كانت اعلى درجة للتعليم حينئذ ٠

ان مدارس محمد الفاتح كانت تمثل جامعة حديثة للعلوم واللغة الدينية واللغة العربية ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية ، والانشاء وعلم الكلام والفقه ، واصول الفقه وتفسير القرآن والحديث ٠ وهكذا زودت هذه المدارس الدولة العثمانية بالرجال في ميادين عدة من مدرسين وقضاة ورجال دولة ٠

ولانتقال الطالب من المدارس المذكورة الى مدرسة الصحن ينبغي ان تكون له شهادة او ما تسمى «اجازة» يشهد فيها المدرس ، بان الطالب قد انهى كذا من السنين الدراسية ، وتذكر ايضا المواد التي درسها بالمدرسة ٠

ولم يكن هناك وقت محدد للدراسة ، ولكنها تتعلق بمهارة الطالب ، فاذا كان الطالب مجدا وماهرا ، انهى دراسته بسرعة : وان لم يكن كذلك فان دراسته تستغرق خمس عشرة سنة او اكثر ٠ بعد انتهاء الطالب من هذه المدرسة يصبح مدرسا او قاضيا أو يتوظف في احدى وظائف الجيش وكانت مدارس « صحن ثمان » أعلى درجة من كل المعاهد العلمية في أوربا الى القرن السابع عشر، ولكنها بعد هذه الفترة بدأت تضعف يوما بعد يوم، وخاصة عندما بدأ علماء استنبول يعينون في تلك المدارس غير المهيئين لهذه الدرجة العلمية ٠

ونحن نعلم ان تلك المدارس في القرن الخامس عشر والسادس عشر ، قد خرجت علماء على مستوى علمي كبير فنشاهد في النصف الثاني من القرن السابع عشر ان المواد العلمية مثل الرياضيات والفلسفة والطب كلها كانت تدرس من قبل علماء كبار وشيوخ اجلاء نقلوها اخيرا الى مدرسين غير قادرين على التعليم ٠ انها كمعاهد للتعليم انتقلت الى مقدونيا وقوصوى بعد ان قامت بدور مهم في التاريخ الثقافي لآسيا الصغرى وهكذا مع الفتوحات ، عرفت بلادنا هذا النوع الراقي من المدارس لنشر الثقافة العربية ٠ انها اولى المعاهد التي وضعت اساس اللغة العربية وثبتت قواعدها في هاتين المنطقتين، وان اولى المدارس في مقدونيا وقوصوى وفي بلاد

يوغسلافيا كلها هي المدارس التي انشئت في مدينة اسكوبيا .

وهنا ينبغي ان نذكر اوقاف القائدين المشهورين اسحق بك ١٤٤٥ م وابنه عيسى بك ١٤٦٩ م في اسكوبيا التي ساهمت في انشاء هذه المنشآت العلمية . ومن اشهر المدارس في اسكوبيا مدرسة اسحق بك وعيسى بك ، وهاتان المدرستان كانتا من الناحية العلمية فريدتين في البلقان .

وهناك مدرسة السلطان مراد ومدرسة يحيى باشا ومدرسة مصطفى باشا . والى جانب هذه المدارس كانت في هذه المدينة مدارس اخرى تسمى « دار القراء » و « دار الحديث » .

وكانت مواد تلك المدارس : تجويد القرآن الكريم وتلاوة كتاب الله بالقراءات السبع . وكان من هذه المدارس الخاصة في اسكوبيا ايضا المدرسة التي سميت « دار الحديث » وهي خاصة بدراسة الاحاديث الشريفة من الكتب الستة المعتبرة في علم الحديث . ومثل هذه المدارس كانت في اخريد مدرسة قوجة سياوش باشا ، وفي داخل هذه المدرسة كانت ساحة واسعة حولها غرف للسكنا ، ولهذه المدارس مدرسون مختصون .

الصورة في مقدونيا

وهناك مدارس اخرى من هذا الطراز في مقدونيا . ففي اسروغا مدرسة واحدة وفي مناستير تسع مدارس وفي كومانوفو مدرسة واحدة . وكذلك كان الامر في منطقة قوصوى ، فقد كانت اللغة العربية وآدابها تدرس في مدن قوصوى . ونذكر هنا المدارس المهمة التي درست هذه اللغة والمواد التي كانت من ضمن تعليم اللغة العربية وانتشارها في المنطقتين اللتين نتحدث عنهما . ومن هذه المدارس : مدرسة محمد باشا في مدينة بريزرن التي اسست في اوائل القرن السادس عشر ، وقرب هذه المدينة اقام محمد باشا جامعا وعمارة وزوايا .

وللمدرس معيد بالمدرسة وله ـ ٤ ـ اقجة في اليوم . وهناك معيد اخر اي بالدرجة الثانية وله ـ ٣ ـ اقجة يوميا ، ويكلف عادة بمهمة المعيد الثاني احد طلبة الصحن . وكانت لهذه المدارس مكتبات تابعة للاوقاف ، ولايزال بعضها قائما الى اليوم ويحتفظ بمئات الكتب ومعظمها باللغة العربية .

وهكذا ، فقد بنى الاتراك المدارس في كل مكان وتجدها كذلك في المناطق العليا غير الساحلية، وفي قرى كثيرة ولذلك لم يكن من السهل في هذه الاماكن ان تزود المدرسة والطلبة بالحاجات المطلوبة الملائمة للحياة .

ولا ندري ما اذا كان النظام الدراسي في المدارس ثابتا او متغيرا وما التغيرات التي كانت تجري فيه ، وذلك لعدم وجود ادلة توضح ذلك . وكانت الدروس تحمل اسم الكتاب الذي كان يدرس ولم يكن وقت الدرس محددا ، بل كان ذلك حسب الاستاذ والطلبة اي حسب ميولهم للدروس ، فكان يقضى احيانا في دراسة كتاب ما سنة او سنتين .

ويبدأ المدرس بالطلاب الجدد الذين ينظمون حلقة من بداية الكتب ويستمر بتدريس المواد من العلوم المختلفة حسب النظام الدراسي المتبع . وهكذا بعد اربع او ست سنوات ينهي الطالب الجزء الاول من دروس المرحلة الوسطى . وتشمل هذه الدروس ثلاثة او اربعة كتب في الصرف والتربية الدينية وفي التوحيد والعبادات والاخلاق .

وبعد هذه المرحلة ينتقل الطالب الى المرحلة الثانية او الى الدور الثاني من المرحلة الاولى والذي كان يدوم اربع او ست سنوات اخرى ، ويدرس فيها المواد التي درسها في الدور الاول من المرحلة الاولى ، الا ان هناك تفصيلات اكثر في المواد المذكورة . ونذكر ايضا انهم اضافوا في الدور الثاني مادة جديدة وهي مادة المنطق .

وبعد انتهاء الطالب من هذه المرحلة الدراسية ينتقل الى مرحلة جديدة تختلف عن سابقتها ، وهي المرحلة العالية ، ويدرس الطالب فيها تفسير القرآن والحديث واصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة . وبعد ان ينتهي الاستاذ من القاء الدروس المقررة يقدم الطلبة امتحانا ، فاذا نجح الطالب منحه الاستاذ اجازة يثبت فيها ان الطالب فلانا قد حضر واستمع ونجح في الدروس المقررة في المدرسة وانه يسمح له ان يدرس العلوم التي قد تعلمها من استاذه .

وبهذه الاجازة او الشهادة كان من حق الطالب المتخرج ان يعين في المناصب والوظائف الدينية وغيرها كوظيفة الامام بالمسجد او الخطيب او المعلم او المدرس او القاضي او شيخ الاسلام .

من هنا نرى المدارس في مقدونيا وقوصوى في الفترة التي نحن بصددها هيات جيلا جديدا يخدم البلاد في جميع الحقول.ونرى ايضا ان متخرجيها قد اشتغلوا في مناصب عدة ، وهذا يدل على ان تلك المدارس لم تكن ذات اختصاص ضيق بل كانت اعمق مما يتصور البعض . اى اكثر من كونها لاغراض دينية فقط . ويؤكد ذلك قول احد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا يوغسلافيا وقال : « انها فيمستوى المعهد العالي بباريس » ونضيف ايضا ان مدرسة عيسى بك وكرال الكسندر في اسكوبيازودت يوغسلافيا بعلماء وهي وليدة تلك المدارس العثمانية .

ومدارس خاصة ايضا

والى جانب المدارس العامة كانت في مقدونيا وقوصوى مدارس خاصة وكان اكثرهم يهتم بقراءة القرآن بالقراءات السبع وهي «دار القرآن» والى جانبها كانت«دار الحديث»التيتعنى بدراسةالحديث اما من الناحية الهندسية فقد كانت مشابهة للمدارس العثمانية الاخرى ، اذ كانت تنشا في صحن الجامع او بصورة مستقلة وفيها مسكن للطلاب . اما ما يتعلق بمناهج هذه المدارس فقد كانت تختلف باختلاف درجاتها وهذه الدرجات خمس ، ففي الدرجة الاولى يدرس الطالب مبادىء اساسية في النحو والصرف والرياضيات والجبر اما في الدرجة الثانية فيدرس الطالب الى جانب ذلك مادة المنطق والبلاغة والعقائد .

وفي الدرجة الثالثة يدرس المواد السابقة الى جانب اصول الفقه والفلسفه والادب . اما في الدرجتين الاخرتين فالى جانب هذه المواد يدرس الطالب الشريعة الاسلامية وتفسير القرآن والحديث .

ولم تكن مدارس مقدونيا وقوصوى في درجة « صحن ثمان » بل كان طلابها يتهياون للقدوم الى هذه المدارس .

اما من حيث اللغة العربية وقواعدها فدرست : مثلا فيالصرف كتاب محمد برغوى وهو نحوى تركي وقد قسم كتابه الى فصول هي :

الاول اظهار الاسرار ، وهذا الفصل يتعلق بتصريف الافعال في جميع الاوزان ، اذ يقول : نصر ـ ينصر ـ نصرا فهو ناصر وذاك منصور لم ينصر لما ينصر . وهكذا يستمر الى نهاية تصريف الافعال ـ الثاني ، يتعلق بالافعال وضروبها اذ يقول : ان الافعال على ضربين اصلى وذو زيادة الخ ـ الثالث ، البناء وفيه يتحدث عن ابواب التصريف اذ يقول انها خمسة وثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي المجرد ـ والرابع ، العوامل يتحدث فيها عن اهمية معرفة الاعراب وهكذا يختتم الكتاب بهذه الفصول ، وقد درسوا ايضا الشافية لابن الحاجب ، وشرحه للامام رضي الدين الاسترابادي المتوفى في عام ٦٨٨ هـ .

اما في الفقه الاسلامي فقد درسوا كتاب : « ملتقى الابحر » .

وفي العقائد درسوا : عمر النسفي .

اما في الحديث فهناك كتاب يسمى « رموز الحديث » ودرسوا صحيح البخاري وصحيح مسلم ورياض الصالحين وغيرها من كتب الحديث .

وفيالبلاغة درسوا كتاب «مختصر المعاني» لمسعود ابن عمر التفتازاني .

اما في الفلسفة فلم نجد في جداول الدروس كتابا معينا ولكن يبدو انهم درسوا الفلاسفة المسلمين مثل ابنسينا والفارابي وابنرشد وابن خلدون .

وقد ظلت هذه المدارس والمنشات تؤدي دورها الجليل طوال الحكم العثماني ، حتى بدات اوروبا تغزو الامبراطورية العثمانية من الداخل في القرن ١٩ . ان اهداف هذه المدارس خرجت من الطابع الاقليمي واخذت طابعا عاما واتخذتمكانة فريدة في تاريخ نشر اللغات والثقافات كما هو الامر مع اللغة العربية في هذه البلاد .

واننا نرى ايضا نتائج تلك المدارس في بلاد مقدونيا وقوصوى اذ تعلم وتخرج فيها علماء فضلاء وكتاب وشعراء مجيدون . ■■

بريشتنا ـ اسماعيل احمدي

اقيم حفل على شرف فلان

كان استاذنا الكبير عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ يضيق بمثل هذه العبارة « اقيم حفل على شرف فلان » للتعبير عن سبب الحفل او مناسبة اقامته . وكان يرى ان يقال مثلاً « اقيم حفل تكريماً لفلان » أو « احتفل بتكريمه » فذلك أولى واقرب لذوق الفصيحة . ومن مفعولاتها « المفعول لاجله » .

ولكن يظهر ان مثل هذه العبارة قديم في لغتنا ، وان كان لم يشع كما هو شائع الآن على ألسنة الجماهير . ومن ذلك قول الشاعر بشار بن برد (ت ١٦٦ هـ) في ضيقه بفساد الزمان ودعوته الى الشراب للتسلي عنه :

فاشرب على أُبنة الزمان فلا
تلقى زماناً خلا من الأُبن

ومعنى «الأبنة » «اصلا » « الفساد »

ومثله قول الشاعر الكبير ابي نواس (ت نحو ٢٠٠ هـ) في احدى خمرياته ، يدعو الى الشراب احتفاء بموسم الربيع وتجدد الطبيعة فيه :

أما ترى الشمس حلّت الحملا[1]
وقام وجه الزمان واعتدلا
وغنّت الطير بعد عُجمتها
واستوفت الخمر حولها كملا[2]
واكتست الأرض من زخارفها
وشيَ نبات تخاله حُللا
فاشرب على جدّة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان مقتبلا[3]
من قهوة تذهب الهموم فلا
أرهب فيها الملاء والعذلا[4]

ومن احدى خمرياته في استقبال الربيع قوله :

فاشرب على جدة الزمان فقد
وافى بطيب الهواء معتدله
من قهوة تذكر السرور وقد
من الهم عند اعتراض مُشكله[5]

---

(١) الحمل : أحد الابراج الاثني عشر التي تتنقل بينها الشمس في رأي العين ، وهي تحل هذا البرج بين ٢١ من مارس (آذار) اول فصل الربيع ـ الى ٢٠ من ابريل (أيار) .

(٢) استوفت حولها كملا : أي تمت عاما كاملا

(٣) مقتبلا : مقبلا

(٤) القهوة : الخمر . والعذل : اللوم ، ومنه العاذل والعذول في الحب وغيره ، والعاذلة والعواذل .

(٥) المشكل : المشكل الذي يحتاج الى حل حتى يذهب الضيق بسببه .

(٦) نصوص أبي نواس هنا منقولة عن ديوانه الكامل

(٧) مجلة المورد العراقية المجلد /٥ العدد /٣ص/١٧٢

بقلم : محمد خليفة التونسي

ومن اشهر خمرياته قصيدة مطلعها :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند
واشرب على السورة من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها
أجدته حمرتها في العين والخد[6]

والشاهد هنا قوله « واشرب على السورة » أي احتفاء به .

ويقول معاصره الشاعر بكر بن النطاح المتوفى سنة ١٩٣هـ وقد هجرته محبوبته .

أشرب الخمر على هجرها
إنني – اذن – بالهجر مسرور[7]

ومن اجل القصائد الصوفية واشهرها قصيدة ميمية في الحب الالهي لشاعرنا عمر بن الفارض (٥٧٦ – ٦٣٢ هـ) يتناشدها اهل الأذكار منها هذا البيت :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرمُ

ولا نعدم خلال مطالعتنا في كتب التراث مثل قولنا « ارتقى سعيد منصبه لا عن جدارة ، بل على وجه أخيه » اي مراعاة لجاه اخيه .

ويلاحظ ان الحرف « على » في كل هذه العبارات يبين السبب فهو مثل لام التعليل في معناه .

انسان و انسانة

وكانت كلمة « انسانة » قد وردت – من غير قلمنا – في عنوان مقالة لنا ، موضوعها شخصية شاعرتنا العظيمة « الخنساء » (العربي/٢١٠) . فانكر علينا احد القراء استعمال « انسانة » وذكر انها لم ترد عن العرب ، وقد اجبناه حينئذ (العربي/٢١٧) بما يقطع بورودها عن العرب منذ الجاهلية ، ونضيف هنا الى ما ذكرناه انفا نصين : أحدهما في ديوان أبي نواس ، يصف علته بالفواق (ترديد الشهقة العالية) من جراء امرأة تعلق بها ، اسمها « سمجة » اذ قال :[8]

اعتل بالماء ، فادعو به
لعلها تنزل في الماء
ويعلم الله على عرشه
ما طبي الماءُ ، ولا دائي
الا لما ألقى بانسانة
مختالة في نعل حناء[9]
لوظفرت كفي بها مرةً
أكلت في سبعة امعاء[10]

وفي كتاب « الحيوان » للجاحظ (طبعة الساسي ٢/١٠٤) ما نصه « ويقال : انسان وانسانة ، وسبع وسبعة » للتفرقة بين المذكر ومؤنثه . ■■

(٨) وردت الابيات في اول قصيدة من الباب العاشر ص ٣٤٧ (الديوان الكامل)

(٩) أي قدمها مصبوغة بالحناء ، كأنها نعلها

(١٠) يشير هنا الى ما جاء في الأثر ، من أن المؤمن يأكل في معى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء .

خطاب الى صديق



اخى الصديق ، أسفي عليك اذ يزور الناس اذ يسمعون اسمك ، وكأنهم ما سمعوا شيئا ، عيونهم تبهت النظرة فيها وتتوه ، وكأنى اكلم اصناما بلا حياة ، او كأنهم يسمعون كلاما بلا معنى .. اسفى عليك ...

ـ تسمح يا بيك الى الداخل قليلا فلست استطيع ان اريح قدمى .. واخشى ان ادوس قدمك ..

ـ أسف .. ولكن تفضل ، انت تعرف من امامى يضغطون ، ومن يقفون خلفى يدفعون بكل قوتهم .. ولا مكان .. لا مكان لشيء ، ولا حتى لقدم ..

ـ اذن عذرا ..

ـ اعرف ولا اعتذار .

ويمضى قطار المترو اللعين .. والصباح بعد طفل في يقظته ، والعيون وسنانة ، والايدى متهالكة ، ودفع الاجساد لين متراخ سقيم .. والروائح باهتة ، والمترو يمضى في صخبه يهز الاجساد ، والأذرع الممتدة تتلمس ما تستند اليه ، والسيقان الملتصقة تريد أن تجد مكانا للأقدام .. اى مكان .. اى مكان .. اى مكان ..

لهفى عليك ، رسالتك الباكية جاءتنى منذ أيام ، وانا كلما قرأتها ملأت عينى دموع لاتريد ان تظهر للناس ، فهى ضعفك وضعفى .. ويحى وويحك من الناس ، لو يعلمون ، هو ضعفهم ايضا ، هو تعاستهم وحزنهم ، ولكنهم لا يعرفون ، ابدا لن يعرفوا ... كيف يعرفون والرخ يفرد جناحيه على المدينة وسطها ببيضته العالية الفائقة المقيتة ، يثور ان أحد اقترب من البيضة ، يثور ، ويخاف .. انت تعرف هو جبان .. نعم .. الرخ جبان يخشى ان ينفتح القشر عن البيضة فيفوح العفن ، ويظهر العفن ، وتزكم رائحته العفنة الانوف المخدرة بالعطور المستوردة ..

ـ يا استاذ من فضلك ، أضع الشنطة فوق الرف ان لم يزعجك .

ـ لا ، عفوا ، هاتى الشنطة يا مدام ، احطها انا دونك ..

بقلم : فاروق خورشيد

ـ لا ، كل ما ارجوه هو ان تضعها فوق الرف فهو بعيد عني ..

ـ امرك ، هاتها ، فالرف قريب جدا مني ..

ـ شكرا يا استاذ ..

ـ عفوا يا آنسة .. آسف .. عفوا يا مدام .

ـ لا بل آنسة .

ـ اذن لم اخطيء ؟

ـ ابدا ..

ـ تقدمي الى هنا خطوة تستريحين ..

ـ اشكرك ، فعلا .. هذا احسن .. اشكرك .

ـ ثم تردد عجلات القطار في انتظام رتيب ..

ـ اشكرك ... اشكرك ... اشكرك .

واهمس لنفسي وانا اطرق فيندس رأسي في كتف رجل يقف امامي .

ـ أرحمك .. ارحمك .. ارحمك ..



ويمضي القطار .. وتجري الحقول الخضراء ، والمنازل الواطئة ، وأعمدة التلفون ،وأناس يقفون عند المحطة لا يقف عندها المترو العتيد المندفع ... يصخب ويجري ، ويلهث ويجري ، ويندفع ويجري ..

ويزور الناس حين يسمعون اسمك ، كأنك لعنة تقود الى قدر مخيف ، كأن حروف اسمك لعنات ينتظرها رجال مجهولون يقفون خلف المقاعد ، امام المقاعد ، حول المقاعد ، ليمدوا أنيابهم العفنة الى كل من سمع الحروف ولم يستنكرها .. الى كل من سمع الاسم ولم يزور ، الى كل من صافح سمعه اسمك ولم يصرخ .. لا .. لا لا أعرفه .. والمترو يمضي في صخب يصيح ...

ـ لا اعرفه .. لا .. لا اعرفه .. لا .. لا اعرفه .

وفي الركن المنزوي المضغوط همس غريب ..

ـ الاترى .. ماذا يفتنا هذا المأفون .. عيناك لا ترى ؟ .

ـ ماذا تعني .. ؟

ـ الولد المخنفس ، صاحب الشعر المنسرح الطويل الا تراه ؟

ـ هناك عند الشباك .

ـ لست ارى الا مزيجا من اجساد ، والوان ثياب ، وحركات رؤوس .

ـ ذلك انك اعمى لا ترى .. غر لا تفهم ..

ـ فماذا ارى وماذا افهم .. ؟

ـ الولد المخنفس ..

ـ ماله ؟

ـ يحتضنها كلها .. الست تراه ، انه يحيطها بذراعيه وساقيه ، ويدس رأسه بين خصلات شعرها كأن احدا لا يراه .

ـ استغفر الله يا رجل .. هي الزحمة .

ـ زحمة .. ؟ ..

والقلم لا يستطيع الكتابة فهي تمسكه بيدها لألتفت اليها ، شفتاها رحيق من عبق غريب لارض احلام لم يطأها قدم بشري ، وهمس شفتيها عبث الكلام عند

الشفق ، والقلم يتعثر ، ويصمت ، ويكف .. وانا لا ادري .. اين انا .. شفتاي تغوصان في شفتيها ، وجسدي كله يرتجف ، فانا املكها ، هي تمتلكني كل وتهمس .

ـ لماذا القطار ؟ ولماذا هذا السيد .. ارجوك كن معي .. فأنا اريدك .. اضيع في عطر وبخور ، وضوء خافت ، وموسيقى ، وشراب كالرحيق ، وانفاسها بقايا احلام وسحر ، واهمس ...

ـ ابدا انا معك .. من سيد ؟ ومن الف سيد يا حلوة .. ؟ أنا لك .. أنا لك ، أنا لك والمترو يصيح في جلبة ...

ـ انا لك ... انا لك ... انا لك ...

وتتأود . وتهمس ..

ـ يا مجنون ..

ويعود المترو من جديد يصيح ..

ـ يا مجنون .. يا مجنون .. يا مجنون .

يا الهة المتعة ، يا اله العذاب ، يا الهة النسيان ، حسبك لحظة فهو صديقي وأنا لا اريد ان انساه .. عفوك .. اترك لي الا انساه .. حتى وسط كل متع الدنيا ولذات الوجود لا اريد ان انساه .. فهو لم ينسني وسط كل تعاسات الدنيا وضنك الوجود ، ابدا لم ينسني . وانا لا اريد ان انساه . ويحه ، اسمه وصمة حتى للمرأة المباحة ، اسمه وصمة لا تريد ان تعرف انها عند انسان يعرفه .. يا ضياعك يا صديقي .. يا ضياعك .. وتمضي اللحظة الحلوة ، واشرب كأسي ، واذكرك ، وحدي اذكرك .. فهي لاتريد ان تعرف انني اعرفك .. عفوك .. فهي تخاف السلطة ، ورجال السلطة ، واذان السلطة ، وشفاه السلطة . ولكنها تحب نقودي ، وانفاسي ، وكلماتي المحمومة ، ولمسة يدي الصارخة بكبت طال حتى غدا سعارا يحرق القلب والانفاس واليد والجسد ، ويمحى من الجسد .. اعذريني يا حلوة فصديقي غائب لا يجيء ، وحين اذكره أنسى ضياعي وضيقك .. وأحب ، ويحك ، ان انسى العفن .. واسمك كالصدود وكالسحر ، كالظلم ، ولكني صاحب الظلم المسحور ، صنع بالحكمة ، ويبوح بسره للحكمة .

ويصيح المترو في حركته الصاخبة وهو يشق الهواء شقا ...

ـ لا انساك .. لا انساك .. لا انساك ..

ـ تسمح ..

ـ ماذا ؟

ـ سيجارتك مشتعلة ، وليس معي كبريت ، هل اشعل سيجارتي من سيجارتك ..

ـ تفضل ..

ـ ارجو الا يضايقك هذا ..

ـ ابدا تفضل .

ـ شكرا ..

والمترو يصرخ وعجلاته تئز ..

ـ شكرا .. شكرا .. شكرا .

ويقول المذيع الدبني .. صديقك تعرفه . يقول في نهاية برنامجه المسجل من المدينة الجريحة ..

ـ شكرا .. شكرا .. من مدينة السويس ..

واغلق الراديو وتثور في قلبي عواصف وتطفر الى عيني دموع .. هي دموع الغيظ والذكرى والامل المخنوق ، وانه مأبون لعله مأبون من يدري ؟ فالمأبونون يئدون كل حلم في دنيا لا رجال فيها ولا نساء .. ولا وجود الا لأشباه الرجال وأشباه النساء .

ـ الا ترى الخنفس .. ؟

ـ اخفض من صوتك ربما يسمعك ..

ـ وماذا في ان يسمعني الم يطل شعره كالنساء ليسمع همس الرجال عنه .

ـ لا تنس تأوهات النساءحوله .

ـ اشك .

ـ انت لاتعرف النساء .

ـ ربما .. ولكن حاذر .. فهو يلتفت ناحيتنا .

ـ ورق .. ورق .

ـ قاطع التذاكر ..

ـ هو بعيد في اخر العربة .

ـ لا يمنع هذا ان تعد له النقود .

ـ وسط هذا الزحام كيف يمكن ان تعد له النقود ؟ الا اذا اردت ان ترشد النشالين الى مكان المحفظة .

ـ المحفظة .. قل يا باسط ليس فيها الا قروش .. هل يوجد الان نشالون .. وان وجدوا .. ملاليم ارزاقهم او قروش .

ـ حتى النشالين .

ـ حتى الشالين يا سيد .
ـ ورق .. ورق .. ورق ..
ـ والمترو يأكل الهواء اكلا فيصرخ الهواء تعاسة ، وألما ، والمترو عجلاته تصيح في رتابة .
ـ ورق .. ورق .. ورق ..

... ...

اخى الصديق سيد .. هل تعرف معنى السأم .. ان يغدو كل شيء ككل شيء . حتى صدر امرأة ، وبقايا كأس ، وازدهار وردة ، وبسمة عذراء ، لا شيء .. وانما سأم وعدم وموات ، والعرق يتداح على الجباه ، وتحت الابط ، ومن الشعر عند الرقبة ، وتفوح رائحته من الآباط ، وروائح وروائح .. والعربة تهتز وتجرى .. وقاطع التذاكر يصيح وهو يخبط فوق أعمدة العربة الحديدية ..

ـ ورق .. ورق .. البيك ورق .. الهانم ورق .. ورق .

ـ صدق فما نحن الا ورق .. ورق .

وانت تعرفه كان صاحبا لك قال وهو يتحاشى ان ينظر في عينى ..

ـ لم اره .. فقط كنت أعبر المدينة القريبة ، وسألت عنه ، وعرفت انه بخير ، وانه ناجح + ...

ولم اره .. اقسم ، لم يكن هناك داع لان اراه ، فنحن كما تعلم نعمل في حقلين منفصلين .. لم يكن هناك داع بالمرة ، وتلفت حوله وفي عينه نظرة أرنب مذعور ، وحركته حركة عصفور يتأهب ليفرد أجنحته ويطير ، والرعب يهز قلبه الصغير .. وهززت رأسى وقلت :

ـ افهم .. مالك وماله ..

قال وهو يرفع صوته ويفرد صدره ..

ـ ليس له حق فيما فعله شيء زائد عن الحد .. ولست ادرى كيف اقدم عليه .. لا .. لا . هو مخطىء .. مؤكد هو مخطىء ..

وبحثت عن عينيه ولم اجدهما ، فقط صدمنى شموخ الانف في ترفع ، وهزة الكتف في تعال ...

واطرقت رأسى ، وصمت ..

آخر الليل كنت تأتي منكس الرأس محنى الظهر ، في الوجه قتامة ، وعند العينين ذبول ، ولكن الانف أشم ، والبسمة المرسومة تتحدى وتقول في صوت صاخب هو مزيج من التعب والألم ، والمرارة والعناء ، والخوف والتحدي واليأس .

ـ التاكسى لم يكمل ثلاثة جنيهات اليوم ، ومع هذا جبت القاهرة من أقصاها الى أقصاها : أسطى ، الى الزمالك .. من هنا يا اسطى .. وقف يا اسطى .. فاضى يا اسطى .. بين السرايات من فضلك .. البيت الثالث على اليمين .. وظهرى يوجعنى .. وآلام (عرق النساء) تفتك بى فتكا .. وابن الكلب حاق ومعه قفة ، امبابة يا معلم ، .. واضبط العداد .. فنحن لا نأكل من حركات السواقين .. تأخذ سيجارة ، وحياة النبى انت مجدع وافندى متعلم كمان .. تعيش المجدعة .. عندك هنا .. تأخذ فخدة ضانى من الجزار معنا ... لحظة يا معلم ، ونكمل المشوار .. المزاح مزاح .. تأخذ سيجارة .. والله افندى ، وابن اصول ، ما هى الأيام ترمى ابن الاصل .. يا سلام يا زمن .. بينا يا سطى على امبابة ..

والمترو يصيح في رتابة ..

ـ امبابة .. امبابة .. امبابة ..

وتصرخ المرأة في عنف .

ـ ارجوك حاسب .. ابعد قليلا .

ويصرخ الرجل في ضيق .

ـ يا مدام .. انا بعيد عنك .. لم اقترب .. ولكن المترو يدفعنا في حركته فارجوك .. أعذرى .. وتصرخ المرأة في عنف وكأنها لم تسمع .

ـ ارجوك .. حاسب .. ابعد قليلا .

ثم تزيد في شراسة ..

ـ أليس في هذا المترو رجال يغارون على النساء .. ؟ وكأنما أثارت معركة .. صاح واحد من نهاية العربة لم ير شيئا ، ولم يسمع الا كلمات المرأة الأخيرة .

ـ النذل .. اليس له اخوات ؟ .. اليست له زوجة ؟ .. الا يفهم ؟ .. الا يحس ؟ .. وصاح صبى عند الباب وجهه اندس بين ردفى امرأة وساقى عجوز ..

ـ استغفر الله العظيم ، لا يستحى ابدا ، هو كل يوم يفعل فعلته هذه في كل مترو وعند كل صباح .. يا سبحان الله العظيم .

ومصمصت امرأة عجوز شفتيها وصاحت بصوت ملأ العربة كلها ..

ـ جيل ملاعين . لا حرمة للحريم .. اين تذهب يا الله .. اين تذهب !.. وهؤلاء الكلاب ينهشون لحمنا في كل مكان .. يا سبحان الله .. يا سبحان الله .

وهمس صبي لامع العينين متوفز الحركات مضطرب الشعر ..

ـ تظن نفسها امرأة ..

وقال آخر يضم كتبه الى صدره ويجيل نظرته حوله في قلق كأنما يخشى ان يظهر له الناظر من وراء مقعد او من خلف اي راكب ..

ـ الغلطة غلطتنا ..

فعاد الفتى العريض الحلو العينين المترجرج الشعر يقول ..

ـ غلطتنا او غلطة المواقف وراءها .. سيان هي عجوز .. وان تقول هذا الكلام يعني ان هناك من أخطأ ..

فهمس صديقه الخائف وعيناه تدوران في قلق .

ـ الغلطة غلطتنا ..

وعند الباب ولد وبنت ملتصقان ، يهمسان ، الشفاه عند الشفاه ويدها تعبث بصدره ، وقميصه مفتوح وشعره الكث مباح لا ظافرها الملونة الحمراء .

وقال الولد :

ـ لاتنظر اليه هو فتوة المدرسة ..

وهمس صاحبنا المرتجف هيا يا وجلا .

ـ ولكن من معه .

ـ الا تعرفها .

ـ لا .

ـ هي بثينة أجمل بنات المعادي وأكثرهن شقاوة ، لا تنظر اليه وإلا ظن نظرتك تحديا .

ـ ولكنها تلعب في صدره وشعره .

ـ اتركها وانظر الي .. وقل لي ماذا فعلت العجوز .

ـ تلتصق بالاستاذ امامها ، وبالمعلم وخلفها وبالولد التلميذ الى يسارها ، وبصاحب اللبدة الى يمينها .. ومع هذا اسمعها وهي تصيح من جديد .

ومن وسط العربة جاء صوت العجوز الحاد .

ـ جيل ملاعين .. اين ايامنا .. لم يكن رجل يستطيع أن يرفع عينه الى سيدة ، كان يقف لها لتجلس في الترام وفي التورينكروفت .. لا .. لم يعد في هذا الجيل رجال .. وتحشر بين رجلين وتتنهد .. وتتلوى عيناها ، وتدفع كتفها الى رجل ، وساقيها الى رجل ، وعجزها الى رجل وصدرها الى رجل ، وتهمس في صخب ..

ـ لا .. جيل الرجال انقضى .. عشنا ورأينا النساء يقفن في القطار .. يا بؤس الأيام .

. . .

تعس عليك ، يا بؤس الأيام .. وأنت وحدك هناك تصنع الكلمة ، وتضع الى جوار الكلمة كلمة ، لتخلق مشرقا وعزة ، وتحس كيانا وصعودا ، وتقول وجدانا ملأك فأضجرك .. يا تعسك ما أبأس ان تقول ما في قلوبنا هذه الأيام ، ما أتعس أن تعيش ما تؤمن به .. كذبا يلفق حول الكلمات فاذا هي حبال من حرير ، لا ، بل من كتان مصري أصيل يحبط العنق ، ويضغط ، مرة في رفق ، ومرة في عنف ، ولكنه يضغط ، ويضغط ، والهواء يروح ، والانفاس تفر وتتحشرج والعمر يضيع ، ويصبح كلب ...

ـ خان فاشنقوه .

وتصبح مومس .. لم تجفف أسافلها بعد ان تركها اخر عميل ...

ـ عفن ، هو عفن .. اشنقوه فقد كذب الخديوي ، ورفع يده ضد السلطان ، وصاح بكلماته يشتم الملك ، اشنقوه .. ثم اشنقوه .. فهو عاهر .. هو عاهر .. هو عاهر ..

لهفي عليك من العواهر .. قطعن الانامل حين بدا محيا يوسف ، أغضين الطرف حين اشتاق فرعون الى امرأة ابراهيم .. لهفي عليك من بلد تعيش بأسا فلها ، من قوم أحيوا أسافلهم فعبدوا الاله (ماتو) وقدسوه ، وأقاموا له المعابد ، ثم ركعوا لا يقومون ابدا .. لا يفقون ..

والولد يقول ...

ـ الغلطة غلطتنا ..

والقطار يهتز ويصرخ ..

ـ غلطتنا ... غلطتنا ... غلطتنا ...

وتمر أعمدة التلغراف .. ورجال منحنون أمام ساحات من الخضرة الممتدة ، وأبقار تضع رؤوسها وسط الخضرة ، وصبيحة فلاحة حلوة ترفع يدها تحيي القطار وهو يسير ..

ما احلاها ، يرج هواء الصبح ثوبها ، ويلعب نسيم الصباح بخصلات شعرها ، والقطار يمضي .. ويمضي في اصرار .. لا يعرف التوقف ولا السكينة .. وهو يصرخ .. حين تحز عجلاته بالقضبان ..

ـ هي غلطتنا .. هي غلطتنا .. هي غلطتنا ..

وانت تعرف جيدا انها غلطتنا ..

ام لا تعرف ..؟

تعس عليك لو كنت نسيت .. يا تعس عليك .. فالنسيان يقتل كل شيء ، النسيان يضيع ما بقي في قلوبنا من نبض ، وما في حلوقنا من غلن ، وما في افئدتنا من مرارة .. ويوم نفقد هذا كله نفقد سبب ان نعيش .. ان نوجد .. ان نحيا بين الاحياء ..

وتقول وهل نحن نحيا .. اقول بل نحن الحياة يا صديق .. نحن الحياة .

ـ بعلاوة المصنع هذا الشهر قلت اشترى كيلو ريش ، اشويه مع الاولاد وتصهلل ..

ـ ضاعت العلاوة ..

ـ ولا يهم المهم ان نحس ان لنا وجودا .. انا نعيش ، شيئا جديدا يحدث في حياتنا ، وحياتك جلسنا في البلكون واوقدنا الفحم ، وشوينا اللحم .. واخذ الاولاد يتبارون في اكل اللحم الذي لم يتم شواؤه ، والصراخ والزعيق ، وكانت جلسة ليس كمثلها جلسة ..

ـ تعب سنة تضيعه في يوم ..

ـ يا سيدي وكم ضيعنا ..

وانت وانا ضيعنا ، يا كم ضيعنا .. تعس على ما ضاع باسم الكلمة ، وباسم الشرف ، وباسم الكرامة .. كل شيء شواء تفوح رائحته ، فتزكم الانوف وتمد الاسنان الشرهة تأكل كل لحم فينا .. كل عرضنا .. كل ما عندنا .. كل ما ابقينا من أجل معنى الكرامة والوجود .. ويمضي الآكلون .. ونحن لا نكون الا العظام المهترئة الفقيرة بالندف من بقايا اللحم .. لا .. نحن .. يا أخي سيد .. نحن لحوم لا يأكلها أحد وانما ترمى للكلاب ..

وارتفع جرس المزلقان يحذر العربات على جانبي القطار .. ويأخذ القطار يهدئ سيره ، والكل وقف ، وازداد التصاقا ، ورائحة العرق والعطور الرخيصة وبقايا ليل مغلف بالاجساد .. وصاح واحد من ...

ـ الزحام في النزول والزحام في الصعود .. والزحام في الوقوف .. ما هذا يا عالم ..

ورد عليه صوت وقح يضج بشباب معتم جاهل ..

ـ الزحام للجدعان ، الولايا يفسحون الطريق للرجال .

وصاح ثالث في تهكم فظ ..

ـ اليك رقيق يا رجال .. حاسب على قدمه يا ابا عبده .

وانطلقت ضحكة جماعية اشترك فيها اكثر من فم ، يخرج من الضحكات دخان باهت عقيم ، ووقف القطار فاهتزت الكتلة السميكة ، واندفعت من الباب الضيق في معركة بالأيدي والأكتاف والنكات الوقحة .. وتدافع آخرون يردون النازلين ويعوقونهم ، فهم أيضا يريدون الصعود ، وتذكرتك ، وابتسمت في هدوء . فأنت لا تحب من ينزلون ابدا ، ولا تحب ان تكون بينهم ، وانما تحب ان تكون ممن يزاحمون على الصعود ، واخذت أتأمل الوجوه المندفعة من فرجة الباب تشدها كتل تريد ان تنزل ..

عينان لامعتان متوهجتان برغبة مكبوتة رغم الصباح ، وفم امتلأ بمسحوق اختلط بعرق بدأ يتسلل عبر طبقات المسحوق الملون الرقيق ، وشعر ارتفع الى أعلى في ضمة كلها كبرياء ، وفي الوجه حزن غريب .. وفم أجدب من كل سن ، تلتحم شفته العليا بلحم شفته السفلى المتدلية في اصرار أجرد لا معنى له ولا حياة فيه .. ويد تدفع ، وقدم تضرب ، وصيحات صيحات صيحات .. صيحات ..

ولم يكن وجهك بينهم .. لم تصعد وسطهم رغم ان عشقك الأوحد كان ان تزاحم الصاعدين .. الوجوه الصاعدة وجوه ماتت .. جماجم تبحث عن كفن كبير ، كفن جماعي يحتوي الكل في ضمته القاسية الواحدة ، ويروح يعربد بهم في طريق مجهول اهوج ، وينزلون كما صعدوا ، صما لم يسمعوا .. خرسا لم ينطقوا .. حتى تعليقات الوقاحة وزفات الاقدام ، وبصقات النفوس المريضة لا يحسون بها .. ابدا لم اجد وجهك بينهم ..

ونزل كل النازلين ووقفت انظر الى رصيف المحطة المزدحمة ، المتماوج ببشر من كل شكل .. الف عين تتطلع ولا ترى .. الف اذن تتسمع ولا تسمع .. الف الف انف تتشمم ولا تشم .. لا ابدا .. ليست هذه محطتي .. ليست محطة الوصول . ولكزتني يد رقيقة ، وقالت الفتاة وهي تحرك شعرها المتماوج الأثيل ..

ـ اليست هذه هي محطة نهاية الخط ..

احنيت رأسي وعيني قد تاهتا في صدرها الناهر المشدود بحيث يبين كله ..

ـ نعم ..

ـ لم لم تنزل اذن ..؟

ودهشت فنظرت اليها وفي عيني سؤال حائر ..

قالت :

ـ قالوا لي انزل آخر الخط .. وقلت لنفسي سأعرف آخر الخط حين ينزل كل الركاب .. فأنا كما ترى غريبة عن المدينة ومواصلاتها .. وقد نزل الكل الا انت ، ولست أدرى الآن هل هي محطة آخر الخط أم هي محطة هامة ينزل فيها الركاب .. ويتحرك بعدها القطار الى محطة اخرى ..

في الصوت موسيقى حلوة .. لها رنة وفيها لثغة وغنة ، ومع كل كلمة يموج شعرها فوق كتفيها وصدرها بكل ثرائه ، وعريه .. وقلت

ـ هذه آخر محطة فانزلي ..

فهمست وهي تهز رد فيها ..

ـ وانت ..؟

وقلت ..

ـ لا ، أنا اعود ..

ـ انا غريبة عن البلدة ، تستطيع ان تدلني ، فأنا لا اعرف الا عنوانا اعطوه لي على ورقة ولو كنت معى لاهتديت اليه ..

همست وانا اقتل كل نازع في قلبي وجسدي وخيالي الجامح ..

ـ ولكني لن انزل .

وهزت كتفيها ونزلت ، ونظرت الى نظرة غريبة ، ثم رفعت كفها البض في تحية وداع وعند شفتيها سخرية ، ومضت ..

ووقفت عند باب القطار وحيدا .. والقطار خلفي ملآن . وبين الحين والحين يدفعني كتف انسان متسرع ، يريد أن يصعد ، ويحى ما اكثر متسلقي الابواب المفتوحة في هذه المدينة .

ولكنك لم تكن في انتظاري في المحطة ، بل لم يكن هناك في انتظاري احد على الاطلاق . والمحطة نفسها غريبة .. وضجة المدينة الصاخبة أسمعها من بعيد ، كلها لهاث وسباب ، وتجديف ، وهمهمات مريضة حول أجيال وأجيال من الموتى .. أصواتهم تأتي من الجبل البعيد ، عبر الترامات ، وكلاكسات العربات ، وتزييق الاتوبيسات ، وصياح الباعة ، تحتج كالآهات الشريدة الصامتة لا يسمعها الا انا .. وانا اقف وحدي والقطار يصفر ليبدأ رحلة العودة من جديد ..

...

تعس عليك كل شيء يبدأ من جديد .. كل شيء ، ياتعس الايام ..

تمضي حاملة الحيوية والشباب واليقظة ، ولا تأتي الا بالرتابة والعفن والضياع ، تعس عليك .. وعلى التائه الشرود ... لا يعود .. لا يعود .. لا يعود وتدور عجلات القطار من جديد تردد مع قلبي ..

ـ لا يعود .. لا يعود .. لا يعود .

ويمضي القطار ويصيح صوت حاد لامرأة بدينة يدماع عرق الضحى فوق جبينها المجعد .

ـ جيل ملاعين .. لا رحمة للحريم .. اين تذهب يالله .. اين تذهب ، وتردد عجلات القطار تزيق فوق القضبان بصوتها الصدىء الاجوف الحزين .

ـ اين تذهب .. اين تذهب .. اين تذهب ..

وأهمس لنفسي في استسلام وصمت ..

ـ يالله ..

وتدوى صفارة القطار ، وأمضي وحيدا ، وانت بعيد .. تعس عليك ..

انت بعيد .. انت بعيد .. انت بعيد .

وتقول عجلات القطار

ـ انت بعيد .. انت بعيد .. انت بعيد .. ■■

فاروق خورشيد

الديمقراطية

● اثبتت الوقائع التاريخية فى النصف الثانى من هذا القرن ان الديمقراطية هى العامل الاول فى بناء صرح التقدم والمدنية حتى ان بعض الدول التى كانت تستعمل سياسة كم الافواه اخذت فى الاونة الاخيرة تتراجع عن هذا الاسلوب لتمنح المواطن قدرا اكبر من الحرية التى هى حقه الاول فى الحياة ، ونحن حين نطالب بالحرية اولا نقصد بها الحرية التى لاشطط فيها ولا تفريط وهذا حق لكل منا اليس كذلك ، ولياخذ بعدها الوطن منا التقدم المطلوب ·

محمود الارناؤوط
فينا ـ النمسا ·

أيهما اصح

● فى العدد ٢٤٨ من مجلتكم القراء ، ورد فى موضوع (كلمات فارسية نستخدمها كل يوم للدكتور محمد التونجى) ان كلمة زرياب معناها ماء الذهب ، ومركبة من زر بمعنى الذهب ومن اب بمعنى ماء ·

ان معنى كلمة زرياب كما فسرها الكاتب صحيحة اذ انى اتقن احدى اللغات الاوربية وهى وثيقة الصلة باللغة الفارسية وبدون شك ان كلمة زر بكسر الزال تعنى الذهب ، والفارق بسيط :

ان كلمة (اف) لا اب تعنى ماء ·

وان معنى ماء الذهب يعنى اف زر وليس زرياب ·

وللدكتور احمد مختار العبادى راى اخر يقصه فى كتاب « تاريخ المغرب والاندلس » وخلاصته ان كلمة زرياب كلمة فارسية معناها طائر أسود اللون حسن التغريد ·

وزرياب لقب كان يطلق على (ابو الحسن على بن نافع عاش فى القرن التاسع الميلادى وكان نابغة فى الموسيقى فى زمنه · وبالفعل كان أسود اللون ، حسن الصوت ترك بغداد لشدة المنافسة بينه وبين استاذه اسحاق الموصلى ، واقام فى قرطبة فى عهد الامير عبد الرحمن الثانى (٨٢٢ ـ ٨٥٩) وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر ، واعطى الكثير للموسيقى الاندلسية · '

فايهما اصح قول الدكتور التونجى ، أم قول الدكتور العبادى ؟

عبد الله محمد حاج عبده
قرية كفر صغرة/الجمهورية العربية السورية

نظرية التطور

● ان الكثير من العلماء يرون فجوات عديدة فى نظرية التطور تكاد تجعلها تنهار من الاساس وان كانوا يؤمنون بقاعدة بقاء الانسب التى ابتنتها نظرية النشوء والارتقاء وهذه النظرية (نظرية بقاء الانسب) ليست حديثة ، فقد تحدث عنها القران الكريم قبل اربعة عشر قرنا حيث يقول الله تعالى « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » ويقول سبحانه « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » ·

ومن اشهر الاعلام المعارضين لنظرية التطور كوفيه واجاسير وفرتجو وغيرهم ، واعظم المعارضين لها فى العصر الحديث بروفسور فيالتون استاذ علم الاجنة بجامعة مونبلييه وعميد كليتها الطبية واعظم علماء التشريح المعاصرين وقد اصدر كتابا ناقض فيه نظرية التطور اسمه « أصل الكائنات الحية » وخرج فيه بان لعوامل البيئة والوراثة اثرا هاما فى احداث بعض التغيرات فى بعض الكائنات الحية ولكنها لا يمكن ان تحول نوعا منها الى نوع اخر ·

آدم السيد على الوديع
أم درمان ـ السودان

استطلعوا الموصل

● الموصل مدينة تتمتع بسحر كبير يجذب السياح من كل مكان لمشاهدة آثارها العظيمة لانها كانت عاصمة الدولة الاشورية في الماضي .

وظلت الموصل قبلة الانظار في الحاضر ، ففيها تقام مهرجانات الربيع والكشافة ، وغاباتها المطلة على نهر دجلة متعة للناظرين بالاضافة الى المساجد والقباب والمنائر التى تزخر بها هذه المدينة ، كذلك تعتبر جامعتها المسماة باسمها مفخرة من مفاخر العراق .

مدينة كهذه الا تستحق الاستطلاع ؟ شهاب أحمد

نينوى ــ العراق

القاموس واحد

● فقد جاء في العدد (٢٤٨) من مجلتكم الغراء وفى مقال « قاموس واحد : من الميكروب الى الانسان » للدكتور عبدالمحسن صالح فى الصفحة ٢٢ ان المرحلة الجنينية ذات الطبقات الثلاثة تبدو امام العقل البشرى بمثابة ظلمات ثلاث وهذا نعم التصوير ولكن الاجدر هنا ان يربط الموضوع بقوله تعالى : «يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » سورة الزمر آية (٥) .

واوضح العلم فى مجال الطب اخيرا ان المقصود بالظلمات الثلاث هى الطبقات الثلاث السابقة الذكر والمسماة بالساقط والكوريونى والاميتيوسى والموضوع موضح فى الجزء الاول من كتاب الطب محراب للايمان للدكتور خالص كنجو فى الصفحة ــ ٨٠ ــ .

وختاما اتقدم بالشكر للدكتور عبدالمحسن صالح على موضوعه اللطيف . جمال عباس جواد

بغداد ــ الجمهورية العراقية .

رسالة السينما العربية

● السينمائيون العرب يبررون فشلهم فى خلق افلام جديدة بان تفتح ابواب العالم امامنا بجملة غريبة هى أن الجمهور العربى يريد مثل هذه الافلام .

والحقيقة أن رسالة السينما تتعارض وهذه المقولة .. فالسينما كوسيلة من وسائل الاعلام تنحصر رسالتها فى تثقيف المواطن العربى وبنائه فكريا وخلقيا واجتماعيا .

عبد الرحمن كامل

شرقية ــ مصر

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى

● فى الصفحة اللغوية التى نشرت بهذا العنوان فى العربى (العدد ٢٥٠/ص ١٣٦) وقعت بعض التحريفات ، وهذه أبرزها :

١ ــ جاءت عبارة هكذا « وكانت المعركة بين القديم والجديد فى الادب على اشدها فى مصر والشام والعراق ــ يومئذ خلال الحربين العالميتين»

والصواب « فيما بين الحربين العالميتين »

٢ ــ وردت كلمة «المفكرون» اكثر من مرة ، والصواب « المنكرون » وهم الذين انكروا على العقاد قوله : « انا الذى ما لان فى صعب الحوادث مقودى » .

٣ ــ وردت عبارة « واحضار ذلك لنا ، كى يراه ماثلا امامنا » والصواب » كى نراه ماثلا امامنا » . م.خ.ت

استطلاع عن فلسطين

● فلسطين حرمناها ارضا ووطنا ، لم نعد نراها ، فلا اقل من ان نراها عبر استطلاع مصور فى مجلة العربى والسؤال هل من سبيل الى ذلك ؟؟

أحمد دكشى

الرصيفة ــ الاردن

دراسة الشهر

أصول التوراة

لماذا أسقطت التوراة ٤ قرون من التاريخ؟

بقلم : حسين ذو الفقار صبري

واذ اقول التوراة فاني لا اطلق اللفظ تعميا على اسفار العهد القديم جميعا ، وانما اعني تلك الاسفار الخمسة التي يختصها اليهود بذلك الاسم ، والتي يعتبرونها اسفار الشريعة ، ادعوا ان موسى عليه السلام هو صاحبها ، الهمه الله اياها ، في حين يطالعنا الكتاب الكريم بما يدحض ذلك اذ يقول سبحانه وتعالى : « وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » (الآية ١٣ من سورة المائدة) .

نصوص ارتقت الى مستويات من قدسية ، فلا يجرؤ احد لاجيال طويلة ان يتطاول اليها بنقد او تحليل ، حتى كان القرن التاسع عشر الذي تميز بطفرة وافرة من ابحاث اخضعتها اخيرا لانواع من تمحيص .

ولكن البوادر الاولى تعود الى ما قبل ذلك بكثير ، فربما ان كان ابرهام بن عزرا هو اول من حاول تقديم دراسة نقدية لاسفار التوراة ، ولكنه عمد الى أساليب من مداراة ومداورة فلا يثير غلاة المتعصبين .

هو عالم يهودي كبير ، شخصية فذة ابدعها المجتمع الاندلسي المتفتح ، نشأ في طليطلة حيث ولد عام ١٠٩٢م ، وانطلق منها ليتعرف على علماء العصر في كل مكان ، مسهما بنصيب في شتى العلوم والفنون ، استقر بعض الوقت في روما حيث اتجه الى قرض الشعر ، كما عكف على كتابة التفاسير الدينية ، ثم دراسات في النحو العبري ، هي اولها من حيث استخدام اللغة العبرية ، اذ درج من سبقوه من بني ملته على استلهام لكتب الاصول في نحو العربي ، ومن ثم على تدوين دراساتهم

باللغة العربية نفسها ، فهي لغة العلوم في تلك العصور .

وفي انجلترا تعمق في دراسة اللاهوت ، محاولا استخلاص سمة من اتساق للتناقضات التي تعج بها « اليهوديات » ، وفي فرنسا اصدر مؤلفات عدة في علم الفلك وفي الحساب ، ترجمت فيا بعد الى اللاتينية .

تسجيل بالاجتهاد والهوى

راجت مؤلفاته في انحاء اوربا ، ذخرا للباحثين ـ يهودا كانوا ام مستشرقين ـ وتمضي مئات من سنين الى ان يهب العالم الفرنسي ريشارد سيمون ، فيصدر عام ١٦٧٨ ، كتابه عن « التاريخ النقدي للعهد القديم » ، ينفي فيه نفيا قاطعا نسبة اسفار الشريعة الى موسى عليه السلام ، مؤكدا انها مجموعة من مدونات مختلفة الاصول ، عكفت اجيال متعاقبة من احبار على اعادة تسجيلها باجتهاد وهوى ـ تحويرا وحذفا واضافة ـ حتى يتوفر عليها آخر الامر عزرا ومريدوه ، خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، فتستقر على الوجه الذي تطالعنا به اليوم .

وتقابل دراسة ريشار سيمون بثورة من غضب واستنكار ، ويتصدى لها اساقفة الكنيس الكاثوليكي ، وعلى رأسهم الكاتب الفرنسي الكبير « بوسييه » دفاعا عن قدسية « العهد القديم » ويستصدر قرارا باحراق نسخ الكتاب جميعا ، الا ان بضعة منها افلتت فتهرب الى الخارج .

ولكن الثورة على التزمت تعود فيقدح زنادها مرة أخرى ، يقودها ، واحدا تلو اخر ، بفاصل لم يتعد عشرات السنين ، رجلان من أبرز رجالات الجالية اليهودية بامستردام ، كلاهما يمت الى اصول برتغالية ، تسنى لها ان تنهل من تراث الحضارة الاسلامية الاندلسية المتفتحة .

اولها اوريل اكوستا ، من عائلة تنصرت تحت ضغط التعصب الكنسي بمدينة اوبرتو ، ولكنه يفر ناجيا بنفسه الى امستردام ، وهي حينذاك ملاذ هجرات يهودية متكاثفة ، ثم ما يلبث ان يصطدم بتزمت احبار اليهود هناك ، فيعرض بهم عنيفا ، ولكنهم يتألبون عليه ، فيعيش منبوذا ، في عزلة قاتلة ، وقد حكموا بأن تحرق كتاباته جميعا .

اما ثانيهما فهو الفيلسوف ذائع الصيت ، باروخ سبينوزا ، من عائلة برتغالية يهودية ايضا ، ولكنها كانت هاجرت منذ زمن ، ولد بامستردام قبل وفاة اكوستا بقليل ، فرض نفسه على الحياة الفكرية بعد دراسات متعمقة في ابواب الفقه اليهودي جميعا ، ما يلبث ان يضيق هو الآخر بسيطرة الفكر التلمودي الخانقة ، فيتعرض لنصوص التوراة ذاتها ، ويحل به ايضا لعنة التحريم من قبل مجمع الحاخامات .

الا انه اصلب عودا من اكوستا ، ثم ان فكره المتوقد وجرأته الفلسفية اكتسحتا الحواجز والقيود ، فيرقى الى مستويات عليا في محيط الفكر الاوربي ، كما ان مكانته حتى بعد وفاته الى تصاعد مستمر ، وآراؤه الفلسفية أقوى من ان تحتويها الاغلال من اي نوع كانت .

ومن ثم فان كتابه « دراسة في اللاهوت والسياسة » ـ يتضح فيه تأثره من جهة بالآراء الفلسفية التي تناولتها الدراسات الفقهية لموسى بن ميمون ، ومن جهة اخرى بالتعليقات النقدية على نصوص التوراة لابراهام ابن عزرا ـ هو بحق البحث الرائد للدراسات التي تتناول بالنقد والتحليل اسفار التوراة في العصر الحديث .

ظاهرة ازدواجية الروايات

جميعها دراسات حاولت ان تنفذ الى جوهر المضامين التي تحتويها النصوص ، غير مكتفية بالتفسيرات السطحية التي تقف عند المدلول اللفظي فلا تتعداه ، او تلك التي كانت تتخذ من النصوص تكئة فتطفي بهيمنة « تلمودية » لاقبل لاحد على الفكاك من اسارها .

جميعها دراسات كانت تسعى الى تحطيم القيود الفكرية ، وان تخلص من وتيرة الايمان الذي كان يفرضه التزمت الحاخامي ، فتنفذ الى لب العقيدة من خلال علاقة الرب بالظواهر الطبيعية التي تحيط بالبشر وتحتويهم .

تلك المحاولات الاولى شجعت الباحثين فيا بعد على اخضاع النصوص ذاتها لتحليل دقيق من حيث اصولها ، اذ يتضح ان هناك اختلافات بينة بين الاساليب والتراكيب اللغوية المستخدمة ، مما يدل على انها تعود الى عصور متفاوتة من حيث الزمان ، كما انها تحمل في طياتها وجهات نظر لا يمكن اعتبارها بان كانت متطابقة .

بل ويسترعي الانتباه ايضا تعارض من حيث التفاصيل المتعلقة باحداث بعينها ، اولها روايتان متتابعتان ، افتتح بهما سفر التكوين وصفا لبدء الخليقة .

في الاولى يخلق الله (الوهيم) الانسان على صورته ، ذكرا ثم انثى ، بعد ان كان ملأ الارض نباتا وحيوانا ، رزقا حلالا لها ولذريتهما من بعد (تكوين الاصحاح الاول كاملا ثم ص ٢ حتى منتصف الآية ٤) .

اما الرواية الثانية فإنها تقرر بأن الرب الاله (يهوه الوهيم) جبل أدم من تراب ونفخ في انفه نسمة حياة ، وذلك قبل ان يكون هناك ثمة نبات او حيوان ، فاذا ما امتلأت بهما صفحة الارض من بعد ، اشفق « يهوه الوهيم » على أدم من ان يتركه وحيدا ، دون معين او نظير ، فيستل احد اضلاعه ويسوي له حواء زوجا (تكوين ص ٢ من منتصف الآية الرابعة حتى الآية ٢٥) .

ويلحظ الدارسون ان ازدواجية الروايات انما هي ظاهرة متفشية في ثنايا الكتاب المقدس ، وانها ليست مقصورة على اسفار الشريعة الخمسة .

ابرزها ما يرد في سفر يشوع عن احتلال كاسح سريع لارض كنعان ، في حين اشتمل نفس هذا السفر على ما يدحض تلك الادعاءات في صورة من اشارات مقتضبة ، متناثرة هنا وهناك ، دالة على ان الاسباط انما سعت منفردة ، كلا عن شقيقاتها ، الى احتلال ما قيل انه قد قسم لها من اقاليم فلا تنجح في ذلك الا بعد احقاب ، ومنها التي فشلت في إتمام مهمتها :

(يشوع ص ١٣ ي ١٣ ، ص ١٥ ي ٦٣ ، ص ١٦ ي ١٠ ، ص ١٧ ي ١٢) وغير ذلك كثير الا اننا حرصنا على الاشارة الى تلك التي اتسمت بوضوح لا لبس فيه .

واذ ينكب الدارسون على توراة اليهود متفحصين ، يستقصون الاصول ، فان تكرار ازدواجية الروايات تقودهم الى يقين بانها قد استقيت من نصين متقابلين ، وان اتسما ببعض تواز ـ فأحدهما اسرائيلي الاصول (نسبة الى مملكة اسرائيل في الشمال) ، والآخر يهودي (نسبة الى مملكة يهوذا في الجنوب) ، يتمايزان على الاقل من حيث الاسم المستخدم علما على الرب المعبود .

النص الاسرائيلي (الالوهيمي) حريص على ان لا يستخدم قط اسم « يهوه » ، الا بعد ان يكون الاله قد صرح به لموسى : « انا يهوه ، انا الذي تجليت لابراهيم واسحق ويعقوب باسم « ال شداي » ، اما اسمي يهوه فلم اعلنه لهم » (خروج ٦ ي ٢ ـ ٣) .

في حين ان النص اليهوذي (اليهوي » لا يعنيه الا تثبيت الحروف الدالة على اسم « يهوه » وكأنه العلم الازلي للرب المعبود ، وان لفوه بالمحاذير ، فانه لمحظور على اليهود حتى يومنا هذا ان تتلفظ به السنتهم ، وانما يستبدلون به نطقا كلمة « ادوناي » .

وتنطلق الدراسات متتابعة ، فتتناول بالفحص التطورات التي طرأت على الالفاظ والتراكيب اللغوية على مر العصور ، كما تبرز التباينات التي بين وجهات النظر المتخالفة ، منبثة هنا وهناك فيا بين النصوص .

تلفيق من ٤ مصادر

ويكاد يجمع الخبراء آخر الامر على ان اسفار التوراة تعود الى توليفات مستقاة من اربعة مصادر رئيسية على الاقل ، غير عديد من روافد فرعية ، ربما عاد بعضها الى مأثورات لم تكن تمت الى بني اسرائيل او الى بني يهوذا باصول ، الا انها صارت بمرور الزمن شائعة بين شعوب المنطقة جميعا .

فلو قارنا مثلا بين قصتي بدء الخليقة كما في التوراة ، وبين الاساطير السومرية ، ثم بينها وبين ملحمة نشأة الوجود البابلية ، فلن نجد اختلافات

جوهرية ، خصوصا اذا استبعدنا من روايتي التوراة كل ما كان اتسم بالفجاجة في الروايتين السومرية والبابلية .

وشبيه بها قصة الطوفان ، فأمامنا منها اربع روايات مختلفة التفاصيل ، وان توافقت جميعا من حيث مضمون واصول . اثنان منها اسطورتان قديمتان قدم الازل ، كشفت عنها الحفريات السومرية والبابلية .

اما الأخريان فنجدهما في التوراة ، واضحة الفروق التي بينهما اذا ما دققنا ، رغم العناية الفائقة التي بذلت حتى تتداخل نصوصهما الى اتساق .

واحدة منهما ارجعت الى اصل « يهوي » (القرن الثامن قبل الميلاد) بثت في غضونها اضافات دبجتها اقلام « كهنوتية » (وهو الاصطلاح الذي اطلق على الاصول التي تعود الى احبار السبي البابلي وخلفائهم ، دونت خلال القرنين السادس والخامس ق . م)

في اولاهما يقرر « يهوه » القضاء على البشرية اذ تحدرت الى شر وغواية (تكوين ٦ ي ٥ ـ ٧)

اما في الثانية فان الله (الوهيم) ـ ولنلاحظ مرة اخرى الاختلاف بين الاسمين اللذين يعرف بهما الرب ـ انما يتخذ قراره اذ يرى الارض قد فسدت جميعا .. كل ما عليها من حي ! (تكوين ٦ ي ١١ ـ ١٣)

في الاولى يأمر يهوه نوحا بان يأخذ « من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ، ذكورا واناثا ، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين ذكرا وانثى » (تكوين ٧ ي ٢ ـ ٣) .

اما في الثانية فلا تمييز ، طاهرة كانت الحيوانات أم غير ذلك ، وانما يدخل منها الى السفين اثنان اثنان ، ذكرا وأنثى ، كما أمر الله (الوهيم) نوحا . (تكوين ٧ ي ٨ ـ ٩) .

في الاولى اسباب الطوفان مطر عارم يتهاطل على الارض اربعين يوما بلياليها دون انقطاع (تكوين ٧ ي ٤ ، ١٢)

وفي الثانية ليس المطر وحده ، وانما تنفجر ايضا ينابيع الغمر العظيم من اسفل كما من فوق (تكوين ٧ ي ١١) .

في الاولى مدة الطوفان اربعون يوما (تكوين ٧ ي ١٧) ، اما في الثانية فهي مائة وخمسون (تكوين ٧ ي ٢٤) .

وربما ادل من تلك الاختلافات في التفاصيل ، التباين الواضح من حيث الصياغة والاسلوب ، فان الرواية « اليهوية » تنبض بحيوية وخيال ، بينما النصوص « الكهنوتية » تتميز بدقة وتدبر ، وان كانت جافة الاسلوب بالقياس .

ليست من التاريخ

هي اربعة مصادر رئيسية ، مختلفة الاصول ، استقيت منها نصوص التوراة ، حاول جمهرة من علماء الفقه اليهودي ، اذ يقتنعون اخيرا بصحة نسبة النصوص اليها ، ان يعتبروها انعكاسا لتطورات متسامية نهضت بالعقيدة اليهودية الى لاهوت توحيدي متفرد في عصر انبياء القرن الثامن قبل الميلاد .

وكأن موسى عليه السلام لم يكن له الفضل الاول في ارساء جوهرها ذاك التوحيدي ، فلا يشرك بربه احدا ، وانها لنظرية خطيرة ، ولكن دوافعها الخفية تكمن اولا واخيرا في سعي دائب ، لاحت بوادره منذ ان وقع الانفصال بين مملكتي الشمال والجنوب ، الى تمجيد بيت يهوذا دون غيره من اسباط انتحالا لحقوق اخفاها العهد المقدس ، فكأنما اختص بها فقط اولاء الذين يدينون بالولاء لذرية داود !

نظرية لا يستقيم لها اساس الا ان نساق فنعتبر اسفار التوراة في مجموعها وثائق تؤرخ للاحداث اذ تلاحقت ، وكأنها التاريخ المتسلسل لشعب بني اسرائيل .

ولكن التوراة ليست من التاريخ بشيء ، وان اشتملت على وقائع لها سند من تاريخ .

صحيح ان قد استقرت آخر الامر الى وثيقة محددة المعالم ، ولكنها اصلا مجموعات من قصص محكي ، لم يتهيأ لحرف منها ان يدون فيسجل الا بعد احقاب طوال ، إنها مجموعات من تدوينات متعاقبة لمأثورات قديمة متخالفة الاصول .

قصص الآباء الاولين ، على سبيل المثال ، دونت اول ما دونت ، فيا نعلم ، خلال القرن العاشر قبل الميلاد ، عن اقوام تحوطتهم ظروف معيشية كانت قد دالت منذ خمسة قرون .

ولو ان دققنا لوجدناها وفية للطابع المأثوري ـ ان صح لنا الالتجاء الى هذا الاصطلاح ـ فهي مجموعة من قصص ، لكل مزاجها الخاص ومغزاها المتفرد ، تجد الى وعظ او تبصير ، او قد تنحو الى سخرية او ترفيه ، لا تحفل بالتزام دقة ولا تسعى الى تحقيق ، بقدر ما يعنيها التأثير على السامعين لا روابط بين بعضها البعض الا تلك الخيوط من انساب ، والتي هي واضحة الافتعال .

ومن ثم فانه لا يسعنا قط ان نعول عليها من حيث تحديد زمان ، او تنسيقا فيا بينها من حيث تتابعها التاريخي .

اساطير شائعة في متناول الاقوام جميعا ، ينتحلها هذا او ذاك ، فيصوغها الرواة ، كل على هواه ، تمجيدا لذكرى الاسلاف ، فاذا بعناصر القصة الواحدة منسوبة الى عدة اشخاص ، او منزاحة بوقائعها من مكان الى مكان .

ثلاث روايات ، على سبيل المثال ، عن الزوجة « حسنة المنظر » ، يعجب بها ، اذا ما لمحها ملك من الملوك ، فيزعم زوجها ، رب العشيرة ، انها اخته خشية بطش ـ اي نخوة تلك كانت تتملكهم حينذاك ! ـ فاذا ما حاول الملك ضمها الى حريمه ، كشف له الرب ، بصورة او باخرى عن حقيقة امرها ، فتعاد محملة بالهدايا الى زوجها ، ولما قد مس عرضها بسوء .

ساراي زوج ابرام عند فرعون (تكوين ١٢ ي ١٢ ـ ٢٠) .

ثم هي نفسها ، وقد تغيرت الاسماء بامر من الرب (تكوين ١٧ ي ٥ ، ١٥) ، فهي الان سارة زوج ابراهيم ، عند ابيالك ملك جرار (تكوين ص ٢٠) .

واخيرا ابيالك مرة اخرى ـ اهو نفس الشخص ام أن الاسم كان لقبا ؟ ـ مع رفقة زوج اسحق ، يسترق ابيالك النظر فيرى زوجها « يلاعبها » ، كما يقولون ، ولما ان ضمت بعد الى الحريم (تكوين ٢٦ي ٦ ـ ١٣) .

وعن بير سبع روايتان .

في الاولى يدفع ابراهيم الى ملك جرار بسبع نعاج ، تأكيدا لحقه بان قد حفر البئر التي هناك ، فيطلق على المكان اسم بير سبع (تكوين ٢١ ي ٢٨ ـ ٣١) .

ثم رواية اخرى بان عبيد اسحق هم الذين حفروها فتسمى « الشبع » (تكوين ٢٦ ي ٣٢ ـ ٣٣) فلو ان سلمنا حتى بالتفسيرات التي تقدمها النصوص التي افتعلت فتربط بين القصتين ، من ان اسحق انما كان يعيد حفر آبار ابراهيم بعد ان طمرت ، فاي اللفظين هو اصل التسمية ؟ اهي كلمة « سبعة » التي في النص الاول (شبعة بالعبرية) ؟ ام كلمة « قسم » (شبوعة بالعبرية) التي في النص الثاني ؟

تساؤل كان يتحتم علينا ان نطرحه ، اذ ان لكلا اللفظين مدلوله الخاص ، احدهما يؤكد حقا لابراهيم ولذريته من بعد في ارض ثم شراؤها ، اما الثاني فانه يشير الى ان الارض اقطعت لاسحق بعد ان تعاهد هو وابيالك على عدم تعرض احدهما للآخر باذى .

وكلاهما اسلوب درجت الصهيونية في عصرنا الحديث على الالتجاء اليه فتستولى على شرائح تلو اخرى من ارض فلسطين .

وراء كل قصة قصد

وانا لنجد ازدواجية اخرى فيا تقص علينا التوراة من هجرة ابراهيم ثم يعقوب من بعد .

يصدر « يهوه » امره الى ابراهيم بان يغادر ارض حاران ، فيجمع افراد عائلته وينطلق بهم الى ارض كنعان حتى يصل الى منطقة شكيم المقدسة (تكوين ١٢ ي ١ ـ ٧) .

اما يعقوب فانه يفر من عند حميه لابان ، خشية غدر ، من نفس الموقع الذي شاهد هجرة ابراهيم ـ حاران بارض فدان ارام ـ يجمع هو الاخر عائلته ومقتنياته جميعا ، متجها صوب ارض كنعان (تكوين ٣١ ي ١٧ ـ ١٨) ، فيصل سالما الى نفس المدينة شكيم (تكوين ٣٣ ي ١٨) .

وفي كلتا الروايتين تأكيد لمغزى بعينه ، سعيا الى ابراز اصطفاء الهي لبني اسرائيل على غيرها من فروع ارامية الاصول ، متمثلا في هجرة الى مستقر من مكان ، هو منطقة شكيم ، تضفي عليها من بعد قدسية خاصة .

انها المنطقة التي يسارع يشوع ، بمجرد وصوله اليها ـ وذلك بحضور الاسباط جميعا عقب اقتحامهم الطريق الى ارض كنعان ـ فيعيد تسجيل شريعة موسى على الواح من حجر (يشوع ٨ ي ٣٢) .

وعلى مرمى حجر من تلك المنطقة نفسها او يكاد ، تشيد من بعد السامرة ، عاصمة دولة الشمال ، والتي تفردت فتحمل اسم مملكة اسرائيل دون مملكة يهوذا التي الى الجنوب .

منطقة احتفظت لاجيال طويلة بقدسية خاصة ، نكاد ان نقول بان كانت مركزية ، الى ان ينتحلها من بعد سبط يهوذا اعلاء لشأن اورشليم ، والتي لم تمت قط للقبائل العبرية بصلة ، حتى يقتحمها داود عنوة في زحفه الى الشمال .

هناك اذن وراء كل قصة قصد معين ، يبرز لنا واضحا رغم ما بذل من جهود للربط بين ابطال تلك القصص احكاما لتسلسل تاريخي مفتعل ، يفترضون ان كان لشعب واحد بعينه ، في حين ان لم يعن الرواة اول الامر الا ان يستعرضوا وقائع معينة تفسيرا لظروف معيشية او لاحداث كابدها الاسلاف او مغامرات بطولية خاضها اب العشيرة الذي اعتقدوا ان كانوا اليه ينتمون .

فان قصة الصراع التي بين يعقوب وعيسو انما هي تصوير رمزي للعداوة التي استعرت بين بني اسرائيل وبين شعب ادوم .

كما ان الغيرة التي نشبت بين اسحق واسماعيل انما هي تفسير مجسد للخصومة التي كانت بين بني اسرائيل ، وقد استقروا ، وبين القبائل العربية المجاورة التي احتفظت ببداوتها الاولى .

قصص الآباء الاولين ، التي ارادوا بها ان تكون تقدمة لتاريخ بني اسرائيل ، ليست من التاريخ بشيء ، والا لما فوجئنا بعدها بتلك الفجوة التي امتدت الى اربعمائة وثلاثين عاما (خروج ١٢ ي ٤٠ ـ ٤١) .

كيف يتأتى لمنطق ان يتقبل على علاته قصصا زخر بدقة ما بعدها دقة تفصيلا لحياة الآباء الاولين ، حتى انها لتسجل أحيانا ، كلمة فكلمة ، ما يزعم ان قد تفوهوا به في اتفه المناسبات بينما نجد ان قد مسح من ذاكرة القوم جميع ما يتعلق بفترة ربما كانت اعصب فترات « حياتهم القومية » لو اننا بصدد امة كان لها بالفعل كيان من قومية متصلة ؟

اهكذا يكتب التاريخ ؟ أم هل كان هناك قصد معين وراء طمس معالم تلك القرون الاربعة ، تسترا على احداث كان لها دلالتها ؟ ام انها فجوة جوابهما عن غير قصد ، وما كان لهم في ذلك حيلة ؟

فجوة تفصل فصلا قاطعا بين ازمنة غابرة (تنم عنها الاساطير المتداولة عن اصول العشائر العجرية) وبين واقع فعلي هو الميلاد الحق لاركان من عقيدة توحيدية ، صارمة التحديد ، حين اصطفى موسى شعبة من مستضعفين ، ومن لاذ به من متذمرين ، فيخرج بهم من ارض مصر الى صحراء التيه .

رهط موسى عليه السلام هم اول ما يطلق عليهم اسم بني اسرائيل ، وذلك في سفر الخروج ، الذي تتحاشى نصوصه ذكر كلمة « عبرانيين » ، وهي التي كانت عليا على القوم طيلة سفر التكوين ، فيه قصر اسم اسرائيل على شخص بعينه ، هو يعقوب (تكوين ٤٩ ي ٢) ، ولم ينسحب قط على اي من اقوام !

وانه ليحق لنا ان نتساءل عن الدوافع التي حدت بجمهرة الاحبار والفقهاء الذين توفروا على تدوين نصوص التوراة ـ حذفا وتحريفا ثم اضافة ـ فتستقر على الصورة التي تطالعنا بها اليوم ، جمعا لحابل على نابل من اساطير موغلة في القدم ووقائع كان لها فعلا سند من تاريخ .

ما هي الاهداف التي سعوا اليها ، وباي مقاييس التزموا ؟ ذاك هو لب التساؤل الذي علينا ان نطرح لو ان اردنا ان ننفذ الى جوهر العقيدة اليهودية ؟ ■■

حسين ذو الفقار صبري

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٢ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يناير (١٩٨٠)

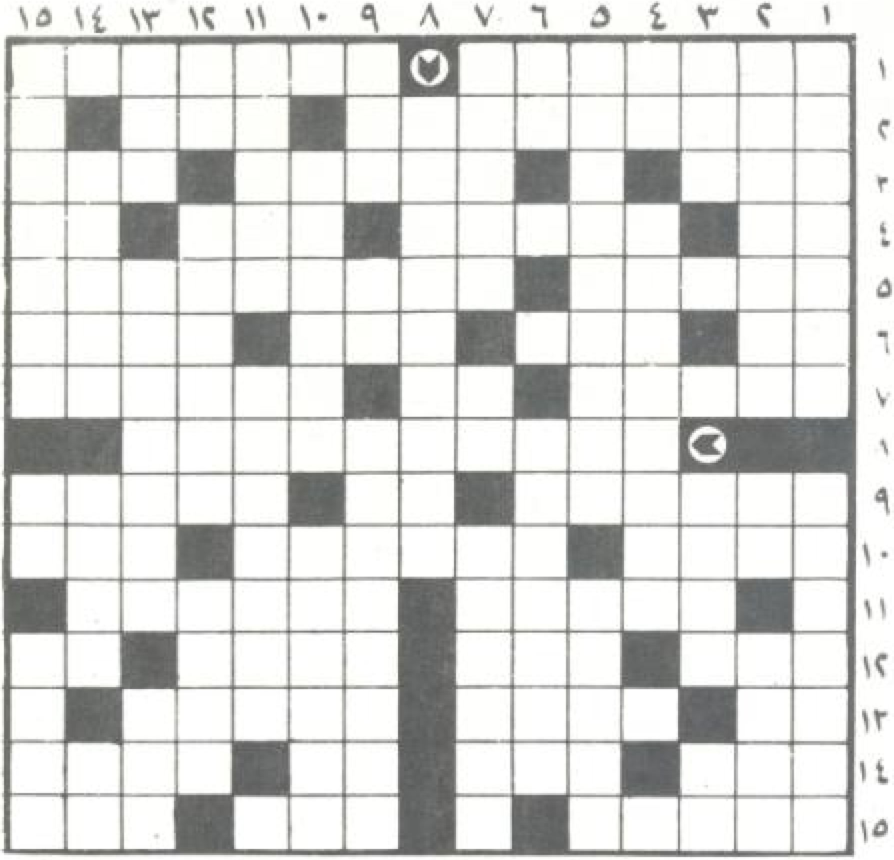
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤرخ اسلامي من القرن الثاني عشر . كما ستجد في (٨) رأسيا اسم أديب وعالم لبناني .

الكلمات الأفقية :

١ ـ عاصمة بورتوريكو ـ فيلسوف عربي و مؤلف « تهافت الفلاسفة » .
٢ ـ من الألعاب الرياضية ـ تجر ما بعدها .
٣ ـ ضعف ـ تمهيد ـ قطن .
٤ ـ نصف كلمة (سائد) ـ تفاهم ـ أعز ـ نصف كلمة (بعيد) .
٥ ـ يناور ـ أول من وصل الى القطب الشمالي .
٦ ـ حرف عطف ـ من الجهات الأصلية ـ صحاري ـ من الألوان .
٧ ـ دولة أسيوية ـ حكى ـ السهلة .
٨ ـ مؤرخ اسلامي من القرن الثاني عشر .
٩ ـ المريض ـ حرف ندبة ـ ناكرة للجميل .
١٠ ـ قابض ـ زهر عطري ـ نهض .
١١ ـ طراز معماري ـ ترنمات دينية .
١٢ ـ أبسط ـ تعل ـ من أقاربنا ـ اكتمل .
١٣ ـ ضمير ـ لقب مؤلف قصة روبنسون كروزو ـ يقوم به .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٢



١٤ ـ يعني ـ طراوة الجانب ـ مقام موسيقي ـ وحدة قياس مساحات .

١٥ ـ تجمّع سكاني ـ اجداد ـ محيط .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من أقسام المملكة النباتية ـ من الانبياء .

٢ ـ دولة أمريكية ـ مقام موسيقي ـ مستوى .

٣ ـ ضياء ـ جهاز قياس ـ مقام موسيقي .

٤ ـ ثار ـ قرصان شهير في التاريخ .

٥ ـ بحار ومؤرخ وجندي انجليزي من العصر الاليزابيثي ـ ثقيلة .

٦ ـ للتعريف ـ من الأمراض .

٧ ـ ننتخب ـ نصف كلمة (قهوه) ـ رسم ديني .

٨ ـ أديب وعالم لبناني .

٩ ـ جبال أوروبية ـ نصف كلمة (بيوت) ـ قصر ملكي انجليزي .

١٠ ـ وحدات قياس طولية ـ مضيق معروف .

١١ ـ بارحت ـ من أعظم علماء الرياضة في القرن الثامن عشر .

١٢ ـ سقط ـ في وجوهنا ـ تحين .

١٣ ـ بلا زوج ـ كاتب مصري معاصر ـ رشاد .

١٤ ـ عقدن ـ انقضى زمنها ـ للتعريف .

١٥ ـ يقترضه ـ ضمير ـ مكسب .

شاعر غزل أموي

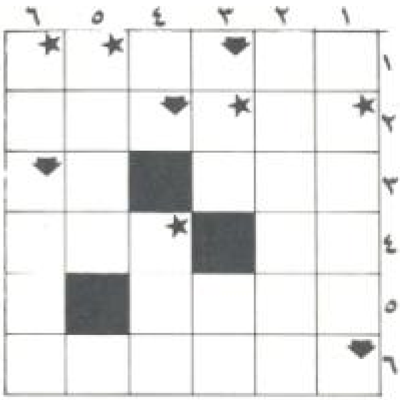
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة . بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم . ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لشاعر غزل أموي أمر الوليد بدفنه حيا . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم . ورتبها بحيث تصنع لقبه .

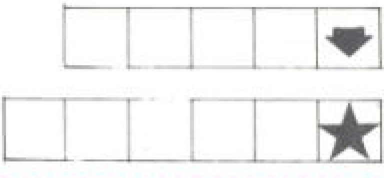
الكلمات الافقية :

١ ـ من الزهور .
٢ ـ من الالوان .
٣ ـ أشفق ـ نصف كلمة (حائر) .
٤ ـ للنداء ـ يهز .
٥ ـ أستأنس .
٦ ـ القائم (معكوسة) .

الكلمات الرأسية :

١ ـ عاصمة عربية .
٢ ـ آلة موسيقية .
٣ ـ سخن ـ حرف ندبة .
٤ ـ متشابهان ـ يبخل .
٥ ـ أذيع .
٦ ـ شلالات شهيرة .





أين الصواب ؟. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خاطىء ، هل تستطيع التمييز بينها ؟.

١ ـ الجانج : آلة موسيقية .

٢ ـ الليبنسروم : اسم اطلق على سياسة هتلر التوسعية .

٣ ـ بايكال : عالم رياضي شهير من القرن الثامن عشر .

٤ ـ بيسارو : فنان فرنسي من رواد المدرسة التأثيرية .

٥ ـ حوت العنبر : من الاحياء المائية ويؤخذ منه العطر .

٦ ـ ديونيسوس : أشهر خطباء روما القديمة .

٧ ـ سيكلوترون : جهاز تحطيم الذرة .

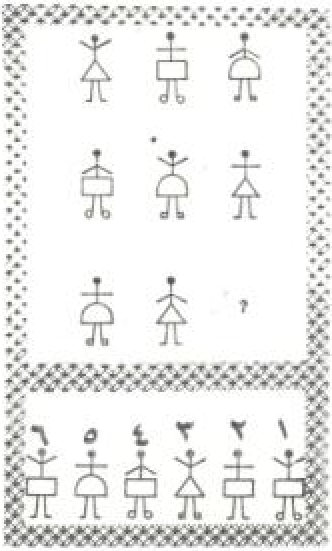
٨ ـ فوجي ياما : رسام صيني شهير .

٩ ـ لجهورن : من سلالات الدجاج .

١٠ ـ مونجو : عملة منغولية .

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام يجب أن يحل محل علامة الاستفهام ..



الحلول

النجمة والسهم :

وضاح اليمن .

أين الصواب .. وأين الخطأ ..

كلها صحيحة فيا عدا :

١ ـ الجانج : نهر آسيوي .

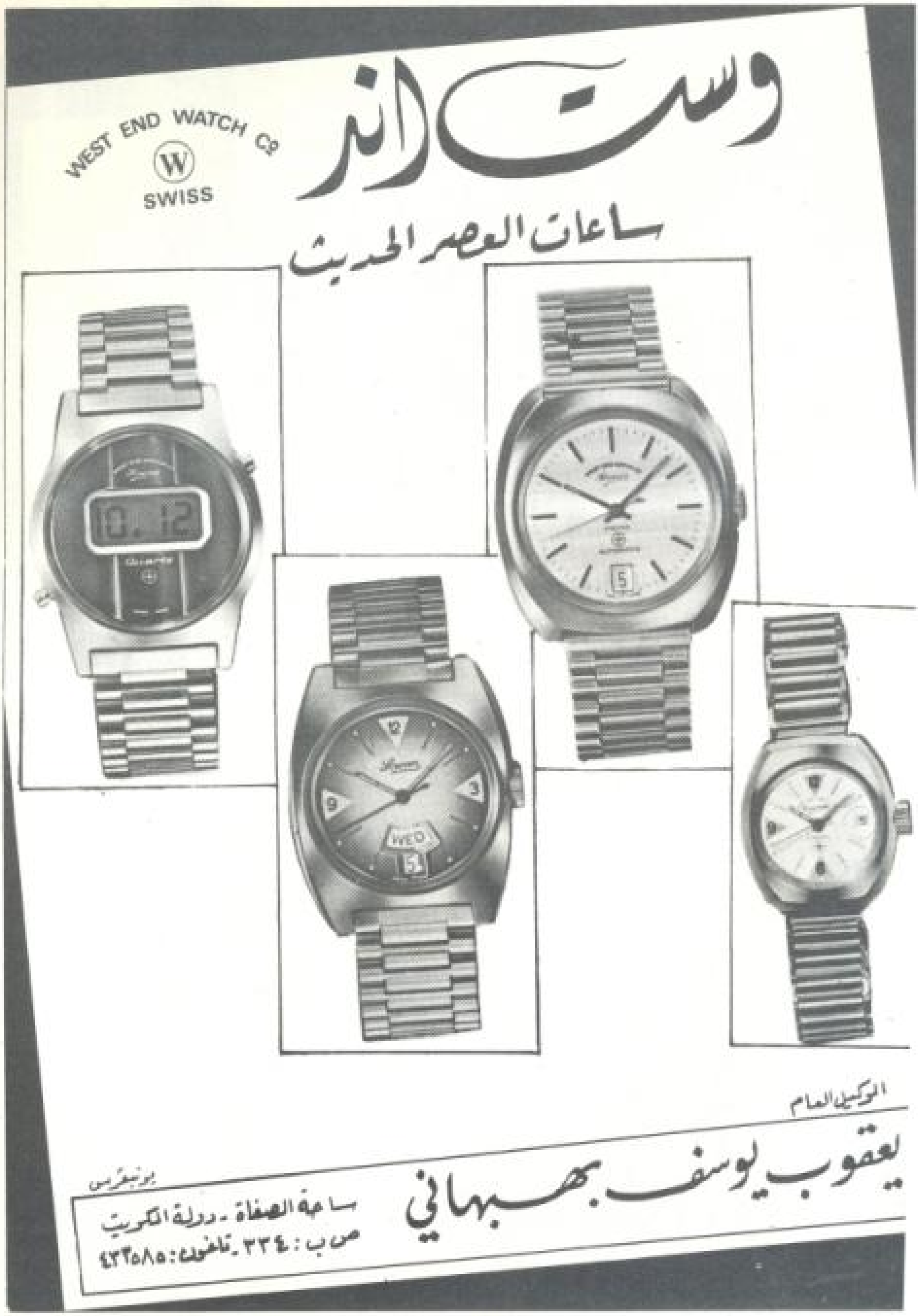
٣ ـ بايكال : أكثر بحيرات العالم عمقا .

٦ ـ ديونيسوس : اله الخمر الاغريقي .

٨ ـ فوجي ياما : أعلى جبال اليابان .

الشكل المطلوب :

رقم (٦) .


وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
10.12
WED
5
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٢٥٨٥
بونيفرس

8090



ما تصمّمه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

إن شاحنات كاتربلر ذات الرافعة مصممة لتلبية إحتياجاتك العملية داخل الورش وخارجها. فهناك ٥٠ طرازاً مختلفاً بقدرات رفع تتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠,٢٠٠ كلغ، تعمل بواسطة محرك كهربائي، أو ديزل، أو بنزين، أو محرك يعمل بالغاز الطبيعي السائل. والصيانة عملية بسيطة، لأن نقاط الفحص والعناية قليلة العدد جداً.

والأهم من ذلك كله، حرص بناء شاحنات كاتربلر ذات الرافعة في كل المراحل وفقاً لمستويات الجودة الفائقة.

وثقة كاتربلر تمتد لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل.

"فقد تشمل: مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص باختيار الشاحنة. الصيانة والخدمة. وتوفير القطع بسرعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها. وبذلك لا تهدر أموالك في إنتظار القطع، أو تضطر للإحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف"

ونحن نوجز ذلك بعبارة ▢ التي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصممة ومبنية لتأمين حصولك على قيمة إجمالية عالية بتكاليف إجمالية منخفضة. وهذا سبب وجيه للإتصال بوكيل كاتربلر الآن.

CATERPILLAR

Caterpillar Tractor Co. هي علامات مسجلة للشركة B, Cat, Caterpillar

أبو ظبي: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٤٤١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٢٢٣٨٧ **البحرين**: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٥٣٣٧، المنامة، تلفون ٧١٣٦٠٧
دبي: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ١١٧٣٠، دبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٦٠٩٥٥ **مصر**: مانتراك، ٢٢ شارع أمين فكري، محطة الرمل، الاسكندرية، تلفون ٨٠٧٨٩٧
الأردن: شركة الجرارات والمعدات الأردنية المحدودة، طريق السلط، ص. ب. ٣١٣، عمان، تلفون ٤٣/٤٢/٦١١٤١ **الكويت**: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ١٤٨، الصفاة، الكويت، تلفون ٥٦/٨١٠٨٥٥ **لبنان**: م. عزت جلاد وأولاده، ص. ب. ١١٠٢٠٨، بيروت، تلفون ٩٣٢٥٢٢ **الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية**:
الشركة العامة للآلات والأجهزة واللوازم الزراعية، سيدي مصري، ص. ب. ١٤٨، طرابلس الغرب، تلفون ٣٢٥٤٠، فرع بنغازي، تلفون ٩٢٣٢٩ **سلطنة عمان**: شركة الواحة للتجارة والمعدات، ص. ب. ١٠٠٩، مطرح، مسقط، تلفون ٣١٦١٠ **قطر**: محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب. ٢١٧١، الدوحة، تلفون ٤١٠٢٩ **المملكة العربية السعودية**:
شركة الزاهد للتراكتورات والمعدات الثقيلة المحدودة، ص. ب. ١٥٨٨، جدة، تلفون ٧٧١٠٠٠، الفروع: الدمام، تلفون ٢٩٥٩٤، الرياض، تلفون ٢٨٤٦٨ **الجمهورية التونسية**:
مؤسسة بي. باريس، شركة مختلطة، ٩١ حارة قرطاجنة، تونس، تلفون ٢٥٩٥٧٧ **المغرب**: الشركة المغربية لمؤسسات بي باريس، ١٤٥، بولفار المقاومة، الدار البيضاء، تلفون ٣٠٥٦٧٥
سوريا: م. عزت جلاد وأولاده، ص. ب. ٢٣، شارع حلب، القابون، دمشق، تلفون ١٩٦٤٨٤، فروع في حلب، واللاذقية، والقامشلي

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

الرّق
ماضيه وحاضره

تأليف :
د. محمد عبد السلام ترمانيني

٢٥٠ فلساً

الكتاب الثالث والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أوّل نوفمبر ١٩٧٩

١٢٢

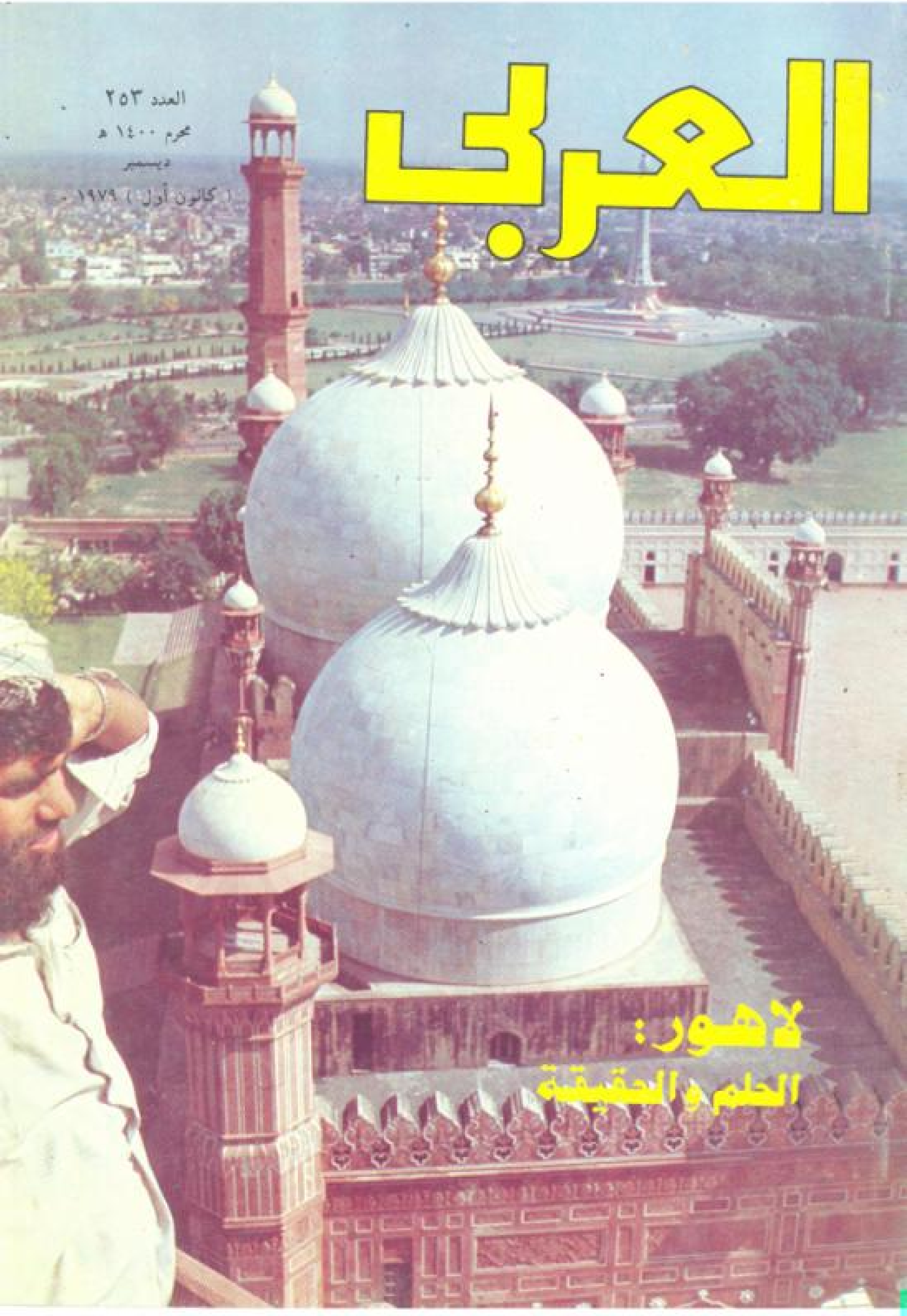
أسطورة دون كيشوت

تأليف : بويرو باييخو - ٢

ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل

مراجعة : د. الطاهر أحمد مكي


صورة تلفزيونية ملتقطة
سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح .
سجل برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء.
أو شاهد البرامج الجديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية
والبرامج التثقيفية والوثائقية واللهو العائلي البريء على جميع أنواعه.
وبإمكانك أيضاً حتى تصوير الرحلة في البيت بكاميرا فيديو الملونة
الخفيفة التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثهما امامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني .
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً . وهو سهل الاستعمال .
أدره وزوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أوليتها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك
سوني بيتاماكس انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك .
Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته


العربي
العدد ٢٥٣
محرم ١٤٠٠ هـ
ديسمبر
(كانون أول) ١٩٧٩ م
لاهور:
الحلم والحقيقة

عزيزى القارىء

● عملية نشر المقال الواحد في أكثر من مجلة ثقافية عربية ، كادت تتحول من حالات فردية الى « ظاهرة » . فكثيرا ما يحدث الآن أن يرسل « الكاتب » مقاله الى مجلتين في وقت واحد ، او يرسل المقال الى مجلة ثم يتأخر النشر لسبب أو آخر ، فيبادر بارساله الى مجلة ثانية ، ثم ينشر في المجلتين اما في شهر واحد او في أشهر متعاقبة .

ذلك أن بعض الكتاب يتصرفون أحيانا بحسن نية ، وربما بحسن ظن بالامكانيات العربية . يتصورون أن المقال ينبغي أن ينشر في ذات الشهر الذى يرسل فيه ، ناسين أنه كلما زاد الاتصال في العالم الخارجي ، ازداد التباعد والانفصال في عالمنا العربي . والرسالة التى تصل من لندن الى الكويت خلال ٤٨ ساعة تقطع المسافة من بيروت الى الكويت في ١٨ يوما ، وأحيانا ٤٨ يوما ، هذا اذا وصلت بسلامة الله ! هم ينسون أيضا أن المجلات الشهرية تخطط لأشهر عديدة متصلة ، خصوصا تلك التي تصدر للعالم العربي كله وليس لبلد واحد . الأمر الذى يفرض وضع العديد من الضوابط والقواعد التي تحكم عملية النشر .

هذا اذا حسنت النية ، اما إذا أرسل المقال ذاته الى عدة مجلات في آن واحد فان سوء النية يصبح مبينا من البداية ، ولما كان التأكد من ذلك امرا عسيرا في الواقع ، لان المجلات الثقافية العربية تصدر من بلاد متباعدة جغرافيا وجسور الاتصال ليست مفتوحة بينها دائما ، فحبذا لو قرر كل كاتب أن يختار منبرا واحدا ـ مجلة واحدة ـ يعلن رأيه من فوقه ، وحبذا لو قررت المجلات الثقافية ان تضع حدا لظاهرة « تسرب » الكتاب وانتشارهم بمقالات مكررة ، او افكار مكررة في مختلف تلك المجلات .

وقد دعونا الآخرين الى ذلك ، فقد قررنا أن نبدأ بأنفسنا ، بكتاب « العربي » وبمجلة العربي ذاتها ...

إننا حريصون على كتابنا بكل تأكيد ، وهو امر نرجو الا يتصادم مع حرصنا واحترامنا لقارئنا العربي .

أليس كذلك .. عزيزى القارىء ؟ !

« المحـــرر »



صورة الغلاف

● من بين الصور العديدة التي تتابع في خيال أي قارئ، عندما يذكر اسم « لاهور » ، هذه القباب المرمرية البديعة ، التي تتربع فوق واحد من اجمل مساجد الدنيا .. مسجد باد شاهي ، ابرز آثار المغول في المدينة التي كانت عاصمة امبراطوريتهم يوما ما ، والتي ذهبت اليها بعثة « العربي » في استطلاع هذا الشهر .. انظر ص ٦٨ .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: احمد بهاء الدين

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج ، م ، ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ - الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ - مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 253 -- December 1979

P.O. Box 748 -- KUWAIT

كلمات فقدت «سمعتها»

بقلم : أحمد بهاء الدين

الموضوعية ...
العقلانية ...
الواقعية ...

.. لماذا صارت كلمات رديئة ؟

● اللغة لم تكن أبدا « محايدة » . والكلمة الواحدة قد تستخدم في مجال يحمل كل معاني الجدية . وأحيانا تصبح من كثرة استخدامها في غير موضعها تحمل لدى الناس كل معاني السخرية ، والكلمة في مجال قد يكون لها وزن الذهب ، وقد يكون لها وزن الريشة .

ولعل سخاء اللغة العربية الشديد ، هو الذى دفعنا نحن العرب الى الانفاق من هذه اللغة باسراف شديد ، فالكلمة الواحدة لها عشرات المترادفات ، واذا القينا كلمة في أتون الاحداث ، واحترقت من فرط تكرارها دون معنى مقصود فاللغة تسعفنا بعشرات المترادفات ، فنحن لا نخشى عجزا ما في هذا النوع من « العملة » ...

واذا كانت الكلمات من « القاموس السياسي » للغة ، فهي أكثر عرضة للتلف ، ذلك أنها كثيرا ما تكون عرضة للاستخدام الخاطىء المتعمد من رجال السياسة أو الكتابة . أو للاستخدام في مجرد تخدير الرأى العام . فتفقد أعز الكلمات معناها أو بمعنى أصح تفقد « وقعها » على النفس ، وهي القيمة الاساسية للكلمة ...

ونأخذ على ذلك امثلة من كلمات كبيرة مثل « الوحدة » او « الثورة » او « الديمقراطية » ..

كلمات كبيرة جدا لكن بعضها لحقه « الاجهاد » من كثرة الاستعمال اللغوى ، وانعدام الاستعمال الفعلي ! ...

« وتلك الأمثال نضربها للناس ،
وما يعقلها إلا العالمون » ـ قرآن كريم

فى حياة لغتنا الجميلة !

كلمة الوحدة في ثلاجة عميقة

قبل عشرين سنة مثلا كانت كلمة « الوحدة » تحرك أعمق المشاعر لدى الجماهير . ولكن الآن وقد فشلت أكثر من وحدة ، وصار كل تقارب يسمى وحدة . وليس على مستوى الاقطار فقط . ففي داخل القطر الواحد صار حتى تحقيق الوحدة الداخلية أمرا مطلوبا وعزيزا أو صارت الوحدة الوطنية ـ لا القومية ـ بعيدة المنال كما في لبنان وغيرها .

واذا تركنا الوحدة بمعناها السياسي الدولي . نجد أنه يكاد لايوجد مشروع اقتصادي واحد ، له طابع التكامل الوحدوى ، رأى النور حتى الآن . رغم توقيعات الدول العربية المختلفة عليه .



ديكارت
دعا القرآن الى العقل
قبله بألف سنة ! ..

وفي الخليج مثلا نسمع دائما عن وحدة العملة الخليجية مثلا ، وهو أمريكاد يكون بديهيا . خصوصا من الناحية الاقتصادية المصلحية وليست السياسية . فدول الخليج روابطها وثيقة جدا ، وأهلها أبناء عمومة بكل المعاني النفسية والتاريخية . واقتصادها كلها يقوم على سلعة اساسية واحدة هي البترول . فهذا نوع من الوحدة يتم بقرار لا غير .

لم تعد لكلمة « الوحدة » إذن سخونتها القديمة . صارت لا تحرك شعرة في رأس مواطن عربي . الكل يتحدث عن الوحدة فلا يوجد في الظاهر من هو معها ومن هو ضدها . لم تعد تثير نقاشا ولا بحثا ولا عراكا . وضعت في الثلاجة العميقة ، وهذا أحسن الممكن على أى حال ، حتي تبقي صالحة للاستعمال ربما بعد وقت طويل ، بدلا من أن تفسد نهائيا ...

ونفس الشيء لحق كلمة « الثورة » . صارت في لغتنا وصفا يطلق على اول دبابة تصل محطة الاذاعة وتعلن البيان رقم واحد ! وصارت في افئدة الناس العاديين مرادفة لاى حكم عسكرى !

وأيضا كلمة ديمقراطية . ألا يوجد لها عشرون تطبيقا على الاقل ؟ هل يسمى أى نظام نفسه بغير هذا الوصف ؟ ... وأنواع الديمقراطية لابد لها أن تتمدد . فلن يصلح للعالم كله ديمقراطية واحدة ولكن الا تحتاج كل « ديمقراطية » احتراما للكلمة الى تعريف وثيق لها في كل مكان ، يمكن حساب اهلها عليه ؟

من ثمار الارهاب الفكرى

على انني اريد أن أقف أساسا في هذا الحديث . عند نوع آخر من الكلمات التي « فقدت سمعتها » بطريقة اخرى . بالطعن فيها والسخرية منها وتشويهها . هذه كلمات فقدت سمعتها بنوع من الارهاب الفكرى ، حتى صارت خافضة جناحها من الذل امام صيحات كصيحات الهنود الحمر ، الذين اذا لاحت لهم ، رشقوها بكل ما لديهم من سهام ..

كلمات مثل : « الموضوعية » و « الواقعية » و « العقلانية » ... هذه الكلمات مع الاسف فقدت سمعتها تحت وطأة الارهاب الفكرى الهائل ...

ارهاب فكرى ساد فترة من الزمن خلاصته : أن من لا يتبع الرأى « السائد » اعلاميا فهو متخاذل ! وان المطلوب من الكتاب هو ترديد الشعارات دون محاولة الذهاب الى أبعد من ذلك خشية « بلبلة الجماهير » . كأن الجماهير في مرحلة طفولة ، ولابد من شغلها عما حولها بالزعيق والصراخ فهي لا تفرح أو لا تصلح الا لهذه الالعاب النارية الملونة ! وبالطبع : من يزيد في الضجة المتزايدة ومن يطلق فرقعات مدوية ملونة اكثر ، هو الذى يفوز بأكبر عدد من المتجمعين في « مدينة الملاهي » الصاخبة !

في هذا الجو ، كان لابد أن تداس بالأقدام كلمات مثل « الموضوعية » و « الواقعية » و « العقلانية » ...

وفي نفس الوقت لابد أن نسجل ان هذه الكلمات « فقدت سمعتها » بسبب نوع آخر مقابل من الممارسة الرديئة فعلا ...

فقد عرف التاريخ العربي الحديث طوال الخمسين عاما الماضية ـ من قاموا فعلا بأدوار الهزيمة والاستسلام والتقاعس ... وأطلقوا على أفعالهم تلك كلمات « الواقعية » و « الموضوعية » و « العقلانية » ...



بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك
الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم كلا إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى
عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب
وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة
خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب

الامر الذى هو كفيل ـ وحده ـ بأن يكفر الرأى العام بهذه الكلمات ، أو بضعها في غير موضعها الصحيح من القاموس ، ومعه الحق ...

ولكن ، هل معنى ذلك أن نسقط هذه الكلمات من قاموسنا ، وننزع الصفحات التي تتكلم عنها من كتبنا ، ونمحوها محوا من العقل العربي ...

مستحيل ...

وهذه معركة يجب أن يخوضها كل ذي مسئولية وكل ذي فكر ... حتى لو تعرض لاطلاق النار من الجانبين في وقت واحد ... من جانب الغوغائية والدماجوجية النشيطة ، ومن جانب الانهزامية الحقيقية المتخاذلة . وأنا أقصد الغوغائية والانهزامية ليس في مجالاتها السياسية فقط كما يتبادر الى الذهن ... ولكن على كافة مستويات الحياة العربية ... من تقاليد وعادات وثقافة وتحول اجتماعي وتطور اقتصادي وسياسي .

هذا العقل المظلوم

إن الشعب العربي هو الذي نزل القرآن بلغته ... والقرآن اكثر كتاب مقدس وغير مقدس تحدث عن العقل والعلم والتفكير والتذكير ... فمن المستحيل ان تكون هذه اللغة بالذات هي اللغة التي تفقد فيها هذه الكلمات سمعتها ...

الغرب يتباهى علينا ويعلمنا أنه أقام نهضته على أساس « سيادة العقل » .. ويذكر لنا ديكارت وقبل ديكارت ...

وكتابنا السابق على هذا كله بقرون ، هو أول من أقام للعقل سلطانا عظيما .

وهو أول دين تجيء معجزته في شيء واحد فقط هي : كتاب !

وأول كلمة في وحيه كانت : « اقرأ » .. باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

واكثر ما يخاطب في سطوره وآياته ، يخاطب العقل .. ويفرق بين ذوي العقول وسواهم ...

« وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون »

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون »

« تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا »

« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وما معنى العقلانية والموضوعية والواقعية وغيرها من المصطلحات الحديثة ، الا : استخدام العقل ؟

ليسوا ظاهرة صوتية

اذا نزعنا عن هذه الكلمات اردبتها السيئة التي اساءت الى سمعتها ، وبحثنا في معانيها التي صكت من أجلها ، فماذا نجد ؟

أليست « الموضوعية » مثلا .. هي البدء في كل أمر بدراسة « الموضوع » ؟ ... والموضوع بالنسبة للعالم حقيقة طبيعية مثلا . وبالنسبة للقائد العسكري الخريطة الدقيقة لساحة المعركة بهضابها ووهادها ، وتقدير قوته ، وقوة العدو قبل الصدام ؟ وبالنسبة للسياسي دراسة علاقات القوى السياسية في موقف ما ، وحشد الطاقات المتوفرة لمواجهة هذا الموقف ، ورسم خطة للتحرك .. الى آخره ..

وما معنى الواقعية الا أنه يجب أن تكون دراستنا « للموضوع » دراسة واقعية ، مستندة الى الواقع لا الى التمني ، لأننا ـ ككل الناس ـ مرغمون على التعامل مع واقعهم وليس مع تمنياتهم .

والرضوخ للواقع أمر ... وتغييره أمر آخر . وفي هذا يختلف فكر الناس ، ومدى همتهم ، وجدوى حساباتهم ...

وأعظم الذين غيروا وجه التاريخ ، كانوا أعظم الواقعيين . لأن اختراق طرق التغيير يقتضي معرفة الطريق الممهد ، من الطريق الوعر ، ومن الطريق المسدود تماما !

وقد يبدو تصدي هؤلاء لمهمة التغيير في البدء مستحيلة . ولكن المستحيل وقع . ذلك أنه لم يكن مستحيلا ، إنما العظماء الذين يغيرون الواقع يرون من خبايا هذا الواقع وفي ثناياه ما لا نراه ، وبالتالي فهو ممكن . وعلى هذا الأساس ينهضون للعمل . ويقع المستحيل ، الذي لم يكن مستحيلا . لأن المستحيل حقا لا يقع ...

ان اللغة تترك أثرها في ضمائر الناس ، وتشكل احيانا طريقة تفكيرهم ...

وقد ذهب كاتب عربي كبير ـ عبد الله القصيمي ـ الى حد اصدار كتاب عنوانه « العرب ظاهرة صوتية ! » .. لا أوافقه عليه .. ولكن الصحيح فيه ربما قول بعض المستشرقين أن العربي اذا « قال » شيئا ، تتحقق له راحة مَنْ « فَعَلَ » الشيء . وذلك موضوع لصيق بحديثنا ، لكنه يحتاج تأملا آخر ...

إنما القضية المطلوبة هنا فقط أن نعيد للعقل مكانته في حياتنا العربية . ولا يمكن أن نعيد للعقل مكانته في نفوسنا ، اذا بقينا نسخر من الكلمات الداعية الى استعمال هذا العقل .... ■■

أحمد بهاء الدين

في مرور ست سنوات على رحيله :



ذكريات عن طه حسين

بين القاهرة وباريس

بقلم : كامل زهيري

آية الشباب كراهية السير الوئيد ، وعشق الحديث خطفا . فما بالك بشباب باريس وشباب الحي اللاتيني بالذات . وهم في فرنسا عموما يحبون اختصار الاسماء الطويلة : اما حبا للاختصار لان الفرنسية مليئة بالكلمات الطويلة ، واما حبا للكلام وحشد اكبر عدد من الكلمات المختزلة في نفس واحد . والتصغير او الاختصار عندهم له فن ، من باب اللهفة او السرعة او حب الدلال وهم يعشقون الدلال ، بل يفضلونه على الحب احيانا . ويتقنون فنون التدلل في الحديث ، ليس بالضرورة ان يصبح ذلك نوعا من الخلاعة . ولا يفترق الامر عندهم بين الازواج والعشاق والآباء والأبناء ، او الصغار والكبار . بل أحيانا تسمعهم يدللون الزهر والشجر والقطط والكلاب !

وقد وصل فن التصغير والاختصار عندهم حتى الى اسماء الشوارع ، ولهذا اطلقوا على اكبر شارع بالحي اللاتيني اسم « بول ميش » ، وهو اختصار « وتدليع » لاسم « بولفار سان ميشيل » .

« وبول ميش » هو أوسع شوارع الحي اللاتيني وأطولها . وهو الذي يفرق الحي الخامس عن الحي السادس . وكنا نعتبره منذ ثلاثين عاما كالنهر . فباريس كانت تتلوى ـ جغرافيا ـ مع نهر السين . وكانوا يقسمون أحياءها بين أحياء الضفة اليسرى والضفة اليمنى . ولكننا كنا نعتبر هذا التقسيم جغرافيا . بينما تنقسم الحياة عندنا بذلك النهر العريض الطويل ... أما شارع بول ميش . فهو يفرق بين الحي اللاتيني من ناحية ... وبين حي سان جرمان دي بريه وموبمارتر من ناحية أخرى . وهو أيضا يفرق بين جيلين ، أي جيل الشباب .. وجيل الرجال .



طه حسين مع ابنته أمينة .. صفحة من الذكريات

واغلب أهل الحي اللاتيني هم بالضرورة من الشباب . وهم بين العشرين والخامسة والعشرين . وكنا في صدر الشباب الاولى نعتبر من بلغ الثلاثين رجلا . والأربعين كهلا . وكنا لا نطيل النظر الى من بلغ الخمسين ! ذلك ان الحي اللاتيني كان حي المدارس والجامعة . وهو حي السوربون والكوليج دي فرانس وكلية الحقوق والبولتكنيك . فاذا وصل العمر الى الثلاثين كان على صاحبه أن يهجر طواعية الحي اللاتيني . وكان عليه أن يعبر النهر , أو شارع ميشيل , الى الضفة الاخرى .. فيسكن مورغارتر حيث الفنانين والنقاد والكتاب والصحفيين . وحيث مقهى الدوم والروتوند وكان يؤمها رسامو القرن التاسع عشر وبداية العشرين , من بيكاسو الى موديلياني , وحيث يتوسطه تمثال بلزاك للفنان رودان . او عليه ان يذهب اذا كان ثريا من الامريكان السياح او فضوليا من هواة متابعة الصيحات الجديدة في عالم الفكر كالوجودية الى سان جرمان دي بريه , حيث مقهى الفلور والدوماجوه , وحيث بقية المقاهي والملاهي وعلب الليل في الأقبية المظلمة , وحيث كانت تغني صاحبة الصوت الذهبي والعيون الدعجاء الأسيوية , والشعر الاسود الفاحم المرسل « والقذر أحيانا » : جوليت جريكو !

مسافر على الورق

وقد عشت سنين في الحي اللاتيني . حين وصلت فيه باريس , فجلست على مقهى الدوبون في صحبة أصدقاء قدامى سبقوني الى باريس .. لمتعة الدراسة في أبهاء السوربون للحصول على الدكتوراه , أو لدراسة المتعة في أبهاء اللوفر والمتاحف والمعارض والمسارح .

وكنت قد درست القانون في مصر . ولكن حب الأدب غلبني أو خلبني فلم أطق وعثاء اتمام دراسة القانون والدكتوراه , وبدأت دراسة الأدب والاجتماع في السوربون , ونزلت الى ذلك النهر العميق العريض أعب منه لا أعرف أي الطريقتين آخذ : متعة الدراسة .. أم دراسة المتعة !

واذكر أن جلستي ذلك اليوم جاءت الى جانب صديق لم يكن يعرفني من قبل . وكان من تلاميذ زكي طليمات ، وقد ناضل طليمات نضالا عصيبا حتى أرسله في بعثة لباريس واذا بهذا الصديق يتفرسني ، وأنا جالس هادئا وابتدرني بسؤال بدا سخيفا ، حين قال : هل زرت باريس من قبل ؟

وبادلته بسؤال أسخف :

ولماذا تسأل ؟ !

فقال ، كأنه يعتذر :

ـ كلنا لما وصلنا باريس ظللنا الأسابيع الأولى لا تهدأ لنا رأس على رقبة . ظللنا نرفع أبصارنا ونخفضها ، وننقلها هنا وهناك تخلبنا حدائق التويلري واللوفر واللاكسمبر وتأسرنا كاتدرائية نوتردام . أو تغتصبنا أنوار الشانزليزيه والكونكورد المتلألئة !

فكيف بك تجلس هكذا هادئا ، ولم تصل بعد الى سن الوقار ؟

فقلت لصاحبي :

ـ نعم ذكرت باريس بالخيال وسافرت اليها من قبل على الورق ، وسبحت اعواما بين شفاف السطور التي كتبها من باريس توفيق الحكيم وطه حسين . بل لا زلت اذكر كتابا صغيرا خلابا ، كتبه الشاعر الذواقة عبد الرحمن صدقي ، مدير الاوبرا ، في سلسلة « اقرأ » عن بودلير عام ١٩٤٦ . وقد سماه « الشاعر الرجيم » وترجم فيه بعضا من ديوان « زهور الشر » فكنت أتخيل جان دوفال تلك الزنجية التي تغني بودلير بعطرها الفواح ، ووسوسة أساورها الذهبية ، ومشيتها المكسالة الطروب ! وكنت أتخيل تلك الأرائك القطيفة ، كأنني أعيش بين وشي الثياب المطرزة وعبق العطور ...

وقد لا تندهش ، اذا قلت لك انني كنت كلما قرأت شعر لوتر يامون ، كنت أتخيل أحيانا صوت القباقيب الخشبية التي كانوا يلبسونها في باريس وسط القرن التاسع عشر ، وهي تطرقع فوق الأرض المرصوفة بالحجارة (قبل ظهور الاسفلت) .

.. مع طه حسين

.. وقد تصادف ، وأنا مكب على مكتبة مدرسة اللغات الشرقية ، أن عثرت في ركن من أركان المكتبة على مجلد مهجور ، فاذا به رسالة الدكتوراه التي تقدم بها طه حسين عن ابن خلدون ، تحت اشراف دوركهايم ومن بعده بوجليه . ولم تكن تلك الدراسة التي ترجمها محمد عبد الله عنان شائعة في مصر بين كتب طه حسين العديدة الرائجة ، لأنها بحث أكاديمي ، كتبه طه حسين بالفرنسية ولم يكتبه بعربيته الموسيقية المحببة .

ولفت نظري ان فرنسا تحتفل بابن خلدون في الخمسينات ، أكثر مما كنا نحتفل به ، في تلك الايام ، كما لفت نظري اكثر ان جورج داڤي عميد كلية الآداب بالسوربون حينذاك كان قد تقدم في شبابه ايضا برسالة الدكتوراه عن ابن خلدون !

وقد طوح ذلك بي لأتابع الأماكن التي تردد عليها عدد من المصريين ـ من رفاعة الطهطاوي ومحمد مظهر الى أحمد شوقي والمويلحي الى طه حسين والحكيم . ونمت عندي هواية دراسة المكان ، فتابعت الأماكن التي عاش فيها طه حسين في باريس . وكنت مثل أبناء جيلي من عشاق القراءة في مكتبة سان جنيفيف ، وكنت افضلها لانها زاخرة بالروائع النفيسة القديمة والنادرة ولأنها المكتبة الوحيدة في الحي التي تغلق أبوابها في العاشرة ليلا . وكانت تقع في ميدان البانتيون حيث مقبرة العظماء . والمكتبة قوطية الطراز شاسعة ، فناؤها علقت على جدرانه لوحات رخامية ونقوش وتماثيل بأسماء قادة الفكر من أرسطو وأرسطو فان الى عباقرة العصر الحديث . وكانت سلالمها الرخامية ، وتماثيلها ، وقاعاتها عالما مستقلا يعزل الداخل عن الخارج .

وكانوا يحتفظون بالوسائل القديمة في طلب الكتب والمراجع وتقديمها . فقاعات القراءة والاطلاع في الطابق الأعلى ومخازن الكتب في « البدروم » . وتتصل بينهما فراغات داخل الجدران . فاذا تقدم أحد يطلب كتابا ، أرسلوا الطلب على أطباق تهبط مربوطة بسلاسل حديدية ، يلقونها كما تلقى الحبال في الآبار وكنا نترقب الكتب في لهفة وشوق ، فاذا سمعنا السلاسل ، وهي تصعد بالأطباق المليئة بالكتب في تؤدة وبطء ، التفت أغلبنا وكأننا نترقب وليمة شهية من الطعام .

وفي مكتبة سان جنيفيف كان طه حسين يقضي أغلب أيامه وكانت زوجته سوزان « خطيبته حينذاك »

تقرأ عليه الأدب اليوناني واللاتيني والفرنسي . وكانت ادارة المكتبة قد خصصت له غرفة للقراءة مع صاحبته ، حتى لا تفسد عليها ، أو على بقية القراء جو التركيز والهدوء .

وكنت كلما مررت على المكتبة ، أتذكر أن قصة حب طه حسين لسوزان ـ على ما روى في الايام ـ قد بدأت في تلك المكتبة بين الكتب . وقد خلدتها بعد ذلك الكتب والأيام .

الذين تأثر بهم

وقد أعجبت أشد الاعجاب بأن طه حسين أخذ نفسه بالعنف قبل أن يأخذ الآخرين . وأنه بدأ في دراسة الليسانس حتى يجيد اللغة ، ويتقن اللاتينية ، ويستطيع أن يرجع الى الأصول والمنابع قبل الفروع والروافد . وقد درس طه حسين التاريخ القديم على جلوتز ، وتاريخ الرومان على بلوك ، والأدب الفرنسي على لانسون ـ ولا زلت اعتقد أن أجمل كتاب طويل عن تاريخ الأدب الفرنسي هو كتاب لانسون ، وقد ترجم الى العربية أخيرا في الستينات . كما درس على دوركهايم الاجتماع والفلسفة ، ودرس ديكارت على ليفي برول ، واللاتيني على مارتا ، وعلم الثورة على أولار ، والبيزنطي على شارل ديل ، والتاريخ الحديث على سينوس ، والجغرافيا على ديماجون وجالوا ، وكل ذلك كان في قاعات السوربون . اما في الكوليج دي فرانس ، فقد درس على كازانوفا .

ولا يشك أحد الآن في أن طه حسين ، وقد درس على دوركهايم وقد تأثر به وهو أكبر عقل اجتماعي ، بل يعتبرونه مؤسس علم الاجتماع الحديث . كما أن دراسته لديكارت فتحت له آفاق ذلك المنهج العلمي الفكري الذي يقوم على الشك للوصول الى اليقين . واذا كانت الأجيال قد افترقت بين جيل طه حسين وجيلنا ، فان أثر هؤلاء كان لا يزال باقيا خالدا في السوربون . واذا كنت قد درست على جورفتش ، أكبر علماء الاجتماع في أعقاب الحرب ، وكان يبدأ منهجه بنقد دوركهايم ، ولكنه نقد التأصيل والتحليل لا نقد الهدم والانكار .

وقد وصف طه حسين حياته المضطربة المليئة بالحزن في مصر قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، وتلك الحياة الزاخرة بالعلوم والفنون في باريس ، ولم يخف حماسه حتى قال : ان الحياة في مصر كالحياة في اعماق الدم ... والحياة في باريس هي الحياة بعد أن تخرج من هذه الاعماق » !

وقد كتب الكثيرون عن المؤثرات الاوربية واليونانية على فكر طه حسين ، ولم يخف كاتبنا ذلك التأثير . بل كان يدعو الى مزيد من فهم أوربا ، ولكنني أظن أنه انتقى من أوربا ونهضتها الفكرية ما جعله أديبا مفكرا عظيم الأثر في جيله . وقد تكاملت حلقات التأثير لأنه لم يكتف بالدرس في الجامعة ، بل عب من بحور فولتير وديدرو ، ووقف مليا عند منهج ديكارت ، وتأثر بالناقد الكبير ، الذي كان لا يزال على أيامنا ضخما كما كان في أواسط القرن التاسع عشر ، وهو سانت بيف صاحب « حديث الاثنين » فكتب طه حسين « حديث الأربعاء » ، وتأثر بريتان وسيرته عن المسيح ، فكتب على هامش السيرة ، كما كتب محمد حسين هيكل كتابه القيم عن الرسول الكريم .

وعندي ان طه حسين تأثر بالمنهج الديكارتي وتحمس للعقلانية ، حتى بلغ به الاعجاب بالشاعر بول فاليري ـ الذين كانوا يسمونه صوت العقل فترجم له وقدمه ، كما تأثر أغلب التأثر أيضا بالفيلسوف اوجست كونت مؤسس الوضعية ، وقد تناول طه حسين فكر هؤلاء وحياتهم من جوانبها العقلية والعاطفية الوجدانية والاجتماعية ، فلم يؤمن بسيرة الأفذاذ متعزلين عن المجتمع . وكما تأثر بفولتير تأثر بديكارت . كما أعجب بأوجست كونت . وكان لا يكتفي بدرس فكرهم ، بل يتابع مجتمعهم ، ويتوقف عند مشاعرهم وعلاقاتهم العاطفية . وقد كتب طه حسين عن كونت وعن قصة حبه الخائبة المؤثرة لكلوتيلدي نو ، وأخذ عن كونت فكرة التطور ، في المجتمع من المرحلة اللاهوتية الى الميتافيزيقية أي الواقعية .

والغريب أنني عثرت في مكتبة سان جنيفيف ـ عام ١٩٧١ ـ على خطابات أوجست كونت عام ١٨٤٢ يقدم فيها تلميذه محمد مظهر ، في مدرسة البولتكنيك . وقد

اصبح مظهر وزيرا للاشغال العمومية في مصر ، وبنى فنار الاسكندرية واشترك في بناء قناطر محمد علي . وقدم كونت صاحبنا المهندس المصري الى صديقه الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت ميل . وكان الفيلسوفان يتراسلان بانتظام ـ على طريقة القرن التاسع عشر .

وقد تعجبت لهذه التأثيرات القوية التي أثرها كونت في أول مبعوث مصري يدرس الهندسة في باريس عام ١٨٢٦ ، وتعجبت أن يستمر التأثير على الجيل الثالث من البعثات ، في طه حسين ، فاذا به يأخذ من فكره الكثير ، وتأسره قصة حبه المعذبة ، فيكتب منها فصلا ممتعا في كتابه « ألوان » .

في مصر

وقد رأيت طه حسين أول مرة ١٩٤٦ ، حين كان يصدر مجلة « الكاتب المصري » .. وكان قد دعا أندريه جيد لالقاء محاضرة في نادي خريجي الجامعات بشارع شريف بالقاهرة . وكان جيد وطه حسين صديقين ، قدم جيد لطه حسين أعماله المترجمة للفرنسية ، كما قدم طه حسين لجيد أعماله المترجمة للعربية ـ ولا زلت أذكر أن القاعات اكتظت بجمهور الحاضرين حتى ضاقت بهم ، فوقف الكثيرون على السلالم من الطابق الثاني حتى مدخل العمارة ، وأغلبهم لا يسمع شيئا ، وكأنما يطمعون في القاء نظرة على عملاقي الأدب .

وكان فضل طه حسين عظيما على المجلة والقراء ، فقدم لنا باريس بعد الحرب الثانية . وقدم فيها كامو وسارتر وايتامبل وجيد وجان كوكتو وفاليري وبروست وغيرهم من أئمة الفكر والفن . وكما قدم في مجلة الهلال في العشرينات كل ذخائر الفكر والمسرح اليوناني ، وكما قدم في الثلاثينات على صفحات السياسة أغلب الأدب والمسرح الفرنسي ، فقد كنا نقرأ ونشهد في القاهرة ما يقرأه ويشهده أهل الثقافة في باريس .

وحين توليت مجلة الهلال ـ أواسط الستينات ـ لمعت في ذهني فكرة تكريم طه حسين في حياته . وكنت أعلم أن الرجل شبع مجدا وتمجيدا . فقد أطلق عليه القراء « عميد الأدب » حين حرمته الحكومة من عمادة كلية الآداب ، وحصل على أعلى الأوسمة والألقاب من شتى البلاد ، وكان قد اعتكف في أواخر الستينات في فيلته رامتان . وقد انفض أغلب الناس عن زيارته ، فلم يعد وزيرا ولا عميدا ولا حزبيا يجتمع حوله الانصار والتلاميذ ، وأصبح الناس يقرأون له ولا يقرأون عنه فلماذا لا نخرج عنه عددا خاصا ، من مجلة الهلال يتناول أدبه وفكره بنظرة جديدة .

وأذكر أنني ذهبت مع أحمد بهاء الدين ودخلنا فيلا رامتان جوار الهرم . وكان طه حسين جالسا على مقعده في مكتبته بالطابق الارضي ، والضوء خفيف خفي ، واخشاب المكتبة والكتب تغطي جدران الغرفة وبابها المطل على حديقة أنيقة شبه موصد ، يتسلل منه ضوء ناعم تكاد تحس ملمسه .

وعرضنا عليه الفكرة ، فظهرت على وجهه بشاشة واهنة .

وأخذ يسأل بهاء عن أخبار السياسة ، ودخلنا في موضوعي المحبب « باريس » فقال :

ـ أنه يذكر أن « آل عبد الرازق » هم الذين استقبلوه عند عودته مع زوجته ونزلا عليهم ضيفين .

وكنت أعرف بعضا ، وشيئا عن آل عبد الرازق ، فقد كانوا من أئمة حزب الاحرار . وكان لهم بيت ـ أقرب الى القصر ـ وراء قصر عابدين حيث مقر الملك . وكان هذا البيت منذ العشرينات « صالونا » أدبيا شهيرا ، يتردد عليه الشيخ محمد عبده ، ولطفي السيد ، وطه حسين .

وكان أغلب آل عبد الرازق من علماء الأزهر الذين ذهبوا الى باريس أيضا . وكان الشيخ علي عبد الرازق أعتقهم ، فقد أثار ضجة هزت مصر عند تأليفه كتاب « الاسلام وأصول الحكم » ، كما أدى الى استقالة عبد العزيز فهمي من الوزارة احتجاجا على موقف الحكومة .

وكان الشيخ مصطفى من مشايخ الأزهر ، وقد سافر أيضا الى باريس وعاد لاصلاح الأزهر بعد أن أصبح شيخه ، وان كانت له ميول أدبية ، ومقالات رصينة بهية الصياغة .

والغريب ان القصر الذي كانوا يقطنونه كان يقع أمام باب من أبواب قصر عابدين الخلفية وهو باب خشبي سميك مرتفع ، كان يستوقفني كثيرا بضخامته ومهابته ونقوشه . والأغرب أنهم كانوا يطلقون على هذا الباب « باب باريس » ولست أدري حتى الآن سر التسمية ، هل هو تقليد لأحد أبواب قصور باريس أم لأنه صنع بها أيام الخديوي اسماعيل أو الملك فؤاد !

وبينما كان طه حسين يسأل عن بعض الأدباء الشبان ، اقتربت منه لأتفرس هيئته ، وقد راعتني ملاحظة عجيبة :

كان طه حسين لا يجلس جلسة الكفيف !

.. ولو عرفت جلسة الكفيف لما وجدت في جلسة طه حسين ما ينبئك عن آفته . فالكفيف عاكف على جسده غالبا مطبق الاطراف منقبض الكتفين كأنما يتوجس الخطر ويخفي الحذر ، وكثيرا ما يلمس بيده جسده او يفرك أنامله بإبهامه . ولكن طه حسين بدا لي مرتفع القامة ، ممتد الرقبة قد وضع يدا على يد في هدوء وكأنه تمثال للعقل والهمة .

أو كأنه يريد أن يشعرك أنه يدركك قبل أن تدركه .

وراعتني الملاحظة ، فنقلتها الى عبد الرحمن صدقي ، وقد زامل طه حسين طويلا في وزارة المعارف ، فأكد صدقي أن طه حسين كان حريصا في المأدب العامة أن يأكل بالشوكة والسكين . فقد طرح هيبة الكفيف التي وصفها في أيامه حين كان طفلا يأكل ، وحين كان صبيا يتركونه ، وحين كان شابا يسوقونه ، وحرص أن يمتحنوه في الجغرافيا ، وأن يؤكد أنه يرى . وحرص أن يشهد المسرحيات والمعارض الفنية ، وأن يتحدث عنها بالتفصيل .

بل كانت نقمته نعمة ، فأصبح صاحب أسلوب أقرب الى الموسيقى منه الى النحت ، وكان أرق من صور المرأة بأذنه ، ولعب الصوت دورا مؤثرا في عناوين كتبه ، « صوت باريس » .. « دعاء الكروان » ... « من بعيد » .

وكان طه حسين أعظم من دافع عن العقل ضد النقل أو الجهل . ولم يعبأ بالاتهامات أو المعارك ، واقتحم عبر أجيال ثلاثة ، كل المصاعب ، وكان مجددا ، وهو يستحق أن نسميه كما سمي فاليري « شاعر العقل » .

وقد زانته بصيرة نفاذة ، تحسها منذ أول لحظة تلتقي به ، أو أول سطر تقرأه له .

ولا زلت أذكر لقاءاتنا التي تكررت بعد صدور عدد الهلال ، فكان صوته عذبا عميقا ، به طيف فكاهة أزهرية عميقة امتزجت بلكنة فولتيرية ساخرة ! ■■

كامل زهيري

فلسفة الشعر !

● قالوا للشاعر كارل ساندبرج : « هل صحيح ان احدى المجلات قد طلبت اليك ان تكتب لها مجموعة من القصائد على غرار قصائدك المشهورة عن الحياة في مدينة شيكاغو الامريكية !

وقال الرجل : « هل سبق لكم ان سمعتم عن امر يصدر الى امرأة حامل بأن تلد طفلا ذكرا لون شعره احمر ؟ » .. انه شيء من صنع الله .. والقصيدة طفل لا احد يعرف حتى صاحبها ، متى تنظم او كيف سيكون مولدها !

وجهنا الآخر



بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

اغمض عيني واتذكر .. كم مدينة رأيت ما بين اوروبا والارجنتين وسان فرانسيسكو ، وبين اندونيسيا الى اليابان والصين وهونولولو ؟ ... لست احصيها عددا . انها حصاد طويل يتفتح في خاطري وينطفىء كالنجوم . ولكنها نجوم نهارية تتسع كبحيرات الضوء وتملأ خاطري باكداس الليلك والفراش .. وبطعم المطلق !

ومع أني مولع بالأوابد ، بسمفونيات الرخام والبرونز تتمرد في الساحات تاريخا مجمدا متحجرا ، بقناديل المعابد تعطي كل بلد نكهته الالهية الخاصة ، بالمتاحف تلخص الانسان في حجر وقطعة قماش ولون وبعض من ادوات وآنية ، مولع بلعبة الجمال يشترك الخالق والانسان في لعبها بين شاطىء يخفق كصدور العشاق ، وجبل بنفسجي تتزلق على أقدامه البيوت ، بساطا من الزهر ، وحدائق زنبق وضحكة صبايا ، مولع بجنون الليل في المدن ، تضج فيه المصابيح اعراسا وتنطلق الاهواء بين التهجد والجنون ... مع كل اولئك فان لي عند كل مدينة هوايتي الشريرة التي كثيرا ما استدارت لها عيون الادلاء وانا اهمس في آذانهم :

ـ أريد أن أرى الوجه الآخر للمدينة !

ـ الوجه الآخر ؟

ـ بل الوجه الآخر حيث « يشرش » الفقر كالجذور الدرنية ويتراكم النحيب الاخرس كدم متخثر مضت عليه قرون ...

وغالبا ما كنت اذهب وحدي ... من ذا الذي يشوقه الوجه القذر ؟

من ذا يطارد طائعا اقبية العفن والسعال ، وازقة القيء ، والخدود تحسبها جزءا من العظام ؟ وكم مرة عدت الى فندقي أقطر المطهرات في عيوني وفي وهمي أن الاقذار قد نفذت الى أعماق العيون !

هكذا عرفت ريو دي جانيرو ـ وهي أجمل مدن الدنيا ـ من خلال « فافلات » (❋) الصفيح الزنجية ، على السفوح التي تزلق بالنتن ! وعرفت نيويورك ، هذا الهيكل الحديدي للحضارة الحديثة ، من خلال « هارلم » وحزنها البني المحروق . وعرفت القاهرة العارية في اعماق شبرا وبولاق ، وتبودهلي في « دلهي » القديمة وباريس في « الهال » ، معدة باريس الرهيبة . البؤس الانساني واحد في كل مكان لونه الاسود واحد . رائحة الغثيان الحيواني فيه واحدة . النظرة الكسيحة المقهورة في داخل المحاجر .

...... « كسراج كرخ تصف متقد » .

واحدة أيضا . ومع ذلك فهذا هو ايضا وجه المدينة . وجهها الحقيقي الاخر . لامدينة بدون هذا الوجه القذر المسحوق ، ولكنه وجه مدفوع الى الخلف . الى الاطراف القصية بعيدا عن فضول العيون . كل المدن تدفع باحيائها القذرة ومزابلها الى البعيد . تعرف أنها عارها فهي تخفيها عن الانظار . لا تسمح للمواكب ولا للعيون الفضولية أن تصل اليها . تحاول الا تكون منها ، كأب مذعور يصرخ منكرا ابنه غير الشرعي ! اقذار المدينة ، غسيلها الوسخ كلها ترحل هناك . تختفي في التراب واكواخ الصفيح . ولكن اليست جزءا من حقيقة المدينة ؟ اليست حقيقتها الاخرى ؟ وجه المدالية الثاني ؟

❋ فافيلا تعني في اللغة البرازيلية اكواخ التنك والخشب البائسة التي يبنيها فقراء الزنوج هناك للسكني .

الناس كالمدن

والناس ؟ اليسوا ياترى كالمدن ؟ (او ان المدن كالناس لا فرق !) لهم بدورهم واجهاتهم المسردة سمفونيات اناقة وورنق وعناية وعطر .. ولهم الاحياء القذرة الخلفية المدفوعة الى الوراء والاغوار . لهم عارهم الذي يدارون عن العيون ... ويتكرون ! وكما ان للقمر وجهيه : الوجه المضيء بالاشراق الذي نرى والوجه الآخر المظلم المطل على الفضاء اللانهائي ، كذلك للانسان جانبه المضيء للناس وجانبه الخفي الاسود ، لاندري ابعاده الشرسة ولا دوامات الاعماق فيه . ويوم ذكروا ان السيد المسيح مر بجماعة الرجم يرجمون زانية فاوقفهم قائلا :

ـ من كان منكم بلاذنب فليرمها بحجر .

ووقفت كل الاحجار ... يومذاك كان السيد المسيح يحتكم ، في النفوس ، الى الوجه الاسود منها ، الى ركام الخطايا المتعفنة احمالا خفية على الصدر والعاتق وملء اليدين ! ولكنا نحرص على أن نخفي تلك الاحمال . على أن نتركها في العتمة المطلقة . هي الغسيل الوسخ الذي نتحاشاه . الهرب من الغسيل الوسخ ليس توقا الى الكمال ، ولكنه وجع النفاق في كهوف الانسان السفلية . ستار الزنبق الذي نغطي به الافاعي والديدان العمياء وسعار الشرر والزعيق الاسود في الاعماق .

لوشف هذا الجسد المادي ، كوعاء من البلور فماذا يكون الانسان اكثر من جهاز لصنع الاقذار ؟ ولو شفت النفس شفت بدورها كالبلور . اما كان كل منا البرهان الحي على الحكمة الالهية الكبرى : « ان النفس لأمارة بالسوء » . ومع ذلك فنحن جهد محموم لاخفاء « الامارة بالسوء » وطي البختري بامارة الخير .. والخير وحده . ومؤامرة الصمت والنفاق تمشي وراء ذلك ، كبعض آلات محو الاثر .. ولكن دون نجاح كبير !!

ابو نواس الذي تعرف ، داعب احد ندمائه مرة بقوله :

ذبـول عينيك دليل على
انـك تشكو سهـر البارحة
عليك وجـه سيء حاله
مـن ليلـة بت بهـا صالحة
ونكهـة الخمـر وانفاسها
والخمـر لا تخفـى لهـا رائحة

لو شاء النواسي الحكمة لقال : والنفس لا تخفي بها جارحة ! ورحم الله ابن ابي سلمى :

فمهما تكن عنـد امرىء من خليقة
وان خالهـا تخفـى على النـاس تعلم !

وبالرغم من ان المدن تعرف ان الاقذار مشكلتها المؤلمة وتحتال على التخلص منها حرقا وتحويلا واغراقا ، تعرف الآن أن تلويث البيئة انتحار بطيء ، وتصيح في المنابر تحذيرا وانذارا الا أن الانسان ليس في هذا الواد . انه لا يهتم كثيرا بالخلاص من وجهه القذر ، يتركه على التراكم والعفن في الدهاليز الخفية من ذاته . ولقد يفلسفه ويبرره ليجعل منه بعض مقومات الذات . ألسنا ، في كل الاحوال ، نداقع عن أخطائنا وخطايانا ونجد لها ألف مبرر ومبرر ؟

المتصوفة في معركة التطهير

الوحيدون الذي اهتموا حقا بان يدخلوا معركة التطهير ، بان ينتصروا على سواد الاعماق ، بأن يخنقوا أفاعيها الجموح وعواصفها الشيطانية بالجوع والسكون والقهر هم الزهاد والمتصوفة : اهل الله ! صحيح ان الحل الذي اختاروه حل سلبي . اختاروا الهرب . الانسحاب . اغلاق كل النوافذ مع الدنيا ولكنه كان احدى وسائل الخلاص . كان طريق النقاء المتاح . سبيل الهدنة مع الروح . وكانوا يعرفون انهم ليسوا ببالغيه الا بشق الانفس وباصعب الغلاب المرير للذات . انهم يسمون ذلك بالرياضه ويسميها الرسول الكريم بالجهاد الاكبر . انه اعنف الجهاد . كل الانبياء وكل رجال التربية وفلاسفة الاخلاق ، منذ كان الانسان ، كانوا يجهدون لتعليم الانسان هذا الجهاد الصعب . يدفعونه للدخول فيما سماه السيد المسيح « بالباب الضيق » . كل العقائد ، كل عوالم المثل ، كل القوانين البشرية انما كانت لتطهير

الغسيل القذر . لخنق التنين الحيواني في الانسان . تاريخ الانسانية كله انما كان محاولة لجعل الانسان انسانا .

لست تستطيع ان تكون الها
فاذا استطعت فلتكن انسانا

على أن اكثر الناس ، ولو أرادوا التطهر أو اختاروا النقاء ، لا يطيقون هذا الجهاد الصعب ، إنه أعنف من احتمالهم ومدى ايديهم فالأهواء جموح ولا ألف حصان وحشي ، والفرص غواية ولا ألف شيطان . واللذات الحرام ... أرأيت الازهار المفترسة ؟ لون غوى ، وعطر كالعيون السود يبحث الخدر ، ولكن أفعى « الكوبرا الملكية » التي يجتذبها هذا العطر وذاك اللون ، هي دوما هناك . والموت معها هناك .. وفي ثوان ...

وبعض الناس يختارون الطريق الاسهل : التطهير الخارجي ، غسل الجسد ، الاستعانة بيد الله فوق ايديهم لمحو الخطايا واعادة الالواح بيضاء من غير سوء . الصوم ولو أنه تنقية للجسد . الا اننا نكتفي به عن طهر الروح . نجعله مجرد جرع حيواني ونسميه : عبادة . وقد نحاول أن نعطيه البعد الروحي ... نحاول تهدئة الوجدان القلق لتنقض المحاولة عند أول اغراء . ونحن نذهب الى الحج ، والحج شعيرة من شعائر الله ، وسبيل الغفران والطهور ، ولكنا نجعله رحلة الغسيل القذر ، نحسب أن مجرد حركة الالسن بالتلبية عند الطواف وركض السعي بين المروتين وتأمل المغيب على عرفة ، ذلك وحده كاف لمحو كل الذنوب . وتسقط هناك كورق الخريف عن أعناقنا مع ثياب الاحرام ويعود واحدنا وفي وهمه أنه طاهر نقي كيوم ولدته أمه ... ليعود فيسود الصفحة من جديد !

لسنا وحدنا ..

ولسنا وحدنا في هذا الطهور الجسدي الكاذب . الانسان هو الانسان دوما . شعوب اخرى عديدة سلكت الطريق الاسهل . تحول فيها القدس الروحي الى جسد . في القرون الوسطى كان البابوات يبيعون صكوك الغفران لمن يدفع الثمن . قطعوا الجنة قسائم واشبارا للراغبين في الخلاص بيضع دوقات ذهبية ، وكفى الله المؤمنين القنوت والصلاة ! شعوب الانكاس في امريكا اللاتينية ، قبل كولومبوس بقرون ، كانت بدورها تتطهر من الخطايا . يصعد صاعدهم المعبد الصخري من أعلى جبال الانديز ، مئات الدرجات الحجرية حتى اذا اشرف ، مع الشروق ، على بحيرة (تيتي كاكا) أعلى مسطح مائي عذب على الارض غطس في الماء وتطهر .. تطهر الجسد اما الروح ؟ ...

وفي الهند يزحف الهندوس من كل مكان الى نهر الغانج المقدس فهم في شاطئه عشرات من الآلاف تخوض في المياه الموحلة للوصول الى (الباغنا) الى العيش في توافق وسلام مع العالم . كذلك يعتقدون . فمياه الغانج حين تغسل الجسد تغسل معه الروح !

وفي سفر اللاويين من التوراة اصحاح يتحدث عن طقوس التطهير اليهودي . يقول الاصحاح : « يدخل هارون الى القدس في قميص وعمامة من الكتان المقدس ومن بني اسرائيل يأخذ تيسين من الماعز .. ويوقفهما أمام الرب في باب الخيمة ويلقي عليهما القرعة ، واحد للرب والثاني لعزازيل . فالتيس الذي خرجت عليه قرعة الرب يجعله ذبيحة خطية . واما التيس الذي لعزازيل فيوقف حيا امام الرب ليكفر عنه . ومتى فرغ من التكفير يضع هارون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب اسرائيل ، وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ، ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يأخذه الى البرية . والناس يطاردونه بالاقذار الى خارج البلد . ليحمل التيس كل ذنوبهم الى أرض مفقودة فيطلق التيس فيها .. أما المدن التي ارهقتها أقذارها حتى الاختناق فخسفت بها الارض او تحولت كسادوم وعمورة الى تماثيل من الملح ...

ويخيل الي اننا ، رغم دعاوي التطهر والخلاص ، نجد نوعا من اللذة الحرام في الاحتفاظ بالجانب الابليسي منا . نغسل ظاهر الجلد ولكنا لا نريد أن نغسل ما وراء الجلد ... والا فلو كان علينا أن نقوم بالتطهير الذاتي وكنا صادقين مع انفسنا ، فكم قطيعا من التيوس يحتاج كل منا يا ترى ؟ ■■

د . شاكر مصطفى

هذه مجموعة من القضايا الفكرية الهامة ، اختار الدكتور عماد الدين خليل ان يناقشها في هدوء ، من خلال تسجيل ملاحظاته عليها ، المليئة بالتحفظات والحجج والاسانيد .

دعوة للتفكير المستقيم

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

١ ـ في المادية يتحول الانسان الى كومة !

الشرائح العليا للبورجوازية .. الشرائح السفلى للمهنيين .. الشرائح الوسطى للموظفين . وهكذا يشرح التفسير المادي الحركات التاريخية والمجتمعات البشرية باسلوب رياضي صارم وساذج في الوقت نفسه ، لأنه يبسط العلاقات الاجتماعية والسايكولوجية باكثر مما تطيق .. كما انه اسلوب يتميز بقدر غير قليل من الاستخفاف بالانسان وامتهان كرامته بتحويل المواطن الانسان الى مجرد رقم او كتلة كمية تنضاف الى هذه الشريحة او الكومة الاجتماعية أو تلك على ضوء معيار واحد فقط هو مقدار ما تملكه من مال !!

وسيجيء اليوم الذي يكون فيه تفسير التاريخ او تحليل مجتمع ما ، بالشكل التالي : المجتمع المصري في عصر الثورة العرابية : عشرة بالمائة شرائح بورجوازية عليا ، يملك الواحد منها في المعدل الوسطي مائة الف جنيه ، فلان ، فان تصرفاتها التاريخية ومواقفها يجب ان تكون كذا .. وكذا .. (لاحظ يجب هذه ان أتباع المادية هنا في الشرق يستخدمونها اكثر من اساتذتهم ويعضون عليها بالنواجذ لأنهم كما يصطلح المثل : ملكيون اكثر من الملك) .. وخمس وعشرون بالمائة شرائح سفلى تملك في المعدل الوسطي خمسين جنيها ، فلان ، فان تصرفاتها يجب ان تكون كذا .. وكذا ..

وهكذا فان مؤشر تصرف الانسان وسلوكه التاريخي يتحدد فقط بانتمائه الطبقي بمقدار دخله السنوي .. اى ما يملكه من مال ..

وبنظرة سريعة الى التاريخ البشري ، والى تاريخنا نحن بالذات ، يتبين سخف هذه النظرية وتشنجها وتهافتها .. فليس الانتماء الطبقي وليس الدخل السنوي هما وحدهما اللذان يحركان التاريخ .. ان هنالك انتماءات لعبت دورها الخطير الحاسم في التاريخ ، تدحضهما وتعطي مؤشرات اخرى : الانتماء القبلي على سبيل المثال ـ في مساحات واسعة من تاريخنا الاسلامي حيث كان ابناء القبائل يتحركون وفق مسار الروح القبلية واهدافها وردود أفعالها ، بغض النظر عن مكانتهم الطبقية ودخلهم السنوي .. كان فقير قيس وغنيها يقاتل ضد فقير يمن وغنيها ، لم يتعاطف فقراء هذه القبيلة وتلك ، ويتمنى الانسان لو حدث هذا .. ولا التحمت مصالح اغنياء هذه القبيلة او تلك ، ولكنا نعرف المساحة الكبيرة التي غطاها الدافع القبلي في تاريخنا ..

في فجر الدعوة الاسلامية انتمى الى الدين الجديد اناس من شتى المراكز الاجتماعية . اناس اختلفت حظوظهم من المال ، بين من يحصل على عشرات الآلاف من الدراهم والدنانير وبين من لا يجد قوت يومه .. انتمى هؤلاء جميعا الى الدعوة الجديدة متجاوزين او بالاحرى غير معترفين اساسا بحاجز يسمى الموقع الاجتماعي .. او الدخل .. لان القناعة الفكرية والوجدانية بالصوت الجديد هي اكبر بكثير ، واقوى بكثير ، من ثقل الموقع الاجتماعي وتأثيرات الدخل .. ولو لم تكن كذلك لما استطاع هؤلاء الرواد ان يصمدوا بوجه تلك الحملة الجاهلية القاسية الشرسة التي سعت الى سحقهم وابادتهم ...

وهنالك غير هذا وذاك ، دوافع عديدة لعبت دورها وستظل تلعبه في حركة التاريخ .. هذا مع عدم انكار الدور الكبير الذي تلعبه مسألة الانتماء الطبقي والدخل .. ولكن الخطيئة القاتلة المناقضة للعلم والمنطق ، هي اعتبارها العامل الاول والاخير ..

ان التاريخ اشد تعقيدا واستعصاء على التسطيح .. وان الذين سعوا لقياس حركته بالمسطرة والفرجال وتنبؤوا .. سقطت تنبؤاتهم لان حركة التاريخ هذه لا تخضع للقياس الرياضي الصارم ، فالارقام والسطوح والاحجام ، الساكنة او المتحركة شيء ، وبنو ادم بما يتلكونه من تجربة معقدة هي نسيج من عقل وعاطفة وروح وارادة ونوازع ودوافع وغرائز وشواهد ورغبات .. شيء آخر تماما ...

والذي يصنع التاريخ هو الانسان ، ومن ثم تمتد حركته الى اكثر من بعد وتتوغل الى اكثر من عمق .. وليس الانتماء الطبقي والدخل بقادرين على منحنا المفتاح ...

وعندما يقرر عالم كبير مثل (الكسيس كاريل) ، قطع عمره في البحث المختبري بان احد اخطاء الانسان الخطيرة يتمثل بالسعي للنظر الى فاعلية الدماغ البشري ، والعملية الحيوية عموما من خلال نظم هندسية سهلة الفهم ، منتظمة التركيب .. عندما يقرر كاريل ذلك فليس بمقدور اي باحث في حقل العلوم الانسانية ذات البعد النظري القائم على الظن والتخمين في مساحات واسعة منه ان يسعى ، بالاسلوب الخاطيء نفسه ، لتحليل الحركة التاريخية التي يشكلها الانسان .. الحركة المعقدة الحيوية ، التي تند عن التصور الهندسي المنظم .. ليس بمقدوره ، اذا اراد ان يتبع المنهج العلمي حقا ...

اما مسألة الشرائح تلك ، مسألة تحويل الجماعات البشرية في مجتمع ما ، الى (كوم) بمقدار ما تملكه من مال .. فلعلها واحدة من الممارسات اليهودية لاذلال الانسان ، وتدمير ابعاده المتميزة الأصيلة التي تعلو على الذهب والفضة ....

واغلب الظن انها كذلك .. اليس اليهود هم الذين (أشربوا في قلوبهم العجل) كما وصفهم القرآن الكريم ؟

الذهب ... ولا شيء وراء الذهب .....

٢ ـ لعبة كل يوم ..

(لعلهم يتذكرون) ... (لعلهم يتفكرون) ... (لعلهم يعقلون) .... عشرات المرات ، بل مئاتها ، والقرآن الكريم يدفع الانسان دفعا ، يهزه بعنف يأتيه من كافة الزوايا من اجل ان يعمل عقله فيما يحيط به ، لانه بمجرد اعمال عقله هناك فانه سوف يكشف النقاب عن الحقيقة ... وما جاءت الاديان الالكي تقود الانسان الى الحقيقة ...

ابتداء من لحظات نزول القرآن الأولى والى أن يشاء الله ، ترددت وستردد هذه النداءات القرآنية الموجهة للانسان كي يعمل عقله ....

وعبر مسيرة الاسلام الطويلة استجاب للنداء من استجاب ، ورفض من رفض وبقي النداء يحمل حرارته وتدفقه في مجرى الزمن .

ومع ذلك يبرز بين الحين والحين ، من أدعياء البحث والفكر ، من يقول بان الدين جاء لكي يقف بمواجهة العقل ، يحاصره ويضيق الخناق عليه أو يسد إزاءه منافذ العمل والانطلاق ، وأنه اذا ما أردنا اطلاق العقل من عقاله ، لكي يعمل بحرية تامة فانه يتوجب علينا أن نزيح من طريقه عوائق الدين ...

اتراهم لم يقرأوا كتاب الله ولو مرة واحدة ؟ اتراهم لم يمروا على صفحاته ولو مرورا سريعا ؟ وفيهم الاساتذة المتخصصون الذين يتباهون بقراءتهم الواسعة ليل نهار ؟!

ترى كم من المواقف القرآنية حكم عليها من قبل هؤلاء الادعياء بعكس ما ذهبت اليه او ارادت ان تقوله ؟

انه احتقار للعقل نفسه ، ان يصدر الانسان حكمه على قضية لم يكلف نفسه عناء الاطلاع على تفاصيلها وابعادها .. تماما كما انه احتقار للقانون ان يصدر الحاكم حكما خطيرا في قضية لم يشهد فيها شاهد واحد ... احتقار للعقل نفسه ان يتشبث الانسان بموقف لا تبرره الحجج ولا الاسانيد ، موقف حمله معه منذ طفولته او صباه او مراهقته ، او لقنه تلقينا ، في هذه المرحلة او تلك ، ثم لم يحاول بعد استكمال نضجه ان يقوم بتفحص مدى صدق موقفه ذاك ..

واغلب الظن ان المسألة بالنسبة لمتخصصين كهؤلاء ليست مسألة حل ولا تلقين ، لكنها مسألة (تحميل) ارغموا عليه وهم يواصلون دراساتهم العليا هناك ، لكي يمنحوا الشهادة ويرجعوا الى بلادهم فيجدوا المناصب الخطيرة والضمانات الكبيرة والاموال الغزيرة تستقبلهم هناك ...

والدليل انك ان حاولت ان تناقشهم وتقدم لهم الادلة تلو الادلة لووا رؤوسهم ، ورفضوا الاستمرار في الحوار خوف ان تتكشف ابعاد اللعبة التي كلفوا بادائها قبل ان يرجعوا الى بلادهم ...

وليس ثمة من خطر ان يرجع كل المتخصصين وهم يحملون اسفار الخرافات الغربية المادية او الصليبية ، عن الاسلام وعقيدته وتاريخه ... ولكن الخطر يكمن في صفوف الطلبة الجدد الذين سيجلسون تحت ايديهم يتلقون عنهم المعرفة بنظرة ملؤها التقدير والثقة والاعجاب والاحترام ...

وازاء نظرة كهذه يطمس على الحقائق ، وتمرر الاكاذيب والخرافات ، في جامعتنا تمارس هذه اللعبة كل يوم ... ولمن يريد التأكد ان يذهب بنفسه الى قاعات المحاضرات واروقة الكليات وغرف الاساتذة ونواديهم لكي يشاهدها بام عينيه !!

٣ ـ لا اخاف الله ...

عبارة كثيرا ما يطلقها ادعياء خرافة الالحاد ....

يقولونها كلمات .... او يفرزونها سلوكا وممارسات .... وفي كلتا الحالتين يشير رفضهم السالب ، بما يتضمنه من شحنات التحدي المتوتر والانكار المخادع ، الى ان ثمة في اعماق قلوبهم ، في قاع فطرتهم التي تكدس فوقها التراب ... اعترافا بشكل من الاشكال ، اقرارا ما ، بهذه القوة العلوية التي يخافونها ويتجاهلونها ، ثم يتحدونها منفعلين ، متوترين .. تلك هي الله سبحانه ...

لكأنهم يؤكدون بموقفهم هذا ، ومن حيث لا يشعرون ، ايمانهم المسبق ، المطموس ، بخالقهم .

لقد قالها القرآن الكريم ، ان حقيقة الايمان مركوزة في جبلة بني ادم ، مدونة في شهادات ميلادهم ، محفورة على صفحات فطرتهم : (واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ، ذريتهم ، واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ : الاعراف ١٧٢ ـ ١٧٣) .

ولكن التعامل مع هذه الحقيقة العميقة يختلف بين انسان واخر ... حيث تركت حرية اتخاذ المواقف للانسان نفسه ... فمنهم من يفتح عقله وقلبه وروحه ووجدانه لحقيقة الايمان فيزداد توحدا وامتلاء ، وسعادة وقدرة على الفعل التاريخي في الزمان والمكان .... فينال نعيم الدنيا والاخرة . ومنهم من يسد بعض المنافذ ويفتح بعضها الآخر او يتركها نصف مفتوحة ، فيهتز ايمانه ويومض بين الحين والحين كلما انزاحت ستارة مسدلة على هذه النافذة او تلك ... ومنهم من يهيل عليها التراب ، او يتركه يتراكم فوقها ، برين على القلب ، وغشاوة على البصيرة ، وصدأ على الفؤاد .. ويبعد عنها او تبعد عنه ، حتى يأتي ذلك اليوم الذي يتصور فيه ان ليس ثمة ما يربطه بالايمان ، ويفقد القدرة على التواصل باى شكل من الاشكال مع تلك الحقيقة التي طمست في اعمق

اعماقه وراء طبقات كثيفة من الصدأ والتراب ... حتى اذا ما اعلن يوما انه لا يخاف الله ، او يمارس عملا يعلن به عن ذلك .... فانه انما يفعل ذلك في محاولة منه لاقتلاع آخر جذر في فطرته يمكنه من استئصال حقيقة الايمان بالله المتأصلة هناك .. ولن يستطيع ....

انه اذا ما استخدمنا مصطلحات الفقهاء واللغويين ، نوع من (مفهوم المخالفة) الذي يقود ضمنا الى معنى نقيض للمعنى المعلن قولا او فعلا .....

وسواء كان هذا الذي يتخذ موقف الرفض انسانا عاديا او مثقفا على مستوى كبار المفكرين الوجوديين القائلين بالحرية بعيدا عن رقابة الاله والزاماته الفوقية المسبقة فان الامر الذي لا ريب فيه هو ان موقفهم هذا يمثل اعلانا بشكل ما عن حقيقة اصيلة وكبيرة يسعون لتجاهلها وانكارها .. وما اكثر ما عاد هؤلاء بعد لجاجتهم تلك ، وعنادهم ، الى الحقيقة التي سعوا لاغتيالها في نفوسهم ... فعانقوها .. واصبحوا حينذاك ... وحينذاك فقط .. سعداء حقا !!

٤ ـ الصراع والتوافق .. معا

ليس تاريخ الكون والعالم صراعا وتناقضا كله ، كما تريد الديالكتيكية ان تقول . فهناك ماهو نقيض التصادم والصراع ... هنالك ـ ايضا ـ حركة باتجاه الانسجام والتوحد والتوافق ، وهي تغطي مساحة واسعة في حركة الكون والعالم ......

ان الرؤية الأحادية التي تأسر المنهج الديالكتيكي تقف عند جانب واحد ... صحيح انه يحتل مساحة واسعة من التاريخ ، ويفسر قسطا واسعا من الحركة ، لكنه ليس الجانب الاوحد . فهناك جوانب أخرى قد تكون نقيضة تماما لمفهوم الصراع ، لكنها تشترك معه في تحريك العالم وتفسيره كذلك ....

ومأساة الفكر الغربي والمعطيات الوضعية عموما ، هي هذا التشبث بالكشف الاحادي . هذا التشنج على جانب من المعرفة التي يتوصل اليها هذا المفكر او ذاك ، والادعاء بانه الجانب الاول والاخير ... الجانب النهائي ...

فعلها ماركس وفعلها دركايم وهيغل وفرويد وداروين .. الى آخره .. وسيفعلها عشرات بل مئات غيرهم ، ما دام ان من طبيعة السايكولوجية الوضعية ، اذا صح التعبير ، ان يتضخم احساسها بالكشف المعرفي حتى يصبح ورما خبيثا للرؤية الموضوعية العادلة الى جوانب المسألة كلها ..

ومهما يكن من امر فان ما يقوله الديالكتيك انما هو عرض لجانب واحد ، اما الجانب الآخر فيتمثل بالوفاق والتناغم والتعاطف والالتئام والانسجام . أي ـ باختصار ـ بتحرك متقابل ، وليس بتضاد متقابل ....

في الكون .. على مستوى السدم والنجوم والمجموعات الشمسية والمجرات ، يوجد الانشقاق والصراع والتفتت . ويوجد كذلك التجاذب والتجمع والتكاثف والدوران المتناغم ، والانسجام والحركة في الحالتين يمكن ان تجد تفسيرها وفق هذه الصيغة او تلك ..

وفي المادة في صميم التركيب البذري للاشياء .. يوجد الانشقاق والصراع والتنافر والتفتت ، ويوجد كذلك التجاذب والتوازن والتناغم والانسجام .. وتجد الحركة في الحالتين تفسيرها كذلك ....

اما في الحياة البشرية ، في التاريخ البشري ، فان الامثلة كثيرة جدا بحيث يصعب على المرء ان يختار نماذج منها ......

فالحياة البشرية وفق مسارها الطويل ، والتاريخ البشري عبر تدفقه الدائم ، تجد مفاتيح حركتها ليس بالصراع المتضارب وحده ، بل ، وربما في مساحات اوسع في التجاذب والتجاوب والالتئام والانسجام والشد ... ان الانتماء الى الدعوات او المذاهب الكبرى التي غيرت التاريخ وصنعته في الوقت نفسه انما هي مثل من عديد ، على قدرة التوحد على تحريك التاريخ ....

ان حركة الكون والعالم والحياة والتاريخ لهي بشكل ما اشبه بسيمفونية عظيمة لا تصنعها الحان متغايرة متضادة فحسب ، او متناغمة متآلفة فحسب (... لكنها نتاج توافقي مرسوم للنمطين معا . ■■

الموصل ـ عماد الدين خليل

أقوال معاصرة

■ اكثر ما يحزنني أن المسلمين لا يقرأون ، وان قرأوا فان اكثرهم لا يفكرون .

المفكر الاسلامي التركي فؤاد سزكين

■ النفط هو مشكلة بالنسبة للعالم ، ولكنه بالنسبة لنا مسألة حياة .

عبد الرحمن العتيقي ـ وزير مالية الكويت

■ ان الفقر والجوع والحزن تشكل تهديدا من نوع آخر للسلام العالمي .

اللجنة الدولية لجائزة نوبل

■ أتمنى ان تبني جدارا مثل سور الصين بين الشرق والغرب .

الامام آية الله الخميني

■ افلام الفضاء هي هروب فني من واقع الانسان .

الممثل العالمي انطوني كوين

■ كان الرئيس كارتر شجاعا . فعندما صعد الارنب البري الى يخته الخاص وهو في عرض البحر نزع المجداف وأرغم الارنب على الفرار !

جودي باول ـ المتحدث الرسمي للبيت الابيض

■ « ما زلنا عشائر وطوائف وافرادا .. لم نصل بعد الى درجة المواطنة » .

صلاح البيطار ـ رئيس وزراء سوريا الاسبق

■ يجب أن يتحرر العرب من القضية الفلسطينية ، وأن يتحرر مناحيم بيجن من العيش فى التاريخ .

شمعون بيريز زعيم المعارضة الاسرائيلية .

■ يجب أن يتوقف الانجاب تماما فى الصين ابتداء من سنة ٢٠٠٠ !

تشن موهوا نائبة رئيس الوزراء الصينى

■ اذا أعلن المجلس الادارى للحكم الذاتى اقامة دولة فلسطينية ، فسوف نعتقل أعضاءه الاحد عشر فورا ، ونعيد الحكم العسكرى خلال ٢٤ ساعة .

مناحيم بيغن

فى المؤتمر الرابع عشر لحزب حيروت

■ ان العالم ينظر الى السوفييت باعتبارهم شعبا ثقيل الظل ، وربما كان ذلك صحيحا أحيانا ، لكننا يجب أن نثبت العكس دائما .

جريدة برافدا



انطوني كوين



شمعون بيريز



كارتر



من تاريخ نضال عبد القادر الجزائري

الزَّمْلَة الجزائرية

أكبر عاصمة متحركة عرفها التاريخ العربي

بقلم : الدكتور عبد العظيم رمضان *

ربما كانت قصة « الزملة » في تاريخ نضال الأمير عبد القادر الجزائرى ، أغرب قصة أسطورية عرفها التاريخ العربي . ونعني بها ذلك المعسكر المتحرك الهائل ، او تلك القلعة المتحركة الهائلة ، أو العاصمة الكبيرة المتنقلة التى تفتق عنها ذهن الامير عبد القادر الجزائرى في مرحلة متأخرة من مراحل نضاله ضد الفرنسيين ، وكانت تضم نساء المجاهدين وأطفالهم وشيوخهم وعجزتهم وثرواتهم .

ومن المعروف أن الأمير عبد القادر ، الذى كان ينتمى الى احدى العائلات العربية النبيلة ذات النفوذ من قبيلة بنى هاشم العربية ، التى كان موطنها قرب مدينة معسكر عاصمة وهران ـ قد اختير سلطانا على الجزائر فى ٢١ نوفمبر ١٨٣٢ ، ليقود نضال الشعب الجزائرى ضد غزاته الفرنسيين الذين اخذوا في احتلال الجزائر منذ ٤ يوليو ١٨٣٠ .

ومنذ ذلك الحين لم يتوقف نضال عبد القادر ضد أعداء البلاد ، رغم الظروف الداخلية الخاصة التى كان يعيش فيها ، من ناحية طبيعة المجتمع القبلى الانقسامية التى كانت تجبره على النضال دائما في جبهتين : الجبهة الداخلية ضد التفتت والتمزق والانقسام ، والجبهة

* أستاذ التاريخ المساعد بجامعة المنوفية ـ جمهورية مصر العربية .

الخارجية ضد الغزو الفرنسي الذى يبسط نفوذه وسيطرته تدريجيا على البلاد .

ولما كان القتال في الجبهة الداخلية ، يستنفد طاقات ينبغى توجيهها للجبهة الخارجية ، فقد كان ذلك هو السبب في قبول عبد القادر عقد تسويات مؤقتة مع الفرنسيين ، تتيح له الوقت الكافي لتوحيد جبهته الداخلية اما بطريق الاقناع أو القتال . فقد عقد مع الفرنسيين معاهدة « دى ميشيل » في ٢٦ فبراير ١٨٣٤ ، التى حصرت مواقع الفرنسيين في الحصون الساحلية ، واعترفت به « أميرا للمؤمنين » وصاحب سيادة على غرب ووسط الجزائر ، بما في ذلك اقليمى وهران والجزائر .

وقد أتاحت له هذه المعاهدة الفرصة لتنظيم حكومته وبناء دولته ، متتبعا في ذلك خطى محمد على في مصر . وقد بسط النظام والأمن في ربوع البلاد بما لم يسبق له مثيل ، مما حدا بكثير من المصلحين الجزائريين في مناطق الجزائر الأخرى الى التطلع الى الدخول في طاعته والانضمام الى دولته .

معارك عبد القادر

ولكن الفرنسيين حين أحسوا بخطر قيام دولة حقيقية تحت سلطة عبد القادر ، انتهكوا شروط المعاهدة ، بل انكروها ، فتجددت الحرب بين الفريقين ، واستطاع عبد القادر محاصرة المراكز الفرنسية الداخلية وقطع الاتصالات بينها وبين المراكز الرئيسية ، في الوقت الذى كان المناضلون الجزائريون في قسنطينة تحت قيادة الحاج أحمد باى ينزلون نكبة كبيرة بالقوات الفرنسية . واضطر الفرنسيون الى عقد معاهدة « التافنه » في مايو ١٨٣٧ مع عبد القادر ، الذى اعترفت به سلطانا على القسم الأكبر من وهران ، وكل اقليم التيطرى (وسط الجزائر) ، وأصبح الامير ندا لدولة كبرى ، وانحسرت مراكز الفرنسيين في خمس مدن ساحلية .

وانطلاقا من هذه المعاهدة ، استأنف عبد القادر نضاله في الجبهة فخاض نضالا طويلا ضد الانفصاليين من القبائل ، وعمل على توسيع دولته ، وتدعيمها ، حتى أصبح قوة تهدد الوجود الفرنسي في الجزائر . وبذلك أصبح تجدد الحرب مع فرنسا أمرا محتوما ، وهذا ما وقع بالفعل في ١٨ نوفمبر١٨٣٩ .

على ان الفرنسيين في هذه المرة كانوا قد تعلموا اساليب عبد القادر في القتال ، وقرروا استخدامها ، وكان قائد القوات الفرنسية الجنرال بيجو Bugeauy حاكم عام الجزائر . وقد قرر التخلى عن الأساليب الفرنسية القديمة التى كان يتبعها أسلافه من القواد ، والتى تقوم على تركيز القوات ، وعدم سحبها مهما بلغت التضحيات ، واتبع خطة جديدة تعتمد على الطوابير المتحركة التى تهاجم في شتى الجبهات ، وعلى مرونة الهجوم والانسحاب عند اللزوم ، والتخفف من المعدات والمدافع الكبيرة . وأخذ يتجه الى انشاء المراكز العسكرية الدائمة في قلب المجتمعات العربية القبلية ، لتنطلق منها الطوابير المتحركة لضرب المقاومة الجزائرية واثبات حضورها السريع في كل وقت .

وعلى هذا النحو ، ورغم الجهود الهائلة التى بذلها عبد القادر لاحباط خطط اعدائه ، الا ان مثابرة الفرنسيين على القتال ، وتعويضهم المستمر لخسائرهم في الارواح

والمعدات والسلاح ، وتزايد حجم جيوشهم ـ قد جعل كفة القتال تميل لصالحهم ، وأخذت مراكز عبد القادر الثابتة جميعها تتعرض للغزو والتخريب .

على أن أكبر ما أزعج المناضلين الجزائريين في ذلك الحين ، هو ما أخذت تتعرض له أسرهم وعائلاتهم من هجوم مستمر ، ليس فقط على يد المستعمرين الفرنسيين ، بل وعلى يد الخارجين على عبد القادر من القبائل الاخرى التي سئمت القتال وتحالفت مع الغزاة . فان هذا الخطر الدائم على أسر المجاهدين قد أثر في روحهم المعنوية وأصابها بالاهتزاز .

وعند ذلك تفتق ذهن عبد القادر عن فكرة تجميع نساء المجاهدين وأطفالهم وشيوخهم وعجزتهم في معسكر واحد ضخم ، يتنقل مع قواته حيثما تتحرك ، ويكون تحت حمايتها . وقد عرف هذا المعسكر المتحرك الكبير باسم « الزملة » .

صورة الزملة

و« الزملة » لفظ عربي أصيل من « زمل » ، أي رافق أو تبع . وتطلق على « العيال » ، فيقال ترك فلان وراءه زملة ، أي عيالا . وقد ترجمها صديقي المؤرخ الجزائري الدكتور أبو القاسم سعد الله ، في ترجمته الممتازة لكتاب « حياة الامير عبد القادر الجزائري » الذي ألفه شارل هنري تشرشل ، الى « الزمالة » . أي أنه قلب الفتحة على « الزاي » الى ألف في ترجمته للكلمة بصورتها الافرنجية . ولو ترجمها الى لفظها العربي الاصل لمنع اللبس بينها وبين« الزمالة » التي هي قبيلة جزائرية ، أو مجموعة كبيرة من القبائل بالقرب من مدينة وهران . ولعل ما دفعه لذلك أن الجزائريين يسكنون الحرف الأول من الكلمة عادة ، فيصير نطق كلمة « زملة » ، « بتسكين » « الزاي » ، أقرب الى « زمالة » . ويلاحظ أن الفرنسيين يكتبون الكلمة كما ينطقها الجزائريون أي بتسكين الحرف الاول ، فتكتب : La Smala وعلى كل حال ، فاللفظة على هذا النحو تعتبر تعريبا دقيقا لهذا المعسكر الضخم التي كان يضم عيال المجاهدين ، أي أهل بيوتهم من الاطفال والنساء والشيوخ والعجزة .

ولم تلبث « الزملة » مع مرور الوقت أن أصبحت بمثابة عاصمة ضخمة متنقلة يقدر عدد سكانها بنحو ٢٠ر٠٠٠ نسمة ، ثم بلغت ما يقرب من ٦٠ر٠٠٠ نسمة ! ، وكانت تتنقل مع عبد القادر حيثما ذهب ، سواء في تقدمها الى المناطق المتمدنة ، أو في تراجعه الى الصحراء . وأخذ العرب يرسلون اليهامقتنياتهم الثمينة وثرواتهم وقطعان ماشيتهم ونساءهم وأطفالهم وذويهم باعتبارهم ملجأ أمينا مشتركا تحميه قوات عبدالقادر . ولم يدخر عبد القادر جهدا في تشجيع الهجرة اليها والدعاية لها .

وعندما كانت « الزملة » تنصب خيامها في الصحراء ، كانت تمتد هذه الخيام الى الأفق البعيد وتترامى خلفه ، وعندما كانت تنصبها في التل ، كانت تملأ السهل وتغطي منحدرات الجبال .

وكانت « الزملة » منظمة وفق ترتيب عسكري محكم . فكانت مقسمة الى دوائر ـ أي مجموعة من العائلات ذات النسب المشترك . وكل دائرة لها خيامها التي تختلف عددا وفق قوة كل منها وحجمها . وكانت الدوائر مقسمة على أربعة مخيات كبيرة ، وكل دائرة تعرف مكانها ، ولكل منها رئيس مركزه معروف ، وله وظيفة معينة تبعا لمكانته .

وكانت « الزملة » أشبه بمدينة كبيرة . ففيها ما تحتاج اليه من حرفيين مهرة في الدروع والسروج والخيام وغيرها من الحرف الضرورية لحياة أهليها وأمور معيشتهم .

وقد عين عليها عبد القادر أربع قبائل مهمتها الاشراف والحماية وارشاد « الزملة » أثناء تحركها او اقامتها ، كما عين عليها جندا لحراستها وقت غياب القوات الرئيسية في احدى الاغارات على المواقع الفرنسية القريبة .

ومع مرور الوقت ، أصبحت « الزملة » تلقائيا أداة توحيد وتجميع للقبائل العربية حول عبد القادر ، بحكم الرابطة الانسانية والقومية من جهة ، وبحكم رابطة الخطر والنضال التي أصبحت تربط أسر وعائلات المناضلين من جهة أخرى ، وبحكم المصالح المشتركة

والثروات المتجمعة في مكان واحد من جهة ثالثة . وفي الوقت نفسه أصبحت ضمانا لعبد القادر ضد انشقاق المنشقين وتقاعس المتقاعسين .

وقد كانت تحركات « الزملة » سرا من الاسرار العسكرية القصوى ، نظرا لنقطة الضعف الخطيرة الكامنة فيها . فعلى الرغم من أنها كانت تحت حماية جيش عبد القادر ، الا أن تجميع هذا العدد الهائل من اسر المناضلين الذي بلغ كما ذكرنا ٦٠٫٠٠٠ نسمة في مكان واحد ، فضلا عن وجود المقتنيات الثمينة وثروات المناضلين ، كان أشبه بتجميع « البيض » كله في سلة واحدة ، وبالتالي كانت مغنما عظيم القيمة يسيل له لعاب الفرنسيين لو اكتشفوا مكانها وقرروا مهاجمتها .

وهذا ما حدث بالفعل . فقد اكتشف الفرنسيون أهمية « الزملة » ، وأخذوا يرسمون الخطط للاغارة عليها ، وأصبح الاستيلاء عليها حلم الجنرالات الفرنسيين ومن يليهم من القواد الصغار . وفي ربيع عام ١٨٤٣ قاد الجنرال لامور سيير قواته في حملتين للبحث عن « الزملة » ، ولكن عين عبد القادر كانت عليه بوساطة جواسيسه ، ولذلك فشلت جهوده .

الخيانة تلعب دورها

على أن الخيانة لم تلبث أن لعبت دورا فظيعا على يد شيخ عربي من أحط ما عرف تاريخ الخيانات القومية نذالة وجبنا ، يدعى الشيخ عمر بن فراح من بني عياد ، خان دينه وقومه ووطنه ، وعرض خدماته على الفرنسيين لارشادهم الى المكان الذي تعسكر فيه « الزملة » .

ونظرا لأهمية الأمر ، فقد كلف الدوق دومال D'Aumale ، وهو ابن الملك لويس فيليب ، بقيادة الحملة على « الزملة » ، بينما كان الأمير عبد القادر منشغلا بمراقبة الجنرال لامورسيير . وفي العاشر من مايو ١٨٤٣ ، غادر دومال مركز بوغار على رأس جيشه ووصل يوم ١٤ مايو الى « الكوجيلة » ، التي أعلن الشيخ الخائن أن « الزملة » تعسكر عندها . ولكن « الزملة » كانت قد غادرت الموقع ، وظل الفرنسيون يبحثون على غير هدى حتى تملكهم الاعياء ، وادركتهم رياح السموم العاتية ، فزادت من ضعفهم وإنهاكهم ، وبدأ اليأس يغزو قلوبهم .

ولكن في فجر يوم مشئوم ، هو يوم ١٦ مايو ، أقبل الشيخ الخائن راكضا على صهوة جواده ، يعلن أن « الزملة » عند نبع طاقين . وفي الحال اصدر الدوق دومال أمره الى فرسانه الستمائة بالتقدم . ولكن الشيخ حذره من أن الهجوم بهذا العدد القليل من الفرسان يعتبر انتحارا . ولكن اغراء الغنيمة كان أقوى من كل تردد ، وتغلب الدوق على قلة جنده بالخديعة ، فأمر فرسانه بارتداء ملابس جنود الصباحية ، وهم جند عبد القادر غير النظاميين ببرانيسهم الحمراء .

وتحت ستار هذه الخديعة ، استقبل أهل « الزملة » الفرسان الفرنسيين بالزغاريد والتهليل : تحت اعتقاد انهم جنودهم العائدون . وأخذ هؤلاء يتوغلون داخل هذا البحر الزاخر من الخيام والنساء والاطفال والشيوخ ، ثم اطلقوا النيران مرة واحدة ، وفي لمح البصر انقلب هذا البحر من الخيام الى بحر من الهرج والمرج والفوضى والرعب ، ودب الارتباك في الحرس الذي كان تعداده ٥٠٠ جندي نظامي ، فأطلق النار مرة واحدة ثم فر . وحاول فريق من بني هاشم الوقوف بشجاعة في وجه تيار الرعب دون جدوى ، وانطلقت قطعان الماشية والابل والخيول والبغال والثيران في أمواج متلاطمة . وقد خلد هذا المنظر التاريخي المأساوي الرسام الكبير هو راس فرنيه Horace Vernet .

ومع أن عدد القتلى كان قليلا نسبيا ، الا أن مغانم النصر للفرنسيين كانت غير محدودة ، فقد تمثلت في أسر كبار قواد عبد القادر ، والاستلاء على ثرواتهم ومقتنياتهم من الذهب والجواهر والماس ، فضلا عن الوف الحيوانات من مختلف الانواع .

وقد وصف عبد القادر الجزائري هذه النكبة فيما بعد وصفا بليغا مؤثرا فقال :

« عندما هاجم الدوق دومال « « الزملة » ، كان أهلها لا يقلون عن ٦٠٫٠٠٠ نسمة . ولكنه لم يأخذ معه سوى عشرهم . لقد كانت « الزملة » تمتد من طاقين الى جبل عمور ، فاذا صادف أن فقد عربي أسرته فيها ، فانه

يظل يبحث عنها يومين قبل أن يجدها ! . وحيثما حلت « الزملة » تجف مياه الآبار والجداول . وقد أقمت قوة من الشرطة خصيصا لمنع تلويث المياه من قطعان الماشية أو الاسراف فيها . ورغم هذه الاحتياطات فان كثيرا من أفرادها هلكوا من العطش .

« ولقد كانت « الزملة » تحتوي على عمال فنيين في الدروع والسروج والخياطة ، وكل صنعة كانت ضرورية لاقامتها وتنظيمها . وكانت تقام فيها سوق عظيمة يومها عرب التل . أما الحبوب والقمح والشعير ، فقد كانت تجلب الينا أو ترسل في جلبها من قبائل الشمال .

« وكان نظام التعسكر محترما من الجميع ومنظما تنظيما دقيقا . فعندما اضرب خيمتي يعرف كل واحد المكان الذي أشغله . لقد كان معي ثلاثمائة أو أربعمائة جندي نظامي ، الى جانب الفرسان غير النظاميين من بني هاشم الاغريسيين الذين كانوا مخلصين لي اخلاصا خاصا . ولم يكن من السهل الوصول الي ، ولم أفعل ذلك حفظا على سلامتي الشخصية ولكني شعرت بضرورة انجاز عمل الله ، وقد وضعت ثقتي فيه لتقوية وحماية الذراع الذي يحمل لواءه .»

بعد الغارة

« وفي الوقت الذي فاجأ فيه الفرنسيون « الزملة » ، كنت قرب « تاقدامت » ، أراقب الحامية الفرنسية بوهران ، التي كانت قريبة مني ، والتي كنت أعتقد أن علي أن أخشاها بالدرجة الاولى . وكان معي ١٥٠٠ أو ١٦٠٠ فارس . وكان بن الخروبي مع فليتة ، وبن علال في الونشريس ، ومصطفى بن التهامي بين بني ورغة . ولم يكن لي أن أخشى أبدا تلك النكبة التي حدثت من ناحية المدية ، ولم يكن أحد من خلفائي يراقب لحركات الدوق دومال .

« ورغم كل ذلك ، فقد كان في الامكان تفادي المفاجأة التي وقعت ، لو أن الله لم يطمس عيون شعبنا . فقد اعتقد أهل « الزملة » ، عندما رأوا جنود الصبائحية مقبلين ببرانيسهم الحمراء ، أنهم جنودي غير النظاميين عائدين . بل ان النساء استقبلتهم بالزغاريد ترحيبا واحتفاء بهم ، ولم يشعرن بالأمر الا بعد اطلاق النار . ثم تلا ذلك حالة فوضى لا توصف شلت جميع جهود الذين حاولوا الدفاع عن أنفسهم .

ولو كنت حاضرا ، لكان علينا أن نحارب من أجل نسائنا واطفالنا ، ولعاش الفرنسيون يوما لن ينسوه ، ولكن الله أراد غير ذلك ، ولم أسمع بالنكبة الا بعد ثلاثة أيام من حدوثها ، ولكن الفرصة كانت قد ضاعت . »

وقد تشتتت « الزملة » بعد هذا الهجوم . لقد حمل الفرنسيون معهم نحو ٣٠٠٠ أسير فقط بسبب قلة عدد الفرسان ، ولكن بقية « الزملة » تفرقت في مختلف الجهات ، وبعضها وقع في أيدي القبائل العربية الخارجة على عبد القادر ، التي سلبتها ما كان معها ، واستطاع الجنرال لامور سيير ان يلحق بالبعض الآخر .

على أن الأثر المعنوي الذي لحق نفوس قواد عبد القادر الذين أسرت عائلاتهم وضاعت مقتنياتهم وثرواتهم لم يكن من السهل محوه أو تخفيفه ، وأخذت الأخبار تصل الى عبد القادر يوميا عن فرار قبائل كثيرة من صفوفه . ولكنه لم يلبث طويلا أن تغلب على جراحه بطريقة فذة حين وقف يخاطب قواده قائلا : « لماذا علينا أن نحزن وأن نشكو ؟ . أليس كل هؤلاء الذي أحببناهم وفقدناهم هم الآن في الجنة ينعمون ؟ . الحمد لله ، أن كل تلك الأشياء التي كنت أقدرها حق قدرها ، والتي كانت عزيزة على قلبي والتي شغلت عقلي كثيرا ، لم تزد أن عاقت حركاتي وحولتني عن الطريق الصحيح . اما في المستقبل ، فسأكون حرا في محاربة الكفار » . وفي اليوم التالي كتب الى خلفائه يخبرهم بنكبة « الزملة » ويقول : « ولكن علينا ألا نفقد شجاعتنا ، فسنكون منذ الآن أخف حملا وأفضل استعدادا للقتال » ! . وهكذا من أحلك لحظات الظلام استمد عبد القادر الجزائري نورا للأمل ظل يضيء طريق نضاله الصعب أربع سنوات أخرى حافلة بالانتصارات والهزائم ، حتى اضطر في النهاية بعد أن تكالب عليه الجميع الى القاء السلاح .

د . عبد العظيم رمضان

الإمبراطور جونز يموت ويحيا..!

بقلم : الدكتور علي الراعي

■ دخلت الزنجية العجوز قصر الامبراطور جونز وهي تتلفت رعبا . كانت امرأة طاعنة في السن ، تحمل على كتفها الواهنة كل ما استطاعت حمله من متاع هو - في حال الفقراء أمثالها - أقل من القليل : صرة من القماش الملون بها متاعها القليل هذا .

انسابت العجوز الى الباب ، وهي حذرة كل الحذر ، قاصدة طريق الخروج من قصر الامبراطور جونز . غير أن تلفتها ، وحذرها لم يمنعاها أن تقع في براثن رجل طويل القامة ، منحنى الكتفين ، كان يرقب حركاتها في ريبة وتوفز .

اسم الرجل سميذرز . وهو تاجر « نصاب » ، من أهل لندن الشعبيين ، يقيم في امبراطورية جونز ويسرق الفقراء الزنوج ، ويصاحب الامبراطور على غير ود ، ويدخل واياه في صفقات يمتصان فيها مزيدا من الدماء ، فهما شريكان متوافقان ، وان كان الواحد منهما يعرف عن الآخر كل ما يشين .

ظل النصاب يرقب الزنجية العجوز برهة ، ثم انقض عليها فجأة وألقى عليها قبضة لافكاك لجسدها الواهن منها .

قالت المرأة العجوز وهي تسترحم : لاتقل له يا سيد ! لا تقل له !

قال النصاب : تعنين صاحب الجلالة ، ابن اللئام ؟ ماذا جرى اذن ؟ وأين بقية الزنوج ؟ قالت العجوز تحت وطأة التهديد : فروا جميعا .. فروا الى التلال .

انتهز شعب الامبراطور جونز فرصة تمتع امبراطوره العزيز بنوم القيلولة ، فهربوا جميعا .. عن بكرة ابيهم ، وتركوا الامبراطور المفدى يغط في نوم هنيء !

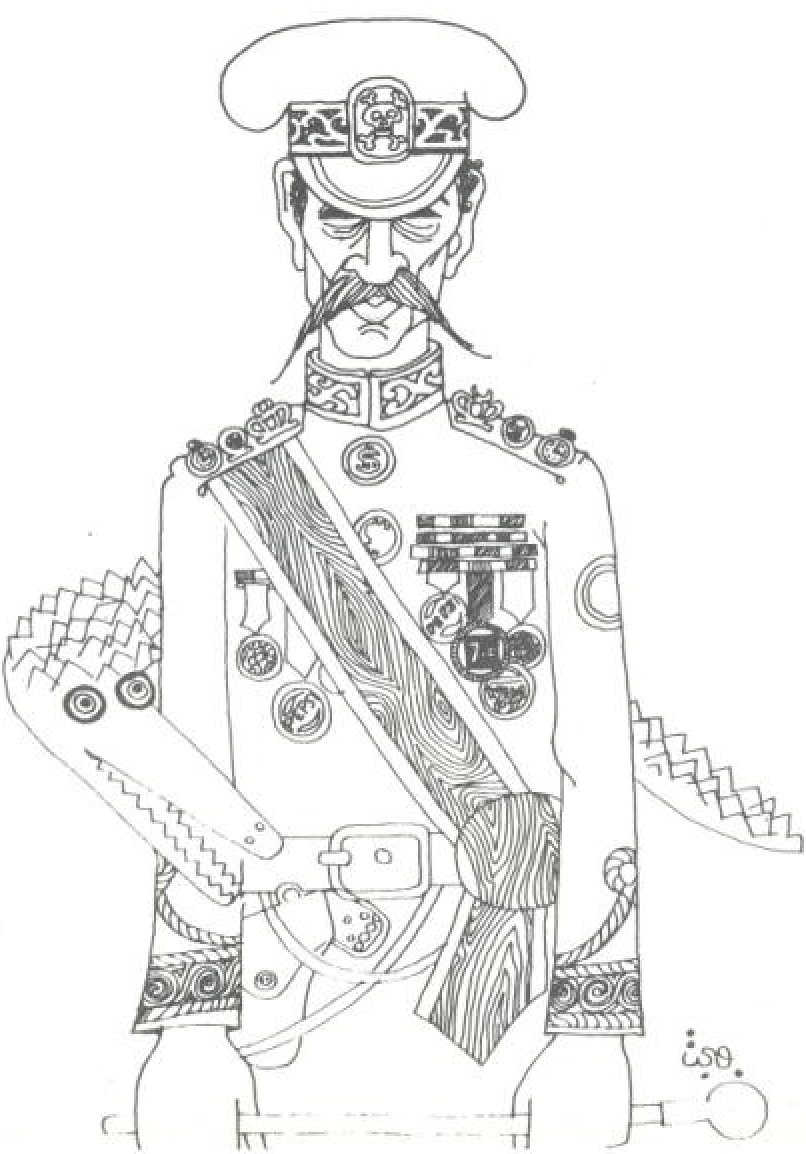
ويدرك النصاب معنى هذا العمل على الفور . ستدق طبول الحرب وشيكا . وهو لهذا لا يخفي سعادته . ويروح يتشفى في الامبراطور جونز ، ذلك الزنجي النتن الرائحة ، الذي صنعه بيديه ، فاذا هو امبراطور بين الزنوج ، يختال متبخترا ، ويتعالى على من صنعه .

ولا يمضي طويل وقت حتى يدخل الامبراطور : طويل ، متين البناء . له ملامح الزنوج ، ولكن شيئا ما يميزه : قوة ارادة ووثوق بالنفس ظاهران .

يدخل الامبراطور في لباس العجب . يدخل متبخترا في سترة زرقاء خفيفة الزرقة تنتشر فيها الأزرار النحاسية الصفراء ، وتزين الكتفين والياقة والكمين منها ألياف مذهبة . أما سرواله فأحمر قاني الحمرة ، يشقه على الجانب من الفخذين شريط رفيع خفيف الزرقة هو الآخر . ويتم الهندام حذاء من الجلد ذو مهازين من النحاس ، وحزام يتدلى منه مسدس طويل ، مرصع اليد باللؤلؤ .

هذا هو الامبراطور اذن . كان يمكن أن يكون هدفا للتندر لولا مهابة فيه ، تضعه موضع القبول .

وكان سميذرز النصاب قد وضع أصبعين في فمه وأطلق صفيرا مسموعا . فصحا الامبراطور من نومه وهو ضيق الصدر . يعجب لهذا الذي واتته الجرأة كي يصفر في قصر الامبراطور . والامبراطور يظن أن زنجيا ما قد « ارتكب » هذا الصفير ، ويهدد بأن يسلخ جلود بعض من زنوجه لقاء هذه الفعلة الشنعاء . فلما يعلم أن سميذرز هو الذي صفر ، يدور بين الاثنين حوار مضحك ولذيذ : التاجر النصاب يذكر فيه الامبراطور بفضله عليه يوم ضمه الى تجارته المشبوهة ـ حين لم يكن يجرؤ أحد غيره على أن يفعل هذا . بالنظر الى قصة كانت تطارد جونز ، وتحكي أنه كان سجينا في أمريكا يوما ما ، لجرم ارتكبه ، ثم فر من السجن لاجئا الى أفريقيا .



أما الامبراطور فهو يمن على التاجر أنه قام ، نيابة عنه ، بكل أعماله القذرة ، وببعض الأعمال التي تتطلب عقلا وسعة حيلة . فهو اذن قد صنع التاجر ، لقاء العون الذي لقيه منه أول الأمر .

وتعلم من خلال الحوار أن رجال البلاط قد اختفوا ، وكذا جنرالات الجيش والوزراء . ويسمع الامبراطور هذا النبأ فلا يأبه . لا بد أنهم ـ كعادتهم ـ انتهزوا فرصة القيلولة ونزلوا الى المدينة يشربون ويتشدقون بالكلام الرنان . فلا خطر من غيابهم اذن .

يقول الامبراطور وهو يحاور التاجر : قد أعنتني في البداية ـ هذا حق . ولكن لم يمض وقت طويل حتى نصبت نفسي ـ بنفسي ـ امبراطورا على هؤلاء الزنوج المغفلين : من سجين هارب اختبأ في سفينة ، أصبحت امبراطورا في عامين .

ويرد التاجر وهو يكاد ينشق حقدا ، ويحترق رغبة في المعرفة : لا بد أنك قد أخفيت ما جمعت من مال في مكان ما . ويقر جونز بأن هذا هو ما حدث بالفعل : وضع أمواله في أحد المصارف الأجنبية ، كي لا يصل اليها أحد . أيظن التاجر أنه قام بدور الامبراطور من أجل الوجاهة وحسب ؟ الوجاهة جزء من اللعبة ، ومقصود به أن يرضي جموع الزنوج المتطلعة الى أبهة الاحتفال والبهجة وعروض السيرك ، تلك التي تصاحب دائما مواكب الأباطرة . ليكن اذن : لقد أعطاهم جونز الحفل والبهجة وأخذ منهم أموالهم !

ثم يلتفت الامبراطور الى التاجر ويقول : لا تنس أنني قد دفعت ديني لك مرات كثيرة ، تركتك تمارس تجارتك المشينة تحت حمايتي . كنت أصدر القوانين لمنع التجارة المشبوهة ، وأتقدم بنفسي لحمايتك من طائلة ما أصدر من قوانين .

ويرد التاجر بقوله : رجاء عدم المؤاخذة ـ لقد كنت أنت نفسك تسرق باليسار واليمين ، وتفرض الضرائب على الزنوج حتى مصصت دماءهم جميعها .

ولكن الامبراطور يزعم أنه ما زالت بعروق الزنوج بقية من دماء ، سوف يمتصها في غضون ستة أشهر ، ثم يرحل عن البلاد مستقيلا .

ذلك أنه ليس مغفلا . وهو يعلم تماما أن أي امبراطور لا يستطيع أن يبقى في منصبه الى الأبد . والحصيف الحصيف ، من أدرك هذا منذ البداية ، فعمل لغده والشمس مشرقة ، حتى اذا ما غطت السماء غيوم الأحداث ، نزل عن كرسيه وهو يقبل يده ظهرا لبطن ، قانعا بالغنيمة والأياب .

وحين يقول التاجر ان الأمبراطور كان يكسر كل قانون بمجرد أن يصدره ، يرد الأمبراطور بقوله : ولم لا ؟ ألست الامبراطور ؟ الامبراطور فوق كل قانون . اسمع يا سميذرز : هناك نوعان من السرقة : سرقة صغيرة ، كتلك التي تقوم أنت بها ، وسرقة أخرى كبيرة ، وتلك هي مهمتي . السرقة الصغيرة تؤدي بك الى السجن والسرقة الكبيرة تجعل منك امبراطور ، وتحفظ لك مكانا في قاعة المشاهير ، حين تغادر هذه الدنيا . هذه هي الحكمة التي تخلصت الي بعد سنوات عشر من العمل حمالا في قطارات البولمان في أمريكا . كنت أسمع البيض يتداولون هذه الحكمة ، فلما واتتني الفرصة ، عملت بها .

ثم نعلم من باقي الحوار كم هو ماكر ، وقدير ، وخبير هذا الأمبراطور جونز . لقد أطلق في الناس شائعة تقول : انه لا يموت قط برصاص عادي ، هو من قوة البدن بحيث لا تقتله الا رصاصة صنعت من فضة . ومن يومها سلم الزنوج أمرهم الى مولاهم الأمبراطور ، ويئسوا من أن ينالوه . فمن أين لهم بالرصاص صنع من الفضة ؟

ومضى الأمبراطور ، فأحكم حكايته . صنع رصاصة من الفضة بالفعل ، وقال لشعبه الرقي ، انه سوف يقتل نفسه بها ، حين يحين الحين . أما محاولاتهم هم لقتله بالعادي من الرصاص فلن تصيب النجاح قط . ومن يومها يمشي الأمبراطور في الأسواق وهو آمن !

الامبراطور طريدا

على أنه منذ الآن لن يأمن أبدا . ان اختفاء رجال القصر والحرس قد صحبته سرقة كل جياد الأمبراطورية ، بما فيها جواد التاجر النصاب . فهي

الثورة اذن ، لا شك في هذا الآن . وعلى الأمبراطور أن يهرب سعيا على الأقدام ان أراد أن يبلغ النجاة .

كان قد قرر منذ دقائق أن أمامه فسحة من الزمن قدرها ستة أشهر ، قبل أن تهب رياح الثورة . والآن ، وقد هبت الريح قبل الموعد ، فانه مستقيل من فوره ، وذاهب الى أحد الموانىء حيث تنقله سفينة فرنسية الى مكان آمن ، ومن ثم يقبض أمواله من المصرف الأجنبي ، ويعيش ناعم البال . كل ما عليه الآن أن يمضي من توه ، لا يلوى على شيء .

ويترك الأمبراطور صديقه النصاب حائرا بين الأعجاب بحزم عدوه والتشفي في مصيره ، ويتجه الى الغابة التي تفصله من الشاطىء . وطوال المناظر السبعة الباقية من هذه المسرحية ـ مسرحية « الإمبراطور جونز » لعميد الدراما الامريكية : يوجين أونيل ـ يتنقل الأمبراطور فزعا ، مطاردا ، تجرى وراءه أشباح ما حدث له في الماضي وما حدث منه ، ولا تكف طبول الحرب عن أن تبلغ أذنيه ـ طبول ال « توم توم » ، تقرعها جموع شعبه الثائر ، الذى يجد وراءه ، مصمما على أن يدركه ويفتك به .

في أمريكا كان جونز قد قتل رفيقا له كان يلاعبه في أحد الأماكن العامة ، فزج به في السجن ليمضي فيه عشرين عاما من الأشغال الشاقة . وحدث ذات مرة أن أغلظ له حارس السجن في القول ، فتناول جونز معولا وفلق به دماغ الحارس ، ثم حطم قيوده ، وولى هاربا

تذكر جونز وهو في ظلام الغابة الافريقية كل ماجرى له في الماضي وماجرى لأسلافه . تذكر كيف كان جدوده يباعون ويشترون بالمزاد العلني . يتحلق البيض حولهم ، ويروحون يعلقون على ميزاتهم البدنية ويتحسسون عضلاتهم ومتانة بنائهم كأنما هم والبهم سواء . وتذكر أيضا ذلك الزنجي ليم ، الذى حاول قتله في صورة سابقة ولكنه أخطأ الهدف ، فأرداه جونز قتيلا وتذكر واقعة قتل رفيقه في اللعب ، وقتل حارس السجن . تذكر هذه الأشياء جميعا وهي تطارده وتظهر له كما تظهر الأشباح لمن استبد به الرعب ، فأخذ جونز يطلق النار من مسدسه ذى الطلقات الستة ، حتى يهرب الرعب من سمعه وبصره . ونفدت الرصاصات الخمس التي حشا بها مسدسه ، ولم تبق الا الرصاصة الفضية ، التي كان قرر أن يبقيها للأزمات ، وزعم لنفسه أنها كالتعويذة ، جديرة أن تدفع عنه كل سوء .

غير أنه مضطر الآن لاستخدامها دفاعا عن نفسه . كان الثوار قد أحاطوا به ، وأخذت دقات طبولهم تعلو وتعلو . ورأى جونز في خيالاته الساحر الطبيب الذى تعرفه كل قبيلة أفريقية ـ رآه يرقص من حوله ، ويحيط به ، ثم يستخرج بسحره تمساحا بشع المنظر يخرج من الماء وينظر اليه بعينين خضراوين قاسيتين مسددتين نحوه كفوهتي غدارتين . ويأمر الساحر جونز بأن يسلم جسده للتمساح . ويكاد جونز يفعل ، ولكنه يتذكر الرصاصة الفضية ، فيطلقها على التمساح فتختفي الرؤية البشعة على الفور .

على أن جونز لا ينجو مع ذلك . تحيط به جموع الزنوج ، ويطلق أحد الثوار النار عليه فيرديه قتيلا . ونفهم مما يقوله قائد الثورة أن الأمبراطور قتل ، لأن الثوار نجحوا أخيرا في أن يصنعوا لأنفسهم رصاصة من الفضة !

بعد نصف قرن

كتب يوجين أونيل هذه المسرحية اللافتة للنظر عام ١٩٢٠ ، وأودع فيها بعضا من تجاربه وآرائه وخططه الفنية . كان من رأيه منذ البداية أن من الواجبات رفع مستوى الدراما الأمريكية من مجرد عروض مسرحية تمتع ولا تخاطب العقل والروح ، الى لون فني كان اذ ذاك جديدا على الأدب الامريكي هو الدراما التي ترتفع بالعمل المسرحي الى مستوى الأدب ، دون أن تفقد ميزاتها وحيويتها وقابليتها للتحسين على خشبة المسرح .

وكان لا يرى بأسا في أن يضمن مسرحية هي واقعية في الأساس ، مثل المسرحية الحالية ، ألوانا فنية أخرى غير الواقعية ، قصد اغناء اللون الواقعي ، وهو لون سرعان ما يضيق به الكتاب والنظارة معا ، وذلك اذا ما هو اقتصر على عرض الواقع ونقده وحسب . تلك طريقة غير مؤدية كما اكتشف كل من أبسن وتشيخوف

وبرناردشو ، كل في حينه ، فسعوا الى المزاوجة بين الواقعية والرمزية في بعض أعمالهم .

لهذا نجد أونيل في هذه المسرحية يردف الواقعية بشيء من التعبير المكثف الذي يشبه الشعر ، ويستعين بأساليب المدرسة التعبيرية ، حين يغوص في لا وعي الامبراطور جونز ويستخرج منه مخاوفه ، ويروح يجسد هذه المخاوف على شكل أشباح تطارد الأمبراطور الهارب ، وتسلمه في النهاية الى قدره المحتوم .

ومما يشهد بقدرة الكاتب وتمكنه الواضح من فنه أن مسرحيته لا تفقد جذورها الواقعية قط بل هي تظل أمينة لتقاليد المسرح الضاربة في القدم ، ذلك أن الحوار الذي يدور بين الامبراطور جونز والتاجر الانجليزي النصاب هو ذلك الحوار اللذيذ المترع بالفكاهة والأفكار الطازجة ، الذي يتبادله الثنائي الكوميدي في المسرحيات الكوميدية التقليدية . ويزيد من كم الفكاهة فيه أنه يستخدم انجليزية الزنوج الشعبيين الامريكيين ، وانجليزية الشعبيين من اهل لندن . وهما لهجتان حافلتان بالفكاهة وبالاستخدامات اللذيذة والطازجة للكلمات المألوفة ، بحيث يصبح الحوار في نهاية الامر مبادرة بين الفصاحة الشعبية الانجليزية وتلك الزنجية الامريكية ، يقدمها ثنائي كوميدي أحدهما أبيض والآخر أسود .

ويضيف الى كوميديا هذا الحوار أن الموقف مقلوب رأسا على عقب فهذا رجل أسود ، يستذل رجلا أبيض ويفرض عليه سيطرته . انه الموقف المعكوس الذي تعرفه الكوميديا العالمية ، موقف السيد حين يصبح عبدا والعبد حين يصبح سيدا .

والى جوار الواقعية والكوميديا والتعبيرية تقف آراء الكاتب في الوضع كله في مشكلة الزنوج في أمريكا ، وفي مشكلتهم في أفريقيا ، حين يقعون في حالة الدول الأفريقية حديثة الاستقلال ضحية لنصاب وراء نصاب ، يعلن نفسه ملكا أو امبراطورا أو زعيما ثم يروح يسرق باليمين وبالشمال كما يقول التاجر النصاب .

ان هذه مسرحية تتحدث الينا بلغة هذه الأيام ، رغم أنها كتبت منذ ما يزيد على نصف قرن . وما على الانسان الا أن يدير بصره هنا وهناك في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ليدرك أن الأمبراطور جونز ، الذي كانت رصاصة فضية قد قتلته ذات يوم ، فهو لا يزال يبعث في أماكن كثيرة ، مستندا ـ هذه المرة ـ الى الدبابات والصواريخ وأجهزة التنصت ، لدعم حكمه المتهاوي دائما . ■■

د . علي الراعي

فى الهوية : نكون أو لانكون !

بقلم : فهمي هويدي

ليست « الأزمة » في شريحة من مثقفينا الذين اعوجت ألسنتهم وأفئدتهم ، وتحولوا الى مستشرقين ، لاهم عرب ولاهم عجم ، وانما هم مسخ شائه من بقايا هؤلاء وهؤلاء . ليست الأزمة في جيل الرق الثاني ، الذى سلم قياد فكره « للسيد الغربي » طواعية واختيارا ـ كما قلت في مناقشة العدد الماضي ـ ولكنها في حالة « القابلية للاستشراق » توأم حالة « القابلية للاستعمار » التي تحدث عنها المفكر الجزائرى مالك بن نبي ، وهي من النتاج المر للهزيمة الفكرية والنفسية .

غربة المثقفين وجه واحد للحقيقة . وضياع الهوية لدى القطاعات العريضة من الناس ، وجه آخر لايقل خطرا . واذا كنت قد تحدثت في المرة السابقة عن فكر هؤلاء المثقفين ، وانعكاساته على مناهج التعليم ، داعيا الى « ثورة ثقافية » ، فان نمط حياة وسلوك جماهيرنا العريضة يعبر بصيغة أخرى ـ لاتقل فداحة ـ عن مأساة فقدان الذات التي تتهددنا .

ان تنقية كتبنا ومناهج تعليم أبنائنا من بصمات المسخ الفكرى مرحلة ضرورية ، ولكن تطهير أعماقنا من هذا الاحساس بالهزيمة الدائمة ، معركة لا بد أن نخوضها يوما ما ، ولا بد أن نكسبها يوما ما ، قبل أن تجرفنا ريح الاغتراب العاتية ، ونصبح أمة منقرضة مثل شعب المايا ، أو شبه منقرضة كالهنود الحمر !

نعم . لقد خرجت أمتنا من الحضارة منذ قرنين من الزمان على الأقل ، وتحولت من فاعلة الى مستهلكة ، وخرجت أمتنا من التاريخ ـ دعك من ومضات سرعان ما انطفأت ـ حتى صارت موضوعا للتاريخ ، بعد أن كانت محركة له .

لقد هزمنا ، ورفعنا رايات التسليم البيضاء منذ ذلك الأجل ، وكان يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ، « نستقيل » من العروبة والاسلام ، ونعود الى عهود البابليين والاشوريين والفينيقيين والفراعنة .

أو نصبح « خواجات » وسياحا ، ونؤجر بلادنا « مفروشة » لاخواننا السياح من أنحاء المعمورة ! . ولا أظنني أبالغ في هذه الصورة ، لأن بيننا من يتحدث بالتصريح والتلميح عن ذلك .

ولكن هذا « الأمل » البائس ليس الا فرضا نظريا ، يستحيل التحقيق عمليا وماديا . فليست عروبتنا واسلامنا مجرد ثياب نرتديها حين نشاء ، ونخلعها حين نشاء . أو مقاعد نشغلها اذا راقنا العرض ، ونخليها اذا أصابنا الضيق أو الملل . وليست مكونات الشخصية مما تفيد فيه قطع الغيار ، وتصلح له عمليات الزرع والتبديل . وليست كيانات الامم مما يقبل الترقيع أو المساومة . بل الأمرعندما يتعلق بكيان شعب أو أمة ، لايحتمل الحل الوسط . فالشخصية والذات تكون أو لا تكون . والوسطية هنا هي بداية التحلل والذوبان ، بداية الانخلاع من الجذور والسقوط . والوسطيون هنا هم دعاة الفناء بل الانتحار !

●

لقد قالها ابن خلدون منذ ستة قرون ، في « المقدمة » الشهيرة : ان المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده . غير أن المؤرخ الذائع الصيت أرنولد توينبي خص العرب والمسلمين باضافة أخرى على « قانون الهزيمة » الذي صكه ابن خلدون . فهو يقول ان المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين ، احداهما النزعة « الهيرودية » ، نسبة الى هيرود ملك اليهود ، الذي قابل حضارة الرومان بتقليدهم في المسكن والملبس والمعيشة . والأخرى نزعة الغلاة ، وينسبها الى نساك بني اسرائيل ، الذين يصرون على القديم ، وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات .

ورغم التحفظ الذي يمكن أن يسجل على فكرة تخصيص العرب والمسلمين بهذا التفسير التوراتي « لموقفهم من الحضارة الغربية إذ المسألة ليست في كونهم عربًا أو مسلمين ، بقدر ماهي غلبة أو هزيمة ، بدليل أن ما يقوله توينبي ينطبق على الكثير من دول أمريكا اللاتينية ـ مثلا ـ دون أن يكونوا عربا أو مسلمين . الأمر الذي يعني أننا لسنا وحدنا في هذا « الهم » . أقول رغم هذا التحفظ ، فإن القاسم المشترك بينه وبين ابن خلدون هو سمة « الاقتداء بالغالب » . هو هذا الشعور بالنقص تجاه الآخرين ، أو « عقدة الخواجة » كما يقول البعض عندنا .

وهذا التقليد للغرب ليس فقط سلوكا تلقائيا من جانب الناس . ولكنه منطق وجد دعاة ومبشرين بيننا ، منذ كتب طه حسين في الثلاثينات « عن مستقبل الثقافة في مصر » داعيا الى أن « نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم » ، حتى السبعينات ، عندما دعا عبد الله العروي ـ المفكر المغربي ـ في مؤلفه « العرب والفكر التاريخي » الى ضرورة « اجتثاث الفكر السلفي ـ يعني التراث الاسلامي ـ من محيطنا الثقافي » كشرط للتقدم ، ثم أضاف : رب معترض يقول : ستكون ثقافتنا المعاصرة تابعة لثقافة الغير . وهنا يرد بوضوح : ولكن ، اذا كان في ذلك طريق الخلاص ! !

●

تعالوا نجر عملية فرز ومراجعة سريعة ، لشعاراتنا وأزيائنا ونحلنا ، وسائر أحوالنا وعوائدنا ـ كما

يقول ابن خلدون ـ ماذا سنجد ؟

سنروعنا هذه الازدواجية ، بل التناقض ، بين الأصل والصورة في أكثر بلادنا . فنحن ـ أيضا ـ نزعم أننا عرب ومسلمون ، لكن « سائر أحوالنا وعوائدنا » تنطق بغير ذلك على طول الخط . سنكتشف أننا نتصرف أحيانا كما لو كنا نخجل من شرقيتنا ، بأسلوب هو خليط من الاعتذار للغرب ، والتقليد الأعمى له .

سنكتشف أن المسخ ـ وليس المزج أو التفاعل ـ لم يعد مقصورا على واقعنا الفكري والثقافي ، ولكنه امتد ليشمل واقعنا الاجتماعي والسلوكي ، حتى صرنا في واقع الامر مجتمعات عرجاء ، تمشي بساقين متنافرتين ، كل واحدة في اتجاه معاكس للأخرى !

ان أكثرنا يتنادى بلغة الغرب ، ويتبادل تحية أهل الغرب ، يرتدي ثيابهم ، ويحتفل بأعيادهم ويتبع تقويمهم ـ ويقلد مساكنهم وعمارتهم ومعيشتهم ، وأثاثهم وطعامهم ، والغربي بيننا « سيد » ـ لا يزال ـ بكل المقاييس . اذا كان أستاذا في الجامعة فلابد أن يميز على أي عربي آخر مهما بلغ علمه أو مقامه . واذا جاء الأجنبي من الغرب ، وثبت أنه عربي مهاجر أو متجنس ، فان « الوصمة » لا يمكن أن تمحى ، ولا بد أن تطارده تلك « السمعة السيئة » ، ويعني ليعامل معاملة أبناء « جنسه الرديء » وفي الجامعات العربية العديد من تلك الحالات المحزنة التي يخجل المرء من ذكرها . واذا كان الغربي من رجال الاعمال ، فعطاؤه له الأولوية ، حتى أن عربا كثيرين أصبحوا يتقدمون في عطاءات المشروعات الكبرى في بلادنا بأسماء أجنبية لمكاتب وهمية في ولايات أمريكا وأنحاء أوروبا ، ويستحضرون « خواجات » يتوارون وراءهم في جلسات فتح العطاءات .

ومن عجب أن هؤلاء الأجانب ، أنفسهم أكثر ادراكا لقيمة الشخصية العربية ، وأفضل تذوقا لطعم هذه الشخصية ومظاهرها . تدخل بيت الأجنبي المقيم في بلادنا فتعيش على الفور الجو العربي والشرقي ، وتدخل بيت أي عربي ، فتجده يتفاخر بأنه جعل بيته قطعة من أوروبا ! .. الأول يبحث عن بساط شرقي وصحن مطعم بالصدف من مصر أو الشام أو وسادة طرزتها يد البدويات ، وصاحبنا العربي سعيد « بالموكيت » الأوربي الذي يكسو الأرض ، وبالتقليد الرديء للوحات الرسامين الايطاليين التي دفع فيها مئات الدنانير ليزين بها جدران بيته ، وبالكريستال الذي اقتناه من هنا وهناك !

لقد قيل لي في صنعاء أن أحد الأسباب الرئيسية التي شجعت اليمنيين على الحفاظ على طراز العمارة اليمنية ، يتمثل في اقبال الأجانب على استئجار هذه المباني والعيش فيها . لقد فوجئ الصنعانيون بأن السفارة الانجليزية ، وبعدها الفرنسية ، قد أقيمت كل منها في بيت صنعاني فخ ، وأن الدبلوماسيين والخبراء الأجانب رفضوا المباني الحديثة التي عرضت عليهم وتنبه الصنعانيون الى أن معمارهم له قيمة ، فتشجعوا أكثر على التمسك به .

وفي الخرطوم قضيت في أحد الفنادق عشرة أيام ، فشلت خلالها في أن آكل طعاما سودانيا بمطعم الفندق ، لأنهم كانوا يعتذرون في كل مرة بأنهم يقدمون الطعام الغربي فقط ، وحساء الفول السوداني وحده الذي يقدم من الطعام الوطني .

وقبل عشرين عاما كتب المفكر الجزائري مالك بن نبي في مؤلفه « شروط النهضة » ـ بعد أن لاحظ

أن كل ماق حجرته غربي باستثناء « القلة » (اناء من الفخار لشرب المياه) ـ كتب الرجل يقول : ان كل ما ساهمنا ونساهم به في الاطار الغربي الذى نعيش فيه اليوم هو « القلة » والقلة فقط !

لقد سبقتنا تركيا الأتاتوركية ، وايران الشاهنشاهية على الطريق ذاته .. طريق فقدان الهوية والانخلاع من الجذور والذوبان في الغير ، في الشكل والمضمون ، فما الذي جرى ؟ .

كانت تركيا بلدا شرقيا مسلما ، بل قلب العالم الاسلامي طوال ستة قرون ، سرت فيه جرثومة التحلل ، مصحوبة بهزائم داخلية وخارجية بلغت ذروتها بالهزيمة أمام روسيا القيصرية في أواخر القرن الثامن عشر ، ثم اشهار افلاسها بعد ذلك واعتبارها « رجلا مريضا » في القاموس السياسي الغربي .

وأفرزت الهزيمة القاسية حالة من فقدان الذات ، أدت الى تغيير أخطأ هدفه فتحول الى ترقيع . وبدلا من أن تتجه الجهود الى استعادة الثقة وكسب الذات أولا ، لجأت الى مزيد من التشوه والمسخ والضياع لهذه الذات .

ولا أجد وصفا يعبر عن هذه الحالة ، أصدق مما سجله أحد مدربي الجيش التركي ـ الذي سموه النظامي ـ ونشره محمد كرد علي في كتاب « الاسلام والحضارة العربية » (ج ٢) يقول هذا المدرب عما انتهى اليه حال الجيش الذى دوخ الشرق والغرب ، حتى اعتبرت الامبراطورية العثمانية أنها « عسكرية جهادية » ، يقول صاحبنا هذا : أصبح الجيش التركي على مثال الجيوش الأوروبية (من حيث التنظيم) ، ولكن ، معاطفه روسية ، ونظامه فرنسي ، وبنادقه بلجيكية ، وعمائم أفراده تركية ، وسروجه مجرية ، وسيوفه انجليزية ، ومعلميه من كل أمة ! !

وكان هذا المدرب ألماني الجنسية ، واسمه « مولتكه » !

هل رأيتم ترقيعا أفدح من ذلك ؟ .. أغطية الرؤوس فقط هي التي بقيت من تركيا الحقيقية ، وفيما عدا ذلك ، فكل الجسد ، كل الكيان مرقع ، قطع موصولة من هنا وهناك .

هكذا كانت تركيا في بداية القرن العشرين . نموذجا للمسيرة العرجاء ، المتأرجحة بين الشرق والغرب ، حتى جاء كمال أتاتورك في عشرينات القرن الحالي ، باختياره الانحياز الكامل للغرب ، وطلاقه البائن للاسلام ، ومسخه المروع لهوية تركيا « الشرق اسلامية » .

وفصول قصة أتاتورك معروفة ، بدءا باصراره على الغاء الخلافة الاسلامية واثارته للنعرة الطورانية ، وانتهاء بقراره استخدام الحروف اللاتينية بدلا من الأبجدية العربية ، واصراره على أن يرتدي الناس القبعة بدلا من العمامة ! لكن ذلك لم يحسم المشكلة ، ولم يضع تركيا على طريق التقدم الطبيعي والحقيقي ، لأن كل ما فعله أتاتورك أنه زيف الشخصية التركية ، مرتكبا جريمة تزوير تاريخية ومعلنا « الاستقالة » من الشرق والاسلام ، ومستبدلا بالانحطاط المنسوب الى الذين انحطاطا آخر قوميا . حتى أصبحت محنة التركي الحقيقية أنه أصبح انسانا بلا جذور ، رافضا لغربيته ، وعاجزا عن أن يمارس شرقيته !

وكانت مأساة أتاتورك انه تصور أن تغيير الهوية في بساطة تغيير غطاء الرأس !

وعلى الطريق ذاته مضت ايران الشاهنشاهية . لقد كان الغرب ـ بريطانيا تحديدا ـ هو الذى أتى بالشاه الأب الذى عاصر أتاتورك ، وأعجب به وكان الغرب ـ أمريكا تحديدا ـ هي التي تساند الشاه الابن . لذلك كان اختيار الاثنين واضحا من البداية : انحياز كامل للغرب ، وترد مستمر على درب الاغتراب .

ولن نفصل ، فأحداث القصة ليست بعيدة . وما روى عن عزف الشاه وبطانته على نغمة الفارسية وأبناء قورش ، وجهوده « لتنقية » اللغة الفارسية من الكلمات العربية ، واستبداله التقويم الفارسي بالهجري ، وتأييده ودعمه لاسرائيل .. هذا كله لا يزال ماثلا في الاذهان ، ويلتقى كله عند محاولة اجتثاث الجذور « الشرق اسلامية » من المجتمع الايراني .

لقد كان الضياع هو الشعار غير المعلن لايران الشاهنشاهية . اذ فوجيء بلد شرقي مسلم ، بأنه يعزل تدريجيا عن شرقيته وروابطه باسلامه ، لينقل عسفا الى وضع خليط من الجاهلية والتغريب ، حتى أصبح يمد يد العون الى أعداء الاسلام ، لصوص أرضه ، ومنتهكي حرماته ومقدساته !

وعندما حققت الثورة الاسلامية في ايران انتصارها الكاسح بالتفاف الجماهير حول قيادتها وشعاراتها ، كان التفسير الذي ركز عليه أكثر المعلقين هو أن الشعب الايراني استرد هويته وعثر على ذاته ، لأول مرة منذ نصف قرن !

ما المطلوب اذن ؟

اذا تصور البعض أن هذه دعوة الى مخاصمة العصر والعودة الى كل ما هو موروث ، بكل ما قد يرتبط به من معايب وسلبيات ، فان ذلك يعد تبسيطا شديدا لا يخلو من سذاجة . فضلا عن أنني في كتابات سابقة في هذا المكان قد حددت موقفا من هذه القضية لم أبدله ، خلاصته أنه كما أن الفكر لا يمكن تقسيمه الى محلي ومستورد ، لأنه إما إيجابي أو سلبي ، جيد أو رديء ، كذلك فان المعيار ذاته ينطبق على الممارسات والقيم الاجتماعية ، لنستثمر كل ما هو ايجابي حيث كان ، ولنحارب كل ما هو سلبي أيا كان مصدره . والحكمه ضالة المؤمن ، حيث وجدها ، فهو أحق الناس بها ، كما يقول الحديث الشريف .

لكن القضية ليست في القديم والجديد ، بقدر ما هي في الابقاء على الهوية والذات فليس كل قديم أصيلا ، وليس كل جديد دخيلا . القضية هي أن نعيش الحقيقتين ، حقيقة أنفسنا وحقيقة العصر . أن نصبح من خلق الله الأسوياء ، الذين يعانون من محنة التناقض بين عوالمهم الخارجية والداخلية . هي أن نسترد ذاتنا الكسيرة والمفقودة ، ونتطهر من كل ما يخدش هذه الذات ويجرح نقاوتها .

وبتعبير المرحلة ، فان تلك دعوة لازالة آثار العدوان على كيان أمتنا ، الذي يهددها بالاندثار ، في الشكل والمضمون . دعوة لأن نستعيد تلك الرقعة السليبة من أعماقنا ، التي لايزال يحتلها السيد « الغربي .. وهي في حالتنا هذه « قدس الأقداس » !

تبقى بعد ذلك أسئلة هامة هي : ما هي حقيقة هذه الذات وهذا الكيان ؟ ومن نحن : شرقيون أم شرق أوسطيين أم مسلمون أم عرب ؟ أم ماذا ؟ ؟

يحتاج الأمر الى مناقشة أخرى ..



حقوق السحب الخاصة

بقلم : دكتور حازم الببلاوي

كثيرا ما تتناقل أخبار الحياة الاقتصادية الدولية الحديث عن حقوق السحب الخاصة **SDR, Special Drawing Rights** . فما هو هذا الكائن ؟

خاصة اذا علمنا أنها فى الحقيقة ليست حقوق سحب كما أنها ليست خاصة . فهي اسم على غير مسمى . وقد اختيرت هذه التسمية للتوفيق بين اتجاهات متعارضة داخل صندوق النقد الدولي عند الاتفاق على انشائها . وكان الخلاف يدور حول قضية اتضح فيما بعد أنها غير هامة وغير جوهرية . ولكن حلا للخلاف اتفق على اختيار هذه التسمية الغامضة بما يسمح لكل طرف أن يعطيها المعنى الذي يريده ويسعده . ولكن التعامل الدولي أعطاها معناها الحقيقي ـ بعيدا عن هذه التسمية الغريبة ـ باعتبارها صورة جديدة من صور السيولة الدولية أو النقود الدولية والتي تصدر عن سلطة دولية هي صندوق النقد الدولي . ومع ذلك فانها تخضع في اصدارها وفي التعامل بها لقواعد خاصة معقدة وغير تقليدية وهو ما يتفق دائما مع أي اختراع جديد . فعندما فكر الانسان في ركوب آلة تتحرك في الارض بمحرك غير حيواني اخترع القطار بما فيه من تعقيد وضرورة السير على قضبان حديد وفي خط لا يحيد عنه . وكانت هذه البداية ثم أدى التطور اللاحق الى مزيد من المرونة والتحلل من هذه القيود والقضبان . فهل يكون الأمر كذلك مع هذه النقود الدولية الجديدة أو حقوق السحب الخاصة . هذا ما سوف يجيب عليه المستقبل .



ونقطة البدء لفهم موضوع حقوق السحب الخاصة هي الاعتراف بحاجة الاقتصاد الدولي الى نقود أو سيولة دولية . وهو أمر لا يختلف في طبيعته عن حاجة المعاملات الداخلية الى نقود . فكما يحتاج الاقتصاد الداخلي الى نقود لتسهيل المبادلات ، فكذلك تحتاج المعاملات الدولية الى نقود أو سيولة دولية لدفع وزيادة المبادلات الدولية . حقا في نهاية الأمر تدفع كل دولة قيمة وارداتها بما تصدره من سلع وخدمات . ولكن من الطبيعي أن تعرف الدول اختلالات وقتية ومزمنة بين العجز والفائض ولا بد ان تسوي معاملاتها خلال ذلك بنوع من النقود الدولية المقبولة من الدول الاخرى والتي تستطيع بدورها استخدامها في معاملاتها من اطراف ثالثة .

وعندما انشيء صندوق النقد الدولي في ١٩٤٤ كانت النقود الدولية المعترف بها هي الذهب فضلا عن القبول الواقعي بالعملات الرئيسية مثل الاسترليني والدولار (الى حد ما في ذلك الوقت) . وقد أنشأ الصندوق مجمعا من الذهب والعملات المختلفة لمساعدة الدول اذا واجهها عجز .

فكل دولة تقدم للصندوق حصة من الذهب (الشريحة الذهبية) وحصة من عملتها المحلية (الشريحة الائتمانية) بحيث يتوافر للصندوق في نهاية الامر موارد من الذهب والعملات المختلفة يستطيع ان يقدم منها للدول المحتاجة والتي تواجه عجزا وفقا لشروط معينة .

ويعتمد نظام الصندوق على ان الدولة التي تحتاج الى موارد لعلاج ميزان مدفوعاتها تقوم بشراء ما تحتاجه من عملات مقابل عملتها الوطنية . على ان تقوم بعد ذلك وخلال فترة معينة باعادة شراء عملتها الوطنية مقابل العملات الاجنبية التي حصلت عليها .

وعلى ذلك فعمل الصندوق في الاصل لا ينطوي على اقراض ورد للقرض وانما المسألة هي شراء واعادة شراء للعملات ، وتبادل عملات داخل الصندوق . ولذلك فانه ليس دقيقا ان نتحدث عن السحب او الاقتراض من الصندوق في حين ان العملية هي ذاتها عملية شراء عملات . ولكن العمل جرى على تلك التسميات ، وكذلك ايضا فانه لا يتصور ان تنعدم العملات لدى الصندوق ، وكل ما يحدث هو ان تتغير مكوناتها بحيث يمكن ان تنقص العملات النادرة (الصعبة) وتزداد العملات الضعيفة .

والاصل ان الدول تستطيع سحب شريحتها الذهبية بمجرد الطلب ودون اية شروط ، في حين ان الشرائح

الائتمانية لا تسحب الا وفقا لشروط معينة يجب ان تستجيب لها الدولة العضو . ولذلك فانه كثيرا ما يقال ان الشريحة الذهبية هي سيولة غير مشروطة ، في حين ان الشرائح الائتمانية هي سيولة مشروطة .

ولم يلبث العالم ان اكتشف حاجته الى زيادة كمية وسائل الدفع الدولية لمواجهة احتياجات التجارة الدولية . فعند انشاء الصندوق كانت موارد الصندوق تمثل حوالي ١٥٪ من حجم التجارة العالمية لتخفض الى أقل من ٤٪ في نهاية الستينات وبداية السبعينات .

ولذلك فقد اتجهت الجهود الى البحث عن وسيلة لخلق سيولة دولية جديدة اضافية للاحتياطي وهو ما أدى بعد جهود عديدة الى ظهور حقوق السحب الخاصة .

مشكلات الماضي

مع الاعتراف بالحاجة الى تعديل نظام النقد الدولي ، فقد كانت هناك عدة أمور ثار حولها الجدل قبل انشاء حقوق السحب الخاصة في صورتها النهائية .

من ذلك كان هناك تساؤل عما اذا كان المطلوب هو زيادة السيولة المشروطة او ان الامر يتطلب زيادة في السيولة غير المشروطة . وزيادة السيولة المشروطة كان يمكن ان تتم عن طريق زيادة حصص الاعضاء في صندوق النقد الدولي . وقد استقر الاتجاه على ان المطلوب هو زيادة في السيولة غير المشروطة والتي لا تتوقف على اتباع سياسات معينة تحت رقابة صندوق النقد الدولي . وهكذا فان حقوق السحب الخاصة ـ كما سنرى ـ توزع على الاعضاء دون أية شروط خاصة باتباع سياسات وبرامج معينة . على ان كون حقوق السحب الخاصة من قبل السيولة غير المشروطة لا يعني ان يكون استخدامها دون قيام « الحاجة » لذلك ، فهنا يتعلق الامر بضمانات لعدم استخدام حقوق السحب الخاصة الا في ظروف معينة دون ان يكون على الدولة ضرورة اتباع سياسة معينة .

كذلك اتجه الرأي في اول الامر الى ان تكون التسهيلات الجديدة مقصورة على الدول الصناعية الكبرى (مجموعة العشرة) ، وواجه هذا الاتجاه معارضة شديدة من جهاز صندوق النقد الدولي ذاته (المدير العام شيفرز) ومن جانب الدول الاخرى وخاصة الدول النامية . ولذلك فقد استقر الرأي في النهاية على ان تكون حقوق السحب الخاصة تسهيلات جديدة شاملة ومفتوحة لجميع الدول دون اي تمييز .

وبالمثل فقد ثار جدل كبير حول طبيعة السيولة الجديدة المقترحة وهل يتعلق الامر بنوع من حقوق السحب غير المشروطة او بخلق (أصول احتياطية) جديدة . والحقيقة ان هذه النقطة اثارت جدلا كبيرا وهي تتعلق في اذهان الدول بامر آخر وهو هل يتعلق الامر بنقود دولية جديدة ام يتعلق بفتح ائتمان ونوع من القروض ؟ ففي حالة الاضافة الى النقود الدولية تكون هناك زيادة في عرض السيولة الدولية ولا يوجد اي التزام بالرد ، بعكس حالة الائتمان الذي يفترض التزاما بالرد ونقص السيولة بعد الرد . وقد وضح فيما بعد ان الجدل حول اختلاف حقوق السحب وبين خلق اصول احتياطية جديدة ليس جوهريا . ومع ذلك فقد أثر هذا الخلاف في التصور في تسمية السيولة الجديدة .

وهناك امر آخر ثار حوله الخلاف وهو دور صندوق النقد الدولي بصدد السيولة الجديدة المقترحة . واستقر الرأي منذ فترة متقدمة من المشاورات على ان يكون لصندوق النقد الدولي دور اساسي في الرقابة على هذه السيولة الجديدة المقترحة سواء عن طريق الصندوق مباشرة او عن طريق جهاز جديد مرتبط به .

وتمت الموافقة نهائيا على ان ينشأ « حساب خاص » لحقوق السحب الخاصة بالصندوق (يصبح « ادارة » حقوق السحب الخاصة بعد نفاذ تعديل اتفاقية الصندوق في جامايكا) .

النظام الجديد

بعد مشاورات طويلة تم تعديل بعض احكام اتفاقية صندوق النقد الدولي في عام ١٩٦٩ ، وفي السنة ذاتها ، قام « حساب حقوق السحب الخاصة » ، لدى صندوق النقد الدولي ، ثم وافق مجلس محافظي الصندوق على تخصيص حوالي ٩٫٥ بليون وحدة حقوق

سحب خاصة لمدة ثلاث سنوات تبدأ من اول يناير ١٩٧٠ .

وبذلك دخل نظام حقوق السحب الخاصة في الحياة الدولية فعلا . وتتناول فيما يلي أهم احكام هذا النظام الجديد :

١ ـ المشتركون في نظام حقوق السحب الخاصة :

استقر الرأي في النهاية على ان يكون نظام حقوق السحب مفتوحا لجميع الدول الاعضاء في صندوق النقد الدولي على نحو اختياري . بمعنى انه يحق لاي دولة ان تشترك في هذا النظام متى رأت مصلحتها في ذلك . وفي هذه الحالة فانها تتمتع بكافة مزايا نظام حقوق السحب وتخضع لكافة التزاماته . وقد بلغ عدد الدول المشتركة في نظام حقوق السحب الخاصة في يناير ١٩٧٩ ـ ١٣٧ دولة عضو في الصندوق .

٢ ـ التخصيص والالغاء :

ذكرنا ان خلافا ثار حول طبيعة حقوق السحب في اثناء المفاوضات والمناقشات الطويلة السابقة عليها ، وهل الامر يتعلق « بخلق » نقود جديدة أم انه عبارة عن « تقديم » لائتمان .

وازاء هذه الخلافات التي سيتضح انها غير مؤسسة ـ فقد عمد واضعوا التعديل على اختيار مصطلحات جديدة لا تثير خلافا بين الاتجاهات المتعارضة ، ولذلك فقد استخدمت الفاظ « التخصيص » و « الالغاء » وهي الفاظ جديدة نسبيا ومن ثم لا تحمل معان محددة في هذا الخصوص .

الغرض من انشاء حقوق السحب الخاصة هو زيادة السيولة الدولية ومعنى ذلك اضافة وسائل دفع جديدة دون ان يترتب على ذلك نقص في وسائل الدفع لدى اي دولة .

فالغرض هو (خلق) وسائل دفع جديدة . ولكن لفظ (خلق) قد يثير اعتراضات بعض الدول التي كانت تصر على ان تكون التسهيلات الجديدة من قبيل الائتمان وليس من قبيل « النقود » ولذلك فقد جاء لفظ « التخصيص » مناسبا من هذه الزاوية . ولذلك فان التخصيص هنا هو في الحقيقة خلق لسيولة جديدة بمقتضى قرار من صندوق النقد الدولي ، توضع تحت تصرف الدول الاعضاء لاستخدامها في معاملاتها الدولية (بشكل معين كما سنرى) .

واذا كان التخصيص هو خلق لسيولة جديدة ، فان « الالغاء » هو العملية العكسية بازالة هذه السيولة .

ويتم خلق او تخصيص حقوق السحب من جانب صندوق النقد الدولي لمواجهة « الاحتياجات الاجمالية طويلة الاجل long term global need ويتم ذلك لفترات اساسية محددة basic periods وقد كان المفهوم انها ستكون لمدة خمس سنوات . ومع ذلك فاول تخصيص لحقوق السحب تم لمدة ثلاث سنوات تبدأ من اول يناير ١٩٧٠ .

وبمجرد ان تتم الموافقة على التخصيص يصبح للدول المشاركة في هذا النظام الحق في حقوق سحب خاصة لدى الصندوق ، وتتحدد انصبتهم بحسب حصصهم في الصندوق .

٣ ـ استخدام حقوق السحب الخاصة :

لا يكفي ان نعرف كيف « تخصص » حقوق السحب الخاصة ، اذ لابد ان نفهم كيف تستخدم حتى نفهم دورها .

وتبدأ بالقول ان الاصل في استخدام حقوق السحب الخاصة ان يتم عن طريق صندوق النقد الدولي ولا تتم بشكل مباشر بين الاطراف (ومع ذلك فانه وفقا للتعديل الاخير في اتفاقية الصندوق يمكن بموافقة الاطراف ان يتم التعامل في حقوق السحب مباشرة) .

ويتم استخدام حقوق السحب الخاصة بان تتقدم الدولة صاحبة هذا الحساب الى الصندوق الذي « يعين » designate لها دولة اخرى ، تقدم لها عملات قابلة للتحويل مقابل حصولها على وحدات من حقوق السحب الخاصة . وعلى ذلك فحقوق السحب الخاصة لا تستخدم مباشرة في تسوية المدفوعات الدولية . وانما لابد وان تحول اولا الى عملات قابلة للتحويل ثم تستخدم هذه العملات في تسوية المدفوعات الدولية .

ومن المهم ان تتذكر هنا ان الدولة المشتركة في نظام حقوق السحب الخاصة تتمتع بحرية استخدام هذه

الحقوق بمعنى طلب تحويلها الى عملات قابلة للتحويل من الدول التي « تعين » لذلك ، وهذه الاخيرة تلتزم بتقديم عملات قابلة للتحويل مقابل حقوق السحب الخاصة . وكل ذلك يتم عن طريق الصندوق .

وكذلك من الضروري ان نتذكر ايضا ان حصول الدولة على العملات المقابلة للتحويل بهذا الشكل من الدولة « المعينة » لها ، لا يتطلب ان يتوافر لدى الصندوق موارد خاصة من الذهب والعملات الاجنبية لمواجهة هذه الطلبات .

فالامر يبدو كما لو كان الصندوق يصدر اصولا عليه تقدم للدول « المعينة » للحصول على عملات قابلة للتحويل ، وهذه الدولة بدورها تستطيع ان تقدمها لدولة اخرى « معينة » للحصول على عملات قابلة للتحويل ، وهكذا ...

٤ ـ التعيين Designation :

رأينا ان جوهر عملية استخدام حقوق السحب الخاصة هو ان يتقدم العضو ، اذ قامت « الحاجة » الى الصندوق بطلب تعيين عضو آخر يقدم عملات قابلة للتحويل مقابل حقوق السحب الخاصة . وتلتزم الدولة المعينة بتقديم هذه العملات القابلة للتحويل . ومع ذلك فان هناك حدودا قصوى لما تلتزم به الدولة المعينة لقبول حقوق السحب الخاصة ويتحدد هذا الحد بضعفي حصتها من حقوق السحب الخاصة . وبذلك فان اقصى ما يمكن ان تحرزه دولة هو ثلاثة امثال حصتها المخصصة لها من حقوق السحب الخاصة .

ولذلك فانه من الهام ان نعرف كيف يعين الصندوق الدولة التي تلتزم بقبول حقوق السحب الخاصة مقابل تقديم عملات قابلة للتحويل .

ويتبع الصندوق ـ في تعيينه للدولة الملتزمة بقبول حقوق السحب ـ عدة معايير لا محل لتفصيلها ـ هنا .

٥ ـ ضرورة توافر الحاجة need :

ذكرنا ان حقوق السحب تعتبر سيولة غير مشروطة بمعنى ان استخدامها لا يتطلب من الدولة الخضوع لشروط معينة واتباع سياسات محددة كما هو الحال عند الاقتراض من صندوق النقد الدولي (فيما جاوز الشريحة الذهبية) .

ولكن ليس معنى ذلك ان هذه الحقوق غير مشروطة انها تستخدم دون توافر الحاجة . اذ ان الاتفاقية حددت الالتجاء الى استخدام حقوق السحب الخاصة بضرورة توافر الحاجة وتحدد هذه الحاجة بعجز ميزان المدفوعات او مواجهة تطورات احتياطيات الدولة development in its reserves والحصول على عمله الدولة نفسها من دول اخرى مقابل حقوق السحب .

في ظل التعديل الثاني

اذا كان التعديل الاول لاتفاقية صندوق النقد الدولي في ١٩٦٩ قد انشأ نظام حقوق السحب الخاصة ، فان التعديل الثاني قد قصد ، ضمن امور اخرى الى توسيع دور حقوق السحب الخاصة في المدفوعات الدولية ، وتحويله من مجرد اضافة للاحتياطي الدولي الى اعتبار هذه الحقوق الاحتياطي الاساسي في نظام النقد الدولي .

ورغم ان مبادىء « تخصيص » و « الغاء » حقوق السحب الخاصة قد ظلت على ما هي عليه فقد هدف التعديل الثاني الى توسيع دائرة التعامل فيها سواء من حيث المتعاملين او من حيث العمليات والشروط اللازمة لها . فمن حيث المتعاملين لم يعد التعامل في حقوق السحب الخاصة مقصورا على الحكومات وبنوكها المركزية وانما سمح للمؤسسات المالية بالاحتفاظ بها والتعامل فيها .

تحدثنا في كل ما تقدم عن حقوق السحب دون اشارة الى كيفية تقويم هذه الحقوق بالنسبة للعملات الاخرى . وقد مر هذا التقويم بمرحلتين اساسيتين .

في المرحلة الاولى ويمكن ان نطلق عليها اسم « الذهب الورقي » وهي المرحلة التي تمتد منذ انشاء حقوق السحب بمقتضى التعديل الاول لاتفاقية الصندوق وبدأ التخصيص في يناير ١٩٧٠ وحتى منتصف ١٩٧٤ . وهذه المرحلة تتفق مع قيام نظام ثبات اسعار الصرف ـ كما نعلم ـ فعند انشاء حقوق السحب الخاصة في ١٩٧٠ لم تكن فكرة التعويم واردة كنظام

عام للنقد العالمي . ولذلك فقد عرفت وحدات حقوق السحب الخاصة وكانت وحدة حقوق السحب تعادل ٨٨٨٦٧١ر٠ جرام من الذهب النقي . وهو نفس سعر تعادل الدولار بالنسبة للذهب في ذلك الوقت . ولذلك فقد كانت وحدة حقوق السحب الخاصة تعادل وحدة الدولار الامريكي . ومن الواضح فهم تسمية حقوق السحب « بالذهب الورقي » حيث انها نوع من الارصدة التي لا تصدر عن مؤسسات نقدية وطنية وتتمتع بقيمة ثابتة بالنسبة للذهب .

وقد احتفظت حقوق السحب بهذا السعر حتى بعد تخفيض قيمة الدولار لا كثر من مرة .. ومع ذلك فانه مع قرار حكومة نيكسون بالتخلي عن تحويل الدولار الى ذهب في اغسطس ١٩٧١ اصبحت وسيلة تقويم حقوق السحب بحسب الذهب غير واقعية نتيجة لارتفاع اسعار الذهب بشكل كبير وتعدد اسعاره . ولذلك فقد وجب البحث عن طريقة اخرى لتقويم حقوق السحب الخاصة .

وقد تم ذلك في المرحلة الثانية والتي يمكن ان يطلق عليها اسم « مرحلة سلة العملات » وفي هذه المرحلة اصبحت قيمة حقوق السحب الخاصة تحدد وفقا لعدد من العملات الاساسية في المعاملات الدولية . فقيمة وحدة حقوق السحب تحدد بقيمة سلة من عملات ١٦ دولة وهو مايساعد على استقرار قيمة حقوق السحب بالنسبة للعملات المختلفة .

ونلاحظ انه يمكن تحديد قيمة حقوق السحب بالنسبة لهذه العملات بطريقتين . الطريقة الاولى ان تحدد نسبة او وزن لكل عملة داخل حقوق السحب وبالتالي يتحدد قيمة كل منها في وحدة حقوق السحب بحسب سعرها في السوق . فيقال مثلا ان وحدة حقوق السحب تتضمن ٣٣٪ من الدولار دائما ، وهو ما يعني عددا من السنتات بحسب قيمة الدولار في السوق . فهنا نجد ان وحدة حقوق السحب تتضمن نسبة ثابتة من الدولار وقيمة متغيرة من السنتات .

اما الطريقة الثانية وهي المتبعة في تقويم حقوق السحب ، فانها تحدد كميات ثابتة من العملات الاجنبية في كل وحدة حقوق سحب خاصة ، ومن ثم تتغير نسبتها في وحدة حقوق السحب حسب اعتبارات السوق . فهنا تقول ان وحدة حقوق السحب تتضمن ٤٠ سنتا دائما وهو ما يعني ان تتغير نسبة او وزن الدولار في حقوق السحب بحسب تغيرات اسعار الدولار .

وهذه الطريقة الثانية هي التي تستخدم في تقويم وحدات حقوق السحب الخاصة ، فهي سلة وحدات العملات المختلفة ومن ثم تختلف قيمتها ووزن القيم النسبي بحسب تغيرات اسعار العملات .

وتحدد قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة بالنسبة لاي من العملات وتقويم هذه العملات وتحويلها الى العملة المقصودة . وينشر صندوق النقد الدولي يوميا سعر حقوق السحب الخاصة بالنسبة للدولار ، وبذلك يسهل تحديد القيمة بالنسبة لاي عملة اخرى عن طريق معرفة سعرها بالنسبة للدولار . ويقوم صندوق النقد الدولي بنشر اسعار العملات المختلفة في ايام العمل وعلاقتها باسعار حقوق السحب الخاصة .

وقد اكد التعديل الثاني لاتفاقية صندوق النقد الدولي انفصام الصلة بين حقوق السحب الخاصة وبين الذهب حين اسقط من تعريفه لها اية اشارة الى الذهب . وبذلك يؤكد اتجاه نظام النقد العالمي الى تقليص دور الذهب النقدي في المعاملات الدولية .

للمعاملات الدولية

اقتصرنا فيما تقدم على الاشارة الى حقوق السحب الخاصة باعتبارها اضافة الى الاحتياطي الدولي يستخدم ـ بشكل خاص ـ في تسوية المدفوعات الدولية . وبعبارة اخرى فاننا كنا ننظر الى حقوق السحب الخاصة باعتبارها اداة وفاء لتسوية المدفوعات الدولية .

ومع ذلك فهناك وظيفة اخرى ـ قد لا تقل اهمية الان ـ وهي قيام حقوق السحب الخاصة بدور وحدات قياس القيم في المعاملات الدولية . وهو موضوع يستحق مناقشة مستقلة فيما يعرف بنقود المحاسبة الدولية . ■■

د . حازم الببلاوي

يوميات

(الورقة الاولى)

« ملك ام كتابة »
صاح بي صاحبي ، وهو يلقي بدرهمه في الهواء
ثم يلقفه ..
(خارجين من الدرس كنا .. وحبر الطفولة فوق الرداء
والعصافير تمرق عبر البيوت ،
(وتهبط فوق النخيل البعيد)

... ...

« ملك ام كتابة ؟ »
صاح بي ، فانتبهت ، ورفت ذبابة
حول عينين لا معتين ..
فقلت : « الكتابة »
.. فتح اليد مبتسما ، كان وجه المليك السعيد
باسما في مهابة .. !

... ...

« ملك ام كتابة ؟ »
صحت فيه بدوري ،
فرفرف في مقلتيه الصبا والنجابة
واجاب : « الملك »
(دون ان يتلعثم او يرتبك !)
.. وفتحت يدي : كان نقش الكتابة
بارزا في صلابة !

× × ×

دارت الارض دورتها ،
حملتنا الشواديف من هدأة النهر ..
القت بنا في جداول ارض الغرابة
تتفرق بين حياض الاسى .. وحياض الصبابة .
قطرتين .. التقينا على سلم القصر ..
ذات مساء وحيد
كنت فيه : نديم الرشيد !
بينما صاحبي : يتولى الحجابة !!



أبي نواس

شعر : أمل دنقل



(الورقة الثانية)

من يملك العملة ..
يمسك بالوجهين .
والفقراء .. بين بين !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنت جانبه .. وسمعت الحرس
يوقظون ابي :
خارجي
ـ انا !
ـ مارق
ـ من ؟ .. انا !
...   ...
صرخ الطفل في صدر امي
وامي محلولة الشعر .. واقفة
في ملابسها المنزلية
ـ اخرسوا
.. واختبأنا وراء الجدار
ـ اخرسوا
.. وتسلل في الحلق خيط من الدم
كان ابي يمسك الجرح ..
يمسك قامته .. ومهابته العائلية
ـ يا ابي
ـ اخرسوا
.. وتواريت في ثوب امي ،
والطفل في صدرها ما نبس
ومضوا بابي
تاركين لنا اليتم متشحا بالخرس !

(الورقة الرابعة)

ايها الشعر ، يا ايها الفرح المختلس
...   .
(كل ما كنت اكتب في هذه الصفحة الورقية
صادرته العسس !)

(الورقة الخامسة)

.. وامي جارية فارسية
يتناقل سادتها قهوة الجنس ، وهي تدير الحطب
يتبادل سادتها النظرات لاردافها ..
بينا تنحني لتضيء اللهب
يتندر سادتها الطيبون بلكنتها الاعجمية !
... ...
نائما كنت جانبها ، ولمحت ملاك القدس
ينحني ، ويربت وجنتها ..
وتراخى الذراعان عني قليلا .. قليلا ..
وسارت بقلبي قشعريرة الصمت
ـ امي .. ، وعاد لي الصوت ،
ـ امي .. ، وجاوبني الموت ،
ـ امي .. ، وعانقتها .. وبكيت ،
وغام بي الدمع .. حتى احتبس !
لا

(الورقة السادسة)

لا تسألني ان كان القرآن
مخلوقا .. او أزلي
بل سلني ان كان السلطان
لصا .. او نصف نبي !



(الورقة السابعة)

كنت في كربلاء
عندما قال لي الشيخ ان الحسين
مات من اجل جرعة ماء !
.. وتساءلت : كيف السيوف استباحت بني الاكرمين ؟
فاجاب الذى بصرته السماء :
« انه الذهب المتلالىء في كل عين .. »
...	...	...	...

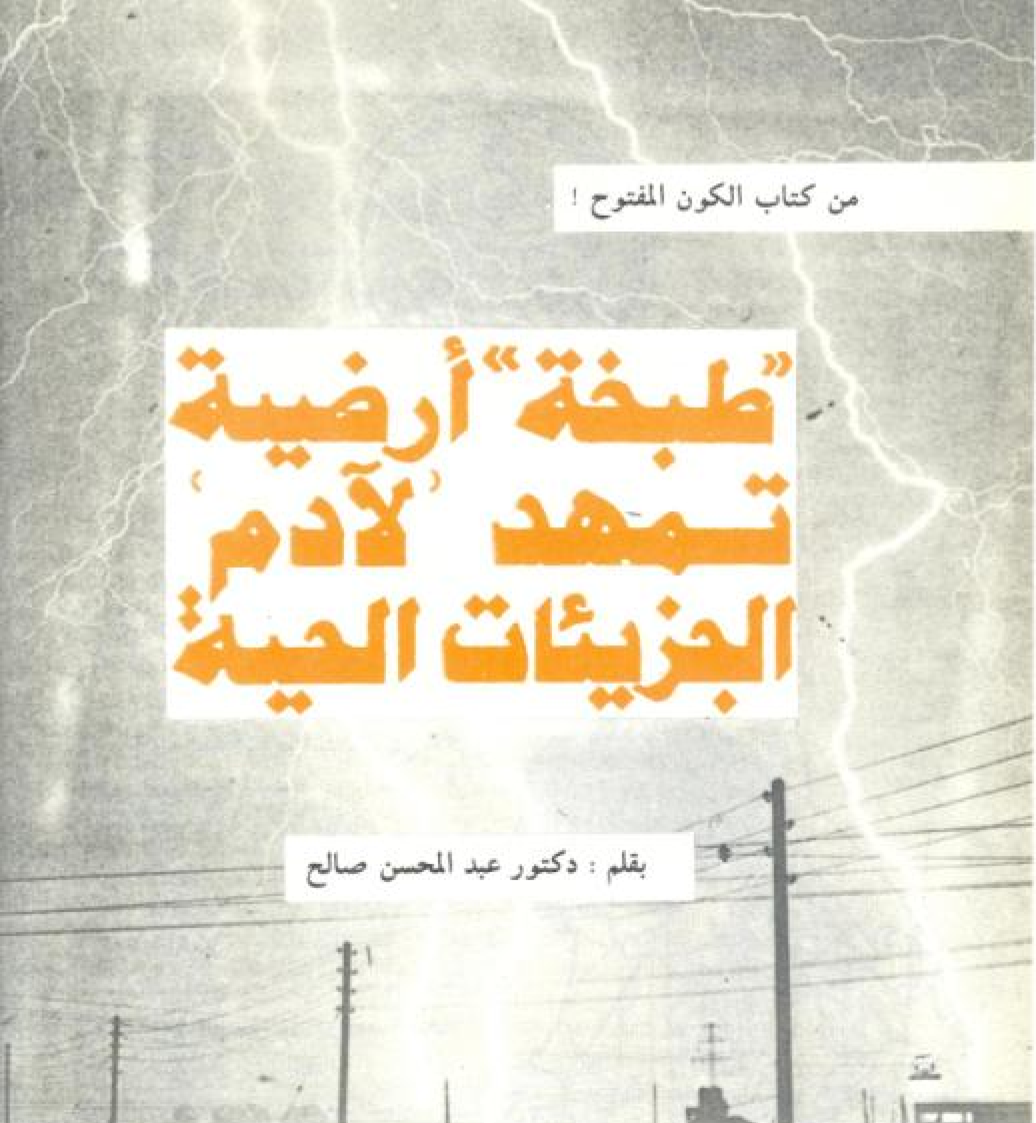


ان تكن كلمات الحسين
وجلال الحسين
وسيوف الحسين
سقطت .. دون ان تنقذ الحق من ذهب الامراء
افتقدر ان تنقذ الحق ثرثرة الشعراء
والفرات : لسان من الدم .. لا يجد الشفتين !؟؟

× × ×

« مات من اجل جرعة ماء » !
فاسقني يا غلام صباح مساء
اسقني ياغلام ..
ربما بالمدام ..
اتناسى الدماء !!

امل دنقل



من كتاب الكون المفتوح !

«طبخة» أرضية تمهد لآدم الجزيئات الحية

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

الذين يتعمقون في طبائع الاشياء ، يرون غير ما يرى الناس .. ذلك أن العين البشرية غير قادرة على اكتشاف ما تزخر به الموجودات من عوالم كثيرة خافية .. ومن أجل هذا استعان العلماء بعيون غير عيونهم ، لتريهم « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت » .. ثم يشهدون فيها مالا يخطر على قلب بشر ، وكأنهم ـ في هذه الحالة ـ أمام لغة لها مفردات مدونة بتآلف بديع في « كتاب الكون العظيم » .. وفي صفحاته المدونة على هيئة مخلوقات مجسدة ، تواصل قراءة بعض فقراته ، لنكشف الحجاب عن بديع صنع الله في خلقه .

في دراسة سابقة تعرضنا للوحدات الدقيقة التي تتكون منها كل ذرات الكون قاطبة ، وألمحنا إلى أن غاز الايدروجين كان بمثابة « آدم » الذرات التي جاءت كلها من صلبه ، لتصبح بدورها وحدات جديدة في مخطوطات كتاب الكون الكبير ، وعندما تتآلف هذه الذرات ، فانها تؤدي الى جزيئات أو مركبات كيميائية ، لها في حياة المخلوقات شأن يذكر .

فكما أوحى الله في كل سماء أمرها ، وفي كل خلية أمرها ، كذلك أوحى لكل ذرة أمرها ، وبهذا الأمر أو النظام المذهل ، تستطيع ان تشق في الحياة طريقها ، فتتآلف مع نفسها ، او ترتبط مع غيرها ، او تترك مكانها لمن هو أقوى منها بأسا ، وأشد تفاعلا ، وكل هذا يسري من خلال نظم بديعة ، وشرائع دقيقة ، نعبر عنها دائما بالمعادلات والقوانين التي تحكم مجتمعاتها ، لتظهر نحن في النهاية كنتيجة حتمية لهذه النظم الذرية التي ترابطت في مركبات لا تكاد نحصيها عدا .

فلو أنك أخذت شريحة من لحم ، أو أي نسيج آخر حي ، من أي مخلوق تشاء ، سواء كان نباتا أو حيوانا ، ثم تحصتها وحللتها بوسائل العلم الحديثة ، فلا شك انك واقع على أكوان دقيقة من داخل أكوان ادق .. من داخل أكوان أدق وأدق .

ففي النسيج خلايا لا تراها عيوننا .. لكن « الميكروسكوبات » تكشف عن غموضها ، وتوضحها على هيئة وحدات تراصت وترابطت فيا بينها ، ليصبح للنسيج كيان ومعنى .

وفي داخل الخلية تكمن تكوينات خلوية أدق ، هي بمثابة أجهزتها التي تسير بها مرافق حياتها .. وكلما كانت عيون الميكروسكوبات أقوى واكبر ، تكشفت بنايات أعجب واكثر . وفي النهاية تصل الميكروسكوبات الى حدود لا تستطيع بعدها أن توضح لنا ما هو أدق وأدق !

لكن وسائل التحليل الكيميائي والفيزيائي الدقيق تدخل هذا الميدان ، لتكشف لنا عن بلايين فوق بلايين من جزيئات كيميائية من كل صنف وحجم وتكوين .. بعضها عملاق « والوصف هنا نسبي » ، وبعضها ضئيل ، أو ما بين ذلك تكون أحجام الجزيئات الاخرى .. فلو تصورنا مثلا اننا كبرنا بعضها بلايين فوق بلايين من المرات ، عندئذ قد يصل اضخمها الى حجم انسان بالغ ، في حين أن أصغرها قد لا يصل الى حجم حبة من خردل أو نملة .. وبين هذه وتلك توجد جزيئات (بنفس التكبير) في حجم سحلية وضفدع وفأر وقط وكلب .. الخ ! .

ولا شك أن هذه الجزيئات بدورها نظم متآلفة من ذرات ، كما تتآلف الحروف هنا في كلمات .. فكما ان للكلمة في حياتنا معنى ، كذلك كان لكل جزيء من هذه الجزيئات في حياة الخلية او مكوناتها معنى ، ثم انها لم تترابط هكذا اعتباطا ، بل ان كل ترابط يسري بسنن لا خلل فيها ولا فوضى !

ثم اننا لو حللنا هذه الجزيئات التي تكون جماهير جزيئية ضخمة داخل الخلية ، لوجدنا عمالقتها تتكون من جزيئات أصغر فأصغر ، وفي النهاية نرى الأصغر يتكون من سلالات ذرية .. أيدروجين وأوكسيجين وكربون ونيتروجين وفوسفور وحديد وكبريت وكالسيوم وصوديوم وبوتاسيوم وكلور وماغنسيوم ومنجنيز .. الخ .. الخ .

اذن .. كيف اجتمع الشمل ، وحدث التآلف بين كل هذه المركبات ، لتؤدي في النهاية الى خلية قد تتمخض عن مخلوق حكيم يعي ويفكر ويبحث في ملكوت الله العظيم ، ثم يريد ان ينفذ الى سر هذه المخطوطات الكيميائية التي هي بمثابة « حجر رشيد » الكون » ؟!

من الهمجية الى النظام !

وكما يبدأ كل شيء بسيطا ، ثم يتراكب أكفأ ، وينتظم أبدع ، كذلك بدأت الجزيئات الكيميائية بسيطة ، ثم انتظمت وتعقدت .. فقبل ان تظهر الكائنات الحية البسيطة على هذا الكوكب منذ اكثر من الفي مليون عام ، سبقتها ازمنة طويلة جدا من التفاعل بين الذرات والجزيئات البسيطة .. أزمنة تقدر بمئات الملايين من السنين ، وفي هذا التفاعل حدث بين الذرات والجزيئات تجمع وفراق ، وربط وفك ، وتحولت من صور الى صور اخرى ..

وكأنما هناك قوى خفية تسيرها وتدفعها الى عمليات

تطور كيميائية بالغة التعقيد والترضيب .. صحيح أن العملية بطيئة للغاية ، لكن اعطها عمرا .. اعطها مئات الملايين من السنين .. تعطيك جيوشا من المركبات من كل صنف وحجم ونوع . ولقد انتهت هذه العملية بتكوين جزيء ثمين وعملاق .. هو الذي نراه الآن في كل المخلوقات الحية .. نراه على هيئة جزيئات وراثية ، تورث المخلوقات كل صفاتها ، وكأنما هذا الجزيء الوراثي قد أصبح بمثابة « آدم » الجزيئات التي جاءت ـ فيما بعد ـ من صلبه ، لتنتقل من خلية الى خلية عبر مئات الملايين من السنين ، وحتى يومنا هذا ، ثم الى مستقبل لا يعلمه إلا الله .

لكن لا يجب علينا أن نستبق الأحداث حتى لا نتوه في معمعة ليس لها من قرار .. ولنعد بعقارب الزمن الى الوراء بضع بلايين من السنين ، عندئذ سنرى الأرض غير الارض التي نعيش عليها الآن .. فلا أشجار باسقة ، ولا زهور متفتحة ، ولا طيور مغردة ، ولا حشرات شاردة ، ولا فراشات محلقة ، ولا سمكة عائمة ، ولا حتى دودة أو طحلبا أو ميكروبا دقيقا .. لا شيء اطلاقا غير الضباع والخراب والسكون القاتل الذي يمتزج بين أونة وأخرى بالبراكين الثائرة ، والرياح العاوية ، والامطار المتساقطة ، والأبخرة الصاعدة ، والزلازل المتتابعة ، والغازات الخانقة .. وكل هذا وغيره ليس مناسبا لظهور أية صورة من صور الحياة كما نعرفها في أيامنا الحاضرة ، لكنها كانت مناسبة لعمليات تطورية تحدث على مستوى الجزيئات الكيميائية التي ظهرت اول ما ظهرت على سطح هذا الكوكب منذ بلايين السنين .

إنها أطوار كثيرة ، وحقب طويلة مرت على هذا الكوكب ، لتؤهله لاستقبال صورة بدائية من صور الحياة تمكنها من تحمل ظروف الأرض التي كانت بمثابة « طفلة شقية » تعربد بصراخها وشقاوتها وظروفها غير المستقرة .. لكنها في النهاية استقرت وتهيأت لاستقبال حدث نادر .. هو الحياة في أبسط صورها .. أو « بذرتها » الأولى التي شقت طريقها !

لم يكن جو الأرض ولا سطحها ولا مناخها في الأزمنة الغابرة شبيها بما نراه الآن في أيامنا الحاضرة ، ففي غلافنا الهوائي الآن ينتشر الاوكسيجين وثاني اكسيد الكربون والنيتروجين ، لكن هذه الغازات هي نتيجة حتمية لأنشطة الكائنات الحية .. انها تستنشق الاوكسيجين مثلا وتزفر غاز ثاني اوكسيد الكربون في عمليات التنفس ، كما ان غاز ثاني اوكسيد الكربون يدخل في عمليات التمثيل الضوئي في النبات ، ليتحول مع الماء الى مركبات عضوية لا نستطيع لها حصرا ، وما دامت الحياة لم تظهر على الأرض بعد ، كان أمرا مقضيا الا تظهر هذه الغازات في جو الارض ، بل بدأت بأبخرة وغازات تخنق الانفاس ولا تساعد على الحياة مطلقا .

فكثير من العلماء يعتقد أن الغازات التي كانت سائدة في جو الارض وعلى سطحها من قديم الزمن ، تمثلت أساسا في غازات الايدروجين وكبريتيد الايدروجين (غاز كريه الرائحة ونشمه احيانا في البيض الفاسد) والنوشادر (أو الأمونيا) وغاز المستنقعات (الميثان) وبخار الماء ، وكانت هذه وغيرها تدور بين غلاف الارض وسطحها في حالة همجية ، وكأنما لا يربطها رابط ، ولا يؤلف بينها ما يمكن ان يؤدي الى تخليق مادة عضوية تقوم على أكتافها صور الحياة ، لكن هناك دوافع كثيرة قد روضت تلك الغازات ، ودفعتها الى بعضها دفعا ، لتتحول من همجية الى نظام ، ومن تشرد الى تآلف جزيئي فيه للحياة شأن يذكر !

تجربة « كونية » صغيرة !

وطبيعي أن أحدا لم يشهد ما مر بالارض من أحداث مثيرة ، ولا استطاع أن يحلل ويعرف ما كان عليه جو الارض من قديم الزمن ، ولا كيف ظهر الجزيء الوراثي الاول ، ولا سلسلة الاحداث التي أدت الى ظهور الخلية الاولى .. الخ ، فكل هذه افتراضات أو استقراءات نابعة من دراسة اجواء الكواكب الاخرى ، وما يحيط بها من غازات واضطرابات ، لكن ما علينا من كل ذلك ، فالحديث فيه قد يتشعب ويطول ، وعلينا أن نعود لنتساءل : وما الدليل على أن هذه الافتراضات أو النظريات صحيحة ؟ واذا صح ذلك ، فكيف تحولت هذه الغازات السامة الخانقة المشردة الى جزيئات أخرى هي لبنات أولية دقيقة تتأسس منها مادة الحية الاولية ؟

الواقع أن الحد الفاصل بين الغث والسمين هو التجربة العلمية .. فعندما افترض العلماء هذا الفرض نتيجة لاستقراءات كثيرة ، قام كل من دكتور ستانلي ميللر ودكتور هارولد يوري من جامعة شيكاغو باجراء تجربة فريدة ، علهما يحققان صحة هذا الافتراض أو بعضه .. ففي عام ١٩٥٣ قاما بتعريض خليط من غاز الايدروجين والامونيا والميثان وبخار الماء للأشعة فوق البنفسجية وللشحنات الكهربية المفرغة لفترة لم تستمر سوى ٢٤ ساعة ، ثم قاما بتحليل الخليط تحليلا كيميائيا دقيقا ، فربما أدى ذلك الى اكتشاف ظهور جزيئات جديدة من ذلك النوع الذي يمكن أن يوجد في الكائنات الحية .

لقد تمخضت هذه التجربة المعملية البسيطة عن نتائج مثيرة ، إذ أظهر التحليل ان الخليط الكيميائي يحتوي على عدد من الجزيئات العضوية البسيطة التي يدخل الكربون في هيكلها البنائي بصورة أو بأخرى .. فمعظم هذه الجزيئات الناتجة كان أحماضا عضوية ، لكن الغريب حقا أن بعضها ظهر على هيئة أحماض أمينية مختلفة ، وهي الأحجار البنائية الدقيقة ، أو هي بمثابة الحروف الكيميائية التي « تكتب » بها الكائنات الحية بروتيناتها ، وتربطها في جزيئات عملاقة لتستخدمها في عمليات حيوية كيميائية معقدة .

ثم قام العالمان ـ بعد هذه النتيجة المشجعة ـ باضافة مزيد من المركبات البسيطة الى الخليط السالف ذكره ، وهي مركبات يعتقد العلماء في وجودها ضمن الخليط الغازي الذي ساد جو الارض قبل نشأة الحياة عليها .. ومن هذه المركبات غاز السيانور السام (وهو موجود حتى الآن في بعض الكواكب الشمسية التي لم تنشأ عليها حياة بالمعنى المفهوم) .

وجاءت النتيجة اكثر اثارة ، إذ ظهرت مركبات جديدة أهمها ـ على الاطلاق ـ ذلك النوع الذي يدخل في تكوين الجزيء الوراثي المسيطر على ادارة دفة الامور في الخلايا الحية (هذه المركبات نعرفها علميا باسم البيوريتات والبيريميدينات Purines & Pyrimidines) وطبيعي أن هذه التجربة المعملية البسيطة لا تقارن بالتجربة الكونية الضخمة التي استمرت على مسرح أرضنا عشرات ومئات الملايين من السنين ، ففي الأخيرة كانت التجربة أطول وأعظم وأكفأ ، ولابد انها تمخضت عن مركبات كثيرة جدا ، وفي تفاعلاتها يتشعب الحديث ويطول ، لكن يكفي أن نذكر أنه من خلال شريعة الذرات والجزيئات ، ومن خلال « وحي » النظام الذي اودعه فيها الله ، سارت في عمليات دفع وصراع ، لتقوم وتكبو ، وتتحد وتنفصل ، وكأنما هي مجتمعات دقيقة لها في عالمها أمور لا يدركها الا العلماء المتخصصون ، ولا شك أن في هذا الدفع والتطاحن صلاحها ، وكأنما ما يسري عليها ، يسري على الناس وسائر المخلوقات ، ربما أيضا مصداقا لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ... كذلك لولا دفع هذه الجزيئات بعضها ببعض ، لما تطورت وتحورت وتهيأت للرسالة التي تقوم عليها أعمدة الحياة !

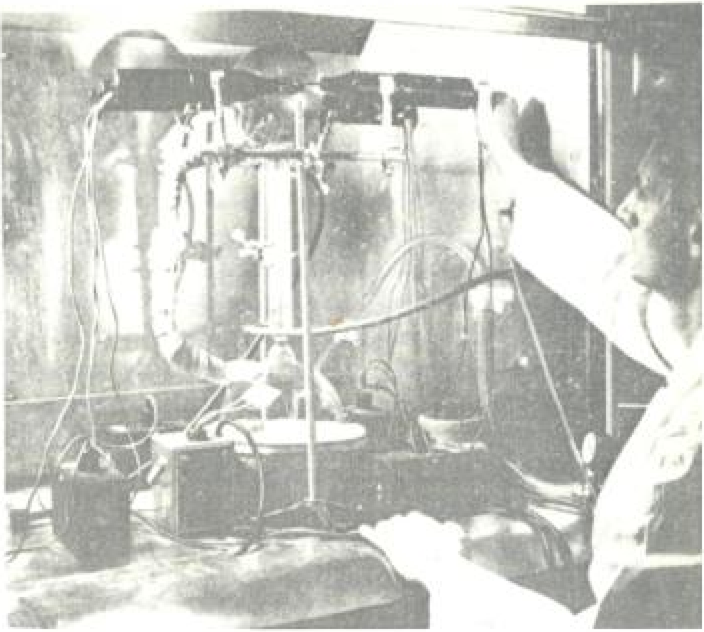
الذرات .. حروف لغة جديدة !

لقد ذكرنا في المقالة السابقة أن الجسيمات الذرية (البروتون والنيوترون والاليكترون) كانت بمثابة الحروف » المجسدة التي تآلفت في نظام خاص لتعطي سلالات من الذرات ، ثم تجيء الذرات بدورها ، لتصبح « ألف باء » الجزيئات أو المركبات الكيميائية !

ان لغتنا العربية مثلا تتكون من ٢٨ حرفا ، وبهذه الحروف تستطيع تكوين ملايين فوق ملايين من الكلمات .. فلو انك آلفت بين حرف وحرف ، أو بين ثلاثة أو اربعة .. الخ ، بطريقة عشوائية ، فقد تخرج لك كلمات لها معنى ، أو لا معنى لها على الاطلاق .. جرب تعرف !

لكننا نمتلك عقولا ، وبها نخط حروفا ، ونكتب كلمات منتقاة لها في حياتنا معنى ، وعلى الوتيرة ذاتها تتآلف الذرات في جزيئات ليكون لها ايضا معنى .. صحيح ان الذرة لا تمتلك عقلا كعقولنا ، ولا ارادة كارادتنا ، لكنها مع ذلك تمتلك نظاما اليكترونيا بديعا يؤهلها للتفاعل او التعامل مع الذرات الاخرى ، او كأنما هي تعقد مع بني ملتها صفقة اليكترونية يقوم على اساسها كل ما في هذا الكون من صور غازية وسائلة وصلبة وجامدة وحية .

خذ على سبيل المثال غازي الايدروجين



يمثل هذا الجهاز البسيط استطاع دكتور ميلر ان يبرهن على ان الغازات البسيطة الخانقة التي كانت تسود كوكب الارض قبل نشأة الحياة قد تحولت الى جزيئات عضوية اكبر واعقد من خلال تسليط اشعة فوق بنفسجية او شرارات كهربية على الخليط الذى كان يتصاعد في جهاز على هيئة بخار ثم يتكثف ويتركز فاكتشف مركبات مثيرة (راجع المقال) .

والأوكسجين .. فلهذا صفات جوهرية تختلف عن ذلك ، فالأول مختزل والثاني مؤكسد .. الأول يحترق ، والثانى يساعد على الاحتراق .. لكن اذا تقابل المحترق والحارق ـ اى الايدروجين والاوكسجين ـ وأثيرا بشرارة كهربية ، أو بعود ثقاب ، فانهما يحدثان انفجارا أو نارا خاطفة ، ويتآلفان في جزيئات تؤدى الى تكوين بخار الماء .. أو لو اننا اخذنا ماء موصلا لتيار كهربي ووضعنا فيه قطبين كهربيين ، فان الروابط تتفكك ، ويجتمع الايدروجين عند قطب ، والاوكسجين عند الاخر ، ويعود الماء الى سيرته الاولى .. اى الى غازين لا يمتان للماء بصلة تذكر !

وملح الطعام الذى نتناوله كل يوم ، أصله ذرتان واجتمعتا في جزيء ، ولو لا اجتماعهما لأصبح كل منهما « شريرا » مدمرا في أجسام الأحياء .. ولكى نعرف معنى ذلك ، فما علينا الا أن نمرر تيارا كهربيا في محلول منهما ، نريد بذلك ان نفرق بينهما ، عندئذ يظهر كل عنصر على حقيقته وضراوته ، فينشق كلوريد الصوديوم (أى ملح الطعام) الى شقين .. احدهما كلور يقتل الحياة ، والثاني صوديوم يحترق في الماء ليتحول الى صودا كاوية تحرق في تركيزاتها العالية الأبدان .. لكن إذا التقى هذا الحارق وذلك السام ، فانهما يتآلفان في جزيء من ملح الطعام .. لاهو حارق ولاهو سام !.

والنوشادر جزيء كيميائى ينتج من ارتباط ذرة نيتروجين بثلاث ذرات من الايدروجين ، وسكر الجلوكوز جزيئات يتكون كل منها من ارتباط ست ذرات كربون مع ست ذرات أوكسيجين مع اثنتى عشرة ذرة ايدروجين بهندسة فراغية لاتتغير ولا تتبدل .. وقد تتآلف هذه الذرات بطريقة أو بأخرى ، فتعطيك مرا أو حنظلا او حمضا أو عطرا أو سما .. الخ .. الخ..

والأمثلة بعد ذلك بالملايين والبلايين ، وكأنما هى تنبئنا بالخبر اليقين ، غير أن الله سبحانه وتعالى يخلق مايشاء بغير حساب ، ولكن على أساس متين يتمثل لنا في نظام جادت به الذرات لتشق به في الحياة طريقها ، وكأنما هي مجتمعات دقيقة غاية الدقة .. مجتمعات تعرف كيف تترابط وتتآلف ، أو تنشق وتتنافر ، أو يحل بعضها محل بعض بمنطق القوة التى امتلكتها (بالشحنة الاليكترونية او الطاقة المتاحة) ، أو تنظم نفسها في « طوابير » طويلة ، أو تتنازل عن بعض اليكتروناتها لغيرها ، أو تحدث بينها مشاركة اليكترونية .. وبهذا وغيره تحدث الارتباطات ، فتتغير طبائعها من صورة الى صورة ، وبهذا التغير يسرى التفاعل أو الدفع الى هدف قضاه الله يوم أن بدأ الخلق من جسيمات اولية .. جمعها في سلالات ذرية .. ربطها في جزيئات كيميائية .. دفعها بقوى مقدرة لتنشأ منها الحياة !

طاقات دافعة لتآلف محتوم

ولاشك أن كل هذا وغيره كان يحدث بين الجزيئات البسيطة بوجود الماء في الأزمنة الغابرة ، لان الماء هو الوسط الأمثل للتفاعلات التي ادت لظهور الحياة .. « وجعلنا من الماء كل شيء حي » !

لكن لابد من قوى او طاقات لتؤلف بين الذرات في جزيئات صغيرة .. ثم تربط الصغيرة في جزيئات أكبر وأكبر ، أو تحولها من صورة الى اخرى .. لكن ماهي طبيعة هذه القوى ؟

لاشك أنك قد لاحظت أن العالمين يورى وميللر كانا يسلطان على خليطهما من المركبات البسيطة (التي سبق ذكرها) شرارات من تفريغ كهربي ، أو أشعة فوق بنفسجية ، وهما لم يقوما بذلك عفوا او اعتباطا ، بل من ورائه فكرة وهدف ، والهدف أن يكسب المركبات البسيطة طاقة تثيرها ، فتدفعها دفعا الى تلاحم وتفاعل وترابط يؤدى الى جزيئات أعقد تتخذ صورا شتى .. مثلها في ذلك كمثل المؤلف او جامع الحروف في المطبعة .. فكلاهما يبذل طاقة لتكون هذه الكلمات ، والطاقة تبعث من تفاعلات حيوية تتم في الجسم ، ووقود هذه الطاقة سكرا او بروتينا او دهونا تحترق ، فتتولد الطاقة ، فنقوم بالعمل .. والميت لايكتب ولا يطبع ولا يتحرك .. انه بلا طاقة !

وطبيعي ان لكل عالم ما يناسبه من طاقات .. حرارية كانت هذه الطاقات او كهربية أو اشعاعية أو ماشابه ذلك ، ويوم ان كانت غازات الايدروجين والسيانور والامونيا والميثان .. الخ تحتل غلاف الارض من قديم الزمن ، تسلطت عليها شرارات رهيبة من تفريغ البرق ، فأثارتها ودفعتها للتفاعل ، كما استقبلت أيضا طوفانا من الاشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس ، فأكسبتها طاقة ارغمتها على الدخول في معمعة كيميائية لتؤلف بينها في مركبات عضوية اكثر تعقيدا ، ومن اجل هذا استخدم ميللر ويورى شرارات كهربية واشعة فوق بنفسجية في تجربتهما المحدودة .

لكن .. مالذى يدعونا الى الافتراض بأن الشرارات والاشعة كانت تتسلط على غلاف الارض من قديم الزمن ؟

الواقع ان الاشعة فوق البنفسجية أو غيرها من اشعاعات مدمرة تنساب من الشمس منذ ان توهجت وأضاءت ، وهي لازالت في انسيابها حتى يومنا هذا ، وسوف تنساب منها الى ان تنتهى حياتها ، ولقد كانت هذه الاشعة ذات البأس الشديد تخترق الغلاف الهوائى من أوله الى آخره حتى تصطدم بسطح الكوكب ، وفعلت في جزيئاته ما فعلت ، وتساقطت الجزيئات المعقدة مع الامطار ، وظلت تتجمع وتتركز وتتفاعل ملايين فوق ملايين من السنين ، فأدى ذلك الى ظهور لبنات الحياة الاولى ، وعندما شقت الحياة طريقها ممثلة في كائناتها البسيطة ، وعلى رأسها الطحالب الخضراء (صور من حياة نباتية بدائية) ، بدأ الاوكسيجين يتصاعد من عمليات التمثيل الضوئى التى تتم في النباتات الاولية ، وتجمع هذا الغاز شيئا فشيئا في الغلاف الهوائى ، ومنه تكونت طبقة الأوزون (الاوزون ثلاث ذرات مترابطة من الاوكسيجين) التى صدت غائلة الاشعة فوق البنفسجية ، ومنعتها من النفاذ ، فحمت بذلك الكائنات البسيطة من عملياتها التدميرية ولازالت طبقات الاوزون ـ حتى اليوم ـ تمتد فوق رؤوسنا كمرشح عظيم ، او مظلة واقية ضد تلك الاشعة القاتلة .

اضف الى ذلك أن الغلاف الهوائى من قديم الزمن كان يتزاحم بالسحب ، ومن عمليات التفريغ الكهربي بينها ، كانت تنطلق من البرق شرارات كهربية عاتية ساعدت على « طبخ » الجزيئات البسيطة ، ولايزال البرق حتى الان عاملا هاما في تحويل النيتروجين والاوكسيجين الى مركبات نيتروجينية تستفيد منها النباتات .

ملخص القول : ان من بين ملايين الانواع من الجزيئات التي تكونت في العصور القديمة ، بعث « أدم » الجزيئات الذى سيطر بعد ذلك على كل صور الحياة ، وأعطاها صفاتها المسجلة بنظام ليس هناك ماهو أروع منه ولاأعظم ، ولهذا الجزىء دراسة قادمة ، لنعلم من أمره مالم نكن نعلم .. « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

شكيب أرسلان : صورة جيل

بقلم : الدكتور عمر الدقاق

لم تكن السن قد بلغت بي العاشرة من عمري حين كنت أشعر برغبة لا تقهر تدفعني بعيدا عن داري في احد احياء حلب القديمة لأتحسس بنفسي ما كان يدور على ألسنة أبي وجدي وسائر رجال الحي ، بعد أن يعودوا في ضحى يومهم وقد اغلقوا متاجرهم إثر مظاهرة صاخبة ضد المحتلين .

لقد بدا لي الأمر وأنا أشق طريقي بين الجموع المتراصة يومذاك على غير ما كنت أعهده لدى تلك الجماهير الثائرة ، فقد كانت الوجوه طافحة بالبشر وتهليلها يملأ الأفواه وتكبيرها يجلجل في الآذان ... ولقد دريت بعد لأي من خلال أحاديث الكبار إن رجلا وطنيا ذا شأن اسمه شكيب ارسلان قد عاد الى ربوع وطنه بعد ان حرمه عليه المستعمر سنين طوالا .

وقف العائد من منفاه في ساحة حلب يخطب الناس وأنا مأخوذ بسحر بيانه ، أنقل ناظري بين قسمات وجهه الصارمة وجبهته الفسيحة ، وأرقب بفضول كبير تينك العينين البراقتين من خلف نظارته البيضاء ، وذينك الذراعين اللذين كانا يتحركان بدأب ويتمان على حماسة لا حد لها وإيمان لا قرار له . كان ذلك في ربيع عام ١٩٣٧ م .

ولد شكيب في الشويفات من جبل لبنان سنة ١٨٦٩ م من أسرة عريقة ترقى بنسبها الى قبيلة لخم العربية من كهلان التي قامت في ربوعها وفي حاضرتها الحيرة دولة المناذرة . ثم شب في عالم مضطرب تتنازعه الأطماع وتتعاوره البغضاء . وكانت بلاده تئن تحت كابوس الاستبداد والمستعمر يتطلع الى خيراتها بجشع ويحدد نحوها انيابا عصلا حتى يهم بالانقضاض عليها وابتلاعها .

ولقد نشأ الفتى ولغة العرب غريبة في أهلها يتولى تدريس قواعد نحوها وصرفها أناس دخلاء عليها يعلمون قومه لسان القرآن بلسان جنكيز وطوران ، ويلفظون لغة الضاد برطانة وعجمة . الا انه قيض لهذا الطفل ان يلتحق بمدرسة الحكمة في بيروت وكانت من أرقى المدارس التي عنيت بلغة أجداده . ويتفتح البرعم عن



ذكاء متقد ، وتبدو علائم النبوغ مبكرة لدى ذلك الفتى فنظم الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ويصدر أول ديوان له واسمه (الباكورة) وهو لم يتم بعد السابعة عشرة .

مع أعلام الاصلاح

وفي مدرسة الحكمة هذه وفي أحد محافلها التي كانت تقيمها في فنائها كل عام يلتقي ذلك الطالب اليافع بإمام العصر الشيخ محمد عبده الذي يتوسم في ملامحه الخير لأمته . ومنذ ذلك اليوم شغف الطالب الفتى بأستاذه الشيخ فلا يقر له قرار حتى يلحق به الى مصر ، كعبة الفصحى وملاذ الأحرار وقتئذ ، ومن قبل هرع اليها عبد الرحمن الكواكبي ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي .. ويلازم شكيب حلقة الامام ويغترف من معين فكره النير ويقبس من جذوة حماسته اللاهبة . ثم يقصد بعد ذلك الى الاستانة حيث تغص معاهدها ومنتدياتها بكثير من شبان العرب واحرارهم ، وهناك يتم اللقاء بينه وبين السيد جمال الدين الأفغاني ، ثم تشتد اواصر الاخاء بينهما ويعب شكيب من تعاليمه الثائرة ويقف منه على ادواء أمته . وحين يتصل شكيب بعد ذلك بالسيد رشيد رضا في بيروت ويتبنى الكثير من افكاره السياسية والاجتماعية تتكون في شخصيته ابرز معالم الرجل الحر والكاتب المبدع

بين أمير البيان ، وأمير الشعراء

لقد علق شيطان الشعر بشكيب حينا من الدهر وكانت بينه وبين محمود سامي البارودي ـ وكان في منفاه بسيلان ـ مراسلات ومساجلات شعرية ، وقد رأى فيه رائد الشعراء المحدثين :

نبراس داجية وعقلة شارد
وخطيب اندية وفارس مجمع

ثم انعقدت بعد ذلك اواصر الصداقة بين أمير البيان وبين أمير الشعر ، إذ تم أول لقاء بينهما في باريس حيث كان شوقي موفدا لدراسة الحقوق . ويتمنى شكيب على شوقي أن يجمع روائع شعره في ديوان وأن يطلق عليه اسم (الشوقيات) . وينعم شوقي بصحبة شكيب في ديار الغربة ، حتى اذا ما غاب عنه ظله إفتقد فيه النصير المخلص والأخ الوفي ، وذ . ره بلوعة :

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها
سواي ، على ان الصحاب كثير

وتجري أيضا بين شكيب وبين عدد من شعراء عصره مثل اسماعيل صبري ، وعبد الله فكري وخليل مردم وسواهم مساجلات شعرية طريفة ومفاكهات أدبية شائقة . لقد كان الشعر والنثر يتدفقان من معين نفسه تدفق النبع الثر ويندفعان من قريحته الفياضة كفرسي رهان .

الا أن الأمير يعزف عن الشعر ويزجر شيطانه ، ويؤثر فنا رصينا من فنون القول هو الترسل والكتابة في التاريخ والأدب والاجتماع . ونحن لا نكاد نقع على كاتب عربي حديث كان له فيض من النتاج العلمي في الخطب والمحاضرات والقصائد والنداءات والمؤلفات ما كان لشكيب أرسلان .

فقد وهبه الله دأبا عجيبا على العمل ، وقلما سيالا لا يجارى ، وفكرا غزيرا لا ينضب معينه . ومن هنا لقب في دولة الفكر وعالم الادب أميرا للبيان .

جواب آفاق

ولعل شكيبا أول كاتب عربي طوف على هذا النحو الواسع في ارجاء المعمورة ، فقضى الشطر الأكبر من حياته المديدة متنقلا بين دول الغرب وحواضر الشرق . فما ان تستقر به الأرض في ربوع المشرق العربي حتى ينأى عنها الى المغرب العربي ، وقد ترحل أمدا طويلا الى روسيا وألمانيا وسويسرا وفرنسا وايطاليا ، واسبانيا .

وكما بلغ أقاصي آسيا قصد الى امريكا ، العالم الجديد ، واتصل بإخوانه عرب المهجر .

لقد كان لشكيب أرسلان من ذلك الترحل خير زاد لكتبه ومؤلفاته القيمة التي اتسمت بطابع موسوعي شامل ، وما أشبهها بمؤلفات الجاحظ من حيث الاحاطة والشمول ، والسعة والغزارة ، والطرافة والاستطراد

أرسلان الكاتب الاسلامي

وقد استأثر العالم الاسلامي وأوضاع المسلمين باهتمامه البالغ على نحو ما كان عليه أساتذته الأجلاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا . ويكفي أن نشير الى هوامشه وتعليقاته المستفيضة على الكتاب المعروف « حاضر العالم الاسلامي » لندرك المدى الذي بلغه في هذا المجال . فقد تتبع أحوال المسلمين في أقاصي الأرض وعالج مشكلاتهم بكثير من العمق والحماسة والدأب ، كما تحدث بإسهاب عن مأساة الشعوب المسلمة في أرجاء المعمورة ، فصور ابتلاء بلاد العرب والهند بالاستعمار الانكليزي وعرض فظائع الاحتلال الهولندي في بلاد جاوة وسوماطرة وسائر جزر أندونيسيا . وفضح أحوال الاستعمار الايطالي في طرابلس وبرقة ، وكشف عن فظائع الاحتلال الفرنسي في بلاد الجزائر وفي المغرب الأقصى ... بل إنه توغل من خلال مؤلفاته في أقاصي الصين وفي مجاهل القارة السوداء فأزال النقاب عن مدنية الغرب الزائفة ومخازيه تجاه الشعوب الآمنة المستضعفة .

وبوحي من هذا الشعور الاسلامي الجارف الذي خبر أحابيل الغرب وشهد حملاتهم الاستعمارية على الشرق ، وقف ضد الثورة العربية الأولى التي اندلعت شرارتها إبان الحرب العالمية الأولى وجاهر قادتها العداء ، إذ أدرك بثاقب نظره أن التحالف بين العرب والغربيين لا يعدو أن يكون تحالفا بين الحمل والذئب ، فأطماع الحلفاء في هذه الربوع الأبية لا تخفى على أحد ، وكان الرجل يشفق على تلك الدولة الاسلامية الكبرى التي كانت درعا منيعة ضد مطامع الغرب والصهيونية أن تعصف بها مطامع الغربيين ، ولذلك أنشأ يقول :

وليس لنا غير « الهلال » مظلةٌ
ينال لديها العز من هو آملهْ
سيعلم قومي أنني لا أغشهم
ومهما استطال الليل فالصبح واصلهْ

لقد كان اتجاه شكيب هذا امتدادا لاتجاه أستاذه الامام محمد عبده الذي كان يعتقد بأن « المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين » . وكان يشارك شكيبا رأيه كثيرون ولا سيما زعماء مصر وأحرارها الذين عانوا من ختل الانكليز ما لم يعانه أحد من العرب من قبل . وعلى هذا الرأي كان مصطفى كامل وعبد الله نديم وتوفيق البكري ورشيد رضا ، كما كان معروف الرصافي وعبد الحميد الرافعي وأحمد محرم ، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران .. الا أن الرجل أسرف في حب العثمانيين برغم تماديهم في ظلم العرب وتنكيلهم بأحرارهم وإستهتارهم بلغتهم ومقدساتهم ، ولم نجد له من الشعر والنثر على كثرة نتاجه فيهما ما يمكن أن نعده تقريعا للترك حين أساء غلاتهم الى كرامة العرب والى لغة القرآن . وكانت هذه بقعة سوداء في صفحة جهاده الناصعة التي تجلت بأروع سماتها إبان المرحلة التالية من حياة العرب ، فترة الاحتلال البغيض .

ومنذ أن انهار عرش الاستانة تحول أكثر دعاة الجامعة الاسلامية الى جامعة العروبة بعد أن تبين لهم عدم التنافي بين الدعوتين ، فكلتاهما تلم شمل العرب . وغدا شكيب في طليعة المتحمسين للوحدة العربية .

الكاتب القومي

ولم تكن الوحدة العربية مجرد شعار يهتف له

شكيب ، أو طيف يناجيه ، كما كان شأن الكثيرين في تلك الفترة من انطلاق القومية العربية . فشكيب رجل فكر وباحث إجتماعي متمكن من التاريخ وأحوال الأمم ، وهو ينادي بالوحدة العربية لأنها ضرورة حتمية تستلزمها حياة العرب ويقتضيها مصيرهم المشترك . ولنستمع اليه يقول : « اذا أنعمنا النظر في حالة العرب الحاضرة ومواقعهم الجغرافية ومطامع الدول المحيطة بهم سواء في الشرق أو الغرب وجدنا وحدة العرب ضرورة من الضرورات الحيوية . إن العصر الحديث بما فيه من عناصر الجشع وسياسة التكالب المستمر على أسلاك الضعفاء أصبح غير محتمل إحراز نصيب شريف من الحياة للأمم التي تفككت أوصالها » . ثم يقول : « فنحن مضطرون إذن بعد ان حاقت بنا الأخطار أن نتحد اتحادا عسكريا واقتصاديا وسياسيا يضمن لنا البقاء » . وهكذا ارتبطت الوحدة العربية في ذهن شكيب ببقاء العرب وبكيانهم ذاته .

وبوحي من هذا الفكر النير كان يؤمن بأن استمرار الجفاء بين قادة العرب وتناحر ملوكها وزعمائها يفت في عضد الأمة ، وذلك ما دعاه لأن يبذل ما وسعه من الجهد ويعمل بلا هوادة في سبيل جمع الشمل والتمهيد لوحدة العرب ، فاجتمع مرارا الى فيصل بن الحسين وعبد العزيز آل سعود والامام يحيى ... وألح عليهم في نبذ خلافاتهم وإزالة الجفوة بينهم وصارحهم بأن الوحدة العربية لن تتحقق ما داموا على هذه الحال من النزاع والخلاف .

وهكذا كان شكيب خير سفير لقضايانا ومحام عن حقوقنا تجاه عالم غربي جشع ضاعت لديه القيم والمثل واستبدت به شهوة التسلط والاستعمار . ولقد أنصف قائد الثورة العربية فيصل بن الحسين الأمير شكيبا في هذا المجال برغم ما كان بينهما في إبان تلك الثورة إذ كتب إليه « إنني أشهد أمام الله والناس بأنك أنت أول من تكلم معي من العرب في الوحدة العربية » .

وبوسعنا الآن ان نفهم لماذا يبعد الحر عن وطنه ويحال بينه وبين أهله . فالمستعمر يخشى هذه الآراء فيحول دون انتشارها ، وما درى أن توهج الفكر الحر لا يمكن أن يحجب ، وإن دياجير الظلم مهما دجت لا تستطيع أن تطفيء نور الحرية . ولشد ما يحز في النفس أن يرقب رجل عالم عامل بلاده المحتلة من وراء البحر وهو يقول بحسرة بالغة : « لا أقدر أن أطأ أرض سورية ، لا أقدر أن أطأ أرض فلسطين ، لا أقدر أن أطأ أرض مصر .. » .

بل إن شكيبا لم يكتف بهذا الدور ، إذ كان في تطوافه المديد في ربوع أوروبة وحواضرها خير داعية للقضية الفلسطينية وذائد عن حق العرب في التحرر . وكانت جريدته التي أصدرها في سويسرة باللغة الفرنسية وأسماها (الأمة العربية) المنبر الحر الجريء والصوت العربي المدوي . ومن خلال ذلك المنبر كان يدافع عن حقوق العرب بحماسة وإيمان ، وكأنما جريدة (العروة الوثقى) للأفغاني ومحمد عبده التي كانت تصدر في باريس قد بعثت من جديد .

ولكن الله مد في أجله وأتاح له فرصة العودة الى وطنه وتقبيل ترابه بعد أن نعمت البلاد بالتحرر وجلاء الغاصب ، فقد عاد شكيب وهو شيخ متهدم الجسم الى دياره في سورية ولبنان عام ١٩٤٦ ليشهد أخيرا علم الاحتلال وهو ينزل من سماء وطنه منكس الرأس ، ولتكتحل عينه بمرأى علم بلاده وهو يشمخ عاليا بألوانه الزاهية ، وعند ذلك سلا نصبه وجهده طوال تلك السنين الحافلة بالعمل والدأب ، والبحث والتأليف ، وتعزى عما حاق به من ألم وغربة وشظف ، فتحيرّت دمعة الفرح في عينه ، ثم لم يلبث أسابيع قليلة حتى أسلم روحه الى بارئها ولقي وجه ربه قرير العين راضيا مرضيا .

وبعد ، فهذا رجل مثّل جيلا كاملا بتطلعاته وعثراته . لقد عاش تجاربه وارتبط بقضاياه ، جيل أوشك الناس من حوله أن يعبروا الجسور الى رحاب التقدم وهو ما زال حائرا على مفترق الطرق يتطلع الى الشاطيء الآخر ..

قد تطوى رايات كثيرة ، ومع ذلك سوف يظل شكيب أرسلان ـ في ضمير العرب والمسلمين ـ راية لا تطوى . ■■

حلب ـ د . عمر الدقاق

مقالات في كلمات

■ احذر هؤلاء الذين يضحكون على لاشيء ، وعلى كل شيء .

ارنولد جلاسو »

■ ليس هناك فنان كامل ، لان نصف الفن ان تعرف متى تتوقف !

« آرثر وليام رادفورد »

■ التثاؤب صيحة هادئة !

« شسترتون »

■ كثيرة هي الساعات التي نقضيها بلا مبالاة ، ولكننا كلنا تنتظر عناق عقربي الساعة لحظة مولد كل عام جديد بكل ما تنبض به قلوبنا من أمل في غد افضل .

« تشارلز لامب »

■ اسعد ايام البشر ، هي تلك الصفحات البيضاء في كتب التاريخ !

« ليوبولد فون رانك »

■ المقترحات الطيبة ، شيكات لا تجد دائما رصيدا يكفي لصرف قيمتها من البنوك !

« جول رينار »

■ الشهرة نحلة ، لها اغنية ، ولها لدغة ، ولكن لها ايضا جناحان !

« اميل ديكنسون »

■ لا شيء اقوى من الكلمة الرقيقة ، ولا شيء ارق من القوة الحقيقية !

« رالف سوكمان »

■ الذكاء في ان تعرف وجه الشبه في الاشياء التي تختلف ، ووجه الخلاف في الاشياء التي تتشابه !

« مدام دي ستيل »

عن ..
الأدب القطرى الحديث

تأليف : محمد عبد الرحيم قافود
تقديم : عبد الرزاق البصير

من الواضح ان أى بحث أو مقال أو كتاب لا يجتذب القارىء اليه الا اذا جاء بجديد . فالكلام المعاد في أى جانب من جوانب الفكر يصبح ثقيلا على النفوس ، مهما حاول صاحبه ان يلبسه لباسا لامعا ليوهم قراءه ان فيه ما ينفع . وليس الاتيان بجديد بالامر اليسير في هذا العصر لان وسائل النشر قد يسرت للناس سبل الاطلاع ، حتى اصبح المثقف في حيرة من أمره لا يدرى ماذا يقرأ وماذا يدع ، لكثرة ما يرد عليه من حصاد فكرى وأدبي . غير ان هناك جانبا بكرا يمكن الدارسين الجادين فيه بأن يزودوا قراءهم بكثير من الامور الجديدة ، وأعني بهذا الجانب ما يخص تاريخ منطقة الخليج من الناحية الثقافية والتاريخية .. ذلك ان الباحثين في هذه المنطقة قلة بسبب ما تتطلبه الدراسة من صبر على البحث لندرة المصادر والمراجع . ولكن ارتباط الانسان ببيئته التي نشأ فيها يجعله مهيأ لاحتمال جميع ما يعترضه من المصاعب .

ومن المؤكد ان حب مؤلف هذا الكتاب لوطنه الذي نشأ فيه هو الذي دفعه الى اختيار هذا البحث الشاق ، وقد منعه كرهه للتحدث عن نفسه بأن يشير الى هذا الأمر .

وعلى كل حال ، فان قارىء هذا الكتاب لابد وأن يظفر بكثير من الفوائد التاريخية والادبية . على انه يشعر بأن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا في تأليف هذا الكتاب . كما يشعر بأن المؤلف قد أخلص للعلم كل الاخلاص ، فأنت تراه يتحدث عن بلده « قطر » بصورة مجردة عن الهوى ، بعيدة عن التعصب ، فهو يعلن لك مثلا في أثناء حديثه عن الحياة الثقافية قائلا :

« وبعد هذه الغزوات المتكررة على المدينة ، ثم ما تلاها من انتقال آل خليفة الى البحرين ، افتقدت الزبارة مكانتها الاقتصادية والعلمية وأصبحت مدينة شبه مهجورة ولم تقم في قطر مراكز علمية معروفة في تلك الفترة وحتى بداية القرن العشرين » (ص ٥٦) .

وقوله عن تاريخ النهضة التعليمية في قطر :

« ونظرا للحياة المضطربة وخاصة في النصف الاخير من القرن التاسع عشر لا نرى للتعليم أي مكانه تذكر أو ربما لم تصل الينا أية معلومات عنه أو عن الحياة الثقافية في هذه الفترة » (ص ٥٨) .

وأول ما يلقاك من الفوائد الادبية التي لا يعرفها الا القليل من الناس ، هو أن الشاعر الخارجي المعروف بقصيدته العينية الشهيرة والتي تفيض بطولة وشجاعة والتي يقول فيها :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ويحك لن تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم
على الاجل الذي لك لم تطاعي

بين الشعراء والصحافة

هذا الشاعر هو من شعراء قطر ، واسمه الذي اشتهر به قطري بن الفجاءة ليس اسمه الحقيقي وانما هو نسبة الى قطر غلب عليه فعرف به . أما اسمه الصحيح (جعونة بن يزيد بن زياد) . وهو شاعر ذو لسان فصيح في الخطابة استفحل امره في زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله وبقي شاعرنا القطري ثلاث عشرة سنة يسلم عليه بالخلافة وامارة المؤمنين .

ولست أبعد عن الصواب اذا قلت ان هذا الكتاب سيكون مرجعا للذين يريدون أن يتعرفوا على نشأة الحياة الثقافية في هذا البلد الشقيق . فالمؤلف يحدثك عن ابتداء النهضة التعليمية الى ما وصلت اليه في وقتنا الحاضر من تطور ادى الى تقدم التعليم ، حتى وصل الى ارسال البعثات التعليمية الى الجامعات العربية وغير العربية . والاعداد لانشاء جامعة قطرية .. ويتمثل ذلك بافتتاح عدة كليات للتربية والعلوم الانسانية والدراسات الاسلامية وكلية العلوم . كما يؤرخ للاندية الادبية والمواسم الثقافية والمكتبات العامة ، ذاكرا ما أنتجته من عطاء فكري وأدبي .

ولا ينسى المؤلف أن يفصل في تاريخ صحافة قطر موضحا اتجاه كل صحيفة والخط الذي تسير فيه ، مبديا ما يجده عليها من ملاحظات على شاكلة مآخذه على مجلة العروبة حيث يقول :

« ومع ذلك كله فان المتصفح للمجلة يحس بذلك النضوب الفكري والأدبي وانحساره على صفحاتها وخاصة بالنسبة للأقلام المحلية » (ص ٦٧) .

ومن المؤكد ان المؤلف كتب هذه الفصول التي أشرنا اليها لتكون بابا يدخل منه الى تاريخ الحركة الثقافية في قطر لان هذا هو المحور الذي يدور حوله الكتاب . لذلك نراه يفصل الحديث عن الشعراء والمؤلفين في قطر . فهو يقف بك على أول شاعر نظم الشعر في هذا البلد وهو عبد الجليل الطباطبائي فنراه يقول عنه :

« انه عراقي المولد ، ولكن نظرا لمكوثه فترة طويلة في الزيارة وظهور الكثير من الحوادث السياسية المحلية في أشعاره ، فقد رأيت أن أعتبر هذا الانتاج أو هذه الأشعار من الأدب القطري » .

بعد ذلك يأخذ المؤلف في ذكر أسماء المؤلفين والشعراء الذين شملتهم المرحلة الأولى للمسيرة الأدبية ، فأديبنا يقسم الحركة الأدبية الى مرحلتين :

ـ المرحلة الأولى ، وتبدأ من أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن الحالي

ـ المرحلة الثانية ، تبدأ من بداية النصف الثاني من هذا القرن وحتى الوقت الحاضر .

وهو يصف تلك المؤلفات وصفا يعطيك صورة عن تلك الآثار .. ومن أجمل ملاحظات المؤلف تلك التي تتعلق بتأخر نمو الحركة الثقافية عن الحركة المادية لأن طبيعة الانسان سريعة في تقبل الأمور المادية .

النمو الثقافي البطيء

أما الناحية الفكرية فانها تحتاج الى تمثل وهضم ، مما يقتضي مدة طويلة . لهذا نجد نمو الحركة الثقافية بطيئا .. وهذه ظاهرة في جميع اليقظات الفكرية . وكم هو جميل حين أشار المؤلف بصورة واضحة الى ما شهدته قطر من تدفق المتكسبين بالشعر في مدح أمير تلك البلاد .

« الشيخ علي بن عبد الله ، يكيلون له المدح والثناء في مقابل البذخ والعطاء الذي كان يغدقه عليهم » (ص ٨٤) .

ومن الغريب ان المؤلف قد أوضح سبب تخلف الحركة الثقافية كما أشرنا اليه قبل قليل ، ولكننا نجده يتساءل مرة أخرى عن سبب ضعف الحياة الادبية ويفرد لجواب هذا التساؤل عدة صفحات يضمنها آراء بعض الأدباء القطريين . وليس في هذه الآراء جديد لما قدمناه من أن الحياة الفكرية تحتاج في نضوجها الى زمن يتمثل فيه المثقفون غذاءهم الفكري ويتعمقون في الحياة . والمؤلف يبدأ في تصوره للحياة الأدبية بالمقالة الفنية وهو يجرى في تحليله لهذا اللون من الأدب على ما جرى عليه من قبل من تقسيمه للحياة الأدبية موردا بعض النصوص من رسائل بين حاكم قطر الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وبين الحكام الاتراك والانجليز ، معلقا عليها تعليقات صريحة توضح لك كيف كانت تلك الرسائل بدائية ، وكم كنت أتمنى لو أكثر من الاستشهاد بتلك الرسائل لان فيها اشارات الى أحداث تاريخية لا نعرف عنها شيئا . بعد ذلك ينتقل الى المقالات الصحفية التي كتبها كتاب قطريون ، بعضها يعالج مشاكل ادبية كقضية انصراف الناس عن الأدب وطعنهم عليه وبعضها ذاتي يعالج خواطر ومشاعر أصحابها سالكا نفس الطريق الذى سلكه في تعليقه على رسائل أمير قطر من تحليلات صريحة توضح ان تلك المقالات لم تصل الى المستوى المطلوب .

وبما أن القصة جانب هام من جوانب الأدب ، فان المؤلف يجد لزاما عليه أن يعقد فصلا يتناول فيه نشأة القصة في قطر ، وأنت اذا ما وقفت على هذا الفصل تبين لك ان مسيرة الحياة في منطقة خليجنا العربي متشابهة كل التشابه ، مما يجعل الحركة الادبية متماثلة . فالقصة لون مستحدث في وطننا العربي عامة وفي منطقتنا الخليجية بصورة خاصة ، ولكن أقطار الخليج تختلف بين متقدم في المساهمة في هذه الالوان الحديثة وبين متأخر . فالبحرين والكويت تعتبران سابقتين في الحركة الأدبية . اذ أنك تجد في أواخر الاربعينات والخمسينات أدباء وشعراء قد نشطوا في ابراز خواطرهم وأفكارهم بصورة فنية . ولكن كتابة القصة لم تنضج في هذه المنطقة حتى الآن على ما أعتقد نضوجا يرضي النقاد المتعمقين في مفهوم القصة الذى ينبغي أن تكون عليه .

وعلى كل حال ، فان مؤلف الكتاب لا يجد ضيرا في أن يعلن في هذا الفصل أكثر من مرة قائلا : « ان القصة القصيرة متداخلة تجد فيها ما تعارف عليه الباحثون في هذا اللون من مذاهب أطلقوا عليها أسماء الرومانسية والواقعية » . لذلك لم يستطع المؤلف ان يضع تقسيمات للقصة القطرية أو يصنف مذاهب القصاصين في قطر ، اذ أن القصة في بداية الطريق ــ كما يرى المؤلف ــ وهي في أكثرها تقريرية اتخذت المباشرة وسيلة لتصوير أفكار أصحابها وهي تعالج أكثر ما تعالج ما حدث من صراع بسبب الانتقال من الحياة القديمة الى الحياة الحديثة ، كما تعالج مشاكل البحارة مع رؤسائهم (النواخذة) .

وفي اعتقادى ان كتاب القصة ، وان كانوا ملومين من الناحية الفنية ، الا ان قساوة الواقع وحدة المشاكل تملأ نفس الكاتب بالانفعال الى حد يجعله يكاد ينسى ما تفرضه الناحية الفنية .

وينطبق هذا الحال على المسرحية ، اذ أنها لاتخرج عن هذا الاطار بالاضافة إلى انها كتبت باللهجة العامية . وقد وفق المؤلف حيث لاحظ أن معظم كتاب المسرحية في الوطن العربي اصطنعوا اللهجة الدارجة في كتابة المسرحيات اعتقادا منهم ان هذه اللهجة أكثر التصاقا بالواقع من اللهجة الفصحى ، مما يجعلها أكثر طواعية ، على ان المؤلف يذهب ــ كما يذهب اكثر الكتاب ــ أن خلود الادب لا يكتب الا للذين يصطنعون اللهجة الفصحى . ونحن اذا تأملنا ما لخصه المؤلف من مسرحيات نرى التشابه واضحا بين الكتاب المسرحيين في منطقة الخليج .

كثرة شعر المديح

بعد ذلك ينتقل المؤلف الى ناحية أدبية أخرى وهي ناحية الشعر ، مرتكزا على تقسيمه الذى وضعه للادب القطرى كله ، مرحلة ما قبل النفط وما بعد النفط ، ملاحظا ان الشعر في المرحلة السابقة للنفط لم يطرق الا أغراضا محدودة وهي الاغراض التي سار عليها شعراؤنا

قبل استثارة الافكار وهي المديح والرثاء والفخر والغزل ، على أن بعض الشعر القطري واقعي يحدثنا عما كان من خلاف بين القطرين الشقيقين . البحرين وقطر . ولشدة حساسية هذا الموضوع ، لم يستشهد المؤلف الا بأبيات قليلة لكنها مع ذلك ترشد الباحثين الذين يريدون التوسع في دراسة التاريخ .

ومن الانصاف ان نشيد باخلاص المؤلف الصريح الذي جعله يقول : بأن سبب كثرة شعر المدح يعود الى شغف الامراء لهذا اللون واستراحتهم اليه واغداقهم المال على كل من يسلك هذا الطريق . ويبدو أن التجديد في الشعر في مرحلة ما بعد النفط لم يكن شاملا عميقا كما تقتضيه حياتنا المعاصرة ، ذلك ان شعراء هذه المرحلة كانوا تقليديين الى حد كبير .

والحق أن المؤلف لا بد وأن أحس بحرج شديد وهو يقارن ويحلل بين الشاعرين : عبد الرحمن المعاودة وأحمد الجابر . لأن الناحية الموضوعية تفرض عليه أن يبدي رأيه الرافض لطريقة الشاعرين المشار اليهما ، في حين أن الناحية الاجتماعية تفرض عليه أن يجامل هذين الشاعرين لما لهما من مكانة أدبية مرموقة ، خاصة وأنهما ما يزالان على قيد الحياة ، ولكن المؤلف ارتفع فوق المقتضيات الاجتماعية وأرضى النقد الادبي النزيه فقال بعد أن أورد قصيدتين طويلتين بأكملهما لكل من الشاعرين أحمد الجابر وعبد الرحمن المعاودة . وقد نظمت هاتان القصيدتان بمناسبة العام الهجري . قال عن الشاعرين انهما التزما بالقديم الموروث ولم يأتيا بجديد ، في حين ان المعاصرة تقتضي من هذين الشاعرين أن يكون شعرهما صورة للمفاهيم الجديدة التي انتقلت الينا من مختلف النوافذ الفكرية سواء كانت هذه المفاهيم مقبولة عند بعض الناس أو غير مقبولة » (من ص ٢٠٩ الى ص ٢٢٧) .

عن الحركة التجديدية

ومن يقرأ هاتين القصيدتين يجد المؤلف محقا فيا ذهب اليه . وهكذا يمضي المؤلف في تحليل الشعر التقليدي من غزل ومديح ورثاء ، فاذا فرغ من ذلك انتقل الى الحركة التجديدية : أغراضها واتجاهاتها . وتبتديء هذه المرحلة في منتصف هذا القرن حين ابتدأ ظهور التعليم الحديث والصحافة وغيرها من الوسائل الاعلامية ، وما تبعه من اتصال ثقافي بالعالم الخارجي سواء عن طريق هذه الوسائل أو عن طريق البعثات ، فانتقلت كثير من مذاهب الفكر الحديث وتأثر بها أولئك الذين لهم قابليات لتلقي هذه التيارات الجديدة فهضموها وتمثلوها فنتج عن ذلك أنهم أحسوا بما عاناه آباؤهم وما كابدوه من صراع مع البحر فصوروها في قصائد ينفح منها أريج التجديد .

يقول مبارك بن سيف ، أحد شعراء هذه المرحلة :

ايه يا ماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
في لهب السموم
وسمعنا آهة النهام أعيتها
جبال من هموم
ايه يا ماء الخليج
كم جيل أنت من خلف الشطوط
انك الخدر الذى يحجب في الأستار
آلاف المآسي
ظالم أنت وجبار وغدّار وقاسي
تزرع اللؤلؤ في الأعماق
كالصيد الدفين
وهي لا تعدو سرابا أو كمين

وقد أورد المؤلف نصوصا مما قاله الشعراء التقليديون والمجددون ، لكنني آثرت أن أروي هذه القطعة من الشعر وأن أكتفي بها ، ذلك أن القطع التقليدية التي رواها المؤلف معروفة لتشابهها بما سبقها من الشعر .

ويرى المؤلف أن من العسير اصدار أحكام نقدية دقيقة لانه لا يملك الا قليلا من النصوص ، غير أني أرى بأن الذين أورد لهم نصوصا من الشعر الحديث يملكون طاقة شعرية اذا استمروا في تفجيرها ، فان الادباء القطريين ستكون لهم مساهمة ادبية فعالة .

ولقد كنت أتمنى أن يجعل المؤلف عنوان كتابه « الأدب العربي في قطر » لأني ممن يعتقد بوحدة الأدب العربي فان تجزئة الأدب تزيد في تجزئة أمتنا . ومن المؤكد أن أعظم مهمة للأدب تكون في تقريبنا للوحدة فلا يجوز لنا اذن الا أن نسير على هذا الطريق القويم . ■■

الكويت ـ عبد الرزاق البصير

● حل مسابقة العدد ٢٥٠ ●



سيف الدولة

●

سليمان الأول

(٨) أفقيا : سيف الدولة . أكبر ملوك الحمدانيين ، انتزع حلب من الاخشيديين ومدّ نفوذه الى شمال سوريا ، وانتصر على البيزنطيين . ازدهرت في عصره الآداب والفنون فلمع في عهده المتنبي وأبو فراس والفارابي .

(٨) رأسيا : سليمان الاول . عاشر سلاطين الدولة العثمانية ، أطلق عليه الاتراك لقب سليمان القانوني . قاد بنفسه ١٣ حملة في أوروبا وآسيا . دوّن القوانين والشرائع . بلغت الامبراطورية في عهده أوجها ، فازدهرت الفنون والآداب .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : نجاح عبد الله محمد / الكويت .

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عبد العزيز الركايبي / مكناس / المغرب .

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : امال حمدي عليان ـ عمان / الاردن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سرمد صلاح صالح/السليمانية ـ العراق .

٢ ـ محمد برهان الدين حلبي/حلب/سوريا .

٣ ـ صلاح احمد عمر/ام درمان/السودان .

٤ ـ كمال كامل حاده/صور ـ لبنان .

٥ ـ أروي علي سليمان الكوري/عدن/اليمن الديمقراطي .

٦ ـ عمر حافظ سليم عاصي/الشرقية/مصر .

٧ ـ مجدي محمد أمين إسلامي/جده/السعودية .

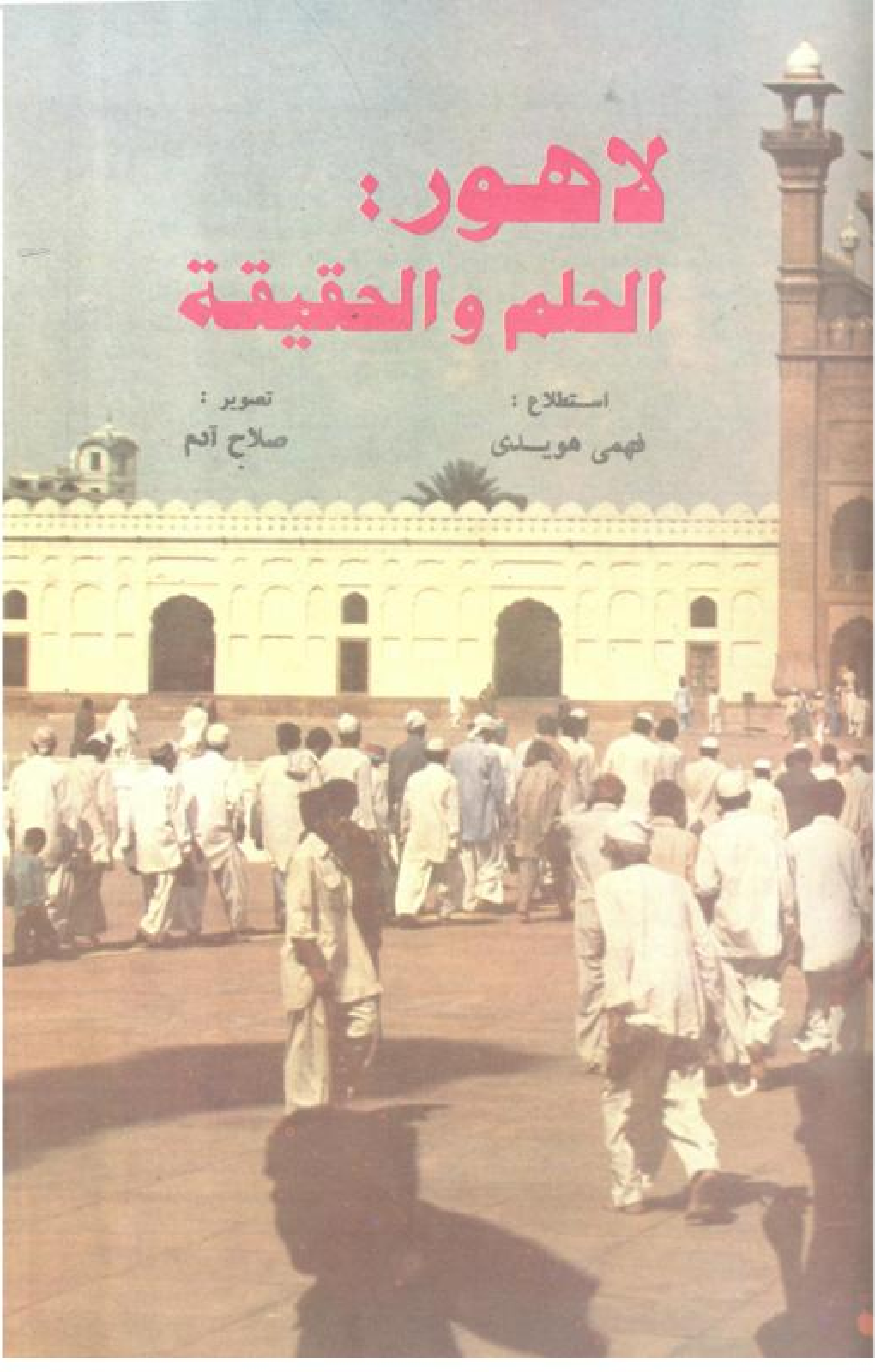
٨ ـ سلطان محمد حربان/البحرين .



لاهور: الحلم والحقيقة

استطلاع : فهمى هويدى

تصوير : صلاح آدم



تظل لاهور حلما ابدا ..

ذلك انه ما من قارىء للتاريخ ، الا وفي خياله صورة باهرة لتلك المدينة الخضراء ، التي ترصع جبين البنجاب منذ قرون . قلعة الاسلام وجسره الى شبه القارة الهندية . وعاصمة الغزنويين واباطرة المغول . وبلد اعظم المساجد واشهر القباب واجمل الحدائق . ومنارة العلم ، ورواق العلماء ، ومرقد المتصوفة .

هكذا هي في الحلم ..

وتأتي الحقيقة لتجسيد ما ابقى عليه الزمن من اثر للحلم ، ثم لتضيف اليه الكثير من الاضواء ، والظلال .

وتبقى لاهور هي لاهور ، كما يقول اهل البنجاب الذين يبلغ اعتزازهم بالمدينة حد الزهو والافتخار ، مؤكدين ذلك بمثلهم الشعبي الشهير : « من لم ير لاهور لم يولد بعد » !

لكن زيارة لاهور لا تحل المشكلة ، بل تخلق مشكلة جديدة ، تماما كما ان الميلاد ليس نهاية المشكلة ، بقدر ما هو بداية لمشكلات جديدة .

ذهبنا ـ ولدنا بحمد الله ـ وقضينا هناك اياما عشرة . ولكن لاهور حيرتنا ، ولولا الحياء لقلت عذبتنا ! ذلك ان لاهور الامس تمد جذورها الى اعماق اعماق التاريخ (٢٥ قرنا اذا ما حسبنا من اول ذكر لها في يوميات الرحالة الصيني هسين تسانج) ، ولاهور الوظيفة لعبت ادوارا بالغة الاهمية في تاريخ شبه القارة الهندية حتى اعتبرت « كعبة » المنطقة . اذ كانت القاعدة التي انطلق منها الاسلام الى الهند ، حيث حكم شبه القارة طوال عشرة قرون بالتمام والكمال . وكانت ولادة لاهور الحقيقية ـ اعني دورها الايجابي والمؤثر ـ مرتبطة بهذه الحقبة الاسلامية ، حتى قدر للاهور فيما بعد ان تصبح المنبر الذي اعلن من فوقه قرار انشاء دولة باكستان ـ ميلاد آخر ! ـ فيما عرف بقرار لاهور الشهير الذي اتخذ عام ١٩٤٠ .

وتقليديا ، فانهم يقولون في باكستان ان روالبندي هي العاصمة السياسية ، وكراتشي هي العاصمة الاقتصادية ، اما لاهور ، بملايينها الاربعة ، فهي العاصمة الثقافية . الا ان هذه المقولة تكاد تتغير الآن ، على الاقل بالنسبة للاهور . ذلك ان وظيفتها تجاوزت دور عقل باكستان وضميرها الثقافي والسياسي ، حتى تحولت الى مدينة صناعية كبيرة ، فضلا عن انها مدينة زراعية هامة . تصدر اهم محاصيل الباكستان من القطن والارز . ثم هي بعد ذلك مدينة تجارية لها شأنها تبيع كل شيء ، من السجاد الباكستاني الى الاخشاب المطرزة والنحاس ومشغولات اليد من الذهب والفضة .. واخيرا ، فهي منطقة جذب سياحي كبير .

مدينة تاريخها بهذا العمق وهذا العرض ، وحاضرها بهذا الحجم ، تستعصي على الاستيعاب فضلا عن التقويم . ذلك انك لا تستطيع ان تقف عند صفحة او مرحلة من التاريخ وتقول هذه هي لاهور . وبنفس القدر ، فانت لا تستطيع أن تقترب من وجه واحد . او باب واحد للمدينة ، وتقول هذه هي لاهور . وازاء تعدد صفحات التاريخ وتراثه ، وتعدد اوجه وابواب المدينة ،

مسجد باد شاهي من الداخل ، لاحظ الصحن الواسع ، والمدخل المشيد على الطراز المغولي ، بالحجارة الحمراء ، وقباب الممر الصغيرة .

لا بد ينتابك شعور دائم بالقصور والعجز .

من هذه الزاوية تبدو لاهور محيرة ومعذبة !

وبين التشبث بالحلم ، وقراءة الحقيقة ، تزداد الحيرة ، ويزداد معها العذاب !

لكنه لم يكن امامنا ان نختار . فبعد ان « يولد » الانسان ، لا يملك الا ان يلقي بنفسه في خضم الحياة ويواجه قدره ، اذ ليست هناك فرصة للتراجع .

وهذا ما فعلناه في لاهور . ألقينا بأنفسنا في خضم المدينة ، وكان ما كان !

لاهور المزيفة !

اهتدينا بخريطة المدينة ودليلها . على الخريطة تبدو لاهور مدينة مقامة على بساط اخضر . مساحة شاسعة من الارض المزروعة ، يشقها في جانب نهر « رافي » ، احد انهار البنجاب الخمسة ، الذي يسميه البعض نهر الراوي » . على الجانب الآخر مجرى مائي صغير هو « القنال » وبين النهر والمجرى تتحدد لاهور الحقيقة وما تبقى من لاهور الحلم . المدينة القديمة . الاحياء التجارية ، الجامعات والمستشفيات والمصالح الحكومية والسكة الحديد ، والمصانع ، ثم آثار المغول العظيمة .

ثمة امتداد للمدينة بعد « القنال » ، لكنه يجسد في الواقع « لاهور المزيفة » ، حيث لا تنتمي هذه المنطقة لا الى لاهور الحقيقة ولا الى لاهور الحلم . اذ تسكن هناك طبقة الارستقراطية الباكستانية . كبار الضباط الذين قبضوا على السلطة منذ عشرين عاما ، وكبار الملاك ورجال الاعمال . هي قشرة دخيلة بلا جذور ، لا تنتمي الى الشارع ، ولا تعبر عن الماضي او المستقبل . طبقة تجمعها في الاغلب دائرة النفوذ والسلطان والمال ، وان اشارت اليها الخريطة باسم قاطني احياء « جلبرج » واحد واثنين وثلاثة واربعة .

شخصيا ـ بحس طبقي ربما ـ ادرت ظهري للاهور المزيفة ، شجعني على ذلك ما سمعته عن ثروات وغرائب حياة الارستقراطية الباكستانية التي تحن الى تقاليد وعلاقات القرن الثامن عشر . لم اتوقف عند لاهور ما بعد القنال هذه ، مكتفيا بمرور سريع ـ من باب الفضول لا اكثر ـ وشغلتني لاهور ما بين النهر والقنال . اعني لاهور الحقيقة والحلم .

كانت صحف الصباح تتحدث عن مظاهرات طلاب جامعة البنجاب المعادية للحكومة ، واشتباكهم مع الشرطة ، واحراق سيارتين في الطريق العام . ثم اضراب بعض موظفي الدولة احتجاجا على تقليص الرواتب . وانشقاق حزب بوتو (عوامي او الشعب) الى ثلاثة احزاب . ودعوة مولانا ابو الاعلى المودودي * ـ ابو الحركة الاسلامية الحديثة ـ للاحزاب الاسلامية التسعة (!) الى التنسيق فيما بينها قبل حلول موعد الانتخابات . وتطبيقات الشريعة الاسلامية (نظام المصطفى كما يقولون) في الحدود والزكاة . ومحاولة التوفيق بين اجتهادات السنة والشيعة في جباية الاموال .. ثم على الصفحات الاولى صور للرئيس وهو يخطب ، والرئيس وهو يفتتح مشروعا جديدا . والرئيس وهو يستقبل المبعوثين الاجانب ، غير تصريحات الرئيس وبياناته الرسمية وتوجيهاته لكافة المؤسسات الحكومية في انحاء البلاد . وفي موقع آخر صورة اصغر لحاكم البنجاب (جنرال) وقد اجتمع بالاساتذة والطلاب في الجامعات ، ناصحا اياهم بالانصراف للدراسة ، وعدم الاشتغال بالسياسة . اذ الامر بيد العسكر ، والحكم عرفي .

كانت الصحف تعكس جانبا من لاهور الحقيقة ..

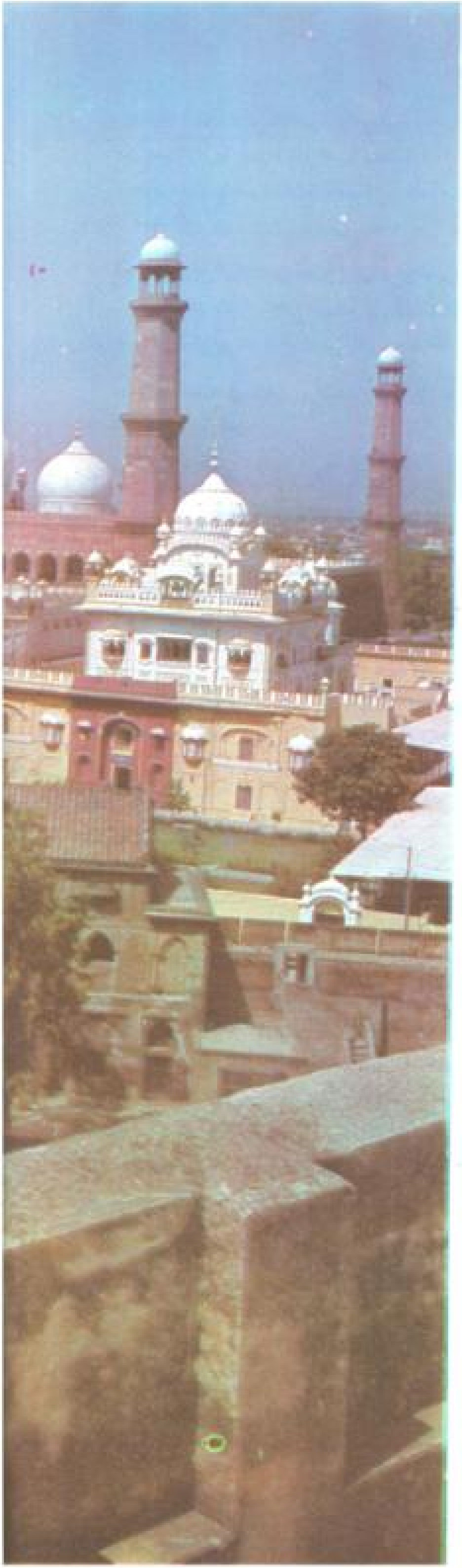
لكن زائر المدينة لاول مرة يظل مشدودا الى لاهور الحلم ، لا يستطيع ان يقاوم اغراءها وجاذبيتها ، خصوصا اذا كان حلما عظيما كالذي يتجسد في هذا المكان .

ثم انها حالة بكل تأكيد ، ان تتاح لك فرصة معايشة حلم عظيم . ثم تنصرف عنه الى دنيا الحقيقة ايا كانت هذه الحقيقة !

في سباق مثير

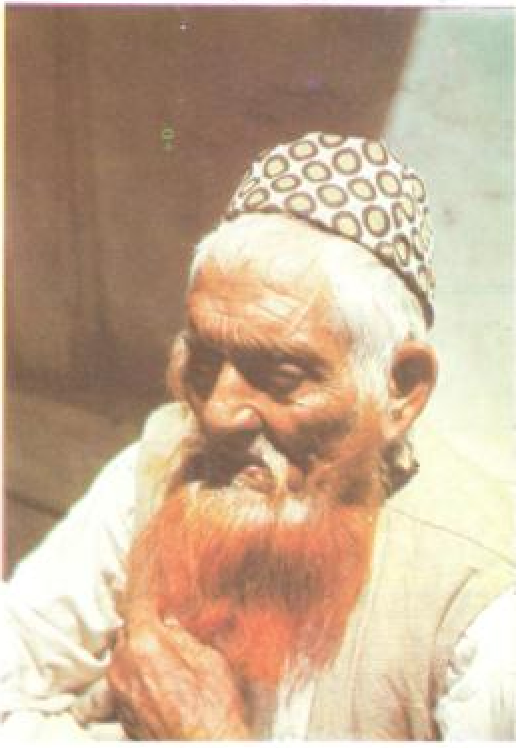
انحشرنا في اول « ركشا » وقلنا للسائق « بالأردية » : بلد شاهي مسجد .

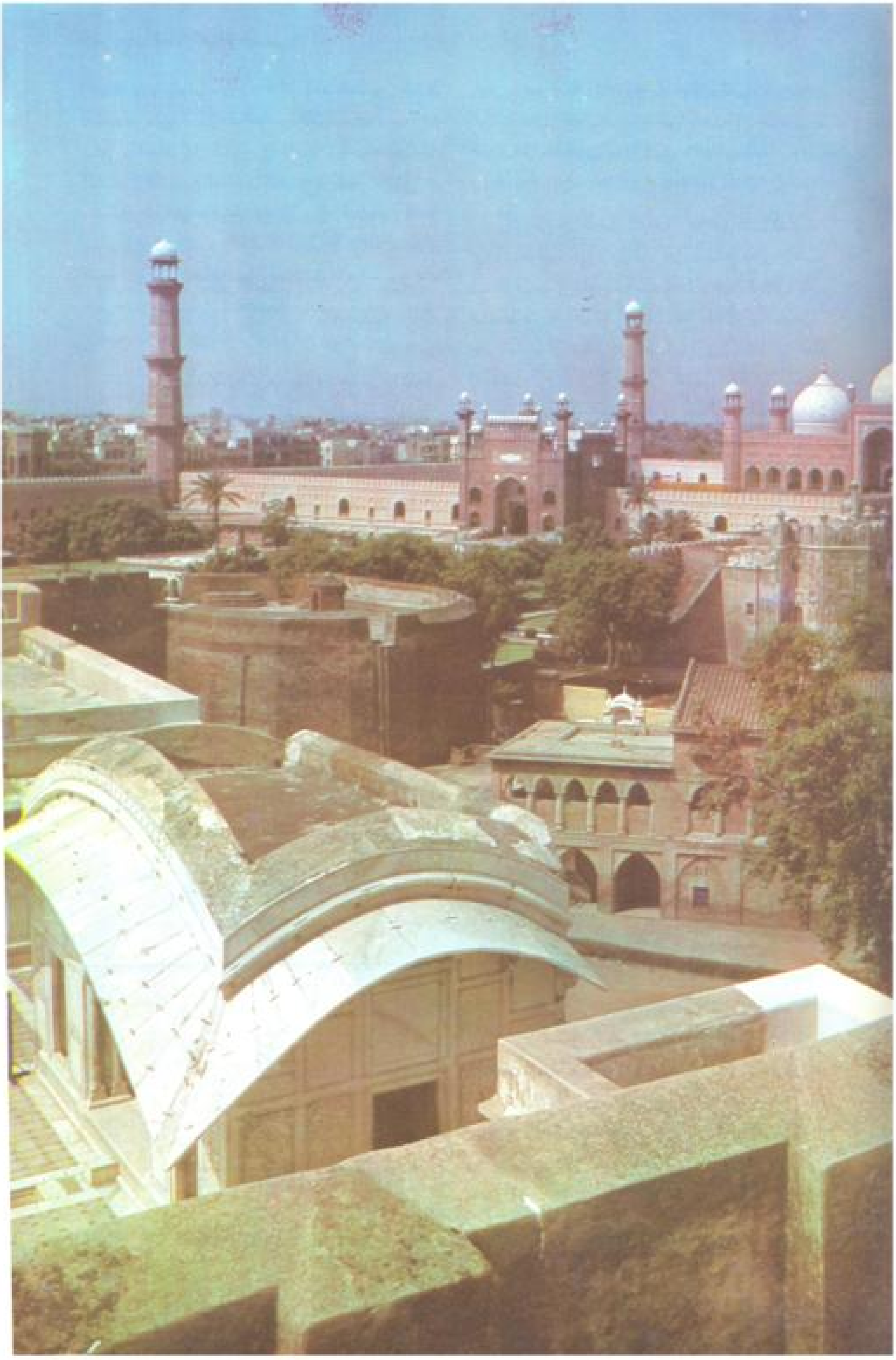
* كانت زيارتنا للاهور قبل وفاة الاستاذ المودودي رحمه الله .





وجهان من لاهور ، تطل منهما قسمات أهل البنجاب ـ وإلى اليسار صورة عامة تجمع بين مسجد باد شاهي بقبته ومآذنه ، ثم إلى جواره القلعة بمبانيها التي لاتمت بصلة للمنشآت العسكرية .





كانها « كلمة السر » ، اذ لم يكد السائق يلتقط الكلمتين حتى انطلق صامتا .. فالكل يعرف مسجد باد شاهي ، اعظم آثار المغول في لاهور ، وأحد « اهرامات المدينة الثلاثة » ، اذا جاز التعبير . الهرم الثاني هو « القلعة » ، مقر حكم اباطرة المغول العظام ، التي يسمونها « فورت » والكلمة انجليزية ، تسربت الى اللغة الاردية والتصقت بها . اما ثالث الاهرامات واجلها فهو حدائق « شاليار » الشهيرة ، التي انتقل اسمها واصبح متداولا في أنحاء العالم العربي .

كان دليل المدينة يذكر مسجد باد شاهي والقلعة ، باعتبارهما المدخل الطبيعي للاهور عاصمة المغول ، التي احاط بها سور شامخ ، يتخلله ١٣ بابا . ذلك انه على جانب الباب الرئيسي اقيم مسجد باد شاهي من ناحية ، وشيدت القلعة الضخمة والشاسعة على الجانب الآخر .

ها نحن بدأنا الرحلة الى لاهور الحلم !

تتتابع الصور ، ويتداخل الماضي مع الحاضر ، لكنك لا تكاد تستغرق في الحلم ، حتى تقرع آذانك اصوات الحقيقة !

ذلك ان « الركشا » كانت تنطلق كالسهم ، محدثة ازيزا مزعجا ، انضم الى اصوات آلاف المركبات المماثلة ، التي اكتظت بها شوارع لاهور . حتى بدت المدينة كما لو كانت مسرحا كبيرا ، توزعت على اركانه مجموعة هائلة من العازفين ، تخصصوا في تقديم الالحان النشاز ، بمكبر صوت في اذن كل عابر ! ، وليت الامر ظل مقصورا على ذلك ، لاننا اكتشفنا بعد لحظات ان سائق الركشا اشترك في سباق مثير ، تدور رحاه منذ طلوع الشمس في شوراع لاهور . وان صاحبنا قد انتظم دون وعي منه في فريق كبير يضم راكبي الدراجات بنوعيها . العادية والنارية ، (التي يضاف اليها هيكل خارجي ومقعدان خلفيان لتصبح « ركشا » !) والى جانبهم عربات الركوب التي تجرها البغال والخيول ، وعربات النقل الصغيرة التي كانت تدفع باليد وصارت تجرها الثيران ، والسيارات بمختلف طرزها (اغلبها ياباني) ، وفي الفراغات التي تحدث ـ احيانا ـ بين هذه المركبات في الشارع ، يندس البشر . يشاركون في السباق او يتطلعون الى ما يجري باعصاب باردة ، وبغير حادث يعكر صفو « المرور » او النظام العام !

ولا يمكن ان تتخيل الموقف ، الا اذا كنت قد زرت اي مدينة للملاهي ، ووقفت امام الجناح الذي توضع فيه المركبات في اتجاهات متصادمة ، حيث تنطلق بمجرد الضغط على زر كهربائي ، اذ تندفع هذه المركبات بسرعة حتى توشك أن ترتطم كل قطعة بأخرى . لكنها في لحظة الارتطام ، وفي ذروة التوتر ، تنثني فجأة مغيرة اتجاهها ، وتواصل السير بسلام ، بعد ان يسقط قلبك بين قدميك !

بالضبط هذه هي صورة الشارع في لاهور !

يركبون التاريخ !

لاحت بقايا سور المدينة عن بعد ، تطل من فتحاته ، ومن فوقه مبان قديمة وهزيلة . بينما تلمح بوضوح آثار الشيخوخة على السور الذي انهارت اكثر أجزائه ، وتداعت أحجار ما تبقى منه ، ولم يفلت من عبث الصغار الذين يتقافزون عليه ، غير عابئين بأنهم في الحقيقة يركبون التاريخ !

على الفور يلح اكثر من سؤال : كم عمر السور ؟ ومن بناه ؟ ومن بني لاهور ذاتها ؟

لا نجد اجابة حاسمة . لكن كتب التاريخ تقول ان سور لاهور بأبوابه ، مقترن بالعصر الاسلامي اذ ان هذا الطراز معمم تقريبا في كل المدن الاسلامية القديمة ، من القاهرة الى دمشق الى صنعاء الى فاس .

وهناك رأي شائع في كتب التاريخ الهندي ، يرجع ان اسم المدينة مشتق من « راجا لوه » ابن راجا لام ، احد حكام المنطقة في الزمن القديم . وان راجا لوه هذا هو الذي اسسها ، واطلق عليها اسمه فأصبحت « لوهور » . وان كان هناك رأي آخر يرى ان « لوه » كان حاكما لكشمير وليس البنجاب . *

* ثمة مناقشة مفصلة لأصل التسمية وتاريخ المدينة في كتاب الطريق الى لاهور ، بالانجليزية ، للبروفسور مسعود الحسن .

تقول كتب التاريخ أيضا إن أول مدونة أشارت الى لاهور كانت مذكرات الرحالة الصيني هين تسانج في القرن السابع قبل الميلاد ، وان الاغريق وقبائل الكوشان القادمة من اواسط آسيا عاشوا في المنطقة في زمن ما قبل الميلاد ، وان الهندوس كانوا حكامها حتى جاء العصر الاسلامي في القرن الثامن الميلادي . وخلال هذه العهود تتابعت على لاهور وسورها عمليات هدم وبناء عديدة ، وكان التغيير يطرأ على اسم المدينة ايضا ، من لاهورا الى لوهور الى لوهكوت ، وان اشار اليها ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ـ جـ ٥ بـ » لوهور » ، ثم اضاف « والمشهور من اسم هذا البلد لهاور » ، ووصفها بانها « مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند » . ولكن ابو الريحان البيروني (القرن الحادي عشر الميلادي) كان اول مسلم يذكر اسم لهاور في مؤلف له (كتاب الهند) وان لم يتوقف امامها كثيرا .

واذا كانت لاهور قد « دخلت الجغرافيا » منذ ذلك الزمن السحيق ، الا انها دخلت التاريخ في العصر الاسلامي . اي منذ دخلها « يمين الملة » محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ . قادما من غزنة في بلاد الافغان . ويرى المؤرخين من يرى ان محمود الغزنوي هو المؤسس الحقيقي للاهور ، وانها في عهده كانت تحمل اسم « محمود بور » . وللدقة فان الاسلام كان قد وصل الى المنطقة قبل الغزنويين ، عندما امتدت فتوحات الامويين في اواخر القرن الثاني الهجري ـ اوائل القرن التاسع الميلادي ـ حتى حدود الصين ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق يباشر فتوحات بلاد ما وراء النهر (على عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك) . واوفد الحجاج ابن اخيه محمد بن قاسم ليحاول فتح الهند ، ووصل فعلا الى السند ، واقام ولاية صغيرة عرفت باسم ملتان (قائمة الى الآن) ، لكنها كانت بعيدة في اقصى الغرب فضلا عن انها ظلت ولاية فقيرة بلا موارد ولا دور فعال .

لكن الفتح الاسلامي الحقيقي لشبه القارة الهندية بدأ بعهد الغزنويين ، وكانت لاهور هي القلعة ورأس الحربة . وكما فعل ملوك أوروبا وقساوستها ، اذ تحالفوا للوصول الى بيت المقدس وضرب المد الاسلامي بالحروب الصليبية ، كذلك تحالف راجاوات الهندوس لاسقاط لاهور بعد ٢٠ عاما من دخول محمود الغزنوي اليها . وصمدت المدينة ببسالة لحصار استمر سبعة اشهر ، وانتصرت . ثم استمر منها زحف الاسلام الى شبه القارة ، الذي توج بدخول الاسلام الى دلهي بعد ذلك بقرنين من الزمان ، في عهد الدولة الغورية ، وعلى يد شهاب الدين الغوري .

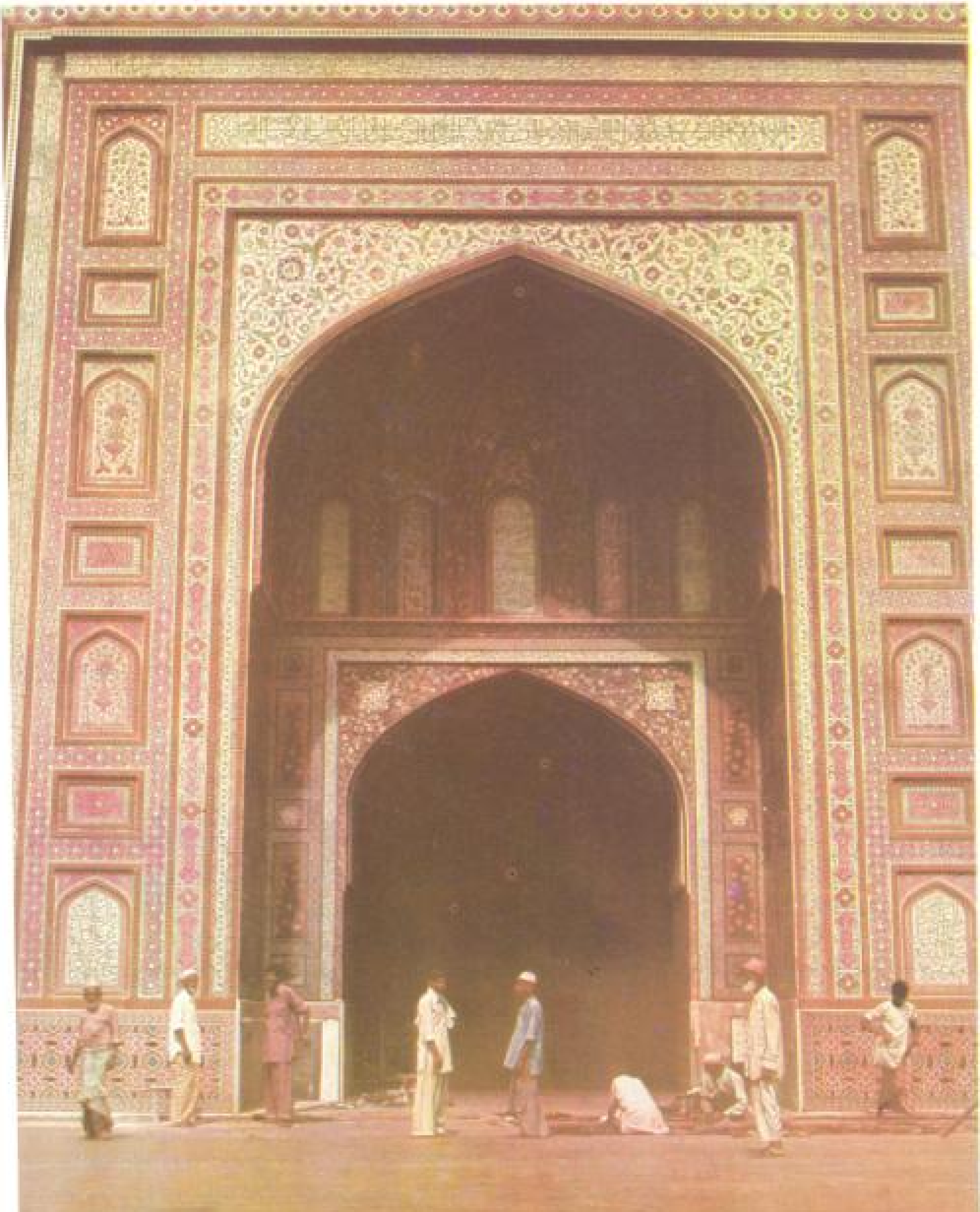
وبقيت لاهور الرمز والقلعة والمنارة ، حتى نصب فيها اول ملك مسلم لشبه القارة الهندية ، هو قطب الدين ايبك (١٢٠٦ م) ..

ثم توالت عليها العهود لكنها بقيت دائما هدفا يسعى الى نيله المتربصون بالاسلام . وكان طبيعيا وضروريا ان يهتم القائمون عليها بتحصينها . ولم يكن السور الذي نحن مقبلون عليه سوى تعبير عن هذه الحقيقة .

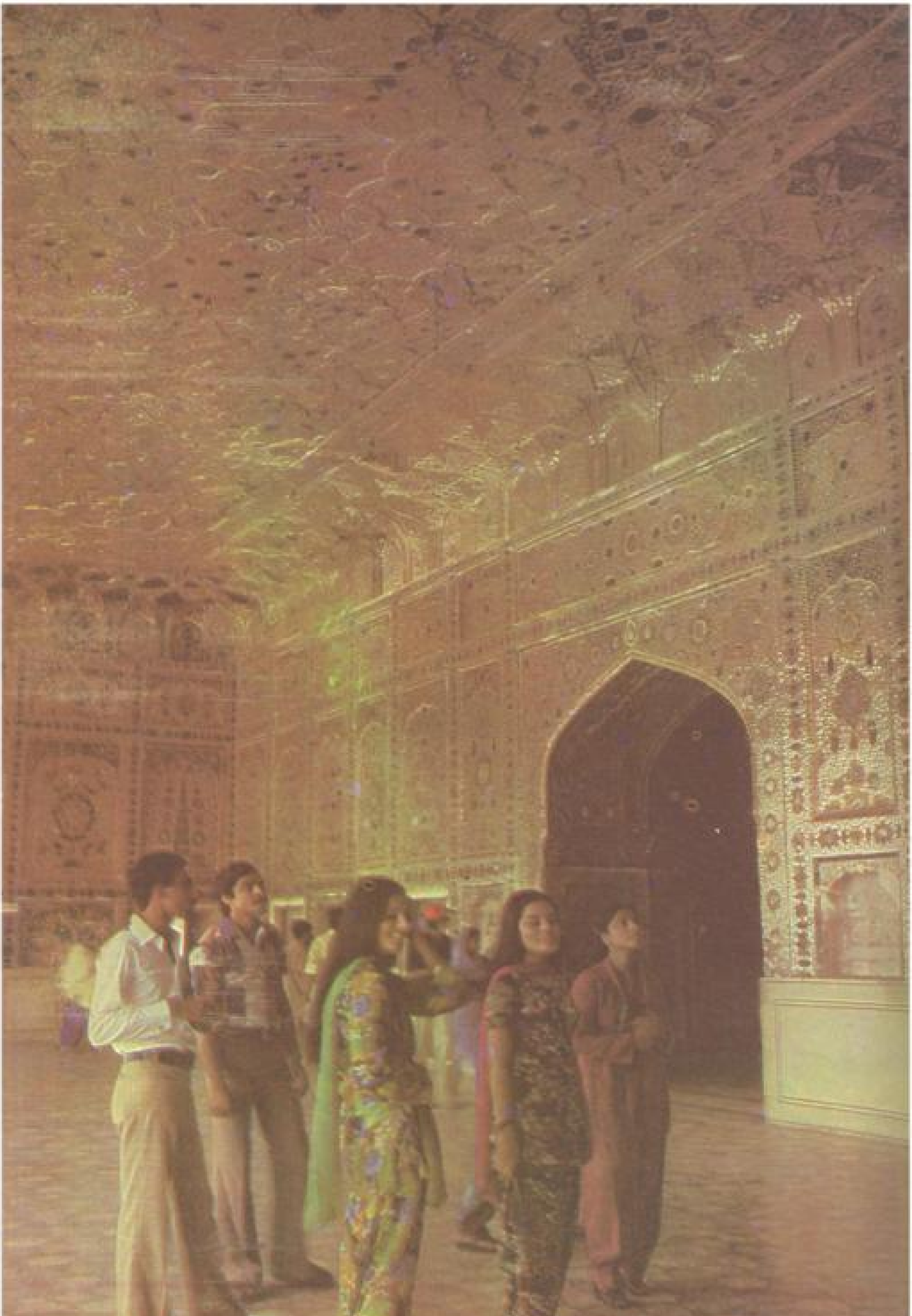
وهي مصادفة لاتخلو من دلالة . ان يظل مسجد باد شاهي على حديقة مترامية الاطراف تحمل اسم محمد اقبال ، هي ذاتها التي شهدت مؤتمر الجماعة الاسلامية الكبير ، الذي عقد في مارس ١٩٤٠ ، واعلن فيه « القائد الاعظم » محمد علي جناح ـ باسم الجماعة ـ تصميم مسلمي الهند على انشاء وطن مستقل هو باكستان . اذ في مكان واحد ، على رقعة جغرافية واحدة ، اجتمعت شواهد دولة المغول المسلمة التي ولت ، مع دولة الباكستان المسلمة التي ولدت . حيث اقيمت وسط الحديقة ـ تماما في مواجهة المسجد والقلعة ـ منارة شاهقة بارتفاع مائتي قدم ، يسمونها « منارة باكستان » ، رمزا وتمجيدا لذكرى قرار لاهور . وقد نقشت على قاعدة المنارة الرخامية بحروف مذهبة ، وبالأردية والانجليزية ، نصوص القرار ، وتلخيص سريع لتاريخ قيام باكستان ، ونماذج من اشعار اقبال ، جنبا الى جنب مع اسماء الله الحسنى الـ ٩٩ .

لكنها ليست مصادفة ان يقام ضريح الشاعر والفيلسوف محمد اقبال ، ابرز المبشرين والداعين لانشاء باكستان ، في قرب مدخل مسجد باد شاهي ، مطلا على حديقة اخرى واسعة وبديعة تحيط بالمسجد . ذلك انه اذا كانت المنارة رمزا لاعلان قيام الدولة ، فان محمد اقبال ظل طوال حياته الخصبة ، منارة اخرى تحمل لواء الدعوة لتحقيق هذا الحلم .

لا أحد يصدق أن هذه هي إحدى قاعات « القلعة » ، ولكن هذه هي الحقيقة . اذ القاعة تشكل جزءا من مساكن اباطرة المغول ، وهي على اتساعها الشديد مليئة بالنقوش التي تغطي الجدران والسقف ، تماما مثل نقوش قصر الحمراء في غرناطة الاندلسية ، مع اختلاف الطراز والتصاميم .



محراب مسجد وزير خان الذي أنشيء في عام ١٦٣٤ وبناه وزير خان وكان اسمه الحقيقي علم الدين انصاري بعد ما تولى حكم مقاطعة البنجاب ، ويعد أحدى التحف المعمارية في لاهور . لاحظ نقوشه التي يختلط فيها الطراز المغولي بالفارسي بالعربي . الآن تبذل جهود كبيرة لترميمه مع غيره من المساجد القديمة .



وبنفس القدر، فهي ليست مصادفة أن يقام الى جوار المسجد معبد للسيخ، لايزالون يحجون اليه حتى اليوم، رمزا للمرحلة السوداء التي حكموا فيها لاهور، التي امتدت لفترات متقطعة خلال القرن الثامن عشر، ثم اتصلت الى قرب منتصف القرن التاسع عشر، ولقي فيها المسلمون اضطهادا بالغا، حتى حولت مساجدهم الى حظائر للخيول، ومنعوا من الأذان للصلاة. فقد حاول السيخ ان يطمسوا معالم لاهور الاسلامية، ويربطوها بمدينتهم المقدسة «امر يتسار» التي تبعد عنها بحوالى ٢٠ ميلا، ولاتزال تقع داخل حدود الهند الى الآن.

على عتبات الحلم

وسط هذا المسرح المشحون بالشواهد التاريخية والرموز، توقف بنا سائق الركشا منهيا مغامرة الطريق. لايهم كيف وصلنا المهم اننا وقفنا اخيرا على عتبات الحلم!

كانت قوافل السياح تملأ المكان. لكن الصورة الباهرة كانت مجسدة أمامنا. في طرف شقت السماء قباب مسجد باد شاهي البيضاء وقد اطلت حولها مآذن عالية مبنية بالطوب الاحمر. وفي الطرف الآخر ظهرت أبنية القلعة في كبرياء وجلال. وفي الوسط اندس معبد السيخ، الذي حاولوا ان يقلدوا فيه قباب مسجد باد شاهي، فجاءت نموذجا مصغرا منها، طلي باللون الذهبي ليجذب الانتباه عن بعد.

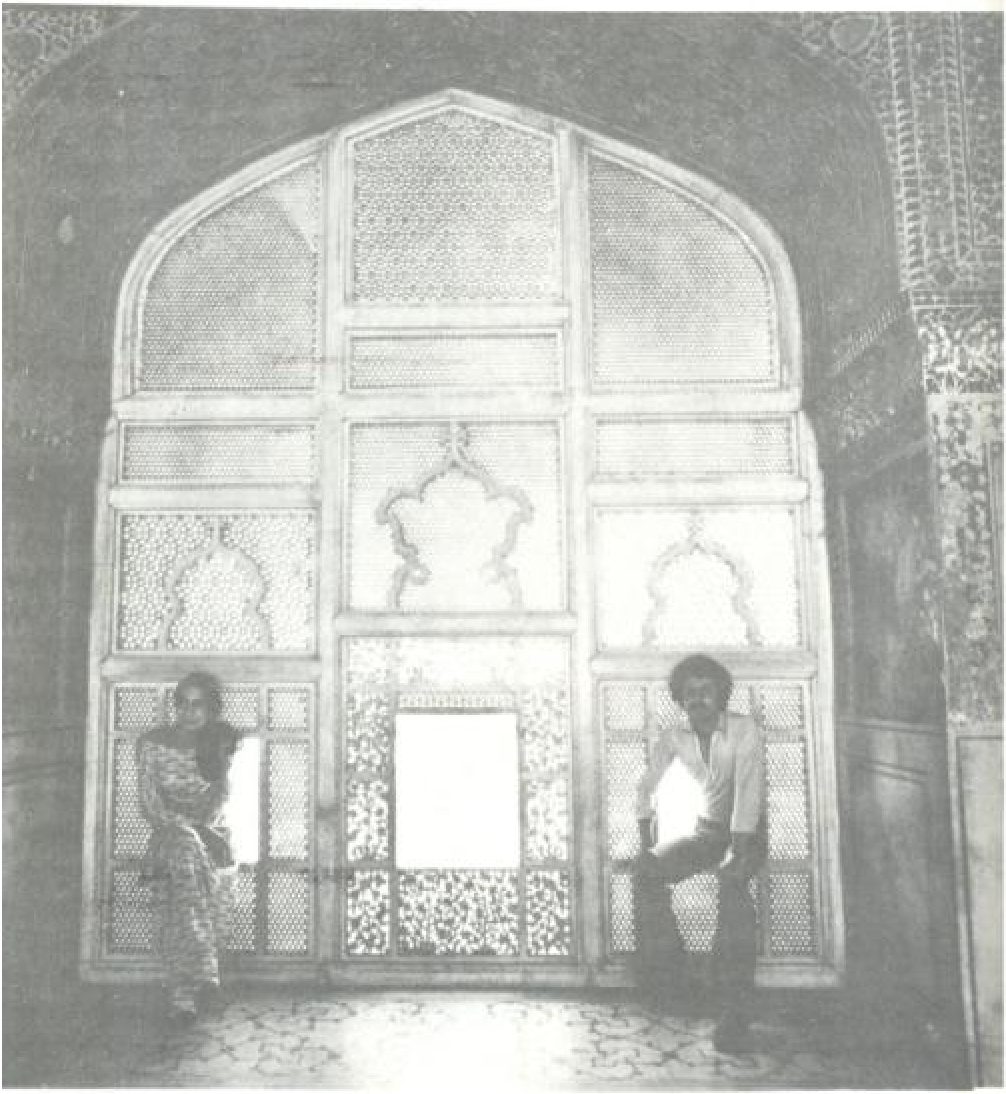
بدأنا بالقلعة..

وقد كان انطباعي الاول انها قلعة عسكرية، من المنطقي ان تكون في مدخل العاصمة، للصد والرد. وهو انطباع لايوحي به فقط الاسم الذي اطلق عليها، ولكن يعززه أيضا المنظر الخارجي للبناء ومدخله بوجه خاص. ذلك ان المدخل المهيب الذي يرتفع الى ٥٠٠ قدم، مزين برسوم خزفية ملونة، يمثل بعضها صراعا بين رجال ووحوش، ومواكب للمقاتلين، بينما يمثل البعض الآخر تنينا ومارداً اسطوريا الى جانب طفلة وفتاة ترقص.

لكن المفاجأة تكشفت بعد لحظات، فالقلعة من الداخل ليس فيها من تجهيزات القتال الا ابراج في الاطراف المترامية، لكنها في حقيقتها كانت مقرا لحكام أباطرة المغول، اجتمعت فيه أبنية عديدة، قاعات للاستقبال، وساحات للاجتماع، واماكن للسمر والترويح، وأجنحة للنوم والمعيشة وبحيرات صغيرة، ونافورات للمياه، وحدائق غناء، وممرات للقيلولة.. الى آخر مرافق ومستلزمات الملوك والأباطرة.

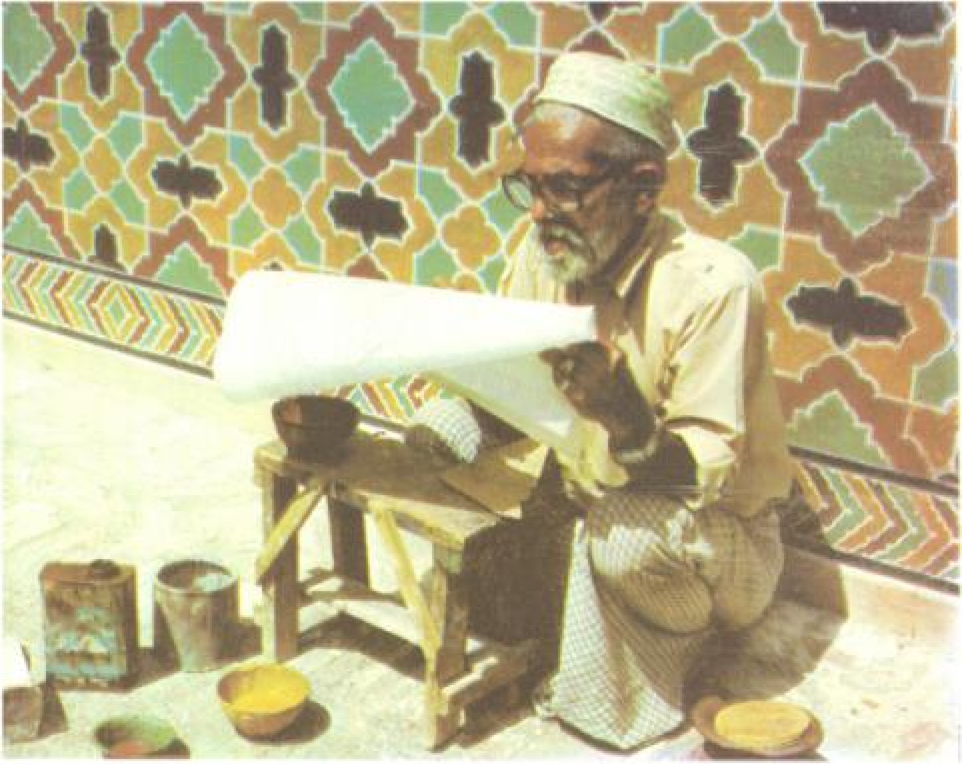
ولا أعرف وصفا يمكن أن يعبر بصدق عن معالم القلعة من الداخل. لان اعمدة المرمر الرشيقة والمطرزة قواعدها بغير عد ولاحصر. وتكوينات الموزاييك والرسوم الخزفية تخطف البصر في كل خطوة. واذا كنا نعرف الحفر على الخشب ونحته فيما يسمى بفن «الارابيسك»، فان فن الحفر على الرخام والمرمر، بلغ مرتبة من الابداع لانظير لها. يكفي انك حيثما ذهبت تقف مشدوها امام منظر باب ونافذة كبيرة او جدار يفصل بين قاعة وقاعة، وقد صمم من قطعة واحدة من الرخام تتخللها مكعبات صغيرة، ينفذ الاصبع الواحد منها بصعوبة، وقد غطيت المساحة كلها في تكوينات غاية في الرقة، شبيهة بتكوينات «الارابيسك» التي نعرفها. وكلها لوحات صامتة تسجل عظمة الفنان المغولي وقدرته على الخلق الذي يصل حد الاعجاز.

هذا «المتحف» البديع يتصدد فوق ربوة عالية طولها ١٢٥٠ قدما وعرضها الف قدم. ومن الثابت ان «القلعة» لم تشيد في عهد امبراطور مغولي واحد، ولكن تتابع عليها اربعة من اشهر اباطرة المغول: اولهم «اكبر» الذي اختار لاهور عاصمة لامبراطورية المغول في عام ١٥٨٤ وكان جده الامبراطور بابر (الأسد) القادم من بلاد الافغان قد استولى على لاهور، وانتزعها من سلطنة دلهي (او دهلي كما كان يسميها الجغرافيون والرحالة العرب)، مؤسس الامبراطورية المغولية المسلمة. ذلك انه منذ قدم محمد الغزنوي الى لاهور، واختيارها مقرا لحكم الدولة الغزنوية فيما بعد (عام ١١٥٧) تتابعت على المدينة عهود مد وجزر. كان الحكم ينتقل منها الى دهلي، واحيانا كانت تحكم من غزنة او



جدار كامل من الرخام ، منحوت بمهارة فائقة ، في أحد أركان « القلعة » .

كابول في بلاد الأفغان ، وعانت من صراعات الحكام والسلاطين المسلمين فيا بينهم وبين بعض ، ثم من السيخ والهندوس المتربصين بها على الدوام . حتى دخلها الامبراطور بابر في عام ١٥٢٤ ، وشهدت المجد سنواتها في ظل الحكم المغولي . وفيا بين عهدي الجد بابر والحفيد اكبر ، كانت لاهور جزءا من الامبراطورية المغولية ، حتى قرر الحفيد ان يجعلها مقرا للحكم وعاصمة للامبراطورية التي امتدت من كابول الى دلهي .

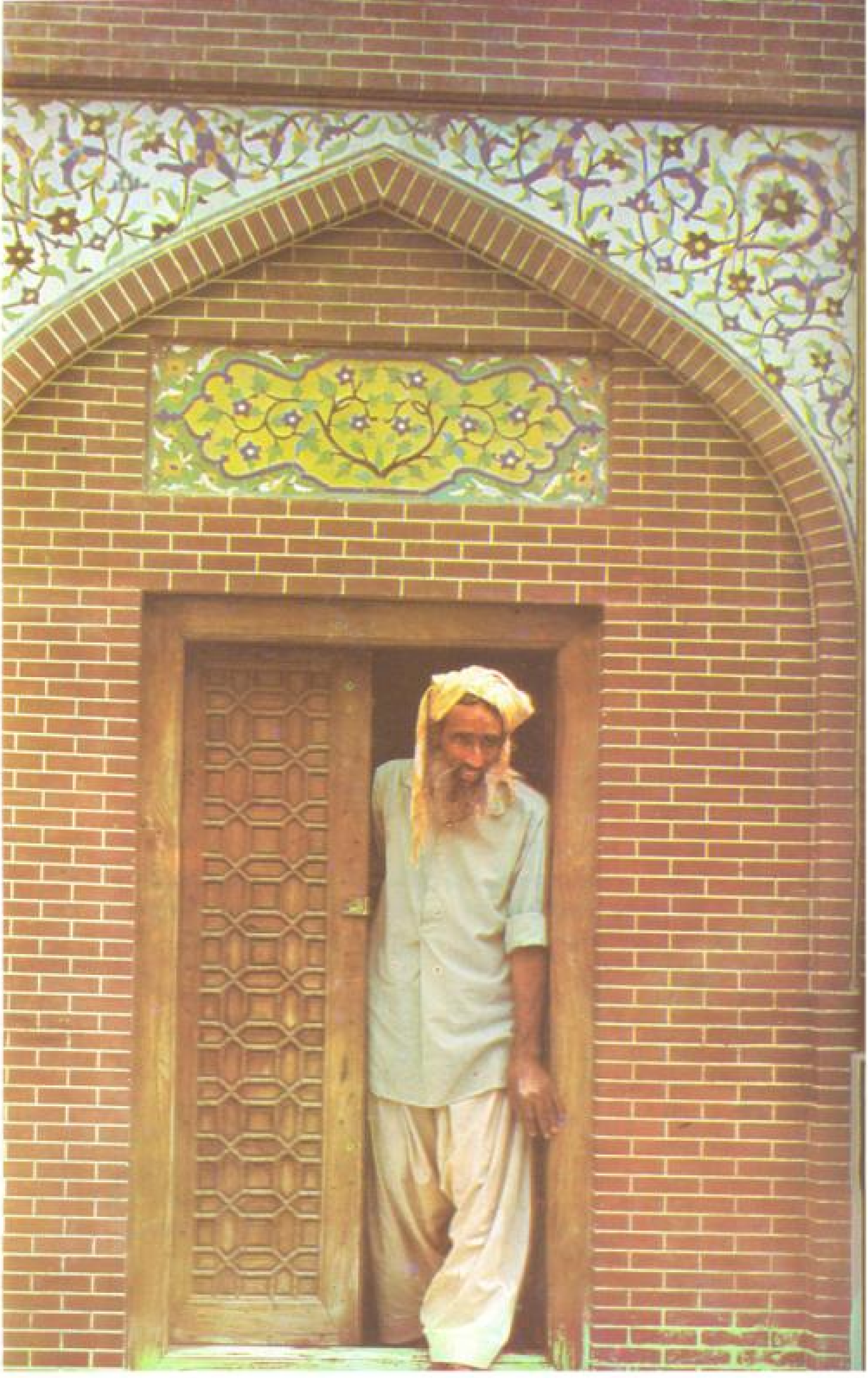


المعلم وقد جلس القرفصاء أثناء اشرافه على ترميم مسجد وزير خان . التصميم بين يديه ومطابقة القطع الجديدة بالقديمة تتم بدقة بالغة .





نموذج للنقوش البديعة التي تحيط بالآيات القرآنية في كل مسجد (فوق) والى اليمين احد « المجاذيب » جالس الى جوار ضريح داتا جانج بخش ـ (الى اليسار) في مسجد وزير خان أقيمت بحذاء السور . وحول الصحن . حجرات صغيرة للامام ولمن يشاء أن يخلو للعبادة .. هذا أحدهم خارج من حجرته .



اراد الامبراطور اكبر ان يبني قصرا لحكمه يبرز وجه العاصمة في لاهور ، فأسس القلعة فوق الربوة ، وجعلها تطل من عل على عاصمة امبراطوريته .

وبعد اكبر جاء ابنه الفنان الحالم جهانجير (١٦٠٥م) ، الذي ظل يضيف الى القلعة الكثير من لمسات الانشاء والجمال ، حتى كتب في يومياته يقول : ان هذا القصر يتمتع بقدر من الجاذبية والروعة يفوق الوصف ، وتلك الرسوم والنقوش التي تزينه تجعل منه بناء فريدا في نوعه .

ثم خلف جهانجير ابنه شاه جهان ، عبقري الانشاء في التاريخ المغولي ، وباني « تاج محل » احد عجائب الدنيا السبع ، والذي يوصف حكمه (١٦٢٧ م) بانه « العصر المرمري » . في عهد شاه جهان ارتدت القلعة بهى ثيابها . اقام في وسطها قاعة للعرش ، و « الديوان خاص » ـ هذا هو اسمه الى الآن ـ وهو المكان الذي يلتقي فيه بخاصته ، « والديوان العام » الذي هو قاعة الاجتماعات الموسعة ثم « شيش محل » ، او قصر المرايا الذي يقوم على ١٢ عمودا من المرمر ، وقد رصع مدخله من السقف الى الجدران بقطع صغيرة من المرايا الملونة ، تضفي عليه الكثير من عناصر البهجة والجمال . ورابع هؤلاء الاباطرة « اورانجزيب » ، ابن شاه جهان الذي اهتم بتحصينات القصر ، فانشأ مدخلا عظيما له من الجهة الغربية ، زينه بأبراج مقامة على زهرة اللوتس ، محاطة بأكشاك على الطراز الهندي .

على ان أورانجزيب هذا لم يدخل التاريخ من أبواب القصر ، وانما دخله من الناحية المواجهة . اقصد من أبواب مسجد باد شاهي العظيم ، الذي أسسه في عام ١٦٧٣ م .

مسجد باد شاهي

عبرنا شارعا صغيرا ، قادنا الى الحديقة الواسعة المؤدية الى مسجد باد شاهي ، الذي يشبه في تصميمه مسجد الوليد في دمشق .

تملأ عينيك واجهة المسجد ، لحظة تجتاز باب الحديقة تتمدد تحت اقدامه . اذ تطالعك الواجهة على الفور ، بارتفاعها الشاهق ، ولون حجارتها الحمراء التي تتخللها خطوط مطعمة بالمرمر ، والسور الطويل الذي يتفرع عنها يمينا وشمالا ، مطوقا مساحة المسجد . الدرج من الطوب الاحمر ذاته ، تنبسط في نهايته ارضية من الرخام الابيض ، وفوقه تتربع الواجهة بطرازها المغولي ، وقد رصعت هامتها بصف من قباب المرمر الصغيرة ، بينما قسمت في الداخل الى طابقين . في الطابق الارضي مقر امام المسجد وبعض العاملين في خدمته . وفي الطابق العلوي حجرة تفوح منها رائحة عطر خشب الصندل ، يقولون انها تحتوي على بعض الآثار المقدسة ، بينها عباءة للنبي ﷺ ، وعمامة له خضراء ، مع ثياب اخرى . كما أن بينها منديل مطرز للسيدة فاطمة بنت النبي ، ومصحف بخط سيدنا علي بن ابي طالب ، واشياء اخرى مما يخص الحسن والحسين .

عشر خطوات وتدخل المسجد ، متنقلا الى واحة اخرى من الجمال الرصين ، والمناخ الذي يملأ القلب رهبة واجلالا . باحة المسجد فسيحة ، يتوسطها حوض من الرخام لمياه الوضوء (يؤدي الحوض وظيفة جمالية لأن الوضوء يتم في مكان آخر) . والباحة مصممة على شكل مربع متنامي الاطراف ، تمتد بطول اضلاعه ردهات طويلة ، مليئة بالأقواس وأعمدة الرخام ، تتخللها فتحات واسعة تطل على الحدائق المحيطة بالمسجد من جانب ، وعلى باحة المسجد من جانب آخر ، ذلك الى جانب الدرج الذي يصل الردهة بالباحة بعد كل ستة اقواس .

يتوسط الضلع الرابع ، المواجه للمدخل مباشرة ، مبنى آخر عريض ومهيب ، هو صحن المسجد الذي تؤدى فيه الصلوات الخمس . وهو مكون من ثلاث قاعات كبيرة ، في اوسطها يبدو المحراب ويقف الامام . وواجهة هذا الجزء تشكل لوحة معمارية بديعة ، تمتزج فيها خطوط الفن المغولي بالفن العربي ، إذ هو مبنى من الاحجار ذات الحمرة الداكنة ، المطعمة بخطوط رفيعة من المرمر ، ترسم تكوينات هندسية بالغة الدقة . بينما الاقواس يشكل كل واحد منها تحفة معمارية باهرة . اما الجدران ، فهي مغطاة بنقوش مغولية وفارسية مرسومة على الخزف ، تتخللها بعض آيات من القرآن الكريم ، محفورة في الرخام ، ومطلية باللون الذهبي . والارضيات كلها ، في الردهات والصحن ، مكسوة بالرخام بألوانه الثلاثة : الأبيض والاسود والبني .

وعند كل ركن من أركان المربع الكبير ، في نقطة التقاء كل ضلع للمسجد بالآخر ، تشق عنان السماء واحدة من تلك المآذن العالية المبنية من الحجارة الحمراء ، تنتهي بقبة صغيرة من المرمر ، وتكشف كل منها جانبا من لاهور المدينة . ويتكرر الامر مع صحن المسجد الذي يتصدر باحته الواسعة ، اذ تقوم في اركانه الاربعة مآذن اصغر قليلا ، بنفس التصميم والخامات ، ولكن بمعالجة فنية اجمل ، لانها تخضع للاطار العام الذي يزين واجهة هذا المبنى .

ووسط هذا الاحتفال الجمالي تتوج هامة المبنى ثلاث قباب بديعة من المرمر الابيض ، تنتهي بأطراف نحاسية مدببة ولامعة ، والقباب الثلاث ، التي صارت رمزا للاهور ، واحدة رئيسية وكبيرة في الوسط ، واثنتان اصغر قليلا على الجانبين . وخطوط هذه القبة الرئيسية ، هي ذاتها خطوط قبة « تاج محل » . في مدينة « اجرا » الهندية .

مسجد باد شاهي هذا يعد واحدا من اكبر مساجد الدنيا ، اذ يقدر عدد المصلين الذين يمكن ان تستوعبهم باحته الواسعة ، بحوالي ٥٠ الف شخص ، يملأون الباحة في المناسبات الكبرى ، خصوصا في صلاة العيدين .

غادرت المسجد ، متأملا الصورة عن بعد ، في محاولة « لوصل » اجزائها مع بعضها البعض . الحديقة الخضراء المنبسطة ، والمباني الشاهقة الداكنة الحمرة ، بنقوشها الرائعة ، وقد عانقتها المآذن من كل جانب ، بينما اطلت القباب المرمرية البيضاء بأطرافها الذهبية اللون ، في زهو وكبرياء .

مأخوذا بالمشهد الباهر ، تساءلت : كيف اقدم السيخ على تحويل هذا المسجد الى حظيرة للخيول . وأي وصمة عار الصقوها بأنفسهم عندما اعماهم التعصب والحقد ، ففعلوا فعلتهم الشنعاء هذه . ثم ، من حقا هم البرابرة والهمج والأجلاف !!

شاليمار .. شاليمار

بقي ثالث أهرامات لاهور ، حديقة « شاليمار » .

وربما كان الاسم مألوفا لدى القارىء العربي ، منذ أصبح اسم « شاليمار » متداولا في اكثر مدنه ، مرتبطا بأماكن التسلية واللهو والمرح ، تماما مثل اسم قرطبة و « الحمراء » ـ قصر الحكم في غرناطة الاسلامية ـ الذي يحلو للبعض ان يقلد فيه الاجانب فيكتبه كالببغاء (الهمبرا !) .. الى غير ذلك من الكلمات التي تحمل في طياتها حنينا الى الماضي ودموعا على اطلاله !

وشاليمار معناها « دار البهجة » ، وهي تتمدد في اطراف لاهور الحالية . غير انها ليست حديقة كما هو شائع . ولكنها حدائق عدة ، تنتشر فوق مساحة ٨٠ فدانا تقريبا . بل انها ليست حديقة او حدائق في الاساس ، ولكنها كانت بمثابة « استراحة » او مقر للترويح يستخدمه اباطرة المغول ، أقامه الامبراطور شاه جهان ، عبقري الانشاء والعمارة ، الذي ترك بصمات لاتنسى في القلعة وغيرها منذ صعود نجمه في النصف الاول من القرن السابع عشر .

٨٠ فدانا من الارض اجتمعت فيها الزهور والخضرة مع القنوات ونافورات المياه ، واحواض المرمر والشرفات والاقواس والعقود والايوانات . وتناثرت في ارجائها القباب الرشيقة ، وقد ظللت قاعات واجنحة مغولية الطراز ، لا زالت على حمرتها الداكنة ، ولازالت نقوشها وفسيفساؤها ، شاهدا على ذلك العصر الذهبي .

هذه هي « فرساي البنجاب » .. شاليمار !

وعلى غير ما يبدو للعين من اول نظرة ، فحدائق شاليمار ليست كلها في مستوى واحد ، ولكنها على ثلاث درجات ، او ثلاثة مسطحات مختلفة ، رغم ان مجرى المياه واحد ، والخطوط المعمارية واحدة ، ليس فيها اشارة خلل تذكر . المسطح الاول معروف منذ العصر المغولي باسم هبة الفرح او « فرح بكش » ، والاثنان الآخران يطلق عليهما اسم « هبة الفيض » ـ « فيض بكش » .

على المسطح الاول اقيمت ثماني مبان حول بحيرة تنتشر فيها النافورات ، ويتوسطها حوض من المرمر مليء بالزهور . والمباني خليط من البيوت السكنية الانيقة وقاعات الاستقبال والشرفات الملاصقة للبحيرة ، والمكونة من اعمدة وسقوف رخامية بيضاء .





(فوق) جانب من حدائق شالهار البديعة ـ (الى اليمين) صورة لعملية مطاردة الغربان التي تحط على اشجار المانجو كل غروب ، وتفسد محصولها الكبير . يطلق العمال صيحات عالية يفترض انها تزعج الغربان ثم يستخدمون هذه الاقواس في قذف الغربان فوق قمم الاشجار بالحجارة الصغيرة (الى اليسار) نموذج للسجاد الباكستاني ، الذي لا يمكن ان يميز عن الايراني ، في الشكل والجودة .



تهبط درجا بمسافة ١٢ قدما الى المسطح الثاني ، بينما مياه البحيرة تنساب على جدار مائل من الفسيفساء الازرق ، لتصب في حوض من المرمر يؤدي الى بحيرة ثانية بامتداد المسطح . في جانب من مكان هبوط المياه من المسطح الاول ، اقيم حمام الامبراطور ، الذي تغطى الفسيفساء كل جدرانه وتتخلله فتحات للمياه الدافئة والباردة ، الى جوارها مقاعد للاسترخاء والراحة . وحول البحيرة ، وسط الاشجار الباسقة ، اقيمت ابراج ستة تعلوها قباب صغيرة ، والى جوارها اربعة ايوانات محمولة على اعمدة الرخام .

تهبط ١٢ درجة اخرى الى المسطح الثالث الذي تتكرر فيه الصورة ، وتزداد فيه كثافة الاقواس ، بينما صمم موضع هبوط المياه ، بحيث يعطي انطباعا بأنها امطار غزيرة ساقطة على البحيرة .

هكذا ، باتساع ثمانين فدانا ، تنتقل من خضرة الى خضرة ، ومن جدول ماء الى آخر ، ومن شرفة الى شرفة .. ويكاد ينتهي النهار ولا تبلغ نهاية هذه الجنة الارضية ، ولا تملأ عينيك من جمالها الاخاذ . وربما تمنيت مثلي ـ ان تحبس هواءها المنعش والمعطر في صدرك الى الابد ، وان يستثنى التنفس في شاليمار من قانون الحياة ، ليصبح شهيقا فقط !

تتحول في شاليمار من انسان عادي الى شاعر ، وربما بلغ بك التسامي حدا تشعر معه بأنك تحولت من انسان الى طائر يرفرف ويغرد . لكن الاقدار تأبى الا ان تعيدك قبل ان تغادر الى حيث كنت . اذ لا بد ان تفيق ساعة الغروب على صيحات هادرة تتردد في أركان الحديقة الشاسعة ، مصحوبة بقذائف من الاحجار الصغيرة تنطلق في كل اتجاه .

سألتهم : ما الخبر ؟ .. فجاء الرد بقصة غريبة تقول : ان الحديقة مليئة بأشجار الفاكهة ـ المانجو بوجه خاص ـ وان هذه الاشجار تصبح هدفا للغربان الكثيفة كل مساء . اذ تفد اليها ساعة المغيب ، تعشش فيها ، وتظل طوال الليل تقضم الثمار بغير رحمة . ولم يجدوا حلا لهذه المشكلة الا ان يحشدوا هذه الاعداد الكبيرة من العمال ، الذين يتولون مهمة الزئير ساعة الغروب ، لازعاج الغربان ، ثم تصويب الاحجار متوسطة الحجم بالنبال نحو أشجار المانجو ، لمزيد من الازعاج والمطاردة !

لاهور المتحف

ليس هذا هو كل الحلم في لاهور ، لكنه اهم ما فيه . وتبقى للحلم صورته العريضة ، والحافلة بالتفاصيل الجذابة والمدهشة . وهنا ينبغي ان نتذكر امرين : -

الاول : ان الذين شيدوا المسجد والقلعة والحديقة ، شيدوا ـ هم وغيرهم ـ الكثير غيرها في انحاء لاهور . الامر الذي تحصره وتسرد تفاصيله كتب عديدة في باكستان .

الامر الثاني : ان الفن العظيم جزء من حضارة عظيمة ، بل هو نتاج طبيعي لها . اذ من غير المتصور ، لا عمليا ولا نظريا ، ان يولد فن عظيم في غير ظروف مواتية اخرى ، وفي معزل عن مسار الحياة السائدة . الامر الذي ينبهنا الى حقيقة ان هذه النهضة المعمارية ، كانت بمثابة عربة في قطار على طريق المجد . قطار انتظمت فيه عربات اخرى ، للثقافة والتجارة والصناعة وقوة الجيش وقوة السلطة ..

ونظرة سريعة على الاطار العريض لصورة لاهور الحلم ، على الطبيعة وفي الكتب ، تؤكد هاتين الحقيقتين ..

فضريح الامبراطور جهانجير ، على بعد ثلاثة اميال من لاهور ، نموذج آخر فذ ، لجمال العمارة المغولية . اذ اقيم الضريح بحجم مسجد كبير ، يتوسط حديقة ضخمة . وقد اجتمعت على واجهات البناء الاربع أرق بصمات الفن المغولي ، وجاءت ردهاته الطويلة المؤدية الى مقبرته ، نموذجا لرفعة هذا الفن . ثم احيطت المقبرة بجدران اربعة من المرمر المحفور والمنقوش ، الذي حفرت عليه بعض آيات من القرآن الكريم ، واسماء الله الحسنى .

وضريح زوجته نورجهان (نور العالم) ، التي تسجل كتب التاريخ جهودا بارزة لها في دفع عجلة الانشاء والعمارة ، صورة اخرى بديعة للجمال المعماري . ورغم ان « السيخ » هدموا فيه الكثير ، الا ان بقايا الضريح لاتزال تنطق بحقيقته .

ومسجد « وزير خان » في قلب المدينة الذي تصفه الكتب ونشرات السياحة بأنه « زينة العمارة في لاهور » ، وأنه « من أغنى مساجد المنطقة ، بأجمل فنون الموازييك والرسم على الخزف » . هذا المسجد يشكل هرما رابعا ـ اذا جاز التعبير ـ يأخذ مكانه جنبا الى جنب مع مسجد باد شاهي والقلعة وحديقة شاليهار . وقد بناه طبيب قصر الامبراطور شاه جهان ، واسمه « حكيم » علم الدين انصاري ، الذي صار فيما بعد حاكما عاما للبنجاب اثناء حكم الامبراطور .

ويرصد كتاب « الطريق الى لاهور » ٢٦ مسجدا اثريا آخر ، لها قيمتها التاريخية المميزة ، شيدت في مراحل مختلفة متأثرة بالطرازين المغولي والقوطي بالدرجة الاولى .

وقد كانت هذه النهضة المعمارية مصحوبة حقا برواج تجاري شهدته لاهور ، الامر الذي دفع الامبراطور اكبر الى ان ينشيء سوقا للمدينة ، وجاء بعده ابنه جهانجير ليضيف سوقا ثانية ، ومن الثابت ايضا ان صناعة السجاد الباكستاني كانت في اوج ازدهارها على عصر الامبراطور جهانجير ، وانها اكتسبت سمعتها الممتازة ، واستقرت كصناعة ناجحة ، منذ ذلك العهد .

العقل والمعقل

ومع ذلك فان لاهور « منارة الثقافة والمعرفة » . لاتقل اهمية عن لاهور « المتحف المعماري » اذ يشكل الجانبان بعضا من أوجه لاهور الحلم .

فالتحدي الذي كانت لاهور رمزا له لم يكن عسكريا فقط ، بين قوة الاسلام وقوة الهندوكية ولكنه كان بنفس القدر تحديا حضاريا وفكريا وعقيديا ، بين الاسلام ذاته والهندوكية . واذا كان الاسلام قد واجه تحديا مماثلا مع المسيحية في اوروبا ، الا ان هذا التحدي لم يستمر ، واضطر الاسلام لان يرحل من معاقله في صقلية والاندلس في القرنين الحادي عشر والثالث عشر ، ثم من امتدادات الدولة العثمانية في البلقان في القرن التاسع عشر . وذلك مالم يحدث في شبه القارة الهندية ، اذ استمرت المواجهة بين الاسلام والهندوكية بصيغ مختلفة طوال عشرة قرون (من اوائل القرن التاسع حتى الثامن عشر الميلادي) ، ظل الاسلام خلالها يحكم شبه القارة الهندية ، حتى جاء الاستعمار البريطاني الذي تسلم حكم الهند من بهادور شاه آخر ملوك المغول في عام ١٨٥٧ . وبقي الاسلام ولم يرحل ، حتى قامت دولة باكستان ـ ارض الاطهار بالاردية ـ في عام ١٩٤٧ .

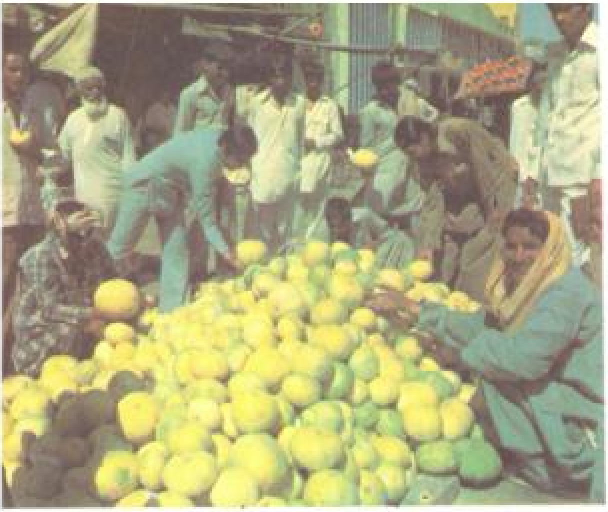
من هنا كانت لاهور هي المعقل والعقل في آن واحد !

لم تكن مدينة القيادة العسكرية فقط ، بل مدينة القيادة الفكرية ايضا . فقد وفدت اليها من بلاد الافغان والفرس منذ عهد الغزنويين ، اعداد كبيرة من الفقهاء وحفظة القرآن . اشهرهم شيخ المتصوفة في ذلك الزمان ، علي هجويري صاحب كتاب « كشف المحجوب » ، الذي تشير اليه المراجع باعتباره اقدم ما كتب عن التصوف بالفارسية . والرجل معروف في لاهور باسم « داتا جانج بخش » ويعتبرونه اول واشهر اولياء الله . وقائمة هؤلاء الاولياء طويلة في لاهور ، اذ يصل عددهم الى مائة ، يسجل كتاب « الطريق الى لاهور » ٢٧ فقط منهم ، باعتبارهم الأهم والاكبر .

وفي ظل الدولة الغزنوية ايضا ، عرفت لاهور اعظم شعراء الفارسية في شبه القارة الهندية سعود سعد سلمان . واشعاره المليئة بالحنين الى لاهور ، كانت في مقدمة الاشعار الوطنية التي راجت في باكستان بعدئذ .

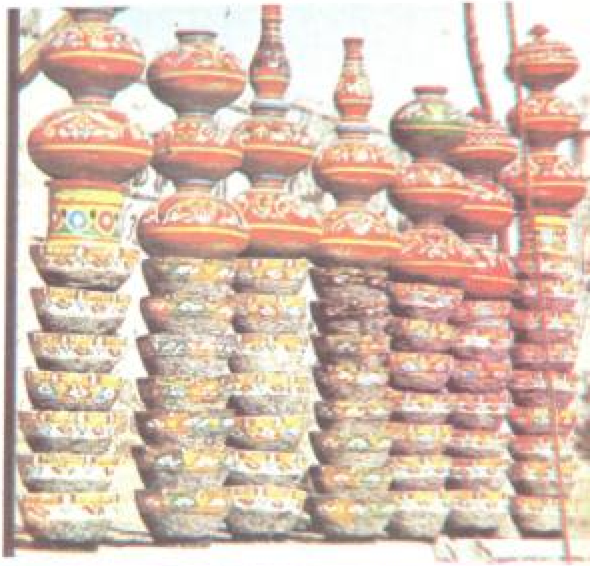
وبعد ذلك عندما كتب ياقوت الحموي مؤلفه الكبير « معجم البلدان » ، في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، لم يجد ما يعرف به لاهور سوى علمائها ، فبعد ان قال عنها تلك الكلمات القليلة انها « مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند » ـ ، اورد قائمة بفقهائها ومحدثيها المشهورين على زمانه ، وفي مقدمتهم : عمرو بن سعيد اللهواري ، ومحمد بن المأمون هبة الله المطوعي اللهواري ، ومحمود بن خلف ابو القاسم اللهواري .. وآخرون .

وفي عصر النهضة الذي شهدته شبه القارة الهندية ، في ظل اباطرة المغول ، اوائل القرن السادس عشر لمع اسم الامام احمد الفاروقي السرهندي ـ من مواليد سرهند





الصور الخمس على الصفحتين من أسواق لاهور العامرة بكل شيء ، مصنوعات النحاس والاخشاب والفخار ، والأقمشة والحلوى .. جنبا الى جنب مع باعة « الكربوزا » الذين يملأون الارصفة باكوام هذه الفاكهة الشعبية طوال اشهر الصيف . لاحظ ان المائدة الخشبية (الى اليمين) هي في الاصل كتلة واحدة من الخشب ، تم نحتها على هذه الصورة المدهشة .





بالهند ـ الذي تعتبره المراجع الاسلامية في الهند « مجدد الالف الثانية من الهجرة » . اذ ظهر اثناء حكم الامبراطور اكبر ، وبدأ يؤدي رسالته كداعية عظيم للسنة ، معلنا الحرب على البدع ، ابان حكم ابنه الامبراطور جهانجير . وقد اختلف الامام السرهندي مع الامبراطور لبعض الوقت . لكنه عفا عنه وقربه ، حتى عاش آخر سنوات عمره في البلاط الامبراطوري بلاهور واعظا ومرشدا لجهانجير * وعندما تولى الامبراطور شاه جهان بعد ذلك ، بايع الامام السرهندي على التمسك بالكتاب والسنة واجتناب المعاصي .

وفي جهانجير ايضا ، ظهر واحد من اشهر علماء الحديث في شبه القارة ، هو الشيخ عبد الحق الدهلوي (من مواليد دهلي او دهلي) ، الذي يعد « اهم من دعا الى نشر علوم الحديث والسنة في زمن اتجه فيه اكثر العلماء الى البحث في كتب المنطق والفلسفة والفقه » .

منارة مستمرة

وربما كان المثل البنجالي القائل ان « لاهور هي لاهور » ، ينطبق على هذا الدور الثقافي اكثر من اى مجال آخر . ذلك ان المدينة لاتزال تموج الى الآن بنشاطات فكرية وثقافية واسعة ، تشكل استمرارية لبعض اوجه لاهور الحلم .

فما من تيار فكري مؤثر في باكستان الا وله ركيزة أساسية في لاهور ، من الجماعة الاسلامية ـ التي كان يقيم مؤسسها العلامة ابو الاعلى المودودي في قلب لاهور ـ الى الحركة الماسونية ، التي كان لها مقر علني في المدينة حتى عهد رئيس الوزراء الاسبق ذو الفقار علي بوتو ، ولكنه اغلق قبل عقد مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور عام ١٩٧٤ ، وتحول الى جماعة سرية .

وبالاضافة الى الجامعتين (تضمان حوالى ٧٠ كلية) فان المعاهد الاسلامية التي تتولى « تفريخ » الفقهاء والخطباء ، لاحصر لها . لكثرة عددها وانتشارها في انحاء لاهور . لكنه يمكن تصنيفها في ٣ اتجاهات او جتهادات أساسية في التفكير الاسلامي ، هي : أهل السنة والجماعة ، وهم من اتباع المذهب الحنفي واكثرهم غارق في عالم التصوف ، ومن اشهر معاهدهم اثنان يحمل احدهما اسم « جامع أشرفية » والثاني « جامع نعيمية » ـ واهل الحديث الاقرب الى الفكر الوهابي الرافض للبدع . وهؤلاء لهم معهد باسم « جامع تقوية الاسلام » ـ والشيعة من اتباع المذهب الجعفري ، وهؤلاء لهم معهد باسم « جامع المنتظر » (للامام الغائب ، الاثنى عشر) .

وهذه الاتجاهات الثلاثة تشكل جزرا فكرية مستقلة . كل له فقهاؤه ومساجده وصلاته وتراثه الفكري . وكما كان يحدث في القرن الماضي ، في الازهر الشريف ، ان ينادي للصلاة فيقف اتباع كل من المذاهب الاربعة وراء امام خاص بهم ، بحيث تقام الصلاة الواحدة في المكان الواحد وراء اربعة ائمة مختلفين ، هذه الصورة تتكرر الآن في باكستان ، ولاهور بالدرجة الاولى .

ورغم ان الجماعة الاسلامية تشارك في الحياة العامة باعتبارها حزبا سياسيا ، الا ان موقفها الفكري يلتقي مع اهل الحديث في رفض البدع ـ وهي قضية حيوية في باكستان والهند ـ لكن الجماعة تنتهج خطا اكثر اعتدالا من الخط الوهابي المتشدد .

والى جانب دورها كركيزة للتيارات الفكرية السائدة ، فان لاهور تعد ايضا مركز الطباعة والنشر في باكستان . ذلك ان الغالبية العظمى من الكتب والصحف تصدر عنها . بل ان الغالبية العظمى من الكتب التي تعرف بالاسلام ، والمنتشرة في مكتبات اوروبا وامريكا ، لها مصدر واحد هو لاهور .

والاحصائيات المتداولة هناك تقول ان في المدينة حوالي الف مطبعة كبيرة وصغيرة ، و ٢٠٠ ناشر للكتب ، باللغات الاردية والفارسية والانجليزية والعربية ، و ٥٠٠ محل لبيع الكتب وكل ما يتصل بالقراءة .

وربما كانت لاهور من المدن النادرة في العالم الثالث

* تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ـ مسعود لندوي .

التي بها حي كامل تركز فيه المطابع ودور النشر والمكتبات ، معروف باسم « اوردو بازار » .

الاسلام في الاعماق

ومما له دلالته ومغزاه ، ان يظل التوجه الاسلامي هو المحور الاساسي لمسيرة الحركة الفكرية ونشاطات الطباعة والنشر في لاهور . فأغلبية الكتب تدور حول الاسلاميات ، والاشعار كلها عن الاسلام والقرآن ، حتى قصائد الحب اكثرها من نظم اهل التصوف الهائمين في حب الله . واهم القصص واشهرها ، إما دينية (المعراج - ميراج نامة) او من التاريخ الاسلامي (كربلاء) او منقولة عن التراث العربي (قيس وليلى) . ومـا من كتاب علمي او طبي او حتى زراعي ، الا ويفتتح باسم الله الرحمن الرحيم ، وربما دونت على صفحته الاولى آيات من القرآن الكريم .

وليس هذا غريبا ، لان كل التراث البنجابي ، كل الخلفية الثقـافية ، تدور حول موضـوع واحـد هو الاسلام .

ولا نستطيع ان نتصور حجم هذه الحقيقة ، بغير تصور لمدى عمق الاحساس بالاسلام عند الناس في هذه المنطقة .

فمنذ دخل الاسلام شبه القارة الهندية ، وخاض معركة البقاء مع الهندوكية ، كان ابرز اسلحة المسلمين في مواجهـة هذا التحدي هو المزيد من التشبث بالعقيدة والاحتماء بها ، وبغير ذلك فقد كانت اجيال المسلمين معرضة للذوبان - والغرق - في الخضم المحيط بهم .

وقد كانت احدى صور التشبث بالاسلام متمثلة في تعلق مسلمي شبه القارة الهندية بالخلافـة العثمانية في تركيا . ذلك انـه طوال عهـد الخلافـة العثمانية ، كان مسلمو الهند مطمئنين الى ان لهم « دولة » تؤمن ظهورهم ، بل كان ولاؤهم الحقيقي للخليفة في الآستانة ، حتى ان احد الكتاب الهندوس انتقد هذا الموقف في اواخر عهـد الخلافة ، وكتب متسائلا : لماذا يصر مسلمو الهند على الولاء للخلفة العثماني ، بينما ولاء الجيش التركي ذاته له بدأ يتضـاءل ✽ . وعندمـا دخلت تركيا الحـرب ضد بريطانيا في الحرب العالمية الاولى وكانت الهند تحت حكم الانجليز ، قال احد اعضاء حزب الرابطة الاسلامية في مؤتمر حاشد : انه لشيء محزن ان تصبح حكومة خليفتنا في حرب مع حكومة امبراطورية ملكنا ! » . وخلال فترة الحرب اعتبر اكثر المسلمين ان الهند - التي وصفت بأنها درة التاج البريطاني - اصبحت جزءا من دار الكفر ، التي تخوض المعركة ضد دار الاسلام . بل ومن الثابت ان ثلاثين الفا من مسلمي الهند قد هجروا « دار الكفر » هذه الى افغانستان ، بعد انتصار الانجليز على الاتراك . وقد اهتزت مشاعر مسلمي الهند عندما بدأت اصوات دعاة القومية « الطورانية » ترتفع في تركيا . حتى انهم جمعوا من بينهم اموالا ليوفدوا ممثلين عنهم الى الآستانة ، لمحاولة اثناء دعاة القومية هناك عن آرائهم . وفي ذلك الوقت - سنة ١٩٢٠ - ظهرت « حركة الخلافة » في الهند بزعامة مولانا محمد علي .

ولكن قرار أتاتورك بالغاء الخلافة في عام ١٩٢٤ زلزل احساسهم بالانتماء . وظل هذا الحلم المفقود يراودهم حتى نادى اتحاد الطلاب المسلمين باقامة الخلافة الباكستانية ودعا آخرون مولانا آزاد صبحاني الى اقامة الحكومة الربانية ✽ .. ولم يكن غريبا بعد هذا كله ان يسعى المسلمون الى اقامة دولة خاصة بهم ، حيث لم تعد لهم دولة . - كذلك لم يكن غريبا ان يتوسط الهلال والنجمة - رمز الدولة العثمانية - علم الدولة الوليدة (باكستان) .

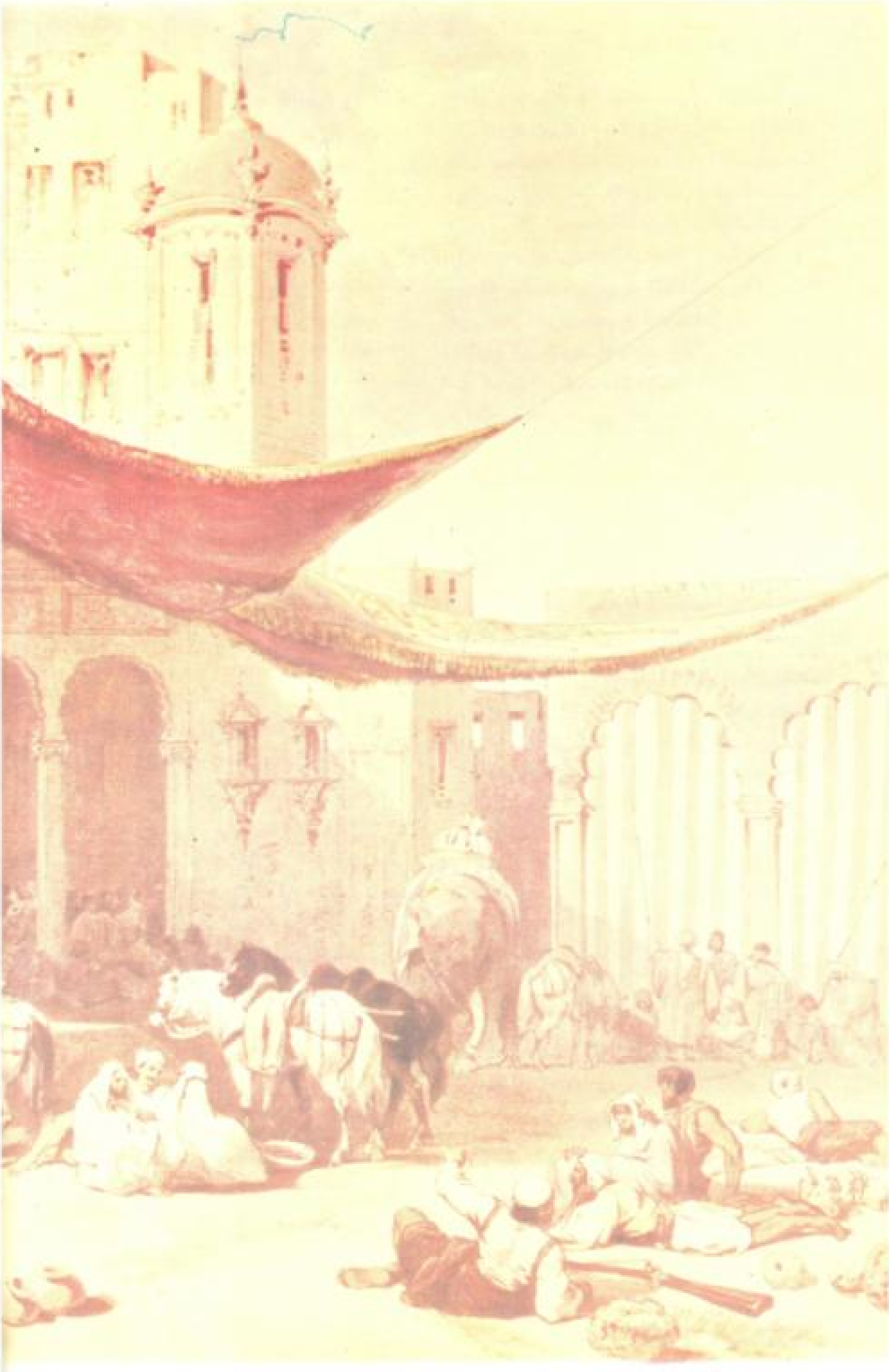
غبار القديم

لكن الحلم في لاهور يطل على المدينة القديمة ، التي هي وجه آخر للحقيقة ، بغيره لا تكتمل الرؤية .

واذا تفرست في هذا الوجه جيدا فلن تجد له سمات تميز لاهور القديمة عن أي حي قديم وفقير في العالم

✽ للتفصيل انظر « نشأة باكستان » لوزير خارجيتها الاسبق شريف الدين بيرزاده .

✽ نفس المصدر السابق .



لوحة عمرها مائة سنة من داخل القلعة ، للفنان الانجليزي هاردنج ، الذي زار لاهور في عام ١٨٤٦ ، وسجل معالم المدينة في مجموعة نادرة من الصور .



العربي ، فالفقر ملة واحدة ، القسمات الاساسية مشتركة ، والخلاف في التفاصيل . البيوت متراصة ومتساندة ، تطل منها القتامة ، وترفع رايات الانكسار . بينما الشوارع ضيقة ومتعرجة ، تكدس في اركانها البشر ، والتصق بالجدران باعة الحلوى والخضر ، وقد جلسوا فوق اغطية ثابتة لمجاري المدينة المكشوفة .

ذلك ان المدينة صممت قديما بحيث يتحقق لها الاكتفاء الذاتي في حالات الحصار وان تتوفر لها المياه بوجه خاص . فشق فرع لنهر راقي ليمد المدينة بالمياه النقية ، وبالمقابل صممت المجاري بحيث تصب خارج السور . وكان السور محاطا من ناحية بقناة للمياه النقية داخلة الى المدينة وفي ناحية اخرى بقناة للمجاري تستقبل الخارج من المدينة .

ورغم ان هذا التصميم حل لسكان المدينة مشكلتي المياه والمجاري ، الا انه اثار مشكلة حادة بمضي الوقت عندما تهدم السور وامتدت المدينة ، وووجه سكان خارج السور بمعضلة المجاري المكشوفة التي أصبحوا يقيمون فوقها والى جوارها !

واذا كان التقليد في المدن القديمة ـ الاسلامية بوجه خاص ـ ان يكون لكل حرفة وبضاعة سوق ، الا ان الامر انتهى نهاية اخرى في لاهور . اذ اصبحت كل الحرف وكل البضائع في كل سوق فضلا عن ان كل شيء موجود على الرصيف . باعة الاطعمة والادوات المنزلية والحلاق والترزي والطبيب والمحامي والصيدلي (وتلك مهن تعتمد على الخبرة والنقل عن الآخرين) ، ثم قاريء الكف والطالع . بعضهم جالس على الارض وبعضهم في دكاكين صغيرة ، وبعضهم راحل وراء زحام البشر .

وتثير الانتباه تجارة القديم في تلك الاسواق . الساعات القديمة والاقفال والعلب وماكينات الحياكة واغطية الزجاجات . وتكاد تفهم مبررا لبيع الملابس القديمة ، لكنك تستغرب لباعة يعرضون خرقا قديمة للبيع . ثم تستغرب ايضا لباعة الاوراق المالية الجديدة مقابل الاوراق البالية والقديمة . تعطي البائع ١٠ روبيات مهلهلة ـ مثلا ـ فيعطيك تسعة جديدة ! (الدولار يعادل عشر روبيات) .

ولا بد ان تستوقفك معاصر الزيت ، وهي ليست معاصر بالمعنى المفهوم ، ولكنها محل تجاري صغير يتصدره رجل رصت امامه قدور مليئة بالزيوت التي يستخدم أغلبها كأدوية للروماتيزم والصلع والربو والصداع . ثم تفاجأ بأن وراء الرجل جمل او ثور مغمض العينين يدور بلا توقف ، وتدور معه طاحونة من الحجر تتولى طحن الحبوب واستخلاص الزيوت منها . وهي صورة لم ار مثيلا لها في صنعاء القديمة .

لكن من اشهر الاسواق المتميزة سوق الطباعة والنشر « اوره وبازار » الذي مررنا به قبل قليل . وسوق السجاد الباكستاني ـ الخامات والمنتجات ـ في « قلمنج رود » ، واسواق الدراجات العادية والبخارية وهي بغير عد ، لانها منتشرة في كل مكان . شوارع وحواري بأكملها مقصورة على تجارة الدراجات وقطع غيارها وصيانتها ، خصوصا وأنها وسيلة الانتقال الاساسية والشعبية بالمدينة .

والى جانب هذا كله فهناك شارع السوق الاساسي ، الاكثر نظاما ووجاهة ، اذ يخترق قلب المدينة واسمه « مال رود » ، (الطريق العمومي بالانجليزية) : وهو تقليد في كل المدن الباكستانية ان يكون بكل منها « مال رود » .

المهر للعريس ؟!

وهناك بعد ذلك لاهور العادات والتقاليد ....

واكثر ما يغيظ تقاليد الزواج . فقد يفهم ايضا ان تؤثث المرأة البيت ، لكن ليس مفهوما ان تدفع بعد ذلك مالا للرجل ، وان يشترط البعض مبلغا محددا لا يتنزلون عنه او ان تشتري المرأة للعريس ثيابه وكافة لوازمه من الحذاء الى الساعة وماكينة الحلاقة ، ثم تشتري ايضا ثيابا لاهله يحضرون بها العرس . الامر الذي يبرر احساس الاب بالصدمة عندما ينجب بنتا . اذ يصبح مضطرا في هذه الحالة ـ اذا كان من غير القادرين ـ ان يخصص لها صندوقا منذ لحظة ولادتها ، يدخر فيه كل ما يستطيعه لمواجهة ذلك المأزق الآتي بعد ١٥ او ٢٠ عاما !

واكثر ما يثير الدهشة ، تقاليدهم في تذوق الطعام اذ

قد تفهم ـ ايضا ـ لماذا يضيفون كميات من التوابل على الطعام تكفي لاشعال النار في معدات عشرة منا ، لكن الذي تعذر علي استساغته هو إضافتهم الملح مع الليمون على الشاي في الصيف « وتحليتهم » البطيخ بالفلفل الاسود ، وتلذذهم بسلطة الفواكة اذا اضيف اليها الفلفل الاسود والشطة الحمراء !!

واكثر ما تستغربه هذا الانتشار لهواية تعطيل العمل في المؤسسات العامة ، تعبيرا عن اي شعور في اي مناسبة وفي غير مناسبة . لميلاد الزعيم عطلة ، ولوفاته عطلة اخرى ولمباراة « الكريكيت » عطلة ، والهوكي ليس اقل شأنا . وللطائرات الورقية عيد لا بد له من عطلة . وانقطاع المياه في المدينة الجامعية يمنع الطلاب من الاغتسال وحلاقة الذقون ، وتعطيل الدراسة فيه واجب . واذا فاز فريق اتحاد الطلبة في انتخابات اتحاد الطلبة فالعطلة اوجب . واذا خرجت المظاهرات واضطربت الاوضاع السياسية فالعطلة تمليها اعتبارات الامن الامر الذي يبرر استمرارها أسابيع وشهورا .. وهكذا ، تنقضي الايام ، عطلة بعد عطلة .

واكثر ما تعجز عن تعلمه لغة الاردو التي في بعض جوانبها تلفيق تاريخي بين العربية والتركية والفارسية والهندية والانجليزية ، ولكنه مكتوب بحروف عربية . يدعوك احدهم للانتظار دقيقة فيقول « ايك مينت انتظار » ، وتكتشف ان مركبات هذه الجملة الاردية : ايك كلمة فارسية تعني واحد ومينت تعني دقيقة بالانجليزية Minuite ، وانتظار امرها معروف بالعربية ، وتلمح لافتة في محطة السكة الحديد كتب عليها بالاردية « بكنك افس » ، وتكتشف انها عبارة انجليزية تعني مكتب حجز التذاكر Bookinq office . وتقرأ لافتة محل تجاري « جنرل بك دبو » ، ويتبين انها عبارة انجليزية خالصة General Book Depot اي المخزن العام للكتب .. وهكذا !!

الحقيقة المستقبلية

واذا سلمنا بان اكثر هذه القسمات والمعالم يعكس الحقيقة الآتية من الماضي ، وليست تلك الطامحة الى المستقبل فلن يحتاج الامر منا الى جهد كبير لترصد وجوها اخرى اكثر جدية وايجابية ....

وجعبة لاهور الحقيقة لا تفرغ .. فقط ، فتش تجد ما تريد ! فتعبير « لاهور الخضراء ـ مثلا ـ لم يطلق عبثا ، لان البلد زراعي في المقام الاول ، وعاصمة مقاطعة زراعية من الدرجة الاولى (البنجاب) بل هي مقاطعة الزراعة في باكستان كلها . واذا كان السابقون قد استثمروا تربة البنجاب الغنية في الحدائق والفواكة فان اللاحقين تبينوا في وقت مبكر انه ليس بالحدائق والفواكه وحدها يحيا الانسان ، خصوصا عندما يصبح الناس بالملايين ، وخيارهم يصبح بين الشبع والمجاعة وبين الحياة والموت !

الآن تطوق لاهور مزارع حتى مرمى البصر ، وانتاجها من الارز والقمح والقطن والسكر يحتل اولويات الصادرات الباكستانية .

وبنفس القدر فان « الحقيقة الصناعية » في لاهور لا يمكن تجاهلها اذ ينتصب ٥٠ مصنعا كبيرا وصغيرا في اطراف لاهور ، وجنبا الى جنب مع المزارع الشاسعة ، عمالها مائة الف على الاقل ، وقائمة هذه المشروعات تضم خليطا من مصانع الكيماويات والآلات والنسيج وعربات السكة الحديد والدراجات والاجهزة الكهربائية وغيرها .

وهل ننسى الحرف التي تعشش في شوارع لاهور القديمة ، وتملأ القرى المحيطة بالمدينة بالحيوية والرواج ؟

ثم قبل هذا كله وبعده ، هل نسقط من أوجه الحقيقة المستقبلية جامعتي لاهور خصوصا جامعة البنجاب اقدم جامعات باكستان ، والتي شارف عمرها على المائة عام (انشئت عام ١٨٨٢) ......

وهل ..... وهل ..... وهل ...؟

اخيرا . هل هذه هي لاهور الحقيقة ؟

لابد ان تتذكر انه ليست هناك حقيقة مطلقة في عالمنا الارضي . وان ما نتصوره حقيقة يظل ذاتيا حيزا محدودا من الاشياء يتاح لنا ان نراه ، وقدرة محدودة للانسان تحكمه في استيعاب ما يراه . ثم ، وفي الاغلب ، فرصة محدودة للانسان في ان يعبر عما استوعبه وحصله !

اللهم فاشهد ! ■■



السينما العربية



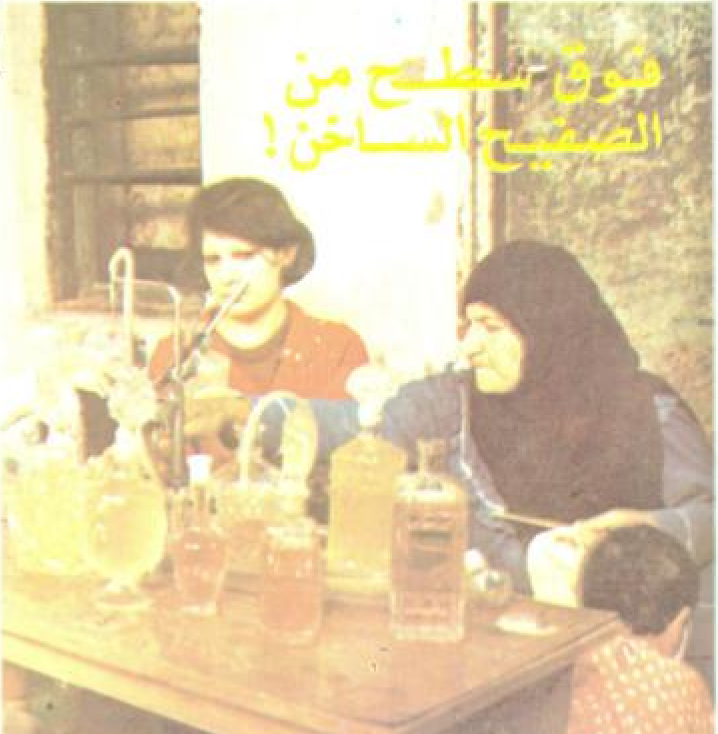


في ١٩٧٩

٤ بقلم :

الفاروق عبد العزيز

فوق سطح من الصفيح الساخن !



١ ـ الصيادون والنهر .. النهر يعطي وغيرهم يأخذ ..

٢ ـ شمس الضياع : الابن (محمود مرسي) يقال القرية والمجاهد

٣ ـ المهدي المنتظر ، يدخن السيجار ويتأمل العالم ويرسم الفلسفة .

٤ ـ بيوت في ذلك الزقاق : ظاهرة العدل الرأسمالي في البيوت ـ ماذا تعني ؟

كيف نستطيع ان نصف الوضع الراهن لهذه السينما ـ سينمانا نحن ! ـ دون ان نأتي لذكر سطح الصفيح الساخن الذى يفترش شوارع المدن العربية بكاملها ؟ وسطح الصفيح الساخن ليس فقط ملعب الابطال والنماذج البشرية المهزومة . انه ايضا الأرضية « التي يتلظى » فوقها الفنان والمثقفون الحالمون بصدق بتطوير الفكر والثقافة والفنون العربية . هل تريد مرادفا آخر لهذا التلظي ؟ انه « القلق » .... القلق الذى تسبب في شل قدرات هؤلاء واولئك ، مفسحا المجال في الوقت ذاته لثقافة وفن وفكر مقطوعي الصلة بحاجات المواطن العربي الحقيقية .

في السينما هذه ظروف مثالية لمنتجي الافلام التجارية يجب استغلالها ـ وقد فعلوا ـ لتعميق وتوسيع مجرى السينما التجارية العربية . وهذه ظروف تشابه تلك التي كانت سائدة خلال وابان الحرب العالمية الثانية حين تدفق الانتاج السينمائي العربي في هذا المجرى .

اليوم ، وفوق سطح الصفيح الساخن ، يشعر المشاهد بحاجته الى سينما تخديرية تنسيه ولو مؤقتا شعورا متناميا بالقلق . هذه ترجمة للفلسفة السائدة في الانتاج السينمائي العربي الآن .

لقد استمر معدل الانتاج السينمائي العربي في الانخفاض . أو قل حافظ على نفس الرقم تقريبا خلال العامين الأخيرين (حوالى ٥٠ فيلما في العام) بعد ان كان قد انتعش وارتفع الى حدود تقارب الثمانين فيلما غداة حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وقيل ان الازدهار « الكاذب » قد تلقى ضربة بسبب هجوم الفيديو ـ التلفزيون الذى ابتلع معظم الطاقات المالية والفنية . وهذا صحيح ، وقيل ايضا ان تزايد نسبة انخفاض عدد دور العرض في الوطن العربي بكامله هو السبب . وهذا صحيح ايضا .. غير أن المجرى الاوسع ـ الرغبة في الربح السريع والفاحش ـ يبتلع كل شيء . فالتساؤلات الاساسية حول دور الفن في خدمة المجتمع ، او صلاحية السينما للتعبير عن اشواق وافراح وهموم المواطن ، لم يعد لها محل هنا في هذه المرحلة . اندفاع في المجرى الاوسع بينما الهامش المحاذى لهذا المجرى يضيق شيئا فشيئا ....

لماذا نعلق مثل هذه الاهمية على الهامش السينمائي العربي ؟ الانه يقدم ما هو صالح للمناقشة في غرف النقاد واعمدتهم ، ام لانه يلعب فوق سطح الصفيح الساخن دور المنقذ ؟ ومن يحدد له الدور ومن يصفه ؟

في الواقع اننا نتطلع الى الهامش كمجرد مصدر للضوء ـ واذا شئت الابتعاد عن الاوصاف التجريدية ، فنقول اننا نتطلع اليه كمخرج من حالة الركود الفني والفكرى التى تسيطر على سينما المجرى الاوسع منذ عشرات السنين لا اكثر ولا اقل . فسينما الهامش تظل سينماها هامشية ، تأثيرها محدود ، ولاتسهم في تكوين ثقافة الاغلبية وسوف تظل كذلك طالما ظل سطح الصفيح الساخن مفروشا في شوارع المدن العربية .

في عام ١٩٣٩ استطاع كمال سليم ان يغير من الهامش ومن المجرى الاوسع معا فقدم فيلم « العزيمة » ، الذي اعتبر أبا للواقعية في السينما العربية ولكن الامثلة القليلة لم تمنع من ان تحتل السينما الهامشية العربية صفحات وصفحات في كتب النقد والصحافة الجادة . قد يحدث احيانا ان يخرج فيلم او آخر من سينما المجرى الاوسع ليقول شيئا مثلما حدث هذا العام حين عرض « رجب فوق صفيح ساخن » و « الصعود الى الهاوية » وكلا الفيلمين اصابا نجاحا جماهيريا مثيرا فالاول يضع مواطنا عاديا فوق سطح الصفيح الساخن ونظل نشاهد فيه انفسنا تتقلب هنا وهناك والثاني يتعرض لحالة فريدة وهي خيانة مواطنة عربية لبلدها واشتغالها بالتجسس لصالح العدو ... ولكننا حين نتحدث عن الوضع السائد فلن يزيد كلامنا عما قلناه في مناسبات سابقة .

أفلام الهامش

ولنبدأ « باسكندرية ليه ؟ » ليوسف شاهين ، كالعادة في افلامه الاخيرة ، منذ « العصفور » (١٩٧٣) يلجأ شاهين الى تقديم رؤيته في خضم من الخيوط والتفاصيل والعموميات ، التي تحتاج الى توفر نسبة زائدة من الوعي لدى المشاهد العادي لكي يتفاعل معها . بيد ان « اسكندرية ليه ؟ » وان كان يأتي ضمن اطار هذه المجموعة الاخيرة ، الا انه ربما كان اكثرها وضوحا . ومن ثم تتعاظم لديه فرصة « التوصيل » لقاعدة اوسع من المشاهدين .

من زاوية محدودة يقدم الفيلم نوعا من السيرة الذاتية ليوسف شاهين نفسه « ١٩٤٢ والعمر ستة عشر عاما .. الحرب ... التضخم .. غواصات في البحر المتوسط .. والموت على رمال العلمين والاسكندرية مسقط رأسه .. عدد الاجانب وقوات جيوش الحلفاء اكثر من المصريين . الشاب المسلم الفقير الذي يقع في حب الفتاة الثرية اليهودية والتي تهاجر تحت ضغط والدها الى « ارض الميعاد » ليكتشفا الأكذوبة الكبرى .. ويعانيا القتل والذبح والتشريد للآلاف المؤلفة من الفلسطينيين سكان الديار الحقيقيين .. وعندما يكتشفان الخديعة ، يبقى الاب ولكن الفتاة تفر وتعود مرة اخرى الى مصر حيث لم يحدث ان اضطهدت من قبل لتجد حبيبها معتقلا بسبب نشاطه السياسي ضد القصر والانجليز . وهناك خيط آخر يتمثل في الضابطين اللذين يبحثان عن حل للخلاص من مشكلة الوطن كله .. الاحتلال والمتعاونين معه .. ويرحلان الى العلمين للقاء روميل والتعاون معه في طرد المحتلين البريطانيين ويلمح الفيلم الى العلاقة بين استرويليامز ـ التي كان الضابطان يعشقان مشاهدة افلامها ـ وبين الحلم الامريكي في رأس الشاب يحيي « يوسف شاهين نفسه » ، والذي يتجسد له في النهاية في تمثال الحرية (وصوله لامريكا بالفعل) والذي ما يلبث ان يغمز لنا ـ كفتاة ملطخة بالاصباغ ـ غمزة ذات مغزى .

ورغم كل شيء ، فان اسكندرية ليه ؟ « يظل تعبيرا عن حالة القلق التي تحكم الفنانين والمشاهدين معا ، بقدر ما هو تعبير مثير للجدل حقا حول دور الفنان في المرحلة الراهنة .. وحول احلام الخلاص الفردي والجماعي في عصر « قاس وحنين » ...

المهدى المنتظر

منذ فوز « رياح الاوراس » في عام ١٩٦٧ باحدى جوائز مهرجان « كان » السينمائي الدولي اضحت السينما الجزائرية الهامشية ايضا بالنسبة الى سينما المجرى الاوسع محط انظارنا .. الضوء الآتي من المغرب ...

من الجيل الثاني من السينمائيين الجزائريين برز مرزاق علواش ، الذي قدم من قبل عامين اول افلامه الروائية الطويلة « عمر قتلته الرجولة » . وها هو ذا يقدم احدث افلامه « مغامرات بطل » الذي يكشف عن ابعاد فكر سينمائي جديد ...

في « مغامرات بطل » يعالج علواش وسواسا يعيش في اعماق اللاشعور الجمعي العربي ، وبوجه خاص في اكثر المناطق العربية تخلفا . ففي هذه المناطق يتجسد هذا الوسواس في شكل حقائق مادية تزيد من ثقل التخلف والاحباط انه وسواس المهدي المنتظر الذي سيظهر يوما ليخلص الجميع من شياطين الفقر والجهل والمرض بضربة جبارة واحدة .

ففي قرية عربية تقليدية يولد طفل فقير . ويريد اعيان القرية بالطبع ان يستمر تفوقهم وسطوتهم على الاهالي الذين يعملون في مزارعهم فيضعون وشمة على ذراع الطفل . ويعلنون ظهور المهدي المنتظر ويحظى الطفل ـ الصبي ـ الشاب بكافة صنوف العون والتقدير ويرسلون في طلب معلم له يعلمه اصول الحكمة . يأتي المعلم بعربته التي كتب عليها ابكتسو وبخاري وباريس . عربة تحمل احدث الوسائل السمعية والبصرية ويجرها جوادان باتسان . والمعلم يرتدي الطربوش ويتكلم عن نيتشه وزرادشت والنظرية الذرية . ويركز المعلم الشديد الذكاء همه في خلق انسان نيتشوي متفوق ـ سوبرمان ـ يمكنه ان يحل في المهدي الملهم . والمسخر لاداء مهمة الهية . وهكذا تتمخض العملية عن ولادة انسان يزيل عقدة نقص القبيلة بوعد الانتقام من الواقع المزرى ويزيل في الوقت ذات لعنة القدر عن مجتمع بكامله .

ويهديه اهل القرية دراجة نارية يخرج بها الى العالم . وهناك يلتقي مهدي بن حسن بالثوار ويدخن السيجار ويقرأ الكتب ويتمرد . ولا يكتشف شيئا الا قرب النهاية حيث نكتشف معه عقم الوسواس ، وضرورة المضي على طريق المثابرة والعمل .

هناك آخرون غير علواش يعملون في الجزائر . سليم رياض يصنع افلاما جماهيرية على غرار الفيلم السياسي الشهير « زد » لكوستا جافراس . وآسيا جبار الأديبة تعالج السينما والمرأة الجزائرية بعد الاستقلال في « نوبة المرأة » . ولكن علواش يحمل أملا كبيرا للسينما العربية ، وان كان سيظل بافلامه على الهامش في مواجهة تيار كبير لا يملك المهدي مقاومته .

في بلاد السراب

حكاية علي تنتهي في باريس حين يرى من فوق رافعة كان يعمل عليها في احد مواقع البناء ـ بمنظار مكبر ـ رجلا فرنسيا عجوزا يعاني في صمت من آلام موجعة . يهرع علي الى مساعدته يدق الباب بجنون يقتحم المكان ليجد الرجل قد فارق الحياة يتجمع السكان حوله . الجزائري هو القاتل !!! الشرطة .. المصير المأساوي المنتظر .

لم يكن علي يحلم بهذا حين غادر الجزائر وترك امه ليبحر الى مرسيليا ومنها الى باريس مدينة النور .. كان يحلم بشيء افضل من عناوين الصحف الفرنسية الصادرة في اليوم التالي : « القى القبض عصر أمس على عامل جزائري اقتحم شقة رجل مسن وحيد ويجرى معه تحقيق موسع ومن المنتظر أن يعترف القاتل بجريمته الشنعاء . » ... بيانات من منظمات يمينية فرنسية : اقتلوا المغاربة !!

علي يحلم عبر المتوسط بالقرية الساكنة والتطور البطيء ويرتد الحلم الى شوارع الشانزليزيه . علي يتكدس في حجرة مع عمال آخرين في حي باريس الفقير يستمع الى ام كلثوم وصوت العرب ، ويحضر ندوات يقيمها موظفون جزائريون بهدف اقناع العمال المهاجرين بالعودة . ويأكل الكباب ويرفضه المجتمع الباريسي والفرنسي رفضا مطلقا .

تهبط ورقة الحظ المفاجئة عليه ويملك الآن ١١٠ آلاف فرنك . علام تتوقع ان ينفقها علي ؟ انفجار استهلاكي في شوارع الشانزليزيه التي حرم منها ، وعشاء في مطعم فاخر ، وجلسات على مقهى فوكيه !!

وينتهي حلم علي بجريمة لم يقترفها .

وتتساءل عن علي فوق سطح الصفيح الساخن في شوارع باريس عاصمة مستعمره السابق الذي استنزف طوال ما يربو على مائة وثلاثين عاما خيرات بلاده والآن لا يريد ان يتحمل تعويض آثار الخراب المادي والنفسي الذي احدثه في بلاد علي . لقد اصاب عليا بالازدواجية الفكرية وزين له نمطا استهلاكيا للتقدم ، وخرب شخصيته ودمر جسوره الثقافية العربية . والآن لا يريد ان يدفع اي ثمن لقاء ذلك .

« علي في بلاد السراب » هو عنوان احدث افلام المخرج الجزائري احمد راشدي .

خلاص آخر .. الهجرة ايضا

بدأت في أوائل ١٩٧٦ . فكرت في فيلم يعبر عن المجتمع في المغرب . ولكن اي مجتمع ومن اية زاوية ،

وكيف ؟ فالفيلم الاول عادة يكون فيلم كل شيء . المخرجون الجدد يحبون تضمين افلامهم الاولى كل ما يعرفونه وكل ما يجول في افكارهم . لم اشأ الوقوع في هذا الخطأ . وشيئا فشيئا صرت ازداد قناعة بضرورة اخراج فيلم عن البادية واهالي البادية او الريف ، الذين يشكلون الاكثرية في المغرب ، وفي بلدان العالم الثالث . ورغم انني من المدينة فاحاسيسي قريبة جدا من الريف . وبعد بحث طويل عن مكان الفيلم ، وجدت المكان المناسب في قرية لا تبعد اكثر من ٢٠ كيلومترا عن الدار البيضاء . وهي قرية تشكل نموذجا للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يعرفها الريف المغربي .. ومن خلال احاديث واتصالات باهالي هذه القرية كتبت السيناريو . فالسيناريو كتب انطلاقا من حكايات الاهالي

والفيلم ليس عن الهجرة . انه عن الفلاحين . الهجرة هنا هي نتيجة وسبب معا . هي نتيجة فقر الفلاحين واستغلالهم وهي سبب صدام الشاب مع امه التي تمانع في ان يهاجر » .

ليس فيلما روائيا كما انه ليس فيلما وثائقيا ، انه رؤية السينمائي المغربي احمد المعنوني لما تعاني منه قرى بلاده . ويظل محتواه وثيق الصلة بمشكلة المغرب العربي كله الرئيسية : الهجرة الى فرنسا جريا وراء احلام مجهضة منذ بدايتها ، وبالتالي انخفاض معدلات التنمية ، او بعبارة اخرى استمرار التخلف .

في « الايام الايام » لا نرى باريس ولا فرنسا ، ولكننا نحس بوجودها طوال الوقت حتى في اكواخ الفلاحين الذين لم يغادروا قراهم منذ قرون طويلة . ما هي عناصر الغزو هنا ؟ صورة مجلة « باري ماتش » او اخبار عن سعادة وهمية بين سطور رسالة من سي محمد المهاجر منذ زمن مجتمع راكد والحلم بالخروج وهو وسيلة تحقيق وهم الخلاص ....

وهم التنمية !!

لقي « شمس الضباع » التونسي (لرضا الباهي) اقبالا منقطع النظير . لماذا ؟ ألأنه فيلم جيد التوصيل ؟ نعم . ألأن المشكلة التي يعالجها وثيقة الصلة بالمجتمع التونسي والمغربي العربي بشكل عام ؟ نعم ايضا .

ذات ظهيرة يهبط الالمان - بيض ونظيفون - ويستكشفون آفاق انشاء مشروع سياحي بالقرية . فندق كبير ومع ازالة الاتربة تتخلخل القيم وتبرز الصراعات : يستخدم العمدة عبيد البلدة بالتحالف مع مندوب الحكومة وممثل الشركة . الخمور تدخل القرية ومراكب الصيد تختفي لوصول الماكينات ويبقى المجاهد القديم والأبله شاهدين على هذا كله . وعندما يفلح عبيد البلدة في التخلص من عنصر المعارضة الفعال - الصياد الشاب - وبإلقائه في السجن اثر تلفيق تهمة له ، يكون الواقع الجديد قد فرض نفسه على القرية وتكون النهاية المأساوية قد اقتربت ، حين يرتدي المجاهد القديم زيا سياحيا ويفتح حانوتا للتجارة في العاديات .

والسؤال هو كيف يمكن تطوير مجتمع متخلف ؟ من السطحية بالطبع ان نقول ان رضا الباهي ضد السياحة شكلا ومضمونا ، خاصة وان فيلمه الاول « العتبات الممنوعة » قد شجع البعض على هذا الاعتقاد حين رأينا بائع الكروت السياحية الفقير يغتصب سائحة بين الآثار ، ولكن الصحيح هو ان الاجابة التي يطرحها الفيلم على السؤال ترفض تطوير القرية عن طريق تنمية استهلاكية تودي باعز ما تملكه القرية من موروث ، في الوقت الذي لا يعود به هذا النمط من انماط التنمية بفائدة انتاجية واضحة على سكانها . وشيوع هذا النمط في بعض دول المغرب العربي يبدو في رأي الباهي كالحق الذي يراد به باطل . وهذا هو المعنى الذي حاول ترجمته سينمائيا .

هموم شرقية

لبنان الجرح النازف واكثر سطوح المشرق التهابا كان موضع اهتمام المغرب : الجزائر هذا العام . المخرج الجزائري فاروق بلوفة قدم « نهلة » عن الحرب اللبنانية « ونهلة » هي مطربة لبنانية شابة تبحث عن ذاتها وسط مقدمات الحرب الآتية .

المحيط بنهلة عناصر مختلفة او قل خليط من البورجوازية اللبنانية والعناصر الوطنية . غير ان نهلة لا تعثر على ذاتها . تندلع الحرب لكي يتهاوى ما تبقى عندها .

هذا هو مفتاح فهم الفيلم لدى ناقد . غير ان الفيلم يخفق في توصيل رسالته تلك الى الجمهور ، لاسباب تتعلق باسلوب المخرج الذى اغرق المشاهد في التفاصيل . فضاع الخط الاساسي وسط هذا الزحام .

اما افلام المخرجين اللبنانيين انفسهم عن الحرب : مارون بغدادي وجو سليف صعب ورنده الشهال وجورج شمشوم ، فقد سبق لنا ان تناولناها في يناير ١٩٧٩ من « العربي » . ولم يجد هذا العام اى جديد على صعيد « الجبهة » السينمائية اللبنانية .

بيد ان لدى ملاحظة بشأن هذه السينما . انها سينما توجه في الاساس ـ بحكم عوامل مختلفة الى العرض في المهرجانات وفي تليفزيونات الدول الاوروبية . شأنها في ذلك شأن الافلام التي يقدمها المخرجون الفلسطينيون . لا حيلة لهؤلاء ولا اولئك بالطبع في حرمان المشاهد العربي من رؤية افلامهم ولكنها تظل وثائق اساسية مهما كانت درجة ، هامشيتها الجماهيرية ـ في حياة السينما العربية .

تتشابه هموم السينما السورية والعراقية الى حد كبير . فالهاجس الاساسي فيهما هو هاجس سياسي . كما تلتقي تجربة السينما في القطرين العربيين عند عدم استطاعتها تحقيق الانتشار المنشود على مستوى الوطن العربي . من ناحية الكم (حوالي عشرة افلام في العام لا يمكن لها فرض بديل للسينما السائدة في الوطن العربي ومن ناحية الكيف لا يزالان حبيسين لأطر وانماط ثقافية محدودة .

غير ان المثير في كلا التجربتين هو وجود قطاع عام يباشر عملية الانتاج الى جانب قطاع خاص (استهلاكي في الاساس) . وقوة تأثير القطاع العام في خلق صناعة سينمائية وطنية مسألة باتت مطلبا ملحا في الوطن العربي منذ التجربة المصرية في عام ١٩٦٣ .

وقد حققت السينما العراقية هذا العام قفزة كمية ونوعية جديرة بالاهتمام . فافلام « النهر » لفيصل الياسرى « وبيوت في ذلك الزقاق » لقاسم حول و « التجربة » لفؤاد التهامي « والاسوار » لمحمد شكرى جميل ، هي افلام تقع في دائرة الالتزام بموقف ايجابي واضح تجاه دور السينما في المجتمع . غير ان تجربة السينما العراقية ما تزال بحاجة الى مزيد من الاهتمام بتنويع موضوعاتها وزيادة عدد ما تنتجه من افلام سنويا .

والتزاما بهموم الوطن اللبناني انجزت السينما العراقية هذه العام انتاج فيلم « القناص » لفيصل الياسرى الذى يتناول فيه التركيبة النفسية لهذا الكائن الغريب الذى افرزته الحرب اللبنانية ! .

اما تجربة السينما الكويتية فما تزال في اول الطريق ، رغم انتاج ثلاثة افلام آخرها « الصمت » لهاشم محمد ، الذى يدور حول حياة المجتمع الكويتي قبل ظهور النفط في نهاية الثلاثينات .

●

وفي نهاية عرض للوضع الراهن للسينما العربية في عام ٧٩ ، لا يفوتنا ان نسوق هذه الملاحظات الختامية :

اولا : انه برغم ان السينما الاستهلاكية ما تزال هي الاقوى والاكثر انتشارا فان السينما الاخرى ـ وان كانت ما تزال على الهامش ـ آخذة في التقدم بالفعل الى خارج الهامش الذى ظلت فيه ردحا طويلا .

ثانيا : ان الشكل التقليدى بسرد الحكاية مازال له تأثيره وفعاليته . وان مخاطبة الجمهور العربي على اتساعه « وتوصيل » اى مضمون اليه لابد ان يتم من خلال هذا الشكل (بداية ووسط ونهاية) .

ثالثا : ان رياحا جديدة نقية تهب على السينما العربية من المغرب العربي ... الجزائر والمغرب وتونس وان هذه الرياح التي لم تصل الى مستوى القوة الضاغطة بعد ـ ستفعل فعلها في المستقبل القريب .

رابعا : ان حالة السينما ، وهي اهم وسيط تعبيري في عالم اليوم ـ هي صورة طبق الاصل ، سالبة وموجبة ، من مجتمع يدب فوق سطح الصفيح الساخن . فالعلاقة بين الاصل والصورة علاقة جدلية وحيوية .

اين هي اذن العصا السحرية التي يمكن لها انتشال هذه السينما من فوق سطح الصفيح الساخن ؟ اذا لم تكن ثمة عصا سحرية فستظل هذه السينما تعاني . ويقولون ان المعاناة خاصة فوق هذا السطح ـ تخلق نواة تقدم .. حقيقية وحيوية معا . ■■

الفاروق عبد العزيز

الفراهيدي

أول من قدّم المعاجم عند العرب

بقلم : قسطنطين تيودوري

المعجم لغة هو كتاب اللغة او ما يعرفونه بالقاموس ، واصله من اعجم الكلام او الكتاب اى ازال عجمته وابهامه وفسره ، واتى هذا الاسم من تسمية معجم الفيروزابادي بالقاموس المحيط ، ولا ندري على وجه التحقيق متى اطلقت كلمة معجم في اللغة العربية على الكتب التي ترمي الى جمع اللغة .

وأول ما عثرنا عليه عند ابي القاسم عبد الله بن محمد البغوي مؤلف المعجمين الكبير والصغير وقد ولد عام ٤١٢ هـ . وأطلقت هذه الكلمة بعد ذلك في القرن الرابع على كثير من الكتب وأشهرها المعجم الكبير والصغير والاوسط في قراءات القرآن الكريم واسمائه لابي بكر بن الحسن النقاش الموصلي . ثم معجم الشيوخ وهو عنوان لعدة كتب منها لأحمد الاسماعيلي وللخفاف ولأحمد الغرناطي ولشهاب الدين المصري وللسمعاني وللقوصي وللفرضي وللسيوطي ولابي حامد اسماعيل الانصاري ولابن مرزوق البغدادي . والمعجم الكبير والاوسط والصغير لابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ، ومعجم الصحابة لاحمد بن على الهمزاني ، وما الى ذلك من المعاجم القديمة كمعجم (الادباء) ومعجم (البلدان) و (معجم ما استعجم) وغيرها .

اقدم المعاجم

ان اسبق الامم الى تأليف المعاجم اللغوية هم الصينيون ، الذين وضعوا معجما يضم اربعين الف كلمة وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد واسم مؤلفه « باوتشي » واقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية اسمه « Lingua Latina » الفه « وارو » المتوفي سنة ٢٨ قبل

الميلاد ، وظهر معجم يوناني خاص بالفاظ هوميروس من تأليف أبلو نيوس الفراماطيقي الاسكندري ، في عهد اغسطس قبل الميلاد . فكانت اشعار هوميروس موضع الدراسة المشتركة عند الاغريق ، لذلك اهتموا بالتنقيب عن معانيها وتأليف المعاجم لهذه الغاية ، وقد وضع اليونان بعد ذلك عددا من المعاجم الخاصة بالعبارات الغريبة او الفاسدة او الاجنبية او المحلية التي استعملها شعراء المآسي والملاهي كذلك معاجم خاصة بأفلاطون والخطباء الاتيكيين العشرة (نسبة الى « اتيك » وهي مقاطعة في بلاد اليونان امتاز اهلها بسلامة الذوق واللباقة) . ومعاجم اخرى خاصة بأبقراط . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا عام ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس .

ويأتي بعد ذلك دور العرب في تأليف المعاجم ، فقد ولدت المعاجم العربية في العصر العباسي الاول الا انها لم تتطور الا في العصر العباسي الثالث ، فكان اول معجم عربي شاهدت عيناه النور « معجم العين » الفه الخليل بن احمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة ، نبغ هذا الموسوعي العربي الاول في علوم العربية نبوغا لم يسبقه اليه متقدم ولا متأخر ، اذ كان اول من وضع الشكل المستعمل الان في ضبط الحروف ، وكان سيد أهل الادب في تصحيح القياس واستخراج النحو وتعليله ، فكان هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو المعروف باسم سيبويه الذي اعترف في اكثر فصول كتابه بأنه تلقاه عنه وتعلمه عليه .

علم العروض

ومن ابرز الامور التي تفتق عنها ذهن الخليل استنباطه علم العروض الذي استخرج منه خمسة عشر بحرا وزاد عليها الاخفش [1] بحرا سماه الخبب ، وعلى اثر ذلك استطاع ضبط أوزان هذه البحور ووزنها على المقاطع والحركات ، مستعينا بالموسيقى الذي الف كتابا فيها على غير معرفة بلغة اجنبية ، ومن أطرف ما روي عنه انه كان يقضي الساعات الطوال ذاهلا عن نفسه ، يرفع أصابعه ويحركها لضبط هذه الاوزان وتنسيقها ، وكان له ابن متخلف عقليا ، فدخل عليه وهو في هذه الحال فظنه جن ، فخاطبه الخليل بقوله :

« لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
او كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني
وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ان الخليل بن احمد بذهنه الجبار ابتكر طريقة تدوين اول قاموس عربي لضبط اللغة وحصرها فجمع ما كان معروفا في ايامه من الفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها ، ورتب حروف الهجاء حسب مخارجها على النسق التالي : الاحرف الحلقية وهي : ع ح هـ خ غ ، وحرفا اللهاة (وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم) وهما : ق ، ك ، والاحرف الشجرية وهي : ج ، ش ، ض ، وسميت بشجرية لخروجها من الشجر اي مخرج الفم . وأحرف الصفير وهي : ز س ص ، والصفير صوت يخرج من الشفتين . والاحرف النطعية : ت د ط لخروجها من النطع (اي موقع اللسان من الحنك) وذلك من بين طرف اللسان وبين اصول الثنايا العليا مصعدا الى الحنك ، والاحرف اللثوية (الصادرة من اللثة) وهي ظ ذ ث ، والاحرف الذولقية وهي : ر لْ ن ، وسميت كذلك لخروجها من ذلق اللسان اي من طرفه ، والاحرف الشفهية وهي : ف ب م ، واخيرا احرف العلة الثلاثة مضيفا اليها الهمزة ، فاستقام له الترتيب التالي : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ز س ص ت د ط ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ا و ى .

اما ترتيب الحروف على المخارج فلم يعرف في اليونانية ولا السريانية ولا اللغات التي عرفها الشرق الادنى قبل الاسلام ، الا ان دائرة المعارف الاسلامية

(١) الاخفش في اللغة الصغير العين في سوء بصرها ، وهو لقب لثلاثة من مشاهير النحاة : الاخفش الاكبر توفي ٧٩٣ ، الاخفش الاوسط توفي ٨٣٠ ، الاخفش الاصغر توفي ٩٢٠ والاخفش الاوسط هو الذي زاد في العروض بحر الخبب .

اكتشفت له اصلا في اللغة السنسكريتية ، فهذه اللغة الهندية القديمة كانت ترتب حروفها على هذا النظام ، ابتداء من اقصى الحروف مخرجا الى ادناها . وقد اتصل المسلمون بالهنود في الفتوح ، بل اتصل بهم عرب الجاهلية منذ زمن بعيد ، كما جاء الكثيرون منهم الى العراق وعاشوا فيه . فقيل ان الخليل الذي كان مقيما بالبصرة عرف منهم النظام ، اي الابتداء بأحرف الحلق والانتهاء بالاحرف الشفوية ، فاتبعه في معجم « العين » واتخذه اساسا له في ترتيب معجمه الجديد ، وسمي كل حرف من هذه الحروف كتابا ، فبدأ المعجم بكتاب العين ، فكتاب الهاء الخ . ونظرا لاشتهاره باسم كتاب « العين » شمل هذا الاسم القاموس كله بأجزائه المختلفة ، وفي رواية للازهري في معجمه « التهذيب » نقلا عن الليث بن المظفر ويقال انه متمم كتاب « العين » بعد الخليل « لما أراد الخليل الابتداء في كتاب « العين » اعمل فكره فيه ، فلم يمكنه ان يبتديء من اول ا ب ت ث الخ ، لان الالف حرف معتل ، فلما فاته أول الحروف كره ان يجعل الثاني اولا وهو الباء ، فتدبر ونظر الى الحروف كلها وذاقها ، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، وكان اذا اراد ان يذوق الحرف فتح فاه بألف اي الحرف الطبيعي في النطق ، ثم اظهر الحرف الذي يريد ذوقه نحو ات اح اع ، فوجد العين اقصاها في الحلق وأدخلها ، فجعل اول الكتاب العين » .

اول معجم عربي

افتتح الخليل عصر المعاجم في القرن الثاني للهجرة بوضعه « كتاب العين » فكان اول معجم عربي ظهر الى حيز الوجود ، فاعتمده العلماء واللغويون ، ونسج على منواله اكبر اساطين اللغة واشهر الموسوعيين ، الا ان المعجم لم يخل من مأخذ ، لان مؤلفه توفي قبل أن يتم تأليفه ، فأكمله تلميذاه النحويان البصريان النضر بن شميل ومؤرخ السدوسي وغيرهما . وقد أجمع النقاد والباحثون المعاصرون له والذين اتوا بعده على ان معظم هذه المآخذ مرده التصحيف ، واشار الى ذلك ابو العباس ثعلب (٨١٥ - ٩٠٤ م) بقوله : « انما وقع الغلط في كتاب « العين لان الخليل رسمه ولم يحشه » . وعلل الاستاذ احمد امين في كتابه « ضحى الاسلام » بأن الكتابة في ذلك العصر لم تكن تنقط ، وحروف اللغة العربية متقاربة في الشكل ، فبين الفاء في الوسط والعين تقارب ، وكذلك بين التاء والنون فأوقع هذه اللغة ومعاجمها في كثير من اللبس .

وقد وقع الخليل ايضا في اخطاء صرفية اشتقاقية كذكر لفظ مزيد في مادة أصلية ، او مادة ثلاثية في مادة رباعية ، كما انه اهمل ابنية مستعملة في اللغة باعتبار انه لم يسمع عنها شيئا ، وقد تأثرت بهذه الاخطاء بعض المعاجم التي وضعت بعده كمعجم « البارع » للقالي و « التهذيب » للازهري وغيرهما ، وليس من المستغرب وقوع مثل هذه الاخطاء لان الخليل أول من جمع في اللغة معجما فضلا عن ان التحقيق العلمي في عهده لم يكن له اثر .

وقد تناول عدد من العرب القدامى والمحدثين وبعض المستشرقين معجم « العين » بالدراسة ووصف جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) القواميس منذ صدور « العين » حتى « القاموس المحيط » للفيروز ابادي ، واشار اشارة مختصرة الى كل قاموس الا قاموس « العين » فانه عني بوصفه وشرحه عناية كبيرة ، وعدد الاخطاء التي ارتكبها مؤلفه وخاصة الاخطاء المتعلقة بالتصحيف ، وقد نشر المستشرق الالماني براونتج (١٨٩٢ - ١٩٤٢) عام ١٩٢٦ مقالا مستفيضا في المجلد الثاني من مجلة « اسلاميكا » عن كتاب « العين » تناول فيه حياة الخليل وثقافته وقضية النحو والعروض والموسيقى ، مبديا تقديره لما اشتملت عليه مقدمة القاموس من آراء لغوية ونحوية ، وكذلك تناول المستشرق الانجليزي كرنكوف (١٨٧٢ - ١٩٥٣) المعاجم العربية بالبحث ، وخاصة معجم « العين » وقد نشر أبحاثه في المجلة الشرقية النمسوية عام ١٩٣٢ وقد حظي هذا المعجم باهتمام العلامة انستاس الكرملي ، فنشر عام ١٩١٤ جزءا منه بلغ عدد صفحاته ١٤٤ صفحة .

ونظرا لاهمية هذا الكتاب وثروته اللغوية التي لا ينضب لها معين ، اختصره اثنان : أولهما ابو الحسن بن القاسم السنجابي واشار الى ذلك على الباخرزي مشيدا بمختصره : « هو صاحب كتاب « العين » ومحله من

الادب محل العين من الانسان ، ومحل الانسان من العين ، وقد سهل طريق اللغة على طالبيها ، وادنى قطوفها من متناوليها باختصاره كتاب « العين » ولا تكاد ترى حجور المتأدبين منه خالية » . اما المختصر الثاني وهو اشهرها فقد اختصره ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي [٢] واشار الى الاسباب التي دعته الى اختصار « العين » ثم قال « امر امير الحكم المستنصر بالله بأن : « تؤخذ عيونه ، ويلخص لفظه ، ويحذف حشوه ، لتقرب بذلك فائدته ، ويسهل لفظه » .

غنى النفس

كان الخليل بن احمد شديد الورع ، وعاش زاهدا فقيرا ، حتى انه كان يقيم في خص من اخصاص البصرة . وكان سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة والي فارس والاهواز في ذلك الحين يدفع له راتبا معينا ، فبعث اليه برسول يستدعيه اليه لتعليم ابنه ، فرفض ذلك ، ثم قدم اليه خبزا يابسا وقال له كل فما عندي سواه ، وما دمت اجده فلا حاجة الى سليمان « فقال الرسول فما ابلغه فقال :

ابلغ سليمان اني عنه في سعة
وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :

ان الذي شق فمي ضامن
للرزق حتى يتوفاني
حرمتني خيرا قليلا فما
زادك في مالك حرماني

فبلغ ذلك سليمان ، فاضطربت نفسه ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه ، فانشد الخليل :

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده
فالكوكب النحس يسقي الارض أحيانا

وذكر ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » ان الخليل اجتمع وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان حتى الفجر ، فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه اكثر من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه .

ومن دلائل توقد ذهن الخليل وفنون ابتكاره انه زاد في الشطرنج قطعة سماها جلا استعملها الناس زمنا ، واخترع نوعا من الحساب تمضي به الجارية الى البائع ، فلا يمكنه ان يظلمها ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره ، فاصطدم بسارية صدمة شديدة ارتج منها دماغه ، فانقلب على ظهره ، فكان ذلك سبب وفاته سنة ١٧٥ هـ عن خمس وسبعين سنة .

ويقال ان الخليل كثيرا ما كان ينشد بيتا للاخطل وهو :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الاعمال

ويقع معجم « العين » في نحو ٢٥٠٠ صفحة ولم يصل الينا كله . وللخليل كتب اخرى هي : « معاني الحروف » و « وجملة آلات العرب » و « تفسير حروف اللغة » و « كتاب العروض » و « النقط والشكل » . وقد الف كتابا في الموسيقى على غير معرفة بلغة اجنبية سماه « النغم » . ■■

عمان ـ قسطنطين تيودوري

(٢) من علماء النحو واللغة ، له « الاستدراكات على سيبويه » ، « وطبقات النحويين » . (٩٢٦ ـ ٩٨٩ م) .

● هل يستطيع الانسان ان يقف في وجه عالمه كله ويحقق لنفسه خلاصا ما او بالاحرى ينجو من العقاب ؟

الاجابة نعم احيانا لو كان الانسان رجلا .. فما بالنا لو انه امراة « بلا حيلة » افريقية سوداء فقيرة ويتيمة .. ذلك هو موضوع الرواية الجديدة للكاتبة النيجيرية الشابة « بوتشي ايميتشتا » « مهر العروسة » او على الاصح « ثمن العروسة » .



مهر العروسة

رواية عن الحب والموت

بقلم : فريدة النقاش

ولدت بوشي ايميشيتا سنة ١٩٤٤ بالقرب من لاجوس حيث تلقت تعليما بسيطا ، تزوجت على اثره في سن مبكرة وانجبت خمسة اطفال وطلقت. ثم انتقلت بعد ذلك لتعيش مع اطفالها في لندن وتستكمل تعليمها حيث تخصصت في دراسة علم الاجتماع . وانصبت تجربتها الروائية على معالجة قضية المرأة الافريقية ، صدرت لها روايتان « العزة » و « مواطن من الدرجة الثانية » تزاوجت فيهما قضية التفرقة العنصرية واضطهاد المرأة حيث توضع العبيد والنساء في نفس الخانة

التي تجردهم من الحقوق الانسانية .

في رواياتها الاخيرة تنضج تجربة عالم الاجتماع وخبرته حين يدقق في ملاحظة الظواهر ويجمع شتاتها ويعيدها الى اصولها ويحللها ، فما بالنا وعالم الاجتماع هنا امرأة عاشت تجربة اضطهاد المرأة وقهرها بكل وطأتها والامها في مجتمع متخلف وناهض عشية استقلال نيجيريا . في هذا المجتمع لا بد ان ينشأ الصراع بين القديم والجديد ، القديم مغلق على نفسه يعيش على الاكتفاء الذاتي ويخلق مباهجه الخاصة واساليبه،والجديد تحمله ريح التغيير القادمة من الغرب ، عاتية احيانا وهادئة احيانا اخرى .

نحن امام اسرة فقيرة تعيش في غرفة واحدة في حي من احياء لاجوس العمالية حيث ايقاع الحياة البطيء وصورتها الشائهة المتآكلة ، يموت الاب بعد عناء طويل من جراء جرح في ساقه كان قد عاد به من الحرب العالمية الثانية حيث حارب في صفوف الحلفاء ضد هتلر .. ومات من قبل جنود كثيرون « لا من قنابل هتلر وانما من سوء الحالة التي عاشوها اثناء القتال فاما ان يأكلهم الناموس في ادغال بورما او تلدغهم الافاعي في مياه الهند .»

المهم : مهر الولد !

وحاولت الاسرة والحي كل اشكال العلاج ومن بينها الصلاة ومع ذلك مات الرجل .. وكانت زوجته « مابلاكي » قد عادت الى « ابيوزا » مسقط راسها لتعالج بالوسائل الشعبية والصلوات والطقوس عجزها عن الحمل بعد ان عاد زوجها من الحرب ، فهي لم تحظ من الحياة سوى بولد واحد .. لان البنت « اكونا » عبء رغم ان ابوها حلم طويلا بمهرها قبل ان يموت ، والان تحلم امها بمهرها لتتم به تعليم الولد .. ولم تكن « اكونا » ومعنى اسمها « ثروة ابيها » .. « مجرد بنت وكفى ولكنها ايضا نحيفة جدا لدرجة تزعج والديها . »

في قلب الطقوس الشعبية الخاصة بالموت حيث يرقص الناس ويغنون وتقوم سيدة بانشاد فضائل الميت ، تنشأ قضية ازدواج الثقافة والصراع مرة اخرى بين القديم والجديد ، بين افريقيا والغرب، لا حول استخدام وسائل الحضارة ولكن حول مكونات الروح الانسانية وتشكيلها وعلاقتها الميتافيزيقية بالعالم .

« كان نانا وثنيا اولا ثم مسيحيا بعد ذلك .. وبعد ذلك كله اصبح وثنيا ومسيحيا معا .. هكذا كان من الصعب على اى منهم ان يتنبأ الى اين هو ذاهب بعد الموت ، يصر المسيحيون انه سوف يذهب الى السماء بين السحب وبين الملائكة ويجلس على يمين الاله الحي لانه لم ينقطع ابدا عن الكنيسة . وكان ايضا مغنيا جيدا ، له صوت من طبقة التينور ، وعاش حياة متواضعة دون ان يؤذى احدا ، ادمي هادىء الطبع : اما رجال ابيوزا الذين جاءوا للعزاء فقالوا ان « نانا » ابن لواحد من عظماء العرافين ، وهم على يقين من ان ابوه يثوى هنالك في اعماق الارض ولا بد انه في انتظار ابنه الآن ومن ثم لا بد من تشييعه برقصة الى الجحيم ، الى الارض . وللجنازة الافريقية طقوسها الحارة ورقصاتها وطبولها اما الجنازة الاوروبية فتحمل وقار عالم مرتب وبارد .. هكذا مات الاب « ودفن بنفس الطريقة التي عاش بها في صراع بين ثقافتين .»

وتعود الاسرة الى ابيوزا ليتخذ الصراع بين الثقافتين شكلا آخر اشد وطأة ، ففي ابيوزا مدارس اوروبية ومدارس خاصة ولكنها تحظى جميعا باحتقار الاهالي . « وسرعان ما تأقلم نانادوا واكونا على الحياة في « ابيوزا » يتعلمان في المدارس الاوروبية طريقة الحياة الاوروبية ويعودان الى البيت ليواجها ما لا يحصى من التقاليد التي لا تتغير . وكانا كالسمك الذى وقع في شبكة الصياد ، لا يقويان على العودة الى البحر ، فالشبكة محكمة ، ولكنهم احياء لان الصياد لم

يقرر بشانها شيء بعد ، وما زال يحاور نفسه حول ما اذا كان قتلهما وحملهما الى البيت يساوى العناء المطلوب ، يساوى اى شيء على الاطلاق خاصة وانهما ما زالا صغيرين جدا .. »

شباك التخلف والتقاليد

وليست الشباك التى تنصب حول الصغيرين هى شباك الفقر وحده وانما شباك التخلف والتقاليد الموروثة ، تلك التقاليد تطارد من يقاومها حتى الموت ، اما الموت المعنوى الذى يتحقق بالاستسلام الكامل او الموت الحقيقى الذى لاقته الجميلة « اكونا » وهى تضع طفلها الاول وبعد ان لاحقتها الرياح واللعنات التى اطلقها عمها .. وحين يموت الخارج على التقاليد يقول الناس « الم نحذر من قبل .. ما من احد يخرج على قوانين الارض ويبقى .. »

ورغم ان « اكونا » تعلم بحكم استشارة الطبيب اكثر من مرة ان حملها يواجه المصاعب بسبب سوء التغذية الزمن وصغر سنها وعدم نموها الجسدى الكافى لحمل الطفل ، الا انها تخضع ليقين ثابت هو ان لعنة الارض والقبيلة ستلاحقها حتى الموت لانها تزوجت من سليل العبيد الذى احبته ولان عمها رفض ان يتسلم من اسرته مهرها .. وواظب على « دعوتها اليه عبر الريح ! »

كان عمها قد تزوج من امها حين عادوا ، « وحين وصلت تكاتف رجال ايبوزا ليقيموا لها كوخا خاصا تقضى به فترة الحداد وهى تسعة شهور قمرية .. لا تزور احدا ولا تستحم ولا تمشط شعرها ، عادة ما تقضى المرأة سبعة اشهر من الحداد فقط ولكن زوجها كان قد قص لنفسه خصلة من شعرها واحتفظ لنفسه بها ، وبما انه فعل ذلك عليها ان تبقى فى الحداد تسعة اشهر . واذا ماتت فى نهايتها كانت هى المسؤولة عن موت زوجها اما اذا لم تمت اكتسبت الحق فى ان تعيش حياتها .. »

وعاشت « مابلاكى » لتصبح الزوجة الرابعة وفقا لتقاليد الارض، وهى تقاليد لا ترتبط بالاسلام على عكس ما هو شائع وانما يمارسها المسيحيون والمسلمون والوثنيون . وكان على « اوكونكو » العم ان يرعاها هى واطفالها وهو ايضا يراعى التقاليد ولكن امام حاجته الملحة وشهوته الجامحة ليحصل على منصب « اوبى » او شيخ القبيلة يتنازل عن التقاليد حين يوافق على تعليم البنت «اكونا»على امل ان يزوجها لرجل ثرى ممن يحبون الفتيات المتعلمات فيدفع لها مهرا عاليا يستخدمه هو فى الحصول على لقب «ازى» . فمن اجل هذا اللقب لا بد ان يقدم تضحية كبيرة للالهة وحينئذ يطوقونه الوشاح الاحمر الذى يرتديه الشيوخ ، وفى هذه المناسبة تقام الولائم وتقدم انواع الماكولات الفاخرة ، فى الماضى كان لا بد من ذبح احد العبيد ليدشن الاحتفال الباذخ . ولكن الام التى قاومت اخراج البنت من مدرستها كانت هى الاخرى فى حاجة الى مهرها حتى يتعلم ابنها ويحقق لها ولنفسه مكانا فى العالم ، اما اكونا نفسها فلم تكن تمانع فى الزواج من رجل غنى حتى يتعلم اخوها بمهرها فهى مع الغنى « سوف تجد ما تاكله كل يوم على الاقل وبصورة منتظمة » ولكنها تلتقى باستاذها سليل العبيد « تشايك » وتنشا بينهما قصة حب عنيف تذكرنا كثيرا بهذه العودة الرومانسية المعاصرة للتنويع على قصة « روميو وجوليت » حيث يستعصى الحب على التحقق وسط غابة التقاليد والاعراف والصراعات .

عن مقاومة الحب

مقاومة الحب وكسره هنا مليئة بالصخب والاشباح ، بالارواح والسحر ، بالنار ودقات الطبول والادعية ، انها باختصار مقاومة افريقية تحمل كل سمات القارة وخصوصية ثقافتها وقيمتها .

من عادات « ايبوزا » ان ياتى شباب الحى او القرية ويدخلوا الى اكواخ الفتيات اللاتى وصلن سن البلوغ وياخذوا فى شد اثداء الفتيات بطريقة صبيانية حتى يشعرن بالالم، ويحدث ذلك فى حضور الاهل، وعلى الفتاة ان تحمى نفسها دون ان تظهر استياء ودون ان تسمح لفتاها بالتوغل ، ويحدث احيانا ان يتزوج الفتى من رفيقة لعبة المراهقة ، ولكن عادة ما يكون الفتى العاشق اصغر من ان يوفر المهر ، والفتاة العاشقة اضعف من ان تدافع عن اختيارها فيعرفا الحسرة ويمتلىء الولد مرارة وهو يرى فتاته تزف الى رجل فى سن ابيها لانه قادر على توفير مهرها ، ولا يدرى هؤلاء المجانز

فيما بعد « نصف الاطفال الذين يولدون ويحملون اسماءهم ليسوا اطفالهم وعادة ما يوجه اللوم الى الفتاة .. »

ولكن لعبة المراهقة التى مارسها « اوكوبوش » رفيق دراسة « اكونا » معها لم تكن الا لعبة من طرف واحد فهى لا تحبه ولا تنوى ان تتزوج سوى « تشابك » . ترتب اسرة « اوكوبوش » كمينا لخطف الفتاة من كوخ للرقص تتدرب فيه الفتيات استعدادا لاحتفال من احتفالات البلدة العديدة ، وتخطف الفتاة اثر هجمة وحشية على الكوخ وتؤخذ عنوة الى « بيتها » كما تقول حماتها بعد ذلك . ويقوم « تشابك » بتدبير خطة حرب مضادة بعد ان يستنفد كل وسائل الضغط التى تملكها الاسرة بما لها حتى يتزوج من صبيته .

بينما تحرص اسرة « تشابك » ـ ذلك الفتى الهادىء الجميل الذى ورث رزانة ام تبدو كراهية ـ على توفير السعادة له وتبذل جهودا لاقناع اسرة فتاته بالموافقة على الزواج تقاوم من ناحية اخرى طموحه لدراسة علم الاجتماع ، او بمعنى اصح لنقد المجتمع القائم وتعريته ..

«حدق تشابك فى الحيطان المطلية باللون الابيض والتى علقت عليها صور كثيرة لرجال الاسرة ، وقد رأى هذه الصور مرات عديدة من قبل ، ولكن فى هذا المساء فقط كانت اكبر مما هى فى الحياة، كان ابوه يريده ان يصبح طبيبا او محاميا او مهندسا وهى المهن المتعارف عليها بين الصفوة النيجيرية ، كان من الطبيعى ان يشير الاب ويقول هذا ابنى المحامى ، او ابنى الطبيب او ابنى المهندس .. ولكن من ذا الذى سمع انسانا يتمتع بقواه العقلية يقول بفخر .. هذا ابنى الاخصائى الاجتماعى .. »

وهكذا نجد اسرة العبيد هى الاخرى تقاوم التقاليد التى تقف فى طريق سعادتها ولكنها ترفض بصورة حاسمة ، بنفس القوة التى فجرتها « اوفولو » فى وجه ابنه « تشابك » رافضا فكرة دراسة المجتمع ـ ان تخرج هى نفسها على القيم المتعارف عليها بين ابناء الطبقة الوسطى .. قيم النجاح ومعناه والثروة وما تمثله من نفوذ اجتماعى وقدرة خاصة على تحقيق الطموح .

وقامت الدنيا !

قامت الدنيا فى ابيوزا وفى بيت « اوكوبوش » و « اوكونكو » . رفض « اوكونكو » عمها ان يفيض مهرها الذى قدمه حماها اكثر من مرة ، بل ان العم انهارت قواه وتدهورت صحته . فالعمل المنكر الذى ارتكبته ابنة اخيه سوف يؤثر عليه وعلى اسرته المباشرة ، خاصة وقد اطلق « اوكوبوش » واسرته حدوتة من البلدة تقول ان الصغير العاشق والزوج المخدوع نجح فى قص خصلة من شعر « اكونا » قبل ان تهرب وهو ما لا بد طبقا للتقاليد ان يلحق باسرتها الاذى ، اما اذا لم يتسلم اهلها مهرها فسوف تموت لدى الولادة الاولى .. وخرج « اوكونكو » فى حالة من حالات الهيستيريا المحمومة وذهب الى كوخ « مابلاكى » زوجته الاخرة وكشف عن ظهره « فحين يطلق الرجل زوجته او يتركها «انه يعرى ظهره لها على الملأ » ثم اخذ فى صنع عروسة لها ملامح « اكونا » ووضعها امامه واخذ يتلو تعاويذه ، لانك « اذا اردت التخلص من انسان يعيش فى مكان آخر فانك تصنع عروسة على شاكلته تماما وتصنع فى قلبها ثقبا بالابرة وتشعل فيها النار وتدعها تحترق بالتدريج .. وكان واضحا ان هذه الطريقة تؤتى مفعولا دون ان يعرف الناس كيف .. »

وكانت الزوجات الاخريات للعم الذى تحطمت كل احلامه يشعرن بالغيرة تجاه الزوجة الجديدة التى خبرت حياة المدينة . ومن باب الحسد اخذت زوجته الاولى وام اولاده الكبار تفتش عن العيوب والخفايا فى تكوين «اكونا» ذات العينين الساحرتين واكتشفت فيها «اوجبانجى» اى ذلك الكائن الحى الميت الذى يحمل موته معه اثناء الحياة القصيرة، ويطلقون هذه الصفة على الكائنات البشرية الهادئة التى نادرا ما تتكلم ، وجميعهن لابد ان يواجهن الموت المبكر مع ولادة الطفل الاول .

وهكذا تكاتف الزمن والارث والخرافة وسوء التغذية لتقدم كلها « اكونا » ومصيرها الحزين كشهادة لا تقبل الجدل على صحة هذا العالم الغريب وصواب خطاه .

ويتوغل هذا العالم فى ضمير الفتاة حتى انها تحمل احساسا عميقا لا يفارقها بالذنب والخطيئة،

وهو احساس يطاردها بقسوة فى ايام الحمل الاخيرة التى قضتها فى مدينة بعيدة عن اسرتها حيث يعمل زوجها ، واخذت الريح تناديها ، وفى الوحدة يتراكم حولها عالمها القديم ويهددها صوت عمها الذى رفض المهر ، وصورة امها المهجورة التى تدافع عنها بصمت ، وكما ان اهالى ابيوزا « يمتلكون ما يمكن ان يسميه العلماء العقل الجماعى اذ يساعدون بعضهم البعض فى المتاعب وعند الحاجة » . فانهم يتكاتفون ايضا للتصدى لكل خارج على قانون الارض .. وفى تصديهم الوحشى يفقد عالم السحر والطقوس والاشباح طزاجته ليصبح ثقيل الوطأة خانقا حين تنتهى قصة الحب نهاية ماساوية .

النساء .. والعبيد

وكما يضع هذا العالم العبيد فى خانة لا يجوز لهم الخروج عليها كذلك يضع النساء ، تحيط « اكونا » فى هذه الرواية جوقة من الزوجات الصغيرات التعسات والزوجات العجائز المهجورات ، وصحيح ان قسوة الحياة تخص كذلك اعتى الرجال الا انها تخص النساء بنصيب وافر ، وهو النصيب الذى يتقبلنه دون تساؤل « فذلك هو قدرنا نحن النساء وما من شىء يمكن ان نفعله لتغييره علينا فحسب ان نتعلم كيف نقبله » هكذا تقول زوجة زفت الى رجل عجوز اما اكونا فتجلس على الحصيرة « وقد اخفت ساقيها كما ينبغى للفتاة الحسنة التربية ان تفعل » . وهل تحظى بحب عدد من زملائها فى مدرسة ابيوزا لانها عاجزة عديمة الحيلة فقدت القدرة على التصرف وحدها وهى دائما تنتظر من يقرر لها مصيرها ، يطاردها الخوف واليتم والتعاسة والحب المحبط « كان تشايك يغرق تدريجيا فى حب تلميذته الصغيرة دون ان يدرك ذلك ، كان عاجزا عن وقف تدفق مشاعره وفيضانها .. لم ير فى حياته فتاة عاجزة مثلها ، فاقدة الثقة الى هذا الحد وخائفة الى هذا الحد من اهلها .. » وتعانى امها البشوشة الحية ذات العينين المتسائلتين والقلب الجسور - من الهجران والوحدة وتبقى فى كوخها انتظارا لمصير غامض ولموت ابنتها بفعل نداءات الريح ، صحيح انها تتسلل بليل لتسرق الدمية التى صنعها «اوكونكو» على هيئة « اكونا » الا انه يصنع واحدة اخرى وتعجز هى عن اختراق عالمه من جديد فلم يعد لها مكان فيه ، كذلك تنظر بقية الزوجات لكل الرجال الذين يتحركون عبر فصول هذه الرواية سواء كانت هاته الزوجات صبايا او عجائز ، ويغرقن جميعا فى اشكال من الطقوس والسحر لمواجهة التعاسة المحدقة ولخلق عالم خاص بهن .

تموت « اكونا » وهى على يقين رغم القشرة الثقافية الاوروبية الخارجية انها ماتت لان مهرها لم يدفع ولانها ارتكبت فحشا ، وبذلك يعلن فشلها الكامل فى الخروج وحدها على كافة التقاليد والاعراف ، فهى لم تحقق خلاصها ولم تنج من العقاب ، لان محاولة خلاصها لم تشد معها العالم الذى يكبلها واستطاع هو - على العكس - ان يشدها اليه .

ويقوم بناء الرواية على تداخل بسيط ومفهوم بين كل مستوياتها فى اطار سرد تاريخى مسلسل للوقائع دون ان يفقد هذا السرد قدرته على الايحاء الشعرى الهادىء الذى يخدم الرواية من اسر رؤية عالم الاجتماع الذى هو المؤلفة ..

والذى جعل فصول الرواية العشرة تحمل عناوين من قبيل « التقاليد » .. « العبيد » .. « نوع من الزواج » .. الخ ولكنها فى نفس الوقت تفصح عن هذه القدرة الفنية على الارتقاء فوق التفاصيل الصغيرة واليومية لاستخلاص نوع من الحكمة العامة او الشمول الذى يجمع اطراف الحقائق المتناثرة هنا وهناك ، كانت « اكونا » تجلس الى صبيها « تشايك » على حافة النهر ..

« وبالقرب من موقع اقدامهما كانت هناك مجموعة من طوابير النمل البنية تشق طريقها فى حفرة ضيقة ، واستغرق كل منهما صامتا فى مراقبة الخط المستقيم الذى يصفه النمل ، ولم تخل نملة واحدة عن الطريق الرئيسي وتابعت كلها نفس الطريق واحدة تلو الاخرى وكما لو انها تخضع لاوامر قوة خفية . وحين تساءلت لماذا تتبع كل منهما الاخرى بهذه الصورة قال لها : لان كل واحدة منهن سوف تضيع اذا لم تتبع خطوات التى سبقتها ومشين فى نفس الطريق .. »

ولكن « اكونا » الصغيرة خرجت على طريق الجماعة القديم بكل ما فيه من مشقة وتعاسة وكان لا بد ان تلقى هذا المصير لانها وحيدة .■■

فريدة النقاش

في دولة الامارات :

التاريخ
محفوظاً فى قلعة !

بقلم : مصطفى نبيل



في أبو ظبي كان اول ما حرصت عليه زيارة مركز الوثائق والمخطوطات لدولة الامارات . فأقصر طريق للوصول الى قلب اي بلد هو التعرف على تاريخه ، واكتشاف سماته الخاصة مما يجعل الزائر اكثر فهما لمسار التجربة من حوله ، كما يلقي الماضي ضوءا ساطعا على خطى المستقبل .

يقوم مركز الوثائق داخل حصن منيع بل داخل قلعة حربية بأبراجها ومزاغلها وطراز عمارتها الذي يعود الى القرون الوسطى . ولا يزال الجنود بملابسهم العسكرية واسلحتهم حول القلعة يحرسونها ، وكأنهم يحرسون قطعة من التاريخ . وتتزايد أهمية هذا المركز ويتنامى دوره مع تلاحق التطورات التي تشهدها دولة الامارات بعد الاستقلال الذي لم يمض عليه سوى سبع سنوات ، والذي صاحبه عملية رصد يقظة تحصي على دول الخليج حتى انفاسها ، وتراقب عن كثب الاحداث التي تمر بها ...

واليوم تتحرك دولة الامارات العربية في اتجاهين ، احدهما حركة بناء سريعة واسعة تعوضها خلالها مافات ، والآخر في اتجاه « البحث عن الذات » ، وتأكيد الهوية القومية اي بمعنى آخر التعرف على التاريخ وقراءته بعيون مفتوحة ، من اجل مجابهة المخاطر باستخلاص قوانين حركة التاريخ ، ومعرفة دروس الماضي وعبره ...

وتحفل المخطوطات والوثائق بالصور العديدة للصراع المحموم للقوى الاجنبية من اجل السيطرة على منطقة الخليج ، وتكشف اهميته الاستراتيجية حتى قبل ظهور البترول ، وتسجل الصراع الذي دار حول مضيق هرمز بوابة الخليج الذي يتحكم في الذراع الممتدة من المحيط الهندي الى الخليج العربي ، في منطقة تمثل نقطة اتصال لخطوط التجارة بين الدول الغربية واسواقها في الهند وفارس وما وراءها ، وتتابع ما اعقب ذلك من تنافس حاد للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط بعد ما تبينت دول العالم ان مياه الخليج ترقد فوق بحيرة من الذهب الاسود .

ويقوم المركز على جهود طويلة في تقصي المخطوطات ، سواء المودع منها في خزائن عامة او خاصة ، ليكون منبعا للمؤرخ الذي يود الكتابة عن اية حقبة من حقب التاريخ ، والبحث عن الوثائق الموزعة في العديد من عواصم العالم ، واذا كانت نقطة البداية للمؤرخ في المنطقة ذاتها الا ان خطاه تطوف في وثائق اسبانيا والبرتغال وهولندا وبريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية ، وايضا كل من بغداد والقاهرة واسطنبول ، وبعد جمع خيوط التاريخ تبدأ عملية كشف خفاياه واسراره ، وليست هذه المصادر العديدة سواء من حيث اهميتها وحيادها ، وبعدها عن التحيز او التعصب ، ودور المؤرخ والباحث ان يحقق هذه الوثائق ، وينطقها ما لم تقله صراحة ، ويقارن بينها ، ودور جمع الوثائق والمخطوطات وتبويبها هو دور يشبه الصناعة الثقيلة في كتابة التاريخ . ولم يعد الباحث اليوم بامكانياته الفردية قادرا على أن يتعقب المصادر المتباينة المتباعدة ، ويستطيع ذلك مراكز البحث التاريخي ذات الامكانيات الفخمة والميزانيات المناسبة .

تعدد مراكز التاريخ

وقد ظهر عدد كبير من مراكز البحث التاريخي جميعها معنية بالوثائق والمخطوطات في مرحلة الاستقلال

في اكثر من دولة خليجية ، وقامت المجلات المتخصصة وعقدت الندوات والمؤتمرات ، والتي كان آخرها الندوة العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج بجامعة البصرة ، واصبحت حاجة ملحة لجميع المذكرات والقرارات ثم الوثائق والمخطوطات ذات الاهمية التاريخية .

وجاء التعدد واتساع نشاط هذه الدراسات ، بعد ان كانت المنطقة لفترة محل دراسات واسعة من منظور غربي ، فمثلا كانت اكبر موسوعة عن دول الخليج هي تلك التي كتبها « لوريمر » Lorimer والتي جاءت بعد رحلة وزير الخارجية البريطاني اللورد كيزوف للمنطقة عام ١٩٠٣ ، والذي كلف على اثرها عددا من الباحثين باعداد مسح جغرافي وتاريخي وسكاني لمنطقة الخليج . وبالفعل صدر كتاب لوريمر عام ١٩١٤ كمجهود جماعي للمؤسسات البريطانية ، ويشمل المعلومات التي توفرت لوزارة الخارجية البريطانية ، ولم يترك المؤلف مصدرا علميا الا واستفاد منه ، واطلع ايضا على التقارير التي كتبها المعتمدون البريطانيون ورؤساء الوكالات التجارية ، وعلى المعلومات السرية . وافرد جانبا من كتابه للخلافات القبلية والطائفية لتوظفها السياسة البريطانية لخدمة مصالحها ، وكان من الطبيعي ان يطلق على المدافعين عن اوطانهم لفظ القراصنة ، وكان منطقيا مع هدف السياسة البريطانية اضعاف الكيانات السياسة في المنطقة والتعامل مع الصراعات القديمة كأنها قدر لا خلاص منه ، ولم يسمح بتوزيع هذا الكتاب سوى عام ١٩٦٠ ، اي بعد مضي ٥٠ عاما على صدوره ، وبعد ان انتفت عنه ـ مثل الوثائق ـ صفة السرية ، اما اليوم وبعد حصول دول الخليج على استقلالها ، فقد بدت في الأفق مهمة بالغة الاهمية ، وهي كتابة تاريخ المنطقة بموضوعية كاملة ، ومن منظور وطني خالص .

زرت الحصن الذي تحول الى قلعة للتاريخ ، والذي يعمل فيه عدد من الباحثين في التاريخ وخبراء في اللغات المختلفة ، فالوثائق التي يحتاجها المركز موزعة على المصادر واللغات المختلفة ، وبعض هذه الوثائق متاح ومبوب يسهل الاطلاع عليه وتصويره ، ومنها ما يحتاج الى مجهود شاق ، فمثلا هناك صعوبة بالغة في الحصول على الوثائق العثمانية القابعة في اسطنبول التي لم يهتم احد بتبويبها ، والتي تحتاج الى بحث مضن في الملفات المختلفة ، وتقوم اليوم البعثات الدبلوماسية والمكاتب الثقافية بدور بارز في تجميع الوثائق التي تتعلق بدول الخليج ، والتي يقوم المركز بترجمتها وتبويبها ، وما زالت مرحلة فتح ابواب المركز للدارسين لم تحن بعد ... !

اما المراكز العلمية لمتابعة دراسات الخليج فهي :

- مجلة دراسات الخليج ، والجزيرة العربية ، الكويت .
- مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة .
- لجنة كتابة تاريخ قطر ، الدوحة .
- مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء .
- والمركز التي تحولت والتقيت بالمشرفين عليه ، مركز الوثائق والمخطوطات ، ابو ظبي .

وذلك علاوة على أقسام التاريخ في الجامعات العربية المختلفة . وكان من الضروري تنسيق العمل بين هذه المراكز على أساس التكامل بدلا من التكرار ، وبالفعل أقيمت أمانة عامة دائمة لكل هذه المراكز ، تولاها مدير مركز البصرة الدكتور مصطفى النجار ، تتولى تنسيق النشاط بين المراكز المتعددة ، وتنظيم تبادل الوثائق بين هذه المراكز ، واعداد المشروعات المشتركة .

وقد بدأ التنسيق بين هذه المراكز بعقد عدد من الاجتماعات لبحث القضايا المشتركة ، وعقد اول اجتماع عام ١٩٧٦ بجامعة البصرة ، والثاني عام ١٩٧٧ بجامعة الكويت ، والثالث في مركز البحوث اليمنية ، والرابع في شهر نوفمبر الحالي في ابوظبي .

انتشار وثائق الخليج !

وغني عن البيان ان عدد « ارشيفات » الخليج في العواصم المختلفة يعود الى مرحلة المد الاستعماري والصراع الدولي للسيطرة على المناطق الاستراتيجية ، والتي تبدأ عادة بالممرات الدولية والتخوم والثغور الهامة ، والتي بدأت بعد اكتشاف البرتغال طريق الهند في مطلع القرن السادس عشر وبالتحديد في عام ١٥٠٨

عندما احتلت القوات البرتغالية هرمز ثم استولوا على بقية اجزاء الخليج يقيمون حصونهم التي ما زالت قائمة حتى اليوم ، وظل الاستعمار البرتغالي اكثر من مائة وخمسين عاما .

وانتهى الاستعمار البرتغالي الى الافول بعد صراع عنيف بين البرتغال وهولندا وبريطانيا ، وادى هذا الصراع الى اشتعال نار الحرب في اوروبا بين بريطانيا وهولندا والتي دامت عامين ، استمرت خلالها الحرب سجالا بين الطرفين وفي العقود الاخيرة من القرن السابع عشر برز منافس جديد هو الاستعمار الفرنسي ، والذي ادى الى استمرار الصراع بين البريطانيين والهولنديين

والفرنسيين ، وتمكنت بريطانيا من الخروج ظافرة ، وقبل ان ينتصف القرن التاسع عشر كانت بريطانيا هي القوة المسيطرة الوحيدة في منطقة الخليج ، واستمر الانجليز في المنطقة اطول فترة من عام ١٦١٦ وحتى عام ١٩٧١ اي ثلاثة قرون ونصف قرن .

أما الاهتمام الفرنسي بمنطقة الخليج فقد ظهر عندما لجأت عمان في أواخر القرن التاسع عشر الى اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع فرنسا . وأوفدت فرنسا ممثلين تجاريين وقناصل كلفوا باعداد الاتفاقيات ومعاهدات الصداقة بين البلدين .

وتعتبر الوثائق المصورة - على افلام - والمحفوظة في سجلات الشئون الخارجية في باريس ، ذات اهمية كبيرة ، وتقدم مادة حية ، وترصد هذه الوثائق الصراع الذي دار بين فرنسا ، وانجلترا في الفترة التي احتل فيها نابليون بونابرت مصر ، عندما قر القنصل الفرنسي في حلب ، وبعث نابليون الى سلطان مسقط الكتاب التالي :

« اكتب اليكم هذا الكتاب لابلغكم ، ما شك انكم عرفتموه ، وهو وصول الجيش الفرنسي الى مصر . ولما كنتم اصدقاء لنا فعليكم ان تدركوا رغبتي في حماية جميع السفن لدولتكم . عليكم ان ترسلوها الى السويس والتي ستلقى حماية لتجارتها » .

وقد حصل المركز في ابوظبي على جميع الوثائق الفرنسية .



لقطة من داخل مركز الوثائق ..

اما الالمان فقد بدأ اهتمامهم بالخليج منذ مشروع سكة حديد بغداد ، والذي كان مقررا ان ينتهي في منطقة كاظمة في الكويت عام ١٨٩٨ ، ويحفل الارشيف الالماني بالمادة التاريخية عن الكويت .

اما الارشيف العثماني فيحفل بمادة غزيرة حول الصراع العثماني مع الحركة الوهابية ، والصراع العثماني البريطاني وايضا تقارير تتعلق بالصراع العثماني الفارسي .

شركة الهند الشرقية

ويحفل محفوظات « دور السجلات الهندية » بوثائق هامة حول العراق ودول الخليج والجزيرة العربية والتي تتناول فترة تناهز قرونا ثلاثة ، وتكشف هذه الوثائق الدور الذي قامت به شركة الهند الشرقية ابتداء من عام ١٦٠٠ ، وتكشف وثائق شركة الهند الشرقية ذلك

التدخل المعيب بين التبادل التجاري الذي يفترض ان يوثق العلاقات بين الشعوب ، وأساليب الاستغلال والابتزاز ولعبة القوة التي مارستها شركة الهند الشرقية ، والتي تحولت بفضل أرباحها الى أخطبوط استعماري يسيطر على المنطقة بأكملها . وقصة هذه الشركة هي ذاتها قصة النهب الاستعماري ، فقد بدأت في بندر عباس ثم نقلت الى البصرة . وتكشف وثائقها تلك الطرق الملتوية التي اتبعتها ، وكيف كانت القوات البريطانية ووزارة الحرب والخارجية في خدمة اهدافها وتوسعها السياسي والتجاري ...

يقول جوف كارلوف في كتابه : الخليج « الفارسي » في القرن الثاني عشر . « منحت الحكومة البريطانية عقدا اعطت بموجبه شركة الهند الشرقية جزيرة بومباي ، مع حق انشاء قوة تابعة لها وممارسة الادارة المدنية فيها ، وبدأ التغير في وضع الشركة فتبدل من كونه تجمعا لعدد من التجار الى ادارة تابعة للتاج ، وفي نفس الوقت نقل مركز الشركة في الشرق من سوارت الى بومباي . وازداد مركز الشركة ونفوذها بعد دمجها مع عدد من الشركات البريطانية الاخرى التي كانت تتاجر مع الشرق ، وقوي مركزها السياسي بعد ايفاد سفير بريطاني الى بلاط المغول ، واصبح تحت تصرف شركة تجارية قوة عسكرية تتحرك لحماية مصالحها وتقاتل لتحقيق اهدافها ... »

والرسالة التي وجهت من الشركة الى الادميرال نلسون قائد الاسطول البريطاني عقب انتصاره على القوات الفرنسية في موقعة أبي قير عام ١٧٩٨ ، تكشف حجم الدور الذي تقوم به . تقول هذه الرسالة : « ان مجلس الادارة قرر بالاجماع ، تعبيرا عن عظيم تقديره للمنافع العظيمة المترتبة على انتصاره في موقعة أبي قير ، الذي يعود الفضل فيه للقيادة المجيدة التي ابداها في تلك الموقعة ، ان يطلب اليه قبول مبلغ عشرة آلاف جنيه .. » وضمن وثائقها تقارير سياسية حول القبائل ومنازعاتها ...

وما زالت وثائق شركة الهند الشرقية في الارشيف الوطني الهندي المركزي في نيودلهي ، والذي يعد اكبر مستودع للوثائق في آسيا ، والذي يضم عددا من وثائق شركة الهند الشرقية ، وتقارير الحكومة البريطانية التي تعود الى عام ١٧٤٨ ...

وفي لقاء مع الدكتور مرسي عبد الله مدير مركز الوثائق والمخطوطات في دولة الامارات قال : « فيما يتعلق بدولة الامارات فان الارشيف منظم من عام ١٦٠٠ وحتى عام ١٩٤٧ وهو العام الذي استقلت فيه الهند ، وعندما كان يتولى شؤون الخليج حكومة في بومباي التي كان لها ممثلون في الخليج على رأسهم المقيم السياسي العام الذي يخضع له ممثلون للحكومة في البصرة والكويت والبحرين والشارقة ومسقط ، وتتجمع التقارير والمراسلات في بومباي ويرسل نسخا منها الى كلكتا ثم الى دلهي فيما بعد ، وهناك صور من هذه المراسلات في مكتب الرئاسة بلندن ، فيما كان يعرف بمكتب حكومة الهند وعلى الدارس لدول الخليج ان يزور هذه الاماكن الرئيسية التي تتكدس بها أوراق حكومة الهند وهي لندن وبومباي ونيودلهي وكلكتا ... »

ويضيف : واحداث الخليج وبالذات في تاريخها القريب ما زالت تحتاج الى جهود المؤرخين ، واهم هذه الاحداث الثورة العمانية ، وامتداد الشعور القومي الى الخليج العربي ، وحصول دوله على الاستقلال ... »

وتحدث عن نشاط المركز فقال منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات أقيمت لجنة عليا لتراث وتاريخ دولة الامارات العربية ، وبدأ نشاط مركز الوثائق في غرفة صغيرة عام ١٩٦٨ بالديوان الاميري ، سريعا ما تطورت لتشغل العديد من غرف القلعة القديمة ، ويشرف على هذا المركز وزير خارجية دولة الامارات السيد احمد خليفة السويدي ... »

وبقيت وثائق الولايات المتحدة الامريكية ، التي كان اول اتصال لها بالخليج عام ١٨٣٣ ، عندما عقدت مع سلطات مسقط معاهدة مودة وتجارة ، يقول المؤرخ الامريكي هيرونيز .. « انه حتى الحرب العالمية الثانية عندما اصبحت الولايات المتحدة مرتبطة اعمق الارتباط بالشرق الاوسط كانت الحكومة تعتبر المنطقة بريطانية من جانب المسئولية السياسية والاستراتيجية » وبعد الحرب خاضت الدبلوماسية الامريكية معركة عنيفة من اجل تطبيق سياسة الباب المفتوح والحصول على نصيب

من امتيازات التنقيب . واستطاع الامريكيون الحصول من بريطانيا على تسهيلات لرسو اسطولها في « الجفير » بالبحرين عام ١٩٤٩ . والمتوفر في الولايات المتحدة من الدراسات اكثر من الوثائق ...

قبل الهروب الى الامام ... !

ولكي لا يكون جهد المراكز التاريخية مقصورا على جمع الوثائق ، ولكي لا يكون مثل الهروب الى الامام فمن الضروري أن يسبق أو حتى يواكب البحث في وثائق وأرشيفات عواصم العالم الاهتمام بما تبقى في المنطقة ذاتها من التاريخ ، بالوصول الى القرارات والمذكرات والمراسلات الموزعة على العديد من الدوائر الحكومية ، وفي الأوراق الخاصة . فلم يعد مستساغا بقاء المخطوطات الهامة بلا طباعة أو نشر ، بل وتحتفظ الجامعات الاجنبية بمخطوطات لم يتم تصويرها وتوفيرها للدارسين مثل كتاب « الفتح المبين في سيرة البورسعيديين » الموجود في مكتبة جامعة كمبردج ، وايضا مخطوط « الكشف والبيان » لمحمد بن سعيد الازدي ، والمخطوطة في المتحف البريطاني . كما يوجد العديد من المخطوطات في المكتبات الخاصة وتحتاج الى عمل منظم لتجميعها وطبعها ...

ويبقى مصدر هام ينبغي الاهتمام به قبل فوات الأوان ، وهو جمع مذكرات الشخصيات التي كانت اطرافا في أحداث تاريخية وما أسهل أن تقوم المراكز المعنية بتنظيم عدد من اللقاءات وتسجلها على أشرطة .

وهذه كلها جهود ضرورية للبحث التاريخي الجاد ، القائم على نظرة محايدة وموضوعية . وهي الطريق الذي يجعل مراكز التاريخ تقوم بدورها الريادي الذي يشبه مثلا الجمعية التاريخية الفرنسية التي تحيي على الدوام شعور الشعب الفرنسي بتاريخه وثقافته ودوره .

ان من أكثر الكتابات جاذبية للقارىء هي الكتابات التاريخية التي تنقل صورا لحياة السابقين او تلك التي تروي ما كان يجري سرا في دهاليز القصور ، أو أن تكشف وثيقة جديدة جانبا خافيا أو رؤية جديدة لأحداث قديمة . ورغم هذه الاغراءات فسأكتفي بنظرة عامة على بعض هذه الوثائق على درب الجهد المبذول في اتجاه الكشف عن الذات والغوص في التاريخ من اجل صياغة المستقبل .

وثائق تؤكد وحدة دول الخليج ، وعمق العلاقات بين سكانه ، وان كل الامارات تتغذى على احتياطي بشري واحد من قبائل شرق الجزيرة العربية ، وتكشف تفاعل سكان الخليج على الدوام مع الاحداث العربية وجهادهم الدائم للتخلص من السيطرة الاستعمارية .

وقدم مدير مركز ابو ظبي وثيقة يعود تاريخها الى عام ١٩١٠ ، عندما حاصرت البحرية البريطانية ساحل دبي لمدة خمسة أعوام كاملة ، ووصول السلاح الى الأهالي رغم الحصار وتشوب معركة « ديره » بين الأهالي والقوات البريطانية ، جاء ذلك في أحد التقارير البريطانية التي أرجعت هذه الأحداث الى تأثيرات كل من جريدتي اللواء والمؤيد المصريتين ، والتي كانت تصل الى دبي على البواخر القادمة من السويس ، ويذكر التقرير أن الشعور الوطني ناتج عن أقوال مصطفى كامل وحملته على الاستعمار البريطاني بعد حادث دنشواي المعروف .

وتكشف الوثائق أيضا أصول خلافات الحدود ، وما أثارته السياسة البريطانية من تنافس بين زعامات المنطقة ، من أجل مجابهة المشيخات كل على حدة ، وتكشف الأوراق البريطانية كيف استهدفت عزل دول الخليج عن العالم الخارجي ، جاء على لسان بالمرستون وزير خارجية بريطانيا عام ١٨٣٨ : « ان مهمتنا في الخليج الفارسي هو وضعه تحت سيطرتها البحرية بعيدا عن نفوذ أية دولة تستطيع منازعتنا هذه السيطرة ... » كما عمدت السياسة البريطانية الى اغلاق المنطقة وعزل سكان الخليج عن بقية امتها العربية ... !

وبعد ...
امام مراكز المخطوطات والوثائق المنتشرة في المنطقة مهمة قومية تنتظر الانجاز ، وهي تستحق كل ما يبذل فيها من جهد ، فهي تكشف الكثير من الحقائق التي تعيشها المنطقة حتى اليوم ، وتلقي الضوء على أساليب ما زالت تستخدم حتى الآن ، فما زالت المنطقة تواجه ذات الاخطار القديمة بأردية جديدة . ■■

ابو ظبي ـ مصطفى نبيل

مشكلتك مع

الصداع النصفي

بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

مما لا شك فيه ان الصداع النصفي او « مرض الشقيقة » MIGRAIN يزداد يوما بعد يوم ، وذلك يرجع الى عوامل عدة جديدة ظهرت في حياة الانسان ادت الى ظهور المرض او جعلت منه اكثر استعدادا لحدوث النوبات .

والمرض قديم فلقد قيل ان النمرود الملك في عهد سيدنا ابراهيم ابي الانبياء كان يعاني منه ، وبرغم هذا القدم ما زال العلم يبحث ويستكشف كل يوم عن بعض ما خفي من اسرار هذا المرض وما زال السبب المباشر لحدوثه بعيد المنال رغم تقدم الابحاث العلمية الحديثة . وكمثله من الامراض التي لم يكتشف لها مسبب مباشر ، وضعت النظريات والابحاث التي تساعد على حدوث المرض ، وكانت متشعبة وعديدة مما جعل طرق علاجه متشعبة كذلك ، دون ايجاد علاج قاطع له . وما هي الا امنية يسوقها كل مريض عندما يرى طبيبه « اريد علاجا قاطعا لا ارى المرض بعده » ويقف الطبيب حائرا وانّى له ذلك !!

متى يقال للمصاب عنده مرض الشقيقة ؟

يطلق مرض الشقيقة على حالات الصداع النصفي التي تصيب الاشخاص في سن الطفولة او سن المراهقة ، ويكون وراثيا في حوالي ٨٠٪ من الحالات ـ يسبق هذا الصداع « زغللة في العين وظهور خيوط ضوئية ملتوية سرعان ما تنقطع ثم تحجب الرؤيا لثوان . وعندما تعود الرؤيا للعين يصحبها الصداع الذي يكون خفيفا في بادىء الامر ، ولكن سرعان ما تزداد حدته تدريجيا الى ان يعم نصف الرأس وفي هذه الحالة يكون المصاب شاحب اللون ، يظهر عليه الاعياء الشديد وينفر من الضوء ، والضوضاء ، ويجب ان يخلد الى الراحة والسكينة في غرفة هادئة مظلمة حتى تأخذه سنة من النوم يقوم بعدها معافى ، وفي بعض الحالات عندما يشتد الصداع يحس المريض بغثيان وربما بتقيأ ـ ويكون هذا له بمثابة فرج يفك عنه كربة الصداع الشديد .

على ان هذه الصورة المتكاملة لمرض الشقيقة قليلا ما تحدث . ففي بعض الحالات يستيقظ المريض من نومه ويبدأ معه الصداع دون حدوث اعراض تدل على حدوثه او ان الصداع يحدث وحده دون الشعور بغثيان او قيء ـ وفي هذه الحالة يحتار المريض والطبيب في معرفة سبب الصداع اذ ان لذلك اسبابا عدة . وعلى سبيل المثال لا الحصر صداع التهاب الجيوب الانفية ـ صداع مرض الاسنان ـ صداع مرض العين ـ وصداع اراحة المخ ـ الصداع النفسي ومن هنا كانت البلبلة في التفكير ، وزيادة سوء الحالة وكثرة حدوثها .



وفي حالة اخرى يكون الصداع خفيفا ويظهر القيء على نوبات وحده ويطلق على ذلك « الشقيقة البطنية » Abdominal Migrain وهذه ايضا تشكل صورة مختلفة تحير المريض اكثر فاكثر . وكم من مريض تعرض لعملية استئصال للزائدة او عملية استكشاف للبطن من جراء ذلك . وفي حالات اخرى يحل مكان اضطرابات البطن التي تحدث مثل الصداع اعراض اخرى محيرة مثل تنميل في اللسان والاصابع على ناحية واحدة من الجسم ـ في بعض الحالات توقف عن النطق او اضطرابات نفسية بما في ذلك هياج مفاجيء او اكتئاب ، والاحساس بأنه تائه وغير مستقر .

من هذا يتضح كم هو صعب تشخيص مرض الشقيقة ، ويحتاج الى هدوء من ناحية الطبيب ، ودقة متناهية في سماع المريض وخبرة واسعة من يريد أن يصل الى التشخيص الصحيح .

وما هي الابحاث التي جرت على هذا المرض ؟

كان من المعروف ان ما يحدث في مرض الشقيقة هو ضيق في الشريان الذاهب الى المخ ، مما يسبب الاعراض الاول في المرض من وجود « عتامات » امام العين في الجهة التي سيحدث فيها الصداع ، مع الشحوب بالوجه ، مع وجود اعراض اخرى من تنميل في الاصابع وضعف في الحركة ، وضعف بالنطق وهذا يستمر لفترة ٥ ـ ١٥ دقيقة ـ ثم يحدث الصداع نتيجة لاتساع الشريان وسريان كمية كبيرة من الدم فيه ـ وهذا مما يدعو لبعض المصابين في الضغط على الشريان الذي يكون نبضه قويا بجوار الاذن او ان يلف رأسه بمنديل ليضغط على هذه الشرايين وربما احس بتحسن في حالته .

واتضح صدق هذه الملاحظة عندما يقوم الجراحون بالعمليات على هذه الشرايين ويعرضونها للضيق والاتساع وما ينتج عن ذلك من حدوث اعراض تشبه اعراض الشقيقة .

وسرعان ما يجول بخاطر كل انسان لماذا يحدث ضيق وتوسع في شرايين الرأس عند الاشخاص المصابين ـ ثم لماذا تكون النوبات مصحوبة بغثيان وقيء .

وتلوح في الافق نظرية اخرى هي ان هناك مواد كيماوية في دم هؤلاء الاشخاص عند حدوث النوبات ، لا

داعي للدخول في تفاصيلها ، ربما تكون هي السبب في حدوث النوبات . وما زال البحث جاريا حتى يصل الطب يوما الى وجود السبب المباشر وعندها يقول هذا هو العلاج الناجع .

العوامل التي تساعد على حدوث النوبة

ربما كان من المفيد ان يعرف مرضى « الشقيقة » بعض العوامل التي تساعد على حدوث النوبة حتى يمكن للمريض ان يتلافاها وربما قلل ذلك من عدد النوبات ، واضعف من حدتها :

١ ـ الحساسية لبعض المواد فلقد وجد ان النوبات تتكرر وتزداد حدتها لو تعاطى المصاب الخمور او بعض انواع البروتينات الموجودة في السمك او الجبنة وكذلك الشيكولاته اذا اكلها المصاب على معدة خالية . من هنا يجب على كل مريض أن يولي ذلك انتباهه حتى يعرف نوع الطعام الذي يسبب له النوبة .

٢ ـ بعض العقاقير الطبية وفي مقدمتها حبوب منع الحمل التي تحتوي على هرمونات ـ ولا عجب اذن ان نرى الشقيقة في ازدياد بين النساء في هذه الايام . ثم بعض انواع العقاقير التي تستعمل في علاج ارتفاع ضغط الدم والتي تحتوي على مادة Reser pine .

٣ ـ الجوع ـ ولعل ذلك يرجع الى هبوط نسبة السكر في اوائل ايام صيام رمضان او عندما يتأخر الفرد عن تناول وجبته الرئيسية .

٤ ـ الاضطرابات النفسية ، فقد لوحظ ان النوبات تزداد عندما يتعرض الشخص المصاب الى اجهاد شديد او توتر عصبي ـ او اكتئاب ـ او قلق .

٥ ـ اضطرابات في الجهاز الهضمي ـ فلقد لوحظ ان بعض اصحاب الشقيقة يعانون من قرحة بالاثني عشر ، او وجود التهاب او حصى بالحويصلة المرارية او توتر بالقولون .

٦ ـ اضطرابات الابصار من ضعف نظر وطول نظر ، او غيرها . وتصحيح هذه الاضطرابات يقلل من النوبات .

٧ ـ وجود بؤر صديدية كما هو الحال في الجيوب الانفية او الاسنان .

٨ ـ اضطرابات الهرمونات في الجسم ، فلقد لوحظ ان النوبات تحدث كثيرا قبل الدورة الشهرية او اثناءها ، مما يدل على ان للهرمونات أثرا في ذلك . وكذلك يعاني بعض المصابين بتضخم الغدة الدرقية من حدوث نوبات الصداع النصفي بكثرة .

ولعل ذلك هو السبب كذلك عند اخذ الهرمونات في حبوب منع الحمل .

ويأخذ سير المرض طابعا خاصا ، فربما تحدث النوبة كل اسبوع او كل اسبوعين او ثلاثة اسابيع او كل شهر ـ والنوبات التي يحدث فيها الصداع فقط دون اضطرابات النظر او القيء تكون على فترات وجيزة اما النوبات الاخرى فتحدث كل عدة شهور وبمرور الزمن تقل النوبات في حدوثها وفي شدتها وتتوقف في معظم الحالات ما بين ٥٠ ـ ٦٠ سنة وعلى المصاب ان يعرف مرض الشقيقة لا يؤثر على الحياة او انه يسبب امراضا بالمخ او يؤدي الى الجنون او الشلل او غير ذلك من الامراض التي تخطر على بال المصابين .



كيف العلاج ؟

احب اولا ان انوه انه ما زال الطب يبحث عن السبب المباشر للمرض ، وعندما يجده يصبح للمريض الحق في ان يطلب من طبيبه علاجا ناجحا قاطعا للمرض . وكل ما يقوم به الطبيب في الوقت الحاضر هو :

اولا : العلاج الوقائي

وكما اسلفت لابد للمريض والطبيب ان يتعاونا على وجود عامل او بعض العوامل التي تسبب حدوث النوبة . فليلاحظ المريض طعامه ـ وهل تحدث النوبة بعد تناول طعام خاص ـ فهناك الشيكولاته والجبن والسمك والبيض والموز ، والتفاح والخمور هناك بعض الروائح التي تحدث النوبة .

ثم حبوب منع الحمل ـ وانواع الادوية التي يتعاطاها ، والاجهاد في العمل ـ التوتر العصبي ـ وهذه كلها عوامل لابد ان تكون في الحسبان حتى لا تتكرر النوبة ، ويكون حدوثها محدود الاثر .

وعلى الطبيب ان يفحص ويدقق في وجود امراض بالجسم اخرى . فليبحث عن بؤر صديدية في الجيوب وغيرها ، عن امراض العين والاسنان ـ عن امراض الكبد والمرارة ـ عن تلبك الامعاء والمخ ـ ويقوم بعمل الفحوصات المخبرية والشعاعية وغيرها لاكتشاف هذه الامراض وعلاجها فربما يكون واحدا منها الفتيل الذي يوقد الشرارة ويسبب النوبة .

ثانيا : العلاج بين النوبات

علاوة على العلاج الوقائي ، فقد استحدثت بعض العقاقير الطبية لتضعف من النوبة ، وتبعد المسافة بين النوبة والاخرى وهي عديدة يستعملها المريض وفي النهاية يقرر الدواء الذي اقره من هذه الناحية .

والعقاقير في هذا لمجال كثيرة منها ساندو مجرين Sandomigrain ـ ستوجرون Stugeron ـ جرافيرجول Gravergol ـ انديرال Indiral . وقد وجد ان في اخذ قرص مانع للحساسية يفيد في بعض الحالات مثل Periactin بيرياكتين او بيلارجول Bellargol ، وكذلك cofergot كافرجوت وافوميجرين Avomigran .

ولمعظم هذه الادوية مضاعفات ، ويستحسن كثيرا ان تؤخذ تحت مراقبة طبيب له خبرة في هذا المجال فلعل المصاب يكون مريضا ، فيؤخذ الدواء المناسب بالكميات المناسبة .

علاج النوبة

كل مريض له علامات خاصة به ، ويمكنه التنبؤ بأنه على وشك ان يعاني من نوبة . وهذه اللحظات هامة . وكذلك عند بدء الصداع اذ ان معظم الادوية تكون ذات فائدة عندما يتعاطاها المريض في ذلك الوقت . ولكن اذا تعرض المريض للنوبة وازداد الصداع واشتد ، وجد انه لا يستجيب الا قليلا للعلاج وتستمر النوبة معه لفترة طويلة ربما لساعات او ايام .

لذلك عندما يحس المريض بقدوم النوبة فعليه ان يأخذ قرصين من الاسبرين او Cofergot كافرجوت ، او حقنة Dihydroergotamine .

وربما تعاد خلال ٣٠ دقيقة اذا لم يختف الصداع . وربما يستجيب البعض لاقماع الكافرجوت (تحميلة ارليوس) وهناك نوع منها يؤخذ بالمضغ .

ولقد وجد انه اذا اخذت هذه الادوية في فترة ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة قبل حدوث الصداع فان ٩٠٪ من المرضى لا يتعرضون للنوبة الشديدة . اما الباقون الذين لا يستجيبون لهذا العلاج فهناك نوفالجين Novalgin في الوريد ـ او المنومات ، ومنها مركبات الافيون او مشتقاتها . وهي لا تستعمل الا بامر الطبيب عندما تتأزم الحالة خوف الادمان وحدوث مضاعفات .

ولابد للمريض ان يسترخي عند حدوث النوبة ، ويبقى في مكان هادىء خافت الاضاءة اذ انه اذا نام ولو لفترة قصيرة فانه يفيق من نومه وقد ذهبت عنه النوبة .

وما زال الامل يراود المرضى والاطباء ليصلوا يوما الى كنه هذا المرض ليستريح المرضى والاطباء معا . ■■

د . محمد ابو شوك



بالحب أولاً..

يعالج طفلك

ليس من السهل وضع حد فاصل بين السوي والشاذ ، ولكن كبديهة أقول : ان الطفل المضطرب أو المشاكس هو الطفل الذي يحتاج الى مساعدة خاصة من أجل التوافق مع الناس والوسط الذي يعيش فيه ، أو بمعنى آخر هو الطفل الذي قد لا يستطيع ان يعيش مستقلا !

هؤلاء الاطفال المضطربون أو سمهم الاطفال غير الصالحين والذين يكابد منهم الآباء والأمهات والمعلمون والكبار ، ويقلقون حول ما يجب ان يعملوه ، لان الطفل يمص اصبعه ، او يبلل فراشه أو يسرق أو مشكلات خاصة أخرى ، علما بأن التشخيص والعلاج قلما يركز على مؤشر مرضي واحد ، وقلما يكون السبب واحداً .

ما هي اسباب الاضطراب ؟

على العموم فان أهم الاسباب التي تؤدي الى الاضطراب هي :

الهبة الوراثية بما في ذلك القدرات العقلية ـ الجهاز الغدي ـ الجهاز الهرموني .

التلف في الجهاز العصبي المركزي قبل الولادة أو بعدها .



المضطرب

بقلم : دحام الكيال *

العاهة الجسمية .

عوامل محلية ، تكمن في المحيط الذي يعيش فيه الطفل ، او الوسط الانفعالي للطفل .

أو ظروف جعلت من المستحيل أن يعيش الطفل بسلام ! ، هذا ويجب ان نكون صريحين فغالبا ما نكون غير قادرين من الوقوف على ضبط وتطور الاضطراب السلوكي ، حتى ولو كانت الاسباب الجسمية واضحة ، فغالبا ما ترتبط بأسباب نفسية ، وبيئية ، ومن الصعب تحديد ما يلعبه كل منهما ، ويمكن ملاحظة ذلك في مراحل النمو المختلفة .

في أي عمر يحدث ؟

مرحلة الرضاعة : ان أغلب المشكلات النفسية التي تظهر خلال هذه المرحلة ، غالبا ما تكون ذات جذور نفسية أو تكون ذات طبيعة وراثية مثل حالات النقص العقلي الذي يكون سببه تشوه الدماغ بسبب التأيض (اندثار البروتوبلازم) ، علما بأن بعض أنماط النقص الوراثي لا تظهر عند الولادة (مثل الكورياهنتكتون) ، واما تظهر في العمر المتوسط للطفل وليس كل الاضطرابات النفسية وراثية ، فقسم منها بسبب الوسط الذي يعيش فيه الجنين كالعامل النتاني الذي ينجم عن اختلاف تركيب الدم لدى الزوجين ، والنقص في الاوكسجين اثناء عملية الولادة ، ولكن التقدم الطبي ساعد على تجاوز هذه الحالات .

النقص العقلي الحاد : لقد اصبح من الواضح ان عدم الصلاح العقلي يكون على عدة انواع ودرجات ، وان التصنيف التقليدي والذي لا يرضي ولا يكفي ، ولكن يمكن ان يكون مصدرا مناسبا بصنف المعوقين عقليا هو :

* استاذ علم النفس المشارك ـ بكلية التربية ـ جامعة بغداد .

السوية الغامضة ، على الحافة ، الاهوك ، الابله ، المعتوه .

ويمكن ان نلاحظ على المتخلف عقليا بشدة أنه :

ضعيف في القوة العضلية ، غير فعال ، لا يستجيب انفعاليا ، يكون نموه بطيئا .

ومع انه يكون محجلا بالنسبة للجيران فقد بدأ نوع من التفهم لهذه الحالات احسن مما كان سابقا ، وقد يبدو ظاهريا ان النمو الجسمي سوي ولكن يمكن الكشف عن النقص العقلي في مرحلة متأخرة من الرضاعة مع العلم ان قسما منه تكون التشوهات الجسمية واضحة فيمكن تشخيصها مبكرا مثل المنغوليا والتي يعود سببها الى اختلاطات تحدث في الوسط الذي يعيش فيه الطفل في الشهر الثاني من الحمل ، وهي بلوى أهم علاماتها :

تجعد الاجفان ، قصر القامة ، النحافة ، تسطح في الظهر ، تشوه في تركيب الاسنان من فراغات ونتوءات وقصر وغلظة في الأسنان ، تشقق اللسان ، التخلف الحركي العام ، تخلف النضج الجنسي .

ويوصف المنغولي عادة بأنه :

هادىء ، مرح ، تسهل ادارته ، لا يتحمل المسؤولية ، نزق ،لديه ضعف بالقلب .

ومن امراض هذه المرحلة الشلل المخي ، والعمى والصمم والبكم والتشوه الليفي لما خلف عدسة العين .

مرحلة المشي وقبل المدرسة

ان بعض الاطفال يعيشون في حالة من الضغط الانفعالي الذي يؤدي الى الاضطراب المزمن ويمكن أن يكون نذير اضطراب أكثر تعقيدا ويتميز بخصائص اهمها :

إن المؤشر الحسي الواضح هو نوعية الصوت والتي تتميز بما يأتي :

الصيحة الحادة ، الصوت الاجش ، الصوت عديم النبرة ، نقص في السمع ، يحصر شعوره ، يحس بأن الشعور الانفعالي قوي ويصعب عليه تدبره ، تغير في لون جلد الطفل .

تهيج وحركة يمكن ان تلاحظ في نوعية الحركة الجسمية مثل :

التشنج ، النطق المتقطع ، الكسل ، الاضطراب في النوم كالكابوس والمخاوف عند النوم ، التبول بكثرة ، التقيؤ ، يصل الرابعة ولم يصل بعد مرحلة السيطرة على التواليت ، يمتد الزمن الى الخامسة للسيطرة على المثانة ، الاغماء الانفعالي ، يقضي الطفل فترة طويلة من غير اللعب بعورته ، فاتر الهمة ، التقلص اللاارادي في عضلات الوجه ، لديه صعوبات انفعالية تظهر بالخمول او الحركة اكثر من الحد اللازم ، ويحتاج الطفل الى العطف بل العطف الكثير ، والحرية ، والتخفيف من بلوغ المستوى المطلوب بالمقابل مع قرينه السوي ، وعلى العموم انه في حاجة الى المساعدة ، ليعبر عن مشاعره ، وليبث الثقة في نفسه وفي هذه الحالة لا بد من العلاج النفسي .

ومن الاضطرابات الاخرى في هذه المرحلة هي :

الاسترسال في الخيال ويكون اربعة أضعاف لدى الاولاد مما هو عند البنات والاكولاليا (الترديد لما يقوله الآخرون ، ويستمر لفترة طويلة حتى تستبدل بعبارة أخرى) ، والنقص في الكلام كالتلعثم والفأفأة والتأتأة .

والخلاصة ان المشكلات الاساسية في هذه المرحلة هي :

نوبة الغضب ، السلبية ، التخريب ، مشكلات تعلم التواليت ، مص الاصابع ، العادة السرية ، الانانية ، القساوة .

الطفولة المتوسطة

ان الصعوبات المشهورة تدور حول المدرسة وقدرة الطفل على التعلم ، وان صعوبات التعلم تنشأ عادة من :

التخلف العقلي

التخلف العقلي ليس شديدا ولكنه يتداخل مع العمل المدرسي كعامل اساسي في التخلف فيتطور لديه الشعور بالخيبة نتيجة الاختبارات التي حددت قابلياته فيشعر بعدم الاهمية ، ويعامله اقرانه على انه متخلف ، ويمكن أن تكون ردود الفعل لذلك هي :

التكران ، الثورة ، الجنوح .

وعلى كل انه لا يفيد من المدرسة ، ومع ذلك فلا بد من تحديد قدراته لنعرف ماذا يستطيع أن يعمل ليشجع على ما يستطيع بأناة وصبر ، ولنقدم له التربية المقصودة الممكنة بشكل مكثف ، ليشعر بالقيمة ويمكن ان يتقبل حدوده بواقعية لانه يعرف قابلياته ، ويحصل على فرصة للتمتع بالحياة ، وليعمل قيمه الخاصة وحساباته للمجتمع .

هذا ويجب ان لايغرب عن البال بأن صعوبات التعلم كلها تعود الى :

الذكاء المحدود ، سوء التغذية ، وضعف المستوى الاقتصادي ـ الاجتماعي ، النقص في السمع ، الصمم الجزئي ، العمى الجزئي ، ازدواج النظر .

التداخل الانفعالي مع التعلم بسبب مستوى طموح الابوين لأكثر مما يستطيعه الطفل فالضغط على الطفل يحوله من عمليات التعلم الى تنمية الرغبات الخاصة ، وكل فشل لتحقيق ما يريده الأبوان يعقبه انتاج للقلق وهذا ليس في صالح العملية التعليمية ، ولا بد من القول بان عدم التحصيل المدرسي يؤدي الى قنبلة في اللاشعور تثور وتنفجر ضد ضغط الابوين .

ضعف القدرات الخاصة مثل القراءة والفصاحة والحساب وهذه طبعا مستقلة عن الذكاء فمثلا ان ضعف القدرة على القراءة يفسر وفق نظريات تعوزها الأسباب الآتية :

عصبية ، انفعالية ، نفسية هي عدم النضج في الادراك الحسي ، الجنوح ، الانحرافات الجنسية وتكون عادة في المراهقة ، استعمال المخدرات .

مساعدة الطفل المضطرب

اذا كان لا بد من توجيهات اقدمها للآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والتي يمكن ان تساعد الطفل المضطرب لتعينه على ما يواجهه لان المحيط احيانا هو الذي يحتاج الى الانتباه وليس الطفل فهي :

الحب شريطة ان لا يعمى ولا يصم ، الدفء الانفعالي ، الثقة بالنفس والثقة بالطفل ، الحزم بلا قسوة ، الاستمتاع بالحياة ، التشجيع للنمو والاستقلال ، العون الفني من انسان كفء ومختص ، ضرورة العلاج النفسي فانه يعاون الى حد ما ، وعندما يتم الاختيار للعلاج النفسي فأعني العلاج النفسي للعائلة احيانا ، المدرسة الجيدة ، المعلم الجيد ، التسامح ، المساهمة في العمل الجماعي المبدع ، ضرورة الأخذ برأي المختص ، تحول دون اضطراب الطفل بعدما عرفنا ان المجتمع والمدرسة والبيت والاقران والآباء والأمهات يمكن أن يسهموا في الحصول على الطفل من هذا النوع اذا ما قصروا في فهم الطفل على حقيقته . ■■

دحام الكيال
جامعة بغداد ـ العراق

قصة :

الدرس الأخير

تعريب : محمد صالح القمودى

ما حييت .. لن أنسى ذلك الصباح البعيد .

●

كنت في العاشرة ، اسكن مع ابوى قرية صغيرة قريبة من الحدود مع العدو . في ذلك اليوم الممطر .. استيقظت متأخرا ، فارتديت ثيابي على عجل ، وانطلقت اهرول الى المدرسة وانا اقضم شطيرة أصرت والدتى على ان احملها .

عندما ابصرت المدرسة ، ترددت لحظة : لقد اوصانا الاستاذ نبيل بمراجعة درس النحو ولم اراجع منه حرفا واحدا . راودنى خاطر بالتغيب ، واضاعة الوقت في الحقول المجاورة .. ثم العودة الى البيت عند خروج التلاميذ .. لكن الجو المطير لم يشجعنى على ذلك .. ثم ان دوريات جنود الاحتلالٌ ما عادت تسمح لصغير مثلى باللهو المأمون .

مررت امام البلدية ، فأبصرت جمعا من الناس يقرأون اعلانا جديدا . منذ ان احتل العدو منطقة بلادنا المتاخمة لحدوده .. جاءتنا المصائب كلها من لوحة الاعلانات المعلقة على جدار البلدية . قاومت رغبة في التوقف لمعرفة فحوى الاعلان ، وواصلت هرولتى نحو المدرسة .. لكن عاشور الحداد الذى كان يقرأ الاعلان بمعاونة صبيه صاح بى :

لا تتعجل يا صغيرى ، مهما تأخرت فانك ستصل مبكرا اليوم الى مدرستك !

لم اعر صيحته التفاتة ظنا منى انه يهزأ بى .. ودخلت ساحة المدرسة لاهثا . توقفت لحظة لاسترد انفاسى ، لكننى لم اسمع الاصوات المألوفة التى كانت تصدر عن غرفة الدرس ، أو عبارة الاستاذ نبيل المأثورة : « سكوت ! سكوت ! »

كنت اعول على تلك الاصوات لأتسلل الى مقعدى دون ان يشعر بى احد .. غير ان الصمت كان يخيم على المدرسة وكان اليوم .. عطلة !

القيت من النافذة نظرة متسللة ، فابصرت عبر الزجاج المغلق منظرا ادهشنى : الكل جالس في مقعده بلا حراك ، والاستاذ نبيل يذرع الغرفة واضعا خيزرانته الرهيبة تحت ابطه .



احتقن وجهي خجلا وخوفا وانا اطرق الباب ثم ادخل ، وانفخ في قبضتي لاعد اصابعي لما ينتظرها من لسع الخيزرانة .. غير ان الاستاذ نبيل نظر الي بلا غضب وقال لي بهدوء :

ـ سارع بالذهاب الى مقعدك يا صغيري ، كنا سنبدأ بدونك . تهالكت على مقعدي في ارتياح استرد انفاسي واستمتع بنجاتي من العقاب .. ثم لاحظت ان الاستاذ قد ارتدى بدلة المناسبات ، تلك التي يلبسها يوم بداية السنة الدراسية ويوم نهايتها .

أجلت النظر لأتفحص وجوه الزملاء ، فلمحت عليها مسحة من الوقار غير مألوفه .. ثم زادت دهشتي عندما ابصرت في آخر الغرفة طلبة محو الامية من كبار السن ، والذين لا يدخلون المدرسة عادة قبل صلاة العصر .. كل ذلك في جو من الوقار والحزن .

وقف الاستاذ نبيل امام اللوحة وقال بذات النبرات الهادئة التي استقبلني بها :

ـ صغاري الاعزاء .. هذا آخر يوم أعطيكم فيه دروسا . لقد جاء من عاصمة الاعداء امر يمنع تدريس لغتنا ، ويفرض تدريس لغة المحتلين .. مدرس الاحتلال سيصل غدا .. أما اليوم فهو الدرس الاخير بلغتكم .. ارجو ان تكونوا منتبهين .

هزتني هذه العبارات من الاعماق .

أهذا ما دبره العدو المحتل واعلن عنه فوق جدار البلدية !

انه الدرس الاخير بلغة الآباء والاجداد .

وانا الذي لم اتمكن بعد من لغتي .. متى سأتعلمها ؟ !

أو ينبغي لي ان اتوقف عند هذا الحد ؟ !

يا حسرة على ما اضعت من وقت في اللهو واللعب ! المواد التي كنت استثقلها واخشاها .. ها قد صارت خفيفة محببة .

كنت غارقا في انفعالاتي ، عندما سمعت اسمي يتردد .

لقد جاء دوري في عرض الدرس .

كم كان بودي في هذا اليوم ان اتلو الدرس عن ظهر قلب في نبرات واضحة قوية .. غير انني تلعثمت منذ الجملة الاولى ، يتأرجح جسمي من ساق الى ساق ، مثقل الصدر ، خفيض العينين .

سمعت الاستاذ نبيل يخاطبني قائلا :

ـ لن اعاتبك اليوم يا صغيري ، فقد تكفل ضميرك ولا شك بذلك .

ثم كف الاستاذ عن الاستجواب ، واخذ يبرز بالامثلة الواضحة الدامغة جمال لغتنا ، وروعة بيانها .. مؤكدا ان الشعب الذي يتعرض للاحتلال والاستعباد .. يظل قابضا على مفتاح سجنه ما تمسك بلغته .

اعطانا درسا جديدا في النحو ، فأدهشتني السهولة التي فهمت بها الدرس . كل كلمة يقولها الاستاذ .. أفهمها . كل ما ينطق به ينحت في ذاكرتي . ما انصت في حياتي بمثل هذا الشغف . ما بذل الاستاذ يوما مثل ما يبذله من جهد في التوضيح والشرح ، وكأنه كان يود ايداع كل معارفه في اذهاننا قبل ان ينصرف نهائيا .

انتهى درس النحو ، فانتقلنا الى درس الخط حيث اعدلنا الاستاذ عبارات جديدة مكتوبة في اتقان خلاب :

« حب الوطن من الايمان » .. « لا يقهر من عمر الايمان صدره » .. « من قلوم الاستبداد رده » .

كان الجميع يتأنى في الكتابة وكأنه يرسم لوحة ولا ينسخ خطا .. لا يسمع صوتا غير صوت الاقلام على الورق .

بعد ذلك .. اعطانا الاستاذ نبيل درسا في التاريخ اعاد الى اذهاننا امجاد الامة ، ونضالها العريق وانتصاراتها الباهرة .. وان صادفتها نكسات عابرة .

بعد التاريخ .. جاء دور الاناشيد ، حيث رددنا جميعا اكثر اناشيدنا الوطنية حماسا ، وقد اختلطت اصوات الصغار الحادة بأصوات الكبار الحزينة .

وفجأة !

اعلنت ساعة البلدية منتصف النهار .. موعد انتهاء الدروس .

انتصب الاستاذ نبيل شاحبا ، قائلا في عبارات متقطعة :

ـ اولادي ..

يا اولادي ..

لكن الكلمات اختنقت في صدره فلم يكمل عباراته ، واغرورقت عيناه فالتفت الى اللوحة وخط عليها العبارة التالية : « فليحيا الوطن ! »

ثم اسند رأسه على اللوحة .. وظل يبكي في صمت ، وهو يشير الينا بيده ان نذهب ..

فقد انتهى الدرس الاخير . ■■

باريس ـ محمد صالح القمودي

حوار القراء

العربي امريكا

● تبين لنا ان مجلة « العربي » تعتبر من ـ ارقى مجلات العالم العربي ـ لذا فانه يبدو معيبا ان لا تتوفر أعداد هذه المجلة للبيع في امريكا الشمالية . ونحن نأمل ان تساعدونا في الحصول على الف نسخة على الاقل مبدئيا .

ريتشارد بومبيرجر
واشنطن

● المحرر ـ الرسالة حولت الى المسؤلين في وزارة الاعلام لبحث الموضوع .

●

نبوخذ نصر الكلداني

● ورد في مقال (القدس في القلب العدد ٢٤٧ (حزيران ١٩٧٩) الصفحة ٨٢ من مجلتكم القراء عن نبوخذ نصر انه الملك الاشوري والواقع انه الملك الكلداني الذي احتل القدس ودمرها عام ٥٨٦ ق . م وسبى معظم سكانها وما جاورها (مما قدر بخمسين الفا) الى بابل فاقتضى التنويه .

قسطنطين خمار
بيروت ـ لبنان

دفاع عن انشتاين

● قرأت في العدد « ٢٥٠ » من مجلة العربي مقالا للدكتور « عبد العظيم أنيس » تحت عنوان « البرت انشتاين هذا العبقري الصهيوني » وفي المقال وجه الكاتب الى اينشتين العديد من الاتهامات الظالمة فقد اتهمه بالصهيونية لانه كان يكره النازية الالمانية وأكد كلامه هذا بما ادعته اسرائيل بعد موته من انه يعد بيانا للدفاع عنها والواقع انه لا غرابة في عداء اينشتين للنازية بعد العذاب الذي لقيه اليهود على ايديهم خصوصا وان الرجل يدين باليهودية .

واما ان تدعي اسرائيل بان انشتاين كان يعد بيانا ليذيعه بمناسبة الذكرى الثامنة لتأسيسها ولكن الموت منعه عن اتمامه ، وان يؤخذ ذلك كتأييد على صهيونية هذا العبقري فذلك ما ينفيه العقل ولا يتقبله الضمير اذ ان اسرائيل ـ كأية دولة ـ تحاول الدفاع عن أفكارها ومعتقداتها بأية وسيلة وليس افضل عندها من القول بأن انشتاين كان صهيونيا ، ليبرهنوا للعالم صحة الاسطورة القائلة بأنهم شعب الله المختار الذين ميزهم عن العالمين .

ولا ادري لماذا لم تحاول اسرائيل ان تقول ما قالته الا بعد موت انشتاين ؟ .. ام هل نسي انشتاين الصهيونية طيلة ستي حياته ليعود ويتذكرها في اواخر ايامه ؟ ! ..

انه من المعروف ان انشتاين قد عاش اكثر من ستة وسبعين عاما ، فهل كان عمره قصيرا حتى نجد مبررا للقول انه قد اراد نشر بيان لتأييد الصهيونية لكن الموت منعه عن بغيته وحال بينه وبين ما اراد ؟ ! ..

صحيح ان انشتاين لم يكن هو عبقري الزمان الاوحد واعلم علماء الفيزياء الذي لم يخلق له مثيل منذ نشأ علم الفيزياء .. وصحيح انه قد نال من الشهرة ما لم ينله غيره من العلماء المعاصرين له كأمثال طومسون ورذرفورد وبلانك وبيكريل وكروكس وفيرمي وغيرهم .. لكن ذلك لا يعني أبدا أنه كان صهيونيا ...

الموسوعة العربية

● اشارة الى نداءاتكم المستمرة عبر مجلة العربي الى ضرورة البدء باقامة موسوعة عربية شاملة تنقل الى القارىء العلوم الحديثة وكافة الوان الحضارة العربية ، وتيسر له سبيل الاطلاع على ما توصل اليه الفكر الانساني في شتى مجالات المعرفة ، افيدكم ان سوريا شرعت منذ سنوات قليلة باقامة هذه الموسوعة ، وقد أنشأت لهذا الغرض مؤسسة كبرى باسم (الموسوعة العربية الكبرى) وقد اخبرني صديق لي ممن يقومون بترجمة بعض الموضوعات الخاصة بالموسوعة بأن المؤسسة على وشك اصدار المجلدات الاولى التي تحوي معارف الانسانية والتي تبدأ بحرف الالف (أ) واننا نرجو جميعا ان تفي هذه الموسوعة المنتظرة بالغرض المرجو منها ، وافيدكم انه يشترك باعداد هذا العمل الكبير عدد كبير من مفكري الوطن العربي في شتى الاقطار العربية .

عبد اللطيف تليسة

سوريا

الاتحاد قوة

● قرأت في الوصايا وهي آخر أبواب كتاب الفتوحات المكية للامام الاكبر الشيخ محي الدين ابن عربي وصية مماثلة لما نشرتموه في العدد ٢٤٩ من العربي صفحة ١١٢ تحت عنوان (كومة العصي) « اوصى حكيم اولاده عند موته ـ وكانوا جماعة ـ فقال لهم ائتوني بعصي ، تجمعها وقال لهم : اكسروها ، وهي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ، ثم فرقها فقال لهم : خذوها واحدة واحدة فكسروها فقال لهم : هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم فاذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم

دفاع عن انشتاين (بقية)

ان قضية شهرة انشتاين لم تجيء اعتباطا ولا حبا في العلم والانجازات العلمية ، ولكنها جاءت ضمن تخطيط محكم لقضية يصرف النظر عن باطلها ، اراد لها اصحابها النجاح وجندوا لنجاحها هذا كل افكارهم في السراء والضراء .

ان اسرائيل قد بالغت في جعل انشتاين مشهورا وذلك عن طريق وسائل الاعلام وقد نسبت اليه أنه من مؤيديها لغرض واحد ، هو كسب الرأي العام العالمي ، وجعل أوربا وبقية العالم ترى الحق في جانبها .

ونعود هنا لقضية اخرى طرحها الدكتور « انيس وحاول ان يحط فيها من قيمة انشتاين وذلك باتهامه بقدراته العقلية وبكونه لم يكن ذكيا بما فيه الكفاية ، وهو يرى ان انشتاين لم يحقق شيئا ذا قيمة بعد عام ١٩١٦ عندما نشر بحث النظرية النسبية ...

والنظرية النسبية تعد بحق من اعظم اكتشافات هذا القرن وخاصة في مجال الفيزياء ، فكيف يرى الدكتور « انيس » لنفسه الحق بمطالبة انشتاين بنظريات اخرى ، وهل من المنطقي ان نقول ان عدم مقدرة انشتاين على وضع نظرية اخرى هو دليل على عدم قدرته الذكائية ....

ولا استطيع ان افهم انه كيف يمكن لانسان لا يتمتع بالذكاء الشديد ان يقدم للعالم ما قدمه انشتاين ؟ !

الدكتور اياد الرشدان

فاباد كم .. »

فهل تعتبر وقد عم البلاء،
وأصبحت بلادنا نهبا للدخلاء.

هناء احسيني
دمشق ـ جبل قاسيون

هل يجوز للشاعر؟

● في صفحة ١٣٧ من العدد رقم ٢٥٠ من مجلتكم ـ الصفحة اللغوية ـ اورد الاستاذ/محمد خليفة التونسي بيتا للشاعر احمد شوقي يبين فيه فضل العلم والكتب ، ويقول في صدره : انا من بدل بالكتب الصحابا .. ونرجو ان توضح ان الباء في الاستبدال تسبق المتروك فاذا طبقنا هذا على قول شوقي فانه يكون قد ترك الكتب وانصرف عنها الى الصحاب بينما العكس الصحيح . ويقول تعالى في محكم اياته مخاطبا بني اسرائيل : « قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » صدق الله العظيم . وعليه كان يتعين على شوقي ان يقول : انا من بدل بالصحاب الكتب . او الكتب بالصحاب . غير ان الوزن يستعبد الشاعر احيانا فينسف قاعدة لغوية هامة لا يصح مخالفتها بحال .

ابراهيم عبد الله حسن
اسكندرية/مصر

ورد الدكتور أنيس : في تعقيب على هذه الرسالة يقول الدكتور عبد العظيم أنيس :

المسألة التي تعنيني من مقال د . اياد الرشدان « دفاع عن اينشتين » هو خلافه معي حول صهيونية اينشتين . ولقد اوردت في مقالي عن اينشتين بمجلة العربي عدد سبتمبر ادلة عديدة على صهيونيته . ولكن الاخ د . الرشدان تجاهلها تماما ولم يذكر الا اعلان اسرائيل بعد وفاته انه كان يعد بيانا لاذاعتها بمناسبة الذكرى الثامنة لتأسيس دولة اسرائيل

ولذلك يحسن ان اعيد ذكر الادلة التي سبق لي ان اوردتها في مقالي :ـ

اولا : لقد اعلن اينشتين ١٩٢١ ولاءه للصهيونية . وهذه حقيقة لا تحتاج منا ـ بعد معرفتها ـ الى اي اجتهاد في الدفاع عن موقفه السياسي .

ثانيا : انه شارك مع وايزمان في جمع التبرعات ـ لصالح الحركة الصهيونية ـ من امريكا .

ثالثا : انه عرضت عليه ـ بعد وفاة وايزمان ـ ان يكون رئيسا لدولة اسرائيل . وقد تردد في مبدأ الامر في القبول . ثم اعتذر باعتبار ان العمل السياسي لا يناسبه . وهذا العرض واقعة ثابتة تاريخيا ومن السذاجة ان نتصور أن تعرض اسرائيل رئاسة دولتها على رجل ليس صهيونيا .

وهذه الادلة الثلاثة موجودة في مقالي وفي مراجع تاريخية عديدة عن أينشتين . وآخرها مجلة معهد الرياضيات وتطبيقاتها بلندن الجزء ١٥ عددي فبراير ومارس سنة ١٩٧٩ . وتتضمن سلسلة المقالات التي كتبها الاستاذ هو لتجديل بمناسبة مرور مائة عام على مولد اينشتين .

وادي حضرموت

● كثيرون من العرب يجهلون موقع وادي حضرموت ومعالمه الاثرية وعادات أهله وتقاليدهم أفلا يستحق هذا الجزء من الوطن العربي استطلاعا تقوم به العربي عنه ؟

سالم محمد الكثيري
المكلا

ـ نرجو ان نفعل في مستقبل قريب .

اين الخطأ ؟ تصحيح مفاهيم ونظرة تجديد

الشيخ عبد الله العلايلي

دار العلم للملايين ـ بيروت

● مؤلف هذا الكتاب ، من ابرز رجال الفقه واللغة في لبنان .

وقد اصدر ثلاثة اجزاء من معجم لغوي واسع ، بعد ان اعد ٢٤ جزءا منه . بالاضافة الى مؤلفات اخرى .

ما يلفت النظر في هذا الكتاب ، وما يعطيه اهمية كبرى ، في حقل الدراسات الفقهية والتشريعية ، هو ما تضمنه من « فتاو » تمزج بين تفسير للقواعد وتصحيح لبعض المعاملات ، من وجهة نظره . وقد اوجز احد النقاد ، ما اتى به الشيخ العلايلي من نظرات وتفاسير فقهية ، بالفتاوي التالية :

تحليل معظم المعاملات المصرفية ـ فرض الزكاة كنوع من الضريبة تدفع للمجتمع ـ تحليل تصنيع لحوم الاضاحي في موسم الحج والتبرع بها الى الدول النامية الجائعة ـ استعمال التعزير دون الحد الا في الحالات القصوى ـ اعتماد العلم في رؤية الهلال ـ اعتماد المدارس الفقهية باسرها واختيار الحسن من احكامها على ضوء ما يتطلبه الزمن ـ عدم وجود ما يمنع من زواج الكتابي من المسلمة ـ جواز عرض الافلام التي تبحث في التاريخ الاسلامي في كافة عصوره .

ولاشك ان هذه الفتاوى تعكس الاجتهاد الخاص لصاحبها ، الا انها بلا ريب قمينة باثارة الجدل حولها ، وعلى الاخص ما اتى به الشيخ العلايلي من جواز زواج الكتابي (النصراني واليهودي) من المسلمة ، مع ما يقتضي ذلك من تمحيص على هدى التشريع والسنة وما أتى به أئمة الفقه الاسلامي .

العهد الآتي

شعر امل دنقل

دار العودة . بيروت

● هذا الديوان هو الرابع للشاعر المصري الشاب امل دنقل بعد « البكاء بين يدي ـ زرقاء اليمامة » و « تعليق على ماحدث » و « مقتل القمر » . ويحتل الشاعر موقعا هاما في حركة تجديد الشعر العربي ، التي افتتحها من قبل صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي ، تحت تأثيرات مدرسة ابوللو ، ويحمل التحول الذي اصاب الشعر العربي ابتداء من العقد الخامس من هذا القرن .

يوصف الشاعر امل دنقل بأنه من طائفة الشعراء ، الذين كسروا الهالة « المقدسة » لموضوعات الشعر ولغته .. فالحدث اليومي والحوار القصصي ، والنزوع الى السخرية الكثيفة المرة ، هي القسمات الرئيسية للشاعر وقصيدته ، منذ لمع اسمه عام ١٩٦٩ مع صدور ديوانه الاول . الذي رصد فيه انعكاسات هزيمة حزيران ١٩٦٧ في الوجدان العربي عامة والمصري خاصة . وديوانه الاخير ، هو توغل في الطريق الذي شقه منذ البدء ،

والذي اعتبره بعض النقاد ، طريق الشعر « السياسي » . يستلهم الشاعر اسم الكتابين المقدسين : العهد القديم والعهد الجديد ، لكي يصوغ هو كانسان يعيش في عالمنا وفي زمننا المحددين ، عهده الخاص ، الذي يصفه بالعهد

كتب جديدة

الآتي . ومثل هذه التسميات او الاستعارات درج عليها شعراء الشعر الحديث في استلهامهم الاساطير العربية والاجنبية ، والاقتباس والتضمين من الكتب المقدسة ، اما ان اسم هذا الكتاب « العهد الآتي » يأتي في سياق ما عرف عن الشعر الحديث ، من نزوع طاغ الى استشراف الحلم ، وتوليد رؤى مستقبلية ، مع الحفاظ على راهنيته وارتباطه بالعصر . العهد الآتي عند الشاعر ، هو عهد الحرية والتفتح والعدالة والحب والكرامة . عهد تنتفي فيه القيود ، وتنتفض الاوطان على جلاديها ، ويفيض نهر العطاء والمشاركة دون حد او سد . ذلك ما يهتف به هذا الديوان . وسط سيل من المرارات والفجائع والنقد الصميمي اللاذع .

من قضايا الدين والعصر

الشاذلي القليبي

الدار التونسية للنشر ـ تونس

● العلاقة بين القيم والمؤسسات الدينية من جهة ، وبين تحديات العصر ومقتضياته من جهة ، قضية شغلت رجال الفكر منذ مطلع عصر النهضة الحالية ، والاسهامات الكبرى في هذا الصدد ، لرجال التنوير والاصلاح الاسلامي : الافغاني ، الكواكبي ، محمد عبده ، ابن باديس .. وغيرهم .

ومن بقعة مثل المغرب العربي ، فان هذه القضية (ومعالجتها على ضوء الدين والعقل معا) لا تحتمل التأجيل ، او الاشاحة عنها ، لاي سبب . ذلك ان اقطار المغرب العربي ومنها تونس ، تلقت تركة معقدة من الاستعمار الفرنسي ، وتبدو هذه التركة ، ثقيلة و « عميقة » وملفتة للنظر ، على الصعيد الثقافي والروحي ، على الاخص . فقد تشربت اجيال تونسية عديدة الثقافة الفرنسية ، بمختلف اوجهها ، بما في ذلك ، وجهها المشرق ، وتراثها في مقاومة المحتل النازي ... وعلى اي حال ، فان المجال هنا لا يتسع ، ولا يصلح لعرض جوانب هذه القضية ، الا ان ما ينبغي التوكيد عليه ، بايجاز ، هو ان مسألة استدعاء واستنفار القيم الروحية والدينية ، في تلك الاقطار ، يشكل حاجة ضاغطة ملحة ، وذلك لضبط تأثيرات الثقافة والنظم الفرنسية على الحياة العامة ، بحيث لا تهدد « الذات الوطنية » والانتماء العربي ، والاصول الاسلامية .



وكتاب الشاذلي القليبي . امين عام الجامعة العربية ، خطوة في هذا الطريق . فهو يعالج الاسلام من النقطة التي انتهت اليها الثقافة الفرنسية (التنويرية) . فالاسلام عند القليبي هو دعوة الى الاجتهاد (الى العقل) ، ومواءمة بين الخاص والعام (الحاجات الفردية والاجتماعية ـ الحاجات الطبيعية والتوق الروحي ـ مقتضيات الحياة والمعاش ونزعة استشراف ما بعد الموت) . وهو مع الرجوع الى التعاليم الاسلامية ، دون ان يعني ذلك بالضرورة ، العودة ، الى ذات الظروف

الاجتماعية والتاريخية التي احتضنت بزوغ تلك التعاليم وممارساتها الاولى . وهو مع العدل والشورى ، بتطوير صيغة كل منها ، تطويرا دائما ، تلك بعض الخطوط العريضة ، التي يراها القليبي دعائم لنهضة اسلامية حديثة ، يقتنع المسلمين ، في القلب الفاعل من العصر . وقد اثر كما يبدو التركيز على تلك الخطوط ، دون الخوض في مجالات التحليل الموسع ، والتطبيق الدقيق ، تاركا تلك المهمة لغيره ، من الباحثين والدارسين لشؤون تنظيم الحياة الاسلامية ، على اتساع وتعدد مجالات ذلك التنظيم . ويذكر ان هذا الكتاب هو الرابع للمؤلف بعد : العرب امام قضية فلسطين (١٩٦٨) ، نظرات في الشعر (١٩٧٤) ، الثقافة رهان حضاري (١٩٧٨) .

اصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج

تحقيق : د . سيدة اسماعيل كاشف

وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان

● مؤلف مخطوطة هذا الكتاب هو الشيخ سالم بن حمود بن شامس الشيالي ، الذي يتصدى لدحض نسبة الحركة الاباضية للخوارج كما يذهب الى ذلك جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد والنحل فضلا عن سائر الكتاب ، بينما نرى فقهاء ومؤرخي الاباضية قديما وحديثا يؤكدون ان مذهبهم هو الاسلام القائم على القرآن الكريم وعلى الاحاديث النبوية والسنة الشريفة . ولم يكن للاباضية هدف لتكوين حزب او انشاء مذهب خاص ، فمذهبهم الاسلام ودينهم الاسلام ، واذ تؤكد المخطوطة براءة الاباضية من اسم الخوارج ، فان الخوارج تعني في نظرهم الخروج على الاسلام . »

الاسكان في الكويت

عبد الرؤوف عبد العزيز الجرداوي

شركة كاظمة للنشر ـ الكويت

● في مقدمة هذا الكتاب ، كتب المؤلف : « بدأت مشكلة السكان عندما بدأت الدولة تأخذ بالتخطيط الحضري خارج سور الكويت ، حيث لجأت الى هدم المباني والمساكن القديمة لاقامة المرافق وانشاء الطرق الحديثة ، وتخطيط المدينة وتجميلها مع تعويض اصحابها عنها . كما ان قدوم اعداد وفيرة من الوافدين بقصد العمل في الكويت ولجوء بعض البدو للاستقرار في ضواحي المدينة واطرافها سعيا وراء الرزق الوفير الذي عم البلاد ، والتغير الذي شمل العائلة الكويتية مما كان له الأثر في التقليل من العائلة الكبيرة « الممتدة » وانتشار الاسر الصغيرة الحجم « النواة » كل هذه الامور ساعدت في خلق مشكلة اسكانية بالدولة ، تمثلت في نقص المعروض من الوحدات السكنية بالنسبة للطلبات المستحقة لها ، ووجود اعداد كبيرة من السكان تعيش في عشيش ومساكن تقليدية مبنية قبل عام ١٩٥٠ تنقصها المرافق الصحية الضرورية ، وارتفاع ايجارات المساكن خاصة في السنوات الاخيرة بصورة تفوق قدرات الاسر متوسطة ومحدودة الدخل » .

في تتبعه لهذه المشكلة الحيوية ورصد جوانبها ، قام المؤلف بعقد سبعة فصول استهلها بفصل عن مشكلة الاسكان والمجتمع الحضري ، تلاه فصل عن مشكلة الاسكان في الكويت في ضوء التطور الذي اصاب المجتمع الكويتي وخطط الدولة في مجال الاسكان ، واعقبه بفصل عن تقييم الاسكان في الكويت انطلاقا من الاوضاع والخطط الحالية (في عام ١٩٧٧) ، ثم عمد المؤلف الى تخصيص الفصل الرابع لدراسة ميدانية

بول ايلوار (مختارات)

ترجمة وتقديم د . سامية احمد اسعد

وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية

● رغم ان هذا الكتاب « يقتصر » على مختارات من شاعر فرنسا الكبير . الا انه يضم زهاء ٣٦٠ قصيدة تقع في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير . عدا المقدمة ... انه كتاب ضخم اشبه بالـ « سفر » . واذا عرفنا ان ايلوار ، الى جانب اراغون وبودلير ورامبو ، هو اعمدة الشعر الاساسية في فرنسا ، فاننا نستطيع ان نتبين اهمية هذا الكتاب ، الذي تصدت لترجمته والتقديم له ، احدى الباحثات البارزات في مضمار الادب الفرنسي الحديث ، وهي الدكتورة سامية احمد اسعد ، استاذة الادب الفرنسي بكلية الآداب في جامعة بغداد . وهي تؤكد في مقدمة الكتاب على الصعوبة التي يلقاها الناقد في الالمام بمؤلفات ايلوار في مجموعها ووحدتها ، فاذا القى الضوء على جانب معين منها كان هذا على حساب الجوانب الاخرى . وكما يقول ناقد فرنسي ، هناك ايلوار الدادي ، وايلوار السيريالي ، وايلوار المقاومة ، وايلوار السياسي الحزبي .

اختلطت حياة الشاعر لفترة بتاريخ الحركة السيريالية حيث اشترك في تحرير اول نص سريالي جماعي « جثة » ، ثم عملية « عاصمة الالم » ، « والحب الشعر » ، وفيما بعد « الحياة المباشرة » و « الوردة العامة » و « العيون الخصبة » . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية واحتلت فرنسا ، انتشرت قصيدته « حرية » جاعلة منه شاعرا شعبيا اشهر من ذلك الذي اشتهر بدواوينه السيريالية . وكان يوقع قصائده عن المقاومة باسماء مستعارة جمعها عام ١٩٤٤ تحت عنوان « في اللقاء الالماني » .

الا ان عالم ايلوار ، كما تقول د . سامية يجد تماسكه في العلاقة القائمة على الحب الذي يتحول عند ايلوار الى مبدأ لاعادة خلق العالم . وفي ضوء ذلك كان يعيد النظر في الحب ذاته . كما يتحقق له اكبر قدر من الانفتاح على العالم . خاصة مع وعي الشاعر القوي والعنيف بالشقاء الاجتماعي . وفي كل ذلك كان ينظر الى تحرير اللغة على انه شكل من اشكال امكانيات تغيير الحياة . وحتى في فترات النضال والالتزام بقي الشاعر على حبه لسلاسة اللغة واخضاعها للتجربة . هذه بعض عناوين لقارة شعرية اسمها بول ايلوار . يبقى الاشارة الى ان الكتاب يقع في ٦٠٠ صفحة وثمنه ٦٠٠ فلس عراقي .

في موضوع البحث . اما الفصول التالية : الخامس والسادس والسابع . فقد تضمنت نتائج تلك الدراسة من حيث الواقع الاجتماعي للسكان وظروفهم الاقتصادية . ثم ظروف واوضاع السكن بانواعه الثلاثة : اسكان ذوي الدخل المحدود . سكان الشقق . البيوت التقليدية . واخيرا العلاقات الاجتماعية بين السكان فيما يتعلق بتبادل الزيارات . قضاء وقت الفراغ . والعزلة والاندماج في المجتمع الكويتي .

ويجدر بالاشارة ان الكتاب هو في الاصل رسالة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير وبالاضافة للدراسة الميدانية التي قام بها . فقد اعتمد على ٤٠ مرجعا عربيا ، في حقول الاسكان والتنمية وتنظيم المدن والمجتمع الحضري . فضلا عن ٢٥ مرجعا اجنبيا مختلفا

ولا شك ان هذا الكتاب يسد فراغا كبيرا في مجال بحثه

بوصلة من أجل عباد الشمس

ليانة بدر

دار ابن رشد ـ بيروت

● يحمل هذا الكتاب رواية باكورة اعمال الكاتبة الشابة ليانة بدر . التي كتبت من قبل عددا من القصص القصيرة والتي لم تجمعها في كتاب . اما هذه

الرواية فانها احدى الثمرات اليانعة ، لأدب فلسطيني شاب وجديد ، ينبثق من رحم التجربة الوطنية الفلسطينية . التي لا تنى محتدمة ، ومعطاءة . كما تجيء هذه الرواية . استشرافا لابداع درامي مشهود ، يكاد يتحول الى ما يمكن تسميته بكلاسيك الادب الفلسطيني ، والمتمثل اساسا في اعمال الشهيد غسان كنفاني ، وسميرة عزام .

« شهد ، جنان ، سمر ، عامر ، شام » هؤلاء هم ابطال الرواية . يجمعهم جيل واحد ، تفتح وعيه على هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وعمل على تحقيق ذاته ، عبر المخاض والولادة ، التي شهدتها حركة المقاومة الفلسطينية . وبطبيعة الحال ، فانه ينشب جدل وصراع دائمين ، بين هؤلاء الابطال وبين ثورتهم ، وهم في القلب منها . وهو جدل وصراع المشاركة لا الاختراق ، خاصة وان هذه الثورة تحمل في جوانحها ، تناقضات اجتماعية وتعارضات سياسية ، هي بعض من صورة المجتمع الذي انبثقت عنه ، والمحيط الذي تتحرك في غماره .

ثمة زهرة ، هي بنت الطبيعة البكر وصديقة الحقيقة . انها عباد الشمس ، التي تتلفت اني استدارت او تحركت الشمس . والجيل الوطني الجديد ، هو اشبه ما يكون بتلك الازهار . ولكن هل يكفي التجاوب الطبيعي والمشاركة البديهية .. اي هل تكفي العفوية والعاطفة الوطنية ؟ تجارب اولئك الابطال ، تفيد ان ذلك لا يكفي . وربما انه ضار . فلا بد لتلك الازهار الجميلة من بوصلة تهتدي بها ، وتضبط حركتها .

السرد في هذه الرواية القصيرة ، هو لحساب الزمن النفسي ان جاز التعبير .

فالحدود بين الذاكرة (الماضي) والفعل الحي المستمر ، شبه غائبة . على غرار زمن الفلسطينيين الذي يتشكل بين قطبين : المنفى والاحتلال والمصادرة من جهة ، والمقاومة والاتحاد بالوطن من جهة أخرى ، يسند ذلك كله لغة شاعرية مرهفة ، ومفعمة في الآن نفسه بتحليل عقلي ، ورصد لتحولات الواقع .

تعلم لتكون ـ عالم التربية اليوم وغداً

حسن جميل طه ويوسف عبد المعطي

مكتبة الفلاح ـ الكويت

● تكمن اهمية هذا الكتاب ، في كونه خلاصة جهد جماعي لمجموعة من رجالات التربية البارزين في العالم ، واذا عرفنا ان هؤلاء يتوزعون بين وزارة تربية ، واساتذة جامعيين وخبراء تربية ، وان بعضهم ينتمي الى فرنسا والاتحاد السوفيتي والبعض الاخر الى سوريا والكونغو ، واذا عرفنا ان جهد هؤلاء قد تم في اطار اعلى هيئة تربوية دولية (وهي اليونسكو) .. واذا عرفنا ايضا ان العمل المشترك لم يكن حصيلة جهد اكاديمي وخبرات نظرية متراكمة فحسب ، بل إن هذا العمل جاء نتيجة دراسات وابحاث ميدانية جرت في ٢٣ بلدا بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا ، وايضا الجزائر ومصر واليابان ، وكذلك السنغال والسويد ويوغسلافيا .. اذا عرفنا كل ما سبق ، ووضعناه في الاعتبار ، فاننا نستطيع ان نتعرف الى القيمة الاستثنائية لهذا الكتاب الذي يتضمن عرضا وتلخيصا لتقرير اللجنة الدولية لليونسكو حول تطوير التربية في العالم والذي تم وضعه ١٩٧٢ ، وهو آخر تقرير شامل في مجال بحثه ، والكتاب زاخر بالملاحظات والآراء من واقع تجارب التربية في العالم ، وتحظى بلدان العالم الثالث ومنها بلادنا العربية ، بنصيب وافر من الدراسة والتقييم والمعالجة وتوجيه المقترحات عليا بأن مفهوم التربية يأخذ أوسع معانيه في الكتاب وذلك باعتبار التربية عملية تحرير لقوى الانسان وطاقاته . ذلك ان مستقبل البشرية هو مستقبل اولئك المعلمين والمتعلمين الذين يراوحون بين النقد والمشاركة الديمقراطية والقدرة على التخيل المبدع مع التنظيم العلمي اللازم لاثارة الطاقات الكامنة في الافراد والمناهج . ■■

نزهة العقل الذكي بجهد وابداع

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :ـ

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٣ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول فبراير (١٩٨٠) .

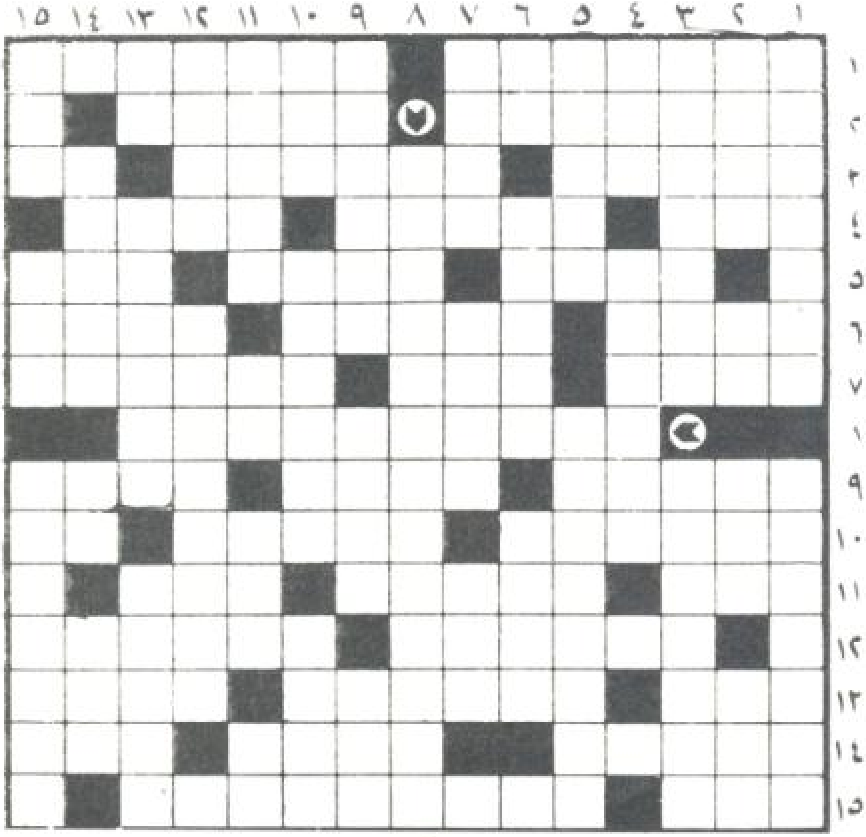
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم امام شيعي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم مصري من روّاد الصحافة العربية .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من المملكة الحيوانية ـ أضاءتها .
٢ ـ من اللغات القديمة ـ نبات متسلّق .
٣ ـ نغلبه ـ ينتسب الى جنس كان يسكن البلاد الاسكندنافية قديما ـ في الذراع .
٤ ـ أنشأ ـ موجود بكثرة ـ يضاف الى الطعام لتحسين مذاقه .
٥ ـ تنفي ـ تجدها في (يخاصم) ـ ارتدى .
٦ ـ ساقط ـ أقصيا ـ توجعات .
٧ ـ ابتغينا ـ جوهرة ـ أسفاره .
٨ ـ امام شيعي .
٩ ـ أراضي منبسطة بأمريكا الشمالية تنمو فيه الحشائش ـ تثنى ـ أقرّ .
١٠ ـ ولاية أمريكية ـ ضربات بالسلاح ـ للنداء .
١١ ـ قيّد ـ الناحية ـ علمها من أمر ربّي .
١٢ ـ الذي بلا أهل ـ مولّد كهربائي .
١٣ ـ يقفز ـ شهر ميلادي ـ ثورة .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٣



١٤ ـ من اجزاء الجسم ـ من الاعداد ـ بدون .
١٥ ـ حرف ابجدي ـ علم الأشعة .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من الاحجار الكريمة ـ من أعضاء الجسم .
٢ ـ من الطيور ـ من الاقارب ـ شكوك ـ تتبع .
٣ ـ عاصمة جامايكا ـ فيلسوف اغريقي .
٤ ـ أفشى ـ شلالات معروفة .
٥ ـ ينشغل ـ من المناسبات الدينية .
٦ ـ للتفسير ـ تناظر ـ أسمّي .
٧ ـ تذكر المثالب ـ علّلت ـ من مواد البناء .
٨ ـ عالم مصري من روّاد الصحافة العربية
٩ ـ مركز فلكي ـ حسرة ـ تجدها في كلمة (بواري)
١٠ ـ خير ـ من العناصر الكيميائية ـ تنافر .
١١ ـ من اشهر أعمال جبران خليل جبران ـ نصف كلمة (حائر) ـ من الاشجار ـ مقام موسيقي .
١٢ ـ علم ـ نبات سام .
١٣ ـ نصف كلمة (تبنى) ـ حيوان ـ معشوقي .
١٤ ـ جبال أوربية ـ مقام موسيقي ـ تجدها في كلمة (أليف) .
١٥ ـ في الوجه ـ من الاعداد ـ من الخضروات .

فيلسوف ومؤرخ انجليزي

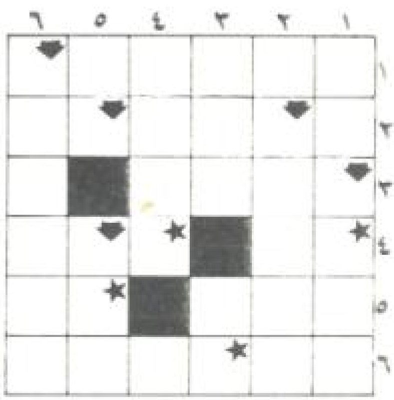
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لفيلسوف ومؤرخ انجليزي من أصل اسكتلندي ، أنشأ الفلسفة الظاهرية . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها لتصنع لقبه .

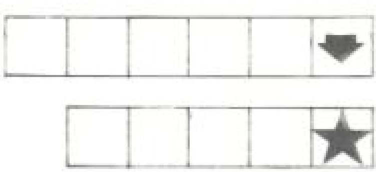
الكلمات الأفقية :

١ ـ كاتب عربي وصاحب العبقريات .
٢ ـ زهر عطري .
٣ ـ وحدة قياس مساحات
٤ ـ متشابهان ـ سهل .
٥ ـ لاذ ـ مقام موسيقي .
٦ ـ لاعبات (معكوسة) .

الكلمات الرأسية :

١ ـ وحدة قياس كهرباء .
٢ ـ أكبر بحيرات أوروبا .
٣ ـ صفح ـ للتفسير .
٤ ـ شرعه .
٥ ـ نصف كلمة (مواد) ـ من أقاربي (معكوسة) .
٦ ـ مضيق .



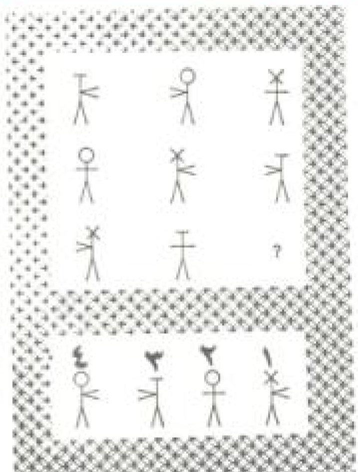


● اختبار معلومات ●

أين الصواب ؟.. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟.

١ ـ الطهبوج : طائر من فصيلة الدجاج .
٢ ـ اينولوجي : علم صناعة النبيذ .
٣ ـ بوتسداء : اجتماع شهير في اعقاب الحرب العالمية الثانية .
٤ ـ تاجالوج : آلة موسيقية آسيوية .
٥ ـ حشيشة الذب : من الزهور .
٦ ـ ريج فيدا : من أقدم الكتب المقدسة في العالم .
٧ ـ سيرا مادري : أشهر مغنية أسبانية .
٨ ـ كاناي : معركة هزم فيها هانيبال الرومان .
٩ ـ لويس بليريو : مكتشف جرثومة الدفتيريا .
١٠ ـ ناتو : اختصار اسم حلف شمال الاطلنطي .



الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الأرقام يجب أن يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

دافيد هيوم .

●

أين الصواب .. وأين الخطأ .. :

كلها صحيحة فيما عدا :

(٤) تاجالوج : اللغة الرسمية في الفلبين .
(٧) سيرا مادري : سلسلة جبال مكسيكية .
(٩) لويس بليريو : أول من عبر المانش بطائرة .

الشكل المطلوب :

رقم (٤) .

العربي

فهرس سنة

١٩٧٩

من العدد ٢٤٢ الى العدد ٢٥٣

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير أحمد بهاء الدين

دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
اذا حل شهر رمضان (دعاء)	الامام زين العابدين	٧٩/٨	٢٤٩	٨٢
مسلمون ولا اسلام	د . عون الشريف قاسم	٧٩/٩	٢٥٠	١٢
رد على تعقيب : عودة الى القرآن ونظرية التطور	د . سعيد رمضان البوطي	٧٩/١٠	٢٥١	٦٢
الدين في عصر العلم	د . عون الشريف قاسم	٧٩/١١	٢٥٢	١٨
المستشرقون المعاصرون في تجربة للنقد الذاتي	د . محمد فتحي عثمان	٧٩/١١	٢٥٢	٣٤
أصول التوراة .. لماذا أسقطت التوراة ٤ قرون من التاريخ ؟	حسين ذو الفقار صبري	٧٩/١١	٢٥٢	١٤٥

للمناقشة

بقلم : فهمي هويدي

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
ثرثرة لازمة في وداع عام رحل !	٧٩/١	٢٤٢	٦٧
الاسلام المطلوب للمرحلة !	٧٩/٣	٢٤٤	٣٤
هذا أوان الفرز !	٧٩/٤	٢٤٥	٣٥
ترجمة عربية لبعض احداث فارس	٧٩/٥	٢٤٦	٣٧
المقالة الابليسية !	٧٩/٦	٢٤٧	٤٥
حكومة اسلامية نعم .. حكومة دينية لا !	٧٩/٧	٢٤٨	٤٠
عن الدين والسياسة : تيه الحاكمية وقناع سيادة الامة	٧٩/٨	٢٤٩	٤٥
عن الدين والسياسة : بغير شعارات من يملك السلطة والثروة ؟	٧٩/٩	٢٥٠	٤٠
الساكت عن الحج والساكت عن الحق !	٧٩/١٠	٢٥١	٣٧
في زمن الرق الثاني	٧٩/١١	٢٥٢	٣٠

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
من القاهرة الى طوكيو مع حقوق الانسان	د . احمد كمال ابو المجد	٧٩/٢	٢٤٣	٢٣
اساس التقدم	د . عون الشريف قاسم	٧٩/٣	٢٤٤	١٤
ثورة الصين على النظام الدولي	جميل مطر	٧٩/٣	٢٤٤	١٨

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
خلاف الفقراء والاغنياء حول نظام النقد العالمي	د . حازم الببلاوي	٧٩/٤	٢٤٥	١٥
سد احتياجات الناس اولا ام مشروعات الصناعة الكبيرة ؟	د . عبد الكريم الايرياني	٧٩/٥	٢٤٦	٢٩
يوروماركت - يورودولار - ماذا تعني ؟	د . حازم الببلاوي	٧٩/٩	٢٥٠	٣٠

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
العروبة في مصر بين الاشراقات والتحديات	اكرم زعيتر	٧٩/٣	٢٤٤	٦
الهجرة العربية الى الخليج	د . محمد غانم الرميحي	٧٩/٣	٢٤٤	٥٤
بحثا عن هدف للعالم العربي في مرحلة السيولة	جميل مطر	٧٩/٤	٢٤٥	٦
الثقافة العربية والترجمة	د . علي الراعي	٧٩/٤	٢٤٥	٣٩
شرقيون ام عرب ؟	اكرم زعيتر	٧٩/٥	٢٤٦	١٥
الحرب المحدودة في الوطن العربي	جميل مطر	٧٩/٦	٢٤٧	٢٤
رؤية جديدة للعالم العربي	روز ماري صايغ	٧٩/٧	٢٤٨	٩٨
اشراقات عربية بمصر : عزيز المصري احد اول قادة الحركة العربية	اكرم زعيتر	٧٩/٨	٢٤٩	٦
محنة الرأي العام العربي	جميل مطر	٧٩/٨	٢٤٩	١٨
عندما هب العرب لصد الفرنسيين عن مصر	د . احمد عبد الرحيم مصطفى	٧٩/٩	٢٥٠	٣٥
اشراقات وتحديات : عندما وقفت مصر تدافع عن الاقصى	اكرم زعيتر	٧٩/١٠	٢٥١	١٩
النفط والوحدة العربية	د . محمد الرميحي	٧٩/١١	٢٥٢	٤٠

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عالم الاسواق في الكويت	صادق بلي تصوير : اوسكار متري	٧٩/١	٢٤٢	٨٤
لقاء الفن التشكيلي في الكويت	صادق بلي تصوير صلاح ادم	٧٩/٧	٢٤٨	٨٨

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
المعهد العالي للموسيقى	يوسف شهاب تصوير اوسكار متري		٧٩/٨	٢٤٩	١٢٠
السدو فن البدو	مصطفى نبيل تصوير عبد الناصر شقرة		٧٩/١٠	٢٥١	٧٠

الاستطلاعات العربية والخارجية المصورة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الأوراس « الوجه الآخر »	فهمي هويدي تصوير : اوسكار متري		٧٩/١	٢٤٢	١٠٠
المسلمون مروا من هنا : قبل خراب مالطة	مصطفى نبيل تصوير عبد الناصر شقرة		٧٩/٢	٢٤٣	٣٠
كوريا موريا	سليم زبال تصوير صلاح ادم		٧٩/٢	٢٤٣	١١٦
انقذوا تمبكتو !	سليم زبال تصوير اوسكار متري		٧٩/٣	٢٤٤	٦٨
الليطاني نهر عربي في خطر	مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقرة		٧٩/٤	٢٤٥	٧٢
نقوش عصرية على جدران صنعاء	فهمي هويدي تصوير : اوسكار متري		٧٩/٤	٢٤٥	١٠٧
العمارة اليمنية تتحدى	فهمي هويدي تصوير اوسكار متري		٧٩/٥	٢٤٦	٧٦
القدس في القلب	مصطفى نبيل		٧٩/٦	٢٤٧	٦٨
في السودان السكر اغلى من الذهب الابيض وأنفع	منير نصيف تصوير صلاح ادم		٧٩/٦	٢٤٧	١٣٢
سيوه ارض النبوءة والمستقبل	مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقرة		٧٩/٧	٢٤٨	٦٨
م خيبر : التاريخ حيا	فهمي هويدي تصوير صلاح أدم		٧٩/٩	٢٥٠	٦٨
اليونان والعرب فكر وحضارة وحديث عن المستقبل	منير نصيف تصوير : اوسكار متري		٧٩/١٠	٢٥١	١١٦
المدينة المنورة : طيبة الحجاز	مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقرة		٧٩/١١	٢٥٢	٦٨

ادب ولغة

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

شعر وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
يا شام	عبد الله احمد حسين	٧٩/١	٢٤٢	١٤
جوتة شاعر عظيم وعالم فاشل	د . عبد العظيم انيس	٧٩/١	٢٤٢	٧٨
الحاج عمر لطفي بشاريزي شاعر الباني كتب بالعربية	د . محمد موفاكو	٧٩/١	٢٤٢	١٣٥
وجود جديد	الياس قنصل	٧٩/١	٢٤٢	١٤٦
شاعر العربية بدوي الجبل	اكرم زعيتر	٧٩/٢	٢٤٣	٤٠
بشرنا ثم تصوفنا	فاروق شوشة	٧٩/٣	٢٤٤	١١٦
وجه حبيبتي طالع من الدم	عبد الكريم حسن	٧٩/٤	٢٤٥	١٢
عن الغناء الشعبي في المغرب	د . احمد عبد الرحمن عيسى	٧٩/٤	٢٤٥	١٢٠
شلالات نياجرا	د . محمد عبده غانم	٧٩/٤	٢٤٥	١٣٨
المهاجر وحيدا	فاروق شوشة	٧٩/٥	٢٤٦	١٢
عندما قال الشعر : لا للموت !	عبد الوهاب شكري	٧٩/٥	٢٤٦	١٣٦
الى شاعر مجهول	د . عبد العزيز المقالح	٧٩/٦	٢٤٧	٥٠
من قصائد الثورة والحزن للشاعر الايطالي الشاب انجيلو اتيبزيني	د . عيسى الناعوري	٧٩/٦	٢٤٧	٥٢
الشاعر الاندلسي القسطلي	علي ادهم	٧٩/٦	٢٤٧	١١٠
مصر في امثالها الشعبية	د . كمال نشأت	٧٩/٦	٢٤٧	١٢٢
عودة الذكرى	د . عاتكة الخزرجي	٧٩/٦	٢٤٧	١٥٠
المغنيات والمغنيون في بغداد	جمال الدين الالوسي	٧٩/٧	٢٤٨	٥٢
كيف توج العرب احمد شوقي اميرا للشعراء	اكرم زعيتر	٧٩/٨	٧٤٩	٦
عندما تتقصف الخيام	حسن عبد الله القرشي	٧٩/٨	٢٤٩	٥٠
العام عام الفين	د . محمد عبده غانم	٧٩/٩	٢٥٠	٣٠
عندما اوغل السندباد وعاد	صلاح عبد الصبور	٧٩/١٠	٢٥١	٣٣
غناء وعبير قصائد باللغة الايطالية	د . عيسى الناعوري	٧٩/١٠	٢٥١	٩٤
بودلير .. شاعر المرأة	د . ماري فرنسيس	٧٩/١٠	٢٥١	١١٠
الموت الجميل	د . عبده بدوي	٧٩/١١	٢٥٢	٢٨

قصص

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
آخر السهرة	ابو المعاطي ابو النجا	٧٩/١	٢٤٢	١٦٥
الكلام	عباس احمد	٧٩/٢	٢٤٣	١٣٣

علوم

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عودة الاطباق الطائرة	مجدي فهمي	٧٩/٢	٢٤٣	٣٠
هندسة الوراثة	زهير الكرمي	٧٩/٢	٢٤٣	٤٧
هذه الصناعة وسمومها التي تدفعها الى الصدور	د . محمد علي الفرا	٧٩/٢	٢٤٣	٦٠
مستقبل الاخصاب خارج الارحام	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٣	٢٤٤	٢٨
خطر الفناء يهدد جنة الحيوانات البحرية المرجانية	سمير جيوسي	٧٩/٣	٢٤٤	٩٢
اعظم اختراع ميكانيكي : قصة العجلة	د . عبد اللطيف ابو السعود	٧٩/٣	٢٤٤	١٢٠
ما العمل عندما يصادفك حادث في الطريق ؟	د . محمد طه الجاسر	٧٩/٤	٢٤٥	٤٣
لغة الخلايا الجنسية	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٤	٢٤٥	٩٥
الطاقة الشمسية حل مجاني لاعقد مشكلات الانسان	د . سعود عياش	٧٩/٥	٢٤٦	٢٢
حذار من السكر ذلك العدو الحلو القاتل !	د . صبيحة الدباغ	٧٩/٥	٢٤٦	٤١
لغز اسوار الحياة	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٥	٢٤٦	٤٨
غذاؤك سنة ٢٠٠٠ كله مصنع من الخضرة والفاكهة الى اللحم البقري		٧٩/٥	٢٤٦	١١٢
كوكب المشتري يكشف عن اسراره	م . سعد شعبان	٧٩/٦	٢٤٧	١٨
الدخان اعدى اعداء الاسنان	د . موفق ابو طوق	٧٩/٦	٢٤٧	٦٠
ما يفرقه الانسان تجمعه الحياة	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٦	٢٤٧	١١٤
ناموس واحد : من الميكروب الى الانسان	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٧	٢٤٨	١٨
انت والتسمم	د . صبيحة الدباغ	٧٩/٧	٢٤٨	٥٠
غرائز النمل في مملكته	د . محمد مروان السبع	٧٩/٧	٢٤٨	١٤٠
تشكيل الجنين : هذه الرحلة المثيرة	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٨	٢٤٩	٢٣
السرطان وغذاؤنا	سمير جيوسي	٧٩/٨	٢٤٩	٥٢
الليزر .. ثورة في عالم الضوء	د . عبد اللطيف ابو السعود	٧٩/٨	٢٤٩	١١٤
البروج وحظوظ الناس	م . سعد شعبان	٧٩/٩	٢٥٠	١٥
خطأ الخلقة .. كيف ولماذا ؟	د . عبد المحسن صالح	٧٩/٩	٢٥٠	٥٠
شلل الاطفال	د . فاروق المهتدي	٧٩/٩	٢٥٠	١١٤
السكرتيرة الحسناء آلة العصر	سعد الحاج بكري	٧٩/٩	٢٥٠	١١٩
قصة النار	د . عبد اللطيف ابو السعود	٧٩/٩	٢٥٠	١٣٢
ماذا اعددنا لنستقبل عصر الطاقة البديلة ؟	د . سعود عياش	٧٩/١٠	٢٥١	١٤
عندما تمرض عضلات الجسم	د . محمد ابو شوك	٧٩/١٠	٢٥١	٤٦
للعجائز فقط	د . صبيحة الدباغ	٧٩/١٠	٢٥١	١٠٣
نحن سلالة « طبخة » كونية !	د . عبد المحسن صالح	٧٩/١١	٢٥٢	٢٢
العقم لم يعد مشكلة بلا حل !	د . صبيحة الدباغ	٧٩/١١	٢٥٢	١١١

العـدد القـادم : عـدد ممتـاز

انباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

طبيب الاسرة

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
داء الاسقربوط ـ الموتيليا	٧٩/٦	٢٤٧	١٣٠
المواد المزيلة لرائحة العرق هل منها ضرر ؟ ـ رائحة الفم	٧٩/٨	٢٤٩	١٣٠
تقلص عضلات المريء ـ فتق الحجاب الحاجز	٧٩/٩	٢٥٠	١٣٠
امراض المثانة ـ الرضاعة والحليب المجفف ـ الشاي والقهوة	٧٩/١٠	٢٥١	١١٥
شلل الوجه النصفي ـ موانع الارضاع الطبيعي	٧٩/١١	٢٥٢	١٢٦

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
ملكة انجلترا تزور الخليج في اول رحلة لها الى البلاد العربية بدءا من الكويت	مصطفى نبيل	٧٩/٢	٢٤٣	٣
القاهرة عالم من المآذن	جمال الغيطاني	٧٩/٢	٢٤٣	٥٢
العثمانيون المفترى عليهم	محمد حرب عبد الحميد	٧٩/٣	٢٤٤	٣٧
رحلة مع القانون الى التاريخ	محمد عبد الله عنان	٧٩/٥	٢٤٦	٣٤
المرأة والحرب في التاريخ الاسلامي	د . احمد عبيد الكبيسي	٧٩/٥	٢٤٦	١٠٦
سر اضمحلال شعب المايا	رجاء ابو غزالة	٧٩/٥	٢٤٦	١٣٠
حول تاريخ الكويت خبر جديد	د . شاكر مصطفى	٧٩/٧	٢٤٨	٣٦
القادسية معركة الايام الثلاثة	احمد عادل كمال لوحات : عبد الغني ابو العنين	٧٩/٨	٢٤٩	٦٨
طريق الاثيات ودلائل الخيرات	د . علي احمد راشد	٧٩/٨	٢٤٩	٨٨
فتح دمشق (١٤ هـ ـ ٦٣٥ م)	احمد عادل كمال	٧٩/١٠	٢٥١	٤٢
مذكرات كلوت بك وقصة اول مدرسة عربية للطب الحديث	د . سليمان قطاية	٧٩/١٠	٢٥١	١٣٤
فتح قبرص في عصر المماليك	د . عبد السلام تدمري	٧٩/١١	٢٥٢	١١٦
عندما كانوا يتكلمون العربية في يوغوسلافيا	اسماعيل حمدي	٧٩/١١	٢٥٢	١٢٨
اصول التوراة .. لماذا اسقطت التوراة ٤ قرون من التاريخ ؟	حسين ذو الفقار صبري	٧٩/١٠	٢٥٢	١٤٥

تاريخ اشخاص

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
جوته شاعر عظيم وعالم فاشل	د . عبد العظيم انيس	٧٩/١	٢٤٢	٧٨
الحاج عمر لطفي بشاريزى شاعر الباني كتب بالعربية	د . محمد موفاكو ـ د . نعمة حافظ	٧٩/١	٢٤٢	١٣٥

العــدد القــادم : عــدد ممتــاز

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عكازات واقنعة	د . فخري الدباغ	٧٩/١	٢٤٢	١٣٠
ابني عصبي لماذا ؟	د . ملاك جرجس	٧٩/٢	٢٤٣	١٠٥
الحس العام وهم ام حقيقة ؟	د . فخري الدباغ	٧٩/٣	٢٤٤	٩٩
خلافا لرأى فرويد : مشكلاتك النفسية تمر بثماني مراحل	محمود محمود	٧٩/٤	٢٤٥	١٢٦
هؤلاء المبدعون الصغار	د . عبد الستار ابراهيم	٧٩/٥	٢٤٦	١١٥
طفولتك وشخصيتك	د . نبيه غبره	٧٩/٦	٢٤٧	١٢٥
القلـــق	د . عبد الرؤوف ثابت	٧٩/٧	٢٤٨	١٣٠
عندما تودع اسرار الناس داخل بنوك المعلومات	د . حسن احمد عيسى	٧٩/٨	٢٤٩	٣٠
ماذا قال ابن عرضون في تربية الصبيان ؟	مصطفى المهاة	٧٩/٨	٢٤٩	١٠٨
اهداف حياتك كيف تحددها ؟	د . عبد الله محمود سليمان	٧٩/٩	٢٥٠	١١٠
تكلموا تعرفوا	عبد الوهاب شكري	٧٩/٩	٢٥٠	١٢٦
محنة التربية والثقافة	محمود محمود	٧٩/١٠	٢٥١	٩٨

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
العاطفة عند الغزالي : محبة الله ومحبة الجمال	د . محمد عبد الهادي ابو ريدة	٧٩/١٠	٢٥١	٥٠
الغناء والموسيقى عند الامام الغزالي	د . محمد عبد الهادي ابو ريدة	٧٩/١١	٢٥٢	٥٢

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الغد يصبح علما لا مكان فيه للشعوذة والتنجيم	د . صلاح عبد المجيد	٧٩/١	٢٤٢	١٦
رحلة مثيرة في عالم المستقبل : الكتاب الاسود	د . شاكر مصطفى	٧٩/١	٢٤٢	٢٠
كيف تعيش مائة عام	علي ادهم	٧٩/١	٢٤٢	٣٠
عكازات واقنعة	د . فخري الدباغ	٧٩/١	٢٤٢	١٣٠
ماذا تعرف عن القانون الانساني ؟	د . احسان هندي	٧٩/٤	٢٤٥	٢٥

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
رحلة مثيرة في عالم المستقبل : الكتاب الاسود	د . شاكر مصطفى	٧٩/١	٢٤٢	٢٠
محاولة لفهم العقل العربي	د . فؤاد زكريا	٧٩/١	٢٤٢	١٧١
اكلة لحوم الموتى	د . صفاء خلوصي	٧٩/١	٢٤٢	١٧٧
من اجل مستقبل البشرية	ياسر الفهد	٧٩/٢	٢٤٣	١٤١
طريق الترقي : رؤية جديدة لاسرار عالم الترقي والوظائف العليا	فريد كامل	٧٩/٣	٢٤٤	١٤١
رؤية متفائلة لمستقبل الدول النامية وملامح مثيرة لمجتمع ما بعد الصناعة	ياسر الفهد	٧٩/٤	٢٤٥	١٤٣
ايران : وهم السُلطة	فيليب حلاب	٧٩/٥	٢٤٦	١٤٣
دبلوماسية الوفاق : الدول الصغرى دفعت الثمن والكبار رفضوه !	ياسر الفهد	٧٩/٦	٢٤٧	١٦٠
ادب الطف او شعر الحسين عليه السلام	د . صفاء خلوصي	٧٩/٦	٢٤٧	١٦٥
العرب والتربية والحضارة : دراسة في الفكر التربوى المقارن	عبد الرزاق البصير	٧٩/٧	٢٤٨	١٢٥
عالم الكتب : بيولف	د . عبد الواحد لؤلؤة	٧٩/٨	٢٤٩	٦٥
كيف خسرت اسرائيل روحها ؟	فيليب حلاب	٧٩/٨	٢٤٩	١٤٣
الامثال الكويتية المقارنة	عبد الرزاق البصير	٧٩/٩	٢٥٠	١٢٢
الحرب العالمية الثالثة	فيليب جلاب	٧٩/١٠	٢٥١	١٤٣

الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الفنون وتحديات الحداثة	د . علي الراعي	٧٩/١	٢٤٢	٧١
بافواههم واقدامهم يرسمون	فريد كامل	٧٩/١	٢٤٢	١٢٤
الفنان العراقي في رحلة الخط الثانية	بلند الحيدرى	٧٩/١	٢٤٢	١٤٠
سينما الحرب في لبنان	الفاروق عبد العزيز	٧٩/١	٢٤٢	١٤٧
« الفلكلور » تعبير عن اصالة الشعوب	صفوت كمال	٧٩/٢	٢٤٣	٦٥
دخول وخروج « كاريكاتير »	بريشة بهجت عثمان	٧٩/٢	٢٤٣	٩٠
يوم الارض على الشاشة	راجي عنايت	٧٩/٢	٢٤٣	١٠٨
كلمات على اشياء « كاريكاتير »	بريشة بهجت عثمان	٧٩/٤	٢٤٥	٥٦

نذكر فيما يلي الابواب التي اغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها اسماء محرريها :

زهرة العقل الذكي .... راجي عنايت

طرائف عربية .... صادق بلي

حوار القراء .... عبد الحفيظ يونس

اقوال معاصرة .... فهمي هويدي

طرائف اجنبية .... منير نصيف

مقالات في كلمات .... محمد خليفة التونسي

العربي الصغير .... يوسف زعبلاوي

الفهرس العام من اعداد .... صلاح صادق

جي سي بي عندما تتطلب الافضل فقط



إن جي سي بي هي مؤسسة بريطانية مصدرة لآلات البناء . خاصة منة بالمئة و نوعية منتجاتها المعتمدة فقد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة انحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المتعددة

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحفارات الزاحفة الهيدروليكية ، وشاحنات الجرف المفصلية ذات العجلات ، وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية التي تحتل المركز القيادي في اسواق اكثر من ٥٠ خمسين بلداً .

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في اكثر من ١٠٠ بلد .

وكموزعين محليين لـ .. جي سي بي ، فاننا نفخر بأن نقدم لكم تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحلة ، والمحملات ذات العجلات والحفارات الزاحفة التي تقترن بخدمات الاسناد .

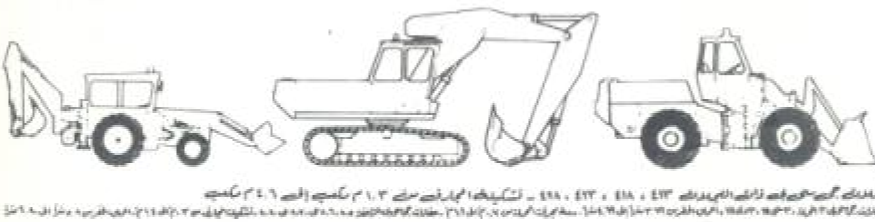
عندما تتطلب الأفضل ، اختر جي سي بي .

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

وكلاء جي سي بي : الجزائر ، البحرين ، قبرص ، مصر ، اثيوبيا ، إيران ، العراق ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، عمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، تونس ، تركيا ، السودان ، الإمارات العربية المتحدة ، الجمهورية العربية اليمنية ، للمعلومات اتصل بـ ..

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ ..

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel:- Athens 922 6718. Telex: 219314.



[illegible]

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ديسمبر - كانون أول
١٩٧٩

الإبداع

في الفن والعلم

تأليف :

د. حسن أحمد عيسى

٢٥٠ فلساً

الكتاب الرابع والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٩

١٢٣

حلم العقل

تأليف : بويرو باييخو - ٣

ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل

مراجعة : د. الطاهر أحمد مكي

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت
ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)
هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


صورة تلفزيونية ملتقطة
سوني
SONY
سوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد
سوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح.
سجل برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء،
أو شاهد البرامج العديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهد عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية
والبرامج التثقيفية والوثائقية واللهو العائلي البريء على جميع أنواعه.
وبإمكانك أيضاً حتى تصوير أشرطة في البيت بكاميرا فيديو المدمجة
الخفيفة التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة
والصوت معاً ليبثهما أمامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني.
جهاز بيتاماكس يجعل كل هذا ممكناً، وهو سهل الاستعمال.
ادره وزوده بكاسيت فيديو فيكون على أتم استعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أو لبثها ويمكنك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل تلقائياً في غيابك
سوني بيتاماكس انه بطاقتك الى المسرح في عقر دارك.
KV-2010ME
SL-8000E
Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته



CTP 6457

BCORD VTC 9350

شاهدوا الإستعراضات العالمية الكبرى مرارًا وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل

إنتهت مشاكل أنظمة التسجيل بفضل جهاز سانيو بيتاكورد بال/سيكام بلوحته الأمامية المذهبة. وأصبح بإمكانكم إقتناء، شراء، إستعارة، أو بالطبع تسجيل الأشرطة على نظامي بال وسيكام وبالتالي مشاهدة الإستعراضات العالمية الكبرى في أي وقت تريدون وإعادة مشاهدتها مرارًا وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل.

مميزات سانيو بيتاكورد المثيرة:

- مؤقت آلي ٧٢ ساعة بأسلوب التسجيل اليومي.
- جهاز تحكم عن بعد للتوقيف المؤقت / أو وقف التشغيل.
- التسجيل على أشرطة الفيديو كاسيت المدمجة لغاية ٣¼ ساعة متواصلة

مجموعة ذهبية لأجهزة التلفزيون الملون بنظامي بال/سيكام مع أجهزة التحكم واللوحات الأمامية المذهبة CTP 6457



أشرطة بيتا فيديو كاسيت ٦٥ دقيقة، ١٣٠ دقيقة ١٩٥ دقيقة

SANYO سانيو